سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٦	سورة آل عمران ١٠١	سورة النساء ١٤٢	سورة المائدة ٢٠٥
سورة الأنعام ٢٤١	سورة الأعراف ٢٨٣	سورة الانفال ٣٢٢	سورة التوبة ٣٣٧	سورة يونس ٣٦٤
سورة هود ع ٣٧٧	سورة يوسف ع ٣٩٣	سورة الرعد ٤٠٦	سورة ابرهيم ٤١٤	سورة الحجر ٤٢٣
سورة النحل ٤٣١	سورة الإسراء ٤٤٩	سورة الكهف ٤٦٦	سورة مريم عليها السلام ٤٧٥	سورة طه ٤٨٢
سورة الأنبياء ٤٩١	سورة الحج ٥٠١	سورة المؤمنون ٥١١	سورة النور ٥٢٠	سورة الفرقان ٥٢٩
سورة الشعراء ٥٤٣	سورة النمل ٥٥٢	سورة القصص ٥٦٢	سورة العنكبوت ٥٧٤	سورة الروم ٥٨٢
سورة لقمان ٥٩٠	سورة السجدة ٥٩٥	سورة الأحزاب ٥٩٩	سورة سبأ ٦١٣	سورة الملائكة ٦٢٠
سورة يس ٦٢٧	سورة الصافات ٦٣٣	سورة ص ٦٤٣	سورة الزمر ٦٥٣	سورة المؤمن ٦٦٤
سورة فصلت ٦٨٤	سورة عسق ٦٩١	سورة الزخرف ٦٩٨	سورة الدخان ٧٠٧	سورة الجاثية ٧١١
سورة الأحقاف ٧١٤	سورة محمد عليه السلام ٧١٨	سورة الفتح ٧٢٣	سورة الحجرات ٧٢٩	سورة ق ٧٣٣
سورة الذاريات ٧٣٨	سورة الطور ٧٤٢	سورة النجم ٧٤٥	سورة القمر ٧٤٩	سورة الرحمن ٧٥٢

سورة الواقعة ٧٥٦	سورة الحديد ٧٦٠	سورة المجادلة ٧٦٦	سورة الحشر ٧٧٢	سورة الممتحنة ٧٧٧
سورة الصف ٧٨١	سورة الجمعة ٧٨٣	سورة المنافقون ٧٨٥	سورة التغابن ٧٨٧	سورة الطلاق ٧٩٠
سورة التحريم ٧٩٥	سورة الملك ٧٩٩	سورة ن ٨٠٥	سورة الحاقة ٨٠٩	سورة المعارج ٨١٤
سورة نوح ٨١٨	سورة الجن ٨٢١	سورة المزمل ٨٢٦	سورة المدثر ٨٣١	سورة القيمة ٨٣٧
سورة الدهر ٨٤١	سورة المرسلات ٨٤٤	سورة النباء ٨٤٦	سورة النازعات ٨٤٨	سورة عبس ٨٥٠
سورة التكوير ٨٥٢	سورة الانفطار ٨٥٤	سورة المطففين ٨٥٦	سورة الانشقاق ٨٥٩	سورة البروج ٨٦٠
سورة الطارق ٨٦٢	سورة الأعلى ٨٦٤	سورة الغاشية ٨٦٥	سورة الفجر ٨٦٦	سورة البلد ٨٦٨
سورة الشمس ٨٦٩	سورة الليل ٨٧١	سورة الضحى ٨٧٢	سورة الانشراح ٨٧٣	سورة التين ٨٧٤
سورة العلق ٨٧٥	سورة القدر ٨٧٦	سورة البينة ٨٧٦	سورة الزلزال ٨٧٨	سورة العاديات ٨٧٨
سورة القارعة ٨٧٩	سورة التكاثر ٨٧٩	سورة العصر ٨٨٠	سورة الهمزة ٨٨٠	سورة الفيل ٨٨١
سورة الصيف ٨٨١	سورة الماعون ٨٨١	سورة الكوثر ٨٨٢	سورة الكافرون ٨٨٣	سورة النصر ٨٨٣
سورة تبت ٨٨٤	سورة الإخلاص ٨٨٤	سورة الفلق ٨٨٦	سورة الناس ٨٨٧	تم فهرست الكتاب

٣

وقف هذا الكتاب المعمور والدر المنثور مفسر سورة العدل والاحسان
وموضح مشتبهات الحقيقة والعرفان السلطان ابن السلطان السلطان
السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان احمد خان
لا زالت ابواب عدله مسلي على رؤس الاشهاد
والمهابة في الاقطار وسور محامده
لعمري ما فاق اللآلي والاصدار
وانا الداعي لدولته
السيد ... المفتش
باوقاف الحرمين
الله لطاف

1

شرح فتاوى ابو منصور
ما زيد بخط نسخ
سطر ٢٣

عدد ورقه
٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله وآله أجمعين قال الشيخ الإمام الزاهد العلامة علاء الدين العالم شمس النظر رئيس أهل السنة والجماعة أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي أن كتاب التأويلات المنسوب إلى الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله عنه كتاب جليل القدر عظيم الفائدة إذ فيه بيان مذهب أهل السنة والجماعة في أصول التوحيد ومذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله في أصول الفقه وفروعه على موافقة القرآن غير أن هذا الكتاب ليس مما صنفه بنفسه مثل كتاب التوحيد والمقالات ومأخذ الشرائع وغيرها وإنما هو إملاء منه لأصحابه المبرزين تلقفوا وحفظوا كان أسهل حفظا وأوجز من كتبه المصنفة بكثير لكن مع هذا لا يخلو عن نوع إغلاق في اللفظ وإبهام في المعنى بحيث يعجز عند دركه كثير ممن يدعي التبحر في العلوم وإنما يحصله من أفنى عمره في أصول التوحيد وأصول الفقه ومعرفة صناعة الكلام ومعاني اللغة ولما اتفق لنا قراءة هذا الكتاب على الشيخ أبي المعين رحمه الله وكان نحرير عصره في الأصول والفروع مستجمعا لجميع أنواع العلوم فأخذ في شرحه على ما هو الشرط في الشراح من إيضاح المغلق وتفصيل المطلق ومن زوائد فوائد يليق بالكتاب فكرهنا أن يفوتني هذه الفوائد التي هي ضالة [illegible] فاستخرت الله تعالى وسألته التوفيق في تسويدها بأسهل اللفظ والعبارة على شرط الإيجاز دون الإطناب والإشارة وهذا مني في الحقيقة نشر حقائق معان قد طال [illegible] وفتح أبواب علوم قد شددت أقفالها وإحياء أموات تحجبها [illegible] ومن أحيا أرضا ميتة فهي له رجاء أن يكون ذخيرة أتزود بها للمعاد وعونا للعباد إلى سلوك طريق الرشاد ابتغاء لرضوانه مع عفوه ومغفرته وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير قال رحمه الله بإشكال يحتاج إلى حله كل من تكلم في معاني القرآن بالاستنباط والرأي وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وقد وجدنا السلف من الصحابة والتابعين رحمهم تكلموا في استنباط معاني القرآن بالرأي فإنه لم يوجد في جميع ما ذكر من الأقاويل حديث [illegible] ولا إجماع من الأئمة حتى يقولوا بتصحيحها وقد دل كل ما في القرآن حديثا فأنكروا أن يكون كل ذلك مرفوعا وبخاصة الآيات التي تتضمن الأحكام فإن بالناس حاجة إلى معرفتها فاستنبطوا منها أصولا لبناء الفروع عليها وذلك منهم تفسير للقرآن بالرأي وكان ظاهر الحديث نهيا على تفسير القرآن بالرأي وفي عمل الأمة وإجماعهم على استخراج معاني القرآن بالرأي دليل الجواز والإطلاق فبينهما في الظاهر مناقضة بين الحديث والإجماع فيجب التوفيق بينهما على وجه يندفع التناقض فأجاب وقال إن بعض الناس أنكروا صحة هذا الحديث لما وجدوه مخالفا لما عليه إجماع الأمة من حيث التعلق بالإجماع من حيث العمل والقول سواء والإجماع دليل من حيث أنه قطع في الواحد موجب للعمل مع الاحتمال فيترك بمعارضة الإجماع ومنهم من قبل هذا الحديث لاتصال الإسناد ورفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الأئمة العدول لكن تكلموا في وجه التوفيق على وجهين فقال قوم منهم إن الحديث ورد في حظر تفسير القرآن بالرأي وما جاء عن السلف والفقهاء في استنباط معاني القرآن بالرأي فذلك تأويل لا تفسير والتأويل خلاف التفسير فاندفع التناقض وصح التوفيق ويفرق هؤلاء في الفرق بين التأويل والتفسير

فقال بعضهم إن التفسير هو الإخبار عن شأن من نزلت فيه والسبب الذي نزلت به وذلك مما يعلمه من شهد النزول وعاين السبب وهم الصحابة فوسع لهم التفسير لما شهدوا من العلم بالعيان فأما غيرهم لو أخبر بذلك من غير أن يسند إلى من شهد النزول عند ذلك تفسير بالرأي فيدخل تحت الحديث وأما التأويل فهو تبيين ما يحتمله اللفظ من المعاني وقد تعلق به حكم يجب علينا العمل به والاعتقاد له ظاهرا مع تسليم حقيقته إلى الله تعالى والاعتماد بأن ما أراد به حق حقيقة فكان بنا حاجة إلى معرفته وهو سائغ فإن الله تعالى جعل القرآن أصلا لجميع ما يحتاج الناس إليه ونؤمر بتحصيله عملا واعتقادا وليس كل ذلك في القرآن من حيث التنصيص فعلم أنه في القرآن من حيث الإشارة والإيماء وأمر باستخراج ذلك بالرأي على العرض على الأصول ولهذا قيل إن التفسير للصحابة والتأويل للفقهاء وقال بعضهم إن التفسير تبيين حقيقة اللفظ مأخوذ من السفر وهو الكشف والإظهار يقال أسفر الصبح إذا أضاء إضاءة لا شبهة فيه وسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفت نقابها ومنه سمي التفسير لأنه يظهر عن [illegible] فأما التأويل هو الصرف مأخوذ من الأول أي رجع فإذا كان اللفظ موضوعا في اللغة لحقيقة معلومة فكان الإخبار عن تلك الحقيقة هو التفسير وإذا كان اللفظ محتملا لمعان لغة على طريق الاشتراك فصرف اللفظ إلى بعض الوجوه لما يكون هذا الوجه موافقا للأصول فيكون تعيين بعض الوجوه بهذا الطريق هو التأويل وإذا صرف اللفظ إلى بعض الوجوه وقطع على أنه المراد حقيقة باللفظ فيكون هذا تفسيرا بالرأي وذلك كما ظن بعضهم في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى أنه الاستقرار عليه وقطع على أنه المراد به فيكون تفسيرا بالرأي وأما من يقول يتوجه هذا اللفظ إلى كذا وكذا ويرجح عنده هذا الوجه بما لاح من الدليل فذلك منه تأويل لا تفسير ألا ترى أن ما هو تفسير الآية على الحقيقة إذا ظهر لا يحتمل الخلاف فيه بين الأمة وما يتكلم فيه بالتأويل فهو محل الخلاف فلذلك اختلفوا وقال بعضهم إن التفسير يكون ببيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ يتوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر عنده من الأدلة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله التفسير في الحقيقة هو القطع على أن المراد باللفظ هذا والشهادة على الله تعالى أنه عنى باللفظ هذا فإن قام دليل مقطوع به نحو المتواتر وإجماع الأمة عليه يكون تفسيرا صحيحا مستحسنا وإن قطع على المراد بلا دليل مقطوع به فهو تفسير بالرأي وهو حرام لما فيه شهادة على الله تعالى بما لا نأمن أن يكون كذا فأما التأويل ففيه بيان عاقبة الاحتمال ومنتهى الأمر بغالب دون القطع فيقال يتوجه اللفظ إلى كذا وكذا وهذا الوجه أوجه لشهادة الأصول له فلم يكن فيه شهادة على الله ومثاله أن أهل التفسير اختلفوا في قوله الحمد لله قال بعضهم إن الله حمد نفسه وقال بعضهم أمر بأن يحمدوه ومن قال إن الله تعالى أراد هذا الوجه دون الوجه الآخر فقد فسر الوجه بالرأي ولا يقطع على مراد الله تعالى في موضع الاحتمال ومن قال يتوجه اللفظ إلى الأمر بالحمد وقد يتوجه إلى الخبر بنفسه ولا يقطع على أحد الوجهين أنه مراد الله تعالى فهذا منه تأويل ولهذا سمى هذا الكتاب بالتأويلات دون التفسير احترازا عن الدخول تحت هذا الحديث والله الموفق وقال قوم لا فرق بين التفسير والتأويل لكن تفرقوا أيضا في التوفيق بين الحديث والإجماع فقال بعضهم المراد من الحديث هو التفسير بالرأي على الانفراد بمجرد العقل دون العرض على الأصول من آية محكمة أو حديث متواتر أو إجماع الأمة والقرآن منتظم لعلم التوحيد والشرائع ومجرد العقل لا يمكنه الوقوف على جميع ما يحتاج إليه فكان التفسير بمجرد الرأي عملا بلا دليل وهو مذموم فأما السلف فإنما فسروا القرآن بالدليل إذ [illegible] بالعمل بمثله في أمور الدين ورموا الاستدلال بالأصول لا بتبع الاجتهاد وغالب الرأي ألا ترى أنا كما نهينا عن التفسير بالرأي نهينا عن القول والعمل بغير علم قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ثم أذن لنا القول والعمل بما يرجع إلى الاجتهاد بغالب الظن نحو الشهادة والعمل بالأحكام الثابتة بالقياس وخبر الواحد وجعل له حكم العلم في حق العمل قال الله تعالى فإن علمتموهن مؤمنات وعلم الإيمان لا يعلمه غير المؤمن أحد من العباد إلا بالاجتهاد فسماه علما فمثله فيما نحن فيه وقال بعضهم إن تفسير القرآن بالاجتهاد والعرض على الأصول تفسير بالرأي لأنه بواسطة الرأي يجمع بين حكم الآية التي تحتاج إلى تفسيرها وبين الآية المحكمة أو الخبر المتواتر لكن التفسير بالرأي نوعان مذموم ومحمود وقد أريد بالحديث المذموم دون المحمود ألا ترى أنه جاء النهي [illegible] عن القول بالرأي ولم يرد بالرأي الذي شهدت له الأصول حتى اجتمعت الصحابة بالعمل بالاجتهاد في الأحكام وهو قول الكل فدل أن هذا النوع الذي هو محمود غير مذموم فاندفع التناقض والمراد من الحديث وجهان أحدهما أن يفسر برأيه واجتهاده على الله تعالى يكون حقا وصوابا عنده على ما هو رأي بعض المعتزلة فإن كل مجتهد مصيب على ما عرض اجتهاده فأما من يحمل برأيه واجتهاده من غير الشهادة على الله تعالى بكونه حقا عنده بل يعتقد حقيته بغالب الرأي مع احتمال الخطأ على ما جاء القول فيه من بعض الصحابة إن كان خطأ فمني وإن كان صوابا فمن الله فهو محمود [illegible] والسلف لم يشهدوا بما فسروا القرآن

بالاجتهاد على حقيقة القرآن عند الله تعالى بل على غالب الرأي فلم يكن هذا النوع من التفسير مرادًا بالحديث لكنا
ان يحمل الذى عليه المحققون ان يفسر القرآن على موافقة رأيه تقرير الرأي ويترك المفهوم المتعارف من اللفظ ولا
يبالى بظاهر القرآن وذلك نحو صنيع كثير من المعتزلة فانهم يفسرون القرآن بما يقرر عندهم من الآراء
الفاسدة نحو ان قالوا ان ايجاد القبيح قبيح وارادة القبيح قبيحة ثم تركوا عموم قوله تعالى الله خالق كل شئ في
افعال العباد فان خلق الكفر والمعاصي قبيح وتركوا ظاهر قوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
وهذا فاسد لانه ترك ظاهر القرآن وعمومه ونصرة رأى نفسه لا يخفى في القبح فاما من جعل رأيه متابعًا
لدلالات القرآن ليبنى على ذلك ما لم يصرح فيه ظاهر البيان فهو الذى دخل تحت قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فيرجى ان لا يكون داخلا تحت الحديث وقال بعضهم المراد من الحديث هو تفسير المتشابه الذى لا حاجة
بالناس الى معرفة ما فيه مما لا يرجع الى العمل وكان يجب العمل به والاعتقاد بما فيه ممكن على الاجمال فكان تفسيره
خارجا مخرج الغلو فيه والتكلف جاريًا مجرى امر مستغنى عنه مع احتمال الغلط والخطأ فيه وهو خارج عن سنن
الحكمة واما التفسير بالرأي فيما يحتاج الناس الى معرفة ما يتضمنه اللفظ من وجوب الاعتقاد والعمل
فامر ورد الشرع بايجابه فضلا عن الجواز فلا يجوز ان يرد النهي عنه وبالله العصمة • والحمد لله رب العالمين

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله قال بعض اهل التفسير وهو بن الحسن ان الله تعالى
حمد نفسه حيث اخبر ان جميع المحامد له بقوله الحمد لله فان الالف واللام في مثل هذا الموضع لتعريف الجنس فكان
كقول القائل جميع المحامد لله اذ هو الموصوف بجميع صفات الكمال فان قيل مدح الانسان نفسه في الشاهد يعد
قبيحا فهلا قبح في الغائب والشاهد دليل الغائب قال الشيخ ابو منصور رحمه الله هذا الاشكال على راى اهل الحديث
سهل فان القبيح عندهم ما نهى عنه والحسن ما امر به الشرع ففي الشاهد مدح الانسان نفسه بنفسه قبيح لانه
نهى عنه بقوله فلا تزكوا انفسكم ولا نهى في حق الغائب لانه لم يكن تحت امر احد ولا نهيه فوجب التفرقة
بين الشاهد والغائب ثم قال والجواب على اصولنا ان المعول عليه في الاستدلال بالشاهد على الغائب على اعتبار
المعنى دون الصورة ان كان المعنى يوجب التسوية يسوى بينهما وان كان يوجب التفرقة يفرق بينهما فنقول
ان المعاني التي بها يقبح مدح المرء نفسه في الشاهد منتفية في حق الغائب وبيانه ان مدح المرء نفسه في
الشاهد اذا كان صادقا فيه لم يقبح لعينه لان الصدق حسن لكن لمعان في غيره ذاته وهي كلها معدومة في حق الغائب
احدها ان المرء في الشاهد وان جل قدره وبلغ في الكمال غايته فهو في ذل العبودية ونقص الرق ولا يخلو
عن انواع عيوب وحلول آفات ظاهرة وخفية فكان الحق عليه التفرغ الى من هو الموصوف بصفات الكمال المنزه
عن سمات النقص المتعالي عن شوائب العيوب فكان الواجب على العبد التضرع اليه والتذلل له ليحيا وعن نقيض
وتمجيده بحمده وفي اشتغاله بمدح نفسه ترك التضرع والتذلل وترك الواجب قبيح فاما الله تعالى فهو
الموصوف بالكمال المطلق المتعالي عن سمات النقص لا يستحق عليه التضرع والتذلل لمن هو محمل فيه فلا يصير
تاركا لما هو الاحق فلم يعد حمده لنفسه قبيحا اذ استحقاقه الحمد بذاته والثاني ان من سواه يمكن فيه نقص
الحدث فكان في مدح نفسه على الاطلاق شبهة الكذب وهو قبيح وهذا في حق الغائب لا يتحقق والثالث
ان المحامد التي يحمد المرء نفسه لم يستحقها لذاته بل حصل كل ذلك بالله تعالى حيث خلق فيه الفضائل والمحاسن
ومكنه من الاحسان والانعام وتلك نعم من الله تعالى اتاها اياه فكان الواجب عليه ان يشكر المنعم وفي مدح نفسه
قطع الاضافة عن المنعم وفيه كتمان النعمة وانه قبيح ايضا ووضع الشئ في غير موضعه لان عليه ان ينسب النعمة الى المنعم
حقيقة فمتى نسبها الى نفسه صار واضعا الشئ في غير موضعه وهو حد الظلم والظلم قبيح واما الله تعالى فهو
مستحق الحمد بذاته لما انه هو الموصوف بالكمال لذاته فهو منعم لذاته اعني ان الانعام والاحسان والافضال
في الازل ولم يكن استحقاقه لهذا الوصف بغيره وهو ظهور اثر احسانه وانعامه في حق الخلق ولهذا كان
معبودا لذاته لكونه مستحقا للعبادة بذاته لا انه صار معبودا بعبادة الخلق فما يرجع من كمال الصفات الى
فهو ذاتي من هذا الوجه ومما يرجع الى الذات من الجلال والعظمة والالوهية والوحدانية فهو الموصوف به في الازل
من غير ان استحق ذلك باحد فلا يكون مدحه لنفسه بذلك وضع الشئ في غير موضعه فكان حسنا فاذن قد تحكم
في الشاهد والغائب لافتراق المعنى قال بعض الدلائل التكبر فانه قبيح في الشاهد وصفة ذم من حيث ان الخلق كلها
من طريق الخلقة والعبودية لا تحول تحت التكليف والمحنة ومن نال منهم فضيلة او اصاب رفعة فباعطاء الله تعالى

وتخليقه فيه اياه فكان حق ذلك القيام بشكر المنعم وحمده لا التكبر على امثاله ضد فقبح وهذا المعنى معدوم
في الغائب لتعاليه عن اصابة الكمال والمعرفة من الغير فلم يقبح اتصافه بالتكبر قال الله تعالى العزيز الجبار المتكبر
فاختلف الامران فكذا ما نحن فيه ووجه آخر ان القبيح هو الذى يخلو عن العاقبة الحميدة فاما ما تعلق به عاقبة
حميدة فهو حسن وحكمة والله تعالى مدح نفسه وحمدها ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه ويثنوا عليه
فينالوا الزلفى والقربة لديه والدرجات والكرامات في الآخرة ومدح المرء نفسه في الشاهد مطلقا لم يتعلق بما فيه
حميدة فيتصف بالقبح كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وصف نفسه بالامانة
والعلم ولم يقبح منه لما ان غرضه ليس مدح نفسه لكن ليظهر الامانة في الحفظ والعدل في القسمة وكذا من وصف
غيره بالصدق والورع والسخا والعلم ويتخذ ذلك في ملاء من القوم ليصير داعيا لهم الى الثبات عليه ولغيره الى ذلك
لم يعد قبيحا لما قلنا وبالله التوفيق وقال بعضهم معنى قوله الحمد لله على اضمار الامر ثم الامر بالحمد يحتمل وجهين
احدهما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال اى الشكر لله لما صنع الى خلقه وتقديره على هذا التدريج اشكروا الله وذلك
قد يتضمن الامر بكل الممكن من الطاعة والعبادة فانها وجبت شكرا على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى حتى
تورمت قدماه فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فيحمل انواع
الطاعة شكرا لله تعالى وكذلك معنى قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا فالامر بالشكر يحتمل هذا الوجه ويحتمل وجها
آخر وهو ان يكون نفس التلفظ بالحمد لله شكرا على نعم ربه قال الحسن حيث قال ان الله تعالى رضى بالحمد شكر المن
هو رضى بشكر ممن هو في نهاية النعمة والكرامة وهم اهل الجنة كما اخبر وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فاولى
ان يكون شكرا لنعم الدنيا قال الامام وهذا لان الشكر هو الاظهار وفي الحمد لله تعالى والمدح له اظهار وصول النعم
اليه منه وانه المنعم على الحقيقة لكن قيل انما يحصل الحمد باللسان والمدح والتعظيم للمنعم بنعمه اذا لم يستعملها في
معصية ثم لا يخذ ذلك تحقيق النعمة وذلك يرجع الى الاستغراق بالمنعم فلا يتحقق منه التعظيم • والوجه الثاني
ان يراد بالحمد المدح لله تعالى والثناء عليه كما هو حقه من الوصف بصفات الكمال والتنزيه عما لا يليق به من سمات النقص
بطريقين احدهما ما يرجع الى الذات من الاتصاف بالعظمة والكبرياء والجلال والعلو واثبات التوحيد ونفي الشرك
في الالوهية والثاني بما يرجع الى الصفات من الجود والانعام والاحسان والافضال على عباده مع نفي الشرك
عنه في الافعال فان الثنوية والمجوس اثبتوا الشرك في الذات حتى قالوا باثنين والعرب اثبتوا الاشراك في استحقاق
العبادة للاصنام فكان في غاية المدح في اضافة جميع المحامد الى الله تعالى مع قطع شركة الاغيار عن ذلك ولانه
الحمد في الحقيقة لله تعالى اذ هو الاخبار عن اوصاف الكمال للذات على الوصف بما هو اهله ولن يتحقق ذلك في
قال وبهذا المعنى فرقوا بين الشكر والحمد ان الشكر يقابله الاحسان وذلك يتحقق من العباد شيئا فيجب عليه
ان يشكر له ان كان سبب وصول النعمة اليه مجازاة على صنيعه على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
من لم يشكر الناس لم يشكر الله واما الحمد فهو الوصف بما هو اهله من حيث الذات وذلك لا يتصور الا في حق
الله تعالى وبالله التوفيق وقوله تعالى رب العالمين • عن ابن عباس رضى الله عنه قال سيد العالمين والعالم كل
من دب على وجه الارض قال الامام وقد يذكر الرب ويراد الآلة فانه يستقيم ان يقال رب السموات ورب كل شئ
ولا يستقيم ان يقال سيد السموات والارض وسيد كل شئ وانما يطلق اسم السيد في بني آدم خاصة يقال
سيد القوم ولا يقال سيد الارض ويراد اهل الارض والعقد يتوجه اسم الرب الى الربوبية يعني المربي لكل
شئ وحسب ما يليق بذلك وقد يتوجه اسم الرب الى المالك كمن ينسب اليه الملك في شئ يسمى انه ربه بمعنى
انه مالكه وتوجيه اسم الرب الى المربي والمالك والآلة اولى من توجيهه الى السيد لانه اعم فكان في المدح ابلغ وما روى
عن ابن عباس رضى الله عنه يحتمل لانه جعل العالم اسما لمن دب على وجه الارض وهو تعالى سيدهم على الحقيقة ولانهم
لما عرف الاستعمال صار حقيقة في بني آدم قال ثم اختلف اهل التفسير في العالمين فمنهم من قال الاسم لكل ذى روح
دب على وجه الارض ومنهم من يرد الى كل ذى روح دب على وجهه ومنهم من يرد الى كل ذى روح في الارض وغيرها
ومنهم من قال الله تعالى كان عالما ثم قال الامام وعندنا التأويل ما اجمع عليه اهل الكلام ان العالم اسم لجميع
المكونات من الاعراض كالالوان والاكوان من الحركات والسكون وكالطعوم والروائح والارادات والاعتقادات
والرطوبات واليبوسات وغيرها ولجميع الاعيان من الجواهر والاجسام فلا يبقى شئ مما سوى الله عز وجل من المحدثات
علويا كان كالسموات او سفليا كالارضين جمادا كان او ناميا نباتا كان او حيوانا عجماء كان او ناطقا مما يقوم بنفسه
كالجواهر والاجسام او لا يقوم بنفسه كالاعراض الا وهو داخل تحت اسم العالم فانه سمي عالما لكونه علما على ثبوت
صانع له حى سميع بصير عالم قدير متعال عن سمات الحدث وامارات النقص غير مشابه لشئ من اجناسها اعني العالم
ولا مماثل لجزء بمعنى من اجزائه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير هكذا ذكره الامام سيف الحق تفسير العالم في تبصرة الادلة

فان قيل العالم اذا كان اسما لجميع المخلوقات فلماذا ذكر العالمين قيل هي العالم معرف بالالف واللام اسم للجميع فاما
عالم فاسم لكل فرد انه علم على الله تعالى والعالمين جمع عالم منكر كما يقال رجل ورجال ودون الرجل بالالف واللام
يدل على جميع هذا الجنس كالرجال على ان العالم لما كان اسما للجميع فالعالمين جمع الجمع من غير ان يكون بين الاسمين تفاوت
في التحقيق كما يقال اناسي جمع اناسي جمع الجمع من غير ان يستفاد به حقيقة للمبالغة في الذكر فمثله ما نحن فيه وايضا كل
عالم يتجدد على حسب تجدد الزمان فكان المراد رب عالم كل زمان قدم ورب عالم زمان يتجدد فلذلك ذكر
العالمين ومن جعل العالم اسما لجميع المخلوقات كان الرب عنده بمعنى الاله والمالك ومن جعله اسما لبني ادم وكل ذي
روح كان بمعنى السيد قال امام الهدى ابو منصور وفي قوله رب العالمين دلالة على وحدانيته فانه ادعى لنفسه
العالمين كلهم من تقدم منهم ومن تاخر فمن كان ويكون على لسان رسول بعثه اليهم لصحة دعواه على يديه معجزات
عجز الخلق معارضتها وجحدها امارات الربوبية اياها فصاروا مغلوبين بها فلو كان لغيره لشيء من العالم لبعث
رسولا وادعى ان ذلك له واقام معجزا على يديه علامة لصدق دعواه اذ لا يجوز ان يكون الاله حكيما يرى شيئا يبيع
ولا يدعيه لنفسه ولا يفضل عما كان في نفسه من الغير فان كل سلطان في الشاهد يفضل ما يدعيه غيره مما له
ويجري بينهما التنازع في ذلك فيعلو بعضهم على بعض ويغلب ولما لم يثبت من غيره دعوى شيء من العالم
مؤيد ببرهان معجزي دل ان خالق العالمين وربهم واحد وهذا معنى قوله تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ثم قال وهذا مع ما في اتساق التدبير واتساق العالم واجزائه واجتماع
التضاد متجانبة وتعلق حوائج بعض ببعض وقيام منافع بعض ببعض على تباعد بعض من بعض وتضاد هكذا
دليل واضح وبرهان لائح على ان مدبر ذلك كله واحد وانه لا يجوز كون مثل ذلك من غير مدبر حكيم قال الشيخ
الامام ابو المعين جمع الامام ابو منصور في هذا الكلام بين ادلة تدل على الوحدانية وعلى اثبات الصانع وعلى
صفات العلم والقدرة فان اتساق التدبير في مضي الليل والنهار المتعاقبين والكتب ومر … السنة
على الطبائع التي وضعها من غير تغيير لحكم واعراض دليل على توحيد الصانع اذ لو كان للعالم اله سواه لما
ان يقتضي ارادته وحكمته مثل ما يقتضي حكمة الاخر وارادته فيقع الغلبة عند اتفاق الارادة والحكمة بالواحد
عن الثاني وتختلف الارادة والحكمة منهما ولا يجري تدبير العالم على نمط واحد فكان اتساق التدبير دليلا
على وحدانية الصانع لا محالة وكذا اجتماع المتضاد دليل على التوحيد ايضا فانه جعل قوام الاشياء وكل حيوان
على طبائع اربعة وجعل سبب بقاء كل واحد منهم اعتدال الطبائع وكل طبع متضاد للاخر نحو الحرارة والبرودة
واليبوسة والرطوبة ثم جمع بين الكل وجعل المتضادة متعاونة في تحقيق مطلوب وهو البقاء الحيني ولو كان
اله اخر غيره فلا يريد بهما التعاون فلا يتحقق الغرض وكذلك تعلق حوائج بعض ببعض فان الحاجة نقص يرتفع بالوجدان
المطلوب فتتحقق في الانسان الحاجة الجوع وهي نقص لا يرتفع الا بمطلوب خاص وهو الغذاء ويحتاج في تحصيله
الى الزراعة وانها تحتاج الى الات وذلك لا يقوم بالواحد وبعد الزراعة يحتاج الى الحصاد والطحن والخبز ونحو ذلك
فكان تعلق حوائج بعض ببعض دليلا ظاهرا على ان فاعل الكل واحد وكذلك قيام منافع بعض ببعض فانه تعالى
جعل في بعض الاشياء منفعة خاصة كما جعل في السقمونيا منفعة لا يشاركها غيره فيها ثم المنفعة لا تتصل الى العباد
الا بانضمام منفعة شيء اخر اليه وهو المقل الذي هو مصلح لا يتم نفعه بدونه واحدهما يوجد في الهند وهو المقل
والاخر في … على تباعد ما بينهما ليعلم ان خالق جميع العالم وجميع الاشياء هو وحده … ثم
دلالات على اثبات الصانع وابطال قول اصحاب الطبائع فانما يحصل بالطبع لا يخرج عن سنن الحكمة …
كالابيض والاسود والاحمر والاصفر ونحوها اذا اختلطت واصابت ثوبا فانه لا يظهر اثارها على وجه الحكمة
وكذلك تدل هذه الاشياء على علم الصانع وقدرته وبالله التوفيق في قوله عز وجل الرحمن الرحيم قال
الامام وقد روي انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر وكان هذا الذي روي عند اراد بهذا اللطيف احدهما
الطف من الاخر لان الاطلاق اسم الرقيق لا يجوز على الله تعالى لان الرقة نقيض الغلظ والكثافة يقال ثوب رقيق
صفيق ويقال فلان رقيق القلب بمعنى الرقة وهي الضعف الخلقي الذي هو ضد العتق الذي هو قوة حكمية
والله عز وجل يتعالى عن هذا الوصف فهذا لم يذكر الرقيق في اسماء الله تعالى لا في الكتاب ولا في السنة فاما اللطيف
فهو اسم نطق به الكتاب وجاء به الاثار الا انه ذهب وهم الى ان اللطيف من اللطافة فاقام اللطافة مقام الرقة واللطيف
وهذا بعيد وانما اللطيف من اللطف وله معنيان احدهما استخراج الامور الخفية وظهورها لقوله تعالى
انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة الى قوله تعالى يات بها الله ان الله لطيف خبير والثاني الدال
على البر والعطف والرحمة يقال فلان لطيف ويراد به انه عاطف رحيم وكذلك فسر من فسر الرحمن بالعاطف
على خلقه بالرزق والله الموفق وقوله في الرحمن الرحيم احدهما الطف من الاخر اي احدهما ادل على ظهور اثار اللطف

والرحمة لعباده من الاخرى لان الرحمة او اللطف من حيث انه صفته لا يحتمل التزايد لذكر يجري في التفضيل الا انه
اذ لا يجوز التغيير في شيء من صفاته وانما الارادة والقصد اذا تعلقت اثار اللطف والرحمة المتصلة بالعباد فيجوز
لانه لا يوجب تغييرا في صفاته ثم المراد بقوله احدهما الطف من الاخر … احدهما اظهر في اثار اللطف والرحمة
لعباده في حق احد الاسمين بالغ وهو الرحيم لكنه خاص في حق المؤمنين من حيث خصهم بالهداية لدينه …
مع التسوية بينهم في … فظهور اثار الرحمة بالرزق والحياة وسلامة البدن ونحو ذلك ولهذا يقال الرحيم
بالمؤمنين مطلقا ولا يقال في حق الكافرين لامتناع الرزق ونحوه والوجه الثاني انه اراد بقوله احدهما
الطف من الاخر وصف كل بالطف ويخرج وجه على احتمال الغاية كما يقال في الشاهد … اذا كان في غاية
الحسن والجودة واللطافة انهما لطيفان احدهما الطف من الاخر اي هما في الحسن واللطافة في الغاية …
تمييز احدهما عن الاخر … احسن ولكن الطف من صاحبه قال وقد يحتمل ان يكون ماخوذا من الرحمة كما يقال
… وكان الرحيم … الرحمن … مطلق الرحمة … وهذا يطلق
الرحيم على … ولا يجوز اطلاق اسم الرحمن على غيره … صفة كمال … اشتقاق
من الرحمة … الرحمن … في عرف الشرع … اسماء الذات لان الله تعالى كقوله تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن … اسم الرحيم … قال المتقدمون من متكلمي اهل الحديث ان الرحمن اسم ذاتي والرحيم
اسم فعلي وهو قول المعتزلة ايضا قال امام الهدى وعندنا كل صفة لله تعالى في غاية سواء كانت ترجع
الى الذات او الى الفعل لانه تعالى متصف بها ازلا بكمال صفاته من العلم والارادة والقدرة ونحوها لانه
متى لم يكن فاعلا خالقا في الازل يعني قائم بذاته قبل وجود المخلوق ثم صار موصوفا به لوجود الخلق صار
وصفه بالخالق حادثا له نفسه وهو المخلوق ولا شك ان وصفه بالخالق من اوصاف الكمال فكان لقوله بعد
عنه قولا بقيام وصف النقص به والله يتعالى عن ذلك ولانه تمدح نفسه بصفات الفعل بقوله هو الله
الخالق البارئ المصور الاية وحيث ان معنى الخالق في الازل ولا مخلوق وعلى زعمهم لا يتحقق المدح والثناء
الا بعد حدوث المخلوق فيكون فيه اثبات الحاجة الى ما يتحقق به صفة الكمال والمدح تعالى الله عن الحاجة
ولانه يصير خلق الخلق ليقع حدوث الثناء والمدح لانه على زعمهم بدون وجود الخلق لم يكن خالقا وانما يحدث
بهم فصار خلق الخلق لجر النفع وقد وصف تعالى نفسه بصفة الكمال وعدم الحاجة بعينه والله الغني وانتم
الفقراء وبقوله فان الله غني عن العالمين فثبت انها ترجع الى صفات الفضل ايضا ازلية ذاتية وبالله التوفيق
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيا عن الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا
قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدني عبدي فيحتمل التلفظ بهذا الكلام مدحا من العبد
وثناء لما ذكرنا انه فيه اضافة جميع المحامد اليه وقطعها عن غيره قال واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله تعالى اثنى
علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين يقول مجدني عبدي وفي رواية اخرى قال المحدث في الاول والثناء على
في الثاني وذلك واحد لانه يعني الثناء هو الوصف بالمجد والكرم والجود وسائر صفات العلى والتمجيد هو
الوصف بذلك كله وبالله التوفيق وقوله مالك يوم الدين قيل انه يوم الحساب لان الدين يذكر ويراد به الحساب
وقيل يوم الجزاء لان الدين يذكر ويراد به الجزاء قال الله تعالى انا لمدينون اي مجزيون وعلى ذلك قوله يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق من الجزاء وعلى هذا قول الناس كما تدين تدان وجاز ان يكون معناه مالك يوم الانقياد فان الدين
يذكر ويراد به الانقياد فالدانت له العرب اي انقادت ومنه سمي الاسلام دينا لانه انقياد الحق سمي اليوم
به لانه ينقاد فيه الجبابرة للجبار قال الامام وفي الاية دليل على قدم التكوين وسائر صفات الفعل لانه
الله تعالى وصف نفسه بكونه مالك يوم الدين والملك عبارة عن التصرف بالمشيئة وهو عبارة عن الفعل
فكان هذا اخبارا من الله تعالى في الازل انه المتصرف يوم الدين لوقت وجوده وهو يوم القيامة وهو معدوم
في الازل لحضاره هذا حجة على المعتزلة والاشعرية وهو على الاشعرية الزم لانهم يقولون ان الملك عبارة
عن التصرف واما المعتزلة فانهم يقولون ان الملك عبارة عن القدرة والقدرة صفة ذاتية فان الخلق هذا
الازل لم يفترق ما قلنا انه يوصف بانه جواد لم يزل وسميع لم يزل وبصير لم يزل وان كان ما يقع عليه السمع والبصر
والجود معدوما لانه يوصف به لوقت وجود ما يقع عليه وكذا يوصف بانه رب كل شيء واله كل شيء في الازل
وان كانت الاشياء تحدث في المستقبل لانه يوصف بذلك لوقت وجود الاشياء وحدوثها فكذلك
في صفات الفعل يجب ان يوصف بذلك بها في الازل لوقت وجود المفعولات وبالله التوفيق وقوله تعالى
اياك نعبد اياك ضمير منصوب منفصل والضمير نوعان متصل ومنفصل فقولك في المنفصل اياك عنيت
وفي المتصل عنيتك فكان قوله اياك نعبد معناه نعبدك وهو يحتمل اضمار الامر اي قولوا اياك نعبد لانه لا يستقيم

الابتداء بهذا الكلام من الله تعالى وهذا على قول من لم يجعل الامر مضمرا في الحمد لله فيفرق بينهما بما ذكرنا ويحتمل ان يكون بناء على الامر المضمر في اول السورة اى قولوا الحمد لله الى قوله اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم فيستغنى عن الاضمار ثانيا ثم قوله اياك نعبد يتوجه الى التوحيد وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كل عبادة في القران فهي توحيد ويتوجه ايضا الى كل طاعة يتعبدها الله تعالى قال الامام ابو منصور ان اصل القول الذى يرجع الى واحد وهو ان العبد مكلف بان يوحد الله تعالى بالعبادة والدين جميعا فان التوحيد الراجع الى الدين بان يقر بانه واحد في ذاته وصفاته لا يشبه احد ذاته وصفاته ويقطع شركة الاشيا عنه في ذلك والتوحيد الذى يرجع الى العبادة وهو ان يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك غيره في عبادته بل يخلصها له كما قال تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وكان شرك كفار العرب في العبادة مع توحيدهم لله تعالى في الالوهية على ما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واشركوا معه الاصنام في العبادة على ما اخبر عنهم من قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكان شرك المجوس والوثنية في نفس الربوبية فقالوا بالاثنين واكثر وعلى هذا نقول الواجب على العبد ان يوجه الطمع الى واحد لا يحسن الطمع من احد واحد ويقطع شركة الاشيا في ذلك ليكون موحدا على الحقيقة وعلى هذا لا ينظر باحد من الخلق سوى ان يطمع في الحقيقة الى غير الله تعالى وان يرفع حوائجه الى غيره وان يخشى ويخاف من غيره لا على وجه ما يتسبب ان يكون ذلك اعتقاده اذا هو تعالى قد جعل بعض العباد سببا لوصول النفع الى البعض وجعل البعض سببا لوصول الضرر الى البعض فيكون ذلك في الحقيقة رجا وخوفا من الله تعالى لا من غيره وكذلك شكر السبب في هذا لانه انما يشكر له لكونه سببا لوصول النعمة اليه من الله تعالى فيكون الشكر في الحقيقة لله تعالى وكذلك معاملات العباد ومكاسبهم اسباب لوصول الاغراض والمنافع والعبد فيما يشتريها يرجو المقصود من الله تعالى على الحقيقة اذ هو جعلها اسبابا للوصول الى الاغراض وهو المطلوب بالمراد قال ابو منصور ثم الاية حجة على من يستثنى في ايمانه فيقول انا مومن ان شاء الله فان الله تعالى امر العباد بان يقولوا اياك نعبد والمراد اياك نوحد والتوحيد والايمان واحد ثم لفظه نعبد في الاصل عند بعضهم الاستقبال دون الحال وعند بعضهم لهما جميعا وعند بعضهم الحال اصل وللاستقبال بدليل وهذا القول اصح عندنا فان كان المراد منها هو الاخبار عن الحال فهو نحمدك ونؤمن بك فان الله تعالى الزم العباد ان يوحدوه ولم يامرهم بالاستثناء فيه ولو كان الاستثناء واجبا كما قالوا لالزم الاستثناء ولما امرهم بالاخبار عن الوصف بالتوحيد قطعا دلالة العقل بالاستثناء باطل وان كان المراد هو الاستقبال فبيان انه يوحد في كل حال تدا واعتقاد انه يعبده في جميع الوقت في المستقبل فهو حجة عليهم ايضا لانه هذا بيان الاعتقاد والمذهب فيعتقد ان يؤمن بالله في جميع عمره الا ساعة لم يكن مؤمنا وكذا اذا اعتقد ان يعبده في جميع الاوقات التي امر فيها بالعبادة الا ساعة لم يكن اعتقادا صحيحا لعدم التابيد الذى هو شرط صحة الاعتقاد فكذلك اذا دخل التردد والشك في الايمان والثبات ضده واحد قال الله تعالى في وصف المؤمنين انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وفي حديث سوال جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره فقال السائل اذا قلت هذا فانا مؤمن قال نعم ولم يقل ان شاء الله وبالله التوفيق وقوله تعالى واياك نستعين يحتمل الامر بطلب المعونة منه في قضا الحوائج دينا ودنيا ويحتمل الامر بطلب التوفيق لما امر به من التوحيد والعبادة والعصمة عما نهى عنها من اضدادهما لقوله تعالى اياك نعبد لان التوفيق والعصمة من معاون الطاعات دليل ذلك انه ذكر اثر الامر بالعبادة والتوحيد وكذلك جرت سنة الاخيار في طلب المعونة من الله تعالى وهي التوفيق على اداء الطاعات والخيرات التي ترجع الى الدين وطلب العصمة عن ارتكاب اضدادها دون الامور الدنيوية والله الموفق قال ابو منصور ثم الاية حجة على المعتزلة فان الله تعالى امرنا بطلب المعونة على الطاعات وعند المعتزلة قد اعطى الله تعالى المكلف جميع ما هو معونة على اداء ما كلف به من التوفيق والعصمة والتيسير ولم يبق شيء مما يتحقق به اداء ما كلف لم يعطه لم يصح من الله تعالى التكليف به فاذا كان عندهم جميع ما هو اصلح للعبد في الدين قد اعطاه الله تعالى ولم يبق في مقدوره مما هو صلاح في الدين ولطف في اداء الطاعات فكان الامر بطلب المعونة من الله تعالى يتضمن انواعا من القبح والفسا منها انه امر بطلب ما قد اعطى بكماله فيكون طلب ما اعطى كتمانا للعطية وكتمان العطية كفران فيصير على اصلهم كان الله تعالى قد امره بان يكفر نعمه ويكتمها وظن مثله بالله كفر والثاني انه لم يبق في مقدور الله تعالى عندهم ما فيه صلاح العبد في الدين الا وقد اعطاه بكماله فكان طلب ذلك تعنتا منه واظهارا لعجزه عن اعطاء ما يساله فكان الله تعالى على زعمهم امر العباد بما يتضمن تعجيزه وذلك محال مما يؤدى اليه مثله

والثالث ان من طلب شيئا الذى عند المطلوب منه مع علمه بانه كان هازئا به في العرف فكان الامر به يتضمن الامر بالهزء على الله عز وجل تعالى ذلك فان قالوا انما سالوا انه بقي عند الله تعالى من الالطاف التي يتطلب بها [illegible] ذلك الذى يتطلبه مع التكليف باداء العبادة ام لا فان قالوا ان الله تعالى ان يمنعه مع التكليف فقد تركوا قولهم انه لا يجوز ان يكلف الله تعالى عبدا بشيء من الطاعات ولا يعطيه جميع ما يتحقق به تلك الطاعة من المعاون والمصالح وان قالوا ليس لله تعالى منعه بل يجب عليه الاعطا فهذا يمنع ما يجب عليه ليصير تاركا لما هو الواجب في الحكمة فيكون جائرا فيصير معنى طلب ذلك من الله تعالى على تقدير زعمهم طلب ترك الجور كانه قال اللهم لا تجر ومن هذا اعتقاده بربه فالاسلام به اولى فقد دوى في خبر القسمة واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى هذا بيني وبين عبدي يحتمل ارادة القسمة في كل حرف بان يكون قوله اياك نعبد من حيث ان العبادة تعظيم لله واظهار العبودية بان يكون لله عز وجل ومن حيث انها سبب لنيل الدرجات في الاخرة يكون للعبد وكذلك قوله اياك نستعين من حيث انه رفع الحاجة الى الله واظهار قدرته وجوده فهو لله تعالى ومن حيث ان المعونة سبب لوصول الحوائج في الدنيا والاخرة فهو للعبد ويحتمل ان يرجع الحرف الاول وهو قوله اياك نعبد يرجع الى الله لما في ذلك من توحيده في الدين والعبادة جميعا ويرجع الحرف الثاني الى العبد وهو قوله واياك نستعين لما انه طلب التوفيق والمعونة على قضا حوائجه في الدين والدنيا والاول هذا القول اظهر بدليل بقية السورة وهو قوله اهدنا الصراط المستقيم وهو دعاء خالص للعبد كما قال في تمام الحديث واذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم الى اخره يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سال فجعل طلب المعونة بقوله واياك نستعين نظير طلب الهداية بقوله اهدنا وقد جعل طلب الهداية خالصا للعبد فكذلك نظيره وقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال ابن عباس رضى الله عنه ارشدنا قالوا ان قيل لفظة الارشاد انما تستعمل في الامور الدنياوية اكثر يقال فلان رشيد في المال وفلان سفيه مبذر ولفظة الهداية اكثر استعمالا في التوفيق والعصمة وامور الدين فلماذا فسر الهداية بالارشاد والمراد ههنا في امور الدين قيل الهداية والارشاد واحد في اصل اللغة الا انه يقال فلان هداية في الامور او في التجارة مجازا ان يكون اللفظان يجبا في الاستعمال سواء في عرفهم الا ان الارشاد اظهر فجعله تفسير الهداية وقد تغير عرف الاستعمال في زماننا فصار الارشاد اكثر استعمالا في الامور الدنيا وصارت الهداية اكثر استعمالا في الطاعات قال ابو منصور ثم الهداية تحتمل وجوها ثلاثة يحتمل البيان قال الله تعالى لنبيه عليه السلام وانك لتهدي الى صراط مستقيم اى لتبين الطريق الحق من الباطل ومنه سمى القران هدى بقوله هدى للمتقين اى بيان الحق من الضلال وتحتمل التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والتزيين والتحسين للخيرات والتكريه والتقبيح للكفر والفسوق فيطلق اسم الهداية على جميع ما هو معاون على الطاعات والامتناع عن اضدادها وهذا ذلك معنى قولهم في القنوت اللهم اهدنا فيمن هديت ويحتمل ان يراد بها خلق الاهتداء من الله تعالى فان الخلق صنعه وهو ان خلق الاهتداء يحدث والمعنيان الوجهين يرجع قوله تعالى لنبيه عليه السلام انك لا تهدي من احببت وقوله لهداكم اجمعين اما الوجه الاول وهو البيان من حيث الحجج العقلية والسمعية فقد سبق في حق المؤمنين والكفار جميعا فلا يتصلح طلب ذلك بقوله اهدنا فيصرف النص الى الوجهين الاخرين وهو طلب التوفيق وطلب خلق الاهتداء فتفسير الاية موافق لمذهب السنة والجماعة فان الامر بطلب الهداية على الوجهين المذكورين صحيح خصوصا في حق الكفار فانه ما خلق فيهم فعل الاهتداء قال ابو منصور وعلى قول المعتزلة تعطيل الاية او يتضمن نوعا من القبح على ما مضى في الامر بطلب المعونة وبيان هذا ان الهداية من حيث البيان بالحجج العقلية والسمعية كذلك جميع معاون الطاعة وما هو اصلح للعبد في الدين قد اعطاه على اصلهم فيكون هذا امرا بطلب ما اعطى وقد بينا فساده والذى يدل على انه لا يمكن حمل الهداية ههنا على البيان قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين اثبت هداية مغايرة بين المنعم عليهم وبين المغضوب عليهم اذ هم في بيان الطريق بالاجماع في اعطاء التوفيق وجميع معاون الطاعة عندهم سواء هم المؤمنون فيتعين صرف الهداية الى خلق الاهتداء فيلزمهم احد الامرين اما القول بتعطيل الاية واما القول بترك مذهبهم في مسالة خلق الافعال ثم الله الموفق فان قيل ان الله تعالى قد اعطى الهداية المؤمنين فانه خلق فيهم الاهتداء واعطاهم التوفيق على اكتساب الاهتداء والعصمة عن ضده فكان الامر لهم بطلب الهداية والسوال من الله تعالى امرا بطلب شيء قد اعطى وقد بينتم استحالته فقد وقعتم في الذى عبتم قيل الجواب عنه من وجهين احدهما انه هذا امر بطلب الثبات والدوام على الهداية فليس كل من انا الشيئا يستديمه فكان سوال الثبات والادامة سوال شيء لم يعطه السائل وكان السوال في محله وعلى هذا يخرج زيادة زيادة الايمان من نحو قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا ان ذلك زيادة الثبات والدوام لان التصديق في السنة مثلا ازيد من حيث الدوام من التصديق في يوم لان التصديق يتجدد في كل زمان وهذا كرجلين ينظران الى شيء زمانا

احدهما البصر عند دوام الاحداد النظر فانه يجوز القول بانه ازداد نظرا لاخر بمعنى الثبات والامتداد به بامتداد الزمان
كذلك هذا والوجه الثاني ان الايمان يتجدد في كل زمان والاهتداء يحدث في كل ساعة والمؤمن خايف ان يحدث
منه ضد الهدى مكانه فطلب الهداية منه ان يخلق الله تعالى له في المستقبل في كل زمان الهداية والعصمة عن ضده
وان يعطيه التوفيق على تحصيل التصديق والاهتداء عن ضده وهذا طلب شيء يحفظ ويجوز ان يكون الزيادة
في الايمان على هذا المعنى وعلى ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا على الوجهين جميعا وبالله التوفيق والثاني
الصراط والسبيل باجماع اهل التاويل لقوله وان هذا صراطي مستقيما الاية وقوله قل هذه سبيلي الاية ثم اختلف
في ماهية الصراط فقال بعضهم هو القران وقال بعضهم الايمان ومعنى القولين يرجع الى امر واحد لان طلب التوفيق
بالعمل بموجب القران وذلك هو الايمان فهو التصديق بوحدانية الله تعالى وصفاته العلى وكتبه ورسله وبجميع
ذلك وقبول ما كان الدين من شرايعه وكذا طلب الهداية التوفيق باداء الايمان وقبول شرايعه ولم يرفع اداء العبادة
اذ هو موجب القران فثبت انهما يرجعان في المعنى الى شيء واحد وقوله المستقيم صفة الصراط قال بعضهم هو
بمعنى الذي اي القايم الذي لا اعوجاج فيه والقايم بمعنى الثابت بالبراهين والادلة السمعية وقال بعضهم المستقيم
بمعنى المعتدل في الصراط يذهب بمن تمسك به على سنن الاستقامة حتى يوصله الى الجنة وينجيه من النار وقوله
تعالى صراط الذين انعمت عليهم بدل من قوله الصراط المستقيم وقوله انعمت عليهم قال بعضهم المنعم
عليهم المراد به جميع المؤمنين لشمول نعمة الهداية اياهم جميعا فان كل منعم عليه بالايمان والدين الحق فيكون
على هذا تاويل الصراط هو الدين دون القران وقال بعضهم المراد به الخصوص وقد يتوجه وجوها هم الذين
انعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين والكتب هي الحجج السمعية والبراهين هي الحجج العقلية وهذا القول يكون
تاويل الصراط هو القران والوجه الثاني هم الذين انعم عليهم بالتقدم على جميع المؤمنين بالنبوة والرسالة
والانبياء والرسل عليهم السلام والوجه الثالث هم الذين انعم عليهم بزيادة التخصيص على غيرهم من المؤمنين بالاعراض
عن الدنيا واقبال الاخرة وهم الاولياء فاصل الطريق واحد لكن يختلف سلوكه باختلاف احوال من تمسك به
سلوك من هو مستبصر في الدين الحق بدلايل السمعية والعقلية نظير سلوك من هو مقلد وكذا
النوايب من قوة الثواب وكذي وسلوكه على الاستقامة والتقوى ليس نظير سلوكه مع خلط العمل الصالح
بالسيء وكذا سلوك الانبياء فوق الاولياء فلذلك اختلف الاقاويل في المنعم عليهم قال ابو منصور لكن
الاوجه من الاقاويل ان يصرف ذلك الى جميع المؤمنين بدلالة الثنيا وهو قوله غير المغضوب عليهم ثم
القراءة المعروفة بخفض غير المغضوب وقد قرئت بالنصب شاذة ثم في النصب يحتمل ان يكون لفظة غير بمعنى
الاستثناء ويحتمل ان يكون نصبا على القطع كذا قاله الزجاج وقال الكوفيون انه نصب على الحال واما الخفض
فانه لفظة غير قد يكون بمعنى الاستثناء اذا كان ما بعد لفظة غير داخلا فيما قبله لو لم تذكر لفظة غير فيكون لفظة
غير استثناء ويكون منصوبة لان المستثنى في موضع الاثبات منصوب كما تقول جاءني اهل قرية كذا الا زيدا فتعرب
لفظة غير باعراب المستثنى وان كان ما بعد لفظة غير لا يكون داخلا فيما قبله من حيث اللفظ لو لم يذكر حرف غير
لا يكون استثناء بل يكون بمعنى الصفة كقولك جاءني رجل غير زيد فهذا يكون بمعنى الصفة اي جاءني رجل
مغاير لزيد لان لفظة رجل للاثنين ولا للواحد فاستثناء الواحد عن الواحد لا يتحقق فلذلك صار حرف غير
صفة ولهذا قالوا فيمن قال لفلان علي درهم غير دانق يلزمه خمسة دوانيق نصبا وحرف غير استثناء بالخفض
ولو قال لفلان علي درهم غير دانق يلزمه درهم لان معناه علي درهم مغاير للدانق وقد احيث كمع لفظة غير صار
صفة للمغايرة قال لو اذا ثبت هذا فعلى قراءة من نصب احتمل معنى الاستثناء على مذهب اصحابنا فان ما اعطى الكفار
من النعم في الدنيا من سلامة البدن والغنى والصحة وغيرها فهي نعم على الحقيقة عندنا وقال الاشعري انه ليس
بنعمة بل هو نقمة لانها اسباب العذاب في الاخرة والنعمة ما يتوسل بها الى الجنة وكل ما يتوسل بها الى النار فهو نقمة
قال الامام كما نقول لو لم يكن نعمة لم يجب عليهم الشكر على ابتداء تلك النعم اليهم اذ لم يجب الشكر لم يجب
العذاب بالترك فكان استحقاق العذاب بسبب ذلك دليلا على كونها نعما في حق الكافر ثم قال تعالى اذا استشهد
فتقول قوله انعمت عليهم يتناول المسلمين والكفار لما قلنا من تحقق النعم لله تعالى في حق جميع الناس فلما قال
غير المغضوب عليهم صار مستثنى به فقد وجد حد الاستثناء فيجعل كلمة غير استثناء وعلى قراءة من خفض
يكون بمعنى الصفة ولم يجعل ما بعد لفظة غير داخلا فيما قبلها اما في قول الاشعري فظاهر لانه لا نعمة لله تعالى على الكفار
عنده واما على قولنا فالمراد من قوله تعالى انعمت عليهم هو الانعام فيما يرجع الى حقيقة الدين وهو لم يوجد في الكفار
فالاية بمعنى الاستثناء حجة على ان المراد بالمنعم عليهم جميع المؤمنين لان المؤمنين لان قوله انعمت عليهم يتناول
جميع الناس لتحقق نعم الله تعالى في حق المسلمين والكفار جميعا فمتى استثنى غير المغضوب عليهم ولا الضالين الكفار

من جملة المنعم عليهم بقي ما وراء المستثنى داخلا في المستثنى منه وهم جميع المؤمنين بحكم اللفظ فكان القول بالخصوص
تغيير ظاهر اللفظ فلا بد من الدليل وكذا بمعنى الصفة حجة ايضا لانه يقتضي ان يكون بين ما قبل لفظة غير وبين
ما بعدها مغايرة فيكون المنعم عليهم مغايرين المغضوب عليهم والمغضوب عليهم الكفار فمن يغايرهم هم
المسلمون فكان ظاهر اللفظ ان كل من كان مغايرا المغضوب عليهم كان مرادا باللفظ السابق على لفظة غير وذلك
فيما قلنا فاما من حمل على الخصوص من الانبياء او العلماء او الاولياء فقد غير الظاهر اللفظ اذ قد بقي من غير يكون مغاير
المغضوب عليهم وهم العامة من المؤمنين فلم يكونوا داخلين في قوله انعمت عليهم لان الحمل على العموم اولى
ابو منصور ثم الاية وهو قوله تعالى انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين حجة على المعتزلة لان الله
تعالى اثبت المغايرة بين المسلمين وبين الكفار وهم المغضوب عليهم ولا الضالين في النعم في الدين وعند المعتزلة
جميع ما هو نعم في الدين وهو بيان طريق الحق واعطاء الالطاف موجود في حق الكفار كما في حق المسلمين فاما فعل
الاهتداء فعندهم ليس من نعم الله تعالى ان العبد خالق ذلك باختياره لا صنع لله تعالى فيه فزعمهم فلا مغايرة
بين المسلمين وبين الكفار فيما هو نعم في الدين فيبطل على قولهم العمل بموجب قوله غير المغضوب عليهم وما ذكره
هذا ان قالوا يحمل معنى الثنيا على قول من جعله ثنيا لان المراد اذا كان هو النعم الدينية او مطلق النعم فهو موجود
هنا في حق الكفار فصار تقدير الاية صراط الذين انعمت عليهم سوى المغضوب عليهم ولا الضالين من الذين
انعمت عليهم قيل لهم من يحتج عليكم بالقراءة الظاهرة والقراءة الشاذة تعارض القراءة الظاهرة اذ لا تعارض
بينهما فكان فيما قلتم ترك ظاهر القراءة التي هي المنزل قطعا فيكون حجة عليكم في الكلام في هذا بالصواب من وجه
والذي حصل ههنا منها بيان ما امر به المكلف من المعرفة والاعتقاد قال ابو منصور ان الله تعالى جمع في هذه السورة
خصال الامر الخير كادت كل خصلة تجمع خصال الخير منها انه في الحرف الاول هو قوله الحمد لله رب العالمين حمد نفسه
بما هو مستحق له بداية تعريفا للخلق بان يحمدوه وامر الخلق بالشكر لجميع نعمه وتوجيه ذلك الشكر اليه دون
خلقه لا يستعينوا نفيا لشركة الاغيار عنه وامر بالمدح له والثناء عليه لعموم نعمه والاية على جميع بريته وفيها
امر بالاقرار بوحدانيته في انشاء البرية كلها وتحقيق الربوبية له عليها بقوله رب العالمين وكل واحد مما
ذكرنا يجمع خصال الخير للذاكرين ويوجب للقايل بها اعتقاد امتناع الدارين ثم فيها الوصف الباري جل جلاله
باسمين يتعالى ان يكون لاحد من الخلق معناهما او يجوز استحقاق معنا له وهو الله والرحمن ولهذا لا يحمد اهل
على غير الله مع ثم فيها الوصف بالرحمة التي بها نجاة كل ناج وسعادة كل سعيد وبها يتحقق العصمة من كل محذور والامن
عن كل المهالك ثم الايمان بالقيمة بقوله مالك يوم الدين مع الوصف له بالمجد وحسن الثناء عليه ثم التوحيد وما
يلزم العباد من اخلاص العبادة مع جعله اياه طريقا لنيل كل شرف ورفعة واصابة كل خير وكرامة ثم رفع الحوايج
اليه والاستعانة على قضايها منه ثم الاعتناء الى ان يوضح العصمة عما يغويه في حادث الوقت على العلم
بانه لا ضلال لامرئ مع هدايته وفيها الامر بالتعوذ به من كل ضلال ومن جميع ما يوجب مقته وغضبه والابتهال
والخلاص قال الشيخ في خبر الصحيحة وهو قوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وهو تحليل من الله
والمراد به التعبد فيما يرغب التعس الحوايج لاصراف السورة لنفسه واخرها للعبد فليس في مضمون اخر السورة
الا اظهار الفقر وطلب المعونة والاسترشاد الى الدين الحق والتعوذ والعصمة عن الدين الباطل وليس شيء من هذه
الاشياء الا ان يوصف العبد بان كل ذلك امر يجب عليه تحصيل ذلك النعاء تنصيف بانه له اذا اتصلت به الاجابة
من الله تعالى مزيتها على التوراة والانجيل في الثواب وما ذكر فيها من احكام ان التسمية منها او هي اية على حدة
من القران او من راس كل سورة فعند الشافعي انها من الفاتحة قولا واحدا ومن راس كل سورة في احد قوليه والدليل
لنا في خلاف ما قال من وجوه منها ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب علمك اية نزلت
على احد قبلي الا سليمان بن داود قبل ان اخرج من المسجد فلما اخرج احدى رجليه من المسجد قال باي تفتتح القران
فقال بسم الله الرحمن الرحيم فقال هي هي قال الشيخ فهذا الحديث دليل على انها اية من القران وفيه دليل
على انها ليست من راس كل سورة لانه قال اية واحدة ولو كانت من راس كل سورة لكانت نيف ومائة اية ولانه
جعلها لافتتاح القران بها لا من نفس الفاتحة ولا من نفس كل سورة ومنها انه قد دلت الامة من الصحابة والتابعين
وغيرهم على ترك الجهر بها الى زمن الشافعي ولا يحتمل ان يخفى فعل الجهر بها على الصحابة او يخفى عليهم كونه سنة
لان ذلك يؤدي الى تجهيل الصحابة ولا يحتمل ان يعلموا كونه سنة ثم يضيعوها لان ذلك يؤدي الى تضليلهم
وذلك باطل وكان عمل الامة على الترك دليلا على ان الجهر بها ليس بسنة وكان عملهم على ترك الجهر بها مع جهرهم
على الجهر بالفاتحة والسورة في الصلوة التي يجهر فيها دليلا واضحا على انها ليست من الفاتحة ولا من راس كل
سورة ومنها حديث انس بن مالك قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان

فلم اسمع احدا منهم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم ومنها ما روي عن علي وابن عمر وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يجهرون
بالتسمية ولا يظن بهم ترك السنة وخبر الجهر يحتمل تعليما للعوام انه كان يقول بالتسمية افتتاحا للقران بها ويحتمل
انها سبقت على لسانه جهرا كما سبق على لسانه في صلوة الظهر القراءة فيسمعها الناس فيحمل عليه عملا بالادلة بقدر
الممكن ومن احكام الفاتحة ان قراءتها فرض على جميع البشر عينا وانكان قراءة مطلق القران فرض كفاية لان المعاني
التي تضمنها الفاتحة فرض عين على الجميع من الحمد لله تعالى والوصف له بالربوبية والرحمة والتمجيد والاستعانة وطلب
الهداية منه اذ فيه معرفة الصانع على ما هو به موصوف والحمد له على ما يستحقه اذ هو المبتدي بنعمة جميع خلقه الى الله
نفس كل عبد وحاجة كل محتاج فصار اعتقاد هذه المعاني والاقرار بها فرضا لازما على كل العقلاء من البشر ثم قال
وعلى هذا كل سورة تتضمنها مثل سورة الاخلاص ونحوها ومن احكامها ان الفاتحة لا تتعين ركنا لجواز الصلوة
عندنا خلافا للشافعي وذلك لا ذكرنا فرضية من فرائض الصلوة اما لعينها او من حيث انها قرانه والاول لا يصح
لانها من حيث جمعت الخصال التي بيناها فرضية على كافة الخلق لكن لا يوجب هذا كونها فرضية في حق الصلوة كما
في تسبيحات الركوع والسجدات والتكبيرات التي يتخلل فيها المدائح من تنزيه الله تعالى والوصف له بالعظمة والعلو
فرضية لنفسها اذ هو فرض على كل احد ان ينزه ربه عما لا يليق بصفاته الحسنى وان يصفه بالكبرياء والعظمة بلا نفي
ذلك كونها فرضية من فرائض الصلوة بل فيما يرجع الى الصلوة من السنن فكذا هذا والثاني من حيث انها قراءة القران
لا تتعين ركنا لوجوه احدها ان فرضية القراءة في الصلوة عرفناها بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران الاية وظاهرها
انه يقتضي اذا تيسر عليه قراءة غير الفاتحة وقد اجابت لاتيانه بما امر به وهو قراءة ما تيسر عليه والثاني ان الاية سيقت
لبيان الامتنان بالتخفيف عليه والتيسير في قراءة القران ولو لم تجز الصلوة بقراءة غيرها لم يتحقق الامتنان
بالتخفيف الثالث ان في الاية تخيير المصلي ليختار ما هو الايسر له من القران والقول بالتعيين ينافي التخيير فيكون
خلاف ظاهر النص ومما يدل ايضا على ذلك ما روي في حديث الاعرابي حين علمه الصلوة قال له ارجع فصل فانك لم تصل
ثم قال له وقت التعليم اقرا ما تيسر عليك بيّن ان المفروض مطلق القران ومما يدل ايضا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وفي خبر اخر من صلى كل صلوة لم يقرا فيها فاتحة الكتاب فهي خداج نقصان غير تمام
والموصوف من الصلوة بالنقصان هي الجائزة منها دون الفاسدة ومتى حمل النفي ههنا على نفي الجواز يتناقض
الحديثان ومتى حمل على نفي الكمال يندفع التناقض والنفي يحتمل كلما والنقصان نص محكم على قيام الاصل فيجب حمل
المحتمل على المحكم عملا بالحديثين بقدر الامكان تنزيها لكلام صاحب الشرع من شبهة التناقض ومما يتعلق بالفاتحة
انه لا يجهر بالتامين عندنا خلافا للشافعي لانه ليس بقراءة فلا يجهر به ولهذا لا يكتب في المصاحف ولانه دعاء
والسنة في جميع الدعوات المخافتة بخلاف الفاتحة وان كانت مشتملة على الدعاء والثناء لانها لم تسم دعاء
لاختصاصها باسم القران فامر بالتامين على اثرها ليكون دعاء من السامعين ٥ تم تفسير فاتحة الكتاب بعون الله

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى الم ٥ قال الامام اختلف الناس في الحروف المقطعة
في اوائل السور نحو الم والمر والمص وكهيعص ونحوها فقال بعضهم هي من المتشابه المكتوم الذي لا يطلع عليه
الخلائق الا من شاء الله منهم فيجب الايمان بها على انما اراد الله تعالى بها حق ولا يطلب لها التاويل وقد
تعلقت الملحدة بهذا الكلام وقالوا انكم تدعون ان هذا كتاب الله تعالى انزله على الخلق ليعملوا به ومن جعل كتابا
في الشاهد الى العوام لم يقفوا عليه لم يكن من الحكمة والالزام الحجة به عليهم اذ من حجتهم ان يقولوا لا يمكننا الوقوف
عليه ولو علمنا لعملنا به فتمسكوا بامر المتشابه في القران وحملوا على هذا الخيال على انكار القران والجواب عن هذه الشبهة
ان الله تعالى انزل الكتاب مشتملا على المحكم والمفسر والمجمل والمتشابه ونحوها وامتحن عباده باعتقاد حقيقة المراد
بالمتشابه جملة والوقف في تعيين المراد الربوبية واقرار العجز بالعبودية كما امتحنهم باعتقاد حقيقة المراد بالمحكم
فيانا ايجابا العمل به تحقيقا للابتلاء والابتلاء عن الوقف في تعيين مراد المتشابه فوق الابتلاء بالعمل بالمحكم اذ
الاعتقاد لحقيقة المراد بالمتشابه عمل القلب والقيام بموجب المحكم فعل وعمل الجوارح وكان عمل القلب اشد ابتلاء اذ العقل
جبل على صفة يتامل في غوامض الاشياء ليقف على حقايقها فكان منعه عن ذلك اشد عليه من حمله على تحصيل ما يميل
طبعه اليه وهذا كما في الابتلاء بالاوامر العملية مع الابتلاء بالنواهي بالترك في حق سائر الجوارح ان الابتلاء بالترك اشد
كذا هنا وقال بعضهم يحتمل ان هذه الحروف المقطعة هي السن الملائكة التي تفهم بعضهم من بعض والسن الطيور
والنمل كما اخبر الله تعالى في قول النمل ادخلوا مساكنكم وعلم سليمان منطقهم لعلمه بتعليم الملائكة اياه فيحتمل ان يكون

هذا مما يطلعنا الله تعالى ويعرفنا الرسول عليه بتعليم الملائكة وقال القائلون بانها ليست من المتشابه بل هي محتملة للتاويل
يمكن تاويل يخرج بيانا لما احتمله ظاهر الكلام لغة ولا يرده العقل والشرع فهو مقبول وما لا فلا بخلاف تاويلات
الباطنية لانها خرجت عن الوجوه التي يحتملها ظاهر اللغة واكثرها مخالفة للعقل والايات تركا للقران لاعماله ثم
تفرق اصحاب التاويل فقال القائلون يحتمل انه اراد بهذه الحروف المذكورة جميع الحروف المقطعة التي منها تركب
الكلام ثم قال بعضهم يحتمل ان هذا من الله تعالى قسم بجميع الحروف المقطعة على ان هذا الكتاب نزل من عنده
فيكون تقديره انه ذكر هذه الحروف الثلثة واراد بها جميع الحروف المقطعة على سبيل الرمز كقول الناس فلان قرا
ا ب ت ث فيريدون بها جميع الحروف وجه القسم بها وان كان الكفار ينكرون الرسول والكتاب فان من دأب العرب
انهم كانوا يقسمون بالاشياء الخطيرة عندهم لقسمهم بالاباء والاصنام فخرج القسم بهذه الحروف على نهج عاداتهم
لان هذه الحروف معظمة في نفسها لانها بها ينتظم الكلام الذي يقوم به منافع الدارين واما فائدة القسم بها فالتاكيد
المقسم عليه لان الله تعالى اقام دلايل الرسالة والوحي لنبيه عليه السلام بما اظهر على يده من المعجزات خصوصا هذا
القران العجيب نظمه فيكون القسم لتاكيد الثبوت عند المقرين ولتاكيد الزام الحجة في حق المنكرين وقال بعضهم يحتمل
انه اراد بهذه الحروف المذكورة جميع الحروف المقطعة ولكن لا بطريق القسم بل بطريق الاخبار ان القران يتألف من
الحروف فصار تقديره ان هذا الكتاب الذي تركيبه انتظم من هذه الحروف المعجمة نزل من عند الله لا ريب فيه والمعنى فيه ارشاد
السامعين لحقية هذا الكتاب والزام الحجة عليهم لان هذا الكتاب لما انتظم من هذه الحروف التي ينتظم منها
لسانكم وانكم تقدرون انتظام الكلام من الحروف كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم وهو منكم ثم عجزتم عن اتيان سورة
مثله واتى بذلك محمد صلى الله عليه وسلم لتعلموا انه لم يخترعه من تلقاء نفسه وانما نظمه الله تعالى وبعثه على لسانه
ليكون دلالة على صدق دعواه الرسالة والله اعلم وقال القائلون بانه اراد بهذه الحروف المذكورة لا جميعها ان يكون
كل حرف منها اشارة الى جملة معلومة على ما هو دأب العرب من الاختصار حتى اكتفوا بذكر حرف واحد عن الجملة كما قال
قائلهم قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجافا وعرف هذا بمثله لكنهم اختلفوا فيه فذلك فروي
عن ابن عباس انه قال الم انا الله اعلم فالالف كناية عن انا واللام كناية عن الله والميم كناية عن اعلم فتقديره انا الله
اعلم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه فيكون شهادة من الله تعالى على حقية القران وذلك مما اقام من الدلالات المعجزة
فيستدل انه من عنده على وجه عجز البشر عن معارضة سورة وهذا كقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب اخبر ان الله تعالى شاهد على رسالته بما اقام من البراهين الدالة على صدق
نبوته كما ان اهل الكتاب شهود على رسالته بما عرفوا باخبار الله تعالى في الكتب بهذا مثله وقيل كل حرف من هذه الحروف
كناية عن اسم من اسماء الله تعالى فقال بعضهم الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده فيكون هذا قسما بها
على التاويل الاول وعلى الثاني بصفاته على ان هذا الكتاب منزل من عنده لا شك فيه وقال بعضهم الالف كناية
عن الله تعالى واللام عن جبريل والميم عن محمد صلى الله عليه وسلم فكانه اخبر تعالى انه هو الذي انزل هذا الكتاب
بلسان جبريل على محمد بلا شك ولا ريب لانه اخترعه من تلقاء نفسه قال الامام لكن فيه نظر لان جبريل مركب من
جبر وايل فالجبر اسم العبد والايل اسم الله تعالى ومعناه عبد الله لو كان المراد ما قالوا لكان يجب ان يكون فيه
حرف من حروف جبر الذي هو من اسم العبد لا من اسم الله تعالى وقيل ان كل حرف من حروف المقطعة المذكورة في القران
اشارة في القران اشارة الى امر جليل الخطر عظيم القدر من بيان منتهى مال هذه الامة وظهور الحق فيهم ووعد امتهم
وقلتها فيهم او عدد البقاع التي تبلغ دولة الاسلام اشهد على نهاية الايجاد اكتفى بها عن البسط ليعلم الخلائق قدرة
الله تعالى في ان يضمن ما شاء فيما شاء الا ترى انه اودع جواهر الاشياء من اللطايف ما تحيرت العقول في ادراك
عنها مثل العرف للعود والمسك في الظبي والعسل في النحل ونحو ذلك فكذلك مثله في تركيب الكلام ولا يعلم
الا الله واذا كان التاويل هذا فهو من المتشابه الذي لا يطلع الله تعالى عليه احدا من خلقه بخلاف التاويل الاول
فانه يجوز ان يفهمه ان بعض الفقهاء ويخفى على البعض وعن هذا قالت اليهود حين سمعوا الم كيف ندخل في دين
رجل ينتهي الى احد وسبعين لما هو امر امته وانتهائها دولة النبي عليه السلام وملكه بناء على حساب الجمل فبلغ ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بقاء الحق الى قيام الساعة فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل
غير هذا يا محمد فقال بلى اراد غير هذا من الحروف المقطعة من المر وكهيعص وطه ونحو ذلك قال الامام فهذا دليل
على احتمال هذا التاويل لجميع الحروف المقطعة في القران الا انهم لم يعرفوا البعض فبقوا في الضلال على انما احتج به
اليهود ليس لهم حجة في الاحتجاج لان ما من نبي كان قبل محمد عليه السلام الا وقد انقضى ملكه لا يجوز ترك الايمان فانه
يجب علينا الايمان بكل الانبياء عليهم السلام مع انقضاء ملكهم ثم ان قيل ان قول اليهود مع هذا عن هذا يا محمد ادام على
سؤال لم يستحق مثله الجواب واما الهم ان يسألوه عن مراد الله تعالى في ان هذه الحروف المقطعة حتى يخبرهم بما ارتابوا

على المراد ثم سألوا عنه على شهوتهم فليس لهم ذلك قيل كل سؤال كان من الجاهل ولا يضر ذلك الرسول الله في دينه
كان المجيب الجاهل وان كان لا يستحق الجواب دفعا لتعنت الجاهل وترحما عليه في دفع جهله بقدر الامكان على ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بخلق عظيم ولعظيم خلقه اقدام على الجواب عن عرانا استحقوا ذلك عليه وقال بعضهم
ان هذه الحروف المذكورة في اوائل السور هي اسماء تلك السور والله تعالى ان يسمي الاشياء بما شاء فهو واضع الاسماء
وهيهنا كما سمى كتبه بالتوراة والانجيل والزبور والفرقان ووضع لسائر المخلوقات اسامي ليتعارف الناس الاشياء
باسمائها فكذا ام السور بعضها بتقدير قوله تعالى الم ذلك الكتاب اي هذه السورة التي سميتها الم بين فيها ان هذا
الكتاب لا ريب فيه وقال بعضهم ان هذه الحروف المقطعة تفسيرها ما ذكر عقيبها نحو قوله الم ذلك الكتاب
فقوله ذلك الكتاب تفسير الم وقوله الله لا اله الا هو تفسير الم وفي الاعراف قوله كتاب انزل اليك تفسير
المص وكذا يس والقران وق والقرآن فالقران تفسيره فيكون في بعض المواضع اسم القران وفي بعضها اسم الله
تعالى وهذا تكلم بالمجمل مقرونا بالتفسير وهو مستعمل في عرف اللسان قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا
والهلوع اسم مشكل وتفسيره ما ذكر عقيبه وهو قوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وكقوله هدى
للمتقين ثم فسر المتقين بقوله الذين يؤمنون بالغيب الاية فالتفسير مع المفسر شيء واحد فصار تقدير الاية
كانه لم يذكر الحروف الاول فيها فابتدأ بقوله ذلك الكتاب لا ريب فيه وكذا في قوله ق والقران المجيد كانه ابتدأ
فقال والقران المجيد فكان المراد منه القسم وقال بعضهم ان هذه الحروف المعجمة خرجت على سبيل المقدمة
لما بعده من الكلام على ما هو المتعارف في المنظوم والمنثور وفي الشاهد فان من نثر فصلا من الفصحاء او انشاء
قصيدة كان من دابه ان يبتدي بمقدمة يتدرج بها الى المقصود نحو الغزل او وصف القلم او وصف الربع
ذلك لكي يحضر السامع فهمه وذهنه الى الكلام فيكون ذلك اعون له الى تحصيل الغرض فكذلك الحروف المعجمة
وهذا لان الكفرة كانوا لا يستمعون ويعرضون عنه كما اخبر الله تعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه وانما صاروا كذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان كاحدهم من العشيرة وكان الكلام الفصيح عندهم اقسام
وهي الخطبة والشعر والنثر فمتى اتاهم بما لا يشبه اقسام كلامهم خافوا على اتباعهم وسفلتهم من الانقياد
بلا اعراض ووجه فصاحته بالتأمل اذا اودع فيه مع النظم المعجز من الحجج البراهين ما لو تأمل فيه من له عقل ... الى
ولم يكن يعقله لعرف حقيته فاعرضوا عنه وامروا بذلك اتباعهم حسدا له وخوفا على ذهاب رياستهم وطعنوا
عليه ليصير مزيفا فلا يصير متبعا فانزل الله تعالى هذه الحروف المعجمة التي هي في غاية الاعجوبة ولم يكن العرب
تعارفت بمثلها ابتداء في الكلام فان وجدت بينهم على طريق الشذوذ جاءت عن كلام تقدم كما ذكرنا من قول
الشاعر قلت لها قفي فقالت قاف فانزل الله تعالى هذه الحروف المعجمة ليضطروا الى التأمل فيها طبعا وعقيبها ذلك الكلام
الذي تضمن محاسن الدين والدنيا بالفاظ عجيبة ونظم خارج عن المعتاد ليكون ذلك اقرب الى حصول الفهم
او يؤدي الى تأكيد الزام حجة الله تعالى عليهم الا ترى انه ذكر في جميع المواضع عقيب هذه الحروف ما فيه لزوم الحجة
عليهم من قوله الم الله لا اله الا هو وقوله المص كتاب انزل اليك وقوله حم عسق كذلك يوحي اليك وبحول
ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ذلك الكتاب قيل ذلك اشارة الى ما هو في اللوح المحفوظ وقيل اشارة الى ما
في ايدي السفرة والبررة الى الكتاب الذي تقدم ذكره انه ياتي به رسول اسمه احمد قال الامام ... الاقاويل
ان ذلك الكتاب هو هذا الذي نزل على رسول الله وقوله لا ريب قيل لا ريب فيه شك فيما انه كتاب الله
تعالى لان هذا مستعمل العموم ... لا يحتمل الا ... جميع ...
في الناس من رجل ... لا ريب فيه نفي لجميع انواع الشك فان قيل كيف يصح نفي الشك عنه وكان ...
ارتابوا فيه قيل الجواب عنه من وجهين احدهما ان الشك ما استوى فيه طرفا الجهل والعلم والله تعالى ...
الدليل البرهاني على كون هذا الكتاب منزلا من عنده ولا شك مع البرهان فان الدليل المعجز ... الكفار
يشكون لا لنفسهم ... التأمل ... فان ذلك ... نفي الشك عنه دون التشكيك
والثاني ان المراد من ذكر لا ريب مطلقا ... المقيد ... فيه لاهل ...
عند الدليل على الثبوت والوجه ... لا ريب فيه ... المراد ... الى الخلف ...
وقال بعضهم انه ... لا ريب فيه ... الامر ... ابا ...
عن نفي ... وجوده ... المنفي ... ولا ... ريب ... نفسه
... وقوله تعالى هدى ... وقيل الهدى هو البيان
والدليل والحجة فالقران بيان لطريق الحق وارشاد في جميع ... فان قيل لما كان المراد من الهدى هو البيان
فما معنى تخصيص المتقين باضافة الهدى اليهم مع ان البيان عام في حق الكل وان الاولى ان يقول ان الدليل

لا يصير دليلا الا بالاستدلال فقال لان الاية تقتضي ان يكون القران دليلا للمتقين لوجود الاستدلال منهم قال
الامام قيل هو الجواب عنه من وجهين احدهما ان في الاية تخصيصا على المتقين والتخصيص بالحكم على الشيء يوجب تعلقه
به ولا يعترض نفيه عما عداه والثاني ان القران دليل في نفسه لبيان الدين الحق في حق المنكر والمقر والمتكر
والغافل لان الدليل عندنا ما له وجه الدلالة وصلاحيته ان يتوصل المستدل به الى غرضه ومقصوده استدل
او لا وكذلك الحجة حجة لمعنى تضمنها وهو الرفع احتج بها المحتج او لا فعندنا لا بد لاله الدليل هو موضح طريق الحق بسبب
قيام الوسائل المستدل بالاستدلال لو يتصل اليه فتى لم يستدل انقطع دون وصوله بتقصير من قبل المحل ومانع
في الدليل والدلالة الا ترى ان الله تعالى جعل العالم دليلا وعلما على ثبوته ومشيته ولم يخرج عن كونه دليلا
بعدم التأمل من صاحبه ولهذا صار حجة الله تعالى لازمة على الكفار حتى لم يعذروا ولو توقف كونه دليلا على الاستدلال
ولم يوجد منهم يجب ان يعذروا لعدم الدليل في حقهم تحقيقا قلنا انه لو كان الاستدلال شرطا لكون الشيء دليلا
على المستدل وكان في وسع كل كافر ترك الاستدلال لادى ذلك الى تعجيز الله تعالى عن اقامة الدليل على الكفار وهذا
فاسد وخيال باطل فما يؤدي اليه مثله ثم قال انما اضاف الهدى الى المتقين لان ثمرة الهدى ونفعه يحصل لهم فاما الكافر
فلا تحصل له ثمرة ما وضع له الدليل في حقه كانه لم يوجد في تحصيل ما وضع له فلا يكون دليلا وحجة على الكافر وهذا
كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ووجد الانذار من النبي صلى الله عليه وسلم بطريق العموم لكن
خص الخاشي لحصول ثمرة الانذار في حقه لا في حق غيره كانه عدم في حق غيره وفي حق تحصيل الغرض الذي في نفسه فهذا مثله وقوله
تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقال صم بكم عمي والحيوة من حيث الحقيقة ثابتة للكفار والسمع والبصر
موجودان حقيقة لكن لم يحصل ثمرات هذه الاشياء جعلت هذه الاشياء عدما في حقهم في حق الغرض فكذلك هيهنا
من استدل به فتفكر فيه وجده دليلا له ومن اعرض عنه صار دليلا وحجة عليه لما يأتي به حجة الله تعالى عليه فوجد
بالعقوبة والله الموفق ويحتمل قوله تعالى هدى للمتقين خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والعصمة فيكون معناه هدى
للمتقين اي القران سبب خلق ما فيه من الاهتداء وقلوبهم واصابة القدرة على الاكتساب من الله تعالى الاهتداء فان قيل
لا ذكر خص المتقين وهو سبب لاهتداء جميع العقلاء بواسطة التأمل فيه وصلاحية السبب لا يختلف بين المتقي وغيره
قيل لكن لما كان المنتفع به هو المهتدي والمتقي اضيف اليه ما ذكرنا امثلته قبل هذا وبالله التوفيق وقوله للمتقين قال
بعضهم للمؤمنين خاصة لانهم متقون عن الشرك فيكون القران دليلا لهم الى الجنة وسببا للاهتداء لانتفاعهم
به حيث اتقوا بسببه عن الشرك وقال بعضهم ان المراد هم المجتنبون عن الشرك والمعاصي جميعا قال ابو منصور والصحيح
ان المتقي عن الشرك يراد بالنص والمتقي بجميع ما يجب في القران يراد ايضا لكونه متقيا على الاسم دون القيد
وكل واحد من الفريقين يسمى متقيا حقيقة بترك ما يلزم من نفس المتقي بالاجتناب عن المعاصي واقامة الطاعة مع الاجتناب
عن الشرك فهو متق ايضا بالاتقاء عن الشرك لا عن ما يتأتى بضده وهو الايمان فانه قال هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب الاية فكان ظاهر الاية ان كل واحد من الفريقين يوصف بانه متقي وذلك لما ذكرنا وقوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب
فيه وجهان يحتمل يصدقون بالله غيبا بما يقوم لهم من الدلائل العقلية والحجج السمعية ولم يطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم
مثل ما طلب الامم السالفة من انبيائهم كقولهم ارنا الله جهرة وقيل يصدقون بما تضمنه القران من الغيب من البعث والجنة
والنار وجميع ما فيه من الوعد والوعيد والامر والنهي وانما حمل الايمان بالغيب لان الايمان هو التصديق والكفر
التكذيب فالايمان انما التصديق على النبي صلى الله عليه وسلم بجميع ما اخبر عن الله تعالى او التصديق لله تعالى في جميع ما اخبر به
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كان او غير متلو والتصديق والتكذيب انما يكونان في الخبر والصدق هو
الاخبار عن المخبر به على ما هو عليه والكذب هو الاخبار عن المخبر به على خلاف ما هو والاخبار يكون عن الغيب لا عن الحاضر
المحسوس المخبر له لاستغنائه بالحس عن الخبر قال ودخول الاية ينقض قول من قال ان جميع الطاعات ايمان لانه اثبت
لهم اسم الايمان منفردا عن اقامة العبادات بقوله الذين يؤمنون بالغيب ثم عطف اقامة الصلوة وايتاء الزكوة على الايمان
بقوله ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والمعطوف غير المعطوف عليه وغير الشيء لا يكون منه وقوله تعالى
ويقيمون الصلوة يحتمل اقامة الصلوة المعروفة ودوامها وهي بركوعها وسجودها وحضورها وخشوعها واخلاص
القلب لله على ما روي المصلي يناجي ربه ويحتمل اقامة الحمد لله والثناء عليه لان الصلوة مشتملة على الحمد والثناء في
التسبيح والتعظيم وغير ذلك ويجوز اطلاق اسم الكل على البعض ولان الصلوة في اللغة عبارة عن الدعاء قال الا
لبيك مليك مثل الذي صليت اي دعوت وبين الدعاء والحمد والثناء مناسبة في معنى التوصيل فان الدعاء كما هو
وسيلة الى المطلوب وكذا الحمد والثناء الكريم كقول الشاعر اذا اثنى عليه المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء فيجوز
اسم الدعاء على الحمد والثناء قال فان كان المراد هو الصلوة المعروفة كانت تحتمل الانتساخ وهو تبديلها من الحالة المحسوسة
الى المحسوس اخرى فاما اصل العبادة فيها لا يحتمل الانتساخ وهو التعظيم والحمد والثناء عليه لانه حكم ... لا في ...

والاخرة فان كان المراد هو هذا الثاني فهو لا يحتمل النسخ بحال لما قلنا والله الموفق وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
قيل اي يؤدون الزكوة المفروضة وانما حمل الانفاق على الزكوة المفروضة لما ذكرنا بان الزكوة على اثر اقامة الصلوة في عامة
الايات ويحتمل الانفاق على الزكوة مع ما يحتملها اللفظ وقيل ينفقون من الاموال التي تجب فيها من الصدقات والنفقات والنذور
والكفارات وما يندب فيها من النوافل لان اسم الانفاق يقع على الكل فيجب العمل باطلاقه وقوله تعالى والذين يؤمنون
بما انزل اليك ۞ يحتمل يصدقون بما انزل اليك من الاحكام والشرايع التي ليست بمنصوصة في القران قال والصحيح
المراد جميع ما انزل الله من القران والسنة اذ كل ذلك مما انزل اليه فان الوحي المنزل عليه نوعان متلو وغير متلو
وكل ذلك منزل اما على لسان جبريل عليه السلام او على لسان ملك او اوقع في قلبه الهاما قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقوله تعالى وما انزل من قبلك ۞ يحتمل الاحكام والشرايع التي انزلت عليهم من بعد ان الكتب
على لسان ملك قال او نحوه قال لكن الصحيح ان المراد هو الكل فان الايمان بجميع ما انزل لو اجب وفي الاية دليل ان الايمان
بجميع ما انزل الله تعالى على الانبياء صلوات الله عليهم يجب من الناسخ والمنسوخ الا انه على حقيقة المنسوخ الى وقت النسخ
وحقيقة الناسخ بعده لان الناسخ بيان انتهاء المشروع لا نقضه فان حمل الايمان برسول واحد ايمان بالرسل جميعا
فكان تصديقه تصديقا للكل ضرورة قيل كذلك لكن الاحسن هو ان يبني الايمان بكل الانبياء صلوات الله عليهم
موافقة ومعاضدة لوصايا الانبياء عليهم السلام وانهم كانوا يتواصون بعضهم بعضا بالايمان بما قبلهم وما بعدهم من الا
عليهم كما اخبر الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية لان كل واحد منهم حجة من حجج الله تعالى يتصاعد الى الا
وفي الاية دليل على ان نبينا عليه السلام خاتم الانبياء حيث قال وما انزل من قبلك ولم يامرهم بالايمان بما انزل من بعده
كما في حق سائر الانبياء عليهم السلام كانوا يتواصون بعضهم بعضا بالايمان بما قبلهم وما بعدهم من الانبياء عليهم السلام
وقوله تعالى وبالاخرة هم يوقنون ۞ استدل بعضهم بظاهر هذه الاية ان الايقان والايمان واحد لان الله تعالى ذكر
الايمان بالرسل والايمان بالاخرة وذكر ههنا الايقان بالاخرة فعلم ان الايقان والايمان واحد فكذا ان الايمان هو
المعرفة قال الامام لكنا نقول الايمان غير الايقان لغة فان الايقان هو العلم والمعرفة بالشئ حقيقة والايمان في اللغة
هو التصديق والمعرفة واليقين يتحقق بدون التصديق كما في حق الكفرة المعاندين كما اخبر الله تعالى بقوله يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم ثم قال تاويل الاية على المذهب الصحيح من وجهين احدهما ان المراد من الايقان هو الايمان ههنا
وبالاخرة هم يوقنون يعني يصدقون لان الظاهر من كل موقن بالشئ ان يؤمن به ويصدق قول من يخبر عن وجوده
واما التكذيب لعارض من حب الجاه او الانفة الجاهلية فيكون الايقان داعيا وباعثا على الايمان فذكر الايقان
مستعارا عن الايمان والثاني يحتمل انه اجرى على ظاهر اللفظ ولم يرد بقوله وبالاخرة هم يوقنون بيان ايمانهم
بالاخرة لان بيان ايمانهم حاصل بقوله يؤمنون بما انزل اليك لان مما انزل اليه في القران هو الايمان بالله وملائكته
ورسله واليوم الاخر لكنه انما ذكر وبالاخرة هم يوقنون لان الكفار كانوا يصدقون على ظن لا على طريق اليقين كما اخبر
تعالى عنهم بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فاخبر الله تعالى من حال هؤلاء انهم على اليقين دون
الظن مثل اولئك فاستقام تاويل الاية على مذهب اهل السنة والجماعة بحمد الله وقوله تعالى واولئك هم المفلحون
قيل الباقون في نعيم الجنة وهو عبارة عن البقاء وقيل هم السعداء يقال فلان افلح اي سعد وقيل الظافرون بحاجاتهم
وقيل هم الناجون وهذا كله يرجع الى معنى واحد وان من نجا من النار فقد سعد وظفر بحاجته وصار باقيا في الجنة
وقوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ۞ قيل وهذه الاية وان كانت عامة
بصيغتها لكن المراد منها قوم خاص منهم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون اذ لا يمكن تعميمه لان بعض الكفار قد امنوا بعد
نزول هذه الاية ويؤمنون الى قيام الساعة ولو كانت عامة لم يوجد خلاف ما اخبر الله تعالى رسوله بذلك وكان الامر كما
اخبر الله تعالى قال الامام وفي هذه الاية دلالة اثبات نبوة محمد عليه السلام لانه اخبر عن قوم معينين من الكفار لا يؤمنون
وقد ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا ولا اطلاع على الغيب الا لله تعالى كما قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله فلولا انه انما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى الذي هو علام الغيوب لما كان يخبر عن موتهم على
الكفر وامتناعهم عن الايمان ابدا فيكون هذا دلالة ثبوت الرسالة قال وفيها ابطال قول المعتزلة ان كل كافر قادر
على الايمان قبل وجود الايمان وكذلك الاستطاعة كل فعل قبله فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر ان اولئك القوم لا يؤمنون
وبلغ الخبر اليهم وجعل رسول الله عليه السلام ذلك الاخبار دلالة صدق دعواه الرسالة او كانوا قادرين على
ذلك لكانوا ان يظهروا الايمان لكي يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره انهم لا يؤمنون قال ويحتمل الاية
وجها اخر وهو اجراءها على الاطلاق وصيغتها ان الكفار لا يؤمنون ما داموا في كفرهم مختارين للكفر مؤثرين له على
الاسلام وما داموا يخلق فيهم اعتقاد الكفر ومحبته حتى اذا كان في علم الله تعالى ان واحدا منهم يؤمن يخلق فيهم بغض
الكفر وقبحه وحسن الاسلام ومحبته فيتيسر عليه الادراك فيختار الاسلام ويصير كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين

اي ما داموا كافرين مختارين الظلم مجانبين له فكذلك الختم والله العصمة وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة ۞ حكي عن الحسن في تفسير الختم ان الكافر اذا بلغ في الغواية وتمرن في قلبه الكفر وكان في علم الله
منه انه لا يؤمن يختم على قلبه انه لا يؤمن فهو ذلك الختم وهو قول بعض المعتزلة قال الفقيه ابو منصور وهذا فاسد
لانهم ان خالفوا ذلك بان الله ليس بعالم ان لا يؤمن حتى يبلغ هذا الحد فهذا قول جهم لله تعالى وحدوث علمه
وهو باطل محال وان قالوا انه عالم انه لا يؤمن فما معنى قوله يختم على قلبه اذا بلغ هذا الحد انه لا يؤمن وقال عامة المعتزلة
يعني قوله ختم الله وطبع الله اي اعلم بعلامة في قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسائل قال الفقيه وهذا باطل
لانه ان قيل انه يعلم هذه العلامة اعلام نفسه فهو محال لانه عالم بما كان وبما يكون وان قيل للاعلام الخلق فهو
باطل ايضا لانه لا علم للناس بخطرات القلوب وان قيل للاعلام الملائكة فهذا باطل ايضا لان الملائكة علموا او لم
يعلموا فذلك سواء لانهم لا يستغفرون للاحياء من الناس حتى يحتاجوا الى العلامة لكن يستغفرون لجملة المؤمنين
فهذا ان كان مؤمنا دخل تحت الخطاب وما لا فلا يحتاجون ان يقال بان يجعل هذه السمة والعلامة عقوبة عليه لانه
لا يتالم به حقيقة ولا من حيث المعنى فيه يوما بالكفر لان الكافر يفتخر به فلا يكون هذا الختم بسبب العقوبة
في الاخرة لانه لا صنع للكافر في الختم انما هو صنع الله تعالى فتثبت انه ليس بعقوبة لا من حيث التسبيب ثم قال الفقيه
ولكن المذهب الصحيح عندنا وجهان احدهما ان الختم والطبع يعني خلق الظلمة والضيق في صدورهم فلا يؤمنون
ما دامت تلك الظلمة في قلوبهم فاذا كان في علمه انه لا يؤمن لا يزيل تلك الظلمة بل يزيدها كما روي في الحديث اذا اذنب
العبد ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء كلما ازداد ذنبا ازدادت تلك النكتة ففي الحديث دليل ان خلق الظلمة من الله
تعالى والوجه الثاني المراد من الختم والطبع هو خلق الكفر فان الكفر مخلوق عندنا وخلقه هو الختم سماه ختما لان
الكفر في القلب يمنع من دخول الايمان لانه ضده واذا كان الكافر لم يتامل ولم يتفكر في عجائب صنايع الصانع
جل جلاله صار كان قلبه مختوم يمنع دخول الايمان فيه لان الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه
وغيره مصنوعا ليرى اثار الحدث والتغير من حال الى حال ليعلم انه لا بد له من صانع دائم لا يزول ولا يحول كان في بصره
وسمعه غشاوة وغطاء وان لم يكن محسوسا حقيقة كذلك هذا وهذا لانه لما لم ينتفع بنار عمل القلب والبصر
والسمع صار كان عليه ختما وغشاوة وهذا في قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون والله الموفق قال الامام
ابو منصور ثم الاية وهي قوله تعالى ختم الله على قلوبهم حجة لنا على المعتزلة في مسائل منها ان الله تعالى قد يفعل
بالعبد ما ليس باصلح له وما ليس بصالح له ايضا فانه تعالى اخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم مما
اقترن به من جعل الغشاوة على البصر والسمع كان اصلح لهم من ذلك وكذا ليس ذلك بصالح لهم ومنها انه
تعالى اراد منهم الكفر حيث ختم على قلوبهم وجعل على ابصارهم غشاوة ومنها ان الختم اما ان يكون خلق ظلمة
في قلوبهم فما دامت هي في قلوبهم لا يؤمنون وهذا لان الكفر يكون بالجهل بالحق وعند ارتفاع الجهل والظلمة
ظلمته عن القلب يثبت الحق بنوره فيه واما ان يكون هو خلق فعل الكفر فان كان المراد به هو خلق الظلمة فهو يبطل
عليهم القول بالاصلح وان كان المراد منه خلق فعل الكفر فقد ثبت القول بانه تعالى خالق افعال العباد وان
الكفر والمعاصي كلها بتخليقه جل جلاله قال الفقيه ثم ان المعتزلة تفرقت في تاويل الاية على وجوه يطلبون
بها التخلص عما الزمناهم والتفصي من جهة ظاهر الاية ورامو التخلص عنها بالتاويلات المستكرهة لكن
المستبعدة فمنهم من قال ان الكافر اذا بلغ ذلك الحد وعلم الله تعالى منه انه لا يؤمن طبع على قلبه انه لا يؤمن
وهذا فاسد من وجوه احدها انه يوهم انه ما لم يبلغ ذلك الحد لا يعلم الله تعالى انه لا يؤمن والقول بتجهيل الباري
تعالى عما يقول الظالمون اذ هو تعالى كان عالما في الازل بما يكون قبل ما يكون وقبل حصول كل شخص من ذكر
وباي دين يتدين بل هو عالم بجميع ما يكون عنه من الافعال خيرها وشرها وغير ذلك والثاني ان هذا الكافر بقي
مكلفا مع وجود الختم عليه بلا خلاف والختم والطبع مع بقاء التكليف ارادة الكفر منه وذلك الختم في حال
بقاء التكليف لا مصلحة له بل له فيه مفسدة وهو خلاف مذهبهم اذ من مذهبهم ان منع شيء من مواد التوفيق مع بقاء
التكليف بخل وجور فكيف يتخيل بتحصيل ما هو المضاد لطريق الدين الحق والثالث ان قولهم اذا بلغ الكافر ذلك الحد وعلم الله
تعالى منه انه لا يؤمن ختم على انه لا يؤمن يفضي الى العبث او التجهيل اما التجهيل فقد بينا واما العبث فلانه تعالى اذا
علم انه لا يؤمن عند بلوغه الحد اي غرض في الطبع والختم وهو بلوغه وقد بلغ الحد الذي من بلغه لا يؤمن فاذا هو فعل
عبث والرابع ان الكافر في الطبع لا ينتفع ولا يتضرر به في الدين والله تعالى جل عن ان ينتفع بشيء فاذا هو فعل لا نفع فيه للغير
ولا يكون عقوبة عليه لانه لا يتالم به حسا ولا معنى على ما بينا انه يفتخر به وهذا هو حد السفه عندهم ان الفعل
اذا لم يكن فيه نفع للفاعل ولا للغير يكون سفها فاذا كان الله تعالى بالختم والطبع سفيها عند هؤلاء الجهلة
الجهلة تعالى الله عما يقولون والخامس ان الكافر عند وجود الختم انه هل يمكنه تحصيل الايمان او الامتناع عن الكفر

وبما ناتي بالايمان فلا يظهر للختم اثر وان لم يبق ممكنا فلما اذ بقي مكلفا اولا فان بقي مكلفا فهو تكليف ما لا يطاق
وهو سفه خصوصا عندهم وان لم يبق مكلفا وصار بالختم ما هو عليه من الكفر بعد ذلك غير محظور ولا موجب
ولا موجب للعقاب عليه صار الختم مرحمة على الكافر لا مضرة عليه وهو تعالى ذكر لبيان ما يفعل بهم ما عليهم
فيه مضرة والله الموفق ومنهم من قال تأويل الختم انه يعلم علامة في قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسائل فيعلم
لم وما الحكمة في تلك العلامة فان كان المراد منه الاعلام انه لا يؤمن فلم يكن هذا اعلاما فانه اعلم لاجل نفسه فهو تعالى
عالم به قبل وجوده انما ذا يوجد منه وان علم المؤمنين فيه لا اطلاع لهم على ما في القلوب فلا يتصور حصول العلم
وان علم الملائكة فلا فائدة فيه اذ هم يستغفرون للمؤمنين لا للكفار فلا ينصرف استغفارهم الى هذا وان لم يعلم
حاله ومنهم من قال خلق الختم عقوبة على الكافر وهذا ايضا فاسد لان الكافر لا يتضرر به بل يفتخر بذلك ويتبجح به
في دار الدنيا وفي الآخرة لا تعذيب عليه وما خلقه الله تعالى على اصولهم على ان التكليف يعقبه باق فيتصور منه الايمان
بعد الختم ولو من يغفر له ما قد سلف فلا يعاقب على ما وجد منه في حال الكفر فلم يتضرر بالختم لا في الدنيا ولا
في الآخرة فاذا لم يتعلق به غرض فيكون سفها والله الهادي لا شريك له واذا ظهر بطلان هذه التاويلات تعين
الامر على ما بيناه وظهر انهم لما زعموا انه تعالى ليس بخالق الكفر لما ان ايجاد القبيح سفه وان الفعل الخالي عن النفع سفه وانه
يوجب صيرورة العبد مضطرا او توهموا انه يفعل ما ليس باصلح لهم ظلم وبخل وسفه واصل النص او اوجد من لا ينتظم
لهما ولا يفعل ما ليس بحكمه جل وعلا وظهر بذلك كله حكمه ليس بسفه اذ لو كان سفها ولم يكن حكمة لما فعله
الله تعالى وتبين ان المعتزلة جاهلة بحقيقة الحكمة والسفه ثم بايجاد الظلمة او تخليق الكفر في العبد لا يصير
الكافر معذورا لما بيناه مضطرا لتخليقه مع كفره باختيار الكافر فيكون الكفر اختيارا بلا اضطرار ولو كان
تخليقه كذلك كما لا يصير الكافر بعلمه تعالى الازلي بان يكفر مضطرا ولكن لا يجوز التبدل في علمه تعالى لانه علم انه
يكفر مختارا لا مضطرا فلو صار مضطرا لانقلب علمه جهلا وكذلك ههنا في الارادة والله الموفق وقوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين • قال الامام سيف الحق ابو المعين هذا اخبار
من الله تعالى عن المنافقين بخبث اظهرهم واخلاف ما في قلوبهم فقالوا باللسان دون القلب فاخبر الله تعالى انهم ليسوا بمؤمنين
اي بمصدقين بقلوبهم وهذا كما اخبر الله تعالى عنهم فقال من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
قال وهذه الآية ونحوها حجة على الكرامية فانهم يقولون ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير وقد وجد منهم
وقد نفى الله تعالى عنهم اسم الايمان بقوله وما هم بمؤمنين وهي حجة لاهل السنة والجماعة فان عندهم قالوا
الاقرار باللسان والتصديق بالقلب كل واحد منهما ركن وقال بعض اهل السنة ان الركن هو القول والتصديق
بالقلب شرط وهو قول عبد الله بن سعيد القطان من متكلمي اهل الحديث وقال صاحب كتاب التاويلات هو التصديق
بالقلب والقول باللسان دليل على التصديق وعلامة لما في الضمير والله تعالى لما نفى عن المنافقين اسم الايمان مع
وجود القول دون التصديق بالقلب دل على ان الايمان اسم لهما جميعا حيث يعدم الاسم باعدم احدهما وقوله
ولم تؤمن قلوبهم دليل ان الاسم للتصديق بالقلب لا غير والله الموفق وقوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا
قال الكلبي يكذبون الله والذين آمنوا قال الامام لكن لا يريد بهذا القول التكذيب على الاطلاق لانهم يصدقون
الرسول والمؤمنين في الظاهر وانما اراد به التكذيب من حيث الضمير وذلك المعنى قوله تعالى ولهم عذاب اليم بما كانوا
يكذبون ويحتمل يخادعون معنى الذين آمنوا على الحقيقة وانهم كانوا يظنون ان الله تعالى لا يطلع على ما في ضمائرهم
ظنا منهم ان علم الله تعالى مثل علومنا فكان اظهارهم الايمان بالقول مع اضمار التكذيب بالقلب منهم مخادعة
لله تعالى والمؤمنين حقيقة اذ تفسير المخادعة اظهار الشيء بخلاف ما هو على الحقيقة واما قوله تعالى خبرا عنهم يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فذلك لما حصل لهم تفكر عما في ضمائرهم وما ذكرنا
من ظنهم ان الله تعالى لا يطلع على ما في ضمائرهم فذلك اخبار من الله تعالى عنهم في اول الحال قال ويحتمل اضمار ذكر النبي
عليه السلام كانه قال يخادعون نبي الله والذين آمنوا والاضمار جائز في كلام العرب في موضع لا يؤدي الى الاشتباه
وهذا كذلك اذ لا يقصد احد مخادعة الله مع اقراره انه خالقه قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله ويحتمل انهم كانوا يخادعون الرسول والمؤمنين باظهار الايمان مع اضمار الكفر خوفا من معرة القتل منهم
لكن تسمى مخادعتهم للمؤمنين مخادعة لنفسه اظهارا للعظيم تقدير غدرهم وعظم قبح هذا الصنيع من
اوليك كانهم خادعوه وهذا كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم معناه ان تنصروا اولياء الله ينصركم اذ لا يحتاج
الى نصرة احد بل هو الناصر لكل وهو الحافظ على الحقيقة وكقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تحقق
المبايعة مع الله اذ هي مبايعة عن عهد البائع واخذ الثمن كل واحد من المبايعين تعالى الله عن ذلك لكن اضاف
الى نفسه تعظيما للرسول والمؤمنين كذلك ههنا فان قيل المخادعة من المفاعلة وهو يقتضي وجود الفعل من اثنين

كالمقاتلة والمضاربة والفعل ههنا وجد من المنافقين لا غير قيل اصل الكتاب ما ذكرتم لكن تستعمل المفاعلة
في الموضع الذي يوجد الفعل من الواحد مثل المداواة والمعالجة وهو فعل الطبيب لا غير قال الله تعالى قاتلهم الله
كما يريد به القتل من الله فكذلك هذا على ان الله تعالى يجازيهم جزاء خداعهم في الآخرة وجزاء الخداع يسمى مجازا
وان لم يكن الجزاء خداعا في الحقيقة وجزاء سيئة سيئة مثلها فكان الخداع محققا من اثنين وقوله تعالى وما يخدعون
الا انفسهم • قال فيه وجهان يحتمل ان حاصل خداعهم وهو الجزاء في الآخرة يرجع اليهم فكانهم خدعوا انفسهم ويحتمل
انهم انما كانوا يظهرون الموافقة ويخادعون المؤمنين ليكتسبوا بذلك الامن لانفسهم فيصير بسبب ذلك الخوف الدائم
خدعهم للمؤمنين سببا للخوف والضرر بهم فصار ذلك خدعا لانفسهم من حيث المعنى وقوله تعالى وما يشعرون
اي ما يشعرون ان حاصل خداعهم يرجع اليهم في الآخرة ويحتمل وما يشعرون ان الله تعالى يطلع نبيه عليه السلام
على اضمارهم في قلوبهم فيلحقهم بذلك السبب الخوف على انفسهم بالقتل واخذ الاموال وقوله تعالى في قلوبهم
مرض • اي فساد لان ضد المرض الصحة يقال المريض والصحيح وفي عرف الاستعمال يقابل الصحيح بالفاسد كالكلام
صحيح وكلام فاسد فصار المرض اسما لكل ما هو فساد والكفر فساد في القلب والنفاق كذلك ايضا وقيل
شك لان نور الحق في الشك والنفاق مرضا لان الشك ما استوى طرفا الجهل والعلم والنفاق ما يكون ظاهره
خلاف باطنه فيكون المنافق مترددا نظير المريض الذي هو متردد بين الحياة والموت ولظهور الايمان منه يشبه
المؤمنين ولكون باطنه خلاف ظاهره يشبه الكفار وقوله تعالى فزادهم الله مرضا • اي خلق فيهم زيادة
المرض وهو الكفر والنفاق قال وهذه الآية حجة على المعتزلة فانهم ينكرون من الله تخليق الكفر والنفاق ولما
الا انهم يقولون بان اعطاء زيادة المرض مما يضاف الى الله تعالى فان كان يحصل ذلك بفعل الكفرة عن اختيار
لان الكافر لا يقدر على اكتساب الكفر الا باعطاء الله تعالى اياه آلة الفعل والقدرة سابقة عليه فلذلك
المنسبة فقال فزادهم الله مرضا قال لكن هذا خلاف الحقيقة وظاهر الصيغة ولا يجوز ترك الحقيقة الا بدليل
فان قيل كما ان التصديق لا يتزايد فكذا الكفر والنفاق لان الكفر تكذيب على مقابلة التصديق قيل ان الآية في
نفس الكفر وهو التكذيب كما لا تزايد في التصديق من حيث نفسه لكن المراد من زيادة النفاق والكفر في
حالة الدوام بخلق امثاله واجناسه فتحقق الكثرة من حيث الجنس ومن حيث الوقت والزمان كما بيناه في الايمان
وحقيقته تستعمل الوقت فهذا كذلك ثم بين تعالى جزاء كفرهم ونفاقهم وقوله ولهم عذاب اليم • اي مؤلم
موجع شديد الالم في نهاية الشدة لان اليم ماخوذ من الالم والمكان فهو اليم على العذاب لا يوصف بالتألم
فكان اليم للمبالغة في الوصف كقوله تعالى انما انت نذير وبشير اي منذر وقال ما استند من بحثنا هاهنا
الغالب في الفعيل انه بمعنى المبالغة الفاعل كقولنا سميع للسامع وعليم للعالم وبيان كمال الالم انه لا يشبه
عذاب الدنيا لان عذاب الدنيا لا يكون في النار وعذاب الآخرة يكون في النار وكذا عذاب الدنيا ينقطع
وعذاب الآخرة على الدوام وقوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض • قال الامام قوله لهم كناية عن المنافقين
اي لا تفسدوا في الارض بالنفاق والمخادعة للمؤمنين باظهار الموافقة لهم بالقول والاستهزاء والسخرية بهم
عند الخلوة وكذا يظهرون موافقتهم في العبادة لله تعالى ثم يعبدون غيره في السر وأي فساد اكبر من هذا
ويحتمل ان يكون ذلك الخطاب لليهود الذين سبق ذكرهم وان الفساد لغة ضد الصحة يقال كلام صحيح وكلام
فاسد فان كان افسادهم تمسكهم بالكفر فهو من اعلى الفساد في باب الدين ويحتمل ان ينصرف الى الكفر وسائر
انواع الفساد لان اسم الفساد باطلاقه يتناولهما جميعا وقوله تعالى انما نحن مصلحون • قال الامام ان كان
المراد من قوله لا تفسدوا المنافقين كان هذا جوابا منهم انا نوافق المؤمنين في الايمان والشرائع والجهاد مع الكفر
على التحقيق دون الخداع لانهم كانوا يقولون نحن على الحق نحن ابناء الله واحباؤه وقوله الا انهم هم المفسدون
قال الامام هذا اخبار من الله تعالى انهم مفسدون على الحقيقة فان كان المراد به المنافقين فهم يفسدون
باظهار الوفاق واضمار الخلاف تحقيقا لغرض المخادعة والاستهزاء بالمؤمنين وان كان المراد به الكافرين فباظهار
العناد والمكابرة بانكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم نعتا كانوا عرفوه في كتابهم وبكتمان الحق كما اخبر الله تعالى
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون فكان هذا من الله تعالى بيانا انهم هم الموصوفون
بالافساد ورد لدعواهم الاصلاح وفي الآية دلالة على ان من ادعى شيئا لا حجة له عليه يجب رده عليه وان تسميته
المفسد في الشاهد مفسدا اسم ولكن يتبع في الشاهد فاوجب التفرقة قال الجواب عنه نذكر
بعد هذا فتامل ذكر السفهاء وقوله ولكن لا يشعرون • فيه وجهان احدهما اي ان المنافقين والكفار
لا يعلمون ان وبال ذلك الفساد يرجع اليهم في الدنيا والآخرة اما في الدنيا بما يظهر من نفاقهم فيحصل لهم الخوف
من المؤمنين بالقتل والسبي ونحوهما وكانوا يظنون ان الله تعالى لا يطلع نبيه عليه السلام على سرائرهم في الآخرة

بالنار ويحتمل انهم لا يعلمون ان ذلك افساد لما يظنون ان الحق معهم وانهم مصلحون في دينهم قال الفقيه
وهذه الاية حجة على المعتزلة في قولهم ان التكليف لا يتوجه بدون العلم بالمكلف وبما كلف به وان الحجة
لا تلزم بدون المعرفة فان الله تعالى اخبر ان ما صنعوا من الكفر والنفاق افساد منهم مع عدم العلم منهم فلو كان
حقيقة العلم شرطا للتكليف ولا علم لهم به لم يكن صنيعهم افسادا لان الافساد ارتكاب المنهي فاذا لم يكن
النهي خطابا عليهم عن الكفر والنفاق لم يكن فعلهم افسادا فدل ان التكليف يعتمد قيام آلة العلم والتمكن من
لا حقيقة المعرفة فيكون حجة عليهم وهذه المسئلة بيننا وبينهم فرع مسئلة القدرة ان عندنا يكون تعلق
الفعل والخطاب بناء على اسباب القدرة دون حقيقتها فكذلك العلم حقيقة لا يشترط لتوجه التكليف بل
اسباب العلم كاف وعندهم القدرة سابقة على الفعل لصحة التكليف ولا يكتفى باسبابه فيكون الاية حجة عليهم
ونظيره قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله وانتم لا تشعرون فجعل رفع الصوت على النبي صلى الله
عليه وسلم سبب الحبط العمل مع الجهل لما قام عندهم من اسباب العلم بذلك وهو كونه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مفترضا للطاعة واجب الاحترام فيبطل به مذهب المعتزلة وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
يحتمل ان يكون في المنافقين ويحتمل ان يكون في اهل الكتاب لما سبق ذكر التأويل فيهما فان كان في المنافقين
فمعناه آمنوا يا اهل النفاق في السر والعلانية جميعا كما آمن اصحاب محمد عليه السلام وان كان في اهل الكتاب وهذه الاية حجة
ودليل على ان الايمان هو التصديق فانه امر بلفظ الايمان وهو عبارة عن التصديق لغة ولذلك اجماع اهل التفسير
فانهم فسروا الايمان بالتصديق بجميع القرآن فصار قوله آمنوا اي صدقوا فمن شرط مع التصديق شيئا
آخر من اتيان الطاعات واجتناب الكبائر فقد خالف النص وقوله تعالى قالوا انؤمن كما آمن السفهاء • قال السفه
في اللغة عبارة عن الخفة والتحرك والاضطراب كقول القائل جرين كما اهتزت رماح سفهت
اعاليها مر الرياح النواسم • سفهت اي حركت فكل من حركته شدة الطرب او شدة الغضب الى ان يترك
موجب العقل بموجب الطبع يسمى سفيها وقال بعضهم حد السفه هو ترك العمل بالعقل مع قيام العقل وقوله
مع قيام العقل احتراز عن الصبيان والمجانين والبهائم فانهم يتركون العمل بموجب العقل لكن لا مع قيام العقل اذ لا عقل
لهم قال الشيخ وعلى هذا الحد يصح اطلاق اسم السفه على الكافر معاندا كان او جاهلا لم يبلغه السمع لانه ترك
العمل بموجب العقل لانه يدل على قبح الكفر وهو قائم في حقه الا ان هذا التحديد نوع فساد لان السفه
ضد الحكمة فاذا كان السفه ترك العمل بالعقل مع قيام العقل يكون الحكمة على مقابلته هي العمل بموجب العقل
مع قيام العقل وهو فاسد لان الحكيم اسم من اسماء الله تعالى ولا يوصف الله تعالى بالعقل ولان هذا الحد لا ينعكس
فانه ليس كل سفيه من ترك العمل بموجب العقل مع قيام العقل فان شارب الخمر سفيه وشرب الخمر ليس هو
ترك العمل بموجب العقل لان حرمته تعرف شرعا لا عقلا وذكر الامام ابو منصور حد السفه في الكتاب انه
العمل بموجب الجهل مع العلم بانه مبطل في ذلك ولا يلزم الصبيان والمجانين والبهائم لانهم وان عملوا بموجب
الجهل لكن لا علم له بكونه مبطلا فيه وعلى هذا الحد تفسير الحكمة عبارة عن العمل بموجب العلم مع العلم بانه
محق وهذا الوصف مما يمكن تحقيقه في حق الغائب وكذا يصح في حق الكافر المعاند لانه عالم بقبح الكفر لكن
لا يصح في حق الكافر الجاهل الذي لم تبلغه الدعوة لانه لم يعمل بموجب الجهل مع العلم بانه مبطل فيه لان عنده
انه على الحق ولا علم له بانه مبطل في هذا وهو يسمى سفيها قال صاحب شرح التأويلات فهذا الحد ان كان مطردا
فهو غير منعكس لكن هذا في الظاهر يرى بانه غير منعكس لكنه منعكس من حيث المعنى لانه وان لم يكن عالما
حقيقة فهو عالم من حيث التقدير والمعنى لان دليل العلم قائم في حقه فيجعل العلم موجودا من حيث الحكم اقامة
السبب مقام المسبب كالنوم جعل حدثا معنى لقيامه مقام الحدث كذلك هنا فان قيل وصف الذات بالشتم
سفه في الشاهد فانه قال لغيره يا سفيه يكون شاتما له في الشاهد والشتم قبيح في الشاهد فلم يسمي
الكفار والمنافقين سفهاء قال الفقيه حل هذا الاشكال على اصل متكلمي اهل الحديث سهل لان الاصل عندهم
ان القبيح ما نهي عنه والحسن ما امر به فالشتم في الشاهد قبيح لوجود النهي من الله تعالى الخلق عن ذلك ولا نهي
لاحد على الخالق فلا يتصف فعله بالقبح ويتصف هذا الفعل بالشتم في الشاهد مع انه صدق حقيقة لقيام
النهي ولا نهي عليه فلا يتصف فعله بانه شتم وقال الحسين العالي في جوابه ان الشتم قبيح في الشاهد لكنه
ليس بقبيح من الله تعالى لوجود المعنى في الفرق بين الشاهد والغائب وبيان ذلك ان الشتم هو وصف الذات
بما فيه من العيب خلقة او بما يوجد فعل القبيح والفاحشة بان قال يا اعور يا اقرع يا زاني يا فاسق ونحو ذلك
وهذا صدق في الحقيقة فاما وصف الذات بما ليس فيه مما يعد عيبا وقبحا في العادة او الشرع يكونه بهتانا
وكذبا لا شتما فلم يكن الشتم في الشاهد قبيحا لعينه وانما كان لمعان زائدة اتصلت به عدم كل ذلك في الغائب

من ذلك ان المشتوم يتأذى به ويتضرر بما يصفه من القبيح والعيب فيكون تصرفا فيما ليس بملك له بالاضرار عليه
ومن اضر بملك الغير كان قبيحا لما فيه من ترك تعظيم المالك والافتيات عليه بالتصرف في مملوكه بدون اذنه
وهذا المعنى معدوم في الغائب لانه يتصرف في ملك نفسه والله تعالى ان يبتدئ بخلق الضرر في حق عبده بانواع
انواع المحن والامراض ونحوها ويكون عادلا لما فيه الامتناع عن التفضل وذلك ليس بواجب عليه اذ التفضل
لا يدخل تحت الايجاب ولا ايجاب يتحقق بدون الموجب ولا موجب غيره فدل على التفرقة بينهما ولان الخلق
امثال في الاشكال وكلهم عبيد الله تعالى ومتساوون بالامر والنهي والتفضل على الله تعالى بيد وصنيعة يستحق بها
وزيادة الانعام في رزق واحد منهم سلامة البدن والعصمة على الفواحش فانما نال ذلك بالله تعالى تفضلا
منه فكان الواجب عليه ان يشكر الله تعالى لما تفضل عليه لا ان يعتمد على من حرم من الله تعالى بالاجابة منه بالتعيير له
وكيصفه بما ابتلي به من العيب خلقة وفعلا فيكون في ذلك كفران نعمة الله تعالى وتعريض نفسه للحرمان بالتعيير
وبقية استحقاقا للفضل بل الله تعالى عليه فانما قبح لهذه المعاني وقد عدم ذلك في حق الغائب فانه كان له بذاته لا
بغيره يستحق عليه الشكر وتعالى ان يكون له شكل ومثل فلهذا افترقا قال الفقيه والجواب الثاني عن هذا ان الشتم
انما قبح في الشاهد وقبح في الغائب لان قبحه في الشاهد من حيث انه فعل لا عاقبة له حميدة لانه غرض الشاتم بالشتم
اما الحاق الاذى بالمشتوم او الاستخفاف به او بذكره بلا غرض لنا اذا كان لغرض وعاقبة محمودة لا يكون شتما وذلك
مثل وصفه بعيب فيه ويضبطه ذكره والوصف به بان قال الشهود عند القاضي انه زان او سارق لقصد اقامة
الحد عليه تحقيقا لزجر الجناة عن الجنايات وصيانة الفروج والاموال عن التعرض فيقول والحد عن شيء
قوله يا فاسق يا فاسق ترك الفسق والفجور تشديدا لرجاء الامتناع عنه خوفا منه ونحو ذلك ولهذا قال النبي
عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس واذا كان الشتم اسما لهذا الحد الذي سبق بيانه لا يجوز اطلاقه على الله
تعالى لانه لا يتحقق من الله تعالى فعل لا وله عاقبة حميدة انه حكيم لا يخلو افعاله عن الحكمة البليغة وقف عليها
البشر او لا لكن اذا اضيف اليه ما يكون شتما في الشاهد يخرج من ان يكون شتما اذ تعلق به العاقبة الحميدة عرفنا
وجه تلك العاقبة ام لا واذا ثبت هذا نقول ان وصف الغير بالسفه في الشاهد شتم اذا خلا عن العاقبة الحميدة وفي
تعالى اذا وصف الكفار والمنافقين بالسفه لا يكون وصفه لهم بذلك شتما لعلمنا انه لا يخلو عن العاقبة الحميدة ثم وجه
ذلك ظاهر فان فيه اخبارا انهم اختاروا من الدين سفهه وفسادا على الحميدة فيكون فيه زجر لهم ولغيرهم عن الاقدام
عليه كان اظهار القبيح بطريق الحقيقة باقامة الدلالة عليه سبب للنفرة عنه وقد اقام الله تعالى الدلائل الظاهرة
على قبح الكفر وحسن الاسلام فكان على هذا الوصف تأكيدا للزجر وهو كما قال تعالى في ضلال مبين وفي شقاق وفي تباب
وفي غرور ونحوها ولما ابعضهم عن هذا وقال ان الشتم ابتداء قبيح فاما اذا كان على سبيل الشتم بطريق المجازاة لا
يقبح وعلى هذا المكر والكيد والاستهزاء والخداع جاز بطريق الجزاء لا الابتداء وقد وردت الاحاديث في هذا الباب
فقوله الا انهم هم السفهاء • جواب عن المؤمنين من حيث المعنى لكن الله تعالى اجاب بنفسه عن المؤمنين نيابة
منهم تحقيقا لاكرامهم ولو وجد هذا القول من المؤمنين لهم لم يكن قبيحا لما فيه من المجازاة لهم فكذا اذا وجد
من الله تعالى بطريق النيابة عن اوليائه قال الشيخ ولكن هذا استبعدنا لما ان الشتم سفه لخلوه عن العاقبة الحميدة
والمجازاة بهذا الطريق لا عاقبة له ايضا فكان سفها ولهذا ان من قال لمن ابتدأه بالشتم لا بل انت ونحو
ذلك يلزمه التعزير فانه يجب عليهما حد القذف ان كان الثاني يقصد به المجازاة لما قلنا انه لا يخرج عن كونه سفها
بقصد المجازاة لما انه لا يتعلق به عاقبة حميدة فهذا كذلك وقوله تعالى ولكن لا يعلمون • قيل لا يعلمون انهم
هم السفهاء حقيقة لغفلة تامة لهم عن الدلائل القائمة في كون الكفر سفها وقيل لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب
لاجل السفه في الاخرة وقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا • قيل في تفسير الاية وجهين احدهما ان
المنافقين اظهروا لاصحاب النبي عليه السلام الايمان بالقول مع اضمار الكفر فقالوا آمنا والوجه الثاني يحتمل انا
الكفرة قالوا آمنا اسم زيد ولان كل كافر يقر بالله تعالى على ما اخبر تعالى عنهم بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله لكن يابون الاسلام لان الاسلام في الحقيقة هو ان يجعل المرء نفسه لله تعالى سالما خالصا لا يعتقد له شريكا
في الربوبية كما زعمت الثنوية ولا في العبادة كما صنعت مشركوا العرب فالمؤمن مع تصديقه بالوهية الله تعالى يبرئه عن
شركة غيره معه في الربوبية واستحقاق العبادة والكافر مع اقراره بربوبيته يشرك معه غيره والايمان في الحقيقة
هو تصديق محمد عليه السلام بجميع ما جاء عن الله تعالى باثبات الالوهية والوحدانية واستحقاق العبادة وسائر
صفات الكمال بجميع ما اخبر به وبكل امر ونهي ولا يتحقق الايمان بوجود التصديق في البعض دون البعض ثم قال
وتبين بما قلنا ان الايمان والاسلام واحد لان من صدق النبي عليه السلام بجميع ما اخبر عن الله تعالى فقد وجد
منه الاسلام لانه اخبر عن الله تعالى انه يجب على كل عاقل ان يجعل نفسه سالما لله وان يبرئه عن الشريك في ربوبيته وعبادة

ثم اقر بجعل نفسه سلما خالصا انه هو المستحق للعبادة لا غير فقد اقر بالايمان فان الاسلام هو الانقياد لغة وحقيقته
هو الانقياد ظاهرا وباطنا على ما بيناه وذلك هو الايمان المامور به شرعا وهذا معنى قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل
لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اي انقدنا خوفا من مخرق السيف فهو انقياد ظاهر لا حقيقة فلا يكون ايمانا حقيقيا
لان هو ايمان ظاهر وبالله التوفيق وقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم ٭ فيه وجوه قيل اي الى رؤسائهم واوليائهم
من الكفرة سموا شياطين لبعدهم عن الحق يقال شيطن اي بعد في اللغة وكل من بعد عن الحق وابتدر الى التمرد والعتو سمي
شيطانا قال الله تعالى شياطين الانس والجن وان كان اصلهم من الجن سموا بذلك لتمردهم وعتوهم وبعدهم عن الحق وكذلك
الكفار اتبعوا الشيطان في اوامره ونواهيه وهو سبب ضلالهم فسموا باسمه وقيل اذا خلوا الى شياطينهم
اي الى كهنتهم لان كهنتهم في بعدهم وضلالهم فسموا شياطين لاجل البعد ولانه مع كل كاهن تابعا من الشياطين كان
يسمع بعض الوحي من الملائكة استراقا في بعض الاحايين فيخلط بما يسمع اشياء كذبا فسموا باسم من يلازمهم
وهذا مستعمل في عرف اهل اللسان يسمى الشي باسم ما يلازمه كالتسمية الذبح في الشريعة وقيل الى اصنامهم سميت
الاصنام بهذا الاسم لوجهين احدهما ان الشيطان يدخل في الصنم ويتكلم فيرى الكفرة ان الصنم هو الذي يتكلم
فيفتنهم بذلك الصوت فسميت باسم الملازم لهم ولان الصنم سبب وقوع الكفرة في الفتنة والتباعد عن الحق
فاطلق اسم الشيطان عليه مجازا والله اعلم وقوله تعالى قالوا انا معكم ٭ فيه وجهان قيل اي انا معكم في النصرة والمعونة
وقيل انا معكم اي على دينكم لا على دين اولئك وقوله تعالى انما نحن مستهزؤن ٭ اي باصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم باظهار الموافقة لهم في العلانية واضمار الخلاف لهم في السر وقوله تعالى الله يستهزئ بهم ٭ اختلف
فيه اهل التاويل قيل يستهزئ بهم اي يجازيهم جزاء الاستهزاء في الاخرة بالعذاب في النار الا انه سمي استهزاء
مجازا لانه جزاء الاستهزاء فسمي باسم سببه هذا مجاز شائع في اللغة قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا تكون سيئة ولكن لما كان جزاء السيئة سماها مجازا وقال تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فالاول عدوان والثاني عدل ونظير هذا قوله تعالى يخادعون الله
وهو خادعهم اي يجازيهم جزاء الخداع وقيل معناه يستهزئ المؤمنون بهم في الاخرة كما استهزؤا في الدنيا
الا انه نسب الاستهزاء الى نفسه اكراما للمؤمنين واظهارا لقدرهم وفضلهم لان المؤمنين انما فعلوا ذلك
باذنه وامره فنسب ذلك اليه وهذا لان الاستهزاء اذ لم يكن بطريق الابتداء جائز في الشاهد فعلى طريق
المجازاة عن مذموم واما كيفية الاستهزاء قال الكلبي هو ان يفتح لهم باب من الجنة فيدنوا منه ليدخلوا فيغلق
عليهم الباب قال الشيخ رحمه الله هذا ان ثبت فانه من اخبار الاحاد يعني بخبر الواحد لا يوجب العلم وقيل يرفع
لاهل الجنة نور يمضون به فيقصدوا ولئك ان يمضوا معهم بذلك فيحال بينهم وبينهم فيتحيروا فذلك قوله انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب الاية العقول في اضافة الاستهزاء
اختلف اهل التاويل في تاويل قوله تعالى الله يستهزئ بهم بعضهم المراد منه حقيقة الاستهزاء واضافه الى الله تعالى
جائز بطريق الحقيقة وهو قول الحشوية وذلك لان الاستهزاء انما لا يجوز بين الخلق لان الخلق امثال واشكال في
النقص واثار الحدث فيهم على السواء والاستهزاء هو الاستخفاف بمن له زيادة فضيلة في خلاف الكمال الذي يستهزئ
به على من هو دونه وكذلك ترك الشكر بكفران النعمة وترك الفزع الى الله تعالى بطلب العصمة من الجهل والتسلي
المستهزئ به وذلك سبب الحرمان وهذه المعاني لا تتحقق في الغائب فوقع الفرق بين الشاهد والغائب كما وقع بين التوهم
في المعنى كذلك هذا ولانه في الشاهد قد يتضمن العمل بالجهل لانه يستهزئ بغيره على زعم انه جاهل وان المستهزئ
به كما وصفه على الحقيقة وانه خير منه حقيقة فيرجع الاستهزاء في الحقيقة اليه فيصير مائلا بالجهل قال اهل
الحديث يجوزون ايضا في الغائب دون الشاهد بناء على اصلهم لان الاستهزاء في الشاهد منهي من الله تعالى
وليس يرد على الله تعالى امر ولا نهي من احد يوصف فعله بالخطاء والاباحة وقال اهل السنة والجماعة بان الله تعالى
لا يوصف بالاستهزاء من حيث الحقيقة بل على ما سبق التاويل انه يجازيهم جزاء الاستهزاء في الاخرة بالعذاب في النار وسمي
استهزاء مجازا تسمية باسم سببه وذلك لان الاستهزاء هو السخرية مما لا يحق عند المستهزئ وان كان يحق عند
المستهزئ به ولا يحق وذلك نوعان بالقول والفعل اما الاستهزاء بالقول هو الوصف بالخبر عن معنى في المستهزئ به وذلك
المعنى عند المستهزئ ليس بموجود حقيقة فيه فانه ليس بموجود حقيقة بل هذا اخبار ولكن لم يكن غرض المستهزئ
اثبات ذلك الوصف فيه ليكون صدقا فانما غرضه هو الاراءة للسامع انه مزدرى عنده وليس فيه هذا المعنى بل هو
جاهل يرى انه فاضل يحسبان يضحك عليه ويسخر منه وهذا كذب من حيث المعنى وهذا كصنيع المنافقين شهدوا
انه رسول الله بالسنتهم وكان في قلوبهم خلاف ذلك فكان اخبارا منهم على خلاف ما هو عندهم فكانوا استهزاء
ووصفهم الله تعالى بالكذب على ما في اعتقادهم كذلك ههنا وان كان عند المستهزئ به انه حقيقة لم يكن كذلك

فكان الوصف بذلك من المستهزئ كذبا حيث وصفه بالفضل والعلم استهزاء وفيه تقرير المستهزئ به على الجهل
وعليه من حيث الحكمة والشفقة ان يريه الصواب ويمنعه عن التمسك بالجهل وان كان عند المستهزئ به انه يحسن
فيه ما يصفه كان وصفه لذلك امرا الا عاقبة لحميدة بل هو اشتغال بالفعل للهو اذ غرضه هو تطييب
نفسه او الاستخفاف به قال الامام فخر الاسلام واما الاستهزاء بالفعل فهو ان يوجه نعمة الى رجل ثم يحرمه على قصد التحقير
دون التحقيق وهذا يشبه الغرور والخداع وان لم يكن ذلك حقيقة لان الغرض من الغرور والخداع جلب النفع
للنفس من جهة ذلك او الحاق الضرر به والغرض ههنا هو اللهو والعبث دون عاقبة حميدة وذلك سفه
تعالى الله عن هذه الاوصاف والله الموفق قال الفقيه ولما ثبت هذا نقول انه تعلق بهذا الفعل وهو الاستهزاء
بهم عاقبة حميدة في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فيتحقق به زيادة الزجر لما كان في هذا زيادة عقوبة لانهم
على انه يفعل بهم هذا الصنيع وانهم يعيرون بهذا كما قال تعالى قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فيعلم ان لتحاملهم
على الانزجار عن الكفر والاقدام على الاسلام وكذلك في الاخرة ما اعتقدوه من العذاب الدائم عوقبوا بمثل هذا العذاب
وهو فتح باب الجنة لهم ظاهرا ثم الاغلاق دونهم واضاءة الطريق بنور المؤمنين ثم الحيلولة بينهم وبين ذلك
النور زيادة عقوبة عليهم وحكمة كان في هذا الفعل عاقبة حميدة لم يكن استهزاء وفي الشاهد لو فعل فاعل مثل
الفعل يشبه الاستهزاء عاقبة حميدة لم يكن استهزاء فان من كان ناقصا في نفسه ويرى العوام انه في غاية الكمال
ليجتلب منهم الاموال ويفضل الاغراض الدنيوية فيفتش وصفه بما يحق عنده على قصد السخرية والضحك عليه ليتالم
قلبه بسبب الغيظ فينزجر عنه كان حسنا ولم يكن مذموما وخرج ذلك الصنيع من ان يكون استهزاء لتعلق العاقبة
فهذا كذلك والله الموفق الا ان الله تعالى اطلق لفظة الاستهزاء على هذا الفعل الذي يتحقق منه مع انه حكمة
لشبهه بالاستهزاء صورة ولانه جزاء الاستهزاء بطريق المجاز على عادة العرب في اطلاق اسم الشي على ما يشبهه
وعلى ما يلازمه وسببه فان قيل لما جاز اطلاق هذا الفعل على فعل الله تعالى لماذا لا يجوز ان يشتق له منه الاسم
فيقال يا مستهزئ ويا ماكر ويا خادع كما ان اسم الاحسان والخلق والرزق لما جاز اطلاقه على فعله جاز اشتقاق
الاسم منه فيقال يا خالق يا رازق ويا محسن وما وجه الفرق بينهما الجواب عنه ان الافعال التي تضاف الى الله تعالى نوعان
احدهما ما هو فعل له حقيقة يظهر اثره في المفعول وهو من صفات الكمال ظاهرا وباطنا مثل الخلق والرزق والاحسان
ونحو ذلك فانه يشتق له الاسم منه ويدعى به فيقال يا خالق يا رازق يا محسن وما يرى في الشاهد انه من صفات
الذم كان كان فعله فلا يوصف به ولا يطلق عليه على الانفراد نحو ان يقال يا ضار يا مضل يا مذل لما فيه من
باسم اخر يرفع وهم الذم فانه يجوز الاطلاق كقولنا يا نافع يا ضار ويا هادي يا مضل ويا معز يا مذل لان الجمع بينهما
ينبئ عن الكمال في الشاهد فيقال فلان نافع ضار وهذا لانه اذا كان موصوفا بهما فالكل يفزعون اليه طمعا وخوفا قال الله
تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا والنوع الثاني ما هو فعل لعباده حقيقة لكن ينسب اليه بطريق التسبيب وذلك
نحو الاستهزاء والمكر والخداع والرمي والسقي ونحو ذلك فانه لا يدعى به على الاطلاق فيقال يا مستهزئ يا ماكر
ونحو ذلك لان هذه الاوصاف ليست من صفات الكمال في الشاهد بل بعضها من صفات الذم لكن ينسب اليه مجازا
اما من حيث انه جزاء او من حيث انه يشبه ما هو متعارف في الشاهد حتى كان يحال به فيمنع وهم الذم بان اقترن به دليل
يعرف انه مستعمل بطريق المجاز فيجاز الاطلاق كما في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وقوله يخادعون الله وهو
خادعهم وقوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نسب الرمي الى نفسه
لان الفعل ظاهرا هو الرمي من النبي عليه السلام لكن فعل ذلك بامره ولان المقصود بالرمي وهو وصول كف
من التراب في اعين الكفار الجارحين جميعا لا يكون الا من صنع الله تعالى وهو صنع مناقض للعادة ومثل هذا الاسناد
الى البشر وان كان الفعل المتولد الذي هو صنع الله تعالى في الجملة مما ينسب اليهم كقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا
ثم لا يقال يا مستهزئ ويا رامي ويا ساقي من غير قرينة تدل على ذلك بل لا ان ذلك يوجب وهم تحقيق هذا الوصف منه تعالى وانه جل
ان يوصف بمثله حتى اذا قام ثمة دليل يستوي فيه اطلاق الاسم والفعل جاز الا ترى الى قوله يخادعون الله وهو خادعهم
والله خير الماكرين اطلق اسم المكر لما انه ذكر عقيب فعل الكفار فيفهم بانه اريد به الجزاء اي هو المجازي لخداعهم
ومكرهم والله الموفق وقوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون ٭ الاية قيل نزلت في قوم من المنافقين علم الله انهم
لا يؤمنون وقيل في جميع الكفرة ومعناه يمدهم في طغيانهم اي مد المختارين الكفر فانما يمدهم حبب اليهم الكفر
والفسق وحبب اليهم الكفر والفسق وحبب اليهم الايمان يتركون الكفر على اختيار الضد منه من الايمان والعمل
الحق قال الحائطهم ويتيه في مهمه قال الامام ثم معنى قوله ويمدهم في طغيانهم يحتمل وجوها ثلثة احدها
هو خلق فعل الطغيان لان المد متى اضيف الى الاعيان وهو الجوهر والاجسام يراد به الطول والعرض وان اضيف
الى الفعل يراد به وهو تجدد الفعل تجددا انه تعرف هذا معنى قول الفقهاء ان الفعل الممتد حكم الابتداء نحو السكنى

والركوب نحوهما والثاني يمدهم اي يخذلهم والخذلان تركهم وما اختاروا من الكفر والطغيان ثم اعطاهم
قدرة الكفر وزين لهم الكفر وحببه اليهم وقيل اي لم يمدهم لم يوفقهم اي لم يخلق فيهم الاهتداء ثم يعطهم
قدرة الايمان او لم يعطهم ما هو داع لهم الى الايمان والفرق بين ذلك فلو يعطهم قال الفقيه فهذه الاية حجة على
الجهة الاولى ان هذا الكفار على الطغيان ومنعهم عن الايمان من باب الصلاح والاصلح والثانية انه اضاف الى نفسه
خلق فعل الكفر والطغيان وهم انكروا ان يكون الكفر بخلق الله تعالى والثالثة انه لم يعطهم القدرة التي
هي الة والضد ... فاذا كان ظاهر الاية يقتضي ان الله تعالى قادر على استبقائهم على الطغيان والكفر
عن اختيار كان قادرا على تحصيل ضده وهو منعهم عن الطغيان بخلق الايمان فيهم ولكن لا يكون كلية الاجسام
والافعال يتضافان الى الله تعالى وان كان يدخل تحتها القبيح والشر فيقال خالق العالم ولا يقال خالق افعال العباد
وخاصية الاجسام انما يجوز اضافتها الى الله تعالى اذا كانت موصوفة بالحسن دون القبح فيقال بيت الله وناقة الله
وخالق البشر ولا يقال خالق القردة والخنازير وكذلك خاصة الافعال يجب ان يضاف اليه ما يوصف
بالحسن دون ما يوصف بالقبح فيقال يهدي من يشاء ولا يقال يخذلهم ويضلهم فالجواب في قوله تعالى ويمدهم
في طغيانهم وقوله يضل من يشاء وقوله ازاغ الله قلوبهم قيل المعنى جمع الكل وهو اذن في اضافة كلية الاشياء
الى الله تعالى وصفه بالكمال ونفي الشركة عنه في التخليق في الربوبية والمالكية اي لا خالق غيره ولا اله سواه حتى
لا يخرج القبائح والشرور عن تخليقه وملكه وفي اضافة خاصية الاشياء لا يراد بها صفة الكمال لله تعالى
وانما اراد بيان اختصاص ذلك المضاف كما في قولهم بيت الله وناقة الله ليس في ملك واحد من الاجسام عظمة
كمال المالكية وكذلك اضافة خاصية الافعال الموصوفة بالحسن يراد بها بيان مدح ذلك الشيء كقولهم الاسلام
دين الله وفي اضافة خاصية الافعال التي يوصف بالقبح من المد في الطغيان والاضلال والا ان اخبر بان كمال
ربوبيته وكمال قدرته وكمال استغنائه عن الخلق ليظهر للخلق انه قادر بذاته لا بغيره لان في الشاهد تعزز الملوك
وتعظمهم بالاتباع فكل من كان اكثر تبعا وشيعة كان اعز واقوى عندهم فربما يقع في بعض الاوهام ان تعززه
تعالى وقدرته نظير تعزز العباد وقدرتهم فازال هذا الوهم باضافة خلق الكفر والعصيان الى نفسه لانه لا مضرة
له في الكفر والعصيان ولا منفعة له في الطاعات والايمان وانه عزيز بذاته لا يعين من الاتباع اذ لو كان كذلك لما خلق
في الدنيا ما يدل على التفرقة بين الامرين وبالله العصمة وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الاية
قيل اي اختاروا الضلالة على الهدى الذي دعوا اليه من غير ان كانوا على الهدى فتركوه بالضلالة لان هذه الاية نزلت
في الكفار او المنافقين وهم كانوا على الكفر دون الهدى لكن لما اقام الله تعالى في حقهم دلائل الهدى من حيث العقل
والسمع ثم لم يستدلوا بها صاروا مضيعين لها فجعل كان الهدى كان في حقهم فتركوه بالضلالة فصاروا مشترين
الضلالة بالهدى قال الامام والاية حجة لنا في جواز البيع بالتعاطي فان الكفرة كانوا لا يتلفظون بلفظ البيع
والشراء ولكن يتركون الهدى بالضلالة عن اختيار وسمى الله تعالى ذلك شراء فصارت الاية حجة فان من اخذ شيئا
من غيره فترك له بدله وعوضه بالجارية ورضاه فقد اشتراه وان لم يتكلم به وكذلك قوله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة كذلك بذل الانفس والاموال انما قابلهم من وعد الجنة وسمى
ذلك شراء من غير ان تلفظوا بلفظ الشراء والبيع فدل ذلك على صحة ما قلنا وقيل ان الاية كانت في اليهود الذين
امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بما وجدوا في كتبهم من البشارات ثم لما اتى برسالته فلما بعث كفروا به
قال الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقوله
تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قال الامام اي ما ربحوا في تجارتهم لان التجارة لا تربح والربح
التاجر لكن اضيف فعل الربح الى التجارة لكونها سببا للربح وهذا كقوله تعالى والنهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن
يبصر به وانما اضيف اليه لما انه صار سببا للبصر بالعين لان العين لا تبصر الا بواسطة ضياء النهار او ضياء النهار
في العادة قال ثم قال فما ربحت تجارتهم معناه خسرت تجارتهم دليل ذلك قوله وما كانوا مهتدين اي ما كانوا امنين
بالتجارة والتجارة عن الجهل تكون خاسرة على الاعم الاغلب فان قيل نفي احد الضدين انما يكون اثباتا للضد اذا كان
المحل قابلا لهما وان لا يكون بين الضدين واسطة من ضد اخر كقول القائل ليس بعالم وقولك زيد ليس بساكن يكون
اثباتا للجهل والحركة لقبول المحل لهما وانعدام الواسطة بين الجهل والعلم وبين الحركة والسكون وقول القائل الجدار
ليس بعالم لا يكون اثباتا للجهل لعدم القبول لهما وكذا لو قيل هذا الثوب ليس بابيض لا يكون اثباتا للسواد لان
بينهما اضدادا كثيرة من الحمرة والصفرة والكدرة والخضرة ونحوها وكذا بين الربح والخسران واسطة
بيع رابح وبيع خاسر وبيع عدل ليس برابح ولا خاسر فلماذا عينتم الخسران قيل له هذا الاصل مسلم ان نفي احد الضدين
انما يوجب اثبات الضد الاخر اذا لم يكن بين الضدين واسطة بشرط ان يكون المحل قابلا للكل كما في التجارة فانه

مهنا فان المحل لا يقبل الا الوصفين وهو الربح والخسران اعني المحل الذي فانه لا يكون الا رابحا وهو الحق او خاسرا
وهو الباطل فنفي احد الوصفين يكون اثباتا للاخر على انه قد قامت الدلائل السمعية على تعيين الخسران نحو قوله تعالى بئس
ما اشتروا به انفسهم والبيع العدل لا يوصف به وكقوله الذين خسروا انفسهم وقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا فلما اضاءت ما حوله روي عن ابن عباس ان هذه الاية من المكتوم الذي لا تفسير له قال الامام هذا لا يحتمل ان يصح
عنه لان المثل انما يضرب لتقريب ما بعد عن الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة زيادة في الايضاح اذ المشبه به اجلى
واظهر من المشبه كما قال الله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا
جعل اعمال الكفرة مشبها بالسراب لان هذا مما يعرف بالحس انه يرى شيئا ثم يظهر انه ليس بشيء فلا يتحقق الانتفاع
به فعمل الكافر كذلك يرى انه عمل ينتفع به في الاخرة فيظهر انه ليس بعمل ولا ينتفع به فمن شبه المنافقين
او الكفار بالذي استوقد نارا لا بد ان يكون المشبه به فيما شبه به في غاية الظهور والجلاء ليتحقق التمثيل فان يكون
من المكتوم الخفي فاما ان نقول بان هذا لم يثبت عنه لانه من اخبار الاحاد ولو ثبت لم يكن مراده من المكتوم نفي التمثيل
والتشبيه لكن يحتمل انه اراد ان هذا من المكتوم فحوى النزول لان اهل التاويل مختلفون فيه على انه نزل في الصحابة
او في المنافقين فشبه به ايمان المنافق لانه سريع الزوال قال الامام ولذا
انه يحتمل التاويل يحتاج الى ذكر تقدير الاية من حيث النظم على وجه يصح من حيث اللغة ثم الى بيان انه فيمن نزلت
ثم الى بيان وجه التمثيل والتشبيه اما النظم فتقدير بعض اهل القران مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما
حوله ذهب الله بنوره وكذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الشهادة فلما اضاءت ما حولهم ذهب الله بنورهم
قال الامام انما كان كذلك لان تشبيه الجماعة بالفرد جائز فيما يرجع الى الفعل لان فعل الواحد مع فعل كل واحد من الجماعة
سواء فيصح التشبيه كقوله تعالى في تشبيه المنافقين في حالة الخوف تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت في الفعل
وهو دوران العين فاما التشبيه للجماعة في الذات فيجب ان يكون بالجماعة كقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة وقوله
كانهم اعجاز نخل خاوية فاذا ثبت ان هذا تشبيه الجماعة بالفرد وهو الذي استوقد نارا صار تقدير الاية فلما اضاءت
ما حوله هذا المستوقد ذهب الله بنوره وكذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الشهادة فاضاءت ما حولهم ذهب الله
بنورهم الا انه حذف ذكر بعض المشبه به اكتفاء بذكر البعض لاختصار الكلام ووضوح المعنى وذلك سائغ في اللغة وهو
من ابواب البلاغة والفصاحة قال الامام ويحتمل تقديرها من حيث النظم مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارا
فلما اضاءت ما حولهم ذهب الله بنورهم وكذلك المنافقون ووجه تصحيح هذا التقدير بطريقين احدهما حذف
نون الجماعة عن كلمة الذين وذلك سائغ في اللغة قال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم
يا ام خالد اي الذين فانه قال دماؤهم وقال هم القوم كل القوم الا انه قال استوقد على صيغة الوحدان وكذلك
قال فلما اضاءت ما حوله ثم قال ذهب الله بنورهم على صيغة الجمع وذلك لانه لما صغر من الجمع مثل الذين
الذي فيكون جمعا من حيث المحل والمعنى فردا من حيث الصيغة فيرجع البعض الى الصيغة والبعض الى المعنى
كقوله تعالى في كلمة من انها كانت صيغتها صيغة الافراد وانها الجمع يذكر ما بعدها تارة بصيغة الجمع وتارة بلفظ الوحدان
لاعتبار الصيغة والمعنى في حالين كما قال الله تعالى ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من يستمع اليك وكذلك هذا لان
في التصحيح نحو هذا الذي من الاسماء الموصولة وما بعده من الفعل صلة له وان الموصول مع صلته كلفظ واحد لانه
فيصير في التقدير كانه قال مثلهم كمثل الذي استوقدوا نارا والالف واللام لتعريف الجنس خصوصا فيما لا معهود ثم فيكون
تشبيه الجمع بالجمع ثم قوله فلما اضاءت ما حوله يرجع الى الصيغة وقوله ذهب بنورهم يرجع الى المعنى قال الامام ثم
يحتمل انها نزلت في المنافقين ويحتمل انها نزلت في الكافرين الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
البعث ويحتمل انها في الفريقين لكونها بناء على قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الاية فان المنافقين لما اظهروا
الايمان والموافقة للمؤمنين قولا واضمروا الكفر عقدا وقصدا منهم مخادعة اولياء الله تعالى ورسوله فضحهم الله
تعالى في الدنيا والاخرة وجازاهم بمثل صنيعهم فاما في الدنيا فانهم لما نالوا شيئا من المنافع المنوطة بالاسلام
من نحو المغانم والتوارث والتناكح واحراز الشرف المنوط بالاسلام بما اظهروا من كلمة الاسلام وشاركوا المؤمنين
وذلك ذهب الله بنورهم وهتك سترهم واطلع اولياءه على سرائرهم فانقطع عنهم منافع ذلك النور وذوق الامن
الى الخوف الدائم كما وصفهم الله تعالى بقوله يحسبون الناس الاية وقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
وقوله فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فاظهر الله صنيعهم واطلع على نفاقهم فطردوا من بين
الفريقين على ما قال ما هم منكم ولا منهم وقال مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الاية فزال
الشرف والعز فذلك معنى قوله تعالى ذهب الله بنورهم وصار مثلهم مثل من استوقد نارا فاهتدى بضوئها ساعة
ليستضيء بضوئها او ينتفع بحرها فاطفئت النار وما حولها انتفع بضوئها ساعة فقبل ان ينتفع بحرها اصطلاء

او اصلاح الاغذية فاذهب الله بصره فلم يقدر بسبب ذهاب بصره على استعمالهما في الانتفاع بهما او عقبه
بحرف الاحتراق بسبب الذنوب منها كذلك المنافقون بعد اطلاع الله تعالى رسوله على نفاقهم ذهب منافع تركه كلمة
الشهادة عنهم فصار وجودها في حقهم كالعدم فان الله تعالى لا يقبل من احد منهم عملا ابدا وامتنع الناس عن المناكحة
معهم وحرموا على الغنائم وبقوا في الذل والخوف ابدا واما في الاخرة فان المنافقين لما اظهروا الايمان قولا شاركوا
المسلمين في احكام الاسلام ظاهرا ومخالفتهم بالباطن فابى الله تعالى اثبات الشركة بينهم وبين المسلمين في المنافع الدينية
في بعض الانسان من المناكح والتوارث والغنائم والشرف بوجود ظاهر الايمان وحرموا منافع الاخرة بانعدام الاسلام
منهم على الحقيقة مقابلة النعم الظاهرة بالدين الظاهر ومقابلة انعدام النعم الحقيقية بانعدام الدين من حيث الحقيقة
ثم لما كان اوان الانتفاع الحقيقي في الدار الباقية ذهب الله بنورهم فيصد ذلك قالوا للمسلمين انظرونا نقتبس من نوركم
الاية وقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فيه وجوه احدها في ظلمات كفرهم ونفاقهم والثاني تركهم في
الشدائد والافزاع من الجهاد والحرب وغير ذلك مما فيه ضرر ظاهر يجازى به المسلمون في الاخرة بالثواب بخلاف المنافقين فهي
تكون في تلك الظلمات في حقهم والثالث ان المنافق يذهب في الاخرة وهو الذي كان اظهره في الدنيا فيبقى في الظلمة
كالمستوقد يبقى في ظلمات العمى او الليل وقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يرجعون قال الامام رضي الله عنه وجعلها اسماء
هذه الاسماء المختصة على انه [illegible] لم يسمعوا الحق وعلى ابصارهم فلا يبصروا الحق وعلى السنتهم وقلوبهم فلم
يفهموا الحق ولا يعقلوه والثاني انه [illegible] بهذه الحواس لعدم انتفاعهم بها على الوصف [illegible] ترك استعمالهم لها
فيما يجب استعمالها فيه وقوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق قال الامام جعل الدلالة الى الاسلام
كالصيب وما فيه من الجهاد كظلمة الليل وما فيه من الغنيمة كالبرق فيجعل المنافقون اصابعهم في اذانهم من سماع
ما في الاسلام من الشدائد كما يجعل من ابتلي بهذا الصيب في ليلة مظلمة في مفازة اصبعه في اذنه من الصواعق يكاد
البرق يخطف ابصارهم معناه ان المنافقين اذا رأوا عز اهل الاسلام وغنيمتهم مشوا اليها واذا اظلم عليهم بالشدائد
قاموا متحيرين معرضين ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كما لو شاء لاصمهم واعماهم حتى قال ان الاية نزلت
في الكفار الذين شهدوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام قبل البعثة واستدل بسياق الاية وهو قوله تعالى والله محيط
بالكافرين وقالوا ان الكفار قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا صنفين صنف ينتحل الكتاب الذي هو عندهم
وكانوا يعرفونه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وجدوا نعته في كتبهم على ما اخبر الله تعالى النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الاية وقوله ايضا محمد رسول الله والذين معه الى قوله ذلك مثلهم في التورية
ومثلهم في الانجيل الاية وقال الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وكانوا ائمة في اهل الكتاب فلما كفروا به بعد البعث حسدا من عند انفسهم ونفيا لحب ظهور من ولد
اسمعيل لا من جملتهم وهم اولاد اسحاق وخوفا منهم في ذهاب ملكهم وما كان [illegible] ذهب عنهم نفع المعرفة التي كانت
واستبدلوا نورهم بظلمة الكفر وكذلك قوله تعالى ذهب الله بنورهم وكانوا كالمستوقد النار اي طالب الوقود استضيء
بها فلما طفئ بها ذهب الله بنوره كذلك بعد معرفته بمنفعة النار فلم ينتفع به فهذا في الدنيا وكذلك يتحقق هذا المعنى في
الاخرة فانهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما كفروا به عند مشاهدته حبطوا ايمانه عاقبهم الله
بحرمانه منافع كتبهم وايمانهم عند معاينة الجزاء في الاخرة جزاء كفرانهم بنسيان التعين المشاهد وقال الامام
ويخرج المثل ايضا في حق عوام اهل الكتاب وغيره من المشركين ايضا فان ائمة اهل الكتاب قد غيروا ما في كتبهم من كتب
الله واحكامه وابدلوا ما جاءت به الرسل عليهم السلام على ما قال الله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات وقد زاد بعضهم ونسب ذلك الى الكتاب كما اخبر تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فعند ذلك
بسبب الفترة التي [illegible] الكتب وذهاب الرسوم كما قال الله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان
تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكانوا في ظلمة الضلالة تائهين في سبل الشيطان قد انقطع من بينهم ائمة
الدين ثم صنف منهم لا ينتحل الكتاب ولا يؤمن بتنزيل بل يعبد الاصنام والاحجار والاوثان لا يبصرون طريق الحق
ولا يؤمنون بالاخرة لتكون لهم العواقب بل لا يعرفون غير الدنيا وتمتعهم فيها فاخرج الله تعالى الفريقين جميعا
الى ما انقذهم من الضلالة بنور الهدى ومن ظلمة الاختلاف والاهواء الى الاسلام وعن سبل الشيطان الى سبيله
الحق ودلهم على معرفة المعبود الحق لئلا يتخذوا من دونه اربابا فبعث اليهم من شاء من صاحبهم رسولا ذكره
بما اقام على يديه من الايات ما انقذهم من الضلالة انهم اطاعوه واتبعوا النور الذي جاء به وكانوا كمن
ابتلوا بظلمة الليل واشتدت الظلمة بينهم وبين حوائجهم فتحيروا فيدفعهم الحيرة الى استيقاد النار
لينالوا حوائجهم ويامنوا العطب كقوم ابتلوا بالعطش والجوع لضيق الزمان بسبب الجدب فاستغاثوا

من غلات كشف ذلك عنهم فاغاثهم بالمطر الذي فيه ظلمات ورعد وبرق فمنهم من عرف نعم المنعم بالوقود والمطر
وتنعم بهما بالشكر فنجوا من الهلاك ووصلوا الى حوائجهم بالنار والمطر مع تحملهم ما فيه من الشدائد
والافزاع من صوت الرعد ونحوه وذلك المثل لمن اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وعرف نعم الله تعالى عليهم بسببه
فشكره ولم ينظر الى ما في دينه من نوع شدة وهو الجهاد واداء الزكوة ونحوها ومنهم من تلقى نور النار او المطر
بالكفران والجهل بالمنعم فسلبهم فاذهب الله نوره فلم ينتفع بنور النار ولا وصل الى قضاء حوائجه وذلك مثل الذين
كفروا بمحمد عليه السلام ولم يتصلوا بالنور الذي جاء هو به قال الامام ويحتمل ان الاية نزلت في الفريقين جميعا المنافقين
والكافرين يعني ان الله تعالى ضرب المثل بذهاب نور النار الذي يستضيء [illegible] وينتفع بها [illegible] بعد ان يبصر
وهو المرسي في نعم الصانع الدنيا التي يتعلق بنوره وكذلك لان الله تعالى نور العقل ونور القلب في الباطن كما خلق
البصر الظاهر والسمع الظاهر ونصب الدلائل في العالم على نبوته وتوحيده وصفاته الحسنى حتى اذا نظر العاقل
الى العالم ببصره الظاهر فيتفكر ويتدبر في هذا المحسوس بسمعه وبصره بعقله فيرى بنور قلبه انه لم يخلق سدى
وانه لا يليق بهذا المصنوع العجيب من خالق حكيم [illegible] ان يحكم له الاخرة ان يجيء الثواب والعقاب فاذا ترك التامل
والتدبر فقد عطل نور العقل ونور القلب وترك الانتفاع بهما فيما وضعا له وكذلك ترك الانتفاع بالبصر
الظاهر والسمع الظاهر فيما وضعا له ايضا فصار ذلك في حقه كالعدم في حق الانتفاع فصار كانه ذهب حقيقة
بالجنون والصمم الا ترى ان الله تعالى سمى الكفار موتى بقوله انك لا تسمع الموتى لما ان منافع حياتهم لم تظهر
فيما وضعت له وهي التوسل بها الى دار البقاء ولذلك سماهم الله تعالى الصم والبكم والعمي لذهاب منافعها
فيما خلقت له وهو معرفة ما غاب بالتامل والتدبر وهذا لان الاصل ان الله تعالى خلق هذه الدار لمحنة اهلها في
التكليف لهم بالاولى وجعل دارا اخرى للجزاء فيها بالثواب والعقاب والا لما كان تكون خلق هذه الدار
فيها لعبثا [illegible] تكون تخلق للخلق للفناء بلا عوض [illegible] والعقل الحسن في العقول اذ كل ساع فيما لا عاقبة له
موعظات وذلك معنى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون معناه افحسبتم انما [illegible]
في خلقكم اذا لم يكن لكم رجوع كما لو خلقكم عبثا لكن جعل هذه الدار محنة ومدرجا الى تلك الدار الباقية
فمن انتفع بعقله في طاعة الله تعالى صارت وسيلة الجنة ومن انتفع بها في معصية الله تعالى صارت وسيلة
الى النار حيث لم يستعملها فيما وضعت له وهو التوسل الى النعيم الدائم ولهذا خلق في الدنيا الالام واللذات
وجعل المكلفين بحيث يقفون على الالام واللذات ليعرفوا بها الالام التي اوعدوا بها واللذات التي ارغبوا فيها
لكون ذلك داعيا لهم الى التحصيل والانتفاع تحقيقا لكمال النظر في حق المهتدين [illegible] وابلاغ الحجة في حق المعاند
فاذا لم يكن في حق الكافر وسيلة الى الجنة بتقصير منه مع امكانه على الصرف اليها ووضع له لم يحصل في حقه
بها التوسل الى نعيم الاخرة كالعدم مع استحقاق العقوبة بالتقصير والتفريط وكذلك ما نحن فيه وصار مثلهم
مثل مستوقد النار اذا ذهب بصره حقيقة لم ينتفع بنور النار مع قيام النار بنورها وصلاحيتها الانتفاع بها
لكل ذي بصر وكذلك المنافق والكافر مع قيام نور عقله وبصره وقيام صلاحيته الانتفاع بهما لو قارنهما التدبر
والتفكر لم ينتفعا بهما فكانهما عدما في حقهم مع قيام الدليل اشد وكذلك مثلهم مثل من كان في ليلة مظلمة
فسلك الطريق بضوء البرق فذهب عنه ضوء البرق فبقي متحيرا اذ [illegible] بطريق فلا ينفعه نور بعض ما ذهب
عنه مما به يتصل الغنى وكذلك من ذهب عنه ما به يتوصل الى البصر بنور العقل وبصر القلب وهو التفكر والتامل
فان الله لم يرد انما اشتغلوا باللذات الحاضرة فلا ينفعه قيام ذلك بل الذي يقصد قصد السلوك بالبرق [illegible]
نور النار واذا ذهب عنه النور كان اعظم حسرة واشد خوفا من النار [illegible] المطر [illegible] الطريق من الذي
من الابتداء نفع النار والمطر والبرق بل يكره المطر والنار على شدة رغبته فيهما لذهاب ضوء البصر والبرق حق
الاحتراق فالتولي [illegible] كذلك المنافق في الاخرة بما اظهر من العمل في الدنيا بلا حقيقة اكثر حسرة من ترك اصلا
لما انه يستحق زيادة العقوبة وهو الادخال في الدرك الاسفل وكذلك الكافر لما يصير عاقبة الاشياء
بما اعطي من الاسباب استحق [illegible] لو لم يعطها لم يستحق العقوبة في الاخرة كالصبيان والمجانين ولا قوة
الا بالله والله الموفق وقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الاية قال الامام هذا الخطاب يحتمل العموم
والخصوص فان كان المراد من العبادة التوحيد يكون خطابا في حق الناس كافة وان كان المراد منها الاعمال المعروفة
فكان خطابا في حق المؤمنين والعاقلين الذين استجمعوا شرائط التكليف عندنا لان الكفار غير مخاطبين بالعبادة
على ما يعرف وقوله اعبدوا ربكم عن ابن عباس رضي الله عنه قال اي وحدوا ربكم قال الامام وذلك لانه يحتمل ان العبادة
المحضة لله تعالى لا تكون الا بالتوحيد فصار التوحيد سببا لها [illegible] العبادة فيكون العبادة مسببا التوحيد
فاطلق اسم المسبب على السبب بطريق المجاز وهو باب في اللغة والوجه الثاني اعبدوا ربكم اي اجعلوا عبادتكم

للواحد لا تعبدوا غيره ولا تشركوا فيها سواه وذلك لان مشركي العرب كانوا يوحدون الله في التخليق وانما ضلوا
بالاشراك في العبادة ويعبدون الاصنام فامروا بعبادة الواحد لا غيره وهو الامر بالتوحيد وحقهم ليتحقق التوحيد
في العبادة منهم كما تحقق منهم التوحيد في الربوبية والتخليق فهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما امر بالتوحيد وقيل
المراد به الامر بحقيقة العبادة وهي جعل العبد فعله بكليته لله بطريق الخضوع والتذلل تعظيما له بحيث لا يكون
لا يخفيه شركة فالعبادة مشتقة من التذلل يقال طريق معبد اي مذلل بالسلوك والتذلل لا يجوز الا لله تعالى
اذ العباد كلهم امثال واشكال في الخلقة والحدث فتخليصها قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وعلى هذا انما تعلق به اعبدوا ربكم الذي خلقكم لان العبادة لله
بحكم انه خالقنا ومالكنا ولا يكون العبادة لغيره ولانه هو المنعم بطريق الحقيقة فيكون الشكر واجبا للمنعم
والى انه اشار بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ● قال الامام فاذا التوحيد في الاسلام فهو جعل العبد كلمته لله تعالى واعتقاد
التنزيه لله تعالى عن شركة الاغيار في التخليق واستحقاق العبادة وقوله تعالى ربكم الذي خلقكم والذين من
قبلكم ● بين ان الذي امركم بالتوحيد والعبادة على الخلاص هو ربكم الذي خلقكم عرف نفسه بالربوبية والتخليق
ليعرفوه باثاره فلا بد لاثباته له ليعرفوه بالاثر قال الحق اخبر عن موسى حين سأله فرعون عن الماهية بقوله
وما رب العالمين قال رب السموات والارض عرفه الله تعالى بكونه رب السموات والارض فاقلنا انه لا يعرف بالماهية
وانما يعرف باثار صنعه فكذا هنا قال الفقيه وفي الاية تفسير الكفرة وتسفيه احلامهم بسوء اختيارهم عبادة
غير الواحد على عبادته فانكم تعبدون من لم يخلقكم ولا من كان قبلكم بل انتم تنحتونه وتصنعونه وتتركون
عبادة من خلقكم وقوله تعالى ● لعلكم تتقون ● اي عن الشرك فهي تعليل عن صرف الامر بالعبادة الى التوحيد ومن
صرفه الى العبادة المعروفة صرف هذا الى الاتقاء من المعاصي والمحارم وقيل لعلكم تتقون اي كي تتقوا الا ان كلمة
لعل في اصل اللغة الترجي والترجي هو طلب شيء يرجى ما ثبت وجوده على ما هو عند الراجي وقد تستعمل كلمة لعل
في موضع لست ايضا قال الفقيه لكن فيما تلونا من الاية اريد بها التحقيق لا نهي وضعا له تعالى والحسنى كما
اجمعنا [illegible] في الحقيقة بلا شك واحتمل الحلم يكن هذا موضع لاهتماما لكن لما كانت هذه الكلمة وهي كلمة
لعل في الاصل للترجي والرجاء مما يعبر به عما يكون غالب الوجود وما هو غالب الوجود قريب من المحقق فاوهم انه
وقاد اتهما فلو اقيم ما هو الغالب على المحقق مجاز القيام المناسبة بينهما قال الامام ثم بعد ما عرف نفسه
بالتخليق بقوله الذي خلقكم عرف نفسه بالتخليق بقوله الذي خلقكم عن نفسه ايضا بالانعام والاحسان
بوجوه ما انعم عليهم بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا اي مستقرا اذا كانت مضطربة على الماء لا يمكن القرار
عليها فخلق الجبال رواسيها حتى صارت تبدد للفراش للخلق ليعرفوا عظيم ما انعم عليهم فيقدموا على شكره
وعبادته ثم قال تعالى والسماء بناء اي رفع السماء بناء وكلما علاك وارتفع فوق سماء عند العرب حتى قالوا للسحاب
سماء وللسقف والبناء اسم لكل ما ارتفع وعلا عن وجه الارض حتى سمي السماء بناء لما ارتفع عن الارض وفي ذلك
فيه دلالة كمال القدرة بسعتها وجلالة الوهيته وربوبيته حيث كانت السماء مرتفعة في الهواء مع سعتها و
صلابتها وعظمها بلا علاقة من فوق ولا عماد من اسفل ثم قال تعالى وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا
لكم ففيه ايضا بيان عظيم نعمه وهو انزال الماء من السماء لاحياء الارض بعد موتها بالزروع والنبات واخراج الثمار
من الاشجار ليقيم بها بقاؤهم وقوام معيشتهم فيقابلوا ذلك بالشكر قال الفقيه وفي الاية دليل وحدانية الله تعالى
لانه جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء بعادة ما انزل الماء من السماء لم يظهر اثر الارض ومنفعتها واخرج
النبات والثمار ليعلم انه لو كان منشئ السماء والارض واحدا لا لم يتصل منافع الارض بمنافع السماء على بعد بينهما
لا انه واحد لا يوحد بشيء المنفعة ويجعل قواما وسببا لمن يتعلق بغيره هو عدو له ومنازع اذ العلو يمنع مواصلة
المنفعة ولما فيه من الحاجة الى الغير وذلك يوجب عجزا وضعفا وانه مناف للالوهية فلو كان صانع السماء غير
صانع الارض لم يجب ان يكون الامر على هذا النمط فدل الوجود على هذا الوجه على توحيد الصانع قال الفقيه وفي قوله
رزقا لكم دلالة ان المقصود من السماء والارض وما فيهما بنو آدم وانهم هم الممتحنون المكلفون دون غيرهم
لاختصاصهم باضافة العالم اليهم ونظيره قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض وقال وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه قال الفقيه ثم زعم قوم ان اصل الاشياء كلها في الاصل حلال الحلق لنا ما لم يقم دليل الحظر
وهو قول المعتزلة تعلقا بهذه الاية وبامثالها انه يحكم له كل ما في الارض حلالا وقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا وحاصل الكلام ان هذه المسألة لا يتصور فيها من لم يجعل العقل الذي يعرف خطر الاشياء واباحتها
ووجوب الافعال وحرمتها واباحتها وعفا كل شيء وورد السمع ان عدد الاباحة كان مباحا وان ورد بالحظر صار

محظورا وهو مذهب عامة متكلمي اهل الحديث وفقهائهم وانما يتصور هذه المسألة على قول من قال يكون العقل آلة
معرفة الوجوب والحظر والاباحة والحسن والقبح ثم اتفقوا ان الافعال الاول على اقسام ثلاثة ما يكون واجب
الوجود والتحصيل بحسنه بنفسه وذلك بالعقل مثل الايمان بالله تعالى وتوحيده وصفاته وشكر المنعم ومنها ما يكون
ممتنع الثبوت حرام التحصيل وهو الكفر بالله تعالى وكفران النعمة والظلم ونحو ذلك وقسم آخر متوسط يمكن ان يكون
حلالا في العقل ويمكن ان لا يكون حلالا ويجوز ان يرد الشرع بحظره ويجوز ان يرد باباحته فقد اختلفوا في هذا
الفصل وكذلك اعيان العالم مما ينتفع بها على هذا فقالت المعتزلة انما من يجوز ان العقول في الاصل فيها الاباحة
والحظر بدليل شرعي ناسخ له وعن بعض اصحاب الحديث غير هؤلاء الاصل فيها الحظر الا بعد ما ينتفع به الضرورة
ما لم يرد الشرع بالاباحة وقال اهل السنة والجماعة بان العقل لا حظ له في معرفة هذا القسم فيكون هذا القسم من
الممكنات فيجب التوقف فيه الى ان يرد الشرع الا بعد ما يحتاج اليه البقاء قال الامام وهذا الخلاف انما يتحقق في حق
من نشأ وهو على شاهق الجبل وكان بعيدا عن دار الاسلام ولم يبلغه دليل السمع او في زمان الفترة اذ يعرف الحظر
والاباحة في هذه الاشياء بالشرع فاما الناس اليوم فقد بلغهم النبي صلى الله عليه وسلم بالامر والنهي والحظر والاباحة فلم يخل
جملة العالم عن دليل سمعي فانه بحيث يحتاج الى النظر فيه قال الفقيه وانما دعت المعتزلة الى القول بهذا الاصلين
احدهما انكروا ان ايجاد القبيح قبيح فلا يجوز نسبته الى الله تعالى ولهذا قالوا بان الله تعالى لا يخلق الكفر والمعاصي وانما
يخلقها العباد ووافقوا في هذا الاصل الثنوية واخذوا منهم حيث قالوا ان للعالم صانعين احدهما يخلق الشر
والاخر الخيرات الا ان الثنوية قالت كما ان ايجاد الافعال القبيحة من الله تعالى قبيح فايجاد الاعيان القبيحة مثل
الحيات والعقارب والانجاس من الله تعالى قبيح ايضا فاضطربت الى القول باثبات صانعين والمعتزلة لا يمكنهم ان
يضيفوا خلق الاعيان الى العباد فخرجوا من السنف لموافقة الثنوية من كل وجه فانكروا ان يكون الاعيان قبيحة
لتمكنهم نسبتها الى الله تعالى خلقا احترازا عن المناقضة لما اصلوا من الاصل المأخوذ من الثنوية واذا لم يكن الاعيان
قبيحة لا يكون محرمة بل يكون مباحة حسنة في الاصل وانما يحرم العقلي بعضها بالشرع كما قلنا الحرمة العارضي للخمر
مع قيام ملك المحل حتى لا يجب العقر والاصل الثاني حد الحكمة عندهم ما يكون فيه نفع للفاعل او لغيره كما في الشاهد
انكروا خلق الكفر والمعاصي من الله تعالى لما انه لا منفعة فيه للفاعل ولا لغيره لما كان خلق العالم من الله تعالى عما فيها
من الشر ولا يجوز ان يوصف هو بالانتفاع بها يجب ان يكون الانتفاع فيه لغيره فوجب القول باباحة الانتفاع في الاصل
تحقيقا للحكمة في الخلق الا اذا جاء الشرع بحظر بعضها لمعارض معنى فانما دعوا الى هذه المسألة لهذين الاصلين ونحن
نقول ان ايجاد القبيح ليس بقبيح اذا تعلق به عاقبة حميدة وكذلك كلما تعلق به عاقبة حميدة يكون الحكم سواء كان
للفاعل او لغيره فيه منفعة او لا فلما ثبت ان الخلق من الله تعالى وهو حكيم ثبت تعلق العاقبة الحميدة فعله حكمة
عرفنا وجه الحكمة او لا فلم يضطر الى القول بالاباحة وقد قلنا بحرمة الاعيان لقولنا بقبحها ولقوم مشاهد الى
لا تكاد من الطباع السليمة تستقذر الاكل وتنفر عن الحيات والعقارب ولا تبيح اكثر من هذا وقد ابطلنا كلام
المعتزلة في مسألة خلق الافعال ونقضنا اصولهم في خلق الاعيان القبيحة فلذا مذهب اصحابنا اهدى واحكم
المعقول فان الحرمة هي المنع لغة وشريعة فحرمة الاعيان هي منع الله تعالى الاعيان عن تصرفنا فيها بالاحل حيوان ذكوة
محللا كذلك شرعا انما الخبث في المحل كرامة لنا او لكرامة المحل كالامهات ونحوهما وحرمة الافعال هي منعنا عن تحري
فيها مع بقاء المحلية ونظيرهما الحفظ والحماية فالحماية ان يظهر اثرها في المحمي بدفع الاغيار عنها ويكون فعل الحامي
في القاصد للذات المحمي لا في نفسه فيبقى المحمي على اصل الصيانة والحفظ ان يظهر اثر الحفظ في المحفوظ بصنيع
في المحفوظ لا في دفع القاصد الا ان اندفاع القاصد عنه لعدم امكان الوصول فيحتمل الصيانة ومنه قول
الشاعر الا ذهب الحافظ والمحامي ● ومانع ضيمنا يوم الخصام ● ذكر الامرين جميعا فكان المقصود حاميا
في الحالين وهو الصيانة ودفع الضرر عن المال الكريم بطريقين مختلفين فكذلك الامر فيه والدليل على القول بفساد
الاباحة من حيث العقل هو ان الاشياء لو كانت على الاباحة وفيها اشياء نفيسة يميل الطبائع اليها على السواء
وقد يقع الحاجة الى اشياء القوام عند الحدث والتحاظ على التساوي فمن كان اقوى كان على الاستيلاء اقدر وعلى
وعلى الاستفادة من ايدي غيره وهم امثاله فيكون فيه هلاك البعض وتفضي الى التنازع وذلك سبب التقاتل
والتقاتل فيؤدي الى ان يصير لنشأة العالم كالفناء خاصة وقد عرف ان ذلك عبث في افعال الله الحق قال الفقيه
واما تعلقهم بالاية فلا يصح لانه قابل الجمع بالجمع وذلك يقتضي مقابلة الفرد بالفرد لغة كقولهم لبس القوم ثيابهم
وركبوا دوابهم اي لبس كل واحد منهم ثوبه وركب دابته فكذلك ههنا معنى قوله خلق لكم اي خلق لكل واحد منكم
وكذا قوله فاخرج من الثمرات رزقا لكم اي ما اخرج من الثمار ثمار كل واحد منكم ضرورة فبطل تعلقهم
بالاية لاثبات الاباحة والثاني خلق لاجل امتحانكم لتمتحنوا اما بالتحريم والتحليل ليتميز المطيع على المخالف ويمتنع عن

الحرام فيصير من اهل الجنة ويعذب العاصي على ارتكاب الحرام فيتحقق وعيد الله تعالى فيه وهو النار فيتحقق ما علم على العلم
وانما يتحقق الحل والحرمة باسباب الفعل لان سبب الحل وجعل بعض الاشياء اسباب الحرمة تحقيقا للابتلاء والامتحان
الا ترى الى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فكان القول بالاباحة لا يحصل به تحقق
ما قلنا ان الله تعالى لم يجعل لنا هذه الاشياء من جميع الوجوه وانما جعل لنا بجهة دون جهة تحقيقا للابتلاء والامتحان
والامتحان جميع الحيوانات تشاركوننا في الانتفاع لا غير ومع ذلك اضاف لنا ليعلم ان الامتنان فيه ليست لاجل الانتفاع
فحسب لكن الانتفاع بطريق الامتحان وذلك بواسطة الحل والحرمة ولما امر بخلق الشيء لا لعاقبة حميدة سفه وتعالى
هذا العالم وهو الدار الاخرة وان يتحقق كون الاخرة عاقبة لهذه الدار لان يكون هذه الدار وسيلة ومطية الى
الاخرة بطريق الجزاء احسانا باحسان واساءة باساءة ولن يتحقق الفعل من العبد احسانا بالامر اذ الطاعة موافقة الامر
ولا الاساءة الا بالنهي اذ المعصية مخالفة الامر وارتكاب المنهي وهذا ينافي ثبوت الاباحة في الاشياء [illegible]
تعالى فلا تجعلوا لله اندادا اي امثالا اعدالا واشكالا في العبادة اذ الند قد يراد به الشكل وقد يراد به الضد قال الامام رحمه الله
اي لا تسموا غيره الها فتجعلوه شكلا له ونظيرا له في التسمية والثاني لا تجعلوا غيره شكلا له في استحقاق العبادة
وقوله تعالى وانتم تعلمون فيه وجوه اي تعلمون ان الذي تسمونه الها لا يستحق هذا الاسم وتعلمون ان الله هو المستحق
لا يستحق العبادة وهذا لان كلامه في المعاندين الذين عرفوه واحدا بلا شكل ثم جعلوا له شكلا في الاسم والعبادة وقيل
وانتم تعلمون لو تفكرتم في انفسكم وفيما انشا لكم من هذا العالم بما فيه من العجائب علمتم ان المستحق للالوهية والعبادة
من خلقهما لا غيره وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا معناه ان كنتم في شك مما نزلنا على محمد
صلى الله عليه وسلم من القران وقلتم بانه مختلق مفترى كما اخبر الله تعالى عنهم ان هذا الا اختلاق وما هذا الا افك
مفترى فاتوا بسورة من مثله اي ان كان كما تقولون انه مختلق مفترى فاتوا بسورة مثل ما اتى به وانه ليس
هو اولى بالاختلاق والافتراء منكم من حيث الجوهر والخلقة واللسان ثم انتم اقدر على الاختلاق منه لانكم كذبتم
ولم تسمعوا منه كذبا قط حتى سميتموه محمدا الامين وانتم اولى بالاختلاق منه قال الامام رحمه الله لما طعنوا في القران
بالاختلاق والافتراء قال الشيخ لهم مرة بان ياتوا بمثل هذا القران بقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران ومرة بان يقل لهم فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ومرة بسورة من مثله ليظهر كذبهم في دعوى الاختلاق ولا
بالسحر وما انها المعجزة ثم قال تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم الذين تعبدون من
دون الله حتى يعينوكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين في مقالتكم انه مختلق مفترى وقيل ادعوا شهداءكم
خطباءكم ليعينوكم على اتيان مثله نظما ان كنتم صادقين في مقالتكم هذه وقيل ادعوا شهداءكم اي من كان فيكم من اهل
الكتاب ليشهدوا من التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على الرسل انه مختلق مفترى ان كنتم صادقين
في مقالتكم هذه وقوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا يحتمل وجهين احدهما اقروا بالعجز لما تحدى النبي صلى الله
عليه وسلم اياهم بذلك من غير تكلف ولا استعمال منهم بالمعارضة لما رفع الله تعالى عن اطماعهم اتيان مثله وان كانوا
من اهل اللسان ونظم الكلام لما خالف على سائر الكلام من عجيب النظم وغاية البلاغة والفصاحة ويحتمل ان يكون
من تكلفوا في ذلك واحتملوا المشقة فلم يمكنهم ذلك خارقا وعند ذلك بالعجز فذكر الله تعالى فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا اي ان لم تقدروا على ذلك ولن تقدروا فان قيل يحتمل انهم كانوا قادرين على اتيان مثله لكنهم لم يفعلوا
قيل هذا وهم باطل وخيال فاسد وذلك لانهم كانوا قاصدين لاطفاء هذا النور باظهار الكذب في دعوى الرسالة
حتى ادعوا الى المحاربة مع ما فيها من بذل المهج والاولاد والاموال فمع امكانهم اطفاءه بكذبه وتحقيق دعوى انفسهم بان
ما اتى به مختلق مفترى باتيان سورة وذلك شيء يسير لم يتصور ان يمتنعوا عن ذلك فدل امتناعهم عن المعارضة على
عجزهم ودل عجزهم مع استوائهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلقة واللسان على ان ذلك كان من عند الله
نزل لاجله تصديقا لدعوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكونه رسولا وتاكيدا للحجة على الكفرة المعاندين وتنبيها
على المسترشدين الى الوصول للحق والله الموفق وقوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة يحتمل بعد
نزول القران عند ظهور الحجة عليهم بعجزهم عن معارضة ما اتى النبي صلى الله عليه وسلم من الحجة على قول من جعل
الوجوب بالسمع دون العقل ويحتمل الترهيب للتوحيد والكفر بالنار التي وضعها على قول من جعل القران لا دليلا
دون ورود السمع قال الامام ثم الوقود بنصب الواو وهو الحطب وبالرفع هو النار والحجارة قيل هي الكبريت وقيل الحجارة
وانما بين ان حطبها الناس الكفار والحجارة قيل هي الكبريت وقيل هي الحجارة وانما بين ان حطبها الناس الكفار والحجارة
لبيان ان تلك النار على خلاف هذه في العقوبة وقوله تعالى اعدت للكافرين اي خلقت النار للكفار بطريق
التعيين وهي معدة مهياة لعذابهم قال الفقيه وهذه الاية تنقض على المعتزلة حيث قالوا بتخليد اصحاب الكبائر
في النار من غير ان يطلقوا عليهم اسم الكفر فان الله تعالى جعل النار معدة للكافرين جزاء على كفرهم على ما ذكر في الايات

والعقل دليل عليه ايضا فان الدار الاخرة دار الجزاء لما ان خلق الدنيا انما يخرج عن حد العبث لا افنائها بعد الوجود
لتعلق العاقبة بها وهو الجزاء محسنا باحسانه ومسيئا باساءته في الاخرة فلو خلد العصاة فيها ابدا وانا لكم جزاء على
جناياتهم عن الكفر يكون فيه تسوية بين الكفار وغيرهم من الجزاء وانه ظلم اذ التسوية في الجزاء يكون بعد التسوية في الجناية
ولا مساواة بين الكفر وسائر المعاصي فانه قال في الاية ان النار اعدت للكافرين فاما الكبائر فيها ان لا يكون لغيرهم الا ترى
ان عندكم يجوز ادخال العصاة فيها لجزاء على جناياتهم فكذا يجوز عندنا ان يدخلوها على طريق التابيد ايضا اذ النص
لا يتعرض لغير المنصوص عليه بالنفي بل يدل عليه ان اطفال المشركين يكونون في الجنة وان كانت الجنة لم تعد لهم وانما
اعدت للمتقين ثم جاز ادخالهم في الجنة على طريق التابيد وكذلك النار وان كانت معدة للكافرين بسبب العقول
بجواز تعذيب غير الكافر فيها بطريق الخلود قلنا هم في الاية ان النار اعدت للكافرين الاعداد هو التعيين فقد
ثبت بالنصوص والعقل ان بطريق الجزاء عدلا من الله تعالى فيقتضي ان لا يكون معدة لاصحاب الكبائر معنى لم
يجب لا يجوز من طريق الحكمة المغفرة عنهم كما قلتم حتى لا يؤدي الى مخالفة النص فلا يسمى النار للكافرين
بطريق التعيين فاما نحن فنقول ان الله تعالى ان يعذب العصاة بقدر ذنوبهم ان شاء وان شاء عفا عنهم
ولم يخلدهم النار لا يستوي بينهم وبين الكفرة فان التخليد الى القول بابطال التعيين الثابت بالنص حتى
وابطال الخصوص وكذا لا يؤدي الى الظلم لانا لا نقول بالتسوية بين العاصي والكافر لا فرق فيهما في قدر الجناية
وانتم تقولون بالتسوية في الجزاء مع المفارقة في الجناية فان جناية الكفر بطريق التابيد فان الكافر يعزم الكفر
بطريق الابد اما العاصي فانه لا يعزم الخلاف والعصيان لله تعالى على الابد فكان القول بالتسوية نسبة الله تعالى
الى الظلم تعالى الله عن ذلك واما الاطفال فنقول ان الله تعالى اعد الجنة للمتقين وجعل دخول الجنة جزاء لهم فضلا
واحسانا بلا مقابلة من حيث التحقيق وكان يجوز في العقل ان لا يدخل الاطفال في الجنة لكن لا يجوز في الحكمة
تعذيبهم بلا ذنب لان الاعداد ما يكون من جانب التحقيق وغالب الوجود فاما ما جاز فيه الوجود والعدم ودخل
الجواز على السواء لا يكون من باب الاعداد والتعيين ولان اعطاء الثواب والنعم بلا فعل على طريق الافضال والاكرام
والاكرام والله اذكر من يشاء بما شاء الا ترى انه جاز تفضيل بعض المؤمنين على البعض في النعم مع التسوية في الايمان
والعمل كما قال تعالى والله يضاعف لمن يشاء لان الافضال وصف محمود لم يدخل تحت القبيح فاما التعذيب
غير جائز في الحكمة بلا ذنب اذ هو داخل الجزاء لا داخل تكليف حتى يتعلق بالابتلاء عاقبة حميدة والجزاء بلا ذنب ظلم والعقل
يمنع نسبة الظلم الى الله تعالى لذلك افترقا فاما قوله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم فلم يرد به الكفر بعد الايمان حقيقة لكن
بعد الايمان من حيث الدليل فان الدلائل على ايجاب الايمان حقيقة فان كل كافر يشهد خلقته على وحدانية الله تعالى
فاذا ترك النظر في نفسه واختار الكفر عنادا ولم يسو بين شهادة الخلقة وبين شهادة الاختيار صار كانه
كفر بعد الايمان وصار تقدير الاية اكفرتم بعد قيام الادلة على وجوب الايمان او بعد قيام الادلة على تحقق الايمان
منكم من شهادة الخلقة والله الموفق وقوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات قال الفقيه وهذه
الاية حجة على من جعل جميع الطاعات ايمانا حيث اثبت اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة فانه عطف الاعمال
الصالحة عليه والمعطوف غير المعطوف عليه فان قيل انكم تقولون ان المؤمنين يجوز دخولهم الجنة بدون الاعمال
الصالحة والله تعالى جعل الجنة متعلقة بشرط الايمان والاعمال الصالحة فيكون ما قلتم خلاف النص وهو
سبيل المعتزلة قيل البشارة المطلقة شرطها اقتران اعمال الصالحة بالايمان ونحن لا نجعل لصاحب الكبيرة
البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله تعالى ان شاء غفر له وان شاء عذبه على ما نعرف على الاقتضاء
في موضعه ان شاء الله تعالى ويجوز ان يكون العمل الصالح هو عمل القلب وهو الاخلاص في الايمان ليس كايمان المنافق
بالقول دون القلب وعلى هذا التاويل تندفع شبهة المعتزلة لكن لا يبقى حجة لنا في ان الاعمال ليست من الايمان
وقوله تعالى ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار الجنات هي البساتين قال الامام طعن بعض الملحدة وقال ان الاية
سيقت لبيان نزهة الجنة وحسنها فاية نزهة في جريان الانهار تحت الجنة قيل ان الاية يحتمل وجوها
ان تجري من تحت اشجارها الانهار لان الجنة ماخوذة من الستر ولهذا سمي الجن لاستتارهم عن اعين الناس وسمي
الجنة جنة لاستتار ارضها بالاشجار وكذا البستان في العرف اسم لما وضع الاشجار فصار معنى الاية
من تحت اشجارها الانهار وانصرفت الكناية الى المكنى المحذوف والحذف عند وضوح المعنى من اقسام البلاغة
ومنها اي من تحت غرفها وما علا منها على وجه الارض ملتصقا على ما روي ان انهار الجنة في غير اخدود وهذا
كقوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار او يجوز تحت ما علا من الغرف والقصور ويجوز
مثل هذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان كل تحت شعرة جنابة اي تحت ما على البشرة لا تحت
الجلد فهذا كذلك وقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فيه وجوه قيل

قوله رزقنا من قبل اي هذا الذي وعدنا في الدنيا ان في الجنة هذا وقيل اي هذا الذي رزقنا من قبل في الجنة لتشابه بين الاولى والثانية وقوله تعالى واتوا به متشابها في المنظر مختلفا في الطعم وقيل متشابها في الطعم مختلفا في المنظر وقيل متشابها في الحسن والبهاء لان من الفواكه ما يستلذ بالنظر اليها دون التناول منها ومنها ما يستلذ باكلها لا بالنظر اليها دون التناول منها ومنها ما يستلذ باكلها لا بالنظر وقوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة قيل مطهرة من سوء الخلق وقيل مطهرة من الامراض وانواع الاذى من الحيض وغير ذلك وقيل مطهرة من العيوب والافات وقيل مطهرة اي مصفاة حتى قيل ... وقوله تعالى وهم فيها خالدون اي اهل الجنة مضمون ضمانا على الدوام وقيل اي هم منزهون عن العيوب فيها لان ... ينقص بعضه من حيث الذات والصفات وكل ما احتمل النقصان احتمل الفناء فكان الاخبار عن ثبات الدوام ونفي الفنا اخبار عن سلامتهم من الافات والعيوب والله اعلم قال الفقيه في الاية نقض على الجهمية حيث قالوا بفناء الجنة واهلها فان الله وصف اهل الجنة بالخلود في الجنة ولا خلود بعد الفناء قال الامام والذي دعاهم الى القول به ان الله تعالى وصف نفسه بانه الاول والاخر فتحقق وصف الاولية بسبقه على الخلق اجمع فيجب تحقق وصف الاخرية بالتاخر عن سائر المخلوق واشد لن يتحقق ذلك الا بعد فنا الكل فوجب القول بضرورة تحقق وصفه تعالى به ولان الله تعالى باق واصفا له بانه باق فلو كانت الجنة باقية مع اهلها ابدا من غير لحوق الفناء بهم لكان في ذلك تشبيها بين الخالق والخلق وكان محالا لنفيه المثل له ولانه لا يخلو اما ان يقال بان الله تعالى عالم بعدد انفاس اهل الجنة ام لا فان قلتم انه غير عالم بذلك يكون وصفا لله تعالى بالجهل وهو كفر فيجب القول ضرورة بانه عالم بذلك ولن يتحقق العلم به الا بعد تناهيها ولا يتحقق الانتهاء الا بعد فنائهم فيجب القول ضرورة بفنائهم احترازا عن القول بتجهيل الله تعالى وقلنا لنا ان هذا النص وكثيرا من القران والسنة دل على الخلود والتابيد والدليل العقلي يشهد بما قلنا فان الجنة دار مطهرة عن المصائب والخوف والحزن ونحو ذلك فان الله تعالى سماها دار السلام وقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولو كان اخرها الفنا لكان فيها اعظم المصائب اذ المرء لا يتهنى بشي يخاف فوته ... وهذا خلاف ما وصف الله به الجنة فيكون القول بالفناء وصفا له تعالى بالكذب والخلف وهو كفر ... ولان الايمان عبادة خالصة فيجب ان يكون جزاؤه نعمة خالصة لا تشوبها فتنة حتى يكون جزاء وفاقا وكذا الكفر جريمة خالصة وكان جزاؤه يجب ان يكون عقوبة خالصة لا تشوبها ما يوجب تفضيلا معنى العقوبة توجه نقصها للموافقة بين الجريمة والجناية في الكمال والنعمة وان تخلل ... فلا كمال لهما مع خوف الزوال والعقوبة وان عظم خطرها فانها تخف على القلب برجاء الزوال لان القول بالخلود واجب عقلا لان الكفر والايمان من باب العقائد وانها تكون للابد فيجب ان يكون جزاؤهما كذلك تحقيقا للمماثلة واما قولهم بانه وصف نفسه بالاخر يقتضي تاخره عن الخلق قلنا هذا اشكال على الكل فانه وصف نفسه بذلك في الازل او وقت نزول القران على تعاليه عن حدوثه والتاخر عن الخلق لم يكن في الازل ولا في وقت الاتصاف لو كان الاخر لما قلتم من التاخر عن الخلق لكان وصفه نفسه بالاخر لا بطريق الحقيقة بل بطريق المجاز وهو ان يصير اخرا بعد فناء الخلق واذا كان كذلك بطل التعلق به ثم نقول ان معنى الاول والاخر في حق الله ليس ما هو في الشاهد وهو الفرد السابق والفرد اللاحق لانه تعالى وصف نفسه بهما لبيان صفة الكمال له كما في سائر الاسماء من العالم والقادر والسميع والبصير ونفي النقائص عنه وليس في نفس التقدم والتاخر كبير رفعة وعلو وكمال فكان معنى الاول في حقه هو الذي لا ابتدا لوجوده والاول من الخلق محدث عندهم وكذا معنى الاخر في حقه هو الذي لا انتهاء له وكان تنزيهه تعالى عن احتمال الحدوث والفناء من صفة الكمال فبطل تعلقهم به وقوله بانه يقع التشابه بينه وبين الخلق فقلنا لو كان باثبات صفة البقاء لاهل الجنة يوجب التشبيه لكان اثبات صفة السمع والبصر والعلم والحياة وغيرها للخلق يوجب التشبيه ولان كل موجود في الحال الثانية من الوجود يوصف بانه باق حتى في الدنيا فبذلك لا يقع التشابه فكيف يقع التشابه بالوصف بالبقاء في الجنة فكان المعنى للفرق بينهما ان الله تعالى باق لذاته على معنى ان بقاءه واجب الوجود مستحيل العدم وبقاء الخلق جائز الوجود والعدم وكذلك بقاء الله تعالى ليس بغير ذاته كما ان عين ذاته وبقاء الخلق غير ذاتهم وكذا بقاء الله تعالى ازلي وبقاء الخلق محدث فالتشابه انما يقع في وصف ما لم يكن بين الذاتين متشابهة في ذلك الوصف في جميع الوجوه وقد تحققت المخالفة من الوجوه التي ذكرناها فلا يقع التشابه وقوله بانه هل يعلم عدد انفاس اهل الجنة فنقول لما اخبر الله تعالى ببقاء اهل الجنة وعلمه في الازل انه لا نهاية لهم فالقول بالفناء كان في ذلك نفي تعيين علم الله تعالى واخباره جهلا وكذبا لان المحال لا يدخل تحت الوصف بالعلم كما لا يوصف الله تعالى بالعلم لان له مثلا وصاحبة وولدا والله الموفق وقوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة

فما فوقها قيل هذا خرج جوابا عن قول من الكفرة لرسول الله عليه السلام اما يستحي ربك ان يضرب المثل بالبعوض والذباب ونحوهما مما يصغر في نفسه او قالوا اما يستحي ربك ان يذكر البعوض والذباب وملوك الارض يانفون عن ذلك فقال الله تعالى ان الله لا يستحيي الاية وذلك لان ملوك الارض انما يانفون عن ذكر هذه الاشياء نظرا الى ظاهرها بالاستحقار بها بالصغر صورتها ودناءة منظرها فلا ينظرون الى ما جعل فيها من العجائب وكمال اللطف والقدرة التي هي دلالة على وحدانيته فيشبها جل جلاله كمال قدرته ولطفه فان الاعجوبة في صغر الجثة واعظم من خلق الكبار منها لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من صور الصغار من الاجسام من نحو البعوض والذباب والبرغوث ونحوها على ما يكون في تركيبها من الجوارح من الفم والخرطوم واليد والرجل والمدخل والمخرج والحواس لما قدروا ولعلهم يقدرون على تصوير العظام من الاجسام وكذلك ما وضع فيها من القوى والتمييز ما يعجز الاجسام العظام عن المقاومة معها كالبعوض للفيل والذباب للسان الحيوان وما وضع فيها ايضا من قهر الجبابرة بحيث ... على الامتناع والاقتدار عليهم ويطعن بابرحها جباه الفراعنة والطغاة ويمتصن من دمائهم ويصل الالم الى صميم قلوبهم ذلا لا الضعف بهم وعجز المعظم قوتهم لا يمكنهم دفعها عن انفسهم ان يدلوا على الحكمة وتنبيها لهم وتعجيزا على عظمة الصانع جل جلاله فكان ذكرها وكان في خلقها اكثر شهادة ودلالة على اثبات الصانع وتوحيده وكمال لطفه وقدرته جلت عظمته والحكيم لا يمتنع عن اقامة ما هو دليل على حكمته وابلغ في الشهادة على كمال قدرته واما ملوك الارض فهم لا ينظرون الى ذلك لجهلهم واستيلاء العمى على بصائرهم فلذلك امتنعوا والله الموفق ثم اختلف اهل الكلام في اضافة الحياء الى الله تعالى فقال القوم بجوازه استدلالا بهذه الاية وبما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يستحيي ان يعذب من شاب في الاسلام ولانه يجوز اضافة ما لا يحمد في الشاهد الى الله تعالى من نحو المكر والكيد لمفارقة الشاهد في معنى استحقاق الاسم والحياء محمود في الشاهد فكان اطلاقه عليه احق مع نفي تشبيه الخلق عنه وذلك كما في سائر الصفات ويوصف بالحياء لا على مثال حياء الخلق مع التعلق بالقلب ونحوه وقال بعضهم لا يجوز ذلك لانه في الشاهد اما الذي لا انفة عن ذلك الشيء وذلك على الله تعالى منفي لانها عبارة عن انقباض القلب وانزوائه وهي انقباض ... اطراف البدن عند سماع شيء يسوءه او كان يخوف التحرز عن تحصيل ذلك الشيء على وجهه فينسب الى الجهل والقصور ونحو ذلك والله تعالى لا يوصف بمثل هذه الاشياء فلا يجوز وصفه بالحياء فالمراد من الاستحياء المذكور في النص والخبر انما هو الامتناع عن تحصيل الفعل المستحيى اعتبارا والكراهة عن ذلك وترك الرضا لان الحياء ... على الانسان يكون داعيا الى الكف والامتناع عن تحصيل ما يستحيى من الفعل ويكون داعيا الى اظهار الكرامة به فان من استحيا من المناظرة والتذكير فانه يمتنع عن ذلك بسبب الحياء فيكون الحياء حاملا له على ذلك فسمي في اطلاق اسم المسبب على السبب مجازا في اللغة ... فتقدير الاية اي الله لا يمتنع عن ضرب المثل بالبعوضة ولا يمنعه شيء عن ذلك ولا يكره ان يضرب بها مثلا بل رضا به وتقدير الحديث ان الله يمتنع لكرمه ان يعذب من شاب في الاسلام او يكره ذلك ولا يرضى به والله اعلم قال الامام ثم الاصل ان الحياء في الحقيقة هو الامتناع عما ينسب الى الذات مما يشينه او عليه ومن هذا قيل الحياء من الايمان لان المرء بسببه يكون ممتنعا عن خصال ينعى عليه من ارتكبها والاستحياء عن التذكير والمناظرة هو الامتناع خوفا ان ينسب الى النقص فيذم عليه ومنه استحياء البكر عن النطق بالنكاح هو امتناعها عما فيه قلة من النسبة الى الوقاحة واذا كان تفسير الحياء هذا فيجوز اضافته الى الله تعالى ويكون صفة له من حيث الذات والفعل جميعا اما من حيث الذات فانه تعالى بذاته ممتنع عن نقصان ليس بسوء او يرد بعيب لانه تعالى الذي بذاته من صفات الكمال واما من حيث الفعل فانه لا يفعل فعلا يذم عليه فكان امتناعه عما يذم عليه هو الحياء من الفعل والتكبر قريب من الحياء فان التكبر هو وصف نفسه بصفات الكمال الذي عن سمات النقص والحياء هو الامتناع عن فعل ما يتعلق بالذم والنقصان لانفراده بوصف الكمال الا ان الحياء محمود في الشاهد والغائب والتكبر مذموم في الشاهد محمود في الغائب لان التبري عما يذم عليه والامتناع عن فعل ليس فيه تعظيم نفسه على غيره واستحقار غيره فاما في التكبر ففيه تفضيل على غيره واستحقار غيره والناس كلهم اشكال وامثال في الجوهر والخلقة وان كان لاحد فضل ومنقبة فبفضل الله ذلك ومنه قال في الواجب عليه ان يغتر على شكر المنعم لا ان يتكبر على امثاله وذلك معدوم في الغائب لذلك افترقا الامران والله الموفق وقوله تعالى فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اي يعلمون ان ضرب المثل بالاجسام الصغار حق لما نظروا الى ما فيها من الاعجوبة واللطف والحكمة بالتامل والتدبر لما يظهر الحق من الباطل بالنظر في الدلائل واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا لما لم ينظروا اليها لما فيها من الاعجوبة والحكمة واللطف

ولكن نظروا الى حقارة انفسها لذلك قالوا ما قالوا ۞ قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ۞ قال المفسر
هذه الاية تنقض على المعتزلة قولهم في مسئلتين احديهما مسئلة الارادة والثانية مسئلة خلق الافعال
حيث قالوا ان الله لا يريد فعل الضلال وانما يريد هداية الكل لكن اهتدى البعض بحسن اختياره وضل البعض بسوء
اختياره وكان اهتداؤه فعله بتخليقه وكذلك ضلاله من تخليقه فعاد كلامه تعالى احترازا باضلال البعض وهذا
البعض فانه يخرج قوله يضل به كثيرا ويضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لجاء القول وانك ماذا اراد الله بهذا مثلا
يبين تعالى انه اراد بضرب هذا المثل ان يضل به كثيرا اي ضل به من علم منه انه يختار الضلال لحكمة من علم منه
انه يختار الهدى فاراد من كل ما علم منه اختياره ويؤثره فتحقق ما علم على ما علم مع نفاذ سلطانه في ملكه
بنفاذ مشيئته وارادته على ما اراد فيكون فيما قلنا تحقيق ارادته وتحقيق علمه وعلى ما قالت المعتزلة انه اراد ان
يهتدي الكل مع علمه انه لم يهتد الكل ولكن لم يهتد لجميعا لامتناع البعض عن خلق الاهتداء لانفسهم
بسوء اختيارهم وهذا يؤدي الى القول بابطال ارادته او تعييب علمه فانهم لو خلقوا لانفسهم الاهتداء
والهداية ذلك لا تقلب علم الله تعالى على قولهم جهلا ولو امتنعوا عن تخليق الاهتداء وقد اراد الله تعالى
من الكل فقد منعوا اراده من النفاذ والارادة التي لا يظهر اثرها في المراد بالنفاذ يكون تمنيا لا ارادة وفي القول
بتجهيل الله تعالى وابطال سلطانه محال لما يفضي اليه مثله هنا في مسئلة الارادة واما في مسئلة خلق
الافعال فلانه تعالى اضاف الضلال والهداية الى نفسه وحقيقة الاضلال خلق فعل الضلال وحقيقة الهداية
خلق فعل الاهتداء وحقيقة الكلام فيكون النص حجة عليهم فان قالوا تاويل الاضلال الذي يكون
اضافته الى الله تعالى على ثلثة اوجه احدها التخلية بين انفسهم وبين ما اختاروا من الضلالة وباشروها وكان
اسباب الموانع من مباشرة الضلال واعطاء الات الضلال واعطاء حقيقة القدرة وهذه شروط تحصيل
الكفر وهي من الله تعالى فيضاف اليه الاضلال ويراد بخلق هذه الاسباب اطلاقا لاسم المسبب على الاسباب
والشروط وانه شايع في اللغة والثاني الاضلال هو الحكم على الكفرة بالضلال وذلك ليس بقبيح والثالث الاضلال
هو تسمية الضال ضالا اخبارا عن وجود فعل الضلال منه والجواب هذه الاوجه بالدلائل العقلية على ان الكل
من الله تعالى ارادة القبيح وايجاده على ما عرف في موضعها وبالنصوص منها قوله تعالى ۞ وما يضل به الا الفاسقين
اخبر انه اضل الذي فسق ولا يضل بخلق فعل الضلال لان في الضال الفاسق لا يتحقق فاما اثبات الات تحصيله
الخروج وتسوية الاسود ذلك المراد ما ذكرنا من احد الوجوه الثلثة اما الكل فيجب صرف ما سبق الى الاضلال في قوله
يضل به كثيرا الى الاضلال المذكور في سياقها وهو قوله وما يضل به الا الفاسقين تلفيقا بينهما قالوا
وكذلك قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم قلتم الازاغة هو خلق فعل الزيغ وخلق فعل الزيغ بعد وجود
الزيغ لا يتحقق ولذلك قال الله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم والصرف بعد الانصراف لا يتصور فدل ان
المراد من الازاغة والصرف احد الوجوه التي ذكرنا قيل لم الحمل بحقيقة النص واجب لا يترك الا بدليل وما
تدعي على الخصوم من الدلائل العقلية ممنوع واما النصوص فلا حجة لهم فيها بل امكن العمل بجميع القول بان
الاضلال هو خلق فعل الضلال والحقيقة لا يترك من غير تعذر ومن غير دليل بيان ذلك من وجوه احدها ان قوله
وما يضل به الا الفاسقين وما يضل بهذا المثل الا الفاسقين الذين لم ينظروا الى ما في تلك الاجسام الصغار
من البعوضة ونحوها من الاعجوبة والحكمة واللطف وتركوا الاستدلال واختاروا الكفر والضلال اي
لا يخلق الضلال الا في هؤلاء الفاسقين وانما سماهم فاسقين لتركهم الاستدلال الواجب عليهم واختيارهم
الكفر لا لوجود فعل الضلال فاندفعت الشبهة بهذا وان كان المراد من الفاسقين فلا حجة ايضا لانه يخلق
فعل الضلال بحقيقة والفعل كما وجد يعدم اذ الفعل عرض والاعراض لا بقاء لها عند اهل الحق فيكون
اتصاف الذات بكونه ضالا بطريق الحقيقة ومقارنا لوجود فعل الضلال لا بعده لانعدام الضلال بعد وجوده
واتصاف المحل بالوصف الذي وجد وانعدم يكون بطريق المجاز لان المراد من قوله وما يضل به خلق دوام
الضلال وهو تجدد الضلال في المستقبل فيكون اضلالا حقيقة كما ذكرنا قيل هذا في قوله ويمدهم في طغيانهم
يعمهون هو امدادا لطغيان وهو خلق الطغيان بطريق التجدد على حسب تجدد الزمان فهذا مثله وكذلك
هذا التاويل في قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وفي قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم المراد اقتران الزيغ
والازاغة والصرف والانصراف وتجدد الزيغ والازاغة وتجدد الانصراف والصرف في المستقبل بعد وجود
الزيغ والانصراف بخلق الله تعالى في المحل ويحتمل ايضا وما يضل به الا الفاسقين اي الا الذين ارادوا الضلال
واختاروا الفسق واختيار الفسق والضلال من شرط حصول الضلال فعلا للضال فيسمي باسمه وكذلك قوله
زاغوا اي اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم وكذلك في قوله ثم انصرفوا اي اختاروا الانصراف في هذا الاطلاق وكذا

بطريق المجاز يجب حمله عليه لتعذر العمل بحقيقته ضد الاية فان قيل لم ترك العمل بحقيقة سياق الاية والعمل
بمجازه وان العمل بما تلونا من الايات يعتبر هذه الاية بطريق المجاز وترك حقايقها او لم لم تترك حقيقة صدر
هذه الاية والعمل بمجازه وكذلك ما يتعلقون من الايات التي فيها ذكر اضافة الضلال والهداية الى الله تعالى
قيل لهم ما ذكرتم من التاويلات فاسدة اما التخلية فان عنيتم بها اعطاء الات الضلال والقدرة ودفع
اسباب الموانع من صلات الاجزاء بها بعد وجود فعل الضلال منهم وانما يعني ليكون وسائل الى التحصيل فلا يحسن
ان يسمى اعطاء هذه الالات بعد وجود فعل الضلال لهم اضلالا ولا ان القول بهذه يبطل مذهبهم في الاصلح
فانه لو لم يعطهم الالات لكفر فلم يخل بينهم وبينه كان ذلك اصلح لهم وان عنيتم انه لا يتعرض لهم بل يتركهم
وما يريدونه بعد وجود فعل الضلال منهم فليس كذلك بل امرنا بالقتال معهم ليتركوا الكفر خصوصا في حق
مشركي العرب فانه لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ولا دخل هنا يتحقق منا في حق اهل الكتاب وتركهم
وما اختاروا من الكفر من غير تعرض فذلك لا يسمى اضلالا منا اياهم ولانه تزيين الكفر في حق الكافر وتقبيح الاسلام
وتهيئة تحصيل اسباب الكفر وترك الاسلام منا قبيح مذموم والاضلال المضاف الى الله تعالى ليس بقبيح من الله
ذلك الزيغ للعباد ومن خلق فعل الضلال لا التخلية واما اطلاق اسم الضلال على الحكم بالضلال والتسمية بذلك
فاسد ايضا لانه عندهم انما يخبر الله تعالى من الضلال الموجود فيهم بتسميتهم ضلالا ويحكم عليهم بالضلال لكان
وجود الايمان منهم عقيب الضلال فان لم يقدره تحصيل ذلك وهم الى القوة لانهم لم يقدر فاذا كان هذا في حد
الجواز والاحتمال وقد لعن ان الله تعالى على ما قدروا له ان يسميهم ضلالا ويحكم عليهم بالضلالة على الاطلاق و
لا ينسخ خبره ولا خلف فعلى قولهم ذلك يحتمل ان يسمي الشخص ضالا ويحكم عليه بالضلال وهو قد ترك
الضلال الى الهدى فينقلب تسميته كذبا وحكمه خطاء او يغير حكمه ويغير اسمه بان يسميه مهتديا ويحكم عليه
بالهدى فيصير خبره كذبا وحكمه مختلفا وذلك محال لما يفضي اليه مثله ثم هذه التاويلات لا تشتبه فسادها
في بعض الايات نحو قوله تعالى يضل به من يشاء ويهدي من يشاء ونحو ذلك فانه سياق لبيان القدرة والاستغناء
عن الخلق حيث قرن ذلك بالمشيئة وذلك انما يتحقق من خلق فعل الضلال والهدى فاما من حيث التسمية والحكم
والتخلية فلا يتحقق هذه العاقبة اذ كل من له قدرة التكلم يقدر على تسمية الضال ضالا لذلك يحكم النبي صلى الله عليه
وسلم وكل خليفة له بل كل الخلق على الكفرة بحكم الضلال فاي جودة في بيان كمال القدرة والاستغناء عن الخلق
وكذلك التخلية ان عنوا بها تزيين الكفر فانها توجد من كل شيطان ومن كل كافر معاند فكل هذه التاويلات فاسدة
ولان التسمية والحكم بناء على وجود فعل الضلال من الكافر والكافر يختار في تحصيل الفعل في نفسه وكذلك قدر
الترك حتى امتنع عن الضلال لا يصح اسم الضلال والحكم به والمقرون بالمشيئة يجب ان يكون ثابتا مطلقا على
الاقتضاء باطلاق المشيئة وليس ذلك في صرف الضلال والهدى الى حقيقتهما من حيث الخلق بانه المعصية ۞ وقوله
تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ۞ قال الامام فيه وجوه احدها عهد خلقه من الله تعالى مع خلقه
لانه يوجد في الذات الصفات التي تنزهه عن سمات النقص لما جعل في خلقه كل واحد شهادة وحدانيته
ودلالة الهيته كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون وقال اولم يتفكروا في انفسهم الاية وقال النبي صلى الله عليه
وسلم كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابويه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اي كل احد يولد على الخلقة التي تشهد على وحدانية
الخالق لو لم يعترض عليه الشبه او يشتغل عن النظر في نفسه من الميل الى الدنيا وزينتها لكن حطام الدنيا
حال بينه وبين النظر في نفسه اذا بلغ حد العقل لعرف ان له صانعا واحدا حكيما فلما قدر ما يدل عليه خبر الحديث
الا ان ابويه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه اما شاكرا واما كفورا فاذا ترك النظر والتامل في نفسه وكفر بالله
تعالى فهذا نقض العهد ومن الثاني عهد بما انزل على السن الرسل والانبياء عليهم السلام ان يؤمنوا بكل نبي جاء من الله
تعالى وقام على صدق دعواه حجة كما اخبر بقوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا وقوله
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكوة
وامنتم برسلي الاية وامرهم بالوفاء بالعهد بقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم واخبر تعالى عن نقضهم لعهده
بقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية والوجه الثالث عهد مشركي العرب مع الله تعالى
انه لو بعث اليهم رسولا لتركوا الضلالة كما اخبر تعالى عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم والقسم هو الحلف والعهد ثم نقضوا ذلك فالتاويل الاول يصرف الى عامة الكفرة والثاني
الى اهل الكتاب والثالث الى المشركين ۞ وقوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ۞ قال فيه وجهان احدهما
يقطعون الايمان ببعض الرسل وقد امروا بالوصل اعني الايمان بجميع الرسل اذ في ترك الوصل ترك الايمان بالكل بقوله
والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله والثاني اي يقطعون صلة الارحام

وقد امروا بالوصل وبيان القطع من جهة اليهود انهم كانوا من بني اسرائيل وهم اولاد اسحق بن ابرهيم فان اسرائيل لقب
وهو ولد اسحاق والنبي صلى الله عليه وسلم من اولاد اسمعيل بن ابرهيم صلوات الله عليهم فكان بينهم قرابة
العمومة من جهة العرب اظهر قرابة معهم فرتبوا وتدبروا وقطعوا الرحم فيما بينه وبينهم وقوله تعالى ويفسدون
في الارض فيه وجهان احدهما من حيث الحقيقة وهو انهم كانوا يتعاطون الفساد بانفسهم من القتل والاغارة والثاني
من حيث التسبب وهو ما كانوا يامرون الناس بالمنكر وينهون عن المعروف فيقع الناس في الفساد بسببهم فنسب
اليهم بذلك مجازا وقوله تعالى اولئك هم الخاسرون قال الحسن اي هم قد اوقعوا انفسهم باختيارهم الكفر
في النار بعد ذلك هو الخسران المبين وقال الكلبي خسرانهم هو انه لا يسلم لهم ما اعد لهم من الاهل والمنزل في الجنة
ان كانوا مؤمنين وكان الاله اهل ومنزل في الجنة قال الشيخ لكن هذا لا يجوز لان الله تعالى قال في حق الكافرين
وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين وقال في حق المؤمنين وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
فلا يجوز ان يكون للكفرة منزل واهل في الجنة ولو صح النقل يكون على تاويل انه لو آمن لكان له منزل واهل قد يجعل
خسروا الاخرة لان الدنيا لم يخلق لعينها وانما خلقت لتكتسب بها الاخرة فمن فعل في الدنيا ومن لم يعمل لم يكتسب
الدنيا لنفسها خسر الاخرة قد للبعض قوله اولئك هم الخاسرون وقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قال الامام يحتمل ان يكون الاية خاصة في حق العرب يا تعنتكم نسبت للنبي عليه
الى الاسماء والتوعيد على الكفر وتسفيه آرائهم في اختيارهم عبادة الاصنام وهو الكفر بالله تعالى اي في ماذا
السفه والجهل انيس فوا عن عبادة الاصنام وعن توجيه الى الاشراك مع علمكم انه هو الذي تولى الانشاء
بعد الموت والاماتة بعد الحيوة دون الاصنام فلماذا لم تسعفوا عن الكفر ولم تعتقدوا على الشكر والحسنى
اذ مرجعكم اليه بعد الاماتة والاحياء ويحتمل ان يكون عامة في حق الكفار اجمع ويستقيم الاحتجاج على منكري
البعث بانشائهم بعد الموتة الاولى على بعثهم بعد الموتة الاخرى اذ كيف تنكرون ذلك كيف تنكرون البعث
والاحياء بعد الموت فاي فرق بين احياء النطف وبين احياء العظام الرميمة والتراب ولا احد التركيب في الا من
واحد قال ثم العقل يقتضي وجوب البعث من وجوه احدها ان خلق الخلق للافناء والاماتة خاصة من
غير ارادة العاقبة عبث ولعب كما في بناء للنقض خاصة لا لقصد عاقبة عابث لا حكيم وكذلك كل ساع
فيما لا يقصد به عاقبة فهو عابث هازل فلو لم يكن بعد هذه الدار بعث ودار اخرى لخرج الخلق بهذه الدار
ووسيلة اليها لكان خلوا عن العاقبة فيصير عبثا تعالى الله عنه والثاني ان التسوية بين الولي والعدو
في الكرامة والنعمة ليست بحكمة في العقل وانما يوجب الفصل بينهما من سوى في الشاهد يعد سفيها
وعد السمع على تقرير هذه الاصل قال الله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف
تحكمون ثم رايت في الدنيا التسوية بين المؤمن والكافر في انواع النعم الظاهرة من الصحة والسلامة والمال
والجمال ونحوها فيعلم بضرورة العقل ان هذه النعم ليست بنعم على الحقيقة بانفسها وانما هي مؤجج وممد
الى اخرى والتسوية في هذه الدار وهذه النعم المحنة التكليف والامتحان وقطع العذر ليصل الولي بها
مدرجا الى الاخرة والعدو ينتفع بها كالبهائم ويسئ الاخرة في قبل ذلك التنعيم وهذا الجحيم فلا يصير
خلق الخلق والدنيا للفناء خاصة وليفصل بين الولي والعدو في النعم والكرامات الحقيقة لتحقق تلك
الدار فيتحقق الحكمة والثالث ولان انصاف المظلوم من الظالم حسن محمود في العقل والعقلاء قبله
يطلبون ذلك وقد نرى كثيرا من المظلومين في هذه الدار ماتوا قبل اصابة الانصاف وهو عدل والحاكم
لا يوصف بالجور فيجب العود بدار اخرى ينتصف فيها المظلوم من الظالم تحقيقا لوصفه تعالى بالعدل ثم انه
ذكر الحجة لاثبات البعث بذكر رجوع اليه فقال ثم اليه ترجعون لما في البعث والرجوع لتحقق حكمته في خلق العالم
والفصل بين الولي والعدو وانصاف المظلوم من الظالم والله المستعان وقوله تعالى هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا قيل اتصاله بقوله كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض ليدلكم كل شئ منه بما صنعه
من العجائب والحكم على وحدانيته وقدرته ويحتمل كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض اي خلق لكل
واحد منكم لما لكم في الارض وقد فتق من النعم من غير سابقة استحقاق عليه وهلا وجهتم اليه شكر الانعام
وقومتم بالتضرع والخضوع وقوله تعالى ثم استوى الى السماء قال الامام ابو منصور تعلقت المشبهة
والكرامية بهذا النص ونظائره من قوله ثم استوى على العرش وقوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وغير ذلك من المتشابهات على جواز اثبات وصف الله تعالى بما لا يجوز
على الخلق من التشابه والتماثل حقيقة من نحو الجسمية والانتقال من مكان الى مكان والحلول في الامكنة ونحوها

وقال اهل الحق بنفي التشابه بين الله تعالى والخلق من حيث الذات والصفة بدليل العقل والسمع جميعا اما دليل
العقل فهو ان القول بالتشابه بين الله تعالى وبين خلقه قول بنفي الالوهية وانكار الصانع لان التشابه بين
الشيئين من كل وجه يقتضي الموافقة بينهما من كل وجه والتشابه بينهما من وجه يقتضي الموافقة من وجه
فيوجب ان يكون العالم قديما او الصانع محدثا من جميع الوجوه وان كانت من وجه دون وجه يوجب ان يكون
العالم قديما من وجه محدثا من وجه كذلك الصانع والمحدث من كل وجه او من وجه لا يجوز ان يكون الها ولو
قدم العالم انتفى الصانع لاستغناء القديم عن غيره فكان القول بالتشابه موجب نفي الالوهية وقد قامت
الدلائل المعروفة على اثبات الصانع فما يوجب نفيه كان باطلا دونه ولان الخلق اجسام وجواهر واعراض فلو كان
تشبه الخلق لكان من هذه الاقسام فيجب ان يكون له خاصية الاشياء وخاصية الاجسام التركيب ولذلك
يتحقق فيه الاجزاء والابعاض فيتبعضا متجزيا ولا يجوز ان يكون الباري كذلك لان الاله من يكون موصوفا
بصفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة وغيرها فاما ان يقال ان يقوم بكل جزء
من هذه الصفات الجمع فيؤدي الى ان يكون كل جزء الها فيؤدي الى القول بتعدد الالهة وقد ثبت القول بالاله
الواحد فما يؤدي الى نفيه فهو باطل واما ان يقال بان كل الصفات لا يقوم بكل الاجزاء بل بالبعض كما في الشاهد
فان الادمي يوصف بالعلم باعتبار قيامه بجزء منه وهو القلب وبالبصر باعتبار قيامه بجزء وهو العين وبالسمع
باعتبار قيامه بجزء وهو الاذن ونحو ذلك وهذا باطل لان ما تعرى من الاجزاء عن صفات الكمال اضداده موصوف بنقائص
وهو النقصان والقديم لا يجوز ان يوصف بالنقص لان كل ذات لا يقتضي نقصانا بنفسه وكان الموجب للنقصان
فيه غيره تحدثه فيه وما دخل تحت قدرة الغير يكون محدثا والمحدث لا يكون الها واذ بطل هذا بطل ان يكون
متبعضا متجزيا فبطل ان يكون جسما وخاصية الجوهر ان يكون قابلا للكيفيات المتضادة فلو كان الباري جوهرا لصار
محلا للحوادث ولا يجوز ان يكون كذلك لان قابل الحوادث كان متعريا عنها فاما ان كان متعريا بالذات او
لمعنى يقوم به وهو التعري فان كان لذاته لا يجوز ان يقوم به الحوادث والذات الموجب للتعري قائم وان كان لمعنى
يقوم به فلا يخلو اما ان يبقى ذلك المعنى بعد حلول الحوادث او ينعدم ولا وجه الى القول بالبقاء لانه يكون
في ذلك جمعا بين المتضادين وهو محال ولا وجه الى القول بالانعدام لانه يوجب انعدامه وحدوث الحادث
فهو حادث وكل ذات لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فهو محدث والمحدث لا يكون الها فبطل ان يكون جوهرا
وخاصية العرض ان لا يقوم بنفسه ويستحيل بقاؤه وانهما من امارات الحدث اذا بطل ان يكون الباري عز وجل
من جنس العالم بطل القول بالتشابه بينه وبين الخلق هذا من حيث دليل العقل واما الدليل السمعي فقوله تعالى
ليس كمثله شئ اي ليس مثله شئ والكاف زائدة واذا ثبت بالدليل العقلي والسمعي نفي التشابه بمثل ما ذكرنا
الاستواء على العرش ونحو ذلك من العين واليد والوجه والجنب واشباهها فلاهل السنة والجماعة في ذلك
طريقان احدهما ان يوصف الله تعالى بالذي جاء به التنزيل ولا يفسر ولا يؤول ونعتقد انما اراد الله تعالى منه
فهو حق ولا نعتقد منه ما نفهم من الخلق حتى نوصف الله تعالى بانه استوى على العرش ونوصف باليد والعين
والوجه من غير تفسير وتاويل من غير ان نعتقد منه ما نفهم اذا اضيف الى الخلق اعني ان الاستواء اذا اضيف الى
الخلق نفهم منه الاستقرار على المكان ولا نفهم من الاستواء المضاف الى الله تعالى وكذا نفهم من العين واليد
والجنب المضاف الى الخلق الجوارح ولا نعتقد اذا اضيف هذه الاسماء الى الله تعالى الجوارح وكذا نقول في الاتيان
والمجئ انه نوصفه بها من غير ان نعتقد في ذلك الانتقال من مكان الى مكان لما بينا من نفي التشابه وهذا كما نقول
ان الله تعالى شئ موجود حي وعالم وسميع وبصير وفاعل والعبد يوصف بهذه الاسماء لكن لا نفهم من هذه
الاوصاف في حق الله تعالى مثل ما نفهم في حق الخلق لما قام عندنا ان لا تشابه بين الله تعالى وغيره وهذه الاوصاف
لكن مع هذا يقترن بها ما يدل على نفي التشبيه اذ لا يمكننا العبارة بابلغ من هذا في نفي التشابه لفقدنا عبارات
تنبئ عن هذه الصفات في حق الله تعالى سوى هذه العبارات المستعملة في صفات الخلق فقال الشئ لا كالاشياء والعالم
لا كالعلماء ونحو ذلك تحقيقا لنفي تشبه الخلق بقدر الامكان وكذلك في هذه المواضع يطلق عليه هذه الاسماء
كما ورد به النص مع اقتران كلمة النفي فيقال له يد لا كالايدي وله استواء لا كالاستواء الذي هو صفة الخلق نفيا
لوهم التشبه بقدر الامكان والطريق الثاني هو التاويل وهو صرف الكلام عن ظاهره واما بالزيادة عليه او
النقصان منه ونظر في المجاز والاستعارة ان خروج الكلام مخرج الاختصار عند وضوح المراد والاكتفاء
بالايضاح في بعض المواضع من نظام البيان باب من البلاغة لغة وذلك نحو قوله وجاء ربك والملك
لو حملنا ان حروف الصفات ينوب بعضها عن بعض نحو قوله في القسم والله وبالله لان الباء والواو في البدل مناسبة
في معنى الجمع فان في الكلام معنى الجمع والالصاق والواو موضوعة للجمع فيجوز ان تستعار الواو مكان الباء ثم يقال فرضه

الا استعمال لجاء الامير بالجيش اذ كان مجيء الجيش مضافا اليه بتسليطه او بامره مع مجيء الامير بنفسه ولو قيل جاء الامير والجيش لا يفهم منه التسليط والامر وانما يفهم القران فالمجيء لاجله الا انه في قوله وجاء ربك بالملك لم يحمل مجيء الرب من حيث لا ينتقل الملك انما يجيء بامره على ما قال الله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فصار كانه صرح به وقال وجاء الملك بامر ربك وهذا كقوله تعالى اذهب انت وربك فقاتلا اي اذهب انت بربك اي بتوفيق ربك وهو ان يراد فعلوا ان تقابل بتوفيق ربه فحمل على المفهوم عادة كذلك هذا فلا تقدير في قوله وجاء ربك والملك اي اجاء ربك الملك وانى به لما لم يصح لنا الفعل منه ويجوز مثل هذا كقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض لما امتنع اضافة فعل الخسف الى الله تعالى صار الكلام عبارة عن الفعل المتعدي كانه قال الخسفناه وداره الارض كذلك هنا وكذلك في قوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الله اي يأتي بامره ومما يوضح ما قلنا انه لم يكن يتصور منهم الانتظار كاتيان الرب ومجيئه ولا الانتظار لتنزله لتصرف الظاهر اليه وكان الملك مما يتنزل كان الانتظار لتنزل الملك امرا معلوما عند الناس فيجب صرف الكلام الى المفهوم في العرف وعلى هذا قوله تعالى ثم استوى الى السماء قيل في الاستواء من وجوه منها الاستواء وهو اقبل استوى اي تم كما قال الله تعالى فلما بلغ اشده واستوى اي تم وقيل استوى اي استولى قال الشاعر قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق • اي استولى وقيل استوى اي ارتفع ثم يصرف في كل موضع على ما يليق به فقيل في قوله استوى الى السماء فسواهن اي عمد وعمد الى خلق السموات وقيل ثم استوى امر هذا الخلق وصلاحهم الى السماء وهي الطولة والحال الذي بينها السماء والارض اذ لو كانت السماء مطبقة على الارض لما وصل احد الى المنافع المجعولة من نزول الامطار وحر الشمس ونحو القمر وغير ذلك مما لا يحصى وكذلك في قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش اي اقبل على خلق العرش وقوله الرحمن على العرش استوى له وجهان احدهما ان يكون معنى العرش هو الملك والاستواء هو التمام الذي لا يوصف بنقصان اي الرحمن هو الموصوف بالملك التام على الحقيقة ويحتمل استعلى على العرش وخص العرش بالاستيلاء وان كان كل العالم تحت استيلائه لانه اعظم المخلوقات فكان ذكره ذكر الكل وبيان انه لا يبدأ الا حد عليه ولا يتبد بغيره فان بعض الملوك قد ادعوا الارض وقصدوا الاستيلاء على السماء والثاني ان العرش اعلى الامكنة وارفعها فيقدر بالاوهام وان كان لا يجوز ان يعتقد انه تعالى ان يكون له خلق اعظم منه فبين انه تعالى هو الموصوف بالعلو على الكمال المتعالي عن الامكنة وانه علا ما كان يعتبر كقدر الامكنة وهو فوق كل شيء من حيث العلية والقهر في العلم والقدرة والجلال دون الجهة فهذا كذلك والله العصمة وقوله تعالى عز وجل فسواهن سبع سموات اي خلقهن وقال في موضع خلق سبع سموات وقال في موضع فقضاهن سبع سموات اي انشاهن وقال في موضع بديع السموات اي مبدعها ومنشئها فرجع الكل الى معنى واحد وقوله وهو بكل شيء عليم ظاهر المراد وقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة • قال بعضهم المراد به ادم عليه السلام انه يكون خليفة في الارض او من تقدمه من بني الجان على ما ذكرنا في التواريخ انه يوضح انه الاولى الاخبار وكان هذا التأويل لا يستقيم لان الملائكة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولم يكن ادم عليه السلام ممن يجوز ان يوصف بما به يوصف فانه نبي مرسل معصوم عن جميع ما يستحق به الذم بل مستجمع اوصاف الخير كلها فهذا التأويل لا يصح قال ثم يحتمل هذا وجوها ان يريد ادم واولاده جعلهم خلفاء بعضهم لبعض في الاستواء واقامة مصالح الخلق ويحتمل ان يريد جعلهم خلفاء عمن كان من الملائكة او الجن في الارض ويحتمل ان يكونوا خلفاء في اظهار احكام الله تعالى ودينه وعلى هذه الوجوه يمكن تأويل قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ان بعضهم ممن يوصف بما وصفوهم من الافساد وسفك الدماء وقال بعضهم هذا اعتراض من عنو ومعتبين من الملائكة على الله تعالى فيما اخبرهم انه جاعل في الارض خليفة فمن ليس بهم مضافة للاعتراض الذي هو في نهاية سوء الادب والحرمة قال الامام لكن مثل هذا الكلام بلا اعتراض من كان او حين متواتر لا يقبل فان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه قبح ووحشة وجلالة الله تعالى ووصفهم بالطاعة له والحزن عن معصيته منصوص عن كتابه منها قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ولم ينقل عن احد من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وصفهم بالمعصية فلا يقبل هذا الكلام المذكور عن بعض من لا عبرة بقوله والقول وقال قوم ان القائل بهذا القول اتجعل فيها من يفسد فيها هو ابليس عليه اللعنة فانه فيما قيل كان يسأل الملائكة لو فضل عليكم يعني به ادم ما تصنعون فقالوا نسمع لامر ربنا ونطيع واضمر ابليس في نفسه انه لو امر بطاعته لم يطعه فاعترض بهذا القول غضبا وكان ملعونا الا ان الكلام ذكر باسم الجماعة حيث اخبر تعالى قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وجاز ذكر الواحد على ارادة الجماعة وذكر الجماعة على ارادة الواحد في اللغة وانما حملنا على خلاف الظاهر لقيام الدليل على تنزيه الملائكة على ما يوجب الذم قال الفقيه لكن هذا التأويل بعيد

لان الله تعالى خاطب جميع الملائكة دون ابليس بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وبقوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • دل ان الصرف الى ابليس خاصة غير صحيح وقال قوم ان هذا الكلام وهو قولهم اتجعل فيها منهم ومعنى لانهم كانهم قالوا بطريق المتابعة والانبساط اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وذلك لانه اباح لهم ذلك وبعضها قد دل على ذلك قوله انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وهذا بطريق التعجيز والتوبيخ اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير يوضح هذا انه كلفهم من حيث الظاهر بالانباء من اسماء هؤلاء وهو يعلم انهم لا يعلمون اسماءهم ولو تكلفوا الاخبار لحقهم الكذب لان ذلك ليس بتكليف حقيقة انما هو تعجيز او توبيخ وذلك يستدعي سابقة والهفوة لا يسقط الوصلة والدرجة اذ قد يعاتب الاخيار من الهفوة والزلة قال الله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين وقد لا جائز العصيان والزلة من الملائكة انهم مكلفون بالاجماع لما ذكرنا من قوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ولولا انهم فعلوا ويكون بطريق الاختيار ويجوز ان يتصور منهم ترك العصيان والا لما حمدوا على العبادة لان الفعل الحاصل جبرا واضطرارا مما لا يحمد عليه ولذلك اوعدوا الزلة والعصيان لكن الموقوع في العصيان والزلة عند الغفلة ادعوا الالوهية لغير الله تعالى بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والامتحان انما يكون بفعل هو شاق على الفاعل وقد قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم وقيل هذا لا يقال لمن لا يتصور منه العصيان فثبت انه متصور منهم ولذلك عن خطراتهم وعظم قدر عبادتهم والممتحن يخاف الزلة والهفوة الا ان بعضهم الله تعالى وكان نجاهم الاشكال على ان في زلة امثالهم المعاتبة الجديدة وفي ذلك وجود الزلة منهم ثم التجاوز عنهم بعد العذر من لعظم الرجاء لغيرهم من اصحاب الخطايا والزلات عند العذر او بلا عذر وتوبة فضلا منه تعالى واحسانا وكذلك الحث الحريص على الفزع الى الله تعالى بالعصمة عن الذنوب وطلب المعونة على فعل الخيرات لانه اذا عرف الخلق ان احدا لا يقوم بطاعته ولا يحمل عقوبته الا بمعونته وتوفيقه يفيض عند الرجا ملائكة كل ما قال على التضرع والفزع الى الله تعالى في كل حال لان الله لموجود على جملة اهل العصيان لان الانبياء عليهم السلام وقال القوم كان ذلك القول منهم زلة من حيث انه لا الافضل الى الفاضل بل الاخطر وابتلوا بعضها منهم انهم اكرم الخلق على الله تعالى اما لان الله خلق الانبياء فلم من جميع من يخلق من جوهر النار والتراب من حيث انهم خلقوا على ما ذكر من جوهر النور الذي هو ارفع الاشياء وتخليفها هذا لانه لا يجوز ان يكون زلة الملائكة والانبياء من طريق العصيان ومباشرة الحرام والزلة نوعا فاذ هي عبارة عن الزلق والميل عن من المباح الى الحرام وقد يكون عن المندوب الاولى الافضل الى الفاضل المباح واما ما لا يجوز وصفهم بالزلة من طريق العصيان وارتكاب المحظور لان النبي صلى الله عليه وسلم متبع مقتدى فاقتدوا به واحبوا له وجوبا منه وجود فعل المحظور ربما يتابعه فيه من رآه فيعتقد كونه مباحا وطاعة لله تعالى وهو مبعوث ليصير هاديا الى الحق والطاعة دون العصيان والمعاصي ولانهم قد يستحقون العتاب بالزلة وان لم تبلغ درجة المعصية لعلو شانهم وعظم قدرهم اذ قد يتجاوز الكثير من البعيد ولا يتجاوز القليل من القريب والحبيب فان الله تعالى عاتب نبيه عليه السلام في اشياء انه لم يكن ذلك معصية بل كان مباحا لقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين فانه اذن لبعض المنافقين عند خروجه الى غزوة تبوك في ترك الخروج معه بما ذكروا من الاعذار والاذن بهذا مباح للامام عند غلبة الظن بحصول الغنية عنهم بغيرهم لكن الافضل في حقه ان ينتظر الوحي ليعرف الصادق من الكاذب فيما يذكروا من العذر لكونه بناء على حقيقة الحال لان الحكم بغالب الظن في مثل هذه الامور جائز وهذه الزلة تحقة تعرض عليه فهذا كذلك وانما امتحنهم بالانباء عن اسماء هؤلاء وبالسجود لادم عليه فهذا كذلك كما امتحنهم بالانباء عن اسماء هؤلاء وبالسجود لادم عليه السلام ليرد المخاطر بالمرء من الفضل الناس والعبادة ليظهر بهم فضل ادم عليه السلام وشرفه مع كونه من التراب ليعرفوا ان الفضل بتفضيل الله تعالى لا بالعبادة ولا بالنور والنار وليعلموا انه اعلم منهم بما اعطاه من العلم وان كانت تركيبه من التراب الذي هو دون النور الرفيع الاشتار والله الموفق وقال قوم ان ذلك ليس بزلة منهم اصلا ثم تخرج ذلك على وجهين احدهما ان يكون الله تعالى اعلمهم انهم يفعلون الفساد ويسفكون الدماء وانهم عقلوا ذلك او راوا ذلك في اللوح المحفوظ فسالوا عليهم انهم لماذا يباشرون ذلك مع العقل الزاجر ومع ترادف نعم الله عليهم فانه خلقهم ورزقهم واكرمهم بانواع النعم ونحن منذ خلقنا نشتغل بتسبيحه وتقديسه ولم تحمل عقولنا ان نباشر ذلك الفعال اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك على طريق الاستعلام والاستفهام من الله تعالى انك تجعل كذلك وقد اشكل علينا انهم لماذا يفعلون فاعلمنا ذلك فانا لا نعلم ذلك فتعلمنا وقوله اني اعلم ما لا تعلمون • ذلكم تستموه على انفسكم لوجود التساوي بينكم وبينهم في العقل الزاجر والنعم الوافرة ولم يكن

منهم اختيار العصيان ولا وجود فلا معنى الوجود ذلك منهم ولكن لا اعلم لكم بانه يقع تفرقة بينكم وبينهم وهو معلوم
عندي فاني امتحنتهم بما ركبت فيهم من الشهوات الداعية لهم الى الاقتضاء طبعا فيعتريهم بسبب غلبتها على
انفسهم انواع الغفلة ويصعب عليهم التيقظ فيقعون في المحظورات لا لقصد الخلاف وكذلك كثرة الاعداء
لهم من الشيطان وغيره من جنسهم يجري بينهم الخصومات بسبب ما ركبت فيهم من الشهوات فيقعون في ارتكاب المحظور
لاتمام غرضهم وقطع المنازعة بقهر الاعداء ونحو ذلك وانما خلقت الجنة في حقهم ليكون الثواب في حقهم اكثر
اذ الثواب بقدر المشقة وان هذه المعاني معدومة في حقكم فلهذا لم يصدر منكم العصيان والوجه الثاني انه اشكل
عليهم وجه الحكمة في خلق من يعصيه فاخبر انه يعلم ما لا يعلمون من وجوه الحكمة في خلق العصاة من ذلك بان الاولياء
والاعداء فمن تمسك بالايمان استحق الولاية ومن تمسك بالكفر استحق العداوة وتقاعد الجنة للاولياء والنار
للاعداء والثالث من تحقيق الابتلاء وهو بيان ما هم عليه ما علم وتميز من البعض المعصية ليصير بذلك اهلا للنار ومن
البعض الطاعة ليصير بذلك اهلا للجنة وتحقيق المعصية والطاعة يكون بترك الامر والنهي فكان خلقهم
ليتحقق منهم العصيان لتحقق علمه وفي ذلك صيانة فعله عن الانقلاب جهلا لحكمة بالغة ولان في ذلك بيان
انه لم يخلق الخلق لحاجة نفسه ولمنفعة اذ لو كان كذلك لم يخلق من يخالفه ويعصيه ليعلم انه مستغن عنه
متعزز عن الحوائج واستجلاب المنافع ومنها ان عظمته وجلاله وتعززه بذاته لا بكثرة الاولياء اذ لو كان
كل من كان اكثر انصارا واولياء كان اعز جانبا واكثر حرمة فخلق الكفار والعصاة دفعا لهذا الوهم وهذا الذي
ذكرنا هو تخريج على استعلام المتعلل ووجه اخر على الايجاب ان القصد به انا نعلم ونعتقد انك تجعل في الارض
من يفسد فيها ويسفك الدماء وليس عليك في خلقهم ضرر ولكن نحن نسبح بحمدك ونقدس لك وليس لك
في خلقنا منفعة فانت الذي لا يضرك معصية العصاة ولا ينفعك طاعة المطيعين لتعاليك عن النفع
والضر وحمل تاويل من ان يكون فعلك لاحد حدين او يجوز استعمال الصيغة لا للاستفهام على سبيل التقرير
وذلك مثل قوله تعالى افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في قلوبهم مرض لا للاستفهام
لطلب الفهم والله تعالى لا يخفى عليه خافية فلا يتحقق معنى الاستفهام في حقه وكقوله في قصة موسى اتريد
ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اي وتريد ان تقتلني فههنا كذلك فان قيل اذا كان هذا الكلام منهم على سبيل
التقرير فما معنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون فنقول معناه انكم تعلمون ما ذكرتم من وجه الحكمة في خلق العصاة لكني اعلم
لكم الى ما احمل من الخلفاء في الارض عصاة فاجعل الانبياء والاولياء والعلماء لانه كان اخبرهم عن الذين يفسدون
في الارض ولم يكن اعلمهم ما فيه من الاخيار والرسل عليهم السلام ثم حقق لهم الفضل بخلق آدم عليه السلام
من علمه بما علمه من اسماء المخلوقات بعد ما كلف الملائكة بيان اسماء المخلوقات والاخبار لانهم لحق اذ عجزوا
واتى به آدم عليه السلام فظهر لهم انه علم ذلك بتعليم الله تعالى اياه وعلى نقض للعادة اذ هو مثله في الخلقة بل خلقتهم
بكمال العلم بالاشياء من حيث ان النور بسبب تجلي الاشياء والتراب يكشف ظلماني فيكون دلالة رسالته اليهم
فيظهر لهم فضل البشر الذي جعلهم الله تعالى خلفاء في الارض وقوله تعالى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال
الكلبي نسبح بحمدك اي نصلي بامرك قال الامام وهذا بعيد لان التسبيح ان كان يذكر في الصلوة وهي ما يخرج من
الصلوة واسم البعض يستعار للكل تسمية الجزء باسم الكل وجه وقيل بامرك وقيل بحرمتك وقيل بالثناء
عليك وهذه وجوه محتملة لان التسبيح لغة هو التنزيه اي ننزهك عن سمات النقص بامرك وبحرمتك ننزهك
عن النقايص وبالثناء عليك لان الحمد هو الثناء وقيل انما امتحنوا بالانباء عن اسماء هؤلاء بالتنحي لادم عليه السلام
لاجل قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك اي لما اضافوا ذلك الى انفسهم دون ان يذكروا عظيم منة الله عليهم
بما خصهم بالتوفيق التسبيح والتحميد وعصمهم عن ذلك ومن الواجب عليهم ان يحمدوا الله لما وفقهم على الطاعة
وعصمهم عن المعصية او لاجل ما ذكروا من صفات البشر من مساويهم وعيروهم بذلك ومن راى مبتلى بالمعصية
فالحق عليه ان يدعو له بالعصمة او المغفرة دون ان يعيره بما فرط منه ولذلك قال الله فلما صرفوا شغلهم من بعد ذلك
الى الاستغفار لمن في الارض وما يبصر للاولياء والباقين العصمة وقوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء قيل فيه وجوه
منها انه امر بظاهره لكنه توعيد وتهديد على ما سبق بيانه وقيل هو امر بطريق الحقيقة وفيه دلالة تجويز الامر
بما لم يعلم المامور به اذا كان يحيط بطريق الوصول الى العلم به فانه كلف الملائكة بالانباء عن الاسماء اشياء احضرها بين ايديهم
ولا علم لهم بها حقيقة ولكن لما كان لطريق الوصول الى العلم بها قائما وهو السؤال ممن رزق علم ذلك وهو آدم
عليه السلام والتعلم منه كان التكليف قائما في حقهم بالانباء ثم بين بذلك فضيلة آدم عليه السلام وقيل لكي
ان الله تعالى اذا كان يريهم آية عجيبة لكي يكون دلالة على صدق دعواه الرسالة وآية على طهره وفضله عليهم كلفهم
بالانباء عن اسماء هذه الاشياء فعجزوا عن الانباء فعلموا ان ذلك ليس مما يدرك بقوة البشرية وان وجدنا الكلام

في غاية الوضوح حتى اذ كلفنا آدم عليه السلام بالانباء عنها فانباهم لم يتسبق الى اوهامهم منهم لو تكلفوا ذلك لفكر
فيه روايه رسالته وتخضعوا له ولعظمته عليهم بسبب العلم وعما استعفوا من عمله فكان اعجازهم عن ذلك كما لما اراد
من اثبات نبوة آدم عليه السلام وفضيلته وقيل يحتمل انه خطر في قلوب الملائكة عند قول الله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة انهم اولى بالخلافة في الارض من البشر فابتلاهم الله تعالى بالانباء عن اسماء بعض المخلوقات التي في الارض حتى
اذا عجزوا عن معرفتها وعلم آدم تبين لهم انه اولى بالخلافة منهم لان المستخلف في الارض يحتاج الى هذه الاشياء
فلا بد من ان يكون عارفا باسمائها فكان اعرف بها اولى بالاستخلاف والله اعلم قال الامام وقوله تعالى وعلم آدم
الاسماء كلها دال على ان خالق افعال العباد هو الله تعالى خلافا لقول المعتزلة فانه اضاف التعليم الى نفسه
وحقيقة التعليم هو تحصيل العلم كالتسويد هو تحصيل السواد والتحريك هو خلق فعل الحركة وتحصيل العلم في الذات
يتحقق عندنا بطريقين في الاصل بطريق الضرورة وبطريق الكسب للعبد اما الاول فنحو العلم الحاصل بالحواس و
الحاصل بالبداهة فانه عند استعمال الالات من العباد ومباشرة الاسباب نحو فتح البصر والنظر الى المرئي واصغاء
الاذن الى المسموع ونحو ذلك يخلق الله تعالى في المستعمل علما ضروريا هو محض فعل الله تعالى لا كسب للعبد فيه اصلا
فهذا النوع غير مراد بقوله وعلم آدم الاسماء بل لا اشتراك الملائكة مع آدم عليه السلام في العلم الحاصل بالبداهة
والحواس والنوع الثاني هو العلم الحاصل بطريق الكسب وهو ان يكون فيه فعل العبد كسبا وفعل الله تعالى
خلقا وهو كل علم فيه استدلال عند عامة اهل السنة قال الفقيه وانما كان تحصيل العلم باسماء تلك الاشياء
اما بالهام من الله تعالى او بارسال الملك من الله تعالى سوى الملائكة الذين كلفهم بالانباء والالهام صنع الله تعالى لكن
حصول العلم به استدلالي لا ضروري لانه لا بد فيه من استدلال التمييز بين الالهام من الحق وبين ما يقع في الروع
من الشيطان كسبا وكذلك لا بد من استدلال التمييز ان الذي يلقى اليه المسموع هو الملك ام الجني ام الشيطان
فيصير العلم الحاصل به استدلاليا وذلك فعل العبد عندنا وعندهم ايضا فتعين هذا مرادا بالنص فدل
ان المراد بحقيقة النص هو خلق العلم الذي هو فعل العبد لا بحقيقة اضافة التعليم الى الله تعالى فيكون الاية
حجة على المعتزلة فان العلم فعل العبد خلقا له عندهم لا فعل الله تعالى ونظير هذه الاية قول الله تعالى الرحمن
علم القرآن خلق الانسان علمه البيان دل ان التعليم من الله تعالى فان قالوا انما اضاف التعليم الى نفسه لاعطائه اسباب
حصول العلم من سلامة الالة والعقل من الآفات ونحوها فان الملائكة يشاركون آدم في اسباب العقل
وغيرها من اسباب العلم لكن اختص آدم عليه السلام بزيادة معنى حصل له بها معرفة اسماء الاشياء دون
غيره فكان اضافة التعليم الى الله تعالى باعتبار خلق اسباب العلم من الله تعالى لا انه خلق نفس العلم منه قلنا
هذا لا يصح ولا يلزم لان هذا ترك العمل بحقيقة النص فلا بد من الدليل وقوله تعالى ان كنتم صادقين
قيل انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما خطر على قلوبكم من المعاني مما سبق ذكرها على سبيل العتاب
وقيل معناه اذ كنتم من خلقتم موصوفين بالصدق ويحتمل على التحذير عن القول بلا علم كانه قال اصدقوا واحذروا
الجهل وقوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال الامام وانما قالوا سبحانك في جواب قوله
انبئوني باسماء هؤلاء لاحد وجوه اما لانه سبق الى وهم الملائكة وخطر ببالهم بايقاع الله تعالى انه جل وعلا لماذا
يامرنا بالاخبار عن اسماء هؤلاء مع علمه انا لا نعلم ذلك ولم نعقل حكمته ولا خطر ببالهم شيء ابتداء كالانباء على
الامر بالانباء عن الاسماء من غير ان نعتقد ذلك فتعلو بهم على ما يبتلى به الاخيار من الوساوس كما في قوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته او لما انه لا يخلو المكلف من الخواطر التي امروا
بدفعها وهي المجاهدة في الله بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فقالوا سبحانك اي ننزهك
الا علم لنا ان ننزهه عما خطر ببالهم وسبق الى وهمهم فاقروا انه هو الموصوف بالعلم والحكمة وان ما امر به فهو
حكمة وان لم يقف العباد على وجهها فقالوا انك انت العليم الحكيم هو الذي لا يخفى عليه شيء والحكيم هو
الذي لا يخطئ في شيء بل يخرج كل افعاله على وجه الصواب وسنن الحكمة وبالله العصمة قال وفي الاية منع التكلم
في شيء لا يحيط العلم به والفزع الى الله تعالى عن القول بما لا علم له وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله تعالى
امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ولا تقف ما ليس لك به علم وكان ابو حنيفة يرجي امر الصحابة(?)
الكبائر فهو تحت الحكم المشية الله تعالى فيقول هو في مشيته ان شاء غفرهم وادخلهم الجنة بلا تعذيب
وان شاء ادخلهم النار وعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة ولا نقطع الحكم فيهم بالجنة والمغفرة
ذنوبهم بسبب الايمان من غير عقوبة اصلا كما قالت الجبرية وهي المرجئة المبتدعة ولا القطع بالنار كما قالت
القدرية بتخليدهم في النار فسئل ابو حنيفة عن حدث هذا الاحتجاج فقال العرف قبل الملائكة اذ سئلوا عما لم
يعلموا ففوضوا الى الله تعالى قال الفقيه ابو منصور وانما الجاء ابو حنيفة ذلك الى مشية الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك

بد ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والانجاء المذموم هو الجبر وهو ان ينسب الافعال الى الله تعالى ولا يجعل للعبد
فعلا فالمرجئة الجبرية هم الذين يعتقدون انه لا فعل في المعاصي بل حركته كالشجرة تتحرك بالريح والقدرية هم الذين
لم ينسبوا الله تعالى في الافعال الاختيارية خلقا ولا تقديرا بل ينسبونها الى العباد خلقها وتقديرها وقد ورد الخبر
في الفريقين صنفان من امتي لا تنالهما شفاعتي القدرية والجبرية والمذهب الوسط بينهما هو الحق وهو ان
يحقق للعبد فعلا وكسبا ومن الله تعالى خلقا وتقديرا والحق هو الذي بين الافراط والتفريط على هذا المعقول أن
الخلق ذي الشاهد به نطق الكتاب قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذلك ورد الاثر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال خير الامور اوساطها وبالله التوفيق قال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان المعروف بالاصم هذه الاية
تبطل قول المنجمة والقافة في دعواهم علم الغيب قال الامام ابو منصور اما علم القيافة فليس بحقيقة انما هو ظن
وتخمين واما علم النجوم فهو علم ثبت في الاصل بالوحي في حق ادريس عليه السلام لكنا اندرس ذلك العلم فما
انتسخ على ما يعرف في موضعه وقوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قيل معناه قالت الملائكة
تنزيها لك من ان يكون احد يعلم الغيب سواك وقالوا تنزيها لك عما لا يجوز عليك لا علم لنا الا معلوما
الا ما علمتنا وقوله تعالى انك انت العليم الحكيم اي انت العليم بخلقك وامرك اذ حكمت ان تجعل في الارض
خليفة سوانا وقد يحتمل انت العليم من غير تعليم الحكيم الذي تاتي بالافعال المحكمة المتقنة قال الله تعالى
قال يا ادم انبئهم باسمائهم • قيل معناه قال الله تعالى يا ادم اخبر الملائكة باسماء هذه الاشياء وقوله تعالى
فلما انباهم باسمائهم • اي فلما اخبرهم باسماء تلك الاشياء وقوله تعالى الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
قيل اي الم اقل لكم اني اعلم سر السموات والارض وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون • قيل اي اعلم ما اظهرتم
من الطاعة لله تعالى وما اضمر ابليس المعصية في الامر بالطاعة لادم عليه السلام قال اهل التاويل وذلك ان الله
تعالى لما صور ادم وتركه ابليس قال للملائكة الذين كانوا معه في الارض اريتم هذا الذي لم تروا من الخلائق
شبهه ان امركم الله بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع ربنا ونفعل ما يامرنا فاضمر الخبيث في نفسه لئن
فضلت عليه لاهلكنه ولئن فضل علي لاعصينه ويجوز ان يكون معناه اني اعلم ما اظهرتم من الطاعة
وما اضمرتم انه لا يكون خلق اعلم منكم وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا • قيل عن عروة
قال ابن جريج كان سجودهم لادم ايماء ولم يكن بحال وضع الوجه على الارض لاحد من الخلق وعن ابن عباس رضي الله
عنه كان ذلك سجود تحية لا سجود عبادة وعن قتادة قال كانت الطاعة والعبادة لله تعالى والسجود لادم
اكراما له بذلك قال الفقيه وكل هذه الوجوه محتمل اللفظ ويمكن في العقل اما الاول فهو ان السجود لغة
هو الانحناء والميلان عن سنن الاستواء ومنه قيل سجدت النخلة اذا مالت اغصانها والخضوع بهذا القدر
متعارف فيما بين الناس من تعظيم فكان المراد من السجود هو الخضوع لادم عليه السلام والتعظيم قال الفقيه ثم
الامر للملائكة بالخضوع والتعظيم لادم عليه يحتمل وجهين احدهما ان الله تعالى لما فضله عليهم بما اطلعه على علم
خصه بذلك امرهم بالخضوع والتعظيم له لاظهار الفضيلة العلمية لما وصلوا بسببه الى حاجتهم من معرفة
اسماء المخلوقات وهذا هو الحق على كل من توصل الى دفع حاجته بغيره ان يعظمه ويجله لكونه سببا الى بقضي
والثاني ان الله تعالى امتحن الملائكة وابليس بالسجود لادم عليه السلام اظهارا لما علم فيهما في الازل
لانه علم في الازل الانقياد من الملائكة وثبوت الولاية لهم والتكبر من ابليس والعصيان وكفرهم بالسجود
على وجه يتحقق ظهور ما علم من الكل وكان الامر بالخضوع لادم لظهور المطيع من العاصي فيما بين العباد وليس من قوله
واما الثاني فهو ان يكون المراد من السجود حقيقة السجود وهنا وجهان احدهما ما اشار اليه ابن عباس انه كان
سجود تحية لا سجود عبادة وهو تحية لادم عليه السلام اكراما له واظهارا لشرف علمه واما السجود بطريق
العبادة فقط لا يجوز لغير الله تعالى على ما قال الله تعالى امر ان لا تعبدوا الا اياه لان استحقاق العبادة بمعنى يختص
بالالوهية فلو جاز لاحد العبادة ادى الى اثبات الشركة وابطال التوحيد وهذا لان العبادة انما تصير عبادة
بواسطة الاخلاص وهو توجيه القلب بكليته الى الله تعالى بحيث ينقطع شركة الاغيار عنه فكان اثباتها لما
العبادة لغيره اثباتا لشركة الله تعالى في استحقاق العبادة وهو كفر ولان الاله عند بعض المتكلمين من له
قدرة الاختراع وعند بعضهم من يكون متفردا في الوجود بطريق الوجوب والاصح عندنا من يكون مستحقا
العبادة وهذا اقرب الى اللفظ الدال عليه فان العرب كانت تسمي كل شيء يعبد عنه الها مع اقرارهم ان المخترع
والخالق هو الله تعالى ثبت ان ذلك كان سجود تحية لا سجود عبادة وكذلك الامر بسجود يعقوب واولاده ليوسف
عليه السلام كان للتعظيم والاكرام لا بطريق العبادة واما الوجه الثالث وهو ان يكون السجود من حيث الحقيقة
لله تعالى لكن التوجه الى ادم عليه السلام تعظيما وتبجيلا له بمنزلة القبلة للسجود والصلاة الى الكعبة

يكون

بكون الله تعالى حقيقة والتوجه الى الكعبة لشانها وتخصيصها لها من بين سائر البقاع فكذلك ههنا سجود الملائكة
كان تعظيما لله تعالى عبادة بلا اشراك في العبادة لكن امرهم اياهم بالتوجه اليه في السجود تعظيم له وبيان لفضيلته
على غيره وعلى هذا يجوز ان يخرج سجود يعقوب واولاده ليوسف عليه السلام قال الفقيه وتبين بما ذكرنا ان
السجود وسائر العبادات ما صارت عبادات بانفسها بل بواسطة معنى وهو الاخلاص لله تعالى وقطع شركة الاغيار
عنه وذلك لا يتحقق في السجود لغيره بامره اذ المامور يفعل ذلك بامره تعظيما لامره ولا يكون عبادة لغير
المولى فان قيل اذا كان السجود لم يكن عبادة لنفسه وقد كان مشروعا لغير الله تعالى اما بتحية او يجعله محلا للتوجه
السجود اليه بطريق التعظيم له فهل يجوز في زماننا السجود لغير الله تعالى ام لا قيل لا يجوز لانه قد ثبت نسخه
لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان يحل لاحد ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها ونوع
من المعقول وهو ان السجود جعل في العادة عبادة للمسجود له على هذا عرف الكفار والاشراك بعبادة عظام
والاصنام وكل من راى ساجدا لغير الله تعالى سبق الى وهمه انه يسجد له تعظيما بطريق العبادة وذلك لا يحل
لغير الله تعالى ونهى عن ذلك لما يتصل به من القبح وهذا كما نهي عن اشياء لما يتصل بها من الوحشة والقبح وان لم يكن
القبح ثابتا في نفسها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سب من يعبد من دون الله تعالى حتى لا يسبوا
الله تعالى لا ان عين سبهم قبيح بل واجب وكذا الامر باموره ليست بانفسها قربة ليتوصل بها الى القرب كالسعي الى
الجمعة والحج والجماعة ونحوها وكذلك هذا ثم قال الامام وفي هذا دليل على ان السنة تنسخ الكتاب لان السجود
لادم عليه السلام ثبت بالكتاب وكذلك السجود ليوسف عليه السلام ثم جاء النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك بعد نسخه فيكون نسخ الكتاب بالسنة وبالله العصمة وقوله تعالى الا ابليس • اختلف الناس في
ابليس قال بعضهم انه كان من الملائكة فلما كفر مسخ وصار شيطانا وقال بعضهم لم يكن من الملائكة اصلا بل كان
من الجن وهو قول الحسن البصري وابي بكر الاصم قال الامام فمن قال لم يكن من الملائكة احتج لذلك بوجوه منها ان
تعالى وصفهم بالطاعة والامتناع عن العصيان لله تعالى بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وهذا اخبار من الله
ان الملائكة على هذا الوصف ولا خلاف في خبره ولا يجوز النسخ عليه وقد تحقق من ابليس العصيان والكفر دل
انه لم يكن من الملائكة واما هاروت وماروت فلم يتحقق العصيان منهما فانهم لا يسلكون انهما من الملائكة
على ما نعرف في موضعه ومنها ان الله تعالى اخبر عن ابليس انه قال خلقتني من نار وفي الاخبار ان الملائكة خلقوا من نور
ومنها قوله تعالى كان من الجن ولم يقل من الملائكة قالوا ولا يلزمنا تعلق الخصم بظاهر قوله تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اخبر انه امر بالسجود الملائكة ثم اخبر ان ابليس ابى ان يسجد فدل انه كان مامورا
بالسجود مع الملائكة ثم اخبر ان ابليس ابى ان يسجد فدل انه كان مامورا بالسجود لادم فكان داخلا تحت اسم الملائكة
ولانه استثنى ابليس من الملائكة والمستثنى من جنس المستثنى منه لانا نقول الامر بالسجود للملائكة بظاهر هذا
النص وقد قامت هذه الادلة التي ذكرناها انه ليس من الملائكة وانما عرفنا كونه مامورا بالسجود بدلالة من
هذا النص وبغيره من النصوص فانه قال الا ابليس ابى واستكبر عرفنا انه لا يتصور تركه عاصيا وكافرا الا
كونه مامورا بالسجود وبقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وبقوله ففسق عن امر ربه واما قولهم ان الا
من جنس المستثنى منه فنقول بلى ولكن نستدل بالاستثناء على ان الامر بالسجود كان متناولا لابليس والملائكة
جميعا وبما ذكرنا من النصوص فصار تقدير الاية كانه قال امرنا الملائكة وابليس جملة بالسجود لادم فسجدوا الا ابليس
اي اتى جميع المامورين بالسجود الا ابليس فيكون استثناء المامور بالسجود من جميع المامورين فيكون استثناء
الجنس من الجنس على هذا التقدير او يجعل استثناء المنقطع كانه قال ولكن ابليس ابى واستكبر وان كان خلاف حقيقة
الاستثناء فانه قد قامت الادلة على انه لم يكن من الملائكة على ما مر ثم قال واما من قال انه كان من الملائكة فانه تمسك
بظاهر هذا النص من وجهين احدهما ان فيه امرا بالسجود للملائكة صريحا ثم وصف عقيبه ابليس بترك السجود
ولم يذكر في قصته من القصص مع كثرة تكرارها في القرآن ولا غيره من الكتب السالفة الامر بالسجود لابليس نصا
وانما ذكر على الوجه الذي في ظاهر هذا النص فدل انه مامور به بالدخول تحت اسم الملائكة فدل انه كان منهم الوجه
الثاني انه استثنى ابليس من الملائكة والمستثنى من جنس المستثنى منه فكان ظاهر الاية حجة لتحقيق الاستثناء
دليلا على ما قلنا وما قالوا من الاعتماد والحمل على الاستثناء المنقطع خلاف ظاهر النص وترك العمل بحقيقة الاستثناء
فلا يجوز من غير دليل وما ذكروا من الايات فليس فيها ما يجوز ترك ظاهر هذا النص بها اما قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ونحو ذلك قلنا هذه الاية حجة عليكم فانها خرجت على سبيل المدح لهم بالطاعة لله تعالى وانما يتحقق المدح ان لو تصور منهم
العصيان فيتركوا ذلك لتعظيم الله تعالى وخوف جلاله اما اذا لم يتصور منهم الخلاف فلا معنى لهذه الاية انه قال ومن قال

منهم ان الامر دونه فذلك نجزيه جهنم كان الكفر والعصيان كانا في حقنا التصور والامكان منهم لانهم كلفوا بانه وكل مكلف وممتحن في شيء يجوز كون المعصية منه اذ لا تكليف يتحقق الا في حق من يتصور منه تحصيله وتركه تحقيقا للثواب والعقاب بناء على الفعل الاختياري ولو لم يتصور الخلاف يكون مجبورا فدل ان هذا حجة عليهم ثم الجواب عن تعلقهم بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم انه وان اخبر عن الملائكة مطلقا لكن المراد به المقيد اي لا يعصون الله ما امرهم ما داموا تحت عصمة الله تعالى وبه نقول انهم ما داموا معصومين لا يتحقق منهم العصيان وانما يتحقق منهم العصيان اذا لم تعصمهم الله تعالى ان يزيل عصمته عمن يشاء اذا لم يتضمن ذلك نقض الحكمة فيؤدي الى الاحالة تعالى الله عن ذلك وزوال العصمة عن افراد الملائكة لتحقق المعصية منهم جائز بخلاف الانبياء عليهم السلام عندنا حيث لا يجوز وجود المعصية منهم من طريق الحكمة وان كان متصورا من حيث ذات الفعل لانهم بعثوا للدعوة الى الحق والمنع عن الضلال ولو جاز وجود المعصية منهم وهو يفضي الى الاقدام على المعصية اقتداء بهم فيقوله فيصير سببا للضلال وداعيا الى الله من حيث الفعل عند ذلك في القبح مثل الدعوة الى المعصية بالقول وذلك غير جائز منهم في الفعل والقول كذلك بالفعل فاما افراد الملائكة فما كانوا رسلا يقتدى بهم ليجب الاتباع لفعلهم ويجوز والله الموفق واما قوله تعالى كان من الجن اي صار من الجن كما كان ملكا فغير الله تعالى صورته وطبعه ونسبته الى الجن وطبعهم وسيرتهم تعبدا بإبائه واستكباره وكفره صار ممسوخا كما ان بعض بني آدم صاروا قردة وخنازير يجوز اطلاق لفظة كان على صار مجازا لان كل واحد منهما للاخبار عن الفعل الماضي الا ان في صار دلالة تغير حال المخبر عنه مجازا طلاقها في مطلق الاخبار عن الفعل الماضي وقيل اراد انه كان من طائفة من الملائكة يسمون جنا لان الجن انما سموا بهذا الاسم لاستتارهم عن ابصار الناس فهو موضع الاشتقاق ومنه سمي الولد جنينا لاختفائه في البطن ومنه سميت الجنة لاستتارها لوصفها بالاشجار فاطلق اسم الجن على الملائكة لوجود المشابهة في مأخذ الاشتقاق بطريق المجاز وقولهم ان الملائكة خلقت من النور وابليس من النار فيقال ابليس من النار نورها وفيها قال الله تعالى وخلق الجان من مارج من نار والمارج هو لهبها وذلك هو النور والضياء منها التوفيق ممكن بينهما من هذا الوجه مع ما ليس في القرآن الا وفي الاخبار ان الملائكة لم يخلقوا الا من نور بل وردت الاخبار انها خلقت من غير النور ايضا فقد روي ان نهرا تحت العرش اذا اغتسل فيه جبريل عليه السلام وانتفض يخلق من كل قطرة تقطر منه ملك وفي الخبر ان حوتا يقول سبحان الله وبحمده خلق الله تعالى منه ملكا يسبح تعالى الى كذا اليوم وورد في الخبر ايضا ان الله تعالى خلق ملائكة من النار وملائكة بعضها من الثلج وبعضها من النار وتسبيحهم سبحان الذي الف بين الثلج والنار فقد لا نخلوا الملائكة من النور ولا ينفي ان المخلوق من غير النور لا يكون ملكا والله اعلم وقوله تعالى ابى واستكبر اي ابى الطاعة لله تعالى امره واستكبر على آدم عليه السلام لما راى لنفسه فضلا عليه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله تعالى وكان من الكافرين قال المتكلمون من اهل الحديث انه لما ابى السجود واستكبر تبين انه كان كافرا في الاصل بناء على مسألة الموافاة فان العبرة عندهم للعاقبة ثم ما تحصل كان تسليما في الاصل عن ما تكافا كان كافرا في الاصل لا اعتبار عليه فيما بين ذلك فعلى قولهم يجري كلمة وكان من الكافرين على حقيقته وقال عامة اهل التفسير وغيرهم ان الاسلام حال وجوده ثابت حقيقة وكذلك الكفر ثم اذا اعترض الاسلام على الكفر يبطله برفعه في حق الاحكام وكذا الاسلام اذا اعترض الردة على الاسلام يبطل احكام الاسلام لانه يتبين انه لم يكن قال الامام فعلى هذا القول يجب صرف اللفظ عن حقيقته لانه قام الدليل انه لا يمكن الحمل على حقيقته عندنا فيصير مجازا عن صار وطريق الاستعارة موجود بينهما على ما مر فيكون معنى قوله وكان من الكافرين اي صار من الكافرين كنظيره وكان من المغرقين اي صار ويحتمل ايضا ان يقال انه كان في علم الله تعالى انه يكفر في حال وجود الكفر منه فصار تقديره وكان من الكافرين في حال ارتكاب الكفر بترك السجود والاستكبار في علم الله تعالى في الازل والله اعلم وقوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة • قال الامام قد ذكرنا ان الجنة في اللغة وفي عرف الناس اسم للبقعة التي حفت بالاشجار والغروس المثمرة وغير المثمرة وانواع النبات ودليله قوله ايضا وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ثم اختلف الناس في الجنة التي امر آدم وحوا بالسكون فيها اهي التي اعدت للمتقين او جنة من الجنان سواها قال الامام والاحوط والاسلم هو الكف عن القطع بالشهادة على احدهما اذ ليس في كتاب الله تعالى ولا في السنة المتواترة تعيين احد القولين فكان التعيين بطريق القطع شهادة على الله تعالى بما لا علم له حقيقة وذلك حرام نعوذ تعالى ولا نقضها البيان بعلم قال الامام في معنى الامر لآدم وزوجته بالسكون في الجنة محنة امتحنهما الله تعالى لانه امرهما بالكون والسكنى فيها واباح لهما التناول من جميع ما فيها ونهاهما عن قربان شجرة منها وامرهما بالاجتناب عنها بقوله ولا تقربا هذه الشجرة وهذه صورة المحنة ان يؤمر بشيء وينهى عن شيء فيكون مترددا بين التحصيل والترك

وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة • اي لا تاكلا منها فان عين القربان من الشجرة ليس منهي الا انه ذكر القربان مستعارا عن الاكل لكون القربان سببا الى الوصول الى التناول والاكل وشايع في اللغة تسمية الشيء باسم سببه قال ثم النهي عن التناول والقربان يحتمل وجوها فانه قد ينهى الرجل عن فعل شيء ايثارا للغير لكون ذلك الغير سبيله لاعلى الحق ثم يحتمل انه عليه السلام نهي عن الاكل من تلك الشجرة ليتبدا غيره بالاكل منها ويحتمل النهي التهديد دون الايجاب فيحتمل انه نهي على سبيل الندب ايضا ويحتمل النهي ايضا عن الشيء على طريق المصلحة والرحمة بان يكون في المنهي عنه ضرر يرجع الى شيء في الدنيا نزولا وغيره ويحتمل النهي عن الشيء على طريق الحرمة لقبح في المنهي عنه قال الامام فيحتمل ان النهي في حق آدم عليه السلام الى وجه يكون التوبيخ له ولا يتضمن اسقاط رتبته ودرجته اذ العقل الصريح يقتضي ان يكون النبي معصوما عن ارتكاب القبائح وما يوجب الشين والنفرة عن الاتباع لان الدليل العقلي لا يحتمل التغيير والتبديل ولا يحتمل الا وجها واحدا وهذا الدليل السمعي يحتمل وجوها لاحتمال اللفظ لها لغة على ما ذكر فيجب صرف اللفظ الى احد ما يحتمله من الوجوه الذي يطابق موجب العقل ليكون عملا بالدليل العقلي والسمعي معا حتى لا يتناقض حجج الحكيم جل وتعالى عند ذلك قال ومن هنا اختلف العلماء في تاويل هذا النهي في حق آدم صلوات الله عليه واختلفوا ايضا في تفسير النسيان المضاف اليه بقوله فنسي قال الحسن هو نهي تحريم والنسيان المضاف اليه هو نسيان الترك والتضييع لا نسيان الذكر اي انه باشر المنهي عنه مع علمه وتذكره للنهي لكن وقع فيه لغلبة الشهوة وتدعوة الطبيعة لا قصدا للمخالفة تعالى ولحجج بذلك بوجوه احدها ان من حكم اهل العفو عن النسيان وان لا يتصف الناسي بالظلم والعصيان وهو عليه السلام قد عوقب بسبب ارتكاب النهي بالاخراج من الجنة وظهور السوءة ونحو ذلك وكذلك وصفهما بالظلم والعصيان بقوله فتكونا من الظالمين وقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال الغوي هو الميل للشيطان وانما يوسوس الشيطان الى المكلف في مباشرة الحرام وان هو نسيان تضييع وترك لا نسيان الذي هو ضد الحفظ والذكر والثاني انه عدوه وتذكره لو كان ناسيا للنهي بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ولا يتحقق النسيان الذي هو ضد الذكر مع تذكيره النهي من العدو فيعلم التاكيد بالقسم بقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين والثالث قال فدلاهما بغرور والغرور بخلاف النسيان الذي هو ضد الذكر فان المغرور يقصد الى مباشرة الفعل القبيح لعاقبة بالتزيين والتحسين فيباشر وظنا منه اصابة ذلك الحسن فاذا هو قبيح حقيقة بخلاف النسيان فثبت ان المراد من النسيان هو الترك والتضييع دون ضد الذكر والحفظ ويجوز ان يذكر النسيان ويراد به الترك كما في قوله تعالى فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا والمراد منه الترك والتضييع لوجوه احدها ان النسيان سبب الترك اطلاقا اسم السبب على المسبب شايع فيما بين اهل اللسان والثاني يحتمل انه نسي وفعله مما يحل به عقوبته الله تعالى لا انه نسي النهي فسمي به نسيانا حكم فعله والثالث انه لم يقصد عصيانا للرب وطاعة الشيطان وانما وقع فيه لغلبة شهوته وتدعوة طبيعته ودفع ما جبل عليه المرء صغيرا فلم يكن قاصدا لما وضع له الفعل حرمة وتحقيقا وكان قاصدا لنفس الفعل المحرم مجاز تسميته نسيانا كما جاز تسمية ذنب المؤمن بالجهالة والخطا كما في قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم قال ولو تعمد للمسيء ذلك جهالة لعجلته بما يحل به من النقمة وعلى ذلك هذا قال ومعنى قوله فنسي ولم نجد له عزما اي لم نجد عزم الخلاف لله تعالى وقصد طاعة الشيطان ولم نرد به انه لم يجد له عزم نفس الفعل لما ذكر من الادلة توفيقا بين الادلة وقال بعضهم ان النهي النحر فلكن آدم عليه السلام لما سمع النهي كان ناسيا النهي عند ذكر له والنسيان مما جبل عليه الانسان والعصيان بطريق النسيان مما لا يوجب قدحا في حاله ولا سقوط رتبته قال الله تعالى فنسي ولم نجد له عزما حقيقة قصدا وجزما للفعل وانما تذكر العدو قال انما النهي على النصيحة لهما لا ان الاكل من الشجرة ثم غيبا تقربه نهي الاكل فيحتمل انه رد العدو وقوله لم يقصده في القسم باشتغاله باموره واخرة الاعراض عن تحفظه وتذكره نسي ذلك وقع فيه وانما عوتب بقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة ولم يعذر بسبب النسيان لان النسيان في الجملة سبب العفو وجعل عذرا لنعم المنة تفضلا من الله تعالى ورحمة لان الاخذ به غير جائز في الحكمة قال الفقيه وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فانهم لم يجعلوا النسيان جائز المؤاخذة فيجوز ان يقصر من اخذه بسبب النسيان لحكم حميدة منها المبالغة لغيره في التحرز عن المعاصي وتعظيم خطرها في القلوب بان الخطا من ابي البشر وافضل الرسل عليه السلام مع اختصاصه بفضيلة امتحن الملائكة بالسجود والنسيان ما حل فيعلم الخلق ان ليس في امره هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونوا ابدا على حذر من عقوبته والفزع اليه بطلب العصمة عما يوجب مقته وغير ذلك مما لا يحصى من الحكم ولا قوة الا بالله والثاني ان المرء لا يعذر في جميع انواع النسيان في الشرع الذي يكثر به التلهي ويغلب وقوعه الا ترى انه يعذر في السلام في الصلاة ولا يعذر في الكلام منها ويعذر في الاكل والشرب في الصوم ولا يعذر في الصلاة ويعذر في

ذكر اسم الله تعالى في الذبح ولا يعد ترك اسم الله تعالى عند الشروع في الصلوة لما قلنا وآدم عليه السلام لم يكن يمتحن
بانواع مختلفة يتعذر عليه الحفظ والذكر له وانما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة معينة ومن اقبل على امر واحد
معين في تحفظه وتذكره يسهل عليه ذلك ولا يحرج فيه فجاز ان لا يعذر في مثله والثالث انه جاز اخذ الانبياء
ومعاتبة الرسل عليهم السلام بالامر الخفيف اليسير الذي لا يؤخذ بمثله غيرهم لكثرة نعم الله تعالى عليهم وعظم منته
عندهم كما اوعدت نساء النبي عليه السلام بالتضاعف في العذاب زيادة على ما كان في حق غيرهن لتضاعف النعم
في حقهن والا ترى ان يونس عليه السلام عوتب بالحبس في بطن الحوت بما وجد منه الزلة وهو مفارقة عن القوم
واعتزاله عنهم للطاغين منهم من المناكير ولم ينتهوا عنه بنهيه ولعل مثل ذلك التضييع من عظيم خيرات غيره وحمد
ما يوصف بغيره لما فيه من مجانبة السوء واهله وكذلك عوتب نبينا عليه الصلوة والسلام بما خطر بباله من تقريب الجلة
الكفرة لما وعدوا له من الاسلام بذلك لفرط شفقته على الامة وغاية حرصه على الاسلام في حقهم وذلك الصنيع ممن هو
دونه من اعظم العبادات ثم هو عوتب على مثله فجاز ان يعذ بالعامة بهذا النوع من النسيان ولم يعذر جوابه تعظيم و
اظهار لمنزلته على غيره والله الموفق والرابع ان الامر بالخروج من الجنة والهبوط الى الارض وان كان بصورة العتاب
فهو في الحقيقة ابتداء محنة وابتلاء في حقه فانه لاجله خلقه قال الله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة وكان في سابق علمه وتقديره ان يجعله خليفة في الارض وان يخرج من صلبه ذرية يجعل بعضهم اهلا للجنة
وبعضهم اهلا للنار ويكلفهم بالامر والنهي والجنة ليست بدار تكليف انما هي دار جزاء لكن الله تعالى بكرمه ورحمته
جعل العادة جارية في خلقه انه يقدم في حقهم الاحسان والانعام ثم يعقبهم بالشدائد والسرور ويستاديهم الشكر
في النعم والصبر في البلاء وكذا كان لذا التقديم بالابتلاء بالشدائد والشر قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والله الموفق وانما سمي فعله عصيانا وظلما لان العصيان لغة
خلاف الامر بما كان للايتمار او لجا وكذلك الظلم لغة عبارة عن وضع الشئ في غير محله وهو كذلك لكن بطريق
النسيان فعل ما فعل من غير عزم وقصد على المخالفة وارتكاب الحرمة والله اعلم وقال بعضهم انه ذكر النهي لكن النهي
للتحريم لكنه خطر على قلبه ان النهي ورد على وجه لا يلحقه فيه وصف العصيان فكان ناسيا لقوله فتكونا من الظالمين
حتى ظن ان النهي ليس للتحريم وصرفه الى وجه لا حرمة فيه فكان ذاكرا للنهي حالة الفعل لكن ناسيا لوصف الفعل
من الظلم وهذا لما ذكر ان النهي انما يتصور بمقتضى الحذاء ونحوه وهذا معروف في الشاهد فان المريض نهي
عن اكل الاشياء الحادة المفرطة في الضيف شفقة عليه من لحوق الضرر به واقتضاء بحال المرض فان التداوي
نهي بالثار الغير عليه حتى يكون ذلك الغير هو الذي ينتابه وكان النهي بطريق الندب في الاستحباب لذا الوتل
النهي هذه الوجوه ثم قد وعد له الداعي في مباشرة هذا المنهي من عظيم النفع وحصول ما به ملكا والخلود
في الجنة ولم يكن عالما بعداوته ليتعلم ان ذلك صنيعه كل سبق المدح من ذلك اشارة ملك او الحامي في النفس حتى
لكثير من الاحيان فكان تحصيد معنى لا قدام هو الوصول الى ما وعد له من عظيم البركة وان كان فيه تحمل بلحوق
بر من خبث الضرر والمشقة على نفسه اذ لو كان عالما انه ذلك عن وسوسة العدو لما اقدم على الاكل واذا كان
كذلك يكون كالناسي والجاهل بحقيقة النهي وان كان تعمد الاكل فان قيل فقد اقترنت بالنهي قوله فتكونا من
الظالمين ومثل هذا الوعيد لا يكون في النهي الذي لا يوجب التحريم قلنا يحتمل ان يكون معناه لئلا تكونا
من الظالمين وان كان ذاكرا لكن حمل الظلم على الضرر والنقصان ببدنه اذ الظلم اسم يستعمل في الضرر لقوله
تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص كذا فسر عامة اهل التفسير الظلم في القران
بالضرر واسم الضرر ينطلق على ضرر البدن وضرر المال ثم على السوء وان كان حقيقة اسم الظلم لوضع الشئ
في غير موضعه والله اعلم وقال بعضهم ان النهي المذكور للتحريم وهو كان عامدا للاكل مع علمه بالنهي لكن
عنده انه انتهى النهي بما سمع من الاطلاق والاذن ممن يظنه ملكا او بما خطر بباله وظنه الهاما وذلك من جنس الوحي
في حق الانبياء عليهم السلام ولم يتامل غاية التامل فوقع في الخطا وهو في معنى النسيان لكنه عوتب بها لنسبة
ذلك التقصير ولترك الانتظار الوحي الجلي لكن لا يكون كبيرة تسقط بها رتبته والله الموفق قال الشيخ الامام
ابو منصور ولا نقبل عندنا في هذا ان فعله عليه السلام يحتمل ان يكون على الذكر له ولا حاجة بنا الى القطع على
احدهما فانه لا شك انما اصابه من الهبوط الى الدنيا ومقاساة الشدائد ورؤية السوء عقوبة وان كان
ذلك جائزا ان يكون ابتداء المحنة والابتلاء في حقه فلولا انه وجد منه من الفعل جاز المؤاخذة كقوله تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فدل ان ما فعله معان المؤاخذة مع ان الله تعالى سمى فعله عصيانا
وغواية بقوله فتكونا من الظالمين واعترافهما بالظلم بقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا لكن العصيان لغة هو
مخالفة الامر والظلم وضع الشئ في غير موضعه وعلى حسب ما كلفوا عليهم السلام من اتيان الافضل لم

يثبت مخالفة الامر ووضع الشئ في غير موضعه باتيان الفاضل وترك الافضل قال الامام ثم تحقيق الزلة
في حقهم على قدر ما يليق بحالهم حتى عوتب وعوقب حجة لنا من طريق بين لمذهبنا على الخوارج والمعتزلة قال الله تعالى
بسبب هذا العصيان كما انه لا يسلم الايمان فانه ما دعاه الى التجديد الايمان تعدد بمباشرة المنهي وعند الخوارج بسبب
العصيان يخرج المرتكب عن الايمان ويدخل في الكفر وعند المعتزلة يخرج من الايمان لا يدخل في الكفر والله تعالى بقى عليه
اسم الايمان مع تسميته لذلك عصيانا وظلما فدل ان الذنب لا يزيل اسم الايمان فيبطل مذهبهم وبطل ما تعلقوا
من قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها انه قد جعل العصيان سبب الخلود في
النار ولانه اعتقد ان لا يعصى الله تعالى في شئ فمن عصى ظهر الكذب في اعتقاده ولا ايمان يتحقق بدونه لانا
قلنا الظاهر الاية يقتضي الخلود بمطلق العصيان وقد ثبت بالاجماع ان كل عصيان لا يوجب الخلود فيجب القول
بتنويع العصيان وتقسيمه فيكون العصيان موجبا للخلود وعصيان لا يوجب فمن جمع بين الامر كلها في ايجاب
الخلود كان مخالفا لما احتج به وتبين ان الذنب لا يحقق الكذب في الاعتقاد لوجود الذنب من الانبياء من غير
ان يوجب كذبا في اعتقادهم فيكون ما قلنا من تحقيق الزلة والعتاب عليهم مبطلا لمذهبهم مفسدا لحججهم والله
الموفق والثاني حجة على المعتزلة في ابطال تحديدهم الكبيرة وفي ابطال حكمهم في الصغيرة فانهم يقولون
ان الكبيرة ما اوعد صاحبها عليه وتستحق العقوبة بها والصغيرة يكون مغفورة بالاجتناب عن الكبائر
وزلة الانبياء عليهم السلام سبب العتاب واوعدوا بالمؤاخذة عليها ولا تزيل اسم الايمان عنهم قال الحداد المعتبر
على دعوى خروجهم من دين الله تعالى بسبب ما حصل منهم من افعال وصفت بالعصيان فيبطل تحديدهم بكبيرة
المؤاخذة باستحقاق المؤاخذة العباد بها فان قلتم انما تحقق منهم من الزلات كبيرة او صغيرة فان قلتم كبيرة
يجب ان يزيل اسم الايمان عنهم وان قلتم انها صغيرة يبطل تحديدكم الكبيرة باستحقاق المؤاخذة فانهم اخذوا
بما تحقق منهم من الزلات ويبطل مذهبكم ان الصغيرة مغفورة عنها لان الانبياء عليهم السلام عذبوا
بالزلات بانواع من العذاب كحبس يونس عليه السلام في بطن الحوت ونحوه ولو لم يكن شئ من الهموم عليهم على
صون الخلائق حتى علموا انهم مع صفوتهم وكمال نعم الله تعالى عليهم خالفوا امره وباشروا نهيه ووصف فعلهم
بالذنب والعصيان والغواية والظلم لكان ذلك من اعظم العقوبة على جلالة قدرهم وعظم شانهم والله الموفق
ثم تكلم انا نبين وجه الحكمة في ابتلاء آدم عليه السلام وغيره من الانبياء عليهم السلام بالزلة فمنهم من قال
ابتلي به لان الله تعالى علم في الازل انه يخرج من صلبه الكفار وهم ليسوا باهل الجنة اذ هي دار الاولياء فابتلى آدم بذلك
ليظهر ما علم على ما علم وقال بعضهم ان للذنوب قدرا عظيما في القلوب فابتلى الانبياء بالوقوع فيها ثم يبقى
عليهم اسم الايمان وحقيقته مع عظم قدر عصيانهم في القلوب لئلا يايس العصاة بسبب غلبة الشهوات
مع قيام الخوف والرجاء وثبوت الاعتقاد على رحمة الله تعالى ولا توهموا انهم صاروا من اعداء الله تعالى فيكون سببا
لكفر اذ الياس عن رحمة الله تعالى كفر قال الله تعالى ولا تياسوا من روح الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون
وقال بعضهم ابتلى بذلك تنبيها للخلق بان احدا لا يقدر بحفظ نفسه عما يذم الا بعصمة الله تعالى اذ وكله الله تعالى الى نفسه
ورفع عنه عصمته حتى يكون الكل على قدم الرغبة اليه والاعتصام به وينزجروا عن النظر الى انفسهم في شئ من الخير
وقال بعضهم انه خلق ليبتلي بالامر والنهي فيكون خليفة في الارض ويتبعه اولاده في ذلك والابتلاء والمحنة
هو ان يتردد المحنى بين اللذات والالام ليأتي بالشكر على النعمة من اختيار ويصبر على المحنة فيكون له ثواب
الصنيع بالشكر او يترك الشكر على النعمة والصبر على البلية فيكون عاصيا فيستحق العقوبة على الخلاف ليظهر
حاله على ما علم في الازل لبعض الا ان الله تعالى فرق بين دار الابتلاء ودار الجزاء لاظهار الكمال العاقبة اذ الجمع بين
الامرين في دار واحدة يزيل معنى البلوى يصير المكلف كالمجبور بالخوف على ما يتيقن وجوده حسابا وباصابة
النعمة على الطاعة مشاهدة فيزول معنى الاختيار في الابتلاء بالثواب والعقاب بطريق الغيب ليكون الاقدام
على العبادة والامتناع عن المعصية عن اختيار وما لا عن معنى الجبر فيظهر قدره وتتميته لما اتصل من رتبة العبودية
وقيامه بوظائف المجاهدة في الله تعالى فكان الهبوط الى الدنيا ليتحقق الابتلاء ثم ما ذاق من نعيم الجنة ابتداء
لا بطريق الجزاء كرامة له وتطهير وفضيلة على الملائكة ويكون هو وزوجه شاهدين عندنا لاولادهما بالجنة ونعيمها
عن مشاهدة عيانا فالصبر لحالهم على مباشرة الاسباب الموصلة اليها قال الامام ابو منصور وليس بنا حاجة الى معرفة
حكمة الزلة وانما علينا ان نعرف بذلك قدر المعصية وعظمها فنعتصم بالله تعالى عنها لما اخرجه عن الجنة بسببها
وقدر الطاعة وعظمتها فيرغب فيها الى الله تعالى وبيان ذلك ان الزلة في حقه عليه السلام ان الله تعالى اخبر بان له
ما كانت نفسه مجبولة على حبه وباعثه عليه الا عصمة الرب جل جلاله كما قال الله تعالى خبرا عن يوسف عليه السلام
الى قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فهذا القبيل الزخرف للمودة والمحاباة دون الرتبة والتمرغ فما

اعظم منه قدرا كيف يكون الحال خبره فيكون ذلك دلالة على المبالغة في الامتناع عن المعاصي والحث على تحصيل
الخيرات والله الموفق وقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي يصيران منهم ويحتمل ان يكون عند قربان آدم وحوا عليهما
السلام ظلمة من غير جنس البشر بجعلها بالقربان منهم ويحتمل ان يصيرا ممن يكونون كذلك من اولادهما في المستقبل
بحدوث صفة الظلم منهم ويحتمل يصيران ممن هم كذلك في علمي ثم قوله من الظالمين اي من الضارين لان الظلم يذكر
ويراد به الضرر على ما سبق ذكره لان كل ظالم ضار نفسه في الدارين جميعا فيجوز تسمية الضرر باسم الظلم
ويجوز ان يكون حقيقة الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه مرادة ههنا فان مخالفة الامر باي طريق كان وضع
الشيء في غير موضعه قال الحسن في قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ليس
المراد به ان آدم عليه السلام كان ظن ان يصير ملكا بالقربان الشجرة او يبقى خالدا في الجنة اذ علم من طريق الوحي انه يموت
لكنه علم ان الملائكة افضل من البشر فظن انه بقربان الشجرة سيبلغ درجتهم في الفضل قال الشيخ قوله في الفضل
لا معنى له لانه جعل فضلهم من حيث انهم خلقوا من نور فيكون على قوله وجود الطاعة منهم عن طبع جبل ومن
كان فعله عن جبلة لا يرتفع درجته ولا يعلو قدره ولا يحمد عليه اذ لو كان يجب الحمد به لوجب في كل موات
وكل حيوان اذ كل ذلك يوصف بالانقياد والسجود قال الله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض والاصل لا يجب
الفضل اذا كان عنده بالخلقة من النور فكيف يصح عنه ان يطمعا فان يجعل هما في معنى الملائكة بان يجعل
غذاهما طاعته وعبادته وان يكون ذكره تعالى كفاية لهما من الغذاء وجل ان يجعل البشر من الملائكة حقيقة
ويجعله روحانيا ويرفع الكثافة عنه ويغير طباعه من الميل الى الشهوات ونحوها قال الله تعالى قل هو
القادر على الكمال ثم ذكر الشيخ ان الحسن قال في قوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي حلف لهما في حال
وسوسة اياهما انه يقول ذلك نصيحة وكانا ظانين بان ابليس لكن ما اكلا موافقة لابليس ولا قبولا منه النصيحة
بل اكلا على الشهوة لميلان الطبع نظير المباشر المنهي من عامة المسلمين بميلان الطبع لا قصد لمخالفة فقوله
والطاعة لابليس وان كان المباشرة عقيب الوسوسة فنشأ انه بناء على العقل والتصديق له وان لم يكن
كذلك ثم قال الشيخ قوله اي اقدم على مباشرة الاكل مع العلم بالنهي مع العلم بان الذي وسوس له ابليس بسبب
وسوسته ادعاء امر فظيع لانه نسبه لاب البشر المفضل بما سبق ذكره الى امر عظيم ولو كان قد عاينه انه هو
فعل ذلك لكان يجب ان يقبل فعله على وجه يليق بحاله دون ان تسوى بينه وبين غيره فكيف القطع على
ما قال مع احتمال وجوه كثيرة لا تسقط حجته فانه يحتمل انه لم يكن علم ان النهي عنه ذو عدة بل يحتمل انه ظن انه مكنا
له اياه على هذه الصورة التي كان نهي قبل او لم يسمع كلاما لكنه وقع في قلبه شيء فظنه انه الهام الله تعالى ويحتمل
صرف النهي الى احد الوجوه التي ذكرنا ثم تكلم الناس في تلك الشجرة ما هي قال بعضهم هي شجرة العنب لانها
سبب العصيان للرب فدل انها المنهي عنها وقال بعضهم كانت شجرة الحنطة لانها جعلت غذاء آدم وحوا واولادهما
الى يوم القيامة ليقاسوا جزاء العصيان اذ كانا ياكلان من نعيم الجنة رغدا فتبدلت الراحة بالكد وقال بعضهم
هي شجرة العلم لما علما من ظهور عورتهما باكلهما منها ولم يكن علما ان ذلك قبله فذلك قوله تعالى فلما اكلا منها بدت لهما
سوآتهما قال الشيخ والاصل عندنا انه لا يجب القول فيما ثبت بطريق القطع الا بوحي متلو او خبر متواتر اذ ما
فيها بالاجتهاد احتمال الكذب فيجب الكف عن القول فيما ثبت بالقطع وقوله تعالى فازلهما الشيطان
اي دعاهما الى سبب الزلة والاخراج منها وزين لهما ذلك لانه تولى اخراجهما وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا
فيه انما اضيف لانه كان سبب اخراجهما بالوسوسة والتزيين وتسمية الشيء باسم سببه ظاهر معروف
في اللغة وقرئ فازالهما الشيطان من الازالة من حيث التسبب على ما ذكرنا وقوله مما كانا فيه اي من السعة والخصب
وانواع النعم التي فيها ونظير الاية قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ثم اختلف في وسوسة الشيطان لآدم
وحوا صلى الله عليهما من اين كان وفيم كان قال الحسن كان آدم وحوا صلوات الله عليهما في السماء وابليس في الارض
فوسوس لهما من بعد ووصلت اليه وسوسته بالسبب الذي جعل الله تعالى لذلك سببا وقيل انه كان في
السماء وحضر ابليس عنده وكان في فم الحية فوسوس لهما وقيل انه كان في غير صورته التي رآه آدم صلى الله عليه
وسلم حين قال الله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلذلك اغتر بقوله وحلفه ولم يخطر بباله
ان احدا يقسم بالله كاذبا ولو عرف انه ابليس مع تحذير الله تعالى منه وعلى ذلك اختلفوا في كيفية وجه الوسوسة
فقال بعضهم ان له سلطانا على القلوب فيجري في بني آدم فيقابل بقلبه ويخطر فيه حتى يقذف في ذلك ويدل على ما ذكر
ان الشيطان يجري في بني آدم بين الجلد واللحم مجرى الدم وقال بعضهم ان له سلطانا على القلوب ولكن جعلت له
نوع ايصال الخطرات في القلوب والوسوسة من حيث اراد الله تعالى ولا يعلم البشر كيفيتها وقال بعضهم اذا اراد الله خيرا بعبد
اوتي ان ما خطر بباله كتابا بذلك الشر والخير يظهر الشيطان بآثار يرى فيه انه يريد الخير او الشر بعد ذلك

يوسوس له ويدعوه الى ما يدعوه وهذا هو الاشبه قال الشيخ الامام ونحن نقول انه لا نعلم حقيقة كيفية ذلك
الا الله تعالى وليس بنا الى معرفتها حاجة انما يجب علينا ان نعرف ان الله تعالى جعل الحق ملائما وكذلك الباطل فكل
من يدعو الى الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان فيجب التعوذ منه والفزع الى الله تعالى وان لم نعلم حقيقة
كيفية ذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فكانت
حاجتنا في الاشتغال بما يجب علينا من الاستعاذة والفزع الى الله تعالى دون معرفة حقيقة كيفية الوسوسة
فان قيل ان في العصيان طاعة الشيطان فكيف يتصور من الانبياء عليهم اذ طاعة الشيطان كفر قال الامام
الاصل عندنا في الجواب انه ليس في العصيان طاعة الشيطان لان الطاعة ليس باسم لذات الفعل في نفسه بل هو
الفعل طاعة بالقصد وليس المومن يقصد بما يبتلى به من العصيان طاعة الشيطان ولا مخالفة الرب وانما غرضه
وقصده هو تحصيل مراد نفسه من اقتضاء الشهوة فهو عدو ونحو ذلك ولا يكون طاعة له غير ان الشيطان
يفرح باتيان العصيان والفعل الذي يتعلق به الفرح والسرور للشيطان لا يكون طاعة له الا ترى ان الشيطان
سر وفرح باخراج آدم من الجنة وذلك يحصل باذن الله تعالى ولا يجوز وصف الله تعالى بانه طاعة للشيطان وان
كان هو فعلا تعلق به السرور للشيطان فكذا مثله وقوله تعالى وقلنا اهبطوا قيل الهبوط عن النزول
من المكان المرتفع الى مكان المنحدر فانه على مقابلة الصعود ويحتمل مطلق النزول في موضع كقوله اهبطوا
مصرا الجائز ان وافيه ولم يرد النزول من الاعلى الى الاسفل وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو وقيل المراد هو
ابليس واتباعه وآدم وولده اذ العداوة فيما بينهم ظاهرة وقيل ان المراد من العدو الحية التي حملت ابليس حتى
وسوس لهما ويحتمل ان يراد به الكل وقوله تعالى ولكم في الارض مستقر اي قرار لقوله تعالى الذي جعل لكم الارض
قرارا وقوله تعالى ومتاع الى حين اي متاع الى انقضاء آجالكم ويحتمل اي متاع الى انقضاء الدنيا وقوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه تلقى اي اخذ وقبل من ربه كلمات وقوله فتاب عليه اي وفق للتوبة وهداه
اليها بفعله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفق لهم التوبة وهداهم اليها وقيل فتاب اليه اي خلق فيه فعل التوبة
فتابا اي كتب له ذلك الفعل وقيل فتاب عليه اي تجاوز عنه وقيل التوبة هي الرجوع اي رجع آدم صلى الله عليه
وسلم من عصيانه فقبل الله تعالى رجوعه عن ذلك قال الشيخ وبعضه ترتيب بعض واصل التلقي هو التعرض
للقاء ثم يوضع في معنى الاستقبال للشيء الآتي ثم يوضع موضع القبول والاخذ والكلمات هي ما ذكر في سورة اخرى
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ثم قال الامام حجة على المعتزلة فان الله تعالى
دعا آدم عليه السلام الى التوبة فتاب ولو كان ما تحقق منه صغيرة لما احتمل الدعاء الى التوبة على زعم المعتزلة
ان الصغيرة مغفورة ولو كان ذلك كبيرة لما احتمل ايضا فانها على اصلهم تخرج صاحبها من الايمان ولا يحتمل
الانبياء عليهم السلام الوصف بذلك فكانت الاية حجة عليهم وقوله تعالى انه هو التواب الرحيم يحتمل
التواب اي قابل للتوبة وقيل اي موفق للتوبة وهاد اليها وهي كقوله غافر الذنب وقابل التوب وقد تقدم
تفسير الرحيم انه رحيم بالتائبين وجميع المومنين وقوله تعالى اهبطوا منها جميعا قال الشيخ ذكر هبوطهم
جميعا ولم يرد هبوط الكل على طريق القران والاجتماع بل المراد هو الجمع في التحصيل اي يجب عليهم تحصيل الهبوط
مطلقا وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى قال الشيخ لم يذكر على سبيل الشرط بل المراد به التحقيق اي لياتينكم
وهذا جائز في اللغة وقوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فمن تبع هداي فلا
يضل ولا يشقى اي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة اذا مات عليه قال الشيخ ابو منصور وفي الاية ينقض
قول الجهمية في فناء الجنة والنار في الآخرة مع اهلها لانه نفى الخوف والحزن عن المومنين ولو كانت الجنة تفنى
وما فيها من النعم ينقطع لكان فيها خوف زوال النعمة وفوتها وذلك سبب الحزن والتنغيص على صاحب النعمة
ولهذا وصفت الدنيا بالخوف والحزن لزوال نعيمها وفنائها وبالله التوفيق قال الامام في قصة آدم عليه السلام
واحواله حكم ومعان كثيرة يعجز البشر عن درك حقايقها احاطة بطريق القطع ولكن يذكر بعضا منها على طريق الاستدلال
الذي يحتمله تدبير البشر ويبلغ مبلغ علمنا من ذلك ان في هذه القصة دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه
عليه السلام اخبر عن احوال آدم وحوا عليهما السلام وما وقع لهما من الحوادث الجزئيات التي لا تحقق علمها
الا من له المعرفة بالكتب السماوية فانها مذكورة فيها وهو صلوات الله عليه نشأ بين اظهر قوم اميين ولم يختلف
الى احد من اهل الكتاب ولم يكن له معرفة بالالسن التي بها ذكرت القصص في كتبهم ولم يغترب عن وطنه اغترابا
يمكن التعلم في تلك المدة ولم يوجد النكير من له المعرفة بالكتب في شيء مما اخبر به لشهادة في كتبهم بتحقيق ما اخبر
ولخوف الفضيحة عند الانكار من اقرانا العالمين بحقيقة محمد وخوفا المباهلة عند انكاره ورده كما خاف النصارى
من حلول النكال عند نزول آية المباهلة بقوله تعالى فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى قوله ثم نبتهل فنجعل لعنة الله

على الكذب وتخويف الانجاز والقطع كما في قصة اليهود حين ادعوا خلوص الدار الآخرة بقوله فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فدل ذلك على انه عليه السلام علم ذلك على انه عليه السلام علم ذلك من طريق الوحي من الله تعالى فكان
ذلك دلالة نبوته اذ لا يعلم الغيب الا الله تعالى ومن ارتضاه لرسالته فيظهر الغيب عليه ليبلغه الى الخلق لما فيه
صلاح دينهم ودنياهم والله الموفق ومن ذلك دلالة فضل آدم عليه السلام على الملائكة حيث احوجهم اليه
في انباء اصل الاسماء وهو العلم وكذا اكرمه بالسجود حتى صير من ابى السجود له كافرا فدل على فضله ومع انه
العصمة وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم هذا خطاب لليهود والنصارى الموجودين في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم واسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهم من اولاده قال الامام في الآية وجوه يحتمل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم على الخصوص عن غيركم من نحو ما جعل منهم الانبياء والملوك كقوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
ويحتمل اذكروا نعمتي اي النجاة من فرعون حين كان يستعبدكم ويقتل ابناءكم ويستحيي نساءكم ويحتمل تذكير
ما كان اعطاهم من المن والسلوى وتظليل الغمام وامتداد اللباس عليهم على ما قيل ان ثيابهم كانت تزداد في
على قدر زيادتهم على طولهم وعرضهم وكانت لا يتوسخ ولا تبلى وهذه النعم وان كانت في آبائهم فقد انتهت
اليهم لان الابناء يتشرفون بشرف الآباء فكان ما اصابه النسب نعمة عظيمة في عرف الناس وكذلك سلامة الآباء
عن الغرق والهلاك سبب تفرع الابناء فيكون نجاتهم نعمة في حقهم فامروا بشكرها ويحتمل ان يكون المراد الامر
بشكر جميع النعم التي انعمها عليهم من الصحة والسلامة والعقل وسائر النعم وما حصل لهم بسبب انعام
الآباء واكرامهم فان كان على هذا فالخطاب لهم ويدخل فيه جميع الناس قال الامام ويحتمل النعمة ههنا محمدا عليه السلام
لانهم كانوا على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي واختلاف في الاديان والمذاهب في الخلق فبعث الله تعالى
محمدا عليه السلام ليجمعهم على الدين الحق ويدعوهم اليه ويؤلف بينهم ويخرجهم من ظلمات اختلافهم في قبلهم
الانبياء ويزيل الحيرة والشك عنهم فذلك اعظم نعمة انعمها عليهم اذ في ذلك نجاتهم من الهلاك في الدنيا
والآخرة على هذا يكون عليه نعمة في حقهم وكافة البشر لعموم الحاجة الى طريق الحق للكل والله الموفق قال الامام
ثم الامر بذكر النعمة والله اعلم امر بعرفانها من الله تعالى لانه لم يرد الذكر باللسان اذ لا سبيل الى ذكر كل النعم لانه
على العباد والشكر له وان طال عمرهم سوى الاعتراف بالعجز والعرفان بان المنعم على الحقيقة هو فيقوم مقام الشكر
من الله تعالى على عباده على ما جرى المثل المتعارف ان العجز عن الشكر شكر وبالله التوفيق وقوله تعالى واوفوا بعهدي
قال الامام ابو منصور اذ عهد الله تعالى على نوعين عهد خلقة وعهد رسالة اما عهد الخلقة فان الله تعالى جعل
في خلقة كل واحد دلالة وشهادة تدل على وحدانيته والهيته لم يخلقه عبثا ولم يتركه سدى فان المصنوع
يدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته فكان خلقه كل عاقل دليلا له على العلم بهذه الصفات لو سلطه
التأمل فيها بعقله فكان الله تعالى عاهد كل عاقل باعطائه سبب العلم بهذه الاشياء على الاقرار بها والتزام
كل عاقل ذلك فيجب عليه الوفاء به واما عهد الرسالة فهو ان الله تعالى امر رسله عليهم السلام باخذ الميثاق من
بني اسرائيل بان يؤمنوا برسله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وينقادوا لهم فيما امروهم فاعطوا الميثاق وبعث
منهم اثني عشر نقيبا وقال الله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي الآية وقال تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونحو ذلك وقيل واوفوا بعهدي اي ادوا ما فرضت
عليكم من الفرائض وقيل انتهوا الى شكر نعمتي ولا تنكروا غيري وهذا لا يخص بني اسرائيل بل يعم الناس ويحتمل
ما ذكر من اخذ العهد والميثاق على النبيين عليهم السلام بان يبلغوا الى قومهم بان يؤمنوا بكل رسول يأتي بعدهم
مصدقا للرسل المتقدمة والكتب السالفة فامروا بالوفاء بذلك العهد بقوله واوفوا بعهدي وقوله تعالى
اوف بعهدكم اي اوف بما وعدتكم لو وفيتم بعهدكم من تكفير السيئات واعطاء الجنة والنعيم الدائم كما قال
تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى ان قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها
الانهار الآية وقوله تعالى واياي فارهبون يحتمل اخشوا سلطاني وقدرتي واخشوا عذابي ونقمتي
واخشوا في نقض عهدي وفي كتمان نعت رسولي محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم اي آمنوا بما انزلت على رسولي من القرآن مصدقا لما معكم من التوراة والانجيل وغيرهما وتدبروا
اهل الكتاب بموافقة القرآن كتبهم حيث لم يتكلفوا جمع القرآن ولا كتبهم ومقابلة بعضها ببعض ولو كان مخالفا لها
عندهم لفعلوا حتى يظهر الخلاف فيظهر الكذب في قول النبي صلى الله عليه وسلم فيتخلص من معارضته اياهم فاذا لم
دل انهم قد عرفوا ان القرآن موافق لكتبهم فكان في هذا الخطاب دلالة صحته وحجة لاثبات حقيته وحقية رسالة
محمد عليه السلام وحقية كتابه وبالله التوفيق وقوله تعالى مصدقا لما معكم قال الامام قيل في قوله مصدقا لما معكم
اي غير مخالف لما معكم من الكتب من حيث الحكمة فان ما كان من اصول الدين من القول بالصانع والتوحيد والصفات

والنبوات ونحوها لم يحتمل التغير اصلا بل الكتب كلها والانبياء عليهم السلام كلهم في اصول الدين كلمة
امر واحد فاما ما كان من نحو الفروع وهو الشرائع فانه وان كان ايضا لا يحتمل التبدل والانتساخ لان نفس التلاوة
مما لا يجوز عليه الغلط والخطأ فلا يرد النسخ على نفس التلاوة وان جاز تغير الاحكام في حياتها واوصافها
ومقاديرها واوقاتها نحو الصلاة والزكوة والصيام والحج ونحوها لان معنى النسخ رفع وبيان لانتهاء مدة
بقاء الحكم الاول بنزول الناسخ لبيان مدة انتهائه مدة تحصيل الانسان بمدة الموت فيكون التغير في الاحكام
من حيث الصورة فاما من حيث الحكمة والمصلحة فلا تغير فان المصالح تختلف باختلاف الزمان واختلاف الاحوال
يجوز ان يكون الشيء مصلحة وحكمة في زمان فينتهي ذلك بمضي ذلك الزمان فاذا تغيرت المصلحة يجب القول
بانتهاء ما شرع لاجلها الى بدل يقوم مقامه فيما شرع للاول واذا كان كذلك كانت الاباحة الثابتة في شريعتنا
فيما يقوم المصلحة والحرمة في الشريعة الاولى سواء فثبت ان المخالفة لا تتحقق من حيث الحكمة والمصلحة
ومن ههنا امثل الصابئون وبحثه ان التوراة فيها احكام شاقة وفي الانجيل رخص واحكام سهلة ولم
ينزل بعضها على الرخص وبعضها على الشدائد من واحد حكيم لما بين الشدة والخفة من المخالفة ظاهرا فقالوا
باثنين ليكون ما فيه من الشدة ولجمع ما فيه من اليسر والرخصة من واحد فاثبتوا اثنين فصح زعمهم وقلنا
نحن ان كان بعضها شدائد وبعضها رخص لم يمتنع ان يكون كله من واحد لا شريك له لان الله تعالى ان يمتحن
عباده على اختلاف الاحوال لبعضهم بالشدة وبعضهم بالرخصة وبعضهم بالنهي وبعضهم بالامر ومرة
بكذا ومرة بكذا ولا يكون هذا خروجا من الحكمة لما قلنا من تغير المصالح باعتبار اختلاف الازمان والاحوال
فعلى هذا وان كان في القرآن شدائد بعد رخص فيبدل ما كان في الزمن الاول الحسن صورة وذلك متفق
من حيث الحكمة والله الموفق وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به قيل اي ولا تكونوا اول كافر فيما امنتم بمحمد عليه السلام
لانهم كانوا آمنوا به قبل البعث فلما بعث صلى الله عليه وسلم كفروا وقيل اي لا تكونوا اول من يقتدى بكم في الكفر
لانهم كانوا اول من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه بعث بين اظهرهم فلو كفروا كانوا اول من يكفرون به
فيلحقهم وبال كفرهم ووبال كل من يكفر بعدهم اذهم في معنى السبب لكفرهم وقوله تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا قيل بآياتي اي بحججي قال الحسن الآيات في جميع القرآن هو الدين قال الشيخ واما عندنا
هو الحجج وقوله تعالى فاياي فاتقون اي اتقوا عذابي ونقمتي ويحتمل سلطاني وقدرتي وقوله تعالى
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق قيل لا تشتروا الباطل بالحق ولا تلبسوا من التلبيس اي لا تخلطوا
الحق بالباطل وقيل لا تشبهوا الحق بالباطل ولا تصوروا الباطل بصورته وكل ذلك يرجع الى معنى قال الحق
يحتمل وجوها يحتمل محمدا صلى الله عليه وسلم اي لا تكتموا نعوته ولا تلبسوا بالتأويل الباطل ان المراد به
عيسى دونه ويحتمل القرآن ويحتمل الايمان اذا الباطل خلاف ذلك اعني الظلم والكفر والجور وقوله تعالى
وانتم تعلمون ما ذكر الله في كتابكم من حقية محمد صلى الله عليه وسلم وحقية القرآن وحقية الايمان به لكن
تعاندون وقوله تعالى واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة قال الشيخ فيه وجوه فمن جوز تكليف الكفار بالشرائع
يجري الآية على الصلوة والزكوة المعروفتين باسبابهما وشروطهما من نحو اللباس والطهارة في الصلوة والنية
فيهما ومن قال ان الكفار غير مخاطبين بالشرائع وهو الاصح يحتمل الآية على وجوه منها ان هذا امر بقبول الصلاة
المعروفة والزكوة المعروفة وان كان خلاف ظاهر الآية لكن يجوز العدول عن الظاهر عند تعذر العمل به وقد تعذر
العمل عندنا لانه لا يجوز ان يخاطب الكفار بالشرائع وامكن ان يستعار الامر بالصلوة عن الامر بقبولها لان
القبول سبب الفعل عادة واطلاق اسم السبب على المسبب والمسبب على السبب شائع لغة الا ترى الى قوله تعالى
في حق الكفار فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وهذا خبر عن فعلهما والمراد قبولهما في
الايمان بهما لان تخلية سبيلهم بعد كونهم في الاسلام لا يتوقف على اداء الصلاة والزكاة فعلى ذلك الاول
ويحتمل الامر باقامتهما امرا بان يكونوا في حال يعتبر فعلهما كانه قال كونوا في حال تكون صلاتكم صلوة وزكاتكم
زكاة لان الآية نزلت في بني اسرائيل وكانوا يصلون ويتصدقون ولكن لا يعتبر ذلك لعدم الايمان برسالة
محمد صلى الله عليه وسلم فيكون الامر باقامتهما امرا بالايمان ضرورة تصحيح الامر لكون ذلك حالة اعتبار الصلوة
والزكاة ويحتمل ان يكون المراد اقامة ما فيهما من المعاني من الخضوع والخشوع والطاعة والتعظيم وهذا
يكون للمسلم والكافر سواء لان الخضوع لله تعالى والتعظيم له والثناء عليه واجب على كل حال وهو تفسير الايمان
وكذلك تزكية النفس عن جميع القاذورات فرض على كل احد وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين وظاهره
حجة على من انكر تكليف الكفار بالشرائع لكن المراد منه التكليف بالايمان وبيان ذلك من وجوه منها ان اليهود
كانوا يصلون ولا يركعون فيها فامروا ان يصلوا لله تعالى مع المسلمين وان يركعوا فيها على ما يفعله المسلمون

وقيل انهم كانوا يصلون وحدانا الغيبا لله تعالى فامروا ان يصلوا مع النبي واصحابه بالجماعة لله تعالى ويحتمل اي كونوا مع المصلين اي مع المسلمين ولا تخالفوهم في الدين قال الامام فعلى هذه الوجوه لا يتحقق الكون الا بالايمان فيكون امرا بالايمان بعد ذكره وفي الاية دلالة وجوب الحضور الى الجماعة لان الركوع مع الراكعين يكون في حال المشاركة في الركوع فيدل على الامر باقامة الصلوة بالجماعة وقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم • قيل هذا خطاب للرؤساء والقادة منهم اي انكم تامرون الاتباع والسفلة باتباعكم وتعظيمكم لعلمكم ولا تامركم لكنا بعضنا تنسون انفسكم اي لا تامرونها باتباع محمد وتعظيمه لعلمكم بنبوته • وانتم تتلون الكتاب • اي تجدون في كتابكم انه كذلك • افلا تعقلون • انه لا يصلح الامر بالغير بشيء لا تفعله بنفسك وهو كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم • وقيل انهم امروا الضعفة بالايمان بمحمد وتركوه التسكم والاغنياء منكم ولا تامرونهم بالايمان لخوف فوت المأكلة وانقطاعها منكم ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل الكتاب واهل الاسلام يتخلون فيه من حيث المعنى لا يامر احد احدا ببر او معروف الا ويامر نفسه بمثل ذلك والاولى عليه ان يبدا بنفسه ثم بغيره اذ ذلك اسرع وانفع الى القلوب • افلا تعقلون • ان ذلك الاولى في العمل ان يبدا المرء باصلاح نفسه اولا ثم باصلاح غيره وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة • فيه وجوه منها يحتمل استعينوا بالصبر والصلوة على ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا وعلى الدخول في الاسلام طبا لكم وهو الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم لان الخطاب في ذلك كان للرؤساء منهم ويحتمل ان يصبروا على ترك الرياسة لمحمد وعلى الانقياد له لما يرجى من الثواب في الاخرة لمن امن به واطاعه وقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين • قال فيه وجوه منها اي ان ترك الرياسة والمأكلة لكبيرة على الرؤساء منهم وانها ليست بكبيرة على المؤمنين ويحتمل ان ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم لكبيرة اي ثقيلة على الكفار اما على المؤمنين فلا ويحتمل ان الصبر على الطاعة واداء هذه الفرائض لكبيرة على المنافقين لا على المؤمنين وقوله تعالى الا على الخاشعين • قيل الخاشع هو الخائف بالقلب وقيل هو المتواضع المقبل على ما يقربه الى الله تعالى قال جائز ان يكون الخاشعين ههنا اهل المؤمنين لانه استثنى ان يكون المستثنى منه في الاحكام وقوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم • اي يعلمون ويستيقنون انهم ملاقوا ربهم بكسبهم وصنيعهم • وانهم اليه راجعون • اي يعلمون انهم اليه راجعون ويجوز ان يذكر الظن ويراد به اليقين لقوله تعالى حكاية عن الجن وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض اي استيقنا وان كان حقيقته هو الوقوف على احد المحتملين بميل القلب الى احد وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • قد مر بيانه ووجوه التاويل فيه وقوله تعالى واني فضلتكم على العالمين • قال الامام فيه وجوه منها يحتمل التفضيل على العالمين بما ذكر من بعث الرسل والانبياء عليهم السلام منهم ويحتمل بما ذكر من انجائهم واهلاك العدو وهم ينظرون وان المرء من اعظم ومن اعظم ان ينظر المرء هلاك عدوه ونيل منزله وهذا الخطاب وان كان للموجودين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فالتفضل كان لابائهم فان بني اسرائيل كانوا افضل عالمي زمانهم في وقت موسى عليه السلام لكن مثل هذا جائز في استعمال كلام العرب وهو متعارف عندهم قال [illegible] احد من بني شيبان فانتم بذي قار اما لتسوسكم • عروس الدنيا [illegible] • و[illegible] خاطبه بهذا لم يكن بذي قار في الحرب لكن لما كان من اولاد من حضره ذا قار اضافه اليه فهذا كذلك فالثاني يحتمل ان الخطاب [illegible] اسرائيل الموجودين في زمن موسى عليه السلام [illegible] [illegible] لبني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين [illegible] اهل الكتاب [illegible] واقيما الموقع قال الامام [illegible] فذلك [illegible] الحكمة التسوية بين الجميع في اسباب الدين [illegible] انعم عليهم وفضلهم على العالمين [illegible] [illegible] بني اسرائيل بفضل معنى وزيادة نعمة

لم يكن في حق غيرهم فيما يرجع الى الصلاح لدينهم لا فان قالوا لم يكن بعضهم كاذبا في حديثه انه فضلكم على العالمين لان التفضيل لا يتحقق بدون حصول الفضل وان قالوا كان ذلك بطل قولهم ان التسوية واجبة بين الكل في اسباب الصلاح وبطل قولهم ان التخصيص في حق البعض محاباة وميل وان ترك التسوية ظلم وترك التسوية ظلم وترك الانعام بخل ولان من قول المعتزلة ان لا افضل الا بالتقوى ولذلك انكروا فضل الاوقات والامكنة وعندنا يجوز ان يكون بها التفضيل بوضع الله تعالى ويجوز ان يعطي الفضيلة بدون السبب او بلا سبب هو فعل العباد فعلى قولهم كان من يستحق فضلا فانما نال ذلك بفعله فيكون بنو اسرائيل هم الذين فضلوا انفسهم لا ان الله تعالى اذ هم خالقوا افعالهم عندهم فيكون في ذلك نسبة الله تعالى الى الكذب في اخباره انه فضلهم على العالمين فنعوذ بالله العظيم من قول يحتمل هذا وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا • قال الامام هذه الاية وان كانت متقدمة في الذكر على ما بعدها فهي مؤخرة في المعنى لانه قال قبلها يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ثم فصله بما اجرى الله تعالى السنة في عباده من تقديم العطايا والنعم على المحن والشدائد كما تقدم الانعام على ذكر التحذير فقال يا بني اسرائيل الى اني فضلتكم على العالمين ثم فسر انواع النعم التي بها يقع التفضيل عقيبه وقال واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب • واذ فرقنا بكم البحر • ونحو ذلك من النعم ليشكروه ثم حذرهم بعد ذلك بقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا كفران نعمته التي انعمت عليهم ليكونوا على حذر من ذلك ثم اوسع عليهم من النعم كما قال العلماء [illegible] لما ذكر الى الاية ثم معنى قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تؤدي نفس عن نفس حق الله تعالى تركته في الدنيا وقيل اي لا يغني نفس عن نفس وقوله تعالى • ولا يقبل منها شفاعة • اي لا يكون لهم شفعاء يشفعون لهم كقوله فما لهم من شافعين وقيل يحتمل اي لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم لقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقيل لا يؤذن لهم بالشفاعة لقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل • قالوا العدل الفداء اما العدل لما [illegible] النفس ثم يحتمل وجوها اي لا يكون لهم فداء يفتدون به ويحتمل اي لو كان لهم فداء لا يقبل منهم لقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم وقوله تعالى ولا هم ينصرون • اي لا احد ينصرهم ولا يؤذن لاحد بالنصرة لهم من حيث الشفاعة وانما ذكر الله تعالى هذه الوجوه لان بهذه الوجوه يوصل الى التخليص للمستوجب العذاب عنه في الدنيا اما بالفداء او بالنفس او بشفاعة يشفعون له او بنصرة انصار ينصرون فيتخلص بذلك فهذه الوجوه ليكون ليكون قطعا لطمع الكفرة في الاخرة عن الخلاص بالاسباب المذكورة فيكون ذلك زجرا لهم عن الكفر والفسق في الدنيا والاية كانها نزلت في اليهود والنصارى لانهم يؤمنون بالاخرة دون سائر الكفرة اذ هم يدعون [illegible] كقوله خبرا عنهم وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لذلك ذكر الفداء والشفيع فاما من لم يؤمن بالاخرة فاي يحتمل ذكر الفداء والشفيع في حقه وقوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون • قيل ال الرجل شيعته واتباعه ولذلك لا يقال ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان على ملته وشيعته وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الال فقال كل مؤمن تقي وقيل ال الرجل قرابته ولذلك قيل ال رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابته وقيل ذلك قولهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد انه دعاء سؤال من الله تعالى بالصلوة عليه وعلى جميع من امن به وصار متبعا له وقيل المراد قرابته الموصوفون وقوله تعالى • يسومونكم سوء العذاب • قيل يقصدونكم باشد العذاب وذلك يرجع الى الاستعباد والاستخدام بانفسهم وقيل يذيقونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى ما ذكر عقيبه من تذبيح الابناء وتقتيلهم واستحياء نسائهم وقوله تعالى ويستحيون نساءكم • قيل يستحيون من الحياء اي يستحيون عن قتل النساء لما لم يخافوا منهن ويحتمل من الاحياء اي تركوهن احياء واسترقوهن وقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • قيل البلاء ممدود اسم النعمة كانه قيل فيما انجيتكم من ال فرعون نعمة عظيمة والبلاء مقصورا من الابتلاء كانه قال في استعبادهم اياكم امتحان وبلوى من الله تعالى عظيم ليقابلوا ذلك بالصبر فينزلها جزاء على الصبر وقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم • اي جعلنا فرقا اي طرقا يمرون فيها وقيل فرقنا اي جاوزنا بكم البحر قال الشيخ وهما قريب في المعنى وقوله تعالى واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون • قال هنا بيان عظيم وهو ايضا للالذة بمشاهدة هلاك العدو مع الاستيلاء على اموالهم وديارهم وقوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة • قال الامام والوعد لقوم موسى عليه السلام وعدان احدهما من الله تعالى بعد موسى عليه السلام مع التوراة [illegible] ووعدا حسنا اي صدقا والاخرى موسى عليه السلام باصطفاء الله بالتوراة على راس اربعين ليلة [illegible] الاية وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل من بعده • اي عبدتم ويحتمل اتخذتم العجل الها قال الشيخ واستوجبتم

التعيير واللائمة بعبادة العجل وباتخاذهم اياه الها لا ليقصدوا العجل وقوله تعالى وانتم ظالمون • قيل في حد الظلم هو الاضرار لغة وقيل هو كل فعل يستوجب به الفاعل عقوبة وقيل هو عمل لم يؤذن له فيه قال اصل الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وما فعلوه من عبادة العجل واتخاذهم اياه الها وضع كذلك في غير موضعه ثم هذا الخطاب لمن كان من اليهود والنصارى في زمن النبي عليه السلام عيرهم بتضييع ابائهم ليكون ابلغ في الزجر للجاني اذ هو سبب تعييره وتعيير اخلافه وفي هذه الاية دليل لعقلا اصحابنا ان الولد ان يخاصم من يقذف والدته بعد موته لكونه معيرا بتعيير الاب مقصودا بعد موته وقوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك • قال الامام هذه الاية تنقض على المعتزلة قولهم في الاصلح لانهم يزعمون ان الله تعالى اذا علم من عبد انه يؤمن في اخره او يكون من نسله من يؤمن الى اخر العهود لم يكن له ان يميته ولا له ان يقطع نسله لان ذلك اصلح له فاذا كان على قولهم يجب على الله ان يبقيهم ولا يقطع نسلهم لم يكن في قوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك امتنان وافضال اذ فعل في حقهم ما كان واجبا ان يفعل لان كل من فعل ما عليه ان يفعله لم يكن في فعله ممتنا ولا متفضلا بل يكون مؤديا حقا عليه وقد خرجت الاية مخرج الامتنان والافضال ثم وجب الامتنان والافضال على هؤلاء الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على التاويل الاول لما ان كان العفو لابائهم لانه لو اهلك اباهم وقطع نسلهم لم يكن لهؤلاء على مجرى العادة فلذلك حصلت المنة عليهم وان لم ياتوا ساداتهم منهم لكن لفعله • لعلكم تشكرون وقوله تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان • اي اعطينا موسى التوراة وسماها كتابا لانها مكتوبة والكتاب اسم كل مكتوب وسماه فرقانا لما فيه التفريق بين الحلال والحرام ولهذا سمي القرآن فرقانا لما فيه من التفريق بين الحلال والحرام وقيل سمي فرقانا لما فيه من الفرق بين الحق والباطل والهدى والبيان في المحنة وقوله تعالى لعلكم تهتدون • اي لكي تهتدوا احتجت المعتزلة بقوله لعلكم تشكرون وبقوله لعلكم تهتدون على انه يجوز ان يريد الله تعالى وجود شيء او عدمه من الافعال الاختيارية ثم لم يوجد لتقصير من المباشر الا ترى حين انا اعطى موسى التوراة ليتمسكوا به فارادوا بايتاء التوراة حصول الاهتداء من قوله ثم لم يوجد الا للكل ولذلك اخبر انه عفا عنهم ليشكروا ثم ما وجد الشكر من الكل وذلك نظير قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم لم توجد العبادة من الكل وان كان تفسيره الا ليوحدون فلم يوجد التوحيد من الكل وان اراد ذلك منهم قال الامام ولكنا نقول انما اراد الله تعالى وجوده يوجد لا محالة على الوجه الذي اراد وهذه الايات لا حجة لهم فيها لانها تحتمل وجهين احدهما الجري على حقيقتها يحتمل ان يريد قوله تعالى ليعبدون التوحيد لا بانه من حيث الخلقة لما جعل الله تعالى في خلقه كل احد شهادة وحدانيته ودلالة ربوبيته والوهيته وكذلك في قوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون يحتمل ان يريد شكر الخلقة وفي ايتاء موسى التوراة ليهتدوا اهتداء الخلقة لما جعل في خلقة كل احد شكر المنعم وتنزيهه عن النقائص والشهادة على الوهيته وربوبيته وكان كل خلق مهتديا شاكرا او موحدا بخلقته عن جبر لا عن اختيار وذلك حاصل كما اثبته واراد وجوده وعلى هذا الوجه الايات عامة في حق المؤمنين وغيرهم واما الوجه الثاني فان كان المراد من قوله ليعبدون هو التوحيد بطريق الاختيار وفعل الهم وكذلك الشكر والاهتداء فالايات راجعة الى المؤمنين خاصة لا على العموم لما قامت الادلة عندنا ان شاء الله تعالى لا يجوز ان يريد وجود شيء لا يوجد بارادته وذكر العام على ارادة الخاص متعارف في اللغة الا ترى ان الخصم لا يمكنه العمل بعموم الاية لان الصبيان والمجانين ما خلقهم للعبادة وما اراد منهم العبادة والتوحيد تحقيقا قلنا ان الله تعالى كما اخبر انه خلق الخلق للتوحيد والعبادة فقد اخبر انه خلق كثيرا منهم لجهنم بقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فان قيل لو كان المراد من قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون هو الايمان من الكل وللعبد قدرة ان يوجد الايمان وقد اخبر ان المؤمن لا يخلد في النار فهل ما امنوا تؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى فان يدخلهم النار اذ في خبره ان لا يدخل المؤمن النار وما ادى الى الخلف في خبر الله تعالى فهو فاسد قلنا انا نقول ان من علم الله تعالى منه في الازل انه يؤمن اذ صار اهل الايمان يخلقه للايمان ويريد منه وجوده ليصير من اهل الجنة ومن علم منه في الازل انه لا يؤمن يخلقه للكفر ويريد منه الكفر ويامره بالايمان ليصير بالترك عاصيا فيصير من اهل النار وفيه تحقيق الابتلاء ليظهر على ما علم فلا يؤدي الى الخلف في خبر من خلق البعض للايمان والجنة والبعض للكفر والنار فلا يؤدي الى التناقض في اخبار الله تعالى والله الموفق قال الشيخ الامام وجه اخر وهو صرف الايات عن ظاهرها بما قام عندنا من الادلة في المسالة وذلك حملها على الامر وتقديرها وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بالتوحيد والعبادة وكذلك قوله لعلهم تشكرون وقوله لعلكم تهتدون نحملها على الامر تقديره خلقت الجن والانس الا لامرهم بالشكر والا لامرهم بفعل الاهتداء

وامكن

وامكن الاستعارة لان الامر في الجملة سبب الى وجود العبادة فانه داع اليها وباعث على تحصيلها ولان صفة الطاعة والعبادة سبب وجود الامر فانه بدون الامر لا يكون طاعة وعبادة فاطلاق اسم المسبب على السبب جائز لغة كاطلاق اسم السبب على المسبب وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل • قيل اي ظلمتم انفسكم بعبادتكم العجل وقيل باتخاذكم العجل الها وقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم قيل ارجعوا من عبادتكم العجل الى عبادة ربكم وقيل ارجعوا من اتخاذكم العجل الها الى اتخاذ خالقكم الها وقوله تعالى فاقتلوا انفسكم • قال الشيخ اجمع اهل التفسير على صرف الامر الى حقيقة القتل وانهم قد قتلوا انفسهم لكن اختلفوا في كيفيته فقال بعضهم فاقتلوا انفسكم اي سلموا انفسكم للقتل والتمكين من القتل بمنزلة القتل فصار كانهم قتلوا انفسهم وقيل انما قتلهم من لم يعبد العجل بامر الله تعالى وقيل امر بعض وقيل امر كل من عبد العجل ان يقتل نفسه وقوله تعالى ذلكم خير لكم • قيل ان التوبة خير لكم • عند بارئكم • اي عند خالقكم وقيل قتلكم خير لكم من لزوم عبادة العجل وتحمل عبادة الرب خير لكم من عبادة العجل وقوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم • قال الشيخ ثم بذلوا انفسهم للقتل بحيث امتنعوا من المدافعة لاحد وجهين اما لانهم كانوا مطبوعين على اخلاق الانبياء فلم يعرفوا حقيقة الم القتل فلهذا بذلوا انفسهم للقتل واما لان القاتل لما يكون بمحالة لا يضطرب وفي ذلك قلبه ولا يشتغل بالمدافعة وذلك الوصف فيهم ظاهر وكان موسى عليه السلام استنقذهم من يد فرعون وانجى قومه ونجاهم من الشدائد التي كانت عليهم وقد اراهم الايات العجيبة من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وهلاك العدو وتفجير الانهار من حجر واحد صغير الحجم وغير ذلك ان لو لم يات الا واحدة لكفتهم دلالة على ثبوت رسالته وصدق دعوته ثم مع ما رأوه من الايات اذا فارقهم موسى دعاهم السامري الى عبادة العجل واتخاذه الها فقبلوا قوله واخرج لهم عجلا الى ان قال هذا الهكم واله موسى فنسي الذي انما كان هارون عليه السلام بين اظهرهم وهو يقول لهم يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وما ذلك كله الا لانهم انتهوا في الحمق كما قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ولذلك والله اعلم جعلت ابتلاءهم حسية لا عقلية اذ كانت تقصر عن فهمهم المحسوس فضلا عن المعقول الذي تستدل عليه بالاصول والوجه الثاني يحتمل انهم ارادوا ثواب صبرهم على القتل في الاخرة وكرم ما بهم فهان ذلك عليهم فسلموا انفسهم للقتل وهذا كما روي امرأة فرعون كانت موحدة تعبد الله تعالى في السر فلما علم فرعون بذلك امر ان تعاقب باشد العقوبات ففعل بها فضحكت في تلك الحال لما رأت مقامها في الجنة فهان ذلك عليها فهذا مثله وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة • قال بعضهم قال الذين اختارهم موسى سبعين رجلا لن نصدقك بالرسالة والتوراة حتى نرى الله جهرة فيخبرنا انا انزلناها عليك ويحتمل لن نؤمن انزاله ولا نعبده حتى نراه جهرة معاينة وتعلقت المعتزلة بهذه الاية في نفي الرؤية انهم لما سالوا الرؤية اخذتهم الصاعقة واحرقتهم فلو كان الله تعالى جائز الرؤية لما عذبوا بسؤالهم ما هو جائز الرؤية قال الامام ولكنا نقول ليس في الاية دليل نفي الرؤية بل فيها اثباتها فان موسى عليه السلام لم ينههم عن ذلك حين سالوا الرؤية ولم ينكر عليهم ولو لم يكن جائزا لوجب ان ينكر عليهم وكذلك هو سال الرؤية بنفسه من الله تعالى ولم ينهه الله تعالى عن ذلك بل اطمعه فيه بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واذا احرقنا لوعد ولو كان غير جائز الرؤية وفيه تشبيه له بالاجسام على ما زعموا لكان اعتقاد ذلك كفرا ومحال ان تترك النبي عنه وانما اخذتهم الصاعقة لانهم لم يسالوا سؤال استرشاد وانما سالوا تعنتا بدليل ان ذلك انه قد جاءتهم من الايات الحسيات التي لا تخفى ولا ينكرها الا المتعنت المعاند والمتعنت يستحق العذاب ويحتمل انه انما اخذتهم الصاعقة لقولهم لن نؤمن لك الا لقولهم حتى نرى الله جهرة وسنذكر مسالة الرؤية في موضعها ان شاء الله تعالى وقوله تعالى وانتم تنظرون • قيل اي تعلمون ان الصاعقة قد اخذتهم واهلكتهم العقل الذي قالوا فكونوا انتم على حذر من ذلك العذاب وقيل وقوله تعالى وانتم تنظرون • هذا الخطاب لاولئك الذين اخذتهم الصاعقة وانتم تنظرون الى الصاعقة وقعا عنها لكم لكن لم تاخذكم بغتة ولا فجاة ولكن عيانا واحدا والله اعلم وقوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى • يذكرهم عز وجل نعمه ومننه عليهم ببعثهم بعد الموت وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى من السماء لهم وذلك مخصوص به دون غيرهم قال المفسرون ثم لما كان لتمام الموعود في الاخرة وفي الجنة كان لهم في الدنيا معاينة من نعم البعث بعد الموت من الظل الممدودة والطعام والشراب التي كانت لا تبلى عليهم ولا تتوسخ ونحو ذلك فذلك كله مما وعدنا في الجنة وكان لهم في الدنيا معاينة ومع هذا لم يجيبوا الى ما دعوا ولا يثبتوا على ما عهدوا وذلك

لعله افهامهم وتيسيرهم على اخلاق البهايم والدواب * وقوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم * قال
الشيخ فيه وجهان يحتمل انه هذا اباحة لهم لمقدار ما كانوا يحتاجون اليه دون الفضل على الحاجة بل ذلك
حرام عليهم وسماهم طيبات فان قدر الحاجة طيب وقيل طيبات اي من المباح الذي يستطيبه الطبع وما لم
يتلذذ به الطبع لا يسمى طيبا وانه كان حلالا * وقوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية * قيل ان تلك
القرية بيت المقدس كقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم امروا بدخولها لسعة عيشهم فيها وقيل
ان تلك القرية هي قرية في اخر المفاز قالت سميت السبب كانوا فيها وهذه القرية تسمى اريحا * قال الامام وليس بنا
الى معرفة اسم تلك القرية حاجة وانما الحاجة الى معرفة بيان الخلاف والعصية منهم وما يلحق بهم من العقاب
بسبب العصيان وترك الطاعة ليكون ذلك انذارا وتحذيرا للناس عن مثل ذلك * وقوله فكلوا منها حيث
شئتم رغدا اي عيشا واسعا هنيئا * وقوله تعالى وادخلوا الباب سجدا * يحتمل ان يكون المراد من الباب
الباب وهو باب القرية التي امروا بالدخول فيها ويحتمل ان يكون المراد من الباب القرية بعينها كقوله تعالى اذ قلنا
ادخلوا هذه القرية ذكر القرية ولم يذكر الباب والقصة واحدة لان من دخل باب القرية يسمى داخلا في القرية
ويحتمل ان يكون المراد من الباب هو الامر والحال لا حقيقة الباب فقال فلان على الخير في باب كذا اي في امر كذا ولم يكن
الدخول ويراد به الكون على ما فيه من الحال يقال فلان دخل في باب كذا لا يعنون حقيقة دخول الباب ولكن
يراد به كونه في امر هو فيه فعلى هذا تقديره وادخلوا الباب سجدا اي كونوا في الحال التي انتم فيها من سعة العيش
سجدا شكرا لما انعم الله تعالى عليكم * قال الامام في قوله سجدا يحتمل ان يكون المراد حقيقة السجود كما روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل امروا بالدخول سجدا فدخلوا متزحفين فلما
اصابهم ما اصابهم بخلافهم امر الله تعالى ويحتمل ان يكون الامر بالسجود كناية عن الصلوة لان العرب تسمي
السجود صلوة فكانهم امروا بالصلوة فيها ويحتمل ان يكون هذا امرا بالخضوع لله تعالى والطاعة له والشكر
على اياديه التي اسداها اليهم من اهلاك اعدائهم الذين كانوا فيها كما قال ان فيها قوما جبارين وما فيها
من سعة العيش * وقوله تعالى وقولوا حطة * فيه وجهان احدهما ان الحطة هي قول لا اله الا الله لانها تحط كل
خطيئة كانت من الشرك وغيره وكانهم امروا بالايمان والثاني قولوا حطة اي اطلبوا المغفرة والتجاوز عما ارتكبتم من
الخطايا وقولوا حط عنا اوزارنا فكانهم امروا بالسبب الذي به تغفر الذنوب وهو الاستغفار والتوبة فذلك
ينتظم الشرك والكباير وما دونها * وقوله تعالى نغفر لكم خطاياكم * قال الشيخ ذكر الله تعالى مرة خطاياكم
ومرة خطيئاتكم ومرة قالوا ادخلوا ومرة قالوا اسكنوا ومرة قال فانزلنا على الذين ظلموا ومرة قال فارسلنا
والقصة في الكل واحدة والعبارات مختلفة ليعلم ان ليس في اختلاف الالفاظ والالسن تغيير المعنى والمراد
وان الاحكام والشرايع لم تبن على الالفاظ لكن على المعاني المودعة فيها فيكون هذا حجة لنا على الخصوم في مسائل
ثلث منها جواز الصلوة بكل لفظ يؤدي معنى القران والثانية نقل الحديث بالمعنى والثالثة جواز القياس
وتعدية الاحكام من ظواهر النصوص الى غير المنصوص باعتبار المعاني * وقوله تعالى وسنزيد المحسنين * يحتمل
المحسنين من المسلمين الذين كانوا اسلموا قبل ذلك ويحتمل الذين اسلموا بعد قوله وقولوا حطة وكانوا كفارا قبل
ذلك الوقت والمراد من قوله سنزيد يحتمل زيادة التوفيق والاحسان في المستقبل لقوله فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ويحتمل زيادة الثواب على ذلك كقوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم * قوله فبدل يحتمل الحنطة ظلم بعضا دون بعض ... والخلاف ...
الله تعالى به ويحتمل توهم على غير القول الذي قيل لهم قال الشيخ ولم يبين الله تعالى ماذا الذي قالوا ...
الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما لحقهم بسببه لما تركوا الامر واظهروا الخلاف فيه ليكون ذلك
حاملا لنا على الحذر من المخالفة خوفا من ان يلحقنا ما لحقهم وبين الله تعالى ذلك بقوله فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السماء * قيل الرجز هو العذاب المنزل من السماء * وقوله تعالى بما كانوا يفسقون قد ذكر في موضع
اخر بما كانوا يظلمون وهما واحد قال الامام وفي ذكر هذه الانباء التي وصفها دلالة رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم ما سبق بيانه وتسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصبر له على ظهور الخلاف من قومه
والتكذيب له فيما يخبر عن الله تعالى اي ان هذا ليس باول خلاف كان للرسول من قومه بل ذلك في الامم السالفة لانبيائهم
فصبروا عليه حتى نجاهم الله تعالى منهم فاصبر انت كما صبر اولئك كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
ولا تستعجل لهم الاية * وقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه * يعني لما طلب موسى عليه السلام الماء لقومه عند
حاجتهم اليه * وقوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر * اوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قال الامام
ان الله تعالى ذكر اكرام من نصب موسى صلى الله عليه وسلم ايات عجيبة من نحو الثعبان الذي كان يلقف ما يافكون

ومن ضربه البحر بها حتى انفلق ومن ضربه بها الحجارة حتى انفجرت منها العيون وغيرها من الايات مما يطول ذكرها
فجعلها حجة وعلما من اياته رسالته ونبوته وفيما ادى منها من عجيب الايات دلالة حدث العالم وانشائه لا من شيء
لانه تعالى قد اخرج بلطفه وقدرته من حجر يصغر في نفسه بحيث يحمل ذلك الحجر من مكان الى مكان من الماء ما يكفي
الخلق لا يحصى عددهم ويخرج منه انهارا لكل فريق نهرا على حدة ولا يحتمل ذلك الماء بكليته فيه لصغره ولا كان ينبع من
اسفله انه هو من المحال على هذه الصورة فاذا كان هذا كما ذكرنا ظهر ان الله تعالى كان ينشئ ذلك الماء فيه ويحدث
لا من شيء اذ ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من اصله ولا من شكله لانه تولد من عنصره واصله فاذا كان الله تعالى
قادرا على هذا كان قادرا على انشاء العالم لا من شيء سبق ولا اصل تقدم وكذلك ما اراهم من خروج الثعبان
والحية من العصا لم يكن من اصلها ولا ادى لتمامها بل انشاء ذلك وابدع بلطف قدرته وبديع حكمته فيتلاه
امر جميع العالم والله الموفق * وقوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا * قيل كانوا اثني عشر سبطا من اولاد
يعقوب عليه السلام لقوله اثني عشر نقيبا وجعل لكل سبط نهرا على حدة فانضم كل منهم الى ابيهم الذي كانوا منه
ولم ينضموا الى اعمامهم وبني اعمامهم * وقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم * اي موردهم قال الشيخ وفيه دلالة التوجب
قطع التنازع ورفع الاختلاف من بين الناس حيث بين الله لكل فريق منهم موردا على حدة حتى لا يقع الاختلاف
والتنازع بينهم اذ لو كانوا مشتركا كالحيف ويوقع التنازع بينهم وذلك سبب الفساد وفيه دلالة وجوب
صلة الارحام وحرمة القطع فان الاختلاف بين ذوي الارحام والاقرباء سبب القطيعة فصانهم عن ذلك
ببيان مورد كل واحد على حدة والله اعلم * وقوله تعالى كلوا واشربوا من رزق الله * اي كلوا من المن والسلوى واشربوا
من الماء الذي اخرج لكم من الحجر وكلاهما رزق الله تعالى ساقه اليهم من غير تكلف ولا مشقة * وقوله تعالى ولا تعثوا
في الارض مفسدين * قيل لا تسعوا في الارض بالفساد وقيل لا تعثوا اي لا تفسدوا لان العثو هو الفساد كانه
مقلوب عن العيث وهو الفساد كانه قال لا تفسدوا في الارض فتكونوا مفسدين * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن
نصبر على طعام واحد * فان قيل فيه اشكال فان الله تعالى اخبر انه انزل عليهم المن والسلوى ثم سموا ذلك طعاما
واحدا قيل فيه وجوه احدها اول ما انزل عليهم المن فعند ذلك قالوا لن نصبر على طعام واحد فانزل السلوى
وقيل كانوا يتخذون من المن حلوا ويأكلونه مع السلوى يكون جمع بين الخبز واللحم فيأكلها جملة فعد ذلك طعاما واحدا
فملوا مثله فقالوا لن نصبر على طعام واحد ويحتمل ان يكون طعامهم في اليوم مرة واحدة فطلبوا الاطعمة مرارا
مختلفة * وقوله تعالى فادع لنا ربك * قال الشيخ انما اضافوا الرب تعالى الى موسى عليه السلام دون انفسهم لان امثاله
خصوصية الاشياء الى الله تعالى نحو قوله ناقة الله ورسول الله واضافة الله الى شيء خاص نحو قوله رب موسى وهرون
يكون تعظيما لذلك الشيء المخصوص بالاضافة واما اضافة كلية الاشياء الى الله تعالى واضافته الى الكل فانها تخرج
مخرج تعظيم الرب وجلاله كقوله له رب كل شيء وهو خالق كل شيء وقوله رب السموات والارض وقوله رب العالمين
فكانت الاضافة منهم ههنا التعدي كانفسهم تعظيم موسى عليه السلام * وقوله يخرج لنا مما تنبت الارض من
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها * اي ينبت لنا وقد اختلف في الفوم قيل هو الثوم وكذا في قراءة ابن مسعود
وثومها وقيل الفوم هو البر * وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير * فيه وجوه قيل ادنى في القيمة
وقيل ادنى في الخطر والرغبة وقيل ادنى في المنافع لان المن والسلوى يغني عن الخبز واللحم والحلو وما طلبوا لا يغني
عن الحلو وقيل ... لانه يصل اليهم بالمؤنة والمشقة وهي الزراعة وذلك المن يحصل لهم بلا مؤنة ولا مشقة
فيكون خيرا مما طلبوه قال الشيخ وهذه الاقوال قريب بعضها من بعض * وقوله تعالى اهبطوا مصرا * قيل
المراد هو المصر المعروف خاطبهم كانوا ساكنيها واعتادوا كل ما فيها فامروا بالهبوط اليها ليصلوا الى غرضهم
وقيل المراد مصر من الامصار دون البلد الذي يسمى مصر علما له لان ما طلبوه لا يوجد الا في الامصار وقال
لانه لو اريد به مصر المعروف لما ادخل فيه التنوين لانه غير منصرف قال الله تعالى اليس لي ملك مصر وهذا لانه
اجتمع فيها شيئان العلمية والتعريف والتانيث فانه اسم البلدة والكورة وهي مونثة ووجه الفريق الاول في دفع
هذه الشبهة ان هذا الاصل مسلم فيما اذا كان التانيث حقيقيا فاذا اجتمع مع التعريف تخرجه عن الصرف و
التانيث ههنا ليس بحقيقي لما كان ... وانها تدخل في بعض اسماء الاماكن دون بعض فانها تدخل في الموضع
والمكان والبلد ونحوها ولهذا قيل هنا يخير المتكلم بين الصرف على تقدير اضمار الموضع وبين ان يخرجه من الصرف
على تقدير اضمار البلد الا ترى الى قول امرئ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول
فحومل جعل حومل منصرفا لاعتبار الموضع وذكر طرفة في شعره ولم يجعله منصرفا حيث لم يظهر فيه التنوين لاضمار
البلدة فقال ... تعرف العنق فيهما كسا ... شاة بحومل مفرد وكذلك فيما نحن فيه ذكر الله تعالى من منع
وصرفه كما في هذه الاية ولم يصرفه في موضع كما في قوله حكاية عن فرعون اليس لي ملك مصر لما قلنا والله اعلم

وقوله تعالى فان لكم ما سألتم ● يعني من الاطعمة المختلفة وقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة ● فيه وجوه
قيل الذلة تحمل المؤن والشدائد في اكتساب ما سألوا من الاطعمة المختلفة من نحو الحراثة والزراعة والحصاد ونحوها
وقيل ذلة الجزية والصغار لعصيانهم ربهم وقيل ذلة الكسب والعمل لان الاول كان يأتيهم بغير كسب واما
المسكنة فهي عبارة عن زي الفقير والمحتاج وقيل المسكنة قطع رجائهم عن الاخرة لمعصيتهم وقوله تعالى وباؤا
بغضب من الله ● فيه وجوه قيل باؤا اي رجعوا يقول العرب للقادم من سفر التجارة باء بالربح اوبا بالخسران اي رجع
وقيل استوجبوا وقيل اقروا وكله قريب بعضه من بعض واما الغضب فقيل هو اللعن وقيل العذاب كما وانه واحد
وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ● قد سبق فيما تقدم ان الايات هي التي اعطاها الرسل عليهم
السلام واجراها على ايديهم او ما اقامها الله تعالى في العالم من الصنائع المتقنة على الوحدانية والحكمة وسائر
صفات الكمال وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق ● قيل هذا في عصر قوم موسى عليه السلام لانه لم يكن في زمنه
نبي سوى هارون وهم لم يقتلوه الا ان يقال كان ذلك من اولادهم بعد موسى من بني اسرائيل فان قتل الانبياء في بني اسرائيل
كان ظاهرا حتى قيل قتل في يوم كذا كذا نبيا فينسب اليهم لان الكل من بني اسرائيل ومن اولاد يعقوب عليه السلام
قالت الملحدة انكم تقولون ان الله تعالى اخبر ان الكفار قتلوا النبيين عليهم السلام وقد قال في موضع انا لننصر رسلنا وقال
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ومن كان الله تعالى ناصره فهو المنصور غالب لا يقتل على ايدي الكفار
وهذا تناقض قال الامام ذكر الحكمة الجواب عن هذا من طريقين احدهما انه لم يثبت في الكتاب ولا في المتواتر من السنة
قتل رسول من الرسل عليهم السلام وانما ثبت قتل الانبياء عليهم السلام فلا يثبت المناقضة وانما عصم الرسل
عليهم السلام عن القتل دون الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا الايات المعجزات الناقضات للعادات لاظهار دين الحق ودعوة
الخلق اليه فكان عصمتهم من القتل من اياتهم الحسية الدالة على صدق دعواهم الرسالة بحيث لا يمكن العدة
القاصدة قتلهم مع اقامة اسبابه من كل وجه وكان ثبوت ولايه القتل للكفرة عليهم مما يوهن قول المستجيبين الى
دعوتهم فاما الانبياء عليهم السلام فهم الذين لم يكن معهم الايات المعجزة لما ليس لهم ابتداء شرع ولا نسخ وانما كانوا يدعون
الخلق الى شريعة رسول كان في زمانهم او من تقدمه بالايات التي كانت لذلك الرسول فلا يكون بهم الحاجة الى الحجج والايات
المعجزة لتحصل عصمتهم من القتل اية صدق دعواهم النبوة او يجعل قتلهم حرجا في دعواهم النبوة فانما يدعون الى ما هو
ثابت بحجة قائمة للحال التي كانت للرسل عليهم السلام فهو الفرق بين الفصلين والوجه الثاني ان المراد من قوله
انا لننصر رسلنا ونحو ذلك من الايات هو النصر والغلبة من حيث وضوح الادلة وقيام الحجج دون النصرة بالمنعة
عن القتل ومضار الدنيا فان ذلك نظير المحنة والمحنة دائمة في حق جميع المكلفين وحجتهم اشد وايات
الرسل عليهم السلام عالية وحججهم قاهرة وحجج الكفار داحضة مغلوبة فلا يظهر التناقض وعلى هذا قلنا في قوله
تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض الاية ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء الاية ان المراد هو
نصر الحجة دون نصر الروم على الفرس بالقهر والغلبة والاستيلاء وبيان ذلك ان الفرس غلبت الروم في زمن النبي
عليه السلام فسر المشركون بذلك لان الاسم منهما ان الفرس وهم المجوس عبدة النار لما غلبوا على الروم وهم من اهل الكتاب
ونحن عبدة الاوثان واصحاب محمد يدعون انهم من اهل الكتاب فنغلب عليهم فاخبر الله تعالى بقوله الم غلبت الروم
في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فبعض اهل التأويل
قالوا ان المراد من النصر هو نصر الله اياهم حتى غلبوا على الفرس لكنا قلنا ان الاوجه ان يكون المراد هو نصرة رسول الله
صلى الله عليه السلام من حيث غلبة حجته وظهور صدق قوله فيكون معجزة له على الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
كذبه الكفار في ذلك وطعنوا عليه فخاطر ابو بكر رضي الله عنه حتى قال له عليه السلام زد في الخطر وابعد في الاجل ففي صدق
اخباره عليه السلام عن امر وغيب عن البشر وهو غلبة الروم على الفرس من الايات والحجج له على ثبوت رسالته فلما تحقق
غلبة الروم على الفرس فرح المؤمنون بذلك النصرة للنبي عليه السلام بما ظهر من صدق دعواه وثبوت معجزته وصار
الكفار مغلوبين فيما طعنوا عليه من جهل فكذلك المراد من النصرة في حق الرسل عليهم هذا قال الشيخ الامام يحيى
لا نقطع عن ولكن نقول ذلك اذ الكل في حد الجواز والامكان ان يثبت قتل الرسل كقتل الانبياء عليهم السلام كان ذلك
بطريق المحنة وكان نصرهم وغلبتهم من حيث الايات والحجج فينتفي التناقض وان لم يثبت قتل الرسل عليهم السلام
فجائز ان يكون عصمتهم من جملة اياتهم لان الانبياء هم الذين لم يؤتوا المعجزات فلم يعصموا عن القتل وجائز ان يكون للانبياء
عليهم السلام ايات على صدق النبوة وانما كانوا يدعون الى شريعة من قبلهم من الرسل لغرض الخلق تثبيتهم عليها بحججهم
عن الفتنة ولتعظيمهم بتعظيم الانبياء اذ درجتهم فوق درجتهم ويتصلوا بانفسهم انهم انبياء الله تعالى لهذا
كان حفظ الكتب السماوية بلا تبديل المعجزة في حق بعض الانبياء وهو عزير عليه السلام حتى سماه اليهود ابن الله لخروج
ذلك على طوق البشر لكنهما الكل بايات الرسل كبرها بلغ فيجوز ان يكون العصمة عن القتل من ايات الرسل دون الانبياء

الانبياء والله اعلم بالحق من ذلك ويعتصم من بسط الشك في ذلك بالاجتهاد والتدبر على طريق القطع والثبات
لكن الله تعالى قد اقام حجته لكل على قدر الكفاية والتمام وان كنا لا نقطع القول في كيفيته ذلك ان لكل اية ومعجزة
بطريق الاصالة ام لا والله الموفق وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● قال الامام تعلقت اليهود
والنصارى والصابئة بهذه الاية وقالوا انا امنا بالله وباليوم الاخر وعملنا اعمالا صالحا فليس علينا خوف ولا حزن
بموجب هذه الاية لانه نفيها بيان انواع الفرق من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين ثم قال من وجد في هذه
الفرق الايمان بالله واليوم الاخر والعمل الصالح انتفى عنه الخوف والحزن وادعت التناقض علينا وقالوا انكم
ادعيتم كتابنا ان اليهود والنصارى من اهل النار اذا ماتوا على الكفر وفي كتابكم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبمثل
هذه الشبهة تعلقت الملحدة علينا في دعوى التناقض قال الامام وجوابا اهل القبلة عن هذا من وجوه احدها ان الله
تعالى ذكر الموصوف في سر الايمان في آخر هذه السورة وهو قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله اخبر الله تعالى ان المؤمن من وجد له الايمان بهذه
الاشياء وان كل مؤمن امن بهذه الاشياء ، وقوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من
امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا لا تناقض ما قلنا بل تقرر لان الايمان بالله تعالى هو تصديقه بجميع ما اخبر
وبما اخبر ان المؤمن من امن بهذه الاشياء وان رسله حق وكتبه حق وملائكته حق وان لا نفرق بين احد
من الرسل فالم يوجد ذلك في حق اليهود والنصارى لانهم قد فرقوا بين الرسل لقولهم نؤمن ببعض ونكفر
ببعض وفرقوا ايضا بين الكتب حيث امنوا بالبعض فلا يكون منهم الايمان بالله تعالى على التحقيق وان وجد من حيث
الصورة ومن وجد منه الايمان والتصديق بهذه الاركان التي قلنا واتى بالاعمال الصالحة انتفى عنه الخوف والحزن
واستوجب الاجر في الاخرة فلم يكن تناقضا لا تناقض في كتاب الله تعالى فيبطل طعن اليهود والملحدة والاصل في
هذه الشبهة وامثالها ما لو تمسك الملحدة ان نادقة من الاختلاف في خصوص الكتاب نعم ان الله تعالى علام الغيوب
وانه الى العلم والحكمة متعالى عن وجه المناقضة في شيء من قوله وحججه فلا يدعى فرقة من فرق الضلال شبهة
مناقضة في شيء من كتاب الله الا وقد اودع تعالى حججا بها في كتابه اما تصريحا وكناية يظهرها بالتامل والتدبر فيه ولا اعتقاد
وقد كلف عباده الى التدبر كتابه لذلك حيث قال تعالى افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا الاية
ثم هذا النص وهو قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا الاية يتضمن ايمان الجملة وقد اودع تفسير ايمان الجملة
وتفصيلها في مواضع من كتابه منها ما فصل ايمان الجملة في آخر السورة على ما سبق ذكره ومنها ما ذكر بعد ايات من
هذه الاية بحيث بين واضح فقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وهذا
تعليم الايمان من الله تعالى للخلق وهو الايمان بما ذكر من الجملة ثم قال تعالى للمؤمنين فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
اي ان امن اليهود والنصارى بمثل ما امن به المسلمون فقد اهتدوا والا فهم في الضلال ثم قال تعالى وان تولوا اي
اعرضوا عن مثل ايمانكم فانما هم في شقاق والشقاق الخلاف والعداوة قال المفسرون والوجه الثاني لم يوجد
من النصارى واليهود والصابئين الايمان بالله تعالى على الحقيقة فانهم لا يؤمنون به حقيقة ولا يعرفونه على
الحقيقة لان الايمان بالله لا يتحقق بدون ان نعرف الله تعالى واحدا لا شريك له موصوفا بجميع صفات الكمال
من الحياة والقدرة والعلم والحكمة والصدق فيما اخبر وغير ذلك ومن لم يعترف بجميع رسله ونسبه تعالى
الى السفه والعجز والكذب فهذا لا يوصف بصفات الحكمة والقدرة والصدق لان الذي يكون موصوفا بصفات
الكمال المنزه عن سمات النقص لا يكون الها فلا يكون لهذا ايمانا بالله تعالى على التحقيق وبيانه ان اثبات المعجز
الناقض للعادة متى ظهر على يدي مدعي الرسالة فانما يظهر باجراء الله تعالى على يديه اذ هو خارج عن طوق البشر
فيتنزل ذلك منزلة التصديق من الله تعالى اياه في دعواه الرسالة ولم يثبت به رسالته وجاز ظهوره على
يدي الكاذب لكان الله تعالى اقام دليل صدق الكاذب وترويج كذبه وتصوير الباطل بصورة الحق وانه سفه
تضاد الحكمة وعجز وقيل بتعجيز الله تعالى عن اقامة الدليل على صدق رسالة رسله لان ما هو دليل اقام لتصديق
الرسل على رسالته والا جاز على زعمهم لاد اقام مثله على يدي الكاذب وهذا بيان وكشف لرد اليهود والنصارى
لما اقام الله تعالى من الايات لاثبات رسالة محمد صلوات الله عليه وسلامه وايضاح ايضا الرد اليهود لما اقام
الله تعالى من الايات لرسالة عيسى ومحمد صلوات الله عليهما تعني قضية انكارهم رسالة واحد منهما ابطال المعجزة
يبطل اثبات جميع الرسل اذ شهادة المعجزة في حق الكل واحد لان الله تعالى لما اقام من الدلائل المعجزة شاهدا على
صدق دعواه الرسالة كما قال الله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فكان القائل بتكذيب الرسول في دعواه

عند وجود المعجزة مكذبا بالله تعالى في شهادته على صدق دعوى الرسالة فصح ما ذكرنا واندفع ما ذكر الخصم من الشبهة والطعن والله الموفق قال الناصري ايده الله تعالى وقد ذكر الشيخ هنالك في التاويل وجوها آخر اقتصرنا منها على ما ذكرنا لكفايته في حصول المقصود بها قال الامام وتعلقت المعتزلة بهذه الاية على ان صاحب الكبيرة ليس بمؤمن قال صاحب الكبيرة عليه خوف وحزن بلا خلاف والله تعالى اخبر انه لا خوف ولا حزن والجواب عن هذا من وجوه احدها انه ما نفى الخوف والحزن عمن امن مطلقا بل علق ذلك بالايمان والعمل الصالح وارتكاب الكبيرة ليس بعمل صالح فلا يدخل المؤمن المطلق الذي هو صاحب الكبيرة تحت الاية والثاني ان هذا مما لا يمكن العمل بعمومه المعنى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لانه نفي جميع انواع الخوف والحزن ولا شك ان جميع انواع الخوف والحزن لا يرتفع بالايمان المطلق لان كل مؤمن خوف التعب وحزنه حتى الرسل قال الله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا السدة فزعهم من هول ذلك اليوم واذا لم يمكن العمل بعمومه ينصرف الى شيء خاص وهو فزع الخلود في النار وذلك يندفع بمطلق الايمان والثالث انه لم ينف عنهم الخوف والحزن في كل الاوقات حتى كان لهم خوف فزع القيامة فكان المراد منه الخصوص وهو انتفاء الخوف والحزن في الجنة كما قال تعالى عن اهل الجنة والحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فلا تعلق لهم بهذه الاية ثم الحزن يكون على الماضي والخوف على المستقبل وهذا فرق بينهما واما الصابئون قال بعضهم هم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور وقيل هم قوم يعبدون الكواكب وقيل هم قوم بين المجوس والنصارى وقال مجاهد هم قوم بين اليهود والمجوس وقيل هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة ويقولون بالاثنين ولا كتاب لهم وقيل ان الصابئة تفرقت هذه الفرق وكل الفرق صابئة قال الشيخ ابو منصور وهذا اقرب لا علم لنا بحقيقتهم بل لا نقطع القول فيه وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور تقدم القول بان ميثاق الله تعالى وعهده نوعان احدهما عهد رسالة ونبوة ومعناه واخذنا ميثاقهم في التوراة ان يعملوا بما فيها فينتفعوا ذلك لما دار فيها من الحدود والاحكام والشرائع فنكروا ذلك فرفع الله تعالى الجبل كانه ظلة فقبلوا ذلك وقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة قيل خذوا التوراة بالجد والمواظبة عليه وقيل بقوة اي بالطاعة لله والخضوع قال الشيخ الامام المراد من القوة حقيقة القوة اي خذوا التوراة بقوة الاخذ ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الاية على ان القدرة قبل الفعل لانه تعالى امرهم بالاخذ بقوة الاخذ فلو كانت القدرة توجد عند الفعل لا وقت الامر لكان يامرهم بذلك لانهم يقولون لا قوة لنا بذلك قال الامام هذا فاسد لانه لو اعطاهم القوة قبل وقت الفعل ثم قبل وقت الامر لم يذهب عنهم القوة لوقت الفعل لانه من مذهبه ان القوة لا تبقى وقتين فيكون تكليفا بالفعل بلا قوة وقت الفعل وهذا تكليف ما ليس في وسع المكلف ثم قوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة دليل لنا من وجهين احدهما ان قوة الاخذ غير قوة الترك فان قوة الاخذ التوفيق وقوة الترك الخذلان والثاني قال خذوا ما آتيناكم بقوة ذكر الاخذ بقوة فاذا لم يكن وقت الفعل لم يكن وجود الفعل بها اذ لا تبقى القوة زمانين وقوله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون قيل اذكروا اي احفظوا ما فيه من امره ونهيه ولا تضيعوه لعلكم تتقون المعاصي والمآثم ويحتمل اذكروا ما فيه من التوحيد لعلكم تتقون الشرك والكفر ويحتمل اذكروا ما فيه من الوعد والعقاب والوعد والوعيد وهذا كله قريب من حيث المعنى وقوله تعالى ثم توليتم من بعد ذلك يعني من بعد العهد دل هذا على انهم قبلوا ذلك العهد من قبل ان يأتيهم موسى بها فلما آتاهم ورأوا ما فيها من الشدائد بعد الميثاق ابوا قبولها فتركوا العمل بما فيها من الاحكام والشرائع مخوفا برفع الجبل وحين تمم نقضا لم يرد ذلك وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين قال بعضهم يحتمل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقيل فضل الله عليكم محمد صلى الله عليه وسلم بعثه اليكم رسولا ليجمعكم ويؤلف بينكم ويدعوكم الى دين الله الحق بعدما كنتم على الباطل في فترة من الرسل وانقطاع من الوحي وقيل فضل الله عليكم حيث اعطاكم التوراة ووفقكم لقبولها والا لكنتم من الخاسرين وبعضه قريب من بعض وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين قال الامام فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ولقد علمتم ان محمدا لم يكن يعلم الذين اعتدوا منكم في السبت ولا كان يعلم ما فعل بهم لانه لم يكن قرأ كتابكم ولا كان يختلف الى احد ممن يعرف ذلك ثم علم ذلك ولم يكن ذلك مما يعلم بالعقل والحس فدل انه انما علم ممن يعلم الغيوب وهو الله تعالى وقد دل ذلك على انه رسول الله اليكم وجعل ذلك دليلا له على صدق دعواه الرسالة ويحتمل ان لما علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت بالاصطياد وانتم تدعون انكم احباؤه ولو كان ذلك لم يجعلهم قردة وهي اقبح الخلق اذ مثل ذلك لا يفعل بالاحباء فيكون ردا لدعواهم انهم ابناء الله واحباؤه

ويحتمل انه ذكر على سبيل التحذير لهؤلاء المخاطبين لئلا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يعصوه فيصيبهم العذاب كما اصاب اولئك بتكذيبهم موسى وعصيانهم امره قال ثم تأويل اعتدائهم في السبت قيل انهم احتالوا في الصيد في يوم السبت عدوانا لانهم نهوا عن الاصطياد فيه ولم يكونوا يأخذونها بايديهم فيه لكنهم اتخذوا حظيرة يدخل فيها السمك يوم السبت فيحبسونها في الحظيرة ثم يأخذونها في يوم الاحد ومنهم من قال من حيث المعنى اصطياد في يوم السبت وقيل اعتداؤهم في السبت هو انهم استحلوا الاصطياد في يوم السبت وهؤلاء كانوا في زمن داود من اولاد قوم موسى عليه السلام متوطنين في قرية يقال لها ايلة على ساحل بين المدينة والشام فنشأ فيهم طوائف من اهل المدينة الذين كانوا في يوم السبت فنهاهم عن ذلك وخوفوهم بالعذاب فقالوا ان السبت كان محرما على آبائنا في زمن موسى عليه السلام والآن احل لنا وقد علمنا هذا العمل سنين وما زادنا الله تعالى به الا خيرا فردوا عليهم ولم يقبلوا من اعظتهم فذلك قوله لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ثم اختلف في كيفية كونهم قردة قال بعضهم صاروا قردة على ذهاب الانسانية منهم وقال بعضهم حول جوهرهم الى جوهر القردة مع بقاء الانسانية فيهم من الفهم والعقل لانه قيل ان الذين كانوا ينهونهم عن الاصطياد دخلوا عليهم في ذلك اليوم فقالوا الم ننهكم عن هذا فحركوا رؤوسهم اي نعم ودموعهم تفيض على خدودهم فلو كان التحويل على ذهاب جميع الانسانية منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا حزنوا على ما اصابهم لان من لا عقل له لا يعرف الحزن ولان كل ذي جوهر يأمن بجوهره الذي خلقه الله تعالى ويسر به لا انه يحوله الى جوهر القردة عليهم لشدة ذهبهم في التكذيب وجرأتهم على الله تعالى وانتهاكهم نعمه واستحلالهم حرام الله تعالى فابقى الله تعالى فيهم بعض الانسانية بقدر ما يعرفون به وجه العقوبة بتحويل الصورة الانسانية صورة القردة ويرون انفسهم اقبح خلق الله تعالى واوحشها ليتالموا بها لو وجه التغيير قال الامام ثم الاية تنقض على المعتزلة قولهم انه ليس في خلق الله تعالى من الاجسام قبيح وانما القبيح بعض الافعال وهو الكفر والمعاصي فلا يجوز نسبتها الى الله تعالى ففرقوا بين الاجسام والافعال فلو لم يكن شيء من خلق الله قبيحا ولم تكن القردة من الاجسام القبيحة على زعمهم ولم يكن تحويل صورهم من الانسانية الى الصورة القردة معنى وقد عقل ان تغيير صورهم بطريق العقوبة عليهم جزاء استحلالهم وارتكاب المنهي وتكذيبهم امرهم بالامتناع عن ذلك ولو لم يكن في الاجسام صورة قبيحة لم يتحقق معنى العقوبة والله الموفق وقوله خاسئين قيل الخاسئ الصاغر وقيل الذليل وقيل البعيد وكله يرجع الى معنى واحد وقوله تعالى لما بين يديها وما خلفها قيل الهاء راجعة الى القرية التي كانوا فيها تقدير الاية فجعلنا اهل هذه القرية نكالا لتكون نكالا زاجرا لما بين يدي هذه القرية من القرى وما خلفها من القرى حتى لا تقدم على مثل هذه الجناية وموعظة للمتقين اي لامة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون هذا سببا لانزجارهم والاتعاظ بواسطة الاعتبار وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قيل قتل قتيل في موضع والقي على باب غير القاتل فتنازعوا فيه فسألوا فامر الله تعالى نبيه موسى ان يقول لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وتضربوا ببعضها ذلك الميت فيحيا ويقول من قتله فلما اخبر بذلك قالوا له اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قال بعضهم انهم كفروا بهذا القول لانهم سموه هازئا ومن قال ان موسى رسول الله هازئ يكفر بذلك القول وكذا قولهم بعد تكرر الاخبار الآن جئت بالحق دل ان ما جاء به في الابتداء ليس بحق عندهم بل هو هزو وسخرية في زعمهم قال الامام انهم كانوا معتقدين التوحيد مصدقين برسالة موسى عليه فيحمل كلامهم على وجه لا يفضي الى الكفر ما امكن وهو الواجب في كلام كل مسلم وقد امكن ذلك من وجهين احدهما اتخاذ الهزو بطريق المجازاة كانهم قالوا اتتخذنا هزوا مجازاة لما سبق منا من العصيان والخلاف لك فاعتقدوا واشكل عليهم هذا لو موسى عليه السلام وهذا لا يوجب الكفر فان المخادعة والاستهزاء على المجازاة جائز من الله تعالى عند بعضهم اذا تعلق به عاقبة حميدة وهو الانزجار عن الافعال القبيحة والثاني ان كان مرادهم الاستهزاء لا على المجازاة لا يوجب الكفر لانهم لم اتتخذنا هزوا في هذا استفهام منهم واستفهام انما امر الله تعالى بذبح البقرة وضرب لحمها على القتيل ليحيا ام يكون ذلك حقيقة واشتبه ذلك عليهم لانه كان في اعتقادهم ان لله تعالى القدرة الكاملة لما انه ورد الامر بذبح بقرة مطلقة وقد ثبت عندهم ان الآية تكون ناقضة للعادة بان يكون في نفسها عجيبة نحو خروج ناقة صالح من الحجر بلا ام يتولد منها فسالوا ازالة الاشتباه من غير ان اعتقدوا جواز الاستهزاء من الله تعالى ومن رسوله والجهل بمثل هذا لا يكون كفرا اذا وجد الايمان بالجملة وكان ايمانه صحيحا ما لم ينتقض بعد التفصيل فاذا اخطر بباله من التفاصيل ما ينقض الجملة فان اعتقد ذلك ويقر عليه قلبه بطل ايمانه سواء كان ذلك مما يعرف بمجرد العقل او مما لا يعرف الا بالسمع وان اشكل عليه توقف فيه وسأل اهل العلم بلا فان كان مما يعرف بمجرد العقل اذا شك فيه يبطل ايمانه وان كان يحتاج فيه الى السمع فان التوقف فيه لا يوجب الكفر

لانه لم يكذب به رسولا يخبر به وقد امن بالجملة اذ انتهى فنفعلا نحو ان الاستهزاء من الله تعالى والامر به للعباد ليس
من مقتضيات العقل وموجباته بل من الممكنات الا ترى ان بعض العقلاء وهو حسين النجار جوز ذلك من الله تعالى
ابتداء وبعضهم جوزوا بطريق المجازاة فكان التوقف فيه والجهل به لا يكون كفرا فاخبر موسى عليه السلام ان الهزء
لا يجوز من الله تعالى ولا من رسوله ولا الامر به كما اخبر تعالى عنه قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فعرفوا باخباره
ان ذلك لا يجوز وعرفوا ان ذلك الامر بطريق الاية من الله تعالى ليظهر القاتل باخبار القتيل بعد الاحياء دفعا
للمنازعة الواقعة بينهم كما نصه هو ان كل بقرة لا تصلح ان تكون اية فاشتغلوا بالسؤال عن ماهيتها بقولهم
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال ثم استدل من قال العموم الخطاب بوقت الى ان فعلوا انه يجب اعتقاد العموم فيه
ولا يجوز تاخير البيان عنه ولو تاخر يكون نسخا بهذه الاية فان الله تعالى امرهم بذبح بقرة مطلقة لم يبين
لهم ماهيتها ولا كيفيتها وقت الخطاب بل بعد البحث والخطاب عنها وقد وجب عليهم بذلك وقت ورع الحقا
سيحهم على ما روى في الخبر لو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزتهم لكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم قال الامام
وقلنا نحن هذا العموم الذي يمكن العمل بظاهره انه يجب العمل به ولا يعتقد فيه لا العموم ولا الخصوص لقيام
الاحتمال والمحتمل يجوز العمل به اذ لا حرج لكن لا يعتقد فيه باحد الوجهين على اليقين تحرزا عن الكذب على الله تعالى
ولان هذا يؤدي الى ان العموم مراد بظاهر الصيغة ثم صار المقيد بالوصف مرادا من حيث ان تعلق بالاول عرضت
لضيق الزمان عن الاعتقاد والتمكن من العمل كان بداء من الله تعالى ورجوعا عن الامر الاول وهو فعل من
يجهل العواقب وان جاز عندنا التراخي ان يكون نسخا ولا يكون بيانا وجاز ان يكون بيانا فدل انه لا يجوز
الاعتقاد لظاهر العموم عند النزول ثم هذه الاية حجة لنا عليهم لانهم ان ظاهر الامر بالذبح مطلق عن القيد
والنسيان متاخر عنه بالاجماع وهو منصوص بقوله ادع لنا ربك يبين لنا ما هي سالوا ان البقرة التي اوجبها
عليهم ما هي ونحن نقول ان الله تعالى بيانها فلا يمكن حمل الاية على النسخ وتبين ان الامر بالذبح في الابتداء في بقرة مقيدة
وان اضيف الى المطلقة لكن ظهر ذلك القيد عند سؤالهم لا انه حدث ذلك الحكم عند السؤال ليؤدي
الى البداء والرجوع عن الامر الاول ويكون خلافا لتسمية البيان لكن الله تعالى علم انهم يسالون عن بيانها
فبين لهم عند السؤال لكون لهم فضل طلب العلم وحصول الثواب برفقهم ما علم على ما علم وكانه علم ايضا
بانهم لو لم يسالوا لما ذا يكون الواجب وهذا كما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العمر وكان معناه ان الله تعالى
في حق من علم انه يصل رحمه جعل مدة عمره اكثر مما لو علم انه لا يصل رحمه فان كان لا يمكن العبد ان لا يصل رحمه
اذا علم الله تعالى منه ذلك اذ لا تغيير لعلمه لا ان المراد من الحديث ان الله تعالى جعل اجله الى وقت معلوم من غير
صلة الرحم فاذا وصل رحمه زاد على ذلك على ما يقوله المعتزلة ان الله تعالى يجعل لكل احد اجلين فاذا وصل
رحمه اماته في ابعد الاجلين واذا لم يوصل رحمه جعل اجله الاول وهذا وصف من يجهل العواقب وكذلك
القول ان الله تعالى امر بذبح بقرة مطلقة عند سؤالهم امر بذبح بقرة معينة لا بطريق النسخ والبيان المطلق
رجوعا وبداء وهو ان الجهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك واما ما روي في الخبر فهو من الاخبار الاحاد وهو
بظاهره اثبات البداء في حكم الله تعالى وتغيير ارادته فان ظاهر هذا اللفظ لو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزتهم يقتضي
ان مراد الله تعالى المطلق وظاهر قول الراوي لكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم يقتضي حدوث
الحكم في المقيد وهذا كفر لا يقوله مسلم فضلا من ان يقوله رسول من الرسل قالوا استدل بعضهم بهذه الاية على
قبول قول الاولياء القتيل فان الله حكم بقبول قول القتيل بعد الاحياء والولي نائب عن القتيل فيجب ان يقبل قوله
وهذا فاسد من وجوه منها ان الولي بدل القتيل فكان القتيل قال ان فلانا قتلني لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح
منه انه فلان قتلني ولا في حق حرمان الارث ولا في حق وجوب الدية وكذلك قول الولي الذي ثبت عليهم قول الميت لا يقبل
قبل خروجه منه وهذا كذلك علي ان ذلك كان اية عظيمة نحو احياء الميت تلك الاية لم توجد زماننا قال ثم
وجه الحكمة في جعل البقرة اية دون سائر البهائم وجهان احدهما ما روي انه جعلا كانا بر لوالديه بعث اليهما
ان يعرة على تلك الصفة فاراد الله تعالى ان يصل اليه في الدنيا بعض جزاء ما اعد له في الاخرة بسبب بر الوالدين
فجعل ذلك اية عظيمة على ظهور القاتل وكان لا يوجد الا تلك فاشتروها بثمن غال لشدة حاجتهم اليها والثاني
انهم كانوا يعبدون العجول والعجاجيل لشدة محبتهم لها كقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ثم تابوا
وعادوا الى عبادة الله تعالى فاراد الله تعالى ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر للناس منهم حقيقة التوبة وانقلاع
في قلوبهم من حب العجول والعجاجيل وقوله قالوا انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر •
اي ولا شابة وقوله عوان بين ذلك • اي بين الشابة والكبيرة وقوله فافعلوا ما تؤمرون • ظاهر وقوله تعالى
في جواب سؤالهم عن لونها • صفراء فاقع لونها • اي شديد الصفرة مع حسنها وملاصاف لونها وذكر الامام

ذوذ

في قوله تعالى وانا ان شاء الله لمهتدون • قال ان قوم موسى مع غلظ افهامهم وقلة فقههم كانوا اعرف بالله
تعالى واكمل توحيدا من المعتزلة لان المعتزلة لا ينفعها لو قالوا انا ان شاء الله لمهتدون فانا ان شاء الله لمهتدون لان
ان شاء الله لكنا من المهتدين والمعتزلة يقولون قد شاء الله ان نهتدي وهو شاق اذ لا يشاؤوا افعالا منهم
على مشيئة الله تعالى حيث كان الامر كما شاؤوا الا كما شاء الله فنفعوذ بالله من الزيغ وقوله فكون الاية حجة لنا على المعتزلة
في المشيئة وقوله تعالى • قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث • قيل اي لم يذللها العمل ولم يعمل
عليها ولم يزرع بها ولا هي مما تسقى الحرث وقوله مسلمة لا شية فيها • اي خالية من العيوب ليس بها علامة
تخالف لونها بل يكون على لون واحد وقوله تعالى قالوا الان جئت بالحق • قد تقدم ما قيل في ان الهمزة انهم
لو لم تحق ناهزوا اصدار العقبة فلا نعيده وقوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون • قال الامام فيه وجوه قيل
ما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا لظهور القاتل باخبار القتيل بعد الاحياء وقيل ما كادوا يفعلون
لغلاء ثمنها انه يقال بلغت قيمتها ملء مسكها ذهبا والاول اقرب وقيل ما كادوا يفعلون اي استقصوا في وصف
تلك البقرة والسؤال عن احوالها في الاستقصاء في الشيء قد يكون لمدافعة الفعل ليسانه منهم قريبا من
الامتناع عن الفعل وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه
ببعضها كذلك يحيي الله الموتى • قال الشيخ اذا تاملتم اي اختلفتم وتدافعتم والذي هو الدافع لعله وهذه الآية
وان خرجت في الظاهر مخرج العموم لكن المراد بها الخاص فمن قال قتلتم بما قتله واحد منهم وكذا قوله مخرج ما
كنتم تكتمون وانما الكاتم واحد وهو الذي قتله وهذه الاية حجة على من لا يجوز ان يعتقد العموم والخصوص
بظاهر المخارج والصيغ الا عند قيام الدليل على المراد اذ الاسم المشترك لو لم اضربوه ببعضها قال تجد ما
الامر قال الشيخ ولكن هذا لا يعلم الا بخبر عن الله والخبر عن الله تعالى لا يعلم الا بالكتاب او بخبر التواتر ولم يثبت
في شيء من تلك الكيفية ذلك فيجب ان نعرف البعض مطلقا اطلق الله تعالى وقوله كذلك يحيي الموتى وهكذا يحيي
الخلق من الحجة الذين لا يشبهون ذلك فانهم كانوا لا يشبهون الاحياء بضربه بعض البقرة عليه وقوله تعالى
ويريكم اياته لعلكم تعقلون • قال الشيخ فيه وجوه يحتمل قوله ويريكم اياته اي يريكم ايات وحدانيته ويحتمل
اي يريكم ايات احياء الموتى واحياء البعث بعد الموت ويحتمل اي يريكم ايات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
اذ فيه الخبر عن الغيب ذكر القصة على وجه يعلم اهل الكتاب انه عن الله تعالى يخبر اذ علموا انه لا خط له في الكتاب
وانه لم يختلف الى من عنده علم ذلك ولم يعترض على احد فيتهم بالتعلم منه وكان يخبر عن القصة على المعتبر
بحيث لا يغير الحذاق منهم في علم الكتاب مع ما لو كان يسمعها منهم لكان يجري على مثله الزيادة والنقصان
دل انه عن الله تعالى فكان حجة واضحة على ثبوت نبوته وتحقيق رسالته صلى الله عليه وسلام وقوله تعالى ثم
قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة • الاية قال الامام ضرب الله تعالى لقلوبهم مثلا
بالحجارة وشبهها بها واخبر انها اشد قسوة وصلابة من الحجارة وذلك ان من الحجارة مع صلابتها وعدم
الادراك بالعقل ما يخشع لله تعالى ويتصدع من جلاله كما قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وان كان تقوم به حياة ونوع تمييز عند اهل الحق قلت الكافر مع كثرة اسباب
الادراك لا يخشع ولا يخضع ولا يلين فكونها اشد قسوة من الحجارة ويحتمل ايضا ان الله تعالى جعل من الحجارة
منافع للخلق مع صلابتها حتى يتفجر منه الانهار وينبع منه المياه وقلب الكافر مع احتماله الانتفاع لا منفعة
لاحد فيه لا لنفسه ولا لغيره ثم وجه ضرب المثل بالحجارة دون غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد
والصفر والنحاس ونحوها والله اعلم ان الحديد مما يلينه النار وكذلك الصفر والنحاس حتى تضرب منها الاواني
والالات ولا كذلك الحجارة ثم هذه الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون
جزع او وعيد لهم والوعيد لكل ما تلحقه ذكرهم عليه بما يعملون وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم • قيل
الخطاب وان كان عاما فالمراد منه الخاص وهو الرسول عليه السلام الى هذا ذهب اكثر المفسرين وقيل المراد
العموم فيكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانه خرج مخرج النهي عن طمع الايمان منهم كانه قال لا تطمعوا
منهم الايمان فانه يكون بصيغة النهي لقوله افانت تنقذ من في النار اي تنقذ وقوله تعالى وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون • اي يتاولونه على غير تاويله من بعد ما عقلوه انه من عند الله
وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يحرفونه فان قيل التحريف من كان منهم قبل تحريف من كان منهم في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم فمن اين يتحد مع الطمع عن ايمان الموجودين في زمنه قيل من وجهين احدهما ان
هؤلاء كانوا من اصحاب التقليد فاخبر الله تعالى انهم كانوا وان راوا الايات العجيبة فانهم لا يؤمنون لانهم صحابة
التقليد لا ينظرون الى الحجج والايات ولما كان صنيع ابائهم تحريف الكتاب بعد ما عرفوهم بصفته ما بينه ولم ينقادوا للحق

فالذين يقلدونهم بمتابعتهم والثاني اولئك مع ما عاينوا من الآيات الحسية لم يطمع في ايمانهم فكيف يطمع انه في ايمان هؤلاء وهم اتباعهم ثم الخطاب في هذا كانه قال لا تطمع يا محمد في ايمان هؤلاء لانهم من القوم الذين جرى في سابق تقديري انهم لا يؤمنون ابدا كاولئك القوم وقوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا • ذكر الشيخ انها نزلت في منافقي اهل الكتاب بحيث كانوا يقولون في حضرة المؤمنين نحن نعلم ان محمدا رسول الله على الحقيقة ونحن نجد نعته وصفته في كتابنا وقوله تعالى وإذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم قيل اتحدثونهم بما فضل الله في التوراة وقيل بما قص الله وقيل بما فتح تعالى بما بين الله وقوله ليحاجوكم به عند ربكم • يقول رؤساء اليهود للمنافقين الذين هم من جملتهم انكم تحدثون عند اصحاب محمد ان في كتابكم ان محمدا حق بعثه وصفته ثم لا تتبعونه في دينه فيحتجون عليكم باعترافكم عند ربكم يوم القيمة فان قيل ما معنى تاويل عند ربكم اي يوم القيمة والحاجة في كل حال يكون عند الرب جل ثناؤه ولكن انما كان رؤساؤهم ينهونهم عن الاقرار بما فتح الله عليهم لئلا يحتجوا بذلك عليهم فيظهر كذبهم في دعاويهم ويظهر ذلك ويلزم العار والفضيحة عليهم في القيامة اشد لانهم في الدنيا ربما ينكرون ما اقروا فلا يظهر كذبهم لا من حيث الحجة والدليل وفي القيامة يظهر كذبهم بطريق العيان وقوله تعالى افلا تعقلون • ان هذا حجة عليكم حيث تعترفون به وتظهرون نعته وصفته ثم لا تتابعونه وقوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • اي ما يسرون في الخلوة من الكفر بمحمد عليه السلام وما يعلنون لاصحابه من التصديق له ويحتمل ما يسرون من النهي لعلمائهم عن اظهار ما في التوراة وما يعلنون لاصحابه من نعته وصفته ويحتمل ما يسرون من النهي لهم عن اظهار ما في التوراة وما يعلنون للمؤمنين من اظهار نعته وصفته وقوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب اي من اليهود من لا يقرأ التوراة ولا يعرفونها الا ان يحدثهم العلماء والرؤساء عنها والامي الذي لا يقرأ عن كتاب ولا يكتب لكنه يقرأ عن حفظ وقال بعضهم الذي لا يكتب ولا يقرأ والاول اصح لان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب وقوله تعالى الا اماني • قيل احاديث باطلة تحدث لهم رؤساؤهم قال الله تعالى وقيل الا اماني اي الا كذبا وقيل الا الكتاب الا تلاوة وقوله تعالى وان هم الا يظنون • ما هم الا في ظن مما يخبرهم علماؤهم وقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا • قيل الويل الشدة من العذاب في الآخرة وقيل الويل اسم واد في جهنم وقوله يكتبون الكتاب بايديهم فيه وجهان احدهما يمحون نعته وصفته عن التوراة ويكتبون مكانه على خلاف نعته وصفته انه كذلك في الاصل والثاني يكتبون على خلاف نعته وصفته ويكتمون ما كان نعته وصفته ثم يقولون هذا من عند الله وفي هذه الآية دلالة على ثبوت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه منها اخباره عليه السلام بما قالوا حين خلا بعضهم ببعض من النهي عن اظهار ما في التوراة من نعته وصفته وذلك دليل على انه علم ذلك بالله تعالى وانما لم يؤمنوا به حسدا وبغيا ومنها اخباره بتحريف فريق منهم كلام الله تعالى بعدما عقلوه ولم يقدم احد منهم على الانكار لعلمهم بانه صاحب الوحي السماوي فخافوا من نزول النكال بهم عند ردهم عليه ومنها اخباره بكتبتهم الكتابة بايديهم افتعالا من عند انفسهم ولم يقدموا على انكار ذلك لعلمهم انه رد عليهم من جهة بمنزلة المباهلة وهم كانوا يعلمون انه من اهل بيت رسالة يصطلم بالنكال كما امتنعوا عن تمني الموت حين قيل لهم بقوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الماكل والهدايا التي كانوا يصيبونها من رؤسائهم واتباعهم وقوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون • ذكر الله تعالى الويل ثلاث مرات الويل الاول بالعذاب لكتابه على خلاف نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحوه وتغييره والثاني بقولهم هذا من عند الله والثالث بما يكسبون من الماكل والهدايا وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة • جمع اهل التفسير والكلام على ان هذه الايام ايام عبادة العجل في عهد موسى فكانوا يزعمون انهم لا يعذبون الا عدد ايام عبدوا فيها العجل يوما مكان يوم ثم يخرجون منها الى الجنة قال الامام وهذا لا معنى له لوجهين احدهما ان هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة لم يعبدوا العجل يوما مكان يوم ثم يخرجون منها الى الجنة قال الامام وهذا لا معنى له لوجهين احدهما ان هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة لم يعبدوا العجل وانما عبدها آباؤهم ولا يؤخذ احد بذنب غيره والثاني لا يحتمل الصرف الى ان الذين عبدوا العجل لانهم قد تابوا ورجعوا الى عبادة الله تعالى ولا مؤاخذة بعد التوبة والاسلام كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ثم تاويل الايام المذكورة هي الايام التي عصوا الله تعالى فيها بارتكاب الكفر والكبائر وانما قالوا ذلك لما لم يروا التعذيب الا على قدر وقت العصيان اذ الجزاء على قدر الذنب هو العدل ولهذا يكون برؤا التخليد في النار لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه نعوذ

انا لانعذب

انا لا نعذب ابدا انما نعذب بتعذيب الاب ابنه والحبيب حبيبه وذلك في زمان قليل ثم يرضى عنا ويدخلنا الجنة فكان صرف تاويل الايام الى ما قلنا اولى وانما زعم اليهود بان عقوبة الكفر مقدرة بعدد ايام الكفر وباطل بل عقوبة الكفر مؤبدة لا موقتة بوقت وكذلك ثواب الايمان مؤبد لا موقت لان الايمان والكفر من باب الاعتقاد ومن اعتقد دينا فانما يعتقد للابد لا لوقت دون وقت فعلى ذلك الجزاء ويكون مؤبدا لا موقتا حتى يكون جزاء وفاقا وعذابا محضا بخلاف ارتكاب سائر المعاصي لان المسلم انما يرتكب الذنب لشهوة تغلبه في وقت ثم يتركه لا على قصد الخلاف لله تعالى ولا على اعتقاد لذلك دينا فعلى ذلك الجزاء يكون موقتا ان عوقب عليه والا فيعفى عنه تفضلا والعفو عن الكفر قبيح عقلا ومخالف للحكمة الشرع به سمعا وبالله التوفيق وقوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده • قال فيه وجهان احدهما هل عندكم كتاب وخبر عن الله تعالى في انه لكم بانكم لا تعذبون ابدا ولكن اياما معدودة فان كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده والثاني الكم اعمال صالحة عند الله وعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده اي ليس لكم واحد من هذين وقوله تعالى ام تقولون على الله ما لا تعلمون • قال الامام رحمه الله هذا الكلام يعني الله تعالى اياهم فيما قالوا كانه قال بل تقولون على الله ما لا تعلمون الاستخبار قال بلى من كسب سيئة يعني شركا • واحاطت به خطيئته • اي مات عليها وقيل السيئة الشرك والخطيئة الكبيرة وقيل احاطت به بقلبه • فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • اي لا يموتون فيها ولا يخرجون منها وقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • وقد تقدم فيما سبق ذكر صفة الايمان الذي من اتى به يكون مؤمنا بالله على الحقيقة وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله • وقد تقدم القول بان عهد الله وميثاقه يكون على وجهين عهد خلقة وفطرة وعهد رسالة ونبوة واما العبادة فيحتمل التوحيد اي لا تصفون الالوهية الا للواحد ويحتمل نفس العبادة اي لا تعبدون غير الله تعالى وقوله تعالى وبالوالدين احسانا • اي برا بهما وعطفا عليهما وهذا كقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا فان قيل العهد والميثاق سبب الوجوب فيكون الانفاق والاحسان واجبا على الابن وعليه اجماع الامة والامر بالاحسان والبر فيما بين الخلق يخرج مخرج الندب والاستحباب اذ الاحسان من باب التبرع والافضال الا ان يحتمل ان يصير لازما واجبا لانه يخرج من ان يكون افضالا واحسانا فانه ادى ما وجب عليه لا يكون ذلك منه افضالا وتبرعا لانه اسقط الواجب فكيف يكون هذا قال الامام والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان الله تعالى لما اوجب هذا لا يكون تبرعا وافضالا والتبرع والافضال احسان لكن ليس كل احسان يكون افضالا لان الاحسان هو اتيان فعل الحسن نفسه قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين والاحسان الذي هو تبرع وافضال لا يتحقق من العبد في الحقيقة وانما استوجب ذلك باتيان الفعل الحسن وهو ما يستحسنه العقل ويوافقه فالحسن هو العقل والواجب والتبرع من جنس واحد من حيث قبول العقل له وتعلق العاقبة الحميدة بكل ان اتيان الفعل الحسن فرض وجب على كل واحد انما يرخص بالترك لعذر او لحصول ذلك بغيره والوجه الثاني ان الاحسان الى الاب والام المذكورين في هذه الآية يجوز ان يكون واجبا لحق الله تعالى عليهم فحق الله لازم ثم ذلك من الله تعالى يكون احسانا وبرا في حق الام او الصدقة تقع لله ثم للفقير على ما عرف فكذا البر في حق الحر او يكون من الله تعالى وانما يجب على الابن صرف المال الى الاب بطريق النيابة عن الله تعالى فكان هذا الفعل من حيث ازالة المال عن نفسه الى الله تعالى يكون واجبا من هذا الوجه لا يكون احسانا وافضالا بل يكون اسقاطا للواجب بمنزلة قضاء الدين فيما بين العباد ومن حيث انه صرف المال الى هؤلاء يكون احسانا وافضالا من الله تعالى وصاحب المال نائب عنه في الصرف فكان الفضل والحسن في الحقيقة هو الله تعالى فبهذا يندفع الاشكال بحمد الله تعالى وهذه الآية تدل على فرضية صلة الارحام ووجوب الانفاق عليهم حقا لله تعالى عليهم او حقا لهم وقوله وذي القربى • قال مشايخنا والجميع ذوي الارحام فيكون حجة على الشافعي في وجوب النفقة لذوي الارحام المحرم ولا ينفقها الا ان الآية محمولة على الزكاة لان اسم القربى لا ينطلق على الوالدين والمولودين ولان الله تعالى عطف الاقرباء على الوالدين بقوله وذي القربى والمعطوف غير المعطوف عليه هذا هو الاصل ولانا لا نعني الاسم مشتق من معنى القرب وهو موجود في الوالدين بطريق الكمال وفي غيرهم بطريق النقصان فكان دخول الاسم عليهم اولى على ان ذلك يجوز عطف الشيء على نفسه قال الشاعر وان رشيدا وابن مروان لم يكن • ليصدر حتى يصدر الامر مصدرا • ورشيد هو ابن مروان قلنا ان الاسم في الاصل مشتق من معنى القرب لكن غلب على عرف الاستعمال المعنى الابوين والاولاد واما عطف الشيء على نفسه فانما يجوز اذا كان فيه زيادة تعريف لم يحصل بالاول بان كان الاسم الثاني اشهر له فيقع التعريف كان القائل كانه رشيد او ابن مروان وههنا اسم الاخوين لم يعرف من اسم القرابة الا مع ان الكل ليس باصل فدل انه اريد به غير الوالدين وقوله تعالى واليتامى • يحتمل النفل من الصدقة والفرض جميعا لان الصدقة حق الله تعالى على العباد

الا ان الفرض واجب بطريق الفريضة والنفل بطريق الخصة لما قرانه لا يتحقق التبرع من العبد في حق سيده وقوله
تعالى وقولوا للناس حسنا • فيه وجوه يحتمل قولوا صدقا في بيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكتموا
صفته ونعته ولكن اظهروها ويحتمل الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله ويحتمل ان يراد به كل قول حسن على
الاحسان وقوله تعالى واقيموا الصلوة • قيل المراد به الاقرار بها انها لعبيد الله ويحتمل اقامتها في مواقيتها
بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها ويحتمل اي كونوا في حال بها تكونون اهلا لاقامة الصلوة اي كونوا على الايمان
وقوله تعالى واتوا الزكوة • يحتمل الوجوه التي ذكرناها في الصلوة وقوله تعالى ثم توليتم الا قليلا منكم
وانتم معرضون • الاية ظاهرة المراد وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم • قد مر تاويله في غير موضع وقوله تعالى
لا تسفكون دماءكم • فيه وجهان يحتمل لا تسفكون دماء غيركم فتسفك بسببه تلك دماءكم قصاصا
فتصيرون كانكم سفكتم دماءكم والثاني لا يسفك بعضكم دماء بعض قال ثم نسب نقض الميثاق الى هؤلاء اليهود
الموجودين في عهد النبي عليه السلام لوجهين احدهما ان هؤلاء لما كانوا راضين بصنيع ابائهم صاروا كانهم
في استحقاق الذم والملامة والثاني بسبب ذلك اليهم لتقليدهم اباهم وقوله تعالى ولا تخرجون انفسكم
من دياركم • فيه وجهان اي لا يخرج بعضكم بعضا والثاني اي لا تخرجوا غيركم من ديارهم فيخرجكم من دياركم على ما
في سفك الدماء وقوله تعالى ثم اقررتم وانتم تشهدون • يحتمل اقررتم بالعهد والميثاق وتشهدون انه
في التورية وقوله ثم انتم هؤلاء • يعني يا هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم •
يحتمل الوجهين المذكورين في قوله لا تسفكون دماءكم وقوله تعالى تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان •
اي تعاونون عليهم تعلون بعضكم بعضا بالاخراج وهو الظلم والعدوان • وهو محرم عليكم اخراجهم اي
الاخراج محرم عليكم وهذا يسمى اضمارا بشريطة التفسير ومثله كثير في القرآن وقوله وان ياتوكم اسارى
تفادوهم • اول الاية وان كانت موخرة في الذكر فهي مقدمة في المعنى اي هي داخلة في الميثاق كانه قال لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم وان ياتوكم اسارى تفادوهم اي تخلصوا اسراكم من غيركم بالفداء وقوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض • اي امنوا بمفاداة الاسارى وكفروا بالاخراج وسفك الدماء ويحتمل امنوا
ببعض ما في التورية وكفروا ببعض ما فيها وهو نعت محمد عليه السلام وقوله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزي في الحياة الدنيا • قيل الخزي في الدنيا هو اجلاء بني النضير من ديارهم واخراجهم الى الشام وذلك
لنقضهم العهد حين اجمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غدرا حين حضر بني قريظة ففطن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك من طريق الوحي فخرج وابن السلول وقيل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وذلك لنقضهم عهدهم
وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون • وعيد قد مضى بيانه فيما تقدم وقوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون • يحتمل انهم كانوا امنوا بمحمد عليه السلام قبل خروجه
وبعثته فلما بعث على خلاف مرادهم بان لم يكن من اولاد اسحق كفروا به فعند ذلك منهم استبدلوا الحيوة الدنيا بالاخرة
ويحتمل اختاروا الضلالة على الهدى والحيوة الدنيا على الاخرة استبدالا من غير ان امنوا به والله اعلم وقوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب • يعني التورية • وقفينا من بعده بالرسل • قيل اردفنا واتبعنا يقفو بعضها بعضا
وقيل اتبعنا رسولا على اثر رسول لان كانت الرسل بعد موسى عليه السلام في اقامة احكام التورية وعلى ...
الى مبعث رسولنا عليه السلام وقوله تعالى واتينا عيسى ابن مريم البينات • قيل الحجج وقيل العجائب التي كانت
تجري على يديه من خلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانباء ما يأكلون وما يدخرون قال الامام ثم
الرسل عليهم السلام حجج في انفسهم حتى لم يحتج في كل قول يعيدونه الى الدليل والحجة على صحته بخلاف سائر
الناس فانه لا بد لكل قول يصدر منهم من ان يكون معه الحجة والدليل عليه ليظهر الحق من الباطل والصواب من الخطاء
اذ سائر الناس ليسوا بحجج لجواز الكذب عليهم فاما الرسل عليهم السلام فمعصومون عن الكذب والقرار على الخطاء
على الخطاء والله اعلم وقوله تعالى وايدناه بروح القدس • اي قويناه واعناه قيل بروح القدس جبريل عليه السلام
سماه روحا لان الملائكة ارواح لطيفة والقدس اسم الله تعالى لكن طرحت الواو وطلبا للتخفيف كانه قال الروح الله
ووجه اضافته الى الله تعالى تعظيما لجبريل وقد بينا ان اضافة خصوص الاشياء الى الله تعالى لتعظيمها كما يقال
الكعبة بيت الله ولموسى كليم الله ولابراهيم خليل الله ولمحمد حبيب الله وتاييده به ان عصمه وحفظه
باذن الله تعالى حتى لم يدنو منه شيطان وقيل اي بروحه الذي خلق فيه واضافه الى نفسه وان كان
تعالى خالق سائر الارواح لكن اضافه الى نفسه تعظيما لعيسى عليه السلام وقوله تعالى افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون • قال الامام في ظاهر الاية انهم كذبوا فريقا
من الرسل وقتلوا فريقا منهم بعض الناس قالوا انهم قتلوا الانبياء عليهم السلام دون الرسل فان الله تعالى

عصم

قضيتهم عن ذلك قال الله انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فاخبر الله تعالى انه ينصرهم
ومن كان الله ناصره فهو معصوم عن القتل وقال بعضهم انهم قتلوا الانبياء والرسل استدلالا بهذه الاية
وقوله انا لننصر رسلنا عام مخصوص وكان المراد منه رسلا دون رسول وعن نصرة الله تعالى لم يقتل على ما تقدم
من البيان ان المراد من النصرة من حيث الحجج القاهرة والايات الباهرة دون العصمة عن القتل قال الشيخ ثم في الاية
دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم كذبوا بعض الرسل وقتلوا بعضهم فسكتوا عن ذلك
وما انكروه فلولا انهم عرفوا انه رسول حق وان ما اخبر به عن الله تعالى عن وحي من الغيب حق والا لم يسكتوا
عن ذلك حتى يحملوا الجزية والذلة والصغار وقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف • يعني في اكنة عليها الغطاء مما تدعونا
ونظيره وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر فهم ادعوا نزول الخطاب على انفسهم والالحاق
بالمجانين كراهية منهم لما سمعوا فاكذبهم الله تعالى بقوله • بل لعنهم الله بكفرهم • اي طردهم لعلمه بتكذيب
الرسول ومعاندتهم اياه لا ان قلوبهم بمحل لا يفهمون ما يخاطبون ولكن ذلك لترك التدبر والتفكر فيه وقيل
قلوبنا غلف اي اوعية تفهم وتعي ما يقال لنا لكنا لا نفهم ما تقول لا نفقه ما تخبر وتحدث فلو كان
ما تقول حقا وصدقا لفهمناه وفقهناه علمنا فهم يدعون بهذا بطلان ما يقول الرسول عليه السلام
وذلك نحو قول الكفار لشعيب عليه السلام ما نفقه كثيرا مما تقول وقوله تعالى فقليلا ما يؤمنون • فيه
وجهان قيل ما يؤمنون منهم بالتورية فقليل لان التورية نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان
به والاتباع له وهم غيروا نعته وصفته وكتموه وقيل اي الذين يؤمنون منهم بالرسول عليه السلام فقليل وقوله
تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم • وفي قراءة ابن مسعود مصدقا لما معهم والقراءة المعروفة
احسن لان قوله تعالى كتاب نكرة والنكرة تنعت بما هي منكرة بها ولا تذكر حالا لان الاخبار عن الحال يكون بعد
معرفة الذات فكان ذكر نعتها اولى يقال جاءني رجل راكب ولا يقال جاءني رجل راكبا وبمثله يقال جاءني زيد راكبا
لما عرفناه والقراءة بعبد الله وجه الجواز فانه قال كتاب من عند الله مخصوصا بذكر كلمة من ينزل عنها بعض الجهالة ويميز
من بين سائر الكتب ويتبين انه كتاب الله تعالى فجاز ان يذكر بعدها الحال وقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا • يستفتحون اي يستنصرون من قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام به وذلك انهم كانوا اذا استقبلهم
عدو قد نابته نائبة عظيمة يقولون اللهم انصرنا بحق نبيك الذي في اخر الزمان ثم لما رجع على مرادهم وهو انهم كفروا به
مع معرفتهم انه هو الذي عرفوه وامنوا به قال الشيخ الامام ثم ان هذا دليل رسالة النبي عليه السلام فانه عليه السلام
ادعى ان الكتاب الذي اتى به موافق لما معهم من الكتاب عن مخالفته ولولا انهم عرفوا انه كذلك والا لاظهروا انه
مخالف ليدفعوا حجته ويظهروا كذبه فلما سكتوا عن ذلك دل على انهم عرفوا موافقته لما معهم من التورية وان الاتي
به هو النبي الامي الذي كانوا يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل فثبت دلالة رسالته وصاروا مستحقين
غضب الله تعالى ولعنته حيث كفروا به بعد الايمان ومعرفته بتحقيق رسالته عليه السلام بغيا وحسدا منهم قال
الله تعالى فلعنة الله على الكافرين وقوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله • قيل بئس
ما اعتاضوا واستبدلوا من ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان بعث بكفرهم به بعد ان بعث فاشتروا ما به
هلاكهم بما به نجاتهم فانهم كانوا امنوا بمحمد عليه السلام وكان ايمانهم به سبب نجاتهم في الاخرة فكفروا به بعد
مبعثه وذلك سبب هلاكهم وقيل بئس ما باعوا انفسهم بعرض يسير من الدنيا وعذاب دائم في الاخرة حيث
كفروا بما انزل الله وتركوا الايمان به وقوله تعالى بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده • بغيا اي حسدا
منهم وذلك انهم توهموا ان يبعث محمد عليه الصلوة والسلام من اولاد اسرائيل الذي هو ابن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام
لانهم كانوا منه فلما بعث من اولاد اسمعيل بن ابرهيم والعرب كانت من اولاده كفروا به وكتموا نعته وصفته
حسدا منهم لما انزل الله من فضله يعني النبوة والكتاب على محمد عليه السلام وقيل بغيا اي ظلما انفسهم بكفرهم
بمحمد عليه السلام وتكذيبهم اياه وقوله تعالى فباءوا بغضب على غضب • فيه وجهان قيل اي استوجبوا الغضب
من الله تعالى بكفرهم بمحمد عليه السلام على اثر غضب استوجبوه بكفرهم بعيسى عليه السلام وقيل استحقوا اللعنة
على اثر اللعنة بعصيان بعد عصيان وقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا • اي
اذا قيل امنوا بما انزل الله على محمد عليه الصلاة والسلام من القرآن قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية فلم يكونوا
امنوا بالتورية على الحقيقة لان في التورية الايمان بمحمد عليه السلام وبما انزل اليه وفيها الايمان بجميع الانبياء والرسل
عليهم السلام وبجميع ما انزل عليهم والنهي عن التفريق بين الرسل وعن التفريق بين الكتب اذ الكتب بعضها يوافق
بعضا والرسل كلهم دعوا الى الدين واحد فلو كانوا امنوا بالتورية لما كفروا بمحمد عليه السلام وبما انزل اليه ولصدقوا
بالانبياء كلهم وبما انزل عليهم وقوله تعالى ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم • قيل بما وراءه •

اى بما وراء التورية اى كفروا بالانجيل والفرقان ويحتمل بما وراءه يعنى وراء موسى عليه السلام اى كفروا بعيسى ومحمد
عليهما السلام وقوله تعالى وهو الحق اى ما وراء التورية من القران والانجيل حق اذ هما موافقان التورية والكفر
بالحق مذموم وحرام فلذلك قال تعالى وهو الحق مصدقا لما معهم وقوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين • فان قيل هؤلاء المخاطبين لم يقتلوا الانبياء وانما قتلهم اسلافهم فما معنى رد دعواهم بكونهم
مؤمنين بقتلهم الانبياء قيل انهم وان لم يتولوا القتل بانفسهم فقد رضوا بصنيع آبائهم وكانوا منهم بمنزلة
من له مباشرة القتل يعنى ولذلك قد قصدوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارا فاضيف اليهم فاذا ادعوا كونهم
مؤمنين بما انزل عليهم من التورية كذبهم فى دعواهم برضاهم بقتل الانبياء عليهم السلام عليه والقصد اليه
وليس فيما انزل عليهم ذلك وقيل ان القتل ان وجد من آبائهم دونهم لكنهم اتبعوهم واعتقدوا تقليدهم واعتقاد
وصنيعهم كما قالوا انا على آثارهم مقتدون ولذلك طلبوا من الانبياء بعد موسى الآيات المقترحة وان يأتيهم بقربان
الذى تأكله النار وقد قال ابن الكلبى وكانوا قد تحكموا ولم يصدقوهم فهؤلاء الذين ادعوا انا نؤمن بما انزل علينا
من التورية وطلبوا من الرسول عليه السلام ان يأتى بالآيات المقترحة والقربان الذى تأكله النار ولو اتاهم عليه
بذلك لم يصدقوه ايضا ولم يؤمنوا به كما صنع اوائلهم فكان المراد من الآية بيان مكابرتهم وتكذيبهم النبى صلى الله
عليه وسلم وبيان نهاية شنعتهم وعنادهم لانسبة القتل اليهم حقيقة وقوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات
ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون • قال الامام فيه بيان نهاية عنادهم ومكابرتهم لان موسى عليه السلام
قد جاءهم بالمعجزات الحسية الحسنة ثم عبدوا مع ذلك العجل واتخذوه الها وكفروا به وهؤلاء اتباعهم وعلى دينهم
فلم يتركوا العناد فيه تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسلية له فيما كذبوه بانه ليس باول مكذب
من الرسل حتى لا يضيق صدره بما يقولونه وذلك قوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقوله
تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة • قد تقدم بيانه بما فيه كفاية وقوله
تعالى واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا • فيه وجهان يحتمل واسمعوا اى اجيبوا ويحتمل اطيعوا اذ قد يستعمل
السمع فى الطاعة والاجابة غير ان السمع الذى يراد به الاجابة يجوز استعماله فى حق الله تعالى وفى حق غيره نحو قولهم
سمع الله لمن حمده فاما السمع بمعنى الطاعة فلا يجوز استعماله فى صفات الله فانه لا يجوز ان يكون مطيعا لاحد
وانما الموفق ثم معنى قوله قالوا سمعنا وعصينا اى سمعنا قولك وعصينا امرك لكن قولهم عصينا كان بعد
قولهم سمعنا باوقات لانه قيل لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد والاحكام الشاقة رفع الله تعالى الجبل
عليهم فقبلوا خوفا من ان يسقط عليهم فقالوا سمعنا اى اطعنا فلما اقلع الجبل الى مكانه نقضوا ذلك وقالوا عصينا
وقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم • قيل اى جعل فى قلوبهم حب العجل بكفرهم بالله تعالى وقيل سقوا
حب العجل حتى قيل ان موسى عليه السلام لما احرق العجل ونسفه فى البحر جعلوا يشربون منه لحبهم العجل وقيل
لما احرق ونسف فى البحر جعلوا يشربون منه ويحسون الماء حتى اصفرت وجوههم وقيل انهم لما رأوا التورية
بما فيها من الشدائد قالوا عند ذلك عبادة العجل علينا اهون مما فيها من الشرائع وذلك انارت حب العجل وقوله
تعالى بئسما يأمركم به ايمانكم • قيل قل يا محمد بئس ما يأمركم به اى الكفر بالله تعالى ايمانكم بالعجل وقيل ان اليهود ادعوا
انهم مؤمنون بالتورية فقال الله تعالى لمحمد عليه السلام بئسما يأمركم به ايمانكم اى بئس ما يأمركم ايمانكم بالتورية
الكفر بمحمد عليه السلام وقد وجدتموه فيها بنعته وصفته وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • وذلك ان اليهود كانوا يقولون ان الجنة لنا والآخرة
لنا كما قال تعالى عنهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فقال الله تعالى
لنبيه عليه السلام ان قل لهم ان كانت الدار الآخرة لكم كما تزعمون وانتم ابناء الله واحباؤه كما تزعمون فتمنوا الموت
وذلك لان المرء لا يكره الانتقال الى داره ويشتاقه بل يتمنى ذلك والمرء لا يكره القدوم على ابيه وعلى
حبيبه ولا يخاف منهما النقمة والعذاب بل يتوقع عندهما الكرامة والدرجات والعطايا فاذا كان كذلك فلم لا تتمنون
تمنوا الموت حتى تنجوا من غم الدنيا ومن تحمل شدائدها ان كنتم صادقين فيما زعمتم قال الامام فان اعترضوا وقالوا
انكم تقولون ان الآخرة للمؤمنين ثم لا احد منكم يتمنى الموت اذ قيل لهم تمنى الموت فالجواب فى دفع هذا السؤال
وابطاله من وجهين احدها ان المؤمنين لم يحكموا لانفسهم من الفضل فى المنزلة عند الله تعالى دعوى غيرهم
ويحكموا مثل ما حكمت اليهود بل المؤمن غير الانبياء عليهم السلام وان عمل قدره فانه لا يزول عنه خوف الخاتمة
ومن كان قد ابتلى بشىء من الخطايا فهو مستغفر الى ربه متبارك فيما لدى فاستطهروا لا يتمنى الدنو من الموت
فاما اليهود فقد ادعوا انهم من اهل الجنة وليس فيها شىء من الشدة والتنغيص دار رشد وبلية فلا معنى لامتناعهم
عن تمنى الموت لو كانوا صادقين فى دعواهم وقد تحداهم بذلك من قامت على يديه المعجزات عند تصريحهم بالدعوى

فلم يوجد عنهم الا الامتناع والوجه الثانى انهم يزعمون انهم ابناء الله واحباؤه وفى تمنيهم الموت وصول الى ابيهم
وحبيبهم فى زعمهم ولا احد يرغب وينفر عن الحبيب والاب وفى امتناعهم عن ذلك على كذبهم فى دعواهم
فاما المسلمون فلا يدعون ذلك بالله نستعين فان قيل ان الله تعالى امرهم بتمنى الموت بقوله فتمنوا الموت ولم يتمنوا
يصير بعضهم غيرهم بدونا الاجل الذى جعل لهم وفى ذلك تقديم الاجل عن الوقت الذى كان له والتقدم عن منتهى
بقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكان فى ذلك بين الآيتين مناقضة او يؤدى
الى القول باجلين وهو مذهب المعتزلة قيل لا تناقض بل الاجل واحد وان الله تعالى علم منهم فيما سبق علمه انهم
لا يتمنوا الموت بما قدمت ايديهم لكونه اجلهم وقت تمنيهم فجعل اجلهم ما اراد ولو علم منهم انهم يتمنون
الموت لكان يجعل اجلهم وقت تمنيهم ذلك فى الابتداء الا كما زعمت المعتزلة انه جعل اجلهم فى وقت معلوم اذا
لم يتمنوا فوقت التمنى اذا تمنوا لان هذا صنيع من يجهل العواقب تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم • اى من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد عليه السلام والحسد له ودل انهم
كانوا عالمين بصنيع انفسهم وما لهم عند الله من العذاب الاليم لكنهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وادعوا التخصيص
بالجنة من دون الناس بطريق التعنت والمكابرة فلذلك لم يتمنوا الموت والله الموفق قال الامام فى الآية اثبات رسالة
محمد عليه السلام فخدعوا له الرسالة فانه اخبر الله تعالى عز وجل انهم لا يتمنون الموت ابدا وقد علم انهم لو تمنوا
الموت لماتوا فلو لا عرفوا انه رسول الله والا لكان لا يشق عليهم ان يقولوا تمنينا الموت وفى ذلك ابطال لدعواه
دعواه الرسالة ومع هذا امتنعوا عن ذلك كان ذلك دلالة على ذلك من عند الله وبالله التوفيق وقوله والله عليم
بالظالمين • هو على الوعيد لقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ويحتمل عليم بالظالمين بما يفضحهم بالحجج
ويظهر كذبهم فى الدنيا ولئلا يظن احد انه خلقهم عن غفلة بما يعملون بل خلقهم على علم منه بما يفعلون ليعلم
انه لا ينفعه طاعتهم ولا يضره معصيتهم وعدا ووعيدا وقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة • اى
لتجدن اليهود احرص الناس على الحياة على كراهية الموت لحرصهم على حياة الدنيا انهم كذبة فيما يدعون
وقوله تعالى ومن الذين اشركوا • يعنى ومن المجوس وانما خص المجوس لانهم لا يؤمنون بالبعث وضد ذلك كانوا
احرص على حياة الدنيا من المجوس وقد امنوا النعمة فى البقاء عن حرصهم فحرصهم فى ذلك كما قال ومن الذين اشركوا
ولم يقل من المشركين لان التفضيل يدور كله من يستعمل فى الجنس يقال الياقوت افضل الجواهر ولا يقال افضل
الزجاج ولا عكسه يقال الياقوت احسن الزجاج ولا يقال الياقوت افضل من الجواهر فكان قوله احرص الناس على حياة
لبيان زيادة حرصهم من بين سائر الناس وهو جنس الناس فذكر بحذف كلمة ومن ولما عطف على الناس بلفظ الشرك
واليهود نوع آخر غير نوع المشركين لو اراد تفضيلهم على المشركين ذكر بحرف من لانه لا يستقيم ان يقال اليهود احرص
المشركين ويستقيم احرص من المشركين وقيل ان قوله ومن الذين اشركوا يود احدهم غير معطوف على ما سبق بل هو على
الابتداء ومن الذين اشركوا المجوس يود احدهم لو يعمر الف سنة اى يود الف سنة لانهم يقولون فيما بينهم عش الف
سنة وكل النيروز والمهرجان ويقولون بالفارسية هزار سال بزى فاخبر الله تعالى ان طول العمر فى الدنيا
لا ينجيه من العذاب ولا يبعد عنه وهو قوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وقوله والله بصير بما يعملون
هو على الوعيد وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه • قال الامام فيه
خطاب من الله تعالى لنبيه عليه السلام ليخبر اعداء جبريل عليه السلام وهم اليهود بانه نزل القرآن عليه باذن الله يعنى
هذا ان اليهود نصبوا العداوة بينهم وبينه فى زعمهم لوجهين احدهما قالوا ان جبريل ارسل بالوحى والرسالة فى ولد
اسرائيل فغير الوحى عداوة لنا وجعله فى ولد اسمعيل فاكذبهم الله عز وجل فى زعمهم فقال نزله على قلبك باذن
الله لا كما قالت اليهود والوجه الثانى قالوا ان جبريل ينزل العذاب والحرب وكان ينزل علينا التورية وفيها احكام
شاقة والامر بالحرب والجهاد فهو عدو لنا وميكائيل هو الذى ينزل بالغيث والرحمة فلو كان ميكائيل هو الذى
ينزل على محمد بالوحى لآمنا به فاخبر الله تعالى انه ما كان ينزل من تلقاء نفسه انما ينزل باذن الله تعالى فلا معنى للعداوة
معه وانما كان اظهارهم عداوة جبريل لاعتقادهم عداوة الله تعالى لان جبريل انما يفعل بامر الله وهو رسول منه
لكنهم لم يجترؤوا على التصريح بعداوة الله تعالى ومن هذا كالغرابية من الروافض طعنوا فى جبريل عليه السلام انه
امر بان ينزل الوحى الى على رضى الله عنه فغلط جبريل عليه السلام لانه على كان يشبه الغراب بالغراب فانزله الى محمد فكان
فيه وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى الحقيقة لاعتقادهم عداوة الله وانكار ربوبيته لكنهم لم يجترؤوا
على الاظهار خوفا من السيف فهذا مثله وقد تعلقت الباطنية بقوله فانه نزله على قلبك باذن الله وزعمت ان القرآن
لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحرف التى نقرأها ولكنه الهام فاما الحروف فهى الالفاظ فانها تسمع
بالآذان ويفهم بالقلوب لان محمدا عليه الصلوة والسلام يصوره بهذه الحروف ويعبره بالعربية التى نقرأها كما

القرآن هو الناطق دون ظواهر الألفاظ قال الإمام قوله فإنه فيه فوائد من وجوه منها أن الله تعالى جعل القرآن معجز النظم
العجيب الفائق على سائر أنواع الكلام وجعله حجة على صدق رسالة رسوله عليه السلام كما قال قل لئن اجتمعت الإنس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال إنه تعالى سماه عربيا بقوله
ردا على الكفرة حيث قالوا إنما يعلمه بشر فقال لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقال إنا أنزلناه
قرآنا عربيا ونحو ذلك من الآيات والثالث أنه تعالى سمى هذا المنظوم وهو القرآن وحيا فقال ولا تعجل بالقرآن
من قبل أن يقضى إليك وحيه والرابع أنه تعالى قال الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقال وهذا
كتاب أنزلناه مبارك ونحو ذلك مما فيه ذكر الكتاب أخبر الله تعالى أن الكتاب منزل فمن ادعى أنه اخترعه فقد خالف
النصوص والخامس قوله تعالى فإنه نزله على قلبك أخبر أن المنزل هو جبريل عليه السلام ولو كان ما أنزل إليه المعاني
لم يحتج إلى جبريل لأن الملهم هو الله تعالى نزلت هذه الآية رجوعا على فساد منهجهم وتنفيرهم عن الطريق المستقيم
وقوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين • أي هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين بالجنة وقوله تعالى
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين • قال الشيخ فيه وجهان
أحدهما من كان يعادي الله أو ملائكته أو رسله أو جبريل أو ميكال صار كأنه عادى الله والله تعالى عدو الكافرين
لأن بعداوة الله وحده كفر واستعمال لفظة الواو مكان أو سائغ في اللغة فإن قيل لم خص جبريل وميكائيل
فإنهما يدخلان تحت اسم الملائكة قلنا لأنه قد يتوهم أن لا فائدة في ذكرهما زيادة فائدة وقول لما أشكل أن عداوة جميع
الملائكة سبب الكفر أو عداوة الواحد يندفع ذلك الإشكال بذكرهما مع زيادة التصريح ما ذكره لا لأن التكرار
وفي التكرار دلالة التأكيد والوجه الثاني يحتمل افتتاح ذكر العداوة بالله تعالى على سبيل التعظيم لهم وإبانة
فضل المنزلة عند الله تعالى وهذا كقوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية ومعناه فأضاف ذلك إلى الله
تعالى على طريق التعظيم والاتصال لا أنه جعل ذلك لله تعالى حقا إذ له ملك السموات والأرض وكذلك هذا وقوله
تعالى ولقد أنزلنا إليك آيات بينات • قال فيه وجهان يحتمل آيات بينات ما بين فيها من الحلال والحرام وما يؤتى
وما يتقى مما نهي عنه ويحتمل الآيات التي أنزلها عليه نصرة له على المعاندين والمكابرين وقوله أوكلما
عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم • قال الشيخ يحتمل اليهود الذي أخذت عليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم ولا يكفروا به بعد الإيمان ويحتمل أي أخذ عليهم أن لا يكتموا نعته وصفته الذي في التوراة فنبذ
ذلك وتلك المواثيق والعهود التي أخذت عليهم ثم في الآية دلالة كون القرآن حجة عندهم لإثبات رسالته
وصحة دعواه لأنه قال نبذه فريق منهم وأمرهم بالمعارضة له ولو كان في كتبهم أن القرآن ليس بحجة ولا هو كلام
الله تعالى لأتوا به معارضا لدفع ما احتج به عليهم فثبت أنهم كانوا كذبة في دعاويهم من أنفسهم حيث امتنعوا من
معارضته وقوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله • مصدق لما معهم • من الكتاب
في وجوب التوحيد والإيمان وأصول الشرائع ويحتمل أنه موافق نعته المذكور في التوراة وقوله نبذ فريق من الذين
أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم • قيل لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى ما في القرآن عارضوه
بالتوراة وخاصموه بها فاتفقت القرآن والتوراة فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب السحر الذي كتبه الشياطين
ويحتمل قوله كتاب الله يعني القرآن فلم يعملوا به مع كونه موافقا لكتابهم وكفروا به وقوله تعالى كأنهم لا يعلمون
معناه أنهم تركوا العمل به والإيمان به مع علمهم كأنهم لا يعلمون لما لم ينتفعوا بعلمهم وكانوا يعلمون حقيقته ولكن
خرج فعلهم على نحو فعل من لا يعلم أخبر أنهم نبذوا نبذ من لا يعلم إلا أنهم يعلمون لكن نبذوه تمردا وتعنتا وقوله
تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان • أي اليهود اتبعوا ما تتلوا الشياطين قيل ما كتبت الشياطين
من السحر وقيل ما تتلو من التلاوة وقيل ما تروي الشياطين اتبعت كتابا من السحر وأفشته في الناس وعلمته إياهم
فلما سمع ذلك سليمان عليه السلام تتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهة أن يتعلمها الناس فلما مات سليمان عليه
السلام استخرجها الشياطين وعلموها الناس وأخبروهم أنه علم كان سليمان يكتمه ويستأثر به فبرأ الله تعالى
من ذلك على لسان نبينا عليه السلام بقوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وفي رواية
قوله في رواية أن الشياطين كتبوا السحر عن سليمان عليه السلام وروي عن ابن عباس أنه قال كان آصف كاتب سليمان عليه
السلام وكان يعلم الاسم الأعظم وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان عليه السلام ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان
أخرجها الشياطين وكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وكذبا وقالوا هذا الذي كان يعمل به سليمان عليه السلام فأكفر
جهال الناس سليمان وسبوه فلم يزالوا على ذلك حتى أنزل الله تعالى على محمد عليه السلام الآية يعني تبرئة
قول الحقيقة التلاوة قالوا إن الشياطين كانوا عالمين بالسحر فلما سخرهم الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام
كانوا بين أظهر البشر ما ألقوا السحر على بعض من كان في عهد سليمان لتأخذ عن علومهم ليكونوا ناظرين له

في حق الملائكة تحرجا من سليمان عليه السلام فلما مات رووا ذلك بعد وفاته وادعوا أنه علم سليمان الذي به ملك
ملك وسخر حتى انتهى إلى اليهود الذين ادعوا ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه علم سليمان فأنزل الله تعالى
هذه الآية قال الشيخ ونحن لا نقطع القول على هذه الوجوه لأنها أخبار آحاد ليس بنا إلى معرفتها حاجة لعدم تعلق الأحكام
بها مع ما فيه من نسبة ما لا يليق بحال الأنبياء عليهم السلام إذ هم معصومون من تعاطي العبث وسفها وقبحا فلا وجه من
تبعة معصية سليمان من الوجوه التي تتضمن تعلم السحر في الخلق مع قدرته على الدفع ولا ينطق بالتعصب في إحراق تلك
الكتب والإتلاف فلعله خاف أن يظفر بها الحديثو عهد ليسلكوا غير الطريق الحق حتى يقطع أن بالكلية لكن ينبت
بقاء السحر فيما بين الخلق ما قيل أن الشياطين علموا بعض الناس في عهد سليمان من اليهود ولا علم بذلك سليمان
ومنعه أن يتعلموا العلوم وينفعه عن المودة واتباع الشياطين وسبيل الله ومثل هذا غير مستبعد وجوده
من اليهود بعد دعواهم في إبراهيم عليه السلام ما ادعوه ثم ما قالوا في موسى عليه السلام مع كثرة ما رأوا من الآيات
ما قالوا من القول الوحش في عزير جل الله من ذلك ولا قوة إلا بالله ثم اسم الشياطين على الوجوه التي ذكرت عبارة
عن حقيقتهم وفي الوجه المختار عبارة عن أتباعهم الذين تعلموا السحر منهم من اليهود وأعوان سليمان بعد وفاته دون أن
ذكر بما قد يسمى الأتباع باسم الأصل لما لهم عمل الأصول لما يكون تابعا في الشر لا بأس على عموم ولا يرجع
عن ذلك يسمى شيطانا قال الله تعالى شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا
وقوله على ملك سليمان أي في ملكه وفي عهده وقوله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر • قيل في تفسيره وما سحر سليمان ولكن الشياطين سحروا ولكن السحر في الجملة سبب الكفر فأطلق
اسم المسبب وهو الكفر على السبب وهو السحر بطريق الاستعارة مثل قوله وما كفر سليمان هو حمل على ظاهره حقيقة
أي أنه لم يأت بالسحر الذي هو كفر وإن كان ما رووا عنه من السحر كفرا لكن أعداؤه ادعوا عليه كذبا وزورا وقوله
ولكن الشياطين كفروا أي بل الشياطين هم الذين كفروا بمباشرة السحر الموجب للكفر وإذا كان المراد من الشياطين
من اتبعهم من الإنس أظهر لأن اعتقادهم السحر دينا ونسبتهم ذلك إلى نبي من الأنبياء كفر مع أن مباشرة بعض أنواع
السحر كفر أيضا وإن كان المراد من الشياطين نفسه حقيقة فهم وإن كانوا كفارا قبل مباشرة السحر وتعليمه فقد
ازدادوا بنسبة ذلك إلى سليمان عليه السلام كفرا مع كفرهم أي ازداد في حقهم أسباب الكفر في المستقبل هذا لمن كفر
واحدا من الرسل يكفر ومن أنكر واحدا من شرائعه السابقة كان قطعا يكفر ومن أنكر سببا واحدا من صفات الله
يكفر فإن أنكر الكل فقد اجتمع في حقه أسباب الكفر فإذا تحقق اجتماع أسباب الكفر في حق الكافر تضاعف كفره •
في المستقبل بالكل وإذا نقل جحودهم مضافا إلى السبب الثابت فهذا مثله وقوله تعالى وما أنزل
على الملكين ببابل هاروت وماروت • قال الحسن لم يكونا ملكين ولكنهما رجلين فاسقين فاجرين وذلك
لأن الله تعالى وصف الملائكة بالطاعة والائتمار بأمره بقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا
قراءته وما أنزل على الملكين بكسر اللام وتأويل الحسن أن اسمعهما من أوائل السحر لا أنبياء لعدم منها أن السحر
الفتنة والكفر هو وقوله تعالى وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر • فقد تأوله الحسن على أن
ذلك منهما مبالغة في الاستدعاء إلى تعلم السحر لا زجرا ومنعا جريا على عادة الأشرار فإنهم متى علموا من إنسان
ولوعه من قبيح من الأمور القبيحة ومبادرته إليه جعلوا يمنعونه عن ذلك ويقولون له لا تفعله فإنه سبب
قصدا منهم إغراء عليه فإن الممنوع عن الشيء مولع عليه قال الشيخ إنما هو سبب العقوبة والملامة كما ذكرنا
في قصة إبليس لعنه الله أنه إنما يمتنع عن مثل ذلك من الأنبياء عليهم السلام وأما الموفق اختلفوا في سبب نزولهما
إلى الأرض قال بعضهم سبب ذلك طعنهم في بني آدم بارتكاب المعاصي كما حكى الله تعالى عنهم بقولهم أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء وكانوا يقولون أيضا ربنا هؤلاء خلقتهم يأكلون رزقك ويعملون بمعصيتك فأمرهم الله
تعالى أن يختاروا ثلاثة منهم فاختاروا فركب الله تعالى الشهوة في قلوبهم وجعل لهم مذاكير وبعثهم إلى الأرض
وأمرهم أن يقضوا بالحق بين الناس وكانوا يصعدون بالليل إلى السماء وينزلون بالنهار بالاسم الأعظم اسمهم
هاروت وماروت وعزائيل فعزل الواحد منهم حتى رفعه الله تعالى إلى السماء ووقع هاروت وماروت فيما وقعا
فذهب بهما إلى بابل فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان إلى القيامة ولله المشيئة
فيهما في الآخرة فهما يعذبان إلى القيامة ولله المشيئة فيهما في الآخرة وقال بعضهم إن إبليس كان يصعد في
وقت إلى السماء فقالت له الملائكة قد وجدت بني آدم مساكين تصنع بهم كيف شئت فقال لو ابتليتم وجعلكم
في الأرض لفعلت بكم ما أفعل بهم فسألوا الله تعالى أن يأذن لبعضهم حتى ينزل إلى الأرض فأذن لهم فاختاروا
هؤلاء الثلاثة من بينهم فنزلوا إلى الأرض بأمر الله تعالى فأصاب الاثنين منهم ما أصابوا وقيل غيا إلى من
أرسله وكانا يصعدان إلى السماء بالليل وينزلان بالنهار وكانا ينزلان على صورة البشر وكانا بينهم وبين الناس

مخاطبة فحل بهما ما حل قال الشيخ وليس بنا الى معرفة حقيقة السبب حاجة مع كون ذلك موجودا لامكان وجائز
ايضا مجيء الملائكة الى الرسل عليهم السلام على صورة البشر كما ذكر في قصة ابرهيم ولوط ومحمد عليهم السلام ثم اختلف
في قوله تعالى وما انزل على الملكين قيل انه حرف نفي وقوله وما انزل على طريق النفي والجحد معطوفا على قوله وما كفر سليمان
اخبار من الله تعالى ان سليمان لم يصدر منه كفر ولا سحر وما انزل على الملكين ايضا كفر ولا سحر وان الملائكة [illegible]
انما يعملون بما ينزل عليهم من الله تعالى ولم ينزل الله كفرا ولا سحرا وقيل انه عطف على قوله [illegible] الذي في قوله واتبعوا
ما تتلوا الشياطين والذي انزل على الملكين قال الشيخ ثم اختلف في كيفية ما انزل عليهما وفي وجه النسبة اليهما
روي عن ابن عباس انه قال كان الذي انزل على الملكين كلاما حسنا حقا فاخذ الناس منهما ثم خلطوا ذلك بما يلقون
من الشياطين فصار سحرا ونسبوا ذلك اليهما على حسب ما ذكرنا في سليمان عليه السلام انه لم يعلم السحر ولم ينزل
عليه وانما بعض من لقيه تلقف ذلك عن الشياطين فخلطوا ما سمعوا منه ورووا ذلك كله عنه وصنعا عليه
فهذا كذلك وقيل انهما كانا يعلمان الاسم الاعظم فيحتمل ان يكونا ما لاتباع الى الدنيا واستعملوا لاستجلاب الدنيا
فاضاف ذلك الى السحر فسمي به وهذا كقوله تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان قيل
نزلت في بلعم وكان من الزهاد وكان يعلم الاسم الاعظم فاستعمله في تحصيل ما ابتلي من الدنيا فكان ذلك سحرا وكان
استعمال السحر لما فهذا كذلك ويحتمل ان السحر كان يجري على لسانهما من غير قصد النطق [illegible] قال الشيخ
ان يخلق الله تعالى جوهرا لا يخلق فيه السحر ليروج السحر على الناس ابتلاء كما خلق ابليس ليضل الناس [illegible]
لكن لا ينبغي النهي عن تعلم السحر وتعليمه كما نهي العباد عن طاعة الشيطان وهذا لان الله تعالى قد اقام دلائل الحق [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه [illegible]
[illegible]
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله [illegible]
[illegible]

وفي كل خبر يخالف الامور المعتادة في الاثبات وتحقيقها مما لم تكن الا ترى ان في عهد رسولنا عليه السلام قد كان
نقض من لقيه فقال الجلبة يدفع عنه كلاما وهم امنا نعوذ بالله ما اخبر الله تعالى وكذبه في الرواية عنه بقوله
بستطا نفعة منهم من الذي تقول الآية فلما نحن الواحد مما لا يجب بقوله الاتباع الرض على الاصول والامور
المعهودة قال ابو منصور رحمه الله فيه دلالة ثبوت تاثير السحر وكونه منزلا ابتلاء من الله تعالى بقوله وما انزل
على الملكين على ما سبق بانه يحوي تاويله ونحقق له فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه فتكون الآية
حجة لنا على المعتزلة فانهم لا يقولون بتحقيق السحر وهو ما ثبت في الآية بما ثبت انه ويقولون انه تخييل وتمويه
ونحن نقول انه يتحقق تاثيره في الابدان وتغيير الاشياء بتخليق الله تعالى ابتلاء فتكون الآية حجة لنا عليهم وانما
دعاهم الى انكار السحر قولهم بالاصلح وقولهم بان الله لا يخلق الشرور والقبائح والسحر ليس بفعل الساحر حقيقة وتسببا
فانه يعمل في المسحور من غير اتصال الآلة به فلا يكون ذلك من فعل العباد ولو كان فانه يكون بفعل الله تعالى وعندهم
لا يجوز نسبة القبائح الى خلق الله تعالى فانكروا وجوده وادعوا ان ذلك بطريق التخييل والاخذ بالعين لا
والخامسة فيه دلالة ان من السحر ما يكفر به وقد اختلف الناس فيه قال بعضهم ان كل سحر يوجب الكفر وهو قول
اصحاب الحديث من المتكلمين وقال بعضهم غير موجب للكفر قال الامام رحمه الله تعالى ان القول بان السحر كفر على الا
طلاق خطا وكذلك القول على الاطلاق بانه ليس بكفر خطا بل السحر على نوعين نوع منه ما يتضمن انكار ركن من اركان
الاسلام ورده ونوع ليس بكفر وهو ما يتحقق بدون ارتكاب شيء من الكفر فالسحر الذي هو كفر يقتل به الذكور دون
الاناث لحل الكفر ويقتل بها الذكور والاناث اذا قتل السحر بسبب السعي في الارض بالفساد بالقتل كقتل
قطاع الطريق اذا قتلوا وان كان سحرا لا يكفر به صاحبه فانه لا يقتل به الا ان يكون ساعيا في الارض بالفساد
بالقتل وان لم يكن السحر مما يقتل به لان اعتقاده ذلك الفعل ويتضرر به الناس فيقتل سواء كان سحره مما يقتل
اولا وعن ابي حنيفة ان الساحرة تقتل في رواية تقتل وهي محمولة على ما اذا قتلت بسحرها فتكون ساعية في الارض
بالفساد فتقتل وفي رواية لا تقتل وهي محمولة على ما اذا لم يكن سحرها قاتلا فلا تقتل وان كان سحرها موجبا للكفر لان
ردة المراة لا توجب القتل وذكر عن ابي حنيفة ايضا ان الساحر يقتل في رواية وهي محمولة على السحر الذي هو
كفر لانه كان ارتدادا وعلى السحر الذي ليس بكفر لكنه سبب القتل فيقتل بسبب السعي وفي رواية لا يقتل وفي
رواية لا يقتل وهي محمولة على السحر الذي لا يقتل به ولا يكفر به صاحبه قال الامام ثم الساحر هل تقبل توبته قال
بعضهم لا تقبل توبته على كل حال لو تاب بعد الظفر به او قبله لان التوبة عن الكفر مقبولة على كل حال فان كان
سحره مما يقتل المسحور فان تاب قبل القدرة عليه تقبل توبته ولا يقتل وان تاب بعد الاخذ فانه يقتل كقطاع الطريق
سواء وهذا لان الساحر في قبول توبته احق لانه ابلغ في تمييز ما هو حجة الى ما ليس بحجة فهو احق من يلزمه الايمان
بما يعلمه من الكفرة قد لا يميزون بين الحجة وما ليس بحجة ثم يقتضيه الايمان ويقبل منهم فهذا اولى الا ترى
ان سحرة فرعون قد امنوا بالله تعالى وتابوا توبة لا تطمع مثل ذلك من المسلم الذي نشا على الاسلام حتى
اوعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل والصلب وانواع العذاب فقالوا انا الى ربنا منقلبون [illegible]
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا فيه وجوه قيل كانت الانصار تقولون للنبي عليه السلام
في ابتداء الاسلام يا رسول الله راعنا سمعك كما هو كلام العرب فيما بينهم يقول الرجل لصاحبه ارعني
سمعك وكان راعنا بلسان اليهود سبا قبيحا يسب بعضهم بعضا تقول اسمع لا سمعت فلما سمعت اليهود من
الانصار قال بعضهم لبعض كنا نسب محمدا سرا فيما بيننا فالآن اعلنوا له بالشتم وكانوا ياتونه ويقولون يا محمد
راعنا سمعك ويريدون به الشتم ويضحكون من ذلك فسمعها منهم سعد بن معاذ الانصاري وكان يعرف لغتهم
فقال لليهود يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل يقولها لرسول الله بعد هذا المجلس
لاضربن عنقه فقالت اليهود اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا لمحمد صلى الله
عليه وسلم فيصير كانكم تقولون بلغة اليهود اسمع لا سمعت وان لم يكن بلغة العرب صيانة له عليه السلام
عن شبهة الشتم ومنعا لليهود عن التسبب بطريق التسبب كان في مباشرة المسلمين بذلك وان لم يكن منهم
ذلك سببا لتسبب اليهود وقيل كانت اليهود يقولون للنبي عليه السلام راعنا يريدون به الرعونة وصلته
لعنا بالشيء وان كان المسلمون يريدون بذلك من المراعاة فنهوا عن ذلك ردا لصنيع اليهود وقيل انه من المراعاة فكانوا
يطالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمراعاة لهم وصيانة حقوقهم فنهاهم عن ذلك لئلا يجعلوا لانفسهم
حقا فضلا لرسول الله بمراعاته وعلى ذلك نظير قوله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم الآية وقوله تعالى
وقولوا انظرنا • اي اسمع منا بلغة العرب • واسمعوا اطاعة مرغوب به ولا تقولوا بلغة اليهود راعنا
اي اسمع لا سمعت وقيل وانظرنا من النظر خرج مخرج التشفع به عليه السلام اي انظر الينا بعين الرحمة فلا تعجل علينا

بما لا نحتمله افهاما بل بين لنا وتمكن من الفهم ويحتمل ان يكون من النظر فيهم وقولوا لا تقولوا منا في الصحبة والمعاملة
على قصور عقلنا ما نستحقه بل انت اخترمنا ما ذو سعنا وقيل هو من الانظار اي امهلنا في القيام على ما امرتنا
به لنعو ما اليه بالتعظيم والتفهيم لذلك الذي هو قبل القرآن وقرأ حمزة انظرنا من الانظار بمعنى التاخير والامهال وقوله
واسمعوا اي اقبلوا على الامر بالاجابة فيما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي احسنوا الاستماع واطيعوا وقيل
يحتمل النهي عن الاشتغال بالترجيع الى الاستماع الى كلامه عليه السلام ونقل واسمعوا اي عوا واحفظوا بقول الرجل
لاخر اسمع ما اقول لك يعني احفظ عنه وقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير
من ربكم قال الامام قوله ولا المشركين معطوف على قوله من اهل الكتاب ولا من المشركين ولو كان مجرورا على قوله
ما يود لكان يقول ولا المشركون كانه قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركون وانما عطفه على هذا الوجه
والله اعلم لانه اخبر بصدد الآية ان الكفار يجمع يحبون ذلك ويدخل تحت لفظ العموم اهل الكتاب والمشركون جميعا
وقوله من اهل الكتاب ولا المشركين تقسيم الكفار على هذين القسمين من اهل الكتاب والمشركين فكان تقسيما صحيحا
فيكون عملا بصدد الكلام على ما وضع له اللفظ بطريق العموم اذ تقسيم العموم لا يجب تغييره بل تقريره فاما
اذا جعلنا قوله من اهل الكتاب تفسيرا للصدر الكلام فيتخصص صدر الكلام فيتخصص صدر الكلام باهل الكتاب
كانه قال ما يود الكافرون من اهل الكتاب فيكون تغييرا للصدر من حيث الظاهر واذا خصصنا قوله ولا المشركين
على صدر الكلام كان هذا كلاما مبتدا فيتناول المشركين لا بيانا وتقريرا وفيه ابطال التخصيص باهل الكتاب فيكون
تغييرا ايضا فكان ما ذكرنا الوجه احق قال اهل الكتاب اما اليهود واذا لوجوه ثلثة احدها انهم كانوا مستاثرين وكانوا
خيانا انهم في الدين اذ كانوا يكتمون ما في كتبهم ويبدلون كثيرا كما اخبر الله تعالى بقوله اعلم بما كانوا يكتمون وقال يحرفون
الكلم عن مواضعه والثاني انهم يتمنون ان يكون الرسول المبعوث في اخر الزمان من بني اسرائيل فلما جاء الرسول عليه السلام
من ولد اسمعيل عليه السلام حسدوا ونفروا والثالث ما فعلوا وكانت الرياسة في الدين وما يتصل بها من منافع
الدنيا تسبب عنهم ويصير لغيرهم من قريش فلذلك اهل الكتاب لم يحبوا ذلك واما المشركون فلما كرهوا ذلك لوجوه
احدها ما سيمنع عن الامر المعتاد وترك ما عليه توارث سلفهم اذ كانوا يحبون تقليدا باتهم واتباع اثارهم كما
لما فيه من فتح باب الطعن على اسلافهم بالضلالة والعمي وتسفيه احلامهم اذ متى تبين انه على الحق علم كون اسلافهم
على السفه فما بعد الحق الا الضلال فيكرهون ذلك والثالث انهم جبلوا على الكبر ومتابعة العادات والاتباع
للجاهلية كما قال تعالى حكاية عنهم قالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا
وقوله تعالى ان ينزل عليكم يحتمل ان يريد به الرسول خاصة على طريق اطلاق لفظ العام على الخاص ويحتمل ان
يريد به اتباعه وقوله تعالى من خير من ربكم قيل الاسلام وقيل المراد به نفس الرسول عليه السلام وقال الخير كلمة
جامعة لكل خير من القران والحكمة والرسالة والعلم والغلبة على الاسلام ونحوها وقوله تعالى والله يختص برحمته
من يشاء قال الامام وهذا لا حجة لنا على المعتزلة حيث شرطوا الاصلح وسموا الاختصاص محاباة واوجبوا التسوية
بين المكلفين في الالطاف وسائر ما يتصل به المصالح الدين وجعلوا ترك ذلك ظلما وجورا والله تعالى اخبر انه
يختص برحمته من يشاء فيكون ما قالوا مخالفا للنص وما قلنا فهو موافق للنص لانا نقول ان الله تعالى خلق
بما توجب الحكمة بحق العدل وما ليس بواجب على الحكمة بل هو بحق الاحسان والافضال في الحكمة فاعطى به
المكلفين ما به يقدرون على اقامة ما كلفوا به يكون من باب العدل وما زاد على ذلك مما به يتحقق زيادة تيسير يكون
من باب الفضل فيكون الاول واجبا موجب الحكمة والثاني يكون فضلا واحسانا في الحكمة ونحوها للوجوب في الحكمة
انه ثابت متحقق لا محالة في الوجود لا يتصور ان لا يكون لا انه يجب عليه ذلك بايجاب موجب وهذا لان الحكمة صفة
الله تعالى ازلية بمنزلة العلم والقدرة ونحوهما وصفات الله تعالى يكون على وجه يظهر اثرها بطريق العموم ولو ظهر
من وجه دون وجه يؤدي اثبات النقص اذ ذلك يتغير الى ضده فان الله تعالى لما وصف بالعلم لم يجز ان يكون معلوم
ما يخرج عن علمه لانه لا يخرج لا يوصف بالجهل وانتقضت صفته تعالى انتفعها وكذلك القدرة فكذلك الحكمة يجب
ان يكون شاملة فاذا جاز ترك قضيته شيء لم يكن على سنن الحكمة بنسب السفه على ما يقابله وذلك ينافي الالهية
فثبت ان العدل بوجوب ما يكون من باب الحكمة يكون واجبا واعتقاده ايمانا وجحده كفرا فاما الافضال
الاحسان فليس بواجب في الحكمة لانه لا يفوت الى ما يوجب النقيصة بل الى العدل اذا الربط الاصلح لغيره
فلم يحسن فقضيته وترك الاحسان لا يصير ظلما بل يكون ذلك منه عدلا وعلى هذا قلنا ان الجزاء في الاخرة
منه ما كان واجبا في الحكمة وهو الجزاء للعقوبة الكافر ومنه ما هو بحق الاحسان والافضال وهو ما
جعل من الثواب على الخيرات لان الطاعات واجبة على العباد شكرا لما انعم الله تعالى عليهم ولازم في الحكمة شكر
المنعم ومن قضى حقا واجبا عليه لا يستحق الجزاء على صاحب الحق فيخرج ذلك من ان يكون قضاء الحق بل انقلب ما ضيعه

لكن الله تعالى يتفضل وتحسنا بجعل الجزاء وعطوبا بطريق الابتداء فاما الكفر فانه على جزاؤه والجزاء
في الحكمة لانه حسنا لا اعتقاد لصح عنه بل لانهم حسنا اخبرنا ان قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فاذن التسوية بين الاولياء والعدو
من الحكم السيئ والحكم السيء الحكمة ليس من العدل في شيء فكان اطرافه الله تعالى بتوجيه التفضيل في ذاته والتدبير
للالهية يجب العدل بحكم واجب الوجود في الحكمة ولا حرج الا باته وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم قال
الامام وهذا لا حجة لنا على المعتزلة ايضا فان المفضل عند الخلق هو الذي يعطي ويتفضل بما ليس عليه لان المعطي
ما يكون عليه قاضيا لا متفضلا ولو كان عليه فعل الاصلح لكان يقول ذو العدل لا ذو الفضل والله الموفق
وقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها قال ابن عباس ما نبدل من حكم آية فنجعل
النسخ والتبديل من الاحكام قال الامام وهذا كقوله واذا بدلنا آية مكان آية ونسخ الحكم دون التلاوة كثير الوجود
في القران كقوله فحركنا والدهما فامسكوهن في البيوت فصار ذلك منسوخا في الحكم دون التلاوة
وقوله او ننسها من النسيان اي نتركها قيل انسيناها ويحتمل ايضا ان يكون النسيان استعارة من الترك
او من التاخير او النسيان سبب الترك والتاخير والنسي وهو التاخير واسم النسيء سائغ في اللغة وجود
في القران في غير موضع كقوله نسوا الله فنسيهم ونحوه وقرئ ايضا بالتاخير ننسأها بالهمز والذي فيه نسأ الله في اجله اي اخره ومنه الحديث انما النسيء زيادة في الكفر اي التاخير في الشهر الحرام قال الامام وعلى هذا التاويل
الذي ذكرنا النسخ يحتمل ان يكون قوله او ننسها من نسيانها ويحتمل ان يكون حرف او بمعنى الواو ويكون معنى
فيه تقدير ما ننسخ من حكم آية بترك الحكم والرسم ويحتمل النسخ من حكم آية
او نؤخرها الا التلاوة عند الاحكام وحق القادر والضعيف هذا الحكم
الى الوقت او من مكان الى مكان نحو بقاء اصله كالقبلة تحولت من جهة الى جهة مع بقاء اصل القبلة ونحوه وقوله
نأت بخير منها على هذا التاويل يحتمل نأت بما هو خير من الاولى في المصلحة للعبد او مثله ويحتمل ان يكون مثل
ذلك في الترغيب والزجر ابلغ ويحتمل نأت بخير منها في المنفعة او مثلها بان يكون الناسخ اخف على البدن او مثله
لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فان الصوم في حق القادر نسخ بالفداء بالطعام وكذلك
الاكل والجماع كان حراما في ليالي رمضان ثم نسخ وكذلك الميتة حرام ورد الاباحة في حق المضطر وقالوا ان طريق
النسخ هو الاخذ بالرخصة ان الحكم الاول هو العزيمة والرخصة اخف من العزائم قال الامام ولكن هذا ليس بصحيح
بل يجوز ان يكون اخف ويجوز ان يكون اشق فان الابتداء بالنسيان كان هو الحد في الزنا فصار منسوخا بما هو اشد
منه وهو الامساك في البيوت ثم صار ذلك منسوخا بالحد على ما روي في الخبر خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن
سبيلا البكر بالبكر الحديث وقيل ما ننسخ اي ما نرفع من آية بحكمها عن القلوب ونتركها من النسيان او ننسها اي
نتركها بحكمها نأت بخير منها او مثلها اي نأت باية اخرى بحكمها مثل الاولى او خير منها في المصلحة المتعلقة
بالحكم قال الامام ويحتمل ان الآية الثانية مثل الاولى خير منها في حق الثواب في العاقبة اما القران فليس بعضه
خيرا من بعض وافضل من حيث انه كلام الله تعالى ووحيه وكتابه وجاز نسخ الاية من حيث التلاوة والحكم جميعا
بان ننسى عن القلوب وترفع بحيث لا تحفظ ولا تتلى وهذا لان النسخ على اقسام ثلثة نسخ الحكم دون التلاوة
كاية الابتداء والامساك ونحوهما ونسخ الحكم والتلاوة جميعا كحديث عائشة في الرضاع رضعات يحرمن خمس
رضعات محرمة من الحديث ونسخ التلاوة دون الحكم كما روي ان مما يتلى في كتاب الله تعالى الشيخ والشيخة اذا
زنيا فارجموهما البتة وروي عن عمر انه قال كنا نعدل سورة الاحزاب بسورة البقرة حتى رفع منها ايات منها الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله تعالى قال الامام لحسن بقاء التلاوة دون الحكم لان النسخ بيان
مدة الحكم المؤقت ليس على البداء كما ظنت اليهود فانكرته فينسخ الحكم ويبقى التلاوة لان القران كما يتلى لحفظ
حكمه فهو يتلى لكونه كلام الله تعالى فيثاب على تلاوته وقيل المراد هو نسخ الحجة ودفع ما سبق من الاية الحسنة
الدالة على ثبوت الصانع وتوحيده وصفاته الحسنى معناه ما نرفع من حجة فنغيبها عن الابصار او نعدمها
ونحدث اخرى الا نأت بخير منها اي اقوى منها في الزام الحجة واظهر منها او مثلها في الوضوح والبيان ولان
الرباعيان من الحجة بالابصار ابلغ من الحجة الغائب عنها وكذلك الذي تحدث من الحدثات الدالة على الصانع
قد يكون مثل الذي كان وافعل منه في وجه الدلالة وقد يكون اقوى وقيل ما ننسخ من آية اي ما ننسخ من آية عن اللوح
المحفوظ اي نكتب وننقل فننزلها اليكم او ننسها اي نتركها في السماء ولا ننزلها اليكم او ندعها في اللوح
المحفوظ نأت بخير منها اي الذي ننقل اليكم مثل ذلك وخير كان الله تعالى يخبر ان في اللوح المحفوظ مع الملائكة في السماء

ايات للخلق بها منافع وفيها احكام جعلت لأوقات فاذا نزلت في اوقاتها المجعولة الموقتة لها من غير ان يخلي
الخلق في غير تلك الاوقات التي قدرها الله تعالى بين ولي تلك فيها عن احكام تلك الاوقات ولا وقع الا بما قدره الله تعالى
من الحكمة في النسخ وما وجه في القرآن ونوع الايات الحسية بتبديل البعض بالبعض قيل اما النسخ في الاحكام
فلوجهين احدهما انه محنة يمتحن بها الخلق ولله تعالى الامتحان للعبيد بمختلف الاحكام فيأمرهم بما شاء في وقت
شاء ثم ينهاهم عن ذلك ويأمرهم بآخر ويكون ذلك بيان مدة انتهاء حكمه وليس الخروج في ذلك خروج
عن الحكمة ولأن كان ذلك يخفى يبدو له لم يكن عالما قبله بل لم يزل عالما بما كان ويكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون
لم يزل حكيما بالحق والعدل وقد يتفضل فيعود بأن يتم الشرف في العقول الثاني ان الله تعالى بحكمته اسس الشرائع
والاحكام على حكم متقنة وضعها لمصالح العباد بحالها وآجالها وحاجة تعيين المصالح في العقول على اختلاف
الاوقات والاحوال والاشخاص بحالة تغير حكمها والله المعين واما النسخ في الايات الحسية فليعلم الله تعالى
الاحتجاج بانواع الايات ليعلم ان في كل خلق آية ودلالة على وحدانيته وان اختلفت خلقه وان الايات من حيث الدلالة
تستوي في الحقيقة وان كان بعض تلك الايات اظهر والعقول فيها شيء والله الموفق وقوله تعالى الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير • قال الامام يحتمل ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد منه هم الذين
سبق ذكرهم في قوله ما يود الذين كفروا الاية اي انه قادر على انزال الخير على من يشاء لخصوصه بعض على بعض
ويحتمل ان يكون المراد بالخطاب هو عليه السلام تذكيرا وتنبيها له كانه ذكر هذا عند تضييق صدره تسكينا وتطييبا له
اي انت تعلم ان الله على كل شيء قدير وعليه دل التصحيح قوله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض • اي انه كان
يملك ملك السموات والارض يملك تخصيص بعض على بعض وهو الذي يحكم فيها بما يشاء ويختار من امر ما اراد
وقوله تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل • قيل معناه بل تريدون كقوله تعالى
ام يقولون افتراه بل يقولون وان خرج مخرج الاستفهام فاذا لا اصل في حرف ام ان يستعمل في الاستفهام
اخرج زيد ام عمرو ولكن قد يستعمل ابتداء بلا تقدم الاستفهام على التقرير فهذا مثله وقوله كما سئل موسى
من قبل اي ان قوم موسى قالوا لموسى عليه السلام لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقد سألوا امثل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما اخبر الله تعالى لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقيل سألوا رسول الله صلى الله عليه
ان يجعل الصفا ذهبا ان كان ما يقوله حقا على طريق التعنت قال الشيخ فزجرهم والنبي صلى الله عليه وسلم عن ان يسأل
التسوي له عند مثل ما سأل قوم موسى منه من غير ان سمع ذلك منهم ولأن له بنوته فانا حتى يخبر عن نبي منهم الا ما لكم حتى
الضمائر الا الله تعالى ليعلم انه بالله علم ذلك فيكون دلالة صدق رسالته والله الموفق وقوله تعالى ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • قيل اي ومن يختار الكفر على الايمان وقيل اي ومن يختار شدة الآخرة
وضيقها على رخائها وسعتها وفي حرف ابن مسعود ومن يشتري الكفر بالايمان قال الشيخ وكله قريب وقوله فقد
ضل سواء السبيل قيل اي عدل عن هذا الطريق وقيل عدل عن قصد الطريق وقيل اخطأ قصد طريق الهدى وكله
واحد وقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا • قال الامام كان كثير من اهل
الكتاب يجهدون كل جهدهم حتى يصرفوا او يردوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الاسلام لخوفهم بانهم
وذهاب المنافع التي كانت لهم من الاتباع والسفلة وقوله تعالى حسدا من عند انفسهم • قد تقدم
ذكر جهة حسدهم وهي انهم احبوا ان تكون الرسالة فيهم لتسبق لهم الفضيلة على سائر الناس قال الشيخ احتجت
المعتزلة بهذه الاية على ان الحسد ليس من عند الله تعالى لما اضاف الحسد اليهم لانه من عند انفسهم اي من قبلهما
لا من عند الله تعالى قال الشيخ ولكنا نقول انا لا نجيز اضافة الحسد الى الله تعالى بحال ولكنا نقول فعل الحسد خلقا
واختراعا وايجادا في الحاسد من الله تعالى كما لا نضيف الانجاس والاقذار والحيات والعقارب الى الله تعالى ولا نجيز
اضافة ذلك اليه لقبح الاعتقاد بانه خالق الانجاس والاقذار والحيات وانه خالق الشكلة فانه لا خالق الجسم سوى
الله تعالى بلا خلاف بين الامة وكذلك نقول بمثله في الافعال انه خالق الكل هو الله تعالى ولا نضيف الافعال القبيحة
اليه وان اضافت المعتزلة الطاعات والخيرات حيث قالوا انها من عند الله ثم لم يجعلوها مخلوقة لله تعالى بل هي مخلوقة
لفاعليها فلو كانت علة المعاصي غير مخلوقة لله تعالى انها لا تضاف الى الله تعالى ولا يجوز في الطاعات التي يجوز اضافتها
الى الله تعالى ان يكون مخلوقة لله تعالى فبطل ان يتعلقوا فاستوى الثاني في الاية اضاف الحسد الى الانفس بانه من عنده ولا
يخلقه لان الله تعالى ما امر به وليس يضاف الى الله تعالى بانه من عنده كفعل الخلق لكن باعتبار الامر او الحكم الا ترى
ان الانجاس والشياطين كلها مخلوقة لله تعالى ولم تنسبها الشيعة انها من عنده كذلك الحسد ولانه امر
تعالى فاما فلم ردوا دعواهم كون الحسد بامر نفسانهم لم يكونوا يدعون كون الحسد من عند الله خلقا وان كانوا يدعون
الامر في كل ما نسبوا الى الله تعالى فيعرض في العقاب في الاخبار الذي ذلك وقوله تعالى من بعد ما تبين لهم الحق • اي تبين

لهم في التوراة ان محمدا نبي وان دينه هو الاسلام كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وفي هذا دلالة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم حيث لم يتعاطوا الخيانة بتبيين الحق لهم حيث علموا انه يخبر عن الله تعالى وان في معارضته اذهاب نفسهم لو ذهب
النعمة والخوف وقوله فاعفوا واصفحوا • يحتمل انه امنا نهى عن مكافأة ما يؤذونهم في الدنيا حتى يأتي امر فيه بالعذاب
في الاخرة وقيل فيه انه نهي عن القتال حتى يأتي امر الله في ذلك الحجة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله فصار العفو
من القتال منسوخا باية السيف وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير • من التعذيب والانتقام وكل شيء وقوله
واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله • قال الامام كرر الله تعالى الامر باقامة
الصلوة وايتاء الزكاة في القرآن تكرارا كثيرا وذلك لعظم شأنهما وعلو امرهما وفضل قدرهما عند الله تعالى وعلى
هذا جعلتا في شرايع الامم السالفة فاخبر الله تعالى عن ابراهيم رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقال الله تعالى
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكاة الآية وقال خبرا عن عيسى واوصاني
بالصلوة والزكاة ما دمت حيا قال الامام ان الصلوة والزكوة يعرف وجوب اصلهما وهو التعظيم والخضوع و
والتسليم وهذه اصل معنى الصلوة وتطهير النفوس وتزكيتها عن نجاس الذنوب وهذا معنى الزكوة مع ما فيها من
التأليف والمواساة بالاخوة يعرف هذا الاصلان منهما بالعقل دون السمع وان كان لا يعرف كيفيتهما وكميتهما الا
من بيان اوقاتهما وبيان الافعال التي يقع بها التعظيم وبيان عدد الركعات ونحوها والاوكد ان الصلوة تجمع جميع انواع
الافعال التي هي حيوانات يجمعها غاية الخضوع وذلك مما يوجب العقول اذ تعظيم العبد مولاه وخدمته اياه في عقل كل
عاقل انه لم يحرم التأمل ولم يجد بالغفلة والاستعمال بالامور الدنياوية وكذلك الزكوة تطهير النفوس
تزكيتها عن نجاس الذنوب على ما بينا وذلك من الواجب في العقول ويحتمل ان يكون الحكمة في ايجاب الصلوة والزكوة
وغيرهما على العباد ان الله اكرمهم بالنعمة فيما فضلهم بالجوهر والتصوير باحسن الصور كما قال الله تعالى وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات وكما قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ثم قد بسط عليهم جميع النعم من صنوف الاموال وسلامة الجوارح عن الآفات من غير سابقة استحقاق منهم
شيئا من ذلك فخرج الامر لهم مخرج الامر اداء شكر ما انعم عليهم وشكر المنعم من واجب العقل لذا الشاهد ثم الصلوة
استعمال جميع الجوارح الظاهرة من القيام والركوع والسجود والقعود ووضع كل في موضعها وحفظ العين وكذا
الجوارح الباطنة من شغل القلب بالنية واشغاله بالخوف والرجاء واخضاع النفس والعقل بالتعظيم والتبجيل
ليكون نعمل كل عضو شكرا لما انعم عليه في ذلك والقيام بحقه بقدر الوسع والله الموفق وكذلك الزكوة بالاموال التي
فضل بها الاغنياء في الدنيا بالاستمتاع بلذيذ العيش بصنوف الاموال الزم الله تعالى عليهم شكرا لما انعم بقوله سخر
ما في السموات وما في الارض من الوجه الذي علم الله تعالى في ذلك صلاحكم الذين فضل الاغنياء بكونهم اسباب
الرزق الى الفقراء الاحتياج في الدنيا والثواب في الآخرة فاقتضت الحكمة في ايجاب الشكر باستعمال النفس لله
الله فيكون اعطاء بعض ما وصل اليه من الله تعالى اليه وفي الزكاة اعطاء بعض ما اعطي المعطي ومثل ذلك في الشاهد
لا يكون شكرا للمنعم بل فيه شبهة ان النعمة كفر وهب لغيره مرد قلبه بعض ذلك بالحبة منه قيل الشكر انما تحقق باستعمال
النعم في بعض الاوقات في طاعة المنعم وتعظيمه دون معصيته اذ في ذلك استحقاق بالنعمة والمنعم فيقيد استعمالها
في المعصية كفرانا وتحقق استعمال عين النعمة البدنية في طاعة المنعم مع بقائها وذلك فيما قلنا من القيام بين يديه
والركوع والسجود على طريق الخشوع وفي النعم المالية لا يتحقق استعمال ما مع بقاء عينها بطريق التعظيم لله تعالى على
طريق الخلوص وانما يتحقق باستهلاكها وذلك بالصرف الى الخواص من عبيده اولى الغنى ليستقطع نفع المال عنه
بالكلية فان كانت في الجملة بتحقق باستعمال اعيانها فيما يرجع الى العباد مع ان علته وجوه الانتفاع بها بطريق
الاستهلاك فالزم صرف البعض منها الى الغير دون استعمال نعمة اخرى ليست من جنسها نفيا الشبهة
والاستنان لان الشاهد على الغائب لا يجوز بمجرد الصورة من غير الجمع حيث الحي المعرف في غير موضع مع ما انا
من خلع على احد وصلة بصلة لا يتعاطى بعد ذلك اتباعه لوجهه كان ذلك عنده تعظيما للمنعم بل احسن قبوله
ومعرفة قدر نعمة والله الموفق وقوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله • قال الشيخ الامام
هذا مما لا ينقض قول المعتزلة ان من ارتكب كبيرة يخلد في النار لان الله تعالى اخبر ان ما قدم من الخيرات يوجد عند الله
في الاخرة والمعتزلة يقولون ان من ارتكب كبيرة واحدة ثم اقام الصلوة وآتى الزكاة وجاهد في سبيل الله وحج
الحرام وقدم حسنات كثيرة من عمره فانه لا يجد شيئا مما قدم ولكن يحبط ما قدم من الشر وفي ذلك شيئان احدهما
وصف الله تعالى بالكذب في الخبر والخلف في الوعد والثاني وصفه باللوم والقسوة ولا يرى الذي وصف الله تعالى
نفسه بل وصف نفسه بالرحمة والعفو فقال اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم
وهم يقولون لا يتقبل عنهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز عن سيئاتهم نعوذ بالله من الشر وخذلانه

تعالى مع ما ان الخائف في حال عصيانه من تعذيبه لنفسه عند الله تعالى خيرا مما كان الله تعالى في غنيه في تلك الحالة اعظم
من ان يتجبر في نفسه ان يتخفف من صفة من اوصاف جلاله في مقابلة حصول الدنيا لمباشرها او يستحق فيه بان
لا يكون مطيعا لله تعالى طرفة عين وانما يقع فيما يقع لغلبة شهوة او لتسفيه غضب بسبب جهالة ونحو ذلك مع
مع اشعار الخوف من عذاب الله تعالى والرجاء من رحمته وهما اعلى الخوف والرجاء من عظيم العبادات فلا يحسن القول
بانفصال سائر العبادات المتقدمة حالة العصيان بسبب عصيان واحد بخلاف الكفر فانه بسبب الكفر يخرج نفسه
من ان يكون مطيعا لله تعالى واقدم على الاستحقاق والمعاداة فكان القول بالتسوية بين الامرين في غاية الفساد والله الموفق
وقوله تعالى انّ الله بما تعملون بصير • بما قدمتم من الخير والشر قال وهذا تنبيه من الله تعالى وتحذير ليكونوا على حذر
من الاستثناء سقفه ونحصيلهم في الخيرات وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقوله تلك امانيهم
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين • قال الشيخ الامام اكذبهم الله تعالى فيما ادعوا بقوله تلك امانيهم اي كذلك يتمنون
من الامنية ثم طلب منهم البرهان والحجة على دعواهم انه لا يدخل فيها سواهم قال وفي الاية حجة لنا على من يقول لا دليل
على النافي لانهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وطولبوا بالبرهان على
ذلك بقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين على انه لا يدخل فيها سواكم فان قيل انهم كما نفوا دخول غيرهم فيها
فقد ادعوا دخول انفسهم لان قولهم الا من كان هودا او نصارى استثناء من النفي وهو استثناء من النفي اثبات
فانما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا لا على ما نفوا قيل هذا الكلام نفي لدخول غيرهم تصريحا لا لاثبات دخولهم
لمقصود ذلك باستعمال اهل اللغة فان من قال لا يدخل هذه الدار الا فلان وفلان كان غرضه نفي دخول غيرهما
لا اثبات دخول هذين وكذا قال النبي عليه السلام لا نكاح الا بشهود ليس الغرض منه اثبات النكاح بشهود من
حيث التصريح انما الغرض هو نفي النكاح بغير شهود صريحا وهو المستعمل عند الناس الا ترى ان من قال لا نكاح الا
بشهود لا يسأل انه لم قلت ان النكاح يجوز بالشهادة ولكن يسأل انه لم قلت انه لا يجوز بغير شهود فعلى هذا قوله
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ليس فيه اثبات الدخول تصريحا ولكن نفي دخول غيرهم بدليل عليه انكر
من الله تعالى بالاكذاب على تعليقهم خرج على نفي دخول غيرهم لا على اثبات دخولهم والجواب يكون على حسب السؤال
وقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن • اي بل يدخلها من اسلم وجهه لله وهو محسن وقوله بلى الا استثناء
من النفي اثبات بلى لكن من حيث الاشارة والدلالة من حيث صريح الكلام والاستعمال لا ارباب اللسان والكلام من
حيث الحقيقة والوضع وقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن خرج مخرج الرد عليهم والانكار لحكمهم على الله
اي لا بل يدخلها من اسلم وجهه لله وهو محسن ثم اختلف في قوله اسلم وجهه قيل اي اخلص دينه لله تعالى وعمله
فالوجه يراد به الدين والاسلام هو الاخلاص وقيل انه اخلص نفسه لله تعالى بالعبودية والعبادة ومعنى الاسلام
ان تخلص نفسك لله فلا تجعل لاخر فيها شركا لا من حيث الخلق والمالكية ولا من حيث استحقاق العبادة
والتعظيم ويذكر الوجه ويراد به الذات كقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه يعني الا هو قال الامام وبعضه قريب من
البعض وقوله وهو محسن اي وهو مع اخلاصه وتسليمه النفس الى الله تعالى بالكلية محسن في اعماله لا يرتكب القبيح
بل عز جعل المحسن مطلقا ثم بين ماله بقوله فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وقد سبق
بيانه فيما تقدم وقوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون
الكتاب • اي قالت اليهود ليست النصارى على شيء من الدين ولا دين الا اليهودية ولا كتاب الا التوراة وكذلك قالت
النصارى والمراد بعضهم لا جميعهم ومثاله عن ابن عباس ان يهود المدينة ونصارى نجران قالوا كذلك ثم قال الله تعالى كفى
الله تعالى بهذا القول وعابهم عليه وقد امر نبيه عليه السلام ان يقول لهم ذلك بقوله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء وقد
قال كل فريق لصاحبه انهم ليسوا على شيء فيكون ذلك منهم عملا بما امر الله تعالى فما وجه العتاب عليه اما يكون
مناقضة قيل لا تناقض بينهما لانه تعالى امر نبيه عليه السلام ان يقول لليهود والموجودين في عهده انهم
ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة وهو قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة الاية اما لو
اقاموا التوراة وفيها الامر بالاسلام والاتباع لمحمد عليه السلام فهم على شيء فلم يكن الامر مطلقا في حق الرسول
بهذا القول بل مقيدا بحال لم يقيموا التوراة واما اليهود فقد اخبرت بان النصارى ليست على شيء مطلقا وكذلك
النصارى من غير تقييد بحال وهم كانوا على حق حين كانوا في زمن موسى مقرين بموسى ومن بعده من الرسل وما نطق به
التوراة من البشارة بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك النصارى كانوا على حق في زمن عيسى عليه السلام حين
كانوا مقرين بموسى ومن قبله ومحمد عليه السلام فهم على الحق فكان نفي كل واحد من الفريقين لصاحبه بلا تقييد خطأ
والله تعالى امر نبيه بان يقول ذلك على التقييد دون الاطلاق ولا مناقضة تتصور بين المطلق في الاثبات والمقيد
في النفي او قال لهم لماذا تقولون هكذا وعندكم الكتاب وفيه ما بين لكم الحق من الباطل ويرفع من بينكم الاختلاف

لو تأملتم

لو تأملتم فيه وتدبرتم فلماذا لم تفعلوا ذلك فاذا الكتب يصدق بعضها بعضا فيكون ذلك منكم فعل الجهال الذين
قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي لستم على شيء من الحق لا يمكن انه مطلقة فانهم في تكذيب بعضهم بعضا
لما قالوا على الحق لا انه قول اليهود للنصارى لستم على شيء حق وكذلك قول النصارى فكان المراد منه المقيد وهم
انهم ليسوا على شيء في دعاويهم الباطلة وقولهم في الله تعالى بما لا يليق به وقيل لما قالت اليهود ليست النصارى
على شيء من الدين ونحن على الحق فاتبع ديننا يا محمد وكذلك قالت النصارى فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم
على شيء حتى تقيموا التورية اي على ما تدعون من الباطل والكذب فانه خرج جوابا لكلامهم فيتقيد به ولا يؤدي
الى المناقضة والله الموفق وقوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله • الاية يقول لا احد اظلم لنفسه ممن منع مساجد
الله • ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها • قال الكلبي نزلت الاية في ططوس بن اسبيسيانوس الرومي ملك النصارى
فانه غزا بالروم بيت المقدس وحاصر اهله حتى ظهر عليهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم واحرق التوراة وهدم
بيت المقدس والقى فيه الجيف ولم يزل خرابا حتى بناه اهل الاسلام في زمان عمر رضي الله تعالى عنه فانزل الله فيه هذه
الاية وهي اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه يعني توحيده وسعى في خرابها يعني خراب بيت المقدس وقيل
قوله مساجد الله اي مسجد الحرام وذلك ان قريشا حالوا بينه وبين دخول محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فيه
عام الحديبية كما قال الله تعالى ان صدوكم عن المسجد الحرام ورجعوا من عامهم ذلك ثم فتح الله تعالى مكة لهم فصار
لا يدخل فيه مشرك الا خائفا وذلك قوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وكان
الامر كذلك وقيل مساجد الله الارض كلها الا ان الارض كلها مساجد الله اي مواضع السجود وعبادته قال النبي
عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اينما ادركتني الصلوة تيممت وصليت ثم ان الكفار منعوا اهل الاسلام
ان يذكروا فيها اسمه اي توحيده وان يظهروا دينه وقوله تعالى وسعى في خرابها اي باظهار الكفر وترك الاسلام
سبب خراب الارض وفسادها كقوله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين وقوله تعالى اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين على طريق النهي لا على طريق الاخبار اذ لو حمل على الاخبار يقال ان من الكفار من دخل
في دار الاسلام ويكونون في الارض آمنين فيكون خلفا في الخبر بل يحمل على النهي اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها الا
خائفين وجلين من الله تعالى فان الارض اتخذت لعبادة الله تعالى فالدنيا دار عمل وعبادة ليتوسل بها الى الاخرة و
يحتمل ان يدخلوا دار الاسلام الا بالخوف وبالمذلة كما قال تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس اي بالعهد اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها الا كذلك ويكون هذا نهيا للمسلمين عن ان يمكنوهم من الدخول الى
دار الاسلام الا بالايمان وقوله لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم • قيل الخزي في الدنيا الجزية
وقيل القتال وقوله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم • قيل ان رهطا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرا وذلك قبل ان تصرف القبلة الى الكعبة فحضر وقت الصلوة
فاشتبه عليهم فتحروا فمنهم من صلى الى المغرب وصلوا الى جهات مختلفة فلما بان لهم ذلك قدموا الى رسول الله
فسألوا عن ذلك فنزلت الاية قال الشيخ وهذه الاية حجة على الشافعي لانه يقول من صلى بتحري الجهة ثم ظهر
انه صلى الى دبر القبلة لم يجز وليس في الاية ذكر جهة دون جهة بل فيها ذكر المشرق والمغرب وكذلك الخبر
فصار قوله مخالفا لظاهر الاية والخبر واختلفوا في قوله فثم وجه الله قيل ثم قبلة الله وقيل ثم مقصده ثم
ثم وجه الله وقيل ثم وجهه الله الذي وجهكم اليه اذا لم يرج منكم التقصير في طلب الكعبة واضاف الوجه الى نفسه
لانه يقع ذلك بفعل الله تعالى وصار كقوله عليه السلام في حق الناسي انما اطعمك الله وسقاك وان وجد
من الصائم الاكل حقيقة لما انه وقع فيه بفعل الله تعالى وهو تخليق النسيان فيه فاضيف الى الله تعالى فصير كانه
لم ياكل فصار كذلك هذا كان توجيهه الى هذه الجهة طالبا لقبلة الله تعالى من غير تقصير منه في الطلب
لحق بما في وسعه يكون بتوجيه الله تعالى اياه فيصير خطاؤه مغفورا ويجعل كانه توجه الى الكعبة وقيل اي فثم
الله فاذا الوجه يذكر ويراد به الذات اي هو ليس بغائب عنهم في جهة صلوا بل هو عالم بانهم توجهوا طالبين
رضاه وقاصدين تعظيمه قال الامام ثم الفرض في القبلة ليس اصابة عينها في حق من كان غائبا عن الكعبة
لانه ليس الى اصابة عينها سبيل مع البعد عنها وانما طريق معرفتها الاجتهاد والاستدلال بالنجوم ونحوها
فاذا فات هذا الطريق الخالص بالغيم او بالجهل كان الاجتهاد بالتحري هو الطريق الى اصابته فاذا اخطا الجهة
لا يجب الاعادة اذ هو حكم امضي بالاجتهاد ولا ينقض اجتهاد مثله بخلاف التحري في المياه والثياب ونحوها
من الاشياء لانها مثل الطهارة في الاصل واما النجاسة فعارضة فكان اصابة عينها معقولا عليها في الجملة
فمتى ظهر الخطا يجب ترك الاجتهاد باليقين وصار نظير الاجتهاد في الاحكام الشرعية انه اذا ظهر عند المجتهد خطا
باجتهاد اخر لا ينقض ما مضى ويعتبر الحادث في المستقبل لان الثاني اجتهاد وليس بيقين فلا ينقض الاول الا بيقين

ومثله لو ظهر الشمس بخلافه ينقص فهذا مثله وقوله تعالى ان الله واسع عليم قيل الواسع الغني وقيل الجواد يجود
عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله وحيث وسع عليهم امر القبلة عليم بما قصدوا ونووا وقوله تعالى وقالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه معناه واسبحه سبحانا فهو مصدر بمعنى التسبيح ففيه تنزيه نفسه عما قالوا فيه والاية
ترد عليهم وهم النسطورية من النصارى حيث قالوا انه اتخذ عيسى ولدا لا انه ولد حقيقة ووجه الرد
عليهم ان اتخاذ الولد والتبني في الشاهد انما يكون لوجوه اربعة اما الوحشة تلحقه فيتخذه فيحتاج الى من يستأنس
به او لدفع عدو فيحتاج الى من يستنصره فيعينه على قهره او لشهوات تغلبه وحوائج تمسه فيقضيها به او يرثه
من يخلفه بعد موته في املاكه فيحتاج اثاره واذا كان الله عز وجل يتعالى عن ان تاخذه وحشة او يقهره عدو
او يمسه حاجة او يلحقه موت فلا معنى لاتخاذه ولدا وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد على
ما قالوا انى له ولد وله ملك السموات والارض وما فيهما لا تمسه حاجة ولا يقهره عدو اذ كل ذلك ملكه تحت
تقديره ويمضي عليهم امره وتدبيره وانما يرغب في الشيء من يعتريه شيء مما سبق ذكره تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وايضا فانه اذا كان كل ما في العالم ملكه فمن اتخذه ولدا فهو عبده واحد في الشاهد لا يتخذ عبده ولدا
مع شدة حاجتكم الى الاولاد فكيف تزعمون ذلك في حق الله تعالى مع غناه عن الاولاد والانصار لكنهم في الشاهد
انما يعتق المرء عبده فيتخذه ولدا وذا لا يتحقق في الغائب لان خروج احد عن عبوديته لا يتحقق لانهم صاروا
عبيدا له بالتخليق ولا يخرج احد عن كونه مخلوقا فلا يخرج عن كونه عبدا مع قيام العبودية لا يستحق في الشاهد ان
يتخذ ولدا فكذا في الغائب اوالحق هذا القول وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن
عبدا فان قالوا المجاز ان يتخذ الله ابرهيم خليلا كقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا واتخذ محمدا حبيبا عليهم
اجماع الناس في استعمال اللفظ لماذا لا يجوز ان يتخذ ولدا وكان ان يكون نسبته اليه بطريق الكرامة كما
كان نسبة عيسى اليه باسم الولد الا انه كرامة لعيسى عليه السلام قيل لهم امتنع عامة اهل العلم عن اطلاق هذا
الاسم مع تجويزهم اطلاق اسم الخليل والحبيب ونحوهما فسقط قول من جوز تسميته ولدا او ابنا بطريق المجاز
منسوبا الى الله تعالى لمخالفته عامة العلماء فاذا استدلوا بالخلة على جواز تسمية الولد حقيقة فهو فاسد لا فرق بينه
بمحل الاستدلال لما ذكرنا وقيل في الفرق فيهما انه يجوز ان يقال الخليل الله وحبيب الله ولا يجوز ان يقال ولد الله
وابن الله والفرق بينهما ان الخلة لا تتحقق في الجنس تحقق خلاف الجنس فاما الولاد فلا يكون الا في الجنس فان
الولد حقيقة يقتضي ان يكون الابن من جنس الولد والولد لا شك في كونه مخلوقا حادثا بعد ان لم يكن فيقتضي
حدوث الوالد وكذا الخلة فلا تقتضي ان يكون بينهما مجانسة فحدوث الخليل والحبيب لا يدل على حدوث المحب قال
الشيخ فاذا ثبت هذا نقول انا لم نجز حقيقة الولاد لا يجوز التسمية بطريق المجاز لان المجاز هو تشبيه بحذف
كاف التشبيه فاذا لم يتصور ان يكون لله الولد حقيقة لم يجز التسمية بطريق المجاز بخلاف المحبة فانه يجوز حقيقة
ويجوز بطريق المجاز اطلاق الاسم ايضا لتصور الحقيقة والله الموفق وقيل ان الخلة في الشاهد يكون بطريقين
احدهما ان يعقدا عقد الموالاة والحلف بينهما والتناصر والذب والاستئناس ونحو ذلك ويقوم مقامه في
املاكه بعد والثاني ان يقع الخلة بسبب افعال يكتسبها ويسبق من احدهما يستوجب بتلك الخلة الجزاء على فعله
من التعظيم والاحترام والاحسان ونحو ذلك وفي حق الله تعالى انما يطلق الاسم باعتبار المعنى الثاني وهو ان يسبق
من عبد الطاعات والخيرات ويستوجب بها المحبة من الله ويحقق حبا على صنيعه اوعظم شعبه للاخلاف المحبة وهذه
مكافاة فاما حقيقة الولاد ليس تبتني على افعال حميدة يكتسب بجزاء عليها بالولاد بطريق معلوم في الشاهد فاستحال الولد
في الغائب فهو عز وجل تعالى ان يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقوله تعالى كل له قانتون قال الشيخ وجوه الجملة
كل من في السموات والارض من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الذين تعلمتم ان الله اتخذهم ولدا قانتون بالذي يعرفون
له بالربوبية ولانفسهم بالعبودية وقيل قانتون اي مطيعون وقيل القانت القائم وهو على وجهين احدهما القائم
هو القائم المنتصب على القدم والثاني القانت هو القائم بالامر والحفظ قال الشيخ ولا يحتمل ان يراد بالقانت
ههنا المنتصب بالقدم اذ الكل ليسوا على هذا الوصف دل انه يرجع الى الطاعة اي الكل مطيعون له ويحتمل
الخلقة لا تخلفه كل احد بنزهه ربه عن جميع ما يقولون فيه فعلى هذا التاويل يجري لفظة كل على الاستغراق كل محدث
لوجود شهادة الخلقة في الكل وعلى التاويل الاول يراد بالكل الاكثر فان الدهرية والطبايعية ونحوهم غير مقرين
بالله تعالى وقوله تعالى بديع السموات والارض اي مبدعها من غير احتذاء على اصل ومثال والبديع والمبدع والمبتدع
في المعنى واحد وهو الذي لم يسبقه احد في انشائه ولذلك سمي صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه احد في
مثل فعله ثم قال الآية حجة ورد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا لانه يقول لانه قدر على خلق السموات والارض
من غير اصل ومثال سبق ولا سبب تقدم وهو في انفسكم اصعب واعظم من خلق عيسى بغير اب فاذا كان تكون

عندكم على ذلك الاصعب فكيف تنكرون قدرته على ما هو دونه بكثير وقوله تعالى واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
قال الشيخ قوله كن عبارة عن خطاب الايجاد والتخليق لافهام الخلق للفصل بين هذا الخطاب والخطاب بالافعال
وهذا على ما ارى متكلمي اهل الحديث وانا قصدنا وجود المحدثات بتخليقه وايجاده وتكوينه وهو صفته الازلية
وقوله كن عبارة عن سرعة حصول المخلوق بايجاده وكمال القدرة ثم الآية حجة ورد على فرق منهم من ادعى اتخاذ الولد
من الله تعالى كعيسى في التبني فيقول ايجاد عيسى من غير اب فرد الله تعالى عليهم ان من قدر على ايجاد السموات والارض
ونحوها لا من اصل ومثال كيف لا يقدر على شخص واحد من غير اصل والثاني الآية رد على من يقول بان خلق الشيء هو عين
ذلك الشيء فان التكوين والمكون واحد وبيان وجه الرد عليه انه تعالى قال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
اخبر ان وجود شيء من الاشياء علمه في الازل وحكم بوجوده في وقته فان وجوده تقول له كن فقوله كن عبارة عن
الايجاد وقوله فيكون عبارة عن الموجود لافهام السامعين ولو كان التكوين والمكون واحدا كما زعم لكان يكتفى
بلفظ واحد عبارة عنه اذ المعنى مع المعبر عنه شيء واحد فدلت الآية على ان التكوين غير المكون والثالث رد على
من يجعل التكوين حادث وهم الكرامية لان دليل العقل يقتضي على ان التكوين ازلي خلافا للكرامية قلتم ان التكوين
حادث الحدث بنفسه او بالحدث يحدث في القول بانه حدث بنفسه باطل لانه لو جاز حدوث شيء بلا احداث
محدث لجاز حدوث كل شيء فيبطل القول بالصانع لان طريق معرفة الصانع هو وجود الحوادث فاذا جاز وجود الحوادث
بنفسها لا ضرورة في ثبوت الصانع اذ طريق معرفة الاشياء اما الحس والخبر او الاستدلال فاذا لم يثبت بطريق
الاستدلال وهو دلالة وجود المصنوع على الصانع وطريق الخبر لتوحيده والحس معدوم فبطل القول به وكان
اجماعنا على وجود الصانع دليلا على ابطال دعواهم في حدوث الشيء بنفسه وان كان بالاحداث ونقل الكلام الى احداث
آخر الى ما لا يتناهى وما لم يتناه الى ايجاد ذي لا يتصور وجوده دل ان التكوين ازلي فثبت ايجاده وهو مذهبنا انه
تعالى موصوف في الازل بكونه محدث التكوين لكل شيء في الوقت الذي علم كونه فيه والله الموفق وقوله تعالى
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية فيه وجوه قيل الذين لا يعلمون يعني بهم سموا بذلك لعدم
انتفاعهم بالعلم وقيل لا يعلمون توحيده بهم وهم مشركو العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هلا يكلمنا الله او تاتينا
آية فيخبرنا بانك رسوله وقيل اي لا يعلمون انهم لم يبلغوا محلا يستحقون تكليم الله اياهم اذ ليس محل الرسالة دون العوام
وقوله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل هم الذين قالوا لموسى ارنا الله جهرة مثل ما قال مشركو
العرب لمحمد عليه السلام لولا يكلمنا الله وقيل سال اليهود مثل سؤال النصارى وسال النصارى مثل سؤال اليهود
وقوله تعالى تشابهت قلوبهم قيل اي تشابهت بالكفر والسفه والعناد والمكابرة فتشابه كلامهم كما تشابهت
قلوبهم وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون قيل بينا امر محمد عليه السلام بالآيات والحجج التي اقامها انه
رسول لمن امن به وصدقه ولم يعاند وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا قيل اي ارسلناك يا محمد
لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد وقيل الحق القرآن وقيل بالحجج والآيات بشيرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا لمن عصاه
بالنار وقيل بالحق اي بالحق الذي لله على الخلق والحق الذي لبعض الخلق على بعض لتدعوهم اليه وتنظر فيه وقوله
ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قال الشيخ فيه لغتان نصب اللام وضمها اما النصب فقد قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سال عن ابويه ذات يوم فقال ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم يعني النهي عن السؤال عن اصحاب الجحيم واما الضم فيحتمل اي لا تسأل يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم ومؤاخذته
ولا تسألون عما كانوا يعملون وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ويحتمل ايضا اي لا تسأل بعد هذا عن اصحاب الجحيم
ولم يذكر انه سئل عنهم بعده فان كان التاويل على هذا الوجه فهو يرد لانه على اثبات رسالته فانه اخبر
عن الغيب ولا غيب يعرفها الا بطريق الوحي وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
قيل الملة السنة كقوله بسنة الله وعلى ملة رسول الله وكقوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا وقيل الملة الدين كقوله عليه
السلام لا يتوارث اهل ملتين شتى وقيل الملة ههنا القبلة وهو كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا
قبلتك وما انت بتابع قبلتهم فالله تعالى آيس رسوله عليه السلام عن اتباع اولئك دينه وقبلته لانهم يختارون
الدين والقبلة لانفسهم لا لطلب الحق وظهوره ولزوم الحجة وذلك لان النصارى انما اختاروا المشرق قبلة
لكون المكان الذي انتبذت فيه مريم وحملت عيسى عليه السلام من ناحية المشرق بخبر قوله تعالى عنها اذ انتبذت من اهلها
مكانا شرقيا واليهود اختاروا الناحية الغربية لان موسى عليه السلام كان بناحية المغرب حين اعطي الرسالة وكلمه
ربه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر واما اهل الاسلام فهم الذين داروا مع مراد الله تعالى
واختاروا قبلة ابتغاء لا اتباعا لهواهم قال الشيخ ثم قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
يحتمل ان المراد بالآية تعيير الكفرة بالتقليد وترك التأمل والتدبر في الآيات والحجج لنظرهم الى انه يحتمل

اتباعهم جميعاً لاختلافهم مع اتفاقهم في الكتاب فكانت صورته في اتباع احد الفريقين مخالفة الآخر وذلك يؤدي
الى التناقض فيجب العقل بالنظر الى الذي هو حق من الجملة ليتبع وقد اقام الله تعالى للحق دلائل ظاهرة من طلبها عن دين
وتأمل يقف عليه وكل واحد من الفريقين يدعي ان الحق في يده دون غيره بطريق التقليد والحق لا يختلف فكان الآية
لبيان ذم التقليد والدعاء الى التأمل في الآيات والحجج لاتباع الحق وقيل ان الآية وردت على سبيل النهي عن اتباع
هؤلاء في ملتهم فان قيل كيف يكون هذا نهياً عن اتباع ملتهم وهو معصوم عن ذلك قيل عن هذا الجواب ان الخطاب
له والمراد اصحابه وان كان له عليه السلام ظاهراً فالمراد اصحابه ومثل هذا كثير في القرآن وعلى
هذا الوجه يندفع هذا الاشكال بلا شبهة والثاني ان كان هذا نهياً للنبي صلى الله عليه وسلم فالانفصال
عنه من وجوه احدها ان يقال ان الانبياء عليهم السلام معصومون عن المعاصي والفواحش لكن
يحتمل انهم كذلك في حكم الله تعالى ولم يكن لهم علم بانهم معصومون عن الكبائر لتكون عادتهم على الخوف والرجاء
ثم ظهر حكم الله تعالى بعصمتهم عن الكبائر لما لم يثبت عن نبي من الانبياء انه وقع في شيء يوجب سقوط عدالته فعلى هذا لم
ينههم لتكون ترغيباً في الخوف والرجاء لزيادة الثواب والثاني انه يقال لو قيل ان لهم علماً بعصمتهم عن الشرك
والمعاصي ولكن تمام العصمة لا يزيل المحنة بالامر والنهي لان التكليف يعتمد تصور المكلف به من حيث الذات لا من
حيث الذات لا من حيث حكم الله تعالى وعلمه فان النهي عن الشرك والتكليف بالايمان قائم في حق ابليس لعنه الله مع الاخبار
عنه بانه لا يؤمن وكذلك في حق من علم الله تعالى منه انه لا يؤمن وان كان لا يتصور له من حيث يرجع الى حكم الله تعالى وعلمه
لما في تصور ذلك منه من تبديل علم الله تعالى وتغيير حكمه لكن لما كان متصور الوجود من حيث الذات صح التكليف
فانما كذلك هٰهنا الله تعالى وان كان حكم بعصمة الانبياء وعلم انهم لا يختارون امره ولا يرتكبون نهيه لكن لما كان التكليف
متصور الوجود باعتبار ما لهم من آلات الفعل وشرائط وجوده يجب ان لا يسقط التكليف ولان العصمة لو كانت تسقط
التكليف لكانت تبطل نفسها لان معناها ان يعصم مما نهي عنه ويرفق لما يؤمر به فاذا لم يتحقق النهي مع قيام العصمة
بطل القول بالعصمة فيؤدي الى التناقض في القول بقيام العصمة فيفضي الى القول بابطال الثواب في حق الانبياء
لان الثواب باداء الطاعة والطاعة موافقة الامر والامتناع عن النهي فاذا لم يتحقق النهي في حقهم لا يتصور الطاعة
ويؤدي الى ان يكون الطاعة منهم بطريق الجبر وهذا فاسد فيفضي الى مسألة ولان العصمة انما كانت موعودة
للانبياء اذا لم يكن منهم الا الاقبال والاختيار الامتناع عن الخلاف مع التضرع والخوف اللازم القلب من ضرورة هذا قيام
الامر والنهي على انه قيل ان لم يكن لهم خوف العقاب لقيام العصمة عن الاسباب الموجبة للعقاب فهم يعبدون الله
بالهيبة والجلال كما في الشاهد اذا كان الرجل ابن محترم في نفسه كالسلطان والامام فانه يخاف من الهيبة
والجلال لا خوف العقوبة والنكال قال الله تعالى في حق الملائكة يخافون ربهم من فوقهم وقال النبي عليه السلام ذكر
ربك في نفسك تضرعاً وخيفة والتكليف بالامر والنهي يتحقق معنى الابتلاء وهو ظهور ما علم على ما علم وقوله
تعالى قل ان هدى الله هو الهدى • قيل ان دين الله هو الدين الذي اختاره اهل الاسلام بالامر واتباع الحجج لا ما اختار
اولئك بهوا انفسهم ونبذ الدلالات والحجج وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم • يحتمل ان
الخطاب له عليه السلام والمراد اصحابه وامته ويحتمل ان يراد به على طريق التحذير مع قيام العصمة لما سبق ذكره
وقوله تعالى ما لك من الله من ولي ولا نصير • اي من ولي يتولى الدفاع عنك ولا نصير يمنعك من العذاب وقوله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب • قيل اراد به التوراة والانجيل وقيل اراد به القرآن فمن حمل على الاول قال التقدير اصحاب [illegible] وكذا
قال الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته • اولئك يؤمنون به • اي الذين يتلون التوراة حق تلاوته يؤمنون به وقيل يتلونه
حق تلاوته اي يعملون به حق عمله لا يكتمون ما فيه من نعت النبي عليه السلام اولئك يؤمنون به وهم الذين اسلموا
منهم ومن حمله على القرآن قال الذين يتلونه حق تلاوته اصحاب محمد وقوله تعالى يا بني اسرائيل • قد تقدم تأويله
وقوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن • قال الشيخ استدل بهذه الآية شيخنا ابو القاسم الطيبي ان المعدوم
لا يعلم وان الله تعالى انما يعلمه اذا خلقه واوجده وقال الحسن البصري ان الله تعالى انما ابتلى ابراهيم بكلمات فاتمهن وقال خلق
الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملاً والابتلاء والامتحان في الشاهد لاستفادة علم خفي من المبتلى والممتحن
لتحصل له علم ما كان ملتبساً عليه وان من لم يكن له علم بحال عبده انه مطيع له او عاص فانه يبتليه بامر من الامور لتظهر
له طاعته او معصيته فكذلك الابتلاء من الله انما ينعدل الا للغائب الشاهد وقد وجد التنصيص على ذلك في بعض
الآيات نحو قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم الآية قال الامام هذا استدلال فاسد لان الله تعالى
نص في كثير من الآي على احوال القيامة من قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة وذكر احوال الجنة والنار وكذا يلزم عند الطيبي انهما غير مخلوقتين وتلك الاحوال كلها
معدومات فيلزم قطعاً ان الله تعالى عالم بالمعدومات قبل وجودهما ولانه قد قام الدلائل القطعية على ان الله تعالى

عالم في الازل بما كان وما يكون ابداً لانه لو انتفى العلم ينتفي الى نقص وهو الجهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً
وكل ما يستحيل ان يوصف بانه يعلم يجب ان يوصف الله تعالى بكونه عالماً لان الله والمعدوم لا يستحيل ان يتعلق
به العلم لان العلم لا اثر له في المعلوم بمنزلة الذكر والوصف والتسمية ثم المعدوم يوصف ويذكر ويسمى فكذا
يجب ان يعلم بخلاف الفعل في الشاهد فانه يؤثر في المفعول فلا بد ان يكون موجوداً ليقبل الاثر واذا تعلق
بالمعدوم يجب القول بكونه داخلاً تحت علم الله تعالى لانه ثبت ضده وهو الجهل بخلاف المستحيل من الجمع
بين الضدين والشريك والولد لله تعالى فانه لا يوصف العلم بذلك لاستحالته واذا لم يتصف بالعلم لا
يتصف بضده وهو الجهل لان انتفاء العلم لعدم قبول المحل واذا ثبت هذا الاصل ظهر لنا ما هو تفسير الابتلاء
والامتحان وهو الاختبار لغة وفي عرف الناس في الشاهد وذلك لا يتحقق في الغائب وليس كل ما يجب في
الشاهد يجب في الغائب ولا يجب التسوية الا بمعنى جامع فيكون هذا اشكالاً لا يجب على الكل حله وتخريجه
ثم نقول الابتلاء من الله تعالى نوعان بالكلام من حيث الامر والنهي وبالفعل وهو اعطاء النعمة واعطاء البلية
والشدة اما الابتلاء بالامر والنهي فلوجوه احدها ان في الشاهد الامتحان والاختبار قد يكون بالامر والنهي
ليظهر الامر المطيع لخفاء ذلك لجهله بالعواقب والله تعالى عالم بعواقب الامور ولا يخفى عليه المطيع من العاصي
فلم يكن امره لهذا المعنى فاما جاز اطلاق اسم الابتلاء على امره ونهيه لمشابهته بين امر الله ونهيه وبين امر
العباد ونهيهم من حيث طلب ايجاد الفعل المأمور وطلب اعدام المنهي عنه بطريق الاستعارة والثاني
ان الامر والنهي في الشاهد طريق ثبوت الطاعة والمعصية مع حصول العلم وفي الغائب وان كان عالماً بالمطيع
والعاصي في الازل فان امره ونهيه طريق ثبوت الطاعة والمعصية وكان بينهما مشابهة من هذا الوجه في
اطلاق اسم الابتلاء على امر الله تعالى ونهيه بطريق المجاز والثالث ان الله تعالى في الازل بوجود الايمان والطاعة
من المؤمنين والمطيعين وبوجود الكفر والمعاصي من الكافرين والعاصين وحكم بذلك فخلق دارين الجنة
للمؤمنين والنار للكافرين واراد من كل واحد من الفريقين ما علم فلا يتغير علمه وحكمه وهذا هو الحكمة البالغة
ان لا يكون امره مناقضاً لحكمه وعلمه فهذا هو المقصود بالامر والنهي وهذا لان الله تعالى عالم في الازل ان يوجد
من هذا الطاعة وان يوجد من هذا المعصية فامره ونهيه لوجود ما علم بوجوده فيعلمه موجوداً كما كان قد علم
انه يوجد فيصير معلوماً بعد الوجود كما هو معلوم قبل الوجود اذ علم الله تعالى يتعلق بالموجود والمعدوم جميعاً
لكن يتعلق به كما هو ان كان معدوماً يعلمه معدوماً وان كان موجوداً يعلمه موجوداً فاذا كان معدوماً وعلمه
انه يوجد فاذا اوجده يعلمه موجوداً واحداً معنى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة علم الغيب علم انه سيوجد
وعلم الشهادة علم انه حاضر بعينه صار موجوداً وعلم الله تعالى واحد ازلي لكن بذلك العلم الازلي علمه معدوماً
قبل الوجود واذا صار موجوداً علمه انه موجود او التغير على المعلوم لا على العلم فتبين ان بالامر والنهي يصير
ما سيوجد في وقت معلوماً موجوداً في وقت وجوده فكان بين الامر في الشاهد والغائب مشابهة من وجه
فجاز اطلاق اسم الابتلاء على امر الله تعالى ونهيه بطريق المجاز وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين فان الله تعالى علم انه يجاهد في وقت كذا فامره بالجهاد ليعلمه مجاهداً بعد وجود
الجهاد منه كما علمه انه يجاهد قبل وجود الجهاد وقد علمه انه يصبر على ذلك فيعلمه صابراً بوجود الصبر منه والتغير
على المعلوم لا على العلم وكذا قوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب اي يعلمه خائفاً بعد وجود الخوف منه كما علم
وجود الخوف منه وقد يمكن ان يجاب عن السؤال بجواب آخر وهو ان الابتلاء كما يستعمل في التجربة والامتحان
لغة فكذلك قد يراد به الاظهار قال الله تعالى يوم تبلى السرائر اي تظهر وتبدو والابتلاء عبارة عن طلب الظهور
وكان الامر في الشاهد ان كان طلب حصول العلم لجهل الآمر ففي الغائب لطلب ظهور ما قد علمه فيكون اطلاق
الاسم في الغائب لتعيين هذا الوجه لامتناع هذا الوجه الآخر واما النوع الثاني وهو الابتلاء بالفعل فان الله
تعالى قد يعطي عبده نعماً والعقل يحثه على استعمال النعمة في موضعها والقيام على الشكر للمنعم ليكون ذلك نعمة
في حقه يتوسل بها الى النعم الابدية او نعم الدنيا ليست بنعمة في نفسها لقبولها الاستحالة والانتفاء ولا
استعمالها فيما هو من الاستعمال فيه يصير تلك نعمة عليه ومن اعطي الشدة والمحنة ان صبر عليها يصير تلك نعمة
في حقه بالصبر وسيلة الى النعم الابدية وان لم يصبر حينئذ نقمة عليه وفي الشاهد يكون كذلك فان من يسدي
الى آخر نعمة فشكره عليها يتحقق كونها نعمة وتتأكد الصداقة واذا كفرها ولم يقابلها بالشكر يصير ذلك سبباً
لقطيعة بينهما فينقلب تلك النعمة نقمة في حق المنعم عليه وكذلك قد يبتلي من يدعي صداقته بنوع محنة وشدة
ليعرف بذلك حقيقة صداقته فان صبر عليها افضت الى الالفة والمواصلة وان جزع وتلاشت صداقته تعرف
به تزوير في الدعوى ويكون ذلك في الشاهد ابتلاء لما لا علم له بحقيقة الحال فيحصل العلم عند ذلك وهذا

في اللغة سمي الشدة بلاء ومحنة ويسمى النعمة ايضا بلاء لان الفرق بين الشاهد والغائب انما هو في الاول
من حال الكمل انه يشكر على الاء النعم او يكفرها فاراد من البعض الشكر ومن البعض الكفر فانه يتحقق الطاعة والمعصية
وكذا في جانب الشدة انه تعالى عالم من الممتحن انه يصبر على المحنة او يجزع وقد اراد من البعض الجزع ليتحقق ما علم من الانتقام
والجزاء والشكر كما قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالوجه الذي ذكرناها
في الامر من المشابهة بين فعل الشاهد والغائب من حيث ان الفعل فالمشابهة بينهما من حيث ان كل واحد منهما
طريق الى اثبات وصف الطاعة والمعصية المنعم عليه او المبتلى لانه لولا الانعام لما وجب الشكر وحرم الكفران
فلا يتحقق وصف الطاعة والمعصية وكذا لولا اعطاء المحنة والشدة لما وجب الصبر وحرم الجزع فالمشابهة
بينهما من حيث ان في الشاهد بسبب هذا الفعل يحصل العلم بتحقق طاعته وضده من عصيانه وكذا في الذي
والله تعالى عالم في الازل بوجود ذلك منه وقته وبسبب هذا الفعل يظهر ويخرج ما علم بوجوده فيعلمه موجودا
كما قد علم انه سيوجد حين كونه معدوما وهذا طريق الاستعارة والمجاز لغة ثم اختلف في الكلمات التي ابتلي ابراهيم
عليه السلام بها قال بعضهم هي الكلمات المذكورة في سورة الانعام وهو قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا والى اخر
القمر بازغا ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي اي هذا ربي على طريق الانكار لما راى فيها من سمات الحدث فهو اولا
من حال الواحد فهذا امتحانه اقامة الحجج على قومه لاثبات التوحيد وتنزيهه عن سمات النقص لا امتحان قوله وتلك
حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فكان تقديرا للاية واذ ابتلى اي واذ لم ابراهيم ربه باقامة هذا الحجج على قومه
فاتمهن اي امتثل لما امره وقال بعضهم المراد انه ابتلاه بان يتحمل عظام محنة النفس حيث القي في النار فاسلم
وصبر في ذات الله تعالى ومحنة الولد حيث ابتلي باسكان احد ولديه مع امه بواد لا ماء فيه ولا زرع ولا عمران
هناك من غير قيم ولا نفقة وابتلي ايضا بذبح احد ولديه فصبر في ذات الله تعالى ومحنة الاهل والوطن حيث
ابتلي بالهجرة الى الشام فصبر على ذلك في ذات الله تعالى ومحنة المال فانفقه في سبيل الله تعالى ولا محنة فوق هذه
المحن في الشاهد ولم يبتل احد من الانبياء باجتماع هذه البلايا ولما صدق صبره وتم تسليمه اكرمه الله تعالى بالثناء
الصدق وخصه بالخلة ورفع ذكره الى يوم القيمة جزاء له لما صبر في المحنة في نفسه وجعل النبوة والرسالة في
ولديه اسمعيل واسحق وكان رسولنا افضل الرسل وخاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم من اولاد اسمعيل تشريفا
له وقوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما فيه وجهان احدهما جعله رسولا يقتدى به لان اهل الاديان
مع اختلافهم يدينون به ويقرون بنبوته والثاني جعله اماما من الامامة والخلافة وقوله تعالى قال ومن ذريتي
قال لا ينال عهدي الظالمين قوله ومن ذريتي هذا سؤال من ابراهيم ان يجعل الامامة في ذريته وقوله قال لا ينال
عهدي الظالمين خرج جوابا للسؤال اي لا يكون الظالمون صالحين للامامة والمراد من الظالم الكافر اذ هو الظالم
المطلق فان قيل هذا لا يخرج جوابا للسؤال على طريق الرد والانكار وهذا يقتضي ان كل من سال الامامة لمن اولاده
يكون موصوفا بالظلم ولا ينال الامامة هذا من حيث ظاهر اللفظ لغة فاذن من قال الحكيم لم يعط لا ابي العلم له فيه
او من بني فلان العلم فقال الفلسفة لا ينالها الحمقى فهذا منه رد فوصف لهم بالحمق وقد كانت الرسالة
في كثير من اولاده من اسحق وختمت بولده من اسمعيل وهو رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وجعلها كلمة
باقية في عقبه فيكون هذا تناقضا من حيث الظاهر وخلفا في الخبر والامام فهذه شبهة الملحدة والعقل في
دفع هذه الشبهة من وجوه منها قيل يحتمل ان يكون هذا منه سؤالا لجميع ذريته كافة والعرب تذكر كلمة من
تذكر لبيان الجنس كما تذكر للتبعيض قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والمراد الاجتناب عن جميع الاوثان
لا عن البعض فيكون قوله لا ينال عهدي الظالمين رد السؤال الامامة في جميع ذريته ورد ذريته لا يخلو عن الظالم
الذي لا يصلح لذلك فلا يتحقق الرسالة في جميعهم فكان هذا رد الرسالة في الجميع لا في البعض والرسالة
انما يتحقق في البعض دون الكل فلا يكون هذا خلفا منه في الاخبار ولا يقتضي هذا ان يوصف جميع ذريته بالظلم
بقوله لا ينال عهدي الظالمين لانه ذكر هذا علة لرد السؤال في جميع ذريته والظالم في البعض يمنع مانعا
ثبوت الرسالة في الكل لانه لا يتحقق الكل مع انعدام البعض فلا ضرورة الى ثبوت وصف الظلم في الكل وكذا
نقول فيما ذكر من المثال العلم بني فلان الفلسفة فقال الفلسفة لا ينالها الحمقى فهذا منه رد لسؤاله للحمقى منهم
لا في الكل ويكون وصفا منه للبعض لوجود الحمق لا للكل لانه اذا كان فيهم حمقى لا يصلح لذلك لا يمكنه تعليم
جميع اولاده فيكون هذا منه رد الوصف الكلية لا للبعض وقيل يحتمل ان المراد سؤال الامامة للبعض فان كلمة
من للتبعيض يستعمل لغة من حيث الغالب فكلموا في وجه رد شبهة الملحدة فقال بعضهم يحتمل انه عليه السلام
اراد الرسالة لبعض مخصوص من ذريته ممن علم الله تعالى انه لا يصلح لها فرد سؤاله في ذلك البعض بما ذكر من
ان الظالمين لا ينالون عهدي واذا كان المراد هذا البعض لا ينفي ثبوت الرسالة في غيرهم وقال بعضهم يحتمل ان

ان يكون الرسالة بعده في بعض ذريته ابدا حتى لا يكون بين الرسل فترات فاخبر الله تعالى ان في ذريته من هو ظالم ولا
هذا الوصف على الابد في ذريته فلا يتحقق وجود الرسالة فيهم على الابد وتتسق له الى يوم القيامة وقال
بعضهم يحتمل انه يكون سؤالا له الامامة في اولاد اسمعيل بعد وفاته متصلا به فاخبر الله تعالى ان في اولاده من هو
ظالم فيكون ردا لسؤاله فيهم في بعض الزمان لا في الابد لتبقى ثبوت الرسالة لرسولنا صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم هذا من الله تعالى رد لسؤاله من حيث اطلاق الذرية اي ما ينطلق عليه اسم الذرية وما ينطلق عليه اسم
الذرية لا يصلح للامامة اذ الظالم لا ينال العهد فالصالح لها من يخلو عن الكفر وكان هذا من الله تعالى ارشادا اياه ان يسال
للصالحين منهم دون الاطلاق لا يكون رد الصفة الموصوف بشرائط الامامة فلا يؤدي الى التناقض بحمد الله تعالى
لان مراد الجواب يقتضي اعادة السؤال كانه قال لا ينال عهدي الظالمين من ذريتك فلا يكون غير الظالم مرادا
ويكون رد السؤال من حيث الاطلاق فان قيل المراد من الخلافة الارض وقد كان منهم كفرة فكيف يستقيم تاويل الاية
للامامة بالخلافة فيؤدي الى الخلف في قوله لا ينال عهدي الظالمين قيل الامامة هو الخلافة بطريق الحق اما الملك بطريق
القهر لا يسمى امامة والله الموفق ولهذا تادب ابراهيم عليه السلام حيث دعا في حق الرزق للمؤمنين دون ذريته على
الاطلاق بقوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله الاية لما رد دعاؤه في حق الامامة عن المؤمنين وقوله
تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس قيل المثابة المجمع وقيل المرجع لرجوع الناس اليها من الافاق للزيارة
مفعل من ثاب يثوب اي رجع قال وفي الاية دلالة لتخلق افعال العباد من الله تعالى ومنهم كسبا وفعلا لهم بطريق
الاختيار فانه اخبر انه جعل البيت مثابة فاذا كان فعل الرجوع مخلوق العباد لا مخلوق الله تعالى على زعم المعتزلة
يصير الناس جاعلين له مثابة لا الله تعالى وذلك خلاف ما اخبر الله وفي الاية دلالة اثبات الربوبية والتوحيد فانه
بين شدة اشتياق الناس وقصدهم للوصول عند سماع اسمه في ذلك يتحمل الشدائد في المشاق العظيمة وقطع مسافة
المديدة فدل ان الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك الى قلوب الخلق ولا احد يمانعه من ذلك بعضهم وقلوبهم يعلم
انه واحد لا شريك له يدبر في ملكه ما يشاء على وجه ينقطع عنه اوهام البشر وتكل عقولهم عنه والله الموفق وقوله تعالى
وامنا قيل امنا لمن دخله من عذاب الاخرة وقيل امنا لكل محرم وعائذ من القتل وغيره من الاسباب الموجبة للقتل
وذلك نظير قوله تعالى ومن دخله كان امنا وفي الاية حجة على الشافعي في مباح الدم اذا التجأ الى الحرم انه يصير امنا
ما دام فيه مع ثبوت وصف الامن لا يتحقق اباحة القتل ولا يباح قتله في الحرم ولانه لا يقتل في الحرم كمن تحرم بكذا
يطلق في القصاص والحدود لان حرمة الحرم بفضيلة البيت انظر بثبوت الامن للخائف الملتجي اليه لعظمه وقد
لا انعقادت ولذا قال الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان مكة حرام بتحريم الله
تعالى اياها يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها
ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ومن عمر الظفر لو لقيت قاتل ابي في الحرم ما قتلته غير انه اذا قتل في الحرم يقتل هناك
لانه هتك حرمة الحرم بالقتل فيه وعلى هذا قال ابو حنيفة لا يخرج من الحرم ليقتل خارج الحرم لكن يمنع منه الطعام والشراب
ولا يبايع ليضطر فيخرج بنفسه وقال ابو يوسف للسلطان ان يخرجه من الحرم فيقتله في الحد دون القصاص
وذهب الى قوله تعالى واخرجوهم من حيث اخرجوكم اباح الاخراج ولان بالاجماع اقامة الحدود فيما دون النفس وان
لم يكن قتلها في الحرم وكذلك لا الاخراج لاقامة الحدود دون اقامة الحدود ولكن ابو حنيفة يقول لان القتل
فيه حرام والاخراج قصدا لتحقيق ما هو حرام فيكون حراما الا ترى ان قتل الصيد لما كان حراما كان اخراجه من الحرم
حتى يلزمه الجزاء فالاخراج حيث ما يلزمه بالقتل فكذا انه تباح اقامة الحدود فيما دون النفس فيباح الاخراج للقتل
دون النفس الجناية فليس كذلك فاذا اخرجه للقتل فوق عقوبة ليست بقتل لا يتوسل به الى القتل فيباح وتلك العقوبة
ليست بوسيلة الى القتل في الغالب اما قوله تعالى واخرجوهم من حيث اخرجوكم فحجة عليه لانه لم يخرج اذا لم يقتل
في الحرم اذا لم يقتل وعندنا لم يوجب الاخراج لغير من الحرم بل يجب ان لا يخرج بظاهر النص وقوله تعالى واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى قيل مقام ابراهيم الحرم كله بمقامه فيه بالانبياء والاولاد واهله كما قال اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقيل المقام هو الحجر الذي قام عليه ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه عند بناء
الكعبة وقد اتى بهذا الحجر جبريل عليه السلام حتى وقف عليها فكانت تطول وتعلو كلما ارتفع البناء تحت قدمه
فلما فرغ من بناء البيت عادت الصخرة الى حدها الذي هي عليه اليوم وقوله تعالى مصلى اي يصلى في جميع الحرم
تتخذ مساجد يصلى فيها وقيل مقام ابراهيم الموضع كذا جعل في مسجد الحرام اي مكان عبادته فامروا باتخاذه
مسجدا وقيل مقام ابراهيم حجر فيه اثار قدميه وهي حجارة يقوم عليها حين نزوله وركوبه من الابل حين ياتي
الى زيارة هاجر وولده اسمعيل عليهما السلام وامر النبي عليه السلام باتخاذ ذلك الموضع مصلى يصلى عند صلوة
الطواف مستقبلا الكعبة على ما روي انه لما قام النبي صلى الله عليه وسلم مكة قام الى الركن اليماني ليصلي فقال عمر

لا تتخذ مقام ابرهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل
ان طهرا بيتي • قيل اي عهدنا اليهما اذا بنيتما البيت فطهرا بيتي وقيل هذا امر بالبناء ثم بالتطهير اذ تطهير
البيت قبل البيت لا يتحقق اذ هو اسم لسقف مبني بنيات فيه وكان الامر به امرا بالبناء ضرورة واقتضاء ثم
يحتمل التطهير وجهين احدهما عن الاصنام التي يكون هنالك وعن عبادة غير الله تعالى فيها ويحتمل التطهير
عن جميع انواع الاقذار والانجاس وهذا امر بهما بصيانة البيت عن هذه الاشياء ومنع الكفرة عن الاقدام على
وضع الاصنام فيها والقاء الاقذار فيها ويحتمل بيان ان الشرع على تحريم هذه الافعال فيها على طريق الابتداء اذ ليس
في وقتهما فيها اصنام ولا اقذار ليؤمرا بتطهير البيت عنها وقوله تعالى للطائفين والعاكفين والركع السجود •
قيل الطائفين هم الغرباء القادمين الى مكة للزيارة والعاكفين هم اهل الحرم وقيل العاكفين هم المجاورون والركع
السجود هم المصلون من الفريقين من اهل مكة والقادمين اليها وانما سمى القادم طائفا لدخوله مكة للطواف
فيكون الطواف عن لوازم افعاله ولهذا قال اصحابنا ان الطواف للقادم افضل من الصلوة والصلوة للمقيم افضل
من الطواف قوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا • قد تقدم بيان الوجه فيه في قوله مثابة وامنا
وقوله تعالى وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر • لما علم عليه السلام ان المكان ليس بمكان
ثمر ولا حب وقد اسكن اهله هنالك دعا ربه تعالى ان يرزق اهله انواع الثمرات شفقة او مرحمة وشفقة منه
على اهله وعلى كل من يثوب اليه من الافاق ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه منها ان الله تعالى لما امرهما بتطهير البيت
عن الاصنام رأى انه لا يجعل هناك مقاما لغير المسلمين فخصهم بسؤال الرزق لهم لهذا والثاني يحتمل انه عليه السلام
اراد بسؤاله توسيع الرزق في حق المؤمنين دون الكفار ليحصل ذلك آية من آيات الله تعالى محسوسة على حقية دينه
الذي دعا اليه فيرغب الكفار كلهم الى دين الله تعالى فيصيرون امة واحدة مرحمة منه على العباد فلم يستجب دعاؤه
في ذلك كيلا يصيروا مضطرين في الدخول في الاسلام فلا يبقى لايمانهم قدر ولا خطر لان الايمان النافع الموصل
الى النعيم الابدي هو الايمان من حيث الغيب لقوله تعالى يؤمنون بالغيب ولو حصل الغناء خاصة للمؤمنين والفقر والبؤس
للكفار لامنوا جبرا بميل الطباع وصار هذا نظير قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون اخبر الله تعالى انه لولا مصير الناس امة واحدة بميل طباعهم
الى زخارف الدنيا ونعيمها لجعل لبيوت الكفار سقفا من فضة وجعل لها معارج يظهرون عليها لكن الايمان
النافع المعتبر ما كان عن غيب اختيارا مع منازعة النفس والهوى بما فيه خذلان من تحقيق ما علم الله تعالى على ما علم من اهل
النار من الكفار وفي الجنة من المؤمنين فلم يستجب دعاؤه لما ذكرنا وقيل لما قيل لابرهيم عليه السلام لا ينال عهدي
الظالمين وهو انه من نصيب غير الله تعالى فيها يخشى ان لو سأل للكافر والمؤمن جميعا ان يخرج ذلك منه مخرج سؤال
المعونة لهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فامتنع عن ذكر الكفار او يحتمل لما سأل الامامة على الاطلاق لذريته
ورد سؤاله بسبب الاطلاق خشي ايضا ان يرد سؤاله في الرزق بسبب الاطلاق فلهذا قيد بالايمان
تأدبا بالسؤال الاول ولكن الله تعالى رد سؤاله في الامامة في حق الكفرة واجاب الى الرزق في الكفر من غير سؤال
منه بقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا • وقوله تعالى فامتعه قليلا قال في الدنيا كلها قليلة وما متع اولئك فيها
هو قليل من القليل وقد قرئت الاية بقراءة اخرى فامتعه على صيغة الدعاء بالجزم فيكون دعاء من ابرهيم عليه السلام
للمؤمنين بسعة الرزق وعلى الكفرة باعطاء ما يتمتعون قليلا منه وعلى هذا يكون دعاؤه للكل ولكن خص المؤمنين
زيادة نعمة شفقة له عليهم ليصير ذلك داعيا لهم الى اقامة ما كلفوا به وقوله تعالى ثم اضطره الى عذاب النار
لجزائه بمتعهم قليلا ثم ندخلهم في النار على كره منهم وذلك كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون
اليها دفعا جبرا لانهم لا يدخلونها طوعا واما على القراءة الاخرى جوابا لدعاء ابرهيم معناه بل اضطره ضيقه
الى عذاب النار وقوله تعالى وبئس المصير • اي بئس ما صاروا اليه وقوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من
البيت واسمعيل ربنا تقبل منا • قال الامام امرهما الله تعالى برفع البيت وبنائه ففعلا ما امرا به ثم سألا
ربهما ان يتقبل ذلك منهما على طريق التضرع والابتهال والخوف على ضياع سعيهما فقالا انك انت السميع العليم
اي السميع لدعائنا وتضرعنا العليم بما قصدنا وضميرنا في امتثال امرك والاية دلت على ان الواجب على كل من يؤدي
عبادة او قربة اذا فرغ منها او اداها ان يتضرع الى الله ويبتهل ليتقبل منه فان الامر دقيق ويضيع سعيه وان لا يقطع
القول بان من ادى عبادة وطاعة تقبل منه لا محالة اذ لو كان هكذا لم يكن لدعائهما بطريق التضرع لقبول منهما
معنى ولا يظن بهما انهما لم يأتيا بما امرا به على حسب امره ذلك ان القول ما ذكرنا وقوله تعالى ربنا واجعلنا
مسلمين لك • قال الامام ان الاسلام يتوجه الى وجهين احدهما الخضوع والتذلل والثاني الاخلاص ثم تكلموا في
الاسلام قال اهل السنة انه يتجدد في كل وقت لان العرض لا يبقى زمانين عندهم كذلك قالوا وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا

آمنوا بالله ورسوله معناه آمنوا بالله في حادث الوقت لانه تارك لفعل الكفر في كل وقت فيترك الكفر يتجدد له
الايمان لانه وجود احد الضدين بترك الاخر والترك يمنع لفعل الوجود والكفر باعتبار رسالة الالات منصود
الوجود فكان تاركا له باعتبار الاقتدار الايمان فخاطبنا بتركه وعلى هذا تأويلهم في قوله تعالى زادتهم ايمانا ان الزيادة
من حيث التجدد بكثرة الزمان وطول المدة لا من حيث الذات فذاته لا تحتمل التزايد اذ هو عبارة عن التصديق
بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والتصديق في القلب يتجدد في كل وقت فلا وقت يخلو القلب عنه فكان سؤال
ابرهيم وابنه عليهما السلام من الله تعالى سؤال تجديد الايمان لهما في وقت يستقبل واعطاء الهداية والتوفيق وقال
نحن نعرف بان الاسلام معنى وجد يدوم ويبقى الى ان يوجد مبطله ويرفعه وهو مذهب عامة المعتزلة فكان سؤالهما
الاسلام سؤال الثبات والدوام عليه وفي قوله امنوا امنى بالله تأويله عندهم هو الثبات والدوام والاستقرار
عليه قال الشيخ ومن فسر مثل هذه الايات بالثبات ان لو كان من اهل السنة كان مراده من الثبات والدوام هو
تجدد امثاله بتجدد الاوقات لا حقيقة البقاء هكذا يظن بهم ويحمل قولهم عليه وان ارادوا به حقيقة البقاء فهم
من القوم والله اعلم قال الشيخ ثم الاية دلت ان الاسلام يكون بخلق الله تعالى فينا حيث سألا من الله ان يجعلهما
في الوقت الحادث بخلق الاسلام فيهما وقتا بعد وقت ولو كان الامر كما قالت المعتزلة ان المسلم هو الذي اسلم
نفسه لا ان الله تعالى لكان السؤال والدعاء عبثا لان الله تعالى على زعمهم لا يملك جعلهما مسلمين بل هما يملكان ذلك
فيخرج الدعاء والسؤال على زعمهم مخرج العبث نعوذ بالله من الشرك في القول والزيغ عن الحق والهوى
وقوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك • يحتمل ان الامة المسلمة هي امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه
لم يكن من اولاد اسمعيل رسول سوى محمد عليه السلام واما الرسل كانوا من اولاد اسحق ونسله ويحتمل ان المراد
من الكل فينصرف دعاء ابرهيم الى جميع ذريته واولاد اسمعيل واسحق جميعا ودعاء اسمعيل ينصرف الى ذريته فكانت
امة محمد مرادة بهذا الدعاء ولاشتراكهما في استجابة دعائهما ولا تكون الامة المسلمة من ذريته الا بعد رسالة
محمد عليه السلام لانه ما لم يكن رسولا بطريق الحقيقة لا يكونون امة مسلمة فيكون بهذه الاية دلالة على ثبوت
نبوة محمد عليه السلام وقوله تعالى وارنا مناسكنا • النسك في اللغة هو القربة وعمل الخير لكن بعرف الاستعمال
صار اسما لافعال الحج والمناسك المراد بها افعال الحج ويحتمل قوله وارنا مناسكنا اي بين لنا افعال الحج ومواضعها
كي نفعل قال ثم الاية دلت على صحة الامر بالمجمل وعلى جواز تأخير البيان فيه فانهما سألا من الله تعالى ان يبين
لهما افعال الحج ولا يحتمل انهما سألا من الله ان يوجب الحج عليهما ويبين مناسكه معا ان لو كان كذلك فكانه قد سبق
بالحج امر لكن ليس فيه بيان اركانه ومناسكه لانه ليس في الحكمة ايجاب فعل عبادة او قربة بغير امر قد سبق من الله
اما على العبد ايتمار ما امر به لاعتقاد لزوم سبق الحج امر لكن ليس فيه بيان اركانه ومناسكه فسألا من الله تعالى بعد
الامر بالحج بيان ما فيه من اركانه ومناسكه وكيفيتها وبيان محال الافعال ليتمكنا من الايتمار بالامر فعلهما جبرا بل قد
ان الامر بالمجمل وتأخير البيان عن وقت سماع الخطاب حكمة وصواب بخلاف ما تقوله غلاة الروافض والدليل على جواز
ان ابرهيم بالنداء بالحج لقوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ولم يعلم والدليل على ان الامر به سابق ان آدم
والملائكة وقد كانوا يحجون هذا البيت قبل ابرهيم وكل حكم شرعي ثبت يبقى الى ان يوجد له ناسخ والدليل على جواز تأخير
البيان انه يجوز القول بوجوب الحج مع امكان الاداء اذ قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
وهذا النص في حق النائي عن الكعبة لما يوجب الحج ويوجب الخروج الى مكة ثم يجب عليه الخروج الى مكة ليتمكن من اداء
الحج فيلزمه لان الشرع لا يأمر بمباشرة سبب الوجوب وشرطه ليوجب عليه فان من ليس له مال لا يؤمر باكتساب ليجب عليه
الزكاة ولذلك لا يؤمر صاحب المال بان يشتري ارضا ويزرع فيجب عليه العشر لكن ان كان له مال او يزرع يجب عليه
ذلك شكرا لما انعم عليه فكذا لا يجب عليه الحج ثم يجب عليه الخروج ليتمكن من ادائه فعليه وكان الوجوب بناء على قيام
المكنة من السبب وكان الامكان من حيث الحقيقة عند وصوله الى مكة وان الامكان الى امر الفعل فيها وكذا في كل
عبادة اذ لو كان على عكس ما قلنا يؤدي الى ان لا يجب العبادة اذ تخلف المرء في تحصيل شرطها وسعى في تحصيله ومنا
لا وجه له واذا ثبت هذا فوجه الاستدلال ان الملاذ وجوب الحج بناء على سبب الامكان وان تأخر الامكان
حقيقة فكذا يجوز ان يقال ان يتوجه الامر بالمجمل عند سبب امكان العمل بالبيان كان ثم مبين من الرسول عليه السلام
ومن يطلعه من الائمة وان تأخر البيان ثم الحكمة في تأخير البيان على الخطاب المجمل هو ابتلاء المخاطب به ليطلب مراد
الله تعالى بالتأمل والنظر في الدلائل ان كان من اهل الاجتهاد لينال فضيلة المجتهدين او يطلب ممن له علم بذلك فينال
فضيلة التعلم وغير ذلك والدليل على جواز تأخير البيان عن المجمل ايضا قوله تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكوة فان ظاهر
قوله اقيموا الصلوة يوجب خضوعا مطلقا من بيان الكمية والمائية والكمية على تأخير بيان ذلك بالدليل الصحيح
وكذا في الزكوة لما قلنا من قيام السبب المفضي الى البيان وكذلك على هذا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نوعا

الصلوة فعله في يومين وقد كان يمكنه تعليمه وقت السؤال ومع هذا اخر فدل ان البيان يجوز تاخيره
عن وقت ورود النص المجمل قال الامام ذكر بعض المفسرين في الحج كل نسك شعار وعلامة كانت في شريعة
آدم وابرهيم ومحمد عليهم السلام وقالوا في الرمل انه كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ليعلم الكفار
قوتهم وجلادتهم وكان ذلك لاظهار القوة وقالوا سميت عرفات لان جبريل عليه السلام حين عرفه اصل الجبل
الذي هو مكان الوقوف فقال اعرفت فقال نعم عرفت وقال سميت منى لانه حين اراد ان يفارقه جبريل عليه السلام
قال له تمن فقال اتمنى الجنة فسميت بذلك البقعة منى قال وسميت جمع لانه اجتمع بها آدم وحواء بعد مفارقتهما
عند نزولهما من الجنة وقالوا في رمي الجمار انه استقبله ابليس فقال يا ابرهيم ارم بهذا الرجم فرماه بسبع حصيات
يكبر مع كل حصاة بتكبير تعظيما وطردا للشيطان فساخ في الارض ونحو هذا قال ابو منصور وهذا عقل لا معنى به
ما لم يقم دليل يكون لنا بطريق تنقطع احتمال الكذب الا ترى ان آدم عليه السلام كان يحج وذكر في قصته انه اتى
بهذه المناسك وقد ذكر في الخبر ايضا ان الملائكة قالت لآدم عليه السلام حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ثم انهم
فعلوا ذلك كله وان المعنى الذي ذكر ابرهيم عليه السلام وكذلك ذكر في قصة ابرهيم انه رمل وكذلك في قصص
سائر الانبياء عليهم السلام ولم يكن في وقت ابرهيم من كان الفعل لاجله ثم قال الوضع للذكر ويحتمل ان الله
تعالى شرع مناسك الحج كذلك وسمى هذه الامكنة بهذه الاسامي لعلمه تعالى في الازل انه يحدث المعاني في وقتها
الوقت وعلمه بوجود الحاجة لبعض الناس الى تلك المعاني من اظهار الجلادة ونحوها فيكون ذلك سببا لشرع
هذه المناسك ولوضع هذه الاسامي وان لم تكن المعاني معارضة لها في كل وقت منها كما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان صلة الرحم تزيد في العمر ومعلوم ان الوقت لما جعل الله للعبد من الاجل لا يحتمل الزيادة والنقصان لكن
معناه ان الله تعالى اذا كان في سابق علمه في الازل ان انسانا ما سيوجد ويوصل رحمه جعل من الابتداء
اجله اطول لما ان زيدت له لو كان في علمه انه يقطع رحمه فكان وجود ذلك المعنى وهو صلة الرحم في مستانف الوقت
سببه زيادة عمره من الابتداء **فصل في بيان العبادات في التقدير بالاوقات** قال الاصل ان الله تعالى
جعل على عباده في كل الاحوال التي يتقلب فيها البشر بالمعاني ولانواع اللذات عبادة مقابلة لما يختلف
لهم في كل حال لنوع لذة واستمتاع شكر المامكن من الالتذاذ والتعيش في تلك الحال اذ كل لذة وما يعيش
به نعمة خص الله تعالى بها صاحبها بلا تقدم سبب يستوجبها العبد فلزمه في الحكمة الشكر ان اسداه اليه تلك
النعمة وعلى هذا ما وجدنا التقلب من حال القيام الى القعود والى الاضطجاع امرا طبيعيا في البشر وانواع الاستمتاع
واللذات يكون العبادة الواجبة شكرا بطريق العموم في جميع الاحوال هي الصلوة وانما اقتصر وجوبه بطريق الفريضة
في اوقات خمسة تفضلا من الله تعالى واخبر في ذلك عن الادامة في جميع الوقت وعلى هذا قلنا ان الرق والعبودية لما كانا
لازمين للبشر لا يتصور مفارقته عنه لا جرم يجب الايمان والاعتقاد بالالوهية دائما لكن الحالة لا يسقط بعذر
من الاعذار التي لا يخلو عنه وقت من الاوقات فاما اقتضاء الشهوات من المطاعم والمشارب ونحوها فلا يعم الاوقات
عموم التقلب من حال الى حال من القيام والقعود والاضطجاع والانتقال فانه لا يخلو المرء عن حال فيها وذلك حال
منها لذة ولهذا يجب الواجب على الاستدامة على حال منها دون الانتقال عنها يصير ذلك عقوبة عليه ولذا
لم يكن لقضاء النفس شهوتها من طريق اللذة والمطعم عبادات الصيام في بعض الاوقات في كل سنة مع ما ثبت
الصيام في امور كثيرة في السنة من نحو صيام الكفارات والنذر ونحوها ثم للناس في الاموال معاش في
بلد فان نفس المال سبب اللذة والراحة لكن ما هو منه قوت لا بد منه والانفاق منه الى لازم واجب صيانة
النفس عن الهلاك ليقوم بحقوق الله تعالى والايتمار بامره وفي مثله لا يحتمل وجوب العبادة عليه شكرا اذ لا
عليه الاستمتاع به الا انه جعل نفس الانفاق على نفسه وعيال القربة وطاعة اذا داء ما هو فرض عليه للتوسل
الى اداء ما كلف به من حقوق الله تعالى قربة وهو معنى قوله عليه السلام نفقة الرجل على نفسه صدقة وعلى عياله صدقة
ومنها ما هو فضل عن حوائجه وهو محل عبادة الزكاة لان ذلك الحق التلذذ لا الحق الا به فيدخل على هذا ما
في نوع تقلب الاحوال النفس التي هي لحق الضرورة لم يجعل في مثلها عبادة وقربة وهي الحال التي تشتغل فيها
بالاكتساب ونحو ذلك لانه لا بد له منه فلهذا لا يجب الصلوة دائمة في جميع الاحوال وكذلك في امر الصيام
انما يجب عقابه فضل قوة منها القوة التي لا بد منها حتى اذا كان به مرض يضعف البدن ضعفا بينا في حال
الصوم فانه لا يجب عليه وكذلك اذا كان الصوم يفوت قوة البدن على وجه يعجز عن اداء سائر العبادات فانه
لا يجب عليه الصوم فدل ان العبادات في هذا كلها سواء ثم الفرق بين الزكوة وسائر العبادات من حيث ان الزكوة
قد تتادى بفعل النائب دون غيرها لان سبب وجوب الزكوة هو المال وهذا السبب بعينه يجب ان يكون بعينه
فكان الواجب هو الاداء من المال وذلك لا يتفاوت بين الاصيل والنائب فاما سبب وجوب الصوم والصلوة

هو نعمة البدن والتي يكون الواحد لا يتصور ان يكون لغيره فكان الواجب هو الفعل في نفسه لا في نفس غيره
فلا يقوم نفس غيره مقامه ثم الزكوة انما يجب باعتبار الحول لما روي عنهما ان في الاموال حقوقا سوى الزكوة
من نحو النفقات وصدقة الفطر فاخرت هي الى الحول تخفيفا بخلاف غيرها من العبادات والثاني ان الزكاة انما يجب
فيما له حكم الفضل لا في كل ما له فالفضل ما يفضل عن الحاجة والحاجات تتجدد في وقت لا انها تتتابع وتدوم
فلا يظهر الفضل في مثل هذا الاجل بمدة اكثر من الحول فتبقى الى الحول سنة دل انه غير مستحق بحوائجه ولهذا قدره
بالحول والله اعلم واما فرض الحج فجعل في العمر مرة لانه عبادة سفر وانه سفر مديد على تقدير اعتبار عموم الناس لبعدهم
عن الكعبة والاسفار المديدة لا يختار مثلها للذات وطلب المنافع الا في النوادر ولكن في الجملة قد يختار لان
ارباب الاموال يتقلبون في البلاد النائية رغبة في فضول اللذات وطمعا في زيادة الارباح فصار سبب الوجود
السفر المديد وهو الحج لكن لما كان خصائص الاوقات في العمر فلا يجب الا في جميع العمر وعلى هذا امر الجهاد مع ما قيل
ان الجهاد فرض دائم لا يقربه بمنزلة الاوقات من النعم التي لا بد منها اذ في تركه خوف غلبة الاعداء وفيها
تلف الابدان والاموال وفساد الاديان فلا يتم الحكم بفرض اكتساب مقدار القوت بصلاح الدين والدنيا
لكن ذا يفترض الجهاد على ما فيه دفع شر الكفار وعلى هذا قلنا انه اذا حصل المقصود بالبعض لا يجب على الكل كما اذا حصل
القوام لا بطريق الكسب لا يفترض اذ المعتبر في الباب حصول المقصود دون نفس السبب ووجه آخر وهو ان
الصلوة والصيام عبادتان يجبان باعتبار قوى الابدان وسلامتها ولهذا يختلف الامر بهما او الرخصة بالترك
باختلاف القوى حتى يختلف الصلوة باعتبار احوال المرضى وكذلك الصوم فاذا كان كذلك ينبغي ان يجب ما دام
المكلف في حال السلامة والقوة الا ان الطعام غير ممكن لحاجة المرء الى القيام بما تقوم به النفس من اكتساب الاغذية
وتناولها فلابد من التوقيت فجعل عبادة الصيام في اوقات متراخية وهو الشهر الواحد من كل سنة والصلوة في كل
يوم خمس مرات وذلك لان الصلوة ليس فيها مكابدة الشهوات ولا مدافعة اللذات لانها تودي في غير تعسيره
يقضيا المرء في الشهوات فخف ولا يشق على المرء الامتناع والصبر عنها والله تعالى حقق النعم للعباد والحاجة الى
بها ولو وجب الصوم بطريق التتابع لانقلبت اللذة الى الم الشهوة وجعا ولان الصلوة متتابعة على الغذاء المفروض
لا يضر بالبدن ولا يشغل عن الاقدام الى ما يقوم بها النفس من الاغذاء ولا بد من الغذاء لامكان سائر
العبادات فاما تتابع الصيام فيضر بالبدن فيخوف فناؤه فكان مضادا المعنى المجعول الاغذية من قيام الابدان
للتوسل الى اداء حقوق الله تعالى والى القيام بمصالح الدين والدنيا وقد قيل انه يضعف ويخوف قطع النسل على ما روي
من خشي منكم الباه فليصم فان الصوم له وجاء فجعل عبادة الصوم في كل سنة شهرا ليستغني بطول المدة
على كثرة الاغذية لامكان بقية العبادات على وجه لا يخل باداء سائر العبادات بسبب الضعف بخلاف الصلوة
والله اعلم ووجه آخر وهو ان الله تعالى انعم على البشر بما هو غذاء وقوام وبما هو لذة وشهوة ثم انعم عليهم بما هو لهم
به رفعة وجاه عند الخلق وتحمل الاموال فالزمهم في كل نوع من انواع هذه النعم عبادة شكرا لما انعم عليهم من نوع
نعمة مخصصة فالصلوة بمقابلة القيام والقيام بمقابلة نعمة اللذة والشهوة والزكوة بمقابلة نعمة الزائدة التي
بها يحصل الرفعة والجاه وخلك بذل شيء من جنسه ليتحقق الشكر والخضوع بالانقطاع عن بعض نوع تلك النعمة
اذ الانقطاع مما هو محبوب المرء دلالة تصديق عبوديته وخضوعه للسيد ولهذا ترتفع هذه العبادة ارتفاع
هذه النعم وعلى هذا خصت حقوق الاموال دون حقوق الابدان لما ان نعم الاموال التي بها يحصل الرفعة والجاه
لا يحصل في الغالب الا بالكد والجهد فلما سوى النفس وما تقوم بها النفس من الغذاء وبعد شهوة ولذة لا يحتاج
فيها الى زيادة كد تيسيرا على العباد وكذلك قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر **قوله تعالى** وتب
علينا انك انت التواب الرحيم • قال الامام في الاية دلالة على ان الانبياء عليهم السلام قد يكون منهم الزلات
والعثرات على غير قصد منهم فانهما سالا التوبة من الله تعالى وان تكون التوبة الا عن زلة وفي الاية دلالة على ان
العبد يسال عن زلة لم يتعمدها ولم يقصدها الا انهما سالا اجمالا ولو كان تسبق منهما قد علماه وعرفاه لذكراه
فدل لسؤالهما التوبة بطريق الاجمال في هذا التفصيل على ان العبد مسؤول عن زلة لم يتعمدها وجائز ان يؤخذ
وبابقا العصمة **وقوله تعالى** ربنا وابعث فيهم رسولا منهم • اي من جنسهم من المسلمين كقوله تعالى لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ويحتمل رسولا منهم اي من هو منهم من جنسهم ومن غير جنسهم
البشر بلسانهم وبغير لسانهم لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية **وقوله** يتلو عليهم اياتك
قيل الايات هي الحجج ويحتمل يدعوهم الى التوحيد وقيل يدعوهم الى ما امرتهم به وينهاهم عنه ونحو ذلك **وقوله**
ويعلمهم الكتاب والحكمة • قيل الكتاب القرآن والحكمة الفقه ومعناه يعلمهم الكتاب وما فيه من الفقه
وقال ابن عباس الحكمة هي الفقه وقال قتادة الحكمة هي السنة ههنا وقيل هي المواعظ وقيل هي الاصابة فان الحكمة

مشتقة من الاحكام وكل ما هو محكم متقن صواب فهو الحكمة قال الامام وبعضها اقرب من بعض وقوله تعالى
ويزكيهم قال ابن عباس ان ياخذ زكاة اموالهم وقيل يدعوهم الى ما به زكوة انفسهم اى طهارتها قال الامام وقد يجاب
بعض المعتزلة ان الله تعالى اضاف التزكية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن منه حقيقة فعل التزكية ولا
ذلك وانما كان منه الدعا والبيان لما تحقق به زكاة الانفس وطهارتها فكذلك يجوز ان يضيف الله تعالى الى نفسه
فعل التزكية والهداية وان لم يكن ذلك فعله وخلقه حقيقة لوجود الدعا منه الى تحصيل ذلك الفعل
او وجود البيان منه لا يتانه قيل الهداية تستعمل في الدعا والبيان وتستعمل في تحصيل فعل الاهتدا
الا ان الله تعالى لما اضافها الى نفسه فعل هداية لم يحمل ذلك لرسوله عليه السلام بل نفاه عنه بقوله انك لا تهدى
من احببت ولكن الله يهدى من يشاء فان الدعا والبيان من رسول الله عليه السلام وجد في حق الناس كافة دون
من اجتهم دل ان المراد منه خلق فعل الاهتدا ولذلك اثبت لنفسه زيادة تزكية لم يثبت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء مع وجود
الدعا الى ما يقع به زكوة الانفس دل ان التزكية التي اختص بها الله تعالى هو خلق فعل الزكو وهي الطهارة وانما
الثاني فان خلق فعل الزكو لا يتحقق من النبي عليه السلام لانه ليس له قدرة تحصيل الفعل في غيره لان قدرة البشر
حادثة لا يتعدى عن محل وجودها لاستحالة بقائها فلا يتصور منه ايجاد الفعل في الغير فكان الدلالة تبقى
الاضافة اليه في هذا النوع فاما الله تعالى فله قدرة ازلية دائمة يجوز ان يخلق بها الافعال في العباد ولهذا وصف
الهداية اليه فانه يستعمل فيما ذكرنا من الوجوه فدل ذلك على جواز وجود الكل والله الموفق وقوله تعالى انك انت
العزيز الحكيم قيل العزيز هو الذى لا يعجزه شى وقيل العزيز المنيع وقيل العزيز بذاته وكل شى دونه يعز بغيره
بغيره ذليل في نفسه لولا الله ان العزيز انه لم يتصف به وقيل العزيز هو المنتقم من اعدائه واما الحكيم هو الذى
احكم كل شى وجعله دلالة على وحدانيته وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم اختلف في الملة قيل الملة
هي السنة كقول اهل القبلة نحن على ملة رسول الله وكقوله تعالى واتبع ملة ابرهيم حنيفا وقيل الملة
الدين لقوله عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين شتى وقيل الملة القبلة وقوله تعالى الا من سفه نفسه
قيل اى جعل نفسه سفيها لا اجهل من السفه وقد تقدم بيان تحديد السفه وقوله سفه نفسه متعد وسفه
لازم وقيل لا بل سفه لازم ومعناه الا من سفه بنفسه وكان انتصابه لانتزاع الحرف الخافض هنا ولكن
ما يل يكون لوجوب ناصب لكن لانتزاع الحرف الخافض زوال المانع عن عمل الناصب فيكون يمنع له الشرط دون الاقتضا
والحكم يجوز اضافة الى الشرط في الجملة لكن الاضافة الى العلة اولى خصوصا عند الامكان وبيان ذلك
هنا ان قوله من سفه يحتمل ان سفه ذاتا او نفسا او عقلا ونحوه بقوله نفسه عقيبه تفسيرا للسفه
نفسا فيكون انتصابه بطريق التفسير الا انه متى ذكر الحرف الخافض معه فقيل سفه بنفسه يصير مخفوضا
لوجود الخافض لفظا ولكن محلا النصب حتى لم يذكر عامل الخفض زال المانع الانتصاب ويزال المانع عن عمل
العلة بشرط العلة يجوز الاضافة اليه تفسيرا والحقيقة ما قلنا او صار كقوله تعالى واقوم قيلا انتصب على
التفسير لان قوله اقوم يحتمل اقوم راحلة واقوم عملا واقوم قولا ونحو جوهه يكون تفسيرا للمحتمل
فيكون نصبا على التفسير لان قوله كرم يحتمل كرم ذاتا وكرم خلقا وكرم فضلا وكرم ابا ولو ذكر حرف الخافض
فقيل كرم بنا به او بفعاله صار مخفوضا حتى زال الخافض نصب عند انتزاع الخافض للعلة التي ذكرنا
ذلك في غير هذه المواضع وقوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت اى لاجل حذر الموت
فهو مفعول له فكان انتصابه بهذه العلة لكن لو صرح بالخافض فقال لاجل حذر الموت صار مخفوضا لوجود
العامل فلما انتزع منه الخافض انتصب لكان العلة التي قلنا او كان محلا النصب لقيام العلة لكن لم يعمل
في النصب لوجود المانع من الانتصاب وهو العامل اللفظي فاذا انتزع بقي الانتصاب مضافا الى علته لكن لما كان
يظهر عند انتزاع الخافض صار ذلك بمنزلة الشرط لم يجز الاضافة اليه كذلك ههنا وقوله تعالى ولقد
اصطفيناه في الدنيا اى بالنبوة والرسالة والخلة وقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين يحتمل لمن
من المرسلين ويحتمل مع ما جاء في الدنيا شا حسن ثم يقصر جزاؤه في الاخرة وقوله تعالى اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين قيل اى اخلص ويحتمل ان يكون امرا بابتداء الاسلام لقوله فلما جن عليه الليل راى
كوكبا الى اخره ثم قال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا لقوله اسلم اذ قيل انما خوطب بقوله
اسلم حين خرج من الغار وراى ما راى من الكواكب والشمس والقمر وتحقق له البرهان ويحتمل ان ذلك وحيا
اوحى اليه فطلقا ان اسلم ويحتمل ان يكون ذلك امرا بالاسلام بدلالة الخلقة الداعية الى التوحيد والاسلام
فان كان وحيا فهو على ان يسلم نفسه لله تعالى وان كان على الثانى فهو الاسلام والتوحيد وقوله تعالى ووصى بها

ابرهيم بنيه ويعقوب اى وصيا بنيهما بالملة الحق ثم قال خبرا عن ابرهيم عليه السلام في وصيته لبنيه
يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ووصف وصية يعقوب لبنيه فقال ما تعبدون
من بعدى قالوا نعبد الهك واله اباءك الى قوله ونحن له مسلمون وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
يقول اكنتم شهداء اى ما كنتم حاضرين حين حضر يعقوب الموت ثم وصف تعالى وصية يعقوب لبنيه بقوله اذ قال
ما تعبدون من بعدى الى قوله ونحن له مسلمون اى مخلصون له بالتوحيد فعنى تعالى الايمان بجميع الكتب
والرسل ليس كاليهود والنصارى حيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ثم يزعمون انه كان دين ابرهيم ودين
بنيه قال الشيخ رحمه الله في الاية دلالة الرسالة لنبينا عليه السلام لانه اخبار عن احوالهم لا من سمعهم من غيرهم
في كتبهم ولا سماع ولا تعلم منهم دل انه بان الله تعالى علم ذلك وعلمه بذلك وبالله التوفيق وقوله تعالى تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون كانه قال ادعوا ان ابرهيم وما ذكر من
الانبيا كانوا على دينهم فقال لهم ذلك انتم لا تسئلون عن دينهم وعن اعمالهم ولا هم يسئلون عن دينكم واعمالكم
بل كل يسئل عن دينه وعما يعمل به وقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا اخبر الله تعالى عن اليهود والنصارى
انهم دعوا غيرهم الى دينهم وادعوا ان من اختار دينهم فقد اهتدى من الضلالة فامر محمدا صلى الله عليه وسلم بان
يرد عليهم دعواهم بقوله قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اى نتبع ملة ابرهيم حنيفا
قيل الحنيف هو المسلم المخلص وقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
قال الشيخ الاية ترد على اولئك الكفرة حيث فرقوا بين الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وكذلك امنوا ببعض الكتب
وكفروا ببعض فامر الله تعالى المؤمنين ودعاهم الى ان يؤمنوا بالرسل كلهم وبالكتب جميعا لا نفرق بين احد منهم
كما فرق اولئك وعن ابن عباس رضى الله عنه هذا ابتداء تعليم الايمان من الله تعالى للخلق وهو الايمان بما ذكر في الجملة ثم قال للمؤمنين
فان امنتم بمثل ما امن به المشركون فقد اهتدوا قيل المراد من قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به ولفظة مثل
زائدة وهكذا في قراءة ابن مسعود فان امنوا بما امنتم به وقيل معناه فان امنوا بمثل ايمانكم لانه حرف لا مستعمل في
حق الله تعالى قال الشيخ وبيان هذا ان المؤمنين امنوا بالله تعالى ولا امر لغيرهم بان يؤمنوا بمثل ما امن به المؤمنون كان
امرا بالايمان بالمثبت مثل الله وهذا محال وقال الشيخ وحل هذا الاشكال ان المراد منه فان امنوا بما امنتم به فقد اهتدوا
ولفظة مثل زائدة كما قلنا في قراءة ابن مسعود ويجوز مثل هذا كقوله ليس كمثله شى اى ليس مثله شى والكاف
زائدة وهو قراءة ابن مسعود كذا مشابه وروى عن ابن عباس انه قال لا تقولوا فان امنوا بمثل ما امنتم به فان الله
تعالى ليس له مثل ولكن قولوا فان امنوا بالذى امنتم به او بما امنتم به وقيل فان امنوا بلسانهم بمثل ما امنتم بلسانكم
من الرسل والكتب جميعا فقد اهتدوا وقيل فان امنوا بلسان غير لسانكم بما امنتم به فقد اهتدوا وقوله تعالى
وان تولوا اى عن مثل ايمانكم فانما هم في شقاق اى في خلاف وعداوة فان الشقاق هو
الخلاف والعداوة ثم قال الله تعالى فسيكفيكهم الله قال الامام هذا وعد من الله تعالى لهم ووعد لنبيه
محمد عليه السلام بالنصرة لان اولئك كانوا يتناصرون بعضهم ببعض فوعد النصرة لرسوله عليه السلام بقتل
بعضهم واجلائه لبعض الى الشام وغيره ثم تحقق ما وعد على ما اخبر وذلك من ابين ايات الرسالة واوضح علامات
النبوة وقوله تعالى وهو السميع العليم معناه السميع لما يقولون فيك وفي الانبياء قبلك العليم بما يسرون
وما يعلنون من الكذب في كتبك وقوله تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صبغة قيل صبغة الله اى دين الله
وقيل فطرة الله كقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وقيل حجة الله التي اقامها على وحدانيته وقيل على البدل
من ملة ابرهيم ثم رجع قوله ومن احسن من الله صبغة اى مما ذكرنا من الاقاويل اى ومن احسن من الله دينا وفطرة وحجة
تتلك بالدلائل التي نصبها واقامها ليس كدين اولئك الذين استولوا على الحيرة بلا حجة ولا دليل وقوله تعالى
ونحن له عابدون قيل موحدون وقيل مسلمون مخلصون له وقيل ونحن نصبغ وقيل ان النصارى كانوا يصبغون
اولادهم في ماء ليطهروهم بذلك وقال الله تعالى صبغة الله وهو الاسلام هو الذى يطهرهم لا ذلك الماء الذى يفعلونه
لذلك وقوله تعالى قل اتحاجوننا في الله عن ابن عباس قال قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى
بالله منكم فانزل الله تعالى في ذلك قل اتحاجوننا في الله وقوله قيل في دين الله او تحاجوننا وتخاصموننا في دين الله
وقوله تعالى وهو ربنا وربكم اى تحاجوننا في الله مع علمكم واقراركم انه ربنا وربكم لقوله ولئن سالتهم من
خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم قيل لنا ديننا ولكم دينكم لقوله لكم دينكم ولى دين
ويحتمل لنا اعمالنا لا تسئلون انتم عنها ولكم اعمالكم لا نسئل نحن عنها لقوله تعالى ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقوله
تعالى ونحن له مخلصون اى مخلصون دينا وعملا لا نشرك فيه غيره وقوله ام يقولون اى بل يقولون

ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى وقيل على الاستفهام الظاهر ومعناه
اتقولون لكن على الانكار والرد عليهم وذلك ان اليهود قالوا ان ابرهيم وبنيه ويعقوب والاسباط وهم اولاد
يعقوب كانوا على دينهم هودا وكذلك قالت النصارى قال الله تعالى قل يا محمد أأنتم اعلم بدينهم ام الله
تعالى مع اقراركم انه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وقوله تعالى ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
قيل الشهادة التي عندهم عليهم بالاسلام انه دين الله وانه الحق وقيل الشهادة التي عندهم محمد صلى الله عليه وسلم
بانه رسول الله حقا بين الله تعالى ذلك في كتابهم واخذ عليهم المواثيق والعهود ببيانها وذلك هي الشهادة به كما
قال لتبيننه للناس ولا تكتمونه فكتموه وكذبوه وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون خرج على الوعيد اي
لا تحسبوا انه غافل عما تعملون ويحتمل ان يكون معناه ان الله تعالى لم يخلقهم عن غفلة بما يعملون بل خلقهم على علم
منه بانهم يعصونه وانه لا ضرر له في معصيتهم انما العاصين ولا نفع له في طاعة المطيعين وقوله تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الآية قد تقدم تأويلها وقوله سيقول السفهاء اختلف اهل
التأويل فقال بعضهم هم اليهود قالوا عند تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها اي ما الذي حولهم عن القبلة التي كانوا يصلون اليها وهي بيت المقدس وذلك انهم لا يرون نسخ الشرائع والاحكام
لما زعموا ان نسخها في معنى البداء والرجوع عنها اذ هو من باب الجهل بالعواقب في الشاهد كمن يبني بناء ثم نقضه
بما يبدو له ويظهر له انه مخطئ وغالط لجهله بعواقب الامور قال الشيخ لكن انما قالت اليهود ذلك وانكرت
النسخ جهلا منهم بمعرفة تفسير النسخ وحده ولو عرفوا ان النسخ انما هو في نسخ الشرائع والاحكام وان النسخ بيان
منتهى الحكم الى وقت لانتهاء المصلحة التي شرع الحكم لها وبيان ان حكمه قد تبين المصلحة الاخرى في الحكم وقت اخر بعد
انقضاء الاول مع بقاء الحكم الاول مشروعا ومصلحة في وقت كونه وموجوده ليس على ما فهمت اليهود من البداء
في الشاهد من بنى بناء ثم نقضه بما يبدو ويظهر له انه مخطئ وغالط في الغرض الذي بناه على ذلك الوجه وليس النسخ
نظير ذلك بل نظير النسخ في الشاهد امر الطبيب مريضا غلبت عليه الصفراء والحرارة بشرب المبردات القاطعة
للصفراء ثم متى ما سكنت الحرارة والصفراء واعتدل طبعه نهاه عن ذلك وامره بالمعتدل من الشراب لم يكن ذلك
بداء عما امره في ذلك الوقت الاول وابطالا ونقضا له بل بيان المصلحة في ذلك الوقت في الحالة الثانية
هذا مع بقاء المبرد مصلحة له في تلك الحالة وبالله التوفيق وقيل ان الآية في اهل مكة حيث قالوا المرجع محمد عليه السلام
الى الحجاز في قبلته التي كان عليها يرجع الى ديننا قال الله تعالى قل يا محمد لله المشرق والمغرب اي الامكنة والجهات
كلها لله تعالى وهو العالم بمصالح العباد من التوجه الى الامكنة وله الامر والخلق يأمر بالتوجه الى اية ناحية شاء ثم
امر بالطاعة لله تعالى في الائتمار لامره والقبول لما شرع التوجه الى بيت المقدس كان طاعة لامره الامر حتى وجد
في المكان الثاني كان طاعة لاجل الامر لانه موضع التحري والاشكال وكانت الآية افرق لله المشرق والمغرب ابطالا
لزعم كلا الفريقين في اليهود واهل مكة وقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قال الشيخ هذه حجة على المعتزلة
في خلق الافعال فان معنى قوله يهدي من يشاء اي يخلق الهداية فيمن شاء لانه جائز انه يهتدي ولا يهتدي لان الاهتداء
ملازم الهداية ومطاوعه كالانكسار للكسر وعلى اصلهم هداهم ان يهديه الله تعالى ولكن لا يهتدي وهو ان بين لهم
الطريق وحملوا الهداية على البيان لا على خلق الهداية على انه لا يمكن حمل الهداية ههنا على البيان لانه علق الهداية
بالمشية والبيان ثابت في حق الكل فان الله تعالى بين الحق وطريقه للكل بالحجج والآيات والرسل ولا معنى لتعلق
ذلك بالمشية دل ان المراد بما ذكرنا خلق الهداية وذلك لانه هو الخالق لافعال العباد قال الشيخ وفي الآية دلالة جواز
نسخ السنة بالكتاب ورد على من لا يرى نسخ السنة بالكتاب ويحتج لذلك ويقول ان الكتاب اذا عمل به رسول
الله صلى الله عليه وسلم صار سنة ثم اذا عمل على خلاف ما عمل به قبله الآن صار منسوخا لانه اذا عمل به صار سنة
فيكون هذا نسخ السنة بالسنة لا نسخ السنة بالكتاب قال الشيخ وهذا منه قبيح وفحش واحتيال الوهم والحكم
على الله تعالى لانه لا يجعل للكتاب من القوة ما يصلح ناسخا كما اعتقد بتلك المصالح لو لا عمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكتاب الله تعالى هو الاصل الحجة وهو لسان الشافعي فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم بالظن والزيغ
عن الهدى ثم هو جهل بتفسير النسخ وحده لانا عرفنا ان النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت لا ننكر نسخ السنة بالكتاب
ولا نسخ الكتاب بالسنة لان شارع الاحكام وناصبها هو الله تعالى في كل وقت ولكن يبين مرة بالكتاب وتارة
على لسان المصطفى عليه الصلوة والسلام لا بالكتاب وكل ذلك وحي من الله تعالى ولا دفع لما قاله ان الكتاب محتج
حيث لم يعمل به في نسخ السنة وذلك فاسد وهذه الآية حجة على الشافعي فان كون القبلة الى بيت المقدس لم يكن
مذكورا في الكتاب بل عملوا على سنة الاولين وثبت بوحي غير متلو ثم صار منسوخا بالكتاب بقوله قد نرى تقلب
وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام والله الموفق وقوله تعالى وكذلك

جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ولفظة كذلك لا يستقيم بها الا على العطف على ما سبق من الخطاب
لان التشبيه يقتضي المشبه به فيحتمل انه معطوف على قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابرهيم الآية فكانه قال كما اكرمكم
بالايمان بما ذكر وهداكم للاسلام كذلك جعلكم امة وسطا يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس عن ابن عباس يؤتى
هذه الامة يوم القيامة ويشهدون على الامم الماضية بالتبليغ للرسل ويشهد الرسول لهذه الامة بالعدالة و
التزكية وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا اي لكم وهذا جائز شائع في اللغة كقوله تعالى وما ذبح على النصب
اي للنصب وفي هذا التأويل دلالة قبول شهادة المسلمين لعدم الشرط وهو العدالة ودفع التعارض شهادتهم
شهادة المسلمين ويحتمل ان يكون من يشهد رسول الله عليه السلام شهودا على من تقدمهم ممن استحق النار لجحوده الرسالة من
الكفرة فكان الناس المشهود عليهم كفرة امة محمد عليه السلام بعد وفاته والمراد من الشهداء هم الصحابة دل على
بحكم قوله ويكون الرسول عليكم شهيدا باقامة المعجزات على اثبات الرسالة وفي الآية على هذا التأويل دليل على
ان اجماع الصحابة حجة ولا يجوز لمن بعدهم مخالفة ذلك لانه لو لم يكن قولهم حجة وقبول الشهادة منهم واجبا
لم يظهر فائدة جعل الله تعالى اياهم شهداء وكذلك سماهم وسطا والوسط العدل لغة والعدل حقيقة هو المستحق به
والقبول اذ لا يتحقق العدل حقيقة مع الكذب فدل انه لا يتصور توهم الكذب عند اجماع الامة ودل على كون اجماع
الامة حجة ايضا قوله تعالى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين امرهم باتباع الصادقين وفي اجماع الامة هو كذا الصادقون
باخبار الله وبوصفه اياهم تعالى بالصدق لا يجب منه الكذب كيلا يتحقق الخلف في خبر الله ودل ايضا على كون الاجماع
حجة قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم
ولا يجوز الوعيد في مثله اذا لم يكن هو الحق عند الله تعالى قال الشيخ وقوله جعلناكم امة وسطا دليل على ان خالق الافعال
هو الله تعالى فانه اضاف جعلهم عدلا الى نفسه والعدل من ياتي بالطاعات دون المعاصي فلو كانت افعالهم مخلوقة
للعباد دون الله تعالى لكان العباد هم الجاعلين لانفسهم عدلا لا الله تعالى فيبطل الامتنان في الآية سبقت بيان
المنة وقوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اي ما حولنا
التي انت عليها شهورا وهي بيت المقدس الا لنعلم من يطيع الرسول في تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ممن
ينقلب على عقبيه او يخالفه وهذا والله اعلم لما كانوا في متابعته الى بيت المقدس فمنهم من تبعه لما وافق هواه
ومنهم من تبعه لما علم انه الحق من عند الله تعالى فامتحنهم الله تعالى بالامر بالتوجه الى الكعبة ليتبين المتبع للرسول والمؤمن
من المتبع لهواه ومن المتبع له بالامر مطيعا وقيل في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول اي لنعلم كائنا ما قد علمنا انه يكون ولنعلم
موجودا ما قد علمنا انه يوجد والاصل في هذا ونحوه من قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم ان لا يوصف علم الله تعالى
بالمعلومات الا على ما هي عليه من الاحوال لان الوصف لله تعالى بعلم الحال التي تكون ذلك وصفا له بالجهل دون العلم
تعالى الله عن ذلك لانه لا يجوز ان يعلم الساكن في حد سكونه متحركا ولا المتحرك في حال الحركة ساكنا فالمعدوم
يعلمه معدوما ويعلم انه يوجد في وقت كذا على صفة كذا ولا يعلم المعدوم موجودا في حال عدمه وقد صار المعدوم
موجودا فعلم موجودا وهذا كما قالوا ان الله تعالى متى وصف بالعلم مطلقا يقرن به وصف الازلية ويقال ان الله تعالى
عالم لم يزل وانه عالم الاشياء لا يستحيل له الجهل عليه ولا استحالة بعد تمام العلم علمه وسائر صفاته ومتى وصف
بالعلم مضافا الى الخلق لم يقرن به وصف الازلية لكن يقرن به الوقت فيقال ان الله تعالى عالم بالحدثان الاشياء
ثم لم يقرنه بالازل على كون المعلوم موجودا في الازل وهذا كما قالوا في التكوين والخلق ان الله تعالى مكون خالق ولم يقل
لم يزل خالق العالم مكونا لها لانه لا يفهم ذكر ازلية العالم فهذا مثله والله الموفق وقوله تعالى وان كانت لكبيرة
الا على الذين هدى الله يعني تحويل القبلة الى الكعبة لكبيرة اي لثقيلة من كان اتباعه النبي عليه السلام في القبلة
الى بيت المقدس بهواه دون قصد الطاعة لله تعالى والامتثال للامر لا على الذين يتبعون امر الله ويعتقدون طاعته
فانها ليست بثقيلة عليهم ولا كبيرة وقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم قال بعض المفسرين ان الآية نزلت
في قوم صلوا الى البيت المقدس ثم ماتوا قبل التحول الى الكعبة فلما حولت القبلة ظن ناس انه قد ضاعت صلوتهم
التي صلوا اليها فسألوا النبي عليه السلام عن ذلك فنزلت هذه الآية قال الشيخ هذا بعيد لا يحتمل لانه لا يجوز
ان يظن من اعتقد الاسلام وعرف موضع امر الله تعالى ورسوله ان يضيع صلوات عباده وما بامر الله تعالى معتقد
عليهم لكن ان كان ثم سؤال فهو من اليهود اذ كانوا يعتقدون بطلان الناسخ في الاحكام والشرائع فزعموا ان صلاة
هؤلاء ضاعت على زعمكم فان النسخ من باب البدا والغلط عند اليهود فانزل الله تعالى الآية ردا عليهم فان الناسخ ليس من
البدا لتضييع صلوتهم وانما هو انتهاء الحكم الاول على الصحة والاستقامة وابتداء حدوث الحكم الثاني ويحتمل ان يكون
في قوم من الكفرة آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وافرطوا في التكذيب له والمعاداة فارادوا الاسلام فظنوا انما
كان منهم من العصيان والتكذيب يمنع قبول الاسلام فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بما كان منكم في حال الكفر الآية

آخر الآية يدل عليه وهو قوله ان الله بالناس لرؤف رحيم • اخبار انه رحيم بالتجاوز وحمى تابعه قال الشيخ ثم لمح
بالآية من جعل الصلوة من الايمان ايضا فقال ان الله تعالى ذكر الايمان واراد به الصلوة فلولا ان الصلوة بعض الايمان
ومن اجزائه لما سمي باسم الايمان فان اسم الكل ينطلق على البعض والجواب انه لم يرد حقيقة الايمان دون الصلوة والكل محمول
على الحقيقة ولا حاجة الى الحمل على المجاز او نقول لما امكن حمله على الايمان من جميع الوجوه لا يحمل على بعض الايمان على
انه ان كان المراد من الايمان المذكور في الآية هو الصلوة فلا يلزم لان اطلاق اسم الايمان على الصلوة ليس لما ذكرتم بل يحتمل
ان الصلوة انما تنعقد عبادة بالقبلة ووجوبها الايمان اذ لا صحة للعبادات بدون الايمان فيكون الايمان سببا لوجودها
شرعا فتسمية الشيء باسم سببه شائع في اللغة ويحتمل ايضا ان اليهود عرفوا الصلوة ايمانا فقال لهم انا نهتم بها ونصلح
بالتوجه الى الكعبة فرد الله تعالى كلامهم بهذه الآية وان الخطاب بالاسم الذي هو معروف عندهم وان لم يكن كذلك ليكون
ابلغ في الافهام كقوله فراغ الى آلهتهم سمى الاصنام آلهة بناء على زعم الكفرة لا بطريق التحقيق وكذا قوله تعالى انك لانت الحليم
الرشيد العاقل لانه كان ثم خالق سواه ولكن لما كان عندهم ان كل صانع يكتسب تسميتها خالقا خرج الخطاب على ما تعارفوا
به فعلى ذلك ما نحن فيه وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء • قال هذا يخرج على الوعد للنبي صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها • قال بعض المفسرين انه كان يقلب بصره الى السماء لما كان يكره ان يكون
قبلته قبلة اليهود فحوّل الله القبلة الى الكعبة دفعا لكراهة قلبه وطلبا لرضاه وقال الشيخ هذا بعيد لانه لا يظن
برجل مسلم الكراهة فيما امر الله تعالى به ان لا يرضى بحكمه فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مأمورا بالتوجه
الى بيت المقدس ولو صح النقل عليه لهذا كان محمولا على كراهة الطبع والنفس دون كراهة الاختيار وهذا لا يعد عيبا
لمأمور به على خلاف الطبع ولا من ترك المطبوع الى ضده اختيارا طلبا لرضى الله تعالى فلم يكن كراهة الطبع منافيا للاختيار
عقلا ودينا وقيل انه كان تجنب ليه الصلوة خلا نصبر عنها لحزن عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يرجه بعد
بالتوجه الى غيرها من الجهات المعروفة للصلوة فكان يقلب وجهه الى السماء وينتظر نزول الوحي بالتوجه الى غيرها
لهذا المعنى لانه كان يكره ذلك ويحتمل قوله قبلة ترضاها اي قبلة تقع في موضع الرضا طبعا وعقلا وكونها قبلة
ابراهيم وغيره من الانبياء قبله وهو راضيا بالتوجه الى بيت المقدس غير كاره له وهذا مستعمل في الكلام كقول
الرجل لمصلحة اعطيك عشا واعطيك هدية ترضيها وان لم يكن ظهر منه الكراهة قبل ذلك وهذا امثاله وقوله
تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام • ذكر تاويله في خلال ما تقدم وقوله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون
انه الحق من ربهم • فيه وجهان احدهما اي علموا ان تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة حق لما بين الله تعالى
في كتبهم لكنهم يعاندون ويتبعون اهواءهم ويحتمل اي علموا ان ما بين الله تعالى لهم في كتبهم ان محمدا عليه السلام هو الحق
وانتحى وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون • قال الامام هذا يخرج على الوعيد والتهديد والله اعلم وقوله
تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك • قال الامام الآية نزلت في قوم علم الله تعالى انهم لا
يتابعون محمدا عليه السلام في قبلته حتى ايسه عن متابعة اولئك اياه دون غيرهم لانها لو نزلت في اهل الكتاب
كلهم لم يؤمن احد منهم ولكان الكفار يحتجون عليه فانه اخبرنا ان اهل الكتاب لا يتابعونه ولا يؤمنون به وقد آمن كثير
من اهل الكتاب به فيكون ذلك خلفا في خبره وذلك مناف للرسالة فثبت ان الآية نزلت في قوم معينين علم الله تعالى
انهم لا يؤمنون به ولا يتابعونه في قبلته وفي هذه الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
اخبارا بالاياس عن اتباع اولئك له ولا يوصل الى ذلك الا بالوحي من الله عز وجل وقال الامام الآية حجة لنا في وجوب التوقف
في اعتقاد عموم المراد من عموم اللفظ الى دليل آخر وراء نفس الصيغة وان كان وجب العمل فيما يرجع الى الاحكام نظرا
احتياطا فان قوله الذين اوتوا الكتاب عام من حيث الصيغة ولم يعم من ظاهره العموم بل الخصوص قال وفي الآية
دلالة على ان كثرة الآيات وعظمها في نفسها لا يحصل المقصود في تحصيل ما اتيح الدلالات على وجوبها ويحمل الجاء
من الاعراض عن اتباع هواه والاقدام على مخالفته مضطرا الى اتباع هواه اذ لو كان كذلك لما اخبر الله تعالى بخلاف ذلك
وهذا يبطل قول المعتزلة فيما يفسره بمشيئة الجبر فان المعتزلة يقولون بان الله تعالى شاء الايمان من جميع اهل الاعتقاد
لكن امتنع البعض عن الاقدام عليه باختياره قال الشيخ قال وقلنا نحن من علم الله منه وجود الايمان شاء
منه الايمان ومن علم انه لا يؤمن بل يكفر شاء منه الكفر ولم يشأ منه الايمان وتستدل عليهم بقوله ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها ولو كان شاء الايمان من الكل لكان هذا خلفا في حصول الاعطاء وكان قائل المعتزلة يرد
هذه الآية ويقولون المراد منه مشيئة الجبر لا المشيئة عن اختيار يعني لو شئنا منهم وجود الايمان عن اختيار واهل
السنة ابطلوا هذا التاويل وقالوا ان الايمان بطريق الجبر لا يتحقق عندكم لان الفاعل عندكم من يخلق الفعل ومحله
فان الله تعالى اذا خلق فيهم الايمان جبرا لكان المؤمن هو الله تعالى دون من يقوم به ويخلق الجبر بارادة تضطره وهو
ان يرى الله تعالى آية يضطر في تحصيل الايمان قال الشيخ هذه الآية تبطل قولهم فانا حين نعقله ولئن اتيت الذين

اوتوا الكتاب

اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك انه وان قام في حقهم اعظم الآيات لم يوجد منهم الاتباع دل انه بقي لهم
الاختيار في الامتناع مع وجود الآية والله الموفق وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض
قال الشيخ فيه الوعد له بالعصمة في حادث الوقت وما بعده ويحتمل وما انت بتابع قبلتهم اي لما ان تتابعهم
في القبلة على سبيل النهي هذا التاويل كانه اقرب فان آخر الآية خرج على الوعيد له وهو قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين • اي انك اذا امنتهم وهو ظالم في تحذيرنا انكونه معصوما عن
المعاصي لا يمنع النهي عنها ويحتمل ان يكون هذا الخطاب له في الظاهر والمراد به غيره ومثله كثير في القرآن وقوله
تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم • لان الاولاد انما يعرفون بالاعلام والاسباب المتقدمة
فعلى ذلك معرفة الانبياء والرسل انما يكون بالدلائل والاعلام وقد كانت تلك الدلائل والاسباب في رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرة لكنهم تعاندوا وتناكروا وكتموا بعدما عرفهم بانه الحق يدليله وقوله تعالى وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • والكتمان ابدا يكون بعد العلم بالشيء لان الجاهل بالشيء لا يوصف بالكتمان
وروي عن عبد الله بن سلام قال انا اعرف به مني بابني قال لاني لا ادري ما احدث النساء بعدي قال وفي هذا دلالة
ان صفته ونعته ما كانت غير متغيرة يومئذ فانما غيرت من بعد حيث حين انهم كتموا ذلك ولان الله تعالى قال الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم الآية وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين • قال الشيخ يحتمل ان يكون الخطاب
له والمراد غيره ويحتمل ان يكون المراد هو وقد كان في علم الله تعالى انه لا يمتري لان العصمة لا تمنع من المحنة ولا من
النهي بل تؤكده وقوله تعالى ولكل وجهة هو موليها • يعني جهة مخرج على الاصل كما يقال العدة وزنة معناه
ان لكل من المسلمين قبلكم قبلة يصلون اليها ويقال لكل امة من المسلمين قبلة جعلت قبلتها الكعبة وقوله تعالى
هو موليها • قيل هو موليها اي يحولها ومتوليها وقيل قوله هو يعني المصلي مستقبلها بلفظه ولي مشتركة
يقال ولى اي اقبل ويقال ولى اي ادبر ويقال ولى اي اثبت الولاية فوض الامر وقوله تعالى فاستبقوا الخيرات •
قيل بادروا يا امة محمد عليه السلام الامم السالفة بالخيرات والطاعات ويحتمل استبقوا في امر القبلة الى الوجهة
التي اختارها لكم من الكعبة وقوله تعالى اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا • قيل اينما تكونوا يقبض الله ارواحكم وقيل
اينما تكونوا في اي حال كنتم عظاما ناخرة بالية او رفاة يجمعكم الله تعالى ويحييكم ولا يبعد عليه ذلك ومعنا
من حيث الاتصال بما قبله ان لا تغتروا بالدنيا وزينتها فانها الفانية الفناء وحدة بقائها التوسل الى الآخرة بنا
فيها بالخيرات والطاعات فذكر ذلك عقيب الامر بالطاعات ترغيبا لهم فيها وقطعا لوهم المنكرين للبعث فانه
لا يبعد عليه الاحياء والاماتة والكل ذلك بقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير وقوله تعالى ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام • يقول الله تعالى والله اعلم حيثما كنت من البلدان والمدائن فول وجهك شطر
المسجد الحرام شطره اي تلقاءه ونحوه وجهته وهذا النص يبطل قول من يقول ان قبلة من بعد عن البيت من اهل
الآفاق هو الحرم فان الله تعالى امر نبيه عليه السلام بالتوجه الى شطر المسجد الحرام حيث ما كان من البلدان وكذا
كان في حق سائر الناس عقيب هذه الآية وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم المراد من قوله شطر المسجد الحرام مطلق
يحتمل بعضا من المسجد الحرام من اي طرف كان ثم المراد منه باجماع الامة هو البيت الذي هو في وسطه وانما يتقيد
هذا المطلق ويتعين هذا المبهم بالتامل في الدلائل وبالبيان من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم نصا فيكون
الآية حجة لنا في موضعين احدهما ان العام لا يجب بالظاهر اعتقاده بل يتوقف فيه الى ورود الدليل الكاشف والثاني
ان تاخير البيان في المطلق والعام جائز فان تعيين في النص بيانا ان المراد من الشطر هو البيت وانما عرف بيانه متاخرا
وانما التخصيص لامته بعده فالتاكيد بيانه انه عليه السلام لا يكون مخصوصا بالتوجه دون امته اذ في الخطاب خاص
اختصاصه بالنبي دون امته وقوله تعالى وانه للحق من ربك • قيل قوله وانه اي تحويل القبلة الى الكعبة هو الحق
من ربك وقيل قوله وانه اي محمد هو الحق من ربك وقيل قوله وانه اي القرآن هو الحق من ربك وقوله تعالى ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره • قد تقدم بيان تاويله وقوله تعالى لئلا
يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم • فان قيل لما ذا قرن قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة على قوله فولوا
وجوهكم شطره فما معنى تعليل وجوب التوجه الى الكعبة بقطع عذر الكفرة وحججهم قال الشيخ والجواب عنه
ان اليهود لما كانوا اختاروا ناحية المغرب قبلة والنصارى ناحية المشرق قبلة بهواهم وادعى كل فريق ان تابعهم النبي
عليه السلام في تلك الجهة وادعوا ان ذلك هو الحق فامر النبي عليه السلام واصحابه بالتوجه الى الكعبة رد ذلك دفع
احتجاج الكفرة وقطع عذرهم اي اني اتبع امر الله تعالى في التوجه الى الكعبة وان الذي تزعمون انه امرهم بذلك هو
امرني واياكم بالتحول الى الكعبة فعليكم الامتثال لامره ويصلح ان يكون الجواب ايضا ما قيل ان الله تعالى بين في
التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب المتقدمة ان النبي المبعوث في آخر الزمان واصحابه يؤمرون بالتوجه الى بيت المقدس

زمانا ثم يحولون الى الكعبة فيجعل الله ذلك دلالة رسالته لكونه اخبارا عن الغيب فحول الله تعالى القبلة الى
الكعبة بعدما كانت الى بيت المقدس لئلا يكون للناس عليكم حجة اى لاهل الكتاب فيقولوا ليس هذا هو النبى المبعوث
فى آخر الزمان حيث لم يحول قبلته من بيت المقدس الى الكعبة بعد مضى المدة المعلومة قال الشيخ ثم قوله تعالى الا الذين
ظلموا منهم فى ظاهره اشكال من حيث هو استثناء الظالمين من جميع الناس والاستثناء من النفى اثبات فيصير تقديره
ظاهره لئلا يكون حجة لعامة الناس عليكم ويكون حجة للظالمين عليكم وتعالى الله عز وجل عن ذلك وتكلموا فى حل
هذا الاشكال فقال البعض ان كلمة الا استعيرت للعطف ههنا بمعنى حرف لا معناه لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا
الذين ظلموا واراد بالناس اهل الكتاب واراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وان كان جميع الكفرة ظلمة اذ مشركو العرب
فكونهم ظلمة فى نهاية الكمال لانهم بنوا امور دينهم على مجرد الهوى والطبيعة بخلاف اهل الكتاب فانهم بنوا امور دينهم
على الوضع الالهى فى الجملة وان غيروا اشياء بها وصفاتها بحيث خرج اكثرها عن الحقيقة وقال الفراء وهذا التاويل
لا يصح لان ذكر لفظة الاستثناء انما يجعل مجازا عن حرف النسق وهو حرف لا فى الاستثناء بعد الاستثناء اذا كان
المستثنى من خلاف جنس المستثنى الاول كما قيل ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروان اى ولا دار مروان
فهذا الاستثناء من الاستثناء واستثناء دار مروان من دار الخليفة لا يتحقق فكان المراد منها النسق والعطف
ولم يرد من العرب لفظة الاستثناء مجازا عن لا الذى هو حرف العطف فى الابتداء فيكون خطا فى اللغة وان لم يكن
خطا فى المعنى ثم قال الفراء لكن معناه لئلا يكون للناس عليكم حجة اى لاهل الكتاب الا من ظلم منهم عليكم فى الكلام
والمناظرة بلا حجة ولا دليل فيصورون عندى الشبهة بصورة الحجة لكثرة العناد والمكابرة لاعراضهم ثم قد
كما قيل فى مبتدا الكلام ان الرجل يقول لاخر ليس لك على حجة الا ان تظلمنى اى بلا حجة فهذا مثله وقيل فى الحجة
ايضا ان قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كلام تام والمراد بالناس جميع اهل الكتاب او جميع الكفرة وقوله الا الذين
ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ابتداء كلام منقطع عما سبق لامتناع انه ذكر له جوابا مفردا فقال فلا تخشوهم
وهذا علامة الاستثناء المنقطع ان يفرد له بالجواب كما فى قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الى ان قال الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم لما اعقبه بقوله فان الله غفور رحيم دل به ان المراد منه
الاستثناء المنقطع فهذا مثله وصار معناه ولكن الذين ظلموا فلا تخشوهم فى الضرر لكم واخشونى وقيل ولكن
الذين ظلموا فلا تخشوهم فى انصرافكم الى الكعبة عن بيت المقدس وان يخاصموكم فيها بان يقولوا ما بالكم نقضتم
عن قبلتنا ضلالة هى فقد دنتم الله بها وصليتم اليها زمانا مديدا ام هدى فقد صرفتم عنها الى الكعبة اذ
انما صرفتم بامرى ولكن اخشونى فى ترك هذه القبلة التى امرتكم بالتوجه اليها حتى لا تقصروا ولا تخالفونى لامرى ويحتمل
فلا تخشوهم بالقتال والغلبة فيكون فى الاية دلالة على ثبوت الامن والعصمة من الاعداء وعلى هذا يخرج
وقوله ولاتم نعمتى عليكم يعنى الامن والعصمة لهم من الاعداء ولا نعمة اعظم من الامن واظهار الحق ويحتمل
اراد بالنعمة كل نعمة من الاسلام والنصر على الاعداء والامن منهم وقوله ولعلكم تهتدون اى تهتدون
القبلة وتهتدون الارشاد والصواب وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم قال الامام قوله رسولا منكم
قال الامام قوله رسولا منكم خاطب العرب ليذكرهم بما انعم عليهم من انواع النعم من ذلك بعث الرسول فيهم
وانزال الكتاب بلسانهم وهم كانوا يتمنون ذلك كما اخبر عنهم ويقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
فمن عليهم بذلك وكفى به فضله وقوله تعالى ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة وقد تقدم بيانا لتاويلها
منى وقوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اى من التوحيد والشرايع والمحاجة مع الكفرة فان قيل ههنا اشكال
فان حرف كما لم يذكر مبتدا بل على تقدم كلام لانه حرف تشبيه فيقتضى وجود المشبه به اما سابقا عليه او متاخرا عنه لتحقق
المماثلة بينهما اما من حيث الكيفية او الكمية او غيرهما وذلك لا يتحقق الا بين شيئين لا فى شىء واحد فكما كلمة كذلك
فما المشبه به ههنا قيل ان فى الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره كانه قال فاذكرونى كما ارسلنا فيكم رسولا
الى آخر الاية بين له انواع النعم بقوله ارسلنا فيكم رسولا وطلب منهم ذكر النعمة وشكرها بقوله فاذكرونى اى
فاذكرونى بالشكر والحمد مكافاة لما انعمت عليكم فيكون الشكر منكم بتقييد الوسع مقابلا ومثلا لما انعمت عليكم
وقيل يستقيم هذا التاويل بدون تقديم المشبه به فلا معنى للقول بتغيير ظاهر اللفظ ومعناه كما انعمت عليكم
بهذه الانواع من النعم فكذا يجب عليكم ان تقابلوا ذلك بالشكر وذكر المدح والثناء على كما يقال فى مثل الاول
كما احسنت اليك احسن الى تطلب بالاحسان مجازاة ومكافاة لاحسانى فان قيل اذا تم الكلام بقوله فاذكرونى
كما ارسلنا فيكم رسولا على تقدير التقديم والتاخير على ما قلنا او ظاهر الاية كما ارسلنا فيكم الاية فاذكرونى كلام
تام فما المعنى لقوله اذكركم فنقول لان الشكر من العباد وان كان مقابلا لما اسدى اليهم من النعم من الحياة
وسلامة البدن والدين والجمال والسعة فى الرزق ونحوها فان الله تعالى بفضله وكرمه جعله بمنزلة ابتداء احسان

من العبيد

من العبيد كانهم بما فى ايديهم ليستوجبوا الثواب مقابلة ويجعله جزاء لعملهم وان كان الثواب فى الحقيقة
افضالا من الله لان افعال العباد من الطاعات وجبت شكرا لما انعم عليهم وفى اداء الواجب لا يستحق الجزاء
واذا ثبت هذا فنقول ان الله تعالى بقوله كما ارسلنا فيكم رسولا الاية بين انواع النعم ثم بقوله فاذكرونى طلب الشكر على
النعم ثم بقوله اذكركم وعد الثواب على ما اقدموا عليه من الشكر كانه ابتداء احسان من جهتهم فضلا منه وكرما وقوله تعالى
فاذكرونى اذكركم قيل فاذكرونى بالطاعة اذكركم فى الآخرة بالتجاوز عن سيئاتكم وقيل فاذكرونى فى الرخاء والسعة اذكركم
فى الضيق والشدة وقيل فاذكرونى فى ملأ من الناس اذكركم فى ملأ من الملائكة ويحتمل فاذكرونى بالشكر لما انعمت عليكم
اذكركم بالزيادة عليها وقوله تعالى واشكروا لى ولا تكفرون اى وجهوا شكر نعمتى الى ولا توجهوا الى غيرى ويحتمل
وجهوا العبادة الى ولا تعبدوا غيرى وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة الاية وقد مضى
بيان تاويلها فيما تقدم وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء وتوجيهه قيل ان العرب كانت تعرف الميت
من انقطع ذكره بان لم يبق له احد يذكره من نحو الولد وغيره فيقولون عند موت الشهداء انه قد انقطع نسبهم فهم موتى
فاخبر الله تعالى انهم احياء لانهم مذكورون فى ملأ الملائكة فلا يكونون موتى فهو اعز نسبهم موتى وفى الحقيقة
هو النهى عن القول بانقطاع ذكرهم وقال الحسن ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنان وتعرض ارواح الكفرة على النار لكن
فيكون لارواح الشهداء فضل لذة لا يكون لغيرهم من الارواح ويحتمل لارواح الغير يكون فضل لذة عرضها على
ما يكون لغيرهم فاستوجبوا اسم الحياة لفضل لذة ما يجدونه فى الله عنهم من عرض ارواحهم على الجنان على غيرهم وقيل
ان الشهداء احياء عند ربهم يحضرون عند ربهم وان كانوا غائبين عنكم لما عرف فى اللغة ان الشهيد هو الحاضر
وشهدت مجلس فلان اى حضرت وقيل ان الحياة والموت على ضروب منها الحياة الطبيعية والموت الطبيعى فالحياة
الطبيعية هى التى بها قوام النفس والموت الطبيعى هو الذى به فوات النفس ومنها الحياة العرضية والموت العرضى
فالحياة العرضية هى اليقظة والعلم والدين الحق قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه والموت العرضى على ضد
الحياة العرضية ومنها الحياة المعنوية والموت المعنوى فالغرض المطلوب من الحياة فى الدنيا هو العمل الصالح الذى
هو وسيلة الى النعيم فى الآخرة فاذا لم يحصل بهذا الغرض فهو موت من حيث المعنى كالكافر ميت فى المعنى لانعدام غرض
الحياة فى حقهم فالشهادة لما كانت سببا للحياة فى الآخرة لكونها سببا للمغفرة والثواب كانت صورة معنى وقوله
تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات الاية فقد تقدم بيان وجوه
الابتلاء من الله تعالى قيل انما ذكر الابتلاء بهذه المصائب مضافا الى نفسه لئلا يجزعوا على ما يصيبهم من انواع المكروه
وليعلموا ان نعم الدنيا ولذاتها وحوادثها ومصائبها لا تبقى بل هى موسومة بالفناء والعدم كما اخبر تعالى فى آى
من القرآن بقوله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وبقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا
وبقوله ما عندكم ينفد وقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا لانه خلق الدنيا دار
محنة ومهانة وهى الى الفناء وانما هى مطية ووسيلة الى دار البقاء ومن عرف انما يصيبه من الامراض والاوجاع والنقص
من الامراض والاوجاع والنقص فى الاموال والانفس والثمرات يخف عليه اذ هذا دون الكل فذكر تعالى انه
يبتليهم بالذى ذكر قبل بقوله لتطمئن قلوبهم الى ذكر كما قال وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولا يكون من قلوبهم الجزع
والضجر فيفوتهم ثواب الصبر ثم قد يكون فيما بين الخلق نسبة مثل هذه المصائب الى شوم الامكنة والى
بعض من العبيد والازواج ونحوهم على طريق التفاول فبين الله تعالى الابتلاء بهذه الاشياء واضاف الى نفسه بقوله
ولنبلونكم حسما لباب التشاوم واعلاما ان ذلك بقضائه انه تعالى وقدره وخلقه كقوله ما اصاب من مصيبة
فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب ثم قوله بشىء من الخوف والجوع الاية لفظة شىء مضمر فى كل حرف فذكر البعض
معطوفا على البعض كانه قال بشىء من الخوف وبشىء من الجوع الى آخره ثم ما ذكر بهذه الاشياء يتوجه الى وجهين فى
الخوف ان يبلوهم بخوف على جهة العبادة من نحو الامر بمجاهدة الاعداء والقتال معهم والثانى ان يبليهم بانواع ما
يحل بهم فيخافون عند ذلك على انفسهم وكذا الجوع يحتمل ان يراد به الصيام الذى فيه الجوع ويحتمل ما يصيبهم
من المجاعة والقحط بقلة الامطار وغلاء الاسعار وكذلك النقص فى الاموال يحتمل ان يكون بما فيه جهة العبادة كما
فى الجهاد والحج والزكوات والعشور المجعولة فى الاموال ويحتمل لا بطريق العبادة من نحو الخسران فى التجارات وما
فى ذلك اشبه من الحوايج وكذا ابتلاء النفس يحتمل ان يكون بطريق العبادة كما فى الجهاد ومحاربة الاعداء ويحتمل
لا بطريق العبادة كما فى الامراض ونحوها وكذا الثمرات يحتمل بطريق العبادة نحو العشور ومفارقة الاوطان
للحج والجهاد ويحتمل لا بطريق العبادة نحو هلاك الاثمار المقصود الاكل على الانتفاع لعوارض سماوية وقوله تعالى
وبشر الصابرين قيل الصبر هو حبس النفس عن الجزع على ما يفوت من الصبر على الغائب واخذ النعم كلها ملك
لله تعالى حقيقة وهى مستعارة عند الخلق والجزع على فوت ما لغيره محال فالامتناع عن المحال واجب فان الله تعالى

لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم نهانا ان نحزن على ما يفوت عنا اذ هو في الحقيقة لغيرنا لا لنا
وانما اذن لنا بالانتفاع بذلك مدة مقدرة يتبين عند الهلاك تمام المدة فلا ينبغي الحزن والجزع ونهانا
ان نفرح بما آتانا اذ هو في الحقيقة لغيرنا وانما متعنا به في ايدينا لنحمل الزوال الجائي والاسترداد ساعة فساعة
فلا ينبغي الفرح بالاستدامة وجه آخر وصف الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون ارشد الله تعالى عبيده على الاعتماد بحرف التوحيد عند المصيبة اذ كل اوصاف التوحيد
داخل في قولهم انا لله وفيه التبري ان يكون لهم حول وقوة ورأي وتدبير في حكم الله تعالى في انفسهم واموالهم
بكليتها الى الله تعالى ليحكم فيها على ما يشاء ويريد فقولهم انا لله كانهم قالوا اما لنا فيما ليس لنا حكم ولا تدبير وانما
يكون الحكم في كل ملك لمالكه وبمثل هذا يقدر على منع النفس وكفها عن الجزع وحملها على ما تكره وقولهم وانا
اليه راجعون كانهم قالوا انا اليه مرجعنا لا فرق بين ان يرجع اليه جملة او بالتفاريق بل في التفريق لنا علينا الا
والافضل لحيث اخذ منا البعض وكيف حقيقة بما مقابلا بالعوض فالبعض هم ان حرف الاسترجاع خص
به هذه الامة دون غيرها من الامم لانه لم يذكر هذا الحرف عن الامم السالفة الا ترى ان يعقوب عليه السلام على
ما اصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف عليه السلام لم يذكر هذا الحرف عنه وكره قال يا اسفى على يوسف
فدل انه مخصوص بهذه الامة يؤكد ما قلنا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال لم يعط الاسترجاع
من كان قبلكم قال ابو منصور ولكنا نقول هذا النقل لا يصح فانه لا يحتمل ان يكون يعقوب عليه السلام يحقق
الاسترجاع فانه من باب الايمان لا الارتياب قال فصبر جميل وقال انما اشكو بثي وحزني الى الله وهو تفسير
الاسترجاع على انه كان عالما بحياة يوسف بما اوحي اليه وبما علم ان يوسف عليه السلام رأى في المنام انه
سجد له الشمس والقمر والكواكب ولم يخرج بعد تأويله لكن انما خص هذه الامة بالتلقين والتعليم ان يقولوا
قولوا انا لله وانا اليه راجعون وبالله العصمة وقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
بين الله تعالى ما يكرمهم به اذا خضعوا الحكمة ورضوا بقضائه فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وقال ايضا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ثم الصلوة من الله تعالى يحتمل وجوها يحتمل مباهاة الله
بهم الملائكة بعظيم ما خضعوا الحكمة حتى يا الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الكيف قلتم هذا وهم
يقولون عند حضرة المصيبة انا لله وانا اليه راجعون ويسبحوني ويخضعون لحكمي بالاسترجاع وانتم
تستحيون في غير حال المصيبة ويحتمل الصلوة والمغفرة منه والاكرام بالثواب الجزيل لم يبق له تعالى ولئن
قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة ويحتمل الصلوة ثناء الله تعالى وذكره لهم بالجميل كقوله ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء وقوله ورحمة قيل الصلوة والرحمة واحد كرر ذكرهما على طريق التاكيد
ويحتمل ان يكون الرحمة هي الجنة فان الجنة قد سميت رحمة في القرآن ويحتمل رحمته هو الثناء ومحبته في قلوب العباد
حتى يحبونه وليحمدونه فيه هذا النعم الابدية وقوله تعالى واولئك هم المهتدون شهد الله تعالى لهم بالهداية
يحتمل ان يكون المراد انهم اهتدوا الدين الحق وما عليهم في المصيبة من التسليم لله تعالى ويحتمل الاهتداء لطريق
الجنة على ما وعد للشهداء ومن الوجوه المعتبرة في الاية بيان الامن والصحة والعطاء انعم ليس بلازم على الله تعالى
في الحكمة وما يكون اصلح للعباد ليس بواجب على الله لكن ذلك كله انعام وافضال من الله تعالى وله الابتلاء بأخذ
ذلك كله وبعضه ومنها ان الله تعالى ذكر انه يبلوهم بما ذكر من المصائب ومعلوم انه التي تجري على ايدي العباد
واضافه الى نفسه فثبت ان له في ذلك تدبيرا حتى يبلوهم به ومنها ان الله تعالى قال ولنبلونكم بكذا وكذا ولم يكن
ذلك يومئذ فظهر من بعد وكذلك قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا ثم ابتلوا بذلك
ليعلم ان رسول الله عليه السلام علم ذلك بالله اذ لا يعلم الغيب الا الله وفيه دلالة بينة على نبوته ورسالته
ومن وجوه الاية ايضا ذكر الخوف بقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف وفيه بيان ان الخوف من الخلق لا ينفي الايمان
وهو كقوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وعلى ذلك الرجاء والطمع من الخلق وجملة فهذا ان امر الدنيا محمول
كله على اسباب لا انها توجب ولكن الله تعالى اجرى احكامه عليها فيكون الخوف والرجاء والطمع في التحقيق من
الله تعالى اذ هو جعل ذلك سببا وانه الموفق ومنها ايضا بيان انه لا دوام ان المصائب في الدنيا التي كلها تصيب
الانام بل الله تعالى ابتلاه بالحسنات والسيئات لانها لا تدل على ترهين عقد المصائب لا ينقضي له
اليه بها وعلى ذلك امر الانبياء والرسل عليهم السلام ولكن على وجهين ان يكون لله تعالى يبتليهم بذلك لئلا يجري وليه
لذات الدنيا اليها الماموره في الاخرة والثاني ان يكون لهم عبرة لكي لا يسلم عنها البشر فيبلوها المعمل ثم
النعمة ولان لم تبق عليهم وانما جعلت كذلك محنة وابتلاء والله اعلم وقوله تعالى ان الصفا والمروة من
شعائر الله قيل ان صعودهما لم يجب في المناسك فان الشعائر اسم لما يجب في المناسك في عرف الاستعمال قال

بعض

بعض الناس انه لا يجب الصعود عليهما وانما الواجب الطواف بينهما وبه قال الشافعي عن النبي عليه السلام انه قال حين
اراد الصعود عليها ابدأ بما بدأ الله فصعد الصفا وقال فلا جناح عليه ان يطوف بهما ولم يقل بينهما ثم
لم يصعد الصفا والمروة لم يطف بهما مع ما قال الله تعالى لا تحلوا شعائر الله وفي ترك صعودهما احلال شعائر الله
اذ قد بين الله تعالى انهما من شعائره فان قيل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف بالبيت وبين الصفا والمروة
على ناقته ليرى الناس قيل له يحتمل انه لم يصعدهما لان الناقة لا يقدر الصعود عليهما وكان بعذر حتى طاف
راكبا الا ترى انه روي عنه صعودهما واستقبال البيت وقوله ابدأ بما بدأ الله دليل ذلك لما روي عن جبير عن ابن عباس
عن النبي عليه السلام انه طاف بينهما على ناقته وبالبيت لعذر به ولانه لا يحتمل ان يكون لغير عذر لان الواجب هو
السعي حيث لقب به والراكب لا يسعى فدل ان تركه يكون لعذر وحديث جبير عن ابن عباس اولى من حديث جابر
لان ابن عباس نص على العذر وجابر ذكر ذلك مطلقا فلعله لم يقف على العذر وهو الظاهر لان العذر كان لا يعرف
بالنظر من بعيد وانما يعرف بالتأمل عن قرب اي الخبر عن المعذور فكان خبر ابن عباس فيه بيان حقيقة الحال فهو اولى من خبر
جابر الذي فيه بيان الظاهر وقوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما قيل فيه وجهين
احدهما قيل كان بالصفا صنم وبالمروة صنم فتحرجوا في الصعود عليهما والطواف لكانهما احترازا عن التشبه
بافعال الجاهلية وقيل كان بينهما اصنام فتحرجوا لذلك فرفع الجناح عنهم ثم قال الشافعي ان السعي بين الصفا والمروة
فرض حتى لو ترك الحاج خطوة منه ولحق باقصى بلاد المسلمين امر بالعود ليضع قدمه موضعها ويخطو تلك الخطوة واحتج
بما روت صفية بنت فلان انها سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان الله كتب عليكم
السعي بين الصفا والمروة وقال اصحابنا انه ليس بفرض ولا واجب واحتجوا بما ذكر في حرف ابي لا جناح عليه ان لا يطوف
بهما ولا يذكر ذلك في شيء واجب ولانه لفظة رخصة ولا رخص في ترك ما هو فرض واجب قال الامام وقلنا
نحن انه واجب وليس بفرض لان الطواف تطوع ما لا يتبرع به فيخرج الامر مخرج الوجوب اللازم كالطواف وسجدة
التلاوة والوتر والاضحية عن عائشة قالت ما تم حج امرئ الا بالسعي وهذا وصف النقصان لا وصف الفساد وما
يتعلق به الشافعي لا يصح تعلقه به على زعمنا ان المجهولة لا يبتدئ عن هو والعجب منه انه يا قدم قبول المرسل لو
الغلط مرة يحتج بقول امرأة لا تعرف ولا يذكر اسمها ثم الوجه ان يثبت لفظة كتب كما يذكر الفرض ويراد به حكم كقوله
تعالى في كتاب الله من المؤمنين وقوله كتاب الله عليكم قيل حكم الله عليكم فلا يصح التعلق به ان المراد منه فرض مع
الاحتمال في الاستعمال واما التعلق من نفي الفرضية والوجوب بحرف ابي فلا يصح لان الحرف لا ربما يزاد وينقص عند
ظهور المراد وعدم الاشتباه ولا يوجب زيادته ولا انتقاصها تغير حكمها كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
اي لا تضلوا ومثله في القرآن كثير وقوله ان المسلمين كانوا يتحرجون عن الطواف بينهما لمكان الاصنام فبين
تعالى ان لا حرج عليهم في ذلك لان المراد به رفع الجناح وهو تركه اصلا وقوله تعالى فان الله شاكر عليم قال الامام
شاكر الله عز وجل عباده بكرمه ولطفه معاملته من لا حق له في اموالهم وانفسهم فوعدلهم قبول اليسير من العمل
والعطاء الجزيل من الثواب وطلب منهم الاقراض ووعد لهم عظيم الجزاء كمن لا حق له في اموالهم واقرضوا الله قرضا
حسنا الاية وبقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم وقيل شاكر اي يجزيهم
الجزاء الخطير بالعمل اليسير وقيل يقبل القليل ويعطي الجزيل وهو واحد وقوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا
من البينات قيل البينات هي الحجج معناه كتموا ما انزل الله تعالى من الحجج التي كانت في كتبهم وقيل كتموا ما بين في كتبهم
من نعت محمد عليه الصلوة والسلام وصفته ويحتمل ان يكون البينات ما بين الخالق ما عليهم ان يأتوا ويتقوا من
الحلال والحرام وقوله تعالى والهدى قيل الصواب والرشد وقيل الهدى ما جاء به الانبياء وهو من شأن محمد عليه السلام
ودينه وما امروهم به من تصديقه وقيل كتموا الاسلام وهو دين الله وكتموا محمدا عليه السلام وهم يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل وقوله تعالى اولئك يلعنهم الله قال بعض المتكلمين اللعن هو الشتم من الله تعالى
قال الشيخ وهذا مستبعد عندنا فانه لا يستحق اضافة الشتم الى الله تعالى لان الشتم ما لا عاقبة له حميدة فيكون
سفها فلا يقال ان الله شتم فلانا وان كان هو خالق الشتم هو لا نخلق الشتم حكمة اذ الخلق ايجاد الشيء على ما
يرى وانما الشتم من العبد قبيح ثم المكرم من اللعن المضاف الى الله تعالى هو الطرد او طردهم عن ابواب الخير وقوله
ويلعنهم اللاعنون يعني الداعين عليهم باللعن اي بالطرد فسمي ابن ابليس اللاعنين لوجود الدعاء منهم باللعن
وقيل اللاعنون هي البهائم فانه اذا قحطت السماء وانتشت قالت البهائم منعنا القطر بذنب بني آدم لعن الله
عصاة بني آدم وقوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم
قيل تابوا عن الكفر واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وبينوا صفة محمد عليه السلام وقوله اتوب عليهم
قيل اي يقبل توبته من يتوب وقيل يوفقهم بالتوبة وانا التواب الرحيم قيل المتجاوز عن ذنبهم وقيل الكاشف

عن كربهم وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ۞
قيل لعنة الله هو ادخاله اياهم النار واخلاده فيها ولعنة الملائكة قولهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
وذلك عند سؤالهم تخفيف العذاب هذا ما قيل في لعنة الملائكة واما لعنة الناس اجمعين فقد قيل انهم يطلبون
من اهل الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فهذا ما قيل في لعنة
الناس وقوله تعالى خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ۞ قيل ولا هم يقالون ولا يردون
لما تمنوا كقوله خبرا عنهم او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ۞
قال الامام ان العرب تسمي كل معبود تعبدها الها وكانت تعبد الاصنام وتسميها الهة فقال الله عز وجل والهكم
اله واحد اي ان الهكم الذي يستحق الالوهية واحد لذاته لا واحد من جهة العدد كالخلق فانهم بعد اعداد و
انواع واشكال بل هو واحد لذاته بجلاله وعظمته وارتفاعه وتوحده عن شبه الخلق وعن جميع معانيهم يقال
فلان واحد زمانه يراد به ارتفاع قدره وعلو مرتبته لا من حيث العدد اذ من حيث العدد مثله كثير ثم قوله والهكم
اله واحد في اثبات الالوهية اله واحد وفي قوله لا اله الا هو نفي الالوهية عما سواه ثم ذكر ما دل على ربوبيته
ووحدانيته وايات الوهيته وربوبيته وما يتضمن من دلائل حدث العالم ودلائل البعث وغير ذلك فقال جل جلاله
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل
الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض لايات لقوم يعقلون ۞ ثم ذكر ابو منصور بيان وجوه الدلائل في كل من هؤلاء الكلمات فقال بيان
وجه دلالة التوحيد في خلق السموات والارض فانه خلق السماء وجعل فيها المنافع للخلائق ثم جعل منافع السماء
متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما اذ لا منفعة تظهر في منافع احديهما الا باتصال المنافع الاخرى بها من نحو
ما جعل من معرفة طرق الارض في الليل بالكواكب وفي النهار بالشمس وانضاج الاعناب والثمار ونضجها
بالشمس والقمر وجعل احياء الارض واخراج ما فيها من النبات من الماكول والمشروب والملبوس والادوية
بالامطار وكذلك لا تتم منافع السماء من انواع الانزال من العيون وغيرها الا بالارض وهما محدثتان بتحقق دلالة
الحدث من العجز والتسخير والتغير فيهما فلا بد للمحدث من المحدث ثم اتصال المنافع احداهما بالاخرى وتعلقها بها
بعد ما بينهما على ان منشئهما واحد لانه لو كان اثنين لكان اذا وصل هذا قطع الاخر واذا قطع هذا وصل الاخر
فلم يتحقق المقصود فدل انه واحد فيبطل به قول الثنوية والمنانية والله الموفق وفي قوله تعالى واختلاف الليل
والنهار وجوه من الدلالة منها دلالة التوحيد فانه يحصل اختلافهما بكيانكم على ان خالقهما واحد لانه لو كان
خالقهما اثنين لكان اذا اتى هذا بالليل منع الاخر النهار واذا اتى احدهما بالنهار منع الاخر الليل وفيه ذهاب
عيش الخلق وفقدها به تفانيهم وفسادهم قال الله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة
من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فذلك
اتصال منافع احدهما بالاخر مع اختلافهما وتضادهما على ان محدثهما واحد وفيه ايضا دلالة حدث العالم
لما ذكرنا من تغيرهما وزوالهما من حال الى حال وذلك علامة الحدث ودل ايضا جعل هذه الاشياء بابتداء
حال الفنا وعجزهما عن قدرة مثلها على ان لها محدثا قادرا والله الموفق وفيه ايضا دلالة التوحيد والتدبير وذلك
ان كل واحد منهما اعني الليل والنهار يصير بمجيء الاخر مغلوبا فلولا انه بغيره وتدبيره لما احتمل ان يصير
مغلوبا بعدما كان غالبا اذ ذات ما لا رب له لا يكون مقهورا مغلوبا في نفسه فدل ان لهما محدثا مدبرا وانه واحد
وفيه دلالة البعث والحياة بعد الموت لان الليل ياتي على النهار فيتلفه ويعدمه ويذهب به حتى لا يبقى منه من اثر
النهار شيء وكذلك النهار ياتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل شيء ثم يوجد كل واحد منهما بعد ذلك على
على حسب ما وجد في البدء من غير تفاوت باحداث الله تعالى اياهما بعد افنائهما فدل انه قادر على انشاء ما امات الله
وان لم يبق له اثر على قدر من ايجاد ما انقضى انما اذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وقيل اختلافهما
في ان جعل احدهما مظلما والاخر مضيئا وقيل اختلافهما زيادتهما ونقصانهما على ان منشئهما واحد لانه لو كان
اثنان وهما اثنين لمنع كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان ولتغير التدبير ولم يجر الامر في كل عام على
سنن ما جرى عليه في العام الاول والله الموفق واما قوله تعالى والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ففيه
دلالة اثبات الصانع لما فيه من الاعجوبة وهو ان الطباع تنفر عن معالجة البحر لا الاطلاع على امواجه واهواله فالم
من علمها بانه ما يجريهم على البحر في الحفظ والامن الواقع لهم فدل ان ذلك من عند قادر لطيف خبير وفيه ايضا دلالة
وحدانيته وذلك لان لاهل البر لا انتفاع بالبحر ولاهل البحر لا انتفاع بالبر على بعد ما بينهما لو تضادهما فدل ان محدثهما

واحد

واحد حيث جعل منافعهما متصلة بعضها ببعض ثم الاية حجة على المعتزلة في مسالة خلق الافعال فان الله تعالى
جعل الفلك من اياته والمعتزلة جعلوها من ايات النجارين لان الفلك قبل ان تعمل فيها وتنحت لا يسمى فلكا ولكن
يسمى خشبا فلو لم يكن فعل العباد وعملهم فيها مصنوع الله تعالى ومخلوقه ومفعوله لزال الموضع الاحتجاج
وتسميته باسم الايات ثم فيه دلالة اباحة التجارات في الاخطار وعلى احتمال المشقات وتحمل المؤنات فان التجار
في الخطر وهم الهلاك فوق كل سبب الهلاك وقد اباح الله تعالى ذلك وجعل الفلك من عجيب اياته وفي الاية دليل
النبوة وبيان وجه ذلك ان من المعلوم قطعا ان من اعترف بالصانع ان الصانع جل وعلا خلق الخلق ولم يجعل على
ما عليه العادة بقاؤهم الا بالاغذية ثم ان الله تعالى جعل للخلق ما به يحصل لهم البقاء من الاغذية وما به يحفظ عليهم الصحة
ويزيل عنهم العلل العارضة من الادوية خلق من جنس جواهر تلك الاغذية والادوية السموم القاتلة والجواهر المتلفة
وليس في قوة الحواس ولا في حيلة العقول الوقوف على ما يمتاز به البعض من البعض ولا الاطلاع على ما يوجب التفرقة
بين كل ذلك ولا يطلق العقل التجربة بنفسه لما فيه من خطر الهلاك ولا يمكن التحت به لما فيه من تعريض النفس على التلف
التلف ثم ان المقصود من الوقوف وهو تمييز الضار المتلف من النافع المغذي لا يحصل بالتجربة اذ يحتمل نوع المتلف
التفاوت في ظهور التلف منه عقيب تناوله بان يكون من السموم ما يظهر اثره وتلفه ثم ضرره بعد اسبوع وبعد
وبعد سنة ولو لم عرض منه بحث تصرفه بتناوله بالاسم تناوله هو بنفسه ذلك ليدفع به عن نفسه الم الجوع وضرر
العطش ويحصل له ما به البقاء اذ لم ير اثر ضرره ظهر من جهة عسى ان يتلف بحيث بعد ذلك زمان لما كان ذلك التلف
مما يظهر بعد شهر او سنة ولو امسك عن الاغذية منتظرا ظهور اثره في التجربة الى شهر او سنة لمات جوعا او عطشا
قبل بلوغ تلك المدة فلم يبين الصانع جل وعلا الاغذية من الادوية والسموم ولم يخاطر العقلاء على التجربة ما بينا
ولا ابقاء لهم على ما هو المجعول بدون الاغذية لم يكن خلق الاغذية اسباب البقاء حكمة وحصل ايجادها على العبث
تعالى الله عن ذلك فدعت الحاجة الى ايجاب القول بالرسالة ليبين النافع من الضار والثاني ان ابدان الممتحنين لو لم يجعل
لهم الوصول الى ما هو سبب بقائها بل تلفت باقرب مدة وانقرض زمان بعد انقراضهم لم يكن خلقهم لا لعاقبة حميدة وذلك
مستقبح في العقول وخارج عن الحكمة ولا بد من البيان الوارد في منافع الاشياء على طبايعها المختلفة فلما
فوجب القول بثبوت الرسالة ليحصل لهم بيان مصالح عاجلهم واجلهم واذ ثبت هذا فنقول ان التجار في تحقق
الخطر وهم الهلاك فوق كل سبب الهلاك معلوم ان اتخاذ السفن وما فيها من المنافع في الاصل مما لا يقوم له تدبير
البشر فثبت انهم علموا ذلك لتحصل الامن لهم من بجواهر الاشياء وما يصلح الاشياء وما لا يصلح وكان في اية
الفلك دليل النبوة وفيها الموضع ذكرناه تعالى وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها ففيه دلالة
التوحيد لما تقدم بيانه من اتصال منافع احدهما بالاخرى وايضا دلالة البعث فان من قدر على اخراج النبات من الارض
باحيائها بالمطر المنزل من السماء غير انه يكون ابتداء النبات واحياء الارض بعد في شيء لقادر على اخراج الموتى وبعثهم بعد
ان صاروا اعظاما ورفاتا وقوله تعالى وبث فيها من كل دابة قيل ما خلق فيها من كل دابة وقيل فرق من كل دابة وقيل جعل
فيها من الاجوهر للدابة منه ما جعل ماكولا منتفعا به من كل انواع المنافع لهم ولغيرهم فيما وعدهم في الجنة ومنها
ما لا يؤكل ولا ينتفع بها بل جعلها اعلاما لهم ليدلهم على تعذيب ما اوعدوا في النار ففيه دلالة على ما اعتاش من النعيم والعقاب
لوجود المنافع والمضار في الشاهد واما قوله تعالى وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات
اي في خلق هذه الاشياء المذكورة علامات ودلائل وشواهد على وحدانيته ثم تحقق الوهيته وكمال قدرته
وعلمه ونفاذ مشيته لقوم يعقلون وتصريف الرياح قال بعضهم تصريفها مرة للعذاب ومرة للمنافع فانه جعل فيها
منافع كثيرة للخلق بها تجري السفن في البحار وبها ينشر السحاب في الهواء وبها تسقى وبها يتميز ما المحق مما المدب
الحبوب والتبن وغير ذلك مما يكثر من اعظم الاعجوبات والدلائل الواضحات مما يعلم من عظيم لطف الله تعالى انه جعل
الهوى مجالا لا يقر فيها شيء وان لطف ذلك الشيء وجعل السحاب غليظا كثيفا ثم جعل الهواء مع رقتها ولطافتها
مقر السحاب مع غلظه وكثافته وتستمسك الملاء مع ثقل جوهره وقوة سحبه يحد بالاحجار فدل ذلك
على ثبوت الصانع وكمال قدرته ونفاذ ارادته واتقان تدبيره وظهر بطلان قول الطبع ويحتمل تصريفها مرة صبا
ومرة دبورا ومرة جنوبا ومرة شمالا ومرة شيئا المنافع قال ثم ذكر لهم عز وجل ان الذي سخر السحاب بالرياح ليحملها في الهواء
وما فيها من المنافع التي تقدم ذكرها على ان مدبرهما واحد اذ لو كان التدبير من عند اثنين لاوجب التناقض في التدبير
اذ الكمال في القدرة والتدبير هو الاستقلال والتفرد فكان يجعل كل واحد منهما على خلاف ما يجعله الاخر ويدبر
كل واحد منهما ما ينقض تدبير الاخر وفي اتساق التدبير واتقان الصنعة واحكامها دليل على وحدانية الصانع
جلت عظمته ولهذا قال لقوم يعقلون ليعتبروا بما دعتهم الى الاقرار بوحدانيته والزمتهم العبودية لمن ادعوه من
المصنوعات ما لا يقدر له وحدانيته وايات ربوبيته فهي ايات موجبة للعلم في حق من تامل فيها بعلمه وحجة على من ترك التامل

اذ من لا يعقل جهة الحكمة في خلق هذه الاشياء انها لماذا خلقت وما الحكمة استوى في حقه خلقها وعدم خلقها
والله الموفق وقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله
قيل يتخذون من دون الله اندادا لان التسمية اي الاصنام يسمونها الهة مع علمهم بانها حجارة وتصاوير نحتت وذكر هذا
تشبيها لعقولهم لما عبدوا ما صنعوه بالتصاوير والنحت ولم يرضوا بذلك عن عبادة من قامت لهم به كل نعمة وتم
لهم كل نعمة وسلمهم من كل ضيق شهدت افعاله بوحدانيته والوهيته وقوله يحبونهم كحب الله قيل يحبون الاوثان كحبهم الله
يعني عبادة الانداد كحب عبادة الله وطاعته وقوله والذين امنوا اشد حبا لله اي المومنون اشد حبا لله من
المشركين لالهتهم وقيل المومن اشد حبا لعبادة الله واشد اختيارا لطاعته منهم لعبادة الاوثان فان المومن لا
يترك عبادة الله تعالى في الشدائد جميعا وفي حال الاختيار وكان الكافر يترك عبادة صنم اتخذه من خشب اذا وجد
صنما اتخذ من فضة قال الشيخ وهذه الاية في الحب يخرج على الثناء وعلى العبادة والطاعة وعلى التعظيم والتبجيل
وحب المومنين لله عز وجل من هذه الوجوه وقد يخرج على ميل القلوب وشهوة الطبع وحب الكفرة هذا النوع وهو
حب الجسد فان الذي عنده الشهوة وتستحسنه البصر وحب المومن فيما من هذين الوجهين فلذلك لا يحتمل
لان الله عز وجل متعال عن تقدير العقول وتصوير الاوهام متقدس عن الصورة والاجرام فيكون محبته في الحقيقة
في تعظيم جلاله والانقياد لاوامره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه ولزوم طاعته ولذلك امر الله تعالى رسوله
عليه السلام ان يقول لهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني بين ان دين محبة الله تعالى في تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاجابة لما يدعو اليه والانقياد والطاعة لامره والله الموفق ولذلك ان الرغبة الى الله والرهبة منه مما تصلح
لمحبة الله تعالى المومنين اذ علموا ان النعم كلها من الله تعالى وعلموا ايضا ان السلطان والعز لله تعالى فلا احد يملك شيئا
الا بالله ولا يكون الا به فاوجب ما عنده تعالى من نعيم الرغبة وما له من سلطان الهيبة والرهبة وهما طريق محبة الله
فصلح هذا طريق حب المومنين مع ما ظهر من اياديه التي لا تعد ولا تحصى والعلم بهما اعني الرغبة والرهبة يوجب تعظيم
اوامره والمبادرة الى التقبل بها مع الادلة المظهرة لتعاليه عن تقدير العقول وتصوير الاوهام فيكون محبته تعالى
في الحقيقة في تعظيم جلاله وتقديس ذاته وكماله عما يتصور في الطبائع ويتكيف في الاوهام انه متعال عن الكيف
والصورة وفي اتباع اوامره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه بان يصرف نعمه في طاعته وقوله تعالى ولو يرى
الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب قوله ولو ترى يقرى بالتاء وبالياء جميعا
فمن قرا بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو ترى الذين ظلموا اي عبدوا الاوثان يا محمد لشهدت
لك ان القوة لله جميعا لعلمك بخالقهم والمنعم عليهم ومن قرا بالياء يقول ولو يرى الذين ظلموا اي لو يعلم الذين
ظلموا في الدنيا اذا راوا العذاب يعلمون ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب للكفرة ويحتمل ان يكون المراد من قوله
يرى اي يعلم كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اي يعلمها ويصلاها وقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا يعني الروسا
من الذين اتبعوا وهم الاتباع يتبرا بعضهم من بعض القادة من الاتباع والاتباع من القادة وهذا كقوله يوم
القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الاية وقيل الذين اتبعوا اي الشياطين من الذين اتبعوا يعني
الانس وقوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب قيل هي الارحام والانساب كقوله فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون وقيل هي العهود والايمان التي كانت بينهم في الدنيا للتناصر والتعاون وقيل الاسباب التي بينهم
ومودتهم في الدنيا لم ينفعهم شيئا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله تعالى وقال
الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبروا منا يقول الاتباع لو ان لنا رجعة الى الدنيا فنتبرا من الروسا
كما تبروا منا في الاخرة وقوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم قيل يريهم اعمالهم التي لم يريدوا بها
الله تعالى حسرات عليهم اي ندامات عليهم وقيل كل عمل عملوه في الدنيا فارادوا به غير وجه الله تعالى كان ذلك حسرة
ندامة عليهم يوم القيمة وقيل تصير حسرات عليهم يعني ان الجنة التي كانت نعتت لهم بنيت باسمائهم فنظروا
اليها فيورثون لغيرهم وباسماء غيرهم قال الامام ولكن هذا التاويل عندي لا يصح لان يجعل الله تعالى لاحد نصيبا
في الجنة ثم يصير لغيره لانه عالم في الازل من يختم على الايمان والسعادة فيكون له الجنة ومن يختم على الكفر يحرم
عنها ولكن هذا يجيء من اصل المعتزلة فانه تعد لمن اطاعه الجنة ولمن عصاه النار فيجيء على قولهم ان هولاء كان
لهم نصيب في الجنة ولو كانوا حصلوا له لكان لهم نصيب من الثناء فيجوز ان يريهم ان هذا كان لكم لو اطعتم الله تعالى
فاذ عصيتم حرمتم ويحتمل ان المراد ما قيل ان يجعل نصيب هولاء من الجنة لغيرهم ان اليهود والنصارى ادعوا
الجنة لانفسهم كما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيحرمون ويورث غيرهم ما ذكروا انه لهم في
الجنة وادعوه لانفسهم وهو كقوله ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وقوله تعالى وما هم بخارجين من النار
يعني روساء الكفرة واتباعهم وقوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا قيل فيه وجوه قيل الاية

على الكفرة

على الكفرة في تحريمهم اشياء على انفسهم من الحرث والانعام من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام اي انتفعوا
بها فانها لم يحرمها عليكم لقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الاية وقيل خلق في الارض ما هو حلال لكم وما هو حرام
فاباح لكم التناول من الحلال الذي بين الحرام بقوله كلوا مما في الارض حلالا طيبا وقيل ان قوما كانوا يحرمون اشياء ولبس الرفيع
من الطعام والرفيع من الملبوس وكانوا يتناولون الدون والردي من الاشياء فانزل الله تعالى هذه الاية يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا فان قيل ان المراد من الطيبات في قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم هو الحلال
قلنا هذا لا يستقيم بقوله كلوا مما في الارض حلالا طيبا حيث نص على الحلال فيصير كانه قال حلالا حلالا
ثم الطيب ما تستطيبه الانفس لغة وكذلك يستعمل في الظاهر لان الطبع يميل اليه وكل طيب حلال شرعا
ولكن ليس كل حلال طيب فالنفس لا تستلذ بالتناول من كل حلال وانما تستلذ بما هو فوق الحاجة والذي يشهد على
ذلك قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فالزينة اسم للزيادة على الارتفاق و
القوت فكانه بين ان ما في الارض على قسمين حلال وحرام ثم الحلال نوعان طيب لذيذ ودون يقع به القوام لانه
امر باكل ما طاب من ذلك اذا قدر عليه لانه على ذا قدر طيبه ولذته يعظم محله في القلوب فيحثه ذلك ويرغب النفس
بالشكر لله تعالى فان المرء في شكر ما اسدى من عظيم النعم يرغب الى تعظيم المنعم اسرع والله الموفق وقوله تعالى ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين قيل اثار الشيطان وقيل خطواته وساوسه وقيل سبله كقوله ولا تتبعوا
السبل فالمعنى كله يرجع الى واحد وقيل سمي الشيطان عدوا للناس كافة في هذه الاية ثم قال في موضع اخر
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت سماه وليا للكفرة فيكون فيه اختلافا من حيث الظاهر وقيل لا تناقض لان المراد
من قوله انه لكم عدو مبين بيان حقيقة العداوة للناس فانه بسبب عداوته ادم عليه السلام يعادي ذريته يريد
هلاكهم كما هلك هو فيكونوا معه في النار والمراد من قوله اولياؤهم الطاغوت من حيث الظاهر فانهم يريهم
في الظاهر الموالاة ويزين لهم اعمالهم ويطمعهم في المنافع ويريد بذلك هلاكهم في الباطن ليكونوا معه في النار وهذا
هو النهاية في العداوة ولا تناقض بين الحقيقة والموالاة في الظاهر اذ المناقضة اجتماع المتنافيين في محل
واحد في وقت واحد وهما في محلين خلاء الباطن والظاهر محلان والثاني لم يرد من قوله اولياؤهم الطاغوت من
الموالاة والولاية بفتح الواو التي هي عبارة عن المحبة والصداقة فيكون ضدا للعداوة فيقع التناقض وانما المراد
والله اعلم الاولياء من الولاية بكسر الواو وهي عبارة عن التولية والتفويض يقال ولي اليتيم لكونه اولى بالتصرف
عليه فسمي الطاغوت والشياطين اولياء الكفرة اذ هم اولى بالتصرف عليهم لعلمهم بامر الشيطان ودعوته
ولا تناقض اذ العدو قد يلي عدوه ليوقعه في الهلاك وان كان يريه في الظاهر انه ماموره فان قيل ان الله تعالى قال ان
كيد الشيطان كان ضعيفا وصف كيده بالضعف وقال في هذه الاية انه لكم عدو مبين والعدو المبين من يوثر
كيده وعداوته فيمن يعاديه فاما الذي يضعف كيده ولا يوثر عداوته فوجوده كعدمه فكان بين الايتين اختلافا
قيل لهم ليس بينهما اختلاف فان المراد منه انه ضعيف على ما يتامل مكائده ويتحفظ له لانه يوسوس ويدعو
الى الشهوات وزخارف الدنيا فان تامل المتامل ان ذلك وسوسة الشيطان ظهر له حقيقة ضعف ذلك بانه خيال
وانه كتراى السراب ماء يحسبه الظمان ماء فاذا تامل ذلك ولم يطعه لم يظهر سلطانه عليه كما قال ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وهذا لان الموجود
منه ليس الا القول المخيل دون تحقيقا ودعوة الى ما يميل اليه الطبع والنهي عما ينفر عنه ومن لا ينفذ على رعيته
سوى مجرد ما ذكرنا وليس يجب عليهم طاعته وليس له ولاية اكراههم وجبرهم عليه فهو ضعيف وانما ظهر اثر
ما وصفنا من عداوته بالوسوسة في حق من لم يتامل مكايده ويتبع الشهوات بميل طبعه وتسويل نفسه
الامارة بالسوء والشيطان في الحقيقة عدو لهم فيوثر عداوته فيهم ويقوى عليهم باجابتهم الى دعوته كما قال تعالى
الا من اتبعك من الغاوين فكان المراد من هذين الوصفين المتضادين في حالين وفي حق فريقين فلا يثبت التناقض
ان شرط المناقضة اجتماع المتضادين في حالة واحدة ومحل واحد والله الموفق وقوله تعالى انما يامركم بالسوء
والفحشاء قيل يحتمل ان يكون السوء هو الفحشاء والفحشاء هو السوء وقيل يحتمل ان يكون السوء غير الفحشاء والفحشاء
هو السوء لما ان كان واحد منهما يشتمل على جميع انواع الاثام لكنه ذكره على طريق التكرار ويحتمل ان يكون السوء من جنس
من المعاصي والفحشاء ما ظهر منها وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد كالزنا وشرب الخمر والقذف وقيل
الفحشاء ما عرف فحشه بمجرد العقل والسوء ما عرف قبحه بالنهي وقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
يخرج على ما ذكرنا من السوء والفحشاء انه يامرهم الشيطان بذلك فيقولون ان الله امرنا بذلك كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ثم قال ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا
تعلمون فنهاهم الله عن ذلك وبين ان الشيطان يامرهم بذلك ويحتمل القول على الله تعالى بما لا يعلمون وظنهم ما لا يكون

من الولد الصالحة والشريك في العباد وقوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه
اباءنا • فيه بيان انهم كانوا قوما سفهاء اصحاب تقليد فقالوا انا قلدنا اباءنا فلا نقلد غيرهم كما اخبر عنهم انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فقال عز وجل • اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • قيل فيه
اضمار معناه او يقلدون اباءهم ولو كانوا لا يعقلون اي يقلدون اباءهم وان كانوا لا يعقلون عبر بحرف الواو عن
الف الاستفهام وذكر لو بمعنى ان ويحتمل ان بمعنى قد للتحقيق اي وقد كان اباؤهم لا يعقلون شيئا فكيف يقلدونهم
وهو كقوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم معناه وقد جئتكم مما وجدتم عليه اباءكم وقوله تعالى
لهم ايضا ان من جعل قدوة نقتدي بهم لتقلدوهم وتقتدوا بهم قال وهذه الاية حجة في ذم التقليد ووجوب الاستدلال
وقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء • فان قيل ههنا اشكال وهو ان التشبيه
انما يكون بنظير الشيء فكيف شبه الذين كفروا فانهم كانوا يسمعون دعوة الرسول عليه السلام وما يتلى عليهم من
القران المعجز بنظمه ومعناه ولم يفقهوا ما فيه بالذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء شبه الراعي الذي يصوت
للشاة ويدعوها الى الاكل والشرب بقوله هكي واشرب فيسمع صوته ولا يعرف معناه وانما يليق التشبيه بالشاة
اللواتي يسمعن الصوت ولا يفقهن لا بالراعي الذي ينعق بها قال الشيخ الجواب ان قوله ينعق ذكر الفاعل على ارادة
المفعول كقوله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية وقيل سر كاتم وليل نائم والسر مكتوم والليل ينام فيه لانه
ينام وههنا كذلك وعلى هذا كان هذا التشبيه للكفرة الذين يسمعون ولا يعقلون بالشاة اللواتي يسمعن ولا يعقلن
وكان تمثيلا صحيحا والثاني فيه اضمار ومعناه ومثل النبي صلى الله عليه وسلم ومثل الذين كفروا في النداء لهم
والخطاب وسماعهم ذلك من غير التفقه لذلك والعمل به كمثل الراعي والشاة في دعوته بالرعي والشرب فانهن يسمعن
ولا يفقهن فيكون التشبيه صحيحا وقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون • قال الشيخ سماهم بذلك وان
لم يكونوا في الحقيقة كذلك لما لم ينتفعوا بها انما الغرض من هذه الاشياء الانتفاع بها وعلى ذلك سماهم سفهاء لما
لم ينتفعوا بعقلهم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم • ويحتمل الاذن في كل ما تستطيبه
النفس وتتلذذ به لتكونوا راضين بالمنعم وتشكروه ويحتمل الاذن في كل ما هو حلال من الرزق فهذه الاية تدل على ان الرزق
ما هو طيب حلال ومنه ما هو خبيث حرام لانه اذن باكل رزق موصوف بصفة وهو صفة الطيب ولو لم يكن الرزق
منقسما الى خبيث وطيب لم يكن لذكر هذا الوصف بالطيب بهذا الشرط معنى لان مثل هذه الاوصاف اذا ذكرت بان النوع
وذكر النوع يقتضي الجنس الا ترى ان من قيل له جالس فضلاء من اصحاب فلان كان هذا دليلا على ان اصحاب فلان بين فضلاء
وجهال وقد امر بمجالسة احد النوعين منهم فهذا مثاله فيكون الاية لنا على المعتزلة فانهم يقولون بان الحرام ليس
برزق ولهذا يتصل بمثله مطلق الاية كلوا مما رزقناكم لو امر باكل الرزق وهو ادنى درجة الامر الاباحة فهذا دليل
على ان جميع ما ينطلق عليه اسم الرزق حلال قلنا هذا النص وان كان مطلقا لكن ما ذكرنا دليل على ان الرزق منقسم
الى حلال وحرام فكان المراد من مطلق قوله كلوا مما رزقناكم هو الرزق الحلال حتى لا يؤدي الى المخالفة بين النصين
فان قيل فما وجه الحكمة في جعل الخبيث رزقا للعباد قيل لتحقيق الابتلاء والامتحان فانه جعل في الحلال ما فيه
قوام البدن وتجعله لذيذا مشتهى كما جعل في الحلال ثم اذن بالاكل مما هو حلال ونهى عن اكل الحرام وامر بالكف عن قضاء
الشهوات مما هو المحرم مع علمه تعالى في الازل بالمطيع والعاصي لتظهر ما علم على ما علم ويظهر التمييز بين المطيع والعاصي
الصادق من الكاذب والله الموفق وقوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون • قوله واشكروا الله
اي على ما ابيح لكم من الطيبات وقوله ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم منه ترجون الثواب ويحتمل قوله واشكروا
اي على جميع ما انعم عليكم من الدين والنبوة والقران وغير ذلك من النعم اي كونوا شاكرين على جميع نعمه ويحتمل
اي كونوا شاكرين على جميع نعمه ويحتمل اي ان كنتم اياه توحدون وقوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله • قال الشيخ يحتمل ان المراد منها حرمة عين هذه الاشياء في حق جميع انواع الانـ
تفاعات التي يتصور فيها لا تحقيقه اضافة الحرمة اليها وهو تفسير حرمة الاعيان والثاني ان يراد بقوله
حرم عليكم حرمة الاكل والتناول منها كانه قال انما حرم عليكم الاكل من الميتة لكن اضيف الحرمة الى الميتة لكونها
محل الفعل المحرم والاضافة الى محل الفعل جائز لغة كقولهم جرى النهر وسال الميزاب ثم الاية حجة لنا على الشافعي
في اباحة الانتفاع بصوف الميتة وشعرها وعظمها ولبنها ونحو ذلك على الوجهين جميعا اما على الوجه الذي
يراد بها حرمة الاكل فيكون الداخل تحت النص وعلى الوجه الاخر كذا فان الداخل تحت النص تحريم الميتة وهي اسم
لما زال عنه الحياة من غير ذكوة وهذه الاشياء فيما يتحقق زوال الحياة عنها فان الصوف اذا زال عن الشاة وهي
حية لم يخرج الانتفاع بلا عدم الوصف بالميتة واللحم اذا ابين منها يحرم عليه لقوله عليه السلام ما ابين من الحي فهو
ميت ولو كانت في هذه الاشياء حياة لصارت ميتة لزوالها وكما روي عن عمر انه سئل عن الانفحة استخرجت من الميتة

تعالى

فقال انها دم وقيل لا فقال لا تاكلوا فان المبني على ذكاة فيه ايضا والمحيض كالمذكى لا يعدم الدم فيه بانعدام الحيوة
ولذلك روي عن ابن عمر فيه هذا انه قال لا باس به وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه • يختلف
فيه قيل غير باغ في اكلها ولا عاد على حد الله تعالى اي لا يتجاوز الحد المجعول له في الاكل من اقامة المرمقة ودفع الضرر
لا ياكله لشيء سوى الجوع ولا فوق الشبع لان الله حرمها في غير حال الاضطرار وقيل غير باغ اي غير متجاوز حده
ولا عاد اي ولا مقصر نهايته وهذا قريب من الاول ثم الشافعي تعلق بهذه الاية فانه لا تباح الميتة في حال الاضطرار
للباغي وقاطع الطريق ونحوهما لان الله تعالى اباح الميتة في حال الاضطرار لغير الباغي والعادي على المسلمين فيكون
محرما في حق الباغي والعادي بطريق التنبيه والدلالة ولان الباغي ظالم وفي المنع عن التناول منها زجر عن الظلم
وفي الاباحة اعانة على الظلم فكان القول بالتحريم احق واصحابنا قالوا بانه تباح الميتة في حال الضرورة على العموم
في حق الباغي وقاطع الطريق ونحوهما واحتجوا بالنصوص نحو قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم حرم عليهم القاء انفسهم
الى المهالك وقتلهم الانفس فلو حرم عليهم اكل الميتة عند الاضطرار مع قدرتهم على اكلها يؤدي الى ان يباح
لهم قتل انفسهم والقاؤها فيكون تناقضا وبالمعقول وهو ان سبب بغيهم لا يحرم عليهم كل ما احل بالحضر
بالاتفاق اعني ما كان طيبا في نفسه لا خبث فيه فكذلك يجب ان لا يحرم ما احل بسبب الضرورة وان كان
حرم لخبثه اذ لو كان البغي سبب الحظر لم يفترق الحال فيه بين ما اذا كان الحل ثابتا مطلقا وبين ما اذا كان
ثابتا ضرورة بل اولى والدليل على ذلك ان الكفرة وسائر الفسقة لم يحرم عليهم ما هو محرم بسبب كفرهم وفسقهم
فاما تعلقه بالاية فلا يصح لان اهل التفسير اختلفوا في تاويلها فلا يجوز الاحتجاج بقول بعضهم وانما يجب
ترجيح قول بعضهم على بعض بالدليل والترجيح معنا لما ذكرنا من النصوص والمعقول ثم ان كان المراد هو البغي على
المسلمين والعادي عليهم فكانت الاية نصا على اباحة الميتة عند الضرورة على غير الباغي اما ليس فيها دلالة
على التحريم والنهي في حق الباغي لان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم فيما عداه ثم ان كان نهيا في حق الباغي لا
وكان قوله حرمت عليكم الميتة نهيا في حق الباغي يكون نهيا عن البغي لا عن اكل الميتة عند الضرورة فيكون النهي
هو ذلك المعنى وهو البغي لا لنفس الاكل لما قلنا من الدلائل في اباحة الميتة عند الاضطرار في حق الباغي فيحمل على
النهي عن البغي لا عن اكل الميتة عملا بالدلائل وصيانة لها عن التناقض وهذا كقوله عليه السلام لا صلوة للمراة
الناشزة ولا صلوة للعبد الابق لما قام الدليل ان النهي لم يرد عن فعل الصلوة كان نهيا عن غيرها وهو النشوز
والاباق فهذا مثله فاما قوله بانه ظالم فيحرم عليه زجرا له عن الظلم لا يجوز القول بتحريم التناول زجرا له عن
بغيه فانه مع قيام حرمة البغي وقبحه واستحقاق العقوبة العظيمة كيف قدم لما دعته نفسه اليه ما فيه من اخراب
الاموال ونحوها وكان بحيث لا يمتنع من ذلك لم يلحقه ضرر وكيف يمتنع وينزجر عن البغي بسبب حرمة الميتة عليه
في حال الاضطرار وقد اضطرت نفسه اليها لابقاء الحيوة وصيانة المهجة فدل انه لا معنى لاجابة الحرمة ولهذا
قيل لا فتوى اضيع من فتوى هذا فان احدا من البغاة وقطاع الطريق لا ياخذ بفتياه فيمتنع عن اكلها وفي ذلك
هلاكه ثم اختلف في حرمة عين الميتة وحلها في حال الاضطرار قال بعضهم عينها حلال لان تحريمه كان يحل القائل
يقول بان الاشياء المنتفع بها في الاصل على الاباحة عقلا وانما يثبت الحظر بالسمع فيقول بان الميتة قبل تحريمها
بالسمع وما ورد السمع الا مقرونا باستثناء حال الاضطرار والاستثناء من الحظر العارض بقاء على اصل الاباحة فكون
عينها حلالا وقال بعضهم عينها بحرمة لكن التناول منها حلال لوجهين لنا ان الله تعالى حرم الميتة والمهل لعين ما
في الميتة من الخبث وكذا الخمر حرمت لما فيها من الخبث وهذا المعنى في حال الاضطرار فيكون المحرم قائما فلا بد ان يكون
القبح قائما من حيث الذات كخابث الفعل الضرورة اذ الضرورة ترتفع مع بقاء الحرمة في العين حتى لا يتجاوز من الفعل الى
العين لما فيه مجاوزة عن قدر الضرورة وقال بعضهم عينها لا توصف بالحرمة ولا بالحل الا في حال الاضطرار وفي حالة
الاختيار لان الحل صفة الفعل وكذلك الحرمة فالفعل وهو الاكل في حال الاختيار حرام في الميتة وفي حال الاضطرار
حلال فاما وصف العين بالحرمة فمن اين يكون قال الشيخ لا معنى للتكلم في حال الاضطرار ان عينها حلال او حرام والقول
بانه يباح له التناول مع سقوط الحظر عن الفعل اصلا ولا يتعلق به حكم شرعي وجائز ان يكون حرام العين حلال
الفعل وجائز ان يكون حلال العين والفعل جميعا اذ لله تعالى ان يحرم عينها في حال الاختيار ويحل التناول منها
في حال الاضطرار وله ان يحل عينها وحرمته في حال الاضطرار فضل وتكلف بل التكلم بلا دليل قاطع يتعين ثبات
الكف عن التكلم فيه وهذا ولي التوفيق والله العصمة وقوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب و
يشترون به ثمنا قليلا • قال اهل التفسير تاويله ان يحتمل كتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ما في كتبهم
في الاحكام والشرائع من نحو الحدود والرجم وغير ذلك وقوله يشترون به ثمنا قليلا اي يتوصلون به الى غرض يسير من الماكل
والفضول وقوله تعالى اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار • ويحتمل ان ياكلون فيه ما هو من الحرام لوجب لهم

في الآخرة النار فصار كأنهم أكلوا النار ويحتمل أن ما يأكلون في الدنيا هو من الحرام يأكلون في الآخرة من عين النار
وقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة • قيل لا يكلمهم بكلام خير فإنه قد ثبت بآية أخرى أنه يكلمهم بغيره قال الله
تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل لا يكلمهم أي هو غضبان عليهم يقال فلان لا يكلم فلانا أي يراد به غضبه عليه وقوله
ولا يزكيهم • أي لا يطهرهم ولا يصلحهم من أعمالهم الخبيثة وقوله ولهم عذاب أليم • أي وجيع يخلص وجعه
إلى قلوبهم وقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى • بين الله من هم فقال أولئك يعني رؤساء
اليهود اشتروا اليهودية التي تحصل عذابا بالإيمان الذي يحصل مغفرة وهو قول الكلبي وقد تقدم بيانه
وقوله تعالى وإن الذين اختلفوا في الكتاب • أي الذين خالفوا الكتاب علم نعملوا به • لفي شقاق بعيد •
قيل لفي ضلال بعيد وقيل لفي خلاف طويل وقوله فما أصبرهم على النار • قيل ما أدومهم على النار وقيل ما أجرأهم
على النار وقوله ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب • قيل ليس البر في نفس التوجه إلى المشرق والمغرب
دون الإيمان وقيل ليس البر في تحويل الوجه إلى المشرق والمغرب إنما التوجه إليهما يكون في تحصيل سائر
الحوائج وطلب الاسترباح في الضرب في الأرض ولكن البر في تعظيم الله والائتمار لأمره والطاعة له قال الشيخ
وكل ذلك بعضه قريب من بعض وجملته أن يقال ليس البر كله في التوجه إلى المشرق والمغرب لأنهم كانوا يستحسنون
التوجه إلى المشرق والمغرب ويزعمون أنه هو البر كله لكن كل البر ما ذكر في الآية من الإيمان والخيرات وقوله
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين • فالبر ههنا فاعل لأن أحدهما أن البر يعني
البار يقول ليس البار من يحول وجهه قبل المشرق والمغرب ولكن البار من آمن بالله أي من صدق بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين فإن ركن الإيمان ما ذكر وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والكتب والرسل
والملائكة كما قال آمن الرسول بما أنزل إليه الآية والثاني على الإضمار كأنه قال ليس البر من تولى وجهه قيل ولكن
البر بر من آمن بالله وقوله تعالى وآتى المال على حبه • أي أعطى المال على حب المال وقيل على حب الله
وقوله تعالى ذوي القربى • يعني ذوي قرابته وفيه دليل أن الأفضل أن يبدأ بصلة قرابته • واليتامى • لأن
على جميع المسلمين حفظهم ولأنهم ضعفاء فيبدأ بهم قبل • المساكين وقوله تعالى وابن السبيل • قيل الضيف
ينزل وقيل هو المنقطع عن ماله حاج أو غازي وقوله والسائلين • هم أصناف المحتاجين الذين يستطعمون
الناس ويسألونه وقوله تعالى وفي الرقاب • قيل هم المكاتبون وقوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة ظاهر المراد
وقوله والموفون بعهدهم إذا عاهدوا • ويحتمل العهود التي بينهم وبين الناس ويحتمل العهود التي بينهم
وبين ربهم وقوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس • قيل في الآية تقديم وتأخير كأنه
قال والسائلين وفي الرقاب والصابرين وعلى هذا يخرج حرف ابن مسعود والموفين بعهدهم وقوله في البأساء
من البؤس والفقر وقيل والضراء هو المرض وقيل حين البأس عند القتال وقوله أولئك الذين صدقوا
في إيمانهم وصبروا على طاعة ربهم وقيل صدقوا في إيمانهم وحققوا بأعمالهم قال الشيخ أبو منصور ليس في القرآن
آية أجمع لشرائط الإيمان من هذه الآية وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الإيمان فقرأ
هذه الآية وهكذا عن ابن مسعود أنه سئل فتلا هذه الآية عن عمرو بن شرحبيل أنه قال من عمل بهذه الآية فهو مستكمل
الإيمان قال الشيخ تمام كل شيء باجتماع ما يزينه ألا ترى أن المصلي إذا اقتصر على فرائضها دون سننها وآدابها لم تتم
صلاته وهذا لأن الإيمان نفسه هو التصديق والتصديق لا يتفاوت [illegible]
الإيمان في قلنا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولكن إنما يقع بهذا من حيث الكمال [illegible] الوصف كان
يتزين ويتم بالأعمال كالذات [illegible] من حيث العين [illegible] من حيث الوصف
في الوجه والبياض والكحل في العين ونحو ذلك والله الموفق وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
القصاص في القتلى الحر بالحر • الآية توجب القصاص بين القاتل والمقتول عندنا [illegible]
والأنثى [illegible] بالأنثى [illegible] متفق عليه [illegible]
أحدهما حرا والآخر عبدا ففيه خلاف [illegible] قال أصحابنا القصاص يجب [illegible]
احتجاجا بقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا [illegible]
وليه [illegible] النفس بالنفس أوجب القصاص
من غير قيد بالحرية والرق وبقوله تعالى ولكم في القصاص حياة [illegible] على الإطلاق [illegible]
تحقيق هذا [illegible] القصاص بين الحر والعبد [illegible]
حياة [illegible] في شرع القصاص
[illegible] لأنه تخصيص الحكم [illegible] لا نفي الحكم عن نوع آخر

ويتبع الحكم فيه موقوفا على ورود دليل آخر وقد ورد وهو ما ذكرنا من النصوص المطلقة ونظيره ما تعلق من الآية
قوله عليه السلام خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة
ورجم بالحجارة ثم إذا زنا البكر بالثيب وجب الحكم الثابت بالحديث فيه لأنه ليس في ذكر شكل بشكل تخصيص الحكم
فيه وهو قوله الحر بالحر يقرره ما قلنا أن العبد يقتل بالحر والأنثى بالذكر والذكر بالأنثى ولو كان التخصيص لذكر نوع
التخصيص في الحكم لوجب أن يكون الحكم بخلافه ولا تقتل العبد بالعبد لأن المولى [illegible] في نفسه [illegible]
الأخرى أن العبد لو أقر على نفسه بالقصاص أخذ به ولو أقر عليه مولاه لم يؤخذ به وكان نفسه له لا للمولى كنفس الحر
فوجب أن يقتل بالحر إذا استوى الحر في حق النفس وقوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة • اختلف في تأويل قوله فمن عفي له قيل هو كناية عن القاتل وكناية قوله عفي له أي
عنه فمعناه إذا عفى الولي عن القاتل فليتبع بأخذ الدية بالمعروف [illegible] القاتل أو الولي وليؤد القاتل الدية إليه بإحسان
وقوله فاتباع بالمعروف وأداء مصدر بمعنى الأمر أي فليتبع وليؤد كقوله فضرب الرقاب وقد تعلق الشافعي
واحتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصم في قاتل أخيه فقال اعف عنه فأبى فقال
أتأخذ الدية فأبى فقال اذهب فاقتله فالخصم عرض عليه الدية ولو كان حقه لم يعرض عليه وعنه عليه السلام
ولي القتيل بين خيرتين إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية وقال بعضهم تأويل قوله فمن عفي له من أخيه شيء هو الولي في القاتل
كأنه قال فمن عفي والقاتل هو المعفو عنه فأما المعفو له هو الولي ولأنه قال فاتباع بالمعروف أي فليتبع وهذا أمر دخل
تحت كلمة من والقاتل لا يتبع أحدا بل هو المتبع وإنما الولي يتبع فعلم أن المراد من الداخل تحت كلمة من هو الولي معناه
من بذل له وأعطي من أخيه شيء بطريق التفضل والسهولة فاتباع بالمعروف ويجوز استعمال لفظة العفو بمعنى البذل
والإعطاء لغة على ما قيل خذ ما أتاك عفوا صفوا أي فضلا وهكذا روي عن ابن عباس في تأويل فمن عفي أي أعطي له
قال الإمام أبو منصور رحمه الله وهذا التأويل هو الصحيح عندنا لأن الواجب هو القود بطريق التعيين في قتل العمد لأن
صدر الآية يدل عليه وهو قوله كتب عليكم القصاص أخبر أن المكتوب هو الحكم وعلى هذا القصاص ولو كان
الخيار بين القصاص والعفو وأخذ الدية من القاتل شاء أو أبى لم يكن القصاص هو المكتوب بل المكتوب أحدهما
كما في كفارة اليمين وكذلك لا يقال إن المكتوب عليه هو الأشياء الثلاثة بل أحد الثلاثة فلا يكون القصاص وكان أخذ الدية
كالخلف عنه ولقوله عليه السلام العمد قود إلا أن يعفو ورثته إلا أن يعادي والمعادلة تحمل شيئين فهذا يقتضي أن لا يجوز
الأخذ إلا عن تراض واصطلاح منهما وعن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس أنهم جعلوا عفو بعض الأولياء
لا يلزم بقية تعفوا نصيبهم من الدية [illegible] عفوت [illegible] ولو كان له العفو بدية لما انصرف
نصيبه وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة • في إباحة أخذ المال بطريق الصلح خلاف ما هو في حكم
ما هو في حكم التوراة لا يحل فيها شيء كان في التوراة القتل لا غير وفي الإنجيل العفو بغير بدل [illegible]
العفو مشروعا والقتل شرع وعرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابنا بقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس
إلى قوله فمن تصدق به فهو كفارة له أي من عفا دل أن العفو كان مشروعا في التوراة ويحتمل أن الأمر كما قيل أن العفو فيها
غير مشروع ويكون قوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس إخبارا أن القود شرع لهم [illegible] وتم الإخبار إلى قوله
والجروح قصاص ويكون قوله فمن تصدق به فهو كفارة له بيانا تعالى أنه شرع العفو في شريعتنا على الخصوص لأنه
من الإخبار عن شريعتهم والله أعلم وقوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك • قيل من اعتدى على القاتل بعد ما
عفا عنه أو بعدما أخذ الدية وقيل من بعد ذلك أي بعد النهي من قتله وقوله فله عذاب أليم • قيل المراد منه العذاب
الأليم في الآخرة وعلى هذا التأويل قال بعض الناس إن من عفي عن القصاص أو صالح ثم قتل القاتل لا قصاص
عليه لأن الله تعالى جعل جزاءه العذاب في الآخرة فلو كان القصاص واجبا يكون زيادة على الجزاء المذكور ونقص المذكور
بعض الجزاء فيكون نسخا ولأن القصاص يرفع العذاب في الآخرة على ما قال عليه السلام السيف محاء الذنوب فيؤدي
إلى نسخ الآية قال الشيخ ولكنا نقول الزيادة على الكتاب ليست بنسخ عند بعضه والنصوص وردت بالقصاص مطلقا
من غير تقييد بشخص دون شخص وحال دون حال ويحمل على أن المراد منه إذا لم يقتص فيعذب في الآخرة ثم إذا اقتص
ارتفع عنه العذاب وقيل المراد من العذاب الأليم في الدنيا وهو القتل قصاصا إذ القتل هو الغاية من الألم والوجع
والله أعلم قال الإمام في هذه الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة لا يبطل الإيمان من وجوه أحدها أنه قال يا أيها الذين
آمنوا وصفهم بالإيمان مع وجود القتل منهم ولو كان القتل العمد يزيل الإيمان لكان القصاص مكتوبا على غير المؤمن
وهذا خلاف ما أخبر الله تعالى وهذا كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله بقي لهم اسم الإيمان بعد البغي والقتل والثاني قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
لم يقطع رجاء صاحب الكبيرة من الرحمة في الدنيا فإذا لم يؤيسهم من رحمته في الدنيا فلا يؤيسهم من رحمته في الآخرة ولقد

عنهم اسم الايمان لما استحقوا الرحمة الثالثة لمن عفي له من اخيه شيء ابقى اسم الاخوة بينهما لاجل الايمان على ما قال تعالى انما المؤمنون اخوة اذ ليس بينهما اخوة نسب فلو زال اسم الايمان لم يكن تسميته اخا معنى لا يقال بان الله تعالى اوجب التخليد في قاتل العمد بقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها والتخليد لا يكون للمؤمنين لانا نقول ان ذلك يحتمل وجهين احدهما ان يقتله مستحلا لقتله واستحلال الحرام سبب الكفر والثاني ان يقتله متعمدا لدينه اي يقتله لكونه مؤمنا مقرا بوحدانية الله تعالى والقتل بهذا العزم سبب الكفر وكان التخليد للكفر لا للقتل فوجب الحمل على احد هذين التاويلين او نحوهما كيلا يؤدي الى التناقض بين الايتين اذ حرفنا اي الدلالة على التناقض فانه سماهم مؤمنين في تلك الاية واوجب التخليد في الثانية وذلك لا يكون في المؤمنين ولا تناقض في كلام الله تعالى ودلالته على الحقيقة اذ هو اية الجهل والسفه تعالى الله عن ذلك فوجب القول بما قلنا وقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون ٭ قيل في القصاص حيوة من وجهين احدهما في شرعه والثاني في استيفائه اما في شرع القصاص يكون نفيا للحيوة فلا بد من اثبات الحيوة فيه من طريق المعنى اما الحيوة في شرعه فلان من تفكر في نفسه قتلها اذا قتل آخر قصاصا يحمله حبه في بقاء حيوة نفسه على الامتناع عن قتل غيره ففيه حيوة الانفس جميعا من حيث المعاد الابقاء على الحياة لخاف في المستقبل والقصاص من سببه فيكون احياء معنى واما الحيوة في استيفائه من وجهين احدهما ان من نظر الى انسان يقتل الاخر فيقتل به قصاصا فانه يمتنع عن قتل غيره ففيه حيوته وحياة الناس والثاني ان قتل العمد مقصود اولياء القتيل من القاتل طلبا لثارهم وتصير اولياء القاتل حربا عليهم ذبا عن صاحبهم طبعا وعادة فتهيج الفتنة منهم وتقوم المحاربة فاذا استوفي القصاص سكنت الفتنة وفي سكونها ابقاء القبيلتين معنى اذ هي سبب الفناء ولهذا نقول بوجوب القصاص في الانفس كلها وان اختلفت احوالها كالحر بالعبد والمسلم بالذمي اذ لو لم يحمل على اختلاف الاحوال قصاص لم يكن في القصاص حيوة فاحق ما يحمل القصاص عند اختلاف الاحوال لما يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه على قتله لما يهون عليه قتله لدناءته فلو لم يجعل القصاص مشروعا عند اختلاف الاحوال فات حكمة القصاص ولهذا نقول ان الوارث يحرم عن الميراث بقتل مورثه لان الطمع في الوصول الى مال مورثه يحمله فيحمله ذلك على قتله لو لم يحرم عن ميراثه فصار الحرمان عن الارث احياء في الاقارب كالقصاص في الاجانب وكذا الحر قد يستخف بالعبد فيدعو استخفافه الى قتله فلو لم يقتل الحر به لم يمتنع عن استحقاق الدخل ثم بعد وكذا الذمي عن قتل الشريف عند غاية استخفاف الشريف به فلو لم يقتل المسلم بالذمي والحر بالعبد والشريف بالدني لصار يؤدي الى الفناء فكان شرع القصاص من الجانبين حسما لباب الفناء ووسيلة الى البقاء فيكون عملا بقوله ولكم في القصاص حيوة ولهذا قلنا ان الولد يقتل بالاب ولا يقتل الاب بولده لان الاب يحب ولده لولده لانه يرغب الى ان يكون له ولد لحياة ذكره وبغير زيادة شفقته يمنع الوالد عن قتله واما الولد فانما يحب والده لنفسه لمعنى وصول النفع اليه من جهة والده فلم تكن محبته وشفقته مانعة من قتله فيقتضي شرع القصاص ليصير الولد لنفسه مانعا له عن قتل والده كما في الاجانب لان التناسب بينهما في استيفاء القصاص من الاب دون الولد وكذا في حق السيد مع العبد لشفقة المولى على ماله لا يقدم على قتله عند هيجان العداوة الحاملة على القتل الا نادرا ولا كذلك العبد فافترقا في القصاص وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يقاد الوالد بولده ولا السيد بعبده وقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ٭ قال الشيخ تكلموا في الاية بوجوه قيل ان الاية غير منسوخة لان الاية نزلت بالوصية في حق من ليس باهل لاستحقاق الميراث بسبب الكفر لانهم حديث عهد في الاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابواه وقرابته والاسلام قطع الارث فشرع الوصية قضاء لحق القرابة من طريق الاستحباب ولفظة كتب لم يرد بها فرض بل اريد حقيقة الكتابة او الحكم وعلى هذا الوجه هذا الحكم غير منسوخ حتى يجوز الوصية لهم فاما في حق المسلمين المشروع هو الارث دون الوصية على ما بين النبي عليه السلام ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والاية وان كانت عامة فخص المسلمين بما روينا من السنة والتخصيص اولى من النسخ قال الشيخ ولكن هذا لا يصح لانه خلاف لظاهر الاية فانه قال كتب وذلك عبارة عن الفرض لغة ولا يحتمل ان تكون الوصية فرضا على المسلمين في حق الكفرة وان كانوا ذوي قرابة مع النهي عن اتخاذهم اولياء بقوله لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان وفي الزام الوصية والبر ابقاء الولاية والمحبة فيؤدي الى التناقض في الكتاب فدل انما قالوه غير صحيح وقيل الاية نزلت في الوصية في الوالدين والاقربين المسلمين وكان في ابتداء الاسلام الوصية فرضا في حقهم لكن التقدير الى الموصي ثم صارت منسوخة بقوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ذكر فيها الوصاية وبين مقدار حق كل ذي حق بنفسه وفي الوصية الاولى كان التقدير الى الموصي وبعد بيان التقدير من الله تعالى لم يبق

الموصى

الموصى تقدير زيادة ولا نقصان على ما قدر الله تعالى فلا يمكن الجمع بين الامرين فانتسخت الاولى بالثانية قال الشيخ ولكن دعوى النسخ بهذه الاية لا تصح لوجهين احدهما ان في الاية الاولى ان الله تعالى فرض على الموصى الوصية للوالدين والاقربين وفي الاية الثانية بيان انه اوصى الله تعالى لهم من غير ان نفى الوصية من الموصى ولا نهاهم عنها فيجب ان يجمع بينهما بقدر الامكان حتى لا ينسخ الحكم الثابت بالكتاب من غير ضرورة لانه ما لا تنصيص من الله تعالى في نسخه من نفي او نهي فانما يحكم بنسخه لضرورة التناقض بين الحكمين وههنا ان لم يمكن الجمع بين الوصيتين في جميع المال امكن الجمع بينهما بان نصرف الاولى الى ثلث المال والثانية الى الباقي كما في الاجانب ان الوصية بقيت مشروعة في حقهم بعد شرع المواريث في حق الاقارب بالطريق الذي قلنا والوجه الثاني ان الله تعالى قال من بعد وصية يوصي بها او دين جعل الارث بعد الوصية مطلقة من غير فصل بين الاجانب والاقارب بعد ذلك فانه يمكن تخريج الايتين على التوافق فلا يجب التخريج على التناسخ ومنهم من قال ان اية الوصية نسخت بقوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا هذه الاية دلت ان الله تعالى جعل للورثة انصباء معلومة مقدرة في القليل والكثير من التركة ولو كانت الوصية مشروعة لهم من المورث لم يكن للمريض [illegible] الكثير وهو الثلثان فوجب القول بانتساخ تلك الاية بهذه الاية ضرورة التنافي بينهما قال الشيخ ولكن قيل هذا لا يصح لان الاية نزلت في اثبات المواريث لجميع القرابات ردا على ما تعارفوا من اعطاء الميراث للرجال دون النساء لكن ليس فيها بيان مقدار الانصباء فنزلت اية اخرى على بيان ذلك وهو قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى ان قال من بعد وصية توصون بها مطلقة من غير فصل بين القريب وغيره فتبين ان المراد هو اثبات الانصباء فيما وراء محل الوصية وقيل ان الاية غير منسوخة لان الوصية كانت في الابتداء بحق الميراث في زمانها لكن كان التقدير الى المورث بدليل ما روي ان سعدا قتل باحد وترك بنتين وقد كان استولى عمهما على ميراثهما فسالت امهما عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل في ذلك شيء [illegible] بالشهادة ثم دعاهم واعطاهما ما بين الله تعالى في كتابه في قوله يوصيكم الله في اولادكم الاية ولذلك كان النساء نفقة الحول في تركة الازواج وصية مكان الارث اليوم فثبت ان الوصية في الابتداء كان بحق الميراث والتقدير الى المورث فنزل قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين كل ذلك بيان لما كان واجبا على الميت من التقدير وكان قوله عليه السلام ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اي لما تولى الله تعالى بيانه بنفسه في حق الورثة فلا يصح التقدير بعد ذلك من الموصي لوارثه زيادة ونقصانا قال الشيخ لكن هذا لا يصح لان الوصية الاولى كانت مفوضة تقديرها الى الموصي وقد تولى الله تعالى التقدير فنسخ ذلك الحكم ضرورة ولا يكون هذا بيانا للاولى لان المجمل يكون قبل البيان غير معمول به ضرورة تعذر العمل به والله تعالى كان قد فوض التقدير الى اختيار الموصي وامكن العمل به فعلم انه لا يصح حمل الاية على ان الوصية للوالدين والاقربين المسلمين فرض كان تقديرها مفوضا الى صاحب المال ثم صارت منسوخة بقوله عليه السلام ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فنرى انه لا يعطى لهم الميراث على مقدار ما كان لهم من الوصية ولم يكن نسخ الوصية بالكتاب من حيث التلاوة والتصريح وهذا حجة على الشافعي في نسخ الكتاب بالسنة فان قيل هذا نسخ الكتاب بالكتاب على ما ذكره قيل هذا ليس كذلك فان حكم الكتاب ان الوصية مكتوبة عليهم في حق الوالدين والاقربين بجميع المال ثم نسخت بالاجماع وليس في كتاب الله تعالى نسخ الوصية في حقهم في جميع المال لو كان يكون في حق الثلثين ثم في السنة نسخ الوصية في حق الكل فثبت انها نسخت بالسنة والذي يقرر ما ذكرنا ان الانتساخ بالسنة منصوص عليه والانتساخ بالكتاب لو ثبت يكون بطريق الاجتهاد وحق الاستنباط من الكتاب والنسخ بالسنة المتواترة اقوى من النسخ بالاجتهاد فان قيل عندكم انما يجوز النسخ بالسنة المتواترة وهذا الخبر في حد الاحاد فكيف يجوز النسخ به ليس كذلك بل هذا الخبر في حد التواتر عندنا غير ان التواتر ضربان احدهما التواتر من حيث الرواية والثاني التواتر من حيث ظهور العمل به من ائمة الفتوى من غير ظهور النكير عليهم في العمل وظهور فتياهم للناس من رواية وقد وجد ههنا التواتر من حيث العمل مع ملاحظة العمل به ايضا في الائمة بالفتوى بلا تنازع ظهر فيهم فبلغ حد التواتر وقوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ٭ قيل معناه اي فمن بدل هذه الوصية المكتوبة للوالدين والاقربين بعد ما نزلت الاية وسمعها ولم يعتقد العمل بها فانما اثمه عليه بالتبديل والتغيير وقيل ويحتمل من بدل الوصية بعد ما سمع من الموصي وغيره بزيادة ونقصان فانما اثمه على الذي يبدله قال الشيخ ثم يحتمل وجهين تبديل الوصي بعد موت الموصي وصيته زيادة او نقصانا فيكون من طريق الظلم والعدوان ويحتمل التبديل ممن حضر وقت وصية الموصي من الشهود فلم يشهدوا على حسب ما سمعوا منه بل بدلوه الى زيادة او نقصان وقوله تعالى ان الله سميع عليم ٭ اي سميع لمقالته ووصاياه وعليم بجور من يبدله وظلمه ويحتمل بتبديله وقوله تعالى فمن خاف

من موص جنفا او اثما * قيل اذا خاف الوصي ومن سمع الوصية من الموصي وكتب وصيته فخشي من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث او خطأ فلا اثم عليه في تبديل الزيادة ومنع الموصي عن ذلك ورده الى الثلث وقيل فمن خاف اي علم من الموصي حيفا او جورا بعد وفاته بالوصية فلا اثم عليه في تبديله ورده الى ما يجوز ويصح في الشرع قال الشيخ وهو الحق [illegible] استعار اسم الخوف [illegible] الاقدام عليه الا بعد العلم لخوف العاقبة وهو الاثم فيكون خوفه من ذلك حاملا له على تحصيل العلم فيكون الخوف سبب العلم فاستعار له ولان الشرع اقام العلم [illegible] مقام حقيقة العلم عند الخوف على نفسه [illegible] انه ان كان الغالب عنده انه يقتل لو امتنع رخص له في الاقدام كما لو تيقن به وههنا الوصي اذا ظن بتبديل ما اوصى بخلاف ما ورد الشرع به ومنهي عن التبديل ان اوصى بموافقة الشرع فكان خائفا على نفسه من لحوق الضرر بسبب التبديل من الحكم المشروع له في الاخرة [illegible] بخيانة تسمى اجحافا وقوله تعالى فاصلح بينهم * [illegible]

بعد ذكر شهر رمضان لانه تبيان لعاقبة البدل بالصوم حتما وقوله فعدة من ايام اخر * فيكون نسخا للتخيير وانما قوله تعالى اياما معدودات فانما خرج على موافقة ما علم الله تعالى من الامر الظاهر في الخلق انهم يعدون الايام وان كان لا يعزب عن ذلك شيء وحكي عن بعض الصحابة انهم قالوا انما كنا نصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرين اكثر مما كنا نصوم ثلثين وذلك ان عدد الشهر بالايام معتاد فيما بين الخلق فذكر العدد بالايام على وفاق العرف والله اعلم قال الشيخ لا حاجة بنا الى معرفة حقيقة ذلك لانا كلفنا الابتداء ولم نكلف وانما كلفنا ما استقر الشرع عليه وهو صيام شهر رمضان الذي لم يختلف فيه ثم الصيام ايام البيض ويوم عاشوراء مشروع ايضا لانه لو كان نصا من النبي في الابتداء لحق الفرض وابدل بصوم شهر رمضان ارتفعت الفرضية وبقي الاصل لانه نقل الجنس الصوم ولو كان المراد هو انتساخ اصل الصوم لا بدل عنه بفعل الصوم وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم قالوا امرنا بصوم عاشوراء انا كنا نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا به ولا ينهانا عنه وان كان نصا محتملا للنقل لفرضيته صوم الشهر لا نيا في بقاء ذلك العشر وما يقرر ما قلنا قوله كما كتب على الذين من قبلكم وكلمة كما للتشبيه لغة يحتمل المماثلة في اصل الفرضية لا في عين المفروض اذ الصوم فرض على هذه الامة كما هو فرض على الامم السالفة ويحتمل انه فرض عليهم ما فرض على الامم السالفة من حيث العدد والحد اختلف في الكاف في قوله كما فمن قال ان المكتوب في حق هذه الامة ما على اولئك يقول ان الكاف زائدة وتقدير

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ومن قال ان المكتوب فرضا على غير ذلك العدد يقول الكاف صلة والمراد منه التشبيه في اصل الفرضية وقوله تعالى لعلكم تتقون اياما معدودات * قيل لعلكم تتقون من الطعام والشراب والجماع في المدة التي امرتم بالكف فيها احترازا عن العقوبة في الاخرة اذ ترك المكتوبة سبب العقاب وقيل لعلكم تتقون نعمة الله في الاخرة وقيل لعلكم تتقون ما حرم عليكم من انواع اللذات الشهوات بما امرتم بالكف عن المطعوم والمشروب والمنكح في هذه الايام لان تناول هذه الاشياء حلال من حيث اعيانها وانما المحرم افساد العبادة والاعتراض على حق الله تعالى بالهتك وانما الخمر والزنا واللواطة ونحوها فحرام العين فاذا كان يمتنع عن تناول الحلال بسبب الصوم ويعتاد ذلك تعظيما لامر الله تعالى وخوفا من عقابه فيكون ذلك وسيلة الى ترك ما هو حرام العين بطريق الاولى وقيل ان العبادة تذكر اصحابها عظيم الحال الذي اوقعت فيها من القيام بين يدي الجبار [illegible] على المعبود في المعاد فان المسلم بالشروع في الصلوة ينوي ويعزم انه يفعل هذا الفعل الشاق على بدنه وطبعه [illegible] خوفا من عقابه وتعظيما لحكمه وهو الاصل في الباب فكان ذلك مذكرا له عن مباشرة المحرمات وزاجرا عنها بما يعلم من اطلاع الله تعالى عليه وعظيم المخالفة لامر الله تعالى ويحتمل لعلكم تتقون المعاصي من حيث ان النفس ذللت عن جميع ما تهوى وتشتهي فاذا شبعت تمنت الشهوات ونيل ما تهوى عند هذا قال عليه السلام من لم يستطع منكم الباءة فليصم فان الصوم له وجاء فيكون الصوم ذريعة الى الامتناع عن المعاصي بواسطة قهر النفس فكان شرعه بيانا لطريق ترك المعاصي التي يجب الامتناع عنها فيكون نعمة بالغة ثم الاية تتضمن فوائد كثيرة منها ان هذه الامة غير مخصوصة بالصيام بل اشترك فيه من قبلهم من الامم بقوله كما كتب على الذين من قبلكم لان هذه الامة لو خصت من بين الامم السالفة [illegible] والتسهيل وهذا الخصهم بالصلح العفو وقدم العهد وخصهم بان جعلهم خير امة اخرجت للناس وجعلهم شهداء على الناس واخبر انه لم يجعل عليهم في الدين من حرج ونحو ذلك وكذا خصهم في الصوم بانواع من التيسير من اباحة الافطار لعذر المرض والسفر ومن الاجتزاء عنه بالبدل اما بالصوم في ايام اخر مع التفاوت في الفضيلة والاجر او بالمال في حق من كان عاجزا عن الصوم بنفسه كالشيخ الفاني مع انعدام المماثلة من جميع الوجوه ومن فوائدها انه خاطب المؤمنين بالصوم بقوله يا ايها الذين امنوا وفي ذلك دلالة من وجوه احدها انه لما خاطبهم بالصوم باسم الايمان دخل تحت هذا الخطاب كل من وجد منه التصديق والاقرار بوحدانية الله تعالى وان ارتكب الكبيرة [illegible] فهم الناس كلهم على ان كل من تناوله اسم الايمان تدخل تحته ولم يذكر غير هذا [illegible] خروج صاحب الكبيرة عن الاية حتى انه اتفقوا على ثبوت حكم الاية على العموم باشتراك الكبيرة اهلا وكذلك سائر العبادات الواجبة على المؤمنين فهذا من اوضح ما يجب به العلم ان الايمان ليس باسم لجميع القرب وان صاحب الكبيرة موصوف بالايمان على الاطلاق فبطل به مذهب المعتزلة والخوارج والوجه الثاني انه قال يا ايها الذين امنوا سماهم مؤمنين ولم يقل يا ايها الذين قلتم نحن مؤمنون ان شاء الله ولو كان الاستثناء واجبا لما ذكرهم مؤمنين مطلقا مع انعدام الاستثناء من طائفتهم والخطاب الكل بالصيام وقد دخل تحت الخطاب كل من اقر بالايمان استثنى او لم يستثن دلت الاية على ان هذا القول وانه من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقد الايمان كما يبطل كل عقد باشتراط [illegible] استعمل فيه الاستثناء من البيع والنكاح والطلاق ونحو ذلك والثالث ان الله تعالى خص المؤمنين بالخطاب بالصيام وكذلك في خطاب سائر العبادات من قوله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة ونحو ذلك ولم يقل يا ايها الناس ونحوه لان العبادات لا يمكن من غير المؤمنين وان الكفار لا يخاطبون بما سوى الايمان فيكون الاية حجة على الخصم ولنا وجوه من المعتبر منها ان العبادات لا صحة لها بدون الايمان فلا يخلو اما ان يقال بان الكفار كلفوا باداء العبادات مع قيام الكفر وهذا باطل لانه اذا كان لا يتحقق اداء العبادات بدون الايمان من الكفار كان ذلك تكليفا ما ليس في الوسع وذلك باطل او يقال كلفوا بها بشرط تقدم الايمان وهذا كالاول لان فيه جعل الايمان سببا الى ايجاب العبادات فيكون الايمان بمنزلة الطهارة عن الحدث شرط وجوب الصلوة وفيه جعل الايمان تابعا لغيره والايمان هو الاصل في الباب حتى لا يتحقق سائر العبادات بدونه وبه يكون قربة وطاعة ولذلك كانت العبادات توابع الايمان ولذلك لا يجوز ان يرتفع الايمان عن الخلائق بحال من احوال الدنيا والاخرة مع ارتفاع غيره من العبادات فكان هو عبادة بنفسه لا بغيره ولا يقوم لغيره مع عدمه فكان القول بايجاب سائر العبادات بناء على تقديم وجوبه بمنزلة وجوب الصلوة على تقديم وجوب الوضوء فكان الحاقا له بالتوابع وهذا تغيير وضع الشرع والثاني من المعتبر ان الكافر لم يقبل العبودة ولا اقر بالرسالة فيبعد ان يؤمر بالعبادة واتباع الرسول لان هذا بناء على الاول بل يقول الدعوة في الاصل حتى يكون الاتباع وهذا كما الحال لكان في المناظرة في اثبات الرسل مع منكري الصانع والمرسل لان صحة الرسالة بناء على حكمة المرسل وكذلك ما نحن فيه والثالث انه لا خلاف فيمن اسلم بعد ما مضى عليه اوقات العبادات انه لا يلزمه قضاء ما مضى لان القضاء

يعتمد وجوب احتمال الاداء الاصل ليكون بخلاف عنه وهنا بالاسلام يسقط وجوب الاصل عندكم فامتنع دخولهم
في خطاب القضاء فكذلك يمتنع دخولهم في خطاب الاداء اذ ذاك انما يتوجه لحصول الفعل في الحال او في ثاني الحال
ولم يتحقق الاثر في الصبيان ولم يخاطبوا بها لانه كذلك يمتنع دخولهم في خطاب الاداء اذ ذلك انما يتوجه
لحصول الفعل في الحال او في ثاني الحال ولم يتحقق الاثر في الصبيان فعلم انهم لم يخاطبوا بها لا اداء ولا قضاء عليهما صلاة
ولا يتحقق اداؤهما فرضا فكذلك هنا وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر والرخص
للناس في المريض والمسافر قضاء هذه الايام وان صاما قالوا لان الله تعالى الزمهما الصوم في ايام اخر عند ذكر
الافطار في رمضان فكان هذا منه تعالى جعل وقت الصيام في حقهما غير شهر رمضان فالذي هو وقت الصوم
في حق سائر الناس يجب عليهما الصوم في غير رمضان لا محالة ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام
في السفر فقد عصى ابا القاسم والمعصية مضادة العبادة وعند الصائم في السفر كالمفطر في الحضر فقد تحقق له حكم الاداء
ولان نصوم في رمضان وقع في غير وقته فلم يجز قال الشيخ ولكن عامة العلماء قالوا بانه انما يلزمهما القضاء اذا افطرا
فاما اذا صاما فيقع صومهما عن الفرض والصوم عندنا افضل من الافطار وعند الشافعي الافطار افضل وحجة العامة
ان المرض والسفر من الاعذار المرخصة للافطار تخفيفا وتوسيعا على اربابها كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر فلو كان الامر على ما قالوا انه يتحتم عليهم الصلوة في غير السفر ولا يجوز في السفر عن رمضان
لكان فيه تضييق وتعسير عليهم وهذا يضاد موضع الرخصة وينافي معنى اليسر [illegible]
الشرع تعالى الله عن ذلك ولان الله تعالى جعل السفر والمرض سببي الرخص فلا يجوز ان يصيرا سببي فرض لم يكن
في حق غير صاحب العذر وهو القضاء مع وجود الاداء واما الاية فهو على اضمار الافطار كانه قال فمن كان منكم مريضا
او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وعلى ذلك مجرى الرخص على ان ذلك الخطر في القران قال الله تعالى حرمت عليكم الميتة
الى قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه اي فمن اضطر فاكل لانه لا اثم يلحقه بنفس الاضطرار وقال تعالى واتموا
الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي من غير ذكر الاحلال لما علم منه فان احصرتم واحللتم لانه معلوم
انه على النسك والحج لما لم يجب الاحلال وكذا قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله ثم قال فمن كان منكم
مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام اي من حلق ورفع الاذى عن رأسه ففدية من صيام وهذا امثاله تم الدليل
على جواز الصوم في السفر في رمضان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صام في السفر وروي انه افطر ومن
الصحابة انهم صاموا في السفر وروي انهم افطروا فدل ان كلا الامرين مشروع ولان المريض اذا تكلف وصام يجوز
وكذلك المسافر وروي عن انس انه قال الصوم في السفر افضل والفطر رخصة واما ما روي من الاحاديث من نحو
قوله عليه السلام ليس من البر الصيام في السفر ونحوه فمحمول عندنا على ما اذا كان يجهده ويضعفه فاذا لم يفطر
صار كالذي افطر في الحضر لان الافطار يلزمه في هذه الحالة وعلى هذا يخرج قول اصحابنا انه من اكره على افطار صوم
شهر رمضان بالقتل انه اذا كان مريضا او مسافرا فانه لا يسعه ان لا يفطر بل يجب عليه ذلك حتى لو امتنع يأثم
ولو كان صحيحا مقيما يرخص له الفطر لكن لو امتنع حتى قتل كان مثابا لان الفرض وهو اداء الصوم واجب في السفر
ولهذا قلنا ان الصوم افضل من الافطار لوجود سبب الوجوب في حق الكل وهو شهود الشهر بقوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه لكن رخص له الفطر في السفر فاثره في اسقاط الاثم لا في اسقاط الوجوب واذا
اكره على افساد صوم رمضان بالقتل في حالة السفر والمرض رخص له الفطر فاذا امتنع عن الافطار حتى قتل
فلبقاء اصل الوجوب يكون بالامتناع مقيما حق الله تعالى فيكون مثابا الا انه ورد في حق المسافر والمريض
نص على الخاص او عند بهما ترك الافطار عند خوف الضرر نحو قوله عليه السلام ليس من البر الصيام في السفر
ويكون ذلك فكان المراد به في حال خوف التلف في نفسه وورد اخبار في اباحة الصوم في السفر في حال الامان
التلف ووجب العمل بالاخبار بقدر الممكن صيانة لها عن التناقض فيكون ذلك دليلا على اباحة الافطار
مطلقا في هذه الحالة وهي حالة خوف التلف فلا يكون بالامتناع عن الافطار فيها مقيما واجبا فيكون اثما
وفي حال الاقامة الوجوب قائمة رخص له عند الاكراه بالقتل ترك حق الله تعالى الى بدل وهو القضاء صيانة
لمهجته عن الفوت صورة ومعنى لان حق الله تعالى لا يفوت عن المعنى وهو القضاء في وقت اخر لكن لما كان
حق الله تعالى قائما حقيقة كان في سعة من بذل نفسه لاقامة حق الله تعالى فكان الامتناع عن الافطار نظير
المجاهدة في الجهاد فيكون شهيدا قال الشيخ ثم اعلم ان السفر الذي يتعلق به الرخصة في الشرع نقول لا خلاف
انه لم يختص الترخص بالحصول لما فاوت ولا انه يترخص في الامصار في حالة السفر ثبت ان المعتبر هو السفر ولا خلاف
ان الترخص لا يتعلق بمطلق السفر فان حقيقة السفر هو الخروج عن الامصار والخروج الى الضياع ونحوه لا يترخص
بالفطر ثبت ان السفر المرخص هو السفر المقدر بتقدير معلوم وذلك هو الخروج على قصد سفر ثلثة ايام فصاعدا عندنا

وعند الشافعي

وعند الشافعي انه مقدر بيوم وليلة ودليلنا من وجوه احدها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمسح المقيم
يوما وليلة والمسافر ثلثة ايام ولياليها جعل رخصة المسح في حق المسافر ثلثة ايام ولا بد ان يكون السفر مقدرا
بمدة يتحقق فيها رخصة المسح الثابت بالسنة فمتى جعلنا مدة السفر ثلثة ايام ولياليها فصاعدا يتحقق فيها هذه
الرخصة ومتى جعلنا انقص منها لا يتحقق فوجب القول بما قلنا ولا يقال ان في الحديث اباحة المسح ثلثة ايام ولياليها
والليلة الثالثة لا اخيرة بها في السفر حتى اذا سار ثلثة ايام وليلتين بينهما لكونه مسافرا فقد قطع سفر هو مدة الشرع
لانا نقول انه لا استقلال فان كانت موسعة في قطع الطرق والسير فيها فان دوام السفر يوما وليلة مما يجحف صاحبه ويهلك
وذلك مما يمنع عن السفر لكن المسافر مرة يسير ومرة يمسك ويكف عن السير للاستراحة فيما بين اوقات السير والسفر
يعتبر باب السفر تقديرا وان لم يحصل فيها السفر حقيقة فصارت الليلة الثالثة كالمعقود في السفر ويكون لها حكم الدخول
تقديرا فتكون الليلة الاخيرة داخلة في السفر ولا يكون لها حكم الدخول تقديرا لا حكما وان لم يوجد فيها حقيقة السفر
ولان المسح صار في السفر محيطة بما تخص من المسح والثاني ما روي عن النبي عليه السلام انه نهى النساء عن سفر
ثلثة ايام الا بمحرم فكان اقل مدة سفر يتعلق بها الحكم الشرعي هو ثلثة ايام فيجب ان يكون هو المدة في حق الرخصة ايضا
والثالث ان السفر عند نقل المنا بالتنصيص للاعذار ركنا في الشرع قال الله تعالى ثلث ليال سويا وقال ثلثة ايام الا رمزا
وقال في قصة موسى وصاحبه ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا ولان هذا الحد الذي يكون المرخص بالاجماع وما دونه متنازع فيه والتنازع يوجب النظر لا الغنو وحكم الرخصة
او التوقف عند التعارض الترجيح للامر بالصوم فان لم يثبت المرخص بيقين يجب القول بالصوم واما المرض فمطلقه
ليس بسبب الرخصة لان المرض متنوع في نفسه مرض يكون الصوم مخففا له ويكون الصوم على المريض اسهل من الاكل
بل الاكل يشتد مرضه فالافطار يشتد رخصة بسبب المرض والبعيد الترخص بما يسهل على المريض تحمله
والتضييق بما يشتد عليه فثبت ان الرخصة لم تتعلق بمطلق المرض وعلى هذا اجماع الامة لكنها تتعلق بالخص برخص
بمرض يخاف ان يزداد له بترك الاكل ويقع على ترك اكتساب الغذاء وفعله الاصل بنفسه فرخص له الفطر وذلك نحو
النزلة بالافطار وتخفيفا بمرض لو منع ما يسوقه من تفريق العرق ولهذا رخص اصحابنا الحمى ورمد يخاف الزيادة بالترك
ترك الصوم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفطر المريض والحبلى اذا خافت ان تضع ولدها والمرضع اذا
خافت الفساد على ولدها ثبت ان الرخصة لما يخاف من فساد بين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم دعاء عبد الله بن عمر
انه قال من مات من طعام او شراب وهو يعد قتيله الشارع ثم اختلف في كيفية القضاء قال بعضهم من فاته صوم رمضان
بسبب سفر او مرض لا يجوز الا متتابعا لانه روي في قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فيزاد على القراءة المعروفة
وصف التتابع كما في صوم كفارة اليمين زيد وصف التتابع بقراءة ابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات على القراءة
المعروفة قال الامام المشايخ العامة يجوز القضاء متتابعا ومتفرقا لما روي عن جماعة من الصحابة قالوا ان شاء تابع وان شاء
فرق منهم علي وعبد الله بن عباس وابو سعيد الخدري وابو هريرة وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم قالوا تابع لكنه ان
فرق جاز ولو كان التتابع شرطا لما احتمل الخفا على هؤلاء الصحابة وبهذا الاجماع يتبين ان قراءة ابي بن كعب لم تثبت
مثبتا في الكتب والاستحباب اذ لو ثبت وصارت كالمتلو وكان المراد به الاستحباب لما تصور خلاف هؤلاء الصحابة
اياه بخلاف ذكر التتابع في صوم كفارة اليمين في حرف ابن مسعود لانه لم يخالفه احد من الصحابة في ذلك فصار
كالمتلو في حق العمل به ويدل على ما قلنا قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر واليسر التخفيف بنفي وجوب
التتابع الذي ينبئ عن العسر والتضييق فيكون اشتراط التتابع مخالفا لمقتضى النص فان قالوا ان القضاء يجب على حسب
الاداء والاداء وجب متتابعا فكذا القضاء قيل لهم ان التتابع في الاداء ما وجب لعين الصوم وانما يجب لاجل الوقت
فانه يجب عليه صوم شهر معين ولا يمكن من اداء الصوم في الشهر كله الا بصفة التتابع فكان التتابع لضرورة
تحصيل الصوم في هذا الوقت لان التتابع كان شرطا لمعنى الفعل والاصل في هذا ان كل صوم يؤمر فيه بالتتابع
لاجل الصوم يكون التتابع شرطا فيه حيث ما دار الصوم وكل صوم يؤمر فيه بالتتابع لاجل الوقت فيفوت ذلك
الوقت يسقط حق التتابع وان بقي الفعل واجب القضاء فان من قال لله علي ان اصوم شعبان يلزمه ان يصوم شعبان
لكنه اذا مات منه شيء يقضي ان شاء متفرقا وان شاء متتابعا لان التتابع هنا لمكان الوقت فسقط التتابع
بسقوطه ولو قال لله علي ان اصوم شهرا متتابعا يلزمه ان يصوم متتابعا لا يخرج عن نذره الا به ولو افطر يوما
في وسط الشهر يلزمه الاستقبال لان التتابع ذكر للصوم فكان الشرط هو وصل الصوم بعينه فلا يسقط عنه ابدا
لا باداء وذلك لانه اذا وجب التتابع لاجل نفس الصوم صار التتابع وصفا لازما فما لم يؤده على وصفه لا يخرج
عن عهدة الواجب واذا وجب لضرورة قضاء حق الوقت فلو شرط التتابع لوجب الاستقبال فيقع جميع الصوم في غير
ذلك الوقت الذي امر بمراعاة حقه بالصوم فيه ولم يشترط لوقع جملة الصوم فيه وكقضية لغيره كما كان قرب للقضاء

حق الوقت والدليل على ان التتابع في صوم شهر رمضان لما قلنا من حق الوقت انه لو افطر في بعضه لا يلزمه الاستيفاء
ولو كان التتابع شرطا للصوم لوجب كما في الصوم المنذور بصفة التتابع وكما في صوم الظهار واليمين قال الشيخ
وفي الاية دلالة جواز تاخير البيان وعلى جواز الاجتهاد فان الله تعالى ذكر السفر والمرض وعلق بهما الرخصة من غير
ان بين مقدار السفر ولا بين كيفية المرض والحكم بالاختلاف بين الائمة لم يتعلق بمطلق السفر والمرض وانما عرف ذلك
ببيان ورد بعده ولم يكن متصلا به وكذا يعرف ذلك بالاستدلال على الاجتهاد دون نصوص ظاهرة وذلك على جواز
الامرين لانه قال فعدة من ايام اخر ولم يقل فمن كان منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة ثم علم ذلك بدليل آخر وذلك
النص وعلم بطريق الاستدلال ان المراد منه وافطر فعدة من ايام اخر على ما سبق بيانه فدل على جواز القياس وجواز
تاخير البيان وفي الاية دلالة وجوب القضاء على من افطر بغير عذر لانه لما اوجب القضاء على المسافر والمريض مع
انهما افطرا بسبب العذر المبيح للافطار فلان يجب القضاء على غير ذي العذر اولى وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مسكين قال بعضهم اي وعلى الذين لا يطيقونه فدية طعام مسكين نحو الشيخ الفاني يبقى ان المفطر
لعذر لا يجوز وانه يجب عليه الفداء وقد يحذف حرف لا في الكلام على ما تقدم ذكره في قوله تعالى يبين الله لكم
ان تضلوا اي لا تضلوا او نحو ذلك قال الشيخ لكن هذا التاويل لا يصح لان الله تعالى قال وان تصوموا خير لكم
وان تقضوا الصيام خير لكم ومثل هذا الندب لا يرد في حق العاجز وقيل وقد قرئ يطوقونه اي يكلفونه ولا
يطيقونه فدية طعام مسكين قال ولكن هذا لا يصح ايضا لانه قال وان تصوموا خير لكم ولو كانوا لا يطيقونه
لا يرغبون في الصوم وقيل وعلى الذين يطيقونه الفدية فدية طعام مسكين ذلك في ابتداء الاسلام في المسافر
والمريض اذا افطرا فعليهما القضاء فايام اخر انه لم يقدرا على الفداء وان قدرا عليهما كان لهما الخيار بين القضاء
والفداء والصوم افضل فذلك قوله تعالى وان تصوموا خير لكم الاية نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر على ايجاب الصوم في ايام اخر على القطع والبتات دون ذكر الفداء فعلم نسخ
ما قبله على ان الاجماع منعقد على ان المطيق للصوم من المريض والمسافر لم يكن له الخروج عن ذلك بالفداء فدل
ذلك انه نسخه وعن معاذ قال احيل الصوم ثلاثة احوال وبين الخبر على وجهه فاخبر انه تبدل في النسخ وانتقل من حال
الى حال فصارت رخصة التخيير بين الصوم والفداء منسوخة في حق القادر وبقيت في حق العاجز عن الصوم
وهو في حق الشيخ الفاني ونحوه لان الصوم قد ثبت انه يحتمل الوفاء بالفداء لكنه نسخ بالصيام في حق من قدر عليه
وبقي الفداء حكم في حق العاجز حتى لا يخرج العاجز عن حكم الصائمين فلا يحرم عن ثوابهم وعلى ذلك يحمل ما جاء
في الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصيام عن الميت ان المراد منه الفداء اذ الصوم حقيقة
لا يحتمل النيابة ولان الفداء بحكم الصيام في حق من لا يحتمل فعل حقيقته وقيل وعلى الذين يطيقونه اي وعلى الذين
كانوا يطيقونه ثم عجزوا فدية طعام مسكين وقال مالك ان الشيخ الفاني لا فدية عليه لانه ليس يطيق الصوم وان الله
تعالى اوجب الفدية على من كان يطيق الصوم قال الامام وهذا باطل لانه خلاف اجماع السلف فان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوجبوا الفدية على الشيخ الفاني وقد تقدمت الاحاديث فيه وقد تعلق الشافعي بظاهر قوله
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ان الحامل والمرضع تدخلان تحت النص لانهما يطيقان الصوم فيجب عليهما
الفداء وقد اختلف اهل العلم فيهما عن ابن عباس ومن وافقه انهما تفديان ولا تقضيان وقال آخرون تقضيان
وتفديان منهم عبد الله بن عمر ومن التابعين مجاهد وبه اخذ الشافعي وقال علي رضي الله عنه من الصحابة والحسن
من التابعين تقضيان ولا تفديان وبه اخذ علماؤنا وهو الاصح لما روي في حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله تعالى وضع عن المسافر شطر الصلوة وعن الحامل والمرضع الصيام ثم في حق المسافر سقط الصوم الى
القضاء فكذلك في حق الحامل والمرضع واما الاية فلا حجة للخصم فيها فانها بيان شرع الفداء مع الصوم على طريق التخيير
دون الجمع لقوله وان تصوموا خير لكم ثم نسخت بنزول صوم شهر رمضان ثم عنده يجب الصوم والفداء جميعا
وقوله تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له ويحتمل فمن تطوع زيادة على ما يجب عليه من الفداء عن صومه فهو خير له
ويحتمل اصل التطوع اي كل ما يتطوع به من الخيرات والقرب فهو خير له لان التطوع في الاصل خير وقوله تعالى وان
تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون اي وان تقضوا خير لكم قال الشيخ وهذه الاية تدل على ان الصوم في السفر
افضل لانه جعل الصوم في السفر خيرا من الفطر والفداء والقضاء في غيره والله اعلم وقوله تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن قال ابن عباس ان القرآن انزل الى السماء الدنيا من اللوح المحفوظ جملة واحدة في شهر رمضان
في ليلة القدر في ليلة مباركة ثم انزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا اي مترادفا في الشهور والايام على قدر
الحاجة اي انزل على حسب حدوث الحوادث نجما نجما على طريق التتابع في كل ساعة وقت الحادثة وقوله هدى
للناس اي ليهتدوا به الى الطريق المستقيم وقيل بيانا للناس من الضلالة وقوله تعالى وبينات من الهدى قيل

البينات

البينات جمع البينة اذا تاملوها وقيل البينات اي فيه الحلال والحرام والاحكام والشرائع وقوله والفرقان اي
يفرق بين الحق والباطل وقيل المخرج في الدين من الشبهة والضلالة وقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال
الامام يحتمل فمن شهد منكم الشهر بعقله فليصمه حتى لا يدخل في الخطاب من كان مجنونا او صبيا او كافرا
عند شهود الشهر الا ترى ان اول الخطاب خرج على المؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ولا يدخل
الصبيان والمجانين تحته لان حقيقة فعل الايمان لم يوجد منهم وان اعطي لهم حكم الايمان لانه قال كتب عليكم
وهو غير مكتوب على غيرهم وعلى هذا يكون المسافر والمريض داخلين تحت الخطاب لشهودهما الشهر بالعقل الا انه رخص
لهما الافطار بقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر وقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان قوله منكم كناية عن الذين
يدخلون تحت الخطاب ثم المراد من قوله الشهر والله اعلم اي فمن شهد منكم شيئا من الشهر فليصم ان كان قادرا عليه وقوله
ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر تقضيه عنه كانه اداه في الشهر لانه امر بالصوم مضافا الى الشهر وهو اسم
للكل حقيقة فلا يحتمل صرف المراد الى كله لانه يصير امرا بالصيام في غيره لانه قد يتم شهوده عند شهوره غيره
فيما نقص لانه قال فليصمه ومحال ان نصومه في غيره ابتداء وان كان يجوز ان يصوم مقضيا فدل ان المراد ما ذكرنا وعلى
هذا من كان عاقلا في اول ليلة من رمضان فاستغرقه الجنون ثم افاق بعد ذلك او كان مفيقا في اول الشهر ثم جن في
الشهر فانه يجب عليه قضاء ما فات عندنا ولا يقضي عند الشافعي لنا انه ممن قد تضمنه الخطاب بشهود شيء
من الشهر بعقله وهو اهل لحكم الاية وهو وجوب اداء الصوم لانه اذا كان عاقلا في اول شهر رمضان ونوى الصوم
في اول الليل واستغرقه الجنون في اليوم انه يجوز صومه ذلك فكان بعد ذلك عذرا مانعا من تحصيل النية لا
مانعا من تحصيل الصوم فان الصوم فاتته بسبب الجنون لفوت النية فصار كمرض او نوم لعذر المرض والسفر والحيض
ونحو ذلك يجب القضاء ليصير مؤديا الصوم رمضان بطريق الخلف اذ الخطاب يتناول القادر يلزمه الاداء وانما
بما يقوم مقامه وهو القضاء كما في المريض بخلاف الكافر والصبي حيث لا يلزمهما لانهما لم يدخلا تحت الخطاب
في الوقت الماضي ولا يلزم اذا ادرك محق ثم افاق في بعض الشهر فانه روي عن محمد انه لا يقضي ما مضى لما ذكرنا انه
يتناوله الخطاب في اول الشهر وعن ابي حنيفة انه يقضي لانه اذا افاق في بعض الشهر فقد تناوله الخطاب اداء في
الشهر فصار في بعضه فيجب القول بلزوم قضاء ما فاته في البعض تقديرا وهذا اذا جن الشهر كله لا يلزمه شيء لانه
لم يشهد شيئا منه بعقله ولم يدخل تحت الخطاب وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا
العدة قد تقدم بيان تاويله قال الشيخ في الاية حجة لنا على المعتزلة حيث قالوا ان من صام في السفر او في المرض
ما اراد الله تعالى لان الله تعالى اخبر انه لم يرد العسر وانما اراد اليسر وهو الافطار فاذا صام في السفر او في المرض فقد اتى
بالعسر والله تعالى اخبر انه لم يرد العسر فعلم انه فعل ما لم يرد الله تعالى وذلك انه يجوز ان يفعل العبد شيئا لم يرد الله تعالى
ولتحقق ابدا ذلك في مسئلة ارادة المعاصي وانما يفعله لا بارادة الله تعالى قال الشيخ لكنا نقول ان الله تعالى اراد لمن اختار
اليسر وهو الافطار واراد لمن صام وترك الافطار العسر وارادته نافذة فلا يجوز ان ينفذ في وجه ولا ينفذ في وجه
آخر وصار تقدير الاية يريد الله بكم الافطار اذا افطرتم ولا يريد بكم الصوم ويحتمل يريد الله ان ييسر عليكم الاذن
في الفطر والاباحة لا ان يعسر عليكم بالنهي عن الافطار فكان مراد الله تعالى هو الاباحة والترخيص دون مباشرة
نفس الفعل فيهما وارادته نافذة لا محالة في اثبات الرخصة معه لا يحتمل على قولهم ان الصوم في السفر غير مراد اذ
صام يخرج عن الفرض ويكون ما اداه عبادة لله تعالى ولا يتحقق ان لا يكون الطاعة مرادة لله تعالى وقوله تعالى
ولتكبروا الله على ما هداكم قيل لتعظموا الله تعالى على ما هداكم لامر دينه ويجوز ان يريد بالتعظيم الامر بالشكر لما
انعم عليهم من انواع النعم من التوحيد والاسلام وغيره وقوله تعالى ولعلكم تشكرون اي تشكرون ربكم
بهذه النعم التي انعم الله عليكم ويحتمل ان امر بالتعظيم والشكر لما رخص لهم من الافطار والمرض وقوله تعالى واذا
سالك عبادي عني فاني قريب قال الامام هو على الاضمار والله اعلم اي واذا سالك عبادي عني ان لهم عن اجابتهم فقل
قال اني قريب ثم قوله قريب فيه وجوه يحتمل اي قريب بعز الاحسان والبر والكرامة لمن اطاعني ويحتمل قريب قرب
العلم والاجابة لا قرب الذات من حيث المسافة كقرب بعضهم من بعض في المكان لانه كان ولا مكان وهذا كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وكقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كل ذلك يرجع الى قرب العلم والتدبير
لهم ولا ارتفاع الحجاب لا قرب الذات وقد قال بعضهم في قصته ان نزولها ان اليهود قالوا يا محمد كيف يسمع ربك دعاءنا
وانت تزعم ان بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء خمسمائة عام فنزلت الاية وقوله واذا سالك
عبادي عني فاني قريب قال الامام فاي شيء هذا الخبر وانما قالوا ذلك لما لم يعرفوا الله تعالى على الحقيقة لا
جعلوا له الولد والشريك ووصفوه بالجسم والحلول في الامكنة وكان سؤالهم خرج مخرج سؤال المتعنت لا
المسترشد وقوله تعالى اجيب دعوة الداعي اذا دعاني اي اقبل دعوة الداعي يعني توحيد الموحد وكذلك الذي

فيقول لما دعوتنا استجب لكم اي وحدوني فاغفر لكم وقيل اجيب دعوة الداعي على حقيقة الاجابة وقوله تعالى
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون • يحتمل فليجيبوا الى ما ادعوهم من الطاعة والايمان والاستجابة
لدي بمعنى الاجابة ويحتمل فليطلبوا مني الاجابة دعائي ويحتمل استدعاء بالتوحيد كما يقال تعهدوا في الاشياء انقال
وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اذا ضلوا انفسهم وقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام • فان قيل لماذا سماه ليلة الصيام
ولم يكن فيها صوم في الحقيقة لانه في ابتداء الاسلام كان الرجل اذا صلى العشاء الاخرة او رقد يحرم عليه الطعام
والشراب والجماع الى ان تغرب الشمس من الغد فكان ذلك صوما ثم نسخ بهذه الاية والجواب ان الصيام من شهر
الصيام في الليل ويبرمون عليه فكما يسمى الشئ باسمه وقال عليه السلام منتظر الصلوة في الصلوة وكان
انتظار الصوم يسمى صوما وقد اضاف الله تعالى الصوم الى الشهر بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه واسم الشهر يحل
في الليل والنهار جميعا وقوله تعالى الرفث الى نسائكم • قيل الرفث الجماع وهو قول ابن عباس وقيل هو جملة حاجات
الرجال الى النساء من نحو الجماع واللمس والتقبيل وغيره وقوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن • قيل هن
ستر لكم عما لا يحل وانتم ستر لهن ايضا وقيل هن سكن لكم وانتم سكن لهن يسكن الزوج بالزوجة والزوجة بالزوج
لقوله وجعلنا الليل لباسا اي سكنا كما قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم • تختانون وتخونون واحد وقيل الاية نزلت في شأن عمر رضي الله عنه
وذلك انه في ابتداء الاسلام كان الرجل اذا نام في ليالي رمضان او صلى العشاء الاخرة يحرم عليه الطعام والشراب
والجماع حتى تغرب الشمس من الغد فواقع عمر امرأته ليلة بعد ما نام او ملت فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره بذلك فنزل قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اي تظلمون لان كل خائن ظالم لنفسه فتاب الله
عليه وعفى عنه ثم رخص الله تعالى المباشرة في ليالي رمضان لعامة الناس وقوله تعالى فالان باشروهن وهو امر
الرخصة والاباحة دون الامر به وقوله تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم • اي من ليلة القدر وما فيه من الاجر
وقيل وابتغوا رحمة الله ورضاه فيما كتب اي بين لكم من الرخصة والاباحة في الجماع والاكل بعد النوم في ليالي
الصيام وقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر • وفي خبر عدي بن حاتم الطائي انه
وضع خيطين تحت وسادته احدهما ابيض والاخر اسود بعد نزول هذه الاية الى ان اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اخبره فقال ان وسادتك لعريض وفي رواية انك لعريض القفا هو الليل والنهار قال الشيخ هو كناية
عن قلة العلم والمراد هو بياض ضوء النهار من ظلام الليل بطلوع الفجر وهو الضوء المعترض في الافق يعني
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفجر فجران فجر مستطيل في السماء وفجر مستطير في الافق وهو الذي يحرم
الطعام على الصائم ويحل الصلوة والاصل في هذا ان الله تعالى جعل حد الصيام من حين يتبين ضوء النهار الى
غروب الشمس وحد الافطار من وقت غيبوبة الشمس الى وقت تبين النهار بالفجر ثم اطلق الله تعالى الجماع الى طلوع الفجر
دليل على ان الجنابة لا تنقض الصوم لانه لما كان الجماع في اخر الليل يبقى الرجل جنبا بعد الفجر وقوله تعالى ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد • قيل المباشرة الجماع وما دونه وقيل المباشرة كناية عن الجماع هكذا روي عن ابن عباس
ان ما ذكر الله تعالى في القران من المباشرة والملامسة واللمس والرفث والغشيان فانما عنى به الجماع ولكن الله تعالى
حي كريم يكني بما شاء قال الشيخ في الاية دلت على وجوه من الاحكام احدها ان الجماع محظور في الاعتكاف حتى يفسد
الاعتكاف به ليلا كان او نهارا في المسجد او خارجا منه لا لاحترام مكان المسجد لان ظاهر الاية نهي عن
وانتم عاكفون في المساجد لان الاية نزلت في قوم كانوا معتكفين في المساجد كانوا يخرجون ويقضون حاجتهم
في الجماع ثم يغتسلون الى معتكفهم لا انهم كانوا يجامعون في المساجد لينتهوا عن ذلك فثبت ان النهي عن المباشرة
في حال الاعتكاف مطلقا وانما ذكر المساجد لان الاعتكاف قربة منع النفس عن حظوظها وحقوقها بملازمة
المسجد الذي هو بيت الله تعالى والاعراض عن الدنيا ولهذا حرم عليه الخروج عن المسجد الذي هو لضيق العكوف ولكن
ابيح بقدر ما فيه تحقيق هذه القربة لانه لا يتمكن من اداء هذه القربة الا بالبقاء ولا بقاء بدون الوقت فلا بد للانسان
من الاستفراغ عن الامر المعتاد ولهذا كان المعتكف في حال الخروج للحوائج الضرورية بمنزلة كونه
في المسجد فلهذا سماهم عاكفين في المساجد حتى يكون ذلك كالنص في الزجر عن المباشرة فيما هو المسجد لصحة الاعتكاف
ثانيه وصفهم بكونهم عاكفين في المساجد مع انهم لم يباشروا والجماع في المساجد لينتهوا عن ذلك فيكون الاعتكاف
مقيدا بهذا الشرط والثالث فيها دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد يقام فيه الجماعة حيث ذكر المساجد
عاما مطلقا فان قيل يحتمل لا اعتكاف الا في المسجد الحرام وقيل الا في مسجد على التناسخ لانه روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اعتكف في مسجد المدينة فصار منسوخا بدلالة فعله ودلت الاية على اباحة الخروج لانه لما ذكر النهي
عن المباشرة في حال الاعتكاف وحال الخروج من المسجد لا في المسجد فثبت ان الخروج جائز للمعتكف لما يباح لحاجة

لابد

لا بد للمعتكف منها دينيا او دنيا على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يخرج الا لحاجة الانسان
وتلك الحاجة ضربان احدهما ما لا يتمكن من قضائها الا بالخروج والثاني الحاجة المعروفة التي لا يجوز قضاؤها
في المسجد من الغائط والبول فدل ان الخروج عند الحاجة الضرورية مباح ثم تلك الحاجة قد يكون راجعة الى
وقد يكون في افعال يكتسبها طاعة وقربة لله تعالى ولهذا قال اصحابنا انه يجب عليه الخروج الى الجمعة لان الجمعة فرض
والاعتكاف قربة ليست هي عليه فمتى اوجب على نفسه لا يصح نذره في ابطال ما هو حق عليه لله تعالى ولهذا ان
من اعتكف على ان لا يشهد الجمع لا يؤذن له في ذلك بما قلنا وروي عن علي انه كان يخرج لا تباع الجنازة وعيادة
المريض وهما ليسا من الحوائج اللازمة للمعتكف فهو ان ثبت محمول على انه كان يخرج لوجه مباح نحو اداء الجمعة وغيره
ثم عاد مريضا او صلى على جنازة وذلك جائز فاما الخروج لذلك قصدا فلا يجوز ولو جاز لذلك لجاز لكل قربة
او لذلك فرض كفاية يسقط باداء البعض وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها • في الاعتكاف وقيل بان
المباشرة معصية فلا تقربوها في الاعتكاف وقيل انه جعل لكل طاعة وامر ونهي حدا وغاية لا يجاوز عنها ولا ينقص
وقيل تلك فرائض الله تعالى وقيل تلك سنن الله تعالى قال الشيخ وكان الاول اقرب والله اعلم وقوله تعالى كذلك
يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون • اي يبين حدوده وفرائضه ودلالاته ليتقوا عن المجاوزة عن ذلك
خوفا منها وعندما اهلهم عن العقاب وقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام • في
قراءة ابي ولا تدلوا بها الى الحكام على اظهار حرف لا لقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ولا تكتموا الحق قال
الامام فمعناه لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما تلبسوا على الحكام وتقيموا على ذلك حججا باطلة على ما روي
انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق اخيه المسلم فكانما قضيت له بقطعة من نار
فاضافه ما اكل واخذ منهم الى صاحبه دلالة تاكيد النهي عن اكل مال الغير بغير حق ثم من الناس من استدل
بهذا على ابي حنيفة فيما يقول بنفاذ القضاء على الحقيقة في العقود والفسوخ بشهادة الزور انه لو كان القضاء
نافذا لما نهي عن اكل المال الذي قضى به الحاكم بقوله ولا تأكلوا اموالكم الاية وبما روي من الوعيد الاخير فكانما
قطعة من نار فاذا لم يحل ذلك دل ان القضاء باطل قال الامام لا ان ابا حنيفة قال ذلك في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك
بسبب يجعل لهما حلا ولا تثبت ذلك شرعا فاذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ كانهما باشراه والاية والحديث في القضاء
بغير سبب وبه نقول وقوله تعالى لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون • يعني طائفة من اموال
الناس وقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج • قال الامام يحتمل قوله يسألونك اي
يسألونك عن الاهلة ويحتمل انهم يسألونك عن نعمه وعن وحدانيته ودلالة رسالته لانه اخبر انهم يسألونك
عن الاهلة وكان كما اخبر من السؤال دل ان الاخبار عما يكون في المستقبل لم يكن الا من علام الغيوب وهو الله ثم مخرج
السؤال عن الاهلة والشمس تطلع دائما على حاله واحدة لا تزداد ولا تنقص وكذلك الكواكب
ورأوا القمر يختلف احواله من الزيادة والنقصان فحملهم ذلك على السؤال عن حال القمر فاخبر عز وجل بقوله قل هي
مواقيت للناس والحج انه جعل الاهلة لمعرفة الخلق اجال الاوقات والمدد ومعرفة وقت الحج لانه لو جعل معرفة ذلك
بالايام لاشتد حساب ذلك عليهم ولتعذر معرفة السنين والشهور والايام فجعل عز وجل بفضله ورحمته
الاهلة ليعرفوا بذلك الاوقات والاجال وغيرها ووقت الحج ووقت الزكوة تيسيرا وتخفيفا عليهم وهذه الاية حجة لنا
على الشافعي في جواز تقديم احرام الحج على شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة خلافا له لانه تعالى قال قل هي مواقيت
للناس والحج جعل الاشهر كلها وقتا له فظاهر الاية يقتضي جواز جميع افعال الحج في الاوقات كلها الا انا عرفنا تعيين
شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة لسائر الافعال بدليل اخر وهو ان الله تعالى قال الحج اشهر معلومات فعملنا بالنصين
بقدر الامكان فجعلنا المراد بما ذكرنا من النص هو الاحرام الذي هو شرط وفي النص الثاني دليل عليه فانه قال فمن فرض
فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما ذكر من افعال الحج لا يكون بدون الاحرام دل انه على ما قلنا ولان اسم الحج ينطلق على
الاحرام فانه سمي الاحرام حجا كما يسمى الطواف والوقوف حجا قال عليه السلام الحج عرفة ويسمى الذبح والاحرام حجا قال عليه السلام
افضل الحج العج والثج العج رفع الصوت بالاحرام فيجب حمل الحج مما تلونا من الاية على الاحرام وفي الاية الثانية على سائر
الافعال جمعا بينهما بقدر الامكان والله اعلم وقوله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من
اتقى واتوا البيوت من ابوابها • قال الامام لعطف هذا على الجواب على السؤال عن الاهلة يحتمل اضمار السؤال كانهم
سألوه عن الاهلة وعن اتيان البيوت من ظهورها فاخبر انه ليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها واختلف في قصة
ذلك قال بعضهم كان الرجل في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم لا يدخل البيوت من ابوابها فان عرض له حاجة
الرأس فكان اذا اراد الدخول ينقب من ظهر البيوت نقبا فيدخل ذلك النقب ويخرج منه الا الحمس منهم فانهم ان يدخلوا
من ابواب البيوت ويخرجوا منها وهم قريش فاتا رجل من غير الحمس راه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم دخل من باب

بستان خراب وهو محرم فاتبعه فدخل معه من الباب فاذا رآه النبي عليه السلام قال له انك دخلت من الباب
وانت محرم من غير الحمس فقال يا رسول الله انك دخلت وانت محرم فقال عليه السلام اني من الحمس فقال الرجل فان كنت
احمسيا فانا احمسي قد رضيت بهديك ودينك فانزل الله تعالى قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
اذا احرمتم بالحج والعمرة ولكن البر من اتقى يعني في التقوى واتباع النبي عليه السلام واتوا البيوت من ابوابها
محرمين ومحلين دخولا وخروجا فانسخ ذلك بهذا النص وقال بعضهم ان بعض العرب كان اذا خرج احدهم لحاجة
فلم تقض حاجته فرجع لم يدخل البيت من بابه ولكن يدخل من وراء ظهره وكان يكره دخول بيته من بابه عن تيمم
تطيرا وتفألا بالاقتضاء فانزل الله الآية ويحتمل ان يكون على التمثيل والرمز لاهل سبيل التحقيق اي انكم امرتم
بالدخول في الدين الحق الذي شهدت العقول على حقيته وقامت الادلة السمعية على صحته فعليكم ان تدخلوا
من ابوابه وذلك بالتامل فيما يعرفه العقل نفسه في الدلائل المنصوبة بالاتباع لمحمد عليه السلام فيما جاء به بالتصديق
له فيما لا يعرف بالعقل بنفسه وفيما لا يعرف به لقصوره عن دركه والوقوف عنده هو من البر والتقوى فاما الاعراض
عن التامل في الامور العقلية غفلة وتقصيرا والامتناع عن اتباع الحق الذي قام الدليل المعجزي على صدق
خبره فيما لا طريق لمعرفته الا هو ليس من البر في شيء وهو الدخول في البيت من وراء ظهره بلا باب لمن كان لا يحصل
له الغرض بذلك ليترك الباب فكذلك الامر في هذا والله اعلم وقالت القرامطة ان المراد من البيوت في قوله تعالى
فامر الله باتيان الرسول عليه السلام واتباع امره من عند علي بن ابي طالب على ما جاء قال انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد
ان يدخل البيت لا بد من ان ياتي الباب فيدخل منه فكان النص دليلا على وجوب اتباع علي وهو بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكنا نقول على ما زعمتم من التاويل لا يصح تخصيص علي بذلك لان الله تعالى ذكر البيوت والابواب
وذلك اسم للكثرة فيجب ان يكون لها ابواب الا ترى ان النبي عليه السلام قال انا مدينة العلم والمدينة لا يكون
لها باب واحد بل يكون لها ابواب كثيرة فيكون علي بابا لها لا ينفي ان يكون غيره من الصحابة من نحو ابي بكر وعمر وعثمان
من ابوابها ولا قوة الا بالله وقوله تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون ٥ اي اتقوا ولا تعصوا ولا تتركوا امره وانتهوا
عن مناهيه لتنالوا الفلاح وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ٥ قال الامام اي في سبيل
دينه وطاعته اي قاتلوا في اظهار دين الله واعلاء كلمة الحق وقيل هي اول آية نزلت في الامر بالقتال وقيل اول آية
نزلت في القتال قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ويحتمل ان قوله اذن للذين يقاتلون نزل بعد قوله وقاتلوا
في سبيل الله وذلك انهم نهوا عن القتال مع الكفرة اولا ثم اذن لهم في القتال مع الكفرة وامروا به بقوله وقاتلوا
في سبيل الله فلما امروا به لان انكر عليهم الكفرة محتجين عليهم بان القتال حرام في شريعتكم فانزل الله تعالى
قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اخبارا واعلاما انه تعالى قدم امرهم بل انه اذن لهم به قال الخلاف لا ندري على الحقيقة انهما اول
ولا حاجة بنا الى ذلك انما الحاجة بنا العمل بموجبها وذلك هو الامر بالقتال الذي عن الاعتداء ثم اختلفوا في الاعتداء
ههنا قيل هو نهي عن قتل النساء والذراري والشيخ الفاني على ما روي انه كان اذا بعث سرية اوصى ان لا تقتلوا الوليد
ولا شيخا وقيل هو نهي عن القتال معهم في المسجد الحرام حتى يبدأهم المشركون بالقتال وقوله تعالى ان الله
لا يحب المعتدين ٥ لانه لا يحب الاعتداء فاذا لم يحب الاعتداء لم يحب المعتدي وقوله تعالى واقتلوهم حيث
ثقفتموهم ٥ وقيل لفظة حيث يعبر بها عن المكان فيفيد اذن قتلهم في جميع الاماكن وفي تعميم الامكنة تعميم
الاوقات فهو على عمومها الا فيما استثنى المسجد الحرام مطلقا او قد تعلق بظاهر الآية على اباحة القتل في الحرم وفي
اشهر الحرم وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة ورجب وقال بعضهم لا يباح القتل في الحرم وفي اشهر الحرم لاستثناء
القتل فيهما عن عموم الآية بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وبقوله يسألونك عن الشهر الحرام
قتال فيه قل قتال فيه كبير وقال اصحابنا يقتل في الاشهر الحرم ولا يقتل في الحرم الا ان يبدؤوا بالقتال فيقتلهم
وقالوا فيمن قتل آخر ثم التجأ الى الحرم لم يقتل فيه ولكن لا يؤاكل ولا يشارب ولا يجالس حتى يضطر فيخرج فيقتل واذا
قتل في الحرم يقتل وانما لم يحل القتل والقتال في الحرم الا عند بداية القتال منهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم
حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الامكنة كلها لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
استثناء الحرم من سائر الاماكن الا عند البداية منهم فصار القتل فيه حراما في جميع الاوقات فبقي العمل
واجبا بمطلقه في سائر الامكنة في عموم الاوقات عملا بمطلق النص وعمومه بقدر الامكان واما قوله تعالى يسألونك
عن الشهر الحرام قتال فيه فليس باستثناء القتال في الشهر الحرام مطلقا بل مقيدا كانه قال قل قتال فيه كبير لولا صد
المشركين المسلمين عن سبيل الله والكفر بالله واخراج اهل مكة منها فاذا فعلوا ذلك فليس بكبير بل ذلك اكبر عند الله
من قتلهم واذا كان مقيدا لا يخرج من عموم قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ثم الاصل عندنا ان الابتلاء اذا كان
من وجهين يختار الايسر منهما فلذلك قلنا ان اختيار القتل في الشهر الحرام على بقاء الفتنة وهو الشرك اذ هو اكبر واعظم

وقوله تعالى واخرجوهم من حيث اخرجوكم ٥ قال الشيخ يحتمل اي اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم عام الحديبية
ويحتمل امرهم بان يضيقوا عليهم ويضطروهم الى الخروج كما فعل كفار مكة ويحتمل اخراجهم على ما روي الا يجتمع
شرك بعبادة هنا او يحتمل ان يراد باخراجهم اي امنعوهم من الدخول فيها فيه بيان ان يكون الاخراج ويراد به المنع كقوله تعالى
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور سمي المنع من الشرك اخراجا
منه وقوله تعالى والفتنة اشد من القتل ٥ اي الشرك اعظم جرما واشد اثما من القتل فيه وقوله ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم ٥ قد تقدم تاويله وقوله تعالى فان قاتلوكم فاقتلوهم كلمة
تخرج على المجازاة لهم وفيه اثرة اي ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه اي اذا قتلوا واحدا منكم فحينئذ تقتلون
ويحتمل ولا تقتلوهم حتى يبدؤوا هم بقتالكم ويقال ولا تقتلوهم حتى يقتلوا بعضكم لانهم متى قتلوا الكل لم يتحقق من المقتول
قتل القاتلين فكان المراد من قوله حتى يقتلوكم قتل البعض يعني اذا قتلوا بعضكم فحينئذ تقتلونهم وقوله تعالى
كذلك جزاء الكافرين ٥ اي هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله تعالى ولم يستقبلها بالشكر وقوله تعالى فان انتهوا فان الله
غفور رحيم ٥ يحتمل فان انتهوا عن الشرك تائبين يتعهدهم الله بمغفرته ويحتمل فان انتهوا عن بدء القتال واسلموا فان
الله يرحمهم ويغفر ذنوبهم وقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ٥ قال الشيخ انا امرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا
ويحتمل حتى لا يكون فتنة على وجه الارض اي تطهر من الشرك وقوله تعالى ويكون الدين لله ٥ اي لا يكون الدين في
في الارض الا دين الله قال القوم الفتنة ههنا العذاب اي قاتلوا حتى لا تعذبوا بالكفار وقيل عذابا بالمسلمين والدين هو
الحكم وقوله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ٥ فان قيل فاذا صار الدين كله لله فلا ظالم هنا فما معنى
هذا الكلام قيل لا عدوان الا على الذي احدث الظلم من بعد ذلك ويحتمل اي لا عدوان الا على من بقي منهم على الظلم
فان قيل لم سمى عدوانا والعدوان هو ما لا يحل والجزاء حلال قيل انما سماه به لان الاذى المجازى بالعدوان تسمى باسمه وان لم يكن
في الحقيقة عدوانا بل كان عدلا وهذا كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الثاني سيئة بقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن في الحقيقة اعتداء لكن للاول وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات
قصاص ٥ قيل خرج النبي في الشهر الحرام يريد مكة فصده المشركون عن دخولها فجاء من عام قابل في شهر الحرام ودخلها
واقام بها ثلثا فقضى عمرته التي فاتته في العام الاول فسميت عمرة القضاء فذلك بالشهر الذي صده وكرهه فيها فاقتص له
منهم لكم شهر كشهر مثله وقيل ان الجاهلية كانوا يعظمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه فلما ان ظهر الاسلام ايضا و
لم يقاتلوا فيه حتى جعل الكفار يعيرون على اهل الاسلام حتى نسخ ذلك وامروا بالقتال فيه بقوله والفتنة اكبر من
القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا كانه قال لما هتكتم من حرمة الشهر فيحل لكم ما هتكوا
وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ٥ قد تقدم تاويله وقوله تعالى واتقوا الله
يحتمل اي اتقوا مخالفة امر الله او اتقوا عذاب الله وقوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين ٥ يعني امر من جملة يحتمل
اتقوا القتل في الحرم قبل ان يبدؤوكم فان الله مع المتقين في النصر والمعونة لهم وقوله تعالى وانفقوا في سبيل الله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل امر بالانفاق ترغيبا في الخروج الى الجهاد والا فكل ينفق على نفسه ولا
نفسه ولا يلقي بنفسه في الهلاك من حيث منع الانفاق وقيل في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو ان يذنب ثم
ثم ايس من العفو عنه وقيل لا تنفقوا اي لا تضنوا بالانفاق مخافة الفوت في الوقت الثاني فان ما تخلف لكم ما انفقتم
وقيل تصدقوا فان فيه صلاح ابدانكم وانفسكم وقوله تعالى واحسنوا ان الله يحب المحسنين ٥ قيل احسنوا الى
اصحابكم بالاعانة والصدقة وقيل احسنوا الظن بالله في الانفاق وقيل احسنوا اي ... وقيل احسنوا
اي اسلموا وعلى ذلك يخرج قوله ان الله يحب المحسنين اي المؤمنين وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله ٥ قال الشيخ كان
الكفرة جعلوا الحج لله والعمرة للصنم على ما ادعوا من الشركة في العبادة بين الصانع والصنم فرد الله تعالى زعمهم بهذه الآية
واخبر ان العمرة لله بمنزلة الحج ثم اختلف الناس فقال بعضهم العمرة فريضة وهو قول الشافعي وقال بعضهم هي تطوع
وعندنا واجبة بمنزلة الاضحية واحتج الفريق الاول بقوله واتموا الحج والعمرة لله امر باتمامهما والامر للفريضة
والوجوب حيث جمع بينهما فكان الظاهر هو المساواة بينهما وقال عليه السلام العمرة هي الحجة الصغرى واحتج
الثاني بما روي عن جابر ان رجلا قال يا رسول الله العمرة واجبة هي قال لا وان تعتمر خير لك وعن علي انه قال الحج مكتوب
والعمرة تطوع وعن ابن مسعود الحج فريضة والعمرة تطوع واصحابنا احتجوا بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا فكان هذا النص دليلا على فرضية الحج فلو قلنا ان العمرة فريضة لزدنا على النص
الا بدليل وليس في قوله واتموا الحج والعمرة لله دلالة فرضيتها لان الآية نزلت والعمرة لله بالرفع على طريق الابتداء دون
العطف على الحج لان اختلاف الاعراب يمنع العطف في الحكم وفيه بيان ان العمرة لله ردا لما زعم الكفرة انهم كانوا
يجعلون العمرة للصنم فلا يكون هذه القراءة حجة على الفرضية فاما القراءة المعروفة فلا حجة لهم فيها ايضا لان الامر بالاتمام

يحتمل وجوب العمرة بالشروع فانهم كانوا يفتتحون الحج بالعمرة ويتمتعون فامروا باتمامها على ما روي عن عمر قال متعتان كانتا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء. ويحتمل الامر
بالاتمام على صفة ما روي عن علي وابن مسعود انهما قالا في قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قالا من تمامهما ان تحرم
بهما من دويرة اهلك واذا احتمل هذه الوجوه فلا يكون حجة لهم على ان كونه ما في الكتاب انما امرنا باتمام الحج والعمرة ولكن
مطلق الامر لا يدل على الفرضية وانما عرفنا الفرضية عندنا من دليل وكذا الامر وانما يحمل على الوجوب احتياطا وبه نقول
ان العمرة واجبة والواجب ما ثبت بدليل فيه شبهة العدم والفرض ما ثبت بدليل مقطوع به وهذا الدليل غير مقطوع به
ذكرنا من الاحتمال لما بينا فان هذه الاخبار التي وردت على كونها حجة للخصم في نفي الفرضية ولكن ظاهر
النص يدل على الوجوب دون الفرضية والوجوب لا يطلق عليه اسم التطوع لاحتمال انه كذلك فانه لا يعرف انه تطوع او فرض
فلا يحكم فيها باحد الوجهين فسميناه واجبا ومن جهة النظر انا وجدنا سائر الفرائض من الصلوة والزكاة والصيام مخصوصة
باوقات لا يجوز قبلها ويأثم بالتاخير عنها او يوصف بكونه مفوتا لذلك ووجدنا التطوع غير موقت بل كان التطوع ان
يفعل في اي وقت شاء ثم اجمعوا ان العمرة لا وقت لها فدل ذلك على انها تطوع فان قيل الحج تطوع بالوقت ولا يدل على
فرضيته كذا عدم اختصاص العمرة بوقت خاص لا يدل على النفلية قلنا الفرضية والنفلية لا تتم وان لم يخصص بالوقت وعدم
قبل الاحتمال فاسد لانا وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت خاص فاستدللنا بعدم الاختصاص بالوقت على انه ليس بفرض فاما
الاختصاص بالوقت فليس دليلا بالفرضية فان التطوع وجدناه على ضربين منه مخصوص بالوقت كالحج ومنه غير مخصوص كسائر
العبادات فلا يجوز ان يكون لوجود الاختصاص في الجملة دليل الفرضية وكان الاستدلال لانه احدهما على الاخر لا يمتنع
وهو استدلال الاختصاص على عدم الاختصاص ولانا وجدنا العمرة تفعل في شهر الحج ولم نجد صلاتين تفعلان
في وقت واحد فرضيتين ولكن تفعل الصلوة والتطوع في وقت الفريضة فلما جاز جمع فعل الحج والعمرة في وقت واحد
ثبت انها تطوع كالصلوة التي تفعل في وقت الصلوة وغيرها فان قيل ان الركعتين سنة تطوع بالاتفاق لا اصل لها في الفرض
ولو كانت العمرة تطوعا لكان لها اصل في الفرض قلنا ليس كذلك فان العمرة هي الطواف والسعي وهما من جملة الحج وهو فرض
ثم هذا الاصل الذي ذكره غير مسلم فانا وجدنا الاعتكاف مشروعا تطوعا وليس له اصل في الفرض على ان هذا الكلام
انما يلزم من يقول بان العمرة تطوع ونحن لا نقول بذلك فانه لا يمكننا القطع على كونها تطوعا كما لا يمكننا القطع بكونها
فرضا لانعدام الدليل القطعي فسميناه واجبا والوجوب في العبادة عبارة عن السقوط فيسقط عمله على المهمل فرضا
مع سقوط عمله عند خاطئه وقوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي اذ الاحصار نفسه لا يوجب الهدي
لكنه اذا اراد الخروج منه بهدي وكذا قوله او به اذى من رأسه ففدية معناه والله اعلم او به اذى فحلق راسه ففدية
لكون الاذى في رأسه لا يوجب الفدية حتى يزيل كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه او فمن اضطر فاكل
منها غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه والاضطرار لا يوجب الاثم فهذه امثلة ثم الاحصار كما هو ثم يكون وهل
يحل المحصر وبما ذا يحل اختلف العلماء في ذلك روي عن ابن مسعود قال اذا احصر الرجل بمرض او حبس او كسر بعث
بهدي ووعد فنحر فيه ويمكث على احرامه حتى ينحر في محله فيحل وعليه الحج والعمرة من قابل وعن ابن الزبير وعروة
ابن الزبير قال المحصر من كل شيء يحبسه عدو او مرض وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كسر او عرج فقد
حل وعليه الحج من قابل قال الشيخ ومعنى قوله فقد حل اي جاز له ان يحل لانه لا يحل بغير دم لان الله تعالى
اذن له في الاحلال بدم وهذا عندنا كقوله عليه السلام اذا اقبل الليل وادبر النهار وغابت الشمس فقد افطر الصائم اي
حل له الافطار وقال الشافعي لا يصير محصرا بسبب المرض واحتج بما روي عن ابن عباس وعن ابن عمر قالا لا احصار الا من
العدو لكنا نقول ان ظاهر قوله تعالى فان احصرتم لا يوجب الفصل بينهما اذا صار ممنوعا عن المضي الى الكعبة بسبب
المرض او العدو وغيرهما وما روي عنهما ان ثبت لا يجوز ان ينسخ به مطلق الكتاب كيف والشافعي لا يرى نسخ الكتاب
بالسنة على انه روي عن الكسائي وابي عبيدة ان الاحصار في اللغة من المرض والحصر من العدو والمذكور في الاية
هو الاحصار فكان المراد به المرض على طريق التخصيص وغيره ثبت بطريق الدلالة ثم يقال للخصم انكم جعلتم المرأة
محصرة بمنع من له حق منعها من الخروج من ان يخاف عليها فهلا جعلتم المريض محصرا مثلها وان كان المنصوص في القرآن
حال المحصر من العدو على زعمكم فان قالوا ان المرأة يحبسها من له حق حبسها من الزوج وغيره فهي اشبه بالحبس من
عدو وليس له ان يحبسه قيل له ان المريض امرضه من له حق امراضه وهو خالقه ومالكه فينبغي ان تجعلوه اشبه
بالامر الذي يحبسه عدو وليس له حق حبسه فيجب ان يجعل حق المرأة والمحصر بالمرض فان قالوا ان الخائف يخاف
القتل على نفسه وقد ابيح لله تعالى للخائف في القتال ان يتخلى الى فئة فجعل بذلك الى الامن وجعل لهم كما رخص للخائف
في ذلك قيل ان المريض لا يبرأ بالامتناع من المشي والخائف يأمن بالامتناع
من المشي قيل ان الرخص التي تتعلق بالاعذار لم يجعل لرفعها بل شرعت للترفيه والتيسير والحكمة في ذلك ما تحقق

ثم ما ذكر قد يبطل بفصل المرأة حيث تصير محصرة اذا منعها زوجها وهي لا تخاف القتل على نفسها قال ثم عندنا
يكون المرء محصرا من الحج والعمرة جميعا وقال بعضهم يكون محصرا من الحج دون العمرة لان الحج يحتمل الفوت واما
العمرة قلنا ان الله تعالى ذكر الحج والعمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله ثم اثبت الاحصار عنهما بقوله عقيب ذلك فان احصرتم
فما استيسر من الهدي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر
هديه وحلق رأسه بالحديبية وقوله تعالى ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله الاية دلت ان المحصر بقي
حراما حتى ينحر عنه الهدي ثم اختلفوا اين يذبح دم الاحصار فعندنا لا يجوز ذبحه الا في الحرم وقال الشافعي يجوز
ان يذبح في غير الحرم لما روي عنه عليه السلام ذبح الهدي بالحديبية ولم يبلغنا انه نحر في الحرم ولنا ظاهر قوله ولا تحلقوا
رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فجعل للهدي محلا يبلغه وبين موضعه فقال هديا بالغ الكعبة فكانت الكعبة محلا
لجزاء الصيد فكذا المحصر المحل بكسر الحاء اسم للموضع يحل فيه ولو كان كل موضع محلا للذبح لم يكن لذكر المحل فائدة
ولما روي عن ابن مسعود يبعث الهدي ويواعدهم يوما فاذا نحر عنه حل وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله وعن ابن الزبير
وعروة بن الزبير ان المحصر يبعث ببدنة فاذا نحر عنه حلق واما ما احتج به من الحديث فقد روي في رواية انه نحر هديه
يوم الحديبية في الحرم رواه مروان بن الحكم وعن ابن عباس قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية حال
المشركون بينه وبين دخول مكة وجاء سهيل بن عمرو وعرض عليه الصلح فصالحهم رسول الله وامرهم ان يسوقوا البدن
حتى ينحر حيث شاء فلا يتوهم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يذبح الهدي في الحل وقد اطلق له المشركون ان ينحرها
حيث شاء وهو بقرب الحرم بل هو فيه وعن عروة والمسور بن مخرمة انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحديبية
في الحل وكان يصلي في الحرم فلا يحتمل ان يترك نحر الهدي في الحرم مع قدرته على ذلك لان الحديبية مكان يجمع الحل
والحرم جميعا فلا يحتمل ان يذبح في الحل وله سبيل الذبح في الحرم فان قيل ان الهدي الذي نحره عليه السلام كان هدي العمرة
لا الاحصار لانه نحر هديه على النية الاولى وحل من احصاره بغير دم قلنا ليس الامر عندنا هكذا لانه لا يتوهم ان
يكون عليه السلام حل بغير دم وقد امر الله المحصر ان لا يحل حتى ينحر هديه فان قيل ليس في حديث صلح الحديبية
انه نحر دمين وانما نحر دما واحدا فما وجه ذلك عندكم قيل وجهه عندنا والله اعلم ان الهدي الذي ساقه عليه السلام
كان هدي متعة او قران فلما منع من البيت سقط عنه دم القران فجاز ان يجعله عن دم الاحصار فيما يدل عليه ما روي
عنه انه لم يحل حتى نحر هديه فقال ايها الناس انحروا وحلوا فدل انه جعل الهدي لاحصاره ثم قال ما الذي يجب على المحصر
من القضاء فعند اصحابنا ان كان محصرا بالحج يلزمه حجة مكان الاول وعمرة لاحلاله بغير عمرة وعند الشافعي لا تلزمه
العمرة ولنا ان اهل العلم اختلفوا في تاويل قوله تعالى فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فعن ابن عباس فاذا امنتم
من الخوف او المرض فمن تمتع بالعمرة اي اعتمر في اشهر الحج كما نقول ان عليه لاحلاله بغير الطواف عمرة فان اخرها
حتى يقضيها مع الحج في اشهره فعليه لجمعه بينهما دم قال الشيخ فاذا كان التاويل في قوله فمن تمتع بالعمرة الى الحج التي
لزمته باحلاله كما قال ابن عباس وكذلك قال ابن مسعود وابن الزبير فيما روي عنهما فكفى به حجة وان كان تاويل الاية
غير ذلك فانا وجدنا من يفوته الحج يلزمه ان يطوف بالبيت ويسعى وهو عمل العمرة ويجب عليه قضاء الحج من قابل فاوجبوا
على المحصر عمرة مكان عمل العمرة الذي يجب على فائت الحج واوجبوا الحج مكان ما دخل فيه واعتمد الشافعي على ما روي عن
ابن عباس انه قال الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم العدو فحجة بحجة وعمرة بعمرة وفي خبر عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في المحصر فقد وجب عليه الحج من قابل ولم يذكر العمرة قال الشيخ فنقول يجوز ان يكون عليه العمرة وان لم يذكر
في الحديث كما ان الدم يكون واجبا وان لم يذكر في الحديث وقوله تعالى فما استيسر عن علي وابن عباس قالا هو شاة
ورأى اصحابنا الشاة جائزة هديا في المتعة والاحصار وفي كفارة الاذى وحجتهم ما سبق ذكره من قول الصحابة
وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب بن عجرة النسك شاة وايضا الاجماع للناس على كونها مجزئة
في الاضحية وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك قال الشيخ
رخص الله تعالى المحرم الذي يتاذى بسبب شعر رأسه ان يحلق ويفتدي وعن كعب بن عجرة قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتؤذيك هوام رأسك يا كعب قال قلت نعم يا رسول الله قال فاحلقه واذبح شاة او اطعم ستة مساكين
او صم ثلثة ايام قال كعب ففي نزلت الاية ثم اختلفوا اين يذبح الفدية قال اصحابنا لا يجوز الا بمكة واما الصدقة
والصوم فانه ياتي بهما حيث شاء لان الفدية عندنا بمنزلة هدي المتعة لان هدي المتعة انما وجب لجمعه بين الحج والعمرة
بسفر واحد ولانه لو شاء افرد كل واحد منهما بسفر على حدة فاذا اخذ بالرخصة لزمه الدم وكذلك دم الفدية يجب
لاخذه بالرخصة في حلق رأسه فصار سبيلهما واحدا فيجب ان يكون بمكة وكذلك دم الاحصار انما وجب لانه اخذ بالرخصة
فحل من احرامه ولا يجوز ذبحه الا بمكة واما الصدقة فهي ثلثة اصوع على ستة مساكين على ما ذكر في خبر كعب واما
الصوم فثلثة ايام يجوز صومها بمكة وغيرها قياسا على صوم المتعة فان المتمتع اذا لم يجد هديا صام ثلثة ايام في الحج

وسبعة اذا رجع واما الصدقة فان الشافعي ذكر انها لا تجزي الا بمكة لان اهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون
بالهدي ثم الهدي يختص بمكة فكذا الصدقة فيقال له ارايت ان ذبح الهدي بغير مكة ثم تصدق به على اهل الحرم
هل يجزيه ذلك فان قال لا قيل له بطل تعليلك وبان ان الحرم اختص باراقة دم الهدي فيه لا بنفس وهو موضع لمحل بلوغ
الهدي محله واما الصدقة فلا نص فيها فتجزي بحيث كانت ثم اختلف في من حلق قبل ان يذبح لغير اذى وهو
ليس بمحصر قال ابو حنيفة يجب عليه دم لحلقه قبل الذبح وقال الجماعة لا يجب واجمعوا ان المحصر اذا حلق قبل الذبح
يجب عليه الفدية لابي حنيفة ان الله منع المحصر من الحلق حتى يبلغ الهدي محله واجمعوا انه اذا حلق راسه لاذى فعليه
دم اخر لان الاية نزلت في الحلق في المحصر فاذا كانت تجب على المحصر اذا حلق راسه قبل الوقت الذي وقت لاذى
يصيبه فدية فكذى تجب على كل من حلق راسه قبل الوقت المعتاد فيه بالحلق فدية بل ان الذي يحلق لغير
اذى اخرى ان يكون عليه الفدية فدليل القرآن يشهد لمذهبه واحتج من خالفه بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لما سئل عمن حلق قبل ان يذبح فقال اذبح ولا حرج لك نقول لا حجة لانه قال اذبح ولا حرج يرجع الى الاثم
دون الكفارة لان الكفارة قد تجب في اشياء يفعلها الرجل خطأ وعلى جهة الجهل اذا قام دليل الوجوب فهذا اثم
وقوله تعالى فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج • الاية قد تقدم ذكر اقاويل العلماء في تاويلها وقوله تعالى
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج • اختلف اهل التاويل قال بعضهم ثلثة ايام يحرم اخرها يوم عرفة وقيل
فصيام ثلثة ايام في الحج قبل التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فان فاته تلك الصيام صامه ايام التشريق
قال الامام انما تاخير الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة لمعنى [illegible] الهدي كما امر المتيمم بتاخير الصلوة الى اخر الوقت
رجاء ان يجد الماء فيغنيه عن التيمم فعلى ذلك يوخر الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة رجاء ان يجد الهدي وقوله
وسبعة اذا رجعتم • قيل اذا رجعتم من منى وقيل اذا اتى وقت الرجوع وقيل اذا رجعتم الى اهليكم وقوله تعالى
تلك عشرة كاملة • قيل تلك العشرة وان كانت متفرقة فهي كالموصولة في تحصيل الحج كانها يؤدي جملة وقيل تلك
عشرة كاملة عن الهدي وافية اي يكمل بها اجر الهدي وقيل تلك عشرة كاملة في معنى التشبيه اي ثوابها ثواب الهدي
وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام • قال الشيخ جعل الحكم الذي ذكره في التمتع والمحصر
لا يحضر اهل المسجد الحرام عن ابن عباس انه قال ليس على اهل مكة هدي في المتعة ولان اهل مكة لو كانوا يعتمرون لم يكن
لمخصوص معنى ثم اختلف في حاضري المسجد الحرام من هم قال اصحابنا كل من كان من اهل المواقيت فادونها الى مكة فلهم
ان يدخلوها بغير احرام فهم حكم حاضري المسجد الحرام وروي عن ابن عمر انه خرج من مكة يريد المدينة فلما بلغ قديدا بلغه
ان في المدينة جيشا من جيوش الفتنة فرجع فدخلها بغير احرام قال الشيخ وعندنا اذا جاوز المواقيت ثم رجع فعليه
الاحرام وقال [illegible] ليس حاضري المسجد الحرام الا اهل الحرم وقوله تعالى الحج اشهر معلومات • عن ابن عمر قال الحج اشهر
معلومات شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعن ابن عباس مثله وعن الحسن والشعبي ومجاهد وجويبر وابراهيم مثله
وعن عبد الله قال شوال وذو القعدة وذو الحجة قال الشيخ وفي قوله اخر مثل ما قال الاولون لانه لا يبقى بعد ايام منى
من مناسك الحج شيء فكيف يكون الايام التي بعد النفر من ايام الحج ولا عمل فيها للحاج ثم الاحرام قبل اشهر الحج مكروه عند
اصحابنا لكنه صحيح منعقد وقال الشافعي لا يجوز ودليل الكراهة ما روي عن ابن عباس قال من سنة الحج ان لا يحرم بالحج
الا في اشهر الحج واما دليل الجواز فهو ان اهل التاويل اختلفوا في تاويل الاية قال بعضهم قوله الحج اشهر معلومات اي الاشهر
كلها وهذا اقرب من حمله على شهرين وعشر لان الشهر وان كان جمع قلة فيستعمل الى العشرة فانه متى اضيف استعمله الله على الجمع كما جاء
اسم الجمع على التثنية تكلف بعيد ولانه قال الحج اشهر معلومات وجمع المذكر لا يدخل التاء وانما يدخل الهاء [illegible]
لا مستعملات والشهر مذكر فينبغي ان يقال اشهر معلومة ولما قال معلومات دل انه رجع الى جمع المونث وهو ثلثة
اشهر فلذلك قال معلومات ثم يتبين ما قلنا قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وان كان المراد في
كلها وباتفاق بيننا يراد به وقت احرام الحج فان الخصم متى صرفها الى شهرين وثلث يصرفه الى وقت الاحرام لا وقت الحج
فكان المراد ما قلنا ان ظاهر الاية ان يكون جميع الاشهر وقتا للاحرام واداء سائر الاركان لكن تعين لاداء افعال الحج ازمنة
مخصوصة وامكنة مخصوصة فبقي الاشهر كلها محلا للاحرام وقال بعضهم الحج اشهر معلومات اي في اشهر معلومات وهو
ما ذكرنا من قول جماعة من السلف شوال وذو القعدة وذو الحجة لكن هذا لا ينفي جوازه للاحرام لان الاية لا تنصرف
الى الاحرام لانه امكن توجيه الاية الى توجيهين الى افعال الحج في جميع هذه الاشهر المعلومة وقت الفعل بدليل قوله فمن فرض
فيهن الحج جعل اداء الحج متصورا فيهن فانه يودي فيهن طواف التحية والسعي بين الصفا والمروة ونحو ذلك والوجه الثاني
ان يقول الحج اشهر معلومات ان اختصاص هذه الاشهر المعلومة بالحج على معنى انه لا يدخل فيها غيره ثم دخلت العمرة فيها
بطريق الرخصة دليله قوله عليه السلام دخلت العمرة في الحج فيكون معناه ان الحج اشهر معلومات ثم قوله تعالى فمن فرض فيهن
الحج خاص يوجب تخصيص افعال الحج بالاشهر المعلومة وانه الافعال يكون تعلقه بسبب الوجوب فعل الاحرام فدل ان [illegible]

افعال

افعال وتعين فيه ذلك ان الحج يختص بالمكان والزمان ثم بالاجماع يجوز الاحرام في غير مكان الحج كذا يجب ان يجوز في
غير زمان اداء الحج والله اعلم وقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج • اختلف في تاويله قال بعضهم الجماع [illegible]
وقال اخرون ان الذي يحمل بجميع ما امر فيه ان ينتهي عن جميع ما نهي عنه فيما يتصل بعرفة قال الشيخ واما عندنا فتاويل
قوله فمن فرض فيهن اي لبى فيهن الحج فاما النية مجردة فلا يكون محرما دليله ما روي عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر
انهم قالوا الفرض فيهن التلبية وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة وقد [illegible]
انا اصبت بعمرتي قال انما ذلك شيء كتبه الله تعالى على بنات ادم فحجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم فثبت
ان التلبية واجبة اذ كان المسلمون يقولونها وروي عن عائشة [illegible] واجمع المسلمون حجه وعن عائشة قالت
لا احرام الا لمن اهل ولبى فثبت هذه الاحاديث على ان التلبية فرض الحج وهو قول الائمة وامثالهم من علماء الدين ولا يجوز
مخالفتهم وقال اصحابنا ايضا اذا خرج رجل مع بدنة قد قلدها فهو بمنزلة الاحرام [illegible] فقام ذلك الفعل منه مقام
التلبية والحجة لذلك ان النبي عليه السلام قال لاصحابه في حجته لما امرهم ان يحلوا بالعمرة فقالوا له ما لك لم تحل قال اني
قلدت الهدي فلا احل من احرامي الى يوم النحر فاخبر النبي عليه السلام ان الذي منعه من الحل تقليده الهدي فدل ان ذلك قام
مقام احرام جديد [illegible] وروي عن علي وقيس ابن سعد وجابر انهم قالوا اذا قلد فقد احرم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه
وهو يريد الحج او العمرة فقد احرم وقوله تعالى فلا رفث • قيل الرفث جميع حاجات الرجال الى النساء وقال ابن عباس الرفث
الجماع وقال ابن عمر مثله واجمع العلماء ان المحرم لا يجوز له ان يقبل المراة ولا يمسها بشهوة ويوجبون على من ذلك
دما وسئلت عائشة عما يحل للمحرم من امراته فقالت يحرم عليه كل شيء الا الكلام وقوله تعالى ولا فسوق • قيل الفسوق
السباب وقيل هو كل فسق والفسق حقيقته الخروج عن امر الله تعالى قال الله تعالى ففسق عن امر ربه وقوله تعالى ولا جدال
في الحج • قيل الجدال هو المراء وقيل ان العرب كانت توخر الاشهر الحرم وتعجل [illegible] انما النسيء زيادة
في الكفر فبين النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق الله السموات والارض فعلى
ذلك استدار وقت الحج فجعل لا يتقدم ولا يتاخر فانما هي واحدة وعن ابن عباس لا تجادل صاحبك حتى تغضبه
فاشبه الامور والله اعلم ان تاويل هذه الاية ان الله تعالى امر بحفظ اللسان والفرج في الاحرام عن كل ما ذكر من فسوق
ومعصية ومجادلة ومخاصمة ومن ذكر الرفث بالفعل والقول الا ترى ان الفضل بن عباس كان رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان الفضل يلاحظ النساء وينظر اليهن فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه بيده من خلفه
وقال ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له او كما قال وروي عنه عليه السلام انه قال من حج فلم يرفث و
لم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله • اي يعلمه ويجزي به وفيه ترغيب منه الى كل
خير وقوله تعالى وتزودوا • قيل تزودوا اي [illegible] الحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسئلة ولا تخرجوا بلا
زاد فتكونوا عيالا على الناس ويحتمل ان يكون الامر بالتزود للمعاد يدل عليه قوله فان خير الزاد التقوى • تقول ان
تقوى تسعين بزاد من زاد الدنيا وقوله تعالى واتقون يا اولي الالباب • يحتمل اتقون في المعاصي والمناكير وكل شيء
وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم • قيل التجارة وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من التجارة
في عشر ذي الحجة فلما ان جاء الاسلام امتنع اهل الاسلام عن التجارة وما رجوا ان يكون في ذلك حرج [illegible] رخص الله
تعالى التجارة للحاج وعن ابن عمر ان رجلا سأله فقال انا قوم نكري ويزعم ان ليس لنا حج فقال الستم تحرمون فقال بلى
فقال فانتم حجاج فقال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه فسأله عما سألت عنه فنزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا
فضلا من ربكم وروي عن ابن عباس مثله قال الشيخ واصحابنا يروون ان حج الاجير والتاجر تام لان ظاهر القرآن يدل على ذلك
وقوله فاذا افضتم من عرفات • قيل ان اهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس ومن مزدلفة
بعد طلوع الشمس فامر اهل الاسلام في الحالين جميعا بان يفيضوا من عرفة بعد الغروب ومن مزدلفة قبل الطلوع وفي
ذلك خلافهم [illegible] جميعا ثم الافاضة هي الاسراع في السير وقيل هي الانحدار وقوله تعالى فاذكروا الله
عند المشعر الحرام • يعني المزدلفة قال الامام فالذكر يحتمل صلوة المغرب والعشاء اذا يأتيها هناك ويحتمل الدعاء بهما
جميعا وقال ابن عباس المشعر الحرام الجبل وما حوله وهو الجبل الذي يوقف عليه يقال له قزح ويسمى جمعا ايضا لانه
يجمع فيه بين المغرب والعشاء وقيل سمي جمعا لانه اجتمع فيه ادم وحوا وعن ابن عباس انه قال سمي عرفات لان جبريل لما
علم ابرهيم عليه السلام المناسك كان يقول له عرفت فيقول عرفت والله اعلم بذلك وقوله تعالى واذكروه كما هداكم
يحتمل الامر بالذكر انه امر بالشكر له على ما انعم عليهم من انواع النعم ويحتمل اي اذكروه كما هداكم واشكروه لامر كما
ويحتمل الامر بالتوحيد كانه قال وحدوه كما وفقكم لدينه وعلى هذا يخرج وقوله تعالى وان كنتم من قبله لمن الضالين
اي عن الهدي وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر جعل هداه على وجهين هدى عرف التوحيد وهدى [illegible]
وقوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم • قيل ان اهل الحرم كانوا لا يقفون

بعرفات ويقولون نحن اهل حرم الله لا نفيض كغيرنا ممن قصدنا فانزل الله تعالى فيهم يأمرهم الوقوف بعرفات والافاضة
منها من حيث افاض غيرهم من الناس وكان الناس تواردوا ذلك عن ابرهيم عليه السلام قال الامام وفيه دليل على ان
الوقوف بعرفة فرض على ذلك جاءت الآثار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج عرفة ومن ادرك عرفة
وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا قيل انهم
في الجاهلية كانوا اذا قضوا المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون آباءهم ومناقبهم ويفتخرون بذلك فلما اسلموا
امروا ان يذكروا ربهم في الاسلام كذكرهم آباءهم في الجاهلية او اشد ذكرا فانه اولى بذلك من الآباء وقوله تعالى
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق قال الامام نزلت في قوم لا يؤمنون بالبعث
والاحياء بعد الموت حيث طلبوا خيرات الدنيا ولم يطلبوا خيرات الآخرة وهو كقوله ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب واما من آمن بالله وبالبعث بعد الموت فانهم سألوا خيرات الدنيا والآخرة
جميعا وقوله تعالى ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار طلبوا حسنات
الدنيا لاجل الآخرة ليتزودوا بها لان الدنيا انما جعلها محلا لدار الآخرة لا انما خلقها للاستمتاع واقتضاء الشهوة
قال الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ثم الكلام في حسنة الدنيا وفي حسنة الآخرة قيل حسنة الدنيا العلم
والعبادة وحسنة الآخرة الجنة والمغفرة وقيل حسنة الدنيا النصر والرزق وحسنة الآخرة الرحمة والرضوان
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى عبادا يحيون في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة
في عافية قيل يا رسول الله من هم قال الذين يكثرون قولهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
وقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب قيل في تأويل قوله سريع الحساب وجوه قيل انه
لقدرته وعلمه كانه قال حسابه سريع وقيل سريع لما انه لا يبطئ في الحساب يكون للتفكر والاستذكار وحفظ
عقد الاصابع او يشغل شغله والله جل جلاله يتعالى عن ان يوصف بشيء من ذلك او يشغله شيء وقيل سريع اي
قريب كان حسابه كقوله اقتربت الساعة وكقوله الوعد الحق اي قربت وقيل انه كناية عن عذاب شديد اي شديد
العقاب هو كما روي من نوقش في الحساب عذب وقوله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات قيل ان الايام
المعدودات ايام النحر والذبح اي اذكروا الله في ايام النحر والذبح وهي عند ابي حنيفة يوم النحر ويومان بعده وقيل
المراد بالايام المعدودات ايام رمي الجمار دليله قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وهي ايام التشريق وهي
ثلاثة ايام بعد النحر وعن علي الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده اذبح في ايهن شئت وافضلها اولها وكذا
روي عن عمر وقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه قيل فمن تعجل في يومين بعد يوم النحر
بيومين اي من نفر من منى قبل غروب الشمس فلا اثم عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فاقام الى الغد يوم الثالث فرمى
الجمار ثم ينفر فلا اثم عليه وقيل فمن تعجل في يومين في ايام التشريق فلا اثم عليه وروي عن ابن عباس انه قال من
تعجل في يومين غفر له ومن تأخر غفر له اي غفر له ما كان وما يحدث له من الاثم والذنب في اليوم الذي تأخر
قال الشيخ والوجه فيه ما ذكر عن ابن عباس ويحتمل انه خيره ان يفعل كذا او كذا فلا اثم عليه وعن ابن مسعود انه قال
في قوله فلا اثم عليه اي رجع مغفورا له وقوله تعالى لمن اتقى قيل لمن اتقى قتل الصيد في الاحرام وكذلك
قوله واتقوا الله ولا تستحلوا قتل الصيد في الاحرام وقال ابن عباس لمن اتقى معاصي الله في الحج في ما بقي
من عمرهم ويحتمل جميع ما يحرم عليه في الاحرام من الرفث والفسوق والجدال وغيره وقوله تعالى واتقوا الله واعلموا
انكم اليه تحشرون خوفهم الله ليتقوا في كل وقت كل معصية قال خرج الخطاب في الظاهر للمؤمنين ويحتمل
ان يكون للكفار ايضا يأمرهم ان يتقوا الشرك واشراك غيره في اضافة النعم وما اوعدهم بالحشر والجزاء لاعمالهم وقوله
ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه قيل ان رجلا من الكفار كان يأتي النبي صلى
الله عليه وسلم فيخبره انه يحبه وكان يعده المتابعة في دينه ويحلف على ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك
منه ويدنيه في المجلس وفي قلبه خلاف ذلك فانزل الله تعالى الآية وقيل انها نزلت في المنافقين لانهم كانوا يرون
الموافقة له في الدين ويحلفون على ذلك ويضمرون الخلاف له في السر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه منهم
ما كانوا يظهرون له فانزل الله تعالى الآية وقوله تعالى وهو الد الخصام قيل اي اشد الخصام وقيل اجدل بالباطل
وقيل اظلم في الخصومة لانه لا يستقيم ابدا وقوله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد قيل قوله ويهلك الحرث اي بقتل النساء وهن حرث فاهلاك الحرث هلاك النسل وقيل
اراد بالحرث الحرث نفسه وهو الزرع اراد بالنسل الدواب اي يحرق الحرث ويعقر الدواب وكل حيوان وقيل انهم
كانوا يسعون بالفساد ويعملون بالمعاصي فيمسك الله عنهم المطر فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم فيكون ذلك مضافا
الى سوء صنيعهم وقوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم اي اذا قيل له اتق الله عن صنيعك وهو النبي

في الارض

في الارض حملته الحمية على الاثم تكبرا منه فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فحسبه جهنم يقول
والله اعلم فاعرض عنه واتركه وصنيعه فان جهنم مصيره وقوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
قال الامام يحتمل يشري اي يهلك نفسه بالاجتهاد في عبادة الله تعالى وطاعته فذلك شراؤه اياها ويحتمل يشري
نفسه اي يبذل نفسه للجهاد في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فهؤلاء بذلوا انفسهم فتفضل الله تعالى لهم ببذل الجنة فهو الشراء وهو على ما روي ان
ابا بكر الق نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هم المشركون قتله وفيه دلالة ان ابا بكر كان اشجع الصحابة
واصلبهم وان كان ضعيفا في بدنه لقوة قلبه حتى لا يجاسر احد من الصحابة على ما فعل هو وكذا ما روي انه خرج
لمقاتلة اهل الردة وحده فقيل انه كان اشجعهم في الدين واصلبهم وقيل ان الآية نزلت في صهيب ابتاع دينه
باهله وماله في ذلك وقوله تعالى والله رؤوف بالعباد قال الشيخ يحتمل ان كل العباد وهو ان الكافر اذا اسلم
واخلص دينه تعالى يقبل ذلك منه ويتجاوز عنه ما كان منه في الشرك والكفر ويحتمل اراد بالعباد المؤمنين
خاصة اي رحيم بهم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة قال الامام فيه لغتان بكسر
السين هو الاسلام وبالفتح هو الصلح فان قيل كيف امرهم بالدخول في الاسلام وهم فيه قيل فيه وجوه احدها
يحتمل يا ايها الذين آمنوا ببعض الرسل من نحو موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكل
امره اياهم بالدخول فيه في المستقبل لان الايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت لانه فعل والافعال تنقضي
لا تبقى كانه قال يا ايها الذين آمنوا فيما مضى من الاوقات آمنوا في حادث الاوقات ومن قرأه بالنصب حمله على الصلح
كانه قال الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين قد تقدم بيان تأويله وقوله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله
عزيز حكيم قوله زللتم اي ملتم وتركتم من بعد ما ظهر لكم الحق وقوله عزيز اي منتقم ممن يميلكم وتركتم الحق
بعد الظهور ويحتمل عزيز اي غني عن طاعتكم له وعبادتكم اياه وقيل عزيز ان يقهر او ينال ويغلب لان العزيز
نقيض الذليل وقيل عزيز لا يقدر احد ان يصل اليه او يقهره كما قيل عزيز لا يرام وقوله حكيم اي لا يدع مجازاة
المسيئين فيكون ذلك لغا هملا وكذا لا يدع نصرة دينه وقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة قيل يأتيهم الله بمكره وهو قول الحسن وقيل يأتيهم الله اي يأتيهم امر الله على اضمار الامر فيه وهو كقوله
تعالى او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك وقيل في ظلل ذكر حرف في بمعنى الباء كأنه قال يأتيهم الله بظلل من الغمام والجود
استعمال الحرفين في مكان الباء لا يخرج الباء عن الالصاق وحرف في للظرف والظرف مجاور للمظروف في الصفة فيجوز
استعارة احدهما من الآخر قال الشيخ الامام والاصل في هذا ونحوه ان اضافة هذه الاشياء الى الله تعالى نحو الاتيان
والمجيء والاستواء ونحو ذلك لا توجب وجود حقيقة تلك الاشياء على ما توجد من الخلق فان جاز له اضافة
هذه الامور الى ما لم توجد منه حقيقتها من الانتقال والزوال والحلول ونحو ذلك نحو ما يقال جاء امر فظيع وجاء الحق وزهق
الباطل وجاء ملك فلان ... كذا وجاءكم من الله نور وكتاب مبين فذكر المجيء والاتيان في هذه الامور لا على تحقيق وجود ذلك
فيها فان المجيء المضاف الى الامر الفظيع والى الحق والى النور في قوله وجاءكم من الله نور فلا يفهم ولا يتحقق وجود المجيء
من هذه الاشياء على حسب وجوده من الاجسام فهو الانتقال المكاني فكذلك اضافة المجيء والاتيان والاستواء
الى الله تعالى لا يراد بها الانتقال المكاني اذ يستحيل الانتقال على الله تعالى عقلا وسمعا قال الله تعالى فلما افل قال لا احب الآفلين
اي الزائلين المنتقلين من مكان الى مكان فيضاف المجيء الى الاعراض ولا توصف بالانتقال ثم حمل ذلك على ما يليق بالاعراض
من الظهور والوصول ونحو ذلك فكذلك ههنا في حق الله تعالى يجب ان يصرف المجيء الى ما يليق بصفته ولان في
الشاهد ... الارض تضيف الى نفسها ما عظم من الامور من غير ان يتولوها فتلقى اضافة عز وجل امر القيامة الى نفسه
لعظم ذلك الامر ثم الاصل ان الاتيان والمجيء الذي هو عبارة عن الزوال والانتقال في الشاهد انما يكون لمعنى
اما لحاجة بدت فيضطر الى الانتقال من حال الى حال او من مكان الى مكان ليقضيها واما السامة
تأخذه فينتقل ليتفرج والله تعالى عن ان تمسه حاجة او تأخذه سأمة فيبطل الوصف له بالاتيان والمجيء
والانتقال من حال الى حال او الزوال من مكان الى مكان لانه قد استمع علما كان ونحو لانه على ما كان قبل خلق المكان
بالاستواء والمجيء وقد ورد الخبر بالنزول والرؤية ثم قد دل السمع بان ليس كمثله شيء فلزم نفي التشبيه فيما ورد فيه
ولزم الاقرار بما جاء من غير طلب الكيفية له والتفسير والسبيل فيه الايمان بالتنزيل والكف عن التفسير على
ان في الشاهد اطلق لفظة الاتيان والمجيء في الاعراض يراد بهما الظهور وفي الاجسام تنقله من مكان الى مكان
وهو عز ذكره جل عن ان يوصف بالاعراض والاجسام فكذلك الاتيان والمجيء المضاف لا يشبه اتيان الاجسام والاعراض
وكما وجب ان كيفية ثبوت ذاته من غير ان يكون مشبها بالاعراض والاجسام يجب ان يوصف بالاتيان من غير ان يكون

له شبه بالاتيان المضاف الى الاعراض والاجسام بل نعتقد له وصفا الاتيان من غير ان نعرف كيفيته
كما نعتقد انه ثابت الذات من غير كيفية والله الموفق وقوله تعالى سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة •
قال الامام فيه وجوه يحتمل ان يكون الكفار سألوا من النبي صلى الله عليه وسلم آيات مقترحة على طريق
التعنت بعدما اقام النبي صلى الله عليه وسلم الآيات على اثبات رسالته فسأل من الله تعالى ان يعطيه تلك
الآيات فاخبر تعالى ان سؤالهم كان سؤال تعنت لا قبول وتصديق وقرب من ذلك سؤالهم اياهم عما آتاهم
من الآيات فقال سلهم كم آتينا آباءهم واجدادهم من الآيات على يدي موسى وعيسى فكفروا بها بايات ولم يؤمنوا
وقل لهم فانتم وان آتيناكم من الآيات التي تسألونها فلا تؤمنون ايضا ويحتمل ان يكون سل لا على الامر ولكن
ولكن على التبيين تقديره لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان سؤالهم سؤال تعنت سلهم عما آتيناهم
من الآيات فكفروا بها وجحدوا لا حيث علم ويحتمل ان يكون سل بني اسرائيل على طريق الابتداء لا على سؤال كان منهم
يعني سل علماء بني اسرائيل واعتهم كم آتيناهم من آية بينة فاخفوها وكتموها وهذا امر تحقيق من خواصهم ليعلم العوام
ويستفيض في الناس باخباره اياهم عن ذلك انه عليه السلام علم ذلك بالذي يعلم ما ظهر وما بطن فيكون دليل
تحقيق رسالته وهو كقوله اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ويحتمل ان يكون المراد من ذلك ان ليس عليه
السلام ان يخبر انهم لو جاءتهم الآيات التي سألوها لا يؤمنون بعضها وصدر بعض المؤمنين وخطر على قلوبهم
انه لو ظهرت هذه الآيات التي سألوها لآمنوا من غير ان اعتقدوا ذلك لتقلب بهم لكثرة وساوس الشيطان فامر
بان يسأل من علماء بني اسرائيل ممن اسلم كعبد الله بن سلام ونحوه عما آتاهم من الآيات المقترحة ولم يؤمنوا ليطمئن
قلوبهم مما وقع من وساوس الشيطان فيزول عنها الوساوس والشبهات وقوله تعالى ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته • قيل نعمة الله دين الله اي من بدله بعد ظهوره وبيانه وقيل نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
اي من كفر به بعدما قام الدليل على العلم برسالته ويحتمل تبديل نعمة الله بتوجيه الشكر الى غيره وهو ان يعبد
غير الله وقوله تعالى فان الله شديد العقاب • خوفهم وحذرهم عن تبديل ذلك وتركه الكفر بنبيه صلى
الله عليه وسلم بعد معرفتهم به في كتبهم بنعته وصفته وبما اقام من الدلائل برسالته انه حق وقوله تعالى زين
للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا • قال الحسن زين لهم الشيطان ذلك وان لم يسم فاعل
ذلك فقد ذكر فاعله في موضع آخر بقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قال الشيخ ولكن معناه عندنا والله اعلم
ان الله تعالى زين لهم ثم التزيين على وجوه ان زين ذلك في طباعهم بما خلق فيها الميل والشهوات الى تحصيل ذلك فالتزيين
من الله تعالى المضاف الى اضلال الكفرة يراد به هذا النوع وقد يكون التزيين من العقل بقيام الادلة على حسن الافعال
وقبح المناهي وقد يكون التزيين بوعد الثواب على تلك الافعال الحسنة فالوجهان يكونان للمؤمنين ومن ذلك قوله
تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم وقال كذلك زينا لكل امة عملهم وهذه الآية على الوجه الذي
قررنا يكون حجة على المعتزلة في مسألة خلق الشرور والقبائح من الله تعالى وقوله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة
فيه وجهان يحتمل فوقهم في الحجة كقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويحتمل فوقهم في الجزاء
والثواب كما اخبر من نداء اهل النار اهل الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب
فيه وجوه يحتمل بغير حساب اي بغير تبعة ويحتمل اي لا على قدر الاعمال لكن على قدر الارادة والشهوة كقوله
تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون لان رزق الجنة على ما ينتهي اليه الشهوات بخلاف رزق
الدنيا فانه لا احد يبلغ مناه في الدنيا وحاجاته وفي الآخرة كل ينال مناه في الجنة ويحتمل بغير حساب اي من غير
ان ينقص ذلك من ملكه وخزائنه وان عظم عطاياه وكثر مناله ليس كخزائن المخلوقين تنقص بالرفع وتنفد
وقوله كان الناس امة واحدة • قال ابو موسى الاشعري وغيره من الصحابة كان الناس امة واحدة اي كلهم
كفارا الى ان بعث الله فيهم النبيين واراد به ما بعد زمان آدم عليه السلام بمدة طويلة فاندرس آثار الاسلام
واختلفوا فيما بينهم قبل زمان نوح عليه السلام اذ اول البشر آدم صلى الله عليه وسلم وهو نبي وكان ينبه اولاده على
دينه الى ان ظهر من بعده الاختلاف واندرس الحق وقال ابن مسعود كان الناس امة واحدة اي كلهم مؤمنون من زمن
نوح وهم الذين كانوا في السفينة معه وهلك الكفار ثم انهم اختلفوا بعد ذلك بمدة طويلة فبعث الله فيهم النبيين
وقال بعضهم كان الناس امة واحدة اي في زمن آدم كلهم مؤمنون الى ان اختلفوا فانزل عليهم الكتاب وبعث
فيهم النبيين والرسل قال الشيخ ويحتمل غير هذا وهو اقرب معنى قوله كان الناس امة واحدة اي صنفا كقوله تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم يعني اصنافا فكان المراد ان الكل من جوهر
واحد ثم فضل الله تعالى صنف الناس ببعث الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم من بين غيرهم من الاصناف تفضيلا لهم
واكراما وما بعث رسولا في القوم الا وفي القوم كفار ومؤمنون لان الارض لا تخلو من ولي او نبي فلا يخلو

الارض من قائم لله تعالى بحجة وهو المروي عن ابي حنيفة لان الارض لا تخلو عن نبي او ولي فبطل تاويل من يقول
ان الناس كلهم كفار حتى بعث فيهم الرسل وقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس • ويحتمل قوله ليحكم وجهين اي ليحكم الكتاب بالحق فيما بينهم ويحتمل ليحكم الرسول بالكتاب
فيما بينهم بالحق وقوله فيما اختلفوا فيه • يحتمل قوله فيه اي في محمد عليه السلام ويحتمل في دينه ويحتمل فيهما جميعا •
وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات • اي ما اختلفوا فيه الا من بعد ما جاءتهم البينات
والعلم اما من جهة العقل واما من جهة السمع وهي الكتب والاخبار واما من جهة المشاهدة والمعاينة لكنهم عاندوا
وكابروا وكفروا به وقوله بغيا بينهم • قيل حسدا بينهم وقيل ظلما منهم ظلموا محمدا عليه السلام وقوله تعالى
فهدى الله الذين آمنوا • اي هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا ويحتمل هدى الله من انصف ولم يعاند وقوله والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • قال الشيخ الامام فيه دلالة ان من شاء الله ان يهتدي فانه يهتدي ومن شاء
ان لا يهتدي لم يهتد لانه لو كان شاء ان يهتدي جميعا على ما يقوله المعتزلة ان الله تعالى شاء ايمان الكل واهتداءهم
لكان يقول والله يهدي الى صراط مستقيم ولم يقل من يشاء فدل قوله من يشاء على انه شاء ايمان من آمن ولم يشأ الايمان
ممن لم يؤمن ويبطل قولهم انه شاء ايمان الكل لكن آمن البعض بحسن اختياره وترك البعض بسوء اختياره وبالله التوفيق
وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب • قوله ام حسبتم قيل معناه احسبتم على
اسقاط الميم ان تدخلوا الجنة بالايمان من غير ان تعبدوا الله بكل ما يعبدكم به وابتلاكم عليه وقيل ام بمعنى بل اي
بل حسبتم ان تدخلوا الجنة وقوله ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم قيل سنن الذين من قبلكم من البلاء والمحن
التي اصابت الماضين من المؤمنين وقيل ام حسبتم اي حسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا بما ابتلي من قبلكم وقوله
مستهم البأساء والضراء ظاهر وقيل ايضا في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة وجه آخر وهو انهم ظنوا لما آمنوا
ان تدخلوا الجنة ولا يبتلوا بشيء من الحروب والفتن وانواع الشدائد فاخبر الله تعالى ان في الايمان المحن والشدائد
كقوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولان الايمان من حيث نفسه ليس بشديد لانه
معرفة حق وقول صدق ولا فرق بين قول الصدق والكذب في احتمال المؤن من حيث الذات وانما افترق الامران
من حيث انه يتعلق بالايمان احكام شاقة وانواع من البلايا على خلاف الطبع وليس ذلك في الكفر وقوله وزلزلوا
قيل حركوا وقيل جهدوا وقوله حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قيل حتى يقول الرسول والمؤمنون
جميعا متى نصر الله فانهم وعدوا النصر عيانا لوقت بعينه وقت النصر من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الرسول
من الله تعالى لهم وقوله الا ان نصر الله قريب اي حتى يقول المؤمنون متى نصر الله ويقول الرسول الا ان نصر الله قريب
ذكر الرسول والمؤمنين ثم ذكر شيئين فينصرف كل واحد منهما الى الكل ولكن ينصرف على ما يليق ومثله
كثير في القرآن وهو من الفصاحة قال الله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي لتكتسبوا
في النهار من فضله قال الامام ثم يحتمل هذا في كل رسول بعث الى امته يقول هذا وامته يقولون هذا ايضا ويحتمل
ان كان هذا في رسول دون رسول على ما قال بعضهم انه ورد في رسول معين وليس لنا المعرفة بذلك سبيل ولا نعرف
ذلك الا بالسمع من جهة التواتر وفي ظاهر هذه الآية فوائد منها التصبير للمؤمنين على تحمل الشدائد ومنها التسلية
لهم بما ابتلي من قبلهم من المؤمنين وما تحملوا من المشاق في ذات الله تعالى ومنها البشارة لهم بحسن العاقبة بزوال
الشدة ونزول النصر ثم قد تحقق ان الله تعالى لهم لوعود النصر بالعز والتمكين حتى دانت لهم العرب وقهروا كاسرة العجم
وازعجوا ابناء القياصرة عن ارض الشام وامتدت اطناب الاسلام الى المشرق والمغرب وذلك من اعظم الآيات على ثبوت
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم اذ اخبرنا بالنصر في حالة الضعف وقلة العدد عما يكون في المستقبل فتحقق على ما اخبر
وقوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين • الآية فان قيل ههنا اشكال
فان السؤال وقع عن ماهية الانفاق وعما ينفق لا عمن ينفق عليه لان كلمة ما تستعمل في غير العقلاء ومن يستعمل
في العقلاء فكان جوابه ان يقال انفقوا كذا وكذا وقد خرج الجواب بان تنفقوا من المال على الوالدين والاقربين قال
الشيخ والجواب عنه ان يقال يحتمل ان يكون ما بمعنى من وذلك مستعمل في اللغة قال الله تعالى والسماء وما بناها اي
ومن بناها فصار تقدير الآية يسألونك عمن ينفقون عليهم ويحتمل انهم كانوا سألوا شيئين احدهما عما ينفقون والآخر
عمن ينفق عليه لكن خرج الجواب لاحدهما دون الآخر وهو جواب السؤال عمن ينفق دون جواب ما ينفق به وهذا من
الوجوه في القرآن ان تكثر الاسئلة ويخرج الجواب لبعض ولم يخرج لبعض بان يخرج لهذه بطريق المستنبط
جواب ذلك الاتباع ليستنبط المجتهدون او يبينه الرسول صلى الله عليه وسلم وههنا جواب هذا السؤال في آية
اخرى وهو قوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اي الفضل بعد ما الجواب ما روي عن عمرو بن الجموح الانصاري

انه قال يا رسول الله كم ينفق وعلى من ينفق فانزل الله تعالى ما ينفقون الآية ويحتمل ان الرسول وقع عما ينفق به
لاجير فعدخرج الجواب عنه بقوله قل ما انفقتم من خير وهو المال ثم اضمر قوله فانفقوا على الوالدين فيكون فيه
بيان حكمين احدهما وقع عند السؤال والثاني لم يقع عنه صريحا ولكن من جملة ما يحتاج اليه السائل فبين ان الانفاق
على الوالدين وعلى المذكورين ثم اختلف في هذه النفقة قال بعضهم هي كانت نفقة تطوع فنسخت بالزكوة
وقيل كانت صدقة يتصدقون بها على الوالدين والاقربين الذين يرثون فنسختها آية المواريث وقيل فيه الامر بالانفاق
على الوالدين والاقربين عند الحاجة قال الشيخ فكان هذا اقرب وهذه الآية دليل على لزوم نفقة الوالدين والمحارم
وقوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم ● قال الامام الكراهة ههنا كراهة الطباع وابا النفس لا
كراهة الاختيار اذ طبع كل احد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو خوفا من الهلاك ولا يظن باحد من الصحابة
ان يؤمن بالقتال مع العدو ثم هو يكره ذلك عن اختيار منه لان ذلك دأب اهل النفاق وخبث ما ذكرنا من نفور
الطبع لكن لا يكون في كراهة الطباع مؤاخذة واثم لانه ليس في وسعة تغيير الطباع وقوله تعالى وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ● قال الشيخ يحتمل هذا في القتال خاصة وهو ان تكرهوا
القتال طبعا لما فيه من المشقة والشدة وهو خير لكم لما فيه من الفتوح والظفر على الاعداء ونيل الثواب في الدنيا
في الآخرة وقوله تعالى وعسى ان تحبوا شيئا وهو القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من احتراز العدو في الاسر والقتل
والذل والصغار وحرمان الثواب في الآخرة بسبب الجهاد ويحتمل هذا في كل امر يعجبه في الابتداء ويكون عاقبته
شرا له ويكره امرا فيكون عاقبته خيرا له وذلك لتحملنا بعواقب الامور لنعلم ان ليس الينا من التدبير شيء وقوله
والله يعلم وانتم لا تعلمون ● اي والله يعلم ما هو خير لكم في العواقب مما هو شر لكم وانتم لا تعلمون وقوله
يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ● قال الامام معناه والله اعلم يسئلونك عن القتال في الشهر
الحرام والمسجد الحرام فان قوله قتال فيه بدل عن الشهر الحرام وقوله والمسجد الحرام معطوف على قوله والشهر الحرام
يشارك المعطوف عليه في حكم تخصيص في التقدير كانه يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام قل قتال فيه كبير
وكذا يسئلونك عن القتال في المسجد الحرام قل قتال فيه كبير ثم تم الجواب ثم قال وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد
الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله ● والفتنة اكبر من القتل ● بين ان القتال وان كان كبيرا بنفسه لان فيه
تفاني الخلق ولم يخلقهم الله تعالى لكن ابيح القتال في الجملة لرفع الكفر واعلاء دين الاسلام وحرمة الشهر الحرام
والمسجد الحرام ابتداء القتال من المسلمين لحرمتهما ثم ابيح عند وجود المقاتلة من الكفرة واشتغالهم بصد
المسلمين عن سبيل الله واخراجهم عن الاوطان فكانه قال قل قتال فيه كبير لو لم يكن من الكفرة صد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكفر بالله واخراج اهله لكن انا فعلوا ذلك لم يكن القتال فيه كبيرا بل ما اقدموا عليه من
القتال لاجل ايمان المؤمنين والصد عن سبيل الله اكبر فالمراد من الاخراج الاول عند الكوفي بالشرين ويسقط
الاداني ويحتمل السؤال عن القتال في الشهر لا غير وقوله والمسجد الحرام معطوف على قوله وصد عن سبيل
قوله والفتنة اكبر من القتل اي الكفر اكبر من القتل والصد عن سبيل الله المؤمنين لايمانهم كفر منهم لان
من قتل مؤمنا لايمانه يكفر قال الامام ثم الآية حجة على المعتزلة في مسئلة ان الكبيرة سوى الكفر لا توجب
التخليد لان الله تعالى ذكر القتل وجعل الكفر اكبر منه ولو اوجب القتل التخليد مثل الكفر لكان القتل مساويه
فلا يكون الكفر اكبر من القتل فدل ان القتل لا يوجب التخليد وهي حجة عليهم ايضا في مسئلة خلق الافعال
لانه قال والفتنة اكبر من القتل اي الكفر اكبر منه فصيره اكبر لا يخلو اكبره بالكفر اما ان يكون بذاته وبنفسه
او بالكافر او بالله تعالى لا جائز انه يقال ان اكبر الكفر وعظمه وقبحه بذاته لانه لو جاز ان يكون كبر الكفر من غير ان يشتم
جاز ان يكون وجوده بنفسه من غير ان يفعله احد فلو جاز هذا الجاز ان يوجد العالم بنفسه من غير فعل احد فيفضي
الى القول بانكار الصانع ولا يجوز ان يقال انه كبير بالكافر لان الكافرين الكفر يريد بالكفر ويستحسنه ويستقبح الزنا
والقتل فكيف يكون الكفر بصيرا كبيرا قبيحا بجعله اياه قبيحا وهو يعتقده حسنا ثم لم يعلم قبحه وهل يتصور
الجعل من الجاهل بدون علمه به واذا بطل هذا ان الوجهان دل ان الله هو الذي خلق قبح الكفر وكبره وفحشه
وذلك راجع الى عين الكفر فدل ان الله تعالى هو الخالق للكفر قبيحا وبالله العصمة وقوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ● ولكن لا يستطيعون فيه اياس الكفرة عن ردهم لانه الى دينكم ولكن لولاه
لردوكم الى دينهم وامن الحولاء عن الرجوع الى دينهم اخبر عما ودوا ان استطاعوا لكن الله تعالى بما اكرمهم وبشرهم
من النصر والظفر الذين لا يستطيعون على ذلك وهو كقوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم قال الشيخ ثم الآية
دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرانهم يفعلون كذا فكان كما قال فدل انه انما عرف بالله تعالى وقوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر قال الشيخ علق الشافعي بظاهر الآية حبط العمل متعلق بالكفر والموت على الكفر

فكان القول بالحبط بنفس الكفر خلاف النص ونحن نقول ان الحبط يكون بالكفر دون الموت بدليل قوله تعالى في آية
اخرى لئن اشركت ليحبطن عملك ولان الكفر بنفسه يصلح سبب الحبط لان الموت يكون بمحض تخليق الله تعالى
ولا صنع للعبد فيه وبطلان العمل وحبطه جزاء الجناية والعمل السيء فدل انه لا يجوز ان يتعلق بما لا اثر له فيه ويجب
لحالته الى ما له اثر ولكن ذكر الموت لان الحبط انما يظهر عند الموت فانه ما لم يمت تربى له المنفعة بحسناته
التي تقدمت منه فبطلت بالردة لانه اذا كفر جحد تلك الحسنات وابطلها في معنى انما عرف بشبهة على انه على الباطل
او معاند فالكفر وكذب مع العلم بحقيته فقد ندم على ذلك فيبطل حسناته ثم اذا اسلم بعد ذلك ندم على جعله ذلك
باطلا وتاب عن ذلك فيرجع بطلانه عن ما بشبهة بهذه الحسنة وهو كالندم والتوبة كما قال ان الحسنات يذهبن
السيئات وكما قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فاذا احتمل هذا ما دام حيا لم ينقطع ذلك الا بالموت
فلهذا ذكر الموت لان الحبط تعلق وجوده على وجود الموت والله اعلم ثم معنى حبط اعماله في الدنيا والآخرة قيل
اما في الدنيا فذهاب التعظيم والاجلال والثناء الحسن الذي يستوجب الخير والذي عند الناس فاذا ارتد
عن الاسلام حبط ذلك كله وصار هو على اعين الناس احقر من الكلب والخنزير ولهذا سقطت عصمته وحرمته
وتقومه والكلب يحرم قتله من غير وجود الانيا وانما حبطها في الآخرة فذهاب ثواب اعماله فكل ما يستوجب المرء
من الثواب ان يستوجب بما ياتي من الاعمال ويحصرها عند الله تعالى لا بالعمل بنفسه الا ترى الى قوله من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها اشترط المجيء بها وقوله ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات دل ان الثواب انما يستوجبه بالحصار ره
عند الله تعالى واسانه لا بالعمل بنفسه وقوله تعالى ان الذين آمنوا ● قال الامام تضمن قوله آمنوا الايمان بالله وبجميع
الرسل والكتب لان الايمان بالله لا يصح الا بالايمان بجميع ما جاءت به الرسل من الرسالات وغيرها وقوله تعالى والذين هاجروا
فيه وجهان احدهما الهجرة التي كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فهو كقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد
في الارض مراغما كثيرا وسعة ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد فتح مكة والوجه الثاني هجرة
الآثام والاجرام وهذا من الهجرة لا يرتفع ابدا الى آخر هذا النوع من الهجرة قال قال الحسن قوله ومن يهاجر في سبيل الله
اي يعادي لمن كفر بالله ويقطع عنه وقال ابو بكر الكاتب اي يهجر قومه وداره ويخرج لله تعالى وقوله تعالى وجاهدوا
في سبيل الله ● قال الشيخ المجاهدة على وجوه مجاهدة العدو ومجاهدة هوى النفس وقوله تعالى اولئك يرجون رحمة الله
قال الجنيد لانه الذي يحق له الرجاء اذا وجد منه العمل بما ذكر الله تعالى وقوله رحمة الله يحتمل الجنة ويحتمل المغفرة وقوله
والله غفور رحيم ● لما كان منهم التقصير في المجاهدة والمهاجرة وقوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر
قال لم يبين عن اي امرهما كان السؤال لانه امكن استخراج معرفة ذلك الجواب وهو قوله قل فيهما اثم كبير ● كان
السؤال وقع عن شرب الخمر وفعل القمار وما فيهما من الحكم فقال فيهما اثم كبير ومنافع للناس وهذا كقوله
يسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير كان السؤال وقع عما يعمل الولي في امورهم من المخالطة وانواع التصرف
ذلك بذكر الجواب بقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين ثم قال بعضهم بان الآية تدل على حرمة
الخمر والقمار بقوله فيهما اثم كبير لان الاثم محرم فصار معنى قوله فيهما اي في شرب الخمر والعمل بالميسر اثم كبير ثم هو حرام
وفيهما منافع كبيرة قبل الحرمة واثمهما بعد الحرمة اكبر من نفعهما قبل الحرمة وقال اكثر السلف ان الحرمة فيهما لم
تثبت بهذه الآية ولكن بقوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ثم بالاجتناب
عنهما على الاطلاق فيستوي فيه القليل والكثير فاما قوله تعالى فيهما اثم كبير معناه ان شرب الخمر وفعل القمار
نقصان الى ما يكون فيه اثم كبير وهو السكر في الخمر والمنازعة في القمار واخذ مال الغير بغير حق كما ذكر في قوله
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وقوله تعالى
ومنافع للناس ● المنافع المذكورة على هذا التأويل حالة الحرمة وهي ما فيهما من اللذة والقوة في البدن وما فيها من الربح
في التجارة بها وهي سبب البذل والضيافة والميسر فيه البعض ما يحصل لهم من التسهيم بغير شيء او بثمن قليل وما فيه
التصدق على الفقراء فانه قيل ان نفرا اذا ارادوا القمار كانوا يشترون الجزور نسيئة فيجعلونه اجزاء ويقطعونه سهاما
وكانت سهامهم ولها اسام معروفة كالمعلى والرقيب والسبح فيأخذ كل واحد منهم سهما ثم يقرعون بها وكان
مواضع السهم منها يلزمه حكم ذلك السهم وكان لكل سهم عندهم حكم على حدة بان يكون له كذا من الجزور ثم يفرقون
ذلك على الفقراء فهذا النفع وقيل انهم كانوا يشترون الجزور ويجعلون لكل رجل منهم سهما من عشرة ثم
لكل من خرج سهمه يغرم لزوم الثمن ابدا حتى يبقى آخرهم فيكون الثمن كله عليه ولا شيء من الجزور فتقسم الجزور بينهم
بينهم فيكون فيه نفع لبعض وخسران لبعض قال الشيخ ان الحق تعالى بما ان قد رجح منهما الاثم على النفع لان الانتفاع
بهما وتغذيه على الاقدام الى فعلهما فقد بين ما في ذلك من المنفعة في سورة المائدة ومخالفات لا ناركه
فان في الميسر الخطر والجهالة ومخالفات الآثار فيكون امثالها ذلك حكم لو لم يرد فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم

نحو صفو العزيز والخطر ونحو ذلك وكذلك جاءت في الخمر آثار كثيرة على ان الخمر مما لا تتخذ للمنافع وانما تتخذ للهو
واللعب والطرب وكل ذلك مما ينافيه قال عليه السلام ما انا من دد ولا الدد مني والدد هو اللعب وكذلك القمار من نوع
المنع ما في الخمر من ذهاب العقل الذي يتحول به الانسان عن البشر فيلحق بمن لا يعقل ولو كانت حلالا لا تكلف وقد
ظهرت الحرمة ثم كانوا يفعلونها الى حرمتها اذا سكرهم الخطاب القرآن بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر الآية ثم من حرمة القليل منها بالنص على اسم الخمر فلا يمكن الحاق القليل من غير الخمر بها لا
الاسم والحق انه كثير من كل شراب يعمل ذلك العمل بالكثير من الخمر لاستوائهما في المعنى ما كانت الخمر لا تتخذ في المتعارف
الا للهو والطرب ولا تستعمل شربها الا المعروفون بالفسق فيكون حرمة الخمر لعينها لما يقصد بها من العواقب فكان
اللهو والعبث والطرب فيها باعتبار عاقبتها لا في نفس الشرب فيها فكان الخمر منها اخص لما انما تعلق بها من عاقبة الرحمة
ولا كذلك غيرهم يقصد باتخاذه ذلك بحيث بها او لا اطلاقا المثلث لا يقصد باتخاذه اللهو والطرب وانما يتخذ لتقوية
البدن واستمراء الطعام ونحوه ولهذا لا تستعمل شربه الفسقة فلم يكن محرم العين وانما الحرام منه الاسكار والمسكر
منه وقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اي الفضل عن القوت وقيل ان اهل الزرع كانوا يتصدقون
بما يفضل عن قوت السنة واهل الغلة ما يفضل عن الشهر واهل الحرف ما يفضل عن الشهر واهل الحرف ما يفضل عن
قوت يوم ثم نسخ ذلك بما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الزكاة نسخت كل صدقة كانت
وصوم شهر رمضان نسخ كل صوم كان والاضحية نسخت كل دم كان وعن ابن عباس قال كان هذا قبل ان تفرض
الصدقة قال ثم الدليل على النسخ ظهور اموال كثيرة لاهلها في الصحابة لم يخرجوها من املاكهم ولا تصدقوا
بها ولم نطق بامثالهم ترك الواجب مع انه لم ينكر عليهم ويحتمل ان كان المراد من النص الاستحباب دون الوجوب
وعلى هذا الوجه الحكم قائم غير منسوخ وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة قيل اما التفكر في الدنيا فيعلمون انها دار بلاء وفناء اما في الآخرة فيعلمون انها دار جزاء وبقاء
فيتوسلوا بالفانية من الآخرة فيعلمون انها دار جزاء وبقاء فيتوسلوا بالفانية منهما الى الباقية وذلك بالاعمال
في الخيرات وقال الحسن اي والله من تفكر فيهما ليعلم ان الدنيا دار بلاء وان الآخرة دار بقاء وعن ابن عباس لعلكم
تتفكرون في الدنيا والآخرة حتى يتفكروا في زوال الدنيا وفنائها وفي اقبال الآخرة وبقائها فيعلم المتفكر
ان الدنيا انما جعلت ليتزود منها للآخرة فيصرف سعيه وجهده في تعديمها لفكان دقيقه واعتبارها وفي الآخرة الا
جوازها باحسن البيان لانه امر بالتفكر والتدبر ليحصل لهم عند التفكر الوصول الى المراد في الخطاب وقوله تعالى ويسألونك
عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال الشيخ كان في الشرع المطهر لم يبين فيه حكم ولضماده كان قال
ويسألونك عن مخالطة اليتامى وانما صير لذكره مكانه في الخطاب حكاه وهو قوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم
فاخوانكم في الدين ولو كان السؤال كان على التصرف فيهم وفي اموالهم على طريق المصلحة وعن المخالطة معهم ولهذا
نظائر في القرآن كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة دل ما ذكر في الشيء على ان الاستفتاء كان عن الميراث
وكذلك قوله يستفتونك في النساء الى قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط دل قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط
ثم السؤال يحتمل ان يكون عن مخالطة الاموال ويحتمل ان يكون عن مخالطة الانفس فاذن لهم بمخالطة الاموال
والانفس جميعا بقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين وانما حملهم على سؤال المخالطة ما نزل
لما نزل قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية اشفق المسلمون من خلط اليتامى معهم فعزلوهم باموالهم
طعامهم وشرابهم وحذرهم فشق ذلك عليهم جميعا فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الآية ويسألونك عن اليتامى ثم في الآية دليل جواز المناهدة والمواكلات في الاسفار وغيرها حيث ابيح لهم
المخالطة باموال اليتامى كان دليلا جواز ذلك في مال الكبير لان مال الكبير يحتمل الاباحة والاذن من مال
الصغير لا وفيها دليل ان علة الربا ليست هي الاكل على ما قاله الشافعي ولكن هو الكيل والوزن لانه ابيح لهم المخالطة
في الماكول من المطعوم وكثره بغير كيل والوزن مع علمه بان الصغير لا يبلغ في الاستيفاء مبلغ الكبير بل يقصر عنه
فيحصل الزيادة فلو كانت علة الربا الاكل لكان لا يبيح ذلك لان الربا حرام فكيف يبيحهم فدل ان علته ليست هي
الاكل ولكنها هي الكيل والوزن مع الجنس حتى حرم الفضل وفيها دليل جواز بيع الثمرة بالتمرتين لخروجها عن الكيل
وفيها دليل على انه لا بأس بان يؤدب الرجل اليتيم اذا هو صلاح له بل ينبغي له ذلك فانه امر بالمخالطة في الاكل وغيره
لما في ذلك من الاعتياد بالسخاء والتوسع على الناس والتخلق بمحاسن الاخلاق التي ترغب في الناس بمخالطة
التخلق بالاخلاق الحسنة على ما روي عن النبي الذي يأكل وحده ويشرب وحده وكذلك ما امر الاولياء بان يأمروهم
بالصلوة تأديبا واعتيادا لفعل العبادة مروا صبيانكم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وكما امر بتعليم
القرآن والادب وقوله قل اصلاح لهم خير قال الشيخ اما بالتوكل لهم في اموالهم والنظر لهم بما يعقب نفعا مما فيه التخلق بالاخلاق

الحسنة

الحسنة وتعويدهم بعادات محمودة والانظار لهم بفعل الصلاح حسن بكل احد ولا وجه لتخصيصهم به فدل ان المراد هو
طلب النفع والنظر لهم وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم اي في الدين قال الشيخ ثم في الآية دليل على الصغير
يتبع والديه في الدين حتى سماه اخا بسبب الدين ودل ايضا على انه يصح الدين منه اذا عقل وان لم يكن بالغا
لان حقيقة الدين اسم لفعل يباشره المتدين باعتقاده وتصديقه وقوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح
اي والله يعلم طالب النفع والنظر لهم من طالب الاسراف والفساد في اموالهم فهذا وعيد وقوله تعالى ولو شاء الله
لاعنتكم قيل اي لضيق عليكم ولو يأذن لكم بالمخالطة معهم وقيل لاثمكم ولم يرخص لكم في المخالطة واصل
العنت الاثم لقوله عزيز عليه ما عنتم يعني اثمتم وقوله تعالى ان الله عزيز حكيم فيه وعيد وقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن تعلق الشافعي بهذه الآية على حرمة نكاح الامة الكتابية وقال ان الآية بعمومها تتناول
المشركات والكتابيات من غير فصل بين الحرائر والاماء ثم نسخت الكتابيات بالآية التي في سورة المائدة
وهي قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وكان النسخ بشرط الاحصان وهو الحرية فبقيت الاماء على الحرمة
على ان النص عام في جميع المشركات ثم خص من هذا النص الحرائر من الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب فبقيت الاماء بظاهر النص قال الشيخ والدليل على ان النص في جميع المشركات غير الكتابيات وجوه احدها
قوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا نهى الاولياء عن انكاح المسلمات للمشركين ولم يدخل تحت اسم المشركين الكتابي
وغيره حتى لا يجوز نكاح المسلمة الكتابي كما لا يجوز من الوثني والثاني قال اولئك يدعون الى النار علل الحرمة لانكاح من
المشركين بانهم يدعون الى النار والحكم متى تعلق بعلة يجب ان يثبت حيث ما وجدت العلة والثالث ان الكتابي
مشرك في الحقيقة لان المشرك من يشرك في الالهية وهم يقولون بان الله ولدا الا ترى الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به والكتابي ممن لا يغفر له وهذا قول لقوم من اهل التأويل وقال قوم من اهل التأويل بان الآية في غير الكتابيات من المشركات
وهو قول اصحابنا حتى قالوا ان الامة الكتابية محلل وذلك من وجوه احدها ان اهل الكتاب متميزون من الكفرة
وان كانوا في الشرك مجتمعين فان المتعارف في التسمية اي الشرك وفي اطلاق الاسم المشركون هم غير اهل الكتاب
قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم ومطلق الاسامي ينصرف الى المتعارف في الخطاب فكانت الآية في المشركات غير الكتابيات ولذلك
نقول في قوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ان الداخل تحته غير اهل الكتاب من الكفرة وانما الحرمة في تزويج
المسلمة من اهل الكتاب لا بهذه الآية ولكن بغيرها من الادلة التي قطعت ولاية الكفار على المسلمين وحرمت
السبيل لهم بقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الا ان ما منعنا ما ملك اهل الاسلام من الكفر
تحت ايديهم لا بهذه الآية وكذلك امر النكاح الذي فيه تملك المسلمة وابتداء الملك فوق بقاء الملك ولا يجوز
تبقيه ملك الكافر على المسلم فلان لا يثبت ملك النكاح ابتداء اولى والثاني ان كانت الكتابية داخلة تحت
ظاهر قوله ولا تنكحوا المشركات فان المراد بهذه الحرائر دون الاماء فان الاصل في جميع ما يجري به الذكر في حق
النكاح والطلاق والاحكام هو الاحرار والحرائر دون العبيد والاماء وكذلك نقول في قوله ولا تنكحوا
المشركين وانما عرف حكم الحرمة في الاماء والعبيد بالادلة العقلية مما دلت عليه احكام الشرع فكذلك هذا
والثالث انها وان كانت عامة في المشركات ودخلت الكتابيات تحتها بحكم ظاهر اللفظ لكنها صارت
مخصوصات من الآية بقوله اليوم احل لكم الطيبات الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والمراد
مطلق الكتابيات غير مفصول على الحرائر لان المحصنات تحتمل ان يريد بها العفائف واهل الصلاح والاماء قد
تستحق هذا الاسم لقوله محصنات غير مسافحات وقوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم استثنى
الاماء من جملة المحصنات لو كان المراد هي الحرائر لا يكون استثناء حقيقة لكن المراد ذوات الازواج دل ان الاماء
يجوز ان يدخلن تحت اسم المحصنات بمعنى العفة والصلاح فحملناه على هذا لان الاستثناء اذا كان من جملة الاولى
باسم اهل الكتاب واسم اهل الكتاب لا يوجب الفصل بين الاماء والحرائر ولا يحتمل دخول بعض من الذين دون
بعض فدل ان جميع الكتابيات صرن مستثناة من النص ولا تنكحوا المشركات والوجه الرابع مذكور هناك في موضعه
ثم جاز ان يخرج الآية على العموم ويراد به الخصوص وهو كثير في القرآن فان قيل ان آخر الآية وهو قوله ولا تنكحوا المشركين
عام في اهل الكتاب وغيرهم فكذا الاول قلنا جاز ان يخرج آية واحدة في حرفين يختلف موجبهما من الخصوص والعموم
فيكون صدر الآية خاصا وآخرها عاما وكذا على العكس قال الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان
يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه نهى عن التخلف عن النبي في الجهاد وعن ان يرغبوا بانفسهم عن
نفسه عليه السلام في الحفظ والصيانة ونحو ذلك بسبب الرغبة في انفسهم ثم التخلف قد يجوز لعذر في بعض الازمنة
في الاحوال فكان خاصا ولا يجوز الرغبة عنه بحال فكان عاما وقوله لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي

وعزيتهم بعمل ايجاب بتعظيم الرسل والايمان لهم على العموم واقامة الصلوة وايتاء الزكاة في حق البعض دون البعض
وكذلك هٰهنا قال الشيخ ثم ان كانت الآية مقامة في حق الكفرة لكن انما يقتضي تعلق الحكم لو ثبت ان النهي من حيث الصيغة
توجب الحرمة وليس كذلك بل الصيغة توجب الانتهاء وانما الحرمة تثبت بدليل آخر اذ لو كانت الحرمة من موجبات الصيغة
لما تصور وجود صيغة النهي متعرية عن الحرمة وكثير من المناهي لا حرمة فيها وقد ثبت بالاجماع ان النهي من الحرم في حق
غير الكتابيات ولا دليل في حق الامة الكتابية ولا تثبت الحرمة بنفس الصيغة وفي حرمة المسلمات جميع الكفرة قامت
ادلة اخر من السمع والعقل لا انها تثبت بنفس الصيغة ثم بيان حرمة المسلمات في حق اصناف الكفرة بقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا من وجوه احدها ان شاء الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن الآية فلو لا ان نكاح الكافر قد انتسخ لم يبح نكاحها لغير الازواج وقال والمحصنات من النساء
الا ما ملكت ايمانكم اباح الاستمتاع بذوات الازواج اذا سبين دل على انتساخ نكاح الاول لا عن الحرمة بالاسلام
قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر ذكر بلفظ النساء فنهى الرجل عن التمسك بعصمتهن واسم الشرك خاص لفريق من الكفرة
باطلاق اهل اللسان وتعاد فهو اسم للجميع على ما قال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وعرف الشرع يطلق باسم الكفر
وفرق باسمائها المذاهب وجعل اسم الشرك في الفريق فتعلقت هذه الآية على الحرمة بل على ما قلنا في هذه الآية قوله
يدعون الى النار اشار الى ان نكاح الكافر المسلمة سبب للقاء الى النار لما يوجب النار وهو الكفر فما يوجب
النار حرام فما يفضي اليه وتحريم المسلمة على الكافر فرض ابد لانه هذا النص لان المعنى الاحكام والذين
يدعون الا النار والنساء يتبعهم في ذلك في رجال اهل الكتاب وغيرهم سواء فتكون الحرمة فيه سواء على ان هذه
الآية محمولة على التحريم باتفاق لانه وان احتمل ما هو بهذا المخرج على صيغة التحريم فاما في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن يحتاج المخالف الى الدليل على ان المراد به التحريم حتى يصح التعلق به في موضع النزاع ثم الدلائل الى توجب
حرمة المشركات حتى لا يدل على حرمة الكتابيات بل يستحق منها فيبقى العمل بموجب الصيغة هي يدل على الحرمة ثم
بيان ان النهي يقتضي حرمة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن من وجوه انه لا يخلو في الحقيقة من حرمة الاستمتاع
لان منه اهل الاسلام عن نكاح المشركات لان التناكح من ابلغ اسباب دعوتهن الى الاسلام اذ هن يتبعن الرجال في الامة
عادة خاصة في المشركات اذ شاءت من اخذ الدين عن الآباء بالتقليد ومعلوم اشارة من رضوا الازواج على دعوة الآباء
بما جعل الله تعالى بينهم مودة ورحمة والكتابيات اخذت دينهن بما اخذن به دين الرسول ولا رغبة لهن الى التمسك
بها فاذا منهي عن النكاح المشركات وابيح نكاح الكتابيات ثبت ان ذلك لخبثهن وقد حرم الله تعالى الخبائث بقوله
الخبيثات للخبيثين ولما اباح الكتابيات الحرائر دل ذلك على تفريق هوية الشرك الخبث وفي ذلك يستوي حال الرق
والحرية ثم ان الله تعالى اخبر انه حرم الخبائث بقوله ويحرم عليهم الخبائث بعد ما احل الطيبات فلولا انهما حرم خبثا يحتمل
الوقف فيه فلما احل طيبا سوى الحرمة والحل تصار التحريم والتحليل هو لاعتركا نه قال ويحرم عليهم الخبائث
واحل لكم الطيبات ولا نطهرها لبيان والكافر باضداد معاني المؤمن والضميم العمى لما في كل ذلك بعض يتصل
لان انها هت بلا حقيقته تسمى بها تسميه ما تحرم فيه الوصف الخبيث والخبيثة لزادة معنى وتراد وصف الحرية
ثم بيان ذلك الخبث يكون من وجهين احدهما من حيث الاحوال والثاني من حيث الذات اما من حيث الاحوال فان يكون
ما ينطق به من الفساد فيكون في بعض الاحوال واما من حيث الافعال فهي انه يتعلق بعاقبته من الفساد فيكون لازما
فيكون الخبث والحرمة وصفا لذلك المحرم سواء كان المحرم عينا كالخمر والميتة وحرمات النكاح او فعلا كالكفر
فاذا الفعل يسمى خبيثا لما يعاقبه من العذاب المؤلم وما فيه من القبائح وهو نسبة الخالق الى ما لا يليق به وكذلك حرم
الخمر والميسر لما تعلق بهما من الفعل الخبيث نحو الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وسبب المشاجرة والمنازعة وفي
نحو ان يكون تحريم تزويج المسلمة على المشركين بخبث الفعل وهو وقوع المرأة في الكفر اذ هن يتبعن الرجال في الامة
وينقلن لطرف الدين فيكون التحريم لهذا الخوف وكذا حرمات النكاح كحرمة العدد الكثير بقوله فان خفتم الا تعدلوا
في الحرة تنسخ عن الخمس واكثر الخوف بوقوع الجور الذي هو فعل خبيث وكذا حرمة النكاح المحارم لما فيه من تحريم في
النكاح بين الزوجين ثم الحمل على تضييع الحقوق مما يمنع من القيام بحق الرحم وصلته وكذلك حرمة نكاح محارم المرأة وكذا
نكاح الامة على الحرة فهو من ذلك لحيث فعل الجور واما النهي على طريق الادب لما يلحق الولد من الطعن والتعيير
لا ان يلحقه وصف يكون سببا لما ثم في حق الاخرى فيكون النهي نهي تحريم بل كان على الارشاد على ذلك لم نكاح
الامة ولان المشركة اثر تفعل البهيمة في الدين على فعل البشري والكتابية اثر تفعل البشري وهو ما يدعو اليه
العقل لا الطبائع لانهن يرجعن في الاخبار الى الايمان بالرسل لكنها لم تميز الاخبار عما اعتقد في رسالته على طريق
التلبيس لهم لهو اعن الايمان بمن يدعوهن اليه وهو رسولنا صلى الله عليه وسلم فاعتقدن على ذلك فتحمل الفساد في
خبرهم لا على ما في العقل من اتباع الرسل عليه فاما المشركة فلم تحز ذلك الحجة انما كان يوجد الابد على ذلك من غير ان ينتهى

ذلك الخبر اليهن في العقل اتباع غيرهم على ما يحكم الخبث لاختيارها واتباعها فعل البهيمي وهو تقليد الآباء من غير
دليل على اثبات فضل الشرع فالحقن بالبهائم في حق الحرمة وخرجن عن اهلية الحل الذي هو من كرامات الآدمي وعلى
ما قلنا من وجوه استوت الامة والحرة فان قالوا تخصيص المحصنات من اهل الكتاب بالاحلال بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب دليل على حرمة نكاح الاماء ولو كان الحكم ثابتا على الاطلاق لا يكون في التخصيص فائدة قلنا ان التخصيص
على الشيء بالذكر لا يدل على التخصيص بالحكم من وجوه احدها انه ذكر الحل في حال لا يدل على الحرمة في غيرها اعني ان اثبات
وصف الحل للكتابية في حال كونها محصنة لا يدل على الحرمة في غير حالة الاحصان وهي حالة الرق الا ترى ان قوله تعالى محصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن ثم بين تحليل الاعداد بقوله محصنين فجملة الاول يفيد ما قلنا
انه معطوف على قوله والمحصنات من المؤمنات ثم تخصيص المؤمنات بالاحصان وهو الحرية لا يكون دليلا على تحريم الامة
من المؤمنات فكذلك هذا في الكتابيات فان قيل هذا النص بمفهومه يدل على تحريم الاماء من المؤمنات ايضا عملا بتخصيص
المؤمنات بالاحصان واثبات اباحة نكاح الامة المؤمنة بنص آخر وهو قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات فصار مفهوم هذا النص منسوخا بهذا قيل له لم يقل احد من اهل
التفسير ان هذه الآية نسخت تلك الآية في حق تحريم الاماء من المؤمنات فدل ان تخصيص المؤمنات بالاحصان لا يدل
تحريم الاماء فكذلك المعطوف على الدليل على ما قلنا انه لو كان تخصيص المؤمنات بالاحصان يدل على تحريم
غير المحصنات لكان قوله ولا تنكحوا المشركات وهو اسم لغير الكتابيات دليلا على الاحلال في غير المشركات فتكون
الحرمة في نوع دليل الحل في نوع آخر مثل ذكر الحل في نوع دليل الحرمة في نوع آخر على زعمكم فيؤدي ذلك الى تناقض
ادلة الشرع وادلة الشرع لا تتناقض فما يفضي اليه يكون فاسدا ولانا لا نتعرض على اثبات الحكم في نوع دليل على نفيه
في غيره لكان يجب ان يكون حكم ما لم يرد فيه النص مخالفا لما ورد فيه النص ولو كان كذلك لبطل القياس لان القياس
انما يصح لان النص دليل الحكم فيما لا نص فيه بالمعنى الذي هو فيه واذا كان هذا النص بعينه يوجب نفي ذلك
الحكم عنه امتنع القياس لانه يكون اثبات القياس في موضع فيه نص بخلافه وذلك باطل على ان المحصنات يحتمل
ان يراد بها العفائف والاماء اخلاف بحسب هذه الاشم ويحتمل الحرائر ايضا لم يثبت لكم بالدليل ان المراد بها الحرائر
لا يصح التعليق بالآية في طريق المفهوم قال الشيخ ودل قوله ولا تنكحوا حتى يؤمنوا على ان الايمان كان معلوما
عند اولئك المخاطبين فانه نهاهم عن النكاح والانكاح حتى يكون الايمان موجودا وذلك ان الايمان معروف عندهم
يعلمون حقيقته ووجوده وهو التصديق والاقرار والتصديق فيبطل به قول من جعل الاعمال من الايمان فلا يكون
هذا الشرط الموضوع للحل معلوما وتعلق الشافعي بقوله ولا تنكحوا المشركين على ان ولاية الانكاح الى الاولياء
بحيث خاطب الاولياء بالنهي عن الانكاح وكذا خاطبهم بالامر ايضا وانكحوا الايامى فدل ان الولي شرط في جواز
النكاح قال الشيخ يجوز ان الله خاطب الاولياء بالنهي عن الانكاح والامر بالانكاح لان المتعارف فيما بين الناس
ان لا يتولى النساء النكاح بانفسهن بل الاولياء هم الذين يتولون النكاح عليهن بامرهن وقد رضاهن انتقال في الآية
والصالحين من عبادكم وامائكم لم يكن الصلاح شرطا في الجواز ولكن خرج على وفاق العرف ان الموالي انما يقدمون على انكاح
الصالحين من العبيد والاماء وهذا كقوله تعالى فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وقد ذلك فشرط جواز الكتابة ولكن
خرج على ما عليه العرف في كتابة الموالي العبيد اذا وجدوا فيهم خيرا فهذا مثله والجواب الثاني يحتمل ان يكون ذلك
الخطاب في الصغار خاصة نهى الاولياء عن تزويج الصغار من المسلمين المشركات من غير الكتابيات ومع الاحتمال
لم يكن لمخالفنا الاحتجاج وقلنا في الابطال ان نكاح المرأة نفسها دون وليها فلو ان في الآية ان الحق لهن عليهم في التزويج
اذا اردن وطلبن من الاولياء فهو اعون ذلك ليعلم ان الاحق يحيط في ذلك واذا كان كذلك فلا يصح الاستدلال
به فليكونا الولي شرطا جواز النكاح فذلك وقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم وكذى وقوله
ولامة مؤمنة خير من مشركة وكذى قوله يحتمل قوله في الحقوق الدنيا قال الامام اضاف الله تعالى الفعل في هذه
النصوص الى الاحسام والى الاوثان والاصنام في ذلك وكان هذا دليلا على ان الاضافة قد تدل على وجوه الصنع
وقد يكون بغير فبطل استدلال المعتزلة باضافة التزيين وغيره الى الشيطان على انه هو الفاعل والموجب بل يجوز ان
يضاف اليه على جهة والى الله تعالى خلقا والى الشيطان عرضا وتزيينا والله الموفق وقوله تعالى اولئك يدعون الى النار
فيه وجهان يحتمل الخبر عما يدعو بعضهم بعضا الى عبادة غير الله وذلك يدعو الى النار كقوله انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير لان الفعل الذي يدعو اليه يفضي الى النار فكانهم يدعون اليها وذلك تسمية الجزاء باسم العمل
والعمل باسم الجزاء ويحتمل يدعون الى التناكح والتشاكل والاتباع في عبادة الله وعبادة الرسول والاولياء وقوله تعالى
والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه الآية قال الامام اي يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه الآية قال الامام ويدعو الى
النكاح للتعفف عن الاستكثار والاتباع لنفس دينه ومتابعة رسله لينال ابدا برحمته ومغفرته وقوله ويسئلونك

عن الحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض * قال الشيخ رحمه الله تعالى كيفية سؤالهم عن الحيض انه عن قربان النساء في حالة الحيض او عن موضع الحيض لان في الجواب دليلا على كون السؤال عنهما بقوله في المحيض او عن موضع الحيض فانه قال في الجواب قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض والعرب تفعل كذلك بما تبين المراد في السؤال وربما تترك اذا كان ذلك مما يفهم من الجواب اختيارا منهم للاختصار ثم قوله فاعتزلوا النساء في المحيض يحتمل ان يكون الامر بالاعتزال عن الابدان والاشخاص لا بالاتفاق اذ باجماعهم له مسها باليد وتقبيلها وغير ذلك الا انهم اختلفوا في موضع الاستمتاع قال ابو حنيفة وابو يوسف يستمتع بها ما فوق السرة مع الازار تحتها الى الركبة ويجتنب غير ذلك وتكون المرأة مع الازار وقال محمد يجتنب شعار الدم ويمتنع عن مجامعتها الا ان له ان يستمتع بها ما دون السرة بغير ازار احتجاجا بما روي عن عائشة انها سئلت عما يحل للرجل من امرأته الحائض قال يتقي شعار الدم وله ما سوى ذلك فدل ان النهي لمكان الدم فيمتنع عن الموضع الذي فيه الدم وهو الفرج والآية دليل عليه فانه قال ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فدل ان المحرم موضع الاذى وانما احتجاجهما بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لها ما تحت السرة وله ما فوقها وكذا ما روي ان ازواج الرسول عليه السلام كن اذا حضن امرهن ان يتزرن ثم يضاجعن ولان قربان موضع الاذى حرام فيحتمل ان يحرم وينهى عن قربان هذه الاعضاء من نحو الفخذ وغيره لاتصالها بالموضع الذي فيه الاذى تبعا له لا انه انما اقرب من وقت الاذى وهو بعد انقطاع الدم قبل ان يغتسل اذا كان ايامها دون العشرة يجوز ان يتبع وقت الاذى في حكمه وان لم يكن في وقت الاذى حقيقة فلما جاز ان يتبع غير وقت الاذى بالقرب يجوز ان يتبع غير محل الاذى محل الاذى بالقرب والاتصال احتياطا واخذا بالثقة في باب الفرج والحاق التبع بالمتبوع في موضع الاحتياط الا ان محمدا يقول انما نهي عن قربان ذلك الموضع لاجل الاذى كما نص الله تعالى فالاذى غير مجاوز فلا يحرم وحيث لا اذى ويحتمل ان يكون المراد في الازار وهو في موضع الجماع بان تربط على ذلك الموضع خرقة وبه نقول * وقوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن * تعلق بعضهم بهذا على ان الحائض اذا انقطع دمها لا يحل للزوج قربانها حتى تغتسل لانه يعني قوله يطهرن اي يغتسلن وسواء عندهم كانت ايامها عشرا او ما دونها لانه ليس في الآية فصل بين ما ذكرنا وبه مجاهد قال الامام ولكنا نقول اذا كانت ايامها دون العشرة لا يقربها حتى تغتسل او يمضي وقت صلوة كامل وان كان ايامها العشرة فكما انقطع الدم قاربها وتحل التحريم وكذا في الصلوة فلم اختلف فيه تجب عليها الصلوة ويحل للزوج قربانها والحجة لهم في الآيتين لوجهين احدهما ان الآية قرئت بالتشديد والتخفيف فمن قرأ بالتخفيف فالمراد هو انقطاع الدم ومن قرأها بالتشديد فالمراد هو الاغتسال والآية متى قرئت بقرائتين جعلت بمنزلة آيتين فيجب العمل بهما ما امكن وامكن التوفيق بحمل التخفيف فيما اذا كانت ايامها عشرا كما ينقطع دمها يجب عليها الصلوة اذا تمكنت من التحريمة في ظاهر الرواية عند اصحابنا الثلثة خلافا لزفر فيعمل بقراءة التشديد فيما اذا كانت ايامها دون العشرة فلا يحكم بطهارتها ولا يحل للزوج قربانها ما لم تغتسل عملا بالقرائتين بقدر الامكان والثاني ان الآية محمولة على ما دون العشرة من المدة لان الغالب ان الحيض لا يمتد الى اكثر مدة الحيض ولا ينقص عن الاقل بل يكون فيما بين الوقتين الا ترى الى ما روي عنه عليه السلام انه قال في صفة النساء انهن ناقصات عقل ودين ما نقصان دينهن فان احداهن تحيض في الشهر ستا وسبعا تمكث لا تصلي فوصفهن جملة بنقصان الدين ثم فسر النقصان بما ذكر دل ان ذلك هو الغالب في جملتهن والخطاب ينصرف الى ما هو الغالب فدل ان المراد من الآية من حيث غالب الكل هو الذي قربانها اذا كانت ايامها من دون العشرة وبه نقول على القرائتين جميعا اما على قراءة التشديد فظاهر الآية وكذا منذ الاغتسال واما على التخفيف ان كان يراد به انقطاع الدم لكن اذا كانت ايامها دون العشرة فلا يعرف الانقطاع بيقين بل يحتمل العود لان الحيض لا يدوم في كل حال بل ينقطع مرة ويدر اخرى وقد قام الصحابة رضي الله تعالى عنهم الاغتسال او ما يقوم مقامه مقام الانقطاع فان الشعبي ذكر بثلثة عشر نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ان المرأة اذا كانت ايامها دون العشرة لا يحل لزوجها ان يقربها حتى تغتسل بعض ما ذكرنا ان الله تعالى اخبر في ابتداء الآية ان الحيض اذى بقوله ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ولم يؤمر بالاعتزال الا الحيض وهو بعد الانقطاع قبل الاغتسال طاهر حقيقة لانه قد قام الدليل عندنا على انه لا يزيد الحيض على العشرة فلم يكن الحيض المطهر الذي هو ضد الاذى حقيقة حكم حقيقة الاذى في العشرة واما فيما دون العشرة فلا يكون اعتبار الانقطاع لمكان احتمال العود فلا يكون الحكم بالانقطاع مع احتمال العود وعند جانب الانقطاع بالاجماع من الصحابة وهم انما اجمعوا بعد الاغتسال ومضي وقت يقوم مقام الاغتسال وهو وقت صلاة كاملة فلهذا افترقا ثم الحكم مذكور هنالك في الاصل قال ثم الآية دليل على حرمة اتيان النساء في ادبارهن لانه قال فاعتزلوا النساء في المحيض ثم عين القربان في موضع الحيض [illegible]

هناك

هناك موضعان في المقصود وعلى ذلك جاءت الآثار انها سميت اللوطية الصغرى وروي انه نهى عن اتيان النساء في محاشهن يعني في الادبار وفي بعض الاخبار اتيان النساء في ادبارهن كفر ثم قال الامام والاصل في ذلك ان الحل في الدنيا لم يوضع لقضاء الشهوات ولا كانت الدنيا خلقت لها وانما لقضاء الشهوات تحصيلها الجنة فاما الدنيا فانما جعلت لقضاء الحاجات اذ بها يكون بقاء النسل والابدان ودوام الحياة الى انقضاء الاعمار وركبت فيهم الشهوات ليبعثهم على قضاء تلك الحاجات اذ لولا الشهوات لكان كل امر من ذلك يكون على الطبع كالادوية الكريهة والمخالف الشديدة فخلق الله تعالى فيهم الشهوات ليدفع ما به جرى تدبيره في امرهما ولا تعلق للحاجات باتيان الادبار فلو احلت لكان الحل لحق الشهوة خاصة والدنيا لم تخلق لها فلذلك لم يثبت الحل وكان بشر والثلجي وغيرهما يحرم الادبار وان الله تعالى ما حرم المحيض الا لما هو اذى بقوله ويسألونك عن المحيض قل هو اذى لما انه اذى الموضع يتقذر ويتنجس بنجاسة الحيض وقت الخروج منه فالدبر الذي هو مجرى النجاسة بكل حال والذي يخرج منه اوحش واخبث من دم الحيض وهو قائم في كل الاوقات كقيام الحيض في وقته فالحرمة لذلك يجب ان تكون اشد * وقوله تعالى فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله * فيه وجوه قيل معناه من حيث امركم الله اعلاه ان تأتوهن وهن طاهرات ولا معتكفات ولا صائمات ولكن في الوقت الذي امركم الله اي في غير هذه الاحوال ويحتمل لا تأتوهن حيضا ولكن فأتوهن طاهرات ويحتمل فأتوهن في الموضع الذي ابيح الله تعالى لكم اتيانها وهو محل الحبل ولا تأتوهن في ادبارهن قال الشيخ وهذا التأويل اشبه لانه ذكر حيث يعبر عن المكان اي فأتوهن في المكان الذي امركم الله تعالى ان تبتغوا الولد باتيانه بقوله وابتغوا ما كتب الله لكم * وقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * قيل التوابين اي النادمين على الذنوب والراجعين الى الله تعالى والمتطهرين اي من الاحداث والحيض وقيل المتطهرين انفسهم بالتكفير والتواب هو الراجع عما ارتكبه والتارك للعود الى ذلك غير مصر على الذنب ويحتمل التواب الذي لا يرتكب الذنب وهو في كل حال راجع الى الله تعالى * وقوله تعالى نساؤكم حرث لكم * اي مزرع لكم وفي الآية النهي والمنع عن الاختيار للشيء والامتناع عن قربانهن لانه يسمي الزوجة اي مزرعا وكل مزرع اذا ترك سدى يضيع ويخرب وفي الآية دليل ان اباحة وطء النساء لطلب النسل والولد لا لقضاء الشهوة لانه سمى ذلك الحرث والحرث انما يحرث ويتخذ لمنفعة البذر وهو الولد وفي الآية دليل على ان الاتيان في غير موضع الحرث محرم منهي وان الاصل ان الشهوات تجعل له لما بها امكان قضاء الحاجات التي بعضها يجري تدبير العالم ويكون دوام النسل وبقاء الابدان والحاجة لا تحتمل الوقوع في الادبار لذلك لم يحل فيها والله الموفق * وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم * يعني على اي جهة شئتم بعد ان يكون ذلك في المزرع وفي الآية دليل على ان الدابر لا يعتزل منها او ترك الوطء اذا انت بنكاح لو ذكرنا ان الامر بالوطء ان تطلب النسل لا لقضاء الشهوة حتى يمنع الانزال لاتباع عن ذلك الا باستحقاقها باسم الله تعالى وتصلية فيشبه بمن حرم على نفسه ما احل الله فيكون مكروها واذا كان كذلك فالولد مشترك بينهما لاشتراكهما في الزوجية وفي الولد يلحقهما انواع من المشقة بسبب الولادة والتربية فينبغي ان لا يحتمل منقطع تربية الولد على الزوج المؤنة من الانفاق والكسوة فلما لم يحتمل لها الكل انبغى الانفاق منهما على ذلك حتى ينجح الزرع [illegible] اذ بناها لانه هو وجوه الانفاق بشهوتها واستطاعتها فاما الاعتزال عن الاماء في ملك اليمين فانه لا بأس به لانه لا يطلب النسل من الاماء في المتعارف لذلك لم يكره ولانه في التعليل اما اذا ملكهم والرجل ان لا يتلف ملكه لذلك افترقا فافهم * وقوله تعالى وقدموا لانفسكم * قيل فيه بوجهين قيل وقدموا العمل الصالح يجزون على ذلك وقيل وقدموا لانفسكم من الولد يحفظونه فهذا الزرع ما يجب يكون من الولد الصالح يدعو لك بالخير ويبقى الناس بالخيرات بسبب صلاحه واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه اي فقدمتم من العمل الصالح يجزون عليه كقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ويحتمل قوله انكم ملاقوه اي ملاقوا وعده ووعيده * وقوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم فالعرضة الحيلة تقول اي لا تجعلوا ذكر اسم الله تعالى وحلف اليمين علة ومانعا من ان تبروا وتصنعوا المعروف تتقوا من المعاصي وان تصلحوا بين الناس اذا حلفتم على هذه الامور اي لا تجعلوا ذكر الله وهو اليمين في منع البر والاحسان عن الناس والامتناع من التقوى عن المعاصي والصلح فيما بين الناس ولا يمنعكم اليمين عن ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وقيل كان الرجل يحلف ان لا يصنع المعروف ولا يبر ولا يصل القرابة ولا يصلح بين الناس فاذا امر بذلك يقول اني حلفت على ذلك فنهوا عن ان يجعل اسم الله موجبا اليمين على امر هو معصية من منع صلة القرابة والبر والاحسان في حق الاقارب والمنع عن الصلح بين الناس فاذا امر بذلك يقول اني حلفت على ذلك فهو لغو لان اسم الله على موجب اليمين اذا كانت اليمين على امر هو معصية من منع صلة القرابة والبر والاحسان في حق الاقارب والمنع عن الصلح بين الناس وامروا بالحنث في اليمين اذ الاصلاح بين الناس وصلة القرابة خير لكم من الوفاء باليمين في معصية الله تعالى

وعلى ذلك جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر يمينه وقيل هذا نهي عن الحلف على المعاصي اي لا تحلفوا ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين معنى قوله ولا تجعلوا الله عرضة اي لا تجعلوا ذكر اسم الله وهو اليمين مانعا لكم عما هو البر والتقوى والصلح بين الناس يقال عرضة لكذا اي مستعد له اي لا تحلفوا ان لا تبروا وكذلك عن ابن عباس وحرف لا مضمر يجوز اضمار حرف لا في موضع القسم وغيره قال الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى اي لا يؤتوا ويحتمل ان يكون الاية عامة اي لا تحلفوا لكي تبروا فتجعلوا الله عرضة بالحنث بعد ذلك بترك التعظيم بترك الوفاء باليمين يقال فلان عرضة للناس اي لا يعظمونه ويقعون فيه فيكون نهيا عن الحلف لئلا يكون امرا على يقين من الاصرار على موجب البر غالب الرأي فان الله امر وتعالى والله سميع عليم حرفان يجريان على سبيل الوعد اي سميع لمقالتكم وايمانكم عليم بارادتكم في حلفكم وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال سعيد بن جبير هذا محمول على قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم لان يؤاخذ بعضنا بما نكرم الذي حلفتم بها لانها معصية الله تعالى ولكن يؤاخذكم بحفظ اليمين والمضي عليها اذ كان على المعصية واللغو هو الاثم في اللغة قال الله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه اي ما فيه المأثم فيكون معناه لا اثم فيكم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم على قوله مبينة للاية لان الى ان من حلف على ترك البر وفعل المعصية فلا اثم عليه في ترك الوفاء باليمين ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي يؤاخذكم بالعزم والاصرار على هذه اليمين لانه اصر على المعصية وقيل اللغو هو الغلط والخطأ وهو ان يحلف على امر في الماضي يرى انه كذلك فاذا هو بخلافه وعلى هذا ذهب اصحابنا وعن ابن عباس رضي الله عنه تأويل قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ان يحلف على الشيء وهو يرى انه كذلك فلا يكون وقيل اللغو هو ان يصل الرجل في انشاء كلامه لا والله وبلى والله من غير قصد باليمين سواء كان ذلك في امر في الماضي او في المستقبل او في الحال واليه ذهب الشافعي واحتج بما روي عن عائشة ان اللغو قول الرجل لا والله وبلى والله وعنها انها قالت اللغو هو كل شيء يصل به كلامه لا يريد به يمينا لا والله وبلى والله وما لا يعقد عليه قلبه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والعتاق والنكاح فتخصيص هذه الاشياء بالذكر في التسوية بين الجد والهزل دليل على ان الجد شرط فيما وراءها لان الجد من جهات الجد ان يكون العامل قاصدا في ذلك الفعل ولكن الصحيح ما ذهب اليه اصحابنا في تفسير اللغو وهو ان يكون في امر في الماضي وهو يزعم خلاف ذلك يحلف خاطئا وغالطا فاما في المستقبل اذا اتصل بكلامه كلمة اليمين تكون يمينا سواء قصد اليمين او لم يقصد وذلك لان الله تعالى قابل اليمين اللغو باليمين المكسوبة فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمراد من اليمين المكسوبة هي يمين الغموس وهو ان يكون يحلف على امر في الماضي وهو يعلم انه كاذب لانه وضع الاثم في اللغو والحق الاثم في المكسوبة ولا خلاف ان اليمين التي تكسب في المستقبل لا اثم فيها اذا كان البر فالمكسوبة هي اليمين في الماضي فكذلك يجب حمل اللغو على الماضي دون المستقبل تحقيقا للمقابلة واما حديث عائشة فيحتمل ان المراد بقولها اذهب في الماضي دون المستقبل على ما روي عنها مفسرا روي عن عطا قال دخلت انا وعبيد الله بن عمير على عائشة فسألناها عن لغو اليمين فقالت هو قول الرجل فعلنا والله كذا وصنعنا والله كذا ثم قوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي من حلف على امر في الماضي انه لم يفعل وهو يعلم انه فعل يؤاخذ به لاتصال العزم بالفعل والفعل انما يكون سببا للمأثم بواسطة العزم نفي المؤاخذة في يمين اللغو واثبتها في الغموس على الاطلاق ثم فسر تلك المؤاخذة باية اخرى وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين وكان المراد من المؤاخذة في اليمين المكسوبة هذه المؤاخذة والثاني اثبات المؤاخذة في اليمين المعقودة هي الكفارة المعهودة وفي اليمين الغموس لان كسب القلب ليس الا العزم والعقد والعقد القصد فكانت الغموس داخلة تحت قوله عقدتم الايمان ولكنا نقول لا حجة للخصم في هذه الاية لان الله تعالى ذكر في هذه الاية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم نفي المؤاخذة في اللغو وهو اليمين على امر في الماضي من غير قصد واثبتها في الغموس وهو اليمين على امر في الماضي عن قصد ثم ذكر في اية اخرى فقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته نفي المؤاخذة في اليمين المعقودة بالكفارة وفي الغموس بالمأثم وفي اللغو لا مؤاخذة اصلا فلا تلزم تسليم حكم بناء العمل بكل نص على حدة دون ضرب النصوص بعضها في بعض وتقييد البعض بالبعض وانه لا يجوز من غير دليل فلا نقابل المكسوبة باللغو ثم المراد من نفي المؤاخذة ثم هو الاثم باجماع اهل التأويل فيكون المراد من اثبات المؤاخذة في الغموس هو الاثم تحقيقا للمقابلة واذا كان الاثم مرادا بطلت المؤاخذة لا يكون الكفارة مرادة لان المؤاخذة المذكورة بطريق الحذف وهو القصد نفى قوله ولكن يؤاخذكم مشتركة يحتمل المؤاخذة في الاخرة ويحتمل المؤاخذة بالكفارة والاثم مراد فلا يكون الاخر مرادا اذ المشترك

عموم له وتبين بهذا انها لا تحتمل على قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان لان هذه الاية ليست بمجملة مبهمة بل لها حكم معلوم وهو ما ذكرنا فلا حاجة الى الحمل على اية اخرى ولان الله تعالى سماها مكسوبة وجميع المؤاخذات في كسب القلب بالمأثم ولزوم التوبة دون الكفارة المعقودة فلذلك حملنا ولهذا تبين ان الحمل على تلك الاية لا يصح لان كسب القلب لا يكون عقدا ولا حنثا وانما هو تعمد الكذب لقوله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم والله اعلم ولان الغموس اعظم الوزر والاثم لا يمكن ان يلحق باليمين في المستقبل في ايجاب التكفير لانه انما يصلح الكفارة اذ في الذنب لا يصلح لا على والذي يؤيد ما ذكرنا من التأويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للمتلاعنين الله يعلم ان احدكما لكاذب فهل منكما تائب امر بالتوبة دون الكفارة المعهودة ومعلوم لزوم التوبة في المعاصي والكذب معصية اما وجوب الكفارة المعهودة غير معلوم في كل جناية ولا يمكن معرفة ذلك الا بالبيان فلو كانت واجبة لبين اذ الحال حال الحاجة الى البيان لانها لا تعلم الا بالبيان وتعليم التوبة بدون البيان اذ قد بالغ في بيان التأ في القرآن من الحاجي والتعن والغضب فكان دليلا على وجوب التوبة عند التعمد مع هذا بين امر التوبة ودعا اليها وما دعا الى الكفارة دل انها ليست بواجبة ولان سبب الحنث في الغموس ملاقيا العقد ويقارنه فلم يصح معه اليمين لان الحنث نفسه يسقط اليمين فاذا قارنها ولاقاها يمنع ثبوتها نظير الردة وغيرها وهذا لان اليمين شيئان المقسم والمقسم به فالمقسم هو الشرط والمقسم ما يكون مانعا له عن تحصيل الشرط او داعيا في اليمين بغير الله تعالى المقسم به هو الجزاء الصالح للمنع والحمل وفي اليمين بالله تعالى هو ذكر اسم الله تعالى الذي اعتقد الحالف تعظيمه ليكون اعتقاده حرمته وتعظيمه داعيا له الى التحصيل او مانعا عنه ولهذا اذا فات الشرط في اليمين في المستقبل يبطل اليمين لانه يبقى مجرد ذكر اسم الله تعالى بدون الشرط لانه لا يمكن الامتناع عنه او التحصيل بعد وجوده مرة فاذا كان اليمين على امر في الماضي فذلك لا يصلح شرطا لانه لا يمكن تحصيله ولا الامتناع عنه فيبقى مجرد ذكر اسم الله تعالى بلا حد شرط فلا يصح اليمين فان قيل اليس ان اليمين بالطلاق والعتاق والحج على امر في الماضي يصح حتى لزوم ما ذكر من الاجزية فكذلك في اليمين بالله تعالى ان يصح حتى لزوم الكفارة قيل لان الطلاق والعتاق والحج يلزم كل واحد عند الحنث وبغير شرط فانه اذا قال لله علي حجة يلزمه ولو قال انت طالق وانت حر يصح وان لم يصلح ما ذكر من الفعل في الماضي شرطا يكون تحصيلا اما في اليمين بالله تعالى اذا لم يصلح الفعل في الماضي شرطا يبقى مجرد قوله والله تعالى انه لا يكون يمينا ولا ذكر سببا لوجوب الكفارة فلذلك افترقا والاصل عندنا ان اليمين الغموس صاحبها اثم وعليه التوبة والتوبة كفارة وهكذا نقول في كل يمين في عقدها معصية نحو اليمين بالله تعالى ان لا يكلم الاب وعلى ان يقتل فلانا ونحوه انه يلزمه الكفارة وهي التوبة على يقرب ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر يمينه وليأت الذي هو خير اذا كانت يمينه معصية نقض اليمين تماما فتكلف الكفارة وهي التوبة مثل الحنث واما الكفارة بالمال المعروف في موضع خاص وهي اليمين على امر في المستقبل عند الحنث لانه بالحنث يأثم فلا يمكن ايجاب تلك الكفارة في غير موضع الحنث لانه غير مقدار الاثم ولا مدخل للرأي فيه مع ما عرفنا ان الاثم في الغموس اكبر لعظم الجرم فيها ولهذا كان القياس عندي ان المصر الحلف على الكذب يكفر وهذا لان الايمان بالله جعلت للتعظيم لله تعالى بالحلف فيها والحالف بالغموس مجترئ على الله تعالى مستخف به ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء والطواغي لان في ذلك تعظيما لهم وتحيلة الوزر له بالجرأة اعظم لان المعتمد بالحلف كاذبا على المعرفة بان الله تعالى يسمع استشهاده بالله تعالى كاذبا مجترئ على الله تعالى مستخف به وان كان غيره يزعم انه ذكر على طريق التعظيم وسبيل سبيل اهل النفاق في اظهارهم الايمان استخفافا بالله تعالى لما كان اعتقادهم بخلاف ذلك وان كان ذلك القول تعظيما في نفسه وصدقا على الحقيقة فذمهم العقوبة لما فيه من الاستخفاف فكذلك الاول ولكن نقول لا يكفر بهذه الاية وان خرج فعله على الجرأة على الله والاستخفاف به من حيث الظاهر ولكن غرضه الوصول الى مناه وشهوته لا القصد وعلى ذلك يخرج قول ابي حنيفة في سؤال السائل ان العاصي مطيع للشيطان ومن اطاع الشيطان كفر كيف لا يكفر العاصي فقال ان فعله وان خرج مخرج الطاعة للشيطان لكن ما فعل بقصد طاعته وانما يكفر بالقصد اذ الكفر عمل القلب لا غير يخرج فعله فعل معصية فكذلك الاول والله اعلم وعلى ذلك حكاية لعان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما من تائب فالنبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالتوبة ولم يأمر بالايمان والا قال لاحدكما كافر فتبينا انه لا يكفر ولكن يلزمه التوبة والله اعلم وقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر الايلاء هو اليمين في اللغة وعلى حرف ابن مسعود وابن عباس للذين يقسمون من نسائهم ثم اختلف فيه على وجوه قال بعض اهل العلم اذا حلف ان لا يقربها اقل من اربعة اشهر وان كان يوما فانه يكون مؤليا صحيحا لانه مربص اربعة اشهر من غير حنث تبين المرأة وكذلك روي عن ابن مسعود لانه لم يذكر في كتاب الله للايلاء مدة وانما ذكر المدة للتربص حتى تبين بمضي المدة بدون الفيء فيجب الحكم باطلاقه وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه انس انه الى من نسائه

شهرًا فلما كان تسعة وعشرين ترك الايلاء فقيل انك آليت شهرًا قال الشهر تسعة وعشرين وقال عبد الله بن عباس
ان الايلاء على الابد حتى انه اذا حلف وقال لا يقربها ابدا يكون ايلاء صحيحا وان لم يذكر الابد لا يصح لان الايلاء كان
طلاق القوم والطلاق يقع على الابد وقال الآخرون من ترك القربان على طريق الغضب والهجر من غير ان يحلف
على منع القربان فهو مولي والليث قال ابن عمر وقال الآخرون ان كان قصده من الايلاء هو الصلاح بان يحلف لاجل الرضاع
ونحوه لا يلزمه الطلاق بمضي المدة ولا يكون ايلاء وفي حق المتعارف كان ايلاء وفي حق الحنث حتى تلزمه الكفارة بالقربان
واليه مال علي الحسن وعطاء وان كان على طريق الغضب وقصد الاضرار بالمراة يكون ايلاء وفي حق البر ايضا فانه روي
ان رجلا سال عليا رضي الله عنه انه حلف ان لا يقرب امراته سنتين فقال هو ايلاء وانها تبين اذا مضت اربعة
اشهر فقال الرجل انما حلف لكان ولدي قال علي اذًا وقال عامة الصحابة وعامة الفقهاء ان الايلاء في حق الطلاق
لا يصح ما لم يذكر اربعة اشهر فصاعدا او يذكر مطلقا او مؤبدا فاما اذا كان اقل من اربعة اشهر لا يكون ايلاء في حق
الطلاق وبدون الحلف لا يقع الفرقة وان ترك قربانها سنين كثيرة ويستوي من ان يكون قصده من الايلاء
الصلاح او الاضرار بامراته لان الله تعالى قال للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر ثم قال وان عزموا الطلاق
فان الله سميع عليم جعل ايلاءه في حق الطلاق ان يكون اربعة اشهر فلا يدخل ما دونها تحت النص وليس في الاية
فصل بين حالة الغضب وغيرها فيعمل باطلاقها ثم قول من فرق بين العصيان لان لا يصح لان الايلاء يمين والايمان
لا يختلف وجودها ووجوب احكامها في حال العصيان وفي حال الطاعة فعلى ذلك حكم الايلاء وقول من علق
بالطلاق بترك القربان من غير حلف اربعة اشهر لا يصح لان هذا الحكم ثبت بكتاب الله تعالى بالايلاء وهو يمين
على ما ذكرنا من حرف ابن مسعود وابن عباس الذين يقسمون وكذا سمي اليمين اليه وكذا قوله ولا ياتل اولو الفضل
منكم والسعة اي لا يحلف فلا يحكم بالفرقة بدون الايلاء وقول من صحح الايلاء بالحلف بدون الاربعة الاشهر لا يصح
لان الايلاء لم يقع بمضي ذلك لو قدر الشهر ونحوه واذا لم يسق اليمين لم يتوجه حكما ولانه اذا مضى ذلك الوقت كان
قادرا على ان يطاها من غير حنث يلزمه والايلاء هو اليمين التي يمنع الجماع لما يخاف من لزوم الحنث وحكمه حتى يتحقق
كونه ظالما ولا حجة فيما ذكروا من الخبر لانه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انه لا يدخل على نسائه شهرا وعندنا
وعندنا من حلف ان لا يدخل على امراته سنة لا يكون ايلاء لانها يمين لا يمنع الجماع واما ما روي عن ابن عباس فدليل
عندنا على انه اراد ان الايلاء لا يكون مطلقا من غير ذكر الابد بان يقول والله لا اقربك لا ان ذكر الابد شرط ولئن
كان شرطه فلا يستقيم لان حكم الايلاء يلزم بمضي الاربعة الاشهر فلا حاجة الى الزيادة عليه وقوله تعالى فان فاؤا
فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم * اختلف الصحابة في حكم الايلاء اذا مضت اربعة
اشهر قال ابن عباس ومن وافقه يقع الطلاق البائن وبه اخذ اصحابنا وقال سالم بن عبد الله ومن وافقه تطلق تطليقة
رجعية بمضي الاربعة الاشهر فهؤلاء اتفقوا ان هذا الفيء يجب ان يكون في الاربعة الاشهر وانه لا توقف وقالت
عائشة وابو الدرداء ومن وافقهما ان المولي يوقف بعد مضي الاربعة الاشهر ويخير بين الفيء والطلاق واليه
مال الشافعي واحتجوا في ذلك الى ان الله تعالى ذكر الفيء بعد تربص اربعة اشهر بقوله تعالى فان فاؤا فان الله غفور رحيم
وان عزموا الطلاق خير بين الفيء والعزم على الطلاق فيجب ان يكون حق الفيء بعد الاربعة الاشهر ايضا وروي في
بعض الاخبار الوقف فيه وعن سليمان بن يسار عن تسعة عشر من اصحاب النبي عليه السلام قالوا بالوقف اذا مضت
اربعة اشهر [illegible] ولنا [illegible]
بان الله تعالى جعل مدة التربص اربعة اشهر [illegible] يوجب زيادة على هذه المدة المنصوص عليها [illegible]
[illegible] بمضي الاربعة الاشهر [illegible] الفيء او الطلاق [illegible] زيادة لا محالة ولا يجوز
الزيادة الا بما يجري مجرى النسخ [illegible]
فكذا مدة الطلاق ولا الصحابة مع اختلافهم في الوقت بعد الاربعة الاشهر اتفقوا [illegible]
بمضي الاربعة الاشهر فلذلك كان الايلاء في حق الطلاق كالتعليق الطلاق بترك الفيء في هذه المدة وتعليق
الطلاق صحيح بالشرط بالاجماع [illegible] ذلك ان ثابت بمضي المدة هو عين الطلاق
لا حق الطلاق ولان الله تعالى [illegible] الايمان بقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها [illegible]
في اربعة اشهر [illegible] فان فاؤا فيهن [illegible]
من نقض اليمين [illegible] فيجب القول بحق الفيء في المدة [illegible]
هذه التربص اربعة اشهر [illegible] فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف [illegible]
[illegible]
اربعة اشهر واما ما روي [illegible] الوقف بعد مضي اربعة اشهر [illegible] الاربعة الاشهر بين الفيء و

وان تركها

وان تركها حتى يطلق بمضي المدة ويجب ان يحمل على هذا حتى يكون موافقة قول الكبار من الصحابة فانه روي عن بضعة
او ثمانية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اذا مضت اربعة اشهر بانت منه عن علي وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود
وابن عباس وجابر وزيد بن ثابت فانتفى ما تعلق به القائل بوقوع الطلاق الرجعي فاستدل بالخرج على العبد في العنين
لان الزوج يبعد الى الحاكم فيطلق عليه الحاكم ثم كان للعنين الرجعة فكذلك الحاكم العنين ثم عندنا هو بائن فكذا فيه
من الاخبار روي عن ابن مسعود مثله وقوله فان فاؤا فان الله غفور رحيم * يحتمل وجهين يحتمل ما احتمل له الحرج
مما ضيق على نفسه لان لا يطول عليه المدة ويحتمل ان المغفرة لما ارتكب اذ مضى عليه صار مستحقا العقوبة فغفر له
صنيعه ورحمه بان تجاوز عنه ما فعل وعلى النهي من الجماع في الحاصل لانه حلف ان لا يقربها فاذا قربها رجع من ذلك وهكذا
روي عن ابن عباس وابن مسعود انهما قالا الفيء الجماع وقوله وان عزموا الطلاق * روي عن ابن عباس قال العزيمة الطلاق
مضي اربعة اشهر فمعناه تركتم الفيء اربعة اشهر وكذا روي عن عدة من الصحابة وقوله فان الله سميع عليم اي سميع
بالايلاء عليم بترك الفيء او عليم بما اراد من الايلاء والله اعلم فان قيل اليس روي في بعض الاخبار ان الايلاء ليس بشيء
قيل معناه ما قيل ان الايلاء كان طلاقا لقوم فقوله الايلاء ليس بشيء او ليس بشيء يقع في الحال اي ليس بطلاق في الحال
وانما يقع بعد مضي المدة والله اعلم وقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء * اختلف الناس
في الاقراء قال بعضهم هي الاطهار وبه قال الشافعي وقال الآخرون هي الحيض وهو قول اصحابنا وعلى ذلك اختلفت الصحابة
قال عمر وعلي وعبد الله بن مسعود هي الحيض وعن عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر هي الاطهار من قال هي الاطهار تعلق
بالسنة والاخبار عن الصحابة وباللسان والمناقضة واما السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مر ابنك فليراجعها
ثم ليطلقها وهي طاهر او حامل من غير جماع فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء فذلك ان العدة التي تطلق
النساء هي الاطهار واما اللسان فان القرء يستعمل في الجمع يقال قرأت الماء في حوصلة وقرأ الطعام في شدقه
او يحبس في الطهر بسبب حبس الدم ووقت اجتماعه والآية يستعمل في الانتقال يقال قرأ النجم اذا غاب وانتقل عن
مكانه فاما ان يكون اسما للانتقال من حيض الى طهر او من طهر الى حيض والاول غير مراد بالاجماع فانه اذا طلقها وهو لم
انتقالها من حيض الى طهر قرء آخر لا يحتسب من العدة فتعين الوجه الآخر واما المناقضة فانهم يقولون ان حكم
حكم المراة معتدة مع زوال الحيض منها حقيقة ما لم تغتسل اذا كانت ايامها دون العشرة فقد جعلتم العدة
بالطهر فيكون مناقضا لقولكم ان العدة بالحيض اما الجواب عن الاول من وجهين احدهما ان جعل ذلك عن الطلاق
ولا عدة عن الطلاق ونحن كذلك نقول يطلقها في الطهر الذي يطلق فيه النساء ان هذه الطلاق لا منه والكلام في العدة
عن الطلاق وليس في الاية بيان ذلك والثاني انه من قول المخالف ان من اوقع الطلاق في آخر جزء الطهر يحتسب ذلك الطهر
الباقي وان قل من العدة حتى يكتفي بطهرين بعد ذلك وقد روي في الخبر الطلاق لقبل عدتهن وكذا في قراءة ابن مسعود
فطلقوهن لقبل عدتهن وعلى ما قاله يكون هذا تطليقا في دبر عدتهن لا في قبلها وانما يتحقق هذا ان لو كانت
العدة واما احتجاجه باللغة باطل قوله انه يستعمل الجمع والضم والطهر بسبب الحبس ووقت الاجتماع فالجواب
عنه من وجهين احدهما انه حجة عليكم لان الاجتماع صفة الدم الذي يجتمع في زمان الطهر والطهر زمان اجتماعه ومحل
وجوده فيه فكان جعل القرء اسما للدم الذي هو صفته اولى من جعله اسما للوقت الاجتماع والثاني انما قلنا ان الدم
يجتمع في الرحم في الطهر ثم يخرج بعضه من غير دليل ومن اين لك العلم بهذا وما تنكر من قال انه يجتمع من سائر البدن
ويسيل في وقت الحيض لا قبل ذلك ويكون هذا اولى بالحق منه لانا قد علمنا يقينا وجوده في هذا الوقت ولم نعلم
وجوده في وقت قبله فلا نحكم به لوقت متقدم الا بدليل على ان الطهر حاله واصل في بنات آدم عليها خلقت
وانشئت والحيض عارض فاذا كان في الرحم دم خرج والا كانت على اصل خلقتها طاهرا الا ان الطهر يحبس الدم
والله اعلم وحكم القرء هو الانتقال فليس بشيء لان القرء لو كان الانتقال من حال الى حال لكان يقال للنجم اذا طلع
كما اذا غاب اذ هذا الانتقال ايضا ولم ينقل عن احد من اهل اللغة واما دعواهم المناقضة فبعيد لان لكنا نحملها
باقية في الحيض حتى تغتسل وهو قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن وكتاب الله تعالى منزه عن التناقض ثم انما
يتراءى بالتناقض ان لو قلنا ببقاء حق الرجعة وجعلنا ذلك الطهر عدة لكن نقول بانها بقيت حائضا ما لم تغتسل
مع انقطاع الدم والانقطاع لا ينافي الحيض بالاجماع فان الدم لا يسيل في جميع الاوقات فلذلك لا تناقض بحمد الله
تعالى واما الاصل في الاقراء عندنا فمن وجوه احدها قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اي اذا قرب
انقضاء اجلهن امر بالامساك وهو الرجعة لمن اراد الرجعة عند قرب انقضاء الاجل ثم لا يخلو بلوغ الاجل اما
ان يكون ببلوغ الحيض او الطهر والمجاز ان يراد به الطهر لانه لا يخلو اما ان يراد به اول الطهر او آخره لا يجوز ان يراد به
اوله لان بلوغ الاجل عبارة عن آخره والقرب من انتهائه ولا جائز ان يراد به الانتهاء على آخر اجزاء الطهر لانه لا غاية
لما ان الطهر ربما استمر فيكون كله من العدة وكان يحتسب من العدة ما لم يكن له غاية ينتهي اليه شرعا فلا يمكن بناء الحكم عليه

ولا يسمى ذلك بلوغ الاجل فاما الحيض فلا آخر ينتهي به وهو العشرة وما دونها يكون استحاضة فيمكن النساء عليه
ولان الحمل في انتهاء الطهر يعيد لانه اذا لم يكن لها آخر شرعا ينتهي به فانما اليه تعرف انتهاؤه حقيقة بوجود الحيض
بوجود الحيض ينقطع حق الرجعة والامساك فكان هذا امرا بالامساك في وقت لا يقدر عليه وذلك لا يجوز فعرفت
ان المراد منه ما له آخر يعرف ليتمكن من الامساك عند القرب من الانتهاء وهو الحيض والله اعلم والثاني قوله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء امر بالاعتداد بثلثة قروء وانما يتحقق الاعتداد بثلثة اقراء اذا كان القرء اسما للحيض
ههنا دون الطهر لانه اذا طلق في آخر الطهر فذلك الباقي محسوب من القرء الكامل عنده لما جعل القرء اسما للطهر ثم
اذا انقضى طهران بعد ذلك ينقضي العدة فيكون الاعتداد بالقرئين وبعض الثالث وعلى ما قلنا اذا طلق في آخر الطهر
فذلك غير محسوب من العدة فيكون الاعتداد بثلث حيض كاملة ثم لفظ الثلثة خاص لا يقع على ما دونه اذ الكل عدد اسم
خاص فيكون ما قالوا ترك العمل بالنص والقرء في اللغة اسم مشترك يحتمل كل واحد منهما فكان الحمل على وجه يوافق
الكتاب اولى من الحمل على وجه يخالفه ولا يلزم قوله تعالى الحج اشهر معلومات والمراد به شهران وبعض الثالث لانا نقول
الاشهر اسم جمع لا اسم عدد وفي الجملة يجوز ان يذكر الجمع ويراد به بعضه مجازا اما لا يجوز ان يذكر اسم عدد معلوم
ويراد به ما دونه مجازا الا ترى انه لا يجوز ان يقال رأيت ثلثة رجال ويراد به رجلان ويجوز ان يقال رأيت رجالا ويراد
رجلان ثم كان هذا في حد الجواز بطريق المجاز فلا بد من قيام الدليل على ارادة المجاز وترك الحقيقة اذ الحقيقة هي الاصل
في حق الاحكام والعمل بها وان كان في حق الاعتقاد يجب التوقف لمعارضة المجاز الحقيقة في حق الاسم [illegible]
حجة عليكم فان الله تعالى قال ثلثة قروء باسم التذكير لا باسم التأنيث لان جمع المذكر يذكر بلفظة التأنيث وجمع
المؤنث يذكر بلفظ التذكير يقال ثلثة رجال وثلث نسوة والطهر مذكر والحيض مؤنث فاذا [illegible] في جمع القرء دل
ان المراد به الطهر قيل ان اللغة لا تمنع عن تسمية شيء واحد باسم التذكير والتأنيث كالبر والحنطة ونحو ذلك فكذا
القرء والحيض اسمان للدم المعتاد واحد الاسمين مذكر وهو القرء والآخر مؤنث وهو الحيض واذا كان كذلك فلا دلالة
لهم فيه على جعل القرء اسما للطهر في الآية والثالث قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلثة اشهر والاحتجاج به انه مذكور على طريق البدل ولم تعرف ذكر الابدال في الاشياء الا على اثر ذكر الاصول حيث ما
ذكر منه نحو قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ونحوه وههنا ذكر الاشهر عقيب ذكر الحيض فكان المبدل هو الحيض
المجعولة اصولا في انقضاء العدة والرابع قول النبي صلى الله عليه وسلم طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان بعد
قيام دليل الاجماع ان عدة الامة على النصف من عدة الحرة لا خلاف انه لا تفاوت بينهما في العدة فيما يقع به الانقضاء
ثم ثبت النص عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عدتها بالحيض فكذلك الحرة ان يكون عدتها بالحيض ايضا وثبت ان الاصل
ما ينقضي به العدة هو الحيض اذ الرق اثره في تنقيص بعض العدة التي في حق الحرة لا في تغيير اصل العدة قال الشافعي في عدة
الامة حيضتان اي قرءان لان القرءين الطهران [illegible] في العلة [illegible] في الحجاج حيث سميت من الحيض القرء
والحيض اسم معلوم مفهوم عند اهل اللسان لا يشكل على السامع [illegible] والقرء اسم مشترك فكان حمل الواضح
على المشكل عدولا عن الغرض بحمل الشيء على الشيء اذ الغرض منه هو ايضاح المشكل ورفع الاختلاف [illegible]
وذلك انما يحصل بحمل المشكل على الواضح وجعله قاضيا عليه فيصير مفسرا له فاما العكس من ذلك فمما لا يقبله
العقل الصريح مع ما في ذلك تجهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان وهو افصح العرب واعلم الشرع حيث
عبر عن الطهر بالحيض ولان القرء يحتمل الطهر والحيض بالخلاف ولا خلاف ان المراد هو الطهر الذي يتصل بالحيض او
الحيض الذي يتصل بالطهر فكان الاحتياط في ان يجعلا جميعا في الحق لانه لا ثبت الدخول الا بدليل مخرج ولا اجماع الا
في بعض الطهر الذي يسبق الطلاق وفيما وراء ذلك لا اجماع فيجب القول بهما جميعا ولان الاستحلال للزوج هو
الطهر فان حالة الحيض لا يباح الاستمتاع الاصلي فلذلك نهاية الحل الثابت يجب ان يكون بالطهر حتى يحل لغيره
من الازواج ولان ابتداء الحرمة على الزوج الاول حالة الطهر فان الطلاق المسنون حالة الطهر وهو سبب
للتحريم فكذا نهاية التحريم يجب ان يكون بالطهر حتى اذا انقضت ثلث حيض يحرم من كل وجه عند الطهر [illegible]
بالانتهاء ولان الطلاق ما ينقضي بسبب الملك وبانقضاء العدة ينقضي بقية الملك ثم وقت الطلاق الطهر
فكذا وقت انقضاء بقية الملك يجب ان يكون هو الطهر اعتبارا للبعض بالكل والفرع بالاصل التابع بالمتبوع والله اعلم
ثم في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وفي قوله فاعتزلوا النساء في المحيض وفي قوله ويسئلونك عن اليتامى
قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم اي في الدين دلالة على جواز تأخير البيان حيث لم يبين ما الاقراء ولم يبين
الاعتزال عن اي موضع ومن اي مكان ولم يبين المخالطة فيماذا وفي اي شيء والاختلاف فيه باق الى يوم التناد فبطل به
قول من ينكر تأخير البيان والله اعلم بالتوفيق وقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن اختلف
تأويل قوله ما خلق الله في ارحامهن قال بعضهم الحبل والحيض جميعا وهكذا روي عن علي وعبد الله بن مسعود وعبد الله

بن عمر انهم قالوا الحيض والحبل وعن عكرمة انه قال هو الحيض وقال بعض اهل التأويل ما خلق الله في ارحامهن
الحبل خاصة ووجهه احدهما ان النساء في الجاهلية كن يكتمن الحبل والحيض بغير الازواج فاوعدن على ذلك
بعد الاسلام فاما الحيض فلا يجري فيها الكتمان كذلك [illegible] بذلك والثاني ان الدم لا يسمى حيضا
ما دام في الرحم وانما يسمى به بعد الخروج والحكم يتعلق به بعد الخروج فالحيض هو الدم الخارج من الرحم واذا
لم يكن له حكم حال كونه في الرحم فلا معنى لاضافته الى حال تعلق الحكم [illegible] الحيض والحبل جميعا [illegible]
الصحابة ومن حيث الدلالة انهن مؤتمنات فيما يخبرن ما خلق الله في ارحامهن [illegible]
[illegible] المرأة على فرجها [illegible] ترك الكتمان [illegible]
في ارحامهن وكله [illegible] العموم [illegible] والحيض والحبل جميعا [illegible] ما خلق الله [illegible]
جميعا [illegible] الكتمان [illegible]
[illegible] العدة باقية وذلك يحتمل الحيض والحبل جميعا [illegible]
يحتمل الكتمان [illegible] الرجعة [illegible]
[illegible]
[illegible] الطلاق [illegible] النكاح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] دل ان الحبل [illegible]
اذا كان مشغولا بالحبل وفيه مسند حال وجوده فلا يتصور خروج دم الرحم فتبين ان الحامل لا تحيض وما ترى
لا يكون دم حيض وعلى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم انما ذلك دم عرق انقطع وهو الظاهر المتعارف بين النساء
ان الحبل يحبس الدم والظاهر يصلح دليلا في الاحكام وما يوجد في بعض النساء من باب النادر والنادر يلحق
بحكم الغالب ويحتمل ان يكون دم عرق ويحتمل دم رحم والظاهر انه دم عرق فكان العمل بالظاهر والحاق النادر
والمحتمل به تعني بالظاهر اولى من العكس والثانية ان المرأة اذا جاءت بولد في العدة فشهدت امرأة على الولادة
والحبل لم يكن ظاهرا لم تقبل شهادة القابلة لان شهادة القابلة انما تقبل اذا كان الحبل ظاهرا لان المرأة متهمة
في هذا الباب لما تعرف الحبل بقولها فاذا اخبرت وانتفت التهمة بقول القابلة في نفس الولد يجب القبول فاذا
كان الحبل غير ظاهر وهي مامورة باظهار الحبل فتهمة على الكتمان فاورثت التهمة وخبر الامين في موضع التهمة
غير مقبول والثالثة ملو حرمة الكتمان بشرط الايمان فقال ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن وذلك
حرام في حق الكافر كما هو حرام في حق المؤمن فان الكتمان غير مستحسن في العقل لانه من باب الخيانة والكفار ان
لم يكن الكفار مخاطبين بالشرائع دل ان المعلق بالشرط يوجد عند الوجود لكن لا ينعدم عند العدم ولذلك الحكم
الثابت بعلة يجوز ان يثبت بعلة اخرى مع انعدام الاولى وهو كقوله تعالى فاصلحوا ذات بينكم الى ان قال ان كنتم
مؤمنين وقد يلزم صلاح ذات البين في حق الكافر وكذا وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين وقد يلزم على الكافر
ترك الربا وقد يباح للمسلم في دار الحرب مع قيام صفة الايمان فعدل ان التعليق بشرط او الاثبات بعلة لا يوجب الاختصاص
بذلك والرابعة تخصيص النهي بما تقدم من بيان ان تحريم الكتمان كما هو حرام عقلا فهو من شرائط الايمان لان الايمان
هو التصديق واظهار الحق ونفي الكتمان والتكذيب ستر لما هو موجب شرط الايمان فيكون التحريم في حق المؤمنة
لمعنى يثبت شرعا وهو انه ترك في الحمل بموجب شرط الايمان والله اعلم وقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن يحتمل
وجهين احدهما اي ازواجهن احق برجعتهن منهن في عدتهن وانهن لا يملكن الرجعة حتى لو باشرن الرجعة لا تقع
ولا يملكن منعهن ازواجهن عن المراجعة بل ذلك الى الازواج وعن قتادة انه قال في قوله وبعولتهن احق بردهن في ذلك
اي في العدة وهو كذلك فان في قوله في ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء
اي وبعولتهن احق بردهن في ثلثة قروء والله اعلم والثاني يحتمل احق بردهن اي بعولتهن احق بنكاحهن في العدة
من غيرهم من الخاطب فان الزوج يملك نكاحها في العدة سواء كان الطلاق باينا او رجعيا الا ما روي عن ابي حنيفة
انه لا يصح نكاحها في الطلاق الرجعي فان النكاح قائم من كل وجه واثبات الثابت لا يصح وانما المشروع هو
المراجعة والامساك ليمنع السبب المزيل عن العمل ويبطله فاما غير الزوج لا يملك نكاحها في العدة قال الله تعالى
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله والخطاب للاجانب دون الازواج وهذه الآية تدل على ان الطلاق
الرجعي لا يرفع الزوجية ولا يبطلها فان الله تعالى سماه بعلا بعد الطلاق والبعل هو الزوج فان قيل اليس انه
قال احق بردهن في ذلك وانما يستعمل الرد فيما زال عنه ملكه فاما ما هو في ملكه فلا يتصور ان يقال برده الى

مع بقاء ملكه فيها قيل لهم يكون اطلاق اسم الرد عند انعقاد سبب زوال الملك فيكون بمعنى المانع للسبب عن اثبات
الزوال فيكون فسخا للسبب كما يطلق عند وجود المزيل والزوال جميعا فيفسخ السبب والحكم جميعا فان من
اشترى جارية فوجد بها عيبا ففسخ يقال رد الجارية بالعيب لانه فسخ السبب وازال حكمه وهو الملك فيعود
الى الملك الاول كما اذا اشتراها بالخيار فالملك لم يزل ولم يثبت للمشتري ثم يطلق اسم الرد عند اختيار الفسخ لوجود
فسخ السبب ومنعه من اثبات الحكم فكذلك هاهنا ان كان الطلاق مزيلا للملك بان كان باينا فالنكاح الجديد رد لها
بما يفسخ الطلاق في حق حكم الملك ان بقي في حق تحريم محل المحلية سببا يتم عند انضمام الثاني فان كان رجعيا
فالرجعة رد لها بمنع السبب عن حكمه في حق ازالة الملك عند انقضاء العدة لولا الرجعة يزول الملك فيعود
الى الحالة الاولى التي لم يكن ثم انعقاد سبب المزيل فلذا فاطلاق اسم الرد لا يقتضي زوال الملك قبل الحمل
الرد الرجعي لا يبقى حجة لكم في هذه الاية لانه اذا اريد به الرد بسبب النكاح كان اسم البعل بطريق المجاز
واذا اريد به الرد بالرجعة تكون حجة فلا يكون حجة مع الاحتمال او يجب الحمل على الرد بالنكاح حتى يكون عملا
بصدر الاية وهو قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء اذ لو كان المراد به الرجعة كان المراد
به هو الطلاق الرجعي دون البائن والثاني والثلاث ولو اريد به الرد بالنكاح يمكن اجراؤه على العموم لكان
صرف اجزاء الكلام الى واحد بحمل اللفظ على العموم اولى من العكس قيل البعل في اللغة اسم الزوج حقيقة في
الحقيقة لا تترك الا بدليل واما لفظ الرد مستعمل في الوجهين الذين ذكرنا اما بطريق الحقيقة او الصرف
الى النكاح يوجب ترك الحقيقة اسم البعل والصرف الى الرجعة لا مكان الحمل على الرجعة اولى ولانه قال
احق بردهن ولفظة احق انما تستعمل في موضع يكون للغير حق في الجملة والمرأة في الرجعة لا حق لها
حقها بالرجعة وهو حق في النكاح وتراه لكن الزوج احق بذلك لان حقيقة الملك له فاما غير الزوج من
الاجانب ليس لهم حق النكاح في العدة انما ذلك للزوج خاصة فلا يصح اطلاق لفظة احق فدل ان حمل الرد
على الرجعة اولى ولانه جعل الرد الى الازواج والرد اذا كان بسبب النكاح لا يكون هو احق منها الا ترى
ان الرجعة التي اريد بها العقد اضافها اليهما بقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا والله اعلم واما قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء فهو عام في المطلقة ثلثا وما دونها ولكن قوله وبعولتهن
احق بردهن في ذلك يعني حكم خاص في حق مطلق خاص وهذا لا يوجب تخصيص الاية في الحكم الذي
ذكر فيها على العموم لان الكناية ينصرف الى بعض المطلقات يقتضي هذا الحكم الخاص ولهذا نظائر
كثيرة في القران والسنة نحو قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وهذا عام في الوالدين
الكافرين والمسلمين ثم عطف عليه قوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وهو
خاص في بعض المذكورين من الوالدين المشركين ولم يمنع ذلك عموم اوله وقيل وبعولتهن احق بردهن فيه
دليل على ان قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن انما اريد به المطلق طلاقا لم يقطع على نفسه حق العود
ولكنا نقول التخصيص اولى من الحمل على المجاز وترك الحقيقة فكان الحمل بالخصوص في صدر الاية
والحمل بالحقيقة في قوله وبعولتهن احق بردهن والله اعلم وقوله تعالى ان ارادوا اصلاحا ● يحتمل
ان ارادوا اصلاح ما بينهم ويحتمل الاصلاح هو امساكها بالمعروف يعني الازواج احق برجعتهن ان ارادوا بالرجعة
امساكها على النكاح الاول بالمعروف فاما اذا اراد بالرجعة الاضرار بها بتطويل العدة عليها ونحو ذلك
فما ينبغي ان يراجع وهو كقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وفي قوله ان ارادوا اصلاحا على ان الحكم
المعلق بالشرط لا ينعدم عند عدمه فان الله تعالى علق ثبوت حق الرجعة بشريطة ارادة الاصلاح ثم لا خلاف
بين اهل العلم انه اذا راجعها مضارا في الرجعة مريدا للتطويل العدة عليها ان رجعتها صحيحة وكذلك في قوله
فامساك بمعروف لا يدل على انه لا يصح ممسكا بغير المعروف والله اعلم واختلف في قوله في ذلك قيل في حمل ما خلق
الله في ارحامهن وقيل يعني ذلك القروء والله اعلم وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ● اخبر الله
تعالى ان لكل واحد من الزوجين على صاحبه حقا ولم يبين في هذه الاية ما لكل واحد منهما على صاحبه مفسرا
وقد بينه في غيرها وعلى لسان الرسول عليه السلام ثم يحتمل حقوقهن على الازواج المهر والنفقة قال الله تعالى
واتوهن اجورهن وقال تعالى واتوا النساء صدقاتهن نحلة وقال وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقال
الرجال قوامون على النساء الى قوله وبما انفقوا من اموالهم ويحتمل ما اتبع من قوله فامساك بمعروف او تسريح
وقال تعالى في موضع اخر وعاشروهن بالمعروف وقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة فجعل من حقها ترك اظهار الميل الى غيرها وبين ان عليه التسوية بينها وبين غيرها
في القسم وبين ان عليه وطأها بقوله فتذروها كالمعلقة يعني لا ايم فتتزوج ولا ذات زوج اذا لم يوفها من الوطي

ويحتمل

ويحتمل قضاء ما لها من الحوائج خارج البيت مما به قوام دينها ووقايتها عن النار ثم يحتمل ما عليهن من الحقوق للازواج
مقابل الاول البذل وتسليم الانفس الى الازواج وان لا يوطئن فرشهم احدا ومقابل الثاني ان يخشى الله
في السر باللسان والفعل بالمعروف الذي فيه يطيب نفسه به كما وصفت الحميدة منهن بانها ان نظر اليها
سرته واذا دعوتها اجابتك وتحفظك في النفس والمال وفي مقابل الثالث ان لا تلقاه بمكروه ولا
يقابله بما يضجره ويغضبه مع الحرمة وكفاية الداخل مما به قوام دينه والله اعلم وروي عن ابن عباس انه قال اني
لاحب ان اتزين لامراتي كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقيل ولهن مثل
الذي عليهن اي يلزم لهن من الحقوق على الازواج مثل ما للازواج عليهن وان كانت مختلفة وقيل لهن من
الكفاف ما عليهن من الخدمة وقوله تعالى وللرجال عليهن درجة ● اخبر الله تعالى ان الزوج مختص بحق له
عليها ليس لها عليه مثله ثم يحتمل ان يكون تلك الدرجة ما للزوج عليها من الملك وقيل لهم من الفضيلة
من الولايات والشهادات والخروج الى الجماعات والجمعات والجهاد وزيادة الميراث ونحو ذلك وقيل من الفضل
ما يحل للزوج ان يتزوج عليها ثلثا سواها ولا يحل لها ان تتزوج غيره ما دامت في عقده او في عدة منه
وان تمكينها ان يتبع الزوج حيث يريد وليس على الزوج اتباعها في النقلة والسكنى وانه ليس لها ان تصوم
تطوعا الا باذن الزوج ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى الطلاق مرتان ● اي دفعتان فان من اعطى الى
اخر درهمين لم يجز ان يقال اعطاه مرتين حتى يعطيه دفعتين ثم قوله الطلاق وان كان ظاهره الخبر فان معناه
الامر وهو كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وقوله والوالدات يرضعن اولادهن ونحو ذلك
وانما حمل على خلاف ظاهره لانه لو حمل على الخبر يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد
ولا يجوز الخلف في خبره جل وعز ذلك وتعالى وكان المراد منه الامر كانه قال طلقوا مرتين متى اردتم الطلاق
ثم الاية حجة لنا على الشافعي في كراهة الجمع وهو ان الله تعالى امر بالتفريق وظاهر الامر يوجب العمل به وانما يحمل
على الندب بدلالة واذا وجب التفريق حرم الجمع الذي هو ضده ضرورة على انه ان كان المراد منه الندب ففيه
حجة على كراهة الجمع لانه ذكر الطلاق بلام التعريف وذلك ينصرف الى المعهود او الجنس ولا معهود فينصرف الى
الجنس كان معناه ان جميع طلاق السنة هو الطلاق بطريق التفريق وكان الطلاق بطريق الجمع يكون بدعة
وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان ● اخبر الله تعالى ان له الرجعة بعد الطلاقين وهذه الاية تدل
على ان تفريق الطلاق على ثلثة اطهار مسنون وان لم يتخلل بينها الرجعة خلافا لمالك بن انس والحسن بن حي
والاوزاعي وغيرهم فان عندهم لا تطلق للسنة الا واحدة اذا لم يرد مراجعتها يتركها حتى تنقضي العدة الا
اذا راجعها ثم طلقها في طهر الثاني لا باس به فعلى قولهم لا يزيد على الطلقة الواحدة الا ان يراجع واما على قول
اصحابنا يباح التفريق ثلثا في اطهار وان لم يتخلله الرجعة وذلك لان الله تعالى خير بين الامساك وهو المراجعة
وبين التسريح بالاحسان والمراد من التسريح هو التطليقة الثالثة كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن التسريح باحسان قال هي التطليقة الثالثة ولانه امر بالرجعة بعد الطلاقين المتفرقين لما
ذكرنا من التخيير فدل على ما ذكرنا قيل ما الحكمة في ذكر المعروف في الامساك والاحسان في التسريح قيل الاحسان
انما يستعمل عند الاطلاق في ابتداء الصنيعة ولا يستعمل عند المكافاة بالجزاء على ما سبق وان كان جزاء لا
فهو الاحسان حقيقة قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان واما المعروف عند الاطلاق يستعمل فيما كان
واجبا بمقابلة شيء اخر وعند المكافاة وان كان يجوز استعماله في ابتداء الاسداء وعند الامساك تكون الرجعة
حقوق النكاح قائمة وعلى الزوج اقامتها بمقابلة ما يجب عليها قال الله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وقال واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الغليظ هو الحقوق التي اوجبها النكاح فلذلك سماه معروفا
وامر باقامة المعروف ولهذا قال تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر واما عند التسريح تنقطع الحقوق التي
اوجبها فامر بالاحسان اليها مبتدئا لا مكافاة عما عليها من الحقوق والله اعلم وقوله تعالى ولا يحل لكم ان
تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به ● فظاهر الاية ان ابتداء الخطاب للازواج وهو النهي عن اخذ شيء مما اعطاها الا على الوجه
المذكور وهو خوف ترك اقامة حدود الله تعالى واخر الاية خطاب للازواج والزوجات جميعا وهو قوله تعالى
فان خفتم الا يقيما حدود الله ● خطاب لغير الازواج وهو الذي يحفظ عليهما حدود الله تعالى فيحتمل ان يكون
المراد هو الحكمين فيكون في الاية اضمار لعقيب الحكمين بالخلع واخذ الافتداء بما علما بغالب الراي انهما لا يقيما
حدود الله تعالى لان الحكمين هما اللذان يحفظان عليهما حدود الصحبة وهو كقوله تعالى وان خفتم شقاق
بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله للحكام

لانهم هم الذين يقومون في امور الناس ليقوموهم على حفظ حدود الله والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل
في تاويل قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله قيل علما يعني الرجل والمراة ان لا يمكنهما اقامة حقوق
النكاح وقيل علم الحكمان بان لا يقيما حدود الله وعلى ذلك ينبني قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله قيل علم
وقيل المراد هو حقيقة الخوف وكان هذا اقرب لان العلم يكون فيما مضى من الحال انهما هل اقاما حدود الله
او لم يقيما فاما في حادثات الوقت فلا علم لهما بذلك لا من حيث الوحي وهو منقطع فلا علم بطريق اليقين فاما الخوف
يكون في حادثات الوقت انهما ربما يقيمان وربما لا يقيمان فكان المراد والله اعلم هو العلم بغالب الراي مع الخوف
لانه ما لم يغلب على رايهما ترك اقامة الحدود وهو كقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقيل
الا ان يخافا الا ان يظنا فالظن في اللغة تستعار له اسم الخوف كما قيل اتاني كلام عن نصيب يقوله وما خفت
يا سلام انك عاتبي يعني ظننت واختلفوا ايضا في تاويل حفظ حدود الله فيما قال طاوس يعني يخافا الا يقيما
حدود الله فيما افترض على كل واحد منهما من حسن العشرة والصحبة وقال الحسن هو ان تقول المراة لزوجها
والله لا اغتسل لك من جنابة وعن ابن عباس قال تركها اقامة حدود الله الاستخفاف بحق زوجها وسوء خلقها
فتقول والله لا ابر لك قسما ولا اطا لك مضجعا ولا اطيع لك امرا فاذا فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية
وكذلك روي عن علي رضي الله عنه قال كلمات اذا قالتهن المراة حل له ما اخذ من الفدية اذا قالت لا اطيع لك امرا
ولا ابر لك قسما ولا اغتسل من جنابة وقيل هذا الخوف عن ترك اقامة حدود الله على الحقيقة انما يكون
لمن عنها شيء الخلق او جميعا فيفضي بهما ذلك الى ترك اقامة حدود الله فيما الزمهما من حقوق النكاح في قوله ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف واما ان يكون احدهما مبغضا للاخر فيصعب عليه حسن العشرة والمجاملة فيؤديه ذلك
الى مخالفة امر الله والتقصير فيما امر من اقامة حقوق النكاح فعند ذلك يحل الخلع واختلف في تاويل حدود الله
قيل احكامه وسننه وقيل اوامره ونواهيه وقيل اداؤه وهو واحد ثم اختلف الناس في انه هل يحل له اخذ ما اعطاها
او زيادة على ذلك فعندنا ان كان النشوز واقعا من قبل الزوج فانه لا يحل له اخذ شيء على الخلع واما اذا كان النشوز
من قبلها فلا باس بان ياخذ منها قدر المهر ويكره الزيادة عليه ولكن مع هذا يجوز اخذ الزيادة في القضاء وكذلك
اخذ قدر المهر وان كان النشوز من قبله وهكذا روي عن علي انه كره ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها وهو قول سعيد بن
المسيب وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وقال الحسن ومجاهد اذا كانت الاساءة من قبله فلا ياخذ شيئا وان كانت من
قبلها حل له ان يخلعها على ما تراضيا فان كان زيادة على المهر وهو قول عثمان البتي وبه اخذ الشافعي وكذلك
روي عن عمر وعثمان وابن عمر وابن عباس ومجاهد وابراهيم انه جاز له ان يخلعها على اكثر مما اعطاها ولو بعقاصها
وقال مالك انه قول هكذا وفي قول لا يحل له ان ياخذ اكثر مما اعطاها وان كان النشوز من قبلها فهي لا يباح اخذ الزيادة
تمسكوا بهذه الاية وهو قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به رفع الجناح عن اخذ ما اعطت من القليل والكثير
وما تسلم لها من نفسها بالخلع من غير فصل بينهما اذا كان مثل المهر او زيادة عليه فيجب العمل باطلاقه ولانها
اعطته بطيبة من نفسها غير مجبرة عليه وقال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
فلما كان للزوج اخذ ما يبذل في غير حال الطلاق فكذلك في حال الطلاق وفي الطلاق احق لانه تملك البضع
نفسها وتخرج عن حبالته بخلعها اذا كان النشوز من قبله لانها مجبرة في دفع المال الا انها مع بغضها للزوج
لا تعطي الفداء الا بان تضطر من جهته باسباب او تعنت بانواع التعنت او التزوير فيكون الاخذ فيكون كما نقول
انما اذا كان النشوز من قبل الزوج يكره اخذ شيء من المراة قليلا كان او كثيرا لقوله تعالى وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا نهي عن اخذ ما اعطاها من المهر وقال تعالى في اية اخرى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة اي الا ان ينشزن نهى عن اخذ ما اعطاها الا عند النشوز فانه يباح
لان المستثنى يخالف حكمه حكم المستثنى منه واما اذا كان النشوز من قبلها حل للزوج اخذ قدر ما اعطاها
من المهر لما ذكرنا من قوله الا ان ياتين بفاحشة ولقوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به رفع الحرج عن اخذ ما افتدت المراة به بدلا عن بعضها الى اخر الاية وهو قوله فيما افتدت به مردود الى اوله
قال الله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن نذكر في اول الاية ما اتاها فكان قوله فيما افتدت به يعني بما
اتاها واما الزيادة على قدر المهر فمكروه ولكنه جائز في الحكم اما الكراهة فلان الله قال ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله نهى عن اخذ شيء مما اعطاها من المهر والنهي عن اخذ شيء
من المهر نهي عن اخذ الزيادة على المهر بطريق الاولى كقوله ولا تقل لهما اف فالنهي عن التافيف يكون نهيا عن الضرب
الذي هو فوقه بطريق الاولى ثم اباح اخذ ما اعطاها من المهر برفع الجناح عن اخذه عند خوفهما ترك اقامة حدود الله تعالى

بقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به يعني بما اتاها فبقي الزيادة منهيا عنها بلا
معارض في صدر الاية ولهذا قال ابن داود الاصفهاني خالف الشافعي ظاهر الكتاب حيث اباح للزوج اخذ ما فوق
المهر من زيادة عليها والكتاب رفع الحرج عن اخذ ما فدى ولم يجعل له غيره فقال ابن سريج مجيبا عن كلامه ذابا
عن الشافعي ان هذه الاية ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الى اخرها ليست في الطلاق وانما
هي حال قيام الزوجية بطريق الجبر والكره لانه ليس في الاية ذكر الطلاق نهى عن اخذ ما اعطاها من المهر لا عن
طيبة منها بما يضطرها الى الدفع مما يترك حسن المعاشرة ليتركها شيئا مما اعطاها واباح الاخذ على التراضي
فان داود وابن سريج فهما من ظاهر الاية ما قلنا من رفع الجناح عن اخذ ما اعطاها من المهر دون الزيادة حيث الزم
ابن داود ذلك والتزمه ابن سريج وصرف الاية عن ظاهرها وعلى هذا تكون الاية حجة لنا على الشافعي لا حجة
له علينا وان كان المراد من قوله ولا جناح عليهما فيما افتدت به رفع الجناح عن اخذ ما اعطت مطلقا من غير
فصل بين ان يكون مقدار المهر او اكثر فيخص ظاهر الاية بالحديث وهو ما روي عن ابن عباس ان رجلا خاصم
امراته الى النبي عليه الصلوة والسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمراة اتردين اليه ما اخذت منه قالت نعم
وزيادة فقال عليه السلام اما الزيادة فلا وعن ابن عباس نزلت هذه الاية في جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول
راس المنافقين وتحت زوجها ثابت بن قيس بن شماس الانصاري كانت تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر
اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد تصبر عنها فكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت
له انه يسيء الي ويضربني فقال لها ابوها ارجعي الى زوجك فوالله اني اكره للمراة ان لا تزال رافعة ذيلها تشكو زوجها
قال فرجعت اليه الثانية وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ابوها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها
لا يشكيها ولا ينظر في امرها اتت رسول الله فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا
ولا هو قال فارسل رسول الله الى ثابت بن قيس فقال يا ثابت ما لك ولاهلك قال والذي بعثك بالحق ما على الارض
شيء احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها
قالت صدق يا رسول الله ولكني قد خشيت ان يهلكني فاخرجني منه يا رسول الله فقال يا ثابت قد اعطيتها حديقة
فلتردها علي وانا اخلي سبيلها فقال لها عليه السلام ما تقولين اتردين عليه حديقته وتملكي امرك قالت نعم وانا ازيده
فقال عليه السلام لا حديقته فقط فقالت يا رسول الله ما كنت احدثك اليوم حديثا ينزل عليك خلافه هو
من اكرم الناس لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها يا ثابت بن قيس خذ منها
ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع في الاسلام فانزل الله تعالى في ذلك هذه الاية فظهر بفعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم النهي عن اخذ الزيادة على ان الاية خاصة في قدر المهر وان كان ظاهرها متناولا لها والله اعلم وخرج
الجواب عن قوله انها اعطته بطيبة من نفسها فصار كما في غير حال الطلاق فانا اثبتنا الكراهية لما ذكرنا من الاية
والخبر وما ذكر دليل الجواز وبه نقول ولان النهي لم يرد لمعنى في نفس العقد وانما ورد لمعنى في غيره وهو انه
يشبه الربا على معنى انه اذا دفع النكاح بالخلع يصير اخذ منها ما ياخذ بمقابلة ما اعطاها فما يفضل عليه
يبقى زائدا بلا عوض فيكون مشبها بالربا ولكنه جائز لانه بدل المال عن الطلاق واسقاطه ما عليها من الملك ودفع
الملك بلا عوض كما في الشيء عن المال جائز اذا كان ذلك مما يرغب عنه الا ترى انه جاز العتق على قليل المال وكثيره ويصير المال
بدلا عن اسقاط الرق وعن الملك وكذلك الصلح عن دم العمد وكذلك النكاح لما جاز على اكثر من مهر مثلها وهو بدل
البضع وكذلك جاز ان تضمن المراة باكثر من مهرها لانه بدل عن سلامة البضع في الحالين والله اعلم ثم اختلف في
قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال بعضهم اراد بقوله عليهما على الزوج خاصة فلا جناح على الزوج ان ياخذ ما اعطاها
فداء عن بعضها وقالوا انما ثنى في اللغة الاضافة الى اثنين والمراد واحد كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وانما يخرج من احدهما وهو المالح ومثله كثير وقال اخرون اراد جميعا المراة باعطاء الفداء بدلا عما تسلم لها من
البضع والفراغ عن حبالته والزوج بالاخذ فرفع الحرج عن الاعطاء والاخذ جميعا لان الزوج نهي عن اخذ شيء مما اعطاها
بصدر الاية ثم رفع الحرج عن الاخذ بالشرط المذكور والاية تدل على ان الزوج عليها الابانة فانما الطلاق بيده
وهو لو لم يملك الابانة لم يملك ما شرط وقوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها فهذه الاية ابطال قول المشبهة
باستدلالهم بظاهر الايات من قوله الرحمن على العرش استوى وجاء ربك والملك صفا صفا ونحو ذلك فانهم
للتشبيه بظاهر الايات فان الله تعالى اضاف الحدود الى نفسه بقوله تلك حدود الله ثم لم يفهم من حدود الله
ما يفهم من الحدود في الشاهد كيف فهم من استوى الرحمن على العرش ومجيئه ما يفهم من استواء الخلق ومجيئهم
في الاستواء والمجيء ان احتمال المعاني يعني التشبيه عن الله تعالى اكثر من الحدود وفي الشاهد لما لم يفهم من
الحدود ما يوجب التشبيه لم يجز ان يفهم من الاول لما فهم مع قول الله عز وجل ليس كمثله شيء والله الموفق

ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون • يحتمل وجهين سمّى لها انكم بتعديه ذلك فهو ظالم لكفر
ولان مطلق الظلم ينصرف الى الكافر لان المسلم ظالم من وجه لا من كل وجه فلا يدخل تحت المطلق ويحتمل
تجاوز امر الله تعالى ونهيه غير مستحل لها فهو ظالم لنفسه ظلم خلاف الامر وعصيان الرب لا ظلم كفر
وكان المراد من المطلق المقيد والله اعلم وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره • هذه
الاية رجعت الى الاية الاولى وهي قوله الطلاق مرتان فان طلقها بعد التطليقتين تطليقة اخرى فلا تحل له حتى
تنكح زوجا غيره وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان لان الامساك هو الرجعة والتسريح هو ان يتركها
حتى ينقضي عدتها هو قول اكثر اهل التاويل حتى يكون موافقا لقوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف
او فارقوهن بمعروف ونحو ذلك وقيل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان هو ذكر الطلاق الثالث
لان التسريح الثالثة وعلى ذلك جاء الخبر وكل ذلك في حد الاحتمال على الجواز جميعا اذ كان المراد من التسريح هو تركها
حتى تنقضي عدتها كان تقديره قوله فان طلقها اي التطليقة الثالثة فلا تحل له من بعد وان كان المراد من التسريح
الثالثة كان تقديره قوله فان طلقها اي طلاقا ثالثا فلا تحل له من بعد والله اعلم ثم قوله تعالى حتى تنكح زوجا
غيره يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع لان النكاح مضاف الى المرأة والعقد يوجد منها كما يوجد من الرجل
فاما الجماع فيقوم بالرجل حقيقة والمرأة محلة وبه اخذ سعيد بن المسيب على ما روي عنه انه يرتفع حرمة الثلاث
بمجرد عقد النكاح ولا يشترط الاصابة واما عندنا وعامة الفقهاء الدخول لا بد منه لارتفاع حرمة الثلاث
وثبوت الحل للزوج الاول ثم يحتمل ان المراد من قوله حتى تنكح هو الوطء اذ حقيقة النكاح لغة هو الوطء وذكر
الزوج بقيد العقد هذا من الايجاز والاختصار على الكناية المغنية عن التصريح والجماع يضاف الى الزوجين
لوجود الاجتماع منهما حقيقة فاما الوطء فعل الزوج حقيقة ثم ان كان المراد من النكاح في الاية هو العقد فالجماع
مضمر في الاية عرفنا ذلك بالحديث المشهور وضرب من المعقول اما الحديث فما روي عن عائشة رضي الله عنها
ان رفاعة القرظي طلق امرأته ثلاثا فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا نبي الله انها كانت تحت رفاعة فطلقها آخر ثلاث تطليقات فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير
وانه والله ما معه الا مثل هذه الهدبة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلك تريدين ان ترجعي الى
رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وعن ابن عمر وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ولم يذكر
قصة امرأة رفاعة واما المعقول فهو ان الاية في عقوبة الزوج الاول لما اقدم على الطلاق الثلث لكي اذ تعز
حرمتها عليه الا بنكاح آخر انزجر عن ذلك ثم العقد بنفسه لا ينفر عنه الطباع ولا تكرهه ولا يشتد على الزوج
النكاح ما لم يتصل به الوطء فدل ان الدخول شرط فيه ليكون زجرا ومنعا عن ارتكابه وفيه دلالة على كراهة الطلقات
الثلث جملة اذ هي لا تحل له بعدها الا بعد دخول الزوج الثاني بها وذلك مما تنفر عنه الطباع وتكرهه وفي الاية
جواز النكاح بغير ولي لانه اضاف العقد اليها بقوله حتى تنكح زوجا غيره ثم في الاية دلالة على ان النكاح الزوج
الثاني وهو المحلل ليس منهي عنه لان الله تعالى قال فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وجعله الله سببا رفع
الحرمة عن الزوج الاول فلا يجوز ان يمنع عنه ويكره الاقدام عليه اذ مثل هذا لا يوجد في احكام الله تعالى قولا يستقيم
وهو كالوضوء لما جعل سببا لاقامة الصلاة ومفتاحا لها لم يجز ان يجعل الوضوء سببا لها ثم يكره الاقدام عليه
وينهى عنه وكالحرية اذ جعلت سببا للدخول في الصلاة لم يجز النهي عنها وبها قوامها كذلك هذا وان ذلك
فلعنه هو اعلم لعن الله المحلل والمحلل له المراد المريد للنكاح منهما فعنه قيل لحوق اللعن لاجل النكاح بقصد
الفراق والطلاق ليس لاجل التحليل في الاول ورفع الحرمة عنها اذ الطلاق لقصد الفراق نفسه حرام لان
النكاح ينعقد في الاصل على البقاء والدوام ليتحقق ما وضع له المقاصدة من السكن والتوالد والتعاطف و
العصمة وفي الطلاق زوال لذلك وما ابيح الطلاق في الجملة لا لعين قطع النكاح ولكن في الوقت الذي لم يبق
النكاح مصلحة بها ومن حال ظهر لها الحق من العنت وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب
كل ذواق مطلاق والله اعلم واما لحوق اللعن المحلل له وهو الزوج الاول فيحتمل وجهين انه سبب لمباشرة الزوج
الثاني هذا النكاح بقصد الفراق لا للابقاء والتحقيق لما وضع له النكاح والمسبب شريك مع المباشرة في الاثم و
الثواب في التسبب للمعصية هو الطاعة والثاني لحوق اللعن بمباشرة ما يفضي اليه الذي تنفر عنه الطباع
وتكرهه من عودها اليه وبعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها وهو بالطلقات الثلث اذ لولاها لما وقع
في هذا فكون اللعن بكراهة الطلقات الثلث والله اعلم ويحتمل اذ العرب كانت في الجاهلية ترى التحليل
بمنزلة عقد النكاح والمرأة تحل نفسها للرجل من غير سبب عوضا فنسخ ما اعتقد ما كما نكحه فلا حق اللعن
لذلك المحلل والمحلل له من جوزوا ان المرض الزوج الثاني فكذلك اذ ما بلغنا انه وجه مثل هذا في زمن

النبي صلى الله عليه وسلم الا في حق امرأة رفاعة ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم عالما عند الحمر في اي شي لا زجر
عنه باللعن وان الوعيد لما لم يصرح بالنسبة وتصيير عادة انه انصرف الى ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى فان طلقها
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله • يعني اذا طلقها الزوج الاخر فلا جناح على الزوج الاول
والمطلقة الثلاث ان يتراجعا بعقد النكاح وهذا يخرج مخرج الرخص وذلك الطلاق الثلث يحرمها
عليه وبينهما حرمة بانواع الحرم من المصاهرة والرضاع فاخبر وحكم بانها لتراجع وهو النكاح
بعد وقوع الحرمة على ان هذه الحرمة ليست كغيرها من الحرم التي لا ترتفع ابدا بل هي ترتفع باصابة الزوج الثاني وتقييدها
وترخيصا على الناس والله اعلم وفي لفظة التراجع دليل على وجود عقد بعوض بينهما جميعا لان التراجع فعل يقع
باثنين بخلاف قوله وبعولتهن احق بردهن اضافة الى الازواج فكذا انهم ينفردون بدونهن وكذلك على ان المراد
بالرد الرجعة دون النكاح اذ النكاح يقوم باثنين ولا يبعد ان النكاح لا يصح الا اليهما كما لا يصح الرجعة بعد ما
الزوج الثاني اليهما بقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا ولا تتخذوا
التراجع الى الرجل والمرأة وذا اولى وقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او
سرحوهن بمعروف • ومعناه فاذا قربن بلوغ اجلهن اي انقضاء عدتهن لان الاجل اذا ذكر هو الغير ولم يوجد
انقضاؤها كما لا رجعة بعد انقضاء العدة فدل ان المراد منه المقاربة وهو كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا طلقتم
النساء فطلقوهن لعدتهن اي اذا اردتم الطلاق وقد اردتم ان تطلقوا فطلقوهن للعدة وكقوله فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله ومعناه اذا قربت قراءة القرآن فاستعذ بالله هذا مثله وقد عبر الله تعالى عن العدة بالاجل
في مواضع من الكتاب قال الله تعالى في اية اخرى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ومعناه
العدة وقال الله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن وقال ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ
الكتاب اجله ونحو ذلك ثم قوله فامسكوهن بمعروف المراد بالمراجعة قبل انقضاء العدة كذا روي عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة وقوله او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فامر بالامساك بمعروف
اي اذا اردتم الامساك فعليكم الامساك بالمعروف وفيه وجهان احدهما القيام بما يجب لها من حق على ما تعد
وان يمسكها على ما كان يمسكها من قبل من مراعاة الحقوق ومحافظة الحدود والثاني ان لا يقصد تطويل العدة
على ما ذكر في القصة عن ابن عباس ومسروق والحسن ومجاهد وقتادة وهو ان يطلقها ويدعها حتى اذا قرب
انقضاء العدة يراجعها ثم يفعل مثل ذلك حتى يجيبها اتسع حيض قبل ان تحل للرجال فهو الضرار وكذا امر
بالتسريح على وجه يكون بمعروف وقال ان لا يقصد معاشرتها بتطويل العدة عليها بالمراجعة وقد عقب ذلك
وقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا • ويحتمل ان يكون التسريح بالمعروف هو ان يمتعها فنذكر المتعة ثم
ذكر في هذه الاية الامساك بالمعروف وقد ذكر قبل هذا وهو قوله احق بردهن ان ارادوا اصلاحا والمراد بالرجعة
والامساك بالمعروف هو ابقاء ما هو على ما كان من الملك والقيام بحقوقها المستحقة بالنكاح والرد في الظاهر
الانقطاع الخروج من الملك فيكون هذا تناقضا من حيث الظاهر فيقول بعض اهل العلم يقولون انه يمسكها على
الملك الاول ويردها من الحرمة الى الحل لانه مذهبهم ان الطلاق يوجب الحرمة ولا يخرجها من الملك وهذا
جائز ان يحرم المرأة على زوجها وهي بعد في ملكه كالحائض والكافرة التي اسلمت واذا كان كذلك فامر بالامساك
على الملك الاول وبالرد من الحرمة الى الحل فلا يكون مناقضة بين الاثنين وهو قول اهل المدينة واما عندنا
فالملك قائم والحل قائم الا انه انعقد سبب الزوال عند انقضاء العدة وهو الطلاق والرجعة ترد الطلاق
وتفسخه في حق الحكم عند انقضاء العدة اعني منعه عن ان يصير سببا عند انقضاء العدة في حق زوال الملك
فان الملك طلاقا رجعيا الخيار الرجعة وتفسيره فهو مخير بين ان يرد حكم السبب ويمنعه بالمراجعة وبين
ان يختار حكمه عند وجود شرطه وهو انقضاء العدة لان الرجعة من الرجوع وكذا الرد فكان الرد والامساك
سواء فهنا فانه لا يتصور الامساك على ما كان قبل الطلاق الا بعد رد الطلاق ورد الطلاق ومنعه عن عمله
يكون امساكا على ما كان قبل الطلاق فاما الرد بالامساك الابقاء نفسه فاذا الملك باق وابقاء الباقي
كيف يكون ولكن الرجعة هو الامساك بالمعروف وهو الامساك على ما كان قبل الطلاق والاقامة على قضاء
حقوق النكاح وذلك لا يكون الا بعد رد حكم الطلاق وذلك بالرجعة شرعا والله اعلم يدل عليه انه
قال ولا تمسكوهن ضرارا وقوله لم يكن الامساك سوى القصد اليها بالاضرار فهو لا يصير بالقصد مضرا بها
فثبت انه امر وراء ذلك وهو ما ذكرنا من المراجعة وهذه الاية تدل ان النهي لا يدل على الفساد فانه قال ولا تمسكوهن
ضرارا ومع ذلك اذا امسكها وراجعها على قصد الاضرار بها بتطويل العدة عليها تصح الرجعة مع قيام النهي
وعلى ذلك قلنا في قوله ومن لم يستطع منكم طولا انه اذن بالنكاح في حال عدم طول الحرة الحرة في حق الامة والاذن

في حال عدم طول الحرة اذ كان نهيا عن النكاح في حال الطول ولكن النهي عنه لو ورد صريحا لا يدل على الفساد
فكذا اذا ثبت بطريق الفحوى والدلالة على زعمهم والله اعلم وقوله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا
معناه والله اعلم اي لا تعملوا بايات الله عمل من يخرج فعله مخرج فعل الهازئ لانه لا يتحقق من اهل الدين
ان يتخذوا ايات الله هزوا ويقصد تعالى ذلك بعمل انهم كانوا في الجاهلية يلعبون بالطلاق والعتاق ويمسكون
بعد ذلك على ما كانوا يمسكون قبلهما فنهوا عن ذلك بعد الاسلام على ما روي عن ابي الدرداء قال كان الرجل يطلق
امراته ثم يرجع فيقول كنت لاعبا ويعتق ويرجع ويقول كنت لاعبا فانزل الله تعالى ولا تتخذوا ايات الله هزوا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق او حرر او نكح فقال اني كنت لاعبا فهو جائز عليه وعلى هذا روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم
اختلف في ايات الله قيل حجج الله وقيل احكام الله وقيل دين الله ويحتمل الايات المعروفة وقوله تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم يحتمل وجوها يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من اعظم النعم ويحتمل الاسلام
وشرايعه ويحتمل النعم التي انعمها على خلقه جملة ثم النعم داعية الى الشكر ومقتضية لكن شكر النعم على حسب النعم
فالنعم العامة الشاملة لجميع الخلق من الخلق وسلامة البدن تقتضي الشكر وهو الايمان بالمنعم والتوحيد له والثناء
والحمد له بما يليق بذاته وصفاته واما النعم الخاصة من زيادة المال والجمال فيستدعي الشكر باستعمال ذلك
في طاعة الله تعالى وتسليم البعض الى المحتاجين من عباده ولهذا شرعت العبادات شكرا واما نعمة الاسلام فشكرها
هو المحافظة على ذلك والثبات عليه والامتناع عن ضده والعزم والاعتقاد على ذلك والله اعلم والله الموفق
وقوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب اي القران وفيه دلالة ان القران منزل على رسولنا عليه السلام
ليس كما تقوله القرامطة لانهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان هو الذي الف القران وانما الوحي اليه
ما يقع في قلبه كما يتوهم الرجل شيئا فيجعله كلاما وقوله تعالى والحكمة اختلف فيه قيل الفقه
وعلم الحلال والحرام وقيل هي الاصابة وقيل هي المواعظ وقيل القران وقيل هي من الاحكام والاتقان كانه
قال عز وجل واذكروا ما افضل عليكم من الفقه والاصابة والكتاب المحكم المتقن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وقوله تعالى يعظكم به قيل بالقران وقوله واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه
تخويف وتحذير ليعلموا ان كل شيء في علمه وانه لا يعزب عنه شيء فاتقوا المعصية وقوله تعالى واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن قد ذكرنا ان بلوغ الاجل عبارة عن انقضاء العدة
ههنا واذا طلقتم النساء فقرب انقضاء عدتهن فلا تعضلوهن والعضل له معنيان احدهما المنع والاخر
الضيق يقال عضلت عليهم الامور اذا ضيقت وعضلت المراة تعضيلا بولدها اذا عسر ولادتها ويقال
امر معضل اذا كان ممتنعا والمعنيان متقاربان لان الامر الممتنع تضيق مناله ويعسر والضيق ممتنع ايضا
فمعنى قوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اي لا تمنعوهن ولا تضيقوا عليهن في التزوج واختلف
في تاويل المخاطب بالعضل وفي كيفية العضل قال القائلون فيه دليل فساد النكاح بدون الاولياء لانه نهى
الاولياء عن العضل والمنع من ان يعقدن انفسهن ولا يكون هذا نهيا عن المنع بالقهر
في حقها لان العقد الذي لا اثر له في الفساد شرعا غير ضار بها والنهي عن العضل كان لما فيه من الاضرار بها
فثبت ان ذلك عند ان للاولياء ولاية المنع وان لم يجز الانكاح حتى يكون العضل ضارا فنهوا عن ذلك وذلك
ان المخاطب بالنهي عن العضل هم الاولياء لانه ليس لغيرهم ولاية الانكاح وقال اخرون فان هذه الاية حجة على
جواز النكاح بغير اذن الولي من وجوه احدها اضافة العقد اليهن من غير شرط اذن الاولياء
بقوله ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن والثاني ان هذا خطاب للاولياء بالنهي عن العضل اذا تراضيا
الزوجان والنهي يقتضي الحرمة فاذا كان حراما على الولي ان يمنعها عن انكاح نفسها فيكون له حق منعها
عن ذلك ويكون ثبت للولي ولاية تبطله حق المنع وهذا خلاف ظاهر الاية فان قيل ان الولي لو لم يملك منعها من
النكاح لما نهى عن المنع عن انكاحها كما لا ينهى الاجنبي الذي لا ولاية له قيل هذا حجة عليكم فان النهي انما يرد عن
شيء يتصور وجوده لو لم يكن الانكاح نفسها متصورا شرعا لم يصح النهي عن منع ذلك الا ترى ان الله عز وجل نهى
عن العضل في حق الصغائر والمجنونات لما لم يتصور منهن شرعا كما لم يتصور منهن الانكاح ولما ورد النهي
عن منعهن عن الانكاح منهن متصور شرعا واذا كان لهن ولاية الانكاح لا يكون للاولياء ولاية المنع وحق
المنع ضرورة على ان النهي يمنع ان يكون له حق فيما نهى عنه فكيف يستدل به على اثبات الحق على ان هذا نهي لهم
عن العضل حسا فانه يمكنه منعها من الخروج والمراسلة في عقد النكاح فجاز ان يكون النهي عن العضل منصرفا
الى هذا وهذا لان النساء في الاغلب يكن في يد الولي وبحيث يمكنه منعها من ذلك على ان نظام الاية تقتضي ان يكون

هذا خطابا للازواج لانه قال واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن فيكون خطابا لمن طلق المراة
بالعضل عن الازواج بتطويل العدة عليها كما قال ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وجاز ان يكون قوله فلا
تعضلوهن خطابا للازواج وللاولياء والسياق والنسق والعموم تقتضي ذلك والنهي عن العضل الحقيقي لا يدل
على قيام الولاية اذ هو ثابت في حق الناس ثم من قال ان هذا نهي للاولياء عن العضل اختلفوا قال بعضهم نهوا
عن العضل من ان ينكحن ازواجهن الذين طلقوهن دليله قوله ازواجهن ولا يسمى الازواج الا بعد النكاح ولانه
قال واذا طلقتم النساء وقال بعضهم ان هذا في الابتداء من غير ان كان ثمة نكاح وتسمية الازواج لقرب التزويج
وجاز تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه الامر واما اهل التفسير باجمعهم قالوا ان الاية نزلت في اخت معقل
بن يسار ان زوجها طلقها وانقضت عدتها ثم اراد الزوج ان يتزوجها ثانية وهويت المراة ذلك فيقول الولي
لا ازوجها اياه فنزل قوله فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وجه اخر من الاستدلال بالاية ان الولي كان
منهيا عن العضل اذا زوجت نفسها من كفو ولم يتوله حق وذلك حق ان القاضي زوجها من ذلك الكفو لكن للولي
حق الرد والفسخ فاذا اختصما الى الحكم فلو منع الحاكم من مثل هذا العقد صار ناظرا لما لا ما هو معقود عليه
منعه فبطل حقه ايضا في الفسخ فيبقى العقد لا حق لاحد في فسخه فينفذ ويجوز وهذه الاية حجة في جواز
النكاح بغير ولي لما ذكرنا من قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اضاف النكاح اليها في
الطلاق قوله فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله نسب التراجع اليهما من غير
ذكر الولي وكذا قوله فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف فلها ان تفعل في نفسها
من غير شرط الولي والمعروف ان يكون بمهر وافر وكفو وغير ذلك ومن جهة السنة الواردة لصحة قول ابي
حنيفة حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس للولي مع الثيب امر وعن ابن عباس انه
قال الايم احق بنفسها من وليها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب ام سلمة فقالت ما احد من
اوليائي شاهد فقال عليه السلام ما احد من اوليائك شاهد ولا غائب يكرهني فقالت لابنها وهو غلام صغير
قم فزوج من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها من غير ولي فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان هو الولي قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم قيل معناه هو اولى بهم فيما يلزمهم من اتباعه
وطاعته فيما يامرهم به فاما ان يتصرف عليهم في انفسهم واموالهم مع قيام اوليائهم فلا الا ترى انها
لما قالت ليس احد من اوليائي شاهدا لم يقل انا اولى بك منهم بل قال ما احد منهم يكرهني ولا يقال
ان الاولياء اذا كانوا غيبا فالولاية الى السلطان والامام لانا نقول ليس في الحديث ان اولياءها غيب
غيبة منقطعة والظاهر خلافه ولو كان نظر الى انتقال الولاية الى الامام لكان يسال عن مدة الغيبة
وكيفيتها دل ان هذا فاسد فان قيل روي في الباب احاديث تدل على انه لا يجوز النكاح بغير ولي من ذلك ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل وروي لا نكاح الا بولي
وشاهدي عدل وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزوج المراة نفسها الزانية هي التي
تنكح نفسها قيل اما الحديث الاول فغير ثابت كذلك قال يحيى بن معين وغيره وقد روي في بعض الفاظه
ايما امراة تزوجت بغير اذن مواليها وهذا عندنا على الامة تزوج نفسها بغير اذن مولاها وقوله لا نكاح
الا بولي لا حجة فيه لان هذا عندنا نكاح بولي لان المراة ولي نفسها كالرجل سواء واما حديث ابي هريرة
فعلى وجه الكراهة لحضور المراة مجلس النكاح الذي هو محافل الرجال ويكره لهن حضور المجامع وقد ذكر
ان قوله الزانية هي التي تنكح نفسها قول ابي هريرة وروي في حديث اخر عن ابي هريرة هذا الحديث وذكر
فيه ان ابا هريرة قال كان يقال الزانية تنكح نفسها وعلى ان هذا اللفظ خطا باجماع المسلمين لان تزويجها
نفسها ليس بزنا لانه نكاح فاسد على قول من لا يجيزه يوجب المهر والعدة ويثبت به النسب ولانه لا حجة
في الاحاديث من حيث النظر وهو ان الحق في النكاح اما على الولي لا للولي عليها دليل ذلك انه يزوج على الولي
اذا غاب غيبة منقطعة ويجبر اذا كان حاضرا او يزوج عليه اذا ابى وعضل والمراة لا تجبر على النكاح اذا اراد
الولي فاذا ثبت بذلك ان الحق لها عليه ومن ترك حق نفسه في عقد له قبل غيره لم يوجب ذلك فساده والله اعلم
وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف راجع ذلك الى المهر لان القصة في امراة قد طرحت كفاءة زوجها
لها وقال في الكفاءة ولا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وقوله تعالى ذلك يوعظ به من كان
منكم يؤمن بالله واليوم الاخر قيل سمي به لقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهاكم وقيل يوعظ به اي
يؤمر به وقوله تعالى ذلكم ازكى لكم واطهر قيل وصف الله نفسه من حيث هو بان زكى اطهر من يعضل عن ذلك
لها اي اهل العضل بحملهن على الفساد وعلى ما يوجب الريبة والتهمة وقيل المراجعة خير لكم من الفرقة واطهر لقلوبكم

من الريبة وقوله تعالى والله يعلم وانتم لاتعلمون يحتمل وانتم لاتعلمون من حيث كل واحد منهما صاحبه ويحتمل
والله يعلم فيه صلاحكم وانتم لاتعلمون ذلك وقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن هذا امر بصيغة
الخبر اذ لو لم يحمل على الامر يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى لان من الوالدات من لا يرضع ولدها بسبب من الاسباب
ثم اختلف في تاويل الاية قال بعضهم المراد من الاية والوالدات المطلقات يرضعن اولادهن وهو كقوله تعالى
فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ذكر الاجر وقال في هذه الرزق والكسوة بقوله وعلى المولود له رزقهن و
كسوتهن الاية وهما واحد وقال آخرون والوالدات يرضعن اولادهن هي المنكوحات وقوله فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن المراد منه المطلقات دليل ذلك ذكر الاجر في هذه الاية وذكر الرزق والكسوة في الاخرى فان المنكوحة
اذا استوجرت على رضاع ولدها منه لم تستوجب الاجر وتستوجب على الزوج الرزق والكسوة لاقامتها عليها
من الامور فدل هذا على انه ذكر الاجر في المطلقات وذكر الرزق والكسوة في المنكوحات فان قيل ما فائدة
ذكر الرزق والكسوة في المنكوحات في حال الرضاع وقد تستوجب المراة ذلك في غير حال الرضاع قلنا والله
اعلم لانها تحتاج الى فضل طعام وفضل كسوة لمكان الرضاع الا ترى ان لها ان تفطر لمكان الرضاع لزيادة
حاجتها الى الطعام بسبب الولد فثبت ان لها فضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع لها تلك الحاجة في غير حالة
الرضاع فخرج ذلك الكسوة والرزق لذلك الفضل والزيادة والله اعلم ودلت الاية على ان الام احق برضاع ولدها
وانه ليس للاب ان يسترضع غيرها اذا ارضعته لان الله تعالى قال والوالدات يرضعن اولادهن وهذا القرآن
كان صيغتها الخبر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ولا خلاف انه ليس من الايجاب للارضاع على
الام شاءت او ابت فثبت ذلك بقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فدل ان لها الخيرة بين ان ترضع وانها
اذا اختارت الارضاع يكون الحق لها على ما هو الاصل والخيرة بين الشيئين اذا اختار احدهما تقرر ما
انه قال وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فجعل للزوج حق استرضاع غيرها بشرط ان تعاسر الام والاب
وقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة تعلق بالاية من قدر مدة الرضاع بحولين حتى لا تحرم الرضاع
بعد ذلك بهذه الاية وقالوا ان الله تعالى نص ان الحولين تمام الرضاع ولا وراء بعد التمام فلا يجوز ان يكون
الرضاع بعده معتبرا شرعا في حق الكلام الا ان ابا حنيفة يقول مدة الرضاع في حق التحريم حولان ونصف
فاما في حق وجوب اجر الرضاع على الاب فحولان حتى ان الام المطلقة اذا طلبت الاجر بعد الحولين ولا ترضع
بلا اجر لم يجبر الزوج على اجر الرضاع فيما زاد على الحولين بخلاف ما قبل الحولين واما الاية فليس فيها جعل
الحولين شرطا لازما في حق ثبوت الحرمة بالرضاع لوجوه واحدها انه قال لمن اراد ان يتم الرضاعة فلو لم يحتمل
الزيادة والنقصان على الحولين لم يكن لقوله لمن اراد معنى فيكون الحولان مدة الرضاع في حق من اراد التمام
من انقص من الحولين وان يلبس مدة الرضاع في حق من لم يرد تمام الارضاع وبه نقول والثاني ان الارادة
والقدرة ربما تذكران على ارادة وقدرة في الحقيقة ولكن على ارادة حقيقة الفعل لقوله عليه السلام من اراد
الحج فليفعل كذا ومن استطاع ان يفعل كذا فليفعل ليس ذلك على ارادة القدرة والارادة ولكن ما لم يكن
الفعل الا بارادة وقدرة تضاف اليه من فعل كذا فليفعل كذا فكذلك ههنا ولذلك لا يراد ليس على حقيقة
الارادة ولكن يذكر ذلك لما لم يكن الفعل الا بالقدرة والارادة والله اعلم وصار تقدير الاية والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة والاشد لا دلالة ما قرانه حمل ومدة تمام
الرضاعة والاصل ان كل مذكور على التمام والكمال لا يمنع من احتمال الزيادة والنقصان دليله قوله عليه السلام
من ادرك عرفة فقد تم حجه وقال اذا قلت هذا وفعلت هذا فقد تمت صلوتك وهذا لا يمنع زيادة
الفرض عليها على ان الاية ليست في حق الحرمة فان الحولين ليس بشرط لثبوت الحرمة بالرضاع بل يثبت
بالرضاع فيما دون الحولين والكلام في حق الحرمة ووصف الحولين بالكمال في الرضاع لا ينفي به الحرمة الا ترى
ان النبي عليه السلام وصف الحج بالتمام عند الوقوف بعرفة ووصف الصلوة بالتمام عند القعود
قدر التشهد ومع ذلك حرمة الحج والصلوة باقية فهذا مثله يؤكد ما قلنا انه لا يخلو الحولين من ان يبتدا
بالاهلة فقد ينتقص عن الحولين من حيث الايام وان يعتبر بالايام فيزداد على المعروف من الوقت وقد ذكر
الحولين مطلقا دل انه مما يحتمل الزيادة والنقصان على الحولين وان ذلك ليس بشرط لازم وايضا فقد
روي عن ابن عباس في تاويل قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقوله وفصاله في عامين فحصل مجموع الاقل
الحمل ستة اشهر ثم لم يمتنع الزيادة على مدة الحمل فكذلك ذكر الحولين في الرضاع لا يمنع جواز الزيادة عليها
على ان الاية في تقدير ما يلزم الزوج من اجرة الرضاع وحق المراة في الرضاع وحق الصغير ايضا في الارضاع
وبه نقول بعد الحولين لا يلزم الزوج من اجرة الرضاع شيء وينتهي حق الصغير فيه ولكن بعض الحرمة في النص

فلا يكون حجة على ابي حنيفة على ان قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا يحتمل ما قال ابن عباس ان المراد بالحمل
هو الحمل بالبطن والفصال هو الفصال فيكون مدة الرضاع سنتين متى ارتفعت من الثلثين شهرا مدة
الحمل وهي ستة اشهر ويحتمل ان يريد بالحمل هو الحمل بالايدي فيصير الثلثون مدة الفصال والحمل بالاكف جميعا
لانه في الثلثين وما دونه يحمل بالاكف غالبا ففي هذه الاية دليل على ان مدة الرضاع ثلثون شهرا فوقع التعارض
من النصين فقلنا بالحرمة احتياطا ولا توجب الاجر مع الشك اذ حقوق العباد لا يجري فيها الاحتياط والله اعلم
وايضا الاجماع يدل على ان ذكر الحولين ليس على الشرط واللزوم فان المراة قد تلد في البرد الشديد والحر الشديد
فاذا تمت للصبي سنتان لم تجز ان تؤمر بفصاله لان ذلك يخاف منه التلف عليه لما لم يعود بغيره من الطعام
ومحال ان تؤمر المراة بالرضاع ويحرم عليها الرضاع في وقت واحد فدل ان الرضاع بعد الحولين يكون رضاعا
فاستحسن ابو حنيفة ابقاها بعد الحولين لستة اشهر اذ على هذين الحالين تدور السنة والله اعلم فان
روي في حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا رضاع بعد الحولين قيل المشهور عنه لا رضاع
بعد فصال فجاز ان يكون هذا هو اصل الحديث وانه ذكر الحولين حمله على المعنى عنده ولو ثبت هذا اللفظ
احتمل ان يريد لا رضاع على الاب بعد الحولين على نحو تاويل قوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقد تقدم
ذكره والله اعلم وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد ذكرنا انه قيل فيه وجهين
قيل انه في المطلقة وقيل انه في المنكوحة وقد دللنا على انه في المنكوحة وفي الاية دليل على ان اجر الرضاع على
الاب فانه قال وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وكذا في قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
فدل ان اجر الرضاع على الاب وكذا قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة وقوله اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف الى ان ذكر فيه
ايتاء الاجر فثبت انه حق على الوالد وفي الاية دلالة استيجار الظئر بالكسوة والطعام لها اذ في الكسوة لا
يجوز الا باعلام جنس الثياب وفي الطعام يجوز كيف ما كان وانما كان كذلك لان الظئر لا تكتسى كسوة الاهل
وتطعم طعامهم فلا يرتفع الكسوة من اعلام جنسه اذ لا يجوز ان يكون كسوة واحدة لها وللاهل ويجوز في
الطعام ذلك فكان الكسوة مجهولة تجري فيها المنازعة بخلاف الطعام عادة والله اعلم وان الكسوة ليست لها
غاية تعرف فاحتيج الى ذكر الجنس ليقع في حد تقرب المعرفة والعلم واما الطعام فموجود وغاية عند الناس متقاربة
لا متفاضل عندهم لذلك جاز هذا ولم يجز الا ان يعلم الجنس فاذا علم الجنس فحينئذ تحصر عندهم كالطعام
والله اعلم والذي يدل على جواز استيجار الظئر قوله وعلى الوارث مثل ذلك والله اعلم وعلى الوارث مثل
ما على المولود له ولا شك انه انما يجب على الوارث بعد موت الاب فذكر الكسوة والرزق في الرضاع لا في النكاح
انما على الاب في النكاح حالة الخصوم فدل انه ذلك جائز والله اعلم وقوله تعالى لا تكلف نفس الا وسعها
قال القوم قوله الا وسعها الا ما يتسع ويحل لكن هذا لا يصح لان الامر يحل بتحصيل المأمور به ويتسع لا محالة
فيصير تقديره لا تكلف نفس الا ما تكلف به وهذا لا يكون وقال قوم الا وسعها اي طاقتها وقدرتها وهو
اشبه ومعناه لا يكلف الزوج بالانفاق عليها والكسوة لها الا ما يحتمل ملكه وان كانت تحتاج لتفضل
على ما يحتمله ملكه فان النفقة انما تعتبر بقدر طاقة الزوج وهو كقوله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها
سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى لا تضار والدة بولدها يحتمل وجهين احدهما لا تضار بمعنى
تضارر والثاني بمعنى لا تضارر والاول يحتمل وجهين احدهما لا تضارر يكون نهيا للزوج او لا يضارها
زوجها بانتزاع الولد منها وهي تريد امساكه وارضاعه فانها احق بالارضاع اذا كانت ترضع بغير شيء
او بمثل ما ترضع غيرها وهو كقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فجعلها اولى بالرضاعة ثم قال
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فلم يسقط حقها في الارضاع الا عند التعاسر وكذلك اذا كانت لا تريد
ارضاعه ولكن تريد امساكه فانه لا ينتزع الولد منها ولكن يؤمر الزوج بان يحصل الظئر عندها حتى ترضعه
في بيتها وهو قول اصحابنا والثاني ان لا يضارها الزوج بترك الانفاق عليها واما الثاني لا تضارر نهي
للمراة عن الحاق الضرر بالزوج اما بان ترمي الولد عليه بعد ما عرفها والفها ولا ترضعه فيتضرر الزوج بذلك
مما يلحق الضرر ولده به واما بان تحمله فضل النفقة عليه وملكه لا يحتمل ذلك بل يجب ان يحمل عليه ما يحتمل
ملكه وقوله تعالى ولا مولود له بولده معطوف على قوله لا تضار والدة بولدها والمعطوف يشارك
المعطوف عليه في حكمه والمولود له هو الوالد وهو يحتمل وجهين ايضا لا تضارر الوالد بولدها نهي للرجل ان يضارها
بولدها وهي ان تنتزع من يدها ويحتمل لا تضار الوالد بولدها من جهتها نهي للمراة ان تلحق الضرر بسبب الولد
والمضارة من جهتها قد يكون من النفقة وغيرها اما في النفقة فهي ان تطالب فوق حقها وتحمله ما لا يطيق وفي
غير النفقة ان تمنعه رؤية الولد الا لمام به وان تخرجه من بلده وهو لا يعلم به فيكون مضارة له بولده وان رضي

الولد عليه بعد ما ألفه الولد الأم فيتضرر الولد به فيتألم قلب الوالد بذلك والله أعلم ثم تسميته الأب مولوداً
له دليل على انه يسمى والدا على المجاز لا على الحقيقة لأنه لم يلد هو وانما ولد له وهذا دليل على ان المرأة تستحق اسم
الفاعل بفعل غيره لوقوعه عليه فان كل معمول له يستحق اسم الفاعل وان لم يعمل هو على نحو ما سمي الأب والدا وان
لم يلد هو انه يولد له وعلى هذا قلنا ان من حلف ان لا يطلق امرأته ولا يعتق عبده فأمر غيره ففعل حنث وجعل كأنه هو
الفاعل والله أعلم وقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك اختلف في تأويله روي عن ابن عباس والشعبي هو معطوف
على قوله لا تضار والدة ومعناه ان لا يضار الوارث باليتيم كما لا يضار الوالدة والمولود له بولدهما وقال بعضهم هو معطوف
على النفقة والكسوة لا غير دون ترك المضارة وهو مروي عن عمر وزيد بن ثابت والحسن وقبيصة بن ذؤيب وعطاء
وقتادة وغيرهم وقال آخرون هو معطوف على الكل على النفقة والكسوة وترك الضرار فمن صرف قوله وعلى
الوارث الى النفقة والكسوة وعطفه على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن لأنه عطف الاسم
على الاسم وهو سائغ في اللغة ولو عطفنا على قوله لا تضار يكون عطف الاسم على الفعل ولأنه لو عطف على
لا تضار لكان من حق الكلام ان يقول ولا الوارث مثل ذلك وكذا قال وعلى دل انه معطوف على قوله وعلى المولود
ومن قال انه راجع الى الكل اعني النفقة والكسوة وترك المضارة قال ان قوله وعلى الوارث مثل ذلك ينصرف
قوله ذلك الى جميع المذكور قبله من عند قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لأن الكلام كله
معطوف بعضه على بعض بالواو وهي حرف الجمع فكان الجميع مذكورا في حال واحد النفقة والكسوة والنهي
لكل منهما عن مضارة الآخر ثم قال وعلى الوارث مثل ذلك من النفقة وان لا يضارها لا تضاره في النفقة
وغيرها والله أعلم ثم اختلف في تأويل قوله وعلى الوارث روي عن عمر انه صرف الى العصبات حتى قال بالنفقة
عند عدم الأب يجب على العصبة وذهب في ذلك الى ان الله تعالى اوجب النفقة على الأب دون الأم مع انها
لأن الأب عصبة فوجب ان يختص بها العصبات بمنزلة تحمل العقل يكون على العصبات بمنزلة تحمل العقل
يكون على العصبات فهذا مثله وقال زيد بن ثابت ينصرف الى الوارث من ذي الرحم المحرم حتى قال بوجوب النفقة
على الرجال والنساء من ذوي الرحم المحرم على قدر مواريثهم وبه أخذ أصحابنا وعن ابن عباس ما روينا في قوله وعلى
الوارث مثل ذلك لا تضار ولم يرو عنه التنصيص في النفقة وقال مالك لا نفقة على أحد غير الأب للابن
والابن للأب حتى قال لا يجب على الجد لابن الابن ولا على ابن الابن للجد وقال الشافعي تجب النفقة فيما بين
الوالدين والمولودين لا غير حتى قال لا تجب النفقة لذي الرحم المحرم على صاحبه وتعلق بما روي عن ابن عباس
في قوله وعلى الوارث مثل ذلك في النهي عن المضارة بعد ما سبق من النفقة والكسوة والله أعلم ووجوب النفقة
على المولود لا غير فيكون ايجابا على من كان بمثل حاله من القرب دون غيرهم وقلنا ان قوله تعالى وعلى الوارث مثل
ذلك انما ينصرف الى قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن لا غير كما قال قوم او الى جميع ما سبق من النفقة
والكسوة وترك المضارة كما قال قوم فيكون دليلا على وجوب النفقة في غير الوالدين والمولودين فظاهره
يقتضي ان يجب على جميع الورثة لأن الوارث معرف باللام فينصرف الى الجنس الا ما قام دليل الاجماع ان الحكم
غير مختص بالورثة فان الزوجة وارثة ولا يجب عليها نفقة زوجها وكذلك المعتق وارث ولا يجب عليه
نفقة المعتق فكان المراد منه الورثة من الأقارب وقد قام الدليل عندنا على ان المراد به المحارم منهم دون الأباعد
دون مطلق الأقارب فكان غيرهم خصوصا من النص فوجب العمل بظاهر النص بقدر الممكن وأما قول ابن عباس
في قوله وعلى الوارث مثل ذلك أن لا يضار فلا دلالة فيه على انه لا يرى وجوب النفقة على الوارث لأنه قد يوافق
من وافقه في هذا التأويل بل فيه دليل وجوب النفقة لأن قوله لا تضار والدة بولدها نهي عن المضارة في
النفقة وغيرها على ما قررنا اذ كان معنى اضرار الوالد بالوالدة هو ترك الانفاق عليها او انتزاع الولد من الوالدة
وقدام الوارث بقوله وعلى الوارث مثل ذلك لا يضارها فانما يرجع الى مثل ما لزم الأب وذلك يقتضي ايجاب
الوارث ان يسترضع الوالدة بأجر مثلها لئلا يخرج الولد من يديها الى غيرها اضرارا بها والذي يدل على ان المضارة
في النفقة وفي غيرها قوله تعالى عقيب ذلك وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فهذا خطاب لمن سبق ذكره
من الأب والورثة جميعا والله أعلم واذا ثبت ان قول ابن عباس لا ينفي وجوب النفقة على الوارث بل يوجب يكون
قول مالك والشافعي مخالفا لقول عمر وزيد بن ثابت وابن عباس وسائر السلف ولم نعرف لهما من السلف اماما
يسند قولهما اليه فيكون مردودا ولهذا احتج اصحابنا بان جعلوا الوارث على المحارم من الأرحام قوله
لا جناح عليكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم الى آخر الآية وانما المراد منه رفع الجناح عن الأكل من بيوت هؤلاء بسبب قيام الحق الا الرضا
والبذل ألا ترى انه يباح الأكل من بيت الأجنبي بناء على البذل والرضا فلم يكن الأكل من بيت هؤلاء بناء

على قيام الحق لم يكن للتخصيص فائدة فان قيل قد ذكر في هذه الآية او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ولا يستحق
عليهما النفقة قيل انه ثبت النسخ في حق الصديق بالاجماع ولم يثبت النسخ في حق ذوي الرحم المحرم وقيل
انما لم تفرض النفقة على الصديق لأنه لو فرض عليه لانقطعت الصداقة بينهما عسى لما يجري المطالبة
والمرافعة الى الحكام عند الامتناع اذ الصداقة لم تكن بناء على سبب كامل ظاهر سوى حسن المعاشرة وذلك
يضعف بعضنا فأما القرابة فأمر لازم وهي حاملة على الاحسان فلا ينقطع بمثل هذا والله أعلم فان قيل
ان الله تعالى قال وعلى المولود له رزقهن ثم قال وعلى الوارث مثل ذلك يجب ان يشارك الأب من الورثة من كان مثله
في القرب وهو الأم حتى تكون النفقة عليهما على قدر مواريثهما كما في حق سائر الورثة وكما قال اوصيت لفلان
بألف واوصيت لفلان مثل ذلك ولم يخرج الوصايا من الثلث فانهما يشتركان فيه قيل لما جعل الله تعالى نفقة
الولد كفاية على الأب فلم يبق الصغير محتاجا حتى يجب له النفقة على غيره وفي الوصية يثبت لكل واحد منهما ألف
بموجب اللفظ الا انه لتضايق المحل وقعت الشركة باعتبار المزاحمة وهاهنا جعل الكل على الأب وهو قادر فلا
شيء حتى يجب على غيره والله أعلم وقوله تعالى فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما
قيل معناه ان أراد الأبوان فصال الصبي وفطامه عن تراض فلا حرج عليهما فيه اشارة الى ان الفصال بعد الحولين
ليس لهما الا برضاهما جميعا واتفاقهما على ذلك انما بعد تمام الحولين فانه لو اراد احدهما الفصال دون الآخر
فانه ينفصل بدون رضا صاحبه وأصل ذلك ان الفصال بعد الحولين يفصل على التمام والكمال بنص الكتاب
فجاز ان ينفصل اذا اراد احدهما لأنه لا حاجة الى الرأي والتدبير في كون ذلك مصلحة لوجود التنصيص على كونه
مصلحة لكونه كاملا في الكتاب فأما الفصال قبل الحولين فصار على غير تمام على قضية ذكر الكتاب فيخصه
فلا ينفصل الا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك لأن اجتماع الرأيين في المصلحة أقرب ولهذا كان لا يجوز
للوصيين الانفراد بتصرف يجري فيه الرأي والمشورة ويختلف المصلحة باختلاف الرأي والتدبير لما قلنا
فهذا مثله وان شئت قلت انه في الحولين قد ظهر التمام والكمال والكفاية بالنص وما دونه يعلم
بالاجتهاد والرأي وعند التنازع والاختلاف يعول موضع بيان الصواب وتمييز الحق من الباطل
فيجب الرد الى الحد المذكور في النص ليرفع التنازع بالاتفاق وفي ذلك وقع الفرق بين الأمرين ثم قوله فلا جناح
أي لا حرج وهو الضيق ومعناه أي لا ضيق ولا تبعة عليهما ولا اثم اذا اراد فطامه بدون الحولين وقوله
تعالى وان أردتم ان تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم وفي الآية دليل جواز الرضاع بعد الحولين
لأنه ذكر في قوله فان أرادا فصالا عن تراض منهما الفصال قبل مضي الحولين حتى شرط اتفاقهما وتراضيهما
ولا حاجة الى ذلك في الحولين وكذا لمعرفة المصلحة بذكر التمام بالنص في الحولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
وقد ذكر الرضاع في الحولين بقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فينصرف قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم بعد
الحولين فيكون دليلا لأبي حنيفة مع ما ان ظاهر الآية حجة له ايضا فانه تعالى نفى الحرج ان يسترضع ولده
متى اراد من غير فصل بين ان يكون في الحولين وبعدهما فوجب ان يجوز لأن الآية لا تخص ويحتمل ان يكون الآية
في جواز الاسترضاع غير الأمهات اذا أبت الأم رضاعه وهو كقوله وان تعاسرتم فسترضع له أخرى ولكن
هذا حجة له ايضا فانه اباح الاسترضاع مطلقا فيجب العمل باطلاقه الا بما يثبت تقييده وقد ثبت التقييد
بالحولين وبعض بالاجماع بيننا وبين الخصم ولا اجماع فيما دونه والله أعلم وقوله اذا سلمتم ما آتيتم
بالمعروف أي اذا سلمتم الأجر الذي قبلتم ولا يراد هاهنا بقوله ما آتيتم حقيقة الايتاء ولكن يريد به
القبول دليل الطلاق ذلك قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وليس هو الايتاء
نفسه ولكن يريد به القبول كأنه قال فان تابوا وقبلوا اقامة الصلاة وعهدوا ايتاء الزكاة فخلوا سبيلهم
فهذا مثله ويحتمل ما آتيتم أي عقدتم من عقد الايتاء اذ الايتاء هو الاعطاء والعطية عند التسليم
بناء عليه وهذا كقول القائل لمن يفرق بين قوله اعطيتني كذا فلم اقبضه يصح هذا وسلمتني كذا فلم اقبضه
والله أعلم ثم في الآية دليل ان الزوجين لا يصلح هاهنا حكمان على انفسهما في الرضاع وولدهما فالرأي في هذا الى
اليهما ولم يحتج الى نظر غيرهما ولا الى رأي آخر لما لم يوجد ان عدم شفقتهما جميعا عن ولدهما فان اجتمعا
على شيء فانه يكون ذلك خيرا للولد من حيث الظاهر والغالب فأما اذا كان الحكم لغيرهما او على غيرهما
فلا بد من ان يحكم غيره دليله قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم وقوله فابعثوا حكما من اهله وحكما
من اهلها فهنا الحكم على غيرهما فأما هاهنا الزوجان يحكمان على انفسهما او ينظران لولدهما الى ذلك
أنفقا الأمران وقوله فاتقوا الله أي فيما أمركم من الانفاق والكسوة ونهاكم من الاضرار بالولد وضرار
احدهما صاحبه وقوله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون بصير وهو وعيد على ما سبق من الأمر والنهي

وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا • التربص بالشيء هو الانتظار به قال الله تعالى فتربصوا به حتى حين وقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر يعني ينتظر فامرها الله تعالى بان يتربص بنفسها هذه المدة عن الازواج الا ترى انه عقبه بقوله فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن على عامة اهل التاويل بان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج حول عدة المتوفى عنها زوجها كانت نسخت بهذه الاية وروي عن ام حبيبة وام سلمة ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان بنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها افانكحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرتين او ثلثا انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت احداكن ترمي بالبعرة على راس الحول فبين انه كان ذلك متقدما على الثاني فنسخه وان كانت هذه مقدمة في الذكر فتلك متاخرة لكن هذه مقدمة في التنزيل وعدة الشهور متاخرة لان نظام التلاوة في الكتاب ليس هو على نظام التنزيل وترتيبه وقال اخرون ان هذه الاية غير ناسخة لذلك في حق العدة لان الاعتداد الواجب الان هو اربعة اشهر وعشر وانما الزيادة على ذلك بطريق الوصية من الازواج كانوا يوصون لهن بان لا يخرجوهن من بيت الزوج حولا وينفقوا عليهن ما لم يخرج بنفسها ثم صارت الوصية منسوخة للوارث بقوله عليه السلام ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبقي ما زاد على اربعة اشهر وعشر انه قال متاعا الى الحول غير اخراج ثم قال فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف بين ان الخروج لم يكن منهيا لها ان الخروج منهن رد الوصية وامتناع من القبول والله اعلم ثم قيل انما قدرت عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر لانه قد علم ان الولد يكون اربعين يوما نطفة واربعين يوما علقة واربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشر فاذا كان ما ذكرنا امر تام فتربص اربعة اشهر وعشر ليتبين الحبل ان كان بها فان قيل اليس لهذا المعنى فهو تبين الحبل بهذه المدة لم يختلف بين الامة والحرة لم يجعل عدة الامة اربعة اشهر وعشرا قيل لان تقدير العدة باربعة اشهر وعشر لحكمة غير معلول بهذا المعنى قيل ان نكاح الاماء في الاصل لم يقصد به طلب الولد لما فيه رق الولد واكتساب الذل على الاولاد ولما يضطر فيه لقضاء الشهوة ولاقامة امور البيت فلم يكن ما ذكرنا موجودا بطريق الاغلب فلم يقدر العدة في حقها بما يقدر في حق الحرائر لتحقق هذا المعنى في العدة في الاصل حق تختص بالحرة والحقوق التي تاخذ الحرائر اذا صرف ذلك الى الاماء ياخذن نصف ما تاخذ الحرائر فاما قلنا ان هذه الاية خاصة في حق الحرائر دون الاماء فان عدة المتوفى عنها زوجها اذا كانت امة شهران وخمسة ايام نصف عدة الحرة باجماع السلف ولان الحرائر هن الاصول في النكاح وفيهن يجري الانكحة على الاعم والخطاب انما يخرج للمتعارف فيكون الاية محكم ينصرف الى الحرائر دون الاماء وقد حكي عن الاصم ان الاية عامة في الحرة والامة فيكون عدة الامة ايضا اربعة اشهر وعشرا وكذلك يقول في عدة الامة في الطلاق انها ثلث حيض وهو قول خارج عن اقاويل السلف وكذا لما خالف الحديث المشهور طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان وهذا خبر قد تلقاه الفقهاء بالقبول واستعملوه في تنصيص عدة الامة فهو في حيز التواتر الموجب للعلم فيكون مردودا ولا خلاف بين اهل العلم ايضا ان هذه الاية خاصة في غير الحامل واختلفوا في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها على اقوال الشيخ فقال علي وعبد الله في رواية عن ابن عباس انها تعتد ابعد الاجلين انها كانت اخر تنقضي العدة به وقال عمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وابو هريرة في اخرين ان عدتها ان تضع ما في بطنها وان كان زوجها على السرير وبهذا اخذ اصحابنا وعن الحسن ان عدتها ان تضع وتطهر من نفاسها فلا يجوز لها ان تتزوج وهي ترى الدم ذهب علي رضي الله عنه الى ان الاعتداد بوضع الحمل انما ذكر في الطلاق بقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولم يذكر في الوفاة وانما ذكر في الوفاة الشهور فيحتمل ان يكون ذلك في الوفاة لذكره في الطلاق ولا يكون العدة بالشهور بل بوضع الحمل ويحتمل ان يكون حكم الوفاة مثل حكم الطلاق فامرها باتباع الاجلين احتياطا على ان احدى الايتين توجب الشهور والاخرى تقتضي انقضاء العدة بوضع الحمل فوجب الجمع بين الايتين في اثبات حكمها للمتوفى عنها زوجها وجعل انقضاء عدتها باخر الاجلين من وضع الحمل ومضي الشهور عملا بالايتين بقدر الممكن وذهب ابن مسعود الى ان تاريخ هذه الاية انه سبق فينسخ الشهور بوضع الحمل فانه روي عنه انه قال من شاء باهلته ان قوله واولات الاحمال اجلهن نزلت بعد قوله اربعة اشهر وعشرا ولما ذكرنا من الحكمة في تقدير اربعة اشهر وعشر ان ثبت ما روي انه يكون اربعين يوما نطفة والحديث يقتضي انها اذا ولدت لاقل من هذه المدة تنقضي العدة لبراءة فراغ الرحم والله اعلم وروي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قلت يا رسول الله حين نزلت هذه الاية واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن انها في المطلقة او المتوفى عنها زوجها فقال عليه السلام فيهما جميعا وقد روت ام سلمة ان سبيعة بنت الحرث

وضعت

وضعت بعد وفاة زوجها ببضع وعشرين ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تتزوج وروي ايضا عن ابي السنابل بن بعكك ان سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها ببضع وعشرين فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تتزوج وهذا حديث صحيح وقد روي عن طرق صحيحة لا مساغ لاحد في العدول عنه ثم اختلفوا في نفقة المتوفى عنها زوجها قال ابن عباس وجابر بن عبد الله نفقتها على نفسها حاملا كانت او غير حامل وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وعطاء وقبيصة بن ذؤيب وبه اخذ اصحابنا ان لا سكنى لها ولا نفقة في مال الميت حاملا كانت او غير حامل وروي عن علي وعبد الله بن مسعود انهما قالا الحامل اذا مات عنها زوجها فنفقتها في جميع المال وبه قال الكثير من العلماء وقال مالك نفقتها على نفسها وان كانت حاملا ولها السكنى اذا كانت الدار للزوج وهي احق بسكناها حتى تنقضي عدتها فان كان على الزوج دين وللشافعي قولان في قول قال لها السكنى والنفقة وفي قول لا نفقة ولا سكنى ثم المتوفى عنها زوجها عليها الاحداد في العدة من اجتناب الزينة والطيب كذلك روي عن جماعة من الصحابة منهم عائشة وام سلمة وابن عمر وغيرهم وهو قول السلف وعامة فقهاء الامصار واصل ما روي من الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا فان قيل لم الحداد وجب على المطلقة والحزن انما جاء في الموت قيل ليس الحزن في الموت فقد ولكن لا لعين الموت ولكن لمعنى الموت وهو فوت النعمة فالذي هو فات الزوج سبب صيانتها وعفافها وذلك في الطلاق كهو في الموت الا ترى انه لا يجب ذلك في موت ابيها ولا في موت ولدها وذلك انه لا يجب للموت ولكن لفوت النعمة في الدين ولهذا قال عليه السلام المرأة مفتاح الجنة فامرت باظهار الحزن على ما فات منها من النعمة بترك الزينة والتشوف التحول بالمرأة وعدم التحول سواء في الموت في وجوب العدة والحداد اظهار الحزن على فوت النعمة فاما المطلقة قبل الدخول بها لم يلزم ذلك لان العدة لم يلزمها فيجدد لها النعمة لان لها ان تنكح في الحال فكانت نعمة لا تقرع لان الصغيرة اذا مات عنها امرأته يلزمها اربعة اشهر وعشرا لا اظهار الحزن لفوات نعمة النكاح وقوله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف • قيل لا تبعة عليكم ولا اثم فيما فعلن قيل تزين بعد انقضاء العدة وقيل المعروف وضعهن انفسهن في الاكفاء بمهر مثلهن وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم وقوله تعالى فلا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء • قيل التعريض هو ان يري من نفسه الرغبة فيها بالدلالة في الكلام من غير تصريح اذ التعريض لغة هو تضمين الكلام من الدلالة على الشيء من غير ذكر على ما ذكر في الخبر فاطمة بنت قيس لما استشارت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا انقضت عدتك فاذنيني فاستاذنته في رجلين كانا خطباها فقال عليه السلام لها اما فلان فانه لا يرفع العصا عن عاتقه واما فلان فانه صعلوك لا شيء له فهل لك باسامة بن زيد فكان فاذنيني كناية خطاب الى اشارة الى اسامة بن زيد يصرح به وعن ابن عباس انه قال التعريض بالخطبة ان يقول لها اني اريد ان اتزوج امرأة من امرها وامرها يعرض لها بالقول وقال الحسن هو ان يقول لها اني بك لمعجب واني فيك لراغب وقال بعضهم هو ان يقول لها في العدة انك علي لكريمة واني فيك لراغب وان الله تعالى لسائق اليك خيرا ونحو هذا من القول وقال عطاء ان يقول انك لجميلة واني فيك لراغب وان يقضي الله بيننا شيئا كان وقال سعيد بن جبير في قوله الا ان تقولوا قولا معروفا ان يقول اني فيك لراغب واني لارجو ان نجتمع قال الشيخ ما ذكر عن اهل التاويل انك لجميلة وانك لمعجبي وما انا الحاجة الى غيرك او انك لنافعة ونحو ذلك هذا انما لا يحل ان يشافه امرأة اجنبية ليتكلم بها الحال الا ان المباح وهو التعريض وهو ان يتكلم بكلام يدل على رغبته فيها ولا يخطبها بصريح القول وفي الاية دلالة ان لا باس للمتوفى عنها زوجها الخروج بالنهار فانما ابيح التعريض في الرجل انما لا ياتيها في منزلها فيعرض لها ولكن المرأة قد تخرج من منزلها فيكون في مكان احتمال التعريض فيه وذلك بقول لها ما ذكرنا ودل على ذلك من جهة الاثار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأة مات زوجها فاستاذنته في الاكتحال ولم ياته الخبر انه نهى عن الخروج وكما روي عن عمر وابن مسعود بالاذن لهن بالخروج بالنهار والله اعلم لبيتوتة في غير منزلهن ولان المتوفى عنها زوجها مؤنتها ونفقتها على نفسها فلا بد لها من الخروج فاما المطلقة فلا يحل لها الخروج لا ليلا ولا نهارا لان نفقتها على زوجها فالزوج هو الذي يكفي مؤنتها وتربح عليها فلذلك افترقا والله اعلم ثم التعريض لا يجوز في المطلقة لوجهين احدهما ما ذكرنا انه لا يباح للمطلقة الخروج من منزلها اصلا فلا يتمكن من التعريض لها على وجه لا يقف عليه الناس والاظهار به ينافي الحضور الى بيت زوجها قبيح فاما المتوفى عنها زوجها فيباح لها الخروج نهارا فيمكنه التعريض على وجه لا يقف عليها سواها فلذلك افترقا والثاني ان في تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما بينها وبين زوجها الذي

من حقه دليله انه اذا لم يدخل يجب عليها فاذا لم يدخل الزوج بها فلان زوجها حتى تعلم عسى ما حدث بينهما من
الضعف والمكروه وليس ذلك الا الوفاة لذلك افترقا والله اعلم وقوله تعالى او اكننتم في انفسكم يعني
اخفيتم تزويجها في السر بعدما نقضت العدة وقوله تعالى علم الله انكم ستذكرونهن سرا وعلانية في
نفس الخطبة في العدة وقوله تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا قيل فيه باوجه قال ابن عباس وسعيد بن جبير و
الشعبي ومجاهد مواعدة السر ان ياخذ عليها عهدا ان تحبس نفسها عليه ولا تنكح غيره فمعنى قوله لا تواعدوهن
سرا اي لا تاخذوا منهن عهدا ان تحبس نفسها عليه ولا تنكح غيره فمعنى قوله لا تواعدوهن سرا اي
لا تاخذوا منهن عهدا ان لا تتزوجن غيركم وقال الحسن وابراهيم وجابر بن زيد وغيرهم لا تواعدوهن سرا
اي الزنا والسر في اللغة الزنا وقال زيد بن اسلم لا تواعدوهن سرا لا تنكح المرأة في عدتها وقيل السر الجماع
يعني لا تعدها بالجماع فيقول اتيك بالاربعة والخمسة ونحو ذلك وقوله الا ان تقولوا قولا معروفا
تقول لها قولا حسنا لينا ولا يقول لها قولا يحملها على الزنا وعلى ما يظهر من نفسها الرغبة فيه على ما ذكر
فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض قال تعدلها وعدا حسنا قال ابن عباس تعني لها التعريض
فيه ولا تقول لها ما لا يحل والله اعلم وقوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله قيل
هو على الاضمار كانه قال ولا تعزموا على عقدة النكاح وقيل لا تعزموا او لا تعقدوا حتى يبلغ الكتاب اجله يعني
بالكتاب ما كتب عليها من العدة حتى تنقضي ذلك وقيل دليل حرمتها على الازواج لبقية الملك في حال العدة
ثم هذا الخطاب للاجانب دون الازواج اذ للازواج الاقدام على النكاح وان كن في عدة منهم لان العدة
لا تمنع نكاحهم ثم هذا النهي حمل على التحريم فاذا احتمل الذي هو بين التحريج والصفة غير التحريم لاتفاق على
صرف المراد اليه ولقوله حتى يبلغ الكتاب اجله او ما كتب عليها من التربص فلما كان النهي عن ذلك بما لزمها
العدة حقا للزوج الاول فهي باقية على النكاح في حق تحريم على غيره فكذا ما كان لمن العدة في النكاح في حال العدة
اذ لا يمنع حقه والله اعلم وقوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه هو خوف ووعيد اي يعلم
ما تضمرون في القلوب وتظهرون باللسان من التربص فاحذروه فلا تخالفوا امره ولا نهيه وقوله تعالى
واعلموا ان الله غفور حليم فيه اطماع المغفرة وامهال العقوبة لئلا تتكبه بنهيه وتخالف امره وقيل لحدهم
علمه بما في انفسكم لتكونوا مراقبين له فيما اسررتم واعلنتم وليعلموا انهم يؤاخذون بما اضمروا من المعاصي في الجملة
له وان الذي لا يؤاخذ به العبد هو الخطر بالبال الا ان لا عزم عليه ولا اعتقاد به ثم اخبر انه غفور لتعجل الاستغنا
ذلك عما قدموا وانهم قد استحقوا بفعلهم العذاب والخزي لكن الله تعالى بفضله ستره عليهم ليشكروا
عظيم نعمه وكيلا ييأسوا من رحمته فيستغفروه وذكر حكمه لئلا يغتروا بما لم يؤاخذوا بجزاء ما اضمروا في
الترجيه فيطلبوا الغفلة عنهم كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقوله تعالى لا جناح عليكم
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن في الاية دليل رخصة طلاق غير المدخول بها في الاوقات كلها في الطهر
والحيض لانه تعالى ذكر نفي الجناح الاذى موضع الرخصة ولم يخص وقتا دون وقت واما المدخول
بها فانه عز وجل ذكر لطلاقهن وقتا بقوله فطلقوهن لعدتهن اي في الاطهار وكذا قال اصحابنا لا ينبغي
للرجل ان يطلق امرأته في حال الحيض اذا لم يكن دخل بها ووجهه انه اذا كان دخل بها لم يعرف وقت طهرها الا
من الدخول بها فامر بالطلاق في ذلك الوقت لتكون داعية الى المراجعة اذ لا يرغم على طلاقها فاما اذا كان لم
يدخل بها لم يعرف وقت طهرها الا بالنسوة منه ما به يعرف ذلك الوقت فلم يؤمن يحفظ ذلك الوقت فجعل
الحرج عنه ولانه اذا لم يدخل بها فالطلاق يكون مبينا فجعل كل الاوقات وقتا له كما يجعل الحق المراجعة
قبلها لتكون بعض الاوقات داعية له الى المراجعة بخلاف ما بعد الدخول فان الطلاق لا يبين وحق الرجعة
ثابت فنهوا بالطلاق في هذا الوقت لتكون داعية له الى ذلك ولان المدخول بها يتوهم علوقها منه فجعل
اطلاقها وقتا ليتبين حال لها الحامل ام لا لئلا يندم على طلاقها لان الرجل اذا طلق امرأته ثم ظهر بها
حبل فالظاهر هو ان يندم على ذلك قال الله تعالى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا المعنى في غير المدخول
بها معدوم فاستوى جميع الاوقات في حقها والله اعلم وفي الاية دليل جواز طلاق السنين فيما باحته
فانه اباح الطلاق قبل الدخول فانه سن من نفيها وقوله تعالى او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع
قدره الاية معناه ولم تفرضوا كانه عطف على قوله لا جناح عليكم ان طلقتم النساء وتقديره ما لم تمسوهن
ولم تفرضوا لهن فريضة فنصف ما فرضتم ولو كان الاول يعني ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
لما عطف عليه المفروض لها فدل ان معنى ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وقد يكون بمعنى الواو قال الله
تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا معناه ولا كفورا فيكون شرطه وجوب المتعة للعين جميعا من عدم المسيس

والتسمية

والتسمية جميعا بعد الطلاق والله اعلم وفي الاية دليل جواز النكاح يكون على ذلك قوله اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وفي ذلك دليل ان قوله ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين لا يعني الاية
هو ما يبتغى من النكاح بالمال لا المسمية ولهذا كان لها ان تحبس نفسها عنه حتى يسلم اليها المهر مسمى كان
او غير مسمى وهو كقوله والمحصنات من المؤمنات الى قوله اتيتموهن اجورهن وقوله انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن واذا جاز النكاح بلا تسمية لم يفسده فساد التسمية لان الذي فسد في باب غير جاز
ان يجعل كان لم يكن ثم لما جاز النكاح بلا تسمية فمع فساد التسمية احق وعلى ذلك اتفاق ان من تزوج امرأة
على ما لا يحل من خمر او ميتة او دم ان النكاح يجوز ويبطل الشرط فيكون في ذلك امران احدهما ان ما لا يتعلق
جوازه بالشرط فساد الشرط لا يفسده والثاني فيه بيان ان النهي عن الشغار غير مفسد للعقد لانه جعل بضع
الاخرى والله تعالى لم يجعل التسمية شرطا لجوازه ولهذا افسدنا التسمية حيث جعل المهر ما لا يصلح مهرا
فاذا كان ترك التسمية حيث جعل المحرم ما لا يصلح مهرا فاذا كان ترك التسمية لم يفسد فسادها احق والله
اعلم ثم اختلف السلف في وجوب المتعة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال لكل مطلقة متعة وعن الحسن وابي
العالية والزهري مثله وقد روي عن الزهري ايضا متعتان احداهما يقضي بها السلطان والاخرى حق
على المتقين من طلق قبل ان يفرض فالمتعة حق عليه وعن مجاهد مثله وقال عمر ان لكل مطلقة متعة الا التي
تطلق وقد فرض لها صداقا ولم تمس فحسبها ما فرض لها وعن شريح وابراهيم يجبر الذي طلق ولم يفرض
على المتعة وسئل سعيد بن جبير عن المتعة على الناس كلهم قال لا على المتقين وعن ابن عباس قال اذا فرض الرجل و
طلق قبل ان يمس فليس لها الا نصف المفروض وليس لها من المتاع وقال محمد بن علي المتعة التي لم يفرض
لها والتي قد فرض لها متعة والمافعها الاصناف ان اصحابنا جميعا قالوا المتعة واجبة للتي طلقها قبل
الدخول ولم يسم لها فان دخل بها فانه يمتعها ولا يجبر عليها وبه قال الثوري والحسن بن صالح والاوزاعي
الا ان الاوزاعي قال اذا كان احد الزوجين مملوكا لم تجب المتعة وان كان الطلاق قبل الدخول ولم يسم
لها وقال ابن ابي ليلى المتعة ليست بواجبة ان شاء فعل وان شاء لم يفعل لا يجبر عليها سواء كانت مدخولا
بها او لا سمى لها مهرا او لا وبه قال مالك والليث وقال الشافعي المتعة واجبة لكل مطلقة ولكل زوجة
اذا كان الفراق من قبله او يتم به الا المطلقة التي سمى لها قبل الدخول فالدليل على وجوب المتعة المنصوص
ومن ذلك قوله لا جناح عليكم ان طلقتم النساء الى قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره متاعا بالمعروف
حقا على المحسنين وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا وقال وللمطلقات متاع بالمعروف حقا
على المتقين وفي هذه الاية دلالة الوجوب من وجوه احدها ظاهره للوجوب حتى يقوم دليل الندب والثاني
وجوبا للعمل دون الاعتقاد والثالث انه قال حقا على المحسنين والحق في الفاظ الايجاب يعني اكد
من قوله حق عليه وكذا في قوله وللمطلقات متاع اضاف اليهن بلام الملك لقوله هذه الدار لزيد ولانه تعالى
وللمطلقات متاع اضاف اليهن بلام الملك لقوله هذه الدار لزيد ولانه تعالى قيل المتقين والمحسنين
والواجب لا يختلف فيه المتقي والمحسن وغيرهما الا ان هذا يلزم من قال بالندب لان المندوب لا يختلف فيه
المتقي والمحسن وغيرهما ولان تخصيص المتقي بكونه حقا عليه لا ينفي ان يكون حقا على غيره كما قال تعالى هدى
للمتقين خص المتقين بكون القران هدى لهم وذلك لا ينفي كونه هدى لغيرهم قال تعالى شهر رمضان الذي انزل
فيه القران هدى للناس ومثله كثير ثم ذكر المتقين والمحسنين تاكيد لوجوبها ليرغب المرء في اداءها
ليتصف بهذا الوصف ويدخل تحت هذا المدح والله اعلم ووجه من النظر يدل عليه وهو ان مهر المثل مستحق
واجب بالعقد والمتعة بدل عن نصف مهر المثل وبدل الواجب واجب كالتيمم لما كان بدلا عن الوضوء
واجب بما يكون بدلا لم يكن ايثار البدل ما يقوم مقام المبدل عند عدمه كانه هو وحكى حكايته ودلالة
ان المتعة بدل نصف مهر المثل وجهان احدهما ان المطالبة كانت بمهر ثابتة قبل الطلاق للمرأة قبل الزوج
والحادث هو الطلاق والطلاق سبب لسقوط حقوق النكاح لا لايجابها فثبت ان المتعة كانت تلك
فيه المطالبة حال قيام النكاح وهو مهر المثل ولان حدث الوجوب بالطلاق والثاني انه متى وجب مهر
المثل لم يوجب بالمتعة بان كان الطلاق بعد الدخول بها فثبت انها كانت بدلا من نصف مهر المثل وبقي
له وكان القياس ان يجب في الطلاق قبل الدخول في غير المفروض نصف مهر المثل لانه اذا دخل بها يجب
كل مهر المثل كما ان المفروض لما وجب كله عند الدخول يجب النصف قبله ولكن الشرع اوجب المتعة قائما
مقام نصف مهر المثل تقريرا له تخفيفا وتيسيرا على الحكام لما يلحقهم زيادة كلفة وفضل عناء في تعرف

مهر المثل لما لم يعرف ذلك الا بالاجتهاد والتحري عن احوالها ومحلها ومحل نسائها وموضعها وفي ذلك
مؤنة وتكلف ثم بعد العلم بذلك لا يتعرى الاجتهاد في الوسط من نساء العشيرة في امرها فمن فضل الله تعالى
فضله ورحمته وهو المتعة التي للحاكم سبيل العلم بها وامكنه الوصول اليها بدون ما ذكرت من النظر بل بغير
عنا الرجل وحاله في نفسه من الغنا والفقر ولا غيره فكان ذلك اسهل وذلك والله اعلم نحو ما فرض الله تعالى من زكاة الابل
لا فيها اذا كانت بحيث لو وجب فيها الكان وزعوا منها يبعد تاحذ مثله ثم التسليم الى الفقير فجعل في ذلك الابدال
وهو من الشياه تيسيرا وتخفيفا على ارباب الاموال والفقراء حتى ان الذي عليه لو خرج بتسليم العين كان قبيلة
ما الحق فيه كانت المتعة بدلا من نصف مهر المثل بطريق التيسير على الحكام حتى ان من عليه لو خرج نصف مهر المثل
جاز والله اعلم فان قيل هو المثل دراهم وقد ثبت بالمتعة انما هي اثواب فكيف يكون بدلا قيل المتعة غير مقدرة
بشيء مخصوص عندنا لو اعطاها دراهم ودنانير والمتعة انما هي اثواب فكيف يكون بدلا قيل المتعة غير مقدرة بشيء
مخصوص عندنا لو اعطاها دراهم او دنانير لم يجبر على غيرها وهذا الوجه الذي ذكرناه من ان المتعة بعض مهر
المثل معنى وقائم مقامه طريق محمد ان عنده اذا رهن بمهر المثل رهنا عندها ثم طلقها قبل الدخول كان ذلك
هنا بالمتعة محبوسا بها حتى اذا هلك هلك بالمتعة واما ابو يوسف فانه لا يجعله رهنا بها حتى اذا هلك
بغير شيء والمتعة باقية عليه فهذا يدل على انه لم يجعل المتعة بعض مهر المثل معنى ولا بدلا عنه ولكن اوجبها
معنى ولا بدلا عنه ولكن اوجبها بنفسه بظاهر النصوص التي ذكرناها وبنوع من الاستدلال وهو ان عقد
النكاح لا يخلو من ايجاب بدل مسمى كان او مهر المثل فعرفنا ان حصول ملك البضع له بغير بدل لو خلو
من المثل العقد عند عدم التسمية لوجوب المسمى فيه ثم ان الطلاق قبل الدخول في عقد فيه مسمى لا يسقط
كل البدل وفارق النكاح بهذا المعنى سائر العقود لان عود المبيع الى ملك البائع يوجب سقوط الثمن كله
وسقوط الثمن كله وسقوط حق الزوج عن بضعها بالطلاق قبل الدخول لا يخرجه من استحقاق بدل
ما هو كنصف المسمى فوجب ان يكون ذلك حكمه اذا لم يكن فيه تسمية والمعنى الجامع بينهما هو ان الطلاق
قبل المماسة انما يجعل سببا لاسقاط بعض ما اوجبه العقد الذي فيه مسمى وهو انه لم يصل الى الزوج
كالها لحصد النكاح اذ هو مجعول للتعفف وحقيقته في امكان الاستمتاع لا بالعقد نفسه فلولا ذلك
لما شرع النكاح وهذا المعنى يوجب ان يبطل كل المهر ولكن لم يبطل لما ان الطلاق تعلق ما تقرر في الملك
الذي تعلق به البدل اذ البدل في الحقيقة للملك لا للاستمتاع فانه عقد معاوضة تمليك بتمليك لكن الاستمتاع
من مقاصده دليل ذلك ان المهر لا يزداد بكثرة الاستمتاع فثبت ان سبب الملك والتقلب فيه بالطلاق تمام نوع
السبب الموجب للملك الذي اوجب البدل بدليل تصرفه فيه بالقطع والاعتاق ولهذا له تمكن له اعتاق العبد وهذا المعنى
يوجب ان لا يرتفع عنه شيء من البدل فاوجب الله تعالى نصف المهر واسقط نصفه لما وجد احد المقصودين
وفقد الاخر والله اعلم وهذا المعنى موجود في الطلاق قبل الدخول في النكاح الذي لا تسمية فيه فيجب
القول بوجوب المتعة بدلا عن البضع والله اعلم بقرب ما قلنا انها معتبرة بحال الرجل دل على وجوبها ويخرج
على ما قلنا انها معتبرة بحال الرجل بكتاب الله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ولو لم يكن
واجبة لم تعتبر بحال الرجل قدره انما الشيء الواجب لم يعتبر بحال الرجل بل له ان يفعل ما شاء في حال الاعسار
واليسار فلما قدرها بحال الرجل دل على وجوبها ويخرج على ما قلنا ان لا تجب المتعة في الطلاق بعد الدخول
بها خلافا للشافعي لانها لما كانت واجبة بدلا عن البضع اما بدلا عن نصف مهر المثل او بدلا عن نصف المسمى وقد تحقق
بعد الدخول بها المسمى او مهر المثل فلا يجوز ايجاب المتعة فيؤدي الى ان يكون لملك واحد بدلان والى الجمع
بين بدل واصل في حالة واحدة وهو فاسد ولانه لا خلاف ان المطلقة قبل الدخول في نكاح فيه تسمية
لا تستحق المتعة على وجه الوجوب فالمطلقة بعد الدخول الان لا تستحق بطريق الاولى لانها مستحقة
بعض المهر وهذه مستحقة كل المهر فلما لم تستحق المتعة لاستحقاقها بعض فلان لا تستحق هذه
مع استحقاقها الجميع اولى ولان الله تعالى جعل الطلاق سببا لتحقق الحقوق على الزوج ورفع المؤن
ورد الامر الى العناية لا بغيره بقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته اضاف الاغناء الى نفسه دون غيره
فلو وجبت المتعة يصير الطلاق سببا لالزام المؤنة ويكون الغنا بالزوج وهذا فاسد والله اعلم فان قيل
اليس ان الله تعالى قال وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين وذلك عام مطلق الا ما خص بدليل والمطلقة
قبل الدخول وسمي لها مخصوصة فنوجبها فبقي على العموم ويحتمل ان المراد من المتاع ما عليه في حال النكاح من الكسوة
والنفقة الى انقضاء العدة اذ لها ان تستوفي بقية مهرها وعلى الزوج التسليم بعد النكاح لما كان يؤجلا بحكم
العادة لان المتاع اسم يقع على جميع ما ينتفع به فنحن جعلنا المطلقة شيئا مما ينتفع به من مهر او نفقة فقد قمنا

عموم الاية لان قوله وللمطلقات متاع انما يقتضي دفع ما يقع عليه الاسم ونحن لما قاله وهو المتعة التي في الطلاق
قبل الدخول في نكاح لا تسمية فيه فلا يكون بحجة مع الاحتمال بل يجب الحمل على ما قلنا لان الطلاق سبب لاسقاط
الحقوق في الجملة فلا يجوز ان يكون سببا لايجاب شيء غير واجب يبقى بعد الطلاق الى زمان انقضاء العدة فوجب
الحمل عليه ولا يقال لان الله تعالى قال وللمطلقات متاع يقتضي ايجابه بالطلاق ولا يقع على ما قد استحقته قبل ذلك
من المهر والنفقة لانا بينا ان الطلاق لا يصلح موجبا امرا لم يكن ولكن خص المطلقة لما ان الطلاق في الجملة
لما وضع مسقطا للحقوق فجاز ان يظن ظان انه يسقط جميع ما وجب لها من المهر وغيره فازال عن كونه حقا لها من حيث
اضاف اليهن بلام الملك والله اعلم ويحتمل انه ذكر على سبيل الترغيب والندب اليه لتكون تسريحا باحسان عما
ما غصب في غير المدخول بها اذا ما لم يعطها الكمال وكما ندب المتعة يجب الحمل عليه لما ذكرنا من الادلة والله اعلم واما الكلام
في تقدير المتعة الواجبة روي عن السلف في ذلك اقاويل مختلفة عن ابن عباس قال اعلى المتعة خادم ثم دون
ذلك النفقة ثم دون ذلك الكسوة وعن ابي مجلز قلت لابن عمر اخبرني عن المتعة واخبرني على قدري فاني موسر قال
اكس كذا اكس كذا فحسبت ذلك فوجدته قيمته ثلاثين درهما وعن الحسن انه قال كان منهم من يمتع بالخادم والنفقة
ومنهم من يمتع بالكسوة والنفقة ومن كان دون ذلك فثلاثة اثواب درع وخمار وملحفة ومن كان دون ذلك متع
بثوب واحد وعن سعيد بن المسيب قال افضل المتعة خمار وادناها ثوب وعن عبد الله بن مغفل قال لها المتعة
على قدر ماله وكذا عن الشعبي ان المتعة على قدر مال الرجل وعن عطاء اوسع المتعة درع وخمار وملحفة وعن الشعبي
قال اوسطها فيها ثلاثة اثواب درع وخمار وملحفة وجلباب وقال حماد يمتعها بنصف مهر مثلها واصحابنا
لم يقدروا لها مقدارا معلوما لا يتجاوز ولا ينقص عنه وقالوا هي المعتاد في المتعارف في كل وقت على قدر
حال الرجل من يساره واعساره ويجب مع ذلك اعتبار حال المراة ايضا كما روي عن ابي الحسن الكرخي
وعن علي بن موسى القمي موكول ذلك الى اهل الاجتهاد من الحكام في كل زمان وكذا روي عن الحسن البصري
انه قال ليس في المتعة شيء موقت هي على قدر الميسرة وما روي عن السلف من المقادير ليست على طريق الرد
بل صدرت عن اجتهاد رايهم وتختلف المقادير باختلاف الاوقات والازمنة واصل ذلك ان الله تعالى جعل
المتعة مقابل نصف المسمى عند التسمية ولو تركنا والتدبير بعد بياننا ان الواجب ما لم يسم هو مهر المثل
بمنزلة وجوب المسمى فيما سمى لكان الذي يغلب على الوهم انا لا نتدرك تدبيرنا عن نصفه من المثل فتولى الله
تعالى بيان ذلك لعلم الناس والله اعلم بالخلق وان الله تعالى قد بين كل ما بالخلق اليه حاجة على قدر ما يحتمله وسعهم
ويبلغه عقولهم فان الذي لا يحيط به تدبيرهم من طريق التعيين او النص تفضلا منه على عباده ليبلغه
به بينهم ويمنعهم عن التنازع ثم لم يبين لنا ماهية المتعة بالتنصيص عليها والاشارة اليها الا بين الكتاب
بقوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره علمنا والله اعلم ان العقول مبلغه وانه بالتدبير فيه يمكن
الوصول اليه ولو علم قصور التدبير عن الوقوف على المعرفة ذلك في الجملة لبينه بطريق التعيين والتنصيص
فدل انه مفوض الى راي اهل الاجتهاد في كل زمان لكن لا يزاد على نصف مهر مثلها حتى قال اصحابنا انه اذا طلق
قبل الدخول ولم يسم لها وكانت متعتها اكثر من نصف مهر مثلها انه لا يجاوز بها عن نصف مهر مثلها ومن
المتعة ومقدر عن بعض ثلاثة اثواب درع وخمار وازار لان ذلك ادنى ما تستتر به المراة عند الخروج والدليل
على انه لا يجوز ان يزاد على نصف مهر المثل هو نهاية المتعة ان الله تعالى قد بين ان الحق ذكره عند التسمية واثبت
منه عند عدم التسمية بوجهين احدهما بقوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوجب المتعة على قدر حالة
ملك الزوج فيما كان الطلاق قبل المماسة وعند التسمية اوجب نصف المسمى احتماله وسعه وملكه ولا
ومعلوم ان الاحتمال على قدر الموسع والثاني ما علم من الاختلاف بين الامة فيما لا تسمية له اذا مات احد
الزوجين في حق وجوب مهر المثل كاملا او السقوط ومن الاتفاق على كمال المسمى فيما كان ثم تسمية
عند موت احدهما فدل ان الحق في احد الوجهين او كهنه في الاخر ثم في الطلاق قبل الدخول حال المسمى لا يزاد
على النصف ففي الطلاق قبل الدخول في غير المسمى لا يزاد على نصف مهر المثل اولى اذا الامر فيه محمول
على التيسير والتخفيف من التعبد المجاوزة بالامة الموسر على التخفيف على الموسر التغليظ في التغليظ
اعلم مع ما ان الله تعالى ذكر المتعة ولم يبين لنا ماهية المتعة وعرفنا ان المتعة هي التي يتمتع بها وان مهر المثل ما
قد يتمتع به فجعلنا نصف مهر المثل نهاية المتعة لما هو النهاية فيما كان مبنيا على التغليظ فلا يجاوز بها ذلك
والله اعلم ولما ذكرنا ان لو تركنا والتدبير لكان في تدبيرنا ورأينا انه لا يزاد على نصف مهر المثل ثم ان الله تعالى اوجب
المتعة وفوض مقدارها الى تدبيرنا لو لم يحتمل الزيادة على نصف مهر المثل وليس في تدبيرنا التجاوز عنه لوجب
بيان مقدارها بنفسه ولما فوض الى تدبير اهل الاجتهاد ولم يتركهم ولم يتم الاول لا ان كان لا ينقص عن نصف

مهر المثل لا يتجاوز به عنه والله أعلم ولأنه لا يشك في حالة وجوب المتعة زائدا على مهر مثلها لأنه يؤدي إلى
أن يكون الواجب قبل الدخول أزيد منه بعد الدخول فيصير الدخول سببا لإسقاط الحق وقد جعل الله تعالى
سببا للمنع المسقوط فعدل أنه هنا فاسد لما ذكرنا أن المتعة بدل من نصف مهر المثل ومحال أن يزاد البدل على
الأصل على أن المتعة وجبت بحق النفقة والكسوة على ما يجب للنفقة والكسوة في حال قيام النكاح وبقي
في حال العدة ولما كان الطلاق قبل الدخول يزيل السبب الذي كانت تجب بحقه فجعلت واجبة في جميعها
وهي المتعة كأنها هي لو أراد الإمساك إذ الحادث هو الطلاق فلا يجوز أن يكون سببا لوجوب أمر لم يكن
فيما تقدم ومن البعيد أن تزداد كسوة المرأة على مهرها أو نصف مهرها والله أعلم ثم قال قوم من أهل العلم إنه ينظر
إلى قدر الرجل دون عددها استدلالا بظاهر قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ولكن هذا لا يصح
لأنه تعالى علق الحكم في تقدير المتعة بشيئين حال الرجل في إعساره ويساره والثاني أن يكون مع ذلك بالمعروف
بقوله متاعا بالمعروف فاعتبر أمر المتعة إلى ما يتعارفه فلو اعتبرنا في المتعة حال الرجل وحده دون حال المرأة لوجب
أن يقال لو تزوج امرأتين إحداهما شريفة والأخرى مولاة دنية ثم طلقهما قبل الدخول ولم يسم لهما أن يستويا
في المتعة باعتبار حال الرجل فهذا منكر في عادات الناس لا يتعارفه فيصير المتعة على هذا الاعتبار غير
التي يتعارف فيكون خلاف قوله تعالى متاعا بالمعروف ولأنه يؤدي إلى خلاف كتاب الله تعالى من وجه آخر وذلك أن الله
تعالى أوجب للمطلقة قبل الدخول نصف ما أوجبه لها بعد الدخول في اعتبار حال الرجل دون حالها لتقتضي إلى
أن يكون المتعة أضعاف مهر مثلها فيستحق قبل الدخول بعد الطلاق أكثر مما تستحقه بعد الدخول وهذا خلف
من القول وخلاف الكتاب بيان ذلك أنه كان رجلا موسرا أعظم اليسار فتزوج امرأة دنية مولاه ومهر مثلها دينار
ولم يسم لها مهر لو دخل بها يجب لها دينار واحد ولو طلقها قبل الدخول بها لزمته المتعة على قدر حاله
المتعة أضعاف مهر مثلها فيؤدي إلى ما قلنا والله أعلم ويتصل بهذه المرأة التي مات عنها زوجها قبل الدخول
بها ولم يسم لها مهر في العقد ولا فرض عندنا لها مهر وروي عن ابن مسعود أنه قال لها مهر مثل نسائها لا وكس ولا شطط
قال ذلك جوابا للذي اختلف إليه شهرا وسأله عن هذه المسئلة فلما أجاب بهذا قال معقل بن سنان [illegible]
أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في تزويج بنت واشق الأشجعية بمثل الذي قضيت فسر به
عبد الله بموافقة رأيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قال أصحابنا وعن علي رضي الله عنه أنه قال لها
المتعة بكتاب الله تعالى وقال لا ندع كتاب الله عز وجل بقول أعرابي بوال على عقبيه فلم يقبل حديث معقل وذهب
والله أعلم إلى أن في الكتاب ذكر المتعة في الطلاق ثم كان ذلك الحكم ينتفي عن لفظ الطلاق من الكتاب
بحق التسريح والإبانة والتحريم وسائر الألفاظ التي توجب الفرقة فعلى ذلك ثبت في الفرقة التي يقع بالموت
والله أعلم وأخذ الشافعي بقوله في أنه لا يجب مهر المثل ولا تجب المتعة لأنها إنما استحقت من الميراث بكون
متعة لها فلا تستحق المتعة وذلك الميراث ثم دليل أصحابنا من وجوب مهر المثل دون المتعة أحدها
ما ذكرنا من الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى بمهر المثل وخبر أمثال هؤلاء مقبول إذ كانت البلية
في مثله بلية خاصة إذ مثل هذا لا يبتلى إلا الخواص من الناس وإنما يرد خبر الواحد إذا كانت البلية عامة
فكان تفرده بالرواية دون غيره يوجب ريبة في حديثه كيف وقد روى عن جماعة من أشجع وهم أهل القضية
مثله والله أعلم ولأن الأمة أجمعت على وجوب المهر المسمى كله في موت أحدهما وأن الموت لا يسقطه
إن لم يكن ثم دخول وإنما كان لأن المقصود بالنكاح الملك وتمام الزوجية إلى الموت أحدهما فإن كان الملك
للاستمتاع فالمهر المسمى أو المهر المثل إنما هو بدل الملك لا بدل المنفعة حتى أن المرأة لها حق المطالبة
حال الحياة وإن لم تسلم به وقد وجد تمامه وانتهى بالموت فلا بد من البدل بتمامه وهذا المعنى موجود فيما إذا
لم يسم لها المهر وتفصيل هذا أنا بينا أن تعلق هذا الملك بالبدل حكما وإن لم يكن تعلق به شرطا فإن الله تعالى
ما أحل الإماء إلا بقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين وقال والمحصنات
من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن وقال إنا أحللنا لك
أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ولهذا بالإجماع لها أن تحبس نفسها حتى يسلم إليها وإذا ثبت البدل بنفس العقد
بمقابلة الملك وقد تم وانتهى بالموت فيجب القول بتمام البدل كما في المسمى سواء وخرج الجواب عما تعلق
بقوله تعالى ومتعوهن لأن ذلك الحكم في التي لم يدخل بها حقيقة ولم يوجد في حقها ما هو في معنى الدخول
والموت معنى الدخول على ما ذكرنا تقريره وقوله وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم ذكر في الطلاق قبل الدخول نصف المفروض وفي الدخول كل المفروض ثم وجب في الموت
كل المفروض لأنه في معنى الدخول فلا يكون لهم حجة في الآية والله أعلم وقوله تعالى حقا على المحسنين ●

قيل

قيل يريد به المؤمنين فيكون في هذا التأويل دلالة على ما قال أبو حنيفة رحمه الله أنه لا يلزم الذمي شيء إذا طلق
امرأته ولم يسم لها مهرا لأنه ليس بمؤمن وقد أطلق قبل الدخول وقيل على من كان قصده الإحسان إلى الأزواج
ويتقون الخلاف لما عليه شرع النكاح من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان والله الموفق قوله تعالى وإن طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ● الآية المراد من الفرض هاهنا تقدير المهر وتسميته في العقد
وتعيينه فإن أصل الفرض هي المقادير الواجبة فيها فالدليل على أن المراد بقوله وقد فرضتم لهن فريضة تسمية المهر
في العقد أنه تقدم ذكر المطلقة التي لم يسم لها بقوله لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا
لهن فريضة ثم عقبه بذكر من فرض لها وطلقت بعد الدخول فلما كان الأول على نفي التسمية كان الثاني على
إثباتها ثم تعلق قوم بظاهر الآية على أن المفروض والمسمى بعد العقد يتنصف بالطلاق قبل الدخول بمنزلة المفروض
بالعقد لأنه كله مفروض وقد أثبت الله تعالى للمطلقة قبل الدخول نصف المفروض من غير فصل بينهما إذا كان
الفرض في العقد أو بعد العقد فهو على الطلاق وهو قول مالك والشافعي وكان أبو يوسف يقول أيضا لها
نصف المفروض ثم رجع وقال لها المتعة وهو قول أبي حنيفة ومحمد ولكنا نقول إن المفروض بعد العقد
غير مراد بظاهر هذا النص لأن المراد به المفروض في العقد لأن الخطاب ينصرف إلى ما هو المتعارف عند الناس
والتسمية المفروض عند الناس والفرض هو الذي يكون في العقد فينصرف ظاهر الآية إلى المعروف من الفرض
ثم الفرض بعد العقد يلحق بالتسمية في العقد بحق الاستدلال فإن لزم الدليل أنه في معنى الفرض في العقد
وأنه حق التسمية في العقد ألحق به في حكم التنصيص وإلا وجب القول بالمتعة بقوله ومتعوهن كيف وقد قام
الدليل بخلافه فإنا وجدنا جميع الأسباب التي يحتمل الاختصاص لم يجعل ذكر الفرض فيه بعد العقد كذكره
في العقد بل جعل ذكر الفرض بعد السبب كلا ذكر فيه أمر النكاح فهذا يقتضي أن يكون التسمية فإنه إذا
لما وجبت بعد العقد فلم يجب المسمى بعد الإيجاب [illegible] وجه الدليل وقد قام دليل الوجوب عند وجود الدخول
فيجب عند ذلك الإلحاق ثم وجه هذا التخريج على وجوه أحدها وهو أن التسمية إذا جازت تلحق المهر
المثل فإن كل سبب يستوله عوض بالحكم لم يخرج عن التسمية بعد وجود ذلك السبب كالطلاق والعتاق والعفو
عن القصاص ونحوه فإنه إذا جعل الذي شرعنا وفرض بعد تحقق السبب لم يصح إذ هذه الأشياء ليس لها
عوض بالحكم ولما جازت التسمية هاهنا دل أن العوض هاهنا ثابت حكما وهو مهر المثل ويكون الفرض بعد
العقد بيانا لتقدير ذلك الواجب ولأنه لا يجوز إيجاب الفرض مع وجوب مهر المثل فيجب بدلان بمقابلة مبدل
واحد ثم كان مهر المثل يسقط قبل الدخول بها وتجب المتعة وكذلك ما هو بيان له وتقدير له يجب أن يكون
مثله في الحكم فإن قيل إن مهر المثل لم يجب بالعقد وإنما يجب بالدخول ولهذا لم يتنصف بالطلاق قبل الدخول
وتجب المتعة فأما إذا وجد التسمية في الفرض يجب القول بوجوب المفروض عند العقد وإذا وجب وجب
القول بالتنصيص قيل لا بل يجب بنفس العقد فإنه غير جائز تملك بضع بغير بدل لو استباحه بغير بدل
الأثر وأنه لو شرط في العقد أن لا مهر لها وجب المهر ولم ينتف بالشرط فوجب القول بوجوبه بمجرد استباحة البضع
وهو العقد نفسه ولأن الدخول بعد صحة العقد تصرف فيما ملكه والإنسان في ملكه لا يلزمه بدلا ولذلك
لها أن تمنع نفسها بعد العقد بمهر المثل فلو لم يكن مستحقا لها بالعقد كيف يجوز لها منع نفسها بما لم يجب
بعد ولذلك لها المطالبة بمهر المثل ولو خاصمته إلى القاضي يقضي لها به والقاضي لا يبتدئ إيجاب ما لم
تستحقه كما لا يبتدئ إيجاب سائر الديون فدل بما ذكرنا أنها تستحق مهر المثل بنفس العقد وأن
الفرض بعد العقد تقدير لذلك وبيان له ثم ذلك يسقط فكذلك الذي هو تقديره فإن قيل متى كان مهر
المثل واجبا بالعقد كيف يسقط بالطلاق قبل الدخول كله ألا ترى أن المسمى لا يسقط كله وإنما يسقط
نصفه قيل له يسقط كله من حيث الصورة أما من حيث المعنى يسقط بعضه لأن المتعة قائمة مقام نصف
مهر المثل على ما ذكرنا على أن أبا الحسن الكرخي يقول إن المسمى بالعقد يسقط كله بالطلاق قبل الدخول
لأن المعقود عليه عاد سليما إلى صاحبه ولا معنى لبقاء الحق في البدل لكن يجب نصف المسمى متعة
لها مقدرة بنصف المسمى ولذلك قال إبراهيم النخعي هذا متعتها والله أعلم والوجه الثاني وهو أن الحاكم
يوجب على الزوج تبيين مهر المثل ليدفع إليها إذ لها حق الامتناع عن تسليم البضع وحبس نفسها إلا
بدفع مهر المثل إليها فيكون مصلحهما على ما سميا وفرضنا بعد العقد بحيث ما عليهما من الحكم وهو التبيين
والتقرير ولو تبينه الحاكم بنفسه لكان يسقط بالطلاق قبل الدخول ولا يجب نصفه فمثله إذا وجد
التقرير والتبيين من الزوجين والثالث أنه لو كان الذي في علم الله تعالى من طلاقها قبل الدخول لو كان تمام
وقت التسمية والفرض بعد العقد كان حقها عليه المتعة ولم يجز التسمية ولم يكن يجب النظر إلى مهر مثلها

الا من يحكم بحدثها المتعة وتقربها حتى لا يزاد على ذلك الكذا ذا طهر الطلاق قبل الدخول من بعد والله
اعلم والرابع انه امكن ان نقال الاصل في ذلك ان المتعة ليس يوجبها النكاح لان الطلاق شرع مسقطا للحقوق
فكيف يوجب ابتداء حتى لم يكن يجب بالنكاح وكذا مهر المثل يجب بالنكاح وكان الواجب بالنكاح مجهولا لا يدري
انه مهر المثل او المتعة اذ لا يجوز ان يجبا جميعا ولان يوجبا بالطلاق واحدهما ابتداء فثبت ان الواجب في الحقيقة
احدهما لكن لها حق مطالبة مهر المثل في الظاهر وانما التسمية عند عدم الفرض في النكاح انه لا بد له من عوض هو
الاستمتاع وفرض المثل بحقيقة البضع وبه لحمل الامر على الظاهر وباعتبار التسمية فلما ورد الطلاق
قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب فبطل الذي كان لحق المهر مطلقا وهو الواجب في قوله تعالى ومتعوهن والله
تعالى اعلم ويدل ظاهر هذه الاية على ان الزيادة المتصلة تتنصف مع الاصل بالطلاق قبل الدخول ولا يمنع
الزيادة من التنصيف على انه اذا تزوج امراة على جارية فدفعها اليها فازدادت في بدنها خيرا ثم ورد الطلاق
قبل الدخول فانه يتنصف الجارية مع الزيادة وهو قول محمد بن الحسن فقال الله تعالى فنصف ما فرضتم
وانتم لا تجعلون له نصف المفروض فخالفتم ظاهر الكتاب ومتى وجب تنصيف الاصل فلا يتحقق
بدون الزيادة يجب القول بتنصيف الاصل مع الزيادة ضرورة الا ان ابا حنيفة وابا يوسف يقولان
لا يتنصف الزيادة المتصلة يمنع التنصيف ويجب نصف قيمة الجارية كما في الزيادة المنفصلة لان
ظاهر الاية ينصرف الى المفروض المعتاد في انواع الاعيان دون السلع والاعيان تزداد ولا تنقص
فيجب بالطلاق نصف مهورهن فقلت الموجب ظاهر الاية وانما تزداد وتنقص في الاعيان فليحمل الكلام
لتسمية ذلك النوع ولا اقتضاء فيه بشيء من خيرها لا يشبه لغات كان حقيقة الصيغة تتناوله
فيجب الصبر الى دليل اخر وراء ظاهر الكتاب فلا تعلق لهم بالاحكام لان الزيادة متى حصلت في يد الزوج سواء
كانت متصلة او منفصلة فانها لا تمنع التنصيف بل تتنصف الجارية مع الزيادة وان ورد الطلاق
قبل الدخول بها باحد الطريقين اما لان الطلاق قبل الدخول في معنى نقض النكاح وحق المهر في مقدار
المعقود عليه فاذا سلما الى المراة وما هو المعقود بالعقد لم يحصل للرجل الذي يقابله البدل وهو الاستمتاع
فيجب القول بسقوط المهر وانتقاض الملك لان الشرع ابقى للمراة المتعة وجعل مالك مقدرة بنصف المفروض
الذي كان والزيادة قد صادفت مهرا والمكن جعلها مهرا على ما عليه معظم الحقوق من الحاق الفروع الاصول
والعقد وانه وجد سابقا على الحادث والتسليم والقبض لم يوجد لكنه مشابه بالعقد فلم يتم حقها في المهر فانما
يتم بالقبض الذي يشبه بالعقد فصار كان نصف الجارية مع الزيادة يصير لها بفرض الزوج بعد الطلاق قبل
الدخول تقريرا للمتعة فلم يكن فيه معنى الرجوع اما بالطلاق قبل الدخول بها يتبين ان حقها في المتعة
عند الله تعالى وقد ظهر لان وان كان من حيث الظاهر في المهر ولكن بالطلاق بطل الذي كان يحق المهر ظاهرا
وظهر ان حقها في المتعة لكن بعقد يتنصف المهر والزيادة صادفت الاصل مهرا فظهر ان كان في الزيادة بنصف
كذلك فاما بعد القبض اذا حدثت الزيادة فحدثت على ملكها او بعدما انقضى المهر الحق وتم المهر بوجود العقد والقبض
فلا يكون للحادث حكم المهر فلو نقض المهر في الاصل وهي الجارية لكان يصير النصف له بحق نقض القبض
فيه ثم نقض العقد لكن لا يمكن نقض العقد في الزيادة لانها ليست بمهر فلا تخلو الزيادة اما ان تكون بنصف
الزيادة اليه مع نصف الاصل او يجعل كل الزيادة للمراة وترد نصف الجارية الى الزوج ولا وجه للاول لان
هذه الزيادة لم يكن في اصل العقد بالتسمية ولا سلم اليها البصير لها حكم المهر لوجود ما له شبهة بالعقد
وهو التسليم والفسخ انما يكون على البدل الذي اعطاه العقد فيحصل للزوج من جهة المراة مال بمقابلة
ما ملكها من البضع او يسقط الملك عنها وهو عقد البدل فيكون هذا اخذ المال بلا عوض في عقد المبادلة
فيكون ذلك ربا او انه حرام ولا وجه بان يرد نصف الجارية الى الزوج بدون الزيادة لانه يصير لها فضل اصل
فسخ العقد فيه بما لم يكن لها ذلك للاصل الا بتملك من غير بدل فذلك يوصف الربا وانه حرام فاذا لا يمكن القول
بتنصيف المفروض لما يؤدي الى الربا فيجعل المفروض كالهالك لانه في حق كونه يحول التسليم للزوج بمنزلة
الهالك فيجب نصف القيمة ليزول معنى الربا وبهذا الطريق قلنا جميعا في الزيادة المنفصلة انها تمنع التنصيف
وهذا المعنى في المتصلة موجود وعلى هذا قال ابو يوسف في كسب الجارية التي يكون مهرا لان الكسب
بدل المنافع فيجعل كانها قائمة تقديرا بقاء البدل لعقد وجد الطلاق قبل الدخول فيتنصف الاصل مع
الكسب ويظهر في الحكم ان الجارية نصفها له من الاصل وكان الكسب الحاصل يكون مشتركا بينهما ولكن
عند ابي حنيفة يخرج على الاصل الذي ذكرنا في الزيادة المتصلة وهو ان الملك انما يتشوف الجارية لو ثبت بالنقض
فان قيل للنقض كانت الجارية باكتسابها للمراة بدلالة ان الزوج لا يملك عنها شيئا من التصرفات ثم النقض

امارد

انما يرد على ما المحكم المهر لا على ما ليس بحكم المهر فيبقى ذلك للمراة على ما كان لها قبل الطلاق ان الطلاق نقض
الملك في المهر وليس ذلك بمعنى والله اعلم وتعلق الشافعي رحمه الله في ان الخلوة الصحيحة لا يوجب كمال المهر
والعدة بظاهر هذه الايات قال الله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة جعل
للمطلقة قبل الدخول نصف المفروض اذا فرض لها وقال لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او
تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن جعل للمطلقة قبل المماسة في حق لا فرض فيه المتعة وانتم اوجبتم كل المهر
وكل المراد اخلد بها ولم يمسها وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها نفى وجوب العدة عن المطلقة قبل الدخول وانتم اوجبتم العدة
ولهذا لان المراد من المسيس هو الوطء ههنا اذ معلوم انه لم يرد به وجود المس باليد وكان المراد هو الوطء و
اصحابنا تعلقوا بظواهر الايات في وجوب المهر كاملا من قوله تعالى واتوا النساء صدقاتهن نحلة فاوجب
ايتاء الجمع فلا يجوز اسقاط شيء منه الا بدليل وقال تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن
قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا فالنهي عن اخذ شيء من المهر عند الطلاق دليل على ان
الكل واجب وقال تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن اي مهورهن فظاهره يقتضي وجوب الايتاء في
مطلق الاستمتاع من غير فصل بين الوطء وغيره وقال تعالى فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن فوجب القول بموجب الايتاء جملة الا ما خص بدليل
وقد قام الدليل في الطلاق قبل الدخول وقبل الخلوة على انه يسقط نصفه فبقي حال ما بعد الخلوة على ظاهر
وروى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كشف خمار امراة ونظر اليها وجب الصداق
دخل بها او لم يدخل بها ولا حجة لهم بالتعلق بالايات لان في الاية بيان وجوب المتعة في الطلاق قبل المسيس وان
لها نصف المفروض في الطلاق قبل المسيس وليس فيها بيان ان المراد من المسيس هو الجماع او المس باليد وما هو
وقد اختلف الصحابة فيه فقال عمر وعلي رضي الله عنه وابن عباس وزيد وابن عمر على الخلوة فانه روي عنهم
انهم قالوا اذا اغلق بابا وارخى سترا ثم طلقها فلها جميع المهر وعن ابن مسعود خلاف ذلك حتى قال لها
نصف الطلاق وان قعد بين رجليها وكيف يصح التعلق بالاية فان المراد هو الطلاق قبل الدخول وان
المراد من المسيس هو الدخول مع اختلاف الصحابة في تاويله مع ان الترجيح لما قلنا فان صرفهم المسيس الى الخلوة
لا يخلو اما ان كان من طريق اللغة او من جهة انه اسم شرعي اذ غير جائز تاويل اللفظ على ما ليس باسم له في اللغة ولا
في الشرع فان كان ذلك عندهم اسما لها من طريق اللغة فهو حجة لانهم اعلم باللغة ممن جاء بعدهم وان كان من طريق
الشرع فاسماء الشرع لا تؤخذ الا توقيفا واذا صار ذلك اسما لها كان تقدير الاية وان طلقتموهن من قبل الخلوة
فنصف ما فرضتم فلا يكون لهم حجة مع ان المروي عن ابن مسعود مرسل فانه رواه الشعبي عنه وهو لم يره وعند الخصم
المرسل ليس بحجة على انه قد تم الاتفاق بين الامة ان حقيقة المس غير مرادة فانه لو وجدت القبلة والمعانقة من
ماكان من غير الخلوة لو وجد المس في الحقيقة ولا يجب به كمال المهر فلما تقرر ان المراد من ذلك المس الكناية لا الحقيقة
اسم لمن ذلك المعنى يحتمل ان يكون هو الجماع كما قاله بعض الصحابة ويحتمل ان يكون هو الخلوة كما قال بعضهم في المسيس
انما يعتبر من الجماع لانه سبب مفض وداع اليه وكذلك الخلوة نظيره فهذا المعنى لان الخلوة سبب مفض حتى يكره
الخلوة مع الاجنبية على ان المس المطلق ليس بداع الى الجماع انما المس مع الخلوة داع فلم يصح صرف الحقيقة الى احد
نوعي المجاز الا بدليل مرجح ثم الترجيح معناه من وجوه احدها ما ذكرنا ان نفس المس ليس بداع الى الجماع انما يكون
داعيا الى الخلوة ليتمكن من الجماع عادة فانه لا يوجد الا في موضع الخلوة والخلوة تكون داعية فكان استعارة اسم
المسيس للخلوة اولى والدليل ان المراد من المسيس هو الخلوة وهو اجتماعهما في مكان مع امكان الجماع وجهان
احدهما قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج الى قوله وقد افضى بعضكم الى بعض والاستدلال بالاية
من وجهين احدهما ما قال الفراء دخل بها او لم يدخل وقوله حجة في اللغة وماخذ اللغة دليل على ان المراد هو
الخلوة الصحيحة فان الافضاء ماخوذ من الفضاء في الارض وهو الموضع الذي لا بناء فيه ولا حاجز يمنع عن ادراك
ما فيه فكان معناه الافضاء الخلوة على هذا الوصف وهي التي لا حائل فيها ولا مانع من التسليم والاستمتاع
عملا بمقتضى اللفظ ولان الافضاء في اللغة معروف انه الانضمام لا المجامعة مع ما كانت المجامعة فعلا يضاف
الى الانواع وفي هذا اضافة الافعال الى كل واحد منهما ثبت انه يحمل على معنى ذلك المعنى يوجد من كل واحد منهما
وذلك هو الاجتماع والانضمام خاصة وهو تفسير الخلوة والثاني وجود القول من خمسة من نجباء الصحابة الخلفاء
الراشدين ومن بعدهم وانه لا يحتمل خفاء هذه الايات عليهم ومن تشكك الخطأ احق بهم الحقيقة من المراد وما يكون
عن ذلك من يطلعهم على حقيقته اذ كان بحيث احتمال الخفاء خاصة النجباء الذين هم ائمة الخلق وعلى الاشتداد

حتى الائمة مع ما كان تأويلهم عندنا على الظاهر ولا بخلاف ما استعمله اهل اللسان ثبت انهم قالوا
ذلك عن بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل عليه شهود اهل المدونين شهد المنازعة كان الرجل اذا
الخطاب لسان لهم فيها والله اعلم على ان الآية كانت وردت في الجماع بطريق التصريح لا يكون حجة في الفرع الذي ليس
فيها ابطال المهر فيما لم يسم ولا النصف فيما سمى بل في الآية الاولى بيان وجوب المتعة وانه لا يبقى وجوب شيء
وفي الثانية بيان ان لها نصف المهر واثبات نصف المهر لا ينفي ثبوت الباقي فان قول القائل بل نصف هذا
العبد لفلان لا يبطل حقه عن النصف الآخر ولذلك اذا قال لفلان علي كذا من الحق لا يبطل ما سواه من الحقوق
بل فيه بيان ان ذلك له وغيره متروك الى دليله واذا كان كذلك فليس لهم الاحتجاج بظاهر الآية على نفي النصف
الآخر وعلى نفي المهر مع المتعة صار معرفة ذلك نفيا وثبوتا موقوفا على دليل آخر وقد قام لنا الدليل
من الكتاب والسنة ولذلك قوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ليس فيها ان لا عدة عليهن ولكن
فيها ان لا عدة لكم ويجوز ان يكون العدة عليها لا لكم فكذلك عندنا العدة التي هي عقيب الخلوة عليها لا له
حق لا يملك هو فيها امساكها ويدل على ان فيما عليه لا له في المعنى فدل انه لا حجة لهم في الآية والله اعلم ثم
يمكن اثبات الحكم بالخلوة استدلالا بالجماع لرجوع احدهما الى احكام الكتاب والسنة وان لم يدل الاشياء
مقصودا منها فحقيقتها تستوجب حق الوفاء بها نحو شرط الله تعالى الى القبض في الرهان بقوله فرهان
مقبوضة والقتال الذي لاستحقاق المغانم والاسلاب في الآخرة بقوله فاتوهن الجواز هن والخروج
لاجل الهجرة بقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله والرؤيا لابراهيم عليه السلام بقوله اني ارى
في المنام اني اذبحك ثم التسليم والتمكين يقوم مقام حقيقته في هذه الاشياء فان ابراهيم عليه السلام
لما استعمل بالذبح وولده لما استسلم لامر الله تعالى وسلم نفسه الى ذلك سماه الله تعالى مصدقا الرؤيا فقال
الله تعالى قد صدقت الرؤيا وما ذبح حقيقته فعلى ذلك امر المهر والعدة في الخلوة اذ هي سلمت نفسها التي
تقوم مقامه وعلى ذلك امر الخروج من الامانات بقوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها لا
الادخال في الايدي اذ لو شرط لكان لا سبيل الى القيام بما كلف الله عز وجل وعلى ذلك اجماع القول
في الاجارات اذا امكن الانتفاع بها والله اعلم والثاني ان النساء لا يمكن من تسليم ما عليهن من الحق باكثر
من ذلك ومعلوم ان المهر بازاء ما عليهن من الحق ومحال ان يلزمهن من الحق باكثر مما في وسعهن ويقرر هذا ان
العقد صحيح وانما يصح العقد اذا كان يقع على ما يقدر المرأة على التسليم الى الزوج وانها تقدر على تسليم النفس
دون الاستمتاع واحبالها ولو كان العقد واقعا عليه لكان يبطل فان من باع ما لا يقدر على تسليمه الى المشتري
لا يصح فدل انه ليس عليهن غير التسليم فاذا وجد منهن ما عليهن يجب ان يستوجبن ما لهن لقوله تعالى ولهن
مثل الذي عليهن بالمعروف والله اعلم والثالث وهو ان الامة اجمعت على وجوب المهر في ثبوت احدهما فان كان
لا يسقطه وان لم يكن ثم دخول بهن والله اعلم ان المقصود بالنكاح قيام الزوجية الى موت احدهما اذ كل
ذلك للاستمتاع وقد وجد تمامه فعلى هذا المقصود بالنكاح ان يبذل المرأة نفسها له ان يستمتع بها فاذا كانت
الخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح على ما وجد في موت احدهما يجب كمال المهر كما وجب الاول يستوي
في ذلك مهر المثل والمسماة والله اعلم ولهذا يبطل قولهم ان المهر قيمة البضع وقيم الاشياء انما تجب بدلا عنها
ولم يوجد لانا نقول لو كان قيمة ذلك الشيء بدل ملكه لا بدل نفس الاستمتاع اذ لا يجب في الزنا وانما يجب
اذا وجد حقيقة الملك ولو شبهة وقد وجد الملك مع الامكان من تحصيل المقصود والله اعلم فان قيل
ان الخلوة لا توجب كمال الصداق وانما يوجبه صحة العقد بدليل مطالبة المرأة الزوج بكمال المهر بعد صحة النكاح
فدل ان وجوبه بالعقد الصحيح لا بالخلوة والكلام انما وقع في اسقاط البعض فيسقط اذا قام دليل الاسقاط
وقد قام الاجماع فيما اذا وجد الطلاق قبل الدخول وقبل الخلوة فمن ادعى انه يسقط بالطلاق قبل الدخول
بعد الخلوة فيحتاج الى الدليل وقد احتج قوم من اصحابنا في وجوب العدة وكمال المهر بالخلوة ان الله تعالى ذكر الطلاق
لا على تخصيص الحكم به بل بكل ما يكون من الفراق من لفظة التحريم والخلع ونحو ذلك في وجوب المتعة فكذلك يجوز
ذكر المماسة لا على تخصيص لكن لكل ما يكون به تحقيقا فوجب القول بالتعدي الى الخلوة لاستوائهما في المعنى
والله اعلم ومن الناس من يتعلق بقوله وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم على ان المهر يكون اقل من عشرة
فانه اذا فرض في العقد درهمين وجب بقضية الآية ان لا يستحق بعد الطلاق اكثر من درهم وهذا فاسد لان
تسميته الدرهم عندنا في المهر تسمية للعشرة لا يتجزى في العقد وتسمية بعض ما لا يتجزى تسمية لجميعها
كما ان الطلاق لما كان لا يتجزى كان ذكر بعضه ذكرا للكل كذا هذا وايضا فان الآية قد اقتضت في وجوب
نصف المفروض فنحن نوجب نصف المفروض ثم توجب الزيادة الى تمام خمسة دراهم بدلالة اخرى ثم في

الآية

الآيات التي تلوناها دلالة واضحة على ان الشيء التافه لا يحتمل ان يكون مهرا فان الله تعالى لما اوجب عند عدم
التسمية الشيء الخطير وهو المتعة واقلها ما تبلغ قيمته ستة اكثر من عشرة وكذلك امر بالعفو عن النصف
الذي سمى بقوله فنصف ما فرضتم الا ان يعفون وحث ورغب فيما يكون في الشيء الخطير فان حبة ونحوها
مما لا يجب على العفو عنها ولا يرغب بين الزوجين الى الاخذ بالفضل بمثله لقوله ولا تنسوا الفضل بينكم
كان ان ذلك حدا معلوما فيجري مثله التنازع من غير ... ذلك واخبرنا ... على ان الله تعالى
قد جعل النكاح بالاموال وبها احل فقال واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم والحبة ونحوها لا ينطلق
عليها اسم المال في العرف وقال تعالى في ذوي العذر ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات ولو كانت
حبة طولا لكان لا احد يعجز عنها فيشترط ذلك في تزويج المملوك وخاصة على قول من لا يبيح نكاح الامة
الا بالضرورة ومن اضطر المحبة يعوق الى الاستمتاع فضلا من ان يخبرهم على ذلك قال في الاماء وآتوهن
اجورهن بالمعروف والحبة معلوم انها النكر من المنكر فثبت انه مهر الحرائر ترجع الى قدر وحد نظر في اهل
الحاجة وان العقل لا يجعل الحبة مهرا تاما يوصف ملكها بملك الطول ... لا ينبغي له ويجد فان الناس
اجمعوا على انه لا يملك المعروف بعضها وان البدل للزوج بلا بدل يلزمه قصدا لسقوط العقد على ما ...
القليل في مثله والتكثير في المبيع نفيا ... ان لا يكون لها الحظ من مهر مثلها والحبة لا يكون مهر
مثل احد امرأة في العالم فيجب ان لا يجوز لها الحظ اصلا وانما اجيز الى العشرة بالاتفاق ولم يجوز الاكثر
للتنازع والله اعلم وقوله تعالى الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح بقوله الا ان يعفون المرأة
لانه لو اراد به الازواج لقال الا ان يعفوا ولا خلاف في ذلك وانما اختلف في تأويل قوله او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح فقال علي بن ابي طالب وجبير بن مطعم ونافع بن جبير وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة ونافع هو الزوج وبه قال ابو حنيفة وعفوه ان يتم لها كمال المهر بعد الطلاق
قبل الدخول وعن ابن عباس روايتان في رواية قال هو الزوج وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال العفو لوليه
فان عفت وان ابت عفا وليها جاز وان ابت وقال جماعة مثل علقمة والحسن وابراهيم وعطاء وعكرمة
وغيرهم هو الولي لكن هذا القول مخالف للكتاب قال الله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الى قال فلا تأخذوا
منه شيئا وقال ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا فالمهر حق النساء وملكها بمنزلة سائر املاكها
والولي لا يملك عنه غيره من الاموال فكذا مثله والممكن ان يعقد قولهم حال ان الولي اذا زيادة نزول الآية
وحين النزول وكان المهر للاولياء فان في الابتداء كان المهر للاولياء دليل قول شعيب عليه السلام لموسى
عليه السلام اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج شرط المهر لنفسه وكما روي في الشغار
ثم نسخ من بعد وصار للنساء كما تلونا من الآيات والله اعلم معنى عفو المرأة ان تترك له النصف الذي وجب لها
ولا تأخذ منه شيئا او تعفو لانه لم ينتظر الى عفوه وحده لا يمنع ... ومعنى عفو الرجل ان يترك كل الصداق عليها
او يعطيها ان قبضت وان لم يعطها الكل اذا كان لم يسلم بعد وتعقو لكانت وجبت لها ... الا ان الزوج منه
ثم يحط عنه ... على الافضال والاحسان دون الحتم والايجاب دليل ذلك وان تعفوا اقرب للتقوى
ولا تنسوا الفضل بينكم ثم معنى قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى والله اعلم انه حث على المتعة ان يرغب
فيه وكذلك قوله حقا على المحسنين اذ رغب فيه ثم لا اضاف ذلك الى الرجال وجعلها ... لما انهم هم الذين
تركوا حقهم ومن عندهم جاء التقصير في تسليم ذلك المعنى الرجال الكمال وهم الموصوفون بالكمال في الاصل
ومن عندهم تستوجب بالكمال على انه يحتمل اشتراك الزوجين في ذلك على معنى الاخذ بالعفو والفضل
اولى بمن يريد انتقاد ... الاختلاف واولوا الفضل من كرم باتقاء الخلاف ... وتحمل الازواج لما قد ضمنوا
الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فهو اقرب الى الوفاء بذلك وان قاء الخلاف على ان سبب الفراق
جاء منه فذلك اقرب لاتقاء الجفاء منهم واظهر للعدل لهم فيما اختاروا والله اعلم وقوله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم قيل ان يفضل احدهما بترك النصف او باتمام الكل وقيل لا تنسوا الفضل الذي في ابتداء
الامر كان امر النكاح بينهم على التشفع والافضال من بعضهم عز وجل على حقيقة ذلك على الافضال على ما بني عليه
والله اعلم وفيه دلالة على ان العفو هو الفضل في اللغة وهو البذل تقول العرب عفوت لفلان بكذا اي بذلته
فاذا كان العفو هو البذل فكان قوله فمن عفي له من اخيه اي بذل فاتباع فيه بالمعروف يكون بعينه دليلا لقول اصحابنا
في ذلك والله اعلم وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير حرف وعيد وتحذير عما فيه التعدي ومجاوزة
الحدود والخلاف لامره وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تكلم في قوله حافظوا

على الصلوات قيل هذا خطاب للناس على الاشتراك في حفظ الصلوات ومراعاتها اذ المحافظة من المفاعلة
وانها تقتضي وجود الفعل من الجانبين على الشركة كالمقاتلة والمواكلة فيكون في الآية ترغيب في اداء الصلوة
على الاشتراك المعبر عنه بالجماعة فيدل على فضيلة الجماعة وعلى وجوب العمل بها ويحتمل ان يكون المراد تاكيد وجوب
الصلوات الخمس بذكر المحافظة عليها فانه ادخل الالف واللام على الصلوات فينصرف الى المعهود لما ان
الصلوات الخمس هي المعهودات في اليوم والليلة والآية تقتضي القيام بها واستيفاء فروضها وحفظ حدودها
وفعلها في مواقيتها وترك التقصير فيها اذ المحافظة هو الترغيب في ادائها على المسارعة على ما خرج الامر بالمسارعة
الى الخيرات والمسابقة بها بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وكل يحتمله ظاهر الآية وقيل المحافظة لما كان
من المفاعلة وهي تقتضي الفعل من الجانبين فيستدعي الحفظ من الطرفين فمعناه والله اعلم ان المصلي اذا حفظ
الصلوة على وقتها ولا يسهو عنها حفظته الصلوة وهو كما ذكر في آية اخرى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وهو حرف ابن مسعود ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فعلى هذا اذا حفظ الصلوة على ادائها
مع فرائضها وسننها ولم يدخل ما ليس منها من الكلام والالتفات وغيره في الصلوة منعته حفظته عن الفحشاء
وعن الآفات وعلى ذلك قوله فسارعوا الى الخيرات وسابقوا هو من المفاعلة فاذا بادر اليها الفاعل بادرت اليه
اي سبق كل واحد الى صاحبه والله اعلم وقوله تعالى والصلوة الوسطى ثم تكلموا في توجيهها احدهما ان الوسطى
ليس ترجع الى الصلوة من الصلوات ولكن ترجع الى جنس الصلوة هي الوسطى من امور الدين وهو على ما جاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق فعلى ذلك الصلوة هي الوسطى ليست باعلاها ولا بادناها والعقل دليل عليه فان الارفع
من امر الدين هو التوحيد والايمان فانه لا يرتفع ولا يسقط بعذر من الاعذار في الدنيا ولا يسقط بسقوط
المحنة والتكليف في الآخرة بل هو قائم في الدين جميعا وهو الاخلاص في جميع معاني الخلق وتشبيه الخلق
وصفات النقص عمن توحده وتؤمن به فاما سائر العبادات سوى الصلوة قد تقوم مع وجود امر الدنيا
والمعاش وتشابه امور الدنيا فيما به قوامها واركانها فان اداء الزكاة الى الفقير نظير قضاء الدين الى
مستحقه ظاهرا والجهاد مع الكفار يشابه المقاتلة مع الاعداء بسبب طلب الثار وقصد قهر العدو
وفيما بين المسلمين والتوحيد والايمان لا يشابه فعلا من الافعال فيما يقوم به ثم الصلوة انما تقوم ببدن
جميع ما ذكر من افعال المعاش في حال فعلها فيما تقوم بحالها هي تشبه الايمان من هذا الوجه ثم هي تسقط
للاعذار ولا تجب في غير دار المحنة على ما عليه امر غيرها من العبادات فصارت بذلك الوسطى من امر الدين والله اعلم
والثاني ان يكون الوسطى ترجع الى صلوة واحدة من جملة الصلوات الخمس ويكون ذكر الوسطى يحتمل وجوها
يحتمل ان يكون لبيان جملة الفرائض انها وتر لا شفع اذ الوسطى [illegible] فيكون فيه بطلان قول قوم انكروا
العدد لها وقالوا انها صلوة واحدة وتبطل قول قوم انهم زعموا صلاتان ويحتمل ان يكون لبيان ان الصلوة
المفروضة خمسة لانه عطف الصلوة الوسطى على الصلوات والمعطوف غير المعطوف عليه والوسطى ما له
طرفان متساويان واقل الجمع الصحيح الذي له طرفان فيتساويان هو الاربع فاما الثلثة فليس بجمع
صحيح فيكون الاربع مع الوسطى خمسا ضرورة ويحتمل ان يكون تخصيصها من الجملة وذلك لاحد
معنيين اما ان يكون افضل الصلوات او كان الحث بالمحافظة على فعلها او الترغيب في محافظتها
او لان المحافظة عليها اشد واصعب على الناس من غيرها وقد روي في ذلك روايات تختلف بعضها
على الوجه الاول وبعضها على الوجه الثاني ولا بد ان يكون تلك الصلوة معلومة معروفة عند الذي
خوطب حال نزول الخطاب اما بالاسم واما بدلالة الحال عن السبب الحادثة التي نزل عندها الخطاب
لانه لا يحتمل ان يرغب في فعل لا يعلم حقيقة ذلك الفعل وانما وقع الاختلاف بين من لم يشهد النوازل التي
عرفت المراد فقال كل منهم بمبلغ جهده فيما اداه اليه رايه من الترغيب في الفعل ثم على ذلك اختلف القوم
فقال بعضهم هي الظهر لان الظهر تؤدى في وسط النهار وهي وسطى صلوة النهار من الفجر والعصر فسميت الوسطى لذلك
وكذلك روي زيد بن ثابت واستدل على ما جاء في الظهر بهذه الآية انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بالهجير فلا يكون وراءه الا الصف والصفان والناس في قائلتهم وتجارتهم فانزل الله تعالى
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فكذلك الترغيب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر اربعا
ويقول ان ابواب السماء تفتح في ذلك الوقت وعن عبيدة السلماني ما اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على شيء كاجتماعهم على تحريم الاخت في عدة الاخت وعلى الاربع قبل الظهر وقال قوم هي صلوة الفجر وكذلك
روي عن ابن عباس في رواية انها صلوة الفجر وعلل بانها تصلى في سواد من الليل وبياض من النهار

الوسطى في الوقت وقيل لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل ولان وقتها الوسط من احوال الخلق اذ الخلق
سكون مرة وانتشار ثانيا وبذلك ختم اوقات السكون وافتتاح احوال الانتشار ووسط الشيء هو الذي فيه
حظ الحواشي وقد وجد في وقت هذه الصلوة والله اعلم ومما في ذلك من الترغيب والتخصيص بقوله تعالى وقرآن
الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وفي الحديث ان ملائكة الليل والنهار يشهدونها وقال قوم صلوة العصر
وعلى ذلك روي عن ابن عباس وعلي وابي بن كعب وابن عمر انها صلوة العصر وقد روي عن عائشة وحفصة وام كلثوم
انه في مصحفهن حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلوة العصر وعن البراء بن عازب قال نزلت حافظوا
على الصلوات وصلاة العصر فقراناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخها الله تعالى فانزل
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فاخبر البراء ان ما في مصحفهن من ذكر صلوة العصر منسوخ وعن علي انه قال
قاتلنا الاحزاب فشغلونا عن العصر حتى كربت الشمس ان تغيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
املا قلوب الذين شغلونا عن الصلوة الوسطى نارا قال علي عليه السلام كنا نرى انها صلوة الفجر وكذا روي عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وروى ابو هريرة وسمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انها صلوة العصر وما جاء في ذلك من الخصوصية فانه ذكر في القصة ان الكفرة كانوا حملوا على اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوة العصر فلم يتهيا لهم اقامتها فقالوا احفظوا عليهم صلوة هي اكرم
عليهم من انفسهم واموالهم وامرها لهم لما جاء من الوعيد في ترك ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من فاته
العصر فكانما وتر اهله وماله وبها ختم احوال الزلات التي تدخل في المكاسب فتكون بها التوبة عنها والاستغفار
منها ولان العصر هي الواسطة بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وقيل ان اول الصلوة وجوبا هي الفجر و
آخرها العشاء الاخرة فكانت العصر هي الوسطى في الوجوب وقال قوم هي المغرب وعلى ذلك روي عن قبيصة
بن ذويب انها هي المغرب ولان الظهر تسمى الصلوة الاولى فعلى ذلك تكون المغرب هي الوسطى ولان الله
جعل متصلات الاوقات هي من بعد زوال الشمس الى بعد طلوع الشمس وانما الوقت المهمل بعد طلوع الشمس
الى وقت الزوال والمغرب هي الوسطى من الصلوات من وقت الزوال الى وقت طلوع الشمس ومنهم من اعتبر
بالركعات فقال لاكثرها اربع واقلها ركعتان والوسطى منها ثلث وهي المغرب ولما جاء في ذلك من الترغيب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وتر يحب الوتر ولما جاء بتعجيلها والمبادرة في فعلها من الترغيب
حتى لم يؤذن بالاشتغال عنها عند حضور وقتها بالنافلة او الحاجة وهذا مما يعرف معنى المحافظة والله اعلم
وقوله تعالى وقوموا لله قانتين قيل عن ابن عباس والحسن وعطاء والشعبي وقوموا لله قانتين اي مطيعين
وذلك لما قيل ان اهل الكتاب يقومون في صلوتهم عاصين ساهين فامر اهل الاسلام ان يقوموا مطيعين
وقيل قانتين خاضعين خاشعين لا يدخل فيها ما ليس منها وعلى ذلك ما روي عن زيد بن ارقم انه قال كنا
نتكلم في الصلوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزل وقوموا لله قانتين امرنا بالسكوت ونهينا
عن الكلام وعلى ذلك سمي الدعاء قنوتا لما فيه من الخضوع وكذلك قال مجاهد القنوت السكوت وعن
ابن عمر انه قال القنوت طول القيام وقرا قوله امن هو قانت آناء الليل واصل القنوت هو القيام لما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت يعني القيام عبر بالاسم
من القيام عما هو القيام على الخضوع والخشوع والسكوت وليس في الآية امر بذلك في الصلوة غير ان اهل
التاويل صرفوا اليها لانها ذكرت على اثر ذكر الصلوة وكذلك وقوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا
ليس فيها ان ذلك في الصلوة لكنهم صرفوا اليها لما ذكر على اثر الصلوة والله اعلم ثم اختلفوا في قوله فان خفتم
فرجالا او ركبانا قالوا ركبانا على الدواب حسبما توجهت بهم الدواب فيصلون عليها في حال السير والوقوف
وعلى ذلك جاءت الآثار عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل الصحابة في النوافل فيكون الفرائض عند
العذر مرادة بالآية وعن ابن عمر في صلوة الخوف قال فان كان خوفا اشد من ذلك صلوا رجالا قياما على اقدامهم
وركبانا مستقبلي القبلة او غير مستقبليها قال نافع لا ارى ابن عمر ذكر ذلك الا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولان القيام والركوع والسجود من اركان الصلوة تقدر بتركهما من امر بفعلها راكبا فترك القبلة
اخرى بالجواز واما قوله فرجالا اختلف فيه فقال قائلون فرجالا اي مشية يقال راجل ورجال كما يقال تاجر
وتجار وصاحب وصحاب وقائم وقيام وهو من الترجل واما عندنا فهو المعروف من الصلوة على الارجل لانه
قياما وقعودا لا بالرجل الظاهر وهو المعروف الذي عرف فعل الصلوة به وقوله تعالى ركبانا على ما عرف من الركوب
وهو في حال السير ورجالا على ما عرف من الصلوة على الارجل وعلم ان الصلوة تقوم مع المشي فيها فان قيل صلوة
الخوف فيها المشي قيل ان المشي ليس من فعل الصلوة لانهم في الوقت الذي يمشون لا يفعلون الصلوة واذا كانوا

في الصلوة وهو كما يقول ان الصلوة ما تقوم مع الحدث واذا احدث فيها فذهب ليتوضأ ليس هو في وقت
الحدث مصلي وانما بقي في حكم الصلوة فعلى ذلك المشي في صلوة الخوف والله اعلم وقوله تعالى فاذا امنتم
فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون • يحتمل ان ينصرف قوله فاذكروا الله الى الصلوة اي صلوا كما علمكم
ان تصلوا في حال الامن ويحتمل ان ينصرف الى غيره من الاذكار كقوله ولذكر الله اكبر ويحتمل ان ينصرف الى
الشكر اي اشكروا الله تعالى بما امنكم كما علمكم من الشكر في النعم هو كقوله تعالى واذكروا نعمة الله اي اشكروا
وابتداء لذلك كان فيه الذي علمهم تعبدا اذ كانوا غير عالمين به والله اعلم وفي الاية دليل على ان لله تعالى صنعا فيه حيث
اضاف الى نفسه وهو ان خلق فعل التعليم منه ولا يقال انه اضاف الى نفسه لانه هو الذي اعطاهم اسباب
العلم فاضيف اليه اضافة الاشياء الى اسبابها الا انا نقول لما اضاف فعل التعليم الى نفسه في هذه الاية
وفي قوله وما علمناه الشعر وان اسباب علم الشعر والات تحصيله قد اعطاها اياه ومع ذلك نفى عن نفسه
بقوله وما علمناه دل على خلق فعل التعليم من نفسه والله اعلم وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج • الاية قد ذكرنا فيما تقدم ان الاية تخرج على وجهين
على نسخ العدة المقدرة بالسنة وغيرها الوفاة بالمقدر باربعة اشهر وعشر بقوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ويحتمل على نسخ الوصية دون نسخ العدة وان
الامر بالاعتداد في الايتين امر واحد هو اربعة اشهر وعشر وانما الوصية بالمتاع هي التي نسخت
باية المواريث وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وقوله تعالى فان خرجن فلا جناح عليكم
فيما فعلن في انفسهن من معروف • اي ان خرجن قبل تمام الحول فلا باس بذلك ففيه دليل على ان ذلك
ليس من العدة فانها لازمة ولكنه من باب الوصية بالمتاع والانفاق عليها حولا وخيرها في ذلك بين
ان تقبل والا حتى ابيح لها الخروج وترك المقام ففيه دلالة ان الموصى له خيار بين قبول الوصية
وبين ردها وفيه ان لا يرد بعد القبول الا ترى انه قال فان خرجن فلا جناح عليكم وذلك بعد قبول
الوصية ثم قد ذكرنا ان قوله فيما فعلن في انفسهن من التشوف والتزين كذلك روي عن
ابن مسعود لا جناح عليهن ان يتشوفن ويتزين ويلتمسن الازواج ويحتمل وضعن انفسهن في كفؤ
بمهر المثل والله اعلم وقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين • يحتمل الاية ان يكون في المطلقات
المدخول بهن وقد فرض لهن فان كانت الاية فيهن يكون الامر امر ندب بالمتعة على الاول لا على الوجوب بذلك
روي عن الحسن بن علي انه متع بعشرة الاف وعن ابن عباس وابن عمر انهما قالا ان كنت من المتقين او من المحسنين
فمتعها امر ندب لا امر ايجاب يجبر على ذلك وان كانت في المطلقة التي لم يدخل بها التي لم يفرض لها صداق
فهو على الوجوب يجبر على ذلك فتخرج هذه الاية والاية التي قبلها ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره على مخرج واحد غير ان في احديهما بيان قدره وعلى المقتر قدره على مخرج واحد غير ان في احديهما بيان
قدر المتعة بحال الرجل من اليسار والاعسار وليس في الاخرى سوى ذكرها ويحتمل وجها ان كان المراد في
المطلقة بعد الدخول هو ان الامر بالمتعة امر بالانفاق عليها والكسوة لها ما دامت في العدة والمتعة اسم
لما ينتفع بها في اللغة فيتناول النفقة والكسوة باطلاقها فيحمل عليه اذ لا يمكن الحمل على المتعة المعروفة على
سبيل الوجوب دون الندب لانه يؤدي الى ايجاب بدلين الصداق والمتعة والجمع بينهما غير مشروع
بالاجماع ولان الطلاق سبب اسقاط لا سبب ايجاب فلا يجوز القول بالوجوب بما هو سبب الاسقاط
والله اعلم وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته • اي ما سبق ذكره من الاحكام من الامر بالاعتداد والانفاق
عليهن والتمتع وغير ذلك • لعلكم تعقلون امره ونهيه وقيل اي كما بين في هذا يبين في جميع ما لكم
الى بيان ذلك حاجة على قدره ما اكد من البيان من بيان كفاية او مبالغة لتعلموا ان جميع ما اليه بالخلق حاجة
داخل تحت البيان يوصل الى ذلك بقدر ما يحتمله العقول على ما يكرم الله المجاهدين فيه في طلب مرضاته ولا
الا بالله وقوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
وقوله الم تر حرف تعجيب وتنبيه ليتامل فيما يلقى اليه مما ربما لا انباء عنه ليجد بالنظر فيه جهدا وعلى ذلك
المعروف في استعمال هذه الكلمة ولذلك وجب تاويله الى الخبر مرة والى العلم به ثانيا والى النظر فيه ثالثا
على اختلاف ما قيل الم تر الم تخبر الم تعلم انظر او لم تعلم ومثل هذا انما يقال لمن لعجوبة بالقصة فيه ثم هذا والله اعلم
خرج جوابا لقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اخبرهم عز وجل عن قصة هؤلاء وبين ان حيلهم لحكم الله
تعالى باجال اولئك حملهم على هذا القول على مثل جهل بني اسرائيل اجلهم حملهم على الخروج من ديارهم حذر
الموت ثم لم ينفعهم ذلك بل امسوا اخذ امثاله ثم اختلف في قصته هذا قال بعضهم خرجوا فرارا من الجهاد

في سبيل الله تعالى فاماتهم ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا الى الجهاد في سبيل الله وكذا قال عكرمة وقال اخرون
انه وقع الطاعون في قومهم فخرج اناس وبقي اناس فخرج اكثر من بقي فنجا الخارجون وهلك الباقون فلما
كانت السنة الثانية خرجوا باجمعهم الا قليلا فاماتهم الله تعالى ثم احياهم كذا روي عن الحسن انهم فروا من
الطاعون وكذا روي عن ابن عباس كانوا اربعة الاف خرجوا فرارا من الطاعون فماتوا فمر عليهم نبي من الانبياء
فدعا ربه ثم يحييهم احياهم الله تعالى ولا ندري كيف كانت القصة فان كانت القصة في الفرار عن الجهاد في سبيل
الله ففي القران نظاير من قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وقوله تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل وغير
ذلك وان كانت في الطاعون فيدل على ان الفرار من الطاعون مكروه لما ذكرنا من الايات وكقوله قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واذا كانت الاجال
موقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تاخير فيكون الفرار من الطاعون عدولا عن العمل بمقتضى الكتاب وقد
روي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر
فيه كالصابر في الزحف وعن سعيد بن المسيب قال سالت سعدا عن الطيرة فانتهرني وغضب قال من حدثك هذا
فكرهت ان احدثه من حدثني فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وان يكن الطيرة
في شيء ففي الفرس والمراة والدار واذا سمعتم الطاعون في ارض لستم بها فلا تهبطوا عليه واذا كان وانتم
بها فلا تخرجوا فرارا منه فان قال قائل اذا كانت الاجال المقدرة محصورة لا يتقدم ولا يتاخر وقتها فلم
نهى النبي عليه السلام عن دخول ارض بها الطاعون وقد منع عن الخروج منها في ابتداء الحدث لا خلاف ولا فرق
بين دخولها وبين البقاء فيها قيل اما وجه النهي عن الدخول لانهم اذا لم يكونوا فيها ودخلوا فجائز ان يصيبهم
او بعضهم منه فيظنوا انهم اذا لم يدخلوا فيها لم يصبهم ذلك وفيه نسيان قضاء الله تعالى وقدره
وهو كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وعلى هذا المعنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يورد ذو عاهة على مصح
مع قوله لا عدوى ولا هامة ولا صفر لانه لا يقال اذا اصاب الصحيح عاهة بعد ايراد ذي عاهة عليه انما
اعداه ما ورد عليه وكذا هذا الخروج بعد الكون فيها لهذا فانهم اذا خرجوا ونجوا او بعضهم فيظنوا ان
الفرار انجاهم فنهوا عن الخروج لهذا فان قال قائل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا مر على حائط
مائل اسرع المشي كيف نهي عن الخروج عن ارض فيها وباء وطاعون قيل ان كل ما كان مخرجه مخرج اية من ايات الله تعالى
لاهلاك قوم فذلك لا يكون الا لاجرام سبق منهم من الاصرار على المعصية والعناد ونحو ذلك ففي مثله الفرار
الى الله تعالى لا الى غيره وانه لا ينفعهم الفرار فيكون فيه زيادة اصرار على الجناية بل عليهم ان ينزعوا عن الجناية بالتوبة
ويشتغلون بالتضرع لمن اظهر البلاء حتى يكشفه ويرفعه عنهم فاما انكسار الحائط ونحوه فليس لامر سبق
منهم فجائز لهم ان ياخذوا حذرهم ويفروا من ذلك لما فيه سلامة وهو لا يدري قضاء الله وقدره على انه
جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم انما فعل ذلك ليعلم امته ان مثله من الخوف لا يعد نقصانا في الدين ورغب
بالفعل تاكيدا في البيان ليقتدوا به في فعله وذلك كالعدة تتخذ للحرب والاغذية للبدن لا على ظن بالله تعالى
انه لا يملك الحياة بدونها ولا يملك قهر العدو بدون العدة ولكن على التناهي في الايتمار اذ قد جعل الله تعالى
الذي يخيف منه في ترك الاغذية والذي رجع منه في اتخاذ العدة فالاشياء معتبرة والعبد باكتسابها
مامور وكان ذلك امرا بالعمل بالاسباب مع الاعتقاد ان الحكم لله تعالى ومن عنده يظهر بسبب وغير سبب
وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس • الاية قيل حيث احياهم بعدما اماتهم ذلك فضل منه وقيل
ذو فضل على الناس في كل نعمة انعم عليهم يستحق الشكر من الخلق في ذلك وهذه الاية حجة على المعتزلة اذ قالت
ليس لله تعالى ان يفعل بخلقه الا الاصلح في الدين ولو فعل غير ذلك كان جائرا وفي الاية رد هذا القول لانه
اذا كان الاصلح واجبا عليه فما يكون ذا فضل لانه انما يقال ذو فضل وذو من اذا اعطى ما ليس عليه اما من
اعطى ما كان عليه لا يقال انه تفضل او من بل يقضي دينا عليه لانه قضى ما عليه والله تعالى اخبر انه ذو فضل
اذ ذلك ليس عليه وكذا قال • ولكن اكثرهم لا يشكرون • اشار الى استحقاق الشكر بالانعام عليهم فان من قضى
عليه لا يستحق الشكر على غيره كقاضي الدين فدل ان الاصلح ليس بواجب عليه من حيث الحكمة ثم الكلام في ان
اولئك ماتوا باجالهم او لا باجالهم قالت المعتزلة لم يكن اجالهم ذلك بل ذلك استعجال اجالهم فان المذهب عندهم
المقتول ليس بميت باجله ومن قولهم ايضا ان لكل احد اجلين ان قتل فاجله ذلك وان مات فاجله هذا والقول بهذا
فاسد ايضا لان هذا صنيع من لا يعلم انه يقتل او يموت فاما الله تعالى عالم انه يموت او يقتل فيكتب ذلك لما يعلم انه

اجل القتل وهو عالم انه يموت وجعل احدهما اجلا له وهو عالم بالاجل بهما غيبا ليثبته فعل نفسه بفعل من
يجهل العواقب ذم وليس في فعل من افعاله ما يستحق به الذم وفيه يلتبس على الناس ويقاعهم في الخطاء
لانه مثل هذا في الشاهد عمل من لا يعلم العواقب ومثل هذا لا يوصف الله تعالى عن ذلك الذي ما روي ان صلة
الرحم تزيد في العمر اذا كان في علم الله تعالى في الازل انه يصل الرحم يكتب عمره ازيد من عمر من يعلم في الازل انه يقطع
ولا يصل اذ لو حمل ذلك على ما يقولون من اجلين يخرج فعله مخرج فعل من يجهل العواقب وهذا شنيع وهذا لان
عندنا الله تعالى عالم بما كان وبما يكون وعالم بما علم انه لا يكون ان لو كان كيف يكون فالله تعالى اذا كان عالما في الازل
في حق شخص انه يصل رحمه فيزاد في عمره ويجعل له اجله كذا فعلوا انه لو لم يكن من حكمه الله تعالى يصل رحمه لعمره
كذا انقص من ذلك وكذا في القتل اذ كان في علمه انه يموت بالقتل جعل اجله ذلك ولكنه عالم انه لو لم يجعل
اجله بالقتل لم يكن اجله بالموت بدون القتل فان قيل اذا كان المقتول باجله فيه لا يلام القاتل اذا قتل غيره
بغير حق قيل لانه كسب اجل المقتول بقتل هو معصية وقد نهاه الله تعالى عن قتله وكان له اسبابا فيه لا انه
والله تعالى علم انه اجله ينقضي بفعله الذي هو معصية منهي عنه وكتاب الاجل هو بيان نهايته ولا عذر للعبد
في قضاء الله تعالى وقدره انما هو ماخوذ عليه بظاهر الامر والنهي وهذا لا يختص بهذا الباب بل هو في كل فعل
هكذا والله اعلم وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا عامل الله عز وجل بلطفه وكرمه الخلق
معاملة من لا حق له في اموالهم لا المعاملة العباد بعضهم بعضا وان كان العبد وما في ايديهم لله تعالى ملكا وتخليقا
والجاد حيث طلب منهم الاقتراض اياه كبعضهم من بعض ثم وعدهم الثواب على ذلك فقال فيضاعفه له اضعافا
كثيرة ثم اختلفوا في توجيه الاية اليه فمنهم من وجهها الى جميع المحاسن ووجوه البر وتحصيلها لوجه الله تعالى وطلب
رضاه فله اضعافه في ذلك الموعود اجلا وعاجلا فالاجل ما وعد بقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة
والعاجل ثنا الناس وجلالة القدر في القلوب معاد في ذلك الاخبار وانما سماه قرضا لان القرض اسم لما
طلب عند المعروف والبر اذ كان ذلك حقا له لنبذ كرم عظيم منه عليه حيث قيل منهما هو خالص حقه ثم ترك
المعروف فيه والبر فيشكر بذلك النعم سبحانه عاملهم الله بلطفه معاملة الخلق بعضهم بعضا في الاحسان
والبر تحريضا لهم على الاحسان وتذكيرا لهم الشكر على النعم عليهم والثاني يعرف الخلق كيفية الصحبة والمعاملة
تحريضا بينهم بان الله تعالى عامل عبده فيما هو له معاملة من يستحق الشكر منه بما اسدى اليه من النعم وكنه
حقيقة ذلك ليعقل الحكماء ان مثل ذلك في معاملة الاخوان وغيرهم كان نعمة في الحقيقة اوجب والحق
وليعظم المعروف بالمعروف والجود لما اكرمهم الله تعالى بالاسماء الجليلة ولا قوة الا بالله ومنهم من وجهها
الى الصدقات خاصة وسماها قرضا لوجوه احدها ان جعل معاملة الفقراء والتصدق عليهم بمنزلة معاملة
الله تعالى تفضيلا لهم وابانة لخطرهم والطهارة انهم من خاصته كما نسب مخادعة المؤمنين الى نفسه تعظيما
بقوله يخادعون الله لانهم اولياء الله وكان مخادعتهم كمخادعة الله تعالى فكذا نسبه الاقراض الى الله تعالى
وقوعد فيه العوض ليصير الصدقة بمعنى الاقتراض اذ لما كان يحصل له العوض فيه ولوجه الامتنان على
الفقير بما ياخذ منه البدل وبالله التوفيق والثاني سمي قرضا لما هو له على ما امر الله تعالى عوده
عباده بالذي عرفوا به كرمه وجوده حتى سمى الشراء بقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية والله
اعلم والثالث ان ذكرهم وجوب القصد والنية في الصدقات والموضع لها ليكون ذلك تبيينا لعظم منة
الفقير عليه اذ وصل به الى الله تعالى ذكره الله تعالى واجل محله عنده فيصير عنده احسانا اليه على الشكر
والانتصار على عظيم الموعود وجليل القدر عند الله تعالى فيحمد على ذلك ويشكر له ولذا دين عليه يؤدي
والله الموفق وقيل ان معنى القرض هو القطع للشيء الملاصق للشيء وكان منه للاعطاء فقد قطع وهو ما
شيء لم يستاصله فاذا اعطى وانتظر الخلف فقد شخصت عنه الى المحتسب شيء وهو اعظم من الذي اعطى فحق
قوله واقرضوا الله قرضا حسنا اي اقطعوا عن قلوبكم ما سوى الله ثم قوله من ذا الذي على المسارعة والتسبق
يعني من يبادر ويسبق الى هذا الاقراض ثم عرفهم انه ليس كقرض الادمي المقتضى به على ادميه بل هو
يجعل بعضا اضعافا كثيرة والضعف هو مثل الشيء مضموما الى ما تقدمه فمن اعطى درهما
فاذا اعطى درهمين فيكون ذلك ضعفين والاضعاف اكثر من ذلك لان الله تعالى ابهمه بقوله كثيرة لا يعلم
غاية الكثير الا الله عز وجل وقيل القرض الحسن ان ينفق بالاخلاص لله تعالى وان ينفق مما يكون نفيسا خطرا
موقعه وان ينفق من حلال لحاله وما اشبه هذا مما يستحسنه العقول ويعد صاحبه محسنا وقوله
تعالى والله يقبض ويبسط واليه ترجعون قيل لما سمع اليهود قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا قالوا ان اله محمد فقير كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا

ان الله

ان الله فقير ونحن اغنياء ومرة قالوا لما راوا الشدة على بعض الناس فقالوا انما يفعل ذلك لبخل حيث
قالوا يد الله مغلولة فنفوا المنع من الله النعمة على عباده اما للبخل واما للفقر فاكذبهم الله تعالى في قولهم
فقال والله يقبض ويبسط الاية ثم اختلف في قوله يقبض ويبسط قيل يقبض بقتر ويبسط بوسع وقيل
يقبض ما اعطى اي ياخذ ويبسط اي يترك ما اعطى ولا ياخذ منه وقيل ولا ياخذ منه وقيل ان الاية من
الذي يقرض الله قرضا حسنا نزلت في ابي الدحداح وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال من تصدق
بصدقة فله مثلها في الجنة فقال ابو الدحداح ان تصدقت بحديقتي فلي مثلها في الجنة فقال نعم قال
وام الدحداح معي قال نعم قال والصبية معي قال نعم فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فيها
فقام على باب الحديقة فنادى يا ام الدحداح اني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها
في الجنة وام الدحداح والصبية فيها معي فقالت بارك الله لك فيما اشتريت ثم خرجوا منها وسلموا
الحديقة الى النبي صلى الله عليه وسلم فمن ثم قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله اعلم وقوله تعالى
الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ذكر في القصة
ان كفار بني اسرائيل ظهروا على المؤمنين منهم فقتلوهم وسبوهم واخرجوهم من ديارهم فمضى زمان ليس لهم ملك يقاتل
عدوهم فقالوا لنبي لهم وهو من نسل هارون بن عمران اخ موسى عليه السلام ابعث لنا ملكا نقاتل عدونا
فقال لهم نبيهم وقوله تعالى قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا كان استخبار عن سؤالهم
الذي سالوه احق هو ام شيء اجروه على السنتهم من غير تحقيق لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك اذا
اجيبوا واعطوا ما سالوا وقد عنوا الماعرفوا من شدة القتال مع العدو والجهاد في سبيل الله وكراهة ذلك
في كل قوم الى ان يبتلوا انهم حق سالوه لما بينوا العلة التي حملتهم على ذلك وقالوا عند ذلك خشيتم فيما ومما
لاجله كان السؤال بقوله اذ قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
من القتل واخذ الاموال والسبي الذراري قوله فلما كتب عليهم القتال اي فرض تولوا الا قليلا منهم ثم
فيه دلالة على انه قد كان منهم ما كان نزلت هذه الاية من قوله لم تقولون ما لا تفعلون من كراهية القتال
في سبيل الله وقيل تولوا الا قليلا منهم وهم ثلثمائة وثلثة عشر نفرا لم تقولوا عما سالوا والله اعلم وفي الاية
التي قبلها دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان القصة كانت فيهم وهي عند اهل الكتاب
ظاهرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلف الى احد منهم ولا نظر في كتبهم ثم اخبر على ما كان دل انه
انما عرف ذلك بالله عز وجل ثم فيها دلالة ان كون نبي من الانبياء عليهم السلام كان انما يلي والاشراف من
قومهم والرؤساء منهم وانه يصرف تدبير الامور لا الى السفلة والرذالة لانه قال الم تر الى الملا من بني
اسرائيل والملا هم الاشراف وفيها ايضا دلالة ان الانبياء عليهم السلام لم يكونوا يتولون الجهاد والقتال
بانفسهم ولكن الملوك هم الذين يتولون ذلك لانه الملوك هم الراجعون الى تدبير الانبياء والرسل في امر الدين
والاخر تحسسا لو احلكوا يقاتل عدوهم معهم والله اعلم وقوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا اخبرهم باجابة سؤلهم وقيل سمي طالوت لطوله وقوته وقوله تعالى قالوا انى يكون له
الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال يتوجه مثل هذا الكلام وجهين احدهما على الانكار
والثاني على سبيل الاسترشاد وطلب العلم منه عن جهة جعله له ملكا وطريق استحقاقه فلا يحمل
الانكار من المؤمنين لانه قد اخبرهم ان هو نبي عندهم وتقررت دلالات نبوته ومن تقرر نبوة احد عنده لا
يكذبه ولان مثل هذا رد لحكم الله تعالى وانه كفر فاما ان يكون على الاسترشاد واما ان يحمل على غير المؤمنين
ومن اهل النفاق فيهم والاول محتمل فقالوا انى يكون له الملك علينا معناه والله اعلم لاي معنى جعل له الملك
علينا او كيف يكون له الملك علينا ونحن بظاهر الاسباب التي يتحقق الملك لملاك فيكون بها احق بالملك
لما قد عرفوا انه لا يستوجب الملك ولا يولى لاحد رجلين اما بالوراثة من الاباء او بالسعة في المال لكن ذلك
قالوا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال لانهم كانوا من ابناء الملوك وارباب الاموال فبين الله لهم
ان جهة الاختيار ليس لهم وان سبب الملك ما ذكروا دون غيره بل الله عز وجل يختار لمن يشاء الملك باسباب
سوى ما ذكروا من فضل علم وفضل قوة حيث قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء وقر عندهم ان الملك يحتاج الى فضل علم وفضل قوة ثم يحتمل قوله بسطة في العلم
علم الحرب والقتال ويحتمل علم الاشياء الاخر نحو علم حفظ الرعية ونحو وقوله تعالى والله واسع عليم
اي غني يغني من يشاء ويعطيه علم من يصلح الملك ويحتمل ايضا ان يكونوا اهل النفاق فيهم فيكون الانكار منهم
ايضا كما كان امثال ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد ذلك سؤلهم الاية حتى قال لهم نبيهم ان اية

ملكه كذا ويزيد ذلك كثرة مخالفتهم اياه كما امتحنوا بالنهر والله اعلم وقوله تعالى وقال لهم نبيهم ان آية
ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم • كانهم سألوا نبيهم ما آية ملك طالوت فقال ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت تحمله الملائكة فذكر في القصة ان هذا التابوت كان مع الانبياء اذا حضروا قتالا
قدموا بين ايديهم الى العدو فيستنصرون به على عدوهم وفيه سكينة كان لها رأس كرأس الهر فاذا ان رأى سمع
من التابوت انين كانين الأسد ورف نحو العدو وهم يمضون معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما كفر
بنو اسرائيل وعصوا الانبياء عليهم السلام سلط الله عليهم عدوهم واخذوا منهم التابوت لما اساؤا
منه ومللوا ثم رده عليهم بعد زمان طويل وجعل ذلك آية من آيات ملك طالوت ولا ندري كيف كانت
القصة وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة ثم اختلف في قوله فيه سكينة من ربكم قيل السكينة ريح هفافة
فيها صورة كوجه الانسان وقيل السكينة لها وجه كوجه الهر لها جناحان فاذا صوتت عرفوا النصر وقيل
السكينة طست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام وقيل فيه اي في التابوت سكينة اي طمأنينة من
ربكم كان التابوت في اي مكان كان اطمأنوا اليه وسكنوا فلا ندري ما السكينة سوى انا نعرف انها
كانت تسكن اليه وتطمئن وليس لنا الى معرفة السكينة وكيفيتها حاجة لان الله تعالى لم يبين ما تلك
السكينة ولو كان الى معرفتها حاجة لبين وقوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون • قيل البقية
فيه رضاض الالواح وهو كسرها وثياب موسى وهرون وقيل عصى موسى وعصى هرون وقيل البقية قفيز من
المن وهو الترنجبين الذي يأكله بنو اسرائيل في ارض التيه وقيل فيه نسخة موسى وهرون وعلمهما والله اعلم وفيه
دليل حجة الآية على النبي لا الاولياء اذا كان منهم تصديق الرسل فيكون في الحقيقة كالآيات الرسل ظهرت
على السن غيرهم او جرت على ايدي غيرهم فيكون كرامة فضيلة لمن ظهرت على يديه على ما ذكر في قصة مريم وكذا
عن صاحب سليمان وغيرهما مما جاء به الكتاب وفيها اعطى الله تعالى وجعل آية لملكه شبه آيات
الانبياء صلى الله عليه وسلم حيث اخبر انه كان تحمله الملائكة حتى القوه في دار طالوت وهم كانوا لم يروا
ذلك وقت حمل الملائكة اياه فيكون كرامة لطالوت وآية ويخرج لذلك النبي الذي اخبر لطالوت برسالته
وصدقه في نبوته من لديها ادعاء الرسالة لنفسه فانه يخرج عن ظهارة ذلك بل لا يكرم الله تعالى
بها من يعلم انه يدعو الى التصديق لكذب ومضاهاة الرسل عليهم السلام وبهذا يجاب عن يعارض بحكم
القرآن ثم يأتي موضعا لا يوجد فيه القرآن ولا يعرف فهو محتج به في نبوته ويعجزون عن اتيان مثله ثم اهل ذلك
الموضع ان يصدقوه فيما ادعى لانا نقول انه يعجز عن قراءة القرآن عليهم واجرائه على اللسان وصار ممنوعا عن تلك
الآية مع ما في ذلك الوجه يمنع الاحتجاج به من ذلك ما فيه الاخبار عن الاسؤلة والاخبار عن امور لا توجد ثمة الا
من قوله يسئلونك ماذا ينفقون وقوله ويسئلونك عن الروح ونحو ذلك لم يسألوه شيئا فمن قوله
كان شيئا فعرفوا انه كان شيئا سبق القول به فيظهر به كذبه انه يخبث اليهم وانزل القرآن عليهم والله اعلم
ولان اهل ذلك الموضع لا يعلمون انه عن تعلم تقدم منه الى من هو حجة له او عن وحي اليه اذ لم يكونوا امتحنوه
التعلم ولا عرفوا صيانته وصدقه في صحبته قبل ذلك الى الحجة ما يخرج من المعتاد وعمل الطبيعة تكرم بها وقت الدعوة
بلا سبب منه في مثله ولا عناية والله الموفق فاما النبي صلى الله عليه وسلم فمعروف بينهم بالصدق والامانة
حتى كانوا يسمونه محمد الامين قبل مبعثه وانه لم يختلف الى احد للتعلم ولعلى التفرق بين الامرين وبعد فانه
تظهر في جميع من لسانه ذلك اللسان وهم العرب فعجزت عن الاتيان بمثله وانتشر الاتي به فيظهر بذلك كذبه
وينفضح عند الدعوى قبل الحجة والتأمل فيما لحاذيه اذ كان يظهر الدعوة في العرب فلم يظهر ذلك حتى من ليس
ذلك لسانه فلا معنى للاحتجاج به عليهم فانهم كما يعجزون عن اتيان لسان الخوارزمية ونحوها وهل يدل ذلك
على الاعجاز والله الموفق وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود • اي من المدينة قيل هم سبعون الفا وقيل
ماية الف سار بهم في حر شديد فنزلوا في قفرة من الارض فاصابهم عطش شديد فسألوا طالوت الماء فقال
لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر • قيل انما قال مبتليكم نبيهم لا طالوت وقوله تعالى فمن شرب منه فليس
مني ومن لم يطعمه فانه مني • قيل من شرب منه غرفة كفاه ومن كثر منه لم يرو لانهم عصوا ثم قوله فمن شرب منه
فليس مني يقول ليس مع عدوي ولا يخرج معي ويحتمل فليس مني اي من اتباعي وجائز ان يكون ذلك علامة
ظهور النفاق والصدق اي ليس مني في الدين وقوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني يقول هو معي على عدوي وفيه دليل
ان تسمى الشراب باسم الطعام والطعام باسمه وقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده • استثنى الغرفة في الاستثناء
بعد تخلل كلام آخر كانه قال فمن شرب منه فليس مني الا غرفة ومن لم يطعمه فانه مني ففيه جواز الثنيا من الكلام
المتقدم وان كان دخل بين حرف الثنيا وحرف الاول شيء آخر وهو يدل لاصحابنا حيث قالوا فيمن اقر بعد الطلاق

على كر حنطة وكر شعير الا نصف كر وقال عنيت به نصف كر حنطة فانه يصدق ويلزمه من الحنطة نصف
كر ويحتمل ان يكون الثنيا مما قبله وهو قوله ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة وقوله تعالى فشربوا منه
الا قليلا منهم • قيل القليل هم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والله اعلم بذلك العدد اغترفوا غرفة واحدة بايديهم
وكانت الغرفة يشرب منها هو وخدمه ودوابه وقيل انما استثنى الغرفة باليد لئلا يكرعوا كرع الدواب فيفعل
بعضهم ذلك فيخرج طالوت العصاة منهم فلم يقطعوا معه الا الثلثمائة والثلثة عشر رجلا وهو وقوله تعالى
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده • قيل هو قول بعضهم لبعض انهم
اكثر منا وكانوا مائة الف وقوله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله • قيل الذين يوقنون ويعرفون بالبعث
وقوله كم من فئة قليلة • عددهم • غلبت فئة كثيرة • عددهم وقيل الذين يظنون يعني يخشون انهم
يقتلون لانهم وطنوا انفسهم على الموت فطابت انفسهم بالموت قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله وقوله تعالى باذن الله • قيل بامر الله لكنه لا يحتمل الغلبة بالامر فيحمل المعنى باذن الله اي
بنصر الله • والله مع الصابرين • بالنصر والمعونة لهم وقوله تعالى فلما برزوا لجالوت وجنوده • يعني لقتالهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا • اي اصبب وقيل اي اتمم علينا صبرا • وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين • وهكذا الواجب على كل من لقي العدو ان يدعو بهذا الدعاء وعلى قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء لانه
قد كان فعل بهم الاصلح ثم الله تعالى استجاب دعاءهم وهزم عدوهم وقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل
داود جالوت • قال بعضهم باذن الله بامر الله لكنه لا يحتمل لانهم كانوا يقاتلون بالامر ولا يهزمون
بالامر وقال آخرون بعلم الله لانه كان في علمه في الازل انهم يهزمونهم وقيل باذن الله بنصر الله وهو الاقرب
والله اعلم وقيل في القصة ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة اخوة خرجوا مع طالوت للقتال
فلما ابطأ خبر اخوته على ابيهم ارسل داود عليه السلام ينظر ما امرهم ويأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في الصفوف
وبرز جالوت فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق خرج الي بعضكم فقال داود لاخوته
اما فيكم احد يخرج الى هذا الاقلف فقالوا له اسكت قال فذهب داود الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته
فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي
واجعل له نصف ملكي فقال داود فانا اخرج اليه فاعطاه طالوت درعه وسيفه فلما اخرج في
الدرع جرها في الارض لان طالوت كان اطول منه فلما قال داود لطالوت اخرج اليه قال طالوت من انت فقال
انا داود بن فلان فعرفه طالوت ورأى انه احد اخوته فاخذ داود العصا ثم خرج الى جالوت في ثلثة احجار
فقلن يا داود خذنا معك فان فينا منية جالوت فاخذها ثم مضى نحوه وعلى جالوت بيضة هي ثلثمائة رطل
فقال له جالوت انما ان ترميني بما ارى رميته بها فاصاب في آخر الاحجار الثلثة فوقع في صدره
فنفذته فقتلته وقيل الحجر بعد ما نفذه ناسا كثيرا وهزم الله تعالى جنوده وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل
داود جالوت والقصة طويلة فلا ندري كيف كان وليس لنا الى معرفتها حاجة وقوله تعالى وآتاه الله الملك
والحكمة • فالملك يحتمل على الحرب وسياسته للقتال اذ لم يكونوا يقاتلون الا تحت ايدي الملوك ويحتمل
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة ويحتمل الملك بما عقد له من الخلافة لقوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق واما الحكمة قيل هي الفقه وقيل هي النبوة وقد تقدم ذكر تأويل الحكمة فيما كان من
قربة بما ان على ما عليه ابتداء الآية ان الملك يكون غير نبي فجمعا له فيكون على ذلك تأويل الحكمة انها النبوة •
وقوله تعالى وعلمه مما يشاء • قيل صنعة الدروع لقوله والنا له الحديد وقيل كلام الطير وتسبيح الجبال
وذلك مما خص به داود عليه السلام دون غيره من الانبياء ويحتمل وعلمه مما يشاء اشياء اخر وقوله تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض • اختلف فيه فقال بعضهم دفع بالكفار شرهم عن المسلمين
بما شغل بعضهم ببعض وجعل بعضهم لبعض اعداء الى ان يفرغوا عن انفسهم للمسلمين ولولا ذلك لافسدوا
الارض وقال الآخرون دفع بالرسل والانبياء عليهم السلام شرهم عن المسلمين وكفاهم به وقال آخرون دفع بالمؤمنين
بعضهم عن بعض دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن الجهاد ولولا لغلب المشركون على الارض وقيل
دفع بالمصلي عمن لا يصلي وبالمزكي عمن لا يزكي وبالحاج عمن لا يحج وبالصائم عمن لا يصوم ثم اختلف في قوله عز وجل
لفسدت الارض قيل لو لم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم بعضا واهلك فريق فريقا وفي ذلك فناؤهم
وفسادهم وفي ذلك فساد الارض وقال آخرون لو لم يدفع لفسدت الارض واراد فساد الارض فساد اهلها وقال
بعضهم لفسدت الارض اذ غلب المشركون عليها وهدمت المساجد والصوامع وفيه فساد الارض والله اعلم
وقوله تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين • اي يدفع ذلك كله عن المسلمين وعلى قول المعتزلة ليس هو بذي

فضل على احد لانه عليه ان يفعل ذلك وان يدفع ذلك كله عن المسلمين على قولهم واذا كان عليه ذلك لا يصير هو بما وقع مفضلا ولا ممتنعا نعوذ بالله من السرف في القول وقوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ● يحتمل قوله آيات الله ما ذكر من قتل داود جالوت بأحجار ذكر في القصة مع ضعف داود وقوة جالوت على ما قيل انه قتله كان يقدر ميل قال وزن بيضته ثلثمائة رطل ويحتمل من قيام القليل الكثير لانه قيل ان جنود جالوت مائة الف وجنود طالوت ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وذلك من الآيات ويحتمل ما قص الله تعالى عليه في القرآن من خبر الامم السالفة وانه وفي قتل داود جالوت وقتل القليل الكثير دليل انهم لم يقتلوا بقوة انفسهم ولكنهم بالله وبعضهم اياهم وذلك يعني آيات وحدانيته ولا قوة الا بالله وقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية يحتمل تفضيل بعضهم على بعض ما ذكر في الآية تفسير التفضيل وهو قوله منهم من كلم الله ومنهم من اتخذ خليلا ومنهم من سخر له الريح والطير ما كان في الانبياء مثله ويحتمل تفضيل بعضهم على بعض في الحجاج والحجج على القوم لان فيهم من كان اكثر محاجة لقومه واكثر حججا وهو ابرهيم عليه السلام وكذلك موسى ويحتمل التفضيل في التمكين في الارض فانه مكن لبعضهم ما لم يمكن للباقين ويحتمل التفضيل في الآخرة في الشفاعة ورفع الدرجات ويحتمل تفضيل بعض على بعض في مقام الرسالة لان منهم من ارسل الى الانس والجن جميعا ومنهم من ارسل الى نفر خاصة ومنهم من ارسل الى قومه خاصة وايضا فلم تر هذه الآية دلت على ابطال قول المعتزلة في الاصلح لانه عندهم ان كل ما فعل الله تعالى فعل ما عليه ان يفعل ان ذلك في الحكمة وكل من فعل ما عليه فعله فانه لا يوصف بالفضل والافضال فعلى قود مذهبهم لا يكون من الله تفضيل لبعض الرسل وفيه خلاف النص فلذلك انما قالوه فاسد والله الموفق وقوله تعالى منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ● قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ● هذه الآية والآيات من بعدها قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد ترد على المعتزلة في قولهم ان الله تعالى لم يشأ الكفر والمعاصي والشرور لانه اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا ما اقتتلوا فبان ان اقتتالهم بمشية الله تعالى لان الاقتتال هو فعل اثنين وبعضهم من اقتتل ظالما لا محالة دليله وقوله تعالى ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ● وقتال الكافر مع المسلم حرام ومع ذلك دخل تحت مشية الله تعالى باخباره ان شاء اقتتالهم فيكون ردا على المعتزلة وهم يقولون شاء الله ان لا يقتتلوا لانه فيه نشاء الظلم عندهم ولكن اقتتلوا على خلاف ارادة الله تعالى ومشيته ثم اخبر انه يفعل ما يريد اي شاء منهم الاقتتال لخلق فيهم فعل الاقتتال فحصل على ما اراد وعندهم انه حصل على خلاف ارادته فيلزم ان يكون مغلوبا مقهورا لحدوث شيء من مملكته لم يرد حدوثه بل شاء عدمه تعالى الله عن ذلك فان قالوا اراد بالآية مشية الجبر والقسر ولو شاء الله ان لا يقتتلوا جبرا ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ● فنقول المشية المعروفة في الناس هي مشية الاختيار فاما مشية الجبر والقسر غير معروفة في الناس فلا يجوز صرف مطلق المشية الى غير المشية المعروفة الا بدليل زايد بل ما هي المراد ثم قوله تعالى ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر وقال في آية اخرى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اخبر انه خلقهم مختلفين وخلق الله تعالى بطريق الاختيار يكون فالاختيار والمشية واحد فدل ذلك على ارادة الكفر فيكون حجة عليهم ثم قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اخبر انه لو شاء ان يكونوا على دين واحد وامر واحد لا اختلاف بينهم في دين ولا دنيا لصاروا كذلك ولكن جعلهم مختلفين في الدين والمعتزلة يقولون انه شاء ان يصيروا امة واحدة على دين واحد هو دين الحق اذ لم يشأ كونهم على الدين الباطل ثم لم يصيروا على دين واحد بل اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر على خلاف مشية الله تعالى نعوذ بالله من السرف في القول في الله تعالى بما لا يليق به والله الهادي وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ● يحتمل وجهين احدهما الامر بالانفاق في مصالح البدن والصرف الى الطاعة والعبادات فيكون هذا امرا بتقديم الطاعات والمسارعة الى الخيرات من قبل ان يأتي يوم يمنعه ويحجزه عن ذلك وهو يوم الموت والثاني الامر بالانفاق الاموال في طاعة الله تعالى من قبل ان يأتي يوم وهو يوم القيمة ثم وصف اليوم بقوله لا بيع فيه اي لا فداء فيه وقوله ولا خلة ولا شفاعة اي لا ينفع خليل خليله كما في الدنيا وكذلك لا شفيع ينفع شفاعته كما ينفع في الدنيا ويحتمل لا خلة ولا شفاعة اي لا يكون لهم خليل ولا شفيع يشفع ويحتمل لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة اي لا ينفع احد احدا ولا يخال احد احدا ولا يشفع احد احدا ويحتمل قوله لا بيع فيه اي لا يكون فيه بيع انفسهم بعد الموت كما يكون ذلك في حال الحياة كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فان قال قائل فيه نفي الشفاعة للمؤمنين لان الخطاب بالمؤمنين ولانه نفي الشفاعة على الاطلاق قيل يحتمل

المؤمن والكافر باطلاقه فنقول ان كان نص في الآية خرج المؤمنين لكن فيها وصف القيامة في حق الكفرة عرفنا ذلك بدلايل اخر ولذلك قال والكافرون هم الظالمون لكن المراد من الخطاب بالمؤمنين زجر المؤمنين عن مثل صنيع الكفرة لان الامجاد تعيل جرائهم وقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم قيل الله معناه المعبود وهو المستحق للعبادة ولذلك كانت تسمي العرب كل معبود الها فمعنى الآية والله اعلم ان الذي يستحق العبادة ويحق ان يعبد هو الله الذي لا اله الا هو لا الذي تعبدونه انتم من الاوثان والاصنام التي لا تنفعكم عبادتكم اياها ولا يضركم ترككم العبادة لها ويحتمل ان يكون نعى على الاصنام او قول للكفرة ان لا اله هو الذي لا اله الا هو لانهم كانوا يقرون بالخالق ويقولون بالاله كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاخبر ان الذي تقرون به وتسمونه الله هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم اي صفاته هذا الذي ذكر ويحتمل ان يكون قوم من اهل الاسلام عرفوا الله تعالى وآمنوا به ولم يعرفوا صفته ونعته فعلمهم نعته وصفته انه الحي القيوم الى آخره وقوله الحي بذاته لا بحيوة هي غيره كالخلق احيا بحيوة هي غيرهم حلت فيهم لذلك عمل الموت عليهم فاما الله تعالى حي بذاته اعني به ان الحياة صفة ازلية لا هو ولا غيره فيستحيل ان يحله الموت الذي مضاد للحياة والازلي يستحيل عليه العدم والله الموفق والاصل ان كل من وصف في الشاهد بالحيوة وصف بالعظمة والجلال والرفعة يقال فلان حي اذا كان له جلال وعظمة وكذلك الله تعالى سمى الارض حية اذا اهتزت وربت لرفعتها وخطرها في اعين الخلق في هذه الحال فيجوز ان يسمى الله تعالى حيا لعظمته وجلاله ولهذا سمى الله تعالى الشهداء احياء في كتبه في موضع في القرآن لانهم معظمون مكرمون في الآخرة ويحتمل انه سمي حيا لما لا يغفل عن شيء ولا يسهو ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وبالله العصمة وقوله القيوم قيل القائم على مصالح الخلق والدائم وقيل هو القائم على كل شيء يحفظه ويتعاهده كما يقال فلان قائم على امر فلان يعنون انه يحفظ اموره حتى لا يذهب منه شيء وقيل لا يغفل عن احوال الخلق وقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ● قيل السنة النعاس وقيل هي بين النوم واليقظة يسمى وسنان وقيل هي ريح يجيء من جهة الرأس فتغشى العينين فهو وسنان بين النائم واليقظان ويحتمل انه عبارة عن نفي الغفلة والسهو عنه اذ هي سبب الغفلة ولو اخذ تضاد معلوم فيزول عنه وصفه بانه الحي القيوم وهذا كقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة عبارة عن نفي الغفلة وقيل لا ينعس ولا ينام ثم يحتمل انه كما نفى عن نفسه السنة والنوم لان الخلق انما ينامون وينعسون طلبا للراحة والمنفعة او لدفع حزن او وحشة فاخبر بنفي السنة والنوم عن نفسه انه ليس الذي يحتاج الى راحة او الى دفع حزن او وحشة وقيل ان النوم والسنة حالتان تدلان على غفلة من هما حالاه وعلى حاجة الى ما فيه راحته وعلى عجز اذ هما يغلبان ويقهران من ضبطه الرب نفسه بالعلو عن الذي يدل على هذه الوجوه والله الموفق فان قيل ان نفي السنة يكون نفيا للنوم لان نفي الادنى يكون نفيا للاعلى اما نفي النوم لا يكون نفيا للسنة لان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى فيحتمل انهما عبارتان عن نفي العجز والغفلة والحاجة ودفع الحزن والوحشة عن الله فالنوم يدل على عجز المرء وصيرورته مقهورا به وبه يندفع الحزن والوحشة ويحصل به قضاء الحاجة بازالة الثقل عن نفسه ويحصل الخفة والسنة تدل على الغفلة وصيرورته مقهورا حيث لا يقدر على دفعه ويخرج في ذلك وتدل على الحاجة فانه تعلل لحاجة فيحتاج الى دفعه بالنوم فكان نفي السنة نفيا للحاجة على الخصوص وان كان يدل على نفي العجز والغفلة الذي ذكرنا ذلك بنفي النوم لكن ذكر النوم لا ينفي الحاجة التي ذكرنا فكان في ذكره فائدة والثاني انه على التقديم والتأخير اي لا تأخذه نوم ولا سنة وهذا مفيد لانه نفي النوم لا يفيد نفي السنة وهذا كقوله اني متوفيك ورافعك الي اي رافعك ومتوفيك بعد ذلك لان حرف الواو يقتضي مطلق الجمع دون الترتيب ولا يقال لانه اذا ذكر من المعنى يتحقق بنفي السنة فائدة في ذكر النوم والسنة على التقديم والتأخير لانا نقول نفي السنة طريق لنفي الامرين فذكر النوم والسنة طريق آخر لنفي الامرين الا ان الاول بطريق الايجاز والثاني بطريق الاشباع وكلاهما طريق في اللغة فان قول المرء فلان على شبع ماية مثل قوله فلان على الف الامانة والاول ايجاز والثاني اشباع فهذا مثله والثالث ان كان يذكر السنة انتفى الامران ولكن ذكر النوم ثانيا بطريق التاكيد على عادة العرب اذ القرآن نزل على لغتهم يقول العرب ليس له علي دانق ولا اكثر للتاكيد ومثله قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فيذكر البعوضة فما فوقها مذكورا ثم ذكر تأكيدا فهذا مثله وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض له ملك وخلق عبيده واماؤه وهذا رد على من قال [illegible] ابن الله والملائكة بنات الله لان الناس لا يتخذون من عبيدهم واماءهم ولدا فالله احق ان لا يتخذ من عبيده ويحتمل قوله

ما في السموات وما في الارض فهو العالي على ذلك القاهر على كل شيء لا تاخذه سنة ولا وحشة ولا معنى
يدل على القهر والحاجة ولا قوة الا بالله وقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ◦ اختلف في الشفاعة
قالت المعتزلة لا تكون الشفاعة الا لاهل الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم او كانت لهم ذنوب فتابوا عنها
واهل السنة قالوا ان الشفاعة لا تكون الا لاهل الذنوب ذهبت المعتزلة في ذلك الى ما ذكر الله تعالى في قوله
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فاذا كان الاستغفار في الدنيا انما يكون للذين امنوا
وتابوا فعلى ذلك الشفاعة في الاخرة انما تكون لهؤلاء ولكنا نقول ان الشفاعة لاهل الذنوب لان من لا ذنب
له لا حاجة الى الشفاعة وقوله ويستغفرون للذين امنوا فهم يستغفرون للذين امنوا وتابوا عن الكفر واتبعوا
سبيله ثم اقدموا على بعض الذنوب ومع التوبة عن الكفر يتحقق وجود العصيان وبوجود العصيان لا يبعد
التوبة عن الكفر فكان هذا استغفار لاهل الذنوب فكذا الشفاعة فان قيل ارايت رجلا قال لعبد ان
عملت عملا تستوجب به الشفاعة حتى يعتق الطاعة او المعصية لابد ان يقال بعمل الطاعة تستوجب الشفاعة
فتبين ان الشفاعة لا تكون الا لاهل الطاعة قيل ان الشفاعة التي يستوجبها اهل الذنوب انما يستوجبها
بالطاعة التي لهم حالة الشفاعة لا بالمعصية لكن لاجل الذنب والمعصية فتكون بمنزلة الشرط الذي لا يتحقق
الشفاعة بدونه وان كان سبب الاستحقاق الطاعة واهل الايمان وان ارتكبوا المعاصي فان لهم طاعات
اعظمها الايمان والخوف من الله والرجاء منه وغير ذلك قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فبتلك
الطاعة يستوجبون الشفاعة والله اعلم فان قالوا ان الشفاعة في الشاهد يكون بذكر مناقب وحسنات
تكون في المشفوع له لاحتمال الجهالة للمشفع عنده باحواله لتعرفه فيشفعه فيه والله تعالى اجل من ان يكون عالما
بتعليم احد وتذكيره ولاحتمال حاجة المشفع عنده في مثل تلك الخيرات فيشفع له طمعا منه اقامة نفعها
في حقه والله تعالى عن الحوائج فبطل الاستدلال من الشاهد على الغائب فنقول في الشاهد يذكرون
هذه المناقب لما ذكرتم ولا حاجة الى ذكرها في الغائب لمعرفة الله تعالى بحاله وتعاليه عن حاجته لكن انما يشفعون
لكرمه وتفضله طمعا وتحامله والتجاوز عنه وهذا في الغائب ابلغ وقوله تعالى ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء ◦ هذه الاية ترد على المعتزلة في نفيهم العلم عن الله تعالى وقد وصف نفسه بقوله ان له
العلم ثم يحتمل ان المراد منه علم الغيب كما قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
ويحتمل انه اراد به علم الاشياء كلها فان البشر لا يعلمون الا قدر ما يعلمهم الله تعالى ويخلق فيهم من العلوم
الضرورية والاختيارية لقول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا فانه بعد حصول العلم للبشر باصل الشيء
بقي الجهل فيه لجهات كثيرة فانه لا يعلم عدد اجزائه ولا عدد اعراضه ونحو ذلك وقوله تعالى وسع كرسيه
السموات والارض ◦ قال بعضهم وسع علمه وهو قول ابن عباس وقال اخرون كرسيه قدرته وهو وصف
له بالعظمة والقدرة والكرسي في اللغة هو اصل الشيء يقال كرسي كذا اي اسس ويقال وسع كرسيه
اي خلق من خلقه وقيل ان الكرسي هو الكرسي لكنه خلقه تكرم من شاء من خلقه ثم لا يجوز ان يفهم من اضافته
اليه ما يفهم من الاضافة بين العباد فعلى ذلك لا يفهم من اضافة الكرسي اليه ما يفهم في حق غيره ◦
وقوله تعالى ولا يؤوده حفظهما ◦ قيل لا يشق عليه وهو قول ابن عباس وروي عنه ايضا انه قال
لا يثقل عليه وقيل ولا يجهده وقيل لا يكربه وقيل لا يبلغ الحفظ شيء من مثال الخلق ان حفظهم بالمعالجة
واستعمال الالات الحفظ وقوله تعالى وهو العلي العظيم ◦ قيل العلي على كل شيء هو محتاج الى عرش او كرسي
العظيم عن ان يحاط به وقيل العلي من جميع احوال الخلق وشبههم وقيل العلي الغالب القاهر وقوله تعالى
لا اكراه في الدين ◦ قال بعضهم نزلت الاية في المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه يقبل منهم
الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركي العرب فانه لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ولا يقبل منهم
الجزية ان اسلموا والا قتلوا قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كتب الى المنذر بن فلان اما العرب فلا يقبل منهم الا الاسلام او السيف واما اهل الكتاب والمجوس
فاقبل منهم الجزية والله اعلم وقيل لا اكراه في الدين اي لا ينبغي ان يكره على الدين لما اتى من النص انه قد
تبين من الغي بين ذلك لكل احد بتبليغ النبي عليه السلام حتى اذا قبل الدين قبل عن بيان وطوع ولا عن
اكراه قال القوم لا اكراه في الدين اي لا يقبل الدين باكراه بل ليس ذلك بايمان على الحقيقة لانه لا يتحقق التصديق
مع الاكراه وقال القوم لا اكراه في الدين اي لا اكراه على هذه الطاعات بعد الاسلام لان الله تعالى جعل قد حبب
هذه الطاعات في قلوب المؤمنين حيث جعلها خفيفة في انفسها وقد رتب بها الثواب العظيم خلاف ما كانت

على الامم

على الامم السالفة فانها ثقيلة عليهم وفي شرايعهم من الشدائد والمشقات ما يحرجون في الاداء عنها
وقد رفع الله تعالى عن هذه الامة وخففها عليهم ببركة دعاء النبي عليه السلام كما قال تعالى خبرا عنه ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وقال تعالى
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فاذا كانت مخففة عليهم لا ينبغي ان يكرهوا على مباشرتها
سمى هذه العبادة دينا لانها مما يدينون بها وقال اخرون ان الاية نسخت بقوله عليه السلام امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقد كان قبل شرع القتال
والله اعلم وقال اخرون ان قوما من الانصار كان يرضع لهم اولادهم اليهود فلما جاء الاسلام اسلم الانصار وبقي
من اولاد الانصار عند اليهود على دينهم فاراد الانصار عند اليهود على دينهم فاراد الانصار ان يكرهوهم
ليرجعوا الى الاسلام فنزلت الاية لا اكراه في الدين ويحتمل الاكراه ما قال في قوله وما جعل عليكم في الدين
ويحتمل الاكراه ما قال في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان معنى الكراهة ههنا هو الحرج اي لا حرج
في الدين والله اعلم وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي ◦ يعني قد تبين الاسلام من الكفر وظهر دلائله فلا
يكرهون على ذلك والله اعلم وقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ◦ اختلف فيه قيل الطاغوت
الشياطين وقيل كل ما يعبدون فهو طاغوت من الاصنام والاوثان وغيرها وقيل الطاغوت الكهنة
الذين يدعون الناس الى عبادة غير الله تعالى فكان معناه فمن يكفر بالطاغوت اي بالذي يدعوا الى عبادة
غير الله تعالى ويكذبه في ذلك ويؤمن بالذي يدعوا الى عبادة الله ويصدقه اذ دعا الى الحق ثم في قوله ويؤمن
بالله دلالة ان الايمان بالله هو الايمان بالانبياء والرسل والكتب جميعا اذ لم يذكر مع الايمان بالله شيئا
اخر ووصفه بانه استمسك بالعروة الوثقى والكفر بالانبياء والرسل والكتب ينفي حقيقة الايمان بالله فدل
ان الايمان بالله بهذه الجملة وهذا لان من امن بالله امن باوامره ونواهيه وشرايعه الا انه في اخر هذه السورة
ذكر والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله على طريق التفصيل خلافا
لقول قوم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض فالاركان الايمان بالله ايمان بالجميع ذلك على طريق الجملة والله الموفق
وقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ◦ يحتمل هذا وجهين فقد عقد لنفسه عقدا
وثيقا لا انقطاع لذلك العقد ولا تقوم الحجة بنقضه ويحتمل فقد استمسك بنصره اياه بالحجج والبراهين
النيرة التي من اعتصم بها لا انفصام لها عنه ولا الزوال ثم فيه نقض على المعتزلة لان الله تعالى اخبر ان من
امن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى والمعتزلة تقول ان صاحب الكبيرة يخلد في النار مع وجود الايمان بالله
حقيقة اذ هو مصدق لله تعالى في جميع ما امر ونهى واخبر فاي عروة وهي من هذا على قولهم وبالله العصمة
وقوله تعالى والله سميع عليم ◦ لقولهم وعليم بثوابهم ويقال سميع بايمانهم عليم بجزائهم والله اعلم وقوله تعالى
الله ولي الذين امنوا ◦ قيل الولي الناصر وهو ناصر المؤمنين وحافظهم وقيل سمي وليا لانه يلي امور الخلق
من النصر والحفظ والرزق وغير ذلك وعلى هذا يسمى الولي واليا لما يلي امور الناس وقيل ان الله ولي الذين
امنوا اي اولى بهم اليه رجاؤهم وطمعهم وهو الذي يكرمهم في الدنيا والاخرة وان الطاغوت اولى
بالكافرين ونظير الاية قوله ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقوله تعالى يخرجهم من
الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ◦ قوله يخرجهم
من الظلمات الى النور بمعنى اخرجهم وجاز هذا في اللغة ان يكون فعل بمعنى يفعل ويفعل بمعنى فعل شايع
مستفيض ثم معنى قوله يخرجهم من الظلمات الى النور اي يجعل نشوهم عليه ابتداء لان كانوا فيه ثم اخرجهم
وهذا كقوله تعالى رفع السموات بغير عمد ترونها المراد انه رفعها ابتداء ليس ان كانت موضوعة ثم رفعها
فهذا مثله ولهذا نظاير كثيرة ثم الاية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لان عندهم لكل ما هو اصلح في الدين
فقد اعطى المؤمنين والكافرين فيجي على قولهم ان جميع ما اعطى المؤمنين من الاخراج من الكفر اعطى مثله الكافرين
يقولون اخرجهم جميعا من الظلمة اذ ذلك هو الاصلح لهم فاذا كان هذا قولهم فاذا هو ولي الكفرة والمؤمنين
جميعا اذ هو السبب في اضافة ولايته الى المؤمنين وهذا خلاف الكتاب فانه قالوا انتم خالفتم الكتاب فانه
تعالى اضاف الاخراج من النور الى الظلمات الى الطاغوت وهو الكفر وانتم تضيفونه الى الله تعالى قيل هذا ظاهر
الكذب علينا فانا لا نقول باضافة الكفر الى الله تعالى وان الكفر وجد وتحقق من الله تعالى ولا الايمان ايضا
ولكنا نقول ان الله تعالى خلق فعل الكفر كفرا من الكافر باختياره وخلق فعل النور من المؤمنين نورا وفعل
الايمان من المؤمن ايمانا على ان هذا السؤال لا يدفع ما ذكرنا من الالزام في اضافة الايمان الى نفسه وهو
اخراجهم من الظلمات الى النور ومقتضى حقيقة الاضافة يكون في الفصل الثاني بدليل تام فالدليل على ان الحقيقة

في الاول ثم ان الله تعالى سمى الايمان انعاما على المؤمن بقوله انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وكذا الذين عليهم بالايمان بقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وعلى قولهم لا نعمة لله تعالى على المؤمن
الا الامر بالايمان والاقدار عليه والدعاء اليه وبيان الحق من الباطل وكل ذلك موجود في حق الكافر فاني
يظهر فائدة اختصاص المؤمن بالانعام والامتنان ويبطل المعتزلة القول باثبات المغايرة من المؤمن
والكافر في الانعام وهذا خلاف الكتاب ولان الله تعالى قال الله ولي الذين آمنوا خص المؤمنين بالولاية
فهذا يقتضي ان يكون من الله تعالى الى الذين آمنوا زيادة معنى كان يتحقق منهم الايمان من لطف وتيسير
وتوفيق لم يكن ذلك للكافر اما ان لو لم يكن من الله في حق المؤمنين سوى الامر والاقدار والدعاء وكل ذلك
ثابت منه للكفرة لم يكن للتخصيص للمؤمنين بالولاية ويصير على هذا التقدير ولي الكافرين ايضا وهو
قبيح وكذا جعل الطاغوت وليا بالكافرين وليا لهم وصنع الله تعالى الى كل واحد اذا كان على السوية ثم
التفرقة بين الفريقين ولما ذكرنا ان الله تعالى ذكر الامتنان ووصف ذلك بالانعام وما ذكر المعتزلة من الا
والاقدار والدعاء اسباب الالزام ولولا ملغى الالزام لكان ايسر عليهم واقل للائمة وهي البعيد ذكرا لا
فيما هذا سبيله دل انه كان من الله تعالى الى المؤمن زيادة فضل ولطف ليس ذلك في حق الكافر ولذلك كان
منعما عليهم ومانا وبذلك استوجب الحمد والشكر عليهم ولذلك اطلاق اسم النور على الايمان واطلاق
اسم الكفر والظلمة على انكار الصانع دليل على ما قلنا فان الكفر هو الستر لغة وكذلك الظلمة هي الستر
والنور عبارة عن الضياء فيكون هذا دليلا على انه من الله تعالى زيادة نور وضياء في قلوب الذين آمنوا حين شرح
صدورهم فوفق للايمان وفي حق الذي علم منهم الكفر ستر ومانع عجز واعن تحصيل الايمان ثم انما
اضاف الخيرات الى الله تعالى دون الشرور وان كان خالق الكل لان الخيرات انعام من الله تعالى وافضال
عليهم وانه سبب استحقاق الشكر والحمد فاضيف اليه ليعلموا على ان توجيه الشكر اليه وليس في الشرور
انعام وافضال يستوجب به الشكر ثم امتنه الحمد لان لما علم من اختيار الكافر عداوته واختياره الكفر
به فلهذا افترقا ولان اضافة الشيء الى الله تعالى لا باسم الخلق انما تخرج مخرج التعظيم له والخضوع
من العبد بالحمد له والشكر ولبيان الكرامة للمضاف كما في اضافة البيت الى الله تعالى واضافة المساجد
بقوله وان المساجد لله ولا يجوز مثل ذلك في الشرور والقبائح ولهذا لا يضاف اليه الانجاس والخبائث
والجواهر القبيحة وان كانت من طريق الخلقة جرى عليها تدبيره وخرجت على تقديره فعرف ذلك العرفانا
الخلق وعلى ذلك يقال بانه رب كل شيء واله كل شيء ثم لا يوصف بذلك في الاشارة والتعيين في الاشياء
الجامدة المستخف بها فيقال اله الانجاس ورب القردة والخنازير فتلك الاول والله الموفق وقوله تعالى
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • والاشكال ذكر ان الكفرة من اصحاب النار وذكر في آية اخرى ان
الملائكة من اصحاب النار فقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة جعلنا اصحاب النار فقال في
اصحاب النار الا ملائكة فيكون متحيا لظاهر بين الآيتين مخالفة ثم تكون تسمية الكفار اصحاب النار
بطريق الاهانة لهم واني يكون ذلك مع تسمية الملائكة بذلك فيقول قيل انما يؤدي الى المخالفة ان لو
كان سبب الاضافة والعلة التي بها استحق الاضافة واحدا وقد اختلف في سبب الاضافة في حق
الكفرة اختصاصهم بانهم معذبون فيها والعلة في حق الملائكة انهم يتولون تعذيب الكفرة فيها
وهم معذبوهم بها وبه نقول فاصحاب النار الذين يتولون التعذيب فيها هم الملائكة لا غير ومنا الكفرة
واصحاب النار الذين عذبوا بها الكفرة وتسميتهم بهذا الاسم من باب الاهانة وتسمية الاولين
من باب المدح فلم يجتمع المدح والذم في نوع واحد بل في نوعين فلا يؤدي الى ما قلتم والله الموفق وقوله
تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه • قد ذكرنا ان قوله الم تر انما تفتح به لبيان اعجوبة وانه في الكو
كقوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ونحو وقوله تعالى
ان آتاه الله الملك • معناه حاج ابرهيم في ربه الذي آتاه الله الملك وهو اللعين النمرود في زمانه فالآية
حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح واعطاء الملك للكافر فان الله تعالى اخبر انه آتى الملك الكافر ولا يكون
اصلح له في الدين لان الملك سبب الطغيان والخروج على الله تعالى في حق الكفار قالت المعتزلة ان آتاه الله
الملك هو ابرهيم عليه السلام وانها كناية عن ابرهيم لا عن ذلك الكافر الذي حاجه لان الله تعالى قال في آية
اخرى قال لا ينال عهدي الظالمين اخبر انه لا ينال عهده الظالمين والملك عهد منه لكن الكافر
انما حصل الملك لنفسه بفعله عن اختيار كتحصيل المال لنفسه والغنى عن اختيار فاما الله تعالى
لا يعطي من هو ضيع العبد الا ما هو الاصلح له في الدين قيل هذا فاسد من وجوه احدها ان ابرهيم علم ان

بالملك

بالملك ولو كان لنقل الينا كما نقل في حق سليمان عليه السلام والثاني في الآية ان ذلك الكافر حاج ابرهيم
في ربه حين اخبر ابرهيم عليه السلام ان الله تعالى يحيي ويميت فقال انا احيي واميت ولو كان ابرهيم عليه السلام
هو الملك دون اللعين المحاج لما كان يقدر على المحاجة مع ابرهيم خصوصا في مثل هذه الحادثة والثالث
لما قال انا احيي واميت جاء برجلين فقتل احدهما وترك الآخر فقال الخبيث هذا وامات الآخر ولو لم يكن ملكا
لم يكن له جرأة ان ياتي بالقتل بين يدي ابرهيم بغير امره اذا كان هو الملك لان الله به ذلك الكافر والله
تعالى نص انه اعطى الكافر الملك وهم ينكرون ذلك ويقولون انه لا يعطي ولكنهم يحصلون الملك لانفسهم
بلا ارادة من الله تعالى بل مع الكراهة فيكون في هذا خلاف النص والقول باثبات العجز له تعالى وهو فاسد
وان الملك يكون في الشاهد باحد الامرين اما بالفضل والشرف اعز والسلطان في الدين نحو النبوة والخلافة
والامامة والعلم او بالفضل من المال والقوة والشجاعة والقهر والغلبة والاتباع فان لم يكن للكافر الملك
من جهة الاول لكان يتحقق الملك من جهة فضول الاموال وكثرة الجند والاتباع وكمال القوة والشجاعة
والرأي والتدبير ووجوه الحيل والمكايد وان كان الملك الحاصل بهذه الاسباب مضافا الى الكافر فقد
يتصور بطريق الارث بلا صنع وذلك مضاف الى فعلهم الى الله تعالى كالغنى الحاصل بالارث بلا اكتساب
حصول الى العبد وان كان بغير صنعهم فقد يحصل ذلك بفعله عن اختيار ولكن الاول لما قام فان الاصلح لو
لو كان واجبا على الله من حيث الحكمة واسباب الملك يتولاها الله بلا صنع للعباد فيها بلا خلاف و
لا يتمكن الكافر على اثبات الملك لنفسه بدون هذه الاسباب فلم يكن لتمكين الكافر لايجاد الملك تعلق
هذه الاسباب مصلحة له في الدين وكذلك في حق الصحة والسلامة ومع ذلك لتمكين ثابت بخلق هذه
الاسباب دل ان الاصلح غير واجب ثم اعطاه الملك من الله تعالى للكافر والمسلم في الدنيا بطريق الامتحان
ليعمل كل ما امره من الانصاف وايصال الحقوق الى مستحقيها عن اختيار ذوي فيثاب وليمتنع عن ذلك
فيعاقب كما اعطى الاموال والصحة والحياة والامتحان والابتلاء بها ليظهر ما علم على ما علم وليظهر الصادق
من الكاذب والمطيع من العاصي في حق الخلق ليجازيهم بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة وليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والله اعلم وقوله تعالى اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت • كان هذا
من ابرهيم عليه السلام والله اعلم جوابا عن سؤال سبق منه انه قال له ذلك الكافر من ربك الذي تدعوني اليه قال
ربي الذي يحيي ويميت والا فلا يحتمل ولا يحسن ابتداء الكلام بهذا من غير سؤال كان منه وهو كما ذكر في
قصة فرعون حيث دعاه موسى عليه السلام الى الايمان بربه فقال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى فعلى ذلك والاول وقوله تعالى انا احيي واميت • قيل في القصة انه اتي برجلين فقتل
احدهما وترك الآخر وقوله قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر
قيل انه انقطع وتحير وهذه الآية حجة في اباحة التكلم في علم الاصول والكلام والمناظرة فيه والحجاج
وكذا على من منع المناظرة والتكلم فيه لانه قال تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم والمحاجة تكون بين اثنين فدل
ان ابرهيم حاجه ايضا وقد بين محاجته في الآية ولو لم يكن مباحا لما باشر ذلك ابرهيم عليه السلام مع كون
الانبياء معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة جميعا الى الايمان بالله تعالى وتوحيده
وصفاته الحسنى والاقرار بذلك والمعرفة له انه كذلك وكذلك الانبياء عليهم السلام جميعا امروا بدعاء
الكفرة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واذا دعوناهم الى ذلك لا بد من ان يطلبوا منا الدليل
على ذلك والبيان والوصف كما هو ولن يتقرر عندهم انه كذا ولا يكون ذلك الا بالمناظرة والحجاج فيدل انه
لا باس بالتكلم في علم الكلام والمناظرة فيه والله اعلم قال بعض اهل التاويل في قوله تعالى حين حكى عن ابرهيم عليه السلام
قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب صرف المحاجة الى غير ما كان ابتدأها به مثل
هذا في الظاهر انقطاع وحيدة عن الجواب لانه من حاج آخر في شيء وناظره فيه بعلة ضمن وفاء تلك العلة
واتمامها الى آخرها فاذا اشتغل بغيرها كان منه انقطاعا عما ضمن وفاءها وابرهيم نبي ذكر الاحياء
والاماتة من الله تعالى فيكون ضامنا الوفاء باتمام تلك العلة فاذا صرف الكلام منها الى قوله فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب واشتغل بغيرها ابتداء من العلة فيكون انقطاعا من حيث الظاهر
لانه جوابه ان يقول للعين ان الحي والاحياء ان يقتل لهذا الرجلين وترك الآخر انا فعل ايضا
كما فعلت ليظهر به للناس كان ليس باحياء واما انه على طريق المعارضة ان يقول لهذا الشخص الذي
قتله كان حيا فيحيى كما كان ولكن احيي هذا الميت الذي قتلته ان كان يمكنك الاحياء ولكن ما قالوه فاسد
يخشى على قائله لانه عليه بما ابتدأ من الحجة الزم الكافر والحجة على الحقيقة لا انما فعله لا يكون احياء وما

لكن كان ذلك منه تمويها وتلبيسا على قوم لحداثة قلوبهم وكانوا مستخفين به فظنوا انه عارضه
فاتى بحجة اخرى اظهر من الاولى ليظهر عجزه وانقطاعه على الناس ويكون الحمد للحق ومثل هذا لا يعد
انقطاعا فيما بين الخلق والثاني ان اراد ان يريه بهذا ويعلمه ان الذي يقدر عليه من القتل والابقاء الاخر حيا انما
قدر عليه بغيره وهو الله تعالى لا بنفسه اذ لو كان ذلك يأتي له بقدرة نفسه لتأتى له الاتيان بالشمس من المغرب
لان القدرة الحقيقية ثابتة بنفسه لا بغيره لا يختلف بين مقدور ومقدور فاذا ثبت عجزه في احدهما
ثبت في الاخر وثبت ان ذلك نوع اكتساب منه يحصل عنده ذلك الموت والبقاء على الحياة وذلك باقدار
غيره على ذلك حيث اقدره على ذلك ولم يقدر على اتيان الشمس من المغرب وقيل هذا من ابرهيم عليه السلام
انتقال من حجة الى حجة لاثبات ذلك الحكم المتنازع فيه ومثله للجائز وليس بانقطاع والله اعلم وقوله تعالى
والله لا يهدي القوم الظالمين ذكر الظلم ونسبه اليه لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وذلك
اللعين وضع الحجاج في غير موضعه حيث عارضه بما ليس باماتة واحياء لا بما هو حقيقة ذلك ثم قوله والله
لا يهدي القوم الظالمين ونحو ذلك يخرج على وجوه احدها انه لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم
اي لا يخلق فيهم فعل الهداية وهم يختارون فعل الضلال ويحتمل ان لا يهديهم لانه تعالى علم منهم انهم
لا يؤمنون ولا يعطيه الهداية فيكون المراد من هذا العام هو الخاص ومثله كثير ويحتمل انه لا يهدي طريق
الجنة في الآخرة من كفر بالله في الدنيا فيراد به هداية طريق الجنة ويحتمل والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يجعل
حكم من لا يهتدي في الآخرة وذلك كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا
وعملوا الصالحات الآية وقوله تعالى او كالذي مر على قرية قيل هو نسق ومعطوف على قوله الم تر الى الذي
حاج ابرهيم في ربه اي فهل لك كالذي حاج ابرهيم في ربه في الاحياء والاماتة وادعى انه يحيي ويميت او كمن
انكر البعث وهذا المار على القرية على قول من يقول ان المراد منه الكافر انكر البعث فقال انى يحيي هذه
بعد موتها المار او اهل تلك القرية من بعد ثم اختلف في المار على القرية قال بعضهم انه كافر قال ذلك وقال
آخرون ان القائل لذلك مسلم وقال اكثر اهل التأويل هو عزير عليه السلام فان كان القائل كافرا فهو
على انكار البعث والاحياء وان كان مسلما فهو على سؤال كيفية الاحياء ليطمئن قلبه بمشاهدة ذلك
عيانا وان اعتقد ان الله تعالى قادر على ذلك حقيقة وهذا كقول ابرهيم عليه السلام واذ قال ابرهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وليس بنا الى معرفة قائله فضل حاجة انما الحاجة
الى معرفة ما ذكر في الآية من الاعتبار والحجج والله اعلم وقوله تعالى وهي خاوية على عروشها قيل خالية عن
سكانها وقيل ساقطة سقوفها على حيطانها وحيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد
على ما ذكرنا من القول اما انكار البعث او السؤال عن ابانة كيفية الاحياء وقوله تعالى فاماته الله مائة عام ثم
بعثه اراد والله اعلم ان يريه الآية في نفسه على البعث والاحياء بعد الاماتة ان كان قوله انى يحيي هذه الله
بعد موتها على انكار البعث ويحتمل ان يكون آية للمتأخرين على انكار البعث والاحياء بعد الموت وذلك قوله تعالى
ولنجعلك آية للناس وقيل في جهة اراءة الاحياء اوجه قيل انه احيا عينيه اولا فادركه بهما كيفية الاحياء
في بقية نفسه فيصير احياء الميت معاينا له فيكون قوله وانظر الى العظام يعني عظامك وقيل احياه نفسه
لكن اراد ذلك في حماره بقوله وانظر الى حمارك يعني الى احياء حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها
لحما وروي في حاشية الاصل عن السدي ان الله احيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه
فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها
في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيها لحم ودم ثم كسا العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم اقبل
ملك حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله وقيل اراه ذلك واعلم بسبب مشاهدته
اولاده شيوخا وهو شاب فصار ذلك آية له على موته مدة طويلة ثم حيوته وبعثه وكذلك في ابقاء طعامه
على ما عليه من غير تغير ومن طبعه الفساد والتغير عند مضي ايام فكيف عند مضي الزمان الطويل واماتة
حماره وليس من طبع الحمار الهلاك والفساد عن سريع دلالة على الوهيته وقدرته وآية على ان القادر كيف شاء
سوى ما طبعه الفساد من غير تغير ويفسد ما طبعه البقاء من حيث الظاهر فيكون دلالة على قدرته الاحياء
بعد الموت وذلك قوله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وعلى الوجه الذي قالوا ان السؤال لاجل معرفة
كيفية الاحياء ومشاهدته عيانا لا لاجل انكار البعث تنبيها لتقرير الاعتقاد بطريق المعاينة وقوله
قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فان قيل ما معنى سؤال الله تعالى اياه عن كمية
لبثه وقد علم انه لم يعلم ذلك الدليل على انه غير عالم به قوله لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام

قيل فيه

قيل فيه وجهان احدهما يحتمل ان هذا السؤال ليس من حيث القول له من الله تعالى بل الهام في نفسه
في نفسه بان قالت له نفسه كم لبثت في حال النوم وقد زعم انه بقي نائما فتأمل احوال النوم في الغالب انه لا يكون
الا يوما او بعض يوم واستدل بما غاب من الشمس وقت ابتداء نومه فاى مكانها في السماء فرآها في مكان آخر وعلم
ان ذلك يوم او بعضه ثم لما تأمل شأن الحمار واستخبر عن شأنه من الاحوال وعلم طول المدة قالت له نفسه
بل لبثت مائة عام ثم اتاه الله تعالى على ما ذكره في الآية والله اعلم او علم ان ذلك بعون تخطر بباله مدة موته لكنه
استدل ذلك بما شهد نفسه على ما عليها من غير تغير فلما تأمل شأن حماره علم انه دفع الى آيات عجيبة ففزع الى الله
فاستيقن تعالى بالذي وصف في القرآن والله اعلم فعلى هذا الوجه السؤال ساقط كالوجه الثاني ان يكون السؤال
من الله تعالى بالقاء قول الله ونطق سمع الحق على كلام الله تعالى فان السؤال متوجه ولا انفصال عنه ان نقول ان السؤال
عما يعلم السائل ويجهل المسؤول به جائز لوجهين احدهما على الامتحان على ما يظهر بطول المضي من الاجتهاد في
معرفة الحقائق بالاستدلال والخضوع لها بالاعتراف لقصوره عن الاحاطة كفعل الملائكة عند قوله انبئوني
باسماء هؤلاء لقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والاول كما فعل صاحب هذه الحادثة فقال يوما او بعض يوم بالاجتهاد
الذي حصل منه وان وقع خطأ وكما في قصة اصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم
كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فدل ان سؤال العالم من الجاهل جائز اذا كان المسؤول اهلا للوقوف على
ذلك من حيث الظاهر ويكون ذلك تكليفا له بالاجتهاد لما في الاجتهاد من الحكم على ما يعرف في موضعه ان شاء الله
تعالى فيه الاجتهاد بظاهر الحال بدليل او بغيره فبان ان المجتهد يحل له الاجتهاد بما يدرك في ظاهر الحال وان كان
حكم ما فيه الاجتهاد غيبا عند الله تعالى لاحتمال اصابة الحق من حيث الغالب الظاهر اذا استوفى شرائط
الاجتهاد واتى بما في وسعه من التأمل والله اعلم والثاني ان يراد بالسؤال التنبيه وتقرير ما عنده لقوله تعالى
في حق موسى عليه السلام وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وهو يعلم انها في يده عصا ليقرر الامر
عنده ثم يريه الآية فيها فهذا الوجه الذي هو اقرب الى الفهم لانه اذا لم يكن على علم بطريق التيقن فلا
يعترض عليه شبهة ان هذا الذي ظهر ليس هو عصاي لما لم يتيقن بقيام العصا في يده وكذلك هاهنا يريد به
تقرير ما عنده انه كم لبث حتى اذا ظهر عنده من شأن الحمار تيقن ان ذلك آية من الله تعالى ولكن هذا في الحقيقة
بيان ان السؤال في الظاهر خارجا وفي الحقيقة تكليف كما في امر الملائكة وامر موسى عليه السلام فاما السؤال
الذي هو في حق السؤال انما هو الاستخبار ليعلم به حقيقة الحال اذ هو طلب الخبر والعالم بكل شيء
لا يكون سؤاله عن الجاهل طلبا للتعلم في الشاهد لكن الامتحان والتجربة لبيان جهله لذلك الشيء والاظهار
فضيلة نفسه عليه ولكن هذا من الله تعالى لا يكون الامتحان على هذا الوجه ولكن ليظهر ما علم على ما علم وهذه الامر
والاجتهاد في الاشياء الحقيقة ليقف عليها بالاستدلال بالظاهر والله اعلم وقوله تعالى فانظر الى طعامك
وشرابك لم يتسنه قيل لم يأت عليه السنون وكأنه لم يأت عليه السنون فانه قد اتى عليه السنون حقيقة
ولكن لما لم يتغير فاشبه ما لم تأت عليه السنون وهذا مأخوذ من السنة واصل السنة السنهة كما قيل
ليست بسنهاء ولا رجبية فيكون الهاء في قوله لم يتسنه اصلية حتى لا تسقط عند الوصل فيقرأ لم يتسنه
وانظر الى حمارك وقيل لم يتسنه اي لم يتغير ولم يتسن واصله تسنن يتسنن فيكون قوله لم يتسنن
الا انه اجتمع ثلاث حروف من جنس واحد وهو النون لان التشديد قائم مقام حرف والعرب اذا توالت ثلاث حروف في كلمة
من جنس واحد على التوالي في آخر الكلمة فلهم في ذلك طريقان احدهما ان يسقطوا احد الحروف حتى يزول تشديده
متحركا الوقف على المتحرك مما يثقل فالحقته الهاء فصار تسنه وسميت هذه الهاء هاء الاستراحة حتى
يسقط الهاء عند الوصل فيقال لم يتسن وانظر الى حمارك من غيرها وهذا كما قالوا تقضض البازي يتقضض
تقضى لانه اجتمع ثلاث حروف من جنس واحد فاسقط الحرف الاخر منه فبقي تقضى يتقضى البازي وكذا كفكف
والثاني ان يبدلوا الحرف الاخير من الفعل بحرف آخر لذلك الفعل كما قالوا في كبكب وكب وعفي والله اعلم
وقوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها بالزاي وهو الرفع والارتفاع وفيه قراءة اخرى بالراء وهو من الاحياء
وننشرها من النشر وقوله تعالى فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وفيه
اذا صرفت الآية الى المسلم لكن علمت من حيث العيان والمشاهدة ما كنت علمته بالدليل ومن قرأ بجزم الميم يكون
الميم على الامر اي اعلم صرفها الى الكافر لان العلم به لم يكن حاصلا ويحتمل صرفه الى المسلم على الامر اي اعلم من حيث
المشاهدة كما علمته من حيث الحقيقة بالاستدلال والخبر الصادق والله اعلم ثم هذه الآية دلالة على اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان هذه القصص كانت ظاهرة فيهم ولم يكونوا علموا منه الاختلاف اليهم ولا النظر
في كتبهم ثم اخبر على ما كان ليعلم انه انما علم بالله تعالى وقوله تعالى واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن

قال بلى ولكن ليطمئن قلبي • قيل كان ابرهيم موقنا بان الله تعالى يحيي الموتى على ما نطق مع اللعين قال ربي الذي يحيي
ويميت ولكن احب ان يعاين ذلك لان الخبر عند ابن آدم لا يكون كالعيان على ما قال ليس الخبر كالمعاينة وقيل يحتمل
سؤاله عما سال لان نفسه نازعته في كيفية الاحياء وقد تنازع النفس بالاحاجة لها اليه من حيث نفسه
لكن ليقع له فضل علم ومعرفة لان الشيء متى علم بمعاينة وحكمة كان اخذ للقلوب واسكن للنفس وان كان
طريق علمه ثابتا بيقين وقيل ليطمئن قلبي اي ليسكن قلبي واعلم انك قد استجبت لي فيما دعوتك واعطيتني الذي
سالتك وقيل اولم تؤمن اي لم توقن بالخلة التي خاللتك قال بلى ولكن ليطمئن كانه سال اية الخلة قيل اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اريتني الذي اردت من كيفية الاحياء ويحتمل ان يكون ابرهيم اراد ليسال ذلك
ان يكون له آية حسية لان ايات ابرهيم عليه كلها كانت عقلية وايات سائر الانبياء قبله كانت عقلية وحسية
فاحب ان يكون له آية حسية لانها اقطع للشبهة وادفع للعذر وهذا كسؤال زكريا حيث قال رب اجعل لي
آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام فجعل له آية حسية فعلى ذلك سؤال ابرهيم عليه السلام وقال بعضهم انما
سال ابرهيم ربه احياء الموتى ليرى بذلك قومه تحقيق قوله في مجادلة الكافر ربي الذي يحيي ويميت وتعلم الناس
ان الاحياء ليس على ما ادعاه الكافر من قتل احد الرجلين واستبقاء الاخر حيا والله اعلم وكذلك ذكر الله تعالى
هذه الاية عقيب ذلك وقوله تعالى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك • الاية قيل شققهن وقطعهن
بالنبطية على قراءة من قراها بالكسر ومن ضمها بالضم وهي قراءة حمزة وقيل املهن اليك يقال الصاد عنقه الى اي امال
ذكر ذلك حرف ابن مسعود وقرئ بالرفع فصرهن اليك من صار يصور قيل املهن ايضا وقيل فصرهن اليك
اي وجههن اليك يقال صر وجهك الي اي حول وقيل صار يصور اي قطع وقيل ضمهن اليك وقيل هذه
في حرف ابن عباس وقوله اربعة من الطير انما خص ذكر اربعة والله اعلم اشارة الى نواحي الدنيا فانها اربع جهات
وهي مهاب الريح من الجنوب والشمال والدبور والصبا فكان فيها ايجاب ان يكون الجبال اربعة لا كل جبل الذي
لا الى هذا ذهب اكثر المفسرين وقوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيا • قال ابو بكر انما قال ياتينك سعيا ولم يقل
طيرانا والطيران لهن اشبه لانه لابد لهن من صحة جوارحهن واستقامة تركيبهن ولانه يتبين بالسعي من صحة
الاعضاء والجوارح ما لا يتبين بالطيران وقيل انما امر بنتف الطيور ليحيا السعي وهو لا الارض فيكون اكثر
العجب والدلالة عليهن اقوى وفي حاشية الاصل قال جعفر الصادق في هذه الاية انه طلب رؤية حيوة القلب
اي بماذا احيا القلوب اذا ماتت بالغفلة فامر الله تعالى بذبح اربعة من الطيور الديك والطاوس والغراب والنسر
وجعل الطيور مثلا له لانه اراد والله اعلم بطاوس زينة الدنيا واراد بالغراب الحرص واراد بالديك الشهوة
واراد بالنسر الامل فكانه اشارة الى حياة القلوب بقتل هذه الاشياء الاربعة واخراجها من القلب •
وقوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء • يحتمل ضرب المثل للنفقة في سبيل الله بالحبة التي ذكر وجهين احدهما
ان يبارك في تلك النفقة فيزداد وينمو على ما بارك في حبة واحدة فصارت سبع مائة او اكثر والثاني وان
يربي الصدقة ما روي في الخبر ان الصدقة تلقع تلك الشيء في ايدي الفقراء فيربو كما
ارتفع الحبة في الارض بعد ما القيت فيها وتفسد فتصادر سبع مائة وزيادة فعلى ذلك الصدقة في طاعة الله
لان النفقة فيها تربي وان كانت تالفة وقال بعضهم ان الاية منسوخة بالصدقات المفروضة ولكن هذا لا يصح
لان الاية سيقت لبيان وعد الثواب في الصدقة والوعد لا يحتمل النسخ لانه يكون خلفا في الوعد تعالى الله
عن ذلك الا ان يعنوا نسخ عين الصدقة بعينها فاما الوعد فهو على حاله وقوله تعالى والله واسع عليم •
قيل واسع غني وقيل جواد يوسع على من يشاء وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى • قال المفسرون في سبيل الله الجهاد بدليل والله اعلم لان العدو اذا خرجوا لقتال
المسلمين خرجوا للشيطان ويسلكون سبيله وطريقه والمؤمنون اذا خرجوا للجهاد وقتال المشركين خرجوا
ليسلكوا طريق الله عز وجل وينصروا دينه واولياءه لذلك كان التخصيص لهم بقوله الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله والا كان يجيء ان يسمي الطاعات والخيرات كلها سبيل الله لانها سلوك سبيل الله وقوله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل منا على الله واذى على الفقير وقيل منا على الفقير واذى له ثم قيل
منه على الفقير بعد ما انفق عليه وتصدق واذاه توبيخه عليه بذلك وتعييره وامتنانه على الله تعالى
كقوله يمنون عليك ان اسلموا وقوله تعالى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • قد تقدم تاويله
وقوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى • قيل قول معروف كلام حسن يدعو الرجل لاخيه
بظهر الغيب وقيل ان يستغفر ذنوبه في السر ومغفرة ان يعفو له ويتجاوز عنه عن مظلمة خير من صدقة يتبعها

اذى ومن خان قيل كيف جمع بين الفعل المعروف المغفرة وبين الاذى والمن والصدقة التي يتبعها الاذى
والمن فقال القول المعروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والاول خير والثاني شر فان الصدقة تبطل بالاذى
والمن ولفظة خير يستعمل للترجيح في كلام الناس فانما يستقيم اذا كان الفعلان من باب الطاعة والبر ولاحدهما
زيادة رجحان فيقال لاحدهما خير قيل فيه من وجوه احدها يحتمل ان يراد بهذا في الفقراء اي الامر بالمعروف لكم اي القول
الحسن فيكم والمغفرة عن مظلمة خير من الصدقة وان كان بين الكل مجانسة من حيث النفع لكن نفع الصدقة يرجح
نفع المغفرة والعفو وكذا الثناء الحسن ونفع الامر بالمعروف اذا اتصل به القبول من المامور وان لم تكن بين الكل
مجانسة في نحو ما هو عند الله وهذا كما في قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة اي خير لكم لاخذ
من اللهو ومن التجارة في دنياكم وان لم يكن اللهو والتجارة من جنس ما عند الله لكن بينهما مجانسة في نحو ما يعد
نفعا عند الله وكذلك الاول والله اعلم ويحتمل قول معروف اي رد جميل للسائل خير من اجابة السائل الذي اراد
واعطاء الصدقة مع المن والاذى لان الصدقة قربة وهي من باب الخير لم يتبعها الاذى والمن فان اتبعها الاذى
والمن فيكون الرد الجميل خير المتصدق من الصدقة لانها تبطل بسبب الاذى وفيها نقصان ماله وفي الرد
الجميل اذا كان من عذر ثواب في الاخرة والله اعلم وقيل قول معروف التسبيح والثناء والحمد لله والمغفرة في
الستر على نفسه والكف عن اظهار ما ارتكب من الماثم وقوله تعالى خير اي خف على الكتبة من صدقة يتبعها
اذى وقيل يحتمل ان يكون على الابتداء لا على الجمع فمعنى واحد وجحود ترجيح احدهما او هذا خير وذلك شر وقد
كما يقال الشيء خير من لا شيء وكما يقال الذي يعم بارد المقام في البيت خير من الخروج لا اراد بذلك الترجيح ولكن يبين
احدهما خير والاخر شر فهذا مثله والله اعلم وقوله تعالى والله غني حليم • اي غني عن صدقاتكم حليم لا يعجل
بالعقوبة عليكم بالمن والاذى وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى • قال بعضهم
المن والاذى ان يقول للسائل خذه لا بارك الله لك فيه تجبهه بالطلاق والله اعلم ان الله تعالى وعد الثواب
لمن تصدق على الصدقة من ذلك كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة واقرضوا الله قرضا
حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وقال ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وان كانت تلك الاموال في الحقيقة لله تعالى اعطاهم الثواب على ذلك فاخبر
ان من قطا اخر شيئا في الدنيا بسبب يحصل له لا من عليه كالمبادلة لا تلك تجري بين الناس ولا يكون لبعض على
بعض جهة المن اذا اخذ بدل ما اعطاه وانما من عسى ان يؤذيه اذا اختار جهة التبرع دون المبادلة فيمن
على الفقير ولا يؤذيه فقد يجري على سنن المبادلة وما ال الى جهة التبرع على الفقير من ابتغاء وجه الله تعالى
يحرم البدل الذي وعد الله تعالى اذ قال ان الاموال كلها لله تعالى في الحقيقة وكان التصدق على الفقراء
امتثال ما امر الله تعالى اليه من امر الاعطاء اليه وكل من اعطى اخر مال الغير لا يستوجب بذلك حمدا ولا منا على
المعطى له ليعلم كان انما يستوجب على من امره بذلك العمل له باقامة نفسه مقامه اذا كان المامور من مواليه
الامر ما لا ينفسه على الخصوص والغني بامضاء الصدقة يكون عاملا لله تعالى من تمام امره باعطاء ماله المحتاج
من شاء وفيه يعد له الثواب بهذا العمل بفضله لكونه عبده وعلى العبد اتمام امر مالكه بحق العبودية فاذا
من على الفقير او يؤذيه فيكون ذلك التشوف الحاصل اخراج نفسه من ان يكون عاملا لله تعالى في هذا الاعطاء وانه
لا يبتغيه ابتغاء وجه الله وانما اراد ابتغاء وجه الفقير ليعمل له فاذا لم يصل اليه غرضه من جهة الفقير يمن عليه
او يؤذيه فيحرم الثواب الذي وعد على العمل لله تعالى والله اعلم وقوله تعالى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر • قال بعضهم المنافقون كانوا ينفقون اموالهم رياء كقوله وقوله ولا يؤمن بالله واليوم الاخر
شبه الصدقة التي فيها من واذى بالصدقة التي فيها رياء ذلك والله اعلم ان الصدقة التي فيها من واذى
لم يبتغ فيها وجه الله تعالى وكانت كالصدقة التي ينفقها للرياء اذ لا يبتغي بها وجه الله تعالى ايضا وقال
آخرون كل صدقة فيها رياء فذلك حكمها سواء كان منفقها كافرا او مسلما لانه لم يبتغ بها وجه الله تعالى فهذا
لا يجوز وقوله تعالى فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا
يهدي القوم الكافرين • الصفوان الحجر الاملس والوابل المطر الشديد العظيم القطر فان الله تعالى ضرب المثل للصدقة
المتبعة بالرياء والصدقة التي فيها المن والاذى بالصفوان الذي عليه تراب وضرب الامثال لتقريب ما غاب
من الابصار الى ما هو محسوس وذلك ان الصفوان الذي ضرب به المثل محسوس والتراب كذلك وما تضمنه من جعل
الاغذية للخلق والنبات والثواب الذي وعد للصدقة ليس بمحسوس بل هو غائب فعرض الغائب بالمحسوس
فقال لما كان التراب النافع يكون الاغذية يذهب المطر الشديد حتى لا يبقى له اثر فكذلك الثواب الذي
يكون للصدقة يذهب ويتلاشى حتى لا يظفر بها بعد المن والاذى والرياء كما اذهب المطر التراب الذي

الذي على الصفوان فصار صلداً لا يبقى عليه من التراب فكذا المن والأذى ما وعد على الصدقة من الثواب
والله أعلم وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم • قيل تصديقاً
لقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى وقيل تثبيتاً يعني يقيناً بالإسلام وقيل يتثبتون في مواضع
الصدقة ومحالها ليقع موقعها وقيل تثبيتاً في الصدقة يعني إذا كان شيئاً لله أمضى وتصدق بها وإن كان
شيئاً أمسك عنها والله أعلم وقوله تعالى كمثل جنة بربوة • قيل الربوة المرتفع من الأرض وقيل الظاهر
المستوي من المكان وفيها ثلاث لغات برفع الراء ونصبها وكسرها وقوله تعالى أصابها وابل فآتت أكلها
ضعفين • يعني الجنة أضعف في ثمرها وحملها ضعفين حين أصابها وابل كذلك الذي ينفق ماله لله تعالى
من غير منة ولا أذى وعلا دنا بأضعاف نفقته كثرت النفقة أو قلت وقيل يضاعف الله تعالى بهذا المنفق الأجر مرتين
وقوله تعالى فإن لم يصبها وابل فطل • والطل هو المطر الضعيف وقيل هو المطش من المطر وهو الرذاذ مثل
الذي لا يزال الجنة خضراً وإنما ثمرها قل أو كثر وقوله تعالى والله بما تعملون بصير • ترغيب وتحريض في الإنفاق
لوجهه ثم في الأمثال التي ضربها الله تعالى في القرآن وجوه من الفوائد أحدها جواز قياس ما غاب من الحكم عن
المنصوص بالمنصوص عليه إذا جمعهما معنى واحد والثاني أن علوم المحسوسات والمشاهدات هي أصول الحجاج وهي
الأصول التي بها تستدل وتوصل إلى معرفة الغائب والثالث منها إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك أن العرب كانت لا تضرب الأمثال ولا كانت تعرفها في أمر التوحيد والتعريض والثواب ونحو
القيام ونحو ذلك ثم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وذكر فيه الأمثال التي ذكرنا
ليعلموا أنه إنما عرفها بإذن الله تعالى لا أنه أنشأ هذا القرآن من نفسه وجعل ذلك من آيات نبوته ورسالته
عموم الكتابة لدفع إنشاد الشعر وإنشائه من آيات نبوته لا بعادة العرب إنشاد الشعر والكتابة ويفضلون
أربابها على غيرهم من الناس لئلا يفترقوا لها فيقولوا إنه أخذ من الكتب المتقدمة واختلقه من نفسه وكذلك
قوله ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون والرابع فيها دلالة أن الله تعالى خالق الدنيا وما فيها من المحاسن
والقبائح والأماثل والخسائس والطيبات والخبائث حيث ضرب مثل الرفيع بالرفيع وما لله تعالى بالعالي
بالطيب والخبيث بالخبيث والخسيس بالخسيس وعلم بالكل إذ لو كان خالق كل شيء من ذلك غيره لخفي ذلك
ولأن خالق هذه الأشياء كلها هو الله تعالى لا شريك له ثم شبه الصدقة التي هي لله تعالى مرة بالربوة من الأرض
وهي أكثر نفعة منها ومرة بالحبة التي تنبت كذا سنبلة كذا كذا حبة ومرة تحدثها الأضعاف المضاعفة لقوله
فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله أعلم لما قل رغبة الناس في المضاعف الكثير في الدنيا ومرة في كثير من نفعه
أرضها أو نفعها أكثر على غيرهم من الخلائق في البقاع ومرة في الكثير من الأشياء والعظيم منها رغبهم في الصدقة
بما ذكرنا لعلمه برغبتهم فيها ليرغبوا في ذلك والله أعلم ويحتمل التحريض من الله تعالى هذه الصدقات على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأنه كان يرغب الناس في الصدقة لئلا يظنوا فيه ظن السوء ويقولوا إنما يرغبهم
هو بها وقوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب • الآية قيل ليس بهذا الخطاب لأنه
أن يقول يود أو لا يود ذلك الخطاب من الله عز وجل يخرج على وجوه ثلاثة خطاب يفهم مراده كما يقرع السمع
خطاب لا يفهم مراده إلا بعد النظر فيه والتأمل والتدبر وذلك قوله أفلا يتدبرون القرآن الآية وقوله تعالى
وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون ونحو ذلك وفي خطاب لا يفهم مراده إلا بالسماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ممن له علم بذلك من الصحابة وغيرهم وذلك قوله فاسألوا أهل الذكر
فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وإن كان كذلك فيحتمل أن الله تعالى إنما ترك الجواب لهذا الخطاب ليعلم
ذلك بالطلب والبحث عنه والتفحص ثم إن هذا الخطاب يحتمل أن يكون في أهل النفاق وذلك أن المنافق
يري من نفسه الموافقة لأهل الإسلام في الظاهر وهو مخالفهم في السر ويظن أنه يستحق الثواب
كذلك وقت الثواب فأخبر الله عز وجل أن لصاحب الصنعة الصنعة التي ذكرت في الآية وهو أنه غرس فيه
الغروس وتنبت فيها النبات في حال الشباب وقوة رجاء أن يصل إلى الانتفاع بها وقت الحاجة والضعف فإذا بلغ
إلى ذلك واحتاج إليه حيل بينه وبين الانتفاع بما فيها فكذلك المنافق الذي كان يرجو منافع في الدنيا
وتبعة فيها فأما إذا بلغ إلى وقت الحاجة حرم ذلك وكذلك هذا يحتمل أن يكون في الكافر لأنه يرى لنفسه
النفع بعمله لوقت تأمل لصاحب الصنيعة ثم عند بلوغ الحاجة حرم عن ذلك لاحتراقها أفتقر من الآفة
وهو كقوله تعالى الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية وكقوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون لأن الكافر إنما يعبد ما يعبد من الأصنام بأمله ويطمع في الآخرة كما أخبر الله تعالى ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى ونحو ذلك من الآيات فرجاء الكافر وأمله في غير موضعه ورجاء المؤمن في موضعه كذلك كان

على ما ذكره

على ما ذكره والله أعلم ثم الأمثال التي ضربت ينتفع بها المؤمنون لأنهم ينظرون إلى ما فيها من المعاني الموضوعة
المدرجة ولم ينظروا إلى ظاهرها فأما الكفار فينظرون إلى ظاهر الأمثال إلى ما فيها من المعاني المودعة فاستحقروها
واستقبحت قلوبهم إياها لذلك قال الآيات لقوم يتفكرون ويعقلون ووجه ضرب المثل وهو
إن الكافر يحرم أجره حين افتقر واحتاج ما كان إليه كما حرم هذا نفع بستانه عنه افتقر واحتاج ما كان إليه وهو
حين كبر سنه وضعفت قوته وأبعد مستحيل والله أعلم قال الشيخ الإمام أبو منصور رضي الله عنه معنى قوله أيود أحدكم
أن تكون له جنة ينال منافعها في وقت قوته وحينه بقوته حين لو يغنيها من وجوه المعاش ثم يحرم نفعها وقت
الحاجة إليها لضعف بدنه وانقطاع وجوه الأدنية فلذلك لا ترضوا من أنفسكم في وقت قوتها وغناها النفقة
عنها وقت حاجتها إلى الأعمال التي لا اضطرار إلى نوابها والله أعلم ويحتمل أن يكون المعنى في ذلك إلا تغتروا
ظاهر أحوالكم في الدنيا وثمار أموالكم المنافع بالذي أظهرتم من موافقة المؤمنين كاغترار ما ذكرت بجنته
تلك في حاضر ما عليه حالها إلى انتهاء ولما له أن الله تعالى من عاقبة أمره ومنتهاه نهاية ذلك أنه لم يكن له الاغترار
في ذلك ويحتمل كان يجعلها ما على ما يضيع عنه ذلك بتلك الحال فيخرج ذا على ضرب المثل للمنافق ويحتمل أن يكون ذلك
مثل المنكر لمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يعني بالبعث الذي ينال بالكفر به من الرياسة والقرار الذي ذكر من حال
الجنة أنه لا يؤدي ذلك في الابتداء إنما كان له تلك العاقبة وكذلك لا ينبغي لمراد بين لهم عواقب الكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم أن يؤثروا الذي نالوا نفعه لهم لشدة تلك العاقبة والمثل خرج على عرف الجواب فيه
فيه بما قد يجري الابتلاء بعلة بالموت مبيناً أو لما في الحال التي لها نزول الآية دليل التعريف لما أراد
امتحان السامعين بالتأمل في الآية ليتأمل الكل في عقل فضله وليكرم بأهل التدبر في آياته في صرف
وجوه من دونهم لبهم في الصدود عن آياتهم والاعتماد على إشاراتهم والله أعلم وجملة ذلك أن الأعمال
وفي الاختيار تكون بالعواقب وكذا إليه ترجع الفاعل مقصود ذلك في الابتداء فتبين أن من أغفل عنه
بالذي عرض في حينه المرء تجنبه لما انكشف له عاقبته حتى لعله تود أن يكون له تلك تكون سروره
بما يحمد عاقبته فعلى هذا أمر الأعمال التي تغفل عن عواقبها إذا أصابه إليها صاحبها فإنما الموفق وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض • في الآية دليل وجوب الزكاة
في أموال التجارة فقوله ما كسبتم لأن أموال التجارة هي التي تكتسب وتقلب وتنقل من ملك إلى ملك ببدل
وعوض وليس في كتاب الله بيان وجوب الزكاة في أموال التجارة في غير هذا الموضع وليس في سنته عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر عن بعض الصحابة القول به فيحتمل أن يكونوا قالوا بهذه الآية
وأما زكاة الذهب والفضة والمواشي لها ذكر في الكتاب والسنة من قوله تعالى والخيل المسومة والأنعام
ونحوه والزكاة تجب فيها العين ما اكتسب فيها أو لم يكتسب وأما أموال التجارة فإن الزكاة فيها تجب بالاكتساب
وفي الآية دليل أن النفقة المذكورة فيها لازمة واجبة لا على طريق الندب لأنه قال إلا أن تغمضوا فيه ذكر
الإغماض والإغماض لا يذكر في المعروف والصلوات المندوبة إنما يذكر في اللازم وفي الواجب الذي لا يخرج عنه
إلا بالأداء وعن عفو وصفح ولذلك يدل على الوجوب وفيها دليل وجوب الحق في الرطاب
والخضراوات لأنه ذكر في الآية المخرج من الأرض والرطاب هي التي تخرج من الأرض حقيقة فأما الحبوب إنما
تخرج من الأصل الذي يخرج من الأرض لذلك كان الرطاب والخضر أولى بوجوب الحق فيها من غيرها بظاهر الآية
فيكون حجة لأبي حنيفة فأما أبو يوسف ومحمد فإنهما قالا لا يحتمل أخرجنا لكم من الأرض يعني من الأصل
الذي يخرج لكم من الأرض كقوله تعالى قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ولا
أنه لا ينزل من السماء اللباس كما هو ولكن أراد الأصل الذي يكون منه اللباس وكذلك قوله خلقكم من تراب
وهو لم يخلقهم من التراب إنما خلق الأصل من التراب وهو آدم عليه السلام فعلى ذلك الأول وهو استعارة
من إطلاق الاسم فيحمل عليه لكن أبو حنيفة اعتبر الحقيقة والله أعلم على أنهما قالا إنما لا تحقيقه الإضافة
لأن إخراج الرطاب والثمار محض صنعه لا صنع لأحد فيه ألا ترى إلى قوله أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه
أم نحن الزارعون فأما بعد النبات فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ وغيره فكان أن نصرفه إلى النبات أحق
من الصرف إلى الحبوب والله أعلم وفيها دليل على وجوب العشر على الصغير والمعتوه والمكاتب ونحو ذلك لأنه
تعالى جعل الخارج حق الفقراء والأغنياء جميعاً لأنه من علينا بقوله ومما أخرجنا لكم من الأرض حيث أخرج لنا
من الأرض من أنواع ما أخرج من حبة تلقى في الأرض فيفسد فيها فيخرج منها النبات بلطفه لا صنع لأحد فيها ولكن
المنة لا تكون على أربابها خاصة دون الفقراء بل هي على الفقراء وهي على الأغنياء لأنه أخرج رزقاً للكل فصار
للفقراء في ذلك حقاً كما للأغنياء ثم فرض مقدار الحق بالسنة وهو كقوله وآتوا حقه يوم حصاده وفي حق العباد

يستوي الصغير والفقير عند الامكان في الجملة فلذلك قلنا بالوجوب على الكل والله اعلم وقوله تعالى
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه • فيه دلالة ان لا يتصدق بالردي
من الجيد فاذا تصدق به يلزمه فضل ما بين الردي والجيد على قول محمد بظاهر قوله ولستم باخذيه الا ان
تغمضوا وعند ابي حنيفة يجوز لانقضاء له ذلك والوجه فيه ان الله تعالى اطمع الناس قبول ذلك اذا تغامضوا فيه وحق
ان يطمع قبول الكرم ولطفه لانه ليس في طبقة ما يكال او يوزن من نوعه قيمة فاذا لم يكن له قيمة لا يلزمه
فضل الصفة وقوله تعالى واعلموا ان الله غني حميد • الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا • قيل يعدكم الفقر بالدنيا بالتصدق والانفاق ويامركم بالفحشاء اي بترك الصدقة
ويحتمل يعدكم الفقر في الدنيا بطول الامل وفناء الاموال ويامركم بالفحشاء بسوء الظن بربه وقوله والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا يعني يعدكم مغفرة بالصدقة وفضلا ذكرا في الدنيا ويحتمل والله يعدكم بالمغفرة في الاخرة
بالصدقة وفضلا في الدنيا يعني خلفا وقيل مغفرة لكم بفحشائكم وفضلا اي جزاء ورزقا بالاجل فعركم
وقوله تعالى والله واسع • اي غني يقدر على اخلاف ما انفقتم وقوله عليم • بحفظ صدقاتكم ويحتمل بما ينفقوا
من الصدقة والحسنة وفي قوله واسع عليم وفي غني حميد نحو ذلك دلالة على ان الله تعالى رغب الناس على الصدقة
والنفقات ابتلاء ومحنة منه لا لحاجة ولا فقر وقوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا • اختلف في تأويل الحكمة في هذا الموضع قيل معرفة القران وتفسيره وهو قول ابن عباس ولا
دعي مرفوعا وقيل الحكمة الفهم بالقران وقيل النبوة وقيل الاصابة بحقيقة كل شيء وبها يتقى كل شيء وينال كل
خير وذلك هو الخير الكثير وقال القوم هي القران وهو على ما وصفه نورا وهدى وروحا وشفاء فالنور هو الذي
به يبصر حقائق الاشياء وبالهدى يدرك كل شرف ويتقى كل تلف وبالروح يحيى كل ذي روح وبالشفاء يبرأ
كل سقيم ودواؤه والذي هذا وصفه الخير الكثير بانه المعونة وقال بعضهم الحكمة هي السنة فلذلك اكرم
رسوله صلى الله عليه وسلم بالتي من سلكه نجا ومن حاد عنه هلك وفي الاصل قيل الحكمة هي التحقيق ووضع كل
شيء موضعه ودفع كل حق الى محقه وبهذا قال بعض الفلاسفة في حد الحكمة انه العلم والعمل في وضع الاشياء
مواضعها والعمل هو ايصال كل حق الى محقه وقيل هي من احكام الامور واتقانها وذلك مستعار وما ضاد
الحكمة السفه وهو التفاوت في الفعل والاضطراب في الامور وقال قوم الحكمة في القران هي فهم الحدود
والسواتر وهو الذي به تدرك الموافقة والمخالفة في طرق الحقائق لا من جهة الظاهر وذلك فعل الحكماء
ورعاة الدين ولا قوة الا بالله وقال القوم هي الفقه والفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وهو الذي
يتوصل الى معرفة الغايب بالشاهد والغامض بالظاهر والفرع بالاصل ولا قوة الا بالله واي هذه الوجوه كان
الحكمة فهو الخير الكثير وقيل في قوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا من حفظ النفس في الدنيا عن جميع
الافات وفي الاخرة عن الوقوع في العقوبات وقوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب • وما يتعظ بما ذكر
الا ذوا الفهم والعقل وفي الاية نقض قول المعتزلة لانه دلالة انه لا يؤتي كل الحكمة وانما يؤتي بعضا
دون ولو كان على الله تعالى ان يؤتي الاصلح في الدين لكان قد اوتي الكل ويبطل التفضيل فبطل قولهم في الاصلح
ولان الحكمة وان كانت فعل الحكيم لكن باعطاء الله تعالى ان الماثم لا يجوز ان يعطيها الله تعالى ثم لا يثيب لها
المطيع لانه اعطى الكل والاصلح في الدين نحو كل مخاطب دينا الماثم هذه الاية حجة عليهم في خلق الافعال لان الله
تعالى اخبر ان يؤتي الحكمة من يشاء وهم يقولون كل احد يخلق الحكمة بنفسه دون اعطا الله اياه وانه خلقه
وقوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر • يحتمل النفقات التي تجري بين الخلق من نفقة المحارم
وغيرهم ويحتمل المفروض من الصدقات ويحتمل النوافل من الصدقات وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله او نذرتم من نذر قال من نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين وقال لا نذر في معصية وكفارته
كفارة يمين ومن نذر نذرا لم يطقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا اطاقه فليف به وقوله تعالى فان الله يعلمه
فيه تنبيه وتذكير ان الله تعالى يعلم صدقتهم ونذرهم ليحسنوا في النفقة ويخلصوا في النذر ليفوا به وقيل
يقبله وقيل يامر بوفائه ويحتمل ان يعلم ما ونيتم به فيجزيكم على ذلك ويحتمل يعلم ما اردتم من صدقاتكم
ونذركم وقوله تعالى وما للظالمين من انصار • في الاخرة يعني يمنعهم من العذاب وقيل وما من شفيع يشفع
لهم ولا نصير ينصرهم لانه لا ماثم ظالم الا وله في الدنيا ظهير وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم • قال بعضهم هي الفريضة وقال الاخرون هي التطوع وقال غيرهم ان تبدوا
الصدقات هي الفريضة وان تخفوها وتؤتوها الفقراء هي التطوع لكن هذا القول لا يصح لانه اخبر ان
الاخفاء خير ولا يكون التطوع خيرا من الفريضة فيحمل على التطوع دون الفريضة فالا ان الله تعالى فضل

بين الابدا والاخفا وفي الفريضة ليس فيها الريا لانه شيء عليه بل يستحب عليه الابدا والاظهار في الفرض
ليقتدى به في ذلك فيكون ترغيبا للناس في اداء الفرايض فاما النوافل مما يجري فيه الريا لانه امر ليس عليه فكان
الاخفا اسلم من الريا فكان احق ومن حمل على الفريضة قال ان الاخفا في الفرض احق من الابدا لان في الابدا
شيئان اداء نفس الصدقة والابدا وفي الاخفا وجوه احدها الصدقة والاخر ترك المراياة وسلامتها
والثالث الكف عن المن والاذى وعن ابن عباس انه قال في قوله ان تبدوا الصدقات الاية جعل الله تعالى صدقة
السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل بخمسة وعشرين
ضعفا وكذلك جميع الفرايض والنوافل في الاشيا كلها وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال صدقة السر تطفي غضب الرب وصنايع المعروف تدفع مصارع السوء وصلة الرحم تزيد في العمر وعن
الحسن قال الابقا على العمل اشد من العمل ان العبد ليعمل العمل سرا فيكتب له عمل السر ولا يزال به الشيطان
حتى ينسخ من عمل السر الى عمل العلانية ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب ان يحمد عليه حتى يكتب من عمل العلانية
في الريا وقوله تعالى ونكفر عنكم من سيئاتكم • دليل على ان من السيئات ما يكفرها الصدقة ومنها لا يكفرها
فانه ذكر بحرف من وهي التبعيض وقيل ان من ههنا صلة او لتمييز الجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وعلى هذا التاويل يكون فيها الطماع تكفير السيئات كلها بالصدقة وهي كقوله ان الحسنات يذهبن السيئات
ثم الاية حجة على المعتزلة لانهم لا يرون تكفير الكباير بغير التوبة ولا التعذيب على الصغاير فاما ان كانت
الاية في الكباير فيبطل قولهم لا تكفير بغير التوبة او في الصغاير فيبطل قولهم انها مغفورة اذ وعد التكفير
بالصدقة ولانهم يخلدون صاحب الكبيرة في النار والله عز وجل اطمع له تكفير السيئات كلها بالصدقة
والله اعلم وقوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء • اي ليس عليك التوفيق على الهدى او
تخليق فعل الاهتدا بهم وانما ذلك الى من له الخلق والامر ويحتمل قوله ليس عليك هداهم اي حساب ترك الاهتدا
بهم والامتناع عن اكتساب الهدى وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
انما عليك البلاغ والاية حجة على المعتزلة فانهم يقولون بان المراد من الهدى من الله تعالى هو البيان وكذلك من الرسول
عليه السلام وقد اخبر الله تعالى انه ليس على الرسول هداهم وعليه البيان والتبليغ بالاجماع فدل ان هنالك فضل
معنى لا يملك الرسول عليه السلام ذلك وهو التوفيق على الهدى والتخليق له وقوله تعالى وما تنفقوا من خير
فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله • قيل وما تنفقوا من خير او مال فلانفسكم الثواب وقيل منفعته
لكم وفي الاية دلالة على انهم كانوا يتحرجون من التصدق على اقربائهم من الكفار خشية ما يقع من التعاون
على ما اعتقدوا من الدين او المكاسب على كل دين من العقائد انما يقع لاجل الدين فبين عز وجل ان ذلك
يقع لكم ولانفسكم وتكفير ما ارتكبتم وفي الاية دلالة جواز اداء الصدقة الى الكفار وجواز دفع الكفارات
لانه جعل هذه الصدقة مكفرة وان كانت للكفار فيكون حجة لاصحابنا على الشافعي قال الشيخ الامام في قوله
وما تنفقوا من خير فلانفسكم يحتمل وجهين احدهما ان انفقوا لاجل انفسكم ليتقربوا الى سيدكم ويبلغوا
ما وعدكم من جزيل الثواب لا يلحقكم به حرج لوقوع ذلك في يدي من يطيع الله ويعصيه لانكم عملتم لانفسكم
لهم فلذلك قال القوم نزلت الاية في الانفاق على الكفرة ان تحرجوا من ذلك خشية ان يكون معونة لهم على ما هم
فيه من ما ذكر فبين ان ذلك لا يكون بل فيه ترغيب الى الاسلام وتاليف القلوب عليه والله اعلم والثاني ان يكون
النفقة لانفسكم لا ان الله تعالى امركم بها ليكون له بل لكم نفع ذلك وهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله وان اسأتم
فلها ما كسبت وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه ليعلم ان الله تعالى
يمتحن عباده لا لحاجة اليهم في ذلك او لمنفعة تصل اليه بل هو الغني عن العالمين وهو كما وصف به نفسه فقال
يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد وغير ذلك والله اعلم وقوله تعالى وما تنفقوا من خير
يوف اليكم • يعني يوف عليكم ثواب صدقاتكم وان كان التصدق على الكفرة وقوله تعالى وانتم لا تظلمون
في حرمان الثواب والجزاء وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله • قيل اي عن سبيل الله يعني حبسوا
بالفقر عن الجهاد في سبيل الله كقوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والعرب تستعمل حرف الخفض
بعضها في موضع بعض ويحتمل قوله احصروا في سبيل الله اي حبسوا انفسهم في طاعة الله لا يجدون ما يتجرون
ولا يحترفون ولا ما يكتسبون وذلك وقوله تعالى لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف تعرفهم بسيماهم • يعني بسيما التخشع وقيل بسيما الفقر وقوله تعالى لا يسالون الناس الحافا
يحتمل اي لا يظهرون السوال ويحتمل لا يسالون وهو كقوله تعالى ولا تنفعها شفاعة اي لا تشفع لهم شفاعة
لا يسالون ولا يعرضون ذلك على كتمان السوال فانهم اذا سالوا لم يلحوا والالحاف الالحاح وهنا يدل

على إباحة التعريض بين يدي أهل الجود والسخاء لأنهم مدحهم بكمال التعفف فيكون دليلاً على إباحة التعريض
في السؤال قال النبي صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه باباً من المسألة فتح الله عليه سبعين باباً
من الفقر وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم • للترغيب وقوله تعالى الذين ينفقون أموالهم
بالليل والنهار سراً وعلانية • قيل هي النفقة على الخيل المحبسة للجهاد ينفقون عليها ليلاً ونهاراً
سراً وعلانية لا رياء فيها خلاف من ينفق عليها للتزين والتجمل فيها والسباق في المضمار وهو مروي عن أبي أمامة
هي النفقة على الخيل في سبيل الله وعن ابن عباس قال هي علف الخيل والنفقة عليها نزلت في نفقة عبد الرحمن
بن عوف في جيش العسرة وقيل نزلت في علي بن أبي طالب لأنه لم يكن يملك من المال غير أربعة دراهم درهماً ليلاً ودرهماً نهاراً ودرهم
سراً ودرهم علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي حملك على هذا فقال حملني أن أستوجب على
الله الذي وعد في فنزلت فيه هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري فلا ندري فيمن نزلت
وليس لنا إلى معرفة المنزلة لشأنه حاجة سوى أنه وصفهم بالجود والسخاء ووصف نفقتهم على الناس ليلاً
ونهاراً سراً وعلانية لا رياء فيها ولا منّ ولا أذى لأنه من جود نفسه الفضل في جميع الأمور قال الله تبارك وتعالى
تعالى عز وجل فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • بين جزاءهم في الآخرة وهو النعيم
الدائم ووصف النعيم بأنه لا يشوبه حزن ولا خوف خلاف نعيم الدنيا فإنه مشوب بالخوف والحزن •
وقوله تعالى الذين يأكلون الربا • قال بعضهم ليس على حقيقة الأكل ولكن على الأخذ لقوله تعالى وأخذهم
الربا وقد نهوا عنه فإذا كان هذا على الأخذ وقوله تعالى لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
هو على التمثيل لا على التحقيق وقال الآخرون هو على نفس الأكل وما ذكر من العقوبة لما أكلوا من الربا لا يقومون
إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي الجنون فالمجنون يقال عنهم الوعيد بحقيقة في الاستحلال
وإباء القبول وتخطئتهم الله تعالى في تحريم الربا كما أخبر الله عز وجل عنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ويؤيد
ذلك ما ختم به الآية من قوله والله لا يحب كل كفار أثيم وقوله فأذنوا بحرب من الله ورسوله ومن اختار حرب
الله ورسوله فهو كافر فيحتمل هذا والله الموفق لكن إنما ذكرنا لما كان يختلف الأسباب التي لأجلها اختار الكفر
مرة شهوات الدنيا ومرة ثقل الزكاة ومرة الرغبة في راحة الأبدان في ترك العبادة ومرة خوف فوت الرياسة
وهذا كفر ومرة ما بينا من الأرباح والفضول نعوذ بالله من ذلك أحد الأسباب التي اختاروا لأجله
الكفر استحلال الربا ليتوصلوا إلى تحقيق الغرض من أخذ الفضول والأرباح على خلاف المشروع رغبة في كثرة
الأموال ومخالفة لأمر الله عز وجل والمخالفة إذا انتهت غايتها تكون كفراً والله الموفق ثم إنه عز وجل جعل آكل
الربا وأخذهم إلى الفضيحة في الجمع لأكثر حقاً لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال بعضهم
ينتفخ بطنه ليعلم أنه ملأه من الحرام فيحجر به ما من حمل بدنه فيكون كالمصروع الذي يسقط متى رام القيام كي
أعلام العصاة والكفرة يومئذ كما قال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يومئذ تحتى لا يستقر بسبب
الحيرة وهو ذلك اليوم كالذي يتخبطه الشيطان فإنه يلتبس عليه وجوه الحيل فيكون من الأخيلة ولا
قوة على القيام على التمثيل لا على زوال العقل في الحقيقة والله أعلم وقوله تعالى ذلك بأنهم قالوا إنما البيع
مثل الربا • كأنهم لم يروا من نهاهم عن ذلك حكيماً وظنوا أنه وضع الشيء في غير موضعه مخوطين إبليس حيث قال
أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين بعثه الشقاء إلى الظن بأن الله تعالى أنه حاد عن طريق الحكمة حيث
كلفه الرضيع صدره بالخضوع لمن دونه فحمله أن يتخذ كمن الذين قالوا إنما البيع مثل الربا وعجزهم عن التفكر
كفروا بما لم يعرفوا لعدم التأمل في دلائل المعرفة والنظر في الآيات وأنواع الشبه المعترضة عليهم لأنه لم
عن الوصول إلى الحق وقوله وإبليس اللعين عاند وادعوا على الله تعالى فعل غير حكمة وذلك سفه كذلك
عظمت جرائمهم وعتوهم فجعل الله تعالى لهم علماً في الآخرة يعرفون مع ما كان يحذو ذلك الإعراض عن عظيم ما أنعم
تعالى عليهم بما مكنهم من التوسع بالمال فاستعملوه في أنواع المخادعات وابتغوا الفضل بذلك إلا بما بين الله تعالى
من ابتغاء الفضل بقوله وابتغوا من فضل الله على ما نذكره وقيل كانوا يقولون لما جاز أن يباع ثوباً بعشرة
بأحد عشر وثوباً بعشرة أثواب كيف لا جاز أن يباع عشرة بأحد عشر من الكيل والوزن وقيل كان الرجل منهم إذا حل
ماله على صاحبه طلبه فيقول المطلوب للطالب زدني في الأجل وأزيد على مالك فيفعلان ذلك ويتعاملان
برضا فإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء الزيادة في البيع والزيادة عند محل الأجل فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال
ليس هكذا ثم في احتجاجهم أن البيع مثل الربا دليل على جهلهم القياس في العقول عندهم الاستواء في الحكم ولو لم
يكن كذلك لم يكن لاحتجاجهم بقولهم إنما البيع مثل الربا معنى لأنه ما ذكر فهم في المعقول عرفهم أن المماثلة في المعنى
توجب المماثلة في الحكم وكذلك ضرب الله الأمثال للكفرة وإن كانوا يجحدون المنزل إلا فيه البيان ولو تعسوا

فالحجة

فالحجة لازمة عليهم بالذي قام في عقولهم من لزوم الجمع عند المماثلة وهذا وجه ما لم ينزل الله تعالى
أحكاماً في تعريف حكم كل شيء ونازلة بالإشارة إليه والتنصيص عليه إذ قد جعل في قلوبهم الجمع بين منفق
المعنى في الحكم وجعل القرآن بحيث يوصل إليها في كل أمر ونهي وتحليل وتحريم من المعنى الذي جعل علماً لمصلحة
فيجمعون فيه جميع ما فيه ذلك المعنى فيصير كأن الإشارة والنص كانا في كل حكم في كل شيء والله الموفق
وأحل الله البيع وحرم الربا • يحتمل أن الآية رد على الكفار الذين ادعوا المماثلة من البيع والربا وأثبت الفرقان
بين الأمرين وفيه إشارة إلى أن المماثلة في الحكم إنما يطلب عند معرفة المماثلة في معنى الحكم ولا تعتبر المماثلة
من حيث الصورة وهذا لأن المماثلة على وجهين مماثلة أسباب ومماثلة أحوال فالمماثلة التي هي مماثلة أحوال
هي ابتلاء محنة وتكليف في الفعل لا يقاس عليه غيره نحو أن يقال الصلاة لا تقاس القيام على القعود والقعود
على القيام ولا يلزم عين المخاطب بما أن ذلك لا يعقل سوى أنه خدمة وعبادة للرب تعالى وكل حدّ لا يصلح الحد
وكل فعل لا يعقل في معنى الخدمة والتعظيم مثل صاحبه والأصل في ذلك هو الامتناع عن القياس إلا ما عقل
المعنى حقيقة فيؤذن بالقياس وأما مماثلة الأسباب فهو كتحريم السكر في الخمر لما عقل المعنى بنجاسة من العقل
بحيث ما يتعلق فيه المعنى ثبت الحكم حتى قلنا إن كل مسكر حرام متناول له في إدانة السكر والله أعلم ويحتمل أن
قوله وأحل الله البيع وحرم الربا فيه ابتداء حرمة الربا وتحليل البيع أي أحل ما هو بيع لا ما هو ربا ثم تعالى
إذ يعلم كان قد يكون الربا حراماً فأما البيع ينبغي أن لا يفسد لأنه لا ربا في العقد والله تعالى أحل البيع وحرم الربا
لكن نقول نحن كل ما هو بيع الذي فيه ربا لا نفس الفضل فإن مطلق الفضل الذي نسميه ربا يدل ليس
بحرام فإن الربح حلال في البيع وكل ربح فإنه مسمى به وهو فضل لا يقابله بدل من الذي وصل إليه
ثبت أن الحرمة رجعت إلى فضل في البيع فيحرم البيع الذي فيه الربا ولأنه تحقيق المقابلة تقتضي المجانسة
في المقابلين وقد أحل البيع فيجب أن يكون الذي حرم بمقابلته البيع الذي فيه ربا فلا نجد مقابلة أحد البدلين
بالآخر من حيث الأجزاء إذا كان في أحدهما فضل فإنه ما من جزء من هذا البدل وإن قل حتى لا يتجزى إلا وبإزائه
شيء من الفضل الذي في الجانب الآخر ولا سبيل إلى مضاء العقد في كل جزء وإن قل ما فيه من الفضل فيكون
فسد العقد في الكل لأن الله تعالى قال وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم رد هم إلى رؤوس أموالهم وهي التي سلموها لا
مثلها وذلك بكون في العقد الفاسد على أنه لو أبطل الفضل خاصة بقي البيع على غير التراضي لأن صاحبه
لما رضي بناء على أخذ الزيادة وقد شرطها الله تعالى في التجارة التراضي لذلك يفسد الكل والله أعلم ثم الربا قسمان
أحدهما ربا الفضل وذلك فضل أحد البدلين في كيلي الجنس ووزني الجنس بجنسه والثاني في النسيئة
وذلك فيما فيه موافقة القدر من الكيل والوزن من المتبايعين أو موافقة الجنس من كل شيء والثالث في الجهالة
التي إذا دبّ الفتن في ذلك يؤدي إلى التنازع وكل ما فيه التنازع لو وجد فيه البيع بالحكم لا يجب في رضا
أحدهما وقد جعل الله التراضي شرط التجارة بقوله ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة
عن تراض منكم كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصفقتان في صفقة ربا وجاء أنه نهى
عن بيع الغرر وذلك يرجع إلى ما بيّنا من المنازعة فهذا أصل ما دار عليه أحكام الربا فإن قال قائل إن الله
تعالى قال لتبتغوا من فضل الله أباح الفضل في البيع بهذا النص فكيف حرم الربا وهو الفضل في البيع وهذا
مناقضة من حيث الظاهر وكذلك قال ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
أباح التجارة عن تراض والبيع الذي فيه ربا تجارة عن تراض فكيف حرم قيل لا تناقض بحمد الله فإن التناقض
إنما يتحقق إذ لو كان مطلق الفضل في البيع يكون حراماً وحلالاً وليس كذلك بل المحرم فضل خاص والحلال
فضل خاص فلا يؤدي إلى التناقض ولا ينافي بين ثبوت الحل والحرمة في شيئين مختلفين وبيان ذلك
ما ذكرنا أن المحرم فضل في البيع على أحد البدلين في الكيل والعدد عند المجانسة والحلال هو الفضل
على أحد البدلين فيما ليس بمقدر شرعاً وعرفاً عن تراض ثبت ذلك بالبيان من صاحب الشرع بالنصوص وبلا
الإجماع فيجب الانقياد للشرع والطاعة لله تعالى بالامتناع عنه عقلنا أو لم نعقل الحكمة فيه إذ عقولنا
قاصرة عن كنه حكمة البشرية فإذن لم تدرك حكمة الربوبية فإنما يلزم بعض الوقوف على بعض فضل الله ويكون
ممتحنين بالانقياد والطاعة لدى الوقف عن طلب الحكمة فيه كما نوجه الامتحان في بعض المواضع بالتأمل
والتدبر وهذا لأن الله تعالى إذا سخر للبشر كل شيء في العالم حتى ملكهم تدبير كل شيء من بين جميع من جعل
الأرض له في أشاء وقدراً ما خصهم بذلك إلا لما جعلهم ممتحنين مخاطبين بما رزقهم من آلة الفهم والإدراك
وهو العقل فكان تسخيرنا ما سخر لهم يجري مجرى المحنة في الأمر والنهي والتحريم والتحليل فجعل الحلوم لهم
تسمين حلالاً وحراماً ثم جعل نوع الحلال بحيث يوصل إليه بنوع المحنة أيضاً فجعل لكل من ذلك سبباً إذا لو

أطلاقا كان يؤدي ذلك الى التنازع وعند التجاذب والترافع وذلك يعقب الفتن فجعل بينهم اسبابا تؤلفهم
بها وتجمعهم عليها فيصير بينهم معاملات بها يقوم ابدانهم وتسلم معاشهم وعقود الا يهملنا الف قلوبهم(?)
وتجمع كلمتهم فامتحنهم بالتحريم والتحليل فيجذبهم عن اغراضهم فيه ثم جعل سبب التحريم والتحليل فيما بين ظاهر تعرفه
العقلاء وباطنا لا تعرفه الا معونة الحكماء حتى ينتهي بذلك الى محض الحكمة في عقولهم وتبع السفه ليكون معنى
حقيقة كل نوع من ذلك سبحانه وتعالى ثم كان الذي في العقول حرمته هو ما يعقب الاختلاف والتنازع اذ لم سبي(?)
ما يلزم منه الذي التنازع يبعث على ما بينه من الفتنة والفتن فحرم كل بيع ذلك ليؤلف بينهم ويجمع به شملهم
ثم كل بيع ليس فيه هذا التنازع فقد حرمه محمد معرفة الحكمة فيه والنسفه(?) الاشارة والنص مما عرضنا ان يعلمه
لا يخلو عن الحكمة وان كان لا نعرف وجهها وعلى ذلك امر الربا اذ لم يحرم لما فيه من الفساد فانه ما كان يصلح(?)
من ذلك البيع الا اصلاح الحال بينهم على خلاف كل بيع فيه تنازع لم تنعقد للصلاح وهو سبب الفساد لكن حرم من
وجه آخر لينقادوا لامر الله تعالى في الامتناع فيه فيتحقق منهم الطاعة فيظهر المطيع من العاصي والصادق من الكاذب
فيكون تقسيم المحنة المحدث بين الوجهين ليكون نظرهم ابدا الى الامرين الى صلاح الحال فيما بينهم ليكون من تخلي(?)
الالفة والصلاح فيما بينهم وبين من انشاهم في ابتغاء مرضاته بالطاعة منهم له فيما امرهم ونهاهم والاخلاص له في
كل احل ولا يحرم الا بالله وعلى ذلك جميع انواع العقود والمعاملات والله الموفق والثاني ان التحريم هو الفضل
في البيع من العاقدين الخالي من هو الفضل المطلق من الله تعالى قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله ذكر في التجارة
ابتغاء الفضل من الله والبيع الذي عقد لنيل التجارة فيها فضل يبتغى من العاقد الا من الله تعالى وبيان ذلك
ان التجارة التي لا يظهر ربح احد البدلين وفضله اما الوجود المماثلة بين البدلين حقيقة مما جعل علما على
المماثلة في الشرع والعرف وهو الكيل والوزن عند اتحاد الجنس واما لانه لا نعرف التماثل بينهما انهما ليسا
من باب المقدرات فهي تجارة تطلب فيها الفضل من الله تعالى بالعقد الثاني ان تغير سعرها وتحدث رغبة
لاحد فيه او حاجة بيبعه لاحد يرغب فيه فيربح على ذلك وكل تجارة نظهر فيها الفضل حقيقة في المقدرات
وذلك الفضل في ذلك العقد مطلوب من العاقد الذي ينال من جهته اما الغرور ومنه اياه او مكايسته كره عنه(?)
الاخر الى اعطاء الفضل مما يجب بسبب ذلك على طالب الفضل المعونة او البدل والنفع والبدل كما ان بينهما(?)
فضلا ظاهرا لا يحتاج الى بدل في ذلك البيع الاخر الى الادنى فاذا اقدم على البيع كان تاركا النصح مباشرا
التغرير قاصدا الاضرار بصاحبه ونحو ذلك وكان يطلب الفضل من عند بايعه بهذا البيع ببعض الحيل
يكون تحولا اذ عليه طلب الفضل ممن ينال كل حين ويصيب كل شيء مع ما في ذلك من الطمع في كرم(?) معروف(?)
بالكرم وما اتى نعمه كل صنوف النعم بان اشترى المبيع على رجاء ان يرزقه فيه ما له الكفاية وكل(?) وفيما
يأخذ الفضل الظاهر في البيع الاول يرجع في الطمع الى ما عنده من الحيل ووجوه التغرير فيكون فيه اعراضا
عن عظيم ما انعم الله عليه واعتمادا على قوة نفسه في الخداع والحيل فقد لذلك حرم فيما يفضي اليه مثله
وعلى ذلك امر الربا فاعطوا المعاملات انها على ابتغاء الفضول مما يحدث الله تعالى فيه من الارباح والمنافع وقد
لان الفضل حقيقة من حيث الذات انما يظهر عند التماثل فكل ما يتحقق فيه التماثل شرعا وعرفا يتحقق
الفضل عليه فيكون ذلك فضلا مطلوبا فهذا البيع من العاقد فاما في غير المقدرة يظهر الفضل من حيث
الذات وانما يبين الفضل من حيث التقوم والمالية وذلك بناء على تفاوت الناس في الرغائب والحوائج فلا
يتبين مع ما كان الكيلي والوزني يستويان بقدرهما فكان الفضل على قدرهما ظاهرا عن حد المماثلة(?)
ولا يستوي الذرع بالذرع ولكن تعتبر الذرع للحاجة الى ذلك القدر ولهذا اذا وجد الذرعي اذا ينقص(?)
فقد اشتراه مذارعة فانه لا حصة له من الثمن ولكن يخير بين ان يأخذ ذلك او يرد وفي الكيلي والوزني بمثله(?)
لا اطراف في الحال فالقدر في الكيلي والوزني خاصة فلهذا تعرف سعر الوزني والكيلي بكيله ووزنه
وفي الذرعي لا وكيل باعتبار رغبة الناس فلذلك كان الفضل على احدهما في الكيل والوزن ربوا ولا يكون
لذلك في غيره وعلى ذلك جميع ما جاء من الوعيد بتطفيف الكيل والوزن في القرآن وما ذكر من الامم
المتقدمة في النجس بهما موضوا بذلك من قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
وقال اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولم يرد في غيرهما والله اعلم وقال
بعض الحكماء حرم الله تعالى الربا في البيوع ليتعارضوا والله اعلم انه اذا كان لا يحل لهم اخذ الفضل في المعاملات(?)
وصلحهم يحتاج ما عنده [illegible] وقد كان [illegible] القدر مما لم المعقد الطالب بطلب ذلك
منهم بالبيع متفاضلا فيرجع انفسهم في الفضل في الاجل والعاقبة فيقع ذلك منقطعا في البعث اذ طبع
البشر على الركون الى اللذات والمنافع العاجلة والاجلة جميعا واذا كان تحريم الربا لهذه الحكمة يكون الربوي في نوع

مايعرف

مايعرف قدره بالاهلة وذلك في الكيل والوزن فاذا في ذلك ما يجري في التعارض والله اعلم ويحتمل ان يكون
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
انا نقدم [illegible] احل الله البيع [illegible]
تقيدت بوصف خاص [illegible]
الفضل [illegible] الله تعالى مباح [illegible]
[illegible]
حرم عليه ان يطيب نفسه بذلك [illegible]
حقيقة سواء وعلى هذا قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله ان حرمة الربا ثابتة بين المسلم والحربي في دار الحرب لان
حرمتها ثابتة في حق الكفار [illegible]
الربا [illegible] وقد نهوا عنه وقال تعالى لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة وذلك الاحكام حرمة
الربا ثابتة بين اهل الحرب [illegible] بين الحربي والمسلم لان اخذ الربا [illegible]
برضاه يحرم اخذه بسبب الربا [illegible]
لا حرمة لماله واهل الذمة [illegible]
الربا فاما الكافر الحربي لا حرمة لماله [illegible]
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى قيل من جاءه بيان بحرم الربا وقيل من جاءه نهي [illegible]
فيحرم الربا فانتهى [illegible] ويحتمل الموعظة هي التذكير [illegible] ويرجع عن صنيعه
فله ما سلف قيل [illegible] ما سلف في الجاهلية صار معفوا [illegible] وهو كقوله ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف ويحتمل قوله فله ما سلف اذا كان اذا تاب وقد رجع عن صنيعه وعزم ان لا يعود الى فعله
ابدا وندم على كل سيئة ارتكبها فيجعل الله تعالى كل سيئة كانت منه حسنة فيكون ما سلف له نعمة ان كان
عليه وذلك قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وامره الى الله اي في حادث الوقت
يعصمه عن مثل ذلك ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الحق الوعيد على من جمع
الى ما كان قبله قبل التوبة ثم ان المعتزلة استدلوا على استحقاق الخلود لصاحب الكبيرة بان الله تعالى اثبت
الخلود في حق المائل الى اكل الربا بعد التوبة عنه وذلك كبيرة لانا نقول بان ابتداء الآية على استحلال
لا على الاكل او الاخذ نفسه على ما ذكرنا فعلى ذلك العود اليه على جهة الاستحلال يدل عليه قوله والله
لا يحب كل كفار اثيم فاثبت له الكفر والذي كان منه في الابتداء وهو الاستحلال [illegible]
لا يكفر بما يخرج من الايمان فلذلك يخرج العود فدل ان الآية ليست بحجة على اهل الحق والله الموفق
يمحق الله الربا ويربي الصدقات قيل يمحق يهلك وقيل يبطل ولكن اصل المحق هو رفع البركة وذلك ان
الناس يقصدون بجمع الاموال والشح عليها لينتفع بها اولادهم من بعدهم اشفاقا عليهم ولذلك يمتنعون
من التصدق على الناس لهذا فاخبر الله تعالى ان الاموال التي جمعت من جهة الربا لا ينتفع اولادهم بها بل يمحق
الربا ويرفع البركة عنها وهو الامر الظاهر في الناس ويخبر ان الصدقات التي يمتنعون عن الاقدام عليها
تربي ولا تخلف لاولادهم اذا تصدقوا ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتبايعين بالخيار(?)
ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فيه وان كذبا وكتما محقت عنهما البركة قال الشيخ رحمه الله هذا
والله اعلم على وجهين احدهما الخبر عن العواقب ان اخر الربا المحق الذي فيه الهلاك ولزوم العقوبة الذي
الردى واخر الصدقة الفوز بها في الاخرة والبلوغ بكل ما ارتفع من الدرجات ليرغبهم في الصدقة ويحذرهم
عن الربوا وعلى ذلك امر الوعد والوعيد في كل امر والله اعلم والثاني ان يحرم منفعته حتى يبغض صاحب الربوا
ابدا في جهد الجمع وخوف الفقر ان انفق منه والصدقة تربوا البدل بخلفه وبما يطيب به نفسه حتى كان
احب اليه من ان يكون له بها الدنيا وجائز ان يكون على الظهور في اعقابنا ان يعظم نسل اهل الصدقة(?) [illegible]
الخلق بما رزقهم من اسباب التعظيم بركة ما كان اكثر اهل المعروف وتصغير نسل الاخر في الاقتصاد بما كان

لحق ضرره العامة والله أعلم وبعد فإن في الصدقة اكتساب الرحمة والشفقة وفيها رغبة في مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال وأكل الربا يعقب صاحبه القسوة والشدة موجود ذلك في أهل الربا حتى لا يبالون من الضرب والفساد في غيرهم تعنتا ويسلم لهم حصتهم ويحصل عرضهم مع ما في التصدق أثر يجدكما في الأول أثر رغبة فيربو أثره في الأول وفي الانتفاع يعترض أمره ويمحق محل الثاني والله أعلم وقوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ظاهرة وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين يحتمل قوله وذروا ما بقي من الربا والنهي عن ابتداء بيع الربا على ما بيناه من النهي عن الربا أنه نهي عن بيع الربا فعلا اشتغلوا وانتهوا عن الربا ما بقي من عمركم ويحتمل أن يكون النهي عن قبض ما كان من الربا قبل القبض كأنه قال اتركوا قبضه ولا تشتغلوا بأخذه أموالكم بعد ذلك وجهان أحدهما أنه قال فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ذلك لأنه قد كان قبل الإيمان بحرمته وإنما نعرف ذكر منهم من لم يقبض ما لم تكونوا قبضوا ولم يخبرهم ما قد قبضوا أنهم يؤمرون برد شيء مما كان فهو قد يشبه قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف والله أعلم والثاني ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل ربا كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي وأول ربا أضعه ربا العباس عن الأخذ بعد الإسقاط فيكون ذلك فيما لم يقبض وقوله تعالى إن كنتم مؤمنين يحتمل إن صرتم مؤمنين ويحتمل إن كنتم مؤمنين بتحريم الربا ويحتمل إن كنتم مؤمنين بالله إن له الخلق والأمر وله حقيقة كل شيء لا يسع لأحد التناول لشيء إلا من حيث إذن له ويحتمل إن كنتم مؤمنين بالحجر إلى الأوامر والنواهي والله أعلم وقوله تعالى فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فيه لغتان بالقطع والوصل فمن قرأ بالقطع فمعنى على الأمر بالإعلام المستحلة أنهم يصيرون حربا لمن لم يرضوا له بالاستحلال ومن قرأ بالوصل فمعناه العلم كأنه قال للمؤمنين فاعلموا أنهم صاروا بالاستحلال حربا للناس وقوله تعالى لا تظلمون ولا تظلمون أي لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وقال لا يحل الربا وتقوم رؤوس الأموال تم الآية وقوله فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم أوجب الفسخ فيه حتى أوجب رد رأس المال دونه فيه دلالة على أن قول القبض في البيع فساد العقد كما كان قبض الربا في ذلك العقد أوجب منع قبض الربا ورد رأس المال وكذا الشرط يشبه هذا أيضا فإنه إذا صار بحيث لا يتحقق قبضه فإن يفسد بدخله كل مبيع ويفسد لا لتأول الزوائد التي يحدث في المعقود عليه قبل القبض بمنزلة الحادث قبل العقد القائم عند من كونها مستحقة حتى البيع ويجري فيها أحكام العقد لأنه يجعل ما قبل القبض بمنزلة العقد في حرمة الربا حتى فسد العقد باعتراض الربا كما أفسد بالقرآن فكذلك في الربا ما يحدث مما يحكم الربا في العقد لو كان بعد العقد قبل القبض يحرم أكله نحو أن يشتري تمرا على رأس النخل بكراء ثم تم بيس النخل قبل القبض أو يشتري عبدا بألف درهم وقيمته ألف درهم ثم صارت قيمته قبل القبض ألفين فقتل قبل القبض لا يطيب له الزيادة ولا يفسد بالعقد لأنه تعود إلى البائع أيضا بالثمن فيكون أيضا ربا في حقه التصدق من وجه لأن ربا لا يدخل فيه وعلى هذا جميع ما قيل فيه بالنهي عن ربح ما لم يضمن والله أعلم وفيها أيضا دلالة أن ما يجري بين أهل الإسلام وأهل الحرب من المداينات والمقارضات ثم أسلموا يردون ما أخذوا فهي الربا وذلك أن الربا الذي قبضوه لا يردونه لم يجب رده وأما رأس المال فإنما أخذوا الرد فعلى ذلك إذا أخذ بعضهم من بعض ربا أو غصبا وجب رده ففيه دليل لقول أصحابنا أن الكفار إذا أخذوا أموال المسلمين قهرا ثم أسلموا لم يردوا لأنهم ما أخذوا ليردوا والله أعلم وقوله تعالى وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة عن ابن عباس قال إلى ميسرة المطلوب لأنه بناء على قوله فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم وفي الآية دليل جواز التصرف في البيع الفاسد لأنه جعل لأرباب الأموال التي يمتنع من عليه المال بعده ولو كان التصرف لا يجوز في المقبوض بحكم العقد الفاسد لكان يلزم أخذ بعضه أو حبسه بعد ما تناسخت الأيدي وكان يلزم تضمين ما هو عينه لا إنظار المعسر إلى وقت الميسرة مع ولكن يختار تضمينها يسرهم وأفقاهم ثم قوله فنظرة إنما قال ذلك على طريق الاستحباب اختيارا منه لاحق لأن يجب عليه الانتظار دينا أو احد دليله قوله عليه السلام لصاحب الحق اليد واللسان إنما اللسان فالتقاضي وأما اليد فلا بد له بها ويحبسه لكنه إذا أجل قطع من نفسه حق اللسان واليد وقوله تعالى وأن تصدقوا خير لكم يعني برؤوس الأموال إذا ظهر إعساره وعن الضحاك قال أخذ رأس المال حسن وتركه أحسن وإنما الصدقة على المعسر فأما على الموسر فلا وفي الآية دليل جواز الصدقة بالدين وهبته وهو الحر إذا ظهر إعساره وفقره والله أعلم وقوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية قال قائلون إن هذه الآية آخر ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلبي روي عن ابن عباس فإن كان الأمر على ما ذكروا فهو والله أعلم أنه رغبهم في ذكر ذلك اليوم لما ترك ذكره طول الأمل يورث الحرص والحرص يورث البخل ويشغله عن إقامة

العبادات

العبادات والطاعات فيعصي كأنه قال اتقوا وعيد الله في جميع ما تعبدكم به وما ألزمكم من الحق فإذا كان ذلك فأحق ما يختم به القرآن هذه الآية كي يذكر ذلك اليوم فيستعطوا عن منزلة الثواب والجزاء والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين قال بعضهم المراد والله أعلم هو بيع العين بالدين إلى أجل معلوم ولكنه يسمى التداين وإن كان الدين أحد البدلين كما يسمى البائع والمشتري المتبايعين وإن كان البائع أحدهما فكذا هذا وقال آخرون إن المراد من الآية هو السلم لأن التداين والمداينة من حيث الحقيقة فعل اثنين فيجب أن يكون كلا البدلين دينا وهو السلم نفسه لأنه دين من الجانبين جميعا وعلى ذلك روي عن ابن عباس قال أشهد أن السلم المضمون إلى أجل أحله الله تعالى في كتابه ثم تلا هذه الآية وأما الخبر الذي جاء أنه نهي عن الدين بالدين فإن ذلك محمول على ترك القبض في أحدهما دليله جواز كالئ بكالئ إذا قبض أحد البدلين في المجلس من الصرف ونحوه ثم أجاز قوم السلم دينا بدين بلا اشتراط قبض رأس المال استدلالا بظاهر الآية إذ التداين اسم لفعل اثنين فكان اشتراط القبض في المجلس يبطل معنى التداين حقيقة لم يسمى به يسمى مجازا والحقيقة لا تترك من غير دليل وتبين بهذا النص على أن الحديث الوارد في النهي عن بيع الدين بالدين لا يصح لأنه ورد مخالفا للكتاب أو يحمل على غير السلم من الديون ولكنا نقول إن تعجيل رأس المال واجب في باب السلم ونحمل الآية على أحد وجهين أحدهما أنه يجوز أن يتكلم به على الجمع وإن كان حقيقة ذلك يرجع إلى الواحد لوجود المشاركة بينهما في التسمي للسلم تداينا فإن كان الدين أحد البدلين لوجود المشاركة بينهما في هذا العقد ألا ترى أن كل واحد من العاقدين في باب البيع يسمى بائعا وإن كان البائع أحدهما فإنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا وقال إذا اختلف المتبايعان والسلعة قائمة بعينها تحالفا وترادا لما ذكرنا من وجود المشاركة في عقد البيع فشابه الأول والثاني أن يكون عقد السلم على ما عرف به تداين حقيقة لما أسلم الأثمان في السلم والأثمان ديون في الحقيقة فإنها لا تتعين وكذلك المسلم فيه حقيقة على ما عليه العرف تداين ثم باشتراط قبض رأس المال لا ينفي فيه معنى التداين حقيقة ولكن الكلام فيه أنه هل يشترط لبقائه على الصحة بقاء معنى التداين أبدا أم لا وهو ليس بشرط بالإجماع فإنه معلوم أن رأس المال لا يبقى أبدا في ذمة من عليه بل ينقض ولو شرط في العقد على أنه لا ينقض أبدا لا يصح السلم ثبت أنه لا بد من الخروج عن حق التداين يعني بعدم صفة التداين في حالة البقاء بعد انعقاد العقد بصفة التداين فإنما الانتقال أنه شرط الانعقاد لا شرط بقائه على الصحة أو لا يشترط وثمة ابتداء لا بد من فوات هذا الوصف والخروج عنه فيكون الأمر فيه على قيام الدليل وقد قام الدليل على أنه يجب الخروج عن هذا الوصف قبل الافتراق عن المجلس والله أعلم ثم الدليل على وجوب تسليم رأس المال أن الأمر المتوارث أن لا يترك رأس المال إلا في ذمة رب السلم أن لا يشترط لقبضه أجل بل يقبضونه في المجلس ومثل هذا ينتهي إلى عصر الصحابة وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت بذلك التقرير منهم فيجب القول بوجوبه ولأن بيع السلم يخلو عن محل موجود الأرباح فإنه بيع بأوكس الأثمان وذلك إنما يكون لشدة الحاجة إلى رأس المال فيثبت فيه شرط التعجيل لذلك وبعد فإن أخذ اسم السلم من التسليم كما وجب القول بمعنى التداين لاسم المداينة يجب القول بالقابض لاسم السلم فيقتضي على التعجيل والتأخير لا يعطي الاسمين حقيقتهما لفسد ذلك الخبر المرفوع ويدل عليه قوله إذا تداينتم بدين إلى قوله فليكتب وليملل الذي عليه الحق فصير الذي عليه الحق واحدا وكذلك قوله فرهان مقبوضة إلى قوله فليؤد الذي اؤتمن أمانته فصير الذي عليه الدين واحدا ثبت أن الآخر فرغ عنه لأنه قبض حقه والله الموفق وأما النهي عن بيع الدين إنما أراد به فيما فات فيه قبض من الجانبين وكذا روي عن ابن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنا نبيع التمر بالبقيع بالدنانير فنأخذ مكانها دراهم فقال لا بأس إن لم تفارقه وبينكما شيء وكان ذلك دينا بدين وهو أن يستبدل الدنانير بالدراهم وجاز ذلك بشرط وجود القبض قبل الافتراق عن المجلس والله أعلم وقوله تعالى إلى أجل مسمى فالعرف في السلم عند الناس أن لا يخلو عن الأجل فصار الأجل بالعرف شرطا في جواز السلم وإن لم يذكر الأجل لأن السلم ليؤدي حال الاستسلاف لأن الحاجة هي التي تحمله على الاستسلاف فهو إنما يسلف ليؤدي في وقت ثان لأنه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج إلى السلم ولكن يبيعه فيصل إلى حاجته ولا يتحمل المؤنة العظيمة فصار بالعرف كأنه أجل صريحا إذ الثابت عرفا كالثابت شرطا ولو أسلم إلى أجل صريحا من غير بيان القدر كان الأجل فاسدا فكذا إذا صار الأجل ثابتا بحكم العرف من غير بيان يكون السلم فاسدا فيكون الأمر في قول أصحابنا في السلم الحال أنه فاسد والله أعلم وعلى ذلك يدل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أسلف فليسلف في كيل معلوم

وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى فاكتبوه امر عز وجل بالكتابة في التداين بقوله فاكتبوه وذلك
والله اعلم انه وصل الى حاجته لقبض رأس المال والاخر لم يصل فلعله ذلك يحمل على انكار الحق والجحود
فامر عز وجل بالكتابة احترازا عن انكار وجحود الحق لانه اذا تذكر انه كتب واشهد عليه ارتدع عن الانكار والجحود
فهو كما ذكرنا في قوله ولكم في القصاص حيوة وكذلك بيع العين بالعين لان كل واحد منهما يصل الى حاجته
بما يتصل به الاخر فليس هناك الانكار معنى لذلك لم يامر بالكتابة في بيع الاعيان فامر في المداينات
ويحتمل الامر بالكتابة في المداين وجها اخر وهو انه يجوز ان ينسا فينكر او يذكر بعضه وينسى بعضه
فامر بالكتابة لئلا يبطل حق الاخر بترك الكتابة وكذلك بيع العين قال الشيخ النسيان يعقب
التنازع والمنازعة توجب التخاصم وفيه الفساد فامر بالكتابة ليندفع ذلك الى الوفاء بالحق ولدفع الجحود
والله اعلم ثم اختلف في الكتابة هي واجبة لازمة واستدلوا على وجوبها بقوله الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها اخبر برفع الجناح في التجارة الحاضرة ولو كانت
في المداينة غير واجبة لم يكن لتخصيص رفع الجناح فيها معنى فاما عندنا فهي ليست بواجبة لانه قال عز وجل
وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ثم قال فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن
امانته ذكر الرهن بدلا عن الكتابة ثم اباح ترك الرهن اذا كان على امان ممن عليه الدين عن الانكار والجحود
الدين وامر من عليه الدين باداء الدين الى من ائتمنه ولم ياخذ منه الرهن فاذا كان ذلك كذلك دل انه يبيح ترك الاخذ بها ان ثبت الايمان
وانه بدل الكتابة بالايمان ولو كان اصله مفروضا لم يحتمل تركه بدله بالائتمان واذا كان كذلك دل انه
ليس بمفروض ولا لازم والله اعلم ولا يحتمل انتقال الفرض الى الكتابة لان الكتابة انما يحفظ بها الحق
ويتضار ولكن لمن له الحق ان يترك حقه فكذلك له ان لا يحفظه بالكتابة مع ما ليس في فقد وضع
تكلم فيها بوجوب واختيار وندب انما هي احتياط الحق والله اعلم وقوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل
فهذا لان الكاتب مامون عليه فيؤدي حق ما ائتمن فيه وكذلك الواجب علينا ان لا نزيد على ما املي عليه
ولا ينقص منه شيئا ولكن يكتب ما املي عليه بالصحة واداء الامانة فيه وهكذا الواجب على كل حكم بين
اثنين ان يحكم بالعدل والصحة واداء الامانة لقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل واصل
العدل واصل العدل هو وضع الشيء في موضعه وقوله تعالى ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله
قال بعضهم هذا وذلك لان الكتابة كانوا في صدر الاسلام قليلا فهو اعن ترك الكتابة لان في ذلك
بطلان حقوق الناس واما اليوم فللكاتبين الاباء عليهم الكتاب غيره ممن يكتب له بالاجر فلا يبطل حقه
ويحتمل فيه وجه اخرى لا ياب كاتب اذا كتب ان يكتب بالعدل فيه ترك الكتابة لكنه اذا كتب لا يكتب الا
بالعدل والله اعلم ثم الاية حجة على المعتزلة فانهم يقولون يكتب وان لم يعلمه الله لانه هو الذي جعل
لنفسه علما لانه علم بتعليم الله تعالى وهو خلق العلم فيه والله تعالى يقول ان يكتب كما علمه الله ولا يقال
التعليم من الله تعالى اعطاه الاسباب لان الله تعالى قال وما علمناه الشعر معنى وقد اعطاه اسبابه بل
كذبا تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى فليكتب وليملل الذي عليه الحق اي يملي من عليه الحق ما عليه وقوله
وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا اي لا يملي على الكاتب اقل من حقه ولا ينقص منه شيئا وفي الآية
دلالة دلالة ان القول قول من عليه الحق في قدر الحق حتى وقد نهى على الكاتب ان لا ينقص من
حق الطالب شيئا وقوله تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو
فليملل وليه بالعدل قال قائلون هذا كله واحد السفيه والضعيف والذي لا يستطيع ان يمل
هو وقال اخرون بل يختلف والسفيه هو الصغير يمل وليه والضعيف هو المريض الذي لا يعرف ان
ثم اختلف في الولي قال بعضهم الولي هو صاحب الحق يملي بالعدل بين يدي من عليه الحق
لئلا يزيد على ذلك شيئا فان زاد او نقص انكر صاحبه وقال اخرون الولي هو وصي الصغير او ذو نسب
منه واستدل قوم في جواز الحجر على الصغير وجواز ولاية العقد عنه ونفاذ عقد غيره عليه بهذه
الآية لان الله تعالى جعل ولاية الاملاء الى الولي في حق السفيه كما في الصبي لو كان يجوز املاؤه بنفسه
لما جاز غيره واستدل قوم بابتداء الاية على جواز تصرف السفيه وعلى قيام ولاية التصرف له في نفسه
وامواله وهو قوله يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى الى قوله فان كان الذي عليه الحق
سفيها فاجاز مداينة على ما ذكر من سفهه في الاملاء فثبت ان السفه لا يمنع التداين والعقود
واصله ان السفه هو وضع الاشياء في غير مواضعها وان العاصي على طاعة الله تعالى من طريق الاعمال
ثم كان يملي ذلك نحلة الكفرة وكثير من المؤمنين ثم لم يظهر الحجر عليهم ولا القضاء بابطال العقود هم

ولا يجوز

ولا يجوز اتفاق الامة على جواز باطل لو كان تصرف السفيه باطلا والحجر عليه واجبا لم يتصور الكف من الامة
عن الحجر على هؤلاء مع وصف الله تعالى اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدل ان السفه لا يوجب الحجر
من التصرفات الشرعية ولا يمنع جوازها والله اعلم مع ما كان ابن العباد لا يلزم الكفر لا ينفذ اعتقاد الاسلام
ثم يجوز تصرفاتهم واقرارهم فمن كان لا يمنع سفهه وجوب العبادات واقامة الحدود لكان احق ان لا يمنع جواز
عقوده على انه قد حمد اهل المعرفة الذي ظهر جودهم بايثارهم غيرهم على ملحوته ايديهم على انفسهم فلا يجوز
ان يكون هذا النوع من الاحسان في التجارات مما يبطل عليهم فعلهم ثم لا وجبت الولاية لاقه ولا استفادها
منهم فانما وجبت الشرع وحل هو فيه بتوجيه الخطاب عليه فيزول انه يزول ايضا ولاية الحجر لم تستفد الولاية
منه فامر جائز في العقل ثم الولي يحتمل قوله الذي يملك ذا السلطان من عليه حتى يعين ان زاد فيكون الآية
فيمن يجهل الاملاء او يعجز لضعف نفسه والله اعلم وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم امر
باستشهاد شهيدين على الاملاء وانه بطريق الندب وانه معطوف على الكتابة وانها بطريق الندب لا شرطا
لجواز البيع يكون شرطا عندنا البيع والتداين الا عند الاملاء وانما امر بالاستشهاد لما ذكرنا ان من طبع البشر
النسيان والسهو فامر بالاشهاد والكتابة للحفظ ولئلا يحملهم ترك الاشهاد والكتابة على الانكار والجحود
الحق فيحفظ بهما صيانة لحقوق الناس فاما الامر بالاشهاد في النكاح لعقد نفسه فجعل شرطا للجواز كقوله
لا نكاح الا بشهود ووجه اخر ان الشهادة في النكاح لدفع تهمة الزنا عنهما وقد يحتاج اليه في ذلك
اذ يشتهر النكاح بعد الوقوع فاما الحاجة في باب البيع الى ما يعقبه من توهم وقوع التنازع والتجاحد وفي الحال
وتوهم التنازع والتجاحد بين المعاينة والمسامع قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في الفرق بين الشهادة
في النكاح وفي سائر العقود ان الشهادة في النكاح لاجل نفس العقد اذ كل نكاح يظهر بعد الوقوع وان
عدم الاشهاد في العقد وانما يكون دفع الانكار والجحود لكثرة الشهود على النكاح بالعاقدين والنساء
وفي البيع لا يعلم ولكن به يظهر اذ لا يشيع البيع بعد ما يظهر بدل عليه وقوله تعالى ولا تساموا
ان تكتبوه صغيرا او كبيرا والكتابة ليست بشرط لكنها مستحبة والامر به والاستشهاد في الاملاء في
تاخر التداين والعقد ثبت انه ليس بشرط العقد وفي النكاح من شرطه فلا يجوز دونه اذ لم يؤذن فيه
الآية والله اعلم والاصل انه جعل ما فيه النكاح كانه ليس للزوجين وهو البضع الا ترى انه لا يجوز فيه
العقد بلا بدل ولا يسع فيه المعروف والبذل والتمكين بما له النكاح توجب العقوبة او الغرامة فاذا صار في الحقيقة
كانه ليس لهما وتصير لهما بالنكاح كانه يكون لهما به من وجه الذي اذن لهما فيه انما اذن بالشهود لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بشهود واما في سائر العقود مما يعقد فيها العقد للعاقدين
على الخلوص حتى يملكا فيه ذلك البذل والاباحة فكان لهما ان يملكا من غير عقد فيجعل العقد بلا اشهاد اولى
والله اعلم وقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء في الآية دلالة ان القضاء
بالشاهد واليمين بعض القضاء بخلاف ظاهر الكتاب لان الآية ذكرت في القضاء في البياعات الواقعة والاحكام
الى سبيلها لتقع الفصل بالقضاء بين اربابها لا انه قال واستشهدوا وليس هو الاشهاد انما هو لاحضار
للشهادة اذا الحق لا يقع في الاشهاد وانما يقع عند الاحضار وقد جعل الله تعالى المرأتين في حال عدم رجل
فان كان يجوز القضاء بالشاهد واليمين لكان به المغنية عن استشهاد المرأتين وتكليفهما الخروج الى ابواب
القضاة والسلاطين لاداء الشهادة وفي ذلك هتك الستر عليهن وكشف عورتهن وتكليف القضاة
التفحص عن احوالهن لمعرفة العدالة ثم جعل فصل القضاء بالشاهد واليمين جعل خلاف ما جعله من له
نصب الشرائع والحجج وقال تعالى ولا يشرك في حكمه احدا وهو مخالف للسنة ايضا لانه جاء عن النبي صلى الله
عليه وسلم البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه جعل حجة المدعي البينة وجعل حجة المدعى عليه اليمين
وهو نص لحصار واحد لم يخرج عن كونه مدعيا ولم يدخل في قسم المدعى عليه فجعل حجة المدعى عليه
حجة له يكون خلاف السنة فان احتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى بشاهد ويمين قيل انه
لم يروا انه قضى فيما اذا في الاموال او في غير الاموال فان ثبت انه قضى لكنا نقضي فلا يكون حجة قبل البيان
على انه روي عن بعض الصحابة انه قضى بالشاهد واليمين في الايمان ونحن نقضي في بعض احكام الايمان
بالشاهد الواحد اذا كان عدلا واليمين بابه مما يختلط فيه اذا شهد شاهد انه امنه لم يقبل ولكنه يستوفي
واما الاموال فان الاحتياط في ترك القضاء الا ان يقوم الحجة التي تزيل الشبهة من جميع الوجوه والله
التوفيق واما شهادة النساء فانها جائزة في الاموال وغير الاموال الا في الحدود خاصة فانها غير مقبولة
جوازها في غير الحدود لان الله تعالى ذكر التداين الى اجل والاجل المسمى ثم اجاز شهادتهن في التداين

وفي الاجل الذي ليس بمال وهلة تجوز شهادتهن لسن يحيى بها كالدية نفسها حيث اجيزت شهادتهن
فيها لان المال فيه وهو الاجل فثبت ان شهادتهن في الحدود ولان شهادتهن انما اجيزت في كلها
من شهادة الرجال والابدال في باب الحدود غير مقبولة نحو الكفالات والوكالات فمنع ذلك شهادتهن
ولا يجوز تجويزها على السهو والغفلة ونقصان العقل والدين لقوله صلى الله عليه وسلم هن ناقصات العقل
والدين فاذا كان كذلك اورث ذلك شبهة في الحدود التي ينبغي فيها الدرء فكذلك لا تقبل بخلاف سائر الاحكام
فانها يثبت مع الشبهة ولان شهادتهن اذا كان مما ينبغي الاحتياط والاعلام لا الاسرار فعلى ذلك
يقبل شهادتهن فيما ينبغي في ذلك فاما الحدود ما يلزم بها ما ينبغي في ذلك الاستر والستر
ولذلك قلنا ان شهادتهن تجوز في النكاح والطلاق والعتاق لان النكاح ينبغي فيه الاعلان على خلاف اخفائها
النكاح ولو قصر في الدعوى فلذلك فتبقى الاخرى فان قال قائل فان الله تعالى انما امر باستشهاد الرجال عند عدم
الرجلين بقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقد اجاز استشهاد امرأتين عند وجود الرجل يجوز ان
المنصوص رجلين وامرأتين فان القضية تقع بشهادة الكل حتى لو رجعوا يجب الضمان عليهم جميعا قيل له هذا
امر باستشهاد الرجلين عند الحاكم ولا لاداء الشهادة لانا امرنا بالاستشهاد على ذلك
حضور ابواب القضاة لاداء الشهادة
وكشف عورة دون ربه ونقول للاحضار
وكيف في الاية بيان ذلك والثاني ان الله تعالى ذكر امرأتين وقال فرجل وامرأتان
امرأتان معا وهو في الشاهد موجود في مجلس الحكم لصاحب الحق ان يشهد على ذلك الحق لذلك
جازت شهادتين وان كان هنالك رجلان واكثر والله تعالى انما ذكر الحكمة وذكر رجلين دون ذكره
اكثر منه او ذكر رجل واحد ثم قبل لوجوه احدها ان ذكر العدد
اذا كان الامر فتطبيقا لا تقبل فيه الا شهادة عدد
الاية وان كان خسيسا شهادة عند قيل فيه قول كان وعيد من على امر
ونحو ذلك من الاموال وغيرها
ولا يقبل فيما فيه قبل ذكر العدد وجه اخر طريق التعدد وذلك انه تعالى
فيها ان المعنى على السمع والعقل فيه بالعقل المقصورة عن ذكره والله تعالى
والثالث ان الواحد لا يقبل شهادته في الحقوق بالانفراد لانه ينتفع بها لانه من صدقه في قوله شاهد
سبعة تصدقهم اياه وعلى ذلك لم يقبل قول المدعي في دعواه وان كان عدلا لانه ينتفع هو بالتصديق وقبول
قوله فيه وكذلك الاول فاذا كان الاثنين صار للذكر واخر منهما امضيا فالحق لصاحبه فخصت الشهادة
خالصة صافية عن جر النفع الى الشاهدين فقبلت وهذا المعنى متحقق بضم الواحد اليه فلا حاجة الى الزيادة
وفي زيادة العدد يثبت حرجا بالنفوس والشرائع ان الانسان مطبوع على السهو والغفلة واذا كان فرد
عليها نسيانا فامر بضم اخر اليه ليذكر كل واحد منهما صاحبه اذا نسيه على ذلك تخريج قوله فان لم يكونا
رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لما ذكرنا انهن جبلن
وطبعن على فضل السهو والغفلة امر بضم غيرها اليها لتذكرها اذا سهت عنها وقامتا مقام رجل
في هذا المعنى والله اعلم ثم اختلف في قوله تعالى شهيدين من رجالكم قال اصحابنا ان الخطاب يرجع الى الاحرار
خاصة دون العبيد وكذلك يرجع الى المسلمين لا الى الكفرة اما الكفرة فلان الخطاب في الابتداء للمؤمنين
بقوله يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الاية فخرج الكفار من خطاب الاية لذلك لم يقبل شهادتهم
على اهل الاسلام واما العبيد فلم يدخلوا تحت هذا الخطاب لوجوه احدها ان ظاهر هذا الخطاب للاحرار
دون العبيد لانهم لا يملكون التداين والتبايع فعلى ذلك خطاب الشهادة المبني على التداين ويتناول
من لا يملك ذلك فان قيل العبيد يملكون التداين والتبايع قيل يملكون بالاذن والتولية لا يملك
انفسهم والتداين بطريق النيابة يملكه الكفار والصبيان ثم لم يدخل قبول شهادتهم على الاطلاق ولا دخول
تحت هذا الخطاب فكذلك العبيد والثاني قال الله عز وجل ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا ثم لا يملك العبيد
الاجابة لكل ما دعوا الى الشهادات فثبت انهم غير داخلين تحت هذا النص والثالث ان الله عز وجل
قسم الشهادة قسمة الميراث بقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان نحو قوله للذكر مثل حظ الانثيين
ثم لا حظ للعبد في الميراث فعلى ذلك لا حظ له في الشهادة والرابع ان الشهادات تجري مجرى الولايات والتمليكات
اذ فيها ولاية وتمليك الحاكم ثم لا ولاية للعبد على غيره ولا تمليك فكذلك الشهادة وعلى ذلك بطلت شهادة

الكفار

الكفار على اهل الاسلام لما انه لا ولاية لهم عليهم والخامس ان الشهود يخرجون بين ان يصدقوا في
شهادتهم وبين ان يكذبوا في شهادتهم لم يضمنوا لان ضمان الشهادة ضمان معروف لانه لا بدل بازائه
والعبيد ليسوا من اهل المعروف والصلة لم يجعلوا من اهل الشهادة نظير الكفار وعلى ذلك قلنا ان النكاح
يجوز بشهادة الفاسق والمحدود في القذف وانهما من اهل الشهادة فيه لانهما من اهل الضمان وان كانت
شهادتهما ترد لتهمة الكذب في سائر الحقوق واما العبيد فهم ليسوا باهل الشهادة بحال للمعنى الذي ذكرنا
ثم القياس ان يجوز شهادة العبيد لانها من حق الله تعالى دليله قوله واقيموا الشهادة لله وقوله كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط فاذا كانت من حقوق الله تعالى وحقوقه لا يختلف العبيد والاحرار فيها يجب ان يقبل
شهادتهم لكنها لم يقبل للوجوه التي ذكرنا والله اعلم ثم قوله ممن ترضون من الشهداء دلالة ان من الشهداء من لا يكون
مرضيا ومن يكون مرضيا وكذلك من يكون عدلا لانه سماه على قوله يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الاية
فيكون الاية حجة على المعتزلة لانهم يقولون ان المؤمن لا يكون غير عدل وغير مرضي لان الفسق يبطل الايمان
عندهم ودل ذلك على هذا قوله واشهدوا ذوي عدل منكم ولو لم يكن فيهم مرضيا وعدلا وغير عدل لكان
يقول واستشهدوا رجلين منكم ولم يشترط فيه العدالة والرضا وهذه الاية حجة على ان العدالة ليست
بشرط لاهلية الشهادة فانه قال ممن ترضون من الشهداء قسم الشهداء على قسمين مرضيين وغير مرضيين لان كلمة من
للتبعيض والتمييز في الاصل فهذا يدل على ان البعض من الشهداء ليس من اهل العدالة والرضا فيكون حجة
على الشافعي في جواز النكاح بشهادة الفساق ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى في الاية دلالة
ان الرجل اذا نسي الشهادة ثم ذكر فتذكر يجوز له ان يشهد لظاهر هذه الاية فاما اذا اخبر بالشهادة وهو لا يذكر
لم يجز له ان يشهد لقوله تعالى فتذكر احداهما الاخرى ولم يقل فتخبر احداهما الاخرى ولا يتحقق الذكر
بدون التذكير وقوله تعالى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا للاشهاد وقيل ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا
للاداء وهذا اشبه لان الشهود اذا تحملوا احضر الخصم فهنا الشهداء فليه فان الاحضار المكان
الذي هو فيه وليس هو هنا النقل الى الاداء اذ الاداء لا يكون الا عند الحاكم فيحتاج الى الحضور الى
ذلك المكان اولى وهو لقوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه ولان صاحب الحق لا يحتاج
له غيرهم اما المستشهد فقد يجد من يشهد على الحادثة غير هؤلاء والله اعلم وقوله تعالى ولا تسأموا ان تكتبوه
صغيرا او كبيرا الى اجله فيه دلالة جواز السلم في الثياب لانه لا يكال ولا يوزن لانه لا يقال فيه الصغير
والكبير وانما يقال ذلك في المعدود والمذروع فلذلك قال ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا وقوله
ذلكم اقسط عند الله يقول اعدل عند الله وقوله واقوم للشهادة في الحجة وقوله تعالى وادنى الا ترتابوا
اي اقرب الى رفع الظنون والشكوك الذي يحملكم على التنازع والتناكر الذي عاقبته الفسخ وهذا ما امر الله
عز وجل بالكتابة والاشهاد وذكر كبيره وصغيره لئلا يقع بينهم في العاقبة تنازع وتناكر فيحمله ذلك
الحاكم على فسخ العقد بينهما وعلى ذلك يخرج الاجل فيه شرط العقد وقوع التنازع والتناكر الذي
الفسخ في الاخرة لانه اذا استحال الاجل وهو معدوم عاجز عن تسليم المسلم فيه والاخر يطالبه يقع التنازع
ويقع الحاجة الى الفسخ وفيه الحاق الضرر بالاخر حيث سلم رأس المال ودفع بحاجته وصار مما لكنه
فلم يصل الى المسلم فيه ولا الى رأس المال الضرر لا يجد فيه لانه لا يكون له حق مطالبة الا بعد محل الاجل
قادرا على اداء المسلم فيه من حيث الظاهر فلا يؤدي الى المنازعة المفضية الى الفسخ ولا الى لحاق الضرر
للوصول الى المسلم فيه والله اعلم وقوله تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة الاية استثنى الله تعالى
التجارة الحاضرة بترك الكتابة والاشهاد وذلك لما ذكرنا ان الديون والقروض تنسى وينسى
على التناسي فامر بالكتابة فيها والاشهاد دفعا للسهو والغفلة ولا كذلك التجارات الحاضرة وفي
ذلك الامر الظاهر بين الناس انهم يكتبون ويشهدون في الديون والقروض لا في التجارات الحاضرة
الجارية بين الناس لان ما يخاف وقوعه في التجارات الحاضرة دون الديون والقروض والله اعلم
وقوله تعالى تديرونها بينكم هو كقوله عليه السلام يدا بيد وهذا يدل على ايجاب القبض في المجلس
وقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم امر عز وجل بالاشهاد في التجارة الحاضرة ولم يامر بالكتابة وامر في
التداين بالكتابة والاشهاد جميعا فالامر بالكتابة لمحافظة الحقوق ومعاملة كل نيابة كتب فيه
واما الامر بالاشهاد فلا دفع الامر الى الرهن بالوفاء وكل ذلك اغنى الكتابة والاشهاد والرهن يمنع صاحبه
من الانكار والجحود ويذكر عند النسيان والسهو وذلك كله لقطع التنازع بينهما في العقد وحفظ
عن الفساد والله اعلم وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد اختلف فيه قال بعضهم اي لا يضار

كاتب ولا شهيد من صاحب الحق اي لا يضارر وادغم احدهما في الآخر لاجتماع الحرفين من جنس واحد ومعناه لا ينبغي لصاحب الحق ان يشغل الكاتب ولا الشهيد بالكتابة والشهادة عن اشغال انفسهما ولا يمنعهما عن ذلك فيقول له اكتب واشهد لي وهو يجد غيرهما فيتضرران بذلك وقال آخرون لا يضارر كاتب ولا شهيد صاحب الحق فيكون نهيا للكاتب والشهيد عن المضارة اصله لا يضارر كاتب ولا شهيد صاحب الحق فيكتب ما لا ينبغي ان يكتب بالزيادة والنقصان وكذلك الشاهد لا يزيد على الحق ولا ينقص منه شيئا ولا يكتم الشهادة ايضا وقد ابتليا بها فلم يعرضا عنها قال الاصم ان يقول الرجل للرجل وهو غني ان الله تعالى امرك ان لا تابى اذا ما دعيت فيضاره لذلك ان صاحب الحق يقول للشاهد وهو مستغن عن حضوره بحضور جماعة من الشهود سواه فاحضر فان الله تعالى قال ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا فيكون هذا اضرارا بالشاهد وقوله تعالى وان تفعلوا اي وان تضاروا وقوله تعالى فانه فسوق بكم اي سبب الاثم وهذا يدل على ان الثاني فيه هو ما ذكرنا من النهي عن الزيادة والنقصان والكتمان وقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله اي الحكم والادب وما يحل وما لا يحل وهو حجة على المعتزلة على انكارهم خلق الافعال حيث اضاف التعليم الى نفسه وهو تحصيل العلم فيهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم حجة وعيد وقوله تعالى وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة له وجهان احدهما على الخبر اي الرهان تكون مقبوضة والثاني على الامر اي فلياخذوها مقبوضة وفي تعليم الوثيقة لدين يستوثق الدين به حتى جعل الرهن بدلا عن الكتابة والاشهاد فيما وضعا له وهو ما ذكرنا انهما لحفظ الحقوق ما اجل منها وما قل وان لا يحملهم على الانكار والجحود وان يذكرهم ذلك عن السهو والنسيان فلذلك الامر بالرهان لئلا يؤخر قضاء الدين ويذكرهم عن السهو والنسيان والله اعلم ثم الآية تدل على ان الرهن لا يجوز بدون القبض على الوجهين جميعا فان الله تعالى متى اخبر عن كون الرهن مقبوضة او جاز الرهن مقبوضة او جاز الرهن بدون القبض لعقد كون الرهن بلا قبض وهو خلف في خبر الله تعالى جل الله عن ذلك وكذا الامر من الله تعالى للايجاب فيصير القبض واجبا فيكون شرطا لصحة الرهن والله اعلم ثم الآية تدل على ان الرهن يجب ان يكون مقبوضا محبوسا عن صاحبه فانه اخبر عن وصف الرهن بكونه مقبوضا للمرتهن للمرتهن وهذا يقتضي قيام هذا الوصف ما بقي الرهن فعلى هذا يجب ان لا يجوز الانتفاع للراهن بالرهن ولا يبقى له حق الانتفاع اذ لو بقي لثبت له حق الاخذ من المرتهن فلا يبقى محبوسا عنده والرهن باق فيؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى على انه معلوم ان المراد من الرهن ان يضطر الراهن الى قضاء الدين لما قد يحتاج الا الانتفاع به متى شاء فانه لا يصير مضطرا الى قضاء الدين بل المقصود النفع اذ لا يعلم منع عنه وتعطل الانتفاع ويكفي عنه مؤنة الحفظ فكان القول بهذا يؤدي الى تفويت ما شرع له الرهن وهذا فاسد وتعدد فان المراد من الرهن الثقة لتكون على امان من الحقة في الجحود والانكار ولهذا شرع الله تعالى الرهن في حال العجز عن الكتابة والاشهاد وهما شرعا للامان عن الجحود والانكار وانما يتحقق الاستيثاق اذا كان محبوسا ممنوعا عن الراهن على الدوام فاما اذا كان غير ممنوع عنه فلا ثقة للمرتهن على الرهن الا ترى انكم لما لم تجوزوا الرهن بدون القبض فلا يجوز ان تجعل القبض في الرهن سببا لقيام الرهن وجوازه ثم يكلف برده الى الراهن عند طلبه من غير حصول الغرض بالرهن وحصول المرتهن الى ما له شرع القبض وهذا تناقض واستعمال بما لا يفيد على ان الرهن معناه الحبس وعلى ذلك قوله كل امرئ بما كسب رهين وعلى ان الرهان المعروفة يجب ان يمنع عن كل معنى يضاد الحبس على الدوام وبقاء حق الانتفاع للراهن يضاد الحبس بطريق الدوام ولذلك جوز الرهن في المشاع يؤدي الى هذا فوجب القول بفساده والله اعلم ثم الرهن عندنا يهلك بالدين لانه قبض يستوفى منه اذا عجز عن الاستيفاء من غيره ولهذا بالاجماع ان الراهن اذا مات ولم يترك الا الرهن وعليه ديون آخر فان المرتهن احق باستيفاء الدين منه من غيره ثبت انه حق منه فلما ثبت له حق الاستيفاء منه فلا يثبت له حق الاستيفاء من مال آخر الا بعد تسليم ذلك الى صاحبه وبعد عجزه من ذلك بالهلاك فامتنع حق الاستيفاء من مال الآخر كيلا يؤدي الى ثبوت حق الاستيفاء من جهتين وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته اي اذا امن صاحب الحق من عليه الدين من الجحود وترك الدين فلم ياخذ الرهن فينبغي لمن عليه ان يؤدي اليه امانته اي حقه ودينه وهذه الآية تدل على ان الرهن مضمون فالاستدلال بها من وجهين احدهما ذكر الامر عن ترك الدين بسبب الجحود والانكار في الوضع الذي لا رهن فيه اذا امنتم من حق الديون عن الجحود فلا تاخذوا الرهن ثبت انه ثبت الامن عن الجحود والتوى بسبب الرهن ولو كان الدين يبقى بعد هلاك الرهن لما كان الامن ثابتا حال

بقاء الدين بلا رهن وهذا خلاف ظاهر الآية والثاني انه امر باداء الامانة اي باداء الدين في حال عدم الرهن ولم يذكر الاداء فيما فيه الرهن لاجل ان الرهن جعل في الرهن استيفاء الدين فلا ذكر الاداء فيه والاصل ان حبس كل امانة عن صاحبها يوجب الضمان والرهن معقود على شرط الحبس في القبض الذي هو سبب الضمان فيكون منافيا للامانة موجبا للضمان فلا ان ينفي اشبه من الانطباع مع ما ان الرهن في معصوب في يد انسان لما لصاحبه عليه من الدين يسقط الضمان كما كان الرهن امانة لا يسقط الضمان كما اذا اودع عنده او اعاره منه والله اعلم وقوله تعالى وليتق الله ربه دليل لقولهم في شركاء انه كتب اشتمل على تقوى الله واداء الامانة لان كل واحد منهما امين في ذلك فلذلك ذكر فيه تقوى الله واداء الامانة كما ذكر في السفر وحل تقوى الله واداء الامانة فيما ائتمن وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه جعل القلب آثما بكتمان الشهادة لان ذلك انما يتحقق بعزم القلب على ذلك لان كل فعل ينعقد طاعة او معصية فانما يكون بفعل القلب وهو القصد والاختيار وهو معنى قول النبي عليه السلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن الا وهي القلب الحديث ولهذا وصف القلب بكونه آثما حاسبا وهذه الآية تدل على ان عمد القلب وعزمه على ارتكاب المناهي وترك الاوامر معصية وسبب المؤاخذة حيث وصفه بكونه آثما وهو كقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ولذلك قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم وقوله تعالى والله بما تعملون عليم حجة وعيد وقوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض ظاهر اي ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه ردا على قولهم عزير ابن الله وعيسى ابن الله والملائكة بنات الله وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اختلف فيه قال الحسن هو على ما عزم لا على ما خطر بالنفس لان خطر النفس وحديث النفس ليس من كسب العبد انما هو من خلق الله تعالى في قلبه من غير اختيار العبد فلا يجوز ان يكون مؤاخذا بما ليس فعله لكن انما يؤاخذ بالعزم والقصد وان كان نعمله وتخفوه عنا ولكن المرجع وهو الكفر فيحتمل ايضا الاضمار وان تبدوا ما في انفسكم وتخفوه وعزمتم واعتقدتم لا على الخطر وحديث النفس على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هم بحسنة فله كذا ومن هم بسيئة فكذا وعلى هذا قالوا في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها همت به هي هم عزم وهم هو بها هم خطر وهو غير مؤاخذ بما يخطر في القلب انما يؤاخذ على عزم واعتقد عليه والله اعلم ويحتمل على التقديم والتاخير واستعارة حرف او من الواو اي ان تخفوا ما في انفسكم وتبدوه يحاسبكم به الله وحديث النفس اذا اتصل به الفعل والقول يؤاخذ به قال الشيخ رحمه الله الآية تخرج على الشهوة وما في النفس وتخرج على الآثام والكتمان ومعناه وان تبدوا ما في انفسكم من الخواطر واحاديث النفس فتبدوها باللسان او بالجوارح او تخفوها اي تضمروها عازمين على الفعل مؤثرين مختارين بحيث القلوب وخطر بالبال فيحاسبكم وهو معنى قوله عليه السلام ان الله عفى عن امتي ما حدثت به انفسهم او خطر على قلوبهم ما لم يتكلموا ويفعلوا او يقدروا على الحديث او غيرهم على الفعل عرضنا بقوله او تخفوه وبقوله ولكن ما تعمدت قلوبكم والله اعلم ثم ان كان ذلك في الشهوة صح الانتهاء دون المعاصي فالمراد من قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء الستر والاظهار او يستر على من يشاء امانيه وشهواته ويعذب على من يشاء باظهار امانيه اما في الدنيا واما في الاخرة وان كان في الآثام والمعاصي فالمغفرة والتعذيب بحق الجزاء وذلك لا يكون الا بالعزم والاعتقاد او بالاظهار بالفعل والقول وقد يكون فعل القلب سبب المؤاخذة نحو الكفر فانه فعل القلب وكذا غيره من الشبهات قال الله تعالى عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت الآية ومن الناس من قال ان قوله او تخفوه منسوخ بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله عفى عن امتي ما حدثت به انفسهم وخطر بباطنهم ما لم يتكلموا او يفعلوا وهذا فاسد لانه خبر عن المحاسبة والخبر لا يجري فيها النسخ لانه يرجع ذلك الى تغير احوال المخبر من البداء والغلط والكذب والله تعالى يتعالى عن هذه الاحوال وانما النسخ يكون في الامر والنهي لان التعبد في حق من عليه وفي حق المامور من الحظر والاباحة ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيه دليل لما قلنا انه على العزم ولا عليه لما ذكر من العفو من العقوبة عليه وقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله الى آخر الآية قوله آمن الرسول يحتمل وجهين يحتمل آمن بما انزل الله اليه انه من عنده من الوحي المتلو وهو القرآن وغير المتلو وهو ما انزل اليه واوحي عليه على غير نظم القرآن ويحتمل آمن الرسول بما في المنزل اليه اعني القرآن وكان فيه ما ذكر من الايمان بالله وملائكته الى آخر الآية وكذلك المؤمنون

آمنوا بجميع ما في المنزل وهو ما ذكرنا وفيه دليل على ان الايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايمان بجميع الرسل والكتب كلها والملائكة والبعث والجنة والنار ونحو ذلك لان كل ذلك مما انزل
عليه فيكون الايمان بالجملة ايمانا بالتفصيل وفي الآية نقض قول من يستثني في ايمانه ويشك فيه
لان الله تعالى شهد لمن آمن بهذه الجملة بالايمان بقوله والمؤمنون كل آمن بالله الآية فمن شك فيه فقد خالف
النص ولان الاستثناء لا يخلو اما ان يكون يشك في ثبات ما امر الله من الايمان او في حال ما اخبر الله عنه
مما كان فيهم من القول وفي الآية نقض قول المعتزلة في مسئلة صاحب الكبيرة لان الله عز وجل شهد بالايمان
لمن وجد منه وبما ذكر في الآية وكل صاحب الكبيرة مؤمن بجميع ما ذكر وهم ينفون عنهم اسم الايمان فيكون
خلافا للنص فان قيل فقد ذكر الطاعة في الآية بقوله سمعنا واطعنا قيل ذكر الطاعة في الاجابة وقبول ما
اوجب عليهم وقد شهد بالايمان لمن وجد منه التصديق وبما ذكرنا بالاجابة وقبول الطاعة لاوامره ونواهيه
وذلك موجود في اصحاب الكبائر وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله • اي لا نفرق كما فرق اليهود
والنصارى وقوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا • يحتمل سمعنا قولك ودعاءك واطعنا لشرط الاجابة
ويحتمل سمعنا القرآن واطعنا بما فيه قبولا وقوله تعالى غفرانك ربنا • اي اغفر لنا ربنا وقوله تعالى واليك
المصير • اي المرجع وهذه الآية جمعت جميع شرائط الايمان لذلك قلنا ان الايمان بالقرآن ايمان بجميع
الكتب والانبياء والبعث وغير ذلك وبالله العصمة وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها • قال
الحسن الا وسعها اي لا يرد التكليف الا بما يحمل وسع ولكن بعض الناس يقولون هذا بعيد لا يحتمل
لانه اذا كلفه شيئا احتمل وسع لان المأمور به مطلق التحصيل فكأنه قال لا يطلق الله تعالى الامر الا بما يطلق
او لا يأمر الا بما يؤمر وهذا كما قالوا في قوله تعالى احل لكم الطيبات اي الحلالات لانه لا يصح لان ما احل الله
صار طيبا شرعا وكل ما طيبه يكون حلالا فيصير كأنه قال احل لكم الحلال فكذا هذا والتأويل
الصحيح الا وسعها الا طاقتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل معتبر عليه لم يكلف بتحصيله
وتركه حقيقة ثم يثبت الاباحة والحل بالتكليف وكذلك قال المعنى له ان يعمله الا وسعها اي طاقتها
وقدرتها لكن قالوا ان الاستطاعة قبل الفعل وقلنا انه لا يكون الا مع الفعل وهذا الاختلاف بيننا وبينهم
في حقيقة القدرة التي يوجد بها الفعل ولا يوجد بدونها اما لا اختلاف ان استطاعة الاسباب والاحوال
يتقدم الافعال وعلى هذه الاستطاعة يبتني الخطاب لا على حقيقة القدرة ولا انعدامها ولو تعلق الخطاب
بوجود القدرة الثابتة والدليل على ان صحة الخطاب يبتني على هذه الاستطاعة قول الله تعالى ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قيل يا رسول الله وما الاستطاعة قال الزاد والراحلة قال
ابو حنيفة في قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني الصحة والميسرة بقوله لا يكلف الله ان يصلي قائما
وهو مقعد او من لا يقدر على القيام من المرض ولا ان يحج من كان في اقصى بلاد المسلمين قد لزمه
فرض الحج على علم كل منهما ان تلك الاستطاعة لو صرفت الى استطاعة الافعال لم يسبق وقت وجود
الافعال ثم قد يلزم الحج دل ان الكلفة والخطاب انما يقع على استطاعة الاحوال والاسباب ولهذا كلفه
في جميع الطاعات فان قيل قد يقع هذا على الخروج فيوجد الفعل عقيب الخروج قيل لو كان كذلك لا يلزم
فرض الحج الا بالخروج وله ترك الخروج اذ باكتساب الخروج يلزمه فرض الحج والله تعالى لم يكلف اكتساب ما يجب به
الفرض فانه لا يجب على المكلف اكتساب المال ليجب عليه الزكوة والحج فثبت انه لا يجب عليه بل على ما قاله اصحابنا
انه يجب بناء على استطاعة الاسباب من الزاد والراحلة ونحوهما ثم يتحقق الخروج عن الواجب بالفعل عند تحقيقه
والله اعلم فان قيل ما قولكم ان التكليف فيما لا يطاق ايكون من الله تعالى وهل يجوز في الحكمة قيل ان هذا
على قسمين قسم منه لا يجوز في الحكمة ولا كان من الله تعالى وهو تكليف من منع عنه القدرة بمنزلة تكليف
الزمن بالمشي وتكليف الاعمى بالبصر ونحو ذلك والقسم الثاني يجوز تكليف من له الآلة سليمة وهو متمكن
من الفعل باسبابه فانه اذا كان على هذا الوصف فان الله تعالى اجرى العادة المستمرة على انه متى اراد الفعل
يحدث فيه قدرة ذلك الفعل فيوجد مع الفعل فمتى امتنع عن الفعل بالاشتغال بضد ذلك الفعل لم يحدث
له القدرة وكذلك الفعل وضيع تلك القدرة بصرفها الى الضد على اختلاف الطريقين بين اهل الحق فلم يكن
المضيع معذورا وقد اخذ بذلك ثم المعتزلة احتجوا بالقول بتكليف ما لا يطاق من اهل السنة والجماعة
لان من قول المعتزلة ان القوة على الفعل لو وجبت الفعل في الوقت الثاني من القدرة لزم قوم منهم البغدادي
مثل الكعبي وغيره يقولون ان القدرة عرض لا يبقى الى الوقت الثاني الذي هو وقت وجود الفعل والقدرة
التي في وقت الفعل لم يكن لوجود هذا الفعل بها ولكن ليوجد بها الفعل في الوقت الثاني من وجود

هذه

هذه القدرة ولان الوقت الثاني في القدرة وهو وقت الفعل عندهم ان كان قادرا على الفعل فهو غير
قادر على تركه لذلك الفعل والقدرة خصوصا عندهم ما يكون القادر بها متمكنا من الفعل والترك بصرفها
الى اي الامرين شاء وليس هو على هذا الوصف في الوقت الثاني من القدرة عندهم بل هو قادر على الفعل دون
الترك دل انه في الزمان الثاني من القدرة غير قادر على الفعل ثم الامر المتعارف في الظاهر في امر بفعل
في وقت في المستقبل نحو ان قال المولى لعبده ادفع لفلان غدا درهما فان هذا ليس لغرض الدفع حال ما فرغ
الكلام سمعه ولكن في الوقت الذي جعله ظرفا للدفع فعلى هذا الترتيب يكون الامر الصادر من الله تعالى في زمان
وجود القدرة ليفعل في الزمان الثاني يكون تكليفا في الزمان الثاني لا في حال وجود القدرة لذلك
الفعل وهو في ذلك الوقت غير قادر على ما ذكرت فيكون ذلك تكليف ما لا يطاق ضرورة وبان بهذا الموضع
والمحش من هذا ما قالوه ان القدرة متقدم الفعل هو الذي يلزم الوفاء به وهو في وقت وجود الفعل
وكذلك العداوة فان كان كفرا اثبت العداوة وان كان ايمانا اثبت الولاية فحصل القول بان الموالاة و
المعاداة انما تقع في غير وقت الامر والنهي لانه ذلك في حال وجود القدرة لذلك شرطوا سبق القدرة على
الفعل وهذا فاسد والله الموفق وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت • دلالة ان الله تعالى انما يأمر
عبده او ينهى انما يأمر وينهى لمنافع لهم في الايتمار ولضرر يلحقه فينتهي عن ذلك فيكون في الامر جلب منفعة
وفي النهي دفع مضرة كما يكون في الشاهد ان من امر آخر بشيء انما يأمر لمنفعة يأمل فيه وينهى عن شيء لدفع الضرر
الذي يخافه تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا • قيل فيه وجهان احدهما
ان نسينا يعني تركنا بقوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا الله فتركهم فكان المراد ان تركنا الاوامر وقوله
اخطأنا يعني ارتكبنا النواهي وقيل انه على حقيقة النسيان والخطأ فعلى الوجه الاول يكون تعليما للمؤمنين
المؤمنين ان ربنا لا تؤاخذنا وهو الخطاب لامته لانه لا يتحقق منه ترك المأمور به ولا ارتكاب المنهي
عنه ثم اختلف بعد هذا ان النسيان والخطأ هل يجوز المؤاخذة عليهما في الحكمة ام لا فعلى قول اهل السنة
يجوز المؤاخذة عليهما وعلى قول المعتزلة لا يجوز المؤاخذة عليهما والآية حجة عليهم لان الله تعالى
امرهم بان يدعوا الله تعالى ان يتجاوز عنهم ان لا يؤاخذهم ولو كان النسيان والخطأ لا يجوز المؤاخذة عليهما
في الحكمة بل يكون تجويز تعبير الجور في التعذيب فكأنه قال اللهم لا تجر ويتضمن كفران النعمة لان هذا انما
يستعمل في موضع لم يحصل نعمة او توجب عليه الشكر او لا يخطأ ومعنى امره تعالى اياهم بالدعاء
او امر رسوله بان يدعو لامته وقد دعا بنفسه لامته بترك المؤاخذة لو كانت المؤاخذة غير جائزة لكان
الدعاء عبثا سفها قلنا فان قالوا انما امر بالدعاء تعبدا او تقربا اليه وهو كقوله ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك الى قوله انك لا تخلف الميعاد ويكون لا محالة ومع هذا امر بالدعاء بانجاز الوعد تعبدا او تقربا
اليه فهذا مثله وكذلك قوله قل رب احكم بالحق خرج الدعاء مخرج التعبد والتقرب لا على حقيقة الدعاء
اذ هو لا يحكم الا بالحق وكذلك قوله واستغفر لذنبك واخبر انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
والتأويل فيما ذكرنا ان النسيان هو الترك والخطأ هو ارتكاب النهي والتارك لامر الله تعالى والمرتكب
لنهيه يستوجب العقاب فصح الدعاء لذلك لئلا يلحقهم العذاب بترك ذلك الامر وارتكاب
النهي قيل هذا مذهب المعتزلة واما الاصل عندنا في هذا انه جائز في الحكمة ان يعاقب على النسيان
والخطأ ليجتهد في حفظ حدوده وحقوقه وحرماته لئلا ينسى فمتى وجد منهم النسيان والخطأ
فقد وجد منهم التقصير وترك الحفظ حتى وقعوا في النسيان والخطأ فيجوز مؤاخذتهم على ترك الحفظ
في عين الفعل الذي وجد منه سهو النحو مما قلنا ان الله تعالى اوجب الكفارة على قاتل الانسان خطأ ثم قال
توبة من الله فلو لم يجز ان يعاقب عليه لم يكن لوجوب الكفارة والتوبة معنى ويحقق هذا ايضا قوله
وما انسانيه الا الشيطان يجعل الشيطان ملبسة وتحديه كانه ماذكرنا والله اعلم انه لو اجتهد من
فعل النسيان والسهو يسلم عنه فجائز له ان النسيان السلامة اذ يجتهد يسلم عنه وبغفلته يقع فيه
فان قيل ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
قيل انما جاء هذا في الكفر خاصة لا في غيره وذلك لان القوم كانوا حديث عهد بالاسلام يجري على السنتهم
الكفر بطريق النسيان والخطأ وكذلك كانوا يكرهون على الكفر فيجري على السنتهم كلمة الكفر مع القرار
على الايمان حقيقة مخافة القتل فاخبر عليه السلام ان ذلك مرفوع عنهم وقيل هذا التأويل يمنع عن الحيف
القاضي الا ترى ان النسيان لم يرفع في جميع الاحكام فان من تكلم ناسيا في صلاته او تقهقه ناسيا تفسد صلوته
وكذلك الخاطئ يؤاخذ بالدية والكفارة وكذلك المكره بالقتل وكذا نا بأثم فدل انه يجب الحمل عليه والثاني

ان هذا الخبر حجة عليكم من حيث الظاهر فان الرفع بعد الوجود يكون وقد يدل بدليل آخر على البقاء والثبات
ثم جاز ان يكون وعد العفو مقيدا بشرط الدعاء فلذلك امرهم بالدعاء ومن مشايخنا من قال انه جائز لو اخذ
عقلا فاما المؤاخذة عليها صارت ساقطة والعفو عن ذلك قد تحقق بدعاء النبي عليه السلام قال ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وقد اجيب في عامة لان هذا امر له ولامته بالدعاء على ذلك ايضا والله
اعلم واما قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ففيه وجهان احدهما انه وعد الرسول والمؤمنين جميعا الجنة
فيسئل الكل ان يجعله من تلك الجملة التي وعدهم بالجنة بان يوفقهم للطاعات التي بها وعدوا استحقاق الجنة
فيكون هذا دعاء بتوفيق الطاعة والعصمة عن المعاصي والثاني ان يسئل بهذا الختم على الايمان فان الموعود
بناء على بقاء الايمان بعد الموت وهذا ليس بسؤال لما هو ثابت فيكون لا محالة بل فيه خطر وتردد وفي مثل
هذا يرد الدعاء والسؤال واما الاستغفار فهو يخرج على وجهين احدهما على ما روي ان المؤذن يغفر له مد
صوته فعلى ذلك استغفاره عليه ليغفر له بفضل منه والثاني ان المغفرة في اللغة هي التغطية والستر كانه
سال الستر عليه بعد التجاوز عنه بي تبلى السرائر ثم الاصل ان الاستغفار هو طلب المغفرة فلو كان لا يجوز
التعذيب يكون التعذيب جورا فيصير السؤال في الحقيقة سؤالا ان لا يجور ذلك انما الاسم بمحنة
والتكليف به ولعلك لو كان مغفورا له لكان الحق عليه ان يشكر لما انعم الله عليه وفي ذلك كتمان النعمة والمحنة
فكتمان نعم الله تعالى وكفرانها محال لان يكون الجنة بما كان ممكنا والله الموفق واما قوله رب احكم بالحق وقيل
الحق ههنا العذاب كانه امره ان يسئل بان ينزل العذاب عليهم وقيل احكم بحكمك الذي هو الحق فيكون ليبين
الخاصية لا للتنويع فهو كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وكقوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به هذا
بيان الخاصية انما تنسب اليه الالهية سوى الله تعالى لا برهان له لان الالهة سوى الله تعالى متنوعة بعضهم
برهاني دون بعض فهذا مثله فاذا كان ما ذكرنا محتملا لا يلزم الوجه الذي ذهب اليه الخصم وقوله تعالى
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا • قيل الاصر هو العهد يقول لا تحمل علينا عهدا نعجز عن
تركه ونقضه كما حملته على الذين من قبلنا كان ضيق عليهم في الاثم ان اخطاوا واخطية حرم الله عليهم على قدرها
مما احل لهم من الطيبات كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكان في الامم ودونهم
تخاف المسلمين ذلك فقالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا فحرم ما حرمناه فيحرم علينا الطيبات واصل الاصر الثقل
الثقل والشدائد التي كانت عليهم نحو ان كانت توبتهم الامر بقتل بعضهم بعضا وقوله تعالى ولا تحملنا ما
لا طاقة لنا به • يحتمل وجهين اي لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقل والهلاك اي خذ ذلك فنا وهم
وضعفنا وذهاب طاقتهم ويحتمل ان يراد به طاقة الفعل وهي لا يتقدم الفعل عندنا والله اعلم ويحتمل
لا تحملنا اي ما يشغل بما يحتان عما امرتنا فيكون كالذي لا دوام العصمة والله اعلم وقوله تعالى واعف عنا
قيل اترك ما مضى عليه بلك عنابه ولا ظهور بذلك على الناس ولا نعذبنا عليه وقوله تعالى واغفر لنا
اي استر لنا فان العفو هو الستر ولذلك يسمى المغفر مغفرا لانه يستر وستر الذنوب من اعظم النعم
وقوله تعالى انت مولانا • قيل انت ولينا وقيل انت حافظنا وقيل انت ولينا وناصرنا وقوله
تعالى فانصرنا على القوم الكافرين • يحتمل الكفار المعروفين ويحتمل الشياطين اي انصرنا عليهم والله اعلم بالصواب

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل الم الله لا اله الا هو • قال
بعضهم تفسيره ما وصل به فيكون الله تفسير الم كقوله الم ذلك الكتاب وهو تفسير الم فيكون الكتاب
تفسير المر نحو قوله المص كتاب انزل اليك فالكتاب تفسير المص وكذلك جميع ما وصل بالحروف المقطعة
تفسيرها ولا يبعد ان يسمي الله تعالى نفسه الم ويسمي القرآن الم فله ان يسمي نفسه بما شاء لسمانه
سمى نفسه مجيدا كقوله تعالى ذو العرش المجيد وسمى القرآن كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد وقد مضى الكلام
في الحروف المقطعة في قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه بما يكفي والله اعلم وقوله تعالى الحي القيوم •
هو الحي بذاته اي يحيى هي صفة ذاتية ازلية له لا اكتساب الاحياء ان كل حي سواه حي بحياة هي غيره
فاذا كان هو حيا بذاته لم يوصف بالتغير والزوال ولما كان كل حي سواه حيا بغيره احتمل التغير والزوال
وانما وصف نفسه بالحياة لان الحياة من صفات الكمال في الشاهد فان من عظم شانه وشرف قدره
عند الخلق يوصف بالحياة الا ترى ان الله تعالى وصف الارض بالحياة عند النبات لما تعظيم قدرها

وتشرف منزلتها عند الخلق عند نباتها ولذلك يسمى المؤمن حيا لعلو قدره عند الناس فكذلك سمى الله تعالى
نفسه حيا لعظمته وجلاله وكبريائه وعلى هذا يخرج قوله تعالى في الشهداء حيث قال ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء اي مكرمون معظمون مشرفون عند ربهم وقوله القيوم قال بعضهم هو القائم
على كل نفس بما كسبت وقال آخرون القيوم الحافظ وفي حرف ابن مسعود هو القيام والقيم والقائم فرد لقيام
يرجع الى معنى واحد نحو قولهم فلان قائم على امر فلان اي يحفظه حتى لا يغيب عنه من امر الخلق شيء وروي عن ابن عباس
ان اسم الله الاعظم الحي القيوم وقوله تعالى نزل عليك الكتاب بالحق • قيل فيه بوجوه يحتمل بالحق اي بدعاء
الخلق الى الحق ويحتمل بالحق اي الكتاب بنفسه هو الحق حجة بينة وآية معجزة ايست العرب من ان ياتوا بمثله ومما عجزت
على المعارضة قولا او فعلا وتحقق عند كلامهم انه هو من عند الله لا من عرض وكابر وعاند وقيل بالحق اي
بالصدق وبالعدل وقيل بالحق الذي لله عليهم وما يكون لبعضهم على بعض من الاحكام والشرايع وقوله تعالى
مصدقا لما بين يديه • اي موافقا لما قبله من الكتب السماوية وهي غير مختلفة ولا متفاوتة وفيه دلالة نبوة
محمد عليه الصلوة والسلام لانه اخبر انه موافق لتلك الكتب غير مخالف لها من غير ان علم تلك الكتب ولو كان
قال ذلك من عند نفسه اختلافا لكان لا يجترئ على مثل هذا القول لما عسى يكون مخالفا لها ولا علم له بذلك
فيظهر تزويره فدل انه عالم بالله تعالى انه موافق لتلك الكتب ولو كان على خلافها لكلف اهل الكتاب على اظهار
موضع الخلاف ليدحضوا حجته ويظهروا كذب دعواه فان لم يفعلوا دل انهم عرفوا ان الكتاب من الله تعالى
وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنهم كابروا وعاندوا وقوله تعالى وانزل التوراة والانجيل من قبل
هدى للناس وانزل الفرقان من بعد قال بعضهم هدى للناس اي بيانا لهم وحجة لمن اهتدى والزاما وحجة
على من عمي وضل اذ لا يحتمل ان يكون هدى وحجة لشخص فيه نجاته ثم هو عليه حجة وعمى وفيه هلاكه
فدل انه حجة هدى لمن اهتدى وحجة والزاما على من ترك الاهتداء وعلى ما يفسر المعتزلة الهداية يكون
هدى في حق الكل وهذا محال وقوله تعالى وانزل الفرقان • قيل يسمى فرقانا لما فرق اياته وفرق نزوله لا جملة
كالتوراة والانجيل وعلى هذا يكون اسما خاصا للقرآن وقيل لما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام
وبين ما يتقى وما يؤتى وعلى هذا يجوز تسميته غيره من الكتب فرقانا وسمي الانجيل انجيلا من قولهم نجلت
اي اخرجت فكانه سمي به لانه ظاهر ومظهر للحق وسميت التوراة توراة من وريت الزند اي نورت والله اعلم •
وقوله تعالى ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد • قيل كفروا بحجج الله وقيل كفروا بالله وبما ذكر بآيات الله
لانهم اذا كفروا بآيات الله كفروا به وقيل كفروا بدينه لان الكفر بدينه كفر به والبراءة من دينه براءة منه والبراءة
من رسوله براءة منه وقوله تعالى والله عزيز ذو انتقام • قيل ذو بطش شديد وقيل ذو انتقام لاوليائه
من اعدائه وقيل ذو انتقام لاوليائه وانتصار على الاعداء وقوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
هو وعيد من الله تعالى للكفرة كانه قال والله اعلم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء كالامور
المستورة الخفية على الخلق فكيف يخفى عليه اعمالكم التي هي ظاهرة عندكم ويحتمل انه لم يخف عليه ما بطن
في الاصلاب والارحام والقلوب والضماير فاني يخفى عليه اعمالكم وافعالكم وهي ظواهر الا ترى انه قال هو
الذي يصوركم في الارحام اخبر انه علم ما في الارحام وصورها على ما شاء وهي في ظلمات ثلث وهذه الاية دلت
على ابطال قول من يجعل التاثير حجة في دعوى النسب لانه جعل علم التصوير في الارحام لنفسه ولم يجعل
لغيره كيف عرف التايف انه صورة من ماء مع قيام الاشتباه في الصورة عند عدم التولد ثم اختلف في خلق
الاشياء قال بعضهم يخلق الفروع من الاصول وهي اسباب للفروع وقال الآخرون يكون باسباب وبغير
اسباب وان كان بعض الاشياء يكون باسباب نحو خلق الانسان من النطفة الا ان النطفة تتلف
فتكون علقة ثم مضغة فيكون الخلق هو ايجاد الشيء واختراعه لكن قد يكون من شيء ولا من شيء وبسبب
وبغير سبب وهو القادر على ذلك كيف شاء وبالله التوفيق وقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات • اختلف فيه قال قوم المحكم ما في العقل بيانه والمتشابه
ما لا يدرك بالعقل وانما يعرف بمعونة السمع وقال قوم المتشابه ما فيه احكام من امر ونهي وحلال وحرام
ذلك فيما ليس الينا من حاجة الى العلم به نحو الانبياء من منتهى ملك هذه الامة وعن عدد الملوك والخلفاء والحكم
وعن الاحاطة بحقيقة الموعود من النعيم والعذاب في الآخرة ونحو ذلك مما لا يعلمه الا الله وقيل المحكمات هي الناسخات
المعمول بهن والمتشابهات هي المنسوخات غير معمول بهن وهو ابن عباس وقال آخرون المحكمات هي ثلث آيات
في آخر سورة الانعام من قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تتقون وما ذكر في سورة بني اسرائيل من قوله
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى آخر هذه الآيات سميت محكمة لان فيها ذكر الامر بالتوحيد والايمان بالله تعالى وغيرها

من الآيات متشابهة وقيل المحكمات التي يعرفها كل احد اذا نظر فيها وتأمل وتفكر والمتشابه ما لم يعلم الا
بعد فحص البحث عند الطلب وقيل المحكم ما توقف عليه فيفهم مراده والمتشابه هو الذي لا يوقف
على البتة بعد ما اقتضى حوائج الخلق من البيان في المحكم منه وهو نحو الحروف المقطعة يعرفها انما لا يفهم مرادها
ويحتمل ان يكون المحكمات هي ما ظهر لكل احد من اهل الاسلام حتى لم يختلفوا فيه والمتشابه هو الذي اشتبه
على الناس لاختلاف الالسن فاختلفوا فيها او لما تؤدي ظاهر الفظ الى غير ما يؤدي اليه باطنه فيتعلق بعضهم
بالظاهر فقالوا به وتعلق آخرون بالباطن لما رأوا ظاهره محذورا وضلالا وتشبيها مع اتفاقهم على نفي الجور والظلم
عن الله تعالى من نحو الاختلاف بين اهل الحق والمجسمة في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان ونحو فتعلقت المجسمة
بظاهره وحمله اهل الحق من الظاهر الى الباطن لما في التمسك بالظاهر تشبيه الخالق بالخلق تعالى عن ذلك وقيل يجوز
ان يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم وقيل المحكم هو الواضح المبين وهذا لا يصح لان الناس اختلفوا في اشياء
وتعلق كل بدليل وادعى كل ان الذي هو عليه هو المحكم والذي عليه خصمه هو المتشابه ولو كان المحكم اسما
هو الظاهر الواضح لما تصور الاختلاف بينهم وقيل ما الحكمة في انزال المتشابه وقيل انزال ما لم نعلم منه فهو
يحتمل وجهين احدهما ان يظهر فضل العالم على غير العالم ليخضع الجاهل له وينقاد له ليتعلم منه فيكون وسيلة
الى زيادة التعلم والجهد في طلبه والثاني ان يوجب عليهم طلب المراد منه بالتفكر والنظر فيه والخضوع
فيه ويأمرهم بذلك ليحسنوا الثواب بالاجتهاد وطلب العلم فامتحنوا بالطلب فيكون ابتلاء في الاحتمال
وانما انزال ما لم نعلم من المتشابه للامتحان فيكون ذلك بالوقف عنه والامتناع عن الطلب اذ جعل العلوم قسمين
قسم منها ابتلانا بتحصيله وتعلمه وقسم منها عجزنا عن تعلمه وطلبه وامرنا بالامساك عنه كما جعل الافعال
قسمين ابتلانا في قسم منها بالتحصيل وفي قسم بالترك فكذا ابتلاء ومحنة ولله ان يمتحن عباده
بما شاء من انواع المحن والله الموفق وهو اعلم وقوله تعالى هن ام الكتاب يحتمل وجهين يحتمل ام الكتاب اي اصل
الكتاب ويحتمل المتقدم على غيرها في الرتبة من حيث انه يجب العمل بها والاعتقاد والمتشابه يجب الاعتقاد
دون العمل اما من حيث انهما كلام الله تعالى فلا مزية لاحدهما على الآخر وعلى هذا يخرج تسمية الله تعالى مكة
ام القرى لانها هي المتقدمة على غيرها من القرى تقدم رتبة وفضل ويحتمل تقدم وجود فتكون اصل القرى
كما ذكر في القصة انه بسط منها وسميت فاتحة الكتاب ام القرآن لانها اصل من حيث المعنى فان جميع ما يحتاج
البشر اليه في القرآن مودع فيها على طريق الايماء والمعنى انها هي المتقدمة على غيرها من السور تقدم رتبة
وتفضيله من حيث تعلق زيادة الثواب بتلاوتها ونحو ذلك والله اعلم ويحتمل قوله هن ام الكتاب اي المحكمات
مقصود الكتاب لكونها ظاهرة المراد والمتشابه ما فيه شبهة من غيره فتشابه كقوله تعالى ان البقر تشابه
علينا فصار المتشابه هو الداخل في اشباهه وكذا سمي المشكل مشكلا لما يدخل في اشكاله وامثاله
والله اعلم وفي الآية نقض قول المعتزلة ان الله تعالى لا يفعل الا ما هو اصلح للعباد في الدين لانه لم يبين
لهم المحكم من غير المحكم بل بين في الكتاب محكما ومتشابها ولو بين لكان اصلح لهم في الدين حيث يرتفع
الاختلاف بين الناس في الدين ولما وقع البعض في الضلال كل البدعة فدل ان الله تعالى قد يفعل لهم ما ليس
باصلح لهم في الدين ابتلاء وامتحانا منه اياهم ولكن لا يخرج عن الحكمة وان كانت تنتقص عقولنا عن ادراكها
فان الامر والنهي من الله تعالى لا يكون الا بما يكون الطاعة فيه اصلح للعباد من المخالفة والمعصية ولذا انه تعالى جميع
ما شرع من الاحكام فانها اصلح لهم ولا يكون مصلحة لهم بخلاف في التخليق فانه يجوز ان يفعل ويخلق
ما هو حكمة وان كان غير ذلك اصلح لهم في الدين بمعنى ان غير ذلك انجع لهم على الايمان والطاعة لله تعالى وابلغ
في الحمل على ما هو خير لهم في الدين والله الموفق وقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ قيل الميل عن الحق وقيل
الزيغ هو الريب والشك ثم الميل عن الحق بطريقين فان منهم من يميل عن الحق لان همته الميل عن الحق
والثاني ان يكون في اعتقاده انه على الحق لكن خفي الحق ليقصر منه في الطلب فان كان المراد
من الآية هو الاول يكون الآية في الكفر وقوله تعالى فيتبعون ما تشابه منه اي من القرآن على هذا التأويل
ما اشتبه حسابه نحو استخراج منتهى مدة هذه الامة وانتهاء الساعة فيتبعون تعلم ذلك يريدون
بذلك التزوير على العوام واهل الغباوة وابتغاء الفتنة قيل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة المحنة
اي يمتحنون اهل الاسلام وقوله تعالى وابتغاء تأويله يبتغون تفسير منتهى ملك هذه الامة
من المدة والوقت وذلك علم لم يطلع الله الرسل على ذلك فضلا منهم فذلك قوله وما يعلم تأويله الا الله
اي ما يعلم الا الله تعالى منتهى ملك هذه الامة واصل هذا التأويل في المنتهى وان كان المراد هو الثاني فالآية
في اصحاب الاهواء من الذين يريدون دين الاسلام وذلك ان لكل ذي مذهب من اهل الاسلام يعتقد

طاعة الله في اوامره ونواهيه فيعتقد وجوب اتباع القرآن بقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقوله تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الآية فيتعلق بظاهر آية يدعي انها محكمة بما عنده انه هو الحق بعد ان جهد
نفسه في طلب الحق ويبني المتشابه عليه الا ان اهل البدع والزيغ يتبعون المتشابه باراء انفسهم الفاسدة فيما
يقتضي اهواءهم من الادلة والوقوف على ذلك منهم ان ذلك اتباع المحكم ويمتنعون عن اتباع ما عليه توارث
الامة ويعرضون عما لاهل السنة من الجهل في الدين والوقوع الى الباطل لان التنازع وترك الاشتغال
بتأويل ما الرضه لكان ... عند الامة وقطعا للمتشابه حقه يبدو لنا التلبيس على من لم يتبين ذلك
الحيلة وابتغاءهم في الفتنة واهل السنة يبنون ان يقفوا عن تأويل المتشابه ويكلوا علم حقيقة ذلك
الى الله تعالى مع الاعتقاد بانه ما اراد الله به حق ويتمسكوا بما عليه توارث الامة واجماع الصحابة على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن تفرق الامة ثم اشار الى التمسك على ما هو عليه واصحابه ويبني ان
يردوا المتشابه الى ما هو المحكم باجماع الامة فيوصلوا بذلك الى ما في المتشابه بعد ان اجتهدوا واكثروا
النظر والتأمل رجاء الاصابة انجاز الوعد والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم بين
العلماء اختلاف في ان الراسخين في العلم هل يدخلون في الوقوف على المتشابه فمنهم من قال الى ان لهم ذلك بالرد
الى المحكم ويجعل الوقف على قوله والراسخون في العلم ثم ابتدأ فقال يقولون آمنا به كل من عند ربنا اي
قد قالوا آمنا به كل من عند ربنا ويجعله حالا معناه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قائلين
آمنا به كل من عند ربنا كقولهم راجلا في القوم يركبون الافراس اي راكبين الافراس ومنهم من قال لا حظ لهم
في الوقوف على حقيقته وانما حظهم التسليم الى الله مع اعتقاد حقيقة المراد عنده ويجعل موضع الوقف
على قوله الا الله ثم ابتدأ فقال والراسخون في العلم ويجعل خبر المبتدأ قوله يقولون آمنا به كل من عند ربنا
كقولهم زيد يضرب عمرا زيد مبتدأ ويضرب خبره وقيل الراسخون هم المدارسون وقيل الثابتون من قولهم
رسخ اي ثبت وقيل الراسخون الناصحون يقال رسخ في العلم ورسخ فيه وقوله تعالى وما يذكر الا اولو الالباب
اي ما يتعظ الا اولو الحجى والعقل فان قيل حقيقة الاتباع للشيء هو اتباع ما فيه من المراد والله تعالى امرنا باتباع
ما انزل الينا بقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وكذلك مدح بالاتباع بقوله يتلونه حق تلاوته اي يتبعونه
حق اتباعه والمتشابه مما انزل الينا من ربنا فيجب ان يحمد متبعه في الحقيقة لا ان يذم وقد ذم ههنا بقوله
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة قيل ليس المراد منه الاتباع بطريق الحقيقة
اذ لو كان كذلك لعذروا ولعله كان والله اعلم اتباع الآراء في التأويل الفاسد الا ترى انهم طلبوا بالتأويل
منتهى ملك هذه الامة وفي الوقوف عليه وقوف علم الساعة وذلك علم لم يطلع الله الرسل على ذلك فضلا
منهم هذا ان كانت الآية في الكفرة وان كان في اهل الاهواء والبدع فانما ذموا لانهم اشتغلوا بالتأويل
فيما تقصر افهامهم عن دركه والوقوف عليه مع ما لهم من المحكم بلاغ وكفاية عن النظر في المتشابه فيما اليهم
به حاجة وبالله التوفيق وقوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية في الآية حجة لنا على المعتزلة من وجوه احدها
في مسألة الاصلح انه لو لم يكن لله تعالى الا الاصلح في الدين وان ما فعل بالعباد هو الاصلح لهم في الدين
لم يكن لهذا الدعاء معنى لان الازاغة اذا كانت اصلح في الدين فهو بقوله ربنا لا تزغ يدعو بان يحجب ويمنع
الاصلح عنه وان لم يكن اصلح له في الدين فهو يدعو بان لا يجوز لان الاصلح اذا كان واجبا بحيث يصير
جائرا بتركه والله تعالى منزه عن ان يوصف بالظلم فكان الدعاء لفعل الجور والامتناع عنه يكون محالا
والله الموفق والثاني ان الداعي فيما جبل عليه الخلق على امر من ان لو رغب في اجابة الدعوة فقوله ربنا لا تزغ
قلوبنا ان لا يزيغ قلبه وكذلك في دعاء العصمة والهداية الزيغ والضلال عند لان مع اجابة دعاء العصمة
والهداية وترك الازاغة لكان لا فضل في ذلك بين الدعاء بالازاغة وترك الازاغة والدعاء بالهداية والضلالة
اذ الخوف قائم في الحالين ووجود الدعاء وعدمه سواء عندهم ولهذا امر الله تعالى بالدعاء بالهداية والعصمة
وان لا يزيغ ولما امر بدعاء ما الضلال والازاغة فدل على التفرقة بين الامرين والثالث اضاف الزيغ الى نفسه
وحرف الزيغ مذموم في الشاهد حتى اضيف الى احد يخرج مخرج الشتم له والتعيير ولا يجوز نسبة ما فيه
الذم والشتم الى الله تعالى فثبت ان ما اضيف الى الله تعالى ليس على ما يضاف الى غيره بل الازاغة من كل احد
فعل هو زيغ بنفسه وهو مذموم والازاغة من الله تعالى ليست هي فعل الزيغ بل هي خلق فعل الزيغ وخلق
فعل الزيغ ليس بزيغ وان كان الفعل زيغا فدل الآية على ان الله تعالى خالق الزيغ والضلال لكل ابعد في الآية
بيان ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء فانه وصف الله تعالى بالازاغة ووصف العبد زائغا ولا شيء يوجد
من الله تعالى سوى خلق فعل الازاغة في العبد دل ان الخلق غير المخلوق والله الموفق وقوله تعالى بعد اذ هديتنا

حجة على المعتزلة في ابطال قولهم ان الهداية من الله تعالى هو بيان طريق الحق اذ لو كان تفسير الهداية من الله تعالى
البيان لا غير لكان يصح هذا الدعاء من كل كافر اذا دعا فقال ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اذ بين الطريق
للكل بالايات السمعية والعقلية ولكان يجوز الاضافة الى الرسل فيقال الذي الدعاء لا تزغ قلوبنا بعد
ما هدانا رسلك لان ذلك لو هو جواز تلبيس طريق الحق علينا من الله وانه كفر وضلال فلما لم يصح ذلك ولم يجز
دل ان الهداية يذكر يراد بها شيء آخر سوى البيان وهو خلق فعل الهداية او التوفيق الذي معه اهتدى لا محالة
فتكون حجة لنا عليهم في مسألة خلق الافعال وبالله التوفيق وقوله تعالى وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب • فالرحمة تحتمل وجوها الهدى والاسلام اذ يستفاد آثار الرحمة من المغفرة والعفو والنجاة من
العذاب والوصول الى النعيم الدائم وتحتمل الجنة وتحتمل نعم سألوه كل رحمة وقال ابو بكر الاصم الرحمة
النعمة في الدنيا والثواب في الآخرة وانما اراد بهذا ان حقيقة الرحمة هذا الآية بكر الرحمة صفة الله تعالى عنده
حقيقة الرحمة من صفات الله تعالى وانما يراد ههنا آثار الرحمة وتحتمل هب لنا ما نستوجب به الرحمة وهو العمل
الصالح سمي رحمة لانه سبب الوصول الى الرحمة والله اعلم واطلاق اسم الوهاب على نفسه دليل على انه تعالى
في كل ما يعطي من الخيرات لعباده متفضل اذ الوهاب في اللغة اسم لمن يبذل ويعطي ما ليس عليه فعله والمعتزلة
يقولون انه يجب على الله تعالى ان يعطي الخلق كل ما هو اصلح لهم في الدين ومن اعطى ما عليه لا يكون وهابا بل
قاضيا للدين فتكون الآية تكذيبهم وترد قولهم الوحش في الاصلح تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى ربنا
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه • فيه اقرار بالايمان والبعث بعد الموت فان قال قائل كيف قال قائله
كيف قال ليوم لا ريب فيه وذلك الكتاب لا ريب فيه وقد ارتاب فيهما اكثر اهل الارض قيل يحتمل وجوه
احدها ان هذا اللفظ قد يتكلم به ويستعمل لكون المقول متيقنا عند قائله على ارادة حقا كذا لا على
نفي الشك عن كل سامعه والله تعالى خاطب العرب على ما عليه كلامهم وذا جهتهم في المحاورات فكيما هو ثابت
متحقق عنده يذكر لفظ وضع للتاكيد من غير ان اراد به الاخبار عن نفي الشك عن السامعين وهذا
كما ان لفظة الابد لما كانت مستعملة عند العرب في الامتداد وطول المدة اطلق الله تعالى لفظة
الابد في القرآن على ما هو مستعمل عندهم من غير ارادة حقيقة الابدية وكذا لما استعملوا لفظة القدم
لا على حقيقة القديم الذي يخرج عن الكون بعد ان لم يكن فيقولون بناء قديم وشيخ قديم اطلق في القرآن
على هذا انك قد تدري العرجون القديم فهذا مثله والثاني على ان لا ارتياب فيها لمن تامل المنصف المتحمل الحق
لذلك من الآيات والادلة التي من تدبر فيها ظهرت له وجعلته كالمعاين والله الموفق والثالث ان يراد به الاخبار
عن قوم مخصوصين فما كانوا يرتابون في رسوله عليه السلام في ذلك لتحقق عندهم بصدقه وحقيته لعن
برسوله انهم معاندون فلا يطمع في ايمانهم ويعرض عنهم لان المراد منه العموم وكم من عام يراد به
الخصوص والله اعلم وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد • يحتمل ان يريد ميعاد القيامة والبعث خاصة
ويحتمل ان يراد به العموم اي لا يخلف الميعاد في كل شيء مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح والسرور والحزن
والاسف فيقولون ان الله تعالى على وعده ووعيده وانه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبا عليهم وكتبه
ليصبروا على الشدائد والمصائب فلا يجزعوا عليها ولا يحزنوا وليشكروا على الالاء والنعماء ولا يفرحوا
عليها وذلك كقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا • وذلك ان الكفار كانوا يستنصرون باموالهم واولادهم في الدنيا
ويستعينون على عدوهم وظنوا انهم يستنصرون بهم في الآخرة وينالون بهم النجاة ويدفعون بهم
عن انفسهم العذاب فنزلت الآية ردا لاعتقادهم وذلك كقوله خبرا عنهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وقوله تعالى اولئك هم وقود النار • اي حطب النار وانما ذكر والله اعلم لان الانسان في الدنيا
اذا وقع في النار لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب ويسيل منه الصديد فاخبر الله تعالى ههنا انهم
يحترقون في النار في الآخرة احتراق الحطب لا احتراق الانسان في الدنيا لانه اشد بطشا واسرع اخذا واطول
احتراقا وعلى هذا يخرج قوله تعالى والله شديد العقاب ليس كعذاب الدنيا فانه على الانقضاء والنفاد بل
عذاب الآخرة على الدوام والخلود ابد الابدين فنعوذ بالله منها وقوله تعالى كداب آل فرعون • وقيل
كاشباه آل فرعون فعلى هذا آل فرعون كصنيعهم وكلاهما واحد ثم هذا يحتمل وجهين يحتمل صنيع
هؤلاء وعملهم كمثل صنيع آل فرعون ومن كان قبلهم بموسى عليه السلام في التكذيب والتعنت ويحتمل
صنيع هؤلاء فيما يوصلهم الى العذاب بالتكذيب والتعنت كصنيع اولئك دل عليه وقوله تعالى فاخذهم
الله بذنوبهم • اي بتكذيبهم الرسل وتعنتهم على انبيائهم وقوله تعالى والله شديد العقاب • وقد

دكرناه وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد • هذا والله اعلم في قوم
قد علم الله عز وجل منهم انهم لا يؤمنون ابدا لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ظهر ستغلبون
وتحشرون الى جهنم الآية والا من الكفار من اسلم فلا يلحقه هذا الوعيد فلا يكن اجرا هذا الوعيد على الاطلاق
لما يتضمن الخلق والله الموفق وقوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار • قيل الآية نزلت
في اهل بدر حيث نصرهم على اهل مكة مع قلة عددهم لتكون عبرة وآية لاولي العقول ان النصر بالله تعالى
لا بكثرة العدد وقوة الجيوش فيفزعوا اليه في كل ما نابهم من النوائب ولم يلجأوا الى غيره ولتكون آية على حقية
دين النبي عليه السلام حيث نصرهم بعونه للدين الحق فان قيل ما الآية في فئة قليلة وهي فئة اهل الاسلام في قلة
فئة كثيرة وهي فئة اهل الشرك حيث غلبت فئة المسلمين وهم قليل فئة المشركين وهم كثير ثم قد يوجد قد لا
يكون لاهل الكفر هذا في الجملة بان يكونوا قليلا فيغلبوا على اهل الاسلام وهم كثير فانى تكون هنا آية على حقية
دين الاسلام وقد يوجد مثله في حق الكفرة قيل ليست الآية والعبرة في القلة خاصة بل الوجهين لكفر
فكيف تكون آية والعبرة والله اعلم من وجوه احدها ان المسلمين مع قلة عددهم كان الضعف مستوليا على
ابدانهم لاشتغالهم بالعبادة آناء الليل والنهار مع شدة الجوع وقلة الطعام لفقرهم وما لهم آلات
الحرب من الاسلحة والدروع والادوات حتى قيل ان قاماتهم كانت تكون بالخشب والعظام والاحجار ونحوها
وهم مع ذلك ما خرجوا مستعدين للحرب في القتال بل لاخذ العير وكان المشركون مع قوة ابدانهم وكثرة
عددهم وقيام آلات الحرب خرجوا مستعدين للحرب مع علمهم بان ليس للمسلمين رجاء مدد فان لا حياة لهم
من الشر وكان غلبة المسلمين على الكفرة فانهم لم خصومهم من اعظم الآيات على حقية دينهم اذ هذا ليس مما بدل
في وسع البشر ان يفعلوا بقوة انفسهم لولا اعطاء الله تعالى اياهم زيادة شجاعة وقوة القلب وامدادهم
بالملائكة كما اخبر الله تعالى في سورة الانفال والقليل قد يكون غالبا على الكثير اذا كانوا مستعدين للحرب
ويكون لهم اسلحة وافراس والكثير في غفلة منهم غير مستعدين للحرب فاما على الوجه الذي كان اهل بدر
فغلبتهم ان تكون الآية من الله تعالى على حقية دين المنصور والله الموفق والثاني يحتمل انه اراد بالآية ما روي
في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ كفا من تراب فرماه وقال شاهت الوجوه فامتلأت اعينهم
من ذلك وعموا حتى انهزموا بسبب هذا فالانهزام بهذا الطريق يكون آية وعبرة على انه على الحق والثالث ما قيل
ان ابا جهل قال يومئذ يوم بدر فقال اللهم انصر احب دينين اليك وانصر الحق فاجعل الغلبة له والهزيمة على الآخر
فاستجيب دعاؤه فصارت الغلبة والهزيمة عليهم فكانت آية على حقية دينه عليه السلام والرابع ما اعان الملائكة
المسلمين وبعثهم الله تعالى مددا لنصرة المؤمنين على الكفرة يوم بدر كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم بالف من الملائكة الآية وهذا يكون آية والخامس يراد بالآية ما فسر بالنص وهو قوله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم رأي العين وهو ان يرى المسلمين في اعين الكفرة مثل الكفرة فيصير ذلك سببا للرعب
والخوف في قلوبهم فانهزموا وكان من اعظم الآيات وفي تكثير القليل في الاعين من الجانبين آية عظيمة اذ هي حسية
والحواس يؤدي عن المحسوسات بحقايقها فجعلها الله تعالى بحيث لا يؤدي الى ما قال ليقضي الله امرا كان مفعولا
فيحتمل ان يكون المراد بما ذكر تمام المفسرين من هذا والله اعلم ثم قرئ في بعض القراءات ترونهم مثليهم اي المعنى
بالتاء اي ترى المؤمنين اولئك الكفرة مثلي انفسهم لا اكثر وان كانت الكفرة ثلاثة امثالهم على ما روي في قصة
وهذا لان الله تعالى جعل الحق عليهم ان يقاوم واحد منهم مع الاثنين من الكفرة وحرم عليهم فرار الواحد من الاثنين
فاراهم في اعينهم مثليهم لئلا يأخذوا بالرخصة فيفروا وهذا دليل على معرفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بامور
الحرب وآدابها فان الله تعالى علمهم جميع ما يحتاجون في الحرب من الآداب وغيرها وبينه في الكتاب لقوله اذا لقيتم
فئة فاثبتوا امرهم بالتثبت وقوله فلا تولوهم الادبار وقال ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم فجعل
التنازع الواقع بينهم على خلاف بعضهم بعضا سبب الهزيمة والادبار ففي ذلك امرهم بالاجتماع وجعل التدبير
واحدا والطاعة لامامهم وغير ذلك من الآداب والله اعلم وقوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء و
البنين • وما ذكر الى آخر الآية حب الشهوات قال الحسن ما زينها الا الشيطان اذ لا احد ذم لها ولاهلها
من الله تعالى فقوله زين للناس فعل لم يسم فاعله فاقسم الحسن على ان فاعله هو الشيطان لان الله اذا ذم تعالى
قدم ذم الدنيا واهلها في كثير من المواضع فانى يستقيم اضافة التزيين اليه اذ بعيد ان يزين شيئا ثم يذمه ويستقبحه
والى هذا القول يذهب المعتزلة ولكن الاصل عندنا في هذا وفي امثالها ان الله تعالى زين هذه الاشياء وخلقها
من القلوب والتزيين من الله تعالى يقع على وجهين تزيين في الطباع وهو رغبة الطبع وميلانها الى الطبع ترغب

فيما يتلذذ دونه بشيء فما لم يكن حسنا في نفسه وتلك الرغبة والميلان بخلق الله تعالى قال الله تعالى كذلك
زينا لكل أمة عملهم وتزيين في العقول وذلك خلق الحسن والرغبة ولا يتزين الشيء في العقل إلا
ما هو حسن بنفسه أو حميد عاقبة أو حكام الآمر به ونحو ذلك قال الله تعالى حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم
وكذلك التكريه أيضا يقع على وجهين أحدهما في الطباع وهو تنفرها عن الشيء وذلك بخلق التنفر والحكم
فيها والثاني في العقول وإن كانت الطباع تميل إليها كما قال وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان إلا
جعل العقل إنما يجرا إنما يميل الطبع إليه ويرغب فيه داعيا إلى ما ينفر عنه فالطبع أبدا يرغب ويميل إلى ما
اللذة والشهوة وما خف عليه وينفر عما يضره وثوابه والعقل لا ينفر إلا عما هو القبيح في نفسه ويرغب فيما هو الحسن
نفسه وعلى ذلك خرج قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات فليس على كراهة
العقل وشهوة العقل ولكن على كراهة الطبع وشهوتها وكذلك قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم ليس
على كراهة الاختيار ولكن كراهة الطبع لأن كراهة العقل كراهة الاختيار وكذلك رغبة العقول رغبة الاختيار
وفي كراهة الاختيار ورغبة الاختيار يجري التكليف والامتحان لا في كراهة الطبع ورغبتها إذ ذلك يبطل الأمر
دليله قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما أخبر أنهم لا يؤمنون ما وجدوا في قضائه حرجا من جهة اختيار العقل لا الطبع وذكر الآية على الطاعة
والكلفة إنما يكون على اختيار العقل وكراهته لا على اختيار الطبع ونفرته وكذلك جاز عندنا التكريه
والتزيين من الله عز وجل في الطباع كما جاز التزيين والتكريه في العقول والله الموفق وتوهم أن الشيطان هو
الذي يزينها لهم فإن عنوا بذلك أنه يرغبهم إليها ويري زينتها وحسن ظاهرها فنعم كذلك وإن عنوا بذلك
أنه يزينها لهم من حيث نفسه حقيقة فإن للشيطان قدرة إحداث الحسن والتزيين فلا لأن الله تعالى
وصف الشيطان بالضعف فقال إن كيد الشيطان كان ضعيفا فلو كان له قدرة إنشاء التزيين وإحداث الحسن
كان قويا فلم يصح وصف كيده بالضعف لكنه يدعوهم إلى ما خلق الله تعالى حسنه في الطباع ويريهم ما جعله
الله تعالى مزينا عندهم فكان فعله هو الدعاء والإراءة لا الإحداث ولكن مع هذا يجب الحذر عن دعوته غاية الحذر
إذ هو يرانا ولا نراه كما قال تعالى إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فلا يتحقق الحذر عن مثل هذا العدو
إلا بالفزع إلى الله تعالى والاستعانة به ووجه آخر وهو أن الشهوات التي أضاف التزيين إليها مخلوقة لله تعالى
بلا خلاف بيننا وبينهم فإن الأجسام الشهية والجواهر الملذة بخلق الله تعالى من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة وغيرها فلم يبق للشيطان إلا الدعاء إليها والترغيب فيها فلا معنى للقسم أنه مزينها إلا الشيطان
وفيه وجه آخر وهو أنه لو لم يجعل هذه الأشياء مزينة مستحسنة من الله تعالى طبعا بل من الشيطان يبطل
معنى استدلال الشاهد بالغائب وبالدنيا على الآخرة فإن الله عز وجل جعل لطفه ما في الدنيا من نوعين نوعا
مستحسنا طبعا ونوعا مستقبحا طبعا عيانا لما وعدوا وعد في الآخرة من المرغوب والمحذور تأكيدا
للوعد والوعيد إذ لو لم يشاهدوا من جنسه في الدنيا لم يتكامل الرغبة والرهبة فلو لم يكونا جميعا منه
في الدنيا بل من صنع الاستدلال لعدم تحقق الغرض تأكيدا للوعد والوعيد فدل أن الصحيح ما قاله أهل السنة
وبالله التوفيق ثم اختلف في القناطير المقنطرة منهم من قال هي ألف ومائتا أوقية ومنهم من قال اثنا عشر ألفا
ومنهم من يقول سبعون ألف دينار ومنهم من قال هو ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقيل
كل مائة قنطار من كل شيء والقناطير المال الكثير العظيم الذي لا يدرى مقداره وليس لنا إلى معرفة قدره حاجة
وإنما الحاجة إلى معرفة الرغبة فيما كثر من المال إذ ليس قدر لحق بأن يحمل عليه الرغبة من قدر والله أعلم واختلف
في الخيل المسومة قال بعضهم هي المسيمة الراعية وهو قول ابن عباس وقال آخرون هي المعلمة وقال غيرهم المطهمة
وهي الحسنة ثم الآية إيجاب الحق والصدقة في الخيل السائمة لأن الله تعالى أوجب الحق في كل ما ذكر في الآية من النساء
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فإنه وجب عليه في النساء والبنين النفقة وأوجب في الذهب
والفضة حقا وهو الزكاة وكذا أوجب في الحرث والأنعام حقا وهو العشر والصدقة وكذا يجب أن يكون
في الخيل المسومة حقا وهو الزكاة فيكون الآية حجة بظاهرها لأبي حنيفة في إيجاب الصدقة في الخيل السائمة
والله أعلم وقوله تعالى ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب • أخبر تعالى أن جميع ما ذكر في الآية
متاع الدنيا وما عنده هو النعيم الدائم الباقي وهو الحسن في الحقيقة وابتلاهم بترك الحاضر في الآخرة
ورغبهم بترك الدنيا الأجل بالظفر بالعقبى ثم أكد الترغيب بقوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها • أخبر أن للذين اتقوا خير مما ذكر في صدر الآية
من النساء والبنين الآية في الآخرة عند ربهم وبشر الجنة بقوله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

وازواج

وأزواج مطهرة ورضوان من الله • قيل مطهرة من الأدناس والأخلاق السيئة والأقذار والعيوب كلها
وأهل الجنة مطهرون من جميع الآفات والمعايب لأن العيوب في الأشياء علم الفناء وهم خلقوا للبقاء
إلا أنه جرى الذكر بالنساء خاصة لما كان في الدنيا فيهن من المعايب والأذى وقوله تعالى والله بصير بالعباد
ظاهرهم ثم في قوله للذين اتقوا عند ربهم حجة على المعتزلة في أن صاحب الكبيرة من أهل الجنة فإنه وعد الجنة
لمن اتقى ومطلق التقوى يقع على المتقي عن الشرك وعلى المتقي عن المعاصي كلها ومن أتى بالإسلام وترك الكفر
فقد وجد منه الاتقاء عن الشرك فدخل تحت مطلق اسم التقوى ومن شرط الاتقاء عن الشرك والمعاصي كلها
فقد قيد المطلق باشتراط الاتقاء عن جميع ما يصير متقيا وذلك خلاف المطلق والله الموفق وقوله تعالى
الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • إن الله تعالى مدحهم بهذا القول ورضي
عنهم هذا القول وفيه تزكية أنفسهم بإثبات الإيمان والله تعالى نهى عن تزكية الأنفس ووصفها بالطاعة
لله تعالى والعبادة له قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ولو كان الإيمان اسما لجميع الطاعات لم يرض منهم
التزكية بالإيمان كما لم يرض التزكية بسائر الطاعات فيكون الآية حجة على من جعل الطاعات من الإيمان وفي الآية
دلالة أيضا أن إدخال الاستثناء في الإيمان باطل لأن الله تعالى رضي منهم وصف أنفسهم بالإيمان مطلقا
عن الاستثناء ولو كان الإيمان المرضي هو الإيمان المقرون بالاستثناء لما كان يرضى منهم الإيمان المطلق
فيكون الآية حجة على الشافعي في الاستثناء وقوله تعالى الصابرين • قيل الصابرين على طاعة الله تعالى
وقيل على أداء الفرائض وقيل على المرازي والمصائب والشدائد والصبر هو حبس النفس عن جميع ما تهواه
وتشتهيه وقوله تعالى والصادقين • أي الصادقين في إيمانهم وقيل الصادقين بما وعدوا وقيل الصادقين
في جميع ما يقولون ويخبرون وقوله تعالى والقانتين • وقيل القانت الخاضع وقيل المطيع وقيل المقر بالعبودية
وقيل الخاشع وكله يرجع إلى معنى واحد وأصله من القيام لغة فكأنه من قام لآخر كان مطيعا خاضعا وخاشعا
ومقرا وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى والمنفقين • قيل نفقة أموالهم في سبيل الله ويحتمل المنفقين المؤدين
حقوق بعضهم بعضا من حق القرابة والصلة وقال قتادة الصابرين الذين صبروا على طاعة الله وصبروا
عن محارمه والصادقين الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وألسنتهم وصدقوا في السر والعلانية
والمستغفرين بالأسحار • قيل المصلين بالأسحار وقيل المصلين في آخر الليل والمستغفرين في آخره
ثم الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة من أسبابها من إتيان الحسنات التي يذهبن السيئات ومن مباشرة
التوبة وهي ندامة القلب على ما مضى والعزيمة على ترك العود إلى مثله في المستقبل لا أن يقول بلسانه
أستغفر الله واغفر لي من غير ندم وعزم على ترك مثله ألا ترى إلى قول نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم
إنه كان غفارا وذلك أمر منه إياهم بالتوحيد الذي هو سبب مغفرتهم والتجاوز عنهم كما قال تعالى قل للذين
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف الآية وقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو • الشهادة من الله تعالى يحتمل وجوها
على ما تسعه عقولنا دون القطع على شيء من ذلك بالرأي أحدها الشهادة من حيث القول والكلام وهي
شهادة ربوبية بكلام نحو لا يتوهم له كيفية ولا يخطر بالبال له مائية ولا يحتمل الوصول إلى حقيقة ذلك
بالفكر والتأمل بل العقل يقصر عن الوقوف عليه إذ العقل خلق يقصر عن الإحاطة بمائية نفسه وعن إدراك
وجه قيامه بالمحل الذي ركب فيه وعن تحديد نفسه ومعرفة كيفيته مع أنه يجب جميع ما ذكرت من الكيفية
والمائية والتحديد إذ هو مخلوق محدث يجري عليه التدبير ويدخل تحت التقدير فالربوبية أحق أن يحتجب
عنها الأوهام وتكل عن توهم إدراكها الأفهام لا على مثال شهادة الخلق وكلامه غير متصف بالصوت
والحروف والجهات إذ هو صفة أزلية له لا هو ولا غيره وذاته متعال عن جميع أوصاف المحدثين وكذا صفاته
وعلى ذلك أمر تكوين الله تعالى الأشياء وخلقه إياها لا على توهم معنى يحتمله الأوهام وتدركها العقول
في الشاهد من التكوين والفعل الموجود من الخلق بل هو ربوبية تعالى عن صفات الحدث لكن نعبر بعبارة
قدرت لتحقيق المعنى في الشهادة على ما يليق به لحاجتنا إلى العبارة ليفهم بها هذه الصفة عن الله تعالى
التقريب إلى أفهام الخلق دون المشابهة في تحقيق المفهوم فإذ نشابه المحدث القديم ولم نجد عبارة
في الإخبار عن صفات الله تعالى الأزلية المتعالية عن شبه الخلق سوى العبارات الموضوعة في الخلق
فعبر بها على اعتقاد نفي التشابه والإقرار بالمخالفة ولذلك نقول في سائر صفاته من العلم والقدرة
والسمع والبصر وكذا في جميع أسمائه من الله تعالى والرحمن والرحيم وجميع ما يتعارف الخلق من أسمائه العلى
على ما يقرب المراد بها إلى الأفهام بلا تحقيق الحروف والإدخال تحت تركيب الكلام وتأليف العبارة
وهذا لأنه قائم لا لأتصور دية توجب القول بثبوت ذاته بصفاته العلى وأسمائه الحسنى وهي ملكها

من العالم المتقن المحكم بما فيه من البدايع والعجايب لكن على الوصف بالسبحانية والتنزيه عن معانى جميع العالم حتى لا يلتحق باجزاء العالم بتحقق المشابهة فى الاوصاف فيجب القول بتعطيل الله لازال الصدور ويتم قيامها حقيقة فكان ما قلنا هو التوحيد المحض والله الموفق والشهادة لامن العقل يحتمل ان يكون فى العبارة وذلك الطف وادفع للتوهم يوهم ما العمل للقلب عند ذكر الشهادة فصل حيث ليس عندنا بما يمكن الرجوع اليه احدها يحتمل ان شهادته على الهيته ونفى الهية الغير بما شهد الخلايق كلها بما فيها من آثار الصنعة وسمات الحدث التى يضطر العقول الى المحدث عند النظر والتامل فيها كما يكون اظهار المعجزات على يدى الرسل على وجه يعجز الخلايق عن اظهار مثلها شهادة منه على حقيقة دعواهم الرسالة لشهادة المعجزات على ذلك كما تعالى وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا والثانى يحتمل ان ذاته شاهد بصفاته على انه لا اله غيره اذ هو موصوف بصفات الكمال منزه عن سمات النقص متعال عن جميع معانى من سواه من المعانى التى ادخلتهم تحت اسم الموهوب وصيرت على شىء فى الحقيقة لم يعبدنا لما اقام الدلالات الصافية على ذلك كذلك عن سلب على حد شىء نفسه لا اقتران دلائله والله الموفق والثالث يحتمل شهد الله اى علم الله انه لا اله الا هو اذ كل من شهد الشى فقد علمه فعبر عنه بذلك والرابع يحتمل شهد الله اى قضى على الخلايق كلهم القول والاعتقاد بانه لا اله الا هو وامرهم بذلك فيكون الشهادة بمعنى القضاء والامر والله الموفق ونظير هذه الاية قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبى ان المراد من الصلوة من الله تعالى ما هو على ما تعرض فى موضعه ان شاء الله وقوله تعالى والملايكة واولوا العلم فشهادتهم يحتمل الوجوه التى ذكرنا ويحتمل الشهادة من حيث القول فقالوا لا اله الا الله ويحتمل ان خلقة الملايكة واولى العلم شهدت على وحدانية الله تعالى والوهيته دون غيره وانما خص الملايكة واولى العلم بهذه الشهادة وان شاركهم الخلايق كلها فى شهادة الخلقة لما انهم لما تاملوا فى انفسهم وتفكروا فيما اودع من العجايب والبدايع عرفوا ان الله تعالى بما اقام من الشهادة واقروا بوحدانيته فينتفعون بتلك الشهادة بما ضموا الى شهادة الخلقة شهادة الاختيار فاما الجهال الذين غفلوا عن النظر فى انفسهم لما اشتغلوا من الامور الدنيوية فلم يعرفوا شهادة الخلقة ليقروا بها شهادة الاختيار فلم ينتفعوا بتلك الشهادة فجعلت كانها لم تكن فى حقهم لذلك ذكر شهادة الملايكة واولى العلم والله الموفق فان قال قايل من الملحدة كيف يكون هذا شهادة وانه دعوى فيحتاج الدعوى بكلام مرجح الحجة فاقل من يجيز قام دليل صدقه بقى ان يسمى مدعيا والله تعالى اخبر بوحدانيته مع اقامة الايات على صدقه فيكون قوله شهادة لا دعوى اذ لم يعارضه احد فيما يخبر بما يعارض دلايله واياته ليتقلب خبره دعوى والله الموفق فان قيل ما الحكمة فى الجمع بين شهادته وشهادة الملايكة واولى العلم وان فى الظاهر يوهم ان شهادته على مثال شهادتهم قيل قد ذكرنا ان شهادته لا يفهم منها على الوجه الذى يضاف الى الخلق بل يفهم شهادة الله تعالى ربوبيته وحق العبد عبوديته لكن الجمع يحتمل وجهين احدهما بيان فضيلة الملايكة واولى العلم حيث قرن شهادتهم بشهادته فى الذكر كقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول نسب الخمس الى نفسه وان كان الملك فى الدنيا كلها له من حيث التخليق لبيان فضيلة هذا الملك لكونه مصروفا الى وجوه العبادة لله تعالى اذ مصرفه الفقراء وهم لا يصرفون الا لكل دفع الحاجة الحقيقية فيقوم بها القوام فيقدروا على عبادة الله تعالى او لبيان شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نفسه لما ان سهمه لا يصرف الا الى الوجه الذى تعالى فان جميع احوال النبى صلى الله عليه وسلم مصروفة الى العبادة لله تعالى من القول والعمل وكذا ما نحن فيه الاشتغال الملايكة الذين عنده ولا يفهم منه حقيقة ما يفهم من هذه اللفظة فى الشاهد وهو قرب المكان ولكن ذكر لاظهار فضيلتهم لان من كان قريبا من غيره فى الشاهد من حيث المكان كان دلالة فضيلته فعبر بذلك عنه فكذلك قال الله ام القيامة والى المصير ومصير الخلق فى جميع الاوقات والامكنة الى الله تعالى وتخصيص القيامة لهذا اما الفضل ذلك الوقت ولمعنى يختص به فكذا هذا او كان اتيانا بالشهادة منهم بامره تعالى فنسب شهادتهم اليه بحق الامر فيكون فى التقدير اخبارا عن شهادة الملايكة واولى العلم بالهيته ونفى الالهية عن غيره وهذا كما اضيف اليه كتابة الالواح كما قال وكتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة واضيف اليه نفخ جبريل الروح بقوله فنفخنا فيه من روحنا وان كان ذلك من غيره لكن لما كان بامره كانما فعله فى الاضافة اليه فهذا مثله وعلى هذا الوجه لا يكون جمعا بين شهادته وشهادتهم والله اعلم وفى الاية دلالة خلق الايمان من وجهين احدهما انه غاير بين الشهادتين حيث عطف شهادة الملايكة واولى العلم على شهادته والمعطوف غير المعطوف عليه والايمان الازلى واحد لا تغاير فيه والثانى حقق منهم الشهادة بانه لا اله الا هو كما حقق من نفسه اذ العطف يقتضى المشاركة فى الخبر الذى تم به المعطوف عليه

ولو كان ايمان العبد حكاية عن الايمان الازلى الذى هو صفة الله تعالى بمنزلة المكتوب فى المصاحف من الحروف حكاية ودلالات عن كلام الله تعالى الازلى الذى هو صفة قايمة لكان شهادة على شهادة الله تعالى بانه لا اله الا هو لا انه شهادة بنفسه على الهيته ونفى الهية غيره لكن حكى الشاهد عن كلام الشاهد فيكون ذلك شهادة على شهادة الاصل لا انه شهادة على الحق فهذا كذلك فلما اخبر الله تعالى منهم الشهادة على الهيته ونفى الهية الغير كما اخبر عن نفسه دل انهما شهادتان احديهما من الله ازلية والثانى من العبد محدثة فى وقت وجودها والله الموفق وقوله تعالى قايما بالقسط هو وصف الله تعالى بالعدل اى هو عادل لا يجور لانه يراد به حقيقة القيام وهذا كقوله تعالى قوامين بالقسط شهداء لله يعنى كونوا عادلين مقسطين فهذا مثله وقيل القيام تولى وحفظ وكفاية وتدبير كما يقال فلان قايم بامر كذا اى المتصرف فى ذلك والمتولى له لا على توهم حقيقة الانتصاب على نحو قوله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقوله تعالى لا اله الا هو العزيز الحكيم ظاهر وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام قيل فيه بوجهين احدهما ان الدين الذى هو حق من بين سائر الاديان هو الاسلام لان كل واحد منهم كان دان دينا يدعى انه هو دين الله الذى امر به فاخبر بذلك رد الى زعمهم بحقية دينهم وان الدين المامور به والثانى ان الدين الذى به الامر من الله تعالى هو الاسلام فان قيل بما ذا خص الدين المامور به بلفظ الاسلام والايمان هو الدين المامور به ايضا بقوله امنوا بالله ورسوله الاية قلنا لكون الايمان والاسلام واحدا لانهما متغايران فان كانا متغايرين لا معنى لتخصيص الدين المامور به بالاسلام والايمان دين مامور به وان كانا واحدا فلم كان ذكر بلفظ الاسلام اولى من ذكر بلفظ الايمان قيل الايمان والاسلام واحد عندنا فان الاسلام فى الحقيقة جعل كلية الاشياء لله تعالى سالمة لا شريك فيها فى ملك ولا انشاء ولا تقدير والايمان هو التصديق لله تعالى بالربوبية بشهادة كلية الاشياء لله تعالى باسرها لعينها ودينها على ما هى عليها من اثار الحدثية وخلوها عن الشركاء وقد قيل الاسلام هو الخضوع وقيل الانقياد وهو يرجع الى ما بينا ومنه قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا اخبر الله تعالى بضرب هذا المثل التفرقة بين المسلم والمشرك فالمسلم هو الذى جعل الاشياء كلها سالمة لله تعالى فى التخليق الجواهر والاعيان والاعراض كلها من الله تعالى خيرها وشرها لا كما قالت الثنوية ان خالق الخيرات هو الله تعالى وخالق الشرور والقبايح هو الشيطان وجعل العبادات كلها لله تعالى لا كما قال المشركون من العرب ان لله تعالى شركاء فى العبادة دون التخليق قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم نعتقد الشركة لا فى الذات ولا فى الصنعة وهو كونه معبودا ثم من يعتقد الشريك لله تعالى اما من حيث التخليق او من حيث استحقاق العبادة فلذا تفسير الاسلام بما ذكرنا وقيل الايمان هو التصديق لله تعالى بما اخبر انه رب كل شىء وان له الخلق والامر وقيل هو التصديق بما جاءت به الرسل عليهم السلام وذلك يرجع الى ما بينا واذا ثبت بما ذكرنا من تفسير الاسلام والايمان فيكونان شيئا واحدا لان من جعل الاشياء كلها سالمة لله تعالى ونفى شركة الغير فى التخليق والاستحقاق فقد صدق الله تعالى بما اخبر ان له كل شىء وما سواه مملوك مقهور له ومن صدق الله تعالى بهذا فقد جعل الاشياء كلها سالمة له ونفى الشركة على الاطلاق فلذا كانا واحدا فى التحقيق لكن يختلف الاسم لاختلاف الاضافة على اعتبار اعتقاد خلوص الاشياء كلها لله تعالى يسمى اسلاما وعلى اعتبار تصديق الله بما شهدت الخلائق على ربوبيته وبما اخبر هو بنفسه ايمانا والله الموفق واذا ثبت فلا انفصال عن الشبهة التى ذكرت من وجهين احدهما انه لو ذكر بلفظ الايمان لكان هذا السؤال لكل سؤال على هذا الوجه لا يستحق الجواب والثانى ان الاسلام علم الدين الحق المامور به كما قال الله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وهذا لان كل كافر لا يقر بالايمان فبعضهم مقرون بالايمان ويدعون انهم مؤمنون فاما احد من الكفرة لا يقر بالاسلام فاخبر ان الدين المامور به هو الاسلام ليعلم ان كل ما سواه الذى وصف بالاسلام من الاديان ليس بمامور به وانما سمى ايمانا بزعمهم والله اعلم وروى عن ابن عباس انه قال فى قوله شهد الله انه لا اله الا هو ان كلمة ان صلة زايدة فى الكلام وحقيقة معناه شهد الله تعالى لا اله الا هو والملايكة ومن ذكرنا ان الدين عند الله الاسلام فيكون المراد من الاية الشهادة من الله تعالى والملايكة واولى العلم بحقيقة دين الاسلام لا الشهادة على الوهيته ونفى الالوهية عن غيره والله اعلم وقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يحتمل وجهين احدهما ان يكون الاختلاف بمعنى التفرق اى تفرقوا فى الكفر كما قال ولا تفرقوا الذين اوتوا الكتاب وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا والثانى ان يراد نفس الاختلاف فى الدين لقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر وقوله تعالى الا من بعد ما جاءهم العلم اخبر انهم لم يختلفوا فى الدين

ولم يتفرقوا في الكفر عن جهل يعكلي عن علم وبيان ثم قوله من بعد ما جاءهم العلم والمعرفة اي لم يختلفوا الا بعد
ما عرفوا حقيقة حقية دين الاسلام كما قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ويحتمل العلم والمعرفة من حيث الكتاب
والايات اي لم يختلفوا الا من بعد ما اوتوا من الاسباب ما لو تفكروا وتدبروا لوقع لهم العلم والبيان بذلك لكنهم
تعنتوا وكابروا فاختلفوا ثم هذه الاية دليل على انه لا يجوز ان يفسر قوله وجاء ربك وقوله ان يأتيهم الله ونحوه بالانتقال
من مكان الى مكان ومن حال الى حال فانه ذكر مجيء العلم والعلم صفة لا يوصف بالانتقال وكذا قال وقل جاء الحق
وزهق الباطل وهما لا يوصفان بالانتقال والتحول وان كان اسم المجيء والذهاب في التعارف الانتقال فلم
يصرفا الى حقيقة الانتقال بل الى الظهور وعدمه لما لم يحتمل ذلك لقيام التلازم لتعليقه على ذلك
يجب ان لا يصرف قوله وجاء ربك واستوى على العرش الى الحقيقة من استواء الخلق ومجيئهم لتعاليه عن ذلك
لكن يحمل على ما يحتمله بطريق المجاز والله اعلم وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا بينهم لانهم طمعوا ان يبعث
الرسول من بني اسرائيل على ما بعث سائر الرسل من بني اسرائيل يعقوب وهو يعقوب عليه السلام فلما بعث
من غير بني اسرائيل حسدوه وخالفوه في دين الاسلام ويحتمل بغيا من البغي وهو الجحود وقوله تعالى ومن يكفر بآيات الله
اي من المختلفين كانه على الاضمار اي قل يا محمد من يكفر بآيات الله من بعد ما جاءه العلم والبيان فان الله سريع
الحساب اي فان الله سريع العذاب سمي به والله اعلم لان بعد الحساب عذابا وهو كقوله عليه السلام
من نوقش في الحساب عذب عذابا اي المناقشة في الحساب دليل على العذاب بعده ويحتمل سريع الحساب
اي حسابه ليس كحساب يكون بين الخلق لان الخلق يشغلهم شيء ويمنعهم موانع يحتاجون الى التفكر
والله تعالى عن ان يشغله شيء او يمنعه مانع ويحتمل حسابه سريع على الكفر لكانه قد جاء وقت الحساب
لقربه والله اعلم وقوله تعالى فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن لانه لله لا اشرك فيه احدا
ولا اجعل لغير الله فيه حقا على ما جعل الكفار اخبر الله تعالى نبيه عليه السلام ان الكفار اذا حاجوك فقل
اسلمت وجهي ولم يبين في الاية فيماذا المحاجة وترك الاخبار عن ذلك من حيث التصريح وهذا يحتمل وجهين
احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما انهم يحاجونه فيماذا فلم يبين والثاني ما في الجواب دليله وهو
قوله فقل اسلمت وجهي لله علم ان المحاجة في الدين وهذا كقوله ويسألونك ويستفتونك ويسألونك في غير موضع
على غير البيان انه عماذا وهو والله اعلم لما ادخل تحت هذا لو حقق من فهذا مثله ثم الاية في قوم قد علم الله
انهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة وقد كثرت المحاجة وظهرت الحجة وكانوا يعودون الى المحاجة مرة بعد
مرة عن تعنت وعناد فامر الله تعالى رسوله بالاعراض عن محاجتهم بقوله فقل اسلمت وجهي لله وهو
كقوله تعالى فتول عنهم وقوله فاعرض عنهم ونحو ذلك ويحتمل المحاجة في عبادة الله والاوثان لانهم
كانوا يعبدون الاصنام ويقولون نحن نعبدها ليقربونا الى الله تعالى لما يعتقدون ان لله تعالى العبادة للاوثان وقالوا بالاشراك لله تعالى
في استحقاق العبادة دون التخليق وهذا مع مشركي العرب وتأويل الاول المحاجة مع اهل الكتاب
او مع الفريقين فامر جل جلاله بما قال فقل اسلمت وجهي لله وهذا كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا
ما تعبدون الى قوله لكم دينكم ولي دين وكقوله لا حجة بيننا وبينكم الاية ونحو ذلك ثم قوله فقل اسلمت
وجهي لله اي اخلصت وجهي اي جعلت نفسي سالمة لله تعالى لا اشرك فيها احدا ولا اجعل لغير الله
فيها حقا على ما جعل الكفار بجعلهم لانفسهم شركاء واربابا والاسلام ان يجعل المرء نفسه بكليته لله تعالى
سالما لا شركة فيها لاحد ملكا ولا استحقاق عبادة كما قال سلما لرجل وهو المصدق الشهود للربوبية
في نفسه وغيره اذ ما من شيء الا وفيه شهادة الربوبية لله تعالى وقوله تعالى ومن اتبعن اي من اتبع ديني فقد
اسلموا انفسهم لله تعالى ايضا حيث لم يشركوا فيها شركاء واربابا ويحتمل وجهي لله ومن اتبعني اي اسلمت
امر ديني وعلى الله تعالى وكذلك من اتبعني اسلموا اعمالهم وامورهم كقوله وافوض امري الى الله وفي حرف ابن مسعود
ومن معي مكان قوله ومن اتبعني وقوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى والاميين
العرب الذين لا يقرؤن الكتابة ولا لهم كتاب ءاسلمتم لله كما اسلمنا وجهي لله ومن اتبعني
فان اسلموا فقد اهتدوا واخلصوا انفسهم لله واعمالهم وان تولوا فانما عليك البلاغ وهذا
كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله
عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله تعالى والله بصير بالعباد قيل هو حرف وعيد وقيل وهو بصير عن
غافل وقيل بصير بجزاء اعمالهم وقيل بصير بما اسروا وما اعلنوا وفي كل وجه وعد ووعيد وقوله تعالى ان الذين
يكفرون بآيات الله فالايات اعلام وحجج وهي انواع منها حسيات عن الخلائق في الدلالة على وحدانية الله
تعالى وهي نوعان موجود قائمة مثل السموات والارضين وما الحدث على استمرار العادة من البدائع والصنائع

على اختلاف

على اختلاف فصول السنة والثاني ما يظهر على نقض العادة خارجا عن احتمال وسع البشر عند دعاء الرسل
الرسالة ليشهد على ان الذي ارسله اليهم هو الذي تولى خلق معجزة له على صدق دعواه ليعلم بها حجة من لم يسمع
بها رسالته فتنزاح عنهم العلة ويلزم عليهم حجته ومنها السمعيات وهي التي جاءت بها الرسل في كتابهم
من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن الانباء عما لا سبيل الى الوقوف عليها الا بالتعلم بلا تقدم تعلم
او مما لا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى ليعلم ان الله تعالى هو الذي اطلعهم عليها لتكون آية لهم على صدق
دعواهم الرسالة ومنها العقليات وهي بعرض البحث عنها والنظر والتأمل في الاسباب القائمة
الموصلة الى معرفة الصانع وتوحيده وسائر صفاته والرسالة ونحوها ثم قد جعل الله تعالى هذه الايات
كلها لرسولنا صلى الله عليه وسلم فمن كفر به عليه السلام فقد كفر بهذه الايات ثم الكفر بهذه الايات
يخرج على وجهين احدهما ان يراد بالكفر بحقيقة الايات اذ هي آيات وضعت ليقام بها ما اقيمت له بواسطة
التأمل والنظر فيها ليصلوا الى التحقيق ما امتحنوا وكلفوا به فاذا لم يفعلوا مع الامكان من حيث الاسباب
وهذا من اعظم نعم الله تعالى ان يبين لنا طريق الهدى ويقيم على ذلك ايات حسية وعقلية ويعطي الالات على
التحصيل ويعد بالتيسير والتوفيق عند المجاهدة فقد اتوا بغاية الكفر بهذه النعمة فيصلي الله تعالى لمن يكفر
بهذه النعمة لما ذكر في الايات بحسنتهم ومعاندتهم والله اعلم والثاني ان يراد بالكفر والايات الكفر بمن له الايات
الا انه نسبت بها الى الايات لما بها تعلم الحقيقة كما نسب الاشياء الى اسبابها التي بها يوصل اليها فذلك
معنى الكفر بالايات والله اعلم وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق يحتمل قوله يقتلون اي يهمون و
يقصدون قتلهم وهو كقوله تعالى فان قاتلوكم فاقتلوهم انه على قصد القتل فانهم اذا قتلوا لم يقدر على
قتلهم وكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت ان تقرأ القرآن وكقوله اذا قمتم الى الصلوة
لانه اذا قام الى الصلوة وصح قيامه وصار شارعا في الصلوة لم يقدر على الطهارة بكونه فعلا لا حاجة اليه
فيفسد الصلوة او لما صح الشروع في الصلوة بالطهارة فلا معنى للامر به وكذلك الاول ويحتمل ويقتلون
النبيين اي رضوا بقتل آبائهم الانبياء عليهم السلام فاضيف ذلك اليهم لوجود الرضا منهم بذلك
على طريق الاستعارة وقيل المراد منه آباؤهم فقتلوا الانبياء بغير حق ولم يرد به اهل الكتاب الذين كانوا
في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انهم كانوا يقتلون الف نبي في كل يوم قال الشيخ ابو منصور
لا اعرف هذا فان صح النقل فهو محمول على انهم تمنوا ذلك فيكون ذلك بمنزلة القتل منهم سموا او يحتمل
انهم قتلوا كل يوم نبيا واحدا وانصاره وسموا انبياء مجازا لما كان شيء تعضهم بعضا بما بلغه من النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم امر الله تعالى رسوله عليه
السلام بان يبشرهم بعذاب اليم جزاء على صنيعهم وهذه الاية تدل على انصراف الاية الى قتل ابائهم لانه لا يصح
لا يصح ان يأمر رسوله عليه السلام بالبشارة لا بائهم بعذاب اليم وهو موتى دل ان الصحيح هو التأويل الاول
ان المراد هم اهل الكتاب الذين في عصره لكن اضافة القتل اليهم لوجود العقيدة والرضا والله اعلم ثم البشارة
المطلقة انما تستعمل في السرور والخيرات خاصة وانما تستعمل العذاب والشرور بصفة التقييد كما قيد
ههنا بقوله فبشرهم بعذاب اليم وهذه الاية تدل على ان ليست الحقائق بادنى من المجاز ولا الظاهر بادنى من
الباطن في حق وجوب الاعتقاد الا بدليل وانما يترجح في حق العمل لا غير لان اتيانا بالعمل او على الترك باشتباه
الاعتقاد مع التعارض والاحتمال القبيح فان حقيقة البشارة عند الاطلاق تستعمل في الخيرات وقد يستعمل
في الشرور والعذاب بالتقييد وكذلك نقول في سائر المواضع والله اعلم وقوله تعالى اولئك الذين حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة يحتمل وجهين يحتمل اعمالهم التي فعلوها قبل ان بعث محمد عليه السلام لانهم
كانوا على الدين الحق الا ما قد غيروا وبدلوه فلما بعث كفروا به فبطلت تلك الاعمال ويحتمل ما كان لهم من اعمال
من صلة الرحم والقرابة والصدقات فبطلت بالكفر بسلما لاقوام لها الا بالايمان والله اعلم وقوله في الدنيا
والاخرة اما في الدنيا يحمدها او يثاب بها واما في الاخرة فيثاب بها ويحتمل في الدنيا ثواب الدنيا لقوله
ما كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب قوله الم تر يتكلم به ويستعمل لاحد معنيين احدهما التعجب من الامر العظيم كقول الرجل الاخر
الم تر فلانا كيف يقول كذا وكذا يعمل كذا فيقول ذلك على طريق التعجب لعظيم ما وقع ذلك عنده والثاني
يستعمل التنبيه والتذكير واياما كان ففيه تحذير للمؤمنين عن مثل صنيعهم وهذا كقوله تعالى ولا تكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل تحذيرا للمؤمنين ان يكونوا مثل اولئك الذين اوتوا الكتاب في مخالفتهم كتابهم
وهو القرآن للمخالفة اولئك كتابهم وهو التوراة والانجيل وقوله تعالى يدعون الى كتاب الله يحتمل ان يكون

اراد بالكتاب التوراة والانجيل ليحكم بينهم • بذلك كان دعاهم ليحكم بينهم بالرجم بكتابهم لما انكروا
الحكم في ذلك في كتابه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اسلموا اهتدوا ولا تكونوا وقالوا
نحن اهدى واحق بالهدى منك وما ارسل الله رسولا بعد موسى عليه السلام فقال عليه السلام بيني
وبينكم التوراة والانجيل فانه مكتوب فيهما نعتي فكان رسول الله عليه السلام دعاهم الى التوراة ليحكم بينهم
بما في التوراة والانجيل فابوا ذلك تحرجا واشفاقا على ظهور كذبهم وذلك قوله ليحكم بينهم
ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون • وقيل اراد بالكتاب القران دعوا اليه لانه مصدق لما معهم من الكتاب
لمعرفة الموافقة بين كتابه وكتابهم فيدلهم على حقيقة دعواه الرسالة والله اعلم [illegible]
[illegible]
على التوراة واولى من القران ثم في الاية دلالة بان اهل الكتاب [illegible]
[illegible]
في قوله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات • اراد بها الايام التي عبدوا فيها العجل [illegible]
[illegible]
ما كانوا يفترون ثم خوفهم وقال فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون • وقد ذكرنا تاويل قوله لا ريب فيه فيما تقدم • قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الاية يحتمل قوله
مالك الملك وجهين [illegible]
[illegible]
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء • اي هو القادر على ايتاء الملك ونزعه [illegible]
[illegible]

وتنزع ممن كان وتذل ممن كان لانه العزيز وكذلك قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل
ان يدخل بعض هذا في هذا وهذا في هذا وذلك ان يكون الليل والنهار على الاستقامة كل واحد منهما
اثني عشر ساعة ثم ينقص من احدهما ويزاد في الاخر وعلى قول الاخفش الليل والنهار على التفاوت من الابتداء
لا ان يزاد وينقص لان الزيادة والنقصان يقتضيان اصلا معتدلا في نفسه والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في
بيان الفوائد في قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الاية كان الله تعالى امتحن من رغب
في الملك او نال الحظ منه ان يصرفوا وجه الرغبة الى الذي بيده حقيقة ما نالوه منه فيوجهوا اليه الشكر ويخضعوا
له بالعبادة والطاعة فيما امرهم به لينالوا شرفه ويتم لهم عزه ونظير ذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اخبر انه تعالى ان هذا النوع الذي رغبت فيه انفسكم ومنعتكم عن القيام
بحق الله تعالى في الدنيا انما لكم هو لكل بملك النوع الاخر وهو الاخرة فاليه اصرفوا شغلكم وتشكروا
وما خولتم لتحل لكم حكمة فانه هو الذي اعطاكم ذلك دون غيره فان الله تعالى وحمله ذلك قوله وما بكم من نعمة
فمن الله على انه تعقول فيما عليه طبع البشر والميل اليه دعاهم عقولهم ان كل شيء يؤثر انفسهم ويميل النفوس اليهم
كان الحق عليهم طلبه من عند من يوصل النعم الواجب عليهم اختيار ما يأملون فيه البلوغ الى ذلك من
انواع الحيل التي تقربهم الى المخلة بلزوم امر الملك ولذلك الدنيا ان يطلب من عند من يوصلهم الى ذلك
هو الذي خلقها ومالك التصرف فيها كيف يشاء وعند تقرر في قلوب العقلاء وجود ذلك اعني الملك
ولذات الدنيا وزهد العيش لقوم لو كان ينال ذلك بالتدبير وحسن السياسة ولذة طلبه ذلك من
الوجوه التي يطلب بها البشر لم يكونوا بنيل ذلك والظفر به احق من غيرهم بل كان غيرهم ممن حرموا ذلك منهم
احق واولى ان يكونوا في استحقاق ذلك مستوعا واصلا من الذين نالوه ليعلم ان الذي يملك دفع
ذلك الى الملك ولذات الدنيا الا من جعل البعض يصرف الى طلبه كدحهم وجهدهم واعلى ذلك شغلهم وسعيهم
هو الذي يجب صرف الرغبة اليه والقيام بشكره وان له في كل امر البشر اية عظيمة وعلامة لطيفة على توحيده
بكونه مالكا بجميع ذلك وعلى توحده بالتدبير فيجتمع فيعطي من جهل التدبير ويحرم من يدعي الكياسة
والتدبير فيكون دلالة على وحدانيته فيبطل به قول الثنوية الملحدة وبهذا يبطل قول المعتزلة ان الملك
الذي نال الجبابرة والسعة التي تصل الى الكفرة لم يكن نالوه بتقدير الله ولا وصلوا اليه بتدبيره فان
من مناقضة في مسالة الاصلح لانهم يقولون بان الاصلح في الدين واجب على الله تعالى من حيث الحكمة
فلزمهم ان الله تعالى اعطى الملك الجبابرة والكفرة وذلك مفسدة لهم في الدين لا مصلحة فانكروا ذلك و
قالوا ان الله تعالى ما اعطاهم ذلك بل هم الذين اكتسبوا الملك بانفسهم بطريق الباطل ولو كان ذلك لابائه
كان يجب ان يحرم منه الاحمق الضعيف وكان لا يناله الا من ليس بضعيف في القوة والتدبير وقد نرى على هذه
بطلان الامر بخلافه وظهر بطلان قولهم على ان قولهم هذا خلاف النص وهو قوله تؤتي الملك من تشاء
فيه اظهار كمال العدل حيث تؤتي الملك من تشاء والمعتزلة يقولون ليس له قدرة اعطاء الملك للكافر
وهذا خلاف النص فان قالوا اراد بالملك الدين الحق فيقول هذا خلاف الظاهر وانه لا يدفع الالزام فانه
اخبر ايضا انه تنزع الملك ممن تشاء ولو كان المراد هو الدين الحق لم يكن نزع الدين من الاصلح في شيء بيناه
قد يفعل بعباده ما هو الاصلح لهم في الدين وقد يفعل ما هو خلاف الاصلح في الدين لكن لا يفعل الا ما هو
الحكمة وفي اعطاء النعم الكفرة والجبابرة حكمة بالغة وهو ان يلزمهم به لزوم الحجة ولزوم الشكر وهي سعة
ان يبلو عباده بالحسنات والسيئات كما قال عز وجل لقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون وحكمته ان الدنيا دار محنة ومكان ابتلاء فليس الذي يعطي منه على الاستحقاق ولا الذي
يمنع منه على العقوبة بل النعم التي تعطي للابتلاء بها ابتلاء الشكر فيثاب على ترك الشكر ليعاقب والنقم والبلايا
التي تقع للابتلاء بها ابتلاء الصبر فيثاب على الجزع ليعاقب ان احتمل المنع والترفع لذلك ولكن له المحنة والمحنة
اكثرها على مخالفة الاهواء وتحمل المكاره لكن قد يكون على اعطاء ما يعظم في الانفس والتمكين في الامن
والعز ليخضعوا لمن ابتلى بالامتنان بعد التناول بها لله تعالى والرغبة فيمن له حقيقة ملك كل شيء وانيل الحي
انواع التعزيز والخادعات من حيث التحقيق والله اعلم على ذلك قوله تعالى ان اتاه الله الملك اخبر انه اتى الملك للذي حاج
ابراهيم من الكفار ولا يصح قول المعتزلة ان الهاء في قوله ان اتاه الله تنصرف الى ابراهيم لانه لو كان الهاء اتاه
الملك ابراهيم عليه السلام لم يكن يحاجه في ذلك الكافر على تلك المعارضة قوله انا احيي واميت ولم يكن له قدرة
ان يقتل رجلا بين يديه ولا قوة الا بالله ثم قول المعتزلة ان الله تعالى انما اتى الملك اولياءه وينزع عن اعدائه
فالجملة وان الذي يرى من الكفرة من الملك والسلطنة تغلب اصابوها بقوة انفسهم من غير ارادة الله تعالى

ومشيته تناقض ما تلوها من الآية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء فان كان هذا البيان قدرته
وسلطانه وكمال ملكه واني يتضح هذا لمن كان الوجود صفته اذ حيث يجهد العبد على تحصيل الملك
والسلطنة لنفسه من غير مشية الله وارادته وهو لا يقدر على النزع من يد ما تظن المعتزلة ان المجوس
تظفر بما يوجب الشبه في حجج التوحيد باوضح مما اغلطتهم المعتزلة بهذا القول لان الكفرة هم الذين
يجحدون ان الملك والسلطة لانفسهم لا لله تعالى وعقدا رد زعمهم عن ذلك انه لا يصلح في الدين هذا وقد
تحقق مراد الكفرة ولم يتم من الله تعالى او تمكينهم من الظفر في نقض ما ادعت الموحدة من علو الرب وعزه وجلاله
بابلغ مما لقنتهم المعتزلة بما التبست قلوب الموقنين واستترت ببستره ثم اغلطت الملحدة هذا لنطقوا انهم نقض
ما به نقض التوحيد ونعم حجج اهله جل الله عما وصفته الملحدة وتعالى اياه العصمة والنجاة وقد سبق المجوس(؟) ابليس
لعنه الله بما اغلطتهم المعتزلة ولقن الكفرة حتى كانوا بمثله يحتجون فيظنون انهم احق بالنبوة من الرسل بما اعطوا
من الملك والثروة في الدنيا كما اخبر عنهم في كثير من المواضع فظنوا انهم اجل عند الله وارفع في المنزلة منهم لما ذكرتم(؟)
بالرسالة عليهم السلام فتبين بهذه الجملة انه يجب القول بتحقيق حقائق النعم لله تعالى فان كل من نال من الملك
والعز والشرف به نال كرامته اصاب بشطر الشكر له فيما اصاب وتزيد الرغبة فيما يطمع من الزيادة والمعتزلة(؟) ان امت
انا لقد الشيء من الله تعالى ليس بلو اغنتهم ما الزمهم من الشكر له والطاعة لمن نعمته الله اليهم من ذلك انه تعالى قال ترى من
في الدين والدنيا ولا قوة الا بالله ثم فرحوا له تعالى • تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي • وفي ذلك وجوه من الادلة احدها انا نعلم ان الله تعالى فيما يخلق لا يخلق على معونة الاسباب
وتولد الطبايع لان الاسباب تكون في موضع لا اشكال والاجناس فيكون النوع من القطن كالثوب من الخشب(؟)
وكذا الطبايع تولد التي في جوهرها ان الشيء عن الحار يولد الحرارة والبارد يولد البرودة فبين الله تعالى الاشياء
على احوال التضاد دون التجانس وهو اخراج الحي من الميت وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل على ما قام(؟) التضاد
بين الحياة والموت والمخالفة بين الليل والنهار ليعلم انه القادر على اختراع ما شاء من شاء
بلا معونة من ذلك ولا تعليم ولا قوة الا بالله والوجه الثاني انه يجري بعقد بذلك على ما لا تفاوت فيه الا خلاف(؟)
مع اختلاف الاحوال والازمان كما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ليعلم انه سواء على التدبير حكمة على ذلك
العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر وليعلم ان الذي يقتدر على ذلك واحد اذ لو اختلف لاتناقض(؟)
ولو كان من اثنين مع اختلاف الراي لتبشع الغرض ما انتضوب الاتساق على وجه احد والله اعلم والثالث انه
تصير كل جوهر باختلاف الاحوال انه لم يكن فقط وكان ذو نقله اثر كالنطفة اذا صارت علقة لم يبق من اثار النطفة
فيها شيء ونحو ذلك وكذلك الليل والنهار يذهب احدهما بمجيء الاخر حتى لا يبقى اثار الاول ثم يرده الى الصفة
الاول ثم يرده الى الوصف الاول الذي كان بحيث كانه لا يفوته منه شيء حتى لا سبيل الى العلم بالتفصيل بين الماضي(؟)
والغايب ليعلم بذلك قدرته على البعث واعادة الاجسام الرميمة الى حالتها الاولى بعدما تفنيت كل الاجزاء
والاثار تعالى ولا قوة الا بالله وايضا انه اذ بني الامر على ما فيه من عظيم الحكمة وعجيب التدبير لم يجز ان يكون فعله
خارجا على البعث ثم نعم المحنة والتكليف وابطال الرسالة في تعليم ما في ذلك من الحكمة وما لزم لكان في ذلك
التدبير من الشكر والمعرفة ثم من الترغيب فيما مهدت من النعمة والترهيب عما غيره من النقمة ابطال الحكمة و
العالم مما ذكرت على البعث وذلك فاسد في العقول فوجب في الجواهر عظيم حكمه منشيا لتحصيل ذلك(؟)
العبادة والرسالة والجزا بجمعها ولا قوة الا بالله وقوله تعالى تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قيل
يخرج حي الافعال من ميت الافعال وميت الافعال من حي الافعال وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
على ما سمى الله الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القرآن وقيل يخرج حي الجوهر من ميت الجوهر وميت الجوهر
من حي الجوهر وقيل يخرج الحي من المني ويخرج المني من الحي وقيل البيضة من الحي والحي من البيضة وقيل النخلة من
النواة والنواة من النخلة والحب من السنبلة والسنبلة من الحبة وقوله تعالى وترزق من تشاء بغير
حساب • قيل بغير حساب يعرف الخلق عدده ومقداره فاما هو معلوم القدر عند الله تعالى وقيل بغير
تبعة ولا طلبة اي لا يحاسبهم فيما اعطاهم من بعد ما اعطاهم ويحتمل بغير حساب اي لا يعطيهم حسب
اعمالهم ومقدارها ولكن يتفضل عليهم على ما يشاء بخلاف العذاب المستحق على المعاصي حيث يكون على قدر
الاعمال من غير زيادة اذ هو ظلم والله تعالى موصوف بالفضل والعدل متعال عن الجور والله اعلم وقوله تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين • يحتمل وجهين احدهما اي لا يكونون اولياء للكفرة وان اتخذوهم
اولياء بل هم لهم اعداء حقيقة وهذا كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله الاية والثاني على النهي اي لا يتخذ عدوي
وعدوكم اولياء وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لكنه نهي مغايبة ولهذا كثير عند النحويين(؟) على ما …

في اللغة

في اللغة ان الساكن يحرك الى الكسر وعلى التاويل الاول لحضر يجب ان يقرأ بالرفع وقوله تعالى ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء • اي ليس في ولاية ولا دين قاله الكلبي وقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة • اختلف فيه
قيل الا ان يكون بينكم وبينه قرابة ورحم فيصلونها لحمهم من غير ان يتولوهم في دينهم على ما جاء عن امير المؤمنين
علي رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اماتك ابوك ان عمك الضال توفي فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذهب فواره ويحتمل قوله الا ان تتقوا على انفسكم منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم فتظهرون لهم ذلك
مخافة الهلاك وقلوبكم على خلاف ذلك وعن ابن عباس التقية الكلام باللسان وقلبه مطمئن بالايمان وقوله تعالى
ويحذركم الله نفسه • اي عقوبته وقيل نقمته يقول الرجل لاخر احذر فلانا انما يريد نقمته وبوايقه فعلى هذا
معناه ويحذركم الله نفسه اي عقوبته وبوايقه التي تكون من نفسه لما تكون العقوبة به لا بغيره والله اعلم
وقوله تعالى والى الله المصير • وعيد وقوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله • فيه اخبار انه
في قلوبكم سشيكم(؟) ذلك الشيء يحتمل ان يكون ما تخفوا من ولاية الكفار وتبدوه فيعلمه الله ويحتمل ان يكون
المراد جميع ما تخفون وما تبدون كما لا ترى وقوله تعالى ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير •
وقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا • قيل تجد ثواب ما عملت من خير حاضرا لا تفنى العمل
الذي قد فني وتلاشى لان عمله انما يكون للثواب لا للنفس العمل ويحتمل ما عملت من خير تجده مكتوبا والجزاء به
النعيم في الجنة وقوله تعالى وما عملت من سوء تود • يحتمل عقاب ما عملت من سوء ويحتمل من سوء تجده مكتوبا
يتجاوز عنه لان الله تعالى وعد للمؤمنين والجميع لهم قبول حسناتهم والتجاوز عن سيئاتهم بقوله اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا او تجاوز عن
مساويه واما الكافر فيجد عقاب ما عمل من سوء في الدنيا ولا يتجاوز عن سيئاتهم وتبطل حسناتهم لقوله
ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقوله تعالى تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا • تقول ما من
نفس مؤمنة ولا كافرة الا وود المعيب بعذبه(؟) وانه لم يكن قيل بعيدا من حيث لا يرى وقيل بعيدا تود ان لم تكن
وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد • قال الشيخ ابو منصور رحمه الله الرافة والرحمة
من الله تعالى نوعان احدهما في حق الابتداء ان خلق خلقا ركب فيهم ما يميزون به من مختلف الامور ويجمعون
بين المؤتلف ثم لم يواخذ كلا منهم بما استحق من العقوبة بل رحم عليه وامهل للتوبة والرجوع اليه وهذه
رحمة عامة لا يخلو عنها والثاني رحمة في حق الجزاء من التجاوز والمغفرة وايجاب الثواب للفضل وهذه
لا ينالها اعداؤه لما يوجب التجهيل في التفريق بين الذي جعل في العقول التفريق فان التفريق بين المحسن
والمسيء من موجب العقل وقد تاكد بالسمع بقوله ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون وفيما يكون في ذلك وضع الاحسان في غير اهله والاكرام لا لمن لا يعرف المكرم به ولا الحكمة
تعذيبهم نحو بقا وزجرا عما اختاروه ثم ينال هذه الرحمة من عرف من اعتقد موالاته وكان هو اعظم في قلوبهم
من كل شيء وطاعته من جميع لذات الدنيا وان كانوا يتلونا بالمعاصي على الجهالة او على الغلبة غلبة شهوة او غلبة
حمية او على رجاء المغفرة والعفو نحو كذلك في شرطهم الذي به ما لو فان شرط الايمان ان يكون المؤمن على
الخوف والرجاء فهذه رحمة خاصة بالمؤمنين الذين بذلوا انفسهم له بالعبودية بحق الاختيار مع كونهم عبيدا
لخلقته وانكانوا يسكنون على ذلك في الحال وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • قيل ان ناسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون
انا نحب الله حبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الاية وبين فيها المحبة علما وهو اتباع الرسول وطاعته وقيل
ان اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فانزل الله قل يا محمد لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وذلك ان
من احب ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في امره ونهيه طاعته المحبة وقد عرفتم اني رسوله بما وجدتم
نعتي في كتابكم فاذا اظهرتم انتم بغضكم لرسوله وتركتم اتباعه في امره وما تبان طاعته ظهر انكم تكذبون
في مقالتكم نحن ابناء الله واحباؤه لان من احب اخر يحب المتصلين به ورسله وحقيقة المحبة ههنا الايثار
بالعقل طاعة من يحبه فيما يحبه ويكرهه فيما يكرهه وقوله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان
الله لا يحب الكافرين • ظاهر وقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين
قيل اختارهم لرسالته ونبوته اي جعلهم صافيا من غير كدر بالدنيا وقيل اختارهم لدينه وهو الاسلام و
اختارهم غيرهم لامرين لامر الاخرة ولامر المعاش لان الله تعالى جعل عليهم السلام ما يعشر الانبياء لانهم…
صدقة تموت موت العبد لسيده وقيل اختارهم في النية بالعمل الصالح والاخلاص له تعالى وقيل
في الال قيل ال الرجل المتصلون به وقيل اقرباؤه وروي انه قال كل مومن تقي هو الي وقيل ان عمران هو …

بن داود وهو عمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى عليه السلام وليست بمريم اخت موسى وبين عمران بن ماثان وبين
عمران ابي موسى الف وثمانمائة سنة وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم • قيل بعضها
من بعض في النسب من ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابرهيم وقيل بعضها من جوهر بعض فلا تكرر وهو
لقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض مع الحر العظيم على الامة واشار الى اتحاد الجوهر وهو التراب ونحوه وقيل
بعضهم من ذرية بعض واختلف في الذرية قال بعضهم الذرية الاولاد والاباء لقوله ذرية من حملنا مع نوح
وكانوا الاباء والاولاد والذرية ماخوذ من ذرا يذرا وخلق فمعناه مخلوق بعضها من بعض وقيل الذرية الاولاد
خاصة يقال ذرية فلان اي اولاده دليله قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله واني اعيذها بك
وذريتها والله اعلم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله ان الله اصطفى ومن ذكر معه ان الله علم ذكر اولياءه واهل صفوته
ثم اعداءه واهل الشقاء اذ هما المراد سواء في احتمال البشرية وبعمهما باسبابهما اهل التكليف ومحل الا
الخلقة والجوهر ليعلم ان الفضل والشرف لا بنفس الخلقة والجوهر كما ظنه ابليس حتى قال انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين وكذلك ما وفق الله تعالى لاهل صفوته ليعرفوا باختيارهم ما هو طاعة لهم
رضا مولاهم وعلى ذلك ذكر وجه عواقب الفريقين في الدنيا وما اليه يصير امرهم في المعاد وعلى هذا ما ضرب الله
تعالى من الامثال بانواع الجواهر الطيبة والخبيثة والعقول والطبائع ترغيبا وترهيبا في العمل الصالح والامتناع
عن السوء وعلى هذا جميع امور الدنيا انها كلها عبر وعظة اذ كان فيها شهوات ولذات والام واوجاع ثم لم
ان لم تخلق لاهلها لكن لامر عظيم كان ذلك هو المقصود من جعل الله ارادة العواقب بما اهل الاختيار وبعد
فجعل الله تعالى عواقب الحكماء واهل الاحسان حميدة ولذيذة ترغيبا فيها وعواقب السفهاء واهل الاساءة
ذميمة وخيمة تزهيدا فيها لتخرج جميع فعل الله على الحكمة والاحسان واذ كانت مختلفة في اللذة والالم
لانه لا بد لتطرق الحكمة في الجزاء والابتداء المختلفة لان المحنة تكون مختلفة والجزاء متنوع لما فيه كل ذلك في الحكمة
والاحسان اذ كذلك يستحق اهل الاختيار والجزاء على ما اختاره من ذلك وفعل بحكمة واحسانا عن الا
فلما يجوز الامتحان بالاخر دخل الحق الشكر لما اولى وابدى والحكمة فيما كان لا زمام ذلك في التدبير ولا قوة الا بالله
وقوله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا • الاية لما اخبر الله تعالى انه اصطفى
آل عمران واختارهم على سائر العالمين بين ان قبل ما كان من صفوته واختياره اياه ان قالت امرأة عمران اني
جعلت ما في بطنها محررا والمحرر قيل هو الذي تعبد لله خالصا مطيعا له لا تشغله شيء عن عبادة ربه
فارغا لذلك وهو قول ابن عباس وقيل المحرر هو الذي يكون لله خالصا وقيل المحرر هو العتق عن الماتي بالعبادة
وقيل المحرر هو من خدم المسجد ثم قوله تعالى حين عن امرأة عمران اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت ما
في بطنها لك تعالى خالصا لم تطلب منه لا استيناسا به ولا ما يطمع الناس في الاولاد وهو ذلك من آثار الاصطفاء
الذي ذكر في آل عمران وهو الواجب على كل عاقل ان يطلب النسل للوجه الذي طلبت امرأة عمران بعد ما قال زكريا
هب لي من لدنك ذرية طيبة وقول ابرهيم رب هب لي من الصالحين ومدح الله عز وجل اقواما يدعون بقوله
فقال اخبر عنهم والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما
هكذا الواجب ان تطلب النسل لا كما يطلب الجهال للاستيناس والاستنصار والاستعانة بهم
في امور المعاش وقوله تعالى فتقبل مني انك انت السميع العليم • اي تقبل مني قرباني فيما جعلت لك خالصا
انك انت السميع لنذري العليم بقصدي من التحرير وقيل السميع المجيب لدعائي العليم الذي بنيتي وفي الاية
دلالة جواز تحرير ما في بطنها محررا بطريق الاولى لان الولد اذا خرج من البطن يصير بحيث يجوز فيه العتق
بلا خلاف وقيل الولادة موصوف بالحياة والرق وكان قابله لصفة العتق والنعت نذرت بتحريرها لا تصلح
للخدمة والعبادة لله تعالى عندما وضعت فلما جاز النذر به وجاز ان يجرى وقت صلاحية التحرير التحرير الذي
كان في البطن كان ذا حرفان يقع العتق ههنا وهو قابل له في البطن وفي هذه الاية تقوية لمذهب
ابي حنيفة فيمن قال اول ولد تلده فهو حر ان الشرط لما كان ولادة ولد مطلق فيتقيد بولادة ولد حي كونه
قابلا للجزاء وهو التحرير دون المطلق فانها اضافت النذر الى ما في بطنها مطلقا ثم لم يقع النذر على المطلق
بل بقيد الغلام الذي تصلح التحرير المشروع في ذلك الوقت حتى اعتذرت بقولها اني وضعتها انثى وكذا
قال وليس الذكر كالانثى وقوله تعالى فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى • فان قيل لما معنى قولها اني
وضعتها انثى وهي كانت تعلم ان الله تعالى عالم بما في بطنها وبما وضعت قيل من وجهين احدهما اعتذار انه لا
لها وانها نذرتها بناء على الظاهر انه يذكر للمحرر في ذلك الزمان الا الذكور من الاولاد فاعتذرت بانها وضعت

لايصلح

لا يصلح للوجه الذي جعلت والثاني ان الانسان اذا رأى شيئا عجيبا قد ينطق بالتسبيح كان يعلم ان غيره
علم به مثل ما علم هو وانه رأى مثل ما رأى هو فان من استحضر شيئا واخذ في الاخبار به من يرى مثله من العظم
فالغالب انه يعود لصاحبه ما يرى انه يستحق بمثلي مع علمه بان صاحبه قد وقف على ذلك بالمشاهدة
فلذلك ههنا مع علمها بانه يعلم ايقن غرضها من حيث ظاهر الحال ان الذكر لما كانت ترجو منه دعائها لذلك
والله اعلم ويحتمل ايضا انها تقول رب اني وضعتها انثى طلبت ردها الى مناضها التي تكون سائر الاولاد
اذ الانثى لا تصلح للتحرير الذي قصدت وقد اضافت النذر الى ما في بطنها واحتمل الصفة النذر بقوله انها
قام فتكون ذلك استيذانا من الله تعالى لردها الى ما يخلق لها سائر الاولاد ولتكون على يقين من ذلك السؤال
ويحتمل ايضا قولها اني وضعتها انثى تعرض منها الاجابة الله تعالى فيما قصدت من طاعته بالنذر وان لم تكن
صلحت لما قصدت رجاء التفضل من الله تعالى في القبول وقد قارن بالاجابة كما قال فتقبلها ربها بقبول
حسن ونحو ما يتقبل لو كان ذكرا في الاحسان والاكرام وجعلها خير نساء العالمين وقوله تعالى وليس الذكر
كالانثى • اختلف فيه قيل ان ذلك من قولها قالت وليس الذكر كالانثى على اثر قولها اني وضعتها انثى معتذرة
بها لا تصلح للخدمة بيت المقدس والسدانة مثل ما يصلح الذكر من وجهين احدهما ان لا يجوز ان يخالط الا
بالرجال والثاني ان الانثى يحتاج الى فضل حفظ وتعاهد وقيل باسبابها ما لا يحتاج الذكر والثاني ان الانثى تحيض
في كل شهر مدة من الايام بحيث تمنع عن اقتراب المسجد وعن عبادة الرب جل جلاله وليس الانثى كالذكر في الخدمة
والله اعلم وقيل ان ذلك قوله قال الله تعالى لما قالت رب اني وضعتها انثى جوابا لها وليس الذكر كالانثى فيما قصدت
لكن جعلنا صالحة لذلك وتقبلها منك الحاقا لعرم الموكدا المحقق والله اعلم بذلك وقوله تعالى واني
سميتها مريم • دلالة ان تسمية الاولاد الى الامهات في الشريعة دون الاباء وقوله تعالى واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم • اي التجأت الى الله استعاذت لتحفظها وذريتها من وساوس الشيطان
وفيه دلالة ان الذرية تقع على الواحد وان الذكور يكون من ذريتها الا عيسى
وقوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن • يحتمل قوله هو اعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم ويحتمل
قبولها من جعلها صالحة للتحرير بعدما تصدقت من السدانة والخدمة لبيت المقدس والتخلص لعبادة الله تعالى
واذ كانت انثى ولم يكن الانثى من قبل يتقبل في هذا الامر فلها الكرامة امرأة عمران والله اعلم وقوله تعالى
وانبتها نباتا حسنا • يحتمل نباتا حسنا اي لم يجعل للشيطان اليها سبيلا ويحتمل انه رباها تربية
حسنة اي لم يجعل رزقها وكفايتها بيد احد من الخلق بل هو الذي تولى ذلك كما قال كلما دخل عليها
زكريا المحراب وجد عندها رزقا وذلك بقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
وقوله تعالى وكفلها زكريا قرئ بالتخفيف والتشديد فمن قرأ بالتخفيف فمعناه ضمها زكريا الى نفسه ومن
قرأ بالتشديد فمعناه ان الله تعالى ضمها الى زكريا واختلفوا لما سأل انها لمن تكون قال زكريا انا احق بها
لان خالتها تحتي وقال بعضهم تقترع فلان اي من علت في الماء احدها فاقترعوا بالاقلام فسقطت
اقلامهم مع الجرية وصعد قلم زكريا مع الجرية فاخذها وضمها الى نفسه ثم انما خرجت القرعة لزكريا والله اعلم
لانه كان احق بحفظها من وجوه ثلاثة احدها انه كان من اقربائها من قبل امها والثاني انه زوج خالتها
فكانت الخالة اولى بامساكها من غيرها والثالث انه كان نبيا فهو اولى بها ثم الاية دلت على عصمة الانبياء
من الوقوع في الكبائر لانه كفلها زكريا دفعا للتهمة عنها بان تطعن وتقذف بما يكون في بيت من ليس بنبي ولو لم يكن
زكريا معصوما عن اسباب السيئ والطعن وعن محلة المعاصي لم يندفع الطعن فدل على عصمتهم من الكبائر
وفي الاية دلالة ان الاخيار والانبياء مما يجب صيانتهم عن اسباب الطعن فانه لا يجوز ان يكون فيهم طعن
من قبل آبائهم ولا انهم خصصا نفسهم عن شبهة الطعن بتكفل من عرف بالنبوة في زمانه تطهيرا لعيسى عليه السلام
عن الطعن والله اعلم وقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا • فاكهة الصيف في الشتاء
وفاكهة الشتاء في الصيف وقوله تعالى حين عن زكريا يا مريم انى لك هذا • قيل انى من اين لك استخبار
عن موضعه وقيل كيف لك هذا على الاستعظام وصفته ما هي وقيل انما قال ذلك انكارا عليها لانها
لما كان لا يدخل عليها غيره ولا يقوم بكفايتها سواه فوقع في قلبه ان احدا من البشر اتاها وقيل انه قال
ذلك تعجبا لما رأى الفاكهة والطعام من غير حينه من غير منعة فقال انى لك تعجبا لذلك قالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي يرزق من حيث لا يحتسب وهو كقوله ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه • قيل من ذلك طمع حصول الولد في
الكبر وقد كانت نفسه تحدث بان يهب الله تعالى له ولدا سأل الذكر والامر الى قيام الشيخوخة لكنه لم يكن

مراعاة للادب اذ الادب ان لا يدعو المرء من الله تعالى الا ما هو معتاد الوجود فيما بين الخلق دون ما هو نادر الوقوع او خلاف المعتاد وان كان احداث الكل تحت قدرة الله وهو من اعلم الناس بقدرة الله تعالى وهو نبي كان يرى نفسه متغيرة عن الحالة التي يطمع من مثله الولد وامراته على الحالة التي لا يطمع من مثلها الولد لم يكن يقدم على الدعاء واكتفى لحاله اذ راى عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف على حالها وان ذلك على نقض العادة فاستدل بذلك على نقض العادة وكان ذلك داعيا له الى اظهار ما لم يحدث نفسه من سؤال هبة الولد من الله فذلك معنى قوله هنالك دعا زكريا ربه والله اعلم ويحتمل انه لما راى ما اكرمت امراة عمران في قبول دعوتها وتبليغ بنتها في الكرامة المبلغ الذي راى فيها مما لعل اطماع الانفس لا يبلغ ذلك دعا الله تعالى ان يكرمه بولد صالح يبقى اثره وذكره وان كانت تلك الحالة حالة لا يطمع الانفس فيها لما يحب هو صلى الله عليه وسلم وكان عالما من قدرة الله تعالى على كرامه بما يحدث نفسه من هبة الولد لكنه لم يجسر على طلب الاكرام بكل ما يدخل تحت قدرة الله تعالى فلما راى ما هو في الاعجوبة قريب مما كانت في نفسه تمنى اقدم على السؤال والله اعلم وقوله تعالى قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء اي مجيب الدعاء وقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب اي في موضع الصلوة وهو بيت المقدس وقيل حقيقة المحراب الذي في المسجد وهذا يدل على ان المحراب موضع الصلوة وقوله تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وهذه الاية تدل على ان خبر الرسول بخبر بشره من غيره كان على الملائكة تكون بشارة من الله لا من الرسول حتى يضاف الله تعالى البشارة الى نفسه وان كانت على لسان الملائكة فيكون الاية دلالة على قول اصحابنا في الرجل اذا حلف لا يبشر فلانا فارسل اليه عبده يبشره يحنث في يمينه لانه هو المبشر وان كان المودي غيره بخلاف الوكيل وقيل اسم يحيى اشتق من الحي من اسماء الله تعالى يحيى اكراما كما سمى الله تعالى عيسى مسيحا وكما سمى ابرهيم خليل الله وموسى كليم الله ومحمد حبيب الله اكراما واجلالا لا ان لهم فيها مثله وقيل سماه به لما حيي به الذين معه المروة او لحياته العلم والحكمة ويجوز ان سماه يحيى بما يحيى به الاخلاق الحميدة والافعال المرضية ويجوز ان يسمى به لاحيائه العلوم الشرعية والاخلاق الفاضلة بالحكمة وليس لنا ان نتكلف طلب المعنى فيما سمى الله تعالى كما في سائر اسماء الاعيان والجواهر في اللغات اذ الاسماء للتعريف والاعلام لكن يجب ان يختار الاسماء الحسنة في السمع على طريق التفال لا على الرغبة فيذكر ان المسمى متى سمى باسم حسن ينبئ عن معنى محمود حملها على المسمى متى تامل بعقله انه خلق عن هذا الاسم معنى تحمله ذلك على تحقق ذلك المعنى لتكون للاسم اثر في حسن التسمية ومعنى وكان اختيار الاسم الحسن في الاولاد مندوبا وبالله التوفيق وقوله تعالى مصدقا بكلمة من الله قيل المراد بكلمة عيسى عليه السلام سماه كلمة من الله لانه تكون بقوله كن من غير مقدمة سبب من البشر يكون عنه وهي عبارة منسوبة الى الله تعالى وان كان كلام الله تعالى ليس بحرف لانه دال على كلام الله تعالى بشر زكريا انه يكون مصدق رسالة عيسى عليه السلام وقيل ان اول من صدق عيسى يحيى بن زكريا ثم النصارى تعلقت بهذه التسمية في تسميتهم عيسى ابن الله فان الله قال الكلمة من الله وقال في موضع روح منه وكلمة من في موضع اللغة للتبعيض وذكر هنا كيما يكون منه على طريق التولد لكن ذكر على طريق الاكرام والتشريف وكذلك كقوله وما بكم من نعمة فمن الله اي من تخليقه واعطائه اياكم لا على ما توهمه النصارى وكذا قوله روح الله وكلمته كقوله خليل الله وحبيب الله وكليم الله ليس على توهم معنى يرد معنى الخلقة ويوجب معنى الربوبية فهنا مثله والله الموفق وقوله تعالى وسيدا قيل وسيدا في العلم والعبادة وقيل السيد الحكيم ههنا وقيل السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه وكذلك يحيى عليه السلام فانه قيل لم يعص ولم يهم بمعصيته قط وقيل السيد الحسن الخلق وقيل السيد التقي وحقيقة السودد انه يكتسب الاخلاق الجميلة والافعال المرضية ويجوز ان يكون صلوات الله عليه جمعها فسمى به والله اعلم وقوله تعالى وحصورا قيل الحصور الذي لا ماء له ولا شهوة وقيل هو الموحد من النساء والممتنع منهن وقيل الحصور هو الذي لا ياتي النساء مع القدرة وهو الاصح لانه ليس في الامتناع الضروري لعدم صلاح الآلة وعدم الشهوة مدح وانما المدح مستحق للامتناع عن اختيار وذلك عن سلامة الآلة واسباب القدرة وقوله تعالى ونبيا من الصالحين وان كان كل نبي لا يكون الا صالحا على ما سمى بعض النبيين صديقا وان كان كل نبي لا يكون الا صديقا ووجه ذكره صالحا لانه تحقق منه ذلك من جميع الوجوه وكذلك في سائر الانبياء يتحقق الصلاح من جميع الوجوه وان كان الاسم منطلقا على الكل لكن بسبب استحقاق الاسم في الانبياء هو تحقق الصلاح من جميع الوجوه وفي غيرهم يحقق من بعض الوجوه فلذلك خصه بالذكر على انه انشاء ثنا بالنبوة لقوله ونبيا

من الصالحين

من الصالحين ثم النبي لا يكون الا من الصالحين فهذا يقطع احتمال جواز النبوة في مطلق المؤمنين فكان تقييده باسم الصلاح مفيدا وقيل انه من الصالحين في الدنيا وفي الاخرة اذ قد يكون من الصالحين في الدنيا ثم في الاخرة لا يكون من جملة الصالحين لتبدل حاله في الدنيا من الصلاح الى الفساد فيكون هذا بشارة له بالدوام على الايمان والسعادة الابدية والامن من سوء الخاتمة لولده والله اعلم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله ما ذكر الله تعالى في كل نبي انه من الصالحين يخرج على وجهين على جميع انواع الصلاح فيهم وعلى البشارة لهم في الاخرة انهم يلحقون باهل الصلاح وعلى انهم منهم لا النبوة ليعلم انما يختار لنبوته وصف الصلاح وعلى الوصف بانهم يدلون … على الناس وان الذين ردوا قول الانبياء من الكفرة … صلاحهم حتى سموا النبي صلى الله عليه وسلم محمد الامين وعلى الوصف بما لكصف بالصدق وان كان … ما يحتمل ان يكون للصلاح حد عند الله تعالى لم يكن اطلع غيره عليه ذلك بحقيقته فهو تسمية الانبياء غيرهم بالصلاح ووصفهم بالصلاح من غير الوقوف على حقيقته حتى على طريق الوسع في الكلام والله اعلم وقوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام فيحتمل هذا الكلام وجوها احدها على الاستخبار لا يكون لكن هذا الموضع لا يحتمل لان زكريا عليه السلام كان عالما بالله وكمال القدرة من ان ينطق بمثل هذا الكلام على هذا المراد ويحتمل انه سال انه انى يكون لي غلام اي كيف وجهه وسببه فيكون ما به استفهاما من الله تعالى سببه وكيفيته وكذلك هذا في قوله انى لك هذا وقوله انى يحيي هذه الله بعد موتها وقوله انى يكون له الملك علينا اي كيف وجهه وسببه والثالث انى يكون لي غلام في الحال التي انا عليه او اولاد ما انا فيكون الولد لاذا كان واحد من الجهتين خلاف العادة اعتقد حصول الولد في حال الهرم ورد الى الشباب بعد المشيب فاشكل عليه انه باي طريق يحصل له الولد على نقض العادة بقدرة الله تعالى واستفهم في ذلك الوجهين يحتمل ان يكون هاهنا الوجه الاول لا يحتمل لما مر والله اعلم وقال الكلبي قال رب انى يكون لي غلام انه بالوحي جبريل … انه يكون له غلام … الى الله تعالى بجبريل صدق الكلام وهو قوله هنالك دعا زكريا ربه حيث قال رب هب لي من لدنك الاية وقوله تعالى وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر وذكر في سورة مريم قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ذكر ههنا وقدم وصف نفسه بالكبر على وصف امراته بكونها عاقرا وذكر في سورة مريم وقدم وصفها بكونها عاقرا على وصف نفسه بالكبر وكلا الذكرين لا شيء منهما الا تمام الامر وذكرتم تلك الحال سوى ان القصة قصة واحدة وذكر على التقديم والتأخير وصف نفسه بالكبر ووصفها بالعاقر وقد دل ذلك على على اختلاف الالفاظ واللسان … فدلت الاية على ان … الالفاظ واللسان وانما عليهم مراعاة المعاني المدرجة المودعة في الالفاظ واللسان فيكون حجة لنا في … التسليم يكون جائزا … القران بغير لسان العربية … بغير لفظة التكبير وان نقل الحديث بالمعنى جائز والله اعلم وقوله تعالى قال كذلك الله يفعل ما يشاء على قول الكلبي هذا قول جبريل وعلى ما قال عامة اهل التاويل خطاب الله تعالى وقال في سورة مريم قال كذلك قال ربك هو علي هين وان اختلف اللسان واللفظ وقوله تعالى قال رب اجعل لي اية اذ قال قائل ما معنى طلب الاية من الله تعالى بعد ما بشره اياه على السنة الملائكة وطلب الاية في موضع الاشكال الحق قيل يحتمل انه انما طلب الاية لاحتمال عنده ان البشارة الملائكة اذ يحتمل انه لم ير الملائكة انما سمع نداء كما اخبر الله تعالى فنادته الملائكة فيشكل عليه ان صوت الملائكة او صوت الشياطين والجن ولا يمكنه الفصل بين صوت الملائكة والجن والشياطين بالسماع او يحتمل انه راهم ولكن لا يعرفهم ان الملائكة يكونون على صور مختلفة على اختلاف الاحوال الا ترى ان ابرهيم عليه السلام لما نزل عليه الملائكة لم يعرفهم بالكلام والصورة حتى دخل في قلبه الروع منهم حتى قال انكم قوم منكرون قالوا انا ارسلنا الى قوم منكرون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين فانما ذهب عنه الروع والخوف بعد ما اخبروه انهم ملائكة رسل الله ارسلهم الى قوم لوط واذا احتمل ما قلنا فطلب انه ليعرف بها ان تلك بشارة الملائكة من الله تعالى لا بشارة ابليس على الكذب لان الشيطان لا يقدر على ان يفعل مثل اية الله تعالى ومعجزات الانبياء عليهم السلام ويقدرون على التكلم والاخبار عن الله عز وجل كذبا فلذلك طلب الاية ليتحقق البشارة ولكي يعرف بها وقت وجود المبشر به وهو وقت علوق الولد ليحمله بذلك ليعرف متى ياتيه الولد وقوله تعالى قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا قال بعض اهل التفسير حبس لسانه عقوبة له بما قال انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر على طريق الانكار وانه توهم انكار قدرة الله تعالى لكن هذا خطا لانه لا يظن بزكريا عليه السلام حتى يستحق العقوبة

لاجله ولكن الاية هو ان جعله ممنوعا عن الكلام مع لسانه مع صلاح آلة التكلم وانعدام الخرس من غير مرض جعله
ممنوعا عن التكلم في نفسه لا بتحيا نه امره بان يذكر ربه ويسبح بالعشي والابكار بقوله واذكر ربك
كثيرا وسبح بالعشي والابكار • فهذا هو الاية لانه انما يكون في نقض العادة والامتناع عن الكلام لعدم
الخرس وانعدام الالة امر معتاد فلا يكون اية وصار هذا كما في عصمة الانبياء عن المعاصي انها لم يكن على طريق انعدام
الالة وخروج تصور العصيان منهم حقيقة لكن على الامتناع بطريق اللطف والتوفيق للطاعة وترك ضدها
والله الموفق وانما جعل الله المنع عن التكلم مع الناس في اغلى احوال القدرة فان الطفل مع صلاح الالة لا يعتاد
الكلام اما من الكبير في حال سلامة الالة فالكلام هو المعتاد والامتناع على طريق نقض العادة فاراد الله
المناقضة للعادة على حسب سؤاله الولد فخرجت المناقض للعادة ليتاكد ما بشر به ويطمئن قلبه كذلك
والله اعلم وقوله تعالى الا رمزا قيل هو تحريك الشفتين وقيل هو الايماء بشفتيه وقيل هو الاشارة بالراس
وقيل هو الاشارة باليد والله اعلم وقوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ذكر بعض اهل التفسير
رواية عن ابن عباس انه قال كل شيء في القرآن واذكر ربك فهو عند المعصية وكلما فيه اذكروا الله فهو
عند غير المعصية ولكن هذا غير ثابت لانه قد ثبت ان المعصية لا تتحقق من الانبياء فكيف يكون
هذا امر لعينا المعصية الا ان يراد بذكر المعصية الزلة التي تتحقق من الانبياء ثم مع هذا الامر فيه
للاختصاص لا ان الامر بالذكر كما يصلح دليلا على الانتهاء عن الزلة فيصلح ان يكون لطلب زيادة الثواب
ونيل الدرجات في الاخرة والله اعلم وقوله تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم • قال اهل التفسير المراد من
جبريل لكن ذلك لا يعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والا فيحتمل من كان من الملائكة قال ذلك وقوله تعالى
ان الله اصطفاك • اي اصطفاها للعبادة نفسه وخصها بما لم يكن لاحد من النساء فيكون ذلك صفوة
وقيل اصطفاها بولادة عيسى عليه السلام اذ اخرج منها نبيا تقيا مباركا زكيا على خلاف ولادة البشر
وقوله تعالى وطهرك • قيل من الاثام والفواحش وقيل من مس الذكور وما قرب منه وقوله تعالى واصطفاك
على نساء العالمين • قد ذكرنا ان اصطفاها هو جعلها خالصا للعبادة نفسه او لما ولدت ولدا صفيا زكيا
نبيا من غير اب على خلاف سائر البشر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة خطوط ثم قال اتدرون ما هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال افضل نساء اهل الجنة خديجة وفاطمة
ومريم واسية امراة فرعون وكذلك نروي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير نساء العالمين اربع مريم
بنت عمران واسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وقوله تعالى يا مريم اقنتي
لربك • يحتمل وجهين احدهما الامر بالقنوت اي به القيام وعلى ذلك روي في الخبر انه سئل عن افضل الصلاة
فقال طول القنوت وقيل اقنتي اي اطيلي الركوع في الصلاة والثاني يحتمل ان يريد بالقنوت الخضوع والطاعة
كقوله وقوموا لله قانتين اي خاضعين مطيعين وقوله تعالى واسجدي • يحتمل انه امر بالصلاة على استعمال
اسم السجدة عن الصلاة ويحتمل الامر بالسجود المعروف في الركوع المعروف الا انه قدم السجود على الركوع في الذكر
وتقديم ذكر الشيء على الشيء وتاخير شيء في الذكر لا يوجب الترتيب في الحكم وقوله تعالى واركعي مع الراكعين
يحتمل الامر بالركوع المعروف وان كان مؤخرا في الذكر عن السجود لما مر ويحتمل الامر بالركوع مع الراكعين هو الامر
بالصلاة بجماعة ولعله مشروعة في ذلك الوقت كما في شريعتنا فان قيل كيف امر بالركوع مع الراكعين وهي
شابة ويكره للشواب الحضور الى الجماعات قيل والله اعلم كان ذوي قرابة منها ومحارم لا يتوقع انهم كيف لعصمتهم
فضمها وامساكها وي على كل واحد انه الاحق بامساكها دل ان بينها وبينهم رحما وقرابة ويحتمل واركعي مع الراكعين
اي كوني ممن يركع ويخضع بالعبادة لا انه اراد به الاجتماع في الركوع وذلك كقوله وكونوا مع الصادقين والله اعلم
كيف كان الامر في ذلك وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك • اي من اخبار الغيب التي اشهدها
انت يا محمد ولم تحضره بل اخبارنا بها وذكرناك عند ذلك ثم في ذلك وجوه من الدلالة احدها ان الله تعالى
يخبره عن صفوة هؤلاء وصنائعهم ليكون على علم من ذلك والثاني دلالة اثبات رسالته لانه اخبر على ما كان
من غير ان اختلف الى احد واقتبس من احد من البشر مع علمهم بذلك فدل انه انما علم ذلك بالله تعالى والثالث الدلالة على
وجه الصفوة لمريم انهم تنازعوها في اي وجه وباي سبب لحق الجهد في طلب ذلك والله اعلم وقوله تعالى
وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون • قيل انهم القوا اقلامهم
على جرية الماء فذهبت الاقلام مع الجرية الا قلم زكريا فانه ارتفع من حيث يجيء الجرية وقيل القوا اقلامهم فسفلت
كلها الا قلم زكريا فانه وقف على وجه الماء وقيل طرحوا اقلامهم في الماء فكان من شرطهم ان من صعد قلمه معاليا به
مع الجرية فهو احق بها ومن تسفل قلمه مع الجرية فهو المقروع فصعد قلم زكريا وسفلت اقلامهم فعند ذلك

ضمها زكريا الى نفسه والله اعلم والاية دلت على تاخير البيان عن وقت الحاجة فانه امر بضمها لو لم يصعد قلمه
وهذا لا يتبين الا بعد الالقاء والاقتراع ومع هذا امر مع التاخير دل ان تاخير البيان صحيح ومن الناس
من احتج بجواز القرعة والعمل بها بهذه الاية حيث ضمها زكريا الى نفسه لما خرجت القرعة لكن هذا الاحتجاج
باطل لان القرعة للانبياء ليتبين المحق بوجهين اما ان يكون بحقا الوحي او يكون اية لظهور اعلام في نفس القرعة
ما يعلم انه بالله كان ذلك لا بنفسه كارتفاع القلم على الماء فهمنا مع الجرية ومثل ذلك لا يكون بفعل القلم
وانما هو فعل الله تعالى فلذلك القرعة في حق غيرهم اما ان كانت بالوحي فيحقيقه انه المحق وكان اية
ندلت على الحقيقة والوحي في زماننا منقطع فلم نعلم بالوحي حقيقة علمها ولو كانت اية فلا اية لا يقاس
عليها غيرها نحو قول قول قتيل في بني اسرائيل انه لا يقاس عليه نحو ان هو قتيل آخر قبل الموت فيحتمل انهم
علموا وجه الحكم بالوحي لاستوائهم في الاستحقاق وان امساك كل واحد منهم صحيح فالحاكم ان يثبت حق
الامساك كل واحد منهم صحيح والحاكم ان يستحق الامساك لمن اراد ذلك ولكن استعمال القرعة لتطييب
الانفس في زماننا استعمال القدرة على هذا الوجه مطلق شرعا انما الخلاف في القرعة لاظهار الحق
وهي لا تظهر الحق بنفسها ابدا لا اختلاف محلها في نفسها فانها تارة يخرج على هذا وتارة لا في المختلف بعلي
دليلا والله اعلم وقوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه • يحتمل ان وجوده بكلمة
من الله تعالى ان قال كن فيكون من غير سبق ولا تسبب في سائر البشر لم يكن الا بالاباء والامهات من نطفة ثم
من علقة ثم من مضغة مخلقة على ما وصف عز وجل في كتابه وكان امر عيسى على خلاف ذلك فيحتمل تسميته
اياه كلمة منه بحيث قدرته على الكلام على نقض العادة في حال الطفولية في المهد كما اخبر الله تعالى وتكلم
الناس في المهد وكهلا وذلك قوله اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وذلك مما اختص به عيسى عليه السلام
كانه في حق من خالق الكلام هو المسيح ولكن ذلك على وفاق العادة في الوقت المعهود فلذلك قال بكلمة منه
والله اعلم وقوله تعالى اسمه المسيح عيسى ابن مريم • قال ابن عباس المسيح المبارك اي مسح بالبركة وقيل سمي مسيحا
لانه كان يمسح عين الاكمه والاعور فيبصر ويمسح ذا الافة فيبرأ وقيل المسيح هو الصديق وقيل المسيح هو المطهر
بلسانهم والله اعلم والاصل في هذا ونحوه ان الاسماء اذ جعلت للمعارف وليعلم بها المقصود فالتكلف في
التكلف في بيان المراد بالاسم له اسلم وقوله تعالى وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين • اي مكينا في الدنيا
بالمنزلة وفي الاخرة كما ذكر من المقربين اي رحمته في الدرجة والرفعة ومن كان وجيها في الدنيا والاخرة فهو
مقرب فيهما وقوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين • هذا بيان اية رسالته اذ هذا
على خلاف العادة فانه تكلم في المهد حال الطفولية وتكليمه الناس بما اخبر الله تعالى عنه بقوله قال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا الاية فان قيل ما معنى قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا وتكليم الكهل الناس
لا يكون من باب الاية التي هي امر معتاد في البشر قيل تكليمه الناس في المهد اية لكن الغالب في الايات الحسية
انها لا تدوم بل يكون مرة او بعض الاوقات لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية
وانما يكون مرة لا انها ابدا تنطق وتشهد فصار قوله وكهلا بشارة له بدوام هذه الاية والثاني ان قوله
وكهلا بشارة له ببقائه ولدها الى وقت كهولته وان كانت الاية هو التكلم في حال الطفولية والله اعلم
وقوله تعالى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر • فان قال قائل ما معنى التعجب من بشارة الله تعالى
اياها بالولد بقوله انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فان كانت لم تتزوج ولم يمسها بشر فلعله يمسها احد
في حادث الوقت بناء على تزوجها فيكون لها منه الولد فنقول انما تعجبت لانها علمت انها لا تتزوج ولا يمسها
بشر في حادث الوقت ابدا لانها كانت محررة لله مخلصة له في العبادة والمحررة لا يكون محل الزوج فلما تعجب
من هذا انها مع انها لا تتزوج ولا يمسها بشر في حادث الوقت فكيف يكون لها ولد الا ترى انها اجابت بقوله
قال كذلك الله يخلق ما يشاء • ولم يقل لها تتزوجين فيمسك الزوج اي يخلق كيف يشاء بلا اب وغيره
الاب من النطفة وبغير النطفة والله اعلم ويحتمل قولها انى يكون لي ولد استفهاما منها انه من اي وجه
يكون الى الولد بالهبة اذ قد بشرت ان يهب لها ولدا وعلى وفاق العادة الولد يكون بين الزوجين وهي محررة
لا تكون محلا للتزوج او تؤذن بالتزوج فاخبر الله تعالى انه يخلق ما يشاء وهذا القول
في سورة مريم اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك قال ربك هو علي هين معناه انك محررة لم يمسك
بشر بالتزوج يخلق الخلق على هين لا يثقل على بلا سبب بغير ابعثه وبغير مس على ما خلقت آدم بغير اب ولا ام
ويخلق النسل ولهما بلا ذكر الا احدهما من الاخر فهذا اشارة الى كمال قدرته قالى انها ردد راسها حيث
يظهر على يديها ما هو مناقض للعادة وكان معجزة ولدها في دعواه الرسالة والله اعلم وقوله تعالى اذ قالت

أمرًا فإنما يقول له كن فيكون • أي إذا قضى أمرًا يكون ما يريد فإنما يقول له كن فيكون أي لا يثقل عليه ولا
خلق الخلق وتكوينهم وهذا كقوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أي خلق الخلق كلهم ابتداء
وإعادتهم وبعثهم بعد الموت كخلق نفس واحدة يقول لها كن فيكون وإنما يثقل ذلك على الخلق ويصعب
لموانع تمنعهم وأشغال تشغلهم فأما الله تعالى عن أن يشغله شغل أو أن يمنعه مانع أو يحجب عليه حجاب
والله الموفق ثم معنى خلق الأشياء وتكوينها بقوله كن على أصل الأشعري وأصحاب الحديث أن يكون الأشياء
بكلام لم يزل لكن هذا الحرف لغي كن عبارة دالة عليه إلا أن كان منه عز وجل كاف ونون أو حرف هجاء أو صوت
أو وصف بمعنى من معاني كلام الخلق أو صفاتهم أو يكون لكلامه وقت ومدة أو حال وإنما ذكر هذا الحرف عبارة
عن كلام الذي هو تكوين لأنه ليس في كلام العرب حرف أوجز منه للدلالة والعبارة عن التكوين لأنه من أهل الخلق
أن لا يثقل عليه خلق العالم ولا يصعب عليه وعلى أصلنا تكون الأشياء من العدم بتكوين الله تعالى وأنه صفة أزلية
وراء الكلام لا يعرف له كيفية ومائية ولا يكون لتكوينه وقت وحال ولا يكون تكوين بعد تكوين على ما يكون
في أفعال البشر بل فعل واحد أخبر بكون الأشياء لوقت وجودها لكنه عبر بقوله كن إخبارًا منه عن سرعة
تكون الأشياء بتكوينه عن مشيئته واختيار ومن طريق الاستدلال بالشاهد غير لو كان يكون قدرته
إيجاد الأشياء عن العدم كان طريق إيجادهم أن يقولوا كن فيكون ما أرادوا وجوده فالشيء يكون لا الخلق إن علم
في غاية التيسير فيكون لنا العالم وأمثاله على أيسر منه تكثيرًا والله أعلم وقوله تعالى ويعلمه الكتاب بشارة
منه لها أيضًا أن الله تعالى يعلمه الكتاب ثم اختلف في الكتاب قيل الكتاب هو الخط ههنا أي يعلمه أن يخط بيده
ويحمل الكتاب بنفسه أي التوراة والإنجيل ويحتمل الكتاب كتب النبيين وقوله تعالى والحكمة والتوراة
والإنجيل • قيل الحكمة بين الخلق وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى ورسولًا إلى بني إسرائيل أي يجعله رسولًا
إلى بني إسرائيل وهذا أيضًا بشارة لها من الله تعالى وكان عيسى عليه السلام من أولهم إلى آخرهم آية لأنه ولد
من غير أب على خلاف ما كان سائر البشر وتكلم الناس في المهد وأقر له بالعبودية ولم يكن لأحد من البشر
وأبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ولا كان له مأوى يأوي إليه ولا
في نعم يعيش ويتنعم به والبشر لا يخلو عن ذلك ثم الذي شبه به على واحد من أعدائه فقتل به ورفع إلى السماء
وذلك آية وكانت آياته كلها حسية يعلمها كل أحد وآيات رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كانت حسية
وعقلية أما الحسية فمن انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وكلام الشاة المسمومة معه وقطع مسيرة
شهرين في ليلة وغير ذلك مما يكثر عدده هذه كلها آيات حسية وأما العقلية فهذا القرآن الذي تحدى
عليه وهو بين أظهرهم وفيهم فصحاء وبلغاء وحكماء يتلى عليهم قوله فأتوا بسورة من مثله وقوله قل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا فلو كان في طاقة
أو قدرة أن يأتوا بمثله لجهدوا كل الجهد وتكلفوا كل تكلف حتى يطفئوا هذا النور ليتخلصوا عن القتل
وسبي الذراري واستحياء النساء فلما لم يفعلوا ذلك دل أنه كان آية معجزة عجزوا جميعًا عن إتيان مثله
وأية آية أعظم من هذا وبالله المعونة والنجاة وقوله تعالى أني قد جئتكم بآية من ربكم هي علامة في رسالتي
إليكم ثم فسر الآية بقوله تعالى أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله • ثم
قوله أني أخلق على المجاز لا على التحقيق لأن التخليق هو الإخراج من العدم إلى الوجود وذلك فعل الله تعالى
لا يقدر المخلوق على ذلك وهذا لا خلاف فيه بين أهل القبلة فإن الخلاف في خلق الأفعال دون الأجسام
بين أهل القبلة ومثله أنه قال على سبيل المجاز الأمر كانه فأحرم ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وليس
إلى الخلق تحليل شيء وتحريمه إنما ذلك إلى الله تعالى ومعناه أي أظهر لكم على بعض ما حرم عليكم فعلى ذلك
قوله أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير أي أظهر لكم بتكوين ما خلق الله من الطين طائرًا فيكون آية لرسالتي
إليكم وكذا الآيات ليس مما ينشئها الأنبياء ولكنها تظهر على أيديهم وإنما لم يجز إضافة التخليق إلى الخلق
لما ذكرنا أنه إخراج الشيء من العدم إلى الوجود وليس ذلك بيده وقدرة الخلق إنما في وسعهم الكسب وذلك هو ظهور
ما يخلق الله منهم من الأفعال التي اختاروا فهو الفرق بين الأمرين ولأن التخليق هو إخراج الفعل على التقدير الذي
يريد الفاعل لا مطلق الفعل وفعل العبد إنما يخرج على تقدير الله تعالى لا على تقدير العبد فإذا العبد لا يعرف
قدره من المكان والزمان ونحو ذلك فلذا أن إضافة الخلق إلى العبد يكون على المجاز والله الموفق ثم آيات الأنبياء
عليهم السلام يخرج على خلاف الأمر المعتاد فيما بينهم ليعلم أن ذلك لم يكن بهم بل ذلك لم يجرها الله تعالى على أيديهم
ليدل على صدق دعوى الرسالة ولا قوة إلا بالله وقوله تعالى وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله
وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم • اختلف في الأكمه عن مجاهد قال الأكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل

وعن ابن عباس الأكمه الأعمى الممسوح العين وقيل هو الذي ولد من أمه أعمى لا يتكلف أحد من الأطباء أبدًا
مثله ولا استعمل بدواء وقوله بإذن الله تعالى أي بأمر الله وقيل بمشيئة الله وفيما ذكر من آيات النبوة
يعجز البشر عن إتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم فإن قيل إن كان إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى
من الأمور الخارجة عن المعتاد فتكون من الآيات فأما أنباء ما يأكلون وما يدخرون لم كان من الآيات ويجوز أن
يكون ذلك من منجم قيل إن كان ذا يكون مثل ذلك بالنجوم فالخروج عنه من وجهين أحدهما أنه مضموم إلى الآيات
التي عجزت الخلق عن إتيان مثلها وهو وإن كان في الجملة مما يأتي به المنجم لكن ظهوره مضمومًا إلى الآيات يدل
على أنه من الآيات لا على أنه منجم إذ لا يتصور من غير منجم إلا على طريق نقض العادة والثاني أنه لم يعلم بالتنجيم
أن هذا وإن كان يعلم بالنجوم فإن عيسى عليه السلام لم يعرف منه الاختلاف إلى المنجمين وتعلم علم النجوم منهم
مع أن المنجم إنما يعرف ذلك باستعمال الأصطرلاب ونحوه وهو بلا آلة يخبر بخلاف ما يستعملها المنجمون فكان
ذلك على طريق نقض العادة إذ المنجم يقدر على معرفة ذلك باستعمال آلات مخصوصة وأوقات مخصوصة
فدل أنه إنما علم ذلك بالله تعالى فكان من الآيات بدليل ما قلنا أن هذه الأشياء من آيات الله تعالى على تحقيق
صدقه في دعوى الرسالة إذ في قومه أطباء وحكماء وبصراء ولم يدع أحد شيئًا مما أتى بها عيسى عليه السلام
فإنهم كانوا لا يتكلمون في إبراء الأكمه والأبرص ولا في إحياء الموتى إنما يتكلمون في دفع العلل العارضة الحادثة
لا ما كان خلقة وجبلة لعلمهم أن ذلك ليس بداخل وكذلك المنجمون لا يدعون استخراج الضمائر ومعرفة الخفيات
بلا استعمال الآلات وصنعت علمًا على معرفتها من الأصطرلاب ونحوه الذي عند ذلك يخرج من أن يكون نقضًا
للعادة إذ معرفة الأشياء عند وجود أسبابها معتاد البشر وعيسى عليه السلام لما ادعى هذه الأمور
وامتنع هؤلاء عن المعارضة وتركوا الاشتغال بذلك دل أنها آيات سماوية عجزتهم عن إتيان مثلها لكن أبوا
به عنادًا أو تعنتًا والله الموفق وقوله تعالى إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين • قيل إن في هذا لآية لكم إن كنتم
مصدقين أنه رسول الله إليكم وقيل إن في ذلك لآية لكم في تحقيق رسالتي إن كنتم مؤمنين بالرسل ويحتمل
أن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين بالآيات بها تعرف وتنظر فيما جعلن دلالة والله أعلم وقوله تعالى
ومصدقًا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله
وأطيعون • تفسير الآية ما ذكر وقوله فاتقوا الله في تكذيب هذه الآيات وأطيعون في تصديقي وقوله تعالى
إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • ظاهر وقوله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر •
قيل أحس علم وقيل رأى وعرف وقوله هل تحس منهم من أحد وقيل أحس أي وجد وهو قول الكسائي وقيل عرف
وبعضه قريب من بعض • قال من أنصاري إلى الله • يحتمل والله أعلم أن قومه لما سألوه أن يسأل ربه أن ينزل عليهم
مائدة من السماء تكون لهم آية على رسالته وصدقه ففعل الله عز وجل إذا أنزل عليهم المائدة ثم أخبرت
من كفر منهم بعد إنزال المائدة يعذبه عذابًا لا يعذبه أحدًا فكفروا فعلم عيسى عليه السلام أن العذاب ينزل
عليهم فأحب أن يخرج من آمن به لئلا يأخذهم العذاب فقال من أنصاري حتى يخرج من بينهم إلى عبادة الله تعالى
كما قال تعالى فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ويحتمل أن يكون
قد ظهر لا يسلموا له وكانوا في الحقيقة على خلاف ذلك فلما علم ذلك منهم وعلم أنهم قد هموا بقتله فقال
عند ذلك من أنصاري إلى الله أحب أن يكون معه أنصار مع الله ينصرونه ليظهر المؤمنون من غيرهم فنصرهم
من عز وجل على الأعداء وهو قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ومن الناس من يقول أنه
لم يكن شريعة عيسى الأمر بالقتال وفي الآية إشارة إلى ذلك بقوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم
فأصبحوا ظاهرين لحمد أنهم أصبحوا ظاهرين على عدوهم وذلك يحتمل أن يكون بغلبة بالحجة أو شيء مما يقهرهم
وذلك لقوله إنا لننصر رسلنا يحتمل أن يكون المراد هو النصر على الكفرة من حيث الحس ويحتمل النصر
بالحجج أي يغلب حججه حجج الكفرة فهذا مثله ولا يجب به قطع القول بأن الأمر بالقتال لم يكن في شريعته
بل يجب الكف عن مثل ذلك والله أعلم وقوله تعالى قال الحواريون نحن أنصار الله • اختلف في الحواريين
قال بعضهم هم القصارون الغسالون الثياب ومبيضوها وقال ابن عباس إنما سمي الحواريين لبياض ثيابهم
وكانوا يصيدون السمك وقيل الحواري هو الوزير والناصر والخاص على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن لكل نبي حواريين فلان وفلان ذكر نفرًا من أصحابه وإنما ذلك والله أعلم الناصر والوزير ويحتمل
أن سموا بذلك لصفاء قلوبهم وهم أصفياء عيسى عليه السلام كذلك روي عن ابن عباس والله أعلم بهذا وقيل
ما معنى قولهم نحن أنصار الله والله يتعالى عن أن ينصره أحد قيل يحتمل نحن أنصار الله أي أنصار دين الله
وأنصار نبيه عليه السلام أو أنصار أوليائه وإنما أضيف إلى الله تعظيمًا لهم لأنهم ينصرون نبيهم لأجل أمر الله ودينه

وذلك مثل قوله ان تنصروا الله ينصركم وان الله لا ينصر ولكن المراد ينصر دينه او رسله واولياءه وهو
كقوله تعالى يخادعون الله ومكروا ومكر الله والله تعالى لا يخادع ولا يمكر ولكن لما خادعوا اولياءه ورسله
او دينه اضاف ذلك الى نفسه فهذا مثله والله اعلم وقوله تعالى آمنا بالله واشهد بانا مسلمون • الاية
ينقض قول من جعل الايمان غير الاسلام لانهم اخبروا انهم امنوا وانهم مسلمون لم يفرقوا بينهما وكذلك
قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لم يفصل بينهما وجعلهما واحدا
واحدا وكذلك قول موسى عليه السلام يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين لم يجعل بين الايمان
والاسلام فرقا وهو قولنا والمراد ان الايمان هو ان تصدق بانك عبد الله والاسلام ان تجعل نفسك سالما له
تخليصا وعبادة وقيل اسم ما بطن والاسلام ما ظهر الا ترى انه في حديث جبريل حين سأله عن الايمان اجاب
بالتصديق فقال ان تؤمن بالله الخبر وفي الاسلام اجاب بالشهادة فقال ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله ولا يتحقق الايمان الا بالاسلام ولا الاسلام الا بالايمان فتسمى هذه الجملة ايمانا بالاضافة
الى الباطن وتسمى اسلاما بالاضافة الى الظاهر وهذا على قول من جعل الركن في اثبات الايمان التصديق
والاقرار جميعا والله اعلم وقوله تعالى ربنا آمنا بما انزلت • يحتمل الله اعلم بما انزلت من الكتب وبواحد
على الرسل جميعا ويحتمل بما انزلت على عيسى عليه السلام وان ارادوا بما انزلت على عيسى فالايمان بواحد من
الرسل ايمان بالكتب كلها وبالرسل جميعا وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين • اي مكروا بنبي الله عيسى عليه السلام حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله اي يجزيهم جزاء مكرهم لان
المكر مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يسمى الله تعالى به في موضع الجزاء على ما ذكر عز وجل تعالى في موضع الجزاء
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والاعتداء منهم غير جائز لقوله تعالى
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين فلا يوصف الله تعالى ان يامر به فكذا قوله فاعتدوا عليه هو جزاء
الاعتداء ونحو فعلى ذلك المكر والخديعة والاستهزاء لا يجوز ان يسمى الله تعالى به فيقال يا ماكر ويا خادع
ويا مستهزئ لانها [illegible] مذمومة عند الناس لشتم بعضهم بعضا بذلك كذلك لا يجوز ان يسمى الله تعالى
به الا في موضع الجزاء وبالله العصمة وقوله تعالى ومكروا اي هموا بقتله ومكر الله حيث رفع عيسى عليه السلام
الى السماء والقى شبهه على رجل منهم حتى قتلوه فذلك خير لعيسى عليه السلام من مكرهم وقيل ومكروا
اي قالوا قول الشرك ومكر الله اي جاء لهم قول التوحيد وقيل المكر هو الاخذ بالغفلة لمن استحقه والمكر
من الله تعالى انما هو اخذه من استحق الاخذ عن غفلة منهم والمكر من العباد استعمل في الاخذ بالغفلة
مطلقا سواء كان من سبب استحقاق او لا يكون مثل ذلك الامتحان فلما شاهدوا [illegible]
ولا يراد بذلك في حق الله تعالى فهذا مثله وقوله تعالى والله خير الماكرين اي خير الجازين اهل الجور بالعدل
واهل الخير بالفضل وعلى التاويل الاخر والله خير القائلين وعلى التاويل الثالث والله خير الاخذين
عن غفلة ممن استحق العذاب في الاخذ والله اعلم وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك
الي • اختلف في تاويل التوفي عن ابن عباس اني متوفيك اي مميتك فالتوفي هو القبض والانسان يحتمل
اراد بالتوفي قبض روحه كفعله بجميع البشر تكذيبا لمن ظن ان عيسى هو الله او ابنه لا يحتمل انه يموت
فالزم [illegible] وحمل النصارى هذا الوجهين ظاهرين وان كان فيما اعلمه خلقه عيسى عليه السلام وجوهر [illegible]
تقلبه من حال الى حال بنفسه ومكان الى مكان في حق القرآن في الحاجة كفاية لمن يعقل الحقائق وبلغة
لمن تامل الاشياء عن احدها قوله ما المسيح ابن مريم وقوله عيسى ابن مريم حتى انطق لسان كل منهم في معلوم
احالة ابن بشر الها [illegible] اذ هو يكون اصغر من ابيه والديه وذلك اية حدثه لانه تقدمه غيره والقديم
لا يتقدمه احد في الوجود والمحدث لا يكون الها وكذلك قوله في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب الاية
مع ما لو احتمل لكان آدم عليه السلام الذي هو الاصل البشر فهو المتقدم لهذا الجنس ولم يعرف له والد
احق وايضا فان عيسى عليه السلام من جوهر آدم عليه السلام فهو ولده فيكون على صفته اذ الاولاد
على صفة الاباء وبالله التوفيق والثاني قوله كانا ياكلان الطعام فاخبر عن حاجته وغلبة الجوع عليه وفقر
نفسه الى ما يقيمها من الاغذية ثم في ذلك حاجته الى الخلاء واختياره الامكنة القذرة لقضاء حاجته
وبالله التوفيق فان قيل كيف يحتمل التاويل وقد اعقبه بقوله ورافعك الي اي الى السماء وكيف يتحقق
الرفع بعد الموت قيل انه على التقديم والتاخير اي رافعك ثم متوفيك بعد نزولك من السماء الى الدنيا
وكم من متقدم في الذكر هو متوخر في الحكم وكم من متاخر في الذكر فهو متقدم في الحكم مع ما كان حرف الواو
لمطلق الجمع فيقتضي حصول الامرين لا على الترتيب الذي ثبتا لقوله بالتقديم والتاخير وذلك شائع في اللغة

وصار

وصار هذا الثاني كقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فانما المراد منه
قبض الارواح فكذا ان التوفي يحتمل ما ذكرنا والله اعلم [illegible]
الاعداء ورفعه الى السماء [illegible]
ليكون حكمه [illegible]
احوال [illegible]
ثم تعلقت المشبهة بقوله ورافعك الي [illegible] على اثبات المكان لله تعالى وهذا فاسد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى ومطهرك من الذين
كفروا • قيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله
تعالى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة • يحتمل جعله اياهم فوق الذين كفروا [illegible]
[illegible]
والسوا فلم وقوله تعالى ثم الي مرجعكم • ذكر هذا والله اعلم وان مرجع الكل اليه في كل حال لانهم يعرفون
ويعترفون في ذلك اليوم ان المرجع اليه وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا وهو كقوله تعالى الملك يومئذ
لله والملك في الحقيقة في ذلك اليوم وفي غيره يكون لله تعالى لكن معناه لا ينازعه احد يومئذ في ملكه
ويقرون له بالملك وفي الدنيا قد نازعه البعض ملكه وكذلك قوله وبرزوا لله جميعا اي صاروا كلهم
تحت تصرفه وقهره مع ان الكل بارزون لله في كل وقت لكنهم انكروا بروزهم في الدنيا له ويقرون
يومئذ بالبروز له فكذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون • يحتمل
بينكم من المحق منكم ومن المبطل ويحتمل فاحكم بينكم اي اجزيكم على قدر اعمالكم على ما تستوجبون
وقوله تعالى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين • قيل
العذاب في الدنيا القتل والجزية وفي الاخرة النار وقوله تعالى واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين • لانه لا يحب الظلم وقوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الايات
والذكر الحكيم • قيل ذلك الذي فيه ذكر في هذه الاية نتلوه عليك يا محمد من الايات والذكر الحكيم قيل
الحكيم هو المحكم وقيل الذكر ينظر فيه ويتفكر بتبصيره حكيما فيكون هو سبب تبصيره حكيما تسمى
به وهذا النوع في الله تعالى وكالنهار مبصر والنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه فاضيف اليه وقيل الليل نائم والليل
لا ينام ولكن ينام فيه فهذا والله اعلم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب • قيل
في القصة ان نصارى من اهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له انك تشتم
صاحبنا عيسى ابن مريم تزعم انه عبد وهو كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فارنا فيمن خلق الله تعالى
عبدا مثله يعمل هذا فالنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية اما التشبيه فانما حملهم على ذلك ظنهم
ان عيسى لما قال اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير انه رب لان ابراهيم خليل [illegible] يحيي ويميت يجعل الاحياء
والاماتة من صفات الربوبية مع انهم كانوا يرون عيسى عليه السلام ياكل ويشرب وينام ويتغوط وهي
من لوازم الحدث وامارات النقص لولا انهم اعتقدوا في الله تعالى انه مشبه بالخلق في بعض الصفات
والا لما اثبتوا الالهية لعيسى عليه السلام للمشاركة في الاحياء والاماتة مع علمهم بقيام صفات النقص
بعيسى كما انهم يجوزون الالهة شبها بالخلق مثل المجسمة والكرامية الاولى واما القدرية فلانهم لم يروا
الله في افعال العباد صنعا [illegible] وان ذلك كله للخلق خاصة وزعموا للعبد قدرة الاختراع والتخليق ثم راوا
من عيسى عليه السلام تصوير الطين طيرا ثم الاحياء بالنفخ فيها فظنوا انه رب لما لم يروا مثل ذلك الصنع من غيره
ولو كانوا عرفوا الله تعالى حق المعرفة وكانوا مقرين بان خالق الافعال الاختيارية وغير الاختيارية هو الله تعالى
لعلموا انه لم يكن من عيسى خلق الطير انما كان منه تصوير ذلك الطين وتمثيله فيكون مثله من كل احد من حيث

الظاهر وفي الحقيقة التصوير من الله تعالى اذ فعل العبد لا يتعدى عن محل قدرته وانما الصورة يظهر
فعله في المحل بتخليق الله تعالى لكنه يضاف اليه لظهوره عقيب فعله باجراء الله تعالى السنة لذلك
ويعلم ان الاحياء من الله تعالى اجراه على يدي عيسى واظهره بسبب نفخه وكذلك ما كان من ابراء الاكمه والابرص
وغير ذلك من الله تعالى اجراه على يديه ايات لنبوته ومعجزات على صدق رسالته اذ لا يوصف البشر بالقدرة على
اثبات صفة الحياة لا بطريق المباشرة ولا بطريق التسبيب عليه عامة العقلاء الا من شغف بالقدرية ثبت
ان ما قال النصارى يرجع الى التشبيه والقدر ثم انه تعالى رد على النصارى اعتقادهم الربوبية في عيسى بقوله
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب بالجهتين اللذين اعتقدوا احدهما وجوده من غير اب وثانيهما
لاحيائه الطير اما الاول فلان الله تعالى صور صورة آدم من طين ثم جعل فيها الروح ولم يجز ان يقال ان آدم عليه
السلام صار حيا بنفسه لوجود صورته لو كان الحياة من موجبات الصورة والخلقة كيف جاز لكم ان تقولوا
ان عيسى عليه السلام لما صور الطير من الطين صار حيا لتصويره اياه دون احياء الله تعالى فاخبر الله تعالى
ان الاحياء ليس من ضرورات التصوير ليستدل بوجود ظهور الصورة على يديه بايجاد الحياة منه ثم ابقى
صورة آدم عليه مدة بلا احياء ليعلم النصارى ان الاحياء من الله تعالى والثاني ان آدم عليه خلق لا من اب ولا ام
ثم لم تقولوا انه رب واله فكيف قلتم في عيسى انه اله ورب وان خلق لا من اب في عدم الاب والام في آدم اولى
ان يكون الها كيف وجب ان ذلك في عيسى كونه الها والله الموفق وقوله تعالى ثم قال له كن فيكون ان ذات
عيسى عليه السلام كان وجوده بالتكوين من الله تعالى كما كان آدم عليه السلام بالتكوين وقد فسرنا التكوين
بما تقدم وقوله فيكون يحتمل وجهين يحتمل يكون بمعنى كان معناه ثم قال له كن فكان والعرب تاتي استعمال
لفظة المستقبل في الماضي والثاني معناه ثم قال له كن اذا في الازل فيكون في الوقت الذي علم
بسبب وغير سبب حاصل ذلك انه اذا ذكر الله بصفته يذكر بلا ذكر وقت في الازل فيقال خالق لم يزل واذا
ذكر الخلق معه يذكر الوقت فيقال خالق فلان في وقت وجوده لان الله تعالى ازلي بصفاته والتخليق والتكوين
صفته فيكون ازليا وذكر الوقت في الازل محال فاما اذا اضيف الى المخلوق والمخلوق في وقت لا بد ان يذكر
معه الوقت كيلا يوهم وجود المخلوق في الازل اذ الاضافة تقتضي وجودهما معا والله اعلم وقوله تعالى
الحق من ربك فلا تكن من الممترين يحتمل هذا وجوها يحتمل ان خطابا لكل احد قال في عيسى كذا قال اي فلا
تكن من الممترين في عيسى انه عبد الله خالصا وانه نبيه ورسوله الكريم ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي عليه السلام
والمراد به غيره وهذا خرج على حسب العرف في الشاهد تقريبا للافهام فان من عادة ملوك الارض انهم اذا ارادوا
ان يعرفوا رعيتهم او حشمتهم شيئا يخاطبون اعقلهم وارفعهم وافضلهم منزلة وقدرا استكمالا
منهم مخاطبة كل وضيع وشفيه وكان الله تعالى خاطب نبيه عليه السلام على ارادة امته لعظم ما وجد
لم يحتمل ان يكون هذا خطابا للنبي عليه السلام على الحقيقة وهو ان يكون هو المراد به ولا باس بذلك
هو معصوم من الامتراء والشك وذلك لان العصمة لا تمنع الامر والنهي لكن تحقق الامر
بيانه ثم قوله الحق من ربك اي جاءك الخبر الحق في امر عيسى انه كان بشرا عبدا نبيا فلا تكن من الممترين اي
شبه محاجتهم مع كثرة تمويهاتهم العقول فيه بما وصفوه بمعنى الالهية وغيرها على الشك في الحق الذي
تعالى وهو كقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية على الموعظة لا انه كان كذلك او على ما سبق ذكره والله
اعلم ويحتمل الحق من ربك اي كل حق فهو من الله تعالى من حيث الاضافة اليه على الاطلاق فاما الباطل
فلا يجوز الاضافة اليه مطلقا انما يجوز بالتقييد فيقال الخلق لله تعالى ذلك الفعل ممن فعله باطلا ولا
يقال الباطل من الله تعالى وبالله العصمة وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم الاية دعاهم صلى الله عليه وسلم الى المباهلة بامر الله تعالى والمباهلة عند العرب الملاعنة
ودعاهم الى الدعاء باللعنة على الكاذبين فامتنعوا عن المباهلة تخوفا منهم لحوق اللعنة بهم ووقوعهم
في الهلاك فدل امتناعهم عن المباهلة على انهم عرفوا كذب انفسهم وصدق الرسول عليه السلام وانهم عرفوا
في كتبهم انهم اذا اقدموا على المباهلة هلكوا والا لا معنى للامتناع عن المباهلة وكانوا يقدمون على اعظم منها
لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يعترفوا بالحق قال الشيخ رحمه الله الدعاء من النبي عليه السلام اياهم الى المباهلة دلالة ظهور
التعنت والعناد منهم وفي تخلفهم عن المباهلة دليل علمهم بتعنتهم وخوفهم عما قد اوعدوا من نزول
عليهم ثم لم يمنعهم ذلك عما كانوا عليه من التعنت والعناد ولم يفرقوا به ليعلم ان الحيل عمن اعتاد المعاندة
منقطعة وبهذا يبطل قول من يجعل الايمان بمجرد المعرفة بلا تصديق لان المعرفة قد تحققت من المعاندين
اذ لو لم يتحقق المعرفة لا يستحق وصف الجهل والغفلة والتقصير في العناد والله الموفق ثم الدعاء الى

المباهلة

المباهلة معلوم انه لا يكون في اول احوال الدعوة وانما يكون بعد تبيين الحجة وقطع الشبهة فيعني ان المباهلة
ان كانت ثم محاجات حتى بلغ الامر الى المباهلة ونظير هذا امر القتال الا انه لم يوصف في اول احوال رسالة الرسول
عليه السلام وفي الحال التي للعقول والحق وجه القبول لمن طريق المنصفة والعقل وانما كان عند ما ظهرت معاندتهم
وكثر سفههم حتى هموا بالقتل واكثروا الاذى واكدوا قوما على الكفر واخرجوا رسول الله من بين اظهرهم
بما داموا قتله وطردوا اصحابه من بلادهم حتى تحصنوا بالغيران فاذن الله تعالى عند ذلك بالقتال وفتح الفتوح
لتكون اياته في كل وجوه الايات ظاهرة وحججه بينة وكان الامر بالدعاء الى المباهلة والامر بالقتال دليل
المخالفات فيكون هذا دليل جواز محاجة الكفرة في التوحيد والرسالة لكن على الوجه الذي امر الله تعالى بذلك
لقوله وجادلهم بالتي هي احسن وقوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي من غير تعمق والخوض فيما يقصر عنه الافهام
وان كان معلوما ان لله تعالى حججا ظاهرة وغامضة ولا قوة الا بالله وفي ذلك تعليم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر انه يجب ان يكون ذلك باللطف والرفق فيرى المقصود بذلك فساد ما عليه ويقرر عنده الحجة ويزيل
عنه الشبهة من الوجوه التي يحتمله عقله ويبلغه فهمه فان رآه يتمادى في ذلك يتوعده ويخوفه بما في ذلك
من الوعيد وان رآه يتمادى بعرق شؤم طبعه وسوء عنصره فيداويه بالتعليم من الضرب والحبس فان يقع ذلك
ولا يكف شره عن غيره فيطهر الارض عنه فانه النهاية في الجمع والغاية فيما يجيء من معاملة السفهاء والله اعلم
لكنه على منازل ودرجات فلا يحتمل ان يكون بجميع انواع الآثام ينتهي فيها الحد الغاية اعني القتل في الذي يأثم
والجنايات ما كان اعظمها دون هذا الذي يستحق فيه القتل بكثير كذلك والله اعلم يلزم تعرف مقادير
الآثام والجنايات ليعرف بها ما يحتمل كل اثم من العقوبة ويليق بكل جناية من الجزاء الزاجر والله الموفق
وقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق يعني الخبر الحق وقوله تعالى وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ظاهر وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية يحتمل فيها اوجه احدها انه العدل وهي كلمة التوحيد كما
الا لئن سألتهم من خلق السموات والارض في الفزع اليها بالاجابة وشهادة الخلقة على وحدانية من له
الخلق والامر وهذا الوجه امكن ان يحاج به جميع الكفرة وان خص باهل الكتاب والله اعلم والثاني
تعالوا الى ما يستوي فيه انه حق وعدل ونتفق عليه وهو عبادة الواحد الذي لم يختلف انه معبود وان
كل من عبد غيره فانما يعبده ليكون له وسيلة الى الله تعالى كما قال تعالى خبرا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فدعاهم الى عبادة ما وقع الاتفاق على كونه مستحقا للعبادة والاعراض عن عبادة غيره
والثالث يحتمل تعالوا الى كلمة نطق بها في كتابهم لما جاءت به رسلهم ونزل بها كتبهم فانه دعاهم
الى القرآن الذي هو مصدق لما في كتبهم فكان دعاهم الى ما وقع الاتفاق على حقيته والاعراض
عما حدث بموافقة الاهواء وقيل ان تفسير قوله الى كلمة سواء بيننا وبينكم ما ذكر من قوله وهو قوله
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله دعاهم الى اخلاص
العبادة الى الله تعالى والى التوحيد في الخلق والامر اذ هو العدل لان العدل هو وضع الشيء موضعه ووضع الاخلاص
العبادة والتوحيد له اذ هو المنعم على الحقيقة وصرف العبادة الى المنعم عدل اذ هو شكر النعمة فاما
صرفها العبادة الى غير المنعم جور في الفعل وكذا العبادة للواحد اهون واخف من العبادة للعدد والله الموفق
وقوله تعالى فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يحتمل فان تولوا عن طاعة الله وتوحيده وصرف العبادة
اليه على الخلوص فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون العبادة له صادقون لشكر المنعم علينا ويحتمل
فان تولوا عن قبول ما دعوتكم اليه من الاجتماع على الكلمة الواحدة والله اعلم وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون
في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون قيل ان اليهود قالوا ان ابراهيم كان على ديننا
اليهودية والنصارى كذلك ادعت انه كان على دينهم ومذهبهم لا على دين الاسلام فقال الله تعالى لم تحاجون في ابراهيم
اي في دين ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده يعني من بعد ابراهيم يحتمل وجهين احدهما ان التوراة
والانجيل نزلا من بعده ودين اليهودية والنصرانية بنيت بالتوراة والانجيل فكيف يكون ابراهيم على دينهم
والثاني فكيف يكون هو على دينكم لم تدعوا انه على دينهم وان التوراة والانجيل انما نزلا من بعده وكان
فيهما ان ابراهيم كان حنيفا مسلما افلا تعقلون انه كان حنيفا مسلما ثم اكذبهم الله تعالى وقوله تعالى
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وفي هذه الاية دلالة
انهم علموا انه كان مسلما لكن ادعوا تعنتا حيث لم يقابلوا بكتابهم ما ادعى النبي عليه السلام من نعت
ابراهيم في كتابهم بانه كان حنيفا مسلما خوفا من ظهور صدق النبي عليه السلام لعلمهم يقينا ان الامر

كما قال عليه السلام وفيه دلالة الرسالة اذ دعواهم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف نعت
ابرهيم عليه السلام منهم حتى ادعوا انه لا على الوصف الذي ادعاه الرسول عليه السلام فثبت انه عرف بالله
وذلك علم الغيب والله اعلم الموفق وانه الحجة لذلك عجز البشر عن ايراد مثله وعجزهم عن مقابلة لما ادعوا
دل انهم عرفوا انه كان مسلما بكتاب من الله عز وجل والله الموفق وقوله تعالى ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم
به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم • وهو ما ذكرنا وفيه دلالة جواز المحاجة في الدين على العلم به وانما
نهى هؤلاء عن المحاجة فيما لا علم لهم الا ترى ان الرسل حاجوا قومهم حاج ابرهيم قومه في الله وذلك قوله
وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وموسى حاج قومه وما من نبي الا وقد حاج قومه في الدين فدل على جواز المحاجة
في الدين وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا الآية اكذبهم على ما تقدم ذكره وقوله
تعالى ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا • وهكذا يكون في الفعل الذي يتبع
آخر وطاعته فهو اولى به لا اليهود والنصارى وقوله والله ولي المؤمنين • قيل الولي الحافظ وقيل الناصر
وقيل هو اولى بالمؤمنين وقد ذكرنا فيما تقدم ويحتمل ان يكون وليهم بما دفع عنهم تعنتا عنادهم في ابرهيم
واظهر الحجة في قولهم والله الموفق وقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم • ذكر في القصة
ان المشركين اخذوا عمارا وحذيفة فقالوا لهما ديننا افضل من دينكم وافضل من الاديان كلها فمن تشهدا
والاشبه ان يكون مثل هذا الكلام من رؤساء اهل الكتاب وعلمائهم اذ هم الذين يقولون مثل هذا العمل
فاما الجهال منهم فلا ذلك وانهم لا يعقلون ضلا والله اعلم وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم
وما يشعرون • قيل الاضلال بوجوه احدها الاحمال الارادة والثاني ذكر محمد والمؤمنين ولا يذكرونه
بعدهما ايدا كما يحمل ذكر اولئك وقيل الاضلال هو الاهلاك وقيل هو التحيير وكل ضال الطريق فهو متحير وايضا
قوله وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون انهم يهلكون او يحيرون الا انفسهم ولكن لا يشعرون
ويحتمل وما يشعرون بما عليهم فيما ودوا من اليم العقاب والله اعلم وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله وانتم تشهدون • يحتمل وجوها يحتمل وانتم تشهدون تلك الآيات وتعاينها وتعلمون
انها آيات نزلت من عند الله فتكابرون وتعاندون ولا تؤمنون بها ويحتمل وانتم تشهدون اي وانتم تعلمون
ما في التورية والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
حق لكن لا تتبعونه والآيات يحتمل القرآن ويحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا ويحتمل غيرها من الآيات
الحسية والعقلية وقال بعضهم لم تكفرون بدين الله وانتم تعلمون بدلالة الخلقة وشهادة كتبهم
ان دين الله وتوحيده حق والله اعلم وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق
وانتم تعلمون • في الآية دلالة جواز هتك السر وافشاء المكنون والمكتوم من الامر اذا كان في ذلك
تحذيرا لغيرهم وزجرا عن مثله وترغيبا لهم في المحمود من الفعل وحملا عليه وفي الآية دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه يخبرهم عما كانوا يكتمون ويسترون فيما بينهم مع ان احدا من العقلاء لا يفشي
سره الذي يكون سبب الزام الحجة عليه ليقف هو على سرهم من جهتهم فعلم ان ذلك من اطلاع الله تعالى اياه
على ذلك الا ترى انه لما قال لهم لم تلبسون الحق بالباطل لم يتعرضوا بشيء من ذلك فيقولوا متى لبسنا الحق
ومتى لبسنا الحق بالباطل فدل انهم علموا انه حق وانه رسول وانما علم ذلك بالله تعالى وقوله وانتم
تعلمون ثم علم ذلك يكون بان كان ذلك في كتابهم او علموه بالآيات المعجزة ويحتمل قوله وانتم تعلمون ما في لبس
الحق بالباطل وكتمه والله اعلم ويحتمل ايضا وانتم تعلمون انكم تلبسون الحق بالباطل والله اعلم قال الشيخ في قوله
الله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء وقوله يا اهل الكتاب لم تحاجون وقوله لم تلبسون وتكتمون
من الآيات التي خص بها اهل الكتاب بالخطاب وجوه من المعتبر احدها ان الذين خوطبوا بهذا الاسم
معروفون وهم اليهود والنصارى حتى لم يخطر ببال مسلم انه قصد به غير اهل التورية والانجيل ولا ذكر
تلاوتها فحق المحاجة على غيرهم وبذلك هذا ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب وان المراد من ذكر اهل الكتاب
غير المجوس وان اخذ الجزية من المجوس لم يكن لدخولهم تحت اسم اهل الكتاب بقوله من الذين اوتوا الكتاب
حتى يعطوا الجزية عن يد لكن بدليل آخر هو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سنوا بهم سنة
اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم يدل على صحة ما قلنا قوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا ليعلم ان المراد كتاب معروف وهو التورية والانجيل وان كان ثم كتب وصحف وكان المراد
من اهل الكتاب هم اليهود والنصارى لتعارف هذا الاسم في حقهم وان كان غيرهم قد يكون من اهل الكتاب
والله اعلم والثاني ان الله تعالى خص اهل الكتاب بانواع من الحجج وجعل المحاجة بينهم وبين الرسول وكذا خص اهل

اهل الشرك وان كان مرسلا الى جميع الكفرة من الدهرية والثنوية واهل الطبائع والنجوم وغيرهم حتى كان
تمامه سورة الانعام في محاجة اهل الشرك وعامة سورة المائدة في محاجة اهل الكتاب وكذا هذه السورة
سورة آل عمران وان كان لا يخلو القرآن من الحجج على سائر اهل الكفر من حيث التصريح فان لا لا تعدو ذلك
لان مسكنه بمكة والمدينة واهل المدينة كانوا اهل كتاب واهل مكة كانوا اهل شرك فانزل الله تعالى في حق كل
فريق حججا هي القول بهم واحق وهي الحجج العقلية في حق اهل الشرك والحجج السمعية في حق اهل الكتاب لان
محاجة اهل الشرك اكثرها في التوحيد وامر البعث واهل الكتاب يعرفون بذلك لكنهم ينكرون مجيء رسول الله
آخر وتغيير شريعتهم ونسخها وان كان كل واحد من النوعين حجة على الفريقين جميعا لانه متى حاج اهل الكتاب
بما في كتبهم ويخبر بما فيه من نعوته ومن انباء الغيب من غير ان وجد منه السبب الذي به يوصل الى ذلك
وهو التعلم من اصحاب الاخبار والتواريخ بالتعلم منهم بالاختلاف اليهم ولم يعرف قط انه اختلف
اليهم ولم ينطق فيها احد من الكفرة مع ان منهما الركيك اللسان الذي يظهر كتبهم مع هذا اخبرهم بجميع ما
في كتبهم بغير لسانهم ليعلم انه ادرك ذلك لا لحقيقة كتبهم وهو الله تعالى بطريق الوحي فيثبت به
كونه رسولا حقا فيكون ذلك حجة على الفريقين ودعوته تلزمها جميعا بناء على قيام المعجزة الناقضة للعادة
ان حصول العلم بدون سبب موضوع له عادة لا يكون الا من الله تعالى آية ومعجزة لصدق دعوى الرسالة
والله الموفق ولذلك فانه الحجج العقلية من غير ان عرف بالتعلم من ارباب علم بحيث لو صرف عاقل كامل العقل
عمره في تعلمها لا يقدر على اتيان مثل ذلك كان ذلك بدلالة نقض العادة فيكون معجزة فيدل على صحة رسالته
فيكون ذلك حجة على اهل الكتاب كما هو حجة على اهل الشرك والله الموفق ثم بيان تخصيص اهل الكتاب بالزام
الحجة عليهم اظهر ويكون الالزام عليهم الزاما على اهل الشرك من وجوه احدها ان سفه اهل الكتاب قد ظهر
بوجه تسقط عندنا لتأمل محاسنهم ورتبتهم الذي كان يمنعهم ذلك عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح كتبهم وشهد بالصدق والحق لها واظهر الايمان برسلهم
وادعى ان كتابه مصدق لذلك كله وانه ليس بين الكتب والرسل اختلاف في الدعاء الى عبادة الله تعالى
وتوحيده ثم مع هذا كذبوه ونسبوه الى السحر والجنون ومع ذلك ظاهروا اهل الشرك الذين يكذبون
بكتبهم ورسلهم واظهروا الموالاة معهم ليجتمعوا فيقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
من اعظم السفه والتمرد حيث ظاهروا اعداءه من يوافقهم في اصل الدين ومعظم الشرائع ووالاه
من يخالفهم في الدين لرياسة السلطان لهم بل سبقتهم على السفهاء تحلبا لحطام الدنيا ومن كان سفهه بهذه
الدرجة ظهر كونه على الباطل ويظهر بطلان من يظهر الاعانة لهم والتقدم على نصرتهم وهم المشركون فيكون
اظهار الحجة على اهل الكتاب الزاما على الفريقين والله الموفق والثاني ان اهل الشرك قد عرفوا حاجتهم
الى اهل الكتاب فانهم كانوا يرجعون اليهم في بعض الاوقات في امور الدين وما عليه امر الرسالة وكانوا
قد اقروا لهم بالفضل لما عندهم من الكتب السماوية فيكون الالزام في حق اهل الكتاب الزاما عليهم لكونهم
اتباعا لهم في امور الدين على ان اهل الشرك قد تمنوا ان يكون منهم نذير وفيهم كتاب ليصدقوه
ويقبلوه كما اخبر الله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم
فلما جاءهم نذير وان ذكر لا نفور كان رسل الله محمد عليه الصلوة والسلام من انفسهم وانزل عليه كتابا
بلسانهم فلما وجد عجز الكل عن اتيان مثله وامره بالمحاجة مع اهل الكتاب بما في كتبهم وظهر لهم رجحان
حجته عليهم ثم امتنعوا عن تصديقه استكبارا منه وتعنتا فيكون ذلك ابلغ في الحجة عليهم واقطع
لعذرهم والله الموفق وايضا انه حاج اهل الكتاب بالموجود في كتابهم والمعروف عندهم من العلم
بالكلمة التي دعاهم اليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والامر واخبار ما في كتبهم من انواع البشارات
به ومن موافقة كتابه كتبهم وكونه مصدقا لما في ذلك كله ولم يتمكن احد من اهل الكتاب بمقابلته بالتكذيب
بالتكذيب ولا قابلوا كتبهم كتابه ليظهر كذبه فدل انهم علموا صدقه وهذا اعظم من الحجة عليهم وان
كان اظهار جميع ما هو مناقض للعادة دليل رسالته لكن ذلك ربما تخالج في قلب بعضهم انه تخييل او
شعبذة وهذا مما لا مرية فيه يقينا كل من كان من اهل الكتاب ان الامر كما اخبر وكان هذا اعظم حجة واقطع
للعذر وصار هذا كما قال ابرهيم عليه السلام لما كانوا يعبدون على النجوم وادعوا الوهيتها حاجهم في ذلك
ليكون اقطع للعذر ذكرنا هذا وايضا انه قد اخبر عليه السلام لهم ما قد حرفوا من كتبهم وبدلوا من احكامهم
ومن غيروا من صفته ونعته ولا شك انه لا يمكنهم تكذيبه في ذلك باحضار كتبهم ليتبين
لهم مواضع التي حرفوها وبدلوها وامتنعوا عن المقابلة ليعلم كل الخلائق من انقادهم له ان ذلك

امر لا يدركه عليه السلام الا من له العلم بكل سر ونجوى ولا قوة الا بالله ثم في محاجة اهل الكتاب والشرك
وجوه من المعتبر احدها ان ذلك الزمان لم يكن زمان حجاج ونظر في امر الدين انما كان الزمان زمان تقليد
في امر الدين ومباهاة في امر الدنيا وتفاخر بكثرة الاموال والحواشي فبعث الله عز وجل رسولا نشأ بين ظهرهم
دعاهم الى ترك التقليد في الدين والى اتباع الحجج التي لا يبلغها اهل الحجاج بعقولهم ودون ان يكون لهم المعونة من علم الوحي
وما فيه من حكمة الربوبية فكيف والقوم اصحاب التقليد انما ثقة بائمتهم الذين ادعوا علم الكتب المنزلة وما
ثقة بآبائهم فيما شاءوا والثاني ان الحق لا يثبت عندهم مع التقليد دليل متناقض مختلف فان الذين اتبعوا آباءهم
وقلدوهم لم يكونوا اتبعوا اباءهم وقلدوهم لم يكونوا اتبعوا او قلدوا اولئك الذين ادعوا انهم ائمة في الدين
لما عندهم من الكتب المنزلة ولا الذين قلدوا ائمتهم فدل ان التقليد دليل متناقض اذ لم يكونوا اهل نظر في الدين
ومحاجة فيه لم يعرفوا ان ذلك يمنعهم من التقليد مع ما بين لهم الحجج وكلفناهم بالمودع من حجاج بينا انهم في كتبهم
والزمهم انهم لو كانوا يقلدون الاباء لكان تقليد اولئك الاباء احق لما كان عندهم ان اباءهم على دين اولئك
الاباء الذين كانوا على الحق لكن بين لهم ان هولاء حرفوا تلك الكتب وتركوا طريقة ابائهم المتقدمة فكان اتباع
اولئك احق وبين ان كتابه موافق لكتبهم فالزمهم بموجب اعتقادهم التقليد الاتباع له بما دعوهم اليه كان عليه
الاباء هم المتقدمة دون هولاء المتاخرين الذين ثبت عنهم التحريف والله الموفق والثاني انه لما كان امرهم على التقليد
لا ينتهي بين هلكتهم انه قد ظهر لهم الاختلاف في ائمتهم وادعاء كل واحد منهم ان ذلك هو الحق كان عليه الانبياء
والرسل فان اهل الكتاب بعضهم الاختلاف والتفرق لا يتهيأ تجانس البعض على البعض وليس بعضهم
اولى بالتقليد من بعض وعرضتهم الحاجات في الحوادث الى الاحكام فلا يتهيأ بينهم على الحجة وقد بعث الحق بعث
الله عز وجل بفضله من اظهر لهم بما انطق به لسانه من الحجاج واراهم عليه بما اعجز وحفظ مما كان عليه اوائلهم
فكان ذلك اظهر لبيان واولى ما تعرض من افضال الله عليهم بالاجابة والامتنان عليهم بالفرج مما قد مسهم
الحاجة ودفعتهم الى العلم به الفاقة والله الموفق والثالث انه دعاهم الى الزهد في الدنيا بعد الركون اليها
والى الاخرة في الذين بعد ظهور التفاخر بينهم بتكثر العشائر وتفاتيل القبائل والى السخاء بجميع ما طبعوا
عليه وكل ذلك على خلاف الطبيعة وقهر العادة واظهر لهم ان عاقبة الدنيا وما فيها الفناء والجلال والكمال
يجب الصرف الى ما هو وسيلة الى دار الاخرة ودعوتهم وكحدين اهل عصره على خلاف ما هم عليه اعني ان ذلك
العصر عصر تقليد وميل الى العمل بالطبائع دون النظر في العواقب وهو لم يفعل ولم يدعوا الا الى ما فيه
عاقبة حميدة ويمنع عما فيه لذة حاضرة لا عاقبة لها انه سماوية خارجة عن وسع البشر وهي اقطع لعذرهم واسكن
لقلوبهم لينالهم الحمد على ذلك والله اعلم وقوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل
على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ٥ يحتمل وجهين لحرمها حقيقة النهار ثم
هو متوجه ويحتمل احدهما امر القبلة خاصة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الابتداء يصلي الى بيت المقدس
فلما ورد النسخ الى الكعبة وقد كان يصلي صلاة الصبح الى بيت المقدس فحولت القبلة الى الكعبة في صلاة الظهر
قال بعضهم لبعض امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي بالقبلة الى بيت المقدس واكفروا بالقبلة
الى الكعبة يريدون بذلك المحاجة الموافقة في احدى القبلتين يعنون بيت المقدس ان كان حقا فلا اسماء الحق
الا الضلال وان يعلموا ان الكعبة حق وان التحويل بامر الله تعالى ليشبهوا ويلبسوا على الضعفة لانه لا احد ينتقل
من دين الى دين ومذهب الى مذهب الا بعد ان لزم الدين الاول احوالا فقد وافقنا فيه مرة ولانه لا يؤمن بالقياس
على الثاني بل الانتقال الى الثالث فيجب التمسك بالاول هذا غرض اهل الكتاب وهو المحاجة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولهذا قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
ذلك انكروا جواز النسخ في الشرائع سفها منهم لظنهم ان ذلك تقبيح الحسن وتحسين القبيح وذلك لا يجوز
على الله تعالى وليس الامر على ما زعموا فان التناسخ ليس لاختلاف العبادات لاختلاف الاوقات مع بقاء الحسن
في المنسوخ وقته لا انه يظهر بالناسخ انه كان قبيحا فيؤدي الى البدا وانما التناسخ في العبادات الا نظير التناسخ
في الاحوال فان الناس قد يتعاقب عليهم الصحة والمرض والغنى والفقر والكبر والشباب والشيب والحياة والموت
وذلك لا يوجب البدا فهذا مثله على ان شرع العبادات لمصلحة العباد وكذلك سائر الشرائع ومن وضع الشرائع
وتعبد العباد بها فهو المستأثر بعلم مصالح العباد فحين طلب الامر بها يجب القول به لكونه اصلح للعباد ثم اذا جاء
النهي بعد ذلك او النقل المحرم يجب القول بانتهاء المصلحة وحدوث مصلحة اخرى والله الموفق والثاني ان يكون
المعنى ان القول النهار لهلة انزل بما فيه وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان او وصف اوليائهم في دعاء
الحق وتعاهد الذين نامرهم بالاتيان بذلك ليعرفوا منهم انهم ثبت قصص من تقدم من اوائلهم بالثبات على الحق وانهم

عاذكر

على ذلك والذي انزل في اخر النهار بجملة ما فيها اخبر من تبديل من بدل من اوائلهم وتحريفهم امروا بالكفر
بما انزل في اخره اي بالجحود والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلزموا الضعفة بالتقليد لاوائلهم الثبات
والاتفاق بذلك والله الموفق وكان رجوع الكفرة الذين لم يعلموا سعة هولاء ان تاملوا في حال محمد صلى الله
عليه وسلم انه لم يعرف حال الاوائل لانهم اذ هو لم يختلف اليهم ولم يدرس كتبهم ولم يعرف لسانهم علموا انه وقف
على ذلك بالوحي فعلى ذلك الامر الاخر يقف عليه الوحي فلم ينظروا الى تكذيبه علما انهم ابا ما نطقوا وصدقه عندهم بما
عن الغيب بدا اكتساب سبب ذلك العلم والله الموفق مع ان القران وصف بتصديق كتبهم فحقهم فيما هو في
مقابلة كتبهم بالقران ليظهر صدقه وبعده من الكذب كيف وقد ظهر تعنتهم وسفههم وعظامهم المنكرين
لكتبهم المكذبين رسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تصديقه اياهم وشهادة كتابه بذلك
ليعلم المتامل عنادهم بغيا وحسدا كما اخبر الله تعالى عنهم وان الوجه الاخر من تاويل الاية ان زاد بما اخبر عنهم
ان الامر للنبي صلى الله عليه وسلم واخره لا حقيقة ببطلانها دون ذلك يخرج على وجهين ايضا احدهما ان يكون
دعاؤه الى اول الامر الى التوحيد والايمان بالكتب المتقدمة وهم يدعون الى ذلك فوافقوه على ذلك كانوا قبل ظهوره يدعون
صلى الله عليه وسلم واخر ذلك بما بين من تحريفهم وتغييرهم الخدمهم النبي وعلمهم الحسد وخافوا على رياستهم
واشفقوا على ملكهم واظهار كثير مما قد كتموا وانهم يكذبونه في هذا والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون
ذلك من ائمتهم اصطلاحهم على الايمان بالاظهار لا حقيقة ليثبتوا لكلهم في الدين وحرصهم على قبول
الحق ثم يكفرون به ليكون الاول ذريعة لهم في الثاني انهم اذ ظنوا انه على الحق ادعوا لما بين لهم باطله
رجعوا من ذلك على ما قيل في القصة ان بعضهم كانوا يقول لبعض امنوا بمحمد في اول امره حتى يوقن العرب
ثم اكفروا به في اخر امره فيقولون لنا لم كفرتم به ورجعتم عن دينه فيقول لهم انا وجدنا في التوراة نعته
وصفته فحسبنا انه ذلك فامنا به ثم نظرنا فاذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا
حتى يرجعوا جميعا عن دينه وكان ذلك المكيدة في الامر كثيرة منه واطلع الله تعالى نبيه على ما اسر والمكيدة
على ما اطلق له الحجة لهم الحجة عليهم من ذلك في الاخبار عن سرهم وجملة ذلك ان الاية وما التسبب الذي
كان منهم القول فيما كان ولكنه بيان ان ذلك كان منهم اسرار اطلع الله تعالى نبيه فيكون حجة له على
رسالته ورجوع الفهم ايضا عن كل انواع التبديل والتزوير في شان رسوله عليه السلام عما تمسك عليه
سترهم فيفتضحون عند من رام اسرارهم فيسقط ذلك استعمالهم والله اعلم وقوله تعالى ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم ٥ يحتمل وجوها ولا تؤمنوا في السر على الحقيقة الا لمن تبع دينكم وان اعطيتم لغيرهم الظاهر
ويحتمل ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم بعد ما ظهر تم كفرانا على قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره ويحتمل ولا تؤمنوا بنبي يجاء به الا لاجل من تبع دينكم
اي لا تصدقوا في الظاهر الا لتطمئن العرب انه على الحق فتتبعكم بالذي فضلتم لعهدنا بكم اهل الكتاب وانكم
اعلم منا انه لم تعرضوا ان لم يكن الا على الوجه الذي كان في كتابنا نعته لكن حسبناه كذلك لتتبعكم في ولا
كما تبعكم في القول لتكونوا الحجة في قلوبهم انكاره وتكذيبه ويحتمل ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا من يخبركم
عن اوائلكم الا لمن تبع دينكم على المنع والزجر عن تصديق الرسول عليه السلام بما يخبرهم عن التحريف والتبديل
وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله ٥ يحتمل وجهين احدهما البيان اي ان البيان هو ما بين الله تعالى اذ هو
الحق وكل ما فيه الكفر فنحو تلبيس وتمويه والثاني يحتمل ان يكون هو الذي دعا اليه بما اوضح وانار من الحق
لا الذي دعا اليه ذلك المحرفون وقوله تعالى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ٥ يحتمل ان يكون قوله ان يؤتى احد
صلة قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ويكون بناء عليه على التقديم والتاخير وان يكون في معنى قوله
ان يؤتى احد اي لم يؤت ان يؤتى وتقديره كانه يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فانه ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم من الكتاب والحجج ولا نعنا الى الحد بمثل ما بينكم قالوا ذلك حسدا وبغيا منهم فامر عليه السلام
بان يقول قل ان الهدى هدى الله وهو دينه او القران او ما دعا اليه فيكون هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين لما نزل قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يعني ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا اهل الاسلام من الحجج والبيان
التي توضع ان الحق في ايديكم ويحتمل ان يكون قال ان يؤتى احد من الانبياء قبلي من الايات مثل ما اوتيتنا
لان اياتهم كانت حسية يفهمها كل احد واياتي حسية وعقلية لا يفهمها الا الخواص من الناس وخيرته
والله اعلم وقوله تعالى او يحاجوكم عند ربكم ٥ يحتمل انه راجع الى قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم او يحاجوكم
بمعنى ليحاجوكم او حتى يحاجوكم عند ربكم انهم قد امنوا به واقروا له ثم رجعوا وحرفوا او يستعمل بمعنى
السلام بمعنى حتى كما قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلموا اي حتى يسلموا فهذا مثله وهذا كقوله تعالى وذا القول الذي

آمنوا او آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم
انهم كانوا يظهرون لهم الاسلام اذ لقوا ثم اصحابهم قالوا انما نحن مستهزؤن فقال بعضهم لبعض
لا تظهروا لهم الاسلام ليحاجوكم به عند ربكم في الآخرة فهذا كذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون صلة لما
فهو على انهم لا يؤمنون مثل ما اوتيتم يا اهل الاسلام من الحجج ليحاجوكم به عند ربكم لما قد ظهر تعنتهم وتحاجهم
والله اعلم وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ۞ بين والله اعلم ان الفضل هو السبب الذي به
ينال كل خير وفضل وقوله تعالى يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۞ ليس بيد الله وكون
الاختصاص انما ذلك بيد الخلق لانه قولهم ان ليس على الله ان يفعل بالخلق الا ما هو الاصلح لهم في الدين له
ان يؤتي احدا فضلا ولا له ان يختص احدا برسالة الا من هو مستحق لذلك مستوجب له وذلك الفضل والاختصاص
انما استوجبوا بانفسهم لا بالله تعالى على قولهم ففي الحقيقة كان الفضل بيدهم لا بيد الله فكذبهم بقوله ان
ان الفضل عند الخلق هو فضل لما ليس عليه لا ما عليه فيضل الله من الشرف في العقود والرفع عند الرشد وقوله تعالى
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك ۞ فا
ما تقدم ذكره ثم الآية تحتمل ان يكون المراد بها اهل الكتاب المعروفين من اليهود والنصارى وصف الله تعالى
بعض اهل الكتاب باداء الامانة وبعضهم بالخيانة وليس المراد من الآية والله اعلم القنطار نفسه و
نفسه ولكن المراد من هذا وصفهم بان فيهم امانة وخيانة قلت الخيانة او كثرت وكذلك الامانة لا
انه يستحق الذم بمنع القنطار والدينار اذا خان وكذلك يستحق الحمد اذا ادى ما دون ذلك لانه لم
بالتقدير ولكن على سبيل التمثيل وهو كقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ليس ارادة الذرة ولكن على التمثيل ان يعمل الخير والشر قليلا او كثيرا وكذلك الاول وفي الآية دلالة
جواز الاجتهاد والاستدلال دون القصر على المنصوص عليه بما ذكرنا انه يريد به القدر الذي ذكره من
القنطار والدينار ولكن ارادبها اثبات وصف الامانة والخيانة فيهم تعرف ذلك بالاجتهاد وفيه دلالة
على بطلان قول الشافعي ان الدينار في حد الكثير حتى قال ان يحلف مدعيه عند المنبر كما في الاموال
الكثيرة ما تقدم ذكره في حد القلة وقابله بالقنطار فدل ان ذلك لكثير وما الدينار القليل فيكون
هذا حجة عليه وفي الآية ايضا دلالة جواز الشهادة بعضهم لبعض وعلى بعض لان الآية نزلت في اهل
الكتاب من الكفرة عند عامتهم قد وصفهم تعالى بالامانة في المال وان كانت الامانة لهم في الدين ثم
امانة لا في باب الدين فيكون الكفرة منهم اهلا لها والله اعلم ويحتمل ان يكون الآية فيمن اسلم منهم ومن
منهم فوصف المسلمين منهم بالامانة ومن لم يسلم بالخيانة على ما ذكر في آية اخرى ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون وصف من آمن منهم بالعدالة والهدى ووصف الكفار بالخيانة في غير آي من القرآن ويحتمل
ان يكون الآية فيما ائتمنوا بالاتباع عندهم ويحتمل فيما جرى بينهم وبين المسلمين من المداينة من غير رهن ولا كفالة
وهو كقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته امرهم باداء الامانة فيما ائتمنوا والله اعلم
وقوله تعالى الا ما دمت عليه قائما ۞ قيل هو ملازما مواظبا ملحا متقاضيا ومن عامل عامل من المسلمين
هذا المعاملة يخاف دخوله هذا النهي والوعيد وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل
يحتمل انهم ارادوا بالاميين الاعراب اذ ليس لهم كتاب قالوا ذلك لانهم كانوا يستحلون اموال العرب غلبة
ويقولون لم يحل علينا في كتابنا الاموال حرمة لحرمة اموالنا علينا بقولنا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
ويحتمل انه ارادوا بالاميين جميع المسلمين على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن امة امية
لا نحسب ولا نكتب ويحتمل ليس علينا اثم فيهم سبيل اي لا يؤاخذنا الله تعالى بذلك وقيل لا حرج
علينا في حبس اموالهم لانه في التوراة فاكذبهم الله تعالى في ذلك وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
انهم يكذبون على الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ۞ يحتمل
قوله بلى ردا على قولهم ليس علينا في الاميين سبيل بل عليكم سبيل في اخذكم اموالهم وهذا لانه حرف
بلى حتى ذكر عقيب النفي يكون عمله من نفي النفي وتقرير المذكور بلا نفي كقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى ثم
ابتدأ الكلام فقال من اوفى بعهده فان الله يحب المتقين اي هؤلاء هم الذين يحبهم الله تعالى لا اياهم ويحتمل
بلى من اوفى بعهده الذي عليه في التوراة من اداء الامانة واظهار نعت النبي عليه السلام وصفته لا فيما
واتقى محارمه وظلم الناس في ترك الوفاء ونقض العهد وصدق الله ورسوله ولم يكتم نعته وصفته فان الله
يحبهم والله اعلم وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله ۞ قيل عهد الله امره ونهيه ويحتمل ان يكون هذا
العهد ما عهد اليهم في التوراة ان لا يكتموا نعته وصفته ولكن يظهروا ذلك للناس ويقروا به وقوله تعالى

وايمانهم ثمنا قليلا ۞ ايمانهم التي حلفوا كذبا ان ليس نعته وصفته فيه مخافة ذهاب منافعهم ويحتمل
ان حلفوا كذبا واخذوا اموال الناس بالباطل والظلم وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حلف
على يمين ليقطع بها مال المسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلى هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
والعهد والايمان سواء الا ترى الى قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ويحتمل
عهد الله ما قبلوا عن الله وما الزمهم الله والايمان ما حلفوا ثم والله اعلم وقوله تعالى اولئك لا خلاق لهم في الآخرة
اي لا نصيب لهم في الآخرة مما ذكروا وزعموا ان لهم عند الله تعالى من الخيرات والحسنات وهو كقوله حبطت اعمالهم
في الدنيا والآخرة وقوله تعالى ولا يكلمهم الله ۞ يحتمل وجهين يحتمل انه اراد به كلام الملائكة الذين يأتون
المؤمنين بالتحية والسلام من ربهم لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ولقوله
تعالى يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فلا يكلمهم الملائكة على ما يكلم المؤمنين لكن الله تعالى
اضاف كلام الملائكة الى نفسه لوجهين احدهما ان الملائكة من خواص عبيده فيكون كلامهم مع المؤمنين
في اثبات الكرامة لهم بمنزلة كلام الله تعالى على ما تقدم ذكره من اضافة النصر اليه على ارادة اوليائه ونحو ذلك
فهذا كذلك والثاني ان الملائكة رسل الله تعالى وكلام الرسول كلام المرسل وهذا كقوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء جعل بعث الرسول كلاما فكذلك
هو كذلك الاول ويحتمل ان يكرم الله عز وجل المؤمنين في الجنة بكلامه على ما اكرم موسى عليه السلام في الدنيا
بالكلام معه كما قال وكلم الله موسى تكليما ولا يكلم الكفرة كما يكلم المؤمنين سوى ان يقول لهم قال
اخسؤا فيها ولا تكلمون ويحتمل لا يكلمهم الله بالرحمة وان كان يكلمهم لا بطريق الرحمة وهو كقوله وقوله
ولا ينظر اليهم ۞ اي بالرحمة لان احدا من الخلائق غير محجوب عنه وقوله تعالى ولا ينظر اليهم يعني نظر رحمة كما
ينظر الى المؤمنين بالرحمة وقوله تعالى ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ۞ اي لا يجعل جزاءهم ثوابا ولا زكوا
اعمالهم وهذه الآية في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ابدا لا في مطلق الكفار اذ من قد يسلم فلا يدخل تحت
هذا الوعيد والله الموفق وقوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب ۞ اي يحركون السنتهم
بقراءة الكتاب على التعظيم والتبجيل لتحسبوه من الكتاب ۞ اي كانوا يحرفون نعته وصفته في كتابهم ثم
ثم يتلونه على التعظيم لتحسبوه من الكتاب المنزل من السماء وما هو من الكتاب المنزل من السماء ۞ ويقولون
هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۞ انهم يكذبون على الله وان ذلك ليس من عند الله
وقوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ۞ اي ما كان لبشر اختاره الله واتاه الكتاب
والحكمة والنبوة ۞ ان يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ۞ اخبر الله عز وجل ان الانبياء عليهم السلام
ما كانوا يدعون الناس الى عبادة غير الله تعالى وما اضاف الكفرة من دينهم الذي فيه عبادة غير الله تعالى
الى انبيائهم فهو كذب وبهتان من الكفرة على انبيائهم وان الله تعالى لا يجعل رسالته لمن لا يكون معصوما
عن مثله كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته اي لا يجعلها حيث يخون ويكتم والله اعلم وفي هذه الآية
نقض على الباطنية قولهم ان الله تعالى لا يوحي الى النفس البشرية الكتاب بلا النبوة ولكن يفيض الوحي والنبوة
عندهم ما ان الله تعالى الذي يسمونه العلة الاولى يخلق العقل فيستمد العقل منه والعلم منه يعني النفس الروحانية
وهي النفس الناطقة التي هي الروح عند الناس تستمد من العقل ثم هو يحيل في قلوب الانبياء ورزقهم
على الفهم والعلم لقوله نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ثم الانبياء
والرسل عبروا ذلك بعباراتهم والفوا كتبا وصحفا بالعبرانية والسريانية والعربية ثم الناس اخذوا
ذلك منهم وانكروا ان يكون الله تعالى انزل كتابا او ولا انه الملك الى الوحي بلسان معين فالآية تكذبهم وترد
عليهم قولهم حيث اخبر انه يؤتي البشر الكتاب والنبوة وبقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة وبقوله خبرا عن عيسى عليه السلام حيث قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا
والله الموفق وفيها دلالة عصمة الرسل والانبياء عن الكفر والمعاصي فانه قال ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ثم يكون من الرسل دعوة الخلق الى عبادة غير الله ونظيره
ما قال تعالى في عصمة رسولنا عليه السلام ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ثم قال
في ايذاء المؤمنين والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا جعل ايذاء الرسول عليه السلام مطلقا سبب اللعن وجعل ايذاء المؤمنين
سبب العذاب بقرينة انهم اكتسبوا استحقاق الاذى من المعاصي يتصور للعاصي منهم لو كان الكفر
والمعاصي من الانبياء يتحقق ولم يعصموا عن ذلك لشرط فيهم هذا الشرط فدل على التفرقة بينهما والله الموفق

وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين • معناه ان الذى اوتى الكتاب لم يقل للناس كونوا عبادا لى من دون الله
ولكن يقول لهم كونوا ربانيين ويحتمل انه على الابتداء والاستيناف كانهم يقول لهم كونوا ربانيين ثم
اختلف فى الربانيين قيل اى كونوا متعبدين لله تعالى بالذى تعلمون من الكتاب وبالذى تدرسون وقيل الربانيون
العلماء الحكماء وقيل علماء حكماء فقهاء وهو واحد ثم فيه دلالة ان الرجل قد يدرس ويعلم آخر بما لا يفقه ولا يعلم
معناه لان كل من يدرس شيئا ويعلم آخر يكون فقيها فيه فيعرض ما اودع فيه من المعنى وفيه دلالة جواز الاجتهاد
انه انما يوصل الى ما فيه من المعنى والفقه بالاجتهاد والله اعلم وقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا • قيل ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا الا ان الكفرة يزعمون ويقولون ان الله تعالى
امرهم بذلك وهو كقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها وقيل انه عيسى وعزير لم يذكر
لا يأمركم ان تتخذوا اربابا من دون الله وقد عصمهم الله تعالى بالنبوة عن مثل ذلك وقوله تعالى أيأمركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون • يحتمل وجوها يحتمل أيأمركم الله بالكفر بعد اذ انتم مسلمون له بالخلقة لما تشهد خلقة
كل واحد على وحدانيته وهو كقوله وله اسلم من فى السموات والارض الاية ويحتمل بعد اذ انتم مسلمون
اى بعدما اظهرتم له واسلمتم واقررتم به مرة ثم كفروا بعد الايمان والتوحيد على الخلوص ويحتمل قوله بعد اذ انتم مسلمون
اى بعد اذ دعاكم الى الاسلام والخطاب لبعضكم وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة • قال مجاهد قوله النبيين خطأ من الكاتب والصحيح ما ذكر فى قراءة ابن مسعود ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لما آتيتكم من كتاب وحكمة وهو كما ذكر فى آية اخرى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه وهذا لان الميثاق لا يؤخذ على النبيين ليصدقوا وقال غير مجاهد بان القراءة المعروفة صحيحة
واختلفوا فى تأويل الاية قيل انه اخذ الله الميثاق من الانبياء المتقدمين ليصدقوا بما جاء به الآخر منهم لو ادركوه
وقيل اخذ الله تعالى ميثاقا على النبيين ان يصدق بعضهم بعضا وان يبلغوا كتاب الله ورسالته الى قومهم
وان يأخذوا من قومهم العهد والميثاق ليؤمنوا بمحمد عليه السلام وينصروه وقيل اخذ الله تعالى على النبيين
ميثاقا على ان يبلغوا الرسالة الى قومهم ويدعوا الناس الى دين الله وقال ابو بكر الكيسانى المعروف بالاصم
فيه بوجهين احدهما على الاضمار اى اخذ الله ميثاق الذين منهم النبيون وهم بنو اسرائيل وكل ميثاق ذكره
الله تعالى فى القرآن فى اهل الكتاب فانما يراد به بنو اسرائيل والثانى ذكره كما ذكرنا من تصديق بعضهم بعضا
وتبليغ كتاب الله تعالى الى قومهم وقوله تعالى ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه • اى
اخذ عليهم المواثيق ليأخذوا على قومهم المواثيق ليؤمنوا بمحمد عليه السلام اذا خرج وينصروه وقوله تعالى قال
أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى • اى قال الله تعالى للانبياء أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى الاصر
قيل هو العهد وقوله تعالى قالوا اقررنا • اى الانبياء عليهم السلام قالوا اقررنا بالعهد ليؤمنن به ولينصرنه
واخذنا على قومنا ليؤمنن به ولينصرنه وقوله تعالى قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين • اى قال الله تعالى
فاشهدوا اى بعضكم من الشاهدين على اقراركم بمحمد عليه السلام وقيل قال الله تعالى واشهدوا انى اخذت عليكم
وانا معكم من الشاهدين انكم قد اقررتم بالعهد وقوله تعالى فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون •
اى فمن تولى واعرض بعد الاقرار والعهد عن ذلك اى بنقض العهد والرجوع عن الاقرار فاولئك هم
الفاسقون بنقض العهد والرجوع عن الاقرار وقوله تعالى افغير دين الله يبغون • يحتمل افغير ما فى دين الله
يبغون من التوحيد وغير الاحكام ويحتمل افغير دين الله يدينون ثم هذا على حقيقة الاستفهام اذ الله
عالم بحقيقة احوالهم ولا يخفى عليه خافية ولكن على التقدير او الايجاب لاعتقادهم فى صنيعهم انهم يبغون
غير الذى يعبد به الله اظهارا لفساد اعتقادهم ورد القبح صنيعهم وهو كقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد
فيها الاية وكقوله افى قلوبهم مرض ثم الدين كانه يتوجه الى وجوه يرجع الى اعتقاد المذهب فى اصول الدين
ويرجع الى الاحكام بقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ويرجع الى الجزاء ايضا فان قال لم معنى قوله افغير
دين الله يبغون وكل كافر له عقل وبصر يبغى دينا هو دين الله ويدعى ان الذى هو عليه دين الله تعالى قيل من
وجهين احدهما ان كل عاقل يبغى دين الله تعالى لكن لما كان بنوع تقصير فى الطلب والاستدلال وللاشتغال
بلذات الدنيا وحظوظها ما منع عن الوصول الى الدين الحق فجعل فى المعنى كانه باغ غير دين الله تعالى اذ لو كان باغيا
دين الله تعالى لطلبه لوجهه الذى يضع فيصل اليه على ما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فدل انه لم يكن باغيا له من حيث المعنى وان كان باغيا من حيث الصورة والثانى ان كلا منهم يبغى فى نفسه
دين الله تعالى لكن قد بان للبعض فى الاجتهاد ما هو دين الحق بظهور الدلائل والحجج وانه على غير دين الله تعالى
فلم يرجع عنه الى الاسلام وبقى على ما عليه على طريق العناد والمكابرة وهو باغ غير دين الله تعالى فكانت الآية

فى المعاندين

فى المعاندين وقوله تعالى وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون • يحتمل وجوها
يحتمل اسلم اى استسلم له بالخلقة اذ فى خلقة كل دلالات وحدانية الله تعالى ويحتمل وله اسلم من فى السموات
الملائكة ومن فى الارض المؤمنون الذين اسلموا طوعا وكرها يعنى اهل الاديان يقرون ان الله تعالى خلقهم وهو
ربهم لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فذلك اسلامهم مع انهم مشركون اياه فى العبادة وعن ابن
عباس انه قال من فى السموات اسلموا طوعا واما اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها مخافة السيف
وعن ابن عباس ايضا قال طوعا من ولد فى الاسلام فانه يوجد منه الاسلام بلا كراهة فى طبعه ولا مشقة وكرها
من اسلم ولم يولد فى الاسلام فهو كره لما فيه ترك دين آبائه والخروج من التقليد وذلك مما يثقل على الطبع وان كان
مختارا طائعا من حيث الحقيقة والله اعلم وقيل منهم من اسلم طائعا ومنهم من جبر عليه وقد ذكرنا فيما تقدم
تفسير الاسلام وقوله تعالى قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم • الاية هذا والله اعلم ودلت
ان اليهود والنصارى لما آمنوا ببعض الرسل وكفروا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض
امر الله تعالى المؤمنين بان يؤمنوا بالرسل جميعا فآمنوا بهم جميعا وقالوا لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
وقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين • اختلف فيه قيل لن يقبل
من يبغ غير دين الاسلام فى الدنيا وهو كقوله ومن يكفر بالايمان كان المؤمن به وهو الله تعالى فقد حبط عمله وهو
من اتى بدين سوى دين الاسلام فلن يقبل منه على ما قال ان الدين عند الله الاسلام وقيل انها نزلت فى قوم
ارتدوا عن الاسلام بعدما اسلموا ثم تاب بعضهم فمن لم يتب منهم نزل فيه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو فى الآخرة من الخاسرين الى قوله الا الذين تابوا الاية وقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات • يحتمل وجوها اى لا يهدى الله قوما هم معاندون مكابرون
فيه غير خاضعين له فلا يخلق فيهم الاهتداء ولا يوفق لهم الاكتساب الاهتداء وانما يخلق الاهتداء
او يوفقهم على كسب ذلك ويقدرهم عليه اذا كانوا خاضعين متواضعين له على ما بينا غير مرة ان الهداية
من الله تعالى على اقسام ثلثة خلق الاهتداء واعطاء القدرة والتوفيق على كسب الاهتداء وتحصيله
وبيان الطريق والثالث عام الوجود فى حق الكافر والمؤمن ودل ان المراد منه غير بيان الطريق ويحتمل
ان هذا فى قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر انه لا يهديهم اما من علم انه يؤمن
فى مستأنف الوقت فانه يهديهم اى يخلق فيهم الاهتداء ويوفقه على تحصيله واكتسابه الا ترى الى
قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا فى سياق الاية اطمع الله ان من تاب عن الكفر واصلح انه يخلق فيه الاهتداء
الى الايمان والقدرة على الايمان ويغفر له ويحتمل اى لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا على كفرهم لقوله ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم وهذا تأويل الحسن وقيل لا يهديهم اى لا يسميهم مهتدين بل ضالين لما اختاروا
من الضلالة وباشروها بانفسهم وهو قول المعتزلة ايضا ويحتمل لا يهديهم فى وقت اختيارهم الضلالة
اى لا يعطيهم قدرة تحصيل الاهتداء ولا يخلق فيهم ذلك لان قدرة الاهتداء فى حال الضلالة
لا يتحقق لان القدرة مع الفعل عندنا وكذلك خلق الاهتداء لا يجامع خلق الضلالة والكفر وقوله
تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين • الاية ترد على المعتزلة من وجهين احدهما يقولون ان الهدى
من الله تعالى هو بيان الحجة والطريق لا غير وهذا البيان شامل الكفرة والمسلمين والله تعالى خص الظالمين
بالحرمان عن الهداية فيكون خلاف النص والثانى انهم يقولون ان التوفيق يتقدم الفعل والقدرة
على الايمان يكون كاملا عندهم فيكون فيه اعطاء الهدى للظالم فاخبر الله عز وجل انه لا يهدى الظالم وهم
يقولون بل يهدى الظالم حيث وفقه على الاهتداء فيكون نحوا خلاف ظاهر النص فاما على قولنا يكون
عملا بالنص لان البيان عندنا منقسم فيكون المراد منه انه لا يعطى التوفيق للكافر وقدرة الايمان فى
عندنا لان عندنا التوفيق والقدرة انما يكون مع الفعل فكان قولنا موافقا للاية وقوله تعالى اولئك
جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
قيل لعنة الله عذاب الله وقيل لعنة الله هى الاياس من رحمته وعفوه وقيل اللعن هو الطرد فى اللغة فكان
معنى لعنة الله هى تبعيده عن رحمته ولعنة الملائكة ما قيل فى آية اخرى خبرا عنهم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب قالوا اى الملائكة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء
الكافرين الا فى ضلال فكان لعنة الملائكة هى قولهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات وقيل لعنة الملائكة هى
قولهم للكفرة انكم ماكثون وانتم فيها خالدون ولعذاب الخلود وقيل يدعون عليهم باللعن حقيقة ولعنة الناس
قيل دعاؤهم عليهم باللعن وقيل لعنة المؤمنين قولهم للكفرة حين طلبوا ان يفيضوا لهم الماء ومما رزق الله

لها اياهم كما اخبر ان الله حرمهما على الكافرين بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما
رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فذلك لعنه عليهم وهو طردهم وتبعيدهم عن رحمة الله تعالى
وقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم * في الاية دليل قبول توبة المرتدين لانه
الا الذين تابوا الاية مبني على قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ذكر الكفر بعد الايمان ثم ذكر
التوبة اطمع لهم في المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر وما قيل في القصة ايضا ان نفرا ارتدوا عن الاسلام
ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض فنزل قوله تعالى الا الذين تابوا الاية وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا يحتمل وماتوا على ذلك بعد ذلك زيادة الكفر منهم لان الكفر يزداد بزيادة المدة وقيل ان الذين
كفروا بعيسى بعد الايمان بالرسل جميعا ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى لن تقبل توبتهم
واولئك هم الضالون * يحتمل اي لا يكون لهم توبة لا ان تكون لهم توبة وترد ولا تقبل الا من تاب
عن الكفر تقبل وكذلك عن سائر المعاصي وهو كقوله تعالى لا يقبل منها شفاعة اي لا يكون لهم شافع لا
ان يكون ثم شفاعة فترد ولا تقبل فهذا مثله اي بسبب شؤم صنيعهم لم يوفقهم الله تعالى للتوبة وقد
التوبة منهم لا اذن بتوبتهم ترد بعد الوجود وقيل الاية نزلت في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر
لا يقبل توبتهم اي لا يكون وهذا كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون نزلت في قوم معينين من الكفار
علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون لا في عامة الكفار فهذا مثله وقيل لن تقبل توبتهم التي تابوا منه ثم
ترددوا وقيل لن تقبل توبتهم التي اظهروا باللسان ولم يكن ذلك في قلوبهم وقيل لن تقبل توبتهم عند
الموت اي التوبة عن الكفر وهو كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته وكقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل والله الموفق وقوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين
يقول لو كان معهم ما فادوا به انفسهم ما قبل منهم ولكن لا يكون وهذا كقوله تعالى لا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل اي لا يكون لهم شفيع لا ان كان لهم شفعاء فيشفعون ولا يقبل شفاعتهم وهذا
يدل على ان قوله لن تقبل توبتهم اي لا يتوبون والله اعلم ويحكى عن انس بن مالك انه قال يجاء بالكافر يوم القيمة
فيقال له ارايت لو كان ملء الارض ذهبا كنت مفتديا به فيقول نعم يا رب فيقال له قد سئلت ما هو ايسر من
ذلك وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * يحتمل ان تكون الاية والله اعلم في كفار منعهم الاسلام
الزكوة والصدقات التي تجب في الاموال وهو كقوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون الى قوله وبما كانوا يكذبون
اخبر وجل انهم لن ينالوا الاسلام حتى يقبلوا الانفاق من الاموال وهو كقوله والذين لا يؤتون الزكوة
وهم بالاخرة هم كافرون ويحتمل ان تكون الاية في المؤمنين رغبهم عز وجل في انفاق ما يحبون من الاموال
وهو كقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال
على حبه اخبر ان البر ما ذكر من الايمان وايتاء المال على حبه وروي عن انس بن مالك انه قال لما نزلت لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون قال ابو طلحة يا رسول الله حائطي الذي في مكان كذا وكذا فهو لله تعالى ولو
استطعت ان اسره لم اعلنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعله في قرابتك او في فقراء اهلك فجعله في حسان بن ثابت وابي
لعبد ... صدقة لله تعالى وكان ... وعن عمر انه قال لما نزلت هذه الاية
... فلم اجد شيئا احب الي ... فقلت هي حرة لوجه الله ...
فاعجبني ... وفي رواية ... الاية فالكافرون ... وقيل البر الجنة وقيل البر الاسلام وهو ...
الاية فالكافرون ... لن تنالوا ثواب البر ... والله اعلم وقوله تعالى
وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم * في الاية حث على القليل من الصدقة لانهم كانوا يمتنعون عن التصدق
بالقليل استحقارا فاخبر الله تعالى انه بذلك عليم ... والله اعلم وقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية * ويروى عن ابن عباس
انه قال كان الطعام كله حلالا لهم الا الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعني يعقوب
فلم حرم على نفسه لحوم الابل والبانها ... يعقوب عليه السلام كان ...
... فلم يعقوب عليه السلام ...
... احب الطعام اليه ...
يعقوب عليه السلام ... على نفسه احب الطعام

اليه فشفاه الله تعالى من ذلك فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها وكانت احب الطعام والشراب اليه
ثبت هذا وهو انما يحرم على نفسه بالاذن من الله تعالى شكرا منه لما اصابه من الشفاء فيكون الامتناع عن ذلك
قربة كالامتناع عن الطعام والشراب والجماع عبادة في وقت خاص في شريعتنا وكان ذلك النهي مشروعا
في وقت الى حين نزول التورية ثم حلالا بعد نزول التورية لبني اسرائيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال اليهود ما الذي حرم اسرائيل على نفسه قالوا كل شيء هو حرام في شريعتنا وتحريمه اليوم فانه كان حراما على
نوح عليه السلام وبقي التحريم الى زماننا وانت واصحابك تستحلون كثيرا مما هو حرام فانزل الله تعالى كل الطعام
كان حلا لبني اسرائيل ردا عليهم وامر النبي عليه السلام بان يقول فاتوا بالتورية لننظر الى الصدق مما قلته
او مما قلتم وذلك قوله تعالى قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين * اي اقرؤها ان كنتم صادقين
ان تحريم ذلك في التورية وانما تحرمونه انتم وانما حرم على بني اسرائيل بتحريم يعقوب عليه السلام
في وقت خاص وهو ما قبل نزول التورية وبين اسرائيل وبين التورية مدة طويلة فان كان ذلك حلالا على
بني اسرائيل قبل تحريم اسرائيل فصار حلالا بعد نزول التورية وانما الحرمة في زمان خاص وهو تحريم اسرائيل
الى وقت نزول التورية لو كان ما ادعيتم صحيحا فاحضروا التورية فاتلوها ويحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخبر ويقول ان تحريم الابل والبانها والشحوم اي الثروب وهي التي على الكلى كان بظلم من بني اسرائيل
بقوله وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل وقد كان حلالا في التورية لو تابعوا حكم التورية وانكر
اليهود ان تحريم ذلك بظلمهم بل الله تعالى حرم عليهم ابتداء فامر الله تعالى نبيه ان قل لهم فاتوا بالتورية ولو
ان كنتم صادقين ان تحريم ذلك في التورية ليظهر كذبهم لما ابوا ذلك اذ لو كان فيه لما امتنعوا عن احضار
التورية ولا ندري كيف كانت القصة ولكن فيها اثبات دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر عما
اسروا واظهر ما كتموا والله اعلم وقوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون
اي من اختلق على الله الكذب من بعد البيان في كتابهم فاولئك هم الظالمون وقوله تعالى قل صدق الله فاتبعوا
ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين * يحتمل صدق الله ان الطعام كله حلالا لبني اسرائيل قبل تحريم اسرائيل
على نفسه فصار ما حرم حراما على قوم الى وقت نزول التورية ثم صار حلالا لما صار نحو ما بتحريمه ويحتمل
صدق الله فيما اخبر ان تحريم ذلك عليهم بظلمهم بعد التورية ردا على اليهود في دعواهم حرمة ذلك عليهم
ابتداء لا بسبب ظلمهم والله اعلم وقوله تعالى فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي فاتبعوا يا امة محمد صلى الله
عليه وسلم ملة ابيكم يعني دين ابرهيم فكلوا لحوم الابل والبانها وكلوا الشحوم والثروب فاحل الله
لامة محمد عليه ما كان حلالا على ابرهيم عليه السلام وحرم عليهم ما كان محرما عليه وهو تفسير الاتباع
والله اعلم وقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا * قيل فيه بوجوه قيل اول بيت وضع للناس
هو بكة وقيل اول مسجد وضع للناس بكة يريد بكة البقعة اي اول بقعة خلق الله تعالى هو بكة ومنها
دحيت الارض وقيل ان ادم عليه السلام لما امر بالحج فيه قال له جبريل قد حج فيه الملائكة فقال يا نبي عام وقد
خلق الله تعالى البيت قبل الارض بالفي عام ثم اختلف في قوله بكة قيل البكة موضع البيت ومكة سائر القرية
وعن ابن عباس قال مكة من فج الى التنعيم والبكة من البيت الى البطحاء وقيل البكة الكعبة حيث يبك
الناس بعضهم بعضا ومكة ما حولها اذا البكة الزحام لغة والله اعلم وقوله مباركا قيل يغفر فيها الذنوب
والخطايا * وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم * يحتمل قوله فيه ايات بينات ما لو تاملوها
لهداهم وذلك ان الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال في ارض ملساء قليلة الانزال والريع لا ماء فيها
ولا شجر ولا نزهة ولا يرغب الخلق في مثله ثم جعل قلوب الناس تهوى اليه وافئدتهم تميل من عزة كان
فيها ما يرغبهم من النزهة فلولا ان ذلك من ايات الله تعالى ولطفه والا لما رغب الناس الى مثله ويحتمل قوله
فيه ايات بينات ما ذكر من مقام ابرهيم هو حجر قام عليه فاثر فيه موضع قدميه وما ذكر من قوله ومن دخله كان
آمنا وذلك من اياته وقوله ومن دخله كان آمنا روي عن الحسن انه قال وقوله تعالى ومن دخله كان آمنا كان
هذا في الجاهلية فاما الاسلام فلم يزده الا الشدة فمن اصاب الحد في غير الحرم ثم لجا اليه اقيم عليه الحد كما
اذا اصاب الحد في الحرم اقيم عليه وبه اخذ الشافعي الا ترى انه قال كان آمنا وهو اخبار عن الماضي وعندنا
يحتمل ان يكون هذا خبرا عن امر الحرم في قديم الدهر ان الخلق كانوا يامنون الحرم والقتال بسبب الحرم اذ التجى
اليه على بين في قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فيكون ذلك من عظيم ايات الله
على وحدانيته وقطع الشركة لان اهل الجاهلية على عظيم ما بدا لهم من الامور وغيروا وامتنعوا عن هذا التعظيم

ما كان ذلك الا لان الله تعالى منعهم بلطف التدبير مع قيام اسباب التغيير والقدرة والحسية على الاغارة
حتى اقدموا على مثلها في حواليه ليكون ذلك آية ودلالة لمن شهد ان هذا السلطان لله تعالى وبه قام هذا التدبير
العظيم وله العلم بحقايق الاشياء ووضع كل شيء موضعه وعلى ذلك قال بعض اهل التاويل في قوله تعالى
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم الآية وقد
جعل الله تعالى الحرم كالمامن في الشرع والطبع فاما الشرع فما جاءت به الرسل اعني على تقرير ما سخر الله تعالى الخلق
في الامتناع عن القتال والاختطاف فيه واما الطبع فما تنافر الناس عن ذلك حتى يتعدى ذلك الى الصيود التي
تاوي اليه وانواع الاشياء التي قامت بحوضه تلك البقعة من النبات والاسباب تكتسب ولهذا كره بيع رباع مكة وبيع حجر
في بيع ما يحدث فيها من النبات والله اعلم ودل على ما قلنا قوله تعالى جعلنا حرما آمنا فانه ذكر بحرف الامتنان الاحتجاج
به على الكفرة في اثبات الربوبية فيدل ذلك على لزوم الامن بطريق الاولى ليلتقي الحجة الى آخر الدهر وليتاكد معنى الامتنان
والله اعلم ويحتمل كان اي صار آمنا بما اوجب له من الامان بالدخول فيه وكانت الآية بظاهرها تنفي يجني ثم دخل
الحرم لان من يجني فهو امن وبدخوله الحرم وفي اي موضع دخل والآية للتخصيص وذلك ان المراد من ثبوت الامن في
حق الجاني وهو مذهبنا فيمن يقتل ثم يلجا الى الحرم انه يامن عن القتل فيه وقد روي عن جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يوافق مذهبنا فانهم قالوا اذا اصاب الرجل الحد في الحرم فيه عليه وان اصابه في غير الحرم ثم لجا اليه
لا يحدث ولا يجالس ولا يؤاكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيؤخذ فيقام عليه الحد وروي عن ابن عمر انه قال لو وجدت
قاتل ابي في الحرم لم اقتله وروي عن ابن عباس مثل هذا المذهب وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله حرم مكة يوم خلقها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار لا
يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحتش حشيشها اخبر النبي عليه السلام ان مكة بعد الاسلام
حرام كما كانت قبله وانها لم تحل الا من ساعة من نهار واذا كان الملتجي اليها امنا قبل الاسلام فالواجب ان يكون
امنا بعد الاسلام ما دام فيها والله اعلم وبهذا كله يتبين بطلان ما ذهب اليه الحسن ثم يقال له اكان القصد كان
آمنا في الجاهلية ثم الاسلام لم يرتفع ذلك الامن بل تقرر ذلك الامن فعلى ذلك الامن الذي كان في الجاهلية
في الناس من يجب ان يكون باقيا بعد الاسلام ومحجة اخرى وهو ان الله تعالى اباح لرسوله قتل المشركين جميعا بلا من
عليه الا اهل مكة فانه لم يحل له قتلهم فيها الا ساعة من نهار ففضل مكة على غيرها بالحضها بتحريم قتل اهلها
فيها احتراما لها فلا يبعد ان لا يقام على من لجا اليها في الاسلام من قصاص وحد وجب عليه بجناية منه
اذ هذه الجناية دون كفر اهلها ولم يحل القتال معهم الا ساعة من نهار فهذا اولى وذلك في قوله تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وبهذا عرفنا الفرق بين من قتل فيها وبين من قتل في غيرها
ثم لجا اليها فان الله تعالى ابيح قتل عند المسجد الحرام اذا قاتلوا وحرم بدون وجود القتال منهم فيه فعلى ذلك
يقام الحد اذا اصاب عما شر سبب الحد فيه واذا باشر في غيره ثم لجا اليه لم يقم فانه لا فرق بين الامرين وفيما
دون النفس يقام الحد وان باشر سببه خارج الحرم لان الله تعالى اثبت الامان للنفس لمن دخل بقوله كان آمنا
لان الظاهر انه يلتجي اليه للامان بالله تعالى فيتوسل به الى اقامة احكام الله تعالى آمنا مع احتمال انه يلجا اليه للهرب
من حكم الله تعالى فثبت الامان عن تلاف النفس تعظيما للحرم وان كان الحاجة ماسة في الجملة الى اقامة الحد
والقصاص زجرا له ولامثاله من الجناة عن الفواحش وتكفيرا ومحوا للمآثم وفيما دون النفس يبقى النفس سالما
عن الهلاك فالتام حصول ما وضع له الحد شرعا فلا حاجة الى الامان للتوسل الى اقامة احكام الله تعالى فيه
آمنا القيام الامن فيما يقوم به العباد وهو النفس فهو الفرق بين الامرين والله اعلم وقوله تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا في الآية فوائد احداها دلت على فرضية الحج ووجوبه من وجهين احدهما
كلمة على المستعملة في الوجوب والثاني قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومثل هذا لا يذكر في غير الوجوب
وعليه اجماع الامة واشتهرت فيه الآثار والثانية دلت على لزوم الطواف بالبيت فانه قال ولله على الناس حج
البيت والحج هو الزيارة فظاهر الآية ان يكون الطواف الذي هو زيارة البيت هو الفرض لا غير وقد يثبت الوقوف
بعرفة ونحو ذلك بدلائل الاخر وايد ذلك قوله وليطوفوا بالبيت العتيق ومطلق الامر للوجوب وكذلك
قوله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم قسم الطواف بين
تطوع وواجب اذ مقابل التطوع هو الواجب ويدل على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
في امراة نفست احابستنا هي قبل افضت وعلى ذلك اتفاق العقلاء بلزوم الطواف فعلم بذلك ان الطواف واجب
لا نهم لا تحل اما ان يكون الطواف الذي يبدا به هو الواجب المفروض او الذي يختم به او الذي فيما بينهما لا يلزم كل
الناس فانه غير واجب على كل الناس وكذا المراد منه هو الطواف الذي يختم الذي يسمى طواف الزيارة والثالثة دلت الآية

على الآية على جواز تاخير البيان عن وقت نزول الخطاب فان الله تعالى فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ولم يبين
ما السبيل مقرونا بالآية ثم جاء البيان عن النبي عليه السلام حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة
فدل على جواز تاخير البيان والرابعة دلت الآية على بطلان قول المعتزلة بهذه الآية في ان الاستطاعة تكون قبل
الفعل فانه اوجب الحج على المستطيع والوجوب قبل الفعل فدل على تقدم الاستطاعة لان المراد بالاستطاعة
ههنا هي الاستطاعة من حيث الاسباب دون حقيقة الاستطاعة من حيث الاسباب وحقيقة الاستطاعة
التي هي شرط وجود الفعل وعلته لان الآية نزلت في الحج والاستطاعة من حيث هي شرط وجود الفعل وتحققه
وهذا لان الاستطاعة نوعان في كل العبادات من حيث الاسباب من نحو الجوارح السليمة والاوقات والمال
الذي لا تقوم بدونه كالزاد والراحلة ههنا وهذه مما يتقدم على الفعل ومن حيث الافعال وهي لا تكون الا مع
الفعل لانها علة وجود الفعل وسببه فلا يكون الا معه لانه يستغني وجوده قبله ولا يفيد وجوده
بعد زمان الفعل فالاستطاعة الاولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل والآية وردت في الحج
الفعل دل ان المراد منها الاستطاعة من حيث الاسباب والآلات فنقول انها تتقدم الفعل وتكون مقارنة
الفعل فلا يكون الآية حجة في تقدم الاستطاعة انما الخلاف في الاستطاعة والدليل على ان الاستطاعة
التي هي شرط الوجوب هي الاستطاعة من حيث الاسباب دون حقيقة القدرة فان الله تعالى اجرى العادة
ان الاسباب متى كانت قائمة خالية عن الموانع يحدث القدرة عند الفعل التي بها يقوم بها الفعل الا اذا كان
من يوجد منه الفعل يصرف تلك القدرة الى غير ذلك الفعل الذي يومر به لميل الى الفعل الثاني طبعا او
لاشتغال الفعل الاول فيكون فوت الاستطاعة ههنا بتضييعه فلا يعد معذورا كفوت العلم
مع قيام سبب العلم بان كان يحدث بالاسلام لم يجعل عذرا لان الله تعالى اجرى العادة على الوصول عند المجاهدة
واما امتناع الوصول لاجل التقصير والتضييع من المكن منه للقيام بالاسباب الصالحة فالذي انحذ لا استطاعة ذي
لا يبقى واما من حدث شيئا فشيئا والذي يكون في اقصى البلاد من مكة لا شك لم توجد في حقه القدرة التي بها
يقام افعال الحج لانه لو دي بمكة فلا يكون قادرا على تلك الافعال الا بعد الحضور الى تلك الامكنة فيجب ان لا يلزمه
الحج الا بحضورها وكان له ان لا يحضر حتى لا يجب عليه ويمكنه ان لا ياتي ذلك المكان حتى لا يجب عليه وكذا
الوقت في الحج شرط الفعل دون الايجاب اذ لو كان الايجاب لكان له ان لا يخرج حتى يحضر ذلك الوقت واذا
حضر الوقت لا يمكن القول بالوجوب اذ المرجع الى المكان الذي يوقع فيه الفعل وهو بعيد منه فعلى
هذا ينبغي ان لا يجب الحج ابدا ولان المرء لا يكلف تحصيل اسباب الوجوب فانه لا يجب على المرء تحصيل
المال باكتساب اسبابها من التجارة ونحوها مما يجب عليه الحقوق الواجبة بسبب المال من الحج والزكوة
وصدقة الفطر ونحوها وبالاجماع الحج واجب على من نأى عن الكعبة دل انه انما يجب باعتبار الاستطاعة
من حيث الاسباب ثم يجب عليه الخروج عن عهدة الواجب باكتساب سبب الوصول لا تحصيل سبب الوصول
الى الخروج عن الواجب واجب فانه يجب الوضوء على المحدث والمحدث والجنب يجب عليهما رفع الجنابة والحدث
للخروج عن عهدة وجوب الصلوة دل ان المراد على ما قلنا لو قيل لنا ان الابدال في الكفارات تجوز استعمالها
في حال العجز عن ذلك الاصول وان كان لا يعلم حقيقة العجز يمتد الى آخر ما يقدر على الاصل بل على اعتبار ان
لا يمتد من حيث الظاهر دل ان المعتبر في باب التكليف ليس حقيقة القدرة وجودا وعدما وانما المدار على
القدرة من حيث السبب والظاهر والدليل على ان المراد من الآية ما ذكرنا من الاستطاعة والسبيل مطلق
وقد صار مفسرا بالزاد والراحلة وهو من جملة الاسباب وعن ابن عباس في قوله من استطاع اليه سبيلا
بان السبيل ان يصح بدن العبد ويكون له من زاد وراحلة من غير ان يجحف ولان الامة اجمعت على كون الزاد
فان التكليف لا يكون بدونها عقلا فان عدمهما لا انه ممنوع عن الفعل والممنوع عنه لا يكلف به فان تكليف
الاعمى بالبصر والمقعد بالقيام محال يجب ان يعرف الخامسة الاستطاعة وهو الاذن من الفعل لان القرب
والعبادات تكون بجوار الشكر لما انعم على المامور فاذا منع من سبب الذي هو النعمة وهو سلامة البدن والمال
لم يتحمل انه يومر بالشكر ولا نعمة والله اعلم واحتج بعض الناس بهذه الآية على انه لا يجب الحج على من كان بينه وبين
مكة بحر لانه لا يستطيع السبيل اليه فتعلق بظاهر الآية لكن عامة العلماء قالوا ان السبيل المذكور في الآية
مجمل صار مفسرا بالحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة
فلم يجز لاحد ان يزيد في شرايط الاستطاعة مع الزاد والراحلة لان النبي عليه السلام هو المبين فعلينا اتباعه
في قوله وفعله وتفسير الآية ولا يلزمنا اذا حال بينه وبين البيت عدو لا يقدر على الوصول الى البيت وكان
بحر فليس ثم سفينة فانه لا يجب عليه الحج وهذا زيادة على ما شرط النبي عليه السلام من الزاد والراحلة في تفسير السبيل

والاستطاعة لانا نقول هذا ليس بزيادة بل هذا جملة ما فسر به السبيل معنى وهو ما يتوصل به الى الحج وثبت
الامكان فالزاد والراحلة من اسباب الوصول فكان ذلك بيانا ان الحج لا يجب الا عند اجتماع اسباب
الامكان فيكون هذا عملا بالنص لا زيادة عليه والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الحج لا يلزم المرأة الا بالمحرم لان
المرأة فان وجدت الزاد والراحلة حقيقة فانها تحتاج الى من يركبها وينزلها ولا تقدر على ذلك الا بغير هما
هذا هو الظاهر الغالب فيهن فلا يحل للغير مساسها بغير صفة المحرمية فاذا كان كذلك يجعل كانها عدمت
الراحلة وهذا كمن وجد بئرا في المفازة وليس معه دلو ولا رشا ولا يمكنه الوصول الى الماء يباح له التيمم ويجعل
كعدم الواجد فهذا مثله وفي الاية دلالة ان العبد اذا حج ثم اعتق لزمه حجة الاسلام لان المراد من الاستطاعة
ملك الزاد والراحلة وملك منافع البدن لانه يقوم بالمال والبدن جميعا والعبد لا يملك ذلك فحال الرق
فلم يكن الحج واجبا عليه فيكون متبرعا وهكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد
حج عشر حجج فعليه اذا اعتق حجة الاسلام وليس كالحر الفقير اذا حج ثم ايسر جاز ذلك عن حجة الاسلام وان
كانا في الابتداء سواء فانه لا يجب عليهما اداء الحج وذلك لان الفقير مالك منافع نفسه الا انه لا يملك
الزاد والراحلة فامتنع الوجوب في الابتداء لعدم شرطه فاذا بلغ مكة صار قادرا غنيا لوقوع الاستغناء
عن الزاد والراحلة لقرب المكان فخلص منه الفرض فاما العبد لا يملك منافع نفسه ولا ما يحتاج اليه من الزاد
والراحلة للحج ما دام عبدا فكذلك ولهذا قلنا بالاجماع ان الفقير والعبد استويا في حق انه لا يجب عليهما
ثم اذا حضر الفقير القتال ضرب له بسهم كامل لمن كان فرض الجهاد لانه ماله واذا شهد العبد الوقعة
يرضخ له بشيء ولم يكمل له سهم الحر فافترق حال العبد والحر في ذلك لما ذكرنا فهذا مثله فان قال قائل
اليس ان العبد اذا شهد الجمعة وصلى يقع فرضا وان كان لا يجب عليه في الابتداء فكذلك في باب الحج والجهاد
يجب ان يكون كذلك فنقول لان الله تعالى جعل منافع العبد مستثناة عن ملك المولى في حق الصوم والصلوة
المفروضة وبقاء على اصل الحرية بحكمة راها وليس في ذلك كثير ضرر لانها تتأدى بمنافع البدن في شيء
قليل فيكون في ذلك نفع للعبد من غير ضرر بالمولى فاذا حضر الجمعة وفات المنافع بسبب السعي بعد ذلك
الجمعة والظهر سواء لو لم يحضر لانه يجب عليه اداء الظهر فلا يتبين الضرر في حق المولى بخلاف الحج والجهاد
فانهما لا يؤديان الا بالمال والنفس فيؤدي الى الاضرار بالمولى من فوات ماله وتعطيل كثير من منافع العبد
فلم يجعله مبقا على الحرية في حق هاتين العبادتين ولو وجب القول بالجواز عن الفرض اذا حج عن الحر لسبب
العبد الى الاداء لكون الحج عبادة مرغوبة وكذا الجهاد فيؤدي الى الاضرار بالمولى فالشرع يحجر عليهم
وسد هذا الباب نظرا بالمولى حتى لا يجب لان لا يملك الزاد والراحلة وملك منافع البدن فهذا هو
الفرق بين الامرين ولهذا انا اذن العبد بالحج لا يجب عليه لانه عند نا ملك الزاد والراحلة شرط
ولا يجب بالقدرة على ذلك بالاباحة كالاعمى اذا وجد قائدا بالتبرع لا يجب عليه الحج والله اعلم وقال
بعض العلماء ان الشيخ الذي لا يستمسك على الراحلة اذا وجد غيره يحج عنه انه يلزمه فرض الحج بظاهر
الاية فانه وجد سبيلا اليه فالحج بما روي عن ابن عباس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان ابي شيخ كبير ادركته فريضة الحج وهو لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افيجزي ان احج عنه
فقال عليه السلام ارايت لو كان على ابيك دين فقضيت عنه اكان يقبل منك قال نعم قال فالله اولى ان يقبل
حج ابيك فكذا نقول انه اذا كان لا يستمسك على الراحلة فلا راحلة له معنى فلم يوجد شرط الوجوب
في حقه واما الحديث فنقول ليس فيه انه فريضة الحج ادركته في الحال التي لا يستمسك على الراحلة بل يحتمل
ذلك ويحتمل انه ادركته فريضة الحج في حال القدرة فلم يؤدها حتى صار بحيث لا يستمسك على الراحلة
ونحن به نقول لانه من وجب عليه الحج فاخر اداءه حتى كبر وصار بحيث لا يستمسك على الراحلة عليه ان يحج
الحج وكذلك الغني القادر على الحج اذا عسر لم يسقط عنه الحج فدل انه ليس بلازم على انه يحتمل ان النبي عليه
السلام دعته في الحج عنه متبرعا لا ان الحج يلزمه في ذلك الوقت الذي لا يستمسك على الراحلة فلا يكون
حجة مع الاحتمال قال الشافعي في الاية دلالة على ان الحج يجب على جميع الناس دون المؤمنين خاصة فيكون
حجة عليكم في ان الكفار غير مخاطبين بالشرايع فان الله تعالى قال ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا واسم الناس يقع على الكفار والمؤمنين الا انا نقول بان المراد من الناس المؤمنين عرفنا ذلك
بسياق الاية وهو قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين فلو كان هو على الكافر كما هو على المسلم لم يكن
لقوله ومن كفر معنى لانه يصير في التقدير كانه قال ولله على الكافر حج البيت ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وعلى ما قلنا من حمل الناس على المؤمنين خاصة يكون قوله ومن كفر مفيدا لانه يصير في التقدير ولله على المؤمنين

حج البيت ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم ان كان اللفظ عاما فقد قام دليل التخصيص من حيث العقل
فان شرع الله منزه عن العبث واللعب والقول بالوجوب في حالة الكفر ولسقوطه بالاسلام يؤدي اليه لان
الاداء في حال الكفر لا يتحقق لانه عبادة وبعد صيرورته اهلا لم يبق عليه الاداء لسقوطه بالاسلام والقول بالا
الاداء على وجه لا يتصور الاداء من حيث الاصل والخلف جميعا نوع الى العبث واللعب تعالى الله عنه علوا كبيرا
الله تعالى في سائر العبادات للمؤمنين فلذلك في باب الحج حتى يكون الخطاب على من سوى لحد في باب العبادات والله اعلم
وفي الاية دلالة على وجوب الحج في اول احوال الامكان فانه قال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
من غير تقييد بشرط اخر فيجب القول بالوجوب عند اجتماع اسباب الامكان ولان الصوم والصلوة يجب و
لا يباح له التاخير عن الوقت فكذا هنا فان قالوا ان ملك الزاد والراحلة شرط بالاجماع وهو الوقت فانه لا يجوز اداء الحج
في غير ذلك الوقت نظير الصوم والصلاة ثم الصلاة لا يجب قبل الوقت فكذلك الحج الا ان وقت الحج هذه الاشهر
مطلقا من جملة العمر لا الذي يلي حال ملك الزاد والراحلة فانه بالاجماع انه اذا لم يرد في السنة الاولى لا يجعل
مفوتا حتى يكون الفعل في السنة الثانية اداء لا قضاء ولو وجب الاداء في الوقت الاول لوجب ان يكون
قضاء كصلاة الظهر اذا لم يؤدها فيه يكون قضاء في الوقت الثاني فدل ان الحج وجوبه بطريق التوسع فنقول
ان الوقت في باب الحج شرط جواز الفعل فيتعلق بوجوده جواز الحج حتى لا يجوز الاداء الا في هذه الاشهر وان كان
يتحقق الاداء حقيقة في كل الاوقات فلا يتعلق بوجوده وجوبه حتى يكون واجبا عند وجود الاستطاعة
وان كان في غير اشهر الحج فالوقت في الحج بمنزلة الامكنة المخصوصة التي لا يقام الحج الا فيها فيكون شرط الجواز
لا شرط الوجوب حتى يجب قبل الحج وان كان بعيدا عن مكة لما تقدم ذكره يدل عليه انه متى فاتت اشهر الحج في السنة
الاولى فانه لا يصح اداؤه الا في السنة الثانية في مثل تلك الاشهر وكل فعل وجب اداؤه في وقت مخصوص
تلك الاوقات صارت لا اوقات مخصوصة وكان الوقت الذي يفرغ عن الوقت الذي يجب فيه احق من الجواز
كما في الصلوة والصوم اذا فات عن الوقت كان القضاء في اقرب الاوقات اليه احق فهنا لما يصح الاداء الا
في اشهر الحج في العام الثاني دل ان الوجوب عند وجود الاستطاعة والوقت الخاص شرط الجواز تبعا للاداء
فهذا الوقت في العام الاول يبقى الوجوب لتصور الاداء لوجود مثله في العام الثاني في الثالث يؤيد ما قلنا
انه متى لم يؤد الحج في العام الاول فانه لا يسمى قضاء من ادى بعد ذلك ولو كان الوقت لوجود الاداء فيه
فيمضي ذلك الوقت بفوت الاداء فيكون الفعل في غيره يكون قضاء لا اداء كما في الصوم والصلوة وهو
الجواب عن قولكم انه مطلق الوقت شرط الوجوب انه مطلق شرط الجواز والوجوب يستغني عن الوقت كما
يستغني عن حقيقة قدرة الفعل وعن القرب الى المكان الذي يقام الحج فيه لما انا لا نحتاج عندنا ان يكون
من عليه ممكنا من الاداء من حيث الاسباب والاحوال الا من حيث الفعل نفسه فان القدرة حقيقة شرط
نفس الفعل فلا يكون سابقة عليه لانه متى كان ممكنا من الوجه الذي قلنا لو وجد حقيقة القدرة فيه عند الفعل
حقيقة واجراه الله تعالى العادة الغالبة فمتى لم يؤد يصير مضيعا للقدرة فلا يكون معذورا لوجود التقصير
من جهته على ما عرف فمتى كانت الاستطاعة قائمة والوقت يوجد لا محالة وهو يتمكن من الحضور الى الامكنة
المخصوصة يجب القول بالوجوب في الحال ليؤدي عند مجيء وقت جواز الفعل في الامكنة المخصوصة فمتى لم
يكن مضيعا فاثم ويبقى الوجوب لتحقق الاداء في العام الثاني كما قلنا والله اعلم وقوله تعالى ومن كفر
فان الله غني عن العالمين عن ابن عباس ومن كفر اي زعم انه لم تنزل اية وجوب الحج وقال الحسن اي من زعم ان
الحج ليس بواجب عليه وقيل من كفر بالله وقيل هو الذي ان حج لم يرج ثوابه وان تركه لم يخش عقابه وعن ابن
عباس ايضا اي ومن كفر بالحج فلم ير حجه برا ولا تركه مأثما والله اعلم ودلت الاية ان الامر من الله تعالى للعبادة يحصل
فلا يكون لحاجته وتحقيق مصالحهم وكذلك النهي اذ هو غني بذاته لا تمسه حاجة فاما الامر فيما بين الخلق
انما هو لحاجة بعضهم لبعض اما لجر منفعة او لدفع مضرة فذلك معنى قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله فايات الله ما ذكر بانها تقدم من الرسول والقران والحج
وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون وهو حرف وعيد وتنبيه وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا يحتمل ان المراد من قوله من امن منهم الذين كان ايمانهم بطريق التقليد دون
من كان ايمانهم عن دليل عقلي وان كان صيغة كلمة من عامة لان من كان ايمانه عن استدلال عقلي فهو لا يصد لانه يعرف
حسنه ابدا لما عرف حسن الايمان وحقيقته بالعقل فهو لا يترك ابدا فاما من كان ايمانه عن تقليد فهو لم يعرف
حقيقته بالعقل فيمكنه تصديه لان من اراد الله تعالى ان يشرح صدره حتى يكون على نور منه كما قال افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه وذلك لحد وجوه اللطف ولهذا قلنا بان الاستدلال بالعقل واجب

حتى يصير المقلد لما يتركه وان كان ايمان المقلد صحيحا عندنا ولا يحتمل ان يكون تاركا للاستدلال الا لمانع
من آلات الاستدلال بحيث لو استعملها لاتضح له الطريق ورأى قبح ما الزم من التقليد فيصير مستبصرا في دينه
مطمئنا في ايمانه مأمونا من ان يصد ويصرف عنه بالتمويه والحيل وايقاع الشبهة والله اعلم ويحتمل قوله لم تصدون
عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا اي لم تقصدون قصد صدهم عن سبيل الله وهم لا يرجعون الى دينكم
فهذا اياس للكفرة عن رجوع المسلمين الى دينهم من دينهم الذي هم عليه فهو كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقيل كانوا يصدون المؤمنين عن الحج فقيل فيهم لم تصدون عن سبيل الله
وقوله تعالى تبغونها عوجا فالعوج هو غير طريق الحق وهو الزيغ والتعوج عن الحق وقوله تعالى وانتم شهداء اي علماء
بما في كتابكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم وان دينه الاسلام هو الحق وقيل وانتم شهداء وانتم تشهدون
واحد وفي حرف حفصة وانتم شهداء على الناس وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون هو حرف وعيد
وتنبيه لان من علم ان عليه رقيبا وحافظا يكون احذر واخوف ممن لم يكن عليه ذلك ويحتمل وما الله بغافل
من غفلة بالذي يكون منكم ولكن علم بما يوجد ويتحقق منكم من الكفر والمعاصي ليعلموا انه لا لحاجة خلقكم
بل لاظهار الغنا والسلطان نحو لا حيلة له وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يحتمل وجوها احدها اي ان اهل الكتاب ان يدعوكم ايها المؤمنون
الى شيء لا تعلمون ذلك فلا تطيعوهم لعل في ذلك كفرا فيكون هذا نهيا للمؤمنين من ان يطيعوا الكفرة فيما
يدعونهم اليه مما لا علم لهم به لاحتمال ان يكون ذلك كفرا اذ لا يحتمل ان يطيع المؤمنون الكفرة في الكفر مع
علمهم ان يكون ذلك كفرا والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذا نهيا للمسلمين عن اجابة الكفار وطاعتهم
فيما يدعونهم الى الكفر وان كان يعلم انهم لا يطيعونهم كما عصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرك
ثم نهاه عن ذلك بقوله ولا تكونن من المشركين وقوله ولا تدع مع الله الاية وكما نهاه عن الامتراء بقوله
ولا تكونن من الممترين وان كان يعلم انه لا يباشر ذلك لثبوت العصمة له عن الشرك والشك على الاصل
المعهود ان النهي يعتمد تصور المنهي عنه من حيث الذات بعيان لان الفعل لا غير ولان العصمة لا ترفع المحنة
والامر فهذا مثله والثالث يحتمل ان تكون الاية في قوم من اهل الكتاب كانوا عرضوا على قوم من المؤمنين
الملك والنعم العظيمة التي ترغب فيها النفوس وتميل اليها الطباع ليتركوا دينهم طمعا لما اعرضوا
عليهم فحذر الله تعالى عن ذلك بما بين من الحادثات كيلا يتعلموا ان ذلك تجارة مخسرة وميل الطبع ورغبة
النفس ثابت لكل اهل دين ومذهب لكن من رزق العقل المعروف والتوفيق للهدى يترك ما في طبعه الى
ما في عقله فيؤثر الآخرة على العاجلة وكل امر هو في الشرع لترك ما في الطباع الى ما في العقول لحاسن الموقوف
وقوله تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله فظاهر الاية على وجه التعجب لكن المراد
منه تقرير النهي وبيان ان لا حجة لكم في مباشرة الكفر وفيكم رسوله يدفع عنكم الشبه التي عرضت لكم
بالقاء الكفار اليكم ويحتمل تكفرون لما اراكم الكفرة من نعيم الدنيا ولذاتها فما اراكم الرسول الف
المعقول لهذه الدنيا وهو معرفة الله تعالى بصفاته وما وعدكم من النعم الدائمة في الآخرة اروح للابدان مما
وعد الكفرة في الدنيا من اللذات التي لا ينفك عن العواقب الوخيمة وسوء الممات وقوله تعالى ومن يعتصم
بالله اي من جعل الله عز وجل ملجأ له ومفزعا اليه عند اعتراض الشبه والاشكال فقد هدي
الى صراط مستقيم اي يحفظه عن الشبه ويرشده الى الحق ويحتمل ومن يعتصم بالله اي يتمسك بما
من الله وهو القرآن والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وفي حرف حفصة
ان اعبدوا الله حق عبادته وهذا في اعتقاد التوحيد اذ عامة ما يذكر من العبادات في القرآن يراد بها التوحيد
وقيل اطيعوا الله حق طاعته اذ تلك تنبني على الامر والنهي وفي وسع المكلفين الامتثال على الوجه الذي امروا
به وروي عن ابن مسعود انه قال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى لكن انما اريد
به على قدر ما يحتمله وسع الخلق اذ التكليف بقدر الطاقة والوسع وروي عن انس انه قال لا يتقي الله حق
تقاته حتى يخزن لسانه ويعد كلامه من عمله وقيل ان هذه الاية نسخت بقوله فاتقوا الله ما استطعتم لا
لكن هذا لا يصح لانه لا يحتمل ان يأمر الله تعالى عباده بشيء ليس في وسعهم ثم يقال انه صار منسوخا بالامر
بقدر الطاقة والوسع ولكن الاصل في هذا عندنا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله
تعالى على عباده حقا ولعباده عليه حقا فحق الله تعالى على عبده ان يعبده ولا يشرك غيره فيه وحق العبد على الله
ان يدخله الجنة اذا عبده ولم يشرك فيه احدا فكما قال فيكون هذا الحديث تأويلا للاية او اتقوا الله فلا
تكفروه فيكون فيه الامر بالايمان والنهي عن الكفر لانه ليس في وسع احد ان يتقي الله حق تقاته في غيره من العبادات

الا ترى

الا ترى الى ما روي من امر الملائكة مع ما وصفوا من عبادتهم انهم لا يفترون فيها ولا يسأمون عنها ثم يقولون
ما عبدناك حق عبادتك واذا كان احد من البشر لا يبلغ ذلك ولا يحتمل ان يكلفوا ذلك وجملته ان ذلك
ليس بذي حد وغاية وتكليف مثله تكليف ما ليس في الوسع فلهذا والله اعلم يجب صرف الاية الى الامر بالايمان
والنهي عن الشرك لتأييد ما قلنا ما ختم به الاية وهو قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون وهذا في الظاهر
ان كان نهيا عن الموت الا مسلما لكن النهي عن الموت لا يتحقق اذ ليس في الموت صنع الخلق والنهي عن فعل العبد
يرد لكن معناه والله اعلم وكونوا في حال اذا ادرككم الموت كنتم مسلمين لا كافرين دل ان المراد من صدر الاية
هو الامر بالاسلام والنهي عن الكفر ويحتمل قوله اتقوا الله حق تقاته اي احذروا عذاب الله تعالى حق حذره
واحذروا نقمته لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه يعني نقمته ويحتمل ان المراد بالاية بيان ان لا عذر عند الموت
وان استدامه باتيان ما ليس بالاسلام فانه حالة الموت حالة عظيمة تحضرها الشياطين ويطمعونه الى
ما يحتاج اليه من الشراب لدفع العطش ونحوه انهم يعطونه لو اعطاهم ما طلبوا منه من الموافقة لهم في الدين
وهذا معنى ما روي عن ابي حنيفة انه قال اكثر ما يسلب الايمان عند الموت فجعل الامر بالايمان والنهي عن الكفر
دائما في حالة الموت مع الشدة العظيمة والله اعلم وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
اختلف فيه قال ابن مسعود حبل الله الجماعة الا انها اهلكت الامم الخالية بتفرقها فيها امر بالكون مع الجماعة
ونهى عن التفرق لان اهل الاسلام هم الجماعة الا ترى انه قال في آية اخرى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وصف اهل دين الاسلام بالجماعة واهل غير دين الاسلام بالتفرق
وعن ابن مسعود ايضا قال الحبل الله الجماعة وروي في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اي حبل الاسلام وروي عنه ايضا ان الشيطان
ذئب كذئب الغنم يأخذ الشاذة والقاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة وهذا
المسجد وعن علي رضي الله عنه قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ثلث مرات ثم قال يكون في امتي اختلاف
قلت كيف نصنع يا رسول الله اذا كان ذلك قال عليكم بكتاب الله فان فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وهو
الحكم فيما بينكم من يعمه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره يضله الله وهو حبل الله المتين والذكر
الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تختلف فيه الالسنة ولا يخلقه كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه
وقيل حبل الله دين الله وقيل الحبل هو العهد كانه امر بالتمسك بالعهود التي في القرآن والقيام بوفائها
والحفظ لها ونهى عن التفرق كما تفرقت الامم الخالية واختلف في الاديان وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا قيل فالف بين قلوبكم بمحمد عليه السلام وقيل الف
بين قلوبكم بالاسلام وقيل بالقرآن ولم يكن التالف بسبب نفس الدين فان الدين موجود في سائر الكفرة
لكن ذلك بلطف من الله تعالى على اهل دين الحق به فاجرى التاليف بين قلوبكم نعمة لان التفرق يوجب التباغض
والتعادي وذلك يوجب التقاتل وفقد التاليف والتوافق وهذه الاية حجة على المعتزلة في الاصلح لهم في الدين
لان التوفيق والهدى من الله تعالى عندهم البيان يعم الكافر والمسلم فلا يجيء على اصلهم ان يكون لله تعالى على
المسلم نعمة لا يكون على الكافر فلا يتحقق المنة ولا يكون التالف في حق المسلمين بتاليف الله تعالى اذ هو
موجود في حق الكفرة مع قيام التفرق بل هم تالفوا بنعمتهم ونعيدنا ان النعمة لو كانت عبارة عن الدين كما
الدين من الله تعالى حتى يمن عندهم عليهم بل ذلك فعل منهم حصل بتخليقهم فلا فعل من الله تعالى في ذلك
والله تعالى اضاف التاليف الى نعمته لقوله فاصبحتم بنعمته اخوانا فدل ان هذا الازم على المعتزلة وقوله تعالى
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها يحتمل انكم استغيتم حفرة من النار وهو القرب منها لولا
انقذكم بالاسلام عليكم ويحتمل اي استوجبتم الكون في النار بسبب الشرك والاستيجاب والاستحقاق
سبب حامل على الكون والوقوع فيذكر الكون ويراد به الوجوب وهو كقوله فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون ونحوه وقيل كنتم على شفا بالشرك وكانت النار فانقذكم منها والاية حجة على المعتزلة لان
على قولهم هم الذين ينقذون انفسهم من النار لا الله تعالى والله تعالى اضاف الى نفسه وفي الاية دلالة ان
خطاب الايمان لازم في زمان الفترة لانهم كانوا في زمان الفترة فانقذهم الله تعالى بارسال النبي عليه السلام
اليهم حتى دعاهم الى الايمان في الصنم استحقاقا فتكون الاية حجة على من ينكر وجوب العقل بالايمان
دون السمع وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته اذ كنتم اعداء في الجاهلية في الكفر متفرقين وصرتم
اخوانا في الاسلام كلكم واحدة لعلكم تهتدون لكي تعرفوا نعمه ومنته ويحتمل كذلك يبين الله لكم
آياته في حادثات الاوقات لتكونوا فيها مهتدين كما اهتديتم تكونون فذلك وعد التوفيق والتبارك [illegible]

على الدين الحق والله اعلم وقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
يحتمل ان يكون خبرا في الحقيقة وان كان في الظاهر امرا فان كان امرا كان المراد بعض الامة لان الكل لم يوجد
منهم الامر بالمعروف فيه دلالة ان جماعة منهم اذا قاموا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط النهي عن الآخرين
لانه ذكر فيه حرف التبعيض وهو قوله منكم ويحتمل ان يكون هذا امرا في الظاهر والحقيقة ويكون قوله منكم
لبيان الجنس لا للتبعيض اي كونوا امة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب على كل احد فلا يمكن الحمل على حقيقة التبعيض وهذا لان الله تعالى ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في كثير من الآي من كتابه وجعل ذلك وصفا لكل الامة وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وكذا ذم الله تعالى من ترك ذلك بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس
ما كانوا يفعلون وروى عكرمة ان ابن عباس قال له قد اعياني ان اعلم ما فعل بمن امسك عن الوعظ فقلت انا
اعلمك ذلك اقرأ الآية الثانية وهو قوله انجينا الذين ينهون عن السوء فقال اصبت فاستدل ابن عباس
بهذه الآية على ان الله تعالى اهلك من عمل السوء ومن لم ينه حتى تعالى يحفظ وانما سلم الممسكين عن النهي مع الظالمين
في العذاب وقد روي عن ابي بكر الصديق انه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راوا
الظالم لم ياخذوا على يده اوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بمعاصي الرحمن فيدهنوا له وهم اكثر منه واعز لو شاؤوا ان
ياخذوا على يده لاخذوا لعمهم الله بعذاب وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليبعثن الله تعالى عليكم عقابا من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم
وعن ابي سعيد الخدري يذكر انه سمع النبي عليه السلام يقول ان الله تعالى ليسال العبد يوم القيمة حتى
يقول له ما منعك اذ رايت منكرا ان تنكره فان لقن الله تعالى عبدا حجته فقال يا رب رجوتك وفرقت الناس
وعن ابي هريرة قال اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ارايت ان عملنا
بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف الا عملنا به وانتهينا عن المنكر حتى لا يبقى شيء الا انتهينا ايسعنا ان لا نامر بالمعروف ولا ننهى
عن المنكر فقال مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر كله تامر غيرك وتنهاه فانه فعله المعروف
واجب عليه فلا يجب اذا قصر في واجب ان يقصر في غيره وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات • لان التفرق هو سبيل الشيطان بقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ويحتمل تفرقوا عما نهج الله لهم واوضح لهم الرسل فابدعوا لانفسهم الاديان والاهواء تحذيرنا ان ذلك سوء فينا
ان الخير كله في اتباع من جعل الله حجته لهم ودليلا عليه وداعيا اليه ولا قوة الا بالله وقوله تعالى واولئك لهم
عذاب عظيم • دل هذا على ان السبل هي التي يدعو الشيطان اليها وقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه • الآية وصف الله تعالى وجوه اهل الجنة بالبياض لان البياض هو غاية ما يكون به الصفاء لان كل لون
يظهر ويتبين في البياض ووصف وجوه اهل النار بالسواد لان السواد هو نهاية ما يكون به الظلمة اذ الالوان
لا تظهر في السواد فهو شبيه الظلمة ويحتمل ان يكون المراد من نفس البياض والسواد ليس نفسهما لكن اراد
بالبياض كناية عن شدة السرور والفرح وبالسواد كناية عن شدة الحزن والاسف وهذا مجاز مستعمل وهو كقوله
وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وصف وجوه اهل الجنة بالضحك وليس هو على حقيقة الضحك
لكن المراد هو الوصف بغاية السرور والفرح وكذلك وصف وجوه اهل النار بخلاف ذلك ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة وذلك كناية عن شدة الحزن فهذا مثله وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم • يحتمل وجوها يحتمل اكفرتم بالسنتكم بعد ما شهدت خلقتكم عن اضطرار بوحدانية الله
تعالى وعقولكم عن اختيار لان خلقة كل احد تشهد على وحدانية الله تعالى وعلى هذا قال بعض اهل التاويل في
قوله والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له اي على استجابة الخلقة ويحتمل اكفرتم بعد ما آمنتم
بمحمد عليه السلام قبل ان يبعث لوجودكم نعته وصفته في كتابكم ويحتمل قوله اكفرتم بعد ايمانكم فريق لان
منهم من قد آمن ومنكم من كفر فقال لمن كفر اكفرتم وقد آمن منكم الا ترى انه قال ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون وكقوله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وفي الآية رد قول المعتزلة بتخليدهم
اهل الكبائر في النار واخراجهم اياهم من الايمان وادخالهم في الكفر لان الله تعالى لم يجعل الخلق الا فريقين بيض
الوجوه هم المؤمنون وسود الوجوه هم الكافرون لانه قال اكفرتم بعد ايمانكم واصحاب الكبائر لم يكفروا بارتكابهم
الكبيرة عندهم بل خرجوا من الايمان ولم يدخلوا في الكفر ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة وهم جعلوا فرقة ثالثة

فيقر

فبطل الآية ما قال الله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير لم يجعل الخلق الا فريقين وهم جعلوا فرقا فان قيل ذكر في الآية
الكفر بعد الايمان لا الارتكاب قال الشيخ اخر الآية اكفرتم بعد ايمانكم ولم يمنع ذلك من دخول من لم يكفر بعد الايمان
في جملة سود الوجوه وفي استحقاق التخليد في النار فكذلك لا يمنع من دخول صاحب الكبيرة قيل جوابنا ما سبق
ان كل كافر مؤمن بخلقته على وحدانية الله تعالى مصدق بشهادة خلقته على ثبوت الصانع وتوحيده لكنهم كفروا
بعد وجود هذا التصديق والايمان منهم اضطرارا من حيث الخلقة باختيارهم فاستغنوا عن الايمان والتصديق
الاختياري وذلك هو الكافر بعد الايمان فكان الداخل تحت الآية الكافر والمؤمن فلم يجز ان يدخل من لم يكن كافرا
في حكم الكافر والله الموفق وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • وهذا في الظاهر امر لكنه ليس بامر
لان العذاب لا يذاق وانما يذوق وهو حكاية قال اعلموا ان عليكم العذاب وقوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك
بالحق • يحتمل آيات الله حججه وبراهينه ويحتمل آيات القرآن وقوله بالحق اي ببيان الحق ويحتمل بالامر
بالدعاء الى الحق ويحتمل بالدين الحق ويحتمل بالحق الذي لله على عباده ولبعضهم على بعض وقوله تعالى وما الله
يريد ظلما للعالمين • تعلقت المعتزلة بهذه الآية على ان الظلم وسائر المعاصي ليس بارادة الله تعالى وهو كقوله
وما الله يريد ظلما للعباد ولكنا نقول معناه وما الله يريد ان يظلمهم لانه لا يريد ان يوجد الظلم كسبا منهم
ولا انه لا يريد بخلق الظلم ووجود الظلم منهم باختيارهم ونحن نقول ان الله عز وجل لا يظلمهم احدا وما اراد
ذلك لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه اذ كل من وصف بالظلم في الخلق انما وصف لانه يضع حق بعض في
بعض ويمنع حق بعض ويجعل لغير المحق والله تعالى منزه عن ذلك لا يحتمل ان يظلم لان كل ما في السموات والارض
ملكه ملك تحقيق فلا يتحقق ان يوصف فعله بالظلم ولان الظلم في الشاهد انما يكون لجلب نفع تشره اليه النفس
او لدفع ضرر عنها والغني بذاته متعال عن ذلك ولا كلام فيه انما الكلام في ان الظلم الذي هو كسب العباد
وفعلهم عن اختيارهم هل يكون بارادة الله تعالى وليس في الآية بيان ذلك وقد تقدم الدليل على ان الله تعالى خالق
كل شيء وفاعله والارادة صفته لكل فاعل في الحقيقة وهو الاختيار الذي يضاد الجبر والله تعالى مختار
في كل ما هو غير مجبور واذا كان الله تعالى هو الخالق للظلم الذي هو كسب العباد وهو مريد مختار لفعله كان مريدا
للظلم والله الموفق وقوله تعالى والى الله ترجع الامور • اي اليه يرجع امر كل احد فلا يحتمل وجود الظلم منه وقوله
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس • يحتمل وجوها كنتم اي صرتم خير امة اظهرت للناس حيث تدعون الخلق الى
النجاة والخير ويحتمل صرتم خير امة على وجه الارض ممن تقدم من الامم بايمانكم بمحمد عليه السلام واتباعكم اياه
وبذلكم النفوس والاموال في نصرة دين الله تعالى واظهار كلمته والاشفاق على رسوله حتى كان احب اليكم من
انفسكم وممن قبلكم آمنوا ببعض وكفروا ببعض ويحتمل يكون خير امة تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويحتمل
اي كنتم على السنة الرسل والكتب المتقدمة خير امة اخرجت للناس وقوله تعالى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله • والمعروف والمنكر يتوجه الى وجوه ثلثة يحتمل المعروف في العقول اي الذي تستحسنه العقول
والمنكر هو الذي تستقبحه العقول وتنكره ويحتمل ان المعروف هو الذي عرف بالآيات والبراهين انه حسن والمنكر
ما عرف بالحجج انه قبيح ويحتمل كان المعروف هو الذي جرى على السنة الرسل انه حسن والمنكر هو الذي انكروه ونهوا
عنه وعن ابن عباس انه قال في قوله كنتم خير امة خير الناس تامرون بالمعروف اي تامرونهم ان تشهدوا ان لا اله
الا الله والاقرار بما انزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله اعظم المعروف والمنكر هو التكذيب
بمحمد عليه السلام بما جاء من عند الله تعالى وهو انكر المنكر وعن علي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت
ما لم يعط احد من الانبياء قلنا يا رسول الله وما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد
وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم وقوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم • فان قيل هذا
لا يشكل ان الايمان خير لهم من الكفر فما معنى هذا قيل معناه والله اعلم ان اهل الكتاب انما ابوا الايمان وتمسكوا
بالكفر لوجهين احدهما انهم كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم واهل دراسة الكتب بين الناس ويختلفون
اليهم بحوائجهم فخافوا ذهاب ذلك عنهم اذا آمنوا فاخبر عز وجل ان آمنوا كان لهم من العز والشرف والذكر في اهل الايمان
اكثر مما لهم في اهل الكفر الا ترى ان من آمن من درسة الكتب وعلمائهم نحو عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما
كان لهم من الذكر والشرف في الايمان ما لم يكن لاحد منهم مات على الكفر حتى نال بسبب الايمان من الشرف والذكر
وحمد ذكر اولئك وانتشر في اهلهم فضلا في اهل الايمان والاسلام والله اعلم والثاني انهم كانوا ابوا الاسلام
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا المقام على الكفر خوفا واشفاقا على ما لهم من منافع ان يذهب عنهم
لما لهم من رياسة في قومهم بسبب العلم وقراءة الكتاب وفي اهل الاسلام كثرة من اهل العلم فما استمتع
انهم لو آمنوا وتركوا اكل الرياسة لكان خيرا لهم في الآخرة اذ نعيم الدنيا كلها عرض لا يفضل العوض الدائم في عرض قريب

وأن الدنيا لأهل الإيمان في الآخرة باقية لا تزال أبدا وقوله تعالى منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون • وهو كالحث
جل له كان المؤمنون أقل والكفار أكثر لأن الذي ينال بالإيمان وهو الآخرة غيب وكذلك ما يحل بالكافر من
جزاء الكفر غيب ونعم الدنيا ولذاتها حاضرة فاشتد عليهم الكفر والتدبر لما يمنعهم عن الشهوات ويعضي
عليهم اللذات فآثروا ما هويته أنفسهم ومالت إليه طباعهم على التأمل مع ما كان إدراك الغائب بالشاهد
أمر حسي لا يوصل إليه إلا بفضل الله تعالى والتوفيق منه ولم يكن عليه ذلك لأن إعطاء الفضل ليس بواجب
ولا حتم إذ تسقط بالوجوب معنى الأفضال لما الإنعام ومعه أنه لما نقضته بسبب إيثارهم زهرة الدنيا والتطلع
على الموعود الباقي وقصورهم عن معرفة الصانع مع ما أوتوا من أسباب الإدراك وآلة الفهم لو توصلوا إلى نيل
الفضل من الله تعالى ولا قوة إلا بالله وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون
فيها بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بالأمن لهم عن أذى المشركين وضررهم إلا أذى اللسان
وأن يكون النصرة للمؤمنين دون الكفرة وهو كقوله تعالى لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون وكذلك هي الآية التي فيها بشارة لأهل الإيمان بالنصر والقوة
على الأعداء ثم في الآية دلالة رسالة محمد عليه السلام لأنه أخبر عن أمر في المستقبل فكان كما أخبر وذلك أنه
إنما علم ذلك بالله الذي هو علام الغيوب وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة • وفي حرف ابن مسعود ضربت
عليهم المسكنة وليس فيه ذكر الذلة وفي حرف حفصة عليهم المسكنة والذلة ثم اختلف في الذلة
قيل هي الجزية التي ضربت عليهم وهي ذلة بقوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ولأنهم كانوا
يأنفون عنها ويحتمل ضربت عليهم الذلة بكفرهم فيما بين المسلمين بعدما كانوا أهل ذكر وشرف وعز فيما بينهم
وقوله تعالى إلا بحبل من الناس • يعني إلا بما يجدد الإسلام من الله وعهد من الناس يكونون
تحت ذمة بأداء الجزية كذلك تأويل ابن عباس وقال مقاتل والناس في هذا الموضع النبي عليه السلام خاصة
وقيل أي لا يجدون إلا بحبل من الله وحبل من الناس بالإسلام أي لا يظفرون بهم ولا يجدون أمانا من
الخوف على أنفسهم وقوله تعالى وباؤوا بغضب من الله • قيل استوجبوا غضبا من الله لكفرهم وقيل رجعوا
وقيل وجب عليهم الغضب وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى وضربت عليهم المسكنة • أي الحاجة والفقر
وإنما كان كذلك والله أعلم لما ذكرنا أنهم ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قربهم من رسول الله
عليه السلام وبعدهم من المشركين فأذلهم الله تعالى وجعلهم أهل حاجة وضعة فيما بين المسلمين بعدما كانوا
أهل عز وشرف فيما بينهم وهو كقوله تعالى وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب ويحتمل رجوع الآية إلى الخاص منهم لا إلى الجميع وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله وأنزل الذين ظاهروهم
الآية وغير ذلك مما نص فيه المسلمون يعرف حقيقة المراد من هذا إذ لم يعرف الأسباب التي جاءت
البشارات ويحتمل أن الله تعالى جعل حاجتهم إلى ما لا نفع وهو الدنيا التي لا بقاء لها ولا منفعة وهي الحاجة
إذ الدنيا إنما يكون وسيلة إلى الآخرة فكل ما يتوسل به إلى الآخرة فهو والعدم سواء ويحتمل أن الله تعالى
مع ما وسع عليهم الدنيا جعل في قلوبهم خوف الفقر والزوال وهذا أعظم المسكنة إذ لا يمكنه الانتفاع
بها مع قيامها والمسكين الذي لا يجد لا يمكنه الانتفاع للعدم والله أعلم وقوله تعالى ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله • أي ذلك الذل والخضوع والمسكنة لهم بكفرهم بآيات الله وآيات الله تعالى ما ذكرنا وقوله تعالى
ويقتلون الأنبياء بغير حق • يحتمل وجوها يحتمل أن آباءهم قتلوا الأنبياء وهؤلاء رضوا بذلك الصنع منهم
فأضاف الله تعالى إليهم لأنه شركوهم في صنيعهم بوجود الرضا منهم ويحتمل أن يكون قصدوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم
وإذا قصدوا قتله فقصد قتل الأنبياء كلهم من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس
جميعا ويحتمل أن يعيرهم بآبائهم إذ هم قلدوهم في الدين وأخبر الله تعالى عن سوء صنيع آبائهم بالأنبياء وغيرهم
من حيث القتل ونحوه ليعرفوا به سفههم فيمتنعوا عن تقليدهم إذ المرء على طريق العادة إنما يقلد المرضي من نفسه
فأما من قلد السفيه فهو سفيه فلذلك ذكر ما ذكر تعييرا لهؤلاء الذين خاطبهم بتقليدهم إياهم والله أعلم
ويحتمل أن يكون قتلوا أتباع الرسول دينهم لكن أضيف ذلك إليهم احتراما وتعظيما لذلك القوم أي قتلهم
كقتل الرسول الذين اتبعوهم فاستحقوا العذاب في الآخرة وهو كما أضاف مخادعتهم المؤمنين إلى نفسه
وكما أضاف نصر أوليائه إلى نفسه وإن كان الله تعالى لا يخادع ولا ينصر فهذا مثله وقوله تعالى ليسوا سواء
من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل • أي لا مساواة بين من آمن منهم يعني من أهل الكتاب
وبين من لم يؤمن منهم من قد آمن فصار ذو أمة قائمة أي عدلا كقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
وقيل أمة قائمة على حدود الله وفرائضه وطاعته وكتابه لم يحرفوه وقيل أمة قائمة أي مهتدية وهم الذين

امنوا

آمنوا منهم وعن ابن مسعود قال أمة قائمة يتلون آيات الله فإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يصلون أي الجماعة
ولم يكن هذا للأمم السالفة وفي حرف حفصة ليس أهل الكتاب سواء منهم أمة قائمة كقوله تعالى أفمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا وأما
الذين فسقوا فمأواهم النار الآية وقوله تعالى وهم يسجدون • يحتمل وهم يسجدون أي يصلون ويحتمل الخضوع
والسجود هو الخضوع في اللغة وقوله تعالى يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف • أي يؤمنون
بأنفسهم ويأمرون غيرهم بالإيمان ويدعون إليه • وينهون عن المنكر • عن الكفر ويحتمل يأمرون بالمعروف
كل معروف وينهون عن كل منكر وقوله تعالى ويسارعون في الخيرات • أي في جميع أنواع الخير • وأولئك من الصالحين
قيل مع الصالحين في الجنة أي ومن فعل ذلك فعله فهو صالح وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه • أي لن يجحد
ذلك عليكم بل يقبل منكم وتجزون به في الآخرة أي وكيف يكفر وهو الشكور يقبل اليسير ويعطي الجزيل وفي
حرف حفصة فلن تكفروه دون أن تجزوا عليه وإن قل ذلك وذلك لقوله تعالى وإن تك حسنة يضاعفها
وكقوله ولن يتركم أعمالكم أي لن يظلمكم ولا ينقصكم وقيل فلن تكفروه أي لن يضل عنهم ولن يفقد بل يشكر
ذلك لهم كيف فلن يضيع عند الله تعالى • والله عليم بالمتقين • ظاهر وقوله تعالى إن الذين كفروا لن تغني عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا • الآية فهو والله أعلم بمثله يكون التناصر في الدنيا لكن الذي في الدنيا
لا ينفع في الآخرة إذ لم ينصرف لأجل الآخرة بل يكون كما قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية وقوله يوم لا ينفع
مال ولا بنون أي لا مال له ولا بنون أو لا مال له ولا بنون لو كان ينفع فظن الكفار وزعمهم بكثرة الأموال
والأولاد يمنعهم من عذاب الله كما أخبر عنهم بقوله نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين فأخبر أن كثرة
الأموال والأولاد لا تغني عن عذاب الله وقوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر
أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته • ضرب الله تعالى مثل نفقة الكفار التي ينفقونها كريح فيها صر
أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وذلك والله أعلم أن الكفار كانوا ينفقون ويعملون جميع الأعمال
من عبادة الأصنام وغيرها ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فظنوا أن تلك الأعمال والنفقات التي
ينفقونها في صد الناس عن سبيل الله ينفعهم في الآخرة ويقربهم إلى الله فأخبرهم أنها لا ينفع وكان كالريح
التي فيها صر ويرد ظنوا أن فيها رحمة وبشارة ينفع زروعهم وثمارهم فإذا فيها نار أحرقتها فكذا فيما طمعوا من
نفقاتهم في الدنيا قربة وزلفى إلى الله في الآخرة فإذا هي مهلكة لا تنفعهم والله أعلم والصر هو البرد الشديد وقيل
الصر الصوت كقوله فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها قيل هي الصوت ويحتمل ما ينفقون في الصد
عن سبيل الله وفي قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله إن الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أي
يتأسفون على ما أنفقوا تأسف صاحب الزرع على ما أنفق فيه والله أعلم وقوله تعالى وما ظلمهم الله ولكن
أنفسهم يظلمون • والظلم على ما ذكرنا هو وضع الشيء في غير موضعه وهم الذين وضعوا أنفسهم في غير موضعها
لأن الله وضع أنفسهم ذلك الموضع لأن موضعها الله ثم موضعها هو أن يجعلها خالصة لله تعالى سالمة له
ووضع كل نفس بالخلقة موضع العبادة لله تعالى وهم عبدوا غير الله تعالى وجعلوا أنفسهم عبيد غيره ولم يجعلوها
سالمة لله فما أضروا الله تعالى بعبادتهم غيره وبكفرهم به إنما أضروا أنفسهم إذ لا حاجة إلى عبادتهم وهم محتاجون
إلى رحمته والله الموفق وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم • اختلف فيه قيل نهى الله
المؤمنين أن يتخذوا المنافقين أولياء لهم أو يتولوهم دون المؤمنين فقيل في حرف حفصة لا تتخذوا
بطانة من دون أنفسكم يعني من دون المؤمنين إذ المؤمنون كنفس واحدة ينسبون على دين واحد يرمون
عن قوس واحد وقيل لا تتخذوا اليهود بطانة دون إخوانكم المؤمنين فتحدثونهم وتفشون إليهم سرهم
وتجعلونهم مواضع إفشاء السر ثم النهي عن اتخاذ الكافر بطانة لوجهين أحدهما النفي إلى التهمة إذ كل امرئ
يعرف بمن يعرف من صحبه ولهذا قيل عن المرء لا تسئل وابصر قرينه فإن القرين بالمقارن يقتدي فكان
هذا نهيا عن الوقوف موقف التهمة والثاني أن المراد إياه واتخاذ البطانة يسبب ميل القلب إليه بما يريه
عدوه أي الشيطان أن حسن الصحبة وحسن العشرة والمعاملة ولعله مما يحمله على ذلك لاعتقاده مودته
فيوهمه أن حقه اعتقادهم للضعفة من الخلق وذلك يسبب الفساد في الدين مع ما كانت المؤاخاة وضعت
ليستعين أحدهما بصاحبه في أمور الدين وإقامة حقوق الله تعالى وذلك لا يتحقق في مؤاخاة الكفرة
بل قد يؤدي إلى العكس والله أعلم وقوله تعالى لا يألونكم خبالا • أي لا يتركون جهدهم في فساد أمركم أي
لا يقصرون فيه وقوله تعالى ودوا ما عنتم • أي ودوا أي تمنوا أن يشاركوكم أو توقعكم في المأثم ويعنتكم عليها
وقيل العنت الضيق أي من قصدهم أن تكونوا أبدا في الضنك والضيق والحرج كعداوتهم إياكم كما بين في الآية

التي يتلوها وقوله تعالى وقد بدت البغضاء من افواههم ، من قال ان اول الاية في المنافقين قد بدت البغضاء
من افواههم معناه ما ذكر في اية اخرى ولتعرفنهم في لحن القول انهم كانوا يعرفون المنافقين في لحن كلامهم
ويحتمل قد بدت البغضاء من افواههم بما كان من التخويف والتعريض منهم للمسلمين من الكفرة كما اخبر الله
تعالى عنهم بقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكذا بما اظهروا السرور والفرح بنكبة المسلمين كما اخبر
عنهم بقوله وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وهذا
على التاويل معنى وقوله تعالى وما تخفي صدورهم اكبر ، اي كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين ويضمرون
العداوة والخلاف لهم ويسعون في اهلاكهم وافساد امورهم فما كانوا يضمرون ومن قال ان الاية في الكفار
قال في قوله تعالى قد بدت البغضاء من افواههم من الشتم والعداوة ويضمرون اكثر من ذلك من الغارة
والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الموافقة في الاسماء لا توجب التشابه بين المسمين لان الله تعالى اطلق
اسم البغضاء على ما تقوله الكفرة واهل النفاق وان لم يكن هو بغضا اذ البغضاء يقوم بالقلب وان الكلام
الذي يعبر عنه دال عليه فسمي باسمه ولا تشابه بين البغضاء وبين الكلام الذي عبر به اذ المعبر حروف و
البغضاء معنى يقوم بالقلب دل ان الاتفاق في الاسم لا يوجب التشابه في المسمى والله اعلم وقوله تعالى
قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ، يحتمل قوله ان كنتم تعقلون الايات ويحتمل ان كنتم تنتفعون بعقولكم
لانه تعالى ذكر في غير اي من القران انهم لا يعقلون وقد كانوا عقلاء حقيقة لكن لما لم ينتفعوا بعقولهم نفي عنهم
وصف العقل اصلا لا لانعدامه بالعدم في حق ما صنع له وهو المعرفة والتامل والله الموفق وقوله تعالى ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، من قال ان اول الاية في المنافقين فهذه الاية تشهد لقوله تعالى لان في الاية قال واذا
لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وذلك من وصف المنافقين في القران يقول ها انتم
هؤلاء المسلمين تحبونهم يعني المنافقين ولا يحبونكم عن دينكم المنافقون وفي الاية دلالة ان اولئك
قوم يحبهم المؤمنون اما بظاهر الايمان او بظاهر الحال العرفية من طلب مودتهم فاطلع الله تعالى المؤمنين
على سرهم لئلا يغتروا بظاهرهم ولتكون حجة لهم ولرسول الله عليه السلام بما اطلعه الله تعالى على ما اسروا
والله اعلم ومن قال ان اول الاية في الكفار يحتمل قوله ها انتم اولاء تحبونهم ويحبونكم على الابتداء
والقطع من اول الاية لانه وصفهم بصفة المنافقين وسماهم بسمتهم وليس في الاول دليل يحتمل ان
من خوطب واذا لقوكم قالوا امنا ، اهل الكتاب يقولون بالكتب المتقدمة والرسل وقوله تعالى
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ هو على التمثيل يقال لشدة الغضب فلان يعض انامله
على فلان وذلك اذا بلغ الغضب غايته وقوله تعالى قل موتوا بغيظكم ، على التمثيل ايضا فانه يتكلم عند
شدة الغضب ثم انما كان يغيظكم ما كان للمسلمين من السعة والتمكين والغلبة فيكون في ذلك دعاء لهم بتمام
ذلك حتى لا يرتقبهم الغير معناه وفي الاية بشارة للمؤمنين بالظفر لهم والنصر ولا ظفر للاعداء عليهم
بعد هذا وهذا كقوله من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
اياس الاعداء ليستريحوا بالاياس ويعلموا ان لا حيلة لهم يظفروا [illegible] هذا التاويل والله اعلم وفي حرف حفصة
قل موتوا بغيظكم لن تضرونا شيئا ان الله عليم بذات الصدور ، ويحتمل موتوا بغيظكم اي انكم لن
تدركوا مناكم ابدا فموتوا ابدا بهذا الغيظ وقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم ، قال هذا [illegible]
وصف المنافقين في الظاهر لانهم كانوا يظهرون عند الخيرات لكنهم انهم يظهرون الخيرات يكون
لهم لا للمؤمنين وقوله تعالى وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، ذكر في القصة انهم اذا راوا للمسلمين
الظفر على عدوهم والغنيمة تسوؤهم ذلك واذا راوا القتل والهزيمة عليهم يفرحون به ويسترون وقيل
اذا راوا للمؤمنين الخصب والسعة ساءتهم واذا راوا بهم القحط والجدب وغلاء السعر فرحوا به لكن هذا يحتمل
في كل جنود المسلمين [illegible] وقيل كل مصيبة ونكبة راوا بهم فرحوا به وقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا ، اخبر ان المؤمنين اذا صبروا واتقوا ان لا يضرهم كيدهم شيئا حتى يعلم ان ما يصيب
المؤمنين انما يصيبهم بما كسبت ايديهم ويحتمل ان يكون هذا امرا بالتثبت في القتال اذا فعلتم
ذلك لا يضركم كيدهم شيئا سوى الاذى بالقول كقوله لن يضروكم الا اذى وقوله ان الله بما يعملون
محيط ، على الوعيد وقوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قيل تبوئ امكنة
ومواضعه وقيل تبوئ اي تتولى وقيل توطن تستعد للقتال وكله يرجع الى واحد ثم اختلف في اي حرب كان
نزول هذه الاية وفي اي يوم قال اكثر اهل التفسير كان ذلك يوم احد وقيل يوم الاحزاب لكن لا نعلم ذلك الا
بخبر متواتر ثم في الاية دلالة ان الائمة هم الذين يتولون امر العساكر ويختارون لهم المقاعد والمواطن

الحرب وعليهم تعاهدها من المرود ودفع الخلل والضياع عنهم بقدر ما احتمل وسعهم وان على الجنود وغيرهم
من اهل مملكتهم طاعتهم وقبول الاشارة منهم وذلك لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
ثم ذكر مقاعد القتال في هذه الاية وذكر في اية اخرى الصف وقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا كانهم بنيان مرصوص وذكر في اية اخرى الثبات لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا والاصل انهم امروا بالثبات فالاحسن ان يكون لهم امير يحتال لهم امكنة ومواضع يكون لها معونة
على الثبات والله اعلم ويحتمل ان يراد بالمقاعد القعود وذلك لان القعود اثبت للقتال لما فيه للعدو ثم ذكر في الصف
ذكر الحملة على العدو والحملة على العدو لا تخلو من تولية الادبار لانهم اذا حملوا على الاعداء لا بد ان يرجعوا الادبار
ويرجعوا الى مواضعهم بعد ذلك ففيه رخصة الحملة على العدو وان لحقهم معرة فيها من تولية الادبار وان كان تولي الادبار
في الاصل حراما وهو كقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وقوله تعالى والله سميع عليم
يحتمل سميع لمقالتكم عليم بسرائركم ويحتمل بذكركم الله والدعاء له لانهم امروا بالذكر لله تعالى والثبات للعدو
بقوله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا عليم بثوابكم ويحتمل قوله تعالى سميع عليم بشارة من الله تعالى بالنصر لهم
والامان من عدوهم والحفظ لهم كقوله لموسى وهارون لا تخافا انني معكما اسمع وارى [illegible] قوله سميع عليم
ويحتمل الوعيد بقوله سميع اي اسمع عليم يعني اعلم ما يضمركم [illegible] والله اعلم وقوله تعالى اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا ، قوله همت يحتمل اي هموا هم خطر اي خطر على قلوبهم من غير صنع منهم ويحتمل انهم عزموا
في قوله لقد همت به وهم بها هم عزم وهمه بها هم خطر وهم الخطر يقع من غير صنع من صاحبه وهم العزم يكون
بالقصد والاختيار ولا نحيل كيف تقع المعاتبة بالفشل والجبن وذلك ما لا يذم به لانه يقع من غير فعل صاحبه
قيل والله اعلم معناه هموا ان يفعلوا فعل الفشل والجبن وذكر في القصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الطائفتين احديهما [illegible] والاخرى [illegible] ولهم ذلك وقيل ان الذي يحقق
منهم هم فعل الفشل والجبن وهو كفر [illegible] لا يكون فعل الفشل
منا انما ظهر لنا بسبب ذلك وولاية الله تعالى بقوله والله وليهما ولو لم يكن ذلك الفشل منا [illegible] لنا
وولاية الله تعالى ثم ان كان المراد من قوله اذ همت طائفتان هم عزم فالاية حجة على المعتزلة فان الله تعالى جعل [illegible] يقطع
منهم اسم الولاية بل اثبت بقوله والله وليهما والعزم على المعصية ولكن فعل الفشل وهو كفر [illegible] الزحف
يكون معصية دل ان ارتكاب المعصية لا يخرج من اسم الولاية والايمان وقوله تعالى والله وليهما
قد ذكرنا في غير موضع ان الولي هو الناصر وقيل الحافظ وقيل انه اولى بهم وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي حق على المؤمنين ان لا يتوكلوا الا على الله ولا يتقوا الا الله [illegible] ان
من نصره الله تعالى لا يغلبه شيء ومن خذله لا ينصره شيء فتوكل على الله اي اعتمد على ما وعد الله تعالى واجتهد
في الوفاء بما عهد وفوض كل امره الى الله تعالى اذ علم انه بكليته لله [illegible] عهد ان ينصر دينه
ولا يولي عدوه دبره والله اعلم وقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ، يحتمل [illegible] قليلا
في العدد [illegible] لقلتهم لان الكثرة سبب العز والقلة ذلة ويحتمل انهم خرجوا للعير دون الحرب غير
مستعدين لها ليس معهم الات الحرب من الاسلحة والافراس فصاروا اذلة لقلة سلاحهم وعدم استعدادهم
للقتال والله اعلم ثم الحكمة في ذكره نصرة الذلة مع ايجاب النصر لهم تنبيها لهم وتذكيرا حتى لا يتكلوا الى انفسهم
بل يتوكلوا على الله ويكلوا اليه ويثقوا به لانه اخبر انهم كانوا اذلة ضعفاء يوم بدر فنصرهم وامدهم بالملائكة
حتى قهروا عدوهم مع كثرتهم [illegible] ضعف المسلمين وقلة عددهم لما توكلوا على الله تعالى واعتمدوا على نصره ولما كان
المسلمون يوم احد توقوا بكثرة العدد فنظروا الى انفسهم فكانت الهزيمة عليهم وقوله تعالى فاتقوا الله ، يعني
اتقوا معاصيه لعلكم تشكرون ، فيه دليل على ان الشكر انما يكون في طاعته واتقاء معاصيه ولذا نعما
الله عنده بالعبادات لشكر ما انعم عليه او لتكفير ما كان منه من التفريط والغفلة وقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين ، وقال بعد هذا بخمسة الاف من الملائكة
مسومين وذكر في الانفال بالف من الملائكة مردفين واختلف فيه فقال بعضهم كانوا عشرة الاف كرة
ثلاثة الاف وكرة خمسة الاف وكرة الف مردفين [illegible] فتلك عشرة الاف وقيل كانوا تسعة الاف لانه
ذكر ثلاثة الاف وخمسة الاف والفا وقيل كانوا خمسة الاف وتدخل الالف والالفان في خمسة الاف لانه
ذكر الخمسة بعد ذكر الالف والالفين والله اعلم واختلف في ذلك في اي يوم قيل يوم بدر وقيل يوم احد
وقيل قوله فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم بالف من الملائكة يوم بدر وما ذكر في هذه السورة في يوم احد ويحتمل
ان الرسول عليه السلام خوطب اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم اي يوم بدر ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة

منزلين فقالوا بلى فقال • ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
مسومين • اي يوم احد لكنهم لم يصبروا وخالفوا حتى هزموا والله اعلم ولا ندري كيف كانت القصة وليس
لنا الى معرفة القصة حاجة غير ان في ذلك بشارة للمؤمنين بالنصر والمعونة وقوله تعالى وما جعله الله الا
بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم • جعل في ذلك تسكين قلوب المسلمين ثم اختلف في قتال الملائكة قال بعضهم
قاتلت الملائكة الكفار وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم احد وقال الاخرون لم يقاتلوا ولكن لتسكين قلوب
وطمانينتها كما قال وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وهذا هو الاوجه لانه تعالى ذكر في اية اخرى و
يقللكم في اعينهم ولو كانت الملائكة يقاتلون لم يكن للتقليل معنى لانه لا مقاومة للبشر مع الملائكة وانه ذكر
ان الواحد من الملائكة كاف لجميع المشركين الا ترى ان جبريل عليه السلام رفع الى السماء فقلبها ولا ندري كيف حقيقة
ذلك وقوله مسومين قيل منزلين ومسومين سواء لانه من التسويم وهو الارسال ومنه السائمة للارسال في
المرعى وقيل معلمين بعلامة وذلك والله اعلم تعليم من الله تعالى المؤمنين بالتسويم الاعلام في الحروب لحاجة
المؤمنين الى الاعلام لان الملائكة يحتاجون الى العلامة وذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه
يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقوله عز وجل وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم • اي لا
النصر على اهل القتال مع مدد الملائكة اياهم ليعلموا ان في النصر لطفا لا يوصل اليه بشيء من كثرة وان كثر عددهم
على غيرهم فانما نصرهم الله عز وجل والنصرة منه والله الموفق قال الشيخ رحمه الله ما ذكر من حضور الملائكة الحرب ففيه
والله اعلم في تخفيف الملائكة والله تعالى ان يمتحنهم بما اتيا من الحضور والمعونة والكف عن ذلك لولا الذي ما اذن لهم
بالنصر وبما شاء من الوجوه التي يمتحن بها عبيده وفيهم من قد امتحنه الله تعالى على الرزق وغيره من الارواح والامطار و
الاعمال وانواع الاذكار والافعال اذهم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته وطاعته في جميع ما يأمرهم بحيل
به قدرهم يفعلوا رتبتهم ثم لو اذن لهم بالمعونة اعانوا المؤمنين على قدر الاذن لهم اذهم على ما وصفهم الله تعالى
بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله تعالى يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون
وغير ذلك وصفهم بالطاعة والاتباع لامره فما اكرمهم من هيبته وجلاله وخوف عقابه للمؤمنين في حضورهم
انواع البشارات تعظيما لم يكن اذنهم بالقتال وانواع الاعانات فقد اذن لهم على ما ذكر من امر بدر وغيره مما اخبر عنهم
من نصر الله جنوده وهزيمة اعدائه بمنه وفضله من ذلك ما قال الله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين
امنوا الاية ان يكون الله يؤيدهم بما به تشجيع قلوب المؤمنين على ما يمكن اعداءه من انواع الوساوس التي تعمل بها
قلوبهم [illegible] فلما منهم فعله يمكن اولياءه من تشجيع المؤمنين وتسكين قلوبهم وتثبيت اقدامهم [illegible] الذي
جبل عليه الخلق ان كل احد عند معاينته الحاجة الى دفاعه وما يحمل وضعفه من معونة عليه ما يرعب فيكون
للمؤمنين بحضورهم نيل النصر بمعاينتهم ويخرج عليه قوله انا لننصر رسلنا الاية وما جعله الله الا بشرى لكم
والله اعلم اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نصرهم يبشرهم بحضورهم فيكون لهم في ذلك فضل ثبات
وفرار حيا منهم لما علم اطلاعهم على ذلك ويكون لهم فضل قوة لذلك واقبال على الامر ما جبل الخلق من الاعتماد
على الامور المهمة اذا كثر عددهم قال عز وجل اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا مما يطمعون به [illegible] طاعة
الله تعالى وثبوت الاقدام باذن لهم بالنصر والدفع فكان ذلك نقض ما يستبشرون وعلى ذلك اكثر ما ابتلي اصحاب
محمد عليه السلام بالهزيمة انما كان بصرف قلوبهم الى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والاعجاب بالكثرة
ونحو ذلك ثم من افضل الاعلام في ذلك ما قال الله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم فيكون البشارة والطمانينة بالذي جبل عليه البشر على ما بين فيكون النصر
من عند الله متى اراد نصر احد لن يغلب قلت اعوانه او كثرت عند ذلك لطف من الله تعالى العزيز الحكيم يريهم النصر
من الوجه الذي لا يعلم ما تاه فيريهم النصر نصا في حال الاياس من انفسهم بان يعوم عدوهم ليعلموا عظيم لطفه
الذي بمثله ان تقعد [illegible] الاخيار وشرفت منازلهم ولو كان لهم اذن بالحرب على ما ذكر من قوة جبريل في قلب قرى
لوط بجناح واحد لم يكن يقوم لمثله اهل الارض فضلا من عدد يسير منهم ولكنهم لا يتقدمون بين يدي الله
تعالى لم يكن اذن لهم في القتال عند كل مشهد والله اعلم وقوله تعالى ليقطع طرفا من الذين كفروا • قال قتادة
كان يوم بدر بقتل صناديدهم وقادتهم الشر وقيل طرفا من الذين كفروا جماعة وقيل طرفا من الذين كفروا اهل
مكة وقوله تعالى او يكبتهم • قيل يخزيهم وعن ابن عباس قال الكبت الهزيمة وقيل الكبت هو الصرع على
وجهه وهو ضعيف وقوله او يكبتهم يغيظهم وقوله تعالى فينقلبوا خائبين • اي يرجعوا ولم يصيبوا ما املوا
والخائب هو الذي لم يظفر بحاجته وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم • الاية
اي ليس لك شيء من الامر انما انت عبد مامور وانما ذلك الى الله تعالى الواحد الصمد القهار الذي لا شريك له

ولانه

ولا نده وهو كقوله يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله وقوله تعالى او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون • فيه دلالة انه كان من النبي عليه السلام معنى من قول وفعل على اثر استعجل ذلك من دعاء الهلاك
او الهداية مما جبل عليه البشر مما اوحي في ذلك من صلاح الخلق على ما عليه تدبير البشر على وجه الاخلاق والاباحة
من حيث الظاهر فقيل له من امر هذا شيء وان كان ذلك على ما ذات وتدبيرنا الذي لك الصفح والعفو
والاعراض ولا يعلم ذلك الا والله اعلم بغيره قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم شج يوم احد
في وجهه وكسرت رباعيته فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء وقيل ان سرية من اصحابه خرجوا الى قتال المشركين
فقاتلوهم حتى قتلوا جميعا فشق على النبي عليه السلام قتلهم فدعا عليهم باللعنة يدعو على المشركين اربعين يوما
في صلوة الغداة فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء وعن عمر وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم
العن ابا سفيان اللهم العن فلانا حتى لعن نفرا منهم فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وامره بالكف عن الدعاء عليهم
والله اعلم ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم خوطب بهذا ابتداء من غير شيء سبق منه بما يعاتب عليه
او يكره منه لكن نابيا مقبلا نحو الاذن له في كل شيء منتظرا الامر ولكن نهي بالوحي ولا يطمع نفسه البشارة
في شيء لم يسبق به الوحي على ان النهي والوعيد امر جائز ان كان قد عصم عليه السلام من ركوب نهي ووجوب
الوعيد ان هنالك يظهر رتبة العصمة لكن الظاهر ما ذكرنا انه اشد على اثر استعجل النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك من غير انتظار الوحي لما دعاء الهلاك والعذاب او الهداية بقبول الحق والخضوع له فقيل له ليس لك
من الامر شيء من ذلك نحو كل واحد من الاحاد على طريق التعيين والاشارة اليه انما الذي اليه ويبان طريق
الحق وانما ذلك الى الله تعالى يصنع فيهم ما عنده من التوبة والتعذيب على قدر ما علم من اقبالهم على الطاعة له
وانفارهم عنها في الازل فان كانت الاية في الكفار فكان طلب التوبة لهم وافراطه في الشفقة عليهم كما قال
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ويحتمل
ان يكون في المؤمنين فالمراد او يتوب عليهم اي عن ذنوبهم التي ارتكبوها فيعفو عنهم او يعذبهم على قدر ذنوبهم
ولا يعفو عنهم والله اعلم وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض • الاية فيه دلالة ما ذكرنا
في قوله ليس لك من الامر شيء انما الامر الى الله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض وهو الذي • يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء • ثم في الاية وهو قوله ليس لك من الامر شيء دلالة جواز العمل بالاجتهاد لانه
صلى الله عليه وسلم انما عمل بالاجتهاد من الدعاء بالهلاك او الهداية لا بامر من الله تعالى تنصيصا اذ لو كان
بطريق النص لما منع عنه بقوله ليس لك وما نهاه النبي لا يكون الا مطلقا مباحا فاذ كان قد منع عنه بعد
يمنع وحكمة استاثر الله تعالى بعلمها ذلك بما لم يقر عنده من السمع والعقل على عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم
من ارتكاب المحظور الذي هو معصية والله الموفق وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة • يحتمل حقيقة الاكل لان الاكل هو نهاية كل كسب ويحتمل النهي عن اخذ الربوا معناه لا تأخذوا
الربوا وهو كقوله وذروا ما بقي من الربا فيه نهي عن الاخذ ولقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه اذ اخذ الربا هو
اكل له لانه عرف الناس فاذ كان لا يأكل من الربا شيئا فان قيل ما معنى النهي عن اكل الربوا اضعافا مضاعفة
واكل الربوا واخذه لا على المضاعفة حرام اذ قليل الربا محرم ككثيره قيل يحتمل وجوها يحتمل ان يكون قبل
تحريم الربوا فنهوا عن اخذ الربوا مضاعفة على الادب لما فيه ترك الشفقة وفي نهاية القوة ثم حرم القليل
والكثير بطريق الحتم ويحتمل ما قيل كان احدهم يبايع الرجل الى اجل فاذا حل الاجل زاد في الربح وزاد الاجل
في الاجل فيصير اضعافا مضاعفة وكان ذلك ربوا الجاهلية ويحتمل ان النهي خرج على هذه النازلة بعينها
وان كان القليل حراما بغيره مما دون به تثبت بغيره من الايات ويحتمل فلا تأخذوا الربا اضعافا مضاعفة اي
لا تأخذوا اموالكم ولا تقصدوا بالاخذ تضاعف اموالكم الى غير حد فيكون نهيا عن تضعيف الاموال
وتكثيرها القصد للغنى او حصول الغرض والجاه فنهوا عن اخذ الربوا مضاعفة لما فيه تحقيق مقصودهم من كنز
المال الا ان القليل ليس بمحرم وحرمة القليل ثبت بغيره من النص لا بالاية ويحتمل لو كان على حقيقة الاكل
انه نهي عن التوسع بالربا وامر بالتوسع بما ليس بربا فان في ذلك امر بالتقتير والتضييق في النفقة لان فيه
احترازا عن الحرام ويحتمل ان يكون في الاية اضمار معناه لا تأكلوا الربا فلكم ان اكلتموه بعد العلم بالتحريم
تضاعف عليكم المأثم والعقوبات ثم ويحتمل ان الله تعالى الربوا اعلاما ما دلت على طاعته ما يحرم ما وصف من اكل
الربا بالخروج لحرب الله وحرب رسوله وبالتخبط يوم القيمة وانتفاخ البطن يعرفونه واتقوا الله وذروا
ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله الاية وذلك مثل ما جرى في
قوم شعيب عليه السلام ما حل بهم بلزومهم تعاطي الربا وتطفيف الكيل والوزن ومما جرى في معاقبة اليهود بتحريم اشيا

لمكان ذلك والله اعلم وقوله تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون • اى اتقوا الله فى اخذ الربا فلا تأخذوه ولا تستحلوه لعلكم تفلحون وقوله تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين • فالاية رد على المعتزلة فى اصحاب الكبيرة لانخلاد فى النار لان الله تعالى اخبر ان النار اعدت للكافرين وهم يقولون معدة للكافرين وغير الكافرين فيكون زيادة على النص ولان الاعداد هو التعيين والشئ متى عين لشئ وهيئ له لا يكون معينا لشئ آخر وكان تعيين النار للكافر دليل على ان غير الكافر غير داخل تحت النص بطريق الاعداد والتعيين لانه يصير مزاحما للاول فلا يبقى التعيين والله اعلم وقوله تعالى واطيعوا الله والرسول • والله اعلم طاعة الرسول لان من الناس من لا يرى طاعة رسوله وهو لم يطع الله فى الحقيقة وكان المراد من الاية بيان فرضية طاعة الرسول عليه السلام ويحتمل واطيعوا الله فى امره ونهيه واطيعوا الرسول فيما ادعا وبلغ ويحتمل واطيعوا الرسول فى امره ونهيه كما اطيعوا الله فى امره ونهيه وقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله فى استحلال الربا لعلكم تفلحون اذا انتهيتم عنه وقوله واتقوا النار التى اعدت للكافرين باستحلالهم الربا لان من استحل محرما فقد كفر وحقيقته واتقوا ما اوعد ربكم عليه النار وقوله تعالى واطيعوا الله فى تحريم الربا واطيعوا الرسول الذى بلغ اليكم تحريم الربا والنهى عن اخذه • لعلكم ترحمون • اى ارحموا الناس ويرحمكم فى ترك اخذ الربا ترحمون انتم وتنجون من النار وعذاب الله واصل الطاعة الائتمار بامر المطاع فكل من اطاع الله تعالى فيما امر واطاع رسوله رحمه ربه ومن طاعة الله تعالى الرحمة على خلقه على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا فقلنا كلنا نرحم يا رسول الله قال ليس رحمة الرجل نفسه لكنه رحمة عامة ثم قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم اى بادروا الى التوبة والرجوع عن استحلال الربوا والترك عن اخذه فان قيل المغفرة هى فعل الله تعالى فكيف يتحقق المسارعة اليه قيل معناه والله اعلم بادروا الى الاسباب التى بها تستوجبون المغفرة من ربكم ثم المغفرة هى الستر فى اللغة وهى تحتمل وجهين احدهما اى لا تشتت استر ذكرهم فى الاخرة اذا انتهيتم ثانيا فينبغى مثلكم سببا لكم فى الجنة لان ذلك تساوى فى الجنة بعض عليهم ثم فانكم ان تستر عليهم مساويهم فى الجنة لئلا يفتضح لكن عليهم وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اى فبادروا ايضا بالتوبة عن استحلال الربوا الى الجنة عرضها السموات والارض فان قيل ما معنى ضرب مثل عرض الجنة بعرض السموات والارض وعرض الجنة اكبر من عرضهما قيل لانه فيما ليس عرض جنسه وسعتها بسعة السموات والارض وعرضها لما ان عند الخلق ليس ابعدى نهاية وان كانا ذوى نهاية وغاية فاذا كانت من اوهام الخلق عرضهما فى غاية الامتداد والكثرة وذلك فى نهاية الظهور والاشتهار عندهم شبه عرض بعرضهما اخراجا لما هو المستور الى ما هو الظاهر عندهم وتمثيلا لما لم يقع عليهم حسا تشبيها له الى ما قد وقعت الخلقة على بعض ذلك وهذا كما وصف الله تعالى اهل الجنة واهل النار دوام النعام فيهما وشبه ذلك بدوام السموات والارض بقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض وان كانا فانيين غير دائمين ابدا لبعيد فنائهما عن اوهام الخلق وظاهر بقائهما فى اوهامهم فعلى ذلك الاول وكذلك قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وان كان فى مخلوقات الله ما هو اكبر منهما بكثير مثل العرش والكرسى والجنة والنار ونحوها ولكن لما انه شبه بذلك على تقدير اوهامهم فان عندهم انهما من اشد الخلق واقواها ومعناه ان الذى قدر على ايجاد ما هو اشد واقوى واصلب لقادر على انشاء ما هو دونه فهذا ولذلك وصف السموات والارض بالغلظ والكثافة والشدة بقوله سبعا شدادا ثم اخبر عز وجل انهما مع غلظها وكثافتها يكاد ان ينشق لعظيم ما قالوا ان لله ولدا وشريكا بقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ليعلموا عظم القول وقبحه وفحشه ويمسكوا عن القول فان الله تعالى انما لا يليق به وان كان غيرهما من الخلق اشياء اكبر فى الغلظ والكثافة والشدة منهما لظهورهما فى هذه الاوصاف وتعريفهما عند الخلق لدخول بعضهما فى حواسهم فهذا مثله ويحتمل وجها آخر ان عرضهما اذا انبسطتا لقوله والارض مددت وقد سعة ذلك فى غاية الكمال لو صفت عرض الجنة بذلك والله اعلم ثم الاية دالة على ان الجنة ذو نهاية المكان والعرض وان لم يكن ذوى نهاية الوقت والغاية لوصف الله تعالى اياها بالدوام وذلك لان الله تعالى بالعرض يدل به وجنة عرضها وكل ذى عرض يحتمل نهاية عرضه والله اعلم ولانها لو لم يكن ذات نهاية لما لا يتحقق ومتى نال الجنة وصف القدرة بما قلنا ثبت وصف العجز تعالى الله عن ذلك ولانه وصف القدرة تؤدى الى انقطاع الطمع والرجاء والخوف والهيبة عن الله تعالى ومن هذا وصفه لا يصلح للالوهية تعالى عن ذلك علوا كبيرا ثم ان الخروج من الجنة فاوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض لانه لا يتصور وجود غيرين فى حيز واحد وان كانا من حيث الزمان

بلا نهاية وغاية وجاز بقاء شيئين مختلفين فى زمان واحد ومحال وجودهما فى مكان واحد ولذلك لزمنا القول بنهاية الجنة والنار من حيث المكان ووجب القول بعدم نهايتهما من حيث الزمان والله الموفق وقوله تعالى اعدت للمتقين • الاتقاء هو الطاقة لكل امره ونهيه وترك مخالفته فى ذلك ثم سبب التقوى يكون بوجوه ثلاثة بذكر عظمته وجلاله ورفعته فيرجى او بذكر احسانه ونعمته فيمنعه ذلك ارتكاب ما نهى عنه فحيا منه مخالفة امره ونهيه فيذلله ذلك ويحقره والثالث يذكر نقمته وعذابه فى مخالفة امره ونهيه فيتقى بذلك عن عذابه ونقمته بالاتقاء عن مباشرة اسبابه والله اعلم ثم ذكر فى الاية الاولى واخبر ان النار اعدت للكافرين واخبر فى هذه الاية ان الجنة اعدت للمتقين واختلف فى ذلك فقال بعضهم من لم يكن من المتقين لم يعد له الجنة ومن لم اعدت له النار وهو قول الخوارج والغلاة وقال آخرون النار اعدت للكافرين والجنة اعدت للمتقين ووصف المتقين وهم الذين اتقوا المعاصى وتركوا مخالفة امره ونهيه فاذا كان قوم لهم مساوى ومحاسن من الايمان ونحوه لم يدخلوا فى اطلاق قوله اعدت للكافرين فيكون لهم موضعا ثالثا قال الشيخ رحمه الله ما عندنا للمؤمن قوله اعدت للمتقين يحتمل الذين اتقوا الشرك لقوله هدى للمتقين ويحتمل الذين اتقوا جميع المعاصى فان كان التاويل هو الاول فكل من لم يستحق بفعله اسم الكفر فهو داخل فى هذه الاية لانه قال تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين اخبر ان النار بطريق الخلود والدوام لغيرهم وهم الكفر كذا النار المعدة للكفر فيجب ان لا يكون لغيرهم على الابد بطريق الكفرة يجب ان لا يكون لغيرهم على الابد بطريق الاولى لجواز القول فى ايجاب الجنة لمن لا يكون منه فعل الايمان حقيقة بمحو الذنوب وفساد القول منهم بالنار والثانى ان النار اذا جعلت لغيرهم على الابد لهم او اعدت لغيرهم كما اعدت لهم لكان لا يكون للكفر فضل هيبة ولفعل الكفر فضل فزع فى القلوب وزيادة فحش وقبح لم يكن لسائر المعاصى حتى ان احدا من المسلمين لو خوف بالقتل وقطع الجوارح والتحريق بالنار لا جرى كلمة الكفر على لسانه لا يجاسر على ذلك ولا يترك الايمان لعظم قبحه وفحشه فى قلبه ولعظمة الايمان ونفعه وقدره عنده ثم يقدم على غيره من المعاصى اغلبه شهوة او لموافقة طبيعته وان لم يحق فعله ومعلوم ان ذلك باعتبار ما يتعلق بالآخرة من العواقب الوخيمة لا بنفس الفعل ثبت انه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها حتى يظهر زيادة عقوبة فى الكفر ما لا يكون لغيره ويكون النار التى اعدت لهم وهم الكافرون ولغيرهم اثر وتحذير ولا يتحقق ذلك كله فاذا كانت النار المعدة للكفرة على الخلود بقوله اعدت للكافرين لم يدخل فى هذه الاية المتقون عن الشرك يجب القول ضرورة بالدخول تحت قوله اعدت للمتقين وان كان التاويل هو الثانى اعنى ان يريد به الاتقاء عن جميع المعاصى فيكون لذلك عبارتان احدهما ان ينتظر اهل الجنة واهل النار فمنهم من لم يرتكب لهم الذنوب الشرك فيدخلون فى الوعيد بالنار المعدة لهم ولا اتقوا جميع المعاصى فيكونون فى الوعد المطلق فيمن اعدت له الجنة فحقه الوقف فيه حتى يظهر ويفوض ذلك الى مشيئة الله تعالى ويحمل الحكمة ان شاء عذبهم بقدر ذنوبهم عدلا منه وان شاء ادخلهم الجنة من غير عذاب فضلا منه اما بان عفا عنهم لما كان معهم من الايمان والخيرات واما قبل فيهم شفاعة بعض الاخيار ونحو ذلك اما لا يخلدون فى النار ويدخلهم الجنة لا محالة واصل ذلك ان الآيات العفو والمغفرة قد وردت فى حق معاصى غير الكفر وفى حق عصاة المؤمنين قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهذا تنصيص على مغفرة ما دون الشرك لمن يشاء وقوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم الاية وقال وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وغير ذلك من الآيات التى وردت فى العفو والمغفرة ولا يمكن حملها على الكفر فانه اخبر انه لا يغفر الشرك ولا يمكن الحمل على الصغائر لانها مرجا فى التعذيب عليها عندهم من حيث الحكمة وما كان واجبا فى الحكمة بناء على ذلك لا يستحق وصف العدل لا وصف العفو والمغفرة لان العفو فعل ما ليس بواجب على الفاعل تحصيله فدل ان المراد من الآيات ما ذكرنا ولنا ان يقال يجزيهم جزاءهم بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة وهو الحكم العدل لمقابلة السيئة والاحسان بالاحسان وذلك قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فاما القول بالتخليد فى النار اصلا وحرمان الجنة فلا وجه اليه لوجوه احدها انه اخبر لا يجزى السيئة الا بمثلها والتخليد بمقابلة الكفر من المعاصى ليس مثل بل اضعافا مضاعفة لان التخليد عذاب الكفر وغير الكفر من الذنوب دونه فان الكفر فى مقابلته اعظم منه بدرجات فكيف يكون عذاب الكفر وجزاؤه مثلا لغيره من الذنوب والله الموفق ولان القول بالتخليد تضييع حسنات اصلا من الايمان وغيره فلم يكون فى ذلك مقابلة السيئة بمثلها بل مقابلة السيئات بسيئة واحدة

بل منع الحسنات اصلا والله الموفق ولان الله تعالى جعل الايمان مبطلا لكل الذنوب حتى المعاصي التي وجدت
في حال الكفر بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وما جعل غير الكفر من السيئات مبطلا للعبادات ثم الحكيم
قلب المعقول وخالف الكتاب وجعل السيئة الواحدة غير الكفر مقابل الكفر ونظيره في احباط جميع
الخيرات مع الايمان ولم يجعل غير الحسنات سوى الايمان مقابلا للايمان في احباط الذنوب ولا جعل الحسنات
مذهبة للسيئات مع ان الله تعالى وعد الحسنة عشر امثالها وعلى السيئة مثلها بل المعقول ان لا يقابل السيئة
الواحدة بالكفر في احباط العمل ويجعل الحسنات التي معه حالة العصيان معارضة للعصيان على قيام
الايمان الذي لا انفع منه وهو الذي يبعثه على الخوف والرجاء حالة الاساءة وعلى انه لو خشي على نفسه كل
ورجاء كل نفع في الكفر بربه لا يختار المنافع كلها ودفع غول المضار على الاقدام على كلمة الكفر صورة فضلا
عن الاعتقاد مع ما وعد على الحسنة عشر امثالها ثم يبطل ذلك كله بالاقدام على سيئة واحدة بل يلزم الخلق
الوصف بالكرم والرحمة والعفو والافضال والاحسان تعالى الله عن ذلك والله الموفق وقوله اعدت
للمتقين دلالة على ان الجنة مخلوقة لانها لو لم تكن مخلوقة لقال اعد للمتقين وقال الذي قوله تعالى في قوله اعدت
للمتقين ثم فسر المتقين بقوله الذين ينفقون الى آخر ذلك فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من
اعدت له من جميع الذي ذكرهم عقيبه بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء وكذا ان يريد اعدت للمتقي
اتقوا الشرك لما ان الله عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فكان على الاول فاوصفهم بالذي
ذكر من الافعال المحمودة لبيان ان ذلك بكليته شرطا لان تعد له الجنة حتى يحرم من لم يبلغ ذلك لبيان انه
نهاية وصف من اعدت له الجنة وغاية رتبته ودرجته فيجوز ان يكون لهم اتباع في الشركة في ذلك الذي
اعد لهم وان لم يبلغوا تلك الرتبة التي بلغوها ان تفضل الله تعالى او بما اعطى من ذكرهم من الشفاعة كما اخبر
ولسوف يعطيك ربك فترضى او بما شاركوا الفريق الاول من اصل الاعتقاد وان كان منهم تقصير في
الفروع وفي المتعارف قد يذكر في كل امر من الامور العظيمة اهلها فذلك على مشاركة من دونهم لهم في ذلك
وعلى ذلك ما ذكر الله عز وجل من بعث الرسل الى الفراعنة من فرعون والى عاد والى ثمود ونحو ذلك مع دخول
من دونهم من الاتباع والرعايا في ذلك وكذلك ما ذكر الله تعالى من الخطاب للرسول عليه السلام في القرآن في كثير
من المواضع والمراد امته ومشاركتهم اياه في مضمون الخطاب وهو المعتاد في ما شاهد من العظماء ان يخاطب
اهل الرفعة والعلو مع تضمن من دونهم في ذلك فكذلك الاول لان الله تعالى ذكر في القرآن من الكفر الذي
جمعوا مع الكفر العناد والتمرد وذكر اهل الذين لهم مع ذلك الخيرات من امنه لم ذكرها ولا مما على ما استحق
من الثناء الاول باعلى ما به يصير لغيره اهلا من غير تخصيص في اصل ما له الوعد والوعيد الا انه حث
فالتفضيل لفعله الاول ابدا ما قلنا قسم الله تعالى اصحاب اليمين مع دخول من ذكر في جملة اصحاب اليمين
لان الله تعالى قال في وصفهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وقد بين في آخر هذه
الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ثم اغتفر لهم اولئك جزاؤهم
المغفرة ونعم اجر العاملين ثم يحتمل ذلك باحد وجهين احدهما ان الله تعالى بمنه وفضله يوفقهم لما يرضيه
في آخر امرهم لختمه بما ذكر ان نفى ارتكابه ما ارتكب وتقصيره فيما قصر معتفر لجلال ربه خائفا عظمته راجيا
رحمته معترفا بما وصف الله تعالى نفسه بالكرم والعفو فيكون هو شريكا لمن وصف بكمال التقوى في ذلك
والخاتمة وان كان منه تخلف عنهم في الابتداء والله اعلم والثاني ان يكون يجزيه بما قصر ولم يطهر
مما كان منه من الخلط فيرجع الى ما وافق الاول في جملة الاعتقاد فيكون الجنة معدة لمن جمع ذلك كله ثم
يكون بالذي ذكرنا من التعذيب بقدر الذنوب او بالعفو والجود والجزاء بطريقة الجود والكرم الا ان الحكماء
والله اعلم وان كان على المعنى الثاني فالاية تخرج مخرج الترغيب في جميع تلك الاوصاف فيكون الجنة والاد
معدة للذين اتقوا الشرك لدرجات ما فيها من الفضائل والمراتب على قدر ما يتقي من انواع الخلاف في
الافعال ويتوسل الى الله تعالى بالمبادرة والمسارعة الى ما فيه الرغائب وعلى ذلك امر الوعد والوعيد يتفضل
الدرجات في الجنة وتفرق الدركات في النار على ما اعدت للنار في الجملة للكفر وتفاوت اهلها بتفاوت
الافعال في الخلاف والتمرد والله اعلم ثم الاصل في قوله اعدت للمتقين ان من لم يبلغ بما ارتكب من المعاصي
الكفر لم يمتنع من احتمال التسمية بالمتقي على ارادة مخصوص لتقوى اعني التقوى عن الشرك وهو ممتنع عن
احتمال التسمية بالكفر على صرف الاية في اعداد النار الخصوص عموم فثبت به خروج صاحب الكبائر
عن اهل الاسم الذي له اعدت النار ولم يشتمل وصف اهل الاسم الذي له اعدت الجنة فالقول فيه بالقطع
بانه في النار وانا ذلك في الجنة فاسد باوجه احدها ان نعرف باحاطته انه لم يدخل في قوله اعدت للكافرين

ويرجو

ويرجو دخوله في قوله اعدت للمتقين مع احتمال انه غير داخل فالقول بتخليده في النار وان لم يحرم الجنة ابدا
يكون اسقاط شهادة يثبت بيقين بالشك وايجاب شهادة لم يجب بالخيال اعني انه امتنع عن الشهادة
بانه ليس ممن اعدت له الكافر مع اليقين بانه غير داخل في النص لانعدام الكفر واقدم على الشهادة بانه ليس من اهل
الجنة مع الشك والخيال في ذلك فاسد والثاني ان يكون في ذلك اسقاط اسم العفو والرحمة اذ لم يجعل
العفو عمله اي صاحب الكبيرة لبطل ان يكون له موضع لما في استحقاق العفو من صاحب الصغيرة واجب عندهم
والثالث ما فيه اسقاط الموازنة وافساد المقابلة مع مجيء الايات بالكتب التي تقرأ والموازين التي توزن مع ما في
ذلك مخالفة التوهم بالكرم الذي امرنا ان نسميه به مع ما قد جاء من التجاوز عن السيئات وتقبل الحسنات
وفيما قلتم قلب ذلك والله اعلم ثم السبب الذي يستعان به على التقوى ثلثة احدها ان يذكر المرء عظمته
وجلاله وقدرته عليه في كل احواله فيتقي مخالفته بالهيبة والجلال والثاني ان يذكر عظيم منته عليه ونعمه عنده
واياديه التي فيها ينقلب وبها يتمتع فيتقيه حياء منه والثالث ان يذكر نفسه عظيم نقمته الموعودة وعذابه
المعد لاهل الخلاف له فيتقيه اشفاقا على نفسه والله الموفق وجملة ذلك ان من تأمل ان نعمه رحمته والدنيا فانية
تدق وما فيه متقلبه من اول احواله الى منتهى احواله حتى يصير ذلك كله كالعيان لقلبه تسهل عليه وجه التقوى
لما عند ذلك تذهب شهواته وتضمحل امانيه والله الموفق وقوله تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء
السراء الرخاء والضراء الشدة وقيل السعة والضيق وهو واحد وقيل السراء ما يسرهم الانفاق عليه من نحو الولد ونحوه
يسرهم الانفاق عليه والاجنبي يضرهم على التأويل الاول الانفاق في حال الرخاء والسعة ايسر وما هو على المرء
من الانفاق في حال الضيق والعسر فاذا انفق في جميع الاحوال استوجب بذلك المدح والله اعلم ثم السبب الذي
تسهل سبيل الانفاق في جميع الاحوال وان كان هو السبب في تسهيل التقوى وجوه ثلثة احدها ان ترى
ان ما في يدك ليس لك امتحنت بحق ذلك وحفظه وانك اذا بذلته لغيرك ان تقعدت عنك مؤنة الحفظ ورعايته
الحق على ما لم يكن لك نفعه الذي كان ذلك وقت كونه في يدك اذ هو بعد البذل في يد من قبله
ثم ان الله تعالى فكانه لم يخرج من يدك من حيث النفع وانما سقطت مؤنة الحفظ معلوم وجود ما السلف في كل ما هو
غير منتفع به ومن لا ملك له فالشيء منتفع به على العلم باستواء الامر على من لم يبذلت والله اعلم والثاني ان يشعر
قلبك جود الرب جل جلاله وتفضله في حق من اختاره واثر على ما عنده من انواع الافضال الى خوضه لوجهه
وطلب مرضاته ويقر لديه بعسر قدرته على اعطاء اضعافه من خزائنه التي لا ينفد ويعلم انه تعالى
في الايصال الى ذلك ما لم يكن مثله اليك وعلى ما اعطاك او صلك في الغد واحد لا يتعذر عليه شيء
فتقوى بذلك وتهون ذلك عليك والله الموفق والثالث ان تعلم ان الذي عليه جبل والله دفع ليس الا وقت
الذي هو فناء الدنيا ولكن لتتزود للمعاد ولتكتسب به الحياة الباقية الدائمة والمنفعة التي لا تنفد ثم
كبائع الشيء باضعاف ثمنه وكما ذكر ما فيه مكان رقبته او يقدم له مكانه منه وكمن يعدل الشيء في مسكنه لوقت
حاجته فان مثلها ترسخ على الطبيعة والدنيا في العقل ولا قوة الا بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما نقص مال من صدقة ليس على ان لا ينقص من المال من حيث الظاهر لكن على تأكيد وصول خلفه اليه على ما قال
عز وجل وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقال النبي عليه السلام اكرم الناس من اعطى من لا يرجوه هذا يحرض
على الاخلاص في الصدقة لله تعالى على قطع شركة الغير لان من اعطى احدا شيئا ثم يرجو منه بذلك شيئا
لم يكن ذلك اعطاء لله تعالى والموفق هو الله وقوله تعالى والكاظمين الغيظ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى امنا وايمانا والغيظ كانه متردد بين الحزن والغضب
والحزن على من فوقه والغضب على من دونه والغيظ بين ذلك مدحهم الله تعالى بترديد حزنهم وغضبهم في جوفهم
وقوله تعالى والعافين عن الناس اي عمن ظلمهم من الناس وروي عن النبي عليه السلام انه قال ما عفا رجل عن
مظلمة الا زاده الله تعالى بها عزا ومن عفى عن الناس عن مظلمة فقد احسن في ذلك كما قال الا انه يحسن اذا الى
بفعل جميل محمود عندنا لمكانه ومنه قوله احسن الناس عفوا من قدر لانه ما لم يظفر به لا يتبين انه عفى عن
اختيار وقصد فكان العفو في حال القدرة ابلغ واتم واجمل وقوله تعالى والله يحب المحسنين الاحسان
يحتمل وجهين يحتمل العلم والمعرفة يقال فلان يحسن العربية وفلان لا يحسن ويحتمل الفضل الذي
لا يجب على المرء تحصيله فان المعروف والايادي تسمى احسانا لا انفعله ليس عليه انما هو فضل منه وقوله
تعالى عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية اخبر انهم
اذا فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم حتى لم يسلموا انفسهم لله تعالى الظلم وضع الشيء في غير موضعه واذا لم
انفسهم لله تعالى فقد وضعوا انفسهم في غير موضعها التي لها فصاروا ظلمة انفسهم ثم ذكروا الله عز وجل واستغفروا

لذنوبهم اي طلبوا لذنوبهم مغفرة واقروا بان غافر الذنوب ليس الا الله تعالى وقالوا ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ذنوبهم هو الاصرار هو الدوام عليه وهم يعلمون انها معصية فلا يقيمون عليها ولكن يتوبون عنها فجزاؤهم ما ذكر بقوله اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار الى آخر ما ذكر وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل الفاحشة ما يفحش في العقل ويقبح وقال الآخرون كل محرم منهي عنه فاحشة والاول كانه اقرب لان الشيء ما لم يبلغ في الفحش والقبح غايته فانه لا يقال فاحشة والاول كانه اقرب لان الشيء ما لم يبلغ في الفحش والقبح غايته فانه لا يقال فاحشة كالطيب انه انما يقال ذلك اذا بلغ غاية في الحل واللذة فاما ان يقال لكل حل على الاطلاق طيب فلا فعلى ذلك الفواحش لا يقال لكل محظور محرم انما يقال لذلك لما بلغ في الفحش والقبح غايته والله اعلم ثم قوله والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم يحتمل ان يكون الظلم غير الفاحشة ويحتمل ان يكونا واحدا فكرر وقد يكون في المعنى ان كل عاص ظالم لنفسه بمعنى ضرها وبخس بحظها او فعل ما ليس له فعل ووضع شيئا في غير موضعه وهما معنيا الظلم ولذلك من تعدى حدود الله او ارتكب ما يزجر العقل والشرع فقد يخشى فعله فيكون بمعنى الظلم الذي وصفت لا فعل ما ليس له فعل واختيار هو غير الفعل الذي يزجر العقل والشرع ويحتمل ان يكونا مختلفين بينهما فرق وهو ان الظلم اسم كل ما يجمع كل وجوه الخلاف عظم او صغر ولذلك قد نسب الظلم الى الانبياء الاخيار نحو ما قيل لآدم وحواء في اكل الشجرة فتكونا من الظالمين وقيل في الشرك ان الله لا يهدي القوم الظالمين والفواحش ما ظهر وتبين قبحه من الذنوب وعلى ذلك سمي النقصان ظلما وقوله ولم تظلم منه شيئا وقد يوصف العبث والنقصان بالفحش فيقال عبث فاحش لكنه اذا كثر وظهر وصار نقصا كما قيل في الحلال انه اذا بلغ غايته طيبا ولا يقال لمطلق المباح ذلك فكذا هذا والله اعلم ثم الاية دلت ان اهل الفواحش اذا تابوا واصلحوا مما وعد لهم الجنة وان لم يكونوا بعيدين من قبل فتنه اذا تجاوز الله عن سيئاتهم عفى عنه بما هو عفو غفور فتكون حجة على المعتزلة والخوارج ثم الاية دلت ان الاستغفار بعد ذكر الله تعالى انما يرفع الذنب اذا لم يكن المستغفر مصرا على الذنب ولم يصروا على ما فعلوا انما هو اعتقاد ذلك العاصي عليه لا يوجب الرجوع عنه حتى يغفر له وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا ازداد ذنبا زادت النكتة وقوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن يحتمل ان يكون الخطاب للمصدقين ويحتمل ان يكون للمكذبين ويحتمل ان يكون لكلا الفريقين ثم السنن يحتمل ان يراد بها حكم ما يحل بهم من الثواب بعد الطاعة واتباع الحق والعذاب بعد الخلاف والمعصية وقوله تعالى فسيروا في الارض يحتمل السير في الارض لتروا آثارهم وعلمتم بذلك ما اليه يرجع عواقب الفريقين ويحتمل حقيقة الامر بالسير في الارض اي سيروا فيها حتى تروا آثار من كذب الرسل وما حل بهم من العقاب بالتكذيب ويحتمل سيروا اي سلوا من تعلم من اخبار الامم الماضية ما حل بهم من العذاب بالتكذيب حتى يخبركم ويحتمل سيروا اي تفكروا وتأملوا فيما ورد من الكتاب من انبائهم ليكون لكم بذلك العلم كانكم عليه حضر فتكونوا كانكم سرتم في الارض ورأيتم آثارهم حسا وعيانا فهذا تنبيه من الله تعالى اياهم وامر بالاعتبار والنظر في احوال الامم الماضية لتعلموا انهم ان كذبوه يحل بهم مثل ما حل باولئك واذا اطاعوه نالوا من الثواب في الدنيا والآخرة مثل اولئك والله اعلم ويحتمل السنن ايضا الموضع من الاحكام الشرعية وكما امتحن من قبلهم ليعلموا ان الذين بلوا به وامتحنوا وكلفوا الشرائع بديع محدث على ذلك امر من تقدمهم ليسهل عليهم ذلك كقوله عز وجل قل ما كنت بدعا من الرسل وكقوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والله اعلم وقوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين يحتمل هذا بيانا اي القرآن هو بيان للناس وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين اي يتعظ به المتقون ويحتمل هذا بيان للناس اي ما ذكر من السنن التي خلت في الامم الخالية وقوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا يحتمل ولا تهنوا اي لا تضعفوا بمحاربة العدو ولا تحزنوا بما يصيبكم من الجراحات والقروح لقوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ويحتمل ولا تهنوا اي لا تضعفوا في الحرب بانكم تعلمون انهم لا يضعفون فيها وهم يتولون الشيطان ويحتمل لا تحزنوا على ما فاتكم من اخوانكم الذين قتلوا وما اصابكم من القروح اي تلك الجراحات والقروح لا يمنعكم عن قتال العدو ولكم الآخرة والشهادة وقوله تعالى وانتم الاعلون قيل فيه بوجوه قيل الاعلون اي المحقون بالحجج وقيل الاعلون اي يرجع عاقبة الامر اليكم ويحتمل ان النصر لكم ان لم تضعفوا في الحرب ولم تعصوا الله ورسوله ويحتمل وانتم الاعلون اي لكم الشهادة وكنتم احياء عند الله تعالى وهم اموات نظير الآية وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وقوله ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين على التوكيد والخبر ليس على الشرط لانهم مؤمنون حقيقة والشرط انما يكون بعد وما على خطر الوجود وهذا كقوله تعالى ولا تحل

لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله اي اذ كن يؤمن بالله فهذا مثله وقوله تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله اختلف فيه قيل ان يمسسكم قرح في آخر الامر يعني في احد فقد مس المشركين في الابتداء يعني في احد قرح مثله وقيل ان يمسسكم قرح يوم احد فقد مس المشركين قرح مثله يوم بدر ذكر هذا والله اعلم على التسلي ليعلموا انهم لم يخصوا بذلك وقوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس يحتمل يوما للمؤمنين ويوما عليهم وذلك لانا لا نأمر بمجاهدة العدو وقتالهم محنة من الله تعالى اياهم يمتحنهم ويبتليهم مرة بالظفر لهم والنصر على عدوهم ومرة بالظفر للعدو عليهم وهو كقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات يمتحن عباده بجميع انواع المحن بالخير مرة وبالشر ثانيا ويحتمل المداولة ايضا وجها آخر وهو ان الظفر والنصر لو كان ابدا للمؤمنين لكان الكفار اذا اسلموا اسلاما اختيارا ولكن انما آمنوا ايمانا جبرا وكرها لما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا رأوا الدولة والظفر للمؤمنين ابدا ولو كان الظفر والنصرة ابدا للكفرة فلعلهم يظنون انهم المحقون فيمنعهم ذلك عن الشرع في الاسلام ويحتمل انما يصيب المؤمنين انما يصيب لمعصية سبقت منهم وخلاف كان منهم من ترك امر او ارتكاب نهي ليكون زجرا لهم وتكفيرا والله اعلم فان طعن طاعن من الملحدة في قوله وتلك الايام نداولها بين الناس انه ناقض قوله ان تنصروا الله ينصركم وقوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم لانه اخبر بذلك ان الدولة والنصر بين الناس كانه اخبر بهذه النصوص ان النصر للمؤمنين اذا نصروا دين الله تعالى ثم رأينا ان المؤمنين قد يغلبون ولا ينصرون في الجماعة الكفار وهو نصرة دين الله تعالى وقد اخبر الله انهم اذا نصروا دين الله ينصرهم واخبر ان الله تعالى اذا نصرهم غلبوا ولم يغلبوا بقوله فلا غالب لكم وقد اخبر انه ينصر المؤمنين بقوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فكيف يكون هذا خلفا في الخبر والوعد قيل في الجواب عن هذا ان النصر والظفر والدولة قد يكون للمؤمنين وقد يكون للكفرة كما اخبر وتلك الايام نداولها بين الناس واما ما ذكر في النصوص فتأويلها من وجوه احدها ما في قوله ان تنصروا الله ينصركم يحتمل ان تنصروا دين الله في الدنيا ينصركم في الآخرة لا في الدنيا ويحتمل ان تنصروا دين الله ينصركم في الدنيا بالحجج والظهور على الكفرة بالغلبة والالزام عليهم وهو قوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اي لم يكن للكفرة على المؤمنين السبيل من حيث الحجة ولم يغلب الكفرة المؤمنين حقيقة عند المحاجة فهذا كذلك ايضا وقيل ان تنصروا دين الله ولم تعصوا الله فيكم ينصركم ولا غالب لكم ويحتمل ان تنصروا دين الله بجملة ينصركم وهو كقوله عليه السلام لن يغلب اثنا عشر الفا كلمتهم واحدة ويروى لن يغلب اثنا عشر الفا من قلة ويحتمل ان تنصروا دين الله ينصركم اي يجعل الظفر والنصر في العاقبة لكم وان كان في ابتداء الامر قد يكون الغلبة عليكم فهذا العاقبة في الحروب كلها للمؤمنين وان كان قد يكون الدولة للكفرة في الابتداء في البعض ومقدار ما كانت عليهم انما كان لامر سبق منهم اما اعجابا بالكثرة كقوله ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا واما خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حرب احد حيث خالف الرماة فانه يثبتوا في المكان الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيها ان الظفر والنصر لا لانفسهم وظنوا ان ذلك الحاجة الى ثباتهم في ذلك المكان والله اعلم وفي قوله وتلك الايام نداولها بين الناس اضاف المداولة الى نفسه ومعلوم ان كانت الدولة بالغلبة والغلبة صنع العباد فدل ان لله في صنع العباد صنعا وهو التخليق حتى يصير صنعهم الاختياري والله اعلم وفيه حجة ايضا ان الله تعالى يخلق المعصية لما ذكرنا بان اضافة اثبات الدولة الى الله تعالى دليل على انه قد صرف الدولة الى اهل الشرك بفعلهم وتسليطا الدولة انما تكون لغلبة المشركين ومعلوم ان ذلك منهم معصية فدل على جواز اضافة ما هو فعل معصية الى الله تعالى من حيث التخليق والتقدير وهذه الآية حجة ايضا في ان الاصلح في الدين ليس بواجب على الله تعالى في الحكمة اذ لو كان واجبا لكان يقتضي ان يكون الغلبة للمسلمين في كل حال لان الغلبة اذا كانت للمسلمين كان ذلك الزم للحجة واظهر للدعوة وادعى للاجابة وفيها كل صلاح واي صلاح في غلبة الكفار على المؤمنين فدل انه ليس في الحكمة شرط اعطاء الاصلح والآية حجة على ان الله تعالى ما شاء ايمان كل البشر لانه اخبر هو الذي يعطي الدولة للكفرة والغلبة فلو شاء ايمان الكل لكان لا يعطيهم ما يمنعهم عن الايمان فيكون تكليفه السيء في الوسع ثم الحكمة في اعطاء الدولة والنصرة للكفرة في بعض الاحوال اظهار غناه وكمال ملكه وان كفرهم لا ينقص من ملكه شيئا وايمانهم لا يزيد وهو كما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية والله اعلم وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا والاشكال ان معناه ليعلم المؤمنين ولا مؤمن في الازل ليعلم فانما يعلم موجودا قائما بالايمان دل ان علم الله تعالى

حادث وهو قول لبعض اهل الاعتزال فيقول الاية تخرج على اوجه احدها انما وصف به الله تعالى اذ ذكرت
معه الخلق فاذكر وقت كون الخلق لئلا يتوهم قدم الخلق واذا وصف الله تعالى بلا ذكر الخلق نصفه به في الازل
نحو ان نقول لم يزل قادرا سميعا في الازل واذا ذكرت المسموع والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه فنقول
عالم لم يكن ولما وقت كونه ولا نقول لم يزل عالما بانه كان في الازل لان كل يوهم وجود الكون في الازل ووجود
المخلوق في الازل محال الا على هذا قولنا خالق ورازق ونحوهما فيقال عند الانفراد خالق لم يزل ورازق لم يزل
ولا يقال العلم في الازل ولا رازق الخلق في الازل انا لئلا يتوهم القدم عن الحدث فحينئذ يقال خالق العالم للوقت
كونه فعلى هذا قوله وليعلم الله الذين امنوا اى وقت كونهم مؤمنين انهم مؤمنين وقد علم في الازل انهم يؤمنون
وقت وجود الايمان منهم والتغير على المعلوم لا على العلم والثاني على تسمية معلومة علما في اللغة كما يسمى ضيا
في القران امر الله تعالى لانه يفعل بامره وكذا يسمى الثاني الصلوة وساير العبادات المفروضة امرا لانها
تودى بامر الله تعالى ولذلك سميت الجنة رحمة لما كان استحقاقها برحمة الله تعالى فيكون معناه وليعلم
الله الذين امنوا معناه اى ليكون الذين امنوا على ما عليه يكون والله اعلم والثالث اى وليعلم الله الذين امنوا
بالغيب شهودا اذ هو عالم الغيب والشهادة والتحقيق ان لا يكون لحادث العلم بل الحدث على المعلوم
فان في الازل على العدم علم ان يكون ثم اذا حدث ذلك المعلوم علمه موجودا كائنا بذلك العلم الذي علمه ان يكون
في حادث الوقت والتغير والحدوث على المعلوم والله الموفق وعلى هذا قيل فعلمه كائنا للوقت كونه ما قد علمه
يكون قبل كونه وذلك نحو من يعلم الغد يكون بعد الغد بعد ذلك لا يقتضي حدوث العلم الا انه في الثاني
عرض لا يتحقق بقاؤه فلاستحالة البقاء ما يحدث لا ضرورة تغير المعلوم فهذا مثله وقال بعض اهل
التاويل ليكون الذي علمه يكون بالحقيقة ظاهرا موجودا وهو يرجع الى ما بينا وقال بعضهم معناه وليرى الله
الذين امنوا وهذا من صاحبه غلط اذ الكلام في الرؤية اشد وعن كشبهته ابعد وعن يعرف الله تعالى
حق المعرفة فهما واحد اذ الرؤية من الله تعالى صفة ازلية مثل العلم والاصل في هذا ونحوه من الاوصاف
الى الله تعالى انها كانت بالالفاظ المجعولة المتعارفة في الخلق ثم تؤدى عن كل ما اضاف المتعارف اليه ما كان
عرف من وصف ذلك مثل الاضافة لان تعذر عند الاضافة معنى لا تعرفه لولا الاضافة على ما عرف في
اللفظ والاختلاف في المعنى وعلى ذلك الامر اضافة الى الله تعالى يفهم منه خلاف ما يفهم من الاضافة الى
الخلق يوضح ذلك ان احدا لا يفهم من قوله تلك حدود الله ما عرف من اضافة الحدود الى غيره وهو النهاية وكذا
وكذلك يعرف بيت الله وعباد الله وروح الله وكلمته ونحو ذلك فمثل الذي نحن فيه وجاء في الجملة ان
يوصف الله تعالى بانه لم يزل عالما بما يكون كيف يكون وفي وقت كونه كائنا وبعد كونه قد مضى كونه على
التغير في احوال الذي يكون لا في الله تعالى اذ تغير الاحوال في الخلق يحقق الهيا من ما دات الصنعة واثبات الحدث
والله الموفق وقوله تعالى ويتخذ منكم شهداء قيل اى قتلى يقتلون في سبيل الله بايدي عدوهم ويحتمل
ويتخذ منكم شهداء على الناس لقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وفيه
دلالة انهم لا يستوجبون الشهادة بنفس الايمان على الناس حتى يظهر لهم العمل الصالح في انفسهم
وقوله عز وجل ويتخذ منكم شهداء دلالة خلق افعال العباد لانه قال ويتخذ منكم اضاف الاتخاذ الى نفسه
وان كان في الحقيقة فعل القتل الذي صاروا به شهداء من الكافر فعلم ان الله تعالى قد شاء ذلك الفعل من
الكافر وخلق ذلك الفعل من الكافر وخلق ذلك الفعل فعلا لهم لما اضاف ذلك الى نفسه فيبطل به قول المعتزلة
والله الموفق وقوله تعالى وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين اى يمحص ذنوب المؤمنين وهو ما روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم السيف محاء للذنوب ويمحق الكافرين اى يهلكهم ويستاصلهم ولا يكون فيه
تمحيصا للمؤمن الكفر بالعاقبة لم يزدادوا لا محالة وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اى بل حسبتم ان تدخلوا
وقيل انه ادخل بهذه تقوية النفي حقيقة وان كان استفهاما في الصورة اى لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة وقوله تعالى
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى لم يجاهدوا لان ما لم يعلم الله موجودا لم يكن في الوجود على العدم وقال
في موضع اخر اولما اصابتكم مصيبة معناه ولم تصبكم مثل التي ذكر لان الله تعالى عالم بكل شيء فلو كان منهم
جهاد او اصابة لكان يعلمه وانما لم يعلمه لانه لم يكن وما لم يكن لم يعلمه موجودا وانما يعلمه معدوما انه علم
تعالى يتعلق بالمعلوم على ما هو من وجود وعدم ونظيره قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى ليس
لهم شافع ما وظاهر اللفظ على طريق النفي للعلم لكن المراد اثبات العلم بانهم لم يجاهدوا وهذا كقول الناس
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اى ما شاء ان لا يكون لا يكون فهذا مثله فعلى هذا يكون تاويل قوله تعالى ولما
صلة زائدة والثاني يحتمل قوله ما يعلم الله بمعنى الاية لا يكون معنى الاية لم تدخلوا الجنة الا ان يعلم الله الذين

جاهدوا

جاهدوا منكم اي الان يجاهدوا فيعلم الله تعالى منكم الجهاد موجودا وقد علم في الازل انه يوجد منكم الجهاد في وقته
وكذلك في قوله ولما اصابتكم الاية فعلى ذلك وعد من الله تعالى اياهم بان تدخلوا الجنة في علم الله تعالى انهم
اصابوا مثل ما اصاب من تقدمهم وانهم جاهدوا قبل الموت اولئك وعلى هذا القوم في تاويل قوله
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وهذا كقوله ان كل نفس لما عليها حافظ على قراءة من قرا بالتشديد يعني
الا عليها حافظ ومن قرا بالتخفيف فمعناه لعليها حافظ والله اعلم وقوله تعالى ويعلم الصابرين اى يعلم
ما قد علم انه يصير صابرا وهو كقوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وليعلمن الذين قد علم
انهم يصدقون صادقين وليعلمن الذين قد علم انهم يكذبون كاذبين وكذا قوله حتى نعلم المجاهدين منكم اى
نعلم ما قد علم انهم يجاهدون مجاهدين واصله قوله تعالى عالم الغيب والشهادة اى يعلم شاهدا ما قد علم
غائبا والله الموفق وقوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه وقيل فيه بوجهين قيل تمنون
ما فيه الموت وهو لقاء العدو سمى لقاء الموت لانه سبب يفضي اليه وقيل تمنوا الموت نفس الموت ثم التمني
منهم الموت يحتمل وجوها يحتمل تمنوا الموت اشفاقا على دينهم الاسلام لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم
الذي هم عليه ويحتمل ان يكون تمنوا الموت لينجو ويتخلصوا من تعذيب الكفار لهم وتعييرهم اياهم على ما قد كان
بمكة كانوا يعذبونهم فطلبوا النجاة والخلاص ويحتمل تمنوا الشهادة بالقتل لما سمعوا لها من عظيم الثواب
وجزيل الاجر ان يقتلوا فيكونوا شهداء احياء عند ربهم وقيل ان الله تعالى اخبر عن قتلى بدر بما هم فيه من الخير فتمنوا
يوما مثل يوم بدر فاراهم الله تعالى يوم احد فانهزم من تمنى بعض ذلك كقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه
فقد رايتموه يعني يوم احد ثم قال عز وجل فقد رايتموه يحتمل وجوها يحتمل فقد رايتم يوم احد وقد
كنتم تمنون يوما مثل يوم بدر ويحتمل فقد رايتم اسباب الموت واهواله ويحتمل فقد رايتم اصحابكم
الذين قتلوا بين ايديكم على ما قيل من صحة قوله تمنوا الموت الى القتال والله اعلم وقوله تعالى وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يحتمل هذا وجهين يحتمل والله اعلم ان
يقول لهم انكم لما امنتم بمحمد عليه السلام بعدما بعث اليكم لم تؤمنوا به لانه محمد ولكن امنتم بالذي
ارسله اليكم والمرسل حي وان كان محمد يقتل او يموت على زعمكم فكيف تنقلبتم على اعقابكم وان قتل محمد او مات
تنقلبون على اعقابكم ففي الاية اخبار بانقلاب من علم الله تعالى انه يرتد بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو كقوله ومن يرتد منكم عن دينه فقد اخبر عن الغيب في المستقبل وكان كما اخبر ويحتمل وجها اخر وهو
ان من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى كانوا يكذبون رسلهم ما داموا احياء حتى قال لهم موسى عليه السلام لم
تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وكذلك عيسى قال يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا الاية
فاذا ماتوا ادعوا انهم على دينهم وانهم صدقوهم فيما دعوهم اليه وانتم تكونون على ذلك لا تنقلبون على اعقابكم
فكيف تنقلبون انتم على اعقابكم ان مات محمد عليه السلام او قتل ثم الانقلاب على الاعقاب على طريق الكناية
والتمثيل ليس على التحقيق والتصريح وهو الرجوع الى ما كانوا عليه من الدين من قبل وقوله تعالى ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئا لان الله لم يامرهم بالاعمال التي امر عبادات لحاجة انفسهم ليستوجبوا به
الثواب الجزيل في الاخرة اذ الله تعالى غني بذاته متعال عن الحاجة فيكون امرهم لحاجة المأمور بخلاف الامر في الشاهد
فانه يكون لحاجة الامر اذ المقصود الايتمار ولحق الضرر بالامر بالترك فاذا كان امر الله تعالى اياهم لحاجتهم فاذا تركوا
امره فقد اضروا بانفسهم لا بالله تعالى وبالله التوفيق وقوله تعالى وسيجزي الله الشاكرين قيل الموحدين
لله وقيل كل متمسك بامر الله ومؤتمر بامره فهو شاكر وقيل الذين امنوا وجاهدوا مع الذين انقلبوا على اعقابهم
اى ارتدوا عن الدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قال الحسن ابو بكر كان والله امام الشاكرين اى هو امام
الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله عليه الصلوة والسلام وفي هذه الاية دلالة خلافة ابي بكر رضي الله عنه
فان الله سمى الذين قاتلوا اهل الردة بعد وفاته عليه السلام شاكرين وراسهم ابو بكر ولو لم يكن لهم خليفة حق
وان كان كما زعم اهل الرفض كفر لم يستحق اسم الشاكر والله اعلم وقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
اى لا تموت الا بقبض المسلط على قبض الارواح روحه وهو ملك الموت وهو كقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت
الذي وكل بكم ان مات او قتل ويحتمل الا باذن الله لا بعمل الله وقوله تعالى كتابا مؤجلا قيل تمام موقتا لا تتقدم
ولا تتاخر مات او قتل لم يستوف رزقها واجلها وقيل كتابا مؤجلا اى مثبتا في اللوح المحفوظ مكتوبا
فيه وهذه الاية دلت على بطلان قول المعتزلة لان الله تعالى بين ان انقضاء عمر كل امرئ موقت بوقت معلوم لا يتقدم
قتل فاجله بالقتل والذي مات حتف انفه فاجله ذلك فانما جعل اجلا لكل احد مما علم انه يكون انقضاء
عمره موته بالقتل ان يكن موته حتف انفه وما علم موته حتف انفه لا يتحقق قتله ولا يكون المقتول ميتا

قبل اجله كما قالت المعتزلة فانا نقول يجب على قودهم لو كان من ذبح شاة انسان بغير امره ان لا يضمن قيمته لانه
حصل النفع لصاحبه لانه لو لم يقتلها لكانت تموت فكان في ذلك تلفها له اصلا وكان الذبح احسانا من القاتل
في حق المالك وكذا من قتل غيره ينبغي ان لا يجب عليه القصاص ولا يثاب على ذلك الفعل لانه لو لم يقتل
يموت وبسبب قتله ينال الثواب ويكون السفيه محا الذنوب فيفعل هذا التلبيس والتزوير لان ما علم الله
تعالى ان يموت بالقتل والذبح لا يكون موته حتف انفه وما كتب في اللوح المحفوظ ان يخرج روحه بسبب القتل يكون
بلا محالة ولا يكون بدونه كيلا يؤدي الى القول بتغيير على الله تعالى وحكمه لكنه نهي عن ذبح الشاة للغير وعن
قتل الادمي المعصوم فانما يؤاخذ ويلام بارتكاب النهي وعلى المكلف مراعاة ظاهر الامر والنهي دون اعتبار
حقيقة الحكم والمعلوم لا سيما ان المؤمن يعاتب بارتكاب سائر المعاصي وعن علم الله تعالى منه ذلك وكتب
في اللوح ان يوجد لا محالة ولا يمكن للعاصي ان يخرج عن ذلك الحكم لما فيه من تغيير الحكم لكن لما نهي عن ذلك
وكان ممكنا من الانتهاء بالقدرة على ذلك من حيث الاسباب نظرا الى الظاهر دون الباطن فهذا مثله وبالله
التوفيق ثم قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا يحتمل ان يكون جوابا لقولهم لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا فاخبر انه عز وجل انا الذي كتب عليهم القتل ان خرج الى القتال او لم يخرج فلا ينتقل حكمه
الى الموت حتف انفه بل يقتل في اهله او في الحرب والله اعلم وقوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
اي من اراد المحاسن لعمال الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وهو كقوله
ومن كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها اي على قدر ما له في الاخرة
من نصيب ثم المذموم من يريد بطاعته التوسع في الدنيا ولا يكون عمله لوجه الله تعالى وهو الذي يرائي الناس
انه يعمل لله تعالى ثم يعمل للدنيا فلا يكون له في الاخرة من نصيب فاما الذي يطيع ويعمل لوجه الله تعالى وطلب مرضاته
ويريد بذلك ايضا ان يثيبه في الدنيا والاخرة فهو ممدوح وهو كما قال الله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة والله اعلم وقوله تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير اي كم من نبي وقد قرئ قتل
بالرفع وقيل قرئ بالنصب وقرئ بالالف قاتل فاما الرفع فيحتمل وجهين احدهما قتل النبي وكان معه
ربيون كثير فما وهنوا فالمقاتلة على الكون لا على القتل معناه ان الذي معه من القوم لم يظهروا من انفسهم
الوهن والضعف في الدين اي لم ينقلبوا على اعقابهم بل كانوا يعبدون فانتم اشد ثباتا من حال اولئك
حتى قالوا لو بعث الله من بعد رسولا فاما لكم خطر ببالكم الا انقلبتم على اعقابكم اذا اخبرتم انه قتل او مات
نبيكم ويحتمل الضعف في انفسهم بما اصابهم من الجراحات وزوال الحرب مع العدو وما ضعفوا في انفسهم حال
عدوهم بذهاب النبي عليه السلام من بينهم وما اصابهم في سبيل الله من البلايا فما بالكم اظهرتم وتركتم
نبي الله تعالى بين اظهر اعدائه بما اتبعهم بصنيعهم ذلك ثم ما قدمتم منكم على القتال او الموت فلم تذكروا
عن اولئك ويحتمل المقاتلة عن القتل اي من كم نبي قتل وقتل معه ربيون كثير وحمله على ظهر اضمار و
يرجع قوله تعالى فما وهنوا يرجع الى الوهن في الانهزام وما اصابهم في سبيل الله والله اعلم وروي عن ابن
مسعود انه قرئ قاتل الاية انه قال فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله ثم اختلف في قوله ربيون كثير
عن ابن عباس من الوف كثيرة وروي عن ابن عباس ايضا انه قال الجموع الكثيرة وعن الحسن مثله وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال الالوف والله اعلم وقوله تعالى وما استكانوا قيل اي لم يذلوا للعدو وهو قوله وما ضعفوا
بقتل نبيهم بل قاتلوا بعده على ما قاتلوا معه فهلا قاتلتم انتم على ما كنتم تقاتلون معه كما قاتلت الامم
من قبلكم اذا اصيب انبياؤهم وقوله تعالى والله يحب الصابرين ترغيب من الله تعالى في الصبر على الجهاد
بما وعد من الجزاء الجميل عليه وعلى كل مصيبة تصيبهم وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا واسرافنا في امرنا قيل الذنوب المعاصي والاسراف هي المجاوزة عن الحد والتعدي عن امره وقيل
هما واحد يعلم الله تعالى هذه الامة انه ما كان قول الامم السالفة عند قتل نبيهم الا ان قالوا الاية على طريق
المعاتبة اي هلا قلتم انتم حين نعي اليكم نبيكم كما قالوا وقوله وثبت اقدامنا يحتمل وجهين يحتمل
ثبتنا على الايمان ودين الاسلام والقدم كناية عن الثبوت لما بالقدم يثبت كما قال فتزل قدم بعد ثبوتها
اي يكفر بعد الايمان ونظير الاية في الاستعارة قوله تعالى يردوكم على اعقابكم كناية عن الرجوع لان الرجوع
بصرف الاعقاب يكون والله اعلم ويحتمل وثبت اقدامنا في قتال العدو فرغبوا الى الله تعالى بعد هلاك
نبيهم من بينهم ليحفظهم على ما كان يحفظهم في حال حياة نبيهم وقوله وانصرنا على القوم الكافرين
يحتمل النصر عليهم بالحجج والبراهين ويحتمل النصر بالقهر والغلبة والهزيمة عليهم وقوله تعالى فاتاهم
الله ثواب الدنيا الذكر والثناء الحسن وهم لذلك اليوم فانا نتبعهم ونقتدي اثارهم وهم موتى ويحتمل

على ما قيل

على ما قيل النصر والغنيمة وقوله تعالى وحسن ثواب الاخرة اي النعيم الدائم وانما ذكر في ثواب الاخرة الحسن
ولم يذكر في ثواب الدنيا لان ثواب الاخرة دائم لا يزول ابدا وثواب الدنيا قد يزول ولا يبقى ابدا وان يشوب
في ثواب الدنيا افات والحزن ببعض ذلك وليس ثواب الاخرة كذلك والله اعلم وقوله تعالى والله يحب المحسنين
الاحسان يحتمل وجوها ثلثة يحتمل المحسن المعاذ كما يقال فلان يحسن ولا يحسن ويحتمل المرء من يفعل
عما اسيء اليه بصنع الى اخر تفضلا ويحتمل اختيار الحسن من يفعل على القبيح من يفعل وهذا كقوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين يحتمل الذين اختاروا المحاسن من الافعال على المساوي ويحتمل المحسنين على انفسهم وقوله
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم يحتمل الطاعة في الدين يحتمل اي ان تطيعوهم
في الكفر ويحتمل الطاعة في ترك الجهاد مع عدوهم وهو كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم الاية وقوله يردوكم على اعقابكم على التمثيل
والكناية اي يردوكم الى دينكم الاول والله اعلم وقوله تعالى بل الله موليكم اي هو وليكم او ناصركم او حافظكم
او وليكم وقوله تعالى وهو خير الناصرين اي خير من ينصر فان من نصره الله فلا يغلب كما اخبر ان ينصركم الله فلا
غالب لكم وقوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الاية هذه بشارة من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بالنصر حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
نصرت بالرعب مسيرة شهر فكان كما ذكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بعد ذلك ويقصدهم
لا انهم يأتونه وقبل ذلك كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصدونه وقوله تعالى بما اشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا اي بالشرك قذف في قلوبهم من الرعب من غير ان كان لهم بما اشركوا حجة او برهانا او كتاب
او عذر وقال ابن عباس السلطان في القران يعني الحجة وقوله تعالى ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي
مقامهم النار وبئس مقام الظالمين وقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه اي
انجز الله وعده اذ اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وقد فعل اذ تحسونهم باذنه قال اهل التفسير اذ تقتلونهم
وقوله تعالى حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر هو على التقديم والتاخير اي حتى اذا تنازعتم فشلتم اذ التنازع
سبب الفشل والجبن كقوله ولا تنازعوا فتفشلوا والاية حجة على المعتزلة فان الله من عليهم بانجاز وعد
وعلى قولهم لا يتحقق الامتنان لان عندهم ليس لله تعالى في افعال الخلق تقدير كانهم هم الذين اوجدوا افعالهم
بطريق التخليد فيقدر كل احد ان يحرم ما وعد الله لهم من النصر والغلبة بالاقدام على قتال الكفرة ولذلك على اصلهم
يقدرون على تكذيب الله تعالى في وعده وايقاع الخلف فيه بان يمتنعوا عن الاقدام على القتال او يشتغلوا بغير
ذلك حتى غلبوا وفي ذلك قول بالعجز على الله تعالى في انجاز الوعد وهو كفر مما يفضي اليه يكون خسارا نعوذ
بالله التوفيق وقوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل في القصة ان نفرا من الرماة امرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في مكان يوم احد وان لا يبرحوا من موقفهم فتركوه ووقعوا في الغنائم لما رأوا وقوع
الهزيمة على الكفر فعوتبوا على ذلك وقوله تعالى من بعد ما اراكم ما تحبون يحتمل ما اراكم من الهزيمة والغنيمة و
يحتمل ما اراكم ما تحبون من النصر على عدوكم وانجاز الوعد لكم وقوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الاخرة وروي عن ابن مسعود انه قال ما كنا نرى ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا
حتى نزلت الاية وقوله تعالى ثم صرفكم عنهم ليبتليكم روي عن ابن عباس في قوله ثم صرفكم عنهم يعني حيث
صرف المسلمين بعد النصر عن المشركين منهم منهزمين تبددا كانوا قد هزموهم لكنهم لما عصوا وتركوا المركز والموقف
الذي امرهم بالثبات فيه صرفهم عدوهم ليبتليكم اي ذلك الصرف كان ذلك من الله تعالى ابتلاء وتمحيصا بسبب
ذلك العصيان فالذي كان منكم كان من الله تعالى ابتلاء ليعلم من قد علم انه يعصي عصيانا والابتلاء ممن يعلم
عواقب الامور هو اظهار ما علم على ما علم وممن يجوز الجهل لتحصيل العلم لنفسه والله اعلم ودل قوله ثم صرفكم
عنكم اضاف الصرف الى نفسه واذ كان الانصراف فعلهم على انه خالق فعل الانصراف هو الله تعالى ودل ايضا
على ان خلق الشيء غير ذلك الشيء لان الانصراف فعلهم على العدو ومعصية منهم فرار من الزحف ولو اضاف الانصراف منهم
الى فعله وتبرى الله تعالى عن ان يضاف اليه المعاصي ثبت انه غير فعلهم والله الموفق وقوله تعالى ولقد عفا
عنكم يحتمل وجهين يحتمل عفا عنكم حيث لم يستأصلكم بالقتل ويحتمل عفا عنكم حيث قبل رجوعكم
وتوبتكم عن العصيان وقوله تعالى والله ذو فضل على المؤمنين اي بالعفو عنهم وقبول التوبة حيث عصوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا امره والاية رد على المعتزلة في مسئلة الاصلح فان عندهم عليه
ان يفعل ذلك فعلى قولهم ليس هو بذي فضل على احد نعوذ بالله من الشرك في الفعل وكذلك قوله ثم صرفكم عنهم
وكذا قوله لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حجة في مسئلة الاصلح عليهم فانه لو الاصلح

كانهم فصرفنا اباهم من عدوهم واي صلاح لهم فيما كتب عليهم والقتل قيل لان الله تعالى قد يفعل بعباده ما ليس
ذلك مما يصلح لهم في الدين والله الموفق قال الشيخ الفائدة في تخصيص المؤمنين بالفضل عليهم وذكره في
بعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم وجهان وان كان ذكر منته بالبعث من انفسهم بقوله لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم ونحو ذلك وقد بينا وجه المنة في البعث من جوهر البشر في موضع احدهما
ان من لم يؤمن به لم يكن في حقه نعمة من الله تعالى حقيقة وان كان في الحقيقة نعمة منه لهم ورحمة لهم والثاني يخص
من عرفه ليشكروا الله بما ذكرهم وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقد انذر الكل لكن لم يقبل الا المؤمنين وقوله
تعرفون حق الامانة فيهم ظهر بره ونفعه والثاني انه صار للمسلمين حجة على جميع الاعداء حيث كان اهل
مرفوع قبل الرسالة بالصدق والامانة حتى كانوا يسمونه محمد الامين فبعد البعث لما طعنوا فيه بانه شاعر
وساحر وكذاب انتفع طعنهم بما عرفوا منه هذا الوصف فيكون ذلك منة لهم من الله تعالى سرورا
ونعمة عظيمة فاستاداهم شكرها ولا قوة الا بالله وقوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على احد • قيل فيه
تصعدون بفتح التاء وهو من الصعود يصعد الجبل وتصعدون بالرفع هو ان اصعد اصحابه نحو الوادي
لان المنهزم الاول اذا التقى فرارا منهما اشتد وقيل الاصعاد هو الابعاد في الارض وقيل تصعدون في الجبل
وتصعدون في الوادي من الجبل وقوله تعالى ولا تلوون على احد • اي لا تلتفتون على احد ولا ترجعون وقوله
والرسول يدعوكم في اخراكم • اي الرسول يدعوكم ويناديكم وردكم الى انا رسول الله وقيل يناديكم من بعدكم
وخلفكم الي انا رسول الله يا معشر المؤمنين وكل يصل نداءه في اخراهم ولا هم بعضهم بعض فلم يرجعوا اليه
وقوله تعالى فاثابكم غما بغم • اختلف فيه قيل الغم الاول للهزيمة والنكبة التي اصابتهم والغم الاخر الصوت الذي
سمعوا قتل محمد عليه السلام فذلك غم على غم وقيل غما بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز
والغم الاخر غمهم كيف يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارتكبوا عليه من تركهم المركز وعصيانهم
اياه والخلاف وقيل في قوله فاثابكم غما بغم اي فوق غم العقوبة الاولى جعل غما بغم وهو غم الهزيمة والنكبة بالغم
الذي دخلوا على رسول الله في عصيانهم اياه واهمالهم المقعد الذي امرهم بالمقام فيه وقيل غما بالغم الذي ترك الكرة
وهو ان غمهم اغتمام اصحابهم واغتمامهم بما اصاب اخوانهم بما اصابهم من القتل والجراحات وقيل غم لاعتذارهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغم الذي حقهم حيث مالوا الى الدنيا وضيعوا فيما امرهم وحقيقته ان يكون
احد الغمين جزاء والاخر ابتداء وفي ذلك تحقيق ان له والجزاء وذلك كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وفي الاية حجة على المعتزلة في خلق الافعال لان الله تعالى قال فاثابكم غما بغم اخبر
ان الذي اصابهم هو الذي فعل بهم باوجه ان صنيعهم ومعلوم ان حقيقة ذلك الفعل الذي هو ثواب
فعلهم مكان من الكفرة حقيقة وهو الانهزام ومع ذلك اثبت الفعل لنفسه دل انه مما كان لانه فعلهم ذلك
بتخليقه وتقديره فيكون له صنعا وصنعهم خلقا وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم •
اي ما فاتكم من الفتح والغنيمة ولا ما اصابكم فيها من انواع الشدائد بما ادخلتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الغم بعصيانكم اياه وقوله تعالى والله خبير بما تعملون • على الوعيد وقوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم • قيل فيه وجهين قيل الطائفة التي اتاهم
النعاس هم المؤمنون سمعوا بانصراف العدو عنهم فصدقوا الخبر فامنوا فناموا لان الخوف اذا ذهب يجيء النوم
واما الطائفة التي قد اهمتهم انفسهم هم المنافقون لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف فلم ينعسوا وذلك
كقوله يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الاية وقيل كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين لكن احديهما قد اتاها
النعاس لما امنوا من العدو والاخرى ما اتاها النعاس لعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم
امره مع ذلك العصيان عنهم النوم انهم كيف يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يعتذرون الى الله
والله اعلم وعن ابن مسعود انه قال النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال امنة من الله وقوله تعالى
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية • قيل يظنون ان لا ينصر محمد عليه السلام واصحابه وقيل يظنون به غير الحق
ظن الجاهلية اي ظنونا كاذبة لانهم اهل شرك وشك في امر الله تعالى وقوله تعالى يقولون هل لنا من الامر
من شيء • قيل يقول بعضهم لبعض هل لنا من الامر من شيء عنوا بالامر يعني النصر والغنيمة كله قالوا ذلك للمؤمنين
وقوله تعالى قل ان الامر كله لله • يعني النصر والغنيمة كله بيد الله وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون • قيل الذي
يخفون في انفسهم قولهم لو اتفنا في منازلنا ما قتلنا ههنا قيل لما ذكر عقيبه • يقولون لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا • قالوا ليس لنا من الامر شيء انما الامر الى محمد عليه السلام ولو كان الامر لنا ما خرجنا هؤلاء حتى قتلنا
ههنا وقوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم • اي قل يا محمد لهم لو كنتم

في بيوتكم

في بيوتكم كما تقولون لبرز يعني لخرج من البيوت الذين كتب عليهم القتل ليقتلوا وقتل من كتب عليه القتل لظهر
الذي كتب عليه حيث كان وقيل اذا كتب على احد القتل لاتاه ولو كان في البيت كقوله اينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم في بروج مشيدة وقيل من كتب الله عليه القتل فلم يموتوا ابدا او من كتب عليه القتل يموت بسبب القتل لا
حتف انفه وفي الاية بيان ان الاجال المكتوبة هي التي تقضي بها الاعمار ان كان قتلا فقتل وان كان موت فموت فلا على
ما قالت المعتزلة ان القتل قد يحيل من اجله المكتوب له وعليه والله الموفق وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم
والابتلاء هو الاظهار كقوله يعني يوم تبلى السرائر اي تبدو وتظهر ذلك ليجزيهم ليظهر الجزاء من موضعها لكان نعلم
الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء وكذلك ان كانت سيئة او يعلم ذلك بالكتاب وقيل اي ليظهر الله تعالى للخلق
ما في صدورهم بما مضى وليجعله ظاهرا لهم وقوله تعالى وليمحص الله ما في قلوبكم • اي من الذنوب ونحو ذلك
الابتلاء والتمحيص واحد وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور • يقول هو عالم بما في صدورهم من سرائرهم
ولكن يجعلها ظاهرة عندكم ويحتمل الابتلاء ههنا الامر بالجهاد ليعلم المنافق من المؤمن والله اعلم وقوله
تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان • يعني ان الذين انصرفوا عن عدوهم منهزمين مدبرين منكم يوم
التقى الجمعان يجمع المؤمنين مع جمع المشركين وقوله تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا • استزلهم
اي دعاهم الى الزلة اي انما انهزموا لم يثبتوا خوفا ان يقتلوا بالثبات فلقوا الله وعليهم عصيان الرسول
عليه السلام فكرهوا ذلك حتى يقتلوا فاعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعفو عنه فينجو من عذاب
الله ولم يعلموا ان الله يعفو عنهم لما خافوا الله كما اخبر وقوله ولقد عفا الله عنهم • ويحتمل انما استزلهم
وقوله تعالى ولقد عفا الله عنهم • ويحتمل انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ان المعنى لما امر اجابوا
الى ما دعاهم الشيطان من استعجالهم بالغنيمة وتركهم المركز وعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاهم الى الهزيمة فاجابوه
ويحتمل ببعض ما كسبوا اي بكسبهم كما قال الله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فكذا هذا •
وقوله تعالى ان الله غفور حليم • اي غفور رحيم قبل توبتكم وعفى عنكم حليم حيث لم ياخذكم وقت عصيانكم
ولا ما فاتكم وحليم بتاخير العذاب عنكم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا • اختلف في قوله كالذين كفروا وقال بعضهم
نهى الذين امنوا ان يكونوا كالذين كفروا في السر والعلانية وقالوا لاخوانهم يعني المنافقين لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا وقيل لا تكونوا كالمنافقين وقالوا لاخوانهم يعني لبعضهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا وقيل قالوا لاخوانهم يعني لبعضهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا لاخوانهم يعني المؤمنين الذين تولوا
وهم كانوا لاخوانهم في النسب وان لم يكونوا اخوانهم في الدين والمذهب وقوله تعالى اذا ضربوا في الارض يعني
اذا ضربوا في الارض يعني اذا ضربوا في الارض بتجارة او غزاة او غزى اي غزاة وقيل اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى على
اسقاط الالف منها او ويكون المد من حرفا وهو حرف الواو وقوله تعالى ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
بمنعوا عن الخروج الى الجهاد او يضعفوا ويحتمل قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم اي يصير عاقبة ذلك
حسرة لهم وانهم لم يقصدوا به ذلك لقوله انما الحسرات عليهم وقوله تعالى والله يحيي ويميت • اي والله
يحيي من ضرب في الارض وغزا ويميت من اقام ولم يخرج غازيا معناه ان الموت لا يتقدم ولا يتاخر بالمقام
وترك الخروج وما هو الا التسليم انما هي انفاس معدودة وارزاق مقسومة واجال مضروبة ما لم تفنها او
استوفاها او انقضى اجلها لا ياتيها وقوله تعالى والله بما تعملون بصير • وعيد ثم حاجتنا الى معرفة
التاويل وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم انما المراد بهذا الوعظ في حقنا اي لا تقولوا مثل قولهم لمن قتل في
سبيل الله حتى لا تاتوا مثل ذلك ثم هذا العتاب يرجع الى المعتزلة من حيث المعنى لانهم يقولون كما قال
الكفرة لانهم لا يرون ذلك القتل الا من المقاتل الحادث تخليقا وكل شيء من افعالهم واقوالهم فكانهم يقولون
لو انه لو لم يخرج لم يقتل فاستوى قولهم وقول الكفرة وهذا من اقبح الاقاويل ونصا من قول الكفرة وقوله تعالى
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون • اي الموت ان كان لا بد لا بد بكم
بقتلكم او موتكم في طاعة الله وجهاده خير من ان يكون لكم في غير طاعة الله تعالى وسبيله ومغفرة من الله
ورحمة خير مما يجمعون من الاموال وقوله تعالى ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون • اي ان متم على فراشكم
او قتلتم في سبيل الله فاليه تحشرون عنها والله اعلم انكم تقدرون على ان لا تحشروا اليه كيف تقدرون
على ان لا ينزل بكم الموت وان قمتم في بيوتكم بل كما اضطررتم موجبتهم على ان تحشروا اليه فلذلك اضطررتم
فانه ينزل بكم الموت في اي مكان شاء شئتم او ابيتم وقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم • يحتمل هذا
وجهين يحتمل فبرحمة من الله عليك حيث خلقك على طبع وجبلة لنت لهم فيجتمع الخلق عندك ولا يتفرقوا

عنك كما قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اى لتفرقوا ولم يجتمعوا فيكون من ذلك بيانا للامتنان
على النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل قوله فبما رحمة من الله فبرحمة من الله على العالمين لنت لهم ففيه الامتنان
على الخلق حيث جعل الرسول المبعوث اليهم رحيما عليهم كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم لا بد
على انه يجب ان يكون الانسان رحيما على خلق الله تعالى حيث وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وقد جاء الاخبار
فى موافقة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا فقالوا كلنا نرحم قال ليس
نفسك كلنا نرحم قال ليس ان يرحم الرجل ولده واخاه ولكن رحمة العامة ان يتراحم بعضهم بعضا او كلام نحو هذا
وقد جاء عنه ايضا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا وقد جاء من لم يرحم اهل الارض لم يرحمه اهل السماء
ولان الله تعالى امر عباده ان يعامل بعضهم بعضا بالرحمة والتى لا عندنا المعاندة والمكابرة ولهذا كان الاصل
هو الصفح والعفو عن الكفار دون القتال وانما ابيح عندنا المعاندة وكذا النوم يجب الدعاء
الى الاسلام ثم الاستعمال الى القتال ولهذا قال الله تعالى لموسى وهرون حين ارسلهما الى فرعون فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وهذا لان اللين من القول انفذ فى القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة
من الخشن من القول لما هو ظاهر فيما بين الناس لذلك امر الله تعالى رسله باللين من المعاملة والرحمة على خلقه
وجعل ذلك سببا لتاليف القلوب وجمعها وجعل الخشن من القول والغلظ سببا للفرقة وقوله تعالى
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اى لو كنت فى الابتداء فظا غليظ القلب لتفرقوا ثم
عندك فاخبر الله تعالى ان الذى لين لسانك فى القول هو الله وان الذى نزل عليك الرحمة هو الله فاثبت فى
نفسه فعلا فى ذلك فيكون الاية حجة على المعتزلة فى خلق الافعال وفيها ان الاستطاعة لا يتقدم الفعل فى
قوله لنت لهم دلالة بانه لو شاء لجعلك فظا لكنه برحمته جعلك لينا وقوله تعالى فاعف عنهم اى اعف
عنهم بايذائهم اياك ولا يكافيهم واستغفر لهم فيما بينهم وبين ربهم ويحتمل فاعف عنهم فاستغفر لهم
ما عصوك ولا ينتصر منهم ولذا امر الله عز وجل المؤمنين جملة ان يعفوا عنهم ولا ينتصروا منهم بقوله فاعفوا
واصفحوا حتى ياتى الله بامره وقال الله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ثم قيل فى قوله واستغفر لهم
كان رجى الاية للمؤمنين وكذى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لانه لا يجاب ان دعوا الاستغفار
للمؤمنين ثم لا يفعل واذا فعل لا يجاب فدل انه فى غاية الرجاء للمؤمنين ولذلك دعاء ابرهيم عليه السلام
بقوله ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين ودعاء نوح عليه السلام فقال رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى
مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا يجوز ان يدعو هؤلاء الانبياء ثم لا يجاب لهم وقوله تعالى وشاورهم
فى الامر امر الله تعالى نبيه عليه السلام بان يشاور اصحابه فى الامر قال بعضهم انما امر نبيه عليه السلام بالشوار
فى امر الحرب والقتال وعن الحسن لما انزل الله تعالى قوله وشاورهم فى الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ان الله تعالى ورسوله غنيان عن مشاورتكم ولكن اراد ان يكون سنة لامتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه كان يقرأ وشاورهم فى بعض الامر وقيل امر الله تعالى نبيه ان يشاور اصحابه فى الامور كلها فانه وحى السماء
لانه اطيب لانفس القوم فان القوم اذا شاور بعضهم بعضا وارادوا بذلك وجه الله تعالى ورضاه عزم الله
لهم على ارشده وقيل ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا اراد سيدهما ان يقطع امرا دونهم لم يشاورهم فى الامر
شق عليهم فامر الله تعالى النبى ان يشاورهم فى الامر اذا اراد فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم
وفى بعض الاخبار قيل يا رسول الله ما الحزم قال ان تستشير ذا الرأى ثم تطيعهم وكان يقال ما هلك امرء
عن مشورة ولا سعد بتفرد وقيل التفويض الذى يستشير ويعمل برايه فى الامر بالمشاورة فيما فيه النص وانما
بها فيما لا نص فيه فيكون دليلا على جواز العمل بالاجتهاد والثانى لا يخلو امره بالمشاورة اما لهم اما لعظم
قدرهم وعلو منزلتهم عند الله تعالى او لفضل العقل ورجحان اللب فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم
ان يسيتوا انفسهم به فيكون دليلا على وجوب اتباعهم جملة وعلى وجوب اتباع بعضهم فدل على ان تقليد
الصحابى واجب فيكون حجة على الشافعى والثالث لا يجوز ان يامر نبيه عليه السلام بمشاورة اصحابه
ثم لا يجوز العمل برايهم فدل انهم اذا اجتمعوا على شئ كان الحق لا يشذ عنهم ولا يخرج عن اقوالهم والله اعلم
فيكون حجة على ان اجماع الصحابة حجة وقوله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله اى فكل الى نفسك
ولا تعتمدن على احد ولكن اعتمد على الله وكل اليه الامر وقيل اى اذا وقف ذلك الامر بعد المشاورة وتميز
الحق من الباطل فامض لامر لشى وان كان فى امر الحرب على ما قيل معناه والله اعلم لا تعجبن بالكثرة ولا [illegible]
النصر به ولكن اعتمد بالنصر على الله تعالى لقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا والله اعلم وقوله ان الله
يحب المتوكلين ترغيب على التوكل وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم صدق الله من كان ناصره

فلا يغلبه

فلا يغلبه العدو من احد وان يخذلكم اى يترككم فمن ذا الذى ينصركم من بعده الاية والنصر يحتمل
المعونة ويحتمل المنع كقوله فما لهم من ناصرين وقوله ان ينصركم الله اى ان يعنكم الله فلا يغلبكم العدو وان يخذلكم
فلم يعنكم فمن الذى يعينكم سواه ومن المنع اى ان يمنع الله عنكم العدو فلا غالب لكم وان يخذلكم ولم يمنعكم
فمن الذى يمنعكم من بعده والخذلان فى حقيقة اللغة هو ترك ما من سبيله ان يؤمل منه لكن استعمل فى ترك
المعونة مطلقا من غير ما سبق وهذا كما استعمل الابتلاء على غير حقيقة اللغة وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون
هذا امر بطريق المعاتبة وهو قوله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين سواء وهو كقوله تعالى فليتوكل المتوكلون والتوكل هو
الاعتماد على الله وتفويض الامر اليه لا بالكثرة والاسباب التى بها يقوم من نحو القوة والعدة وذلك ان النصر
والغلبة انما يكون عند الخلق ثابتا اما بالكثرة او بفضل القوة والبطش واما بفضل تدبير وراى فى امر الحرب وجميع
نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبته على عدوه انما كان لا بذلك ولكن بالتوكل على الله وتفويض الامر
الى الله فيكون ذلك دلالة على حقيقة رسالته حيث علم من الله تعالى انه ينصره حيث يقاتل الكفرة مع كثرتهم
وكثرة عددهم وهو فى حال قلة العدد والعدد والله الموفق وقوله تعالى وما كان لنبى ان يغل فيه لغتان
بنصب الياء ورفع الغين وترى بضم الياء ونصب الغين ورفع الغين يحتمل وجهين احدهما وما كان لنبى ان يغل
لم يكن نبى من الانبياء غل قط فكيف اتهمتم محمدا عليه السلام بالغلول وهو احق واحرى من لا تتهموه لعلكم به ويحتمل
اى عدكم عرفتموه من قبل ان يرسل انه ما خان قط ولا غل فكيف يحتمل الخيانة بعد ما ارسل لا يحتمل هذا
وقد قيل فى نزول الاية ان ناسا من المنافقين خشوا ان لا يقسم رسول الله الغنيمة بينهم فطلبوا القسمة فنزلت
الاية واما القراءة برفع الياء ونصب الغين فيحتمل وجهين ايضا احدهما ان يتهم بالغلول فى القسمة وينسب
اليه فهو يرجع الى التاويل الاول ويحتمل ايضا ان يغل اى يخان فى الغنيمة فهو نهى عن الخيانة والغلول فى الغنيمة
مع النبى صلى الله عليه وسلم لما ان ذلك يظهر فانه يطلع على ذلك بما يطلع الله تعالى رسوله
على ذلك فيكون فيه هتك سره فيفتضح عند الناس على ما جاء فى بعض الاخبار انه مر بعبد
وكان له فى عذاب فقيل له لماذا قال انه كان اخذ من الغنيمة قدر درهمين ونحوه ثم تخصيص الغلول فى الغنيمة وان
كان ذلك حراما فى سائر الاموال لان لها فى تماسا فى حله لما لا انه يعرف لصاحب معين بمنزلة المال الذى
لا مالك له وانه يباح التناول من الغنيمة بقدر الحاجة للقوت والعلف وانه فالذى فى الوعيد ليحترز عن هذا لم
فلا يفضى الى استحلال الحرام فيجره الى الكفر والله اعلم وقوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اى
يوخذ به يوم القيمة وهكذا كل من اخذ من مال الغير بغير اذنه فانه يوخذ به وقال بعض الناس وانما خص
الغنيمة بفضل وعيد فى الغلول فيها لتحق حق الفقراء واهل الحاجة ونصيب الاصناف فى الخمس لان
الخمس من الغنيمة يصرف الى كل ما كان فيه مصالح المسلمين وسائر الاموال ليس هكذا ويحتمل انهم كانوا
اهل نفاق يستحلون الغلول فى الغنيمة والاخذ منها وهذا كان اشبه وعن ابن عباس رضى الله عنهما
قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم جيشا فغلوا راس ضيم ذهب فنزلت وما كان لنبى ان يغل وعن ابن عباس
قال فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ لنفسه فانزل الله تعالى وما كان لنبى ان يغل وقوله تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون تاويله
ظاهر وقوله تعالى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله قيل الذى لم يغل ولم ياخذ من الغنيمة شيئا
كمن غل واخذ منها شيئا ليسا بسواء ويحتمل احدهما برضوان الله والاخر بسخطه ويحتمل من اطاع الله واتبع
امره كمن عصى الله واتبع هواه ليسا بسواء وقوله تعالى هم درجات عند الله اى لهم درجات عند الله تعالى
الدرجات ما يقصدها بان يدرج اهلها والدركات ما تدركهم من غير قصد اهلها كالدرك فى المعقول
يدرك من غير قصد وقيل الدرجات ما تعلو والدركات ما تسفل وهذا فى التعارف فسميت الجنة درجات
والنار دركات وحقيقة ذلك واحد والاية تدل على الامرين وقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم وجه المنة فيما بعث الرسل من البشر ولم يرسلهم من الملائكة ولا من الجن وجوه احدها
ان كل جوهر يالف بجوهره وينضم اليه ما لا يالف بجوهر غيره ولا ينضم الى جنس اخر فاذا كان كذلك والرسل
انما بعثوا بتاليف الخلق وجمعهم والدعاء الى ما يوجب الجمع بينهم ورفع الاختلاف بينهم فاذا كان
ما وصفنا بعثوا من جوهرهم وجنسهم ليتحقق التالف والانضمام فيتاكد معنى الداعى الى المتابعة لانه
والثانى ان الرسل لا بد لهم من ان يقيموا الايات وبراهين لرسالتهم فاذا كانوا من غير جوهرهم وجنسهم لا يظهر
الايات لما يقع عندهم عسى انما ياتون ذلك بطباعهم وجوهرهم دون ان ياتوها بغير اعطاء هم اياها
فلا ينبعث من جوهرهم حتى لم يعرفوا عجزهم مع مساواتهم اياه فى الجنسية والقوة عرفوا انه دية على ذلك

ماكان الا لاقتداء غيره وهو خلاف العادة ليكون دليل رسالته وصدق دعواه وكذا الشان في بعث رسول من
البشر من حيث جوهرهم عادة معروفة من جوهرهم وعن جنسهم من نحو الملائكة والجن لا ترى ان البشر لا يرغم
فاذا كان كذلك بعثوا منهم ليعرفوهم وليظهر لهم الحجة لان كل جوهر وجنس لا يعرف مبلغ قوى جنس آخر وتدبير
قوى مبلغ جنسه وجوهره فيظهر لايتهم والله اعلم ثم بان المنة الثانية فان بعثهم من نسبهم وحسبهم
لا من نسبتهم من غيرهم وذلك لانهم اذا بعثوا من غير قبيلتهم وحسبهم لم يظهر لهم صدقهم ولا امانتهم فيما ادعوا
من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر لهم صدقهم وامانتهم لما قد ظهر صدقهم وامانتهم في غير ذلك لتخلل ذلك
لهم لما لم يكذبوا بشي قط ولا خانوا في الامانة فلا يكذبون على الله تعالى وكذا في انهم لو كانوا من غير نسبهم بعلمهم
اذا اتوا بايات وبراهين يقولون انما كان كذلك بتعليم من احد واختلاف الى احد ممن يفعل مثل هذا من السحرة
والمشعبذة فبعثهم الله منهم ليعلموا انهم اذ لم يتعلموا من احد ولا اختلفوا فيها الى غيرهم انما علموا بالله عز
وجل لا بالتعلم من البشر والله اعلم الا ترى ان ما اتى به موسى عليه السلام من الايات نحو العصا واليد البيضاء وغير
ذلك لو كان سحرا في الحقيقة لكان من اعظم ايات رسالته لانه لم يعرف انه اختلف الى احد في تعلم السحر وقد
نشأ بين اظهرهم فكيف ولم يكن سحرا فدل ان لله تعالى على خلقه منة عظيمة فيما بعث الرسل من نسبهم و
قرابتهم وممن نشأ بين اظهرهم والله اعلم وقيل في قوله تعالى رسولا من انفسهم اي من العرب معروف النسب
اميا ليعلموا انه انما اتى به ما القي اليه وما وحيا وانه لم يكن تاليا في رسالته ولا فيما يقول هو كقوله ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الاية وقوله تعالى يتلو عليهم اياته ٭ يحتمل علامات رسالته ونبوته ويحتمل الايات
والحجج والبراهين ويحتمل ايات القران والله اعلم وقوله تعالى ويزكيهم ٭ يحتمل التزكية من الزكاة والنماء
وهو ان يظهر ذكرهم ويفشي سيرهم ومذاهبهم حتى صاروا ائمة يذكرون ويقتدى بهم بعد موتهم ومثله
كقوله قد افلح من زكاها اي استعملها في طاعة الله تعالى حتى صارت مشهورة ظاهرة بالعبادة ولا يخمد
ذكرها الا ترى انه قال وقد خاب من دساها اي اخفاها واخملها ويحتمل ويزكيهم اي يطهرهم بالتوحيد
عن الشرك وقيل يزكيهم اي ياخذ منهم الزكوة ليطهرهم وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة ٭ وقد
ذكرنا تاويله وقوله تعالى وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ٭ وقد كانوا في الضلال يعتقدون ما بانه
يتوجه الى وجوه الى الهلاك والى الحيرة والى الخمول للذكر وغيره وقوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها ٭ قيل قتل يوم احد سبعون من المؤمنين وقتل يوم بدر سبعون من المشركين واسر
سبعون فنزل قوله اولما اصابتكم مصيبة يوم احد حيث قتل منكم سبعون قد اصبتم مثليها
يوم بدر حيث قتلتم سبعين واسرتم سبعين وقيل ان ذلك كان يوم احد كانت الدبرة
والهزيمة على المشركين في ابتدائه ثم هزم المؤمنون يقول لما اصابتكم في اخره ما اصابت فقد اصابهم بعضا
مثليها نكرمنا لهم والله اعلم على التسلية بما اصيبوا ليتسلى ذلك عنهم او يذكرهم نعمه عليهم بما اصيبت
اصيب المشركون مثل ذلك لان محنة الاحد انعم عظيمة ليشكروا له عليها ويعلموا انهم لم يخصوا بذلك
وقوله تعالى قلتم انى هذا ٭ قال الشيخ وان كان هذا الكلام مخرج الاستفهام انكار فانما يقوله تعجيلا
من النصر والرسالة تحقا فمن اين لنا هذا وذلك كقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقولهم لو
خندق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وغير ذلك مما عليه معتمدهم في ابطال الاسلام والله اعلم وان
كان من اهل الاسلام فهو يعترف بالرخصة الذي بلوا بها ولا شي ابتلوا بهذا وهم مسلمون وهم انصار دين
الله تعالى بالمجاهدة والقتال في سبيله وان الذي نصرهم الله تعالى لا يغلبه شيء وقد كان وعد لهم القاء
الرعب في قلوب اعدائهم اولما كانوا قد راوا الدبرة والهزيمة للاعداء ثم راوا الهزيمة لانفسهم فيقولون
بم انقلب الامر علينا فبين الله تعالى وقوله تعالى قل هو من عند انفسكم ٭ بمعصيتكم الرسول بترككم ما امركم
به من حفظ المركز وغيره كقوله ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وان
كان العصيان في ترك الثبات على الموقف الذي امرهم النبي وجد من بعضهم لا من كلهم فمع ذلك
اصاب البلاء الكل لانه جائز في المحنة والابتلاء ابتداء في حق غير الجاني وعلى طريق الجزاء في حق الجاني زجرا
على اتيان مثله في المستقبل وجائز ان يكون ذلك في حق المقصرين اولئك لامتناعهم من المنع اياهم فيما عصوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك مثل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
بتركهم امر المعروف مع الامكان في الجملة وذلك كقطاع الطريق والسراق يعمهم العقوبة من باشر ذلك ومن
كان ردءا فكذلك هذا مع ما يكون ذلك في الزجر عن المعاصي ابلغ والاجتماع على الطاعة ادعى لما الف في
صلاح ذات البين والله اعلم ويحتمل ايضا انهم لما كانوا جميعا كنفس واحدة فعمهم بالبلاء كما عمهم بالنصر

مرارا وقيل انما عاتبهم بقوله قل هو من عند انفسكم اي بترككم الاشتغال بالتوبة عما ارتكبتم من مخالفة امر
النبي عليه السلام واقدامكم على التسرع والخلاف لامر النبي عليه السلام لان مثل هذا القول عند اصابة المحنة
انما يصدر عمن راى نفسه متبرئا عن جميع انواع الخلاف والعصيان وتحقق عنده انه من اهل استحقاق الكرامة
فاما من كان منه خلاف ما يكتسب المناهي فانه لا يشتغل بمثله الا اذا كان ساهيا عن حال نفسه فنبههم ليقبلوا
على التوبة ولم يشتغلوا بمثل ذلك في المستانف والله اعلم ويحتمل ان ما اصابهم انما اصاب بطريق المحنة والا
في حق الكل لان الله عز وجل ان يمتحن عباده على ما يحب من شدائد كلهم عبيده ليصبروا على ما اصابهم فيجازيهم
في الاخرة جزاء الصابرين او يرضوا فيما قضى فيما ابتلوا به او صدقوا لم يعرفوا انه محنة من الله تعالى ويتوبوا على ذلك فقوله
هو من عند انفسكم بتقصيركم فيما امتحنهم والله اعلم وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ٭ اي من النصر والهزيمة لكن
ما اصابكم انما اصاب بمعصيتكم ربكم وخلافكم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصابكم محنة وابتلاء
منه اياكم وقوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان ٭ اي جمع المؤمنين وجمع المشركين فباذن الله ٭ اي
بمشيئة الله عز وجل وارادته وقيل فباذن الله بتخليته اياكم لما لعلمهم ان النصر والغلبة بالكثرة والقوة
والعدة فخلى الله تعالى بينهم وبين عدوهم ليعلموا ان المسلمين مع ضعفهم وقلتهم لا ينصرون ويدمرون امثال
اولئك مع كثرة عددهم وقوة ابدانهم وعددهم ولكن بالله ينصرون ويدمرونهم ويغلبون عليهم وقيل
فباذن الله فيعلم الله او بعلم الله بما يصيبكم من ضرر او شر ليس عن سهو وغفلة منكم يصيبكم وقوله تعالى
وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا ٭ اي ليعلم ما قد علم انهم يؤمنون ويصبرون على البلاء او القتال
موقنين صابرين محتسبين وكذلك ليعلم الذين قد علم انهم ينافقون ولا يصبرون منافقين غير صابرين
غير محتسبين ليظهر ما قد علم على ما علم وقوله تعالى وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا ٭ يعني قيل
للمنافقين قاتلوا في سبيل الله اي ادفعوا اي قاتلوا في سبيل الله على الحقيقة على ترك النفاق والرجوع الى
الاسلام او ادفعوا وهو يحتمل وجوها يحتمل قاتلوا او ادفعوا اي كثروا السواد لان الكثير كما ان سواد المؤمنين
كثير يرهبهم ذلك ويخوفهم كقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
ويحتمل او ادفعوا العدو عن انفسكم لما لعلهم يقصدون انفس المؤمنين المقاتلين والكفرة لا يفصلون بينكم
وبين المؤمنين لاظهاركم الشهادة باللسان وموافقتكم اياهم في الاحكام او ادفعوا عن اموالكم وذراريكم اذ الكفرة
يقصدون اخذ اموالكم اذا دخلوا دار الاسلام واسر ذراريهم فلم يميزوا بين المسلمين والمنافقين او ادفعوا عن نبيكم الذي
تدينون به فان الكفرة يقصدون من كان على غير دينهم وانتم على غير دينهم من حيث الظاهر فتكونون تنصرون نبيكم لدينكم
ويحتمل ان يكون قوله قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا واحدا اي قاتلوا في سبيل الله وادفعوا وحرف او بمعنى الواو
وهو مستعمل في الكلام والله اعلم وقوله تعالى قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ٭ قيل قال المنافقون الذين تخلفوا
في المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال ذلك غيرهم وقوله تعالى هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
هذا في المنافقين وفي قوله للكفر والى الكفر وبالكفر كل ذلك لغة وفي حرف ابن مسعود هم الى الكفر اقرب ويحتمل
وجوها يحتمل انهم اليوم على الكفر واقبل على الكفر ثم وجود الكفر منهم حقيقة لا على القرب منه قبل الوقوع
والوجود كما قال ان رحمة الله قريب من المحسنين اي هم لاهل القرب قبل الوقوع والوجود كما قال ان رحمة الله قريب
من المحسنين اي هم لاهل القرب قبل الوجود لكنهم لما كانوا اهل نفاق والكفر لو نافقوا خلوتهم وما كان
من ايمانهم كان بظاهر اللسان لا يعتقدونه فاذا كان اعتقادهم من يصنعوا به ذلك كقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها
ثم سئلوا الفتنة لاتوها ويحتمل على القرب من حيث كانوا شاكين في الامر والشاك في امر الكفر والايمان تارة
للايمان اذ حقيقة الايمان تصديق عن معرفة ولم يكن لهم معرفة والكفر تكذيب بالتكذيب كان المكذب عن علم بالكذب
اولا فكذلك كان الكفر اقرب لهم ويحتمل اقرب اي اولى بهم وهم به احق ان يعرفوا اي بالكفر لما جعل الله تعالى
لهم اخلاقا يعرفون بذلك في لحن القول وفي افعال الخير كما قال ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون
الا وهم كارهون ثم التخلف عن الجهاد وما يظهر منهم من اثار الكفر في الاقوال والافعال لما جاء به القران ويحتمل ان
المنافقين كانوا الكفر فيه وجه حقيقة وكانوا يعبدون به وكانوا هم عباد النعمة يميلون الى حيث مالت النعمة ان
كانت مع المؤمنين يظهرون من الموافقة بعينها وان كانت مع المشركين معهم لقوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من
الله قالوا الم نكن معكم وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به الاية واما الكفار فانهم لو
يعرفون الله تعالى لكنهم يعبدون الاصنام والاوثان لوجوه احدها لما اتخذوها ابائهم والثاني يطلبون بذلك
التقرب الى الله زلفى كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لكنهم اذا اصابتهم الشدة فلم يروا فيما يعبدون
الفرج من ذلك فزعوا الى الله تعالى كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فاذا ذهب ذلك عنهم عادوا

الى نبيهم الاول وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه واما المؤمنون فهم يكونون في جميع احوالهم
في حال الرضا والشدة والضراء والسراء مخلصين لله صابرين على مصائبهم وشدائدهم قائلين انا لله وانا اليه راجعون
ويحتمل ان لا نفيهما اي القولين المومنين قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم
من المؤمنين ذكروا كونهم مع المؤمنين وذكروا للكافرين استحواذهم عليهم ومنعهم عن المؤمنين فذلك انهم لاقرب منهم
ويحتمل اقرب منهم للايمان لانهما اظهروا من الايمان كذب فالكفر بنفسه كذب ثم اظهروا من الايمان وهو كذب
الى الكذب الذي هو غاية اقرب وهو الكفر وعن ابن عباس فالمؤمن يومئذ يسرون الكفر ويظهرون الايمان وسرا لعباد في
من ملائكته وفعله اولى من قوله يقولون ما ليس في قلوبهم وهو قولهم وقيل وهم من الكفر اقرب لانهم كانوا
في الحقيقة كفارا على دينهم والله اعلم وقوله تعالى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل
فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين قيل لاخوانهم في الدين وهم المنافقين لو اطاعونا
ولم يخرجوا الى الجهاد ما قتلوا وقيل لاخوانهم في النسب والقرابة وليسوا باخوانهم في الدين والولاية كقوله
والى ثمود اخاهم صالحا ليس باخيهم في الدين والولاية ولكن كان اخوهم في النسب والقرابة لو اطاعونا
وقعدوا عن الجهاد ما قتلوا في الغزو ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم فادرؤوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين بانهم لو قعدوا في بيوتهم ما قتلوا معنا والله اعلم انه من قتل في سبيل
مكتوب ذلك عليه ومن مات في بيته مكتوب عليه فاذا لم يقدروا دفع ما كتب عليهم من الموت في البيت
كيف زعموا انهم لو قعدوا ما قتلوا والموت بهذا الطريق مكتوب عليهم وهذه الاية ترد على المعتزلة
في قولهم بانهم يقولون ان من قتل مات قبل اجله وقبل ان يستوفي اجله واليهود كذلك يزعمون فنزلت
الاية ردا عليهم فادرؤوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين فيكون ردا على كل من انكر ذلك فقول
المعتزلة في هذا القول مضاهية لليهود ونعوذ بالله من الخذلان وقوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قيل فيه بوجوه قيل ان المنافقين قالوا للذين
قتلوا باحد وبدر انهم ماتوا فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ... امواتا
كسائر الموتى بل احياء عند ربهم وقيل قالوا انه يقتل ولا يحيى ابدا ولا يبعث فقال لهم وجعل يحيون
ويبعثون كما يبعث ويحيا غيرهم من الموتى وقيل ان العرب كانت تسمي الميت من انقطع ذكره اذا مات
ولم يذكر بان لم يبق له احد يذكر به فقالوا اذا قتلوا لا ذكر لهم اي لا يذكرون فاخبر وجعل انهم يذكرون
في ملا الملائكة وملا البشر ... الشهداء مذكورون عندهم وقيل معنى قوله
احياء عند ربهم اي يجري في حال حياتهم فهم كالاحياء فيما يجري لهم من ثواب اعمالهم
وقيل ان حياتهم حياة كلفة وذلك انهم امرؤا الحياة انفسهم في الاخرة بالخيرات في الدنيا فجعل المؤمنين
ذلك واحيوا انفسهم في الاخرة فسموا احياء والكفار لم يحيوا انفسهم بل اماتوها فسموا اولئك احياء
والكفار موتى وقيل سمي هؤلاء احياء لانهم انتفعوا بحياتهم وسمي الكفار امواتا لما لم ينتفعوا بحياتهم
ان الله تعالى سماهم صما وعميا وبكما لما لم ينتفعوا بسمعهم وبصرهم ولسانهم فلم يسم بذلك المؤمنين
لما انتفعوا بذلك كله والله اعلم وقال الحسن ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنة وارواح الكفار على النار
لان ارواح الكفار تعرض على النار ويكون لارواح الشهداء فضل لذة ما لا يكون لارواح غيرهم من المؤمنين
لارواح ال فرعون فضل الم وشدة ما لا يكون لارواح غيرهم من الكفرة ... حتى
بفضل الله اسم الحياة الا ترى انه قال يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله وقيل ان الناس كانوا يقولون
فيما بينهم في قتلى بدر واحد مات فلان مات فلان فقال تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله روي عن مسروق قال سالت عبد الله
بن مسعود عن هذه الاية قال سالت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارواحهم عند الله في
حواصل طير لها قناديل معلقة في العرش تسرح في الجنة في ايها شاءت ثم تاوي الى قناديلها والحديث طويل
وقوله تعالى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية عن ابن عباس قال تنزل على الشهداء
صحف مكتوب فيها اسماء من يلحق بهم ممن استشهد وابعدهم فبذلك يستبشرون ويفرحون وقيل يستبشرون
اي يطلبون البشارة من الله تعالى لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم من المؤمنين والاقربائهم بما نالوا من
الكرامة والفضل والنعم التي اعطاهم الله تعالى بسبب الشهادة ليعلموا كرامتهم عند الله تعالى وعرفوا
درجة الشهادة فيحثهم ذلك على الجهاد الذي هو سبب ذلك والاستبشار يكون ... الفرح ويكون
ويراد به طلب البشارة وذلك كقوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

يستبشرون ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من بعدهم من اخوانهم في الدنيا اذا رأوا
انهم اذا استشهدوا ولحقوا بهم حتى ينالوا الكرامات والنعم مثل ما نالوهم وقيل يفرحون بما علموا من الذين
يدخلون في الاسلام من بعدهم وقيل الحياة على ضربين الحياة الطبيعي والحياة المرضي على وجوه احدها
الحياة بالدين والطاعة لقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه اي كان كافرا فرزقناه الايمان والحياة
بالعلم والبصر واليقظة كما سمى العالم حيا والجاهل ميتا والحياة من حيث الزينة والنشوء على ما سمى
الله تعالى الارض ميتة في حال يبوستها وحية في حال خروج النبات منها بقوله فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى والحياة من حيث الذكر واللذة فيجوز ان يكون الله تعالى لما اخبر
انهم احياء عند ربهم كان يريد به ان يكون لهم الحياة من احد الوجوه التي ذكرنا انما احياء ذكرا ... وحياة
رتبة وشرفا وحياة العلم لهم باهل الدنيا على ما كان لهم قبل ذلك وحياة دين وعبادة ان يجري عليهم ... لهم
على ما كان لهم قبل الشهادة وان كان احياء فهم في الحقيقة في احكام الدنيا عند اهل الدنيا وهذا يقرر قولنا
في المرتد اذا لحق بدار الحرب يحكم في نفسه وماله بحكم الموتى في قسمة المواريث وقضاء الدين وغيرها
وان كان في الحقيقة هو حي كما حكم في اموال الشهداء وانفسهم بحكم الموتى في حكم الدنيا لما يعودون
الى الدنيا وان كانوا عند الله احياء فكذلك يحكم في نفس المرتد وماله بحكم الموتى لما يعودون الى دارنا
وان كان في الحقيقة حيا عند الله تعالى والله اعلم واما الحياة الطبيعي هو جوهر وبه تقوم النفس
والموت هو هلاكه وفوته والله اعلم وقوله تعالى يستبشرون بنعمة من الله وفضل يحتمل بنعمة من الله
اي دين من الله لقوله تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا قيل بدينه ويحتمل بنعمة من الله اي الجنة وفضل اي زيادة
لهم وكرامة من الله عز وجل وقوله تعالى وان الله لا يضيع اجر المؤمنين اي لا يضيع من حسناتهم
شيئا وان قل وصغر وهو كقوله تعالى نتقبل عنهم احسن ما عملوا وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وقوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول قيل هم الذين اجابوا الله والرسول الى
ما دعاهم اليه واطاعوا فيما امرهم به من بعد ما اصابهم القرح اي الجراحة والاستجابة تستعمل في معنى
الاجابة وقيل دعاهم الى بدر الصغرى بعد ما اصابهم القرح باحد والجراحات فاجابوه واطاعوه فذلك قوله
الذين استجابوا الاية وقوله تعالى للذين احسنوا منهم في الاجابة لكم لما بعد ما اصابتهم الجراحة
وشهدوا القتال معه واتقوا اجر عظيم اي اتقوا الخلاف لرسول الله والاجابة ويحتمل اتقوا عقوبة
وثوابا اجر عظيم اي ثواب جزيل كثير الجنة ونعيمها وقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم قيل ان المنافقين قالوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انهزم كفار مكة وولوا
دبرهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يخوفوا المؤمنين حتى لا يتبعوا على اثر كفار مكة فيمنعوا من المؤمنين
وذلك عادة المنافقين ودابهم كقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا وقيل انما قال ذلك
... وقيل انما قال ذلك لهم رجل يقال له نعيم بن مسعود الاشجعي وقيل انه ركب من ناس ركب
عبد القيس ولا ندري كيف كانت القصة وقوله تعالى فزادهم ايمانا لما وجدوا الامر على ما قال النبي عليه السلام
ووعدهم لا على ما قال اولئك فزادهم ايمانا اي زادهم تصديقا وقيل اي زادهم جرأة وصلابة
وقوة على ما كانوا في الحرب والقتال ويحتمل زادهم ذلك ... بما لهم قوة وصلابة وتصديقا وقيل زادهم
ايمانا اي تصديقا ويقينا لخروجهم على عدوهم وثقة بربهم واستجابتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قيل ما معنى قوله فزادهم ايمانا على تعقيبه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كيف
زاد الايمان بتخويف ذلك القوم وخشيته هؤلاء من الكفار وما معنى ذلك كقوله واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا لانها حجج تزيد التصديق وتحدث تدعوا الى الثبات على ذلك فيزيد الايمان فاما كيف
يحتمل ان يزيد الايمان بقولهم فاخشوهم قيل يخرج ذلك والله اعلم على وجوه احدها انهم قد علموا
اهل النفاق وانهم كانوا يخوفونهم بذلك وقد كان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصرهم
وكذبوهم بذلك واقبلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم اجابة لامره وتصديقا لوعده ومجانبة في الاغترار
بالاصغاء الى اخبار اعدائهم والنزول على قلوبهم فكان ذلك منهم عند ذلك زيادة في ايمانهم مع ما
في تكذيب المنافقين زيادة في الايمان فان الله تعالى قال خبرا عن اهل النفاق واما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم فاذا ... بتكذيب ايات الله رجسا الى رجسهم فمثله تصديقا المصدق
للايات وتكذيب المكذب يكون زيادة في الايمان والله اعلم وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اخبرهم بتفرق احزاب الله وتشتت امرهم واخبرهم المنافقون بالاجتماع فصاروا الى ما اخبرهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فوجدوا الامر على ما قال فعد للنبي انباءه الغيب والانباء من الغيب من اعظم ايات النبوة
فزادهم ذلك ايمانا وذلك قوله افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الاية ويحتمل انهم لما رأوا تثبت وتولي
المنافقين ولا تحقق التذلل ولا ضعفوا فانزل الله سكينته في قلوبهم ليزدادوا ايمانا كقوله تعالى هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم الاية وفي زيادة الايمان يخرج على وجوه لحدوثها الحوادث
في حادث الوقت ان الايمان لحكم التجديد فانه فعل يتجدد ساعة فساعة وسكون المرء تارك الكفر
في كل ساعة فيكون المراد هو زيادة وجود فعل الايمان بزيادة الوقت ولا شك ان من كان اكثر عمرا كان ابدا
تصديقا انحصل ذلك منه اكثر وازيد وعلى هذا خرج قوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله قال اي جددوا
فيما مضى تجددوا التصديق في المستأنف من الاوقات والثاني ان يكون بالثبات عليه والحجج التي توجب
لزومه والدوام عليه فسمي ذلك زيادة والثبات على الشيء والدوام عليه في حاله بقاء يسمى زيادة بطريق المجاز
فاما ما لا يحتمل البقاء فيكون بترادف الوجود زيادة على الحقيقة اثباتا وبقاء لكن يسمى دواما وثباتا
بطريق المجاز فيكون هذا القول منه حكاية منه عن الذين قالوا ببقاء الاعراض ويحتمل ان يكون يزدادوا
في امره وبصيرة على ما رغب فيه ويحقق مراعاة فيكون في ذلك زيادة في قوته او خضوعه او ترتيبه في
وذلك امر معروف ويحتمل ان يكون يدعيا الى محافظة حقوق الله تعالى والتمسك باداء وظائف وفاء بشرائع
فيزيد بذلك فضيلة كما عرفت صلوة واحدة في التحقيق لفاق ما في ذلك من حفظ الحقوق ومراعاتها
والله اعلم وقوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فوضوا الى الله تعالى لما اداهم صدق وعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وظهر كذب قول المنافقين ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فوضوا امرهم
الى الله تعالى وسلموا لما اتوا اليقين من قبله ورضوا بكل ما يصيبهم في طاعته كقوله الذين اذا
اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون مدحهم الله عز وجل بما رأوا انفسهم لله تعالى كهذا
فيله وقوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء يحتمل النعمة الذين على ما ذكرنا يحتمل
قوله فانقلبوا بنعمة من الله اي رجعوا الى محمد عليه السلام ويحتمل بنعمة من الله وفضل الزيادة في الايمان وفي رواية
والفتوح فيه وقيل فانقلبوا بنصر من الله والغنيمة ويحتمل النعمة من الله الامن من العدو لان المنافقين كانوا
يخوفونهم بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله تعالى واتبعوا رضوان الله اي اتبعوا العمل
الذي به ينال رضوان الله ورضا رسوله او يحتمل واتبعوا طاعته ومرضاته وقوله تعالى والله ذو فضل عظيم
اي ذو من عظيم بدفع المشركين عن المؤمنين وقوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين والاشكال ان الشيطان كيف يخوف اولياءه وهم تابعوه انما كان يخوف
اعداءه وهم المؤمنون فلماذا قال يخوف اولياءه قيل فيه بوجوه احدها ان الشيطان قد يخوف اولياءه
كما يخوف اعداءه فكما اعداؤه لا يخافونه فاولياؤه لا يخافونه فلم يظهر اثر تخويفه في حق اعدائه وهم
المؤمنون ويظهر في حق اوليائه فكانه يخوف اولياءه لا اعداءه لذلك قال انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه وذلك كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب كان ينذر المتقين والكافرين
جميعا لكن من اتبع الذكر كان يقبل انذاره ومن لم يتبع الذكر لا يقبل فكانه لم ينذر الا من اتبع الذكر فعلى
ذلك الشيطان كان يخوف اولياءه واعداءه جميعا لكن لما كان لا يخاف منه اعداؤه لما ثبت لهم اعانة
من الله تعالى وصدقوا وعده بقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على
الذين يتولونه فصار كانه لم يخوف الا اولياءه ويحتمل قوله يخوف اولياءه اي باوليائه وتابعيه لان الله تعالى
قال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ومثل هذا جائز
في الكلام لقوله لينذر يوم الجمع اي بيوم الجمع وعن ابن عباس انه قال يخوفكم اولياءه اي من اوليائه وهذا
يؤيد تاويل من تاول يخوف باوليائه والله اعلم وقوله تعالى فلا تخافوهم وخافون اي لا تخافوا الشيطان
واتباعه لمخالفتكم اياهم وخافون اي خافوني لمخالفتكم امري وهو كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه اي سلطانه على اوليائه واتباعه كذلك قال لا تخافوهم
اذ ليس له عليكم سلطان وخافون اذ لي عليكم سلطان وبالله العصمة وقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يحتمل وجهين احدهما اي لا يحزنك يا محمد الذين ظاهروا المشركين عليكم اي مظاهرة اهل
مكة منهم من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى لرسوله ولا يحزنك
مظاهرتهم المشركين عليك فان الله تعالى سينصرك يخرج مخرج البشارة له بالنصر على اعدائه والغلبة عليهم
ويحتمل ايضا وجها آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشتد عليه كفرهم لما به وفاتهم

عليه

عليه وكان يحزن بذلك كما اخبر الله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين فخرج قوله لا يحزنك
مخرج تسكين الحزن وذهابه والنهي عن ذلك لا مخرج النهي اذ الحزن يأخذ الانسان ويأتيه من غير تكلف
وصنع من الحزين بما هو حال ضرورة يحصل في المرء بتخليق الله عز وجل من غير كسبه واختياره وهذا
كقوله لا تحزن ان الله معنا هو خرج مخرج التسكين والرفع عنه لا على النهي وكذلك الاول وقوله تعالى
انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله شيئا انما ضرر ذلك يرجع عليهم كقوله
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ويحتمل لن يضروا الله شيئا لانه ليس له في فعلهم ولا
نفع ولا ضرر انما ذلك عليهم ضررا ونفعه المنفعة في عملهم لهم والضرر في تركه عملهم عليهم والله اعلم وقوله
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة الاية في قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون ابدا فاراد ان لا يجعل
لهم حظا في الاخرة فينقض على المعتزلة قولهم في ان الله تعالى يريد الايمان لكان اراد لهم الحظ في الاخرة وهو
خلاف ما نص الله عليه فثبت انه لم يكن اراد لهم الايمان جميعا وانما اراد لهم الايمان من علم منهم وجود
الايمان وايس المؤمن وتودعا الى ان يريد ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة لم يرد ان يؤمنوا وهذا خروج عن
قول ما قالوه في الارادة فاسد وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم وذكر مرة اليم ومرة شديد لان العذاب
بالنار اشد العذاب بنوع المشاهد واعظمه في ذلك وعد بها في الغائب وجعل طعامهم وشرابهم ولباسهم
منها نعوذ بالله من ذلك وقوله تعالى ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم
ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين اختلف في قراءته قرأ بعضهم بالتاء وبعضهم بالياء فمن قرأ بالتاء
صرف الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالياء صرف الخطاب الى الكفرة ثم هذه الاية
وقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون وقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ونحوها
من الايات حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح والارادة اما في الاصلح فانهم يقولون ان الله لم يفعل بالخلق
شيئا غير اصلح لهم في الدين في حال المحنة والتكليف كان ذلك يجوز ومعلوم ان الفعل بهم ليزدادوا
اثما لا يبلغ في الصلاح في الدين بالفعل لهم ليزدادوا به كيف وان الاملاء لهم اذا كان سبب الاثم في الاخرة لا يكون
اصلاحا لهم في الدين فثبت ان فعل الاصلح ليس بواجب على الله تعالى ولا ان اعطاء الاموال والاولاد والصحة
والسلامة للكفرة لو كان للصلاح في الدين لما حذر الله تعالى رسوله من الاعجاب بذلك بقوله ولا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم هذا نهي بطريق المبالغة والفعل للاموال والاولاد اي انها لا تعجبك ومعناه
لا تتمن مثل اموالهم واولادهم بين المعنى دراية من الاعطاء اياهم هو التعذيب على ما قالوا يكون على
لانه يصير في التقدير كانه قال لا تعجبك الذي هو صلاح في الدين وهذا فاسد مما يؤدي الى مثله والله
يؤيد ذلك قوله انما يريد الله ليعذبهم بها اخبر انه لم يجعل ذلك لتكون سبب العذاب لهم فكيف
يكون صلاحا في الدين وكذلك جعل الكفار حسبوا ان اعطاء الاموال والاولاد يكون المسارعة
الى الخيرات ويتوصلون بها الى المصالح الدينية وليس كما حسبوا بل لا يشعرون فيكون رد الحسبانهم فهذه
ثم المعتزلة لتحسب مثل ما حسبا الكفرة ان اعطاء النعم والاموال للكفرة اصلح لهم في الدين والله تعالى
شهد على اولئك الكفرة الذين حسبوا ان اعطاء الاموال والاولاد لهم نعمة وصلاحا في الدين بانهم لا يشعرون
فكان منه ذلك شهادة على كل من وافق رأيه رأي اولئك الكفرة بانهم لا يشعرون ثم معلوم ان الجبابرة والفراعنة
لو لم يجعل الله تعالى لهم تلك الحواشي والملك والقوة لم يكونوا يتجبروا على دعوى الربوبية ويبلغوا في الماثم
ما بلغوا فيكون في ترك ذلك اصلح لهم في الدين من الوجود كيف وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة
واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون اخبر انه لو جعل لمن يكفر
بالرحمن بيوتهم كذا لكفر الناس كلهم وصاروا امة واحدة فهذا دليل على انه لو جعل على العكس بان يجعل ذلك
لمن يؤمن لامن كل الكفرة ولا شك انه لو فعل ذلك لكان هو الاصلح في الدين ثم لم يجعل كذلك فلو كان الاصلح
في الدين هو الحكمة بطريق التعيين لما كان سبب الفساد من باب السفه لما جاز في الحكمة انه لا يفعل
ذلك دل على ان ما قالوه فاسد واما الارادة فعندهم ان الله تعالى لا يريد بعباده الا ما هو الخير لهم ولا يريد
الشر ولا يريد الكفر والمعاصي والله تعالى اخبر انه املى لهم في الدنيا ليزدادوا اثما والاملاء فعل الله تعالى والملك
صفة لكل فاعل في الحقيقة فكان الاملاء بطريق الاختيار فعرفنا انه اراد زيادة الاثم وكذا منه تحصيل اسباب
الماثم من الكفرة حتى يكون فاعلا عن اختيار ويؤيد ذلك بقوله انما يريد الله ليعذبهم واراده الاملاء لزيادة

الاثم وارادة اعطاء المال والولد للعذاب لا يكون ارادة للخير ولانه هذا الازم عليهم ثم وتعقب المعتزلة
الآية بوجهين احدهما على التقديم والتأخير فقال التقدير الآية ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا
انما نملي لهم خير لانفسهم والتقديم والتأخير شائع في الكلام والثاني هذا اخبار عن الله تعالى عن حسابهم
بما يؤول امرهم من العاقبة يعني انهم حسبوا ان املاءنا لهم في الدنيا واصابتهم الصحة والسلامة والاموال
خيرا لانفسهم في العاقبة بل العاقبة ذلك شر لهم ثم نقول انما الكلام في الابتداء اذا اعطاء هذه النعم
يكون خيرا لهم وصلاحا ليتوصلوا بها الى ادراك الايمان والعبادة وارادة الله تعالى بذلك هو الصلاح فاذا فعلوا
ذلك سببا ووسيلة الى الخيرات بل الى المعاصي فالذين يؤاخذون في الآخرة بافعالهم وتقصيرهم وجعلهم
ذلك سبب المعاصي باختيارهم ومثل هذا ابدا في الكلام ويراد بها العاقبة وتسمى هذه اللام لام العاقبة
عند اهل اللغة قال الله تعالى خبرا عن قوم فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ومعلوم انهم
لم يلتقطوا موسى ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يكن ارادتهم وقصدهم ذلك لكن لما كان عاقبة التقاطهم
ذلك سمي به وكذلك يقال للرجل من تبذل الكلام للسارق سرقت لتقطع يدك وهو ما سرق ليقطع ولكن لما كان
العاقبة وكذلك يقال لدوا للموت وابنوا للخراب اي عاقبة كل مولود للموت وعاقبة ما يبنى في الدنيا للخراب
والفناء فهذا مثله لكنا نقول بان ما ذكروا من التأويل فاسد اما الاول فليس بما قيل بل هو تغيير للقرآن
عن نظمه لان الله تعالى قال انما جعل قوله انما نملي لهم خير لانفسهم مفعول الحسبان وقوله انما نملي لهم
ليزدادوا اثما مبتدأ وخبر وبالتقديم يصير المبتدأ والخبر مفعول الحسبان وما هو مفعول الحسبان
مبتدأ وخبر وهذا في غاية التغيير للنظم والصيغة لانه جعل الخبر مكان الاسم والاسم مكان الخبر وجاء
ذلك في كل وعد ووعيد وامر ونهي وتحريم وتحليل حصر كل امور الدنيا معلولا وجاز التقديم والتأخير
في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وذلك كفر فما يؤدي اليه يكون في غاية القبح ولانه لو كان
كذلك لكان معنى ان اموالهم واولادهم صلاح لهم والذين كانوا يحسبون في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ كان على كل ما فيه صلاح للذين هيجانا الكافرين ولانه اخبر انهم حسبوا ان ذلك خير لهم ولا يشعرون
ولو كان الاعطاء لما قلتم لكانوا فيما حسبوا خير لهم يشعرون فيؤدي الى خلاف النص على ان الابتداء قرئت
بالياء ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وحتى كان يحسبن الكفرة
ذلك شرا وانما يحتج بما تؤول الحسبان بل حسبوا ذلك خيرا لهم ولانه لا يجب اجراؤها على ظاهر النظم
واما التأويل الثاني ففاسد ايضا لانا لا نجاوز ... الآية الا ان يكون للتنبيه والتذكير عن السهو
والغفلة في الابتداء لعلهم لا يذكرون عواقب الامور فيحرصون عليها عن غفلة في العواقب فحال الذكر
لغيره على ذلك ليكون ذلك تنبيها له لا انه فاتحا لا يعقله ولدت للموت وبنيت للخراب لطرح
الوعظ والتذكير بما ذكرت من احتمال السهو والغفلة عن العاقبة فصلح مثل هذا الكلام للوعظ
والاتعاظ لهم بخلاف ما نحن فيه واما امر قوم فرعون فنقول لم يقل ليكون لهم عدوا وحزنا عندهم
حتى يقال انه ما التقطوه لاجل ذلك ولكن المراد فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا عند الله
وفي ارادته ومشيئته وهو كذلك عند الله تعالى وكانوا على جهل وغفلة من ذلك واخبر الله تعالى عن حقيقة
ما عنده من الحكم والارادة فاما الله تعالى فهو كذا اخبر انه يملي لهم ليزدادوا اثما وانه يريد ليعذبهم
بحيث ان يجعل بحقيقة ذلك تحقق ما قلنا انه لو اراد من ذلك هو الصلاح لهم في الدين وانه داعيهم الى الايمان
ثم لم يخرج ما اراد فعلا ولم يخرج على ما اراده ولا يحصل ما لاجله فعل انما ان يكون عن جهل او سفه
اما الاول فلانه ظن ان يكون ذلك فلا يكون فيكون جهلا بالعاقبة ذلك واما الثاني فانه يكون عالما انه
لا يوجد ذلك ولا يكون مع هذا يريد وجوده فيكون عابثا او سفيها وجل الله تعالى عن الوجهين فلا يجوز
ان يريد وجود فعل يعلم انه لا يكون بل كل ما علم وجوده يريده وما علم انه لا يوجد لا يريد وجوده حتى لا يلحقه
به وصف جهل او سفه وفي كل ذلك سقوط الريبة والله الموفق والاصل في ذلك ان الله عالم بمن لا يؤمن
ويؤثر عداوته ويعاند آياته فكان ارادته منه الايمان مع علمه بانه لا يؤمن ايجاب حاجة له اليه في موالاته
او ايجاب غلبته عليه في بعض ما يريد اذ هو يريد الايمان منه والعدو يمنع تحصيل مراده ويفعله فيكون
ذلك ايجاب عليه ومن اراد ذلك شاهد انه يصير مغلوبا من جهة عدوه اذا كان يصير محتاجا الى نحوه ولا
يكون خارجا عن وصف الحكمة تعالى الله عن ذلك وبالله التوفيق وقوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قيل فيه وجوه قيل لا يترك الله المؤمنين على ما انتم عليه ايها المنافقون
تظهرون الايمان وتسترون الكفر ولكن يمتحنكم بالجهاد وانواع المحن ليظهر المنافق من المؤمن وقيل ليظهر الكافر لهم

من المؤ

من المؤمن المصدق وقيل ان المنافقين كانوا يطعنون في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزئون
بهم سرا فقال الله تعالى لا ندع المؤمنين على ما انتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء بهم ولكن ليمتحنكم بانواع المحن
لتفتضحوا او ليظهر نفاقكم عندهم ويحتمل وجها آخر اي لا ندع المؤمنين على ما انتم عليه من النفاق والكفر
في دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى يميز فيها الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث في النار والطيب
في الجنة لقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم الآية
والله اعلم وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء قيل فيه وجوه
قيل انهم كانوا يقولون لا نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي الانبياء لقولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
صحفا منشرة كلا فقال ذلك بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب الا من اجتباه وجعله موضعا لرسالته
اي لا يجعلكم رسلا اذ علم الغيب آية من آيات رسالته وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء ويسترقون
السمع فيأتون باخبارها الى الكهنة قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخبر الكهنة بها غيرهم
من الكفرة فانزل الله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب بعد بعث النبي عليه السلام شيئا كما كنتم تطلعون
على اخبار السماء قبل بعثه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اي يصطفي من يشاء فيجعله رسولا يوحي
اليه ذلك اي ليس لكم وحي من السماء الا غير الانبياء ويحتمل قوله يجتبي من رسله من يشاء اي لا يطلع منكم
احدا على الغيب الا من اجتباه منكم لرسالته والله اعلم ويحتمل يجتبي من رسله من يشاء اي لا ينسخ شرائعه
واحكامه برسول آخر يجيء ما بين موسى الى عيسى وبين عيسى الى محمد عليه السلام فاجتبى هؤلاء لانفاذ شرائعهم
واحكامهم ثم الآية دلت على بطلان قول الشافعي في القرعة حيث اخبر الله تعالى انه لا يعلم الغيب الا من اطلع
الله له من الرسل والشافعي جعل القرعة مثل ذلك الحكم وانه لو اصاب عن غفلة والا يخفى عليه لان الآية
حجة على الباطنية فان الله تعالى اخبر انه لا يطلع على علم الغيب احدا سوى الرسل وهم يدعون ذلك العلم
لائمتهم فاما ان يثبتوا النبوة لائمتهم احترازا عن مخالفة هذا النص فصاروا جاحدين لكونه رسولنا خاتم
الانبياء فصاروا مخالفين لنص قوله وخاتم النبيين واما ان يدعوا العلم لائمتهم من غير اثبات
النبوة لهم فيصيروا مخالفين للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسل والله الموفق والعلم وقوله تعالى فآمنوا
بالله ورسله ظاهر وقوله تعالى وان تؤمنوا وتتقوا قيل وان تؤمنوا برسله كلهم وتتقوا المعاصي
فلكم اجر عظيم وقيل وان تؤمنوا وتتقوا الشرك فلكم اجر عظيم وقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم قيل نزلت الآية في علماء اهل الكتاب يقول لا يحسبن
الذين يبخلون العلم الكتاب بما يأخذون من المال وينالون من السبل بكتمان نعت محمد وصفته وتحريفها
يكون خيرا لهم بل هو شر لهم في الدنيا والآخرة ولو لم يكتموا كان ذلك خيرا لهم في الدنيا ذكرا وشرفا في الآخرة
ثوابا واجرا وقيل نزلت الآية في مانع الزكاة بخلا منهم وشحا وذلك وعيد لهم والاول اشبه وان كان قد
يحمل على الجحود بها لا على المنع المطلق وذلك كقوله لا يؤتون الزكاة وهم كافرون وقوله تعالى ولله ميراث السموات
والارض والاشكال ان السموات والارض وما فيهما ملك الله تعالى على الحقيقة لوجود التخليق والانشاء منه
والميراث في الشاهد انتقال الملك والاستحقاق من احد الى غيره فلم يكن له مع تسميته ميراثا في الحقيقة من هذا العالم
على الحقيقة لان التخليق وانه لم يكن لاحد ينتقل اليه حتى يكون بحق الميراث ولكن معناه لوجهين احدهما على
عن ذهاب اهلها وبقائه عز وجل دائما اذ ذلك وصف الموارث فيكون المنزلة المتعارفة بعد فناء من تقدم والله هو
الباقي بعد فناء الكل فيكون اطلاق اسم الميراث دلالة على اثبات الفناء والموت لمن اتصف بالملك من حيث
الظاهر من الانتفاع فانه تعالى ملك العباد الانتفاع بالملك باسباب معلومة فاذا زال الانتفاع في حقهم بالموت
وينقطع حقهم عنه فيوصف بالخلوص لله تعالى الآية ينتقل اليه ما كان لهم من حيث الانتفاع لتعاليه عن المنافع
والمضار وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر لا الموالي عنده
وليس ذلك في الحقيقة ميراثا اذ كان له في حياته ولكن الموالي اولاه الانتفاع به والنصرة فيه فلذا سمي ميراثا
لزوال بين العبد فيصير الى الضالة وعلى مثل هذا اورثه اهل الجنة بقوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس لا على انتقال من غيرهم اليهم ولكن على بقائهم فيها وحصول امرها لهم فهذا ما سوى تحمل الجنة
ميراثا للمؤمنين ما ادعوا اعني اليهود والنصارى بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي صارت
ميراثا لغيرهم ما ادعوا انها لهم فيكون على زعمهم انتقالا منهم لا غيرهم فسميت ميراثا على تقدير زعمهم وذلك كا
لهم من الله تعالى ابتداء تمليك بجزاء على اعمالهم فضلا والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو انها صارت لهم ميراثا من علم
تعالى في الازل انهم لا يؤمنون مع علمه انهم كانوا امنوا لكانت الجنة لهم فسميت ميراثا على هذا التقدير بما علم انهم

لو كانوا آمنوا لكانت الجنة لهم فإذا علم أنهم لا يؤمنون وعلم الإيمان من هؤلاء فضيات لهم والله أعلم والثاني من الجواب أن يعلم كل الموصل له يزول عنهم ويرجع حقيقة ذلك إليه فأضيف إليه الميراث عنهم للحال وإن كان في الحال يوصف بالملك للعباد بعض ذلك كما قال الله تعالى وبرزوا لله جميعا وإلينا المصير وإليه ترجعون ونحو ذلك في صفة القيمة وإن كان لا غيبة لأحد عنه حتى يبرزوا إليه ولكن لما يعلم كل أن القيمة يكون وإليه يرجع كل أمر وكذا قوله والأمر يومئذ لله وهو في الحقيقة في كل يوم ولا يوم إلا والله مع ما في الذكر والأخبار أنها لا ميراث تحريض على الإنفاق والتزود أي هي في الحقيقة لغير أهلها وإنما لهم ما ينفقون ويتزودون لا ما يمسكون وفيه منع عن الإمساك والبخل وذلك قوله وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض الآية حجة على القرامطة حيث قالت أهل السموات لا يموتون لأنه أخبر أنه ميراث السموات والأرض والوارث يخلف مورثه وإن كان أهل السموات وجميع ما فيها بينهم لله تعالى عبيد لم يملكوا كما أضيف إليه الميراث وأن لا انقطاع لهم عن ذلك إلا بالموت يكون فدل على الموت وصار كقوله عليه السلام لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر إلا المولى عن عبده سمي ما يكون لعبده ميراثا للمولى عنه وإن كان العبد ما في يده ملك المولى وإنما يكون للعبد عن الانقطاع بالموت فكذلك والله أعلم وقوله تعالى والله بما تعملون خبير وعيد منه إياهم وقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قيل لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية قالت اليهود ربكم فقير يستقرض منكم ونحن أغنياء وليس في الآية بيان أن ذلك القول من اليهود أو غيرهم من الكفرة ولكن فيها بيان أنه يعلم قائله ولا ندري من قال ذلك فلا يجوز القطع على قوم أنهم قالوا ذلك مع الاحتمال الكذب بغلبة التعيين زيادة نفع إذ ما في الآية من الاعتبار يحصل من غير تعيين القائلين ثم يحتمل القول منهم أن قال اليهود والكفار في النبي عليه السلام أو قالوا ذلك فيهم فأضيف إليهم رضا منهم بصنيعهم على ما أضيف إليهم قتل الأنبياء وإنما قتل أوائلهم دونهم فإن قال ذلك قوم من أهل عصره فيحتمل وجهين إن قالوا بحضرة أصحاب رسول الله عليه السلام وبمشهدهم أو قالوا ذلك سرا فإن قالوا ذلك سرا وهو الأغلب على مثله لأنه لا يحتمل أن يصير مثله بقول الصحابة فيكون في الآية بيان من آيات رسالته ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله الموفق تعالى لعلم منهم أنه لم يكن فيما بينهم حتى قالوا ذلك من ينهي الخبر إليه فكان يقع على ذلك بإعلام من هو علام الغيوب فيكون دلالة الرسالة وإن قالوا ذلك بحضرة الصحابة ويكون وقت أمروا بالكف عن الكفرة فيكون في الآية بيان قدر طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم ما سمعوا من القول حيث اشتغلوا عن أذاهم لما لم يؤمروا بالقتال بعد وأمروا بالصفح والكف وجملته ذلك في ذلك دعاء إلى الصبر على أذاهم فلما إذا أخبر تعالى أنهم مع تقلبهم في نعم الله تعالى وعلمهم بأنهم لم يشاهدوا إلا بالله تعالى أخبر لمثل هذا القول لعا الله جل ثناؤه مع قدرته وسلطانه تحكم عنهم ليوم وعيدهم فيه الجزاء ثم لم يسع من النعم نعمة ولا تقدم عليهم منه كيف ينبغي أحق أن يصير لأذاهم ويعرض عن مكافأتهم وعلى ذلك قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ويحتمل أن يعلموا أن جميع ما يقولون محفوظ به عليهم ليس بما يسمعه ولا غافل كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون لكنه يؤخر ذلك إلى وقت ليزدادوا إثما فإن قال ذلك أوائلهم فإنه يحتمل وجهين يحتمل أن يكون الله تعالى أعلم ذلك رسوله ليكون على التعزية له والتصبر على أذاهم وتسكينا للغلبة حيث قالوا في الله ما قالوا فكيف صبر مع ما في ذلك تنبيه على شدة سفههم وسوء صنيعهم فيدل على بطلان ما ادعوا من الدين كما أخبر من اليهود لبيان سفههم بقولهم وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ثم قوله قرضا حسنا وقوله من ذا الذي يقرض الله فيجعل وجوها الجزاء السلام على الفقر بالصدقة أن يعلموا أنه ليس بفقير ولا محتاج فيستقرض لفقره وحاجته لكن لذلك أن أداة قرض منه في ذلك القرض وكذلك يكون ما المحفوظ عنده فإنه لا يمن المقرض حيث يحفظ فعلى ذلك المال الذي تقرضونه الله تعالى بالتصدق على الفقراء يكون محفوظا عند الله تعالى ليوم حاجتهم إليه فلا منة يكون على الفقراء والله أعلم والثاني أن يصدقوا بما وأخبار بوجوده وكرمه لأن العبد وما في يده لمولاه إذا استخرج ما في يده كان ذلك ثم يطلب منه شطر من ذلك بدل يضاعف عليه ذلك فيكون هذا غاية الجود والكرم والثالث أن المولى في ذلك لشاهدا إذا طلب القرض علم منه أن ينبغي لا يجب أن يبخل عليه بذلك تنزيه وبيان قدره ومنزلته عنده وقوله تعالى سنكتب ما قالوا قيل سنجزيهم جزاء ما قالوا وقيل سنحفظ ما قالوا وقيل سنكتب وسنلزمهم في منفعته يكتب عليهم في الآخرة ما قالوا بعض من بعض في ذلك لئلا يتم الإخا

لدى الكتاب إذ هو المحفوظ ولا يخفى عليه خافية ولكن لينظر العبد في الكتاب فيقف على ما قال وما فعل ولا الأنفسه إن كان من أهل العقاب حتى يتقي بعضه فضل الله تعالى عليه إن كان من أهل الثواب والله أعلم وقوله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق قد ذكرنا تأويله فيما تقدم فإن قيل ما الحكمة في قوله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق حيث ذكر بغير حق وقتل الأنبياء لم كان يكون بغير حق لأن الأنبياء معصومون عن ارتكاب ما به يجب القتل إلا بحق إلا والله عز وجل إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة الحق النفي بما ادعى النبي عليه السلام وأطلق القول في الأذى في غيره من اكتساب شيء به يستوجب الأذى إلا أنه معصوم عن ذلك فلا كان يتصور الاكتساب بما به يستوجب الأذى في غير الأنبياء من المؤمنين قيد ذلك بقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا فكيف ذكر هنا القتل بغير حق وهم لا يستوجبون ما يستوجبون به القتل فيكون ظاهر الآية حجة لمن أنكر عصمة الأنبياء عن ارتكاب المعاصي قيل يحتمل قوله بغير حق أي بغير حاجة لأنهم كانوا يقتلون الأنبياء بلا منفعة لهم في قتلهم لأن للكفرة شوكة وقوة ولم يكونوا تحت تصرف الأنبياء وحكمهم على ما قيل إنهم كانوا يقتلون كذا وكذا نبيا ثم يقيمون سوقا للبقل فإذا كان كذلك فصار قوله بغير حق أي بغير حاجة وهذا مستعمل في الكلام قال الله تعالى في قصة لوط خبرا عن لوط وقومه قال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم إلى قوله قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق أي من حاجة فكذلك الأول ويحتمل أن المراد به قتل أصحاب الأنبياء دونهم فأضيف إليهم لأنهم أنصارهم فكأنهم قتلوا الأنبياء من حيث المعنى إذ في حق صحابتهم بعضهم ووجود أسباب استحلال القتل ولذلك نفى بقوله بغير حق ليعلموا أنهم فعلوا ذلك ظلما وبغيا والله أعلم ويحتمل التقديم والتأخير أي سنكتب ما قالوا بغير حق وقتلهم الأنبياء ويحتمل أن يكون ذكره لبيان الخاصية لا للتنويع لأن هذا الوصف لازم لقتل الأنبياء لأن قتلهم متنوع إلى الحق والباطل وهذا كقوله ولا طائر يطير بجناحيه وكل ما كان لا يطير بدون الجناح لكن هذا بيان الخاصية لا ذكر التنويع كذا هنا وقوله تعالى ونقول ذوقوا عذاب الحريق أي المحرق وقوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم ذكر الأيدي لأن الأيدي بها يقدم وإن لم يكن هنا مقدمة ما للأيدي في الحقيقة وذلك نظير قوله بما كسبت أيديكم لما بالأيدي يكتسب فهذا مثله وقوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد قد مر تأويله وقوله تعالى الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قيل إن اليهود لما دعوا إلى الإسلام قالوا إن أوائلنا قالوا إن الله أمرنا في التورية أن لا نؤمن برسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإذا أتينا به صدقناه فنزل قوله قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم يعني بالقربان فلم قتلتموهم أي لم قتل أوائلكم الأنبياء إذ أتوا بالقربان إن كنتم صادقين فإنهم ادعوا العهد من الله أن لا نؤمن الرسول إلا بإتيان القربان لأن من كان صنيعه قتل الأنبياء لم يكن صادقا في الإخبار عن عهد الله وإن كنتم صادقين أن الله تعالى عهد إليكم في التورية من غير أن تعرفوا أو إنكم لأخذتم لو كان بآية من الآيات الحسية لقبلها أو إنكم قد قتلتم الأنبياء فدل ذلك على بطلان ما ادعيتم على أن القربان كان في الأمم الخالية من أمارات التقوى لا من آيات النبوة قال الله تعالى إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين والأصل فيه أن القربان لم يذكر في آيات الرسل عليهم السلام وما ادعوا ليس هو بعهد عهد إليهم الرسل عليهم السلام ولكنه حيل السفهاء بتلقين الشياطين في وحيهم لذلك لم يجيبوا الذي ذكروا والله أعلم وفي الآية دلالة أن لا يجب على كل رسول أن يأتي بما هو حجة في نفسه لا بالحجة التي يتمنى لها السائل إذ كانت الكفرة يطلبون منه القربان وما أجابهم إلى ذلك بما عندنا إذ قد أتى بآيات كثيرة وما كان يسأل ما تمنت لا استرشاد وللتعنت لا يستحق الجواب والله أعلم وقوله تعالى فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك أي فإن كذبوك في القول وما جئت من آيات تدل على وضوح أنك رسول الله عليه السلام وأنك صادق فقد كذب رسل من قبلك وفيه وجوه أحدها أن يصبره على ذلك بما له فيما أخبر أن صبروا على عظيم ذلك كقوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والثاني على دفع العذر بعضه في ترك التبليغ فإن تكذيب الكفار رسلا منهم لم يمنعهم من التبليغ والثالث على الأنبياء إنهم أصحاب تقليد في التكذيب لا أن يكذبوا عن امتحان وظهور عند ذلك أقل التأذي بأذى من عادتهم ذلك بعد بهذا يستيقن من صنعتهم أصحابه أن ذلك التكذيب منهم جرأة على العباد لا لتوهم ريبة لهم في الأنبياء والله أعلم وقوله تعالى جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير وقد ذكرنا تأويل البينات وأما الزبر فيقال أحاديث الأنبياء من قبلهم من النبوة على ما يكون وقيل هي الكتب مشتق من الزبر وهو الكتابة وقيل الزبر والكتاب المنير واحد وقيل الكتاب المنير الذي فيه الحلال والحرام والأحكام المكتوبة عليهم وقيل المنير الذي أنار قلب كل من تمسك

بكمالها في الفرقان انه الذي نفصل بين الحق والباطل ويسمى كتب الله تعالى كلها فرقانا ومنهم المائدة في ان الحق والباطل وتبين طريق الهدى من طريق الضلالة وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الاية
تدل في مواضع احدها في اثبات الرسالة لانه ليس في العقل ما يبقى بقاء هذه الانفس ابدا ولا ما فيه تعجب
منها ما يعقب عمرها ووجود الموت في حق البعض لا يوجب الوجود في الباقين ثم وجود العلم من كل
منهم بالموت الى التسليم له والاقرار به فحق كل نفس محدثة يدل على نعتها انما عرفوا ذلك بطريق الوحي والثاني
شهادة دلالة على اثبات الصانع وابطال القول بالطبائع لان كل حي يتلذذ بحياته وانه امر محبوب عنده وكون
الموت مكروه طبع كل نفس وينفر عنه كل ذات حي لو كان الامر الى الطبع لم يتصور حصول ما يخالفها الا بالاختيار
فاعلا بالاختيار فلا يوجب ما يكرهه فيدل ان وجود الما (؟) على تعنت خلق لا على ما يميل اليه الطبائع بل على ما فيه
الحكمة انما العدة خلق الموت والحياة لما بين من الحكم بقوله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا
وتدل على اثبات الصانع والثالث فيها دلالة وحدانيته ان تبجل جلاله لان الامر معتاد في الشاهد بين الملوك
انما فضل هذا فضل الاخر وما اراد هذا ايجاده اراد الاخر عدمه وما اراد هذا بقاءه اراد الاخر فناءه وقد
بين الموت والحياة والافتراق والاجتماع وتعاقب المتضادات ثم العقول بالعدل توجب التمانع وكسر
على القضاء بانه واحد ولا يقال انه يحتمل الاصطلاح بينهم في ذلك لان الاصطلاح يدل على العجز والجهل
اذ كل واحد على تحصيل شيء بنفسه وعلم وحده ذلك لا يرضى بمشاركة غيره في ذلك الجاهل لا يصلح للالوهية
وكذا العاجز كان صانع العالم واحدا والرابع فيها دلالة البعث ووجود الدار الاخرى وهو انه لما خلق الكل
وخلق الخلق للفناء خاصة في الشاهد يلبس بحكمة بل دلالة البعث كما نحلقه العالم المتقن المحكم
للفناء خاصة بل للعاقبة ولا يكون كذلك الا ان يكون هذه الدار وسيلة الى الدار الباقية
والله الموفق وقال النبي في هذه الاية دلالة اطمانينة القلب بموت كل نفس فترك حكما البشر الاختيار في دفعه
على السبب في الجوهر وكيله ولا ذي عقل امتناعه انه عرف ذلك بتعليمه التدبير فيها بالوحي اليهم وتحدى ذلك
الجاحد القول بالرسل ثم دلته جميع الحكماء به على حب الحياة لهم وبعض الموت عندهم على حرص جميع
الاحياء عن تدبيرهم وفخرهم خروج الاموات اذهم تحت تدبير العالم العزيز ثم على ما اقتضت حكمته
وتقدرت مشيئته وارادته ثم في طمانينة كل قلب على الموت دلالة التدبير للواحد اذ لو كان لا يكون يجوز
التمانع وابطال الوارد من الوحي وفي ذلك اثبات رسالته ثم ما كانت كل نفس تحت امر ومقهور يجري عليها
تعلم ان تدبيرها غاية ما جاوز ذلك وطبعها وانه الملك بها واصلها ومقهورها انه خالقها على تدبير جليلها
ليظهر عظيم حكمته وتمام التدبير والسلطان في التدبير والقوة في التدبير ثم لا يحتمل ان يكون ذلك على تلك على ما جرى عليه
من حكمة في موت كل انسان كان الموت انشاء لا لفنائه لا لغير اذ تدبير ما لا احد للفناء خاصة من حكمة البشر يخرج عن
الحكمة ولا يتصور من صاحب ذلك وسفههم فجعلهم العالم البعث كانت حكمة الحكماء حكمة منهم وتعلق
المعقلة فتنقضها منها احتجوا في تعليلها في هذا نشئت ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فيخرج
كل نفس بما عملت والله المعين وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قيل حياة الدنيا لاهل الدنيا
غرور كما قال وجعل اخلها انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
فحياة الدنيا للهو غرور والاخرة ليست بلعب والهو والاخرة دار البقاء وما الدنيا الا التي خلق الموت
والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وقيل الحياة هنا في الدنيا للكفرة لعب ولهو ولعب المؤمنين حكمة وعلم
الغرور هو ما يرى الشيء في ظاهر حسنا مزينا ويموهها في باطنه بما قال هكذا وصف الدنيا بانها كما
ظاهرها موهها بغير ما كل ناظر اليها ظاهرها فاذا نظر في الحقيقة وجدها كانه ما نعوذ بالله من الاغترار
بها وقوله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم يحتمل الابتلاء في الاموال والانفس ان يبتليكم بالنقصان فيها
كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس الاية ويحتمل ان يبتليكم بالحقيقة
من العبادات من الزكاة في الاموال والصدقات والحقوق التي جعل فيها وفي الانفس من الصلوات والصوم
والجهاد والحج وغيرها من العبادات والله اعلم وقوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا قيل الذين اوتوا الكتاب هم اليهود والمشركين اذى كثيرا على النبي عليه السلام اخوانك الذين كانوا
من قبلك من اذى قبلهم اذى كثيرا وقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور قيل ان تصبروا على اذاهم
وتتقوا مكافاتهم كما صبروا وامسكوا على اذاهم واتقوا مكافاتهم فان ذلك من عزم الامور قيل من حزم
الامور وقيل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلهم قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومن الذين اشركوا
يعني العرب اذى كثيرا النسب والنسبة الى السحر والجنون والكذب ونحو ذلك وان تصبروا على ذلك

والطاعة لله وتتقوا معاصيه وما الرب فان ذلك من عزم الامور يعني من حزم الامور وفي قوله لتبلون في اموالكم
وانفسكم وقوله تعالى ونقص من الاموال والانفس وغير ذلك دليل لنا ان النفس هي الجسم الظاهر دون
ما فيه من الروح الباطن كما قال بعض اهل الكلام وبعض الفلاسفة وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب اما الذين اوتوا العلم بالكتاب ويحتمل اخذ الميثاق عليهم بما في كتابهم من الامر بالتبيين
وما تحتمل بما تحتمل وما الامر فيه يحمل ويفرق الا ما في احكام ولا يكتمونه ذلك ويحتمل اخذ الميثاق عليهم ان يبينوا
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ولا يكتمونه بالتحريف وبترك البيان وقوله تعالى فنبذوه وراء
ظهورهم اي لم يعملوا بما فيه ولا يبينوا الناس فهو كالمنبوذ وراء ظهورهم وقوله تعالى واشتروا به ثمنا
قليلا قد ذكرنا في غير موضع وعن علي رضي الله عنه انه قال ما اخذ الله ميثاقا على اهل الجهل بطلب العلم
حتى اخذ ميثاقا على اهل العلم ببيان العلم لان العلم كان قبل الجهل وقوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقيل كانوا يفرحون بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وكتمهم
وكتمهم وتبديلهم الكتاب ابتداع اعجاب الناس ذلك وحمدهم على ذلك وقيل ان اليهود دخلوا على رسول الله
عليه السلام فقالوا نحن عرفناك ونصدقك وليس ذلك في قلوبهم فلما خرجوا من عنده قال لهم المسلمون
ما صنعتم فقالوا عرفناه وصدقناه فقال المسلمون احسنتم بارك الله فيكم فحمدهم المسلمون على ما ظهر
من الاقرار وهم يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقيل فيهم قالوا نحن اهل الكتاب والعلم واهل الصلاة
والزكاة وهم لم يكونوا كذلك فاحبوا ان يحمدوا على ذلك والله اعلم بالقصة وقوله تعالى فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب وقيل ببعيد من العذاب وقيل بنجاة من العذاب وهو ما ذكرنا من الخوف انه نجاة
عما يخاف فنجده فلا يلبسوا بنجاة من العذاب بل لهم عذاب اليم ثم دلت الاية على انه لا مد انه تعالى يعذبهم
الكفر ويوعدهم عليه لسيئاتهم بما احتجوا الحمد على ما لم يفعلوا على ما بجاح الربح قول المعتزلة فانهم ليس
تدخلا في الايمان تدبير سوى الاخر ولا صنعا اذ احتجوا بما يحمدون عليه بتعدوا ما نعت عليهم وحولوا بل
تفضيل عليهم بما ذكره للايمان وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وغير موضع من القران وقوله تعالى
ولله ملك السموات والارض قصة ما احتجوا فيها هنا بما يكون حجا بالجهل انه فقير وكحق اغنياء
او كيف كان من نسبة الفقر والحاجة اليه وقد لله ملك السموات والارض ومن نسب البنات الى انفسكم
وانه عيسى والملائكة وما في يد العبيد يكون لمولاه ويحتمل ان يكون حجاجا لمن لهم والها وقالوا واتخذ سلطانا
او كيف يجوز ان يتخذ ولدا وما لله ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه ولا له الولد ولا يجوز
اتخاذ الاحد ولدا ويحمي رحمته اذ الوحي قد اصابته ومن اعزاءه ويبتاهم حاجة بدلالة سنعطم في الغير
غلبته ليخاف منه عدوه فينتصر به على اعدائه ووراثة ملكه اذا مات فاذا كان الله ملك السموات والارض
يتعالى عن ان يصيبه شيء من ذلك كيف كان لكم ان تقولوا اتخذ الله ولدا وما كان الخلق كلهم عبيده
وامائه وانتم لا تتخذون الاولاد من عبيدكم وامائكم فكيف نحكم انه اتخذ ولدا من عبيده والله اعلم
وقوله تعالى والله على كل شيء قدير امتدح جل جلاله ذاته بالقدرة على كل الاشياء تحت قدرته ويخوف
من كفر نعمته والطمع في خضع لعظمته فلذلك خاطبهم بذلك ومن يخلف تحت القدرة فحق قدرته ان
الخوف محتوي واحدا فيما يطمعه انه لا يظهر على ذلك قدرته ابدا فهو وعلى كل شيء قدير ويجوز
وكذا القدرة ان تحمل ما لا يتحقق الخوف والرجاء والمعنى والاعتقاد انما التحقيق تحت الحكم بالاجماع
لا يجوز ان يجري على قدرته ولانه لا يصنع لاحد في شيء الا بقدرته فانه لا خلاف لا يعطله القدرة فيه
شيئا وكان لا يعيد وذلك كما ان تفيد هو عليها وتزول به قدرته فصل بقول المعتزلة وخلق افعال العباد
والله الموفق وقوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب فيه
وجوه من الايات احدها ان خلق السموات والارض كلها منهم لم ينتفع منها لانه خلقهما لانفسهما لانهما
لا منفعة لهما في الحياة حتى يكون خلقهما لانفسهما ومن خلق شيء لا منفعة له عبث والعبث على الحكيم
عبث لا الشاهد فدل خلقهما لا منفعة لهما في انفسهما بل الامتحان للانس عند ان خلقهما لهم
البشر الذي هو محل المحنة الى الاخرة في ذلك يحكم فيه هذه الاكل العبث ثم المعنى بدلالة الوحدانية
فانه جعل منافع السماء من تصديق الارض متصلة منافع الاخرى ولا تقوم منافع هذا الا بمنافع تلك
فضل من هذا الى المتصل لا يتصل الامتنان مع بعدهما لهما ولو كان لكل واحد منهما منشي اخر يحدث
كل واحد يملكه عن الاخر فلا يتصل المنافع على الاتحاد والصلاح والانار ذي الاشياء التي لا تخلو لا على تضاد في
من الحرارة والبرودة واليبوسة جمع ملايم اختلافها وتضادها كالانسان في اتصال منافع

بعضها ببعض فدل ان منشئها واحد والثالث فيه دلالة العلم والحكمة حيث جعل المتضادات كالاشكال بالتدبير ليعلم ان حصول المنافع عند التركيب لا يحصل بعينه كالذوات لا يحصل الا بتركيب المفردات والرابع فيه دلالة البعث لان الليل والنهار يفنيان حتى لا يبقى من الليل اثر حين يجيء النهار ويذهب النهار حين يجيء الليل بحيث لا يبقى من النهار اثر ثم يجيء آخر لا من شيء كان قادرا على خلق الليل والنهار واعادتهما من غير ان يبقى منهما اثر وكذلك قادر على انشاء النهار من غير ان يبقى من الليل اثر كان قادرا على ان ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وان فنوا وهلكوا ولم يبق منهم شيء لانهم لما كان خلق السموات والارض وما فيهما من المنافع للبشر وهم المقصودون في خلقهما لا غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم من العقول والابصار التي بها يميزون بين المنافع والمضار وبين الخبيث والطيب وبين الحسن والقبيح لا بد ان يصيروا مامورين منهيين لا معرفة الحسن والقبيح للامتناع عن القبيح والاقدام على الحسن والامتثال بالطاعة والمخالفة بالمعصية فلا بد من دار اخرى يكرم فيها المطيع والولي ويعاقب فيها العدو فيعلم من نحب القول بالمعاد والله الموفق عبارة الشيخ ابي منصور رحمه الله نقول وبالله نستعين احتج الله تعالى ان فيما ذكر آيات لمن ذكر ومعلوم ان الآيات انما الحجج ليها المعرفة امور غائبة عن الحواس يوصل اليها بالتامل والبحث عن الوجوه التي بها جعلت تلك الاشياء المحسوسة التي تعني مثله للبديع لولا الحواس عن حكمتها العلم بها بالتدبير بل هو الحواس وهو علم الضرورات واوائل علوم البشر الذي تنتهي اليه العلوم وبه تطلب ذلك فيبطل بقول من قال ان العلوم كلها ضرورات لا يقع بالاسباب ولا يبلغ الخطأ دون توالي الرتب انشاء العلم في القلوب بحقيقة ما فيه الخطأ اذ ذلك يرتفع حق الطلب ويستوي فيه الموصوف باللب وغير الموصوف والمتفكر في الامر وغير المتفكر وقد قال الله عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض وفي ذلك دليل ان المقصود مما اظهر ليس هو ما اظهر اذ الزموا التفكر بالذي اظهر ليتوصل به الى العلم بالذي كان انشاء الذي اظهر وبعلم ما جعل في الذي دليله اي اجله وعلمه وفي هذا الكل انواع العلوم ان منها ظاهر مستقيم بظهوره عن الطلب ومخفيا بما في الذي النظر فيه اثر ينبني عنه المتامل والله اعلم وفي ذلك دليل لزوم التوحيد بالعقل واللب اذ صيرها آيات لهم لذلك اي جعل السموات والارض آيات لاولي الالباب وهم العقول واولى ما في الآيات ان يعرف منشئها وجاعلها آيات والله الموفق ثم في ذلك اتصال منافع السماء والارض على تباعد ما بينهما حتى قام بها وحي كل من دب على وجه الارض واستغنى بشيء في اتصال الليل بالنهار في منافع كل حي على تضاد ما بينهما من الظلام والنور حتى صار كالسكنى والسماء والارض كالقرينين دلالة على ان منشئ ذلك له واحد اذ لو اختلف الاشياء لتناقض وبطل وجوه النفع وان الذي انشا ذلك عليم علم كيف دبر لاتصال المنافع واجتماعها لغيرهما مع اختلاف ما بينهما وانه حكيم وضع كل شيء على ما الحق الحكماء فيه لم يعرفوا اتصال الآثار في المنافع على اختلاف في الجلاء وتضاد في الاحوال لا يبلغ من ذلك بل يقصر حملتهم عن الاحاطة بوجه الحكمة والظفر بطرف منها الا بمعونة من دبر ذلك سبحانه وتعالى وذلك هو الله على قدرته وتحقق سلطانه اذ سخر ذلك كلها لبدله ما فيها من المنافع لو جعلها ما لم يرد جعل البعض على بعض سلطانا وفيه ليعلم ان التدبير يخرج عن ذلك ويعلم ان من قدر على ذلك بقيل خلق المنتفعين بما خلق على اي تدبير يخلق ذلك وباي وجه يصل كل خلق في ذلك الى منافعه بما دام البقاء سوى معاشهم وعلى اي تدبير لهم ملكه لقادر على اعادة مثله والزيادة منه على انواع ذلك اذ كل امر له حق الابتداء كان ذلك نقصانا على التدبير بما الحق بعينه والاعادة مع ما كان في اعادة الليل والنهار يجعل كل من ذلك كالذي مضى وان كان الذي مضى ذهب دلالة كافية للبعث ولقدرته وحكمته وانه عليم ومنها انها جعلت على تدبير فيه صلاحها ومنشئها وانه دبرها على ما فيها من وجوه الحكمة التي صار الحكيم حكيما وفيه العلم الذي ينال بالتامل فيها انما يوضع ان الذي ابرمها حكيم عليم مع ما فيهما من آثار الاتفاق والاحكام الكافية من الانباء عن الانشاء للحكمة وان الذي ابدع ذلك ليس بعابث ولا سفيه ثم معلوم ان الفعل للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة فثبت ان ذلك غير مقصود به انقضاء المقصود من ذلك وجها يبقى فثبت ان ثم دارا اخرى يبقى فيها المقصود جعلت لحق الجزاء وفي ذلك لزوم المحنة والقول بالرسالة ليعلم بالوحي كيفية وجوه المحنة مع ما المحل شيء من ذكر فيه آثار النعم من غير ذكر منه بما يستحق ذلك فثبتا حق الابتداء ولازم شكر النعم في المعقول فيجب به وجهان احدهما القول بالرسل لبيان وجوه شكر النعم اذ النعم مختلفة واصل الشكر يتفاضل على قدر النعم وكذلك النعم يتفاضل على قدر تفاضل متوليها الا بعد ما بان ذلك من يعرف حقيقة مقادير النعم وجلالة حق المنعم الا بالتوفيق فكان فيه اثبات الرسالة والتوحيد وحكمته وقدرته وعلمه وجلاله عن الاشباه والشركاء وبها اجل عن احتمال الشركاء

في صنعه او الشبه في فعله على ان كلية كل من سواه تحت القدرة وهو المتعالي عن ذلك وفيه دلالة البعث لما ذكرت ولما ان الزم الشكر لما ذكرت لزمت عقوبة الكفران فيخرج المعروف به سلما عن بقاء النعم وفي الحكمة والعقل عقوبته لزم ان يكون ثم دار اخرى مع ما كان خلق الخلق لا للمرء خلاف الحكمة من السفه والولاية والعداوة والخير مع الشر والرغبة من الرهبة لا معنى لها لما فيه تضييع الحكمة وجمع بين الذي حقه التفريق في الحكمة والعقل وذلك آية السفه ومحال كونه من الحكمة صفته والعدل نعته فلزم خلق الممتحن بالذي ذكرت تضمن جميع الخلائق للممتحن ثم لا بد من ترغيب وترهيب اذ على مثله جبل عمل المحن فلزم به القول بالدار الاخرى وهي المعقول ليكون احداهما بحق ابتداء النعم والاخرى بحق استحقاق الجزاء وان كان لله تعالى التكليف الا جزاء بما النعم فالمعاقبة في الحكمة واجبة للجفاء والكفران وبالله التوفيق وقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يحتمل هذا ان الله تعالى لما جعل على العبد في كل حال النعم ليست تلك في غيرها من الاحوال نحو ان جعل القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل القعود راحة عند الاعياء وكذلك الاضطجاع استاداهم الشكر له في كل نعمة على حال من تلك الاحوال التي ذكر قياما وقعودا وعلى جنوبهم حثهم على ذلك اذا فعلوا ويحتمل ان يكون الله عز وجل امرهم ان يذكروه في كل حال في حال الرخاء والشدة وفي حال السراء والضراء ولا يذكرونه في حال الشدة والرخاء على ما اخبر الله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فمدح المؤمنين على انهم يذكرونه على كل حال لا على ما يفعله اهل الشرك لا على ارادة نفس القيام والقعود والاضطجاع لكن على ارادة عموم الاحوال اذ حال المرء ولا يخلو عن هذه الاحوال اذ حال المرء ولا يخلو عن هذه الاحوال والله اعلم وقيل انه جاء في رخصة صلوة المريض يصلي اذا استطاع والا فقاعدا والا فمضطجعا وكذلك روي عن ابن مسعود انه قال ذلك والله اعلم وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اذ في خلقهما دليل وحدانيته وشهادة ربوبيته وما ذكرنا من الآيات فلا يكون خلقهما باطلا اي عبثا والله اعلم وقوله تعالى سبحانك فقنا عذاب النار ذكر هذا التنزيه والتنزيه هو تبعيده عن كل عيب ونفي نظير عما يقول الكفار وهو حرف يقدم عند طلبات ترفع النفوس دعوات يرتجى بها وقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل اذللته وفضحته واهنته وما للظالمين اي ما نفع يمنع عنهم العذاب ويرفع والانصار الاعوان اي اعوان يعينونهم في الاخرة وقوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان يحتمل هذا وجهين احدهما حقيقة السمع ان سمعوا مناديا يدعوهم الى الايمان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم او القرآن اذ كلاهما يدعوان الخلق الى الايمان بالله تعالى ويحتمل قوله سمعنا او عقلنا اذ عقل كل احد يدعو الى التوحيد والايمان بالله تعالى وقيل سمعوا دعوة الله تعالى واجابوه وصدقوا وقيل المنادي محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ قوله تعالى لانذركم به ومن بلغ وغيره قال المنادي هو القرآن كانه يدعو كما اخبر تعالى ان آمنوا بربكم فآمنا ثم الآية دلالة على ان الايمان ليس هو جميع الطاعات على ما يقوله بعض الناس لكنه فرد وتصديق لانه لما قال لهم ان آمنوا بربكم لم يطلبوا منه التفسير ولا قالوا كم اشياء تكون ولكن اجابوا اجابة موجز تحت فهم منه التصديق فصدقوه بقلوبهم واظهروا ذلك بالسنتهم فقالوا آمنا ثم فيه دلالة ان لا استثناء في الايمان خلافا للقول لاصحاب الحديث لانهم اطلقوا القول في الاخبار عن ايمانهم من غير ذكر حرف الثنيا وهو قوله ان شاء الله ولا امرهم ايضا مع الثنيا بقوله ان آمنوا بربكم دل ان الايمان مما لا يحتمل الثنيا والله اعلم وقوله تعالى ربنا فاغفر لنا ذنوبنا التي كانت فيما تقدم من عمرنا وكفر عنا سيئاتنا لما قد يلزم العبد التكفير لما اساء بما يجعل له من الكفارة بالفعل ولم يجعل اليه فعل المغفرة لما اساء وقيل المغفرة والتكفير كلاهما سواء لان المغفرة هي الستر وكذلك التكفير ولذلك يسمى الحراثون كفارا لسترهم البذر في الارض ولذلك الكافر يسمى به لستره الحق بالباطل ولستره جميع ما انعم الله عليه من توحيد الشكر لغيره والله اعلم وقوله تعالى وتوفنا مع الابرار يحتمل اي توفنا واجعلنا مع الابرار لان هذا دعاء من في الابرار ويحتمل وتوفنا من الابرار وفي الابرار ويحتمل توفنا على ما عليه الابرار من الايمان والتقوى عن المعاصي ويحتمل وتوفنا ابرارا ثم اختلف في البر قيل هو الذي لا يؤذي احدا وقيل البر الطاعة والتقوى ترك المعصية وقيل الابرار الاخيار وقوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك قيل فيه بوجهين احدهما على الاضمار اي ما وعدتنا على السن رسلك بقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله

فضلا كبيرا ونحو ذلك وقيل ما جعلت على رسلك من الاستغفار للمؤمنين لقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ونحوه ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر الاية في جواز الدعاء وقالوا لو سال الله تعالى بما قد اعطى وما عليه في الحكمة ان يعطي فان عندهم هذا جائز وعندنا لا يجوز وهذا فرع مسئلة الاصلح فان عندهم اعطاء ما كان اصلح لهم كلفهم في الدين واجب على الله من حيث الحكمة فيلزم عليهم دعاء الرسل وسئوالهم العصمة والتوفيق في الامر من الله تعالى الدعاء بالعصمة واسباب مصالح الدين لو كان اعطاء ذلك عليه الاعطاء من حيث الحكمة لكان السئوال لمحالا لان السئوال عما عليه ان يعطي يخرج مخرج الدعاء لابل الامتناع عن الجور والظلم كانه قال ربنا لا تجر ولا تظلم وهذا لا يقال الا لمن يخاف عنه الجور والظلم ونعلم ان ذلك تعالى عنه والسؤال عما قد اعطى محال لانه يخرج مخرج كتمان النعمة ويخرج مخرج سئوال شيء ليس عنده فذلك يخرج مخرج السخرية والهزء لان اعطاء المعطى لا يتحقق فما رضوا بما ورد في القران من حيث الظاهر الدعاء بما قد اعطى وبما عليه ان يعطي من حيث الظاهر كما ورد في هذه الاية ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وما وعد الله تعالى على السن الرسل لابد انه يعطي لا محالة اذ لا يخلف في الميعاد وكما في قوله رب احكم بالحق وهو لا يحكم بالجور بل بالحق ونحوه وهذه المعارضة فاسدة على التحقيق لان ما ذكرنا من الاحالة ثابتة في العقل والشرع لا يرد بالمحال فيجب حمل ما ورد على ظاهر السمع الذي هو محال في العقل على تاويل صحيح تنزيها للادلة الشرعية عن التناقض وتنزيها لله تعالى من نسبة المحال اليه والله الموفق ثم نقول لما قيل الاية عندنا وجوه احدها يحتمل ان يكون الوعد على السن الرسل للمؤمنين هو مغفرتهم باستغفار الرسل لهم ولكن هذا الوعد ليس على الاطلاق بل بقرينة استغفار المؤمنين من الله تعالى والتوبة عن الذنوب كما قال الله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقال ولو انهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ووعد لهم المغفرة باستغفار الرسل اذا كان منهم استغفار وسئوال عن التوبة فيكون الوعد من الله تعالى بالمغفرة للمؤمنين باستغفار الرسل باستغفار وسئوال يوجد من المؤمنين فصار قولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك دعاء وسئوالا منهم التوفيق من الله تعالى لهم بالاستغفار والتوبة عن الذنوب ليتحقق ما وعد الله لهم من المغفرة باستغفار الرسل لوجود شرطه وهو الاستغفار والتوبة من المؤمنين والثاني ان الوعد اعطاء الجنة والنعيم في الاخرة فكذلك ايضا مقرون بشريطة السئوال منهم والعمل كما قال الله تعالى لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا وقال جزاء كثير من الاي جزاء بما كانوا يعملون فكان سئوال الاعطاء ما وعد الله لهم في الجنة والنعيم الدائم على السن الرسل سئوال التوفيق من الله تعالى ولا يمنعهم الا ان الله تعالى ما وعد لكل بتوفيق الطاعة ولا يكلف بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله الموفق ويحتمل ان يكون هذا منهم دعاء وسئوالا ان يتوفاهم على الايمان اذ الوعد وهو وعد المغفرة واعطاء الجنة والنعيم مقرون بالموت على الايمان قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عملها فلهذا يكون تحقيقه ما يعمل قبل ان ترجع المغفرة لمن مات على الايمان فسئلوا ما وعد الامانة على المغفرة في حوض الانسان بل خوف الخاتمة قائم حتى الانبياء فيكون هذا منهم سئوال الثبات على الايمان وهذا سئوال ما لم يعطه الله تعالى لهم والثالث انهم دعوا ليجعلهم الله تعالى من الجملة الذين كان لهم الوعد لان الوعد غير مبين لمن هو ويحتمل ان يكون لشرائط فسالوا ان يجعلهم في تلك الجملة ويوفقهم على اقامة تلك الشرائط وهذا في قبول التوبة فانه موعود من الله تعالى ومع ذلك قلنا ان العبد في المشية ان التوبة ليست تعلم الحد ويجوز ان يكون لقبولها شرائط لا يوقف عليها بطريق القطع ولا يجوز القول بقبول التوبة لها الاستاد والتعيين ولكن بعثا لنا على الجملة الذي حد فيها يقبل وما لا فهو في مشيته بين ان يقبل لهم الاخلال بشرائطها وبين ان يرد فهذا مثله والله اعلم وقوله تعالى فاستجاب لهم ربهم هذا دليل على ان الوعد من الله تعالى لهم كان مقرونا بشرط السئوال لانه فاستجاب لهم ربهم والاستجابة تكون على اثر السئوال لقوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب الاية وقوله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض قيل من الخلق كلهم لكن جعل جزاء اعمال الكفرة في الدنيا كقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون وقيل قوله منكم اشارة الى المؤمنين خاصة في الدنيا والاخرة واما الكفار فانما يعطيهم ابتداء في الدنيا لا بحق الجزاء لان العبادات والقرب لا يتحقق من الكفار ولان العبادات انما يراد لوجه الله تعالى على الخلوص وهذا لا يتحقق من الكفار وقوله نوف اليهم اعمالهم اي نرد عليهم ما عليهم ولا يقبل وهم فيها لا يبخسون اي لا ينقصون نعيم دنياهم وقوله تعالى فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي الاية والذين هاجروا الى الله ورسوله طوعا واخرجوا من ديارهم اي اضطروهم حتى خرجوا من ديارهم فهاجروا واوذوا في سبيلي اي في طاعتي في هذا الكلام والله اعلم خرج مخرج الارتضاء والقبول لاكتسابهم لاعمال الوجه الله تعالى تطييبا لقلوبهم حتى اوذوا

في طاعته وقاتلوا حتى قتلوا ويحتمل هذا كله ان هاجر بعض حتى قتلوا وقاتل بعض ولم يقتلوا وقوله ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار الاية تاويله ظاهر وقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل يحتمل تقلبهم وجوها الاول التنعم من الله تعالى عليهم تركهم يمرون في البلاد مع كفرهم بربهم والثاني اعطاهم اموالا يتنعمون ويتلذذون والثالث ما اخر عنهم العذاب والهلاك الى وقت ولا يغرنك يا محمد ذلك انما هو متاع يسير ومصيرهم الى النار وهو كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم يعني الشرك لهم جنات تجري الى اخره نزلا من عند الله يحتمل ان يكون ما ذكر في بعض القصة ان المؤمنين قالوا ان الكفار في خصب ورخاء ونحن في جهد وشدة فنزل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثوابهم في الدنيا واما ثواب الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار الاية ثم قال لكن الذين اتقوا ربهم ليس هذا على حقيقة الاستثناء بانه لا يغرنك كذا ثم يقول لكن هذا كما قيل ان الحسد الا في اثنين لان الذي ذكرهم في الحقيقة حسد لكن لما كان في الظاهر عرفه كان حسدا فذكره بما عرفوه في الظاهر فكذلك قوله لكن الذين اتقوا ربهم هذا الاستثناء على ما عرفوا كانه قال انظر في هؤلاء الذين عملوا الصالحات واتقوا المعاصي اخر عملهم الجزاء اذا تفكرت في اخر هؤلاء وفي اخر اولئك لا يغرنك حال الكفار لكنهم متاع في الدنيا قال الشيخ ابو منصور رحمه الله ليس الاغترار في نفس التقلب لانه جهد ومشقة ولكن لما فيه من الامن والسعة والقوة دليله قوله متاع قليل ثم قال لكن الذين اتقوا ربهم منهم وسعتهم في الاخرة وهي متاع لا ينقطع وقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم يعني القران وما انزل اليهم يعني التوراة ثم اختلف في نزوله قال بعضهم نزل في شان عبد الله بن سلام واصحابه اقروا بانه واحد لا شريك له وصدقوا رسوله وما انزل اليه الاية وقيل نزلت في شان النجاشي وذلك عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال ناس من المنافقين يصلي على حبشي مات بارض الحبشة فانزل الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية قال الحسن قال لما مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم قالوا يا رسول الله نستغفر لذلك العلج فانزل الله تعالى وان من اهل الكتاب وقيل لما صلى عليه قال المنافقون يصلي على من ليس من اهل دينه فانزل الله تعالى الاية وعن الزهري عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي فكبر عليه اربع تكبيرات وصففنا في المصلى خلفه وكان قد مات بالحبشة قال رحمه الله والنزول على حبشي من نزل بسببه خير لو سعة فلو قيل فضل لانه كان مفتاح الخير ومن نزل بسببه ضيق فعليه فضل لانه كان مفتاح الشر واما الاحكام فانه ينظر الى ما فيه ان كان مما يشترك فيه الخلق نحو اية الظهار واللعان والقذف ونحو ذلك لا يجوز ان يقال انه نزل في شان فلان انما نزل لاجل حادثة وجدت من فلان لا في شانه والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا قيل على اداء الفرائض والعبادات وقيل اصبروا على البلايا والمصائب والشدائد وصابروا في الجهاد مع عدوكم وعدو الله وقيل اصبروا على اوامر الله وفرائضه وصابروا مع النبي عليه السلام في المواطن وعن الحسن انه قال امروا ان يصبروا على دينهم الذي ارتضى الله تعالى لهم وهو الاسلام وهو ان لا يدعوا دينهم لشدة ولا لرخاء ولا ضراء ولا سراء حتى يموتوا ويكونوا يصابروا الكفار حتى يكونوا هم يملوا عن دينهم وامروا ان يرابطوا المشركين وقيل اصبروا على الجهاد وصابروا العدو كم ورابطوا اي داوموا على دينكم واتقوا الله لعلكم تفلحون وقيل رابطوا على عدوكم ما اقاموا واتقوا الله فيما امركم به فلا تعودوا الى ما نهيتكم عنه قال ابو بكر الصبر في نفسه خاصة في طاعة يصبر عليها او معصية يصبر عنها وفي بلوى والمصابرة مع غيره وقد يكون كل واحد على المعنيين لانه لا يخلو عن مصابرة عدو فيما يطيع ربه وهو محاربة الشيطان وقيل ورابطوا كان المرابطة في الغزو الذي لا يكون فيه شوكة والخروج الى المرابطات وانما امرهم بذلك لما علم ان لو لم يخرجوا الى الغزو ومرابطين كان في ذلك تخريب الثغور لان المرابطات تعقد في المرابطين من الاخر كذا وروي ان تمام الرباط اربعين ليلة فلو لاخروجهم الى المرابطات لكان في ذلك تضييع ما ذكرنا وكذلك امروا قال الحسن ورابطوا على دينكم وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن الصلوة الخمس وقوله لعلكم تفلحون اي لكي تنجوا من العذاب والله اعلم تم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم قيل انما كان الخطاب للكفرة ذكر الله تعالى على اثر حجج وحدانيته ودلائل ربوبيته لانهم لم يعرفوا ربهم من نحو ما ذكر يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الاية وكقوله يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا يغرنكم الحيوة الدنيا الاية وكقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ونحو ذلك كثير ذكر الحجج والدلائل التي بها يوصف المعرفة

الصانع وتوحيده لينظروا فيها ويتفكروا فيعرفوا بها اذا لفهم والفهم وفي كل ما كان الخطاب للمؤمنين لم يذكر
حجج الوحدانية ولا دلائل الربوبية لانهم قد عرفوا ربهم قبل الخطاب ولكن ذكر على اثر نعمه التي انعمها عليهم وثوابه
الذي وعد لهم نحو قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم الى اخر ما ذكر من نعمه التي انعمها عليهم وكقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته الى اخر ما ذكر على هذا اخرج الخطاب في الايات في الاغلب والله اعلم وقوله تعالى اتقوا
ربكم قيل اتقوا عذابه ونقمته وقيل اتقوا عصيانه في امره ونهيه وقيل اتقوا اي اطيعوا وقيل اتقوا الله بحقه
في امره ونهيه وقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة • اضاف خلقها الى ادم وانه لم يكن من نفس
بل كل من نطفة حصلت ممن اتصل به من اولاده لانه هو الاصل فدلت اضافة الله خلقها من ادم وانه لم يكن انفسنا
مستخرجه منه على امرين احدهما لجواز اضافة الشي الى الاصل الذي يرجع اليه وان يعد ذلك من الراجع اليه اما على التوالد
والتعاقب والتسلسل والثاني ان الله اضاف خلقها من ادم ولو كان فيه كما قال البعض للتجربة ان صورة الانسان
في النطفة وكذا صور كل شي في عناصرها الاصناف لخرجا منه فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي اخرجكم من نفس
واحدة ولما قال خلقكم فيكون لانه حجة عليهم مما يستحيل ان يكون معنى الادمي يوجد في التراب او في النطفة اذ هما
من الموات الخارج من احتمال الدرك والنطق والحياة ونحن احياء دراكون والله الموفق وقوله تعالى وخلق منها
زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء • اي فرق وبث واظهر منهما اولادا كثيرة ذكورا واناثا وقوله تعالى
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام • قوله تساءلون به اي يسأل بعضكم من بعض الحوائج والحقوق يقول
اسألك بوجه الله وبحق الله وبالله ويسأل بعضكم من بعض بالرحم يقول اسألك بالرحم والقرابة ان تعطيني كذا
وقرئ بالنصب والخفض من قرا بالنصب والارحام معناه اتقوا الله الذي تساءلون به فلا تعصوه واتقوا
الارحام فلا تقطعوها ويحتمل اتقوا الله وصلوا الارحام وقد روي في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اتقوا الله وصلوا الارحام فانه ابقى لكم في الدنيا وخير لكم في الاخرة ومن قرا بالخفض يحتمل صلة الارحام اي تساءلون
بعضكم من بعض بالله وبالرحم على ما ذكرنا ويحتمل اضمار حرف المعطوف عليه فتقول حرف كما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الله في الارحام وصلوها والاية في الظاهر خرجت على العظة
والتنبيه وكذلك قوله ان الله كان عليكم رقيبا • هو على التنبيه والايقاظ وقوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم
يحتمل هذا وجهين احدهما احفظوا اموالهم الى ان يخرجوا من اليتم فاذا خرجوا من اليتم فاعطوهم اموالهم ويحتمل
قوله واتوا اليتامى اموالهم اي انفقوا عليهم من اموالهم وسعوا عليهم النفقة ولا تضيقوا لتنظروا الى اموال
غيرهم والله اعلم وقوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب • قيل لا تاخذوا الجياد من مال اليتيم وتعطي الردي من مال
نفسه فذلك تبديل الخبيث بالطيب وقيل اي ولا تاكلوا الخبيث وهو اموال اليتامى وتذروا الطيب وهو اموالكم
اشفاقا على اموالكم ان تفنى وقيل لا تاكلوا الحرام مكان الحلال لان ما تاكلونه من مال اليتيم حرام وكل ما له حلال فلا تتبدلوا
الخبيث بالطيب قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ولا تاخذوا مال اليتيم وهو خبيث ليوخذ منكم الذي لكم وهو
طيب ويحتمل لا تاكلوا ذلك اتقاء لاموالكم لانه طيب بالكم بما جعله لكم خبيثا ويحتمل لا تاكلوا اموالهم في الدنيا
فيكون هي نارا تاكلونها كقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
وتتركون لهم الموعود لكم في الاخرة بسبب اتقاء الخبائث والمحرم ما هو لا تستحلال فهو ترك الشي ببدله وقوله
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم • يحتمل وجهين احدهما اي مع اموالكم اي لا تخلطوا اموال اليتامى مع اموالكم
وتجمعوها اليها فتاكلوها ففيه نهي عن الجمع والخلطة والثاني يحتمل ولا تاكلوا اموالهم باموالكم ففيه النهي عن اكل
اموال اليتامى باموال انفسهم جميعا كقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله تعالى انه كان حوبا
كبيرا • قيل جورا وقيل اثما كبيرا وقيل ذنبا كبيرا وقيل خطا كبيرا وهو واحد وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع •
ظاهر الاية مشكل فان فيه امرا بالنكاح اذا خافوا الجور في اموال اليتامى ومن خاف على نفسه الجور في اموال
اليتامى لماذا يتزوج وجوابها ان اهل التاويل اختلفوا في تاويله قيل انهم كانوا يتحرجون من اموال اليتامى ويتحرجون
منها لكثرة ما لحقهم فيها من الوعيد ولكنهم كانوا يرغبون الى الزنا وما يتحرجون عن ذلك فقيل لهم ان خفتم وتحرجتم
من اموال اليتامى فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
نزلت في يتامى من يتامى النساء تكون عند الرجل فتكون اليتيمة الشهوات عند الرجل وهي ذات مال فلا ينكحها
لسوء هيئتها ولا ينكحها اضرارا بما لها ليموت فيرثها وان نكحها امسكها على غير عدل منه في اداء حقها اليها ولا يدعها
سواه يطالبه بحقها فانزل الله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى في عدد وهن ولا تنكحوهن فانكحوا ما طاب لكم

من النسا

من النساء الاية وروي عنها ايضا انها سئلت عن هذه الاية فقالت نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب
في جمالها وما لها ويريد ان ينقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من
سواهن من النساء قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله بعد ذلك فانزل الله تعالى ويستفتونك
في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فانزل الله تعالى في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات مال وجمال رغبوا فيها
وفي نكاحها ونسبها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها واخذوا غيرها
من النساء قالت فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها
حقها الاوفى من الصداق وقيل لما انزل الله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تذكر المؤمنون
مخالطة اليتامى وتنزهوا عنها فشق ذلك عليهم فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخالطتهم وكان
وكان يكون عند الرجل عددا من النساء ثم لا يعدل بينهن فانزل الله تعالى وان خفتم الجور في مخالطة اليتامى فكذلك
خافوا في النساء وترك التسوية بينهن في النفقة والجماع والله اعلم ثم من الناس من يستحل التسع بقوله مثنى
وثلاث ورباع فذلك تسعة ولكن هذا فاسد لا يحتمل ذلك لان المثنى ليس بعبارة عن الاثنين وكذلك
الثلاث ليس بعبارة عن الثلاث وكذا الرباع ليس بعبارة عن الاربع حتى يقال ان هذه الاعداد يكون
تسعة بل ادنى ما يراد بالمثنى مرتان من هذا العدد وكذلك ادنى ما يراد بالثلاث ثلاث مرات من هذا العدد
وكذلك المراد من الرباع وذلك ازيد من التسعة بكثير فثبت ان ظاهر اللفظ غير مراد لما قال لكن المراد منه
مثنى او ثلاث او رباع ويجوز ان يذكر حرف الواو ويراد به حرف او على طريق الاستعارة ودليل الحمل على هذا سياق
الاية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة استثنى الواحدة عند خوف الجور في القسم ومراعاة الحقوق في النكاح
ولو كان هذا استثناء من التسع لكان لا معنى لاستثناء الواحدة فيقال فان خفتم الا تعدلوا من التسع فواحدة
ولكن يقال فان خفتم ان لا تعدلوا بين التسع فثمان او سبع او ست فلما لم يستثن الا الواحدة دل ان المراد ما قلنا
اي فان خفتم ان لا تعدلوا بين المثنى والثلاث والاربع فواحدة والله اعلم ويدل على ذلك ما روي ان غيلان اسلم
وتحته ثمان نسوة فاسلمن معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا ويفارق البواقي فكان
في الخبر بيان منتهى ما يحل من العدد وهو الاربع دون غيره وجعل الخيار اليه في ان يختار الاربع استيفاء على النكاح الاول
او على استقبال النكاح فدل على انه ذكر في القصة انه كان عند الرجل عدد من النساء عشر او اكثر او اقل فخرج ذلك
على بيان منتهى ما يحل من العدد كونه الى اربعة والله اعلم بقوله ما ذكرنا قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم ولو كان يباح له الزيادة على الاربع ما امر ان ينتقل الى الاماء معنى قال الشيخ رحمه الله في قوله
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يحتمل وجوها احدها انه اذا خفتم الجور في كفالة اليتامى فلا تقبلوها
تخافوا في كفالة النساء ولا يكثرن عليكم فان خفتم في اموال اليتامى فتحرجتم بتناول اموالهم اسرافا
على انفسكم ان تاكلوا اسرافا في اموال النساء من تزوجتم فخفتم فانكحوهن والثالث ان خفتم الجور
في يتامى النساء ان تزوجتموهن من حيث ليس لهن من يمنعكم عن الظلم عليهن فانكحوا من غيرهن ممن لهن قصد لمنع
عليهن منعكم اولياؤهن من ذلك والله اعلم ثم معلوم ان القصر على هذا الحد في عدد النساء لخوف الجور فخافه زيادة
على ذلك اذ علم الله من طبع البشر على ما جبل فاخبر انه لا يقوم بوفاء الحق في اكثر مما ذكر وقوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا
فواحدة او ما ملكت ايمانكم • هذا ليس على الحتم والحكم لكنه على الارشاد والادب لانه وان خاف ذلك
فتزوج الاربع جاز وهو مثل النهي عن الاضرار في المراجعة والامر بالقصد والعدل فيها بقوله ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا وان فعل ذلك اثم ورجعته صحيحة وكذلك النهي عن الطلاق في غير الطهر والامر بالطلاق فيه
بقوله فطلقوهن لعدتهن ثم اذا طلق في غير العدة يقع وكذلك الاول ثم معناه فان خفتم الا تعدلوا في القسم
والجماع والنفقة فيما ذكر من مثنى وثلاث ورباع فواحدة وقوله او ما ملكت ايمانكم اي ان خفتم ان لا
تعدلوا في واحدة فما ملكت ايمانكم لانه ليس للاماء من قبل المولى حق الجماع وكانه قال هذا او هذا او هذا اي من ادنى
على الواحدة الى الاربع عند العدل على المعادلة وعند خوف الجور يقتصر على الواحدة من الحرائر وعند خوف الجور
في نكاح الواحدة من شرى الجواري والتسري بقوله او ما ملكت ايمانكم ذكر مطلقا عن العدد لانه لا قسم فيه
لاكثرهن اذ ليس بخوف الجور لما ليس لهن حق الجماع على المولى والله
ذلك ادنى الا تعولوا • قال بعض اهل التاويل بقوله ان لا تعولوا من كثرة العيال وهو قول الشافعي لكن هذا
لا يستقيم في اللغة لانه لا يقال في كثرة العيال عال يعول وانما يقال اعال يعيل وفي الجور يقال عال يعول
ولا ذكر كثرة العيال لعدد من الكرم اذا احسن اليهم فلا يحتمل ان يرد النهي عما هو من باب الكرم والاحسان
وما هو محمود عند العقلاء فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابدا بنفسك ثم بمن تعول

والمراد منها العيال قيل معناه ابدا بنفسك ثم بمن تعول فيصير جائرا بترك النفقة عليه اي بمن يلزمك نفقته
فيكون هذا من عال اي جار والثاني يقال عال يعول عولا اذا انفق على عياله فيكون المراد ابدا بالانفاق
على من عليه نفقته شرعا وليس هذا من كثرة العيال لان العيال لمن يجب عليه نفقة عياله كما عليه نفقة نفسه ولان
البيان بنفقة نفسه ويدل عليه انه قال ذلك ادنى الا تعولوا ولو كان من العيال لكان المتزوج واحدة
فان يعول الله ذلك ادنى ان لا تعولوا والمتزوج واحدة يعولها الا ان هذا التاويل فاسد وقيل ان لا تعولوا اي
لا تجوروا ولا تميلوا وهو الاصح فان العول هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له ولذلك سمي الحساب اذا زاد
على اصله عولا لمجاوزته الحد فعلى ذلك العول ههنا هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وهو الجور وكذا روي
عن عائشة رضي الله عنها قالت ان لا تعولوا اي لا تميلوا وعن ابن عباس مثله قال الشيخ رحمه الله في قوله فان خفتم
ان لا تعدلوا فواحدة ليس ذلك على شرط الجواز لمتفق القول على ذلك فيكون شرط الادب في المذهب وذلك
كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وذلك شرط الندب لا شرط الجواز فكذلك الاول لانه الاوجه لمعرفة
هذا الخوف الذي يجعل شرط الجواز فيما لا يوقف على مقداره وحده لا يمكن تعليق الحكم به وما من احد من حسن
عدل الا ويخاف فساد او جور لو اعتبر ذلك لوجب القول بالامتناع عن كل حسن عند الخوف اذ الوجود بل جميع
امور الدين على الخوف والرجاء ولان هذا يوجب حل النساء لمن يحل له النكاح والتزوج منه وكم من حرم
عليهن تزويج النفس منه اذ لا تعرف من يجوز عليهن ومن يعدل من الرجال لم يزوجن انفسهن منهم ومن
حرم عليه حرم عليها فيكون هذا شرط الحل فحقهن لا طريق لهن الى الوصول الى ذلك الشرط ومثله لا يرد
به الشرع ولان الجور يتحقق في الامة في القسم والنفقة والجماع عن الزوج مع بقاء النكاح فضلا عن الخوف ولو كان
العدل شرط الجواز لما تحقق البقاء مع الجور والله اعلم ومعناه في قوله فلن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولا
ظاهر على ما ذكرنا وكذلك قوله وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا وقال وان خفتم شقاق بينهما
وقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله اخبر عن تحقق الجور مع قيام النكاح دل ان هذا شرط الندب لا شرط
الجواز والله الموفق واحتج بعضهم بقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ان الاية بعمومها
يتناول الحر والعبد فينبغي ان يحل للعبد ان يتزوج من النساء مثل ما يحل للحر قيل في الاية دليل على ان الخطاب
للاحرار فانه قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء فهذا الخطاب انما يتناول من يملك النكاح بنفسه والعبد
انما يكون له النكاح بغيره لقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم فكان الخطاب بنكاح
العبد لمواليهم وليس للعبد ان ينكح المراة الا باذن مولاه ومولاه يزوج اذا شاء بغير امره وكان الخطاب
لمولاه ان يتزوج اذا شاء والعبد من ذلك خارج ولانه قال في سياق الاية فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم والعبد لا يملك ملك يمين دل ان الخطاب راجع الى الاحرار على ان ظاهر الاية ان كان عاما لكن العبد
خصوا عن الاية باجماع الصحابة رضي الله عنهم روي عن عبد الله بن عتبة قال قال عمر بن الخطاب ينكح العبد
اثنتين ويطلق اثنتين وتعتد الامة حيضتين فان لم تحض فشهر ونصف وعن عمر رضي الله عنه انه قال ايكم
ما يحل للعبد من النساء قال اثنتان قال عمر ذلك اري وعن علي رضي الله عنه انه قال لا يحل للعبد ان ينكح
فوق اثنتين وعن عبد الرحمن بن عوف انه قال يتزوج العبد اثنتين وعن الحكم قال اجتمع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على ان العبد لا يجمع من النساء فوق اثنتين وعن الفضل بن عباس وزيد بن
ثابت الانصاري مثل ذلك فان قيل فقد جعلتم للعبد ان يطلق الحرة ثلاثا فجعلتم له من الطلاق مثل الذي
جعلتم للحر فيجب ان تجعلوا له ان يتزوج النساء الذي يجوز للحر قيل له الفرق بينهما ان الطلاق معتبر بالنساء
عندنا فالحر اذا طلق امراته الامة تطليقتين يحرم عليه واذا كانت تحته حرة لا يحرم الا بالثلاث فيكون
طلاق الامة على النصف من طلاق الحرة كما ان عدة الامة على النصف من عدة الحرة ثم الحر يكون له من الطلاق
فيما يملك من النساء وهن الاربع اثنتا عشرة تطليقة فيجب ان يكون للعبد في المراتين الحرتين نصف ذلك وهو ست
تطليقات وفي الدليل على ان الطلاق بالنساء ان الله تعالى جعل للمولي اربعة اشهر واجمعوا ان اجل الايلاء
بالنساء في الحرة اربعة اشهر وفي الامة شهران فيما ان كان الله تعالى جعله حقا للزوج فعلى ذلك يجب ان يكون
الطلاق بالنساء وان كان الله جعله حقا للزوج وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق
الامة تطليقتين وعدة الامة حيضتين ويحتج لهم ايضا ان الله تعالى جعل حد الامة على النصف من حد الحرة بقوله فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب واجمعوا على ان صفة الامة في الشدة
صفة حد الحرة فلما نقصت الامة من عدد حد الحرة ولم تنقص في شدة الضرب من ضرب الحرة جاز ان ينقص العبد

من عدد

من عددها بتزويجه الحرة وان كان لا ينقص في عدد طلاقه من طلاق الحرة والله اعلم وقوله تعالى وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال النحلة المهر فان قيل يصير تقدير الاية وآتوا النساء
صدقاتهن مهرا وهذا لا معنى له قيل ان النحلة مصدر في الاصل وانحلتها اسم فيقام مقام المصدر وكذا
وكذا المهر مصدر مهرتها كانه قال امهروا واصدقوهن امهارا وقيل النحلة الفريضة وهي يحتمل معنيين احدهما اي
وآتوهن صدقاتهن مقدرة والفرض عبارة عن التقدير والثاني ان اثبات المهر في النكاح فرض لا ينعقد العقد
بدونه فهو حجة على الشافعي وقيل نحلة اي عطية وهي من النحل فيكون حجة الشافعي لكنا نقول ان كونه صلة
وعطية عبارة عن ان لا يقابله عوض اصلي وذلك لا يمنع الوجوب وقيل نحلة من النحلة التي عبارة عن الدين
يقال فلان ينتحل كذا اي يدين به كان معناه ان من الدين ان تؤتوا النساء صدقاتهن ليس على ما كانوا يعملون
في الجاهلية يتزوجون النساء بغير مهر والله اعلم ويحتمل وجها آخر ما قيل ان الآباء والاولياء كانوا في الجاهلية
ياخذون مهور نسائهم فامرهم الله ان لا تاخذوا ذلك وتؤتيها النساء الا ان يهبن المهور للاولياء بعد ذلك
قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقيل وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بطيبة
انفسكم يقول لا تعطوهن مهورهن وانتم كارهون ولكن آتوهن وانفسكم به طيبة اذ كانت المهور لهن
دونكم وقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا اي طابت به انفسهن من غير كره فهو حلال لكم عن علقمة
رحمه الله قال لامراته اطعميني من الهنيء المريء اراد من المهر وعن علي رضي الله عنه انه قال اذا اشتكى احدكم شيئا
فليسال المراة ثلاثة دراهم من صداقها ثم يشتري به عسلا ثم يشربه بماء السماء فيجمع الله الهنيء المريء والشفاء
والماء المبارك وقيل الهنيء الذي يلذ عند تناوله ويسر والمريء الذي يحمد عاقبته في الحكمة
في ذكر الهنيء والمريء ههنا وجهان احدهما ما ذكر في الايات بالوعيد باخذ المهر من المراة بقوله فلا تاخذوا منه
شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض فخرج على الهنيء والمريء لئلا
يمتنع الازواج عن قبول هبة المهر من الوعيد الذي ذكر والثاني ان الامتناع عن قبول ما بذلت للزوج يحمل على
المكروه ويورث الضغائن وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما وفي الاية دلالة جواز هبة المراة من زوجها
[illegible] لو هبة المراة من زوجها المهر وغيره حتى تلد او تبقى في بيته سنة لان الاية
مطلقة ليس فيها فصل بين حال وحال وفي الاية دلالة على ان المهر خالص حقها حيث اضاف الاحلال والهبة
اليهن بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وفي الاية دليل على ان هبة الدين ممن عليه
منها الهبة كما جازت هبة المراة مهرها وهو دين على زوجها قال الشيخ رحمه الله في قوله فكلوه هنيئا مريئا ان النفقة
وان كانت على الزوج فهي اذا قبلت بها في نفسها لا يخرج من ان نفقتها على نفسها من مالها لينا اعظم من نفقة
الرجل عليها من مالها اذا طابت نفسها بذلك انما وصف بالهنيء والمريء لانه ربما يستثقل طبع الزوج عن مالها
كراهة الامتنان وما كان عليه كفايتها وهي تكون عيالها فكيف نصير هو عيالا عليها او بما جرى من الوعيد
الشديد في منع مهرها او ما قد تحتشم المراة فتبذله ولم يكن ذلك عن حقيقة الرضا او بما توهم الطمع في مالها
والرغبة في ذلك لا في عين النكاح فاذا احتمل هذه الوجوه طيب الله المهر وجميع ما تبذل المراة الزوج عن رضا القلب
وطيب النفس بما يتهما يحتمل المال من الطيب وفيه بيان جواز معروفها وترغيب في حسن المعاشرة بينهما حتى
بقي حسن المعاشرة بعد التفرق بقوله الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وذلك سبب ما يورث المحبة
والمودة او بينهما اذ جعلها الله تعالى بينهما بقوله ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة والله اعلم وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما
اختلف فيه قيل السفهاء اهل الجهال نهى عن ان يدفع اموالهم اليهم لما فيها من حقوق الله وهم يضيعونها ولا تؤدونها
وقيل السفيه هو الذي يحمل عمل الجاهل على علم منه بذلك وجهله وقيل اراد بالسفهاء اليتامى نهى ان تؤتوا
اموالهم اذا كانوا سفهاء وانما اضاف اموال اليتامى الى الاولياء لكونهم تحت ايديهم وتصرفهم فهو كقوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اراد من كان في البيوت من المتصلين بهم وجعلهم من انفسهم وكقوله ولا تقتلوا
انفسكم المراد هو اصحابكم فهذا مثله وقال آخرون اراد النساء والاولاد الصغار نهى ان يعطوا نساءهم
واولادهم اموال انفسهم فانهم جهال بموضع الحق ولا يدري الصبي ما عليه من الحق في ماله وقيل لا تنفقوا
على نسائكم واولادكم وتبذروها منهم وتقعدوا فقراء بلا مال تشكون عيالا الى اهليكم بعد ما كانوا هم عيالا
عليكم وهو قول ابن عباس جعل المراة من اسفه السفهاء وروي عن الحسن انه قال المراد من السفهاء الكفار وقيل
ولا تؤتوا السفهاء اي لا تؤتوهم اموالكم فيكونوا قياما عليكم وارباباو لكن كونوا انتم اربابا باموالكم عليهم
وقوله التي جعل الله لكم قياما عن ابن عباس رضي الله عنهما قياما ما يقيم امركم ومعيشتكم وهو هكذا في حرف

هذه الاموال اغذيه الخلق بها يقوم دينهم وابدانهم وقوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم معناه لا تؤتوهم
ولكن ارزقوهم اياهم واكسوهم وقيل انفقوا عليهم منها واطعموهم وقوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا قيل
عدة حسنة جميلة سافعل كذا واكسوا كذا وقيل عرفوهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل علموهم الادب والدين
وقيل قولوا لهم كلام البر واللين واللطف قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ان السفيه
في الحقيقة من يعمل عمل الجهال كان جاهلا في الحقيقة او لا فقد يلقب العالم بالسفيه اذا ضيع الحدود وتعاطى الافعال
الذميمة وعلى ذلك علماء اهل الكتاب سموا سفهاء علماء اهل الكتاب ثم قد يسمى الجهال سفهاء لان الجهل هو السبب الباعث
على فعل السفه فقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم يحتمل ذلك الوجهين واي الامرين كان ففيه التحذير لا بنين
من معنى من قوله التي جعل الله لكم قياما فاما ان كانت قياما للمعاش او المعاد او لهما وطريقا للانفاق في الوجهين
والامساك لهما التدبير ومراعاة للشرع وتعاهد الاسباب والوجها نجمعها الوفاء جعلت له الاموال لتحذر
من ان تم بها شيء يضيع ذلك بالتسليم الى من ذكر فيما يكون في ذلك اتباع من تستحق ان تكون متبوعا لمن حقه ان يحمل
تابعا وذلك خارج عن حد الحكمة وما يحمده العقل وما قد صرفت الاية الى النساء بما جعل الله الكسب وهو
الذي انشاهن تحت ايدي الرجال في الامور ثم وصف الرجال بانهم قوامون على النساء قال الرجال
قوامون على النساء وصرفت الاية ايضا الى الصغار بما جعل الله تعالى حفظ اموال مثلهم الى الكبار وجعلهم يكفون لهن
عند البالغين باموال الابالغين احق ان يكونوا في ايديهم دون الصغار مع ما ذكرنا من تفسير السفه والله اعلم ثم ان
المقصود بالذكر من السفهاء من الصغار والنساء فيحتمل ايضا لما ذكر في سياق الاية وهو قوله وارزقوهم فيها واكسوهم
وانما يجب ذلك الصغار ويكون على الاولياء اما رزق الجهال او السفهاء في الافعال لا يجب عليهم فيكون المراد
بالصبيان والنسوة وان كان المراد من الاية ما ذكرنا من السفهاء فالمراد من قوله وارزقوهم فيها واكسوهم ان السفه متى كان
غالبا كان الاولياء ان ينفقوا عليهم ويمنع اموالهم عنهم والله اعلم وما ذكر عن الحسن انه صرف الاية الى الكفار وحكاه تأول
في القيام بامر الدين على الكفار مما لا يجوز الاستعانة بهم في امور الدين وانما يحصل المال عند القيم لاقامة
ما يتعلق بالمال من امر الدين والدنيا مما ذكره العلماء من كل المسلم الكافر في العقود دون تسليطه على ذلك بجهله باحكام
الشرع والحقوق الواجبة فيه في الاموال ولهذا لا يدفع الاموال اليهم والله اعلم وقوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح • قال بعضهم حرف حتى صلة لا معنى له وتأويل الاية وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح وهو قول الشافعي وانه
يرى الابتلاء بعد البلوغ ولا يرى قبل البلوغ فاذا لو كان لا يجوز ان يدفع اليه شيئا من المال ويأذن له في التصرف ليتعلم
ويجربه انه رشيد يهتدي في التجارات او لا ويحتمل ان يكون المراد بالابتلاء قبل البلوغ من وجهين احدهما ان يبتلي
لا ليعلم قبل بلوغهم بانواع العبادات والحقوق الواجبة فيها في الاموال الزكوة على اصل الشافعي والعشر وصدقة
الفطر والخراج ونفقة المحارم وكذا بالاداب من اتخاذ الضيافة اليسيرة والصدقة اليسيرة على الفقراء فيؤمر
بذلك ويدفع تلك الوظايف اليهم ليصرفوها بانفسهم الى الفقراء ويباشروا ذلك ليعتادوا ذلك ويتأدبوا
فيعرفوا حقوق الاموال ويعتدها اذا بلغوا ويسهل عليهم ذلك بالاعتياد والممارسة لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ
لم يعرفوا ما عليهم من الحقوق الواجبة في المال وقت البلوغ وكان ذلك تضييع حقوق الله تعالى فامر الاولياء والا
بابتلائهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا عارفين ما عليهم من العبادات والحقوق حافظين لها الا ترى الى ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مروا صبيانكم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا
وامر النبي عليه السلام بالتفريق في المضاجع للاخوة والاخوات ما كان ذلك الا ليعتادوا ويتأدبوا بالادب
قبل البلوغ لما عليهم وهذا قائم بالولي اذا الرعوة ... ان لا تشتد عليهم القيام بالعبادة ان ... لهم
الحقوق وفعل ذلك الان لا انا ان نبتلي بعض حرمي من اموالهم ويدفع اليهم فيتجرون فيما ... فيها النظر
هل يقتدون على حفظ اموالهم عند حدوث الحدوث والتوسعة على هذا الوجه يكون الاية يحتمل ان يكون على جواز اذن
للصغير بالتجارة لانه لا يظهر ذلك الا بالتجارة وان كان المراد بالابتلاء بعد البلوغ فيكون اذن بعضهما يحتمل الوجهين
فيها اي تعلموا اذا ... لا يضيعوا الاموال ولا يصرفوا ... صنعة العقل اذا العلم وانما يكون ...
على العقل فيحتمل الابتلاء العقل والعلم جميعا ... حتى صلة وحشو كلام فائدة لانه لا يجوز ان يحمل
الرشد حشو واصلة ... في شيء ذلك ... على تعطيل الكتاب باحكامه وان ... تعالى
مثله وقوله تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم • قال بعضهم هو ان يصير من اهل الشهادة
فيدفع اليه المال ولكن هذا لا يصح لانه على هذا يجب ان تنزع الاموال من ايدي الفساق لانه لا يقبل شهادتهم
وقوله ان اليتيم من اهل الكفر لا يدفع اليه المال لانه يونس منه الرشد فلو كان شرط الرشد ... اهل الشهادة
لكان الكافر لا يدفع اليه المال لانه لا تقبل شهادة الكافر على احد ... ذلك لا رشد ليس بذلك ... رشد

ما قبل المعرفة بحفظ المال واصلاحه وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فان انستم منهم رشدا قال اذا
ادرك بحلم وعقل ووقار وهو يقول ايضا ان الله سبحانه وتعالى يقول الخبير والبتامى من عند الحكم فان رايتم
منهم رشدا في حالهم والاصلاح لاموالهم فادفعوا اليهم اموالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه فان
احسستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف حفصة رضي الله عنها وابتلوا اليتامى في اموالهم حتى
اذا بلغوا النكاح فقد ذكرهم لا يخلو منع الاموال منهم من اوجه ثلاثة اما ان تمنع لفرط البذل والانفاق جودا
وسخاوة وحسن الظن بالله تعالى انه يرزقهم ويعطيهم خلف نفقتهم ولا يحتمل ان تمنع لهذا لان هذا من خلاف
الانبياء وسيرتهم فلا يحتمل النهي عن ذلك او يمنع لغلبة شهوتهم وقضاء وطرهم وحاجاتهم ينفقون الاموال
ليصلوا الى ذلك فان منعوا من اموالهم لذلك يتناولون من اموال غيرهم ويتعاطون ما لا يحل ولا يحسن فلا يحتمل
ان يمنعوا لذلك ايضا ويمنع عنهم الاموال لافة في عقلهم ونقص في لبهم فان كان لهذا ما منع اموالهم يجب ان
يمنع ابدا لان ذلك بعلامة الابد الا ان تقلع عن ذلك النقص وتزول الافة والله اعلم وبهذا الوجه يمنع
عنهما لحتى يونس منه الرشد ثم انما جعل البلوغ والادراك بالاحتلام لوجوه احدهما ان البلوغ والادراك
عبارة عن بلوغ المرء كمال الحال وذلك بكمال القدرة والقوة والعدة من حيث الاسباب والالات وهو مكان
استعمال الجوارح السليمة وارتفاع الموانع عن ذلك وذلك لا يتحقق الا عند الاحتلام على الكمال فان قبل الادراك
امكان استعمال سائر الجوارح باسرها دون امكان استعمال هذه الالة فيما وضع له وهو قضاء الشهوة على كمال
بالانزال فلذلك جعل الاحتلام الذي هو سبب بذل المال في الاغلب في حق الصبيان علما على البلوغ والثاني ان المرء متى صار بحال ينطلق عليه اسم الاب بحصول الاولاد له لا بد ان يخرج من جنس الاولاد فانه متى
اب فلان ولا يسمى ولد فلان هنا هو المتعارف وذلك يكون بعد الاحتلام الذي يصير عنده من اهل العلوق
او يشبه الولد المولد للتصادق والملكة علما على البلوغ والثالث ان الله تعالى امر باستئذان الولد بقوله فالان
باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم امر باستئذان الولد ولذلك يكون مستغلا ولا يتوجه التكليف الا على
كامل الحال وهو عبارة عن البلوغ ولا شك ان التكليف بذلك يتبعه الا في الوقت الذي لو اشتغل بالولد لوجد الولد
عليه والا يكون تكليف ما ليس له في الوسع وذلك ليس الا في حال خروج
الماء الشهوة لو يكون كذلك في حق الصبيان باحتلام بالمتعارف يحصل علمه والله اعلم والرابع ان النطق
بالنكاح والرابع وهو ان النطق فعل من جنس الحظ اعني المكة والتحرك فشيطانية الانس المختص
الادمي وكل مكلف ممتحن بالعقل الذي هو من خاصية المكلف وشرط التكليف فكان النطق قبل توجه الخطاب
بمنزلة الصياح كما في غير اهل الخطاب من جنسهم ولان اللسان اختص من بين سائر الجوارح بتحصيل الاعمال لاجل
من العبادة ثم اللسان يحتمل نطقه وتحمله في الكلام من دون اي صاحبه كما اختص الذي يصلي في اول لا بنقل
الاعمال دونه من اي صاحبه ما سائر الجوارح مما يتصور اعمالها صاحبه وهذا يعني حد التكليم من اهتمام العاقل
والعتبر به على اعتبار معقولة وكان كالحال الذي لا يمكن ان يصير حجة بمتكلم التكون كلامه ذلك العبد لا اذا بلغ
المرء بالبلوغ ما ادى على نفسه بالاجماع وقبل البلوغ لا ينعقد فكان انعقاد الاقرار بسبب جهات العلم علمه ضمن
العاقل اذا احتلم واخبر بالاحتلام ولا يعرف ذلك الا من جهته لا بد من قبول قوله لما يتعلق به من الاحكام
فانه يحتاج الى كمال الحقوق التي لا تعلم بالاختيار اعتقادا بما يتعلق بقبول ان اقيس بالحقوق التي تتعلق بالبلوغ
من الزكوة ونحوها لا يخرج عن عهدة الامر الا بان يعمل به وقال الشافعي على قول من يرى الابتلاء بعد الادراك لان
لو لم تقبل قوله فيه لتبطل به فلذا وجب قبول قوله لوجب القول بكل حكم تعلق بالعقل فصار الاحتلام علما على البلوغ لما
لا يثبت الاحتلام الا بخبر يكون قوله معتبرا ولا اعتبار القول الا بكمال الحال فهو تفسير البلوغ والله اعلم
وذلك ما ذكر ان لا يمتنع القضاء عن سلطان غير صاحبه عليه وتحرفه عن استعماله دون اختيار صاحبه على الزعم
كل حق تعلق بنفس الكلام مع الاكراه ان الاكراه مما يجري عليه كالطلاق والعتاق واليمين والنذر ونحوها لان
الكلام كما كان لا يتصور فيه الحبر من تعبد وقد صدر عن العاقل البالغ المخاطب فلا وجه للاهدار والالغاء
شيء مقصود على المتكلم بخلاف يتمكن من البيع والهبة والصلح ونحو ذلك الغاء اللسان فيها النسي لا اصل
هو ذاك او سبب على اثبات الملك فذلك لا يعتمد التسليم بل قطع البيع للتسليم لصاحبه ولهذا يصح البيع والهبة
بطريق التعاطي والاكراه مما يختص في ذلك فلا يجوز ان يكون المكره الة المكره على الملك بدون رضاه
الاكراه وعلى الاقرار ومكلفها لان البيع ثم ليس ما صل انفا انما هو اخبار عن المخبر به ودليل على وجود فاذا كان المخبر
موجودا كان الاخبار صحيحا وما لم يمنعنا الكلام مع الاكراه لا يكون دليل وجود المخبر به فلم يحكم بصحته لعدم
دلالته بخلاف ما لم يعني فيه فانه انشاء التصرف ولهذا قلنا ان من اكره على الردة فاتى بهو قلبه مطمئن بالايمان فانه

لا يكفر لان الاصل في الايمان هو القلب والاكراه مما لا يعمل على القلب ولا يتصور في مكره اعمال القلب لكن
في تحصيل الايمان واللسان دلالة على عمل القلب وانما يكون دليلا عليه في حال الطوع لا في حال الاكراه
واذا اكره على الاسلام فاسلم ان كان مصدقا على الحقيقة يكون مؤمنا حقيقة والا فهو مؤمن
في حق احكام الدنيا بمنزلة ايمان المنافقين وعلى هذا قلنا اذا اكره على الزنا ففعل انه يجب على المكره وبمثله
لو اكره على اتلاف مال الغير فاتلفه يجب على المكره وقيل لو اكره على اتلاف مال الغير فاتلفه يجب الضمان على المكره
لان استعمال آلة الوطء بدون اختيار الواطئ لا يتحقق فيقتصر عليه بخلاف المال لانه يتصور بتسليط المكره
فيجعل متلفا ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله اولا انه يجب الحد على المكره لاقتضاء فعل الزنا عليه ثم رجع
وقال لا يجب الحد لان الاستعمال فيه يتحقق ولكن لان الاكراه عنده لا يتحقق الا من السلطان فصار السلطان
جعل كالعلم على السبب الذي يحل فيه فثبت الشبهة والله اعلم وقوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا
قيل الاسراف هو كل ما نهي عنه وقيل هو اكل في غير حق وكان الاسراف هو المجاوزة عن الحد وهو كقوله والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وكان القوام في الانفاق مفروضا فكذلك الاسراف في
النفقة في مال اليتيم والبدار هو المبادرة وكلاهما لغتان كالجدال والمجادلة وهو ان يبادر بأكل مال اليتيم
مخافة ان يكبر فيحول بينه وبين ماله فيأخذ منه وهو قول ابن عباس وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولا تأكلوها
اسرافا وبدارا خشية ان يكبروا وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
اطلق الله تعالى لولي اليتيم بظاهر الآية اذا كان فقيرا ان يأكل بالمعروف من غير ان يفسد ذلك وهو كوسط من ماله والله
اعلم وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأله وقال ليس لي مال ولي يتيم فقال
كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالك بماله وعن عمر رضي الله عنه انه قال اني انزلت نفسي
من مال الله تعالى منزلة مال اليتيم ان استغنيت عففت وان احتجت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت قال ذلك في
بيت المال وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الوصي اذا احتاج وضع يده في ايديهم ولا يكتسي عمامة
اراد انه يأكل مع اليتيم من طعام صنع له من ماله لكن لا يلبس ثيابه وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
في قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف انزلت في ولي اليتيم يأكل من مال اليتيم اذا كان يقوم
له على ماله ويصلحه اذا كان محتاجا وقيل يأكل قرضا ثم يرد عليه اذا ايسر وهو قول ابن عباس ايضا وقيل
اي من مال نفسه فانه متى اكل مال نفسه بطريق الاسراف فيفنى ماله فيحتاج الى مال اليتيم فامر بالاكل بالمعروف
من مال نفسه حتى لا يفضي الى مال اليتيم وقيل الاكل بالمعروف هو ما يسد به جوعته ويواري به عورته
قال يأكل قرضا تعلق بقوله فاشهدوا عليهم امر بالاشهاد عليهم عند الدفع الى الايتام ولو كان المال في
ايدي الاولياء بطريق الامانة لا حاجة الى الاشهاد لان القول قول الولي اذا قال دفعت المال الى اليتيم عند
انكاره وكان اراد به انه اخذ المال قرضا ليأكل منه ويتصرف فيه ثم اذا اراد ان يدفعه يشهد على ذلك
لان في قضاء الدين لا يكون القول قول من يقضي انما القول قول صاحب الدين ولكن نقول يحتمل ان يكون الاشهاد
لا لاجل الوصي نفسه فان القول قوله ولكن لجواز ان يموت الوصي نفسه فان القول قوله ولكن يحتمل ان تحدث
الوصي متحدث بين اليتيم وبين ورثة الوصي خصومة في ان الوصي لم يدفع المال فانه لا يصدق قول ورثته
بدون الحجة فاذا اشهد على الدفع تندفع تلك الخصومة عنهم والله اعلم وقوله تعالى وكفى بالله حسيبا
قيل شهيدا انما اخذ منه ما لم يوافقه ويحتمل حسيبا اي محاسبه في الآخرة اذا لم يحاسبه اليتيم في
الدنيا وقوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يحتمل ان يكون في الآية فانه علم بذلك
بانهم لم يكونوا يورثون اهل الجاهلية الاناث ولا الصغار ويجعلون المواريث للذين لا يحتسبون من الرجال القادرين
جميعا والله اعلم وقيل ان الآية نزلت في شأن رجل يقال له اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك بنات وامرأة فقام
رجلان من بني عمه وهما وصيان له فأخذا ماله ولم يعطيا المرأة ولا ابنته شيئا وكانت المرأة اتت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكت واخبرته بالقصة فقال لها ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله تعالى في ذلك
فنزلت الآية للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب الآية وقيل نزلت الآية في شأن ام
ان سعد المال استشهد بالمدينة له ابنتان وامرأة فاحتوى اخو سعد على ما لسعد ولم يعط المرأة ولا الابنتين
فاحتوى اخو سعد على مال سعد ولم يعط المرأة ولا الابنتين فخاصمته الى رسول الله واخبرته بالقصة
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله تعالى فيكم شيئا ثم نزلت الآية فاخذ منهما الثلثين
ودفعه اليهما ودفع الثمن الى المرأة وترك البقية للعم والله اعلم فمن كان يتعلق في هذا الخبر دليل على ان للبنتين
الثلثين كالثلث فصاعدا ليس كما قال بعض الناس ان لهما النصف لان الله تعالى انما جعل للثنتين الثلثين

ثم يحتمل

ثم يحتمل ان يكون المراد بقوله للرجال والنساء الاولاد خاصة دون غيرهم فيدخل فيه كل ولد من البنين و
البنات لان اسم الولد يتناول الكل ويحتمل ان يكون المراد هو الرجال والنساء من القرابة فيدخل في ذلك
ذوو الارحام وهذا اصح لان بنات البنات يدخلن بالاجماع وهن اولاد ولد لان اولاد النساء والرجال جميعا لا الولد
خاصة والله اعلم وفي الآية دلالة نسخ الوصية للورثة لانه قال للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون بين
ان الميراث يجري فيما قل من المال وكثر ووجب في المال انصباء مقدرة في قليله وكثيره فلا تتحقق الوصية للوارث
فانتسخت الوصية والله اعلم وقوله تعالى نصيبا مفروضا • قال الشيخ رحمه الله نصيبا مفروضا اي
معلوما وقيل ان ذلك يرجع الى ما بين الله تعالى من الفروض لاصحاب الفرائض دون العصبات فيكون على ما ذكر الله
تعالى من السهام المقدرة في القرآن بقوله يوصيكم الله في اولادكم الآية وما استدلالا بتسميته الله اياه مفروضا
وما يستحق بالتعصيب لا يسمى فرضا على هذا عرف الناس بتسميتهم اصحاب الفرائض والعصبات ويحتمل نصيبا
مفروضا اي مبينا وقد جرى في قوله يوصيكم الله الآية ذكر حق احدهما حق العصبة على ما ذكر من الاخ والاخت من الاخوة
لاب وام ولاب والاولاد دون حق اصحاب الفرائض ولو كان المراد هذا كان المراد من قوله نصيبا مفروضا ما علم
قدره وفرضه بالتنصيص عليه ولا بالاستدلال لان نصا فان كل من يستحق الميراث بالعصوبة هو الاقرب
منه والذي فيه النص هو الاولاد والاخوة خاصة ولكن يدخل يستقيم كل الاقرباء على اختلاف الدرجات
فيكون منصوصا ومدلولا عليه ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض ثم بين من
المؤمنين والذين هاجروا واولئك هم المعنى المراد من الدين والهجرة والذي يبين من الرحم احمد يجب ان لا ينصرف ذلك
الى المؤمنين من غير الرحم لانه تقدم حقهم على المؤمنين والمهاجرين بالرحم لانهم كانوا اقرب منهما للامام ان يصرف
ذلك اليهم بحق الامامة بحق الايمان اي على الحد وفي الارحام وكان الدفع اليهم جائز بيقين وفي جواز الدفع الى
المؤمنين من غير الرحم شك عند قيام ذوي الارحام وكان الدفع اليهم اولى باجماع الامة فوجب صرف اليهم على
ان في الصرف اليهم عملا بعموم الكتاب وهو قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض على التحقيق حق كل آية منها
كون ادخال حكم آية في حكم آية اخرى بلا ضرورة وفيما قالوا يجب ضم هذا النص الى ما ذكرنا من قوله يوصيكم
فيكون المراد منه ما هو المراد من ذلك النص كانه ذلك العدد مبينا لهذا العام المطلق ولا شك انه مهما امكن
العمل بالنصوص على الانفراد من غير صرف بعض الى بعض وحمل بعض على بعض كان اولى لان في حمل البعض
على البعض لا يخلو عن ترك العمل بالبعض من وجه آخر والله اعلم على ان اكثر الصحابة رضي الله عنهم على ما قلنا
وعليه الفتوى الى يومنا والله اعلم وقوله تعالى واذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا • قيل فيه وجهين قيل اراد بالقسمة قسمة المواريث بين الورثة بعد
المورث وقيل اراد به قسمة الوصية وقيل لا يصلي يعني توصي وينبغي لمن ذكر من الاقرباء واليتامى والمساكين
شيء فمن اراد قسمة الانصباء فالخطاب للموصي بقوله فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا بالايصاء شيء
لهم ومن قال القسمة المواريث فالخطاب للورثة ان كانوا كبارا حتى يعطوا هؤلاء شيئا من التركة ويردوهم
وان كانوا صغارا فيقول لهم الوصي قولا معروفا اي يعدهم عدة حسنة فذكر سبيل الرزق والوعد الحسن
فانصرف كل واحد الى حال مخصوصة الرزق في حال ما كان الورثة كبارا والوعد الجميل فيما اذا كانت الورثة
صغارا وقيل اذا كانت التركة من المنقولات يعطي لهم شيئا منها وان كانت عقارا وضياعا فيقول
لهم قولا معروفا اي يعدهم عدة حسنة الى وقت خروج الاثمار التي وقت البيع ارتفاعها ثم اختلف
اهل التأويل فيها فقال بعضهم هذه الآية منسوخة وقال بعضهم هي محكمة وهو قول ابن عباس ومجاهد
والحسن وغيرهم فمن قال منسوخة قال نسختها آية المواريث وهي قوله يوصيكم الله في اولادكم لانهم
كانوا يوصون للآباء والاولاد دون الاعمام كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية
للوالدين والاقربين منسوخة بآية المواريث بوصية الموصي ومن قال انها محكمة قال الامر هنا ندب
من باب المعروف والبر والاحسان وذلك مما لا يحتمل النسخ وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يبق في الدار مسكين ولا ذا قرابة الا اعطاه من ميراث
ابيه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة اولوا القربى الآية وذكر ذلك لابن عباس فقال لها اصاب ليس ذلك
له انما ذلك في الوصية يريد الميت ان يوصي لهم وقيل في قوله فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا اذا كان
المال كثيرا يرضخ لهم واعطي شيئا واذا كان قليلا اعتذر اليهم وهو قول ابن عباس وقيل امر من يرث ان يرضخ
ويعطي الارث وهو قول الحسن وقيل يعطي لهم شيئا ان كان الورثة كبارا ويعتذر الوصي اليهم ان كانوا صغارا
والله اعلم وقوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم • قيل يحتمل ان المراد منه

من يحضره الموت وله ولد صغار فلم يوص شفقة على اولاده الصغار ويترك المال عليهم فيقول له رجل اخر اوص
بكذا واعتق كذا وافعل كذا وكذا ولو كان هو الذي يحضره الموت لاحب ان يترك المال للاولاد ولم يخطر باله الوصية
نحو ما قال هذا القائل وندب الى ان يخاف من الله تعالى بقوله وليخش الذين لو تركوا ونحوه بقوله فليتقوا الله وامره بقوله
وليقولوا قولا سديدا ان يقول مثل ما يحب ان يقال له في ولده بالعدل وهو قول ابن عباس وقيل هو الرجل الذي يحضره
الموت فيقول له من يحضره اتق الله وامسك عليك مالك فلا والادك الصغار الضعفاء ليس احد احق بمالك منهم
ولا توص بمالك شيئا فنهى الله تعالى ان يقول له ذلك ويمنعه عن اعمال الخير لانه لو كان هو الذي يحضره الموت
ويريد ان يوصي باعمال البر لاحب ان لا يقال له ذلك ولا يمنع منه فكذلك هو لا يقول لغيره والاول اشبه وقيل
في قوله وليقولوا قولا سديدا قيل عدلا بان يقضي ما عليه من الدين والوصية ولا يجوز ولا يميل فيها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال نهى من حضر منهم مريضا عند الموت ان يامره بان ينفق ماله في العتق او الصدقة او في سبيل الله
ولكن يامره ان يبين ما له وما عليه من دين او حق وعن قتادة انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله
في الضعيفين قالوا ومن هما يا نبي الله قال اليتيم والمراة فان الله ايتمه واوصى به وابتلاه وابتلى به وقيل في قوله
وليقولوا للميت اذا جلس اليه قولا سديدا يعني عدلا في وصيته ولا يجور ومن عدل في وصيته عند موته كان
وجه ماله في سبيل الله فقام سعد بن ابي وقاص فسأل النبي صلى الله عليه وسلم يوصي الرجل من ماله قال الثلث
والثلث كثير لان تدع عيالك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى جعل لكم ثلث اموالكم زيادة في اعمالكم وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قيل فيه توجيهين قيل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اي استحلالا
واذا استحل كفر فذلك الوعيد له لكفره وقيل غصبا والاكل عبارة عن الاخذ كقوله لا تاكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة انما هو نهي عن اخذه فكذا الاكل عبارة عن الاخذ ها هنا وعلى هذا لا يكون الوعيد لازما لصاحب الكبيرة
الا ان يتوب عنه لقول الله تعالى ان يعذب من يشاء ان ارتكب من الكبائر الا ان يتوب فيغفر له فضلا منه ورحمة
فلا يكون الاية حجة للمعتزلة علينا لانها في الوعيد نزلت في مسئلة صاحب الكبيرة يخلد في النار اذ ليس في هذه
الاية ذكر الخلود وانما فيها مطلق العذاب والله الموفق وقيل نزلت في الحنظل يعني ان الذي ياكل من مال اليتيم كانه
ياكل النار لخبثه وشدته والله اعلم وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قيل يوصيكم
اي يفرض عليكم الله فان الله سمى الميراث فريضة في غير موضع من القرآن قال الله تعالى للرجال نصيب الى قوله نصيبا مفروضا
وقال ايضا في اخر هذه الاية فريضة من الله ولانه شيء تولى الله تعالى ايجابه من غير اكتساب اهله فهو كالفرائض
التي اوجبها الله تعالى على عباده من غير اكتساب اهلها فعلى ذلك سمى الله تعالى هذا فريضة لانه اوجبه وقيل يوصيكم
في اولادكم اي يبين الله في اولادكم مقادير ما اثبت لهم من الحق مطلقا بقوله للرجال نصيب الاية وقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض فصارت هذه الاية مفسرة مبلغ ذلك النصيب الذي اوجبه الله تعالى للرجال والنساء في
الاية الاولى مجملا وقيل ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد وانما كانوا يورثون
الرجال ومن يحرز الغنيمة فنزل قوله للرجال نصيب الاية في بيان الحق للاناث في الجملة ثم كذلك قوله يوصيكم الله في
اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فيه بيان حق الميراث للذكور والاناث جميعا ثم يحتمل قوله في اولادكم في حال
موتكم على الاضمار لانه لا يجوز ان يخاطب الرجل الحي بقسمة الميراث في اولاده ويفرض عليه ذلك في حال حياته
او يحتمل ان هذا خطاب لهم في حال الحيوة لئلا يحرموا الاناث من الميراث كما قيل انهم لا يعطون الاناث
من الاولاد والصغار فخاطب الجملة وبين استحقاقهم الميراث بهذه الاية والله اعلم قال الشيخ رحمه الله يوصيكم
في اولادكم اي اولاد من مات منكم اذ لا يحتمل خطاب الحي بما ذكر في قوله فهذا ان كان تاويل يوصي بفرض الحياة
وان كان تاويل يوصي يبين فذلك جائز ان يخبر الله تعالى الحي بما يبين نصيب اولاده في ماله بعد موته فيكون قوله
في اولادكم معمولا بظاهره والله اعلم وفي الاية نسخ الوصية للوارث الذي في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين لان الله تعالى بين نصيب اصحاب المواريث
في هذه الاية وقدر ذلك بمقادير معلومة وتولى قسمتها بنفسه فلو جاز الوصية للوارث لكان يريد نصيب
البعض وينقص نصيب البعض ضرورة فيؤدي الى ابطال القسمة التي تولى تقديرها فيكون فاسدا لان الخلاف في الوصية
للاجانب فان ذلك لا يؤدي الى زيادة ونقصان في السهام المقدرة بل يجري تلك السهام بعد الوصية فاما
الوصية لبعض الورثة توجب نقصان نصيب الباقي وزيادة نصيب الموصى له فلذلك افترقا الامر بعد الاتفاق ذلك
تحصيل الوصية لبعض على بعض لانهما يستحقون الورثة في المال الموروث هو بالاختصاص [illegible] عن موصى
له وهذا لا يصح في حق الاجانب لولا النص الوارد بالوصية في الثلث لكان لا يجيزه ولا ينقص في حق الورثة على

ان السنة المشهورة تنسخ الوصية للوارث وهي قوله عليه السلام ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
للوارث ثم من الناس من راى نسخ الوصية للوارث بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية فان فيها
لايجاب الميراث فيما قل او كثر من التركة فلو كانت الوصية تحول للوارث بقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصية لكان الميراث لا يتحقق ولا يجب فيما قل او كثر منه وانما يجب فيما يفضل عن الوصية وهذا
خلاف ما اخبر الله تعالى فيجب القول بانتساخ الوصية الثابتة بهذا النص ضرورة الا انه ليس يقوى فان الوصية
للاجنبي بالثلث جائزة وان الله ذكر في الاية هذا النصيب المفروض بعد ما فضل عن الوصية فكذلك في حق الوصية للوارث
وبهذا تبين انه لا يقوى دعوى نسخ الوصية للوارث بقوله يوصيكم الله لان ذلك بعد الفراغ عن الوصية بقوله
من بعد وصية يوصي بها او دين وما قيل انه يزداد المفروض او ينتقص فليس كذلك لان ذلك زيادة بطريق
الوصية لا بطريق الميراث فلا يوجب تغيير الفريضة ولا ازدياد القسمة والله اعلم لكن يمكن ان يقال في هذه الاية
دلالة نسخ فرضية الوصية للورثة لان الاية الاولى سيقت للوصية وهي قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
فاوجب الحق بهذه الاية في كل قليل وكثير لم يبق معنى الفرضية والوجوب ولكن لا يبقى شرعية الوصية على طريق
الندب كما في حق الاجانب الا انه انتسخ جواز الوصية بالخبر المشهور وهو قوله ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية للوارث فصار انتساخ الوصية بالكتاب وانتساخ الشرعية بالسنة والله اعلم ولا يقال بانه ذكر
الوصية في حق الزوجية لا بطريق الوجوب بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا
الى الحول غير اخراج ثم صار منسوخا بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الى اخر ما ذكر وليس في الاية التي فيها فرضية
الوصية للوارث ذكر الزوجية وهي قوله كتب عليكم دل ان هذا نسخ لجواز في حق الزوجة لانا نقول لا بل تلك الوصية
واجبة فانه قال متاعا بالمعروف حقا على المتقين يعني حق المتاع وسماه وصية فدل انها مكتوبة كما في حق الوالدين والاقربين
ثم اشترك الزوجين في ميراث الوالدين مع الاقربين مما قل منه او كثر بقوله النصف والربع والثمن فصارت الاية ناسخة
لفرضية الوصية في حق الزوجة كما في حق الوالدين والاقربين وهذا التكلف مما يحتاج اليه من لا يرى نسخ الكتاب بالسنة
واما على مذهبنا السنة كافية في بيان النسخ في كل حكم ثبت بالكتاب فيكون النسخ حالا الى الكل والعذر في الامرين
وهذا لان النسخ هو بيان الحكم وقد جعل الله تعالى للنبي عليه السلام بيان مجمل الكتاب بقوله لتبين للناس ما نزل اليهم
وقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وفي الاية دلالة على ان للذكر الكل اذا لم يكن معه انثى لانه جعل للذكر
مثل ما للانثى وقد جعل للانثى النصف اذا لم يكن معها ذكر بقوله وان كانت واحدة فلها النصف فدل ان للذكر
في حال الانفراد مثل ذلك مرتين النصف وهو الكل وقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
قال بعضهم لما بين الله تعالى الحق لما فوق اثنتين ولم يبين للاثنتين فيكون لهما النصف الذي ذكر للواحدة
وهو قول ابن عباس واهل العلم عامة الصحابة وعامة العلماء ان للاثنتين ما للثلاث فصاعدا الا انه يحتج له
فان كن نساء فوق اثنتين بل ليس في هذا النص بيان اللاستحقاق الثلثين ولا ما ينفي ذلك وانما عرفنا ذلك
استدلالا بالاختين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فورود النص في الاختين يكون ورودا في
البنتين بالطريق الاولى لقربهما لان بنات الرجل احق من بنات ابيه ولا يبعد ذلك ان بنات ابيه قد
ترث وبنات الابنة لا فلا يجوز ان يكون للاختين اكثر من حق الابنتين فكان الاجماع ثم يكون اجماعا هاهنا
وقد جاء الخبر في التسوية بين البنتين والثلاث في استحقاق الثلثين وهو ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
انه جاءت امراة ثابت بن قيس بابنتين لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا
ثابت اصيب معك يوم احد وقد اخذ عمهما مالهما وميراثهما لم يدع منه لهما شيئا الا اخذه فما ترى يا رسول الله
فوالله لا ينكحان ابدا الا ولهما مال فنزل قوله يوصيكم الله في اولادكم الاية فقال ايتوا لي الجارية وعمها فقال اعط ابنتيه الثلثين و اعط
امهما الثمن ولك ما بقي وقوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد قال بعضهم
اراد بالولد الذكور خاصة لانه جعل للابوين لكل واحد منهما السدس وانما يكون للاب السدس اذا كان الولد
ذكرا فاما اذا كان الولد انثى فللاب يكون الثلث واما عندنا ان اسم الولد يجمع الذكور والاناث جميعا غير ان
الولد اذا كان ذكرا يكون لكل واحد من الابوين السدس والباقي للولد وان كان انثى فلها النصف وللابوين السدسان
والباقي للاب لا بحكم الفرض ولكن بحكم العصوبة على ما جاء في الحديث ما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر
وتعلقت الروافض بظاهر الاية في ان السدس للابوين والباقي للبنت لان الله
تعالى جعل للابوين السدس اذا كان للميت ولد واسم الولد يقع على الذكور والاناث فيجب ان يكون الباقي للولد
ذكرا كان او انثى ولان البنت تقابل الابوين والام تقابل الاب فكما لا يرث ابن وبنت واب [illegible]
وهو الابن اولى باخذ ما بقي من الثلث الذي يقابل الام وهو الاب فعلى ذلك الذي يقابل الابن وهو البنت يجب

ان يكون له ولد اجعل الباقي من الذي يقابل الام وهو الاب لاعتبار الاخذ المتقابلين بالاخر ولما عندنا
فان الاب اولى بالباقي من البنت باعتبار العصوبة لان للاب حقين حق الفريضة وحق العصوبة اما حق الفريضة
فبقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس واما حق التعصيب فبقوله وورثه ابواه فلامه الثلث جعل الباقي
له فيكون الاب مع البنت يستحق بالطريقين جميعا السدس بالفرض والباقي له فيكون الاب مع البنت يستحق بالتعصيب
جميعا السدس بالفرض والباقي بالعصوبة بخلاف الاب مع الابن فانه لا عصوبة للاب مع الابن والله اعلم وقوله تعالى
فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث • قال الشيخ رحمه الله دل قوله وورثه ابواه فلامه الثلث ذكرهما ثم
ولم يبين حق الاب على انه جعله عصبة يكون له الباقي كمن اوصى بجميع ماله لاثنين وذكر لاحدهما نصيبا فقد
ان الباقي يكون للاخر فيظهر للاب بهذه الاية من قوله يوصيكم الله في اولادكم الى اخرها امران احدهما حق التعصيب
والثاني حق الفريضة بقوله لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ثم بعد هذا فيه امران احدهما اذا
ثبت للاب حق العصبة وقد بين الله تعالى نصيب البنت انه النصف ونصيب الاب مع الولد انه السدس فزعمت
الشيعة ان الفضل يرد الى البنت لانها ولد ولم يذكر مع الولد الا السدس وعندنا يرد الباقي الى الاب دون
البنت لانه جعل الاب عصبة ولم يجعل الابنة عصبة بنفسها فيكون السدس بحق الفريضة والباقي بالتعصيب
للاب وكما نجعل الباقي للاب بطريق التعصيب لا يكون خلافا للنص لانه يوجب له السدس مع الولد بطريق الفرض
ولم ينف الزيادة بطريق العصوبة وقد ثبت بدلالة نص اخر من الكتاب وبتصريح الحديث لانه كما لم يذكر للاب
مع الولد الا السدس فلم يذكر للبنت مع الاب الا النصف فلم كان نجعل الباقي لها اولى من جعله للاب على ان قوله
ذكر الولد فيحتمل ان يراد به الذكر فيجب حمله على الذكر بدليل اخر وهو ما نقل البنت حق الام من الثلث الى السدس لا انتظاما
هذه الاية ولكن استدلالا بالاخوات فان الاية لما حجبت بالاخوة عن الثلث الى السدس فلان نحجبها بالبنت اولى فهذا احد
وجهي فائدة هذا النص والثاني في الفائدة ان الاية تدل على ان الجد يقدم على الاخوة والاخوات في الاية بيانا
ان للاب الميراث بطريقين بالفرض والعصوبة ثم الجد اقيم مقام الاب في احد الوجهين وهو الفرض حتى يكون له
السدس مع الولد حال عدم الاب دون الاخوة والاخوات فانهم لا يستحقون الفرض اصلا فكذلك الجد يجب
ان يقوم مقام الاب في الوجه الاخر عند عدمه وهو العصوبة فيجب ان يكون له الميراث بطريق التعصيب للجد
دون الاخوة والاخوات حال عدم الاب بل اولى وذلك لان الاخوة عصبات بناء على القرب ويلحق الابعد الاقرب عند
عدمه وفي حق الفرض لا يلحق بل يعتبر فيه النص ثم الجد لما جعل كالاب في حق الفرض ولم يجعل كالابن جعل للجد حق
بالقرب فيقوى التعصيب لان يلحق الجد بالاب مع ان الحاق البعيد بالقريب عند جائز اولى والثالث من الفائدة انه
ذكر الزوجين عقيب ذكر الابوين وذكر معهما الولد وبين نصيبهما مع الولد ومعهما الوالدين فدل ان نصيبهما في حال
وجود الوالدين وعدمهما سواء فهذا يدل على ان ما فضل من الزوجين يصرف الى الوالدين ويكون بينهما على ما عليه الكل
لولا الزوجان يريد به ما قلنا ان حال الوالدين مع الولد هو استحقاق السدس بقي الزوجين على حسب ما كان
عند عدمهما فكذلك هذا وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس • اختلف في حكم الاية على اوجه ثلاثة
قال بعضهم لا تحجب الام عن الثلث الاخوان والاختان حتى يكونوا ثلاثة فصاعدا لان الله تعالى قال فان كان
له اخوة واقل الاخوة ثلاثة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال الاخرون ان الاخوة تحجب الام عن الثلث دون
لان الله تعالى ذكر الاخوة والاخوة اسم الذكور منهم دون الاناث فاذا الاناث ليس على حدة معهن اخوات وانما
عندنا فان الاخوة والاخوات يحجبون على الانفراد لان الاخوة وان لم يكن اسما للذكور نعم الاناث تحقيقهم على
الاشتراك فانه اسم للاناث مع الذكور على طريق التبع وهذا ذلك باستعمال اهل اللغة الا ترى ان الله تعالى قال وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فسر الاخوة بالرجال والنساء فدل ان اسم الاخوة يتناولهما جميعا بالطريق الذي قلنا ولكن
الاثنان منهم يحجبان عن الثلث عندنا وهذا قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قالوا الاثنين من الاخوة
والاخوات يحجبان الام عن الثلث كالثلاثة فلان حكم الاثنين من الاخوة والاخوات حكم الثلاث في حق الميراث
وكذلك في البنات فكذلك في حق الحجب يجب ان يكون مثله ومحتاج هو ان الله تعالى جعل الميراث للواحد
من الاخوة والاخوات للام سدس المال وجعل للاثنين فصاعدا الثلث فقال فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث فكذلك يجب ان يكون حكم الاثنين والثلاث سواء في حق الحجب ثم المسألة بيننا وبين الروافض في
ان الاخوة من الام هل يحجبون الام من الثلث الى السدس زعموا انهم لا يحجبون لانهم يدلون الى الام وبسببها
فلا يجوز ان يحجبوا الام عن ذلك ويجعلوه لغيرها فيصير ولد الام تابعين لغيرها وان الله تعالى قال
اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ولان الحجاب قد يجوز ان يقع لمن يحصل له ما حجب عنها
بخلاف الاخوة والاخوات لاب وام اذ لا يحجبون الام عن الثلث الى السدس بل يقع ذلك الفضل لهم فههنا لو وقع الحجب لهم

لم يحصل ذلك الفضل لهم فلا يحتمل الحجب لهم واما عندنا فان الاخوة لام في الحجب كالاخوة لاب وام وذلك
لان الله تعالى ذكر الاخوة ههنا مطلقة في حق الحجب بمال فان كان له اخوة فلامه السدس ولو اختلف الحكم
في حق الحجب بين الاخوة لام وبين الاخوة لاب لبين اذ الحاجة الى الذكر لانه ادعى الى تبين الامر بالنظر فيما لا اصل
له في الاثر ولا اصل للذي غير الحجب عن الحقوق ليس باصل الا ترى ان حكم الارث لما كان يختلف بين الاخوة لام وبين
الاخوة لاب كيف ذكر وفصل بين الفريقين في الحكم وكذلك لما كان الحكم يختلف بين الذكور والاناث في الاولاد
لم يذكر مطلقا لما قلنا وكما اطلق في العصبة مع قيام الحاجة الى التفصيل كان الحكم لم يختلف ولان المواريث
لا يخلو اما ان جعلت بحق الابتداء من الله تعالى للورثة بعد زوال ملك الميت واستغنائه عن المال او ينتقل الى الورثة
من الموروثين كانهم تولوا ذلك بانفسهم والوجه الثاني لا يصح لانه لا يحتمل ان يختار الموروث من هو ابعد على من هو
اقرب نحو من يموت عن بنت وابن عم لا يحتمل ان يختار ابن العم على البنت في النصف الباقي فدل انه جعلت على الابتداء
للورثة من الله تعالى فوجب القول فيه بما اثبته الله تعالى من الاطلاق والتقييد والجملة والتفصيل من غير اعتبار القرب
والبعد والابعد والاقرب والاحق والاولى الاعتبار انتقال الحق من الموروث الى الورثة فانما يكون من المالك
من هو اقرب منه والانصح لم يقتصر الاخ في حجب الام الارث فيستحقه من الذي يحجبه شرعا فان الاخوة لاب وام
يحجبون الام ويكون ذلك الفضل للاب لا من جهتهم لانه لا حق لهم في ذلك مع الاب فلم يلحق الاب بحق الام
الحجاب الحي من الحرمان لو كان يحجب الاخوة لاب بسبب الاب كان ينبغي ان يحجب الاب الام فاذا كان هو
لا يحجب الام فكيف يحجبها اولاده دل ان استحقاق الميراث والحجاب بناء على القرب والبعد من الميت والاخوة
لام والاخوة لاب في هذا سواء فوجب الاستواء في الحجب • قوله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين • ذكر الله
تعالى الوصية قبل الدين لكن اجمع اهل العلم ان الدين يبدأ به قبل الوصية والميراث وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين قبل الوصية والوصية قبل الميراث ولا وصية لوارث
وروي عن علي رضي الله عنه انه قال انكم تقرأون الوصية قبل الدين وقضى محمد عليه السلام بالدين قبل الوصية
واجمعوا انه اذا اقضي الدين يدفع الى اهل الوصايا وصاياهم الا ان يتجاوز الثلث فترد الى الثلث ان لم يجز الورثة
ويقسم الثلثان بين الورثة على فرائض الله تعالى ثم ليس معنى قوله من بعد وصية يوصي بها او دين ان يخرج الثلث
ويعزل من التركة وتبدأ بدفعها الى الموصى له ثم يدفع الثلثان الى الورثة بل يراد به ان الميراث يجري في التركة بعد دفع
قدر الوصية من جملة التركة فان لم يدفع ذلك الى اصحاب الوصايا الا ان الموصى له شريك الورثة نماء
المال الذي قبل القسمة ذهب من الورثة والموصى له جميعا ويبقى الباقي بالشركة بينهم بخلاف الدين فانه مقدم على
الميراث استحقاقا حتى انه اذا هلك شيء من المال لم يسقط الدين بقدره ثم لم يذكر في الاية قدر الدين ولا الوصية
وهو معلوم ان الدين اذا احاط بالتركة واستغرقها منع الميراث والوصية واذا لم يحط لم يمنع والوصية تجوز
بقدر الثلث باكثر منه بان تجيز الورثة ولكن عرفنا مقدار الوصية بالاحاديث على ما روي عنه عليه السلام
انه قال الثلث والثلث كثير وما روي في خبر اخر ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم زيادة
في اعمالكم وروي عن ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم انهم الخمس اقتصاد والربع جهد والثلث حيف ثم
جواز الوصية بالاستحسان افضالا من الله على عباده والقياس يبطلها وذلك لان الله تعالى لم يملك
الخلق عين الاموال وانما جعل لهم الانتفاع بها الا ترى انهم نهوا عن اضاعتها ولو كانت لهم اعين الاموال لم
يكن لذلك معنى النهي عن اضاعتها وانما جعل لهم الانتفاع بها وقت الحاجة اليه وبالموت ينقطع الحاجة الى الانتفاع
بها فيصير الحق الى الاحق بذلك الا ترى ان الصرف الى الغرماء اولى لان النظر في ذلك اكثر للميت وكان الصرف الى
الورثة اولى من الصرف الى الاجنبي الا ان الله اجاز الوصية من الثلث افضالا منه على عباده على ما ذكرنا الا
وهذه الاية تدل على ان ما ليس بدين ولم يوص به الميت فانه لا يخرج من ماله حتى قلنا ان من مات وعليه الحج
والنذر والكفارة والزكوة واشباه ذلك ولم يوص به فانه لا يجب ان يؤدى من التركة الا ان يتبرع
الورثة واذا اوصى يعتبر من الثلث لان شيئا من هذه الجملة ليس بدين فان قال قائل ان الزكوة هي دين كسائر
الديون حتى يطالب لعينها فيجب ان يؤخذ زكوة الاموال الظاهرة قبل الادا ان كان عليه دين وزكوة
شيئا بالدين او يقسم التركة بالحصص اذ الدين في ذلك كله فان قال ليس بالدين حيلة لو كانت الزكوة
اسوة في القضاء مع تركه ما تقول في رجل افلس وعليه ديون هل يقسم ماله بين غرمائه فان قال نعم قيل
له فان كانت عليه زكوة هل تضرب لها السهم فان قال لا قيل له كيف ضربت لها سهم بعد الموت اذ لم تضرب
في حال الحيوة ثم تضرب لها سهما ولو كانت كسائر الديون بعد الموت يجب ان تكون كسائر الديون في حال الحيوة
لان الزكوة على من كان عنده مال حال عليه الحول انما تهلكه حالة وجوبه ولا يجوز تاخير قضاء الديون

ان تبدأ بالدين قبل الزكوة في الحيوة دليل على انه يجب ان يبدأ بالدين قبل الزكوة بعد الموت فان قيل قول
رسول الله للمرأة التي سألته هل تحج عن ابيها ارأيت لو كان على ابيك دين فقضيته ذلك يجزي عنه يدل على ان الحج
دين قيل ليس كذلك ولكن فيه دلالة على جواز الحج عن الميت وعلى انه لم يقل انه قضاء الدين الذي للعباد وهو لو كان
في باب من الحج الذي ليس بدين كما ان القول بجواز القضاء عنه والحج عنه وفي هذا الخبر دليل على ان الحج دين لان الاداء
قد يكون بما هو مثله وقد يكون بما هو غيره ولان الزكوة لا تؤدى الا بنية المزكي وان تستعمل القلب لا خلاف
ان الفعل مما لا يؤدى عنه بعد الموت فانه لا يصلى ولا يصام عنه فلما لم يجز ان يقوم فعل البدن فعل النائب
مقام فعله فكذلك يجب ان لا يجوز في عمل القلب ان يقوم فعل الوارث مقامه والله اعلم قال الشيخ رحمه الله
في قوله من بعد وصية يوصي بها او دين ظاهره ان يقدم الوصية على الميراث لكن اجمع على انه لا يبدأ بها على الميراث
ولكن يودع فيخرج له تاويل على وجوه احدها ان معنى قوله يوصيكم الله في اولادكم الى ان قال من بعد وصية
اي شرع لكم ان توصوا من الثلث اوصاكم الله تعالى مكتوبا والثاني قوله من بعد وصية اي من بعد ما اوصيتم
ويكون الميراث بعد الايصاء ويحتمل من بعد ما كان عليكم الايصاء للوالدين والاقربين والذين امركم بالمودة
فيكون فيه نسخ الوصية وجوبا والله اعلم وقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
تختلف فيه قال بعضهم هذا في الدنيا وهو انه يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة والقيام بامره ويلزم الاب ان
ينفق على ولده في حال صغره وعند الحاجة اليه والقيام بحفظه وتعاهده فاذا كان ما ذكرنا المراد انهم
اقرب اي ادنى نفعا نفع هذا لهذا وهذا لهذا ويحتمل لا تدرون اي نفع اقرب لكم نفع الابناء على هذا التاويل يكون
الاية دلالة على بطلان شهادة الوالدين والمولودين بعضهم لبعض اذ اخبر ان لكل نفعا من الاخر ولا تقبل
شهادة من ينتفع بشهادته ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز للوكيل بالبيع والشراء مطلقا ان يبيع من ابيه
وابنه ومن لا تقبل شهادته له لما انه ينتفع ببيعه منه وبالشراء منه فيكون متهما وكذا قالوا اذا اشترى رجل من
من هؤلاء سلعة ان يبيعها مرابحة الا ان يبين لانه ينتفع به ويحتمل لا تدرون انتم في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا
في الاخرة اي ايهم اخص لكم نفعا في الاخرة في رفع درجات الوالد لولده والوالد لوالده لكن قيل انه كان الوالد ارفع
درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى اليه ولده في درجته لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والده
رفع الله تعالى الوالدين الى ولده في درجته لتقر اعينهم بالالتقاء يرفع الاسفل الى الاعلى ولا يرد الاعلى الى الاسفل
وذلك قوله والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان يعني بالطاعة الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم يعني ما نقصنا
الاباء من عملهم من شيء ويحتمل ان يكون هذا في الشفاعة لانه يعطى ذلك النفع في مقداره ويحتمل قوله لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا ليس على حقيقة القرب لكن على الكبر والعظم وقد يتكلم بهذا قال الله تعالى وما نريهم من اية
الا هي اكبر من اختها ولكن على وصف كل الايات بالكبر والعظم فعلى هذا التاويل لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
على وصف كل منهم بالنفع على الاعظام والاكبار والله اعلم ويحتمل قوله ايهم اقرب لكم نفعا اي اوجب
كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اي واجب وغيره من الايات وقوله تعالى فريضة من الله سمى الله تعالى
الميراث فريضة لما ذكرنا انه كان بايجاب الله تعالى من غير اكتساب الخلق لانه تملك الخلق اذ لم يملك الخلق اعين
الاموال وانما ملكهم المنافع منها الى وقت وفاتهم فاذا ماتوا صار ذلك لله الذي كان له العين يجعل لمن يشاء
وايجابه والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما اي عليما بما يصلح لهم ويصلح بهم مما يصلح لهم ومما لا يصلح
لهم حكيما فيما فرض من قسمتها وبينها والحكيم هو المصيب الذي يضع كل شيء موضعه والسفيه الواضع الشيء في غير موضعه
وقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع الاية عطف
الاية على ما تبين من الايات لانها ذكرت على النسق بقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فلكم الربع
ان كان لهن ولد ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فلهن الثمن ان كان لكم ولد بين في الاية الاولى ميراث الوالدين
وميراث الاولاد ولم يبين ميراث الازواج ثم بين في هذه الاية ميراث الازواج ونسقها على الاول فدل
ان الازواج والزوجات اذا كانوا معهم فان الحكم يختلف فيهم فيكون للام الثلث اذا لم يكن هناك ولد او السدس
ان كان له ولد ويكون لها مع ميراث الزوجين ثلث ما بقي حينئذ كرميراث الازواج بناء على الاول لم يغير حكم الاولاد والاباء
والله اعلم وقوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امرأة الاية اختلف في الكلالة فقال بعضهم الكلالة
الميت الذي لا ولد له ولا والد وعن الحسن انه قال الكلالة الاخوة والاخوات من الاب والام والاخوات لاب
ذهب في ذلك الى ما ذكر في اية اخرى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد
وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان الى اخر ما ذكر
والنصف انما يكون للاخت من الاب والام او الاخت لاب فذلك تفسير الكلالة دل ان الكلالة عبارة عن الاخوة

والاخوات

والاخوات لاب وام او لاب وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الكلالة ما خلا الولد والوالد وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال اتى على زمان وما ادري ما الكلالة الا وان الكلالة ما لم يكن له ولد ولا والد
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلالة ما خلا الولد والوالد وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال في خطبته
الا ان الاية التي انزلها الله تعالى في اول سورة النساء في شان الفرائض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية انزلها
في الزوج والمرأة والاخوة والاخوات من الام والاية التي ختم بها سورة النساء انزلها في الاخوة والاخوات من
من الاب والام والاية التي انزلها في سورة الانفال في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله مما جرت
الرحم من العصبة وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال اذا كانت الكلالة بعضهم اقرب من بعض بابيه فهو احق بالمال
وحديث عمر هذا يبين ان الكلالة اسم يقع على الاخوة من الام ويقع على الاخوة من الاب والام وهو ما ذكرنا
من قول ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان الكلالة ما عدا الولد والوالد وكانوا يذهبون والله اعلم الى ان الاعمام وبني
الاعمام يرجعون في النسب الى الميت الجد والاب وقد تكللهم ابن الام فسبيلهم سبيل الاخوة والاخوات
الذين يكللهم الاب والام الا انهم لما كانوا ابعد في النسب من الاخوة والاخوات لم يرثوا معهم واجمعوا في قوله تعالى
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت انه في الاخت من الاب والام او
من الاب والله اعلم وفي هذه الاية دليل على ان الخطاب يخرج على العموم ويراد به الخاص فانه ذكر الاولاد والوالدين
والازواج والزوجات والاخوة والاخوات على الاطلاق وقد يكون البعض منهم كافرا او مملوكا فلا يرث على ما روي
في الخبر لا يتوارث اهل ملتين وما روي لا يرث الكافر مسلما ولا المسلم كافرا الا العبد مولاه وذلك في الحقيقة
ليس بميراث لكن مال العبد لمولاه وفي الاية دليل ايضا على جواز القياس والاعتبار والاستدلال فان
ميراث البنتين مستدل عليه غير منصوص وكذلك ميراث الذكور من الاولاد حالة الانفراد مستدل عليه
غير منصوص وكذا ما يحرز الاب من الميراث بحق العصوبة مستدل عليه غير منصوص وما يستحق بالفرضية
منصوص فذلك انه لم يذكره انما بدل للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار به وفي الاية دليل ايضا انه لا يجب
ان يطلع الله تعالى عباده على الاشياء لقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله
حيث لم يبين ايهم اقرب نفعا والله اعلم وقد تكلم اهل العلم في الرد والقول في ميراث ذوي الارحام اما ميراث
ذوي الارحام لقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فزعم ان المال لبيت المال لم يجعل بعض الارحام اولى
ببعض بل جعل الغرباء الاجانب اولى بالمال من اولي الارحام فيكون خلاف كتاب الله وبه قال اصحابنا وهو قول
عمر وعلي وعبد الله وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم الا زيد بن ثابت فانه جعل ذلك لبيت المال فان قيل
ان قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما اريد به من سمى الله تعالى لهم سهاما بقوله يوصيكم الله والمجمل
مبني للتحقق بالتفسير والمطلق مبني على تقييد لا يبقى العمل واجبا باطلاقه قيل في الخبر دليل على ان المراد به غير
الذين سمى الله لهم سهاما فانه روي عن عمر رضي الله عنه انه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح وقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله ورسوله ولي من لا ولي له والخال وارث من لا وارث له وروي ايضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى
للخالة بالثلث وللعمة بالثلثين وعن زر بن حبيش عن عمر رضي الله عنه انه قسم المال بين العمة والخالة وعن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه انه قال الخالة والدة وعن علي رضي الله عنه انه قال في العمة والخالة للعمة الثلثان وللخالة
الثلث فاخذ علماؤنا رحمهم الله بالحديث المروي في ذلك وباقوال هؤلاء الاجلة من الصحابة رضي الله عنهم وكان
ذلك موافقا لظاهر الاية وعمومها فكان اولى واما الكلام في العول فان ابن عباس رضي الله عنهما كان ينكره
ويقول لا تعول الفريضة وكان علي وعبد الله وزيد بن ثابت رضي الله عنهم يقولون بعول الفرائض وروي
عن الحارث انه قال ما رايت احدا قط احسب من علي بن ابي طالب اتاه ات فقال يا امير المؤمنين ما تقول في رجل
مات وترك ابنتيه وابويه وامرأته ما للامرأة فقال صار ثمنها تسعا وكان ابن عباس يكره ان ينقص الاب من السدس
وقد سمى الله له السدس ثم انه لم يمض على هذا الاصل لانه قال في الابنتين والابوين والمرأة للمرأة الثمن وللابوين
السدسان وما بقي فهو للابنتين فنقص الابنتين عما سمى الله لهما وهو الثلثان فلم كانت البنتان اولى بالنقصان
كله من غيرهما وسائر الصحابة رضي الله عنهم ادخلوا النقصان على كل وارث بقدر نصيبه لئلا يلحق النقصان
على بعض ويأخذ البقية كمال نصيبهم وجعلوا ذلك كقوم اوصى لهم رجل بوصايا يتجاوز الثلث فاجمعت الحكم
فيها ان يقسم الثلث بينهم بالحصص وكقوم صح لهم دين على ميت وتركته لا تفي بذلك فهم جميعا اسوة في الحقوق
كل واحد منهم النقصان بقدر حصته فهذا مثله واما الرد فان عليا وعبد الله قالا به على اختلافهما في الذي
عليه وسبيل ذلك سبيل ذوي الارحام لان ذا الرحم اولى بالمال من الاجانب لقوله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ولا رحم له لاحق له غير سهمه المفروض نصا وذلك في الزوجين ولهذا قالوا جميعا انه لا يرد

ان الزوج والزوجة لانهما ليسا من جملة ذوي الارحام ولا نص في الآية الرد على غير الزوجين ومنع الرد عليهما
لان الله تعالى ذكر للابوين السدسين ان كان له ولد وسمى للام الثلث اذا لم يكن له ولد ولم يسم للاب شيئا
ورد الباقي عليه وكذلك سمى الذكور من الاولاد مع الاناث نصيبا بقوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين
ولم يسم لهم شيئا في حال الانفراد فرد الكل عليهم ولم يترك للزوجين ذكر تسميته فرضهما في حال من الاحوال
بل ذكر سهامهما في الاحوال كلها في حال الولد وعدم الولد فعند ذلك على منع الرد عليهما والله اعلم قال الشيخ رحمه الله
وقوله من بعد وصية يوصى بها او دين الآية دلت هذه الآية على حجر بعض الوصايا بقوله غير مضار وصية من الله
يحتمل ان يكون المضارة تبطل الفعل وتمنع من جواز الوصية ويحتمل ان لا تبطل ولكن توجب الكراهة وهو كقوله و
لا تمسكوهن ضرارا في باب الرجعة ولا يكون ذلك مبطلا للرجعة لانه راجعها على قصد الاضرار بها بتطويل العدة
عليها فعدلنا بالتصرف المشروع في الصحة بلا ابتنى القول الصحيح مع الكراهة لقصد المضارة فيحتمل ان يكون
الوصية التي فيها اضرار على هذا الوجه لكن يحتمل ان يقال ان الاضرار في باب الرجعة مقصود وفي هذا مفعول
لغيره لانه قصد الاضرار وههنا نفس الفعل اضرار وهو تصرف في حق الورثة على ما نذكره فيمكن الفرق بين الامرين
ولان الله تعالى قال تلك حدود الله الآية فاوعد الله سبحانه على تعدي هذه الحدود فثبت الاجماع مع جواز الوصية
وشرعيته بان ابطالها في الوجه الذي يتعين على ان الوصية الضارة تكون باطلة وايد ذلك قوله فمن خاف من موص جنفا
او اثما فاصلح بينهم ولو كانت الوصية جائزة لكان لا يملك تغيره الاصلاح فثبت ان من الوصايا ما يبطل معما كان
الله تعالى ذكر فلو ان شرع وصيته من الله فلا تملك ابطال وصيته الله وانما تجوز ما بعد تصرفه من الله فوجب القول
ببطلان بعض الوصايا وهو ما لم ترد فيه الاذن وهو ما زاد على الثلث والاصل في ذلك ان الاموال التي في ايدينا
خلقت لمنافعهم وكانهم ملكوا منافعها الى انقضاء اجالهم ثم صار ذلك عن ملكهم كانه تمليكه وهو الله تعالى
فيجعلها لمن شاء ويضعها عند من شاء وقد بين عز وجل انها لمن هو في وله بمقتضاه الموصى كانه اوصى بحق
من بني الله انه حق حفيظ فان تفضل الله تعالى عليه فحذ لك من شي ولا ذلك كان الاملاك التي يحوزونها بها لم
لغيرهم فيها حق الا بالجعل من الله ويجعل من له الحق فعلى ذلك هذا ثم قد جاء عن الله تعالى بيان تحديد لكن مع قد
وهو الثلث على ما ذكرنا من الاخبار في الفصل الذي انا المجعول له وهو الوارث حاز والا فلا والله اعلم فلم يجعل
للوصية حدا معلوما وهو الثلث فجعل هذا القدر مقدما على الميراث ولم يجعل الدين حدا بل جعل كل الدين
مقدما على حق الورثة اصلا حتى لا يستحق الوارث مع قيام الدين المستغرق بالتركة وهذا لان الدين انما يتصل
بحوائجه في حال الحيوة اذ هو يلزم بالاسباب التي بها معاشه وغذاؤه فصار مقدما على المتعلق في حكم
انما جعلنا الحوائج تشغل المتروك عن صاحب الفارغ عن حوائجه مما كان الغرما لحق تمليكه في حيوته الا
الميت كثيرا من المعروف في مرضه لحق الغرما فاما قبل ذلك فالعترة على ممكن ثابت لصاحب الدين ولا حاجة الى
تعيين ما في ايديهم والله اعلم وهذا بخلاف حقوق العبادات من الزكوة والحج ونحو ذلك بحيث لا يقدم على الارث لان
ديون العباد من اصول الحوائج التي يتعلق بها البقا على ما ذكرنا وحقوق الله من فضول الحوائج التي يتعلق بها
البقاء فان التاخير فيها والتقصير بها لا يفضي الى الهلاك وفي حقوق العباد ما يفضي لامتناعهم من الدنيا فكان
الحاجة ما بينه الى تعلق ديون العباد بالتركة دون العبادات ولان حقوق الله تعالى من الزكوة والحج ونحوهما عبادات
وقربة هي عمل الاحياء فاذا ماتوا زال الامكان ان تحصل فتسقط وحرمت الملك في الاموال وحقوق العباد تتعلق
بها فلهذا افترق الامران على ان العبادات لا يقوم الا بالنيات ولا تودي عن احد في حيوته الا بامره واختياره ولا تكاد
تحتمل النيابة وعلم النقص وبعد الوفاة خرج من ان يكون من اهل النية فلم يوجد الامر والاختيار حتى لو
الامر بالايصا فتعلق بالمال لكن يقدر الثلث فاما سائر الديون يجوز قضاؤها بدون النية والاختيار
من اربابها في حال الحيوة فكذلك بعد الوفاة معما كانت العبادات لا تحتمل وجوبها ابتداء على الاموات وكذلك
البقاء بخلاف سائر الديون فانها تحتمل الوجوب ابتداء على الاموات بان وجدت منهم اسباب في حال الحيوة
تحقق بها التلف بعد الموت فيجب الضمان عليهم فلما جاز الاستحسان البقاء على ذلك قاله تعالى من بعد
وصية يوصي بها او دين والعبادات لا توصف بالديون لا يفهم من اطلاق الديون العبادات ولانه في الحقيقة
لا يكون للمولى على عبده دين فان العبد وما في يديه مال المولى حقيقة وانما الواجب عليه الفعل والخدمة كما في الشاهد
فكان تسمية الدين في العبادات المراد بها الوجوب بطريق التاكيد وهذا كما ذكرت دينا يقال الوعد الكريم
دين بيانا ان ذلك الفعل من الكريم في الوجود بمنزلة قضاء الدين لا ان ذلك واجب في ذمته حقيقة فهذا
وان كان كذلك لم يكن دينا للمدعى داخلة تحت هذا النص ثم قد ذكر في الدين غير مضار كما ذكر في الوصية
بقوله من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار بل الحاجة في الاستثناء وهو حرف غير الدين اجوا ان تكون

اليه ومعلوم انه لا يصح من الموروث مضارة بالورثة في الديون الظاهرة المعلومة لانها لا توجد من الترك بلا اقتضا من
الموروث ولا بالجحد للدين هو قضاء حقوق الخلق لما الدين في الزام الكسب عليه في حال لا يبقى لقضا
الدين فثبت ان ذلك في الديون التي ليست بظاهرة معروفة الا باقراره فوجب القول ببطلان بعض اقاريره
وانه لا يجب القول بجواز اقراره على الكمال [illegible] الدين ليس بضرر على حق الورثة وانما يرد بالاضرار
من حيث نفس الفعل وهو القصد كالوصايا بذلك لان ذلك ثابت للغرماء بدون فعله فلا يرد قوله وقد بينا
ان المضارة فيها تمنع الجواز ثبت ان المراد من المضارة في الاقرار فوجب القول برد بعض الاقارير فقال اصحابنا
لا يجوز للمريض لوارثه وقت الاياس من نفسه عملا بظاهر النص ولانه وقت الاياس من نفسه [illegible]
[illegible] من المال وهذا امر [illegible] البعض على البعض [illegible] الطباع او
حقوق كانت لهم عليهم ويجوز للورثة ولهذا الاجماع ببطلان الوصية للوارث لما في هذا من الايثار بعضهم على
بعض وذلك مفضي الى قطيعة الرحم [illegible] لا يجوز الوصية [illegible]
[illegible]
[illegible] انفصال الوصية للوارث ابطالا للاقرار له بالطريق الاولى لانه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحقوق [illegible] العبادات المالية
من الزكوة وصدقة الفطر والحج [illegible] العبادات البدنية
[illegible] الصلوة والصوم [illegible]
في حال الحيوة وهو الزكوة والحج [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ثم بيان المضارة في الوصية ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثلث والثلث كثير انك ان تدع
ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل
ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه [illegible]

اقربوا ان شئتم تلك حدود الله الى قوله وله عذاب مهين وما روي في الثلث جنف وما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال الاضرار في الوصية من الكبائر ثم قرأ تلك حدود الله الى آخر ثم الاضرار قد يكون ايضا اذا اوصى
لوارث فلم يوص للباقين لانه اضر بالباقين بالوصية لبعضهم فلا فرق بين ان يضر بعض الورثة بالايصاء لبعض
وبين ان يضر بالكل بالايصاء للاجانب فكان هذا دليلا على بطلان الوصية لبعض الورثة ثم الاضرار قد يكون
بالدين كما يكون بالوصية لانه اذا اقر المريض لبعض الورثة بالدين فانه اقرار لا يجوز كما لا يجوز وصيته والاقرار
بالدين احق ان لا يجوز لان الاقرار في المرض جوازه بحق الامانة فانه شهادة على نفسه بمنزلة الشهادة شهادة على الغير
والشهادة امانة وكان الوصية جوازها بحق الملك اذ هي تصرف في ملكه فاذا بطل الوصية لوارثه في المرض فاقرار
ما لم يجز اولى وعلى ذلك اذا اقر بدين في المرض وعليه ديون في الصحة فغرماء الصحة مقدمون لانه ... باضرار غرماء الصحة
لان دينهم قد تعلق في ماله وتحول من الذمة الى التركة الا يرى انه ليس له ان يعطي غرماءه دون غرمائهم فلا فرق بين
ان يكتسب الضرر وبين ان يكتسب الضرر على الغرماء والله اعلم فاذا باع شيئا بمثل قيمته في مرضه او استقرض فانه
يجوز نفاذه لانه لا يضر الغرماء اذ قد يقضي دينهما اخذه واذا تزوج او استأجر بمثل المهر والاجر استوى الغرماء
لانه لا يضر بما يعمل لنفسه وصرفه في حوائج نفسه كما ان ديون الصحة من حوائجه فاستويا البنون بموجب القول
بالاستواء في القسمة فان قيل ان الرجل حين ينهى عن الاقرار في نفسه وماله لو فعل الحيف ... لا يجوز بيع
اذا لم يرض به الورثة وغرماء الصحة قيل له الاضرار اذا حصل في نفسه وملكه يكون فيه سواء وبيعه جائز لانه تصرف
في حال الصحة واذا حصل في ملك الغير لا يجوز بيعه وهذا انما يرد لانه حصل في ملك الورثة والغرماء
والله اعلم وقوله تعالى وصية من الله يحتمل ان حرمة المضارة التي ثبتت بالنهي وصية من الله تعالى ويحتمل ان الذي
صار وصار عليكم من الحوادث وصية من الله فريضة وقوله تعالى والله عليم حليم اي عليم بمن ضار الورثة في
على الثلث ومن لم يضار حليم لا يعجل بالعقوبة على من ضاره ويحتمل ان يكون العليم الحليم بمعنى واحد لان الحلم
ضد السفه وكذلك ضد العلم السفه ايضا فهو نوع جهل وقوله تعالى تلك حدود الله قيل في تفسيرها اي امركم
بها من قسمة المواريث وقد تقدم ذكر ذلك في سورة البقرة قال الشيخ رحمه الله تعالى حدود الله يحتمل وجهين
احدهما اوامره ونواهيه ومحارمه واحله ويحتمل حدود كل شيء من ذلك فيرجع الى ما قيل الاول الى النفس والعبادات
والثاني الى نهايات العبادات والمعروف من الحدود التي نسبت الى الخلق وجهان احدهما نهاية منسوب اليه وذلك الحد
حد الاعيان والثاني ان الذي يضاف اليه وذلك حد الصفات ... فعل كما حد البصر والسمع ... الا
الذي يعرفه انه يضاف اليه سمعا وبصرا والله اعلم ثم لم تكن الحدود التي اضيفت الى الله تعالى احدا من الوجهين للذي
يضاف الى الخلق اذ قد ثبت بضرورة العقل وحجج السمع تعالى الله عن المعاني التي هي معاني الخلقة فعلى ذلك ما اضيف
اليه من طريق الفعل من الاستواء والمجيء والرؤية لم يجز في ذلك تصور المعنى الذي يكون في اضافة ذلك الى الخلق
لما في ضرورة العقل والسمع جل الله وكبرياؤه عن ذلك المعنى وبالله المعونة والعصمة وقوله تعالى ومن يطع الله
ورسوله قيل ومن يطع الله في اداء فرائضه ورسوله في اداء سننه يدخله جنات الاية وقيل ومن يطع الله فيما
امره ونهى واطاع رسوله في امره ونهيه فله ما ذكر وقيل اذا اطاع الله فقد اطاع رسوله وكذا اذا اطاع رسوله
فقد اطاع الله وذلك كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل ومن يطع الله فيما امر ونهى واحل وحرم واطاع رسوله
فيما بلغ وبين ودعا وقيل السواء والتفريق لان من يطيع الله فيطيع رسوله لان الى طاعة الله دعا وفي عبادته رغب فيكون
طاعته كطاعته كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية
وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده وهذا كذلك فان من عصى الله فقد تعدى حدوده فقد
عصاه ويحتمل ومن يعص الله ورسوله بما لم ير امره امرا ولا نهيه نهيا ويتعد حدوده يعني احكامه وشرائعه
انه لم يرها حقا يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين عافانا الله بمنه وقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة
من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم الاية وقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الاية قيل كان
هذا الحكم في اول الاسلام الحبس للنساء الزانيات والايذاء للرجال وقيل كانت اية الاذى في الرجال والنساء
جميعا واية الحبس في المرأة خاصة ويحتمل ان يكون اية الاذى في البكرين الرجال والنساء جميعا واية الحبس في
الثيب من الرجال والنساء جميعا ويحتمل ان يكون اية الاذى في الرجال خاصة فيما كان يأتيان ذكرا على ما كان
عمل قوم لوط واية الحبس في الرجال والنساء جميعا في اتيان القبل فان كانت اية الاذى في عمل قوم لوط ففيه
حجة لابي حنيفة رضي الله عنه حيث يوجب التعزير دون حد الزنا في اللواطة لان الله تعالى اوجب فيها الاذى
باللسان واذا كانت الاية في هذا فهي غير منسوخة واذا كانت في الزنا فهي منسوخة لكن اختلف الناس فيما نسخت
به قال بعضهم وهم الذين لا يرون نسخ الكتاب بالسنة انها نسخت بقوله الزانية والزاني فاجلدوا الاية لكن

عندنا

عندنا هذا لا يصح لانه يجوز ان يجمع بين حكم الاية وهو الحبس والجلد فلا معنى لقول النسخ مع جواز الاجتماع
بين الحكمين فيكون هذا زيادة على الحكم الاول بدليل مثله وان كان في معنى النسخ عند بعضهم لما تضمن نسخ الكلية
لكن لا يكون نسخا للحكم اصلا فلا كلام فيه ولكن عندنا انما صار الايذاء والحبس منسوخين بالحديث المشهور
في الباب وهو قوله عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر والثيب بالثيب البكر
يجلد ويغرب والثيب يجلد ويرجم وفي هذا دليل على نسخ القرآن بالسنة فان قيل في الاية دليل يرد النسخ بقوله
او يجعل الله لهن سبيلا في الاية وعند السبيل لم يكن حكما مطلقا معلوما بيانا للرسول في التغيير في الحكم المجمل
لكن الحكم مضافا الى المفسر الى التفسير فيكون نسخ الكتاب بالكتاب قيل في الاية وعدنا انتساخ الحكم الثابت
بالكتاب لا غير فان اثبات السبيل عبارة عن نسخ هذا الحكم يعني وليس فيها بيان الناسخ وما في الاية انه
كان من حكم الله ان يرد فيها النسخ الا ان النسخ فيها موجود لكنه غير مذكور بصريحه الا ان الله تعالى لا يجعل الحكم
في شيء مؤبدا ثم ينسخه لان ذلك بدا او نسيئا او غير ذلك فانه فعل البشرية لا فعل الربوبية فلا بد من ان يكون
مع ذكر الى غاية ثم بيان ذلك الوقت بوحي يكون خبرا ابتداء وبعد يكون بوحي لا يكون قرآنا او فرق بين الامرين وفي الاخبار
كثيرة وهذا الناسخ الخطاب الجلد او الرجم فيكون نسخ الايذاء والحبس بها فقد روي ان ماعزا زنى فاقر
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مرات فرجمه وقد روي انه رجم غيره على ما روي ان عسيف الرجل زنى
بامرأته وقال لعلنا قضى بينهما بكتاب الله تعالى وقال واغد يا انيس على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال قد خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى
فيضلوا بترك فريضة انزلها الا ان الرجم حق اذا احصن الرجل وقامت البينة او اعترف وقد قرأناها الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وقال قوم الرجم مشروع في حق اليهود والنصارى
كالجلد وهو قول الشافعي واحتجوا بما روي عن رسول الله عليه السلام انه رجم يهوديين فعلم انما حكم رسول الله
بالرجم في حق اليهوديين بحكم التوراة لانه روي انه دعا بالتوراة ودعا علماءهم وامرهم ان يقرءوا عليه فوضعوا
ايديهم على الموضع الذي فيه ذكر الرجم وقرءوا غيره فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه انهم كتموا يا رسول الله
فظهر ذلك فامر برجمهما فانما امر رسول الله باقامة الرجم عليهما بحكم التوراة بناء على التزام اليهود حكم التوراة
وحكم التوراة غير لازم في حق اهل الاسلام حتى يكون ذلك شرعا في حق الكل لان رسولنا عليه السلام غير مأمور
بتقليد غيره واتباعه في حق الاحكام كاحد ممن تقدم ولان القرآن نسخ حكم التوراة فان الحبس والايذاء ثبتا
بالقرآن بما ثبت بحكم التوراة ثم الرجم من بعد ثبت بالحديث وذلك ثابت في حق اهل الاسلام لا في حق اهل
الذمة والله اعلم ثم هذه الاية دلت على جواز القياس لانه ذكر الحبس في النساء وذكر الايذاء في الرجال في
لا يختلف ثبت انما ترك ذكره في المنصوص لما ترك للاستنباط منه والاستدلال عليه وذلك هو القياس ثم اختلف
اهل الاسلام في الجمع بين الرجم والجلد في حق الثيب قال قوم يجمع بينهما لحديث عبادة بن الصامت عن النبي عليه السلام
انه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب يجلد ويرجم
اما عندنا لا يجمع لا فرق لما يعقل من الاخبار انه رجم ماعزا ورجم عسيفا وما جلدهما مع الرجم وقال فاغد يا انيس
على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر الجلد ولو كان واجبا لبين والحال حال الحاجة الى البيان
وما روي الثيب يجلد ويرجم يحتمل انه اراد به في اختلاف الاحوال يعني يجلد في حال ويرجم في حال لانه لا يحتمل
ان يرجم فان الثيب اذا كان غير محصن لا يرجم والله اعلم ثم اختلفوا ايضا في نفي البكر قال قوم يجب النفي والتغريب
حدا مع الجلد وبه اخذ الشافعي وعندنا ان كان حدا فهو منسوخ ودليل نسخه ما روي في خبر زيد بن خالد
وكان الرجل بكرا فلم يذكر انه نفاه وما روي عن عمر رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد ولحق بالروم فقال
لا انفي بعد هذا ابدا وما روي انه قال كفى بالنفي فتنة ويحتمل انه كان عقوبة على طريق التعزير لا على سبيل الحد
كحبس المتعارف وعندنا والدليل ان الله تعالى قال في الاماء فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب والامة لا تنفى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنت امة
احدكم فليجلدها ثم اذا زنت فليجلدها ثم اذا زنت فليبعها ولو بضفير امر بجلدها دون النفي ولو كان حدا
لامر في حقها كما في الجلد ولانه ليس بحد في الحقيقة لكن على طريق الزجر لغلظ جنايته وزنا الامة والعبد
في الغلظ دون ذلك على انه ان كان حدا فالمراد من النفي هو الحبس لان الحبس في معنى النفي دونه يقول
تحبس لتحدث توبة على انه اذا اريد به النفي عن البلد فانما اريد به نصيبا به حالهما لانه اذا بعد عن ابصار ...
فيقل ذكرهما ونسيا عليهم وما كان هذا سبيله يكون الاستحباب لا بطريق الوجوب قال الشيخ رحمه الله
في قوله واللاتي يأتين الفاحشة الى قوله فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما او كانت الاية فيها في تحد فان ...

على وجهين احدهما ان يكون الحبس في جميع الاناث والايذاء في الذكور ثم نسخا جميعا وانما كان الحكمة
وفيه والله اعلم وهو ان الايذاء باللسان على طريق التقدير والتانيب نحو الرجل من الحبس لكمال عقله
وفي الحبس نحو المرأة اقطع لوجود الزنا فانهن لم على وضع فيحذر عن الحيل في انواع التزين والمخالطة وغير
ويتقدم هذه الوجوه بالحبس والحدود وشرعت الزجر فكانا قريبا من التحقيق وهذا المحكي عن السدي والوجه الثاني
ان يكون الحبس في المحصنات والمحصنين والايذاء في الابكار بغير المحصن من الرجال والنساء الا انه ذكر في
الاية الاولى الاناث على تصميم الكبد وفي الاية الثانية الذكور على تقسيم الاناث حيث ذكر بلفظ التانيث
في الاولى وبلفظ الذكور في الثانية وانما خص المحصنات الثيبات بالذكر بقوله واللذان ياتيانها منكم وادنى كا
بالامتناع الكلي لان وجود الزنا من حيث الغالب يكون من الرجال والثيبات من النساء دون الابكار ومنهن لما في
الابكار من النساء وفضل استيحاء عن الرجال لما تدينا او حياء او خوفا من الافتضاح بعد النكاح في ان خلو الزوج
بهن واطلاعهم على ذلك حتما فيلمسه الدائمة والعار اللازم لو كشف ذلك لجميع محارمهن الفطورية ووالد
لجميع النساء ولما كان الغالب عليهن الصون والحفظ من المحارم اباهن عن قرب الذكور والمخالطة معهم
ليس شيء من ذلك نحو الرجال ولا في حق الثيبات على انه بعيد من الابكار من النساء اضعف في قلة الحياء
والوقاحة بما لا يظهر في النساء ويخلي حتى يقف عليها الاربع من الشهود مع انه الغالب من حال المعمات
لا يخالطن هذا القدر من عند الرجال ثم دلالة دخول الكل استواء الكل في الجناية فلا تكون ناسخ حكم
الكل هو قوله عليه السلام خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب
عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة فدل ان الحكم الاول عم الرجال والنساء على الاطلاق وبهذا
تبطل تاويل من يصرف الاية الى الابكار ومن الاناث والذكور لان ظاهر الاية لا يكون منصرفا الى الابكار
ولان الناسخ عم الكل ثم النسخ عندنا بالسنة التي رويناها على هذا اجماع اهل التاويل ومن انكر النسخ
فانما انكر لجهله بجواز نسخ الكتاب بالسنة والنسخ هو البيان في الحقيقة فقد تحكم على الله تعالى وعلى
رسوله احد نوعي بيان الكتاب وهو بيان الكتاب بطريق التخصيص وحجر عن البيان الثاني وهو بطريق
النسخ والتحكم على الله في غاية القبح ثم في الاية دلالة على انه لا يجوز الائمة ان يقيموا حد الزنا بعلمهم بل
انما يقيمونه اذا قامت عندهم اربعة من الشهود ولانه قال تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم هذا
الخطاب الائمة لان الحدود مما يتولاها الائمة ولم ياذن لهم في اقامة الحدود عند اتيان الفاحشة
منهن حتى يشخص اربعة من الشهود بقوله فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فالاية
دلالة انه لا يجوز اقامة حد الزنا الا عند وجود الشهود ولان الستر واجب على الامام وعلى غيره باقصى ما يمكن
والاعلان والاشاعة حرام قال الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة الاية وقال عليه السلام من اصاب
من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حد الله ولهذا وجب على
من قذف غيره بالزنا الحد لوجهين احدهما ان القاذف من هتك الستر حتى يكون زاجرا لمثله عن هتك
هذا النوع من الستر ولهذا اخرجت شهادته وردت لينهتك ستره برد الشهادة بما هتك ستر المسلم
على صلحه والثاني لما في نسبة صاحبه الى الزنا من الحاق الشين الكامل به ولزوم المسبة اياه على الدوام فكان هذا
دليلا على لزوم معنى الستر ولان وقوع هذا الفعل في الاصل يكون على غاية من الستر والخفاء فان الحلال منه
لا يفعل الا في احوال الخلوات بحيث لا يوقف عليه لا اباشر وهو حصول الولد [illegible] ظاهر الحال العمل
الظن فاما وجود عين ذلك الفعل فما لا يظهر لها يقينا فهذا هو الحال في الحلال منه فالحرام منه احرى ان يكون
بحيث لا يعلم حقيقته ابدا فاذا بلغ هذا الفعل الذي حقه في الاصل ان يكون في نهاية الستر والخفاء النهاية
من الاعلان والظهور الجماعة الاربع فصاعدا كان ذلك لزيادة جراءة وقلة مبالاة من هذا الفاعل
وقلة احتياطه الى حقه الخفاء في غاية الظهور استحق بحرمة العقوبة الزاجرة عن مثل هذا الا
في المستقبل فيجب على الامام اقامته فاما ما دام لم تبلغ هذا المبلغ من الظهور وكان في الاصل فيه الستر
فلهذا قلنا لا يقيمه الامام بعلم نفسه لانه لم يبلغ في الظهور هذا المبلغ الذي تعلق به العقوبة والله اعلم
ثم ان الله تعالى جعل في هذا الفعل عقوبات مختلفة على اختلاف اوقات الفعل واحوال فاعليه على ما علم
من مصلحة الخلق فيها وزجرهم وتكفيرهم فجعل اول عقوبة الزنا في نوع من الخلق الحبس في البيوت في بدو
الاسلام والايذاء باللسان في نوع ثم الجلد في نوع والرجم في نوع ولم يشرع في الابتداء ما هو نهاية في العقوبة
وانما كان يشرع على هذه المراتب والله اعلم لوجوه احدها وهو ان الزنا كان في نوع من الخلق ظاهرا يكتسبون بذلك
عرض الدنيا وحطامها وذلك في الاماء حيث كانوا يجبرونهن على الزنا قال الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

ان اردن تحصنا وحتى كانوا يدعون الانساب اليها ولادا لما في الاماء كما في النكاح وبلغ ظهور الزنا في الاماء محال
تمازج به الحرائر في الطرق على زعم انهن اماء فخفي حال الحرائر عليهم فنزل قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين فاذا كان الزنا ظاهرا في ابتداء الاسلام كان
الزنا غالب الوقوع بما بلغ الوجود في الاماء الاسلام وكذلك في حق الحرائر لكثرة ما يرين ويسمعن وذلك يعني
يبعث من شرهت نفسه وقل تفكره في امر عاقبته ما ينزل به العقاب وما يحل به من الشين والعار على ارتكابه
وقد تركبت هذه الشهوة في كل البشر ولانه لما يكثر وجوده يهون في اعين الناس فيخف عليهم موقعه واذا كان
الامر على هذا السبيل في الابتداء خفف الله عقوبته من الحبس والامساك في البيوت في نوع والايذاء باللسان
في نوع كيلا يؤدي الى النفار لو شرع فيه ما هو نهاية في الباب وهو الرجم لانه اذا كان كثير الوقوع باعتبار العادة
واستحقار ذلك في اعينهم فكان شرع الرجم في ذلك يؤدي الى النفار لو شرع في الابتداء الزجر على وجه الحكمة
والسهولة ثم صار الى الجلد الذي يتالم به لتعظم وقدر ذلك في اعينهم شيئا فشيئا او شرع في التشبه
الى الجلد ورد الشهادة ليعرفوا عظم موقعه عند الله زجرا لهم عن ذلك ثم صار نهايته ذلك وعاقبته هو الرجم في بعض
الاحوال وهو الحال التي تغلظ فيها كل وجوه العقوبة بترادف جميع الحلال بتقطع جميع معاني السنة والعظم امر الزنا
ويتم ذلك في نفسه وتغلظ ذلك في غاية الغلظ بمظاهرة العوامل عليه والله اعلم والثاني ان السبب الباعث
على الزنا في العادات هو قرب بعض من بعض ومخالطة بعضهم بعضا مع غلبة الشبق وهيجان الشهوة فمن وقع في ذلك
كانت الشهوة حملهم على ذلك طبعا وصار الفعل المانع عنه مغلوبا فاذا كان الزنا في الابتداء معتادا والاختلاط
ظاهرا شرع الحبس الذي هو كف عن الاختلاط وبلوغ الابصار الذي هو السبب الداعي معاصيه وفضل تحصين
الحال اذ الحبس والامساك مشروع الى الموت فيكون اشد عقوبة من الضرب في زمان فشرع في الابتداء الحبس
لما انقطعت العادة بشرع هذا الزاجر فقام الناس بالتعاهد وقاموا بالتفريق بين الرجال والنساء حتى لا يؤدي
بالاجتماع الا في موضع ثم مانع شرعي يبعث على الاياس وانه سبب تقليل الشهوة من المحرمية ونحوها شرع منه الحالة
وجعل لهن سبيلا والثالث ان الوقوع في الزنا كان بسبب تقصير في الانزجار عن الحفظ والصيانة بانه قل
ما يقع مع الحفظ فشرع الحد في الابتداء بالحبس الذي فيه نوع زجر لذوي الارحام عن التضييع وترغيب لهم في الحفظ
والصيانة وهو وجوب النفقة عليهم في حال الحبس وفي تضييعهم تضييع حقوق الرحم وكان في شرع الحبس زجر
لهم عن هذا النوع من التقصير مما فيه من زجر الزناة في المستقبل وهو بسبب قطع سببه وهو الاختلاط فيكون ابلغ
في العفاف والاقرب الى الصلاح ولهذا لما شرع العاقل على العاقلة ليتقوا جهل الصلاح في كل قبيلة فيكفوا اهل العباد
عن الفساد اذ بسبب تقصيرهم يحصل القتل اذ لا يتحقق مع حفظهم وحسن التدبير في منع القاصدين فكذلك
هنا فلما اعتاد اهل القرابة التعاهد والحفظ وتركوا تلك العادة اكتفى بما هو ادنى الحياء دونهم وهو الجلد نسخ
ذلك الى ما ل الحال الذي لم يشرع الحبس والله اعلم فان قيل ان الله تعالى قال فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت
او يجعل الله لهن سبيلا جعل الحبس مشروعا الى ان يجعل لهن سبيلا فالحبس مشروع الى ان يجعل لهن
سبيلا ثم اخبر صاحب الشرع مبينا السبيل بقوله خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد
مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ولا شك ان الذي جعل له السبيل يكون امرا يسيرا وهونا له
لم يجعل الا لما السبيل اسم الذي يسمى سبيلا الذي نسخ به الحبس والايذاء وهو الجلد والرجم اشد عليهم من الحبس
والايذاء فكيف يكون هذا والجواب عن هذا والله اعلم من وجوه احدها انه لا يراد بالسبيل اقامة الجلد والرجم وانما
يراد به تخلية المحبوسات بسبب الزنا فانه شرع الجلد والرجم ينسخ حكم الحبس فكل من وجد منه الزنا من النسوان
والرجال وكانوا محبوسين خلى سبيلهم لما جعل الحد فحقهم الحبس الى الموت والى شرع حد اخر في الزاني
اذا حد مرة لا يحد ثانيا فيكون الجلد والرجم مشروعا في حق من وجد منه الزنا في المستقبل فاذا كان المراد من السبيل
في حقهم هو التخلية عن الحبس كان ذلك تيسيرا في حقهم فلهذا سماه سبيلا والله اعلم والثاني ان السبيل
الحقيقة مجعول لمن كلف امساكهن وحبسهن في البيوت وهم الاولياء وكانه قال او يجعل الله لكم سبيلا وان
اضيف اليهن بقوله لهن سبيلا لانه سبب من ضيق عليهم بالامر بالامساك والزام النفقة والكفاية لهن
وذلك كقوله فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن والاماء لا يستحقون الاجر ولهن وانما يستحقه الموالي ولكن لما كان
سببا يأتيهن وهو وطء الاماء اضيف اليهن وكقوله واسأل القرية التي كنا فيها اي اهل القرية لكونهم
ساكنيها وهو تسمية الاهل بالتذكير ومع ذلك ذكر بلفظ التانيث يعود الى كانها بناء على ظاهر اللفظ فكذلك
ههنا ذكر بلفظ التانيث وهو قوله لهن سبيلا بناء على ظاهر اللفظ وان كان المراد لكم سبيلا لانه كانه
جعل للمامورين بالامساك في البيوت سبيلا في انهن واعنهم بسبب شرع الجلد والرجم مؤنة الامساك

والقيام بالكفاية والله أعلم والثاني أن يكون في طول الحبس والإمساك على الدوام ضجر وضيق وحيلولة بينه وبين
الشهوات كلها وقطع بينه وبين الأحباب فيحمل مشقة عظيمة مرة أيسر على المرء وأهون على النفس من ذلك
والتبرم على الدوام فلذلك سمي هذا الناسخ وهو الجلد والرجم سبيلا لينجي عما هو أعظم منه في الطبع والله أعلم ثم
في الخبر الذي ذكرنا فائدتان أحدهما فيه بيان أن الحبس المذكور في القرآن وإن كان في النساء خاصة فهو في جميع
الزناة لأنه قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ثم ما به جعل لهن السبيل في الذكور
والإناث وفي المحصنين وغيرهم ليعلم أن الحكم الأول باق في الكل لأن الآية جرى الذكر في الحبس للنساء خاصة لأن
الرجال تابعون في الموجب فيكون في ذكر الحرم معنى وهذا كقوله والذين يرمون المحصنات أثبتت الحد في قذف المحصنات
على قذف المحصنين من حيث المعنى كما ذكرنا إنما الذي في الإماء وإن كان الحكم يشمل العبيد والإماء جميعا
لوجود المساواة بينهم في المعنى الموجب للحكم فهذا مثله والثاني فيه بيان نسخ الحكم المذكور في الكتاب
بالسنة وذلك لوجهين أحدهما أنه لم يوجد في القرآن على الترتيب الذي ذكر في الحديث وهو الجلد والتغريب
في حق الأبكار والرجم والجلد في حق الثيب في حق البكر المحصن والرجم في حق المحصن الثيب إنما في الكتاب ذكر
الجلد لا غير في حق مطلق الزاني فإنما ثبت هذا الترتيب بالحديث مع ما ذكر تخلية السبيل وليس يذكر في شيء
من القرآن أنه شرع سبيلا لهن وإنما ثبت ذلك بالحديث الذي هو الوحي غير المتلو والثاني أنه قال عليه السلام خذوا
عني خذوا عني ثم أخبر أن جعل الله تعالى لهن السبيل فكان قوله خذوا عني خذوا عني على أن ما جعل الله السبيل
منه وأنه هو الذي تولى بيان ذلك وهو معنى النسخ فإنه بين أن جعل الله تعالى مدة الحكم الأول تم ابتدأ الحكم
الآخر في حقهم ولا يقال بأن في القرآن وعدا بأن التسبيل بقوله أو يجعل الله لهن سبيلا فكان الحديث
بيانا للثلث الموعود فيكون بمنزلة بيان التخصيص وبه نقول لأنا نقول لكل شيء في حكم الله تعالى أمر ينسخه
وعد النسخ من الله تعالى قائم من حيث الدلالة لأن الله تعالى لا ينسخ حكما ثبت مؤبدا وإنما ينسخ حكما موقتا
لكن الناسخ قد يكون صريحا مشروطا وقد يكون بطريق الدلالة فيرد في الوجود النسخ إلا أن يقول
لا نصدق الرسول ببيان وعد الله تعالى المعلوم لنا من حيث الوحي الذي ليس بمتلو وإنما نصدقه في بيان
وعد قبله بوحي متلو صريحا ومن اعتقد فيحتاج إلى أن يجدد إيمانا نعوذ بالله من قول هذا المعتقد والله
الموفق ثم الوجه الآخر ينسخ حكم في القرآن بما ليس في القرآن وهو السنة وإن كان في القرآن وعد نسخ ذلك
الحكم يجب العقل بجواز نسخه بالسنة وإن لم يكن في القرآن وعد نسخه إذ في الحال نسخ حكم الكتاب
بالسنة على أنه تعالى بهذا القول إنما بعثه فعلمه جهلة بمعنى النسخ لأن النسخ هو كشف عن منتهى
حكم المذكور من الوقت ولا ريب أن رسول الله بيان منتهى الحكم من النوع أعني التخصيص فإنه بين أن المراد
بالنص أي نوع من الأنواع الداخلة تحته ظاهرا فكذلك يجب أن يكون بيانا لمنتهى الحكم من الوقت أي الحكم
المذكور يراد به إلى هذا الوقت وإن كان الأوقات كلها داخلة من حيث ظاهر الحال في ظاهر اللفظ علمت
أن القول بنسخ الكتاب بالسنة واجب فضلا عن الجواز ثم الآية دلت على أن الرجم غير مشروع في حق أهل الكتاب
لأن عقوبة العقوبة وهي الإمساك في البيوت والإيذاء باللسان أول عقوبة شرعت في الزنا في الإسلام
فلا بد أن يكون ناسخا الحكم التوراة لأن شريعة النبي عليه السلام ناسخة لشرائع من قبله وما بقي من الشرائع
المتقدمة في شريعتنا فهو مبتدأ شرع في حقنا لأنه بقي على شريعتهم فيصير كأحد عامتهم وهو أفضل الأنبياء
فلا يجوز أن يكون تبعا لهم والحكم في التوراة هو الرجم وقد ذكر أن رسول الله إنما رجم بحكم اليهود في حقهم
بناء على اعتقادهم شريعة لهم لمسايل الحاجة إلى الزجر وامتناعهم عن إقامة ذلك الحد لخبرته فيهم حد آخر
وهو التسخيم والتطواف في البلد وهو معنى قوله عليه السلام أنا أول من أحيا سنة أماتوها فإذا ثبت أن ذلك
حكم التوراة ثم ثبت نسخه بشريعتنا وهو الحبس والإيذاء فلا يقام الرجم عليهم إلا بعد البيان أنه هل ورد
الرجم في حقهم في شريعتنا وإنما الإجماع الإجماع في حق أهل الإسلام فبقي الحكم في حق أهل الذمة موقوفا
على الدليل سيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أشرك بالله فليس بمحصن وإنما خبر الرجم ورد
في الزاني المحصن فإنه روي أنه رجم يهوديين وقد كانا محصنين على أنه لا حجة للخصم في ذلك الحديث فإنه يحتمل
أنه كان قبل الحبس فصار منسوخا به ويحتمل أن يكون بعده فصار ناسخا الكتاب لأن فيه حكم الحبس ونسخ
حكم الكتاب بالسنة لا يجوز عندهم وعندنا وإن كان يجوز لكن لا يثبت النسخ بالاحتمال فبقي الحكم على ما كان
في حق أهل الذمة والله أعلم وقال قوم بأن عقوبة الحبس في الإناث خاصة وأما في الذكور فهو الأذى باللسان
والتعيير بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية وهذا ترتيب لأن النساء كان مكانهن البيوت وأمكن حفظهن
عن الزنا وتسليمهن إلى الأزواج مرة وإلى المحارم ثانيا والرجال إذا حبسوا لحوائجهم منعهم عن هو فيكون عقوبة لهم

تلزم عن هو الزجر يكون لهم وهي السكنى في البيت عن الاستمتاع بالكسب إنما فأما النساء فمن
فالرجال الحاجة إذا لم يكن في محل قوم لوط العقوبة وذكر الله الحاجة الناس للجمع من عقوبة ذلك الفعل
زجرا لهم عن ذلك الفعل القبيح وشرع الحد في إتيان النساء وهو الزنا لا يكون شرعا في هذا الفعل لأنهما
فعلا يختلفان فإنه يتعلق بالزنا حقوق وحرمة وأحكام تثبت في الولادة من وجوب المهر وحرمة المصاهرة
ونحو ذلك لم يحتمل أن يترك ذكر عقوبته هذا الفعل في النساء فبذا فرق بين الأمرين
في الأحكام فيشبه أن يكون الأذى في اللواطة ويؤيد ما قلنا أنه قال في آخر هذه الآية فإن تابا وأصلحا فأعرضوا
عنهما ولا بد أن يكون في ذلك جعل السبيل وقد ذكر رسول الله جعل السبيل في كل أقسام الزناة فأمر أن يراد
بالآية ما ذكرنا ثم تفريع من وجهين أحدهما أنه لما كان في هذا الفعل في ابتداء الإسلام أخف العقوبتين
وهو الأذى دون الحبس فكذلك العقوبة في الآخر يجب أن تكون أخف من العقوبة في الزنا وأنهم سووا بين
الأمرين مع ما كان الأذى شرع في حق مباشر هذا الفعل بطريق التعزير والتعزير باق إلا أنه هو على أقسام تختلف
باختلاف الأوقات واختلاف حال الفاعل فيكون ذلك مفوضا إلى الإمام وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله
وعلى هذا الوجه لا تكون الآية منسوخة والثاني ما ذكرنا أيضا استواء الذكور والإناث في جميع
الزنا في تتميم الأذى وهو شر من حد عقوبته لما ليس على الإحصان والثيابات والأبكار لكان حكم الآية ظاهرا يجب أن
لا يختص به الذكور دون الإناث إذا قلنا والله أعلم ثم النفي المذكور في الحديث يحتمل وجوها أحدها ما ذهب
إليه الخصم من جعله عقوبة الزنا وأن المراد منه هو النفي عن البلد والإخراج منه ولكن الحمل على غيره أولى لأن
الحدود في الأصل جعلت كفارات كما قال الحدود كفارات لأهلها أو جعلت زواجر وكلاهما في الزنا خاصة
إذا أمرته بالحبس والإمساك في البيوت لينقطع المخالطة مع الرجال ويقع الاقتصار عليهم لكيلا تضيعها
عن السبيل لتحقق التفكير ولا تحقيق الرضا فإن المرأة إذا كانت تعتاد هذا الفعل فلا يلحقها المشقة به حتى
عن السكن والتبعيد عن الأقارب لكي تحفظوها بل في ذلك اتصال لها إلى ما هو غرضها وهو انفتاح الباب
عليهما من كل وجه من غير خوف ويكون في ذلك تمكن لها من الزنا بأيسر الوجوه فلا يصلح النفي عن البلد حدا دل
أنه لا يراد بذلك ويحتمل أن يراد بالنفي الحبس لكن يحتمل أن يكون بطريق العقوبة لأن في ذلك سد باب
الاجتماع على ما كان من قبل وقطع طريق الوصول إلى الزنا فيكون المراد من نفيها عن طريق الوصول إلى الزنا وتضييق
الأمر عليها ليظهر خشوع التوبة ويحتمل أن يراد بالنفي قطع الذكر ودفع المسبة فينفي لينسى ما وجد منهما
من الفعل القبيح فلا يعير بذلك ولذلك لم يحمل في الإماء ولا في الكفرة إذ ما فيهم من الذل بسبب الرق أعظم
فلا يحتاج إليه لدفع الذل عنهم ولهذا الحكم يغرب بسبب الكافر والعبد الحد لتعلم عظم موقع ذلك في أنفسهم
فإذا كان كذلك يحتمل أن النفي على هذا الوجه لا يكون واجبا عقوبة بل يكون من باب الندب والاستحباب
على أنه لو كان بطريق العقوبة فهو منسوخ بما جرت السنة في الإماء بجلدهن من غير ذكر الحبس والنفي وقد
قال الله تعالى فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فكذا أنه غير مشروع بطريق الحد في حق
المحصنات أو صار منسوخا والله أعلم ثم المذكور في الحديث والثيب بالثيب جلد مائة ورجم يحتمل أن يراد
أنه يجلد في حال ويرجم في حال إذ لا كل ثيب يرجم وإن كان المراد هو الاجتماع فصار منسوخا بحديث ماعز
وغيره حيث أمر بالرجم لا غير والله أعلم وقوله فآذوهما قيل فآذوهما بالحد وقيل فآذوهما بالتعيير باللسان
وقيل وسبوهما وهذا إنما كان قبل أن يشرع الحد فلا تركا لأمرهم وتكثر التعيير ولكن يعرفوا العقوبة وقوله تعالى
إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قيل أي يتوقف التوبة وهدايته على الله إذا
كانت نفسه نزعت فيها ثم تميل إليها فعلى الله أن يوفقه على التوبة إذا أعلم الله منه أنه يتوب ويحتمل أي
التوبة على الله إذا أناب ورجع عما كان ارتكبه عن قريب قال الشيخ رحمه الله يحتمل قوله إنما التوبة على الله للذي
هو فعل التوبة يعني أن الذي لا يسوف في التوبة ولا ينتظر للتوبة وقت العجز عن ترك ذلك إلا أن الله الذي
يتوب عنه ولا يؤخر إلى حال الإياس عن إمكان العود إلى ذلك الفعل الذي فيه يتوب الله تعالى يقبلها إذا كان
ذلك عادته وأما على أنه يتوب عن قريب من كل معصية وقع فيها فإذا وقع في حال لا يتوب يبلغ ذلك الوقت
الذي يعجز عن إتيان ذلك الفعل لا يرى عادته الرجوع إلى الله تعالى في كل ذنب ارتكبه لعظيم ما عنده من المعصية
التي وقع فيها الأمر ويرغب إليه طبيعة وكأنا متناع عن التوبة حتى يبلغ هذه الحال إلا كره الأمانع تعففا في حقه
طبعا فإذا تاب في هذه الحالة تفضل الله تعالى عليه بقبول توبته فأما إذا كان من عادته الاستخفاف بالذنب
والإصرار عليه وكان لا يتوب عن قريب ويسوف حتى يبلغ مبلغا يعجز عن العود إلى مثل ذلك الذنب فالله تعالى
لا يتصل توبته لأنه بحاله بحكم لو عذب الناس أو لا يقبلها والله أعلم وقال إلى أن يراد بالآية توفيق التوبة

لمن كان يفرعهم بخوفه ودينه الحق ويبعثه على الرجوع الى الله تعالى والتعرض لرحمته واحسانه ولا يوفق لمن كان
يما يذكره ولا يتضرع اليه ان شاء وقيل الاية الاولى وهي قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة في
الايمان في الصغاير والاية الثانية في الكباير وهي قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت والاية الثالثة في الكفر وهي قوله ولا الذين يموتون وهم كفار فقد قيل لاذنب اصحب من الصغيرة رق
قلنا فاحضر ذكر الله تعالى واقرب رجوعا اليه من صاحب الكبيرة اقسى قلبا من الاول واظلم لنفسه فهو لا يبدي
الا بعيش ويستطول عمره وضيق الوقت فليس على الله قبول توبة من يتوب في مثل تلك الحال لكن بفضله
ورحمته يقبل ان شاء ويوفق له على التوبة ان تعالى ما كان يعمل من الايمان والحسنات التي هي من اسباب التقرب الى الله تعالى
ونيل رحمته وفضله واما الكافر فلا يقبلها اصلا اذ هو لا يتوب حتى يموت فيستحق العذاب والله الموفق
ويحتمل ان يكون قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات في الكفار لانه لا يكون منهم من يظهر التوبة عند العجز
عن اتيان مثله والنزع الى الحال التي يعجز عنه ويمنع الامكان وييأس من الاعمال التي يتصل الحياة له كان يدين فالله
تعالى لا يقبل توبته كما لا يقبل توبة من مات منهم على الكفر ممن يتوب بعد الموت بقوله ولا الذين يموتون
وهم كفار وهذا لانه هذا في الحقيقة ليست بتوبة مكن بل هي كانها توبة مضطر لانه وان كان في الحقيقة
مختارا لانه يتصور منه الترك لكن هو ادى بها اضطرارا ملجأ الى هذا الاختيار ولدفع العذاب على نفسه لا لتعظيم الله
تعالى وخوف جلاله ولانه وقت يشغله عن الاستدلال وعن الوقوف على اسباب العلم من جهة الباطل والنظر
لا يرجع عن الذي اقبل عليه من النزع وهو في دفع ما يعاين من العذاب يظن ان له الخلاص والنجاة والله الموفق وقوله تعالى
يعملون السوء بجهالة يحتمل وجهين يحتمل جهل الفعل اي يفعل فيه من غير قصد فيكون المراد منه العفو عنه ويحتمل
ويحتمل قصد الفعل والجهل بموقع الفعل انه حرام او في الحرمة تاويل غير بعينه تكبه مع الجهالة بحاله لا بقصد له
به وكتمانه او نايه والعمل بالجهالة يخرج على وجه قد يكون عن غلبة شهوة فيعمل لغرض اقتضاء الشهوة على طمع
انه يتوب من بعد تصير رجلا صالحا كما قال اخوة يوسف كما اخبر الله تعالى اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ثم سماهم جهلة كما قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم
جاهلون ويحتمل ايضا العمل بالجهالة فهو ان يعمل على الطمع المغفرة ويتكل على رحمته وكرمه ويحتمل العمد
بالجهالة جهالة العقوبة عمله بالخطأ والنسيان على رحمته وكرمه ويحتمل العمل بالجهالة جهالة العقوبة عمله
ثم الخطأ والنسيان على وجهين خطأ الفعل وهو الذي ليس بصواب ولا يستعان كان خاصا في مباشرته
وخطأ الذي هو ضد العمد وهو الذي قصد احدا بالرمي فاصاب غيره والنسيان على وجهين ايضا نسيان ترك
نحو الذي يجوز ان يضاف الى الله تعالى ونسيان عقله وتمييزه فهذا لا يجوز ان يضاف الى الله تعالى بوجه والعلم
والاصل في الشيء المنسي انه متروك فيسمى كل متروك من رحمته ولكن امته منسيا فيجوز الاضافة الى الله تعالى
من هذا الوجه وقيل نزل قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية في المؤمنين وقوله وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الاية في الكفار وقيل انهم جميعا في المؤمنين والثالث هي قوله ولا الذين
يموتون وهم كفار في الكفرة وقيل ان الاولى في المؤمنين والثانية في المنافقين والثالثة في الكفار وعن
عمر رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من تاب قبل ان تغرغر نفسه وعاين الملائكة قبل الله توبته وقيل قوله اني تبت الان توبة شرطة فلم تقبل
انقطع القول عنه قطعا وقيل في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الان هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت اخبر انه لا يقبل توبتهم لانهم يتوبون توبة دفع
واضطرار وقوله ولا الذين يموتون وهم كفار لا يقبل توبتهم لانهم يتوبون في الاخرة لدفع العذاب عن انفسهم
كقولهم ما اشركنا ولا اباؤنا وقولهم وما كنا مشركين وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها قال بعضهم يجوز لهم ان يرثوا النساء طوعا استدلالا بهذه الاية لانه تعالى انما نهى عن
ان يرثوهن كرها وكان فيه دليل جواز ان يرثوهن طوعا في موضع لم يثبت الحرمة بالصيرورة ولكن عندنا لا يجوز الارث
اصلا لا بطريق الرضا والطاعة ولا بطريق الكره وليس في الاية دلالة جواز الوراثة عن طوع احدهما
ان الاية خرجت مخرج التحريم عما كانوا يفعلون من العادة وهم كانوا يرثون في حال الطوع والكراهة فانه قيل في
القصة كان الرجل اذا مات وترك امرأة كان اولياؤه احق بامرأته من ولي نفسها ان شاؤوا تزوجوها كانوا اولاد
فخلت الى اولياء دون المرأة فنزلت الاية في ذلك وقيل ايضا كانوا في اول الاسلام اذا مات الرجل القى قريب
الناس منه ثوبه على امرأته ثم من نكاحها كرها او خطبها شاءت المرأة او ابت فنزلت الاية في ذلك والثاني
ان ذكر الكره في الوراثة لبيان خاصية الميراث لان الوراثة ابدا يكون جبرا وكرها شاء الوارث او لا وشاء المورث

الا وكان ذكر الكره ويحدثه سواه فيضار كما لو قال يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء وحجه
حرمة الوراثة مطلقا كما هذا وهذا لا ذكر الخاصية وعلى الذكر سوا لانها لا تنفك عن ذات تخصيص
[illegible] كما قال الله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه [illegible] وكل طائر يطير بجناحيه ذكره وغيره سواه
وهذا نظائر والثالث انه ليس له ذكر الكره وغيرها ذكر الحكم في حال دلالة تخصيص الحال ولا ذكر الوصف
في شرط تعليق الحكم به ويحتج بما كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وهذا لا يدل على انه
يقتلهم عند عدم خوف الاملاق وكما قال انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقال تعالى فان خفتم الا
تعدلوا فواحدة [illegible]
[illegible]
[illegible]

القنطار مائة رطل وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه قنطارا من ذهب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان كرهت امرأتك واعجبك غيرها فطلقت هذه وتزوجت تلك فاعط هذه مهرها وان كان قنطارا والقنطار اثنا عشر الف درهم او الف دينار وقيل القنطار الف ومائتا دينار وفي الحقيقة انما ذكر ذلك على سبيل التمثيل ليس على بيان المقدار ثم الوعيد في النهي والوعيد في ذلك والله اعلم ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان النساء عندكم عوان اتخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله فوعد الله تعالى الازواج فاعلم القرآن احدا مهور النساء وغيرها من اموالهن لضعفهن في انفسهن وكون الرجال قوامين عليهن لئلا ينبسط الازواج في اموالهن اشفاقا عليهن ولما ان الازواج اذا اخذوا مهورهن يبقى لهن المنافع المستوفاة لهم بغير عوض وقيل قد ذلك مفصلا [illegible] فهو حرام وعلى هذا القياس ينبغي ان لا يجوز لها ان تخلع نفسها بالمهر والابراء لانه يبقى المنافع المستوفاة للزوج بلا عوض ولكنا نجيز لانها تصرف وتقلب في ملكها اما من حيث الجود والاحسان بالابراء او في الخلع بالبدل وهو حصول الفراغ عن عهدة الزوج والسبب قد يكون مالا وقد يكون غير مال وهي تصرف في ملكها لغرض يحصل لها لم يخرج ذلك الا ان يكون عوضا عما اخذ بعينه ولا يخرج ذلك من ان يكون مستبدلا له لنيل الخلو ذلك عن الكدر لعلكم [illegible] والله اعلم وقوله تعالى اتأخذونه بهتانا قيل ظلما بغير حق وقيل اذا اراد طلاقها لا ينصفها بكذب وتزوير لتعتدي منه بمهرها وطي اياه بدلا للتخلص عن عهدته وقوله تعالى واثما مبينا يحتمل ان يكون البهتان والاثم واحدا ويحتمل البهتان بالاثم في الآخرة وقوله تعالى وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض قيل الافضاء هو الجماع ولا يشبه ان يكون الافضاء هو الاجماع لانه اضاف اليهما فقال وقد افضى بعضكم الى بعض وكل من افضى الى شخص فذلك الشخص يفضي اليه فلا يتصور الافضاء الا من الطرفين وذلك انما يتحقق في الاجماع والخلوة [illegible] لا يتحقق الا بالواحد بل يقوم باثنين والجماع فعل الزوج يضاف اليه خاصة لا اليها فاما الخلوة فيضاف اليهما يقال اخلاه بها وخلت به ويقال التقطيها وكل الافعال [illegible] فكان الحمل على الخلوة اولى فيكون الآية حجة على ان الخلوة تؤكد المهر حيث حرم الاخذ وابان عن علة التحريم بقوله وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وقوله تعالى واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الغليظ هو عقد النكاح اذ عقد النكاح عقد ازدواج وانضمام على الابد وعهد ان لا يتركا ذلك ويتمسكا به وقيل هو ما ذكر في قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان واخذ المهر بعد استيفاء الاعراض من جانبها ليس من باب الاحسان وقيل الميثاق الغليظ ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اتقوا الله في النساء فانكم اتخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله وانهن عندكم عوان لا يملكن من امورهن شيئا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكم على نسائكم حقا وان لهن عليكم حقا وان من حقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يأذن في بيوتكم لاحد تكرهونه ولا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن ذلك فقد احل الله لكم ان تضربوهن ضربا غير مبرح يعني غير شائن فيخرج بعض الاجزاء عن بعض ولهن ان [illegible] عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف وقيل ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يحل لنا من نسائنا وما لهن علينا منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرثك فأت حرثك انى شئت وفي رواية فانى شئت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجرها الا في بيتها واطعمها اذا اكلت واكسها اذا اكتسيت وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ان الله تعالى حرم على الابناء نكاح نساء الآباء وذلك انهم كانوا يفعلون هذا في الجاهلية على ما قيل نزلت القصة ان ابا قيس [illegible] توفي بعد [illegible] محصن فتزوج امرأة ابيه فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقيل ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه خرج ساله اسيفه فقيل له ما شأنك فقال ان رجلا تزوج بامرأة ابيه والمراد من الحديث فيما اراه [illegible] ذلك الرجل انه تزوجها مستحلا لها ويكفر بذلك كان نقضا قبله وهذا كما حرم على الآباء نساء الابناء بقوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله تعالى الا ما قد سلف انه كان فاحشة اي لكم انما انتهيتم عن ذلك في مستأنف الوقت فيغفر لكم ما قد سلف وان كان فاحشة حراما في الاوقات كلها الا التوبة والرجوع عن الفاحشة مما يمحقها وقيل الا ما قد سلف اي قبل التحريم فقد كان حلالا في الابتداء وفي الشرائع المتقدمة وقوله انه كان فاحشة اي فاحشة في الاسلام وقوله ومقتا اي بغضا وساء سبيلا اي بئس المسلك والطريق نكاح امرأة ابيه ويحتمل ان يكون الآية في الطلاق فيطلق الرجل امرأة ثم يندم على طلاقها فيتزوجها ابنه فيمقته ذلك الاب وينقصه وبئس الطريق والمسلك ما يكون عنه مقتا وسفاسا والحاق التحريم بهذا المعنى احتراما للاب واحترازا عن قطيعة الرحم وقوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم الآية يحتمل الوجهين يحتمل انه حرم عليكم الاستمتاع بامهاتكم وبناتكم واخواتكم والجماع ويحتمل حرمة النكاح

اي حرم عليكم نكاح امهاتكم وبناتكم واخواتكم فان كان هو الثاني كان تحريما للاستمتاع دلالة لان النكاح لا يقصد لعينه وانما هو وسيلة الى الاستمتاع بالنساء اذ هو المقصود بالنكاح لما يتضمن منافع ومقاصد حكمية وكان تحريم الوسيلة تحريما للمقصود بالطريق الاولى وان كان المراد هو الاول كان تحريما للعقد اذ العقد بلا حصول الغرض المحصول منه غير مفيد لا حكمة بتحريم لخلوه عن الفائدة وعما فيه ثم هذه الآية دليل على تحريم الجمع بين الاختين في الاستمتاع في ملك اليمين دون الجمع بينهما في العقد الذي هو سبب ملك اليمين لان قوله وان تجمعوا بين الاختين مبني على قوله حرمت عليكم امهاتكم فاذا كان المراد حرمتهن في حق الاستمتاع وما هو وسيلة وسبب اليه كذا في قوله وان تجمعوا بين الاختين اي وحرم عليكم ان تجمعوا بين الاختين في الاستمتاع وما هو سبب داع اليه فيحرم الجمع بينهما وطيا في ملك اليمين بهذه الآية فاما الجمع بينهما عقدا في ملك اليمين ليس بحرام لان العقد فيه ليس بوسيلة الى الاستمتاع بنفسه وطيا لا من حيث الشرع ولا من حيث الوضع عرفا بل يراد به الملك ما فيه من الاستخدام او الاسترباح والله اعلم وفي الآية دلالة حرمة الجدات وان علون وبنات البنات وان سفلن وان لم يذكرهن نصا ذكر الحرمة في العمات والخالات والعمات من اولاد الجدة والخالات من اولاد الجدات دليل على قيام الحرمة في الامهات لكونه بالطريق الاولى لكونهن ازيد في القرب وكذلك ذكر حرمة الاخوات وبنات الاخوات والاخوة دليل على حرمة بنات الابناء والبنات اذ الاخوات بنات الآباء وكان حرمتهن دليلا على حرمة بنات البنات اذ هن اقرب من الاخوات والله اعلم وقيل ان ذكر الامهات والبنات ذكر الجدات وبنات الاولاد بطريق التنصيص لان اطلاق اسم الامهات والبنات على الجدات وبنات الاولاد ولكن الاول هو الاصح لان اطلاق اسم الام على الجدة واطلاق اسم البنت على بنت البنت وبنت الابن بطريق المجاز لا بطريق الحقيقة فانه ينفى اسم الاب عن الجد فيقال هذا ما [illegible] ابوك جدك يكون صادقا وهذا ظاهر في الشرع فان من قال لرجل لست بابن فلان يعني لجده لا يكون قاذفا [illegible] والله اعلم وقوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة ذكر الامهات من الرضاعة والاخوات ولم يذكر البنات قال بشر المريسي لما لم يذكر البنات من الرضاعة لان البنات من الرضاعة واستدل بهذه الآية على ان لبن الفحل لا يحرم اذ لو كان محرما لذكر البنات وعندنا يحرم لبن الفحل وذلك بالاستدلال بهذه الآية وغيرها وبالسنة اما الاستدلال بهذه الآية فنقول الله سبحانه وتعالى وان لم يذكر البنات في الرضاع بطريق التصريح فقد ذكرها بطريق الدلالة وهذا لان ذكر الله وبيانه بطريقين احدهما بيان احاطة وحقيقة والثاني بيان كفاية لاتباع الحاجة اما بيان الاحاطة كما ذكر في الحرمة بسبب القرابة فقال حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الآية ذكر الاصول والفروع ومن يتصل بالاصول من الاخوة والاخوات وغير ذلك على طريق التصريح دون الاستدلال لا كالاستنباط واما بيان الكفاية فكما ذكر في حرمة الرضاع حيث ذكر الامهات والاخوات لا غير وكان ذلك بيانا بطريق الكفاية ليعلم ذلك اما بالاستنباط بالنظائر او بالسنة المبينة لما في الكتاب اصله وبيان الاستدلال بالآية ان الامة اجمعت على حرمة بنات الاخوة والاخوات وان لم يذكر فيها وانما المذكور هو الاخوات وكان ذكر الاخوات ذكر اولادها بالاجماع فبعدت الحرمة من الاعلى الى من هو دون في القرب فههنا لما ذكر الامهات والبنت الحرمة فيهما بقوله وامهاتكم اللاتي ارضعنكم فكان تحريم امهات من الرضاعة تحريما بالبنت لان ثبوت الحرمة بينه وبين اصله وهي الام دليل ثبوت الحرمة بينه وبين بنته اذ القرابة بينه وبين امه ثم حرمة الرضاع ثبتت بحكم لان الاتصال [illegible] والثاني الاستدلال بقوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم حرم البنت على انها نصا ثم كان ذلك تحريما لها على جدها وان لم يذكر في البنت في الحقيقة حيث غيرها الاب دون ما الجد لكن الجد سبب الاب الذي حدث عنه فتعدت الحرمة عن حقيقة الماء الى السبب فكذلك اللبن وان كان [illegible] فههنا حقيقة فان سبب كونه هو [illegible] التي ارضعتها امرأة يجب ان تحرم عليه كما تحرم الصبي الذي رضع على امرأة اعتبار المسبب بالسبب والله اعلم واما السنة فما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت جاء عمي من الرضاع فاستأذن علي فابيت ان آذن له حتى اسأل رسول الله فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال انه عمك فأذني له فقلت يا رسول الله انما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل فقال انه عمك فليلج عليك فقالت عائشة وذلك بعد ان ضرب الحجاب علينا اي بعدما امر الله تعالى النساء بالاحتجاب عن الاجانب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن رجل له امرأتان او جارية وامرأة فارضعت هذه جارية وهذه غلاما هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وعن عمرة عن عائشة رضي الله عنها انها اخبرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت رجلا يستأذن في بيت حفصة فقلت يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك فقال عليه السلام اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عائشة يا رسول الله لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وعن علي رضي الله عنه انه قال لا تنكح من ارضعته امرأة ابنك ولا امرأة اخيك ولا امرأة ابيك وعن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس جاء يستاذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته فامرني ان اذن له علي وكان ابو القعيس زوج المرأة التي ارضعت عائشة وهو مذهب عامة التابعين رحمهم الله ويتعلق بها مسئلتان احدهما في التقدير والثانية في مدة الرضاع اما الاولى فعندنا يثبت الحرمة بالقليل والكثير خلافا لبعض الصحابة وبه اخذ الشافعي ولنا المطلق وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة من غير تخصيص بعدد دون عدد روي عن علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالا قليل الرضاع وكثيره سواء وعن ابن عباس كذلك وعن عبد الله بن عمر انه قال الرضعة الواحدة تحرم فان قيل روي عن عائشة رضي الله عنهما انها قالت كان فيما انزل عشر رضعات يحرمن ثم صرن الى خمس فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ قيل اما ان يقال هذا لم يثبت عن عائشة او غلطت في الرواية فانا لا نجد في القرآن آية الناسخ ولا المنسوخ ولا يجوز ان يبطل الرضاع شيء من القرآن فلا نترك ما نجده في القرآن آية الناسخ ولا المنسوخ ولا يجوز ان يبطل الرضاع شيء من القرآن فلا نترك ما نجده ثابتا في القرآن محفوظا وهو العمل باطلاق النص لرواية لعلها قد غلطت فيها او لم يثبت عنها فانه قد روي عنها خلاف ما روي عنها فانه روي عنها انها قالت يحرم من الرضاع ما انبت اللحم والدم وروي عنها انها قالت لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة والاملاجتان كذلك روي عن ابن عمر فقال حكم الله اولى وخير من كلامها نحو هذا من حكمها وعن عمرو بن دينار انه قال سالت ابن عمر وقد كتب ابن الزبير الرضاع فقال لا نعلم الا ان الله تعالى حرم الاخت من الرضاعة فقلت فان امير المؤمنين ابن الزبير يقول لا تحرم المصة والمصتان فقال قضاء الله خير من قضائك وقضاء امير المؤمنين ثم حديث المصة والمصتين والاملاجة والاملاجتين محتمل يحتمل ان الحرمة لم يثبت لانعدام العقد المحرم ويحتمل ان المراد به اذا لم يعلم ان اللبن وصل الى جوف الصبي ام لا وما لم يصل لا يحرم فلا يثبت الحرمة بهذا الحديث بالاحتمال ولان قال ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا عقى الصبي فقد حرم حين سئل عن الرضعة الواحدة هل تحرم لان العقي اسم لما يخرج من بطن الصبي حين يولد اسود لزجا اذا وصل اللبن الى جوفه او يسقى عسلا فيقال عقي يعقي عقيا فاراد ان الرضعة تحرم اذا وصلت الى جوف الصبي حتى يسقط منه العقي والله اعلم ومما

المسئلة الثانية وهي ان الرضاع في زمان الصغر يحرم دون زمان الكبر خلافا لبعض الناس لما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرأى عندها رجلا فتغير وجهه فقالت من هذا فقالت انه عمي من الرضاعة فقال انظرن من اخوانكن فانما الرضاعة من المجاعة اشار الى ان اللبن انما يحرم حال الصغر اذ في زمان الصغر يدفع الجوع اما الجوع الكبير لا يندفع بما يظهر من اللبن في الثديين خصوصا بعد مضي ازمنة كثيرة فانه يتعلل بمضي الزمان ولان المعنى المعتبر في الصغر هو اللبن لضعف معانيه ولطافة اللبن وكان بمجاعته يندفع فاما الكبير يصلح له سائر الاغذية فكان مجاعته تندفع بنوع وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وذلك في حال الصغر يكون وروي عن النبي عليه السلام انه قال الرضاع ما فتق الامعاء وفتق الامعاء انما يكون حال الصغر لان امعاء الصغير يكون ضيقة لا يحمل الطعام لضيقها فانما تنفتق باللبن لكون اللبن الطف الاغذية كما وصفه الله تعالى بقوله لبنا خالصا سائغا للشاربين وروي [illegible] عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرمة تحرم كما تحرم حولان كاملان فانت هذا هو الاصل في ذلك والمعتمد عليه فان قيل هذا معارض بخبر سالم حيث قال عليه السلام لها ارضعيه رضاعا يحرم عليه وكان سالم كبيرا احتمل هذا يحمل وجهين احدهما ان يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من الناس على خلاف القياس وما كان من خصوصية بعض الناس يعني لا يبقى الا يحمل القياس ولا يترك به الاصل المقرر في الشرع ويحمل ان يكون منسوخا بما روينا من الاخبار المرفوعة والموقوفة في تعلق الحرمة بالقليل منه وتعلق بقوله تعالى وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن لانه اجمع اهل العلم في الربيبة وهي بنت المرأة انها لا تحرم بمجرد العقد على الام وانما تحرم بالدخول حتى ان من تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول بها فانه يتزوج بنتها لانها لا تحرم عليه واذا دخل بها ثم بانت بموت او طلاق تحرم البنت عليه واختلف في ام المرأة هل تحرم بمجرد العقد على البنت فقال اصحابنا تحرم وان لم يدخل بالبنت حتى ان من تزوج امرأة ثم بانت منه بموت او طلاق تحرم عليه امها دخل بالبنت او لا وقال آخرون الدخول بالبنت شرط في تحريم الام كما شرط الدخول بالام في تحريم البنت ثم يقولون ان الله تعالى

شرط الدخول في ام الربيبة لتحريمها بقوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فيكون ذلك الشرط راجعا الى الام ايضا لانه ذكر امهات النساء وربائب النساء ثم شرط الدخول عقيب الكلامين فيجب ان يكون الشرط راجعا اليهما كما في قوله عبده حر وامرأته طالق وعليه الحج الى بيت الله ان فعل كذا فان الشرط ينصرف الى جميع ما سبق وكذا في الاستثناء اللاحق بآخر كلام متصل بعضها ببعض ينصرف الى جميع المذكور دون ما يليه وكذا ههنا الا ان قوله اللاتي دخلتم بهن صفة في معنى الشرط الا ترى انه قال اذا دخل هذه الدار هذا العبد الاسود حر يتعلق بصفة الدخول حتى لا يعتق العبد الاسود بالدخول هذا هو الظاهر من الكلام في عرف اللسان في باب الاختيار وكان التحريم بالعقد لهذا المعنى وهو موجود في الشرط بالطريق الاولى ولان كل انواع الاستمتاع في الحرمة والحل متصل بالجماع حتى يحل دواعي الجماع بما يحل به الجماع ويحرم بما يحرم حتى لما حرم له الجماع بسبب الاحرام يحرم دواعيه ولما حرم بعقد الملك يحرم الدواعي خصوصا في حقوق الاملاك حتى يحرم الجمع بين الاختين استمتاعا في ملك اليمين كما يحرم الجمع في حقيقة الاستمتاع في حال النكاح وكذلك في حقوق الاملاك وتحريمها يعني به انه لما حرم الجماع بالعقد على بنت الموطوءة فمنع من ثبوت الملك فيها فكذلك ما كان من دواعي الجماع يجب ان يكون مانعا من ثبوت الملك في التي يحرم فيها الدواعي والله اعلم على انه يبعد ان يكون الحل يستمتع بامرأة جميع انواع الاستمتاع لم يستمتع ابنه بها وكذلك يستمتع باسنادها دون الفرج خصوصا اذا كان الزوج عنينا او مجبوبا وقد ملك امها وبنتها ولا يقدر على وطئهما فيرتفع الحرمة في حقهما ابدا ويباح له الاستمتاع بهما ابدا بجميع انواع الاستمتاع وهذا مما يأباه الطباع السليمة والعقول المستقيمة فيجب القول بالحرمة والله اعلم

وتعلق من ابى ثبوت حرمة المصاهرة بالزنا بقوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وقال ان الله تعالى حرم الربائب المضافة الى نسائنا المدخولات وانما تكون المرأة مضافة الينا بسبب النكاح والمزني بها لم تكن مضافة الى الزاني فيجب ان لا يحرم عليه ابنتها ولكنا نقول لا حجة لهم في الآية بل الآية حجة عليهم فان الله تعالى ذكر الدخول من غير تقييد بحال النكاح ولا خص الدخول في حال النكاح فانه قال وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ولم يذكر الدخول في حال النكاح او قبله وان كانت الاضافة بسبب النكاح فيحتمل ان المراد الربيبة التي تزوج امها وقد دخل بها قبل النكاح بان زنى بها او لم يدخل بها بعد النكاح اذ هي ربيبة من امرأته التي كان دخل بها ويحتمل ان المراد التي تزوج بامها وقد دخل بامها بعد النكاح فصارت الآية محتملة مشتركة الدلالة فلا تكون الآية حجة لهم علينا ان الآية حجة عليهم لان الآية تقتضي تحريم ربيبة امرأته التي دخل بها من تزوج امرأة ولها بنت فتحرم عليه ربيبته من امرأته التي دخل بها سواء كان دخل بها قبل النكاح بسبب الزنا او بعد النكاح اذ مطلق اسم الدخول يقع على الحلال والحرام ولا يمكننا العمل باطلاق اسم الدخول الا ان يكون الحرام محرما كالحلال لان [illegible] باب الحرمة ومبنى الحرمات على الاحتياط والاحتياط في ثبوت الحرمة بمطلق الدخول لا بالدخول المقيد بالحل اذا احتمل ارادة المطلق ثابت على انا وان قيدنا الدخول ههنا في النكاح لم يكن فيه ما يمنع ثبوت الحرمة بالدخول في غير النكاح لما ذكرنا ان ثبوت الحرمة في حال لا يمنع ثبوتها في حال اخرى بدليل الا ترى انه قيد الربيبة بكونها في حجره بقوله في حجوركم ثم ذلك ليس بشرط بالاجماع بل يحرم بنت المرأة المنكوحة على كل حال القياس ودليل التحريم هذه الآية فكذلك ههنا والحجة في ذلك الدليل هو الحديث وقول الصحابة والاستدلال بمواضع الاجماع اما الاول فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى فرج امرأة لم تحل له امها ولا ابنتها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ملعون من نظر الى فرج امرأة وابنتها فلو لم يكن النظر الاول محرما النظر الى فرج بنتها لم يلحقه اللعن ولان النظر الى فرج بنتها لم يلحقه اللعن ولان النظر الى فرج المرأة المملوكة مباح بلا كراهة فكيف يستحق اللعن ولما كان النظر الى الفرج محرما البنت فالدخول اولى وليس في الحديث فصل بين النظر الى فرج وبنتها في النكاح وغيره فيجب العمل به على الاطلاق على ان الجمع بين المرأة وبنتها في النظر الى الفرج حرام عند عدم النكاح فان الحرمة عند عدم النكاح في الحرمة بسبب عدم الملك ظاهر فعلم ان المراد منه مع وجود النكاح ظاهرا ولو كان النكاح جائزا لما استحق اللعن ولما روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه انه سئل عمن زنا بام امرأته قال حرمت عليه امرأته وعن عبد الله رضي الله عنه قال لا ينظر الله تعالى الى رجل نظر الى فرج امرأة وابنتها وعن في المعنى احاديث وآثار واما الاستدلال فلانه لما كان الوطي الحلال انما كان محرما للبنت لما ذكرنا ان الجمع بين ام المرأة وبنتها حرام في الوطي لانه يذكره وهي احديهما او على الاخرى فيصير كانه ماض وطرفه منهما وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من نظر الى فرج امرأة وابنتها وهذا المعنى موجود في الوطي الحرام ولان تعلق الحرمة المحرم من نوع مشابهه اظهر منه بالحلال منهما ثم كان الاستمتاع بالاعيان الحلالة يوجب الحرمة

الامهات والبنات فهو في المحرم احق ولانه لا تجاذ اما الانتقال بانه لا يجب حرمة المصاهرة الا في الوطي الحلال
وليس كذلك فانه تثبت الحرمة بالوطي في النكاح الفاسد وكذا وطي جارية الابن او يقال بانه لا تثبت الا في موضع
الملك وهو فاسد فان في هذين الموضعين الملك معدوم او يقال لا تثبت الحرمة الا في موضع يثبت النسب
وهذا فاسد فان الحرمة تثبت بوطي لا يثبت النسب في وقت لا يتمكن ذلك او يقال يتعلق ذلك بالنكاح
وغير النكاح سواء واذا بطلت هذه الوجوه فلما ان تعتبر نفس الدخول في الاستمتاع لا هذه الاوصاف
في الدخول من الحل والملك وكونه سببا للنسب ونحو مطلق الدخول موجود في الحرام فيجب ان يتعلق به الحرمة
والله اعلم وقوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم قال الشيخ الامام اسبيجابي تخصيص ذكر الاصلاب
في حلائل الابناء دليل على ان لا يكون لابن الابن الصلب لانه اذا ذكر الابن الخاصة كقوله تعالى ولا طائر
يطير بجناحيه فدل ان الابن يختص بالصلب وكان دليلا على رفع حرمة الرضاع في حلائل الابناء بسبب
الرضاع فيكون الاية حجة في نفي الحل انه غير محرم وكنا نقول لا دلالة في الاية على ما ذكر بل لو استدل بالاية
على اثبات البنوة او الحرمة في الرضاع لحق لانه خص ذكر الاصلاب ولو لم يكن الابن الا من الصلب لكان القول بحلائل
ابنائكم من غير ذكر الاصلاب يكفيا عن ذكرها لان ما كان موضعا لا دما الشيء يكتفي بذكره الاصل عنه فدل انه ذكر
بيان التقسيم ان الابن قد يكون بجهة الرضاع وقد يكون بالقلب والخاصية وقد تقرر بما يختص به كقوله
ولا طائر يطير بجناحيه ولكن الاصل فيه بيان القسمة والتنويع فكان الحمل عليه اولى لا يبقى له حجة معا في الا
وجوب الالحاق فان ولد الولد ملحق بالولد في اثبات الحرمة وان لم يكن منه حقيقة الولد لما كان سببا لكذلك
الاب يصير مرضعا بما كانت المراة مرضعة وان لم يكن منه حقيقة الارضاع لكونه سببا لدرور اللبن من المراة
وابعد ذلك ان حلائل ابناء الابناء وحلائل ابناء البنات حرام وان لم يكونوا للصلب للاتصال بالسبب وكذلك
هذا عملا بقوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فلما وجب الحاق السبب بالمسبب في الحرمة في
باب النسب كذا في باب الرضاع مما يجوز ان يقال بانه صار بالرضاع ولا ذا في الحكم بالخبر الذي نقلنا
فيصير الابن بالرضاع للصلب في الحكم والمعنى فيكون مرادا بالنص بالنص كقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض ثم مولى العتاقة يقدم على ذوي الارحام فيحجبهم وان الله تعالى يقول واولوا الارحام لانه يكون
ذا نسب في حق الحجب والحكم شرعا بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الولاء لحمة كلحمة النسب
فيقدم لكونه عصبة كسائر العصبات فهذا مثله وقد قيل ان فائدة ذكر الصلب اثبات تحريم حلائل
البنين بالاصلاب دون ابناء التبني وهو سبب نزول الاية فان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج امراة
زيد بن حارثة بعدما طلقها زيد وكان ابنا لرسول الله بالتبني فعاب المنافقون على ذلك فقالوا انه تزوج حليلة
ابنه فنزل قوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وذلك قوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا والله اعلم وقوله تعالى وان تجمعوا
بين الاختين في الاية دلالة على حرمة نكاح الاخت في عدة الاخت من وجوه احدها ان قوله وان تجمعوا
يحتمل الجمع في العقد والجمع في الملك والجمع في الاستمتاع او الجمع في جنس الاستمتاع بمرة او يستمتع بهذه مرة
وبالاخرى مرة فينصرف الجمع في حقيقة الاستمتاع في جنسه لان الاستمتاع واحد من انواع الجمع الذي ذكرنا
لكن يرجع الى الكل فيكون المراد حرمة الجمع مطلقا فقدر ما يتصور وكان المراد من الجمع المحرم هو واحد من الجملة
فيقول الخصم المراد بالجمع في مطلق الملك ومطلق العقد فانهما لا يوجدان ولا حرمة فلا الجمع بين الاختين
تعقد بسببه ملك اليمين جائز فقد وجد الجمع في العقد والملك لان المطلق من الملك والعقد غير مراد
لو كان المقصود هو الجمع في العقد والملك ولكن المقصود هو المراد وهو الجمع في ملك النكاح او عقد النكاح
فانه اجمع على دخول هذا في النص فان الجمع بين الاختين في عقد النكاح لا يصح وكذا لو تزوج نعقد [illegible]
نكاح الثانية فاسد فمن هذا كان جميع في العقد يلحق في الملك فجاز العقد ثم [illegible] حرمة الجمع
الجمع بين الاختين ملك نكاح وعقد نكاح مراد بالاية ثم حرمة الجمع بينهما في العقد والملك لم يكن لنفس العقد
ولا لنفس الملك لان نفس العقد والملك موجود في الشرع والاباحة [illegible] كذلك [illegible]
الحل لان ملك اليمين وملك النكاح في الحل سواء قال الله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
بذلك ان الحرام [illegible] نفس الحل ولا الملك ولا العقد فكذلك ولا الجمع في الانفراد لا يحل هذا العمل [illegible]
انما كانت لاجل الاستمتاع ثم الجمع بينهما في الاستمتاع غير مراد فانه يجوز الجمع بينهما في حلق الاستمتاع
بان تزوج الاخرى بعد انقضاء عدة الاولى وكذا الجمع الاستمتاع بهما حرام واحد غير مراد لانه يكره [illegible]
ولا يتهيأ اعتقاده وما كان هذا شبهه لا يدخل تحت النص فثبت ان المراد به هو الجمع بينهما في الحقيقة

الموجب بالجمع بينهما في الاستمتاع معنى وحكما وهو ما يكون وسيلة اليه فيما كان من اثاره اذ الشيء يجعل
قائما بتقدير انتفاء اثره وبوجود اشيائه ولا خلاف في احد الوجهين فان الجمع بينهما في عقد النكاح حرام
لكونه سببا للاستمتاع لان النكاح هو الموضوع للاستمتاع شرعا وعرفا اذ ملك اليمين قد يوجد لا في
حق الاستمتاع وقط لا يخلو النكاح عنه اذ الشرع جعل الاستمتاع قائما ببقاء اثره اولى فجعله موجودا في
انتفاء سببه لان البقاء اسهل فالابتداء ولا يبقى السبب ثم العقد لما صار ما نعا في العدة اولى الابقاء نحرمه الا مع
تدينيث هذا الا في ملك اليمين فانه اذا وطي احدى الاختين بملك اليمين لا تحل له الاخرى ما دامت في ملكه
ولا يثبت حرمة الاستمتاع بالمحل لاجل الملك ولا النسب فانه اذا اشترى اختين حل له وطي احديهما وسبب الحل
وملك الحل وحقيقة الحل وجد ولا يمنع الاستمتاع ثم لما ثبت الحرمة في النكاح لما هو سبب لما هو سبب لذلك
استمتاعا هو من اثاره اولى يقرر ما قلنا ان المقصود من النكاح هو الاستمتاع حتى ينعقد في محل يحل الاستمتاع
ولا ينعقد في محل التحريم فيجب ان يكون هو الاصل في التحريم والتحليل ولهذا ان الامة المجوسية والاخت المملوكة
بسبب الرضاع محل مع قيام الملك والملك لا يوجب الحرمة لكن لما كان معنى يقطع الاستمتاع سبب لتحقيق
الحرمة ولهذا من ان استمتاع بملك اليمين يحرم الاستمتاع بالاخت فاذا ثبت ان الاستمتاع لوطي في التحريم والعدة
حق الاستمتاع وتحت تشبيه فيجب ان يكون بغير محرمة هذا انه كان الحرام هو الجمع في الاستمتاع وان كان الكل
هو المراد على طريق الانفراد او اجعل الجملة فهو لغير غير كذلك ثبت الحرمة في حالة النكاح لاجل واحد الجملة بما اثر
الكل لا يرتفع الحرمة بيقين فوجب القول بالبقاء احتياطا في الباب ولان المعنى الذي به حرم الجمع في الملك والنكاح
النكاح وهو خوف القطيعة فيما بينهما فهو موجود في عدة منه لقيام بعض علائق النكاح وما دام شيء من
العلقة باقيا فسبب القطيعة باق فيجب القول بالحرمة والاصل ان الحرمة قد ثبتت بالنكاح فلما وقع الطلاق
البائن والثلاث اشكل زوالها فلا تزال بالشك كيف وقد ترجح جانب بقاء الحرمة اذا كثر احكام النكاح
قائمة نحو الاسكان والانفاق عليها والحاق الولد وغير ذلك من الحقوق وايضا ان عقد النكاح
قد حرم عليه غيرها لكنها التي حرم عليه ذي محارمها حيث لا تحل ان يجمع بينها وبين محارمها ما لم يكن
الجمع بينهما وبين المعدة المباح من الاجنبيات فيحرم عليها في كل حيث لا تحل لها ان تتزوج بغيره من
محارم الزوج ولا اجانب جميعا ثم الزوج بنفس النكاح لا يعجز عن مباشرة سبب يحل على العدة الجملة
بان قدم على مفارقتها فحل له الاخت لانعدام في الدخول والاستمتاع بها عاجز عن مباشرة سبب يثبت به
الحل لها الحال فان بالمفارقة بعد الدخول لا تحل على الاطلاق بسبب الاستمتاع بحدوث فيها فيها
حق حين الفراق انقاها على ما سبق من الوصال بلا فراق وهو العدة فكذلك الزوج بمجرد النكاح لا يعجز عن
مباشرة سبب تحل له تزوج اختها واذا جاء الدخول حدث بالاستمتاع ذلك العجز وجب ان يبقى المراة
على ما كانت المراة على ما كانت قبل المفارقة في حق حرمة الاخت اذ النكاح مشترك بينهما في اثرها
في بقية ملك له بنكاح ما حتى يفرغها بقية ملكه بما لم يصل بملكه بمثله فبمعنى هنا لا حرمتها على الازواج
بسبب العدة التي هي بقية ملكه لا علينا فكذلك يجب ان تعمل عمل اصل الملك وحقيقته في اثبات
الحرمة منه وهو نكاح الاخت وقد الحق بعض مشايخنا حرمة الجمع في العدة بالوطي بحرمة فان انزل منها
في اللبن على اخيها اليد ويد ونه ويد ونا الولد مما كان هو شيئا في ذلك كانت حرمة العدة احق بذلك
والله اعلم واثار الصحابة رضي الله عنهم دليل على ما قلنا روي عن علي رضي الله عنه انه سئل عن رجل
طلق امراته فلم ينقض عدتها حتى تزوج اختها ففرق بينهما وجعل لها الصداق بما استحل من فرجها
وقال الاولى عدتها وهو خاطب وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه سئل عن رجل تحته اربع نسوة
يطلق احديهن ثلاثا اتتزوج كذا بعده فقال لا حتى تنقضي عدة التي طلق وعن ابن عباس رضي الله عنهما
مثله واختلف اهل العلم في اباحة الجمع بين الاختين في ملك اليمين هل توطأ احديهما بعد الاخرى
فقال اما احلتهما اية وحرمتهما اية عنه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يحرم من جميع الاماء يحرم
من جميع الحرائر الا العدد وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه غضب في الاختين من ملك اليمين فقال
يحمل احدكم من ملك يمينه وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن رجل له اختان امتان فوطي احديهما اراد
ان يطأ الاخرى قال لا حتى يخرجها من ملكه وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه سئل عن رجل له امتان اختان
وقع على احديهما ايقع على الاخرى قال لا ما دامت في ملكه وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم
كان لا يرى باسا ان يجمع انسان بين الاختين والمراة وابنتها وعن عكرمة عن ابن عباس قال ذكر عنده قول
في الاختين من ملك اليمين احلتهما اية وحرمتهما اية فقال انما يحرمهن علي قرابتهن منهن ولا يحرمهن علي قرابة بعضهن

من بعض والله اعلم واجمع العلماء ان من طلق امراته وانقضت عدتها او ماتت يحل له ان يتزوج باختها
ولم يحل له ان يتزوج بامها وذلك لان الله اعلم ان الحرمة في الاخت في نفسها وليست في ولدها والحرمة في الام
والبنت في انفسهما وولدهما فاذا كانت الحرمة في الاخت من وجه وفي الام من وجهين ففيما كانت الحرمة من وجه
كانت حرمة الجمع لا حرمتها ابدا وفيما كانت من وجهين حرمة جمع وحرمة تابيد لانها تادت الى الاولاد وفي الاخت
لم يتادّ لذلك اختلفا وقوله تعالى الا ما قد سلف يحتمل الا ما قبل التحريم في الجاهلية فانه كان مباحا على الشريعة
المتقدمة فهم اذا انتهوا عن ذلك بعد الاسلام واعتقدوا حرمته يعفو الله تعالى لهم ما قد سلف منهم ويحتمل
الا ما قد سلف فانه كان محرما في ذلك الوقت فانهم اذا انتهوا عن ذلك بعد الاسلام يعفو ذلك لهم ويتجاوز
عنهم وهو كما ذكرنا في قوله الا ما قد سلف انه كان فاحشة يحتمل انه كان في ذلك الوقت فاحشة ويحتمل كان
او صار فاحشة في الاسلام فهذا مثله وقوله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم اختلف
في تاويله على اقوال قيل المراد من المحصنات المشركات المسبيات ذوات الازواج وكذلك روي عن علي رضي الله عنه
ان الاية نزلت في المشركات المسبيات وكذلك روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه فانه روي انه قال
وقعت في سهمي يوم اوطاس جارية فبينا انا اسوقها اذ رفعت راسها الى الجبل فقالت ذاك زوجي فانزل الله
تعالى والمحصنات من النساء قال ابو سعيد فاستحللنا فروجهن بها فبين ابو سعيد في حديثه ان الاية نزلت
في المشركات ذوات الازواج وكان في حديثه تقوية لقول علي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كل ذات زوج
اتيانها زنا الا ما سبيت فجعل قوله والمحصنات عاما في ذوات الازواج من المشركات والمسلمات وقوله الا ما ملكت
خاصا في ذوات الازواج من المسبيات وجعل قوله الا ما ملكت ايمانكم عن قوله صحيحا لان السبي سبب الملك كان
في المعنى مثل القول الاول وعن ابي قلابة رضي الله عنه انه قال الا ما ملكت ايمانكم ما سبيتم من النساء اذا سبيت
المراة ولها زوج من قومها فلا باس بان تطاها وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بان قوله والمحصنات
من النساء عام في ذوات الازواج مطلقا وقوله الا ما ملكت ايمانكم استثنى المملوكات مطلقا من السبي ومن
سائر اسباب الملك من الشراء والهبة والميراث ونحوها وذهبا الى ان بيع الامة المتزوجة يكون طلاقا فيحل
للمشتري وطؤها كما ان سبي الكتابية والمشركة وسبيها في دار الحرب يحلها للسابي وان كانت ذات زوج
ولكن تاويل علي اصح لتاويلين واولاهما بالقبول فانه موافق للحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري في نزول
الاية عن ابي سعيد ايضا انه قال لحق نساء كما نصيب من حرب تقولان لهن ازواجهن فمنعنا عن ذلك هذه الاية ثم
انزل الله تعالى في الممتحنة ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن فاحلهن لنا فعلى ان تزوجهن
ارادنا ان يتزوج لما اخرجت ذوات الازواج ورد النهي عن تزوجهن بقوله والمحصنات من النساء عطفا على قوله
حرمت عليكم امهاتكم واباح وطي المسبيات ذوات الازواج بقوله الا ما ملكت ايمانكم ثم ورد الاباحة
في حق المهاجرات بما انزل الله تعالى في الممتحنة ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولان ابن
مسعود جعل بيع الامة المتزوجة يكون طلاقا ولكن اذا كانت مدخولا بها لا تحل لمولاها ان يطاها حتى
تنقضي عدتها لان تحل الامة حلالا للمشتري بنفس ملكها يا هل حملها محرمة عليه وان كانت مملوكة حتى
تنقضي عدتها وظاهر الاية تقتضي لحل المولى كما ملك بنفس الملك فانه لا تعد في قوله الا ما ملكت ايمانكم وعلى
اول الاية على من جعل بنفس الملك ولا ما في حال السبي وكان قوله اشبه بظاهر الاية وهو موافق
للحديث وقول جماعة من الصحابة وكان اقرب الى القبول والذي عقد به قول علي بن ابي طالب فظاهر الاية تقتضي
ان تكون المملوكة حلالا على المالك وعلى ما قال ابن مسعود لا يمكن العمل باطلاقه فانها تحلها على المشتري ولا
على البائع فانها اذا كانت ذات زوج يكون حراما على مولاها ما لم يبعها عنده فتحل للمشتري وهو مالك لها
في هذه الحالة ومع ذلك لم يثبت الحل مع قيام الملك والسبب في الاية تقيد بين حال وحال او على ما حمله علي وهي مسبية
تكون حلالا بمطلق الملك على كل حال وكان اقرب الى ظاهر الاية وقيل في الاية تاويل اخر ان المراد من قوله والمحصنات
الحرائر دون ذوات الازواج وهي ما فوق الاربع بناء على قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
وحرمت عليكم المحصنات اي ما فوق الاربع بمنزلة الامهات والبنات والاخوات وقوله الا ما ملكت ايمانكم اراد
الاماء فاباح الاماء مطلقا عن العدد قل او كثر وهكذا في مصحف ابن عباس في تاويل هذه الاية ويكون في
ذلك بيان ما كانت حرمته من حيث العدد تخص به النكاح وان كان النكاح وملك اليمين فيما كانت الحرمة
من حيث المنكوحة سواء بسبب الامة والاخت ونحوهما وذلك لان حرمة العدد في النكاح لما في النكاح من الحقوق
اللازمة من القسم والتسوية بينهن بحيث ولا يقوم بها الا بشر قد عصم عن الميل فخص الحلال بالعدد وحرم الزيادة
عليه وفي ملك اليمين لا يجب هذه الحقوق فلا يؤدي الى الجور واستوي المكان فيحرم ما يحل الا ان الشيء

لا يثبت في غير محله لذلك افترقا وقيل في تاويلها ايضا والمحصنات من النساء هن الحرائر الا ما ملكت
ايمانكم ان يدا بالملك بمعنى النكاح والحرائر حرام عليكم الا بملك النكاح وعلى هذا التاويل ايضا في غير ذوات
الازواج وذهب من يقول بهذا التاويل كانه قال المحصنات من النساء الا ما ملكتموهن بعقد النكاح ولكن
هذا التاويل ضعيف لان ملك اليمين عند الاطلاق يفهم منه ملك الرقبة دون ملك النكاح ومطلق
الكلام ينصرف الى ما يتسارع اليه الافهام الا ترى ان الله تعالى قد فصل في غير هذا الموضع بين التزويج وملك
اليمين فجعل ملك اليمين في الاماء بقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
وقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد الى قوله الا ما ملكت يمينك فعلمنا ان الظاهر ينصرف الى ملك الرقبة وكان
التاويل المخالف لظاهر الاية غير مقبول لانه مخالف لقول جماعة من الصحابة الذين ذكرناهم وللحديث
المروي عن ابي سعيد في نزول الاية وقيل في قوله والمحصنات اي المتعففات الا ما ملكت ايمانكم من المتعففات
وفائدة تخصيص المتعففات وفائدة تخصيص المتعففات بالاستثناء ترغيب المولى في الامتناع عن
وطي الزانيات وفي الحث على المتعففات منهن لمكان الاولاد وهو كقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا الاية والله اعلم وتعلق الشافعي بهذه الاية على ان السبي علة الفرقة فان الله تعالى اخبر بقوله
الا ما ملكت ايمانكم ان المحصنات وهي ذوات الازواج متى ملكن بالسبي يحللن للمولى على الاطلاق من غير فصل
بين ما اذا كانت المسبية معها زوجها او لم يكن لانا حملنا وجعلنا اذا سبي وحده يبطل ملك النكاح وكذلك
اذا سبيا معا الا ان السبي موجود في الحالين والذي يدل على ان السبي علة الفرقة وان المسبية يحل تزويجها
ووطيها لمولاها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية بنت حيي بن اخطب وزوجها من حي
قبل ان تصل الى المدينة ومعلوم انه كان لها زوج كتابي فدل ان السبي مزيل لملك النكاح بنفسه دون تباين
الدارين فانه لم يوجد ها هنا وقلنا نحن ان علة الفرقة تباين الدارين اذا سبيت المراة وحدها بدون الزوج ودخلت دار
الاسلام لوجود تباين الدارين لا لنفس السبي فان الملك وان كان ظاهر الاية يقتضي ان يكون زوال ملك النكاح
عنها بسبب السبي وملك الثاني اياها لان الاجماع انعقد على ان نفس الملك للمولى لا ينافي ملك النكاح
فانه لا ينافي ابتداء النكاح فان المولى ان زوج امته من انسان فانه يكون مع قيام ملك الرقبة للمولى فكيف ينافي بقاء
ملك النكاح والمنع من ابطال الملك ان يتسلق الملك في الحالين لا يتفاوت ولا ينافيه في الشرع وذلك
ان نفس الملك لا ينافي ملك النكاح ولكن اختلاف الدارين هو الموجب للفرقة تبيينهما لانه سبب لعدم الاجتماع
بينهما على طريق الغالب لان الذي يخلف قصده ان لا يخرج ابدا والذي يخرج فالظاهر انه لا يمكنه العود
ولا يعود لانها صارت ذمية تبعا للمولى خصوصا اذا اسلمت وصارت من اهل الدار واذا ما تا الاجتماع
بين الزوجين وقد وقع الياس عن الاجتماع وجبت الفرقة لعدم الفائدة في الدوام لفوات اغراض النكاح ومقاصده
غالبا ومع ثبات الملك في الاصل بسبب النكاح في ثبات ادم لا يتحقق مقاصده فلا يبقى وهذا المعنى لا يتحقق
فيما اذا سبيا معا وجب القول بانتفاء ان يعكسا ان السبي يبطل ملك الزوج الكافر ان ملك النكاح حق الزوج
وكذلك العدة حقه قال الله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اضافها الى الازواج وحقه ونفسه
تبطل بالاسترقاق فان الحر يحقه وكذلك لو كانت حرة تبطل حقها بالاسترقاق فكذلك يبطل حقه في
النكاح والعدة ولكن ترجح على هذا اذا سبيا حقا ان الرق قد ثبت فيهما ولم يبطل النكاح وانفصال
عن هذا من وجهين احدهما ان القياس كذلك لما قلنا وفي الاستحسان لا يبطل ملك النكاح لان المولى
حق لا نكاح اذا لم تكن ذات الزوج لتحصين التعفف والتحصن بها قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم فاذا كان النكاح قائما والتعفف حاصلا عند عدم الكتابة لوجود الاجتماع وتحققه غالبا
لم يجز القول ببطلان النكاح بحدوث عارض يوجب تجديد النكاح وهذا المعنى لا يتحقق في سبي الزوجة وحدها
لانه لا يقع التعفف لها وليس للزوج حق يمنع ذلك فوجب القول بالزوال وتوجب الحل للغير والله اعلم والثاني
انه حق له لان يخرج الرقيق بنفسه وبحق نفسه وماله في يد المولى وثبات الملك له في ماله ونفسه
ولكنه لا يزول يده عن امراته لان العبد في حق النكاح باق على اصل الحرية ولم يصر في يد المولى من حيث انه مالك
للنكاح فاذا سبيا معا فكان يده قائمة على امراته فبقي النكاح واذا سبيت وحدها وثبت وجدت لا يبقى
اليد للزوج عليها لانه لا يثبت للزوج عند تباين الدارين على المراة بعد زوال ملك الزوج عنها العدم قيام يده
عليها وان الملك في حق الحربي باليد الحقيقية والقهر الحسي فلهذا افترقا وبعبارة اخرى في الفرق بين الامرين
انها اذا سبيت دونه انقطعت عنها عصمة الزوج وقد جعل الله تعالى انقطاع العصمة سببا لحلها لغيره بقوله
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن الاية وقد جعل ذلك

في الزوج سببًا لقطع عصمتها بقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وعصمة الزوجين مشتركة ايهما خرج مسلمًا
خرج لئلا يعود ذلك المخالف تخلف فلا يخرج فبطلت العصمة بينهما واحل الناكح وان اخرجها فلا تنتاله
امرأتين والله اعلم وفي الاية دلالة على ان المسبية ذات الزوج لا عدة عليها حيث احلها المولى البتاتي مطلقًا
من غير شرط انقضاء العدة ولانه لا عدة من حقوق الزوج ولا يجوز ان يبقى للحربي على المسلمة الخارجة الى
دار الاسلام حق وحد شبهته فدل على ما قلنا فانها كانت ذات زوج كثير وان متعتها لو كانت عدة
لم ينقض في تلك المدة ومع ذلك تزوجها رسول الله دل ان المسبية لا عدة عليها وبهذا تبين ان النهي
لا عدة عليها الا ان المسبية التي دخلت دار الاسلام كاذمية في حكم الذمية لحرمة عليها حكم الاسلام فينقطع
منها حق الزوج الكافر فالمهاجرة المسلمة حقيقة لان تنقطع عنها حق زوج الكافر اولى وظاهر الكتاب
دليل عليه وهو قوله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
اذا اتيتموهن اجورهن فامر بالاية بدفع اليهم ونكاحهن ولو كانت عليها عدة لما احل نكاحهن والله اعلم
وقوله تعالى كتاب الله عليكم. فقد كتب الله عليكم ما ذكر تحريمه في هذه الايات اقامة للمصدر وهو الكتاب
وهو الكتاب مقام الفعل الماضي وقد يذكر المصدر ويراد به الفعل بانواعه من الماضي والمستقبل والامر
وقد يذكر ويراد به الفاعل وقد يذكر ويراد به المفعول قال الكسائي نصب كتاب الله بقوله حرمت كذا وحل كذا
كتاب الله مصدرًا وحرمت عليكم امهاتكم الى اخره كتاب الله اي كتابًا من الله بمعنى مكتوبًا من الله اي فريضة
من الله وقيل كتاب الله عليكم وهذا امر الله عليكم في كتاب الله اي بان حرمته في كتاب الله ثم حذف حرف
الظرف ونصب على الظرف كما تقول لقيت فلانا في شهر رمضان فاذا حذف حرف الظرف فتقول لقيته شهر رمضان
فهذا كذلك وهذا النحو معناه الله عليكم في كتاب الله والله اعلم وقيل كتاب الله عليكم على الاغراء او الامر
كما يقال عليك نفسك اي الزم نفسك فمعناه عليكم كتاب الله دونكم كتاب الله اي استعملوا كتاب الله واعملوا
به ولكن هذا على قول بعض اهل النحو لان حرف الاغراء اذا كان سابقا كان حسنا عند عامة اهل النحو كقولهم
عليك نفسك فاما اذا كان حرف الاغراء متاخرا في الكلام فانه يجوز عند بعض اهل النحو وههنا ذكر كلمة على
متاخرة فقال كتاب الله عليكم ولم يقل عليكم كتاب الله وقيل هذا التاويل صحيح على قول بعض اهل النحو
صحيحًا على قول بعض اهل النحو لا غير والله اعلم وقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم قيل ما دون ذلكم اي
ذلكم وهو قول ابن عباس وذلك مستعمل في اللغة مثل قوله ويكفرون بما وراءه اي بما سواه وقيل ما بعد ذلكم
اي ما قبله وامامه وهو مستعمل كقوله وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وهو كان امامهم وقيل وراء ذلكم
اي بعد ذلك وخلفه فمن قال سوى ذلك فمعناه واحل لكم ما سوى الذي حرم عليكم مما لم يسم لكم ومن قال امامه
امام ذلك وقبله فمعناه واحل لكم ما ذكر قبل هذه المحرمات وامامها في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية
ومن قال الوراء بعد ذلك وخلفه فمعناه واحل لكم ما بعد هذه الاصناف الاربعة المذكورة في صدر الاية
اعني المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهرية والمحرمات بالجمع والله اعلم وقوله تعالى ان تبتغوا
باموالكم. بين ان النكاح لا يكون الا ببدل لكونه مالا وفيه حجة لنا على الشافعي لحكم ان
البدل الذي يملك به لا يكون مالا لا يصلح مهرا لانه قال باموالكم شرط ان يكون المهر مالا وفيه ان النكاح
لم يشرع فلم ينعقد بغير بدل هو مال وفي الثاني ان يكون مقدرا لان الشرط ان يكون المهر مالا
والحبة ونحوهما لا تعد مالا فيجب هذا القدر جائزا ان يكون مهرا ولا يقال ان هذا تعلق الشرط
عند وجوده عندكم ولا ينعدم عند عدمه فهذا دليل على ان النكاح يكون ببدل هو مال لكن لا ينفى
ان لا ينعقد بغير بدل وبدون بدل هو مال كما ذكر في آية الطول ونحوها لانا نقول ان الاصل في
الابضاع والنفوس هو الحرمة وانما الاباحة بدليل وقد ذكر المحرمات واباح ما وراءها بشرط ان يكون ببدل
هو مال فيثبت الاباحة والحل في المذكور بشرط الابتغاء بالمال وبقيت الحرمة في غير المذكور وهو الابتغاء
بغير مال وبلا بدل على اصل الحرمة فلا يكون عدم الحل ههنا لعدم الشرط حتى يكون مناقضة لمذهبنا بل يكون
العدم بناء على الحرمة الاصلية والله اعلم فان قيل اليس روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لرجل زوجتكها بما معك من القرآن فدل ان العقد لا يشترط كونه ببدل هو مال لا خلاف مشروع قيل النص الذي تلونا
يقتضي ان يكون البدل مما له قيمة لا يكون مهرا والسورة من القرآن لا تتصف بالمالية فلا يجوز ان
تكون مهرا فلا يترك حكم نص الكتاب بخبر الواحد الذي ذكر ولهذا الاجماع انعقد ان السورة لا تكون مهرا وان
كان نصف بعض الابدال التعليمية الخلاف بين العلماء ولكن تاويله عندنا زوجتكها لاجل ما معك من القرآن
وبحرمة ما معك من القرآن لان ذلك النكاح بغير مال قال الفقير بما قلنا فوجب لها نصف ما فرضتم لا ان

والسورة

فالسورة في الايمو... القصاص فخرج مما لا يحتمل التنصيف بالطلاق قبل الدخول قال الله تعالى امر
بتنصيف المفروض دل ان المفروض ما يحتمل التنصيف وهو المال فان قيل اليس روي عن انس بن مالك
رضي الله عنه انه قال تزوج عبد الرحمن بن عوف امرأة على وزن نواة من ذهب وكان ذلك بمحضر من الصحابة
فدل على ان النقد ليس بلازم قلنا وزن نواة من ذهب يكون قدر دينار او اكثر فلا حجة لكم فيه فان قيل
قد بين في الخبر ان قيمة النواة كانت ثلاثة دراهم قلنا لا ندري من كان المقوم للنواة فلا يجوز ان يجعل
قول ذلك المقوم وتفسيره حجة على الغير حتى يعلم انه من هو مع انه قد قال قوم ان النواة قد يبلغ وزنها قيمة عشرة دراهم
وبه قال ابراهيم النخعي فان قيل روي عن جابر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى في
نكاح ملء كفيه طعاما او دقيقا او سويقا فقد استحل قلنا كذلك نقول انه استحل لان النكاح صحيح
اذا ذكر فيه مال قليل ويكمل عشرة دراهم واذا لم يذكر شيء صح النكاح بمهر المثل وليس في الحديث انه يصح
الاستحلال ولا يجب عليه شيء غير الذي سماه انما فيه ان الاستحلال صحيح لا غير وبه نقول فان قيل ان
ملء الكف من طعام لا يتمول وما لا يتمول لا يكون مهرا عندكم فكيف تستقيم هذا الجواب قلنا بلى
ما لا يتمول لقلته لا يكون مهرا لكن ما هو من جملة المال فهو قليل يكمل عشرة دراهم كالمال الذي هو من الربح
متعدد لان المهر لا يتجزى فذكر بعضه كذكر كله على ما هو الاصل فيما لا يتجزى بخلاف ما يجب بغير التسمية
وعند التسمية المهر لا يصلح بنفسه الا بعشرة يكون ذكر ما هو الادنى يصلح بنفسه اخذا بالتعين
في حقوق العباد والله اعلم ومن الحجة لعلمائنا رحمهم الله ما روي عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لا مهر دون عشرة وقد روي عن عمر وعلي وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم انهم قالوا لا يكون
المهر اقل من عشرة دراهم على ان اهل العلم اجمعوا على ان النكاح لا يكون الا ببدل على خلاف سائر الاملاك
التي توجب عند تصدق بها بغير بدل ثم ان اختلفوا في كيفيته ووقت الوجوب فان عند الخصم يجب على الزوج
ان يفرض المهر او توجب المراة بنفسها المهر بغير مهر فاذا وطئها قبل الفرض يجب مهر المثل وعندنا يجب
في اول العقد يجب التسليم فيه لا ان جواز النكاح بلا مهر اصلا واحد من اصحابنا انما هو المجمع عليه وكذلك
اجمعوا ان النادر لا يكون مهرا فذهب اصحابنا الى ان الفرج لما لم يملك الا ببدل وقد اختلفوا في مقداره فلم يجعل
البدل الا ما اجمعوا عليه وهو عشرة دراهم لانه المستيقن والله اعلم وقوله تعالى محصنين غير مسافحين
متزوجين غير زانين بكل زانية وقيل محصنين اي متعففين بالفروج غير مسافحين غير محللين الزنا ناكحين
اي ان تبتغوا النكاح بالاموال لغرض الاستمتاع بغير ما الرجل المسافح الذي يزني بكل امرأة يجدها والمسافحة
هي التي تزني بكل احد والمتخذات اخدان اللاتي لا يزنين الا باخدانهن والسفاح من السفح وهو الصب وقوله
تعالى فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة. ذهب قوم الى جواز المتعة بهذه الاية وقالوا ان الله
تعالى ذكر الاستمتاع بهن ولم يذكر النكاح والاستمتاع والمتعة نص في الباب وكان يحمل حقيقة اللفظ اولى
من حمله مجاز لفظ النكاح اي من اضمار النكاح ولانه سماه اجرا وذلك حقيقة في الاجارة والمتعة عقد بها
على منفعة البضع ولانه ذكر الاجر بعد الاستمتاع بقوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ثم
بايتاء الاجر بعد الاستمتاع وذلك يكون في عقد المتعة والاجارة اما المهر يجب في النكاح بالعقد ويؤخذ
الزوج بالمهر اذا لم يحصل الاستمتاع بها فكان هذا دليلا على ان المراد هو المتعة دون النكاح فدل ذلك
على جواز عقد المتعة الا ترى ان الله تعالى قال في الاية فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن امر بايتاء الاجر
بعد الارضاع دل انه يجب بمقابلة الارضاع فهذا مثله تقريره ما قلنا ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فاتوهن اجورهن الى اجل مسمى وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال رحم الله عمر ما كانت المتعة الا
رحمة الله تعالى بها امة محمد صلى الله عليه وسلم فلولا نهيه عنها ما زنى الا شقي وكان ابن عباس يراها حلالا
وروي عنه انه قال الناس يكثرون في المتعة وفي رواية اكثروا في المتعة وروي عنه ايضا انه قال انها لا تحل
الا لمن اضطر اليها كالميتة والدم ولحم الخنزير فدلت هذه الاخبار على بقائها مشروعة مباحة في وقت
فيبقى على الاباحة ما لم يثبت النسخ بيقين الا ان عامة العلماء قالوا بحرمة المتعة بدلالة الكتاب والسنة والاجماع
اما الكتاب فقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم الاية فالله تعالى حرم
الجماع الا بسبب النكاح وملك اليمين والمتعة ليست بنكاح ولا ملك يمين فيبقى داخلة في التحريم ولانه قال في
سياق الاية فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سمي مبتغي ما وراء ذلك باغيا وعاديا فدل ان حرمة
الجماع بدون هذين السببين ولقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء وكان ذلك منهم اجارة للاماء في
عن ذلك وسماه بغاء فدل على الحرمة واما السنة فما روي عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وعن سبرة الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء يوم فتح مكة وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الاهلية وفي آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول اني كنت اذنت لكم في المتعة فمن كان عنده منهن شيء فليفارقه ولا يأخذن مما آتيتموهن شيئا فان الله تعالى قد حرمها الى يوم القيمة وعن ابن عمر انه قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول لو تقدمت فيها لرجمت وعن عمر رضي الله عنه انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فان قيل لا حجة في حديث عمر فانه قد شرعهما في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نهى عنها ووقع الاجماع عليه قيل انما نهى لعلمه بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء وعلمه بما نزل فيها من نص القرآن وقوله اعاقب يراد به في حق من باشر ذلك بعد العلم بالانتساخ واما الحديث عن ابن عباس قلنا انه قد رجع عن قوله فانه روي عنه انه قال الذي قوله فما استمتعتم به منهن قال نسخها قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الاية فهذا يدل على انه رجع عن قوله الاول لانه قال انها كالميتة والدم ولحم الخنزير فدل انه رجع عن قوله الاول او اذا كانت المتعة في غير حالة الضرورة حراما فتكون في حال الضرورة حراما ان الله تعالى انما احل المحرم في حال الضرورة لما في الامتناع عنه خوف تلف النفس وليس في الامتناع عن الوطء خوف تلف النفس واما الاجماع فان الامة باسرها امتنعت عن العمل بالمتعة مع ظهور الحاجة وكذا في طباع الكل نفور عن مباشرة هذا العقد في حق ذوات محارمه وما ذلك الا لقبحها عندهم فيكون ذلك اجماعا منهم على الحرمة واما الاية قوله فما استمتعتم به منهن في النكاح وانما ما وقع ها بالنكاح بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم بالنكاح وقوله محصنين غير مسافحين اي متعففين غير زانين فكذلك محل الاية وسياقها ذكر النكاح وهو قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الاية وفي المتعة وكذلك المراد من قوله فما استمتعتم به منهن قوله ان الله تعالى سمى الواجب اجرا فالمهر يسمى اجرا قال الله تعالى انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وقال فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن وقوله وقوله ذكر انما الاجر بعد الاستمتاع والمهر يجب بالنكاح فيؤخذ قبل الاستمتاع فيجعل في الاية على التقديم والتأخير كانه قال فآتوهن اجورهن فما استمتعتم به منهن اي اذا اردتم الاستمتاع بهن وهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن اي اذا اردتم تطليق نسائكم فطلقوهن لعدتهن ونحو ذلك كثير على انه محمول على حال الطلاق بعد الدخول فانه يجب على الزوج تسليم كل المهر وقد ذكر اعطاء النصف في الطلاق قبل الدخول بقوله فنصف ما فرضتم وذكر اعطاء الكل بهذه الاية وقال ابو بكر الاصم معناه فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن كاملا واذا لم تدخلوا بهن فالنصف بالاية الاخرى فهذه فائدة ذكر الاجور بالاستمتاع على انه لو كان المراد بالاية الاجارة والمتعة فالاية منسوخة بما ذكرنا من الاحاديث ويؤيد ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها اذا ذكر لها المتعة قالت والله ما نجد في كتاب الله تعالى الا النكاح والاستسرار ثم تتلو هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الاية على انه لو كان المراد بالاية الاجارة والمتعة فالاية منسوخة بما ذكرنا من الايات فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الذي قوله فما استمتعتم به منهن نسخه قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الاية وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال المتعة متعة النساء منسوخة نسخها آية الطلاق والصداق والعدة والمواريث والحقوق التي يجب فيها النكاح ويخرج الجواب عن قولهم ان المتعة كانت مباحة لانا لا ننكر ذلك ولكن عرفنا انتساخها بما تلونا من الايات وروينا من الخبر وقد ذكرنا من تعامل الامة بخلافها والله الموفق وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة في الاية دلالة على ان الزيادة في المهر جائزة لانه رفع الجناح في اثبات الاجر بعد الفريضة وهي التسمية فتكون زيادة على المهر فان قيل معناه ان تترك المرأة شيئا من مهرها للزوج بعد التسمية فذلك كقوله الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح قيل هذا لا يصح لانه قال فيما تراضيتم به فجعل الزوج نصيبا من الرضا اذ التراضي يكون بين اثنين ورضى المرأة كاف في حط المهر فلا معنى لذكر رضا الزوج فدل انه اراد منه الزيادة في المهر فانها لا تجوز بعد تراضي العاقدين جميعا او حمل على الزيادة في المهر من جانب الرجل والحط من جانب المرأة رضاهما في الحالين فيكون ذلك تراضيا منهما بعد الفريضة في العقدين وتصرفهما على الزيادة في المهر برضا الزوج والحط برضا المرأة والله اعلم وقد روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب ام سلمة فجلس على سكفة الباب فوضع ثوبه فتكا عليه ويقول ان كان اعالك ان يلبسوا في الصداق زدتك وان اذ ذلك انه النسوق وعن علي رضي الله عنه انه

مر بجارية وهي تشتري شيئا من رجل وهي تستزيده فقال الذهبا فهو اعظم للبركة وكذلك روى هذا المذهب عن عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعمار وعلى ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم وفي هذا دليل ايضا على جواز الزيادة في الثمن والمهر وانها تصير كانها كانت مسماة في عقد البيع ان رجلا لو اشترى من رجل عبدا ثم تبايعا ثم ان احدهما جعل لصاحبه الخيار يوما فقبض البيع انه يصح جائز ويصير ذلك كالخيار المشروط في اصل البيع وكذلك رجل اشترى عبدا بالف درهم حالا ثم ان البائع اجل المشتري في الثمن شهرا كان الاجل جائزا ويصير كانهما سميا الاجل في العقد فوجب ان يكون الزيادة بعد البيع في الثمن كانها كانت في عقد البيع والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما اي عليما فيما حرم واحل حكيما حيث وضع كل شيء موضعه وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات الى ان قال ذلك لمن خشي العنت منكم قال بعض اهل العلم لا يحل تزويج الامة حتى ينفي عن تزويج الحرة ويخشى مع ذلك العنت الوقوع في الزنا فاذا اجتمع امران حينئذ تحل له نكاح الامة لكن عامة العلماء قالوا انه يحل له نكاح الامة وان كان قادرا على تزوج الحرة بسبب المهر والنفقة ولخشي الوقوع في الزنا وانما لا يحل له نكاح الامة اذا كان تحته حرة ولا حجة لهم في الاية لانها تحتمل وجوها احدها طول نكاح الحرة العجز عن النفقة والكسوة والسكنى والمقدرة على ذلك فاذا لم يكن قادرا على اداء النفقة وعلى الاسكان في نكاح الحرة له ان ينكح الامة ولا يراد بالقدرة على المهر وهذا من وجوه احدها ان طول المهر مذكور في نكاح الامة بقوله وآتوهن اجورهن ولم يذكر طول النفقة والكسوة فكان الحمل عليه زيادة فائدة والثاني انه من وجد طول الامة كان واجد طول الحرة لان المهر عندنا اقله عشرة وعند الشافعي غير مقدر بل القليل والكثير سواء وهذا القدر مما لا يتصور عدمه اذا كان قادرا على نكاح الامة وفي الغرض ان الاماء اعز وجودا من الحراير فمن كان قادرا على مهر الامة كان قادرا على مهر الحرة فمحال ان يشترط في نكاح الاماء عدم ما لا يتصور عدمه اذا كان قادرا على نكاح الامة الا انه قد في زمانه يعود النص كان الاماء اسرع وجودا ومؤنتهن اقل والحراير اعز وجودا ومؤنتهن اكثر ولكن هذا خلاف العادة والعرف في كل عصر فاما النفقة والسكنى فقد يكون من مال السيد دون ان يؤخذ من الزوج لان الغالب في الاماء ان لا يتوطن للموالي وفي الحرة لا يكون الا على الزوج فكان النفقة والسكنى موضع الحاجة الى البيان دون القدرة على المهر والله اعلم والثالث ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح الامة على الحرة ولو كان لا يجوز نكاح الامة عند طول الحرة لم يكن للنهي عن نكاح الامة على الحرة معنى لان طول الحرة وقد ذكرنا انه من وجد طول الامة فهو واجد طول الحرة فيكون هذا نهيا عما لا يتحقق ولا يتصور وهو فاسد والرابع وهو ان طول المهر والقدرة عليه ليس بشرط لجواز النكاح فانه يجوز النكاح بمهر في الذمة وان لم يملك شيئا وكذا سائر النكاح ولا يمنع العجز عن اداء المهر فاما القدرة على النفقة لا بد منها للانسان عندكم فانه اذا كان عاجزا فالحاجة كما تندفع بملك المرء تندفع بملك الغير ما يطعمون ويشربون مما جعل لهم الانتفاع به وقوله تعالى بالمعروف قيل من غير مهر البغي وقيل المعروف هو المعلوم وقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى فاذا احصن قيل فاذا اسلمن وقيل تزوجن وقيل فاذا بلغن مبلغ النساء وقيل فاذا احصن اي يعففن وهو كما ذكر في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا اي اذا تركن ولم تكرهن على البغي ليعففن وقوله تعالى فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اي الحراير دون المتزوجات لان عذاب المتزوجة اذا دخل بها زوجها الرجم ولا يتنصف الرجم وانما حد الامة الجلد فلا يجوز ان يكون المحصنات في هذا الموضع ذوات الازواج وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة من اهل العلم رضي الله عنهم انه لا حد على الامة حتى تتزوج واما عندنا فعليها الحد وان لم تتزوج ولم يشترط الاحصان لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بجلد الامة وان لم تتزوج اذا زنت فانه روي عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني قالوا كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسأله رجل عن الامة تزني قبل ان تحصن قال اجلدها فان زنت فاجلدها ثم قال في الثالثة او في الرابعة فان زنت فبعها ولو بضفير وهذه الاية حجة على من قال ان المعلق بالشرط يوجب العدم عند العدم لانه قال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب الحد يجب على الامة وان لم يوجد منها الاحصان وهو التزوج والاسلام وقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قد تقدم ذكره والاية وقوله تعالى وان تصبروا خير لكم اي ان تصبروا ولا تتزوجوا الاماء خير لكم حتى لا تسترق الاولاد ولا يلحق بكم الشين والعار بسبب اختلاط نطفكم لاحرار

لخروجها الى الاسواق بلعمال المولى وقوله تعالى والله غفور رحيم ⦁ يحتمل وجهين يحتمل غفور رحيم
حيث كف عنكم ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي يقام عليكم ولم يجعل هنا يكفي الاخرة وذا لسنة رحمة
اذ عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة بدرجات ويحتمل غفور رحيم حيث جعل الحدود في الدنيا زاجرة
عن العود الى ارتكاب مثله من الجنايات التي تعلق بها الحدود وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ⦁ يحتمل يريد الله
ان يبين لكم جميع ما تاتون وما تتقون وما لكم وما عليكم وما به صلاحكم ومعاشكم في امر دينكم ودنياكم
ما لكم فيه نفع وما بكم اليه حاجة وما عليكم القيام به ويحتمل ان يرجع الى شيء خاص من هذه الجملة مما يريد الا
الاخبار عنه وان الذي علينا النظر فيما قد تفضل بالبيان عنه وفيما انبانا من سنته فيمن تقدم من الامم
مما رجوا به الهداية وكشفا بالقيام مما علينا في ذلك من الحق وذا الشهادة على الله تعالى بالمراد فيما في مخرج الخفاء
والكناية دون التصريح من الموعود والله اعلم وقوله تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم ⦁ يحتمل يريد ان
يهديكم لانه معطوف على قوله يريد الله ليبين لكم وكذلك في حرف حفصة رضي الله عنها والله يريد ان يهديكم
ثم قوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم يحتمل وجوها احدها يحتمل ان يبين لكم سبل الذين من قبلكم اي سبل
الانبياء والرسل عليهم السلام واهل الهدى والطاعة منهم ما كانت ماذا ليعملوا بما عملوا هم ويخبر بها انتهوا
ليعتبروا بها ويتعظوا وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويهديكم سبل الذين من قبلكم ويحتمل سنن الذين
من قبلكم تمام امر الرسالة والنبوة ليهديكم لمحمد عم هو رسول الله اذا امر الرسالة والنبوة ليس ببديع قد كان في الامم السالفة
رسل وانبياء ليعلموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدع امرا بديعا مستحدثا وهو كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل
ويحتمل ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي يبين لكم كيف سنة الله في الذين خلوا من قبل في اهلاك من عاند
رسوله واستيصال الله اياهم بتكذيب الرسل والانبياء والخلاف لهم وهو كقوله سنة الله في الذين
خلوا من قبل وقوله وقد مضت سنة الاولين وقيل سنن الذين من قبلكم اي شرايع الذين من قبلكم من المحرمات
والمحللات من التورية والانجيل وساير الكتب يعني جعل تلك السنن والشرايع شرايعكم هداية لكم اذ نبينا
عليه السلام ليس بتبع لغيره في الشرايع والله اعلم بحقيقة ما انصرف اليه المراد بالاية لكن فيما احتمله فيهما موعظة
شافية وقوله تعالى ويتوب عليكم والله عليم حكيم ⦁ اي يريد ان يتوب عليكم الاية بناء على ما سبق من الذكر
الا ترى انه صرح فقال والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات وهذه الاية فيما سبق وهو قوله
ويهديكم يكون بيانا لخصوص من علم الله تعالى منهم وجود التوبة والاهتداء اذ كان اخبارا عن قوم خاص ارادته
وهدايتهم وتابوا واهتدوا باعطائه اياهم التوبة والهداية لان الله تعالى اخبر ووعد لهم باعطاء التوبة والهداية
لانه اضاف الارادة الى فعل نفسه وهو التوبة عليهم والهداية لهم ولا يتحقق الخلف في وعد الله تعالى فمن ذلك
فدل ان الامر كما قلنا ثم الاية حجة على المعتزلة في مسايل منها مسالة خلق الافعال لان الله تعالى اضاف ارادة
التوبة الى فعل نفسه والتوبة من الله على العبد اعطاء فعل التوبة فهذه الاية تدل انه يخلق منهم التوبة بارادته
واختياره وعندهم لا يتصور من الله فعل في حق العباد بارادته لان المذهب عندهم ان العبد خالق فعل نفسه
وارادته واختياره باعطاء الله اياه القدرة على ذلك لم يبق له قدرة يحصل ذلك الفعل الذي اعطاه قدرة
تحصيله فاذا لم يكن الله تعالى خالق فعلهم فلا يكون مريدا لذلك وانما يكون مريدا لوجود ذلك الفعل منهم والله
تعالى ما اضاف الارادة الى فعلهم ولكن اضاف الارادة الى فعل نفسه فلم يقل يريد التوبة منكم فيكون لهم
حجة عليهم والثاني حجة ان الامر غير الارادة لانه اخبر انه اراد فعل نفسه لقوله ويتوب عليكم ففعل الله
يدخل تحت ارادته ولا يدخل تحت امره وعندهم ان الامر هو الارادة ولا ينفك منها فبطل قولهم والثالث
قالوا يجوز ارادة فعل من العباد مع علمه انه لا يوجد منهم مثل ارادة الايمان من فرعون ونحو ذلك فعلى ذلك
الجايز ارادة التوبة من الكفار وان لم يوجد منهم التوبة وهذه الاية تنفي ذلك لان الله تعالى اخبر انه يتوب عليهم
ومتى اراد التوبة عليهم فقد اراد توبتهم فلو لم يوجد منهم التوبة يؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى والخلف
في وعده اذ وعد انه يتوب عليهم ومحال في حق الكافر ان يقال تاب الله عليه دل انه لم يرد به وجود التوبة منهم
فان قيل معنى قوله والله يريد ان يتوب عليكم اي يامر ان يتوبوا فيكون المراد من الارادة الامر فنقول عندكم
الارادة المضافة الى فعل العباد قد يراد بها الامر وههنا الارادة مضافة الى فعل الله فكيف يكون امرا والامر
محال في فعل الله ان فعله لا يدخل تحت امره فيصير امرا لنفسه بتحصيل الفعل الا ان تزيدوا على الاية
فتقولوا معناها ويتوب عليكم اذا تبتم فلا يجوز ترك ظاهر الاية والزيادة عليها الا بدليل فان قالوا في الاية
ان الله تعالى يريد ان يتوب عليهم ويجوز ان يريد التوبة عليهم ولا يريد وجود التوبة منهم ولذلك لم يتوبوا فنقول
ان ارادة التوبة عليهم بلا وجود التوبة منهم محال لان عندكم نفس التوبة من الله في حق العبد اقداره عنه

ويدعوه الى تحصيل التوبة والتجاوز عن المذنب بلا وجود فعل التوبة منه لا يتحقق على انا اذا وجدنا ان يتوب
وهو ان يتجاوز عنه ثم لم يفعل وترك فلا يكون بالترك الا عاجزا او بدا وذلك وصف الله بالعجز او الجهل بالعواقب
نعوذ بالله من الزيغ عن الحق والشرف في القول وكذلك بارادة وجود التوبة من العبد وهو رجوعه الى الله الندامة
عن الفعل الماضي والعزم على ترك مثله في المستقبل بلا وجود ذلك فاشتد دلالة على فساد ذلك السمع والعقل
اما السمع فقوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ولو كان الله تعالى اراد منهم الايمان وبه يطهر
قلوبهم فقد اراد تطهير قلوبهم فيكون تناقضا ولانه تعالى قال في حق المؤمنين تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة وقال في حق الكفار يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة على التفريق بين الذي في علمه
ان يختم مؤمنا ومن في علمه ان يختم كافرا ومن اراد منه الايمان فقد اراد ان يجعل له حظا في الاخرة فيكون
هذا قولا باطلا لان تفرقة الله تعالى بين المسلم والكافر في انه يريد للفريقين حظا في الاخرة وهو خلاف
النص ولئن اراد منهم الايمان ولم يرد لهم الحظ في الاخرة او اراد ان لا يجعل لهم الحظ في الاخرة فيكون خلفا
في وعده لانه وعد للمؤمنين ان يجعل المؤمنين في الاخرة والله تعالى عن ذلك واما العقل فهو ان اضافة الفعل
الى ارادة الله تعالى يكون للامر بينا اما لانه تبين ان ذلك الفعل من حيث الخلق والاخراج من العدم الى الوجود
باختياره كما في ارادة الفعل من العباد عندكم واما ارادة الفعل على وجه لا تتبين المريد في تحصيل ذلك الفعل
ولا قدرة له عليه فيكون ذلك تمنيا وتشهيا في الشاهد والله تعالى منزه عن ذلك فيجب القول بخلق الافعال
من الله تعالى او يراد بالارادة من الله تعالى نفي القهر والغلبة ان لا يوجد فعل من العبد بخلاف ارادة الله تعالى
عليه انه غير مغلوب ولا مقهور في تحصيل ذلك الفعل وعلى هذا المعنى تستوي الافعال كلها من الطاعة والمعصية
فانه لا يجوز ان يكون الله مغلوبا ومقهورا في فعل المعصية من جهة العبد على طريق الغلبة والقهر بلا مشية
فيجب القول بعموم الارادة والمشية من الخير والشر والله الموفق وقوله تعالى والله يريد ان يتوب عليكم ويريد
الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ⦁ اي عن اختيار الدنيا على الدين والاولى على الاخرة انما يختار
يتبعه وشهوة تغلبه لا بقصد من استغنى كبا ان في ذلك يدل ليركبه النظر والتامل في العواقب عليهم تهوى
وابتغوا هوى انفسهم اماني ياسة طلبوها وافاسية في الدنيا تعوها فلذلك لا يدعهم عن النظر في العاقبة
والتامل في الاخرة لذلك مالوا ميلا عظيما او خسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا وقوله تعالى يريد الله
ان يخفف عنكم يحتمل هذا انه خفف علينا ولم يحملنا ما حمل الامم السالفة من الاصر والشدايد والاثقال
والمشقات ما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا وجعل توبتنا الندامة في القلب والرجوع عن ذلك والعزم على
ترك مثله ويحتمل ان يقال خفف علينا حيث لم ينسنا اصلنا ولم يهلكنا بالخلاف لنا وترك الطاعة على ما
اهلك به اهل الشرع ويحتمل التخفيف هذا ايضا ما خفف علينا من اقامة اشد العبادات على الطاعات من نحو
الجهاد والحج وغيرهما حتى جعل القيام بذلك على مباشرتها اخف واسر من القيام باخف العبادات وليس ما
لما جعل في قلوبهم زيادة رغبة وحرص حتى يتركوا الاولاد والاموال والاوطان عن طوع ورغبة عن
شوق وذلك من تخفيف الله تعالى عليهم وتيسيره اياها فضلا منه ورحمة وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
يحتمل ان يراد به الكافر على ما قيل انه في كل موضع ذكر الانسان مطلقا في القران فالمراد منه الكافر من قوله
ان الانسان خلق هلوعا ونحو ذلك فوضعه بضعفه بضيق صدره ويميل نفسه بطول التلذذ في النعيم حتى يفتح
فيها او يحتمل انه اراد به المسلم والكافر فوصفه اياهم بالضعف في ابتداء الحال كقوله الله الذي خلقكم من
ضعف الاية ويحتمل وصفهم بالضعف لمباشرة الخيرات لانه خلق على طبع يميل الطاعات والعبادات الا بالحمل من
المشقة وخلاف الهوى ليس كالملائكة حيث وصفهم انهم لا يفترون ولا يستحسرون يسبحون الليل
والنهار والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن
تراض منكم ⦁ هذا الاستثناء من حيث الظاهر استثناء من خلاف الجنس لانه استثنى التجارة عن تراض من اكل
المال بالباطل واكل المال بالباطل ليس من جنس التجارة ولا التجارة من نوع اكل المال بالباطل ولكن في الاصل
استخراج بعض الجملة الملفوظة فاذا لم يكن المستثنى من نوع المستثنى منه كيف يكون استثناء لكن يحتمل
انه قال والله اعلم ان هذا ليس من باب الاستثناء حقيقة لكنه خرج على طريق الابتداء والايتناف ويكون
الا بمعنى لكن كانه قال لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل لكن كلوا بتجارة عن تراض منكم وذلك مثل قوله
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما استثنى السلام من اللغو وهو ليس من نوع اللغو ولكن معناه على الابتداء
كانه قال لا يسمعون فيها لغوا ولكن يسمعون فيها سلاما ويحتمل ان يكون هذا من باب الاستثناء
حقيقة لوجهين احدهما ان قوله الا ان يكون تجارة لبيان ان العين هو المراد بمطلق الكلام دون المطلق

وان الخاص هو المراد دون العموم كانه قال لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بتجارة عن غير تراض الا ان تكون
تجارة عن تراض فتحل اكل المال بالتجارة عن تراض حلالا وبالتجارة عن غير تراض حراما فتكون التجارة نوعين
احدهما يوجب الملك مع حل الفعل والآخر يوجب الملك بدون حل الفعل فيكون استثناء من الجنس وصار
هذا كقوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط دل الاستثناء في آل لوط على انه اراد بقوم مجرمين من قوم لوط
خاصة وان كان قوله الى قوم مجرمين باطلاقه يتناول من كان من قوم ابراهيم وغيره اذ كان ثم اقوام مجرمون الا
ان ثمه صح تخصيص قوم لوط وتقييد المطلق لا يمكن ان يجعل استثناء من الجنس والنوع اذ آل لوط ليسوا بمجرمين
لكن ذكرناه مثالا ونظيرا لما قلنا ان الاستثناء قد يكون دالا على تخصيص المراد في المستثنى منه ثم بعد ما صار
المراد هو الخاص بمطلق الكلام المستثنى منه قد يكون الاستثناء من ذلك النوع فيكون حقيقة وقد يكون من غير
نوعه فيكون حقيقة وقد يكون من غير نوعه فيكون مجازا بمعنى كلمة لكن الا ان في هذه الآية لما دل الاستثناء
على تخصيص المراد بمطلق الكلام وتقييده بالتجارة من غير تراض صار كالثاني نوعه فتكون حقيقة والله اعلم
يقرر ما قلنا ان في المستثنى منه ما يدل على تقييد الاكل بالباطل بطريق التجارة لانه قال بينكم بالباطل
وحرف البين لا يستعمل الا فيما كان البدل من الجانبين وذلك هو التجارة الا انه نوعان نوع يحول
ويطيب الملك الحاصل به ونوع لا يحول بل تقييده ولا يحل الملك الحاصل به فحرم اكل الحاصل بالتجارة
الفاسدة واباح الحاصل بالتجارة الصحيحة فيكون استثناء من الجنس لما ان التجارة في الحقيقة هو
اخذ مال بمقابلة مال يلزمه وترك الشيء بالشيء قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فذكر الشراء لما لم يحصل لهم الا ترك الهدى بالكفر ثم سمى ذلك التجارة بقوله فما ربحت تجارتهم ومن اخذ مال
غيره فاكله بغير رضاه او تبلغه بوجه آخر يلزمه بدله مقصصا بالسلعة فيكون تجارة في الحقيقة فهي عن غير طيب
التجارة فاستثنى نوعا منها وهو التجارة عن تراض فيكون الاستثناء حقيقة والله اعلم ثم في الآية دلالة على جواز
بيع المراوضة وهو التعاطي خلافا للشافعي فانه اباح الاكل بالتجارة عن تراض والتجارة لا تختص بالقول بل هي
عن جعل الشيء المغنم ببدل وترك الشيء بالشيء فان الله تعالى اطلق اسم التجارة على تبادل الشيء فيه فعلا لا بيع
قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقال تعالى ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة سمى تبادل الجزاء وهو الجنة بالجهاد والقتال في سبيل الله اشترى
من غير وجود اللفظ وفيها دلالة جواز البيع الموقوف لانه يباح الاكل اذا وجدت الاجازة والرضا لانه
قد وجد وقت الاكل التراضي في التجارة وفيها دلالة وجوب خيار الروية اذ تجعل الرضا شرطا والرضا
بما يجهل غير متحقق وانما يعلم بالروية فدل ان الخيار ثابت عند الروية وفيها دلالة ان البيع يبطل اذا هلك
المبيع قبل القبض لان الآية تدل على ان التجارة وضعت للاكل شرعا كما وضعت عادة وعرفا ولا يوصل اليه
الا بالقبض فاذا فات فات ما لاجله وضعت التجارة فيبطل وفيها دلالة على نفي ثبوت خيار المجلس خلافا
للشافعي انه خيار المجلس ثابت لا يتم البيع مفيدا للحكم حتى يتفرقا عن مجلس العقد لان فيها اباحة الاكل بالتجارة
عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد فيكون ظاهر الآية يدل على ان البيع يتم بالتراضي من المتبايعين
لا غير فمن شرط شرطا آخر فقد زاد عليه فلا يجوز من غير دليل ولان التجارة معروفة عند جميع من له عقل وتفرق
المتعاقدين بعد الفراغ عن العقد لم يعرف فيما هو عند الخلق تجارة ولكن التفرق من العاقدين عن مجلس العقد
لانقضاء ما له الاجتماع وهو مباشرة العقد اذ ليس من عادة العقلاء الوقوف في مكان لا حاجة لهم فيه وغرض
فدل ان التفرق عن مجلس العقد مما لا تعلق له بشيء من حكم وشعبة من التجارة وقد اباح الله تعالى الاكل بالتجارة
عن تراض فدل انه قد ملك المبيع بالفراغ عن التجارة بلا فصل حتى يباح له الاكل يقرر ما قلنا قوله واشهدوا اذا
تبايعتم والتبايع الذي يقع عليه الاشهاد هو التعاقد لا التفرق في متعارف الخلق والاشهاد لصيانة الحقوق
الواجبة بالتبايع من الجانبين فدل على وجوبهما بنفس التبايع دون التفرق وعلى ان البيع اذا كان لا يتم بالتراضي
قبل التفرق فمتى يشهد قبل التفرق وكيف ان شهد قبل التفرق يكون المشتري كاذبا في الاقرار بان لصاحبه
عليه الثمن اذا كان البيع لم يتم وكيف ينفع البائع هذا الاشهاد والتبايع اذ تسترد السلعة فيبطل الاقرار
بالثمن وان كان انما يشهد بعد التفرق فقد يجوز ان تتلف السلعة المبيع قبل التفرق فيبطل البيع فيكون اشهاده
على الاقرار بالثمن بلا ثمن فات الحصن الذي امر الله تعالى به بالاشهاد فدل ان البيع يتم بدون التفرق
وان الاشهاد واجب قبل التفرق والله اعلم ولان كل اهل التبايع يتعارفون وقوع الملك بينهم بالفراغ
من العقود ويعتقدون ذلك وهو ظاهر يعرفه الرسول عليه السلام والائمة الهدى وكانوا لا ينهون عن ذلك
فدل على ان التفرق ليس بشرط فان قيل قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا

قيل هذا خبر الواحد ورد مخالفا لما تلونا من النصوص ولما تعارفه اهل التبايع كلهم بخلافه فيكون البلوى
به عاما فلا يجوز ان يذهب على العلم من شيء يعم به البلوى عنه بشرطه يدل على الغلط في الرواية او الانتساخ لانه لا يجوز
ورود الحديث على ما فيه مناقضة القرآن ومخالفة الاجماع او يحمل على ما قيل بخلاف ظاهر اللفظ عملا بالادلة
كلها على التوافق ثم تاويله يخرج على وجوه احدها على اضمار وهو على المتبايعين ان يكونا كذلك في حق الحمل الا في حق الحكم
والاخبار عن حق وجب شرعا يعني على المتبايعين ان يجعلا الخيار باقيا في مجلس العقد للتردد والنظر وظهور الندم
عسى او الجهل بعد العقد اذا طلب الآخر الاقالة والدليل ذلك ما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه خشية ان يستقيله وفي رواية
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده في آخر الحديث ولا يحل لاحدهما ان يحل فراقه خشية ان يستقيله بين ان المعنى
من الخيار في حق الحمل كالفسخ في الاستقالة وهذا الحديث دليل ايضا ان خيار المجلس غير ثابت فانه قال خشية
ان يستقيله ولو كان له حق الرد بسبب الخيار لم يكن لهذا النهي معنى ويحتمل المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا اي
ما لم يتم فالمراد بالمتبايعين ما داما في التبايع يعني ان البائع اذا قال بعت فللآخر ان يمتنع عن القبول
وكذا للبائع ان يرجع عن الايجاب قبل ان يقول الآخر قبلت واذا تفرقا عن التبايع وفرغا عن البيع سقط الخيار والحمل
على هذا اولى من الحمل على التفرق عن المكان مع احتمال اللفظ لما قلنا قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
ولا يفهم بمعنى ذلك تفرق المكان بعد الابدان ولكن وقع ذلك على القول والطلاق والفراغ من ذلك
وبيان الترجيح من وجوه احدها انه موافق لما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفرق البيعان بالخيار
ما لم يتفرقا عن بيعهما وكذا موافق لقول عمر رضي الله عنه ان البيع عن صفقة او خيار والثاني وهو ان التبايع
في اللغة من باب التفاعل وهو اسم لفعلهما فيستحقان اسم المتبايعين في وقت وجود التبايع كالتضارب
والتقاتل ونحو ذلك فاما بعد الفراغ من ذلك يكون الاسم بحكم الحكاية والاخبار عن الفعل الذي كان دون
تحقق الفعل فيكون التسمية بطريق المجاز لا من حيث الحقيقة فكان الحمل بالحقيقة اولى ولا يقال فيما قلتم
ليس عمل الحقيقة ايضا فان التبايع حقيقة ان يوجد الفعل من اثنين فينبغي ان يكون الخيار ثابتا بعد وجود
الفعلين وخيار القبول والرد عندكم حال وجود احد الفعلين فيكون الاسم لهما بطريق المجاز فلم كان
الحمل على ما قلتم اولى لانا نقول بلى ولكن لما كان كل واحد من الفعلين شرطا للصحة كلام آخر في حق الحكم
الذي وضع له العقد وجد احدهما حقيقة والآخر بقرب وجوده غالبا لحضوره بمجلس العقد فيكون
في المعنى كانهما وجدا واشتركا فيسميا متبايعين وهذا كما قال حتى يتفرقا والتفرق اسم الفعل
بهما اذا فارقا احدهما مكان البيع والآخر لم يفارقه كان كافيا وجعل كانهما اشتركا في التفرق فهذا مثله
الا ان اسم التفرق هاهنا حقيقة لان التفرق هو ان يكون احدهما لا يجتنبه صاحبه وذلك يحصل بفعل
احدهما وفي التبايع بخلافه فيكون ذلك مجازا لكنه اقرب الى الحقيقة من اطلاق الاسم بعد الفراغ من التبايع
لان ثمه انعدم الفعلان حقيقة وهاهنا حال وجود البيع دون التفرق عن المكان من غير بكثير من التكلف
والرابع وهو ان التفرق من حيث المكان يحصل حدا ويحمل على منع الصلاح وتحقق الفساد فانه اذا وجد
لفظة البيع او لفظة الشراء من احدهما ثم وجد التفرق لم يمكن الاصلاح وكذا في البيع الذي كان هو علما
على منع الصلاح فدل ان الصلاح يتعلق من آخر ذلك هو وجود كلام صاحبه وبه يتحقق الفراغ من الصلاح
ويحتمل ان يكون المراد هو خيار القبول والرد ان كان المراد من التفرق تفرق الابدان عن المكان ويجب الحمل
عليه لما ذكرنا من انواع الترجيح ويحتمل ان المراد منه في عقد خاص ان كان المراد من الخيار هو خيار القبض والاخذ
والمراد من التفرق من حيث المكان وهو عقد الصرف والسلم فان العقد لم يتم قبل القبض وكان لكل واحد منهما الخيار
قبل التفرق وكم من عام نذكره يراد به الخاص والله اعلم ويحتمل ان يراد به في احد نوعي البيع وهو بيع التعاطي
فان التبايع عرفا في التبايع من وجهين احدهما من حيث التعاقد والثاني من حيث التقابض حتى اذا وجد التسليم
والقبض كان ذلك بيعا بينهما فاذا فارق احدهما صاحبه قبل التقابض كان تركا للتبايع وكان المراد هذا
والله اعلم وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم يحتمل وجهين احدهما ان لا يقتل بعضكم بعضا فانه اذا
قتل الآخر يقتل به وكانه هو الذي قتل نفسه اذ لولا قتله اياه لما قتل به والثاني انه اضاف القتل الى انفسهم
لانهم كلهم كنفس واحدة اذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد وهو كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم اي على جنسكم والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان بكم رحيما اي من رحمته ان جعل فيما بينكم
القصاص واخذ النفس بالنفس والاجر بالاجر على المثل واخذ المال بالمال فان في ذلك حقوق انفسكم في
اموالكم اذا المقاتل يمتنع عن احد شيء يوخذ منه مثله في الاغلب ويحتمل ومن رحمته ايضا ان جعلكم من جوهر

واحد اذ كل ذي جوهر يألف بجوهره ويسكن اليه ليقع التألف بينكم فيكون سببا لبقائكم الحين الموعود
ويحتمل ومن رحمته ان ارسل اليكم الرسل وانزل عليكم الكتب وفصل لكم السبل فانه بالعقل ان كان
يدرك البعض فانه لا يدرك الا بزيادة مشقة وكلفة وفي ذلك اسقاط ذلك عنكم ويحتمل ايضا ومن رحمته
ان امهلكم وستر عليكم ودعاكم الى التوبة ويحتمل ومن رحمته ان دفع عنكم الآفات ووسع عليكم الرزق
وبالمؤمنين خاصة برحمته اهتدوا وسلموا عن كل ذلك في الدين وانما الموفق وقوله تعالى ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا قيل عدوانا بالمجاوزة عن حدود الله وظلما
على صاحبه فالعدوان هو اسم التعدي والمجاوزة عن حدود الله وهو كقوله ومن يتعد حدود الله ويحتمل
قوله وظلما على نفسه وهو كقوله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقوله فلا تظلموا فيهن انفسكم وفي
الاية حجة على المعتزلة فان قوله ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما يرجع الى ما سبق من اكل المال بالباطل او قتل
النفس بغير حق او اليهما جميعا وقد الحق الوعيد الشديد بذلك وسماه عدوانا وظلما مع ابقاء اسم الايمان
بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فدل ان ارتكاب الكبيرة مما لا يزيل اسم الايمان وهكذا
وهذا كما قال في آية اخرى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ابقى اسم الايمان في حق القاتل العمد
وكذلك قال يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ابقى اسم الايمان في حق القاتل
عمدا وكذلك قال فمن عفي له من اخيه شيء اي من جناية الذنب ابقى الاخوة في الدين وقال ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة وفيما كان الفعل سببا لزوال الايمان لا يجوز ان يكون فيه منه رحمة فصح ما ذكرنا واما
قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فالمراد منه والله اعلم مستحلا له مستخفا
بتحريم الله فاستوجب الوعيد بطريق الخلود لخروجه عن الايمان بالاستخفاف والاستحلال لا بنفس القتل
العمد حتى يكون موافقا لسائر الآيات التي لم تنف فيها اسم الايمان دفعا للتناقض عن القرآن المنزه عن ذلك
الاثر فانا وعند الاصل في هذه الآية ولم يذكر الخلود وعندنا ان صاحب الكبيرة استحقاق العذاب بسبب الكبيرة
وانما التنازع في الخلود والاصل في هذا انه لم يتنازع ان من كان فعله سببا للخلود في النار فهو ممن زال
عنه اسم الايمان فكان زعمه صاحب الكبيرة لما استحق الخلود فقد خرج عن الايمان وعندنا لما لم يستحق لم
يخرج عن الايمان وكان التنازع بيننا وبينهم في ان الكبيرة هل تخرج صاحبها من الايمان ام لا فيجب ان ننظر في
الموضع لا في ان صاحب الكبيرة هل يخلد في النار وهل يستحق الخلود ام لا والله الموفق وقوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ۞ تعلقت المعتزلة بهذه الآية على ان الصغائر تكون واجبة المغفرة
بالاجتناب عن الكبائر لان الله تعالى وعد ذلك وانه لا يخلف في وعده وتعلقت بها ايضا في ان الكبائر غير مغفورة
فانه علق تكفير السيئات باجتناب الكبائر فاذا لم يوجد اجتناب الكبائر لم يثبت التكفير ولكن اهل الحق
قالوا ان الكبائر والصغائر كلها في مشيئة الله تعالى ان شاء عذب عليها كلها وان شاء عفى عنهم وان شاء
كفرها بمحض الايمان وعاقبته الجنة لا محالة لبقاء الايمان مع الكبيرة لا ان الكبيرة واجب التعذيب لا محالة
غير جائز العفو والتكفير ولا ان الصغائر واجبة الغفران غير جائز التعذيب فاما الكفر فهو غير جائز العفو
واجب التعذيب والخلود في النار واصل ذلك عندنا قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنه بمشيته وقال في آية اخرى ان الحسنات لاطلاق لفظه
السيئات على الكبائر والصغائر ويدل على ان الصغائر تكفر ايضا بالحسنات وعندهم لا يصير الصغيرة
مغفورة باجتناب الكبائر لا محالة والاجتناب عن الكبائر ليس من باب الحسنات التي هي عبادة لله تعالى وكذلك
عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شفاعتي نائلة لاهل الكبائر من امتي وروي
عن علي رضي الله عنه انه سمع امرأة تدعو اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال لها
من قولي اللهم اجعلني من الفائزين فان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر ثم قرأ ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم كان يحمل الكبائر على الشرك حتى يستدل بالآية على تكفير الكبائر بعملها
فاما قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اختلف اهل التأويل فيه قال بعضهم المراد بها الشرك فان الشرك انواع
منها الاشراك بالله ومنها جحود الانبياء ومنها الجحود بنقض الرسل ومنها الجحود بالعبادات واستحلال المحرمات
وتحريم المحللات وغير ذلك وكان المراد هو الكبائر التي هي انواع الشرك والاجتناب عن الشرك سبب لمغفرة ما
دونها بوعد الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فهذا دليل وجوب الحمل على هذا انه في هذه الآية قرئ في بعض
القراءات ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه ولما روينا من حديث علي ولكي يكون موافقا لما يكون من الآيات وذكرنا من الاخبار
وقيل اراد بالكبائر كبائر الاسلام ثم بعد هذا يحتمل وجهين احدهما يحتمل ان يكون الصغائر مغفورة بالاجتناب

عن الكبائر

عن الكبائر ويحتمل ان يكون الصغائر مغفورة بالحسنات كما اخبر الله تعالى بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات
والاتباع قال في آخر الآية نكفر عنكم سيئاتكم والتكفير يكون بالحسنات وجعل الاجتناب عن الكبائر شرط
التكفير بالحسنات ويحتمل ان التكفير للكبائر والصغائر بدون الاجتناب عن الكبائر لما ذكرنا من الدلائل وظاهر هذه
ان كان وعد المغفرة بالاجتناب على الاطلاق من غير قيد المشيئة فقد تقيد بالمشيئة بآية اخرى فيجب العمل بالمقيد
تنزيها للقرآن عن التناقض على ان هذه الآية ان اجتنبوا الكبائر يكفر عنهم السيئات ولم يذكر الحكم اذا لم يجتنبوا
فيقول اذا لم يجتنبوا فهو في مشيئة الله تعالى لقيام الدلائل على ما ذكرنا ان وجوب الحكم في حال لا يكون نفيا واثباتا
في حال اخرى بل يكون موقوفا على الدليل ثم اختلف في كيفية الكبائر وماهيتها قال بعضهم ما اوجب الحد فهو كبيرة
كالزنا والسرقة والقذف وغيرها وما لا يوجب فهو صغيرة وقال الآخرون الكبيرة هي الاشراك بالله وقتل النفس
بغير حق واكل مال اليتيم واكل الربا وقول البهتان والفرار من الزحف وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه انه سئل عن ذلك فقال ما ذكر من اول السورة الى هذا من المحرمات فهو من الكبائر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما جاء مقرونا بوعيد فهو كبيرة نحو قتل النفس المحرمة وقذف المحصنات والزنا والربا واكل مال اليتيم والفرار
من الزحف وقيل لابن عباس ان عبد الله بن عمر قال الكبائر سبع فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الى سبعين
اقرب ولكن لا كبيرة مع توبة ولا صغيرة مع اصرار وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تقولون
في الزنا والسرقة وشرب الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة ثم قال النبي عليه السلام الا انبئكم
باكبر الكبائر فقالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين قال وكان متكئا فجلس ثم قال الا
وقول الزور الا وقول الزور وقاله ثلاثا والله اعلم وقوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما ۞ قيل الجنة وقوله
تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ۞ الآية قيل لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا امرأته ولا داره ولا شيئا
من الذي له ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله ذكر نوع الذي رغبت فان الله واحد ذلك وهو الواسع العليم وقيل هو كذلك
في التوراة وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ويذكر الرجال ولا نذكر
ولا تتمنوا ما فضل الله سالحق لعز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ويحتمل
ان يكون هذا التمني في الديانات وفي الدنيا اما في الديانات هو ان يتمنى احد ان يكون قدره مثل قدر آخر عند
من العلم والزهد وغير ذلك فهي ان يتمنى ذلك ثم يبلغ هو ذلك المبلغ الا باحتمال المكاره والمشقة والجهد
وفي الدنياوية هو ان يتمنى مال اخيه وزوجته وخدمه ويحتمل ان يكون معنى التمني ما ذكر في خبر ام سلمة لان
في ذلك الكفران بنعم الله لان النساء وان لم يجعل عليهن القتال وغيرها من الخيرات رفع عنهن بعض المؤنات
ففي التمني الكفران بتلك النعم التي انعم الله تعالى عليهن وفي قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم اي الذي
فضل الله بعضكم على بعض فهو والله اعلم لما فيه السخط بحكمه يريد الصرف الى نفسه ولما فيه انه انما قصر فضله
على ما رأى وان لا يسع فضله له وللذي فضله ولما النظر الى ما اكرم غيره يكون التمني ينهى عن نعم الله تعالى عليه
وعما يخرج ذلك مخرج العداوة وحق نعم الله على كل احد ان يعرف التعظيم له لذلك قيل فضلت على غيرك الرحمة
ويفضل به عليه للتعظيم والتمني اوحش من الحسد لان الحسد هو ارادة الصرف عنه وفي التمني ذلك وارادة
الفضل له عليه وينبغي الله سبحانه وتعالى من فضله وكان فضله هو ما لا يبتلى وذلك يخرج على فضل
في الدنيا وفضل في الخلق والروح فاما فيما يرجع الى نعم الدنيا مما لا يستعمله في احد ذلك لوجهين فهو
في الظاهر نعم وفي الحقيقة بلية ومحنة قال الله سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم الآية وقال عز وجل ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين وجائز ان يكون في الآية في النهي معا ممكنا من النعم لو وقفوا من النعم لو وقفوا الخيرات
فان كان ذلك وفقوا الخيرات نحو ذلك ان يشكر الله بما اكرمه به من حسنات ويرغب في التوفيق لمثله وان
كان في امر النعم يحقه ان يعينه بالدعاء ليكون له نعمة لا بلية ونعمة ويرغب في كل ما يقربك الى الله تعالى ويتوسل
به الى الزلفى لديه والى نعيم الآخرة والنجاة عن النار ويحتمل ان النهي لما فيه السخط كله من يكون صرفا لتلك لا الى الذي
صرفا اليه ويحتمل ان النهي لانه قصر فضل الله تعالى على ما رأى وان لا يسع فضله له وللذي فضله او لما يخرج ذلك
مخرج العداوة وحق نعم الله على كل احد ان يعترف التعظيم له ولذلك قيل فضلت على غيرك لترحم وتفضل
به عليه وتفضل عليك لتعظم والتمني اوحش من الحسد لان الحسد هو ارادة الصرف عنه وفي التمني ذلك
وارادة الفضل له عليه بذلك ويحتمل ان يكون هذا النهي في الدينية والدنيوية جميعا اما في الدينية فهو
ان يتمنى احد ان يكون قدره مثل قدر آخر عند الناس من العلم والزهد والاحترام ونحو ذلك فهو ان يتمنى ذلك
اذ لم يبلغ هو ذلك المبلغ الا باحتمال المكاره والمشقة والجهد لذلك قوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن واما في الدنيوية فهو ان يتمنى مال اخيه وزوجته وخدمه واتباعه وقوله تعالى وسئلوا الله

من فضله ان الله كان بكل شيء عليما • قيل وانما الفضل لله تعالى في الحقيقة هو ما لا يبدل وذلك
يخرج على فضل في الدين او فضل في الخلق والمروة واما فيما يرجع الى نعيم الدنيا فهو في الظاهر فضيلة ونعمة
وفي الحقيقة بلية ومحنة قال الله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون فكان المراد والله اعلم طلب الفضل من عند ربنا لو حمينى مثل ما اعطى الله فلانا
لاحسنه من غير ان يتمنى ان يزول عنه والله اعلم وقوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون • يحتمل
ولكل جعلنا موالي على اضمار نصيبا وحقا فيما ترك الوالدان والاقربون ويحتمل ان يكون معطوفا مردودا
الى قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الا في كلام وردت من الوالدين ولم يذكر الارث للوالدين
من الاولاد ولم يذكر ارث الاقربين بعضهم من بعض نحو العم وابن العم ونحوهم من القرابات فذكرها هنا ليعلم
ان الارث يجري في جميع القرابات على الترتيب فيكون تاويله ومعناه وانا نسا الموالي بحق الميراث منهم اولى فيما ترك
الوالدان والاقربون والموالي جميع الورثة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه وتفسير هذه الاية قوله
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وجميع ايات المواريث ويحتمل قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك
الوالدان والاقربون ان اراد بالموالي هم الذين يرثون من يرث من تركة الابوين والاقربين احتمل ان تجري المواريث
فيما قدر وشرع كما يجري فيما لم يورثا اصلا فرجع هذا الى غير الاولاد والاقربين الذين في قوله للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون ويحتمل ان يكون المراد فيما ترك الوالدان والاقربون الى قوله نصيبا مفروضا فيكون
المراد بهذه الاية بيان الارث فيما ترك الوالدان والاقربون مع اصحاب الفرائض فيكون لهم سهامهم المقدرة
والفاضل يكون لمن لم يكن لهم سهام مقدرة من الموالي فيكون في الاية اثبات العصبات مع اصحاب الفرائض وفي قوله
للرجال نصيب مما ترك الوالدان الاية اثبات التعصيب بدون اصحاب الفرائض وبيان حق اصحاب السهام بدون
العصبات ثم جملة الايات في المواريث ثلث احدها في اصحاب الفرائض وهو قوله مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
والثانية في حق العصبات وهو قوله ولكل جعلنا موالي فانه قيل المراد من الموالي العصبة وقيل هم الاولياء الاب
والاخ وابن الاخ ونحوهم والثالثة في حق ذوي الارحام وهو قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين وقد وردت الاحاديث في اثبات الارث للعصبات وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحقوا المال بالفرائض فما ابقت السهام فلاولى رجل ذكر وعن عمر رض
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما احرز الوالد او الولد فهو لعصبته من كان وعن جابر رض
عن النبي صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا او ضياعا
فانا وليه وعن عمر رضي الله عنه انه كتب اذا كانت العصبة بعضهم اقرب بام فهو احق بالمال واجمع اهل العلم
على ان اهل السهام اذا استوفوا سهامهم وبقي شيء من المال فانه يكون لعصبة الميت وتفسير العصبة وترتيبهم
يعرف في كتاب الفرائض ان شاء الله تعالى وقوله تعالى والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم • قيل المراد من الايمان
هنا الحلف وهو عقدت الحلف الذي كان في الجاهلية يقول الرجل للاخر ترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك
وتنصرني وانصرك وتحالفان على ذلك وقد قرئ بالالف عاقدت ايمانكم فهو من المحالفة وقيل هو من صفقت
اليمين في اليمين وعقد المبايعة كان الرجل يبايع الرجل ويتابعه في الجاهلية فيموت فيرثه وقيل ان ابا بكر رضي الله عنه
عاقد رجلا فمات فورثه ولهذا اختص المماليك باسم ملك اليمين قال الله تعالى او ما ملكت ايمانكم لانهم يشترون
للخدمة وهم يخدمون بايمانهم واذا كان تاويل الاية ما ذكروا فالاية فيها بيان الحكم في ابتداء الاسلام ثم صار
منسوخة بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ويحتمل ان يكون الاية فيمن
اسلم على يدي اخر من المسلمين وعاقده ثم اختلف في قوله فاتوهم نصيبهم قيل هي الوصية الى تمام الثلث دون الميراث
لان الميراث بسبب الموالات والحلف قد نسخ بالاية التي في سورة الانفال وهي قوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في كتاب الله ثم قال الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا وهو الوصية الى تمام الثلث وقيل فاتوهم
نصيبهم من النصر والمعونة والرفد والمشورة دون الميراث والى هذين التاويلين قال من قال من العلماء بان الميراث
لا يستحق بالولاء بطريق الموالاة والمعاقدة وقيل فاتوهم نصيبهم المراد منه الارث بعد ذوي الارحام فالحكم
بالموالي الذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ولانه قال فاتوهم نصيبهم اي من التركة فلا وجه للحمل على تمام حق
مقدر لهم من التركة وعلى ذلك المرفوع من الحديث والاثار من الصحابة رضي الله عنهم وروي عن رسول الله صلى
عليه وسلم انه قال من اسلم من اهل الكفر على يدي رجل هو اولى الناس به محياه ومماته اراد به محياه في العقل
ومماته في الميراث وروي عن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن رجل اسلم على يدي رجل فمات قال هو مولاه ان

ابى فبيت المال وروي عن مسروق قال اتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقلت ان رجلا كان نازلا علينا
فخرج الى الجبل فمات وترك ثلثمائة درهم فقال لعبد الله هل ترك وارثا او لاحد منكم عليه ولاء قلت لا فجعل
ماله لبيت المال وروي عن علي رضي الله عنه انه كان يرى الميراث بولاء الموالاة وبهذا القول قال علماؤنا رحمهم الله ان مولى
الموالات يرث الذي اسلم على يديه ووالاه ان لم يترك وارثا ويؤيد هذا القول السنة والاثار والدليل العقلي
يؤيد هذا التاويل ايضا فان بيت المال يرث بولاية الايمان حيث قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض وهو لاء تلك الولاية وولاية اخرى بالمعاقدة فهم احق من عامة المؤمنين لان مولى العتاقة اولى
من بيت المال لتساويهم في ولاية الايمان والترجيح بولاء العتق وكذا هنا الا ان مولى الموالاة يتاخر عن سائر الاقارب
ومولى العتاقة يتقدم على ذوي الارحام لان الولاء بالرحم فوق الولاء بالعقد فيتخلف عن ذوي الارحام وولاء العتاقة
مما يتقدم من النعمة بالاعتاق الذي هو احياء فالاعتاق الحق بالتعصيب من حيث المعنى ولذلك قال عليه السلام الولاء
لحمة كلحمة النسب والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا • بما ذكر من الشرط والوفاء به والله الموفق
وقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض • وقد استدل الشافعي بهذه الاية على ان
النكاح لا يجوز الا بالولي حيث اخبر الله تعالى ان الرجال هم القوامون عليهن وهو منصرف تاويل الاية الى الاولياء
ولكن هذا ضعيف فان اهل التاويل قالوا ان الاية نزلت في الازواج ودليله قوله وبما انفقوا من اموالهم
والازواج هم المأخوذون بنفقتهن اذ واجب على الاطلاق اما الاولياء ما خوذين بنفقته من تحت كل حال
فانه اذا كان لهن اموال لا يجب عليهم نفقتهن بلا خلاف ولا يجب على بني الاعمام وعلى اصل الشافعي رض لا يجب النفقة
على كل ولي فان عنده لا يجب النفقة في ذوي الارحام وانما يجب فيما بين الوالدين والمولودين ومن صرف الاية الى الزوج علم
ان الصحيح ما قال اهل التاويل دون الذي ذهب اليه فانه ذكر امور الازواج واحكامهم وروي عن ابن عباس رضي
عنه في قوله الرجال قوامون على النساء ان الازواج امراء عليهن ان يطعنهم فيما امرهن الله تعالى من طاعتهم ومنها
ان يكن محسنات الى اهلهم حافظات لاموالهم وفضلهم عليها بنفقتهم وسعيهم وقيل نزلت في رجل لطم
امرأته لطمة في وجهها فنشزت عن فراش زوجها فاستعتبته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
لطمني زوجي فلان لطمة فهو ذي اثره في وجهي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص
يومئذ بين الرجال والنساء في اللطمة والشجة والضربة ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل لتحتال لها كي
تقتص انظر ما جاء به جبريل عليه السلام في امرها فاتاه بهذه الاية الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على
اي مسلطون على ادب النساء بطريق الحق ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله
خير مما اردنا فدل ما ذكرنا ان الاية في الازواج فان كانت في الازواج فلا حجة للشافعي رضي الله
عنه بهذه الاية وان كانت في الاولياء فلا حجة له فيها بل هي حجة عليه ايضا فانه اخبر انه جعل الرجال القوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وكرهوهن التفضيل تفضيل خلقة وتفضيل عقل فهن ان جعل الرجال
من اهل المكاسب والتجارات والقيام بانواع الحرف والتقلب في البلدان بما فضل لهم من فضل قوة وزيادة
عقل وبصيرة في الامور وجعلهن عاجزات عن القيام بالمكاسب والحرف والتقلب في حاجاتهن لضعفهن ونقصان
عقلهن فجعل الرجال قوامين عليهن فكل امر هو الا ليهم حاجة فيخرج ذلك مخرج الحق لهن وعلى الاولياء ينزل ايد
العقول الكاملة التي هي اسباب الحق والمصالح لاقامة مصالحهن شكرا لما انعم الله تعالى على الرجال من زيادة قدرة وقوة
وعقل اخرجهن عن ذلك كما اوجب على الاغنياء اخراج بعض الاموال الى الفقراء شكرا لما انعم عليهم من الاموال قضاء
لحق الفقراء ثم معنا فيه ذلك على الرجال في سائر الامور اذا ولين ذلك بانفسهن وفي نحو البيع من البياعات
والاسرية وغيرها كان جائزا فكذلك في امر النكاح وهذا كما ان الله تعالى جعل نفقتهن على محارمهن من الاقارب
اذا لم يكن لهن مال لانهن عاجزات عن المكاسب والحرف ظاهرا والرجال لهم قدرة على ذلك فجعل مؤنتهن عليهم
لضعفهن وعجزهن خلقة ولهذا لم يجعل الذكور من المحارم بعضهم على بعض النفقة لما انهم يقومون بالمكاسب
حتى انه اذا كان زمنا وعجز عن المكاسب كانت نفقته على الغني من محارمه لانه صار في الخلقة كالمرأة ثم المرأة
اذا اكتسبت المال بنفسها او اشتغلت ببعض انواع الحرف فيها لم يمنع عن ذلك اذا كانت نفقتها لمن له النفقة
سيأتيه والله اعلم وقوله تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض قيل تفضيل خلقه من جهة زيادة القوة والعقل
وقيل بالنفقة والسعة عليهن وقوله وبما انفقوا من اموالهم خرج تفسيرا له وان كان بحرف العطف وانه جعل
في النفقة على ما مر ذكره غير مرة وقيل تفضيلهم عليهن بالفضل في الميراث والعلى بعض حقهن في الميراث في
الغنيمة فان للنساء الرضخ دون كمال السهم وقوله وبما انفقوا من اموالهم في ما ساق من المهر والنفقة وقوله تعالى
فالصالحات قانتات • مطيعات لله تعالى ويحتمل مطيعات للازواج ويحتمل قانتات اي دائمات ما فرض الله تعالى

عليهن من حقوقه وحقوقًا زواجهن وقوله تعالى حافظات للغيب • اي حافظات لله تعالى في اوامره ونواهيه
وكالقيام بحقوقه التي استودعها اياهن والغيب يريد به الغايب فانه غايب عن الزوجين فيجوز اطلاق اسم
الغايب عليه ويحتمل الحافظات للغيب لما استودعهن الله تعالى من حقوقه في حال الغيب اي في الدنيا كقوله
مؤمنون بالغيب ويحتمل حافظات للغيب اي حافظات انفسهن وفروجهن بغيبة ازواجهن وقوله تعالى
بما حفظ الله • قراءة بعضهم بالنصب لها الحفظ اي بما ثبت الحفظ لاجل الله تعالى لان حرف ما مع الفعل
بمعنى المصدر فيكون النصب لكونه مفعولا له وقراءة العامة بالرفع وتأويله بما استحفظهن الله تعالى والله اعلم
وقوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن • قيل تعلمون قال بعضهم هذا العلم سمي العلم خوفا وذكر الخوف واراد
العلم لانه احد طرفي العلم اراد ان الظن احد طرفي العلم لان الظن يكون سبب الخوف ولهذا قالوا القراءة للخائف
الظان لانه يرجو ويخاف والظن احد طرفي العلم فلهذا الاصل ان الخوف يطلق على علم غالب الراي لانه
متى كان غالب رايه على وجود شي يكرهه سببه تخوفه منه كان علم حقيقة فمتى كان غالب رايه النشوز يخاف
ذلك لانه تحقق ذلك وغالب الراي يعمل عمل الحقيقة فيما تعرف بالاجتهاد فنطلق اسم العلم عليه كان حقيقة
الا يرى الى قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لزمنا العمل بظاهر علمنا فان لم نصل الى
حقيقة ايمانهن واطلق اسم العلم وكذا من اكره على ان يجري كلمة الكفر على لسانه بقتل او ضرب يخاف منه
التلف في حل وسعه ان ينطق به بعد ان يكون قلبه مطمئنا بالايمان وانما نعلم من الاخر قتله بطريق الغالب لا حقيقة
وكذا ان يكون الضرب متلفا نعلم من حيث الغالب الى ذلك لا متيقن فعلى ذلك لا نعلم النشوز منها حقيقة
وهي في بيت الزوج انما يكون بطريق الغالب فلذلك سمى الخوف واراد به العلم مع ما بينا وقلنا ما ذكر في الاية
تعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ولو كانت بالنشوز على الحقيقة كيف تعظها وكيف تهجرها
عن المضجع وكيف يضربها ذلك ان المراد منها النشوز علم الوجود باكثر الراي وغالب الظن الا انه كان وجوده
على كراهة الطبع تعبر عن ذلك بلفظة الخوف وما كان وجوده على الطبع تستعمل لفظة الرجاء فيقال الخائف
ذلك ويرجو ذلك والله اعلم وقوله تعالى فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن • روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال تعظوهن بكتاب الله فان اطعنكم اي رجعن الى الفراش واظهرن الطاعة والا
فاهجروهن والهجران ان لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر فان قبلت والا فقد اذن
الله لك ان تضربها ضربا غير مبرح ولا تكسر لها عظما فان قبلت والا فقد حل لك منها الفدا. ويحتمل
قوله فعظوهن ان تعود لها الزوج كوني من الصالحات والقانتات والحافظات ولا تكوني من كذا على ان
واللاتي فان هي تركت ذلك والا اهجرها فان هي تركت والا اضربها ضربا غير مبرح ولا شاين
فظاهر حرف الواو وان كان للعطف فانه يقتضي الاشتراك والجمع في الوجود كقولك جاءني زيد وعمرو ولكن
المراد ههنا والله اعلم الترتيب وقد يحتمله الواو في الجملة قبله تعظها اولا على طريق الرفق بها والتي لعلها
اطاعته وتركت النشوز ثم اذا لم تطعه يهجرها بحقيقة او بنحوه فهذا ذلك على حسب ما قيل ثم تأويله على
الترتيب ايضا بتقدم التخويف ولانه لم يتحقق فلعل قلبها لا يحتمل الهجران وترك المضاجعة فتطيعه فان هي
ابت ذلك تخشنت يضربها فان اطاعته والا فعند ذلك يرفعان الامر الى الحاكم وعلى هذا يجب الامر
والنهي عن المنكر في سائر الناس يعظه على الرفق ولا ولا يغلظه في القول فان قبل ذلك والا غلظ له
غلظا لقوله فان قيل في الانبساط ايديه فيه على ما امر الله تعالى الازواج في معاملة النساء بحسب النشوز الذي
هو سبيل بينها من الموعظة ثم الهجران ثم الضرب ثم الرفع الى الحكمين ولهذا اشار عبد الله بن عباس رضي الله عنه
على ما تقدم ذكره ثم قوله واهجروهن يحتمل التخويف على الاعتزال عنها وترك المضاجعة والجماع ويحتمل تحقيق
ذلك ثم هو على وجوه يحتمل ان يهجرها في حال مضاجعته اياها في ان لا يكلمها الا في ان يترك مضاجعتها وجماعها
اذ ذلك حق مشترك بينهما فيكون عليه في ذلك من الضرر ما عليها ولا ينبغي ان يؤذيها بما يضر بنفسه
ويبطل حقه ويحتمل واهجروهن على مفارقتهن في المضجع ومضاجعته اجري في حقها وحسمها فيكون حقها
عليه في حال الموافقة وحفظها حدود الله لا في حال التضييع وخوف النشوز والتنازع ويحتمل ان يترك
مضاجعتها وجماعها الوقت غلبة شهوتها وحاجتها لا في وقت حاجته اليها ليقع لها الزجر بذلك وهو
تأويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهجرها في ان لا يضاجعها ولا يجامعها على فراشه وقوله
الظهر اي في حال استغنائه منها وحاجتها اليه لا في كل حال اذ هذا بطريق التأديب والزجر فينبغي ان
يؤديها الا ان يؤدب نفسه بالامتناع عن المضاجعة في حال حاجته اليها ولكن المراد ما ذكرنا والله اعلم
ثم قوله واضربوهن المراد هو الضرب بطريق التأديب ضربا غير مبرح على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

قال

قال علق سوطك اوضع حيث تراه اهلك ولا تضرب به وقوله ثم يضرب فالسبيل ضربا غير مبرح ولا شاين
وروي في خبر آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وان لكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تضربوا
اماء الله فترك الناس ضربهن فجاء عمر رضي الله عنه فقال والله ذئرن النساء معناه اي تجاسرن يا رسول الله فامر
بضربهن قال فطاف بآل محمد عليه السلام نساء كثير يشتكين ازواجهن فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة يشتكين الضرب وايم الله لا تجدون اولئك خياركم وقال خيركم
خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احسن المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا
والطفهم باهله وقوله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا • اي اطعتم فلا تطلبوا عليهن علالا
وقيل لا تكلفوهن الحب وانما جعل الله تعالى الموعظة والهجران في المضاجع والضرب وعن ابن عباس رضي الله عنه
فان اطاعته فلا سبيل له عليها ثم الاية فيها دلالة وجوب طاعة الازواج على النساء وحرمة معصيتهن اياهم
وهو كما امر الزوج ان يحسن عشرتها لتحقيق الالفة بينهما فهي ايضا يجب عشرته والايتمار لامره وهذا والله اعلم
هو الحق الذي ذكره الله تعالى مطلقا مجملا في سورة البقرة على النساء للازواج بقوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
وتفسير الحق في هذه السورة وهي ان تطيعه في نفسها وتحفظ غيبته الا يرى انه قال فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حق الزوج على امرأته ان دعاها وهي على قتب ان تطيعه
ثم انما جعل باذن الله الى الازواج على طريق التعزير دون الائمة وان كانت اقامة حدود الله تعالى الى الائمة في الاصل
لوجهين احدهما ان عقوبة الائمة تكون بالضرب او بالحبس وما يلحق الزوج من المكروه بضرب الامام وحبسه اياها
في حق الطبع والعقل جميعا اعظم مما يلحقه من المكروه الذي يوجد من الامام بالتاديب والتعزير بسببه فيتناقض
شرع دفع المكروه بمكروه وهو اعظم منه والثاني ان المقصود متى حصل على وجه الستر في النساء كان اولى في
التفويض الى الازواج تحقيقا للتاديب مع الستر فكان احق والثالث ان الغالب فيما يحتاج الزوج الى تاديبها
لا يمكنه الاظهار مع الامام ولا بد للامام من الوقوف على سبب ذلك ليجب عليه التاديب فكان في التفويض الى الازواج
اهدار ما شرع التعزير لاجله مما يكون في ذلك فيستوي عن احتمال الذل الباعث عن المراجعة الى الامام ويعجز الزوج
عن اثبات ذلك بالحجة ففوض ذلك الى الزوج ليستعمل بذلك اذا صح سببه عنده في اي وقت وجد والله اعلم
وعلى هذا يجب ان يكون لكافل الايتام والضعفاء حق التاديب لمسائل الحاجة الى ذلك وفي التفويض الى الامام
تعطيل ذلك لما فيه من الحرج والله اعلم والاصل في ذلك ان النكاح جعل السكن في الازواج والمودة والرحمة كما
قال الله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فجعل الله تعالى
التاديب الى الزوج الذي فيه حفظ المجعول في النكاح من السكن ورعاية ما جعل بينهم من المودة والرحمة لا الى
الحكام والائمة لاقامة التعزير عليهن بما يقطع ذلك فجعل الى الزوج من التاديب قدر ما لا يقطع مثله
المجعول بينهم ولذلك لم يؤذن للزوج بالضرب المبرح ولا اذن بغير المبرح لما عند انقطاع الحبل الذي جعلت له
للالفة والمحبة على ان في تفويض ذلك الى الزوج تحقيق ذلك عند شدة الحاجة اليه اظهار الشفقة عليها
من خوف انقطاع المودة والرحمة لما العتاب الذي هو آية النصح والرحمة لانه يخاف فيرتفع هذا العقد من الراحة
تمام ما قد اصيب من الشر والشقاق لعل ينقطع المادة ويسد الباب فيبقى بسبب المجعول السكن والمودة وفي
التفويض الى الامام تحصيل ضد ما ذكرنا على الاغلب فيعود الى مناقضة الموضوع تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى
ان الله كان عليا كبيرا • هذا والله اعلم تذكير من الله تعالى عباده وامر منه اياهم انه تعالى مع علوه وعظمته
وجلاله وكمال قدرته لا يؤاخذ احدا باول عصيان يعصيه فيه ولا باول عثرة يعثرها وانتم اولى ان
لا تؤاخذوا من عصاكم باول مرة ويحتمل التذكير للزوج علوه وقدرته عليها فيحفظ حرمه فيما جعل له من التاديب
ولا يتجاوز عنه والله اعلم وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
الاية اي علمتم اذ خوف لكم ان تجتهد في الحال بينهما فيعلم الشقاق على الغالب والغالب يجري العلم في وجوب
العمل وحق الظن ولم يصح حق الاعتقاد والشهادة حتى لا يجب الاعتقاد والشهادة بذلك مع الاحتمال
وعلم الاجتهاد وغالب الراي بين الخوف والرجاء فلذلك يسمى الخوف واراد به علم غالب الراي والله اعلم
ثم قوله وان خفتم شقاق بينهما الاية كان هذا الخطاب والله اعلم لغير الازواج لانه قال وان خفتم
شقاق بينهما اضاف الخوف الى الجماعة واضاف الشقاق الى المثنى ولو كان هذا الخطاب للازواج لقال
وان خفتما شقاق بينهما او وان خفتم شقاق بينكم ويبين قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن فخاطب

للازواج اذا للزوج اذا خاف نشوز امراته ان يعظها اولا فان قبلت والا اخذ بعد ذلك بهجرها ثم يضربها
ان لم تقبل ذلك فان لم ينفع ذلك فيرفع الامر الى الامام او القاضي لتوجيه الحكمين وروي نحو ذلك عن
علي رضي الله عنه بعث الامام الحكمين حكما من اهله وحكما من اهلها فيقول الحكم من اهلها يا فلان ما تنقم من
فيقولوا نعم منها كذا وكذا فيقولوا ارايت ان نزعت عما تكره الى ما تحب هل انت متقي الله تعالى فيها بما يجب عليك
من نفقتها وكسوتها فاذا قال نعم جمع الله بينهما بالحكمين بما يجمع الله وبما يفرق ثم اختلف في الحكمين هل يفرقان
بينهما بالحكمين بما يجمع الله وبما يفرق ثم اختلف في الحكمين هل يفرقان بينهما قال بعضهم لهما حق
التفريق قال ان شاءا فرقا وان شاءا جمعا لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال بعثت انا ومعاوية حكمين فقيل لنا
ان رايتما ان تجمعا جمعتما فان رايتما ان تفرقا فرقتما وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال بلغني ان عثمان رضي الله عنه
انه قال بلغني ان عثمان رضي الله عنه بعثهما وقال قتادة رضي الله عنه في هذه الاية انما يبعث الحكمان ليصلحا فان اعيا
ان يصلحا شهدا على الظالم بظلمه وليس بايديهما الفرقة وهو مذهبنا ان لا يملكان التفريق الا برضاء الزوج
وانما توجيه الحكمان ليعرفا الظالم منهما حتى يستظهرا بهما على الظالم فان كان هو الزوج اخذ على يديه وقيل
له لا يحل لك ان تؤذيها لتختلع منك وان كانت هي الظالمة قيل لها قد حلت لك الفدية وكنت معذورة في اخذ
لقول الله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فجعل الخلع اليهما دون الحكمين
ولما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل وامراته مع كل واحد منهما قيام من الناس فقال علي رضي الله عنه
ما شان هذين قالوا بينهما شقاق فقال علي رضي الله عنه ابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما ثم قال للحكمين هل تدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا
فقالت المراة رضيت بكتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا فقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي رضي
كذبت والله لا تنقلب مني حتى تقر كما اقرت فعلي رضي الله عنه لم يجعل للحكمين ولاية التفريق الا برضاء الزوجين
حيث امر الزوج بالرضاء بالفرقة وشدد في ذلك ولو كانت فرقتهما تجوز بغير رضاهما لم ينظر الى سخط
الزوج في الفرقة ولقال للحكمين فرقا ان رايتما ذلك كره الزوج او رضي وقوله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معناه ان يريد الحكمان اصلاحا يوفق الله بينهما وعن
مجاهد رضي الله عنه مثله وقال الاخرون معناه ان يريدا الزوجان اصلاحا يوفق الله بينهما قال الشيخ رحمه الله
الاية تحتمل الوجهين جميعا ان كان المراد بالاية الزوجين فالاصلاح يراد به الجمع مرة وبالتفريق اخرى ولكن
كان الاصلاح في الجمع فتاويل التوفيق الجمع بينهما ايضا ان يريد الزوجان الجمع يوفق الله تعالى الحكمين الجمع بينهما
وان كان الاصلاح في التفريق واراد الزوجان ذلك يوفق الله تعالى للحكمين بما هو الصلاح للزوجين في اي
الامرين كان وذلك لان الفرقة والاجتماع اليهما اذ عليهما ارادة الاصلاح فانصرف معنى الاية الى الزوجين
وايد ذلك قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ثم قال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته نعلق ذلك
ما ظهر النشوز منها يجب ان تصرف امر التفريق الى الزوجين وكذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا الى قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فاشركهما في الافتداء النجعه للفراق كان كان المراد بالاية
الحكمين فقوله يوفق الله بينهما على الترغيب للحكمين في طلب الاصلاح والا وفق بينهما وعلى ايثار العدل كقوله
كونوا قوامين بالقسط شهداء الاية فاذا ارادا الاصلاح يوفق الله بينهما فيه وجهان احدهما اي يوفق الله
تعالى بين الزوجين ببركة قيام الحكمين تقديمهما وابتغائهما الصلاح بينهما فيوفق الزوجان لما له النكاح
من السكن والرحمة والمودة والثاني تحتمل يوفق الله بينهما اي بين الحكمين في اصابة ما ارادا من الاصلاح
وبهذا يبطل ان ليس للحكمين ولاية التفريق بدون رضاهما الا ان الله تعالى وعد التوفيق لهما للصلاح اذا ارادا
الاصلاح من غير بيان ان الصلاح فيماذا فلا يكون لهما التفريق مع احتمال ان الصلاح في الجمع اليهما اعلام
منهما ما اتفقا عليه الزوجين وهما عاملان لهما وعليهما ان يكونا لهما الرضا بما راياه ومن الرضا او صلة وجهان
احدهما انهما استوجبا القيام بالتولية والتراضي من الزوجين وان يخاف الشقاق بينهما من الامام وكلفا
فان قاما يبعث الامام فقاما يبعث من لا يملك الفراق فلم يثبت لهما ولاية التفريق وان قاما يبعث الزوجين
فقاما يبعث من يملك الفرقة فيملكان ذلك والله تعالى اعلم وقوله تعالى ان الله كان عليما خبيرا ظاهر
وقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا يحتمل النهي عن الاشراك في العبادة ويحتمل النهي عن
الاشراك في الربوبية والالوهية والعبادة جميعا وقال بعض اهل اللغة العبادة هي الطاعة التي معها
الخضوع وقال بعضهم العبادة هي التوحيد واصل العبادة ان يجعل العبد نفسه خالصا لله تعالى لا يشرك
فيها غيره من هوى وما كان من وجوه الاشراك من اعتقاد وخدمة بالبدن وقوله تعالى وبالوالدين احسانا

الاية

الاية امر بالاحسان الى الوالدين والى ذي القربى الى اخر ما ذكر لكن المعنى الذي لاجله امر بالاحسان اليهم كلا لا
مختلف قد يوجد في الطرفين وقد يوجد في الطرف واحد اما الاحسان بالوالدين وجب شكرا لهما بسبب ما وجد
منهما من الاحسان بالولد والتربية له في حال عجزه عن القيام بنفسه بسبب الصغر وقال الله تعالى ان اشكر لي
ولوالديك معناه والله اعلم اشكر لي بالتخليق وللوالدين بالتربية والسبب للوجود وقال تعالى فلا تقل لهما
اف الى ان قال وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال ووصينا الانسان بوالديه حملته امه كرها الاية
ذكر حال الصغر وضعفه ان كيف رباه الوالدان ليشكرهما على ذلك ويدوم على الاحسان بهما جزاء لما
احسنا اليه في حال الصغر والضعف ثم وجوب احسان الوالدين بطريق الشكر على ما سبق منهما من الانعام
على الولد يختص بالولد ولا يجب على الوالدين الاحسان بالولد لاختصاص الوالدين بالانعام وتفردهما بسبب ذلك
عند ترك الاحسان بالوالدين من العقوق وانه من الكبائر قال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر الكبائر الاشراك بالله
وعقوق الوالدين فلهذا اوجب على الولد طاعة الابوين الا ان يامراه بمعصيته او ينهياه عن اداء فريضة لان
طاعتهما حينئذ تكون معصية الا ترى الى قوله تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا امر بمصاحبتهم بالمعروف الا ان يامراه بالمعصية وعلى هذا قلنا لا ينبغي للرجل ان يقتل
اباه الكافر في صف القتال الا ان يضطره الاب الى ذلك فحينئذ يدفعه عن نفسه ما امكن بدون القتل فان كان
لا يمكن فلا باس لانه قال وصاحبهما في الدنيا معروفا وليس من المعروف شهر السلاح اليه والاقدام على قتله ولهذا
قلنا انه اذا مات احد ابويه كافرا فانه يجب عليه ان يتولى اسباب الدفن اذ ذلك من حسن الصحبة والمعروف وقد
دعا ابا طالب لما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذهب فواره وقوله تعالى وبذي
القربى امر بالاحسان الى ذي القربى ومعنى الامر بالاحسان فيهم لاقارب لصلة القرابة تودد للنفوس بينهم
فكما يلزم على احد الفريقين ان يحسن الى صاحبه يلزم الاخر ان يحسن اليه لان صلة القرابة انما افترض لبقاء المودة
والمحبة بينهم كي لا يؤدي الى قطيعة الرحم التي هي حرام شرعا وعقلا وذلك يعم الطرفين وقوله تعالى واليتامى
الامر بالاحسان الى اليتامى يحتمل وجهين احدهما انه لسوء حاله بفقد من يقوم بكفايته ومعاشه وذلك كان يعلى والده
حيا او كان من هو ترتيب ليقام غيرهم بالقيام بكفايتهم لاعتبار القرابة البعيدة والمجانسة في الجوهر والدين والكمال
وهو ان الرجل ... فاذا مات والده يمتنع عن ذلك فامروا ان يحسنوا اليه بعد موت والده على
ما كانوا يحسنون اليه في حياته لانه لو لم يحسن في هذا الوقت احوج اليه وفيضاع ... ولدي ما ذكرنا
من المعنيين يعم باحد الطرفين دون الاخر وهو اليتيم وقوله تعالى والمساكين ومعنى الامر بالاحسان الى المساكين
يحتمل وجهين يحتمل شكرا لله تعالى على ما انعم عليهم وانهم بطريق الافضال اذ لم يسبق منهم الى الله تعالى معنى يستوجب
فضل دونهم فامر الله تعالى بالاحسان اليهم شكرا وثانيا انهم من جوهرهم وجنسهم في الخلقة يحتاجون الى ما يحتاج
اولئك من الماكل والمشرب والملبس وغير ذلك فامرهم بالاحسان اليهم شفقة منهم لهم ليقوموا على اداء ما فرض عليهم
من الفرائض وهذا الاحسان من جانب واحد وهو الاغنياء وقوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب اي
الجار الذي له قرابة وقدم وجار هو اجنبي لا قرابة له قدم الجار الاجنبي الجار القريب ليعلم ان الاحسان يجب بسبب الجوار
كما يجب بسبب القرابة حيث امر بالاحسان في موضع الجوار بلا قرابة الا ان الجار الذي له القرابة وجد في حقه سببان
وهو الجوار والقرابة وفي الجار الاجنبي وجد الجوار لا غير وقد ورد الحديث موافقا لما ذكرنا فانه روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الجار ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له ثلاثة حقوق فهو حق القرابة وحق الاسلام
وحق الجوار واما الذي له حقان فحق الاسلام وحق الجوار واما الذي له حق واحد فهو حق الجوار خاصة اراد به حق الذمي
الاجنبي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحث على حفظ حق الجوار رواه ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ما زال
جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وروي في بعض الاخبار من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليكرم جاره وروي ايضا انه ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ونحو ذلك من الاخبار وفي الاية دلالة ثبوت
حق الشفعة بسبب الجوار لان الله تعالى امر بالاحسان الى جميع من ذكر ومن جملتهم الجار ثم الاحسان قد يصير حقا
واجبا كما في حق المذكورين بحال العسر فيثبت في حق الجار ايضا وذلك لا يعرف في غير حق الشفعة لان ايصال الاحسان
اليه من وجوه اخر غير واجب بالاجماع ولا بد من واجب بحكم الاية فيتعين حق الشفعة ولان الله تعالى امر بالاحسان
الى من له جوار بالملك بقوله والجار ذي القربى والجار الجنب كما امر بالاحسان الى من له جوار بالنسب بقوله وبذي
القربى ثم الحق بسبب الجوار بالنسب قد يفترض بحال العسر بسبب الجوار بسبب الملك كما ان الصلة ...
فرضا فيمن وجب في حقه المماسة نفسا في الرحم وهو الجوار في الرحم بين الاخوين وكذلك في من مس ملكه ملك صاحبه
ويلتصق به اعتبارا لاحد الجوارين بالاخر بخلاف الجار غير الملاصق لان الجوار المطلق لم يوجد وهو الاتصال

بين الملكين بلا حير بينهما فاما مع الحائل لا يكون مجاورة بل يكون مباعدة ومفارقة ولهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه
اذا اوصى لجيرانه فان الوصية للجيران الملاصقين دون غيرهم لان المطلق ينصرف الى الحقيقة الجوار ولانهم هم الذين يلزم
بعضهم على بعض حقوق يقومون باداتها في حال حياتهم فاذا وصى منهم فانما اوصى باداء ما كان عليهم وقد جاءت
الاثار بالشفعة للجار الملاصق فقد روى عن عمرو بن الشريد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجار احق
بسقبه قال عمرو بن الشريد عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجوار قال الجار احق بسقبه ما كان
وعن رافع بن خديج قال عرض على سعد رضي الله عنه بيتا له وقال خذه فاني قد اعطيت به اكثر مما تعطيني ولكنك احق
لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجار احق بسقبه وعن ابي الزبير عن جابر قال قضى النبي صلى الله
عليه وسلم بالشفعة بالجوار وعنه ايضا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار احق بشفعة جاره اذا كان
طريقهما واحدا ينتظر به وان كان غائبا وعن علي رضي الله عنه انه قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة
للجار وعن شريح قال كتب الي عمر رضي الله عنه ان اقضي بالشفعة للجار الملازق لان ذهب اصحابنا بالحمد لله ولان المسلمين
توارثوا في طلب الشفعة بالجوار وفي الاخبار اراد الشفعة بالجوار وفي الاجتبال ان الشفعة … الوعيد
ثبت امره كان معروفا بينهم لا يحتمل الخفاء مما لا يسأل واحد من العوام الا وعنده حظ من العلم بنسله لا يوجد
مثله لشيء من الحقوق وهذا ثبت امره وكان ظاهرا في الامة حتى جرى التوارث ثم هذا النوع من العلم لا يحتمل اثباته
بالراي فصار كسنة لها حكم التواتر مما يستغنى عن روايته والله اعلم ولان الناس على اختلافهم متفقون
على وجوب الشفعة بالشركة فيما يحتمل القسمة فاما ان يجب بحق القسمة وذلك باطل لانه يلزم ان يستحق
الشفعة في كل ما يحتمل القسمة اذ ضرب القسمة قد وجد في ذلك كله … البيع او يجب بسبب الجوار اما القصد لحق
الجوار الذي جاء به الكتاب وجرت به السنة قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان يبيع داره فليستاذن جاره
وغير ذلك مما روينا فانا اراد البائع اختيار الجار الذي لا حق له على الجار الذي له حق جعل للجار حق ابطال البيع
واستيفاء حقه اذ ليس غرضه في البيع الا الثمن وقد يوجد ذلك من الجار فكان قصده ابطال الحق فيرد
ولهذا لا يجب الشفعة في الهبة والصدقات لانه يجوز ان يقصد بها انسانا واحدا لا عوض فيه كالجار
والله اعلم وانما جعل من يتادى ببعض الجيران بعض بسبب سوء الجوار فجعل دفعها لما يخاف من ضرر …
على ما هو الاكثر المعروف من انه يستخبار عن حال الجار قبل ما يحل الدور وقولهم قيل الجار ثم الدار ولهذا
اختلفت قيم الدور باختلاف الجيران لما في ذلك من المنافع والمضار ولهذا المعنى يستحق الشفعة …
الفور حتى اذا امسك عن طلب الشفعة بعد العلم بالبيع بطل الشفعة لان الشفعة يثبت دفعا للضرر
عن الاصيل فوجب ان يثبت على وجه لا يتضرر به الدخيل وفي ثبوت حق الشفعة على طريق الابد دون الفور اضرار
بالمشتري ايضا لانه لم يؤمن بان يبني المشتري في الدار وينفق في ذلك نفقة عظيمة ثم يجيء الشفيع فيطلب
الشفعة ويقول المشتري سلم الدار وارفع بناءك وفي هذا ضرر عظيم بين وعلى اي الوجهين كان يجب القول
بالشفعة بالجوار بلا شركة ولا يقال بانه يحمل اسم الجار على الشريك لانه لا يحتمل تسمية الشريك باسم الجار
لوجهين احدهما قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات لم يجعل الارض متجاورة حتى تثبت لها القطع
للقطع للتجاور ولان الجوار في اللغة اسماء للتقارب لا للالتصاق لا للتداخل معروف في ذلك عند من لم يعتبر
مكابرة المعاند ولان الشركاء في عين العرصات لا ينطلق عليهما اسم الجيران … ذلك ليس من اسم الشرك
قد جاء في الحديث ما يقطع هذا الوهم عن عمرو بن الشريد عن ابيه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ارض ليس فيها شرك لاحد الا الجوار قال الجار احق بسقبه ولا تعارض ما ذكرنا من الاحاديث بما روى
سعيد بن المسيب وابو سلمة بن عبد الرحمن قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم
فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وكذلك روي عن سعيد عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله لان هذا الحديث ارسله بعضهم واسند البعض وعندكم المرسل
ليس بحجة فكيف يحتج به معارضا للمسند ولان هذا قول الراوي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشفعة في كل ما لم يقسم ولم يحك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا شفعة فيما قسم فيحتمل ان الراوي
علم انه قضى بالشفعة فيما لم يقسم ولم يعلم انه قضى بالشفعة فيما قسم فلم يروه وكذا قوله عليه السلام
فاذا وقعت الحدود فلا شفعة فليس فيه بيان حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يجوز ان يكون ذلك
من الراوي على ان في الحديث ايجاب الشفعة فيما لم يقسم اما ليس فيه نفي وجوب الشفعة في المقسوم وما ذكرنا
من الاحاديث يوجب الشفعة في المقسوم فلم يكن بين الحديثين تعارض لاختلاف المحل ثم قوله فاذا وقعت الحدود
وصرفت الطرق فلا شفعة فيحتمل ان يكون بخبر آخر عن هذا الفصل وهو القسمة اي لا شفعة في ضرب الطرق

واظهار

واظهار الحدود وهو تفسير القسمة وهذا موضع الاستثناء فان القسمة في معنى البيع وهي ملحقة
بالبيع في كثير من الامور حتى لا يجوز القسمة متفاضلا في الاموال الربوية فاخبر انه لا شفعة في القسمة
دفعا لهذا الاشكال ويحتمل ايضا فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة اي اذا وقعت القسمة
فلا شفعة لهم بسبب الجوار مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت بينهم الطرق لان ذلك يكون شريكا
او خليطا والشريك والخليط اولى عندنا من الجار ويحتمل ايضا اذا وقعت الحدود فقد تباينت وصرفت الطرق
فتباعدت فلا شفعة لانعدام الجوار وعدم الاتصال بين ملك الشفيع وبين ملك المبيع وبين ملكه واذا
احتمل هذه الوجوه لا يكون حجة على ما يجب العمل بالخبرين والقضاء بالبينتين اعني الجوار والشركة على الترتيب
فيكون كل واحد منهما شفيعا لكن الشريك مقدم على الجار كالاب مع الجد والاخ مع … بالحديثين
بقدر الامكان وقوله تعالى والصاحب بالجنب اختلف فيه قال علي رضي الله عنه هي المراة وهو قول ابن
مسعود رضي الله عنه وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرفيق في السفر وبه قال مجاهد فان كان الصاحب
بالجنب هو المراة فالامر بالاحسان … لما يكون بحسبها لا زوج كالعوقة له وان كان هو الرفيق في
السفر فوجب بين ما يلزم هذا الرفيق للاخر مثله بالمصاحبة وقوله تعالى وابن السبيل امر بالاحسان
الى ابن السبيل للوجهين الذين ذكرناهما في المساكين وقوله تعالى وما ملكت ايمانكم يحتمل الامر بالاحسان
الى المماليك شكرا لما انعم الله تعالى عليهم بما جعل لهم من الخول والخدم من جنسهم وامثالهم وخلقه
اذ لا تحت ايديهم يستخدمونهم ويستعملونهم في حوائجهم ويحتمل ايضا انهم لما كانوا امثالهم
في الحاجة الى المطعم والمشرب والملبس وهم مقهورون دون ايديهم وقد سلب الرجل النظر في حق من هو
مقهور في يده فامر بالنظر والاحسان اليهم ترغيبا للموالي وقد جاءت الاثار في ذلك روي عن انس رضي الله
عنه قال كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة وما ملكت ايمانكم وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي بالمملوكين خيرا ويقول اطعموهم مما تاكلون
والبسوهم مما تلبسون وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بالصلاة
والزكاة وما ملكت ايمانكم وعن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في مرضه
الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه وعن انس رضي الله عنه انه قال كان
اخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة الصلاة وما ملكت ايمانكم وجعل عليه
السلام يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه وفي رواية شفتيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عامة
وصيته في مرضه الصلاة وما ملكت ايمانكم حتى جعل النبي صلى الله عليه وسلم يلجلجها في صدره وما يفيض
بها لسانه اي ما يبين بها كلامه وفي رواية ولا يفصح بها لسانه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وعن ابي ذر رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في المماليك هم اخوانكم ولكن الله خولكم اياهم فاطعموهم مما تاكلون
والبسوهم مما تلبسون وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة سيئ الملكة قيل يا رسول الله اليس قد حدثتنا ان هذه الامة اكثر الامم مملوكين وايتاما قال بلى فاكرموهم
ككرامة اولادكم واطعموهم مما تاكلون وقوله تعالى ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا قيل المختال هو
المتكبر وقيل هو الذي يمشي مرحا وهو واحد وقيل هو الخداع من الختل ولكن هذا فاسد لان الافتعال
من الختل الاختتال وليس منه المختال والمختال الفاعل من الاختيال افتعال من الخيلاء فدل انه هنا
سهو ثم قوله ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الاية ان الله لا يحب الاختيال والفخر فلا يحب فاعله لاجل
فعله وعلى ذلك معناه لا يحب كل مختال فخور وكذلك هذا في جميع ما ذكر في القرآن من قوله لا يحب او يحب
ذا نحو قوله يحب التوابين ويحب المتطهرين لانه يحب الطهارة ويحب التوبة وقوله والله لا يحب الظالمين
لا يحب الكافرين لانه لا يحب الظلم ولا الكفر فاذا لم يحب هذا لم يحب فاعله لفعله واذا احب هذا احب فاعله
لفعله والله الموفق وقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله
يحتمل ان يكون هذه الاية تفسيرا لما تقدم من قوله ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وبيانا لوصفهم
بالبخل اذ الظاهر انه لا يستقيم مثله الابتداء على غيره وان كان يحتمل الابتداء او الاتصال بالذي جعل هذا
بناء على الاول وتفسيرا له يوجب ان يكون المختال هو الفخور الذي لا يحبه الله تعالى هو البخيل والاختيال
والفخر مذموم بدون البخل لانا نقول في هذه الاية ذم المختال البخيل وهذا لا ينفي ذم المختال غير البخيل
فقد عرفنا ذم ذلك بنص آخر وهو قوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور مع ان فيه الاختيال ثابت منفصلا ويحتمل

وجوها احدها اى يبخلون بما عندهم من الاموال ولا ينفقونها اذ فى ترك الانفاق والتصدق كتمان
ما انعم الله تعالى عليهم وهكذا داب كل بخيل يبخل ويامر غيره بالبخل وذلك مذموم قبيح وعلى ذلك روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه الله تعالى نعمة فكره عليه لعله صلى الله عليه وسلم اراد به ان
ينفق ويتصدق على غيره او يوسع النفقة على نفسه وقيل اذا المرء لا يمتنع عن فضل النفقة على نفسه حتى تبذ
الى ذلك فيكون ترغيبا فى الصدقة وترغيبا عن التقتير فى النفقة على نفسه وقيل المراد الثانى ان يبخلوا باظهار
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من صفاته ويكتمون ما اتاهم الله من فضله من العلم بصفاته عليه السلام
او العلم بما امروا من العبادات وذلك بتحريفهم الكتب وقيل ان الاية نزلت فى كعب بن الاشرف وحيى كتم
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتبا الى نفسا من اليهود فى الانفاق يامرهم بالكتمان والثالث ان يبخلون بما
عندهم من العلوم والاحكام ويكتمون ما اتاهم من العلوم والحكمة فلم يعلموا غيرهم ويامرون الناس بذلك
والله اعلم وقوله تعالى واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر ذكرنا تاويله فى غير موضع والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قيل نزلت الاية فى المنافقين كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس
ويتجملون مراراه فكانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك فلا يؤمنون بالله واليوم الاخر سرا وقيل انها نزلت
فى الذين يتبعون فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخرجون معه فى الغزو وينفقون اموالهم
مراءاة للناس يطلبون بذلك الرياسة دون وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وقوله تعالى ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا يحتمل ان يكون هذا فى الدنيا لقوله وقيضنا لهم قرناء الاية ويحتمل فى الاخرة
لقوله فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم الاية ثم انما اخذهم والله اعلم بجعل الشيطان قرينا لهم لان كلا منهم كان
يتبع الشيطان وما يقول عنه ويحبون الملائكة ويحمدونهم ولهذا ضرب الله تعالى مثل القبيح من الرد
بالشياطين كقوله طلعها كانه رؤوس الشياطين واخبر تعالى عن النساء اللاتى راين يوسف عليه السلام
وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فلعرفتهم قبح الشياطين حمدوا بجعلهم قرناء لهم التاكيد
فى التحذير وبهذا يستدل على كون الخبر من اسباب المعارف وعلى اثبات الرسالة لانا الكفار كانوا يعرفون قبح
الشياطين وحسن الملائكة حتى يحذروا بالقران معهم وانما كانوا عرفوا بالخبر لانهم لم يعاينوا ملكا ولا
شاهدوا شيطانا ليكون معرفتهم حسن ذلك وقبح هذا بالعيان لا بالشهادة فثبت انهم عرفوا بخبر
الرسل الذين يخبرون عن الوحى ممن انشاهم وخلقهم اذ الخبر لا بد له من علم بالخبر والخبر عنه ما نعاده
فكان حصول العلم لهم بالخبر عن خلق ضرورة فدل استقباحهم الجميع الشياطين واستنكارهم واستحسانا
لجميع الملائكة واستعظامهم من غير ان شاهدوا واحدا من الفريقين على حصول الاخبار اذ عولوا ليس احد
بذلك ينتهى ذلك الخبر الى الرسل الذين يخبرون عن خالقهم وانشائهم والله الموفق وقوله تعالى وماذا
عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله يحتمل هذا والله اعلم ان يكون صلة قوله والذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس الاية اى وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله
فى سبيل الله ومرضاته وذلك لانهم كانوا مرائين طلبا للرياسة والمنافع التى يطمعون وصولها اليهم
ذلك لما اخبر الله تعالى عنهم بقولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا الاية فاخبر الله تعالى بقوله وماذا
عليهم لو امنوا بالله اى ليس شىء مما خافوا بالايمان بمحمد عليه السلام قليل ولا كثير من ذهاب الرياسة وفوت
النعم والذى بدل الذكر ولكنه فى الايمان كله الارتفاع بمن اسلم منهم من علمائهم وكبرائهم من نحو عبد الله
بن سلام وغيره كان لهم ذكر فى الاسلام بعد موتهم من غير حاجة دعتهم فى فتح شرائع الاسلام ومن ثبت
منهم على الكفر من الرؤساء لم يذكر فيكون الاية ردا لاعتقادهم فى ابقاء الرياسة والمنافع بترك الاسلام
والتمادى على الكفر وقوله تعالى وكان الله بهم عليما يحتمل وجوها قيل وكان الله بهم عليما انهم لن يؤمنوا
كان الاية فى اقوام باعيانهم ويحتمل ان المراد بهذا نفى الحدث على علمه ردا على منكرى قوم لانه احتج تعالى
علمه بفعلهم وما الحرم من الحاصل كونهم بعقله وكان الله بهم عليما ويحتمل اى انشاهم وخلقهم على علم منه
بما يوجد الكفر من الكفرة والعصيان من العصاة والشر من ابليس لا عن جهل وغفلة بحصول ذلك منهم ليتبين
للخلائق انه خلقهم وكفرهم لا يضره ولا ينقص من ملكه شيئا اذ كل من يضره شى لا يتوقى انشاه الا على جهل
الغفلة من منفعته عن ضرره وكل من فعل فعلا فى الشاهد يضره كان لغفلة منه ويضر وقت الفعل بضرره و
بعاقبته فيكون فى ذلك اظهار حكمته بخلق الكفر والمعاصى وغناه عن الخلق ويحتمل على سبيل التحذ
والتنبيه وقت الفعل بذكر المراقبة عليه فان الامر المتعارف فيما بين الناس من الاتقاء عن هو دونهم
نفوتهم بسبب عاقبة ارتيب عن ذلك الفعل من علم ان على صنيعه رقيبا كان احذر ممن يعلم انه ليس على ذلك

وعلى

وعلى هذا قوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ليكونوا على حذر من الافعال السيئة وقوله تعالى ان الله
لا يظلم مثقال ذرة قيل فى الذرة انها النملة وكذلك فى حرف ابن مسعود مثقال نملة وقيل فى مثقال
حبة وفى الاية شبهة من وجوه احداها شبهة المعتزلة فان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الظلم فانهم
يقولون كذلك وعندنا لا يجوز وشبهتهم ان الله تعالى يمدح بالامتناع عن الظلم معنى لان من لم يكن قادرا
على الظلم فالامتناع عنه لا يكون تمدحا فدل وصفنا لله تعالى بالقدرة عليه بمدحه بالامتناع عنه
والجواب ان يقال ان الله تعالى انما يمدح نفسه بنفى الاسباب الموجبة الى الظلم والمعانى الباعثة عليه لان
فى الشاهد انما يقدم المرء على الظلم اما لجهله بحسن العدل والحق وبقبح الظلم واما لحاجة تمسه تدفع
ذلك عن نفسه فيحمله ذلك على الظلم او يقدم عليه مع علمه بالقبح من غير حاجة تمسه سفها والله تعالى عالم
لم يزل عن نهاية تعالى عن ان تمسه حاجة او يخفى عليه شى حكيم لا يتصور السفه عليه فلا يوصف بالظلم فكان
التمدح بنفى الظلم عن نفسه تمدحا بنفى الجهل والحاجة والسفه عن نفسه فى الحاصل على ان الظلم فى الشاهد
هو تناول ما ليس له بغير اذن من له فكان نفى الظلم عن نفسه بيانا ان كل الخلائق من كل الوجوه لم يكن
التمدح بالمالكية على الخلائق واما الشبهة الثانية فهو انه تمدح بنفى الظلم عن نفسه مقدار ذرة وقع
عن هذا القدر من الظلم فى الشاهد لو تصور لا يكون من باب التمدح فكيف انه لا يتصور لان الظلم تفويت
حق واضرار بغير واحد لا يتصور بتفويت حق واضرار بغير واحد لا يتضرر بتفويت مثقال ذرة والجواب
انما قال ذلك على سبيل التمثيل فى الشاهد لو تصور هذا القدر من الظلم فانا متبرى عنه فكيف بما فوق
ذلك حالو تصور فى الشاهد لبيان الحسنة مقدار ذرة فانا اضاعف الثواب على ذلك كان فيه بيان تنزيه
عن المعانى الموجبة للظلم اصلا والشبهة الثالثة انه تمدح بنفى الظلم القليل عن نفسه وفى الشاهد قد يمتنع
المرء عن مثل هذا الظلم ولا يمتنع عن الكثير على الجواب ما ذكر انه تمدح بنفى المعانى الموجبة الى الظلم ومن استغنى عنه
القليل من ذلك كان الكثير انفى ومن كان متبريا عن النقص القليل والقبح اليسير فهو فى بديهة العقل
تنزيه عن الاكثر على ان نفى الظلم القليل عن الله تعالى نفى شى قليل من القبيح يكون نفيا للكل لان القليل
يكون فى الكثير فيجب القول بنفى الكل تحقيقا للصدق فى نفى القليل فهو معنى قولهم ان النكرة فى
موضع النفى تعم والله اعلم وقوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وان
تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما حجة على المعتزلة لتخصيصهم صاحب الكبيرة فانهم يقولون ان
من ارتكب كبيرة يخلد فى النار وان كان معه حسنات كثيرة واخبر الله تعالى انه يضاعف الحسنة التى
هى مثقال ذرة ويؤته من لدنه اجرا عظيما وهو الجنة فتكون حجة عليهم وانما قالوا ذلك لسوء ظنهم
بالله واياسهم عن رحمة الله وقد روى عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا يظلم
المؤمن فى كل حسنة يثاب عليها اما ما يحرز فى الدنيا واما ما يجزى فى الاخرة وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان
قال ابو سعيد رضى الله عنه فمن شك فى ذلك فليقرا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما يعنى الجنة وقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد امر
تعالى لنبيه عليه السلام ان كيف يا محمد اذا جئنا من كل امة بشهيد اى اذا جئنا بكل امة مع نبيها فيقول النبى
انى قد بلغت الرسالة اليهم ودعوتهم الى الايمان بالله ربهم فكذبونى الامة فيشهد امتك على الامم المتقدمة
لرسلهم انهم قد بلغوا ما ارسلوا به فيقولون لهم الامم السالفة كيف يشهدون علينا وانتم جئتم
بعدنا فقالوا انه اظهر لنا بالبراهين والدلائل المعجزة عن رسالتهم انهم صادقون فى دعوى تبليغ الحكم
وقد اخبرنا نبينا عليه السلام بذلك وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا اى شهيدا لامتك بالتصديق
لهم فى شهادتهم للرسل عليهم السلام على امتهم بتبليغ الرسالة ومعنى قوله على هؤلاء اى لهؤلاء لاقامة الدليل
وهو كقوله تعالى وما ذبح على النصب اى لها ويحتمل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اى بنبيها شهيدا عليهم
بتبليغ الرسالة وجئنا بك يا محمد على امتك شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله تعالى يومئذ يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض قيل فيه وجوه قيل اذا ميز الله تعالى بين اصحاب اليمين ومن
اصحاب الشمال قال للوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فعند ذلك يتمنى اصحاب الشمال ان يكونوا ترابا
مثل الوحوش فتسوى بهم الارض فهذا معنى قوله لو تسوى بهم الارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال
يجحد اهل الشرك يوم القيمة انهم ما كانوا مشركين كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم فعند ذلك يتمنون ان تسوى بهم الارض ويتمنون انهم كانوا ترابا ويعودون

لیتنا لم نبعث ولم نحشر فیتمنون ذلک فعلی هذا لو تسوی بهم الارض هو کقوله تعالی خبرا عن الکفرة یا لیتها کانت القاضیة
وقوله یا لیتنی کنت ترابا ثم فی قوله تسوی بهم الارض قراءات تقرئ تسوی وتسوی وسوی وتسوی و
فی حرف حفصة رضی الله عنها لو تستوی بهم الارض وقوله تعالی ولا یکتمون الله حدیثا قیل لما انطق الله
جوارحهم فشهد علیهم حین انکروا انهم کانوا مشرکین لم یستطیعوا ان یکتموا الله حدیثا ویحتمل ان یکونوا
یودون فی الاخرة ویتمنون ان لم یکونوا کتموا فی الدنیا حدیثا وقوله تعالی یا ایها الذین آمنوا لا تقربوا الصلاة
وانتم سکاری حتی تعلموا ما تقولون اختلف فیه قیل لا تدنوا مکان الصلاة وانتم سکاری ای المسجد یقرب ونهی
الیها ما فعل الصلاة لا یقربه لا یدخله وهو مروی عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنهما وقیل لا تقربوا الصلاة
وانتم سکاری نهی عن الشروع فی الصلاة حال السکر معناه لا تصلوا لان الایة نزلت فی هذا لما روی ان رجلا
صنع طعاما فدعا ابا بکر وعمر وعثمان وعلیا وسعید بن ابی وقاص رضی الله عنهم فاکلوا وسقاهم خمرا وکان
ذلک قبل التحریم فحضرت صلاة المغرب فامهم رجل منهم فقرأ قل یا ایها الکافرون فطرح اللاءات یعنی قرأ یا ایها
الکافرون اعبد ما تعبدون فنزل قوله یا ایها الذین آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سکاری قال رحمه الله فاقوی
الوجهین من لیس او بل ارید بالایة فالاخرة داخل فیه لانه اذا کان المراد هو النهی عن حضور مکان الصلاة فانما کان
لحرمة الصلاة والصلاة اعلی حرمة من المسجد فلما منع عن الحضور الی المسجد لحرمة الصلاة فالمنع عن الصلاة
احق واذا کان المراد ما نهی هو نفس الصلاة فالنهی عن الصلاة نهی عن الحضور الی المسجد لان الحضور الی المسجد
لاجل فعل الصلاة فاذا کان منهیا عن فعل الصلاة کان منهیا عن الحضور الی المسجد للصلاة بلا امکان فعل
الصلاة والله اعلم لکن الاقرب من النهی عن الصلاة بدلالة سیاق الایة وهو قوله حتی تعلموا ما تقولون
والعلم بالقول یحتاج الیه فی الصلاة لئلا یترک ذکرا مفروضا فتفسد الصلاة او یدخل فیها کلاما محظورا
فیفسد والله اعلم فان قیل النهی انما یرد عن فعل اختیاری لیثاب بالنهی بالامتناع ویعاقب بالترک والفعل
الاختیاری ما فی وسع المرء ترکه وتحصیله وحضور المسجد من السکران لیس بفعل اختیاری فانه لا اختیار له
ولذلک الصلاة من السکران لا یصح فیکون نهیا عن فعل لا یتصور فجعل هذا الاشکال لا یرد علی قول عامة
الفقهاء لان حد السکر عندهم هو غلبة الهذیان علی شارب الخمر والسکران عندهم من یغلب علی کلامه الهذیان
ومن یبلغ هذا الحد ویعلم فی الحالة لکنه تدبیر یدخل فی کلامه [illegible] وکانت الصلاة مقصورة
[illegible]
عنها فان النهی انما یکون عن معنی یتصل بها دون نفسها بقربه قلنا انه یحد بالحط الغایة وهو العلم بجمیع السکر
بقوله حتی تعلموا ما تقولون لانه حرف الغایة للعموم فجعل ذلک علم انعدام السکر لان السکران یتعلم ما نعلم
ما یقول وقد لا یعلم واما علی قول ابی حنیفة رضی الله عنه فالجواب من وجوه احدها انه تسلیم ان العلم مع
السکر یتحقق فی الحالة لکن غایة السکر هو الذی لا یعلم الارض من السماء واصل السکر هو غلبة الهذیان
فلیجعل المعتبر فی باب الحدود ما هو النهایة فی الباب احتیالا للدرء علی ما هو الاصل فی الحدود والثانی ان
هذا النهی فی حالة الصحو وهو لیس بنهی عن الصلاة انما هو نهی عن الاقدام علی الشرب الذی هو سبب السکر اذ النهی
لا یرد عن عین الصلاة وانما یرد عما هو سبب السکر اذ النهی عن عین السکر لا یتحقق ایضا اذ لیس فی وسعه
الامتناع عنه انما فی وسعه الامتناع عما هو سبب حصوله فکان هذا نهیا للصاحی عن اکتساب السکر
وهو شرب الخمر فیکون نهیا عما یتحقق منه عن اختیار والثالث ان هذا نهیا للسکران عن الصلاة لکن لیس
انه فی وسع المرء دفع السکر عن نفسه بالامتناع عن الشرب فیتعلم یمتنع عن الشرب حتی سکر وعجز عن اداء المأمور
به فهو الذی ضیع القدرة فیبقی التکلیف متوجها فی حق الاداء وهذا لان حکم التکلیف هو الوجوب وفائدته اما
نفس الاداء فیثاب او العقاب بالامتناع وبهذا الطریق یبقی التکلیف فی حق السکران فی حق العقاب وان کان
[illegible]

بينه وبينهم فدل انه مخاطب بذلك وقيل ان السكر جناية منه فيبقى العقل فيما تقدر كمعوبة عليه لبقاء التكليف
عليه بخلاف ما اذا جن لا يبقى الخطاب اما على الاول فلانه ليس في وسعه دفع الجنون وعلى الثاني فلان
الجنون ليس بجناية منه بخلاف السكر فانه جناية منه ولهذا قلنا انه يقع طلاقه
وعتاقه وسائر عقوده كالصاحي ولهذا قال ابو يوسف رحمه الله اذا ارتد من الاسلام يكون ارتداده ارتدادا
اعتبارا بسائر تصرفاته لبقاء الخطاب وهو القياس الظاهر لما ذكرنا من امورها وفي الاستحسان لا يصح ردته
وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه احتج بما روي في سبب نزول هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى ان رجلا امهم في المغرب فقال يا ايها الكافرون على طرح اللاءات في حال السكر وانه كلام
كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم الله تعالى باسم الايمان وكذا النبي صلى الله عليه وسلم ما امر بالتفريق بينه
وبين امرأته ولا امره بتجديد الايمان دل ان كلام الكفر في حال السكر لا يكفر صاحبه ولان الامة اجمعت
على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره لما جاء الشرع برفع الخطاء وكذا قلنا يجري بتلاوته
القرآن على طريق التعظيم كافرا واذا ثبت ان الحكم الكفر رفع الخطاء فلا شك ان اخذ السكران كلمة الكفر
لان السكران يجري على الخطاء دليل انه كذلك انه لا يتذكر بعد الصحو وما كان عن عقد القلب فهو يتذكره بخلافه
المذاهب كلها لانها اعتقاد يعتبر في الاشياء وعن اختيار الاحق من الامور عنده اما بحجة او شبهة او نوع
من تحول الالف بالتقليد بحسن الظن والكل يكون على هذا الوجه لا يحتمل السهو بخلاف السكران حتى لو حفظ
لو اراد بذكره من ترتيب ثبات انه كان يخطأ فلا عبرة به والاصل في ذلك وهو ان الكفر والايمان من باب الاعتقاد
وانه عمل القلب واللسان معبر عنهما فيكون العبادة باللسان شرطا فيما بين الخلق واذا كان السكران مخطئا
فيكون هذا عمل اللسان دون عمل القلب فلا يكون باللسان معبرا عنه فجعل كانه نطق به حكما بخلاف
سائر التصرفات لان بناها على اللسان وان كان رضا القلب شرطا في البعض فيدار الحكم على العبارة والله
اعلم وفي هذه الاية ان في الصلاة قولا فرضا اما القراءة او التكبير او شيئا من الكلام مفسدا للصلاة
لانه قال حتى تعلموا ما تقولون نهى عن الصلاة الى حال العلم بما يقولون والعلم بالقول انما يحتاج اليه اذا لو كان
فرضا فيفسد او كان بعض الكلام حراما فيكون ادخاله في الصلاة مفسدا فيكون الاية دليلا على احد
لمعنى اذا الذكر فرض او بعض الكلام حرام او يكون دليلا عليهما جميعا اذ لا تنافي بين الامرين فيكون حجة على الاصم
في ان الفرض هو الفعل لا غير وفي الاية دلالة ان الكلام عن سهو او خطأ مفسد لان السكران مخطئ وقد جعل
كلامه مفسدا والله اعلم وقوله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا اختلف في تأويل عابري
سبيل عن علي رضي الله عنه انه قال هو ان يكون مسافرا فيجنب ولم يجد الماء فيتيمم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو المسافر
وقيل عابري سبيل هو المجتاز وكذا اختلف في الاية قيل انه نهي الجنب عن قربان الصلاة ومد النهي
الى الاغتسال واستثنى عابري السبيل وحكم المستثنى بخلاف المستثنى منه فيباح له القربان بدون الاغتسال
وذلك بالتيمم وقيل انه نهي عن القربان الى مكان الصلاة وهو الدخول في المساجد الا عابري سبيل فانه يباح
له الدخول في المساجد بالتيمم وهذا لان قوله ولا جنبا معطوف على قوله يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة
وقد اختلفتم ان المراد من الصلاة نفس الصلاة او مكان الصلاة فهذا مثله فان كان تأويل عابري سبيل
هو المسافر فيكون في الاية دلالة اباحة التيمم للجنب في السفر فانه اباح الصلاة للمسافر والجنب بدون
الاغتسال او الدخول في المسجد ولا يباح ذلك بدون الطهارة دل ان التيمم مضمر فيكون دليلا على
جواز التيمم للجنب وان كان تأويل عابري سبيل هو المجتاز وان كان المراد هو قربان الصلاة من نهي
وقد استثنى المجتاز دل ذلك على اضمار التيمم فيكون دلالة تجويز الصلاة بالتيمم للجنب وان كان المراد
هو النهي عن الدخول في المسجد فقد قيل انه يمكن حمل الاية على ظاهرها من غير اضمار التيمم فان الجنب ايكره
له ان يتخطى المسجد فاما المرور فلا فيجوز له فقد رخص له هذا كالجنب رخص له ان يقرأ بعض الاية
ولا يجوز ان يتمها فمروره في المسجد ان لم يجلس فيه كقراءة بعض الاية اذا لم يتمها والاصح انه لا يباح له الدخول
في المسجد الا بالتيمم سواء كان للمرور او للمقام ولهذا قلنا ان المسجد اذا كان فيه ماء لا يباح للجنب الدخول
فيه للاغتسال الا بالتيمم وقوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا في الاية اباحة التيمم للمريض المقيم مطلقا وللمسافر مطلقا وللجائي
من الغائط من غير تقييد بمرض ومرض ولا سفر ولا مكان دون مكان وبالاجماع لا يباح لكل مريض
وانما يباح للمريض الذي يخاف الضرر في استعمال الماء وكذا يباح لمن ينوي سفرا مقدار ثلاثة ايام فصاعدا
لا لمطلق السفر وكذا يباح التيمم لمن يجيء من الغائط اذا احدث فيه لا على الاطلاق وكذلك الملامسة عندنا

لا يجري على اطلاقها وانما يراد بها الملامسة المخصوصة وهو الجماع فدل انه لا يمكن العمل بظاهر الاية فان
قيل ما الحكمة في ذكر المرض والسفر والغائط والملامسة اذ كان الحكم مذكورا غيرها قيل في ذلك فوائد
منها دلالة جواز الاجتهاد فانه لما ذكر هذه الاشياء والحكم لم يتعلق بها دل ان الحكم يتعلق بالمعنى
وهو العجز عن استعمال الماء وذلك ليس الا اعتبار المعنى وهو القياس والثاني فيه دلالة ان الحكم لا يتعلق
بظاهر المخرج فبطل القول بالعموم بمجيء المخرج وكذلك الاحتجاج بصيغة الامر للوجوب والثالث فيه بيان
ان العمل بغالب الرأي واجب فان الحكم يتعلق به فانه علق بالمرض لان المريض في اغلب الاحوال يعجز عن اصابة
الماء وكذا من جاء من الغائط الاغلب انه يجيء عن قضاء الحاجة وكذلك الملامسة من الزوجين الاغلب فيها
قضاء الوطر وعلى ان الحكم يجوز تعليقه بما هو موجود من حيث الغالب فيكون الاية حجة على جواز القياس
وقبول خبر الواحد وفي الاية دلالة جواز التيمم للجنب المقيم اذا خاف الهلاك على نفسه لان الحكم
لم يتعلق باسم السفر الا ترى قد يكون مسافرا ولا يباح التيمم اذا كان معه ماء وكذلك اذا كان في المصر بعدم
معنى السفر لان الغالب في الاسفار هو العجز عن استعمال الماء الا ان العجز ههنا لتعين فاستعمل الاول الماء
وهو الصعيد وكذلك من به جدري ونحوه يباح التيمم مع وجود الماء للعجز في المستعمل فههنا مثله فيكون حجة
لابي حنيفة رضي الله عنه وقد روي ان رجلا جرح فغسل فمات فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قاتلهم الله انما
يكفيهم كف من تراب وكذا روي انه غسل مجدور فمات فقال عليه السلام قتلوه انما يكفيه كذا وقوله تعالى
او لامستم النساء تعلق الشافعي رضي الله عنه في الاية على ان لمس الرجل المرأة حدث ينقض الطهارة لان
الملامسة واللمس لغة واحدة الا ترى انه قرئ في قراءة او لمستم النساء ولكنا نقول لا حجة له في الاية
فان الصحابة الذين اجازوا التيمم للجنب تأولوا المراد منه الجماع وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والجماع نكاح لكن الله تعالى كنى وعن الحسن وعبد الله بن
عمرو وعطاء رضي الله عنهم انهم قالوا الملامسة الجماع وان حملناه على ظاهره فلم يرد مطلق المس فانما
يراد ملامسة خاصة وهي التي يكون في الغالب منه خروج الماء وان لم يكن ثم خروج كالمباشرة الفاحشة
وبه نقول لانا حملناه على هذين الوجهين دون المطلق لدلائل احدها ان البلية عمت بالقبلة ومطلق
الملامسة تأكيد بين الزوجين فهذا امر يعرفه الرسول والائمة من قبل العوام فلو كان ناقضا للوضوء لما
كان لا يحتمل ترك اظهار البيان لان فيه تقريرا للمنكر ولا يظن بهم ذلك والثاني ان الامر المعروف من
المس المذكور بين الذكور والاناث في القرآن فهو يجيء كناية عن الجماع كقوله وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن ونحوه وكذلك ههنا والثالث الاستدلال بنظائر ما ذكر معه من المرض والسفر والمجيء من الغائط
ان الحكم لا يتعلق بمطلقه وبظاهر اسمه بل بما هو الغالب في وجود ما تعلق به الرخصة من المعنى وهو العجز عن
استعمال الماء فكذلك ههنا يجب ان يتعلق بما يوجد غالبا على وجود المعنى الذي يتعلق به الاغتسال وهو
خروج الماء تحقيقا للموافقة وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا قيل التيمم القصد يقال تيممت الصعيد
وتيممته لغتان وكذلك قيل لا يجوز التيمم بدون النية لان التيمم اذا كان هو القصد والتعمد كان الله تعالى
امر بالقصد الى الصعيد وذلك امر بالنية لان القصد نية وفي حرف حفصة وابن مسعود رضي الله عنهما
فاموا صعيدا طيبا اي فاقصدوا واما الصعيد فقيل هو وجه الارض سمي صعيدا لما تصعد وقيل هو
الصعيد هو الارض الذي ينبت الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال جعلت لي الارض
مسجدا وطهورا الا السبخة والمقبرة قيل انها ملعونة وكذلك قال ابو يوسف انه لا يجوز التيمم بالارض
السبخة لانها ليست طيبة لان الطيب من الصعيد هو المنبت وابو حنيفة رضي الله عنه يقول ان الله تعالى
امر التيمم بالصعيد الطيب والطيب هو الطاهر وقيل ان الطيب اسم احل في كل نوع من المقصود في التيمم
هو الطهر وكان المراد من الطيب هو الطاهر ههنا وان الخبر المعروف جعلت لي الارض مسجدا وطهورا
اينما ادركتني الصلاة تيممت وصليت وما ذكر من الزيادة في الحديث غريب لا يقبل على مخالفة المشهور
والله اعلم وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه استدل اصحابنا بهذه الاية على الشافعي
على وجوب مسح الذراعين الى المرفقين في التيمم كما في الوضوء فان عنده يكون التيمم الى الرسغ ووجه الاستدلال
بالاية من وجهين احدهما ان الله تعالى قال في الوضوء وايديكم الى المرافق والمراد منه غسل الذراع الى المرافق
دون غسل الكفين اذ قد تقدم عليهما غسل الذراعين فلا يكلف بغسل المغسول ثانيا وكان الامر بغسل
اليد يكون امرا بغسل الذراعين وكذلك الامر بمسح الايدي يكون امرا بمسح الذراعين وكذلك الامر بمسح
الذراعين خصا بالمفروض بالاية هو مسح الذراعين وانما عرفنا وجوب مسح الكفين بالخبر على ما نذكر على ان الاية

فامر الطهارة فيما اضيف الى عضو او بدن هو استيعاب كل المضاف اليه قال الله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا
المراد كل البدن دون البعض وقال فاغسلوا وجوهكم فدخل كل ما يسمى وجها وهو الاصل في اضافة
جميع الاشياء فكان ظاهر قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ان يجب مسح ما ينطلق عليه اسم اليد
وهو من رؤوس الاصابع الى الاباط الا انه قصر عن تمام الدلالة ببيان السنة الى المرافق واجماع الامة انه لو ادى
المرافق فمن اراد بقي الباقي بظاهر النص وكذلك الاستدلال بالحكم الوضوء انه الى المرافق والتيمم بدل وخلف
منه وحق البدل ان لا يقصر عن كمال وظيفة الاصل الا الزيادة عليه وقد قلنا بالنقص حتى اكتفى ببعض
فاما الزيادة فلا يجوز ان يلحق به فلذلك سقط المسح عما فوق المرافق ثم الخبر المروي حجة لنا وهو ما روي
عن موسى بن عقبة عن الاعرج عن ابي جهيمة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط فلقيته فسلمت
عليه فلم يرد علي السلام فضرب بيده الحائط ضربة فمسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح
بها الى المرفقين ثم رد علي السلام فصح ما ذكرنا وقوله تعالى ان الله كان عفوا غفورا العفو الصفح و
العفو الستر وقيل العفو والغفر التجاوز وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي اعطوا
حظا من علم الكتاب اي ادم لما اعلم وقوله الم تر حرف يذكر للتعجب في حق من لم يبلغه ذلك الامر وجاهل
بتلك الحادثة فانه من كان له على آخر دين فعلم بالبعض دون البعض من اصدقائه فطلب من المديون حقه
فانكر فيقول لمن علم من اصدقائه بذلك الم تر ان فلانا المديون انكر حقي على طريق التعجب ولم يعلم
على طريق الاعلام وههنا بطريق التعجب لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بصنيع الكفرة وقوله تعالى
يشترون الضلالة يحتمل يشترون الضلالة والكفر والشراء يذكر ويراد به ترك شيء بمقابلة
اخذ شيء ويحتمل يشترون الضلالة بالهدى وكذلك في حرف حفصة رضي الله عنها اي استبدلوا
الضلالة بالهدى فالشراء هو المبادلة فاخذوا الضلالة بلا عوض الهدى كالمشتري ياخذ المشترى بدلا
عن الثمن وذلك ان اهل الكتاب كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما رأوا في كتبهم
من البشارات بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان على زعم انه يبعث من بني اسرائيل فلما لم يبعث
على هواهم كما اخبر الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فذلك قوله يشترون الضلالة وذلك كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ويحتمل
يشترون الضلالة لغيرهم بالتحريف واعطاء الرشا اي يحصلون لغيرهم ضلالا وكفرا بما وجد منهم
التحريف واعطاء الرشوة للكفرة ثمنا للمحصل لهم من الغرض في اضلال الكفرة فيكون شراؤه هؤلاء
والاعطاء والله اعلم وقوله تعالى ويريدون ان تضلوا السبيل اي يأمركم الى الضلال ويدعوكم
الى دينهم ليدوم لهم الرياسة والسياسة لان الرياسة كانت لهم على من كان على دينهم فخافوا ان ظهر
دين النبي صلى الله عليه وسلم وصارت الرياسة له زالت رياستهم فدعوا الخلق الى الضلال ليبقى لهم
الرياسة عليهم والارادة قد تذكر ويراد بها الامر والتمني ويحتمل ويريدون ان تضلوا السبيل اي
ويتمنون ان تضلوا السبيل لحصول اغراضهم من ابقاء الرياسة وحصول المنافع من الاتباع فيتمنون ان
يكونوا على دينهم ليحصل اغراضهم منهم فلم يحصل غرضهم بل ظهر خلاف ذلك وهو نقيض التمني الارادة
تذكر ويراد بها التمني على مجاز القول دون الحقيقة والله اعلم بالصواب ويحتمل ان الكفار اظهروا الحرب مع
المؤمنين وطلبوا منهم الموالاة وقصد المؤمنون ان يتولوهم ظنا منهم انهم والوهم حقيقة فاخبر الله
تعالى المؤمنين انهم اعداؤهم [illegible] منهم بقوله والله اعلم باعدائكم ويحتمل ان يكون المؤمنون استنصروهم
واستعانوا بهم اي طلبوا النصرة والمعونة من الكفار لخوفهم من الاعداء او خوف من الحروب على بعضهم
ممن كان فيما بينهم عداوة ومنازعة فاخبر الله تعالى انهم اعداء لكم وهو اعلم بهم منكم فلا تطلبوا منهم
النصرة والمعونة ثم قال وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اي وكفى بالله وليا ومعينا وكفى به ناصرا اي
لا ولي افضل من الله تعالى ولا ناصر ومعينا اوثق منه ويحتمل قوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
اي وكفى بالله ناصرا بما اعطاكم من النصر والبراهين والحجج على ملوكهم غير مرة والله اعلم وقوله تعالى من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه هكذا قراءة العامة بناء على قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
فيخرج مخرج التفسير الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فكان المراد من قوله تعالى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
هم اليهود دون النصارى لان التفسير في حق المفسر كالمنصوص عليه وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنهما ومن الذين هادوا فيكون على الاستيناف والابتداء لا بناء على قوله الم تر على طريق التفسير وعلى
هذه القراءة صار قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب عاما في اليهود والنصارى وفي حرف حفصة

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه على طريق النعت والصفة لليهود لقوله يشترون خبر المبتدأ كأنه
كأنه قال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه يشترون
الضلالة وعلى حرف ابن مسعود يكون خبر المبتدأ. والله اعلم ثم تحريف الكلم يحتمل وجهين احدهما تغيير
المعاني وتبديلها بالتأويل على حسب الهوى مع بقاء اللفظ والرسم كما فعل الملحدة الباطنية وتأويل الجهمية القدرية
ونحوهم للقرآن على خلاف معناه مع بقاء اللفظ فيكون تحريفا من حيث المعنى ويحتمل تغيير اللفظ والكتابة
نفسها فيزيدون فيها وينقصون كما قال الله تعالى خبرا عنهم كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله الآية وقوله تعالى ويقولون
سمعنا وعصينا • قيل اي ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك وقوله تعالى واسمع غير مسمع •
قيل غير مسمع بكسر الميم الثاني اي غير مجيب لنا على سبيل السب قدما والسوء اي لا نقدر على اسماعنا
واجابتنا وفي القراءة المعروفة واسمع غير مسمع بفتح الميم الثاني على سبيل السب والشتم فلا سمعت
قولنا ونحل بل ما يمنعك من السمع من الصمم والسهو والغفلة ونحوها وقيل واسمع يا محمد منا قولنا غير
مسمع منك قولك ولا مقبول كما يقول لهم قوله تعالى وعصينا واسمع غير مسمع انما قالوا ذلك على طريق
الاسرار من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه خوفا من معرة السيف ثم الله اخبر نبيه بذلك واظهر
عليه ليخبرهم بذلك مع علمهم انه لا يعلمه سوى الله تعالى ولا اطلاع لمحمد صلى الله عليه وسلم على ذلك من
جهة احد من الخلق ليكون ذلك آية لرسالته ومعجزة لصدق دعواه وقوله تعالى وراعنا • قيل يقولون
لمحمد صلى الله عليه وسلم ارعنا سمعك من رعى يرعى ارعاء وهو الاصغاء اي ايتنا بالسماع كلامنا بتقريب
آلة السمع الينا وقيل ارعنا احفظ حقوقنا من الرعاية وقوله تعالى ليا بالسنتهم • اي تحريفا وهو كقوله
يلوون السنتهم بالكتاب الآية وقوله تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا
لهم • اي لو قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وانظرنا اي اخرنا او انظرنا فلا تعجل علينا حتى ننظر
ونتأمل فيما تقول لنا انظر ينظر وانتظر ينتظر بمعنى التأخير وقيل في قوله وانظرنا اي فهمنا اي حصل
لنا النظر الذي هو سبب الفهم في الانظار هو تحصيل النظر الذي هو سبب الفهم وقوله تعالى لكان
خيرا لهم اي لو قالوا هكذا يكون خيرا لهم في الدنيا والآخرة مما قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
اما الخير في الدنيا فدوام الرياسة التي خافوا فوتها لو اطاعوه واتبعوه اذ من قد آمن منهم واطاع
نبيه عليه السلام مثل عبد الله بن سلام وغيره رضي الله عنهم لم يذهب عنهم الرياسة والكرامة
بل ازداد لهم شرفا وذكرا في الحياة الدنيا ونعيمها واما الخير في الآخرة فالثواب الدائم بطريق
التأبيد والخلود وقوله تعالى واقوم • يعني اعدل واصوب لما ذكرنا وقوله تعالى ولكن لعنهم الله
بكفرهم • واللعن هو الطرد اي طردهم الله من رحمته ودينه الحق بالجنايات الكفر لما علم منهم انهم
لا يؤمنون فتكون الآية في اقوام باعيانهم وقوله تعالى فلا يؤمنون الا قليلا • اي الا بالقليل من
الانبياء والكتب اي يؤمنون بما امروا من الانبياء والكتب ولا يؤمنون بجميع الانبياء وجميع الكتب
فلا يكونوا مؤمنين على الحقيقة فكان المراد من الآية اقوام باعيانهم لانه لم يتحقق الايمان من بعض
اهل الكتاب بجميع الانبياء والكتب على طريق الحقيقة ويحتمل ولكن لعنهم الله بكفرهم اي لعن الذين
كفروا منهم بسبب كفرهم وامتناعهم من الايمان الا قليلا منهم استثنى القليل من اللعن وهم
الذين اسلموا منهم من نحو عبد الله بن سلام واصحابه وغيرهم وقوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب
آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم • اي موافقا لما معكم من الامر بالتوحيد والصفات وشكر المنعم
ونحو ذلك ويحتمل مصدقا لما معكم اي القرآن موافقا لما معكم من التوراة في بيان صفة النبي صلى الله
عليه وسلم ونعته وزمانه لا يخالف القرآن في شيء من ذلك التوراة ويحتمل مصدقا لما معكم من النبي
عليه السلام الذي آمنتم به قبل ان يبعث فكيف كفرتم به بعد البعث والله اعلم ثم الآية حجة على ان المجوس ليسوا
من اهل الكتاب لان الله تعالى اخبر ان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم موافق لما يكون مع اهل الكتاب من
كتب الله تعالى حيث قال بما نزلنا مصدقا لما معكم وليس مع المجوس كتاب يكون المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم
موافقا لما معهم بخلاف اليهود والنصارى فان الكتب التي معهم من التوراة والانجيل والزبور يكون
القرآن مصدقا لها فيكون كتاب الله تعالى فكانوا من اهل الكتاب بهذا المعنى من هذا الاسم كتاب الله تعالى
لانطلاق الكتاب وانما مع المجوس كتاب بزرادشت ومزدك وغيرهما والله الموفق وفي هذه الآية دلالة على رسالة

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم حيث اخبر انه اتى بالقرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله وقد اتى بما هو موافق
الكتب المتقدمة التي وقع الاتفاق عليها انها من الله تعالى كما ان سائر الكتب سواء مصدق بعضها
بعضا وانما كان القرآن موافقا لما معهم من الكتب في المعاني المدرجة والاحكام دون النظم واللسان لان
موافقة سائر الكتب من حيث المعاني والاحكام دون الالفاظ ولما كان القرآن موافقا لسائر الكتب
من حيث المعنى دل انه من عند الله اذ لو كان من عند غير الله لكان مختلفا اذ لا يتصور مع اختلاف الاغراض
والارادات الاتفاق من حيث المعاني فدل ان الكل من عند واحد نزل الكل مصدقا بعضه بعضا ليكون
آية الرسالة وذلك قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والله الموفق وفي الآية
دليل القول لابي حنيفة رضي الله عنه في جواز الصلاة بالفارسية لان ذلك لا يوجب الا تغيير
النظم واختلاف اللفظ واللسان وذلك لا يوجب تغيير المعاني وبدون تغيير المعاني لا يثبت التبديل
والمغايرة الا ترى ان الله تعالى سماه مصدقا لما معهم مع اختلاف النظم وتغاير الالفاظ لوجود
الموافقة من حيث المعاني والاحكام ولو اوجب هذا تغييرا وتبديلا لم يثبت الموافقة والله اعلم •
وقوله تعالى من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها • قيل لما نزلت هذه الآية قدم عبد الله بن
سلام من الشام فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم قبل ان يأتي اهله فقال يا رسول الله
ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي ثم اختلف في تأويل طمس الوجوه والرد الى الادبار قيل
يحتمل ان الطمس هو اعماء الاعين حقيقة وتحويل الوجوه الى الاقفية ويحتمل الطمس حقيقة من وجه
آخر وهو ان يذهب عنهم جميع محاسن الوجوه من البصر والسمع والجمال مع بقاء الصورة واستبدال
الحسن بالقبح والبياض بالسواد ونحو ذلك ويحتمل الطمس من حيث المعنى وهو ان يعمي الابصار
عن الهدى ويرد على بصيرتها ونطمس وجوه الحق حتى يبصروا الحق بصورة الباطل والباطل بصورة
الحق من غير تغيير في الوجه من حيث الجوهر والصفة فان كان المراد من الآية هو الطمس بطريق الحقيقة فيحتمل
ونحوها يحتمل ان يراد بها في الآخرة فيذهب عنهم جميع محاسن الوجوه كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الا ان يتحول وجوههم الى الاقفية ويحتمل ان يراد به الوعيد ان يفعل بهم حقيقة في الدنيا ان
لم يؤمنوا من تبديل الوجه صفة وجوهرا الا ترى انه قال او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وقد غير
جوهرهم فجعلهم قردة وخنازير لكن المراد في حق قوم خاص واحتمل انهم اسلموا فانه قد اسلم بعضهم
كعبد الله بن سلام واصحابه وغيرهم واحتمل انه نزل هذا العذاب بهم ولكن لم يبلغنا ولم ينتشر ذلك
فيما بين الناس فانه لا يجوز الخلف في خبر الله تعالى ويحتمل ان الآية خرجت على الوعيد على التمثيل لا على التحقيق
بطريق المجاز عن العذاب بطريق الشدة فان مثل هذا يذكر في العرف ويراد به وصف العقوبة بالشدة
يقول الرجل في مستعمل الرجال في مشية الكلام عند شدة الغضب على طريق التوعيد من فعل من عبيده
كذا اضرب عنقه وان كان لا يريد به ضرب العنق حقيقة كذا هذا فكان المراد بهذا شرع القتال والسبي
والاخراج من ديارهم بالنفي والجلاء في الدنيا والخلود في النار في العقبى والله اعلم وان كان المراد به الطمس من حيث المعنى وهو
اعماء البصائر عن الهدى والرد الى الضلال فقد تحقق في حق بعضهم والمراد منه في حق قوم خاص فان
اهل الكتاب كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه مصدقين برسالته لما وجدوا
في كتبهم من الدلائل فلما بعث امروا بان يؤمنوا به بعد البعث في المستقبل كما آمنوا قبل ذلك بقوله
يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم اي آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء
من الكتاب في المستقبل كما آمنتم به من قبل وحققوا ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالكتاب المنزل
عليه من قبل ان نطمس وجوها اي من قبل ان نضلكم عن الهدى فتصيروا ضلالا لا تعلمون ما كنتم تعلمون
فآمن البعض منهم وامتنع بعض فصاروا ضلالا وطمس وجوه الحق عليهم مع معاينتهم المعجزات و
مشاهدتهم نزول الوحي ومعالم الدين فابصروا الباطل بصورة الحق والحق بصورة الباطل بعدما كانوا
راوا كل شيء بصورته في كتبهم المنزلة قبل المبعث والله اعلم ويحتمل الطمس وجوههم على اتباعهم الذين
لا حيلة لهم حرفوا ما يطلعهم الله تعالى على خيانتهم وتظهر لهم تبديلهم وتحريفهم وقد حصل ذلك بحمد الله
في حق اقوام معينين من رؤسائهم حتى صار لهم [illegible] خصوصا في حق من اسلم منهم والله اعلم
وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا • يحتمل اي كان ما امر الله مفعولا كما يقال الجنة رحمة الله والمطر رحمة الله
اي رحمة الله تعالى ذلك خوفهم وكان امر الله مفعولا اي كائنا الحين من الطمس ورد الوجوه الى الادبار بامر الله
ويحتمل وكان امر الله مفعولا اي عذاب الله مفعولا اي نازلا بهم وقريبا منهم ولعل التحقيق [illegible]

التحقيق بطريق الاستعارة * قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * هذه
الآية حجة على الخوارج والمعتزلة اما على الخوارج فان بعضهم يقولون ان الذنوب كلها اشراك بالله
تعالى فمن ارتكب ذنبا صغيرا او كبيرا فانه يكفر وبعضهم يقولون ان الكبائر منها شرك وكفر واما الصغائر
فلا حتى لا يحكموا بكفر صاحب الصغيرة والآية حجة على الفريقين اما على الفريق الاول فان الله تعالى فصل
بين الشرك وما دونه واخبر ان الشرك غير مغفور واطمع في مغفرة ما دونه حيث علق غفرانها بالمشيئة والجائز
تعلق بالمشيئة دون الممتنع وجودا ولو كان الكل يكون شركا لم يبق للتفصيل والقسمة معنى ويكون
خلفا في خبر الله تعالى جل عن ذلك واما على الفريق الثاني فكذلك لانهم انما جعلوا الكبيرة شركا لمعنى
ذلك المعنى موجود في الصغيرة وهو انه نقض ما عاهد الله تعالى ان لا يعصيه ولا يخالف امره والذنب
قل او كثر فهو عصيان فاما ان يلزمهم القول بالاشراك بسبب الصغيرة بهذا المعنى فيكون الآية حجة عليهم
او يلزمهم ان يمتنعوا عن اطلاق اسم الشرك على الكبيرة بهذا المعنى كما في الصغيرة فيدخل الكبيرة تحت قوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون الآية حجة عليهم والله الموفق واما على المعتزلة فانهم يقولون
ان صاحب الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر فلم يدخل صاحب الكبيرة تحت قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به فيدخل تحت قوله ويغفر ما دون ذلك لان قوله ما دون ذلك عام مطلق فيجب العمل بعمومه
واطلاقه وانه يقتضي ان ما دون الكفر من الذنوب جائز المغفرة فانه تعالى اطمع في الغفران حيث علقها
بالمشيئة وما لا يجوز في العقل لا يجوز ورود الشرع به قال ابو بكر الاصم في تفسيره الخروج عن عهدة
الآية ان المراد منها الصغائر دون الكبائر وتخصيص العام جائز بالدليل وقد قام الدليل فان ما يدل
وقد وردت من قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ونحو ذلك
مع وعيد الخلود لا يتصور المغفرة لما فيه من الخلف في خبر الله تعالى فيجب حمله على الصغائر توفيقا
بين النصوص بقدر الممكن ولكنا نقول لا يصح تخصيصه بآيات الوعيد وتخصيص الكبائر من النص
الذي تلونا والحمل على الصغائر من وجوه احدها ان ما ذكرنا من النص ورد موافقا للدليل العقلي لان
في هذا النص رجاء المغفرة لصاحب الكبيرة والصغيرة جميعا والعقل يجوز ذلك وانما لا يجوز رجاء
المغفرة للمشرك فان من اعتقد الكفر دينا فانما يعتقده للابد لان الاديان تعتقد للابد فكان
على الابد ويفحش جنايته لاصراره عليه فاما من ارتكب ما سوى الكفر فلم يرتكبه للابد لم يرتكبه
لكونه جناية ومعصية لله تعالى ومخالفة لامره مع قيام الاسلام وكلاهما منافيه فاما من ارتكب قصدا
الخلاف لامر الله تعالى فانه يكفر ويستحق الخلود لكفره واغلب ما يرتكب المرء للمعادات شيئا من انواع الكبيرة
اما لقضاء شهوة يغلبه او لحمية لدفع العدو او لدرك الثار او لما يمسه من الحوائج الدنيوية ثم يندم على
اثره وان كان قد يعود اليه في المستقبل فلم يكن مستحقا للخلود وكان نطمع المغفرة ورجاء التجاوز
والعفو جائز في العقل والخلود ممتنعا لما فيه من التسوية بين الكفر وما دونه في استحقاق الجزاء وما
ذكره من ان النصوص يقتضي الخلود فيكون مخالفا للدليل العقلي والدليل السمعي لا يجوز ان يرد
على خلاف مقتضى العقل فلا يجب العمل بظاهر آيات الوعيد بل يجب حملها على التاويل ويجب العمل
بظاهر ما تلونا لكونه مقررا لما في العقل جوازه فكيف يصير آيات الوعيد التي ذكر معمولا بها
من الكتاب بل فانه يحتمل ان الوعيد ورد في مستحل ذلك الفعل عندنا لا يتأول ومن استحل حراما
يكفر فيعاقب بعقوبة الكفر او يحتمل انه اراد بان يباشر الكبيرة مستخفا بالامر والنهي ويحتمل ان
المراد من الخلود هو طول المكث دون التابيد ويحتمل ما قلتم ايضا فلا يجوز ان يترك ظاهر ما تلونا
في الطمع ورجاء المغفرة بالوعيد المحتمل وجوها كثيرة والقطع على احد الوجوه مع الاحتمال والثاني
ان النص الذي تلونا ورد للفصل بين المحتمل للغفران وغير المحتمل والتمييز بين هذين النوعين من الجريمة
فلو صرفنا الآية الى الصغائر والحقنا ما دون الشرك بالشرك من الكبائر لبطل تخصيص اسم الشرك بالتمييز
على السامع فيطمع محل الشرك لالحاق غيره به في الحكم فاما آيات الوعيد فما جاءت للتفصيل بين ذنب
وذنب بل وردت مطلقة عامة ولا يمكن العمل بعمومها واطلاقها بالاجماع فان صاحب الصغيرة لا يخلد
فكانت متروكة الظاهر بالاجماع فان صاحب الصغيرة لا يخلد فكانت متروكة الظاهر بالاجماع فيجب العمل
بها وجه لا يؤدي الى ابطال تخصيص اسم الشرك وابطال فائدة التسمية وفائدة بيان التفصيل الحسي
بين الشرك وما دونه واظهار محل الشرك وعظمه ومحل ما دونه والرابع ان المذهب عندهم ان الصغائر
مغفورة باجتناب الكبائر من جهة الحكمة مطلقا حتى لا يجوز التعذيب على الصغيرة مع اجتناب الكبيرة

عقلا والله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك معلقا بالمشيئة وما وجب عقلا لا يجوز تقييده
بالمشيئة لان المشيئة انما تدخل فيما هو جائز الوجود والعدم فاما ما هو واجب الوجود لا تدخل فيه
المشيئة فلان الصغائر غير مرادة بهذه الآية فيجب ان يكون الكبائر مرادة حتى لا يؤدي الى تعطيل النص
والله الموفق فاما قوله انه ورد التفصيل بين الكبيرة والصغيرة في التكفير باجتناب الكبائر وكان تكفير
الصغائر فجاز ان التفصيل بينهما في فقد الغفران فيقول انه ورد التفصيل بينهما في التكفير لماذا يجب
التفصيل بينهما في رجاء الغفران وجوازه بل لا يجب لان التكفير شرع جزاء مقابلا بالصبر على العقوبات والآلام
قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
فصلحا لدفاع الذنب ومحو الاثم جزاء ثوابا بالحسنات بمنزلة نيل الدرجات في الجنة ثوابا وجزاء للعمل وما
يكون نافعا للعامل وينفع اياه لحصول المرزوم بنفع المولم ويجوز ان يقال ان التكفير بطريق الجزاء والحاقي
بالعبد اذ لام بهما بالتكفير او لم يجب لهما الثواب ودخول الجنة ويحرم عن الثواب والجزاء بسبب من لم عند
مباشرة بسبب موضوع للاصابة وحرمان النعم عقوبة مولمة بمقابلة الجناية فيستعدم الجناية نظر الجالة
في الايلام فيكون العقوبة والله اعلم فجاز ان يفصل بين الصغيرة والكبيرة فيكون الصغيرة مما يكفر
بحسنات او بعقوبات يصيبه دون الكبيرة فاما الغفران المطلق لا بطريق التكفير فمبنا على الفضل
والاحسان من الله تعالى لا مقابلا بشيء من العوض وفي باب الفضل والاحسان تستوي الصغيرة والكبيرة
بل الافضال والاحسان في العفو عن الكبيرة اعظم فجاز ان لا يجب الفصل بينهما والله الموفق فان قال
معنى قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء محمول على التائب وبه نقول اذا تاب صاحب الكبيرة لا يخلد قلنا
لا يجوز الحمل على التائب فانه لا خلاف ان المراد من قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به من ختم على الكفر لا من يتوب
بالاسلام لان التائب عنه مغفور بالاجماع قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وغيرها
من الآيات الصحاح وتخا الكفرة اذا آمنوا فصار كانه قال ان الله لا يغفر ان يشرك به اذا لم يتب عنه ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وان لم يتب عنه لان الآية وردت للتفصيل بين الشرك وما دونه فاذا كان الشرك
يغفر بالتوبة فما دونه بطريق الاولى فلا يحتاج الى البيان ولا يقع الفصل وانما يتحقق التفرقة بينهما اذا
كان الشرك لا يغفر بغير توبة ولا يحتمل المغفرة وما دونه يحتمل المغفرة ويطمع فيه الرجاء بغير توبة ولو كان
يجيء ما دونه لا يحتمل العفو في الجملة ولا الرجاء فيه للمغفرة لصحة الحكم في العفو ولما الحقه بالمحتمل ولان الله
تعالى انما قطع الرجاء عن المغفرة واثبت الاياس بالكفر بقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
معناه انه لا يستحق الاياس عن المغفرة الا الكفرة لانه لا يراد به نفي فعل الرجاء من الكافر وتحقيق فعل
الاياس من المسلم لان كل كافر يرجو رحمة الله ولا ييأس منها فثبت ان المراد منه استحقاق الياس فالتزم
هذا الحكم الكفرة على الخصوص فتعلق الاياس مع الكفرة وجودا وعدما ولم يثبت وصف الكفر
بالكبيرة بالاجماع بيننا وبينهم فيجب ان لا يثبت وصف الاياس وقطع الرجاء ولان في اثبات الاياس
وقطع الرجاء ولان في اثبات الاياس في الكبيرة قولا بالتسوية بين الكفر وما دونه في الحرمة والله تعالى
سماه دون الشرك بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون خلاف النص والله الموفق * قوله تعالى
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما * ظاهر تفسيره * قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم
قيل الآية نزلت في طائفة من اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم وقالوا يا محمد
هل على اولادنا هؤلاء من ذنب فقال لا قالوا والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار
الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فهذا هو تزكيتهم انفسهم وقيل
تزكيتهم انفسهم قولهم نحن ابناء الله واحباؤه لا ذنوب لنا ويحتمل ان يكون تزكيتهم ما قال الله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين وكان اكثر الانبياء عليهم السلام
من بني اسرائيل فكانوا يزكون انفسهم بذلك فيرون لانفسهم فضلا على غيرهم فاخبر الله تعالى انهم
كانوا مفضلين على غيرهم بتفضيل الله تعالى واياهم لا بفضل غيرهم عليهم فصاروا كانهم المفضلون عليهم
دونهم فذلك قوله تعالى بل الله يزكي من يشاء اي يفضل من يشاء او يبرئ من يشاء من الذنوب والعيوب
وقيل في حق حفصة رضي الله عنها الم تر الى الذين قالوا انا نزكي انفسنا بل الله يزكي الآية ثم تفسير
التزكية التي ذمها الله تعالى تبرية نفسه عن العيوب والذنوب كلها وهي مذمومة لان المخلوق لا يسلم
عن شيء منها وان جل قدره وعظم خطره والعبد وان بالغ في خدمة مولاه فالتقصير لازم لا بد فكان
تنزيه النفس عن كليته ذلك يكون سببا لايقاع النفس في الكذب ويتضمن التكبر على مثله من المخلوقين

وذلك جهل بنفسه انه مخلوق مثله وفي التكبر ايضاً الحاق الاذى بشكله لما تقدم نفسه عليه ويرى
لنفسه عليه فضلاً من جهة فعل نفسه فكان منعاً النهي عن تزكية النفس هذا وقد تعلق بعض اصحاب
الشافعي رضي الله عنه بهذه الاية على ان دعوى المرء انه مؤمن حقاً تزكية نفسه فيجب الحاق الاستثنا
بالايمان كيلا يدخل تحت هذا النهي قلنا نقول الشيء في اظهار الايمان تزكية النفس لما ذكرنا انه انما
يذم التزكية لما في ذلك تقديم نفسه على غيره وليس في ذلك فان المؤمنين كلهم في ذلك على السوى فانه
اخبار عن التصديق بامر هو كذلك ولانه لا بد من الاظهار فانه يحتاج الى دعوة غيره الى ما يدين به من الحق ولا بد
من اظهاره انه على دين الايمان ليدعو غيره اليه ولانه يحتاج الى اظهار انه مؤمن ليعامل معه معاملة المؤمنين
وليجري عليه احكام اهل الايمان ومما يجب على المرء فعله اذا اتى به على الوجه الذي امر به لا يكون تزكية
لنفسه ولا يدخل منه المرء اياه وقلنا ان المرء لا بد يدخل تحت وصف كرها فالتسمية باداء الفرائض على سبيل
الاشتهار لانه يفترض عليه على ذلك الوصف اظهار شعار الاسلام ولم يكن فيه تقديم نفسه على غيره
لوجوب ذلك على الكل فكذلك هذا ولان الايمان نحداً معلوماً وكذلك كل عبادات ذات حدود من اتى
بالشيء على حده الذي شرع او امر به ثم يخبر عن نفسه انه فعل بان قال صليت الظهر او اديت الزكاة او حججت
فليس في ذلك تمدح نفسه فانه اخبر عن اسقاط ما عليه من الواجب بحكم العبودية لمخالفة فلم يكن في ذلك
ترفعاً وتكبراً على امثاله ولا يتضمن كذباً فخبره لكون المخبر به على حد معلوم فاما ان قال هو ولي الله و
حبيب الله او وليه ونحو ذلك مما يرجع ذلك الى ما لا تعرف حده لم يكن معلوم الحد عند الخلق فيكون
في ذلك تزكية النفس لما في ذلك من الترفع على الاشكال والافتخار عليهم انه كان صادقاً فيه والواجب
عليه في مثله الشكر لله تعالى فيما وفقه على ذلك والتضرع اليه ليوفقه على مثله في المستقبل فيكون تاركاً
حق نعم الله تعالى وان كان ان كان جائزاً فيه ممقوتاً للكذب والله الموفق وقوله تعالى ولا يظلمون
فتيلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الفتيل ما فتلت بين اصبعيك فيخرج منها وسخ والنقير
ما يكون في وسط النواة والقطمير قشر النواة وقيل الفتيل ما يكون في شق النواة وهو على طريق التمثيل
وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب اي يختلقون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً اي
بيناً وقوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب اي اعطوا حظاً من الكتاب وهم علماؤهم
وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلاً
اختلف في تاويله قيل الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن وقيل الجبت السحر والطاغوت الشيطان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الجبت الشيطان بكلام الحبشة والطاغوت كهان العرب وقيل
الجبت هو الصنم وقيل الجبت عزرة اهل الكتاب مثل حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونحوهما والطاغوت
هو مشتق من الطغيان كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة سمي بذلك كل من يستحق في الطغيان
غاية حتى استحاد هو ان يعبد دون الله فذلك قوم ومن يكفر بالطاغوت وكيفما كان نعتاً اخبر الله
انهم امنوا بما هو المراد من الجبت والطاغوت والمراد بهذا تعيير الطائفة من اهل الكتاب وتسفيه احلامهم
بما اظهروا من الايمان بما ذكر من الجبت والطاغوت واقدموا على مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد علمهم بموافقته صلى الله عليه وسلم رسلهم وتصديقه كتبهم وعلمهم بفضل اولئك عن هذه
الرتبة بغياً وحسداً فكان في اظهار ذلك اثبات رسالته بما اخبر عن علم الغيب واعلامهم انما علموا بتحريف
الكتب المنزلة عليهم وابانة ما في قلوبهم من الحسد ليزول الشبهة عن الاتباع وتطهير المعاندين عن
ولا قوة الا بالله وقيل في القصة انه هؤلاء الطائفة اتوا مكة ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اجله فدخل
ابو سفيان الى بيت في مثل عدتهم اي عدد اليهود وكانوا بعض الاشراف والكعبة فتحالفوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه رضي الله عنهم ليكون كلمتهم واحدة ولا يخذل بعضهم
بعضاً ففعلوا ثم جلسوا في المسجد يتحدثون فيما بينهم فقال ابو سفيان ويحكم يا معشر اليهود انشدكم
بالله انتم اقرب الى اليهود والى الحق نحن ام محمد واصحابه فانا نعمر هذا البيت ونحجب هذه الكعبة ونسقي
الحاج ونفادي الاسرى اي نحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود بل انتم فذلك قوله تعالى ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلاً وفي حرف حفصة رضي الله عنها ويقولون الذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلاً ثم قال تعالى اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً
اللعن على وجوه قيل اللعن العذاب لعنهم الله اي عذبهم الله وقيل اللعن هو المنع عن الاحسان والافضال

وقيل هو الطرد اي طردهم الله من رحمته واحسانه وقوله تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذاً لا يؤتون
الناس نقيراً اختلف فيه قيل لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً من بخلهم وقلة
خيرهم وقيل لهم نصيب من الملك اي الشرف والمال والرياسة فيما بينهم ولكن لا يؤتون الناس نقيراً
بخلاً منهم وصفهم الله تعالى بشدة البخل وقلة الخير انهم لا يؤتون الناس نقيراً فكيف يتبعونهم وقيل
تاويله ام لهم نصيب من الملك اي ليس لهم نصيب من الملك فكيف يؤتون الناس شيئاً انما الملك لله تعالى
يؤتي ملكه من يشاء كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء والملك مما يستفاد بالله
تعالى لا باحد دونه والنقير الذي يكون في ظهر النواة وقيل الذي يكون في شق النواة ووسطها وهو قول
ابن عباس وقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قيل المراد من الناس محمد صلى الله عليه وسلم
والمراد من الفضل هو الكتاب والنبوة ثم هذا يحتمل وجهين احدهما انه قال على سبيل المحاجة والرد على
اليهود اي كيف يحسدون محمداً صلى الله عليه وسلم بما اوتي من الكتاب والنبوة وهو من اولاد ابراهيم
واكرم بنزول النبوة والفضل في آل ابراهيم ولم يكونوا حسدوهم فكيف الحسد منهم على محمد صلى الله عليه وسلم
فذلك قوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً اي ملكاً ايد بالملائكة والجنود وقيل
هو ملك سليمان بن داود عليهما السلام فان داود من آل ابراهيم عليهم السلام والثاني ان يكون على التصبير
على اذاهم الذي كان منهم بالحسد بما اخبر الله تعالى اياه ان مثل هذا كان فيمن تقدم من آل ابراهيم حيث
اعطاهم الفضل والنبوة والملك فحسدوهم وآذوهم بالحسد فصبروا على صنيعهم واذاهم ولم يكافوهم فكذلك
تعالى سرهم كما قال وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل وكقوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وكما قال في شيئاً وفي هذه الاية فمنهم من امن به
ومنهم من صد عنه يعني عن ابراهيم عليه السلام وقيل في قوله ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
فضله يعني محمداً على ما آتاه الله من فضله اراد بالفضل اباحة ما شاء من النساء زيادة على الاربع وكذلك
في هذا المنافقين وغيرهم فانهم لم يحسدوه على كثرة النساء بل عابوه على ذلك وطعنوا فيه فقالوا لو كان
نبياً لشغلته النبوة عن النساء وكانوا يقولون يحرم على الناس اكثر من اربع ويتزوج هو تسعاً وعشراً فانزل الله
تعالى رداً عليهم قوله ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية وكان لداود عليه السلام تسع
وتسعون امرأة على ما قيل في تاويل قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقيل
ايضاً ان كان لسليمان عليه السلام ثلثمائة سرية وسبعمائة حرائر ثبت ذلك فدل ان كثرة النساء لا تقدح
في النبوة والرسالة وهذا لان المنع عن النساء زيادة عن الاربع لاحد شيئين اما الخوف الجور بينهن او العجز عن
القيام بايفاء حقهن والانبياء عليهم السلام يؤمن من ناحيتهم الجور وكانوا يقومون بايفاء حقوقهن لما اوتوا
من زيادة قوة ليست لغيرهم فلا معنى للمنع مع ما كان في قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بتسع
واكثر من آيات النبوة لانه كان معروفاً بالعبادة لله تعالى ليلاً وبالصيام نهاراً وبتحمل الجوع وانواع الشقا
تباعاً ومعلوم في الخلق انه من كان هذا سبيله لم يقدر على ايفاء حق امرأة واحدة فضلاً عن ان يقوم لا-
حق العشر واكثر فدل انه بالله تعالى قدر على ذلك وكذلك يقول ان قيام داود عليه السلام بمائة من النساء
وقيام سليمان بالالف منهن من آيات النبوة لما ذكرنا انه ليس في وسع احد سوى الانبياء عليهم السلام ذلك
ونظير ما قلنا ما قيل ان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم لاظهار هذا الدين ودعوة الخلق الى الله تعالى
وحيداً من غير ان كان له اتباع او مال وفضل سعة مع كثرة الاعداء وشدة تقليدهم لدين الاباء والسلف
من آيات النبوة اذ كان ذلك بنصر الله تعالى وعونه فما في قوة واحد منا ان يحمل جميع العالم على خلاف المعتاد فكان خرق
على نقيض العادة من الاعجوبة لدلالة على صدق دعواه والله الموفق وقوله تعالى فمنهم من امن به ومنهم
من صد عنه قيل فمنهم من امن به اي امن بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود ومنهم من صد عنه
ايضاً وقيل فمنهم من امن به يعني بالكتاب الذي اعطي ابراهيم عليه السلام ومنهم من صد عن الكتاب وهو قول
ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ومنهم من امن به يعني بابراهيم عليه السلام ومنهم من صد عنه اي عن ابراهيم
والله اعلم وقوله تعالى وكفى بجهنم سعيراً كان جهنم اسم لمعظم النار وجهنم دركاتها والسعير هي
التهابها ووقودها قال الله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
ويحتمل وكفى بجهنم سعيراً اي عذاباً وقيل وكفى بجهنم سعيراً اي كفى بالتهاب جهنم لتهابها اذ السعير
الالتهاب ثم الاصل في اختلاف الناس في الاية واحد فيما يجب في الوعيد من الحق عملاً واعتقاداً انه على اقسام
احدها ان يكون الاية عامة بحكم مسميها كثيرة من حيث الصيغة وهي تحتمل دخول الكل تحت الارادة وتحتمل

ارادة البعض فان كان اللفظ العام ورد فيما هو من باب العمل حتى يجب العمل به لتعدى الصيغة عن الاحتمال فانه يلزم طلب الدليل على موقع المراد ان المراد منه الكل او البعض فان وجد من طريق الاحاطة شهد عليه بالمراد وانه يجب العمل به على حسب الاذن فالعمل بالاجتهاد من غير الشهادة عليه انه هو المراد لا غير وان ورد في باب العلم والاعتقاد والشهادة دون العمل فانه يعتقد ويشهد على ما في الحكمة من وجوب الاعتقاد والشهادة على الحكمة من غير القطع على ارادة الخصوص في شيء من الاشياء الذي يتناوله لان اللفظ لا بد ليل يوجب التعيين والاختصاص يبقى لان اللفظ يتسع له ولغيره والصيغة ليشتمل الكل في صلاحيته لدخول تحتها حتى لا يكون شهادة على الله تعالى من غير علم حقيقة ونظير ذلك ذكر تعالى بانه سميع عليم على اثر من الذكر الذي يوصف بانه مسموع معلوم يحتمل ان اراد بانه سميع عليم على الخصوص وان كان سميعا عليما للاشياء كلها كما لو نص عليه كقوله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وفي الحكمة انه سامع كل صوت وعليم بكل معلوم فانه يجب ان نعتقد بانه سميع لكل صوت وعليم بكل معلوم ولا نشهد انه اراد به ذلك الخاص ما لم يقم دليل مقطوع على ذلك من خبر متواتر او اجماع الامة وذلك مثل قوله تعالى وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم فقال القوم وهو قول الشافعي رضي الله عنه لا يقع الطلاق حتى يوقع القاضي او يفرق بينهما لان ذكر تعالى انه سميع عليم فلا بد ان يكون مسموعا للطلاق ولو وقع الطلاق بغير قول يوجد من القاضي لم يكن لذكر السمع في هذا الموضع فائدة فانه سميع كل مسموع سواه وقال قوم ان المراد من قوله سميع في هذا الموضع على الخصوص الايلاء به والايلاء اسم ينطق به ويقال فيكون مسموعا وقوله عليم ينصرف الى العزم اي عليم بعزمه الطلاق وهذا لانه ذكر قوله سميع عليم عقيب امرين احدهما يحتمل السماع والاخر لا يحتمل وكل واحد منهما يحتمل ان يكون معلوما فان كل مسموع معلوم واما ليس كل معلوم مسموعا فيجب توجيه كل لفظ الى ما يليق به ليفيد فائدة وهذا كقوله تعالى لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بعد ذكر الليل والنهار فينصرف الى ما يليق به وهو السكون الى الليل والابتغاء من الفضل الى النهار فههنا كذلك ولانه لو كان الطلاق في الايلاء بالقول حتى يكون مسموعا والايلاء مسموع ايضا وكل مسموع معلوم وكان القول بانه سميع يغني ويكفي عن القول بانه عليم فلا يكون لذكر العليم فائدة مبتدأة ولو كان الامر كما قلنا ان الطلاق في الايلاء يقع من غير قول يسمع لا ينصرف قوله عليم اليه لان قوله سميع كان ينبئ القول بانه عليم وكان لذكر العليم فائدة جديدة فكان ما قلناه اولى ثم نقول ان في جملة المعتقد من طريق الحكمة انه سميع لكل صوت عليم بكل معلوم وكان ذكر انه سميع عليم عقيب ذكر الايلاء وعزم الطلاق يتوجه وجهين احدهما انه اراد العموم والجملة فيدخل الايلاء والطلاق على اختلاف التاويلين في جملة المسموعات والثاني انه اراد هذا المذكور على الخصوص فذكر انه سميع لما نطق من صفته انه سميع كل مسموع وهذا لان العرب تطريقين في البيان والخطاب من حيث العموم والخصوص فان من قال للشجاع هل تقاتل فلانا فيقول بلى اقاتله فيكون جوابا على الخصوص وان قال انا مقاتل كل بطل فهو جواب ايضا لدخول ذلك تحت الجملة واذا كان متوجها وجهين لا يجب القطع عليه في الارادة الا ان يجيء ما يوجب الاحاطة والله اعلم والقسم الثاني ان يكون اللفظ محتملا لوجوه على الانفراد ولا يشتمل الكل جملة فان كان ذلك في حق العمل يجب طلب دليل يعين احد الوجوه فان قام دليل قطعي يتعين ذلك الوجه في حق العمل والشهادة جميعا وان قام دليل من حيث الظاهر يجب العمل من غير الشهادة والقطع عليه انه هو مراد الله تعالى باللفظ وان لم يقم دليل بتعيين بعض الوجوه اصلا فانه ينظر فان كان النص ورد فيه من نوع ما يحتمل الاحتياط فحقه القيام به والتحصيل لترجيح جانب الوجود على الترك ما لم يظهر دليل التوسع والرخصة ودليل الرخصة على الوجهين اللذين ذكرتهما وان كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحقه التوقف حتى يظهر لما اذا كان ذلك من باب الشهادة والاعتقاد دون العمل فانه يجب التوقف في حق تعيين المراد الواحد من الجملة ويجب الشهادة والاعتقاد بكون الواحد من الجملة مراد الله تعالى غير معين حتى يظهر المراد بدليل مقطوع به وذلك فيما استوت بعض الوجوه لا يحتمل ان يوصف الله تعالى به فانه يجب القول بنفيه عن الله تعالى ونظيره ما قلنا في قول الله تعالى الرحمن على العرش استوى فالاستواء يحتمل الاستيلاء ويحتمل الاستقرار ويحتمل التمام فان كان المراد من العرش هو السرير لم يكن الوصف بالاستقرار على السرير محتملا في حق الله تعالى فلم يكن يحتمل هذا اللفظ لقيام دليل العقل بقي الاثنان الاخريان في باقي الوجوه فيجب القول بالتوقف حتى يظهر وكذلك القول بالرؤية فان الرؤية في الشاهد تذكر ويراد بها الاحاطة بجوانب وقد يراد بها الرؤية بلا احاطة فلا يتعين احدهما الا بدليل وفي الغائب لا يحتمل الا وجها واحدا

فيتعين

فيتعين مرادا وهو الرؤية بلا احاطة والله الموفق والقسم الثالث ان يكون احتمال الوجوه فيها انما يكون بمقدمات فيختلف باختلاف تلك المقدمات فلا يجوز تاويل ذلك اللفظ الا بعد معرفة المقدمة وذلك نحو قوله تعالى فاذا فرغت فانصب يحتمل فرغت من الصلاة او من امر آخر فلم يكن لاحد تاويل احد الوجهين حتى يعلم بالسماع انه فيم كان مشغولا وكذلك قوله فلينظر ايها ازكى طعاما لم يكن لاحد ان يعين الازكى ما لم يعرف ذلك بالسماع من طريق الوحي والله الموفق وقوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا قد ذكرنا الآية غير مرة وقيل سوف نصليهم نارا ولا يدخلهم وقيل نصليهم اي نشويهم يقال شاة مصلية اي مشوية وقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اي كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليزداد المهم الانقطاع والالم بهم من غير ان نسكن عنهم العذاب بحالة التبديل ثم اختلف في كيفية التبديل والمغايرة ههنا قال اهل الحق بان المراد من التبديل ههنا هو التبديل من حيث الاوصاف لا من حيث الذات فانه يعاد ما قد كان من الجلود قبل النضج وهو النضج والاحتراق فيكون معنى قوله جلودا غيرها اي غير الجلود النضجة والمغايرة والتبديل قد يكون من حيث الوصف وقد يكون من حيث العين والذات وهكذا نقول في اعادة الاجسام بعد الفناء وذهاب آثارها واوصافها فيكون بتجديد التركيب وصفة الوجود ونحو ذلك وهو معنى قوله تعالى انا لفي خلق جديد اي يجدد ما قد فني من حيث التركيب بعد الموت اثبات الوجود بعد الفناء من حيث الذات والاوصاف سمي تجديدا ومن حيث نشئ ويخلق مثل ما قد فني سمي اعادة وقال القوم المراد منه التبديل من حيث الذات والوصف جميعا واليه ذهبت الكرامية لان المذهب عندهم ان المعدوم لا يعاد بعينه اعادته وانما الاعادة خلق مثل الفاني لا عينه واستدلوا بهذه الآية ان الله تعالى قال بدلناهم جلودا غيرها والتبديل والمغايرة من كل وجه انما يكون من حيث الذات والوصف جميعا وكذا قال تعالى انا لفي خلق جديد والتجديد انشاء مثله لا اعادة عينه ثم على القول الاول لا يشكل التعذيب بعد تبديل الجلود لان هذه الجلود هي الاولى وقد ارتكبت المعصية والماثم ولو كان في حق هذه الجلود الجديدة ما اذا يعذب لانهم يقولون انها عين الاولى ذاتا ونحن نقول متى عينها ذاتا وانما التغير وجد في الوصف فلم يكن التعذيب لغير الجسم الاول الذي وجد منه الكفر والعصيان ولكن يشكل ان من قطعت يده في حالة الكفر ثم مات على الاسلام فانه يبعث صحيح اليد وهي عين تلك اليد التي كانت في حالة الكفر فكيف يكون مع صاحبها في الجنة ويجب ان يكون اليد المقطوعة في النار لو كان البعث لعين ما كانت في الدنيا وكذلك من قطعت يده في حالة الاسلام ثم مات مرتدا نعوذ بالله من ذلك يجب ان يكون اليد المقطوعة في الجنة وباقي البدن في النار وقد قالوا باعادة تلك اليد متصلة بالبدن ويكون المرتد بجميع اجزائه في النار فقد وقعوا في الذي فروا عنه وهو القول بتعذيب من لا ماثم منه في الجلود المحترقة اذا بدلت انما هي عين الاولى وعلى الانفصال عن الاشكال الذي اتصل بتعالى انهم ما قالوا بالاعادة عين الجلود المحترقة ولا بالاعادة عين الجسم الفاني احترازا عن القول بتعذيب من لا ماثم منه حتى يتناقض قولهم في حال المرتد الذي قطعت يده في حالة الاسلام بلا تم قام باليد ولكن انما ولكن لما قام لهم من الادلة السمعية والعقلية في الاعادة فان من انكر البعث انما انكر الاعادة فقالوا اءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقوله من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وغير ذلك من آيات البعث والاعادة انما هي الاولى حدوثا من حيث الانشاء لا من حيث الحدث بل اعيدت الاولى ولو كانت اخرى فلم يكن اعادة والنشأة الاخرى من كان في الاولى يعذب من كان في الاولى بالخير والحسن حسن ثوابا ثم انما قالوا بادخال المرتد مع اتصال اليد المقطوعة حالة الاسلام به في النار وبادخال المسلم الجنة مع اليد المتصلة به بعد ما كانت قطعت في حالة الكفر لوجوه احدها ان الجزاء انما يكون باعتبار حالة الختم لان من ختم على الاسلام فما وجد منه من الكفر والمعاصي ينتهي بالاسلام قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وان ختم على الكفر فالاسلام الموجود منه والعبادات تحبط بالكفر قال الله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم الآية وهذا لانه لما وجد منه الاسلام فقد تبرأ عما وجد منه بجميع اجزائه فيعدم الكفر وكذا اذا ارتد فقد تبرأ عما كان عليه من الاسلام على ما كان فيبطل الاسلام فلا يكون فيما قلنا ادخال اليد التي قام بها الاسلام في النار ولا ادخال اليد التي قام بها الكفر في الجنة من حيث الحقيقة فان قيل ان اليد التي قطعت منه في حالة الكفر ومات على الاسلام ان غفر بما تقدم في كفره عن جميع اجزائه القائمة والفانية لكن لا شك انه لم يوجد في اليد الفانية الاسلام ووجود الاسلام من صاحبها حالة الغيبة في الدنيا ان قلتم ان الاسلام الموجود بطريق التبعية كان لدخول الجنة كاطفال المسلمين تبعا لابائهم فيقول ولكن ههنا حال وجود الاسلام من الشخص لا تبعية

لان التبعية بالاتصال لم يكن واليد مقطوعة في تلك الحالة وحال ما يوجب الاتصال حالة العصيان
والاسلام حالة العصيان من حيث الحقيقة لا ينفع من حيث التبعية اولى والفصل الثاني اقرب الى الاشكال
وهو المسلم الذي قطعت يده فان تدعى الاسلام ومات عليه فانه يدخل النار بما يتصل به من اليد التي قطعت
الاسلام والردة وان بطل الاسلام في جميع اجزائه القائمة والفانية ولكن لم تكن اليد المقطوعة حال الردة
حكم الردة لانعدام الاتصال حال الحلول بان يقال حصل الاسلام ظاهر لانه يجوز ان نقول بدخول الجنة بالاسلام
من حيث التبعية كاطفال المسلمين والتبعية ههنا موجودة لان الاصل متى وجد منه الاسلام ينعطي اليد
حالة الاتصال بحكم الاسلام تبعا وان كان حالها الاتصال حال العصيان الدلائل ولكن المعتبر ان يكون
الاسلام في حق الاصل حال الغيبة لا في حق التبع لان التبع يعطى له حكم اسلام الاصل لا ان يوجد منه الاسلام
مقصودا ليشترط ان يكون في حال الغيبة والله الموفق وجواب اخر يعم الفصلين اعني فصل الاسلام والردة
معا انه نقول بان الاسلام والردة متى وجد من شخص كان موجودا منه بجميع اجزائه لان الشخص الكامل اسم
لجميع الاجزاء الا ان بعض الاجزاء متى كان غائبا حالة الفعل حقيقة كان له حكم الاتصال لانه كان متصلا
به وكان عاقبته الاتصال ايضا فانما ناك الاتصال ايضا وانما زال الاتصال العرضي ايضا وانما زال الاتصال
ايضا وانما زال الاتصال العارض فكان ثبوت الاتصال باعتبار العارض كالعدم خصوصا في حكم شرعي
على العاقبة وهو الثواب والعقاب وعلى اعتبار العاقبة الاتصال ثابت والله الموفق والوجه الثاني من الانفصال
عن الاشكال الانفعال بان الجوارح والاعضاء ليست تعمل ما تعمل عن اختيار بعاثها وانما يستعملها
المعنى الروحاني في البدن فكانت كالمعتوه والمكره في حق الاعمال ويكون ذلك هو الاصل في حق الثواب
والعقاب على ما نذكر وانما الجسم بمنزلة الآلة لوصول العقاب الى الذي يستعمل الجسم في المعصية وكان
وجود غير الاول وغيره سواء اذا المقصود وهو التوسل الى ايصال الالم بالروحاني يتحقق اذ الالم انما يتصل
الى الجسم والله الموفق والوجه الثالث وهو ان الاصل في وجوب الجزاء الدائم من الثواب والعقاب هو الايمان
والكفر لانهما اعتقادات انما اعتقد احد يعتقده للابد فيكون جزاؤهما دائما على حسب دوامهما فاما الجزاء
جزؤهما من العبادات والمعاصي فحكم الشرع بجزاء الايمان والكفر فانهما ابدا وكل خير كان يفعله مع الايمان
ويتحقق به اذ هو شرط صحة كل عبادة وقربة وكذلك بسبب الكفر ينقطع الرجاء عن غفران سائر المعاصي
اذ رجاء الغفران ثابت للمعاصي مع الاسلام واذا كان المعتبر هو وجود الكفر والاسلام الذي هو من باب
الاعتقاد فاما ما يرجع الى سائر الجوارح فقد يزداد وينتقص ويختلف باختلاف الاوقات والاحوال على
ذلك تمام الجزاء فيها جائز بعينه الزيادة والنقصان والتبديل فلا يبقى على ما يعلم الله في ذلك من تمثل والخصام
وعلى هذا يخرج القول ببطلان الخلود دسوغا الكفر لان عمر الكفر من المعاصي يختار للاوقات والاحوال دون الدوام
والنعيم ابدا فعلى ذلك جزاؤه تحقيقا للمماثلة بين الجزاء والجريمة بقوله تعالى لا يجزى الا مثلها والله الموفق
واما على القول الثاني فيشكل امر الثواب والعقاب فان الجناية والطاعة وجدنا من الجسم الذي هو في هذه
الحادثة اذا كان غير الاول كيف يقال بالجزاء ثوابا وعقابا بلا معصية وطاعة لاكنهم يقولون ان
الجلود والجوارح لا يحيى منها من حيث نفسها عصيان ولا طاعة بل هي تستعمل ويفعل بها جبرا وكرها
وانما الاختيار بخا نسبتها اليها حالا على حال الفعل لا على فعل الروحاني الموجود فيه فيكون هو الفاعل
حقيقة وتصير الجوارح كالآلات له فيكون هو المثاب والمعاقب بما يستعمل البدن فيما يجب ويرضى
وكذلك الروحاني يكون ابدا على امر واحد لا يتغير واما التغير والتجدد يقع على الجسم الا انه انما يتالم
ويتلذذ بواسطة الجسم فيكون ذلك الروحاني بمنزلة الوقود والحطب في وصول الالم اليه فلا بد منه ليكون
وسيلة الى ايصال العذاب الى من هو الفاعل حقيقة فهو وان تجدد وازداد فذلك لا يبطل معنى التوسل
بل يكون اعظم للالم واشد للعذاب قال الله تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى كلما خبت زدناهم
سعيرا فالجلود كالحطب تخبو نار الحطب مرة وتسكن نار السعير مرة بالنضج والعذاب على كل حال واحد
لا يتغير ولا يسكن الم ان خبت النار او نضج الجلد نعوذ بالله من ذلك يقرر ما قلنا انه يزداد لاهل
الجنة من الجسم الجمال والطول والعرض وكذا يعظم جسد من في النار لم يكن ذلك في الدنيا وكذلك
يزداد اجسامهم في الطول والعرض ليحصل لهم زيادة الالم فلما جازت الزيادة في الاجسام فكذا التجدد
ذلك اذا قطع يد المسلم ثم مات على الردة لا يعاقب تلك اليد وانما يخلق يد اخرى ليحصل بها زيادة الم وكذا
اذا قطع يد الكافر واسلم فان اليد المقطوعة في حال الكفر لا يتصل به ولكن يد حادثة لينال زيادة الثواب واللذة
وعلى ذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ولم يكن من اولئك الذين عبدوا من ولكن

ادخلوا في النار لتعذيب العابدين بها والله الموفق قال الشيخ رحمه الله ولكنا علينا بما عرفنا انه تعالى من اللذات
الحاضرة وطيب الانفس بها والسرور بنيلها الرغبة فيما وعد لنا من النعيم لكان سببا لاشتغال
بالاجابة له بما دعانا اليه باقامة ما جعلها سببا للاجابة له في قوله والله يدعو الى دار السلام وهي اقامة
اوامره والانزجار عن نواهيه والقيام بالجد منا لنعلو طريق الخلوص الذي بالتوفيق لذلك والهداية وقد
عرفنا البلايا والالام وانواع العذاب الذي ينفر الطباع عنها ويحدا العقول اهلها عن اقتحامها لتكون
من جزاء لنا عن الجحود بالكفر والامتناع عما جعلها سببا له بالاقدام غاية الانتهاء بعصمته وحفظه
نعد نبذل المجهود في ذلك والمعهود منه فانه لا قوة الا به كي من اسعر قلبه ما اليه مرجع الخلق من جزيل الثواب
واليم العقاب استغنى عن التفكر بهذا الاحوال لانه كان يشعر الاول وحد ذكر ويشتاق الموعود زجرا ورغبا
بما اذاق طعمها عاجلا فهو حق والله الموفق ثم اختلفوا في المبعوث والمعاد بعد الفناء هو الجسم الكثيف المعاين
او المعنى الباطن فيه الذي سماه قوم من الفلاسفة نفسا وقوم روحانيا وقوم جسما لطيفا وقوم جوهرا
بسيطا فمن قال من الفلاسفة في ماهية الانسان انه جسم لطيف وهذا الجسم الكثيف المعاين به يبصر
ويسمع وينطق ويدرك الاشياء وهذا الجسم له كالآلة يدل على انه ليس انسانا كما ان الاذن آلة السمع
والعين للبصر لا ان الاذن تسمع والعين تبصر فكذلك امر الجسد مع الانسان الذي هو الجسم اللطيف
الموضوع فيه واستدلوا على ذلك بان الانسان انما باين سائر الحيوانات بما فيه من معنى يدرك
الاشياء ويميز بين الخير والشر من حيث العاقبة ويملك تدبير سائر الحيوانات ويقدر على تسخيرها والتصرف
فيها كيف شاء مع انه موافق للكل بظاهر الطبع والجسد فانه يميل الى الشهوات والى الاستلذاذ مثل سائرها
دل ان ما به يقع المفارقة بينه وبين سائر الحيوانات هو معنى الانسانية ولذا سمي الانسان سميعا بصيرا ناطقا
لا لجسده فانه قائم في الاحوال كلها وقوة الاوصاف لم يوجبا الا في بعض الاحوال فثبت ان الانسان غير جسده
والله اعلم والى هذا ذهب النظام من اهل القبلة فمن اخذ هذا القول منهم فعلى هذا الجسم اللطيف المسمى
بانسان لا هذا الجسد الكثيف المعاين لان الجسد في حياة الدنيا كالوقاية له كالغلاف الذي يدفع به الاذى
فيكون سائرا له عن الآفات ولا اذى في الآخرة ليتوقى بالاجساد فلا معنى لاعادتها وقال الناسي وغيره
بان الانسان هو الجوهر البسيط في هذا الجسد الذي هو يحسن به يسمع به ويبصر به ينطق فيكون
على قولهم المبعوث هو دون الجسم وقال قوم ممن يظهر منا القول في ماهية الانسان ان وكل جسد ذو
حياة كما نعده فهو المبعوث دون تجسده تسمى هو جسما اولا وقال اهل الحق بان الانسان هو هذا الشخص
المعروف باسم الانسان عند العامة وهو المبعوث بجسده وجميع اعضائه مع الروحاني الذي كان فيه يرجع
معناه الى العرض والجوهر والجسم على حسب ما اختلف فيه الناس ثم من قال بالبعث والاعادة للروحاني
دون الجسم الكثيف المعاين يذهب الى اوجه احدها ان في باطن هذا الجسم معنى لطيفا روحانيا ينفذ
في الاشياء هو يستعمل هذا الجسد يدل عليه حال النوم انه يخرج من الجسد ويطوف في البلاد النائية ولا
يحجبه لا يمنعه ارض ولا سماء ويأتي بالاخبار عنها بما يخرج صدقا مع ان جسده في تلك الحالة يعلم بامر ويرجع
من اذى يالم وفي الحقيقة لم يخرج عن موطنه الذي نام فيه وهذا معنى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها الاية فاذا كان هو لما يزل في حال النوم خارجا عن الجسد كانه في الجسد كذا في حال
اليقظة فعلى ذلك يجب ان يكون هو المبعوث لا الجسد وقاية عن انواع آفات يتاذى بها في الدنيا
ويجري عليه النوم وعند البعث يستغني عنه لانعدام الآفات وانواع الاذى في الآخرة وعلى هذا يعتبر
في جميع جواهر الاشياء التي بها الانتفاع من الاغذية والادوية المسمى بتلك الاسماء اعني بتلك الآلات
ولكن ما جعل في باطنها وسرها من الروحاني وهو القوى التي فيها يظهر بتلك منفعتها وذلك فيجب
دوحه فيقوي سمعه وبصره وعقله وفهمه ويزول عنه الآفات وليس يخرج نقله بعد التناول الانفصال
الروحاني عنه والانفصال بما يحتاج الى ذلك فلذلك اذا الدواء النعيم والانتشاء به ويستمتع بها في
لا فضول فالنعال عليه هذا ينفي والمستعمل والمتناول في حال الانتفاع بها فاستعظ ويتأذى بما يحتاج
من المعالجة والمشقة مما في ذلك من الملذات والشهوات والمنافع الموعود من جنس ذلك في الآخرة
لا ثقل له يلقى ولا تالم ولا تأذى المستمتع بها في حالة الاستمتاع وانما هو تلذذ بخالص بنيان حقيقة
ذلك المراجع الى ما في كل شيء من السرية والروحانية التي فيها انما يخف ويسهل بل يزيد ذلك خفة
كحلول الروح في الجسد يزيد خفة والسمع في الاذن والبصر في العين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم
في وصف الجنة ونعيمها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان ما فيها من المعاني

الروحانية تمام لم يرها العيون فعلى هذا يجب ان يكون امر الموجود المبعوث لاستيفاء هذه اللذات يرجع الى
الجوهر الروحاني الذي يلتذ واستمتاعه بهذه المعاني دون الجسد الذي يلتذ واستمتاعه بهذه المعاني
دون الجسد الذي يلتذ بالمياه والمطعم وبالعين بالمرئيات وبالاذن بالمسموعات والثالث فيمتنع
وهو ان الاشياء التي في الدنيا التي يستعملها الابدان في الاغتذاء منها فالانتفاع بها يرجع الى امرين
احدهما الى الشهوات واللذات والثاني الى الحاجات والعلل التي لها قوام الابدان وسلامتها من الاغذية والتربية
ثم كانت الحاجات في الاخرة واعراض الافات التي تستعمل هذه الاشياء لدفعها زائلة من نحو الجوع والعطش
وبقاء الحياة وانما تستمتع بجنس هذه الاشياء بحق اللذات والشهوات خاصة فصار امر الاخرة في الانتفاع
الى وجه من وجهي امر الدنيا فعلى ذلك المستمتع بها في الدنيا المحتاج الى امرين وهو البدن وما فيه من الروحاني وفي
الاخرة يجب ان يكون متعلق امره باحدهما وهو الروحاني دون البدن والرابع وهو ان في الاخرة ترتفع العبادات
البدنية من الصلاة والصوم ونحوهما وانما يبقى الروحانية من الحمد والثناء لله تعالى والتعظيم والهيبة والمعرفة
ونحو ذلك ابدا بل يزداد لما يذهب عنها الحواجب والعبودية لم تسقط عن العبد ابدا فلولا ان المبعوث المسمى العبد لله
تعالى هو الروحاني الباطن اللطيف دون الجسد لم يتصور سقوط العبودية الظاهرة وبقاء مثل نحو الروحانية لله تعالى
في الاخرة مما وعد بها المكرمين من الناس وتقدير الرؤية في حق الله تعالى على ما عليه امر الشاهد ككلا يتحقق ما يقتضي
من اثبات الجهة المختصة بالاجسام والجواهر ولا وجه للرؤية لما ثبت بالدلائل السمعية والعقلية ثبت
ان ذلك يرجع الى ما قلنا من رؤية المعنى الروحاني الذي يتحقق الرؤية فيه دون المعاني التي في الشاهد
على سقوط الحواجب والله اعلم ثم اختلف هولاء الذين قالوا ان المبعث الروحاني دون الجسم ان الروحاني هل له
فناء ام لا قال بعضهم انه لا يفنى ولكن يخرج من الجسد بحكم الحس والبعث تفسير خروج الروحاني بعض
عن الجسد بما فيه من الروحانية مع البصر والسمع والذهن ونحوها لان الفناء على الروحاني لا يكون وقال بعضهم
انه يفنى ثم يعاد على حالة الاولى كما تلونا من الايات وقال الله تعالى انا الذي خلق حديثه التجديد لا يحتمل الا ذهابا
الاصل وبذلك قال تعالى من منكري البعث الاعادة لا يكون بدون الفوت وكما جعل النشاة الاولى
دلالة على النشاة الاخرى وعلى ما قالوا من خروج الروحاني من الجسد هو الاولى وليس ثم اخرى حتى يكون خلقا
في خبر الله تعالى ولانه على ما زعمتم غير معروف عن منكري البعث ليحتج عليهم بما يجب على المقرين بالبعث ان
يعرفوهم ان البعث هو خروج الروحاني من الجسد دون الجسد فيقع بينهم المساعدة في نفي البعث للجسد
على ان الدهرية ومنكري البعث يقولون في جميع العالم بالظهور بعد الكمون وبالكمون في الاصول بالعود
فهم لا ينكرون ما زعموه من البعث فكيف يحتج عليهم بالخلق الاول ولا قوة الا بالله واما اهل الحق
احتجوا في بيان ان الانسان هو هذا الشخص المعاين بما فيه من المعاني بوجوه احدها ما جاء به القرآن في تسمية
هذا الشخص المعاين انسانا بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك
الاية وقال ان الانسان لفي خسر ونحو ذلك ولان العرب اجمعوا على تسمية هذا الشخص انسانا
وعلى وضع هذا الاسم لهذا المسمى الخاص ولان موضع الاشتقاق تدل على ما قلنا فانه اما ان كان
مشتقا من الايناس وهو الابصار قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا سمي به لانه لو يسمى بمعاني بعض مشتقا
على خلاف الجن سمي به لانه يستتر ويخفى عن الابصار تحقيقا للمقابلة بين الانس والجن واما ان كان
من النسيان واي الوجهين كان فاطلاقه على ظاهر الجسد اولى من اطلاقه على ما ذكرتم لان ذلك الروح
معنى مختفي غير معاين ولان صفة النسيان على زعمهم ولان محل الخطاب بالامر والنهي باسم الانسان على
الجوارح فيما خوطب لا على صرف الامر الى ذلك الباطن وقطع ذلك عن الظاهر ولذلك كان على ما وصفت ولان
بان هذا الشخص المعاين فارق سائر الجواهر والحيوانات بخاصيته وصورته لان اختصاصه بهذا الاسم
لا توجب ان يكون حقيقته ما هو غير معروف عند الجميع بل ما هو المعروف لا وجه لاحدها انه ذلك دفع
ما يشهده الحواس ويدركه الضرورة وتوجيه السمع ولو جاز مثله في الانسان لجاز في كل جوهر ونوع ان يقال
كل بخاصيته وصورته فيبطل به معاني الحسيات والظواهر وهي سبيل وطريق يتوصل بها الى معرفة الخفيات
فيبطل الاستدلال بالشاهد على الغائب لما في ذلك بالعقل ببطلان العالم ويحصل القول على ما عليه
اهل التجاهل والشكوك ولانا نجد لكل جنس صورة وخاصية ليست لغيره نحو الطعام والشراب جعل غذاء
للاحياء وقواما لهم وقوى لما فيهما من السر والمعاني الباطنة دون ذلك وهذا المعنى اتفاقا لها ولا يقال ان الطعام
والشراب بمعاني تلك الاعيان دون فيلزم القائل الجهل بالاغذية والاطعمة ونحو ذلك فقصر الامر على
الى غيره فكذا امر الانسان والله الموفق وما دليلهم على ان المبعوث هو الجسد بجميع اجزائه من اللحم والعظم

والجلد

والجلد وغيرها مع ما فيه من الروح والنفس وسرية ذلك على حسب ما كان في الدنيا من وجوه منها ما جاء
في الوعد من الله تعالى في الاخرة بانواع نعم سماها باسمائها المعروفة في الدنيا من لحم الطير والفواكه والخمر
والعسل ونحو ذلك مما لو استعمل صرف ذلك الى العلوم والمعارف لبطل حجج الدنيا وما عليه من ظاهر كتبه
باعتبار ما فيه من السرية والخاصية لجاز قلب كل موعود فيبطل ان يكون بالخاص من الشيء دليل معرفة
غائب بجوهره من جهة التمثيل فيكون الاخبار غير معرفة ولا دلالة المشاهدة فيكون في ذلك بطلانه
والله اعلم والثاني ان الانكار من منكري البعث انما جرى في نوع الاعراض الاجسام كما قالوا من يحيي العظام
وهي رميم وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فقال ان كنتم في ريب من
البعث فانا خلقناكم من تراب الاية وما جاء بالنشاة الاولى على الاخرى وعلى الاخرى ولم ينكر احد بعث غير
هذا الوجه من الكثيف المعاين على ان بعث غير الجوهر له وجهان لا يحتمل جواب الاركان علينا احدهما ان كلام
كان في بعث الفلكي لا في كونه مبعوثا خرفه من غير ذلك الجوهر والجزء بعث غير بعض ذلك الجوهر جديد عن
الجواب ودعوى ما لا تنازع فيه فيكون فيه تلبيس والثاني ان بعث غير ذلك الجوهر من الجسم اللطيف غير نوع
بما دون مثله في الكيل ظهورا وفي الظل والشمس وفي الظلمة والنور وفي السمع والبصر والعقل والفهم
والحفظ ونحو ذلك فان هذه الاشياء مما يعاقب يذهب ويعود ويكون لهذا النوع ليقع الحاجة
معهم في ذلك الدلالة ان البعث يرجع الى بعث البشر والله اعلم والثالث انه جعل امر هذا العالم على مضادة الاحوال
ليعرف به الموعود من الالام واللذات والكلام والترهيب وكل ذلك مما علم بالاجساد ولم يعلم بوجود
شيء للارواح على الانفراد ولا بلا تعيين حتى ان المنفصل بذات ذلك مختلف ترى كانها بالجسد دون ان
وجدهما فعلى ذلك امر الالام واللذات فان وجودهما وتحققهما بالجسد وبالارواح دونها بل الامر
المتولد بالروح بالحلول جميعا مما نعرفه بالحلول بالجسد فعلى ذلك الموعود في الاخرة ولان الجزاء
في الاخرة بحق الشهوات واللذات لا بحق الاغذية وقوام اجساد المستمتعين وحياتهم والبعث في الاخرة
لوصول الجزاء الى اهله ومن حيث يتعلق بالاطعمة والاشربة والفواكه وانواع النعم للقوام وبقاء الابدان
لم يحصل جزاء لعدم الحاجة الى ذلك لانهم اعتبروا البقاء لوصول الجزاء اليهم طريقا لتاسيع الخلق
ولان الروحاني في الدنيا البقاء والحياة بحق الجسم بالاغذية وضعفت ليندفع بها الافات تعلو من
عن الانقطاع من جهة القالب لانه ضعف ويقوى ليكون القالب على الاعتدال ليحصل البقاء له
بالروحاني ما لا يفنى ولا يحتاج الى الغذاء فدل ان هذه النعم الموعودة في الاخرة لاجل اللذات لقضاء
الشهوات وانما يكون ذلك من هذه الاجسام الظاهرة في الشاهد كذلك كان احق ان يكون هو المبعوث
بتحقيق الجزاء له والله اعلم ثم الاصل ان الله تعالى وصف تركيب بني آدم انه في احسن تقويم وانه كرمهم على غيرهم
وانه سخر كل شيء لهم قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر الاية وقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وغير ذلك انهم اعلى الجواهر واحسنها لكنهم
في الدنيا موقوفون بانواع الافات لانهم انشئوا للفناء والهلاك فهم على الانقطاع والتفرق فيترتب عنها
انواع الظلمات والاغطية التي هي حواجب وسواتر لهم عن الاحاطة بحقائق الاشياء وبواطنها فاذا
انشئوا للبقاء وترتفع عنهم جميع الافات وترتفع الظلمات والاغطية فيبلغ بذلك الروحاني
في النور والضياء واللطافة والنفاذ في الاشياء بنصيب بحيث لا يمنعها الاغطية ولا يحجبها الستر
كما قد نجا نار ذلك في الشاهد على حال الافات والنقصان وعلى ذلك الموعود من الاخرة تضيء اجرامها
في الطيب والضياء مثل الروحاني والله الموفق وقوله تعالى ليذوقوا العذاب او بكل جارحة وان كان
ذوق الطعام والشراب بالفم لان الذوق لمعرفة الطعم واللذة وحاسة الذوق هو الفم على الخصوص
اما ذوق العذاب ليجد الالم فلذلك يتحقق بكل جارحة وقيل ليذوقوا العذاب او ليعرفوا ويجدوا
الم العذاب والذوق في عرف اللسان ما يعرف به الطعم ثم صار مستعملا لتعرف الاشياء في معرفة
كل شيء يقال لفلان ذوق في امر كذا اي بصر ومعرفة وقوله تعالى ان الله كان عزيزا حكيما قيل العزيز
هو ما يتعزز ويصعب وجوده في الشاهد يقال الطعام عز اذا قل وجوده وقيل سمي عزيزا بمعنى
انه لا يوجد ولا يدرك بالاوهام ولا تحيط به الافهام وقيل هو عزيز لا يعجزه وقيل المنتقم وقد ذكرنا
في موضع قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة قد مر تفسيرها وقوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا اي ظلا
نظله على كل لا تنسخه الشمس كظل الدنيا فانه تنسخه الشمس وينعدم بعضه نهارا وقيل ظلا

يمنعه من جميع المؤذيات اي ظلا لا اذى فيه يجاوزه بسبب غيره لان كل شيء في الدنيا مما فيه نفع فهو مشوب
بالاذى فالشمس فيها نفع واذى وكذلك القمر وكذلك الظلمة والنور فاما الظل بنفسه ليس فيه اذى بل هو حال
فاذا كان في الزمان من الحر والبرد فاخبر انه يدخلهم الظل الظليل الذي ليس فيه اذى الشمس ولا اذى الظلمة ولا اذى
الزمان ليس كظل الدنيا منسوب باذى غيره وقوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل لما فتح
الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال العباس رضي الله عنه يا رسول الله لو جمعت لنا السقاية والحجابة فنبا
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة من بني شيبة فدفعها الى العباس رضي الله عنه فانزل الله
تعالى هذه الاية فاخذها وردها الى بني شيبة ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عم ان احببت ان تتركها تزدادا شيئا
وذكر القتيبي ان مفتاح الكعبة كان مع عثمان بن طلحة من بني عبد الدار فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفع الى العباس
فانزل الله الاية فاخذه ودفعه الى عثمان بن طلحة ثم ان عثمان هاجر الى المدينة ودفع المفتاح الى اخيه شيبة
فتوفي عثمان فصار المفتاح لولد شيبة وخرج ولد عثمان الى اليوم وقيل انها نزلت في الخلفاء الى النبي استامنهم
على جمعها وقسمتها والصدقات التي استامنهم على جمعها وقسمتها ويحتمل ان تكون الاية عامة في كل امانة
اؤتمن المرء فيها نحو فيما كان بينه وبين ربه نحو العبادات التي امر باداتها وبين تعليم العلم النعد وقد الله تعالى
ومن نحو الحكمة والشهادة كل ذلك امانة هي حق الله تعالى امر الخلق باداتها قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل او نحو فيما كان بين الخلق
من الودايع والعواري ونحوها ان يخل بحقها وقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اد الامانة الى من ائتمنك عليه ولا تخن من خانك ومن قال نزلت في الامراء ان يسدد الحق
تعالى في سياق هذه الاية واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله يامركم ان تحكموا بالعدل القول
ان تعاملوا بالعدل والاحسان لانه بنا على قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الا ان من ولي امرا
او حكما فيما بين الناس فقد صار امانة يجب عليه ان يؤديها الى اهلها ثم خص هذا النوع بالذكر على سبيل
التكرار لعظم شان الحكم والقضاء فيما بين الناس وعلى ذلك جاءت الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
روي انه قال ما من احد يكون على شيء في هذه الامة قلت او كثرت فلا يعدل فيهم الا كبه الله في النار وروي
ايما امير ولي من امر الناس شيئا ثم لم يحطهم بما يحوط نفسه واهله لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب الناس الى الله واقربهم منه مجلسا يوم القيامة
امام عادل وان ابغض الناس الى الله يوم القيامة واشدهم عذابا امام جائر وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به
اي من الحكومة بالعدل واداء الامانة • ان الله كان سميعا بصيرا • يحتمل مجيبا لمن دعاه وساله كقوله
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان اي مجيبا باستجابة وادى الامانة ويحتمل
سميعا بصيرا اي لا يخفى عليه شيء اذا اختلف اهل العلم في العارية اذا ضاعت هل يضمن قال اصحابنا
لا ضمان على المستعير وقال غيرهم عليه الضمان ولاصحابنا ما روي عن ابن الحنفية عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما قال العارية ليست بيع ولا مضمونة انما هي معروف الا ان يخالف فيضمن ولم يرو عن غيره خلاف ذلك
وعن الحسن انه قال اذا خالف صاحب العارية ضمن واحتج من خالفنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
على اليد ما اخذت حتى ترده لكن لا حجة لهم من وجهين احدهما ان في ظاهر الحديث وجوبا لرد ما اخذ ونحن
كذا نقول اذا كانت العين قائمة وطلب المالك ردها او انقضت مدة العارية يجب عليه ردها
لان الرد لا يجب قبل الطلب وقبل انقضاء مدة العارية بالاجماع ومتى وجب عليه الرد ثم هلك بعد التمكن
من الرد يضمن عندنا والثاني الحديث وان كان عاما نحمله على الغصب لما ذكرنا من حديث علي رضي الله عنه
الا يرى ان الوديعة لم تدخل وان دخلت الا خذ واحتج المخالف ايضا لما روي عن صفوان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم استعار من صفوان يوم حنين ادرعا فقال صفوان اغصبا يا محمد فقال عليه السلام بل عارية مضمونة
لما روي في رواية اخرى ان صفوان هرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه وامنه واسلم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد حنينا فقال يا صفوان هل عندك من سلاح قال عارية ام غصبا فقال بل عارية
فاعاره ولم يذكر فيه الضمان والحادثة واحدة فلا يكون الثابت الا احدهما فوقع التعارض وليس بثبت ما روي
ثم نقول المراد منه مضمونة الرد ونحن نقول على المستعير رد العارية وليس كالوديعة ما لم يطلب صاحبها لا يجب
عليه الرد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ما ذكرنا وهو قوله عليه السلام العارية مؤداة والله اعلم وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم • اختلف في معنى قوله اطيعوا الله واطيعوا
فقيل اطيعوا الله فيما امر والرسول فيما بلغ وقيل اطيعوا الله فيما فرض والرسول فيما سن وقيل اطيعوا الله فيما

وان لم

وان الرسول فيما بين وقيل اطيعوا الله في وحي التنزيل والرسول في وحي الالهام والاصل في ذلك انا امرنا
بطاعة الرسول عليه السلام وجعلت طاعته في كل شيء لان ما دخل في امر الله تعالى وعلى ذلك امره وجعله
اهل الامر والنهي والشرع لله تعالى والرسول يؤدي عنه فرضا كان المؤدى او سنة بيانا او تاويلا او تبديلا او به
يظهر العموم والخصوص والتناسخ وكل وجوه الامر واقسام الشرع فالقول بالتقسيم والتفريق عن امر الله
تعالى يوهم الاختلاف فجعل الله تعالى عن تعبئته رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها الغد وانما على الخلق طاعته من غير
التسوال عن الوجه لكنه امر ودعا او حد ونهى وطلب الحكمة في ذلك ولا قوة الا بالله فان قيل لم خص المؤمنين
بالخطاب لطاعة الله وطاعة رسوله عليه السلام وجميع من يعقل البشر يلزمه ذلك بمجرد العقل الا دليل سمع
قيل فيه ذلك بوجوه احدها ان يخرج هذا الخطاب على ما عليه الامر المعتاد من مخاطبات الملوك الاشراف والاجلاء
والعلماء منهم دون العامة وان كانوا يريدون بذلك الخطاب متابعة الاتباع والعوام اياهم اذ هم اهل الفهم
والبصر وغيرهم بحكم الاتباع لمن هو كان اكمل فيهما والبصر كان اسمع واجل الخطاب والاتباع يقلدون الرؤسا
في كل باب فكان هذا اقرب الى التحقيق المراد بالامر والنهي والحكمة قال الله تعالى خبرا عن بلقيس رضي الله عنها قالت
يا ايها الملا افتوني في امري وقال فرعون يا ايها الملا والملا هم الاشراف لا مطلق الجماعة عند اهل اللسان
وعلى ذلك جاءت القران بعوان سال الرسل الى الفراعنة ورؤساء الكفرة دون العوام منهم فعلى ذلك هذه
الاية والله اعلم والثاني ان في الاية الامر بالطاعة والطاعة انما تكون في الايتمار للمؤمنين وقد عرفوا الاوامر
والنواهي فيدلهم ذلك على المراد بما احمل من الامر والنهي ولا كذلك الكفرة فان بالعقل لا يعرف كيفية العبادات
والشرائع ومقاديرها وان كان يعرف به الجملة وجوب شكر المنعم وحرمة الكفران فلذلك كان الخطاب لاهل
الايمان والله اعلم والثالث ان الكفرة انكروا المعبود ورسوله فهم كلموا بدعاية لزوم العبودية والطاعة وما فيه
حق الاستماع والتدبر دون الطاعة المطلقة والرابع يحتمل ان يكون الاية يراد بها الخصوص من الطاعات
وهي العبادات التي تتادى بالجوارح دون ما يقوم بالقلب من الايمان وانما يجب على الكفرة قبول هذه العبادات
والاعتقاد بها والاداء كذلك اختص الخطاب بالمؤمنين والخامس ان الاية انما سبقت لبيان طاعة اولي الامر
لا طاعة الله ورسوله لان كل احد يعقل وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ولا كل احد يعقل لزوم طاعة
اولي الامر اذا اقام الله تعالى الدلالات العقلية على وجوب طاعة نفسه وطاعة رسوله اما العقل نفسه
مما لا يوجب طاعة اولي الامر فلا بد فيه من دليل سمعي الا انه ضم طاعة اولي الامر الى طاعة الله ورسوله تعظيما
لشانهم وترغيبا في طاعتهم ليعلموا ان طاعتهم كطاعة الله ورسوله والمخاطب بطاعة اولي الامر من المؤمنين
هم المؤمنون دون الكفرة والله اعلم ثم في هذه الاية فوائد احداها ان الحكم في الامر والنهي لا يبتنى على ظاهر
مخرجهما وصيغتهما وانما يبتنى على دليل ان يستدل على المراد بالمخرج من ندب او وجوب في الامر ومن حرمة او كراهة
في النهي لانه تعالى امر بطاعة نفسه وطاعة رسوله ولا يتمكن المامور بالطاعة من اتيانها الا بعد ان يكون
له طريق الى معرفة ما به يطاع الله ورسوله ان حقيقتها المعرفة ومعلوم انه لا يؤذن لاحد في ترك ما امر بفعله
على القدر الذي اريد بالامر ولا في ترك ما نهي عن فعله على قدر النهي فلزم في ذلك امران احدهما معرفة
كل امر ونهي والثاني معرفة مقادير المامور به والمنهي عنه لانه على قدر العلم بالمنهي عنه والمامور به يتعلم
الذي يعمل اما سعي وعلى قدر موقع المراد في ذلك يقع الرغبة والرهبة فدل انه لا بد من طريق معرفة ذلك
ونفس المخرج والصيغة لا تصلح طريقا لان الدليل العقلي يوجب والحكمة تقتضي ان لا يجوز اجتماع
امر بشيء ونهي عن ذلك الشيء في وقت واحد في حق شخص واحد بجهة واحدة لما ان في القيام بالامر مخالفة
النهي وفي القيام بالنهي مخالفة الامر فيكون التكليف بهما خارجا من الوسع وانه مخالف الحكمة وقد يقع
مثله في اعتبار ظاهر المخرج في تعليق الحكم به فان قوله اعملوا ما شئتم وكل امر في صيغته ارادة تهديد
فلو جمع الامر لوجود الصيغة بشيء والنهي عنه من حيث الحكمة والدليل العقلي فيجب القول في ذلك
الترتيب على حسب الدليل والعلم بان المخرج بحيث المخرج لا يجوز ان يكون دليلا لما قد يؤدي الى دفع الحكمة
ومحال ان يكون الحكيم مناقض الدلالة والله الموفق والثانية ان العلم تحقيق الايمان وتفسيره وهو التصديق
دون العمل بالجوارح لان الله تعالى خاطب المؤمنين بالطاعة ولم يذكر فيها قبل بحال الاسلام ايتيان في
تضمن الاية اياه ثم ان كلا حرف الايمان وما به سمي فاريتيا به فايمانه يلزمه الاديتان في تضمن الاية ولا احد
وان سمعه يزعم ان يكون هو قد جمع الخيرات كلها واحتوى عليها ولو كان الايمان اسما لجميع الخيرات لما جاز
احد ان يكون هو ذا خلا تحت اسم المؤمنين بلا ارتياب فلما كان الامر بخلافه دل على بطلان ما ادعوا وفي
آخر الاية على ما قلنا فان الايمان لو كان عبارة عن جميع الخيرات والطاعات فكان الامر بطاعة الله

الرسول امرا بالثبات على ذلك دون ان يكون امرا بابتداء الطاعة لان المؤمن من تحقق منه جميع طاعة الله
وطاعة رسوله على زعمهم والاية على حق الامر في الابتداء فدل على بطلان قولهم وكذا الثانية الاية بعض
على المعتزلة والخوارج فان صاحب الكبيرة مؤمن وليس بكافر لانه لا يذكر عن صاحب الكبيرة ارتياب في تضمن
هذه الاية اياه ولا عن صاحب بخلة ومنهيا ذا ريب في تضمن هذه الاية صاحب الكبيرة ايضا وبخاصية
مراد الاية يرجع الى الاتباع وهل العلم دون اولي الامر فانه قرن بالاية ظاهرا كما الامر بطاعة الله وطاعة رسوله
فلا يكون قوله يا ايها الذين امنوا متناولا لاولي الامر لانه يصير في المعنى كانهم امروا بطاعة انفسهم فثبت
انا اسم الايمان يا خذ عوام متحلي الاسلام على الاطلاق والرابعة ان قوله واطيعوا الرسول امر بطاعة الرسول
وقد عطف على طاعة الله تعالى فطاعة الرسول ليست عين طاعة الله تعالى حقيقة والعطف يقتضي المغايرة
والمعطوف عليه ولكن لما كان الرسول غيره فعطف ليعلم المغايرة بينهما وان كان لا مغايرة في الطاعة وذلك
كالامر بطاعة الله تعالى بالصلاة والزكاة انهما امران اختلف كونهما من حيث المامور لان الطاعة لمن له
الطا مختلفة ولذلك قال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله وكذا حذر بمخالفة امره بالعذاب الاليم
بقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وكذا جعل الحرج في قضائه
غير مؤمن حتى اقسم على ذلك بقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية اي غير بيان
لا يؤمنون ولا زيادة كقوله فلا اقسم بهذا البلد بحيث ثم اختلف في اولي الامر فقيل هم الولاة والامراء الذين
يولون السرايا ويقلدون الحكام وقيل هم امراء السرايا وهم اهل الخير والدين فالذين قالوا ان المراد هم الامراء
استدلوا بما تقدم من الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل العرمزلة ولا يه بالحكم
في الحكم فهذه الاية يتم امر الرعية بالسمع والطاعة لهم فيما يحكمون ويامرون وولاية الحكم للامراء دون
الفقهاء بلا اذن من الامراء ولان الاية وردت موافقة للسنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يا ايها الناس اسمعوا واطيعوا ولو امر عليكم حبشي مجدع فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب
وكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة والامة اجمعت عليه ومن قال المراد هم الفقهاء
من اهل الاجتهاد استدلوا بما ذكر في سياق الاية وهو قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
امر في الاية الاولى العوام بطاعة الله ورسوله وطاعة اولي الامر ثم سياق الاية وهو قوله فان تنازعتم
في شيء يرجع الى اولي الامر دون من سبقه الخطاب بالطاعة لمن ذكر لان التنازع بين العوام انما يقع فيما
يكون بينهم وذلك يبعثهم على الرد الى الفقهاء والصدور عن رايهم اذ هم اهل الفتوى واولي الامر
بذلك قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
فاما التنازع الذي يجب الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله هو التنازع الذي هو ما اذن لهم من اولي الامر
والاجتهاد وذلك يكون للفقهاء دون العوام دل ان المراد من قوله فان تنازعتم في شيء هم اولوا الامر
الذي سبق ذكرهم دون عامة الناس فدل ان المراد من اولي الامر الذي سبق ذكرهم هم اهل العلم الذي
يحتج بقولهم في باب الدين ولان الله تعالى ذكر في اية اخرى بعد هذا اولي الامر والمراد هم الفقهاء وهو
قوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وكذا عندهم كذا روه
على الاستنباط هم الفقهاء فانه معروف ان اهل هذا العلم هم اهل الفقه وعلى ذلك يخرج من تأويل الاية
عند التنازل في المفزع اليهم تادبا بتاديب الله تعالى وطاعة منهم لامره قال الشيخ رحمه الله يحتمل ان اولي
الامر يرجع الى كل من كان من اهل الامر في الدين اذا كان له العلم والبصر في ذلك لانه قال في ذلك لعلمه
الذين يستنبطونه منهم فكل من ولي امرا من امور احكام في الدين مما له فيه علم استنباط وبصر فهو داخل
في هذا النص وهذه الاية اوجبت طاعتهم وانما تجب طاعة من امر عن علم وبصر فعلى هذا الوجه يدخل
فيه جميع من وجوه الاية الذي يحق الاستدلال لا بحق الاشارة والتنصيص والله اعلم ثم في هذه الاية
فوائد احداها في جواز الطاعة لغير الله تعالى حيث امر بطاعة الرسول وطاعة اولي الامر وهذا لان الطاعة
هي الايتمار لمن عمل بامر غيره فقد اطاعه ولهذا قيل في الشعار فلان مطاع قال الله تعالى انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين قيل المراد جبريل عليه السلام وانما لا يجوز العبادة
لغير الله تعالى لما ذكرنا ان العبادة هي اخلاص التذلل بكليته لله تعالى وان الاشياء كلها لله تعالى على الحقيقة
ليس لاحد سواه كذلك الخيرات تعبد غير الله ويجوز ان يطاع غيره ولهذا لا يطلق اسم العبو على من امر غيره
بشيء فامتثل امره وان اطلق عليه اسم المطاع ثم طاعة الرسول واولي الامر وان كان طاعة لهم فهو عبادة

٤٠٢ لله تعالى لان في طاعتهم طاعة الله تعالى من اطاعهم فانما يطيع لامر الله تعالى اياه بطاعتهم فيكون تسليما
لهذا العمل الى الله تعالى من كل وجه وغرضه هو وجه الله تعالى في الحقيقة فيكون ايتمارا لامر طاعة لهم
وعبادة لله لما ذكرنا من حد الاخر بين اعني الطاعة والعبادة والثالثة اطلق الثانية فيها الزوم عوام المؤمنين
طاعة الخواص منهم وهم الامراء والعلماء لانه خاطب الله تعالى في صدر الاية المؤمنين بطاعة نفسه
وطاعة رسوله واولي الامر ومعلوم انه ليس كل امرئ من اهل الامر يجب على غيرهم طاعتهم فدل انه يرجع
الى الخواص وكان المقصود بالذكر في الخطاب بهم اذ طاعة الله وطاعة رسوله لازمة في شرط الايمان لا بد
الايمان دون قبول طاعتهما قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال فليحذر الذين يخالفون
عن امره الاية وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر الاية والعقل يقتضي كذلك فان من عرف
الله تعالى وعرف ما له من النعم عرف ان عليه الخضوع له والشكر لنعمه وكذا من عرف انه مخلوق على الحاجة لا يقوم
دون دفعها ولا يملك دفعها بدون من يتولى انعامه الرغبة الى منشئها والرهبة منه ليرفعها عنه
بفضله ورحمته وكذلك من عرف الرسول عرف ان عليه طاعته اذ انما ارسل ليجاب فيما يدعوا ويطاع فيما
يامر لكن ضمت الى طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة اولي الامر منا ليعرف ان طاعتهم لازمة وسماها طاعتهم
طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ترغيبا لنا على طاعتهم والله اعلم والثالثة فيها دلالة كون الاجماع
حجة من حجج الله تعالى يلزم طاعتهم لكون ذلك طاعة الله تعالى فانه اوجب طاعة اولي الامر واجماع الامة
اذ لا ينعقد اجماع الامة بدون اولي الامر وعلى هذا يخرج قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس فصيرهم امرا بالمعروف وناهيا عن المنكر وشهادة بالعدل وكذا اية قال
في اية اخرى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم شهد الله تعالى بالعلم لاهل الاستنباط وقد دخل
في اجماع الامة هؤلاء الذين وصفوا بهذه الاوصاف والله اعلم والرابعة فيها ابطال قول الروافض في ادعا
امامهم لانه امر بطاعة اولي الامر ووصفهم بما يحيلون امامهم به ان ذلك انه قال فان تنازعتم في شيء وقول
امامهم مما لا يحتمل وقوع التنازع فيه عندهم اذ قوله يوجب علم الاحاطة لا علم الاحاطة لا علم غالب الراي
يحتمل التنازع فيه ولان طاعته مقبوضة عندهم وان كان على خلافه رايهم بل مخالفته كفر ولان الله تعالى
امر برد التنازع فيه الى كتابه وسنة رسوله وعندهم يرفع الى الامام لا يحتمل الرد الى غيره ولانه تعالى وصف
العلم منهم بالاستنباط بقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم وامامهم لا يدرك شيئا بالاستنباط
بل هو يعلم كل امر حقيقة فدل ان المراد بقوله واولي الامر غير امامهم وبالله القوة والعصمة وقوله تعالى
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر اختلف في تاويله فمنهم
من قال معنى قوله فردوه الى الله اي كلوا الامر الى الله ولا تجتهدوا فيه ولا تعملوا بالاجتهاد فيكون الله تعالى
هو الحاكم في ذلك دونكم وهو موافق لقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله فهذه الاية دليل
على انه يجب العمل بنص الكتاب والسنة وظاهرهما وترك العمل بالاجتهاد وهو ما قال اصحاب الظواهر الذين
ينكرون الاجتهاد ومنهم من يقول معناه متى وقع التنازع والاختلاف في تاويل الكتاب والسنة
فردوا الى الظاهر بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله عليه السلام ولا تتاولوا وذلك لان الاختلاف الاول
كان الاختلاف للتاويل في الكتاب والسنة فكيف يؤمر ان بالرد الى تاويل الكتاب والسنة وهو الاجتهاد
لدفع الاختلاف فانه سبب التنازع فكيف يرتفع التنازع باحد سببيه فكانهم منعوا عن التاويل
الا فيما كان المراد بالاية والسنة غير ظاهر لاجل الاشتراك والاحتمال في اللفظ ومن تاويل من يقول
ان الحكم يتعلق بظاهر المخرج ولا يجوز التاويل الا فيما هو محتمل مشترك من حيث الصيغة ولكنا نقول
بان كلا الوجهين فاسد لوجوه احدها ان الله تعالى امر بطاعة اولي الامر ولا شك ان طاعتهم لازمة فيما
فيه لانه انما امر بالرد الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله عند التنازع بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله فاذا كان عند التنازع لا يجب طاعة اولي الامر وعند ترك التنازع يجب العمل بظواهر النصوص
دون قول اولي الامر فاذا الامر بطاعة اولي الامر خرج خاليا عن الفائدة ولا يجب طاعة اولي الامر لعدم
المقصود والله اعلم والثاني ان الامة على اختلافهم اتفقوا على القول بان احدا عند التنازع لم يمتنع عن التامل
والامساك عن الفتوى فيه بل لا يوجد احد من فقهاء الامة يرى ان لا يوجد منه التاويل عند الاختلاف
فصار ذلك اتفاقا منهم ان الحمل لا يجب بظواهر النصوص دون البحث عن المعاني المودعة فيها فيدل
على وجوب العمل بالاجتهاد ووجوب العدول عن الظواهر والثالث وهو ان ظاهر المخرج لو كان حجة يجب الرجوع
اليه دون التامل في الدلائل للتوقف على اصح ما يحتمله من التاويل لكان لا يحتمل ان يقع التنازع والاختلاف

في الابتدا لان الظاهر في ايديهم وكل يعرف ذلك الظاهر لكونهم من ارباب اللسان ومع هذا لم يمتنعوا عن
التنازع لاجل الظاهر فكان هذا اجماعا انهم لم يروه حجة فلا يجوز ان يرجعوا الى الظاهر بعدما اتفقوا
على المنع لعنه ولو كان الظاهر حجة يبطل الرجوع اليه بالوجهين الذين ذكرناهما انفا احدهما ان الناس
لم يمتنعوا عن التنازع والاختلاف مع قيام النصوص الظاهرة على ايديهم والثاني وجود التنازع والاختلاف منهم
في الابتدا مع امكان الرجوع الى الظاهر فمن رام الرجوع الى الظاهر ربما نعم ما قام الدليل على انه ليس بحجة وهو
فاسد فكان وكان الظاهر دليل مطلق يوجب بيد لنا اذا امعنوا النظر واعرضوا عن حسن الظن تعرفون موالاة
والله اعلم والرابع ان الامر بالرد الى الله تعالى لتوصل الحكم لما نرى حاجة العباد الى حكم ما يقع فيه التنازع
لان ذلك اما ان يكون من امر الدين او الدنيا وفي التوقف الى القيامة ليعلم ذلك من الله تعالى تنصيصا لا منفعة
نفع للخلق فيه وليس في النصوص ظاهر حتى وقع التنازع دل ان المراد بالرد الى الله تعالى هو الى العمل المودعة
في الكتاب والسنة يجب الطلب فيهما فيبطل العمل على ظاهر المخرج والعدول الى الاجتهاد والخامس معلوم
ان ما يرد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع اليه من الحوادث التي وقع التنازع فيها كان الحكم من ذلك
ولم يتركهم والتنازع دون الفصل بينهم اذ هو اصل كل شي وفساد وهو مامور بالدعاء الى الكل فانه
الفتنة وصلاح نعلى ذلك جميع ما يرد الى الله تعالى فيما علم الله تعالى من التنازع والاختلاف من الائمة الى يوم
القيامة فيما يرفع اليهم من النوازل التي يقع بين الخلق وتمس الحاجة الى الفصل وعلم تصديهم بالارشاد الى الله
تعالى ان تطلعهم على الحكم لا بان يكون منه تعالى نصا للحكم بين ذلك اما بيانا مبالغة من حيث التصريح او بيان
كفاية من حيث الابداع في الاصول كما قال تعالى وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله وليس الحكم بمبني حيث
الابداع لان ذلك لا يحتمل التنازع لانه لو كان حجة فذلك التنبيه بطريق الكفاية وطريق معرفته
هو الاجتهاد والاستنباط فدل على لزوم الاجتهاد والسادس ان الله تعالى انما امر بالرد الى الله تعالى والرسول
كي لا يعمل مع الاحتمال لانه صحة كل واحد من الذي وقع التنازع فيه فيعنا ان يجب الرد الحليل محتمل نصا
والظاهر محتمل لان الظاهر نوعان ظاهر من حيث الاسم بوضع اهل اللسان فظاهر من حيث التفاهم والاستعمال
والتعارف وذلك نحو قوله فاغسلوا وجوهكم باي شي غسل من الخل والزيت وكل ما استحق اسم الغسل
في اللغة وانكان في عرف الاستعمال يقع على الماء فلم يكن الصرف الى احدهما وهو الظاهر من حيث اللسان
احق من الصرف الى الاخر بل الصرف الى المتعارف اولى من موضوع اللغة ثم لا يحتمل التنازع فيما فيه تعارض لا يكون
العدول عنه الا بدليل فيجب القول بما قلنا والله اعلم ثم ان سالنا عن تاويل الاية فنقول والله اعلم انه
يخرج على وجهين احدهما ان هذا امر بالرد اليهما او دعا في القران كفاية على حوادث الاحكام الى يوم القيمة
وذلك من السنة لان من حكم الله تعالى ان يختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وان لا يبعث اليهم عند
حدوث التنازع بينهم من يطلعهم على الحق من ذلك ولابد من وقوع الاختلاف والتنازع عند حدوث
النوازل التي ليست بمنصوصة في الكتاب والسنة ولا وجه ان يهملوا ويتركوا ايتنا نعوذ انه ذلك
الفساد في الارض وهلاك الحرث والنسل فدل ذلك على تضمين كل ما عرف الله تعالى مما يقع من الحوادث
في القران من حيث الابداع فلا بد من الاجتهاد والاستنباط ثم فيما ذكرنا انه لم يذكر عن احد من الائمة
انهم تركوا الطلب ولا انتزاع عند النوائب والله اعلم والثاني ان يكون الاية فيما فيه التنازع في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب الرد الى الكتاب الله تعالى الذي هو وحي متلو والى السنة رسول الله
التي هي وحي غير متلو ولا يجوز لهم العمل بالاجتهاد دون ظاهر الوحي اذ هو وجه الوصول الى الحقيقة بما
صاحب الشرع عليه السلام فلا معنى للمصير الى الاجتهاد ولانه ذلك الوقت وقت احتمال التناسخ ووقت
حدوث الاحكام ولعل ما وقع فيه لم يتبين اصل حكمه او لم يبلغهم حكمه من النصوص وقد نسخ
اصل حكمه فلا يتصلوا الى العلم به بالاجتهاد فامروا بالرد الى الله تعالى بما يرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم
فاما بعد وفاته عليه السلام فقد فرغ من جميع اصول الحوادث لاستقرار الاحكام ووقوع الامر على الاسلام
ولانتشار الاصول بتدوين الاحاديث فلا يتصور التنازع فيما فيه النصوص الظاهرة او لو وقع التنازع
كان ذلك اجماعا ان لا عبرة بمجرد ظاهر الصيغة وذلك يوجب المصير الى الاجتهاد والاستنباط من النصوص
والله اعلم ثم في هذه الاية دلالة كون الاجماع حجة لانه قال فان تنازعتم في شي فردوه الى الله اشترط
عند التنازع بالرد الى كتاب الله وسنة رسوله لا الى اولي الامر وعند ارتفاع التنازع اوجب طاعة اولي
الامر ولان وجوب الطاعة عند تنازع اولي الامر وهم العلماء يتناقض لان كل واحد منهما يدعو الى
خلاف ما يدعوا اليه صاحبه والله تعالى لا يكلف احدا ما يتناقض في التدبير لخروج ذلك عن حد الحكمة

والد على

والله اعلم وعلى ذلك شهادة الله تعالى لاولي الامر منهم بقوله لعلمه الذين يستنبطونه وعلى ذلك
المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ولذلك عظم وعيد من يتبع
غير سبيل المؤمنين والله اعلم وقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك ذكر في القصة
ان رجلين تنازعا احدهما منافق والاخر يهودي فقال المنافق اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال
اليهودي اذهب بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي
المنافق فلما خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال المنافق انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فاقبل معه اليهودي
الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي يا عمر انا اختصمنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فزعم
انه لا يرضى بقضائه وزعم انه يرضى بقضائك فاقض بيننا فقال المنافق كذلك قال نعم قال رويدك
حتى اخرج اليكما فدخل عمر رضي الله عنه البيت فاشتمل على السيف وخرج وضرب به المنافق فانزل الله تعالى
هذه الاية وقوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت قيل الطاغوت ههنا هو كعب بن الاشرف وقيل
الشيطان وقد امروا ان يكفروا به اي بالطاغوت كقوله ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقوله تعالى
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اي لا يعودون الى الهدى ابدا فهنا اخبار انهم يموتون
على ذلك فكان كذلك الشيطان هو في موضع الاياس عن الهدى حين اقام باعيانهم وقيل بعيدا عن الحق والله اعلم
وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اي اذا قيل لهم تعالوا الى حكم الله تعالى
في كتابه والى ما امر الرسول في سنته رايت المنافقين يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك
اعراضا فالصدود هو الاعراض في اللغة والصد هو الكف وفي حرف حفصة رضي الله عنها
اذا دعوت الكافرين والمنافقين الى ما انزل الله رايتهم يصدون عنك صدودا وقوله تعالى فكيف
اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم يحتمل ما ذكر في اول القصة ان عمر رضي الله عنه لما قتل
ذلك المنافق اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله ما اردنا بذلك المنافق الا احسانا
وتوفيقا اي تخفيفا وتيسيرا عليك او توفيقا الى الخير والصواب وقيل نزلت في المنافقين في بناء
مسجد الضرار كقوله وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ويحتمل الاية في كل مصيبة يصيبهم وكل بلية يلحقهم
ان كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتذرون اليه كقوله يعتذرون اليكم الاية لانهم كانوا
يميلون الى ما كانوا يطمعون من المنافع من غنيمة ونحوها واذا رأوا النكبة على المؤمنين مالوا الى اولئك
كما ظهروا موافقتهم طمعا منهم يقولون الم نكن معكم وان كانت الدائرة على الكافرين اظهروا الموافقة للمسلمين
لقوله الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله الاية كان هذا دابهم وعادتهم وقوله ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا قيل الا تخفيفا وتيسيرا عليك وقيل ما اردنا بالتحاكم اليه على ما نزو قولنا الا احسانا الى الله وقيل
احسانا اي يحسنون الينا بفضول اموالهم وقوله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض
عنهم اي لا تقبل منهم في هذه المرة وقل لهم في انفسهم قولا بليغا او قل لهم ان فعلتم مثل هذا
ثانيا عاقبتكم ويحتمل ان يكون هذا على الوعيد اي لا تعاقبهم فان الله تعالى هو معاقبهم وقوله تعالى
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا قيل مثل ما ذكرنا اي ادفعهم وخوفهم ان عادوا الى مثله وقيل وعظوا
وقيل الزمهم الحجة وابلغ اليها انهم اذا عادوا عوقبوا قطعا للعذر وازاحة للعلة واظهارا للعناد
منهم والله اعلم وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله قيل بامر الله وقيل بعلم
الله وقيل بعلم الله وقيل بمشية الله ومن قال باذن الله اي بعلم الله يقول انه تعالى يعلم من يطيعه ومن
يعصيه وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اي لو علموا ان ما حصل لهم ظلمهم رجع اليهم وقوله تعالى
فاستغفروا الله اي جاؤوك مسلمين عن التحاكم الى غيرك راضين بقضائك نادمين على ما كان منهم
واستغفر لهم الرسول اي يشفع لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اي غافرا لذنوبهم وقوله
تعالى فلا وربك لا يؤمنون قيل فلا صلة وزائدة وانما القسم وربك لا يؤمنون وكذا كل
قسم يقدمه حرف النفي كقوله لا اقسم بهذا البلد وقوله لا اقسم بيوم القيمة ونحو ذلك وقيل
ان حرف النفي في موضع القسم ليس على الصلة ولكن هو على نفي ما تقدم من الكلام والانكار كقول الرجل
لا والله ليس هذا ابتداء كلام ولكن على نفي ما تقدم من الكلام كذا لا يكون الغا شي من المذكور في القران
والله اعلم وقوله تعالى فيما شجر بينهم اي فيما اختلفوا وتنازعوا وقوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت قيل ضيقا وقيل شكا مما قضيت بينهم انه حق وقيل اثما وقوله تعالى ويسلموا
تسليما اي يسلموا القضاء بعد اختلافهم في نزول الاية قيل نزلت في اليهودي والمنافق الذين تنازعا

فتحاكما الى ذلك الطاغوت وقيل نزلت في شان رجل من الانصار والزبير بن العوام كانا بينهما تشاجر في ماء فارتفعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للزبير اسق الماء الى جارك فغضب ذلك الرجل فنزلت الاية وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله واهله وولده والناس اجمعين وهذه الاية تدل على ان الايمان هو التصديق بالقلب بجميع ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم وحكم لانه نفى الايمان الا بان لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضى والحرج عمل القلب وهو كقوله ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقال في اية اخرى حتى يؤمن(?) قلوبهم فيكون رد على الكرامية انهم يقولون ان الايمان هو القول الفرد والله الموفق وقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم • قال ابو بكر رضي الله عنه لو كان علينا نزلت يا رسول الله لبدأت بنفسي واهل بيتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لفضل يقينك على يقين الناس وايمانك على ايمان الناس وعن الحسن رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية قال رجل من الانصار والله لو كتب علينا لقتلنا انفسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده للايمان اثبت في صدور رجال من الانصار من الجبال الرواسي او كما قال وقيل قال عمر رضي الله عنه ونفر معه والله لو فعل ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للايمان اثبت في قلوب المؤمنين من الجبال الرواسي وقيل قوله لو انا كتبنا عليهم الاية يعني به يهود العرب كما امر اصحاب موسى عليه السلام ثم اختلف في قوله اقتلوا انفسكم قيل هو ان يقتل كل نفسه وقيل هو ان يامر بعضهم بقتل بعض اذ لا يحتمل ان يامر الله تعالى اياهم بقتل انفسهم لان التكليف بقدر الوسع على طريق الاختيار وليس في وسع المرء ان يقتل نفسه عن اختيار وقيل المراد منه قتل الانفس والخروج بطريق التسبب وذلك بالجهاد مع العدو فانه سبب القتل والخروج من الديار والله اعلم وقيل الخروج من الديار هو الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ما فعلوه الا قليل منهم قيل هو عبد الله بن مسعود وعمار وبلال رضوان الله عليهم وكلا يدري الصحيح وقوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به • من الاسلام والطاعة ويحتمل ما يؤمرون به من القتل لكان خيرا لهم في الاخرة واشد تثبيتا قيل حقيقة وقيل تحقيقا في الدنيا وقيل ما يوعظون به من القران لكان خيرا لهم من دينهم واشد تثبيتا اي تصديقا بامر الله تعالى وقوله تعالى واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما • يحتمل المراد في الدنيا ويحتمل في الاخرة كقوله فسنيسره لليسرى وقوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما • قيل هو الهدى للعباد الى الصراط المستقيم وقيل سالمهم في الدنيا وقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية قيل ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله الذي لا اله غيره لانت احب الي من نفسي وولدي واهلي واني لاذكرك فلولا اني اجي فانظر اليك لرايت اني سأموت واذكرت موتي وموتك ومنزلتك في الجنة ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت دونك فذلك بعد ذكرت الحال المنعم بالموت فبكيت لذلك فما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى هذه الاية فقال ادع لي فلانا فقال له عليه السلام ابشر ثم تلا عليه هذه الاية وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم على بعض اصحابه فراى في وجوههم كآبة وحزنا فقال عليه السلام ما لكم وما غير وجوهكم لونكم قالوا يا رسول الله ما بنا من مرض ولا وجع غير انا اذا لم نرك ولم نلقك اشتقنا اليك واستوحشنا وحشة شديدة حتى نلقاك فهذا الذي ترى بنا من اجل ذلك ونذكر الاخرة فنخاف ان لا نراك هناك فانزل الله تعالى هذه الاية ويحتمل ان لم يكن فيه احد من ذلك ولكن لوجوه اخر احدها ان اليهود وغيرهم من الكفرة الذين ادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افرطوا في التعنت والتمرد في ترك اجابتهم اياه وطاعتهم له ظنوا انهم وان اسلموا واطاعوا الرسول لم ينفع(?) من الهود(?) فلم يترك طاعته فاخبر الله تعالى ان الذي اطاع الله والرسول منهم يكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكانوا لم يترك طاقتهم ابدا ويحتمل ان كان ذلك انهم لما سمعوا ان لكل احد في الجنة مثل الدنيا فظنوا انه لا يكون لهم الاجتماع مع الانبياء عليهم السلام وغيرهم لبعد بعض من بعض مسافة فاخبر انه يكون لهم الاجتماع اذ كان ملاقاة النبي صلى الله عليه وسلم والاجتماع مع الاولياء يكون من اعظم النعم في الدنيا فاخبر ان لهم من ذلك في دار النعمة والكرامة ويحتمل ان يكون على الابتداء ان من اطاع الله تعالى والرسول يكون مع الذين انعم الله عليهم في دار واحدة ولا يكون في غيرها وهذه الوجوه كانها اشبه اذ هم بالطاعة اصابوا والله اعلم ثم اختلف في الصديقين قيل انهم اتباع الانبياء وخلفاؤهم في كل امر من التعليم والانقياد الى كل خير وطاعة وقيل الصديق هو الذي يصدق الرسول في الدعوة ويخالف اعداءه وقوله تعالى والشهداء قيل الشهيد هو الذي قتل في سبيل الله

وقيل الشهيد هو القائم بدينه وقيل الصديقين والشهداء والصالحين واحد • وقوله تعالى ذلك الفضل من الله • يحتمل اي ذلك الانعام والافضال الذي انعم الله عليهم فضل من الله ويحتمل ان ما اخبر من الرفقة بينهم فضل من الله والاية تدل على ان الجنة افضال من الله تعالى اذ سبق من عنده الانعام والافضال عليهم فيخرج طاعتهم لم يخرج الشكر لما انعم عليهم الا ان ذلك عليه وان الجنة لا يدخل فيها الا برحمته وفضله وقوله تعالى وكفى بالله عليما • اي بثوابها وقيل عليما بما وعد من الخير لهم في الاخرة وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم • قيل خذوا جنتكم من السلاح وقيل خذوا ما يحذرون به عدوكم ولما يحذر به من وجوه منها الاسلحة ومنها البنيان الحصينة ومنها التكثر من العدد ومن ذلك الثبات عند ملاقاة العدو وذكر الله وهذا كقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فكان هذا بالاعداد للحرب قبل اللقاء اظهارا للعبودية وان كان النصر والقوة من الله تعالى على الحقيقة تحقيقا للابتلاء وهذا كما ان الله تعالى امرنا بقتال الكفرة وان كان الله تعالى يقدر على دفعهم من غير مباشرة فعل منا بطريق المحنة والابتلاء اظهارا للعبودية منهم فكذلك هذا وفي الاية دلالة جواز الكسب لحاجات تحدث في المستقبل من المقاتلة صيانة لانفسهم عن الوقوع في الهلاك فيجوز الكسب لامور تحدث في المستقبل يحتاج الى الدفع لصيانة الانفس وبين بذلك ان الاستعداد للحاجات ليس بنقض(?) في عهدنا اذا لم يجز الاعداد فضلا ولا يزيل التوكل على ان الجوع وحاجات النفس من سبق والهلاك عند تلقي العدو محتمل فان القتال سبحانه لما كان الاستعداد للقتال جائزا صيانة عن الوقوع في الهلاك يخشى فلان يباح الكسب في الامتناع عن الوقوع في الهلاك يتعين اولى وقوله تعالى فانفروا ثبات او انفروا جميعا • قيل فانفروا ثبات اي سرايا او انفروا جميعا اي عسكرا وقيل الثبة الاثنان والثلثة في كلام العرب والجميع الكثير معناه انفروا قليلا او كثيرا فرادا وجماعة وقيل ثبات اي عصبة عصبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما قال الشيخ رحمه الله يحتمل ان قوله انفروا اذا استنفرتم اي على ما استنفرتم من جميع او بعض متفرقا او جمعا في جهة واحدة او جهات لانه يجب عليهم الدفع والخروج عن الحاجة الى ذلك الدعاء الاستنفار وطلب الخروج الى الغزو فكان معناه ايجاب الخروج الى الغزو على الوجه الذي يقع الحاجة اليه من تفريق وجميع بالاوقات الحاجة ففي ذلك دلالة قيام البعض عن الكل من غير تعيين البعض دون البعض بعد ان كان الواجب على البعض لحصول الغرض لكن ليس لبعض باولى من البعض في التعيين فيجب على الكل القيام به ما لم يتعين البعض بالفعل فمتى وجد من البعض وعرف تحقق المقصود سقط عن الباقين ويجوز وجوب الشي على مجهول ولا يجب على الكل القيام به بشرط السقوط عن الكل فتعين البعض بالفعل فان كان فاتته صلاة واحدة من الفرائض فنسيها يلزمه صلاة يوم وليلة وكذلك اذا كان المحرم لا يعرف من غير المحرم بان طلق احدى نسائه بعينها ونسي المطلقة يلزمه الاجتناب عن الكل ويجب على من حرم عليه الاتقاء عن الكل والقيام بجميع الفرائض ليمكنه الخروج عما عليه وكذلك في باب الجهاد اذا عرف الامام من حيث غالب الراي انه يقع الكفاية بالبعض يستنفر البعض وان لم يغلب على رايه ذلك يستنفر الجميع والتدبير في ذلك اليه قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار واصله ان الجهاد انما فرض لعلة لا يحتمل الدوام وهو دفع العدو والذب عن حريم المسلمين وذلك انما يتحقق عند وجود الشر منهم وخوف الوجود وذلك قد يكون وقد لا يكون فقد يحصل ذلك بالبعض دون البعض على ان خروج الجميع من ناحية الحاق الضرر لمن كان في الجهات الاخر لانهم متى عرفوا اشتغال المسلمين كلهم بالمقاتلة مع البعض من جانب يخرج الاعداء من الجانب الاخر فتغيروا على ديار المسلمين فدل انه لا يجب الخروج على الكل من جهة واحدة بل على ما يرى الامام على تفرق الجهات بقدر الحاجة الى ذلك والله اعلم ومثل ذلك التعلم فرض على جميع الناس لاقامة الدين على وجه يسقط عن البعض لوجود الاكتفاء بالبعض قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين لحصول الغرض بالبعض فهذا مثله وقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن • قيل ان المنافقين كانوا يثبطون الناس عن الجهاد ويخلفونهم ويتخلفون بانفسهم وهو كقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية وكانوا يسرون ذلك ولا يظهرونه فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك ليعلموا انه امر من ذلك بايه فيكون اية رسالته وقوله وان منكم يحتمل وجوها يحتمل منكم في الظاهر دون الحقيقة لان المنافقين يقرون بالتوحيد والاسلام ويحتمل منكم في الحكم اي احكام الاسلام جارية عليهم ويحتمل منكم في الدعوى لانهم يدعون انهم من المسلمين باطنا والموافقة في معالم الدين وانهم يكونون في الحقيقة منهم

فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان
لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما • ففي الاية نوع تقديم وتاخير كانه قال
فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه مودة ولئن اصابكم
فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما اخبر الله تعالى ان هؤلاء المنافقين اذا اصابت
المؤمنين بلية يفرحون بها ويسرون ولا يحزنون كانه لم يكن بينهم مودة ولا محبة
واذا اصاب المؤمنين الفضل من الله تعالى اي الغنيمة والفتح يقولون يا ليتني معهم فافوز فوزا عظيما
اي اخذ من الغنيمة نصيبا وافرا وقيل قوله قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان حكاية عن قول المكذب
والشامت وقوله يا ليتني كنت معهم حكاية عن الحاسد هكذا قال قتادة رحمه الله وقوله تعالى فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة • هذا كناية عن المنافقين عن الخروج الى الغزو فانه امر
بالقتال في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة والمؤمنون هم الذين يشرون الحياة
الدنيا بالاخرة دون المنافقين وهو كقوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معي ابدا الاية ثم قوله في سبيل الله يعني في اظهار دين الله وقيل في طاعة الله ونصرة نبيه
وقوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما • اخبر الله تعالى ان
من بذل نفسه فيما امر الله تعالى على الوجه الذي يجب استوجب العوض من الله تعالى سواء تلفت
نفسه فيه او حيي ولم يتلف وجعل كانها تلفت لما رضي بذلك عند البذل وسلمت الى الهلاك لاجله
وهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون وعدا عليه حقا جعل العوض لمن قتل ولم يقتل بعد ان سلم النفس والمال للعوض حتى كان
المتلف كانه جعل التلف معنى وفي الاية دلالة لاصحابنا رحمهم الله في مسائل منها ان المراة اذا سلمت
نفسها الى زوجها في الوقت الذي كان يتعلق به التسليم استوجبت كمال الصداق وان لم يقبض الزوج
بالوطء لوجود تسليم المعوض بما في وسعها ومنها ان البائع اذا سلم المبيع الى المشتري يصير مسلما وان
لم يقبض المشتري ومنها انه اذا صلى الظهر في بيته يوم الجمعة ثم خرج الى الجمعة يصير رافضا للظهر لان عليه
الخروج الى الجمعة فيصير بالخروج اليها كالمباشر لها وان لم يباشر كما ان الله تعالى جعل تسليم النفس الى الجهاد
والبذل لكانها احدث منه في استحقاق العوض الذي وعد له فعلى هذا يجب تسليم ما ذكرنا الى المستحق كما
المستحق له وان لم ياخذ حقيقة وليس هذا كالقيام الى الخامسة قبل القعود لانه لا يصير رافضا للفرض
وكذا المحرم اذا توجه الى عرفات قبل فراغه من العمرة لا يصير رافضا للعمرة باشتغاله بالحج لان الواجب عليهما
الفراغ مما كانا فيه ثم الاشتغال بغير ذلك والله اعلم ثم هذا من الله تعالى مع عباده معاملة اهل الفضل
والاحسان لا معاملة ذي الحق حيث فرض عليهم الجهاد وجعل لمن بذل النفس عوضا بفعله فسوف نؤتيه
اجرا عظيما وسمى بذلك شراء الانفس والاموال منهم بعوض وان كانت انفسهم واموالهم
لله تعالى في الحقيقة ليكون عامل معهم معاملة اهل الفضل كان لا حق له في اموالهم وانفسهم وجعل لهم
بذلك عوضا والله اعلم وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان • عن ابن عباس رضي الله عنهما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي المستضعفين الاية وفي الاية
دلالة ان على المسلمين ان يستنقذوا اسراهم من ايدي الكفرة باي وجه ما قدروا عليه بالمال او بالقتال
وعند ذلك اذ فرض عليهم ان لا يتركوهم في ايديهم وفي الاية دلالة على ان الاسلام الصغار اسلام وكفرهم
كفر اذا عقلوا لانه قال والولدان وانه اسم الصغار دون الكبار ولو الله تعالى عاتبهم بتركهم في ايديهم
كما لم يعاتبوا بترك اولاد الكفرة في ايديهم وذلك انه انما الحقهم العتاب لاسلامهم ولا يعاتبوا بترك اولادهم
الذين لهم حكم الاسلام باسلام ابائهم تبعا او الولدان الذين سرقوا من اولاد المسلمين بعد الاسلام لان
الاية مطلقة ليس فيها فصل فيجب العمل بالاطلاق وقوله تعالى الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها • قيل الشرك اهلها وقيل المراد كل ظالم منعهم عن الخروج الى دار الاسلام والهجرة
الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الاية دلالة على ان افعال العباد بطريق الاختيار مخلوق لله تعالى لانهم
سالوا ان يخرجهم الله من القرية الظالم اهلها مع علمهم ان الله تعالى لا يتولى اخراجهم بنفسه فكانه
ذلك على انه ينصرهم ويعينهم على ذلك ويخلق منهم الفعل فيهم علما ان الله تعالى في الافعال المكتسبة
للعباد صنعا والمعتزلة لم يجعل له فيكون الاية حجة عليهم وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا
من لدنك نصيرا • قيل النصير المانع اي مانعا يمنع عن المشركين وقوله تعالى الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله

لخبر ان المؤمنين يقاتلون لابتغاء وجه الله تعالى ويسلكون سبيله وقوله تعالى والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت • قال ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت الشيطان في هذا الموضع لانه هو
الداعي للناس بالسلوك في سبيله وفي الاية دلالة ان لا يؤمر الكفار بالجهاد ولا العبادات لان الله
تعالى اخبر انهم اذا قاتلوا فانما قاتلوا في سبيل الشيطان وكذلك اذا اصلوا يصلون له ولكن يؤمرون اولا بالايمان
ثم يفعلون العبادات معه كانت في سبيل الله وهو الايمان وقوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان • يدل
على ان الطاغوت هو الشيطان ههنا وقوله تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا • وصف كيد الشيطان
بالضعف وقد ضل به كثير من البشر لكن هو لا يتسلط عليه من وجوه احدها انه كيد ضعيف
على من يعوذ بالله تعالى ويسال الحول والقوة منه وهو كقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله وانما يقوى كيده على من جعل ليتبع ما له دعوة كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا الى قوله ثم لا يقصرون والثاني انه يكون ضعيفا على المقبل على ربه الذاكر له في جميع
المعنى والامور واليه فانما من تولى الشيطان واقبل على اشارته فهو الذي جعل للشيطان على نفسه بابا
من شهواته وميل الهوى وهو كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان انما سلطانه على الذين يتولونه
وقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وقد سمى الله تعالى الشيطان الوسواس الخناس لما انه
يوسوس عند غفلة الناس عن الله تعالى والثالث انما وصفه بالضعف لانه لا يملك معنا الخير والشر
ولا اكتساب الضرر في الابدان والاموال والثاني معناه كان ضعيفا عند نصر الله ومعونته ويحمل
انه كان ضعيفا اذا علم انه كيد الشيطان وظهر في حق من قصده بالكيد ولكن يقوى في حق المغرور الذي
لا يعلم انه كيده وغروره وقوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يحملوا انه تاويل الاية وسببه نزولها انهم من جملة الخبر عن بني اسرائيل الذين قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله انهم كانوا مامورين بالقتال مع الكفرة فتمنوا الاذن في القتال
معهم وسالوا نبيهم ذلك فلما امروا بالقتال وكتب عليهم ذلك اعرض عن الطاعة لله تعالى في ذلك عامتهم
وامسك القليل منهم وانما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك والله اعلم لما يحتمل ان اهل الايمان
كانوا يتمنون الاذن في القتال لما نالوا من الاذى من الكفار منهم كي يمنعوه ذلك بالقتال عسى كقوله ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه ليعظهم بما ذكر من القصة ليتعظوا بهم فيسالوا العافية ولا يتمنوا محنة فيها
شدة فيضعفهم عنها طباعهم لعدم الاحتمال لها فعلوا ما فعل اولئك القوم فيكون ذلك احسانا من الله تعالى
وافضالا عليهم وقد روي في مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا لقاء العدو
واسالوا الله العافية واذا لقيتموهم فسوقوا في وجوههم ويحتمل ان الله تعالى علم في الازل انه امرهم
بالقتال مع الكفرة فاخبرهم بما ذكر من القصة من الذين فعلوا وحل بهم ما حل لئلا يفعلوا مثل فعلهم
فيحل بهم ما حل باولئك كقوله تعالى خبرا عنهم في اية اخرى الم تر الى الملا من بني اسرائيل الى قوله قالوا لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده وقيل ذكر هذا خبر عن المؤمنين وقد نزلت الاية فيهم فانه روي في القصة ان جماعة
من الصحابة رضي الله عنهم قبل ان هاجروا الى المدينة استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال
الكفرة بمكة لما لقوا من المشركين اذى كثيرا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامره الله تعالى بقتال المشركين
امرهم بذلك ونزلت اية القتال اشتد عليهم ذلك وكره بعضهم القتال كما قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب ثم اختلف في قوله اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال وهذا الفريق من المصدقين او من المنافقين قال بعضهم من المصدقين لكن لما اشتد عليهم
الامر بالقتال طبعا لما سبب هلاكه عادة وكرهوا ذلك طبعه لا ان ذلك منهم سخط لحكم الله تعالى
وكراهة لامره اعتقادا والمرء مجبول طبعا على كراهية ما فيه خوف هلاكه غالبا فان المسلم يخاف
في الجملة من الموت وشدة الامراض الجالبة للموت طبعا لا انه متسخط بحكم الله تعالى وذلك كقوله تعالى
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون والكراهة من حيث الطبع لا تخل الرضا
بحكم الله تعالى قال الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية
وانما اراد به من حيث الطبع وقال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وانما قال على الطبع وعلى هذا يخرج قوله
تعالى يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية ان هذه الخشية جبلية وطبيعة لا اختيارية وسخط بحكم الله

تعالى كما يخاف المرء من الموت طبيعة وجبلة لان الخوف عنه يزيل الخوف عن الله تعالى فكذلك اذا اشتد القتال
يخاف على نفسه الهلاك والموت لانه يرى الموت منه وكذا اذا اشتد عليه المرض يخاف الموت على نفسه
حتى يجعل معروفا المرض ويبكي انه في تلك الحال المعروفة يخاف الموت لما يغلب الاياس عن حياته وان كان قبل ذلك
يستوي عليه احواله وعلى ذلك فيما طبع عليه الخلق من طمانينة القلب عند تمكن اسباب الرزق والمعتدة
عليه ما لم يكن في غير تلك الحال وان كان من حيث عقيدة الله تعالى واحدا فهذا مثله وكان الذي يظهر عليه خشية
الموت في تلك الحال الخوف وفي الحقيقة خشية من الله ان يكون فعل ذلك الشيء سبب موته وانه تحضر وقرب
وقربه منه ويكون في ظاهر الامر كمن يخشى عن تلك الاحوال فلذلك قال يخشون الناس كخشية الله او
اشد خشية وذلك نحو ما كان في يوم حنين ونحو ذلك اشتد على المسلمين وفر البعض حتى اعانهم
الله تعالى وفرج عنهم بمنه وفضله وعلى هذا قوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا
الى اجل قريب يحتمل وجهين احدهما انهم ما قالوا ذلك نطقا وانما هذا اخبار عن ما في طباعهم
اي في طباعهم ذلك وكانهم سالوا من حيث الطبع ذلك وقالوا لم كتبت علينا القتال فيضيفا السؤال
اليهم وان كان لا نطق ولا قول منهم وما اضطربا الا من طبعا لا فعلا ولا اعتقادا ولا يوجب سخط حكم
الله والثاني انه كانوا قالوا ذلك نطقا فيكون ذلك عنهم سؤالا عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم
ولا عيب من دخل في طلب الحكمة وبا يد للسعر وجهين احدهما ان الله تعالى علم ان بعضهم سيلحقون بالنسل
والخير الى الطال لا يعوتون ولا يملكون انفسهم في ذلك الوقت وانما حملهم على ذلك رغبتهم في الدنيا
تمتعا ولا يصبروا بمتاع الاخرة وتحلونهم ليذهب غيهم ذلك ويسعون للعدو ويستهل ذلك ويخف على
طباعهم ولا يبالون مما يحل بهم ولا يحسبون لذلك فاخبر الله تعالى الحكمة في ذلك بقوله قل متاع
الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا كما امر الله نبيه عليه السلام اذ قل يا محمد متاع الدنيا قليل
والاخرة خير لمن اتقى فاذا متاع الاخرة خير لكم على هذا الفعل من متاع الدنيا والصبر ثم ضبطنا بهم يطلق
متاع الدنيا حتى يكون الامر بالقتال الذي فيه فناء عيشا خارجا عن الحكمة ولكنهم خلقوا للاخرة فما كان
اقرب الى التوسل الى الاخرة فهو اليق بهم والشهادة الحاصلة بالجهاد من اهم ما اعد الله تعالى واعز ذلك نعيم
من اعظم ما يتوسل به الى الاخرة والثاني ان الاقدام على ما هو سبب تلف النفس وان عظم هوله على الطبع
اذا كان نجى العبادة لحد على الحاصل من الموت حتف انفه اذ احضر وعلم بوجوده لان ما كان نحو العبادة
فالثواب موعود وقد وعد الله تعالى في الجهاد متاع الاخرة او بعض ما فيه الكرامة فيصير الجهاد سبب الوصول
الى متاع الاخرة ونعيمها عند الموت فيكون خيرا لهم من عيشهم في الدنيا ثم الموت بلا ما وعد به الكرام
وهذا كما قيل في تاويل قوله عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
ان المؤمن يرى ما اعد له من الكرامة فيحب ان يحل به الموت ليصل الى ذلك والكافر يرى سخطه ونكد
لذلك قيل على هذا قالوا في تاويل قوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر في مقابلة ما يرى
في ذلك الوقت من النعيم او العذاب والله اعلم وقال بعضهم ان المراد من قوله اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية هم المنافقون اي يخشون من الناس كخشية المؤمنين من الله او اشد
خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال على طريق الانكار والسخط لامر الله تعالى فاخبر الله نبيه
عليه السلام بذلك واظهر عليهم النفاق وقت الامر بالجهاد وهو كما قال الله تعالى ويقول الذين امنوا
لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض الاية
بين ما نزل بالمنافقين وكذلك قوله قد يعلم الله المعوقين منكم الاية وقال قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل الاية وغير ذلك مما دل على انكارهم وفضل خوضهم في ذلك والله اعلم ثم ذكر في حرف
حفصة رضي الله عنها واقيموا الصلاة واتوا الزكاة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال اذا هم يخشون
الناس كخشية الله كان في الاية اضمار ولم فقد ذلك الحرف حفصة والا لم يكن في ظاهر الاية تضمن حتى
يكون قوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الاية جوابا له وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
لولا اخرتنا الى اجل قريب فنموت حتف انفنا ولا نقتل فنسر بذلك الاعداء فعلى هذا يحتمل في الحصد
والله اعلم فيمن نزلت الاية لكن معلوم ان فيها ترغيبا فيما عند الله تعالى وترهيبا في الدنيا ودعاء الى
الرضا بحكم الله تعالى فيما حفه بقلعاية الله الموفق وقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى
انما قال ذلك لان متاع الاخرة دائم ومتاع الدنيا زائل والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف
القليل اذا كان على الزوال يقينا وهو جواب قولهم لم كتبت علينا القتال وقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم

الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ٭ يحتمل ان يكون جوابا لما سبق من قولهم لم كتبت علينا القتال لولا
اخرتنا الى اجل قريب يقول من كتب عليه الموت ينزل به لا محالة قاتل او لم يقاتل كقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز
الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ويحتمل ان يكون جوابا على التحريض على القتال اي اذا كان الموت نازلا
بكم لا محالة فالقتال انفع لكم اذ تستوجبون به الثواب الجزيل ولا يكون ذلك لكم اذا متم حتف انفكم واختلف
في تاويل المشيدة قال الفراء المشيد والمشيد واحد وقيل المشيدة المجصص والمشيد الحصين وقيل المشيدة
المقصور بالمجصص والحصينة الطوال وقوله تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك ٭ اراد بهذا المنافقين ومعلوم انهم لم يريدوا بالحسنة والسيئة في الدين ولكن
ارادوا بالحسنة والسيئة في الدنيا وهي المنافع والبلايا والشدائد لانهم كانوا لا يفرحون بما يصيبهم من الحسنة
في الدين وانما كان فرحهم بما كانوا يصيبون في الدنيا من الخصب والسعة وحزنهم بما يصيبهم من الضيق
والشدة وكانوا يتطيرون برسول الله وقالوا انما بسبب شؤم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم وهكذا كان دأب الكفرة من قبل كانوا يتطيرون بالانبياء عليهم السلام والرسل صلوات الله عليهم اجمعين
كما قال تعالى خبرا عن قوم موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قال الا انما طائرهم
عند الله ردا لاعتقادهم وقال عز وجل في حق محمد عليه السلام ردا لاعتقادهم قل كل من عند الله اي
بتقديره وقضائه تفضلا كان او جزاء اما الفضل كقوله وما بكم من نعمة فمن الله واما الجزاء كقوله وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم اي ما اصابهم انما اصابهم بسوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ٭ اي لا يفقهون ما لهم وما عليهم وقوله
تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ٭ والاشكال ان في الاية
الاولى اضاف الله تعالى الحسنة والسيئة الى نفسه بقوله قل كل من عند الله ردا لما اعتقده الكفرة
وفي الاية الثانية اضاف الحسنة الى نفسه واضاف السيئة الينا بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
فكيف يكون هذا قيل من وجوه احدها ما ذكرنا ان المراد من الحسنة يرجع الى السعة والعافية والنعم والمراد من
السيئة البلايا والشدائد الينا بسببنا اي تصل الينا بسبب ما اكتسبنا من الجرائم فمعنى قوله فمن
نفسك اي من جناية نفسك بحق الجزاء والمراد من الاية الاولى كل من عند الله اي كل ذلك من عنده خلقا
وتقديرا واختلاف الاضافة لاختلاف طريق الاضافة وجهتها مما لا يوجب التناقض فان الله تعالى قد يخلق
شيئا ويفعل بسبب وبغير سبب يقرب ما قلناه ما روي عن حرف ابن مسعود رضي الله عنه وما اصابك من سيئة
فمن نفسك وانا قدرتها عليك مخرج تفسيرا او بيانا لاطلاق الكتاب والثاني ان الاية في امر الدنيا من النعم
والشدائد التي خلقها بطريق الابتلاء والبلوى تعم الامرين اعني البلايا والنعم قال الله تعالى ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم
احسن عملا فيفعل البلوى بمختلف الاحوال ولا صنع للعباد في ذلك وكذلك قال وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو الاية فكان المراد في الاولى اضافة الابتلاء الى نفسه بالطريقين جميعا وانما
في الاية الثانية يراد بها الافعال من الخير والشر فما صلح منها شكرا وحمدا لما انعم الله تعالى عليهم حسن
الاضافة اليه وذلك بقوله والله فضل بعضكم على بعض وقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
وغير ذلك فيضاف اليه فاما ما كان ضلالا او زللا ومعصية لا يحسن الاضافة لما فيه الغاء العذر
العذر للعبد ولا عذر لاحد في ذلك وانما يقبح الاضافة اليه عند الانفراد وان كان هو الخالق لذلك
الا ترى انه لا يضاف الاشياء القبيحة اليه عند الانفراد ويضاف الاشياء الحكمة المتقنة
المستحسنة فيقال يا رب السموات والارض ولا يقال يا رب الخنازير والقردة والاقذار وان
كان الكل بتقديره وخلقه بلا خلاف بين اهل القبلة ويضاف اليه باسم الجملة فيقال يا خالق الاجسام
والجواهر وخالق الاجسام والجواهر وخالق العالم فعلى ذلك في الافعال وانما اختلف الاضافة في الا
لاختلاف المضاف وذلك لا يوجب التناقض والثالث ان الخيرات قد يضاف اليه لا من جهة التخليق
عند الجميع عندنا من جهة الافضال بالتوفيق والتيسير واللطف وعند المعتزلة من جهة الامر والترغيب
فعلى ذلك يجوز كذلك في الاضافة لا من جهة نفي التخليق فلم يضف اليه لكن بشيء اخر والله اعلم
فان قيل هذا اللفظ وهو قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لا يستعمل في الافعال بل يستعمل في
الافعال لما اصيبت فلا يجوز الحمل على الافعال قيل من وجهين احدهما ان الاصابة لفظة يشترك
فيها الاصابة فانه ما اصاب الشيء فذلك الشيء يصيبه ايضا يجوز الاضافة في الطريقين وهذا كما يقال

قابلت خلافاً وقابلتني خلافين ونحو ذلك والثاني ان كان على قلب فيخرج على ما ذكرنا من الجزاء يعني يكون على ما نصيب
العبد من جزاء حسنة او سيئة فتكون جزاء الحسنة من الله تعالى فضلا منه فيضاف اليه بطريق الانضاف
وجزاء السيئة الى المسيء لوجود السيئة منه والله اعلم وقوله تعالى وارسلناك للناس رسولا وفي حرف
حفصة رضي الله عنها وارسلناك الى الناس رسولا وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا • قيل فيه وجوه
احدها وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما انزل اليك من الدنيا اليهم على ما يقولون لم تبلغ رسالتك
والثاني وكفى بالله شهيدا على الايات التي جعلها الله جل جلاله لرسالتك دليله قوله او لم يكن لهم آية
ان يعلمه علماء بني اسرائيل على ما ينكرون في الاخرة من اقامة الايات والثالث وكفى بالله شهيدا على جميع ما علم
الانبياء عليهم السلام وتبليغهم الخبر اليهم بكونه نبيا بشهادة • ويحتمل وكفى بالله شهيدا على ما يضمرون
في قلوبهم من النفاق ويحتمل وكفى بالله شهيدا على ما اضافت نبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصر
اوليائه الى نفسه كما قال انما يبايعون الله ويحتمل شهيدا مبينا او حكما فبينا يعني بين لهم بالمعاينة ما كان
بينه بالدلالة والايات وحكما انها بين الحق والمبطل فيخرج الوجهان جميعا مخرج الامر للنبي صلى الله عليه
وسلم بالاعراض عن المحاجة معهم بما ظهر منهم العناد والمكابرة وتفويض الامر الى الله تعالى والاكتفاء عن
الفراغ من حق التبليغ فيهم والله اعلم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله • ايحتمل طاعة الرسول
طاعة الله تعالى لان المرء انما يطيع الرسول بامر الله تعالى اياه بطاعة الرسول واجابته فيكون مطيعا لله تعالى
بطاعة الرسول وكذا الرسول عليه السلام يدعو كل مومن الى طاعة الله فيكون بطاعة الرسول واجابته
الى ما دعاه اليه كذلك الله تعالى فيكون في طاعة الرسول طاعة الله ولكن طاعة الرسول عليه السلام من حيث
هو طاعة الله تعالى عبادة ومن حيث هو طاعة الرسول نفسه ليس بعبادة لان طاعة الله تعالى ما كان
عبادة لانها طاعة حتى يقال الطاعة للرسول عبادة بل لانه اخلاص العمل بكليته على ما عرف انه يجوز
ان يقال في الخلق مطاع ولا يجوز معبود وفي الاية دلالة وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم
لما ان في طاعته طاعة الله وهي واجبة وكذا مرت الاية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية جعل طاعة الرسول من شرط الايمان وخوف مع مخالفته العذاب الاليم واد الشعور
في قضائه الحرج الايمان وقد روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بالمدينة
من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون بذلك فانزل الله تصديقا لقول
النبي صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله وكيف وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وفيها دلالة على عصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الكذب والخلاف فيما دعى الناس اليه وامرهم به والزام الخلق بالصدق له حيث اوجب
طاعته على الاطلاق وبين ان في طاعته طاعته ثم ما اطاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول ليست
طاعته في فعل ما فعله خاصة او قول يقوله ولكنها يجتهد في احدهما في كل فعل وقول على ما عليه
عنده من خصوص او عموم ونحاب او ندب او اباحة او ترغيب والتاني ترك الوفاء بالنهي منه المراد فيه
من ان يفعل كفعله او ينفي ذلك ان يستعمله في حق الاباحة وان اراد من محله فيه بعرفه تعرف ذلك ومرها
بالادلة اعني انه واجب او مندوب او ادب او مباح ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا • يعني حفيظا عليهم عما لهم وانما عليك ما حملت وعليهم ما حملوا الانسان
انت عن اعمالهم ولا انت الموفق عما فعلت ويحتمل قوله وما ارسلناك عليهم حفيظا اي مسلطا على سرائرهم
انما عليك ان تقاتلهم على الظاهر حتى اذا وقفناك على اسرارهم علموا انك انما عرفت بالله تعالى فيكون
آية لرسالتك فلزم الحجة عليهم وقوله تعالى ويقولون طاعة • قيل ان المنافقين كانوا قد اظهروا التصديق
لله ولرسوله عليه السلام فاذا دخلوا عليه قالوا يا رسول الله امرك طاعة شيئا مما شئت نفعله واذا
امرتهم او نهاهم عنه خالفوا امره وغيروا ما امرهم به ونهاهم عنه ثم يضيفون ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم
غير الذي يقول قيل غيرها امرتهم مما امرتهم به وقيل بيت اي الف وقيل بيت اي غير القول بالليل
والفرق كل كلام مقدر بالليل مؤلف فيه يقال بيت هذا هو معناه من حيث اللغة لكنه عند اهل التفسير
المراد به ما قيل في القصة انهم كانوا اذا امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله يكتب
ما يبيتون • اي يأمر بإتيان ما يبيتون من المقال الكذب ليجزيهم جزاء ذلك في الاخرة وليلزمهم الحجة وكذا
سائر الافعال السيئة وقوله تعالى فاعرض عنهم يحتمل فاعرض عنهم لاتكالهم على ذلك بعد هذا ويحتمل

فاعرض عنهم اي لا تتكلف اطلاعها بامرهم ولا تطلع عليه انما ذلك الي لا اطلعكم على ما يسرون لتعلموا انك
انما عرفت ذلك بالله تعالى وقوله تعالى وتوكل على الله اي ثق بالله ولا تخفهم فان الله يدفع عنك شرهم
وكيدهم ويحتمل وتوكل على الله في جزائهم فان الله تعالى هو الذي يتولى جزاءهم لا يكتفي بهم بالك وكفى بالله
وكيلا او كفى به مستعانا فلا احد امنع منه وقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا • ونظيره قوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته في الاية فوائد احدها
انه يجوز الامر والترغيب والحث على العلم بكيفية اداء المامور به والعرفان اذ كان له طريق الوصول
اليه فانه الزم القيام بما يعقل بالتدبر فلم يكن ذلك الشيء معلوما قبل التدبر ولكن لما كان التدبر طريقا
الى الوصول اليه اوجب ذلك فدل على الوجوب بناء على سبب المعرفة وطريقها دون حقيقة العلم وعلى
هذا العلم بالمحل يصح اذا كان طريق الوقوف على بناء المحل قائما من حيث الدليل السمع او العقل والثاني
فيها دلالة ان المعتبر في الاعتقاد ليس هو ظاهر المخرج في حق العموم والخصوص والتقييد والاطلاق
والوجوب والندب في الاوامر وحملها على ما هو عند اهل اللسان ولا على حق الاسم في اللغة لانه
دعا الى التدبر في القرآن ثم في الالفاظ المنظومة التي تتضمن العموم والخصوص والامر والنهي
والتقييد والاطلاق ولو كان الحكم مبنيا على ظاهر المخرج لكان لا يحتاج الى معرفة المراد عند اهل
اللسان من المخرج ثم لما الحكم عليه دون التدبر وكان الامر بالتدبر دليلا على ان الحكم غير مبني على الظاهر
بل على ما اراد الحكم بما رآه مصلحة للعباد فيجب التامل ليعرف ان المراد هو الخاص او العام او الندب او
الوجوب على قدر المصلحة والثالث فيها دلالة على هذا ايضا وهو ان التدبر في القرآن والتدبر حظ الحكماء
واهل النظر لا حظ العوام وانما هم اتباع الخواص فيما يحتاجون الى التدبر الا في الاسماء ثم فيما يعرف من حيث
اللسان هو حظ الفريقين لو كان الحكم مبنيا على ظاهر المخرج والعوام والفقهاء فيه سواء لم يكن للامر
بالتدبر معنى وفيه جعل العوام تبعا للخواص علم ان لا عبرة لنفس المخرج والرابع دلالة على هذا الفصل ايضا
وهو ان لا تكون المعتزلة كتاب الله تعالى وحجته دليلا على ان الله تعالى لان الله تعالى علم انه لا احد الا
ان لنا في الكلام يحتاج الى التدبر في معنى ما حمل الينا الخلق من نوع اختلاف وتناقض فان الكلام تفضح
القرينة بنظر فيه وتامل فوجد فيه اختلافا كثيرا وكذلك كلام الحكمة والشياطين والحق يخرج مختلفا
وانما لا يوجد لكلام يضيفه الاختلاف والتناقض اذا كان من السماع ينتهي الى السامع عن الله تعالى
بخبر الصادقين فدل ان ارتفاع الاختلاف عن القرآن على كونه من عند الله تعالى وانه عليه السلام يحدث
بذلك الكهانة والسحر الاختلاف كلام الحكمة والسحرة والشياطين ويتبين انه لا يعول عليه في كل
هو المعاني دون ظاهر الالفاظ بل على بيان الاحكام لانه تعالى دل بارتفاع الاختلاف عن القرآن
على انه من عند الله تعالى وانه انما يرتفع باعتبار المعاني في مقتضى الكلام وتدور باعتبار ظاهر الالفاظ بل عند
اعتبار المخرج يراد به الخاص وقد يوجد خاص المخرج ويراد به العموم ويوجد الحقيقة ويراد بها المجاز
وهذا على اعتبار يصح الانسان لها الاختلاف فيبطل احتجاج الله تعالى بارتفاع الاختلاف على كون
القرآن من عند الله ولا يقال الانسان لا يتحقق الاختلاف عنه اذا اقترن الخبر به من زيادة الخصوص والعموم
وتقدير ذا البيان يعرف بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان المراد على ظاهر اللفظ على ما وضع كونه
متعلقا بغير دلالة الخصوص والكلام فيه لانا نقول ان الله تعالى استدل بنفي الاختلاف عنه عند التدبر
فيه دل ان المرجوع الى بيان من النبي صلى الله عليه وسلم لان الوقوف على ما ورد من البيان عن الرسول عليه السلام
لا يكون بالتدبر في القرآن وانما يقع بالنظر في كتب الاخبار والرجوع الى اهلها فدل ان المعتبر هو المعاني
حيث يرتفع الاختلاف بالتدبر فيها لان الله تعالى وصف القرآن بانه غير مختلف يقتضي ان لا يكون
نفسه مختلفا وعلى ما قلتم انه يرتفع الاختلاف عنه عند اقتران الخبر به من النبي صلى الله عليه وسلم
يخرج من ان يكون نفسه مختلفا وانما يرتفع بانضمام امر زائد او ينقص انه عنه مثله كلام كل كاهن بل
هم كل قوم انه يرتفع الاختلاف عن انضمام زيادة او الغاء بعض من حكيم بلا تبصر بان يكون يحكم
كلاما متناقضا مختلفا اذ يمكن رفع ذلك باقتران الزيادة عليها او النقصان عنه فيبطل الاحتجاج النبوي
لنفي ارتفاع الاختلاف في القرآن واستقام كون القرآن من عند الله من عند غيره والله اعلم ثم ما ذكرنا من
الاختلاف يحتمل الذي يرد به في الاحكام والاوامر والنواهي وذلك يوجب التناسخ والخصوص والعموم والتقييد
بها ملاذ والحقيقة والمجاز لا يكون فيها باب الاختلاف اذا كان المعتبر هو المعاني دون ظواهر الالفاظ
ويحتمل نفي الاختلاف في الاخبار من الوعد والوعيد ونحو ذا من نفي الاختلاف على الغيب عما كان

أخبر سرايا المنافقين وعما يرجع اليه الامر وعما كان بينهم وبين نحوه وقد خرج ذلك كله [illegible] وقوله تعالى
وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به • وفي حرف ابن مسعود وحفصة رضي الله عنهما وإذا جاءهم
نبأ من خوف او امن اذاعوه قال الكلبي اذاعوا به اي اذاعوه [illegible] ثم اختلف فيمن نزلت
الاية قال الحسن نزلت في المنافقين وذلك انهم اذا سمعوا خبرا من اخبار السرايا والعساكر مما يسرون
به ويفرحون افشوه في الناس فرحا واذا سمعوا ما يحزنهم ولا يهمهم اظهروه في الناس بغضا وقال ابو بكر
الكتاني نزلت الاية في ضعفة المسلمين فانهم كانوا اذا سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر عن نصر
المسلمين وظهورهم على المشركين كتبوا الى الاعداء بذلك ليستعدوا لذلك واذا سمعوا ان الاعداء قد اجتمعوا
او قصدوا الحرب اخبروا بذلك ضعفة المسلمين ليمتنعوا عن الخروج اليهم وعن بعض اصحابنا رحمه الله انه قال
ان هذا خبر عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتحدثون بما [illegible] الاطلاع
منهم لم يحدثوا بها انفسهم وقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم • لعلم الله تعالى انهم لو سكتوا عن الخبر وردوا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي
الامر منهم حتى يكون هو الذي يخبرون به لكانوا لعلموا ان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
انه يحب اذاعته او كتمانه وكذا اولي الامر الذين كانوا من اهل الاستنباط واولي الراي منهم علموا ما يحب
اذاعته وكتمانه من الخبر وعلى تاويل الضحاك لو ردوا ما حدثتهم به انفسهم الى الرسول والى اولي الامر
ليبينوا لهم ذلك لكانوا [illegible] الاذاعة ثم اختلف في تاويل اولي الامر قيل هم امراء السرايا وقيل هم العلماء
الفقهاء الذين لهم مرتبة الاستنباط وقيل اولي الامر ها هنا مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله
عنهم وقيل ولاة الامر الذين لهم الاستنباط وقال الضحاك اولي الامر من الحرب وغيره وقوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا • اختلف في الاستثناء قال بعضهم
في الاية تقديم وتاخير ومعناه واذا جاءهم امر من الامن او الخوف ولولا فضل الله عليكم ورحمته
من الامر بالكتمان والنهي عن الاذاعة لاذاعوا واتبعوا الشيطان في اذاعتهم به الا قليلا منهم
فانهم لا يتبعون وقيل في الاية تقديم وتاخير وجه اخر تقديره فاذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم ذلكم الشيطان وقيل لا تقديم
وتاخير ومعناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته المراد بالفضل محمد صلى الله عليه وسلم والمراد
بالرحمة القران اي ولولا بعث محمد ونزول القران لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم لم يتبعوه ولكن
آمنوا بالعقل [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك [illegible]
نفسك فليس عليك حساب المتخلفين [illegible]
[illegible]
[illegible]
ابن عباس رضي الله عنهما [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
وحرض المؤمنين على القتال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه [illegible]
[illegible] عسى الله ان يكف باس الذين كفروا [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
ذلك [illegible] عسى الله ان يكف باس الذين كفروا [illegible]

٢٥ وقوله تعالى والله أشد بأساً • لما يدفع بأس المشركين عنكم ولا يقدرون انتم دفع بأسهم عنكم فبأس الله أشد
وقوله تعالى وأشد تنكيلاً • التنكيل العذاب الذي يكون لغيره فيه زجر ومنع وقيل البأس هو عذاب الدنيا
والتنكيل والنكال هو عذاب الآخرة شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له
كفل منها • لم يكن ان تلك الشفاعة من الله تعالى لعبد من عبيده فيشفع بخير اليه من عفو عن المعاصي وتجاوز
عنها او يشفع بسوء اليه من لعن او هلاك فيدعوا الله تعالى باللعنة او الهلاك او يشفع لاتصال ذلك اليه
وذلك من غير سبب يستحقه ذلك المدعو عليه والنصيب في الشفاعة الحسنة يحتمل وجهين احدهما ان
يغفر الله تعالى للشفيع برحمته لما ترحم على اخيه واظهر الشفقة عليه فيجازيه عليها كما انه يعطي الله تعالى الشفاعة
للمشفوع له في الشفيع نصيبا فيكون ذلك نصيبا منها واما النصيب وهو الكفل من الشفاعة السيئة يحتمل
وجهين ايضا احدهما ان يجازيه في الاخرة بما دعا عليه باللعنة والهلاك ويشفع الى الله تعالى باللعنة كذلك
لان هذا ما كان من غير سبب الاستحقاق يكون ظلما واساءة منه فيستحق جزاء الاساءة والثاني ان يشفع
الله تعالى الاول فاحدثا غيره ويسلط عليه من يلعنه ويدعو عليه بالهلاك فيفعل به مثل ما عمل بالاول والله
اعلم ويحتمل فيما بين الناس ذلك من وجوه احدها ان يكون بين اثنين عداوة ومنازعة يشفع الى كل واحد منهما
ليترك ذلك التعدي ويطلب المحبة والالفة بينهما او يشفع الى ضد ذلك فيدخل بينهما ويحرض كل واحد منهما
على الاضرار على ذلك على وجه لا يعلم الكل واحد منهما بقصده لما يرى لكل واحد منهما ان مصلحته له في الاضرار
على ذلك دون الممنوع عنها والثاني ان يشفع الى من جنى عليه انسان واساء به وقصد مجازاته ليقبل معذرته
ويعفو عنه او الى من قصد الظلم بالجاني ليمتنع عن ذلك فهي الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة ان يأتي
الى المجني ويعظم تلك الخيانة في عينه ويحرضه على المجازاة زجرا لمثله عن الاجتراء عليه او يتم بين اثنين
لالقاء العداوة بينهما ويحرض الظالم للقصد على اخيه بما يظهر انه اهلك والثالث ان يشفع الى رجل ما
بالدلالة على معروف فاعانته او اسداه الى مستحق المعروف والشفاعة السيئة ان يشفع اليه بالدلالة
على منكر او مظلوم في بليته فيبعث على الشد فيجازي كل واحد بصنيعه احسانا باحسان وسيئة بسيئة
فضلا من الله وعدلا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله تعالى يحب اغاثة اللهفان ومن الحسن فالذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاصدقة
افضل من صدقة اللسان قيل وما صدقة اللسان يا رسول الله قال الشفاعة تحقن بها الدماء الى اخيك والذي يدفع
عنه بها الكريهة ويحيي بها النعم والكفل من النصيب واحد وقيل الكفل هو الجزء وقيل الكفل الاثم لكن
الصحيح ان الكفل ليس باسم للماثم ولكن اسم للبعض والجزء وقال الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته فيستعمل
في المأثم وغيره في تفسير الشفاعة وتوابعها والرد على منكريها تعرف في موضع اخر ان شاء الله تعالى وقوله
تعالى وكان الله على كل شيء مقيتا • عن ابن عباس رضي الله عنهما المقيت الحسيب وقيل الشهيد وقيل الحفيظ
من القوت اي معطي القوت يعطي رزق كل دابة على الله تعالى حتى يستوفي كلها ارزاقها ومن الفراء والكسائي
قال المقيت المقتدر من اقات يقيت اقاتة فمعناه مقتدرا على مجازاة الحسنة والسيئة بمثلها وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال [illegible] الله تعالى [illegible] ومن قام باصلاح مسلم
مقام سمعة ورياء اقامه الله تعالى مقام سمعة ورياء ومن يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبعه
عورته يفضحه في بيته قال ابو بكر الكتاني مقبول من الكتب السالفة ليس هو على لساننا [illegible]
فلعله على خلاف ما تناوله وقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها • ذكر التحية مطلقا
ولم يبين ما تلك التحية واسم التحية يقع على اشياء من نحو ما جعل الله تعالى الصلاة تحية المسجد
والطواف تحية الكعبة وغير ذلك مما يكثر تعدادها لكن اهل التاويل اجمعوا على صرفها الى السلام
بغير قولنا انه قال او ردوها وفي غيرها من التحية يراد بالرد ترك القبول لا اعطاء مثله وعلى ذلك
دلت آيات من كتاب الله تعالى قال الله تعالى لبني ادم اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة
طيبة وكذا جعل تحية الملائكة للمؤمنين السلام قال الله تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وجعل تحية اهل الجنة السلام قال الله تعالى تحيتهم فيها سلام فعلى ذلك قوله واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها فجعل الله تعالى السلام شعارا فيما بين المسلمين علامة يعرف بها بعضهم بعضا عن
شرهم الا ترى ان اهل الذمة لا يسلمون ولا يردون السلام وان كانوا لا يعرفون تفسيره ولا معناه
ثم السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فمعناه الله شهيد عليكم ويحتمل انه قائم عليكم اي هو قائم على كل
نفس بما كسبت برا او فاجرا برزقهم ويحفظهم ويستجيب لهم وقيل السلام عدل منزه عن العيوب كلها

والجور والظلم وقوله ورحمة الله اي رحمته نجاني بجا وسعد من سعد وبركاته اي نمائها لكل خير والبركة
اسم لكل خير فيكون على اطلاق للدعاء له بالسلامة والتبرية عن العيوب ونحوها ثم اختلف في قوله فحيوا
باحسن منها او ردوها قيل فحيوا باحسن منها المسلمين او ردوها على اهل الكتاب يعني ان تقول عليك
او عليكم على ما روي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نهينا ان نزيد على اهل الكتاب
على عليك وعليكم وانما كان لما قيل انهم يقولون السام عليكم فيقول عليك على طريق التكرير وقيل له في
ردهم فقال الى عليك ردهم لا يكون منه تصديقا بل يكون ردا ولا ينبغي ان يقول وعليك او وعليكم
في جواب الكفرة لان الواو للعطف فيقتضي الاشتراك فاما اذا سلم اهل الاسلام يجب ان يقول
وعليكم السلام وعليكم لان الواو يقتضي الشركة وبدون الواو يراد دون القبول وقيل في قوله فحيوا باحسن
منها اي بالزيادة او ردوها اي بمثلها روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال السلام من اسماء الله وضعها
في الارض فافشوه بينكم فان الرجل اذا سلم كتب له عشر حسنات فان هو ردها عليه كتب له مثله وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه فقال السلام عليكم فقال عليه السلام وعليكم
السلام ورحمة الله ثم جاءه آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عليه السلام وعليكم السلام و
رحمة الله فقال عليه السلام وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقال عليه السلام وعليكم فقيل له انك زدت في الاول والثاني فقال ان الاول والثاني تركا لي
زيادة وهذا لم يبق لي زيادة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سلم عليه رجل فقال السلام عليكم فقال
السلام عليكم فقال عليه السلام عشر يعني عشر حسنات وسلم عليه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله
عشرون فقال اخر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون ومنتهى السلام قوله وبركاته وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقائم على الجالس والصغير على الكبير
والقليل على الكثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم
فان بدا له ان يجلس فليجلس وان قام والقوم جلوس فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى اي التسليمة
الاولى من التسليمة الثانية ثم يكره ان يبدأ اهل الكتاب بالتسليم وان بدأوا بالسلام يرد عليهم بان يقال
عليكم لما روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتموهم
في الطريق فاضطروهم الى اضيقه ولما روي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بغيرنا فليس
منا ولا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم النصارى بالاكف وتسليم اليهود بالاشارة وعن ابي نصر
الغفاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا راكب الى اليهود فان سلموا عليكم فقولوا وعليكم وقوله تعالى
ان الله كان على كل شيء حسيبا • قيل الحسيب الشهيد وقيل الحفيظ وقيل الكافي والمقتدر يقال احسبني
هذا اي كفاني وقال الكسائي هو ماخوذ من الحساب كقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي
حاسبا كالعذيب والقادر وقوله تعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه • اي الله
تعالى اعلم لما اجرى على لسان الكفرة انه الله وانه خالق السموات والارض وانما نعبدهم ليقربونا
الى الله سميتموه الله وعلمتم انه خالق السموات والارض هو واحد لا اله غيره لا رب سواه لا شريك
له ولا ندا وان الاصنام التي تعبدونها قد تعلمون انها لا تنفعكم ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتم
عبادتها وانه ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة يوم يبعثكم وقوله تعالى ومن اصدق من الله حديثا •
اي الله علم انكم تقبلون الحديث بعضكم من بعض وان حديثكم يكون صدقا ويكون كذبا
فكيف لا تقبلون حديث الله وخبره من البعث عما اخبر في القرآن ولا يحتمل حديثه الكذب هذا
تاويله والله اعلم وقوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين • اختلف فيها قيل اختلف في قصة الاية
فقال بعضهم انها نزلت في قوم من اهل مكة هاجروا الى المدينة فاسلموا فاقاموا بها مع النبي ما
شاء الله ثم ندموا على الهجرة والاقامة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وارادوا الرجعة
الى مكة واحتوطوا المدينة فخرجوا فجعلوا يتحولون منقلة منقلة حتى تباعدوا من المدينة فلحقوا
بمكة ثم كتبوا كتابا وبعثوا مع رسول من قبلهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم به الرسول
بالمدينة فاذا في الكتاب انا على الذي فارقناك من التصديق بالله وبرسوله ولكنا اشتقنا الى ارضنا
واحتوينا المدينة ثم انهم خرجوا متوجهين الى الشام للتجارة فبلغ خبرهم الى المسلمين وهم كانوا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض ما يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا عن ديننا
وتركوا هجرتنا وظاهروا علينا عدونا اهل مكة فيقتلهم ونأخذ ما معهم يتقوى به وقال اخرون منهم

سبحان الله كيف يقتلون قوما على دينكم ان لم يرتدوا ديارهم وولادهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ساكتا لا ينهى احدا من الفريقين عما يقول حتى نزل الله فما لكم في المنافقين فئتين فبين الله تعالى امرهم
وما اصابوا عليه من النفاق وما ينبغي ان يصيروا فريقين بل يحرموا في المنافقين وقيل تخلف رجال
غزوة احد وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين فئة يقول اقتلهم وفرقة يقول
اعف عنهم فنزلت الاية فما لكم في المنافقين فئتين وقيل ان قوما كانوا يتخذون فاختصموا في اهل مكة
فقال بعضهم انهم كفار وقال اخرون انهم قد كانوا اذ باعكم وصلوا صلاتكم واجابوا دعوتكم فهم
منكم وقال بعضهم تركوا النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه واكتفوا في ذلك فنزلت الاية فما لكم
في المنافقين فئتين فلا ندري كيف كانت القصة ولكن في الاية النهي عن الاختلاف والتنازع
كانه قال والله اعلم كيف تختلفون في قوم ظهر نفاقهم وكيف لا تسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حالهم وهو بين اظهركم وهو كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية ثم ظهوره
يحتمل الخبر من الله تعالى نصا انهم منافقون ويحتمل الظهور بالاستدلال على افعالهم وقد يوقف على امر
بالاستدلال كما يوقف بالعيان وقوله تعالى اركسهم بما كسبوا • قال الكسائي فيه لغتان اركسه في امر
كذا اذا اوقعته فيه وركسته وارتكس الرجل اذا وقع فيه بنفسه ورجع اليه وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه وحفصة رضي الله عنهما والله ركسهم بما كسبوا وعن ابي بكر رضي الله عنه اركسهم اي ردهم في الضلالة
وقيل اهلكهم ثم قوله بما كسبوا يحتمل وجهين احدهما اي بما اظهروا لما في قلوبهم من النفاق لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى بما كسبت قلوبهم ويحتمل بما اكتسبوا اي كفروا وارتدوا عن
الاسلام بعد ما صح اسلامهم وقوله تعالى اتريدون ان تهدوا من اضل الله • يحتمل وجهين اتريدون
هدايتهم لا ان تخرج ان مع الفعل المستقبل بمعنى المصدر ثم المصدر قد يضاف الى الفاعل وقد يضاف
الى المفعول وقد يضاف الى المفعول والمراد ههنا الاضافة الى المفعول اي تريدون ان تهدوهم وقد اراد الله
ضلالتهم والله اعلم في الازل انهم لا يهتدون باختيارهم الكفر ويحتمل ان تريدوا ان تجعلوهم مهتدين
وقد جعلهم الله ضالين فبين انكم لا تهتدون بل على هدايتهم اذا لم يهدهم الله كقوله انك لا تهدي
من احببت ويحتمل اتريدون ان تسموهم اي تريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله تعالى ضلالتهم
ونفاقهم فيكون على هذا الوجه صلة لقوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين فيسمي بعضكم مسلمين وبعضكم
ضالين فيكون تعيير المن سماهم مهتدين وقوله تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • ظاهر وقوله
تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء • قيل هذا الذين تركوا الهجرة ورجعوا الى اهليهم بمكة
واختلف اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم حتى نزل قوله فما لكم في المنافقين فئتين ثم ان يكفروا
انتم يا اصحاب محمد عليه السلام كما كفروا حين تركوا الهجرة ورجعوا الى مكة كما فعلوا فتكونون انتم وهم في الكفر
سواء فنهاهم الله تعالى عن ولايتهم وامر بالبراءة عنهم ونهى عن الموالاة معهم بقوله فلا تتخذوا منهم اولياء
بسبب الهجرة الاولى لما نقضوا تلك الهجرة وامتنعوا عن الهجرة ثانيا ثم قوله فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله يحتمل ما ذكرنا انفا اي لا تتخذوا الاولياء ممن اظهر الموافقة للكفرة من المنافقين ويكون
بينهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي يهاجروا امر الكفر مسلمين تاركين النفاق فيكونون على موالاة الدين
الدين والميراث جميعا كانه كما لا يجوز التوارث بين اهل الاسلام والكفر لا يجوز الموالاة والمصاحبة
ويحتمل النهي عن الموالاة من كان من حقيقة ولم يهاجر بعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان المراد منه
النهي عن الموالاة في الارث لا في الدين لان الارث يبتنى على الولاية قال الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اذ لا يحتمل الولاية في الدين لانها لا تنقطع بترك الهجرة اذ هي
معصيته وكبيرة وانها لا تسقط الولاية الثابتة بالاسلام لقيام الاسلام معها عند اهل الحق والله
الموفق وذلك فيما كان نصا في الاية وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا في الارادة مطلق الكفار الا المنافقين
الذين كانوا خارج المدينة ويحتمل قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا محمولا على المنافقين الذين كانوا بالمدينة
دون المنافقين الذين خرجوا الى مكة بعد مقامهم بالمدينة فيكون قوله فلا تتخذوا منهم اولياء حتى
يهاجروا يحتمل وجهين احدهما ان يهاجروا عما هم اليه من الكفر بما في النفاق من محبة الكفار واظهار
عورات المسلمين والاسلام والاستهزاء بهم عند الخلق بشياطينهم ويكون ذلك بان يحرموا ويقطع ويترك
ذلك والثاني ان يهاجروا الاعلام المجعولة لاهل النفاق فيظهر خلاف ذلك ويترك ما هم عليه وذلك
كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم فيوفقهم لترك اعلام النفاق والاخلاص للاسلام

فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم • اى ان ابوا المهاجرة من الوجوه التى ذكرنا
فخذوهم اى اسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم اذا اصابوا ان لحربنا لنا صاحبة تركوا الهجرة وابطلوا ايمانهم
الذى يكلونه ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى مما تنجاسون العون والنصر وقوله تعالى الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق • يخرج على وجهين احدهما ان لحوق مظهرى الايمان وهم المنافقون
انهم متى لحقوا بمن لا ميثاق بينكم وبينهم ولا عهد فاقتلوهم حتى يتولوا ويهاجروا ولو لحقوا باهل
الميثاق فلا تنقضوا العهد بتعرض جوارهم وخلفائهم والمتصلين بهم والثانى ان تكون الاية
فى اهل الحرب متى انضموا الى اهل الميثاق والعهد لا تقاتلوهم ويكون نزول الاية عقيب موادعة
جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قوم فقد وادعهم على ان لا تمانع بينهم لاهل الذى لا زيادة
والاجتماع الى المدة المجعولة ممن اذا خيف منهم نبذ اليهم العهد وتجاهم المدة اذا دخلوا فى ذلك لله
اقلم وهو كقوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الاية وقوله تعالى فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم • الاية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد مشركوا مكة وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من البيت لحا رجل فقال كنا من بعض القبائل لننظر ما امر محمد وقريش فراهم قد حالوا بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين البيت فقال يا معشر قريش هلكتم اتبدون قوما عمادا صنعوا رؤوسهم على البيت
والله لا اسر بكم فهذا اصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ووادعه على ان لا يكون على رسول الله ولا
معه ومن لحا اليه فهو امن فنزلت الاية فى هذا ولا يدرى كيف كانت القصة فذلك غير انه ظاهر لا
ان من اتصل باهل العهد فكان داخلا فيهم ومن جاورهم وخالطهم فهو ممن لهم لا يتعرض لهم وقوله تعالى
او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم • يحتمل وقوله حصرت صدورهم صفة لمن
سبق ذكرهم من قوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق فيكون ذلك السابقون الذين
يصلون الى اهل العهد اذا كان من صفتهم ان تضيق صدورهم عن مقاتلة المؤمنين والكفار جميعا
ويمتنعوا عنها اما لنفار طبعهم عنها واما للوفاء بالعهد وبالنظر والتدبر فى امر النبى صلى الله عليه وسلم
ليظهر له الحق وهم مترددون فى امره اما لانهم حجبوا علماءهم الذين احتجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالكتب التى بايديهم مختلفين فيه معهم كما عقولهم واستشهادهم بمعرفة الكتب السماوية بعضهم منهم
وبعضهم لم يؤمنوا له فوقفوا فى ذلك ليتبين لهم الحق ولا يمكنهم الاحاطة بحقيقة الحق الا بعد
طول التامل والنظر وعلى هذا الوجه يكون قوله او جاءوكم عطفا وكل لا يمكن ان يجعل صفة لمن
ذكرهم والله اعلم ويحتمل ان تكون الاية فى قوم غير الذين سبق ذكرهم من الكفار وقد حصرت صدورهم
وضاقت عن القتال وابت انفسهم ايضا معونة المؤمنين على قومهم لموافقة المذهب فالذين طلبوا السلم
والصلح والعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منعنا من القتال معهم وعلى هذا وصف جميع
المعاهدين الذين عزموا على الوفاء بالعهد لانهم انما قبلوا العهد والذمة لما يقرر عليهم القتال لمن
وابت انفسهم ان يعينوا المسلمين على قومهم فلم يسلموا حقيقة ولكن سالوا لقبول العهد والله اعلم
وقوله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم • ولو شاء الله لنزع عن قلوبهم الرعب والخوف فلقاتلوكم
ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعنى طلبوا الصلح
وقيل انا على دينكم واظهروا الاسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اى حجة وسلطانا بالقتال
امر الله تعالى رسوله بالكف عن قتال هؤلاء وانما اباح قتالهم اذا وجد منهم نقض العهد وظهر لهم
بما هو علامة على ما ذكرنا بايات اخر من قوله يا اهل يثرب لا مقام لكم الى قوله ثم سئلوا الفتنة لاتوها
وقوله لئن لم ينته المنافقون الاية وقوله تعالى ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم
ويامنوا قومهم • قيل كانوا رجالا قد تكلموا بالاسلام متعوذين ليامنوا فى الاسلام اذا لقوهم ويامنوا
فى قومهم بسبب كفرهم فامر الله تعالى بقتالهم الا ان يعتزلوا عن قتال المسلمين ويلقوا اليهم السلم وقيل
ستجدون اخرين هم الذين لم يلتئم لكم ما كان بينكم وبينهم من العهد يريدون ان يامنوكم اى
يامنوا قتلكم ويامنوا منكم ولا يتعرضوا لهم ويامنوا من قومهم بكفرهم فلا يتعرضوا لهم ايضا ثم اخبر
تعالى عن حالهم وصفتهم فقال كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها يعنى الفتنة الشرك اى كلما دعوا الى الشرك
رجعوا فيه فامر الله تعالى بقتالهم اذا كانوا على هذا الوصف فقال فان لم يعتزلوكم ولم يقبلوا الصلح فان كانوا
فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
ويلقوا اليكم السلم ولم يكفوا ايديهم وقوله تعالى واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا • اى سلطانا

القتال وحجته وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ويكفوا ايديهم عن ان يقاتلوكم وفى حرف ركسوا فيها
ثم يحتمل ان ينسخ هذه الاية بقوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولان الفرض فى القتال اول ما كان فرض ان يقاتل من قاتلنا
ويدل باية ثم ان الله تعالى اباح قتل المشركين كلهم قاتلوا او لا والله اعلم وقوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا الا خطأ • والاشكال فى الاية ان الله تعالى نهى المؤمن عن القتل مطلقا واستثنى الخطأ
والاستثناء من النفى اثبات ومن التحريم اباحة وقتل الخطأ ليس بمباح بالاجماع وكيف يكون حراما كلام وكيف
هذا الاستثناء والجواب ان اهل التاويل اختلفوا فى تاويله روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لا ينبغى
لمؤمن ان يقتل مؤمنا بغير حق عمدا الا خطأ فانه لا يملكه الخاطئ ممن يقال له ذلك الاثم ليس له فى ذلك لانه
مكروه الخ ذلك لنا الفعل الا انه فاعل ذلك على التحقيق لان حقيقة الفعل ان يقع بارادته ويخرج على ما يفعل
الخاطئ لا يقع بارادته لا يخرج عليها او ان فعل حصل بغير اختياره وارادته فلا يدخل تحت التكليف
والنهى والاطلاق والاذن فعل البعض وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اى حراما على كل مؤمن ان يقتل
مؤمنا لما حرم الله تعالى كما اخبر ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولما بينهما من الاخوة فى الدين كما اخبر
انما المؤمنون اخوة وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا وبما كان نفوس من جوهر وجنسه يتألم ويتأذى بما لم يتأذى
والايلام مثله مما ينفر عنه الطبع فاخبر الله تعالى انه ما كان لمؤمن نفسه هذا ان يقتل مؤمنا الا ان يقع خطأ
فانه لا يوصف فعله بالحرمة والتعدى ولا يلحقه الاثم الذى ذكرنا على هذا الوجه الاستثناء صحيح فانه
حصل انواع القتل واستخرج نوعا من الحرمة والاستثناء استخراج البعض عن حكم الجملة ثم ثبوت حكم
ضده لان الشئ من مقتضيات الاستثناء لكن من ضرورة تعطل المحل عن ذلك الحكم وضده فى موضع
النفى يكون الاستثناء من الحظر اباحة فيما استثنى من الحظر ثبتت الاباحة ضرورة ان ذلك المحل لا
يخلو عن حظر او اباحة لا انه موجب الاستثناء وههنا استثنى قتل الخطأ عن الحظر فلم يثبت الاباحة
لان فعل الخاطئ لا يوصف بالاباحة كما لا يوصف بالحظر بمنزلة فعل الصبى والمجنون وهذا لان الاباحة
رفع الحظر والايجاب عن محل التكليف والخاطئ غير مكلف فى فعله وهذا قول بعض مشايخنا وهو قول
المعتزلة ان الخاطئ غير جائز المؤاخذة وعند مشايخنا بسمرقند وهو مذهب الشيخ رحمه الله انه جائز
المؤاخذة فلا يصح هذا التاويل على قولهم ولكن التاويل عندهم للاستثناء من وجوه احدها ان قوله
الا خطأ ليس باستثناء متصل بل هو منقطع وهو ابتداء كلام بمعنى لكن معناه وما كان لمؤمن ان
يقتل مؤمنا بغير حق البتة لكن من قتل خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وهذا علامة الاستثناء المنقطع
اعنى كون الجواب والخبر بعده فيكون كلاما تاما مستقلا وخبر والاستثناء بعض ما تكلم لا كلاما
تاما مستقلا بنفسه وهو كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما يعنى لا يسمعون فيها
لغوا البتة لكن الذى يسمعون سلاما والثانى الا خطأ اى الا ان لا يعلم انه مؤمن وقد كان عرفه
كافرا قبل ذلك فقتله بما ورد من الشرع من الاذن بالقتال فى حق الكفرة وقيل حيوان الكفرة بما سبق من
ظهور كفرهم وان احتمل انما نهيه عما بين المؤمنين معناه حراما عليكم قتل المؤمنين الا من هذا الصنف
اى عرفناكم انتم وجد منه الاسلام ولم يظهر للمسلمين ذلك الشئ ايام لهم الاقدام على قتل الكفرة وان كان
منهم من اسلم ولا علم لهم به فيكون على هذا التاويل الاستثناء من الحظر اباحة والثالث قيل الا بمعنى
ولا كانه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا لا عمدا ولا خطأ ثم بين حكم قتل العمد فى ايات اخر والرابع
يحتمل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا قط بعد ما سبق من الله تعالى بيانه فى غيرها من القران نحو قوله
كتب عليكم القصاص فى القتلى وقوله وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس وقوله ومن قتل مظلوما الا
خطأ فانه لم يسبق منه الحكم فى القران الا فى هذه الاية وقال بعض اهل التاويل ليست الاية فى باب حرمة
القتل حتى يكون استثناء الخطأ يقتضى الاباحة لكن الاية نزلت فى اثبات المؤاخذة واللائمة والسمة
فى القتل الا عند الخطأ فالاستثناء من الاثبات نفى وبه نقول ان المؤاخذة موضوعة فى الخطأ واللائمة
والتعيير موضوع وبيان ذلك ان فى الاية اضمارا معناه وما كان للسعة والمؤاخذة متروك ان يقتل
مؤمنا الا خطأ ثم هذا يخرج على وجهين احدهما ما قاله ابو بكر الملقب بالاصم وما كان القصاص
متروك المؤمن ان يقتل مؤمنا ولا مشروعا الا ان يقتل خطأ فان القصاص متروك له لكن
هذا التاويل بظاهره فاسد لانه يقتضى ان لا يكون العفو مشروعا لما فيه من ترك القصاص ومعلوم
انه امر مرغوب فيه حتى عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى العفو الى اخذ الدية ثم ما

نفسه ذلك الناذر له في الفضل من عند ذلك وايد ذلك قوله فمن تصدق به فهو كفارة له وقال الغزنوي له
من اخيه شيء الا ان يحمل على الوجوب فحينئذ يكون صحيحا معناه وما كان وجوب القصاص متروك
لمؤمن ان يقتل مؤمنا اي لا يرفع ايجاب القصاص عن من قتل مؤمنا الا من قتل مؤمنا خطاء فانه رفع
عنه ايجاب القصاص والثاني وما كان التوبيخ والتعيير والتانيب والملامة بمتروك للمؤمن ان يقتل
مؤمنا من الناس كلهم لما وجد منه من تعدي حد الله تعالى والاقدام على مثل هذا الصنيع السوء والفعل
القبيح باخيه وقتله دينا وجوهرا ولا بمتروك له من الناس معونة ولي القتيل والنصرة له ليتمكن من
استيفاء القصاص كما ان قتل شخص واحد سبب قتل العالم كما اخبر تعالى بقوله فكانما قتل الناس
جميعا فحق ذلك على الناس ان يظهروا التنكير على القاتل ويقدموا على تعييره والملامة عليه وان يعينوا
بالنصرة والمعونة لولي القتيل لما في ذلك احياؤهم جميعا الا ان يكون القتل خطا فليس لهم ان يكفوا
بشيء مما ذكرنا بل الواجب عليهم ان يقوموا بالشفاعة الى ولي القتيل حتى لا يقدم على تعييره ويعفوا عنه
من الذي يحسن عليه نسبه وان يشاركوه في تحمل ما لزمه من الدية معونة وكذلك حمل امر العقل على العاقلة
لابقاء الالفة ودفع الضغينة فيما بين الاقارب ولدفع الالم والتاذي عن نفسه بما يحصل من قتل من يلزم
الذي هو مصيبة عظيمة في حقه يحمل ثقيل من المال على ما يذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى ثم الخطاء المذكور
في الاية على وجهين خطاء نفس وخطاء دين فالاول هو ان يقصد الى فعل لغرض له في ذلك فيرجع الى
من معاينه او ضعف من اوصافه فيوجه اليه سهم فيصيب غير ذلك الشخص الذي هو محله او اصابه
ولكنه غير الشخص الذي ظنه فاذا ظن ان الذي هو محله كافر حربي فاذا هو مسلم او ذمي حقيقة
فاصاب مسلما والثاني ان يعرفه مشركا من قبل حلال الدم فقصده على ما عرفه من قبل وهو الحال
مسلم وكان لو فعله في الخطاء فهو قصده الى دينه فاما الخطاء في الجملة قد يكون ضد القصد وهو
ما ذكرنا وقد يكون ضد الصواب وهو العمد والسهو اذا كان عن صواب فلهذا سميت الكبائر خطايا
لانها عن صواب ولكن المراد بالاية ما ذكرنا دون هذا الذي لكمه بمقابلته في اخر الاية وقوله تعالى ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله • اي فعليه تحرير رقبة مؤمنة اوجب على
القتل الخطا مطلقا فلم يذكر ان المراد منه القاتل المؤمن او الكافر فاطلاق الاية يقتضي وجوب
الكفارة على الكافر كالدية سواء لكن نقول المراد منه المسلم دون الكافر لوجوه احدها ان صدر الاية
ورد في المؤمن قال تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ثم فسر حكم ذلك القتل عند الوقوع بقوله
ومن قتل مؤمنا خطأ فينصرف الى المذكور في صدر الاية والثاني انه قال في اخر الاية توبة من الله جعل
الكفارة توبة والتوبة بطريق التحرير والصيام تكون للمؤمن لا لغيره لان توبة الكافر بالايمان وبدون
الايمان لا يصح من الكافر توبة عن ذنب والثالث ان الاعتاق عبادة فان الصوم الذي هو بدله يكون عبادة
والكافر ليس من اهل العبادة والرابع ان الكفار لا يخاطبون بالشرائع لما عرف فلم يكن الكافر مرادا
بالاية ثم اختلفوا في تفسير المؤمنة قال بعضهم لا يجزئ الا من صام وصلى وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال الرقبة المؤمنة كل من ولد في الاسلام صغيرا كان او كبيرا وهذا اشبه ثم جعل الكفارة تحرير رقبة
مؤمنة في كفارة القتل وجعل في كفارة الظهار واليمين مطلق الرقبة فجعلها الشافعي رضي الله عنه
اصلا في غيره من الكفارات حتى شرط وصف الايمان في الكل وعلينا نحن ان المطلق يجري على اطلاقه
والمقيد يجري على قيده لوجهين احدهما ان الايمان صار شرطا في كفارة القتل بالنص غير معقول
المعنى فلا يكون شرطا في كفارة اليمين والظهار لانهما حادثتان مختلفتان وان كانا من جنس الكفارة
واحدا الا يرى ان الطعام لا مدخل له في كفارة القتل وله مدخل في كفارة الظهار وكذلك
يخير في كفارة اليمين بين التحرير والاطعام والكسوة ولا يخير في كفارة الظهار لانهما حادثتين
مختلفتين والحكم اعني شرط الايمان ثبت غير معقول المعنى لا يحتمل التعدية عن المنصوص الى غيره
اما لو كانت الحادثة واحدة ورد فيها نصان مقيد ومطلق في الحكم وهو من باب الواجبات فان المطلق
يعتبر ان كان لا يعرف التاريخ لان الشرع متى اوجب الحكم بوصف لا بد من اعتبار الوصف فيكون بيانا
للمطلق ان المراد منه المقيد فيجعل المقيد متاخرا لما فيه من تقليل النسخ وهو الاحتياط وفي الوصف فوائد
نسخ الاصل والوصف ثم اذا عرف التاريخ فانه يكون الاخير ناسخا على قول من جعل التقييد نسخا وعلى قول
من يجعله بيانا ان المطلق يقدم المقيد او تاخر وان كان في باب الاسباب والشروط فانه لا يحمل المطلق على المقيد
لكن نعمل بهما لانه يمكننا ان يكون المطلق والمقيد كلاهما سببا او شرطا فلا تنافي بينهما في الحكم بخلاف [illegible]

فلهذا افترقا وبيانا ان شرط الايمان ثبت بالنص غير معقول المعنى ان الله تعالى ذكر انواع القتل وهو
قتل المؤمن مطلقا وقتل المؤمن الذي هو عدو لنا دارا وقتل الكافر المعاهد وبين الكفارة في كل
نوع ولو كان ذلك مما يحتمل الدرك بالتدبر في المقايسة لكان ترك الذكر في نوع ليتفهم حكمه بالذكر
في نوع اخر ولكان اقرب من التنصيص في القتل وترك التنصيص في غير نوع القتل وهو اليمين والظهار
ليكون حكم ذلك ملحوظا منه بالقياس فلما ذكر في كل نوع من القتل الكفارة ولم يكتف بذكره
في نوع واحد علمنا ان الرجوع في هذا الباب الى النص وانه مما لا يدرك بالقياس وصار هذا كشرط التتابع
في باب الكفارات لا يكون شرطا في باب القضاء ونحوه لما انه غير معقول فيكون مقصورا على المنصوص
عليه كذلك هذا والثاني ان الكفارة لم يجب في القتل لكان القتل غير الحقه حيث ذكر الكفارة
في كل نوع من القتل فلو كان بمقابلة القتيل لكان ذكرها في نوع كافيا لعدم التفاوت في ذلك فدل انها
تجب بالجناية على الدين بما على القاتل بحكم دينه واعتقاده من الحق ان يحفظ حرمة من قصد قتله لدينه
الاسلام او لعهده فيبقى بسبب القتل تحمل تلك الحرمة كالقائم تقديرا وتجعل كان الجناية على الدين
لم يكن وهذا المعنى يختلف في الجملة فحرمة المسلم المطلق والذي هو عدو دارا والكافر المعاهد بما لا يعرف
المساواة بالظهار وما ورد في القتل فلا معنى لاستعمال القتل لاستخراج المعنى والحكمة فيما لا مدخل
فيه ثم يحتمل ان يقال في الظهار انما لم يجعل الطعام بدلا عن الصوم لان فيه للمراة حق في الاستمتاع والاحبا
من جهتها والمراة تبقى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة وكان العدول التاخير الى القدرة على الصيام
او القدرة على الاعتاق اضرارا بها فنقل الشرع من الصيام الى الاطعام نظرا لها ومثل لم يكن في باب القتل
واما النقل في باب الافطار من الصيام الى الطعام فمن قبيل القياس لان اصل الصوم مما يحتمل الطعام
عوضا عنه عرف بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فلما دخل الطعام في اصله فلا
يجعل عوضا عند التعدي نحو النفقة مع وجود اهل الكافر من جنسه وهو القضاء او الخلاف
القتل والله اعلم فان قيل كيف يجب الصوم والتحرير بطريق التكفير وانه يستدعي تمام الذنب ولا ذنب
في الخطاء لما ورد من قوله [illegible] بطريق التكفير بقوله توبة من الله والتوبة في موضع
وجدت المواخذة والذنب قيل في حل هذه الشبهة من وجهين احدهما ان الخطاء على الاطلاق [illegible] رفع
المواخذة بل يجب التحرير والصوم عند عدمه لا يجب بطريق التكفير وانما يجب باحد طريقين اما بطريق
الشكر لان الله تعالى لما رفع المواخذة في الخطاء مع ان جانب المواخذة في الحكمة لما وضع الخاطئ في الجملة
حفظ نفسه عن الوقوع وسلم في الدنيا عن الاثم [illegible] وهو الحياة كان هذا من اعظم النعم فكان وجوب الشكر
لهذه النعمة موافقا للعقل فبين الله تعالى مقدار الشكر وجنسه بهذه الاية ليعتمد العبد على اداء ما وجب
عليه من اصل الشكر فيقتضيه العقل واما بطريق الزجر عن العود الى مثل هذا التغافل لحفظ نفسه
عن الوقوع في مثله مع التمكن في الجملة احتياطا في باب الدماء وكذلك يجوز القول بمثله في باب الحنث
خطا لعظم الحرمة اسماء الله وصفاته واما بطريق الجبر لما امر ان عليه حفظ دينه عما يقع فيه من تضييع
الذي يلزمه باثار الشيطان او لفرط غفلة ونحو ذلك لما لزم حينئذ ما ذكر في التحري بلا الصوم
ان لم يعلم ولا اثم عليه في ذلك لا يجعل كان لم يكن وقد يجوز ان يقع النقصان في ذي الحرمات من وجه وان
لا اثم لحقه فيه كالخلوق المحض فيتسبب الاذى لا اثم فيه ثم هذا يجب الفدية جبرا للنقص
المتمكن في احرام الحج بسببه لتجعل كالعدم حكما وكما في سجود السهو يجب جبرا للنقصان وان كان
لا اثم فيه لكان النسيان وعلى هذا يجوز نقصان العبادة اصلا مع الخطاء مثل الاكل خطاء في الصوم
والصلاة فاذن يجوز ان يكون النقصان فيها ولى ان يجب جبرا للنقصان لا تكفيرا وتوبة واما قوله توبة
من الله تعالى فعلى هذا التاويل نحو له ادبه والله اعلم بحقيقة فعل التوبة من الله تعالى وهو التجاوز
عن الخطاء مع انه جائز المواخذة في نفسها يقال تاب الله على فلان اي تجاوز عن سيئاته وعفى عنه
فضلا مع حق المواخذة عدلا لا ان التحرير توبة وتكفير وكذا في فعل الخطاء [illegible] ثم ولله تعالى
مواخذة عليه بطريق العدل الا انه بالجهد والتكلف يمكنه الاتقاء والاحتراز قليلا [illegible]
تعبدنا بقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ولو لم يكن جائز المواخذة كانت المواخذة منه
جورا في الحكمة فيصير الدعاء في التقدير ربنا لا تجر علينا وهو محال فعلى هذا يكون التحرير تكفيرا
وهو يحقق التوبة من العبد عن القتل بطريق الخطاء بمنزلة التوبة حقيقة وهي الندم على ما فات والعزم
على ترك مثله في المستقبل مع الخوف من الله تعالى اذ لا تقبل توبته لما لعله ثابت بالندم على الوجه المذكور.

فلا يجوز القول بالقطع على القبول مع الاحتمال في اتيان التوبة الا ان الخطأ لما كان معفوا في الجملة وجاز ان العفو عن هذا النوع جعلت التوبة عنه هو التحرير والصوم دون التوبة المعروفة لحقه هذا الذنب بسبب الخطأ فيكون التحرير في هذا بمنزلة التوبة في سائر الزلات الا انه مع هذا نسبت التوبة الى الله تعالى بقوله توبة من الله لوجهين احدهما ان هذا النوع من التوبة حصل من العبد بتوفيق الله تعالى اياه على اكتسابها تعبدا اذ كان التخليق منه ايضا فلهذا نسبت الى الله تعالى وان كانت التوبة من العبد والثاني قوله توبة من الله اي قبول التحرير بحق التوبة من الله تعالى فيسمى توابا لكونه قابل التوبة ويقال تاب الله على العبد اذا قبل توبته والله الموفق قوله تعالى ودية مسلمة الى اهله • اي على القاتل دية مسلمة الى اهله لانه عطف الدية على التحرير وذلك على القاتل فعلى هذا يكون الدية عليه لان المعطوف يشارك المعطوف عليه في خبره وهذه الآية دلت على ان الدية يجب على القاتل ابتداء وانما يتحمل العاقلة عنه بطريق التعاون خلافا لما قاله بعض مشايخنا انه يجب على الكل ابتداء والخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر العقل الذي توارثته الامة الى وقتنا هذا بل الامم كلها لانه كان قد ظهر في الرسل السالفة صلوات الله عليهم بلغ ذلك بحق التواتر من المؤمنين لهم والمنكرين لهم كان بحق التعاون والتحمل عن القاتل وكذلك قال اصحابنا في الذين لا عاقلة لهم تجب الدية في اموالهم ولذلك قالوا اذا ثبت وجوب الدية باقرار القاتل فانه يختص به ولا يحمله العاقلة الا بالبينة والله اعلم يقرر ما قلنا ان القصاص الذي هو موجبه حالة العمد يكون على القاتل فكذا الدية اذ كل منهما يجب باتلاف النفس المعصومة والاتلاف وجد من القاتل والله اعلم فان قيل ما معنى تحمل العاقلة الدية دون القصاص قيل ان القصاص شرع لحكمة الحياة على ما نص الله تعالى عليه بقوله ولكم في القصاص حياة وكذلك العقل يقتضي شرع القصاص فينزجر الناس به خوفا على انفسهم (?) على القتل فيسلم لهم الحياة التي هي الذ الاشياء اذ بها كمال اللذات كلها وكذا (?) القصاص ليس بمقابلة القتيل اذ القتيل لا ينتفع بنفس القصاص وانما نفعه في شرعه ان ينتهي القاصد اياه عن قتله اشفاقا على نفسه من القصاص فيكون النفع فيه هو معنى الزجر والردع وهذا المعنى لا يختص به القتيل فلم يكن القتيل احق من غيره فلا يجعل حقا له ولذلك فان استيفاء القصاص معنى الحياة ايضا فان قيل العمد يتولد منه المضاغنة والعداوة التي لديها تسفك الدماء على حق تحصين الدماء لان القبائل في حق ذلك يتناصر كل قبيلة عن اهلها (?) وان ذلك امر طبيعي لما في ذلك التعصب لكل واحد من اهل القبيلة حمية (?) معقول لان المنعة تمنع قصد كل قاصد والمنفرد (?) ووجد التعرض من اهل قبيلة على اهل قبيلة اخرى على طريق التعمد والقصد لا بد من طلب الذحل والثار منهم صيانة للقبيلة عن قصد مثله وذلك بان يكافوهم اما القاتل واحد من اهل تلك القبيلة فيصير كل خائفا على نفسه لدفع ذلك عن نفسه فيقع التشاجر بينهم ويهيج الفتنة وعند استيفاء القصاص يسكن الضغينة لوجود التكافؤ والتساوي بينهم فيبقى الحياة لكل واحد من القبيلتين لسكون الفتنة وبقاء الحياة في معنى ابتداء الحياة قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا واذا ثبت هذا فنقول بان هذا النوع من الحياة لا يحصل بقتل القاتل وشرع القصاص في حق القاتل فلا بد من وجوب القصاص عليه ووجوب القصاص عليه وحده يتحقق حكمة الحياة فلا معنى لشرع القتل في حق العاقلة مع شرع القصاص في حق القاتل فيكون فيه تفويت الحياة حقيقة بدون ان يكون فيه وسيلة الى تحقيق حياة اصلا بخلاف شرع القصاص في حق القاتل فاما وجوب المال ليس لتحقيق الحياة معنى فان الناس قلما يمتنعون عن قتل الاعداء خوفا عن وجوب هذا القدر من المال بل في طبيعة الانسان بذل جميع ماله لاشتفاء صدره بقتل عدوه اذ لا لذة للمرء مع الاعداء في الدنيا فكذلك بذل الدية في قتل العمد مما لا يسكن به الفتنة لان العشائر على ما عليه الجبلة السليمة والطبيعة المستقيمة مما لا يرضون بالمال عوضا عن دمهم لما في ذلك نسبتهم الى الخساسة والدناءة حيث قنعوا بالمال وتركوا طلب الثار ولان في ذلك نوع الفناء عليهم بقصد كل قاصد اياهم والارضاء بالمال وانما يميل البعض الى المصالحة بالمال في بعض الاحوال لمانع لهم عن درك الثار او لشدة حاجة لهم الى المال واحكام الشرع لا ينبني على عادات بعض الناس وعلى النوادر من الاحوال وكذلك قلنا ان المال لا يصلح مزاحما للقصاص في قتل العمد وانما يصار اليه عند التراضي وعند العجز عن استيفاء القصاص لان الظاهر هو سكون الفتنة عند التراضي

فاما اخذ المال من القاتل كرها فليس بمشروع لان الظاهر ان الفتنة لا يسكن بدفع المال ولهذا لو دفع القاتل المال لا يبطل حق استيفاء القصاص ولهذا ايضا القاتل لو دفع المال لما كان (?) على نفسه القتل منهم نجاة او على سبيل الحمية فيتلف نفسه (?) القاتل (?) جنايته التي هي اعظم الاشياء (?) واما يجب المال في قتل الخطأ لا لمعنى الاحياء فان الظاهر انه لا يهيج الفتنة ولا يتولد من القتل الخطأ المضاغنة والعداوة بين الاولياء لما يعلم كل احد من سببه الخطأ وانما المال لم يجب بمعنى الاحياء لم يختص وجوبه على من يجب عليه القصاص وانما يجب المال للقتيل (?) في الحياة فلو يجب على القاتل لما وجب على العاقلة لا يتحمل عنه بطريق الشركة لان في ذلك (?) القاتل فيكون لهم معونة (?) ويحصل لهم الشرف والعز اذ ذاك بكثرة الاحوال وانه يكثر سوادهم (?) فيه من الشرف والنباهة بالقيام بالاحسان في البرية الى الاولياء واظهار الحمية والنصرة واكتساب الحمد والثناء فلذلك فرقنا فيما كان يقع بالمال للحياة يسكن الفتنة عند التراضي وكذا في قتل الخطأ لما في القتل بسبب الحادثة من بعض الاولياء (?) على اهله بالخطأ لا يعتقد خطأه بطريق الحقيقة فيما صح وقوع الشر والعداوة التي تولدها الفتنة فجعل الله تعالى منه فضله المال للاولياء تقدير ما يطيب به انفسهم ويسكن الضغائن (?) بينهم لكن المال يسكن الفتنة (?) المال اليهم من جهة القاتل وحده (?) بالوصول من العاقلة وحدهم ايضا فتحصل الشركة في الاداء وهذا اولى لما فيه من حصول الشركة في الاداء وهذا اولى لما فيه من حصول المقصود من غير اجحاف بالبعض فيما لا يحصل له من النفع ببقاء القاتل حيا فلذلك ثبت التحمل على الشركة والله اعلم ثم الاصل في الاحكام انما ثبت فيها عند القيام (?) يرجع الى ذات بها خاصية فاختصوا بما وجب بدلا عن الفائت فاما الانفس جميع بعضها الى العشائر والتصدي عما يقوم العناصر من الذب بالكل كانهم شخص واحد فعلى ذلك الجهة فعاقلة الانفس عند الفوات يكون لهم وعليهم على الاولياء (?) من ان يوجب الدية فاما (?) على طريق الاتلاف من غير سبب سبق منهم ان الخلق والامر كان لوجب بالسبب الذي قلت من حصول النفع لهم ببقاء نفس القاتل وبما في ذلك من (?) وتلافي ذلك من القيام بالاحسان اولى ولو ان قيل اذا تعدد القصاص او الكفارة بتعدد القاتلين ولا يتحد باتحاد المقتول الدية لا يتعدد بتعدد القاتلين باتحاد المحل قيل اما الكفارة فلذلك انها لا تجب باعتبار القتل وانما يجب بالجناية على الدين وكل واحد منهم جنى على دينه بتضييع ما يجب عليه حفظه حقا للدين فلا بد من تعدد الجناية او الكفارة والشكر بتعدد النعمة واما الدية انما يجب باعتبار المحل جبرا للفائت والفائت متحد فيتحد الجابر وعلى هذا قلنا في المحرمين يقتلون صيدا انه يجب على كل واحد منهم الجزاء لان كل واحد منهم جنى على احرامه بنفسه لا اتصال لاحرامه باحرام صاحبه والجزاء وجب بالجناية على الاحرام فتعدد بتعدد الجناية على الاحرام والله اعلم واما القصاص فانما يتعدد لانه وجب لتحقيق الحياة من حيث الشرع ولان القتل في الغالب بطريق التعاون والاجتماع (?) بالكل فلو وجب به يوجد (?) فلو لم يشرع القصاص بطريق التعدد لبطل معنى الاحياء في اكثر احوال الحاجة الكبرى بل بطل اصلا لان كل من قصد قتل عدوه يستعين بغيره حتى يحصل له ما يحبه ويامن فيه تلف نفسه بسقوط القصاص عند الاجتماع وهذا فاسد ولهذا من حيث الاستيفاء فلان الفتنة لم يسكن الا بقتل البعض مع مشاهدة بعض القتلة فاما الدية انما يجب في الخطأ ثم لا حاجة الصعبة وتسكين الفتنة لا بعدها منها من حيث الغالب لكون الخطأ عذرا عند العقلاء وفي العمد عند التراضي لكون ذلك تحصيل الحقد والترة فما دونها ايضا فلا معنى للتعدد والله اعلم ولان القصاص انما يجب بمقابلة تفويت الحياة وذلك مما لا يتجزى فلا يتجزى المجعول فيجب على كل واحد منهم بطريق الكمال واما الدية فيجب بمقابلة الجسم الفائت وهو يتجزى الا ترى انه يجب الدية باتلاف العينين واليدين على الانفراد وكذلك يتلف النفس بجميع اجزائها لا يجب الا دية واحدة فدل انها لم يكن بمقابلة تفويت الحياة والجسم واحد فلهذا وقع الفرق بينهما ولان الدية تجب على الجاني وهو العاقلة تخفيفا عند وجود العذر من القاتل فلو تعددت وجوب الدية يؤدي الى الاضرار بالعاقلة بان كانوا عاقلة القتلة كلهم ويؤدي الى انه لا يمكن شرع الدية على العاقلة لان احد كل من القتلة بالدية تغلظ عليه فلما جاز التغليظ على الجاني امتنع القول بالتحمل عنه بخلاف القصاص فانه لا يجب الا على الجاني والجاني يستحق التغليظ والله اعلم وقوله تعالى ودية مسلمة الى اهله لكن حكم

قيل يا قاتله ويرثه وفي الأصل ينبغي ان تكون الدية حقا للمقتول فيقضى منه ديونه ومتروكه عنه لهذا
لو كانت للقتيل وصايا او عليه دين كان ينفذ منها فدخلت تحت قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون الاية فيكون الدية لهم لكونها من جملة تركته فهم الذين يستحقون تركته فهم الذين يستحقون
تركته بعد وفاته واهل المرء من ينتفع به ويتأهل به في حال الحياة ومن اهل الرجل من كان مختصا به
بانتفاعه به فلما كان اسم الاهل غير ممتنع استعماله على الزوجة على كل حال يجب دخول الزوجة في
استحقاق الدية لم يدخل غيرها في الدية بطريق الاستبداد الا على طريق الاولى لقوة القرابة في حقهم وقد
روي عنه انه ورث امرأة من زوج المقتول بحديث مرفوع وهو ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ورث امرأة
اشيم من دية زوجها اشيم وان كانت الدية لاهل العصبة من قبل وقوله تعالى الا ان يصدقوا اي الا
ان يتصدقوا حقهم في الدنيا من الدية لا من التحرير لانه لا حق لهم في التحرير لانه من حق العباد حتى يحتمل التصدق
منه والعفو فاما الدية فحق الاولياء فيكون لهم ان يعفوا عن القاتل فيتصدقوا عليه وهو كقوله تعالى
في القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن الاية عن ابن
عباس رضي الله عنهما هو الرجل يسلم في دار الحرب وقومه كفار فيقتله مؤمن خطأ فتحرير رقبة ولكن ليس
دية وعنه ايضا هو الرجل الذي كان يسلم ثم يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع الى قومه فيقيم فيهم
ثم يظهر عليهم الجيش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب فانزل الله تعالى الاية ثم في الاية دلالة ان الايمان
هو التصديق دون سائر الشرائع لانه جمع بين المؤمن يحتمل ان يكون متمسكا بالشرائع وبين الذي
لا يحتمل منه سوى نفس الايمان وهو المؤمن الذي في دار الحرب بما في العقل دليله ولا يعلم بالعقل
سوى التوحيد والصفات اما انه لا يعلم به الشرائع وانما يعلم الشرائع بالسمع ولم يبلغه وقوله تعالى
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق قيل هو المعاهد وهو الذمي والمستأمن وكذلك روي عن عمر
رضي الله عنه انه قال في دية اهل الكتاب بمثل دية المسلم وهو حجة اصحابنا على الشافعي رضي الله عنهم
حيث قال بالتفاوت بين الديات والله تعالى اطلق القول بالدية في جميع انواع القتل من غير فصل
وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ظاهر وعليه اجماع السلف انه لا يجوز الا متتابعا
وقوله تعالى توبة من الله قيل بيانا منه لله وقد يسمى الرجل على فعله بفعله خطأ لكن في ضمنا على
حقيقة التوبة تسميتها على ما ذكرنا من الوجوه وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها والمعتزلة تعلقوا بهذه الاية في الخلود في صاحب الكبيرة فانه جعل النار بطريق الخلود
جزاء قتل العمد وهو كبيرة لكنا نقول لما ذكر في بعض القصة انه نزلت في رجل قتل اخاه عمدا فلما علم انه يقتل
به ارتد عن الاسلام ولحق بدار الحرب فنزل الوعيد فيه فكان منها ما من جنسها للفظ وان الخاص
وهو القاتل المرتد لا يعم في قتل المؤمن به نقول ولئن كان مطلقا عاما فهو على التأويل فانه يحتمل قوله
متعمدا اي متعمدا مؤمنا متعمدا لايمانه ومن قتل مؤمنا لكونه مؤمنا يكفر فكان الخلود جزاء الكفر لا جزاء
الكبيرة ثم نقول فوجب ظاهر الاية ان جزاء قاتل العمد هو النار لو هذا عدل من الله تعالى الا ان له ان
عليه بالعفو والتجاوز فانه لم يكن الحسنة تقابل بل فاذا كانت الحسنات تقابل بالفضل الله سبحانه وتعالى
بفضله كما قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والله الموفق وقوله تعالى وغضب الله عليه
قيل غضب الله هو الانتقام وقيل ارادة العقوبة وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
فتبينوا اختلف في سبب نزول هذه الاية قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى قوم فهرب القوم
رجل للاسلام فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من العدو فلما عرف انهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتبعهم الخيل ثم قام دونها فسمع التكبير فسطا اليهم وهو يقول لا اله الا الله فاتاه رجل
من السرية فقتله واستاق غنمه وما معه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
القصة فقال عليه السلام اقتلتموه ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله فقال انه قال لو انه قال
ذلك متعوذا فقال هلا شققت عن قلبه فنزل قوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فلقيهم رجل من اهل
الحرب فسلم وحياهم بتحية المسلمين فحمل عليه رجل من السرية فقتله فلامه اصحابه وقالوا قتلته
بعد تحية الاسلام فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه بالذي صنع فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتلته بعدما قال اني مسلم قال انما قاله متعوذا فقال هلا شققت عن قلبه
لتعلم ذلك فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله الاية قال الشيخ رحمه الله ولا ندري

فيمن نزلت الاية لكن معلوم ان فيها الامر بالتثبت عند الشبهة والنهي عن الاقدام عندها في الواجب
على الواجب على كل احد التوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر ولهذا كرر واعاد تاكيدا بقوله من الله
عليكم فتبينوا وهو موافق لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن وقاف وزان وقاف يقف
عند الشبهة وزان يزن الاعمال فيختار افضلها وقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا
وهذه الاية حجة على المعتزلة في صاحب الكبيرة انه مؤمن وهم يقولون ليس بمؤمن وهو يقول اني مسلم فصاروا
مخالفين للاية وقوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا قيل الغنيمة وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة
قيل ثواب كبير عظيم وجزاء كثير في الاخرة ويحتمل اي يعطيكم مغانم في غير هذا الحرب لقوله وعدكم الله
مغانم كثيرة وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم من المشركين فمن الله عليكم باظهار الاسلام وقيل
كذلك كنتم من قبل كفارا ضلالا فمن عليكم بالاسلام وهداكم له وقيل كذلك كنتم من قبل تأمنون في
قومكم من المؤمنين ولا تخافون منهم فمن الله عليكم فتبينوا ان تقتلوا مؤمنا وقوله تعالى ان الله كان
بما تعملون خبيرا ظاهر وقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في
سبيل الله باموالهم وانفسهم قال الحسن رضي الله عنه كان نزول هذه الاية في الوقت الذي كان
الجهاد تطوعا لانه لو كان الجهاد فرضا لكان لا معنى لقوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي
الضرر والمجاهدون لان تارك الفرض يحلف في اثباته لا يقال انه لا يستوي الذي اتى بالفرض ومحصله
ولذا لا تفضيل المحصل على المفوت بل يلحق الوعيد بالتارك ويعذب الا ان يتوب عنه لارتكابه العظيم قال الشيخ
رحمه الله نفي التساوي بين تارك الجهاد والمحصل وتفضيل المجاهد على القاعد لا يدل على ان الجهاد ما كان فرضا
في ذلك الوقت الا ترى الى قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نفى المساواة بين المؤمن
والفاسق حيث انه لا مشابهة بينهما والايمان واجب فرض والكفر حرام وقال ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والعلم في كثير من الاشياء فرض والجهل حرام وقد نفى المساواة
بينهما فدل ان نفي الاستواء بين الشيئين لا يدل على نفي الفرضية على احدهما على ان نفي الاستواء لما
بين المتطوع وتاركه لما انه اتى بالخير فلذلك هو مثاب فلم يستويا في الفضيلة لوجود الخير من احدهما دون
الاخر فلان يجوز نفي الاستواء بين محصل الفرض وتاركه اولى لان اداء الفرض في كونه خيرا فوق النفل
وتارك الفرض في كونه تاركا للخير فوق تارك النفل لان ترك الفرض حرام عليه وترك النفل لا فكان القول
بنفي الاستواء بينهما اولى ويحتمل انه انما الحق الاثم بتاركه لانه فرض كفاية عندنا لا فرض عين وتارك
فرض العين يأثم دون تارك فرض الكفاية وقوله تعالى غير اولي الضرر قال ابو بكر الكيساني الضرر هو ضد
الضمير والضرير هو الاعمى وقال غيره اولي الضرر هنا الاعذار الذين يحبسهم الضر بسبب الخروج الى الجهاد
وقد اجمل اهل الضرر ههنا وفسر في اية اخرى وان الله وضع عنهم فرض الجهاد وهي قوله تعالى ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج الاية ولان الامة اجمعت على ان الجهاد موضوع عمن له عذر يمنعه الضرر بالخروج ثم قوله
غير اولي الضرر قرئ بالرفع وبالنصب فمن قرأ بالرفع يكون صفة كقولك
علي درهم غير دانق اي علي درهم مغاير للدانق فيلزمه درهم كامل فكان معنى الاية لا يستوي القاعدون
لا لاهل الاعذار يعني الاصحاء القاعدين عن الخروج ومن قرأه بالنصب يكون على طريق الاستثناء كقولهم
لفلان علي درهم غير دانق يلزمه خمسة دوانيق فيكون ظاهر الاية تناول جميع القاعدين ثم بقوله غير اولي
الضرر اخرج اصحاب الاعذار من الجملة وان كان في الحقيقة بيانا انه غير داخل والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله
انه قال لما ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين ونفى المساواة بينهما بقوله لا يستوي القاعدون
من المؤمنين اتاه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على
القاعدين وحالنا ما ترى ونحن نشتهي الجهاد فنزل غير اولي الضرر وقوله تعالى وفضل الله المجاهدين
على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه
ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما قال بعضهم اراد بصدر الاية تفضيل المجاهدين على القاعدين
الذين لهم العذر ثم اراد بقوله وفضل المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما تفضيل المجاهدين على القاعدين
الذين لا عذر لهم الا ترى انه ذكر في صدر الاية درجة وفي الاخر درجات فجعل فضل المجاهدين على القاعد
المعذور بدرجة واشركه في الاخر بقوله وكلا وعد الله الحسنى وتارك الجهاد من غير عذر لا يشارك
المجاهد في ثواب الجهاد اصلا وجعل فضل المجاهد على القاعد بدرجات قال الشيخ رحمه الله المراد والله اعلم

هو تفضيل المجاهد على القاعد القادر على الجهاد دون المعذور في صدر الآية وآخرها لأن المعذور يستوي
في الأجر مع الذي خرج إلى الجهاد إذا كان يتمنى أنه لو كان قادرا لخرج ويعزم على الخروج إن قدر قال الله تعالى ومن
يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله يقرر ما قلنا أنه استثنى
أولي الضرر من قوله لا يستوي القاعدون فظاهر الآية نفي الاستواء بين القاعدين والمجاهدين ثم استثنى
المعذورين من القاعدين والاستثناء من النفي إثبات فيكون في الآية إثبات الاستواء
بين المجاهدين والقاعدين المعذورين ويتقوى ما قلنا أنه ذكر درجة في صدر الآية والدرجات في آخرها وكلا اللفظين
في المعنى سواء قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة ولا يراد بها شيء واحد بل أشياء وقوله وكلا وعد الله
الحسنى يعني وعد الجنة للمؤمنين بسبب الإيمان لا بالجهاد لأن الدخول في الجنة بالإيمان ثم الدرجات
بالأعمال إلا أنه كرر للتفضيل للتأكيد والترغيب في أمر الجهاد والله أعلم ثم في الآية دلالة أن الجهاد فرض
كفاية حيث يسقط عن البعض بقيام البعض وإن كان الخطاب يعم الكل بقوله وقاتلوا في سبيل الله كما
فضل المجاهدين على القاعدين القادرين على الخروج وما ألحق الإثم بهم ولو كان فرض عين لأثم القادر بالترك
وإن لم يأثم المعذور ولا يقال بأن الله تعالى قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض
بما رحبت الآية وهذا لا يكون في فرض الكفاية لأنا نقول بأن ذلك في حق أهل المدينة وقد صار الجهاد
فرض عين في حقهم في زمان خاص كما أخبر الله تعالى بقوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب
أن يتخلفوا عن رسول الله الآية والله أعلم وقوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال نزلت الآية في قوم من المنافقين خرجوا مع المسلمين إلى بدر فلما التقى
المسلمون والمشركون وأبصر المشركون قلة المسلمين دخلوا مع المشركين على المؤمنين فقالوا غر هؤلاء دينهم
فأظهروا النفاق فقتلوا فأصابتهم ضربات الملائكة وجوههم وأدبارهم كما أخبر الله تعالى بقوله ولو ترى
إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم فلما قتلوا توفوا قالت لهم الملائكة فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض فذلك قوله إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم
كنتم وقيل إنها نزلت في نفر أسلموا بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم إنهم قاموا عن الهجرة وخرجوا
مع المشركين للقتال فلما رأوا قلة المسلمين شكوا في النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا غر هؤلاء دينهم
فقتلوا فقالت لهم الملائكة فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين وقيل نزلت في قوم أسلموا بمكة و
لم يهاجروا وكانت الهجرة يومئذ مفترضة فكفروا بترك الهجرة من اعتقادها قال الله تعالى والذين آمنوا و
لم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا قال الشيخ رحمه الله لا ندري فيمن نزلت وليس بنا
إلى معرفة القصة حاجة وإنما نحتاج إلى معرفة أن ما أصابهم بأي سبب أصابهم لنمتنع عن مثل
ذلك تحرزا من المجازاة بمثله وما سأل بحقيقته ذلك وقوله تعالى فيم كنتم يتوجه إلى وجهين
أحدهما مع من كنتم مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو مع أعدائهم والثاني فيم كنتم أي في أي دين
كنتم في دين محمد عليه السلام أو في دين أعدائه ثم سؤال الملائكة إياهم بقولهم فيم كنتم في
محمد عليه السلام أو في دين أعدائه ظاهر أنه بعد الموت قبل البعث لأنه أخبر عنهم بصيغة الماضي
قالوا فيم كنتم ويحتمل أن يكون قالوا بمعنى يقولون أي يقولون لهم في الآخرة فيم كنتم فيكون
السؤال بعد البعث يوم القيامة ثم ظاهر هذه الآية دلالة إحياء الموتى والسؤال إياهم على ما في
الدنيا إذ الحكاية وقعت عنهم والسؤال لا يكون بدون الحياة وقوله تعالى كنا مستضعفين في الأرض
جواب لسؤال مضمر أيضا كأنهم قالوا ما الذي منعكم عن الخروج والهجرة إلى محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا عند ذلك كنا مستضعفين في الأرض أي ضعافا للمشركين بين ظهرانيهم في الإسلام قالوا ألم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت لهم الملائكة حين قبضت
أرواحهم ألم تكن أرض الله واسعة فيها يعني المدينة واسعة آمنة لكم من العدو فتخرجوا إليها أي كنتم
تقدرون على الخروج بحوائجكم إلى جميع البلاد فلم يمنعكم عن ذلك ويحتمل أن أرض المدينة واسعة
فتهاجروا فيها أي آمنة فتقلبوا وتعيشوا فيها بين أظهرهم فهذا والله أعلم كأنهم اعتذروا
في التخلف عن ذلك لما كانوا يتقلبون ويتعيشون بين أظهر الكفرة وذلك أسهل لهم في الخروج لطلب
معاشهم ولنشوئهم فيما بينهم فأخبروا أن أرض الله واسعة صالحة للتعيش والتقلب فيها مثل نشأتكم
ومولدكم فقطعوا عليهم عذرهم ويحتمل وجها آخر وهو أنهم يمنعونكم عن الإسلام ظاهرا وحالوا
بينكم وبين إظهاره ألستم تقدرون على إتيان الإسلام سرا وقوله تعالى فأولئك مأواهم جهنم وساءت

مصيرا

مصيرا أخبر أنهم لا عذر لهم في ذلك وقوله تعالى إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا استثنى أهل العذر منهم ممن مات منهم بمكة
ولم يهاجر فقال إلا المستضعفين يعني المعذورين بمكة من الرجال والشيخ ومن بهم مرض والنساء
والولدان لا يستطيعون على الخروج بأنفسهم ولا يقدرون على حيلة أي لا يجدون ما يتقلبون
به من مكة وقوله تعالى فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم أي فأولئك هم الذين يعفو الله عنهم وعسى
من الله واجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كنت وأمي ممن استثنى الله تعالى منهم يومئذ
إذ كنت غلاما صغيرا يومئذ والله أعلم وقوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا
وسعة قيل المراغم المذهب والمجاز وسعة أي سعة في الرزق أي يجد ذلك في غير الأرض التي كان بها
وقيل المراغم المتزحزح أي يجد متزحزحا وبراحا عما يكره وعن ابن عباس المراغم التحول من أرض والسعة في الرزق
وقيل من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى وقيل المراغم المهرب وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا
إلى الله قيل لما نزلت هذه الآية سمعها رجل وهو شيخ كبير وقيل إنه مريض مدنف فقال لجماعته ما أنا
ممن استثنى الله تعالى وإني لأجد حيلة والله لا أبيت الليلة بمكة فخرجوا به يحملونه حتى أتوا به إلى التنعيم فأدركه
الموت فصفق على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك
ومات فنزل فيه قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقيل إنه لما
سمع الرجل أن الملائكة ضربت وجوه أولئك وأدبارهم وقعد دنف الموت فقال أخرجوني واحمل
بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتهى إلى عقبة توفي بها فأنزل الله تعالى هذه الآية والله أعلم
بذلك وقوله تعالى وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة الآية استدل قوم
وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن القصر رخصة في السفر والإكمال عزيمة وهو
أفضل من القصر لأنه ذكر في حكمه لا جناح وهو يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لا في موضع
الإيجاب والعزيمة ألا ترى أنه ذكر في الصوم لما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذا الكلام
يستعمل في موضع الرخصة دون العزيمة كان الإفطار رخصة والصوم عزيمة كذلك هذا
إلا أن علماءنا رضي الله عنهم قالوا بأن القصر عزيمة ولا يجوز الإكمال وتكلموا في الآية من وجهين أحدهما
أن في ظاهر الآية إباحة القصر من الصلاة في السفر إذا خافوا فتنة الكفار وإنما البيان فيها بيان كيفية
القصر فيحتمل أن يكون المراد هو القصر من الركعات على ما قلتم وأن المراد من ظاهر الآية ههنا ويحتمل القصر
من الركوع والسجود والقيام والاكتفاء بالإيماء والقعود بسبب الخوف كما قال في آية أخرى فإن خفتم
فرجالا أو ركبانا أي رخص للخائف الصلاة بالإيماء وأباح القصر من الركوع والسجود والقيام وهذا
النوع من القصر رخصة والعزيمة هو أداء الصلاة المعروفة على تمام أركانها ويحتمل أيضا القصر
بسبب الخوف عن أمر القبلة أي يتم الصلاة ويرخص لغير القبلة عند الخوف فإذن كانت العزيمة
هو الأداء إلى القبلة ويحتمل القصر قصر الاقتداء كما في قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
ومعلوم أن المراد به في حق قصر الاقتداء فكأنه قال لا جناح عليكم بالاقتداء به وأن تقصروا في الاقتداء
عن تمام حقه من الجماعة لأن العزيمة هو الاقتداء به في البعض والانفراد في البعض رخصة ولهذا
كان الأفضل هو إحراز الاقتداء في جميع الصلاة بأن يجعل القوم طائفتين ويصلي بكل طائفة
الإمام على حدة إحرازا لفضيلة الجماعة ثم جاز القصر لأجل الخوف فإذا احتمل هذه الوجوه فلا يجوز الحمل
على قصر الصلاة من الركعات مع الاحتمال إلا بدليل على أن الدليل قد قام أن المراد أحد الوجوه التي ذكرنا
دون القصر من الركعات فإنه قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم كما قال
في صلاة الخوف ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة وكما
قال في قصر الركوع والسجود فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وصلاة السفر على ما قلتم ليس بالخوف وكذا المشقة
السفر دل أن الآية غير متوجهة إلى صلاة السفر فعندنا كما قلنا أنه التبس على عمر رضي الله عنه بظاهر الآية
أن القصر يجب أن يكون رخصة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى القصر دون الإكمال حتى سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته يعني حكم الله تعالى
فإن لم يفرض عليكم في السفر غير ركعتين والتصدق هو الإسقاط من الله تعالى وكذلك جميع المذكور في العفو
عن الله تعالى فالمراد منها الإسقاط من الله تعالى وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال بعد ذلك صلاة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم فعلم أن صلاة السفر غير مرادة بهذه الآية

وانما عرفت بابتداء شرع من حيث السنة والذي يؤيد ما قلنا الاخبار الواردة في الباب منها ما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الصلاة في الاصل ركعتين زيدت في الحضر واقرت في السفر وروي عن
عمر رضي الله عنه انه قال صلاة المسافر ركعتان حتى يؤب الى اهله او يموت وعن ابن عمر رضي الله عنهما
انه سئل عن الصلاة في السفر فقال ركعتان ركعتان من خالف السنة كفر اي من خالف السنة اعتقادا
لا فعلا والوجه الثاني انه تعالى انما ذكره بلا رفع القصر من حيث الركعات هي غير لازمة بل هي حجة
عليكم لان قوله ليس عليكم جناح ظاهر في نفي الجناح عن قصر الصلاة في السفر وان كلمة لا جناح دخلت
على القصر ولكن يحتمل الاضداد من وجوه متعددة ويكون كله لا جناح داخلة على القصر من وجه ضعيف احدها ان يحتمل
معناه فليس عليكم جناح اي في رفع الجناح عن السفر ان كان السفر بسبب اختيار ترك الصلاة
الحضر فتكون موضع اشكال لذلك لا اشكال بهذه الآية والثاني يحتمل فليس عليكم في القصر الجناح
مثل ما على المقيم في القصر وترك الاتمام فيكون المراد نفي الاستواء بينهما وفي رفع الجناح عن القصر وترك
الاتمام وان القصر في حق المقيم حرام والاتمام واجب والقصر في حق المسافر حتم والاتمام حرام
ويجوز القول في الاستواء في مثل هذا كما تقدم ذكره فقوله [illegible] كانوا [illegible] فانهم كانوا
فاسقا لا يستوون والثالث يحتمل فليس عليكم جناح في ترك اتمام ما قصرتم من الركعتين بعد تمام
السفر وحدوث الاقامة ولا يجب عليكم اعادة ما صليتم من الركعتين على خلاف الصوم فان بلغ الخطأ
والسفر ثم حدثت الاقامة يجب اعادة ما فات من صوم السفر والرابع يحتمل فليس عليكم جناح
في قضاء ما تركتم من الركعتين وقصرتم بعد الخروج الى السفر وكان [illegible] السفر بنية الاقامة او العود الى
مواطنكم فهي بخلاف سائر الاعذار [illegible] اذا كانت الحيض فهو ترك بعض
الصلاة ثم طهرت قبل ثلثة ايام يلزمها اعادة ما تركت من الصلاة كذلك [illegible]
وكذلك فانه يلزمه قضاء المتروك فيتبين بهذه الآية على نفي الاعادة وارادة احتمال ما ذكرنا انتفى
كلمة الجناح الى القصر فهي قوله ان تقصروا من الصلاة وان كان هذا اللفظ على صيغة الخبر فيكون ذلك
بالامر فيكون معناه فاقصروا من الصلاة ان خفتم او قد يكون هذا من حيث الصيغة والخبر ويكون امرا
في الحقيقة كقوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون [illegible]
تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما والطواف واجب وليس بجناح ولا رخصة وان دخلت كلمة لا جناح
لانها دخلت على الصنمين فلا جناح عليه في كون الاصنام على الصفا والمروة ان يطوف بهما
اي فليطوف بهما وهو خبر صيغة ومعناه الامر وانما حملنا على ما قلنا الدلائل احدها تواترت الائمة
خلفا عن سلف على قصر الصلاة في السفر وعلى تواتر الامر حتى لا يحتمل ان يكون فضيلة تضييع عن
جميع الامة والثاني الظاهر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الاسفار انه لم يتم الصلاة في شيء
من الاحوال في سفره بل كل ما روي عنه انه كان يصلي ركعتين ولا يحتمل ان يكون فضيلة تضييع عن النبي
صلى الله عليه وسلم في جميع عمره بل كان لا يختار من الاعمال الا الافضل ولا يترك الامر او من ترك
ترخصا لامته اما لا يحتمل ان يترك الافضل ابدا ولا يقال بانه روي عائشة عليها السلام صلى اربعا
في سفره لانه يحتمل انه انما صلى اربعا لانه عزم ان يقيم بعد الحج فيجب الحمل عليه حتى يكون موافقا
لما ذكرنا من مواظبته على القصر يعني ما قلنا انما روي عن عمران بن الحصين انه قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان يصلي ركعتين حتى رجع الى المدينة وقد اقام بمكة ثمانية عشر لا يصلي الا ركعتين والثالث ما ذكرنا
من الاحاديث في هذا الباب والله اعلم وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة
منهم معك • اختلف اهل العلم في كيفية صلاة الخوف قال بعض اهل العلم وبه اخذ الشافعي
رضي الله عنه ان الامام يجعل القوم طائفتين يصلي بالطائفة ركعة وتقوم الطائفة الاخرى
مصاف العدو فاذا صلى بهم ركعة يقومون ويصلون الركعة الثانية وحدانا ويسلمون ثم ينصرفون
ويقومون بازاء العدو ويرجع الطائفة التي كانت مصاف العدو فيصلي بهم الامام الركعة الثانية
ثم يسلم الامام فيقومون ويقضون الركعة الاولى وحدانا ويقرؤن لانهم مسبوقون في هذه الركعة
وانما قالوا ذلك تعلقا بظاهر هذه الآية فان صلاة الخوف عرفت مشروعة بهذه الآية وليس في الآية
اتيان الطائفة الاولى وعودها الى الامام فينبغي ان لا يفعل ولان الصلاة في حال الخوف انما شرعت على
هذا الوجه لتمكن في ذلك احراز الفضيلة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم او خلف الامام الاعظم مع حفظ
الناس عن كيد العدو وانفسهم كما قال ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم

ميلة واحدة والصلاة على ما قلنا في تحقيق الصيانة من كيد العدو والرجال لدفع شرهم عسى اقرب
لان عندكم الطائفة الاولى يقومون مصاف العدو قبل الفراغ من الصلاة وعندنا يقومون
بعد الفراغ من الصلاة ولا شك ان من كان خارجا عن الصلاة من يقدر على دفع العدو من الذي في حرمة
الصلاة فكان ما قلنا اولى واما اصحابنا انما قالوا ما قالوا بالاخبار لا بهذه الآية وليس في الآية بيانها
ولا ردها فان في الآية ما يفعل الامام من الصلاة بهم اما الذي فيها بيان كيفية ما يصلي القوم وحدانا
وقد ثبت ذلك بالاخبار من ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة الخوف فصلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا
في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلم النبي عليه السلام
ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وعن عبد الله رضي الله عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصف يستقبل العدو فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف الذين يلونه ركعة ثم قاموا فذهبوا
فقاموا مقام اولئك واستقبل هؤلاء العدو وجاء اولئك فقاموا مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم
ركعة ثم سلم فقاموا يصلون لانفسهم ركعة ثم سلموا فذهبوا فقاموا مقام اولئك مستقبلين
العدو وجاء اولئك الى مقامهم فصلوا لانفسهم ركعة ثم سلموا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وزيد بن
ثابت وحذيفة ابن اليمان رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقوله تعالى فليأخذوا
اسلحتهم • قيل اراد به الطائفة التي بازاء العدو يأخذون السلاح ليكونوا اهبة الحرب في القتال
وقيل هم الطائفة الذين يصلون يأخذون السلاح حتى اذا استقبلهم العدو يقدرون على ذلك
وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم • اي ليكونوا مصاف العدو يحرسونهم من العدو وقوله
تعالى ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم • يحتمل حذرهم
اي حراستهم ويحرسون العدو ونحو الدرع ونحو ذلك الاسلحة ما تقاتل به من الآلات الصالحة للحرب
ويحتمل ما يتحصن به من الحصن من نحو الجبال ونحوه وفي هذه الآية الامر بتعليم ادب الحرب في القتال
باخذ الاهبة والاعداد للعدو والمحاربة من حيث كسب آلات الحرب ومباشرة الاسباب من غير ان يكلوا
الامر في ذلك الى ذلك وان يعتمدوا عليها بل يكلوا الامر الى الله ويعتمدوا من النصر بقوله تعالى وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون
عليكم ميلة واحدة • وهذا يعلم بالطبع ان كل احد يطلب الفرصة على عدوه والغفلة ليظفر به
معروف ذا حطابا مع الخلق والاسلحة ما ذكرنا والامتعة تحتمل ما يستتر به من الدرع والجوشن ونحوه اي يطلبون
الغفلة عن الاسلحة والامتعة وتحتمل الامتعة ان يريد بها من الناس سترهما اي يطلبون الغفلة
عن حفظها فيغيرون عليها وقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم وخذوا حذركم • رخص لهم وضع السلاح وترك الحمل اذا ابتلوا بالمطر والمرض لكن مع اخذ
الحذر والحراسة من العدو لان لا يعدوا بهم في الآية دلالة انه لم يرد بقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم بذلها للقتل حيث رخص لهم وضع الاسلحة وامرهم باخذ الحذر اي يكونوا متأهبين للحرب
فلو كان المراد بشري الانفس بذلها للقتل لكان لا يرفع عنهم القتال في حال ما يخافون على انفسهم
الهلاك بسبب المطر والمرض لان في ذلك تحقيق ما امروا به الا يرى انه من وجب عليه الرجم لم يرفع عنه الرجم
بالمرض فان كان في الرجم هلاكه فلما رفع عنهم القتال في حال المرض وفي حال التي يخافوا الهلاك دل
انه لم يرد بشري النفس هو بذلها للقتل وتسليمها للهلاك ولكن اراد به والله اعلم الجهاد في دين الله
تعالى ونصر اهل دينه الا يرى انه قال فيقتل او يغلب جعل الثواب عند الغلبة على العدو كما جعل القتل
اذا كان لا يحصل النصر الا بذلك فيكون ذلك بعض مؤديات دفع العدو الذي قصدوا هدم دين الله تعالى وسبي
اهله ووطنا قال اصحابنا لا يحل الرجل ان يخرج مبارزا في وقت القتال او حملا اذا كان يعلم انه يقتل
من غير ان يخرج احدا او ينكي فيهم وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا • اي اعد لهم من الهوان
ما يهانون به نصروا او غلبوا واعد لكم من الثواب ما تسرون به وتعززون به نصرتم او غلبتم فانكم
لا تقاتلون وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • يحتمل
وجهين احدهما الامر بذكر الله تعالى بعد الفراغ من الصلاة اي اذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله تعالى
على كل حال كنتم فيها من القيام والقعود وعلى الجنب استعانة من الله تعالى وانتصارا على عدوكم اي ...

للعون والنصرة على عدوكم بسبب ذكر الله تعالى وهو كقوله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا امر بالثبات وذكر الله
تعالى كثيرا امر بالثبات وذكر الله تعالى عند اللقاء استعانة منه على عدوهم فهذا مثله والثاني يحتمل الامر
بذكر الله تعالى في الصلاة على اضمار الارادة اي اذا اردتم ان تقضوا الصلاة فاذكروا الله في اي حال كنتم من حال
القيام والركوع والقعود وهو كقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة اي فاردت ان تقيم لهم الصلاة فالله اعلم
كما تحتمل هنا وقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة • هذا والله اعلم مقابل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الاية وقد ذكرنا ان القصر يحتمل وجوها يحتمل القصر عن عدد الركعات
ويحتمل القصر عن اركان الصلاة بسبب المرض والخوف والاجتزاء بالايماء قاعدا ويحتمل قصر الاقتداء اي يحتمل
حملنا الاية على بعض ما احتملته لما ذكرنا من الدلائل مع قيام الاحتمال في الباقي نظرا الى غالب الراي من غير
الشهادة على الله تعالى انه اراد ذا او امرنا على ما هو السبيل في جميع المجتهدات فعلى ذلك نقول في قوله فاذا
اطمأننتم وصرتم اصحاء واتركوا الصلاة بالايماء ويحتمل فاذا اطمأننتم من الخوف وامنتم فاتموا الاقتداء
واتركوا الانفراد في حال الاقتداء ويحتمل فاذا اطمأننتم اي اذا جئتم من السفر واقمتم فصلوا صلاة المقيمين اربعا
لكن من حيث الغالب سيصرف الى ما صرفنا قوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة لما ذكرنا من الدلائل
والله اعلم وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا • قيل كتابا موقوتا اي مفروضا كذا
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل كتابا موقوتا اي موقتا باوقات معلومة كوقت الحج وكذا
روي عن ابن مسعود وقيل محدودا ونحن نقول بهذا كله نقول انها مفروضة موقتة محدودة لاحتمال
كل قول ولا ترجيح معنا ولا تنافي بين هذه المعاني ثم يحتمل قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
وجهين احدهما اي لم تزل كانت كتابا موقوتا على الامم السالفة الا ان هذه الامة خصت بها والثاني
اي صارت على المؤمنين كتابا موقوتا بعد ان لم تكن فانها كانت مكتوبة على الامم السالفة ويحتمل ايضا
غير موقتة فصارت موقتة في حق هذه الامة خاصة وكل ما يحتمل دلت هذه الاية على فرضية الصلاة وكونها
موقتة على الابهام من غير تعيين وكذا كثير من الايات في القرآن دل على وجوبها وفرضيتها من قوله وما امروا
الا ليعبدوا الله الاية ونحو ذلك ثم بين الله تعالى في ايات اخر بيان عددها واعيانها واوقاتها تفسيرا لهذه
الاية قال الله اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا فهذه ثلثة
اوقات وجمعها ثلث صلوات روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سألته عن قوله تعالى اقم
الصلاة لدلوك الشمس الاية قال الدلوك الشمس اذا زالت الشمس عن بطن السماء الصلاة الظهر الى غسق الليل
قال الى بدو صلاة المغرب وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال الدلوك الشمس زوالها وقد روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه قالا دلوكها غروبها فعلى اي التاويلين كان دلوك الشمس
فقد اوجب فيه صلاة وصلاة عند غسق الليل فصلاة الفجر وقال تعالى اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا
من الليل فاحد طرفيه يجب فيه صلاة الفجر وقد ذكر ذلك فيما تلونا من الاية واوجب في الطرف الاخر صلاة
اخرى وهي صلاة العصر اذ هي طرف النهار فهذه هي الرابعة وقد روي عن الحسن انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس مجموعة في هذه الاية اقم الصلاة طرفي النهار قال صلاة الفجر والطرف
الاخر الظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وهو صحيح فان النهار قسمان الغداة والعشي والعشي
الى وقت الزوال الى غروب الشمس ولهذا قلنا ان من حلف لا يأكل العشي فاكل بعد الزوال حنث واي ذلك
كان فصلاة العصر مذكور فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما جمعنا وقت الصلوات في قوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وروي عن عبادة
ابن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبهن الله تعالى
على العباد فمن اتى بهن لم يضيع من حقهن شيئا استخفافا بحقهن فان له عند الله عهدا ان يدخله الجنة
ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة فدل هذا الحديث على فرضية
الخمس والامة اجمعت على هذا من غير خلاف بينهم على هذا قال عامة الفقهاء ان الوتر سنة لان كتاب الله
تعالى والسنن المتواترة والمشهورة ما اوجب زيادة على خمس صلوات فلو قلنا بالوجوب باخبار الاحاد يكون
الصلوات ستا وهو خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة الا ان ابا حنيفة رضي الله عنه قال قد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى زادكم صلاة وهي الوتر وغيره من الاحاديث لكنها في حد الاحاد دون الشهرة
والاستفاضة فلا يجوز الزيادة على الكتاب والسنة المتواترة وليس في كتاب الله تعالى بيانه نوع من الخبر
مع شبهة رواية العدل يجب العمل به على وجه لا يخالف الكتاب فقال بوجوب العمل به لا بالعدد ولا بالفرض

ووجوب الاعتقاد حتى يكون عملا بالحديث احتياطا من غير ان يكون فيه مخالفة الكتاب اذ حكمة الفرضية
وتفسيرها وجوب العمل مع الاعتقاد معه على طريق القطع والاحاطة فيكون القول به عملا بالدليل بقدر
الامكان والله الموفق وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
في الاية بيان ان لا عذر لكم ان تهنوا في ابتغاء القوم اي في الجهاد بسبب تألمكم فانهم اي الكفار يألمون كما
تألمون وترجون انتم في العاقبة من الثواب الجزيل ما لا يرجون هم ثم لا يضعفون في الجهاد والقتال معكم فكيف
تضعفون انتم في ذلك وكل امر لا عاقبة له حميدة فهو خبيث وليس لامرهم عاقبة حميدة ولامركم عاقبة
حميدة فانتم اولى بذلك منهم وقد دلت هذه الاية على تأكد فرضية الجهاد اذ لم يأذن لهم في التخلف عنه لاجل
ما هم فيه من التألم وخوف هلاك النفس ثم بين ما يخفف عليه تحمل المكروه على الطبع وقد يختار تحمل
اتعاب النفس من عواقب ينقطع ويزول وهي لذات الدنيا فكيف فيما لا انقطاع له من رجاء الثواب بذلك
التألم وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما • بتألمكم اي عن علم بالتألم امركم بذلك لا عن جهل وقوله تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق • فالحق يتوجه الى وجوه يحتمل بالحق اي انزلنا الكتاب موافقا لما هو الحق
في عقل كل احد وهو التكليف بالامر والنهي والامتحان للعقلاء دون الاهمال والترك لهم سدى لا امر عليهم
ولا نهي كالانعام فان الاهمال خروج عن الحكمة والتكليف والامتحان من باب الحكمة ويحتمل الحق اي انزلنا
الكتاب بما له عاقبة حميدة عند التحصيل فان ما لا عاقبة له لا يكون حقا بل يكون عبثا باطلا ويحتمل انا
انزلنا اليك الكتاب مبينا لما هو الحق لله تعالى على العباد ولبعضهم على البعض ليعملوا بذلك ويحتمل
انا انزلنا اليك الكتاب مبينا ان الامر حق كائن ثابت وهو البعث والقيامة التي وعد لهم ويحتمل ما قد
لما هو سبب النجاة لهم فدل ان البعث يزجرهم عما هو سبب العقاب ويحتمل بالحق اي انزلنا الكتاب بما يحمد
عليه فاعله اذ الحق يحمد عليه والباطل ما يذم عليه ويحتمل بالحق اي بالعدل والصدق على الامن
من التغيير والتبديل كما اخبر تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقوله
لتحكم بين الناس بما اريك الله • اي بما الهمك الله بالنظر في الاصول المنزلة في الاية دلالة جواز الاجتهاد
وحجته لان قوله بما اريك الله يدل على انه مفوض الى رايه يدركه بالنظر والتأمل لانه لو كان يحكم في كل الحوادث
بالكتاب لكان لا معنى لقوله بما اريك الله ولقال لتحكم بين الناس بالكتاب فدل انه قد يحكم بما يريه الله
تعالى بالتدبر والتأمل كما يحكم بظاهر الوحي لكن اجتهاده كالنص يجب الشهادة عليه بالحق والصواب لان
الله تعالى اخبر انه يريه ذلك ولا يحتمل الذي يريه الله تعالى غير الصواب وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما •
قال اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم هم ان يقوي سارقا يقال له
طعمة ابن ابيرق ويصدقه في قوله فنزلت هذه الاية قال الشيخ رحمه الله فان كان سبب النزول ما قالوا
فذلك لما لم يظهر الخيانة عنده منه اذ ذكر في القصة انه وجدت السرقة في دار غيره فيما الخطر بباله
انه صادق في الانكار فهم منه عمل بظاهر الامر الى ان يظهر الحقيقة لكنه وجب ان لا يتوقف الى ظهور
حقيقته بالوحي وقوله تعالى واستغفر الله • ليس المراد بالاستغفار هو القول باللسان استغفر
الله على ما يتعارفه الناس نستغفر الله نستغفر الله ولكن الاستغفار هو طلب المغفرة بالاسباب وهي
الاعمال الصالحة التي مكفرة للذنوب والزلات والكون على الحال التي يكون اعمالهم مكفرة للذنوب
الا ترى الى قول هود عليه السلام لقومه ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح عليه السلام لقومه
فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا لم يريدوا ابدا ان يقولوا نستغفر الله فقط لا غير ولكن ارادوا ان يكونوا
على الحال التي يكون اعمالهم مكفرة لذنوبهم وحقيقة الاستغفار وجهان احدهما الانتهاء عما يوجب العقوبة
والثاني طلب الستر بالعفو والتجاوز بتحصيل ما اقترن به وعد العفو والمغفرة وهو ما امر الله العباد به
والاحسان بالعباد وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم • ثم النهي عن الجدال لا يدل على ان النبي صلى الله
عليه وسلم والنهي الذي سبق لا يخل بعصمته عن الكبائر بل مع العصمة لا يزيل المحنة بل المحنة تقرر العصمة
ولا يفسدها وقوله تعالى يختانون انفسهم لم يرد به ان يقصدوا وقصدوا خيانة انفسهم اذ لا احد يقصد هذا
القصد فلا ينصرف اليه كلام الله تعالى ولكن لما رجعت عاقبة ضرر الخيانة الى انفسهم صاروا كانهم
اختانوا انفسهم وهذا كما ذكر في قوله وما يخدعون الا انفسهم اي ضرر خداعهم الناس يرجع اليهم
في العاقبة صاروا كانهم خدعوا انفسهم فهذا مثله وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله • يحتمل وجهين احدهما على نفي القدرة واثباتها اي لهم قدرة ان يخفوا من الناس وليس لهم قدرة
الاخفاء من الله تعالى اذ لا يخفى عليه شيء وذلك قوله وهو معهم وفي حرف حفصة رضي الله عنها وهو معهم

وفي حرف حفصة رضي الله عنها وهو معهم لا يخفى عليه شيء والثاني على قلة المبالاة وتركهم مراقبة
الله تعالى في الامور لعل جهادهم في ذلك مع الخلق اي لا يبالون من الله تعالى ولا يحتشمون منه مع العلم
منهم بان الله تعالى لا يخفى عليه شيء وهو مطلع عليهم ويبالون من الخلق ويحتشمون منهم ان يطلعوا بخبثهم
فيكون هذا في غاية التاكيد للزجر وقوله تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول • عن ابن عباس رضي الله عنهما
يقول من الحمل الشيء والفرية لليهودي بالسرقة اي وجد منهم السرقة ثم اضافوها الى اليهودي افتراء
عليه وعدوانا وقيل يولعون فيما بينهم اي المنافقين فيقولون نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لم كذا
ليدفعوا عن صاحبهم الخيانة والتهمة وهو طعمة على ما قيل في القصة انه سرق درع رجل من جيرانه يهودي
وقيل اخفاها في دار يهودي فلما طلب منه حلف بالله انه ما سرق وقوله تعالى وكان الله بما يعملون محيطا
على الوعيد اي من علم منه يفعلون هذا لا عن غفلة كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
وقوله تعالى ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا • قيل هذا خطاب للمنافقين اصحاب طعمة
لو خاصمتم عنه يا هؤلاء في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة اي لا احد يخاصم عنه يوم القيامة
ام من يكون عليهم وكيلا يخاصم عنه يوم القيمة وقيل كفيلا في الدفع عنهم وهو كقوله الذين يجادلون في
ايات الله بغير سلطان اتاهم في دفعها وارادة ان يدحضوا بالباطل وقوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما • كل واحد منهما يحتمل انها الاخرى كرر على التاكيد فيما كد
الذكر ويحتمل التفريق ومعناه ومن يعمل سوءا الى الناس ويكسب خطيئة في حقهم او يظلم نفسه بما يأثم
فيما بينه وبين الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عن ابن مسعود رضي انه قال الارجى آية في القران
هذه ويحكى عنه ايضا انه قال اربع ايات في كتاب الله تعالى احب الي من حمر النعم وسودها قوله ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الى آخره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقوله وظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
الاية وقوله تعالى ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه على ما مر من نظائره وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا • يحتمل ان يكون الاثم والخطيئة واحدا وهو خطيئة
سرقته للدرع او اثما يمينه الكاذبة انه لم يسرقه وانما سرقه فلان اليهودي وقوله ثم يرم به بريئا قيل لما
فدا بالسارق رماها في دار اليهودي ثم حلف بالله انه لم يسرقه وقيل ثم يرم به بريئا اي يقذف بريئا بالسرقة
ويتهمه كقوله والذين يرمون المحصنات اي يقذفون ويتهمون وقوله فقد احتمل بهتانا واثما مبينا اي
يقول كذبا على اخر بما لم يفعل والبهتان هو ان يبهت الرجل الرجل كذبا بما لم يفعل بما لم يفعل وقوله واثما
مبينا اي يمينه الكاذبة وقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
يحتمل وجهين احدهما ان يكف الكافرين ويمنعهم عما هموا فاوحى الى رسوله عليه السلام من الاضلال
ويصرفهم عما قصدوا من تحقيق ذلك فلم يفعلوا والثاني ان يعصم النبي صلى الله عليه وسلم عما يريدونه
فيه ويقصدونه بحقه حتى لا يظفروا به ولا يقدروا عليه بعدما لم يظهروا ما طلبوا وقصدوا فلم يحصل غرضهم
من ذلك وقوله يضلوك يحتمل وجهين احدهما ان يجهلوك الحكم بالتلبيس وانواع التمويه كما قال اهل
التاويل ان الاية نزلت في شان طعمة الذي سرق درع جاره على ما سبق ذكره والثاني ان يكون النبي صلى الله
عليه وسلم جاهلا في سرقته لما لم يدر انه سرق وكان يظن في الحكم انه لم يسرق اذ هو صلى الله عليه وسلم انما
كان يعلم الاشياء بالوحي ثم اعلمه الله تعالى انه سرق والثاني ان يكون الاضلال منهم هو مباشرة اسباب ومن قبل
في الصرف عن الحق فكفا الله تعالى اياهم ومنعهم عن ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالوجهين الذين
ذكرنا ثم كل وجه من ذلك يتوجه الى وجهين احدهما من حيث الاسباب والثاني ما يكون فعل الله بطريق اللطف
اما منع الكفرة وصرفهم عما هموا من الاضلال في حق النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الاسباب من انزال الوحي
واظهار الايات والمعجزات على يديه فيحصل لهم العلم بطريق اليقين وثبات الطريق الحق في قلوب الذين
يقبلونه يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يمنعون من الاضلال وكذلك الامر بالقتال معهم بخوف ذلك مانع لهم
عن الاقدام على مثل ذلك الامر في حقه وكذلك منعهم من حيث اللطف بان يشغلهم بامور اخر والخلق
في قلوبهم هذا الامر ولم يخطر ببالهم واما العصمة بحق الذي راموا في حقه من الاضلال بالوجهين ايضا
احدهما بالاسباب الظاهرة وهو ما ذكرنا من الايات والوحي فلذلك التنبيه في خطره ذلك من سببه بالعتاب
ليذكر ذلك ومن حيث اللطف يمنع القدرة عن اكتساب الضلال وصيانته عن الخذلان واعطائه القدرة
على الهدى والتوفيق والتيسير وانما سمي الوجهين الذين ذكرناهما فضلا ورحمة ليعرف ان ذلك ليس بحق واجب

على الله تعالى من حيث الحكمة اذ ليس قضاء الحقوق واداء الواجب يعد من باب الفضل بل فيه ابطال مذهب المعتزلة
في باب الاصلح وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء • اي يرجع حاصل ذلك
الاضلال الى انفسهم كانهم اضلوا انفسهم اذ لا احد يقصد قصدا اضلال نفسه على ما مر مثله وقوله
وما يضرونك من شيء امر الله رسوله عن ضررا ولكن ذلك وهو كقوله والله يعصمك من الناس وقوله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم من الحلال والحرام والاحكام وغير ذلك فانه في حال الصغر الذي لم يظهر فيه العقل لم يكن عالما
بشيء وان كان له حكم الايمان في النبوة والصفوة باصل الخلقة وهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان على ما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى وقوله تعالى وكان فضل الله عليك عظيما • اي فيما علمك
من الاحكام وعصمك عن الضلال وفيما اكرمك بالنبوة والرسالة وبما صرف عنك ضرر الاعداء وقوله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم قيل النجوى هم الذين يتناجون كقوله تعالى واذ هم نجوى اي الرجال الذين اخرجوا منهم النجوى وقيل
النجوى الاسرار كقوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم الاية نفي الخير عن كثير الرجال الذين يتناجون من الكفرة
والمنافقين او عن كثير من اسرارهم ثم استثنى فقال الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس فان كان
المراد من النجوى هم القوم كان الاستثناء يرجع الى القوم المتناجين كانه قال لا خير في كثير من المتناجين الا من امر
بصدقة او معروفا او اصلاح بين الناس بالتناجي وان كان المراد من النجوى هو نفس النجوى وهو الاسرار خاصة فكانه
قال لا خير في كثير من نجواهم الا الامر بالصدقة او الامر بالمعروف او الاصلاح بين الناس فان قيل الاستثناء من
النفي اثبات فان كان الاستثناء من القوم وهم المنافقون والكفار والخير لا يتحقق بدون الايمان فكيف يصح
الاستثناء وان كان من الفعل كيف يكون الامر بالصدقة والامر بالمعروف خيرا من الكفار والحمل على
ظاهر اللفظ يقتضي تحقق الخير من الكفار خصوصا ما ذكر في الاية من ايصال النفع الى الغير باخراج الدنيا من
المال او الفعل المعروف او نحو ذلك لكنه غير مقبول من الكفار بعلا لان وعد الثواب في الاية علقه بشرط الايمان فانه قال
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ولا يتصور العمل لابتغاء وجه الله تعالى الا بالايمان
والثاني ان اريد به الخير المطلق الذي يتعلق به الثواب المحمود في العاقبة فلم يكن هذا الاستثناء متصلا بل يكون
استثناء منقطعا ويكون معناه لا خير في كثير منهم الا من امر بكذا او كذا فانه يصيب الخير بما يصير ذلك
سببا ووسيلة له الى الايمان فيصير الى الخير وكذا اذا كان المراد من النجوى هو الاسرار معناه لا خير في كثير من
اسرارهم الا الامر بكذا فانه سبب الى الخير بواسطة الايمان والله اعلم وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من
بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين • قيل المراد به طعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
استحيا ان يقيم بالمدينة فارتد ولحق بمكة كافرا فنزل قوله ومن يشاقق الرسول الاية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما من بعد ما تبين له الهدى يعني من بعد ما كان كالمختبر له الاسلام فاسلم وقال لما بان امر طعمة وعلم انه
سرق الدرع انزل الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قيل لما علم طعمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاطعه فخرج هاربا الى مكة وقوله غير سبيل المؤمنين يعني غير دين المؤمنين وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه ويتبع غير سبيل المؤمنين وقوله تعالى نوله ما تولى • اي نجعل وليه في الاخرة ما اتخذ
وليا في الدنيا من الشيطان او الاصنام ونحو ذلك وهو كقوله تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من الشيطان
او الاصنام ونحو ذلك وهو كقوله تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا وغير ذلك
ويحتمل ايضا نخذله ونتركه وما اختاره ويحتمل ان يجعله تولية ويحتمل نوله اي نخلق توليه منه وبه
تفضلا وباطلا منه كما لم يخلق الكفر قبيحا فاسدا مضمحلا وقوله تعالى ونصله جهنم وساءت مصيرا
اي ونصله في الاخرة جهنم وبئس المصير وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء يحتمل الشرك في الالوهية والربوبية فان من المشركين من يجعلون له شريكا في التخليق كالمجوس وغيرهم
ويحتمل الشرك في العبادة فان منهم من يجعلون له شريكا في العبادة كمشركي العرب كما اخبر الله تعالى ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وكل ذلك كفر بالله واشراك له في الالوهية فان الاله هو الخالق وهو المعبود
على الحقيقة فكان الاشراك في التخليق والعبادة اشراكا في الربوبية والله الموفق ثم قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء الاية حجة لنا على المعتزلة فان الله تعالى وعد مغفرة ما دون الشرك لمن يشاء من الجناة من غير قيد
بين جناية وجناية فيجب العمل باطلاقه والمعتزلة قالوا في هذه الاية وعد المغفرة لمن يشاء ولم يبين من يريد
يشاء مغفرته ثم بين الوعيد في حق اصحاب الكبائر بقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وغيرها من الايات ودل انه ليس اصحاب الكبائر داخلة فيمن يشاء الله تعالى مغفرتهم فيكون
الداخل في ذلك اصحاب الصغائر ثم قد عرفنا مشيئته مغفرتهم بقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه

نكفر عنكم سيئاتكم الكبائر فقوله لمن يشاء وعد من الله المغفرة والصغائر عندهم مغفورة بالحكمة
فكان يعلم مغفرتها بالعقل وانما يدخل تحت المشيئة ما يكون في حد الجواز والعدم فكان الصغائر لا يجوز
ان يكون داخلة تحت هذا النص والشرك غير مراد بالنص لم يبق الا الكبائر فلو لم تدخل تؤدي الى الخلف في خبره
تعالى وذلك لا يجوز وقوله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا • عن الحسن رضي الله عنه قال الاناث الموات التي
لا روح فيها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هم الملائكة لانهم كانوا يقولون الملائكة
بنات الله تعالى في السماء ويعبدونها فهم انما عبدوا الاناث بزعمهم فلهذا سميت الملائكة التي عبدوها
اناثا وقيل الا اناثا اوثانا وفي حرف عائشة رضي الله عنها ان يدعون من دونه الا اوثانا اي اصناما وانما سمي
اناثا لان الكفار كانوا يصورون الاصنام بصور الاناث ويحلونها عليهم وهي شوفتهم بما هو من انواع زينة
الاناث ثم يعبدونها فورد الاسم على ما اعتقدوها اناثا وقيل سمي بذلك لانهم كانوا يسمون ما يعبدون
من الاصنام اللات والعزى ومناة وهذه اسامي الاناث ثم قوله ان يدعون من دونه اي يعبدون ويدعون
الماو وقوله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا • اي وان يعبدون الا شيطانا مريدا فانهم كانوا يعبدون
من الشيطان ويعرفون منه لان الآية نزلت في اهل مكة كانوا يعبدون اللات والعزى وغيرهما من الاوثان
وكان في كل واحد منهم شيطانا يتراءى للكهنة والحجبة يكلمهم فيكون عبادة الاصنام عبادة الشيطان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما المريد هو العاتي وقيل هو الشديد وقوله تعالى لعنه الله • واللعنة هي الابعاد
من رحمة الله وقوله تعالى لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا • اخبار عن اللعين انه قال هكذا لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا اي حظا مثبتا معلوما وهو ما يطيع به ابليس ويتبعه من الامور التي
هي معاصي فكذلك هو النصيب المفروض له من الناس او لاتخذن بعضا من عبادك حدا وحولا واتباعا
فهم الذين يطيعونه في اوامره ونواهيه لا غير وقيل النصيب المفروض هو ما ذكر بقوله ولاضلنهم الى اخر
الآية ولاضلنهم ليس هذا على حقيقة الاضلال لانه لا يقدر ان يضل احدا لكن يدعوهم الى الضلال
ويزين لهم طريقه ويلبس عليهم طريق الهدى فذلك معنى اضافة الاضلال اليه فالا لم يملك الاضلال على
الحقيقة ولو كان بيده الاضلال لما ترك احدا الا اضله وقوله تعالى ولامنينهم • معناه انهم اذا ضلوا
بدعائه اياهم الى الضلال وتزيينه لهم سبيله يمنيهم عند ذلك حتى يتمنوا اشياء كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقوله لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى تلك امانيهم ونحو ذلك مما يمنيهم الشيطان وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
اي ولاضلنهم عن الدين ولامنينهم ان يصيبوا خيرا في غير ذلك الدين لا محالة حتى يامنوا فيغتروا عليه وقال
ولامنينهم اي يخبرهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقوله تعالى ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام •
اي ليقطعن اذان الانعام ويجعلون الانعام بحيرة ويحرمونها ويجعلونها للاوثان والاصنام التي كانوا
يعبدونها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لاعدنهم ولامنينهم ولاحرمن عليهم الانعام ولآمرنهم
فليبتكن بتقطيعه وقوله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله • اختلف اهل التاويل قال بعضهم فليغيرن
خلق الله يعني الاخصاء وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال ايضا هو ما كان فيه النهي عن النبي
صلى الله عليه وسلم عن الواشرة والنامصة والمتفلجة والواصلة والواشمة بعد هذا من التأويلين نظر
وكان الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصح لانه لا يحتمل ان يكون يخطر ببال ابليس اللعين حين قال هذا
القول ما قالوا من الاخصاء والشلة والوشم والنمص فانه اراد بالامر بتغيير خلق الله هذا لانه انما قال ذلك
يوم طلب من الله تعالى الانظار الى يوم البعث ولا يحتمل ان يكون له علم بانه لا يحل له الاخصاء او نهى عن
هذه الاشياء اذ من الجائز ان يحتال بهذه الاشياء فان لم يكن له علم بها كيف يريد بالامر بالتغيير
بعين هذه الاشياء فاذا كان الحمل على هذه الوجوه بعيدا قال بعضهم فليغيرن خلق الله تعالى دين الله
وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا صحيح لان الله تعالى خلق هذا الخلق ليحملهم على التوحيد
والعبادة ويجعلوا عبادتهم لا يعبدون من دون الله لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكل هذا قيل في قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم اي لا تبديل
لدين الله الذي خلقهم عليه وكان ابليس اللعين علم من ذلك يحتمل التبديل بقوله ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله تغيير هذا الدين الذي كان خلق الله اياهم عليه بان يدعوهم الى الاشراك في العبادات ويجعلوا عبادة
لغير الله ولا اثر لنفي التعليق ايضا فكذلك كان هذا التاويل صحيحا ويحتمل وجها اخر ايضا وهو ان الله
تعالى خلق الانعام والهمها منافع الخلق وسخرها لهم فان خلقهم النفقة الى مدة معلومة واجرى العادة ان

ان نتبع

ان لا يتقلهم بدونه الغذا فكان هذا يعلم ببديهة العقل انه شيئا مما سواهم من المخلوقات خلق لهم فكانه اراد بالامر
بتغيير خلق الله تعالى هو ان يدعوهم الى ان يحرموا ما احل الله لهم على انفسهم من اكل الانعام وركوبها ويجعلوها
للاوثان والاصنام بالبحيرة والسائبة ونحوها ويمنعوا على انفسهم منافعها التي خلقها لهم فذلك تغيير
ما خلق الله بزعمهم وقوله تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا • اي يطيعه و
يجيبه الى ما دعاه ويعبد دون الله فقد خسر خسرانا مبينا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فقد هاب المنافع
التي خلقها الله لهم بجعلهم للاصنام بالحرم ودعائه اياهم الى ذلك واما في الاخرة فقد ذهب النعيم الابدية
ولزوم الخلود في النار وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم • يعدهم ما يعدهم بالانفاق على ذوي الحاجة وبالاحسان الى ذي
القربى وصلة الرحم واما شبعه في الدنيا بانهم لا يلقون الاخرة ولا جنة ولا نار ولا بعث يوجب بهم ذلك من
الثواب في الاخرة بما فعلوا في الدنيا وقوله ويمنيهم هو ما ذكرنا في الاماني وقضاء الشهوات في الدنيا لا بعثة
اصلا وقوله تعالى ولا يجدون عنها محيصا • قيل ملجا وقيل مفرا وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا هذا ظاهر وقوله تعالى
ومن اصدق من الله قيلا • تاويل هذا والله اعلم انه يقال لكم ممن تقبلون الاخبار والقول من الناس ثم لا احد
اصدق قولا من الله تعالى ولا احق لو عن كيف لا تقبلون نحن وقوله في البعث والجنة والنار ولم تؤمنون
وقيل ابليس لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب • اي ليس الامر
بالاماني ولكنه الى الله تعالى وهو والله اعلم يحتمل ان يكون في العذر والمنزلة عند الله تعالى اي ليس الامر
بالاماني في القدر والمنزلة عند الله تعالى لكن الامر في ذلك الى الله تعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء
كما قال تعالى قل اللهم مالك الملك الى قوله بيدك الخير وهذا لانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك من الاماني فاخبر الله تعالى ان لا عز للاماني تهديدا عليهم
فقال لاهل الكتاب وقيل ان كل فريق منهم كانوا يقولون ان ديننا خير من دينكم ونحن افضل من هؤلاء فنزل
قوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب لكن هذا بعيد لان الاماني تستعمل فيما يحتمل الوجود فالمستعمل
على زعمهم ما يزعمون ان ديننا خير من دينكم فذلك منهم اعتقاد منهم لامر كائن ثابت فلا يطلق اسم الاماني
عليه والله اعلم وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا • اختلف فيه قال
بعضهم قوله من يعمل سوءا يجز به يعني الشرك بدليل ما قال ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
ولا نصيرا وذلك وصف الكافر ان لا يكون له وليا يتولى حفظه ولا نصير ينصره وقال بعضهم من يعمل سوءا
يجز به اي كل سوء من الكفر وغيره فيدخل فيه المؤمن والكافر دليل ذلك ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذا وكل شيء عملناه جزينا به فقال عليه السلام
غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن الست تمرض الست تنصبك اللاواء فهذا مما تجزون به فجزاء
المؤمن في الدنيا والكافر في الاخرة وقيل ان المراد هو الجزاء في الدنيا على التوحيد الذي ذكر فيه الجزاء
في الاخرة عما دون الشرك لا يوجد لا محالة بل الله تعالى ان يغفر عن ذلك بفضله او بشفاعة الاخيار او بقبوله
ما معه من الايمان والحسنات ثم لئن كان عاما مطلقا في الدنيا والاخرة فهو يجري على ظاهره وسعى
قوله يجز به اي يستحق به الجزاء لا محالة ثم الله تعالى ان شاء استوفاه وهو عدل منه وان شاء عفا عنه
وهو فضل منه والله اعلم وعلى هذا التاويل قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا خاص في حق
من يجد له وليا ولا نصيرا اذا ارتب عن كفره ومات عليه وان كان نصيب الاية مطلقا في حق الكافر والمسلم
جميعا فهو قوله من يعمل سوءا يجز به وهذا كقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا •
هذا خاص في حق المؤمنين وفي الاية دليل على ان الاعمال الصالحات غير الايمان لانه شرط الايمان في تاويل
العمل الصالح في حال لما كان مؤمنا ولو كان نفس الايمان لم يستقم ان يكون مؤمنا بدونه وفي الآية دليل
ان الاعمال انما ينفع وينال بها الثواب في الاخرة اذا كان ثم ايمان اذ شرط فيه الايمان كقوله وهو مؤمن
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن • اي من الذي دينه احسن فالحسن صفة للدين لا انه صفة
الى الذات كقوله ومن احسن وذكر الذين يعتقد منكرا فيكون تفسيرا له فيعلم ان الحسن صفة له كما يقال
فلان احسن وجها اي حسن وجهه وقوله تعالى ممن اسلم وجهه لله • اي ممن يجعل جميع عمله لله من قال الله
ربنا قال الحسن ان اسلم جميع جهة امر الله تعالى اي جميع ما يعمل فانما يعمل لله تعالى لا يعمل لغيره وقيل اخلص
نفسه لله تعالى لا يجعل لآخر فيها شركا ثم هذا يحتمل وجهين احدهما ان يراد بهذا التفضيل بين ملتين

195

فالدين في صفة الحسن اي ومن احسن دينا من المسلمين ممن يعمل جميع عمله موافقا لدينه وهذا اخرج على الاستفهام
والمراد منها التقرير ليكون ذلك معلوما لله تعالى بطريق الحقيقة كما يقول الصاحب من اعلم من فلان في هذه
البلدة وهما يعلمان ان فلانا اعلم من غيره كان التقرير كانه قال فلان اعلم من سائر الناس كما علمت واعتقدت
تقريرا لاعتقاده على ذلك فكذلك ههنا معناه ان الذي يعمل جميع عمله موافقا لدينه من المسلمين يكون احسن
دينا من الذي لم يعمل شيئا ومن الذي يعمل البعض ويترك البعض فانما اراد بهذا التفضيل في الايمان في صفة
الحسن من حيث القدر والمنزلة عند الله تعالى لا ان الايمان يحتمل الزيادة والنقصان من حيث الذات وهذا
كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان جميع امتي لرجح ايمانه وقال
عليه السلام ان ابا بكر رضي الله عنه قوي في دينه ضعيف في بدنه فانما اراد بهذا القوة في الدين والصلابة
فيه دون ان يكون ايمانه زائدا على ايمان غيره من حيث الذات وهو كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم الا ترى انه
قاتل اهل الردة وحده والثاني يحتمل بهذه المقابلة تزيين الاسلام على سائر الاديان وتفضيله على غيره في
ومن احسن دينا ممن اسلم لله تعالى على الحقيقة استفهاما على سبيل التقرير اعلم ان الذي اسلم وجهه لله وآمن به
حقيقة احسن دينا من الذي لم يسلم وجهه لله ولم يؤمن به حقيقة قوله تعالى وهو محسن يحتمل قوله وهو محسن
اي يحسن ما يعمل ويعلم ذلك اي جميع ما يعمل انما يعمل على علم له فيه لا عن جهل ويحتمل قوله وهو محسن من الاحسان
ومعناه وهو ان يزيد على العمل من المفروض عليه فهو ذو الفرض ويزيد عليه النفل ايضا وقوله تعالى واتبع ملة
ابرهيم حنيفا قيل الملة هي الدين وقيل اي السنة وهذا القول اقرب لان دين الانبياء عليهم السلام
واحد لا يختلف فلم يكن لاختصاصه باتباع دينه وحده دينه ودون غيره من الانبياء سواء لكن السنن
والشرائع مما يختلف قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الاية كما قلنا في الخبر روي مثله رسول الله
وفي بعضها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل السنة تفسير الملة وانما خص سنة ابرهيم وشريعته
بالاتباع لان سنته وشريعته كانت موافقة سنن نبينا عليه السلام وشرايعه والله اعلم وقوله حنيفا
قيل مخلصا وقد يسمى حنيفا اي مائلا الى الحق وعنه الاحنف قيل احد قدميه الى الاخر وقوله تعالى واتخذ
الله ابرهيم خليلا وهذا وان خرج في الظاهر معطوفا على قوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا لكنه لا يصلح
لانه ليس من جنس الاول ومعناه انه ذكر لبيان وصف ابرهيم عليه السلام اي واتبع ملة ابرهيم حنيفا الذي
اتخذه الله خليلا ثم اصل الخلة المنزلة والرفعة والكرامة وقد ذكر في بعض الاخبار ان الله تعالى اوحى الى ابرهيم
عليه السلام اني متخذ خليلا في الارض فقال يا رب من هو فاوحى الله اليه فسلني عنه فقال ابرهيم عليه السلام
حتى احبه او اتخذه خليلا كما اتخذته خليلا او كما ما يحكى هذا فقال الله تعالى انت يا ابرهيم ثم يكلم الناس في
في المعنى الذي وصفه به ابرهيم عليه السلام بالخلة وتسميه خليلا فقال بعضهم انما اكرم بهذا الوصف
بما سمحت به نفسه من كل لذة من لذات الدنيا ولاجل تقربه بما طبع عليه من الجود والسخاء في مكارم
الاضياف فان السبيل يكون اذا قدر على تعبده هذا الصنيع المحمود وكان لا ياكل وحده وكانت عادته
التقديم عند نزول الاضياف بكل ما يتهيأ من الطعام والابتداء بذلك قيل كل امره في ما امتثل الطعام الا
مع عظيم منزلته وابتذل ذلك من الملائكة الذين جاءوه بالبشارة فاخبر الله تعالى عنه فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ فقربه اليهم قال الا تاكلون ويحتمل قوله واتخذ الله ابرهيم خليلا اي جعل له عنده منزلة
وكرامة لم يحصل لاحد من الخلائق لما ابتلاه الله تعالى ببلايا وامتحنه بمحن لم يمتحن احد بمثلها فصبر عليها من
انه القي في النار ولم ترد فصبر ولم يستعن باحد سواه وكذا ابتلي بذبح ولده فاضجعه وتله للجبين وكان عليه
السكين انقيادا للامر وتسليما للقضاء به وكذا امر بالهجرة من الوطن مرتين وترك الاهل والولد الطفل في
جبال مكة لا ماء هنالك ولا زرع ولا ضرع ولا يؤنس من الخلق ففعل استسلاما للامر وكذا السعي من تلك
فصبر على ذلك كله من طوع ورضاء فاكرم بما وصف من اسم الخليل جزاء لما فعل من الطاعات الشاقة على الطبع
وهذا لما اكرم الله تعالى بالثناء عليه بوفاء ما امتحن وامام بما ابتلي من قوله وابراهيم الذي وفى وقال واذ
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقيل بالخلة فهو نبه المعنى مع جميع قومه ما يعبدون من دون الله الاصنام عليهم
والزم الحجة عليهم كما اخبر الله تعالى عنه في كثير من المواضع في كتابه بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا الاية وقال لما خرج عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي الى قوله فلما افلت قال يا قوم
اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر الاية وقيل لما كان نبيه بناء البيت الذي جعله الله قياما
للناس ومثابة للخلق وامنا ومنسكا لهم فعظم شانه بما وصفه بالخلة ولهذا اكرمه الله تعالى بميل القلوب
اليه واظهار الدين بدينه من جميع اصناف اهل الاديان وقال الله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم

195

ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وقال فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا ونحو ذلك وقيل ان الله تعالى خص بعض
في اهل الخيرة من الرسل واولي العزم منهم صلوات الله عليهم لما اختصهم باسماء شتى بما يدل على الفضائل
والكرامات نحو ما جاء من القول في موسى عليه السلام كليم الله وعيسى عليه السلام روح الله ومحمد عليه السلام
حبيب الله ونحو ذلك كانت لابرهيم عليه السلام خصوصية في الاسم فسماه الله تعالى خليلا قال الشيخ رحمه الله
ونحن نقول وبالله التوفيق نحن نعلم ان الله تعالى لا يسميه بالخليل عبثا باطلا ولكن سماه به تعظيما لقدره
واظهارا لكرامته وبيانا لمنزلته عنده لما نال من الحظوة لعلها لم يطلع عليها احد من الخلائق ولا يدرك ذلك
الا بالوحي فحق علينا ان نعرف منزلته وقدره لما اختصه الله تعالى بهذا الاسم الشريف واصطفاه لكرامته
دون تكلف المعنى انه لاي معنى سماه بهذا الاسم ولاي سبب اختصه بهذا المحل والمنزلة مع انه لا وجه
ولا يعتقد به صادقا ولا حقيقة ومستحق لهذه المنزلة وينال هذه المرتبة ولاجله اكرم لذلك الخير والزيادة
والرحمة من الله تعالى وبفضله ادرك ذلك السبب الذي يتوسل به الى هذه المنزلة ويقدر ان يتقدم بالخلة وان
يكرمه بانواع الكرامات التي هي ثمار الخلة من غير سابقة سبب يتوسل به اليها بفضله ورحمته اذ كل ذلك
بفضله بسبب وبغير سبب خلة الله تعالى المن عليه والفضل بكل حال وعلينا الحمد والشكر لله تعالى بما اكرمنا
بمعرفته وكرمه خلقه وجعل في قلوبنا مودة لهم حتى صاروا بفضل الله ورحمته احب الينا من سائر الخلق بانفسنا
ولا قوة الا بالله فان قيل وهو اشكال النصارى لما جاز ان يسمى واحد من عبيده خليل الله على طريق الكرامة
لماذا لا يجوز ان يسمى عيسى عليه السلام ابن الله على طريق الكرامة دون حقيقة الولادة قيل الجواز دعوى
جواز نسبة الولد الى الله تعالى باسم البنوة بالقياس على النسبة باسم الخلة بطريق الكرامة فاسد من وجهين
احدهما ان الله تعالى عظم امر الولد حتى جعل نسبة الولد اليه بمنزلة نسبة الشريك اليه وما كان هذا
سبيله كيف يقاس عليه بالنسبة بطريق الكرامة ولا كذلك امر الخلة والثاني ان امر الولادة حقيقته الجنسية
في التشابه فان المرء قد يتبنى من هو من جنسه من بني آدم اما قط لا يتبنى شيئا من الحيوانات الاخر فاستحال عن الجنس
وتحقق تنزيهه عما يوهم ذلك فاما الخلة فحقيقة الموافقة والطاعة من جهة الخليل والتعظيم والاكرام ممن اتخذه
بالخلة وذلك مما لا يوهم شيئا يخل بالربوبية كذلك افترق الامران ولان الامر المعتاد في الشاهد في
حقيقة الولادة في التبني من الغرض هو بقاء ذكره ممن يخلفه بعد موته ويكون بقاء الحياة في معنى قال الله تعالى
خبرا عن ابرهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وهذا مما لا يليق في صفات العزيز جل
ذكره ولان المعنى الذي هو معنى الخلة وهو قرب المنزلة والعلو والرفعة عند الله تعالى يجوز ان يطرق به المرء
وينال بالطاعة والعبادة وان كان هذا الاسم في حقيقته لاهل الطاعة من اهل الهداية قال الله تعالى ان
الله يحب التوابين وقوله فاتبعوني يحببكم الله والمحبة والخلة نظيران فاما اسم البنوة فما لا يستحق بشيء
من الطاعة فكذلك اختلف الامران والله اعلم وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض تاويل
هذا والله اعلم انه جل وعلا عن ان كرمهم واعظم منزلتهم عنده واعلى قدرهم فانهم لا ينفوا عن عبادته ولا يخرجون
انفسهم من ان يكونوا عبيدا كما اخبر الله تعالى عن بعضهم بقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون بل كلما ازداد لهم عند الله منزلة وقدرا كانوا اخضع له واطوع قال الله تعالى بل عباد
مكرمون وقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا هذا ونظائره من قوله بكل شيء عليما وخبيرا وغير ذلك
يخرج على وجوه منها على التوعد والتخويف ليكونوا مراقبين لحدوده لعلمهم ان الله عالم بهم ورقيب لكل
احد ليخافوا وقد يخرج على هذا ما امر الله تعالى الملائكة الذين كتبوا اعمال العباد من الخير والشر ليحفظوا ذلك
عليه ويخوف النسيان اياه ولكن لما انه اذ دعى الى الرغبة والحذر لان من يعلم انه يكتب عليه كل عمله كان ادعى
له في الاقدام على الخير وابعد عن ارتكاب الشر على هذا اصل البشر فهذا كذلك وعلى هذا اجرى حكم الله تعالى
في المحنة لعباده بالاوامر والنواهي وقرن بهما الترغيب ليكون ابلغ الى التحصيل وان لم تبلغ ادامر المحنة والتكليف
موضوعا على المصلحة بالعبادة واتصال النفع بهم فكان الترغيب والترهيب ادعى الى الوجود واسرع للحصول
فكذا هذا ومنها ذكر ذلك ليبان انه لا يخفى عليه خافية وانه عالم بالاشياء من جميع الوجوه فيكون فيه
بيان صفات كماله ليعتقدوه على ما هي عليه ووصف نفسه ومنها بيان حكمه انهم لا يتركوه سدى
بل هو عالم بافعالهم ويحصي عليهم جميع ذلك ليجازيهم عليها يوم الجزاء لئلا يظن ظان انه انما تركهم لغفلة
بما احتالوا من المعاصي عن غفلة لما لم ياخذهم بها في الدنيا وانه يمهل قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية والاصل تحمله ذلك ان الله تعالى انما قال كان
عليما وكان بكل شيء محيطا ونحو ذلك ليعلم انه لا عن جهل خلق الخلق وبعث الرسل وانشاء الايات بل هو خالق

على حق الحكمة وان كان الخلق على ما عليه رأيهم وامرهم لا يعرفون في بعث الرسل الى من يكذبهم ويقتلهم ويعنتهم على الرسل ويقول فيه ما لا يليق به كثير حكمة وكذا لا يعرفون في دقيق الاحداث وتقويتها ليقدروا على قهر الاولياء وليقتلوا فيه ما استحقا عند ذلك حكمة وكذا في الامر والنهي لمن يعلم انه لا يسمع ولا يأتمر على ما عليه حكمة اليسيرة يرحمون بها سفها ولكن لما كان ذلك من الله تعالى فهو خارج عن حد الحكمة لان هذا كله من الخلق انما يقع بحاجة او لمنفعة ترجع اليهم فاذا كان لا منفعة لهم في ذلك بل فيه مضرة خرج الفعل عن الحكمة فاما الله تعالى اذ كان انما امتحن الخلق بالامر والنهي وبعث الرسل اليهم لحاجة بالممتحنين وبعوث اليهم ولمنافع ترجع اليهم الحكمة متعاليا عن المضار والمنافع فيكون ذلك منه كالهدايا لمن لا يقبلها فنفسه يضر وحكمها يحسن لان يرجع ذلك الى المهدى وكذلك ههنا فاذا تقدم ذلك المعنى الذي لم يخرج الفعل من الخلق في حد الحكمة في حق سبحانه فلزم القول بخروج ما امر على الحكمة والمصلحة وخروج افعاله على الحكمة لا محالة وعلى المصلحة في حق البعض دون البعض وفي بعض الاحوال دون بعض والله الموفق وقوله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن • بيان ان السؤال وقع عما ذا من معنى هذه الاية والاشكال انه ليس في السؤال ما هو وهو قوله يستفتونك في النساء ولا في الجواب وهو قوله قل الله يفتيكم فيهن بيان ان السؤال لم يقع عما ذا اعلى معنى هذا والاقصى يحتمل ان يكون السؤال وقع عن امور جميع النساء وحقوقهن ومعاملة الازواج وعن ميراثهن … جميع احكامهن في الموارد … ثم خرج الجواب على سبيل العموم انه يفصل ويبين بقوله قل الله يفتيكم فيهن ثم بين الله تعالى وذكر لها فرائضا فقال للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية وقال في صفة الشدة للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وقال في حقوق الزوج ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة وكذلك بين سائر احكامهن في القرآن ويحتمل ان يكون السؤال لم يقع عن امور مخصوصة ونوازل معلومة لا عن جميع امورهن لكن ترك ذكر ما وقع عنه السؤال في ذكر السؤال والجواب لان تلك النوازل لما عرفها اهلها … الحاجة الى بيان ما وقع عنه السؤال من النوازل اهلها بذلك ويحتمل ما قال اهل التأويل ان هؤلاء العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد وانما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال والذين يحرزون الغنائم فلما بين الله تعالى للنساء والصغار نصيبا في الاموال وفرض لهم نصيبا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى قوله ويستفتونك قل الله يفتيكم فيما ذا يستفتونك في ميراث النساء والصغار وعد ما بين الله تعالى ذلك وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر القصة هكذا ويحتمل ان يكون السؤال لم يقع عن … النساء كانه قال ويستفتونك في يتامى النساء الاية الا انه ترك السؤال في الجواب وما يتلى عليكم في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب الله لهن وترغبون الاية فاكتفى بذكره في الجواب عن الذكر في السؤال كما ذكر امثال هذا في قوله ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء الى آخر ما عليهم وقد ذكر بقوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهكذا روي عن عائشة رضي الله عنها في تأويل الاية وقيل كانت اليتيمة في حجر الرجل وهي ذات مال فيرغب عن تزوجها بنفسه لدمامتها ويمنعها عن الانكاح رغبة في مالها وهكذا روي عن الحسن انه قال في قوله وترغبون ان تنكحوهن اي ترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وعن ابن سيرين وعبيدة عن نكاحهن رغبة في مالهن ثم في قوله وترغبون ان تنكحوهن دلالة على ان الولي يقوم بالنكاح وحده لانه قال وترغبون ان تنكحوهن تولي النكاح وحده … القبول من المرأة لا … العتاب لان في هذا الحاق العتاب بامر لا يتحقق الا بوجود القبول من المرأة لا يكفي العتاب وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط • كانه معطوف على قوله ويستفتونك فيهن ويستفتونك في النساء والمستضعفين من الولدان وجوابه قل الله يفتيكم في المستضعفين من الولدان في الميراث والحقوق وعلى ما بين في المواريث وان تقوموا لليتامى بالقسط اي في ايتاء حقوقهم واداء ما لهم عليكم وقوله تعالى وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما • يخرج على هذه الوجوه التي ذكرنا في قوله ان الله كان بكل شيء محيطا وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير • وقوله خافت يحتمل علمت من بعلها نشوزا الاية روي عن عائشة رضي الله عنها في نزول هذه الاية انها قالت هي المرأة التي تكون عند الرجل دميمة ولا يعجبه زوجها لا يطلقني وانت في حل من شأني … ترك الانفاق علي وفي ادخال الاخرى في قسمي فهو تأويل الصلح كذلك رفع الحرج عنه وكذلك روي عن علي رضي الله عنه ان اتاه رجل يستفتيه في امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قال هي المرأة تكون عند الرجل فتنبو عيناه عنها من دمامتها او كبرها او فقرها او سوء خلقها

وتكره المرأة فراقه فان وضعت من مهرها شيئا حل له وان جعلت من ايامها لغيرها من الزوجات جاز ورجع عليهما وتقاولا الصلح بهذا فاول الخوف بالعلم وقيل الخوف ههنا حقيقة الخوف يدل عليه ما روى ابن عباس رضي الله عنهما ان سودة بنت زمعة خشيت ان يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت يومها لعائشة رضي الله عنها فانزل الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها الاية ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما فهذا الصلح الذي امر الله وقيل الخوف هو ما يظهر لها من نشوز الزوج بالاعلام قبل تزوج اخرى والعلم هو ما يظهر لها من ترك مضاجعته اياها وسوء صحبته معها او تزوج امرأة اخرى لكن المراد بهذا العلم هو العلم من حيث غالب الذي لا بحقيقة لا يعرفها الا الزوج من العباد والخوف لا يكون في الغالب الا عند غلبة هذا العلم بدليل يرجح غالب فان الخوف والعلم الغالب لا ينفك احدهما عن الاخر والله اعلم وقوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير يحتمل ان يكون المراد من نفي الجناح هو الحرج عن الزوج خاصة وذكرهما وان كان الفعل مضافا اليهما لانه ليس للمرأة في ترك حقها حرج ولا يشبه هذا حتى يكون الاشتباه في فلا جناح عليهما وانما يشتبه في حق الرجل والمرأة هي المضطرة في هذا الصلح وترك حقها فازال الاشتباه بهذه الاية ويجوز ان يكون الفعل مضافا الى اثنين والمراد احدهما قال الله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب فهذا امثاله ويحتمل ان يكون على ما ذكرنا من اضافة الفعل اليهما اما من جانب الرجل فلا يشك وكذا من جانب المرأة اذ قد يتصور اشتباه الحرج في ترك حقها اذ يحتمل ان لا حرج على المرأة في المقام معه ان يستفضل الرجل ذلك ويكره صحبتها اذ يشتبه على المرأة ان الزوج مع ما يكادها الصحبة بان يأتي بالمقام معه اما في ذلك من الضرر فازال الاشتباه بهذا والله اعلم وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح • عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية وهي قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا انما نزلت في رجل تزوج امرأة وهي شابة فلما ادبرت وعلاها الكبر تزوج عليها شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت الكبيرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ذلك فاخبر بما نزل فيها وان امرأة خافت من بعلها نشوزا يقول علمت من بعلها نشوزا او اعراضا نشوزا يعني بترك مجامعتها او اعراضا يعني يعرض بوجهه عنها ويقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما اي لا اثم على الرجل والمرأة ان يصلحا بينهما صلحا معلوما ترضى به المرأة من الزوج وهو ان يقول الزوج لها انك امرأة قد دخلت في السن واني اريد ان اتزوج عليك شابة وان اؤثرها عليك في القسمة بالليل والنهار ترضين بها قالت ان رضيت بهذا فقد جعل الزوج لها ذلك وان كرهت الا المساواة في القسم بينها وبين الشابة فليس لها الا ان ذلك حقها او هو قوله واحضرت الانفس الشح يقول شحت بنصيبها من زوجها وشح الرجل بنصيبه من الاخرى اي بخلت المرأة بنصيبها من زوجها ان تعطيه للمرأة الاخرى وبخل الرجل بنصيبه ان يمنعه للاخرى لا يكون شاملا خالصا للكبيرة دون المرأة الكبيرة ان يكون للزوج لها خالصا بلا شركة وبخل الزوج ان لا يكون للكبيرة نصيب منه اصلا ولا يخل الرجل نصيب الكبيرة على التفضيل للاخرى الا بطيبة نفسها ويحتمل قوله واحضرت الانفس الشح اي جبلت الانفس وطبعت على البخل في ترك حقها او في البذل كالايثار للغير في حقها ويحتمل ان يراد بالشح الحرص وهو ان يحرص كل على حقه فكان الشح والحرص واحدا في المعنى وان كان يستعمل احدهما في المنع وهو الشح والاخر في الطلب وهو الحرص لان البخل يحمل على الحرص والحرص يحمل على المنع والبخل فكل واحد منهما سبب لكون الاخر وقوله تعالى وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا • اي وان تحسنوا في ان تعطوهن اكثر من حقهن وتتقوا في ان لا تنقصوا من حقهن شيئا ويحتمل وان تحسنوا في ايفاء حقهن والتسوية بينهن وتتقوا الجور في الميل وتفضيل بعض على بعض ويحتمل وان تحسنوا في اتباع ما امر الله من طاعته وتتقوا ما نهاكم من معصيته وقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم • عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ولن تستطيعوا ان تسووا بين النساء في الانفاق والجماع لا تستوي في قلوبكم الحب ولو حرصتم على العدل والتسوية فيه فلا تعتدوا عليه وقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل • الذي يحبها في النفقة والقسم اي الشابة التي يحبها وتدع الاخرى بغير قسم ولا نفقة وروي عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول اللهم اما قلبي فلا املك ولكني ارجو ان اعدل فيما سوى ذلك وعن عبيدة انه قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم في الحب وروي عن ابي قلابة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك واصل ذلك ان كل ما كان المرء مدفوعا اليه مضطرا فيه فانه غير مكلف فيه وفي كل ما كان باختيار منه وايثار غير محمول عليه فانه مكلف في ذلك عما يدفع المرء اليه الطبع لم يكلف التسوية فيما يكون مدفوعا اليه لانه لا يملك التسوية والله يرحم الحديث

المروي عن حفصة وعمر كنتم فان مات شهيدا وقوله فلا تميلوا كل الميل في النفقة والقسمة
معناه لا يحملنكم شدة الحب وميلان القلب ان تتركوا الانفاق عليها وايفاء الحق في القسم وقوله تعالى
فتذروها كالمعلقة • ليست بايم ولا ذات زوج ستكلف هي مؤنتها كما تتكلف الايم ولا يتحمل الزوج مؤنتها وهي
مع هذا في حبس الزوج وبصريه وفي حرف ابي بن كعب كالمسجونة ومعناه لما ذكرنا انه لا ينفق عليها ولا يطلقها
لتتزوج بزوج آخر فينفق عليها فهي كالمسجونة وقوله تعالى وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما
هذه الآية ينقض قول من يقول انه لم يكن رحيما ثم صار رحيما والله تعالى يخبر انه كان رحيما والرحمة عندهم
من صفات الفعل وكذلك سائر صفات الفعل ازلية وقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته •
المرأة بزوج آخر والرجل بامرأة اخرى فيقع لكل واحد منهما الاكتفاء بالاخر ويحتمل يغن الله كلا من سعته
اي كل واحد منهما وان كان غنيا بالاخر في حال الزوجية فيكون لكل واحد منهما سبب رزق الاخر فالله
تعالى قادر على ان يغني كل واحد منهما بعد الافتراق ويرزق كما كان يرزق قبل الافتراق وفيه دليل قطع
الارزاق من غير الله تعالى وان جاز ان يجعل الله بعضهم سببا في ذلك الا ترى انه قال وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وعدلهم الغناء ليعلم كل نفساء ان لم يكن الا بالله تعالى على الحقيقة وفي الآية دلالة ان
الزوج اذا قال انا منك باين او عليك باين او عليك حرام يصح لان الله تعالى اضاف الافتراق اليهما وجعلهما
مشتركين في وصف الافتراق وان كان الزوج هو المنفرد بالفراق بنفسه مباشرة فكذا الابانة والتحريم لما
في الطلاق سواء وكذلك قال … والمفارقة تكون بين اثنين واذ كانت المفارقة تحقق بكلتي
كانت الوصلة قائمة بينهما لان الافتراق بضد الاتصال السابق ولا يتحقق فصل الرجل بصنف الابانة
الى محل الوصلة فيصح بخلاف الطلاق فان الزوج ليس بمحل القيد لان القيد وصف خاص فيها وفي
الآية دلالة على وجوب النفقة في العدة لانه اخبر انه يغني كل واحد منهما بعد الافتراق فهذا دليل على غناء
كل واحد منهما بالاخر قبل الافتراق انما يكون بانقضاء العدة فدل ان المرأة مستغنية بالزوج ما دامت في العدة
وقوله تعالى وكان الله واسعا حكيما • قيل واسعا اي جوادا وقيل واسعا يوسع على كل منهم رزقه حكيما
حيث حكم على الزوج بالامساك بالمعروف او التسريح بالاحسان وقيل حكيم حيث بدا بالفرقة عند
اختلافهما وقيام النشوز بينهما فدل على ان الطلاق هو الحكمة في هذه الحالة واصل الحكمة وضع كل
شيء في موضعه والله اعلم وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم • يحتمل وصينا امرنا وقيل فرضنا على الذين اوتوا الكتاب وقوله تعالى
ان اتقوا الله • قال مقاتل رضي الله عنه اي وحدوا بنيته وقيل ان اتقوا الشرك في الله ويحتمل ان اتقوا
عذاب الله ونقمته ولا تعبدوا غيره وقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
اي وان تكفروا ولم تتقوا فيما امركم ونهاكم فان لله ما في السموات وما في الارض ذكر هذا على اثر قوله ولقد
وصينا ليعلموا انه لم يأمرهم بذلك لحاجته لرفع ضرر عنه او لمنفعة نفسه انما امرهم بذلك لحاجتهم و
لمنفعة انفسهم اذ من له ما في السموات وما في الارض لا يحتاج الى احد لينتفع به وقوله تعالى وكان الله
غنيا حميدا • اي غنيا عن عبادتكم حميدا في سلطانه ويحتمل غنيا في الازل عن خلقه حميدا في فعاله
والحمد في الفعل نوعان احدهما ابتداء الفعل والثاني الاحسان الى خلقه وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم
ايها الناس ويأت بآخرين • يحتمل والله اعلم ان من له ما في السموات وما في الارض ان يشأ يذهبكم
اي يهلككم ويأت بآخرين خير منكم واخوف واطوع له لكنه لا يفعل لانه غني عن عبادتكم لا يخلقكم
في الابتداء لحاجة له في عبادتكم او لمنفعة له فيكم ولكن لمنافعكم يحتمل ان يكون ذلك في قوم خاص كما
كان في الامم الخالية من الاهلاك عند المعاندة وقوله تعالى وكان الله على ذلك قديرا • اي على الاهلاك
وابدال غيرهم فان قيل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد شاء وجود هذا الخلق دون غيرهم فكيف
قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وذا يحقق خلاف ما شاء في الازل قيل المراد انه خلق
آخرين داخل تحت قدرته فان كان لم يفعل لاختياره انه لم يفعل فهو ذو الجلال … وهذا لا يخرج
الفعل من ان يكون مقدورا ومن حيث الذات والله الموفق وقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة • قال بعض اهل التأويل بان في الآية اضمارا ومعناه من كان يريد بعمله الذي
يعمله عرض الدنيا ولا يريد به الله تعالى اتاه الله تعالى ما احب من عرض الدنيا ودفع عنه ما احب في الدنيا
وليس له في الآخرة ثواب لانه عمل لغير الله وهو كقوله ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له
في الآخرة من خلاق ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا ثواب الآخرة اتاه الله من عرض الدنيا ما احب

عنه ما احب في الدنيا وليس له في الآخرة ثواب فانه عمل لغير الله وهو كقوله ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا ثواب الآخرة اتاه الله من عرض الدنيا
ما احب ودفع عنه ما احب وجزاؤه في الآخرة الجنة بعمله في الدنيا وهو كقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته
منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ويحتمل الآية وجوها اخر كانها اشبه احدها انهم
كانوا يتخذون من دون الله آلهة يعبدونها طلبا للعز والشرف كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا كلا اخبر تعالى انه لا يحصل لهم العز والشرف في ذلك ولكن عند الله عز الدنيا والآخرة والثاني انهم كانوا
يعبدون الاصنام والاوثان ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله فاخبر تعالى انه ليس لكم في عبادتكم الاوثان زلفى ولا ثواب ولكن اعبدوا الله فعنده ثواب الدنيا
والآخرة والثالث يحتمل ان يكونوا عبدوا هذه الاصنام لمنافع تاملون بذلك من السعة والرزق في الدنيا
كما قال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فعلى ذلك
قوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة لا عند من تطلبون ويحتمل ان يكون الآية في اهل
النفاق الذين يريدون باعمالهم الصالحة في الدنيا ثواب الدنيا لا غير وقوله تعالى وكان الله سميعا بصيرا •
اي سميعا لمقالتكم بصيرا بما يريدون وبما يعملون وهو وعيد وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما • عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال اي كونوا قوامين لله ما يقول في الشهادة على من كان من قريب وبعيد او على نفسه
فاقيموها وكذلك قال اهل التأويل … قوامين لله قوالين الحق لكن آخر الآية على ظاهرهما يمكن اي كونوا شهداء لله قوامين
بالعدل في الشهادة وكذا في كل فصل فقوله يلزم ان يقوم لله تعالى فيه بالشهادة له وهو كقوله واقيموا
الشهادة لله اي لاجل الله ولابتغاء مرضاته فاذا جعل الشهادة لله واراد القيام بها لابتغاء وجهه امكنه
القيام بها وان كان على نفسه وعلى الاقربين فالقرابة لا يمنعه عن القيام بها ولا قرب ولا بعد ولا جنس الا الذين
… الشهادة على نفسه ثم ما يمنعه عن القيام بها … على نفسه فيقع بطمع او خوف يدفع واما على الاجنبي
فيمتنع عن ذلك … واما على الاقربين فطلب الثناء والمودة … فاخبر الله تعالى انه اولى بهما
فلا يمنعك غنا احد منهم ولا فقره عن القيام بها وفي حرف ابن مسعود ان يكن غني او فقير فالله اولى بهما اي ان وجد
غني او فقير وفي حرف حفصة رضي الله عنها ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهم منكم وقوله تعالى فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا • قيل فيه بوجهين احدهما ولا تتبعوا الهوى لان لا تعدلوا وتميلوا لغير الله … من العدل
والثاني ولا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا وقد روي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه مفسرا فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا بينا لنا … ويحتمل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا من العدول … في معناه فلا تتبعوا
الهوى ان تميلوا عن الحق وقوله تعالى وان تلووا • فيه لغتان تلووا وتلوا من اللي … فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا وان تلووا اي تكونوا غالبين … الشهادة … وكتمتم ذلك وكذا ذكر في حرف حفصة
رضي الله عنها فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا من اللي فعلى هذا التأويل قوله او تعرضوا بها على قوله فلا
… فلا تتبعوا الهوى ان تعرضوا وقيل اللي ان تلووا من التحريف يقول فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا
اي وان تحرفوا وتعرضوا عنها اي لا تحرفوا الشهادة ولا تعرضوا عنها وتكتموا فان الله كان بما تعملون خبيرا
خرج على الوعيد على ما ذكر من منع الشهادة والقيام بها لله وتحريفها الزمتم وقد وردت الاخبار موافقة
لما ذكر في الآية روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقم شهادته
على من كانت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه الى سلطان خصومة
ليقتطع بها حقه وايما رجل خاصم الى … على احد بحق ليس هو له عليه فلا يأخذنه فانما اقطع له قطعة
من جهنم وروي في خبر آخر ان ابن آدم اقم الشهادة ولو على نفسك وعلى الوالدين وعلى ذوي قرابتك واشرف
قومك فانما الشهادة لله تعالى وليست للناس وان الله تعالى رضي بالعدل لنفسه والاقساط لنفسه والعدل ميزان الله
تعالى في الارض يرد على المظلوم من الظالمين وعلى الضعيف من الشديد وعلى المحق من المبطل وبالحق يصدق
الصادق ويكذب الكاذب ويرد المفتري ويوبخ العدل اصلح الله الناس وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا آمنوا بالله ورسوله • يحتمل الآية وجوها من التأويل يحتمل يا ايها الذين آمنوا فيما مضى من الوقت آمنوا
في حادث الوقت لان الايمان هو التجديد في كل وقت ويحتمل يا ايها الذين آمنوا آمنوا اي اثبتوا على الايمان
ويحتمل يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم آمنوا بقلوبكم كقوله آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ويحتمل الايمان
آمنوا عند دون الناس … بل آمنوا على الحقيقة كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ويحتمل

يا ايها الذين آمنوا ببعض الرسل آمنوا بالرسل كلهم كما آمن المؤمنون كقوله لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ويحتمل يا ايها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام قبل ان يبعث آمنوا به حين بعث لانهم كانوا آمنوا به حين يبعث لانهم كانوا آمنوا به قبل بعثه فلما بعث تركوا الايمان به كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله تعالى آمنوا بالله ورسوله اي محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل • اي آمنوا بالكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن والكتاب الذي انزل من قبل اي آمنوا ايضا بالكتب السماوية التي انزلها الله تعالى ثم ما ذكر الايمان بالله ورسوله والكتاب الذي نزل عليه والايمان بسائر الكتب السماوية على طريق التاكيد لما ان الايمان بالله حقيقة الايمان بجميع الرسل والكتب السماوية وكذلك الايمان بواحد من الرسل وبواحد من الكتب السماوية ايمان بالله وايمان بجميع الرسل والكتب لان كل نبي من الانبياء عليهم السلام كان يدعو الى الايمان بجملتهم وكذلك في كل كتاب وكذلك الكفر بكل كتاب من الكتب السماوية الايمان بجميع ذلك الا يرى ان الكفر بواحد منهن يكون كفرا بالجميع وبالله القوة والعصمة وقوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا • يحتمل وجهين يحتمل ومن يكفر بجميع ما ذكر فقد ضل ضلالا بعيدا وهو على سبيل التاكيد لان الكفر بواحد منهم كفر بالكل فكان ذكر الجميع على طريق التاكيد دون الشرط ويحتمل ومن يكفر بالله وملائكته او كتبه او رسله او اليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا لان من انكر واحدا من ذلك فقد كفر بالكل قال والواو بمعنى او في كلام العرب والله اعلم وقوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا • عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت الآية في الذين قال الله تعالى في سورة آل عمران كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات • وقيل انها نزلت في الذين آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعده وآمنوا بعزير عليه السلام وكفروا بعده وآمنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعده ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما تواطئه وقيل انهم آمنوا بالتوراة وبموسى عليه السلام ثم كفروا بعده بالانجيل وبعيسى عليه السلام ثم كفروا من بعده ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن والله اعلم فيمن نزلت وليس بنا حاجة الى معرفة ذلك لكن يجب ان نعرف انها نزلت في قوم علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون ابدا ولا يتوبون لانه اخبر انه لا يغفر لهم بقوله لم يكن الله ليغفر لهم وهو كقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وهو في قوم علم الله انهم لا يتوبون ابدا والا لو تابوا لقبل توبتهم وفي الآية دليل على ان المرتد اذا تاب تقبل توبته خلافا لما قال بعض الناس انه لا تقبل توبة المرتد لان الله تعالى اثبت الايمان للمرتد بقوله ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ومن هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المرتد يستتاب ثلاثا فان اسلم والا قتل وروي عن علي رضي الله عنه انه قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الآية وعن عمر رضي الله عنه انه قدم عليه رجل من جيش المسلمين فقال هل حدث بك حدث فقال نعم رجل من المسلمين لحق بالمشركين فاخذناه قال ما صنعتم به قال قتلناه فقال هلا ادخلتموه بيتا واغلقتم عليه بابا واطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه ثلاثا فان تاب والا قتلتموه ثم قال اللهم اني لم اشهد ولم امر ولم ارض حين بلغني وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا ارتد الرجل ثلاثا ثم تاب في كل مرة فانه يحبس في الثالثة اذا تاب حتى يظهر منه اثر التوبة فيحبس على توبته وان ظهر ذلك يخلى سبيله لما يحتمل ان يكون توبته فرارا عن القتل فيحبس حتى يظهر حقيقة توبته وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا • فيه رد على المعتزلة حيث قالوا ان الهدى من الله تعالى هو البيان لانه قد بين لهم الطريق الحق واقام الادلة السمعية والعقلية عليه ومع هذا قال ولا ليهديهم سبيلا دل ان المراد من الهداية المضافة الى الله تعالى قد يكون سوى البيان وهو خلق الاهتداء والتوفيق ولم يعطهم لما علم انهم لا يهتدون ابدا والله الموفق وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما • قيل ان البشارة المطلقة المرسلة لا تستعمل الا في الخير فاما يجوز استعمالها في الشر مقيدة كقوله فبشرهم بعذاب اليم ونحوه وقد ذكرها هنا مقيدة ثم في الآية ما يدل على ان الآية الاولى وهو قوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله في اهل النفاق والمراءاة على ما ذكرنا من التاويل لانه لم يسبق فيما تقدم ذكر المنافقين سوى قوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فيكون قوله بشر المنافقين على الابتداء من غير تقدم ذكر المنافقين وذلك كثير في القرآن والله اعلم وقوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين • هذا خرج تفسيرا للمنافقين ثم يحتمل قوله الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وجهين احدهما من حيث الفعل كقوله تعالى خبرا عنهم انا معكم انما نحن مستهزؤن ويخوفونهم عن الآيات واما من حيث العقل فانهم كانوا يمنعون المسلمين عن محاربة وقتال اهل الكفر

بالحيل والاسباب كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وان منكم لمن ليبطئن وقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين وان كانوا يبدون الموافقة من انفسهم في الظاهر مع المسلمين وان كانوا في الحقيقة مع الكفار وقوله تعالى ايبتغون عندهم العزة • قيل ان الالف زائدة في قوله ايبتغون ومعناه يبتغون بذلك عندهم العزة والاصل في هذا ونظائره ان الاستفهام من الله تعالى يراد به تقرير الخبر على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام لان حقيقة الاستفهام هو طلب الفهم ولا يخفى على الله تعالى شيء فيطلب الفهم من غيره والله الموفق ثم قوله ايبتغون عندهم العزة يحتمل وجهين احدهما اي يطلبون ان يتعززوا بالكفرة لما رأوا من السعة والقوة لهم فقال الله تعالى فان العزة لله جميعا اي القوة والنصرة كلها لله تعالى من عنده تطلب وبه يكون المتعزز به متعززا في الدنيا والآخرة ليس من عند ولكن الذين يطلبون منهم ويحتمل يبتغون عندهم العزة اي يريدون النصر بالكفرة والظهور لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى فقال فان العزة لله جميعا يعز من يشاء ويذل من يشاء ليس ذلك متعلقا بهم ولا هو في ايديهم انما ذلك لله تعالى يعطيه من يشاء والله اعلم وقوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم • قال بعضهم وقد نزل عليكم في الكتاب يريد ما ذكر في سورة الانعام وهو قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين نهاهم عن القعود معهم اذا خاضوا في طعن القرآن وآيات الله تعالى على طريق القصد واستثنى القعود معهم بطريق النسيان بقوله واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى كما ذكر في هذه الآية النهي عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره فان قيل في تلك الآية رخص في القعود معهم ورفع المأثم عن ذلك اذا اتقوا المشاركة معهم في ذلك الصنيع بقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وههنا قال فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم نهى عن القعود معهم واخبر انهم اذا فعلوا ذلك يكونون مثلهم فما معنى هذا قيل الجواب عن هذا من وجهين احدهما ان هذه الآية خرجت على نسخ الرخصة الثابتة بتلك الآية فلا يؤدي الى التناقض لاختلاف الزمان والثاني يحتمل ان يكون قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء في المشركين ولم يلحقهم العقوبة بالقعود معهم لانهم لا يقدرون على منع المشركين عن الاستهزاء بآيات الله تعالى والطعن فيها واما هذه الآية ففي المنافقين يكونون معهم تحت ايديهم فيقدرون على منعهم عن ذلك فمتى لم يمنعوا عن ذلك مع قدرتهم على المنع جعل لهم حكم المشاركة معهم ولحق بهم العقوبة والله اعلم وفي الآية دليل ان من ابتلي بمنكر وعلم به وله قدرة التغيير على اهله فلم يغيره انه كالمشارك لهم في مباشرة ذلك المنكر واذا لم يكن له قدرة التغيير عليهم ولم يفارقهم واقام معهم فانه يكون مشاركا لهم ايضا ويلحقه المأثم كالمنحاز وانما تسقط عنه المأثم اذا كان لا يقدر على التغيير عليهم فيعرض عنهم ويجتنبهم ولا يرضى بصنيعهم والله اعلم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا • وانما جمع المنافقين والكفرة في جهنم لانهم كانوا معهم في السر على المعصية وعلى المواقعة من الثواب والعقاب هو حقائق الامور دون الظواهر وان الحقيقة هو ما اسر واضمر ليس ما يظهره لان المنافقين كانوا مع المؤمنين في الظاهر في الاحكام لكنهم لما اضمروا خلاف ما اظهروا لم ينفعهم ذلك وبهذا يبطل قول من قال الايمان هو القول المفرد لوجود ذلك من المنافقين فلم ينفعهم ذلك وقوله تعالى الذين يتربصون بكم • الآية يحتمل وجهين احدهما انهم يتربصون الفتح والنصر والغنيمة وينتظرون عواقبها انها للمؤمنين والكافرين ثم يظهرون انفسهم لمن له العاقبة الحميدة فان كان الفتح والغنيمة للمؤمنين قالوا الم نكن معكم في اظهار الايمان والاحكام كلها يطلبون بذلك المشاركة في الغنيمة وهو كقوله اشحة على الخير الآية واذا كانت الدائرة على المؤمنين والحظ والنصيب للكافرين يقولون لهم الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقيل الم نخبركم بعورة محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ونكشف عنهم ونطلعكم على سرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الم نحط من ورائكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ومعنى الم نستحوذ عليكم اي نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين والاستحواذ الغلبة والاستيلاء وهذا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ونحو ذلك والثاني يحتمل انهم يتربصون بهم انقلاب الامر وزوال الدولة عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم الى اعداء الله تعالى كما اخبر عنهم بقوله تعالى وتربصتم وارتبتم الآية وقوله تعالى

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وقوله تعالى ومن الاعراب من
يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر فكانوا يتربصون لينظروا العواقب فيظهروا الدين كان دينهم
على الحقيقة وقوله تعالى فالله يحكم بينكم يوم القيمة • ويحكم والله اعلم ان ينزل المؤمنين الجنة والمنافقين
مع الكفرة النار وقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا • يحتمل وجوها يحتمل ان لا يجعل
للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجج اي لا حجة لهم وانما الحجة للمؤمنين وما يتعلقون به موهومة وشبهة
كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما سبيلا اي حجة لم يجعل لهم على المؤمنين من الحجة في الدين
ويحتمل السبيل هو الشهادة اي لم يجعل للكافرين على سبيل الشهادة في الدنيا والاخرة بل جعل المؤمنين
عليهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فظاهر وكذلك في الاخرة فان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون
على الكفرة لانبيائهم عليهم السلام كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ويحتمل
النصرة اي لم يجعل للكافرين نصرا على المؤمنين لان النصر يكون بالعاقبة دون الغلبة الحالية ولهذا قيل
للحق دولة وللباطل جولة والكفار ان كان لهم نوع غلبة لكن مآل الامر وعاقبته يكون للمؤمنين ويكون النصرة
والله اعلم وقوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم • اي يجزيهم جزاء خداعهم ويحتمل اي يخادعون
اولياء الله فاضيف اليه كقوله ان تنصروا الله ينصركم وقد ذكرنا الكلام في تاويل هذه الاية في سورة
البقرة ما فيه مقنع لذي اللب والله اعلم وقوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا • جعل الله للمنافقين اعلاما في قوله وفعله يعلم بها مذكور ذلك في غير القران اما
في القول نحو ما اخبر الله عنهم بقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله وان منكم
لمن ليبطئن وقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا واما في الفعل نحو ما اخبر
الله تعالى عنهم بقوله واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
وقوله فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اشحة عليكم الاية وقوله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم
كانهم خشب مسندة وقوله واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا وفي
حرف حفصة رضي الله عنها يراؤن الناس والله يعلم ما في قلوبهم ولا يذكرون الا قليلا وقال الحسن
رضي الله عنه في قوله ولا يذكرون الله الا قليلا انما قال الله لو كان ذلك العمل القليل منهم لله تعالى قبله لكن
كان ذلك القليل رياء فلو كان ذلك القليل لله تعالى يريدون به وجهه لتقبله لكان كثيرا ولكن لا يقبله
فهو لا شيء وقد يتكلم بالقليل اليسير على ارادة النفي من الاصل اي لا يذكرون الله اصلا ويدخل في الاخبار
علاما اهل النفاق روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الصلاة
حين يراه الناس واساءها حين يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان للمنافق علامات يعرف بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول لا يقربون المساجد الا هجرا
لا ياتون الصلاة الا دبرا وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربع
من كن فيه كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروي عن
عبد الله رضي الله عنه اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر ثم قرأ
الايات ومنهم من عاهد الله الى اخرها وعن وهب رضي الله عنه قال من خصال المنافق ان يحب الحمد ويكره
الذم وقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء • قال اكثر اهل التاويل ليسوا بمسلمين
مخلصين ولا مشركين مصرحين وكذا قال قتادة رضي الله عنه وقال مقاتل رضي الله عنه ليسوا مع اليهود
فيظهرون ولايتهم لهم ولا مع المؤمنين في التصديق والولاية ويحتمل غير هذا وهو انه لم يظهر ذلك
لكل واحد من الفريقين اعني المسلمين والكافرين الموافقة لهم والكون معهم بل اظهر الخلاف منهم
عند كل فريق لانهم كانوا اصحاب طمع وعباد انفسهم يكونون حيث راوا السعة والقوة ويميلون الى
من يحصل اغراضهم فلا الى هؤلاء في حقيقة الدين ولا الى هؤلاء • فذلك والله اعلم تاويل قوله ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا قيل حجة على ما تقدم وقيل الطريق المستقيم وهو الهدى وعن الحسن رضي الله عنه
من يضلل الله فلن تجد له سبيلا ما دام كافرا فاذا تاب ورجع عن ذلك اهتدى السبيل وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين • عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الاية في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين لكن سماهم الله تعالى مؤمنين
باقرارهم الايمان علانية وتوليهم الكافرين سرا وسموا بذلك لما كانوا ينتسبون الى المؤمنين كانه قال

يا ايها الذين سميتم انفسكم مؤمنين وانتسبتم اليهم باسم الايمان وقيل نزلت في المؤمنين ونهاهم
ان يتخذوا المنافقين اولياء باطنا لاظهارهم الايمان علانية اذ الظاهر ان المؤمنين في زمانه ما كانوا يتخذون الكفرة
اولياء ولكن يتخذون المنافقين لظاهر الايمان منهم وظنهم ذلك حقيقة من حيث الغالب اذ لا وقوف
للبشر على حقيقة الايمان من غيرهم الا انه تعالى سماهم كافرين لانهم كفار حقيقة ثم يحتمل النهي عن اتخاذ المؤمنين
للمنافقين اولياء من وجهين احدهما يحتمل النهي عن ولايتهم ولاية الدين اي لا يتبعوهم في الدين ولا ينصروهم
ولا يميلوا اليهم فانهم يريدون ان ينصرفوكم عن دينكم كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم
على اعقابكم الاية والثاني يحتمل النهي عن اتخاذهم اولياء في امر الدنيا كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم نهى المؤمنين ان يجعلوا المنافقين موضع سرهم في امر من الامور والحرب وغيره وقوله تعالى اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا • الارادة صفة كل فاعل في الحقيقة وحرف الاستفهام من الله تعالى
ايجاب وتحقيق كانه قال جعلتم لله تعالى على انفسكم حجة بينة في تعذيبكم ولزوم المقت اياكم بفعلها الكل
وهو اتخاذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقيل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة ظاهرة ويحتمل
ان يكون الاضافة الى الله تعالى يريد بها اولياء الله كما ذكرنا في قوله تعالى يخادعون الله اي يخادعون اولياء الله
فهذا والله اعلم اتريدون ان تجعلوا لاولياء الله تعالى عليكم سلطانا مبينا حيث انهم لا يتخذون الشيطان
اولياء وانتم اتخذتم الشيطان اولياء. وقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار • الدرك بالجزم
والفتح لغتان وهما واحد ثم الدرك والدرج اسمان يرجعان الى شيء واحد من حيث الذات وكل يختلفان
من حيث الاضافة فيسمى درجا باعتبار الاضافة الى العلو ويسمى دركا على اعتبار الاضافة الى السفل
فهو كالصعود والهبوط اسمان لمكان واحد يختلفان بالاضافة سمي صعودا باعتبار العلو و
هبوطا باعتبار السفل فهذا امثله ولهذا يقال للجنة درجات وغرفات لكون بعضها اعلى من بعض وكذا
يكون بعضها اسفل من بعض وعن ابن عباس رضي الله عنه الادراك توابيت من حديد يصير عليهم في اسفل
النار وقيل كل ما كان اسفل كان العذاب به اشد الا ترى ان الله تعالى اخبر عن الكفار بقوله تعالى وقال
الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فلو لم
يكن من اسفل منهم في الدركات اشد عذابا لم يكن لقولهم نجعلهما تحت اقدامنا معنى وقيل ان عبد المطلب
وهشام بن المغيرة ذكرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما ابو طالب ففي اهل النار عذابا وهما في ضحضاح
من النار خالدين فيها وقال بعضهم العذاب في النار من حيث الظاهر واحد ومن حيث الحقيقة مختلف قد
يكون اشد وقد يكون اخف لكن لا يشعر بعضهم بعذاب البعض الا ترى ان الله تعالى اخبر عن الكفار بقوله
وقالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون
سأل هؤلاء ربهم ان يجعل لهم عذابا ضعفا لجزاء ما اضلوا فاخبر ان لكل ضعفا فيما قبل بضلاله
بنفسه وباضلاله غيره ولكن لا علم لهم بتفاوت العذاب ثم تخصيص المنافقين في الدرك الاسفل
من النار دون سائر الكفرة يحتمل وجوها احدها انهم جمعوا الى الكفر بالله تعالى المخادعة والتمرد لاولياء
الله تعالى والسعي في افساد امور دين المؤمنين لكونهم عيونا للكفرة وطلائع لهم يخبرونهم من سر المؤمنين
ويطلعونهم على عوراتهم والسعي في افساد ضعفة المؤمنين وتشكيكهم في الدين عند حدوث المصائب
باهل الاسلام فيكونون بذلك اعداء الاعداء على اهل الايمان فيغلظ جرمهم لذلك فغلظ جزاؤهم والله اعلم
والثاني وهو انهم في الاحوال كلها ما كانوا على دين واحد يقيمون عليه في حال الرخاء والشدة ولكن كانوا
مع السعة والرخاء حيث كان فيكونوا شركاء الفرق كلها من اهل الكفر ولا يجادلهم ليسا ويكون هو في الذباب
ويقتبسون مما عندهم من الشهوات فتى وجد منهم ما وجد من سائر الفرق من انواع فيعود اليهم ما استحق كل
من العقوبة وكذلك كان عذابهم اشد ذلك في الدرك الاسفل بخلاف سائر الكفرة فان كل نوع
يدين بدين وانا قيم عليه النسف الا بتوفيق الله تعالى اياه. والثالث انهم شاكوا في كل الملل كان
معتقدهم ودينهم اعطاء الشهوات واللذات ولم يروا شيئا من الحرمات ولا اولاء بشيء من العبادات فكانوا
لا يمتنعون عن مأثم اصلا ولا يتحرجون عن الانهماك في محظور فيزداد جنايتهم لا محالة فاستحقوا
الجزاء ليكون جزاء وفاقا والله اعلم وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا • اي ناصرا ولا مانعا عن الدرك الاسفل
من النار وقوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال ان الذين تابوا من النفاق واصلحوا اعمالهم واعتصموا بالله اي وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله اي
كانت سريرتهم كعلانيتهم وافضل فاولئك مع المؤمنين اي صاروا كائنين من المؤمنين وقوله

رضي الله عنه وابي بن كعب رضي الا الذين تابوا وآمنوا بالله والرسول والكتاب الذي انزل الله من ربه وما انزل
الى النبيين من قبل ثم اخلصوا دينهم لله واعتصموا به اولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا
عظيما وقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم • تأويله والله اعلم ان ليس لله جل وعلا حاجة
في تعذيبه اياكم ولكن الحكمة توجب تعذيب من كفر به كما اخبر الله تعالى بقوله احسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ويحتمل ان يكون هذا
من قوم افرطوا في التكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم وفي المنازعة معه والتفريط في امره فظنوا انهم
ان آمنوا به وصدقوه لم يغفر لهم ما سبق من الافراط والتفريط فاخبر الله تعالى بهذه الآية ان لا يعذبهم ان آمنوا
به لما كان سبق منهم ذلك كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ثم الشكر فيما بين الخلق على الجزاء والمكافاة
كقوله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى واما فيما بينهم وبين ربهم فهو على غير الجزاء والمكافاة
اذ ليس في وسع البشر ولا في وسع كل مخلوق القيام باداء شكر اصغر نعمة انعمها عليهم ولكن يخرج على وجوه
احدها معرفة النعم انها من الله تعالى والثاني على معرفة التقصير والاعتراف والعجز عن اداء شكرها والثالث
ان لا تستعملها الا في طاعة ربه جل وعلا وقوله تعالى وكان الله شاكرا عليما • قيل شاكرا اي يقبل الايمان
بعد الجحود والتكذيب اذا تاب وقيل شاكر يقبل اليسير من العمل اذا كان خالصا ليس كملوك الدنيا
لا يقبلون اليسير من الاشياء وقيل شاكر يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب وغير ذلك وهو
الوصف في الغاية من الكرم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما يعبؤا الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وكان الله شاكرا لاعمالكم الحسنة عليما بها وقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم •
اختلف في تأويله وتلاوته اما التلاوة بالرفع الا من ظلم يحتمل وجهين احدهما لا يحب الله الجهر بالسوء
من الدعاء الا المظلوم فانه لا بأس بان يدعو على ظالمه وينتصر منه والثاني الجهر بالسوء من القول هو الشتم
اخبر انه لا يحب ذلك لاحد من الناس ثم استثنى فقال الا من ظلم فاعتدى عليه فانه اذا رد عليه مثل ذلك فلا
حرج عليه وهذا ليس باستثناء حقيقة لكنه استثناء منقطع ومعناه ولكن المظلوم اذا رد عليه
اما هو حرام لا يحب الله ذلك لكن المرخص لا اثم عليه ولا يعمه قيام الحرمة وكذلك روي عن ابن عباس رضي
انه قال الجهر بالسوء من القول ان يشتم الرجل المسلم في وجهه فيرد عليه كما قال وذلك قوله تعالى الا من ظلم
وان يعفو فهو افضل وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه شتمه رجل بمكة فسكت مرارا ثم انتصر
فقام النبي صلى الله عليه وسلم وتركه لما انه تركه الانتقام منه واما القراءة بالفتح الا من ظلم يحتمل الا من
ظلم اي لمن ظلم من الجهر بالسوء من القول بعد خصمه في حق الظالم مع قيام الحرمة حتى لا اثم بذلك والا
منقطع ومعناه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكل الناس في حق كلهم لكن لا اثم في ذلك على من ظلم
ويحتمل الا من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وان لم يحل له ذلك فيكون استثناء منقطعا معناه لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول من كل احد لكن الظالم يجهر بالسوء من القول وان لم يحل له ذلك ولا يحبه الله تعالى وهو كقوله
تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فانه استثناء منقطع معناه وان لم يكن للناس عليكم حجة
لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم فهذا مثله ويحتمل الا من ظلم اي انتصر وجازاه جزاء فعله فانه لا بأس
بان قال يا ظالم يا جافي ونحو ذلك مما هو فيه وكان الترك احب على ما ذكرنا من حديث ابي بكر رضي الله عنه
الا لا تسبوا فاذا كنتم فاعلين فخلوا الرجل من صاحبه فليقل انك لتحيا لتجد انك لبخيل او نحو ان يكون
قوله الا من ظلم مجازا من المجازاة والانتصار وان لم يكن ذلك ظلما اذ جزاء الشيء يسمى باسم سببه قال الله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وان لم يكن الجزاء
سيئة وكذلك ههنا وقيل ان الآية نزلت في الضيف ينزل بالرجل ولا يضيفه ولا يحسن اليه فجعل
له ان يأخذه بلسانه وهذا ذهب كثير من اهل التأويل لكن هذا لا يقبل لان الضيافة والاحسان في حق
الغير من باب الفضل لا من باب الوجوب فلا يستحق الذم ويلحقه العتاب والتعيير الا اذا ثبت ان
الضيافة كانت واجبة في ابتداء الاسلام فيحمل على ذلك والله اعلم وقوله تعالى وكان الله سميعا عليما •
اي سميعا لما يجهر بالسوء من القول عليما به وقوله تعالى ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء • تأويله
والله اعلم ان العفو والتجاوز خير عند الله من الانتقام والانتصار والمكافأة ثم يحتمل هذا وجهين احدهما
ان يكون على الترغيب في العفو عن السوء والمظلمة كأنه رغبهم فيه حتى يقول لما انه يغفر ويتجاوز عن خلقه
بقدرته على الانتقام فاعفوا لهم عن مظالمكم ايضا اذا قدرتم على الانتصار منهم فيكون لكم عند الله تعالى
الثواب ويحتمل ان يأمرهم بالعفو عن مظالمهم ليعفو هو تعالى عن مظالمهم التي فيما بينكم وبين ربكم ويرضي خصومهم

ليعفو

ليعفو عن مظالمهم وعلى ذلك يخرج قوله فان الله كان عفوا قديرا • والله اعلم اي ان الله تعالى اقدر على عفو ذنوبكم
منكم على عفو ما صنعكم المسيء اليكم وقيل ان الله تعالى احق واحرى بان يعفو عنك اذا عفوت عن اخيك في الدنيا
وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله • الآية يحتمل وجهين احدهما
ان يكون الواو بمعنى او كأنه قال ان الذين يكفرون بالله او برسله او يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله فيكون
قوله يكفرون بالله في الدهرية لانهم يكفرون بالله ولا يؤمنون به لانهم يكفرون بالله ولا يؤمنون به لانهم
يقولون بقدم العالم ونفي الصانع فذلك فيهم حقيقة واما غيرهم من الكفرة لا ينكرون الصانع كما اخبر الله تعالى
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله ورسله يكون في الذين يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل كلهم وقوله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الذين كفروا ببعض الرسل وآمنوا ببعض ثم اخبر الله تعالى عنهم جميعا انهم
كفار مع اختلاف مذاهبهم تحقق فيهم الكفر اولئك هم الكافرون حقا ويحتمل ان يكون في الآية في من آمن ببعض
الرسل وكفر ببعض فيكون الكفر بالبعض كفرا بالكل بالله تعالى وبجميع الرسل والكتب لان كل واحد من الرسل
يدعو الخلق كلهم الى الايمان بالله تعالى والايمان بجميع الرسل والكتب فاذا كفر بواحد منهم فقد كفر بالله
وبجميع الرسل عليهم السلام والله اعلم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي يتخذون على طرح الارادة
اي ويتخذون بين الايمان ببعض الرسل والكفر بالبعض دينا فذلك لا ينفعهم اذ هو كفر بجميع الرسل
وقوله تعالى اولئك هم الكافرون حقا • فعلى التأويل الاول الظاهر انهم اذا لم يعرفوا الله تعالى وينكرون الصانع
فيقولون بقدم العالم فيكونوا كافرين حقيقة وعلى التأويل الثاني كذلك انهم لما كفروا ببعض الرسل فقد
حق عليهم الكفر بالله لانهم لم يعرفوا الله الذي امر بالايمان بجميع الرسل ولم يقروا بالهيته وانما اقروا بالالهية
لمن زعموا انه الهها وليس هو الها بالحقيقة ثم نعت المؤمنين فقال والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وفي الآية دليل بطلان قول المعتزلة في صاحب الكبيرة
لا يسمى مؤمنا وانه يخلد في النار لان الله تعالى اخبر ان من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد من الرسل انه
يدخله الجنة ويؤتيه اجره وصاحب الكبيرة ممن هو آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم فيدخل
تحت قوله سوف يؤتيهم اجرا عظيما وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما • اخبر انه لم يزل غفورا رحيما
وهذه الآية تكون حجة على من لا يقول بتقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفورا
رحيما وهم يقولون ما كان غفورا رحيما في الازل ثم كان غفورا رحيما وهذا قول بالخلف في خبر الله تعالى
وقول بالتغيير في ذات الله تعالى بحدوث صفات فيه لم يكن وكونه محل الحوادث وهو فاسد والله الموفق
قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء • قيل في احد التأويلين كان يريد كل واحد
الكتاب بان يأتي محمد صلى الله عليه وسلم الى كل رجل منهم بكتاب ان محمدا رسول الله مبعوث اليه وهو كقوله
تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا وقيل سألوا ان يأتيهم جميعا بكتاب جملة مثل
التوراة ويكون له خبر لعنهم ولا يحتمل عليه القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى جملة واحدة لانه
كانوا يقولون ان هذا القرآن اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم لانه لو كان من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت
التوراة جملة واحدة وقوله تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة • في هذا ارشاد
النبي صلى الله عليه وسلم الى الصبر على اذى الكفار وتعنتهم اي ان هذا السؤال ان قصدوا التعنت
به في حقك اذ هو سؤال التعنت لا سؤال الاسترشاد لما قد قامت عندهم معجزات وبراهين على رسالته
فلم يقبلوها ولم يصدقوه في دعواه الرسالة فقد سألوا موسى اكبر من ذلك يعني ان اباءهم وسلفهم قد تعنتوا
موسى عليه السلام اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة لم يكن قصدهم بذلك السؤال ما سألوا من
من رؤية الله تعالى ليستعلوا به فيؤمنوا به كما انهم سألوا موسى عليه السلام ان يأتي رسالته فاتاهم بها
فلم يؤمنوا ولو كان سؤالهم سؤال الاسترشاد لكانوا قبلوا لما اتاهم فلذلك اخذهم العذاب لكونهم
متعنتين والله اعلم وفي الآية اشكال من وجوه احدها ان انزال القرآن جملة في حيز الجواز والامكان فكان
السؤال لذلك لماذا يكون كبيرا حتى قال الله تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فهذا دليل ان سؤالهم
محمدا عليه السلام بانزال الكتاب جملة واحدة كبيرة والثاني ان السؤال عن موسى عليه السلام فان سأل الرؤية
لله تعالى حتى يريهم نفسه لماذا يكون كبيرة فان الرؤية من الجائز ان تحق لله تعالى عقلا في الدنيا وكما ذا سأله
كبيرة هو في الجواز مثل ذلك والثالث انه اذا كان انزال القرآن جملة والرؤية من جملة الممكنات فقد طلبوا
منه ذلك ليؤمنوا لماذا لم يفعل الله تعالى ولم يعطهم تأكيدا لالزام الحجة عليهم والرابع وهو اشكال المعتزلة
ان رؤية الله لو لم تكن محالا لما قال فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وبذلك اخذتهم

الصاعقة ولو لم يكن في النهاية من الجناية لما لحقهم الصاعقة بسبب هذا السؤال وكذلك سمى الله تعالى
منهم ظلما فقال فاخذتهم الصاعقة بظلمهم اي بسبب سؤالهم رؤية الله تعالى والظلم وضع الشيء في غير موضعه
والخامس لماذا خص موسى عليه السلام سؤال الرؤية بقوله تعالى فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وقد سألوا
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بعينه بقوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لكن الانفصال عن هذه
الشبهة ظاهر اما الاول وهو ان سؤالهم انزال القرآن جملة انما كان كبيرة منهم لكونه سؤال التعنت لما قد ظهر
المعجزات عندهم يعرفونه معرفتهم ابناءهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فيكون التعنت
حراما الا ان ذلك في نفسه محال الا ترى ان الله تعالى انزل التوراة والانجيل والزبور جملة ولهذا عذبهم
جزاء على تعنتهم وبهذا يقع الانفصال عن الاشكال الاخر انه اذا كان ممكنا وقد طلبوا منه ذلك دلالة على صدق
دعواه لماذا لم يعطهم الله تعالى لما انهم متعنتون في ذلك والله تعالى انما يقيم الدلالة والآيات باختياره دون
اختيار المتعنتين وشهواتهم لان ذلك مما لا يتناهى ولا ينقطع فانه متى ظهر حسب ما طلبوا اشتهوا ما دونهم فيطلبون
اخرى ثم اخرى اذا كان غرضهم التعنت اذ كان غرضهم الاسترشاد فذلك يحصل بما قد اقامه وفي ذلك غنية
وكفاية عما سألوا والكون بها ادلة قاطعة موصلة الى اظهار المدلول في انفسها والله الموفق وبهذا يقع الانفصال
عن تسميته السؤال عن موسى عليه السلام كما اراه الله تعالى ايا هم ان ذلك سؤالهم تعنت لا ان الرؤية محال فسماه
كبيرة لهذا او مما سماه اكبر من سؤال القرآن جملة لان الدنيا دار تكليف ليكون وسيلة الى دار الجزاء
والتكليف بالشرائع لا يستغني عن السمع وذلك بالوحي من الله تعالى والتفريق والجملة فالا ان الهذا المعنى
سؤال لكن الحفظ بطريق التفاريق اشد فيكون اقرب الى التفصيل والاحسان فحولته نبي الرحمة صلى الله
عليه وسلم فاما السؤال من موسى عليه السلام كما رأه الله تعالى يقتضي رفع الابتلاء والتكليف لحصول التوحيد
وتصيير العامل في معنى المجبور في العمل لذلك سمى ذلك اكبر وان كان في التعنت سواء والله تعالى اعلم واما
المعتزلة فهذه الآية تواهيه لانهم قالوا ان الله سمى جهرة والجهرة تقتضي المقابلة العين وكمثل ذلك محال
على ان هذا حجة عليكم فانه جعل سؤال الرؤية الله تعالى مثل سؤالهم لولا انزل القرآن جملة في القبح
ذلك في القبح ثم ان انزال القرآن جملة ممكن فكذلك الرؤية يجب ان يكون كذلك ويشبه ان القبح ما كان لعين الرؤية لكن
لما ذكرنا من التعنت والله الموفق والانفصال عن قولهم لماذا خص موسى عليه السلام بما قال فقد سألوا موسى
اكبر من ذلك وقد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم انما ذكر بالتيسير فيه بيانا اختصاص موسى عليه السلام
بذلك السؤال ولكن فيه تحقيق النصب للنبي صلى الله عليه وسلم وتقريبا الارشاد الى الغرض فان ذي الكفر
لانهم سألوا موسى عليه السلام كمن الذي سألوا من انزال القرآن جملة فلست باول من يعامل معه معاملة
التعنت والعناد فعليك بالصبر كما قال الله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله اعلم وفي الآية دليل ان
المجوس ليسوا من اهل الكتاب فلم يحظر بها الحد بانه ذكر المجوس بعد انهم ليسوا من اهل الكتاب وقوله تعالى
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ۞ الصاعقة هي العذاب الذي حينا الهلاك وانما اخذهم العذاب بكفرهم بموسى
عليه السلام تعنتا اتاهم بآيات الرسالة وقيل منهم سؤال الرؤية لا السؤال للرؤية لو كان ذلك
موجب سؤال الرؤية لكان موسى عليه السلام بذلك اولى فانه قال رب ارني انظر اليك اية ذلك وقوله
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات الآية اخبر الله تعالى نبيه عليه السلام عن شدة تعنتهم في حق موسى
عليه السلام وتمردهم عليه فامره ان يصبر على ذي قومه ولا يظن انه اول مكذب من الرسل عليهم السلام
وقوله تعالى وآتينا موسى سلطانا مبينا ۞ يحتمل السلطان المبين هو الآيات التي اراهم مما يعلم كل من
انه لم يعاند ولم يكابر انها سماوية اذ هي كانت خارجة عن الامر المعتاد بين الخلق من نحو اليد البيضاء والعصا
وفلق البحر وغيرها وقوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ۞ قيل انهم كانوا لا يقبلون التوراة
فلما رفع الطور فوقهم قبلوا عند ذلك ثم اخذ عليهم الميثاق وهو ما ذكر في التوراة من قوله وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا على ما ذكرنا وقوله تعالى لا تعدوا في السبت ۞ عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تعملوا في السبت
من اعمال الدنيا فتفرغوا فيه للعبادة وفي حرف حفصة رضي الله عنها وقلنا لهم لا تعتدوا في السبت اي
وكانوا يعدون درهم ويقرءون ولا تعدوا في السبت على معنيين احدهما يعني يعتدوا فيلقي احد اليائين والثاني
يعني تعتدوا فيدغم التاء في الدال وقوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا ۞ عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الغليظ
ان الله تعالى اليه رسولا فاقره فقد اوجب على نفسه ميثاقا غليظا فعلى قوله الميثاق الغليظ هو الاقرار بالرسالة
وقال المقاتل رضي الله عنه الميثاق الغليظ هو اقرارهم بما عهد الله تعالى اليهم في التوراة وقوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ۞ قال الكسائي ما هاهنا صلة ومعناه فبنقضهم ميثاقهم وقال مقاتل

بنقضهم اقرارهم بما في التوراة وبكفرهم بآيات الله من بعد ما بينت يعني كفر اليهود لعنهم الله بالانجيل
والقرآن وقوله تعالى وقتلهم الانبياء بغير حق ۞ يحتمل حقيقة القتل ويحتمل الهم والقصد الى القتل
وقد هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يقتلون الانبياء
عليهم السلام فاما الرسل فانهم كانوا معصومين عن القتل لم يقتل رسول قط وقد تقدم ذكر هذا ما فيه
مقنع وقوله عز وجل حكاية عنهم وقولهم قلوبنا غلف ۞ يحتمل وجهين احدهما ما قيل انهم قالوا قلوبنا
غلف ۞ يحتمل وجهين احدهما ما قيل انهم قالوا قلوبنا اوعية العلم لا نسمع شيئا الا حفظناه والثاني
ما قيل قالوا قلوبنا في اكنة مما تقول يدعونا نفقه لا يفعل ما يقول وقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا ۞ يحتمل ان يكون هذا جوابا وردا لقولهم ان قلوبنا اوعية العلم لا نسمع شيئا
الا وعيناه اخبر تعالى انه طبع على قلوبهم بكفرهم فلا يفقهون شيئا وقوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما ۞ هو قذفهم مريم رضي الله عنها بالزنا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لقد جئت شيئا فريا وقوله
تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ۞ قيل انما
سمي مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه بالبركة فهو ممسوح فعيل بمعنى مفعول وهو جائز في اللغة وقيل
المسيح بمعنى الماسح لانه كان يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرا فسمي مسيحا لهذا وجاز ايضا في اللغة
الفعيل بمعنى الفاعل كالقدير بمعنى القادر ويكون المسيح فاذ قيل ان في هذه الآية اشكالا من وجهين احدهما
اشكال السوفسطائية الذين قالوا انه لا حقيقة للاشياء لاحتمال الغلط والخطا في المشاهدات
فانه روي في القصة ان اليهود لعنهم الله طلبوا عيسى عليه السلام ليقتلوه فحاصروه في بيت معه نفر من اصحابه
من الحواريين فادركهم المساء وباتوا يحرسونه فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني متوفيك ورافعك
الي فاخبر اصحابه وقال ايكم يحب ان يلقى شبهي عليه فيقتل فيجعله الله تعالى معي في درجتي فقال رجل
انا يا رسول الله فالقي عليه شبهه ورفع عيسى عليه السلام فلما اصبح القوم اخذوا الذي القي عليه شبهه
فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام لما هموا بقتله التجأ الى بيت فدخله وجاؤا في طلبه فدخل رجل
منهم البيت ليقتله فابطا عليهم فظنوا انه قاتله فلما خرج خرج وقد القي عليه شبهه فقتلوه لما كان
عندهم انه عيسى عليه السلام لما كان به شبهه ولم يكن هو عيسى عليه السلام فلما جاز ان يلقى عليه شبهه غيره
حتى ظنوه عيسى عليه السلام وهو غيره فما ينكر ان يشاهد من الاشياء هي غيرها لما القي عليها شبهها
والثاني اشكال بعض المعتزلة الذين ينكرون كون الخبر المتواتر حجة لاحتمال الغلط في المتواتر الا ترى
ان الخبر قد تواتر في اليهود والنصارى بقتل عيسى عليه السلام وكان كذبا والجواب عن الاول من وجهين
احدهما انا لا نقول بانه القي شبه عيسى عليه السلام على غيره فقيل ذلك الشخص الذي القي عليه شبهه
فقوله ولكن شبه لهم يحتمل ان يراد به انه القي شبهه على غيره فقيل ذلك ويحتمل ان لا يراد به هذا ولكن
المراد من التشبيه هو التلبيس يعني قوله شبه لهم اي لبس عليهم اعني على الاتباع السفلة الذين كانوا
خارج البيت الذي كان فيه عيسى عليه السلام على ما ذكر في بعض القصص انهم لما طلبوه في ذلك البيت
فلم يجدوه ولم يكن غاب احد منهم فقالوا لو قتلناه كذبا ولبسوا الامر على العوام الذين لم يدخلوا البيت
الذي كان فيه عيسى عليه السلام لانهم اذا قالوا انه قد دخل هذا البيت وهم قد دخلوا على اثره فلم يجدوه
كان ذلك من اعظم آيات رسالته فلم يخبروا من انفسهم ان يقولوا ذلك فقالوا قتلناه كذبا
فهذا هو التشبيه والتلبيس الذي اخبر الله تعالى عنهم في حق الاتباع والعوام فعلى هذا التأويل يسقط
هذا الاشكال والثاني من الجواب ان كان الامر على ما قال اهل التأويل من القاء شبهه على غيره فلبس الامر
ايضا لان ذلك آية من آيات رسالته على خلاف العادة بان رفع من بينهم والقى شبهه على غيره فيكون
في ذلك عصمته من اساءة الكفرة على وجه يعجز عنه البشر فيكون ذلك دليلا انه من الله تعالى آية لرسالته
ودلالة على صدق دعوته وهذا لا يقدح في كون المحسوس حقيقة على مجرى العادة لان الله تعالى اجرى
العادة على قلب المحسوس وان كان تحت قدرته وابدا المعجزة على نقض العادة لا يقدح في الثابت بطريق
العادة والله الموفق واما الاشكال الثاني فالانفصال عنه من وجهين ايضا احدهما ان يكون نقله
في الابتداء ستة او سبعة وانما انتشر بعد ذلك بناء على خبرهم على ما ذكر في القصة ان الذين دخلوا
البيت لقتله بهذا العدد فلم يدخل الخبر بقتل عيسى عليه السلام في حين التواتر لان المتواتر يكون
اوله كآخره واوسطه كطرفيه ولم يوجد كذا فان نا ضبطهم في حين التواتر فثبت به قتل شخص مثل
شخص عيسى عليه السلام وصلبه وبالعقل انه ثابت لكن عرفنا بدليل الكتاب انه القي عليه شبهه ولا علم

لهم بذلك فظنوا انه عيسى عليه السلام ففعلوا على حسب ما ظنوا فلا يقدح في كون الخبر المتواتر حجة والله اعلم
فان قيل هل يجوز القاء شبه النبي صلى الله عليه وسلم على غيره وفيه تلبيس لان امته اقرب الايمان به فاذا جاز
وقوع شبهه على غيره فهو الامة بغير النبي وهذا فاسد والجواب عن هذا من وجهين احدهما انه يجوز ذلك
بطريق نقض العادة تحقيقا للآيات كرامة لبعض النبي صلى الله عليه وسلم ويقبل الذي يقع عليه الشبه
فلا يؤدي الى ما قلتم والجواب الآخر وهو انهم كلفوا الايمان بعيسى عليه السلام فانما عنده انه نبي من عيسى
عليه السلام والايمان بالانبياء عليهم السلام بطريق المعنى ليس بشرط في حقيقته وهذا امر شرعي ثبت
عندنا ودليلنا قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ان شاء الله تعالى وقوله تعالى وان الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه قيل لفي شك من قتل عيسى عليه السلام قتل او لم يقتل وقيل لفي شك في عيسى عليه السلام
اي على شك يقولون انه ابن الله وقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن اي ليس لهم علم بذلك لكن
يقولون ظنا من غير يقين وقوله تعالى وما قتلوه يقينا قيل وما قتلوه علما يقينا بل رفعه الله اليه
ينصرف الى العلم فانهم قالوا قتلنا عيسى عليه السلام علما فرد قولهم وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا عيسى عليه السلام
علما يقينا كما يقال قتلت زيدا علما اي عن علم به فيقال ما قتله زيدا اي عن علم وقيل وما قتلوه يقينا
اي وما قتلوا عيسى عليه السلام حقيقة بل رفعه الله اليه فالهاء ينصرف الى عيسى عليه السلام
وقوله تعالى وكان الله عزيزا حكيما قيل عزيزا حيث حال بينهم وبين عيسى عليه السلام ان يقتلوه
يصلوا اليه حكيما اي حكم ان يرفعه حيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما اي حكم بكون رسله عليهم
السلام معصومين عن القتل وهو كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقد تقدم ذكره ثم ذكر فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
وكفرهم بآيات الله وغيرها الى آخر الآية بين ما وجد منهم من نقض الميثاق والكفر بآيات الله وغيرها
ولم يبين ما فعل بهم بسبب نقض الميثاق والكفر بآيات الله تعالى لكنه مضمر كانه يقول اوجبنا
عليهم العذاب الدائم واللعنة كما قال في آية اخرى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم الآية وقوله تعالى وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف في تأويله قال بعضهم قبل موت عيسى عليه السلام
اي اذا انزل من السماء امنوا به اجمعين وهو قول الحسن رضي الله عنه وكذلك قال الكلبي رحمه الله تعالى انه
قال اذا انزل عيسى عليه السلام عند خروج الدجال لعنه الله فيقتل الدجال يؤمن به بقية اهل الكتاب
فلا يبقى يهودي ولا نصراني الا اسلم وقيل الا ليؤمنن به قبل موته اي قبل موت الكتابي ويرجع الهاء
الى قوله وان من اهل الكتاب فعلى هذا يرجع الى عيسى عليه السلام اي كل يهودي يسلم قبل موته بعيسى عليه السلام
قيل انما نضرب بالسيف قال لانضربنا السيف بهذا الحرف وعن ابي رضي الله عنه الا ليؤمنن به قبل موتهم
وقيل الا ليؤمنن به اي بالله تعالى قبل موتهم لكن ما كان لينا فعلى هذا يكون الآية في قوم بأعينهم
وعلمائهم الذين كانت لهم رياسة فلم يؤمنوا خوفا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع به ولكن لا ينفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت لانه ايمان دفع واضطرار لا ايمان غيب واختيار كما قال الله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما رأوا باسنا وقيل الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت عيسى عليه السلام وذلك
ان عيسى عليه السلام اذا نزل يدعو الناس الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي حرف ابن مسعود
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن قبل موته وفي حرف حفصة رضي الله عنها وان كل اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته وقوله تعالى ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قيل انه تعالى يكون عليهم شهيدا بان عيسى
عليه السلام قد بلغ رسالة ربه عز وجل اليهم واقر على نفسه بالعبودية وقيل ويوم القيامة يكون
يكون عيسى عليه السلام عليهم شهيدا وقيل يكون محمد عليه السلام عليهم شهيدا وهذا كله يحتمل
والله تعالى اعلم بما اراد به وقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
يحتمل ان يكون الآية في اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام ويحتمل ان يكون فيهم قبل الكفر
بعيسى عليه السلام فان كان الثاني فيحمل على الاول بدليل الحمل عليه قوله وبصدهم عن سبيل الله
عليه عن سبيل الله كفر فالمراد من التحريم هو المنع الحسي دون المنع الشرعي لان المنع الشرعي يكون
بطريق العقوبة جزاء لجناياتهم بحرمه بل منعهم ذلك كما قال في آية اخرى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآية وقال ذلك جزيناهم ببغيهم لانهم كانوا لا يستحلون ما ذكر في الآية ولكن كانوا
يتناولون على جهة الاستحلال لعد ذلك مما يتحقق في حق المؤمنين من اهل الكتاب دون الكفرة لان الكفرة
لا يبالون بما يتناولونه من الحرام والحلال فلا يتحقق معنى العقوبة ولا يتحقق معنى الجزاء فاما المسلم

يمتنع

يمتنع عنه ديانة فيصلح حرمانا للنعمة عقوبة عليه فيصلح زاجرا فثبت انه لا يمكن حمله على المنع الشرعي ان كان
الآية في اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام ولكن يحتمل صرف الآية الى المنع الحسي وذلك من وجهين
احدهما المنع من الله تعالى بلا واسطة كسب العباد وذلك يمنع الامطار عليهم بعقاب الامطار والقحط كسني
يوسف عليه السلام وسنين مكة على ما كان لهم من القحط فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بقوله اللهم
اشدد وطأتك على مضر واجعل سنيهم كسني يوسف عليه السلام وكقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي
منعناه فلم يأخذ من لبن المراضع دون لبن امه والثاني منع الطيبات عنهم من جهة البشر بان لا يعطوهم شيئا
لا مهرا ولا بيعا ولا شراء وان كان المراد بالآية اليهود قبل كفرهم بعيسى عليه السلام يمكن حمل التحريم على المنع
الشرعي وثبات التحريم في حقهم جزاء على جناياتهم لما ذكر في آية اخرى وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ويحمل قوله وبصدهم عن سبيل الله على الصد من حيث الفعل لا من حيث قصد الصد عن سبيل الله
لكن بتحصيل الغرض لهم في الصد كما يتكلم بسائر المعاصي من المسلمين لتحصيل اغراض لا لقصد المعصية
فهذا اكد الامرين هو ان يصدوا المسلمين عن الغزو والجهاد بايقاع الخوف في قلوبهم واظهار غلبة الكفرة و
نحو ذلك وفي حرف ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم حرمنا عليهم طيبات كانت احلت لهم وقوله
تعالى وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل انهم صدوا الجهاد عن سبيل الله لما كانوا يدلون على
وعلى غير سبيل الله ويصدون الباطل بصورة الحق فيظنونه حقا فيحتمل انهم كانوا يصدون عن سبيل الله
فعلا لا اعتقادا القصد تحصيل اغراض لهم لا لقصد الصد والله اعلم وقوله تعالى واخذهم الربا
وقد نهوا عنه وهذه الآية تدل على ان الربا كان حراما على الامم السالفة لا اختصاص لهذه الامة بتحريمه وقوله
عز وجل واكلهم اموال الناس بالباطل يحتمل الرشوة كقوله اكالون للسحت قيل الرشوة وقيل
اي ما كانوا يتناولون من اموال الاتباع والسفلة بتحريفهم التوراة لهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فان قيل هذه الآية
تدل على ان الكفار يخاطبون بالشرائع فان حرمة الربا وحرمة اموال الناس من باب الشرائع قيل ان كان المراد بالآية
اليهود الذين لم يكفروا بعيسى عليه السلام فلا حجة لهم فيها وان كان المراد منها اليهود الذين كفروا بعيسى
عليه السلام فليس يلازم ايضا لانا نقول ان الكفار غير مخاطبين بشرائع هي عبادات دون المحرمات
لان الكافر ليس من اهل اداء العبادة لان العبادة لا يتحقق بدون معرفة المعبود بطريق الحقيقة ولا
يكون ذلك بدون الايمان فلا يصح منهم اداء ما كلفوا من العبادة حالة الكفر وبعد الاسلام تسقط عنهم
ما وجب عليهم من اداء العبادة قال الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فيكون تكليف ما ليس في وسع
الكافر تحصيله لا حالة الكفر ولا بعد الاسلام وذلك باطل بخلاف تكليف الجنب والحائض لان ذلك
تكليف ما في وسعهما تحصيله لانه وان كان لا يصح اداء الصوم مع الحيض ولا اداء الصلاة مع الجنابة لكن
في وسعها رفع الجنابة والحيض وبعد رفعهما الوجوب قائم فيمكنهما الاداء وهنا وان كان في وسع الكافر
تبديل الكفر بالاسلام لكن العبادات تسقط بعد الاسلام فلا يتمكن من الاداء بعد الاسلام وبخلاف
المحرمات فان الامتناع عنها من الكافر يصح في حال الكفر لانه ليس بعبادة اشترط صحة الايمان فيها ان الاسلام
لا يبطل حرمة الربا او حرمة اموال الناس وغيرهما فيكون تكليف ما في وسع المرء تحصيله وهو الامتناع في
حالة الكفر وما سقط ذلك بالاسلام كما تسقط سائر المعاصي بالتوبة او بالعفو من الله تعالى فهذا هو
الفرق بين الامرين والله اعلم وقوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والاشكال في قوله والمقيمين الصلاة من حيث
الظاهر معطوف على قوله والمؤمنون والمعطوف يشارك المعطوف عليه في الاعراب فاذا اختلفا ههنا
وكذلك قوله والمقيمين نعت لقوله والمؤمنون فينبغي ان يكون بغير حرف الواو لان النعت هو عين المنعوت والمعطوف
غير المعطوف عليه قيل في الانفصال عن هذا الاشكال ما نروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ثلث
آيات جرى فيها الخطأ من الكاتب احدها هذه والصحيح هو المقيمون والثانية قوله ان هذان لساحران والثالث
قوله في سورة المائدة ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقد روي عنها ارى فيها لحنا وستقيمه
العرب بألسنتها وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة على طريق صفة
المؤمنين ولكن كان هذا الحديث لا يصح عن عائشة رضي الله عنها لانه لا يظن بها ولا بغيرها من الصحابة
رضي الله عنهم ان يتفقوا على الخطأ في المصحف من الكاتب ويتركوه غير مغير مع انهم كانوا موصوفين بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وتكلم الناس في وجه القراءة المعروفة قال الكسائي رحمه الله معناه يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون باقامة الصلاة ذكر المقيمين واراد الفعل القائم بهم

وهو الاقامة وهذا كقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله من آمن بالله معناه ولكن البر الايمان بالله ذكر الفعل
الماضي واراد المصدر وقال بعضهم والمقيمين الصلاة اعني بالمقيمين الصلاة من كان من الرسل عليهم السلام
فان الايمان بالرسل واجب مثل الايمان بالكتب وانما ذكر المقيمين الصلاة بطريق المجاز عن الرسل لانهم هم
المقيمون للصلاة ابدا والآخرون بالاقامة التباس وقال بعضهم انما نصب المقيمين على سبيل المدح وتقديره
اعني المقيمين تعظيما لامره ليتأمل السامع فيه لاختلاف اعرابه من بين غيره كما قيل لا يبعدن قومي الذين هم
سم العداة وآفة الجزر • النازلون بكل معترك والطيبين معاقد الازر • معناه اعني الطيبين معاقد
الازر وقال بعضهم نصب المقيمين على الحال اي يؤمنون في حال اقامتهم الصلاة ولكن هذا ضعيف لان
واو الحال انما يدخل على المبتدا والخبر كقولك جاءني زيد وعمرو قائم اي في حال قيام عمرو فاما لا يدخل في غير
المبتدا والخبر وقوله والمقيمين الصلاة ليس بجملة تامة مبتدا وخبر فانما يدخل في حد الجواز النصب بطريق
الحال اذا لم يذكر فيه الواو وكان كانه مع الالف واللام وبدونهما احسن اعني ان يقال يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك مقيمين الصلاة ويكون المقيمين الصلاة وهكذا في حرف ابي رضي الله عنه والمقيمين
الصلاة بالنصب وكذا في حرف حفصة رض لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
المقيمين الصلاة المؤتين الزكاة والمؤمنين بالله واليوم الآخر سوف نؤتيهم اجرا عظيما وقوله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده • قيل فيه توجيه احدها ان الكاف في قوله كما
اوحينا صلة زائدة ومعناه انا اوحينا اليك ما اوحينا الى نوح ومن ذكره لا يختلف ما انزل اليك
وما انزل من قبلك وما انزل الى من غيره من الرسل عليهم السلام في الدعوة الى توحيد الله تعالى وغير ذلك من
اصول الشرائع دون كيفيات الشرائع وكقوله وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابرهيم وموسى والثاني انا اوحينا اليك من الحجج والآيات كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
من الحجج والآيات اي قد اعطيناك من الحجج والآيات ما يدلك على رسالتك ونبوتك كما اعطينا اولئك من
الحجج والآيات على صدق ما ادعوا من الرسالة والنبوة ثم لم يؤمنوا والثالث ما قيل ان اليهود قالوا ان محمدا لو كان
رسولا لكان يوحى اليه بالجملة من غير وحي فانزل الله تعالى هذه الآية انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده وحيا من غير ان يوحي الى كل واحد منهم كتابا بجملة كما اوحي موسى عليه السلام بل اوحي اليهم
الصحف متفرقة ثم كانوا اولئك رسلا فما بالكم تنكرون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بما انزل اليه
القرآن على التفاريق والله تعالى ان يفعل ما يشاء يؤتي من يشاء الوحي جملة ومن يشاء يوحي اليه بالتفاريق وقوله
واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحاق • الآية وفي الاشكال انه لما قال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده فاسم النبيين يتناول ابرهيم واسمعيل ومن ذكر فما معنى تخصيص هؤلاء بالذكر بعدما
دخلوا تحت اسم النبيين والجواب عن هذا من وجوه احدها يحتمل انه انما ذكر ابرهيم وغيره على طريق الخصوص
بعدما دخلوا تحت اسم العام وهو قوله والنبيين من بعده اظهار الفضيلة هؤلاء بالذكر وهذا كقوله
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خص جبريل وميكائيل بالذكر بعد دخولهما تحت
اسم الملائكة اظهارا لفضيلتهما كذا هذا والثاني يحتمل ان يكون قوله والنبيين من بعده اراد بالنبيين
الذين كانوا بعد نوح قبل ابرهيم عليه السلام وان كان ظاهر اللفظ يتناول من كان بعد نوح عليه السلام
الى آخر الدهر ثم ابتدا الكلام فقال واوحينا الى ابرهيم الى آخره والثالث يحتمل قوله والنبيين من بعده
اي النبيين الذين ليسوا برسل ثم ذكر الرسل بقوله واوحينا الى ابرهيم ومن ذكر وفي حرف حفصة رض
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وكما اوحينا الى الرسل من بعده وكما اوحينا الى ابرهيم الى آخر ما ذكر
فهذا على الوجه الذي ذكرنا ان تخصيص ابرهيم ومن سماه بعد دخولهم تحت اسم الرسل لبيان فضلهم
والله اعلم وقوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما • قيل انه ذكر في القصة ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال موسى كلمه
الله تعالى مع هؤلاء الانبياء عليهم السلام فنزل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل الآية اي من قبل
هؤلاء بمكة في سورة الانعام وفي غيرها لانه قيل ان هذه السورة مدنية اخبر انه ذكر موسى عليه السلام
قبل هؤلاء في سورة اخرى ونص على ذكر موسى عليه السلام مقرونا بما فيه تشريفه بقوله وكلم الله موسى
تكليما وفي الآية دليل من وجوه احدها رد على القرامطة لانهم يقولون ان الرسل ستة وسابعهم قائم
الزمان وقد ذكر في هذه الآية اكثر من عشرة من الرسل فيبطل قولهم والثاني فيها دلالة ان معرفة الرسل
كلهم على طريق الجملة كافية ولا يشترط معرفتهم بطريق التفصيل والتعيين واحدا بعد واحد لان الله تعالى

لما بين ان من الرسل من لا نقصصهم عليك بقوله ورسلا لم نقصصهم عليك ولو كان معرفة الكل شرطا
بطريق التعيين لصحة الايمان لا يحتمل ترك ذكرهم مع امر الله تعالى بالايمان بالرسل دل ان المعرفة على سبيل الجملة
كافية والله اعلم والثالث ان الايمان هو التصديق دون المعرفة لانه لم يوجب عليهم معرفة الرسل وانما اوجب
تصديقهم والايمان بهم جملة والله اعلم وقوله وكلم الله موسى تكليما اختلف فيه قال بعضهم اسمع الله تعالى
كلامه موسى عليه السلام بلا واسطة بلا حرف ولا صوت ولا كيفية لكلامه الذي هو صفته كما لا كيفية
لذاته وكما يجوز ان يرى بلا كيفية جاز ان يسمع كلامه بلا كيفية وقال بعضهم معنى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
اي خلق الله تعالى كلاما وصوتا في محل من الشجرة او غيرها واوصل ذلك في مسامعه وذلك هو حقيقة كلام
الله تعالى وهذا قول المعتزلة فاما عندنا فان الله تعالى كلم موسى بكلامه الازلي القائم به الذي ليس بصوت
وغير الصوت لا يسمع فخلق صوتا في محل فسمع ذلك الصوت وعلم به كلام الله تعالى وهذا الصوت المخلوق
دال على كلامه الازلي الذي ليس بصوت ولا حرف وقال بعضهم معنى قوله وكلم الله موسى تكليما كتب له كتابا
فكلمه بذلك اي عرف كلامه ووحيه بمعرفة ذلك المكتوب لا ان كلمه كلاما بطريق الحقيقة ولا ندري كيف
كان ذلك سوى ان نعلم انه احدث صوتا لم يكن فاسمع موسى عليه السلام ذلك الصوت كيف شاء وبما شاء
وممن شاء وان ذلك الذي سمعه موسى عليه السلام دال على كلامه الازلي الذي هو موصوف به في الازل
الذي لا يوصف بالصوت والحروف والهجاء والتبعض والكل والسورة ولا يوصف بشيء مما يوصف كلام الخلق
لا ان يسمع كلامه الذي هو موصوف به في الازل ولا سبيل الى ان يسمع ذلك اذ المسموع هو الصوت لا غير وكلامه
ليس بصوت وانما سمي موسى عليه السلام سامعا كلام الله تعالى بطريق المجاز حيث يسمع ما هو دال على كلام
الله لا عين كلامه وان كان الله تعالى متكلما بطريق الحقيقة وهو كقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله على طريق المجاز لا على طريق الحقيقة لما قلنا فهذا مثله والاشكال ان قال
قائل ان موسى عليه السلام يسمى سامعا لكلام الله تعالى لسماعه الصوت الدال عليه فما معنى تخصيصه
بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وظاهره يقتضي ان يكون له بهذا خصوصية لم يشركه فيها غيره من الرسل
وفي هذا في الوحي وانك لا تجد له شركاء كثيرة من الرسل عليهم السلام بل كل من سمع القرآن سمع كلام الله تعالى
فيبطل تشريفه واكرامه بالتخصيص بالكلام والجواب عن هذا من وجهين احدهما انه لم يرد بقوله وكلم الله
موسى تكليما اظهار شرف موسى عليه السلام وكرامته بالكلام معه واسماعه كلامه حتى يقال لما كان بطريق
سماع كلامه هو سماع الحروف والاصوات الدال عليه لم يظهر ذلك لمشاركة غيره اياه في ذلك وانما يجب
ان يختص هو بسماع كلامه بلا واسطة قطعا للشركة لاعتماد معه الا ترى انه كلم محمدا صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى فقد جاءت المشاركة بالطريق الذي قلتم ايضا دل انه لم يرد
اظهار كرامته وابانة قدره بهذا الطريق وانما اراد ذلك باختصاصه بهذا الوصف الا ترى انه ذكر خصوص
كثير من الرسل باسماء ونعوت اظهر بها فضيلتهم وانه بها تقدمهم وان كان كل الرسل او بعضهم في ذلك
من حيث التحقيق على السواء فانه وصف ابرهيم عليه السلام بالخلة بقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا
ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بانه حبيبه ووصف عيسى عليه السلام بانه روح الله ونحو ذلك وان
غيرهم من الانبياء من المؤمنين من يوصف بالمحبة والخلة فضلا عن غيرهما من الانبياء والرسل قال الله تعالى يحبهم
ويحبونه فكذلك هنا وكذا ان تخصيص موسى عليه السلام زيادة خصوصية لم يكن في حق غيره لان غيره
يسمع بواسطة فعل البشر بان يسمع من القارئ او ينظر في الكتابة ونحوه وموسى عليه السلام يسمع مخلوق الله
الصوت في الشجرة في محل شاء الله تعالى الخلق فيه بلا واسطة البشر فكان له زيادة اختصاص وكرامة
بما اسمعه كلامه من غير واسطة الخلق بل هو الذي تولى سبب سماعه والله اعلم وقد تعلق اهل السنة
والجماعة بهذه الآية لاثبات الكلام لله تعالى فانه وصف نفسه بالكلام وقرن المصدر في الاخبار عن وصف
نفسه بالكلام فقال وكلم الله موسى تكليما والمصادر ربما تؤكد حقائق ما له مصادر في موضع اللغة
فيدل على ان المراد منه الكلام من حيث التحقيق لا بطريق المجاز وايد ذلك الامور المشهورة من تسمية
موسى عليه السلام كليم الله وما جرى على السن الخلق من القول بان الله تعالى كلم موسى ثم ثبت ان الله تعالى كلمه
ان لم يكن له خصوصية لم يشركه غيره من الرسل عليهم السلام وعلى هذا الوحي وانزال الكتب شركاء في
ذلك فدل ان خصوصيته بما اخترع في حقه فانه يوصل الى معرفة كلام الله بلا واسطة فعل البشر من
نحو الكتابة ونحو ذلك على ما ذكرناه احد الوجهين والله الموفق وقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
معناه تعالى انه بعث الرسل عليهم السلام ليبشروا بالبشارة في العاقبة لمن اطاعهم ولانذار لمن عصاه بهذا العلم

ان كل امر لا عاقبة له فهو عبث ليس من الحكمة في شيء وانا لا نعدو الرسل الخلق الى ما تدعو لامر له عاقبة اذ في عقل كل احد ان كل امر لا عاقبة له حميدة فليس بحكمة فعلى هذا والله اعلم معنى قوله رسلا مبشرين لمن اطاع الله بالجنة ومنذرين لمن عصاه بالنار وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والاشكال انه يكون للعبد حجة على الله تعالى حتى يقطع حجتهم عن نفسه ببعث الرسل عليهم السلام الجواب اما على قول اصحاب الحديث الذين لا يقولون بان العقل بما يعرف به الحسن والقبيح والواجب والمحظور فلان لله تعالى تعذيب كل من يشاء من عباده في الدنيا والاخرة فلم يكن لاحد على الله تعالى حجة الا لما ذكرنا بعد نبه على الامر ولا النهي فدلالة على معرفة الحسن والقبيح لا يمتنع عنه ذلك لانه يتصرف في ملكه كيف شاء فلم يكن بعث الرسل على اصلهم يقطع حجة الكفرة بل انما يقطع حجة الاحتجاج فانه لو لم يبعث الرسل يحتج الكفرة بذلك في دفع العذاب عن انفسهم كما اخبر عنهم فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى فالمراد من الحجة هو الاحتجاج على قولهم وان لم يكن لهم حق الاحتجاج في الحقيقة وكذلك على قول عامة اهل الرأي من اهل السنة وغيرهم ممن يقولون بالعقل المراد من قوله لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل هو الاحتجاج دون حقيقة الحجة فيما كان العقل طريقا لمعرفته نحو اصل الدين فان كان عندهم جميعا من حيث العقل يكون التعذيب قبيحا في الاخرة وفي الدنيا النبي يتبع عند اهل السنة خلافا للمعتزلة فانه قبيح لا لعوض لكن قد قام الدليل على قبح الكفر والظلم ونحو ذلك وبالعقل يمكن معرفته اذ في خلقه كل احد من الدلائل على وحدانيته ما لو تامل فيها للبينه على ذلك فكان الاقدام على العقل مع قيام الدلائل على القبح يكون معصية وذنبا فلا يكون لهم عذر في الكفران ولا في ترك الايمان فلا يكون بعث الرسل لقطع الحجة بل يكون لقطع الاحتجاج واما على قول بعض اصحاب الراي الذين لا يقولون بكون العقل موجبا مثل بشر ونحوه ويقولون بان بعث الرسل لقطع الحجة لان بالعقل يعرف انه لا يظهر ابلغ في الشاهد من ان يحقق له ان لم اعلم لما امر به وينهى عنه في موضع العذاب المتوجه عليهم في ترك المأمور والاقدام على المنهي فلو لم يبعث الرسل لتوجهت الحجة للكفرة على الله تعالى من هذا الوجه في تعذيبهم فكان ارسال الرسل يكون لقطع الحجة على قولهم فيكون عملا بحقيقة الاية واما على قول اهل السنة والجماعة من اصحاب الراي الذين يقولون بالعقل يكون ارسال الرسل لقطع الحجة ايضا فيما كان طريق معرفته السمع دون العقل وهو العبادات والشرائع عن وجوه مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها مما يعرف بالعقل والله الموفق وقوله تعالى وكان الله عزيزا حكيما اي لا يعجزه شيء عما اراد من اراد ان يعزه ولا يعز ذلا لمن اراد به له حكيما لم يضع كل شيء موضعه وقوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون قيل فيه وجهين احدهما ان الله تعالى يشهد يوم القيمة والملائكة يشهدون ايضا انه هذا القرآن الذي انزل اليك من عند الله تعالى لا كما يقولون انما يعلمه بشر ان هذا الا افك مفترى وان هذا الا اختلاق ونحو ذلك والثاني قيل لكن الله يشهد بما انزل اليك اي بين لك الآيات والحجج التي يعجز الخلق عن اتيان مثلها انما انزل اليك من عند الله والله اعلم وقوله تعالى انزله بعلمه يحتمل وجهين احدهما اي انه على علم منه بمن يقبل ومن لا يقبل ليس كملوك الارض يبعثون بعض الى بعض رسائل وهدايا لا يعلمون قبولها ولا ردها ولا بمن يقبلها وبمن يردها اذ لو كان لهم علم انهم لا يقبلون لا يبعثوا الرسل ولا الهدايا اذ لا يحصل لهم ما هو الغرض من الرسالة والهدية وهو جلب النفع ودفع الضرر ليعلم ان بعث الرسل من الله تعالى الى عبيده ليس بجلب النفع ودفع الضرر حيث بعث الى من يعلم انهم لا يقبلون لهم ولا يصدقونهم بل يكذبونهم بل لاظهار ما علم منهم على ما علم ليجازيهم بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة على ما عرف والثاني اي انزله بما فيه من الآيات والحجج التي يعلم انه من عند الله تعالى اي الدلالات على الاعجاز وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا يحتمل شاهدا على ما ذكرنا من شهادته يوم القيمة على احد التاويلين ويحتمل شهيدا اي مبينا بالايات والحجج وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما انزل الله تعالى لكما نحن في العلم منهم والمؤمنون الى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قالت قريش من يشهد لك بان ما تقوله حق فانزل الله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك وانزل قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة الاية وقوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي كفروا بآيات الله وصدوا الناس عن سبيل الله الحق قد ضلوا ضلالا بعيدا اي قد تاهوا في تيه بحيث طويلا ويحتمل هلكوا هلاكا لا نجاة لهم وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا يحتمل ان الذين كفروا بآيات الله وظلموا امر الله اي تركوه ويحتمل ظلموا اي جعلوا انفسهم لغير الله وجعلوا العبادة

لمن دونه ووضعوا بما خلقهم ليخلصوا انفسهم له ويجعلوا عبادتهم له فقد وضعوا انفسهم في غير موضعها الذي وضعهم بالظلم اذ الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ويحتمل ظلموا انفسهم اي حاصل ما وجب منهم الظلم يرجع اليهم فكانهم ظلموا انفسهم معنى وان كانوا لا يقصدونه بما فعلوا ظلم انفسهم والله اعلم وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا يحتمل وجهين احدهما الاصم كان يقال ولا ليهديهم طريقا اي طريق الجنة في الدنيا وهو الاسلام لكن يهديهم طريق جهنم وهو الكفر والثاني اي الاسلام والكفر طريقا الجنة والنار في الدنيا من سلك طريقا منهما افضى به الى المسلك وهذه الاية والاية الاولى نزلت في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون بل يموتون على الكفر والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم يحتمل قوله بالحق من وجوه احدها اي بالحق الذي لله تعالى عليكم من توحيده واداء الفرائض والثاني يحتمل بالحق الذي لبعضكم على بعض وقد جاء الرسول عليه السلام ببيان ذلك كله والثالث يحتمل الحق الذي هو ضد الباطل ونقيضه اي وقد جاءكم بالحق لا بالباطل وفرق بينهما بالدلائل والحجج وازال الشبه التي بها يتغاوون ويكابرون وقوله فآمنوا خيرا لكم يحتمل والله اعلم ان الذي كان يمنعهم عن الايمان موجب الرياسة وخوف زوال المنافع الدنيوية قال فآمنوا خيرا لكم لان ذلك يكون لكم في الدنيا والدنيا فانية عن سريع والاخرة باقية لا تزول وما هو دائم لا يزول خير مما يكون في وقت ثم يزول وقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض يحتمل وجهين احدهما انه يخبر الناس انما امر خلقه ونهى لا لحاجته ولمنفعته لكن لحاجة الخلق ومنفعتهم اذ من له ملك السموات والارض وملكهما لا يقع له الحاجة وهو غني بذاته والثاني يحتمل وان تكفروا يقدر ان يخلق خلقا اخر سواكم يطيعونه اذ له ما في السموات والارض وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما اي عن علم باحوالكم خلقكم لا عن جهل وقيل عليما بما فيه صلاحكم ورشادكم حكيما حيث وضع كل شيء موضعه وقوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم قيل الغلو في الدين هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وقال بعضهم تفسير الغلو ما ذكر عقيبه ولا تقولوا على الله الا الحق فالقول على الله تعالى بما لا يليق به غلو في الدين اي لا تعمقوا في دينكم ولا يشددوا فيحملكم على الافتراء على الله تعالى والقول بما لا يحل ولا يليق به وقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق اي الصدق وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تقولوا لله تعالى ولد ولا صاحبة ونفخ في حفصته رضي نسعيها ولا تقولوا الله تعالى ثالث ثلثة انما هو اله واحد وقوله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الخطاب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق لهم وفي الحقيقة المعنى لحق كلهم لانه على كل الخلائق ان لا يغلوا في دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ولكن في الظاهر هو لجميع اهل الكتاب والمقصود من اهل الكتاب ههنا هم النصارى دون غيرهم عرفنا ذلك بقوله انما المسيح عيسى ابن مريم فدلت هذه الاية ان سبيله مخرج عموم اللفظ عموم المراد ولا في خصوصه خصوص مراد فقطع لجنب ذكر العموم واراد به الخصوص فيبطل به قول من يعتقد عموم المراد لعموم اللفظ وخصوصه بخصوصه ثم افترقت النصارى على ثلث فرق في عيسى عليه السلام بعد اتفاقهم على انه عيسى ابن مريم قال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الاله وقال بعضهم هو ثالث ثلثة يعني بالثلثة الرب والمسيح وامه فاكذبهم الله عز وجل في قولهم واخبر انه رسول الله ابن مريم ولو كان هذا اهل الالهية لكانت امه احق بالالوهية لانها كانت قبل عيسى عليه السلام ومن كان قبل كان احق بذلك ممن كان بعد آدم وقوله تعالى وكلمته القاها الى مريم قال بعضهم معنى القاء الكلمة الى مريم اذ قال لعيسى عليه السلام كن فيها فكان ولكن فيه نوع ضعف لان الخلائق كلهم في هذا على حد سواء كما قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فليس لعيسى عليه السلام في ذلك خصوصية ليست لغيره وانما ذكر هذا على سبيل الاختصاص على مذهب من يقول بالتكوين بالكلام وهو قوله كن وعلى قول من يقول التكوين بالايجاد والتخليق وهو فعل الله تعالى لا بالكلام وانما ذكر قوله كن عبارة عن الايجاد لا يستقيم هذا الكلام لكنا نقول انما سمي عيسى عليه السلام كلمة الله لما ان الله تعالى القى كلمته الى مريم ولا يبعد ان كلمة كانت هي نفخ جبريل فيها والنفخ كلام او كلام آخر فخلقه بكلمة القاها اليها فسمي بذلك كما خلق آدم عليه السلام من تراب نسبه الله تعالى اليه وخلق حواء من ضلع آدم عليه السلام فنسبها اليه وخلق سائر الخلائق من النطفة نسبهم اليها فعلى ذلك خلق عيسى عليه السلام من كلمة القاها اليها فنسب اليها لكن خصه بالاضافة الى نفسه بقوله كلمته لما انه صار موجودا بتلك الكلمة من غير واسطة فعل البشر ومن نقل من حال الى حال وفي آدم وغيره من الخلائق ذكر فيهم التغيير من حال الى حال التصوير ثم انشا الله تعالى فيهم الروح بلا واسطة منيع حد فلهذا ثبت الاختصاص لعيسى عليه السلام بالاضافة دون غيره والله اعلم

اي وجد عيسى عليه السلام من ايجاده وتخليقه بلا واسطة صنع لاحد من الخلق وسماه روحا لانه
كان سببا للحياة بمنزلة الروح فانه يحيي الموتى باذن الله تعالى ولهذا سمي القرآن روحا كما قال تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا سمي القرآن روحا لما يحيي به القلوب كما يحيي الابدان بالارواح وهو كقوله تعالى
ونفخنا فيه من روحنا وقيل روح منه اي احياه وجعله روحا وقيل روح منه اي رسولا فالرسول سبب
حياة الاديان فاستعار اسم الروح عن الرسول وقيل روح منه معناه والله اعلم انه خلق عيسى بكلمة القاها
الى مريم وامر منه بالنفخ فيها ونحو ذلك وقيل كلمته القاها الى مريم عنى بالكلمة عيسى عليه السلام كما قال ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح كما قال وروح منه سماه روحا اي الذي سمي كلمة اوجدها في مريم وخلقها
منها لا انه خلق عيسى عليه السلام بالكلام والله اعلم وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة
لان الرسل عليهم السلام لم يدعوكم الى الذي انتم عليه انه ثالث ثلثة انما دعوكم الى انه اله واحد لا شريك
له ولا ولد وقوله تعالى سبحانه ان يكون له ولد • نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بان له ولدا ثم احتج
ان له ما في السموات وما في الارض وانما يتخذ الولد في الشاهد لاحدى خصال اما الحاجة تمسه فيتبعه
به او لوحشة يصيبه فيستانس به او لخوف يخافه من العدو فيستنصر به ليقهر عدوه او لما يخاف الهلاك
على نفسه فيخلفه في ملكه ومملكه ويرثه فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن هذه المعاني فيتعالى عن ان يتخذ
عيسى عليه السلام ولدا وهو عبده وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا • قيل الوكيل الحافظ وقيل الشهيد وقيل
القائم في الامور كلها وقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون •
قال الحسن رضي الله عنه في الاية دليل تفضيل الملائكة على البشر وبه قالت الفلاسفة وبعض المعتزلة
وذهب في ذلك الى وجوه احدها ان في الاية ذكر الملائكة على اثر ذكر المسيح على سبيل التاكيد وانما
انما يقع التاكيد بما هو افضل واكبر لا بما هو دونه كما يقال لا يخاف فلان الوزير ولا الامير ويقال لا
ان يحمل هذه الخشبة واحد ولا عشرة ولا يحمل هذا الحمل واحد ولا عشرة لما انه خرج الثاني مخرج التاكيد
نحو امثاله فدل ان الملائكة افضل من الانبياء وغيرهم والثاني قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون ونحو ذلك من الايات قالوا كيف يستوي حال من
لا يعصي ولا يفتر عن طاعته طرفة عين مع حال من ركب المناهي ولا يقوم بعبادته الا عن تكليف والثالث
ما اخبر الله تعالى عن ابليس حيث غر آدم وحواء بصيرورتهما ملكين اذا تناولا من الشجرة بقوله ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لو لم تكن الملائكة عندهم افضل من البشر لم يكن ابليس يغرهما
بذلك الملك ولو لا انهما يصيران ملكين ولا كان آدم وحواء عليهما السلام يغتران لفعل ما استغفرا وابا الا
ولانهم امروا بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم من المؤمنين لقول نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وما امر الله عز وجل نبينا عليه السلام بالاستغفار بقوله تعالى واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى في حقه عليه السلام ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما امروا
وما فعلوا ذلك الا لحصول زلات منهم فدل ذلك على نوع زلة وتقصير منهم يتحقق المغفرة في حقهم واما
الملائكة فما امروا بالاستغفار لانفسهم انما استغفروا للمؤمنين من البشر لقوله تعالى ويستغفرون
لمن في الارض ونحو ذلك ولا شك ان من احتاج الى استغفار غيره وشفاعته كان المستغفر له والشفيع
افضل واعظم درجة منه الى هذا ذهب بعض الناس بتفضيل الملائكة على البشر وقال المحمدون بتفضيل البشر
على الملائكة وقالوا انه ليس في الاية دليل تفضيل الملائكة على البشر لانه ما ذكر الملائكة مطلقا وانما ذكر
الملائكة المقربين فيجوز ان يكون للملائكة المقربين فضل على البشر كما يكون لبعض البشر فضل على البعض وكما
يكون لبعض الملائكة ولا كلام فيه انما الكلام في تفضيل مطلق الجوهر على الجوهر وليس في الاية بيان ذلك
ثم الدليل على تفضيل البشر على الملك هو ان الله تعالى ركب في البشر من الشهوات والاماني التي تغلبهم
ودعتهم انواع الغفلة وتصنع عليهم ليسقط وجبلهم على طبائع تدعوهم الى ما فيه الخلاف لله تعالى والمعصية
له وجعل لهم اعداء امروا بالمجاهدة معهم من نحو انفسهم والشياطين التي سلطوا عليهم ولا كذلك
الملائكة وكانت الطاعة منهم كثيرة واشد اخلاصا ممن جبل عليها فمن حفظ من البشر نفسه وصانها
من الشهوات والاماني وجميع ما ركب فيهم من الهوى والحاجة الداعية الى الخلاف لله تعالى والمعصية واخلصها
لله تعالى من الاعداء كان افضل ممن لا يعتبر بشيء من ذلك وطبع على الطاعة لله تعالى وما ذكر من غرور آدم
عليه السلام وحواء رضي الله عنها بقول ابليس الا ان تكونا ملكين فاسد لان آدم عليه السلام لما خلقه الله
من جوهر البشر واجتباه انه جعله خليفة في الارض لا يحتمل ان يتمنى ولما نهى عنه ليصير من جوهر الملائكة وفي ذلك

خلف

خلف فخبر الله ولكنه والله اعلم يحتمل ان يقال ان الملائكة مطبوعون على حب العبادة فلم يركب فيهم
من الشهوات والحاجات التي تشغل عن العبادة [illegible]
دواعي النفس لتقوم بعبادة الله تعالى كما قاموا من غير تغيير الجوهر والله اعلم [illegible] اختلاف الناس
في تفضيل جوهر البشر على جوهر الملائكة فبعضهم ذهبوا الى تفضيل البشر على الملائكة [illegible]
البشر من الكفرة والفسقة وتعالى التفضيل هؤلاء على الملائكة وانما يحتمل ان يتكلم في تفضيل اهل العقل
من البشر [illegible] على الملائكة ولهذا ذهب المحققون من اهل الكلام ان خواص البشر وهم الرسل
والانبياء عليهم السلام افضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل واسرافيل
ونحوهم عليهم السلام وخواص الملائكة افضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام الملائكة
[illegible] من هذه الاية [illegible] جميع الملائكة المقربين على عيسى عليه السلام [illegible]
ولكن يقول ان جميع رسل الملائكة افضل من رسول واحد من البشر وهذا الكلام في رسولنا صلى الله
عليه وسلم وغيره [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا سيد ولد آدم ولا فخر [illegible]
اجماع الناس انه عليه السلام افضل الانبياء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فلا حجة في هذه الاية لتفضيل الملائكة على عيسى
لانها ما خرجت على طريق التفضيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كانوا يعبدون الملائكة [illegible] دون الله والنصارى
يعبدون المسيح دون الله فاخبر الله تعالى [illegible] ان الذين [illegible] لا يستنكفون عن عبادته فكيف
يستنكفون انتم والله الموفق وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ثم بين
[illegible] من استنكف واستكبر ومن لم يستنكف فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا في الاية اضمار [illegible]
[illegible] ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا [illegible] المستنكفين [illegible]
فاما الذين امنوا [illegible] المؤمنين والكافرين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاستنكاف والانفة [illegible]
يجوز الاضافة اليه والاستكبار مما يجوز الاضافة اليه ففي هذا المعنى بينهما اختلاف والله اعلم
يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم • البرهان هو الحجة التي توضح وتظهر الحق من الباطل قال الله تعالى
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وحجج الله تعالى كلها مظهرة للحق وكذلك قيل هو مشتق من بهر
من بهر الشيء اذا اظهر وظهور الاشتبهة فيه يقال عنه حجج باهرة وقيل المراد من البرهان محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هو القرآن وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا • اي القرآن سماه نورا مبينا يبصر به الحق من الباطل كما
وان لم يكن هو نورا كما سمي مبصرا لما به يبصر وان لم يكن كذلك في هذا مثله وقال قتادة رضي الله عنه نورا
مبينا هو هذا القرآن الذي فيه بيانه ونوره وهداه وعصمته لمن اعتصم به   فاما الذين امنوا
بالله واعتصموا به • الاعتصام هو الالتجاء في كل الامور والتوكل عليه دون غيره وكانه والله اعلم على التقديم
والتاخير كانه قال فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ويهديهم اليه صراطا مستقيما فسيدخلهم في رحمة
منه وفضل يعني الجنة كقوله يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقيل يحتمل الاجل مع ظاهره ويريد بالهداية
الى الصراط المستقيم الثبات والابقاء عليه كانه قال فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه

وفضل يعني في الجنة في الآخرة ويهديهم اليه صراطا مستقيما اي يثبتهم على الهداية في الدنيا فجمع بين الامرين لكن
احدهما ينصرف الى دار الدنيا والاخر الى الاخرة والثبات على الايمان يجوز ان يكون جزاء الاعتصام بالله تعالى وتمسك الايمان
به قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله فمن لم يعتصم بالله تعالى ويتبع المعاصي على طريق الاعتياد
يجازى بالحرمان عن الايمان فمن اعتصم على الله تعالى وعزم على الايمان يجوز ان يجزى بالثبات والقرار عليه والله اعلم
وقوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ذكر الاستفتاء ولم يذكر ماذا استفتوا فيه لان في الجواب
بيانا لذلك قال الله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة فتبين لنا ان الاستفتاء كان عن الكلالة ثم فسر الكلالة
فقال ان امرؤ هلك ليس له ولد وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء
اكثر مما سألته عن الكلالة ثم طعن باصبعه في صدري فقال الا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء دل
ذلك ان تفسير الكلالة ما ذكر في الآية وانما سماها آية الصيف لانها نزلت في الصيف وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قال الكلالة من لا ولد له ولا والد وكذلك قال عمر فانه روي عنه انه قال لاستحيي من الله تعالى
ان ارد شيئا قاله ابو بكر رض وسئل ابن عباس رض عن الكلالة فقال من لا ولد له ولا والد وفي الآية دليل جواز
تاخير البيان عن وقت نزول الخطاب فان عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلالة غير مرة ولم يبينه
حتى امره بالنظر في الآية وكان آخر البيان عنه ولم يكن عرف ذلك قبله فدل ذلك على جواز تاخير البيان وقيل نزلت
الآية في جابر رضي الله عنه فانه روي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني ومعه
ابو بكر رض وهو يمشي فاغمي علي فتوضأ وصب وضوءه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وكان
لي سبع اخوات فلم يجبني حتى نزل قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الآية قال جابر رضي الله عنه
فيّ نزلت الآية ثم اختلف الناس فيمن مات وترك اختا وبنتا قال بعضهم لا شيء للاخت وكذلك اذا ترك
اخا وبنتا فلا شيء للاخ وقال اصحابنا رحمهم الله بان الاخوات مع البنات عصبة واما الاخوة فالبنات معهم صاحبات
الفريضة وتعلقوا بهذه الآية وقالوا ان الله تعالى انما ورث الاخت اذا كان الميت كلالة وفسر الكلالة بان ليس
له ولد واسم الولد يقع على الانثى والذكر جميعا فيجب ان لا ترث الاخت مع البنت وكذلك الاخ ولا من شرط
توريثه ايضا ان يكون الميت كلالة قال الله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت لكنا نقول
ان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله فان كانت واحدة فلها النصف من غير فصل بينهما اذا كانت معها
اخت او اخ او لم تكن فلو قلنا بان الاخت والاخ لا ترث معها فيكون النصف الباقي للبنت يكون لها جميع المال
وهذا خلاف الكتاب وان كان لا ترث النصف الباقي ويكون لبيت المال كان المرجع الى الاخت اولى من الصرف الى بيت
المال فوجب العمل بان المراد من الولد المذكور في قوله ان امرؤ هلك ليس له ولد الابن دون البنت عملا بالادلة
كلها وقد جاء في بعض الاخبار ايضا ان الاخوات مع البنات عصبة فكذلك كان للاخت ولهذا النصف كما
وقد تقدم ذكر هذه المسئلة في اول هذه السورة باطول مما ذكرنا ههنا فلا نعيده قوله تعالى فان كانتا اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك ذكر للاثنتين من الاخوات الثلثين ولم يذكر ما للثلث فصاعدا وذكر في اول السورة
في البنت الواحدة النصف ولم يذكر البنتين ولكن ذكر الثلث فصاعدا بقوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك فترك بيان الحكم في البنتين لبيانه في الاختين وترك البيان في الاخوات ليبيانه في البنات
ثم في الآية دليل جواز القياس حيث اكتفى ببيان البعض عن البعض عند المساواة في المعنى وقوله تعالى وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين جعل الاخوات مع الاخوة عصبة في هذه الآية دلالة ان
اسم الاخوة يجمع الاناث والذكور جميعا حيث ذكر الاخوة ثم فسرها بالرجال والنساء ويكون هذه الآية تنكيلا لقوله
وان كان له اخوة فلامه السدس انهم يحجبون الام من الثلث ذكورا كانوا او اناثا والله اعلم وقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
قيل ان لا تضلوا على اضمار حرف لا وكذلك روي في حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنهما يبين الله لكم ان لا تضلوا وقال الكسائي
يقول العرب للرجل اطعمتك ان تجوع واغنيتك ان تفتقر على معنى ان لا تجوع ولا تفتقر ثم معناه ان لا تضلوا في قسمة
المواريث عند بعضهم وقيل ان لا تخطئوا وقيل ان لا تخلطوا وهو واحد والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود اجمع اهل
التاويل على ان العقود ههنا هي العهود على تسمية عهود فيما بين الخلق من نحو الايمان وغيرها امر الله تعالى بوفائها
والقيام بحقها اذا لم يكن في ذلك معصية الرب جل جلاله وهو كقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير
وليكفر يمينه والعهود فيما بينهم وبين ربهم هي المواثيق التي اخذ عليهم نحو الفرائض التي فرضها عليهم
والنذور التي يتولون ايجابها بانفسهم وغير ذلك امر الله تعالى بوفائها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من نذر ان يطيع الله تعالى فليطعه ومن نذر ان يعصي الله تعالى فلا يعصه وقال عليه السلام من نذر نذرا سماه فعليه
الوفاء بما سماه ومن نذر ولم يسم فعليه كفارة اليمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله اوفوا بالعقود
هي العهود التي اخذ الله تعالى على اهل الكتاب ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وياخذوا بشرايعه ويعملوا بما جاء
به كما اخبر بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية وقال ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وانما خاطبهم بقوله يا ايها الذين آمنوا لانهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل ان بعث فلما بعث كفروا فكانه قال يا ايها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام قبل البعث اوفوا بالمواثيق التي قبلتموها
بعد البعث من العمل بشرايعه ونحو ذلك وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام قيل هو الوحوش وكذلك قال
الفراء لانه قال غير محلي الصيد وانتم حرم والصيد اسم للمتوحش فكان استثناء الصيد دليلا على ان المستثنى
منه هي الوحوش التي هي الصيد فاما غير الوحوش من الانعام لا يكون صيدا وقال الحسن رضي الله عنه هي البقر
والابل والغنم وقال غيره البهيمة كل مركوب ولكن عندنا المراد كل ماكول من النعم والوحش والصيد غير ذلك
وان لم يذكر دليله كما استثنى بقوله الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم فدل قوله غير محلي الصيد ان الصيد
مذكور فيه بطريق الاضمار وان لم يذكر لانه استثنى الصيد منه وانما يستثنى الشيء من الشيء اذا كان ذلك
فيه كما ذكرنا فيما تقدم ان ذكر الشيء في الجواب دليل على كونه في السؤال لان الجواب بناء عليه فعلى ذلك استثناء
الشيء من الجملة دليل ان المستثنى كان مذكورا في المستثنى منه بطريق الاضمار اذا لم يذكر فيه صريحا وليس فيه
حرمة الصيد في حال الاحرام على الاطلاق لان المحرم ان يأكل صيدا صاده حلال لحلال لانه نفى الاصطياد فكانه
قال غير محلي الصيد باصطيادكم وانتم حرم فدل على ما قلنا قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا دل ذلك
ان المحرم هو الاصطياد في حال الاحرام ان الصيد الحاصل باصطياد المحرم غير اكل الصيد والله اعلم ويحتمل قوله
تعالى احلت لكم بهيمة الانعام هي الازواج التي ذكرها في سورة الانعام بقوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين الآية
لا جميع انواع الانعام دل عليه قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم قال والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة فصل بين الانعام وبين الخيل والبغال والحمير دل انه خلقها للركوب والانعام للاكل
والله اعلم وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يحتمل وجهين احدهما يحتمل على الوعد اي يتلى عليكم من بعد ما ذكر
على اثره وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم الى آخر الآية والثاني ما ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه
تفسير للقراءة العامة الا ما يتلى عليكم في سورة الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الآية وقوله تعالى ان الله
يحكم ما يريد اي الله تعالى يحكم بالتحليل والتحريم بما يشاء فيمن يشاء على من يشاء ليس لكم التحكم عليه
وهذه الآية تنقض قول المعتزلة لانه اخبر ان الله تعالى يريد وجود كل طاعة فيما امر وعندنا يجوز ان يريد وجود
الطاعة بالامر ويجوز ان لا يريد بل يريد معصيته لان الله تعالى لو اراد وجود كل طاعة يحكم بوجودها لانه
اخبر انه يحكم ما يريد فلما راينا ان يريد ولا يحكم فيكون خلفا في خبره فما حكم الله تعالى بوجوده فوجد لا محالة
وراينا انه امر باشياء كثيرة لم يوجد كان ما تأولوه فاسدا وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يحتمل
وجوها يحتمل لا تستحلوا ما اشعر الله تعالى حرمته من الاشعار وهو الاعلام وقيل الشعائر العلامات التي
يشعر بها الشيء كانه قال لا تحلوا تجاوز حدود ما دين الله تعالى والتقصير فيها قال الحسن رض شعائر الله
دين الله وهو علامة فاصلة بين الكفر والاسلام وقيل شعائر الله فرائض الله كانه قال لا تستحلوا ترك
ما فرض الله عليكم وقيل شعائر الله مناسك الحج اي لا تستحلوا ترك مناسك الحج الا ترى ان الله تعالى قال
ان الصفا والمروة من شعائر الله وقال والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهي معالم الله تعالى في الحج هكذا
روي عن ابن عباس رض ويحتمل انه اراد بالشعائر مشاعر الحرم فالمشاعر هي المواضع التي سميت بالعلامات
لاختصاص مناسك الحج بها فكانه قال لا تحلوا مشاعر الحرم ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد اي لا تستحلوا
القتال مع الكفار في مشاعر الحرم ولا في الشهر الحرام ولا تستحلوا الاغارة على هديهم وقلائدهم كذا روي
عن ابن عباس رض انه قال كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون
في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فانزل الله تعالى قوله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام الآية الا ان هذه
امور كانت من قبل فانهم كانوا يحجون ويعظمون شعائر الحرم وكانوا يمتنعون عن القتال في الشهر وهو كقوله
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وقوله تعالى والهدي والقلائد كانوا يهدون ويشعرون

الهدي ويقلدون القلائد وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام اي قاصدين البيت الحرام وفي حرف ابن مسعود رضي
ولا آمي البيت فلا يأمنوا وقوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قيل ان المشركين كانوا يقصدون
البيت الحرام يلتمسون فضل الله تعالى ورضوانه بما يصلح لهم في دنياهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ويحتمل ان يكونوا التمسوا عند انفسهم وفي زعمهم رضوان الله
تعالى لما كان عندهم انهم على الحق فامر المؤمنين بالكف عنهم بقوله لا تحلوا شعائر الله الآية وان كانوا قد غلطوا
في توجيه العبادة الى غير الله تعالى كقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الآية ثم نسخت
هذه الامور بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم الآية وكذا روي عن الشعبي رضي الله عنه
انه لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية نسختها قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قالت عائشة رضي الله عنها
انها من آخر ما انزل الله تعالى فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وقيل
ان الآية نزلت في شأن رجل من اهل اليمامة يقال له شريح بن ضبيعة انه اتى المدينة فدخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انت محمد النبي فقال نعم فقال الى ما تدعوا قال ادعو الى ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
فقال شريح يا محمد هذا شرط شديد يعني ان لي امراء خلفي ارجع اليهم فاعرض عليهم ما اشترطت علي واستأمرهم
في ذلك فان قبلوا قبلت وان ادبروا ادبرت فكنت معهم ثم نهض خارجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خرج من عندي بعقبي غادر ولقد دخل علي بوجه كافر فمر
بسلم قال فمر شريح على سرح لاهل المدينة فساقها معه فلما كان من العام الثاني قدم شريح الى مكة ومعه
تجارة عظيمة في حجاج وكانت العرب في الجاهلية يغير بعضهم على بعض فاذا كان اشهر الحرم امن الناس كلهم
بعضهم بعضا فاذا اراد انسان ان يقلد بعيره من الشعر والوبر فيأمن بذلك الهدي حيث ما ذهب فلما سمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بحج شريح وتوجهه الى مكة ارادوا ان يغيروا عليه فيأخذوا ما معه
ويقتلوه كما اغار على سرح المدينة قبل ذلك فاستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله الى آخره ولا ندري كيف كانت القصة وليس بنا الى معرفتها حاجة الا القدر الذي
ذكر الله تعالى في ذلك وفي الآية دليل لاصحابنا ان الغنم لا تقلد لانه تقلد الابل والبقر لانه ذكر الهدي ثم القلائد
عطف القلائد على الهدي والمعطوف غير المعطوف عليه والهدي يقع على الغنم والابل والبقر فهذا يدل
على ان الهدي نوعان ما يقلد وما لا يقلد وبالاجماع الابل والبقر تقلد فتعين الغنم فانه لا تقلد حتى يصح
عطف القلائد على الهدي والله اعلم وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا ودل هذا على ان النهي في قوله
غير محلي الصيد وانتم حرم في اخذ الصيد والاصطياد في الاحرام لا في اكل الصيد على ما مر وقوله فاصطادوا
الحقه ما حظر عليهم بالاحرام وان كان ظاهره امر ومعناه واذا حللتم فلكم ان تصطادوا واصل هذه
ان كل صيغة امر خرجت على امر محظور محرم فهي للاباحة واطلاق ذلك المحظور لا امر الزام والحتم نحو قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ثم قال فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله فهو اطلاق ذلك المحظور لتعلقهم وكقوله لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم ثم قال ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا هو اطلاق ما حظر عليهم ومثله
كثير في القرآن وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لا يحملنكم بغض قوم ان صدوكم عن البيت الحرام ان تعتدوا عليهم فتقتلوهم وتأخذوا
اموالهم فيما صالحتهم وقيل لا يحملنكم بغض قوم ان تعتدوا في العدوان والاعتداء هو المجاوزة عن حد الله الذي
حد لعباده ذكر في هذه الآية الاعتداء ونهى عنه وذكر في موضع آخر الحكم بالجور وهو الظلم وهو قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا الآية
وكذا قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين الآية ثم ما يبعثهم على الجور
والظلم ويمنعهم عن القيام بالشهادة والعدل احسان بعض قوم او عداوة لاحد والشفقة والولاية لقرب
او طمع غنا احد او خوف فقر فنهاهم الله عز وجل ان يحملهم بغض قوم او عداوة احد على الجور والاعتداء ويمنعهم
عن القرب والشفقة او طمع غنا احد او خوف فقر في القيام بالشهادة وما عليهم من الحق وامرهم ان يجعلوا
كله لله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط فمن اقام على ذلك بقصد اقامة حق الله تعالى وعلم انه يبتغي بذلك
طلب مرضات الله تعالى لم يمنعه ما ذكرنا من القيام به والله اعلم وقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان قيل البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه والعدوان هو المجاوزة عن الحد في كل شيء الا ترى

انه ذكر ثناء البر الاثم وبيانه التقوى العدوان ويحتمل ان يكون المراد منه ما ذكر في الآية الاولى من اوامره وهو قوله
لا تحلوا شعائر الله الى قوله ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا فنقول تعاونوا على ما يأمركم
به من ذلك فانهم الى البر يقصدون عند انفسهم وان لم يكن فعلهم برا في الحقيقة لعبادتهم غير الله تعالى
وانما امروا بمعاونتهم وترك التعرض لهم لما ذكر في القصة انهم كانوا يحرمون ويقلدون الهدي ويقصدون
البيت الحرام اذا كان ذلك في الوقت الذي يجوز لنا المعاهدة مع اهل الشرك فلا يجوز لنا المعاهدة من اهل الكتاب
على ان لا نتعرض لهم ونتبعهم وان كانوا يقصدون الله تعالى فيها لانهم يتدينون بذلك ويقصدون به البر
عند انفسهم فلما امر الله تعالى بنقض عهود المشركين امر بمنعهم عن دخول المسجد الحرام وان يقتلوا حيث وجدوا
على ما ذكرنا قال الى هذا المعنى ذهب اصحابنا رحمهم الله والله اعلم في فرقهم بين شهادة اهل الذمة يتدينون بكفرهم
حرمة الكذب فاما الفساق غير متدينين بفسقهم وكذلك فرقهم بين ما يغلب عليه المشركون من اموال
المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق من اموال المسلمين وكذلك سبيل الدماء التي تصيبها المحاربون
من اهل البغي من اهل العدل لا يشبه ما يصيبه الفساق منها لان امر المتدينين بدين خطأ يخالف
في الحكم امر الفساق الذي يتبين الا ترى انه يجوز ان يطلق لمن يعاقبه من اهل الكتاب الصلاة في كنائسهم ولا نتعرض
لهم وان كان ذلك عندنا معصية وحراما ولا يجوز ان يطلق المعصية لفساق المسلمين بحال وقوله تعالى
واتقوا الله ان الله شديد العقاب اي اتقوا نقمة الله وعذابه في ترك ما امركم به وارتكاب ما نهاكم عنه
وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية ظاهره الاكل الميتة الا ترى انه يجوز الانتفاع بصوف
الميتة وعظمها وشعرها ونحو ذلك فدل ان على الاضمار واضماره الاكل ولا يقال انه لا يجوز الانتفاع
بجلد الميتة الا بعد الدباغ لان الجلد مما يشوى مع اللحم فيؤكل فما دام بحال يصلح للاكل فهو حرام كاللحم
وبالدباغ يخرج من ان يكون يصلح للاكل فيلتحق بالصوف والعظم والله اعلم ثم في الآية امتحان لكل
من وجهين احدهما ابتلاهما بتناول ما في جوهره الحظر من جوهر امتحن بحرمة الخنزير والدم ولم يحلهما
ولا بغير سبب في حال الاختيار وامتحن باباحة تناول غيرهما بسبب وحرمه بغير سبب انه الخالق
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والثاني جعل سبب الحل ما ينفر عنه الطباع وهو الذبح لان كل نفس
يتالم بالذبح واستخراج الروح منه وجعل طبيعة كل احد مما ينفر عنه ما يتالم به انفسهم لكن الله جعل
ما يخرج من الارض كله حلالا لا بلا سبب يكتسبونه لا بقدر ما يكفيهم لتناول منه خوف الهلاك لانه موات
لا ينفر عنها الطباع ثم جعل اسباب الحل اسبابا يكتسبونها مما تنفر الطبائع استخراج ذلك الدم المحرم منه
حتى يحل اكله ويصير طاهرا بخروج ذلك منه فاذا لم يتحمل في استخراج ذلك الدم المحرم بان مات وتركه
بنفسه لا يحل اكله لان ذلك الدم فاسد فاذا استخرجه يطيب واذا بقي فيه يفسد معرفة ذلك
بالتجربة والامتحان فان المذبوح لا يفسد لحمه زمانا طويلا والميتة بنفسه يفسد في قليل الوقت لما ان الدم
الفاسد فيه وهو الدم المسفوح يفسده والله اعلم وقوله تعالى وما اهل لغير الله به قال الكلبي رحمه
الله يعني ذكر وسمي عليه غير اسم الله تعالى مشتقا من استهلال الصبي ومنه اهلال الهلال ومنه اهلال الحج
اذا لبى ومعنى الحرمة والله اعلم ان الامر بذكر اسم الله تعالى يخرج مخرج حق النعمة والشكر لما انعم عليهم
من عظيم النعم بحيث جعل سائر الحيوان غذاء لهم وسببا لبقائهم مع انه يلحقهم الالم ولا يحمل هو جنايته لا لغيره
فاذا اهلوا به لغير الله تعالى من الاوثان وغيرها لم يقبلوا نعمه ووجهوا الشكر الى غيره فحرم لذلك فان قيل
اليس ذبائح اهل الكتاب حلالا وهم يهلون لغير الله لان كل كافر يهل في الحقيقة لغير الله تعالى لانه لا يعرف
الله حقيقة والنصارى يعتقدون الها لكون عيسى عليه السلام ابنه وثالث ثلاثة وكذلك اليهود يعتقد
الها هو جسم قيل له نعم لكنه اهل الكتاب يسمون الله تعالى عند الذبح مطلقا ويعتقدون انه اله واحد
ويقصدون بذلك تعظيمه مثل المسلمين وكان ذلك منهم قبولا لنعمته وتوجيها الشكر اليه فيصرف الى
من هو اله في الحقيقة دون ما في زعمهم من الموصوف باوصاف لا يليق بالاله فان قيل على هذا يجب ان يحل
ذبيحة المجوسي والوثني اذا ذكر اسم الله تعالى وسماه عند الذبح مطلقا قيل المجوس يقولون بالهين احدهما
النور هو الحقيقة والآخر موصوف باوصاف لا يليق به والثاني شيطان وهو ابليس ويزعمون ان النور
ان لا يصح ذبح البهائم فلا يقصدون بذكر اسم الله تعظيمه حتى يكون ذلك بمنزلة الشكر لهم ينكرون
وجود ذلك الانعام منه والوثنية يقولون بالنور والظلمة ولا يرون انه ذبح البهائم من النور فلذلك
افترقا وقوله تعالى والمنخنقة والموقوذة والمتردية الآية قال قتادة رضي الله عنه كان اهل الجاهلية
يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها والموقوذة كانوا يضربونها بالعصي حتى اذا ماتت اكلوها والمتردية

كانت تتردى في بئر او من جبل فتموت فيأكلونها والنطيحة كانا الكبشان ينتطحان فيموت احدهما فيأكلونه
وما اكل السبع كان اهل الجاهلية اذا قتل السبع شيئا من الحيوانات المأكولة واكل منها يأكلون ما بقي وقوله
الا ما ذكيتم • استثناء المذكى من هذه الاشياء اي اذا ذكى هذه الاشياء يحل اكله وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال في قوله والمنخنقة والموقوذة فما ادركت من هذا كله يتحرك له الذنب او تطرف له عين فاذبح واذكر اسم الله
عليه فهو حلال وروي عن علي رضي الله عنه انه قال اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فقد ذكيته
قال الشيخ رحمه الله وهذا والله اعلم اذا خنقها او وقذها فاغمي عليها فاذا ذبح فحركت ذنبها او طرفت
بعينها او ركضت برجلها افاقت فاستدل بذلك على حياتها فاذا لم يكن اغمي عليها فانما يحل اذا كانت يضطرب
ويتحرك ما يتحرك المذبوح فاما اذا كان يتحرك شيئا قليلا كمده قصره ينبغي ان لا يحل اذ يحتمل ان الموت بسبب
الخنق والوقذ ولا يحل مع الشك وكذلك الشاة اذا نزع السبع ما في نفسها وصارت بحال لا يعيش لا يؤكل
بالذبح وان طرفت بعينها وتحركت واما المتردية اذا كان لا يمكن ذبحها بان وقعت في بئر اذا ذبحها من غير
المذبح يحل اكلها روي عن جريج قال اصبنا ابلا فنفر منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل اوابد كاوابد الوحش فاذا كان فعل لكم شيء منها فاصنعوا به هكذا وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في البعير يتردى في البئر انه اذا لم يقدر على منحره فهو بمنزلة الصيد يذبح
من حيث ادرك والاخبار في الباب كثيرة وقوله تعالى وما ذبح على النصب • اي ذبح للنصب قيل كانوا يذبحون
للاوثان والاصنام التي كانوا يعبدونها يتقربون بذلك اليها كما كان اهل الكتاب يتقربون بالذبائح التي كانوا
يذبحونها يتقربون بها الى الله فحرم الله تعالى ما كانوا يذبحون للنصب والاصنام وقوله تعالى وان تستقسموا
بالازلام • اي الاستقسام بالازلام حرام واختلف في تأويله قال بعضهم الازلام سهام العرب وكعاب
فارس التي يتقامرون بها وقيل الازلام القداح التي كانوا يقسمون بها الامور من الخير والشر وما السعي
يجيء ولا شر كانوا اذا اراد سفرا احد قدحا اي سهما فقال هذا يأمر بالخروج فان هو خرج فهو
مصيب في سفره وخير ويأخذ قدحا آخر فيقول هذا يأمر بالمكث فان هو خرج فليس هو بمصيب في سفره
والمصحف السهام ما بين الخير والشر فيضربون القداح اذا ارادوا السفر او امرا من الامور وكانوا يحلفون
السهام ويحيلونها فان يخرج يعملون بذلك فنهى الله تعالى عن ذلك واخبر ان ذلك فسق بقوله ذلكم فسق
قال ابو بكر الكيساني انما نهى عن العمل بالازلام دليل النهي عن العمل بالنجوم لان المنجمة يقولون نعمل بما يقول
اولئك ويعملون به فكان النهي عن العمل بقول المستقسمين نهيا عن العمل بقول المنجمة لكنا نقول ان المنجمة
ليس يقولون ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن ما كان يعمل اولئك ولكن يجعلون النجوم دلالات
وعلامات على احكام الله تعالى ويقولون انها مجاري اقضية الله تعالى ويجوز ان يكون الله تعالى جعل في النجوم
معاني واعلاما يدركون بها احكاما ويستخرجون بها اشكالا يحتمل ذلك وهو على ما يستخرج اهل
الاجتهاد بالاجتهاد اشياء من معاني النصوص واحكاما لم يذكر في النصوص فيستدلون بتلك المعاني
على احكام في غيرها فيكون تلك المعاني اعلاما على اقضية الله تعالى لان نصها الرجوع اليها بمعاني التي
يجوز ان يجعل الله تعالى في النجوم معاني يجعلها اعلاما على الاحكام فيستخرج المنجمة تلك الاحكام بتلك
الاعلام ولا لائمة في ذلك عليهم فيما يحكمون على الله تعالى ويشهدون عليه انه علمه فقال الحسن رضي الله عنه
كانوا يعمدون الى قداح فيكتبون على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي ثم يضعونها اذا ارادوا الامر فان خرج الذي
عليه امرني ربي مضوا لوجههم فان خرج الذي عليه نهاني ربي تركوه وقال القتبي الازلام القداح واحدها زلم وزلم
والاستقسام بها ان يضرب لحدا الاستقسام من القسم وهو النصيب وقال ابو عوسجة استقسمت
اي ضربت بالقداح قال كانه من القسم وقال ابو عبيد انما سمي استقساما لانهم كانوا يطلبون قسم رزق
وطلب الحوائج بها وكانوا يسألونها ان يقسم لهم وقال ابو العباس الاستقسام الزام انفسهم ما
يأمرهم به القداح وقوله تعالى ذلكم فسق • اي العمل بالازلام والشهادة على الله تعالى بانه امر بذلك فما يكتب
على القداح انه امر بكذا فسق لان في ذلك احتمال الشهادة على الله تعالى بالكذب وهو حجة على الشافعي حيث
يوجب العمل بالقرعة فانه يقول يقرع فيخرج اسم القرعة فانه يحكم له وانما يحكم بامر القرعة له كان القرعة
يأمر بالحكم لهذا بهذا وينهاه عن الحكم بهذا لهذا فهو بالازلام والقداح التي نهى الله تعالى عن العمل بذلك اشبه
واشكل من غيره ولهذا انما سمي ذلك فسقا لانهم كانوا يجعلون القداح الامر والنهي وكانوا يطلبون
قسم الرزق والحوائج بها وكانوا يسألونها ان يقسم لهم وكذلك كان حراما وكذلك القرعة في خطب القلب
حيث لا تكره بين النساء في القسم والسفر نهي لا انا لا نرى للقرعة حكما ولا امرا ولا نهيا ويحتمل قوله ذلكم

فسق اي تناولها ما ذكر من المحرمات من الميتة والدم والخنزير ونحوها وما ذكر من الاصطياد في الاحرام والتناول
منه فسق وكذلك روي عن ابن عباس رض وقوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون في
قيل والله اعلم كان الكفار يطمعون دخول اهل الاسلام في دينهم وعودهم اليه فآيسهم الله تعالى من ذلك
فقال اليوم يئس الذين كفروا من دينكم دين الاسلام وعودكم الى دينهم لما رأوا من الفتح والنصر لكم وظهوركم
وغلبتكم عليهم ومعناه هذا وقت يأس الكفرة منكم فلا تخشوا الناس واخشوني ما منهم بذلك عن ظهوركم
ونصرهم بالفتح والظفر لهم وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي • قال ابو عبيد رضي الله عنه
كان دينهم الى ذلك اليوم ناقصا فمن يومئذ كمل دينهم وهذا اشد لان على زعمه هذا يجيء ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يدعو الناس الى دين ناقص ومن مات من اصحابه قبل ذلك مات على دين ناقص ويحشر يوم القيامة
على دين ناقص وان قول افحش من هذا ويقال له فقل ايضا بان الله تعالى لم يكن رضي بالاسلام قبل ذلك
وانما رضي الله عند ذلك لان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فكما يجب على الكمال الذي مضى الى اليوم اخبر عن الرضاء بالاسلام لهم دينا مضى في اليوم ذلك
لا ينبغي ان يرضى لهم بالاسلام دينا قبل ذلك فهذا مثله وقال آخرون من اصحاب الحديث ايضا كان الدين
كاملا الى ذلك الوقت فلما فرض الله تعالى عليهم فرائض لم يكن من قبل صار الدين ناقصا الى ان نزلت
عليهم من الفرائض فعند ذلك يكمل الدين وهذا في الشناعة والقبح كالاول ثم في تأويل هذه الآية وجوه احدها
ما قيل اليوم افتتاح يفتتح به الكلام لا على ارادة وقت يشار اليه والمراد ما بعده ولم يتعلق به حكم ذكره
وعدمه سواء وتقدير الآية اكملت لكم دينكم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثته واتممت
عليكم نعمتي ويحتمل ان يتكلم باليوم ويراد به مطلق الوقت لا الاشارة الى وقت معين وتقديره في وقت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام بعثته اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ويحتمل ان يراد
باليوم الوقت المعين هو وقت نزول الآية ومعناه اليوم اظهرت لكم ولم يكن من قبل ظاهرا مثل
ظهوره اليوم انجازا لما وعدت كما قال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال اذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا الآية حتى قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة
شهر وقال الا لا يحج بعد هذا العام مشرك فلظهوره وغلبة اهل الاسلام عليهم لم يكن قبل
كذلك ويحتمل الكمال من حيث الثبات والدوام انه وقع الامن للمؤمنين من زوال دولة الاسلام وغلبة
الكفرة عن ذلك كما قال تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ويحتمل اليوم اكملت
لكم دينكم لما امنتم من العدو والعود الى دينهم في هذا اليوم وايسوا ولتأمنوا من رجوعكم الى دينهم فكان
كملت نعمة الدين عليكم في هذا اليوم وان كانت كاملة قبل ذلك لوجود الامن عن الزوال والعدو ذهاب
الخوف لا تمام النعمة من حيث الجنس مع خوف الزوال والخوف من العدو فيقال الرجل اليوم تم ملكك
وكمل اذا هلك عدوه لحصول الامن له من العدو وذهاب خوفه وان كان لم يصف ملكه بالنقصان
قبل ذلك لما انه لا يطيب له ذلك مع خوف الزوال وقوة العدو فهذا سبيل هو قيل اكملت
لكم دينكم ليطمئنوا دينكم وشرائعه لانهم امروا بامور وشرائع لم يكن لهم علم بذلك قبل ذلك فيجوز
ان يذكر الدين ويراد به الشرائع والله اعلم وقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا • اي اكرمتكم بالدين
المرضي وهو الاسلام كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله تعالى فمن اضطر
في مخمصة غير متجانف لاثم • قيل المخمصة المجاعة قال ابو عوسجة رجل خميص اي جائع وقيل هي من ضيق
البطن غما والجهد لان من الجوع ما يضيق البطن وقوله غير متجانف لاثم قيل غير متجانف لاثم اي غير متعمد
لاثم وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الكسائي غير متجانف اي غير متمايل والجنف الميل
في كلام العرب وكذلك قال ابو عوسجة والقتبي ان الجنف الميل ثم هو يتوجه الى وجوه احدها غير متجانف
اي غير مستحل اكل الميتة وما حرم عليه من تناول الصيد وغيره اي من اضطر الى اكل هذه المحرمات غير مستحل
لها في حالة الاختيار فلا اثم عليه لان في حالة الاضطرار الميتة وهذه المحرمات بعد ما يسبب وقعه حلال
مطلق لا حرام ترخص وهذا لو امتنع عن اكل الميتة حتى مات لا يأثم بل يثاب وقيل غير متجانف اي غير
متلذذ ولا متشه ينبغي ان يتناول على التكره منه لا على التلذذ والتشهي وقيل انه غير متجانف لاثم تفسير
قوله فمن اضطر الى لا يتناول هذه المحرمات الا في حال الاضطرار وهذا كقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد
نقوله غير باغ ولا عاد تفسير قوله اضطر فههنا مثله وقوله تعالى فان الله غفور رحيم اذ من رحمته
جعل لكم التناول مما كان يحرم عليكم واطلق لكم تناوله في حالة الاضطرار اذ لم ينسكم تموتون جوعا

وقوله تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ليس في السؤال بيان من كان سؤالهم ولكن في الجواب بيان أن المراد من سؤالهم فقال قل أحل لكم الطيبات فدل أن سؤالهم كان عن الطيبات ثم اختلف في قوله أحل لكم الطيبات قيل تفسير الطيبات هي المحللات ولكن هذا فاسد لأنه يخرج على هذا التأويل كأنه قال أحل لكم المحللات وإحلال المحلل لا يتحقق فإنه متى وقع الإشكال لهم إنما يحل لا يقع الإشكال بقوله لكم المحللات لكنه يحتمل وجهين أحدهما أي أحل لكم بأسباب تطيب بها أنفسكم من نحو الذبح الذي يخرج الدم المحرم فيطيب المذبوح به ومن نحو الطبخ والخبز وغيره الذي به يصلح الغذاء ويطيب لتغذيه ويميل الطبع إليه لم يحل لكم ما يكره أنفسكم التناول بدونها من غير مذبوح ولا مطبوخ ولا مشوي ولكن أحل لكم بأسباب طابت بها أنفسكم لتناولها عنه والثاني هو أنه أحل لكم ما تستطيبه طباعكم وتميل إليه دون ما تكرهه طباعكم وتنفر عنه وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح كأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عما يصطاد بالجوارح وما يحل من الجوارح الاصطياد بها فذكر وما علمتم من الجوارح وما يصطاد من الجوارح المعلمة مما ذكر في بعض القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل الكلاب فأتاه ناس فقالوا ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها فنزل قوله تعالى يسألونك الآية وقيل سميت جوارح لما يكتسب بها والجوارح الكواسب قال الله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أي اكتسبوا وقال أبو عبيد سميت جوارح لأنهن يصدن بها ومنه ذكر ما لي كاسب يقال لفلان جارح قرب ماله كاسب وقيل سميت جوارح لأنها تجرح وهي من الجراحة ولهذا إذا لم يجرح لا يحل صيدها وبهذا المعنى احتج محمد رحمه الله في صيد الكلب إذا قتل ولم يجرح في الزيادات أنه لا يؤكل لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سأله عدي بن حاتم عن صيد المعراض ما أصيب بعرضه فلا يأكل وقيل وما أصبت بحده فكل وقيل مكلبين هي الكلاب التي يكالبن الصيد أي يأخذنه عن شدة فالكلب هو الأخذ عن شدة ومنه أخذ الكلوب لما يؤخذ به الحديد وقال القتبي مكلبين هم أصحاب الكلاب والمكلب الكلب المعلم هكذا قال الفراء والكسائي رحمهما وقوله تعالى تعلمونهن قال الحسن رضي الله عنه وأبو بكر الأصم أي تضرونهن ومن الإضراء وهو الإغراء يقال الكلاب يضراه على طلب الصيد أي يغريه ولهذا قالا رحمهما الله أن الكلب إذا أكل من الصيد الذي أخذه يباح تناول ذلك الباقي لأن حد التعليم عندهما أن ينزجر بالزجر والإغراء وقيل تعلمونهن أي تؤدبونهن ليمسكوا الصيد لكم وهو عندنا على حقيقة التعليم تعلمونهن حتى يمسكن الصيد لكم وهو حد التعليم في الكلب ونظيره أن يمسك الصيد لصاحبه ولا يأكل منه على ما ذكر وقوله تعالى مما علمكم الله يتوجه من وجهين أحدهما مما حصل بتبليكم بحيث احتمال تعليمهن لا ولم يطعكم من الخلائق يحتمل التعليم هؤلاء والثاني يحتمل إذ قال لكم علموهن بكذا وافعلوا كذا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف ما كان ففي الآية دليل على أن العلم شرط ليباح أكل صيده حتى إذا كان غير معلم لا يباح أكل ما اصطاده فإن قيل لم خص الكلاب بالذكر دون غيرها من الجوارح وإن كانت الكلاب وغيرها سواء إذا كانت معلمة قيل اكتفاء بذكر من سائر السباع ولمخالطتها الناس حتى جاء النهي عن اقتنائها والأمر بقتلها فرخص لهم في مثلها ما اشتق السباع فلم يحل ما اكتسبن إلا الكلاب جعلها إذا علمت يعني هي من السباع بين الناس وقوله تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه في الآية إشارة أي حد تعليم الكلب بحيث نظائره وهو الإمساك على صاحبه وترك الأكل منه لأن الله تعالى أباح أكل ما يمسك عليه شرط يبيح الأكل مما أمسك على نفسه وكان المعنى فيه هو أن الكلب وغيره من السباع من طباعهم أنهم إذا أخذوا الصيد يأخذون لأنفسهم ولا يصبرون على أن لا يأتيا ولو تعمد فإذا أخذ الصيد وعلم يقينا ولم يأكل أنه أمسك لصاحبه وإذا أكل منه لا يعلم هل أمسك بقيته لصاحبه أو أمسك لنفسه لما شبع في هذا الوقت فلا يثبت الإمساك للصاحب مع الاحتمال وعلى ذلك جاءت الآثار روي عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال قلت يا رسول الله إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة فما يحل لنا منها فقال عليه السلام يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم مما علمتم من كلب أو باز فذكرت اسم الله عليه فقلت وإن قتل قال إذا قتله ولم يأكله فإنما أمسكه عليك وإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه فقلت يا رسول الله أفرأيت إن خالطت كلابنا كلاب أخرى قال إذا خالط كلبك كلابا فلا تأكل فإنك إنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على كلب غيرك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا أكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه أيضا أنه قال إذا أكل الكلب فلا يأكل وإذا أكل الصقر فكل لأن الكلب مستطيع أن يضربه والصقر لا وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال إذا أكل الكلب فلا تأكله وأضربه فدلت هذه الأخبار على أن حد التعليم ما قلنا ومن هذا قال أصحابنا إن الكلب إذا أكل من دم الصيد يؤكل لأنه لو أمسك الدم علينا كنا لا نأكله وذلك من غاية تعلمه حيث تناول الخبيثة وأمسك الطيب على صاحبه

يقرر ما قلنا أن الله تعالى إنما أباح أكل الصيد المجروح بصيد المعلم منها الممسك على صاحبه ولو كان صيد الكلب إذا أكل منه حلالا لكان الكلب المعلم وغير المعلم سواء وكأنه إنما أمسك على نفسه وعلى صاحبه سواء لأن كل كلب يطلب الصيد ويمسكه لنفسه حتى يموت وإن أرسلت عليه وأغريته وأضريته إلا المعلم فيبطل به قول من جعل الشرط في إباحة صيد أكل منه والاكتفاء بالإغراء وعلى هذا يخرج ما روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال إن تعلم الكلب حتى صار لا يأكل من صيده ثم أكل من صيد يصيده في المستقبل لم يحل أن يؤكل مما اصطاد قبل ذلك إن كان باقيا ووجه مذهبه أن صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلما ولا يعطى له حكم كونه معلما إذا أمسك في أول ما أرسل لصاحبه ولم يأكل حتى يمسك مرارا ويترك الأكل مرارا لأنه إذا وجد ذلك صار ذلك علامة ظاهرة على صيرورته معلما فإذا أكل بعد ذلك منه دل أكله على أن إمساكه عن الأكل لم يكن لأنه تعلم إذ قد يمسك غير المعلم لشبعه في الحال إلى وقت الحاجة فاستدل بأكله بعد ذلك أن إمساكه في الوقت الذي قبله كان على غير حقيقة تعليم أو يحتمل ذلك فلا يحكم بالحل مع الاحتمال والشك ولكن هذا عندنا في صيد لا يطول زمانه فأما إذا امتد زمان الصيود المتقدمة ثم يفرق بين الفصلين بأن الثاني قد نسي وجود مدة يحتمل النسيان لتعليم فأما في الصيد فلا وجه لذلك إلا أن يحمل على أنه غير مستحكم التعليم في الصيود المتقدمة فظهر أنها صيود كلب غير معلم فلا تحل وحد التعليم أن يكون تعليم البازي والصقر ونحوهما بالإجابة لصاحبه ورجوعه إليه دون ترك الأكل بخلاف الكلب فإن تعليمه بترك الأكل دون الإجابة لصاحبه والفرق من وجهين أحدهما أن البازي ونحوه مستوحشين من الناس ينفر طبعه عنهم فيكون التعلم بالبازي بإجابته صاحبه إذا دعاه دليل على التعليم والدليل الواحد يكفي لكونه معلما فيؤكل صيده وإن أكل منه ولم يحصل بتركه الأكل دليل بخلاف الكلب لأنه يألف الناس ولا يستوحش فلا يمكن أن يجعل هذا دليل التعليم في حقه ومن طبعه الأكل إذا أخذ الصيد فيصلح هذا دليلا على كونه معلما وفي البازي يكتفى بأحد الدليلين على أن الشرط لثبوت الحكم قيام الأدلة بل الواحد كاف فهو الفرق بينهما ولأن البازي إنما يعلم بالأكل فلا يحتمل أن يخرج بالتناول منه عن حد التعليم بخلاف الكلب وبعد ذلك ما روي عن علي وابن عباس وسلمان رضي الله عنهم أجمعين أنهم قالوا إذا أكل الصقر فكل وإذا أكل الكلب فلا تأكل وقوله تعالى واتقوا الله إن الله سريع الحساب يحتمل اتقوا الله فلا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه فإنها ميتة ويحتمل اتقوا الله في ترك ما أمر ونهى كله وقوله سريع الحساب يحتمل أن يكون السرعة كناية عن الشدة أي شديد العقاب وقوله تعالى اليوم أحل لكم الطيبات يحتمل ذكر اليوم على افتتاح الكلام على إرادة وقت مشار إليه كأنه قال أحل لكم الطيبات عن ذكر اليوم ويحتمل أن يكون ذكر اليوم على إرادة وقت مشار إليه منصرف الآية وتعاطيهم إلى إحلال ما حرم عليهم من الثمانية الأزواج التي في سورة الأنعام وهو قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآية ثم قال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وكذا ما حرموا هم على أنفسهم من البحيرة والسائبة وغيرهما من المحرمات التي كانت فأحل الله تعالى ذلك لهم بقوله اليوم أحل لكم الطيبات وكانت محرمة قبل ذلك لكن أهل التأويل صرفوا الآية إلى الذبائح ولم يصرفوها إلى ما ذكرنا من محتملات اللفظ وصرف بعض أهل التأويل اللفظ إلى بعض محتمله لا يمنع صرفه إلى ما يحتمل سواه إذ يجوز أن يكون هو المراد باللفظ لا ما قالوه وقوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أي ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم فإن قيل لما كانت ذبائحنا محللة لأهل الكتاب كانت ذبائحهم محللة لنا فكذلك إن ذبائحنا لما كانت حلالا للمجوس وأهل الشرك فيجب أن تكون ذبائحهم محللة لنا قيل ذبائح أهل الكتاب ما صارت محللة لنا باعتبار أن ذبائحنا صارت محللة لهم لأن هذا قياس سبة لكن إنما حلت ذبائحهم لأنهم أهل كتاب آمنوا بما في الكتاب بحله وحرمته فأما المجوس فليس لهم كتاب آمنوا به فيحل به ذبائحهم وقوله تعالى والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب قيل المحصنات الحرائر وقيل أراد بها العفائف منهن عن زانيات كقوله والزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة نهى عن نكاح الزانيات ورغب في نكاح العفائف وهذا أشبه لأنه قال في آخر الآية محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان فدل أنه أراد بالمحصنات العفائف وعلى هذا التأويل يكون في الآية حجة على أصحابنا ودليل على إباحة تزوج حرائر الكتابيات وتملكه يكون لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كره تزوج المسلم أفضل وأحسن لمشاركتها المسلم في الدين وروي عن عمر رض كراهة ذلك فإن حذيفة رض تزوج يهودية فكتب إليه عمر رض يأمره بطلاقها ويقول كفى بذلك فتنة للمسلمات هذا أيضا لا على سبيل التحريم ولكن لما ذكر من الفتنة فتنة النساء ثم المجوس ليسوا من أهل الكتاب لا يدخل المجوسية تحت قوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب الدليل على ذلك قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه إلى قوله أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا الحجة لله تعالى أن أهل الكتاب

طايفتان فلا يجوز ان يجعلوا ثلاث طوائف لا يقال ان رجلا لو قال لاخر انما لي عليك درهمان لا ثلاث
لم يكن له ان يدعي عليه اكثر من ذلك بحكم اقراره وكذا لو قال انما القتيل اليوم رجلين وقتلني ثلثة كان كاذبا
ولا يجوز الكذب في اخبار الله تعالى لانه هو الصادق في خبره فان قيل هذا شيء حكاه الله تعالى عن المشركين فيجوز
ان يكونوا اغلطوا فيخلي الله تعالى عنهم ما قالوا ورد عليهم واظهار الكذب بهم قيل لم يحك الله تعالى هذا القول
عن المشركين ولكن نطق بالقرآن ابتدا زجرهم فقال ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
فهذا الكلام لله تعالى واحتجاجه على المشركين وليس بحكاية عنهم والدليل على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب
ما روي عن عمر رضي الله عنه وهو في مجلس بين القبر والمنبر ما ادري كيف اصنع بالمجوس وليسوا باهل كتاب
فقال عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب
فقد صرح عمر رض انهم ليسوا من اهل الكتاب ولم ينكر عليه احد من الصحابة ولان في الحديث سنوا بهم سنة اهل
الكتاب دل انهم ليسوا من اهل الكتاب وروي عن الحسن بن محمد رضي الله عنهما قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم
الى مجوس هجر فقال ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان اسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا
ومن ابى فعليه الجزية في غير اكل ذبايحهم ولا ناكح نسائهم واما نصارى بني تغلب فان عليا رضي الله عنه قال
لا تحل ذبايح نصارى العرب فانهم ليسوا باهل كتاب وقرا ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني فقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما تؤكل وقرا ومن يتولهم منكم فانه منهم والاية التي تلاها علي رضي الله عنه
دليل على انهم من اهل الكتاب لانه قال ومنهم اميون فيكون حكمهم حكم اهل الكتاب اذا اخبر لانهم منهم
فايد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يتخلجن في صدرك طعام ضارعت فيه النصرانية فهم نصارى
قد دخل فيه عربهم وعجمهم ولانهم كانوا يدينون وكل من دان بدين قوم فهو منهم الا ترى ان العجم اذا اسلموا صار
حكمهم حكم العرب بالاسلام فوجب ان يكون حكم العرب اذا دانوا بدين العجم من اهل الكتاب ان يكون حكمهم حكمهم
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله • اي ومن يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به الى الله تعالى لانه لا يكفر
بالايمان به وهو المؤمن به الى الله تعالى لانه لا يكفر بالايمان ولكن يؤمن به وهو كقوله حتى ياتيك اليقين
اي الموقن به • وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة • الاية تعلق بهذه الاية قوم على وجوب الوضوء لكل
صلاة فانه امر بالوضوء عند القيام الى الصلاة كلها وتعلقوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يتوضا لكل صلاة وكذا عن الصحابة رضي الله عنهم انهم توضؤوا لكل صلاة روي عن ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي رضي الله عنهم اجمعين انهم توضؤوا لكل صلاة والمروي عن علي رضي الله عنه انه صلى الظهر ثم قعد في
حوائج الناس فلما حضرت صلاة العصر دعا بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه وذراعيه ورجليه وشرب فضله وقال
هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل وقال هذا وضوء من لم يحدث وروي عن
عبيد بن عمير انه كان يتوضا لكل صلاة وكان يتناول هذه الاية لكن عامة العلماء قالوا ان الوضوء انما يجب
عند الحدث والاية لا يمكن العمل بظاهرها لان فيها وجوب الوضوء عند القيام الى الصلاة فلو وجب ذلك
لم يبق لاحد اشتغال الى اداء ما فرض الله عليه من الصلاة لانه كلما قام الى الصلاة يلزمه الوضوء فلا يزال
يبقى فيه فيجب العدول عن ظاهرها فيقول في الاية اضمار وكانه قال اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون
فاغسلوا كذا ولا بد لكم ان تضمروا استثناء وهو الارادة اي اذا اردتم القيام الى الصلاة وتحمل الاية
على الاضمار الذي ذكرنا بالاحاديث وروي عن النبي عليه السلام انه كان يتوضا لكل صلاة فلما كان يوم فتح مكة
صلى الصلوات بوضوء واحد فقال عمر رض انك فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال الا عمدا فعلته يا عمر
وروي عن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان اشق على امتي لامرت في كل صلاة الوضوء مع
كل وضوء السواك ويحتمل اذا قمتم من مضاجعكم الى الصلاة فاغسلوا ايضا قال التاويل لما ذكر في سياق
الاية او جاء احد منكم من الغائط في حق التيمم وانه بدل عن الوضوء كما نذكر المجيء من الغائط ثم ذكر ههنا
وانه كناية عن الحدث بالاجماع ويحتمل اذا قمتم من المضجع الى الصلاة او من النوم الى الصلاة فقد روي في الاخبار
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ايجاب الوضوء من النوم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان ينام ثم يصلي الصبح ولا يتوضا فسئل عن ذلك فقال اني لست كاحدكم
تنام عيناي ولا ينام قلبي ولو احدثت علمت وروي عن صفوان بن عسال قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر يامرنا ان لا ننزع خفافنا اذا ادخلناهما طاهرتين ولا نخلعهما من الغائط والبول ولا نوم الا من جنابة
فهذه الاحاديث اوجبت الوضوء من النوم مجملا وجاء حديث اخر مفسر بايجاب الوضوء اذا كان النوم في حال
الاضطجاع روي عن ابن عباس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام قاعدا وضوء حتى يضطجع فاذا

اضطجع استرخت مفاصله وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لا يجب الوضوء حتى يضع جنبه وينام
فدل بما ذكرنا ويحتمل تاويل الاية ما روي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
اراق ماء فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى ياتي اهله فيتوضا وضوءه للصلاة فقلنا له في ذلك
حتى نزلت اية الرخصة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة الاية فكان المراد بالاية نسخ وجوب الوضوء
عند الحدث في كل عمل الا عمل الصلاة والله اعلم واما ما روي من الاخبار من الوضوء لكل صلاة فيحمل
على الفضل والاستحباب عندنا لا على الحكم بدليل ما ذكرنا من الاخبار المشهورة وقوله تعالى فاغسلوا
وجوهكم • الامر بغسل الوجه من الله تعالى ينصرف الى ما تعرف اهله انه وجه فالمتكلم فيه والتحديد انه من
كذا الى كذا فضيلة وتكلف وكذا الامر بمسح الراس يرجع الى ما عرفه اهله انه راس وما ورد الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم الاذنان من الراس لان معرفة الاذنين انهما لا يعرفان انهما من الراس الا بالسمع وكذلك الامر
بغسل اليد وغسل الرجل يرجع الى ما يعرفه الناس ولهذا قلنا ان المرفقين والكعبين يغسلان مع اليدين
والرجلين خلافا لزفر لان الناس عرفوا اليد الى الابط والرجل الى الركبة فخرج ذكر المرافق في غسل الايدي
لاخراج ما وراء المرافق وكذلك ذكر الكعب في الرجل لاخراج ما وراء الكعب فبقي المرافق والكعبان داخلة
اسم الايدي والارجل بظاهر النص وقوله تعالى وارجلكم الى الكعبين • تعلق الروافض بهذه الاية على ان الرجل
لا يغسل بل يمسح لان الرجل معطوفة على الرؤوس الا ترى انها مخفوضة في الاعراب بمنزلة الرؤوس والمعطوف
يتناوله المعطوف عليه في حكمه وحكم الرؤوس المسح فكذلك الارجل والاخبار التي ترد بغسل من باب الاحاد
فلا تقبل على مخالفة نص الكتاب الا ان عامة الفقهاء قالوا بوجوب غسل الارجل لان هذه الاية قريت بقراءتين
بالنصب والخفض فمن قرا بالنصب فهو يرجع الى الغسل عطفا على قوله فاغسلوا وجوهكم ومن قرا بالخفض
يعطفه على الراس فيجب المسح والاصل ان القراءتين في اية واحدة بمنزلة ايتين في الحكم فان امكن الجمع بين
الحكم من غير تناقض يجمع وان لم يمكن متضادة بين حكميهما فانه يحمل على التوافق ما امكن عملا بهما بقدر الامكان
وههنا بين الحكمين تضاد اذ لا يمكن الجمع بين الغسل والمسح في عضو واحد في حالة واحدة فيحمل على الموافقة
وامكن العمل بطريق التوفيق من وجهين احدهما ان يحمل قراءة النصب على حال امكان الغسل بلا حرج بان كان
بادي ويحمل قراءة الخفض على حال استتارهما بالخف فيكون عملا بالقراءتين في حالتين والثاني ان يقول ان
وارجلكم معطوف على قوله فاغسلوا وجوهكم والارجل في محل النصب لكنها مخفوضة بحكم الجوار
للراس ويحتمل ان يكون معطوفة على قوله برؤوسكم حقيقة ولا شك ان اعطاء الاعراب بحكم الجوار والقرب
باب من اللغة ان كان محله من الاعراب شيئا اخر لكونه نعتا لغيره او معطوفا على غيره ويستوي بين ان يكون بينهما
اذا كان بينهما حايل او لا اما بغير الحايل فكثير شايع يقال جحر ضب خرب فخفض الخرب بنعت الجحر ولا يعرب باعرابه
بل اعرب باعراب الضب بحكم الجوار ويجوز ذلك مع الحايل قال الله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب الى قوله ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون ولحم الطير مما لا يطاف به
ومع ذلك خفض على طريق الجوار وربما ان كان دخل الواو ههنا لا يدل بين المتجاورين وكذلك قول الفرزدق
وهل انت ان ماتت اتانك راكب • الى ال بسطام بن قيس بخاطب • ذكر فخاطب مخفوضا بالمجاورة ونسطا
وان كان بينهما حايل وهو حرف الالف وهو في محل الرفع معطوفا على قوله راكب لو كان كل واحد من الاعراب
فحمل الجوار وفي الصرف الى احد الجانبين ايجاب التناقض بين القراءتين وفي الصرف الى الجانب الاخر وهو المجاورة
تحقيق الموافقة وكتاب الله تعالى يوافق بعضه بعضا لا انه يخالف يناقض وكان الصرف الى ما فيه موافقة
اولى وكذلك الاخبار وردت بوجوب غسل الارجل في قوله عليه السلام ويل للاعقاب من النار ونحو
يؤيد لما قلنا والله اعلم ثم الحكمة في وجوب غسل هذه الاعضاء من وجوه احدها ان الله تعالى لما امرهم بالقيام
الى الصلاة هي مقام المناجاة ومحل القرب بتطهير هذه الاعضاء للقائم ليذكرهم تطهير باطنهم
ثان قيام الحدث لا ينافي العبادة والخدمة في الجملة حتى يجوز اداء الزكاة مع الحدث والجنابة واقرب
منه انه يجوز اداء الاسلام مع قيام الحدث وهذا لان ذلك ليس بمعصية ولا سبب مأثم فاما ما يقوم
بالباطن من الغش والحسد والكبر وسوء الظن بالمسلم ونحوها اسباب الماثم فامر بغسل هذه الاعضاء الظاهرة
ليكون دلالة على تطهير الباطن عن هذه الامور وانه واجب بدليل السمع والعقل والثاني ان الصلاة وجبت
شكر النعم التي في البدن لنوع خاص وهو ان ذو رق من الاعضاء الستة المفاصل التي بها يقدر على الاحوال المختلفة
من القيام والقعود والركوع والسجود وبجود الكلام بعض هذه الاعضاء واستعمالها في خدمة الرب
جل جلاله في هذه الاحوال شكرا اذ الشكر استعمال النعم في خدمته وطاعته ولله تعالى على المرء نعم اخر

في البدن لم يجعل الصلاة شكرا لها وهي كون هذه الأعضاء وسائل الى استيفاء نعم عظيمة بل ينال بها نعم الله تعالى أما اليد فبها يتناول ويقبض وأما الرجل فبها يمشي وبها يصل الى مقاصده وأما الوجه والرأس فهما محل الحواس ومجمعها التي بها يعرف عظيم نعم الله تعالى من نحو العين والأنف والفم والشم والذوق والسمع التي بها يكون التلذذ والتشهي والوصول الى جميع النعم فأمر بغسل هذه الأعضاء شكرا لما يتوسل بها الى هذه النعم والثاني أمر بغسل هذه الأعضاء تكفيرا لما ارتكب بهذه الجوارح من الآثام لأنه بها يرتكب جل المآثم فإنه بها توصل الى الشيء الحرام والنظر الى العورات وأكل الحرام وسمع اللغو والكذب وتناول مال الغير ونحو ذلك وقد وردت الأخبار في كون الوضوء تكفيرا للمآثم فيكون تنويها لما قلنا وفي الأمر بغسل هذه الأعضاء لتطهيرها من الدنس والأوساخ التي تتصل بهذه الأعضاء فإنها البادية من الأعضاء فيتحقق التزين والنظافة لها والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه فكان القيام بين يديه متطهرا من الأوساخ أقرب الى التعظيم والحرمة فيكون ذلك سبب كمال الخدمة ولهذا في الشاهد من أراد أن يقوم بين يدي الملك للخدمة يتكلف التنظيف والتزين ويلبس حسن ثيابه ثم دخل عليه تعظيما للملك ولهذا قيل الأولى أن يصلي الرجل في ثيابه التي اعتادها لزيادة العظمة ولهذا قال الناس إن الصلاة متعمما أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ في الاحترام فهذا مثله والله أعلم وقوله تعالى وإن كنتم جنبا فاطهروا قيل فاغتسلوا وإنما أمر بغسل كل البدن في الجنابة وبغسل هذه الأعضاء في الوضوء لأن الجنابة تأخذ ظواهر البدن وبواطنه لأن السبب الذي يوجب الجنابة وهو الوطء لا يكون إلا باستعمال جميع ما فيه من القوى الأربعة يضعف المرء بالإكثار من الجماع ويقوى بالامتناع عنه فعلى ذلك أخذ جميع البدن ظاهره وباطنه فكذلك وجب غسل جميع البدن الظاهر والباطن بقدر الإمكان فأما الحدث لا يأخذ إلا الظاهر من الأطراف لأن سببه يكون بظواهر هذه الأطراف من نحو الأكل والشرب والحدث لا يكون باستعمال كل البدن افترقا وقوله تعالى وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء ذكر المرض والسفر والمجيء من الغائط والملامسة ثم لم يتعلق الحكم بهذه الأسماء فإنه إذا كان مريضا يقدر على الوضوء لا يجوز له التيمم وكذا إذا كان مسافرا وأحد الماء لا يجوز له التيمم وكذلك إذا جاء من الغائط ولم يحدث لا يجب عليه الوضوء وكذلك إذا وجد المس لا عن شهوة لا يجب عليه شيء ولكن ذكر هذه الأشياء وأراد به المعاني التي يتعلق بهذه الأشياء من العجز عن استعمال الماء في المريض والمسافر والحدث في المجيء من الغائط والملامسة إلا أنه ذكر أسباب هذه المعاني كنى بها وفي الآية دلالة جواز القياس واعتبار المعاني دون الظواهر وأما قوله أو لامستم النساء قال عمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أن الملامسة ما دون الجماع وقالا إن الجنب لا يتيمم لأن الملامسة هي ما دون الجماع فلم يدخل الجنب في هذه الآية وقد وجب عليه الغسل بقوله وإن كنتم جنبا فاطهروا ولا يحلون ما في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة الى قوله تعالى ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا نهى الجنب عن قربان الصلاة إلا عند الاغتسال واستثنى عابري سبيل وحكم المستثنى يخالف حكم المستثنى منه فدل على جواز الصلاة لعابري سبيل وهو المسافر بالتيمم لأنهما يقولان المراد من قوله لا تقربوا الصلاة محل الصلاة من قربان موضع الصلاة وهو دخول المسجد للجنب بدون الاغتسال وأباح لعابري سبيل وهو المار في المسجد إذا لم يكن له بد فيباح له المرور في المسجد بالتيمم والخلاف في الصلاة وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما أراد بالملامسة والمس في الآية هو الجماع وقالا كنى الله تعالى عن الوطء بالمس والغشيان والمباشرة والإفضاء والرفث وجعلا قوله إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا في المسافر إذا لم يجد الماء وهو جنب يباح له التيمم وأخذ أصحابنا رحمهم الله بقول علي وابن عباس رضي الله عنهما لموافقته الأحاديث من ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم للجنب من الجماع أن يتيمم إذا لم يجد الماء والأصل في هذا أن الله تعالى ذكر الوضوء وأمر به بقوله فاغسلوا وجوهكم ولم يذكر الحدث وأمر بالاغتسال من الجنابة بقوله وإن كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر من أي جنابة ثم ذكر الحدث في قوله أو جاء أحد منكم من الغائط بيانا لما تقدم من الاغتسال من الجنابة ثم للشافعي رض في هذه الآية قول ثالث خارج عن قول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والسلف رحمهم الله جميعا لأنه يزعم أن المس ههنا هو الجماع وما دونه حتى قال بوجوب الوضوء بمس اليد المرأة وقال لا يجوز التيمم على الجنب إذا لم يجد الماء وأصحابه والسلف رضي الله عنهم أجمعين في تأويل هذه الآية على قولين بعضهم قالوا أن المراد منه المس باليد ولم يجوزوا التيمم للجنب وبعضهم قالوا المراد هو الجماع فجوزوا للجنب التيمم و لم يجعلوا المس حدثا فصار قول الشافعي رض في تأويل هذه الآية مخالفا لقول السلف فيكون ذلك ابتداعا

فلا يجوز أن يتيمم ويكون مخطئا وقوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قيل أي اقصدوا واصعدوا والصعيد هو وجه الأرض وأما الطيب ههنا قيل هو ما ينبت الزرع وغيره وقال بعضهم الطيب هو الطاهر أيد ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلاة تيممت وصليت مكان قوله طهورا تفسيرا لقوله طهورا ثم جعل الطهارة بالماء والتراب لأنه بهما معاش الخلق وبهما قوام الأبدان حتى جعل جميع أغذية الخلق وجل مصالحهم منهما فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات بهما والله أعلم وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج يحتمل وجهين يحتمل ما يريد أن يضيق عليكم ليأمركم بحمل الماء الى حيث ما كنتم في الأسفار وغيره ولكنه رخص لكم أن تؤدوا ما فرض الله عليكم بالتيمم ولم يكلفكم حمل الماء مع أنفسكم في الأسفار ويحتمل ما أراد الله تعالى بما تعبدكم من أنواع العبادات أن يجعل عليكم من حرج ولكنه أراد ما ذكر في قوله ولكن يريد ليطهركم يحتمل وجوها يحتمل ليطهركم بالتوحيد والإيمان بذلك يسهل عليهم التسلم عن نجاسة الشرك والكفر ويحتمل يريد ليطهركم من الذنوب والآثام التي ارتكبتموها بالوضوء والتيمم وهو كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل التطهير من الأحداث والجنابات كما قال أهل التأويل وقوله تعالى وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون يحتمل تمام النعمة ما ذكرنا من التوحيد والإيمان في الملة الحنيفية ويحتمل التكفير بما ارتكبوا بعلقة المعتزلة بهذه الآية على أن الله تعالى يجوز أن يريد شيئا ولا يوجد المراد بتخصيص المخاطب الأربعة لأنه قال ولكن يريد ليطهركم ثم أبى بالإيمان والطهارة عن الذنوب بالوضوء ولم يثبت المراد على سبيل العموم لأنا نقول يجوز أن يكون الآية في قوم خاص علم الله تعالى أنهم يموتون على الإيمان بحيث أخبر أنه يتم نعمته عليهم ذلك بالنيات والله أعلم وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم أمرهم بشكر ما أنعم عليهم من أنواع النعم لأن ذكر النعم هو شكرها وقوله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به يحتمل الميثاق ميثاق الخلقة وشهادتها إذ خلقة كل أحد يشهد على وحدانيته وربوبيته ويحتمل الميثاق ذكر هو ميثاق قول قالوه وقبلوا لما دعوا إليه وأمروا به وقوله تعالى إذ قلتم سمعنا وأطعنا قيل أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك وقيل سمعنا قول الرسول وقوله تعالى واتقوا الله أي اتقوا الله في ترك أمر ربكم وارتكاب ما نهاكم إن الله عليم بذات الصدور وهو على الوعيد وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الآية في الشهادة بعينها كأنه قال يا أيها الذين آمنوا كونوا شهداء لله وأقيموا الشهادة له فإذا فعلوا هكذا لا يمنعهم بغض أحد لعداوته ولا رضا أحد ولا بنيته عن القيام بها لربهم عز وجل إذا يقوموا في الشهادة لله تعالى في حق العدو كما في حق الولي تكونوا تعلموا الأحكام حسبة لله للعدو والبغيض كالولي والمحبوب والثاني يحتمل أن يكون في باب الحق والحجج وتعليم الأحكام والشرائع كأنه قال قوموا في بيان الحق والحجج وتعليم الأحكام لله تعالى لا يمنعكم بغض قوم ولا رضاهم على أن تبينوا الحق ولا تعلموا الحجج والأحكام لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولا يجرمنكم أي لا يحملنكم شنآن قوم أي بغض قوم على أن لا تعدلوا فيهم فأما العدل لله تعالى في حال الرضا والسخط وقوله تعالى اعدلوا أي قولوا بالعدل والحق فإن العدل أقرب للتقوى وقيل اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العمل هو التقوى كقوله إن رحمة الله قريب من المحسنين أي رحمة الله المحسنين لذا العدل ليس لا التقوى وقوله تعالى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي اتقوا الله في ترك ما أمركم وارتكاب ما نهاكم عنه إن الله خبير بما تعملون وتضمن في العدل والجور خرج على الوعيد وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال بعضهم صلة ما تقدم وبناء عليه وهو قوله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط فوعد لهم لما وجد منهم من العمل الصالح وهو القيام بالشهادة لله تعالى وتعليم الحجج والأحكام ويحتمل أن يكون على الابتداء كأنه قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات توعدا لهم بين ما في ذلك الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم مغفرة أي ستر على ذنوبهم وتجاوز عنها وأجر عظيم أي الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي لهم مغفرة لذنوبهم في الدنيا وأجر عظيم في الآخرة الجنة وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم قيل كفروا بتوحيد الله وكذبوا بآياتنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وكذبوا بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى وهما في المعنى واحد وهذه الآية يدل على أن الابتداء لا بناء على ما تقدم لأنه جعل مقابلا لذلك والذين كفروا وكذبوا وترك العدل في الشهادة وتعليم الأحكام لا يثبت الكفر والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم يحتمل الآية وجهين أن يكون هذه المنة التي ذكر من كف أيدي الأعداء عنهم بعدما بسطوا أيديهم إليهم في جملة المؤمنين لأن المؤمنين كانوا في ابتداء الأمر محصورين بين الكفرة لا يقدرون على إظهار

الاسلام واعلائه الا ان اعز الله تعالى الاسلام واهله فكان فيما كف ايديهم الكفرة عنهم في حال ضعفهم
يكون منه عظيمة وعلى جميع المسلمين لما يسبب ذلك بلغنا الدين الحق واحكامه ويحتمل ان يكون الاية في
خاص قد احاطوا بالمسلمين وبسطوا ايديهم اليهم وهموا بقتلهم فكف الله تعالى بفضله ايديهم عنهم
وانقذهم من ايديهم ثم اختلف فيه قيل هم الذين اجتمعوا يوم الاحزاب من قريش وغطفان وغيرهما وانضم اليهم
اليهود الذين كانوا بقرب من المدينة بنو قريضة الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد
واحاطوا بالمدينة وهموا ان يبسطوا ايديهم اليهم فكف الله تعالى ايديهم لكان بين عنهم يمنعهم عن المسلمين واوقع
الاختلاف بينهم وصار البعض خائفا على البعض فتفرقوا وقيل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منهم وقيل نزلت
الاية في بني قريضة من اليهود حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا لهم في اهل واصحابه وكان جدب
فاستعانهم في مهر دية عن رجلين وهو انه قتل واحد من اصحابه رجلين من اهل العهد خطأ فاراد ان يعدي عنهما
يعدي عنهما وليس عنده مال وكان بيت سبعين من اصحابه في ذلك واليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فاستعانهم بشيء من ذلك فائتمروا بينهم بقتله فاخبره جبريل عليه السلام بذلك فخرج بمن معه من قبل
معترضا ينظر من خيفتهم ثم دعا اليه اصحابه رجلا حتى تناهوا اليه فلا يدري كيف كانت القصة وليس بنا
الى معرفتها حاجة سوى ان نعرف منة الله عز وجل علينا بكفاية الاعداء منهم لنشكره على ذلك والله اعلم
بحقيقة ذلك وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي على الله تعالى يتكل المؤمن في كل امر وشيء وقوله
تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذا والله اعلم تعليم من الله تعالى هذه
الامة واخبار لنا بما منه بانه قد اخذ العهود والمواثيق على الامم السالفة كما اخذ منهم وانه تعالى اخذ على
هذه الميثاق من هذه الامة بقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ثم اعلمهم ما وعد لاولئك
من ان وفوا بذلك العهود لتاخذ قلوبهم وبما اوعدهم من العقاب ان نقضوا العهد ليكونوا ابدا على حذر
من نقضها وليقوموا على وفائها ويحتمل ان يقال انما ذكر ما اخذ على اولئك من المواثيق والعهود ليكون
من اياته ورسالته لانه اخبار عن الامم السالفة وهو لم يشاهدها ولم يختلف الى اهل الكتاب ليعرف ذلك
من جهتهم فيعلموا انه انما علم ذلك بالله تعالى ثم اختلف في تاويل العهود والميثاق يحتمل تلك العهود والميثاق
ما ذكرها على اثرها ووثيقا فيها وهو قوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة الى اخر ما ذكر ويحتمل ما قال
ابن عباس رض ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل في التوراة ان لا يشركوا به شيئا وبالايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واحلالهم ما احل الله وتحريمهم ما حرم الله وحفظ حدوده وقوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا اختلف في النقيب عن ابن عباس رض النقيب للملك بعثهم لمن بعثهم موسى عليه السلام الى بيت المقدس
ليعلموا له علمها واخبارها ويا خبروا الملك بالحق واخبرهم ان الله تعالى قال اني معكم بالنصر والظفر لئن اقمتم
الصلاة وعملوا بتلك المواثيق كما اخبر الله تعالى بقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة الاية وقال
ابو عوسجة رضي الله عنه النقيب هو المنظور اليه والمصدر عن رايه وهو من القوم بمنزلة نقيبه
مثل عريف وعرفاء وقال ابو عبيدة رضي الله عنه النقيب الامين والضامن على القوم وقال الكسائي رحمه الله
والفراء رحمهما الله عليه يقال منه نقيب عليهم نقابة ومن عرفاء العريف يقال منه عرف عليهم عرافة
وهم النقباء والعرفاء والمناكب واحدهم منكب والنقباء والمناكب كالعرفاء مع العريف فيعمل كالعريف يقوم
وقال القتبي النقيب الكفيل على القوم والنقابة والنكابة شبيه بالعرافة وتشبيه بها ويحتمل ان يقوم موسى
عليه السلام اخبارا من الجملة هولاء الاثني عشر نقيبا وسال الله موسى عليه السلام ان يجعلهم عليهم امناء
كفلاء كي يقتدون بهم ويعلمونهم الدين والاحكام فاجابهم الى ذلك واخذ عليهم المواثيق والعهود
وقوله تعالى وقال الله اني معكم قال بعضهم هذا للنقباء اي معكم في النصر والدفع عنكم لئن اقمتم
الصلاة الاية وهو قول ابن عباس رض ويحتمل ان يكون هذا الوعد للكل من قام بوفاء ذلك العهد النقباء
وغير النقباء فيه سواء كذلك الوعيد الذي ذكر في الاية التي على اثرها على كل من نقض ذلك العهد النقيب
وغير النقيب فيه سواء فكذا في الاية فالوعد مطلقة ايضا والله اعلم وقوله تعالى لئن اقمتم الصلاة و
اتيتم الزكاة وامنتم برسلي الاية يحتمل وجهين يحتمل ان اراد بالصلاة الخضوع له والثنا وبالزكاة
تزكية النفس وطهارتها وذلك في العقل واجب القيام به من كل واحد في كل وقت ويحتمل الصلاة المعهودة
والزكاة المعروفة وعلى هذا التاويل في الاية وجوب الصلاة والزكاة على الامم السالفة وقوله وامنتم
برسلي يحتمل والله اعلم ان تؤمنوا برسلي جميعا ولا تفرقوا بينهم ان تكفروا بالبعض وتؤمنوا بالبعض
وقوله تعالى وعزرتموهم معنى القتبي وابو عوسجة رضي الله عنهما اي عظمتموهم والتعزير التعظيم وقال

بعضهم نصرتموهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اي اعنتموهم بالسيف على الاعداء وقوله تعالى واقرضتم
الله قرضا حسنا اي صادقا بطيبة انفسكم ابتغاء وجه الله تعالى ويحتمل اقرضوا اي اجعلوا عند الله
لانفسكم ايادي ومحاسن تستوجبون بذلك الثواب الجزيل وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم الاية
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وعدهم تكفير ما ارتكبوا من الماثم وادخال الجنة اذا قاموا
الوفاء بما اخذ عليهم من المواثيق وقوله تعالى فمن كفر بعد ذلك قال بعضهم اي بعد المواثيق التي اخذت عليهم
ويحتمل فمن كفر بعد ذلك اي من كفر فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ السبيل المستقيم لان الكفر
بعد الايمان وقبله سواء في انه ضلال عن السبيل القصد والطريق المستقيم وقوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم لما نقضوا الميثاق طردناهم والملعون المطرود عن كل خير ويحتمل طردهم عن الحليم باللعن
كما قال في حق ابليس وان عليك لعنتي وقوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وانما وصف قلوبهم بالقسوة
لما نزع منها الرحمة والرافة اذا نقضوا العهود وتركوا امر الله تعالى اخبر انه جعل في قلوب الذين اتبعوا امر الله
تعالى واطاعوا رسوله الرافة والرحمة كما قال تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة فاذا رفعت
الرحمة من قلوبهم صارت قلوبهم قاسية يابسة وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه يحتمل التحريف
تاويله مع بقاء النظم على حاله ويقولون هذا من عند الله كما يفعله الباطنية في القران ويحتمل انه
يبدلون النظم وكلاهما يحتمل ان كان غيره وقوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به قيل ضيعوا كتاب الله تعالى
بين اظهرهم ونقضوا عهده وتركوا امره وما وعظوا به وتركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم من اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم هذا اخبار من الله تعالى عن تمردهم في الخيانة وكونهم
في الخيانة كانا سوء عن ايمانهم ثم استثنى فقال الا قليلا منهم وهم الذين اسلموا منهم وقوله تعالى فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين اي لا تكافيهم بما اذوك لكن هذا منسوخ باية القتال في سورة
براءة وهو قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية ويحتمل فاعف عنهم واصفح الى ان يؤمر بالقتال
فيكون الامر بالصفح والعفو موقتا الى وقت الامر بالقتال وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى
عن الحسن رض قال قالوا النصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كونوا انصار الله كما قال
عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله الاية فقالوا بل نكون نصارى فذلك قوله ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ما من احد يبلغ حد الخطاب الا وقد اخذ عليه العهد والميثاق قد اخذ
الميثاق على المؤمنين بقوله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به واخذ على اليهود كما قال ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل وقد اخبر انه اخذ الميثاق على النصارى في هذه الاية وقد ذكرنا معنى الميثاق وقوله تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به
يحتمل تركوا حظهم فيما امروا به من التوحيد لله تعالى والايمان بالرسل والتمسك بكتاب الله تعالى والوفاء بالعهود
التي عهد الله اليهم فتركوا ذلك وضيعوا ويحتمل تركوا ما ذكروا به اي لم يحفظوا ما وعظوا به وقوله فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وهذه الاية حجة على المعتزلة في خلق الافعال المختار لانه
اضاف الاغراء الى نفسه وذلك يكون بخلق اسباب يقع بها العداوة بينهم وهي الافعال القبيحة التي
يوجد منهم بحسبهم وبعثهم على العداوة فدل ان خالق تلك الافعال هو الله تعالى حيث اضافها الى نفسه
على التحقيق لا الاضافة بمرة تاولوا الاية انقضاء الاغراء عن هذا الالزام فقال بعضهم فاغرينا اي القينا بينهم
العداوة في ايقاع العداوة فعل من الله تعالى بطريق الضرورة لا صنع للعباد فيه وقال الحسن رض من حكم الله
تعالى ان يلقي العداوة ويوقعها بين الكفار ان يجعل قلوبهم قاسية ومن حكمته ان يكون بين المسلمين
رافة ورحمة كما قال وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة فكان معنى قوله فاغرينا بينهم العداوة
اي حكمنا بوقوع العداوة بينهم وخلقنا فيهم العداوة والبغضاء لان العداوة والبغضاء من الافعال
الاضطرارية كالرافة والرحمة وقال بعضهم فاغرينا بينهم العداوة اي خذلناهم والجاناهم حتى باشروا ذلك
العداوة لان الامتناع عنها يكون بتوفيق الله تعالى فاذا منع منهم التوفيق وتركهم وما اختاروا جعل ذلك
منهم فكذلك اضاف الى نفسه بحيث جعل ذلك بخذلانه اياهم ومنعه التوفيق منهم في ترك ذلك
الفعل لكن هذا كله تكلف واحتيال وفرار عما الزمناهم فانه اضاف الاغراء الى نفسه وذلك لا يستعمل
في ايقاع الله تعالى العداوة بينهم بل المتعارف في استعمال هذا اللفظ ان يحدث فيما بينهم سببا داعيه
الى المعاداة فدل بيانه ان يكون لله تعالى في ذلك صنعا وهو خلق الافعال القبيحة منهم فدل على ما ذكرنا والله اعلم
وقوله تعالى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اي سوف ينبئهم الله في الاخرة بما كانوا يصنعون
في الدنيا هو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا

مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير • اختلف في تأويله وقراءته قرأ بعضهم نبين لكم بالنون
ويعفوا عن كثير وقال بعضهم اي الله تعالى يبين لهم كثيرا مما يخفون ويعفوا الله عن كثير اذا امنوا ورجعوا عما كانوا
يخفون ويكتمون وقال بعضهم يبين لكم كثيرا اي يبين الله تعالى جميع ما كانوا يخفون ويعفوا عن جميع
ذلك اذا آمنوا وقرأ بعضهم بالياء وهو الصحيح عندنا وتأويله ان يبين الرسول عليه السلام كثيرا
مما يخفون ويعفوا عن كثير اي يترك كثيرا مما يخفونه ايضا ولم يبين لهم ان يبين على قدر ما ادركه
من البيان والاطلاع لان الرسل عليهم السلام لما كانوا يأتون بالبراهين والحجج على قدر ما اذن لهم لا بكل
ما عندهم من الآيات والحجج الا ترى ان سحرة فرعون لما القوا حبالهم وعصيهم فصارت حيات لم يلق موسى عليه السلام
عصاه حتى اذن الله تعالى له في ذلك وهو قوله وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك انما الحجة والآية
بعد ما اذن له بذلك فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى مما كنتم تخفون من الكتاب يحتمل ما كنتم تخفون
من الشرايع والاحكام ويحتمل ما يكتمون في الكتاب من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ثم في الآية
دلالة انه تعالى لم يوجب علينا معرفة اسامي الرسل عليهم السلام كلهم حين يكلفنا الايمان باعيانهم مما يكلف
الايمان بهم جملة الا ترى انه تعالى لم يذكر في الكتاب الانبياء والرسل عليهم السلام جميعا واحدا واحدا ولا ذكر اسامي
الكل انما ذكر اسماء البعض منهم ليعلم ان معرفة الكل باساميهم واعيانهم ليس بشرط لصحة الايمان وفيه دلالة
ان الرسل عليهم السلام ليسوا يعرفون بالانساب والاسامي حيث لم يقل فلان بن فلان ولكن يعرفون بالآيات
والمعجزة والبراهين النيرة وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه قال يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب واندرس فلما كتموا ذلك واخفوه لم يخبروا احدا انهم كتموا ذلك
واخفوه حتى يبلغ ذلك الخبر الى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كان هو يختلف الى احد منهم ونظر في كتابهم فقد
ليعلم ما كتموا فلما بين لهم ما كتموا واخفوا من الكتاب عند ذلك لهم انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين • عن الحسن رضي الله عنه النور الكتاب وعن بعضهم كذلك قال النور هو الكتاب والحكمة وما
وقال غيره النور محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن هو القرآن سماه نورا لما يوضح ويكشف كل شيء على ما هو عليه في حقيقته
النور وعلى ذلك يخرج قوله تعالى الله نور السموات والارض اي به يتضح على كل ما هو عليه في الحقيقة معناه
منور السموات والارض وقوله تعالى يهدي به • يحتمل اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالقرآن وقوله تعالى
من اتبع رضوانه • اي يهدي الله من اتبع رضوانه وقوله تعالى سبل السلام • اي سبل الله والسلام هو الله
تعالى قال الله تعالى السلام المؤمن المهيمن وسمى السبل سبلا لما انه كثير في الظاهر ولكنه في الحقيقة واحد
وهو الهدى والصراط المستقيم قال الله تعالى فلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله لان سبل الشيطان
متفرقة ليس يرجع الى واحد فاما سبل الله واحد في الحقيقة والله الموفق وقوله تعالى لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم • تأويله والله اعلم اي كفروا كفر مكابرة وعناد لا كفر شبهة وجهل
لانهم اقروا انه ابن مريم ثم يقولون انه اله ومن البعيد ان يكون من هو اصغر اله الا من هو اكبر ويكون الولد الها
فالكفر قد يكون بدون ذلك العقل ولكن التأويل ما ذكرنا وقوله تعالى قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا • اي لا احد يملك من دون الله شيئا ان اراد اهلاك
المسيح وامه وجميع من في الارض اي لو كان الها كما يزعمون لكان يملك دفع الاهلاك عن نفسه
وعن امه وعن غيرهما في الارض وقيل فمن يملك ان يمنع من الله شيئا من عذابه اذا اراد ان يهلك المسيح وامه
ومن في الارض جميعا بعذاب او بموت وكلا القولين واحد ثم نزه نفسه عن قولهم فقال ولله ملك
السموات والارض اي كلهم عبيده واماؤه يخلق ما يشاء من بشر وغير بشر وهو على كل شيء قدير اي قادر
على خلق الخلق من بشر وغير بشر وفي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح دليل على ان رفع احد
من الرسل عن قدر درجته والاعتقاد به فوق قدره في ايجاب الكفر بمنزلة الحط عن درجته الا يرى ان النصارى
كفروا لاعتقادهم ان عيسى عليه السلام ابن الله وقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه يحتمل هذا وجهين احدهما يحتمل ان يكون هذا القول بجملته لم يكن صدر من الفريقين جميعا
ولكن من احد الفريقين قولهم نحن ابناء الله والآخر قولهم احباؤه وقابل الجملة بالجملة واراد به مقابلة
الفرد بالفرد وهو كقوله تعالى حكاية عن اليهود والنصارى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وهذا القول لم يكن من جملتهم لان كل واحد من الفريقين ينكر ان يدخل الفريق الآخر الجنة ولكن اريد
على سبيل الانفراد بان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى قالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا والنصارى قالوا لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فهذا مثله ثم هذا يحتمل وجهين ان النصارى قالوا

نحن

نحن ابناء الله واليهود قالوا نحن احباؤه لما روي في بعض القصة ان عيسى عليه السلام قال لقومه ادعوكم
الى ابي وابيكم الذي هو في السماء فقالوا عند ذلك نحن ابناء الله وكان من اليهود قالوا نحن احباء الله
على مقابلة قول النصارى ثم هذا الحديث لا حجة للنصارى فيه لانه خبر واحد ولا يقبل في باب الاعتقاد
ثم في الحديث انما سماه ابا النعمة سماه ابا لحرمة لا يضيفون عيسى عليه السلام الى الله تعالى على حسب اضافتهم
انفسهم اليه فعلى ذلك لا حجة لهم ثم نقول ان اللفظة التي يحتجون بها لا يعرف عنها مشتركة عندهم يذكر الاب ويريد
السيد واراد عيسى عليه السلام بها السيد اي ادعوكم الى سيدي وسيدكم الذي هو في السماء والله
الموفق ويحتمل على العكس ايضا اذ ليس في الآية دليل الا على الاحتمال والوجه الثاني يحتمل ان يكون هذا
القول بكليته منهما جميعا فقال كل واحد من الفريقين نحن ابناء الله واحباؤه ولكن ارادوا بذلك من حيث
المنزلة والقدر اي لهم عند الله من المنزلة والقدر كما للولد عند والده والحبيب عند حبيبه وقوله تعالى
فلم يعذبكم بذنوبكم • فلما رد الله تعالى عليهم ان قل يا محمد ان كان ما تقولونه حقا فلم يعذبكم بذنوبكم
حيث جعل منكم القردة والخنازير كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير ولا احد يحتمل قلبه ان يكون
ولده وحبيبه قردة وخنازير ويقال انكم اقررتم انكم تعذبون في الآخرة قدر ما عبد آباؤكم العجل كما
حكي عنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولا يحتمل قلبه ان يعذب ولده وحبيبه بذنبه
بالنار ثم قال تعالى بل انتم بشر ممن خلق فهذا يذكر من وجهين احدهما اي من اتخذ ولدا في الشاهد انما يتخذه
من شكله وجنسه ولا مشاكلة بين الخالق والمخلوق والصانع والمصنوع والثاني انما خلقكم من بشر وغيركم
من الخلق وانتم في الحدث والعبودية سواء فبالكم خصصتم انفسكم بذلك وقوله تعالى يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء • اي يغفر لمن تاب واسلم ويعذب من دام على الكفر ومات عليه وقوله تعالى ولله ملك
السموات والارض • نزه نفسه عما يقول النصارى من اتخاذه اياهم ابناء ولما ارادوا عليه اعتقادهم
فان كل من في السموات والارض عبيده واماؤه ولا احد يتخذ عبده ولدا وصديقا لان من اراد في الشاهد
اتخاذ الولد والصديق من عبيده يعتقه اولا ليصير مشاركا له في صفة الحرية فانتم اذا اقررتم انكم عبيده
كيف ادعيتم البنوة والمحبة وفي الآية دلالة اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا قولا وهو سرهم
بذلك من غير ان ظهر لطفه ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يحتمل وجوها يحتمل يبين لكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تكتمون من نعته وصفته
وتحرفون كقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ويحتمل ويبين لكم
وعليكم من الاحكام والشرايع ويحتمل ويبين لكم ما كان عليه الانبياء والرسل عليهم السلام • وقوله تعالى
على فترة من الرسل • يحتمل وجهين احدهما على فترة من الرسل اي على انقطاع من الرسل
لانه قيل من لدن اسماعيل الى عيسى عليهما السلام رسول على رسول لم يكن بينهما رسولين من انقطاع
فاخبر تعالى انه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على حين انقطاع من الرسل عليهم السلام والثاني على
فترة من الرسل على انقطاع منهم لكن على ضعف امور الرسل ودروس آثارهم من الفتر وهو الفتور
وهو الضعف فاخبر تعالى انه بعثه حين درس آثارهم وضعف امور الدين ووقع الاختلاف بينهم
وقوله تعالى ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير • معنى قوله ان تقولوا ان لا تقولوا
ذلك قطع احتجاجهم بذلك وانه لم يكن لهم في الحقيقة احتجاج اخبر تعالى انه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
في حال انقطاع الرسل وفي حال دروس آثارهم وضعف امورهم لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
ويعذروا انفسهم بذلك فقد جاءهم بشير ونذير بشير بالجنة لمن اطاعه ونذير بالنار لمن عصاه
وهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكقوله ان لا يقولوا على الله الا الحق وقوله تعالى
والله على كل شيء قدير • من بعث الرسل على فترة من الرسل بعد ضعف امورهم واحياء ما اندرس وتجديد
ما لم يكن متجددا الحوايج باختلاف الاحوال والازمان وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم • يحتمل ما ذكر من بعث الرسل والانبياء عليهم السلام على فترة منهم من لدن
آدم فان موسى عليه السلام صاحب شريعة وصاحب كتاب وقد اندرست آثار الشريعة الى وقته
وهذا من عظيم نعم الله تعالى ويحتمل ما ذكر الله تعالى على اثر هذه الآية وهو قوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين كانه قال يا قوم اشكروا انتم الله لتلك النعم التي انعم بها عليكم من جعل الانبياء
فيكم ولم يكن ذلك لامة من الخلق اذ في كل امة رسول كقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله وقد جعل في بني اسرائيل عددا كثيرا من الانبياء والرسل عليهم السلام

وقوله تعالى وجعلكم ملوكا • اي جعل فيكم ملوكا ينتصرون بهم على الاعداء لان الملوك في بني اسرائيل هم
الذين كانوا يتولون القتال وامر الحرب مع الاعداء بين لهم الله تعالى جعل فيهم الانبياء يعلمونهم امور الدنيا
والاخرة وجعل فيهم ملوكا ينتصرون بقوتهم على الاعداء فيتيسر لهم ويعرفون في الدنيا وقيل في قوله
وجعلكم ملوكا اي تملكون انفسكم وكنتم قبل ذلك يستعبدكم فرعون ويتخذكم خولا لانفسهم وهذا من عظيم
النعم وقوله تعالى واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين • يحتمل ما ذكر من جعل الانبياء والملوك فيهم ويحتمل انزال
المن والسلوى وغيرهما من النعم في التيه وقوله تعالى خبرا عن موسى عليه السلام يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
هي الشام وانما سماها المقدسة ههنا وذكرها مباركة في موضع اخر وهو قوله الى المسجد الاقصى الذي باركنا
حوله ثم يحتمل تسميتها مباركة مقدسة لكثرة ريعها وسعة العيش فيها ويحتمل لما كانت متعبد الانبياء
ومقامهم وموضع نزول الوحي عليهم ويحتمل ايضا لما كانت متعبدا للعباد والزهاد منزهة عن الشرك وجميع
الفواحش والمناكير والله اعلم ويحتمل ان المراد من الارض المقدسة غير الشام ثم قوله كتب الله لكم يحتمل
وجهين احدهما كتب الله لكم اي كتب عليكم قتال تلك الارض حتى يسلموا كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين كله لله وجائز في اللغة ان يذكر لكم ويراد عليكم كما قال تعالى وان اسأتم فلها اي فعليها ايد ذلك
قوله تعالى خبرا عن قوم موسى له عليه السلام فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون دل هذا على ان الامر
بالدخول في الارض المقدسة امر بالقتال لانه لا يمكن فيها الا بالقتال مع المكتوب والثاني يحتمل كتب الله لكم
نفع هذه الارض ان اطعتم امر الله تعالى فيما امركم به وانتهيتم عما نهاكم عنه واجبتم رسوله الى ما دعاكم اليه اي اذا فعلتم
ذلك يفتح الله لكم تلك الارض المقدسة وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم • يحتمل وجوها يحتمل والله اعلم لا تزهدوا
كما يجوز الرجوع عن الدين الحق كقوله ومن ينقلب على عقبيه ويحتمل لا ترجعوا عن الذي يردكم امر الله تعالى اياكم بالقتال
الذي كتب الله عليكم مع اهل تلك الارض فانهم ردوا ذلك الامر بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها الى اخر الاية
ويحتمل ان وعد الله تعالى لهم فتح تلك الارض فلم يصدقوا رسوله فيما اخبرهم من الفتح والنصر كما اخبر تعالى قال رجلان من
الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون فكفروا بذلك ويحتمل ولا ترتدوا
على ادباركم اي لا ترجعوا وراءكم ولكن ادخلوها وقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين • اي يحتمل ان يكون في الاخرة
ويحتمل ان يكون في الدنيا اي يصيرون منهزمين مدبرين وقوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا
لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون • يحتمل هذا والله اعلم ان قوم موسى عليه السلام لما كانوا
راوا فرعون مع كثرة قومه وقوة جنوده ووفور اسبابه مع ادعائه الربوبية لنفسه والتسلط على الناس لم يقدر
على فتح تلك الارض وعجز عن غلبة اهلها وقهرهم ظنوا انهم لا يقدرون على ذلك مع ضعفهم وقلة عددهم
وقصور اسبابهم لذلك امتنعوا عن الدخول فيها الا بعد خروج من فيها من الجبابرة خوفا منهم على انفسهم
لكن موسى عليه السلام كان عرف من طريق الوحي ان الغلبة لهم وانهم كانوا يعرفون له النصر والفتح مع ضعفهم وقلة
عددهم اذا دخلوا فيها الذي كان يحثهم على الدخول ويدعوهم بترك الدخول وقوله تعالى قال رجلان من الذين
يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون • اختلف في الرجلين الذين قالا
ذلك قال بعضهم كان ذلك الرجلان من اولئك الذين بعثهم موسى عليه السلام الى اهل تلك الارض يعرف امرهم وكان
فيها للتجسس على ما قيل في القصة انه اختار من كل سبط رجلا وهم اثنا عشر سبطا ليدخلوا تلك الارض ويأتوا
باخبارهم فدخلوا واستكشفوا قوتهم وعددهم واخبارهم فخافوا منهم فلما اتصلوا بقومهم اخبروا بالعظم
اكثرهم على طريق السر ان فيها قوما جبارين وانا لا طاقة لنا بهم الا هذان الرجلان فانهما قالا ما انعم
الله عليهما استبقوا قوما وعدهم موسى عليه السلام من الفتح والنصر وادخلوا عليهم الباب الى المدينة
ويحتمل المراد منه تقديم الباب لكن جهته من انه يكونوا الدخول عليهم من تلك الجهة اهون وكانهما قالا ادخلوا عليهم
من جهته كذا فاذا دخلتموه فانكم غالبون لما وعدهم موسى عليه السلام من الفتح والنصر وادخلوا عليهم الباب
وقال بعضهم كان ذلك الرجلان الذان قالا ذلك من اهل تلك الارض فانهم لما سمعوا ان موسى عليه السلام
قصد نحوهم وقهر فرعون مع غرقه فخافوا من ذلك فقالوا قال رجلان من الذين يخافون اي
رجلان من اهل تلك المدينة الذان انعم الله عليهما بالاسلام لقومهم موسى عليه السلام
من المدينة ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لما علموا من خوف اهلها من موسى عليه السلام
واتباعه وقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين • يحتمل صدقوا قولي وقول موسى عليه السلام بالنصر والفتح
والنصر لكم ويحتمل ان كنتم مؤمنين اي مصدقين فان كان مؤمنا يتكل على الله في فتحه ونصره ويجتنبه قتال الكافر وعدوه
وقوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها الاية دليل على انهم صاروا كافرين بهذا القول لان
كل من

كل من يعرض لرسول من الرسل عليهم السلام بمثل ما يعرض هؤلاء لموسى عليه السلام انا لن ندخلها فصاروا
بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها عقيب امره اياهم بالدخول كفرة برد الامر وترك تعظيم الرسول لا سيما
ان موسى عليه السلام كان وعد لهم الظفر والفتح والنصر اذا دخلوا فصاروا بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها
مكذبين له في الوعد ومن كذب رسولا من رسله فيما قال لم يصدقه فيما وعد يكفر وقوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا
يحتمل هذا وجوها يحتمل اذهب فقاتل وحدك وليعنك ربك وينصرك لانك تقول ان ربك قد وعد لك فتح
هذه الارض فليكن لك النصر والظفر فالواحد فيه والجماعة سواء اذا كان معه ناصر ويحتمل اذهب انت واخوك
بربك اي بتوفيق ربك وامره فقاتلا كما خاطبوا بالفعل موسى عليه السلام واخيه لانهما كانا جميعا مأمورين
بتبليغ الرسالة والقتال معهم وان كانت الاضافة الى الرب تعالى لما كان القتال بعونه وتوفيقه ويحتمل انت
واخوك ويراد من الرب هو الاخ لانا نرى باسم السيد لغة وهم يعظمون الكبار باسم السادة وهارون عليه السلام
كان اكبر من موسى عليه السلام وكان يعظمه فسماه الرب باسم التعظيم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون ليس
يريدون به نفي القعود لكن انما معناه والله اعلم انا ههنا منتظرون وقوله تعالى قال رب اني لا املك الا نفسي
واخي • يحتمل وجهين يحتمل اني لا املك في الاجابة والطاعة الا نفسي واخي لانك عرفت بالعصمة التي اعطيتها
ان يجيبني نفسي ويطيعني في ذلك وبالعصمة التي اعطيتها اخي ان يطيعني فيما امره من الحق وادعوه اليه فاما غيرهم
فاني لا املك اجابتهم ولا طاعتهم ويحتمل لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه على طريق الاخبار الا
كانا جميعا رسولين مأمورين بالتبليغ بقوله ولا املك الا نفسي وقوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
قال بعضهم انما طلب موسى عليه السلام الفرقة بينه وبين الذين ابوا الدخول في الارض المقدسة من قومه
بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها وقال بعضهم انما طلب الفرقة بينه وبين اصحابه وبين الجبابرة
الذين كانوا في الارض التي امروا بالدخول فيها والقتال معهم وقوله تعالى قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة
يتيهون في الارض • ليس المراد من التحريم والله اعلم هو التحريم من جهة الحكم ولكن المراد هو المنع والتحريم حقيقة
وهو على وجهين احدهما انهم صاروا ممنوعين عن الدخول في تلك الارض والخروج عن التيه بحيث لا يمكنهم الخروج
عن التيه بحيث لا يمكنهم الخروج عنه فصاروا عاجزين وهو كقوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل
انما يراد به المنع دون الاحكام فهذا مثله والثاني ان التي به صارت محرمة عليهم ان صاروا ممنوعين عن ذلك
بطريق الخذلان بان لم يوفق لهم اسباب الا الاسباب الصالحة لذلك ثم اختلفوا في قوله تعالى اربعين سنة يتيهون
في الارض فالمراد منه المدة ما هو قال بعضهم هذا بيان كونهم في مدة التيه ومقداره لا مقدار مدة
الحرمة بل تثبت بطريق التأبيد لانهم قالوا انا لن ندخلها ابدا فحرم الله تعالى الدخول بطريق التأبيد كما عزموا
وكذلك قيل ان اولئك القوم الذين امروا بالدخول الذين يصلحون للقتال الذي يجوز تكليفهم به قد ماتوا
كلهم قبل دخولها ولكن ولدهم اولادهم ومن كان من الصغار دون شيد دخلوا هؤلاء دونا بانهم لان التحريم
في حق البالغين بطريق التأبيد وقال بعضهم بان هذه المدة يرجع الى التحريم اي بان البلد صار محرمة
عليهم اربعين سنة ثم اختلفوا ان موسى وهارون عليهما السلام هل كانا في التيه مع القوم ام لا قال بعضهم
لم يكونا في التيه بل التيه مخاصة لان ذلك كان عقوبة لهم من الله تعالى ولا يحتمل ان يعذب الله تعالى رسوله
بذنب قومه ولهذا لم يعذب الذين كذبوا الرسل من قومهم بتكذيبهم وعنادهم الا بعد خروج الرسل من
بين اظهرهم فعلى ذلك لا يحتمل ان يعذب موسى وهرون بفعلهما لعصيان قومهما فقال الاخرون كان موسى
عليه السلام معهم في التيه وهم يرون لم يكن لهم الحيرة في التيه كانت للقوم حتى قيل انهم اذا اصبحوا كانوا
يتحولون الى حاضر القوم ثم ينزلون من حيث يتحولون وكانوا على هذا اربعين سنة وقد اصابهم انواع من الشدائد
ولم يحل بموسى عليه السلام شيء من ذلك بل كان هو مأمورا بالمقام فيهم من عنده كان يجري ما الله اعلم وقوله تعالى
واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما • الاية قال الحسن رض وابو بكر الاصم وغيرهما كانا
رجلين من بني اسرائيل لم يكونا ابني من صلب ادم عليه السلام عنيت انهما في بني فقربا قربانا لتعليم المحق منهما
من ذلك الا انه نسبهما الى ادم عليه السلام لان كل البشر ولد ادم عليه السلام لان كل البشر ولد ادم عليه
السلام الا ترى انه تعالى قال يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال يا بني ادم لا تعبدوا الشيطان
يخوض لذلك البشر ولد ادم عليه السلام لصلبه ولكن البشر كله وكذلك الاول لا ان الحسن قال ان احدهما
كان مؤمنا والاخر كان منافقا فتقبل القربان من المؤمن دون المنافق بقوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين اي من المتقين عن الشرك وقال ابو بكر الاصم كانا مؤمنين لان الكافر لا يقرب القربان لكن
احدهما كان اتقا قلبا فتقبل قربانه والاخر لا فلم يتقبل قربانه والتقوى سبب لقبول القربان لا انه

بما قال ابو بكر انهما كانا مؤمنين لان الكفار كانوا يقربون القرابين لوجه الاصنام لما يزعمون انهم على شيء
ليظهر الحق منهم من المبطل لانبيائهم يزعمون انهم من هو احق بالرسالة من محمد صلى الله عليه وسلم
لما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وغير ذلك من اباطيلهم
والله الموفق الهادي وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي وغيرهما انهما قابيل وهابيل المراد من الآية ابنا آدم
من حيث الصلب كانا ابني آدم عليه السلام لصلبه احدهما هابيل والآخر قابيل وكان لكل واحد منهما
اخت معه في بطن واحد وكانت اخت احدهما جميلة والاخرى دميمة فاراد كل واحد منهما ان يتزوج الجميلة
منهما فتنازعا في ذلك فقال احدهما للآخر تعال حتى نقرب قربانا فان تقبل قربانك كانت احق بها وان
تقبل قرباني فانا احق بها فقربا قربانهما فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده فهم ان يقتله فذلك
قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين قال رحمه الله
ولكن لا ندري كيف كانت القصة وفيما كانت وكانا ابني آدم عليه السلام لصلبه ولم يكونا وليس بنا الى معرفة
حاجة وانما الحاجة هنا الى معرفة ما فيه من الحكمة والعلم لنتعلم الذي نعمل به وهو ما ذكرنا فيما تقدم من
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل من اخبار الامم المتقدمة مما لم يشهدها
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يختلف الى اهل الكتاب بعد ذلك ثبت ان الرسل عليهم السلام دلالة وانه
على صدق دعوى الرسالة فعلى هذا كان الانباء عن ابني آدم عليه السلام وقصتهما كان في كتبهم فامره الله تعالى
بان يتلو عليهم ذلك ويبين ما في كتبهم على فترة من الرسل ليعلموا انه انما علم ذلك بالله تعالى فيكون آية
لرسالته وسورة المائدة كان اكثرها نزل في مخاطبة اهل الكتاب لانه قال في غير موضع منها يا اهل الكتاب
كذا او بين ما فيه دلالة على اثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم ونزلت سورة الانعام في مخاطبة اهل
الشرك وبين فيها ما يكون دلالة على التوحيد وعلى النهي عن الشرك ثم قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق يحتمل قوله بالحق وجهين احدهما اي بالحق والصدق من كتبهم فان نبأ ابني آدم عليه السلام وقتل احدهما
صاحبه كما هو في كتبهم والثاني بالحق اي بالقرآن اي اتل عليهم نبأ ابني آدم بالقرآن ليعلم ...
وقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين اي يتقبل قربان من اتقى عن الشرك فان المؤمن من اهل التقوى مطلقة
تعالى بسائر انواع القرب كذلك بالقربان ولا يشترط لقبوله مطلق التقوى وهو من حيث الاعتقاد
والعمل جميعا من كل وجه وقوله تعالى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني
اخاف الله رب العالمين احتج بعض الناس بهذه الآية على ان الواجب على من قصد قتله ان يمتنع عن قتل
القاصد ولا يشهر عليه سيفه لان الله تعالى اخبر عن المقصود بقتله بقوله ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين من غير نكار ورد عليه لقوله انما اخاف فيما لا يباح الاقدام
عليه بل يقع في الاثم فدل انه يجب الامتناع وقد وردت الاخبار مؤيدة بحكم الآية روي عن ابي بكرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فهما
في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول فقال عليه السلام انه اراد قتل صاحبه وعن سعد بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان تكون عبد الله المقتول فلا تقتل احدا من اهل
القبلة فافعل وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني آدم عليه السلام ضربا لهذه
الامة مثلا فخذوا بالخير منهما وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
بك يا ابا ذر اذا كان في المدينة قتل تغمر حجارة قال قلت الله ورسوله اعلم قال ... اقول ان اتاك
قلت كيف اصنع يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك
تبوء باثمك واثمه ولكن قال عامة الفقهاء من قصد قتل انسان فانه يجب على المقصود قتله ان يدفعه
عن نفسه بغير القتل اذا امكنه وان لم يمكنه الا بالقتل يجب عليه ان يدفعه وان كان يفضي الى القتل ويقصد
بقتاله الدفع دون القتل حتى لو لم يقدر على دفعه وامتنع عن ذلك حتى يقتله القاصد فانه يؤاخذ بدمائهم
واصل ذلك قوله تعالى بالامر بقتال اهل البغي فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله
واما الآية التي احتج بها فهو حكم شريعة من قبلنا وشرائع من قبلنا لا تلزمنا قال الله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا على ان قتال المشركين كان محظورا في اول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك ما قال
فيحتمل ان يكون في الابتداء كذلك في الوقت الذي كان قتال المشركين محظورا وكذلك السيف فهو محمول على ذلك
ثم نسخ قتال المشركين وقتال اهل البغي فصار ذلك منسوخا وصار الحكم في شريعتنا ما امر الله تعالى
من قتال البغاة والمشركين وذلك ... واما الاخبار التي اوردها فهي محمولة على حال الفتنة وقتال الفتنة

التي لا امام فيها لا يدعي كل واحد منهما الامامة لجهله او امر جاهلية وعصبية فهما على خطأ والصواب
في هذه الحالة على كل واحد من المؤمنين الامتناع عن معاضدة احد الفريقين ...
[illegible]
فاصبح من النادمين فانه يندم من قتل اخيه والندم توبة لانه ذكر بحرف الماضي فيقتضي تحقق الندم ...
فاصبح من النادمين اي فاصبح من النادمين في الآخرة على صنعه باخيه ويحتمل انه ذكر حرف الماضي على ارادة
الاستقبال كقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني ومعناه واذ يقول الله تعالى
في القيامة يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني الآية وقوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا والاشكال ان قتل النفس الواحدة
بغير حق ليس كقتل جميع الناس فما معنى هذا قال لا انفصال روي عن ابن عباس رض يقول من اجل ذلك اي من اجل ان
ابن آدم قتل احدهما صاحبه كتبنا على بني اسرائيل في التوراة انه من قتل نفسا بلا نفس وفساد في الارض اي من غير
فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا اي يعذب على ذلك كما لو قتل الناس جميعا قال بعض اهل التأويل وكتبنا على
بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اي تلزمه الامة خصما عن القتيل فكانما قتل الناس جميعا اي يجب عليه من القتل
لما لو قتل الناس جميعا وعن عبد الله بن عمر رض انه قال من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا او فساد

في الأرض فجزاؤه كأنما قتل الناس جميعاً ويحتمل قوله فكأنما قتل الناس جميعاً اي من استحل قتل نفس واحدة
فكأنما استحل قتل الناس جميعاً في استحقاق الكفر وهو من يكفر بآية من كتاب الله تعالى يصير كافراً بالكل كما لو كفر
بالآيات كلها ويحتمل ان يكون هذا في اول قتل قتل فلما قتل هذا جعل الناس يقتلون بعضهم بعضاً بسبب
قتله فكان ذلك منه سنة استن الناس بها على ما قال عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزره شيئاً فعلى هذا يشترك القاتل الاول في وزر كل
قتيل يقتل الى يوم القيامة فيستحق قصاصاً كأنه قتل الكل وقوله تعالى ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً
قيل اي من احب له القصاص على قاتل فلم يقتله وعفى عنه اعطي من الاجر والثواب مثل ما لو احيا الناس
جميعاً وعلى هذا قال الحسن رضي الله عنه ومن احياها بالعفو فكأنما احيا الناس بالاجر والله ما من يستطيع
ان يحييها اذ ما احلها ولكنه وجب القود فعفى عنه فيحتمل ومن احياها اي من استنقذ احداً من مهلكة
فكأنما عفى الناس جميعاً في الاجر ويحتمل ومن احياها بالعفو عنها فكأنما عفى عن الناس جميعاً اذ على الناس
معونته بما يطلبوا من ولي القاتل ان يترك القصاص ليودوا لقنه ويتعلقوا عنه فاذا عفى عن القاتل
فكأنما اسقط المعونة من الكل وجه آخر في قوله فكأنما قتل الناس جميعاً ومن احياها فكأنما احيا الناس
جميعاً وهو ان من قصد قتل نفس بغير حق او فساد في الارض يجب على الناس كلهم ان يدفعوا ذلك عن المقصود
قصده ويمنعوه عن قتل ذلك ويعينوا كذلك المقصود بالقتل فاذا قتلها او سعى عليها بالفساد وعجزوا
عن دفعه ومنعه فكأنه قتل الناس جميعاً وسعى بذلك عليهم ومن احياها بان دفع عنها سبب القتل ومنعه
عن السعي بها بالفساد فكأنه احيا الناس جميعاً ودفع فساد سعيه عن الناس كافة ويحتمل من قتل
نفساً بغير حق قتل الناس جميعاً من حيث السبب فانه اذا قتل واحداً واحداً فلم يقتل فان المعاداة والمنازعة
يقع فيما بين الناس في كل ساعة فيتبادر كل الى قتل عدوه فيؤدي الى اهلاك الناس كلهم وكان في
القصاص كدفع الاهلاك عن الكل وهو كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً
لان منافع العالم متصلة بعضها ببعض فكأنه في افناء الواحد افنى الكل وفي احياء الواحد احيا الكل
ولكنه فاسد لان ذلك بتقوية المنفعة من الواحد لا يتحقق لان بموت الواحد لا يفوت جنس المنفعة
لبقائها ببقاء البعض ويفوت جنس المنفعة على الكمال لا يؤدي الى الاهلاك فكيف وكان جنس منافع
كلها قائمة لا يفوت والله اعلم وقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك في الارض
لمسرفون فهذه الآية تصبير للنبي صلى الله عليه وسلم على اذى الكفرة وعلى تكذيبهم اياه في التبليغ بما كذب
الانبياء من الرسل عليهم السلام واوذوا في سبيل الله تعالى فلست انت باول مكذب في الخلق وقوله انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً الآية اختلف في نزول هذه الآية قال بعضهم
نزلت في اهل الكفر بيان الحكم فيهم وهو قول الحسن وابي بكر الاصم رضي الله عنهما لان الله تعالى ذكر يحاربون الله
ورسوله وذكر السعي في الارض بالفساد الكافر هو المحارب لله ورسوله والساعي في الارض بالفساد هو الكافر
فاما المسلم اذا قطع الطريق فلا يقال انه حارب الله ورسوله فدل ان الآية نزلت في اهل الكفر لا في قطع الطريق
ومعناه ان للامام في كل من حدث ان يقتل الكفار المحاربين الساعين في الارض بالفساد بانواع القتل
مادام الحرب قائمة فاذا ظفر باهلهم واخذوهم فان شاء الامام قتل المقاتلة منهم وان شاء من عليهم
وضرب عليهم الجزية وان شاء استرقهم على ما فيهم من الحكمة وقال بعضهم بان الآية نزلت في المشركين لكن
في قطع الطريق على الناس لا بسبب الكفر والحرب وبين الحكم كما ذكر فاما المسلمون اذا قطعوا الطريق فانما
هم سراق فيقطع ايديهم لا غير ولا تجري هذه الاحكام في حق قطاع الطريق من المسلمين وقال بعضهم
بان الآية نزلت بالحكم في المشركين اذا قطعوا الطريق على الناس واخافوهم ولكن يجري هذا الحكم في حق
المسلمين اذا قطعوا الطريق على الناس واخافوهم بطريق الاستدلال بهم لوجود قطع الطريق من الكل وعن
ابن عباس رضي ان الآية نزلت في الموادعين من اهل الشرك وذا المحاربين قال وادع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا برزة هلال بن عويمر الاسلمي فجاء اناس يريدون الاسلام فقطع عليهم الطريق باصحابه فنزل
جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد فيهم ان من قتل واخذ المال صلب ومن قتل ولم يأخذ المال قتل
ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف فمن جاء مسلماً هدم الاسلام ما كان قبله من شرك
وقيل نزلت الآية في العرنيين لما روي عن انس رض عنه انه قال ان ناساً من عرينة او عكل اتوا النبي عليه السلام وبايعوه
فشكوا الى النبي الجهد فبعثهم الى ابل الصدقة وقال اشربوا من البانها وابوالها ففعلوا فلما صحوا قتلوا راعي
النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فبعث في آثارهم فاتوا بهم فقطع ايديهم وارجلهم

فقطعت

فقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم وقطعت السنتهم وتركوا بمكان حتى ماتوا فنزلت الآية فيهم
ويحتمل ان الآية نزلت في قطاع الطريق من المسلمين وهو الظاهر لحديث احدهما ان الله تعالى قال في سياق
الآية الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم واجمع الفقهاء ان الكافر اذا حارب مسلماً وسعى في الارض فساداً
فقدرنا عليه ثم اسلم انه يسقط عنه القطع والقتل والصلب وفي الآية فصل بين ان يتوب بعد
قدرتنا عليهم وبين ان يتوب بعد القدرة وانما يتفصل هذا في المسلمين لا في حق الكفرة فان توبة الكافر
يسقط عنهم الحد كله ان الآية نزلت في المسلمين والثاني ما روي عن علي رضي انه كتب اليه عامله ان حارثة
بن بدر حارب الله ورسوله وسعى في الارض فساداً ثم تاب قبل ان تقدر عليه فكتب علي رضي الله عنه الى
عامله ان حارثة قد تاب قبل ان تقدر عليه فلا تعرض له الا بالخير فاحتج علي رضي الله عنه بالآية فيه وانه
لم ينكر على عامله باطلاق اسم المحارب لله ورسوله عليه وكان حارثة مؤمناً وانما جاز اطلاق اسم
محاربة الله ورسوله وان لم يكن المسلم محارباً لله لان فعله يشبه ذلك لعظم قدره الا ترى ان آكل الربا
يسمى به قال الله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وذلك في المسلمين كما قلنا هذا مثله والثاني معناه
انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله ورسوله على حذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه وبين هذا التأويل من قال ان الآية نزلت في المشركين لا يصح على ان عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما قال نزلت الآية في الموادعين دون المحاربين فكان حكمهم وحكم اهل الاسلام سواء ويحتمل ان الآية
نزلت لعموم في حق الكفار والمسلمين جميعاً في قطع الطريق الا ترى متى ظفرنا بالكفار يباح لنا ان نقتلهم
كيف شئنا سواء قطعوا الطريق او لم يقطعوا او سعوا في الارض بالفساد او لم يسعوا فلم يكن لهذا
التخصيص فائدة الا ان يقال المراد هذا الحكم في قطع الطريق فيعم الحكم في حق من وجد منه سببه وهو
قطع الطريق واما تعلق من قال الآية نزلت بعد قتل العرنيين نحو ابن سيرين وغيره رحمهم الله وهذا الذي ذكر
على هذا التأويل من التلخيص فلا تصح دعوى الآية بيان النسخ والله اعلم ثم اختلف العلماء في كيفية
حكم هذه الآية في قطاع الطريق روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اذا حارب وقتل واخذ
المال قطعت يده ورجله من خلاف وصلب فان قتل ولم يأخذ المال قتل وان اخذ المال ولم يقتل قطعت يده
ورجله من خلاف فان لم يقتل ولم يأخذ المال نفي وعن ابراهيم النخعي رح قال اذا خرج الرجل فقطع الطريق
واخذ المال فالامام ان شاء قطع يده ورجله من خلاف وقتله وصلبه وان شاء صلبه ولم يقطع وان قتل
ولم يأخذ المال قتله وان اخذ المال ولم يقتل قطع يده ورجله من خلاف وان لم يقتل ولم يأخذ المال
عزر فالآية لم يروا التخيير وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا قطع الطريق باخذ المال والقتل فيجوز ان يقتل
كما قال ابراهيم وينفيه من الارض صلبه وروي عنه رواية اخرى فذكر نحو ذلك الا انه قال وان لم يأخذ
المال ولم يقتل اوجع عقوبة وحبس حتى يحدث خيراً فكأنهما ذهبا في تأويل الآية الى الترتيب لا الى التخيير
وانما جعلهم نوعاً من انواع قطع الطريق في كل حكم كأنه قال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و
يسعون في الارض فساداً ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان اخذوا المال وقتلوا او تقطع ايديهم و
ارجلهم من خلاف ان اخذوا المال لا غير وينفوا من الارض ان اخافوا وقال مالك وغيره رض بان الامام
مخير في قطاع الطريق بين ما ذكر لان حرف او للتخيير فيجب ان يحمل على حقيقتها الا حيث ما قام الدليل وقال
خلاف ذلك الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ان الآية نزلت في المحارب
بسبب المال والنفس جميعاً فاذا اصاب الامر بان اخذ المال وقتل كان الامام ان يقتله كيف شاء ان شاء
قتله بالسيف قتلاً وان شاء قتله بقطع اليد والرجل من خلاف بان يقطع يده ورجله من خلاف ثم تركه
حتى يموت وان شاء صلبه حياً وطعن فيه برمح حتى يموت حتى يكون عملاً بحرف التخيير فمطلق المحارب
فاسد لان الجزاء على حسب الجناية يزداد بقدر الزيادة وينتقص بقدر النقصان قال الله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها فالتخيير في الجناية الكاملة بالجزاء الذي هو جزاء في القاصر من الجناية يكون خلاف
المشروع يقرره ان الامة اجمعت ان القاتل واخذ المال لا يجازى بالنفي وان كان ظاهر الآية يقتضي
التخيير بين الاجوبة الاربعة دل انه لا يمكن العمل بظاهر التخيير على ما يجري على ظاهره اذا كان الحق
واحداً كما في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة جزاء الصيد اذ لا وجه للعمل بحرف التخيير الا
للعمل بحرف التخيير ههنا فاما اذا كان الذي اضيف اليه الاحكام مختلفاً او متنوعاً فيخرج مخرج بيان
الحكم ذلك في نفسه كما في قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسناً لم يكن
تخييراً بينهما بل خرج بيان الحكم لكل في نفسه لان سبب الوجوب مختلف وتأويله اما ان تعذب من ظلم

وينفى الحسن فيمن آمن من الاسرى للحق لقوله تعالى اما من ظلم فسوف نعذبه الاية واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى الاية او يحتمل هذا الوجه وقطع الطريق متنوع في نفسه وان كان متحدا من حيث انه نابت وقد يكون
باخذ المال لا غير وقد يكون بالقتل وحده وقد يكون بالجمع بين الامرين وقد يكون بالتخويف لا غير فيصرف
كل جزاء الى ما يليق به من النوع من حيث الغلظ والخفة تتزايد كالجزاء على قدر الجرم الذي هو مقتضى السمع والعقل
فلا يحتج بالصرف الى التخيير في مطلق المحارب بظاهر اللام ثم الدلائل فالصحيح احد الوجهين اما الترتيب كما ذكرنا
عن ابن عباس رض وابراهيم النخعي واما التخيير بين هذه الاشياء الثلثة في المحارب اذا قتل واخذ المال فان
الاية عليه وكان هذا التاويل اوفق بظاهر الاية لان الله تعالى جمع بين القتل وقطع الطريق بقوله انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا والمحاربة هو القتل والفساد في الارض هو قطع
الطريق فاوجب لاحد هذه الاجوبة لما ذكرنا للجنايتين بما ذكرنا الفعلين فيكون في ذلك عملا بحقيقة حرف
التخيير وعملا بحقيقة ما اضيف اليه الجزاء وهو ما ذكر من المحاربة والسعي في الارض بالفساد فكان اوفق الى
ظاهر الاية ثم ابو يوسف ومحمد رحمهما الله عليهما اخذا بتاويل ابن عباس رضي الله عنهما في المحارب اذا قتل
واخذ المال انه يصلب لا غير كما ذكره وجعل قطاع الطريق لم تعرضه الاية النص فلان قطع الطريق جناية
واحدة وان تسبب القتل واخذ المال جميعا الا انه متنوع يجب لكل نوع حكمه عند الانفراد تخفيفا لله تعالى
فاذا وجد الامران جميعا يدخل ما دون النفس في النفس كما اذا زنى وهو غير محصن ثم احصن فزنى يرجم لا
واما ابو حنيفة رض يمكنه العمل بظاهر النص على التاويل الاخير لان الاية نزلت في المحارب الذي جمع بين القتل
واخذ المال وانما عرفنا حكم اخذ المال وحده لا بهذه الاية ولكن بحديث جبريل عليه السلام وغيره ولا
لما انه وجب الجمع بين الموجبين عند وجود هذين الفعلين فيجب القول باجزاء كل واحد منهما عند الانفراد
ويمكن ان يقال انه فيما قيل هذه الاية بالترتيب لكنها توجب الصلب بظاهر الاية والقطع بالاستدلال
بحالة الانفراد انه يجب كل واحد منهما فعند الجمع يجب الجمع الا ان في بعض المواضع قام اسقاط الاخف
ولم يقم ههنا بل قام دليل الوجوب لان مبنى هذا الباب على التغليظ الا يرى انه يجمع بين قطع اليد والرجل
في اخذ المال الذي في المفازة ولا يجمع في اخذ المال الذي في المصر فكذلك يجمع وحده ههنا فلم يجب الصلب في غيره
من القتل في المصر فكذا جاز ان يجمع ههنا بين الموجبين عند مباشرة النوعين دون سائر المواضع وكذلك
ما نحن فيه والله اعلم واما كيفية الصلب فروي عن ابي يوسف رحمه الله انه يصلب حيا فيطعن برمح حتى
يموت وكذا ذكره الكرخي رحمه الله وعن ابي عبيد انه يصلب بعد القتل وكذا ذكره الطحاوي رحمه الله لان
الصلب حيا من باب المثلة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المثلة والصحيح هو الاول لان الصلب
شرع في هذا الباب زيادة في العقوبة تغليظا والميت ليس من اهل العقوبة ولانه لو جاز ان يقال بانه يصلب
بعد الموت لجاز ان يقال بانه يقطع يده ورجله من خلاف بعد القتل وكذلك تعميمه نهي المثلة وقد ورد
في الحديث ما قال محمد بن الحسن رحمهما الله من قطع بعض الجوارح ونحوه وقوله تعالى او ينفوا من الارض بالقتل
والصلب اذ هو النفي من وجه الارض من حيث الحقيقة وهذا على قول من تاول الاية في المحارب الذي قتل واخذ
المال فيكون الامام مخيرا بين الاجوبة الثلثة ونفي الارض ليس غير اخر من هذه الاجوبة الثلث فانه يحصل
النفي خرك على حده بل قالوا فالقتل نفيه وقيل نفيه ان يطلب حتى يخرج من ارض الاسلام وذلك الكفار
وبه قال الحسن رض وعن ابراهيم النخعي رض في رواية ان نفيه طلبه وبه قال الشافعي رض انه يطلب في كل بلد
وهذا النفي يخرج لانه انما يطلب في البلد الذي قطع الطريق فيه فيخرج منه هذا لا يمنع لانه وان كان
دفع ضرره عن هذا الموضع فلم يكن دفع ضرره عن جميع الناس والاحكام ما هو بدفع ضرره بقدر الامكان
وانما ان يطلب له كل بلد من بلاد الاسلام حتى يدخل دار الحرب وهذا لا [illegible]
على الكفر ويجعل حربا لنا وهو فاسد وعن ابراهيم رض في رواية اخرى ان نفيه حبسه حتى يحدث توبة وهو المعنى
عن وجه الارض مع قيام الحياة الا في الموضع الذي حبس فيه وهذا ما فيه عن اخراج الناس ويسمى نفيا عن وجه الارض
على هذا الوجه جزاء قطع الطريق بدون القتل واخذ المال والكرا فيقع على الترتيب الذي ذكرنا
الاصل عندنا انه اذا ظفر الامام بقاطع الطريق قبل ان يقتل واخذ المال [illegible] عن وجه الارض
حقيقة وان كان قتل [illegible] باخذ المال [illegible] حتى يتوب عن الطريق
الذي قطع [illegible] وقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم [illegible]
لم يكن [illegible]

ملي ترك مثله فهذه الاية تدل على ان قاطع الطريق اذا اد المال على صاحبه قبل ان يظفر به فانه يسقط عنه الحد
وكذلك في السرقة الصغرى حتى ان السارق اذا تاب قبل ان يظفر به ورد المال الى صاحبه يسقط عنه
القطع لانه ينتهي خصومته ولا يستوفى بدون الخصومة بخلاف سائر الحدود حيث لا يسقط في التوبة كذا
روي عن بعض السلف انهما لو ليس في التوبة وكذا روي عن بعض السلف انهما لو ليس على تائب قطع و
ارادها قلنا لان التوبة عن السرقة مما قلنا وذلك بعد ان يحضر فاما بعد الاخذ لا يكون رد المال انما يكون تاسيا
منه حيرا والفرق من وجوه احدها ما ذكرنا ان الخصومة شرط في باب السرقة الكبرى وهي قطع الطريق والسرقة
الصغرى لما ان محل الجناية خالص حق العباد والخصومة ينتهي بالتوبة لان التوبة تمامها برد المال الى صاحبه
فليس بعد حصول المال الى صاحبه مرحلة الخصومة مع السارق بخلاف سائر الحدود فان الخصومة ليست بشرط
والثاني ان التوبة امر بين العبد وبين ربه لا يظهر بطريق الحقيقة للناس لانه لا يظهر منه تركه ما فعله في
المستقبل ولا وقوفنا على عزمه والحد قد وجب حقيقة فلا يسقط مع الاحتمال بخلاف المحارب والسارق
لان المحارب بنفسه وكذا السارق ورد المال الى اربابه حقيقة فيترك السعي في الارض بالفساد والمحاربة مع الناس
واتى الامام باختياره ورد المال عن طوع يستدل بذلك على تحقق توبته وحسن امانته وكذلك في السرقة ومثل
هذا لا يتحقق في سائر الحدود فاما متى تحققت التوبة للامام يجب ان لا يقيم حدا من الحدود لانه شرع
زجرا عن الجناية في المستقبل ولا حاجة الى الزاجر بعد وجود التوبة حقيقة والله اعلم والثالث وهو ان
الحاجة مست الى قبول توبتهما مع احتمال الاظهار رياء لانه لو لم يقبل لتمادى في السعي في الارض بالفساد
والدوام على السرقة خوفا من ان يظفر به الامام والناس فيأخذوه فيحدوه وما يلحق المسلمين من الضرر
في هذا اكثر من ان لا يستوفى الحد بحقه فاستحسنوا في قبول توبتهما مع الاحتمال ولا حاجة في غيرهما
من الحدود فلا يسقط مع الاحتمال لم تحقق اسبابها وتحقق الحاجة الى الزجر عن تحققها والله اعلم
وذلك في قوله ويسعون في الارض فسادا على ان الاخذ في المصر ليلا كان او نهارا لا يكون محاربا قاطعا للطريق
لا يقطع يده ورجله من خلاف بل يقطع يمينه لا غير لان ذكر السعي في الارض بالفساد والسارق في المصر
لا يسمى ساعيا في الارض الا يرى الى قوله تعالى فاذا ضربتم في الارض لم يرد به الضرب في الارض انما اراد
السفر فهذا كما الله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة * يحتمل ان يكون الاية
صلة ما مضى من الايات من قوله انما جزاء باي فعل من احدهما الجزاء له انما يتقبل الله من المتقين وقال انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اخبر تعالى انما يتقبل التقرب منا المتقي فبين جزاء المحاربين ثم امرهم بالتقوى
ليرغبنا الى التقوى بما ذكر من القبول من الخير والاعمال الصالحة وينزجر عن المعاصي بما اوعد لهم الجزاء العظيم
في الدنيا مع الخزي العظيم في الاخرة بقوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وبعث
ابتغوا الوسيلة والتقرب الى الله تعالى بالتقوى عن معاصيه ويحتمل على سبيل الابتداء فيكون هو امر بالتقوى
وهو الاجتناب عن المعاصي وقوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة اي اطلبوا التقرب اليه بالاعمال الصالحة والوسيلة
القربة يقال توسل بكذا اي تقرب به هو قول القتيبي رضي الله وقوله تعالى وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون
يحتمل وجهين احدهما اي جاهدوا انفسكم وصرفها عن معاصي الله تعالى الى طاعته وهو كقوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والثاني اي جاهدوا اعداء الله تعالى بانفسكم واموالكم في نصر دينه
وبالله التوفيق وقوله تعالى ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه * كان الذي يمنعهم عن
الايمان بالله تعالى وبالرسل حفظ رياستهم وطلب العز والشرف بالاموال فاخبر الله تعالى انه لو كان للكفرة
يوم القيامة ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم ما تقبل منهم ولا ينفعهم
ذلك وانما اخبر الله تعالى والله اعلم ليصرفوا انفسهم عن المعاصي لاجل اذى شيء يطلبونه من الاموال والشهوات
وليعلموا ان الاخرة ليست بدار يقبل فيها الرشاء كما تقبل في الدنيا ليعطوا بذلك وينزجروا والله اعلم
وقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها * يحتمل هذا وجهين احدهما اي يطلبون
الخروج من الحرقة منها ويسألون منهم من خزنة باشتعال الخروج ليأذنوا لهم بالخروج والثاني ان يعمدوا
في الخروج ويقصدوا او يستمسكوا بالخروج ولكن يردون ويعادون في اماكنهم كما قال كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقوله تعالى ولهم عذاب مقيم * اي دائم وقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
جزاء بما كسبا * الاية تعلم في حق السارق خاصة في السرقة بيان قولنا عام وهو انه يدخل تحته جميع اهل الخطاب
من الرجال والنساء والعبيد والاحرار ولا يقال بانه قد خص من الاية كثير من السارقين سارقا ما دون
نصاب لا يقطع وكذا من سرق من محارمه او من له تاويل الملك فيما اخذ او شبهة التناول منه ونحو ذلك لانا

هنا من باب خصوص السرقة المخصوصة لا مطلق السرقة على ما ذكر والسارق الذي وجد منه تلك السرقة يجب عليه القطع لا محالة وتعم الاية في حق مثل ذلك السارق وعلى هذا يخرج قول ابن عباس رضي الله عنهما حين سئل عن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اخاص هو ام عام فقال عام في السرقة الا ترى انه قال في جواب له حيث سئل عن ذلك فقال ما كان من الرجال والنساء قطع واما بيان قولنا انه خاص في السرقة لا يحتمل ان يكون لاحد قطع اليد في الشيء التافه الخسيس اذا اخذه وانما المراد منه سرقة شيء له قيمة وخطر عند الناس فدل انه لا يراد كل ما ينطلق عليه اسم السرقة لغة فان السرقة الموجبة للقطع سرقة مخصوصة وهي سرقة مال مقدر معصوم متقوم ليس له فيه شبهة التناول ولا تاويل الاخذ ونحو ذلك من الشرائط فهذه الاية تنقض قول من يقول بالعموم في كل ما هو عام الحكم حيث عملوا بالخصوص فيها مع امكان العموم وكذلك في قوله تعالى فاقطعوا ايديهما الامر بالقطع عام لجميع الناس من حيث الظاهر وقد رجع الى الخاص وهو الولاة وكذا اسم اليد اسم من الاصابع الى الاباط وقد رجع الامر بقطع اليد الى بعض اليد بالاجماع فان الناس مع اختلافهم في تعيين ذلك البعض اتفقوا ان اليد لا يقطع من الابط ولا من المرفق بل قال بعضهم بقطع الاصابع دون الكف وعندنا يقطع الكف مع الاصابع لان الكف والاصابع يقبض الشيء ويأخذ وكان مخرج الخطاب بقطع اليد عاما والمراد منه البعض فدل ان القول بوجوب العموم على طريق الاحاطة مع احتمال الخصوص باطل فان قيل ما الحكمة في اقامة الحد في باب السرقة في المحل الذي يقوم به الجناية غالبا وهو اليد والرجل ولا يقيم في سائر الحدود في المحل الذي يوجد منه الجناية كما في الزنا لا يقام الحد في العضو الذي يتحقق به الزنا وهو الفرج وكذلك في القصاص لا يقام بالعضو الذي يتحقق به القتل وهو اليد حتى لو انه ما وقع القتل وهو ان في غيره من المواضع انما لا يقام في المحل الذي منه تحقق الجناية لمعنيين احدهما ان العضو في الاستيفاء من الحق الواجب والخوف الزيادة على الحق في الاستيفاء ولانه لو قيل احد فقطعت يده لا اختيار يتحقق الجناية وهو من هذا العضو ليبقى النفس للقاتل وقد تلفت نفس المقتول فكان في ذلك قصور عن استيفاء الحق وفي الزنا لو اقيم على العضو الذي كان به اكتساب الفعل يخاف تلف النفس فيكون فيه استيفاء الزيادة على الحق وكل ذلك غير مشروع فلذلك عدل عن المحل الذي قام به الفعل بخلاف السرقة فانه يمكن استيفاء الحق من المحل الذي كان به الفعل من غير قصور يقع في استيفاء الحق ولا خوف الزيادة على الاستيفاء فلذلك افترقا فان قيل ما الحكمة في ايجاب قطع يد قيمتها الوف بسرقة عشرة دراهم ولا مماثلة بينهما في الظاهر وقد اخبر الله تعالى ان لا يجزى بالسيئة الا مثلها فكيف اوجب بدون المماثلة وهذا يشبه التناقض وكتاب الله تعالى منزه عن التناقض وكتاب الله تعالى منزه عن التناقض وكتاب الله تعالى منزه عن التناقض والاختلاف فقال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قيل عن هذا اجوبة احدها ان الجزاء الواجب في دار الدنيا بطريق الابتلاء والمحنة للعباد لحكمة راى في ذلك من الزجر والمصلحة من غير ان يكون مقابلة بالجناية تحقيقا ولله تعالى ان يمتحن عباده بانواع المحن ابتداء من غير ان يجعل ذلك جزاء بكسب من العباد فيلزمه الامتحان بانواع المحن على غير شيء لم يجعلها جزاء للشيء لما يرعى فيه من المصالح والحكم فكانه للامتحان بان يجعل ما يساوي الوفا جزاء فلس ومقابلا بالقليل لحكمة ومصلحة له في ذلك لا ان توجب المماثلة عليهما والثاني ان ليس القطع في السرقة جزاء ما اخذ من المال بل جزاء ما هتك من الحرمة فان الحفظ للاموال في حال عجز الملاك عن حفظها منسوب الى الله تعالى بطريق التمحض اذ لا يمكن النسبة الى الملاك لعجزهم فيكون الاخذ من هذه الحالة يشبه الاخذ على الله تعالى وفي الحالة التي كان الحافظ هو المالك كان تفويتا للحفظ على المالك ويكون اجترائه على الله تعالى قال جزاء بما اكتسبا لم يقل جزاء ما اخذا حتى لا يحتجوا ان يبلغ جزاء هتك الحرمة قطع اليد فاذا قصر علم البشر ذلك لان مقادير العقوبات انما يعلم مقادير الاجرام وانما يعلم مقادير الاجرام الحرمة التي بها تضيف الافعال بالاجرام وانما يعلمها من اليه التقدير والتخليق فاما احد من الخلق ليس يحتمل ان يقطع علمه بمبلغ مقادير الاجرام فاذ لم يحتمل علمهم مبلغ مقاديرها لم يحتمل منهم معرفة مقادير العقوبات واذا كان كذلك فيكون حق القول فيه الاتباع والتسليم للمعتقد فيها مع العلم والاعتقاد في الاتباع والتسليم انه لا يجزي بالسيئة الا مثلها والله الموفق ثم تعلق الشافعي رض بظاهر هذه الاية على ان يقطع اليد اليسرى في السرقة في المرة الثانية لانه قال فاقطعوا ايديهما مطلقا من غير فصل ولكن عرفنا الترتيب في البداية باليمنى بالسنة وبما ذكرنا مشاركة اليمنى في تحقق الجناية به ولكنا نقول ان المراد من الايدي هي الايمان بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما ولا نظن انه يقرا من تلقاء نفسه ولكن سماعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجعل قراءته مخرج التفسير المبهم ولما روي عن علي رضي الله عنه قال اذا سرق الرجل قطعت يده اليمنى فان

فاذ

عاد قطعت رجله اليسرى فان عاد ضمن الى السجن حتى يحدث خيرا اني لاستحيي من الله ان ادعه ليس له يد ياكل بها ويستنجي بها ورجل يمشي عليها وكان ذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم فيكون بمنزلة الاجماع ثم اختلف اهل العلم في مقدار السرقة قال بعضهم يقطع في ربع دينار فصاعدا وقال بعضهم لا يقطع الخمس الا في الخمس وقال اصحابنا لا يقطع الا في عشرة دراهم وقد روي في بعض الاخبار ما احتج به كل فريق فمن قال بالربع تعلق بما روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقطع في ربع دينار فصاعدا وعنها رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا ومن قال بالعشرة احتج بما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقطع في ثمن المجن وهو يومئذ دينار او عشرة دراهم وفي رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قطع فيما دون عشرة دراهم وعن ابن مسعود رض عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم وعن عمرو بن شعيب قال رضي الله عنهما قال قلت لسعيد بن المسيب ان اصحابك عروة ابن الزبير والزهري ومحمد بن مسلمة وسليمان بن يسار يقولون ثمن المجن خمسة دراهم فلا يقطع اليد الا في خمسة دراهم فقال اما هذا فقد مضت السنة فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن عبد الله بن مسعود رض انه قال لا يقطع اليد الا في دينار او عشرة وروي مثله عن علي رضي الله عنه وروي عن عائشة رض انها قالت لم تكن اليد يقطع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشيء التافه وما دون العشرة لا خطر له فاذا وقع التعارض بين الاخبار فالاخذ بالاكثر اولى احتياطا في درء الحد فقيل روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته ثلثة دراهم وعن انس بن مالك رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن فقيل له يا ابا حمزة كم كانت قيمته قال خمسة دراهم قيل روي عن عمر وعن عائشة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقطع اليد الا في المجن او في ثمنه وقد وقع الخلاف في قيمة المجن وكان التقويم من الرواة وليس قول البعض حجة على البعض فلا يصير معارضا لما رويناه من الاحاديث ولانا لا نحتمل على قوم بالعشرة اولى لاختيار الدرء للحد ولانه لا يخلو اما ان كان في مجن واحد او في مجان مختلفة فان كان في مجن واحد فاما ان كان في وقت واحد او في وقتين مختلفين فان كان في وقتين فليس المخالف فيه حجة لانه يختلف الزيادة والنقصان باختلاف الاوقات فيحتمل ان المجن حين كان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في سرقته كانت قيمته عشرة ثم انتقص سعره حين قوم البعض بخمسة ثم انتقص حين قوم الاخر بثلاثة ويحتمل على العكس ان قيمته كانت اقل ثم زادت قيمته فلا يمكن ايجاب القطع بما دون العشرة مع الاحتمال ولا شك في العشرة وان كانت الرواية في وقت واحد كانت الروايات متعارضة اذ لا يتحقق ان يكون قيمته في وقت واحد مختلفة فيجب الاخذ بالاكثر احتياطا لاثبات الحد ولما اذا كان في مجان مختلفة فانه يخرج على التناسخ لانه لا يتفق في وقت واحد فيكون في اوقات مختلفة فقطع في مجن قيمته عشرة في وقت وقطع في سرقة مجن قيمته خمسة في وقت اخر وقطع في مجن قيمته ثلثة في وقت اخر والنبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقطع يد السارق الا في المجن او ثمنه والمراد مجن واحد فان كان الاول قيمته عشرة صار منسوخا بالاخر الذي يكون قيمته اقل وان كان على العكس ولا يدري التاريخ يجب اعتبار الاكثر حتى لا يؤدي الى ايجاب القطع مع الشك فلم يتعين وقت واحد لا يكون حجة لما قلنا في الاوقات ولان من السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اختلافا في نصاب السرقة قال ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن عمر وابن الحسن وابو جعفر وعطاء وابراهيم رضي الله عنهم لا يقطع الا في عشرة دراهم وروي عن عمر وعلي وانس بن مالك وعروة والزهري وسليمان بن يسار رحم لا يقطع الا في خمسة دراهم وروي عن عائشة رضي الله عنها القطع في ربع قال ابن عمر يقطع في ثلثة دراهم وروي عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما انه يقطع في اربعة دراهم وعن الحسن البصري رض انه قال يقطع في درهم وهؤلاء السلف مع اختلافهم في المقدار اتفقوا على ان القطع لا يجب الا في المقدر ومتى انتقص عنه لا يجب وانما يثبت المقادير بالتوقيف او بالاجماع ولم يثبت التوقيف فيما دون العشرة لمكان التعارض ولم يثبت الاجماع لمكان الاختلاف وفي العشرة اتفاق واجماع فوجب الاخذ بها والله اعلم

قوله تعالى نكالا من الله اي عظة وزجرا من الله تعالى للسارق وغيره لانه متى ذاق وبال امره في الظاهر ارتدع من مثل ذلك في المستقبل وكذلك من قام غيره انه يقطع يده فيمتنع عن مثل فعله حتى لا يعاقب بمثل عقوبته

قوله فمن تاب من بعد ظلمه واصلح اي تاب عن السرقة واصلح ما كان في حال سرقته فان الله تعالى يتوب عليه ان الله غفور رحيم وعد الله تعالى المغفرة لمن تاب عن السرقة واصلح ما كان يفسد في حال السرقة حتى انه [illegible] ما يسقط عنه في حال الشرك اذا اسلم ما هو حقوق الله تعالى الصلاة وغيرها من ضمان النفس والمال جميعا وفرق بين هذا وبين المسلم اذا تعاطى ما هو حرام في دينه ثم تاب فانه لا يسقط عنه الحدود والفرق بينهما ان الحربي

احدهما ان الكافر لو اخذ بعد الاسلام بما كان تعاطاه في حال الكفر يمنعه ذلك عن الاسلام فيكون في العقوبة في
حال الكفر يمنعه ذلك عن الاسلام فيكون في العقوبة في اقامة الحدود عليهم بعد التوبة من الفساد اكثر من الصلاح
واما المسلم اذا اخذ بذلك بعد التوبة لا يؤدي الى هذا بل اذا لم يؤخذ بما كان فعله بعد التوبة يدخل في ذلك
لانه كلما اراد ان يقام عليه الحد يظهر التوبة ليسقط عنه الحد ثم يعود ثانيا الى ما لا ينبغي فيعمل في الارض بكل
الفساد من غير الحقيقة ضرر وكل جان يفعل هكذا فيفوت حكمة شرع الحدود ويشيع الفساد في الارض وكذلك
اخذ بعد الاسلام بعد التوبة حتى انه اذا كان في موضع يفضي الى الفساد ولو لم يقبل توبتهم لقتلناهما او ذلك في
والسارق اذا تاب قبل ان يقدر عليه اذ لو لم يقبل لكان يتمادى في الفساد فيفضي الى تلف النفس وقد علمنا حيث
الغالب يحقق توبته حيث حضر الينا اختيارا مع قدرته على الامتناع والفرار بخلاف ما اذا قدرنا عليه لان
ثم الظاهر ان اظهار التوبة عن ضرورة لا عن اختيار فلا يترك الفساد بعد ذلك الا لنا والله اعلم والثاني ان الكافر
ما يتعاطاه من كفره انما يتعاطاه تدينا واعتقادا انه الحقيقة فيه فاذا ظهر له بطلان ذلك الدين ورجع عنه ودان
بدين آخر ظهر له دليل حقيقته فاذا ترك ما كان نحله مما في ملة الدين الذي رجع اليه وكان حلالا في دينه الذي كان
وتاب عن الاول تكون توبته بطريق الحقيقة لان الظاهر انه لا يترك الدين الذي هو عليه الا لتعلق بطلانه
على هذا عادة المتمسكين بالاديان حتى لا يتركها بالسيف واذا ظهرت التوبة بطريق الحقيقة فلا حاجة الى الحد
للزجر وقد يتحقق الانزجار في المستقبل وما شرعت الحدود الا للزجر عن الجنايات في المستقبل بخلاف المسلم فانه
ليس يتعاطاه تدينا واعتقادا انه الحقيقة ولكنه يتعاطاه شهوة وطبيعة فلا يظهر حقيقة توبته عند الامام كقوله الحال
الى التناجر قائمة في حقه ظاهرا فيجب القول بالاقامة والله اعلم ثم قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب لانه قال فاقطعوا ايديهما ولا يحتمل ان يتبين جميع شرائط
السرقة التي يجب فيها القطع وقت نزول الخطاب للسمع ولكن انما يتبين بعد الحاجة بعد السؤال عن ذلك
وفي هذا دليل جواز القياس لان فاقامة اهل القياس قيل ان الاية نزلت في طعمة بن ابيرق حين سرق درعا من جاره وهكذا
المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وكانه فيما تم صار الحكم جاريا في السارقين اذا ارتكبوا السرقة بالقياس عليه وقوله تعالى
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء الاية ذكر هذا والله اعلم على اثر
قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وعلى اثر قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واخبر ان له ملك
السموات والارض وله ان يعذب من يشاء بعد التوبة وقبل التوبة وله ان يغفر لمن يشاء فلا يعذب بعد التوبة
لان المحارب والسارق اذا اظهر التوبة قبل ان يقدر عليهما وقد رد المال الى اربابه لا يؤخذ بالحد واذا تابا
بعد الظفر بهما واخذ المال لا يسقط عنهما الحد فالاية تنقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الصغيرة مغفورة
ليس له ان يعذب عليها من حيث الحكمة والكبيرة تخلد صاحبها في النار وليس له ان يعفو عنه بطريق الحكمة ولو كان
الامر على ما قالوا لبطل فائدة التخيير بل يكون التخيير بحجة اختيار ان يعذب على السفه اذ العفو عن الصغيرة واجب
عليه حكمة والتعذيب على المعصية الكبيرة واجب حكمة وترك الحكمة من باب السفه تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية ليس هذا على النهي وانه كان يصنعه صنيعة
المعاتب لان الحزن يظهر بايجاد الله تعالى من غير اختيار العبد فلا يكون من الافعال الاختيارية والنهي لا يرد الا
عن الفعل الاختياري ثم يحتمل وجوها احدها اي لا يحزنك كفر من كفر منهم فتحمل على نفسك بسبب كفرهم
ما يمنعك عن القيام بما امرت به من التبليغ مما يلحقك من المشقة والتعب فيكون نهيا عن تحميل المشقة والتعب
عن نفسه بسبب شدة رغبته في اسلامهم ونزوعهم عن الكفر وهو كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وكقوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات مما يشتد به الحزن بكفرهم لشدة
رغبته في اسلامهم ويحتمل قوله ولا يحزنك تمرد هؤلاء وتكذيبهم اياك فان الله تعالى ناصرك ومظهرك
عليهم ويحتمل ولا يحزنك سوء صنيع هؤلاء الكفرة فانك لن تؤاخذ بصنيعهم بل هم الذين يؤاخذون
به وهو كقوله تعالى فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ثم في قوله تعالى يا ايها الرسول دلالة تفضيل رسولنا
عليه السلام على غيره من الانبياء والرسل عليهم السلام لان الله تعالى في جميع ما خاطبه خاطبه بالرسالة والنبوة
فقال يا ايها الرسول يا ايها النبي ولم يخاطبه باسمه الا حرفيه واما ذكر اسمه في بعض المواضع بطريق الاخبار و
خاطب سائر الانبياء باسمائهم يا نوح ويا موسى ويا ابراهيم ويا عيسى وهذا من اعظم انواع التشريف
وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اختلف فيه قال بعضهم هم المنافقون دون
اليهود فان هذا علامة المنافقين ان يظهروا الايمان باللسان وقلوبهم كافرة الا ترى انه قال بعده ومن الذين
هادوا والمعطوف غير المعطوف عليه وقيل هم المنافقون واليهود وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما

ومن الذين

ومن الذين هادوا والمعطوف غير المعطوف عليه وقيل هم المنافقون واليهود وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وقوله تعالى ومن الذين هادوا ابتداء الكلام ثم هذه الاية تدل على ان الايمان هو التصديق لا غير والقول
باللسان ليس بشرط لكن اللسان يعبر عن القلب فهو ترجمان عما في الضمير فيما بين الخلق في حق الاحكام الدنيوية
الا ترى انه قال لم تؤمن قلوبهم ولان الايمان هو التصديق في اللغة ولا نضده التكذيب والتكذيب بالقلب
كفر فكذلك التصديق بالقلب يكون ايمانا وهذه الاية تدل على ان الايمان ليس هو المعرفة لان ضد المعرفة
الجهل دون التكذيب فلو كان الايمان هو المعرفة لكان ضده يجب ان يكون جهلا ولان المعرفة قد تقع في القلب
على غير اكتساب من العبد بطريق الضرورة والتصديق لا يكون الا باكتساب فبهذا بطل مذهب جهم حيث قال
الايمان هو المعرفة ونحن نقول هو الايمان هو التصديق لكن التصديق لا يكون بدون المعرفة والمعرفة
تكون بدون التصديق فان الكفار قد عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصدقونه وقوله تعالى سماعون
لقوم آخرين لم ياتوك اي يستمعون الى النبي صلى الله عليه وسلم لاجل ان يكذبوا عليه سماعون لقوم آخرين
اي قائلون لقوم آخرين لم يحضروا مجالس النبي صلى الله عليه وسلم يخبرون على سبيل الكذب وانهم كانوا يستمعون
الى النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرون من لم يحضر مجلسه عليه السلام خلاف ما سمعوا منه كذبا وقيل انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول ان في التوراة كذا من الاحكام والشرائع فاذا سمع هؤلاء ذلك منه قالوا لاولئك الذين
لم ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون انه كاذب وليس في التوراة ما يقول هو ونحو ذلك وقيل انهم
كانوا طلائع الكفرة وعيونا لهم فاذا انطلق الكفرة حتى يخبر في ضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف
ما اتاهم من يخبرهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخبرونهم كي لا يخرجوا الى الغزو مع النبي صلى الله عليه
وسلم والله اعلم بذلك وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه قد ذكرنا تاويل التحريف على وجهين احدهما
تبديل الكتابة بغيرها والثاني على السفلة ما لا يعرفون غير ما فهموا منه وقوله تعالى يقولون ان اوتيتم هذا
فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا اي يقولون للعوام والسفلة اذا اتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بهذا المنسوب
بهذا المحرف وتركوه وعلموا السفلة على خلاف ما في التوراة عبارته او معنى اي ان اتاكم محمد على هذا الوجه الذي
علمتم فخذوه وان لم تؤتوا فاحذروا اي لم ياتكم محمد الوجه الذي علمتم فاحذروه عن قبول ذلك والاخذ به وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الاية نزلت في رجل وامرأة زنيا وكان حكم الله تعالى في التوراة في الزنا الرجم وكانوا
يرجمون الوضيع منهم اذا زنا ولا يرجمون الشريف فكان هذا الزاني والزانية من شرف وموضع وكانا قد احصنا
فكرهت اليهود رجمهما وفي كتابهم الرجم فكانوا ارادوا ان يرتفع الرجم من بينهم وان يكون حدهم الجلد فتواضعوا
ان يسألوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن حد الزاني فان امر بالجلد اخذوا به وان امر بالرجم لا فذلك قوله تعالى
خبرا عنهم يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه يعني الجلد فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروه فكتبوا بذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسألوا عن ذلك فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما وهل تجد فيهما
الرجم فيما انزل الله تعالى اليك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا
نعم فنزل جبريل بالرجم فقال ان ابوا فابعث بيضا الفهم عن رجل منهم يقال له ابن صوريا ووصف حليته
ذلك لرجل للنبي صلى الله عليه وسلم فاجعله بينك وبينهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم خبرنا ان الله تعالى على ان الزانية والزاني اذا احصنا وحرما كان عليهما الرجم فنفروا عن ذلك فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتعرفون رجلا شابا نصفته كذا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا
هو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله تعالى على موسى بن عمران عليه السلام قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم
ابن صوريا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا فقال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك
يزعمون قال اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم قد رضينا به اذا رضيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى عليه السلام هل تجدون في كتابكم الذي
اتاكم به موسى عليه السلام الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني بالنار
او كذبت او غيرت ما اعترفت لك وفي هذا الحديث وجوه من الدلائل احدها اثبات الرسالة فانه سأله
عما كتموا من الاحكام والحقوق التي بينهم وبين الله تعالى حتى ظهر كتمانهم وخيانتهم في ذلك ليظهر خيانتهم
وكذبهم فيما كتموا من نعته صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى والثاني انهم طلبوا منه
الرخصة والتخفيف في الحدود لانهم عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنهم عاندوا فدل انهم عرفوا انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وفيه دلالة جواز شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض فانه صلى الله عليه وسلم
قبل شهادة ابن صوريا عليهم حيث شهد بالرجم وقال بعضهم نزلت الاية في قتيل قتل عمدا بين قبيلتين بني قريظة

وبني النضير وكان القتيل من بني قريظة وكان بنو النضير لهم شرف فكانوا اذا قتلوا من بني قريظة عمدا لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية فاذا قتلوا خطأ لم يعطوهم دية كاملة وانما يعطوهم نصف الدية وكان بنو قريظة لم يرضوا بذلك وكانوا اذا قتل بنو قريظة من بني النضير عمدا لم يرضوا الا بالقود واذا كان خطأ لم يرضوا الا بدية كاملة يتعززون بحكمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال رجل من هؤلاء فقيل لبني النضير ان قتلكم قتل عمد او انا اخشى عليكم القود فانه كان محمد امركم بالدية وقيل منكم فاعطوه ولا تكونوا منه على حذر فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام بما قالوا فقال يقولون ان اوتيتم هذا يعني الدية فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فلا يبدي منهم كانت القصة وكيف ما كان ففيه اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم بما تضمن الاخبار عن الغيب والله اعلم وقوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا • قيل فتنته عذابه واهلاكه معناه ومن يرد الله هلاكه وتعذيبه فلن تملك احد دفع ذلك العذاب عنه وقيل الفتنة المحنة والتكليف اي ومن يرد الله ان يمتحنه بالرجم والقتل فلن تملك احد دفع ذلك عنه وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم • الاية حجة على المعتزلة فانهم يقولون ان الله تعالى اراد الايمان من كل كافر واراد تطهير قلوب الكفرة باسرهم والله تعالى يخبر انه لم يرد ان يطهر قلوبهم فيقول لهم أانتم اعلم ام الله وفيه دلالة اثبات الارادة لله تعالى فيكون حجة على المعتزلة والوجه عندنا ان الله تعالى لم يرد ان يطهر قلوب هؤلاء الذين اخبر عنهم لما علم منهم انهم لا يختارون الايمان وانما اختاروا الكفر فانما اراد منهم ما علم وجوده منهم دون ما لم يعلم انه لا يوجد منهم وهو الايمان وفي الجملة عندنا الكفر والايمان تحت ارادة الله تعالى ومشيئته فان علم من انسان الايمان اراد وجوده منه ليتحقق ما علم على ما علم ثم من انكر من المعتزلة الارادة اعتد وقال معنى قوله تعالى اولئك لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي لم يطهر قلوبهم لانا لا نذهب عندهم ان الارادة لله تعالى لكن متى اضيفت الارادة اليه مقرونة بفعل كان المراد ذلك الفعل فمن قال بالارادة وقال بعموم الارادة في جميع الحوادث اول فقال معنى الاية اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بالشرك لا ان تطهر قلوبهم بالشرك لان تطهير القلوب بالايمان لا بالشرك على الحقيقة انها تأويل بعيد لانه كيف تطهر قلوبهم بالكفر وبالكفر يتنجس قلوبهم فهذا ليس امر يشكل على احد لم يرد فيه البيان وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم • الخزي في الدنيا القتل والجزية وفي الاخرة العذاب وقوله تعالى سماعون للكذب يحتمل اي يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغيروا قوله ليكذبوا عليه ويحتمل قابلون لما يلقي اليهم من الكذب وقوله تعالى اكالون للسحت • قال بعضهم السحت كل حرام لان اصل السحت الاستئصال يقال اسحته اسحاتا اذا استأصله واذهبه قال الله تعالى فيسحتكم بعذاب اي يستأصلكم به ويقال اسحت ماله اذا افسده واذهبه فسمى الحرام سحتا لانه لا بركة فيه لاهله ويهلك به صاحبه هلاك الاستئصال فان كان التاويل هذا فهو يعم جميع الكفرة او اكثرهم وقيل السحت هو الرشوة في الحكم كذلك ويحكى عن علي رضي الله عنه وعن ابراهيم والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك والشعبي انهم قالوا السحت الرشوة فان كان التاويل هو الرشوة في الحكم فيرجع ذلك الى رؤسائهم الذين يحكمون فيما بينهم وياخذون على ذلك الرشا وقيل السحت هو الهدايا التي تهدى الى الامير والحاكم ونحوهما فانه روي عن مسروق رضي الله عنه انه قال سألت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن السحت اهو الرشوة في الحكم قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ولكن السحت ان يستشفع بك على امام فتكلمه فيهدي لك هدية فتقبلها وعن مسروق قال لعمر رضي الله عنه وقلت يا امير المؤمنين ارأيت الرشوة في الحكم من السحت قال لا ولكن كفر انما السحت ان يكون لرجل جاه ومنزلة ويكون للآخر الى السلطان حاجة فلا يقضي حاجته حتى يهدي اليه وقال مسروق رضي الله عنه ان القاضي اذا اخذ الهدية فقد اكل السحت واذا قبل الرشوة بلغت به الكفر ويروى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هدايا الامراء من السحت وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم • قال بعضهم هو على التخيير اذا رجع اهل الذمة الى الامام فان شاء حكم بينهم بما هو الحكم في شريعتنا وان شاء ردهم الى اهل دينهم واحكامهم وخلى بينهم وبين احكامهم وهو قول الحسن وابراهيم والشعبي رضي الله عنهم وقال آخرون بان التخيير كان في الابتداء ثم صار منسوخا فمتى رفعوا الامر الى الامام يحكم بينهم حتما من غير تخيير فانه روي عن مجاهد وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال لا يات نسختا من سورة المائدة آية القلائد وقوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وردهم الى احكامهم حتى نزل قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحكم بينهم بما انزل الله في كتابه وعن مجاهد رضي الله عنه انه قال فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض

عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا بين الحكم بينهم او ان يعرض عنهم ويردهم الى احكامهم حتى نزل قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحكم بينهم واعرض عنهم نسخه قوله وان احكم بينهم بما انزل الله وهكذا روي عن عكرمة رضي الله عنه ويحتمل الجمع بين هذه الاية وهو ان قوله فان جاؤك فاحكم بينهما واعرض عنهم في قوم من اهل الحرب يدخلون دار الاسلام بامان قبل ان يقبلوا لهم الذمة ويدخلوا تحت احكام الاسلام بالجزية فكانوا اذا رفعوا الامر الى الامام بالخيار ان شاء ردهم الى مأمنهم عليهم امانهم وان شاء تركهم على الامان وحكم بينهم فذلك معنى التخيير فلما امر الله تعالى باخذ الجزية منهم وضرب عليهم احكام الاسلام فالامام يحكم بينهم بما انزل الله فيكون حكم الايات جميعا ثابتا التخيير في اهل الحرب الذين ليس بيننا وبينهم عقد ذمة ولكن نوع هدنة وموادعة وايجاب الحكم بما انزل الله تعالى في اهل الذمة الذين بحكمنا فيهم اذا رفعوا الامر الينا يجب علينا ان نحكم بينهم ولا نرد عليهم ما طلبوا منا من اجراء الحكم عليهم لانه ليس لنا فسخ ما اعطيناهم من عقد الذمة وهم قد رضوا بحكمنا فلذلك لزم الحكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على هذا التاويل بعض ما عكرمة عنه رضي الله عنهما قال ان قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم نزلت في الدية بين بني قريظة وبني النضير وذلك ان بني النضير كان لهم شرف يدون دية كاملة وان بني قريظة يدون نصف الدية فتحاكموا في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية سواء ومعلوم ان بني قريظة وبني النضير لم يكن لهم ذمة قط فان النبي صلى الله عليه وسلم اجلى بني النضير وقتل بني قريظة ولو كان لهم ذمة لما كان اجلاهم ولا قتلهم وانما كان بينه وبينهم عهد وهدنة فنقضوها فاخبر ابن عباس رضي الله عنهما ان اية التخيير نزلت فيهم لا في اهل الذمة وروي عن ابن عباس رض في رواية اخرى وعن الحسن ومجاهد والزهري رض ان هذه الاية نزلت في شأن الرجم حين تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء ايضا لم يكونوا اهل الذمة وانما تحاكموا اليه طلبا للرخصة وزوال الرجم على ما ذكره وعلى هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان اهل الذمة يجري عليهم جميع احكام المسلمين اذا رفعوا الينا في البيوع والمواريث وغيرها الا في بيع الخمر والخنزير لعقد الله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واية التخيير اما منسوخة بهذه الاية كما قال اكثر السلف او تكون نازلة في غير اهل الذمة من اهل العهود ولم يرد على وقال اما الناس الحاكم مخير بين ان يحكم بينهم اذا اختصموا اليه وبين ان يردهم الى حكامهم ويعرض عنهم في العقود والمواريث وغيرها اذا لم يرفعوا الينا فانهم يقرون على احكامهم ولا يتعرض لهم ولا يعترض عليهم فيها فاما اذا رفع الخصمان جميعا نحو الزوجين يحكم بينهما بحرمته وكذا ما لا يكون جائزا في الاسلام فانه كان يتعرض لذلك ويجري عليهم احكام المسلمين الا في النكاح بغير شهود والنكاح في العدة فانه لا يفرق بينهما كما بعد في هذين العقدين فاما اذا رفع احدهما ورضي بحكمنا ولم يرض الاخر او لم يرض قال ابو حنيفة رض لا نحكم بحكم الا ولا يتعرض لذلك وقال محمد رض اذا رضي احدهما ورفع الامر اليه حملا جميعا على احكامنا وقال ابو يوسف رضي الله عنه يحملون على احكامنا وان ابوا الا في النكاح بغير شهود وقال زفر رض يحملون في النكاح بغير شهود على احكامنا ايضا وحجة ابي يوسف وزفر ظاهر قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم وابو حنيفة رح احتج بقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فشرط مجيئهم للحكم عليهم واثبت التخيير بين الحكم والاعراض الا انه قد قام الدليل على نسخ التخيير ولم يقم الدليل على نسخ شرط المجيء فيكون حكم الشرط باقيا فاذا وجد مجيء احدهما دون الاخر فلم يوجد شرط فلا يحكم ومحمد رح يقول كان رضي بحكم الاسلام يلزم حكم الاسلام في حقه فيتعدى الى الاخر ضرورة كما اذا اسلم احدهما ولكن ابو حنيفة رض يقول ان الرضاء بالحكم ليس نظير الاسلام الا يرى انه لو رجع عن الرضا قبل الحكم عليه لم يلزمه اياه وبعد الاسلام لا يمكنه ان يأبى الرضاء باحكام الاسلام واذا لم يتحكم في الشرع الا رضاه في فلا يتعدى الى غيره وجعل في حق الغير كالعدم بخلاف الاسلام والله اعلم وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا • يحتمل وجهين احدهما ان الاعراض عنهم يقع موقع الجفاء في حقهم ويعدون ذلك جفاء فالله تعالى امن نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام عن ان يلحقه ضرر منهم وان يلحقهم منه ضرر الجفاء والثاني فيه نفي الحرج عن الاعراض عنهم والامتناع عن الحكم في حقهم والتخلية بينهم وبين احكامهم اي ليس عليك ضرر مما هم عليه وما هم يرد ذلك عليهم وهو كقوله تعالى فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل ان الله يحب المقسطين اي العادلين في الحكم وقوله تعالى وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله • عجب نبيه صلى الله عليه وسلم شدة سفههم وتعنتهم بتركهم الحكم بالذي صدقوا وطلب الحكم ممن لم يصدقوا بالتوراة وما فيها من الحكم وكذبوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم كانه يقول والله اعلم اذا لم يعملوا بالذي صدقوا به فكيف يعملون بالذي يكذبون كان هذا تعجيبا للرسول صلى الله عليه وسلم وتعيير

الكفرة لان التحاكم الى النبي صلى الله عليه وسلم ليس بواجب عليهم فان الحكم المشروع في حقهم ما هو منزل على رسولهم صلى الله عليه وسلم لكن غرضهم اسقاط ما اعتقدوا حقا بزعمهم في التوراة من الرجم والقصاص الاحكام التي هي شريعة النبي صلى الله عليه وسلم منسوخة وكذلك غيرهم ويحتمل انهم يتحاكمون اليك تصديقا منهم بنبوتك وانما طلبوا الرخصة على خلاف حكم ما انزل اليهم من الجلد في الزاني المحصن مكان الرجم والدية من العمد مكان القود وقوله تعالى وعندهم التوراة فيها حكم الله قيل حكم الله الرجم في الزاني المحصن لانهم اختصموا الى النبي في حد الزاني وهو قول الحسن رضي الله عنه وقيل في القود بين بني قريظة والنضير لانهما اختصموا في ذلك وهو قول قتادة رضي الله عنه ويحتمل التحاكم منهم اليه في الكل جميعا الرجم والقود ثم لا حاجة الى التعيين ومعناه فيها حكم الله الذي يتنازعون فيه رجما كان او قصاصا او ما كان ويتعلق بعضهم بقوله فيها حكم الله على ان شرائع من قبلنا من الانبياء لازمة لنا ما لم ينسخ فانه اخبر ان في التوراة حكم الله تعالى بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان احكام التوراة منسوخة في حقنا لم يطلق عليها حكم الله تعالى الا يرى ان تحريم السبت وتحليل الخمر بعد النسخ لم يطلق عليها حكم الله تعالى ولكنا نقول شرائع من قبلنا اذا لم ينسخ يصير شريعة لنا فلزمنا العمل بها على انها شريعتنا لا شريعتهم ولذلك قال وعندهم التوراة فيها حكم الله وقوله تعالى ثم يتولون من بعد ذلك يحتمل وجهين احدهما اي يعرضون من بعد ما يحكم بينهم بما حكمت ولا يصدقونك في ذلك ويحتمل يتولون من بعد ما عرفوا ان حكم الله تعالى عليهم في التوراة وطلبوا غير حكم الله ولم يرضوا بذلك ولذلك قال وما اولئك بالمؤمنين اي بمصدقين لك انه من عند الله ويحتمل وما اولئك بالمؤمنين اي بمصدقين لك انه من عند الله ويحتمل وما اولئك بالمؤمنين يحتجون برسالتك ويحتمل لعنطهم عما يعتقدونه حكم الله تعالى مما في التوراة وطلبهم غير ذلك الحكم ولذلك قال في اية اخرى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ولم يرد ان الحكم الله تعالى الحكم بغير ما انزل الله تعالى واراد ان حكم الله في بطلان قول المعتزلة في القول بين المنزلتين فانه ذكر ههنا وما اولئك بالمؤمنين ثم سماهم كافرين في اية اخرى ولم يجعل درجة ثالثة بين الكفر والايمان فمن جعل بين الكفر والايمان درجة ثالثة فقد خالف الكتاب وقوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور قيل هدى من الضلالة ونور من العمى وقيل فيها هدى يعني استهدى ونور لمن استنار به من العمى وقوله تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والاشكال انه قال النبيون الذين اسلموا فذكر الوصف المتنوع وليس نوع منهم على خلاف هذا الوصف ان الانفصال الخلف فيه قال بعضهم في الاية تقديم وتأخير معناه والله اعلم يحكم بها النبيون والربانيون والاحبار الذين اسلموا اذ من الاحبار الذين اسلموا ومن الاحبار الذين لم يسلموا الاحبار من قد اسلم حتى يكون النبيين والاحبار الذين اسلموا يحكمون بجميع ما في التوراة للذين هادوا اي على الذين هادوا فاما الاحبار الذين لم يسلموا فقد بدلوا الاحكام ويحكمون بهواهم وقيل يحكم بها النبيون الذين اسلموا امرهم وانفسهم لله عز وجل وخضعوا له وانقادوا لاوامره حكموا بما فيها وان خافوا على انفسهم الهلاك على الذين هادوا او الذين هادوا ان اطاعوا الله وعملوا ما فيها من الحكم لانهم اذا ابتلوا اذ لم يعملوا من خبثه فيكون ذلك الحكم لهم يرجع عاقبته اليهم ويحتمل ان يكون ذلك بيان خاصيته لهم وذكر الخاصية لا يوجب التنويع في المذكور ولكن يخرج عن كون الذكر لازم وصف لازم للانبياء دون غيرهم فقد الزموا به وقد حرموا وهل الزموا به لانه تفضل الله ونبوته من نبيا وهو كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه فذكر الجناح لبيان ان من هذا الوصف للطائر لا للتنويع فيصير الطائر نوعين نوع يطير بجناحيه ونوع لا والله اعلم ثم قال الحسن وقتادة وعكرمة والزهري والسدي رضي الله عنهم ان النبي عليه السلام مراد بقوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم على الزاني منهم بالرجم بحكم التوراة لانه يومئذ لم يكن الرجم مشروعا في شريعته الا ترى انه قال حين رجمهما اللهم اني من احيا سنة ما اماتوها فدل انه حكم عليهما بحكم التوراة لا بحكم مبتدأ شريعته ولكنا نقول المراد من الاية غيره من الانبياء عليهم السلام لانه لم يكن يحكم بشريعة من قبله بل بشريعته انتسخ شريعة من قبله غير انه ما بقي مشروعا صار شريعة له لانه يحمل ما على انه شريعتهم لانه لو كان كذلك لصار كواحد من امتهم ويكون تبعا لهم وقد قال لو كان موسى عليه السلام في الاحياء لما وسعه الا اتباعي فاما حديث رجم اليهوديين كما ذكر في بعض القصة لو ثبت لا يلزم لانا نقول بانه حكم بذلك بناء على انه حكم التوراة ولكن بما ان ذلك حكما شرعيا في شريعته على طريق الخصوص في حق اولئك الزانيين لما يتضمن ذلك الاظهار معجزة النبي صلى الله عليه وسلم حيث وقع على ان الحكم كان في التوراة الرجم وانهم كتموا ذلك الحكم وفي اقامة الرجم عليهما زيادة تشهير واعلان لذلك فيزداد دليل نبوته ظهورا واشاعة فيما بين الناس لا انه صار شريعة على العموم في حق غيرهم في ذلك الوقت والدليل على انه لذلك فانه ذكر في القصة انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هل تجد فيما انزل الله تعالى عليك الرجم في الزاني اذا احصن فنزل جبريل بالرجم

فقال لهم

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنكم فيما انزل الله تعالى على الزاني والزانية اذا احصنا ونحن اذا علمنا الرجم دل انه يحكم بنا على حكم التوراة والله اعلم ويحتمل ان الرجم صار شريعة له في حق المحصن مطلقا على ما روي ان مما يتلى في كتاب الله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله الا انه نسخت تلاوته وبقي حكمه ثم صار الاسلام من شرائط الاحصان بقوله عليه السلام حين رأى في بين بعض الصحابة رضي الله عنهم شيئا فكيف يا بن التوراة انهم كونوا ثم كما هو كتاب اليهود والله اعلم وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله اي يحكم الربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله اي بما جعل اليهم الحفظ وطلب منهم ذلك يحفظون دون الحفظ وطلب الحفظ وقوله تعالى وكانوا عليه شهداء اي الربانيون والاحبار شهداء على ما في التوراة من الحكم انه من عند الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما شهداء على حكم النبي صلى الله عليه وسلم عليهما انه في التوراة كذلك ثم اختلف في الربانيين والاحبار قال الحسن رضي الله عنه الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال بعضهم هما اسمان يختلفان على مسمى واحد وهم علماء اهل الكتاب من اليهود وقيل الرباني هو العالم بدين الرب ينسب الى الرب كقولهم بحراني ينسب الى البحر وعن ثعلب قال الرباني العالم العامل وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون قال وهو السدي رضي الله عنه هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخشوهم فيما تحكم عليهم بما انزل الله من الحكم امر الله ورسوله بان يخشى من تلقى وهو الله تعالى وقيل هذا خطاب للعلماء اهل الكتاب بان لا تخشوا الناس ان تخبروهم بالحكم الذي في التوراة واخشون في كتمانه وقوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا على هذا التأويل خطاب للعلماء فيكون نهيا عن اخذ الرشوة في الاحكام وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون عن ابن عباس رضي الله عنهما اي ومن لم يحكم بحكم الله تعالى رده حقا فاولئك هم الكافرون وقال ابن مسعود والحسن وابراهيم رضي الله عنهم هي عامة اي ومن لم يحكم بما انزل الله وحكم بغيره مخبرا انه حكم الله ومن فعل هذا فقد كفر وقال بعضهم هذا في اليهود خاصة حيث حكموا بغير ما انزل الله واراد ان حكم الله تعالى وهؤلاء يقولون ان قوله ومن ليس بمعنى الشرط لكن بمعنى الجزاء والذي لم يحكم بما انزل الله كالمراد بهم علماؤهم وهذا روي عن البراء بن عازب في قصة رجم اليهوديين فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال في اليهود فان قيل ان الرجم صار منسوخا بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشروع هو الجلد فكانوا يحكمون بالجلد قيل يحتمل وجهين احدهما انهم كانوا اعتقدوا في انفسهم ان الحكم هو الرجم وهو المشروع دون الجلد الى التحاق بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن مع انكارهم ان الجلد حكم الله تعالى اظهروا انه هو الحكم في التوراة في حق الشريف والوضيع وكذلك استعملوا تسخيم الوجوه وتسويدها والطواف بهما في الاسواق على الحمار لانهم في الابتداء تواضعوا على ان الشريف منهم لو زنى يترك والوضيع اذا زنى يرجم فخرج عليهم العامة قالوا حكم الله تعالى لا يختلف بين الوضيع والشريف فاتفقوا على الجلد والتسخيم في حق الشريف والوضيع جميعا خوفا من العوام لا انه ذلك حكم الله تعالى في اعتقادهم فلهذا سماهم كافرين والثاني ما ذكرنا ان هذا الحكم بقي في حق قوم خاص وصار شريعة له صلى الله عليه وسلم ليظهر دليل عليهم بعد ما كتموا الكتاب والثالث ان الرجم بقي مشروعا وصار شريعة له في حق المسلم الحر صار مشروعا في حق الكافر ثم صار الاسلام من شرائط الاحصان بعد ذلك والله اعلم وقال الحسن وابراهيم وابو جعفر رضي الله عنهم نزلت في اليهود ثم هي علينا واجبة ان من جحد حدا ثم قال ان هذا حكم الله فهو كافر وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية ذكر في القصة ان الاية نزلت في قتيل كان بين بني قريظة والنضير وان بني النضير كانوا اذا قتلوا من بني قريظة لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير لم يرضوا الا بالقود يتعززون عليهم لما لهم من الشرف والقوة فنزل قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس اخبر الله تعالى ان المكتوب على بني اسرائيل كان هو القود بين النفس والنفس مطلقا الشريف والوضيع في ذلك سواء وانما في اية اخرى انه كتب القصاص علينا بقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى كانه قال كتب عليكم القصاص كما كتب عليهم وتعلق بعضهم بهذه الاية على ان شرائع من قبلنا يلزمنا ما لم ينص الله تعالى او رسوله على نسخها فان هذا اخبار عن الله تعالى عما كتب على بني اسرائيل في التوراة من القصاص في النفس وما دونها وفي شريعتنا انما ورد القصاص في النفس بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى لم يكن في الجراح وما دون النفس فانما عرفناه مشروعا بهذه الاية اتباعا لشريعة التوراة وقد ذكر ان ابا يوسف رحمه الله استدل بظاهر هذه الاية على اجراء القصاص بين الرجل والمرأة بقوله ان النفس بالنفس من غير فصل بين الذكر والانثى ولكنا نقول لا حجة لهم في هذه الاية على دعواهم من وجوه احدها ان قوله وكتبنا

عليهم فيها ان النفس بالنفس ان كان اخبارا عن بني اسرائيل فقد احتج بانه اجرى القصاص في الانفس في شريعتنا بقوله كتب عليكم القصاص واما قوله والعين بالعين فقرأ بعض القراء المعروفين بالرفع على ابتداء الايجاب لا بطريق الاخبار عن بني اسرائيل وقرأ بعض القراء المعروفين بالنصب الى قوله والجروح قصاص فانه بالرفع على ابتداء الايجاب واستدلوا بقوله فمن تصدق به فهو كفارة له لانه يحتمل ان يذكر هذا في الخبر لانه ترغيب في العفو وذلك في الحادث من الوقت لا في الوقت الماضي ولان نعمل به على طريق الابتداء فصار القصاص فيما دون النفس مشروعا بالايجاب علينا ابتداء لا بحكم شريعة من مضى من الانبياء عليهم السلام وكذا في النفس مطلقة من قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم يتناول ما دون النفس وكذا قوله تعالى وان عاقبتم بمثل ما اعتدي عليكم يتناول ما دون النفس وكذا قوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وكذا يمكن الاستدلال بالنفس لان ايجاب القصاص في جملة النفس ايجاب في اجزائها بعضها ببعض دون الامكان والثالث انه هذا وان كان اخبارا عن بني اسرائيل لكنه يصير شريعة لنا بالتقرير في حقنا لانه نص تعالى علينا من غير انكار ونحن نسلم ان بعض شرائع من قبلنا تصير شريعة لنا اذا بقيت ولهذا استدل ابو يوسف رح بهذه الاية وهو كما اذا استدل محمد رح في الشرب بقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم المذكور ولهذا المعنى قرأ بعض القراء المعروفين بالنصب الى اخر الاية مع قوله فمن تصدق به فهو كفارة له لانه وان كان اخبارا صيغة فالمراد هو تقرير الشرع في حقنا فلذلك بني عليه قوله فمن تصدق به فهو كفارة له فان قيل كيف اوجبتم القصاص في اليد والرجل وليس في الاية بيانهما قيل عن هذا من وجهين احدهما ان ذلك مذكور في قوله والجروح قصاص فانه عام في كل جرح يمكن فيه القصاص والثاني ان ايجاب القصاص في العين والاذن والانف ايجاب في اليد والرجل لان المنفعة بالبصر والسمع والشم ليس لصاحبه فاما المقصود ان ينتفع باليد والرجل وغيره فكان ايجاب القصاص في العضو المنتفع به على الخصوص في حقه ايجابا في العضو الذي هو منتفع به في حقه وفي حق غيره بطريق الاولى فذكر في هذه الاعضاء دون اليد والرجل استدلالا بوجوبه فيما هو اخفى على وجوبه فيما هو اظهر والله اعلم فان قيل لماذا خص الاسنان بالقصاص فيها دون غيرها من العظام قيل لان الاسنان بادية ظاهرة يقع عليها النص فيقدر على الاقتصاص فيها من غير تعد [illegible] فاما غيرها من العظام باطنة يغلوها الجلد واللحم ونحوهما لا يقدر على الاقتصاص فيها الا بتعد دليل على التعدي من قطع حمل اللحم وكسر عظم اخر فلهذا خص الاسنان والله اعلم ثم في ذكر القصاص في الانف والاذن ليس فيهما الا ذهاب البهاء والجمال دون المنفعة دليل على وجوب القصاص في ذهاب البهاء كما في ذهاب المنفعة فيجب ان يقول بوجوب القصاص او الدية في حلق اللحية اذا لم ينبت لما فيه الجمال على حسب ما اختلف فيهما والله اعلم وهذه الاية تدل على جريان القصاص بين الرجال والنساء بعمومها لان اسم النفس يقع على الكل وظاهرها يقتضي التسوية بين الكل فيما دون النفس لكن خص وجوب القصاص فيما دون النفس بين الاحرار والعبيد والرجال والنساء لما قد ذكرنا ان التساوي في الانفس سقط اعتباره باجماع الامة حتى قالوا في الجماعة اذا قتلوا واحدا يقتلون به مع قيام التفاوت الفاحش والاجماع فيما دون النفس في اعتبار المماثلة في ذلك وبين الاحرار والعبيد والرجال والنساء تفاوت في الاطراف التفاوت في القيم فلذلك لا يقع [illegible] على ما تقدم ذكره وقوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له اختلف فيه روي عن عبد الله بن عمرو والحسن وقتادة وغيرهم رضي الله عنهم ان هذه في ولي الدية والمجروح اذا عفا عما ارتكب من كذا وبدا على ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تصدق بدم فما دونه كان له كفارة من يوم ولد الى يوم تصدق به وقال بعضهم اي كفارة للقاتل اذا عفا الولي كانهم جعلوا العفو في حقه كانه لم يجن والاول كانه اقرب لان قوله فهو كفارة له انه يحمل على ما هو الاصل لان الواجب كلمة الجزاء من هو داخل تحت كلمة الشرط كقوله من دخل دار ابي سفيان فهو امن ونحو قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون يحتمل ان يجري على ظاهرها ان من لم يحكم بالقصاص على هذه الوجوه في الاية فهو من الظالمين والظالم المطلق ان كان اسما للكافر لانه هو الظالم من كل وجه فاما المسلم ظالم من وجه دون وجه لكن المطلق قد يراد به المقيد فكان معناه ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص فهو من الظالمين بالامتناع عن ذلك ويحتمل ان يكون المراد بالاية الكافر فيكون معناه ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا له او من يحكم بما انزل الله ويحكم بغيره مخبرا انه حكم الله فذلك كافر عند الجميع وقوله تعالى وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم اي اتبعنا بعيسى نبيهم على اثارهم وهو من القفا ويقال على اثارهم يحتمل على اثار من انزل عليهم وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه من التوراة اي اتبعنا بعيسى مصدقا لما بين يديه من التوراة فهو نعت

عيسى عليه السلام وهذا يدل على ان الانبياء عليهم السلام كان يصدق بعضهم بعضا فيما انزل عليهم من الكتب تقدم او تأخر وقوله تعالى وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور اي هدى من الضلالة لمن تمسك به ونور من العمى لمن استنار به وقوله مصدقا لما بين يديه من التوراة اي آتيناه الانجيل مصدقا لما بين يديه من التوراة فيكون نعتا للانجيل وهذا يدل على ان الكتب يصدق بعضها بعضا على بعد الاوقات ولم يقع بينها اختلاف وتناقض ليعلم ان الكل نزل من عند واحد حكيم عليم تعالى عن المناقضة في كلامه وقوله تعالى وهدى وموعظة للمتقين يحتمل وموعظة للمؤمنين لان المؤمن هو الذي يتعظ ويحتمل قوله وموعظة للمتقين ما ذكر في قوله فمن تصدق به فهو كفارة له ترغيب في العفو وقوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اي بما انزل الله فيه من الاحكام التي يجب بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وصارت شريعة له فامرهم بالاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اذ معلوم انه لم يرد بالحكم بجميع ما انزل فيه على خلاف ما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم لان اعتقاد ذلك الحكم مما يكون كفرا فكيف يأمرهم بذلك وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ذكر في موضع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي موضع الظالمون وفي موضع الفاسقون فامكن ان يجعل الكل واحدا ومعناه ومن لم يحكم بما انزل الله جحودا به واستخفافا فهو كافر فاسق ظالم لان الفسق هو الخروج عن الامر والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والخارج عن الامر مطلقا والواضع للشيء في غير موضعه على الاطلاق هو الكافر لان المطلق ينصرف الى الكامل من كل وجه والمسلم لا يتصور ان يخرج عن الاوامر كلها فانه مؤتمر الامر براس العبادات وكذا لا يتحقق منه وضع جميع الاشياء في غير موضعها ويحتمل ما ذكر من الكفر بترك الحكم بما انزل الله جحودا منه وانكارا وما ذكر من الظلم والفسق نوع من حق المسلمين لانه قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له وذلك يتحقق في حق المؤمنين على تأويل من صرف الاية الى القاتل وانما ترك الحكم بما انزل الله تعالى اتباعا لهواه لا جحودا فخفت ظلم انفسهم وفسقوا لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والفسق هو الخروج عن الامر كما قال تعالى عن ابليس ففسق عن امر ربه ثم ذكر الظالم والفاسق مطلقا والمراد منه المقيد على الاصل المتعارف في ذكر المطلق على ارادة المقيد وذكر العام على ارادة الخاص ولكن المراد من الاية والله اعلم هو الذي لم يحكم بما انزل الله تعالى على طريق العصيان مع العلم به دون من امتنع عن ذلك بالجهل منه بذلك لانه يستحيل في العقل ان يقال للخاطئ انه فاسق وان كان الذي يفعله عن جهل به يقال انه فعل ظلم وفسق لانه وضع الشيء في غير موضعه وخرج عن امر ربه ولكن يقبح اطلاق الاسم عليه في التعارف والله اعلم وقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب وهذا خطاب للنبي عليه السلام انه انزل اليه القرآن مصدقا للكتب المتقدمة وقوله تعالى ومهيمنا عليه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم مهيمنا اي امينا وقال الحسن رض مؤتمنا عليه وقال الكسائي رحمه الله المهيمن الشاهد وقيل الرقيب والحفيظ ومعناه انه امين عليه ينقل ما في الكتب المتقدمة على حقيقته من غير تحريف بالزيادة والنقصان فيظهر به ما غير وحرف ويعرف المغير والمحرف لان الامين على الشيء مصدق عليه وكذلك الشاهد وقيل مهيمن مفسد لذلك وقال ابو بكر الكيساني رح هي كلمة ماخوذة من كتبهم معربة غير ماخوذة من لسان العرب ذكر في التفسير ليعلم انه انما عرف ذلك باعلام الله تعالى لا عن لسان لم يكن يعرفه فاما لسان العرب فلذلك هو شاهد وحافظ على غيره من الكتب والله اعلم وقيل هذا كان قولهم ومهيمنا عليه نعت الكتاب به قال ابن عباس والحسن وغيرهما رضي الله عنهم ان القرآن مهيمن على الكتب المتقدمة شاهد عليها وقال مجاهد رضي الله عنه المراد النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق يحتمل بما انزل الله تعالى من الرجم في الزاني المحصن على ما ذكر في بعض القصة انهم رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني والزانية منهم وطلبوا منه الجلد وكان في كتبهم الرجم ولا تتبع اهواءهم في قولهم لاولئك الذين رفعوا الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم ان اوتيتم هذا فخذوه اي الجلد وان لم تؤتوه اي الجلد بل اوتوا الرجم فاحذروا ويحتمل فاحكم بينهم بما انزل الله من القود لانه ذكر في بعض القصة ان بني قريظة اذا قتلوا واحدا من بني النضير يعطون القود ولا يرضون بنو النضير الا بالقود منهم ولا ياخذون الدية واذا قتل بنو النضير من بني قريظة اعطوا الدية ولكن يعطوهم الدية وكانوا يرون لانفسهم فضيلة على بني قريظة فنزلت الاية فاحكم بينهم بما انزل الله وهو القود ولا تتبع اهواءهم في تركهم القود واعطائهم الدية والله اعلم بالقصة انه كيف كان ولسنا نعرف كيفية القصة وما بيننا حاجة بعد ان نعرف ما اودع في الاية وادرج من المعاني وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال ابن عباس رض الشرعة والشريعة واحدة وهي السبيل ولهذا سمي الطريق الى الماء

شريعة وكل شئ شرع فهو شريعة ولهذا سميت شريعة الاسلام والمنهاج المستقيم وقيل المنهاج السبيل الواضح
يقال طريق نهج اذا كان واضحا ظاهرا وقيل الشرعة السنة وهي الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك السلوك
فيه الا من جحد المعاند والمكابر فان ترك السلوك فيه مكابرة لحبر الله تعالى انه لم يترك للناس حجة ولم يبين
لهم الطريق الواضح للسلوك فيه بل بين لهم طريقا يمكنهم فيه والبلوغ الى المقصود وان لم يعانوا فقطع بذلك
لهم العذر والحجاج وان لم يكن لهم حجاج في الحقيقة فان قيل كيف نهاه عن اتباع اهواءهم وقد اخبر انه جعل لكل
شرعة ومنهاجا وجوزان يكون ما هو شريعة لهم قيل يحتمل انما نهاه عن اتباع هواهم لما يجوز انه هو والحكم
قد نسخ الحكم بها لما كانوا اعتادوا العمل بها او العمل بالمعتاد من الحكم السابق فيكون ذلك نهيا عن العمل بالمنسوخ وقد
هو الحقيقة فانه تعبد تعبده علينا السلام بما بقي من شريعتهم صار شريعة له وما انتسخ حرم العمل به وكان هو وذلك
فامره الله تعالى بالعمل بما صار شريعة له ابتداء او بما بقي من الشرائع المتقدمة ونهاه عن العمل بما نسخ منه لذلك كانوا
يدعون بقاء ذلك مشروعا في حقهم والله اعلم والثاني يحتمل انهم كانوا هم وبعض على ما شرع ذلك يدعوا على
ما شرع والله تعالى انما نهاه صلى الله عليه السلام عن اتباع اهواءهم فيما ليس بمشروع لا فيما ليس بمشروع لانه هو
فكان المراد من النهي المطلق المقيد وهو ما ليس بمشروع ثم قال مجاهد رضي الله عنه اراد بقوله لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا اي القران منهاج لجميع الناس وقال قتادة وغيره رضي الله عنهم اراد لكل فرقة من الامم
شرعة التوراة وشرعة الانجيل وشرعة القران ثم هذه الاية حجة على ان شرائع من قبلنا لا تلزم النبي صلى
الله عليه وسلم وامته على انها شرائعهم بل ما بقي علم بنسخ يصير شريعة له لانه اخبر ان لكل شرعة ومنهاجا
ولو كان الامر على ما قالوا لكان للكل شريعة واحدة الا ترى انه قال ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على شريعة
ثم بين الحكمة في اختلاف الشرائع بقوله ولكن ليبلوكم فيما اتاكم وهي المحنة والابتلاء يختلف الاشياء ويتحقق
نوع مشقة او اعتاد انس على ترك تحصيله وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • اختلف فيه قالت
بعضهم يجعلكم على شريعة واحدة في دعوة جميع الانبياء عليهم السلام لا ينسخ شريعة ما اخرى ولكن ليبلوكم
فيما اتاكم لكن ينسخ شريعة اخرى لفضل امتحانه وابتلاء والله تعالى ان يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما
شاء وقيل لجعلكم امة واحدة اي على دين واحد وهو دين الاسلام لم يجعل كافرا ولا مشركا ولكن امتحنكم
بادنان مختلفة على ما يختارون ويؤثرون كما علم ذلك منكم في الازل وحكم به ليخرج ما علم منكم على ما علم من غير
تبديل ثم اختلف في المشية قال الحسن رض ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي لجعلكم على الحق وهي مشية القدرة
على اجبارهم على القول بالحق ولكنه لو فعل لم يستحقوا الثواب وهو كقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
وبه قالت المعتزلة ان المراد من المشية هي مشية الجبر والقسر وقال اهل السنة والجماعة هي مشية الاختيار
وظاهر الاية حجة على المعتزلة فانهم يقولون ان الله تعالى شاء الايمان من الكل وشاء ان يكونوا على دين واحد
وهو دين الحق ولو كان كذلك لم يكن لادخال كلمة الشرط على المشية معنى وحقيقة هذا الكلام تعرف في موضع
اخر ان شاء الله تعالى وقوله تعالى فاستبقوا الخيرات • قيل سابقوا يا امة محمد صلى الله عليه وسلم الامم كلها
بالخيرات ويحتمل سابقوا الى ما به تستوجبون المغفرة ومدحا من الله تعالى بالعمل لانه كقوله وسابقوا الى مغفرة
من ربكم واصل ذلك فاستبقوا الخيرات اي اعملوا الخيرات وهو كقوله واعملوا صالحا الاية وقوله تعالى وان احكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم • فان قيل لماذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع اهواءهم وقد علم
بانه لا يتبع اهواءهم فيكون نهيا عما لا يتصور واذا القول يتصور وجود المنهي فيه يتصور النهي على الله تعالى
وانه فاسد نهي عما يقضي ليس مثله قيل قد ذكرنا فيما تقدم ان العصمة لا تزيل المحنة فلا يمنع النهي بل تزيد به
المعتبر هو التصور من حيث الالات والاسباب دون القضية والقدر فان النهي قد يرد عن شئ فان الله تعالى
علم ان الذي نهاه وجود المنهي عنه ولا يتصور ان لا يوجد ومع ذلك صح النهي لما كان متصورا لوجود في نفسه
فهذا مثاله والثاني يحتمل ان يرجع النهي الى غير المخاطب على ما كان من عادة الملوك انهم يخاطبون من هو اجل
قدرا وارفع منزلة عندهم ويريدون به الذي المباشر من غيره وكذلك الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد بالخطاب امته الحقوله ولا تتبع اهواءهم يحتمل ولا تتبع اهواءهم فيما عرفوا وجرفوا وبدلوا ويحتمل لا تتبع
اهواءهم فيما طلبوا منك الحكم بمكان الرجم والدية بمكان القود على ما تقدم ذكره وقوله تعالى واحذرهم ان
يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك • اي يصدوك عن الحكم ببعض ما انزل الله اليك الحمد يعود وقد
اما اطمعا اهم فيهم بالك بالدخول في الاسلام او بالكذب على التوراة بما ليس فيها وقوله تعالى فان تولوا • اي
فان اعرضوا عن الحكم الذي يحكم بما انزل الله اليك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قيل اي بجميع
لكن ذكر البعض والمراد به الجميع كما يذكر لفظ العموم والجميع ويراد به البعض والخصوص كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم

النساء وقيل المراد بظاهر الاية وهو البعض اي يصيبهم العذاب في الدنيا ببعض ذنوبهم لان عذاب الدنيا
يكون ببعض الذنوب لانه ينقضي فاما في الاخرة يعذبون بجميع الذنوب لانه يدوم وقيل يعجل العقوبات ببعض
ذنوبهم وتمردهم وعتوهم وقيل العذاب المعجل يريد به اجلاء بني النضير وقتل بني قريظة والله اعلم وقوله تعالى
افحكم الجاهلية يبغون • قيل هذا صلة قوله لا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك فاحذروا على ما تواضعوا
من الحكم في حق الوضيع الرجم لا في حق الشريف ومن القود في حق الوضيع والدية في حق الشريف فقال تعالى افحكم
الجاهلية يبغون تطلبون منك وروي عن ابن عباس رض تفعل الحكم في الجاهلية يبغون عندك يا محمد في
القران يعني بني النضير على ما تقدم وقيل انه خطاب لليهود انه اذا وجب الحكم على ضعفائهم الزموهم واذا وجب
على اغنيائهم تركوهم بالحدود ودرءوا فقال المراد الحكم عنده لا اوثان يبغون وهم اهل كتاب وقيل هذا خطاب لكل من
خرج من حكم الله الى حكم الجاهلية بان يعمل بجهالة من غير علم وقوله تعالى ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
اي ولا احد احسن من الله حكما الا ترى انه تعالى اذا حكم لا يحكم الا بالعدل فان قيل ان لفظ التفضيل
انما يدخل في موضع يكون غيره حسنا وحكم الجاهلية وحكم غير الله تعالى لا يوصف بالحسن قيل لهذا اخبار
من الله تعالى عن حكمه بالعدل والحق لا للتفضيل حكمه على حكم غيره ويحتمل انه ذكر ذلك بناء على زعمهم ان حكم
الله تعالى لا يكون الا بالعدل وحكم غيره قد يكون باطلا فلماذا يطلبون حكم الجاهلية ويتركون حكمه وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء • يحتمل وجوها يحتمل الاية في الدين اي لا تدينوا
بدينهم فتصيروا اولياء لهم لان حقيقة الموالاة عند اتحاد الدين ولهذا قال بعضهم اولياء بعض فيكون هذا
نهيا عن ارتكاب الكفر بسبب اتحاد الولاية معهم ويحتمل في النصر والمعونة لانهم اذا اتخذوهم اولياء
في النصر والمعونة صاروا امثالهم لانهم اذا نصروا الكفار على المسلمين واعانوهم فقد كفروا ويحتمل لا تتخذوهم
اولياء في المكسب والمعاملة في الدنيا فانهم اذا فعلوا ذلك لا بد ان يميلوا اليهم ويصدروا عن ارائهم في شئ
وذلك مما يفسقهم ويخرج شهادتهم ونحو ذلك في الشركة والمضاربة معهم ونحو ذلك مما فيه بينهم مخالطة
في الاموال لعلكم تنبهوا النهي عن الموالاة نهيا عن ذلك ثم اختلف في نزول هذه الاية قيل نزلت في كنانة بن عبد
كان له موالاة مع بني قريظة وقال السدي رض لما كان يوم احد خاف قوم من المشركين حتى قال واحد الى اليهود وقال
اخر والى النصارى فنزلت هذه الاية وقال عطية بن سعد رضي الله عنه نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله
بن ابي سلول لما تبرا عبادة من موالاة اليهود وتمسك بها عبد الله بن ابي سلول وقال الحاكم الدولاتي وقيل
ان الله تعالى انما نهى المؤمنين ان يتخذوا اليهود والنصارى اولياء مع علمه انهم لا يتخذونهم اولياء حقيقة
وانما يتخذ المنافقون من المؤمنين فنهي عن اتخاذ اليهود والنصارى ليصير ذلك علامة يميز بها بين المنافق
والمؤمن حقيقة وقوله تعالى بعضهم اولياء بعض • فيه دلالة ان الكفر كله ملة واحدة حيث جعل اليهود و
النصارى بعضهم اولياء بعض وان اختلفت نحلهم ومذاهبهم فيكون الاية تدل على انهم يرثون بعضهم بعضا
كما ان اهل الاسلام يرث بعضهم بعضا وان اختلفت مذاهبهم كقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتوارث اهل ملتين شتى قيل المراد منه ملة الاسلام
والكفر لان الاسلام ملة حق والكفر ملة باطل فلا يتوارثون ولا يرثونا فاما الكفر مع اختلاف انواعه ملة واحدة
كما ان الاسلام مع اختلاف مذاهبه ملة واحدة فلا يرثنا ولا نرثهم وكيف نرثهم وقد جعلهم النبي
ملة واحدة ولما روي عن اسامة بن زيد رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر
ولا الكافر المسلم فان قيل اليس روي عن جابر رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا نرث اهل الكتاب
ولا يرثونا الا ان يرث الرجل عبده او امته ونحل لنا نساؤهم ولا يحل لهم نساؤنا والعبد اذا كان ذكرا
يرثه المولى قيل ذلك ليس بطريق الميراث في الحقيقة انما هو تملك المولى قبل موته وكان احق به اذا فضل
عن دينه ان كان له دين وان كان غير مديون ففي الاحوال كلها كذا بعد موته وقوله تعالى ومن يتولهم منكم
فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • يحتمل الوجوه التي ذكرناها اذا فعل ذلك صار منهم في الدين
والكفر او صار منهم في احكام الاخرة او صار منهم في حكم الفسق بالميل اليهم في المكاسب ويتعلق
بالاية على ان المسلم لا يرث من المرتد لان الله تعالى قال ومن يتولهم منكم فانه منهم والمسلم اذا ارتد الى اليهودية
والنصرانية صار منهم بظاهر الاية ونحن لا نرث اليهودي والنصراني فكذلك يجب ان لا نرث من صار منهم
بل المراد من قوله فانه منهم في الدين والكفر وحكم الاخرة لا في حكم الدنيا والحقوق لان المسلم اذا ارتد
صار يهوديا لا يصير منهم في الاحكام بالاجماع حتى لا يحل ذبيحته ولا يرثهم ولا يرثونه ولو كان امرأة
لم يجز نكاحها دل ان هذا فاسد وهذا لان المرتد الى اليهودية والنصرانية ليس على دينها بل يجبر على الاسلام

عنها والعود الى الاسلام فلم يكن من اهل تلك الملة اذ الملة اسم لما صار عليها اهلها فيكون في معنى حكم الملة التي يجبر على الرجوع اليها في حق المرتد دون حل الذبيحة احتياطا في باب الحرمة وعلى هذا جاءت الاثار في توريث المسلمين من المرتد من ذلك حديث علي رضي الله عنه انه اتي برجل قد ارتد عن الاسلام فعرض عليه الاسلام فابى فضرب عنقه وجعل ميراثه لورثته المسلمين وغير ذلك من الاثار وقيل ومن يتولهم منكم خطاب للكفار العرب دون المسلمين وان كان اول الاية الخطاب للمؤمنين هكذا روي عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهم وعلى هذا استدل بهذه الاية حين سئل عن حكم نصارى بني تغلب فقال حكم نصارى بني اسرائيل في اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم بدليل هذه الاية وما اذا كانا لم اذهب هذا بطل بعلمهم بالاية وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم اراد به المنافقين يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين خوفا منهم وفي السر كانوا مع الكفرة لانهم كانوا اهل ريب وشك لا دين لهم يميلون الى من يرون له الامر والسعة معهم وكانوا على شك وريب من امر محمد صلى الله عليه وسلم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لعل محمدا صلى الله عليه وسلم لا ينصر ولا يتم امره واسروا المودة في انفسهم للكفرة والغش والنفاق لاهل الاسلام لكن يظهرون الموافقة للمؤمنين وذلك لا يتحقق عندهم لكي يسكنون في ذلك وقوله تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح اي بالنصر نصر محمد صلى الله عليه وسلم والظفر على اعدائه وفتح الامصار على المسلمين ان لم يظهر دينه على الاديان على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر على ما فتح له البلدان وقوله تعالى او امر من عنده قيل عذاب اولئك الكفرة واهلاكهم في الدنيا وهو اجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وقوله فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين اي صاروا عند عذاب اولئك الذين اسروا المودة معهم نادمين لما ظهر نفاقهم وصاروا خائفين على انفسهم ويحتمل ان تصير [illegible] نادمين لما تصيبهم من العذاب في الاخرة بما اسروا في الدنيا المودة للكفرة والعداوة للمؤمنين والله اعلم وفي قوله يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يحتمل ان يقولوا نخشى ان تصيبنا دائرة من حيث تسمع اهل الاسلام ذلك منهم فدل ذلك على انه انما عرف ذلك بالله تعالى اذ لا يعلم الغيب الا بالله تعالى وكذلك بما اخبر في لو عند النصر والظفر ثم كان على ما اخبر دل انه اخبر عن الله تعالى وقوله تعالى ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقول المؤمنون بعضهم لبعض حين ظهر نفاق اهل النفاق بما فعلوا وافتضحوا كما قال تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وكانوا كما قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كانوا ينظرون النصرة والظفر فيميلون الى حيث كان فيقولون للمؤمنين لو كان الظفر لهم الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب فيقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وكانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويحلفون على ذلك ويضمرون الخلاف والعداوة لهم وهو كقوله يحلفون بالله ما قالوا وقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم ونحو ذلك جهلا معنى قوله اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم الاية وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يحتمل حبطت اعمالهم التي عملوها قبل اسرار ما اسروا في انفسهم اذا اسروا ذلك وصاروا خاسرين حيث ذهبت منافعهم التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم بعد الافتضاح ويحتمل حبطت اعمالهم التي عملوها ظاهرا مراءاة الناس فاصبحوا خاسرين اي يصيرون في الاخرة من الخاسرين لانهم لم ينتفعوا باعمالهم التي عملوها في الدنيا في الاخرة وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وقوله من ان كان موحدا من حيث الصيغة فهو علامة جمع صلته وهو قوله يرتد وهذه من الحروف الموصولة وهو كقوله من دخل دار ابي سفيان فهو امن يعم كل داخل لما قلنا والمراد منها الجماعة ههنا الا ترى انه قال فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله والواحد اذا ارتد يحبس حتى يسلم وان ابى يقتل والجماعة اذا ارتدوا عن الاسلام يحتاج الى نصب القتال والحرب معهم على ما نصب ابو بكر رض الحرب مع اهل الردة وقال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج نزلت الاية في ابي بكر الصديق ومن قاتل معه اهل الردة حتى روي رضي الله عنه في قوله فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال هو والله ابو بكر واصحابه رضي الله عنهم وهذه الاية دلت على امامة ابي بكر رضي الله عنه لان العرب لما ارتدت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما قام بقتالهم ابو بكر واصحابه رضي الله عنهم وقد اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه واخبر انهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ومعلوم ان من كانت هذه صفته فهو ولي الله تعالى وان ابا بكر رضي الله عنه خليفة حق واتباعه على الحق لما انه وصفهم بهذه الاوصاف علانيتنا لاحد ان يحمل الاية على غير ابي بكر واصحابه رضي الله عنهم لان الله تعالى لم يات بقوم يقاتلون المرتدين المذكورين في الاية غير هؤلاء الذين قاتلوا

مع ابي بكر الصديق رض ونظير هذه الاية قوله تعالى ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة واصحاب مسيلمة الكذاب الذين ارتدوا وتبعوا مسيلمة وكان ابو بكر هو الداعي الناس الى قتالهم وقد اخبر الله تعالى بوجوب طاعته عليهم بقوله فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ولو لم يكن اماما حقا لم تكن طاعته واجبة يستحقون الثواب عليها والعقاب بالاعراض عنها فان قيل يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعاهم الى ذلك قيل هذا في المخلفين من الاعراب بقوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم انهم لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فاستحال ان يكون القتال مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم انصاره وان يدعوهم فيطيعوه لانه يؤدي الى الخلف في خبره عليه السلام فان قيل يجوز ان يكون عمر رض هو الداعي لهم الى ذلك لما قال بعض اهل التاويل ان الله تعالى وصفهم بانهم اولوا باس شديد وهذا وصف العجم كما قال تعالى اولوا باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان عمر رض حارب العجم قيل ان كان كذلك صحت بذلك خلافة عمر رض وان صحت خلافته يصح خلافة ابي بكر رضي الله عنه لانه هو الذي استخلف عمر رضي الله عنهما فلولا ان ابا بكر رض خليفة حق لما صار عمر خليفة باستخلافه وحده وهو ليس بخليفة لانه يصير كواحد من العوام فباستخلاف الواحد لاحد لا يثبت الخلافة فان قيل جاز ان يكون علي رضي الله عنه الذي دعاهم الى محاربة من حارب بقوله يقول الله تعالى ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون وهذه صفة من يحارب من مشركي العرب الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف دون الجزية وعلي انما حارب اهل البغي وهم مسلمون وحارب اهل الكتاب على ان يسلموا او يقبلوا الجزية ولم يحارب احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم على ان يسلموا لا غير دون قبول الجزية سوى ابي بكر رض فكانت الاية دالة على صحة امامته والله اعلم وقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وسوف كقوله عسى وذلك من الله تعالى للوجوب اخبر الله تعالى انه ياتي بقوم يحبهم ويحبونه لبذلهم انفسهم في مجاهدة اعداء الله تعالى وتركهم في الله لومة لائم ولا احد يبذل نفسه للهلاك وترك لومة لائم الا لمحبة الله تعالى فاخبر الله تعالى عليهم بحبه وحبهم في مجاهدة اعداء الله تعالى وتركهم لومة لائم وبذلهم انفسهم في محبة الله واخبر بمحبتهم ولو كان ابو بكر رض لم يكن خليفة حق لكان عاصيا وقومه عصاة ولم يكن الله ليثني عليهم هذا الثناء فبطل بذلك قول الروافض فان قيل اليس روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كنت مولاه فعلي مولاه اي من كنت وليا في حقه فعلي كذلك قيل لا خلاف انه لا يجري على اطلاقه لا يمنع ان في حال حياة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن علي مولى من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه دل انما اراد به في وقت خاص وهو الوقت الذي يكون علي رضي الله عنه خليفة في ذلك الوقت وهو وقت طلبه الخلافة لنفسه ومحاربة من ادعاها لنفسه فاما في وقت ابي بكر رض لم يطلب لنفسه بل ترك الطلب بل بايع ابا بكر رض ولو كانت الخلافة له فكان بترك الطلب يصير مضيعا حقا لله تعالى عليه لا يظن به ذلك الا ترى انه في الوقت الذي علمها لنفسه كيف طلب ونصب الحرب لذلك فدل تركه الطلب في زمن ابي بكر رض وتسليمها اليه على ان الحق كان لابي بكر رض فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام قيل هذا لا حجة فيه لمن ادعى اطلاقه لعلي رض فان هارون كان شريكا معه في النبوة لا خليفة بل صح في الحديث انه [illegible] توفي قبله والخليفة بعده يوشع بن نون عليه السلام وانتم ادعيتم الخلافة دون الشركة في النبوة ويحتمل انه اراد منه في الاخوة التي اخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان عليه السلام اثبت المواخاة بين الصحابة رضي الله عنهم اخا بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وكذلك بين كل اثنين من الصحابة رضي الله عنهم واخا بين نفسه عليه السلام وعلي رضي الله عنه وهذا لا يدل على الخلافة لان الخلافة تستدعي شرائط لا يوجد بالموالاة ثم ان كان يدل على الخلافة فانما يدل في الوقت الذي كان هو خليفة فيه وذلك وقت طلبه الخلافة ووقت مبايعة الناس اياه وليس في الخبر جعل الخلافة له في جميع الاوقات والله اعلم وقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اذلة على المؤمنين اي ذوو رحمة ورأفة في حق المؤمنين اعزة على الكافرين اي شاقة شديدة على الكفار وهو كما وصفهم الله تعالى في قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال بعضهم ذلك فضل الله اي الجهاد في سبيل الله اي في طاعته اذ ذاك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل ذلك هو الاسلام وقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله قال بعض اهل التاويل هو صلة قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وكذلك ما ذكر بعده يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نهى المؤمنين ان يتخذوا الذين

اوتوا الكتاب والذين لم يوتوا الكتاب من الكفار اولياء. فعن ابي عن القران وحاجزان ولي الذين امنوا هو الله
ورسوله والمؤمنون كقوله والمؤمنون بعضهم اولياء بعض فعلى هذا تكون الاية مطلقة في جميع المؤمنين
وكذلك روي عن الحسن رضي الله عنه قال هذه صفة جميع المؤمنين لان قوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون صفة لجميع المؤمنين لا للواحد على الخصوص وروي عن مجاهد والسدي وابي جعفر وعتبة
بن ابي حكيم رضي الله عنهم انها نزلت في شان علي رضي الله عنه حين تصدق بخاتمه وهو في الركوع على ما قيل
في القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم الى الصلاة فاذا هو بمسكين فدعاه وقال هل اعطاك احد شيئا
قال نعم قال ماذا قال خاتم فضة قال من اعطاكه قال ذلك الرجل القائم يعني به عليا رض فقال النبي صلى الله
عليه وسلم على اي حال اعطاكه قال اعطانيه وهو راكع فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله واثنى عليه وذكر
في بعض القصة ايضا ان عبد الله بن سلام رض قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اظهروا لنا العداوة
من اجل اسلامنا وحلفوا ان لا يكلمونا ولا يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم وانا لا نجد متحدثا دون هذا
المسجد فنزلت الاية فقالوا قد رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء. ثم اختلف في معنى قوله وهم راكعون
قيل انهم كانوا على هذه الصفة وقت نزول الاية منهم من قد اتم الصلاة ومنهم من هو راكع في الصلاة وقال
بعضهم وهم راكعون ان ذلك من شانهم وافرد الركوع بالذكر تشريفا له وقال اخرون معناه يتصدقون في الصلاة
كما يقال فلان يركع اي يتنفل وكيف ما تصرفت الحال فالاية تدل على جواز الصدقة في الصلاة وان الفعل القليل
لا يفسد الصلوة لان تقدير الاية الذين يتصدقون ويصلون ولم يرد به فعل الصدقة في الصلاة لان
هذا اخبار عن الحال التي يقع فيها الصدقة كقولك تكلم فلان وهو قائم اي في حال قيامه وقد تعلقت
الرافضة بهذه الاية على تفضيل علي رضي الله عنه على ابي بكر رضي الله عنه واثبات الخلافة له دون غيره حيث
نزلت في شانه وهذه القصة خاصة له ولكنا نقول ان كانت الاية نزلت في شانه فليس فيها دلالة اثبات
الخلافة له في زمن ابي بكر رضي الله عنه لانا قد ذكرنا في الاية الاولى انها تدل على اثبات الامامة لابي بكر وقتا كذلك
كما هو امام ونحن لا نجعل الخلافة لعلي رض في الوقت الذي علم بنفسه الخلافة ولم يطلب الخلافة لنفسه في زمن
ابي بكر رضي الله عنه فانه روي عن علي رضي الله عنه انه قال اما ان ابا بكر رضي الله عنه حين خيرنا الناس بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان تولوا
ابا بكر رضي الله عنه تجدوه قويا في دينه ضعيفا في بدنه وان تولوا عمر تجدوه قويا في بدنه قويا في دينه
وان تولوا عليا تجدوه هاديا مهديا مرشدا فنحن على ما كان عليه سائر الصحابة رضي الله عنهم في تسليم
الخلافة الى ابي بكر رضي الله عنه وتفويضهم اليه من غير منازعة ظهرت من علي رضي الله عنه ولا من غيره
ولو كان الحق له لظهرت المنازعة منه على ما ظهرت في ذلك الوقت الذي كان له فان قالوا ان عليا رضي الله عنه
انما ترك الطلب لانه لم يكن له انصار في ذلك الوقت وكما ظهر له الانصار بعد وفاة عثمان رضي الله عنه
ظهرت منه المنازعة قيل لهم لا يحتمل ان يكون الحق له في ذلك الوقت ثم لم يطلبه لانه لم يكن له انصار لانا نرى
ان ابا بكر رضي الله عنه مع ضعف بدنه خرج وحده لحرب اهل الردة حتى ارادوا الناس ان يخرجوا معه
فلم يترك ابو بكر رضي الله عنه طلب الحق لعدم الانصار مع ضعف في بدنه فعلي رض مع قوته وشدته
وفضل علمه بامر الحرب حتى لم يبارز احدا من الاعداء الا غلبه واهلكه فكيف يتوهم فيه ترك طلب الحق
لفقد الانصار والاعوان ووصفتموه بالجبن والضعف وهذا لعمري لا يتوهم في اضعف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلا ان يتوهم في علي رض فترك الطلب في زمن ابي بكر رض والتسليم له على انه لم ير
الحق له لا لنفسه والله الموفق على ان ظاهر الاية في عامة المؤمنين لا خصوص فيها لاحد فلا يجوز دعوى
الخصوص بحديث واحد وهذا من باب الاعتقاد اعني اثبات الخلافة فلا يجوز بناؤها على الحديث الذي
في حد الاحاد وقوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ۝ ظاهر هذه الاية
لو صرف الى ابي بكر رضي الله عنه كان اقرب لانه كان هو الغالب على اهل الردة من قبل ما وقع بينهم الحرب
فاما علي رضي الله عنه انما صار الامر اليه في الاخر حين حارب الخوارج والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء ۝ ما
قد ذكرنا ان النهي عن اتخاذهم اولياء يحتمل وجوها ثلثة فلا نعيدها وقوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا ۝ اخبر الله تعالى نبيه عليه السلام غاية سفههم وصنيعهم اذا نودي للصلاة لانه ذكر في القصة
ان الكفار اذا سمعوا المنادي ينادي للصلاة فقام المسلمون بها فقالت اليهود والنصارى قد قاموا لا قاموا
فاذا راوهم سجدا وركعا استهزؤا بهم وضحكوا منهم وكانوا رجلا تاجرا من اليهود اذا سمع الاذان ويقول

الى قوله اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب قالوا فدخلت خادمه بنار ووقعت شرارة منها
في البيت فالتهبت في البيت فاحترق اليهودي بالنار وقوله تعالى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ۝ نفي عنهم
العقل لما لم ينتفعوا بما اعطوا وعقلوا ما كانوا يعقلون وعلى ذلك يخرج قوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير لما لم ينتفعوا بما سمعوا به وعقلوا وكذا قوله صم بكم عمي فهم لا يبصرون فانا نعلم
انهم كانوا يسمعون ويبصرون بحقيقة ولكن لما لم ينتفعوا بذلك جعل كان لم يكن في حقهم وضع
لم وضع له في الاصل ويحتمل وجها اخر وهو ان شدة تعنتهم وحسدهم لمحمد صلى الله عليه وسلم يمنعهم عن
فهم ما خوطبوا به ويحول بينهم وبين معرفة ذلك كمن ليس له ذلك اصلا والله اعلم وقوله تعالى قل يا اهل
الكتاب هل تنقمون منا ۝ قال ابن عباس رض هل تطعنون علينا وقيل هل تعيبون وقال ابو عوسجة رضي الله
عنه هل تنكرون منا وهو يرجع الى معنى واحد لان النقم من العنت والطعن والانتقام من الانتصار وذكر
في القصة ان الكفار كانوا يقولون ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا من اهل دين محمد صلى الله عليه وسلم
في الدنيا والاخرة فنزلت الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل الاية معناه والله اعلم هل لهم انكم تطعنون علينا وتعيبون وانتم ممن دعوتم الى الايمان بالله
وبما انزل في الكتاب وانتم ممن قد ادعيتم الكتاب وفي كتابكم الايمان بالله وبالكتب كلها وكيف تنكرون
الايمان بذلك كله وتعيبون علينا ولا تعيبون على انفسكم وفسقكم وخروجكم عن امر الله تعالى وعما امركم كتابكم
ودعاكم اليه ونهاكم عما انتم فيه وبما انزل الينا وهو القران وهو مصدق لما قبله من الكتب المتقدمة الزبور
والتوراة والانجيل فهو مصدق القران فكيف تنكرون الايمان به فيرجع العيب اليكم في الحاصل على زعمكم
وقوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ۝ الاية يحتمل وجهين
احدهما انه ذكر على اثر قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية واثر قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا وذلك انهم كانوا يستهزؤن بالمؤمنين ويضحكون منهم ويعيبون عليهم ويطعنون
في دينهم فقال الله تعالى على اثر ذلك ردا عليهم قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي اخبر
على طريق التقدير بشر من الذين تعيبون عليهم وتطعنون في دينهم وتستهزؤن بهم فيما عليهم من الاعتقاد وهم
اي من المؤمنين على ما عليهم فقالوا من الذي هو شر منهم قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه الاية اي من كان
هذه الاوصاف موجودة فيه فهو شر من المؤمنين بما كرهتم فيهم من الطاعة وتلك الصفات ما ذكر في قوله لعنه
وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وقد كان فيهم جميع ذلك لان الله تعالى
لعنهم وغضب عليهم كما اخبر في اية اخرى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وقال غير المغضوب عليهم وثبت
بالتواتر ان الله تعالى حول كثيرا منهم الى اقبح صورة في الطبع وادونها وهي القردة وهي الخنازير
لسوء صنيعهم وقد عبدوا الطاغوت وهو الشيطان اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل اي اولئك الذين
على هذه الاوصاف شر مكانا في الدنيا من المؤمنين لما حل بهم من المسخ واللعنة لهذه الجرائم المستقبحة
الموذية ولم يكن في احد من المؤمنين ذلك واضل عن سواء السبيل اي اخطا طريقا في الدنيا والاخرة هذا والله
اعلم تقدير هذا الكلام وان كان فيه اضمارات والحذف والاضمار من باب الفصاحة قال الله تعالى مثل الكلام
هل اخبرك بما هو شر من فلان فلان ذو طرد فلان عن مجلسه وكان السؤال مضمر فيه كانه قال من الذي هو
اقبح فعلا من فلان فيقول المسؤل هو الذي طرده فلان عن مجلسه فهذا مثله ثم انما ذكر لفظة الشر
وان كان المؤمنون بما عليهم موصوفين بالخير دون الشر بناء على زعمهم واعتقادهم اظهار الفضل الشر فيهم
والاخبار عن ذلك لا ترجيحا وان ذكر لفظة الترجيح ومثل هذا مستعمل في الكلام قال الله تعالى في قصة
يوسف عليه السلام ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ولم يوصف ولكن اراد من الاخبار دون الترجيح
فهذا مثله والثاني يحتمل ان يكون على ما قالوا على ما ذكر في القصة وانتم لا نعلم من اهل دين اقل حظا في الدنيا
والاخرة منهم لانهم يعنون محمدا واصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم لانهم كانوا يدعون ان الدنيا
لهم والاخرة كذلك على ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك لهم لا في
دنيا ولا اخرة فامر الله تعالى رسوله عليه السلام ان يرد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك
مثوبة عند الله من لعنه اي اخبركم بمن هو اقل حظا وثوابا عند الله في الدنيا والاخرة فقالوا منهم فقال الله
من لعنه الله وغضب عليه الاية وعن الحسن رضي الله عنه انه قال تقديره هل انبئكم بشر من ذلك الذين لعنهم الله
والذين غضب عليهم والذين جعل منهم القردة والخنازير منهم من جعله قردة ومنهم من نعاه على جوهره والذين عبدوا
الطاغوت اولئك شر مكانا في الدنيا والاخرة واضل عن سواء السبيل اي اخطا طريقا والله اعلم بالقصة وكما لابد

ان يكون ذلك على الاضمار على اثر امر من الامور وان كنا نعلم به على الحقيقة وقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • قيل نزلت الآية في اليهود وقيل في المنافقين وهي فيهم اشبه فانه ذكر
في القصة انهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون الموافقة له ويخبرونه انهم يجدون
نعته في كتبهم ويضمرون الخلاف في السر ويسرون به فاخبر الله تعالى عن حالهم بقوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد
خرجوا به اي دخلوا بالكفر لانهم يقولون ذلك بين يديه صلى الله عليه وسلم بطريق الاستهزاء والنفاق
وقد خرجوا وفي الآية دلالة رسالته لانه اخبر عما اضمروا في قلوبهم انه علم ذلك الذي يعلم الغيب يعلمهم انه
لا يعلم الغيب الا الله فذلك قوله والله اعلم بما كانوا يكتمون وقوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم
والعدوان واكلهم السحت • يحتمل كثيرا من ملوكهم وعوامهم يسارعون في الاثم اي في قول الكفر والعدوان
هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وقد تقدم ذكر تاويل السحت ثم قال على اثر ذلك لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت اي هلا ينهاهم وكلمة لولا اذا دخل على الماضي والمستقبل فهي بمعنى
الامر كقوله تعالى لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء وقوله ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا عاتب الربانيين والاحبار على تركهم نهي اولئك عن صنيعهم ثم قال لبئس ما كانوا يصنعون بتركهم
النهي على السوء وليعلم ان العامل بالاثم والراضي به والتارك النهي عنه في السواء وفي الآية دليل على ان تارك
النهي عن المنكر يلحقه من الاثم ما يلحق العامل به وقد تقدم ذكره فيما مضى وقوله تعالى وقالت اليهود يد الله
مغلولة • عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم انهم لا يعنون بذلك ان يده موثقة بالغل حقيقة
اليد والغل ولكن وصفوه بالبخل وقالوا هو مقبوض العطاء امسك ما عنده تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وقال آخرون ان الله تعالى قد كان بسط على اليهود الرزق وكانوا من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا
الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا به كف الله تعالى عنهم بعض ما كان بسط عليهم من السعة في الرزق
فقالوا عند ذلك يد الله مغلولة اي ممسكة عنهم الرزق غير مبسوط وهو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك هذا نهي عن البخل في الانفاق لا انه اريد به حقيقة اليد والغل فعلى ذلك هذا كناية عن البخل ووصف
له به لا حقيقة اليد والغل وقال الحسن رضه قالوا يد الله مقبوضة ممنوعة محبوسة عن تعذيبنا انما نحن ابناء الله
واحباؤه فهي كناية ايضا عن تركه تعذيبهم لانه لا يعذب احد ابنه وحبيبه بالنار وقوله تعالى غلت ايديهم على
التاويل الاول اي ايديهم هي الممسكة عن الانفاق وهم الموصوفون بالبخل بل يداه مبسوطتان اي نعمه مبسوطة
يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه بل يداه بسطان قال الفراء تقول
وجه مبسوط ووجه بسط وعلى التاويل الثاني اي غلت ايديهم في الآخرة بالسلاسل الى اعناقهم بل يداه
مبسوطتان بالمغفرة والتعذيب يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اي اليه الامر والحكم في خلقه كما قال تعالى
الا له الخلق والامر والبسط يراد به الامر والنهي والرفع والوضع ثم لا يحتمل ان يفهم من اضافة اليد الى الله تعالى
ما يفهم من اضافة اليد الى الخلق من الجارحة لما وجد من اضافة اليد الى من لا يحتمل ان يكون له اليد من نحو قوله
تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يفهم من اضافة اليد الى القرآن الجارحة وكذلك قال بما كسبت
ايديكم وقوله بما قدمت ايديكم لم يفهم منه حقيقة اليد لكن اضيف ذلك الى اليد لما باليد يقع ويكتسب
غالبا فهذا مثله وقوله تعالى ولعنوا بما قالوا • اي عذبوا بما قالوا يد الله مغلولة وقيل طردوا من رحمة الله و
ايسوا منها حتى لا ينالوها ابدا بقولهم الذي قالوا فيه واللعن هو الطرد في اللغة وفيه دلالة انهم يموتون
على ذلك ولا يؤمنون فماتوا عليه تحقيقا لخبر الله تعالى وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا • قيل يزيد ما انزل اليك من القرآن كثيرا من اليهود طغيانا وكفرا اي تماديا في المعصية وكفرا
بالقرآن وقيل يزيد ما انزل اليك من ربك من الانباء بما كتموا من نعتك وما حرفوا من الاحكام التي كانت
في كتابهم طغيانا وكفرا وهو ما ذكرنا فان قيل ما معنى اضافة زيادة الطغيان والكفر اليه وهو لا يريد طغيانا
ولا كفرا قيل اضافة الافعال الى الاشياء يكون على وجوه ثلثة منها ما يضاف لحقيقة الفعل من المضاف اليه
ومنها ما يضاف لتحصيل الحال من المضاف اليه بان يحصل حالا تحمله تلك الحالة على تحصيل الفعل فيضاف
ذلك الفعل الى محصل الحال وان لم يوجد منه الفعل حقيقة بطريق التسبب ومنها ما يضاف الى محل الفعل
لا يتحقق الفعل بدون الاضافة وههنا من هذا القبيل لان زيادة الطغيان والكفر منهم هو الكفر والطغيان
وانكار ما انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم من الكفر والعدوان ولولا القرآن ونزوله على النبي
صلى الله عليه وسلم لما كان يوجد منهم هذه الزيادة فاضيف الى القرآن وان كان ذلك الكفر الذي يفعل منهم
كسبا من الله تعالى خلقا لما كان يحصل لذلك منهم لمكانه والله اعلم ومثله كقوله تعالى في صفة الاصنام انهن

اضللن كثيرا من الناس وانهن لا يضللن ولكن ضلوا بهن لمكانهن فلذلك اضيف اليهن وكقوله تعالى وغرتهم
الحياة الدنيا وهي لا تغر احدا ولكنهم ضلوا بها مغترين بالدنيا حال قيام الحياة لا يتصورون الاغترار بدونها
فاضيف اليها فان كان الاغترار فعلهم كسبا وفعل الله خلقا فهذا مثله وقوله تعالى والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة • اختلف في تاويله قال بعضهم اي بين اليهود والنصارى لا يحب اليهودي نصرانيا
ولا النصراني يهوديا وقال آخرون بينهم اي بين اليهود لان اليهود على مذاهب مختلفة واهواء متفرقة منهم
من قال عزير ابن الله ومنهم من يذهب مذهب التشبيه على اصول مختلفة فيكون بينهم عداوة على حسب الاختلاف
بينهم في الديانة فان قيل كيف ههنا انه القى العداوة بينهم وذكر فيما تقدم ان بعضهم اولياء بعض وبين
العداوة والولاية تضاد كيف يجمع بينهما قيل امكن الجمع بينهما فيستقيم ان يكون بينهم ولاية وبعضهم اولياء
بعض في اصل الدين اذ الكفر واحد وبينهم عداوة لاختلاف المذاهب والاهواء فدل انه لا تناقض بين
الآيتين هذه الآية حجة لنا على المعتزلة في خلق الافعال لان الله تعالى اضاف القاء العداوة بينهم الى نفسه فلا يخلو
اما ان يكون له في نفس العداوة والمعاداة صنع وليس كذلك لانه فعلهم او يكون له في سبب العداوة صنع وليس
كذلك لان السبب هو اختلاف المذاهب والاهواء وذلك فعلهم واذا بطل من هذين الوجهين دل ان الاضافة
لوجه آخر وهو ان خلق فعل العداوة وسبب العداوة منهم وبالله التوفيق وفي الآية بيان الامتنان على النبي
صلى الله عليه وسلم بما اخبر انه القى العداوة بين اعدائه بما اوقع بينهم الاختلاف في المذاهب والاهواء ولو كانوا
على مذهب واحد لم يكن بينهم اختلاف وعداوة لكان ذلك اشد في القيام بينهم له فضعف وهذا الاختلاف
والتنازع يثبت الفشل قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا الآية وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
يحتمل وجهين احدهما كلما ارادوا مكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا امرهم على قتله اطلع الله تعالى
نبيه على ذلك حتى لم يقدروا عليه ولم يعمل مكرهم والثاني يحتمل كلما انتصبوا للحرب مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم واجتمعوا لقتاله فرق الله شملهم وجعلهم بحيث لا يمكنهم الاجتماع لطفا من الله تعالى والله اعلم
وقوله تعالى ويسعون في الارض فسادا • يحتمل وجهين احدهما يحتمل السعي بالفساد على حقيقة المشي بالاقدام
وهو ما كانوا يسعون في نصب الحرب مع المؤمنين والايصال بغيرهم من الكفرة والاستعانة بهم في ذلك
هو السعي في الارض بالفساد وبالله التوفيق وقوله تعالى والله لا يحب المفسدين • اي لا يحب الفساد ولا يرضى
به والله اعلم وقوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم
عامل الله تعالى خلقه معاملة اكرم الاكرمين حيث وعد لهم المغفرة وتكفير ما ارتكبوا في حال الكفر وتولهم
في الله من القول الوحشي لو آمنوا واتقوا القول الذي قالوا فيه وهو كما قال ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وذلك والله اعلم انه لما تاب ورجع عن صنيعه ورجع عن جميع ما كان منه وتندم على ذلك وتمنى ان لم يكن
منه في تلك الحال الكفر حين انجاز امر بالم على عرفهم واعتقادهم وعفا عنهم ما كان من اصحابهم وهو كقوله
اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لانهم يندمون على تلك السيئات التي كانت منهم ويتمنون
ان الذي يكون منهم في تلك الحال الخير لا الشر والله اعلم وقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم • يحتمل وجهين يحتمل ولو انهم عملوا بما في التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن
لاكلوا ما ذكر لانه اذا عمل بالجملة لم يكن عمل بما نسخ من التوراة والانجيل لان بالقرآن نظهر الناسخ من المنسوخ
فكان هذا امرا لهم بالعمل بما في التوراة والانجيل مما لم ينسخ بالقرآن فيكون ذلك عملا بشريعة نبينا عليه السلام
فلهذا اوجب عليهم العمل والثاني يحتمل ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم ولم يغيروا
ما حرفوا فيهما وكتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وما فيهما من الاحكام لكان لهم
ما ذكر وقوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم • وذلك والله اعلم انهم كانوا يخافون الضيق اذا اسلموا
كما اخبر الله تعالى عنهم بقولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا الآية فاخبر الله عز وجل انهم لو آمنوا واتقوا
الشرك لوسع عليهم العيش بقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اختلف في تاويله ليس هذا حقيقة
الاكل ولكن يخرج على المبالغة في الوصف بالسعة كما يقال فلان من قرنه الى قدمه في النعمة ليس ذلك على
ما وصف لكن على المبالغة في الوصف بالسعة فهذا مثله والله اعلم ويحتمل ان يكون على حقيقة الاكل ثم هو على
وجوه يحتمل قوله لاكلوا من فوقهم ما يخرج من الثمار والفواكه التي تخرج من الاشجار ومن تحت ارجلهم ما يخرج
من الارض من الماكول والمشروب ويحتمل ما ذكر من فوقهم هو الجبال ومن تحت ارجلهم هو الارض جبالا لم تكن
لهم بالجبل والسهل جميعا وقيل لاكلوا من فوقهم اي ارسل السماء عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم خرج لهم
من الارض الحبوب والثمار وقال قتادة رضه لاعطتهم الارض نباتها والسماء بركاتها والله اعلم وقوله تعالى

منهم أمة مقتصدة • فيه وجهان أحدهما أمة مقتصدة من أسلم منهم وقيل أمة مقتصدة هم الذين لم يحرفوا
كتاب الله ولا غيره ولا كتموا أشياء منه ولا سعوا في الأرض بالفساد على ما عمل أكثرهم من التحريف والتغيير والكتمان
والسعي بالأرض في الفساد والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت
رسالته • طعن بعض الملحدة في هذه الآية أن يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت
رسالته بمنزلة من قال لعبده بلغ رسالتي إلى فلان فإن لم تفعل فما بلغت وادخل الدار هذه فإن لم تدخل فما دخلت
وهذا كلام لا فائدة فيه فإن كل أحد يعلم أن من لم يفعل شيئاً فما فعله وكذا نقول يتكلم أهل التأويل فيه وجوه
وكل وجه من ذلك مفيد في نفسه قيل إن هذا أمر إياه بالقيام على تبليغ الرسالة بجميع ما أنزل إليه إلى جميع
الكفرة في جميع الأحوال والأوقات وذلك أن أهل الكفر كانوا على طبقات ثلث منهم من يقول لغيره لا تسمعوا
لهذا القرآن ولا بالذي بين يديه وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ومنهم من يخوفه ويمكر به ليقتلوه
كقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية ومنهم من كان يعرض عليه المال والأموال
والملك لترك دعوى الرسالة وأن لا يدعوهم إلى دينه الذي هو عليه فأمره الله تعالى بتبليغ رسالته وأن لا يمنعه
ما يخشى من كيدهم ومكرهم في الهلاك على نفسه أو التكذيب في القول والأذى وطلب الأموال لأن البشرية
في العادات قد يمتنع عن القيام بما عليه إذا كذب في القول أو خشي الهلاك على نفسه أو الطلب بجودة وبولاية
أي لا يمنعك شيء من ذلك عن تبليغ ما أنزل إليك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته أي كأن لم يبلغ بعض ما أنزل
إليك لما يخشى من الهلاك على نفسك كنت كمن لم يبلغ الرسالة أصلا ورأسا وفي ذلك بيان أن لا رخصة
في ترك التبليغ أصلاً ولا عذر له في ذلك وقوله تعالى والله يعصمك من الناس • فيه دليل إثبات رسالته
صلى الله عليه وسلم لأنه عز وجل أخبر أنه أعصمه من الناس فكان ما كان لعدد لأنه علم ذلك بالله وكذلك في قوله
تعالى فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون كان يقول بين ظهراني الكفرة كيدوني جميعاً ثم لم يلحقه من كيدهم شيء دل
أنه كان بالله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس فلما أنزل قوله تعالى والله يعصمك
من الناس قال انصرفوا إلى مساكنكم فإن الله عصمني من الناس فانصرفوا ويحتمل قوله تعالى بلغ ما أنزل إليك من
ربك أن بلغ ما أنزل إليك من الآيات والحجج والبراهين التي جعلها الله أعلاماً لرسالتك فإن تأذن لم تبلغ
لم يلزمهم الحجة بذلك والله أعلم وقوله تعالى قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل •
لا ابتداء الكلام بمثل هذا إنه عن قول أو دعوى تنسبوا ليس في الآية بيان ما كان منهم فيشبه أن يكون الذي
كان منهم دعوا أنهم على دين الله وعلى ولايته أو ما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أو ما قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان
هوداً أو نصارى ونحوه للأشياء منهم ودعاويهم التي ادعوا لأنفسهم فقال الرسول قل لهم لستم على شيء حتى
تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم قال الحسن في قوله تعالى حتى تقيموا التوراة والإنجيل أي تقيموا
ما حرفتم وغيرتم من التوراة والإنجيل وبدلتم وتستوا أهلي ما أنزل وتؤمنوا به وقال غيره قوله تعالى حتى تقيموا
التوراة والإنجيل بالشهادة والتصديق لما فيهما وابن عباس رضي الله عنه حتى تقيموا التوراة حتى تعملوا بما في التوراة
والإنجيل من صفة محمد ونعته ومبعثه ونبوته صلى الله عليه وسلم وتبينوا للناس ولا تكتموه وما ذكرنا
وأخذوا ما أنزل إليكم من ربكم من كتب أنبيائكم وحتى تقيموا أيضاً ما أنزل من الكتب كتب الرسل أجمع لأن الإيمان
ببعض الرسل وببعض الكتب والكفر ببعض الرسل وببعض الكتب كالكفر ببعض لا ينفع حتى يؤمن بالرسل
كلهم وبالكتب جملة وقوله تعالى وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً قد ذكرناه
وقال وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك القرآن في أمر الرجم والقصاص طغياناً وكفراً وقال بعضهم لستم
على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل هو ما أمر الله نبيه عليه الصلوة والسلام أن يبلغ ما أنزل عليه بقوله بلغ
ما أنزل إليك وقوله تعالى فلا تأس على القوم الكافرين • أي لا تحزن على كفرهم كقوله تعالى لعلك باخع نفسك ألا
يكونوا مؤمنين ونحو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله تعالى إن الذين آمنوا • قال ابن عباس
رضي الله عنه هم الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم وقال بعضهم هم الذين آمنوا ببعض الرسل ثم سموا
باليهودية ولا بالنصرانية والذين هادوا والصابئين وقد ذكرنا فيما تقدم منهم وقوله تعالى من آمن بالله واليوم
الآخر • تأويل الآية والله أعلم وإن اختلفت أديانهم وتفرقت مذاهبهم لو آمنوا بالله وما ذكر فلا خوف
عليهم بما كان منهم في حال كفرهم كقوله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولا هم يحزنون على فوت ما أعطاهم
أي لا يفوتهم ذلك والله أعلم وقوله تعالى لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل قد أخذ الله عز وجل الميثاق
على جميع البشر وخصهم به دون غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم ما يعرف كل به شهادة الخلقة على وحدانية
ربه كقوله سبحانه وتعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن

منها وحملها الإنسان ثم خص بني إسرائيل من البشر بفضل الميثاق لما أرسل إليهم الرسل منهم وهو قوله
وأرسلنا إليهم رسلاً وكانوا يتحملون تلك المواثيق كقوله تعالى وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة إلى
آخره وكقوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وكان من الله الوفاء بعهده ومنهم نقض عهده فأخبر أنهم إذا لم يوفوا
بعهده لم يوف بعهدهم وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون • وفي الآية
دلالة أنهم كانوا يختارون لغيرهم دين الرسل بأجمعهم لما اختاروا من اتباع هواهم وأن الرسل وإن اختلفوا في
شرائعهم فإنهم إنما يدعون بأجمعهم إلى دين واحد وقوله تعالى فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون منهم من كذبهم
ومنهم من كذبهم ومنهم من قتل لكن القتل إن كان فهو في الأنبياء غير الرسل لأنه تعالى قال إنا لننصر
رسلنا الحديث إنه ينصر رسلنا وليس في القتل نصر ويحتمل قوله فريقاً يقتلون أي فريقاً يقصدون قتلهم
قتلهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة ولم يبين ما الفتنة التي حسبوا
أن لا تكون فتنة وأهل التأويل اختلفوا فيها قال القائلون الفتنة المحنة التي فيها الشدة حسبوا أن
لا يبتليهم الرسل بامتحانهم على خلاف هواهم بل جاءتهم الرسل ليمتحنوا على خلاف ما اختاروا من هوى أنفسهم
وقال بعضهم قوله وحسبوا أن لا تكون فتنة أي هلاك وعذاب بتكذيبهم الرسل وقصدهم قتلهم
وقال ابن عباس رضي الله عنه أن تكون فتنة أي حسبوا أن لا يبتلوا بتكذيبهم الرسل وقتلهم الأنبياء
بالبلاء والمحنة فعموا عن الحق فلم يبصروا وصموا عن الهدى فلم يسمعوا لما لم ينتفعوا به ثم تاب الله عليهم فرفع عنهم
البلاء ويحتمل أن يكون قوله وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا ما ذكره
في آية أخرى بعد هو قوله وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً إلى قوله
تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم الآية تابوا مرة ثم رجعوا ثم تابوا فذلك قوله فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم
عموا وصموا الآية وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم • الآية يحتمل قوله عز وجل لقد كفر
الذين أي كفروا بعيسى لأن عيسى كذبهم في قولهم إنه ابن الله بقوله يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم الآية وقوله
إني عبد الله آتاني الكتاب الآية أخبر أنه عبد الله ليس هو إله ولا ابنه
تعالى الله عن ذلك والثاني كفروا بجهلهم لأنهم علموا أنه ابن مريم قالوا هو الله وابن الله فإذا كان ابن مريم لم يكن
للألوهية وإذا كان ابن مريم يستحق الألوهية فمن تقدم منه كيف يكون ابن من بعدهما ولكن أسفههم تعالى الله عن ذلك
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقوله تعالى إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة • ومأواه النار وقيل سمي
قال الحسن سمي ذلك لأنه مسح بالبركات وسمي رجال مسيحاً لأنه ممسوح بالنعمة وقيل المسيح بمعنى الماسح
وذلك جائز في الفعيل بمعنى الفاعل وهو ما كان يمسح المريض والأكمه فيبرأ أو يمسح الموتى فيحيون ومثل ذلك
تسمي بذلك والله أعلم والفعيل بمعنى المفعول جائز أيضاً يقال الجريح والمجروح وقتيل ومقتول هذا كله
جائز في اللغة وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة • قوله تعالى كفروا بجهلهم علموا أن الله تعالى كيف
يكون ثالث ثلاثة زعموا أنه فإذا كان الإله لا يكون بهذا أن يكون ثالث وذلك تناقض في العقل ولتنافي
أنهم لم يروا غيراً مختلف السموات والأرض ولا رأوا أحداً خلقهم سوى الله كيف سموا دونه إلهاً والخلق
ما ذكرنا فلنا أنه لا يعلل لا عبيره وذلك وما من إله إلا إله واحد أي ليعلموا أنه لا إله إلا الله الواحد لكنهم
يعتقدون يكابرون في ذلك وقوله تعالى وإن لم ينتهوا عما يقولون • عما تقدم ذكره ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب أليم وقوله تعالى أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه • عن مقالتهم الشرك فإن فعلوا فإن الله غفور رحيم
كقوله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله العصمة وقوله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول • في الآية
دلالة المحاجة مع الفريقين كانهم كانوا فريقين كانه حاج الفريقين كانوا يكفرون أنه رسول الله الفريق
الذي يدعون له الربوبية والألوهية فقال إنه ابن مريم وابن مريم لا يحتمل أن يكون إلهاً والثاني أخبر أنه رسول الله
قد خلت من قبله الرسل أي قد خلت من قبل عيسى رسل مع آيات وبراهين لم يقل أحد من الأمم السالفة أنهم
كانوا آلهة فكيف قلتم أنتم بأن عيسى إله وإن كان معه آيات تعجب عن بين رسالته وقوله تعالى وأمه صديقة
قيل مطهرة من الأقذار كلها صالحة وقيل صديقة سنية النبيين وذلك أن جبريل عليه السلام لما أتاها
وقال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً صدقته كتصديق الأنبياء والرسل والملائكة ولما سائر الخلق
إنما يصدقون الملائكة بأخبار الرسل إياهم وهي إنما صدقت جبريل بإخباره أنه ملك وأنه رسول الله ذلك
سميت صديقة والله أعلم وقيل كل مؤمن صديق كقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون
الآية وقوله تعالى كانا يأكلان الطعام وفيه الاحتجاج عليهم من وجهين أحدهما أن الجوع قد كان يغلبهما ويحوجهما
إلى أن يدفعا ذلك عن أنفسهما وعن غلبة الجوع وقهره كيف تصلح أن يكون ربا وإلهاً والثاني أنهما إذا احتاجا

الى الطعام لا بد من ان يدفعهما اذا لبالى اذا له الا ان يدفعوا انفسهما او دفعه والقيام في اخبث الاماكن فما بعدهما
ممن يرفع الخلاف لا يكونا الهين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله تعالى انظر كيف نبين لهم الايات والايات
ما ذكر من وجوه المحاجة عليهم احدها انه ابن مريم ومن كان ذا والد لا يكون الها والثاني انه رسول قد خلت من قبله
الرسل مع ايات وبراهين لم يدع احد منهم الالوهية والربوبية والثالث انه كان يأكل الطعام ومن كان تحت غلبة
اخر وقهره لا يكون الها والرابع من اكل الطعام احتاج ان يدفع عن نفسه الاذى ويتحول في اخبث مكان ومن كان هذا
امره لم يكن الها والله اعلم وليس في القران والله اعلم اية اكثر ولا ابين احتجاجا على النصارى ولا اقطع لقولهم
من هذه الاية المعاني التي وصفنا وقوله تعالى ثم انظر انى يؤفكون اي عن اين يكذبون وقال ابو عبيدة يؤفكون يصرفون
ويحادون عن الحق وكل من صرفته عن شيء فقد افكته ويقال افكت الارض اذا صرف عنها القطر وقوله يؤفك عنه من افك
وقال ابن عباس رضي الله عنه وذلك افكهم وما كانوا يفترون قال اضلهم فاذا اضلهم فقد صرفهم عن الهدى
قال ابو عوسجة الافك عنده الصرف عن الحق في الاصل الافك الكذب وقال القتبي يؤفكون يصرفون عن الحق
ويعدلون وقيل انى يؤفكون يخدعون بالكذب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ان خالفتموه ولا نفعا ان اطعتموه ويحتمل قوله ما لا يملك لكم ضرا ان كان الله اراد بكم نفعا ولا نفعا ان
حل بكم الضر اي لا يملكون دفعه عنكم وقوله تعالى والله هو السميع لنسبتكم عيسى الى غير الحكم العليم بعبادتكم
غير الله ويحتمل السميع المجيب لدعائكم العليم بنياتكم والله اعلم وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
غير الحق خاطب الله عز وجل بالنهي عن الغلو في الدين اهل الكتاب ولم يخاطب اهل الشرك بذلك فيما خاطب
بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق وذلك ان اهل الكتاب ادعوا انهم على دين
الانبياء والرسل كانوا من قبل فنهاهم الله عز وجل عن الغلو في الدين والغلو هو المجاوزة عن الحد الذي حد له
الافراط فيه والتعمق كانه والله اعلم قال لا تجاوزوا الدين الحق الذي جعل فيه بنسبة الالوهية والربوبية
الى غير الله والعبادة له واما اهل الشرك فانهم يعبدون ما يستحسنون ليس لهم دين يدينون به واما هؤلاء
فانهم يدعون انهم على دين الانبياء والرسل كذلك خرج الخطاب لهم بذلك والله اعلم وقوله تعالى ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني الرؤساء بذلك والله اعلم واضلوا اتباعهم وضلوا عن قصد طريق الهدى وقوله
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم قال بعضهم لعنوا بكل لسان لعنوا على عهد
موسى عليه السلام في التوراة وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الانجيل وعلى عهد رسولنا
محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات في القران يروى عن ابن عباس رضي وقيل مسخوا بدعائهم بما اعتدوا قردة
وخنازير قال ابن عباس رضي القردة والخنازير من نسل الذين مسخوا وقال الحسن انقطع ذلك النسل
واصل اللعن هو الطرد كانهم طردوا عن رحمة الله ويحتمل تخصيص اللعن على لسان داود عليه السلام لما
به غلظة وخشونة وهو الذي كان يتخذ الاسلحة والات الحرب وعيسى كان به لين ورفق ليعلم ان اللعن الذي
كان منهما كان لاعتدائهم الحدود حدود الله وعصيانهم ربهم وكانوا مستوجبين لذلك محقين
ولذلك استجيب دعائهم عليهم باللعن اعني دعاء الرسل عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه ذكر في بعض القصة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا قال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم اطرا قال ابو عبيد يعني
تعطفوهم عطفا ويقال اطرته حتى كسرته وهو كسر وقوله تعالى ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قيل قوله ترى
كثيرا منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا يعني اليهود يتولون الذين كفروا اي يظاهرونهم على رسول الله واصحابه
رضوان الله عليهم اجمعين وقيل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود يتولون الذين كفروا من مشركي العرب
وغيرهم كانوا يظاهرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويعاونون عليهم وقد كان من المنافقين
جميعا ذلك ويحتمل وجها اخر قوله ترى كثيرا منهم من هؤلاء الذين شهدوا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولون
الذين كفروا يعني اسلافهم ورؤساءهم كقوله تعالى لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا الاية تولى هؤلاء اولئكم واتبعوا اهواءهم وقوله تعالى لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان
سخط الله عليهم اي ما قدمت انفسهم سخط الله عليهم وقوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني
المنافقين في احد التأويلين وفي التأويل الاخر اليهود اي لو صدق هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وامنوا به
وصدقوا بما انزل اليه القران ما اتخذوا اولئك اولياء ثم يحتمل قوله تعالى ما اتخذوهم اولياء في الدين او في النصر

والمعونة والمظاهرة ولكن كثيرا منهم فاسقون وقوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين
اشركوا يحتمل الاية وجوها يحتمل ان يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين امنوا قوما مخصوصين منهم
ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه هم اشد عداوة لهم ويحتمل اليهود
جملة فهو والله اعلم على ما كان منهم من قتل الانبياء وتكذيبهم اياهم ونصب القتال والحرب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما كان منهم من القول الوحش في الله سبحانه ما لم يسبقهم احد بمثل ذلك
ما وصفوا الله عز وجل بالبخل والفقر وهو قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء وغير ذلك من القول وذلك لشدة بغضهم وعنادهم وقساوة قلوبهم فعلى ذلك كل من دعاهم الى
دين الله تعالى فهم له اشد عداوة واقسى قلبا واما النصارى فلم يكن منهم واحد مما كان من اليهود من قتل الانبياء
ونصب الحروب والقتال معهم ولم يبلغ بغضهم لعنادهم الحرب ولا كان منهم من القول الوحش مما كان
من اليهود بل كان فيهم اللين والرفق حتى حملهم ذلك على الغلو في عيسى ما قالوا وذلك منهم لتعظيم نور
القدرة التي جعل الله لعيسى رفعوه من قدر العبودة الى قدر الربوبية لذلك كفروا وانه كانوا يؤمنون بالكتب
والانبياء عليهم الصلوة والسلام من قبل الاتباع والله اعلم قال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اخبر عز وجل ان
منهم قسيسين ورهبانا وان الرهبان هم العباد وقيل القسيسين هم الصديقون ولم يكن من اليهود رهبان و
لا قسيسين لذلك كان النصارى اقرب مودة والين قلبا من اليهود والله اعلم انه كان ذلك لقوم مخصوصين
مشار اليهم وهو ما ذكر في القصة ان بني قريظة والنضير كانوا يعاونون ويظاهرون مشركي العرب على حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرونهم بذلك ظاهروا واما الذين يؤمنون بعيسى لا كتب تعطى على من قد لقي الانبياء
والكتب جميعا وذلك لسفههم وشدة تعنتهم حتى قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاهم من بلادهم الى
ارض الشام وان كان ذلك في قوم بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهم ما كان يهود المدينة
حيث بايعوا اهل مكة على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعينونهم عليهم وطلائعهم ولم يذكر في
القصص من بعض انه كان من النصارى شيء من ذلك انا قرب مودة المؤمنين والله اعلم وما قال بعض اهل التأويل
بان من اسلم منهم كان اقرب مودة للمؤمنين من اليهود فخارج على هذا الكلام ان المؤمن اقرب مودة للمؤمنين من الكافرين
وذلك كلام لا يفيد معنى وقوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع سرورا مما
كانوا يسمعون من نعته صلى الله عليه وسلم ويطعمون من وجه وقد يحمل السرور هذا العمل اذا اشتد به فرح
القلب فاضت عيناه سرورا ويحتمل قوله تعالى ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد
ان بلغهم ما بلغ هؤلاء من اعلام النبوة واثار الرسالة اشفاقا عليهم ان كيف لم يؤمنوا كقوله تعالى ترى اعينهم
تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون ويحتمل فاضت اعينهم حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون والله اعلم
وقوله تعالى يقولون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الاية قيل مع الانبياء
والرسل وقيل مع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو واحد ثم ذكر في القصة انها نزلت في النجاشي واصحابه
وقيل نزلت في اربعين رجلا من مسلمي اهل الانجيل بعضهم قدموا من ارض الحبشة وبعضهم قدموا من ارض
الشام فسمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اشبه هذا بالذي نجد من حديث عيسى فبكوا
وصدقوا فنزلت الاية فيهم فلا ندري كيف كانت القصة وفيمن نزلت اذ ليس في الاية بيانه وليس بنا
الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه من شدة رغبتهم في القران وسرورهم على ذلك لما نالوا من اتباعهم ما جاءهم
من الحق الحق يحتمل الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل القران ويحتمل كلاهما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين قال الحسن قوله تعالى نطمع اي نعلم ان يدخلنا ربنا الجنة اذ امنا بالله وما جاءنا من الحق
وقيل نطمع ونرجو اي نطمع ونرجو ان يدخلنا ربنا في دين قوم صالحين والصالحين يحتمل ما ذكر من الانبياء
والرسل ويحتمل اصحاب محمد صلوات الله عليه وسلامه وقوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا الثناء الحسن في الدنيا
حيث ذكرهم في القران بخير وكرم ذلك الى يوم القيامة وسيجزيهم في الاخرة الجنة ونعيمها وذلك جزاء المحسنين
المحسن كانه هو الذي يتقي المعاصي ويأتي بالخيرات والحسنات جميعا بعمل عملين جميعا والمتقي هو الذي يتقي المعاصي
والمكاره خاصة وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال بعضهم الجحيم هو اسم
معظم النار وقال غيرهم هو اسم دركة من دركاتها وكذلك السعير وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم الاية ترد على المتقشفة لانه نهانا ان نحرم طيبات ما احل الله لنا وهم يحرمون ذلك وقال
الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق لا فرق بين تحريم ما احل الله لنا من الطيبات
وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث ثم يكره ذلك ان يحرم على نفسه ما لنا في الخبز والماء وهما من الطيبات

الا ترى ان المراد قد يحتمل ان يكون من غيرهما من الطيبات اذ اكثر ذلك لا يحمل النبيذ الخبز والماء دون انهما من الطيبات
الطيبات الا ان تمتنعوا من التناول لغيرهما ايثارا منهم غيرهم على انفسهم لما يلحق القوم من الحرج في غيرهما
من الطيبات ولا يلحق في الخبز والماء لانهما موجودان يجدهما كل احد ولا يجد غيرهما من الطيبات الا من يحمل مؤنة عظيمة
وان كان تركهم التناول اياها لهذا الوجه فانه لا بأس به وبعيد فان الله تعالى جعل الاطعمة والاشربة ولعلو كلها للبشر
في الوقت والحال التي تطيب انفسهم بها وتلذ لانه لا تحل لهم فاذا لم تخرجها من الارض والنخيل انما احل لهم بعد
نضجها وينعها واتخاذها خبزا او بلوغها في الطيب نهايته وجعل النهاية في ذلك اول ما يخرج فاذا كان النشء حقيق
بذلك لم يجب ان يحرم ذلك وبطل ذلك التخصيص والتفضيل والله اعلم فان قيل انما لم يتناولوا منها ما لم يحرم فرشا
لذلك يقتصر على ما يقيم الرمق منه قيل له يجب ان لا يتزوج من النساء الا ادونهن جمالا واكبرهن سنا الا انها
تصون عن الفجور فان لم يكن في تزويج العجائز والقبائح وترك الشابات الحسان زهادة فليس في اكل خبز
الشعير وترك الحوارى والميرة زهادة ولكن لما خاف ان يدخله الرغبة في طيب الطعام فيشتد مكسبه فواجب عليه
ان لا يدخله في ذلك المكسب وينزه نفسه عنه ويقتصر على القوت الذي لا يبتذله فيه وقيل الاية نزلت في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد وسالم رضي الله عنهم
اجمعين وهؤلاء حرموا على انفسهم الطعام والنساء وهموا ان يقطعوا مذاكيرهم وان يلبسوا المسوح ويتخذوا
الصوامع فيترهبوا فيها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى منزل عثمان فلم يجده فسأل النبي صلى الله عليه وسلم امرأة
عثمان لحق ما بلغني عن عثمان واصحابه قالت ما هو يا رسول الله فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالذي بلغه فكرهت
ان تكذب النبي صلى الله عليه وسلم وتبدي على زوجها فقالت ان كان عثمان اخبرك فقد صدقك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قولي لزوجك اذا جاء انه ليس مني من لم يستن بسنتي ويأكل ذبيحتنا فلما رجع عثمان واصحابه اخبرته
بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والله لقد بلغ النبي امرنا فما اعجبه فذروا الذي كره فانزل الله
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه بيان ما ذكرنا والله اعلم وقوله
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا يحتمل ان يكون الحلال هو الطيب والطيب هو الحلال سماهما باسمين وهما
واحد ويحتمل ان يكون قوله كلوا مما رزقكم الله حلالا بالشريعة والذي هو طيبا بالطبيعة لان الحل والحرمة
معرفتهما بالشريعة والطيب ما تستطيبه الطبائع وفي الاية دليل انه قد يرزق ما هو خبيث ليس بطيب لانه لو
لم يرزق لم يكن لشرط الحلال والطيب معنى والله اعلم وقوله واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون في الاية دلالة
ان الخطاب للمؤمنين لانه قال اتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مؤمنين ونحو هذا قد سماهم
مؤمنين مطلقا دل انه يجوز ان يسمى واتقوا الله ولا تحرموا ما احل الله لكم الذي انتم به مؤمنون فانه لا يحل
ولا يحرم الا هو وليس الى احد دونه تحليل وتحريم مسئلة اختلف الناس في تأويل اللغو ذكر في قوله عز وجل
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان الى قوله لعلكم تشكرون فيما للناس حاجة
الى معرفة حقيقة ما في كل حرف منها انه لم يزل يتنازع اهل الفقه في احكامه فيما يعلم نحو البيان في الخطاب
لا يبلغ ما يقطع موضع التنازع فيه ولا بحيث يبلغ حقيقته كل سامع كان في شرط النحو الاسير الذي يحتمل
بها الزوم الفكر فيها والبحث عنها والسؤال عنها الذي خصوا بفهمها استوثم من وجه الاباية عنها العقل
بما سبق لهم العلم بها في معرفة ذلك البيان ما خفي من معنى الذي تفرع او بغير ذلك مما فيه دليل على انه لا يجوز
المحنة بالذي لا يحتمل الوسع الوصول اليه ولا في جملة ما امتحن يصلح ذلك لما يجب الامر بفعل ما هو عنه
ممنوع وذلك بعيد بل يكون البيان السمعي على قدر البيان العقلي ان من الفارع ما يكون بالجوهر ومنها ما لا
يوصل اليها الا بالتعليم او بالاستدلال فمثله حق السمعي والله اعلم من ذلك قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم انه عز وجل ذكر يمينا لا يؤاخذ فيها في موضعين من غير ان ذكر انها اي يمين هي ولا باي شيء لا يؤاخذ
فيها والحاجة لازمة اذ ذلك في موضع الاحسان منه جل وعلا في العفو عمن لم كان له المؤاخذة وحق على الناس
معرفة منه الله تعالى ليشكر عليها ثم معلوم ان اليمين لو كانت بالطلاق والعتاق كان صاحب ذلك يؤاخذ
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ثلثا الجد فيهن جد الطلاق والعتاق والنكاح فالله اعلم
امرين سيما كان بلا زمان بلا شرط تصيير الموقع حالفا او لعظم ما في رفع المؤاخذة في اليمين يرتفع عند اليمين
وهما يصيبان فيقعان من غير ان كان في الاية ذكر التفصيل ولكن يجب معرفة حقيقة ذلك بالكتب بيانا من الخبر كنه
معا لا يعرف في ذلك خلافا وهذا يوضح ان العفو فيما كانت الايمان بالله تعالى فعلى ذلك ما نسق عليها الا يؤاخذ
من المؤاخذة وذلك يمنع من احتج بايجاب الكفارة على الحالف بالعرب بحيث كان ذلك منه يمينا والله اوجب على
كفارة وانما ذلك في اليمين بالله واليمين بالعرب ثم كانت اليمين بالعرب كانت على مخرج اليمين بالله لم يجب فيها شيء

بالغ

بالعتق لا افعل كذا او بالصلوة او بالصيام ولو قال بالله يجب ثبت ان وجوب ذلك مصير ورته يمينا
كان يجري النذور وقد امر الله ورسوله في النذور بالوفاء وكذلك اليمين بها وما بين ذلك انه لو قال ان نفعل كذا
فعليه قتل كذا وما تلاف ما له انه لا يلزمه شيء ثبت انما الزم لم يجري لزوم ذلك في النذر وجوب الوفاء
لا غيره مما جاء الخبر بالامر بالحلف بالله والنهي عن الحلف بغيره والنذور بما يكون بغيره ثبت ان وجوب ذلك
بجري النذر ولذلك يجب الوفاء به والله اعلم ثم الاصل في ذلك ان الحلف بغير الله يكون على قسمين قسم لا يجب
فيه شيء وقسم انه لو وجب لصار المسمى مثل الطلاق والعتاق فيما يجب فيما كان في الحلف بالعرب في الذمة
وهو حلف بغير الله تعالى لم يجب ان يكون الواجب فيه الاثم اوجب والله اعلم ثم اختلف في معنى اللغو فقال قوم
هو الاثم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ثم اختلف من
قال بهذا على قولين احدهما انه لا يؤاخذ بالاثم في ايمانكم التي لم تعتقدوها لكنها جرت على اللسان ويمثل ذلك
روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هو قول الرجل لا والله ما كان كذا وبه قال ابو بكر الكيساني في تفسيره
وايد ذلك بقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دل ان الاول بما يجري على اللسان دون ما يقصده قلبه
والله اعلم والثاني انه لا يؤاخذ بترك المحافظة ما لم دليله مسئلة ذلك قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
الاية فكانهم تحرجوا عن ترك المحافظة فيما سبقت منهم الايمان قبل النهي بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها فنزل قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في بعض ايمانكم اذا كان حفظها اثما او ذلك نحو ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر
يمينه وعلى ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولا يحتمل ان يؤاخذ بالعقد وهو به معظم ربه ولكن
المحافظة ايمانا فيما لم تكن فهو في قوله واحفظوا ايمانكم والله اعلم والى هذا يذهب سعيد بن جبير في تأويل الاية
وقال قائلون هو الشيء الذي لا حقيقة له في اللغة وعلى ذلك اللغو فيه انهم لم يقصدوا الحقيقة لم تظهر
ولكن قصدوا التلبيس بما ينطق به ما كان كذا قيل لا يسمعون فيها لغوا باطلا بل كل ما يسمع فيها حق وحكمة
ثم رجع تأويل الوجهين احدهما فيما يجري على اللسان عن عقد انقلب على ما هو به تفسيره والثاني ان يكون الحلف
بما لا حقيقة له على ظن ان حقيقته ما حلف عليه الحالف كما حلف بكذا وعن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في
الاية على التأويل الاول لكانت في رفع المأثم خاصة وهو التأويل الذي ذكره سعيد بن جبير رضي الله عنه واما الكفارة
فهي لازمة على ما ذكر في الخبر المرفوع فذلك وبما هي واجبة للحنث في اليمين ولترك الوفاء بالعهد المعقود في الامر
ونحو ذلك لزمت الكفارة فالوجهين جميعا معا لا بد من الاثر فيما اخطأ او تعمد من حنث لم يكن شيء
كان منهما صاحبه وذلك يبين ان ذلك للحالف في عقد اليمين ولما يخرج الفعل مخرج الاستحقاق فاذا اول
فيه تعمد وان كان المسئلة وقد خصص عن ذلك الوجه فامره بتكفير ذلك وذلك لمعنى موجود في الوجهين
لذلك لزمت الكفارة في الامرين والله اعلم ولو كانت على التأويل الثاني وعلى احد وجهي تأويل الاول لكان ان
لا يؤاخذ بالماثم ولا بالكفارة جميعا والذي يبين ان هذا التأويل انه ذكر المؤاخذة في الايتين احدهما
بكسب القلوب وكسبها تعمدها وكل مؤاخذة به يكون بالماثم لا بالحقوق والكفارات اذ لا يؤاخذ في شيء
بكسب القلب خاصة بكفارة او حق او جب وان كان قد يؤاخذ بذلك عند افعال الجوارح فاما الخاصة فلا
وقد يكون به الطاعة والمعصية وعلى ذلك قوله ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
فاذا ثبت ان ذلك في الماثم ولا يؤاخذكم لا اثم ما فيما ذكر من عقد اليمين في العقد اذ هو يخرج مخرج التعظيم لله
وقد يوجب عقود الايمان عن ذكر ثبت ان المؤاخذة فيها بالكفارة فلا يؤاخذ بها في الفعل ايضا واذ
ذلك ان الله تعالى ذكر ما لا يؤاخذ مرتين وذكر المؤاخذة كذلك فلو كانت بواحد لكان الذكر الواحد كافيا
فثبت انه بامرين مختلفين فعلى ذلك الماثم العفو والله اعلم مع انه قد تبين في اية المائدة كيفية المؤاخذة
وكسب القلب فيجب ان يكون العفو عما جرى به بيان المؤاخذة احق منه مما لم يجري به فثبت انه في رفع المؤاخذة بالكفارة
ولو كانت على ما يقوله سعيد لكانت تجب الكفارة بما سلف بيانه لذلك علمنا ان هذا احق بالاية والله اعلم ثم اذا
ثبت ان اللغو مما لا يجب فيه الكفارة يحتمل ان يكون لم يجب فيه حيث لم يعص الله به ويحتمل ان يكون لم يجب
بنيته كانت على ما كان الحنث بعده او قبله فيه صحة اليمين وان اطلق لها الاثم اذ كانت الاسماء مطلقة بما
سد من العقود وصحت وانما يختلف لها الاحكام والمقاصد منها وان كان لما لم يعص الله يجب ان يكون كل
مره لا يجب الكفارة فاذا جرت السنة بايجابها على الامر بالحنث وقد يجب ايضا فيما كان فعل الحنث
بحال خطأ او نوم وجنون او فعل غير الحالف فيم الحنث به على تعمد ان يأثم بعضهم ما دقال الله عز وجل ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثبت انها تجب لا لانه لم يعص الله ولكن الوجه الذي ذكرت والله اعلم ثم كان ذلك الحنث فاعلي اليمين

الذي يتعمد فيه الكذب وهو ما قيل اليمين الغموس يجب لان لا يلزمه كفارة اليمين انما يلزمه كفارة فعل الحرام
ومخالفة الله والله اعلم وانه هذا الاصل وجهان احدهما ان سنة الامر في اليمين المعقودة على الكذب فيما عصى
من الحنث فيها او اطاع ان يستوي في اليمين على الماضي في الوجهين جميعا فاذا لم يجب الكفارة في احد الوجهين
لم يجب في الاخر والله اعلم والثاني ما روي عن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم في شان اللعان بعد الفراغ منه ان احد
كما كاذب فهل منكما تائب ومعلوم ان حاجتهما لو كانت تجب فيه الكفارة الى البيان عنها اكثر من حاجتهما الى بيان
كذب احدهما ثم لزوم التوبة اذ ذلك يعرفه كل سفيه وحكيم بلا سمع والكفارة لا تعرف الا بالسمع ثبت انها غير
وكذلك الاخبار التي رويت في الخصمين انه يمضي لاحدهما حق وذكر فيها الوعيد الشديد ثم امرهما بالتسليم بينهما
او ان يحلل كل واحد منهما الاخر فلا يحتمل ان يكون فيه كفارة مع لا يبين وكذلك نعلم في موضع انه امر بالحنث
اذ قد تشتبه على بعض من ليس له روية وقد قال اصحابي اجمع المسلمون على ان لا يجب فيه الكفارة فنقول من وجهها
ابتداء شرع ونصب لحكم الله تعالى على الخلق وهو لم يشرع فيه حكما احد ثم الاصل في ذلك ان الاسباب التي ترفع
العقود وتوجب الحرمات اذا تاخرت العقود والاسباب الحل فهي على اختلافها متفقة على منع بذلها الا بعد
فعلى ذلك الامر بسبب الحنث فلذلك بطلت اليمين والكفارة هي كفارة اليمين فلا يجب فيها الا يمين يجب فيها
وليس في ذلك كالقول بمس السماء ونحو ذلك لان اليمين في هذا على ما تكون فسبب الحنث لم يعين فيها انه يحنث
لذلك اختلف الامران وهذه المسألة توضح حال رجلين الشافعي في قوله ان الكفارة تجب بالحنث وههنا
لا حنث لكم لم يصح العقد للحنث فيه ويكون الحنث ايضا بعد العقد لم يكن فيما كان النص بالكفارة في اليمين
المعقودة التي امر فيها بالحفظ ومحال الامر بالحفظ في هذه اليمين وانما يجب الحفظ منها ان يحلف به
والله اعلم وقال ابو حنيفة حيث يوجب الكفارة بعقد اليمين وحنثه واليمين الغموس يمين لا يجب فيها الكفارة
افهذا يوضح ان الكفارة تجب بالذي يرد في اليمين لا بنفسها والله اعلم ثم احتج من يوجب الكفارة بعقد اليمين
بقوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ثم قال فكفارته اي عندهم كفارة ما عقدتم من الايمان بما فيها الاضافة
ولم يستثن غير ذلك ذكر العقد مضافا اليه وكقوله ذلك كفارة ايمانكم اضيف الى اليمين وعلى ذلك سمى
المؤمنين كفارة اليمين مع ما فيه وجهان من الخبر احدهما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
رأى بجمع الطعنة فقسم ليمثلن بكذا من قريش فنزل النهي عن الوفاء بذلك فكفر عن يمينه ومعلوم انه لا يحنث
في يمينه الا في الوقت الذي لا يحتمل ان يزيد مثله في حياته ثبت انها كانت اليمين وكذا ما جاء من حلف على
الى ان قال فليكفر يمينه انما امر بتكفير يمينه والله اعلم والثاني ذكر ابو حنيفة ان الله نهى عن كون الايمان الا بالثنيا
بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فذلك النهي في اليمين اوكد واشد في حلف ان
ثم عصى الله فيلزمه الكفارة والاصل عندنا ان الكفارة تجب للحنث في اليمين اذ هي كفارة والكفارات
انما تكون للسيئات كقوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم وغير ذلك من الايات ومن التحقيق في العقل طلب تكفير السيئات
والحنث في التحقيق اسم للماثم ثم معنى الحنث فيه لانه كان عاهد الله ان لا يفعل كذا ففعل فيخرج مخرج نقض العهد
فيحنث ثم لا بالعهد ولذلك قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
وفي الجملة امر الله ان يوفوا بعهده لا ان ينقضوا وقد جعلت اليمين عهده وامرنا بالوفاء فنقضه يوجب الحلف
في عهده والنقض لعهده فيه ياثم الحالف لا ان الحلف فيه يجب الكفارة ولو كان اليمين كفارة لكان الحنث احق
ان يوجب الكفارة ثم لا يجوز ان يكون من حلف ان يطيع يكون به عاصيا ثبت ان الكفارة لو كانت تجب باليمين
لكانت تجب اليمين على المعصية لتصير تلك معصية فيجب ثم حق كفارة مثلها الحنث فيها لو على ذلك دون
ابو هريرة رضي الله عنه ان من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منها فانما كفارته ان ياتي الذي هو خير فلذلك يكون
كفارة اليمين لو احتمل ان يرجع عن الوفاء بها وانما كفارة ما لا وجه لدفعه تكون بالتوبة والحسنة تكفر لا ان
وعلى ذلك جميع انواع الكفارات انما احتمل دفع الحقيقة والرجوع عنه جعلت كفارته بالتوبة عنه والنقض
ما قد فعل وما لا يحتمل فيعتبر ذلك فلو كان لليمين كفارة لكانت تتوب بعد نسخ الاخر فاوجب التغفير الرجوع
ثبت ان ذلك الحنث والله اعلم ثم الدليل على انه لا يحتمل ايجاب الكفارة لعقد اليمين وجه احدهما ان العقد
يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل حمله ضعف ما الله وما ينال المخلوق عنه ولذلك جعلت الايمان لرفع التهم والحقوق
الامر المخلوق عن الخالق وايد لنا وجه احدهما ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حلفتم فاحلفوا
بالله وقال لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت فخبر الحلف بغير الله بانه تعظيم ذلك وقد عظم من قدره والثاني
ان لا يحملوا لاحد ذلك القدر الا الله سبحانه وتعالى والثاني قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها ولا يجوز ان ينهى عن الرجوع عن المعصية ويامر بالوفاء بها والثالث الامر الظاهر عن نبي الرحمة بحلفه في

في غير موضع ومما ذلك ذكر في قصة يعقوب واولاده وامر ابراهيم عليه الصلاة والسلام في شان الاصنام
وامر يونس عليه السلام لم يجز ان يكونوا بفعلهم ذلك بخير حركة ان الحالف عاص بما ترك الثنيا ومن كان
من الانبياء عليهم السلام قد تركوا الثنيا وليس ذلك كالوعد لانه الى نفسه متصف الفعل وهو بفعله
تحت مشيئة الله تعالى وفي اليمين بالله يستغيث واليه يفزع فلذلك اختلف الامران والله اعلم والدليل على انها
لم تجب باليمين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير
وليكفر يمينه قلنا ان الذي هو خير ولو كانت الكفارة واجبة باليمين لكان لا وجه للامر بالذي ياتي وهو خير
وقوله من حلف على يمين فليكفر يمينه فاذ لم يقل وكفر قال فيما كان منه حنث ثبت انها لم تجب والله اعلم ووجه
اخر اتفاق القول انه اذا كان مع اليمين بر فلا كفارة عليه واذا كان معها حنث تجب فلو كانت تجب باليمين
لكانت هي عند الوفاء اوجب فالكفارة فيه تكون وجب فاذا لم تكن اذا ثبت انها بالحنث وجبت والله اعلم
وايضا ما اجمع لامن حلف ان لا يقرب امراته بشيء لا يلزمه لو حنث به لم يلزمه فيه حكم الايلاء فلو كانت
الكفارة تجب باليمين لكان الحالف به عند الفراغ عن يمينه صار بحيث لا يلزم من بعد شيء فيجب ان يسقط
حكم الايلاء فاذ بقي عليه حكمه حال يدل ذلك كتاب وجرت به السنة ثبت ان القول يوجب بها قول محمد
والله اعلم ثم ان ثبت هذا يجمع تاويل الاية الى وجهين احدهما قوله ولكن يؤاخذكم بمحافظة ما عقدتم
من الايمان كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فان تركتم ذلك فكفارته كذا والثاني ان يكون
على اضمار حيث يؤاخذكم بحنثكم بما عقدتم وذلك غير مدفوع في حق الكفارات كقوله تعالى فان احصرتم
الاية وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه الاية لا على الوجوب بالعذر ولكن باستعمال
الرخصة فيه اذ لا يكون العذر سبب لايجاب فيه في الاول لا يكون تعظيم لله سببا لايجاب الكفارة
فيصير الحنث فيه مضمرا والله اعلم والاضافة الى الايمان على ارادة الحنث فيها كاضافة كفارة الفطر الى الصيام
والدم الى الحج والسجود الى السهو ان كانت الكفارات تسند الاضافات الينا بذلك ما ذكرت والله اعلم
ثم كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه لانه قد عصم عن المعصية وفي الوفاء بذلك معصية اذ نهى
عنه ويمينه كانت قبل النهي فصار ما ياتي اخر النهي بذلك وبذلك يكون الحنث لا بعدم امكان الوفاء لكن
غيره الا يؤمن منه المعصية فذلك وقت اياسه عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد عصم
عن ذلك فوقت اياسه وقت النهي ولا قوة الا بالله وقوله تعالى اطعام عشرة مساكين في متعارف اللغة
على التقريب لما ياكلوا لا على التمليك وكذلك الاخر المتعارف بين الخلق فيما بين بعضهم الى بعض لاطعام
وايد ذلك قوله من اوسط ما تطعمون اهليكم ولا يعرف التمليك في اطعام الاهل ولا خطر ببال احد
ذلك وقد عرفهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان علمه عند كل احد معلوما اذ قل انسان يخلو من ان يكون
اهلا لاحد وهم لجهلهم عن العقول لم لا تعرف بها والله اعلم ما لذي يوضح هذا من طريق الفقه انه ذكر
في ذلك اطعام عشرة مساكين والمسكنة هي الحاجة وحاجة المسكين الى الطعام معلوم انها تكون
لاكله دون ملكه وجهة حاجات الاكل لذلك مما يعم المساكين وغيرهم مما قدر ذلك بالكفاية والشبع
وحق ذلك في التقريب للطعم لا في التمليك عليه ولكن يجوز التمليك بما به التمكين لذلك فيجب بذلك
الجواز بكل ما فيه تمكين من ذلك بهما وما كان ان جاز التمليك لا يجوز النقص مما كان في تمليك الثمن او
مما يختار هو على الوجه الذي يختار للاختيار فان ذلك اقرب الى قضاء حاجة ولو كان الامر على تمليك
الماكول خاصة لكان ان الدعاء والتقريب اليهم للذي احق ان يجوز للوجهين احدهما انه اقرب الى دفع الجوع وسد
المسكنة من تمليك بل لا يصل اليه الا بعد تحمل المؤنة وطول المدة والثاني ان الكفارات جعلت بما ينفر عنه
الطبع ليذيقه الم الاخراج من الملك والبذل فيكفر ما اعطى نفسه من الشهوة التي لم يؤذن فيها وكذلك
معنى الحسنات المكفرة للسيئات ثم كان ان دعا المساكين وجمعهم على الطعام وخدمتهم والقيام بما فيه الامر
اليهم اشد على الطبع من التصدق عليهم فيجب ان يكون اقرب الى التكفير وعلى ذلك يجوز بدل الثمن فانه
يحمل الكره على الطبع كهو في الطبع لا طعام فيجوز مما ان جعل ذلك حقا للمساكين يخرج من عمله بالتسليم
اليهم من طوع منهم ويجوز مثله من التبادل في جميع الحقوق فكذلك في الكفارات والله اعلم على ان الله تعالى
لما استيسر من الهدي ويجوز فيه غير ذلك النوع وكذلك في كل الصدقات والله اعلم ثم جمل ذلك كله في
وجهين احدهما القول باطعام المساكين ثم اريد رفع المسكنة والمسكين هو الخاضع الذي من يستحق
نعمة السائل الا يخضع المسؤول بالسؤال وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغنوهم في يوم الفطر
عن المسألة في مثل هذا اليوم ثم كان اول ما اخبر فيه نصف صاع من حنطة فعلى ذلك صدقة المساكين

وقيل ذلك اذا اطعم يكفي مرتين وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفارة المتمادي ثلثة
اصوع بين ستة مساكين فثبت بمعنا فيما اريد لاطعام العدد ذلك فيه ما يحتج به في ذلك تقييد الكلبي
وبه قال الحسن وعلي رضي الله عنهما قال كتابي انه عز وجل قال من اوسط ما تطعمون اهليكم والاوسط فيما له حدود
ثلاثة يرجع ذلك الى وجوه ثلاثة احدها الى الاوسط من صفات الماكول والثاني الى الوسط من احوال
الاكل بمقدار الاكل والثالث الى الوسط من احوال الاكل فالاول نحو الاجود والاردى وبين ذلك والثاني
نحو السرف والقتر وبين ذلك والثالث نحو مرة وثلاث مرات في يوم واحد وبين ذلك فاذا المتيقن فيما
ما اليه رجع المراد نحو الاحتياط ان يكون الاوسط من الكل ليخرج مما فرض عليه بذلك وجب كلنا معما
حقيقة الوسط من الانواع والمقادير لا منتهى لطرفيه وقد نعرف حقيقة عدد الاكثر والاقل من الوقت
فهي احق ان تعتبر والله اعلم ثم كان الاخر في الظاهر الاطعام واجمع على رجوع الامر الى الحد وان لم يذكر فهي
والله اعلم ثم كان الاخر في الظاهر الاطعام واجمع على رجوع الامر الى الحد وان لم يذكر فهي والله اعلم يحتمل ان تكون
انتزع حدا من حكم الكتاب من وجهين احدهما ان الاية اذا كانت على ما يوكل ويطعم كان فيما عليه العرف
لا احد يتقرب الى اخر بما يطعمه فيقتصر على اقل ما يستحق اسمه وقد يتصدق بالقليل في العرف فلذلك كله
يحد بما اذا كان مما يعرف فيه الحد بين ولذلك لم يذكر عنه التفسير مرفوعا وذكر في قصة المتاذي بالتحديد
لفظها دلالة الحد في لفظ الاطعام دلالته اذ فيه عرف على هذا امر ما جاء من كيسا في الصدقات علم ذكر
في الاطعام الا لمكان المنازل وعلى هذا يجب الاطعام ايضا وان لم يكن فيه تمليك والله اعلم والثاني قوله
تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ومعلوم ان كل شيء له واسط فهو دوحد وطرفان على انه رد الطعام الى اهل
وفيه الاشباع لا محالة لذلك وجب القول بالحد والله اعلم ولو كنت لا نقدر فيه بحق الخطاب يجب وفصل ذلك
به ليعرف به حقيقة المقصود والله اعلم وكانه قال الطعام عشرة مساكين اذا اطعام عشرة في العرف عبارة عن
طعامهم وطعام عشرة عبارة عن فعل الاطعام وقد ثبت انهما المراد جميعا فكانهما ذكرا موصولين ولو
ذلك لم يكن يحو حفظ مقدار ذلك العدد ومن الصيام كان من قوننا الى الواحد اكثر والله اعلم لكن الشافعي
اصحابنا جمع الكل في مسكين واحد عشرة ايام يجزئ في قوم واحد دخل الامر على انه يعطي ويعشي وان كان
يجوز الدفع لما فيه حق الطعام فيصير طعاما كذلك وهو قدر طعام مسكين من قول غير المسكنة لكن الا
فيه لا يجوز واذا كان نحو ما ذكرت الجواز فيفساده لمعنى اعترض فيمنع لا لانه خارج عن ان يراد له على ذلك و
ذلك كخروج بعض المساكين لعلل عن الدفع اليهم لا لانه لو اجيب كان كالخلاف الذي ذكر فيه الاول والله اعلم
ودليل اخر مما يجري ذكر عشرة لا لان يحصل العشرة شرطا لكنه معلوم بالمعنى الذي له جعل الدفع اليهم الا
لم يسبب الجواز ان ذلك بحيث يحمل المكروه على الطبع ويكف الهوى عن مثلها واذاقة النفس مرارة الدفع
لله جل ثناؤه يكفر ما اتبعها هواها واوصلها الى مناها فيما خالف الله في فعله حيث لم يف بالعهد الذي
عهد الله او لزم نفسه عهدا من منع عن الوفاء فيخرج فعله مخرج فعل ناقض العهد محلف لو عدنا به
وذلك المعنى في البذل لاغير لا اعاة العدد ولا فانه كان حقا لهم قبل الدفع بل الاختيار الدفع اليهم يجعله
محققين فيه عما له اشاء بغيرهم والخروج عن ذلك بالعتق والصيام الذي لا يعود اليهم نفعه وكذا الاكفاء
اذا حصلت بما يغدي ويعشي ونحو ذلك اذا اريد الخروج منه بمسكين والفقير يحتاج الى تحلل الايام ومرور
الاوقات ونحو ذلك نحو خوف بقاء الذنوب عليه ولعله يعجله المنية فيبقى دينه غير مكفر جعل الله التكفير
في المساكين تيسيرا وتمكينا من الخروج الذي يمكنه لا الفوت معنى مما له التكفير فلذلك يجوز على ما ذكرت
وهذا الوجه يوجب منع الجواز في يوم واحد والله اعلم فانه متى اطعم مسكينا بقي عليه خطاب الطعام تسعة
وذلك لو ابتدأ الخطاب بتسعة وذلك لو ابتدأ الخطاب بتسعة مما يتضمنه الخطاب فكذلك اذا كان بعد
الواحد من الخطاب معا والله اعلم ثم لو كان العدد شرطا لكان موجود معنى العدد في الواحد اسقاطه اذ ذلك
في موضع التكفير والتطهير وكل ذلك يتعلق بالمعاني مما ذكر فيها من الاعداد نحو الغسل من الاحداث والجنابة
والانجاس ومثله الكفارة ونحوه فانه معلوم ان لكل مسكين قدرا من الطعام ثم كان القدر الواحد يتفرق
الاملاك عليه يستوجب حتى قدر العشرة على ذلك المسكين الواحد بما يتفرق عليه المسكنة كل يوم ويجدد
الحاجة يصير كعدد المساكين وذلك ايضا شبيه بما روي من الاستنجاء بثلاثة احجار على حجر من
كان غير مستحق به فكذا الغني فيما اذ له كل يوم حق مسكين اخر من حيث حدثت الحاجة لم تدفع بالاطعام
الاول والله اعلم وليس كالاعداد في الشهادة لم يجعل العدد فيها بما يلحق الواحد تهمة او له به منفعة الصدق
او نوع عبادة في منع الحكم والقضاء وتسليم الامر لغير من الحجج وفي هذا معنى التكفير قد بينا وذلك لكفي

ولو

فالذي وصفنا على ان الشهادة في اليوم الثاني اعادة الاولى والاطعام هو تجديد الدفع والواحد قد يقوم
في الشهادات مقام ما بازاء اذا كان لكل حق التجديد والله اعلم ثم قوله تعالى عشرة مساكين من غير ذكر القريب والبعيد والحر
والكافر والصغير والكبير او قدر المسكنة او لعلم الذي به نعرفه معلوم ان لكل جهة مما بينا حد بان لنا من الى معرفة
حاجة والمنابر في كل جهة تنازع والاجتهاد في الوقوف على الحقيقة على الاتفاق وعلى انه لم يجعل الامر على الاسم
خاصة وان الذي هو في حد الفقر فيما ذكر فيه المسكين والفقير قائم مقام المسكين ههنا في الجواز لعلم ان الذي
فيهم مقصود يجب طلبه والبحث عنه والله اعلم ثم اجمع ان الصغير كذلك والمقة لتمة الكبير لم يقم في حق الاطعام
الا من حيث التمليك اذ الجمع على اقل المقدار انه مد والمد يكفي عشرة مثله ثبت انه لا الى مثله رجع الخطاب
والله يؤيد ذلك الشيخ من اوسط ما تطعمون اهليكم ان مثله لا يبلغ اقل ما يطعم الاهل على انه لو اريد بالاهل
الزوجة لكان مثلها لا يطعمها الزوج فثبت ان المراد راجع الى الخصوص والله اعلم والاصل في ذلك مما بينا
من تالم الطبع بدفع مثله وان يقوم بمثل الطبع الى رضاع مثله بل لا يحتمل اهماله وبعد فان مثله لا لطعم فثبت
ان الامر راجع الى الحد والله اعلم وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين والوالدان انه لا يجوز لان الطبع بالمسكنة فهو لا
لابائه ترفع المسكنة عنهم بل جعل الله تعالى الطبائع بين هؤلاء بحيث لا يحتمل نزول البلاد النسبة بهم
بحيث يجتهد كل بدفع الضر عنهم على مثله الدفع عن نفسه وبذل المال الصون عرضهم حتى لعد يشتم من
لم يتعاهد منهم ذلك ويلام اعظم اللوم واذا كان كذلك لم يتضمن هذا الامر زهرا لا بهذا يقومون بذلك
بحق الطبيعة لا بامر وقد بينا وجه الكفارة انه بخالفة الطبع والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن الذي امر بتفريق
زكوته فاعطى ابنه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا فلانا يا ان يزيد ولك الاجر لك ما
اخذت ولو كان يجوز اختيار مثله لكان ذلك احب ما صار اليه والله قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال انت ومالك لابيك فلا يحتمل مع هذا الحق بالاختيار ويصير ما يدفع الى ابيه كأنه له وما يدفع الى ابيه
كانه لنفسه دفع فلذلك لم يجز والاصل في هذا في الزكاة انها حقوق جعلها الله تعالى في الاموال لوجهين اما
بما ابتدأ الله عبيده بالنعم وخصهم باعطاء ما اشتهت انفسهم وما لطف لهم فاستاد امر شكر ذلك الذي
جبل الطبائع عليهم النفار عنه وفي انفسهم الاثرة في الاخراج عن الملك ومعونة من لم يكرمهم به ولا انعم عليهم
به وكان في ذلك ان يكونوا فرقوا مما اعطوا النفس مناها واوصلوا طباعهم الى هواها بغير الوجه الذي اذن له
في الحقيقة وهو الذي اختصهم فعرض عليهم الخروج بما انعم لو امن الوجه الذي في الطبع النفار عنه وفي النفس
الاثرة ليذيقوا انفسهم بما اعطوها من اللذة المرارة فيخرجوا من المتصدق والمحل الذي يجد به من انعم عليه
ما له الكرم وبه فرقه من لا يجد به هذا فليس بمقابل ذلك النعم بغير حق الشكر فلم يخرج مما عليه من الفرض وان كان
الله بكرمه وجوده بحيث يرجى منه العفو ومنه القبول منه والله اعلم وعلى ذلك عندنا امر الزوجين اذ قد حد
بينهما في البذل شهوة وميل الطبيعة ويكون التناكح بمثله على ما ذكرنا من التناكح لا لرغبة او جبه لهما مما لهما
وما كذلك الموجود في الطبائع والله اعلم وعلى هذا المعنى يخرج امر الشهادة اذ هي مؤسسة على دفع التهم عن احد
فاذا رجعت منافعهم الى حجتهم مكنت فيه لذلك لم يقبل وجملة ذلك ان الشهادة ودفع الزكوات والكفارات
بحق الامانات وهي يجب الامانة الانتفاع الممكن فاما ما لا الانتفاع به فلا مما ثم في المرجان وبما في الطبع ايثار نفعه لكان
له فيه ما ينزع الى حبه جعل امينا فلا يتمحض له الامانة فيه والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة
والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة والله اعلم ثم الدفع الى الكفار القياس ان يجوز جميع
ذلك من حيث كان المعنى الذي له يختار الدفع اليهم ويجد من ثقل الطبع والم النفس وعلى ذلك لجنس
عندنا الكفارات وايد ذلك قوله تعالى ان تبدوا الصدقات الى قوله ويكفر عنكم من سيئاتكم صير الصدقات
مكفرة لما ذكر ثم يدل على ذلك فيما قال اهل التفسير في قوله ليس عليك هداهم الاية ان ذلك في الصدقة على اهل
الكفر انه لا يمنعك ذلك وكان على اثر الوعد بالتكفير بالصدقة فامكن ان يكونوا هم في ذلك مما كانت الكفارات
جعلت بشرط المسكنة وتبيح في المسلم دفع المستوفي وان كان ذو كفرة يجانب الدفع اليهم وجملة ذلك ان الذي
بما اختار من اعطاء النفس شهوتها فيما لم يؤذن له فيكون كفارتها بالكف عن شهوتها فيما كان فيه البخل والبذل
الذي كان يسعه فمنع ذلك وذلك المعنى موجود في ذلك فلم ان التصدق عليهم نقض ما رغبهم في الاسلام
بحبر المنع والله اعلم واما الزكوات فهي مخصوصة بما كان من اضافة الدفع الى من يؤخذ من غنيهم فعلا بين
مثلها وجعل عليها اشياء لتتحرى المواضع واما الكفارات جعل الى اربابها ايجابها والخروج عنها في تحري
مثلها مما كانت الزكوات وجبت بالكسب بحق الشكر وحق الشكر الانفاق في الطاعة ثم كان الانفاق على
من يطيع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة وعلى الكافر لا يخلص عن شرط التمام في معنى الشكر والكفارة ونحوها

لقطاء النفس الشهوة فيمحصها باخراج ما شهوتها المنع وذلك المعنى موجود في الكفار على التمام لذلك اختلفا فيه
فاذا الزكوات تجب بلا ايجاب وقد حط الله الحق الذي ذلك سبيله ثم بين مختلفي الملك بحق المواريث والكفارات
يجب بما اكتسبوا او بين الفريقين في الحقوق المكتسبة اشتراك لا فرق الا بالله والاصل في ذلك ان الزكوات
وجبت في الاموال حقا للفقراء ثم هي تخرج الى من اوجبت لهم بالتسليم من تجب له المخرج على مثل حقوق المواريث
للقرابة وغير ذلك والكفارات كسبت بواجبة في الاموال لا تخرج بل ينظر الحق فيها الدفع والقيام بالتكفير فاذا كانت له
اموال دفعها منها والا ليست عليه حضارات الحقوق كانها بالدفع يقع اذ لو ترهم وجب الوجوب على الغني والفقير
لكان الامر لا يختلف واذا كان كذلك فعله ابتداء التصدق عليهم بحق التطوع والنذور وغيرها فيجوز فيهم و
الزكوات اذ الدفع منها تسليم الى من كان له الحق احتيج في ذلك الى ميز ذلك والله اعلم وصدقة الفطر بحق اطعام
ودفع السؤال كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغنوهم عن المسألة في مثل هذا اليوم الا ما كان يحمل فيما
يخرج منه بل بحق المعونة وذلك لازم في العقول لكل مايل والخاصة في الدفع اليهم ليستغنوا هم بما فيه سرور لاهل الاسلام
والله اعلم وايضا ان الزكوات وجبت في الابتداء حقا للفقراء اذ الله سبحانه وتعالى لم يخرج رزق الخلق الا كما
لبعضهم والزمهم تحمل كفاية من لم يملكهم اعني تلك الاموال اذ لم يخلق ابتداء الخلق لهم الجملة واذا كان يحل الزكاة
في الابتداء وجعل لاهلها بها الغنى واهل الكفر لو قبلوا الدين الذي ذلك حق جعل الحق احقهم [illegible]
فلم يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق بل كان في اموال اغنيائهم لمذهبهم والاهل الاسلام ان ذلك الحق في اموال
اغنيائهم وكذلك من عليهم الحق قبلوه بالدين لا لاهله لم يدخل في ذلك غيرهم ثم كانت الكفارات والنذور
ونحوها ليست بمجعولة بالدين لحق الفقراء وانما هي واجبة بتعاطي اربابها اسباب [illegible] يتقربون بها الى الله [illegible]
بما يجب على مذهبهم وقد جعل ذلك في جملة الصدقات في انواع العبادات التي لا غرض فيها المنافع للخلق [illegible]
انها لم تجب لهم وانما الشرط عليهم فيها ما يكون عبادة وقربة الى الله تعالى وقد جعل الله تعالى في الدفع الى مساكينهم
قربة وعبادة مجازات وعلى هذا يخرج قولنا في العتق على ان قولنا الجميع المخالفين لنا في هذا الباطل لان مذهبهم
اعتقاد العموم الا في قدر ما يمنعهم عنه الدليل والعموم لجميع الفرق كلهم باسم المساكين واسم تحرير الرقبة ولا دليل
لهم على الخصوص الا الاخرين في القياس ومن مذهبه ان اخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب خصوص من ذلك
وكذا يلزمهم اذ لا يخص الوجود التخصيص في غيره اذ ذلك ابعد على انهم اجمعوا ان لا يعتبر التتابع في غير ذكر
التتابع على المذكور ومثله امر الايمان وجملته انه قد يجوز في العتق مع قيام كثير من العيوب التي لا تحتمل
التغيير بعيب الدين الذي يمكنه التحول وكذلك من قول الجميع ان المجزي بالمرض عن الكفارة [illegible] فما يمنع ذهاب عين
كالذي لا عجز فيه ويمكنه اختياره احرى ان يجوز والله اعلم ثم الاصل ان الله تعالى في الكفارات التي جعل الايمان
فيها شرطا ذكر العتق في ذلك في مثل ثلاث فرق ذكر في كل منها تحرير رقبة مؤمنة لم يقع ذكر ذلك في شيء
منها الذكر في نوع من ذلك على قربة بما بين اولئك الانساب [illegible] كان يحتمل الاقتصار على بيانا الكفاية دون
المبالغة او يجب بذلك في النظر لكان يذكره كفاية على نحو الصوم فاذا لم يكتف على تقارب بعضها ان ذلك
نوع مما لم يؤذن فيه تعليق الحكم بالمعنى بل هو كان ربما دونا ما ضيقا كان ما يوجد في القتل معان لا توجد في غيره ولذلك
فلا يجوز قياس غيره عليه والله اعلم فان قال القائل اذ قال الله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ثم قد جعل
سيئة الظهار والقتل عتق رقبة وبالصيام صوم شهرين متتابعين فكيف جعل مثل السيئة الحنث في
عتق رقبة وبالصيام ثلاثة ايام فلو كان ثلاثة عدل العتق فاذا اراد في الظهار والقتل الجزاء فقوله
التوفيق لذلك انما جوابه ثلاثة ان الجزاء في الدنيا هو ما يجوز بالمحنة ابتداء لا على الجزاء على ذلك يجوز فيه الزيادة
بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو كما قال الله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات
والسيئات وفي الاخرة لا يكون بحق ابتداء المحنة انما ذلك بحق الجزاء وهو عز وجل حكيم عدل لا يزيد على ما توجبه
الحكمة ويجوز تجاوزه بما هو عفو كريم ولذلك اختلف الامران والثاني ان في الحنث جزاء كل ما عينا العتق وصيام
شهرين متتابعين والله العفو عن عامل الحانث فرضي منه بصوم ثلاثة ايام والله عز وجل يحكم ذلك بحق
المصالح والله اعلم والثالث ان يكون حق الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر وكذلك في القتل والظهار وفيهما
حق العتق كذلك [illegible] في اليمين دونه ولكنه تمم بما لا يحتمل التجزية على حق كل شيء لا يتجزى ذكر جزء منه متى وجب
كله فعلى ذلك العتق والله اعلم ثم نقول وظاهر هذا يشهد لابي يوسف رحمه الله ومحمد رحمه الله انه متى اوجب
جزءا منه منه عتق كله اذ لا يحتمل التجزئة وكذلك امر الكفارات والله اعلم ومذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ان يحتمل ان يكون
هذا لما لا يحتمل العتق التجزئة واذا كان العتق في نفسه يحتمل لا يجب [illegible]
بالتحرير حيث كان بذكر الرقبة ولو كان لا يحتمل من حيث التحرير كان فيه عتق كل الرقبة فاذ ذكر في كل ما امر به انه

ذكر ليتم بالاعتاق لا انه يتم بلا ذكر فعلى ذلك امر الطلاق لم يذكر فيها لما لا يحتمل والله اعلم بعض ذلك
ثم كانت الحقوق قد ترجع الى الانتفاع او قول او مضرة او نحو ذلك لا يحتمل نفوذ حق العتق منه دون غيره
ثبت انه لما ان كان كذلك فهو لما لا يحتمل حقيقة الحل اذ في ذلك الاحكام لعوت نفع او جب والله اعلم
ثم قد يجوز اعتاق الجزء من حيث كان الملك والجزية باخذ العين والمنافع تصل الى المباشرة والمباشرة لا تحتمل
التمييز وفي العقد فيه والملك غير جملة تحتمل لذلك اختلفا وعلى ذلك امر الطلاق لا ملك في النفس بما حقيقة
المباشرة والانتفاع وذلك لا يحتمل الجزء المطلق منها او يجب دون غيره فلذلك اكمل والله اعلم وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال الميسر القمار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرا فانها من الميسر وعن ابن مسعود رضي الله عنه
مثله وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وعن ابن عمر
رضي الله عنه قال الميسر ما روي عن علي رضي الله عنه قال لان اخذ جمرتين من نار فاقلبهما في يدي احب الي
من ان اقلب كعبتي نرد وعن علي رضي الله عنه ايضا قال الشطرنج هو ميسر الاعاجم وعن مجاهد وسعيد بن
جبير وعطاء الشعبي وهؤلاء السلف قالوا الميسر القمار كله حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان وعن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط في الاسلام وقيل الوراط القمار وقيل الجلب هو ان يجلب وراء
الفرس حتى يدنو او يحرك وراءه الشيء يستحث به السبق والجنب هو الذي يجنب مع الفرس الذي يسابق
فرسا حتى اذا دنا تحول راكبه الى الفرس المجنوب فاخذ السبق واجمع اهل العلم على ان القمار حرام وان
الرهان هو المخاطرة مثل القمار لما روي عن ابي بكر رضي الله عنه خاطر اهل مكة في غلبة الروم فارس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] في الخطر [illegible] بعدهم في الاجل فكان ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الوقت الذي لم يكن
حكمه فاما [illegible] بالاسلام فلا خلاف ان ذلك لا يجوز الا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والابل
اذا كان الاخذ واحدا ان سبق اخذ وان سبق لم يدفع شيئا وكذلك ان كان السبق بين الرجلين انهما ان سبق احدهما [illegible] دخل بينهما
فرس [illegible] ان سبق اخذ وان سبق لم يغرم لصاحبه شيئا فهو جائز ويسمى الداخل بينهما المحلل فاما الرخصة فيه
فما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا في خف او حافر او نصل الحديث الذي
وصفنا كله من الميسر والانصاب هي الاحجار او الاوثان التي كانوا ينصبونها ويعبدونها او يذبحون لها [illegible]
الازلام والقداح التي كانوا يستقسمون بها في امورهم ويستعملونها فيه دليل بطلان الحكم بالقرعة
لان الاستقسام بالقداح هو ان كانوا يجعلون الثمن على الذي خرج سهمه اجبر فيتصدقون بما اشتروا على
الفقراء ففيه ايجاب الثمن على العين فيجعل الامر الى من ليس له تمييز فعوتبوا على ذلك فعلى ذلك الحكم بالقرعة
تسليم الى من ليس له تمييز بين المحق وغير المحق فيحق هذا الحق ولكنه ثم اخبر ان ذلك كله رجس من عمل الشيطان
وليس هو في الحقيقة عمل الشيطان لان الشيطان لا يفعل هذا حقيقة لكن نسب ذلك اليه لما يدعوهم الى
ذلك ويزين لهم وكذلك قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان انه كذا وكذلك قوله تعالى فاخرجهما
مما كانا فيه وهو لعنة الله لم يتول اخراجهما ولكن كان به سبب الاخراج وان لا كان الدعاء اليه ذلك والتزيين
لهم فنسب ذلك اليه والله اعلم وقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر هم في الظاهر لم يجتمعوا على العداوة والبغضاء بل يكون اجتماعهم على الالفة والمودة على ذلك يجمعهم
في الاجتماع لكن لما شربوا واخذهم الشراب يقع بينهم العداوة والبغضاء فكان قصده الى جمعهم لا
على المحبة والمودة مما ظهر منه في العاقبة من ايقاع العداوة بينهم وتفريق جمعهم وهو كقوله تعالى يدعوهم
الى عذاب السعير فلو دعاهم الى عذاب السعير لكانوا لا يجيبونه لكن دعاهم الى العمل الذي يوجب لهم عذاب
السعير فعلى ذلك هو يدعوهم الى الاجتماع في الخمر والميسر الى ما يوجب ويقع بينهم العداوة والبغضاء
فنبه ان الاعمال ينظر فيها الى العواقب كما روي الاعمال بالخواتيم وفي الآية دليل تحريم الخمر لانه قال رجس من عمل
الشيطان والرجس حرام كقوله تعالى فانه رجس او فسقا وما يدعو اليه الشيطان ايضا حرام وكذلك
قوله قل فيهما اثم كبير والحلال المباح لا اثم فيه ولا يسمى رجسا وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
انه قال خطب الكناني فقال يا ايها الناس ان الله يعرض بحمل الخمر تعريضا لا ادري لعله سينزل فيها ثم قال
يا اهل المدينة ان الله حرم الخمر فمن كتب هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبيعها فانسكبوها
في طرق المدينة وعن عمر رضي الله عنه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية
التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر فقرئت عليه فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية
التي في النساء لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فكان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة

قال لا يقربوا الصلوة وانتم سكارى فدعى عمر رض فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الآية
التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فدعى عمر رض فقرئت عليه فلما
بلغ فهل انتم منتهون قال انتهينا انتهينا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم وشرابنا تمر
وزبيب وبسر خلطناه فبينا نحن كذلك ونحن نشرب منه اذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال الا تشعرون انه
لقد انزل تحريم الخمر فاهرقنا الباطية وكفأناها ثم خرجنا فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
على المنبر يقرأ هذه الآية ويكررها انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى قوله فهل
انتم منتهون فالخليطان حرام فاجمع اهل العلم على ان الخمر حرام قليلها وكثيرها وان عصير العنب اذا غلا
واشتد فهو مسكر خمر واختلفوا فيما سوى ذلك من الاشربة فكان ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله
يقولان ما كان من الاشربة مما يتخذ من النخلة والعنب فهو حرام كنبيذ البسر والتمر والزبيب اذا اسكر كثيره
فهو حرام عندهما وعلى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين من النخلة
والعنب ومعنى التخصيص لهما لان شرابهم كان منهما ولا يتخذ منهما الا للسكر خاصة واما ما اتخذ
من غير النخلة والعنب فلا يحرم وان كان نبيذا الا المسكر منه لان غيرهما من الاشربة قد يتخذ لا للسكر وكان
في مكان لا يتخذ الا للسكر فهو مكروه قليله وكثيره كما يتخذ من النخلة والعنب وكانا يقولان ما كان
من الانبذة مطبوخا فهو حلال وان قل طبخه الا العصير فانه لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكانا
يفرقان بين العصير وغيره بان العصير ليس فيه شيء من غيره فان ترك بحاله فلا ذا اسكر فاذا طبخ حتى يذهب
ثلثاه او نصفه فهو يغلي ويسكر فلم يخرجه الطبخ من حده الاول لانه كان يسكر قبل ان يطبخ وهو لا
يسكر بنفسه اذ لم يجعل فيه شيء غيره وسائر ما يتخذ منه الانبذة ان يحدث لم يشتد ولم يسكر حتى
يلقى عليه الماء ويخلط به غيره فحينئذ يسكر فهي مثل العصير اذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فان بقي وهو لم
يسكر حتى يلقى عليه الماء ثم يسكر فاذا صار العصير في حال ان يبقى وهو لم يغل بنفسه حتى يلقى عليه غيره
كان بمنزلة الزبيب والتمر اذا القي عليهما الماء فطبخا وعلى ذلك ما روي عن عمر رض في الطلاء انه لا يحل
حتى يذهب عنه سلطانه يقول اذا كان يغلي بنفسه من غير ان يصب عليه الماء ففيه سلطانه فاذا صار
لا يغلي بنفسه وهو ان يطبخ حتى يذهب ثلثاه فقد ذهب سلطانه وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان ابا عبيدة ومعاذ بن جبل وابا طلحة رضوان الله عليهم كانوا يشربون من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه
وقد وصفنا فرق ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله بين المطبوخ وبين المثلث والمنصف من العصير فاما فرقهم
بين المطبوخ مما يتخذ من النخلة والعنب والني منه فهو ان الخمر التي لا اختلاف في تحريمها هو العصير الذي يصير
خمرا فكل ما كان من هاتين الشجرتين التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم فهو حرام اذا اسكر فاذا كان مطبوخا فقد
عمل فيه عمل خرج به من حد الخمر فان قيل يجب ان يقاس ذلك على التي لا تسكر وفيه صفات الخمر قيل الخمر حرمت
لعينها لانها لا يتخذ الا للسكر ولا يقاس عليها غيرها وانما يقاس على ما حرم وجعل لعلة دون ما حرم بعينه واما
غيره من الانبذة فانما يحرم منه المسكر الا ترى انه في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث ابا موسى ومعاذا
الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابا يقال له البتع فاشرب منه او امتنع (?) قال اشربوا ولا تسكروا وعن ابن عباس
قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب وعن علي رض قال فيما اسكر من النبيذ ثمانون وفي
الخمر قليلها وكثيرها ثمانون فدل قول علي رض فيما اسكر من النبيذ ثمانون معناه في السكر منه وذلك
يدل ان قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان السكر منه حرام وعن عمر رضي الله عنه انه اتي بسكران فقال
يا امير المؤمنين انما شربت من نبيذك الذي في الاداوة فقال عمر رض لست اضربك على النبيذ انما اضربك
على السكر فهذه الاخبار التي ذكرنا دلت على تحريم الخمر بعينها والسكر من كل شراب وقوله تعالى ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة * يدل على تحريمها لانه اذا سكر صده عن ذكر الله وعن الصلوة وقوله تعالى واطيعوا
الله واطيعوا الرسول * في تحريم الخمر والميسر والازلام والانصاب وغيرها واحذروا معصيتهما وخلافهما فان
توليتم عن طاعتهما فيما حرم عليكم وحذركم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين في تحريم ذلك وقوله
وقوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا * اي شربوا من الخمر قبل تحريمها اذا
ما اتقوا شربها بعد التحريم وآمنوا اي صدقوا بحادثة الوقت ثم اتقوا واحسنوا وذكر في بعض القصة انه لما نزل
تحريم الخمر قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا الآية لكن هذا لا يحتمل ان يكون كما ذكر لانهم شربوا الخمر في وقت كان شربها مباحا ولم يشربوا
بعد تحريمها لكن هذا ان كان فانما قالوا في انفسهم فنزل انه ليس عليكم جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد ما تقدم

شربها بعد نزول حرمتها والله اعلم وقال بعضهم ان في الآية تكرارا في قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
واحسنوا والله يحب المحسنين لكن الوجه فيه ما ذكرنا ليس على التكرار والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد انه ابتلاهم بشيء من الصيد وليس فيه بيان انه ابتلى بالامر فيه او بالنهي لكن
بيانه في آية اخرى ان الابتلاء انما كان بالنهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا دل هذا على انه
كان منهيا عن الاصطياد بقوله واذا حللتم وان الابتلاء الذي ذكر في الآية كان بالنهي عن الاصطياد والله اعلم
ثم اختلف في الآية قال بعضهم لم يحرم شيء من الصيد لاهل الحرم انه روي في الخبر قال لا ينفر صيدها واما
المحرم فانما نهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا وبقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال في
الابتلاء بالنهي عن الاصطياد للمحرمين وفي قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهي عن قتله وههنا نهي عن
اخذه بقوله تعالى تناله ايديكم وقوله تعالى بشيء من الصيد اي في بعض الصيد دون بعض لان المحرم لم ينه
عن اخذ صيد البحر بقوله تعالى احل لكم صيد البحر وقال الله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فدل
معنى قوله بشيء من الصيد والله اعلم ويحتمل على التقديم والتأخير كانه قال ليبلونكم الله بشيء تناله ايديكم
ورماحكم من الصيد والله اعلم ثم اختلف في قوله تعالى تناله ايديكم قال بعضهم ما تناله الايدي هو البيض
وعلى هذا يخرج قولنا ان المحرم منهي عن اخذ البيض فاذا اخذ بيضا فان عليه الجزاء والذي يدل على ذلك ما
روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيض النعام صيام يوم او اطعام
مسكين وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نعام اصابه محرم بثمنه
وعن ابن عباس رض عليه ثمنه وقيمته وعن ابن مسعود رض مثله وقال بعضهم تناله ايديكم هو صيد الصغار
وهي الفراخ التي لا تطير فيؤخذ بالايدي اخذا وقوله تعالى ورماحكم * قال بعضهم ما رمي وطعن في
وقيل في قوله تعالى تناله ايديكم ما يؤخذ بغير سلاح ورماحكم ما يؤخذ بالسلاح من نحو النبل والرماح
وغيرهما من السلاح ثم في الآية دلالة ان المحرم قد نهي عن اخذ الصيد وكذلك في قوله تعالى فاصطادوا و
الاصطياد هو الاخذ لا القتل وانما النهي عن القتل في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقوله تعالى
ليعلم الله من يخافه بالغيب * ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا او ليعلم ما قد علم غائبا عن الخلق
شاهدا كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الآية وقوله تعالى من يخافه بالغيب * اختلف فيه قال بعضهم
يخافه بالغيب بغيب الناس اي يخافه وان لم يكن بحضرته احد وقال آخرون يخاف العذاب بالاخبار وان لم
يعاينه (?) ويصدقها والله اعلم وقوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك * اي استحل قتل الصيد بعد ما روي وقد نهي
والتحريم فله عذاب اليم والثاني من اعتدى على الصيد بعد النهي على غير استحلال فله عذاب اليم ان شاء
عذبه وان شاء عفى عنه واذا عذب كان عذابه اليما وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اي وانتم محرمون الآية فظاهرها عام على قتل الصيد كله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في اشياء
اذن في قتلها فقال خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم في الحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة
والكلب العقور وعن عائشة رضي الله عنها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل
والحرم الحداة والغراب والفارة والعقرب والكلب العقور وفي بعض الاخبار الذئب فيحتمل ان يكون
الكلب العقور الذئب وروي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم
فقال الحية والعقرب والفويسقة والغراب والحدأة (?) والكلب العقور والسبع العادي والكلب العقور الذي
امر المحرم بقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الاسد والنمر والذئب وما كان من السباع لا يعدو مثل
الضبع والثعلب والهر وما اشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم فان هو قتل شيئا من الطير سوى
ما ذكر في الخبر فعليه جزاء وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل المحرم الفارة
فانها توهن السقاء وقال بعض الناس ما قتل المحرم من السباع التي لا يؤكل لحمه فلا فدية عليه وكان تاركا لظاهر
الآية وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فان احتج بحديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم رخص للمحرم في قتل خمس من الدواب وذلك مما لا يؤكل لحمه قيل اباح النبي صلى الله عليه وسلم قتل
الخمس لعلة انه لا يؤكل لحمها فان قال نعم قيل ما الدليل على ذلك فان قال لانها لا تؤكل فكل ما لا يؤكل من
الصيد فقتله مباح قيل له قولك لا يؤكل ليس بعلة لان ذلك لا يزول ولا يتغير والعلة هي التي
تحدث في وقت وتزول في وقت ولو كان قول القائل لا يؤكل علة فيما لا يؤكل كان قوله يؤكل علة فيما يؤكل
وكان الشيء علة لنفسها وهذا بين الخطأ فاذا لم يكن تحريم اكل الخمسة التي اذن النبي صلى الله عليه
وسلم في قتلها المحرم علة في اطلاق قتلها كان القياس عليها على ما لا يحل اكله مخطئا لان القياس

إنما يكون على العلل وما علته نص لا يجوز القياس عليه وعندنا أن هذه الخمسة المسماة تبتدئ المحرم
وغيره بالأذى وما لا يبتدئها المحرم وما سوى ذلك مما يؤكل لحمه لا يكاد يبتدئ بالأذى حتى يبتدئه الأذى
فحينئذ تعرض له وبيان ذلك أن الحدأة ربما أغارت على اللحم تراه في يدي الرجل والغراب يسقط على دبر
الدواب فيفسده والعقرب تقصده من تلقاء نفسه وتتبع حسه والكلب العقور لا يكاد يهرب من الناس
كما يهرب السباع سواه فأما الضبع والخنزير والكلب والذئب وما أشبهها فهي تهرب من بني آدم ولا تكاد
تؤذيهم حتى يبتدأوا بالأذى فجعلنا العلة فيما رخص النبي صلى الله عليه وسلم للمحرم في قتله ما تعرف من قصد
أذى المحرم وأنه لا يؤذيها المحرم إذ كان ذلك معروفا فيها معلوما أنه أكثر شأنها فلم يكن في سائر الطير المحرمة
والسباع هذه العلة وكان المعروف فيها أنها لا تبتدئ بالأذى لم يجز أن تشبه بالخمسة المسماة في الخبر
فإذا ابتدأ منها مبتدئ المحرم بالأذى كان حينئذ مثل الخمسة فجاز له قتلها بغير فدية وبعد فإن الذي لا يؤكل
لحمه يسمى صيدا والصيادون يصيدونه فكان داخلا تحت عموم الخطاب ومخالفنا تارك لأصله في عموم
لا تخص الآية بغير دليل ومن أصله أن الآية على العموم ولا تخص إلا بدليل وأصحابنا رحمهم الله يجعلون الصيد كله
محظورا أكل أو لم يؤكل إلا ما خص منها فإن قتله قبل أن يعدو عليه لزمه الجزاء وهو قول الأوزاعي وروي
في الخبر عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتل المحرم كذا والسبع العادي والكلب العقور ما عدا
على المحرم الجزاء لما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره مع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جعل
على المحرم في الضبع إذا قتله جزاءه وكذلك عن عمر وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وهي مما يؤكل وعن جابر قال سئل
النبي صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال هو صيد وفيه كبش وعن عمر رضي الله عنه كذلك وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم
فيهما كذلك وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم اختلف في الآية في ذلك على وجوه
فأحدها من جعل الآية على ظاهرها فلم يوجب في الخطأ كفارة عن ابن عباس رضي الله عنه قال إذا أصاب المحرم الصيد
خطأ فليس عليه شيء وكذلك روي عن عطاء وسالم والقاسم بن محمد وقال الأسدي عليه مثل قول ابن عباس من
والقول الثاني ما قاله أكثر أهل العلم قالوا في قوله ومن قتله منكم متعمدا لقتله ناسيا لإحرامه فذلك الذي
يحكم عليه وهو الخطأ المكفر وإن قتله متعمدا لقتله ذاكرا لإحرامه لم يحكم عليه وكذلك روي عن الحسن
قال متعمدا للصيد ناسيا لإحرامه وقال مجاهد فينتقم الله منه متعمدا للصيد وذاكرا لإحرامه وكأنهم
ذهبوا إلى أن المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو ذاكر لإحرامه في أحسن الظن به وعندنا أن الإحرام مما لا يجوز
أن يخفى على المؤمن وينساه لا المحرم إلا ما تذكره تلك الأحوال التي هو فيها وعندنا أنه لا يجوز
أن ينسى ويخفى على المرء لم يعذر صاحبه في نسيانه وعندنا أن على قاتل الصيد الكفارة عمدا قتله أو خطأ
وليس يخلو الآية من أن تكون أوجبت الكفارة على المتعمد للقتل الناسي لإحرامه لما قال الحسن ومجاهد أو
أوجبت الكفارة على المتعمد للقتل ذاكرا لإحرامه أو أوجب الكفارة لأن ذنبه أعظم وجرمه أكبر فإن قيل لم يجب
الكفارة على قاتل النفس عمدا فما وضع أن يكون قتل الصيد مثل ذلك وإن كان جرمه أعظم كما قيل إن قاتل
النفس عمدا وإن كان لم يوجب عليه الكفارة فقد أوجبنا عليه القصاص وهو أغلظ من الكفارة وقاتل الصيد
عمدا لقتله ذاكرا لإحرامه لو لم تلزمه الكفارة فلا شيء عليه سواها لذلك اختلفا ثم نقول إنا لم نعرفنا الحكم
في قتل الصيد في الخطأ إنما عرف بغيره وليس في ذكر الحكم وبيانه في حال دليل نفيه في حال أخرى ولنا
على هذا مسائل قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع كرهنا إعادتها في هذا الموضع ثم تخصيصه ذكر الكفارة
في قتل النفس لما ذكرت في ذكر قتل الخطأ لم تذكر في قتل العمد ليعلم أنها إذا وجبت في العمد فهي
في الخطأ أوجب والثاني أن الكفارة إنما وجبت بجنايته على صيد آمن بحق الحرم وكل جناية على الأمانة إذا تلف
الأمانة لزمه الغرم عمدا كان أو تلف أو خطأ فعلى ذلك هذا والله أعلم والثالث أنه ذكر التخيير في حال
الضرورة يخرج مخرج التوسيع والتخفيف على أهلها ولا يكون ذلك في غير حال الضرورة فذكره في
غير حال الضرورة على أن ذلك كالمذكور في حال الضرورة وقوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به
ذوا عدل منكم اختلف أهل العلم فيما يجب من المثل فقال قوم في الظبي شاة وفي النعامة بدنة وفي حمار
الوحش بقرة وأشباه ذلك وقال آخرون المثل قيمة الصيد يقوم بعدلين في حيث أصابه ثم بدراهم يشتري
بتلك الدراهم شاة أو يجعله طعاما فيتصدق به على كل مسكين نصف صاع أو يصوم عن كل نصف صاع
يوما وقال غيرهما إن بلغ دما ذبح شاة وإن لم يبلغ دما تصدق به وأما قولنا إن المثل هو القيمة لا المثل في رأي
العين ذهبنا إلى وجوه أحدها أن المحرم لو أصاب صيدا في هذا الوقت حكم بجزائه حكما ولو كان مثل الظبي
شاة وفي كل الدهور والأوقات كان ما تقدم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من الحكم في ذلك

كافيا لا يحتاج إلى الحكم غيرهم فلما أعلمنا على أن الحكمين باق علمنا على أن الحكمين باق على أن المثل
غير موقت بل هو مختلف على قدر الأزمنة والمواضع والأوقات وإذا جعلنا المثل قيمة كانت الحاجة إلى الحكمين قائمة
وإذا جعلناه هديا فالحاجة إليهما زائلة ولا يجوز أن يعطل أمر الحكمين وقد ذكره الله في كتابه وأيضا لما أجمع
عليه أن ما لا مثل له في الأنعام من الصيد إذا أصابه المحرم فعليه قيمة فإذا كان المثل في بعض الصيد قيمة
فهو في كل الصيد قيمة وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف رضي الله عنهم أنهم قالوا ذلك فإن قيل
مثل الدم من النعم لا يمكن قيمة أكثر من قيمة قيل له فيجعل ذلك مثلا فإن قال بل قيل فقد صارت القيمة مثلا في بعض
الصيد فامتنع أن يكون مثلا في كل الصيد إذ قال المثل هو الهدي فيما له مثل فأما ما لا مثل له من الهدي فليس
فيه مثل غير القيمة ولم يجب ذلك بنص الكتاب وإنما وجب ذلك بنص الكتاب المثل من الهدي فأما ما لا مثل
له فإنما وجب قيمة بالاجتماع قيل له حدثنا عن قول الله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم هل دخل في عموم الآية الفرخ
والجروة فيكون منهيا عن قتله فإن قال نعم قيل فإذا دخل الفرخ في عموم النهي عن قتل الصيد فهو أيضا داخل في عموم
قوله ومن قتله منكم متعمدا الآية فإن قال لا يدخل الفرخ في عموم قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم قيل له فقد قال
الله تعالى ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم فروي أن ذلك في البيض والفراخ فإن لم يجعل الفراخ و
الأشياء فيها داخلة في الآية فما معنى الآية ونحن لا تنال الأيدي شيئا من الصيد إلا صغاره ومن يعجز عن الطيران والعدو
فالآية توجب أن الصيد كله قد دخل في عمومها ما قلت قيمته وما كثرت وذلك يوجب أن يكون الواجب من قيمة الفرخ
والضعيف مثلا والله أعلم ولأن النعامة لا مثل لها من النعم فمن أوجب فيها إنما أوجب مثلها ولا نظير من أوجب
فيها قيمتها فقد أوجب مثلا لها فهو موافق النص عندنا والله أعلم وكذلك الموجب في الحمامة شاة لا تشبه
الصيد المقتول في عينه ولا في صفته ولا في جنسه فهو غير موجب المثل بل الموجب فيه القيمة أقرب إلى الكتاب
المثل فيه والله أعلم فإن قيل كيف تسمى قيمة الشيء مثلا وليست من جنسه وإنما المثل ما كان من جنس الشيء قيل
قد ذكرنا أن القيمة ما لا مثل له من النعم تسمى مثلا ولأن الله تعالى قال أو عدل ذلك صياما وإذا جاز أن تسمى الصيام
عدل الطعام جاز أن تسمى القيمة عدلا للصيد وإنما صار الصيام عدلا للطعام بالتقويم والمثل والعدل
في المعنى متقاربان والله أعلم ولأن الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم فلو كان المراد من المثل المنظور في رأي العين لم يكن
لشرط ذوي عدل فيه معنى لأن المثل في رأي العين يعرفه كل أحد يبصر فيه إنما يكون ذلك ما شرط من نظر ذوي عدل
ما يبطن فيه ويخفى لا ما ظهر والله أعلم وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم تأويله ما ذكرنا ينظر إلى رجلين عدلين
بهما فمعرفة في ذلك التحقيق ما به ثم يشتري بها مثل ما إن شاء أو فرد أن ثم يبلغ هديا أو قومتا الذي لم طعاما أو إن لم يجد
صام مكان كل نصف صاع يوما وروي عن ابن عباس رضي الله عنه كذلك والحسن وإبراهيم والقاسم والسلف جملة و
عندنا أنه مخير بين هذه الأشياء الثلاثة يفعل أي هذه الثلاثة شاء لأن الله تعالى قال في المحصر ولا تحلقوا
رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك
ولا خلاف بينهم فإن صاحب الفدية في حلق الرأس يفعل أي هذه الثلاثة فالواجب أن يكون في جزاء الصيد
مثله لأن الخطاب يخرج على حرف التخيير وكان سبب وجوبه فلما نص على التخيير في كفارة اليمين وما ذكرنا في رفع
الأذى عن رأسه والله أعلم وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة شرط بلوغ الكعبة وهو لا يبلغ نفس الكعبة فدل
أن المراد يرجع إلى بلوغه قرب الكعبة وعلى هذا يخرج تولهم فيمن حلف أن لا يمر على باب فلان فمر بقرب الباب حنث
استدلالا لا بقوله هديا بالغ الكعبة لم يرد به بلوغه عين الكعبة ولكن قربها أو مكانها فعلى ذلك هذا والله أعلم
وكان محمد بن الحسن يقول يحكم عليه بمثله من النعم حيث كان وأبو حنيفة رضي الله عنه يقول يحكم عليه بقيمة
الصيد في الموضع الذي أصابه فيه واختلافهما في هذا يرجع إلى ما اختلفا فيه من المثل عينا أو قيمة وقد روي
عن عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما وغيرهما أنهم حكموا في الظبي شاة ولم يسألوا عن الموضع الذي أصيب فيه ولم
السؤال عن ذلك على أن المواضع كلها كانت عندهم سواء وأنهم أجروه مجرى الكفارات دون القيم إلا أنه لو كان
ذلك مجرى ضمان القيم لسألوا عن أماكن الجنايات إذا كان الصيد يختلف قيمته ولا يستوي في ذلك الأماكن
كلها فهذا وجه قول محمد ومن وافقه وأما عند أبي حنيفة رحمه الله أن المتلف المحرم في الصيد وكل من أتلف مال أحد و
مال أحد وإنما ينظر إلى قيمته في المكان الذي أتلفه فعلى ذلك النظر في الصيد إلى المكان الذي أصابه فيه مسألة
في جزاء الصيد أن يذبح عندهم جميعا لا يجوز أن يذبح إلا بمكة لأنه لو جاز أن يذبح في غيرها حيث شاء ذلك فائدة
قوله هديا بالغ الكعبة وليس في ذلك بينهم خلاف وأما الإطعام والصيام فإن الله عز وجل لم يذكر فيهما موضعا
ولا جعل لهما مكانا فله أن يطعم وأن يصوم حيث شاء فإن قيل إن الهدي يذبح في الحرم لمنفعة أهل الحرم به
ويتصدق به عليهم فعلى ذلك الإطعام يجب أن يطعم أهل الحرم لأنه جعل للمنفعة قيل لا خلاف بينهم أنه لو ذبح

الهدي في غير الحرم وتصدق به على اهل الحرم ان لا يجوز ذلك لانه لا كما ذكر ولكن الهدايا لا تذبح الا بمكة الذي
من قال لله تعالى عليه ان يهدي ليس له ان يذبح الا بمكة ولو قال عليه الاطعام او الصدقة له ان يتصدق حيث شاء
ان الهدي مخصوص ذبحه بمكة لا يجوز في غيره واما الصدقة فانما تجوز في الاماكن كلها لما ذكرنا فترقا والله اعلم
وقوله تعالى ليذوق وبال امره اي ليناله شدة امره والمه كما ينال اللذة وقيل جزاء ذنبه وهو الكفارة وقوله تعالى
عفا الله عما سلف اذا تاب ورجع عما استحل من قتل الصيد وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى الاستحلال قتل الصيد في الحرم ينتقم الله منه في النار
ويحتمل من عاد الى قتل الصيد ينتقم الله منه بالكفارة وقوله تعالى والله عزيز ذو انتقام اي لا يعجزه شيء وتعالى
عزيز اي كل عزيز عنده ذليل اي كل غني عنده فقير ونحوه والله اعلم وقوله تعالى احل لكم صيد البحر
وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما اخبر الله تعالى ان صيد البحر وطعامه
حلال للمحرم ثم اختلف اهل التاويل في تاويله قال بعضهم صيده ما صيد وطعامه ما قذف البحر كذلك روي
عن عمر رض انه قال الصيد ما صيد وطعامه ما قذف وعن ابي بكر وابن عباس رضي الله عنهما قال الطعام ما قذف قال
بعضهم صيده ما اخذ طريا وطعامه مليحه وقوله تعالى متاعا لكم اي منفعة لكم اي للحاضر وللسيارة اي للمسافر
وعن بعضهم صيده ما صيد طريا وطعامه ما تزود في سفره مليحا ثم يحتج على قول اصحاب الظواهر ان كل ما يكون
في البحر صيد البحر وطعامه حلال لاصحابنا بظاهر قوله احل لكم صيد البحر وطعامه الاية وكذلك ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الطهور ماؤه والحل ميتته انه لم يخص شيئا دون شيء ولا طعاما دون طعام لكن عندنا
يرجع الى السمك خاصة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد
والسمك دل الخبر ان المراد من الاية والخبر يرجع الى السمك والله اعلم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما عن ابن عباس رضي الله عنه قال المبهمة لا يحل لك ان تصيده ولا ان تاكله وروي عن علي رضي الله عنه
وهو محرم انه دعي الى طعام فقرب اليه فلما راى ذلك علي قام وقام معه ناس فقيل لصاحب الطعام
ما قام هذا ومن معه الا كراهية لطعامك فارسل اليه فجاء فقال اما كرهت من هذا ما اشربنا ولا امرنا ولا اصبنا
قال علي رض عنه وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ثم انطلقوا وعن عثمان رضي الله عنه مثله او قريبا منه
واما عندنا فانه يحل للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده هو ولا صيد له لما روي عن ابي قتادة رضي الله عنه
انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان ببعض الطريق بمكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى
حمارا وحشيا فاستوى على فرسه فسال اصحابه ان يناولوه سوطا فابوا فسالهم رمحه فابوا فاخذه ثم شد على الحمار
فقتله فاكل منه بعض اصحابه وابى بعضهم فلما ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن ذلك
فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله سبحانه وقال هل معكم من لحمه شيء وفي خبر اخر عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه قال اقر ابو قتادة حمار وحش ونحن محرمون وهو حلال فاكلنا منه ومعنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي خبر اخر عن ابي قتادة رضي الله عنه قال اني اصبت حمار وحش وعندي منه فقال للقوم
كلوا وهم محرمون وفي بعض الاخبار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد
البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم رخص النبي صلى الله عليه وسلم في اكل لحم الصيد للمحرم
اذا لم يصد ولم يصد له وبذلك اخذ اصحابنا وفي الاية دليل لقولنا وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم وقال وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فمعناه والله اعلم اصطياده الا ترى انه صيد ما لا يؤكل لحمه ولحم
فكذلك على الاية نزلت في الاصطياد لا في اكل لحمه لان لحم الصيد بعد خرج من ان يصطاد في الحرم غير ذا
ليس كالبيض لان البيض قد يصير صيدا اما اللحم ليس كذلك ولان المحرم لو اتلف البيض غرم قيمته ولو اتلف
لحم الصيد لم يضمن شيئا فالزم الضمان من منع اكله وما لم يلزمه لا ولانه لو حرم على المحرم التناول من لحم صيد
صاده حلال ليجب ان يحرم على اهل مكة التناول منه اذ هما اهل حرم الله تعالى وذلك بعيد فاخذ اصحابنا رحمهم
الله بما روينا من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي قتادة وغيره وبما دل عليه ظاهر
الكتاب وهو قول عمر وعثمان رضي الله عنهما وقيل روي عن ابن عباس رض عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد وفي خبر اخر عن زيد بن ارقم رض قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عضو
من لحم صيد فرده فقال انا حرم لا ناكله وفي خبر اخر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن محرم اهدي له لحم صيد قال
لا تاكل منه لكن هذا الحديث يجوز ان يحمل على ان كان صيد بعد ما احرم ان يكون صيد من اجله فحل له اكله
دليله من خبر عثمان رض ما امرت بصيده ولا صيد من اجلي وخبر جابر رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم ثم المسالة في معرفة صيد البر من البحر قال بعضهم

ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصيدوه وما كان حياته في الماء فذلك البحري وقال اخرون اكثر ما يكون حين
يخرج وقال غيرهم صيد البر هو كذا اذا اخذ الصياد حيا فمات في يده لم يحل اذا ادرك ذكوته الا بتزكية
فكل ما كانت هذه صفته فهو البري وان كان قد يعيش في الماء فمات في يده اكله فذلك صيد البحر وذلك
السمك وفيه وجه اخر وهو ان كل ما القاه البحر وقذفه فمات فحل لنا اكله فذلك طعامه وان لم يحل اكله فليس
بطعامه فاكان طعامه ما القاه فمات فهو اذا صيد البحر وما لا يحل اكله اذا القاه فليس بصيد البحر اذ صيده
الله تعالى اباح صيد البحر وطعامه فمات فليس بصيد اذا اخذ حيا والله اعلم وقوله تعالى فاتقوا الله في استحلال
قتل الصيد في الحرم او اتقوا الله في اخذ الصيد في حال الاحرام بعد النهي واتقوا الله في كل ما لا يحل الذي اليه
تحشرون فيجزون بما عملتم ان خيرا فخير وان شرا فشر ويحتمل قوله اليه تحشرون اي الى حكمه تصيرون كقوله
تعالى له الحكم واليه ترجعون والله اعلم جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس الاية اختلف فيه قال بعضهم
قوله تعالى قياما للناس اي بيانا للمناسك وعلامة لان الله تعالى جعلها موضعا لاقامة العبادات من نحو الحج والطواف والصلاة
واراقة الدماء والهدايا وغير ذلك مما على العباد ثم ان تلك العبادات جعلها ثابتة دائمة لا تتبدل ولا تنسخ ابدا فذلك
معنى القيام للناس والله اعلم وقال بعضهم قياما اي قواما اي جعلها قواما لهم في معاشهم ومعادهم
لانه جعلها مامنا لهم وللجاني حتى ان من ارتكب كبيرة او جرم جريمة ثم لجا الى الحرم لم يتعرض له بشيء من ذلك ويتناول
منه وكانوا اذا وجدوا هديا مقلدا لم يتعرضوا له وان كانت حاجتهم اليه شديدة ونحو هذا كثير مما يطول
ذكره وجعل فيها عبادات تعظيما لما لم يجعل في غيرها من البقاع من قضاء المناسك وغيرها وكذلك
الشهر الحرام كان يجعله مامنا لهم اذا دخلوا فيه يامنون من كل خوف كان بهم وجعل في الهدايا والقلائد منفعة
لاهلها فكان في ذلك تقوية لهم في معاشهم ومعادهم وعن سعيد بن جبير قال ان الله تعالى جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس شدة لدينهم وقوله تعالى ذلك لتعلموا اي ذلك الامر وما ذكرنا من جعل الله الكعبة
قواما لهم في معاشهم ومعادهم لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض اي فلم جعل هكذا الا قبل
ان يكون وقال بعضهم قوله ذلك اي ما اخبركم من تحريف الكتب وتغييره وتبديل نعته صلى الله عليه وسلم
وصفته اي على علم منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل ليمتحنكم لما لا يضره كفر كافر ولا ينفعه
ايمان مؤمن بل حاصل ضرره يرجع الى الكافر وحاصل نفع الايمان يرجع الى المؤمن وقوله تعالى اعلموا
ان الله شديد العقاب اي اعلموا انه شديد العقاب لمن عصاه وخالف امره فيما علمتم انه عن علم منه كان
جميع ما كان وان الله غفور رحيم واعلموا ان الله غفور رحيم لمن تاب واناب اليه وشديد العقاب لان
من العقوبات ما ليس فيه تخفيف بعد خالصة عقوبة الاخرة انه يعاقب بالنار وما من عقوبة الا ويحتمل شيئا منها
سوى عقوبة احد فانه لا يحتمل الحدود لان عقوبات الدنيا وعذابها على الانقضاء وعذاب الاخرة لا انقضاء
وعذاب الاخرة لا انقضاء له ولا فناء لذلك وصف بالشدة والله اعلم وقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ
فيه وجهان احدهما رد على من يقول ان المواعظ لا ينفع الموعوظ له ولا ينجع فيه اذ لو كان الواعظ مستعملا
لما تعظ غيره اذ ليس لاحد من الخلق اشد استعمالا من الرسل عليهم السلام ثم لا ينتفع بمواعظهم ذكر ام لا كثير
قومهم ولا ينجع في قلوبهم لشدة تعنتهم وسوء مكابرتهم والثاني فيه اخبار ان ليس على الرسل عليهم السلام
الا البلاغ ولا ضرر عليهم بترك القوم اجابتهم ورد قولهم وهو كقوله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان
تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي ما تظهرون
من العداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولاصحابه بنصب الحرب والقتال معهم وما تكتمون اي ما تسرون
من المكر والقصد بقتله كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله كانوا يمكرون به ويقصدون قصدا هلاكه لكن الله تعالى كان اطلع رسوله عليه السلام على مكرهم
واخبره انه يعصمه من الناس وقال كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا الاية
وقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث والاية تحتمل وجهين
الاول انه يخرج عن سؤال سبق منهم عن كثرة الاموال للكفرة وما داوا فيه كانوا يستكثرون وينمون
خبيث ولا يحل في انفسهم الى ذلك ورغبت فقال الله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك
كثرة الخبيث كانه قال ان القليل من الطيب خير من الكثير من الخبيث والله اعلم والثاني كانهم رهبوا في عبادة
اولئك الكفرة من الترهب والعزلة عن الناس ودفع اذى انفسهم عنهم وكثرة ما كانوا يتحملون من الشدائد
وهموا ان يستعملوا مثل ذلك على ما ذكر في القصة عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
اجمعين انهم هموا ان يترهبوا ويعتزلوا من الناس فقال الله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب اي ان العمل القليل

مع طيب الاصل خير من الكثير مع خبث الاصل وقوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب • اي اتقوا الله
في مخالفة امره ونهيه يا ذوي العقول وفيه دليل على انه لا يخاطب احدا الا من كمل عقله وتم به تكليفه
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم • الاية اختلف اهل العلم في سبب النزول
قيل نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشياء ما ينبغي لهم ان يسألوا عنها على ما روي عن انس
رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان قد احمر وجهه فجلس على المنبر فقال لا تسألوني
عن شيء الا اخبرتكم فقام اليه رجل فقال اين ابي قال في النار فقام اخر فقال من ابي فقال ابوك حذافة فقام عمر رضي
الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبمحمد نبيا يا رسول الله كنا حديث عهد بجاهلية
وشرك والله اعلم من اباؤنا فسكن غضبه ونزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم وقيل انها نزلت في مثل تلك الاسئلة وعن ابي هريرة وابي امامة رضي الله عنهما قالا نزلت حين ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحج فقال رجل افي كل عام يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لصار فرضا
واذا صار مفروضا تركتم واذا تركتم جحدتم واذا جحدتم كفرتم لان من جحد فرضا فرضه الله تعالى كفر وكلام
هذا معناه وروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما لما انزل الله تعالى الحج فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس وامر بالحج فقال حارثة بن زيد من بني اسد افي كل عام فغضب غضبا شديدا ثم قال له ما يؤمنك ان اقول
كم من عليكم في كل عام فيجب عليكم فلا تطيقونه وانتم تفعلوا الكفر ثم قال انه كان قبلكم من بني اسرائيل كانوا
يسألون انبياءهم الامر فاذا اخبروهم به لم يطيعوه واذا لم يعملوا به كفروا فنزلت هذه الاية وعن عكرمة رضي الله عنهما
نزلت في الرجل الذي قال من ابي وقال مقسم نزلت في الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات بعد ما ظهرت
لهم الايات وثبتت عندهم الحجج وعرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير نزلت في الذين سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تسألوا عن اشياء قد عفى الله
عنها ان تبد لكم تسؤكم اي انظر لكم فيأمركم بالعمل بما سألتم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله لا يمتنع ان يكون بعض
القول انها نزلت في كل ذلك اذ ليس في كتاب الله تعالى سوى ظاهر الاية في السؤال عما لا يحتاج اليه ولم يثبت
بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان ذلك فلا يجوز القول على الله تعالى بالشهادة عليه قطعا مع احتمال الكل
ولكن يقال على الاحتمال وكل ما قيل فيه محتمل غير ممتنع فان النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لا تسألوني عن شيء
الا اخبرتكم سأله عبد الله بن حذافة لانه كان يتكلم في نسبه وكان يتكلم في ذلك من الذين ذكر عنهم هذه المسائل
على اختلافها فانزل الله تعالى لا تسألوا عن اشياء اي عن مثل هذه الاشياء لانه لم يكن بهم حاجة اليها والاولى
اولى فان عبد الله كان نسبه ثابتا من حذافة بالفراش فلم يحتج الى معرفة من هو منه بطريق الحقيقة
ولانه كان لا يأمن ان يكون من ماء غيره فيسأل عن امر قد ستره الله تعالى وفي الكشف عن ذلك هتك ستر امه والحاق
الشيء بنفسه بلا فائدة لانه وان كان ظهر كونه من غير حقيقة لم يلحق به بل يبقى نسبه ثابتا من حذافة لانه
صاحب الفراش وكذلك روي ان امه قالت له ما عققني بسؤالك فقال لم تسكن نفسي الا باخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك وكذلك الرجل الذي قال يا رسول الله اين ابي قد كان يغنيه عن هذه المسألة والستر على نفسه
في الدنيا منك ستر وقد كان الستر على نفسه اولى وكذلك المسألة عن الايات مع ظهور ما ظهر من المعجزات
منهي عنها غير سائغ لاحد لان معجزات الانبياء لا يجوز ان تكون تبعا لاهواء الكفرة وشهواتهم وكذلك
سؤال الحج في كل عام فانه كان الواجب على السامع للحج الاكتفاء بموجب ظاهره من الحجة الواحدة ولعل من
التأويلات قول من ذكر انها نزلت في الذين سألوا عن البحيرة والسائبة والوصيلة وهو فاسد لانها اسماء
لاشياء معلومة عندهم في الجاهلية فلم يكونوا محتاجين الى المسألة عنها ولا يجوز ان يكون السؤال عن
اباحتها وجوازها لان ذلك كان كفرا يتقربون بها الى اوثانهم ومن اعتقد الاسلام اعتقد بطلانه فكان
هذا ابعد وجوه التأويل ثم في الاصل يحتمل ان يكون النهي عن السؤال عن هذه الاشياء خرج عقيب اسئلة
كانت منهم لا حاجة لهم اليها فنهوا عن ذلك الى ان تقع لهم الحاجة فعند ذلك يسألون كانهم سألوا عن
البنات والابضاع قبل ان يحتاجوا اليه او كان السؤال عن اشياء لا حاجة لهم الى معرفة حقايقها وان
ساءهم على الظاهر لحق الاية فانه قال وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ويحتمل ان يكون النهي خرج
ابتداء من غير تقدم سؤال لكان نهيهم عن مثل هذه الاسئلة ولكن نهوا عن السؤال كيلا يتقدموا على مثل هذه
الاسئلة ثم كل واحد من الوجهين يحتمل وجهين ان كان السؤال من اهل النفاق والكفر كان سؤال
السائل الستر شاذا يسألون منه ايات بعد ما ظهر لهم ايات كثيرة وثبت عندهم الحجة اذ مثل هذا لا يظن
بالمسلمين وان كان النهي للمؤمنين فهو على ما ذكرنا من سؤال البيان قبل وقوع الحاجة وقوله تعالى قد سألها قوم

من قبل

من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين • قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بقوله قوم من قبلكم قوم عيسى عليه السلام سألوا
المائدة ثم كفروا بها وقال غيره قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وكفروا وقال السدي رضي الله عنه حين سألوا
النبي صلى الله عليه وسلم ان يحول الصفا ذهبا وقيل انهم ما سألوا نبيهم عن مثل هذه الاسئلة التي سأل عبد الله
بن حذافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل ان النهي عن السؤال لا عن شيء مما ان سألوا الايات عنه بعد ما ظهرت
وثبت لهم ادلتها كفروا بها الا ترى انه قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقد كان الامم انما سألوا
الرسل الايات تعنتا بعد ظهورها عندهم تعنتا ويحتمل ما ذكر انها نزلت فيمن قال اين ابي ونحو ذلك فلما اخبرهم بذلك
كفروا والله اعلم وقوله تعالى وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن • يعني في حال نزول الملك وتلاوته القرآن
من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يظهرها لكم ذلك مما يسوؤكم ويضركم وقوله تعالى عفا الله عنها • يعني عن
هذا النوع من المسائل لم يؤاخذكم الله بالبحث عنها والكشف عن حقايقها والعفو في هذا الموضع التوسع
والتسهيل في اباحة ترك السؤال عنها على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الحلال ما احل الله والحرام
ما حرم الله وما سكت عنه فهو عفو اي ما لم يبين فهو موسع عليكم كيف فعلتم وقد احتج بهذه الاية قوم
من اصحاب الظاهر على ان السؤال عن احكام الحوادث غير جائز لانه يقع الاستنباط والقياس وقد ورد الحديث
موافقا للاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يكن
حراما فحرم من اجل مسألته ولكنا نقول ليس في الاية دلالة الحظر عن السؤال عن اشياء خفية
تعرض لنا من اشياء نعلمها وهم غير محتاجين اليها بل على غير ضرر ما ظهرت لهم حقايق الاشياء لانه
قال الولد للفراش كما سأل عبد الله بن حذافة عن حقيقة خلقه من ماء من هو ولم يكتف بما حكم الله تعالى به من نسبه
الى الفراش فنهاه الله تعالى عن ذلك وكما ذكرنا من الاقاويل يدل عليه انه قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها
كافرين وانما هم سألوا الايات بعد ظهورها من الانبياء وكفروا بها على ما ذكرنا من اقوال السلف وجهلهم وما
سؤالهم عن احكام غير منصوصة فلذلك ان تعلقهم بهذه الاية لا يستقيم والذي يبطل هذا التأويل
ما قد اشتهر من الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم السؤال عن احكام الشرع مما لم يرد النص فيها
فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث البدن مع ناجية يسوقها حين حدث الى مكة لينحرها قال له كيف اصنع بما
عطب منها فقال انحرها واصبغ نعلها بدمها واضرب صفحتها وخل بينها وبين الناس ولا يأكل انت ولا
احد من رفقتك شيئا ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم سؤاله بل قربه حتى اعقبه الجواب والسؤال
المحظور لا يستحق الجواب وعن رافع بن خديج انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا لاقو العدو
غدا وليس معنا مدى فعد ولم ينكره وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله انبئني بايمان بك
حتى مر بنا مكان هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء فقال ما هو قلت بعمل الذي يدخلني
الجنة قال قد سألت عظيما وانه يسير شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وحج البيت وصوم رمضان فلم يمنعه السؤال ولم ينكر عليه وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحوادث والمسائل في الاحكام وكان لا ينكر عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى هذا المنهاج جرى عامة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الى يومنا هذا وانما انكر قوم حشوية
جهال قد حملوا شيئا من الاخبار لا علم لهم بمعانيها واحكامها فعجزوا عن الكلام فيها واستنباط فقهها
وقد قال عليه السلام رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وهذه الطائفة المنكرة لذلك
كما وصفهم الله تعالى بقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا والله اعلم وقوله تعالى
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يجعل الله هذا وانما انتم
جعلتموه فاما الابل كانوا اذا نتجت خمسة ابطن نظروا في البطن الخامس فان كان سقبا اي ذكرا نحروه فاكله
الرجال والنساء جميعا وان كانت انثى شقوا اذنها فتلك البحيرة ثم لا يجز لها وبر ولا يذكر عليها اسم الله ان
ركبت ولا انحمل عليها وحرمت على النساء الا ان يذوقوا من لبنها ولا ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال
خاصة دون النساء حتى تموت فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء في اكلها جميعا واما السائبة فكان الرجل
يسيب من ماله فيجيء بها الى سدنة الهتهم فيدفعها اليهم فيقضى له منهم فيطعمون من البان السبيل الا النساء
منها فانهم كانوا لا يطعمون منها حتى تموت فاذا ماتت فهم فيها سواء الرجال والنساء واما الوصيلة
فهي من الشاة كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن عمدوا الى البطن السابع فان كانت انثى لم تشرب النساء منها
شيئا حتى تموت فاذا ماتت كانت الرجال والنساء ياكلون منها جميعا فان كان ذكرا ونحوه فاكلوه جميعا الرجال
والنساء فان كان ذكرا وانثى جميعا قيل وصلت اخاها فيترك مع اخيها فلا يذبح وكان للرجال دون النساء

حتى يموت فيشرب فيها الرجال والنساء وأما الحام فهو الفحل اذا ادرك وكبر ولد ولده قيل حمى ظهره فيترك
لا يحمل عليه شيء ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا رعي وانما ابل اباها فضربت فيها الفحل ابنه وابنها فاذا ادركه
الهرم فقتل او مات اكله الرجال والنساء جميعا وعن ابي الاحوص عن عبد قال البحيرة الناقة التي قد ولدت خمسة
ابطن فيجعلها صاحبها لالهته فلا امر ولا اخيه ولا امرأته ولا اخيه ولا ذو قرابة له يسقيه من لبنها
ولا ينتفع بوبرها ولا ينحر ولا يمنع من كلاء ولا ماء فاذا ماتت كانوا فيها سواء والسائبة ما سيبوه لالهتهم مثل
ذلك والوصيلة من الغنم اذا ولدت الشاة ستة ابطن وولدت السابع جديا او عناقا قالوا وصلت فذبحوها
فلم يذبح ولم ينتفع بشيء منها ولا يمنع من كلاء ولا ماء فاذا ماتت كانوا فيها سواء والحام من الابل اذا ادرك له عشرة
من صلبه كلها تضرب حمى ظهره فسمي الحام فلا ينتفع به بوبر ولا يركب له ظهر فاذا مات كانوا فيه سواء وعن
سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال البحيرة من الابل التي يمنع درها للطواغيت والسائبة من الابل كانوا يسيبونها
لطواغيتهم والوصيلة كانت الناقة تنتج بالانثى ثم تثني بالانثى فسموها الوصيلة فيقولون وصلت اثنتين
ليس بينهما ذكر وكانوا يجدعونها لطواغيتهم والحام الفحل من الابل كان يضرب الضراب المعدود فاذا بلغ
ذلك قالوا هذا الحام حمى ظهره فترك فيسمونه الحام وقال ابو عبيدة رضي الله عنه البحيرة التي تنتج خمسة
ابطن فقطعتا اذانها وتركت والسائبة التي ولدت خمسة ابطن سيبت فلا ترد عن حوض ولا عن مرعى والوصيلة
من الغنم اذا ولدت عناقين في بطنها واذا ولدت ذكرا ذبحوا قالوا قد وصلت العناق والجدي فكانوا اذا نتجت
والحام اذا نظروا الى عشرة من ولده قيل حمى ظهره فلا تركب ولا يحمل عليه شيء والسائبة من الغنم على نحو ذلك
الا انها ما ولدت بينها وبين ستة اولاد كانت على هيئتها فاذا ولدت السابع ذكرا او ذكرين ذبح فأكله رجالهم
دون نسائهم وان اتامت بذكر وانثى فهي وصيلة ترك ذبح الذكر بالانثى لا تحلها وان كانتا انثيين تركتا
وقال القتيبي رضي الله عنه البحيرة الناقة اذا انتجت خمسة ابطن والخامس ذكرا كله الرجال والنساء وان
كان الخامس انثى شقوا اذانها وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها فاذا ماتت حلت للنساء والسائبة البعير
يسيب بنذر يكون على الرجل ان سقاه الله تعالى من مرض او بلغه منزله ان يسيب بعيرا لالهته والوصيلة من الغنم
اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركت وان كان
ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبح الذكر لمكانها وكان لحومها حراما على النساء ولبن الانثى حراما على النساء
الا ان يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء والحام الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا انتج من صلبه عشرة
ابطن قالوا قد حمى ظهره لا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء هذا تفسير هذه الاشياء المذكورة وكان اهل الجاهلية
يحرمون الانتفاع بهذه الاشياء منها ما حرموه على نسائهم دون رجالهم ومنها ما حرموه على الرجال والنساء
ومنها ما جعلوه لالهتهم وكانوا يقولون ان الله حرم علينا كما ذكر الله تعالى عنهم في آية اخرى وجعلوا لله
مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ويحرمون شيئا ويضيفونه حرمة
الى الله تعالى فاخبر الله عز وجل بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الى ان قال ولكن الذين كفروا يفترون
على الله الكذب اي ما امر الله تعالى بشيء من ذلك ولا شرعه قربانا وانما هم جعلوها قربانا يتقربون بذلك الى
الاصنام والاوثان الذين كانوا يعبدونها دون الله تعالى ويكذبون على الله تعالى بما ينسبون ذلك اليه
والله اعلم وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا
الاية كانها نزلت في مشركي العرب وكانوا اهل تقليد لا يؤمنون بالرسل ولا يقرون بالكتب انما تقلدوا
اباءهم في عبادة الاوثان والاصنام فاذا ما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما انزل الله عليه او دعا
احد من اصحابه الى ذلك قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ونحو
ذلك يقلدون اباءهم في ذلك فقال الله تعالى ردا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا فلا تتبعونا اي تتبعون
اباكم وتتبعونهم وانكم تعلمون ان اباكم لا يعلمون شيئا من امر الدين ولا يهتدون ونحو ذلك قال تعالى ردا عليهم
قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم سفههم الله تعالى في احلامهم بسبب تقليدهم اباهم مع ان ظهر عندهم
ان اباهم على ضلالة وباطل وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم ظن بعض الناس ان الاية تدل على نسخ
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ فيها دلالة على انه واجب في حال دون حال والسعة في تركه والرخصة فيه لان
وهو فاسد بل في الاية اخبار انه ليس علينا فيما ردعلينا ولا يتصل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء وهو كقوله
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم
ليس في هذا رخصة للنبي صلى الله عليه وسلم في ترك تبليغ الرسالة اليهم ولا دفع او نسخ لوجوب التبليغ لكن
فيها اخبار انه ليس عليه فيما وجد منهم من الرد وترك القبول لشيء كقوله ان عليك الا البلاغ فعلى ذلك في هذه الاية

على انه يحتمل ان يكون في الاية اخبار انه ليس عليه فيما وجد منهم من الرد وترك القبول شيء كقوله ان عليك
الا البلاغ ويتوجه التخصيص في الاية على انه يحتمل ان يكون في الاية دليل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه
قال عليكم انفسكم يعني احفظوها بذلك لا يضركم من ضل بتركه قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا اهتديتم
امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر اذ من الاهتداء اتباع ما امر الله تعالى في انفسنا وفي غيرنا مما ثبتت فرضيته الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بآيات محكمة في مواضع من القرآن وبالاخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وبالاجماع الا
في حال الامكان قال الله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى
حاكيا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقال
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وغير ذلك من الايات والاخبار في ذلك كثيرة
من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي وقد حفزه النفس فعرفت
ثم خرج الى المسجد فمضيت وراء الحجاب ثم صعد المنبر ثم قال يا ايها الناس ان الله تعالى يقول مروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسألوني فلا اعطيكم وتستغفروني فلا اغفر لكم وتستنصروني
فلا انصركم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف وينه
عن المنكر فليس منا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون ان
يغيروا عليه فلا يغيروا الا اصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا ثم عدد وعن السلف في تأويل هذه الاية احاديث
اشياء مختلفة من حيث الظاهر وهي متفقة من حيث المعنى منها ما روى قيس بن حازم رضي الله عنه قال سمعت
ابا بكر على المنبر يقول يا ايها الناس انكم تقرأون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروا
يوشك ان يعمهم الله بعقابه فاخبر رضي الله عنه انه لا رخصة في هذه الاية في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وعن سعيد بن جبير في هذه الاية لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال يعني اهل الكتاب وكذا قال مجاهد
فكانهما ذهبا الى ان اهل الكتاب اذا اقروا بالجزية عن كفرهم فلا يضرنا كفرهم لانا اعطيناهم العهد على ان نتركهم
وما يعتقدون وليس لنا نقض عهدهم باجبارهم على الاسلام فهذا لا يضرنا الا ضرنا الامساك عما
لا يجوز لنا الاقرار عليه من المعاصي والفسق فرضنا على كل المسلمين تغييره والانكار عليه وعن ابي امية
الشعباني قال سألنا ابا ثعلبة الخشني فقلت يا ابا ثعلبة كيف تقول في هذه الاية عليكم انفسكم فقال والله
لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر
حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع عنك
العوام فان من ورائكم ايام الصبر الصبر فيه كقابض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقد
عند شيوع الفساد وغلبته على العامة عن ترك التغيير باليد واللسان لا يوجب ترك الانكار بالقلب
فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الحال بالقلب على ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد يجوز ترك اظهار الايمان مثل اظهار كلمة
الكفر باللسان مع التصديق بالقلب تقية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فهذا مثله
وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه ذكر عنده قوله عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا قال لم يجئ تأويلها بعد ان القرآن انزل منه اي ما مضى
تأويله قبل ان ينزلن وكان منه اي وقع تأويله على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفسها ومنه ما يقع تأويله
يوم الحساب من الجنة والنار فما دامت قلوبكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا
بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ
ونفسه عند ذلك جاء تأويل هذه الاية وانما عني رضي الله عنه بقوله لم يجئ تأويلها بعد ان الناس في عصره كانوا
متمكنين من تغيير المنكر لصلاح السلطان والعامة وغلبة الابرار فلم يرخص في الترك فاذا تغير الزمان
ورخص في السكوت في زمان يستولي الفساد مع الانكار بالقلب وكذا روي عنه رضي الله عنه انه قال في هذه الاية
قولوها ما قبل منكم فاذا ردت عليكم فعليكم انفسكم والمراد انه لم يمكنه التغيير بيده وبخوف ايذائه قال قولوها
ما لم يكن دونها السيف والسوط فاذا كان دونها السيف والسوط فعليكم انفسكم وروي انه جاء رجل
الى عمر رضي الله عنه وقال اني اعمل اعمال الخير كلها الا خصلتين قال وما هما قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقال لقد طمست سهمين من سهام الاسلام ان شئت استغفر لك وان شئت عذبتك وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال من فر من اثنين فقد فر ومن فر من ثلثة لم يفر وقال انما انا فارد على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا المعنى
ان الرجل من اثنين ان يامرهما او ينهاهما وقد ذهب ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الى قوله تعالى فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين فجاز ان يكون
هذا اصلا لنا في انه يلزمه تغيير المنكر وقوله تعالى الى الله مرجعكم جميعا • الذي يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر والذي يرد عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فينبئكم بما كنتم تعملون تخرج على الوعيد والتحذير
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم • الاية اختلف في معنى الاية قال الحسن نزلت الاية في المسلمين
فقوله اثنان ذوا عدل منكم اي من عشيرتكم او اخران من غيركم اي من غير عشيرتكم فيقول ان الحي على المسلم اذا اراد
ان يوصي عند حضرة الموت ان يشهد الوصية ويضيفها الى احد من عشيرته وكذلك يشهد على ذلك من عشيرته
احق بوصاته واحوط واكثر عناية في حفظ تركته وكذا اقوم للشهادة ولا كذلك الاجانب الا اذا لم يكن
ذلك بان كان في السفر وليس معه من قاربه احد فحينئذ يوصي الى غير عشيرته ويشهد على ذلك من غير عشيرته فان
قال قائل خاطب الله عز وجل المؤمنين جملة بقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم فالخطاب للمؤمنين بلفظ
الايمان من غير ذكر القبيلة والعشيرة وقوله تعالى او اخران من غيركم • يرجع الى المذكور في الخطاب دون غيره كان الكناية
ينصرف الى المكنا السابق وقد سبق ذكر المؤمنين دون ذكر القبيلة والعشيرة فينصرف قوله او اخران من غيركم
من غير المؤمنين لا من غير العشيرة فيقول سبحان الله ما اعظم هذا القول ليرد شهادة موحد مخلص بانه
يفسق برشده ويامر بقبول شهادة كافر كاذب يقابل الله بالولد والشريك هذا مما لا يحتمل فان ظاهر الاية
على قول من حمل قوله من غيركم من غير دينكم يقتضي هذا فانه قال اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم
نقل من شهادة عدلين الى شهادة الكافرين ودون شهادة الفاسقين وهذا قبيح بعيد ما قلنا قوله تحبسونهما
من بعد الصلاة والكفار كانوا يستهزؤن بالصلاة اذا نودي لها بقوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا فكيف تحليفهما في هذا الوقت العظيم وليس عندهم كذلك وقال قتادة في قوله يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم قال هذا رجل مات بقرية من الارض فترك تركة واوصى بوصية فاشهد على وصيته
رجلين فان شك في شهادتهما استحلفا بعد صلاة العصر ولا يحلف عندهما يمين لا نشتري به ثمنا فان عثر
اي اطلع منهما على خيانة على انهما كتما او كذبا فشهد رجلان اعدل منهما بخلاف ما قالا اجيزت
شهادتهما وابطلت شهادة الاولين وقال ذوا عدل منكم من العشيرة او غيركم من غير العشيرة وكذا روي عن
من غيركم من غير قبيلتكم وكذلك روي عن عبيدة في رواية وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد
بن جبير وابن سيرين وشريح وعبيدة والشعبي ومجاهد رضي الله عنهم وقال سعيد بن جبير في معنى قوله
الاية قال اذا حضر المسلم الموت في السفر فلم يجد مسلمين فاوصى الى اهل الكتاب فان جاوا بتركته فاتهموا
حلف هؤلاء ان متاعه وتركته كذا فاخذوه وعن عامر الشعبي ان رجلا مسلما توفي في موضع ولم يجد
احدا من المسلمين يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب ثم مات عندهم فاتيا بكهل الكوفة
فامرهما فاتيا بهما ابا موسى الاشعري فاستحلفهما بعد صلاة العصر بالله ما اشتريا به ثمنا ولا كتما
انا اذن لمن الاثمين ثم قال يا ابا موسى والله ان هذه القضية ما قضي بها بعد ما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى اليوم قال الشعبي رحمه الله ان ابا موسى الاشعري رحمه الله انما استحلفهما انهما من تركة
للميت وهذه يمين واحسبه المسلمين جميعا فان القاضي اذا حلفا الشهود على انهم صادقون فيما
يشهدون انا اتهمهم الناس به ولم يحلفهما على ان ما شهدا به كما شهدا به كان يزعم ان شهادتهما لا تصح عنهما
ولا يقبل شهادتهما بيمينا ان اليمين في هذه الرواية حلفهما ابو موسى في مسجد الكوفة دبر صلاة العصر بالله الذي
لا اله الا هو ما خانا ولا كتما ولا بدلا ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فاجاز ابو موسى شهادتهما
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خرج رجل من المسلمين في قرية ومعه رجلان من المسلمين فدفع
اليهما ماله ثم قال ادعوا لي من اشهده على ما قبضتماه فلم يجدوا احدا من المسلمين في تلك القرية فدعوا ناسا
من اليهود والنصارى فاشهدهم على ما دفع اليهما ثم ان المسلمين قدموا بالمال الى اهله ودفعا اليهم فقالوا لقد
كان معه من المال اكثر مما اتيتما به فاستحلفهما بالله ما دفع اليهما غير هذا ثم قدم ناس من اليهود والنصارى
من تلك القرية فسالهم اهل المتوفى عن ذلك فاخبروهم انه هلك بقريتهم وترك كذا وكذا من المال اكثر مما
دفعا اليهم فعلم اهل المتوفى ان قد عثروا على ان المسلمين الذين اتيا بالمال انهما قد استحقا اثما واظهروا انهما
فانطلقوا بهما الى ابن مسعود رضي الله عنه واخبروه بالذي كان من امرهم فقال ابن مسعود رضي الله عنه

مما في كتاب الله شيء الا مدرجا عليه دلالة الا هذه الاية فلا بد ان حاتما فيهما فامر عبد الله بن مسعود رضي
المسلمين ان يحلفا بالله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم امر
اليهود والنصارى ان يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا وكذا ولشهادتنا احق من شهادة هذين المسلمين
وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ثم امر اهل الميت ان يحلفوا بالله بما شهدت به اليهود والنصارى حتى
يحلفوا فامرهم ابن مسعود رضي الله عنه ان ياخذوا من المسلمين ما شهدت به اليهود والنصارى وكان
ذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وان ثبت هذا عن ابن مسعود ان احلف المسلمين واحلف اليهود والنصارى
الذين شهدوا بما لم يقر به المسلمان ثم حكم بشهادتهما حتى حلف الورثة وهم المدعون فحينئذ نقضي لهم بذلك
فهذا خلاف ما روي عن هذه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء
قوم واموالهم لكن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو ايضا غير موافق لظاهر الاية فلا احسبه
محفوظا عنه والله اعلم ويروى عن عكرمة رضي الله قال في هذه الاية كان تميم بن اوس الداري واخوه نصرانيان
وهما من لخم وكانا يتجران الى مكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حول متجرهما الى المدينة
فكانا بالمدينة اذ قدم ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي من المدينة وهو يريد الشام باجل فخرجوا
جميعا حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابي مارية وكتب وصيته بيده ثم دسها في متاعه فاوصى
اليهما فلما مات فتحا متاعه فوجدا فيه اشياء فاخذاها فلما قدما الى اهله ودفعا اليهم ما ترك
ففتحوا متاعهم فوجدوا وصيته وقد كتب فيها ما معه وما خرج به وفقدوا الاشياء فسالوهما
هذا الذي قبضتما لم تدفعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة
بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله لمن الاثمين فاستحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قبضنا
له غير هذا ولا كتمنا فمكثا ما شاء الله ان يمكثا ثم ظهر على اناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا
من متاعه فقالا اشتريناه منه فارتفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية الى قوله فان عثر
على انهما استحقا اثما الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من اهل البيت ان يحلفا على
ما قد كتما وغيبا فحلفا فاخذوا الاناء ثم تميما اسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقول
صدق الله ورسوله وبلغ انا اخذت الاناء وهذا الحديث متصل الاسناد فان عكرمة رضي الله عنه
قال وكان تميم يقول كذا وكذا وعكرمة كان من التابعين فغير ممكن ان يكون سمع الحادثة من تميم مع ان
المرسل عندنا صحيح وهو فوق كثير من المسانيد وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان
تميم الداري وعدي بن بداء يختلفان الى مكة بالتجارة فخرج رجل من بني سهم فتوفي بارض ليس فيها مسلم فاوصى
اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاستحلفهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما كتمتما ولا اطلعتما ثم عرف الجام بمكة فقالا اشتريناه من عدي وتميم فقال رجلان من
السهمي يحلفان بالله ان هذا الجام لجام السهمي ولشهادتنا احق من شهادتهما فاخذوا
الجام وفيهم نزلت الاية وهذا والله اعلم اقرب الوجوه من تاويل هذه الاية فاما في هذين الحديثين
ان اليمين وجبت على المدعى عليهم لما ادعى الورثة عليهم انهم كتموا بعض تركة الميت على موافقة الحديث
المشهور في الباب وفي هذين الحديثين ايضا ان الاناء لما ظهر ادعى تميم وصاحبه انهما اشترياه من الميت
فصارا مدعيين فانكر الورثة دعواهما فحلفوا على دعوى تميم وصاحبه على العلم وهذا حكم موافق سائر
السنن فان كان الامر على ما ذكر في هذين الحديثين فليس في الاية شيء منسوخا ولا فيها ما يخالف
الاحكام الظاهرة المعروفة ولا ما يخالف ظاهر الاية وما عدا هذا التاويل لا يخلو عن شيء من ذلك فما قال
الحسن رضي الله عنه يخالف ظاهر الاية في قوله او اخران من غيركم من غير عشيرتكم لان الله تعالى لم يذكر في
الاية قبيلة ولا عشيرة فيكون قوله من غيركم من غير قبيلتكم ومن عشيرتكم بل قال يا ايها الذين امنوا
شهادة بينكم فالمسلمون جميعا داخلون في قوله بينكم والمفهوم منه الشهادة المعروفة فيما بينكم
فغيرنا من هو على غير دينا فالكناية ينصرف الى المذكور السابق وكذلك تاويل مجاهد رضي الله عنه
الاية على اليمين دون الشهادة مخالف لظاهر الاية وان كانت اليمين قد يسمى شهادة مجازا لان
الشهادة متى ذكرت مطلقة ينصرف الى المتعارف في اطلاق الاسم عليه لقوله واقيموا الشهادة
لله وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم وقوله واشهدوا ذوي عدل منكم ونحوه يعقل منها
الشهادات على الحقوق لا الايمان وكذلك هذا يدل عليه انه قال اذا حضر احدكم الموت لان حال الموت
ليست بحال اليمين انما يكون حال الاشهاد على الوصية ونحو ذلك من الاقرار بالدين وغيرها فيكون لتما

قوله اثنان ذوا عدل منكم واليمين لا تختص بذوي العدل وكذلك قال او اخران من غيركم اي ان لم توجد اثنان
ذوا عدل من المسلمين فاخران من غيركم ولا تختلف في حق اليمين وجود ذوي عدل وعدمهما فثبت انه لو كان المراد
من تأويل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيه خلاف اصول الايمان وهو توجيه اليمين على المدعي عليه على ما ذكرنا وكذلك
في تأويله وتأويل ابي موسى الاشعري قبول شهادة الكفار على وصية المسلم في السفر وكذلك قال ابو موسى وشريح
هي ثابتة غير منسوخة ومن اول قوله او اخران من غيركم من غير ملتكم مثل ابن عباس وغيره رضي الله عنهم يقتضي بقاء هذا الحكم
ونسخه ولكن الظاهر انهم قالوا بانتساخه وهو قول جماعة الفقهاء لانه لا يقبل شهادة اهل الذمة على المسلمين
لا في سفر ولا في الحضر في الوصية وغيرها وقد روي عن ابراهيم النخعي رحمه الله قال هي منسوخة نسخها واشهدوا
ذوي عدل منكم وعلى ما اجبنا من التأويل لا يحتاج الى النسخ لانهم قالوا الآية نزلت في قصة تميم واخيه
وكانا نصرانيين والموصي مسلم مهاجر وقالا لا تركة في ايدينا كذا وكذا وادعى الورثة اكثر من ذلك فان الاجل المسلم
اوصى اليهما ودفع المال كله تركته اليهما ليسلماه الى ورثته وليس في الحديث انه اشهدهما على الوصية بالمال الاجل
او بالاقرار بالدين ونحو ذلك حتى يكون فيه شهادة الكفار على المسلمين ولما اعتبر الورثة على انهما خانا اشهد عليهما
شاهدان مسلمان عليهم على شيء جحداه انه من تركة الميت فكان هذا شهادة الذمي على اهل الذمة وشهادة المسلم على اهل
الذمة [illegible] بعد ما ظهر منهما الخيانة في حق الجام وغيره مما اخذا من تركة الميت وقالا اشتريناه
منه حال الحياة وانكر الورثة دعواهما فحكم ان الورثة ان يحلفوا على العلم بما ادعيا من الشرى فهذا معنى الحكم
يقوما مقامهما لان الورثة صاروا مدعى عليهم فقاموا في هذه الحالة في وجوب اليمين عليهم مقام الاوليين
بما كانت الدعوى عليهم والله اعلم وفيما ذكرنا فيه بيان لا يحتاج الى النسخ فكان ما قلناه احق بعد ما كنا
ما روي عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وعن عائشة رضي الله عنها قالت المائدة من آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها
من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه وقد روى ابو اسحق عن ابي ميسرة رحمه الله قال في المائدة ثماني
عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقال الحسن رضي الله عنه لم ينسخ من المائدة شيء وهؤلاء ذهبوا الى انه ليس
في الآية شيء منسوخ وظاهر الآية يقتضي جواز شهادة اهل الذمة على وصية المسلمين في السفر سواء كان
في الوصية بيع او اقرار بدين او وصية بشيء او هبة او صدقة فهذا كله يشتمل عليه اسم الوصية اذا عقده
المريض عند الله تصدق الآية فان شهادة المسلمين على الوصية في الحضر والسفر فيكون ذلك ادبر بما يجوز
من شهادة ذوي العدول منا في الحضر والسفر في الوصية وغيرها فاشهدوا اذا تبايعتم واشهدوا ذوي
عدل منكم واستشهدوا شهيدين من رجالكم الآية في الحضر والسفر وفي الدين وغيره سواء ثم ان الحكم في
غير المسلمين فقال او آخران من غيركم او من غير اهل ديننا لا باس بان يستشهد على امثالهم من الكفار والله اعلم
وكذا تأويل من تأول بعض الآية ان يحلف الشاهدان اذا كانا وصيين مع شهادتهما الا صحة شهادتهما بدون اليمين
وهذا مخالف الاصول الشهادات مخالف لظاهر الآية لان ظاهرها يوجب اليمين على العدلين منا ومن غيرنا فلما
لم يجز ان يحلف الشهود المسلمين على الوصية التي يشهدون بها وانما يحلفون على شيء اذا ادعى انهم خانوا وكان
سبيل الكفار مثل ذلك لان الله تعالى جمع بين العدول منا ومن غيرنا فيما ذكر واوجب تحليفهم كان
التفريق بينهما تركا لظاهر الآية والله اعلم قد ذكرت حكم الآية على الوجوه التي روي فيها عن السلف في بيان
ما نسخ منها وما بقي ثابتا فنذكر الآن الآية على شيء ما فيها على ما اقتضاه ترتيبها من الحكم على السبب الذي
نزلت فيه فنقول وبالله التوفيق ان قوله يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم يحتمل معنيين احدهما ان يكون
شهادة ما بينكم شهادة اثنين ذوي عدل منكم بحذف ذكر الشهادة الثانية لعلم المخاطبين بالمراد كحذف
حرف ما كقوله لقد تقطع بينكم اي ما بينكم والثاني يحتمل ان يكون شهادة بينكم اي اهلها ان يشهد اثنين ذوي
عدل كقوله في الدين واستشهدوا شهيدين من رجالكم فاذا الامر الترغيب في ان يشهد شاهدين عدلين
من المسلمين عند حضور الموت على الوصية في السفر او شهادة آخرين من غيركم المسلمين على وصية المسلم
في السفر وكانت ولها على السبب الذي تقدم ذكره من رواية ابن عباس رضي الله عنهما في قصة تميم الداري
وعدي بن بداء فدل بعض السبب في الآية ثم قوله اذا انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت فشرط
قبول شهادة المؤمنين على الوصية ان تكون في حال السفر لان قوله ضربتم في الارض اي سافرتم وقوله
تقتضي ان يكون الشاهدان هما الوصيين لان الموصي اوصى الى ذميين مجهولين فشهدا بوصيته فتضمن ذلك
جواز شهادة الوصيين على وصية الميت فاصابتكم مصيبة الموت اي في السفر ثم قال تحبسونهما من بعد
الصلاة يعني لما اتهمها الورثة في حبس شيء من مال الميت واخذه على ما ادعاه مكرمة في قصة تميم الداري

وعلى ما قال ابو موسى في استحلاف الذميين ما خانا ولا كذبا فصارا مدعى عليهما وكذلك استحلاف الامين حيث
كانا شاهدين وقد بين ذلك بقوله فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة
الله يعني فيما اوصى به الميت ما شهدنا عليه ثم قال فان عثر على انهما استحقا اثما يعني ظهر شيء من مال الميت
في يدهما انهما اشترياه من الميت ثم قال فآخران يقومان مقامهما يعني في اليمين لانهما صارا في هذه الحال مدعيين
للشراء فصارت اليمين على الورثة وعلى هذا لم يكن الميت الا فاثنان وكانا مدعى عليهما فكذلك استحقا
الامر كما انه قال من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما يعني ان هذه
اليمين التي حلف بها الوصيان انهما ما خانا ولا بدلا لان الوصيين صارا في هذه الحال مدعيين وصار
الورثة مدعى عليهما وقد كان الوصيان انهما ما خانا ولا بدلا لان الوصيين صارا في هذه الحال مدعيين
فصار الوارثان مدعى عليهما وقد كان الوصيان بريئين في الظاهر منهما في الابتداء خصت شهادتهما
على الوصية وقبلت فلما ظهر في ايديهما شيء من مال الميت صارا متهمين في اداء الورثة وقد اختلف في تأويل
قوله الاوليان فقال عن سعيد بن جبير رضي الله عنه يعني الاوليان بالميت يعني الورثة وقيل الاوليان
بالشهادة وهي الايمان في هذا الموضع وليس في الآية دلالة على ايجاب اليمين على الشاهدين فيما شهدا
به وانما اوجب اليمين عليهما لما ادعى الورثة عليهما الخيانة ووجد شيء من تركة الميت فصارت يمينهما كما ذكر
في هذه الآية تسمى الشهادات ايمانا وبعضها الشهادة الوصية كالشهادة على الحقوق بقوله اثنان
ذوا عدل منكم او اخران من غيركم على الشهادة المعروفة وقوله بعد ذلك فيقسمان بالله لا يحتمل غير اليمين
ثم قال ولا نكتم شهادة الله يعني شهادتهما على الوصية فاضافهما الى الله عز وجل على نحو قوله واقيموا
الشهادة لله ثم قال فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما يعني اليمين لان هذه الايمان الوارثين وقوله تعالى احق من شهادتهما يحتمل من شهادتهما
لان الوصيين قد كان منهما شهادة ويمين فصارت يمين الوارثين احق من شهادة الوصيين ويمينهما لان
شهادتهما لانفسهما غير جائزة ويمينهما لم يوجب تصحيح دعواهما في شراء ما ادعيا شراءه من الله قال الله تعالى
ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعني والله اعلم الشهادة على الوصية وان لا يحرفوا ولا يغيروا
يعني ايمانا في حكم الله تعالى مردودة ثم الايمان وايجابها تارة على الشهود من شركة شيء من مال الميت لانهم
متى علموا ذلك اتوا بالشهادة على وصية الميت على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ولا ينقصوا واعلم
ولا يترتب بها ذلك الا فيه لان يستحق عليهم ما كتموه والمدعوا شراءه اذا حلف الورثة على ذلك فان قيل معنى قوله
ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها قيل يحتمل ذلك ان المؤتمن اذا ادعيت عليه الخيانة وقال هو قد رد
ما كان في يدي فانه لا يصدق الا بان يحلف فاذا علم انه لا يقبل قوله الا بيمين كان ذلك احرى ان يقول الحق
حذرا من ان يحلف على كذب او يمرجوا من الاثم في اليمين فيسبق الخيانة فان قيل ما معنى قوله يحبسونهما بعد
الصلاة لاي شيء خص الاحلاف بعد الصلاة وهي صلاة لديها قيل يحتمل ان يكون على زيادة التغليظ
لانها ساعة يعرف فيها رفع الاعمال كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك روي عنه عليه السلام
انه قال ان الساعة التي يجاب فيها الدعوة يوم الجمعة بعد العصر وللحاكم ان يغلظ على الخصم اذا اتهمه باكثر
من هذا وهو ان يحضر جماعة حال الاستحلاف فاذا سال الخصم ذلك ... لا احتسب للقضاة ... والحلق
للخصم ... الا التغليظ على من يحلف بالله كاذبا ولو حلسوا له في غيرها من المجالس كان كافيا وقد روي
تغليظ اليمين بالاستحلاف في البقعة المعظمة على ما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف
عند هذا المنبر على يمين آثمة فليتبوأ مقعده من النار ولو على سواك اخضر وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال
في امرأة وجبت عليها اليمين اذهبوا بها الى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحلف عنده فكان
هذا منه زجرا لها على الاقدام على الكذب فلها هنا كذلك وقد روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه استحلف
بعد صلاة العصر ويحتمل ان يكون اليمين في ذلك الوقت ليكون ذلك زجرا عظيما وان ذلك وقت اجتماع الناس
لما يفرغون من الاعمال وقد فضل هذا الذي يمتنع المرء عن اليمين الفاجرة خوفا من القيل والقال فكيف عن اليمين
الفاجرة ويحتمل ان يكون ذلك الوقت وقت جلوس الحاكم بعد صلاة الظهر بعد صلاة العصر وذكر ذلك
لي معنى التغليظ وان كانت الآية في تميم وصاحبه كما روى عكرمة وهما نصرانيان فيحتمل ان يكون
بعد تحكيم امر بذلك على طريق التغليظ والزجر لانهم كانوا يعظمون وقت غروب الشمس وما قرب
ذلك من دينهم لانه وقت عبادتهم والله اعلم وقوله تعالى واتقوا الله واسمعوا من وعظ الله لا يهدي
القوم الفاسقين يعني ما داموا في فسقهم اذ قال ذلك في قوم قد علم الله تعالى منهم انهم لا يخرجون من ذلك

ابدا والله اعلم وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب
قال اهل التاويل انما يقولون ذلك لفزعهم من هول ذلك اليوم فلشدته تطير
قلوبهم ويذهل افئدتهم فيقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب لكن هذا بعيد فانه لو كان
الامر كما يقولون انه بسبب هول ذلك اليوم يذهل قلوبهم لما كان يسهل لهم الاجابة وقتا ما بوجه قالوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب دل انه لا لما ذكروا ولكن يحتمل وجهين اخرين احدهما ان الله تعالى سالهم
عن حقيقة الاجابة ومن بهم لهم وذلك يرجع الى ضمائرهم فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اي انك
لم تطلعنا على علم الضمائر والغيوب فانت اعلم بذلك والثاني ان قومهم قد احدثوا امورا في ذات انفسهم
على خلاف الحق وادعوها ونسبوها الى الرسل عليهم السلام كما ذكر الله تعالى في حق عيسى عليه السلام
اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ما قلت لهم الا ما امرتني به كانه قالوا ان عيسى عليه السلام هو الذي دعاهم الى ذلك فسالهم عن ذلك كما
عن ذلك فيظهر كذب اولئك القوم فههنا كذلك يقول الله تعالى لهم ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا بما ادعوا علينا من
الامور التي احدثوها انك انت علام الغيوب فانا لم نجعل لهم ولم ندعهم الا الى الحق ويحتمل هذا السؤال
يكون لهم في الاخرة كما اخبر الله تعالى في اية اخرى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن
المرسلين قيل الرسل عليهم السلام عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسال قومهم عن اجابتهم لتقطع
احتجاجهم وان لم يكن لهم الاحتجاج فههنا امثاله وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك خرجت الاية على سبيل الاحسان الى عيسى عليه السلام بما انعم عليه وعلى والدته ليقوم
على شكر ما انعم عليه لما نعمته عليه يحتمل ما ذكر على اثر هذا الكلام وهو قوله اذ ايدتك بروح القدس تكلم
الناس في المهد وكهلا وما ذكر في موضع اخر اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا الى اخر الاية شهد
في حال الطفولية بوحدانية الله وبربوبيته واخلاص عبوديته له وذلك من اعظم نعم الله واجل منته
عليه وما ذكر ايضا بعد ذلك بقوله واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الاية وان تعلم
هذه الكتب وما اجرى على يديه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وما كف عنه بني اسرائيل حتى لم يقدروا
على الاضرار به كما اخبر في حق نبينا عليه السلام والله يعصمك من الناس فهي نعم عظام لا يدخل تحت الوهم
الخروج عن شكر واحد منها وما ذكر ايضا في بعض القصة ان امه اتت بعيسى عليه السلام الى
الكتاب فجعل المعلم يقول له قل بسم فيقول له عيسى عليه السلام وما بسم الله فاذا قال المعلم بسم الله فيقول
واذا قال الرحمن يقول الرحيم فقال المعلم كيف اعلم من هو اعلم مني ونحو هذا كثير تماما انعم عليه وعلى والدته
هو ما ذكر في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا الاية وما قيل في قوله واذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين طهرها من جميع ما يبتلى
به بنات ادم من الحيض والنفاس وغير ذلك من اعظم النعم ونحو ذلك ثم امر عيسى عليه السلام بشكر ما انعم
عليه وعلى والدته حيث قال له اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ذكر النعم شكرها وفيه امر بالشكر على ما انعم
على والدته ثم قوله اذ ايدتك بروح القدس اختلف في تاويل روح القدس قيل هو روح وهو المبارك الذي
اعطي في حال طفوليته به كان يدعو الناس الى توحيد الله وعبادته لربه وقدرته على معرفة الله تعالى وحده
بنفسه وذلك معنى اختص به في حال الطفولية بسبب ذلك المعنى يتوسل الى عمل لم يكن لغيره من الصبيان
في العادة سمي روحا لما به بسبب حياة الدين وقيل روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به كان يحيي
ويبرئ الاكمه والابرص وقال عامة اهل التاويل الروح هو جبريل عليه السلام والقدس هو الله تعالى اي
ايدتك بروح الله وهو جبريل عليه السلام بما انزل عليه من الوحي وهو كقوله نزل به الروح الامين على قلبك
وقوله تعالى واذ علمتك الكتاب والحكمة قيل معناهما واحد لان كتب الله تعالى كلها حكمة الا انه ذكر
باسمين وقيل الكتاب ما يلقن من العلم والحكمة هي ما اعطي الانسان من العلم من غير تعلم وقيل الكتاب
هو ما يلحظ من الاحكام المنصوصة وغيرها والحكمة هو الفقه وما يستخرج من المنصوص والله اعلم
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني اي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير لان التخلق في
الحقيقة من الله تعالى اذ هو المتفرد به دون الخلق وكذا التصوير والتقدير حقيقة لان العبد لا فعل له
حقيقة فيما ورد تحت قدرته وهو نفسه لكن لما كان قد يضاف التصوير الى مستعمل الة التصوير
مجازا لانه اجرى ذلك على يدي عيسى عليه السلام ليكون اية لصدق نبوته ورسالته وعلى ذلك جميع
الايات التي اتى بها الرسل عليهم السلام مما هو خارج عن محل قدرتهم فليس للرسل عليهم السلام تاثير

في الحقيقة بل كان الله تعالى هو الاتي بها والمنشئ لها على الحقيقة لكنه اجراها على ايدي الرسل عليهم السلام
ليكون ايات صدق نبوتهم ودلالات رسالاتهم الا انها كان يتعلق بمحل قدرتهم من الفعل الخارج
من العادة الناقض لها يكون معجزة يكون مكتسبا لهم ويكون فعلا لله تعالى ومعجزة مضافا اذ هو الخالق للذي
على خلاف العادة والله الموفق وقوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني قيل الاكمه هو الذي يولد اعمى
وقيل الذي يذهب بصره بعدما كان بصيرا وقيل الاكمه هو الذي لا حدقة له وقوله تعالى واذ اوحيت
الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قد ذكرنا تاويل الحواريين في سورة ال عمران فلا نعيده ثم يحتمل
الوحي اليهم وجهين احدهما انه اوحى الى رسوله عيسى عليه السلام ارسل اليهم لتبليغ الوحي اليهم
فنسب اليهم لان الوحي الى عيسى كالوحي اليهم لانه يبلغ اليهم بواسطة وهو كقوله تعالى مخبرا عن الانبياء
عليهم السلام وما انزل الينا وما انزل اليكم ونحو من الايات لان الوحي المنزل على الرسل عليهم السلام
كالمنزل على الامة ونحو امثاله والثاني يراد به وحي الالهام وهو القذف في القلوب من غير كسب وتكلف وهو
الاخطار بالقلب لا الشرعة ان يلقيه برسول وهو كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل وكقوله واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه فهو وحي الهام وقذف في القلوب والاخطار من غير كسب ثم الوحي الذي الخطر
نوعان يكون من الله تعالى ويكون من الشيطان وهو وسوسته ودعوته الناس الى ذلك لكن ما يكون من الشيطان
فهو شر يتبين ذلك في العاقبة وما كان من الله تعالى فهو خير ما كان يحصل منه بلا واسطة تسبقه من احد
يكون خيرا تبين ذلك في الاخرة وهو ان يلقي في قلبه ما يحمله على الخيرات فاما ما كان بواسطة سبب من
ابليس وهو دعوته وتزيينه لهم الاشياء الظاهر حسنها الباطن قبحها فخلقه الله تعالى وان كان شرا
لان الله تعالى هو الخالق لجميع المحدثات لكن لا يدعو الى الشر ولا يامر به ولا يرضى ولا يحب والله الموفق
وقوله تعالى قالوا امنا واشهد باننا مسلمون يحتمل وجهين احدهما انهم قالوا لعيسى عليه السلام اشهد
انت عند ربك باننا مسلمون ويحتمل انهم سالوا ربهم ان يكتبهم من الشاهدين خوفا من عاقبة الامر
وخاتمته وهو كقوله امنا واكتبنا مع الشاهدين وقوله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في تاويله قيل ان قوما من غير الحواريين اتوا عيسى عليه السلام
حتى يسال ربه جل جلاله ان ينزل علينا مائدة من السماء لان الحواريين هم خواص عيسى عليه السلام فكما من بدء
لحاجته الى بعض الملوك من الخلق فانه يرجع اولا الى بعض خواصه فهم الذين يسالون رفعها خواصه فهم
الذين يتولون رفعها الى الملك فعلى ذلك يرفع حاجتهم الى الحواريين ليرفعوها الى عيسى عليه السلام ليسال
هو ربه عز وجل ويحتمل ان الحواريين هم الذين سالوا عيسى عليه السلام سالوا عيسى عليه السلام ان يسال
ربه من غير ان سال منهم احد رفع ذلك الى عيسى عليه السلام فاذا كان السؤال من الحواريين يحتمل وجهين
احدهما يحتمل انهم سالوا ذلك لانهم كانوا امنوا به وصدقوه من قبل لما ارادوا ان يعاينوا الاية بطريق
المشاهدة لما كان نفسه يحدث ويتنازع في مشاهدة الايات ليزداد لهم طمانينة ويقينا فاحبوا
ان يعاينوا ذلك وان اعتقدوا كما لحدث في كل شيء يدخل تحت القدرة وهو كقول ابراهيم عليه السلام رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي لما يحتمل ان كانت نفسه تحدث وتنازع
في ذلك فاحب ان يعاين ذلك ليزداد طمانينة ويقينا فعلى ذلك هذا والله اعلم والثاني يحتمل انهم كانوا
عرفوا عيسى عليه السلام ذا كرامة ومنزلة وقدر عند الله تعالى واعتقدوا ذلك لكن احبوا ان يعرفوا منزلته
التي هي عند الله بما يعطي لهم مسالتهم ولا يرد عليهم سؤالهم والثالث يحتمل انهم سالوا ذلك
ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند الله تعالى وكرامته بطريق المشاهدة والعيان وان اعتقدوا ذلك
عن دليل لما يجيبه ربه دعاه اذا سال الدنيا اذ العيان ابلغ في الطمانينة ودفع الشبهة فوق الخبر والله اعلم
وان كان السؤال من غير الحواريين فهو لما ذكرنا من الحاجة اليه لا انهم ذلك الا بخبر الصادق والله اعلم
بقوله هل يستطيع ربك يقرا بالياء والتاء جميعا فمن قرا بالتاء هل تستطيع ربك بنصب الباء ربك
على انه اضمارا وتقدير هل تستطيع انت يا عيسى ان تسال ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ومن
قرا بالياء هل يستطيع ربك بالرفع ومعناه هل يجيبه ربك دعاك ان دعوته ان ينزل علينا مائدة
من السماء وقال الفراء قد يكون هذا السؤال على العلم من السائل بالمسؤول فانه يجوز ان يقال للاخر هل
تستطيع فلانا نعم في حاجتنا وفي امرنا على علم منه انه يستطيع ولكنه يسال عنه افعل ام لا وذلك
جائز في العربية الا ترى انه روي ان ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما قرا هل تستطيع ربك مع انهما يعلمان
ان عيسى عليه السلام يستطيع السؤال لربه لكنهم قالوا ذلك على ما ذكرنا على انه يجوز ان يذكر الاستطاعة

ويراد بها الارادة والمحبة وقيل هو استفعال بمعنى افعل لا استطيع ان انظر الى فلان يعني لا يقدر
على النظر اليه حقيقة لكنه يريد بذلك لا اريد ان انظر اليك ولا احب فمعناه هل يستطيع
ربك اي هل يريد ربك ويحب ان ينزل علينا مائدة من السماء وهل اذن لك ربك ان تسأله
في ذلك فاسأله وقوله تعالى قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي اتقوا الله لا تسألوا اياته سيئا
لم يأذن لكم فيه ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا هذه الآية
يدل على انهم سألوا ذلك لان المكاشفات تحدث في انفسهم زيادة طمأنينة عن مشاهدة الآيات ومعاينتها
وانهم كانوا قد صدقوا عيسى عليه السلام في جميع ما يخبر عن الله تعالى وقوله تعالى ونعلم ان قد صدقتنا
اختلفوا في تلاوته [illegible] ونعلم ان قد صدقتنا
ونطمئن قلوبنا بما علمنا انك قد صدقتنا [illegible] الظاهرة للشهود
ونعلم ما قد صدقتنا بالخبر على طريق المعاينة والمشاهدة اذ العلم بالشيء من جهة الحس والعيان يكون
ارفع لما يعترض من الشبهة [illegible] وقوله تعالى ونكون عليها من الشاهدين اي نكون
عليها لمن لم يرها من الشاهدين انها نزلت وقوله تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك اي [illegible]
[illegible]
ثم اختلف في نزول المائدة لان سأل عيسى عليه السلام ان تكون لنا عيدا [illegible]
[illegible]
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى واذ قال يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يحتمل
القول وجوها ثلثة احدها يحتمل ان يكون هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى عليه السلام حيا
بين اظهرهم ليكون اية وحجة لمن يتبعه على من زاغ طريقه وضل عن طريق الهدى لانه سأل ان يكون
قال لهم ذلك ويحتمل ان يكون قال ذلك بعدما رفعه الى السماء ليعلم نحوه يقولوا ذلك الكفرة
بعد مفارقة قومه لتخييل القوم بذلك فلا يقدمون على ذلك ويحتمل انه يقول ذلك يوم القيامة
ويكون قال بمعنى يقول كما قال تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم وكقوله يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا اي يقولون وذلك جائز قال بمعنى يقول ومثله في القرآن كثير
وقوله تعالى خبرا عن عيسى عليه السلام قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك النفس يستعمل على وجوه احدها الضمير وكناية
على ارادة الذات فالنفس على معنى الضمير يجوز اطلاقها في حق الخلق ولا يجوز اطلاقها في حق الله تعالى
فلم يكن معنى قوله ولا اعلم ما في نفسك في ضميرك والنفس على معنى الذات يجوز اطلاقها في حق
فمعناه ههنا هو انه تعالى يعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك انك انت علام الغيوب اي انك انت علام ما غاب
عن الخلق وقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم اي ما دعوتهم الا الى ما امرتني
اي انا دعوتهم الى التوحيد لك والعبادة لك وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
شاهدا عليهم وهذا يدل على ان ذلك القول كان منه في الوقت الذي رفعه الى السماء او يوم القيمة
وقيل كنت عليهم شهيدا اي كنت عليهم حفيظا ما كنت بين اظهرهم وقوله تعالى فلما توفيتني كنت
انت الرقيب عليهم اي الحفيظ وقوله تعالى وانت على كل شيء شهيد بما امرتهم من التوحيد والعبادة
له وشاهد عليهم بما قالوا من البهتان وذكر في بعض القصة لما قال الله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فارتعد مفاصله وخشي ان يكون قالها فقال سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الآية وذكر ايضا متكلما ان يتكلم
نبي الله عيسى عليه السلام وعدو الله ابليس اللعين فاما كلام عيسى عليه السلام يقول الله تعالى أأنت

قلت

قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك الى قوله انك انت العزيز الحكيم فاما كلام اللعين
فيقول الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني الى قوله اني كفرت بما اشركتمون
من قبل الآية وقوله عز وجل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اختلف فيه قال الحسن
رضي الله عنه يقول ذلك في الآخرة ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذب من مات على ما كان عليه من الشرك
والحسن رحمه الله لا ينفي عنهم [illegible] هذا القول الحسن فانه لا يعذب ان يغفر لهم ما يعني لمن اكرمت له
بالاسلام والهدى فانك انت العزيز الحكيم وقال الآخرون هذا القول كان من عيسى في الدنيا ان تعذبهم يقول
ان تعذب من مات منهم على الكفر الذي كان منهم فانهم عبادك وان تغفر لمن الزمت له الهدى فانك انت
العزيز الحكيم اي انت العزيز [illegible] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فانك انت الغفور الرحيم
هو ظاهر لان الآية ذكر على اثر المغفرة وروي في الخبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان ذات ليلة يقول
ان تعذبهم فانهم عبادك الى آخر الآية به قام [illegible] ويسجد فهو والله اعلم على التضرع له فانه قال ان تعذبهم
فالذي [illegible] وتدفع ذلك عنهم دونك وهم عبادك اذ لا . وان لم تشفع فالذي يمنعك عن [illegible]
والثاني ان تعذبهم فلا سلطان عليهم ولست انت في تعذيبك اياهم جائرا لانهم عبادك لان المجاوزة
[illegible] الحمد الذي [illegible] وقوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اي يوم القيامة
ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا وقيل ينفع صدق الصادقين ايضا في الدنيا اذا اعرف بالصدق
يقبل قوله وان لم يظهر صدقه فهو في ذلك العاجل ثم اختلف في الصادقين من هم قال بعضهم قال بعضهم
المؤمنون جملة اي يوم ينفع ايمان المؤمنين وتوحيد الموحدين في الدنيا كقوله انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون وقيل الصادقون هم الانبياء وقوله لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وقوله خالدين وابدا في المعنى واحد وهو الدوام لكن ذكر على سبيل التاكيد وقوله
رضي الله عنهم بسعيهم في الدنيا ورضوا عنه في الآخرة بالثواب بسعيهم ويحتمل ورضوا عنه بما
على سعيهم المجهود في الدنيا وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم لانه ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفقر
وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن كان هذا حجة على من قال انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله ان يتخذا ربا [illegible] لله ملك السموات والارض فقال لما اتخذتم من الخلق كلهم
اولهم عبيده وانما هو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء والله الموفق والحمد لله رب العالمين

سورة الانعام

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض
الحمد هو الثناء عليه بما صنع الى خلقه من الخير [illegible] الذم يقبضه في الشاهد بحمد المرء بما يصنع من الخير
ويذم على ضده فالتحميد هو تحميد الرب والثناء عليه والشكر له بما انعم عليهم والتسبيح هو تحميد الرب
وتنزيهه عما جعلوا له من الشركاء والاضداد والوصف له بالوحدانية والربوبية والتكبير هو تحميد
والوصف له بالعظمة والجلال لعظيم ما وصفوه بالعجز والضعف انه كيف يبني من العظام البالية
خلقا وقوله تعالى الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور سفههم عز وجل بما جعلوا له
من الشركاء والاضداد على اقرارهم بانه خلق السموات والارض ولم يجعلوا له شركاء في خلقهما وعلى علم
منهم انه تعلق منافع الارض بمنافع السماء مع بعد ما بينهما كيف جعلوا له شركاء يشركونهم في العبادة والربوبية
وقوله وجعل الظلمات والنور قال الحسن رضي الله عنه الظلمات والنور الكفر والايمان وقال غيره من اهل
التاويل الليل والنهار والنور في الحقيقة ما يكشف عما استتر من الابصار ابصار الوجوه وابصار
القلوب فالظلمة ما يستتر ويغطي على الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب فالظلمة تجعل كل شيء
مستورا عليه والنور يجعل كل شيء كان مستورا ظاهرا باديا عليه هذا هو تفسير الظلمة والنور حقيقة
وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قيل يشركون معه ما يبين لهم ما يدل على وحدانية الرب تعالى
وربوبيته اي يجعلون كل شيء مما يعبدون من دون الله تعالى عديلا لله تعالى واثبتوا المعادلة بينه وبين الله
وليس لله تعالى عديل ولا نديد ولا شريك ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقال الحسن رضي الله عنه بربهم يعدلون اي يكذبون وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين اي خلق آدم عليه السلام
ابا البشر من طين فالخلق بنو آدم من آدم كقوله ولقد خلقنا الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

اخبر الله تعالى انه خلق آدم عليه السلام من الطين وخلق بني آدم سوى عيسى عليه السلام من النطفة وخلق عيسى عليه السلام
لا من الطين ولا من الماء ليعلموا انه قادر على انشاء الخلق لا من شيء فانه لا اختصاص للخلق بشيء لا ينكرون انشاء
انشاء الخلق واحياءهم بعد موتهم وذلك لانه لا يخلو اما ان يصادروا ترابا او ماء او لا ذا ولا ذا فاذا قدر على
ان خلق آدم عليه السلام من الطين وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى عليه السلام لا من احد كيف ينكرون
انشاء الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا فيكون دليلا على منكري البعث بعد الموت وعلى
الدهرية في انشاء الخلق لا من شيء فانهم ينكرون ذلك ويحيلونه ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم ورد الله
الحاكي ويحتمل قوله هو الذي خلقكم من طين ان يراد به جميع بني آدم ولهذا خلقهما الى الطين وان كان الخلق
من الماء لما انه ينشئ خلقهما من قوة ذلك الطين الذي في آدم وانه وان لم يرد تلك القوة وذلك لانه يرو منا كما
ان الانسان بدعانه يأكل ويشرب ويتغذى ويحصل به زيادة قوة في سمعه وبصره وفي جميع جوارحه و
فتحيينا بها جميع الجوارح وان لم يرد تلك القوة وكذلك هذا ويحتمل ايضا على ما روي في القصة انه تعالى امر
النطفة شيء من التراب بعث من الملك بان يأخذ شيئا من التراب من المكان الذي حكم بان يدفن فيه فيخلط بالنطفة
فيصير علقة ومضغة فانما نسبهم الى التراب لما ان اصلهم من التراب وهو آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم قضى
اجلا فالقضاء يتوجه الى وجوه كلها يرجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد يكون الابتداء فعل ون
قال الله تعالى فاقض ما انت قاض ويقال لحقيقة هذا الثوب على عمله واحكمه وقد يكون بمعنى الامر
امره تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ربك لانه امر قاطع حتم وقد يكون بمعنى الاعلام قال الله تعالى
وقضينا الى بني اسرائيل اي اعلمناهم اعلاما قاطعا وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء عنه والحتم كقوله
ثم قضى اجلا اي ختم بذلك واتمه وقد يكون على غير ذلك ثم قوله ثم قضى اجلا اي جعل لحياتكم اجلا
ووقتا تحيون فيه وقوله تعالى واجل مسمى عنده يعني امر الساعة والبعث اطلعنا الله تعالى على احد الاجلين وهو
الموت لانا نرى من يموت ونحيا ونعلم ولم يطلعنا على الآخر وهو الساعة والقيامة لنعلم احد الاجلين بالآخر قيل
قضى اجلا اجل الدنيا من وقت خلقك الى ان تموت واجل مسمى عنده هو يوم القيامة وقوله تعالى ثم انتم تمترون
اي ثم انتم بعد هذا البيان تشكون وتكذبون وقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
يحتمل ان هذا اصله قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور لانه اخبر انه
خالق السموات والارض واذا كان هو خالقهما لم يشركه احد في خلقهما كان هو اله من في السموات
واله من في الارض لا يشركه احد في الوهيته وربوبيته لانه لا اله الا من له قدرة التخليق فكان المعنى والله اعلم
كانه قال الحمد لله الذي خلق السموات والارض هو الذي يعلم سركم وجهركم ويحتمل قوله وهو الله في السموات
والارض اي الى الله تدبير ما في السموات وما في الارض وحفظه اليه لانه هو المنفرد بخلق ذلك كله وتدبيره
ثم قوله يعلم سركم وجهركم اختلف في تأويله قيل يعلم سركم اي ما تضمرون في القلوب وجهركم اي ما تظهرون
بالنطق ويعلم ما تكسبون من الاعمال التي عملت الجوارح اخبر الله تعالى انه يعلم ذلك كله ليعلموا ان ذلك
كله يحصيها ويحاسبهم على ذلك ليكونوا على حذر من ذلك وخوف ويمتنعوا عما فيه حساب ذلك وتبعة عليهم
وهو كقوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اخبر انه يحاسبهم بما ابدوه وبما اخفوه
فعلى ذلك الاول وقيل يعلم سركم اي يعلم ما خلق فيهم من الاسرار التي لا يوقف على حقيقتها لاحد من البشر
من حيث الكيفية والكمية ونحوهما نحو السمع والبصر والعقل والروح وغيرها فانه لا يعلم حقيقتها
غير الله تعالى فاخبر انه يعلم ذلك وانتم لا تعلمون وقوله وجهركم اي الظواهر منكم ويعلم ما تكسبون
من الاقوال والافعال والله اعلم وقوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين
يحتمل وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين في توحيده او من آيات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم ونبوته ويحتمل من آيات البعث والنشور بعد الموت لانه اخبر انه خلقهم من طين فاذا ماتوا
صاروا ترابا فاذا كان بدء انشائهم من الطين وهو قادر على ذلك فاذا اعادهم الى التراب يقدر على انشائهم
ثانيا من ذلك التراب الاعادة ليس الا الايجاد بعد العدم وليس نشأة الثانية اعسر من الاولى فيكون
الآية دلالة البعث ثم يحتمل الآيات القرآن ايضا دون سائر الآيات التي اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المعجزات ويحتمل كل آيات رسالته ثم اخبر الله تعالى عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله وما يأتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاذا اعرضوا عنها لم ينتفعوا بها ليعلم انه انما ينتفع بالآيات من
تأملها ونظر فيها لا من اعرض عنها ثم سورة الانعام انما نزلت في محاجة اهل الشرك في اثبات التوحيد
والالوهية والبعث فلو لم يكن يعرف معنى الاعجاز في القرآن او لم يكن معجزا لكانت سورة الانعام معجزا لانها

نزلت في محاجة اهل الشرك في اثبات التوحيد والالوهية لله تعالى والبعث بعد الموت ولم يكن يومئذ يعرف
التوحيد والبعث اذ العقل كلهم عبادة الاوثان فلا يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم الف
هذه السورة وانشأها من ذات نفسه وبين فيها دلائل التوحيد والبعث بحيث يعجز عن اتيان ذلك البشر في
عمره في التعليم ولم يكن تعلم من احد ولا اختلف الى قول نصارى فيأخذ اذ كلهم اهل شرك ليعلم انه عرف ذلك
بالله تعالى وان الله تعالى هو الذي جعل القرآن معجزا فكيف وقد جعل الله تعالى القرآن معجزا عجز الخلق عن
اتيان مثله وفي الآية دلالة اثبات المحاجة في التوحيد والمناظرة فيه لانا ذكرنا هذه السورة نزلت في
محاجة اهل الشرك وانهم كانوا ينكرون التوحيد والبعث وقوله تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يحتمل
الحق الآيات التي كان يأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من آيات التوحيد والبعث ويحتمل القرآن
ولو لم يكن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بآية لكانت نفسه آية عظيمة من اول نشوئه الى آخر عمره لانه
عظم حتى لم يأت بما يستقبح ويستقبح فكان ذلك دلالة على انه كان بعث لامر عظيم وموضعا
للرسالة وعلى هذا يخرج اجابة ابي بكر رضي الله عنه اياه في اول دعوة دعاه اليه لانه كان رأى فيه
الآيات في خلقه وخلقته وسيرته وطريقته ما قد تقرر عنده انه لا يكون مثل هذا الا لامر
عظيم فلما اخبره النبي صلى الله عليه وسلم انه قد بعث الى الخلق رسولا ودعاه الى الله تعالى اجابه من
غير طلب الدليل والحجة بما قد تقدمه الدليل وهو الجواب عن اشكال الاباضية في دعواهم ان المخبر
بانه رسول من الله لا يطلب منه الدليل ويجب على كل من سمع قوله القبول له والتصديق لقوله
مستدلين بحديث ابي بكر رضي الله عنه انه اجابه كما دعاه من غير مدة التأمل ومن غير طلب الدليل
كما روي ما دعوت احدا الى الايمان الا كانت له كبوة غير ابي بكر رض فانه لم يتلعثم لا ما يقولون ان ابا بكر
رضي الله عنه انما لم يطلب الدليل لانه تقدم عنده الدليل في حق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
معدا لامر جسيم وخطب عظيم فلما دعاه الى الرسالة ظهر عنده ان الرسالة هي الامر الجسيم الذي قام
الدلائل على كونه معدا له فانما لم يطلب لهذا والاباضية يلزمون تصديق قول مدعي الرسالة من غير
دليل فلا يكون لهم حجة في حديث ابي بكر رض والله اعلم وقوله تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن
معناه والله اعلم اي يأتيهم وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين من قبلهم ويحل بهم ما يحل بأولئك اما لم يرد به
اتيان حقيقة انباء ما كانوا يستهزؤن به فان ذلك قد اتاهم وعلموا بذلك فكيف يصح الوعيد بالانباء عن
ذلك فدل انه كذا به ما قلناه ويحتمل وجها آخر وهو ان الرسل عليهم السلام كانوا يوعدون الكفرة
بنزول العذاب لتكذيبهم اياهم وكانوا يستهزؤن بهم عند ذلك كما اخبر الله تعالى بقوله عجل لنا قطنا قبل
يوم الحساب وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وكقوله اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاخبر الله تعالى انه سيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن
اي ينزل بهم العذاب كما نزل باولئك وقوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن قال الحسن رض اي الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وقال ابو بكر الكيساني رض الم يروا معناه قد رأوا انا اهلكنا قبلهم من قرن
اي آثار الذين اهلكوا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وتعنتهم ومكابرتهم لكنهم لم يعتبروا بذلك
لان الاستفهام فيه معنى النفي وتكرار دخل على النفي ونفي النفي اثبات ذلك قال معناه قد رأوا
وقوله تعالى مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم قيل اعطيناهم من الخير والسعة والاموال ما لم نمكن لكم
يا اهل مكة اي لم نعطكم ثم اذا كذبوا الرسل عليهم السلام اهلكهم الله تعالى وعاقبهم بانواع العقوبة
ويحتمل قوله مكناهم في الارض من القوة والشدة كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وقالوا من اشد منا قوة
ثم مع شدة قوتهم اهلكوا اذا كذبوا الرسل عليهم السلام ويحتمل مكناهم في الارض اي في قلوب الخلق
من نفاذ القول وخضوع الناس لهم لانهم كانوا ملوكا وسلاطين الارض من نحو نمرود وفرعون وغيرهما
ثم مع ما كانوا كذلك اهلكوا اذا كذبوا الرسل عليهم السلام فانتم يا اهل مكة ليس لكم شيء من ذلك
ولا تمكنون اذا كذبتم الرسل عليهم السلام حذرهم بذلك ونبههم في الاعتبار ليتعظوا وينزجروا
ثم انما حملهم على تكذيب الرسل عليهم السلام والله اعلم انهم لما كانوا ذوي سعة وقوة فلم يروا الخضوع
لمن دونهم في ذلك وزعموا ان الخضوع لمن دونهم سفه غير حكمة وظنوا ان الامر من الله تعالى بالخضوع
لمن دونهم خضوع ليس بحكمة وانما اخذوا ذلك من ابليس اللعين حيث قال حين امر بالسجود لآدم عليه
السلام انا خير منه خلقتني من نار فعلى ذلك هؤلاء الكفرة ردوا الامر من الله تعالى اياهم بالخضوع لمحمد صلى
الله عليه وسلم حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى وارسلنا السماء عليهم

مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم • الآية قيل مدرارا أي كثيرا متتابعا والعرب تسمي المبالغة فيقال مدرار إذا كان مطرها غزيرا ودرارا من در يدر قال أبو عبيدة رحمه الله أي درت عليهم السماء بالمطر أي كثير المدرار وتتابع واحد بعد واحد في وقت واحد أخبر الله تعالى عن سفه أولئك وما أنعم عليهم من كثرة الأمطار والأنهار وغيرها ما لم يكن لهؤلاء الكفرة الذين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مع ما كان أعطاهم ذلك أهلكهم إذ كذبوا الرسل عليهم السلام حتى لا يظنوا أنهم لما أعطوا النعم والسعة فلم يعذبوا ولم يمنع من ادعى منهم المحبة والولاية من الله تعالى بقوله نحن أبناء الله وأحباؤه فيترجوا عن الكذب بعد أنه الموعن فإن قيل ذكر إهلاك أولئك وخوف هؤلاء الكفرة بتكذيبهم الرسل عليهم السلام بذلك وقد أهلك الأنبياء والرسل عليهم السلام فإذا هلك الكل بإهلاك الله تعالى فما معنى التحذير بالإهلاك قيل إلى الإهلاك في الحقيقة من الله تعالى لكن بمعاد أسباب ذلك والإهلاك من الله تعالى نوعان أيضا إهلاك عقوبة وتعذيب وهو إهلاك لذلك الاستيفاء خارجا من الطبع يسلمه المرء إلى الكتاب وإهلاك كراهة ويجعل إلى دار النعمة والنجاة من محنة الدنيا تحقيقا لما رأى من الحكم والله أعلم وقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس • أي في صحيفة مكتوبة يعلمون أنه لم يكتب في الأرض ومسوه بأيديهم وما يتوهم لم يؤمنوا به ولا صدقوه وقالوا إن هذا إلا سحر مبين يحتمل أن الله تعالى إنما قال ذلك إخبارا عن شدة تعنتهم أنهم كانوا أو لما سألوا من الآيات لم يؤمنوا بك لأنهم قد أتاهم من الآيات ما إن تأملوا أو لم يتعنتوا لدلتهم عن ذلك لكنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوا فيها لشدة تعنتهم ويحتمل أن قال ذلك إرشادا للنبي صلى الله عليه بالصبر على أذاهم وتكليفا عن إيمان قومه ويعزيه كقوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون الآية وقيل في القصة أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا بأعيانهم ونحوه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه • وكقوله حين قولهم لولا أنزل علينا القرآن جملة واحدة ونحوها من الآيات فأنزل الله تعالى الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ردا عليهم وإظهارا لتعنتهم والله أعلم وقوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك • أن القائلين هذا القول والله أعلم هم المشركون لأنهم كانوا لا يعرفون بالرسل عليهم السلام والكتب لا من أهل الكتاب لأنهم كانوا يؤمنون ببعض الرسل عليهم السلام ولا يستقيم في العقل منهم دعوى استحالة الرسالة في البشر ويحتمل أن يكون هؤلاء ... الملك مع إقرارهم بذلك في الجملة وهو كقوله تعالى خبرا عنهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا الآية ثم يحتمل سؤالهم إنزال الملائكة رسولا لما لم يكونوا يرون الرسالة من البشر لقيام شبهة عندهم في العقول أن البشر في أصل الجبلة على السواء فلا يفضل البعض على البعض في الرسالة لما لم يروا حتى لتأمل أن الخلق خلقه والأمر أمره وله الأفضال والإكرام بما شاء فلذلك طلبوا الرسول من الملائكة والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا في أهل الكتاب فإنهم كانوا لا يرون الرسالة إلى البشر وثبت عندهم رسالته لكنهم سألوا إنزال الملك ليشهد له على دعواه الرسالة تعنتا منهم لأنهم طلبوا منه محالا رسولا من الملائكة ليؤمنوا به وقوله تعالى ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون يحتمل أن يصدر الآية طلب الكفار منه أن يأتي بملك يشهد على رسالته تعنتا فأخبر تعالى أنه لو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون أو أن الملك متى نزل على أثر سؤال العناد والتعنت نزل العذاب والهلاك وقوله لقضي الأمر لأتم إهلاكهم ويهلكون ثم لا ينظرون أي لا يؤخرون ولا يمهلون لما جرى الله تعالى السنة والعادة أن الآيات متى نزلت على أثر سؤال القوم ثم خالفوا تلك الآيات وكذبوها نزل بهم العذاب والهلاك على أن نجاة تلك الآيات على أثر السؤال فكذبوها يمهلون ولا يعذبون في الدنيا ولا يعجل لهم العذاب عند التكذيب وعن هذا يخرج جوابا أهل الحق عن سؤال المنكري الرسالة أن محمدا صلى الله عليه لو كان رسولا لكان له المعجزات المقترحة كما كانت للرسل المتقدمة أعني المعجزات المقترحة أن الأمم السالفة يقترحون على رسلهم عليهم السلام بإتيان معجزات سألوها منهم وفي حق محمد صلى الله عليه لم تكن هذه فنقول إن الله تعالى لما أخبر بقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم من سنته في الآيات المقترحة متى نزلت ثم خالفوها نزل بهم العذاب بالاستيصال لعجل الهلاك ... بخلاف ما أخبر الله تعالى في حقه وعلم في الأزل لعلمه أن من هؤلاء الكفرة من يظهر نسل بهم قوام الدين وأهل الحق مثل عكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد ونحوهما ولا تبديل لسنة الله تعالى فلم يعط المعجزات المقترحة بعد ما ظهرت لهم الرسالة بالآيات الكافية لما ذكرنا والله أعلم ويحتمل أن يصدر الآية لولا أنزل

عليه ملك أو هلا أنزل على القرآن ملك لإنكارهم أن يكون البشر رسولا كما أخبر عنهم في آية أخرى أبعث الله بشرا رسولا فقيل ولو أنزلنا ملكا رسولا لم يمكنهم لما أن الله تعالى لم يعط لبني آدم قوة رؤية الملك على هيئته إلا الرسل والأنبياء عليهم السلام وربما كانوا دهشوا أو ضعفوا أو لم يمكنهم الأمر كما أن جبريل عليه السلام لم ينزل على صورته ولكن ينزل على صورة البشر حتى روي أنه كان ينزل على صورة دحية الكلبي في الأغلب وأنه متى رآه على صورته يغشى عليه حالها إذ كان الكفار في تلك الحالة ورأوا التغير في وجهه قالوا أنه مجنون والله أعلم وقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا • قيل والله أعلم ما ذكرنا أن الله تعالى لم يعط البشر قوة رؤية الملك على هيئته إلا الأنبياء عليهم السلام فلو جعلنا الرسول ملكا وليس لهم قدرة رؤية لأبدانه ينزله على صورة البشر وحينئذ يكون الحال فيه ما يكون في الرسول من البشر وهم ينكرون الرسول من البشر وهذا من حيث الحس والصورة بشر لم يكن هنا في تعنيد زعمهم ودفع شبههم فوق الأول بل يبقى شبههم مما نزل الملك بل نزل البشر فيكون في هذا التباس عليهم مثل ما يكسبون لو أساهم على قومهم ويحتمل أن لو جعلنا الملك على صورة ضعيفة ما ادعى أنه ملك وهم لا يعرفون صدقه إلا بدليل وآيات تدل على أنه ملك وأنه رسول وقد أنكروا رسالة الرسول من البشر فكيف لا ينكرون رسالة هذا الملك ولا يعرفون كونه ملكا إلا بمثل ذلك الدليل فيكون هذا مثل الأول بزعمهم وقد اشتبه عليهم ذلك فيشتبه هذا أيضا وقيل إن رؤساءهم كانوا يلبسون على ضعفائهم بقولهم ما هذا إلا بشر مثلكم فلو أنزلنا ملكا على صورة البشر لم يكن هذا دفعا للبشر بل يكون بهذا يلحقهم من اللبس مثل ما يلحقهم بصنيع أولئك ويتعد في زعمهم ثم قالوا في قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون لا يجوز إضافة اللبس على الله تعالى إلا على المجازات التي كان لا استهزائه والمكر والخداع ولكن هذا ليس على هذا الإطلاق على ما مر في تفسيره في سورة البقرة في قوله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون والله أعلم فإن قال قائل من الملحدة في قوله لولا أنزل عليه ملك أي هلا أنزل على محمد عليه السلام ملك يشهد على رسالته فأنزل الله تعالى قوله ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر أي ولو أنزلنا عليه ملكا الآية مخرج جوابا لذلك الكلام وأنتم تقولون أن الله تعالى أنزل على محمد عليه السلام الملك ولم يقض وقد أخبر الله تعالى أنه لو أنزل عليه لقضي الأمر وهذا تناقض وكلام الله لا يكون متناقضا فعلم أنه مخترع لكن إنه من عند نفسه لا أن الله تعالى أنزل عليه ذلك والجواب من وجهين أحدهما أن كان المراد بقوله لولا أنزل عليه ملك السؤال لا إتيان الملك رسولا أو البشر فقيده هذا الدعا أنزل عليه القرآن ملك فالإشكال ساقط لأنه إنما أخبر أنه لو أنزل الملك رسولا لم يمكنهم ولقضي الأمر أي في وسعهم عادة رؤية الملك والثاني أن لو كان المراد بالآية سؤالهم إنزال الملك على محمد عليه السلام ليكون شاهدا له على صدق رسالته فيقول هذا السؤال إنما لم يذكر في الجواب ما يدل عليه ومحال أن في الكلام إضمارا وإن السؤال إذا قام الدليل عليه في الجملة أو يكون في الجواب دليل عليه كما ذكرنا في قوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون ونحوه وههنا في السؤال إضمار وتقديره لولا أنزل عليه وعلينا ملك وههنا وإن لم يذكر في هذه الآية فهو مذكور في آية أخرى في قوله لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا سألوا أن ينزل عليهم الملائكة وقال لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين أي كيف يختص بإتيان الملائكة دوننا فكان مراد سؤالهم في الحاصل نزول الملائكة عليهم كما على محمد إنما ينزل إليه فكذا مرض سؤاله فقال تعالى ولو أنزلنا ملكا أي لو أنزلنا عليهم ملكا كما أنزل عليه لقضي الأمر عليهم ... ذلك عادة وقد أعطي الرسل عليهم السلام قوة ذلك كرامة لهم ومعجزة على نقض العادة والله الموفق وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون • فصبر الله عز وجل رسوله عليه السلام على تكذيب قومه ليعلم أنه ليس بأول مكذب بل قد كذب الرسل عليهم السلام الذين من قبلك فأخبره أنه يلحق هؤلاء بتكذيبك ما لحق أولئك بتكذيبهم رسلهم عليهم السلام وقال فحاق بهم قال أبو عوسجة رضي الله عنه فحاق أي رجع يقال حاق يحيق حيقا أي رجع وقال الكيساني رحمه الله حاق بهم أي حاط بهم ونزل وقوله تعالى قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس هذا على الأمر بالسير بنفسه ولكن الاعتبار والتفكر في آثار العذاب الذي نزل بأولئك بتكذيبهم الرسل عليهم فإنه يأتي الخبر العظيم مثل ما نزل بلوط عليه السلام وهي المؤتفكات وكذلك موضع غرق قوم فرعون ونحو ذلك لأن الله تعالى أراهم آيات سمعية وعقلية فلم ينفعهم ذلك فأراد أن يريهم آيات حسية لتمنعهم عن التكذيب والعناد وقوله تعالى قل لمن ما في السموات والأرض • يحتمل وجوها أحدها ما قيل إن هذا أمر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأن يسأل الكفار ويقول لمن ما في السموات والأرض فمعنى قوله قل لمن ما في السموات والأرض أي سلهم لمن ما في السموات والأرض فإن الجواب فقالوا الله فهذا في نعمه فحل ... الله وقيل سلهم لمن ما في السموات والأرض فإن سألوا أيضا وقالوا لمن ما في السموات والأرض قل لله ويحتمل أن يكون هذا على سبيل الإخبار

والاعلام لا على سبيل الامر او بين واعلم الكفرة لمن ما في السموات والارض لانهم وغيرهم قد يذكر للا
وتفيد كل الاخبار بتقديم كل الشرط وقوله قل لله اي اخبركم ان ما في السموات والارض لله والدليل على انه على
البيان في الاخبار دون الامر والسؤال فانه لم يذكر في الكتاب ولا ثبت في الاخبار ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال للكفرة على سبيل السؤال منهم قوله لمن ما في السموات والارض ولو امر الله تعالى بالسؤال
منهم لكان لا يحتمل ان لا يسأل ولا يحتمل ان يسأل عنهم ولا يخبرونه فلو كان للعناد لنقل عنهم ذلك الاخبار
على سبيل الاخبار دون الامر والسؤال ويحتمل ايضا على امر سبق ان جرى بينه وبين الكفرة تحاج
في التوحيد فامر بان يسألهم ويلزمهم بقوله قل لمن ما في السموات والارض لما انهم كانوا معترفين بان خالق السموات
والارض هو الله تعالى حتى اذا انكروا في موضع المحاجة فقلنا انت الله حتى يقولوا الله فيستحيل من الله تعالى
اياهم وهو كقوله لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وقوله قل من بيده ملكوت كل شيء الى قوله
سيقولون لله وكقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليستحيي منهم اياهم حتى قالوا الله فعلى
ذلك يخرج امر الله تعالى قالوا الله وهذا وان كان فيه نوع احتمال ولكن قام دليل مفسر له وفي حرف ابن مسعود
وابي بن كعب رضي الله عنهما قل لمن ما في السموات والارض قالوا الله قل لله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة
قال الحسن رضي الله عنه كتب على نفسه ان التوابين من الكفار يدخلهم الجنة لا احد يدخل الجنة الا بعمله انما
يدخلها برحمته وعلى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة
تعالى قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وقيل كتب على نفسه ان يجمعهم الى يوم القيامة اي من رحمته
ان يجمعهم يوم القيامة حيث جعل البعث وعدا ثابتا والوعد ثوابا اي من رحمته ان يجمعهم جميعا لما ان البعث
وسيئا لو لم يفرق بين العدو والولي جزاء ودارا دون التسوية بين الكل وقيل من رحمته ان جعل الجميع
يوم القيمة واوعد العاصي العذاب ووعد المطيع الثواب ليمتنع العاصي عن عصيانه ويرغب المطيع في طاعته
وذلك من رحمته وقيل كتب على نفسه الرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يعذبهم عذابا تنكيد
ولا استيصالهم كما عذب غيرهم من الامم واستأصلهم عند التكذيب والله تعالى اعلم وقوله ليجمعنكم الى يوم
القيمة من الرحمة التي كتبها على نفسه ثم قوله ليجمعنكم يوم القيمة وقيل الى يوم القيمة ثم يجمعكم يوم القيمة
والقرون السالفة على هذا الوجه الذي ذكرنا قوله ليجمعنكم الى يوم القيامة يكون بدلا من الرحمة
اي من رحمته الجمع كذا ويحتمل ان يكون تمام الكلام كتب على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم
ومعناه والله ليجمعنكم ويكون هذا اللام لام القسم وقوله تعالى لا ريب فيه في الجمع والبعث يعني لا شك
وهذا انما يكون عند من عرف ان خلق الخلق للفناء خاصة ليس بحكمة انما الحكمة في ذلك لما اتصل بالفناء
البعث والاحياء بعده للثواب والعقاب بجزاء ما اكتسبوا في الدنيا والله اعلم ويكون فيه الا انه حجة على من انكر
العقل دليل معرفة الحسن والقبيح والثواب والعقاب وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
قيل ان بدل من الكاف والميم في قوله ليجمعنكم والمعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا
اليوم الذي يجحدونه [illegible] المصدقين وجاز ان يكون هذا استئنافا على قوله ليجمعنكم وان كان ذكر قوله ليجمعنكم
[illegible] كتب على نفسه الرحمة لانه من رحمته ان يمهل الكفرة [illegible]
[illegible] الذين خسروا انفسهم [illegible]
لان ليجمعنكم يشمل على جميع الخلق [illegible] لام القسم وقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار وهو
السميع العليم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ما سكن في الليل [illegible] والنهار [illegible]
[illegible]
[illegible] وله ما سكن في الليل والنهار [illegible]
[illegible] في الليل والنهار وهو السميع لمقالة
[illegible]

وايضا فيهما ما ذكر من منافع بقوله لكم الليل لباسا والنوم سباتا وغيره من المنافع وحكم آخر يعرف في
موضع آخر ان شاء الله تعالى وهو تسميع لمن دعاه العليم بمصالح الخلق وحاجاتهم وقوله تعالى قل اغير الله
اتخذ وليا وفي حرف ابن مسعود رضي قل اغير الله اتخذ ربا كان هذا صلة قوله تعالى قل لمن ما في السموات
والارض قالوا الله فاذا اقررتم ان ذلك كله لله فكيف تتخذون له شريكا وتعبدون غيره وهو فاطر السموات
والارض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما فكيف صرفتم العبادة الى غيره وقوله تعالى وهو يطعم ولا يطعم
قال اهل التأويل وهو يرزق ولا يرزق ليس كرب عبيد ينتفع في الشاهد بعضهم من بعض المولى من العبيد
والعبيد من السادات فان الله تعالى خلق الخلق لا لمنفعة نفسه لانه غني بذاته والخلق فقراء اليه كقوله تعالى
وانتم الفقراء ثم قوله ولا يطعم يقرأ بقراءتين يقرأ ولا يطعم بنصب الياء اي لا يأكل ويقرأ برفع الياء
ولا يطعم اي هو المولى الذي يرزق وقوله تعالى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم قال الحسن رضي اول من اسلم
من قومي والاصل عندنا في قوله اني امرت ان اكون اول من اسلم اني امرت ان اسلم واخضع لان ما امركم
بذلك خصني بالعقل حجة بظاهر هذه الاية على ان الاسلام لا يمكن الا بالامر والبيان لانه قال
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم اخبر انه امر بذلك فاذا لم يكن ثم امر فلا يلزم والجواب عن هذا من وجهين
احدهما اي امرت ان اسلم واخضع او لانه غير ذلك عبارة من الاعمال والعبادات وذلك لا يلزم الا بالامر
اما حقيقة الاسلام الذي هو الايمان غير مراد ويحتمل هذا وذا لئلا يكون حجة مع الاحتمال والثاني
ان عندنا ان الايمان لا يلزم الا بالامر كما ان العبادات لا يلزم الا بالامر كما ان العبادات لا يلزم الا با
لا ان الامر في باب الايمان قد يعرف بمجرد العقل وبالسمع بمعرفة الامر به من السمع بالقضية
الدالة على الامر لان العقل كان في هذا الكتاب معرفة امر الله تعالى بالايمان وايجابه على العاقل الذي يمكنه
بذا القدرة من اداء سائر العبادات لا تعرف بالعقل وانما تعرف بالسمع لا غير فلهذا وقع الفرق بين الامرين
الا انه لا يحتمل لزم بلا احتمال والله اعلم بذلك وما لله اعلم وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم قال ابن عباس رضي قل يا محمد لكفار مكة الذين عرضوا عليك الاموال والنعم ليعود الى دينهم
وطلبوا منك ذلك اني اخاف اي اعلم حقيقة ان عصيت ربي بعبادة غيره عذاب يوم عظيم يخرج هذا
على الجواب لهم لما كان في القصة من طلبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجوع الى دينهم وعرضهم
عليه من المال ما يصلحه والله اعلم وقيل اني اخاف ان عصيت على الخوف لا اشكال على هذا اذ قال قائل كيف
خاف عذاب يوم عظيم وقد عصمه الله تعالى من العصيان والجواب ان يقال ان المغفرة لعلى شرط الخوف
عن الله ومن عذابه وليس في التعليق بالشرط في الله تعالى ان يوجد بعد وجوده وقد يعلم خلاف منه
بل ذلك في حق العباد الذين لا علم لهم بعواقب الامور والله تعالى عالم بعواقب ما يكون فحينئذ لا يكون ان
لو كان فكيف يكون لكن في حقه انه علم في الازل انه يوجد ذلك الشرط منه فيوجد ذلك المشروط وعلم انه
لو لم يوجد ذلك الشرط كيف كان يوجد المشروط او يوجد بدونه هذا كما روي ان الصدقة تزيد في العمر
معناه ان الله تعالى متى علم بوجود الصدقة قدر من تخصيص حكمه بعمر زائد لانه شرط له السمع العلم انه لو لم
يوجد منها الصدقة كان عمره اعمر كذلك ههنا المغفرة ان الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم
عليه بشرط الخوف تفسيرها [illegible] الا ان لا يخاف من الله تعالى وعن عذابه وقوله تعالى
علم وقوله تعالى من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال بعضهم سمى الله بالرحمة المضاف الى الله تعالى
هو الجنة لان الله تعالى جعل في الاخرة دارين احدهما النار وسماها سخطه والاخرى الجنة وسماها
رحمة فانما حملهم على هذا لانهم لا يصفون الله تعالى بالرحمة في الازل ولكن هذا فاسد لانه لا يؤدي
الى ان يكون الله تعالى بالملائكة رحيما لانهم لا جنة لهم ولا ثواب وان كانوا يدخلونها وكذلك
روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فيصير تقديره لا يدخل الجنة احد الا بجنته ويصير تقدير قوله
الا ان يتغمدني الله بجنته الا ان يدخل الجنة وهذا فاسد لكن عندنا الله يسمي الجنة رحمة لانه رحمته
سببه طريقه الى الجنة كما ذكرنا في الحديث على هذا الوجه يخرج تسميته الله تعالى رحمة المطر لان
المطر برحمته ينزل وكذلك كلما يسمى رحمة فانما يخرج على هذا والله اعلم ثم قوله من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه اي من يصرف الله عنه العذاب يومئذ فقد رحمه ويحتمل ان يكون قوله من يصرف عنه
يومئذ فقد رحمه صلة ومبنيا على قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وكذلك روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال في قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لكفار مكة حين دعوك

الى دينهم على ما ذكر في بعض القصة اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ
فقد رحمه وقوله تعالى وذلك الفوز المبين اي ذلك الصرف يعني صرف العذاب هو الفوز المبين وانما سمى الله
تعالى ذلك فوزا مبينا لانه فوز ثم لا زوال له ليس كالفوز في الدنيا يكون بعده ضرر ثم يزول عن قريب وقوله
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير في الاية اخبار
ان ما يصيب العبد من الخير والضر انما يصيب بالله تعالى ثم الضر المذكور في الاية لا يخلو من ان يراد به
الفقر وضيق العيش وشدة او ظلم يكون من العباد لا يخلو من هذه الاوجه الثلثة واذا كان كذلك
دلت اضافته ذلك الى الله تعالى على انه تعالى فعال له وهو ان يخلق ذلك فيهم وان له ان يفعل بعباده ما
باصلحهم وقوله تعالى والله على كل شيء قدير اي هو على كل شيء قدير من كشف الضر له والصرف عنه واصابة
الخير بما يملك ذلك غيره وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ذكر في هذه الاية وفي الاية
الاولى اصل التوحيد لانه اخبر انه ما تصيب العباد من الضر والشدة لا كاشف لذلك الا هو ولا يدفع
عنهم ولا يصرفه الا الله تعالى وانما يصيبهم من الخير انما يصيب بالله تعالى واخبر انه على كل شيء قدير وهو
القاهر فوق عباده اخبر انه قاهر يقهر الخلق وانه عز يقاد دوله سلطان عليهم انهم اذلاء تحت سلطانه
وفي قوله فوق عباده اخبار بالعلو له والعظمة وبانه تعالى عن اشباه الخلق وهو الحكيم يضع كل شيء موضعه
الخبير بما يسرون وما يعلنون اخبار انه لا يخفى عليه شيء وانما يملك وضع كل شيء في موضعه وانما يصيبهم
من الخير والضر والشدة والسعة انما يكون به لا يملك احد بنفسه فان من ضر احد احدا في الشاهد او نفع
فانما يكون ذلك بالله تعالى في الحقيقة وفي هذه الاحرف اخبار عن اصل التوحيد من الوجه الذي ذكرنا وقوله
قل اي شيء اكبر شهادة كان في هذه الاية اضمارا انه قال لهم يا محمد سل عنهم اي شيء اكبر شهادة فيقولون
الله لانهم كانوا يقولون انه خالق السموات والارض وانه اعظم من كل شيء لكنهم يشركون معه غيره
في عبادته ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وانهم كانوا يعترفون له بالعظمة والجلال فاذا سألوا اي
شيء اكبر شهادة فيقولون الله ويحتمل ايضا ان يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام انهم اذا سألوك اي
شيء اكبر شهادة فقل الله فانك ان تلقاهم ذلك يقولون هو ايضا وقوله تعالى قل الله شهيد بيني وبينكم
يحتمل في كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه ويحتمل قوله قل الله شهيد بيني
وبينكم في كل حجة برهانا ناتيكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والشهيد الشاهد المبين كدعوى
المدعي امر الله تعالى نبيه عليه السلام بان يحتج عليهم بان الله الواحد الذي خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور وخلقهم اطوارا وجعلهم بان شهادة الله بالوحدانية قائمة بالبراهين وتوحيده
اكبر شهادة وانا القرآن الذي اتى به شهيد له بانه رسوله فقال قل الله شهيد بيني وبينكم لما ادعى انه
بانه خالق هذه الاشياء ثم في قوله قل اي شيء اكبر شهادة دلالة انه يقال له شيء ويطلق عليه هذا
الاسم لانه لو لم يجز ان يسمى به لم يخصه من الاشياء فانه اكبر شهادة وهو كقوله تعالى ليس كمثله شيء
دلالة اطلاق هذا الاسم عليه لان لا شيء في الشاهد انما يطلق اثبات النفي والتصغير والتحقير ولا يجوز
في الغائب النفي ولا التصغير فدل انه يراد بالشيء الاثبات لا غير والله العصمة وذكر في بعض القصة في قوله
قل اي شيء اكبر شهادة ان رؤساء اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما وجدنا الله
تعالى رسولا الا يتيم ابي طالب ما نرى احدا يصدقك بما تقول لقد سالنا عنك اليهود والنصارى عن ذكرك
ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا نعت فارنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فقال الله تعالى قل يا محمد
لهم اي شيء اكبر شهادة يعني اعظم شهادة اي برهانا انا محمد صلى الله عليه وسلم وفي كل شيء حجة له وبرهان
فان اجابوك فقالوا الله والا فقل الله اكبر شهادة من خلقه اني رسول الله والله شهيد بيني وبينكم
في كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد واثبات الرسالة والبعث وكل شيء وقد ذكر في هذه القصة انهم
لما قالوا من يشهد لك ان الله ارسلك رسولا قالوا فهلا انزل اليك ملك فقال الله لنبيه عليه السلام
قل لهم اي شيء اكبر شهادة من غيره فقال الله تعالى قل لهم يا محمد الله شهيد بيني وبينكم اني رسول الله
اوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ القرآن من الجن والانس فهو نذير له ثم قال ائنكم لتشهدون ان مع الله
آلهة اخرى قال نعم نشهد فقال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم لا اشهد بما تشهدون ولكني اشهد انما هو اله
واحد وانني بريء مما تشركون وقوله تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ كانه قال واوحي
الي هذا القرآن الذي عجزتم انه من عند الله وحجة لانه قال لهم فاتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه فذلك
عجزهم عن اتيان مثله انهم عرفوا انه جاء من عند الله وقوله لانذركم به ومن بلغ اي لانذركم بما في القرآن لانه

اتيا لما حل باشياعهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وما يحل بهم في الاخرة من العذاب والانذار
القرآن ليس ما تبدر به وليس جميع القرآن للانذار لا غير فكان معناه لانذركم بما في القرآن مما ينذر به وقوله
ومن بلغ كانه قال واوحي الي هذا القرآن لانذركم وانذر من بلغه القرآن فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
نذيرا ببلوغ القرآن لمن بلغه فاذا صار نذيرا به لمن بلغه وان كان هو في اقصى الدنيا يصير هو نذيرا له وكذلك
في اقصى الزمان بما يقوم مقامه في التبليغ من العلماء وهو والله اعلم كقوله ولكل قوم هاد ورسول الله صلى الله
عليه وسلم هاد لقومه الى يوم القيمة وفي الاية دلالة على ان البشارة والنذارة يكونان بمن يبعثه ويقيمه
مقامه في ذلك فيكون دليلا لقول اصحابنا رحمهم الله ان من حلف ان يعتق من يبشره بكذا فجاء
فبشره برسول او كتاب يكون بشارة والله اعلم وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى هذا
في الظاهر استفهام وذلك في الحقيقة اعلام انكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى بعدما ظهر عندكم
آيات وحدانيته وربوبيته لمعرفتهم انه خالقكم وخالق السموات والارض وبه تعيشون وبه تحيون وبه
تموتون وليس كل شيء من ذلك من الذين يشركون في عبادته والوهيته فما ظهر لكم هذا اشركتم مع الله آلهة
اخرى فاما انا فاشهد انه اله واحد وانني بريء مما تشركون في الوهيته وعبادته وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قيل نزلت سورة الانعام في محاجة اهل الشرك الا آيات نزلت في محاجة
اهل الكتاب لعل هذا منها ويحتمل ان يكون الاية في اهل الشرك انما هم اهل الكتاب لوجهين احدهما
ان اهل الشرك يعرفون انه رسول كما يعرفون ابناءهم ويحتمل الكتاب هو القرآن ههنا لما قرع اسماعهم هذا
القرآن وامروا ان ياتوا بمثله فعجزوا عنه والثاني انهم كانوا يختلفون الى اهل الكتاب ويسالونهم عن
نعته وصفته ويخبرونهم فاهل الشرك كانوا يعرفون انه رسول الله كما عرف اهل الكتاب بوجود نعته
وصفته في كتابهم وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل
على نبيه بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله المعرفة
فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد
صلى الله عليه وسلم مني لابني فقال كيف ذلك فقال انا اشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حق من الله ولا ادري ما صنع النساء او ما احدث النساء وقد نعته الله في كتابنا فقال عمر صدقت
واصبت وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال اهل التاويل لا احد اظلم ممن افترى على الله
كذبا لكن هذا في الحقيقة كانه سؤال استفهام وتقديره من اظلم من الظالمين قال من افترى على
كذبا يقال انه متعارف الناس من فعل هذا فقال على فلان او من قال هذا فقال فلان فهذا على
المثال افتروا على الله كذبا هم الذين قالوا له شركاء بقوله ان مع الله آلهة اخرى وقوله او كذب بآياته
قيل محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس برسول وقيل بالقرآن انه ليس من الله تعالى وقوله تعالى انه لا يفلح
الظالمون قال بعضهم لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم وقيل الظالمون اذا ختموا بما توا على الظلم
والكفر وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا المطيع والعاصي والكافر والمؤمن ثم نقول للذين اشركوا
اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ذكر ههنا شركاءكم اضاف ذلك اليهم لانهم كانوا من جنسهم ويجوز
يعنون كما يعنون هم وذكر في آية اخرى شركائي الذين كنتم تزعمون شركائي لانهم شركاء في وقوله تعالى
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لانهم كانوا اشركوا في الدنيا وقالوا والله ربنا
ما كنا مشركين يحلفوا كذبا وقال الغير من اهل التاويل الاية نزلت في اهل الشرك من العرب بعد ذلك انهم
كانوا مشركين في الله آلهة وكانوا ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة فلما انصار البعث
عيانا في الاخرة وقال لهم الله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فانكروا ان يكونوا اشركوا غيره في الوهيته
وربوبيته وعبادته واقسموا على ذلك بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام
بقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ثم لم تكن انسانهم في الدنيا بافترائهم
على الله الكذب واشراك غيره معه الا ان قالوا في الاخرة والله ربنا ما كنا مشركين يبرؤن من ذلك وحلفوا
على انهم ما كانوا مشركين وقال اهل التاويل ثم لم تكن فتنتهم معذرتهم وحجتهم الا الكذب
حين سالوا والحلف بالله كاذبا وذكر في بعض القصة ان المشركين في الاخرة لما راوا كيف يتجاوز الله عن
اهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سالنا فقولوا انا موحدين فلما جمعهم الله وشركاءهم فقال اين
شركاؤكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا بانهم شركاء فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين يبرؤن عن ذلك
وقيل لما انكروا ان يكونوا مشركين في الدنيا يختم الله على السنتهم وتشهد الجوارح عليهم بالشرك وقوله

انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ° في الاخرة ما كانوا يفترون من الشرك في الدنيا وقيل انظر كيف
كذبوا على انفسهم بقولهم انظر كيف صاروا بالكذب عليهم وضل عنهم اي ما اشتغل عنهم ما كانوا يفترون
اي يكذبون فاصله ان الله تعالى ذكر نبيه عليه السلام واخبره شدة تعنتهم وغاية سفههم قيل انظر كيف كذبوا
على انفسهم انهم كيف يكذبون وعند معاينتهم العذاب فاذا كان تناهى تعنتهم اشد تكذيبا واكبر تعنتا
وهو كما يطلبون الرد الى الدنيا تعنتا كقوله تعالى حكاية عنهم فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فقال
تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك ° وكانوا يستمعون
اليه ليجادلوا على ما ذكر الله تعالى بقوله حتى اذا جاؤك يجادلونك دل هذا ان منهم من كان يستمع للمجادلة
والخصومة معه ليلقنوا عليه ما يشنعون على القوم بالسخط ويحتجون عليه كذلك ليعرف قومه انهم يستمعون
اليه ويعرفون ما يقول ولكن لما ثبت عندهم حقيته لم يقبلوا التصديق بذلك القوم من اتباعه ويحتمل
انهم يستمعون ويحاجون في ذلك ليعرفوا انهم اهل علم ولهم قدرة الحجاج والمناظرة معه ليصدوهم عنه
ثم يحتمل ان يكون هذا في اهل النفاق لانهم كانوا يبدون ويظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويضمرون الخلاف له ويحتمل ان يكون في اهل الشرك بعد وساءهم يستمعون اليه ويجادلون فيما يسمعون
اليه وقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ° قيل الوقر الثقل في السمع يقال
وقرت اذنه توقر وقرا فهي موقورة واما الوقر الحمل وقال ابو عوسجة الوقر الصمم في العظم ايضا اخبر الله تعالى
ان على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقرا لما لم ينتفعوا بها لما وضعت له فكانت حائل ومانع وهو كقوله تعالى صم بكم
عمي نفى عنهم السمع والبصر واشياء ضدادها فانهم لم يكونوا كذلك حقيقة لما لم ينتفعوا بذلك فهنا مثله
ثم قوله تعالى وجعلنا على اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا دليل خلق الافعال منه وان الاصلح ليس بواجب
وانه يفعل ما ليس باصلح فانه لا يخلو من اضافة ذلك الى نفسه من حيث انه خلق فعل الكفر وخلق الظلمة
وهي ظلمة الكفر تستر وتغطي كل شيء على خلاف نور الايمان يبين به كل شيء فيكون دليلا على هذا قاله الموفق
وقوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها ° يحتمل قوله كل اية اية وحدانيته وربوبيته وقدرته على البعث او
رسالته ونبوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل كل اية سالوا ان ياتي بها فيقول لما اخبر الله تعالى وان اتى بكل اية سالوا لو لم
لا يؤمنون بل ابا كقولهم لولا انزل علينا الملائكة الاية ونحو ذلك لا يصدقون بل يجادلونك ويقولون
ان هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا الا احاديث الاولين والاسطورة الكتابة انما يقولون ذلك تعنتا
لانهم كانوا عارفين بانه حق وانه ليس بكلام البشر لما انه يخرج عن اتباعه حيث يتحداهم بمثله ولو كان
هو مفتريا على ما قالوا لقدروا هم على اتيان مثله حيث تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله وقوله تعالى
وهم ينهون عنه وينأون ° اي وهم ينهون الناس عن طاعته ومتابعته وينأون اي يتباعدون عنه ينهون
الناس عن اتباعه ويتباعدون بانفسهم ويحتمل ما ذكر من القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي
طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش عنده ليريدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم سوءا قال ابو طالب
والله لن يصلوا اليك بجمعهم ° حتى اوسد في التراب دفينا ° فاصدع بامرك ما عليك غضاضة °
وابشر بذاك وقر منه عيونا ° فدعوتني وزعمت انك ناصحي ° ولقد صدقت وكنت ثم امينا ° وعرضت دينا قد علمت
بانه من خير اديان البرية دينا ° لولا الفضاضة او لحاذر سبة ° لوجدتني سمحا بذاك مبينا ° فكان ينهى الناس
عن اذى محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعدهم عنه ولا يتبعه في دينه فنزلت الاية وقوله تعالى وان يهلكون الا
انفسهم وما يشعرون ° وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار ° عن الحسن رضي قال اسرى اذ وقفوا
على النار وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولو ترى اذ عرضوا على النار وكذلك في حرفه ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم اذ عرضوا على ربهم ولولا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وقفوا لعرضوا على ربهم وقراءته تكون
تفسيرا للقراءة الظاهرة ولا يجوز ان يحمل قوله اذ وقفوا على النار وقفوا عند النار او في النار لانه يجوز
استعمال الحرف على مكان حرف وحرف في اللغة لكن ما روي عنه استعمل ذلك وقد قيل وقفوا اي
حبسوا والنار لا يحبس فيها كما قال تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل الوقوف عند النار قبل
الدخول لاحتمال الحساب والمسائلة كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الى قوله وقفوهم انهم مسؤولون
لكن ذكر على يجيء عنده ويجيء في وهو جائز في اللغة ثم يحتمل ان يكون هذا صلة قوله ان هذا الا اساطير
الاولين او لجحدهم وهكذا الواجب على كل احد ان يحمد ... عاقبته امر النار فيه التخليد فيها و
لا يطلب الانتقام منه بما كان منه بمكانه ويحتمل ان يكون يتصل متصلا ولو تراهم اذ وقفوا على النار
من الذل والخضوع اي بما كان منهم من التكبر والاستكبار في الدنيا الرحمة وهو كقوله ولو ترى اذ المجرمون

ناكسوا رؤسهم عند ربهم اخبر تعالى عنهم [illegible] في الاخرة بما كان منهم من الاستكبار والاستكبار
في الدنيا فهذا مثله الاية [illegible]
في موضع الاخرة وهو كقوله تعالى [illegible] ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا [illegible]
في موضع اخر كقوله تعالى قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم [illegible] ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم [illegible] كذلك ههنا [illegible]
موضع اخر ان الدلالة معناه والله اعلم [illegible]
عليك المصدق والله اعلم [illegible]
والحكمة ورحمته [illegible] وقوله ولو ردوا لعادوا [illegible]
الاية يحتمل ان يكون جوابه [illegible]
يا ليتنا نرد ولا نكذب [illegible]
ما يليه [illegible] الخطاب ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ان يكون لجميع المؤمنين [illegible]
فصار هذا يخرج الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وقوله تعالى يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين ° [illegible]
والرد الى الدنيا [illegible]
كلفنا الله تعالى [illegible] الاخرة [illegible] على الامتثال [illegible]
لا يحتمل كون الدنيا بعد كون الاخرة [illegible]
فليس عندهم هذا التمني بل يقولون سفها وكذبا كما اخبر الله تعالى بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون على انه لا يحتمل ان يكون الاخرة دار تكليف كما لا يحتمل كون الدنيا بعد الاخرة وقوله تعالى
ولا نكذب بايات ربنا ° قال الحسن رضي الله عنه يكذبون بدين ربنا وقال بعضهم بحججنا ونكون في الاية
دليل على ان ما فهم على انهم كذبوا في الاول لا على طريق التعنت لا على الجهل حيث قالوا ولا نكذب بايات ربنا
اي لا نعود الى تلك الحال التي كنا نكذب على انهم قوم قد سبق من الله تعالى الخبر عنهم بما فيه العناد منهم بقوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وذلك منهم تعنت من القول ليتخلصوا عما يلي بجميع ما يحتمل وسعهم لا انه
كذلك فعلى بعضهم كذلك والله اعلم قال انهم لكاذبون في قولهم ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين
دليل على ان الايمان هو التصديق الفرد دون الاعمال معه لوجوه احدها انهم جعلوا الايمان مقابل
التكذيب ليعلم ان التصديق والثاني انهم ذكروا الايات والايات يكذب بها او يصدق فلا ان تعمل والثالث
ان النبي في حين كان الايمان بما فاته هو التصديق لان التصديق متى وجد بطل التكذيب السابق
فاما لو توهم الامر انهم بالعباد فاذا الاعمال في المستقبل لا يرتفع الترك في الماضي ولا يجعل الحال
على من لا انقضاء شيء مما فات من العبادة فثبت انهم ارادوا به التصديق ولان الايمان هو التصديق
وانه محتج [illegible] وقوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
يخرج على وجوه احدها على ان الاية في اهل النفاق لان مناسبة اهل النفاق وانهم كانوا يظهرون الموافقة
للمؤمنين ويظهرون الخلاف لهم ويخفون العداوة معهم والثاني ان يكون الاية في رؤساء الكفرة والعلماء
بالنعت وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يخفون نعته عن الاتباع في الدنيا فبدا الاتباع في الاخرة
ما كانوا رؤساءهم يخفون عنهم والثالث يحتمل ما كان رؤساءهم ما اسروا واضمروه في انفسهم ظنوا
انه لا يطلع على ذلك احد وذلك في قوله تعالى يوم تبلى السرائر وقوله ما في الصدور يعني وحصل ما في
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وذلك انهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انطق الله جوارحهم فتشهد
عليهم بما كتموه من الشرك فتمنوا عند ذلك العود الى الدنيا والله اعلم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ° تعلق بظاهر هذه الاية الخوارج والمعتزلة اما المعتزلة قالوا ان الكفار
لما طلبوا الرد الى الدنيا بقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين اخبر تعالى انه لو ردهم
اليها لعادوا لما نهوا عنه اي الى التكذيب باياتنا وانهم لا يؤمنون فهذا دليل انه لو علم منهم انهم يؤمنون
لردهم اليها فيستدلون بهذا ان الله تعالى يقبض روح من يعلم انه لو لم يقبضه يؤمن فما من الدهر وانه
لا يفعل بالعبد الا ما هو اصلح له في الدين واما الخوارج قالوا ان الله تعالى اخبر انه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه وسماهم
بهذا القول كاذبين الا في فعلهم انهم لا يفعلون بما يقولون فجعل هذا كل صاحب كبيرة اذا كان في اعتقاده
الظهور انه لا ياتي بها فاذا اتى بالكبيرة فيصير كاذبا فيما اعتقد انه لا ياتي بها وكذلك كانت المتابعة بقوله تعالى

على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن الآية وإذا سرق صار كاذبا في البيعة ومن خالف في البيعة بواحد مما
عاهد عليه يصير ناقضا للعهد كما جعل من ذكر كاذبا في الوعد إذا أخلف وقلنا نحن لا حجة لهم في الآية
بوجه أما ما ذكرت المعتزلة ففاسد لأن الله تعالى أخبر أنه لو ردهم لعادوا لما علم منهم ذلك ولكن هذا
لا يوجب أنه إنما لم يرده لأنه لو رده لعادوا إلى الكفر فإنا نرى أن الله تعالى قد يترك وسعه حيا من يعلم منه
أنه يكفر في آخر عمره فلا يكون إبقاؤه مصلحة في حقه ولو أماته على الإسلام في الحال لكان أصلح كما أنه قد يبقي كافرا
لما يعلم أنه يؤمن في آخر عمره فأحدهما طريق العدل وما يكون في الحكمة والآخر طريق الإفضال والفضل به على من يشاء
ألا ترى أن الله تعالى قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض فبين أنه لم يبسط لئلا يبغوا وقال ولولا أن يكون
الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة أخبر أنه لم يجعل الكفار في سعة وغناء
على الكمال احترازا عن الشك في الدنيا الكفر بعض المسلمين لضعف قلوبهم ثم قد جعل الله تعالى الكثير ممن ضل وبغى
في الأرض مسلطا في الدنيا من نحو الفراعنة من نمرود وفرعون إذ لو لم يكن التسلط لفرعون ونحوهم لم يكن
ليدعي الألوهية لكن الأول طريق الفضل والثاني طريق العدل فعلى ذلك الإمهال لا الإبقاء في حق البعض يكون
مصلحة وفضلا منه وفي حق البعض مفسدة عدلا منه وهو في كل ذلك حكيم يتصرف في ملكه كيف شاء
تقرير ما قلنا أن الله أمر بقتال الكفار مطلقا بقوله وقاتلوا المشركين كافة ولا يحتمل أن يأمر بقتل من أرسل رسوله
فيقتضي وجه قد لا إنما قالوه فاسد لما قلنا الخوارج فإن صاحب الكبيرة يصير كاذبا في قوله واعتقاده
أنه لا يأتي الكبيرة كما سمي أهل النفاق كاذبين لما في قلوبهم أنهم يعودون وذلك فاسد لأنه لو كان كذلك
لكان الصغائر في العهد أو ردئ يكفر ومع ذلك إذا ارتكب الصغيرة لا يكفر فعلى ذلك الكبيرة وإن سعوا
فصل الصغيرة وقالوا يكفر فقد وقعوا فإن لم يقع منه فإن الأنبياء عليهم السلام قد ثبت عنهم الزلات التي
قد نهوا عن مباشرتها وعلى قضية قولهم هذا يوجب كفرهم ومن أفضى قولهم إلى هذا إنهم لكافرون ونهوا والله الموفق
ثم الآية يخرج على وجوه أحدها أنها في قوم أرادوا بقولهم نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
دفع العذاب عن أنفسهم لا أنهم عزموا على الإيمان حقيقة بل قد استقر الكفر بقلوبهم دليله حلفهم بالله
كاذبا في الآخرة بقوله والله ربنا ما كنا مشركين فسماهم كاذبين لما أنهم قالوا ذلك كذبا لما أن اعتقادهم
وعزمهم على خلاف ما حلفوا وهو كقوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله إلى قوله
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون سماهم كاذبين مع أنهم قالوا الصحيح وصدق لكن لما قالوا ذلك بلسانهم
وهو خلاف ما أضمروا في قلوبهم فعلى ذلك ههنا لما أضمروا في قلوبهم أنهم إذا ردوا كذبوا سماهم كاذبين
وإن قالوا بلسانهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وهذا لأنهم أخبروا عن شيئين عن كونه
رسولا وعن اعتقادهم تصديقهم إياه فسماهم كاذبين لما أنهم أخبروا عن اعتقادهم خلاف ما اعتقدوا
فكذلك ههنا أخبروا عن الوعد بالإيمان وأن لا يكذبوا بالآيات واعتقادهم خلافه فأخبروا عن اعتقادهم
بذلك فصار تسميتهم كاذبين لما وجد منهم الإخبار عن الاعتقاد بذلك على خلاف ما عندهم والله الموفق
والثاني أنه سماهم كاذبين لما أنهم اعتادوا الكذب وقد ظهر منهم الحجج فالكذب سجية لهم فسماهم
بذلك لما تقدم منهم ذلك إلا أنهم في الوعد بذلك سموا كاذبين ههنا كما سمي أهل النار كفرة بما كان منهم
من الكفر قبل أن يصيروا إلى النار فكذلك ههنا والثالث يكون الخبر عن عاقبتهم كاذبين لو ردوا وعرض عليهم
ذلك وبعث إليهم الرسل بالآيات في قولهم لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين لأن يكذبوا في ذلك
الوعد والله الموفق وفي الآية دلالة على أن الإيمان لا يضطر صاحبها في الإيمان وإن كانت تضطر في المعرفة
يعرفه ضرورة ألا ترى أن الله تعالى أخبر عن علمه بما قد أسروه في ذلك الوقت وأنهم اعتقدوا أنهم لو ردوا
إلى ما تمنوا لعادوا لما نهوا عنه وإن كان من حكم الله تعالى أنهم لا يردون إلى ما تمنوا مع أنهم عاينوا الآيات
وحصل لهم المعرفة عن اضطرار بثبوت الصانع وتوحيده ولم يؤمنوا وعادوا لما نهوا عنه من الكفر ومع هذا
وصفهم كاذبين بناء على العلم بأنهم لو ردوا لصاروا مكذبين وإن كان من حكم الله تعالى أنهم لا يردون
دل أن الإيمان لا يثبت بطريق الاضطرار وبهذا يبطل قول الجبائي فيما قيل قوله تعالى ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها أنه لو شاء لأراهم آية اضطروا بها إلى الإيمان بالله تعالى فإن الإيمان إذا كان الأمر مضطرا لا يكون
إيمانا لأن المعرفة بالله تعالى يصير آيته بطريق الاضطرار دون التصديق ألا ترى أن الكفار يعرفون النبي صلى
الله عليه وسلم مثل معرفة أبنائهم ومع حصول المعرفة لهم بطريق الضرورة ومع ذلك لما كذبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم صاروا كافرين والله الموفق واستدل قوم بهذه الآية أن الخلود في النار دائما يلزم الكفار
لما في علم الله تعالى منهم أنهم لو مكثوا في الأرض إلى الأبد لم يتركوا ما هم عليه من الكفر بل يلزمون ما هم عليه الأبد

أنه أخبر وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولكن هذا فاسد لأن الله تعالى أخبر أن النار جزاء ما يوجد
منهم من الذنب وأنه لا يعذب في الآخرة أحد بغير ذنب فلا يجوز أن يعذب بما يعلم من العباد والنفس من
لعذابه لو امتحنه وكلفه بشيء مخالفة ولم يمسك بأمره من غير أن امتحنه ووجد منه الخلاف فيكون تعذيبا
بلا صنع وجد من جهته ولكن الآية في قوم خاص من الذين عاندوا الحق بعد وضوح آياته وعلم أنهم لا يؤمنون
أبدا ثم أمهلهم على ذلك بعد هذا تبين أن ليس منع إعادتهم إلى الدنيا لما علم منهم أنهم لا يؤمنون لو كان في الحكمة
تحتمل الإعادة لأنه مع علمه أنهم لا يؤمنون لو كان في الحكمة تحتمل الإمهال لأنه مع علمه أنهم لا يؤمنون
أبدا أمهلهم في الدنيا فردهم ثانيا إلى الدنيا ليس إلا كزيادة في الإمهال وإن علم أنهم لا يميلون إلى الإيمان
بل يعودون إلى ما هم عليه من الكفر لكن هذا إخبار منه عن تعنتهم كذلك هذا ثم قيل في قوله ولو ردوا لعادوا
أي إلى الدنيا وقيل ولو ردوا إلى التكليف والمحنة ثانيا لعادوا إلى ما نهوا عنه وقوله تعالى وقالوا إن هي إلا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقوله هي كناية ترجع إلى الحياة وتحتمل هي الدنيا ثم هذا القول يحتمل
أن يكون من الدهرية لأنهم ينكرون البعث والحياة بعد الموت ويقولون إن هذا الخلق كالنبات ينبت
ثم يبلى شيئا فعلى ذلك الخلق يموتون ثم يصيرون ترابا ثم يحيون في الدنيا قوم ويحيا وما يهلكنا إلا
ويحتمل أن هذا القول كان من مشركي العرب لما لم يروا إلا الدهر ولم يشاهدوا غيره وظنوا أنه ليس يهلكهم
إلا الدهر الذي به يعود الدنيا ملتبسا فإن كان ذلك القول من مشركي العرب فلما ذلك من كبرائهم ورؤسائهم
على علم منهم بذلك لكن ليلبسوا على السفلة والأتباع ليكونوا أشد لهم انقيادا وأتباعا إلا أنهم لو علموا
الأتباع بالبعث بعد الموت لعل يتركوا طاعتهم ويشتغلون بالاستعداد لذلك والعمل له [illegible]
ليلبسوا عليهم والله الموفق وقوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أي عند ربهم ويحتمل عند ربهم وقفوا
على حساب ربهم ويحتمل على عذاب ربهم كقوله وقفوا على النار ويحتمل على ربهم أي لربهم كقوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين وكقوله وما ذبح على النصب أي للنصب وأصله ما روي عن حرف ابن مسعود رضي الله
عنه ولو ترى إذ عرضوا على ربهم والله أعلم وقوله تعالى قال أليس هذا بالحق يحتمل أليس هذا بالحق أي
البعث بعد الموت لأنهم كانوا ينكرون البعث ويحتمل أليس ما أوعدتم بالعذاب في الدنيا حقا لأنهم
كانوا أوعدوا بالعذاب بأن لم يؤمنوا في الدنيا وكذبوا ذلك فقال لهم في الآخرة أليس هذا بالحق وقوله
كما أخبر تعالى عنهم قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي في الدنيا والله أعلم وقوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يحتمل أي الذين كذبوا بلقاء وعد الله ووعيده في الدنيا يخسرون في الآخرة
بتكذيبهم ذلك في الدنيا وعلى هذا يخرج قوله فمن كان يرجو لقاء ربه أي يرجو لقاء وعد الله ووعيده
أي الجنة والنار وعلى هذا يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه أي من أحب ما وعد الله لم يكره لقاء ما وعد الله وعلى ذلك ما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا جنة الكافر يلعب فيها ويركض في أمانيها وسجن المؤمن وراحة المؤمن
وأصله أنها سجن المؤمن لأن المؤمن يمنعه دينه من قضاء شهواته بما فيه ويحجزه عما يفضي إلى الهلاك والكافر
لا يمنعه شيء عما يريد من قضاء شهواته فتكون الدنيا له كالجنة والمؤمن كالسجن ويحتمل وجها آخر وهو أن
الكافر عند الموت يعاين مكانه وما أوعد له في النار فيصير عند ذلك الدنيا له كالجنة لا يكره الخروج عنها
والمؤمن يعاين مقامه في الجنة فتصير الدنيا كالسجن له يريد أن ينتقل عنه بأقرب مدة وأصله
أن من أحب الرجوع إلى الله تعالى أحب الله تعالى رجوعه ومن كره الرجوع إلى الله تعالى كره الله تعالى رجوعه ويحتمله
طاعته فأمره ونهيه وقوله تعالى حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة أي القيامة وقيل سميت القيامة
الساعة لسرعتها بهم ليست كالدنيا حيث يتغير عليهم الأحوال فيها يكون من نطفة ثم يصير علقة
ثم مضغة ثم يصير خلقا ثم يكون طفلا ثم رجلا يتغير عليه الأحوال وأما القيامة لا يقوم على تغير
الأحوال فسميت الساعة لسرعتها لهم ويستعمل الساعة للسرعة في استعارتهم فيقال منه الساعة
للسرعة دون الزمان المتقدر الذي يسمى ساعة وقيل القيامة الساعة كلمح البصر أو هو أقرب وقوله تعالى
بغتة أي فجأة وقوله تعالى يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قيل التفريط هو التضييع فيحتمل ما فرطنا فيها
أي ما ضيعنا في الدنيا من المحاسن والطاعات ويحتمل ما فرطنا أي ما صنعنا في الآخرة من الثواب والجزاء
الجزيل بسبب الكفر وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم هو والله أعلم على التمسك دون
التحقيق أن الوزر هو الذنب الذي تكتب وأما بعد بخفته لكنه يحتمل وجهين أحدهما أن ألزمهم
سببا أوزارهم من استحقاق العذاب الأليم والخلود في النار لم يفارقهم قط فكأنهم حملوها على ظهورهم

وهو قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه والثاني انما ذكر الظهر لما بالظهر يحمل ما يحمل وان كان ما يحقق منهم من الاوزار يحصل بغيره ويقوم بغيره وهو كقوله ذلك بما قدمت يداك بما كسبت ايديكم وان الكفر لا كسبا من الايدي ولا يقوم بها لكن الاكتساب في الغالب لما كان بها ذكر الايدي اضافة للشيء الى ما به يقوم في الاذى نقوله فنبذوه وراء ظهورهم اي انهم لما تركوا العمل به ولم يعرضوا ولا ينتفعوا به صار كالمنبوذ وراء الظهر لان الذي ينبذ وراء الظهر هو الذي لا يعبأ به ولا يذكر ولا ينتفع به ويحتمل وجها آخر ما ذكر في بعض القصة ان ياتيه عمله الخبيث يوم القيامة على صورة قبيحة فيقول له كنت حملتك في الدنيا باللذات والشهوات فاليوم احملك فتركب ظهره فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقوله الا ساء ما يزرون اي ساء ما يحملون من الاوزار وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو يحتمل ان يكون هذا صلة قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي حياة الدنيا خاصة لعب ولهو لان كل ما يعمله لمن لا عاقبة له ما يأمل فيه فهو عبث كمن يسعى لا لعاقبة تقصد فيأمل بيانه بل هو عبث كان ما ينشأ من ذلك الحياة الدنيا الا للدار الاخرى يجزيهم فيها الثواب والعقاب بما يعمل في الاولى فتكون وسيلة ومطية الى الدار الاخرى فليس بحكمة بل هو لعب وعبث وقد نص تعالى على هذا بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر انه خلقهم في الدنيا اذا لم يكن هنالك بعث ولا حياة بعد الموت للثواب والعقاب فهو لعب واللهو ما يقصد به قضاء الشهوة خاصة دون ما يقصد به عاقبة حميدة واللعب هو الذي لا حقيقة له ولا يقصد وقوله تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون اي الدار الاخرة خير للذين يتقون الشرك والفواحش كلها من الحياة الدنيا لكم وقوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك هذا والله اعلم اخبار منه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انه عن علم منه بتكذيبهم اياك بعثك اليهم رسولا وامرك بتبليغ الرسالة اليهم وكان يغتم لما يلحقك من الحزن بتكذيبهم اياك بذكر هذا والله اعلم ليعلم رسول الله عليه السلام انه لا عذر له في ترك تبليغ الرسالة وان كذبوه في تبليغها وقوله فانهم لا يكذبونك اختلف في قراءته يقرأ بالتخفيف والتشديد فمن قرأ بالتخفيف لا يكذبونك اي لا يجدونك كاذبا ومن قرأه بالتشديد لا يكذبونك اي لا ينسبونك الى الكذب من حيث المعنى لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي معاندة الظالمين هو التكذيب بآيات الله تعالى ويحتمل قوله لا يكذبونك اي لا يكذبونك في السر ولكن يقولون ذلك في الظاهر لما ثبت عندهم صدقه في دعواه الرسالة والتكذيب بانك كاذب والظالمين يحتمل وجهين احدهما الظالمين على نعم الله تعالى اي وضعوها في غير موضعها ولم يصرفوها لوجهها الله ولم يراعوا حقها بالشكر وكذا او الظالمين على انفسهم بالجحود والتكذيب لانه يحملهم على الحزن ووجه احدهما يحزنه افتراؤهم على الله وتكذيبهم بآيات الله تعالى او كان يحزنه تكذيبهم بقرابته وعشيرته اياه فانه اذا كذب عشيرته انتهى الخبر الى الابعدين فيكذبون فيحزن لذلك او يحزن لانه نطمع لان نطمع كل احد ينفر عن الكذب او كان اشفاقا عليهم مما يخاف عليهم نزول العذاب بتكذيبهم اياه وانه اهوله وهو كقوله فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اخبر الله تعالى رسوله عليه السلام ويصبره على تكذيبهم اياه واذاهم في تبليغه الرسالة اليهم ليعلم انه ليس انت باول مكذب من الرسل بل كذب اخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة فصبروا على ما كذبوا واوذوا ولم يتركوا تبليغ الرسالة مع تكذيبهم اياهم وقد بعثك اليهم على علم منه بكل ان يكون منهم من التكذيب والاذى وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله اخبر تعالى نصر رسله عليهم السلام ثم النصر المضاف الى الرسل يحتمل وجوها نصرهم اي اظهر حجته وبراهينه حتى علموا جميعا انها من الحجج والبراهين وانهم رسل الله تعالى لكنهم عاندوا وكابروا فظهرت نصرته لهم عليهم من حيث غلبت حججهم شبهة الكفار وظهر الحق من الباطل ويحتمل النصر لهم بما جعل عاقبة الامر لهم وظفروا على الاعداء في آخر الامر وان كان قد اصابهم شدائد في بدء الامر ويحتمل نصرهم بما استأصل قومهم واهلكهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام في استيصالهم وهلاكهم وبقاء الرسل عليهم السلام نصرهم وعلى هذا يخرج قوله انا لننصر رسلنا وقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون والله اعلم وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله يحتمل ما ذكر من النصر لهم ومن استيصال قومهم وما اوعدهم من العذاب فذلك كلمات الله وذلك انه لا يتبدل او يحتمل كلماته حججه وبراهينه وهو كقوله ويحق الله الحق بكلماته اي بحججه وآياته وقوله فلعل الحجة ما ذكر الكلمات اي بحجته وقوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين يحتمل ما ذكرنا من اهلاك العدو وابقاء الرسل عليهم السلام وقد جاءك ذلك النبأ ويحتمل ما قد جاءه من تكذيبهم الرسل واذاهم اياهم وقوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشق عليه مرقوه على الايمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك كذلك اشفاقا عليه

كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك لما يعذبون في النار ابدا بكفرهم وتركهم الايمان فعلى ذلك قوله وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض الآية اي فان كنت قدرت على ان تأتيهم بآية فيؤمنوا فافعل حتى لا تحزن عليهم بعد ذلك ويحتمل انه كان يكبر عليه ويثقل اعراضهم لما كانوا يطلبون من الآيات حتى اذا جاءتهم لا يؤمنون نحو ما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ونحو ذلك من الآيات التي سألوها فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ايمانهم ان جاءهم بما سألوا من الآيات وكان يحرص على ان يأتيهم بآية فان جاءهم تلك الآيات لا يؤمنوا انما تأتي لو ترك الآيات سؤال تعنت لا سؤال استرشاد وطلب آيات ليدلهم على الهدى فكانه يكبر عليه منعه لانزال تلك الآيات فقال تعالى عند ذلك فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض فتقدر ان تأتيهم بآية فافعل انه فاعل انزالها لما انه الرب الجليل الخلقة والمنفرد بالحكمة فيما صنع لا يفعل ما يفعل الا عن حكمة بالعقد فان العقول تقصر عن الوقوف على كنه ذلك ويحتمل ان يكون قوله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض نهيا عن الحزن عليهم كل هذا الحزن بما نزل بهم وقد يعلم صنيعهم وشتى معاملتهم ان الله تعالى وكذلك روي في القصة عن ابن عباس رضي الله عنه ان نفرا من قريش قالوا يا محمد ايتنا من عند الله تعالى بآية كما يأتي الانبياء فمنها الآيات اذا سألوا منهم فان اتيتنا آمنا بك وصدقناك فابى الله تعالى ان يأتيهم بما قالوا فاعرضوا عنه فكبر ذلك عليه وشق عليه فانزل الله تعالى فان استطعت ان تبتغي فان قدرت ان تطلب نفقا في الارض اي سربا في الارض كنفق اليربوع فاتنا او مخرجا فوق شيء يخرج منهم او سلما في السماء اي طريقا وسببا الى الصعود الى السماء فتأتيهم بآية التي سألوها فافعل قال القتبي النفق في الارض المدخل وهو السرب والسلم المصعد قال ابو عوسجة النفق المغار الا انفاقا العلمان وقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال الحسن رضي الله عنه اي لو شاء الله لقهرهم وجبرهم عليه والزمهم بوجود الهدى فيهم حينئذ كما فعل الملائكة اذ من قوله ان الملائكة مجبورون فهو دون فعل الايمان لوجود ذلك منهم عن اضطرار ومعاينة الدلائل لا عن حسب ويفضل الملائكة عن البشر ويجعل لهم مناقب ما لا يحتمل لاحد من البشر فلو كان الملائكة مجبورين مقهورين عن ذلك لم يكن لهم ذلك كبير منقبة فيكون تناقضا هذا اضطراب وتناقض وقال ابو بكر الكيساني رحمه الله في قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله لا بتلاهم بدون ما ابتلاهم به اي يكلفهم بالعبادات والشرائع بأخف مما شرع مكان خمس صلوات صلاة واحدة في احسن الاوقات واوسعها ومكان خمسة دراهم من مائتي درهم من عشرة آلاف درهم مثلا ووضع الحج والجهاد ونحو ذلك حتى يخف عليهم اذا لما كلفهم يؤمنون بجمعهم ويحتمل لو شاء الله لجمعهم على الهدى بما شاء الله لو فقهم للهدى جميعا وجعلهم بحيث اختاروا واثروه على غيره ولكن لما علم من بعضهم انهم يختارون الكفر على الهدى فلم يشأ منهم الايمان ولم يشأ ان يجعلهم على الهدى ولم يرفعهم لذلك وذكرنا انه يقتضي ان لا يكون في حال القهر والجبر وانما يكون في حال الاختيار ويذكر في موضع آخر ان شاء الله تعالى وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين يحتمل وجوها فلا تكونن من الجاهلين قضاء الله تعالى وحكمه ويحتمل فلا تكونن من الجاهلين في احسانه وفضله اي من احسانه وفضله ان يجعل لهم الهدى ويحتمل فلا تكونن من الجاهلين انه لا يؤمن بل بعضهم لا يؤمن بعض ويحتمل فلا تكونن من الجاهلين بان الله قادر لو شاء الله لجمعهم مهتدين جميعا ثم معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما لا يجوز انه يكون من الجاهلين ومن الشاكين على ما ذكر ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا ترفع المحنة والنهي والامتحان بل يزيد ذلك النهي انه تعالى نهى عن ان يكون من الجاهلين والله الموفق وقوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون معناه والله اعلم انما يستجيب الذين ينتفعون بما يسمعون والا كانوا يسمعون جميعا لكن الوجه فيه ما ذكرنا انما يستجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن انما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر فلم ينتفع الذكر كما قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر ان الذكرى تنفع المؤمنين دون غيرهم وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون قال بعضهم هذا ابتداء كلام فانه تم الكلام الاول بقوله انما يستجيب الذين يسمعون ثم ابتدأ وقال والموتى يبعثهم ثم اليه يرجعون وقال بعضهم اراد بالموتى الكفار سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القرآن كقوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ونحو ذلك والله اعلم ان جعل لكل بشر سمعين وبصرين وحياتين سمعا ابديا في الاخرة وبصرا ابديا في الاخرة وحياة ابدية في الاخرة كما جعل لهم سمعا في الدنيا منقضيا وحياة منقضية ثم الله تعالى نفى السمع والبصر والحياة عمن لا يدرك به

بهذا السمع والبصر والحياة التي رزقوا في الدنيا سمعا وبصرا وحياة ابدية في الآخرة لانه انما جعل لهم هذه
في الدنيا ليبلوا بها اجناسا على صفة النعماء وكما ابلغا الآخرة فاذا لم يبلوا بها الابدية كما يستغنوا بها فاو
لم ان العقد بهذه فسماهم باضدادها فقال صم بكم عمي فهم لا يبصرون وكذلك العقول التي تركيب في البشر
انما ركبت ليدركوا بها الخير الذي في الآخرة والا لو كانت تركيب في البشر لهذه الدنيا خاصة لا لعواقب الخير فانها
تدرك ذلك المقدار بالطبع وان لم تركب فيها العقول فانها قد تدرك بعرضها ما تؤذي وتبقى ما تصلح لها
وما لا يصلح فدل انه تركيب العقول فيهم ركبت انما ركبت لاداء ما يدرك هذا بل ليدرك به الابدي من الخير فمن
لم يستعمله في ذلك فكان لم يرزق ذلك فلذلك قال اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وكذلك قيل الحياة حياتان
حياة مكتسبة وهي الحياة التي يكتسب بالهدى والطاعات وحياة منشأة وهي حياة الاجساد فالكافر له
حياة الجسد ليس له حياة مكتسبة واما المؤمن فله الحياتان جميعا فسمى كل واحد باسم الذي اكتسبه والحق
اكتسب بفعل الطيبه فسماه بذلك قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
وقال في صفة الكفار والموتى يبعثهم الله اخبر كان ميتا ونحوه وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل
ان الله قادر على ان ينزل آية هؤلاء قوم منهم المعاندة والمكابرة لانه قد كان انزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم آيات سمعيات وعقليات وقد اعطاه الله تعالى آيات حسيات فاما العقليات فهو ما قال القران قال الله
تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله وانما تعرف كونه معجزا بالعقل
والاستدلال واما السمعيات فهو ما انبأهم من اشياء كانت غابت عنه من غير ان يكون له اختلاف الى احد يعلمه
وتبينه عنها واما الآيات الحسية فهو نحو ما سقى اناسا كثيرة بشيء قليل لا ينقصه وما قطع مسيرة
شهرين بليلة واحدة وانشقاق القمر الذي يرى لمن حضر المنبر ونحو ذلك لكنهم عاندوا وكابروا لعناد
وقوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية اي الآية التي سألوها ولكن اكثرهم لا يعلمون يحتمل وجهين
يحتمل اكثرهم لا يعلمون انه اذا انزل الآية على اثر السؤال لا انزل عليهم العذاب عند استئصالهم ادا ما نزل
ويحتمل قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ينزل الآية الا عند الحاجة منهم اليها وقيل اي لا يسألون
الآية ليعلموا ولكن يسألون ليتعنتوا وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم · ضمنه ان يكون هذا صلة قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية لانه ذكر الدابة والدابة
كلما يدب على وجه الارض من دود والروح وذكر الطائر وهو اسم كلما يطير في الهوا بين الله تعالى انه لما كان قادرا
على خلق هذه الاجناس المختلفة من الخلق والسوق رزق كل واحد منها اليه لقادر على ان ينزل آية لكن لا ينزل الا
الا عند الحاجة اليها والآيات لكنه لم ينزل لما ليست لهم الحاجة اليها لارتفاعها بما اظهر عن يديه من آيات
الكثيرة والآيات لا ينزل الا عند الحاجة بهم اليها فعلى هذا يخرج قوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان انزال
الآية تعالى الآيات عند حاجة الخلق اليها والله اعلم ومن الناس من استدل بهذه الآية على ان البهائم والطيور
ممتحنون بحيث قال الا امم امثالكم جعلها امثال بني آدم ثم اكد ذلك بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
اي من امة من الامم الا بعث اليهم رسولا منذرا لهم ولكن هذا فاسد لان اهل التأويل اختلفوا في تأويل
هذه الآية روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى الا امم امثالكم اي يحشرون يوم القيامة كما تحشرون
ثم يقتص للبهائم بعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا كما انها
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اي يعرف
بعضكم من بعض امم امثالكم في معرفة ما يتقى وما يبقى ويحتمل الا امم امثالكم في الكثرة والعدد وفي الخلق
والصور ويعرفون كما تعرفون انتم ويحتمل الا امم امثالكم في حق معرفة وحدانية الله تعالى والوهيته او في حق
طاعة الله تعالى كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ويحتمل ان الدواب والطير امم امثالكم في انه تعالى سخرها لكم
وخلقها لمنافعكم كما انه تعالى خلقكم ليمتحنكم بالاوامر والنواهي كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ثم لم يكن منهم من العباد والخلاف لكم بل كانوا خاضعين لكم مذللين تنتفعون بها فما بالكم في اظهار العناد
والخلاف لله تعالى والتكذيب للرسل عليهم السلام والخروج عليهم فانتم شر من البهائم بعد ذلك قوله انهم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا والله اعلم واذا احتمل هذا الوجوه بطل تعلقه بالآية في صرفها الى وجه
لا يصرف اليه وهم الخلق والله اعلم وقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء · اختلف في تأويله قال بعضهم
ما تركنا شيئا الا وقد ذكرنا اصله في القران كقوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال ما تركنا شيئا الا كتبناه في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل ما فرطنا اي ما ضيعنا في الكتاب
من شيء قد يقع بكم الحاجة اليه او بكم المنفعة فيه قد بيناه لكم في القران وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون

قيل الطير والبهائم يحشرون مع سائر الخلق وقيل ثم الى ربهم يحشرون اي بني آدم والله اعلم وقوله تعالى
والذين كذبوا باياتنا · قد ذكرنا الآيات في غير موضع وقوله تعالى صم وبكم في الظلمات · سماهم صما وبكما ونفى
عنهم السمع والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بنعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان لانه لا يجوز في الحكمة ان يجعل
لهم السمع والبصر واللسان ثم لم يعلمهم ما يسمعون بالسمع وما ينطقون باللسان ولا احد يعرف اللغات بنفسه
ليتكلم بها ليسمعها غيره فدل انه لا بد من رسول يعرفها من خلقهم وانشاء السمع فيسمعون منه ويسمعون
اليه وينطقون بما علمهم فاذا جاءهم الرسول ولم يسمعوا اليه ولم يتعلموا منه ما هو نافع دينهم ودنياهم
صاروا كما ذكر صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بهذه النعم من الوجه الذي وضعت لمنفعة هذه النعم عندهم كان لم يكن
ويحتمل ما ذكرنا ان السمع والبصر والحياة ضربان مكتسب ومنشأ فنفى عنهم السمع المكتسب والبصر المكتسب والحياة
المكتسبة وقوله في الظلمات يحتمل ظلمات الجهل والكفر ويحتمل في الظلمات يعني ظلمات السمع والبصر والقلب
وكذا في ظلمة الجهل والكفر كقوله ظلمات بعضها فوق بعض والمؤمن في النور كقوله نور على نور وقوله تعالى
من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم · وصف الله عز وجل نفسه بالقدرة وجعلهم
جميعا متقلبين في مشيئته واخبر انه شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى وفي قوله ان شاء انه كذلك الهدى
لكن لم يستحق او شاء الكل الضلال لهو خلاف ما ذكرنا فلانه اخبر انه شاء الضلال لمن يضل وشاء الهدى
لمن اهتدى واضله لما ذكرنا غير مرة ان الله تعالى اذا علم من الكافر انه يختار الكفر شاء ان يضل ويخلق فعل الكفر
منه واذا علم من المؤمن انه يختار الايمان والاهتداء شاء ان يهتدي ويخلق منه فعل الاهتداء والله الموفق
وقوله تعالى قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة · اي قل يا محمد للكفار أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله
الذي وعد لكم في الدنيا ان يأتيكم او اتتكم الساعة لانه كان يعدهم ان يأتيهم العذاب كما كان يعدهم
ان يقوم الساعة وقوله تعالى أغير الله تدعون · يحتمل حقيقة الدعاء عند نزول البلايا ويحتمل العبادة
اي غير الله تعبدون على رجاء الشفاعة لكم وقد علمتم انها لم تشفع لكم وقد رأيتم انها لم تشفع لكم عند
نزول البلايا ولا كشفه عنكم ان كنتم صادقين انه معه شركاء والهة كما قلتم او ان كنتم صادقين انها تعبد
شفعاؤكم عند الله او يقربكم عبادتكم اياها الى الله تتضرعون في دفع ذلك عنهم بقوله بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وهو كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ذكر هذا والله اعلم الزاما للحجة على الكفرة واظهارا للعناد
انكم اذا مسكم الشدائد والبلايا لا تفزعون الى من تشركون بالله في عبادته والوهيته فكيف تشركونها وانكم
في ربوبيته في غير الشدائد والبلايا وكيف لا تفزعون في غير هذه الحالة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون
اي تتركون ما تشركون بالله تعالى من الآلهة ولا تدعونهم ان يكشف عنكم وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون · اختلف في تأويله قال بعضهم البأساء الشدائد التي تصيبهم
من العدو والضراء ما يحل بهم من البلاء والسقم والشدة وقال بعضهم البأساء هو ما يحل بهم من الفقر والقحط
والشدة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال البأساء الزمانة والخوف والضراء البلاء والجوع وقوله لعلهم يتضرعون اي
ابتلاهم بذلك وامتحنهم لعلهم يرجعون عما هم عليه وهو كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وغيرها من الآيات
وقوله تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم · اي هلا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي
لم يتضرعوا فالاشكال ان في صدر الآية اخبر انهم يتضرعون عند مجيء الشدائد واخبر في الآية الثانية انهم
ما تضرعوا وقست قلوبهم والجواب عن هذا من وجوه احدها يحتمل ان تكون هذه الآية في قوم والآية الاولى في قوم آخرين
وذلك ان الكفرة كانوا على احوال ومنازل مختلفة منهم من كان على حال وصفه وطبع انه اذا اصابه خير وبلاء اطمأن
بالله تعالى واعتقد عقيبه ما دعاه الرسل اليه فاذا نال عنه تحول عن ذلك تغير عن ذلك وهو كقوله تعالى ومن
الناس من يعبد الله على حرف فاذا اصابه خير اطمأن به واذا اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة
ومنهم من يتضرع ويلين قلبه اذا اصابه الشدة والبلاء وعند السعة والنعمة يكون قاسي القلب معاندا وهو
قوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وكقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه ومنهم من كان فرحا عند السعة والرخاء كفورا جزوعا عند الشدة والبلاء كقوله تعالى واذا اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ومنهم من كان لا يخضع ولا يتضرع في الاحوال كلها
عند الشدة والبلاء ولا عند النعمة والرخاء ويقولون ان مثل هذا قد يصيب غيرنا من اهل الخير والصلاح
كما اصاب آباءنا وهو كقوله وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فدل ان الكفار كانوا على احوال مختلفة ومنازل

متفرقة وفيه انه يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم في الفريق الذين لم يتضرعوا
عند ما اصابتهم الشدائد والبلايا وغيرها من الايات في الفريق الذين يتضرعون عند الشدائد فلا يؤدي الى وهم
التناقض والاختلاف والثاني يحتمل ان يكونوا تضرعوا عند حلول الشدائد بهم وزوال الباس لكن اذا ذهب ذلك
وزال عادوا الى ما كانوا عليه من قبل من المعاندة فكانه قال تعالى فلولا اذ لزموا التضرع اذ جاءهم باسنا ولا يستمروا
عليه بعد زوال الباس وعلى هذا الوجه يكون موافقا لسائر الايات من قوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقوله اذا مسكم الضر في البحر الاية والثالث يحتمل ان يكون قوله
لعلهم يتضرعون وقوله مخلصين له الدين ونحو ذلك فيما بينهم وبين ربهم وقوله فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا فيما بينهم وبين الرسل عليهم السلام لان الرسل كانوا يدعونهم الى ان يقروا بباس الله ويصدقوهم
فيما يخبرونهم فلم يقروا بهم فكذبوهم وافتروا بالله ويتضرعوا اليه ولم ينكروا عليه وقوله تعالى وزين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون اغترارهم صنيعهم الذي صنعوا وقالوا ان هذا كان نصيبا اهل الخير والصلاح
كان نصيبنا اياه وهم كانوا اهل خير وصلاح ويحتمل وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الشرك والتكذيب
وقال الحسن اي الدنيا انهم على حق وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية يحتمل ان يكون
هذا ابتداء ترك اي الكفار تركوا الاجابة الى ما دعوا وتركوا ما امروا به ويحتمل نسوا ما ذكروا به من الشدائد
والبلايا فتحنا عليهم ابواب كل شيء يحتمل وجهين يحتمل ابواب كل شيء مما يحتاجون اليه حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة ويحتمل نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به يعني الامم السالفة مما دعاهم الرسل عليهم السلام
فكذبوهم فتحنا اي انزلنا عليهم ابواب كل شيء من انواع الخير بعد الضر والشدة في الدنيا كانه نزل بهم حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واختلف في تاويله قال بعضهم المبلس الايس من كل خير وقال القتبي
الايس الملقى بيديه وقال ابو عوسجة رجل المبلس الحزين المغتم الايس من الرحمة وغيرها من الخير وقال الفراء رحمه الله
المبلس هو المنقطع عن الحجة وكذلك سمي ابليس ابليس لما ايس من رحمة الله تعالى وقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين
ظلموا قيل استوصل القوم الذين ظلموا بالهلاك جميعا والظلم هاهنا الشرك وقيل فقطع دابر القوم الذين
ظلموا اي اخرهم وقيل اصلهم وكله واحد يعني لما انه اذا اهلك اخرهم وقطعوا فقد استوصلوا ويشبه
ان يكون قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي قطع افتخارهم وتكبرهم الذين كانوا يفتخرون به ويتكبرون وقوله
عز وجل والحمد لله رب العالمين قيل كانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قل والحمد لله وقيل حمد الله تعالى
نفسه والاشكال ان الحمد انما يذكر على اثر ذكر الكرامة والنعمة وقد ذكر في هذا الموضع على اثر ذكر الهلاك ولكن الجواب
انه يخرج على وجوه احدها ان اهلاك الكفار وان كان نقمة وهلاكا لهم لكنه في حق اولياء نعمة وكرامة لان هلاك
الاعداء من اعظم النعم عند العقلاء ومن سوء يكون ذلك خيرا لاخر فيكون الحمد في الحاصل في الخير والنعمة والثاني
ان يكون في نفس الهلاك والهلاك الحمد اذا كان بسبب ظلمهم بسبب الهلاك لانه اهلك بحق فلله تعالى ان
يهلكهم ولم يكن الاهلاك على الظلم منه عليهم بل جاء من الحمد فيحمد عز وجل في كل فعل له في حكمه والثالث الحمد
على اظهار حجته بهلاكهم فانه اخبرهم بذلك فتحقق صدقه منهم بذلك وقوله تعالى قل ارايتم ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اختلف في تاويله قال بعضهم اي ان
السمع والبصر والختم على القلوب [illegible]
[illegible]
في الوهيته [illegible]
في الوهيته [illegible]
[illegible]
الوهيته [illegible]
يعرفون ذلك [illegible] وقوله تعالى انظر كيف نصرف الايات
[illegible] وقوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم [illegible]
معناه [illegible]
عذاب الله [illegible]
[illegible] وقوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اخبر الله تعالى انه لم يرسل الرسل

عليهم

عليهم السلام الا مع بشارة لاهل الطاعة ونذارة لاهل المعصية وفيه دليل على ان الرسل عليهم السلام
ليس اليهم الامر والنهي وانما اليهم ابلاغ الامر والنهي ثم من البشارة فقال فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون لا خوف عليهم لما ليس لذلك فوت ولا زوال وليس كخوف الدنيا وغمها انه على شرف الفوت والزوال
ولا هم يحزنون لانه سرور لا يشوبه حزن ليس كسرور الدنيا يكون مشوبا بالحزن والخوف وبين النذارة بقوله
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ذكر المس والله اعلم لما لا يفارقهم العذاب ولا يزول
عنهم فكانه ما بين لهم ابدا والفسق في هذا الموضع الكفر والشرك كما ذكر من الظلم وهو ظلم شرك وكفر وقوله تعالى
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك الاية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو ربك اعطاك كنزا نستعين به فانك محتاج او تحصل لك جنة
تاكل منها فتشبع من الطعام فانك تجوع فنزل عند ذلك قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله الاية ولكن هذا
لا يحتمل ان يكون جوابا وتدا لكلام مهما انهم يقولون لما انك محتاج فينبغي لك ان تسال ربك ان ينزل
كنزا او يجعل لك جنة ويوسع الامر عليك في المعاش وقوله اني لا اقول اني ملك وليس عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب لا يكون بعد ذلك العوض ما لى النفقة بسببه لانهم يقولون اذ لم يكن عندك خزائن الله ولست بملك حتى
تكون مستغنيا عن القوت ولا تعلم الغيب حتى تاخذ ما تحتاج اليه وقت الحاجة فهلا تسال الحق ينزل عليك
فثبت ان هذا لا يحتمل ان يكون جوابا والظاهر انه لا يصح هذه الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ولكن يحتمل
وجوها اخر لا يقطع القول بها مخافة الشهادة على الله تعالى مع احتمال الكذب ولكنها في حد الجواز والاحتمال
احدها يحتمل ان يكون هذا جوابا لاسئلة تقدمت منهم نحو ما ذكر في اية اخرى خبرا عنهم بقوله لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا وقوله او يكون
جنة ياكل منها الاية ونحو ذلك من الاسئلة قال تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها ونحو ذلك
وكذلك سالوا منه وقت نزول العذاب عليهم حين بلغهم الوعيد بنزول العذاب وطلبوا منه ان يعجل
لهم كما قال الله خبرا عنهم بقوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقال ويستعجلونك بالعذاب ونحو ذلك وكذلك
طلبوا منه ان يرقى في السماء كما اخبر الله تعالى عنهم او ترقى في السماء فيجاب ان نزول هذه الاية جوابا لهذه
الاسئلة كلها فقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي
قل لهم يا محمد اني ما قلت لكم ان عندي خزائن الله تعالى فاقبل منكم هذه الاسئلة التي سالتموني من تفجير الينبوع
والانهار ونحو ذلك وما قلت لكم اني اعلم الغيب حتى تسالوني عن وقت الساعة وعن وقت نزول العذاب وما
قلت لكم اني ملك حتى تطلبوا مني ان ارقى في السماء ولكني قلت لكم اني رسول الله اليكم والرسول يتبع ما يوحى
اليه فان اوحي الي شيء اخبرتكم به وابلغكم ما ارسلت به ولا اخترع شيئا من تلقاء نفسي فهذا الامر محتمل والله اعلم
والثاني يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اوعدهم وخوفهم فسالوه العذاب استهزاء وتكذيبا فقال الوعيد
يكون كما اخبر الله عنهم بقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال عند ذلك قل لا اقول لكم
عندي خزائن الله فقل لهم ليس عندي خزائن الله ومفاتيحها حتى انزل عليكم العذاب متى شئت ولا اعلم الغيب
حتى اعلم متى وقت نزول العذاب عليكم ولا اقول لكم اني ملك حتى انزل من السماء بالعذاب انما انا بشر
مثلكم يوحى الي فهذا جواب محتمل والله اعلم والثالث يحتمل ان يخبر النبي صلى الله عليه وسلم ابتدا لا جوابا عن سؤال
تقدمت فقال اني لا اقول لكم عندي خزائن الله وانا اعلم الغيب واني ملك كان ذلك ان تعظموني فتطيعوني
وتتبعوني وتحبوا اتباعي ولكني قلت لكم انما انا بشر مثلكم يوحى الي ان اتبع الا ما يوحى [illegible]
ادعوكم اليه والله اعلم وقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير اي تعرفون انتم انه ليس يستوي الاعمى ومن هو
بصير والبصير ومن لم يكن بصيرا كيف لا تعرفون انه لا يستوي من عمي عن الايات ومن لم يعم عنها ويحتمل اذ لم يستوي
الاعمى والبصير كيف يستوي من يتعامى عن الحق ومن لم يتعام عنها افلا تتفكرون ان تتعظوا انام والله اعلم
وقوله تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك
اياس الله تعالى الكفرة عما سالوا النبي صلى الله عليه وسلم من الايات ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم وهم المؤمنون المقرون بالحشر المصدقون به لانه قال يخافون معناه يعلمون
ان يحشروا الى ربهم والانذار ان يقول لهم انكم تحشرون الى ربكم ليس لكم من ولي ولا شفيع [illegible]
يسال لكم من الله تعالى ما لم يعطوه ويحتمل ان يكون تخصيص الامر بالانذار للمؤمنين لما كان الانذار ينفعهم لا ينفع
غيرهم وليس فيه ان لا ينذر غيرهم وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب النبي عليه السلام كما انذر

من اتبع الذكر وخشي الرحمن بمنذر الكفرة ولكن معناه انما ينفع انذارك من اتبع الذكر دون من لم يتبع فكانك تنذرهم
لا غير لان منفعة ذلك تحصل لهم دون غيرهم قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر ان منفعة
الذكرى تنفع المؤمنين خاصة والله اعلم ويحتمل وانذر المؤمنين الذين يقرون بالبعث والحشر ان الكفار
ليس لهم اولياء ولا شفعاء يوم القيمة لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى اخبر تعالى انه ليس لهم ولي ولا شفيع دونه وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
الاية ذكر في بعض القصة ان رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسبقون الى مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يسبقون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلسون قريبا منه ويجيء اشراف القوم وسادتهم
الكفرة الذين لم يحلف فيقعد بعيدا عنه فقالوا لنبيك المجلس باجمعه فقالوا نحن نجيء فنجلس باجمعه فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سادة قومك واشرافهم فلو ادنيتنا منك المجلس فهم ان يفعل تحريصا لهم على الاسلام
فانزل الله تعالى هذه الاية يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه والطعن ان يهيمنا مثل هذا قيل ولكن هذا بعيد سمج ينسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان
فعل على الخشية ما لو كان لكان فيه اسقاط نبوته ورسالته اذ لا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يقرب اعداء
الله ويبعد عن مجلسه ويبعد الاولياء هذا لا يفعل سفيه فضلا ان يفعله الرسول المبعوث لكافة البرية و
بما ليس فيه من ذلك ولا انه فيه ما يصير الكفرة مطيعا عليه فيقولون يدعوا الناس الى التوحيد والاجابة ثم
لم اذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم عن مجلسه ويكون بسبب تنفير الضعفة عن الدخول في الاسلام
هذا الامر مدفوع بعقل كل عاقل ولكن يحتمل ان الكفار طلبوا ذلك منه وسألوه ان يطردهم عن مجلسه ويبعدهم
ليسلموا او يصدقوه ولكن هؤلاء يجيبهم الى ذلك فاما ان يهم بذلك او يخطر عليه شيء منه فلا يحتمل نهي
الرسول عليه السلام عن مثل هذا والله الموفق ويحتمل ان يكون نهيا من الله تعالى ابتداء تاديبا وتعليما لرسوله
صلى الله عليه وسلم بصحبة اصحابه والمعاملة معهم ويخبره عن عظيم قدرهم ومنزلتهم عند الله تعالى ليعاملهم
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو عليه السلام وان كان معصوما عن كل حرام وشين الدين لكن العصمة
لا يمنع النهي عن الخطر بل العصمة يزيد في ذلك وهو كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
وهو كقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم نهاه ان يمد عينيه الى ما متعوا وللكت وقوله
بالغداة والعشي يشبه ان يكونوا يجتمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غداة وعشاء يستمعون
منه ثم يتفرقون على ما عليه امر طالب العلم من الاجتماع في كل غداة وعشاء عند الفقهاء واهل العلم ويحتمل
ان يكون المراد بذكر الغداة والعشي صلاة الغداة وصلاة العشي يعني والله اعلم ولا تطرد من يشهد هاتين
الصلاتين وانما كان يشهدهما اهل الايمان واما اهل النفاق فانهم كانوا لا يشهدونهما من الصلاة
ويحتمل ايضا ان يكون ذكر الغداة والعشي كناية عن الليل والنهار كقوله والضحى والليل اذا سجى يريد بالضحى
الضحى خاصة لكن النهار كله الا ترى انه قال والليل اذا سجى ذكر الليل فكذلك ذكر الغداة والعشي
يكون كناية عن الليل والنهار جملة فيصير تقدير الاية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالليل والنهار ويحتمل
ان يكونوا اصحاب الحرف والمكاسب لا يتفرغون للاجتماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع منه
في عامة النهار ولكن يجتمعون اليه ويستمعون منه بالغداة والعشي كذلك والله اعلم وقوله تعالى يريدون
وجهه ما عليك من حسابهم من شيء اخبر انه ليس عليه من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
وانما عليك البلاغ وعليهم الاجابة ليس لك ان تتكلف حملا واسبابا تحرصهم بها على الاسلام وهو
كقوله وان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى فتطردهم فتكون من الظالمين الظلم على
وجوه ظلم كفر وظلم شرك وظلم يكون بدونه وهو ان يمنع حقا احقه او ياخذ منه شيئا بغير حق والظلم
هو وضع الحكمة في غير موضعه والظلم ههنا والله اعلم يشبه ان يكون هو وضع الحكمة في غير موضعها
واهلها لانه لو كان منه ما ذكر من الطرد لمن ذكر وادنا اولئك الكفرة وكان اولئك لم يكونوا اهلا لوضع الحكمة
فيهم ويجوز ان يوصف واضع الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها عن اهلها فقد ظلمهم والله اعلم
وقوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض فقوله كذلك لا يتكلم به الا على من قد سبق وهو والله اعلم
يحتمل لما قالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء الاعنبرين من قومك افنحن نكون تبعا لهؤلاء ونحن سادة القوم وانزل الله
تعالى عند ذلك وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي فضلتكم على هؤلاء في امر الدنيا فلذلك فضلت هؤلاء
عليكم في امر الدين ويكونون هم المقربون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدنى في مجلسهم اليه وانتم اتباع
في امر الدين وان كانوا هم اتباعكم في امر الدنيا فلذلك الامتحان بعضهم ببعض ليبطر هؤلاء الى ما رزقهم الله

من العلم والحكمة والسبق في الاسلام فيعظمونهم ويدعوهم ذلك الى الاقدام على ذلك ليقولوا امثال
ما قالوا وهؤلاء فيما انعم الله عليهم من الاموال والنعم ويقابلونها بما رزقوا من العلم والاسلام فيشكروا الله
تعالى ويصبروا على الفقر والفاقة ولا يسألوا اغنياءهم الى ما اشتغلوا من الدنيا والله اعلم ويحتمل ان يمتحنهما لما كان له
امتحان كل امتحان كل في نفسه ابتدا محنة ما بالبلاء ليصبروا وبالنعماء ليشكروا كقوله ونبلوكم
بالحسنات والسيئات وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع فعلى ذلك له ان يمتحن البعض بالبعض واشد
المحن ان يؤمر المتبوع ومن يرى لنفسه فضلا بالخضوع للتابع ومن هو دونه عنده يشتد عليهم ذلك بعد
لما كانوا يرون لانفسهم الفضل والمنزلة في الدنيا فظنوا انهم كذلك في امر الدين وعلى ذلك يخرج ما امتحن
ابليس لعنه الله بالسجود لادم عليه السلام حين راى ابليس اللعين لنفسه فضلا عليه حين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلم ير الامر بالخضوع لمن هو دونه عدلا وحكمة بل راه ظلما لا يكون
حكمة الله تعالى وعدله فيما لا يعرف وجه الحكمة فيه فعلى ذلك اولئك الكفرة لم يروا لاولئك الضعفة ان
يكونوا اسوة فيهم عدلا وحكمة وظنوا انهم لما كان لهم حاجة اليهم يكونون في امر الدين كذلك فيقولون
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ونحوه من الكلام فانكروا حقيقة الدين وحكمة الله تعالى وعدله فكذلك
لم يؤمنوا وقوله تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي يقول الكافر لكفره للمؤمن لما
فقال اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي يقول الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالحفظ والفهم اي يحفظ
هؤلاء ولا نحفظ نحن ويفهم هؤلاء ولا نفهم نحن والثاني اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالتقريب
والادناء في المجلس وجعلهم مسوقين من بيننا بعد ان كانوا اتباعا لنا فقال الله تعالى عند ذلك اليس الله
باعلم بالشاكرين اي عرف هؤلاء نعم الله عليهم ويعرفوا شكر النعمة اليه وانتم وجهتم شكر نعمته الى غيره بعد
ما عرفتم انه هو المنعم عليكم المبتدئ لنعمكم وان الله تعالى قد علم في الازل الشاكر من البعض والكافر من البعض فيظهر
على ما علم وقوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم بين ههنا على النهي عن الطرد الذي
هو التبعيد عن المجلس خاصة بل كل ما هو من باب التقريب نحو بشاشة الوجه والتلطف في الكلام وفي كل شيء
لانه قال فقل سلام عليكم امره بالبداية بالسلام عليهم تقريبا منه اياهم وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة
قال بعضهم كتب على نفسه الرحمة هو ان يبدا بالسلام وذلك مما كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم كتب
على نفسه الرحمة ان لا ياخذهم فاذا فعلوا معصية ولكن يمهلهم الى وقت يحتمل الخروج من ذلك بالتوبة
وعلى ذلك ما روي عن ابن عباس رض قال فتح الله تعالى العتب بالتوبة الى ان تاتيه الموت واراد بقوله كتب على نفسه
اي وجب وعدا منه كما ذكر بلفظ كتب تحقيقا وتاكيدا للوعد وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب
من بعده واصلح فانه غفور رحيم قرئ بكسر الالف وبالنصب فمن قرا بالخفض حمله على الابتداء كانه
تم الكلام عند قوله كتب على نفسه الرحمة ثم ابتدا من قوله انه من عمل منكم سوءا بجهالة الاية اي كل من عمل
منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده فانه يغفر له ما كان منه ومن قرا بالنصب بناه على قوله كتب على نفسه الرحمة
انه غفور رحيم او كتب على خلقه الرحمة ان يرحم بعضهم بعضا ثم جائز ان يكون الاية في الكافر اذا تاب يغفر الله
له ما كان منه في حال الكفر والشرك كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجائز ان يكون
في المؤمنين فان قيل ذكر سوء الجهالة والكافر يعمل عن عمد فيحتمل بل ان الكافر انما يفعل عن عمد لكن يفعل
فعل جهل وان لم يكن فعله على الجهل فكانه فعل عن جهل وكذلك ما ذكر من النسيان والخطا في المعاصي
التي توجد عن عمد من الكفار لان فعله فعل الناسي وفعل المخطئ وان لم يفعل عن خطا ونسيان لانه لو كان
على حقيقة الخطا والنسيان لكان لا يؤاخذ به لان الخطا معفو بوعد الله تعالى ليس عليكم جناح فيما
اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم دل ان المراد ان الفعل فعل نسيان وخطا وان لم يكن ناسيا وخاطئا
فعلى ذلك الفعل فعل جهل وان لم يكن جاهلا واما المؤمن جميع ما يتعاطى من المساوئ يكون بجهالة لانه
انما يعمل السوء لغلبة شهوة او الاعتماد على كرمه بالعفو عنه والصفح او يحمل على التوبة والعزم عليها فاخر به
على هذه الوجوه يقع المؤمن في نية المعصية ولا على التعمد فلا يعمل والله اعلم وقوله تعالى وكذلك نفصل
الايات ولتستبين سبيل المجرمين من قرا بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لتعرف سبيل المجرمين
ومن قرا بعضهم على اسقاط الواو لتستبين سبيل المجرمين ثم يحتمل تفصيل الايات وجوها اي بين
الايات التي تعرف السامعون انها ايات من عند الله غير مخترعة عند الخلق ولا مفتراة على ما بين سبيل
المجرمين من سبيل المهتدين ويحتمل نفصل الايات ما بالخلق حاجة اليها والى معرفتها ويحتمل ان يبين من
الايات ما بين المختلفين او من سبيل المجرمين وبين سبيل المهتدين فتبين سبيل المجرمين ويتميز من سبيل المهتدين

والله اعلم. وقوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله ؛ يحتمل وجهين احدهما يحتمل قل اني نهيت بما اكرمت من العقل واللب ان اعبد الذين تدعون من دون الله ويحتمل اني نهيت بما اكرمت من الوحي والرسالة ان اعبد الذين تدعون من دون الله وقوله تعالى قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ؛ ثم اعترضوا انما نعبد هؤلاء من دون الله انما نعبدون اتباعا للهوى لكن انفسهم وانما نعبد هو ليس لاتباعه هوى نفسه بل لاتباعه الحجة من قبل السمع والعقل الا ترى انه قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له باء بعمل الحجة من ربه ومما يتبع بالهوى انه يجوز ان المتبع ان يترك اتباعه الهوى ويتبع غيره لما هو في نفسه هذا في هذه الحالة دون الاول لان الهوى يتغير باعتبار الاحوال فاما ما يتبع بالحجة السمعية وما يستحسن بالعقل فانه لا يجوز ان يترك اتباعه ويتبع غيره مع قيام العقل والسمع والله الموفق وفي الاية اشارة الى الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ولكن على سبيل التعريض لانه قال تعالى قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي لو اتبعت الهوى لضللت اذا وما انا من المهتدين كما انتم اذا اتبعتم اهواءكم لعبادتكم غير الله تكونون ضلالا ولستم من المهتدين فهو تعريض للسفهة من الكفرة على النبي صلى الله عليه وسلم بانهم. وقوله تعالى قل اني على بينة من ربي وكذبتم به اي بذلك البيان والحجة السمعية اعني القرآن والعقلية وهي ما اتاه من المعجزات وقيل وكذبتم به يعني العذاب الذي وعدكم ويحتمل وكذبتم به اي بما وعدتكم من الجزاء في الآخرة بالاعمال في التوحيد امتنعتم عن ذلك ولم تصدقوه. وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به ؛ من العذاب ثم هذا يدل على انه قال لهم قولكم عند تخويفه اياهم الاية انه يراد بالجزاء العذاب والله اعلم اي ليس عندي ذلك انما ذلك الى الله وقوله تعالى ان الحكم الا لله يقضي الحق ؛ الاية اي ما الحكم والقضاء الا لله وقوله يقضي الحق وهو خير الفاصلين ؛ اختلف في تلاوته قرأ بعضهم يقضي بالضاد والياء فاخر وكل الضاد فمن قرأ بالصاد يقص اي يبين الحق لان القص هو البيان ومن قرأ بالضاد قال يقضي اي يحكم واختلف فيه قيل وقال بعضهم او يقضي الحق يحتمل ان فيه اضمارا اي يقضي بقضاء الحق او فعله وهو خير الفاصلين الفصل هو القضاء واحد لانه بالقضاء يفصل والله اعلم. وقوله تعالى قل لو ان عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم وعن ابن عباس رضي لو ان عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم ونزع الامر بيني وبينكم وقيل لقضي الامر بيني وبينكم اي لعجلته لكم بالقضاء فيما بيننا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب والله اعلم عن رحمة الله وحكمه اعلم كان لعجلنا بيني لارسلته عليكم وهو سلطه وهو بفضله ورحمته يؤخر ذلك عنكم ويمهلكم ثم فيه دلالة المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى لا يفعل بالعبد الا الاصلح له في الدين لانه قال قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم اخبر الله تعالى حتى اخبر انه لو كان عنده العذاب لعجل لهم ولارسله عليهم في الحال ولم يؤخر لكن الله تعالى يؤخر عنكم فلو كان تاخير العذاب هو مصلحة وانه واجب على الله تعالى على طريق الحكمة لم يحتمل ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم لو كان الامر بيدي لارسلت العذاب عليكم ولعذبتكم والمصلحة في التاخير وهي الحكمة التي يدعونها او يصف الله تعالى بانه دل ان الاصلح ليس بواجب على الله تعالى وانه يفعل ما يشاء ثم كان العذاب ارحم الا كيف وقد نص بين على ان التاخير شر لهم بقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وقوله والله عليم بالظالمين اي عليم بمن كان ذو عناد منهم من الظلمة ومن الظالم رشاد منهم. وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ؛ والله يعلم يحتمل ان يكون صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب وصلة قوله ما عندي ما تستعجلون به كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم ويسالونه اشياء من التوسع في الرزق وغير ذلك مما كان يعد لهم من الكرامة والمنزلة والسعة وكان يوعدهم العذاب ويخوفهم بالهلاك انهم يستعجلون ذلك منه ويطلبون منه فاوعدهم فقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ليس عندي ذلك لا يعلمها الا هو ثم المفاتح جمع المفتح ليس من المفتاح وجمع المفتاح مفاتيح والفتح يقال في النصر والمعونة يقال فتح الله على بلد كذا اي نصره وجعله غالبا عليهم ويقال ايضا فيما يحدث لشيء ويعلم فتح علينا على ولده فتح كذا اي علمه علم ذلك والله اعلم وقوله الامور او من عنده تستفاد ومن نصر او يكون نصره ومن علم او علما فانه يعلمه ومن وسع على احد رزقه فانما يوسعه بالله تعالى فهذا شبه يذكر في الاية والله اعلم وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر ؛ من الدواب وما اكن فيهما من ذوي الروح اجناسها وانواعها وعددها واوصافها لا يخفى عليه شيء من ذلك ويحتمل ان يعلم رزق ما في البحر والبر ويعلم حاجة كل شيء ثم يسوق الى كل من خلقه رزقه من غير تكلف ولا طلب منهم والله اعلم بالعباد منهم يعلم انه مما ضمن الخلق رزقهم يسوقها اليهم من غير تكلف منهم كما يسوق الى ما في البحر والبر من الدواب من غير طلب ولا تكلف فانه لا يضيق على بعضهم لاجل الرزق فانه الله

تضييق قلوبكم على ذلك وقد ضمن ذلك لكم كما ضمن لهم ويحتمل ما في البر والبحر من اختلاط الاقطار بعضها ببعض ومن يدخل البحر في البر ومن يدخل البر في البحر. وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ؛ وقوله تعالى ولا حبة في ظلمات الارض ؛ يقول ولا حبة تحت الصخرة التي في الارضين السبع وتحت الاحجار ونحوها يخرج منها على ما بينا انه لا مكان ما لا ما يشا كله يعلم باعمالكم ومقاصدكم فانه قال التحذير في كله دعوى على الظاهر في الدليل على ذلك انه كذلك يعلل انساق التدبير في كل شيء وائتلافه فيه دليل على وحدانية المدبر لانه لو كان اختلاف المدبرين يختلف التدبير فيختلف الاثار وعلى انه دلائل التوحيد قد قامت بحيث لا يبقى لاحد المسائل وانما ينكر من ينكر معاندة ومكابرة. وقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ؛ اختلف فيه قال بعضهم معناه ولا رطب ولا يابس اي جميع الاشياء محفوظة عنده معلوم له لا يخفى عليه شيء منها وقوله الا في كتاب يجازيهم به محفوظ عنده لان الحفظ في الشاهد يكون بالكتاب فاستعير الكتاب للحفظ يقول الرجل لآخر جميع ما كله مكتوب عندي يريد به الحفظ اي محفوظ عندي وقد كذلك هنا الظاهر في الامر الدنيا انه مكتوب حقيقة في كتاب ويحتمل الكتاب ههنا اهل التقدير والحكم اي كل ذلك بتقديري وحكمي وقيل المراد من الكتاب هو المكتوب حقيقة وهو في اللوح المحفوظ اي كله مثبت فيه وعن الحسن رضي انه قال ان الله تعالى يخرج كتابا في كل ليلة القدر ويدفع الى الملائكة وفيه مكتوب ما يكون في تلك السنة ليحفظوا على ما يكون او كلام نحو هذا. وقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقال بعض اهل الكلام ان لكل حاسة من حواس الحي روح يقبض عند النوم ثم يرد بالنهار سوى روح الحياة فانه لا يقبض ويقيمون بالارواح معاني هي تقوم بالحي من كون بها السمع والبصر والاخذ والمشي ما الشم سوى روح الحياة فان اثر الحياة لا غير فاما هذه المتاع من اثار هذه الارواح دليل في ان الحي قد يكون اصم بصيرا وقد يكون على عكسهما ولو كانت هذه اثار روح الحياة لما يتفق باختلاف الاحوال مع قيام روح الحياة في الاحوال كلها فثبت ان لكل حاسة من حواس النفس روحا على حدة يقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح يحيا بها النفس فانه لا يقبض ذلك الا عند انقضاء اجله وهو الموت وعلى هذا قالت الفلاسفة الحواس هي التي يدرك صور الاشياء باطنها وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار ففي هذه الاية دلالة انه ذكر الحكم في حال او خص في حال لا يدل على نفيه في حال اخرى الا ترى انه قال ويعلم ما جرحتم بالنهار وهذا لا يدل على انه لا يعلم ما يجرح بالليل بل يعلم ما يكون منا بالليل والنهار جميعا وكذلك قال يتوفاكم بالليل وهذا لا يوجب انه لا يتوفى بالنهار بل يكون ذلك الجرح بالنهار وكذلك التوفي بالليل لما كان الغالب يكون النوم بالليل والكسب بالنهار خرج بيانا لا الاغلب وهو كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقال وجعل النهار مبصرا ان يبصر فيه لانه لا يبصر في الليل ولكن ذكر النهار لان اكثر ما يبصر انما يكون بالنهار فعلى ذلك الاول وفيه دلالة ان النائم لا يخاطب في حال نومه حيث ذكر العبد فيما يجترحون بالنهار ولم يذكر بالليل بناء على الغالب. وقوله تعالى ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم ويرد الحكم اي روح الحواس ليقضى اجل مسمى اي منتهى العمر الى الموت يستدل انه تعالى قادر بعد ان يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم فيه على الاحياء بعد الموت على منكري البعث لانه بالنوم يذهب ارواح هذه الحواس ثم يرد اليها في النهار انه ساها الله كيف ينكرون البعث بعد الموت وانه لم يبق من اثر الحياة شيء وبعدما يبطل قولهم كيف يحيي العظام وهي رميم وما وقع لهم من الاعجوبة من جمع الاجزاء المتفرقة لان الاعجوبة في رد هذه الارواح الى الحواس بعد النوم اكثر من جمع الاجزاء المتفرقة بعد الموت فان في الشاهد من يجمع الاشياء التراب المتفرق فيجعله طينا ويرفع البناء من مكان ويضعه في موضع اخر غير ذلك من جمع بعض الى بعض وتركيب بعض على بعض ولا احد يقدر على رد واحد من هذه الاشياء الى الحواس بعد فواتها وذهابها ولان هذه الاشياء بعد ذهابها لا يبقى منها اثر والمستعان يبقى اجزاؤه يبقى حولهم واثارها فمن قدر على اعادة ذلك يقدر على اعادة هذا والله اعلم وقوله ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ؛ خرج هذا على الوعيد لتكونوا على حذر والله الموفق وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ؛ من حيث النظر يحتمل وجهين احدهما وهو القاهر فهو فوق عباده والثاني على التقديم والتاخير اي وهو فوق عباده القاهر يعني فوق عباده بالعظمة والرفعة والجلال ونفاذ السلطان والربوبية لا من حيث الجهة فانه ذكر الاستواء ولا يمدح بالعلو من حيث المكان فان احسن الكناس يكون على المكان وهو الحارس وانما يقع التمدح بالعلو من حيث صفاتها الكمال او يحتمل فوق عباده بالنصر لهم والمعونة والدفع عنهم كقوله تعالى يد الله فوق ايديهم اي بالنصر والمعونة ثم في هذه الاية بيان جميع ما يحتاج اليه اهل التوحيد في التوحيد لانه اخبر انه قاهر بخلقه وهم مقهورون تحت حكمه لانه لا يشبه القاهر المقهور القاهر لشيء ويكون المقهور من ذلك القاهر في معنى لانه لو كان شيئا من ذلك لم يكن قاهرا في جميع الوجوه ولا كان الخلق مقهورين من جميع الوجوه

واذا كان الله تعالى قاهرا بذاته للخلق كله حتى كانت اثار قهره فيهم ظاهرة واعلام سلطانه فيهم بادية دل
على بطلان الشبه والاشباه والاضداد وانما هو كما وصف ذاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله عز وجل
عليكم حفظة اخبر انه القاهر فوق عباده وانه يرسل عليكم الحفظة ليعلم ان ارسال الحفظة عليهم لا لحاجة
له ولكن الحاجة لهم في ذلك لما اخبر انه قاهر فوق عباده ولو كان ذلك لحاجة له لم يكن قاهرا لان كل من وقعت له
حاجة صار مقهورا وتحت تسلط حاجته فيتعالى الله تعالى على ان تمسه حاجة او يصيبه شيء مما يصيب الخلق بل انما يرسلهم
لحاجة الخلق اما امتحانا منه للحفظة على محافظة اعمال العباد وكتابتها من غير ان يقع له في ذلك حاجة او يمتحنهم
على ذلك تعالى يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن والتكليفات تحقيقا لما يريد منهم ووصفهم بالطاعة له في الاحوال
كلها بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي ذلك تعرفهم الاعمال والتناهي ليسلم لهم على حافظ
اعمالهم والكتابة عليهم ليكونوا على حذر من ذلك لان في ذلك زجرا ابلغ وذكر لان من علم ان عليه رقيبا في عمله
وعمله كان احذر في ذلك العمل وانظر فيه واحفظ له مما لم يكن عليه ذلك وان كان يعلم كل مسلم ان الله
تعالى عالم الغيب لا يخفى عليه شيء مما كان منهم وما يكون وانه كيف يكون ومتى يكون ثم اختلف في
الحفظة قال بعضهم هم الذين قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون يكتبون
اعمالهم ويحفظونها عليهم وقال بعضهم هم الذين يحفظون انفاس الخلق ويعدونها عليهم الى وقت انقضائها
وفنائها ثم يقبض منه الروح فيموت لا من الاسباب قال الكلبي رحمه الله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون
دل على ان الحفظة هم الذين يسلطون على حفظ الانفاس وعدها عليهم الى وقت الموت والله اعلم ●
وقوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ● اختلف في قوله توفته رسلنا قال بعضهم هو
ملك الموت الذي وكل بكم اخبر انه هو الموكل والمسلط على ذلك وقال الحسن يتوفاه الملك ملك الموت ينزع
الروح الى موضع الخروج ثم يقبضه ملك الموت وملائكة يقبض الانفس وينزع الارواح ولكن لا يدرى
كيفية ذلك وليس بنا الى معرفتها حاجة وهذه الاية تدل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانه ذكر
محي الموت والتوفي الى الرسل عليهم السلام قال الله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة ومحي الموت هو توفي الرسل
وتوفي الرسل هو محي الموت على زعمكم ان المتولد افعال العبد وحدثه بسبب مباشرة الاسباب فلما كان عندنا ذلك
التوفي ليس من افعال الرسل في الحقيقة لكن اضيف اليهم لوجود مباشرة الاسباب منهم فكذلك يجب
عليكم في ان الله تعالى اضاف خلق الموت الى نفسه بقوله هو الذي خلق الموت والحياة فدل انه خلق فعل
الذي هو صنيع العباد عندكم واحتمل بعضهم المتولد فيه في فعل الملك هو الذي ينزع الروح ويجمعه
في موضع ثم ان الله تعالى يتوفاه ويقبضه وهذا واشباهه لا نه اخبر ان التوفي من الرسل عليهم السلام ويحتمل
الموت يتوفى الرسل على ما قلتم لا يموتون بتوفي الرسل اياه لانهم اذا نزعوا الروح وجمعوا في موضع يريد ان تجاوز
الموضع فاذا لم يكن ذلك دل ان ذلك يحال الى الله الموت ● وقوله تعالى وهم لا يفرطون ● فيه اخبار عن شدة طاعة
الملائكة ربهم وان الملائكة لا يأخذهم فيما فيه تاخير امر الله تعالى وتفريطه لان من دخل على من يكون في النزع
يأخذه من الرافة ما لو ملك حياته لجعل له فاخبر عز وجل انهم لا يفرطون فيما امروا به ولا يؤخرونه لعظم
امر الله تعالى وشدة طاعتهم اياه وعلى ذلك وصفهم الله عز وجل بقوله غلاظ شداد لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقال لا يفترون ولا عن عبادته
ولا يستحسرون ● وقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ● ذكر الرد الى الله تعالى وانه مولاهم الحق في الدنيا
والاخرة وهو كقوله وبرزوا لله جميعا وكذلك قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وان كان الملك له في
الاوقات كلها ولكن لما كانوا اضافوا الملك اليهم وغيره ذلك عنهم في ذلك اليوم مخلصا وذهم وردهم
الى الله تعالى الصانع لذلك الملك خص ذلك بالاضافة اليه وكذلك كان الملك له في الدنيا والاخرة وفي الاوقات
كلها خالصة لكن نازع غيره في الملك في الدنيا ولا يعاندنا زعه في ذلك اليوم فقال الله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار فكذلك في قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق كان مولاهم الحق في الاوقات وفي الاحوال كلها ولكن
عند ذلك يقع الشك عنهم ويظهر لهم يقينا انه كان مولاهم ويحتمل قوله ثم ردوا الى الله اي ردوا الى الحكم
وما فيهم او يصير الى الجنة والنار ● وقوله تعالى الا له الحكم ● اي قضاء الموت والحياة وقبض الارواح وفي
الانفس ويحتمل ان له الحكم في التعذيب في النار والاثابة في الجنة ليس للتوابع والمعارف ليس يرفع ذلك
عنهم دافع سواه ولكنا نعرف الحكم احد ● وقوله تعالى وهو اسرع الحاسبين ● قال الحسن رضي الله عنه اسرع
العقاب لانه انما يحاسب ليعذب على ما روي في الخبر من نوقش في الحساب عذب وقيل وهو اسرع الحاسبين
لانه لا يحاسب عن تفكر وتأمل ولا يشغله شيء عن شيء فانما غيره فانما يحاسبون عن حفظ وعن تفكر ويشغله

حسابه عن حساب ● وقوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ● ليس هذا على الامر بالقول لا غير لكن على الطلبة
منهم والالزام عليهم كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر
بالسير بنفسه ولكن على الامر بالاعتبار باولئك الذين كانوا من قبل والنظر في اثارهم وعلاماتهم انه كيف
صاروا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام كما ذلك اصابهم بذلك فعلى ذلك هذا الامر بالطلبة منهم والحجة
انه من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الهتكم التي تعبدون من دون الله وتشركونها في الوهيته وربوبيته او
الذي خلقكم حتى قالوا الله الذي ينجينا من ذلك فان لم يقولوا ذلك فقل الله ينجيكم منها ومن كل كرب فاذا
كان هو الذي ينجيكم من هذا لا الهتكم التي تعبدونها وكذلك هو الذي ينجيكم من كل كرب ومن كل شدة
فلماذا تعبدون من دون الله تعالى وتشركونها اياه في الالوهية ويحتمل قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
اي لا احد ينجيكم من ظلمات البر والبحر كقوله ومن اظلم اي لا احد اظلم انكم تخافون على الهتكم الهلاك
كما تخافون على انفسكم ولا احد سواه ينجيكم من ذلك ومن كل كرب وقال ابو بكر الكيساني رحمه الله عرفوا
في الدنيا انه هو الذي ينجيهم من كله وهو الذي يعطيهم ما اعطى اياهم واما نعمه عليهم الحجج فلم يعرفوا انه هو الذي ينجيهم
في الاخرة فقد عرفوا الله تعالى هكذا في الدنيا لم يعرفوا في الاخرة فبين الله تعالى انه لما كان هو الذي ينجيكم
من ظلمات البر والبحر ومن كل شدة في الدنيا فكذا ينجيكم من كل شدة وكرب في الاخرة متى امنتم به وتركتم
الاشراك في الالوهية والعبادة ثم اختلف في ظلمات البر والبحر قال بعضهم الظلمات اراد بها الشدائد التي
التي تصيبكم بالسلوك في البر والبحر دون نفس الظلمات لكنه كني عن الشدائد بالظلمات وقال اخرون اراد بها
نفس الظلمات لان اسفار التجار والغزاة انما يقطع باعلام السماء فاذا اظلمت السماء بقوا متحيرين لا يدرون
الى اي ناحية يسلكون ومن اي طريق يأخذون فعند ذلك يدعون الله تضرعا وخفية كما قال تدعونه
تضرعا وخفية هو الخوف وقال الكلبي رحمه الله في خفض وسكون وتضرع الى الله تعالى ● وقوله تعالى لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين ● قال ابو بكر رضي الله عنه لنكونن من الشاكرين اي لا نوجه الشكر الى غيرك والشكر ههنا
هو التوحيد معناه لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الموحدين بك من بعد لانهم كانوا يوحدون الله تعالى
في ذلك الوقت لكنهم اذا انجاهم من ذلك اشركوا غيره في العبادة وفي الالوهية الا ترى الى قوله قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون وقوله ثم انتم تشركون اي ثم انتم تشركون بعد علمكم بان الاصنام التي كنتم تعبدونها
لا تملك الشفاعة لكم ولا النجاة لكم ولم تنفع عنكم شيئا فذكر الله تعالى سفههم في عبادة الاصنام على علم منهم
انها لا تنفع لهم ولا تملك لدفع شيء عنهم وهذا هو السفه ان يفعل المرء الامر الذي لا عاقبة له الا الضرر قاصدا من غير
غرض وعاقبة حميدة ● وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم باس بعض ● اختلف في نزول الاية فيمن نزلت وفي تاويلها قال بعضهم نزلت في
مشركي العرب وهو قول ابي بكر الاصم رحمه الله وقال الاخرون نزلت في اهل الشرك من ذلك قوله تعالى قل لا اقول لكم
عندي خزائن الله وقوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الاية وقوله وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم
حفظة الى قوله الى الله مولاهم الحق ونحوها فهذه الايات كلها في اهل الشرك فكذلك هذه لانها نزلت على
اثرها ولان سورة الانعام نزلت كلها في محاجة اهل الكتاب لانه يذكر فيها قل يا اهل الكتاب ثم قال هو
انما ذكر في الاية من انواع العذاب قد كان كله في اشياعهم من قبل اما العذاب من الفوق هو الحصب بالحجارة
كما فعل بقوم لوط عليه السلام ومن تحت ارجلهم وهو الخسف كما فعل بقارون ومن معه وقوله او يلبسكم
شيعا يقول يجعلكم فرقا واحزابا وكانت اليهود والنصارى فرقا مختلفة اليهود فرق والنصارى كذلك كما
قال تعالى فالقينا بينهم العداوة وقال فاغرينا بينهم العداوة وقوله ويذيق بعضكم باس بعض هو الحرب
والقتال وقال قوم بان الاية نزلت في اهل الاسلام وهو قول ابي بن كعب رضي الله عنه فانه روي عنه انه قال هي اربع
العقوبة المذكورة في الاية هو اربع منهن ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا شيعا واذيق
بعضهم باس بعض لما لبس شيعا الاهواء المختلفة واما ذوق بعضهم باس بعض هو السيف والقتل هما
الثنتان مما كان في المسلمين وبقيت ثنتان لابد واقعتان وعن الحسن رضي الله عنه كانت ثنتان في المشركين واهل الكتاب
هما الخسف في الارض والحجارة من السماء وثنتان في اهل الاسلام وهو القتل والفتن وعن ابن عباس رضي الله عنهما في
الاية قال عذابا من فوقكم اي من امرائكم ومن تحت اي من اسفلكم او من تحت ارجلكم اي من سفلتكم لان الفتن نحوها
انما تهيج من الامراء الجابرة ومن سفلتهم وقوله او يلبسكم شيعا قال الاهواء المختلفة وقوله ويذيق بعضكم
باس بعض اي يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب ويحتمل قوله عذابا من فوقكم اي عذابا من السماء
ارسلها عليهم لانهم قد اقروا انه هو الذي رفع السماء فمن قدر على رفع شيء يقدر على ارساله وقوله او من تحت ارجلكم

هي على الأرض والخسف بهم لأنهم عرفوا أنه هو الذي بسط الأرض ومن ملك بسط شيء ملك طيه والخسف بهم وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون قال أي كيف نردد الآيات ليعلم كل من وجوه ويحتمل كيف نصرف الآيات ليعلم كل صدقها وحقيقتها أنها من الله جل وعلا ويحتمل نصرف الآيات أي نصرفها من رسول وسلفه الى خليفته أو انظروا فيها أو يأمر لعلهم يفقهون تعلقت المعتزلة بهذه الآية على أن الله تعالى لا يريد شيئا لا يوجد فإنه قال لعلهم يفقهون ولعل من الله للتحقيق لا للترجية بيانا أنه أراد منهم أن يفقهوا لحكمة ثم وحكمه الفقه والعلم من البعض دون البعض وقيل الآية تحتمل وجوها أحدها أصرفها ليفقهوا حقيقة الفقه وليعلم وذلك إلى المؤمنين خاصة وإن كانت الآية عامة بصيغتها والثاني لعلهم يفقهون أي ليلزمهم أن يفقهوا لأنه الزم الكل أن يفقهوا لكن من لم يفقه إنما لم يفقه لأنه لم ينظر ولم يتأمل فعطل تعيين الاستحقاق وذلك كقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فإذا نبه حقيقة العبادة يكون الآية نصا في المؤمنين خاصة وإن كانت عامة وإن المراد بها إيجاب العبادة والتحقيق الأمر بها فهذه مثله والثالث أي لينتفع المتأملون منهم المستدلون بالآيات وفي الآية دلالة على خلق أفعال العباد من الله تعالى لأنه قال أو يلبسكم شيعا أي فرقا مختلفة في الأهواء والمذاهب وهم يقولون يختلفون ويفترقون بأنفسهم وكذا الخبر أنه يذيق بعضهم بأس بعض وهم يقولون إنه لا يذيق ولكن ذلك القاتل أو الضارب وإنما المعذب يذيقهم العذاب دون رب العالمين فكونوا منهم ظاهر الآية وذلك مثل قوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وهم يقولون لو كان الله تعالى لا يعذب ولكن الخلق هم يعذبونهم دونه وكذلك قال أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وهم يقولون هؤلاء تملك تعذيبهم ولا يوصف بالقدرة على تعذيبهم بفعل العباد فتكون منابذ الظاهر الكتاب ولكن نقول إن القتل والضرب والحرب اعتقاد لاعتقاد لأهوائه مختلفة كانت من العباد بوجدانها إلا أنهم وما أصاب الله تعالى إياها إلى نفسه دلالة أن له صنعا في أفعالهم وهو خلقها أو إيجادها فيكون على انتظام الكتاب والله الموفق وقوله تعالى وكذب به قومك أي بما كان من عند الله أعلم وقوله تعالى وهو الحق يحتمل أن الحق صفة فادخل تحت الهاء في قوله وكذب به قومك على اختلاف المتأولين ويحتمل أي الحق عليهم أن يقبلوا ذلك إلا أن كذبوا أو يحتمل وكذب به قومك وهو الحق أي وهم أحق أن يصدقوا بما جئت به وأتباعهم لأنك نشأت بين أظهرهم فلم يأخذوا عليك كذبا قط ولا رأوك أن تختلف إلى أحد يعلمك فهم أحق أن يصدقوا بما جئت به والله أعلم وقوله تعالى قل لست عليكم بوكيل قال بعض أهل التأويل الوكيل الحفيظ والوكيل هو القائم في الأمر ومعناه بل إني لست بقائم عليكم لأكرهكم على التوحيد والإيمان شئتم أو أبيتم ولست بحافظ على أعمالكم وإنما علي التبليغ فقط وهو كقوله ما على الرسول إلا البلاغ وقوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال بعضهم لكل أمر حقيقة وقيل لكل خبر عاقبة تنتهي إليها ويحتمل أن يكون هذا أصله قوله قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر أي لست عليكم بوكيل ولكن لكل نبأ مستقر في أن أغنم أموالكم وأسبي ذراريكم وهو قوله لست عليكم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر وقوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره يشبه أن يكون قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي يكفرون بها أو يستهزؤون بها كما قال في سورة النساء مفسرا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا فيكون خوضهم في الآيات الكفر بها والاستهزاء بها ويكون قوله فأعرض عنهم أي لا تقعد معهم كما قال في تلك السورة فلا تقعدوا معهم إنكم إذا مثلهم فيحتمل الإعراض عنهم ترك القعود معهم ويحتمل الإعراض الصفح عنهم وترك المجازاة لما يؤذيهم كقوله فاصفح عنهم وقل سلام وكقوله فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا فيكون مأمورا بالكف عن المجازاة مع التبليغ ثم النهي والإعراض عن القعود مع الكفرة يحتمل وجوها أحدها أن يخرج أن المسلمين أهل النفاق يجالسون الكفار ويستهزؤون بالآيات ويكفرون بالآيات ويكفرون بها فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالسة الكفار ليتوقع أهل النفاق عن مجالستهم لأنهم كانوا يظهرون الإيمان نفاقا كراهة استهزاء والثاني أنه نهى المؤمنين عن مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم لما أنه كان بينهم قرابة وصداقة فإذا عرفوا أنهم منعوا عن مجالستهم بسبب ما يحدث منهم من الاستهزاء فيمتنعون عن الاستهزاء حياء من أقاربهم وأصدقائهم أن المنع عما كان بسببهم ويحتمل أن يخاف الكفار أن يخرج في الناس ترك مجالسة المؤمنين وأن لا يبقى لهم ذلك فيمتنعوا عن الاستهزاء بالآيات وبرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تدل على أنه يجب علينا ترك مجالسة الملحدين وسائر الكفار عند إظهارهم الكفر والشرك وما لا يجوز على الله تعالى إذا لم يمكننا قدرة على ردهم ولا يمكنا الإنكار عليهم باليد واللسان

لأن

لأن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك أمر وعلينا الاتباع له فيما أمر الله تعالى به وفيما فعله بنفسه لأن في مجالستهم معهم في هذه الحالة يرجع إلى الاستخفاف بالدين ويصير كأنه هو الذي حملهم على ذلك أو بسبب حضورهم يستهزئون وقوله وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين معناه أن الشيطان إذا أتاك إذا اشتغلت ببعض الشغل عن القعود معهم فقعدت فإنك ناسي الذكر فلا شيء عليك في تلك الحال ولكن لا تقعد بعد ما تذكرت نهي الله تعالى عن القعود مع القوم الظالمين وقيل معناه ولا يكون بالحال الذي يجد الشيطان إليك سبيلا فتكون مأمورا بمراقبة نفسه حتى لا يوقعه الشيطان إليك سبيلا فتكون مأمورا بمراقبة نفسه حتى لا يوقعه الشيطان في شيء لم يؤمر به وكان النهي عن مجالستهم ليس للجلوس نفسه ولكن لما ذكرنا من خوضهم في آيات الله بالاستهزاء والكفر بها حتى إذا كان لم يمكنه الإنكار عليهم في صنيعهم ودفعهم إلى الحق لا ينهى عن ذلك لو أمر به ولكن لما كان لا قدرة له على الإنكار عليهم يصير جلوسه معهم كالحامل لهم على الاستهزاء بآيات الله تعالى والاستخفاف بها الشنعة فنهاه الرب عن ذلك وهذا كما نهانا عن سب الذين يدعون من دون الله ليسبوا الله حرام نفسه لا يجوز لنا أن ننسبهم لكن لما كان ذلك سببا إياهم حاملا على سب الله تعالى نهانا في الحاصل عن التسبب لسب الله تعالى والله أعلم وقوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قيل فيه رخصة الجلوس معهم وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء ثم نسخ ذلك بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ويحتمل الآية منه في حالة النسيان الإمكان قال لعل بحذر كذا ولعلهم يتقون وقوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي ذر الذين اتخذوا النصارى واليهود دينهم حتى لا يبالون اللهو واللعب لأن الذين اتخذوا للأمر على ذلك ذلك اللعب واللهو لا يكون إلا الذين ويحتمل اتخذوا دينهم الذي كانوا عليه لعبا سمي ذلك لعبا لوجوه أحدها أن دينهم عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر ولا يعلم وفي عندنا شيئا هذا وصفه واتخذوا إلها واعتقدوا حقا فهو عابث لاعب والثاني اتخذوا دينهم ما هويته أنفسهم ودعاهم الشيطان إليه ومن اتخذ دينه هوى نفسه إليه وما دعاه الشيطان إليه فهو عابث لاعب والثالث أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث والجنة والنار فصار دينهم لعبا ولهوا لما أنه لا عاقبة له حميدة ومن لم يقصد بدينه الذي دان به عاقبة حميدة فهو عابث لاعب فإن البعث كل ما عاقبة له حميدة قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون بين أنه لو لم يكن لهم الرجوع إليه ليجازيهم بالإحسان إحسانا وبالسيئة مثلها يكون إنشاؤه وخلقه إياهم عبثا وباطلا وقال وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الآية والله الموفق وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا أي شغلهم ما اختاروا من الحياة الدنيا واللذات عن النظر في الآيات والحجج ويحتمل وغرتهم الحياة الدنيا أي غروا بالحياة الدنيا أضاف التغرير إلى الحياة الدنيا لما أنهم غروا بها وقوله تعالى وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت قيل وذكر كلا تبسل نفس بما كسبت أي ما يذكرهم هنا لئلا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين ثم اختلف في قوله أن تبسل نفس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أن تفضح نفس بما كسبت قال بعضهم أن تحبس والحبس وهو قول قتادة رضي وكذلك قال في قوله أبسلوا بما كسبوا عن ابن عباس رضي فضحوا وعن قتادة حبسوا وقال الحسن ومجاهد رضي تبسل أي تسلم وقال أبو عوسجة رضي تبسل أي تسلم وذلك أن الرجل يجني جناية فيسلم إلى أهل الجناية وقال القتبي رضي تبسل أي تسلم إلى أهل الجناية المهلكة وعن الكسائي رحمه الله تبسل أي تجزى وكل نفس بما كسبت وأصل الإبسال هو الإسلام إلى الإهلاك إذ الإسلام إلى الجناية هو الإهلاك إذا لا إسلام إلى الجناية هو الإهلاك وقال القتبي تبسل يقال أسد باسل لأن فريسته مرتهنة وأصله ما ذكرنا فإن تفسيرهم كان على أثر هو قوله ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع كما يكون بعضهم شفيعا لبعض في الدنيا أعوانا لهم وأنصارا في دفع المضار وطلب المنافع حين ما يمكن فأما في الآخرة فإن كل نفس تسلم بما كسبت ولا شفيع لها ولا ولي كقوله يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه الآية وقال الذين سعوا لو أن لنا كرة الآية ونحو ذلك ويحتمل فذكر به أي القرآن أو بالآيات ويحتمل أي بالله تعالى كل نفس بما كسبت وقال قتادة رضي الله عنه هذه الآية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين وقال مجاهد رضي ليست بمنسوخة لكنه على وجه التهديد كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وقوله تعالى وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اختلف في تأويله قال بعضهم العدل الفداء فإن تعدت كل نفس كل الفداء لتتخلص عما حل بها لم يؤخذ منها بعد منها وقال الحسن رضي العدل كل عمل البر والخير فإن عملت نفس كل البر والخير من التوبة والفداء لم يقبل منها ذلك لأن الله تعالى الآخرة ليست بدار عمل ولا يقبل فيها الرشى كما يقبل في الدنيا ولا يكون فيها شفعاء يشفعون لهم ولا أولياء ينصرونهم كالدنيا لأن من أخذ شيئا فيها أو حل به عذاب أو

اصابه بجريرته فانها يدفع باحدى هذه الخصال الثلاث اما بشفعاء يشفعون له او باولياء ينصرونه او ما يبذل
فاخبر ان دار الاخرة ليست كدار الدنيا في هذه المعاني فان قيل ما معنى رد العدل والفداء من الله تعالى وليس عند
احد في الاخرة ما يفدي ولا يبذل ولا يمكن من العمل الذي هي ليست بدار عمل قيل معناه والله اعلم لو يمكنهم من
ما يفدون نفوسهم بجميع ذلك عن انفسهم بالفداء الا انها لا توجد ولو تمكنوا من العمل لم يقبل ذلك منهم وقوله تعالى
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا قد ذكرنا الاختلاف في الابسال وهو الاسلام يسلمون بما كسبوا لا يكون
لهم شفعاء ولا تقبل منهم الفدى وقوله تعالى لهم شراب من حميم قيل الحميم هو الماء الحار الذي قد انتهى حره
بحيث يغلي ما في البطون لو وصل اليه فشبه ان يكون لهم من الشراب ما ذكر لما تناولوا في الدنيا من الشراب المحرم
فكان لهم في الاخرة الحميم والعذاب الاليم بما اعطوا انفسهم في الدنيا من الشهوات واللذات ذلك والله اعلم
وقوله تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكونوا دعوا اولئك
الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا الى عبادة الاصنام التي كانوا يعبدونها فقال
الله تعالى له عند ذلك قل اندعوا من دون الله اي قل لهم انعبد من دون الله تعالى ما لا ينفعنا ولا يضرنا ان عبدناها
الله الذي يملك نفعنا وضرنا ويحتمل ان اهل الكفر كانوا يدعون اهل الاسلام ويحدثهم الى عبادة الاوثان ويدعو
النبي صلى الله عليه وسلم اما اطماعا لهم في شيء يبذلونهم ليرجعوا الى عبادة الاوثان عن عبادة الرحمن ويخوفنا
منهم باهم فقال الله تعالى قل يا محمد لهم اندعوا من دون الله ما لا يملك نفعنا ان عبدنا ولا يملك ضرنا ان تركنا
عبادته وعن ابن عباس رض قال الضحى في قوله اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذا مثل ضربه الله تعالى للالهة
التي عبدوها ومن يدعوا اليها والدعاة الذين يدعون الى الله تعالى والى عبادته كانه قال تعالى مثل الذين يدعون
من دون الله الذي لا ينفعهم ولا يضرهم ويردون على اعقابهم اي يرجعون الى الكفر والشرك بعدما هداهم الله
كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين والغيلان في الارض واصحابه على الطريق
فجعلوا يدعونه اليهم ويناديه مناديهم ان هلم يا فلان الى الطريق فانا على الطريق فلم يأتهم فذلك مثل من يتبع
الى الكفر بعد المعرفة بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ومحمد واصحابه يدعونه الى الطريق وهو الهدى ويدعونه
الى الهدى ائتنا وقد استهوته الشياطين في الارض حيران فلما اتاهم فيبقى في الضلال ويحتمل ان يكون
قوله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا عام في كل زمان لم يكن
يخص باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانه ما من احد مشرك او مؤمن الا وله اصحاب يدعونه اما المؤمن فله اصحاب
من الملائكة يدعونه الى الهدى واما الكافر فله اصحاب من الشياطين يدعونه الى الشرك هذا اشبه ويحتمل
على اهل الكتاب بل حمله على ما ذكرنا من محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وقال قتادة
هذه خصومة وحجة علمها الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاصم بها اهل الشرك لان سورة الانعام
نزلت اكثرها في مخاصمة اهل الشرك والله اعلم وقوله تعالى ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله اي نرجع
الايمان الى الشرك والكفر بعدما اعطانا الله الهدى وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين عن ابن عباس رض
استهوته اي اضلته وقال ابو عوسجة اي ذهبت به وقيل استهوته اي اوقعته في الهوة وهي المهلكة يقال استهوته
واهوته اذا دعوته الى الهلاك واوقعته فيه وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم
لنسلم لرب العالمين قيل هذا حجة قوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا وامرنا لنسلم لرب
العالمين ولنقيم الصلاة ولنتقيه وقال بعضهم على الصلة والثناء على شيء سبق كل على الابتداء امرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قيل اي خلقهما بالحق والحكمة لا باطلا عبثا كقوله وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا اخبر انه لم يخلقهما باطلا ولكن خلقهما بالحق ويحتمل وجوها قيل خلقهما بالحق
اي خلقهما للعاقبة لان كل امر لا عاقبة له فهو باطل ليس بحق وانما خلق السموات والارض وما بينهما للعاقبة
وذلك الامر عظيم وذلك كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قوله بالحق اي خلقهما لحق
الممتحنين فيهما ومحنة سكانهما ولم يخلقهما لغير شيء وقيل بالحق اي بالحكمة من نظر فيهما وتدبر دله على ان لهما
خالقا ومدبرا وان مدبرهما وخالقهما واحد واذا كان كذلك وكان خلقهما بالحق اي بالحكمة والعلم وقوله تعالى
ويوم يقول كن فيكون قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله كن هو اوجز كلام في لسان العرب يعبر به فهم منه اذ كان
من الله تعالى كاف او نون لكنه ذكر والله اعلم ليعلموا انه ليس عليه شيء في خلق الانشاء والاحياء بعد الموت
كما لم يكن على الخلق في التكلم بكن مؤونة ولا صعوبة والثاني ذكر قوله كن فيكون ليعرف به سرعة نفاذ الساعة
بقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب يخبر بسرعة نفاذ البعث

والبعث وذلك ان الرجل قد يلمح البصر وهو لا يشعر به فعلى ذلك القيامة تقوم وهم لا يشعرون والثالث ذكر
والله اعلم لان البعث بعد الموت والاحياء اعادة والاعادة للشيء عندكم اهون من ابتداء انشائه وعلى ذلك يخرج
قوله تعالى وهو اهون عليه اي هو اهون في عقولكم عندكم وقوله الحق اي يحتمل البعث بعد الموت حق على ما اخبر ويحتمل
ان ذلك القول منه حق حتى يكون كما قال الحق وقوله تعالى وله الملك اي ملك ذلك اليوم وهو كقوله لمن الملك
يومئذ لله ذكر هذا والله اعلم لما لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم وقد نازعه الجبابرة في الملك في الدنيا
وان لم يكن لهم ملك ولا الوهية ويحتمل قوله وله الملك اي ملك جميع الملوك في الحقيقة وهو كقوله قل اللهم
مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الاية وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي يدخل الروح في البدن لا
ان الروح جسم لطيف وهو الريح فانما يدخل الروح بالنفخ قال الله تعالى فنفخنا فيه من روحنا فكذلك قال ينفخ في
الصور وقيل لا يكون هناك نفخ في الحقيقة ولكن ذكر النفخ في الصور عبارة عن سرعة نفاذ الساعة لان الرجل
قد يتنفس ولا يشعر به لانه ليس شيء اسرع جريانا ونفاذا من الريح فاستعمل ذكر النفخ عن السرعة وقال بعضهم
هو على حقيقة النفخ وقوله في الصور قال بعضهم هو صور الخلق والصور اصله الصور الا انه يخفف بمنزلة
الاذن والاذن والاكل قال بعضهم الصور القرن ينفخ فيه اسرافيل ع م وليس لنا الى معرفة تحقيقه ذلك
حاجة سوى ما ان فيه اخبارا عن سرعة نفاذ الساعة والبعث وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي يعلم
ما يغيب عن الخلق بعضهم بعضا والشهادة ما شهد بعضهم بعضا ويحتمل عالم الغيب اي يعلم ما يكون
اذا كان وشهد عن انه لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه وقوله تعالى وهو الحكيم الخبير اي الحكيم في خلق السموات
والارض وخلق ما بينهما والحكيم هو واضع الشيء موضعه الخبير على كل شيء وقوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه
ازر هو اسم ابي ابرهيم عليه السلام والحسن رض يقرا بالرفع ازر ويجعله اسم ابيه كان تقديره واذ قال
ابرهيم لابيه يا ازر اتتخذ اصناما الهة وقال اخرون هو اسم صنم فهو على التقديم والتاخير كانه قال واذ قال
ابرهيم لابيه اتتخذ ازر اصناما الهة وقال ابو بكر الكيساني رح ازر وهو اسم عيب عندهم كانه قال لابيه يا ضال
اتتخذ اصناما الهة وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة ان ازر اسم ابيه او اسم صنم وفي الاية دلالة ان اباه كان من
رؤساء قومه بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين وفيه دلالة انه لا باس للرجل ان ينسب اباه الى القبح
ويشتمه اذا كان به حق لان ابرهيم عليه السلام سماه ضالا بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين وفيه
دلالة ان الايمان والتوحيد يلزم اهل الفترة في حال الفترة بمجرد العقل لان ابرهيم عليه السلام سماه ضالا
ولم يكن في ذلك الوقت رسول انما بعث رسولا من بعد والله اعلم وقوله تعالى اتتخذ اصناما الهة استعظاما
منه لما يعبد من الاصنام لان مثل هذا انما يقال على التعظيم من الفعل وقوله تعالى اني اراك وقومك
في ضلال مبين اي ضلال لا اشك انه ضلال لكم لانتقالكم يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا وقوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض حرف كذلك لا يذكر الا على تقدم
شيء وكان معناه والله اعلم كما اريناك يا محمد ملكوت السموات والارض والايات والحجج اي علمناك كذلك
كذلك كما اريناه ابرهيم عليه السلام من قبل ومن بعد عجائب اياتنا وذلك جائز في اللغة وقوله ملكوت السموات والارض
اختلف فيه قال بعضهم سلطان السموات والارض وقيل الشمس والقمر والكواكب وقيل فرجت له السموات
السبع حتى نظر الى ما تحت العرش وما فيهن وكذلك فرجت الارضون حتى راى ما فيهن وقيل ان ابرهيم عليه السلام
خبئ من الجبابرة في سرب فجعل الله تعالى رزقه في اصابعه فاذا مص اصبعا من اصابعه وجد فيها رزقا فلما
خرج اراه الله تعالى الشمس والقمر فكان ذلك ملكوت السموات واما ملكوت الارض فالجبال والبحار والاشجار وقيل
نظر الى ملك الله في السموات حتى نظر الى مكانه وراى الجنة وفرجت الارضون حتى راى الى اسفل الارضين وذلك
قوله واتيناه اجره في الدنيا قيل اراه مكانه في الجنة وقيل احسن الينا وقال ابو عوسجة رض ملكوت السموات والارض
من الملك وقال ابو عبيدة رض كذلك وهو كجبروت ورهبوت ورحموت من الجبر والرهبة والرحمة كذلك ملكوت
واصله ما ذكرنا انها عبارة عما ذكر من الايات والعجائب وقوله تعالى وليكون من الموقنين الايقان بالشيء هو العلم
بالشيء حقيقة بعد الاستدلال والنظر فيه والتدبر ولهذا لا يجوز ان يقال لله تعالى موقن لانه هو يعلم الذي
نعلم بالاستدلال وذلك معنى عندهم قوله وكذلك نري ابرهيم يخرج على وجهين احدهما كما اريناك ما اثبتنا به
ربوبيته تعالى وانه هو الواحد لا شريك له من الايات والدلالات اريناه ابرهيم عليه السلام حتى تيقن فهو والله اعلم على التسق
من الاسباب الدالة على وحدانية الله تعالى والربوبية من حيث المعنى وان كانت الاسباب مختلفة والثاني نظير طريق
الاستدلال على الله تعالى من الادلة لا السمع والحس وان كان في حجة السمع تاكيد والله اعلم وكذلك في معنى قوله وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض اي كما اريناك من الحجج ما اظهرت على قومك كذلك اريناه ابرهيم عليه السلام من

من الحجج التي نطق بها لسانه وأظهر على قومه قطعاً للعذر عنهم وإلزاماً للحجة عليهم وكذلك قوله تعالى وتلك حجتنا
آتيناها ابراهيم على قومه الآية والله أعلم ثم اختلف في وجه ذلك فمنهم من قال أراهما أي ما فيهما من العجائب
والآيات الى العرش وتحت ما أراد الله تعالى والأرض حتى أرى ما فيها من العجائب والآيات وأنواع الخلق الى الذي
أوحيت بلغ ومنهم من قال رفع الى السماء حتى كانت الأرض بما فيها له رأي العين فكانت لا يصلح عليه مثل
هذا من الأمور نحو صيرورة النار برداً وسلاماً عليه أما المعجزة الحسية لا تصنع ولا تدع ومما يحمل ذلك
من أصابه وأمر بلوغ صوته في قوله وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً الى الناس والله أعلم وقال بعضهم هو
ما أرى بنظر قلبه من وجه العبر وأنواع الأدلة عند التأمل في خلق الله تعالى بالفكر من غير أن كان في الخلق
تغيير عن الأحوال التي كانت عليه على ما يتغير على بعض العادة بطريق المعجزة وهو حق من أن يكون له في الذي
كان كفاية من حدوث أحوال بعض نقض العادة تدل على التوحيد إذ هي حجج الله تعالى مستدل على توحيده
من الوجه الذي جعل لجميع الخلق لا من جهة خصوصاً بأن يعنيناً إذ ذلك كان له بهذا الوجه وهو يحتج على قومه
منها ما رأى من تسخير الشمس والقمر والنجوم وقطعها في كل يوم وليلة أطراف السماء والأرض جميعاً وسيرها
تحت الأرض الى أن تعود الى مطلعه كتبين كل ذلك ما فوق الأرض الى السماء واستواء الحال في ذلك على ما عليه
حد في كل عام وشهر لا تزاد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر مع عظم ما بهما من المنافع لأنواع ما دون الأرض
والطين جميعاً ما يوقن كل متأمل أن مثل هذا لا يعمل بالطبائع الا أن يكون له مدبر حكيم جعل له ذلك
وسواه على ما شاهد من الحد أن لا يتسق الأمر على هذا التدبير والحكمة الا أن يكون مدبر ذلك بحيث لا يحتاج
الى معين ولا يجوز أن يكون له فيه منازع ثم هو بذاته عليم مدبر وما في الأرض من تدبير الليل والنهار
يتعاقبان أبداً ويستتران ويقهران ما فيهما من الجبابرة والفراعنة حتى لو اجتهد جميع أهل الأرض على
زيادة نحو لحظ أو نقص أو تقديم أو تأخير لما ألهمهم الحاجة الى ما فيهما من القدرة والقوة مع مساعدة
جميع الخلق لهم في ذلك لم يستتب لهم ولا يبلغهم توهم أحد في ذلك حتى يصير عند وجود كل كان الآخر لم يكن
قط ثم عند العود اليهم كأنه لم يفارقهم قط مع ما يجمع أهل الأرض بهما من المنافع عليهم فيهما من أنواع
المضار ولهما سلطان على أعمارهم على ما فيهما من التسخير والتذليل الذي كل واحد منهم مقهور بالآخر إذا
جاء سلطانه وبلغ حده وليس في واحد منهما امتناع عن قهر الآخر إذا كان هو الظاهر القوي حتى يجري جميعاً
على حد واحد وسنن واحد لا لأحد على ذلك ما دل عليه الأول معاً فيهما من أثر البعث إذ ظاهر لا يحتمل أن
يجهله الا سفيه معاند والله أعلم ثم النور والظلمة والظل والحر والذي يبسط بساحة جميع أطراف
السماء والأرض يسير ويحل كل شيء ويندي ويخرج كل شيء ويحيط بالذي كل شيء ثم تتعلق منافع الأهل بهما
على اختلافهما وبالسماء والأرض على ما تباعد بينهما وبالسهل والجبل والبر والبحر على تضاد معناهما وعلى
جميع الأمور فكان ما صلوات الله عليه مما أرى من هذا المعنى وغيره من الموقنين أن لا اله الا الله وحده وأن كل
شيء ينسب اليه الألوهية محال أن يكون فيه وله امكان ذلك ولا قوة الا بالله وقوله تعالى فلما جن عليه الليل
رأى كوكباً هذا ربي الى قوله وما أنا من المشركين تكلم أهل التأويل في تأويل الآية على وجوه ثلاثة فمنهم
من جعل الأمر على ما عليه من الظاهر أنه عن غاية في حق المعرفة الى أن عرف من الوجه الذي بان له فيه الفراغ
من آخر ما نسب اليه الربوبية أنه لا يعرف من جهة تدرك الحواس ووقوعها عليه لكن من جهة الآيات
المعقل فقال اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين
ولكن أهل هذا القول اختلفوا على وجوه ثلاثة أحدها ما روي في التفسير أن ابتداء أمره أن نمرود
لما أخبرته الكهنة والمنجمون أنه في تلك السنة غلام يفسد آلهة أهل الأرض ويدعوهم الى غير دينهم ويكون زوال
عن أهل بيتك على يديه وكان أمر بقتل كل غلام يولد في تلك السنة ... ذات يوم يا أماه من
قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت
أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض فانه ابنك ثم أخبرته بالخبر فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم
يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك قال اسكت فلما جنه الليل كما قال الله تعالى بقوله
فلما جن عليه الليل أي غشيه الليل دنا من باب السرب فنظر فرأى كوكباً يقال له الزهرة وذلك في
أول الليل ولم يكن نظر الى شيء من خلق السماء فلما رأى ضوءها وتلألؤها وكان في علمه أن له رباً قال ان يكن
رأى أضوأ منها ولا أنور فقال هذا ربي فلما أفل أي غاب وقد علم أن الرب دائم لا يزول قال لا أحب الآفلين معناه
ليس هذا رب كقوله ما كان لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أي ليس لنا وكقول عيسى عليه السلام سبحانك
ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق يعني ما قلت ذلك ثم نظر الى القمر بازغاً أي طالعاً قال هذا ربي فلما أفل

قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة أي طالعة وقد ملأت كل شيء قال هذا
ربي هذا أكبر أي أكبر مما كان يحتمله فلما أفلت أي غابت قام الى باب السرب ودفع الصخرة التي على بابه ثم خرج
وهو ابن تسع عشرة سنة فنظر الى السماء والأرض فقال ربنا الذي خلق هذا ثم مضى حتى أتى قرية فاذا هم
يعكفون على أصنام لهم أي يعبدون أصناماً لهم فلما رآهم قال يا قوم اني بريء مما تشركون قالوا فمن تعبد قال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً أي مسلماً مخلصاً لله تعالى وما أنا من المشركين لكن أهل
التفسير حكموا على عبادة الكواكب والشمس والقمر بأنفسها مشروع بذلك ولكن عندنا محمول على غيبوبة السلطان
وزوال ولايته وعليه نور البعض بالذي هو أقوى منه وأنور معناه أنه لما رأى سلطان النجم فظن من ضوئه
وتلألئه وغيره أن الرب لا يتم وأن سلطانه لا يتغير فلما طلع القمر ذهب سلطان الزهرة بمقابلة نور القمر
وقهرت بالقمر فقال لا أحب هذا ثم لما طلعت الشمس زال سلطان القمر وقهر بنورها قال لئن لم يهدني ربي لأكونن
من القوم الضالين ثم لما رأى سلطان الشمس وقهرت بظلمة الليل قال اني بريء مما تشركون وانما حملنا على
هذا دون ما قالوا لأن الزهرة متى كانت في أول الليل لا تغيب بطلوع القمر وكذا القمر أيضاً لا يغيب بطلوع الشمس
فيجب الحمل على هذا والله أعلم وقال قوم بأن هذا كان منه في وقت علم لم يكن جرى عليه القلم وقد كان ثم كنا
يقولون بأن خالق السموات هو الله تعالى وينسبون ذلك اليه وعلى ذلك الأمر جميع أهل الشرك كقوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقوله قل لمن ما في السموات الى قوله ما اتخذ الله من ولد الآية
ثم انهم عبدوا الأوثان وسموها آلهة فتأملها فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر فعلم أن مثلها
لا يحتمل أن يكون خالق السموات والأرض وأن الذي ذلك فعله وصنعه لعلي عظيم يجب طلب معرفته من يعلق
لما كان يسمع نسبة الملائكة الى السماء وينزلان بعث فيهما في النور والظلمة وجميع أنواع البركات وغيرها
مصرف تدبير الذي ينسب اليه الخلق ... فلما اجتهد في التأمل والنظر لم يقع بصره على أحسن وأنور من الذي
ذكره فظن ذلك ثم لما تغير وقد كان علم بأن خالق السموات والأرض لا يجوز أن يتغير في شيء علم أنه ليس برب فقال
الرب من هو لك الى أن قهر الليل ضوء الشمس وصار بحيث لا يجري له ... ورأى في الكل آثار التسخير
والتذليل ولم ير فيها أعلام من له الخلق والأمر فعلم أن الرب لا يدرك من ذلك الوجه ولا يعرف من جهة الحواس
فرجع الى ما سمع أن الرب هو الذي خلق السموات والأرض فوجه نفسه اليه بالعبودية واعترف له بالربوبية
بما في الخلق من آثار ذلك وفي العقول من تسميته من الخلق رباً والهاً فأمره وذلك كان قبل احتمال العلم الاستدلال
وبلوغه المبلغ الذي من بلغه يجري عليه الخطاب ولا قوة الا بالله ومنهم من قال كان بالغاً قد جرى عليه القلم
وقد كان رأى النجم والقمر والشمس غير مرة ولم يكن اشتغل بذلك لكن الله تعالى لما أراد أن يريه الهداية وأن يرى
نفسه فأتيته انتباه الانسان الذي كان يعتقد فأولاه من قبل فرأى كوكباً يطلع عند غروب الشمس فرعاه الى أن
أفل فانكاد من الله تعالى توفيقه وعلم أنه رب لا يزول ولا يتغير ففزع الى التوحيد قال لا أحب الآفلين وكذا في القمر والشمس
الى أن عرف الله تعالى صنيع ما كانوا يشركون ودعتهم الى التوحيد والعبادة اليه فقال اني بريء مما تشركون اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض الآية الى هنا التأويل الثالث ذهب الحسن رضي الله عنه والى الثاني جماعة
من أهل الكلام والى الأول نحو عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن لا يصح عندنا هذه الرواية عنه ونحن نبرأ الى الله تعالى
أن نجعل ابراهيم عليه السلام رجلاً بالغاً قد جرى عليه القلم أو كان بالغاً مبلغ الاستدلال وهو كان
في الله بهذه الغفلة حتى يتوهمه في نجم أو قمر أو شمس مما يرى فيها الظهور بعدما لم يكن والأفول بعد الطلوع
ثم آثار التسخير والتذليل والعجز عن التدبير بما هو فيه جهده وبكده ومن له تحمل في راحته وسروره ثم لا يرى في شيء
من العالم معنى يدل على رجوع التدبير اليه فيحقق العقول بذلك عياناً أن الخلق والقهر في كل موجود ومقهور
لا بد له من قاهر بخلافه ولا بد للمدبر من مدبر ليس تحت تدبير غيره وكيف يشكل عليه ذلك وهو وصفه تعالى بقوله
إذ جاء ربه بقلب سليم ميلاً وسليم عن الشرك لم يشبه شيء ولو وصفه بالجهل بعد بلوغه مبلغ الاستدلال لا
يوجب خلفاً في وصفه تعالى اياه بذلك وكذلك قال الله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه أخبر الله تعالى
أنه انما آتاه الحجج على قومه ولو كان الأمر كما يذكرون أنه غير مؤمن ولا عارف بربه لكان ذلك انما آتاه الحجج على نفسه إذ هو
في الغفلة عنها والجهل عن له الآيات شريك قومه ولأنه قد قام الدلائل على عصمة الرسل عليهم السلام من الكبائر
فكيف يكون بالكفر وأنه تعالى يقول الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولو كان الرسول يتمكن فيه الكفر فهو شريك
أمثاله فلا يكون تخصيصه للرسالة معنى ولم يظهر فائدة اختصاص الله تعالى البعض بأهلية الرسالة بقوله الله أعلم
حيث يجعل رسالاته والله الموفق وكذلك قال الله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض ولم يرد
أنه أراه عياناً فانه كان يعلم بمعاينتهما قبل ذلك وكذلك غيره وكان عيان السموات والأرض وانما أراد علم ما شاء في

من الوجهين من حيث المعجزة المناقضة للعادة ومن حيث الاستدلال بالخلق على الخالق ومع قيام المعجزة المناقضة
للعادة ومع الاستدلال الصائب لا يبقى الجهل والشك بل يتحقق الايمان والتوحيد كل انه هذا الذي
قالوه فاسد ولا يقال انه قال وليكون من الموقنين فلا يكون موقنا قبله لان الوصف بالايقان ليس فيه دلالة الشك
في الابتداء او الجهل في الحالة التي يحتمل العلم بها اذ الايقان بما لا يقع عليه الحواس ولا يوجبه الضرورات انما هو استدلال
بالآثار او بتلقي الاخبار بعد العلم نفسه ويعلم في الحال الصحيح الذات يعلم لا يستدعي جهلا سابقا فكان
معناه وليكون من العالمين بآيات الملكوت باحد الطريقين اما بطريق الاعجوبة او بالاستدلال فذلك كقوله
تعالى الله الذي رفع السموات والارض وهذا لا يقتضي ان يكون الرفع بعد وضع كان كقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور لا انه كانوا من قبل في الظلمات وكقول يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله الآية لا انه
كان فيها ثم تركها ذلك على الترك من الاصل وهكذا امر الايمان ان يكون العبد في كل وقت مؤمنا بالله تعالى وانه لا اله
غيره لا عن شك فيما تقدم من الوقت او بالجهل فمثله امر ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه فوق ولو وجد التأويل
ان يكون ابراهيم عم كان مؤمنا في ذلك الوقت الذي قال هذا ربي فاذا بريء حول المعرفة لكنه تكلم قومه بذلك على
طريق الاحتجاج عليهم كلام مستدرج باظهار المتابعة لهم على هواهم ليكونوا به اوثق ما لنية امثل فذلك ابلغ
في الحجاج والطف في المكيدة فبين لهم ما اراد من غير جهة التعصب والعناد ظاهرا ابدا استعظيم ما عظموه لانهم
كانوا قوما يعظمون النجوم لما اخبر اهل العلم بها نمرود بولادة من يهلك على يده هو وينزع ملكه وهو كما ذكر عن ابراهيم
عليه السلام بقوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي نظر في علم النجوم ومقياسها الا انه نظر الى النجوم
ثم قال اني سقيم وقيل وانما كان في قوم يعبدون النجوم والشمس فاراهم الموافقة ظاهر تسميته وقوله اني سقيم
لا من حيث علم النجوم ولكن من حيث علم انه يموت ومن يموت سقيم فقال اني سقيم اي ساسقم على طريق معاريض الكلام
لكن اراهم الموافقة في العلم الذي كان لهم في ذلك الى دعوى من حيث الظاهر فكذلك ههنا والحق فيه وعلى ذلك
امر الكنيد هو اسم صنم كان يعبده قومه فارسل اليهم عيسى عليه السلام كاهنا من الحواريين نعظم الحواري البلد
ظاهرا على الاستدراج لهم الى الحق حتى اطمانوا اليه وصدقوه فيما يقول وكانه فلوا اعبدوا وكان يخبط بهم واشتد
عليهم الامر فشاوروه في ذلك فدعاهم الى دعاء البد ليكشف لهم اذ لم يله بقصد حتى يسلو منه ولم يحصل
الغرض فدعاهم الى التضرع والدعاء الى الله تعالى ففعلوا فكشف الله تعالى عنهم ذلك فآمنوا بفضله الاول
والى هذا التأويل ذهب القتيبي رحمه الله لكن فيما ذكر ذلك من وجهين احدهما انه ذكر انهم كانوا اصحاب نجوم
وكهانة ومن ذلك قوله لا يعبد النجم ولا يراه ربا فاذا المنجمة لا يرون النجوم الهة ولا يعبدونها وكيف اظهر
الموافقة اياهم بتسمية النجم ربا مع التقصي عليهم لكن لو كان ذلك كما قال كذلك لما كان في قوم يعبدون
النجوم والشمس والقمر فاراهم الموافقة ظاهرا بتسمية النجم ربا ثم النقض بالافول اذ فيه تسخير وعليه سلطان
ومن كان هذا وصفه لا يصلح للالوهية والثاني ذكر انه اظهر الموافقة لهم ثم لم يبين وجها صحيحا يجوز
الموافقة بناء عليه وانما يجوز له ان يظهر الموافقة لهم على اضمار معنى مستقيم في نفسه ليلفظ ذلك منه
موافقة وهو في الحقيقة غير موافق لهم وتعدى ليحق في هذا القدر عند الحاجة الى اظهار الحق ومع المكره
على عبادة صليب يقصد بقصد عبادة الله تعالى وانه كان يظهر الموافقة لهم بالتوحيد ظاهرا او كالمكره على شتم
محمد صلى الله عليه وسلم يقصد بقصد محمدا آخر يضمره في قلبه ويتصوره في وهمه فكذلك في هذا على ذلك
قال ابراهيم عم بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فكان كبير اصنامهم وانما بذلك قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون على جعل ان كانوا ينطقون شرطا في نفسه في قوله بل فعله كبيرهم
هذا والتعلق بشرط ليكون حقيقة او عادة ويكون ابعد ما لا تحقيقا فههنا كذلك لا يجوز اظهار الموافقة
اياهم على اضمار معنى صحيح في نفسه ولم يذكره وجب الحمل على هذا على ما يذكر والله اعلم وقال بعضهم في الاستدراج
من غير هذا الوجه وقال انهم اهل كهانة ونجوم ولكنهم لا يعبدونها ويعبدون الاوثان والاصنام خلاف الهم
يعبدونها دعاهم من طريق المقابلة والمعارضة والاحتجاج عليهم على طريق الاستدراج الى عبادة النجوم بتسميتها
ربا فقال هذا ربي وذلك لانهم انما كانوا مالوا الى عبادة الاوثان وسموها اربابا لما يا فيها من الحسن الظاهر
والصور البديعة من حيث حسن البصر بما قد زين كل بانواع الحلي وحلي بانواع الحلل فاراهم تزييد النجم وتخذها
ربا واذا الذي سماه ربا اعظم واحسن نورا وضياء انه بنفسه وجوهره كذلك وان حسنه ونوره ذاتي
لا ينفك عما كانوا يعبدون ليس لها حسن ذاتي انما جعلوها كذلك بالتزيين والتحسين من جهتهم ليكره
اليهم عبادتهم الاصنام ويستنفرهم عما اعتادوه بالمعنى الذي ذكرت ثم اراهم فساد ما مالوا اليه ويتبرؤا
منه قبل ان يستقر ذلك في قلوبهم حتى تطمئن الى ذلك نفسهم بما اظهر من فساد ذلك بقوله فلما افل قال لا احب الآفلين

اي الذي بذلك الوصف من التسخير والتذليل والذي يحكم على تغيرها الزوال لا يحق له الربوبية ولا يصلح
ان يكون الها الا كان يعرفي خلو بهم عبادة من لا يشهدونه وقت العبادة لما كانوا يعرفون نصوب النجوم في
الجملة فاخرج من قلوبهم عبادة الاوثان لما كانوا يشهدونها وقت العبادة فيلزمهم صلوات الله عليه على
ذلك عبادة المستحق لها وهو الله تعالى في الغيب مع انه الموصوف بالسلطان والقهر على الكمال دون المسخر
ذو كان الملك المعبود في حال الغيب من هو مسخر بهذه المثابة ومتغير عن حال الى حال وانه الموفق ونعود
اذ كانت النجوم وما ذكر من القمر والشمس مع ضيائهما ونورهما وكثرة منافع الخلق لم تصلح لها الالوهية
عند الجميع بسبب الافول والتسخير فالذي كانوا يعبدونها يجب ان لا تصلح اذ لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع
ولا يضر حتى ان لا يكون لها الربوبية وان لا يوجه اليها العبادة فافهم فهذا النوع من الاستدراج
صحيح ان لو ظهر انهم ما كانوا يتخذون النجوم ربا يعبدونها وعلى هذا الوجه يحتمل ما ذكر القتيبي رضي
عنه والله اعلم والثالث قيل ان التكلم بهذه الآية يخرج مخرج الاستهزاء والانكار من حيث الحقيقة وان كان
من حيث الظاهر التحقيق بوجود صيغة الاخبار فيكون في ذلك معنى الاستدراج وهو الاطماع من حيث لا يشعر
واراءة بعض اسباب المسرة درجة درجة في حلول المقت ولزوم المراد قال الله تعالى سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون فكذلك الاستدراج للحق بهذا الطريق وهو يريهم ظاهر الموافقة ثم يورد عليهم الحجج
الظاهرة على ما يعتقدونه من الشبه ويحلها من حيث لا يشعرون فيقصد ابطال دينهم ونقض اعتقادهم
وهذا الوجه يشتمل على وجوه احدها انهم كانوا يعبدون النجوم القمر والشمس ويدعون لها الاولاد
والصبيان فاتوه منهم فيما كانوا يدعونه اليه وكانوا يدعونه اليه مع القوم فقال ابراهيم عليه السلام لما راى النجم
هذا ربي ويضمر في قلبه ان هذا الذي تعبدون ربي على زعمكم وهو كقوله تعالى ادعوا شركاءي الذين
زعمتم الآية نص على الزعم ههنا اضمر الضمير لغة ومذكور نسقه ويضمر هذا الذي يدعونني اليه
ربي وهذا يحتمل وجهين يحتمل ان يكون نفي خالص من نفسه متفكرا في الذي يدعونه اليه انه كيف يحتمل
وكيف يدفع قولهم على المقابلة والمعارضة بطريق يكون على سنن الحق ويكون اقرب الى دفع قولهم وانجع
في قلوبهم كالمستقر ذايعا على ان يظهر لهم الموافقة بظاهر اللفظ على اضمار ما ذكرنا من الوجهين ويحتمل ان
يكون ذلك منه في ملا منهم حين يدعونه الى عبادته فظهر لهم قوله هذا ربي على الاضمار الذي قلنا استدراجا
منه اياهم فيقبلوا قوله والاضطراب الدليل بتقديم اظهار الموافقة معهم والثاني ان يقول هذا ربي
على الاستهزاء بهم والاستنكار والانكار عليهم سيما ان كان يريهم على الظاهر موافقة ومساعدة وهذا
فمبتدا الكلام وهو عرف المناظرة كما لو قيل الحادث متكلم في نوع من العلم ان هذا استاذ لكن لا يتصلح ان يكون
استاذا له فقال هذا استاذي على وجه الاستهزاء فهذا مثله بين قوله لا احب الآفلين ان قوله هذا
ربي للابتداء لم يخرج على المساعدة بل على الهزء وبهذا وهذا المعنى الذي زعمتم لا يقول كان ظاهرا عندهم من
هذا ربي وعندكم جميعا الا انه اظهر ذلك في العقبان الاول كان على الهزء وبهم والانكار والله اعلم والثالث
يحتمل انه هذا كان على الاستفهام بطريق الانكار دونها التقرير على اضمار حرف الاستفهام اي هذا ربي
كمن يخبر عن انسان ويبالغ في حاله من الفضل والعلم والجود والاصالة ونحو ذلك فيقول السامع هذا
فلذا الذي يخبر ونبي عنه هذا فهو على الانكار انه ليس المحل الذي علم يوجد عنه لكن يرتب حرف الاستفهام
وهو كقوله تعالى خلقوا الخلقة اي اخلقوا الخلقة على سبيل الرد والانكار او لم تخلقوا الخلقة يوضح الله
خالق كل شيء وهو كقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم اي اعباد امثالكم على سبيل الانكار
حتى عقبه بقوله الهم ارجل يمشون بها الآية اي ليس لهم ذلك فكذلك هذا على اضمار حرف الاستفهام
بطريق الانكار الا ترى الى قوله لا احب الآفلين ومنه قول الشاعر افرح ان ارزا الكرام وان اورث
ذودا شصائصا نبلا • معناه افرح على سبيل الانكار وقال الحديث غشك كذبتك امك هل رايت
هل رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ومعناه اكذبتك والرابع يحتمل انه اضمر في قلبه هذا
ربي اي ربي هذا دخالي آخر ثم رجع اليه عند التقرير عندهم انه لا يليق الربوبية بالذي ظنوا انه ساعدهم عليه
والله اعلم ثم الاصل في ذلك ان الله تعالى لو اراد ان يبين لنا حقيقة الحال لو كانت بنا الى المعرفة حقيقة
ذلك عن المراد والوقت والوجه حاجة من امر الدين لكان بين ذلك بنفسه او ورد في ذلك بيان على رسوله
صلى الله عليه وسلم واذا لم يبين حقيقة الامر ولا ورد عن الرسول عليه السلام ذلك فليس لنا الى ان
نشهد على نفس شيء من ذلك اذ علم الشهادة علم الحقيقة ولم نعط ذلك فيكون شهادة على الله تعالى مع
احتمال الكذب وهو باطل وليس ذلك من باب العمل لنتكلف الترجيح البعض في حق العمل وانما علينا التأمل

في وجوه الحكمة في ذكر القصة وما فيها من الحجة في امر الدين وهو والله اعلم يخرج على وجوه احدها فيه بيان
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من انباء الغيب ونبي الله نشأ بمكة ولم يكن ثم من يعلم ذلك
ولا قارئ قومه واختلفا الى من عنده الانبياء بتواريهم كتب الانبياء عليهم السلام ولا كان يخط بيمينه
او يقف على المكتوب ولذلك انه علم بالله تعالى مع ما كان في القصة بيان حجج التوحيد ودفع عبادة الاصنام وتسفيه
اهل ذلك ولا يحتمل بعلمه مثل ذلك من اكدا فيعني التوحيد المدعين على ابرهيم عليه السلام اليهودية والنصرانية فذكر انه
لم يكن بطريق التعليم وتعبدنا نكتهم بغير لسانا الى لسان قومهم نوع اختلاف وتغير خفيف دون علية الكتب بتغير
الالفاظ واختلاف اللسان فلا يحتمل الاحتجاج بمثل هذا الذي يحتمل الانكار والثاني فيه تسفيه
قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاليف قلوبهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هم من ذرية ابرهيم
عليه السلام وانه تدعوهم الى دين آبائهم مع ما كانوا اصحاب تقليد وحفظ آثار الآباء وعادة مفاخرتهم بمفاخر
الآباء من الشجاعة والسخاوة والامانة ونحو ذلك مثل افتخارهم بقصي وعبد مناف وهاشم والزمهم القول
في آبائهم بما لا مدفع لهم القول بغيره ان تقلدوا ابرهيم عند جميع المشركين امام من ذريته ويتسلسل آباؤه حتى
من كل اب بما كان كل مولود على دينه مذكورا محفوظا في الخلق الى قيام الساعة كسائر الانبياء الذين
من نسله عليهم السلام ومن خالفهم فهو ممحوق الاسم والذكر جميعا فكان في ذلك اعظم الدليل على ان
ابرهيم عليه السلام ومن خرج من نسله من الانبياء عليهم السلام لحق في النقلين وعلى الاتباع من الذين
اتبعوهم من الكفرة من آبائهم وعلى ذلك اتفاق اهل الكتاب على موالاة ابرهيم عليه السلام من غير ان ينسبوا اليهم
ما اثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم من توحيده وما قد وعند هم من دينه بشيء يجدونه في كتبهم خلاف
ذلك ولو كان لاظهروا ادل على حقيقة دينه وان اتباعه حق وان تابع ما ابتغوا من الآباء دونه باطل فيكون حجة
عليهم والله اعلم والثالث ان ابرهيم عليه السلام طلب معرفة الرب جل جلاله من جهة الاستدلال بآياته
خلقه وصنعه على الهيته وتوحيده وكذا دينه من جهة النظر في الآيات والبحث عنها دون ان تقلد آباءه وفي
ذلك تعليم سبيل طلب الحق ووجوب اتباعه لكي يكون في ذلك تذكرة منه لجميع ذريته وتعليما منه اياهم ولهذا سمي ابرهيم
ابو الحجة كما بلغ السنا من حجة في توحيد واثبات الربوبية واظهار الحق والله اعلم والرابع ان الله تعالى ذكر الحجة
عن احوال ابرهيم عليه السلام مخرج ظاهره يوهم المكروه بقوله رأى كوكبا قال هذا ربي فلما رأى القمر بازغا
قال هذا ربي الآية وكذلك الظاهر وهو صحيح مستقيم لا يأباه العقل ولا ينفر عنه الطبع ليمتحن عباده
بالقول لحسنه ولم يخف في امره وهو اشد وجوه الامتحان للخلق لطلب سبيلها الى معرفة الاشياء واستخراج
الغوامض مما يذرفه من العقل الذي هو لدرك الحقائق فكان التكلف بالكشف عن الخوض في التأويل في
المعرفة اشد والله اعلم والخامس فيها بيان ان المحاجة في الدين على قدر ما يحتمله العقول لازمة اذ هي ما
احتج ابرهيم عليه السلام قومه واظهر دينه فيبطل بذلك قول كثير من المتكلمين الذين ينكرون المناظرة في الدين
ويرون في ذلك تقليد الاستاذين ونحو ذلك من الجدال والآثار التي في سبيل امثالها المناقض عند العقول في الحق
منه عن التناقض والاختلاف ولا قوة الا بالله والسادس فيها بيان ان المناظرة يكون بنحو يطلب الحق
على اثبات القول والدعوى والثاني باظهار الفساد والتناقض في دعوى الخصم اذ هو عليه السلام رد دعاويهم
من ربوبية النجوم والشمس والقمر بما ذكر في ذلك من آثار التدبير لغيره وآيات الحدث من سمات النقص وكذلك
وكذلك قال لابيه في الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال في الآيات اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الآية وقال في موضع آخر الذي خلقني الى آخر ما اخبر به عن ابطال
قولهم ودعويهم بما اظهر من آيات الحدث في التي يدعونه الها واثبت دعوى الالوهية للذي عقد
حجة عند العقلاء من الاستدلال بالخلق على الخالق وجار في كل ذلك ان نقول لهم الدليل على ما ندعي
بما تذكرون من الربوبية والله اعلم والسابع فيها جواز التسليم في المناظرة على طريق المجادلة مع حقيقة الانكار
لتحقق المقصود باظهار المواضعة وان كان التسليم بحقيقة ذلك منكرا وله دافعا اذا كان في المساعدة ذلك
في الظاهر العصمة والظفر بالبغية اذ على ذلك خرج مناظرته عليه السلام مع الذي حاجه في ربه ان آتاه الله الملك
اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت فلما عارضه خصمه وقال انا احيي واميت لما انتهج له من حيث الظاهر
واقبل على حجة هي اوضح من ذلك في حق سامعيه واقهر للعقل وابلغ في التطبيع فقال فان الله يأتي بالشمس
من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فلم تقم الحجة الاولى على خصمه وعناد الخصم بوزنه على الصفة
فنقل الى الذي لا يمكنه البرهو والتلبيس عليه لانه انتقال مع التسليم ببطلان حجته فهذا مثله والله
ولي التوفيق والثامن ان نعلم ان الله تعالى لم يهمل القوم في شيء من الازمنة دون ان يجعل لهم ادلة للخلق تظهر

بها الوثن تأمل او لا الى من خلقه في زمان من الازمان يبقى لو بحث عنه لا يوقف عليه ولا يتهيأ له وقال الله اظهر
الحجج والآيات وآثار الصنائع ليعلم ان جعل اوامره كلها تالية الادلة والبراهين ليقطع بها عذر من يأذن نفسه
العصيان بالحق والله اعلم والتاسع ليعلم انه لا احد يقوم بالحجاج ولا ينطق بحسن اللسان الا بعصمة الله تعالى و
عليه بما ينطق به لسانه ويوفقه للقيام به بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه والعاشر ان يعلم انه
يكون بفضله نيل الدرجات في امر دينه ويرتقي الى منازل الفضل والشرف بمشيته كما قال نرفع درجات
من نشاء والله اعلم بالرفع كان والله اعلم وفي قوله هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين دليل على انه
اعتقد الربوبية لشيء دليل الحدث وجب التشبيه لا يستدل بكونه مربا على انه ليس برب ولو لم يعلم
فقال لا احب الآفلين ولكنه كان يعتقد كونه ربا وهذا نقض قول من وصفه بالزوال والانتقال
من حال الى حال ولا قوة الا بالله وقد قال بعض اصحاب الامامية في تأويل هذه زعم انهم حذو هذا التأويل
من شرح علي رضي الله عنه فقالوا ان تأويل النجم المأذون وهو الداعي وتأويل القمر الاحق وهو فوق المأذون
بمنزلة الوزير للامام وتأويل الشمس الامام وابرهيم عليه السلام في درجة المستجيب فقال للمأذون هذا ربي
يعني رب التربية لان ما عندنا من العلم هو المأذون وهو الذي يترقى المستجيب بالعلم ويدعوه الى ذلك
وقوله فلما افل اي فني ما عند المأذون من العلم رغب عنه وقال لا احب هذا وصار في درجة المأذون ثم
ظفر بالاحق واخذ ما عنده من العلم فلما فني ما عنده رغب عنه ثم ظفر بالامام واخذ ما عنده من العلم ثم رغب
عنه وتوجه الى من فوقه وهو التالي ويسمى الصامت وهو الذي يتصل العلم من الرسول الذي يسمى الناطق
عندهم وهو الذي ينطق من جميع ما ينطق من جميع ما ينطق به الرسول على الحقيقة وغيره يعرفه من حيث الظاهر
فلما اخذ منه العلم وفني ما عندهم من العلم جاوز درجته وصار الى درجة الرسالة والرسول عندهم
وهو الناطق يتصل من التالي بالخيال وهو مصور الشرائع عندهم فانهم يقولون بالوحدة وهو الله تعالى
وبالعلة الاولى وهو العقل وبالنفس الناطقة ويسمون النفس التالي نفسا وهو كقوى الخيال في
الناطق وهو الرسول الذي هو الوحي عندهم ثم الرسول الذي هو الوحي عندهم ثم الرسول هو الذي يضع شرائع
ويؤلفها على هذا الوجه اولو هذه الآية وينسب هذا التأويل الى علي رضي الله عنه وقد اكرم الله عليا عن هذا الخنا
وعصمه عن هذه الوساوس والحمد لله ثم هذا التأويل متناقض عند التأمل فانهم قالوا لما افنى ما عندهم
المأذون من العلم صار الى الاحق ليأخذ ما عنده من العلم فيصير في درجته ولم يكن المأذون الاول وهذا
لان المأذون الاول لما اخذ كل ما عند الاحق من العلم او بعضه فان اخذ كله صار لاحقا وان اخذ بعضه
فالمأذون الثاني لحق به ليأخذ الكل فيصير في درجته فلماذا اختلف الاول ولم يثبت في مقام المأذونين
ولانه لو كان ثم درجة اخرى فوق المأذون فاما ان يأتي بتلك الدرجة في الوقت الذي يلقى العلم الى المستجيب او
او لا ينال فان كان ولا ينال لو امكنه الترقي اليها فلا ينتفع من المأذون حيث منع من الترقي الى الدرجة الثانية
ويبلغ غيره في الدرجة الاولى وان كان قد نال تلك الدرجة معه فاذا صار المأذون معه الى درجة الاحق
واستويا في الدرجة فلماذا قال لا احب هذا وهو في الدرجة مثله ولانه بسببه تصل الى هذه الدرجة
ولانهم قالوا قال هذا ربي لانه رب تربيته فكيف صار ربه قبل التربية ثم اذا رباه من هو منه وان الخبر عليه
فاذا ما فاته شكره سعي ربه في شانه لولا انه وكذلك درجة درجة حتى يكفي التالي ثم الفعل ثم تصل الحد
الغالي وهو الرب في الابتداء والانتهاء لا رب احد سواه جل عن الشركاء اذا اليه حاصل الامر ومضى
الخلق ولان كل من يرتقي درجة ويبلغ حداه يرتقي درجة ويبلغ حداه يرتقي الى درجة فوقها الى ان ينتهي
الى الدرجة الاخيرة مضيا لكل من الى وبطل قولهم ويبطل الاحق والمأذون والائمة جميعا فدل ان هذا
الخنا كله والله الهادي للرشاد وقوله تعالى وحاجه قومه ذكر الله تعالى محاجة قومه ولم يذكر فيم حاجوه
ولكن في الجواب بيان المحاجة فيم كانت وقوله تعالى اتحاجوني في الله فدل ان المحاجة والمناظرة
لهم مع ابرهيم عليه السلام في الله تعالى يحتمل المحاجة في الله تعالى في توحيده وفي دينه ويحتمل في اتباع امره
وطاعته وذكر في بعض القصة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في محاجتهم في آلهتهم وخوفهما وقالوا اما تخاف
آلهتنا وانت تشتمها ولا تعبدها ان تخبلك او تفسدك فهذا محتمل ايضا وهو كقول قوم هود له ان نقول
الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ان يأتيك بعض آلهتنا بسوء من الخبل والجنون والمرض ونحو ذلك ثم قال
ابرهيم عليه السلام اما تخافون انتم منها قالوا كيف نخاف ونحن نعبدها فقال لانكم تسوون بين الصغير
والكبير والانثى والذكر في الربوبية واعتقاد العبادة والطاعة اما تخافون الكبير حيث سويتم بالصغير و
تخافون الذكر حيث سويتم بالانثى فابطل بذلك محاجتهم عليهم حيث رجع اليهم ما ادعوا الزامه

اياه فالزمهم مثله على زعمهم وابطل قولهم بقوله والله اعلم ويحتمل ايضا انهم خوفوه بالله تعالى بترك
عبادة آلهتهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وكانهم اعتقدوا العبادة لها بامر الله تعالى لتكون شفعاء في الآخرة فخوفوا ابرهيم عليه السلام بالله تعالى
بترك عبادتهم فقال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به يحتمل قوله وقد هدان وصله ما ذكرنا من قوله
اتحاجوني في الله كيف اخاف وقد هداني الحق من الباطل وبين لي ان المستحق للعبادة والالوهية هو دون
غيره والله الموفق وقوله الا ان يشاء ربي شيئا يحتمل في شيء ففي ذلك اخاف ما اذ هداني ربي فاني لا اخاف ترك عبادة
وكشأني الا ان يشاء ربي شيئا اي الا ان يقتلني ويجنبني من العصمة فحينئذ لما كون فحينئذ ان شاء عذبني
وان شاء لم يعذبني وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما اي علم ذلك كله عند معصيتنا وطاعتنا وقوله تعالى
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما وكيف اخاف ما اشركتم به
من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم بالله وقوله تعالى ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي لا اخاف ما اشركتم
به ما لم ينزل بالخوف من ذلك حجة وقد دلني كتابه وقوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن اي اي اهل دين
انا او انتم احق بالامن ان كنتم تعلمون انا اعبد الها واحدا وانتم تعبدون آلهة شتى ويحتمل انهم كانوا خوفوه
بترك عبادة آلهتهم واشراكه اياها في عبادة الله تعالى فقال وكيف اخاف ما اشركتم انتم بالله من الاصنام
ولا تخافون ما اشركتم بالله غيره ما لم ينزل به عليكم سلطانا اي حجة بان معه شريكا ثم قال فاي الفريقين
احق بالامن من عبد الها واحدا احق ام من عبد آلهة شتى صغارا وكبارا ذكورا واناثا ويحتمل ان يقال اذ كيف
اخاف آلهتكم التي تعبدون من دون الله بترك عبادتها ولا تملك ضرا ان تركت ذلك ولا نفعا ان فعلت
ذلك ولا تخافون انتم بترككم عبادة الاله وهو يملك الضر ان تركتم عبادته والنفع ان عبدتموه فاي الفريقين
احق بالامن من عبد الها يملك الضر والنفع او من عبد الها لا يملك ذلك والله الموفق ولما قال لقومه فاي الفريقين
احق بالامن فرد عليه قومه ذلك وعارضوه بمثل ما قال لهم فقالوا اهل اي الفريقين احق بالامن فقال الله تعالى
امنوا برب واحد يملك الضر والنفع ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا تصديقهم بشرك
بشرك فلم يعبدوا غيره اولئك لهم الامن وهم مهتدون من الضلالة والشرك قيل الظلم ههنا الشرك
روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على
المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه قال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لاصحابه ما تقولون
في هاتين الايتين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي عملوا له واستقاموا على امره والذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اي لم يذنبوا فقال لهم لقد حملتموها على امر شديد الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك
والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا عليها فلم يعدلوا عنها بشرك ولا عن نوع آخر من الكفر غير الشرك من
اليهودية والنصرانية فان ثبت هذه الاخبار دل ان المراد من الظلم هو الشرك والا احتمل الظلم ما دون الشرك
ايضا وصار تقدير الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي كل من آمن ولم يذنب فهو في امن الله تعالى احد
ومن آمن وارتكب ذنبا او ظلما فالخوف والعذاب جزاؤه لكنه في مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء غفر له
وعفا عنه والله اعلم وقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه الاية ينقض قول من يقول بان
ابرهيم عليه السلام كان غير مؤمن في ذلك الوقت ولا عارف بربه لانه اخبر عز وجل انه آتاه حجة على قومه ولو كان
هو على ما قالوا لكانت الحجة التي آتاه عليه فلما اخبر انه آتاه على قومه دل انه ليس على ما قالوا ولكنه كان عارفا
بربه مخلصا له على ما سبق ذكره فان قالوا ان الحجة التي اخبر الله تعالى انه آتاه هو قوله وحاجه قومه قال اتحاجوني
في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الى آخر ما ذكر قيل لهم ان هذه ليست بمحاجة انما هي تقرير التوحيد
والدين الا ترى انه قال ولا اخاف ما تشركون به الى آخر ما ذكر ولكن المحاجة على ما قال الذي عليه من نفر ان الي
ونصف توحيد الرب جل وعلا والوهيته وفساد آلهتهم من ذلك قوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين وقال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقوله هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وقال
الذي خلقني فهو يهدين فدل ان قوله وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه يرجع الى ما ذكرنا وكذا يرجع الى
ما حاج نمرود كما اخبر الله تعالى بقوله الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي
يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وفي الاية دليل
نقض قول المعتزلة في خلق الافعال لانه تعالى قال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم فالاتيان هو الاعطاء والتخو

والشمس والقمر وكانت فكان ان الذي اتى ابرهيم عليه السلام هو محاجته قومه بالشمس والقمر لان الايات والحجج
بها خليقهم فكان له فمحاجة ابرهيم قومه صنيع حيث اضاف الى نفسه وهو ان خلق محاجته قومه على خصامه
مبطل قولهم في باب العصمة وقوله تعالى نرفع درجات من نشاء يحتمل الدرجات وجوها يحتمل النبوة في
يحتمل ان نرفع لهم الدرجات في الاخرة ويحتمل الذكر والشرف في الدنيا لما يذكرون وتذكرهم من الخلق والله اعلم
وفي الاية نقض قول المعتزلة في المشية والاصلح لانهم يقولون ان الله تعالى قد شاء لكل احد ان يبلغ
المبلغ الذي اذا بلغ ذلك يصلح للنبوة والرسالة لو لم يجعل هكذا لما سوى بين الكل فيما هو الاصلح لهم
في الدين لكنهم شاؤوا ان لا يبلغوا ذلك المبلغ فيجعلون المشية في ذلك الى انفسهم ولان الله عز وجل
اخبر انه يرفع درجات من يشاء وهم يقولون لا نقدر ان يرفع بل هم يقدرون ان يرفعوا درجات انفسهم وفي
الاية على ان من نال درجة او فضيلة فانما ينالها بفضل الله ومنه وقوله تعالى ان ربك حكيم عليم
اي حكيم في خلق الخلق حيث خلقهم على وجه يدل على وحدانيته ويدل انه قدير ليس بمضل الخلق فيهم
وقوله عليم اي عليم باعمالكم وبما يصلح لهم وما لا يصلح وقيل الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير
والعليم هو العالم بمصالح الخلق والله اعلم وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب يحتمل ما ذكر من رفع
الدرجات من هؤلاء عليهم السلام وفيه دليل ان يكون من الفضل من هبة اولاده ويكون ذلك في
اولاده اولاد وقوله تعالى كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل والهداية هداية اصابة الحق وهداية
التعلم بالحق وهي هداية البيان فهذه هداية مما يشترك فيها المسلم والكافر جميعا واما هداية اصابة الحق
فهي خاصة للرسل والمسلمين وهذا المراد هو هداية اصابة الحق وقوله تعالى ومن ذريته داود وسليمن
قيل انه من ذرية ابرهيم وقيل من ذرية نوح لانهم كانوا جميعا في ذرية نوح ابرهيم ومن دونه من الرسل عليهم
السلام وقوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي المحسنين بالذكر والشرف والثناء الحسن
الى يوم القيمة كما جزينا هؤلاء الرسل بالذكر والشرف والثناء الحسن في ملأ البشر الى يوم القيمة ويحتمل
ان يذكروا في ملأ من الملائكة كما ذكروا في ملأ من الخلق ويحتمل وكذلك نجزي المحسنين في الآخرة في الثواب
ورفع الدرجات والكرامة الجزيلة ثم يحتمل انه سماهم محسنين باحسانهم الحال التي كانوا اهلا للرسالة والنبوة
فان كان هذا فالمراد الرسل خاصة ويحتمل محسنين باحسانهم الهداية واصابة الحق فان كان المراد هذا فهو
مما يشترك الانبياء واهل الاسلام كلهم والله اعلم ثم ذكر فريقا من الانبياء وكذلك نجزي المحسنين
قد ذكر فريقا آخر وكلا من الصالحين ثم ذكر فريقا آخر من الانبياء وكلا فضلنا على العالمين وكذلك جميع ما
ورد في القرآن في حق كل شيء بذكر منزلة ويخصص بفضيلة لم يذكر مثل ذلك في حق شيء آخر فهذا والله اعلم
يحتمل انه ليس على التخصيص كل فريق بما ذكر من تلك الفضيلة ولكن المراد على الجمع وعلى الكل الا ترى ذلك الفضيلة
بعينها موجودة في جنس الانبياء والرسل عليهم السلام اي انهم محسنون صالحون مفضلون على العالمين
والله اعلم ثم يحتمل التفضيل لهم على العالمين بالنبوة لا بغيرها من الفضائل اي انهم فضلوا على العالمين بالنبوة
والرسالة ويحتمل انهم كانوا مفضلين على العالمين بالاحسان والصلاح لو لم يكن لهم رسالة ولا نبوة وهذا من الله
تعالى اخبار عن علم ما لو لم يكن كيف كان ان الله اعلم بما كان ويكون وبما لو لم يكن كيف يكون والله الموفق ويحتمل انهم
مع الرسالة مفضلون على غيرهم في الاحسان والصلاح اي لهم زيادة في ذلك على غيرهم والله اعلم وقوله تعالى
ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم الاباء هم من تقدمهم من الرسل والذريات هم من تأخر عنهم من الرسل عليهم السلام
والاخوان هم الذين يكونون في زمانهم من الرسل ويقال المراد من ذرياتهم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
جميع المؤمنين الذين يكونون من نسلهم وقوله تعالى واجتبيناهم يحتمل اجتبيناهم بالنبوة والرسالة وذلك
لهم خاصة ويحتمل اجتبيناهم بالتوحيد ودين الاسلام فذلك يعم الانبياء والمؤمنين جميعا لانه اجتباهم
جميعا ويحتمل الانبياء خاصة فلذا اثبت الهداية في حقهم مطلقا من غير قيد المشية وهذا التخصيص في
حقهم ويحتمل اجتبيناهم بما ذكرت نرفع الدرجات من نشاء وذلك ايضا يعم الرسل والمؤمنين جميعا والله اعلم
وقوله تعالى وهديناهم الى صراط مستقيم هذا يعم الكل وفي قوله ومن آبائهم وذرياتهم الاية دلالة
على ان من آبائهم وذرياتهم من لم يجتبهم لانه ادخل حرف من وهي من حروف التبعيض وقوله تعالى ذلك
هدى الله يهدي به من يشاء من عباده اي ذلك الهدى الذي به هؤلاء فبهداهم اقتده وفي الاية دلالة نقض قول المعتزلة
لانهم يقولون ان الله تعالى قد شاء ان يهدي الخلق كلهم لكن لم يهتدوا وعلى قولهم لم يكن من الله تعالى الى الرسل والانبياء
عليهم السلام من الهداية والفضل الا كان ذلك الى جميع الكفرة ولو كان شاء ايمان الكل وهدايتهم لم يكن لتسوية
بالمشية معنى على قوله يهدي من يشاء من عباده وكذا اخبر عن الانبياء عليهم السلام كلهم بقوله وهديناهم

وقد قيدا هدايته في حق غيرهم بالمشيئة بقوله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو هدى الانبياء الى جميعا لم يكن للتقييد بالمشيئة في حق غير الانبياء فائدة فدل ان من الخلق من شاء الله ان لا يهديهم اذ علم منهم انهم لا يهتدون ولا يصادفون الهدى والله الموفق وقوله تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون هذا انبا عن الحكم فيهم لو اشركوا لا انهم يشركون لان الله تعالى قد عصمهم عن الشرك لما اختارهم لرسالته واختصهم لنبوته فلا يحتمل ان يشركوا لكن ذكر هذا ليعلم ان حكمه واحد فيما اشرك الله غيره وصنعنا كانا وشرعنا وليعلموا انه عالم بما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون فانه علما انباء عن الحكم فيما علم انه لا يكون ان لو كان كيف يكون وهو علم انه لا يوجد منهم الشرك ثم اخبر انه لو كان يوجد منهم الشرك لكان حكمه ان يحبط اعمالهم كما في حق غيرهم من الناس وعلى لحبط عنهم ما كانوا يعملون من الحسنات والخيرات التي كانت قبل الشرك والله اعلم وقوله تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة قيل ما اتى الرسل عليهم السلام واعطاهم هو الكتب واما الحكم قيل العلم والفقه وقيل الاحكام التي اعطاهم واما النبوة هي انباء الغيب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء قيل بها كناية عن النبوة وما ذكر وقيل بها كناية عن الكتب التي انزلها على الرسل عليهم السلام وقيل بها كناية عن الآيات والحجج التي اعطى رسوله عليه السلام فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اختلف في تاويله قال بعضهم فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني اهل المدينة من الانصار والمهاجرين ايضا وهو قول ابن عباس رضي وقيل الانبياء والرسل عليهم السلام وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل قرابتك واهل وصلتك فقد وكلنا بها قوما من غير قرابتك ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء اهل زمانك فقد وكلنا بها قوما من اتباعهم وذراريهم من بعدهم ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء من اهل زمانك فقد وكلنا بها من تقدم من اهل اباهم و اجدادهم ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني اهل الارض فقد وكلنا بها قوما يعني اهل السماء ليسوا بها بكافرين وقال الحسن فان يكفر بها هؤلاء اي اهل مكة فقد وكل الله بها النبيين والصالحين والامم الخالية ليسوا بها بكافرين والله اعلم وقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي اقتد انت وامتك بهدى الذين هداهم امتهم ويحتمل اقتد انت بهديهم لنفاهتدى به وهذا لان الهدى مصدر والمصدر يضاف الى الفاعل ويضاف الى المفعول فمن جعله مضافا الى الفاعل اراد به البيان اي بين طريق الهدى لامتك ومن الذي بين الرسل فلك لامتهم ومن جعله مضافا الى المفعول اراد به الاهتداء اي اهتد انت كما اهتدوا هم والله اعلم ومنهم من تعلق بهذه الآية على ان شرائع من قبلنا يلزمنا ما لم يثبت نسخها على لسان رسولنا عليه السلام لانه امر بالاقتداء بمن سبقه من الرسل والرسل عليهم السلام الاتباع لهم بقوله فبهداهم اقتده لكنا نقول في الآية امر له بالاقتداء بمن مضى من اخوانه من الرسل عليهم السلام في الهدى وانه اسم لما يدان به لا انه اسم للعبادات والافعال ولهذا لا يقال التارك الصلاة والزكاة والصيام ضالا انما يقال ذلك لمن دان بضد الهدى وهذا لانه يقول انا الدين واحد اذ الانبياء عليهم السلام كانوا على دين واحد وان الدين لا يحتمل النسخ والتغيير الا ترى انه قال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية اخبر انه شرع لنا الدين الذي شرع في حق نوح عليه السلام فدل ان الدين واحد لا يحتمل النسخ واما الشرائع فمختلفة محتملة للنسخ والكلام فيها وقع على انه يحتمل قوله فبهداهم اقتده الامر له بالاقتداء بما ذكر في قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان اقتدى بمن تقدم من الرسل عليهم السلام ولا ياخذ على تبليغ الرسالة اجرا كما لم ياخذوا هم وذلك كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون كانه والله اعلم جعل لهم العذر في ترك الاجابة لما يلحقهم من ثقل الاجر والغرم وهذا يدل على انه لا يجوز اخذ الاجر على تعليم القرآن ورواية الحديث وغير ذلك من العبادات خلافا للشافعي وفي هذا ايضا دلالة نقض مذهب القرامطة لانهم يعرضون مذهبهم على الناس فيأخذون منهم المواثيق وياخذون الجعل على ذلك وانما اخذ المواثيق من الرسل عليهم السلام على تبليغ الرسالة الى قومهم وامروا بتاليف قلوب الخلق وفي اخذ الجعل منهم نفور قلوبهم وطباعهم عن ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القرآن الا ذكرى وعظة وزجر للعالمين وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره قيل نزلت سورة الانعام في محاجة اهل الشرك الا آيات نزلت في محاجة اهل الكتاب احداها هذه وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ومثله ذكر في موضع آخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة وقال في آية اخرى وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز اما تاويل الآية قال بعضهم ما عرفوا الله حق معرفته وقال بعضهم ما عظموا الله حق عظمته ثم ذكر في الكتاب ان في هذا التاويل شبهة ونظر لانهم ذكروا انهم لا يعرفوا الله حق عظمته ومن يقدر ان يعظم الله حق عظمته

او يعرفه حق معرفته او من يقدر احد يعبده حق عبادته الا ترى ان الملائكة مع انهم عبدوه واطاعوه بحيث لم يعصوا امره طرفة عين يقولون في القيامة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فاذا لم يكن غير هؤلاء عارفين الله تعالى حق معرفته ولا معظمين له حق عظمته فما معنى تخصيص هؤلاء بالذكر وهذا الاعتراض صحيح في تعظيمه في تاويل الآية ما عظموا الله حق عظمته اذ عظمته وجلاله بحيث لا نهاية له فلم يعرفوا عظمته بالاستدلال كما هو اهله فاما تاويله ما عرفوا الله حق معرفته وتقريره ومن يقدر ان يعرف الله حق معرفته فاشد لان معرفة الله تعالى هو معرفة ذاته وصفاته ومعرفة ذلك من باب الايمان والتصديق بذلك وانما يصح التاويل على قول من يقول ان الله تعالى ماهية لا يعرفها الا هو ثم لم يوجد قط من احد من البشر معرفة الله تعالى كما هو وعندنا فاستعمال هذا الكلام على طريق الحقيقة الا ان يدل على ما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى وكان هذا الغلط وقع من الكاتب لا من المصنف فانه ذكر في التوحيد لما الاصح قال لا يجوز ان يقال لله تعالى ماهية وذلك لان غرضه ليس بيان المذهب والله اعلم ثم يخرج تاويله على وجهين احدهما ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوا حق تقاته مما كلفوا به واطاقوه ومما جرى الامر بذلك وانما جرى التكليف منه قدر الطاقة والوسع والا لا يقدر احد ان يعظم الله تعالى حق عظمته ولا يتقي حق تقاته ولكن يقدر ما ذكرنا من حد التكليف والله اعلم والثاني ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوه حق تقاته فانهم كانوا يعملون على العبادة التي كانوا يعملون لانهم اي لو اجتهدوا في عظمته وبقوله العبادة التي لو كانوا ذلك لعملهم يجتهدون في ذلك وان اعرضهم لم يبلغوا كنه عظمته اذ لا نهاية لذلك والله الموفق وقوله تعالى اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قيل ان هذه الآية انما نزلت من اهل الكتاب من اليهود والنصارى لانه اخبر عنهم نفي انزال الله تعالى الوحي على احد من البشر بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء والرد عليهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها ولو كانت الآية نزلت في اهل الكتاب حقيقة لما انكروا الرسل عليهم السلام ولا الكتب لان اهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل عليهم السلام وببعض الكتب لا محالة فلو انكروا الكتب جميعا لما كانوا اهل الكتاب فان قالوا ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام بالرد عليهم والمحاجة معهم في انكار الكتب والرسل عليهم السلام بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي انكم لما اقررتم برسالة موسى عليه السلام وبانزال التوراة عليه وهذا انما يكون الزاما في حق اهل الكتاب المقرين بموسى عليه السلام وببعض الكتب لا في حق المنكرين للجميع ولكنا نقول ان هذه الآية لاهل الكتاب ولكن ليس المراد منه حقيقة اهل الكتاب وانما المراد منه منافقي اهل الكتاب انما المراد منه منافقو اهل الكتاب فانه يكون في اليهود والنصارى اهل النفاق كما يكون من اهل الاسلام فكانوا يظهرون الموافقة لليهود والنصارى ويضمرون الخلاف فيظهرون الموالاة لاهل الشرك ويظاهرون عليهم كما كان يفعل ذلك منافقو اهل الاسلام فانهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له والمظاهرة للمشركين عليه صلى الله عليه وسلم فاطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ليظهر منهم خلافهم وعلى هذا قيل انما كان من تحريف الكتاب ومن تحريف الاحكام او تغييرها كل ذلك من هؤلاء المنافقين والله اعلم وذكر في بعض القصة انها نزلت في شان مالك بن الصيف وكان من احبار اليهود وكان سمينا فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد في التوراة ان الله تعالى يبغض كل حبر سمين فقال نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت حبر سمين يبغضك الله فغضب فقال ما انزل الله على بشر من شيء فانكر الرسل عليهم السلام والكتب جميعا فاكذبه الله عز وجل واظهر نفاقه عند قومه فقال النبي عليه السلام لمحاجته قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس لانه كان مقرا بحسب الظاهر بالتوراة وبنبوة موسى عليه السلام فحاجه النبي صلى الله عليه وسلم ليظهر مناقضته بالاقرار بالبعض ثم الانكار جملة وقوله تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا اي تجعلونه صحفا ثم كتبتموه في الصحف ثم تنكرون انه ما انزل الله على بشر من شيء اي ما الذي كتبتموه انه لم ينزل الله على بشر من شيء تبدونها وتقولونه وتخفون كثيرا يقول تظهرون في هذه الصحف ما ليس فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته وتخفون ما فيه صفته ونعته وتغيرونها وقيل تبدونها اي تظهرون بعضها وتخفون كثيرا مما فيه نعته وما فيه من الاحكام التي لا يطيب لانفسهم مثل الرجم والقصاص وغير ذلك ثم الله تعالى سمى التوراة نورا وكذا سمى جميع كتبه نورا وهدى لانه نور في الظلمات يرفع الشبهات ويجليها وهدى من ضلالة او يجعل بيانا ودليلا من الحيرة والضلالة والله العاصم وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد هذه الآية في المسلمين يقول علمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وقال الحسن هذه الآية في الكفرة اي علمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من قبل من تحريفهم وتغييرهم اياه وقيل وعلمتم ما في التوراة ما لم تعلموا انتم ولم يعلمه

آباؤكم وقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قال بعضهم قل انزله قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى قل يا محمد الله انزله على موسى عليه السلام وقيل هو صلة قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم
او قل الله علمكم ويحتمل ان يكون الله سخرهم حتى قالوا ذلك فكان ذلك حجة عليهم وقوله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون هذا يحتمل وجهين ذرهم ولا تكافئهم بصنيعهم كقوله فاعرض عنهم واصفح والثاني انه قد قام
عليهم الحجج وظهرت عندهم البراهين لكنهم كابروا وعاندوا فامره ان يذرهم لا يقيم عليهم الآيات والحجج بعد ذلك
ولكن يدعوهم الى التوحيد لانه دعاهم الى التوحيد ولكن يذرهم ولا يقيم عليهم الحجج وقوله في خوضهم يلعبون
اي في باطلهم وتكذيبهم يعمهون وقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك قيل هو القران انزلناه مباركا سمى
القران مرة مباركا ومرة نورا ومرة هدى ورحمة ومرة شفاء ومجيدا وكريما وحكيما وانه لا يوصف بهذه
الصفات على الحقيقة لانه صفة والصفة لا توصف بصفة هي دونها انما توصف بصفة هي ذاتها كقولهم
كلام صدق وحق لان الصدق والحق على الكلام […] وهذه صفات تعد الكلام ولا تتصف بها
على الحقيقة لكن كانه اراد بها وصف الكلام الذي هو صفة الله تعالى على الحقيقة القائم بذاته فاما المكتوب […]
على كلامه فيما لا يقبل […] لا وصفا فاذا لو كان القران هو في الحقيقة نورا ورحمة وهدى وشفاء ومباركا
لكان يكون كذلك لكل احد وقد ذكرنا انه عمى على بعض واخبر انه يزداد بذلك رجسا الى رجسهم […]
هو في الحقيقة كذلك لكن سماه نورا لما يصير نورا للمسترشدين ويصير شفاء ورحمة للمتقين لما يشفي
الداء الذي يحل في الدين ويسماه روحا لما يحيا به الدين ويسماه حكيما لما يصير من عمل به حكيما […]
سماه مجيدا كريما لما يدعو الخلق الى المجد والكرم ومن تبعه يتخلق باخلاق […] ويصير مجيدا كريما ويسماه
مباركا لما به ينال كل بركة والبركة اسم لشيء ينال به كل بر وخير والخلق اسم لكل ما ينمو ويتماو في الحادث […]
تبعه ناله كل خير وبر وكل ثمرة ونماء في الحادث […] ناله كل خير وبر وكل ثمرة ونماء في الحادث هذا وجه
الوصف بما ذكر الله وقوله تعالى مصدق الذي بين يديه اي مصدقا لما بين يديه من الكتب لانه كان يدعو
الخلق الى ما كان يدعو سائر الكتب التي انزلها على الرسل عليهم السلام من توحيد الله والنهي عن الشرك […]
في الالوهية والعبادة ويدعو الى كل عدل واحسان وينهى عن كل فاحشة ومنكر لم يخالف بعضها بعضا بل كانت
الكتب كلها موافقة بعضها لبعض كذلك قال مصدق الذي بين يديه والله الموفق وقوله تعالى ولتنذر
ام القرى ومن حولها قيل ام القرى مكة وسميت ام القرى لوجهين احدهما لانها اصل […] دحيت الارض من
تحتها على ما ذكر اهل التأويل والثاني سميت ام القرى لانها مقصد الخلق في الحج وفيها يقضى المناسك واليها
يقصدون ويؤمون واليها يتوجهون في الصلاة وهي مقصد اهل القرى ايضا والام المقصد في اللغة ومنه
اخذ التيمم ثم قوله لتنذر ام القرى واهل ام القرى لان القرى لا تنذر انما اهلها تنذرون وهو كقوله واسأل
القرية التي كنا فيها اي اهل القرية وهذا مثله وقوله والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان قيل انه قد اخبر من آمن بالبعث يؤمن بهذا الكتاب واهل الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون بالقران
فما معنى ذلك يحتمل هذا وجوها احدها انه يكون هذا في قوم مخصوصين اذ آمنوا بالبعث يؤمنون به وهو نظير
قوله انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هو في قوم مخصوصين لانه قد آمن بعض منهم بالانذار وعلى ذلك الاول
والثاني اي ما الذين يؤمنون بالاخرة بالعلم والحجج يؤمنون بالقران لان القران جاء فيما جاء بحجج البعث وتأكيده
فلا يجوز ان يؤمنوا بما فيه القران ولا يؤمنوا به والثالث يحتمل ان يكونوا اخبارا […] يؤمنون
بالبعث بالآيات والحجج راغبين فيه فلما جاءهم آمنوا به ويمكن ان يكون هذه الآية في المؤمنين اخبر انهم آمنوا بالاخرة و
بالقران الا ترى انه قال وهم على صلاتهم يحافظون ويحتمل انه قال الذين يؤمنون بالاخرة يحق لهم ان يؤمنوا
بالقران لانه يتوعد الاخرة وبالعمل بما فيه ينال النعيم الاخرة وينجو من العذاب الدائم والله اعلم وقوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا هذا في الظاهر استفهام وسؤال لم يذكر له جواب لكن اهل التأويل فسروا فقالوا
معناه لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا الكلام جواب لما ذكر من السؤال لانه تفسير له لكن ترك ذكر
الجواب بمعرفة اهل الخطاب بذلك لانهم كانوا عرفوا انه جواب بقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا […]
لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وقد يترك الجواب لمعرفة اهله به فان قال قائل بان كلمة افعل يستعمل في الترجيح
وكلمة ممن افترى على الله كذبا الحرف من التبعيض وليس بعض من افترى على الله كذبا اظلم من بعض لاستواء ذلك
في الاقرار لانا نقول كلمة من هاهنا للتمييز للجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فمعناه ما ذكر
لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا ولا احد افحش ظلما ولا افحش كذبا من المفتري على الله كذبا فالافتراء على
الله افحش انواع الظلم لان المفتري يتقلب في نعم الله تعالى في ليله ونهاره ومع ذلك يفتري على الله فيكون افحش

فلذلك سماه اظلم وبالله النجاة وقوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ذكر اهل التأويل انه نزل في او قال
اوحي ولم يوح اليه شيء نزلت في مسيلمة الكذاب وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قيل نزلت
في عبد الله بن ابي سرح لكن ليس لنا الى معرفة هذا حاجة فيهم بل هي على التوعيد على الافتراء على الله تعالى كذبا
سواء من ادعى ذلك فانما ادعى بناء على انكار رسالته تعالى وهو كقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين ثم في قوله او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله دلالة ان يأتي الرسالة من لها الرسالة في الافتراء على الله تعالى والكذب عليه لمن ادعى الرسالة النبوة
وليست له رسالة وكذلك من ادعى انه ينزل مثل ما انزل الله ومن ادعى انه لم ينزل شيئا فهو في الافتراء على الله
سواء وعلى ذلك يكون باقي الشيء ومثبته في اقامة الحجة والدليل سواء والله اعلم وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس رضه قال
قوله في غمرات الموت في سكرات الموت وغشياته والملائكة باسطو ايديهم قال ملك الموت واعوانه
الذين معه من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب باسطو ايديهم قال ضاربوا ايديهم انفسهم ويقولون اخرجوا الروح
اخرجوها يقولون لهم اخرجوا انفسكم ليس على حقيقة الخروج ولكن اخرجوا انفسكم عن شدة الموت وسكراته
وذلك عند الموت وكذلك يقول قتادة رضه وقال الحسن رضه هذا في النار في الاخرة فقوله غمرات الموت
عبارة عن كثرة العذاب وشدته وهو مستعمل في الكلام ولهذا يقال للشيء الكثير غمر الماء وهو كقوله ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت اي تأتيه اسباب الموت ولو كان هناك موت لمات لشدة العذاب وقوله باسطو
ايديهم اي يضربون الوجوه والادبار وهو كقوله يضربون وجوههم وادبارهم الآية وقوله اخرجوا انفسكم
على حقيقة الخروج يقول لهم الملائكة اخرجوا انفسكم من النار وهو كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها فعلى تأويل الحسن هذا في العذاب يضرب الملائكة وجوههم وادبارهم […] ولكن يكون قوله
اخرجوا انفسكم ليس على حقيقة الخروج لكن كما يقال عند نزول الشدائد اخرج نفسك منها وهو كقول ابن
عباس رضه قال قوله في غمرات الموت نزعات الموت وسكراته وقتادة رضي الله عنه عند الموت وقال
ابو عوسجة غمرات الموت سكراته وشدائده والغمر الماء الكثير والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر القدح الصغير من الخشب وغمرة
الحرب وسطها واشدها وقوله تعالى اليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان ولا رحمة فيه للشدة وقوله
تعالى بما كنتم تقولون على الله غير الحق اي العذاب الشديد بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق بان معه
شريكا والهة وكنتم عن آياته تستكبرون او ما كانوا يقولون لم ينزل شيئا وقال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وقال الواحد منهم
بانه اوحي الي وانا انزل مثل ما انزل الله وغير ذلك من الافتراء وبالله العصمة وقوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا فالله اعلم جئتمونا اي اعدناكم وبعثناكم بعد الموت فرادى بلا معين
ولا ناصر كما خلقناكم اول مرة بلا معين ولا ناصر والثاني اعيدكم وابعثكم فرادى بلا اعوان لكم ولا شفعاء
يشفعون لكم ويعين بعضكم بعضا كما خلقناكم في الابتداء فرادى ولم يكن لكم شفعاء ولا اعوان وقيل
نبعثكم ونعيدكم بلا مال ولا شيء من الدنيا كما خلقناكم في الابتداء بلا مال ولا شيء من الدنيا ويحتمل قوله ولقد
جئتمونا فرادى ليس معكم شيء تفتخرون به كما خلقناكم اول مرة وجائز ان يكون قوله كما خلقناكم اول
مرة منفصل عن قوله ولقد جئتمونا فرادى لكنه سؤال الجواب لم يذكر كانهم يسألون اي كيف يبعثون
نعيده كما […] اي يبعثون كما خلقناكم اول مرة والله اعلم وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم يحتمل وجهين يحتمل تركتم وراء ظهوركم ولا تقبلون اليه ولا تنظرون اليه كالمنبوذ وراء ظهوركم
انما نظركم الى اعمالكم التي قدمتموها والثاني اي لم تقدموا ما خولناكم ولم تنفقوا به بل تركتم وراء ظهوركم
انما نظركم الى اعمالكم التي قدمتموها لا تنتفعون بها انما منفعتكم فيما قدمتموه وانفقتم منه والله اعلم وقوله
خولناكم اي اعطيناكم ورزقناكم وقيل ملكناكم وهو في المعنى واحد وقوله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء وذلك انهم كانوا يجعلون مع الله شركاء في عبادته لا في الوهيته ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في عبادتكم وزعمتم انهم شفعاؤكم عند الله بل هم مشغولون بانفسهم
[…] وقوله تعالى لقد تقطع بينكم قرئ بالرفع والنصب جميعا
فمن قرأ بالرفع لقد تقطع تواصلكم اذ ليس من اسماء الاضداد يذكر الوصل والقطع على ان من قرأ
بالنصب اي لقد تقطع ما كان بينكم من الوصل يخبر الله تعالى عن انقطاع ما كان بينهم من التواصل والتساعد
في الدنيا فانهم كانوا يتعاونون ويتناصرون ويذب بعضهم عن بعض وفي الاخرة ينقطع ذلك كله

ويصير بعضهم عن بعض كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وكقوله الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين وكقوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا فيصير المعبودون اعداء للعابدين وكما ان هذا عداء للمعبودين ويصير الوصلة والمودة
التي فيما بينهم من الدنيا عداوة والرحم والقرابة التي كانت بينهم منقطعة حتى يفر بعضهم من بعض كقوله
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية وقوله وضل عنكم ما كنتم تزعمون لانهم شركاء وشفعاء في العبادة
عند الله تعالى فبان الله النجاة • وقوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى • قيل خالق الحب والنوى كما قال فاطر
السموات والارض وكقوله تعالى وهو الذي فطركم اول مرة اي خلقكم يخبر الله تعالى انه خالق الحب والنوى
وانما خص الحب والنوى بالذكر لما فيها خلق عز وجل جميع ما في الدنيا من الانزال والحبوب وهو كقوله
خلقكم من نفس واحدة فكما انه خلق منها ما في الدنيا من البشر فاضاف ذلك اليه وعلى ذلك لما خلق الانزال
كلها من الحب والنوى ومنها اخرج اضاف ذلك الى نفسه فقال فالق الحب والنوى كانه قال خالق الانزال
كلها والله اعلم ويحتمل ان لا يكون المراد هو الاخبار عن انشاء الاشياء ولكن المراد هو الاخبار عن لطفه فان
الفالق هو الشق يخبر انه شق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نباتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق
على انفاذه واخراج مثله من غير اذى وسعي (?) بعد ذلك انبت ما قدر واعلمه ليخبر عن كمال قدرته ولطفه
اي من قدر على هذا القادر على اعادة الخلق وكذلك ما شق العروق الضعيفة اللينة من الحجر والخشب مع
شدته وصلابته ما لو اجتمع الخلائق كلهم على شق ذلك الحجر واخراج العروق مع ضعفه ولينه ما قدروا
عليه يخبر الله عن لطفه وقدرته انه لا يعجزه شيء وفيه بيان ان ذلك فعل عالم لانه لو كان ذا ارادة هذا
شقه منعه الاخر عن ذلك فلا يتحقق فلما تحقق دل على ان الفاعل واحد وفيه دليل انه خرج على تدبير وحكمة
لاخراجه حيث اتفق في كل عام على قدر واحد من غير زيادة ونقصان بأسلوب واحد وفيه دلالة البعث وهو انه
لما قدر على اخراج الورق والثمر من النواة والشجر وان لم يتوهم فيها اثر كذا يقدر على بعثهم بعدما اتهموا فيها
وان لم يبق لهم وفي ذلك بيان ان قدرته غير مقدرة بقدر الخلق وقوتهم بل خارجة على تحكم تقديرهم (?)
لان قوته وقدرته ذاتية ازلية بلا تسبب وقوة الخلق وقدرتهم حادثة مستفادة بأسباب وأسلوب
وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ان الحب والنوى الذي ذكر ميتا ثم يخرج منهما
النبات الاخضر حيا ثم يخرج من الشجر الاخضر الحي والزرع الحي الحب والنواة وفيه دلالة البعث بعد الموت
لان الذي قدر على اخراج النبات الاخضر الحي من حبة ميتة او نواة ميتة وليس فيها اثر للحي شيء لقادر على
ان يحييهم ويبعثهم بعد الموت وان لم يبق من اثر الحياة شيء على ما تقدم • وقوله تعالى ذلكم الله
فانى تؤفكون • اي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله تعالى لا الاصنام التي تعبدونها واشركتم اياها
في عبادة الله تعالى اي حجة تصرفكم عما ذكر اي لا حجة لكم فيصرفكم عن الوهيته الى غيره ولا حجة في العبادة
الى الاصنام فانى تصرفون بتمادكم من الهواء (?) الدلالة على الوحدانية والربوبية وقال اهل التفسير فانى تصرفون
كقوله قالوا اجئتنا لتأفكنا اي لتصرفنا وقيل تؤفكون اي تكذبون في ما الذي على الكذب والكذب
واحد في الحقيقة لان الكذب هو صرف الحق الى الباطل • وقوله تعالى فالق الاصباح • وهو يحتمل الوجهين
الذين ذكرناهما في قوله فالق الحب والنوى احدهما على ابتداء خلقه فالق وتدبير لبدء الخلق والاخر على ما
يحتمل الشق وفيه بيان لطفه وقدرته اي يشق النهار من الليل والليل من النهار بعد ما تلف كل واحد منهما
حتى لم يبق له اثر وفيه دلالة البعث والاحياء بعد الموت لان الذي قدر على انشاء النهار من الليل والليل
من النهار بعد ما تلف وذهب اثره لقادر على انشاء الخلق وبعثهم بعد الموت وذهاب آثارهم • وقوله تعالى
وجاعل الليل سكنا • اخبر الله تعالى جعل الليل من آيات ربوبيته ووحدانيته حيث جعلهما يقهران الخلائق
ويقهرانهم فيكونون تحت سلطانهما يجريان على سنن واحد ومجرى واحد على ان لهما خالقا
لو كانا يجريان بطباعهما لكانا يختلف جريانهما ولم يتسق بعد انشائهما وجريانهما على نسق واحد ومجرى
واحد على ان لغيره فيهما تدبيرا ثم قوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا دلالة نقض قول المعتزلة لان
الاصباح فعل الخلق لانه يقال اصبح يصبح وكذلك السكن هو فعل الخلق ثم اضاف ذلك كله الى نفسه
دل انه خالق افعالهم • وقوله تعالى والشمس والقمر حسبانا • اختلف فيه قال ابو عبيدة هو من الحساب وهو جمع
حساب يقال الحساب وحسبان كما يقال شهب وشهبان وهو كقوله وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وقيل حسبانا اي جريانا يجريان ويدوران ابدا لا يستريحان وقيل حسبانا اي ضياء كقوله جعل الشمس
والقمر نورا والله اعلم • وقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم • اخبر انه الجريان او ذلك التي جعلت فيهما

من نضج الانزال التي فيهما او معرفة عدد الايام والشهور والسنين ونحو ذلك تقدير العزيز العليم انهما
يجريان مجرى واحدا لا غير مختلف وكانا مسخرين لمنافع الخلق ويجريان دائما لا يستريحان بحال ولو كانا
بطباعهما يعملان لكان لا يتسق عملهما وكانا يستريحان ولا يتعبان انفسهما دل انهما كانا بمدبر حكيم
عليم وقال الحسن رضي الله عنه العزيز هو الذي لا يعجزه شيء وقيل العزيز هو الذي يعز به كل عزيز وقيل العزيز المنيع
في سلطانه المنتقم من اعدائه والعليم هو العالم بمصالح الخلق وحوائجهم وبما كان ويكون • وقوله تعالى
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر • المراد ههنا حقيقة الظلمات وذكر في قوله قل
من ينجيكم من ظلمات البر والبحر واراد بالظلمات الشدائد والاهوال التي تصيبهم الا ترى انه قال تدعونه تضرعا
وخفية وذلك يكون عند الشدائد والاهوال كانه ذكرهم عظيم سلطانه وكمال قدرته بما يدفع عنهم الاهوال
وينجيهم من الشدائد التي تنزل بهم ولا يدفع عنهم ذلك هؤلاء الاصنام التي يعبدونها دون الله تعالى
ويشركونها في عبادته وذكر في قوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر عظيم ما انعم به عليهم بما
جعل النجم في السماء نجوما ليستدلوا بها الطرق والمسالك في البحار والبراري عند اشتباهها عليهم وخفيتها
عليهم وفيه دلالة وحدانية الرب وتوحيده وتدبيره وحكمته لانه جعل في السماء ادلة يهتدون
بها ويستدلون على معرفة الطرق مع بعد ما بينهما من المسافة وتسوية اسباب الارض باسباب السماء وتعلق
منافع بعض ببعض ليعلموا انه كان من واحد مدبر حكيم عليم اذ لو كان بعدد او من لا تدبير له ولا حكمة لم يحتمل ذلك
ولم يتسق ما ذكرنا دل انه كان بالواحد العليم الحكيم ثم هو على علم وبصيرة ان الاصنام لا يقدرون على شيء من
ذلك لكنهم مع هذا يعبدونها ويشركونها في العبادة سفها منهم وعنادا والله اعلم ثم في قوله فالق الحب
والنوى وفالق الاصباح الاية وقوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها الاية وغيرها من الايات التي يذكر نعمه وامتنانه
اياهم استأدى منهم اداء الشكر له على تلك النعم وجعل الشيء لهم سكنا بعد ذلك النوع وجعلها بان يذكر ذلك تذكيرا
لهم قدرته وسلطانه انه من قدرته على ما ذكر لا يحتمل ان يعجزه شيء وفيه يذكر تدبيره وعلمه وحكمته على ما ذكرنا
من اتساق الامر والحال على نمط واحد وسنن واحد غير متناقض ولا متفاوت ولا دونه الا بالله • وقوله تعالى
قد فصلنا الايات • قد صرفنا الايات وصرفنا كل اية الى موضعها التي يكون لهم دليلا عند الحاجة اليها وقيل
فصلنا اي بينا • وقوله تعالى لقوم يعلمون • قيل اي لقوم ينتفعون بعلمهم لان من انتفع بشيء يقصد ذلك له
ومن لم ينتفع بشيء لا يكون له وقيل جعل الايات لقوم يعلمون دل ان المراد الذين ينتفعون بها لتكون الايات
لهم والله اعلم • وقوله تعالى وهو الذي انشأكم من نفس واحدة • ليس فيه انه لا يقدر على الانشاء لا من شيء لان
الخلائق باجمعهم لم يكن في تلك النفس الواحدة لانهم لو اجتمعوا كلهم ما احتملتهم الارض فكيف يحتملهم نفس
واحدة ولكن يكون في كل نفس منها جزء قليل ثم انشأ الاخر لا من شيء ليعلم انه قادر على الخلق من شيء ومن لا شيء
الا يرى انه لم يكن لتلك النفس الواحدة التي خلق الخلائق منها اصل خلقها منه بل انشأها لا من اصل والله الموفق
• وقوله تعالى مستقر ومستودع • اختلف في تأويله قال الحسن رضي الله عنه مستقر في الاخرة بعمله الذي ختم به
ان ختم بعمل الخير يبقى ابدا في الخير وان ختم بشر يبقى ابدا في الشر ومستودع في اصله ينتقل من حال الى حال
ومن قصر الصغير الى الكبير ومن الشباب الى المشيب الى ارذل العمر ثم ينتهي اجله وقيل مستقر في الارحام
النساء ومستودع في اصلاب الرجال ونحو هذا قال عامة اهل التأويل وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا
ويحتمل مستقر بالليل ومستودع في الدنيا ومستقر في الاخرة باعماله التي عملوا لينالوا الجزاء والله اعلم ويشبه
ان يكون مستقر ومستودع في كل حال وفي كل وقت يكونان يكون في حال القيام حتى ينتقل الى حال اخرى
ومستودع لما هو على شرف الانتقال الى اخرى وكذلك مستقر في وقت لوجوده وكونه في ذلك الوقت ومستودع
فيما يشرف الانتقال منه الى وقت اخر والله اعلم • وقوله تعالى قد فصلنا الايات لقوم يفقهون • وقد قال قبل
هذه الاية لقوم يعلمون المقاربة بينهما في الاسم لما بين الخلق وان كان بين العلم والفقه مفارقة من حيث
الحقيقة فالفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره والعلم ما يعرف بنفسه والفقيه هو الذي يعرف الاشياء
باعتبارها ونظائرها ودلائلها والعالم هو الذي يعرف الاشياء مطلقا ولهذا لا يقال لله تعالى فقيه ويقال
له عالم لانه عالم بالاشياء بذاتها لا باعتبارها ونظائرها • وقوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا
به نبات كل شيء • يذكرهم عظيم منته بما ينزل من السماء من الماء ويخرج به نبات كل شيء كما ذكرهم منته بما جعل لهم
النجوم ليهتدوا بها في الظلمات واشتباه الطرق وما جعل الليل للسكون والراحة والنهار للمعاش والتقلب
وما جعل لهم من المنافع في الشمس والقمر من نضج الاثمار ولون الزرع وتبعها ومعرفة الايام والشهور والسنين
والحساب والاحوال التي يحتاجون اليها العهود ويعرف بذلك عظم النعم التي انعم عليهم ليوجب عليهم الشكر لمن انعم عليهم

انعمها عليهم ليوجهوا شكر هذه النعم لله دون غيره ولا يتخذوا الها سواه ولا يشركوا غيره في عبادته ثم قوله فاخرجنا به نبات كل شيء يحتمل قوله نبات كل شيء اي ما بالخلق حاجة اليه ليعلم ان كل ما يخرج من الارض اصله الماء به ينبت ما يكون غذاء البشر والحيوان والطيور كلهم وهو كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون ذكرهم عظيم ما جعل لهم من الماء من المنافع على اخبر انه يخرج نبات كل شيء وبه يكون حياة كل شيء ثم من الاوقات ما لو نزل فيها الماء لم ينبت نحو الشتاء وغيره ليعلم انه ينبت بتدبير مدبر عليم لا بالماء نفسه لكنه جعل سببا فيقتضي على الوقت الذي جعله سببا فيه اذ لو كان بنفسه لما تصور ان يتعطل وجود النبات عن وجود الماء والله الموفق وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا • قيل به يخرج اول ما يخرج خضرا يعني الماء فانه يكون نباتا ابتداء كل نبت على الخضرة ثم يتحول الى لون اخر ويقل الماء بدوم ويبقى خضرا لولا الماء وقال البشر ويتغير عن حال ابتدائه ثم قوله نخرج منه حبا متراكبا اي بعضه على بعض يخرج من لطفه وصنعه مما يخرج من الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله ليعلموا ان له في ذلك تدبيرا وصنعا وفيه دلالة انه قد ينشي الاشياء من لا شيء وبلا سبب وان كان قد انشا بعضها بالاسباب نحو ما اخرج من الحبة والنواة نباتا اخضر ولم يكن في الحبة نبات ثم اخرج من ذلك النبات الاخضر حبوبا ولم يكن في النبات حبوب ليعلم انه قادر على انشاء الاشياء لا من شيء ولا سبب والله اعلم وقوله تعالى ومن النخل • اي يخرج من النخل طلعا بالماء وفيه من عظيم لطفه وتدبيره ان جعل النخل والاشجار تشرب الماء بعروقها ثم ينتشر ذلك في اصلها الى اقصى اغصانها ثم يخرج منه حصا ومن طبع الماء التسفل دون العلو على خلاف طبع النار ليعلم ان ذلك بتدبير مدبر ولطفه وقوله تعالى ومن طلعها قنوان دانية • قيل القنوان العروق التي يكون فيها التمر والثمار واحدها قنو وقوله دانية قال الحسن هي اي يجمع بعضها الى بعض غير متفرق على ما يكون من الاعناب والتمر والحبوب وان كان هنا ضوء من الكل وقال بعضهم دانية اي قريبة ملتزقة بالارض ينالها القائم والقاعد جميعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما دانية قصار النخل الملاصقة عروقها بالارض وفيه نقض قول الدهرية بكون الاشياء في شيء واحد كما هي اذ لا يحتمل ان يكون عشرة الاف نواة وحبة في نواة واحدة او حبة واحدة او يكون الشجرة مع طولها وعظمها وغلظها في نواة واحدة والله الموفق وقوله تعالى جنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه • ثم قيل في اللون الطعم وقيل هو على الكل الاشياء بعضها بعضا منها ما يشبه ساقه هذا والثمار والحبوب مختلفة ومنها ما يشبه في الطعم واللون ومختلف في غير ذلك ليعلم ان له في ذلك تدبيرا وصنعا لطيفا لم يكن ذلك بالماء لانه لو كان ذلك بالماء لكان لا يختلف كل هذا الاختلاف في اللون والطعم والساق والورق دل انه كان ذلك بتدبير عليم مدبر حكيم انشاه على ما اراد بلطفه وتدبيره وقوله تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه • يحتمل الامر بالنظر الى الثمر وجوها احدها انظروا الى ثمره اذا اثمر كيف نقلها وحولها من حال الى حال ومن لون الى لون وان يخرج في ساعة لطيفة ما لو اجتمع الخلائق كلهم على تعديده اي كم خرج وان فقدنا يخرج لم يقدروا عليه ليعلموا ان ذلك بتدبير لطيف قادر حكيم وانه كما قدر على اخراج ذلك كله في ساعة لطيف يقدر على احياء الموتى ثم ثمرة واحدة وكان انا الا المطر من السماء مع بعدها اية عجيبة وحكمة بالغة فانه ينزل واحدا واحدا بحيث لا يختلط بعضه ببعض مع كثرة المطر وازدحامه وبعد السماء ما لو اجتمع الخلائق على حفظ مثله لما قدروا عليه دل انه كان بتدبير حكيم عليم والثاني انظروا الى ثمره اذا اثمر في اول ما يخرج على لون واحد وعلى قدر واحد ثم يختلف الوانها وطعمها واقدارها ليعلموا انه كان بتدبير واحد عليم حكيم قادر على خلق الاشياء بلا سبب لانه لو كان كذلك سبب لا تدبير فيه لكان بسبب هذا كله واحدا فيجي ان يخرج كله على سنن واحد ولما اختلف دل ان خالق ذلك كله واحد خلقها لا بسبب كما شاء بتدبيره والثالث يحتمل انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه انه جعل ما يطيب منه للبشر وجعلهم اسبابا يتخذونه الطيب من ذلك نحو الطبخ والنضج وغيره وجعل لغيرهم من الحيوان ما هو خارج من الارض من غير صنع ليعلم ان غيرهم من الحيوان الارضية انما خلقهم لما فيهم وان البشر هم المقصودون في خلق الاشياء كلها وبالله العصمة والنجاة وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون • قد ذكرنا انها تصير ايات لمن صدق بها وامن فاما من عاند وكابر عقله ولم يتامل فيها حتى لا يفهم ما فيها من عجيب اياته وعظيم سلطانه ايات عليه وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن اختلف في تاويل قوله وجعلوا لله قيل اي قالوا شركاء وكذلك في قوله ويجعلون لله البنات اي يقولون لله البنات وقيل اي وصفوا لله شركاء الجن وانهم كانوا يصفونه بالشرك دليله ما ذكر في اخر الاية سبحانه

عما يصفون ثم اختلف في تاويل قوله شركاء الجن قال بعضهم المراد من الجن الملائكة اي جعلوا الملائكة شركاء له في العبادة وهو كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل ان الكفار لم يعبدوا الجن ولا قصدوا قصد عبادة الشيطان نحو ما قال يا بني ادم لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وهذا لان جميع الكفرة يبغضون الشيطان ويلعنون عليه فكيف يعبدونه ولكن معناه ان الشيطان هو الذي دعاهم الى عبادة الاصنام والاوثان فاذا عبدوا الاصنام بدعائه اياهم وامره لهم فكانهم عبدوه واشركوه في عبادة الله تعالى لما اشركوا الاصنام فلذلك قال وجعلوا لله شركاء الجن فان قيل اذا صاروا كانهم عبدوا الشيطان ومن ذكر من الجن بدعائه اياهم وامرهم الى ذلك صاروا معبودا لهم بمنزلة الاصنام كيف لا صار المؤمنون كانهم عبدوا الرسل عليهم السلام لانهم انما عبدوا الله تعالى بدعائهم وامرهم اياهم قيل ان الكفرة يعبدون الاصنام بامر الشيطان نفسه فان الشيطان بنفسه يلزمهم بذلك لانه يلقي اليهم امر الاصنام بالعبادة لهم فاذا فعلوا ذلك بامره واطاعوه في ذلك فكانهم عبدوه واما الرسل عليهم السلام فانما يدعون امر الله تعالى ايانا بالعبادة له لا انهم يامرون من ذات انفسهم فيكون الائتمار منا طاعة للرسل لا طاعة للرسل في الحقيقة فلا يصير ذلك مضافا الى امرهم ويحتمل الشرك في العبادة ما روي في الخبر ان الشمس اذا طلعت يطلع بين قرني الشيطان فاذا عبدوها فكانهم عبدوا الشيطان والله اعلم ثم قوله وجعلوا لله شركاء الجن لجعلهم الاولياء نحو صنيعه الى اعدائه من الانعام عليهم والاحسان اليهم وقبح صنيع اوليائه وما وصفهم اياه بالولد والشركاء ليعلموا ان كيف نعامل مع الاعداء مثل المعاملة معهم والصبر على اذاهم وتحملهم ذلك على الرجوع عن العداوة والله اعلم وقوله تعالى وخلقهم • اي وعلموا انه الذي خلقهم ثم مع هذا اشركوا غيره في الوهيته وعبادته ولا يوجهون شكر نعم الله فكان بيانا في الغاية جهلهم وسفههم والثاني وخلقهم اي خلق هذه الاصنام التي يعبدونها ويعلمون انها مخلوقة مسخرة بتذليل الله ومع علمهم ذلك يشركونها اليه في الوهيته والعبادة وكيف يكون المخلوق المسخر شريكا للخالق والله الهادي وقوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم هم كانوا فرقا واصنافا فمنهم من يقول بان عيسى ابن الله وهم النصارى ومنهم من يقول ان عزير ابن الله وهم اليهود وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله فقال تعالى ردا عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقال ام له البنات ولكم البنون وقال واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي اذا انفتم انتم من البنات كيف نسبتم البنات اليه وكان قوله وخرقوا له بنين وبنات منصرفا الى الفرق وعلى التقسيم فنسبة البنين من بعض والبنات من بعض لان الكفرة كلهم ينسبون اليه البنين والبنات جميعا لانه لم يثبت منهم ثم هذه الاية تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى الكفرة بما اخبر مع كثرة ما كان لهم من الله تعالى من النعم والبنين يشركون في عبادته غيره وينسبون اليه البنين والبنات وهو لم يعاجلهم ولم يأخذهم بذلك فانت اذا لم يكن منك اليهم شيء من ذلك فلا يضيق قلبك بما لم يطيعوك ولم يقبلوا قولك فان ذلك في الحاصل مخالفتي وترك طاعتي فاصبر على اذاهم حتى ياتي وقت الجزاء والله اعلم ثم قوله بغير علم اي يقولون ذلك على جهل او ظن والقول بالظن والجهل يكون قولا بغير علم ويحتمل انهم كانوا يعلمون يقينا ان ليس له ولد ولا شريك ولكنهم يكابرون ويقولون ذلك كذبا والقول بالشيء كذبا على خلاف ما هو به والله اعلم وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون • هو حرف تعظيم وتنزيه وضع لذلك فيما بين الخلق حتى كانوا يعظمونه به وينزهونه به ويتقون كل عيب فيهم فعلى ذلك ذكر الله تعالى عند وصف الكفرة اياه بالولد والشريك والعيوب تنزيها وتبريا عن كل عيب وصفوه وتعاليا على جميع ما قالوا فيه وهو والله اعلم كما يقال المعاذ الله وتنزيها وتبريا عما نسبوه اليه من النقائص ثم في قوله سبحانه وتعالى عما يصفون نقض قول المعتزلة في ان صفات الله تعالى هو وصف الواصفين فان الصفة لو لم تكن الا وصف الواصف لاجل كان لا يعني لذم بعض الواصفين وحمد بعضهم فان من قال ان العالم قادر حكيم يحمد عليه ومن قال انه جاهل عاجز بنفسه يذم عليه ولو كان وصفه بما ليس فيه كان الثاني وصفه بما ليس فيه فما استويا في الوصف لماذا لم يحق الاول الحمد والثاني الذم وصار الاول بذلك الوصف كافرا والثاني لاجل بذلك الوصف كافرا والثاني لاجل ما وراء الوصف من معاني راجعة الى الذات من صفات النقص وصفات المدح والكمال يستحق المادح والحمد من اثبت فيه صفات الكمال ونفي عنه صفات النقص ويستحق الذم والعيب من اثبت فيه صفات النقص ونفى عنه صفات الكمال والله الموفق وقوله تعالى بديع السموات والارض انى يكون له ولد • وصف الله تعالى نفسه بانه بديع السموات والارض ينقض قول القرامطة فانهم يقولون انه لا يوصف بانه خالق السموات والارض وانه بديع ومبدع ظنا منهم ان ذلك يوجب التشابه لما يوصف الخلق بالبدع فيقال فلان بدع شيئا فكونهم خلاف الكتاب ولانهم يقولون المبدع الثاني هو اول مخلوق خلق من جميع العالم فلما كان اول خلق

خلقه يكون مبتدعا فيكون هو مبتدعا كما اتصف بالخلق خالقا فكذا بالابداع هو احداث شيء لم يسبق له اصل
ولا مثال ولهذا انما يقال لمن احدث في دينه شيئا لم يسبق له اصل ومثال مبتدع والله تعالى انشأ السموات
والارض ابتداء لا عن اصل تقدم ولا مثال سبق فصح اتصافه بكونه بديع السموات والارض بقوله بديع
السموات والارض انى يكون له ولد اى من قدر على ابداع السموات والارض لا عن اصل سبق ولا مثال فانى
يقع له الحاجة الى الولد والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد معنيين اما للانتصار على الاعداء والانتقام
منهم واما للوحشة تأخذهم واما للحاجة تمسهم والله عز وجل يتعالى عن ذلك كله فانى يتخذ ولدا وقال
الكسائي رحمه الله بديع السموات واحد كما يقال عالم وعليم بمبتدع ومبدع واحد وقال بعضهم هو مثل
فاطر السموات والارض وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة نفى الولد بنفي الصاحبة لانهم يعرفون ان الولد
لا يكون في الشاهد الا عن صاحبة وليست له صاحبة فانى يكون له ولد وانما هذا الاكرام من الله تعالى
والخطاب في حق اقوام ينفون عنه الصاحبة لا في حق قوم يثبتون له صاحبة على انه قد قام الدليل
العقلي على انه لا صاحبة له لان الحاجة الى الصاحبة للشهوات التي تمكن فيهم والشهوة هي التي تقهر
المرء فتحمله على الحاجة وهو القاهر على كل شيء المستغني عن كل شيء المتعالي عن الحاجات فانى يوصف بالشهوة
الداعية الى الصاحبة فكان نفي الولد بنفي الصاحبة من دليل يكون حجة لازمة على من انكر الصاحبة او
ادعاها والله الموفق وقوله تعالى وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم في الاية نقض قول المعتزلة لانه
اخبر انه خلق كل شيء وعلى قولهم لم يخلق جزءا من الفجر ومن الاشياء لانهم يقولون ان الله تعالى لم يخلق
افعال العباد ولا حركاتهم ولا سكونهم ولا قيامهم ولا قعودهم ولا شيء من ذلك وكذلك افعال
حيوان لا اختيار فيكون الاية حجة عليهم وهو كقوله خالق كل شيء فهم يقولون بعض الاشياء فيكون
قولهم مخالفا للنص فان قالوا اليس المراد من الاية هو العموم وانما المراد هو الخصوص ونقول لا يجعل النص
بالخصوص لوجهين احدهما انه خرج النص مخرج الامتداح حيث قرن به قوله وهو بكل شيء عليم فلو جاز لهم
ان يصرفوا قوله خالق كل شيء الى شيء دون شيء لجاز لغيرهم ان يصرفوا قوله وهو بكل شيء عليم الى شيء دون شيء
ولجاز ان يصرف قوله وهو على كل شيء وكيل الى بعض دون بعض فيكون حافظا لبعض الاشياء دون الكل ثم
الحكم بالخصوص في هذين تحقيقا للامتداح لان ذلك يحصل بشيء تبذل الوصف على الاطلاق ونفيا
للشركة بالاقتسام لا انا نعلم في وجه دون وجه ولا يحيط من وجه دون وجه ثابت في حق غيره فكذلك
في حق كون الخلق صفة له يجب القول بالعموم دون الخصوص تحقيقا للامتداح نفيا للشركة والله الموفق
ولان العبد وكل حيوان دب على وجه الارض يساوي في العموم لو خلق فعل نفسه لا فعل غيره والله تعالى
عندهم خالق افعاله لا خالق فعل غيره فانى يقع الامتداح بما يشاركه فيه كل من دب ودرج من الحيوان هذا انه
فاسد ولانه لو جاز ان يطلق على الله تعالى انه خالق كل شيء باعتبار انه خلق ما هو فعل له وليس بفعل لغيره
فان عندهم الله تعالى ليس بخالق لما هو فعل غيره من المختار فكان هو خالق ما ليس بفعل لهم جاز ان يطلق
على العبد بانه خالق كل شيء باعتبار انه خالق فعله لا خالق فعل غيره وهذا سمع بين انعال للعبد انه خالق
كل شيء والمعنى الذي يوجب اطلاق هذا الاسم على الله تعالى في زعمهم موجود في حق العبد فوجب الاطلاق في حق
نسأل الله تعالى العصمة عن السرف في القول فانه لا يمنع عن الحق فانه لا حول ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ذلكم
الله ربكم خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل اى ذلكم الله ربكم الذي ابتدع خلق السموات والارض
وما ذكر من انواع المنن والنعم التي انعم عليهم من نحو ما جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في الظلمات وما ذكر انه انشأكم
من نفس واحدة وذكر من انزال الماء من السماء واخراج ما اخرج من النبات والثمار والحبوب والاعناب وغير ذلك
من عجائب حكمته وهو منشئ ذلك كله لا اله الا هو فاعبدوه اي الله وحده واشكروا نعمه ولا توجهوا الى غيره
وقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار تعلق المعتزلة بهذه الاية وقالوا نفي قوله لا تدركه
الابصار اي لا تراه الابصار لا نقول لا ادركت ببصري شخصا ورأيته ببصري سواء فعند هذا تمدح بنفي رؤية
الابصار له كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم وما يمدح الله تعالى بنفيه عن نفسه فاثبات ضده ذم ونقص
فيكون اثبات نقيصة بحال كما لو بطل استحقاق الصفة بلا تأخذه سنة ولا نوم لم يبطل الا ان
صفة نقص فلما مدح بنفي رؤية البصر عنه لم يجز اثبات ضده ونقيصته بحال اذ كان فيه اثبات صفة نقص
ولا يجوز تخصيص الاية بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لان النظر يحتمل معاني منها انتظار
الثواب كما قاله جماعة من السلف واذا كان يحتمل التأويل لا يجوز ان يخص به ما لا يحتمل التأويل ولكنا نقول
التعلق به لا يصح لانه يحتمل فانه قيل لا تدركه الابصار عن الاشخاص كالابصار يدرك الاشخاص والمعنى

الاشياء ويحيط بها وكان معناه لا يدركه الخلق وهو يدرك الخلق وقيل هو على حقيقة الابصار لكن
بصر القلب لما به يقع العلم اذ اي لا يدركه علوم الخلق وهو يدرك علومهم وذواتهم لانه غير مدرك ولا محاط
كما قال ولا يحيطون به علما والخلق بصفاتهم يحيط علمه بهم على الاحاطة قال الله تعالى وانه على كل شيء محيط و
لو كان تأويل الاية هذين الوجهين لا يصح تعلق المعتزلة بالاية في نفي الرؤية بالبصر عن الله تعالى وان كان يحمل
البصر بالعين لا حجة لكم فيها بل الحجة عليكم وذلك لان الله تمدح بنفي ادراك الابصار له وانما يقع التمدح بنفي
الادراك اذ كان يرى لانه اذا كان لا يرى لا يدرك فاذن حسن الاشياء اذا كان لا يرى لا يدرك فكان نفي الادراك
بناء على نفي الرؤية ليس مما يقع به التمدح فاما يقع به التمدح فاما نفي الادراك مع قيام الرؤية من باب التمدح الا ترى
انه تمدح بنفي الادراك مع العلم بقوله ولا يحيطون به علما ولو لم يكن يعلم ذاته لم يكن التمدح بنفي احاطة العلم
عن ذاته صحيحا فدل ان المراد بهذه الاية التمدح بنفي الادراك مع تحقيق الرؤية اي يبصرونه بالابصار بلا ادراك
واحاطة كما يعلمونه بالقلوب بلا احاطة ولا ادراك فيكون حجة عليهم وليس من ضرورة انه لا يدرك ولا يحاط
بالبصر انه لا يبصر ولا يرى الا ترى انه يعلم بالقلب انه كان ولا يدرك ذاته علما كما قال ولا يحيطون به علما فلا يكون
نفي الاحاطة عن العلم بالله نفيا للعلم كذا نفي الادراك مع الاحاطة عن رؤية الذات لا يوجب نفي الرؤية
ولان في الشاهد نرى اشياء ظاهرة مما يقع عليها البصر من نحو البصر والسمع واللسان والانف واليد وغير
ذلك من الاشياء مما لا يدرك حقيقتها بها وكيفيتها لما فيها من خفي فالعين تبصر اشياء ولا يعرف كيف
تبصر فهم تبصر وكذلك السمع لا يدرى انه كيف هو وبم يسمع وكذا هذا في كل جارحة وحاسة يجد اليد
خشونة الشيء الذي يمسه ولينه ولا تعرف بم تجد ذلك وكيف يعرفه وكذلك الكلام من اللسان والشم من الانف
والذوق من الفم فانه لا يدرى ان الشم من الانف كيف هو وبم يجد تلك الرائحة وكيف يميز الفم بين
الطعوم المختلفة فاذا كان معارف الخلق في الاشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا يدرك ماهيتها
ولا يعرف حقيقتها وكيفيتها ولا يحاط بها علما فانى يعجل وعلا الذي بحكمته وضع ذلك فيما ركب
ابعد من الادراك واحرى ان لا يحاط به ولا يدرك وهذا يرد على المشبهة مذهبهم فانهم يصورون ربهم
في قلوبهم بمثل شيء على ذلك يعبدونه فهم يشبهونه بالمحسوسات والشاهد فظنوا انهم اصابوه فقيل
والاصل في ذلك انه سبحانه وتعالى يعرف بالايات والدلائل وكل شيء دليل معرفته والدلائل هو غير محاط
به ولا يدرك انما الادراك للمحدثات المحسوسة بل هو على ما وصف نفسه عز وجل بقوله ولا يحيطون
به علما وعلى ذلك دلائل الرسل عليهم السلام نحو ما قال موسى عليه السلام حين سأله من ربكما يا موسى قال
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت وقال فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فاما دليل وحدانيته والوهيته من حيث الايات وانار العقل الدالة
على هذا تدون تعيين الذات وعلى ذلك دل الله تعالى الخلق على معرفته ووحدانيته وربوبيته فقال وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
الاية وقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الاية فعرفهم الوهيته ووحدانيته من جهة
الايات والدلائل لا من جهة ما يقع به الاحاطة والادراك على ما في الشاهد ولهذا قال اهل السنة والجماعة
اذ كلهم المحدثة في الذات يكون من الصفات تفيد الله الهداية والرشاد وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير
قيل اللطيف في فعاله الخبير بخلقه وباعمالهم وقيل اللطيف البار الرحيم وقيل اللطيف هو العالم بخفيات
الاشياء والخبير العليم ببطون الاشياء ثم هو اللطيف العظيم في الشاهد العظيم غير اللطيف واللطيف
غير العظيم لان العظيم في الشاهد هو الذي به كثافة واللطيف ما يلطف في نفسه ويرق واحد منهما
يناقض الاخر ويخالفه لنعلم انه لطيف عظيم لا من الوجه الذي يعرف في الخلق وهو كقوله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن هو اول واخر وظاهر باطن وفي الخلق من كان اولا لم يكن اخرا ومن كان ظاهرا
لم يكن باطنا كما انه اول واخر وظاهر وباطن لا من الوجه الذي يفهم الخلق ولكن على ما وصف نفسه عز وجل
وبالله التوفيق وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم اختلف في تأويله قيل بينات من ربكم وقيل
البصائر الهدى اي اراد بصائر الهدى اراد بصائر القلوب لا بصائر الرؤس وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
وقيل بصائر اي بيانا وقيل بصائر اي شواهد وبعضها قرنت من بعض ومعناه قد جاءكم شواهد وبينات
تشهد وتدلكم على الوهيته وهو كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان من نفسه بصيرة
اي شاهد تشهد كل جارحة منه على وحدانية الله تعالى والوهيته كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون ثم انما ذكر هذا والله اعلم لانهم كانوا يعبدون دونه باسم عبادة الاوثان والاصنام

ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فقال الله عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم من الآيات والرسل لما لو سمعتموهم فكانوا لكم شفعاء عند الله وقوله تعالى فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها • اي من ابصر الحق والهدى وعمل فلنفسه عمل ومن لم يبصر وعمي عنها اي ترك العمل بها فعليها ترك ان يقع العمل بعضهم لبعض يحتمل انه فاذا حمل ذكر غاية اخرى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وههنا يقول من ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها اذ كل العمي منها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل وجهين احدهما ما ذكرنا ان معناه من ابصر وتبين له الحق فعمي عن ذلك فيكون عليها لانه ابصرها وعرف انها من الله تعالى لكنه عاند وكابر وهو قوله ليهلك من هلك عن بينة فكان معنى الآيتين واحد والثاني معنا قد جاءكم بصائر لما لو تفكروا وتدبروا ونظروا فيها لعرفوا ايضا انها بصائر من الله تعالى لان البشر لا يستقيم بحيث ينظرون في العجب من الاشياء فكانوا اقل امر من بعضهم من نظر وتفكر وعرف انه لصانع حكيم عليم واحد لا شريك له لكنه عاند وكابر ولم يعمل بها فلم يؤمن بحال لتصديق ومنهم من ترك النظر فيها فعمي عنها لما لو تفكر ونظر ليتبين له فيكون البينة قائمة في حقه وانه يعمل بتقصيره فلا يعذر فيكون الحجة لازمة عليه فهذا معنى قوله ليهلك من هلك على بينة ويحيى من حي عن بينة والله اعلم وقوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ • اي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا الا البلاغ وقوله تعالى وكذلك نصرف الآيات اي نضع كل آية ونصرفها الى الوجوه التي ما يتعلق اليها الحاجة والله اعلم وقوله تعالى وليقولوا درست فيه لغات دارست ودرست وحرم التاء هذه القراآت المعروفة في قراءة دارست عن مجاهد فتأويله جادلت اليهود وجادلوك كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وكذلك قال مجاهد رضي الله عنه الا انه فسره وقال معناه قرأت على اليهود وقرؤا عليك واما من قرأ درست بفتح التاء فمعناه تعلمت من اليهود وقرأت عليهم ادرس لا اتلوهم على كتب اهل الكتاب ومن قرأ درست بتسكين التاء فالمعنى تقادمت وانمحت هذا الذي يتلوه علينا قد بطل ومرها ومحي اثره وذهب منذ ما تطاول عند المحتى كان تحدثهم احاديث القرون الاولى فقالوا ما هذا شئ قديم قد ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرأ درس وعن الحسن رضي الله عنه انه قال درست بضمة السين وحرم التاء بطلت وعن قتادة رضي الله عنه درست اي قرأت وتعلمت وانما اختلف القراء لاختلاف القول من الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من يقول انما يعلمه بشر فهو تأويل درست اي تعلمت ومنهم من يقول ان هذا الا اساطير الاولين فهو تأويل درست اي تقادمت ومنهم من يقول ان هذا الا سحر مبين ونحو ذلك فهو تأويل المجادلة فعلى اختلاف اقاويلهم خرجت القراءة وكل ذلك كان فيكون اختلاف القراءة بمنزلة آيات تعددت لتبيان هذه الاحوال والله اعلم ثم اختلف في تأويل قوله وليقولوا درست قال بعضهم معناه لئلا يقولوا قد جاءكم بصائر من ربكم لئلا يقولوا درست وعن الحسن رضي الله عنه انه قال قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا درست لان الله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب فيكون من الكافر قول كفر ومن المؤمن قول ايمان ليهلك من هلك عن بينة فيمكن الحمل على ظاهره ولا يرد عليها وقيل يخرج هذا والله اعلم على سبيل التعجيب بتعجيب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم صنع الكفرة وسوء معاملتهم مع الرسول عليه السلام وقد جاءهم بصائر من ربهم وكثرت عندهم الحجج والبينات ثم هم بعد هذا كله يستقبلونه بالرد والتكذيب وهو على ما قلنا ان الله تعالى ذكر نعمه عليهم مما انشأ لهم من الانعام والجنات المعروشات والنخل والزرع وما ذكر وقد علموا ان ذلك كله ثم جعلوا له من نعمه نصيبهم هؤلاء شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ولا بينة فهو على التعجب كيف جعلوا له الشركاء وقد علموا ان الله جعل هذا كله لهم هو الله تعالى فعلى ذلك هذه الآية على التعجب كيف فرقوه بالدراسة واتهموه بها وقد بين لهم صدقه وبين رسالته بما جاء من عند الله تعالى من الآيات والدلالات ثم ما وجدوا في كتبهم نعته وصفته وبما اخبر عن خلال الامم الماضية مما لا يكون فيها الا من يقرأ الكتب المتقدمة ويتعلمها من اهلها وكان لا يخط كتابا ولا يشهد ولا اختلف الى احد يتعلم منه فثبت انه انما علم ذلك بالله وقوله تعالى ولنبينه لقوم يعلمون • اي ولنبين القرآن وقيل البصائر الذي ذكر لقوم ينتفعون بعلمهم وقوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك • فالاشكال انه لماذا قال من ربك وهو المخاطب له بقوله اتبع ما اوحي اليك فيجب ان يكتفى بقوله ما اوحي اليك كقول ما وحي اليك مني ونحن نشاهد من امر عهد بشيء يقول اتبع ما امرتك او اتبع ما صدر منه الامر منه لا يقول لا اتبع ما امر به سيدك ولكنا نقول ان هذا على الاضمار كانه قال لا اتبعا وحي على يديه وهو جبريل عليه السلام او من شاء الله اذ قيل لمحمد عليه السلام اتبع ما اوحي اليك من ربك وهو متعارف ثم معنى قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك اي بما اوحي اليك من ربك

ثم الامر

ثم الامر بالعمل يحتمل وجهين يحتمل الامر بالاعتقاد لذلك ويحتمل الامر بالاعتقاد لذلك ويحتمل نفس العمل ولا يشبه ان يكون الامر بالاتباع يرجع الى اتباع ما اوحي اليه تصديقا في الاخبار وعدلا في الاحكام او صدق ما اوحي اليك انه لك من عند الله تعالى واعمل بما اوحى من احكام الله تعالى على العدل وهو كقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا في الاحكام فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باتباع ما اوحي اليه فان لم يرد امر امته كذلك في قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء امرهم باتباع ما انزل اليهم من ربهم ونهاهم عن اتباع ما اتخذوا من دون الله اولياء وكما نهى امته عن اتخاذ اولياء دونه قال في هذه الآية لما امر رسوله عليه السلام باتباع ما اوحي اليه من ربه قال اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو وقوله لا اله الا هو قوله ولا تتبعوا من دونه اولياء في المعنى واحد لانه امر باتباع ما انزل اليه من الله تعالى ونهى عن اتخاذ من دونه اولياء فيكون امر باثبات الالوهية له ونفي ذلك عن غيره وهو معنى قوله لا اله الا هو فتبين ان معنى الآيتين واحد والله الموفق وقوله تعالى واعرض عن المشركين يحتمل امره بالاعراض عن المشركين وجوها يحتمل ولا تكافئهم على اذاهم ولكن اصبر ويحتمل النهي عن قتالهم في وقت خاص ويحتمل ان يكون الآية في قوم خاص فقال اعرض عنهم فانهم لا يؤمنون ولا يقيم عليهم الآيات والحجج لما علم منهم انهم لا يؤمنون وقد قامت الحجج عليهم في الجملة وهو مثل قوله واعرض عن الجاهلين وكذا امر نبيه عليه السلام بالاعراض عن الظالمين فكذا امر المؤمنين بالاعراض عنهم وهو قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا • هذه الآية حجة على المعتزلة فانهم يقولون ان الله تعالى شاء الايمان من كل كافر والله تعالى يقول ولو شاء الله ما اشركوا اي لو شاء منهم الايمان لما اشركوا فيها دليل ان ترك الاسلام من الافضال والانعام والله تعالى يختص بفضله من كان اهلا له ولا ان يجعل البعض لذلك اهلا ويحرم بعضا عن ذلك عدلا منه وان عندهم لطفا لو اعطى الكل لامنوا به لا محالة وقالت المعتزلة المشيئة ههنا مشيئة جبر وقهر اي لو شاء الله لاجبرهم ومنعهم عن الشرك مما لا يجعل فيهم الايمان الذي هو ضد منهما من غير اختيارهم على رفع الابتلاء والامتحان ولكن لا يشاء ذلك لان المنع من المعصية من هذا الوجه منع من الطاعة وابطال الثواب والعقاب في الآخرة ولكن يشاء الايمان من الكل على الابتلاء والامتحان اختيارا منهم وقد تركوا اختيارهم ولكنا نقول المشيئة المضافة الى الايمان لا يكون الا عن اختيار فاما مشيئة الجبر يكون في غير الايمان من الطاعات والمعاصي لانه لا يكون في حال الجبر والقهر ايمان ولا كفر انما يكون ذلك في حال الاختيار لان الجبر والقهر يمنع ان يكون المجبور فعل حقيقة بل يكون ذلك فعل الذي قهر وجبر فلا ان الحمل عليه لا يصح بعد فان الايمان من حيث الخلقة ثابت فانهم كانوا غير مشركين من حيث الخلقة بل خلقة كله يشهد على وحدانية الله تعالى وعلى صدقه فيما امر ونهى فلو كان معنى لتعلق الايمان جبرا بالمشيئة وهو مما يشعر لا لنفي الشرك جبرا فهو مستوى كل ان المراد هو الايمان والشرك عن اختيار منهم والله اعلم وقوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل • اي لم نوجب عليك حفظ اعمالهم ويحتمل ان لا تسأل انت عن صنعهم انما عليك التبليغ وقيل الحفيظ والوكيل واحد وقيل الوكيل الكفيل وقد ذكرنا في غير موضع وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم • قرئ عدوا وعدوا ومعناهما واحد من الاعتداء وهو مجاوزة الحد والجور يقال عدا الامير على فلان يعدو عليه عدوا اي ظلما وجورا وجاوز القدر فيه كذلك قال الكتاف وابو عوسجة وغيرهما رحمهم الله وعن الاعرج انه قال المنكر على من قرأ بعدو عدوا بفتح العين وسكون الدال انما العدو هو العدو على الرجلين اي اعدوا كذلك في سورة يونس عليه السلام فتبعه عليه السلام فرعون بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق على هذا وقرئ في القراءة الشاذة عدوا بفتح العين وتشديد الواو اي اعداء والعرب يقول عدو لنا واعداء لنا بمعنى واحد قال الله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين اي اعداء فيكون تقدير الآية فيسبوا الله اعداء منصوب على الحال ثم ذكر في القصة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كانوا يسبون الهتهم فنزل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقيل لما نزلت هذه الآية فقال عليه السلام لاصحابه رضي الله عنهم لا تسبوا ربكم وامسكوا عن سب الهتهم ومعنى قوله لا تسبوا ربكم اي لا تسبوا سبا يحملهم اذا فعلتم ذلك حملتم اياهم على سب الرب تبارك وتعالى وذكر ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم بسوء فقالوا لتنتهين عن ذلك او لنهجون ربك فنزلت الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية فقالوا عند ذلك

ما قالوا فنزل قوله ولا تسبوا ولكن لا يدرى كيف كانت القصة ولكن في الآية نهي عن سب من يستحق السب
مخافة سب من لا يستحق وكان لنا الحاجة الى معرفته دون سببها لنزوله والله اعلم فان قيل كيف نهانا عن سب
من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قاتلونا ونحن لا نستحق القتل فيه
قتال من يستحق وان كان فيه خوف قتل من لا يستحق والقتل فوق السب في المنكر وكذلك امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وان كانوا يستقبلونه بالتكذيب فما معنى اختصاص السب بالنهي
قيل الجواب عن هذا من وجهين احدهما ان السب لا يلزمنا مباح غير مفروض وسبهم يكون سببا مفضيا الى سب الله
تعالى وهو حرام محض فلا ينبغي لهم ان يقدموا على المباح لان ترك المباح سائغ فاما مباشرة الحرام فحرام
لذلك نهوا عن السب لما يتضمن من الحرام وعسى واما القتال مع الكفار ففرض وكذلك التبليغ ليفهم فرض على النبي صلى الله
عليه وسلم وهكذا انفسنا ليس من لوازم القتال لا محالة وكذلك التكذيب لا يلزم فلا يجوز النهي
عن ذلك لجواز ما يتولد ويحدث من القبيح في الجملة واصله انما خرج الامر به مخرج الاباحة فانه نهي عما يتولد منه
ويحدث وما كان على طريق الفرض والنهي لا ينهى عن المتولد منه والحادث وعلى هذا يجوز ان يستدل به على تاسيس
مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه في قطع يد انسان بقصاص عليه فمات لم يؤخذ به لان في ذلك القصاص مباح له قطع يده
بالقصاص ولم يفرض عليه وفي الحد يلزمه اقامة الحد لله تعالى واذا كان قيام ما يحصل عقيبه يجعل المرء
عليه ان يكون متعديا في الذي تولد منه ولا يقوم به لان ذلك يمنعه عن اقامة الفرض فلا يؤاخذ بما لم يتم عنه فليفهم
ان ما قلنا على هذا يخرج قوله في الختان اذا تولد منه الموت انه لا يؤخذ بالختان لانه امر باقامة السنة المتواترة فيكون
ذلك اقامة واجبة عليه وكذلك الامر بالحجامة لانه نص عليه الحجامة في حال خوف الهلاك على نفسه اذ لم يحتجم
واما الامر بالدق وغيره فاجير المشترك امر اباحة لا امر الزام لذلك ضمن لو كان منه على خلاف بسبب تحتهم وان كان
مباحا لكن لما احتمل خلاف على سب الله عز وجل وسب رسوله عليه السلام لا يسبون وان كانوا يستحقون
لذلك والله اعلم على ان السب امر قبيح وامر يجب علينا ان نعيد نفسه عن السب ويجوز ان نهوا عن سبهم
مخافة الاعتياد والله اعلم قوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم اضاف الى نفسه تزيين كل عمل وعند
من الخلق ويدخل تحته الكفر والمعصية وسائر الاعمال لكن التزيين عندنا على وجهين احدهما تزيين في العقول
وهو تزيين من طريق اقامة الايات والحجج والبراهين العقلية والسمعية وذلك انما يتحقق في الافعال المستحسنة
من الايمان والطاعات ولا يتحقق في الكفر والمعاصي اذ لا يحتمل ان يكون الله تعالى اقام الحجج على كون الكفر حسنا
من باب العقول وقد اقام الدلائل على قبحها فيتناقض حجة تعالى عن ذلك وجل عن ان يوصف به والثاني تزيين
في الطباع بالشهوات والاماني وفعل كل واحد من الافعال القبيحة مزين بالشهوة والحاجة التي تكتسب فيه فان كان
كان اراد سبيل من فعله الكفر والضلال خلق له انه حسن مزين وكان اضافة تزيين الكفر والمعاصي الى الله تعالى
من هذا الوجه وهو ان يخلق في طباعهم ميلا وشهوة الى ذلك ليكتسبوا ذلك الفعل على حسبان الحسن او ان
يخلق الكفر مزينا عندهم مستحسنا لهم فانه خالق الشهوات والظنون كلها من الله تعالى وليس اضافة التزيين الى الله
عز وجل لا يضمنا بأكثر وابعد من اضافة الاضلال والاغواء وذلك هو خلق فعل الضلال والغواية فيهم او
الى الذي هو الترغيب فهذا الحد في تفسير ما ذكرنا لا التعاون الترغيب والله الموفق ثم الآية حجة على المعتزلة
في خلق الافعال وفي خلق الشرور من الله تعالى وفي الاصلح فانه لا شك انه خلق الشهوة والرغبة الى هذه الافعال
ليس مصلحة للكافر وكذلك خلق الكفر مزينا مستحسنا لا وهو يتبركون بذلك فيكون الآية حجة عليهم قال ابو
الكتاب له دفع الاكراه عن انفسهم انه في الآية صلة قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الى ان قال
كذلك زينا لكل امة عملهم فانهم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان رجاء ان يقربهم عبادتهم اياها
الى الله تعالى لانهم كانوا يعبدونها ويتخذونها آلهة دون الله حقيقة اذ العبادة في الحقيقة لله تعالى وان
شبوا معبودهم ومعبودهم في الحقيقة هو الله تعالى فكانهم سبوا الله تعالى فنهاهم عن ذلك لما يكون ذلك
نهيا عن سب الله تعالى والامتناع عن ذلك وذلك العمل الذي زين لهم فذلك يرجع الى هذا العمل الخاص
الذي تقدم ذكره لا الى كل عمل وهذا حسن يجوز ان يوصف بالتزيين وهذا فاسد لانه تخصيص العام
بالحادثة وسبب النزول والعبرة لعموم اللفظ دون الحادثة اذ يتناول الحادثة وغيرها فلا يجوز التقييد
بغير دليل على ان كل الكفرة ما كانوا يعبدون الاصنام لا لتقربهم الى الله زلفى بل اكثرهم لا يعرفون
ان الله لهم خالق العالم وربا ثم ما ذكر ان عبادة الاصنام يرجع الى الله تعالى كلام
غاية الفساد لانهم يعبدونها حقيقة وقصدوا بعبادتهم اياها الشفاعة منهم والتوسل الى الله تعالى
فكيف يكون عبادة الله تعالى ويجب ان لا يذم الكفرة بذلك لما لم يكن فعلهم عبادة الاصنام لكن وجه كلام

مقتدى بالعامّي

ان يقول ان سبهم سبب السب لله تعالى والامتناع مما هو سبب السب لله تعالى حسن لكونه سببا الى الحسن
وان كان قبيحا في نفسه ولكن ما ذكرنا من الاعتصال لا ينفعه وان تدبر على الوجه الذي اشرنا اليه مما ذكرنا
وقال الحسن رضي الله عنه زينا لهم فيما امرنا بان يفعلوا او فرضنا ووجب عليهم ان يفعلوا الائمة الاحل لهم ذلك
وكذلك قال جعفر بن حرب وغيره من المعتزلة ان زين عليهم عملهم الذي فرض عليهم ان يأتوه فاما ما لا ينبغي لهم
ان يفعل فغير مراد عن النص وان كان اللفظ عاما فيجب ان يحمل على الخصوص لئلا تؤدي الى التناقض بين النصوص
اذ النصوص تحمل على التوافق ما امكن وبيان ذلك انه تعالى قال حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان ذكر في الايمان التزيين والتحبيب وفي الكفر التكريه فلو كان المراد بهذه
الآية تزيين الكفر لوقع الاختلاف بين الآيتين اختلافا متناقضا وان كلام الله تعالى منزه عن ذلك لان الله تعالى
اضاف التزيين الى الشيطان بقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم وقوله الشيطان سول لهم واملى لهم ولا يجوز
ان يكون الله تعالى زين لهم ما زين لهم الشيطان فلذلك يجب القول بالتخصيص وقولنا ان الله تعالى زين لهم ما امر
به وفرض عليهم والشيطان يزين ما ينهون عنه وحرم عليهم حتى يكون عملا بالنصوص كلها على وجه الموافقة
وقلنا نحن ان العمل بعموم النص ممكن لما ذكرنا ان التزيين يقال على نوعين واحد الوجهين يتحقق في الكفر
والافعال المستقبحة وهو ما ذكرنا من خلق الميلان في الطباع والاستحسان فيها وخلق الحسبان والظن
فهو التزيين في الطباع فاذا امكن العمل بعموم النص على الوجه الذي يليق به من التزيين فلا يجوز ترك العمل به
وبهذا يخرج الجواب عن قولهم انه يؤدي الى ان يزين الله تعالى ما زين لهم الشيطان لان تزيين الشيطان خلاف تزيين الله
تعالى فان تزيين الشيطان هو الدعاء الى تحصيل ذلك والترغيب في مباشرته وهذا مما لا يوصف به الله تعالى
فاما الدعاء الى الحسن وخلق الشهوة والميلان فليس من الشيطان اذ ليس له قدرة ذلك قال الله تعالى حكاية عن ابليس
ولأمنينهم ولآمرنهم وهذا كما في الاضلال والاغواء انه يضاف الى الشيطان من حيث الدعاء والترغيب فيه
والى الله تعالى من حيث خلق فعل الضلال فيهم والاغواء وعلته ونحو ذلك فبذلك ما قالوه ليس بانفصال عما
الزمناهم والله الموفق وقوله تعالى ثم الى ربهم مرجعهم قد ذكرنا في غير موضع فينبئهم بما كانوا يعملون اي
من جزاء الكفر لانه يلزم العذاب بهم على الوعيد وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم قال الجهد ايمانهم
بالله تعالى ان غاية ايمانهم ونهايتها هي اليمين بالله تعالى وهذا يخرج على وجوه احدها انهم كانوا يقسمون
بالاصنام والطواغيت ونحوهما وانما يحلفون بالله تعالى عند العظيم من الامور والجليل منها فسمى اليمين بالله
تعالى جهد اليمين تعظيما لله تعالى وتبجيلا والثاني انهم كانوا يحلفون بيمين ثم يؤكدون بالله تعالى ويسدد به كقوله
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا والثالث هو ان الحنث يخرج مخرج الاستخفاف
بالله تعالى وان كان المسلم لا يقصد قصد الاستخفاف بالله تعالى وكان في اليمين تعظيم المقسم به فسمى اليمين
بالله تعالى جهد اليمين بالاحتراز عن الحنث لما فيه من صورة الاستخفاف والله اعلم وقوله تعالى لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها قيل انهم كانوا يقسمون بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها كانوا سألوه رسول الله
صلى الله عليه وسلم آيات لئن جاءتهم آية منها ليؤمنن بها من نحو ما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الآية وكقولهم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ونحو ذلك فقال الله تعالى قل انما الآيات عند الله
هو المنزل لها والمرسل لها ليس لي ان انزل الآيات ورسالتها وانما انا نذير وهو كقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا
اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك اخبار انبياء منبانا لا املك الآيات وليس الآيات بعهد امثالهم ثم قال الله تعالى
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون اختلف في تأويل الآية وقراءته قرئ انها اذا جاءت لا يؤمنون بنصب
الالف وقرئت بالكسر فمن قرأه بالكسر جعله على الابتداء والاستئناف ومن قرأها بالنصب جعلها احد معنيين على
ما يذكر وانما تأويل الآية قال الحسن وابو بكر الاصم رضي الله عنهما ان الله تعالى خاطب اهل القسم الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فقال وما يشعركم اي وما يشعركم انكم تؤمنون بها اذا جاءتكم آية على الاول
ثم ابتدأ الكلام فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا كان يقرأ الحسن الجحفي انها اذا جاءت على الاستئناف في
الابتداء يقول لك الرجل انه منطلق فيقول انت ما يدريك فتم الكلام ثم تبتدئ انت كلاما فتقول انه زيد
مقيم وقال غيرهما من اهل التأويل الخطاب لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وذلك لانهم لما قالوا
لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فعند ما اقسموا بالله جهد ايمانهم طمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم انهم
لما اقسموا جهد ايمانهم انهم يؤمنون اذا جاءتهم آية انهم يفعلون بذلك ويؤمنون على ما يقولون فقال الله تعالى
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون على طرح لا وجعلها زائدة في الكلام اي
وما يدريكم اذا جاءت يؤمنون ومعنى النصب فيها هي مفعول وما يشعركم كما يقول ما يدريك انه زيد شاخص

وكذا انعمناه وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها ويحتمل فيه وجها آخر على الاضمار كانه قال لاصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم حين سألوا الايمان منهم وما يشعركم ذلك ينهيهم على الوقف بحو قوله وما يشعركم ثم استأ
نف فقال اعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون على اضمار اعلموا وهذا كما ترى ويحتمل الفتح ايضا لما قال الخليل ان معنى لعل
اي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهو كقولك لاخر ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وفي حرف ابي رض
ما ادريكم لعلكم اذا جاءتكم لا يؤمنون منقوطة بالياء ويحتمل وجها آخر وهو انا اهل الاسلام قالوا انها اذا جاءتهم
اية لا يؤمنون فقال تعالى منكرا عليهم وما يشعركم خاطب به هؤلاء وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وقد ظاهر
ايضا وقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة • قال اهل التأويل اي نحول بينهم وبين الايمان
لو جاءتهم انه لا يؤمنون لو جاءتهم وهذا نقلب في افئدتهم وابصارهم آيات وحدانيته والوهيته حتى لا يرى وجه الحجة و
وجه الشبهة فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة ويحتمل انهم قد آمنوا بها اذا جاءتهم فيقلب افئدتهم وابصار
من بعدها كما لم يؤمنوا به اول مرة وعلى هذا التأويل ونقلب افئدتهم اي نخلق تقلب افئدتهم وابصارهم كقوله
فلما زاغوا ازاغ اي نخلق زيغ قلوبهم ثم خصص الافئدة والابصار دون غيرها من الجوارح لانه تعقل
وتبصر لا يعقل الا بهما ما يشهد على وحدانية الله تعالى والوهيته ثم قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة قيل ان هؤلاء
وان جاءتهم اية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن اوائلهم من الامم الخالية قبلهم لما سألوا الايات فكذلك هؤلاء
لا يؤمنون بها وان جاءتهم بعد السؤال وقيل كما لم يؤمنوا به اول مرة اي قد جاءتهم ايات قبل هذا بغير سؤال
منهم فلم يؤمنوا بها فكذلك ان جاءتهم بسؤالهم فانهم لا يؤمنون ايضا بها ويحتمل وجها آخر وهو
ان مشركي العرب كانوا يقسمون بالله تعالى انه ان جاءهم نذير ليؤمنن به وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم يعنون بها اهل الكتاب اليهود والنصارى لو جاءهم نذير ليكونن اهدى
من اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اخبر انهم لم يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم كذلك
كما لم يؤمنوا به في الابتداء فكذلك ايضا لا يؤمنون عند سؤال الاسترسال ولكن سؤالهم سؤال العناد
ومكابرة وعلى هذا التأويل كانه فيه والله اعلم وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون • او اذا علم في الازل
انهم لا يؤمنون تركهم يتحيرون في ضلالتهم والعمه الحيرة في اللغة وقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى • قيل هذه الاية صلة قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الى قوله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون ثم قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى اخبر انه لو نزل اليهم الايات بعد سؤالهم
الايات من انزال الملائكة وكلام الموتى وما ذكر انهم لا يؤمنون اذ سؤالهم الايات سؤال عناد
لا سؤال استرشاد لانه قد جاءتهم ايات تلزمهم لو آمنوا بها ثم كما اعلم الله تعالى منهم فيه الا انهم لا يؤمنون
وانما يسألون الايات على العناد والاستهزاء دون الاسترشاد ويحتمل فيهم خصوصا لا ظاهرا يكون له اهلا
على الخذلان ونحو قساوة القلب والبغض والجهالة وغيره حتى لو لم يعقلوا بها فيشبهون الحجارة وانهم قوم
يجهلون وانهم صم بكم عمي وانه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ونحو ذلك وقوله تعالى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا • اختلف في تأويله وتلاوته عن الحسن رض قوله قبلا منتقلة بضم القاف
اي عيانا وكذلك قال قتادة رضي الله عنه اي لو حشرنا عليهم كل شيء معاينة ما كانوا ليؤمنوا وعلى رفع القاف
اكثر القراء وقرأ بعضهم قبلا بكسر القاف فمعناه عيانا او معاينة من المقابلة يقال كلمته قبلا ومقابلة
اي عيانا وقال ابو عوسجة رض كل شيء قبلا اي كلهم يقال اتانا الناس قبلا بضم القاف جمع قبيل ويحتمل
فيكون المعنى لو حشرنا عليهم كل شيء فيكفل لهم بصحته ما يقول ما كانوا ليؤمنوا ويحتمل ان يكون القبل
من الاقبال على معنى قولهم اقبل قبله وقبل قبله دبر ومن قرأها قبلا اراد مقابلة ومعاينة وقال
القتبي رض قبيل جمع قبيل وهم جماعة ليسوا بني اب واحد وعن ابن مسعود رض كل شيء قبلا معناه قبيلة
قبيلة وتأويله ما ذكرنا انا لو فعلنا ذلك كله من انزال الملائكة وتكليم الموتى اياهم والحشر عليهم كل شيء
قبلا فاخبرهم بما يقول محمد صلى الله عليه وسلم انه حق ما كانوا ليؤمنوا وقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء
الله اي لم يؤمنوا الا ان يشاء الله لهم الايمان فحينئذ يؤمنون وفي الاية دليل على ان الايات لا يضطر اهلها
الى الايمان لانه قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا ولو كانت الاية تضطرهم
الى الايمان لكانت هذه الايات والله لا اية اعظم من القيامة ولا ابين منها ثم اخبر الله تعالى انهم لو ردوا
الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين فقد كذبوا عند معاينتهم العذاب في القيامة وحلفوا بالله كذبا فدل ان الاية لا تضطر
اهلها الى الايمان بها وهذا يدل على ان معنى قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين

اي يخضعون اذا شاء منهم ان يخضعوا لا ان الاية تضطرهم على الخضوع وقالت المعتزلة ان المشية ههنا
مشية جبر وقسر وكذا قال الحسن رض قوله الا ان يشاء الله هذه المشية مشية القدرة اي لو شاء لاجبرهم
لاجبرهم حتى يؤمنوا به وهو كقوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم وقال ولو نشاء لمسخناهم ونحو ذلك وكذلك
هذه المشية ولكنا قد ذكرنا ان لا يكون في حال الجبر والقهر ايمان فيصير تقدير قولهم ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء
الله ان يؤمنوا فامنوا ولا يكون ايمانا وهذا فاسد في العقول وقوله ولو نشاء لمسخناهم حجة عليهم لانه اخبر
انه لو شاء ان يمسخهم لمسخهم فوجب ان يقولوا ايضا انه لو شاء ان يهديهم لهداهم ولو شاء ان يهتدوا لاهتدوا
وعندهم قد شاء هدايتهم واهتداءهم لم يثبت على اصلهم العدل لما ذكر من المقال حجة عليه والله الموفق وقوله تعالى
ولكن اكثرهم يجهلون • اي لكن اكثرهم لا ينتفعون بعلمهم وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا •
اي كما جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا كذلك نجعل لك عدوا ويحتمل ان يكون صلة قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة على ما نقلب افئدتهم وابصارهم حتى يكونوا اعداء لك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا قبل
النبي عليه السلام ثم هذه الاية حجة لنا على المعتزلة في خلق الافعال وفي مسئلة الاصلح فان قوله وكذلك
جعلنا اي خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو اذ يجعل مضافا الى الله تعالى هو الخلق قال الله تعالى جعلنا لكم الارض
مهادا وقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال وجعلنا الليل والنهار آيتين والمراد من ذلك هو الخلق
تعالى في ذلك قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فدل على انه خالق افعال العداوة وانه خلق الشر والخير وانه
يفعل ما هو شر بالخلق فان جعلهم اعداء الانبياء ليس باصلح لهم فان قال جعفر بن حرب والكعبي و
غيرهما من المعتزلة معنى قوله وكذلك جعلنا اي خلينا بينهم وبين ما اختاروا من الكفر والعداوة وسلطناهم
عليه وجعلنا لهم العدة على ذلك يقال جعل الامير فلانا على البلد اي سلطه على اهله وخلى بينه
وبين ذلك البلد واقدره على التصرف فيه لا ان يكون قد زينه ان يمنعه عن ذلك ويزيله عنه فهنا كذلك
وقال الحسن رض وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي حكمنا بانا نبعثه رسولا وانزل شرعهم يكون ولنا لهم
ومن بعضا من يكون عدوا لهم ولكن ما قلنا هو المستعمل فيما بين اهل اللسان والله تعالى اخبر انه جعل لكل
نبي عدوا والمعتزلة يقولون انه لم يجعل لكل نبي عدوا ولكنهم جعلوا انفسهم اعداء الانبياء وهذا
رد كتاب الله تعالى والله الموفق وقوله تعالى شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا • اختلف فيه قال بعضهم يكون الشيطان كله من الجن على الحقيقة لا من الانس لكن ذكر شياطين
الجن يوحون الى الانس من الكهنة ونحوهم فيكون منهم الذين يدعون الخلق الى معصية الله تعالى فيكون من الجن
وحيا الى الانس ومن الانس الى الخلق بعد ذلك دعاهم فلهذا سماهم شياطين الانس لعملهم عمل الشيطان
وقال بعضهم بان الشياطين يكون من الجن والانس جميعا فيدعو شياطين الجن الجن الى معصية الله تعالى
والكفر به ويدعو شياطين الانس الانس لهذا لان يدعو كل فريق قومه الى معصية الله تعالى فكل من دعا
اخر الى معصية الله تعالى فهو شيطان وكذلك كبراء الكفرة ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون اتباعهم و
سفلتهم الى الكفر والضلال كلها انهم شياطين لانه قال الله تعالى قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وقال وقالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا السبيل فاتهم عذابا ضعفا من النار وهذا
لان الشيطان هو المتمرد المتعدي رحمه الله ماخوذ من شطن او شيطن قيل ان الشياطين جنس اخر غير الجن
لكن شياطين الانس والجن لا ابليس وكل شياطين على انس يضلونهم ويدعونهم الى معصية الله تعالى
وكل شياطين على الجن يضلونهم فلذلك اضيفوا الى الفريقين لانهم منهم والله اعلم قال ابو عوسجة
رضي الله عنه الوحي الى نبي بعينه او بشفتيه وهي اشارة وقيل الوحي ماخوذ من السرعة ومعنى الاية
اي زين بعضهم لبعض زخرف القول غرورا يغرون به على طريق السرعة او على الاشارة وقال القتبي رح
زخرف الشيء اي زينه وحسنه وقوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه • قال بعضهم لو شاء ربك
لخلقهم خلقا لم يركب فيهم الشهوات والحاجات حتى اطاعوه ولم يعصوه طرفة عين كما خلق الملائكة
من غير ان ركب فيهم الشهوات والحاجات والاماني فلم يعصوه وقالت المعتزلة ولو شاء ربك لاجبرهم وقهرهم
حتى لا يقدروا على معصية الله تعالى والكفر به فاهتدوا وعندنا على مشية الاختيار اي لو شاء ربك
هداهم فاهتدوا ولكن لما علم منهم انهم يختارون الضلال على الهدى شاء منهم الضلال دون الاهتداء
وخلق فيهم ذلك دون هذا وقد ذكرنا فساد تأويلهم الاية في غير موضع وقوله تعالى فذرهم وما يفترون
هذا يخرج على الوعيد لهم كقوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الاية وقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ونحو ذلك
ذرهم اي فذرهم وما يختارون من الافتراء فان ربهم في العذاب سريع وقوله تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين

لا يؤمنون بالاخرة • وقوله اليه الى زخرف القول الذي كان يوحي ويلقي شياطين الانس والجن بعضهم الى بعض وقوله تعالى وليرضوه • اي الذي كان اوحى بعضهم الى بعض من زخرف القول الذي يوافق هواهم وكل من ظفر بما يوافق هواه فانه يرضى به كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ويحتمل قوله ولتصغى اليه اي الى الكتاب افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة ليس مثل نوحهم اياه ولكن يعملوا طلب الطعن فيه وكذا كانت همة اولئك الكفرة وعادتهم طلب الطعن فيه والاول اشبه ثم الزخرف القول الذي اوحى بعضهم الى بعض من كبرائهم وعظمائهم فعدا شك اسحر وجل هولاء الاتباع اولئك الكبراء في الكذب والقول والغرور حيث قال يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا لما كان من الكبراء الدعاء الى ذلك ومن الاتباع الرضاء والاجابة وكان من الفريقين جميعا التزيين والزخرفة ومن الاتباع القبول والرضا فصاروا مشتركين في ذلك فلذلك اضاف الى الكل والله اعلم وقوله تعالى وليقترفوا ما هم مقترفون • قيل وليقترفوا اي هولاء الاتباع ما هم مقترفون الى الكشادة ومعناه اي ليكتسب هولاء الاتباع من الكذب ما كان اولئك يكتسبون من الكذب وقيل وليقترفوا اولئك المبتدعون من الكذب ما هم مقترفون في بعض الاتباع من القول ما هم مقترفون في بعض الاتباع من القول الغرور والزخرف ثم اختلف في تاويل الاقتراف قيل الاقتراف هو الا[كتساب] اكتساب كل شيء خيرا او شرا وقوله تعالى افغير الله ابتغي حكما • كان اولئك الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحكم بحكم منهم في منازعة وقعت بينهم في الرسالة او في الكتاب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افغير الله ابتغي حكما ثم بين فقال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا انه من عند الله تنزيل لدا محمد الخلاف عن مثله ثم اختلف في قوله مفصلا قيل مفصلا بالحجج والبراهين ما لو تفكروا فيها لم يبق عليه انه من عند الله نزل وقيل مفصلا بالامر والنهي والتحليل والتحريم فيقول كيف ابتغي حكما غير ما انزل الله وقد انزل مفصلا مبينا فيه ما يحل وما يحرم وما يؤتى وما يتقى فلا حاجة تقع الى غير الله وقيل مفصلا بالوعد والوعيد بما يكون له عاقبة لان العمل الذي يكون له العاقبة يكون فيه وعد ووعيد وقيل مفصلا اي متفرقا اي انزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا جملة ما يقع تمسامع كل احد على ذلك وبيانه فلا يعي الحا[جة] الى حكم غيره والله اعلم وقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق • اختلف فيه قيل الذين اتيناهم الكتاب اي اهل التوراة والانجيل يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقيل الذين اتيناهم الكتاب يعني من اعطي هذا الكتاب يعني القران يعلمون انه منزل من ربك بالحق لما عجزوا عن اتيان مثله وقيا[م] الحجج ونظم البديع والله اعلم وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين • يحتمل فلا تكونن من الممترين انهم عرفوا ما في كتابهم من الاحكام وحرفوا ما فيه من نعتك وصفتك ويحتمل فلا تكونن من الممترين انه من عند الله مع علمه انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون من الممترين ليعلم الخلق انه اذا نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا فغيره احق ويحتمل ان هذا خطاب لمن طلب من النبي صلى الله عليه وسلم حكما من الكتاب يقول فلا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل ولا يطلبن حكما غيره وقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الانباء والوعد وعدلا في الاحكام تمت انباؤه بالصدق واحكامه بالعدل حتى يعرف كل احد صدق انبائه وعدل احكامه وقيل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا بالحجج والبراهين لما يعرفه كل من تامل فيها ونظر صدقها وعدلها انها من عند الله تعالى وقوله تعالى لا مبدل لكلماته هو تفسير التمام انها تمت لما لا يرد عليها النقض ولا الجور ولا الخلف ليس ككلمات الخلق انها ينقض فتبدل ويمنع ان يكون فيها من النقصان والفساد والعجز او غفلة ما دعوا او يمنعو نحو ذلك والله يتعالى عن ان تبدل كلماته او يمنع عنه وفاء وعده او وعيده او انباء او يجوز في حكمه والله الموفق ويجوز ان يستدل بقوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا في قول اصحابنا رحمهم الله فيمن قال لامراته انت طالق اتم الطلاق واعدل الطلاق انه يقع ما يوافق السنة ولا يرجع الى العدد لانه صرح تعالى ان تمت كلمة ربك صدقا وعدلا والموافق للسنة هو التمام والعدل والله اعلم وقوله تعالى وهو السميع العليم • اي السميع بما القى الشياطين بعضهم الى بعض والوحي العليم بافعال اتباعهم واجابتهم واهل التاويل يصرفون ذلك الى خاص من القول فقال بعضهم ان قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس وقال بعضهم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه اهل الكفر الى عبادة الاصنام فنزلت هذه الاية ولكن الاية ترجع الى الكل انباء وخبر ووعد ووعيد ويحتمل لا مبدل لكلماته اي لا مبدل لوعده ووعيده بل يكون وعده ووعيده ويحتمل لا مبدل لحججه وبراهينه والله اعلم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله اخبر ان اكثر من في الارض كانوا ضلالا وعبادا الاوثان والاصنام وهم كانوا يدعون الى الضلال

فيضلوك

فيضلوك ويدعوك الى الضلال لو اطعتهم ثم الخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الظاهر فهو لكل مؤمن اذ معلوم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيعهم فيما يدعونهم اليه وذكر في القصة ان اهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة الاصنام والاوثان وقالوا انا نعبد الله تعالى في الحقيقة كما اخبر الله تعالى عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله وكانوا يعبدون الاصنام ويرتكبون الفواحش ويقولون الله امرنا بها فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انك لو اطعت هولاء الى ما يدعونك من عبادة الاصنام اضلوك عن سبيل الله لانهم لا يعبدون هذه الاصنام الا ظنا يظنون كقوله ان يتبعون الا الظن او ما يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون في قولهم ان ذلك يقربهم الى الله قربا بها وفي الاية دليل ان وقت بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان في الارض من يعبد الله وكان على دين الانبياء والرسل عليهم السلام لانه قال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ولم يقل جميع من في الارض وقوله ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • اي يعلم من يزيغ ويضل عن سبيله دلالة انه على علم منه بالضلال لو لم يبعث الرسل عليهم السلام ولا انزل الكتب لا على جهل منه لكن لانه الحكمة لما كان بعث الكتب والرسل بمكان المرسل اليهم وصلاحهم والله اعلم وقوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين صرفها اهل التاويل الاية الى اهل الكفر قالوا لان اهل الشرك لا يأكلون الذبائح ويأكلون الميتة وكانوا يقولون ما لكم لا تأكلون ذبائحكم التي ذبحتم ولا تأكلون ما ذبح الله وقد كان فنزلت الاية ولكن الاشبه ان يصرف الخطاب الى اهل الاسلام لانه ذكر في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين ومثل هذا لم يذكر في اهل الشرك بل ذكر مثله في اهل الاسلام قال الله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وقال تعالى وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ونحوه من الايات فدل انه الاشبه ان يصرف الخطاب الى اهل الاسلام فان قال قائل ان اهل الاسلام ما كانوا يمتنعون عن اكل ما ذكر اسم الله عليه فلم امر لهم قيل الجواب في ذلك من وجوه احدها قيل كان قوم من اهل الاسلام منعوا انفسهم عن الطيبات واللذة من هذه الذبائح واللحوم فنهوا عن ذلك من نحو ما روي في بعض القصة ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم هموا ان يخصوا انفسهم وان لا يعطوا انفسهم شهواتهم وان لا ياتوا ولون اشياء من الطيبات فنهوا عن ذلك وقيل فيهم نزل قوله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ويحتمل انه نزل ذلك في فعل اليهود فانهم كانوا يحرمون الذبائح ويقولون ليس من الحكمة ايلام من لا ذنب له وكانوا يصنعون ذلك في كتبهم وكان سمع ذلك منهم المسلمون فانزل الله هذه الاية ردا على اليهود وتكذيبا لهم دعوى ذلك في كتبهم وصيانة لقلوب المسلمين عن الخطر بها والله تعالى اعلم ويحتمل انه ذكر لما كان من الذين يعملون من المشركين يا انكم تاكلون ما تذبحون بايديكم ولا تاكلون ما تولى الله قتله ليبين للمسلمين عليهم ان الله تعالى امر بهذا لانه له الامر والخلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويحتمل ان الله علم في الازل انه يخرج قوم من المتفسقة والمتزهدة يحرمون ذلك على انفسهم فامر بذلك ليمتنعوا عن الزهد عما امر الله تعالى به والله اعلم فان كان المراد بما قال اهل التاويل ففي قوله ان كنتم باياته مؤمنين والله اعلم ان كنتم تعلمون وتصدقون ان الخلق والامر له وقد نسلكم من الايات ما تعلمون ذلك فكيف تحرمون ما ذكر اسم الله عليه وقوله تعالى وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه • في الاية الاولى امر باكل ما ذكر اسم الله عليه وعاتب في هذه على ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه ولم يبين بم وباي وجه الذبح او بغيره وكذلك في قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولم يبين من اي وجه ولكن الناس اتفقوا على صرف ذلك الى الذبح فكان الذبح مضمرا فيه كانه قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه ثم لا يخلو اتفاقهم لمعرفة ذلك اما ان عرفوا ذلك بالسماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او عرفوا ذلك بنظرهم في معرفة ذلك اذ ليس في الاية بيان ذلك وكيفما كان ففيه دلالة نقض قول من يقول بان من عرف تاويل الاحكام وكان عنده رواية فترك روايته او بيانا لسبب ابتناء الحكم ففسق لانه لم يذكر ههنا الثوان لعلا الرواية ولا بد من ذلك ولا يجوز وصف الصحابة رضي الله عنهم الذين عليهم مدار الدين بالفسق ولا ان ذلك مما يوجب الفسق وهذا لان الحاجة ترتفع ببيان الحكم فلا حاجة الى الاسناد والرواية والله اعلم ثم قال اهل التاويل ان في قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خطاب لاهل الشرك يريدون به بعض اهل الشرك فان بعضهم لا يرون الذبائح ولا يجوزون ذبح البهائم ويذهبون في ذلك مذهب الزنادقة فاما البعض منهم بعض الذبائح وكانوا يذبحون لما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق ثم الزنادقة انكروا حسن ذبح الحيوان ورأت ذلك قبيحا وقالت لما انكم تقولون ان ربكم رحيم حكيم وليس من الرحمة والحكمة ان يامر احدا بذبح وليس هذا امر من كان موصوفا بالرحمة والحكمة ويأكلون الميتة ولا يبدون اكل الذبيحة وينكرونه

الرسل عليهم السلام والكتاب على خلاف العقل وادلة الحكيم مما لا يتناقض لكنا نقول لان كراهة الذبح والنفور
عنه كراهة طبع لا كراهة عقل وما يكرهه الطبع وينفر عنه يجوز ان يباح ويحسن لما يعقب نفعا في العاقبة كما
ما يباح الافتصاد والحجامة والتداوي بادوية كريهة لنفع يعقب ويؤمل وان كان الطبع يكرهه وينفر عنه
وانما لا يجوز ان يباح فعل يؤمر به ما يقبحه العقل ويكرهه دون ما فيه كراهة الطبع ونفاره لان ذلك
يحسن باعتبار العاقبة وترتفع كراهة الطبع ايضا بالاعتياد فعلى ذلك كراهة الذبح والله الموفق ولكنا نقول ان هذه
الاشياء كلها انما خلق لنا وسخرها لنا نعما لم يخلق لانفسها واذا كان كذلك يحل لنا ذبحها والتناول منها
بامر الذي انشاها لنا وجعلها مسخرة لنا وبعد فان مذهبهم ان الحيوان انما كان بامتزاج النور والظلمة والروح
من النور والجسم من الظلمة وفي الذبح اخراج الروح ورده الى اصله اذ من قولهم انه يرجع كل الى اصله في العاقبة
على ما كان في الازل فاما جواب ما قال اهل الشرك اكلتم ما ذبحتم انتم وتركتم ذبيحة الله تعالى وجوابها احدها
ما قال اهل التاويل ان الخلق لله تعالى وانما الحكم عليهم فاحل لهم هذا وحرم عليهم ذلك لا يسال عما يفعل
وهم يسالون والثاني وهو ان الله تعالى تعبدنا بذكر اسمه عليها فصار فيما ذكر اسم الله عليه اقامة عبادة نعبد
بها وفيما لم يذكر لم يكن عبادة لذلك يحل لنا ما كان فيه ذلك اقامة عبادة ولا يحل ما لم يكن فيها اقامة عبادة
والله اعلم فلهذا ما يحل لنا ذبائح اهل الكتاب الا اذا سمعناهم يذكرون اسم الله عليها وان كانوا لا يذكرون
في الحقيقة غير الله تعالى لانهم لا يعرفونه في حقيقته ولا يعتقدون الها ما لله على الحقيقة لانهم يصفونه بصفات
الحدث في الجوهر ونحوها ولكن اذا ذكروا اسم الله تعالى يحل لنا ولا يحل ذبائح اهل الشرك لان اهل الشرك
لا يرون الذبائح راسا على ما ذكرنا والله الموفق ثم هذه الاية حجة على من اباح اكل متروك التسمية لان قوله
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هو في الظاهر امر لكن الامر الذي يرجع الى شهوات النفس ولذاتها فانه يخرج على
ما يخرج الى بيان ما يحل بفوات الشرط المذكور فيه كما يقال انكح بشهود لم يكن الامر بوجوب النكاح ولكن
لبيان اباحة النكاح بشهود وتحريم النكاح بغير شهود وكذلك تخرج على هذا خرج الامر ههنا لبيان ما يحل
ويحرم ما لا يحل كانه قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله تعالى وقد فصل
لكم ما حرم عليكم • والاية قرئ بالفتح والضم فقد فصل الله عليكم وقرئ بضم الفاء وكسر الصاد على فعل
ما لم يسم فاعله وهو صلة قوله وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي اي شيء
لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وما منعكم ان لا تاكلوا وقد فصل الله لكم بالتحريم والتحليل اي بين
بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية وقوله حرمت عليكم الميتة والكفرة
والزنادقة كانوا لا يرون اكل الذبائح وياكلون الميتة والكفرة فخرج الخطاب بقوله وما لكم الا تاكلوا مما
ذكر اسم الله عليه وقد بين لكم ما حرم عليكم وهو الميتة والدم وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه • اي اذا
دعتكم شدة المجاعة الى اكلها قال الحسن رض للمضطر ان يتناول الميتة حتى يشبع لانه احل له التناول فانتقل
من الحظر الى الاباحة وليس فيه حد لكنا نقول له ان يتناول قدر ما يسد رمقه اما لا يحل له الشبع لانه انما احل
عند الاضطرار بسبب الاضطرار وهو غير مضطر الى الشبع وقال الحسن رض لو ترك التناول من الميتة حتى مات
لا شيء عليه ولا يؤاخذ به لانها انما احلت له رخصة ورحمة وليس على من لا يعمل بالرخص شيء ولكن عندنا
لا يحل له الامتناع عن الاكل لانها احلت عند الاضطرار واذا ترك التناول منها حتى هلك صار متلفا
نفسه في التهلكة وقد حرم الله تعالى علينا ان نهلك انفسنا ونلقيها في التهلكة بقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة ولا فرق بين ترك التناول من الميتة وقد احل لنا التناول منها حتى مات وبين ترك تناوله
من سائر الاطعمة المحللة او باقي اسباب اتلاف النفس فيهما سواء وهذا على الزام فانه يبيح التناول مطلقا
حتى قال باباحة الشبع منه فكيف يبيح الامتناع وقال ايضا له ان يتناول عند الاضطرار من مال الغير بلا بدل
وان نهاه صاحبه عن ذلك يعني بدل ذلك بالغا ما بلغ وهذا بعيد لانه قال يجوز له ان يتناول من مال غيره
ولا يلزمه البدل واذا نهاه عن ذلك يلزمه كيف لانه ان كان له حق التناول من مال الآخر بغير بدل ثم اذا نهى منع
يلزمه البدل لانه ليس له التناول الا ببدل حين يبيح له التناول والله اعلم وقوله تعالى وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم • دل هذا على ان كل منهم لم يكونوا يضلون ولكن البعض وهم الائمة والرؤساء منهم
لان الاتباع يقلدون الكبراء والعظماء فيما يدعونهم اليه وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بالمعتدين • قد ذكر
فيما تقدم وقوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه • اختلف فيه قيل وذروا ظاهر الاثم بظاهر الجوارح وباطنه
ظاهر الجوارح من نحو اليد والرجل واللسان وباطن الجوارح القلوب اراد الضمائر ويصير تقدير الاية وذروا الاثم
كلها ما ظهر منها وما بطن وقيل ذروا الاثم في ملاء من الخلق وفي الخلاء منهم وذكر الفراء عن قتادة ظاهر الاثم

الزنا وباطن الاثم المخادلة والمخادنة وعن سعيد بن جبير رض ظاهر الاثم قوله حرمت عليكم امهاتكم وباطنه الزنا
قال ابو بكر الكاتب رح تاويل الاثم الزنا في هذه الاية لانه لا يحتمل وانه لا يستعمل غيره في الجملة لان الاية سيقت
في ذكر ما يحل من الاطعمة وما لا يحل ولكنا نقول يجوز ان يبتدئ النهي عن الزنا وان كان في الاية في ذكر الاطعمة
وهو كقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله اعلم وقوله تعالى ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون • اي لا يتركون وما عملوا ولكن يجزون جزاء ما عملوا من الاثم وهو وعيد اي الذين
يكسبون الاثم ويصرون عليه ولا يتوبون ولا يقلعون عنه حتى ماتوا على ذلك سيجزون بما وجد منهم من الاقتراف
وقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال بعضهم هذا نهي عن اكل الميتة كانه قال لا تاكلوا مما لم يذبح لله
باسمه اي ذبح في عرف الاستعمال كذلك روي عن ابن عباس رض وقال بعضهم هي في النهي عن ما اهل به لغير الله وذبائح
اهل الشرك فانه نزل قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال اهل الشرك ما قتلتم انتم وذبحتم انتم تاكلونه
وما قتل ربكم فتحرمونه وانتم تعظمون ربكم وهو من زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض وهو المجادلة التي ذكر
في سياق الاية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم لكنا نقول ظاهر النهي عن كل ما لم يذكر اسم الله عليه
وقد ذكرنا ان الذبح مضمر فيه كانه قال لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح عند الذبح وذلك لان الله تعالى
قد صرح بتحريم الميتة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم الاية وكذلك ما اهل لغير الله به وذبائح اهل الشرك ثبت
حرمته بالنص بقوله وما اهل به لغير الله وقال وما ذبح على النصب فلما ثبت تحريمها بنص الخطاب في غير موضع
لم يجز صرف هذا الخطاب عن ظاهر النص وهو متروك التسمية الى الميتة وذبيحة المشركين بل يجب القصر على ظاهره
حتى يكون فائدة لكل خطاب على حدة فان قيل ان الله تعالى قال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به ومتروك التسمية غير مذكور فيه
قيل ان كان لا يحرم متروك التسمية عند الذبائح في ذلك الوقت الذي نزل قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
فهذا دليل على انه كان يحرم في حادث الوقت وهذا كما كان لا يحرم في ذلك الوقت من المحرمات الا ما ذكر في الاية
ثم وجد اشياء محرمة من بعد كحرمة كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير وحرمة البغل والحمار وغيرهما فهذا كذلك
مثله ولا يقال ان سورة الانعام نزلت جملة واحدة ولو كان متروك التسمية حراما لكان واجبا ان الكتاب
يجب ان يستثنيه كما استثنى الميتة ونحوها لان ذلك مروي بطريق الاحاد فلا يثبت في حق ابطال الحرمة
بنص الكتاب ولان العمل بالتحريم اولى عند تعارض الادلة واما ما قال اهل الشرك تاكلون ما قتلتم وذبحتم
فنقول ما ذبح وقتل باذن الله تعالى وامره فهو ذبيح الله وقتيله كما ان ما قتل من غير صنع البشر فهو ذبيحة وقتيله
الا انه تعالى قد اذن لنا في اكل بعض الذبيح وحرم اكل البعض على ما اذن في اكل بعض ما خلق من الانعام ولم ياذن
في اكل بعض على الحكم والامر له يتصرف كيف شاء والثاني ان الخلق كله ملكه ويقال الاصل فيما له المخلوقات
ذا ولم تفعل ذا وانما يقال ذلك في غيره كمن يقول لشريكه لم لا تعطيني حقي ولم لا توفر من نصيبي فاما
ان يقال ذلك للمالك في ملكه فلا والثالث ما ذكرنا ان الله تعالى تعبدنا بذكر اسم الله عليه فكان في ذكر اسم الله
عليها اقامة عبادة لذلك حل لنا وفيما لم يذكر اسم الله عليه لم يكن عبادة فلا يحل والله اعلم دلت هذه الاية
على ان متروك التسمية عمدا عند الذبح حرام من وجوه احدها من حيث ظاهر النهي المحرم في حق العمل يجب
القول بالحرمة والثاني ان الله تعالى جعل المهل به لغير الله حراما بقوله وما اهل لغير الله به وهو متروك التسمية
لله تعالى بالاصل الا باسم غيره راسا او باسمه وباسم غيره فدل ان متروك التسمية والثالث انه سمى اكل ما لم يذكر
اسم الله عليه فسقا والفسق هو الخروج عن امر الله تعالى كقوله ففسق عن امر ربه اي خرج فدل ان التسمية واجب
عند الذبح مامور بها حتى يكون الامتناع عنها فسقا الا ترى انه لما سمى المهل به لغير الله حراما اختص
ليستحق اسم الفسق به فكذلك هذا وخالف الشافعي رض والاصم ظاهر الاية وقالا يحل متروك التسمية عمدا
وصرفا ظاهر الاية الى الميتة وذبائح المشركين بما ذكرنا من قول اهل التاويل لكنا بينا انا نعمل بظاهر الاية لنحملها
على فائدة جديدة وكان احق من الحمل على التاكيد والله اعلم على ان قول اهل التاويل بيان سبب النزول ولكن نزول
الاية على سبب خاص لا يوجب قصر الحكم عليه اذا كان النص يوجب الحكم على العموم فيكون الحكم ثابتا
في ذلك السبب الذي ورد به وفي غيره بعموم اللفظ وهذا هو دلالة كون الكلام صادرا من الحكيم لا يحمل
نص الخطاب وغيره فيجب القول بثبوت حرمة كل ما لم يذكر عليه اسم الله تعالى سواء كان ذلك ميتة او ذبيحة المشرك
او ذبيحة المسلم دل ان ما قالا ليس بقدح في احتجاجنا بالاية على انه روي عن ابن عباس رض في رواية اخرى وعن
عكرمة رض عنه في قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم قال كانوا يقولون ما ذكر اسم الله عليه لا تاكلوه
وما لم يذكر اسم الله عليه فكلوه فقال الله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه احتج ابن عباس رض في هذا الحكم

ان المجادلة معهم كانت في ترك التسمية وان الاية نزلت في اعيانها في الميتة وذبائح المشركين وليس جعل ذكر اسم الله تعالى عبارة عن الذبح فهو فاسد لوجهين احدهما ان هذا ترك الحقيقة وعمل بالمجاز فلا يجوز الا بدليل والثاني ان جعل ذكر اسم الله تعالى كناية عن الذبح دليل على ان التسمية من لوازم الذبح المعتبر للحل حتى يجعل كناية عنه فيكون الاية هنا التقدير بتضاف تحريم الميتة ودلالة على تحريم متروك التسمية فيكون حجة عليكم الحادث ثم كذا ثم ذكرنا من العمل بظاهر الاية ما روى الشعبي عن عدي بن حاتم رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صيد الكلب فقال لما امسك عليك ولم يأكل منه فكله فان اخذه ذكاته فان وجدت مع كلبك غيره وخشيت ان يكون اخذه معه وقد قتله فلا تأكل فانك انما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على كلب غيرك وعن همام عن عدي بن حاتم رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارسل الكلب المعلم فليأخذ قال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فخذ وقيل كل وعن عائشة رضي الله عنها انا لنأتي قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعراب يأتوننا باللحم فسألته منهم وهم حديثو العهد بالكفر فلا ندري اذكروا اسم الله ام لا فقال عليه السلام سموا عليه انتم وكلوا ولو لم يكن التسمية من شرط الذكاة لقال وما عليكم من ترك التسمية ولكنه قال كلوا انما امر على الظاهر لان امور المسلمين محمولة على الجواز والصحة الممكن ولا يحمل على الفساد الا بدليل وقد تعلق نفاة هذه الاية بعض السلف على حرمة متروك التسمية ناسيا بعموم الاية من غير فصل بين التارك عمدا او ناسيا وهو قول عبد الله بن عمر وابن سيرين وغيرهما وفصل الشافعي تعلق الشافعي رحمه الله على ان المراد من الاية هي الميتة وذبيحة اهل الشرك كما نقول الاية خاصة فيمن ترك التسمية على ذبيحته عمدا لان الله تعالى قال وانه لفسق ولا خلاف ان من نسي ان يسمي الله تعالى على ذبيحته فليس بفاسق فان قيل يجوز ان يكون قوله وانه لفسق يريد به ان الذي يأكل منها اذا لم يسم الله تعالى عامدا او ناسيا فاسق وان الاكل منها يكون فسقا فيجب الحمل عليه حتى يكون عملا بعموم الاية قيل ان كان يحتمل ان المراد منه ان كل ما لم يذكر عليه اسم الله فسق ويحتمل ان ترك التسمية عند الذبح فسق فيجب حمله على ترك التسمية كقول الله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى ان قال او فسقا ممن تعمده وترك اسم الله تعالى فكذلك هذا على ان اكل متروك التسمية ناسيا انما يكون فاسقا ان لو كان ترك التسمية بطريق النسيان حراما واما ترك التسمية بطريق النسيان حراما واثبات التسمية عند النسيان واجبا اما اذا كان بخلافه فان اكل ذلك لا يوجب الفسق فدل ان السؤال غير لازم فان قيل كيف لم تجعلوا متارك التسمية ناسيا كتاركها عمدا كما قلتم في التكبيرة الاولى في الصلاة ان تركها عمدا سواء وهذا لان النسيان لا يمنع التكليف ولا يرفعه كالخطأ وبهذا يبطل الاسناد لا لعقله فانه لفسق على ان الناسي غير مراد لان النسيان في الجملة مما لا يدفع اسم الفسق ولا يبطل الخطر قيل في الجملة لا يدفع التكليف ولا يدفع الخطر والمؤاخذة لكن قد ورد الشرع برفع التكليف والمؤاخذة في بعض المواضع كالنسيان في باب الصوم جعل عذرا حتى يكون الاكل والجماع بطريق النسيان لا يفسد الصوم وعذر والكلام بطريق النسيان لم يجعل عذرا في الصلاة عندنا حتى يكون مفسدا كالعمد والفاصل بينهما انه لم يعد فعلا يعد بخرته وادخاله صد في حال السهو والنسيان كالاكل في شهر رمضان لانه عود نفسه الاكل والشرب والجماع ولم يعود نفسه الصوم الذي هو كف عن هذه الاشياء المعتادة بعد تكرر الاشتغال ولم يعد يقع في الحرج والحرج مدفوع بخلاف ما اذا اعترض عن ذلك في الصلاة حيث وان كان ذلك معتادا لم يعذر في الجملة لان ذلك غير معتاد في كل ساعة بل في زمان معهود وهي الغداء والعشاء خصوصا في حال الصلاة التي تخالف الاحوال التي يعتاد فيها الاكل والشرب فيكون ذلك في غاية الندرة فلا يكون النسيان عذرا اما ذكر اسم الله تعالى امر لم يتعوده الذابح لان الذبح امر يجري على ايدي القصابين الصبيان وهم لم يتعودوا ذكر اسم الله تعالى فلم يكن ترك ذلك سهوا من باب الندرة بل بطريق الغالب فيعذر بالنسيان دفعا للحرج بخلاف التكبير المشروع في الصلاة ناسيا مع العزم على الشروع في غلبة الندرة فلا يعذر والله اعلم وجواب اخر عن تعلقهم بالاية ان الناسي غير داخل تحت النهي لانه غير تارك التسمية من حيث المعنى بل على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن رجل ذبح ونسي ان يذكر اسم الله تعالى عليه قال الاسم الله في قلب كل مسلم فليأكل وعنه في رواية ان المسلم ذكر في قلبه وقال كما لا ينفع الاسم في الشرك لا يضر النسيان في الملة وعنه ايضا في المسلم اسم الله فاذا ذبح ونسي ان يسمي الله تعالى فكل واذا ذبح المجوسي وذكر اسم الله فلا تطعمه وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال سمى او لم يسم ما لم يتعمد فدل ان الناسي في معنى الذاكر والله اعلم

قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ◦ اهل التأويل

نيل

تأويل هذا الى انه زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض في الاية الاولى هو مجادلتهم في الذبيحة قالوا ما قتلتم بايديكم فتأكلون وما قتله الله فلا تأكلون به يعنون فتلك مجادلتهم اياه ولكن يقول لا معنى لتخصيص بعض دون بعض فانهم يجادلون في هذا وكانوا يجادلون في وحدانية الله تعالى وكذا في اثبات الرسالة وكذا في البعث بعد الموت وفي غير ذلك حيث قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا وقال وان اطعتموهم انكم لمشركون اي اطعتموهم فيما يجادلونكم انكم لمشركون ◦ قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ◦ يحتمل ان يكون المثل الذي ضرب الله تعالى في الاية للكافر والمؤمن اي من كان في ظلمات البطن لا يبصر ولا يعقل شيئا ثم خرج من ذلك فابصر وسمع وعقل كمن ترك في الظلمات اصلا على يخرج منها لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل يقول لا يستوي من خرج من الظلمات كمن ترك فيها فعلى ذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل ويعمل به وجعلنا له نورا يمشي به في الناس بنوره للاصحاب يدعون الناس الى الهدى والخير والكافر الذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل له اصحاب يدعونه الى النار والله اعلم ويحتمل ان يكون المثل الذي ضرب في الكافر والمؤمن ان يكون المؤمن والكافر جميعا حيين في الجوهر لكن المؤمن اكتسب ما له يحيى ابدا من العزيز ما احياه والكافر لم يكتسب بعد ذلك شيئا فهو كالميت الذي لا يبصر الحق ولا يسمع ولا يعقل ويحتمل هذا التأويل وجها آخر وهو ان المؤمن يكتسب في الدنيا الخيرات والاعمال الصالحة ويكون له نورا في الاخرة بسبب الاعمال الحسنة في الدنيا يمشي بنوره ذلك بين الناس في الاخرة واما الكافر فلا يكتسب نور ذلك فيبقى في الظلمات وذلك قوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يحتمل ظلمات البطن لا يبصر ولا يعقل شيئا ثم خرج من ذلك فابصر وسمع وعقل كمن ترك في الظلمات اصلا ولم يخرج منها لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل يقول لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل خير يعمل به وجعلنا له نورا يمشي به في الناس بنوره له اصحاب يدعون الناس الى الهدى والخير والكافر الذي لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل له اصحاب يدعونه الى النار والله اعلم وجائز ان يكون المثل الذي ضرب في الكافر والمؤمن ان يكون الموتى احياء الله تعالى انه هو الذي جعل لهم ذلك النور والمعتزلة يقولون بانهم جعلوا لانفسهم بانفسهم نورا يمشون به في الناس وكذا الله تعالى يقول او من كان ميتا فاحييناه والمعتزلة يقولون انهم يحيون انفسهم بانفسهم بالايمان اذ من قولهم انهم هم الذين يخلقون الايمان لانفسهم دون الله تعالى وهذا منهم تحريف ظاهر القرآن وهو كما ذكرنا ان الله تعالى قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ولكنهم جعلوا انفسهم لهم اعداء وكذلك ذكر في هذا وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وهم يقولون نجعل الاكابر فيها لئلا يمكروا فيها او مكروا فيها ايضا ونظير ذلك بما ذكرنا ان الله تعالى قال وهو على كل شيء قدير وهم يقولون هو قدير على بعض الاشياء دون شيء فانهم لم يصفوه بالقدرة على خلق الافعال الاختيارية من الخلق وكذلك قال الله تعالى خالق كل شيء وهم يقولون خالق خالق بعض الاشياء وقال ولو شاء الله ما فعلوه وهم يقولون شاء ان لا يفعلوا ما فعلوا غير ما شاء واو غير ذلك مما يفصل مذهبهم والله اعلم وقوله تعالى وكذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اختلف فيه قال بعضهم كما زين للمؤمنين عبادة الله تعالى كذلك زين للكافرين عبادة الهتهم فاندعوا وصرفوا العبادة الى غير الله وهو تأويل المعتزلة وقال قائلون زين لهم اعمالهم التي يعملونها ثم اختلف في الذي زينها قال الحسن زين الشيطان اعمالهم وقال غيره زينها الاكابر على الاصاغر وقال اهل السنة زينها الله تعالى وقد يضاف التزيين الى الشيطان والاكابر لما اضافوا من التزيين والاضلال الى الشيطان انما يضاف الى ما يدعوهم الى ذلك ويحببهم عليه ويوحي اليهم ما يضاف الى الاكابر من حيث القول والدعاء الى ذلك وما يضاف الى الله تعالى من التزيين والاضلال والازاغة وغير ذلك مضاف من حيث الخلق اي خلق فيهم فعل الضلال وفعل التزيين وفعل الزيغ فيضاف الى الله تعالى خلقا والى الشيطان والاكابر دعاء وتحبيبا والقاء فعلى هذا يخرج جميع الاضافات وبالله الحول والقوة وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ◦ اي جعلنا في كل قرية من الكفرة اكابر مجرميها كما جعلنا في قريتك اكابر مجرميها يصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه ليس لخصوص بهذا دون غيره من الانبياء عليهم السلام ثم اختلف في قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقد ذكرنا تأويل المعتزلة وقول اهل الحق في ذلك وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فلا نعيده ثم قوله ليمكروا فيها اختلف تأويل المعتزلة في ذلك فمنهم من قال هذا على الاضمار كانه قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر

مجرميها ليمكروا فيها لكن لما وسّع الدنيا عليهم وبسطها مكروا فيها لا انهم جعلوا لذلك ليمكروا وكذلك
قال الله في قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لم يخلقهم لجهنم لكن لما عملوا من اعمال الكفر والضلال
صاروا لجهنم فهذا مثله ومنهم من يقول تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليكونوا ادعى واظهر
للحق ولانه لو كان بعث الرسل اليهم لا الى الاكابر لكان الناس يتبعون الاكابر وان لم ياتوا بالحجج وغيرها لكان لا يتبعون
بالحجج والآيات فاخبر انه جعل بالمجرمين الاكابر كما بعث الرسل عليهم السلام من الاواسط ليكون ذلك اظهر
الحق بالحجج والآيات وقيام الكلام وقطع قول ليمكروا فيها اللام لام العاقبة قال وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون
ومنهم من قال هو اخبار عما ليبصروا لامرهم وما هو عاقبتهم كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا وانما التقطوه ليكون لهم وليا كما اخبر الله تعالى عنهم عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وهم لا يشعرون لكن لما كان عاقبة امره انه صار لهم عدوا وحزنا اخبر عما صار اليه امره فعلى ذلك قوله
ليمكروا فيها اخبر عما صار اليه امره فعلى هذا قوله ليمكروا فيها اخبر عما صاروا اليه من المكر بالناس وان
لا يخلقهم لذلك ولكن اهل السنة والجماعة يتعلقون على ما نطق به ظاهر الآية وكذلك جعلنا في كل
اهل السنة والجماعة يتعلقون على ما نطق به ظاهر الآية وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
في حق من علم منهم ذلك فكل من علم منهم ذلك الضلال والكفر خلقهم ليكفروا واختيارا ومن علم منهم
الايمان خلقهم ليؤمنوا باختيار واخبار عن كل فريق منهم ما يختارون وما ذكروه فاسد لانه لا يخلو
اما ان يقال انه يخلقهم لغير المكر والضلال بل يخلقهم للعبادة والهدى ولا يشاد الخلق وهو يعلم انه
لا يكون ذلك منهم ولا يعلم ذلك لا يصح ان يقال انه يخلقهم للعبادة والهدى وهو يعلم لا يكون ذلك
منهم واراد منع ذلك منهم لان من عمل عملا وهو يعلم انه لا يصل اليه غرض ذلك العمل ولا يحصل مراده
يعد عابثا في الشاهد لمن يبني بناء يعلم انه لا يسكن فيه او يقصد مقصدا موضعا يعلم انه لا يصل اليه فهو عابث
في القصد والبناء ليس بحكيم فعلى ذلك لا يجوز ان يخلقهم الله تعالى للهدى والعبادة لم يعلم انهم
لا يوجد الذي لاجله خلقهم وهو الايمان والعبادة بل يوجد منهم ضده الشيء الكفر والطغيان
لا وجه ثان يقال انه يخلقهم للهدى والعبادة وهو لا يعلم انه لا يوجد ذلك منهم بل عنده انه يوجد ذلك
منهم لان هذا جهل بالعواقب والله تعالى عن ذلك واذا بطل هذان القسمان دل ان ههنا قسما ثالثا
وهو ان خلقهم على ما علم وجود ذلك منهم ليظهر خلقهم ما علم على ما علم من كفر وايمان وطاعة وعصيان
وبالله التوفيق وكذلك يقول في قوله عز وجل ليكون لهم عدوا وحزنا كان عند الله تعالى انهم ليلتقطون
ليكون لهم عدوا وحزنا الا انهم لا يشعرون فيكون انهم التقطوه لذلك وكذلك في قوله ولقد
ذرأنا لجهنم وبالله العصمة وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون اي ما يشعرون
ان عاقبة مكرهم يرجع اليهم اذ ذلك واقع بهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله يخبر عن غاية سفههم وتعنتهم وانهم على علم بما انهم يمكرون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانهم علموا ايمانا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه رسول حيث قالوا لن
نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله من الآيات تحقق يؤمنوا ولو لم يكن كذلك لم يكونوا يتمنون ما اوتي
الرسل من الآيات وكذلك علموا ان هذا القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية وحجة وانه
من عند الله تعالى حيث قالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكذا علموا ان اصحاب الرسالة
لا يحمل الا عظماء البشر وكبرائهم حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
لكنهم ظنوا انما يحمل في العظماء الذين هم عند الخلق عظماء فقال الله تعالى ردا عليهم الله اعلم
حيث يجعل رسالاته اي انهم لما اقروا بالرسل عليهم السلام والآيات في الجملة وتفضيلهم على غيرهم
من البشر حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على كذا وقد عرفوا ان الله تعالى قادر عالم فهو اعلم حيث يجعل
رسالاته فما معنى قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ولو علم الله تعالى ان كل واحد من احاد الخلق
موضع رسالته لوضعها فيهم ولكنه اخبار لذلك من يصلح لها كما قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس تناقض هذا تناقض تاويلهم وحجاجهم حيث يقولون مرة ان موضع الرسالة هو العظيم من البشر
ومرة يقولون لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ومرة يقولون ابعث الله بشرا رسولا وهو تناقض
او هو دليل السفه والله الموفق ثم اختلف في تاويل قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال بعضهم جعل
للرسالة قولا وسلطانا للناس اظهار الحجج وابين من حملها في اكابرهم وعظمائهم في امور الدنيا لان الناس
مجبولون على اتباع الاكابر والاعاظم لو جعلت الرسالة فيهم لكانت الحجج لا تظهر لانهم جبلوا على اتباعهم

ويبقى

ويبقى شبهة الطعن للملحدة انهم ليسوا على الحق لكن تبعهم الناس لقوتهم وسخاوتهم وعظمتهم فلما اوساط الناس
في امور الدنيا اذا جعلت فيهم الرسالة لظهرت الحجج والآيات لانهم جبلوا على اتباع الاوساط من الناس فيكون
اتباعهم حيث يجعل رسالاته اي لا يجعل الرسالة فيمن يضيع الرسالة وليسوا باهل لها ولا موضعها لانه
لو جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة وهذا لا يليق بصفة الحكيم تعالى عن ذلك والله الموفق وقوله تعالى سيصيب
الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون اخبر ان كل من يمكر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعاداه يكون له عند الله تعالى صغار بمعنى الذلة وعذاب شديد يصيبهم الذين صغار ثم اختلف في الصغار
قيل هو الجزية كما قال الله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فيصيبهم منه المذلة وهي اخذ الجزية عن جبر
وقهر في الدنيا مع العذاب الشديد في الآخرة وقيل الصغار المذلة وهو قول السدي ثم قوله عند الله قال الفراء
رحمة الله عليه معناه من الله وقيل المراد عند الله حقيقة اي ان الجزية توضع عليهم لا محالة وان ذلك الحكم حكم
عند مقيت بانه ستكون ذلك فيهم وانه يجب في ذلك عليهم على يد من منهم ما عليهم في قبول الجزية منهم في
عنده في سابق علمه انه يجب عليهم وقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قال ابو عوسجة الحرج الضيق وقال القتيبي الحرج الذي ضاق فلم يجد
منفذا وفي قوله ضيقا حرجا لغتان حرج وحرج يقال منه حرج يحرج حرجا فهو حرج وقيل الحرج الشك لغة قريش
وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرج بفتح الراء الموضع الكثير الشجر الذي لا تصل اليه الراعية وقال الكسائي رحمه الله الضيق من
الضيق في المعاش غالبا ما في الامر فانه الضيق بفتح الضاد قال الله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون ثم وصف قلب المؤمن
بالسعة والفسحة ووصف قلب الكافر بالضيق والحرج وليس قلب هذا في رأي العين اوسع من قلب الآخر لكنه
والله اعلم وصف قلب المؤمن بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والآخرة والكافر لم ينتفع به فالحق به كذا
سماه ميتا لما لم ينتفع بحياته وسمى المؤمن حيا لانتفاعه بحياته فعلى ذلك هذا والله اعلم وقيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الآية فقال نور يقذف في قلب المؤمن فقالوا هل لذلك علامة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت لكن هذا الحديث لو ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان تفسير لشرح الصدر هنا الذي ذكر في الحديث لكنه قليل ما يوجد على هذا الوصف دل
ان المراد بالحديث هو الاعتقاد واليقين بما ذكر لا العمل بتفسيره والله ثم هذه الآية ظاهرها حجة على المعتزلة في
احتجاجها في اثبات الارادة صفة لله تعالى والثاني في ارادة الشر لكفرانها الاولى فلانه قال ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا وصف نفسه بارادة الضلال من الكفرة وذلك يبطل مذهبهم انكروا ان يكون
اراد الضلال من الكفرة وهذا خلاف النص ولان الله تعالى جعل الناس على صنفين صنف اراد منهم ان يهديهم
وصنف اراد منهم ان يضلهم من علم منه ان يختار الهدى يقبله اراد ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن علم
منه انه يختار الضلال اراد ان يضله ويجعل صدره والمعتزلة يقولون قد اراد ان يهدي الكل لكنهم ارادوا
ان لا يهتدوا فغلبت ارادتهم ارادة الله تعالى وذلك نفس حد العقل نعوذ بالله من الزيغ في العقل والزيغ عن الحق
ولا قوة الا بالله ثم المعتزلة بعضهم انكروا ان يكون الارادة صفة صفة الله تعالى تاولوا الآية وقالوا ان الارادة
متى قرنت بفعل الله تعالى يراد بها نفس الفعل على سبيل المجاز من الفعل لان الارادة في الشاهد صفة فاعل مختار
فانه لا يتصور الفعل من المختار الا بالارادة فيجوز ان يذكر الارادة ويراد بها الفعل وهو مستعمل في عرف
اللسان قال الله تعالى جدارا يريد ان ينقض اي ينقض وكذلك ههنا كانه قال فمن يهدي الله يشرح صدره
ومن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا لكنا نقول هذا عدول عن حقيقة الكلام بلا دليل واما امامة
المعتزلة في الارادة والضلال وافترقت في تاويل الآية فقال جعفر بن حرب والكعبي وغيرهما تاويل الآية
ولمن يرد الله اي من يقبل هدايته تعالى في الابتداء يشرح الله صدره بعد ذلك بالخيرات ثوابا لما قبل من الهدى
ومن ترك قبول هداية الله تعالى في الابتداء عاقبه بضيق صدره عقوبة عليه في ترك قبول هدايته وقد
اراد الله تعالى ان يهدي الخلق كلهم وان يشرح صدورهم للاسلام لكنهم لم يهتدوا وقال فريق منهم من
يرد الله ان يهديه طريق الجنة في الآخرة يشرح صدره في الدنيا للاسلام ومن يرد ان يضله طريق الجنة في الآخرة
يجعل صدره في الدنيا ضيقا وكلا القولين فاسد فان الاول فيه ترك الحقيقة من غير دليل واما الثاني
فهو لازم عليهم لانهم يقولون انه اراد ان يضلهم طريق الجنة وذلك من حقهم فقد اراد الشر على زعمهم
ثم نقول لهم انكم تقولون انه اراد ان يضل طريق الجنة في الآخرة وهذا على زعمكم ارادة حق لانه اراد في الدنيا
ان يهديهم ويريد في الآخرة لهم ايضا ان يضلهم عن طريق الجنة لاولئك بعينهم ولو يحقق ما اراد منهم
الهداية التي لاجلها خلقهم لكان ذلك يكون جورا فكان ارادة هدايتهم مع ارادة اضلال طريق الجنة لم يكون

اراد هجوه فقد اساه لانه وقال بعضهم في تاويل قوله ومن يرد ان يضله اي يهلكه والضلال هو الهلاك
لكن هذا التاويل بعيد هو لانه منع اضلالهم لانه لا يجوز على زعمهم انه يهلكهم في الدنيا الاسلام وفي الاخرة
الهلاك لا يجوز لكم لا يجوز ان يريد ممن يعلم منه اختيار الضلال ومعاداة الولاية منه لان ذلك امارة
الضعف والعجز هو ارادة ولاية من يريد معاداته وكذلك ضد ارادة لتجهيل نفسه لانه اذا علم من كافر وجود
الكفر وانه لا يؤمن اصلا ومع هذا كان يريد منه الايمان فلو تحقق منه ما اراد تنقلب علمه جهلا فيكون
ارادة الاهتداء ممن يعلم منه الكفر ارادة تجهيل نفسه وهو قبيح كانما الحق وقوله تعالى كانما يصعد
في السماء قيل يصعد ويتصاعد ويصعد كله لغات والمعنى واحد قيل كالمتكلف للصعود الى السماء لا يقدر
عليه وقيل كانما يصعد في السماء اي كانما يشق عليه الصعود في السماء روي عن عمر رضي الله عنه قال ما تصعد
شيء ما تصعد في الخطبة اي ما شق علي شيء ما شقت علي الخطبة وقوله تعالى كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون اختلف في الرجس قيل الرجس الاثم كما جعل قلوبهم ضيقا حرجا بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم
اللعن والغضب دليله قوله تعالى قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب والله اعلم وقوله تعالى وهذا
صراط ربك مستقيما قوله هذا اشارة ما اليه لكن يحتمل ان يكون هذا اي الاسلام الذي سبق ذكره انه يشرح
صدره بقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ويحتمل هذا صراط ربك الذي يدعو اليه الخلق
وهو التوحيد فيكون اشارة الى المعهود والمعروف المستغني عن التصريح بالذكر والله اعلم وقوله تعالى قد فصلنا
الآيات لقوم يذكرون اي بينا حقا قاد لا ينال التوحيد بحجة هذا القوم يذكرون او لقوم يتعظون
بالمواعظ وقيل لقوم يتقبلون الدلائل والحجج ولا يكابرون وقوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم يحتمل ان
السلام اسم الجنة وعد لهم بالجنة كقوله والله يدعو الى دار السلام ويحتمل ان يكون هو اسم الله تعالى ودار
السلام وهي الجنة وقوله تعالى وهو وليهم بما كانوا يعملون قيل وهو اولى بهم اي اولى بالمؤمنين كقوله
والله اولى بهما ويحتمل قوله وليهم اي حافظهم وناصرهم وقد ذكرنا فيما تقدم فيما تقدم وقوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس يعني يحشر يوم القيمة من تقدم ذكره من
الجن والانس ثم يقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس ثم يقول بعضهم كقوله تعالى ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله على الاصنام فكذلك هذا في اضمار
القول والله اعلم ثم قوله قد استكثرتم من الانس قال اهل التاويل اي قد اضللتم كثيرا من الانس
وقد استكثرتم عبادا من الانس في عبادة غير الله ومخالفة امر الله وتوحيده وقوله تعالى وقال
اولياؤهم من الانس في عبادة غير الله ومخالفة امره وتوحيده وقوله تعالى وقال اولياؤهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض اختلف فيه قال بعضهم يعني انتفع بعضنا ببعض في معصية الله تعالى
ومخالفة امره هؤلاء بالدعاء واولئك بالاجابة او الجن والانس وقال بعضهم ربنا استمتع بعضنا
ببعض بانواع المنافع وهو ما ذكر في بعض القصة ان الرجل من الانس اذا سافر فادركه المساء بارض قفر
خاف من الجن فيقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيامن في ذلك بالتعوذ الى سيدهم
فهذا الاستمتاع الانس بالجن وهو دفع الضرر عنهم بالالتجاء الى سيد الجن وذلك قوله تعالى وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الاية واما استمتاع الجن بالانس قيل ما يرد
لهم من الذكر والشرف في قومهم بالالتجاء الانس اليهم ويستمتعهم باسم سادة حتى قيل كانوا يفتخرون
ويقولون لقد سودتنا الانس ويحتمل الاستمتاع الجن بالانس ما ذكر في الحديث ان نبيا نهى ان يتمسح بالعظم
العظام الذي يستعملها الانس فيكون بعد ذلك وهو علف دوابهم او زاد اخوانهم من الجن وقال الحسن رضي الله
عنه ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا ان الجن امرت الانس فعملت في طاعتها او هم فيكون طاعتهم اياهم
وايتمارهم امرهم استمتاعا من الانس للجن والله اعلم وقوله تعالى وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قيل الموت
وقيل البعث يوم القيمة لانهم كانوا ينكرون البعث فاقروا عند ذلك بانا قد بلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا وكذبنا ما قد كانوا ينكرون من قبل وقوله تعالى قال النار مثواكم او مقامكم على سبيل الخلود
الا ما شاء الله قيل كان اوهام الناس تنصرف الى خلود النار ويقع في خاطر البعض ان خلود الاخرة مثل خلود
الدنيا فلهذا بين تعالى انهم خالدون في النار مثل خلود الدنيا سوى ما شاء الله من الخلود في خلود الاخرة لا نهاية
له وخلود الدنيا متناهي وخلود الدنيا على الانقضاء وخلود الاخرة على الدوام وكلمة الا بذكر ويراد بها
سوى كقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي سوى الموتة الاولى وقال الحسن رضي الله عنه
خالدين فيها الا ما شاء الله اي الا ان يشاء الله ان يخلدهم وقد شاء الله ان يخلدهم فيكون الامر على ما ثبت

فيثبت الخلود وقيل الاستثناء من وقت البعث الى وقت التحول في النار وهو وقت الحساب وقت الدنيا
وتقدير الآية كانه قال تعالى والله اعلم النار مثواكم اذا بعثتم الا ما شاء من زمان وتقدير الآية كانه قال والله اعلم
النار مثواكم اذا بعثتم الا ما شاء من زمان الحساب اي ما دام في الحساب وقيل الاستثناء للمؤمنين
الذين اتبعوهم في فعل المعاصي والجرائم ولم يتبعوهم في الاعتقاد وتقدير الآية النار مثواكم خالدين فيها
الخطاب لمن سبق ذكره من الجن والانس الذين اتبعوهم الا الذين اتبعوهم في الفعل دون الاعتقاد فانهم لا يخلدون
ولا يعذبون في النار واذكر بحرف ما وانه في الغالب يستعمل فيما لا يعقل من الحيوانات وفي الافعال ويستعمل
في العقلاء في الجملة على المجاز منه لقوله كقوله ما طاب لكم من النساء اي من طاب لكم من النساء وعلى هذا التاويل
تكون الآية دليلا على ادخال المؤمنين النار بالمعاصي والعقوبة لهم على قدرها ثم الاخراج منها ان شاء وان شاء
لم يدخلهم في الابتداء والله اعلم وقال ابو نصر رحمه الله في قوله الا ما شاء الله ينصرف الى نوع من العذاب
سوى النار من زمهرير ونحوه ويكون هذا كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك اي فيعذبون بما شاء الله ان لا ينتفعون الزفير والشهيق بل يكونون معذبين من نوع
العذاب لا ينتفعون الزفير والشهيق والله اعلم وقيل بان قوله الا ما شاء الله راجع الى قوله وبلغنا اجلنا
الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله وفي ما شاء الله ان يبلغ اجله الذي اجله بان يخترم
اجله بان يخترم اجله الذي علم انه يبلغ اليه قال لم يغيب واحتج بقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن الى قوله
فاهلكناهم بذنوبهم ثم قال في قصة نوح عليه السلام اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى فلما لم يسلموا اهلكهم بالطوفان وهذا تاويل المعتزلة
وهو فاسد لان الله تعالى عالم في الازل بكل ما خلق ما يفعل وانه يصيبه اجله عنده وقت منهم من يموت
حتف انفه ومنهم من يموت لا بتحيله من قتل او حرق او غرق او غير ذلك ولا فرق بين موت يحصل بالحرق
والحرق والغرق والجرح وبين ما فيه من حمى ومرض فانه الموت اي موت يحصل عندهم هو الموت الذي بلغ صاحبه
فيه اقصى اجله الذي اجل بحياته وقوله وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قام في الكل اذ الاشياء لا تعرف بها
عند ايجاد المقصود وهو الموت والله اعلم وقوله تعالى ان ربك حكيم عليم اي حكيم فيما يريد من وعد
فيكون كلما يفعله بالحكمة وقيل الذي يحكم الصنعة فلا يدخله خلل عليم بما لا يخفى عليه شيء وقوله
تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قيل فيه اوجه قيل فيه اوجه قيل من الولاء
اي نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما يجمعهم من ايجاد السبب وهو الشرك والاعتقاد وهو كقوله
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وعلى هذا التاويل يكون الآية تنقض قول
المعتزلة في خلق الافعال لان الولاية والعداوة انما يكون بافعال العباد ثم اضاف الولاية والعداوة
انما يكون بافعال العباد ثم اضاف الولاية الى نفسه دل ان لله تعالى صنعا وهو ان خلق سبب الولاية منهم
وفي الآية دلالة ان الكفار لا يتخلصون من النار ولذا الله تعالى بين امر ولايتهم وجعل بعضهم اولياء
بعض وليس من الحكمة تخليص العدو من العذاب والله الموفق وقيل نولي بعض الظالمين بعضا اي نتبع
بعضهم بعضا في النار من الموالاة والتوالي بين الشيئين يقال توالت بينهما اذا تابع بينهما ونحوه
قال قتادة رضي الله عنه وقال ابو زيد رحمه الله نولي بعض الظالمين بعضا اي نسلط بعضهم على بعض
وهو قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله تعالى يا معشر الجن والانس
الم ياتكم رسل منكم اختلف في تاويل الآية قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كان الرسل من الانس لكنه
اضاف الى الفريقين جميعا بقوله رسل منكم كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما
وكقوله وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وانما جعل في واحدة منها وكقول الناس في سبع مساجد
مسلح قتيل وانما يكون في واحد منها ويجتمع فيه الناس من سبع قبائل وقد يضاف الشيء الى
جماعة والمراد منها الواحد فعلى ذلك ما ذكر من اضافة الرسل الى الانس والجن وقال بعضهم كان الرسل
من الفريقين جميعا الرسل من الجن جني ومن الانس انسي لان الجن يستترون من الانس فلا يكون الرسل من انس
الى الجن رسولا يظهرون لهم فبعث الى كل فريق رسول من جوهرهم وقال بعضهم كان الرسل الى الفريقين
جميعا من الانس وكان من الجن نذير بطريق النيابة عن الرسول المبعوث اليهم كما قال الله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين ذكر المنذرين بعد ما ذكر الرسل ومرتبة النذر
دون مرتبة الانبياء كمرتبة الانبياء من الرسل عليهم السلام وكما نقول يجوز ان يقوي الله تعالى الرسل
ان كانوا من الانس على بعثهم بانبائهم وجعلهم بحال يظهرون لهم وعلى انه ليس فيما نسبهم ونعينهم

منع بعث الرسل فيهم من الانس فانه جائز ان يكون اليهم الرسل من الانس ويبلغون الوحي الى الانس ويسمع بعض
الجن ويعمل به فالجملة من الرسل فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ الى قومهم من غير ان يعلم الرسل بذلك كما اخبر
الله تعالى يا قومنا اجيبوا داعي الله وقال اخبر عنهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى الاية وليس بنا
الى معرفة حقيقة هذا حاجة انما الحاجة الى معرفة انما يأتي به الرسل عليهم السلام من الحجج والايات وان كانوا
من البشر يلزمهما لكل من الجن والانس بقوله للكل يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم
اياتي وهو كقوله تعالى قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا افهذا عجز الانس والجن عن ان يأتوا بمثل هذا القرآن وان كان الجن اقوى على الاشياء من الانس دل
انه اية ودل عجز الجن عن ذلك على انهم كانوا اقوى على ان عندهم اعجز لانه انزل هذا القرآن على لسان العرب ثم لما
عجزوا عن ذلك كان عجزهم دليلا على ان العجم اعجز عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي
ويحتمل يتلون عليكم اياتي يبينون لكم ايات الوحدانية والالوهية وايات البعث الذي ينكرون وقوله تعالى
وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء يومكم الذي توعدون وقوله تعالى قالوا شهدنا على انفسنا هذا
اقرار منهم بما كان من التكذيب كقوله فاعترفوا بذنوبهم اي شهدنا على انفسنا بانا كذبنا الرسل عليهم السلام
بما قالوا واخبروا وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا ومعنى هذا ان الدنيا معنيين ظاهرا وباطنا
فيكون في الظاهر غرور ومن كان نظره الى الظاهر غره وفيها باطن من نظر الى ذلك الباطن يعظه ما ظاهرها
من زينتها وزخرفها والكافر نظر الى ظاهرها فاغتر بها واما باطنها فهو انتقالها من حال الى حال وزوالها
وفناؤها فمن نظر الى ذلك الباطن اتعظ به وعلم فناءها وتغيرها انه لم يخلقها لذاتها ولكن لعاقبة [illegible]
اضافة الغرور اليها لانها اسباب الغرور ويكون منها ما لو كان ذلك الشيء ذو عقل وتمييز كان ذلك غرورا
والله اعلم وقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذا اعتراف بما كان منهم وقوله تعالى ذلك
ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يحتمل قوله ذلك اشارة الى ما وجد منهم من الكفر والمعاصي والتكذيب
للرسل عليهم السلام على ما سبق ذكره من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقوله ويوم يحشرهم
جميعا يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم ونحوهما من الايات التي فيها ذكر العتاب ويحتمل ذلك اشارة
الى الهلاك الذي كان في الامم الخالية او لم يكن الله تعالى مهلك بظلم ظلموا انفسهم اهلاك تعذيب واستئصال
الا بعد تقدم الوعيد لهم في ذلك او سؤال كان منهم بالعذاب مع ان اهلاك ايضا وهم غافلون عن الظلم والمعاصي
لانه لا يسعه ذلك ولكن فيه انه سبيه فيهم هذا او لا يهلكهم [illegible] الا بعد تقديم ما ذكرنا لئلا
يحتجوا فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين وان لم يكن لهم الاحتجاج بذلك
لما مكن لهم وتركت فيهم ما يعرفون به انه لم يخلقهم ليتركهم ولكن خلقهم لعاقبة لكن سنته قد مضت في
الامم الماضية ان لا يهلك قوما اهلاك استئصال الا بعد ما سبق منه وعيد وانذار وظهور العناد والمكابرة
منهم والسؤال العذاب بسؤال ان تعتقد ذلك منه فضل ورحمة لانه لا يسع له ذلك وبالله التوفيق وقوله
ولكل درجات مما عملوا استدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله عليهما بهذه الاية على ان للجن الثواب بالطاعة
وعليهم العقاب بالمعاصي كالانس سواء على ابي حنيفة رحمه الله فانه يقول ليس للجن ثواب بالطاعات ولكن عليهم
العقاب بالمعاصي وقالا لان الله تعالى قال ولكل درجات مما عملوا اخبر ان لكل مما سبق ذكره درجات في اعمالهم بما سبق
ذكر الفريقين جميعا الانس والجن بقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض وقال ويوم يحشرهم
جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم هذا ذكر ما كان
من الفريقين جميعا من الكفر والعصيان ثم ذكر فيهم من زيادة الاية وذكر ما سبق من الوعد والوعيد
للفريقين جميعا ولهذا خرج الخطاب بالامر والنهي فعلى ذلك قوله ولكل درجات مما عملوا رجع الى الفريقين منهم
جميعا ان عملوا خيرا فخير وان عملوا شرا فشر الا ان ابا حنيفة رحمه الله قال ان قوله ولكل درجات مما عملوا انما ذكر
على اثر ايات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين لانه قال ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم
من الانس وقوله يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم الاية الى قوله وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين دل هذا ان الخطاب بهذه الايات للكفرة فعلى ذلك قوله ولكل درجات مما عملوا هذا العقاب
خاصة ويكون قوله ولكل درجات مما عملوا اي دركات من العذاب والعقاب بما عملوا من المعاصي والتكذيب
للرسل عليهم السلام والشرك والتوحيد والله اعلم ولان الثواب بكل وجه فضل وتفضل منه والعذاب ما في
الحكمة لان في الحكمة ان يلزم العذاب والعقوبة لمن عصى الله تعالى وخالف امره على الطاعات وذلك الاجر
الما يوجب من الاهدا والعفو عن الاعدا ليس بحكمة بخلاف الخلاف من حيث الفعل مع قيام الايمان على ما

وانما

فاما الثواب فوجوبه بطريق الفضل لانه كان من الله الى الخلق من النعم والفضل والاحسان ما لو اجتهدوا كل
جهدهم ما قدروا على ان يؤدوا شكر واحد منها فيكون طاعتهم شكرا لما انعم عليهم واذا كان كذلك لم يجعل
لاعمالهم ثوابا الا بالبيان من الله عز وجل كما لا يقال للملائكة ان لهم ثوابا بمقابلة طاعتهم الا ان الله تعالى يجعل لهم
ذلك والله اعلم والدليل على ما ذهب اليه ابو حنيفة رضي الله عنه ما ذكر من قول الجن بقوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا فذكر للقاسطين الظالمين العقوبة بقوله فكانوا لجهنم حطبا وقال في حق الذي
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ولم يذكر الثواب وقال اخبر عنهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ولم يذكر الثواب في الجنة والله اعلم وقال بعض الناس مما قال ابو حنيفة رضي الله عنه
ان لا ثواب للجن من جنس ثواب المؤمنين لان جنس عملهم من غير جنس عمل البشر فكذا ثوابهم من جنس طاعتهم
ثواب المؤمنين من جنس طاعتهم وثواب المؤمنين من جنس طاعتهم فاما ان نقول لا ثواب لطاعتهم اصلا
فلا والله اعلم وقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون اي ليس بغافل عما تعملون من الكفر والمعاصي ولكن
يؤخرهم تعذيبهم رحمة منه وهو كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص
فيه الابصار وقيل عن غفلة باعمالهم ونفعهم يرجع اليهم ولا نقص اعمالهم التي يعملون وقوله تعالى وربك
الغني ذو الرحمة هذا رد على الثنوية قولهم ومذهبهم لانهم يقولون انما يخلق الخالق لمنافع نفسه
لانه ليس بحكيم من يفعل فعلا لا يقصد به منفعة نفسه فاخبر عز وجل انه غني بذاته وانما يقصد
قصد المنفعة بفعله لحاجة تقع له او ضرورة تصيبه يقصد بالفعل فقصد قضاء الحاجة ودفع
الضرورة عن نفسه فاما الله تعالى اذ هو غني عن الخلق على ما اخبر جل ذكره فلم يكن فعله لما يخرج عليه الفعل
في الشاهد وانما خلق الخلق لمنافع انفسهم على ما عرف والله اعلم ثم يحتمل قوله وربك الغني عن تعذيب اولئك
الكفرة اي لا منفعة له في تعذيبهم او لا حاجة له الى تعذيبهم ولكن الحكمة توجب ان يكون صلة قوله يا معشر
الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقول لهم الم نرسل اليكم رسولا ولا امتحنكم لحاجة نفسه او لمنفعة
نفسه اذ هو غني بذاته عن خلقه وقوله تعالى ذو الرحمة يحتمل عن عباده والرحمة فلا يعجل عليهم العقوبة
ويحتمل الحين قبل رحمته فصار اهلا فهو ذو الرحمة فرحمته ولما من لم يقبل رحمته فانه ذو انتقام منه
وقيل ذو الرحمة اي خلق الخلائق وجعل بعضهم للانتفاع والاستمتاع ببعض اذ خلقهم لمنافع بعضهم
والله اعلم وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم اخرين
يخبر عن غناه عنهم وعن سلطانه وقدرته اي ان يشأ يذهبكم بترككم طاعته واتباع امر رسوله عليه السلام
كما ذهب من كان قبلكم بتركهم طاعته وامره وانه يقدر على اهلاككم واستئصالكم وانشاء قوم اخرين
كما خلق الخلائق من قبل من جواهر مختلفة لا من الذين قبلهم وجعل من جواهر مختلفة لا من الذين قبلهم وجعل في الاول
التوالد والتناسل والله اعلم وقوله تعالى انما توعدون لات اي من الوعد والوعيد وقيل انما توعدون
لات من النصر لرسوله عليه السلام والمعونة له وكائن وقوله تعالى وما انتم بمعجزين قيل بفائتين وقيل [illegible]
بسابقين الله بأعمالكم الخبيثة حتى لا يجزيكم بها واصله وما انتم بمعجزين اي لا تعجزونه بتركم عن تعذيبكم
وعقوبتكم والله اعلم وقوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل هذه الكلمة انما تستعمل في انتهاء
المكابرة نهايتها ووجود المعاندة غايتها بعد الفراغ من الحجج والايات والبراهين وهو كقوله لكم دينكم ولي دين
ثم اختلف في قوله مكانتكم قيل على حديكم اي طريقتكم وقيل على منازلكم وحد [illegible]
والله اعلم اعملوا على مكانتكم اي اعملوا على ما انتم عليه ثم يحتمل هذا وجوها يحتمل اعملوا على مكانتكم
على ما انتم عليه من امر الدين كقوله لكم دينكم ولي دين ويحتمل ان يكون في همهم ان يمكروا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال امكروا او خافوا ما كان بكم وهو كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل ان يكونوا يتطلبون
الدوائر والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
وقوله تعالى فسوف تعلمون يحتمل اي سوف تعلمون من يكون له العاقبة اي من المستحق منا بما اوعد
يخوف ويحتمل بالهلاك الذي كان محقا بالوعد وقوله تعالى من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
قيل لا يفلح الظالمون قيل لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم ويحتمل اي لا يفلح الظالمون
في الاخرة وقوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الاية قوله وجعلوا اي المشركون الذين
تقدم ذكرهم وقوله ذرأ اي خلق وذرأ وبرأ [illegible] الحرث الزرع وقيل الحروث هي جماعة اصناف الحرث
الانعام جمع النعم وهو الابل والبقر والغنم وقوله نصيبا اي حظا وقسطا فقالوا هذا لله بزعمهم
هكذا زعموا ان هذا لله ولم يكن ذلك لله بزعمهم لان الدنيا كلها لله تعالى زعموا ذلك او لم يزعموا

وانما وصف قولهم بالزعم لما فيه من الكذب في الاضافة لانهم لم يقولوا هذا لله على ما علمنا من ان الدنيا كلها لله
بل كانوا يفعلون ذلك على افراد ذلك له دون ما سواه كمن من الشركة يقسم بين الشريكين حتى قال القسمة العدل
هذا لفلان دون ما سواه وما بقي فلفلان الاخر وهذا منهم زعم كذب اذ ليس ما ورا ذلك لغير الله تعالى
وقوله تعالى وهذا لشركائنا • وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي وهذا لشركائهم وقوله تعالى فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله • اي ما كانوا يجعلونه لشركائهم لا يصرفونه الى الله لوجوه التقرب من الصدقة
ونحوها وقوله تعالى وما كان لله فهو يصل الى شركائهم • اي ما كانوا يجعلونه لله يصرف ذلك الى وجوه
التقرب فانهم كانوا ينفقون منه على اصنامهم ويقولون ان الله تعالى غني عن ذلك والاصنام تحتاج الى الانفاق
الى الذي ساء لا اسا ما يحكمون اخبر الله تعالى عن سفههم من وجوه احدها انهم كانوا يجعلون لله نصيبا لها
كان ذلك شرع الحقيقة مع علمهم بان الله تعالى هو الذي انشا لهم تلك الاشيا وهو ذرا لها ثم يجعلون له
نصيبا وللاصنام نصيبا سفههما انهم اذا علموا ان الله تعالى هو الذي ذرا لهم تلك الاشيا فالتي الاجل
في الجعل لا اليهم اذ علموا انما على الذي يجعل لله تعالى الامر وهو المالك لها حقيقة فكيف يزعمون
ذلك والثالث ... سفههم ايضا انهم يجعلون لله في ذلك نصيبا من الثمار والحرث ونحوها
ثم اذا وقع شي مما جعلوه لله في جزء ... جعلوه لشركائهم تركوه للشركاء
كذلك واذا وقع الطيب مما جعلوا لشركائهم ووقع فيما جعلوا لله تعالى اخذوه على الله تعالى ... حقها
وانفقوا ما لها وكذلك اذا زكا الذي كانوا يجعلونه لله ولا تزكو نصيب الاصنام اخذوا نصيب الله و...
بين المساكين الذين هم مصارف نصيب الله وبين الاصنام سفههم في صنيعهم الذي يصنعون من
ايثارهم الاصنام بذلك في حال دعائهم اياها والتفضيل لها في القسمة ويرضون لله تعالى ما لا يرضون
للاصنام وهو كما جعلوا لله البنات وهم كانوا ... فعلى ذلك تفضيل الاصنام في القسمة وايثارهم
اياها على الله تعالى والثالث انهم مع علمهم بان الله تعالى هو الذي يخلق الاشيا ما انشاها لهم اشركوا
على ذلك منشركا في اموالهم التي جعلها لهم وفي عبادتهم مع الله احدا لا يستحق بذلك شيئا ونحو
انهم ساء ما يحكمون ... بين الحكم بحكامهم وقوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
قولهم وكذلك زين ... شركاؤهم تحريم ما احل الله تعالى من السائبة والوصيلة والحام كذلك
زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم ويحتمل اي كما زين لهم شركاؤهم جعل النصب للاصنام والبحيرة
ما خلقه الله تعالى لهم عنهم الى الاصنام كذلك زين لهم قتل اولادهم وخصلة ان الشفقة التي جعل الله في الخلق
لاولادهم والرحمة التي جبلت في اولادهم تمنعهم عن قتلهم خاصة اولادهم الضعفاء الصغار وكذلك
الشهوة التي تخلق فيهم والميلان الى وجوه المنافع تمنعهم عن تحريم ما احل لهم وقيل اولادهم ثم اختلف في شركا
قال بعضهم شركاؤهم قال بعضهم شركاؤهم شياطينهم التي تدعوهم الى ذلك وقيل كبراؤهم وروساؤهم ثم يحتمل
قتل الكبراء اولادهم تكبرا منهم ويحتمل لانهم كانوا يانفون عن اولادهم الاناث وقيل الاسلاع يكون بحال
العيلة والفقر والله اعلم وقوله تعالى ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم • قيل ليهلكوهم اي انهم كانوا
يقصدون بذلك التزيين والتحسين الارداء والاهلاك اي كانوا يردونهم في ذلك الشفقة وكذا كانوا
يقصدون بالتزيين التلبيس الذين عليهم وقوله تعالى ولو شاء الله ما فعلوه • يحتمل وجوها قال بعضهم
يحتمل لو شاء الله لاهلكهم قبل ان يفعلوا ذلك ويحتمل لو شاء الله لاعجزهم ومنعهم عن ذلك بالجبر كقوله
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم وقيل ولو شاء الله ما فعلوه اي لو شاء لاراكم قبح فعلكم حتى لا تفعلوا
عن اختيار واصله انه اذا علم منهم انهم يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين والتلبيس الذي
عليهم شاء ان يفعلوا ويختاروا وقد ذكرنا في غير موضع وقوله تعالى فذرهم وما يفترون • اي ذرهم ولا
تكافيهم على افترائهم على الله تعالى ويحتمل فذرهم فان الله كافيهم ويحتمل وعيدهم فانما ... ذلك الاثر
عليهم لا عليك ولا عليك والله اعلم وقوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء
بزعمهم • قيل هذه الاية صلة قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الاية هذا الذي جعلو
للشركاء هو الحجر الذي هو مذكور في هذه الاية لانهم كانوا لا ينتفعون بذلك ويحرمونه وهو الحجر لان الحجر
اصله المنع ومنه الاحتجار وهو الا يستثنى بمعنى ان ياخذ شيئا ولا يعطي منه سمي العقل حجرا لكونه
مانعا وكذا سمي الحطيم حجرا لهذا وعن الحسن رضي الله عنه حجر يعني حرام وذكر عن ابن عباس رضي
... الحجر ... فتقدم ... المنع نصا وعن ابن عباس رضي الله قال الحجر ما حرموا من الوصيلة وما
... وتحريمهم ما حرموا من اشيا كانوا يحلون اشيا حرمها الله تعالى ويحرمون اشيا احلها الله تعالى

من الحرث والانعام وقوله تعالى لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يحتمل وجوها احدها قوله الا من نشاء اخبار
من الله تعالى عن نفسه مشيته ذلك بزعمهم كقوله انا انزلناه في ليلة القدر ومعنى الاية ان الله تعالى اخبر
عن اولئك المشركين انهم قالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء اي هذه الاشيا حرام لا يطعمها
احد الا من نشاء الله تعالى حلها له والمباح له تناولها وذلك لانهم كانوا يحرمون اشيا وياتون الفواحش
ويقولون ان الله تعالى شاء ذلك في حقنا وامرنا بذلك كما اخبر الله تعالى اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها وقيل قوله الا من نشاء بزعمهم الا من نشاء في حقيقة هذا الكلام ليس من عامة المشركين
ولكن من رؤسائهم الذين سنوا لهم هذه السنة وحرموا ذلك على نسائهم دون ذكورهم على ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان شئت قد ذكرت لكم اول من بدل دين اسمعيل عليه السلام وحرم السائبة والوصيلة
والحام فعلى ذلك اولئك اضافوا المشية الى انفسنا الذين سنوا لهم ذلك التحريم على انهم احلوا لذكورهم
بقوله الا من نشاء هذه الاضافة الى الرجال دون النساء فان الرجال هم الاصول في كل باب والله اعلم وقوله
وانعام حرمت ظهورها • وهو ما ذكر من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وهو الحجر الذي ذكر في هذه
الاية يجعلون هذه الاشيا للشركا انهم لا ينتفعون بها وقوله تعالى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
قيل فيه وجوه قيل لا يذكرون اسم الله عليها اي لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله تعالى فيشكروه عليها
اذ الشكر يكون بذكر الله تعالى واظهار نعمه والثناء عليه وقيل لا يذكرون اسم الله عند الركوب كما يذكر
وقت الركوب سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين لانهم كانوا لا يركبونها ولكن يسيبونها وقيل
لا يحجون عليها والاول كانه اقرب فانهم كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها •
وقوله تعالى افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون • وافتراؤهم على الله تعالى ما قالوا ان الله تعالى امرنا
بذلك وحرم علينا كذا وهو احل عليهم ذلك او افتراؤهم على الله تعالى من شركهم اياه شركاء دونه في عبادة
والنعم حيث جعلوا بعض النعم لله تعالى والبعض للشركاء وقوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا • قيل هذا صلة قوله فقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها يحرمون
على النساء ويحلون للرجال يعني اذا ولد حيا كان ينتفع بذلك رجالهم دون نسائهم واذا ولد ميتا
اشركوا فيه الاناث والذكور وقوله تعالى سيجزيهم وصفهم • اي افتراءهم على الله وتحريم ما احل لهم وتحليلهم
ما حرم في الاية بيان سفههم حيث ينكرون الرسالة بمكان ما يحرمون من الطيبات عندهم ...
الرسالة يحرمون الطيبات التي احلها الله تعالى لهم من البحيرة والسائبة ونحوهما ثم يتبعون فيهم ويطيعونهم
في ذلك مع انه لا دلالة معهم على دعواهم في ذلك ومع الرسل معجزات على صحة دعواهم والله الموفق
وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات • قيل معروشات اي مبسوطات
على وجه الارض وغير معروشات ما يقوم بساقه لا ينبسط على الارض وقيل معروشات ما يتخذ منها العرش
من نحو الزرجون والقرع وغير ذلك وغير معروشات مما لا يقع له الحاجة الى العرش من نحو النخل والاشجار
المثمرة وقيل على القلب من هذا معروشات ما يقوم بساقه وغير معروشات ما لا ساق له وتفسير
ما ذكر في اخره والزرع والنخل مختلفا اكله ثم فسر قوله والزرع والنخل مختلفا اكله والزيتون والرمان
متشابها وغير متشابه قيل الا ترى قوله متشابها وغير متشابه في الذي ذكر وهو الرمان والزيتون لان
ورقهما متشابه والثمرة مختلفة ومنهم من يقول بعينهما او في غيرهما لان غيرهما من الاشجار المثمرة كذلك
منها ما يكون متشابها في اللون مختلفا في الاكل والطعم ومنها ما يكون مختلفا في اللون والمنظر
في الطعم والاكل ليعلم ان لها منشئا واحدا او ان حكيم انشاها عن حكمة ومدبر انشاها عن تدبير لا
عبثا والله اعلم ثم خرجت الاية والله اعلم مقابلة ما كان منهم من تحريم ما احل لهم ... من الحرث
والزرع والانعام والانتفاع بها ردا عليهم كما اخبر عنهم بقوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها
الا من نشاء بزعمهم وقوله وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
وقوله هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وغير ذلك من الايات التي كانت بجهادهم وبحكمهم على الله تعالى
انفسهم في حكمه فقال تعالى وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات اي من تامل في ما
نشا من الجنات والبساتين وانواع الثمار عرف ان منشئها ملك حكيم مدبر حيث ينشئها ويخرجها
من الارض ... ما لو اجتمع الخلائق على تدبيرها كيف يخرج وكم يخرج واي وقت يخرج ما قدروا
على ذلك وكذا ما يخرج من العدد والثمار على ميزان واحد غير متفاوت ما لو جهد كل جهد ...

الفضل والتفاوت بين آحادها ما قد دل على ذلك وتخرج أيضا كل عام من الثمار والأوراق ما يشبه العام الأول من غير تفاوت يدل أن منشئها واحد قادر حكيم وضع كل شيء موضعه وأن ما أنشأ من ذلك حكمة وتدبير لم ينشئها عبثا فالله الحكيم المدبر في الحل والحرمة والقسمة ليس لأحد دونه حكم ولا تدبير في التحريم والتحليل فيقول هذا حلال وهذا حرام وهذا لهذا وهذا لهذا إنما الملك له يخرج هذا الله تعالى مقابلة ما قاله الرد عليهم والله أعلم وقوله تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر كأنه قال كلوا من ثمره إذا أثمر ولا تحرموا شيئا من ذلك خرج على مقابلة ما كان منهم من التحريم في الحرث والثمار أي كلوا منها ولا تحرموا فتضيع وتفسد والله أعلم وقوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده ٭ اختلف أهل التأويل في تأويل الحق الذي ذكر في هذه الآية وفي بقائه ونسخه من ثلثة أوجه أن المراد من الحق هو زكاة الزرع والثمار وهو العشر أو نصف العشر والثاني من الحق حق آخر غير العشر الذي هو زكاة الزرع وروي عن ابن عباس وجابر بن زيد رضي الله عنهم ومحمد بن الحنفية والحسن البصري وسعيد بن المسيب وطاوس وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك رضي الله عنهم أنه العشر ونصف العشر وروي عن ابن عباس رض في رواية أخرى ومحمد ابن الحنفية والسدي وإبراهيم النخعي رض أن هذا الحق صدقة سوى الزكاة كانت واجبة عند الحصاد نسخها العشر ونصف العشر بالحديث وعن الحسن رض قال نسخها الزكوة وقال الضحاك رض نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن وعن ابن عمر رض أن الآية محكمة غير منسوخة وأنه حق واجب عند الصرام والحصاد غير الزكاة وروي عن مجاهد أنه قال إذا حصدت كل حب طرحت للمساكين منه شيئا ويترك المساكين يتبعون آثار الحصاد وإذا أحدث في كيله حثوت لهم منه شيئا وإذا علمت كيله وعرفته أعطيتهم زكاته وعشره قال وإذا أخذت وجداد النخل طرحت لهم منه وإذا أخرت في كيله فكذلك وإذا علمت كيله عزلت زكاته فيكون عملا بالكتاب والسنة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن جداد الليل وعن صرام الليل قال سفيان بن عيينة رض إنما نهى عن ذلك ليلا لأجل أن في هذه الحال تحضر المساكين فإذا لم يعرفوا بالليل يضيع ذلك ومن قال بالنسخ يقول إن هذه الآية مكية وأن الزكاة وجبت بالمدينة فيصير منسوخة بهم والدليل على أن الآية غير منسوخة اتفاق الأمة على وجوب الحق في كثير من الحبوب والثمار وهو العشر ونصف العشر ومتى وجدنا حكما متفقا على ثبوته مما يتناوله لفظ الكتاب يجب إحالته إلى نص الكتاب لا أن يقال إن النص صار منسوخا وهذا يثبت بدليل آخر وكذلك لأن النص متى أمكن العمل به وأنه لا يجعل في حق ذلك العدد على أنه لا يجوز إثبات هذا الحكم وهو العشر في بعض الحبوب والثمار بالحديث وهو قوله عليه السلام ما سقت السماء ففيه العشر وما سقي بغرب أو دالية ففيه نصف العشر ونسخ الكتاب به إذ جائز أن يكون ذلك الحق هو العشر الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله عليه السلام فيما سقته السماء ففيه العشر بيانا للمراد بقوله وآتوا حقه يوم حصاده كما أن قوله عليه السلام في مائتي درهم خمسة دراهم بيانا لقوله وآتوا الزكاة وكذلك قوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض عام يتناول لجميع ما يخرج من الأرض ويكون الحديث بيانا له لا ناسخا على أنه لا يجوز القول بنسخ قوله وآتوا حقه يوم حصاده بالحديث الوارد في العشر ونصف العشر لأن النسخ إنما يتحقق بما لا يصح اجتماعهما وثبت بينهما التنافي فأما ما لا تنافي بينهما لا يتحقق النسخ ألا ترى أنه يصح أن يقول وآتوا حقه يوم حصاده وهو العشر فإذا صلح بيانا كيف يجعل نسخا والله أعلم ولئن من هذا الحق ثابتا غير منسوخ وزعم أنه غير العشر يجب عند الحصاد وعند الدياس وعند الكيل والعشر يجب بعد الإحراز وبعد الكيل فإنه لا يخلو إما أن أراد أنه يكون بيانا بطريق الندب أو بطريق الوجوب فإن قال بطريق الندب فقد ترك ظاهر الأمر فإن ظاهره الوجوب العمل به وإن قال بطريق الوجوب فهو فاسد لأنه لو نقل إلينا بطريق الاستفاضة إنه كان ذلك واجبا مع عموم الحاجة إليه ولكان الأحوال أن يثبت نقل ذلك مثل نقل العشر ونصف العشر ولما لم تعرف ذلك عامة السلف وعامة الفقهاء علم أنه غير مراد وثبت أن هذا الحق هو العشر الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم فإن قيل العشر وهو زكاة الحبوب لا يخرج يوم الحصاد وإنما يخرج بعد التنقية والكيل لينظر مقداره فيدفع عشره والله تعالى أمرنا بإيتاء الحق يوم الحصاد دل أن المراد به غير العشر قيل له الحصاد اسم للقطع فمتى قطعه يجب عليه إخراج الحق وهو عشره في هذه الآية يؤمر بالأداء عند التنقية واليوم لم يكن ظرفا للإيتاء المأمور به وإنما هو ظرف لحقه كأنه قال وآتوا الحق الذي وجب فيه يوم حصاده بعد التنقية وفي الخضر كلها إنما يخرج الحق فيها يوم الحصاد ولا ينتظرونه إلى شيء آخر والله أعلم ثم اختلف في العشر من وجهين أحدهما في المحل الذي يجب العشر فيه والثاني في مقدار ما يتعلق به الوجوب أما المحل

قال أبو حنيفة وزفر رضي الله عنهما يجب العشر في جميع الخارج من الأرض إلا الحطب والقصب والحشيش وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله لا يجب إلا فيما له ثمرة باقية وبه قال مالك رحمه الله إلا في الزيتون وقال ابن أبي ليلى والثوري والحسن بن صالح رض لا يجب العشر إلا في أربعة أشياء التمر والزبيب والحنطة والشعير وقال الشافعي رض يجب فيما ييبس ويقتات ويدخر مأكولا ولا شيء في الزيتون لأنه إدام وروي عن عمر وعلي رضي الله عنهما أنه ليس في الخضر صدقة وبه قال مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار رض وروي عن ابن عباس رض أنه كان يأخذ من دساتج الكراث العشر بالبصرة والحجة لأبي حنيفة وزفر رض قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده ذكر عز وجل الأشياء مما يحصد بعد ذكر النخيل والزرع والزيتون والرمان جميعا مخرجه وما يقع في الكيل وما لا يقع عاما من غير فصل فظاهر الآية يقتضي وجوب العشر في الخضر كلها وفي الفواكه والزيتون والرمان فمن ادعى التخصيص فعليه الدليل وبقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض وهذا عام في كل خارج فإن قيل المراد به صدقة التطوع قيل هذا غلط من وجهين أحدهما أن ظاهر الأمر لوجوب العمل إلا بدليل والثاني قال ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه والإغماض إنما يستعمل في اقتضاء الواجب واستيفائه لأن في التطوع لأن ذلك إذا ما النبي عليه [illegible] الكامل على الأدنى منه مما لا إغماض فيه وأما من جهة السنة وروى مسروق عن معاذ رضي الله عنهما قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مسنة ومن كل ثلاثين تبيعا ومن كل ما سقت السماء العشر وما سقي بالدوالي نصف العشر وعن ابن عمر رض أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن أن على المؤمنين في صدقة الثمار عشر ما سقت العيون وما سقت السماء والغرب نصف العشر وروى أبو حنيفة رض عن أبان عن أنس رض أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كل ما أخرجت الأرض قليله وكثيره العشر وهذا الخبر في حد الاستفاضة والاشتهار لاختلاف طرقه وأنه يوجب العشر في جميع أصناف الخارج فيجب العمل بعمومه أما أبو يوسف ومحمد رض احتجا في المسألة بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صدقة في الزرع ولا في الكرم ولا في النخل إلا ما بلغ خمسة أوسق وذلك ستون فرق وعن عمر وابنه وأبي هريرة رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس في الخضروات صدقة وهذا نص في الباب وروي عن عمر مثله وكذلك عن جماعة من السلف أنه لا صدقة إلا في الحنطة والشعير والحبوب إلا أن أبا حنيفة رض يقول معنى ذلك كله أي لا صدقة يأخذها الإمام إلا فيما يبلغ كذا وليس في الخضر صدقة يأخذها إنما على صاحبها أن يؤديها بنفسه وأما حديث موسى بن طلحة ففيه ضعف فإنه روي عن يعقوب بن شيبة أنه قال هذا حديث منكر وكان يحيى بن معين يقول مداره على حارث بن نبهان وهو ضعيف على أنه لو صح سند حديث موسى بن طلحة وصحت طرقه لم يجز أن يعارض به ما روينا من الحديث لأنه خبر قد تلقاه الناس بالقبول وعملوا وهم مختلفون في استعمال حديث موسى بن طلحة ومتى ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم خبران اتفق الفقهاء على استعمال أحدهما واختلفوا في العمل بالآخر كان المتفق عليه حكما قاضيا على المختلف فيه والله أعلم وأما اعتبار المقدار الذي يجب فيه الحق وهو العشر قال أبو حنيفة وزفر لا يعتبر المقدار بل يجب العشر في قليله وكثيره وقال أبو يوسف ومحمد ومالك وابن أبي ليلى والليث والشافعي رضي الله عنهم لا يجب حتى يبلغ ما يجب فيه الحق خمسة أوسق وأبو حنيفة رض يتعلق بما ذكرنا من النصوص العامة الموجبة للعشر على الإطلاق في الكتاب والسنة من غير بيان المقدار في النصاب وهم احتجوا في المسألة بما روي عن جابر بن عبد الله رض أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة في شيء من الزرع والنخل والكرم حتى يبلغ خمسة أوسق وروى عبد الله بن عمر رض عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وعن أبي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة والجواب لأبي حنيفة عن هذا من وجوه أحدها أن ما رويناه عام وما ذكروه خاص وقد اتفق العلماء على استعمال أحدهما واختلفوا في استعمال الآخر وهو خبر المقدار فكان استعمال خبر العشر على عمومه أولى من الحمل بالمقدار وهو مختلف فيه فكان المتفق عليه قاضيا على المختلف فيه فإما أن يحمل على التناسخ أو يحمل على ما قبل الإيتاء في خبر العشر والثاني أن الحديث الذي روينا عام فيما يدخل تحت الوسق فلا يجوز أن يكون بيانا لمقدار ما يجب فيه العشر لأن حكم البيان أن يكون شاملا لجميع ما يقتضي البيان فلما كان خبر الأوساق مقصورا على ذكر مقدار الوسق دون غيره وخبر العشر عاما في الموسوق وغيره علمنا أنه لم يرد مورد بيان مقدار ما يجب العشر فيه والثالث قد كان لله تعالى حقوق واجبة في المال غير الزكاة ثم نسخت بالزكاة على ما روي نسخت الزكاة كل صدقة في القرآن فيجوز أن يكون بيان النقد به كان معتبرا في الحقوق التي كانت واجبة ثم نسخت أصلها بمقدارها وهو كقوله وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وكذا روي عن مجاهد رضي الله عنه إذا حصدت

طرحت للمساكين واذا كدس واذا نقيت واذا علمت كيله عزلت زكوته وهذه الحقوق غير واجبة اليوم فجائز
ان يكون ما روي من تقدير الخمسة الاوسق كان معتبراً في تلك الحقوق واذا احتمل الوجهين لم يجز
الاية والاثر المتفق على نقله به والرابع يحتمل ان المراد منه المقدار في باب الزكاة فانه روي في رواية ليس
فيما دون خمسة اوسق طعام او تمر للتجارة لم تبلغ قيمته مائتي درهم واخبر انه لا زكاة فيه لقصور قيمته عن النصاب
فنقل الراوي كلام النبي صلى الله عليه وسلم وترك ذكر السبب كما يوجد ذلك في كثير من الاخبار واذا احتمل هذا
هذا فلا يكون حجة ثم اختلف فيما ياكله رب الارض من الثمار او الحبوب قال ابو حنيفة رض وزفر فيما اكل الثوري
بانه يحتسب عليه ذلك كله ويجب العشر بقدره في الباقي وقال ابو يوسف رح اذا اكل صاحب الارض او اطعم جاره
وصديقه فانه يؤخذ منه عشر ما بقي ان بلغ خمسة اوسق ولا شيء عليه فيما اكل ولو اكل الثمار كلها او اطعمها
لم يكن عليه عشر ذلك فان بقي منها قليل او كثير فعليه عشر ما بقي او نصف العشر وقال الشافعي رض يترك الخارص
لرب الحائط ما ياكله هو واهله لا يخرصه عليه ومن اكل من نخله وهو رطب لم يخرص عليه لابي حنيفة رض
عنه ومن وافقه ان النصوص الموجبة للعشر لا توجب سقوطه اذا اكله هو واهله من ذلك الشيء وكذلك قوله على الجميع
فان قال قائل انما امر بايتاء الحق يوم الحصاد فلا يجب الحق فيما اخذ منه قبل الحصاد قيل له قال كلوا من ثمره
اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده والمراد منه ان لا صدقة فيما دون كل منه قبل الحصاد وان ذلك العشر يعني
لولا هذا لم يكن في قوله كلوا من ثمره اذا اثمر فائدة لان الثمرة يؤكل ولا يصلح لغير ذلك قبل الحصاد اسم القطع
فكل ما قطع منه شيء لزمه اخراج عشره وايضاً فليس في قوله وآتوا حقه يوم حصاده دليل على نفي الوجوب عما اخذ
قبل يوم الحصاد لانه جائز ان يريد وآتوا حقه الجميع يوم حصاده الماكول منه والباقي فقوله لو كان هكذا لم يكن
لقوله كلوا فائدة فنقول يحتمل انهم كانوا يحرمونه ولا ينتفعون بها ويجعلونها للاصنام فقال الله تعالى
رداً عليهم وخاطبهم بذلك اي كلوا وانتفعوا بها ولا تضيعوها بالصرف الى الاصنام وكذلك قال ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين والله اعلم احتج من خالفه بما روي عن سهل بن ابي حثمة عن النبي صلى الله عليه
انه قال اذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث فالربع وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
كان بعث ابا حثمة خارصاً للنخل فجاء رجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن ابي حثمة زاد علي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن عمك يزعم انك قد زدت عليه فقال يا رسول الله لقد تركت
له قدر عرية اهله وما يطعم المساكين وما يصيب الريح فقال عليه السلام قد زادك ابن عمك وانصفك
قالوا انما هي الصدقة فانما امر بترك الثلث الصدقة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يبعث
ابن ابي حثمة خارصاً للنخل فيقول له اذا اتيت اهل بيت في حائطهم فلا تخرص عليهم قدر ما ياكلون
وعن مكحول الشامي رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خففوا في الخرص فان في المال العرية والوصية
تجمع بين العرية والوصية فقيل انه اراد الصدقة وروى ابو سعيد الخدري رض ان العرية نفسها صدقة
صدقة وانما فائدة الخبر انه ما يتصدق به صاحب الثمرة محتسب له ولا يجب فيه الصدقة ولا يضمها الى الحق
لابي حنيفة رضي الله عنه كان ذلك قبل ورود حديث العشر ونصف العشر ونصف العشر والله اعلم
وقوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يحتمل انه نهى عن الاسراف في الاشياء كلها وهو المجاوزة
عن الحد الذي حده له ويحتمل ولا تسرفوا اي لا تمنعوا الكل ولكن كلوا وآتوا حقه من بعضه ويحتمل كلوا
بانفسكم وآتوا حقها ولا تسرفوا بالصرف الى الاصنام والمراد من الاسراف هو الاشراك فان الاشراك
المشركين بما رزقكم الله من الحرث والانعام يحرمونه ولا ينتفعون به والاسراف هو الذي لا ينتفع به
احد لاجل انهم جعلوا ذلك للشركاء التي لا ينتفعون به ولا ينتفع به احد فيكون مقابلة في هذه الانعام
وحرث حجر والله اعلم وقوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشاً هو صلة قوله وهو الذي انشأ جنات
معروشات الى آخرها ذكره اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما رواية وابن مسعود والحسن رض
في رواية ومجاهد رض قالوا الحمولة كبار الابل والفرش الصغار وكذلك قال القتيبي رح من اهل اللغة
وقال قتادة والربيع بن انس والضحاك والسدي رح والحسن في رواية الحمولة ما حمل من الابل والفرش الغنم
وعن ابن عباس رض في رواية اخرى الحمولة كل ما حمل عليه من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش
الغنم وعن الحسن رض في رواية اخرى كل شيء من انواع المال من الحمولة وغيرها الفرش انه تعالى جعله له
وقال ابو عوسجة رض الحمولة مركب الناس والفرش ما يكون للذبائح وقال بعض اهل العلم الفرش ما يخلق لهم
من اصوافها وجلودها التي يفترشونها ويجلسون عليها والله اعلم وقوله تعالى كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اي كلوا مما رزقكم الله ووجهوا شكر ذلك اليه ولا تتبعوا خطوات الشيطان فيما تحرم

ما احل الله لكم وجعل ذلك رزقاً لكم وهو صلة قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً
وقوله وقالوا هذه انعام وحرث وقوله ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
الاية وقوله خطوات الشيطان قيل آثار الشيطان وقيل اعمال الشيطان وقيل دعاء الشيطان وتزيينه
وهو واحد واصله ان كل من اخذ يدخل الى ما يدعو اليه ويأتمر بامره يقال اتبع اثره وقد ذكرنا فيما تقدم
وقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي انه فيما يدعوكم الى تحريم ما احل لكم ورزقكم يقصد قصد اهلاككم
وتعذيبكم لا منفعة لكم في ذلك فكل من يقصد قصد اهلاك اخر فهو عدوه وقوله تعالى ثمانية ازواج
من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الاية هو بدل من قوله حمولة وفرشا المدخولة في الانشاء كانه قال وانشأ
ثمانية ازواج وكل واحد من الاصناف الاربعة من ذكرها وانثاه يسمى زوجاً ويقال للانثى زوج ايضاً
كما يقال للواحد خصم وللاثنين خصم واخبر الله تعالى انه احل هذه الازواج الثمانية لعباده وان المشركين
حرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوا لشركائهم على ما بينه قبل ذلك بغير حجة ولا برهان
ليضلوا الناس بغير علم ثم في الاية تعريف المحاجة مع الكفرة وتعليمها من الله تعالى لانهم كانوا يحرمون
هذه الاشياء على الاناث دون الذكور كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فقال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل آلذكرين حرم ام الانثيين يعرفنا المحاجة معهم والعلة التي لاجلها حرم الله تعالى على انهم دون
ذكرهما حرم لاجل الذكورة او الانوثة فان قيل حرم الذكر لاجل الذكورة يجب ان يكون كل ذكر محرم من
الذكورة مما يحل فيما قضى في قولهم وان قالوا حرم الانثى لاجل الانوثة يجب ان يكون كل انثى ايضاً محرمة فاذا لم يحرم
كل انثى ظهرت مناقضتهم لانه لا يجوز ان يجب حرمة شيء او حله لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم والمعنى موجود
ثم قال اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي لحرمتها الذكورة او الانوثة او لاشتمال الرحم الانثيين فقد
فقد ابطلنا القسمين الاولين ولا يجوز ان يحرم لهذا ايضاً فانه لا يحرم كل ما اشتمل عليه ارحام الانثيين
فاذا لم يحرم كلما اشتمل لم يكن لهذا ايضاً ثم قال نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اي اخبروني بعلم ان كنتم
صادقين اي ليس عندهم علم يبلون ذلك وينبغي ذكر هنا نبئوني بعلم ان كنتم صادقين في مقالتكم
انه حرم وقال في الاية التي تليها ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي بتحريمها اي كنتم تشهدون ان الله
تعالى حرم عليكم بطريق المشاهدة وسمعتم منه اي ليس لكم شهداء في تحريم ما تحرمون لا من جهة كتاب
ولا رسول ولا عقل ولا مشاهدة فان العلوم تنقسم على الاستدلال وهو علم العقل وعلم المشاهدة وعلم
ثلثة علم الاستدلال وهو علم العقل وعلم المشاهدة وهو علم الحس وعلم الخبر واخبر الله تعالى انه ليس
لهم من العلوم شيء اما علم الاستدلال لان العقل لا يدل على نقل تحريم ما حرمتم على ما ذكر من التقسيم للحرمة
لاجل الذكورة او الانوثة او الاشتمال وبطل الوجوه كلها واما علم المشاهدة فلانكم لم تشاهدوا ان الله
تعالى حرم عليكم ولا سمعتم منه بطريق المشافهة بلا واسطة واما علم السمع والخبر فلانهم كانوا لا يؤمنون
بالكتب ولا بالرسل عليهم السلام فيقولوا اخبرنا الرسل عليهم السلام بتحريم ذلك او وجدنا في الكتب تحريمها
فاذا ظهر كذبهم وبهتهم وذلك قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً اي اذا لم يكن معهم العلم بما ادعوا
من الحرمة بانحصار طرق العلم لم يكن خبرهم بعد ذلك الا على خلاف المخبر به وهو الكذب والافتراء والله اعلم
ثم في الاية دلالة ان الحكم اذا وجب بعلة فذلك الحكم واجب ما دامت العلة قائمة موجودة وفي الاية
دليل جواز المقايسة فانه هذا امر ليس بالمحاجة وتعليم الاستدلال وفيها دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون هذه الاشياء ظاهراً فيما بينهم ويدعون انها من شرايعهم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين اظهرهم منذ كان صغيراً الى كبره وعرفوا انه لم يختلف الى احد ثم
اخبر عن فساد ما صنعوا من التحريم والتحليل واقام دليلاً على ذلك وهو كاحدهم لم يتبعهم فيما هم
عليه من الحل والحرمة ولم يخطر لاحد منهم ببال ما خطر له ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى به علم حل
ما حرموا وحرمة ما احلوا الا باخذ من الخلايق وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً اي لكم اذا لم تشهدوا
هذه الوصية من الله تعالى ولا اخبركم بذلك على الله تعالى نبي فاذا انتم مفترون كاذبون ومن يكن اظلم على نفسه
واعظم جناية على نفسه ممن كذب على الله تعالى ثم قوله فمن اظلم استفهام على سبيل التقرير اي لا احد اظلم
ممن افترى على الله كذباً لانه هو الذي انشاهم وانشا لهم جميع ما يحتاجون اليه ويقضون حوائجهم به و
كان جميع نعمهم التي يتنعمون بها ويتقلبون فيها فلا احد اظلم ممن افترى على الله كذباً وقال حرم هذه كذا
ولم يكن حرم واحل كذا ولم يكن احل وامر كذا ولم يكن يرى انه قال الغير اصدق من الله حكماً وقال ومن اصدق

من الله فلا فلما لم يكن احد اصدق منه حديثا فعلى ذلك لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وقوله تعالى
ليضل الناس بغير علم • لانه يقصد بالافتراء على الله تعالى قصد اضلال الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي
القوم الظالمين • اي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم وقيل لا يهدي الذين في علمه انهم
يختمون على الكفر ويحتمل لا يهديهم اذا كانوا هم عند الله ظلمة كفرة وان كانوا عند انفسهم على الحق والله
اعلم وقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم
خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به • هذه الاية صلة ما يتقدم من الايات في الاخبار عن كذب
الكفار على الله تعالى فيما ادعوا تحريمه من الله تعالى للانعام وغيرها على ما بينا ثم السؤال نعدلهم عن الحجة وتحريم
منه وانه فساد تحججهم فيما ادعوا وافتروا امر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله قل لا اجد فيما اوحي الي
قل لا اجد لاحد محرما حرمه الله تعالى على اكل ان ياكله الا ان يكون ميتة وهو كل ما يلحقه الموت من البهائم
والانعام وصيد البر او دما مسفوحا عن ابن عباس رضي الله عنهما المسفوح هو الذي يراق وقال
القتبي رض مسفوحا اي سائلا وقال ابو عوسجة رض المصبوب يقال سفحت اي صببت وكان المشركون
يشربون هذه الدماء من الذبيحة والجراحات وغيرها او لحم خنزير ظاهر وقوله فانه رجس اي نتن وقيل حرام
فيكون اسما لما يستقذر وقد يكون اسما للعذاب وقد تقدم ذكره وقيل هذا او فسقا معطوف على ما تقدم
من ذكر الميتة والدم الا ان قوله فانه رجس معترض في الوسط وهو صفة اللحم الخنزير وتقديره الا ان يكون
قوله او فسقا متصلا بقوله او لحم خنزير كانه قال او لحم خنزير او فسقا اهل لغير الله به وذلك ما يذبحون
للاصنام او يسمون في ذبائحهم غير اسم الله تعالى وسماه فسقا على ما تقدم ذكره ثم قوله الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير يذكر بحرف او فانه لا يوجب تحريم واحد من ذلك الا البحيرة بخلاف
قوله فكفارته اطعام عشرة مساكين الاية ولان كلمة او متى دخلت بين شيئين منكرين في موضع النفي
فانه يوجب التعميم اذ النكرة في موضع النفي تعم بخلاف موضع الاثبات على ما عرف في موضعه قال رحمه الله
مثل هذا الخطاب لا يستقيم على الابتداء وانما يرد على معهود او على اثر سؤال فان كان في معهود دينهم
يخرج جوابا عما كانوا يحرمون من الانعام والحرث وما ذكره في الايات التي تقدم ذكرها وما كانوا يحرمون
من الوصيلة والبحيرة والسائبة والحام وما يستحلون من الميتة والدم المسفوح فقال الله تعالى قل لا اجد
فيما اوحي الي محرما مما تحرمون انتم الا ان يكون ميتة اي لكن احل فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه المشركون
ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله الاية وعن طاوس رض ان اهل الجاهلية كانوا يستحلون اشياء ويحرمون
اشياء فقال الله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم مما تستحلون الا ان يكون ميتة الاية ويحتمل
ان يكون هذا جوابا عن سؤال سألوه عنها فنزلت قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية ويحتمل انه لم يجد
فيما اوحي اليه محرما في ذلك الوقت الذي نزلت هذه الاية الا ما ذكر من الميتة وغيرها ثم وجد غيرها في وقت
اخر بعده فان قيل قد ذكر في سورة المائدة تحريم المنخنقة والموقوذة وما ذكر هي خارجة عن هذه الاية قيل في ذلك
جوابان احدهما ان المنخنقة وما ذكر معها داخلة في الميتة وانما ذكر الله تعالى تحريم الميتة في قوله حرمت عليكم
الميتة ثم فسر وجوهها والاسباب الموجبة لكونها ميتة فقد اشتمل اسم الميتة على المنخنقة ونظائرها
والثاني ان سورة الانعام مكية فجاز ان لا يكون في ذلك الوقت محرم الا ما في الاية وسورة المائدة مدنية
وهي من اواخر ما نزل من القران فيكون حرمة هذه الاشياء بعد تلك الاية والله اعلم فان قيل اليس ان الله تعالى
قال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما
الاية عقيب قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخبر الله تعالى انه حرم عليهم
بان يخبر بقوله قل لا اجد فيما اوحي محرما حرم الله على طاعم يطعمه الا المذكور في الاية وقد حرم هذه الاشياء
حراما على اليهود فيؤدي الى التناقض في الكلام قيل هذا من وجهين احدهما ان قوله وعلى الذين هادوا
اخبار من الله تعالى لنبيه عليه السلام عن حكم كان في حق اليهود وهو تحريم ما ذكر عقوبة عليهم بسبب بغيهم
كما قال ذلك جزيناهم ببغيهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ليمتنع المشركون
على مثل ما فعلوا وغيرهم حتى لا يلحقهم مثل ذلك لان الحرمة باقية وعقبه بقوله قل لا اجد بل استحقت شريعة
بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لان شريعته ناسخة لشرايع من قبله الا اذا صار بعض ما كان في شريعة
من قبله شريعة له بان قام الدليل عليه وقد قام دليل النفي وهو قوله لا اجد دل انها صارت منسوخة واذا
كانت منسوخة لا يؤدي الى التناقض والخلف في الخبر والله اعلم والثاني يحتمل ان نصير شريعة من قبلنا
في بعض الاشياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم لكن لا على العموم في حق المسلمين والكفار بل في حق الكفار

بعد المسلمين كنكاح المشركة مشروع في حق المشرك دون المسلم في شريعتنا والخمر حلال لاهل الذمة دون
المسلمين بحكم شريعتنا عند بعض اصحابنا فعلى ذلك يجوز ان يكون قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر الاية ثابتا في حقهم دون المسلمين واذا كان كذلك يصير قوله وعلى الذين معطوفا على الاستثناء
كانه قال الا ان يكون ميتة وما حرم الله تعالى على اليهود فانه متصل بالاستثناء واذا كان كذلك لا يؤدي
الى الخلف في الخبر والله اعلم وقد تعلق بشر المريسي وغيره ممن قال باباحة لحوم الحمر الاهلية وهو المروي عن ابن عباس
فانه روي عن عمرو بن دينار انه قال قلت لجابر بن زيد انهم يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية
قال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغفاري عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ابى ذلك الحبر
يعني ابن عباس رض وقرا قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية فهم يقولون ان الاشياء كلها حلالة
مطلقة بظاهر هذه الاية الا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به لان هذا خبر من صاحب
الشرع بامر الله تعالى انه لا يجد محرما سوى هذه ومتى انتفت الحرمة ثبت الحل اذ لا واسطة بينهما وما
ما ورد من النهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور وانه
نهى عن لحوم الحمر الاهلية فتلك اخبار الاحاد وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب لكنا نقول لا حجة
لهم في الاية من وجوه احدها ان هذا ورد في معهود سابق وهو ان المشركين كانوا يحرمون من الانعام والحرث
وما ذكر من الايات التي تقدم ذكرها ويحرمون من الوصيلة والبحيرة والسائبة والحام فانزل الله هذه
الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة قل لهم يا محمد اني لا اجد ما تحرمون
فيما اوحي الي لكن احل المحرم ما ذكر من الميتة وغيرها واذا كان تقدير الاية هذا لا يبقى لهم حجة لان معنى قوله
لكن احل الميتة وكذا وهذا في موضع الاثبات والتنصيص على الشيء لا يدل على نفي ما عداه والثاني على ما قاله
طاوس رض لا يكون حجة فانه قال ان المشركين كانوا يستحلون اشياء ويحرمون اشياء فنزل قوله قل لا اجد
فيما اوحي الي مما تستحلونه محرما الا ما ذكر من الميتة وغيرها وهم كانوا يستحلون اشياء من جملتها ما ذكر
من الميتة ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله ولم يثبت انهم كانوا يستحلون لحوم الحمر الاهلية وكل ذي ناب
من السباع ونحو ذلك حتى يثبت الحرمة بهذا النص بل الامر محتمل انهم كانوا يستحلونها او لا فلا يكون
حجة مع الاحتمال بل جانب الحرمة راجح عند الاحتمال احتياطا في موضع الحرمة والله اعلم والثالث يحتمل
ان الاية نزلت عقيب سؤال من شيء انه محرم ام لا فانزل الله تعالى هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي الاية
ثم هو يحتمل ان يكون مقيدا بالحادثة كانه قال لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه مما تسالوننا الا ان يكون
ميتة لكن احد المحرم فيما اوحي الي ما ذكر ويحتمل ان يكون الجواب مطلقا كما هو ظاهر الاية فان كان الجواب
على الاطلاق يكون حجة وان كان على القيد لا يكون حجة لانها لا يكون نافية للحل عما عدا المذكور
من المحرمات فلا يكون حجة مع الاحتمال ونحن لا نضيع بالاية للتحريم ولكن بالاخبار الواردة في الباب على
ما يذكر ان شاء الله تعالى والرابع يحتمل ان المراد منه في وقت نزول الاية اي قل لا اجد فيما اوحي الي محرما في هذا
الوقت الا ما ذكر ثم حرم في وقت اخر بعد ما نزل تحريم هذه الاشياء ثبت بعد ذلك بالاخبار ورويت
عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وابي هريرة والمقداد بن معدي كرب وابي ثعلبة الخشني وغيرهم رضي الله عنهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير وعن جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن لحوم الحمر الاهلية قيل علي وابن عباس وابن ابي اوفى وسلمة
بن الاكوع وابو هريرة وابي ثعلبة الخشني والمقداد بن معدي كرب رض في اخرين بالفاظ مختلفة في بعضها
ابتدا نهى عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها ما ذكر قصة خيبر والسبب الذي من اجله نهى عنها وهذه
اخبار مستفيضة يبلغ مبلغ التواتر لمعرفتها الخاص والعام وعملوا بها وظهر العمل حتى لا يكاد يوجد غيره الى
ولهذا الامتناع هذه الحيوانات مذبوحة في الاسواق ولو كان الحل ثابتا عندهم لما امتنعوا عن ذلك كما
في الشاة والبقر والابل فبطل قولهم ان هذا نسخ الكتاب بخبر الواحد لوجهين احدهما انه ليس في الكتاب
تعرض لما ذكرنا من حيث التحريم ولا من حيث التحليل وخبر الواحد حجة في مثل هذا الموضع خصوصا في باب
الحرمات والثاني ان كان نسخا للكتاب اثبات الاباحة لكن عندنا يجوز نسخ الكتاب بخبر التواتر والمشهور
خصوصا على ان عندنا لفظة التحريم لا ينطلق الا في نهايات الحرمة وهو ان ثبت بدليل قاطع لا شبهة فيه
نحن لا ننطلق لفظ التحريم في الحيوانات الا ما ذكر في الاية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به ولكن الاحتمال فيه سائغ فكان الاحتياط هو الامتناع فيجب الامتناع والانتهاء عنه عملا
والتوقف في الاعتقاد والله اعلم ثم في قوله محرما على طاعم يطعمه دليل ان الحرمة التي ذكرت في قوله حرمت

عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الى آخرها ذكر حرمة الاكل والتناول منها لانه لم يبين في تلك الاية ما المحرم اكلها التي
آخر وذلك لانه حرمت نفسها بقوله على طاعم يطعمه التي ذكر فقوله حرمت الاكل فدل هذا على ان الحرمة في ذلك
الموضع ترجع الى الاكل والتناول منها وكذلك قوله احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاية ذكر
الحل ولم يذكر الحل فيماذا ثم جرى التفسير في هذه الاية الاكل والله اعلم ثم الميتة التي ذكر انها محرمة بقوله حرمت
عليكم الميتة وبقوله الا ان تكون ميتة ليست هي التي تموت حتف انفها خاصة لا غير الا ان ذكر ما ذبح على النصب وما اهل
لغير الله به وقال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم كل هذا الذي ذكر لم يمت
حتف انفه ولكن باسباب لم يؤمر بها فصارت ميتة فكان المذبوح او المقتول بسبب لا يؤمر به فهو ميتة لا يحل
التناول منها الا في حال الاضطرار فعلى هذا يخرج التاويل في قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله قل لا اجد
فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او متروك التسمية ميتة لما انه نال التحية(?) بطريق غير مامور
وهو الذبح بدون ذكر اسم الله عليه فيكون متروك التسمية داخلا تحت قوله الا ان يكون ميتة والله اعلم
وفي قوله او دما مسفوحا دلالة ان المحرم من الدم هو المسفوح والدم الذي في اللحم والطحال(?) ليس بحرام
وكذا الدم الذي يبقى في العروق من اهل الذبح غير محرم وكذلك يروى عن عائشة رضي الله عنها وعن [illegible] في الدم
الذي في المذبح او في اعلى العروق فانه ليس بمحرم لانه ليس بمسفوح وهذا يدل ايضا ان دم السمك [illegible]
ليس بحرام اذ ليس هو بمسفوح وفي ذكر اللحم كقوله او لحم خنزير بعد ذكر الحرمة والميتة ليس [illegible]
وكذلك علمنا انه لا باس بالانتفاع بصوف الميتة وشعرها وعظمها بخلاف الخنزير فانه لا يجوز الانتفاع
بشيء منه لما قلنا وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم قد ذكرنا تاويل الاية واقاويل السلف
رحمهم الله في ذلك في صدر الكتاب فلا نعيده وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس
وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي رضي الله عنهم هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز
والبط وكذلك قال بعض اهل العلم يدخل في ذلك جميع انواع السباع وسائر ما يصطاد بظفره من الطير
وقيل ذوات الاظفار وكل ذي ناب من السباع ومن الدواب كل ذي ظفر [illegible] مثل الارنب والبعير واشباههما
وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والاشبه ان يكون لما ذكر من تحريم كل ذي ظفر على اليهود [illegible]
الى ما يحل اكله لا ما يحرم اكله وهو ما ذكر بعضهم انه البعير والغنم والبقر ونحوها لانه ذكر في آية [illegible] على
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فيكون التحريم بطريق العقوبة عليهم لا [illegible] فقال
في آخر الاية ذلك جزيناهم ببغيهم [illegible] يكون المراد ما هو حلال لغيرهم لا ما يكون حراما على غيرهم والله اعلم
وقوله تعالى ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم
قيل شحومهما شحوم بطونهما وفي الرؤوس وشحم الكليتين وقوله او الحوايا هي المباعر اي الشحم الذي
عليهما او ما اختلط بعظم الالية وقد ذكرنا ان حرف او متى دخل في موضع النفي يراد به نفي كل ما دخل
عليه بطريق الانفراد فيصير تقدير الاية الا ما حملت ظهورهما والحوايا وما اختلط بعظم فيخرج [illegible]
من الشحوم فخرج التحريم وبهذه الاية استدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله فيمن حلف لا ياكل شحما فاكل من
شحم الظهر يحنث لان الله تعالى استثنى ما على الظهر من جملة الشحم بقوله الا ما حملت ظهورهما والاستثناء
من جنس المستثنى منه [illegible] ابا حنيفة رضي الله عنه [illegible]
ولا يتناوله اسم الشحم على الاطلاق [illegible]
[illegible]
ولا يدخل تحت [illegible] وقد قيل في تاويل هذه الاشياء اقاويل مختلفة لكن ليس بنا الى معرفتها
حاجة لان تلك شريعة قد نسخت [illegible]
معرفتها [illegible] هذه الاشياء عليهم [illegible]
ان التحريم من الله تعالى لما ذكر في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل
الله كثيرا [illegible] ذلك جزيناهم
ببغيهم [illegible]
[illegible]
ظلم [illegible]
[illegible]
وسلم لانهم كانوا [illegible]

منهم وبغيهم ثم اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه انما حرم عليهم من الطيبات انما حرم عليهم بظلمهم ولانه انما اخبر
بذلك عن الله تعالى وهو شهيد ذلك والله اعلم وقوله تعالى وانا لصادقون اي فانا الصادقون في كل ما انبانا
وانبانا وقوله تعالى فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين قال الحسن
رضي الله عنه فان كذبوك فيما تدعوهم اليه وتامرهم به من التصديق والتوحيد والتوبة فقل ربكم ذو رحمة
واسعة اذا رجعتم عن التكذيب وصدقتم وعرفتم انه واحد لا شريك له يغفر لكم ما كان منكم في حال
الكفر ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت منكم وقيل في قوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة على التقديم
كانه يقول فان كذبوك فقل لا يرد باسه عن القوم المجرمين ثم قل ربكم ذو رحمة واسعة تسع العفو في رحمته
اذا تبتم وقال غيره من اهل التاويل فان كذبوك يا محمد حين انباتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم وبغيهم فقل
ربكم ذو رحمة واسعة لا يهلك احدا وقت المعصية ولا يعذبه على فورها ولكن يؤخر ولا يرد باسه
اي عذابه اذا نزل بقوم مجرمين حين [illegible] والله اعلم وقوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قيل الاية في مشركي العرب
قالوا ذلك حين لزمتهم المناقضة وانقطع حججهم في تحريم ما حرموا من الانعام فاضافوا ذلك الى
الله تعالى هو صلة قوله ثمانية ازواج الى قوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فلما لزمهم المناقضة وانقطع
حججهم فزعوا عند ذلك الى هذا القول لو شاء الله ما اشركنا الاية فيقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه
وسلم كذلك كذب الذين من قبلهم من الامم الخالية رسلهم عليهم السلام كما كذبك هؤلاء وكانوا يقولون
لو شاء مثل ما قال هؤلاء ثم المعتزلة تعلقت بهذه الاية في ان الله تعالى لا يشاء وجود الكفر والمعاصي
لان المشركين قالوا لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء الله الايمان ولم يشا الشرك ما اشركنا والله تعالى رد ذلك
القول عليهم وعاتبهم على ذلك القول بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا اخبر
عن كذبهم لكنا نقول انهم لو شاء الله ما اشركنا ولو كان الله تعالى قد شاء الشرك لما كانوا كاذبين في قولهم
لو شاء الله ما اشركوا وكذلك وعدهم على ذلك وعيدا فلو كان يجوز اضافة المشيئة الى الله تعالى في ذلك
الى ما يصفون انهم لم يكن ليرد ذلك عليهم ولا عاتبهم على ذلك ولا اوعدهم وعيدا دل انه لا يجوز اضافة
المشيئة في ذلك الى الله تعالى وقد اكذبهم بقوله ان يتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون [illegible] يكذبون
[illegible] ان الله تعالى قد شاء شركهم فانه قد شاء منهم الايمان اختيارا فلو شاء الله منهم الايمان جبرا
وقهرا لكان عليه قادرا ولكنهم كانوا لا يستحقون الثواب والمدح فيقول والله الموفق ان المشيئة
ههنا يراد بها الرضا قالت الكفرة ان الله تعالى رضي بفعلنا وصنيعنا حيث فعل اباؤنا مثل فعلنا
وصنعوا مثل صنيعنا ولم يحل الله بينهم وبين ذلك ولا اخذ على ايديهم ولا منعهم عن ذلك فعلمنا
بذلك عنهم لكان يحول بينهم وبين ذلك ويمنعهم عن فعله فعاتبهم الله تعالى واكذبهم بما ادعوا
على الله تعالى بالكفر وان شاء في تحمل الامر والرضا الى ذلك يقولون ان الله تعالى امرنا بذلك كما اخبر الله تعالى عنهم
بقوله قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء وكان الله تعالى رد عليهم بقوله كذلك
كذب الذين من قبلهم ما ادعوا من الامر من الله تعالى بالكفر والرضا به والثاني انهم كانوا يقولون ذلك على
الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة فان كان ذلك كله حقا كما ان المجوس متى قيل لهم لا تؤمنون
ولا تسلمون يقولون ما قال هؤلاء لو شاء الله لامنا فهذا العتاب الذي لحقهم والوعيد الذي اوعد
لكان انهم ما قالوا ذلك الا استهزاء وهو كقوله ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا هو كلمة
حق لكن قالها ذلك استهزاء فهذا مثله الا ان الله تعالى انما انكر على المشركين احتجاجهم لشركهم بان الله تعالى
قد شاءه واراده منهم ولا خروج لنا عن مشيئته وليس في ذلك حجة لهم كما علم منهم ذلك ولا يمكنهم الخروج
عن ما علم الله تعالى وجوده واذا احتملت الاية هذه الاوجه بطل تعلق المعتزلة بالاية والذي يدل على ان المراد
من المشيئة ههنا هو الرضا او الامر او ذكروا على سبيل الاستهزاء ان الله تعالى قال في آخر الاية فلو شاء لهداكم
اجمعين اخبر انه لو شاء منهم الهدى والايمان لامنوا كلهم لكن لم يشاء من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان
ومن البعض الكفر اذ لو شاء من الكل لامنوا كما اخبر حتى لا تؤدي فان قالوا لا تناقض فان المراد من المشيئة
ثم مشيئة قهر وجبر وههنا مشيئة اختيار لكنا نقول ان الايمان لا يكون في حال الجبر والقهر وانما يكون
في حال الاختيار على الوجه الذي تقدم ذكره وقوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اي هل عندكم
بيان وحجة من الله تعالى فتبينوه وتظهروه على زعمكم ان الله تعالى امركم بذلك فدعاكم اليه او تركتم
ذلك بما رضي بذلك دون ان نهاكم ليعذبكم لا تتبعون قد ترك مخالفكم فيد منكم من المسلمين واليهود

واليهود والنصارى مع زعمكم انهم على الباطل ولم يتبينا صلهم ثم لم تبدل تركه اباهم على انه رضي بذلك فبطل ما ادعيتم وقوله تعالى ان تتبعون الا الظن • اى ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون اى ما انتم الا يكذبون اخبر الله تعالى انهم يتبعون الظن ويكذبون في ذلك ليس لهم حجة ولا بيان على ما يدعون من الامر والدعاء الى ذلك والترك على ما هم عليه على الرضاء وقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة • قيل هي التي اذا بلغت كل شبهة ازالتها وكل غافل او نائم نبهته وايقظته وقيل الحجة البالغة التامة القاهرة الظاهرة على كل الغالبة عليهم لم تبلغ شيئا الا قهرته وغلبته وقال الحجة البالغة هي ان لا يعذب احدا في الاخرة ولا هما الا بحجة يلزم دونا ان يعاقب بهوى او انتقام او تشهو على ما تعارف في الشاهد مما من احد من الخلائق الا ولله عليه الحجة البالغة اما الملك المقرب فان الله تعالى حمله على الطاعة فلا معصية منه الا من الله تعالى وطولا وفضلا فهو معصوم عن شكر نعم الله تعالى واما النبي المرسل والعبد الصالح فلله تعالى عليهما الحجة والتبتل من غير وكذلك عصمهم فلله الحجة البالغة في تحريم الاشياء وتحليلها ليس لهؤلاء الذين يحرمون الاشياء ليس لهم في تحريمهم حجة انما يحرمون ذلك بهوى انفسهم ثم يحتمل الحجة البالغة وجوها احدها هذا القرآن الذي انزله على رسوله عليه السلام جعله لنبيه عليه السلام معجزة وحجة بالغة فاعجز الخلائق عن اتيان مثله فذلك عجزهم على انه اية من ايات الله تعالى وحجة من حججه ارسلها على نبيه عليه السلام دلالة على صدق دعواه في رسالته ونبوته والثاني انه جعل في كلية الخلائق وفي الاشياء ما يشهد على وحدانيته وربوبيته وانه مالك الاشياء كلها فهو الحجة البالغة والثالث انها الانبياء والرسل عليهم السلام حيث لم يؤخذوا بكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا خيانة ولا انهم اتوا او يرثوا شيئا او عصيانا لو كرها لما عصمهم الله تعالى عن ذلك كله فدل ذلك على انهم بما بعثوا بذلك لما ان الله تعالى جعلهم حججا وايات على وجه الارض فتلك الحجة البالغة وبالله العصمة وقوله تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين • قال الحسن رضي الله عنه المشيئة ههنا مشيئة الجبر والقدرة اي لو شاء لقهرهم وجبرهم حتى لم يقدروا على معصيته ابدا وتاويله عندنا ظاهر لو شاء الهدى لكل لخلق فيهم الاهتداء ووفقهم كل اكتساب وارشدهم لذلك اذ له لطف لو اعطى الخلق كلهم لآمنوا لكن يشاء من بعض الايمان ولم يشأ من بعض فخرج ما شاء على ما شاء من غير ان يقهره احد على المنع من تنفيذ مشيئته وهو القادر على ما يشاء وبالله العصمة وما قاله الحسن رضي الله عنه يناقض مذهبه فانه يقول بتفضيل الملائكة على البشر كافة حتى الانبياء والرسل عليهم السلام ثم يقول انهم مجبورون على الطاعة والبشر مختارون في العبادات والايمان ولا يجوز ان يفضل من كان مقهورا مجبورا على الطاعة على من يعمل بالاختيار مع تكون الشهوات فيه والحاجات التي تغلب على صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة ولانه فضلهم بالجوهر والاصل والله تعالى لم يذكر فضل شيء بالجوهر الا مقرونا بالاعمال الصالحة الطيبة الا ترى الى قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الاية وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقوله والعمل الصالح يرفعه ونحوه لم يفضل احدا بالجوهر على احد وانما فضل بالاعمال الصالحة وكذلك اختيار الانبياء والرسل عليهم السلام على غيرهم من البشر لما عندهم لافضل الامور واجلها وهي الرسالة وكذلك فضل بعض الامكنة والازمنة لما عندهم لامور خطيرة وتقام فيها الاعمال الصالحة والله اعلم فعدل لانما قاله يناقض مذهبه والله الموفق وقوله تعالى قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا • اى الذي تحرمونه انتم من الوصيلة والسائبة والبحيرة والحام والذي تحرمون انتم من الحرث والانعام فان شهدوا ان الله حرمه فلا تشهد معهم والاشكال انه كيف قال هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطلب منهم اقامة الحجة بالشهود ثم قال فان شهدوا فلا تشهد معهم دعاهم الى ان ياتوا بالحجة فاذا اقاموها قال لا تشهد دعاهم الى ان ياتوا بالحجة فاذا اقاموها قال لا تشهد معهم اى لا تصدقهم على ذلك فمعنى الامر لا اقامة فيقول والله اعلم انهم كانوا يعلمون ان التحريم الى الله عز وجل لا الى احد من الخلائق وانهم يعلمون ان الله لم يحرم هذه الاشياء فان شهدوا بانه حرم لا تشهد معهم ولا تصدقهم على ذلك فانهم شهدوا بالباطل ويحتمل ان يكون امرهم على ان ياتوا بشهداء من اهل الكتاب يشهدون لهم بان الله حرم هذا لان هؤلاء كانوا اهل شرك وعندهم انما يسالون اهل الكتاب واهل الرسل يشهدون لهم فان شهدوا فلا تشهد معهم لان الكتاب لهم بذلك ولا تشهد انت معهم على الاخبار انهم لا يشهدون وهو كقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون اخبر عن المنافقين انهم قالوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ثم اخبر عنهم انهم لئن اخرجوا لا يخرجون

معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار لكنه اخبر انهم لا يقاتلون راسا والا لو نصروهم ليولن الادبار فعلى ذلك قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون فان شهدوا فلا تشهد معهم لانهم لا يشهدون والله اعلم وسببه انهم سالوا لانه يأتوا باباتهم فيشهدوا لهم لانهم كانوا يقولون وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فاذا الله تعالى رضي بصنيع ابائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك فلن يجدوا الى ذلك سبيلا ابدا وهو كقوله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فلا يجدوا ابدا فهذا مثله وقوله تعالى ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا • دل انما كانوا يحرمونه بهوى انفسهم لا بحجة وبرهان وقوله تعالى والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم • اى يعدلون الاصنام في العبادة والالوهية بربهم وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ما حرم ربكم عليكم وابين لكم ما حرم بحجة وبرهان وان ما حرمتم انتم تقليدا منكم لابائكم وحرمتم بهوى انفسكم وما حرمتم بامر وحجة وبرهان ثم بين الذي حرم عليهم فقال ان لا تشركوا به شيئا الشرك حرام بالعقل فيلزم على كل من عقل التوحيد ومعرفة الرب لما كان منه تركيب الصور وتقويمها بالحسن صور بروق وبعث من انه لم يصورها احد سواه ولا قومها ولا اشاركه اخر في ذلك وما كان اليهم من انواع الاحسان والايادي منه فكيف يشركون غيره في الوهيته وعبادته فذلك حرام بالعقل والسمع وردموا به لذلهم قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم الابتداء من قوله الا تشركوا به شيئا يخرج على وجهين احدهما على الوقف على قوله عليكم ثم الابتداء من قوله لا تشركوا به شيئا كانه لما قال تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم فقالوا ايش الذي حرم علينا ربنا فقال الا تشركوا به شيئا والوجه الاخر على الوصل بالاول لكنه على طرح لا اذا الكلام مع قيام حرف لا يكون مستقيما فانه عبارة تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا وحرف لا قد يطرح وقد يزاد في الكلام وقوله تعالى وبالوالدين • اى بهما فان قيل ان الله تعالى قال تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم من ربكم ثم قال وبالوالدين احسانا وهذا في الاحسان ولم يذكر المحرم قيل فيه الامر بالاحسان اليهما تحريم ترك الاحسان فكانه قال حرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وفرض عليكم برهما والاحسان اليهما والله اعلم ثم في الاية دلالة على العبادة والترغيب في طاعة الله تعالى والامتناع عن مخالفته عقلا وفعلا كانه يقول انكم تعرفون بالعقل ان الاحسان بالوالدين واجب والاساءة اليهما حرام ولم يكن منهم اليكم من الاحسان اكثر مما كان منا اليكم من الاحسان اكثر مما كان منا اليكم فكيف لا تختارون الاساءة الى الوالدين بل تختارون الاحسان اليهما ثم تختارون الاشراك في عبادتي وتؤثرون مخالفتي عقلا وفعلا من العناد والعناية في النفس وقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق • الاملاق هو الافلاس كانوا يقتلون اولادهم خشية الفقر والفاقة وهذا صنيع الفقراء منهم واما الاغنياء منهم فيقتلون البنات انفة منهن وقيل يدفنون البنات انفة منهن وقيل يدفنون البنات في حال الحياة نهاهم الله تعالى عن ذلك ونبه على السبب الذي كانوا لاجله يقتلون وهو خشية الفقر واخبر انه رازقهم ورازق اولادهم ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الذنوب ان تجعل لله ندا وهو خلقكم وان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك وان تزني بحليلة جارك وفي هذه الاية دليل على ان الخطر قد كان لا يوجب الاباحة وحال الاخرى لانه قال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه اباحة القتل اذا لم يكن هناك خشية املاق لكن ذكر هذا لانهم انما كانوا يقتلون في تلك الحال ففي ذلك خرج النهي وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم • اى كما نخرج لكم من الزرع والثمار والنبات ونرزقكم منها فعلى ذلك برزق اولادكم فاذا لم تقتلوا انفسكم خشية الفقر كيف تقتلون اولادكم والذي يرزق اولادكم وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن • يحتمل قوله ولا تقربوا اي لا تواقعوا ويحتمل اي لا تدنوا منها ولكن اجعلوا بينكم وبين الفواحش والمحرمات حجابا من الحلال وهكذا الحق على المسلم الا يدنو من الحرام ويجعل بينه وبين ذلك حجابا وسترا من الحلال ثم اختلف في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل ما ظهر منها نكاح الابناء والجمع بين الاختين ونكاح امهات النساء ونحو ذلك وما بطن الزنا وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم وقيل نوى الزنا ما ظهر منها المخالطة بالنساء والمجالسة معهن وما بطن فعل الزنا نفسه فان العرب كانوا يعدون لنسوان ظاهرا ثم اذا دخلوا بهن قبحوا منهن فنهوا عن جميع ذلك وقيل كانوا يزنون بالحرائر سرا وبالاماء جهرا فحرم عليهم ذلك كله وقيل الفواحش المحرمات كلها فما ظهر منها ما بينهم وبين الخلق وما بطن بينهم وبين الله تعالى وقيل ما ظهر منها هو ما يرى غيره ويبصره وما بطن ما يكون بالعين والقلب لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان فيكون زنا العين باطنا لا يعلمه الا

عن الباطن والله اعلم وقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق • قيل الحق اذا اريد بقتل به
وهو القصاص اذا قتل عمداً وفي الزنا اذا كان محصناً ومثله الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم الا بحقها وتفسيره ما ذكر
ومنه قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
بالسيف هذا في حق الاسلام وقوله تعالى ذلكم وصاكم به • يعني المحرمات التي ذكر وصاكم به بتحريمها كانه
ذكر التحريم في كل حرف من ذلك اي حرم عليكم الشرك وحرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وحرم قتل النفس
الا بالحق واختلف في قوله ذلكم وصاكم به قيل فرض عليكم وقيل امركم به وقيل بين لكم المحرم وكله يرجع الى واحد •
وقوله تعالى لعلكم تعقلون • اي تعقلون انه لم يحرم الا ما ذكر ولم يحرم ما حرمتم انتم من الانعام بغيرها وقيل
لعلكم تعقلون اي لكي تنتفعون بعقولكم او يقال اي ذلك وصاكم به لتعقلوا لا ان حرف لعل من الله تعالى
للوجوب ويحتمل لعلكم تعقلون عن الله تعالى بما خاطبهم به اوامره وقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي
احسن • قال ابو بكر الكسائي قوله ولا تقربوا مال اليتيم اي ولا تاكلوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فاختلف
في الوجه الذي هي احسن قال بعضهم هو ان يعمل لليتيم فياكل من ماله اجرا بعمله وقال الآخرون ياكله قرضا وقال
وذلك مما اختلفوا فيه وقال بعضهم هو ان ينتفع بدوابه ويستخدم جواريه ونحو ذلك وقال بعضهم انما
تاويل الاية بخلافه ليس في هذا قربان مال اليتيم على الوجه الاحسن لان هذا انتفاع بماله …
مما يحتمله الاية لما يقع الضرورة للاولياء والاوصياء في استخدام مماليك اليتيم وركوب دوابه
لهم المخالطة باموال اليتامى كقوله وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح فاذا كان لهم
المخالطة فلا يسلمون عن الانتفاع بما ذكرنا في الجملة يجب ان يكون مطلقا كي لا يمتنع الاوصياء عن قبول
الوصايا او لا يكون تكليف الاولياء بما فيه حرج والله تعالى يقول ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال الحسن
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي الا بالوجه الذي جعل له وهو ان يكون فقيرا وهو ممن يفرض نفقته
في مال اليتيم اذا كان فقيرا فيباح ان يجعل لهم التناول من ماله وان كان لا يفرض نفقته في ماله ثم الاية تحتمل
وجهين عندنا احدهما اي لا تقربوا مال اليتيم الا بالحفظ له والتعاهد له امر لكافل اليتيم ان يحفظ ماله
ويتعاهده والثاني ان يقرب ماله بطلب الزيادة له والنماء وكذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه
اليتيم اذا كان لليتيم مال لكان به وصيا ان يقرب ماله بيعا اذا كان ذلك خيرا لليتيم ان وقع الفضل
وطلب له الزيادة والنماء وهو ان يكون ما يعطي اليتيم اكثر قيمة مما ياخذ منه وقوله تعالى حتى يبلغ اشده •
اختلف في بلوغ الاشد قال ابو بكر الكسائي رحمه الله اي حتى يبلغ الوقت الذي يسع … اموره وهو كقوله فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقال … رحمه الله ثلثون سنة وقيل ثمان عشرة سنة وقال ابو حنيفة
ان جعل بلوغ الاشد خمسة وعشرين سنة حتى اذا بلغ هذا المبلغ يدفع المال اليه وان لم يكن …
وان كان سفيها ونسيانا ان يكون الاشد هو الادراك والبلوغ كما قال عامر بن ربيعة وزيد بن اسلم رضي الله
وقيل الاشد واحدها شد وهو قوة الشباب عند ارتفاعه واصله من شد النهار وهو قوة الضياء عند
ارتفاعه وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط • يحتمل وجهين يحتمل ان يكون صلة قوله ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن امرهم ان يوفوا لليتامى الكيل والوزن ونهاهم ان ينقصوا عليهم
ما لهم الا بالتي هي احسن وكذلك قوله واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى يحتمل في اليتامى ايضا
لليتامى قولا فاعدلوا في ذلك القول ولو كان ذا قربى منكم وكذا قوله وبعهد الله اوفوا اي اوفوا بما عهد
الذي عهد اليكم في اليتامى كقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله تعالى وقوله ولا تاكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا ونحو ذلك والثاني يحتمل ان يكون عاما في كل الناس على الوجهين احدهما انه نهى
الانفاق اكتساب الضرر على الناس ومنع حقوقهم فامر بانفاذ ذلك دفعا للضرر عن الناس وهو كقوله
ولا تبخسوا الناس اشياءهم والثاني … لانه لزم مثله في الذمة كيلا لا وجوب المماثلة في بيع الكيل والوزن
فاذا الوفي … اعطاه دون نصابه ذلك الفضل ربا فيكون ذا حلال … قوله وحرم الربا والله اعلم
وقوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها • يحتمل هذا وجهين يحتمل ان نكلفنا احدا ما في كلفه
اياه كلفه وان كان يجوز له تكليف ما في التكليف به كلفه كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم الاية وعلى ما امر بني اسرائيل بقتل انفسهم والثاني لا نكلف احدا ما في تكليفنا اياه
نحو ان يؤمر بشيء لم يجعل له الوصول الى ذلك الا باسباب ويجوز ان يامر وان لم يكن له سبب ذلك الامر بعد ان يجعل
له الوصول الى ذلك السبب نحو من يؤمر بالصلاة وان لم يكن معه سبب ذلك نحو الطهارة ونحو ذلك

بالحج كقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا هذا يدل على ان من جعل له في وسعه الوصول
الى شيء يجوز ان يكلف على ذلك ويصير باشتغاله بغيره مضيعا للعبادة مفوتا للتكليف والله الموفق
وقوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى • قال بعض اهل التاويل هذا في الشهادة كقوله يا ايها الذين
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية ويحتمل واذا قلتم فاعدلوا كل قول وتحروا
الصدق فيه والعدل احق ان يحفظ فيه لما فيه من الفضل لانه به يظهر الحكمة من السفه والحق من الباطل
وقوله تعالى وبعهد الله اوفوا • اي بعهد الله الذي عهد اليكم في التحليل والتحريم والامر والنهي وغير ذلك
وقوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون • ذكر ههنا تذكرون وفي الاية الاولى تعقلون وفي الاية الاخيرة
تتقون وانما قال على هذا الترتيب والله اعلم لانهم اذا عقلوا تفكروا واذا تفكروا عرفوا ما يصلح وما لا يصلح
ثم اتقوا المحرمات وما لا يصلح ثم قوله تذكرون يحتمل قوله تتعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون بها نهاكم
او تتقون محارمكم والله اعلم وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه • يحتمل وجوها يحتمل
ان هذا الذي ذكر في هذه الايات من امره ونهيه وتحليله وتحريمه صراطي مستقيما فاتبعوه على ما قاله
اهل التاويل انها آيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهذه الاشياء محرمة على بني آدم كلهم
ويحتمل صراطي مستقيما اي هذا الذي دعا اليه الرسل عليهم السلام وكل شيء هو صراطي مستقيما فاتبعوه
لان الرسل عليهم السلام يدعون الى ما يدعون بالحجج والبراهين ويحتمل هذا صراطي مستقيما اصل الدين جعله
الله تعالى واخلاص الانفس له على غير اشراك في عبادته وفي الوهيته ويحتمل قوله صراطي مستقيما اي هذا الذي
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي في القرآن وهذه الاية ذكر هذا حرف هنا وانه حرف اشارة
الى شيء بعينه ويحتمل ما ذكرنا من الوجوه ثم في قوله فاتبعوه امر باتباع ما في القرآن وما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم من الشريعة والشريعة تشتمل على الواجب والنفل والمباح والحظر فكيف يراد الامر بايجاب
المتابعة فيما ليس بواجب ولكن نقول ان الامر بالمتابعة لا يراد به ان يفعل مثل ما فعل حتى يقال كيف
يوصف بالوجوب ولكن الاتباع هو اعتقاد صحته على ترتيب الشريعة من وجوب الفرض والرغبة
في النفل واستباحة المباح وحظر المحظور والعمل بكل شيء من ذلك على حسب مقتضى الشرع له من ايجاب
او نفل او اباحة والله اعلم وقوله تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله • امر عز وجل
باتباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السبل الاخر وهي من الاديان المختلفة والاهواء المشتبهة
ودين لا حجة عليه ولا برهان وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين قد قام عليه البرهان والحجة لا لغيره
من الاديان وان كان يدعي كل ان الدين الذي هو عليه دين الله وسبيله وقوله تعالى ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون • اي تتقون المحرمات والمناهي والمعاصي التي ذكرت في هذه الاية او لعلكم تتقون الاديان
والسبل عن دين الحق واصله ان السبيل المطلق سبيل الله والدين المطلق دين الله والكتاب المطلق
كتاب الله وقوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون • والاشكال انه ذكر ثم آتينا موسى الكتاب وكلمة ثم للترتيب على سبيل التراخي و
آتينا الكتاب لموسى عليه السلام قبل ايتاء الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم فنقول يحتمل ثم آتينا موسى
الكتاب اي ثم قل آتينا موسى الكتاب لانه عطف على قوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ويحتمل ثم
آتينا موسى الكتاب بمعنى وآتينا موسى الكتاب وحرف ثم يستعار لحرف الواو كقوله تعالى ثم الله شهيد
على ما يفعلون ومعناه والله شهيد ثم قال ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ومعناه
وكان فهذا مثل ذلك ويحتمل ان يكون الترتيب في الذكر والخبر كانه قال ثم بعد ما ذكرت لكم اخبركم
انا كنا قد آتينا موسى الكتاب ونحوه يستعمل في الكلام ثم اختلف في تاويل الاية قال الحسن رضي الله عنه
تماما على الذي احسن اي الذي احسن ويجوز استعمال الحرف على في موضع اللام كقوله تعالى وما ذبح على النصب
اي للنصب فصار معناه تماما للمحسنين والمؤمنين وقال قتادة رضي الله عنه من احسن فيما آتاه الله
تمت عليه كرامة الله في جنته ورضوانه ومن لم يحسن فيما آتاه لا يتعمه نزع الله ما في يده …
وقال ابو بكر الكسائي رحمه الله ثم آتينا موسى الكتاب ثم آتيناكم من الحجج والبيان تماما من موسى وكان
موسى وكتابه واحد منهما مصدق وموافق لما اعطاكم وهو كقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة الاية فصار التمام يحتمل ما ذكرنا تماما بالنعمة والكرامة
ويحتمل تماما بالحجة والبرهان ويحتمل تماما بالحكمة والعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه تماما على الذي
… وتفصيلا لكل شيء وهدى من الضلالات والشبهات ورحمة من العذاب والعقاب لعلهم بلقاء ربهم

يؤمنون هو على التحقيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال تماما على الذي احسن يقول اتم له الكتاب على
على الذي بلغ من رسالته وتفصيل كل شيء وهدى يعني بيانا من الضلالة ورحمة يعني ونعمة لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون يعني بالبعث وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في لفظه ملاوحة كانه يرجع الى تاويلين
احدهما معنى قوله تماما على الذي احسن اي تم له الكلام على الحسن ما يكون والثاني معنى قوله على الذي احسن كله
على الذي بلغ من رسالته والله اعلم وقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني القرآن مبارك اختلف في تاويله
قال ابو بكر الكيساني رحمه الله البركة هي التي من تمسك بها اوصلته الى كل خير وعصمة من كل شيء وهو المبارك
وقال الحسن رضي الله عنه هو المبارك لمن اخذه واتبعه وعمل به فهو مبارك لمتبعه والعامل به والامر
لم يتبعه فهو ليس بمبارك له بل عليه شر ووحشة كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم الاية فهو ما ذكرنا مبارك لمن اتبعه وتمسك به وكذا سمى القرآن كريما لمن اتبعه وتمسك
به وسمي روحا وحياة ايضا لما يحيى به من اتبعه واصل البركة هو ان يتبع الشيء على خير يتبعه فيقول البركة
وعلى هذا الوجه يخرج قول بعض الناس لبعض بارك الله لك في كذا اي جعل لك فيه منافع لا تبعة عليك
بينه فعلى ذلك يحتمل ان يكون القرآن مبارك لانتفاع الناس به وانماء لهم به والبركة تحتمل وجهين احدهما
لكل خير يكون فاتبا على النماء والزيادة والثاني اسم لكل منفعة لا تبعة عليه ولا ترى والله اعلم وقوله تعالى
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اي اتبعوا اشارته وما يدعوا اليه واتقوا اي اتقوا مخالفته لعلكم ترحمون
لكي ترحمون من اتبع اوامره واشاراته واتقى نواهيه ومحارمه رحم وقوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على
طائفتين من قبلنا قال اهل التاويل انما انزل الكتاب على اليهود والنصارى ولكن في ظاهر اللفظ خلل فانهم
يقولون انزل الكتاب على اليهود والنصارى ووقت نزول الكتاب عليهم لم يسموا يهودا ونصارى وانما تسموا
بكونها الكتاب ان لعلى المسلمين لا على اليهود والنصارى لكن الحقيقة والله اعلم انما انزل الكتاب على طائفتين من
قبلنا اي انما ظهر نزول الكتاب عند الخلق على طائفتين من قبلنا التوراة والانجيل سموا يهودا ونصارى بعد ذلك
لما حدث من الطائفتين ما حدث استحقت كل طائفة الاسم بذلك والا لم يكن وقت نزول التوراة يهود ولا وقت
نزول الانجيل نصارى والله اعلم ثم قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب هو صلة قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك
لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ولم ينزل علينا ويحتمل ان يكون ان يجعل اي لئلا تقولوا انما
انزل الكتاب كقوله تعالى ائتونا بحديث مثله ما اوتيتم وقوله تعالى وان كنا عن دراستهم لغافلين اي
وقد كنا عن دراستهم غافلين وانما اضيف الدراسة اليهم لان المصدر يعدى بحذف الفاعل وقد يضاف
الى المفعول والدراسة مصدر يحتمل ان يضاف الى المفعول حقيقة الدراسة الكتب ويجوز الاضافة الى الفاعل
يتعلم دراستهم الكتب وههنا اضيف الى الفاعل وهو لذلك الفعل وهو شائع في اللغة والله اعلم وقوله
او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم اي انزل هذا القرآن قطعا لحجاجهم
ومنعا للعذر وان لم يكن لهم حجاج ولا عذر وهو كقوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل وان لم يكن للناس حجة على الله بعد الرسل وان لم ينزل الكتب والرسل ثم يحتمل عند هؤلاء
المشركين وحجاجهم اذا لم ينزل الكتب عليهم من وجهين احدهما ان يقولوا انما انزل الكتاب بلسانهم لا
بلساننا ونحن لا نعرف وكنا عن دراستهم غافلين والثاني من احتجاجهم ان يقولوا ان اليهود والنصارى
قد اختلفت وتفرقت بفرق الاجتماع بينهم بها فلا نعرف الحق بينهم من الباطل فكيف نتبعهم في ذلك
ولكنا نقول لا احتجاج لهم ولا عذر اما الاول فانه لو كان لهم العذر والاحتجاج بهذا لكان للعجم العذر
والاحتجاج في ترك الاتباع القرآن لما لم ينزل بلسان العجم ولم يعرفوا لسان العرب ثم لم يكن للعجم الاحتجاج
بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى معرفته وذلك لما في وسعهم الوصول الى معرفتها بالتعلم والاخذ
منهم والترجمة فعلى ذلك لا عذر للعرب في ترك الاتباع لما في الكتب التي انزل بغير لسانهم لما في وسعهم الوصول
لوجود طريقه وهذا يدل على انه يكون التكليف بالغيا ان ثبت معهم اسبابا يهتدون بها ان يجعل لهم سبيل الوصول
الى تلك الاسباب واما الثاني فكذلك ايضا فان مذاهب اليهود والنصارى وكتبهم وان تفرقت بهم وتقوم
لانها انكرت مختلفة وقد انزل الله تعالى من الحجج العقلية والبيانات ما يعرف ذلك الذي وقع به التفرق فلا يكون
لهم حجة في ذلك وهذا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد جاءتهم آيات فلم يؤمنوا
بها فعلى ذلك قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وقوله او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة لانه ذكر انه لا احتجاج لهم ولا عذر ولكن مع هذا انزل قطعا للعذر لهم لقا

الذي يتوهم متوهم ذلك لكي لا يبقى لهم متعلق اصلا ولكي ايئس عليهم الوصول الى الحق فيكون رحمة وتفضلا
من الله تعالى والا فالحجة لازمة والعذر منقطع بدون ارسال الرسل وانزال الكتب والله الموفق وفي الاية
دلالة على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانهم لو كانوا من اهل الكتاب كان اهل الكتاب ثلاث طوائف
وقد اخبر الله تعالى انه انما انزل الكتاب على طائفتين فيكون خلفا في خبره وذلك محال تعالى الله عن ذلك
فان قيل قوله انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا هذا حكاية من المشركين فكيف يكون قولهم حجة على انه
انزل على طائفتين لا على الطوائف قيل معنى الاية والله اعلم اي انزلنا الكتاب عليكم لئلا تقولوا انما انزل
الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم لم يقولوا ذلك وقت نزول الاية ولكن الله تعالى قطع بانزال الكتاب حجتهم
التي علم انهم يحتجون بها في المستقبل لو لم ينزل القرآن وان لم يكن ذلك حجة ولا عذرا لما ذكرنا فلم تكن
هذا قول المشركين على انه لو كان هذا حكاية عن قول المشركين ولم يعقبه بانكار ولا تكذيب من الله تعالى
اياهم يكون ذلك حجة وكيف وانه لم يكن حكاية عنهم وكيف يكون حكاية وما قالوا ذلك والله اعلم
وقوله تعالى فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة قيل البينة هو القرآن وقيل محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل بآيات الله وحجته وقيل دين الله وقد ذكرنا في غير موضع وقوله وهدى اي بيانا من الضلالة
وعن كل شبهة ورحمة اي ذلك نعمة ورحمة ونعمة وقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب بآيات الله قد ذكرنا
ان هذا وان كان نحوا استفهام في الظاهر لكن ذلك من الله تعالى على الايجاب والتحقيق كانه قال لا احد
اوحش ظلما ولاخبث نعتا ممن كذب بآيات الله وصدف عنها اي اعرض عنها سنجزي الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب اي شدة العذاب بما كانوا يصدفون اي يعرضون ويعدلون وقوله تعالى
هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة قال اهل التاويل ما ينظرون وحرف هل حرف يجيء للاستفهام لكن
اهل التاويل حملوا على الجواب وقالوا معناه ما ينظرون لانه لم يخرج الجواب فحمل بما قالوا ما ينظرون
هنا كما قالوا ما ينظرون هذا كما قالوا في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن كذب هو
جواب لا ذكر جوابه لم يخرج ظاهر الجواب بما قالوا لا احد اظلم لانه سئوال واستفهام يقتضي جوابا بالجواب
ما ذكروا فعلى ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام لم يخرج له الجواب ظاهرا فيكون جوابه ما ينظرون
وهو كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق ثم قوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
الاية والله اعلم يشبه ان يكون في المعاندين والمتمردين الذين همتهم العناد والتعنت حرج على رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ايمان اولئك الكفرة وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمانهم مشفقا على
حتى كادت تهلك نفسه وتذهب حسرات عليهم حرصا على ايمانهم واسفا على انفسهم وهو كقوله
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فجعل ذلك خاصة الله تعالى
عن ايمان اولئك لئلا يطمع في ايمانهم واسلامهم بعد ذلك ولا تذهب نفسك حسرات عليهم بل يتخذهم
اعداء ويبغضهم ويخرج الشفقة التي في قلبه لهم ويناصب لهم العداوة ويتبرأ منهم راسا كما فعل ابراهيم
عليه السلام في حق ابيه كما اخبر الله تعالى عنه بقوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وكما قال لنوح عليه السلام
انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يعملون ايأسه تعالى عن ايمان قومه سوى من قد آمن ونهاه
ان يحزن عليهم وعلى فوت ايمانهم فعلى ذلك هذا ايأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ونهاه
ان يحزن عليهم وهو كقوله ولا تحزن عليهم ثم استثنى وقتا خاصا يؤمنون في ذلك الوقت بقوله
الا ان تأتيهم الملائكة الاية اي وقت نزول الملائكة فاتيانهم بايمانهم وان كان لا ينفعهم ذلك وان عند
الموت يأتيهم الملائكة بقبض ارواحهم مع الغم والسخطة فعند ذلك يؤمنون وقال بعضهم الا ان تأتيهم
الملائكة يوم القيامة وهو كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقوله تعالى
او يأتي ربك قال بعض اهل التاويل او يأتي ربك على اضمار الامر كانه قال او يأتي امر ربك على ما ذكر في سورة النحل
او يأتي امر ربك ثم الامر هو العذاب ههنا كقوله فلما جاء امرنا يعني عذابنا ذكر ذلك عن الحسن رحمه الله وحذف
الامر كما حذف في قوله انما الذين يؤذون الله ومعناه اولياء الله والاصل فيما اضيف الى الله في موضع الوعيد
لا يراد به الذات ولكن يراد به عذابه ونقمته وعقوبته كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لا يراد
ذاته ولكن يراد به نقمته وكقوله فمن كان يرجو لقاء ربه لا يريد به لقاء ذاته وكذا قوله والى الله المصير والى
الله ترجع الامور وغيرها من الايات ويحتمل ان كل شيء يراد تعظيمه ذلك اليوم لو تعظيم عذابه ونقمته وقيل
او يأتي امر ربك يوم القيامة وقيل آية ربك وقوله تعالى او يأتي بعض آيات ربك يحتمل بعض آيات ربك
ما قال في موضع آخر نحو قوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكقوله فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم

قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم وكقوله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ونحوه
من الآيات يؤمنون عند معاينتهم العذاب ولكن لا ينفعهم الإيمان في وقت العذاب ويحتمل ما قال بعض أهل
التأويل من قتادة والسدي وغيرهما رضي الله عنهم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك هو طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدجال وخروج دابة الأرض وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا
إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بادروا
بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة الأرض وخويصة أحدكم وأمر العامة خويصة أحدكم
الموت وأمر العامة الساعة إذا قامت وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال التوبة معروضة ما لم تطلع الشمس من مغربها
ثم قال أيهما ما سبقتكما فالأخرى على نحو ذلك من الأخبار فإن ثبتت فهي الحجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت
إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال وقوله تعالى لا ينفع نفسا إيمانها
لم تكن آمنت من قبل أخبر تعالى أن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفع في الآخرة لأنه ليس بإيمان اختيار في الحقيقة وإنما
هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون أخبر أنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى تكذيبهم الرسل عليهم السلام وأمر الله تعالى وذلك
أن إيمانهم في ذلك الوقت إيمان دفع العذاب والبأس وهو كإيمان فرعون حيث قال حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت
أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين لم ينفعه إيمانه في ذلك الوقت لأنه إيمان دفع الهلاك عن نفسه
لا إيمان حقيقة باختيار ويحتمل أن يعني بالاختيار اختيار إيثار لأن ذلك ينعدم عند خوف الهلاك عن نفسه من حيث
اليقين وإنما يبقى الاختيار الذي هو من قرائن الفعل لم ينعدم ومن أكره على الإيمان بالسيف فآمن وهو
غير معتقد بقلبه فإنه لا يكون مؤمنا حقيقة عند الله تعالى لفوت إيثار الإيمان وقصد دفع العذاب بخلاف الإكراه
لا يزيل الاختيار الذي يتعلق به الفعل والله أعلم والثاني أنه إذا كان وقت نزول العذاب بطل الاعتقاد أن يستدل
بالشاهد على الغائب ويبالغ في الاجتهاد حتى يكون إيمانه إيمانا بالاجتهاد ويكون قوله عن معرفة وعلم إنما هو قول
يقوله باللسان لا عن معرفة في قلبه حتى ينجو من العذاب فلا يكون نافعا كإيمان المنافقين وكإيمان المكره إذا لم يكن
عن اعتقاد وهو كقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن لأنه
إيمان دفع البأس والعذاب فإن يكون ذلك عند طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال والدابة الأرض ويحتمل أن
من البلاء والشدة وذلك مما يضطرهم إلى الإيمان به والتوبة عن الكفر فيكون إيمانهم اضطرارا لا عن اختيار
ويحتمل أن يكون فعل الاختيار لكن روينا أنه لا يقبل التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج الدجال والدابة
أي لا يثابون على طاعاتهم وإيمانهم والأمر بعيد أن يدعوا إلى الإيمان والطاعات ثم إذا تابوا لا يقبل منهم لكنه
يحتمل ما ذكرنا أنه لا يثابون على ذلك بما عوقبوا على ما كان منهم من الكفر وكفران النعم هذا لا وجه وجوب الثواب
إفضال وإحسان وفي الحكمة ترك الثواب في الطاعات إذ كان منا سعي وعمل في النعم ما يكون ذلك شكرا له
فلا ينافي الحكمة ترك الإفضال بإعطاء الثواب وأما العقاب على الكفر فمما يوجبه الحكمة كذلك رفع الفرق
بين الأمرين وعلى ذلك يخرج قول أبي حنيفة رضي الله عنه حيث قال لا ثواب للجن على طاعاتهم لأن طريق وجوبه الإفضال
بالوعد ولم يذكر ذلك لهم لكن يعاقبون بما كان منهم من الكفر والإجرام والله أعلم وقوله تعالى أو كسبت في إيمانها
خيرا أخبر تعالى أنه لا ينفع الإيمان عند معاينة العذاب والبأس في الإيمان إذا لم يكن الرجل آمن من قبل ذلك
الوقت أو كسبت في إيمانها خيرا اختلف في تأويل قوله أو كسبت في إيمانها خيرا قيل أي لا ينفع نفسا إيمانها
إذا لم تعزم أن ترتد ولا ترجع عن الإيمان أبدا وقيل أي لا ينفع أبدا إذا عملت خيرا ولم تكن آمنت لا ينفعها أو
وكذا لم ينفعه إيمانه عند معاينة العذاب والبأس في الإيمان إذا لم يكن كسبت قبل ذلك خيرا وقيل أي وكسبت
في تصديقها التعظيم لله تعالى والإجلال له فعند ذلك ينفع صاحبه لأنه لا كل تصديق يكون فيه التعظيم والإجلال
وقيل أي كسبت في إيمانها خيرا أي لم يكن عملت في تصديقها خيرا وقوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون
هو يخرج على الوعيد أي انتظروا إحدى هذه الثلاث التي ذكرناها فإنا منتظرون وهو كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون
ويحتمل أي انتظروا العذاب فإنا منتظرون بكم والله أعلم وقوله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال
قال قتادة رضي الله عنهم اليهود والنصارى لأن اليهود فرق ويكفر بعضهم بعضا وكذلك النصارى فرق يكفر بعضهم بعضا
وقال مجاهد رضي الله عنهما اليهود لأنهم كانوا اجتمعوا مع عبدة الأوثان على المسلمين وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال هذا في أهل
الضلال من هذه الأمة فهو تحذير من تفريق الكلمة ودعاء إلى الاجتماع والألفة على الدين وقال الحسن رضي الله عنه هم
جميع المشركين لأنهم كلهم بهذه الصفة وكذا روي عن عائشة رضي الله عنها قالت هذه في الكفرة وقيل هم الحرورية
ولكن لا ندري من هم وليس بنا حاجة إلى معرفة ذلك ثم صلة فارقوا دينهم وكانوا شيعا يحتمل وجوها ثلاثة أحدها

فارقوا

فارقوا دينهم الذي عليهم بزعمهم لأن جميع أهل الأديان عند أنفسهم أنهم يدينون بدين الله تعالى لا أحد منهم يقول
إنه يدين بغير دين الله تعالى ألم تر أنهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فهم
وإن كانوا عند أنفسهم أنهم يدينون بدين الله فهم في الحقيقة فارقوا دينهم وليسوا على دين الله تعالى والثاني أي
فارقوا دينهم الذي أمروا به ودعا إليه الرسول والأنبياء عليهم السلام والثالث يحتمل فارقوا دينهم الذي دانوا
وعهدوا الأنبياء صلوات الله عليهم بدين الله تعالى فارقوا ذلك الدين وهو كقوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا الآية وقوله أكفرتم بعد إيمانكم الآية أخبر أنهم كانوا مؤمنين به وقوله وكانوا شيعا يحتمل
وكانوا مجتمعين موافقين وأصله الأشياع من قولك شايعت على الأمر إذا اتبعته ومعناه مجتمعين فصاروا فرقا
وأحزابا وقيل وكانوا شيعا أي صاروا متفرقين في المذهب مع الاتفاق في أصل الدين فإن الشيع الفرق الذي يشايع
بعضهم بعضا على أمر واحد مع اختلافهم في غيره وقوله تعالى لست منهم في شيء أخبار عن تبليغ الرسالة يحتمل
لا يجمع معهم في شيء من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لأنهم يجتمعون في شيء من الباطل
وإذا فارقوا في غيره فليس منهم في شيء لأنه بريء من جميعه ويحتمل لست منهم في شيء أي لست من دينهم في شيء لأن
دينهم كان تقليدا لآبائهم ودينك دين بالحجج والبراهين ولست منهم في شيء أي لا تسأل أنت عن دينهم ولا
عليهم ويحتمل أن يخرج الآية على اليأس ولئك عن هود رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تولاهم ومن
من صرف تأويل لست منهم في شيء أي لست من قتالهم في شيء كأنه نهاه عن قتالهم في وقت ثم أذن له بعد
ذلك ثم نسخه آية السيف وهذا بعيد وقوله تعالى إنما أمرهم إلى الله يحتمل أن الحكم فيهم إلى الله ليس لك
هو يحكم فيهم إلى الله ليس إليك هو يحكم فيهم أو أن يكون أمرهم إلى الله في القتال حتى أذن لك بالقتال
وقوله تعالى ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون هو وعيد وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها يحتمل قوله من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها إيجاب الجزاء في السيئة
أما قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ليس إيجاب الجزاء لأنها قابلت كذا فإنما الجزاء في السيئة عرف
بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وغيره من الآيات ثم قد ذكرنا ما يوجب التماثل بين الجزاء والطاعة وهو أن إيجاب
الجزاء في الحسنات والخيرات إفضال وإحسان لأنه قد سبق من الله تعالى إلى كل أحد من النعم ما يكون تلك الخيرات
منه جزاء لما أنعم عليه وشكرا له ولا جزاء للجازي لأمر جهد الإفضال والإكرام فأما جزاء السيئة فما توجبه
الحكمة لما أخرج الفعل مخرج الكفران بما أنعم عليه فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على قدر ما
أخرج منه الفعل في الخيرات والحسنات على مواضعه خلقه وصوره وتقويمه واستويت على ما خلقها الله
تعالى أنشأها وبناها فلم يخرج منه الفعل على حاله ذلك وما هو مما بني عليه لم يستوجب به الجزاء وفي
السيئات فهي أخرجها على خلاف خلقتها وتقويمها وصرفها إلى غير الوجه الذي كانت عليه خلقتها وصيغتها
واستوجب بذلك العقوبة والجزاء عليها ثم قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ليس هو على التحديد
حتى لا يزاد عليه ولا ينقص منه إنما خرج والله أعلم على التعظيم لذلك والإجلال لأنه روي أن الله تعالى أخبر في النفقة
التي ينفق في سبيل الله أنها يزداد وتنمو إلى سبعمائة ولا يجوز أن يكون في الحسنة التي جاء بها في التوحيد
الذي هو أصل لا يبلغ ذلك المقدار أو ينقص عنه تكثير بل يعتد بعشرة فدل أن ذكر العشرة ليس على التحديد و
التقدير وإنما خرج على التعظيم لأن ذلك المقدار له خطر عند الناس أو على التمثيل وجنة عرضها كعرض
السماء والأرض ذكر ذلك لما ليس عند الخلق شيء أعظم وأوسع منه وكقوله تكاد السماوات يتفطرن منه
وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا يخرج على التمثيل لعظم ما قالوا في الله ليس على أنها تنشق
وتنفطر فعلى ذلك الأول والله أعلم ثم اختلف في تأويل قوله من جاء بالحسنة قال بعضهم من جاء بالحسنة
بعد التوحيد فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة بعد التوحيد فلا يجزى إلا مثلها وقال بعض أهل التأويل
من جاء بالحسنة يعني التوحيد فله عشر أمثالها لكنه ليس التقدير والتحديد به لكن على التعظيم والقدر
عند الله أو على التمثيل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها لكن التخليد في النار مثل الشرك لأن
الشرك أعظم الجنايات والسيئات وفي الآية دلالة على أن المثل قد يكون من غير نوعه حسنا وجب في الحسنة
من التوحيد عشرة أمثالها ومن السيئة مثلها وليس واحد منهما من نوع الأعمال والعمل الذي يثاب عليه وقيل
من جاء بالحسنة في الآخرة بالتوحيد فله عشر أمثالها في الأضعاف ومن جاء بالسيئة في الآخرة يعني الشرك
لا يجزى إلا مثلها في العظم جزاء الشرك النار لأن الشرك أعظم الذنوب والنار أعظم العقوبة وذلك
من الجزاء وفاقا ثم قوله من جاء بالحسنة فله كذا ومن جاء بالسيئة فله كذا لم يقل من عمل الحسنة فله كذا
يعلم أن النظر إلى ما ختم به وقبض عليه دون ما وجد منه من العمل فكأنه قال من ختم له بالحسنة وقبض عليها

قلة كنا لانه قد تعمل المرأة الحسنة ثم تفسدها او تنقصها بارتكاب ما ينقضه ويفسده من الشرك وكثيرة
وعلى ما روي الاعمال بالخواتيم وقد تعمل السيئة ثم تعفو عنها بالايمان والتوبة قال الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والله الموفق وهم لا يظلمون اي لا يزاد على المثل ولا ينقص مما ذكر والله اعلم وقوله تعالى قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم ° قال ابو بكر الكتاني هداني ودلني وبين لي الصراط مستقيم لكنه هذا بعيد
لانه خرج مخرج ذكر ما من الله عليه بلطفه فيقتضي نوع اختصاص له وهذه الهداية تشتمل الكفرة فضلة
عن عامة المؤمنين فاني يقع به التخصيص بل المراد به زيادة اكرام بزيادة لطف من حيث التوفيق والعصمة
لا الدلالة والبيان مضافا ولان الدلالة والبيان مضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لتبين للناس
وقوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وانما المضاف الى الله تعالى هو خلق الاهتداء
واعطاء التوفيق والعصمة والاقتداء الا ترى ان الله تعالى قال لرسوله عليه السلام انك لا تهدي من احببت
وكان يدلهم على ذلك ويدعوهم اليه ولكن المراد هو خلق الاهتداء والتوفيق للايمان وكذلك قال يمنون عليك
ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ولو كان على الدلالة والبيان لكان ذلك
من النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك اخبر ان المنة لله تعالى عليهم لا لرسوله صلى الله عليه وسلم دل
ان المراد من الهداية المضافة الى الله تعالى هو خلق الاهتداء واعطاء القدرة والتوفيق والعصمة دون
دون نفس البيان والدلالة والله الموفق وقوله تعالى دينا قيما ° قيل مستقيما لا عوج فيه كقوله ولم يجعل
له عوجا والعوج هو الذي فيه اختلاف لا آفة فيه وقيل قيما اي القائم بالحق والبرهان دون ما انتم
عليه انفسكم وكذلك قال الى صراط مستقيم وقوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا ° وصفه بانه ملة ابراهيم
واخبر تعالى انه دين ابراهيم عليه السلام هو الذي عليه رسوله صلى الله عليه وسلم وقيل حنيفا اي
الذين حنيفا اي مستقيما واصل الحنف الاستقامة وانما سمي الاحنف للمائل القدم على التفاؤل كما قد
قيل للديغ سليم وقيل هو وصف النبي صلى الله عليه وسلم حنيفا اي مسلما مائلا الى دين الله تعالى ولى
الدين الذي كان عليه اباؤه واجداده من الانبياء والرسل عليهم السلام وما كان من المشركين واصل
الحنف الميل يقال رجل احنف اذا كان يميل القدم باقبال كل واحدة منهما على الاخرى خلقة لا من عارض
فسمي المائل الى الاسلام ميلا لا رجوع معه حنيفا اي خالصا لله تعالى مخلصا لم يشرك به احدا
في ربوبيته ولا في عبادته على ما فعل اولئك الكفرة يروى عن الحسن رضي الله عنه وقد قرى حفصة وابن
مسعود رضي الله عنهما دينا قيما ويقرأ قيما بالتشديد والتخفيف
في قوله انني هداني ربي ذكر منة الله تعالى عليه بما هداه وامره الى شكر ما انعم عليه وافضل
له الهداية الى الصراط المستقيم وكذا في قوله قل انني هداني ربي دلالة في ايمانه لانه
انني هداني ربي الى صراط مستقيم من غير ان امره بالاستثناء فمن استثنى فيه لا يخلو من احد
معنيين اما ان يكون يشك فيه او يكتم ان ما انعم الله به عليه فعلى كل ما انعام الله تعالى عليه بالايمان
ذلك وان يشكره على ذلك على ما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك والله اعلم وفي قوله ملة ابراهيم
حنيفا دليل على انه لم ينسخ من ملة ابراهيم عليه السلام شريعة نبينا عليه السلام اخباره بانه
ملة ابراهيم عليه السلام فيكون دليلا لمذهبنا ان شريعة من قبلنا تصير شريعة لنا ما لم ينسخ والله اعلم
وقوله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ° يخرج هذا على وجهين احدهما يخرج على
الامر بالدعاء لنفسه كانه قال قل اجعل صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله لا اجعل لغيره شريكا كما جعلتم انتم
شريكا في عبادته وصلاته ونسكه ثم اختلف في قوله صلاتي قال بعضهم الصلاة المفروضة وقال بعضهم
المراد به صلاة العيد لانه قرن بها النسك وهي الاضحية وقال بعضهم المراد من الصلاة الخضوع والثناء
لا الصلاة المعهودة اذ الصلاة هي الثناء والدعاء في اللغة يقول خضوعي ومماتي لله تعالى وقوله تعالى ونسكي
قال سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي رضي الله عنهم نسكي ذبحي في الحج والعمرة وقال الحسن ديني
نسكي وهي كقوله ولكل امة جعلنا منسكا اي دينا وقيل نسكي عبادتي والنسك اسم كل عبادة وعلى ذلك
سمي كل عابد ناسكا وقوله ومحياي ومماتي لله رب العالمين اي حياتي لله تعالى لا اشرك احدا في عبادتي ونفسي
لله تعالى بل كله لا شريك له في ذلك وقوله لا شريك له وبذلك امرت يحتمل ان يكون على التقديم والتأخير كانه
قال قل اني امرت ان اجعل صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وانا اول المسلمين
واني امرت ان اسلك لله تعالى ان يجعل صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي له لا اشرك غيره فيه وقوله
وانا اول المسلمين ° يحتمل وانا اول من خضع واسلم بالدعاء من تبلغ مما انزل الى الخلق وقال الحسن وقتادة

رضي الله عنهما وانا اول المسلمين من هذه الامة وقيل ان يكون قوله وانا اول المسلمين لا على وقت الاسلام ولكن
على سرعة الاجابة والطاعة لله بغير منة منه تعالى عليه حيث حمله على هذا الوصف وهو كقوله وما نريهم
من آية الا هي اكبر من اختها ليس على ان بعضها اكبر واعظم من بعض وصف الكل بالكبر والعظم فهذا مثله
وقوله تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ° يحتمل هذا وجهين يحتمل اغير الله ابغي ربا وقد يعلمون ان لا رب
سواه ويحتمل اغير الله ابغي ربا سواه وفي كل احد دليل ربوبيته والوهيته ظاهرا وهم يدعون اليه احدا في
العبودية والربوبية لله تعالى فكيف اتخذ ربا سواه وقوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ° يحتمل ولا تكسب
كل نفس من سوء الا عليها اي لا يحمل ذلك عنه غيره في الآخرة وكذلك قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وهو
كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم في هذه الآية اخبار بان الله تعالى لا يؤاخذ احدا بذنب غيره وانه لا يعذب
الابناء بذنوب الآباء وقد احتجت بهذه الآية عائشة رض في رد قول من تأول ما روي عن النبي عليه السلام ان الميت يعذب
ببكاء اهله عليه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وانما مر النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي يبكى عليه فقال انه
ليعذب وهم يبكون عليه ويحتمل ان يكون قوله ولا تكسب كل نفس الا عليها يحتمل ولا تكسب عمل من سوء الا عليها
اي لا يحمل ذلك عنه غيره في الآخرة او لو تركت كل نفس وما يختار لا تكسب الا عليها لكن الله تعالى بفضله يمنع بعض
ما يختار على نفسها كقول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اخبر انها كانت تأمر بالسوء الا
ما عصمه ربي ويجوز ان يكون هذا على الاضمار كانه يقول ولا تكسب كل نفس الا عليها ولها وهذا مثل قوله
ليكون للعالمين نذيرا اي هو نذير لقوم وبشير لقوم آخرين نذير في حال وبشير في حال وفي هذه الآية دليل على امتناع
جواز التصرف على غيره الا ما قامت دلالته لاخبار الله تعالى ان احكام كل نفس متعلقة بها دون غيرها فيحتج بالآية
في امتناع جواز نكاح الكبيرة بغير اذنها وفي بطلان الحجر على الحر وفي جواز تصرف البالغ العاقل على نفسها وان كان
سفيها باخبار الله تعالى باكتساب كل نفس على نفسه وفي نظائره لا يحصى مسائل وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ° هذا على الوعيد وقوله تعالى قل انني هداني ربي ° وما خاطب الله عز وجل
رسوله عليه السلام بهذه الآيات المراد به الخلق كله فمن على بمثل ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلي من السؤال
والدعاء فله ان يقرأ ويذكر ما في هذه الآيات وكذلك قوله قل هو الله احد من يستوصف صفات الله فعليه ان يصف
له بما في سورة الاخلاص ورسول الله صلى الله عليه وسلم وما سواه من الخلائق سواء في الخطاب وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر للصلاة اتبع بهذه الآية ان صلاتي ونسكي ومحياي الى آخرها وعن علي رضي الله عنه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا
من المسلمين وذكر انه كان يدعو بعد ذلك دعاء طويلا وروي عن عائشة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما قالا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة رفع يديه حذاء منكبيه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وكان ابو حنيفة رح يختار التسبيح لا غير في الفرائض ويأخذ محمد رحمه الله
وقال ان الدعاء الاول يحتمل اذا كان يقول قبل ان ينزل فسبح بحمد ربك حين تقوم فلما نزل ذلك امر بالتسبيح عند
القيام الى الصلاة ترك الاول وقد روي عن عمر رض انه قام الى الصلاة فكبر ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واما في النوافل فلا بأس ان يزيد
ما شاء من الثناء والدعوات ويحتمل ما روي عن علي رض تكون في النوافل وكان ابو يوسف يجمع بين التسبيح وبين هذه
الكلمات التي رواها علي رض في صلاة الليل ويحتمل ما سواها عملا بالاحاديث وقوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف
الارض ° اختلف فيه قال بعضهم هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وجميع امته رحمهم
استخلفهم خلائف من بعدهم من المصدقين والمكذبين ليعلموا ان المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحديد
بتكذيبه والخلائف رغبوا في تصديقه والموافقة له والطاعة ليكون لهم من تقدمهم عبرة في التحذير والترغيب
ويكون لهم بمن تقدمهم قدوة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون عظة ان يصحبوه فيما تلوم من الاخبار
اليه والتعظيم له والتصديق ويجتنبوا الاساءة والتكذيب وقال بعضهم الخطاب لجميع البشر يعني جعل البشر كلهم
خلائف بعض في الوجود وفي الاحوال من الحياة والموت والفناء والفقر والصحة والسقم والعز والذل وفي الصغر والكبر
في كل شيء ليكون لهم ذلك عبرة او دليلا لهم على معرفة منشئهم وخالقهم لانه عز وجل لو انشأهم جميعا لم يعرفوا
حول انفسهم ونقلهم من حال الى حال ولكن انشأهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا احوال انفسهم
انتقالهم من حال الى حال النطفة الى العلقة ثم الى المضغة ثم حال الصغر الى الكبر وكذلك في جميع الاحوال من الغناء
الفقر والصحة والسقم وغيرهما ولو كانوا كلهم على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك لكن جعل بعضهم خلائف بعض

في الاحوال ليبدلهم ما ذكرنا ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم صاروا خلفا يجاء الاول في الاول في التالي
فيه بيان ضيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة معه والثاني فيه بيان وحدانيته تعالى وقوله تعالى
ورفع بعضكم فوق بعض درجات • يحتمل هذا في الاحوال التي ذكرنا ويحتمل في الخلقة جعل لبعض فضائل دون
على بعض وجعل بعضا فوق بعض بدرجات في الدنيا ليكتسبوا لانفسهم في الاخرة الدرجات والفضائل على ما رغبوا
في الدنيا من فضائل الخلقة ودرجات بعض فوق بعض ورغبوا في الدون عن ذلك ليرغبهم ذلك في اكتساب الدرجات
في الاخرة وتنفرهم عن اكتساب ما ينفرون عنه في الدنيا وقوله تعالى ليبلوكم فيما آتاكم • يحتمل ليبلوكم فيما آتاكم
من الاحوال المختلفة من الفقر والغناء والصحة والسقم والصغر والكبر وغير ذلك من الاحوال ويحتمل فيما آتاكم
من النعم ليبلوكم بالشكر والابتلاء من الله تعالى على وجهين ما امر بالشكر على ما انعم وصبر على ما ابتلاه بالشدائد و
الابتلاء منه هو ما بين السبيلين جميعا سبيل الحق وسبيل الباطل وبين كل سبيل الى ماذا افضاه لو سلكه
لو سلك سبيل الحق افضاه الى النعيم الباقي والسرور الدائم وان سلك سبيل الباطل افضاه الى العذاب الشديد
وحزن دائم وجمع بين هذين في هذا الابتلاء والله اعلم وقوله تعالى ان ربك سريع العقاب • قال بعضهم لخائن
عن سرعة اتيان العذاب لان كل ات قريب كانه عجل قال الله تعالى اقتربت الساعة وقال اتى امر الله فلا تستعجلوه •
وقال بعضهم ذلك انما عن شدة عقابه لمن عصاه وقوله تعالى وانه لغفور رحيم • اي للمؤمنين وقد ذكرنا تأويله والله اعلم

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العليم بخلقه اللطيف لرشد عباده من
لهم الايات والبيان ليستقبلهم بحكمته وتدبيره من الجهالة الى العلم ومن الضلالة الى الهدى ووصى به رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يدعو عباده الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فبعثه الى الناس كافة وانزل اليه الكتاب
يتلاقى به ما في كتب الاولين ليتبين لاهل الكتاب مع المشركين ان النبي الامي العربي صلى الله عليه وسلم لم يعلم ما في الكتب
الاعجمية الا من عند الله تعالى ليكون ذلك اوضح لهم في الحجة وكان صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند
الفريقين بانه لم يتأمل كتابا ولا يخطه بيمينه ولا كان عندهم من شعرائهم ولا المعروف بعلم انسابهم وعلم بانه
ابلغ في البرهان فانبأ فيه من علم الغيوب وفرض الفرائض وحكم الاحكام وانزل في الحجة بالسيف يعجز عنه من كون الله
عز وجل ليبين لهم انه من عند الله فاتقوا قومه وابوا ان يسمعوه واستكبروا عليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فاتاهم الحكيم الخبير من قبل الفهم و
كرم وانزل في الكتاب بكلام افتتح به السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا انه بديع ابتدع محمد صلى الله عليه وسلم
كابتداء غيره البلاغات والاحاديث فابعدوا ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم يقدر على ذلك مما لا يقدرون فيدعو
الكتاب ليعلموا اصدوره مما يعدونه من الكلام فسمعوا كلاما مجيدا حكيما ونبأ عظيما ومحاسن ومواعظ شافية
فدخل اكثرهم في الاسلام وقعد عنه رجلان معاند متمرد وجاهل مقلد وفيما انزل مما وصف قوله المص وكهيعص
وطسم وما اشبهها فقال المص ليعطف بها على النظر فيما بعدها ثم ابتدأ فقال كتاب انزل اليك اي كتاب
من ربك انزل اليك فلا تكن في صدرك حرج منه ويحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابا من الله
تعالى خاطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خواصه يفهمونها ولا يفهمها غيرهم تفضيلا لهم على غيرهم ثم
فهما لو كان احدهما ان يخبرهم الله تعالى بحروف يعرف معناها على لسان الملك فيقول اذا انزلنا اليكم كذا فرادى من ذلك
كذا اذا كان المراد في البيان منها مقرونا بها فان نال لها الفهم اذ لها امانا فهمهم الله تعالى وان امرهم بحرفهم
ذلك وذلك كقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله وان الله تعالى امر نبيه عليه
السلام اشياء لم يرد ان يطلع غيرهم ولا اطلعهم على المتشابه الذي اختص بعلمه الرسل عليهم السلام الذين
من المتشابه والله اعلم وقال الفراء رحمه الله يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة المتفرقة التي اتى بها من
آيات شتى الى آخرها اذ الكلام يأتلف من الكلم والكلم من الحروف كانه قال اذا جمعت هذه الحروف المتفرقة صح بها
كتابا انزلته اليك نحو المص والمر والر تلك آيات الكتاب والر ونحو ذلك والله اعلم بما اراد بها وقد ذكرنا ان اهل العلم
في صدور الكتاب مقدار ما حفظنا او ضمنا من اقاويل اهل العلم في ذلك والله اعلم بما اراد بها وقوله تعالى
فلا يكن في صدرك حرج منه قال الحرج هو الضيق في الصدر وقيل الحرج موضع الضيق حيث لا تجد
منفذا وقيل الحرج هنا الشك ثم جملة على ضيق الصدر فيحتمل ضيق الصدر وجهين احدهما يحتمل ضيق الصدر
عن الشدائد والخطرات التي تكون فيما من عليه من تبليغ الرسالة الى قومه والبراءة منهم مما يعبدون من دون

ودعواهم الى عبادة الله تعالى والنزوع عن عبادة الاوثان وهم قوم نشأوا على الكفر والشرك وعبادة الاصنام ومصاحبة
الفراعنة والملوك الذين همتهم القتل والاهلاك لمن استقبلهم بالخلاف وكان الرسول عليه السلام يخاف على نفسه
مما خافت الرسل عليهم السلام من بين يديه كما اخبر عن موسى عليه السلام اني اخاف ان يقتلون لما كان قومه موصوفين
بالشرع الى القتل من يخالفهم فيما هم عليه فامنه الله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه فلا يضيقن من الشدائد التي
التي يتوهمها في تبليغ ما فرض الله عليك من العقيدة والعبادة والحكم الذي يخالف فيه قومك وهو كما قال في آخر
هذه السورة فادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون فاعلمه الله تعالى انهم لا يصلون الى ما هو يخاف منهم من القتل
والاهلاك وهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وعلى هذا ما في الخبر ان الله تعالى لما ارسله الى قومه عليه السلام
فقال اي رب اذا تبلغوا راسي كما يبلغ الخبزة فامنه الله تعالى من ذلك فقال اي رب اذا تبلغوا راسي كما تبلغ الخبزة فامنه
الله تعالى من ذلك فقال فلا يكن في صدرك حرج منه اي من البلاغ الى قومك عما يخافهم فيه والله اعلم ويحتمل
ضيق الصدر ما يوسوس الشيطان في صدره انما انزل اليك من الله تعالى او ان تقول انه انما هو من اساطير الاولين
على ما قال اولئك الكفرة ما هذا الا اساطير الاولين فامنه الله تعالى عن ذلك بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه
وقد روي ان الله تعالى اسلم شيطانه فلا يوسوسه على ما روي في الخبر قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الك
شيطان فقال اكان ولكن اعانني الله عليه فاسلم والله اعلم ثم قوله فلا يكن في صدرك حرج منه يحتمل وجهين
احدهما على النهي بطريق المعاينة اي لا يضيق صدرك بما حملت عليك من التبليغ وما يتضمنه من الشدائد والاهوال
فلا يكن في صدرك شك انما انزل اليك من عند الله وقد ذكرنا ان العصمة لا تزيل المحنة والنهي بل النهي مما
يقرر العصمة والثاني يحتمل ان يكون على سبيل التسكين لقلبه عليه السلام لا على النهي انه لا تحمل على نفسك
ما فيه هلاك نفسك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وكقوله فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات ليس على النهي ولكن على ان لا تحمل على نفسه ما فيه هلاكها مما فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى
لتنذر به الكفرة وتبشر به المؤمنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فعلى ذلك قوله لتنذر به وذكرى
اي بشرى لهم او يكون في الانذار بشرى للمؤمنين لان الانذار اذا قبل يكون بشرى وللكافر اذا لم يقبل فيكون
لهم انذار وبشرى المؤمنين ويحتمل قوله لتنذر به فتنذر الكل المخالف والموافق جميعا وقوله تعالى وذكرى
للمؤمنين • اي يكون عظة لتذكير المؤمنين بما يتعظون به فيعملون الحق به من الباطل ويعرفون ما فرض الله
عليهم من الاحكام والله اعلم وقوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم • امر المؤمنين ان يتبعوا ما انزل اليهم
من ربهم على ما امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتبع ما انزل اليه من ربه بقوله اتبع ما انزل اليك من ربك
ليعلم ان ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل من ربه الى المؤمنين جميعا الى حيث ما خص
بذلك مخصوص والله اعلم ثم قوله ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكر فيه ما يحل لهم ويحرم عليهم وما يأمر وينهى
وقوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اولياء • قيل اي لا تتبعوا من دون الله الرؤساء والاحبار في التحليل والتحريم
والامر والنهي فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى قليلا ما تذكرون • قال اهل التأويل يعني بالقليل الكل
ويحتمل قوله قليلا ما تذكرون اصلا وراسا لان الخطاب يجري به لاولئك الكفرة وفيهم نزلت الاية
وليس احد منهم ممن يتذكر والله اعلم وقوله تعالى وكم من قرية اهلكناها • قال اهل التأويل كان يخوف
اهل مكة بتكذيبهم الرسول عليه السلام بما اهلك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل عليهم السلام كانه يقول كم
من اهل قرية اهلكناهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وانتم يا اهل مكة تهلكون بتكذيبكم الرسول
عليه السلام ان لم تمتنعوا او ترجعوا عن ذلك فان قيل ان اهل مكة ليسوا من اهل الكتاب فلا يعرفون هلاك الامم
الماضية بتكذيبهم الرسل عليهم السلام فكيف يصلح مع الاعتبار بهذا قيل لانهم كانوا لا يعرفون بانفسهم
كانه ليس عندهم كتاب لكن يصلون الى علم ذلك بمن عرفهم من الكتب وهم اهل الكتاب فلزمتهم الحجة بقيام
قيام سبب العلم وطريق الوصول اليه فهذا كما ان العجم وان كانوا لا يعرفون الكتاب الذي انزل بلسان العرب
فان الحجة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالعرب الذين اسلموا فعلى ذلك هؤلاء وان
لم يكن عندهم علم اهلاك اولئك فلزمتهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم ثم في الاية دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وهو لم ينظر في
كتبهم ولا اختلف اليهم ليعلموه عن ذلك ثم اخبرهم بذلك دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله تعالى
فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون • قال ابو بكر الكيساني يعني الناس كلام متصل شديد من الفرح الحرج
عنهما وروي عن عمر رضي الله عنه انه لما طعن قيل له لا بأس فقال ان كان في القتل بأس فمن ذا البأس اما عن
اهل التأويل فقالوا البأس العذاب وقوله فجاءها بأسنا اي فجاءنا اهوجتهم بياتا او هم قائلون البيات بالليل

بالليل والقيلولة بالنهار عند الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن اخبر انه انما ياتيهم عذابه
في حال الغفلة او في حال الامن لان لا يكونوا غافلين عن امره ولا آمنين عن عذابه وقوله تعالى فما كان دعواهم
اذ جاءهم باسنا اى ما كان دعواهم قبل نزول العذاب الا ان قالوا نحن على الحق وان غيرهم على الباطل فلما جاءهم
باسنا اعترفوا بظلمهم كقوله الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن
المرسلين والاشكال انه ذكر في هذه الاية انه يسألهم جميعا يوم القيمة الرسل والمرسلين اليهم وذكر
في اية اخرى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقال في موضع اخر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
وهذا يشبه التناقض والجواب عن هذا من وجوه احدها ان قوله لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اراد نفي السؤ[ال]
عن نفس الفعل اى لا يسأل عن جنس ما فعل وعن نفس ما ارتكب وفي قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن
المرسلين وقوله وهم يسألون المراد هو السؤال عن الحجة على ما فعل وان كان من حيث ظاهر اللفظ السؤال
عن نفس الفعل فانه لا يقال للمرء افعلت كذا ولكن يقال له لم فعلت كذا فليس بين السؤال عن الحجة
على الفعل وبين نفي السؤال عن نفس الفعل تناف لان التنافي انما يتحقق بين السلب والايجاب في الشيء الواحد
لا في شيئين مختلفين والله اعلم والثاني يحتمل ان المراد منه ان يسأل في وقت ولا يسأل في وقت فانه قيل
انه يسأل في اول البعث ولا تنافي بين النفي والاثبات في وقتين لشيء واحد والله اعلم والثالث ما قال
بعضهم قوله لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اى لا يسأل احد عن ذنب غير الذي فعله وهو كقوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى وقوله فلنسألن اى يسأل الفاعل وصاحبه ولا تناقض بينهما بحمد الله عز وجل والله اعلم
ان الاخرة على خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يؤاخذ المرء بذنب غيره ويبتلى الاحصار قومه ويطالب
بسببه قومه واما في الاخرة فانه لا يؤاخذ غيره بذنبه لكن كذلك كان ما ذكرنا والله اعلم والرابع
يحتمل قوله لا يسأل اى لا يسأل عما اظهروا وابدوا من الاعمال القبيحة ولكن يسأل عما اسروا واخفوا منها
لان الملائكة قد كتبوا ما ابدوه واظهروه كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال
عما اسروا على التقرير عندهم لا على الاستخبار ولا يسأل عن الذي كتب والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل
في تاويل قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين قال بعض اهل التاويل في تاويل هذه
الاية يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة الى الامم ويسأل القوم هل بلغ الرسل اليكم ويكون السؤال
بمعنى الشهادة وقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اى انه قد بلغ الرسالة
وقال بعضهم اى يسأل الملائكة من تبليغ الرسالة الى الانبياء عليهم السلام ويسأل الانبياء عليهم السلام
عن تبليغ الرسالة الى القوم الذين ارسلوا اليهم ويحتمل ان يكون سؤال الرسل عليهم السلام عما اجيبوا
والسؤال للامم عما اجابوا كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ويحتمل ان يكون سؤال
القوم سؤال تقرير عندهم وطلب الاقرار منهم لما كانوا ينكرون التبليغ اليهم كقوله تعالى واذ قال
الله تعالى يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فهذا سؤال التقرير بعد
العلم لان الله تعالى عالم انه لم يكن قال لهم ذلك وانما القوم ادعوا ان عيسى عليه السلام كان قال لهم ذلك
فهذا السؤال لطلب الاقرار منهم ليقروا بذلك حتى لا يقولوا [illegible] والله اعلم
وقوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين اى فلنقصن من علم وما كنا غائبين عن علمهم
وصنيعهم لكن يسألون على التقرير وطلب الاقرار منهم لا على سبيل الاستخبار وطلب العلم
وانما ذكر فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين عقيب قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم الاية والله اعلم
مما يحتمل ان يظن جاهل بما ذكر من المسئلة لهم والسؤال الذي في قوله فلنسألن انه في موضع الاستخبار عما
يسر ويضمر ليظهر للمستخبر بالاخبار عن ذلك اذ هو معنى السؤال الذي في الشاهد فاخبر عز وجل فلنقصن
عليهم بعلم ليعلم ان سؤاله ليس سؤال استخبار واستظهار ولكن سؤال توبيخ وتعيير
او سؤال الشهادة من الله تعالى على ما اتوا من التكذيب للانبياء عليهم السلام وعلى هذا يخرج الابتلاء
والامتحان من الله تعالى بتعريف الامر والنهي لا لاظهار شيء خفي عليه وان كان في الشاهد يكون
الابتلاء والامتحان من الله تعالى لا لاظهار ما خفي عند الخلق عليهم سمى لذلك الامر والنهي امتحانا
وابتلاء كما انه عند الخلق ابتلاء وامتحان وان كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمى بالذي فيما بينهم والله اعلم
وقوله تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون اختلف اهل التاويل قال الحسن رضي الله عنه يكون ميزان
كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات فمن ثقلت موازينه دخل الجنة ومن خفت موازينه دخل النار

الا ان ما قاله لا يحتمل ظاهر الاية لانه قال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم والميزان اذا ثقل احدى الكفتين منه يخف الاخرى فاذا خفت احداهما
يثقل الاخرى فكان كل واحد ممن يثقل ميزانه ويخف فيكون مفلحا وخاسرا وظاهر الاية مطلق ليس
فيها قيد انه يثقل ويخف بماذا فدل ان ما قاله لا يحتمل الا ان يكون من المراد من قائله ان من ثقل ميزانه
بالطاعة او خف بان يثقل احدى الكفتين بالطاعة ويخف الاخرى بالمعصية فيكون محتملا ويرد على
تاويله اشكال اخر على ما نذكر ان شاء الله والله اعلم وقال اكثر اهل التاويل ان المراد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها
فمن رجحت حسناته على سيئاته اى كثرت يدخل الجنة ومن كثرت سيئاته دخل النار ولا يحتمل ما قالوا
لان الاية عندهم في المؤمنين والكافرين جميعا ولا يتحقق في حق الكفرة مقابلة الحسنات بالسيئات لانه
لا حسنة يتحقق في حق الكفرة لانها انما يفعل لوجه الله تعالى ولا يتحقق ذلك مع الجهل بالله تعالى
والكفر به على انه ان كان يتحقق منهم الحسنات في الجملة وهي الاحسان والبر في حق الناس لكن مع هذا يسد
لانه لا يتصور في المؤمن رجحان سيئاته مع كفره وبهذا يبطل ايضا تاويل الحسن رضي الله عنه فانه لا يتصور
ان يخف ميزان المؤمن من الحسنات مع الايمان في الكفة الاخرى ولا يتصور ان يثقل ميزان حسنات الكافر
مع كفره في الكفة الاخرى الا ان يكون مراد اهل التاويل بهذا الكلام ان يوزن حسنات المؤمن ويقابل
سيئاته بحسناته دون كفره وفي حق الكافر متى رجحت سيئاته سوى الكفر على حسناته لا يجازى بحسناته
في الدنيا الا ان المرجوح ساقط العبرة ومتى رجحت حسناته على سيئاته دون الكفر يجعل الجزاء حسناته
في الدنيا من انواع النعم او يجازى بحسناته في الحال لينتفع في الدنيا من النعم ثم عاقبة امره ومصيره الى النار لا محالة
واما في حق المؤمن انه رجحت حسناته سوى ايمانه على سيئاته يتجاوز عن سيئاته ويجازى باحسن ما عمل
ذلك في قوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وان رجحت سيئاته على حسناته
دون ايمانه فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء غفر له سيئاته بما معه من الايمان والحسنات فضلا منه
وان شاء عذبه في النار بقدر ذنبه ثم عاقبة امره ومصيره الى الجنة لا محالة والله الموفق والذي يبطل هذا التاويل
الذي قاله اكثر اهل التاويل وما قاله الحسن رضي الله عنه ايضا انه حمل من ثقلت موازينه في حق المؤمنين
ومن خفت موازينه في حق الكفار لا بعينه قال ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا
باياتنا يظلمون والكافر هو الظالم بايات الله خص وصفها في موضعها دون المؤمن واذا كان هذا
في حق الكافر كان الذي يقابله وهو قوله فمن ثقلت موازينه في حق المؤمنين فلا يستقيم ما ذكر من التاويل
ويكون قوله فمن ثقلت موازينه في حق اهل الفلاح ان عاقبته الجنة لا محالة وقيل المراد مما ذكر من الميزان
والوزن هو الكتاب الذي ذكر في اية اخرى بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا وكما قال فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول
هاؤم اقرءوا كتابيه واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه واعطاء الكتاب باليمين علامة
اهل الجنة والاخر علامة اهل النار وانما ذكر الوزن والميزان عبارة عن الكتاب بطريق المجاز لما ان
كل واحد منهما سبب العلم والله اعلم وقال بعضهم المراد من الوزن هو العدل لان الله تعالى قال ونضع
الموازين القسط ولم يقل ونضع الموازين بالقسط والقسط هو العدل فهو اخبار عن العدل انه يعدل
بينهم يومئذ وقال بعضهم قوله والوزن يومئذ الحق والجزاء يومئذ الحق سمى الجزاء وزنا لما ان الجزاء على
وزن الطاعات والمعاصي عدلا لا ينقص جزاء الحسنة ولا يزاد جزاء السيئة عليها لكن يزاد جزاء الطاعات
فضلا عشرة وضعفها واضعافها مضاعفة والله اعلم وقال بعضهم قوله والوزن يومئذ الحق اى الطاعة
حق كل مطيع يومئذ من كانت طاعته مقبولة فهي التي احق وما سواه يومئذ مما لم يكن ثابتة يومئذ
وقد حبطت وصارت هدرا فلا يكون طاعة والله اعلم ويحتمل ان يكون المراد من الوزن التقدير والتحديد
كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون اى محدود مقدر فعلى ذلك قوله والوزن يومئذ الحق لا يزاد على السيئات
ولا ينقص عن الحسنات التي عملوا في الدنيا بل يكون الجزاء مقدرا محدودا على قدر العمل الا انه اريد به الوزن دونه
بالاراد بالوزن فيجب القول بالميزان والوزن باصله دون كيفيته احترازا عن الوقوع في الخطا والشهادة
على الله تعالى بما ليس فيه نص من جهة الكتاب والسنة المتواترة اذ لا نص في بيان كيفيته وان ورد في
حاصله والله الموفق ويشبه ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه على التمثيل ليس على
تخصيص الميزان والثقل والثبات لاعمال المؤمنين والخفة والتلاشي لاعمال الكفرة فان الله تعالى ضرب
لاعمال المؤمنين المثل بالشيء الثابت الطيب [illegible] اعمالهم بالبيان فيه والقرار وضرب لاعمال الكافرين

المثل وشبههما بالشيء النافع الثابت الباقي ووصفها بالبطلان والتلاشي كقوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها
من قرار بعضها الآخر بما ذكرنا وقال في آية أخرى والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج
إلا نكدا وقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وقوله تعالى
فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ونحو ذلك من الآيات جعلها وصف أعمال الكفرة
والثبات في القرار ووصف أعمال الكفرة بالبطلان والذهاب والتلاشي فعلى ذلك قوله فمن ثقلت موازينه
فأولئك هم المفلحون وصف لأعمال المؤمنين بالعظم والقدر والقرار والثبات ومن خفت موازينه وصف
لأعمال الكفرة بالبطلان والتلاشي أي لا يكون لهم من الخيرات شيء ينتفعون بها في الآخرة فيكون صدر
الآية في وصف أعمال المؤمنين في الآخرة ووصف أعمال الكفرة وأنه لا أصل له ويحتمل غير ذلك والله أعلم وقوله ومن خفت
موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم قال أهل التأويل خسروا أنفسهم أي غبنوا وذلك أنه ما من أحد
مؤمن وكافر إلا وله في الجنة وفي النار منزل فأهل الجنة يرثون المنزل الذي كان للكافر في الجنة ويرث الكافر
المنزل الذي كان للمؤمن في النار فذلك الخسران الذي خسروا لكن هذا لا يحتمل أن يكون يجعل للكافر
منزلا في الجنة وأهلا مع علمه بأنه لا يؤمن ويختم على كفره وكذلك في حق المؤمنين لا يحتمل أن يجعل له
منزلا في النار مع علمه أنه لا يختم إلا على إيمانه ولكن معصية له فعدل أن هذا التأويل فاسد ثم يحتمل أن يكون
المراد من الخسران الذي ذكر في الآية هو أنهم خسروا في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا فإن الله عنهم النعم التي كانت لهم
في الدنيا ولم يصلوا إلى نعم الآخرة فذلك الخسران المبين في الدنيا والآخرة وقوله عز وجل بما كانوا بآياتنا
يظلمون قال الحسن رضي الله عنه بآياتنا أي بديننا يكذبون وقيل بآياتنا أي بحججنا يظلمون أي يضعونها
في غير موضعها لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ثم المسألة في من ارتكب كل كبيرة في حال كفره
ثم آمن في آخر عمره صار مغفورا له معفوا عنه غير مؤاخذ به ومن ارتكب في حال الإيمان ثم ختم على الإيمان
لم يحبط الإيمان في كفره وكان مؤاخذا به وذلك لوجهين أحدهما أن ليس على الكافر نفس الأعمال وإنما
التي هي عبادات وقرب إنما عليه قبول تلك الأعمال فإذا أسلم فقد قبلها إلا أن فعليه الأداء في المستقبل وأما
المؤمن فعليه نفس الطاعات والقرب لما وجد منه القبول أولا فبعد الإسلام فيؤاخذ بما كان منه
من التفريط في تلك الأعمال وتضييع تلك الأمانات والله أعلم والثاني وهو أن الكافر إذا أسلم بعد ارتكاب
الكبائر وجد منه الإسلام بحق وما فرط فيه من الخبايا فوجد في الإسلام فلا يوجب جرحا وقد جاء
في ذلك إذ لا يعد ذلك خلافا وتركا لما التزم بالإسلام وبما التزم ذلك وما قبله بخلاف ما إذا ارتكب
الكبائر في حال الإيمان لأنه بالإيمان التزم الامتناع عن المحظورات وقبل ذلك فيكون ذلك مخالفة لما التزم
بعقد الإسلام فيكون مؤاخذا بها والله أعلم وقوله تعالى ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش
قال أبو بكر الكيساني رحمه الله مكناكم أي ملكناكم الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ومنافع لتشكروا أهلها
وقال الحسن رضي الله عنه مكناكم أي جعلناكم مستخلفين عمن تقدم منهم في أماكنهم يذكر أيضا نعمه عليهم لما جعلهم خلف
الأولين وجعل لهم فيها معايش ويخوف زوال ذلك عنهم بما أصاب ذلك لهم بعد في الأمم الأولين لتعلموا
إنما يزول عنهم إلى غيرهم فلا يطمئنوا إليها ويجعلوها مطايا للدار الآخرة والله أعلم ويحتمل أن يذكرهم
هنا بما جعل لهم الأرض مكانا للقرار وموضع الانتشار والتقلب في التعيش وهو كقوله أولم يروا أنا جعلنا
لهم حرما آمنا أي جعلنا الحرم مأمنا لكم بحيث تأمنون وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم
يذكرهم عظيم نعمه ومنته التي جعلها لهم فهذا مثل ذلك هذا إذا كان الخطاب لأهل مكة خاصة بقوله ولقد
مكناكم في الأرض وإن كان الخطاب به للناس كافة فيخرج على تذكير أنعم لهم حيث جعل لهم الأرض بحيث يتقلبون
فيها ويتقلبون والله أعلم وقوله تعالى قليلا ما تشكرون هذا وقوله قليلا ما يذكرون يحتمل وجوها
أحدها أنهم كانوا يقرون أن خالقهم الله بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله كانوا
يصرفون بالوهية ويصرفون العبادة إلى غيره فذلك قوله قليلا ما تشكرون والثاني يحتمل قوله قليلا
ما يشكرون أي لا يشكرون ولا يذكرون البتة لا قليلا ولا كثيرا والثالث يحتمل قوله قليلا ما تشكرون
أي يشكر المؤمنون ولا يشكر أولئك والمؤمنون قليل وهم كما ذكر والرابع أو ليس لهم في وسعهم القيام بشكر
جميع ما أنعم عليهم لكثرة نعمه لا يتهيأ لهم القيام بشكر واحد منها فكيف يشكر الجميع فيكون ذلك الشكر
قليلا لا محالة والله أعلم وقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن رضي الله عنه أراد بقوله ولقد
خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أي أبيكم آدم عليه السلام بعد التخليق والتصوير ولو كان

المراد خلقناكم ثم صورناكم بني آدم لم يكن لقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم معنى لأنه ما أمرهم بالسجود لآدم
بعد خلقنا وتصويرنا وإنما أمرهم بالسجود له بعد خلقه وتصويره وقال غيره من أهل التأويل المراد منه البشر
كله لأنه قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولو كان المراد آدم يقول خلقناك ثم صورناك لكن
لا يصح ذكر آدم عليه السلام بعد ذلك بقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لأن الأصل في كلام العرب أن من سبق
ذكره بالكناية لا يذكر بعده بالتصريح بل بالكناية فكان من حق الكلام أن يقول ثم قلنا للملائكة اسجدوا لكم لو كان المراد
بقوله خلقناكم آدم عليه السلام والمراد بقوله ثم صورناكم بني آدم أي صورناكم في أرحام أمهاتكم والله أعلم ويحتمل وجها
آخر وهو أن قوله ولقد خلقناكم أي قدرناكم من ذلك الأصل وهو نفس آدم لأن الخلق هو التقدير يقول الله تعالى
أي قدرته كأنه تعالى يقول هو أعلم خلقناكم أي قدرناكم جميعا من ذلك الأصل على الكل ومنه صورناكم ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم معناه وقد قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أو يكون هذا ترتيبا في الكلام لا في خروج المخبر
به وذلك جائز في اللغة وكذلك قال بعض أهل الكلام إن النطفة هي إنسان بالقوة ثم تصير إنسانا بالفعل وقال
بعضهم هو كان الإنسان فجاز أن يكون إضافة إلى ذلك الطين بما هو كان هو أصل لنا والله أعلم وقوله تعالى
فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال الحسن رضي الله عنه إن إبليس اللعين لم يكن من الملائكة وذلك
أن الله تعالى وصف الملائكة جملة بالطاعة والخضوع بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقال لا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وغير ذلك من الآيات فكيف يكون إبليس من الملائكة وقال لأن الله تعالى خلق الملائكة
من النور وإبليس من النار والنار ليست من جوهر النور فدل أنه ليس من الملائكة ويحتمل ما قال الحسن وقال بعضهم
من الملائكة واستدلوا بالاستثناء في قوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس وحقيقة
الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه فدل أن إبليس من جنس الملائكة لكن الحسن رض يقول هذا استثناء
من الخبر لا استثناء يدل على أن الأمر بالسجود لآدم لم يكن للملائكة خاصة بل لهم ولمن فيهم من الجن يسجد
الكل إلا إبليس فيكون الاستثناء دليلا على إضمار المستثنى منه من جنسه والإضمار جائز في اللغة مثل
هذا مستعمل في باب الاستثناء صحيحا وذلك الاستثناء مثل أن يدخل هنا الدار أهل الكوفة مع أهل البصرة لكن
أهل الكوفة مضمر وتقديره دخل هذه الدار أهل البصرة وأهل الكوفة إلا رجلا من أهل الكوفة فههنا كذلك فدل
أن هذا محتمل ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة أنه كان من الملائكة أو من غيرهم إنما علينا أن نعرف أنه عدو لنا
لنحترز عنه وعن وساوسه وقد ذكرنا هنا فيما تقدم وقوله تعالى قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قيل
أي ما منعك أن تسجد وحرف لا زائدة على ما ذكر في آية أخرى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي والله أعلم
وقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فنقول هذه دعوى منه ثم من أين علم عدو الله أن المخلوق
من النار خير من المخلوق من الطين لأنه إن قال إن النار يجعل لمصالح الأغذية فمن هذا وقع عنده أنه خير
من الطين فلذلك نقول هذا فاسد وذلك أن النار إن جعلت لمصالح الأغذية والذي يجعل لوجود الشيء
هو أنفع وأكثر من الذي جعل لمصالحه ولعل الأغذية يصلح للأكل بغير النار من الشمس وغيرها وبعد فإن الطين
مما يتقد به النار ويطفئها والنار لا تعدم الطين والله أعلم ثم اختلف في الوجه الذي به كفر إبليس عدو الله وما ذاك
المعنى الذي يضاف كفره إليه قال بعضهم إنما كفر لأن اللعين لم ير لله على نفسه طاعة بأمر السجود لآدم ومن لم ير
أمر الله تعالى وكلامه مفترض الطاعة يكون كافرا وقال الآخرون إنه كفر عدو الله لأنه لم ير الأمر من الله تعالى من له
علم وحكمة بالخضوع والطاعة لمن هو دونه حكمة واعتقد أنه ما وضع الأمر بالسجود موضعه بل وضع في غير موضعه
فيعتقد فيه تعالى السفه والظلم وهو كفر وقال آخرون إنما كفر اللعين بالاستكبار والتكبر على آدم عليه السلام
لا لمعنى آخر والتكبر عليه يكبر على من أمره بذلك فهو لم يقبل أمره والتكبر على الله كفر والله أعلم بما أراد من ذلك
وكذلك قيل أول من أخطأ في القياس وذلك إبليس لعنه الله وقوله تعالى قال اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها
قال بعضهم اهبط منها يعني من السماء لأن إبليس لعنه الله كان في السماء فأمر بالهبوط منها إلى مكان جعل
معدنا للخاضعين والمتكبرين جميعا وهو الأرض أن الأرض معدن الفريقين جميعا وقال بعضهم هذا أمر
بالخروج من الأرض إلى جزائر البحور لأن الأرض هي قرار أهلها وجزائر البحور ليست بمكان قرار لأحد فيكون
إبليس فيها على الخوف يبعد هذا أن ذكر الأرض مطلقا لا يقع على البحار ألا ترى إلى قوله وجعلنا في الأرض رواسي
أن تميد بهم والبحار مما لا تميد بأهلها وهذا على قول الحسن رض لأن عنده إبليس عليه اللعنة لم يكن من الملائكة
فلم يكن في السماء وإنما كان يوسوس آدم في الأرض ويحتمل أن يكون الأمر بالهبوط منها أمر الخروج من الصورة
التي كان فيها إلى صورة أخرى قبيحة لا يعرف بها ولا يرى لعقوبة له لتركه أمر الله تعالى وتكبره عنه وقيل أخرج
من الجنة وقوله فما يكون لك أن تتكبر فيها أو ما يكون لك أن تتكبر في تلك الصورة التي حصلت لك بها القبيحة

او يخذ له المكان الذي يحول لينه حتى لا يفر ابدا ويكون على خوف ووجل ابدا والله اعلم وقوله تعالى فاخرج
انك من الصاغرين • يحتمل وجوها احدها ان يكون من احد بذكره الا ويلعنه ويزيد عليه باللعن عند الصغار
ويحتمل ان يكون صغاره بما صيره الله تعالى بحال يغيب عن الابصار ولا يقع عليه البصر ويحتمل ان يكون صغاره
لما طرد من رحمة الله وصار ملعونا والله اعلم وقوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون • اختلف فيه قال بعضهم
انظره الله تعالى الى النفخة الاولى ليذوق الموت فلا يتصل حياة الدنيا بالحياة الآخرة وكذلك قال في آية
اخرى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم انظر الى يوم القيمة لانه سأل ربه تعالى ان ينظره
الى يوم البعث حيث قال انظرني الى يوم يبعثون فقال انك من المنظرين فخرج ذلك مخرج الاجابة فدل انه انظره
الى الوقت الذي سأله بظاهر الآية وما ذكر من الوقت المعلوم في آية اخرى يحتمل ان يكون هو يوم القيمة والله اعلم
وقال غيره انظره ولم يبين له ذلك الوقت الذي ينظره لينبغي يكون ابدا على خوف ووجل يدل على ذلك ان ابليس
اللعين كان يخاف الهلاك على نفسه كما قال الله تعالى خبرا عنه في غزوة بدر بقوله فلما تراءت الفئتان نكص على
عقبيه وقال انى برى منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله ولو كان الوقت الذي انظره معلوما عنده لكان لا يخاف
الهلاك بدون ذلك الوقت دل على انه كان غير معلوم عنده ولكن كان معلوما عند الله فلذلك قال انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم وقوله تعالى قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم • قوله لاقعدن لهم صراطك ليس
على حقيقة القعود لكن على المنع عن السلوك في الطريق او على التلبيس الطريق المستقيم عليهم لان العرف من قعد
على الطريق يمنعهم عن السلوك حقيقة ان حذر عليه والا يلبس عليهم الطريق المستقيم في نوع يتبعهم في المهالك
ثم الآية حجة على المعتزلة فانه اضاف الاغواء الى الله تعالى في ذلك دل ان خالق الغواية هو الله تعالى فيكون الآية
حجة عليهم قال الحسن رضي في تاويل هذه الآية فبما اغويتني اي فيما اغويتني والاغواء هو اللعن وهو كما قال تعالى
في صفة ابليس فانك رجيم اي لعين اي من الملعونين فعلى ذلك فبما اغويتني اي لعنتني واللعن هو الطرد من الرحمة
وهذا مما لا يمتنع اضافته الى الله تعالى وقال ابو بكر الكيساني اضافة الاغواء وما انكر عليه لان سبب ذلك
له فانه لولاه لما وقع في هذه الغواية ويجوز اضافة السبب الى المسبب وان كان وجوده من غيره لانه كما قال الله تعالى
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني سأل النبي صلى الله عليه وسلم الاذن بالقعود عن الجهاد لانه قال الامر
بما لا اقوم فيفتنني كذلك اضاف الافتنان الى الامر بالجهاد لانه اذا كلفه الذي يقعد عنه ويتخلف يقع في
العذاب ولولا الامر بذلك منه لم يقع فيه فاضافه اليه لوجود السبب وان كان وجود ذلك بالتخلف منه
عن اختيار فكذلك هذا وقال بعض المعتزلة فبما اغويتني هو قول ابليس اللعين كما هو اغوى نفسه
نفعل بظاهر الآية وحقيقتها حجة عليهم لان الاغواء هو ايجاد الغواية وخلق فعل الغواية والضلال على ما ذكر
في غير موضع وفيما قالوا عدول عن الحقيقة فلا يمتنع من غيره ليل ثم ما قال الحسن لا يصح لان الاغواء لو كان هو
اللعن لكان اللعن هو الاغواء فيجب ان يكون كل لاعن مغويا له فمن لعن ابليس لا يكون مغويا له وكذلك
الله تعالى لعن عليه بقوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين فيكون مغويا فلا يصح هذا التاويل والله اعلم وما قال
ابو بكر الكيساني رحمه الله فاسد لانه لو جاز اضافة الاغواء الى الله تعالى بسبب الامر لجاز ان يضاف الاغواء الى الرسل
والانبياء عليهم السلام لان كان الامر منهم لقومهم بالايمان والدعاء الى توحيد الله ثم كفر وا في ذلك فكان
سبب اغواء اولئك هو امر الرسل ودعاؤهم اياهم بالتوحيد وذلك بعيد لم يقل به احد وقول من قال فبما اغويتني
حكاية فعل ابليس وقد كذب فاسد ايضا فان نوحا عليه السلام قال لقومه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فان كان ابليس كذب في اضافة الاغواء الى الله تعالى فما ظنكم بنوح عليه السلام
انه كذب في اضافة الاغواء الى الله تعالى فدل ان ابليس لم يكن كاذبا في اضافة الاغواء الى الله تعالى لما ذكرنا من تحقيق
خلق فعل الغواية منه ولما ذكرنا ان الله تعالى لم يرد على ابليس اللعين في اضافة الفعل اليه ولو كان بخلاف
ما قال لرد عليه والله الموفق وقال بعض اهل التاويل اغويتني خذلتني اي منعتني اللطف الذي اهتدى المطيع
ولكن الوجه فيه ما ذكرنا انه خلق في ابليس فعل الغواية والاضلال وكذلك خلق كفر كل كافر لما علم انه يختار
الغواية والضلال والله الموفق وقوله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن شمائلهم • اختلف
في تاويله قال الحسن رضي من بين ايديهم اي يأتيهم من قبل الآخرة فيدخل عليهم من هذا الوجه فيقول لا بعث
ولا جنة ولا نار فما هذا العنت وقوله من خلفهم اي يأتيهم من قبل دنياهم ويزينها لهم ويشهيها لهم وقوله
وعن ايمانهم قال لا يأتيهم من قبل الحسنات فيثبطهم عنها ويمنعهم عن تحصيلها ويسهل ذلك الامر عليهم ويقول
ان الله تعالى لا ينفعه طاعة المطيعين ولا يضره معصية العاصين وقوله وعن شمائلهم قال يأتيهم من
قبل السيئات فيأمرهم بها ويحثهم عليها ويزينها لهم في اعينهم وقال مجاهد رضي لآتينهم من بين ايديهم

اي من حيث ينظرون ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون ويوسوسهم ويوقعهم في
المعاصي ظاهرا وباطنا وقال بعضهم من بين ايديهم من قبل آخرتهم فلا يخبرنهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث
على ما ذكر الحسن ومن خلفهم من قبل دنياهم لامرنهم بجمع الاموال فيها لمن بعدهم من ذرياتهم ولخوفهم الضنك
والضيق في العيش فلا يصلون رحما في اموالهم ولا يعطون حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فان يك
قوم مما يعبدون فان كانوا على ضلالة دينا لهم وان كانوا على هدى شبهت عليهم حتى اخرجهم منه وعن شمائلهم
من قبل اللذات والشهوات فازينها لهم والاصل عندنا انه يخرج على وجهين احدهما انه على ارادة بين وخلف
وايمان وشمائل ولكن على ارادة الجهات جملتها كانه قال لآتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن رضي الله عنه
واهل التاويل من بين ايديهم الآخرة تكذيبا بها ومن خلفهم الدنيا تزيينا اياها عليهم وعن ايمانهم الحسنات
وعن شمائلهم السيئات فان قيل ما معنى ذكر الامام والخلف واليمين والشمال دون ذكر الفوق والتحت قيل
من وجوه يحتمل انه يدخل ما فوق وما تحت في ذكر الامام والخلف واليمين كقوله ولم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل ما فوق
بذكر ما بين ايديهم ودخل التحت بذكر الخلف فعلى ذلك ههنا فيصير كانه قال لآتينهم من كل وجه والثاني
يحتمل انه لم يذكرهما لما انه لا سلطان له على منع رزق الخلق والبركات التي تنزل من السماء من المطر ويخرج
من الارض النبات وليس له سلطان على منع انزال المطر واخراج النبات من الارض وله سلطان على غير ذلك
فلذلك لم يذكر الفوق والتحت وذكر غيرهما من الجهات والثالث يحتمل انه ذكر هذه الجهات الاربع لما يشغلهم
ويلهيهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم باللذات والشهوات حتى اذا ذاق الانسان
شيئا يعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد واحد من امامه وورائه وعن يمينه وشماله ولم يكن كذلك من فوق ومن تحت والله اعلم
والرابع يحتمل ما روي عن ابن عباس رضي انه كان اذا تلا هذه الآية قال ان الله تعالى منعه ان يأتيهم من فوقهم لم يكن
كذلك لما انه لا يمنعه احد فاعلمهم يصعد الى الله وفوقهم رحمته تنزل عليهم والله اعلم وكذلك قال قتادة رضي الله
عنه اتاك اللعين من كل نحو يا ابن آدم غير انه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تأتيك الرحمة
من فوقك والاصل لما ذكرنا انه ذا على التمثيل انه يأتيه من كل جانب والله اعلم وقوله تعالى ولا تجد اكثرهم
شاكرين • هذا من عدو الله ظن ظنه لا حقيقة ولكن الله تعالى اخبر انه صدق ظنه بقوله ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤما مدحورا • قيل اخرج من السماء
ويحتمل من الارض ويحتمل من الصورة التي كان عليها ويحتمل من الجنة على ما ذكرنا من قوله قال اهبط منها
وقوله مذؤما مدحورا قيل ملوما مذموما عند الخلق كلهم مدحورا اي مقصيا مبعدا من كل خير وقال
ابن عوسجة مذؤوم واحد ومدحور اي مبعد مطرود وقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم
اجمعين اخبر وحلف انه يملأ جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم انما تبعوه واطاعوه بالكفر والشرك
بالله تعالى وتعلق الخوارج بظاهر قوله لمن تبعك منهم على ان كل من يكتسب معصية تابع له لذلك قالوا ان كل
من يكتسب معصية صغيرة او كبيرة مستوجب الخلود ومستحق اسم الكفر والشرك واحتج المعتزلة بالآية في مكتسب
الكبيرة بوعيد هذه الآية وخصوا صاحب الصغيرة بدليل آخر وعندنا ليس في الآية حجة للفريقين جميعا في
استحقاق الخلود واستحقاق اسم الكفر لان هذه الآية انما ذكرت على اثر بعض الدين ورد التوحيد بقوله لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم فكانه قال لمن تبعك منهم في نقض الدين والتوحيد لاملأن
جهنم منهم اجمعين وبه نقول والله اعلم وقوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
كان السكون في موضع من القرار فيه والامن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي لتقروا فيه وتأمنوا فيكون
لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنهما الجنة امنهما من ذلك كله ثم في الآية دلالة ان قول المحنة دلالة
من الله تعالى لعباده انما يكون بالافضال والانعام عليهم بالجزاء والعذاب لمن ما ارتكبوا لانه عز وجل امتحن
آدم عليه السلام بالافضال والانعام عليه حيث اسجد ملائكته له واسكن جنته ووسع عليه نعمه ثم امتحنه
بالشدائد وانواع المشقة جزاء لما ارتكب من التناول من الشجرة التي نهاه عن قربانها وكذلك قال تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر ان ما يصيبنا هو من كسبنا بايدينا وهو جزاء ما اكتسبنا والله اعلم وقوله
ثم في هذه الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه القصة من غير ان اختلف الى
احد ممن يعرف ذلك ولا نظر في الكتب التي فيها ذكرها دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف اهل التاويل
في الجنة التي ابتلى الله تعالى آدم فيها وزوجته قال بعضهم هي الجنة التي يكون يعود اهل الاسلام اليها في الآخرة
التي وعد عز وجل بقوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقال بعضهم هي جنة انشاها لادم عليه السلام

في السماء لتسكن فيها ولكن لا يبدي ما بالك الجنة التي كان فيها آدم وحواء وليس بنا إلى معرفة تلك الجنة حاجة
إنما حاجتنا إلى معرفة ما ذكر عز وجل من الامتحان له واختلفوا أيضاً في الشجرة التي نهى آدم عليه السلام عن قربانها قال
بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة الحنطة وقال بعضهم هي شجرة العنب وقد ذكرنا أقاويل أهل التأويل في
صدر الكتاب على قدر ما حفظناه وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام أنه كيف وسوس إليهما
ومن أين كان قال الحسن رض إنما وسوس إليهما من الدنيا لأنه كان دخل الجنة وقال بعضهم وسوس إليهما
من باب الجنة ومن فيها فكلمهما وقد ذكرنا هذا أيضاً والله أعلم وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة لم يرد الدنو
منها ولكن أراد الدنو والأكل منها لكنه ذكر القربان مجازاً عن الأكل وفي الآية دلالة أن الامتحان من الله تعالى
يكون مرة بالحل ومرة بالحرمة لأنه أذن له في التناول مما في الجنة من أنواع النعم وحرم عليه التناول من واحد منها
وذلك محنة منه عز وجل وقوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما • أي
ليظهر لهما ما استتر وغطي من سوآتهما أي عورتهما والسوءة العورة في اللغة وفي الآية بيان أنه يجب أن يكون على
حذر من شر إبليس اللعين لأنه لا يجد فرصة علينا فإنه يعمل على سلب نعمة أنعمها الله تعالى على عباده ألا ترى
أنه كيف احتال بكل حيلة حتى أبدى ما ووري وستر عنهما وعمل في إخراجهما من النعم التي أنعمها الله وأوقعهما في الشدائد
والمشقة وفي الآية بيان أنه يضيع كيده لمن ليس عليه حال الشدة إذا رأى أحداً في النعمة والسعة والله أعلم وقوله تعالى
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين • قد ذكرنا بعض هذا أيضاً في
صدر الكتاب ثم قوله إلا أن تكونا ملكين قرأ بعضهم بكسر اللام من الملك ذهب في ذلك إلى قوله هل أدلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقرأ العامة إلا أن تكونا ملكين بنصب اللام والكاف من الملائكة وقد ذكرنا
جهة رغبة عند آدم عليه السلام في أن يصير ملكاً إذا تناول منها في صدر الكتاب لأن الملك أفضل من جنس
من البشر على قول الكعبية والله أعلم ثم النهي عن التناول على الشيء يخرج على وجوه أحدها أنه يحرم لنفسه
فيكون حراماً بعينه ومنها أن يحرم لشأن الغير عليه فيكون الحرمة لحق الغير لأن عين ذلك الفعل حرام ومنها
ما ينهى لنجاسة فيما يتناوله فيكون نهي شفقة لما يعرى بمضرته وكلفة آخر ومنها ما ينهى عن التناول لكون التناول
منه لحق الجزاء في دار الجزاء ودار الدنيا ليست بدار الجزاء نحو الذهب والفضة والحرير في حق الرجال التناول لغير أواني
الذهب والفضة ونحوها فيجوز أن يكون النهي عن تلك الشجرة لآدم عليه السلام لما كانت معدة للتناول لطريق
الجزاء في الآخرة والله أعلم وقوله تعالى وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين • قال الحسن رض أي قاسمهما أي حلف وسوسه
أباهما إني لكما لمن الناصحين هذا الذي يقول له الحسن من صحة آدم عليه السلام قد علم أنه الشيطان وقال أبو بكر
الكيساني مع أنه قد وقع عند آدم عليه السلام أن الشجرة التي نهاه ربه أن يتناول منها هي المفضلة على جميع الشجر فلما
وسوس إليه الشيطان وقال له هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فوافق ظنه عليه السلام قول اللعين فحمله
دعاه إليه ثم استقبل آدم بأمر آخر فنسي ذلك فتناول لعل النسيان والنسيان على وجهين في اللغة وفي استعمال
الناس نسياناً لترك من طريق العمد كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم والثاني السهو ولا يحتمل أن يكون آدم
ترك ذلك عمداً فهو على نسيان السهو وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم ومن قال المراد من النسيان هو الترك فيقول إنه علم
أنه شيطان ولكن لما قاسم وقع عنده أنه قسم صادقاً لما خطر بباله أن أحداً لا يستشهد الله كاذباً وصرفه
إلى الدنيا وزعم أنه أنهى مدتها لهما إذ يحتمل أن يكون موقتاً وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله أعلم وقوله تعالى
فدلاهما بغرور • قال أبو محمد رض أي أوردهما إلى الشجرة حتى تناولا منها على الغرور لهما وقيل أي نزلهما التي
من تلك الشجرة يقال دلى فلان فلاناً في غرور أي زين له الشيء حتى تركه يقال دلى يدلي تدلية من التدلي
وهو التفعل إلا أنه أسقط الواو وأقيم الياء مكانه ومعنى التدلية الدعة فقوله فدلاهما بغرور أي دعاهما
بغرور ثم دعاؤه إياهما بغرور وتزيينه لهما هو ما قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين وقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وفائدة تغرير آدم وحواء عليهما السلام أن تكونا ملكين
أو تكونا من الخالدين لأن الملك كما ذكر لا يفتر عن العبادة ولا يعصي ربه ولا يحتاج إلى شيء من المؤنة ومن قرأ ملكين
لأن الملك يكون نافذ القول في الأمر في مملكته وذلك بما رغبه وأن يكون أراد بذلك أن يشغلهما عن نهي
ربهما حتى ينسيهما ذلك ويحتنا ولا عن تلك الشجرة كما فعل لكن الأشبه أن يقال إنه لم يتبين نهي الله تعالى لهما
عن التناول منها ولكن نسي قوله فتكونا من الظالمين ما تناولا وإنما ذكر الخلود لأنه لا شيء ألذ وأشهى من الحياة
والله أعلم وقوله تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما • والإشكال أنه لم خص السوءة بالذكر وقد
بدا لهما جميع البدن ومنة الله تعالى في اللباس في كل البدن لا في السوءة خاصة كما يكون في ذلك إنعام ستر
العورة يكون في غيرها من البدن إنعام دفع الحر والبرد وغير ذلك وكذلك هذا الإشكال في قوله يا بني آدم قد

عليكم لباساً يواري سوآتكم خص السوءات بالذكر مع شمول منته علينا في ستر جميع البدن والجواب عن وجهين
أحدهما أن ستر العورة مستحسن في الطبع وكشف العورة مستقبح في الطبع والعقل جميعاً فأما كشف
غيرها من البدن فليس بمستقبح في الطبع ولا في العقل وربما يبدي المرء من البدن سوى العورة عند الحاجة
ويستر عند غير الحاجة فأما العورة فإنه لا يبديها إلا في حال الضرورة كذلك كان التخصيص والله أعلم والثاني
يحتمل أن التخصيص بالذكر باعتبار المفروض من الستر هو قدر العورة فأما ستر ما وراء العورة إنما يكون لدفع الحر
والبرد والأذى ويحتمل التزين كذلك كان تخصيصها بالذكر وإلا المنة والنعمة عظيمة في لباس كل البدن
والعورة والله أعلم والثالث إنما خص العورة بالذكر لأن قصد الشيطان في الابتداء عورتهما لا غير كما قال فوسوس
لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ولذلك لم يجعل لغير البشر عورة من الدواب وغيرها ستر
ولذلك خص البشر بالعقل لأجل عورته دون عورة سائر الحيوانات فخرج ذكر تخصيص السوءة لهذا والله أعلم ثم
إن الله عز وجل كنى عن الجماع مرة بالملمس ومرة بالغشيان وعن الخلاء بالغائط وهو المكان الذي يقضى الحاجة
فيه وكذلك جميع ما يستحسن ذكره على التصريح وجميع ما يستقبح ذكره بالكناية فكيف ذكر هاهنا السوءة
والعورة على التصريح قيل العورة والسوءة هما كناية أيضاً والصريح في الباب هو الذكر والفرج والدبر ونحو ذلك
والله أعلم وقوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة • قال أبو محمد رضي الله عنه طفقا أي أخذا
تقول طفقت كذا أي أخذت الخصف الخياطة في النعل والخف وهو مستعار هاهنا وقيل يخصفان أي يغطيان
وقال المجاهد رض يخصفان أي يرقعان كهيئة الثوب ثم قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أي يستر
أنفسهما بورق الجنة استحياء كل واحد منهما من الآخر وحياء من الله تعالى أما الحياء من الله تعالى فلما روي عن الحسن
عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نأتي منها وما نذر قال
احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك قلت يا رسول الله صلى الله عليك فإذا كان بعضنا في بعض
قال إن استطعت أن لا يظهر عورتك قال قلت يا رسول الله فإن كان أحدنا خالياً قال والله أحق أن يستحيى منه
ولذلك يكره للرجل في الخلوة أن ينظر إلى عورته وأن يكشفها وكذلك كره أبو حنيفة رض أن ينظر الرجل إلى فرج زوجته
أو المرأة إلى فرج زوجها ألا ترى أنه قال ليبدي لهما ثم قال ليريهما فهذا يدل أنه لا ينبغي للرجل أن ينظر إلى فرج
زوجته ولا الزوجة إلى فرج زوجها والله أعلم وقوله تعالى وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما
إن الشيطان لكما عدو مبين • يحتمل قوله وناداهما ربهما وحياً أوحى إليهما على يد ملك لكنه أضاف إلى نفسه
كقوله ونفخنا فيه من روحنا أضاف إلى نفسه نفخ الروح لما أن الملك نفخ فيه بإذنه وأمره تعالى كذلك هذا ويحتمل
أن يكون المراد بذلك الإلهام ألهمهما كقوله إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم كقوله
وأوحى ربك إلى النحل وإنما المراد الإلهام فعلى ذلك هذا والله أعلم وقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا أنفسنا
وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • أي ظلمنا أنفسنا حيث أوقعناها في الشدائد وكد العيش
في الدنيا والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقال بعض أهل العلم إن آدم عليه السلام أكل من الشجرة وهو ناسي
نهيه تعالى إياه عن كله منها فكان بأكله منها ظالماً لنفسه وعاصياً لربه وإن كان فعل ناسياً فإن النسيان
جائز المؤاخذة عقلاً وكان يجوز المؤاخذة شرعاً إلا أن الله تعالى تفضل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فرفع
عنهم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال قوم إنه ترك أمر ربه عمداً من غير نسيان لكنه تركه متأولاً خطأ
ما عرضه لا ندري كيف كان ذلك وقال بعض أهل العلم إن الخطأ والنسيان في الأحكام موضوع بهذا الحديث
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فقال لهم إنما تقولون في قتل الخطأ هل يجب الدية والكفارة
وما تقولون في رجل أفسد متاع رجل أو أحرقه ناسياً أو مخطئاً هل يضمن فإن قالوا ذلك لازم عليه قيل كيف
قلتم إن الحديث جاء في الأحكام وأنتم توجبون الضمان والدية والكفارة وقال بعضهم يحمل الحديث عندنا
أن الأمم السالفة قبل أمتنا كانت مؤاخذة بالخطأ والنسيان فيما بينها وبين ربها فرفع الله الحرج عن هذه
الأمة في ذلك تفضلاً منه علينا من بين سائر الأمم فأما الغرامات والضمانات والأحكام التي بين الناس فهي لازمة
لهم خطأ فعلوا أو عمداً والله أعلم وقال الحسن رض في قوله ربنا ظلمنا إلى آخر الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من
ربه يقول فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ثم قال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا الآية
وقال نوح رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين وقال إبراهيم عليه السلام
ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين الآية بعض ما ذكرنا من الآية يخرج على الأمر وبعضه يخرج على السؤال وكله على
السؤال لأن السؤال على الأمر وإن خرج ظاهره مخرج الأمر لأن الأمر ممن هو دونه لمن فوقه دعاء وسؤال ممن هو فوقه
لمن هو دونه أمر لكنا نمكنا من الملوك إذا أمر بعض خدمه أو بعض رعيته بفعل من الأفعال يلوم وإذا أمر بعض خدم

او دعته بلفظ الامر شيئا فهو ليس بامر ولكنه سؤال ودعاء وكذلك ما صدر من الانبياء عليهم السلام بصيغة
الامر في حق الله تعالى فهو سؤال ودعاء فان قيل ان الرسل عليهم السلام سألوا ربهم المغفرة لزلاتهم فلا يخلوا
اما ان لم يغفر لهم ذلك والمغفرة هو الستر كيف لم يستر زلاتهم حيث ذكرت وتذكر الى يوم القيمة وانما يكون مغفرة
بلا ستر قيل في ذلك من وجوه احدها ان المغفرة قد تكون في ستر الذنب عن الخلق بحيث لا يذكر فيما بينهم
لا يذكر فيما بينهم ولا يظهر عندهم وقد يكون ستره وتركه وهو ان لا يؤاخذ به ويتجاوز عنه والانبياء عليهم
السلام لما ان يكونوا تلك الزلات عظمت هي عندهم واستعظمت قلوبهم بتلك العظيم تلك عندهم الخطر
ببالهم عند سؤالهم المغفرة سترها عليهم في حق الناس وكتمانها عنهم وكانهم خطر ببالهم ستر اثرها والتجاوز
عنهم فاجاب الله تعالى التجاوز عنهم ورفع المؤاخذة بها والله اعلم والثاني انه يحتمل ان يقال لا ادبا فشاء
ذلك واظهارها انما لعظم عزهم والتنبيه لهم في ذلك ليعلموا ان الرسل عليهم السلام مع جليل قدرهم وعظيم
منزلتهم عند الله لم يخرجهم العتاب والتوبيخ لما ان يكونوا من دونهم احق في ذلك ويحتمل انه انما اظهرها ليعلم
انه ليس بغافل عن ذلك ولا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الى آخره دلالة على نقض
قول المعتزلة لانهم يقولون ان الصغاير مغفورة باجتناب الكباير من قولهم ان الرسل والانبياء عليهم السلام
معصومون عن الكباير وزلة آدم عليه السلام لا تسلنا انها صغيرة لما ذكرنا ثم قال وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين فاذا كانت الصغيرة مغفورة عندهم لم يكن لهذا النعت بمقابلها من حيث الحكمة حتى لا
يكون جائزا نقول آدم عليه السلام وان لم تغفر لنا كانه قال ان لم يغفر ظلمنا علينا لنكونن من الخاسرين
وهذا رخص من القول نعوذ بالله منه وقوله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو • عن ابن عباس رضي
قال هم آدم وحواء وابليس والحية وقال الحسن رض آدم ووسوسة الشيطان وانما قال ووسوسة الشيطان
لان من قوله ان الشيطان لم يكن في السماء وانما وسوس آدم وحواء من بعد فالامر بالهبوط لوسوسته وذلك
بقيت الوسوسة في اولاده من البعد الى يوم القيمة وقوله اهبطوا لا يفهم منه الهبوط لا محالة الا يرى انه
في آية اخرى اهبطوا مصرا اي انزلوا مصرا وقال بعضهم كانوا في السماء والامر بالهبوط انما كان من السماء من
ظاهر الاستعمال على مقابلة الصعود يدل عليه قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ولو كان الكل
في الارض لم يكن لقوله بعد الامر بالهبوط ولكم في الارض مستقر فائدة مستقرة الارض قيل ذلك ثم
في قوله اهبطوا بعضكم لبعض ان ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر مجموعا الا يرى ان الله تعالى
جمعهم في الامر بالهبوط بقوله اهبطوا ثم لم يدل على الهبوط معا ولا على الامر به معا فان ابليس اللعين امر
بالهبوط حين ابى السجود لآدم عليه السلام وآدم وحواء حين تناولا من الشجرة فدل بما ذكرنا انما سمى بعضهم
عدوا لبعض لان ابليس عدو لنا انما بالكفر وانما سمى هو لاكافر كل من سعى في هلاك العين فهو عدو له
وكذلك نحن اعداء له نبغضه ونعتقد مخالفته وعداوته ومن خالف من المسلمين شيئا من امره تعالى
لم يكن ذلك لولاية ابليس وموافقته ولكن يقع فيه لغلبة هواه وطبعه وقضاء شهوته ولكون السعي والله اعلم
وقوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين • قال الى منتهى آجالكم وابليس الى النفخة الاولى ويحتمل
ان يكون هذا الحين على الوقت ولكن على الدوام والقرار فيها وهو لا نشبه وقوله تعالى قال فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون • قيل في الارض تعيشون وفيها تموتون عند آجالكم ومنها تخرجون للبعث في القيمة
وقوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم • قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما انزل
ما القراح من السماء ليتخذ منه اللباس ما يواري به عوراتهم ويتخذ منه الطعام والاشياء التي بها قوام
انفسهم ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم لباسا اي انزلنا الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس والاطعمة والاشربة
والعلم بذلك ايضا فانه لولا ما انزل من السماء الماء والاسباب والعلم بذلك كله والا لا عرف الخلق كيف
يتخذ ذلك لباسا والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة لانهم لم يعرفوا هذه الاشياء الا بوحي
من السماء ولن يكون ذلك الا على رسول من الرسل عليهم السلام ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم اي جعلنا وانشأنا لكم ما يتخذون منها اللباس والطعام والشراب لتبقى على الاشياء لكن ان جعل
ذلك وهو كقوله جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل
تقيكم بأسكم وهو انه خلق لنا ذلك وانشاه فعلى ذلك هذا وفيه دليل خلق الافعال لانه انما صار طعاما
ولباسا وشرابا لا بفعل من العباد لا انه نزل من السماء هكذا ثم لما جعل ذلك دل انه خالق الافعال
التي بها يحصل ويتخذ هذه الاشياء والله الموفق وقوله تعالى وريشا • وقرئ ورياشا قال بعضهم المال
وقال بعضهم معاشا وقال القتيبي رض الريش والرياش ما ظهر من اللباس مثل الرداء ونحوهما ونحوها

ما ستره وقوله تعالى ولباس التقوى • اختلف فيه اهل التاويل قال الحسن رض لباس التقوى الذي قال
ابو بكر الاصم هو القرآن وقال الحياء العفاف وقيل الايمان وقال بعضهم لباس التقوى هو اللباس يتقى
به الحر والبرد والاذى كقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وقرأ العامة ولباس التقوى
بالنصب وقرأ ابن مسعود ولباس التقوى بالرفع على الابتداء منقطعا عن الاول كانه ذكر في الاول اللباس الذي
ثم ذكر وقال ولباس التقوى اي لباس التقوى خير من اللباس الذي ذكر لان اللباس في الدنيا والاخرة لان
المؤمن التقي العفيف الحيي لا تسوء له عورة وان كان عاريا من الثياب وهو كقوله تعالى فان خير الزاد
التقوى وعلى من نصب العادة يكون قوله ذلك زيادة في الكلام وانما قرأه العامة بالنصب بناء على قوله قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى اي انزلنا عليكم ايضا لباس التقوى على اختلاف
اهل التاويل فانه هو الايمان او الدين والحياء والعفاف ونحوها وكذلك اللباس الذي به يتقى الحر والبرد
والله اعلم وقوله تعالى ذلك من آيات الله • يحتمل قوله ذلك الذي اي الذي يتخذ منه اللباس والاطعمة والاشربة
من آيات الرسالة لان كل ذلك انما عرف بالرسل بوحي من السماء وهو ما ذكرنا انه دليل اثبات الرسالة
ويحتمل من آيات الله من آيات وحدانيته وربوبيته لما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع ما
بينهما من البعد دليل على ان منشئهما واحد ومدبرهما واحد اذ لو كان اشياء ما انسبق تدبيرهما لا اتصال المنافع
احدهما بالاخرى وكان يمنع واحد عن معاونة الاخر وقوله تعالى لعلهم يذكرون • اي لعلهم يوفقون للتذكير
ولعلهم يتقون اي لعلهم يوفقون للتقوى ولعلهم يوفقون للشكر لانه حرف ترجي ويحتمل ان يقال لكي
التذكير يلزمهم الشكر والله اعلم وقوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة • قال
بعضهم خاطب به اهل مكة في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم امره في ان لا يخرجكم من الامن
والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال بعضهم لا يفتننكم الشيطان الآية احذروا ان دعاه الى ما يدعوكم
اليه فانه يمنع عنكم في الاخرة الكرامة والثواب كما اخرج ابويكم من دار الكرامة والمنزلة وقال اهل التاويل
لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم الشيطان ولا يغوينكم كما فعل بابويكم اخرجهما من الجنة وقال الحسن اي
لا يفتننكم الشيطان بما هويت به انفسكم ومالت الى شهواتها فان السبب الذي كان به اخراجهما هو ميل النفس
الى الشهوات والاماني والفتون بالشيء هو المشغوف به يقول لا يمنعنكم عن دخول الجنة كما اخرج ابويكم من
الجنة وكان قصدنا العين ما ذكر على اثر من نزع اللباس وابداء العورة وهو قوله تعالى ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما يحتمل قوله ينزع عنهما لباسهما اي نزع عنهما وهذا في القرآن كثير يفعل بمعنى فعل ويحتمل على الاضمار كانه
قال اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ويحتمل ان المعرض من الستر هو ستر العورة لا ما احتيط له ولم يحتج
اليه فلما نزع من الستر ما هو لدفع الاذى من الحر والبرد والخجل وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
قيل جنوده وادعوا انهم لا يحدثون عن ابليس وادعوا انهم يرون ولا يرونهم فان قيل كيف كلفنا محاربتهم وهم يحيلون الينا
ويرونا ونحن لا نراهم من الاعداء لا يكلفنا محاربته من لا نراه اذ لا يقدر على القيام بمحاربته وليس في وسعنا
ذلك قيل انه لم يكلفنا محاربة انفسهم اذ لم يجعل للشيطان وجنوده السلطان على انفسنا انما
انما جعل لهم علينا السلطان في الوساوس بما يوسوسون ويصدوننا وقد جعل لنا السبيل الى معرفة وساوسه
بالنظر والتفكر وجعل لنا الوصول الى دفع وساوسه واسبابا جعلت لنا وكنا مكنا دفع ذلك بالاستعاذة
بالله كما قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الآية
وهذا ليس على اختلاف الحكمة ان الله عز وجل يكلفنا باشياء لم يعطنا اسباب تلك الاشياء بعد ان جعل
في وسعنا الوصول الى تلك الاشياء فكلفنا بالصلاة فان لم يكن على الطهارة ان جعل في وسعنا الوصول
الى الطهارة ونحو الامر باداء الزكوة وان لم يكن وقت الامر بوفي النصاب او نحو الحج وغيره من العبادات ان
كان لا يتصل الى ادائها افترض علينا الاتيان بها مع احتمال الشدايد وهذا ايضا يرد على من يقول ان لا يلزم الاوامر
والنواهي من جهل بها ولا يكلف الا بعد العلم بها وهو قول المعتزلة وذلك انه لو لم يلزمه الامر الا بعد العلم فلم
يكتسب اسباب العلم بالاوامر والنواهي والفرائض يتكلف حتى لا يبلغه ذلك فلا يلزمه فرض من فرائض الله
من العبادات وغيرها وهذا بعيد محال ان يمكن العاقل البالغ على التعاصي على نفسه والله الموفق
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون • هذه الآية حجة لنا على اهل الاعتزال حيث اضاف جعل الشياطين
اولياء الذين لا يؤمنون الى نفسه وذلك انه خلق فيهم فعل الولاية لما علم منهم انهم يختارون ولايتهم ويتولون
وكقوله انما سلطانه على الذين يتولونه الآية فدل على انه خالق فعل العباد هو الله تعالى واختلف اهل التاويل في
تاويل هذه الآية قال ابو بكر الاصم الخفل بن تعالى على وجوه لحنه ما بطرقه في التسليط لعظنا لهم السبب الذي به

ما دونوا اولياء لهم وهي القدرة التي تحصل بها الولاية التي يفعلهم على الاختيار ويجوز الاضافة بالسبب كما يقول الرجل
لآخر جعلت لك الدار والعبد والمال وانه لم يجعل له اعيانها ولكن اعطاه ما به يتوصل الى ان يحصل ذلك وهو اسباب
الوصول اليها فيضاف اليه فعلى ذلك ما اضاف الجعل الى نفسه لما انه اعطاه السبب والله اعلم وقال جعفر بن حرب الجعل
هو التخلية فخلى بينهم وبينها واولئك حتى عملوا ما شاءوا ولم يمنعهم عن ذلك فاضاف الجعل الى نفسه بسبب التخلية
فانه لولا التخلية منه وترك المنع والا لما قدروا على الموالاة كما يقال للرجل انك جعلت عبدك [illegible] اذ خليت
بينه وبين ما يفعله وهو قادر على منعه عن ذلك فلم يمنعه فاضيف كونه فاسدا او ضارا اليه لما تحصل ذلك بتخليته
فعلى ذلك هذا وقال الحسن رضي الله عنه ان من حكم الله تعالى ان من عصاه يكون عدوا له ومن اطاعه يكون
وليا له ومن اطاع الشيطان فهو وليه ومن عصاه يكون عدوا له فعلى هذا يكون تاويل قوله انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون بكل طاعة الكفار اياهم وقال عامة المعتزلة قوله جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون
اي حكمنا انهم اولياؤهم وعبارة الجعل عن الوجود ولكنا نقول لو جاز اضافة الجعل الى الله تعالى بما ذكر هؤلاء من التخلية
والتسمية لهم بذلك والحكم والتسبب لا الوجود لجاز اضافة ذلك الى الانبياء عليهم السلام فيقال ان
الانبياء جعلوا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون لانه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية لهم بذلك والحكم
ولم يقل بها احد فدل انه لا اضافة الى الله تعالى لما قلنا لا لما قلتم والله الموفق وقوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قال ابن عباس رض ليس كل معصية فاحشة لكن الفاحشة كل ما عظم قبحه
فاذا لم يكونوا ذلك يعني فاحشة وقال مجاهد رضي الله عنه فاحشتهم انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة فقال
[illegible]

قل ان الله لا يامر بالفحشاء [illegible]

اتقولون على الله ما لا تعلمون [illegible]

قل امر ربي بالقسط [illegible] واقيموا وجوهكم عند كل مسجد [illegible]

مخلصين له الدين ويشبه ان يكون الوجه كناية وعبارة عن الانفس كانه قال اقيموا انفسكم لله تعالى لا تشركوا فيها
لاحد شركاء وهو كقوله ومن يسلم وجهه الى الله اي يجعل نفسه سالمة لله تعالى وقوله تعالى وادعوه مخلصين
له الدين يحتمل الدعاء نفسه اي ادعوه ربا خالقا رحمانا مخلصين له بالتوحيد والربوبية والالوهية ويحتمل
قوله ادعوه اي اعبدوه مخلصين له الدين بالعبادة ولا تشركوا غيره فيها وتجعلوا او تدينوا بدينه الذي دعاكم الى [illegible]
به وقوله تعالى كما بداكم تعودون قال القائلون هو صلة قوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون كانه قال وكما
تعودون اذا بعثوا فقال تعالى كما بداكم اي كما خلقكم تعودون مثله اي يعيدكم بالخلق بعد الفناء ويحتمل ان يكون
موصولة قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فكان الاية تخرج على وجهين احدهما اي كما كنتم في الدنيا على الايمان والكفر
فكذلك تعودون في الاخرة على الايمان وعلى الكفر والثاني اي كما انشاكم في الدنيا وخلقكم لا من لا شيء فعلى
ذلك نعيدكم كذلك لا يعجزه شيء وقيل قوله كما بداكم تعودون هو من المبادئة ليس من البدو والابتداء لانه لا يجوز
انتقال الصبي كافرا او مؤمنا اذا لم يات بحقيقة في حال القيام بعقله لكن المراد هو الدوام والمقام قبل حين الموت
وهو السبب الذي يتحقق في الاخرة الاعادة وهو كقوله وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده ليس يريد بقوله يبدا تصويره لكن
كونه في الدنيا على الشيخوخة كما بداكم تعودون وقوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة اي فريقا
على الهدى بما هداهم الله تعالى بفضله وفريقا حق عليهم الضلالة بما اختاروا من فعل الضلال انه ضلهم خلق
منهم فعل الضلال كقوله يضل من يشاء وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون في الاية دليل لزوم الحجة والدليل في حال الحسبان والظن اذ كان
يحسبنا الادراك السعي الوصول اليه لانه قال ويحسبون انهم مهتدون فيدانهم عند انفسهم مهتدون لم يكونوا كذلك
وقد عوتبوا على ذلك دل ان الدليل والحجة قد لزمتهم وان لم يكن يعرف بعد ان يكون سبيل الوصول الى المعرفة يدل
قول من يقول بانه ليس لله تعالى ان لا يبلغ الا بعد العلم بها والمعرفة والله الموفق وقوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم
عند كل مسجد يحتمل ان يكون الخطاب بعد ان خرج مخرج الامر باخذ الزينة واللباس هو على النهي عن نزعها لان
اللباس يكون من اخذ الزينة وستر العورة عن بادي لها فاذا كان كذلك فهو على النهي عن نزع لباسهم وابداء
عورتهم وهو ما ذكر في بعض القصة عن ابن عباس رض ان اهل الشرك كانوا اذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم يقولون
لا نطوف في ثياب لا نتعاطى الذنب فيها وكنا اهل التاويل قالوا مثل الحسن وقتادة ونحوهما رضي الله عنهم انهم كانوا
يستعيرون من اهل مكة ثيابا يطوفون فيها فان لم يجدوا طافوا على ما ولدتهم امهاتهم فنهاهم الله عن ذلك
وقال خذوا زينتكم عند كل مسجد ولا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم وهو على النهي عن نزع الثياب وابداء العورة
فان كان التاويل ما قال ابن عباس رض وهؤلاء فيكون فيه اضمار كانه قال خذوا زينتكم عند هذا المسجد كما تاخذون
عند كل مسجد سواه واسمعوا عن نزع الثياب في هذا المسجد كما في غيره من المساجد وعلى ذلك قوله وكلوا
يخرج على النهي عما حرموا على انفسهم من انواع المطاعم والنعم التي احل لهم من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
ومن نحو ما حرموا من الزرع والطعام كقوله حرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها
الاية يخرج كلوا واشربوا على النهي عما حرموا مما احل لهم لا على الامر بالاكل والشرب لان كل احد يشرب ولا يدع
ذلك وقد ان يخرج على النهي لما حرموا كانه قال لا تحرموا ما تحرمون ولكن كلوا واشربوا وانتفعوا بها والله اعلم
وان كان على ابتداء الامر باخذ الزينة كما هو ظاهر الاية فهو والله اعلم امر باخذ الزينة في مكان العبادة و
انما امرهم بذلك لما في المسجد من اجتماع الناس للعبادة فامروا ان يستعدوا لهم هذا لما ذكرنا ان المفروض
من الستر هو ما يستر به العورة والله اعلم وعلى هذا يكون قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا اي كلوا واشربوا
واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوه فهو نهي عن الكثرة والا فوق الشبع او بما ذكرنا انه نهاهم عن التحريم
وترك الانتفاع بها في تحريم ما احل الله وترك الانتفاع به اسرافا انه لا يحب المسرفين لانه لا يحب الاسراف
والله اعلم ويحتمل قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد او صلوا في كل مسجد كرهنا لمن لا يرى الصلاة الا في
المسجد الذي هو مسجد جنة على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد ويحتمل
ايضا اي صلوا في كل مسجد وبكل مكان لقوله جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ويحتمل ان يجعل الزينة الصلاة
نفسها بقوله خذوا زينتكم والله اعلم وقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
قال ابو بكر الاصم رض الزينة ههنا هي اللباس لانه ذكر على اثر ذكر اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد
الطيبات من الرزق ما حرموا مما احل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك مما كانوا
يحرمونه من الانتفاع به كقوله حرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال الحسن رضي الله عنه زينته
الله تعالى هو المركب كقوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة جعل الله تعالى المركب زينة المخلوق كانوا

يحرمون ركوبها والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده اي المراكب والطيبات من الرزق اي لحومها وقال الحرم من اهل التاويل زينة الله ههنا الثياب وما يخرج من الارض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها وكقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت سمى ما اخرج من الارض زينة ويحتمل قوله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده على النهي والانكار على ما كان يفعله اهل الشرك من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة فقال قل من حرم ما حرمتم اذ لم يحرمه الله تعالى الا ترى انه قال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله اعلم لم يحرم ما حرمتم من هذه الاشياء ولكن حرم الفواحش وما ذكر ولم يذكر جوابهم انهم ماذا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق على وجهين يخرج ان قالوا حرم الله فيقال لهم بم عرفتم ان حرمه الله وانتم قوم لا تؤمنون بالرسل والكتب وان قالوا احلنا بتحريم الله تعالى فلان فيقال لهم كيف صدقتم فلانا في تحريم ذلك ولم تصدقوا الرسل فيما يخبرون عن ذلك مع ظهور صدقهم بذكر سفههم في ذلك وان قالوا انا حرمنا كبرا وتاه الاثام ونحو ذلك نفي كقوله كانه يقول ليس لاحد تحريم ما ذكر انما التحريم الى الله تعالى انما حرم ما ذكر وقد يحتمل ما ذكر ما اتصل من نزعهم الثياب عند الطواف وعن الطواف عراة ويحمل ذلك ان يخرج ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث والله اعلم وقوله تعالى قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة • اختلف في تاويله قال الحسن رضي الله عنه فيه هو كناية عن الطيبات انها حلال للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم الكفرة فيها فاما في الدنيا فقد شاركوهم وعلى هذا التاويل الاول قال الحسن رضي الله عنه ان الطيبات من الرزق للناس الابل الانعام ولحومها يكون الاية على التقديم والتاخير كانه قال قل هي للذين آمنوا خالصة يوم القيمة وفي الحياة الدنيا لهم جميعا وهو كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار ويحتمل قوله قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا لانهم لم يحرموا الطيبات التي احل الله لهم بل انتفعوا بها وحرم اولئك لم ينتفعوا بها فكانت هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا لما انتفعوا بها في الحياة الدنيا ويؤدوا شكرها دوم الآخرة وكانت لهم خالصة يوم القيمة وانما كانت خالصة يوم القيمة لما لا يكون لاهل الشرك في ذلك ملك المشرف للمعاد وقد كانت لهم في الدنيا لو لم يحرموها وانتفعوا بها ثم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق دلالة اباحة الزينة والتناول من الطيبات والله اعلم وفي قوله زينة الله اذا لم يفهم من قوله زينة الله ما يفهم من زينة الخلق لان زينة الخلق ما يتزينون به ويتحلون ولا يفهم ذلك في اضافة الزينة الى الله تعالى فكذا يجب ان لا يفهم من استواء الخلق ولا من مجيء الخلق لان استواء الخلق هو انتقال من حال الى حال ومجيء انه لا يفهم من استوائه ما يفهم من استوائهم كما لم يفهم من زينة الله وقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يشبه ان يكون هذه الاية خرجت مقابل قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى كما خرج آخر الآية وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي مقابل الاول وهو قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان والذي هناك نهي تحريم كالمنصوص على التحريم ههنا ويكون الفحشاء الذي ذكر ثم هي الفواحش التي ذكرت في هذه الاية والاثم الذي ذكر ههنا هو الاثم الذي ثم وذكر البغي ههنا وهنا الكلام الفحشاء هو الذي يظهر قبحه في العقل والسمع والمنكر هو الذي ذكر الانكار عنه على مرتكبه والاثم هو الذي ياثم فيه والبغي مظالم الناس يظلم بعضهم على بعض وقال بعضهم الفواحش من الكبائر والاثم من الصغائر وقيل هو احد ما عقيب من مال او نفس بعد الاسلام على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فكل ما صار بالاسلام من مال او نفس فاخذ ذلك بغي وظلم الا ما ذكر بحقها وقال بعض اهل التاويل الفواحش الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا لكن الصحيح ان الفواحش ما ذكرنا من قبح فعله في العقل والسمع فيهما هو فاحشة واصل المنكر ما لا يعرف لقول ابراهيم عليه السلام انكم قوم منكرون والمنكر ما انكر العقل والسمع والله اعلم وقوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ليس على انه ينزل سلطانا على الاشراك بحال ولكن بيان خاصية الاشراك انه مما لم ينزل به السلطان ولم تقم الدليل على حسنه اصلا واساسا كقوله ولا طائر يطير بجناحيه بيان خاصية الطائر لا ابانة القسم ان الطائر قد يطير بجناحيه وقد يطير لا بجناحيه فكذلك ههنا لم يرد به ان الاشراك ينقسم الى ما يقوم السلطان والحجة والى ما لا لكن فيه بيان على انهم يشركون بالله تعالى من غير حجة وسلطان بخلاف المسلمين لان اهل الاسلام يدينون بدين الله ظاهر الحجج والآيات وهم يدينون بدين لم يكن ظاهر الحجج والآيات ولكن ظهر بما هو ته انفسهم ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا لانه يجوز ان يعذر المرء بحال في اجراء كلمة الكفر على لسانه اذا اكره وقلبه

مطمئن بالايمان اي ليس يشركون بالله من لم ينزل لهم حال عذر والله اعلم • وقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون الحرم عليكم ان تقولوا على الله ما لا تعلمون ثم يخرج تاويله على وجهين احدهما على الجهل انهم يقولون على الله ما لا يعلمون بذلك جهلا منهم والثاني على العلم انهم يعلمون انكم تقولون على الله ما لا تعلمون ان ذلك كذب كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي يتنبئون بما لا يعلم انه ليس كما تقولون والله اعلم وقوله تعالى ولكل امة اجل • الاية اختلف في تاويله قال بعضهم لكل امة اجل اي لكل امة وقت بعث الرسل عليهم السلام اليها لا يهلكون ولا يعذبون الا بعد بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسول وكذبوه وعاندوه فعند ذلك يهلكون ويعذبون وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا ويحتمل اي لكل امة اجل لا يهلك قبل بلوغ اجلها فلا يستاخرون ولا يستقدمون يرد على المعتزلة قولهم انهم يقولون من قتل هلك قبل بلوغ اجله ويجعلون القاتل مستقدما اجل المقتول فقال اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يكون ساقطا لما الطام المنزل وقوله تعالى يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي • ويحتمل ان يكون حرف ما صلة وتقديره ان ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون آياتي يحتمل كقوله اما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ذلك قوله يقصون عليكم آياتي الحجج والبراهين التي تنفي الشبهة الانبيا فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • يحتمل فمن اتقى ما نهى به الرسل او اتقى المهالك واصلح فيما امر به الرسل عليهم السلام اي اذا اصلح امره وعمله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في ذهاب ما اكرمهم به من النعم ولا خوف لا تعترضها الفترة بانتقاص النعم ولا هم يحزنون بشبابه وفاته بحزن ان نعيم الآخرة على خلاف نعيم الدنيا ثم في قوله يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم بيان ان الله تعالى جعل على خلقه منا كثيرة ونعما عظيمة حيث بعث الرسل عليهم السلام اليهم من جنسهم من وجوه احدها ان كل ذي جنس وجوهر يستانس بجنسه وجوهره ويستوحش من غيره نعم عليهم حيث بعث الرسل عليهم السلام من جنسهم وجوهرهم ليستانس بعضهم ببعض ويالف بعضهم بعضا فيقبل احدهما القول ويدعي الا يتبع والاجابة والثاني بعث الرسل عليهم السلام اليهم من قومهم الذين نشوا بين اظهرهم وعرفوا صدقهم وامانتهم ليعلموا انهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة قط والثالث لو كان الرسل من غير جوهرهم وجنسهم لم يعرفوا ما اتوا من الآيات والبراهين انها آيات وحجج كما لا يعلمون ان نوعهم لا يبلغ هذا وطوقهم لا يصل الى ذلك اذا كانوا من جنسهم عرفوا ذلك اذا اتوا بشيء خرج عن وسعهم انها آيات والله اعلم وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • قال الحسن رضي الله عنه بآياتنا اي بديننا واستكبروا عنها ويحتمل بآياتنا اي بحججنا اي كذبوا بحججنا فاذا كفروا بحججه كفروا به لانه عز وجل لا يعرف من طريق الحس والعيان وانما يعرف من طريق الحجج والآيات والدلائل فيكون الكفر بآياته وحججه كفرا به ويحتمل ان يكون بآياته آيات الرسالة وحججها وقوله واستكبروا عنها عن التدبر فيها والنظر والسبب الذي يوجب لهم الكتاب ابدا فسموا اصحاب كذا لذلك كما يقال صاحب الدار وصاحب الدابة لانه يصحبها ابدا ثم لا يملك هو لا سموا اصحاب النار لانهم يصحبون ابدا والله اعلم ويحتمل آياته ههنا رسله عليهم السلام اي كذبوا برسلنا سموا رسله عليهم السلام آيات لان انفس الرسل كانت آيات للخلق تدلهم على وحدانيته لان الخبر الصدق دليل على وجود المخبر وقد اقام في انفسهم اعلاما وامارات تدل على صحة دعواهم الرسالة من صدق اللهجة فلذلك والتبرئة عن التزوير والخيانة ونحو ذلك والرسالة دليل صدق الخبر يقيني فلذا الرسل عليهم السلام من آيات الوحدانية والله الموفق وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا • انما هو حرف استفهام وسؤال لم يخرج له جواب لكن اهل التاويل عرفوا ذلك فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا جواب قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ثم قيل الافتراء هو اختراع الكذب من نفسه من غير ان يسبقه احد بذلك وهو كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن وليس الكذب فقد يكون مما انشاه هو بنفسه ومما قد سبقه به احد غيره ثم سمعه منه واخبر ثم افتراؤهم على الله تعالى يكون بانواع مما قالوا ان له ولدا ومما عبدوا غير الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ومما اضافوا الى الله تحريم اشياء حرموها على انفسهم ونحو ذلك من الافتراء فاخبر الله تعالى بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا سفههم وعنادهم وغاية جهلهم اي لا احد افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله علمه انه الغير وانه متقلب في نعمه واحاطت به اياديه واحسانه وقوله تعالى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب

احكف فيه قال الحسن رضي الله عنه من اطاع الله في امره ونهيه واطاع رسله فقد كتب له الجنة خالدا فيها ابدا فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتب له ومن عصى الله تعالى وخالف رسله كتب له النار خالدا فيها ابدا فهو نصيبه من الكتاب وهذا بنى على مذهبه ان العاصي صاحب الكبيرة منافق وهنا فهو مستحق الخلود في النار وعندنا ان العاصي الذي ختم على الايمان لا يخلد في النار بل هو في مشية الله بين ان يعفو فضلا وبين ان يدخله النار فيعذبه بقدر ذنبه وعاقبته الجنة لا محالة وقال ابو بكر الكيساني رح ينالهم نصيبهم من الكتاب اي حظهم من الجزاء والعقاب في الاخرة وهو قول القتيبي ايضا رض وقيل المراد به الحظ والنصيب في الدنيا ما كتب لهم من الرزق وانواع النعم يستوفون الذي كتب لهم ثم يموتون ويحتمل غير هذا الوجوه اي ذلك الافترا على الله تعالى كذبا هو ما حرفوا من الكتب وغيرها ثم اضافوا ذلك ونسبوه الى الله تعالى كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله الاية وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فصار ما حرفوه وما افتروه سيئة منهم يحملونها الى يوم القيمة وينالون جزاءه ذلك يوم القيمة وينالون جزاءه ذلك يوم القيمة والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم بحرف حتى يكون صلة وزائدة على تاويل من جعل النصيب الجزاء في الاخرة كانه قال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم على تاويل من يقول بان المراد النصيب المكتوب في الدنيا من الرزق يكون حرف الاتيان ليس بصلة ولا زائدة ويكون للغاية ومعناه اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان جاءتهم رسلنا والله اعلم ثم قوله يتوفونهم على تاويل من صرف النصيب اليهم اي يقبضون ارواحهم وهو ظاهر وعلى تاويل من حمل ذلك على الجزاء في الاخرة من يجعل التوفي النار يعني العذاب وان كانوا لا يموتون فيها كقوله تعالى وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي ياتيه اسباب الموت وقوله تعالى اينما كنتم تدعون من دون الله اي يقول لهم الملائكة في النار على هذا التاويل وعلى تاويل اولئك عند قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم والله اعلم وقوله اينما كنتم تدعون من دون الله اي اولئك الذين تعبدون من دونه وتقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وتقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيقول لهم الملائكة حين اخبر الله تعالى عنهم بقوله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ان كان المراد بقوله انهم يدعون من دون الله الكبراء منهم والرؤساء يكون المراد بقوله ضلوا عنا اي هؤلاء الكبراء شغلوا بامرهم عنا وان كان المراد بذلك الاصنام يكون قوله ضلوا عنا اي ضل ما كنا نطمع من عبادتنا اياها وبطل ما كنا نحسب بالهما وهو كقوله ءاذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا والله اعلم وقوله تعالى قال ادخلوا في امم اي مع امم وهو جائز في اللغة يقال جاء فلان في جنده اي مع جنده وقوله تعالى قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي المتبوعين والاتباع جميعا اي ادخلوا جميعا مع النار والعرب تضع حرف الخفض بعضه في موضع بعض كقوله فادخلي في عبادي اي مع عبادي ويحتمل ان يكون حرف في يراد به حقيقة كان المتبوعين يدخلون النار قبل الاتباع فيقال لهؤلاء الاتباع اذ دخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار وفيه دليل ان الكفار من الجن يعذبون في النار كما يعذب الكفار من الانس وقوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها اي لعن الاتباع المتبوعين لما دعاهم الى ذلك فهم عدو لهم لله وهو كقوله اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا وكقوله وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وغير ذلك من الايات وكذا لعن المتبوعين الاتباع لما ازداد لهم العذاب بكثرة الاتباع فلعن بعضهم بعضا وفيه دلالة ان اهل الكفر وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة وبعضهم لبعض كالمومنين بعضهم اخوة واخوات بعض وقوله تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا قال بعضهم من التدارك حتى اذا تداركوا وتلاحقوا فيها ولحق بعضهم بعضا وقيل هو من الدرك لان الدركات لا يزالون يهوون فيها لان في النار بعضها اسفل من بعض لا يزالون يهوون فيها دركا فدركا ولذلك سمي جهنم هاوية يهوون فيها فان كان على التدارك فهو كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو للتضيق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقيل اجتمعوا الملحق بعضهم بعضا ويلحق بعضهم بعضا وقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم يحتمل قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا ذلك الدين الباطل ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا ويحتمل قالت اخراهم اي الذين دخلوا النار اخرا لاولاهم القادة المشرعون ربنا هؤلاء يعني السادة والقادة اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وهو كقوله يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا اتهم ضعفين من العذاب

ويشبه

ويشبه ان يكون قوله قال لكل ضعف قال اخراهم لاولاهم ليس على القول بعضهم لبعض ولكن عليهم واللعن كقوله ربنا اتهم لعنا كبيرا فقال لكل ضعف قال بعضهم اي لكل ضعف في النار لانها لا تزال تزداد تعظم ويعظم ويكثر فذلك هو الضعف من الاتباع والمتبوعين جميعا وقال بعضهم لكل ضعفا في الكل من المتبوعين والاتباع ضعف ثم قوله قال لكل ضعف يحتمل ان يكون الذي قال لهم ذلك مالك النار وخزنتها ومن كان ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة بعد ان يقال لهم ذلك وقوله تعالى ولكن لا تعلمون اي ولكن لا تعلمون في الدنيا ان لكم ضعفا منها وقوله تعالى وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل قد ذكرنا تاويل الاخرى والاولى وقوله فما كان لكم علينا من فضل يحتمل وجهين ما كان لكم علينا من فضل في شيء فقد ظللتم ولم يكن لنا عليكم فضل سلطان ولا كان معنا حجج وايات فقهرناكم بها انما دعوناكم الى ذلك فاستجبتم لنا وقد بعث اليكم الرسل عليهم السلام مع حجج وايات فخلعتم حججهم وهو كخطبة ابليس اللعين كما اخبر الله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله تعالى وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الاية فقول هؤلاء القادة للاتباع والعادة جميعا ويحتمل قوله فما كان لكم علينا من فضل يعني في تخفيف العذاب ونحن وانتم في العذاب سواء لا فضل لكم علينا فيه فالتاويل الاول يرجع الى الدنيا والثاني الى الاخرة وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون اي بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب للايات وهو كقوله جزاء بما كانوا يكسبون ونحو يعملون ونحو ذلك وقوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم ابواب السماء اي ابواب الجنان لان الجنان يكون في السماء اي في العلو لا يرتفعان في العلى وفي السماء رزقكم وما توعدون نعم ما يوعد لنا من الجنة وقد اخبر انها في السماء الا بركاته قال ولا يدخلون الجنة اي لا يفتح لهم ابواب الجنان ولا يدخلون الجنان ايضا والله اعلم وقال بعضهم المراد من ابواب السماء حقيقة الابواب ومعنى ذلك ان اعمال المومنين يرفع الى السماء ويصعد اليها ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم ترد الى اسفل السافلين وهو كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال في الكافر رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا الاية فاذا كانت اعمال المومنين وارواحهم ترفع الى السماء وتصعد اليها اخبر انه لا تفتح لهم ابواب السماء ولا اعمالهم ولكن ترد الى السجين ويحتمل ان يكون التمثيل ليس على تحقيق السماء ولكن ذكر السماء لما ان السماء هي مكان الطيبات من الاشياء لا مكان الخبائث والاقذار واعمال الكفرة خبيثة فكنى عن اعمالهم الخبيثة بالارض كما ان الارض هي معدن الخبائث وكنى عن اعمال المومنين الطيبة بالسماء وهو كما ضرب مثل الايمان بالشجرة الطيبة الثابتة وفرعها في السماء وضرب مثل الكفرة بالشجرة الخبيثة فوق الارض ليس على ان يكون اصله ثابتا وفرعها على تحقيق السماء ولكن على الوصف بالطيب والقبول على التاويل الاول والله اعلم ثم قوله لا تفتح لهم ابواب السماء لا يستقيم مثل ان يذكر على الاستثناء بل الا بالايمان يخرج على تاويله نستحي ان يكون يخرج على سبيل التعويل قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ويشبه ان يكون هذا المعنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يرتفع اعمالهم ولا يدخلون الجنة بسبب تلك الاعمال فان قيل كيف خوفهم بما ذكر من شدائد الاهوال عليهم وجعل النار لهم مهادا ومن فوقهم غواش وهم لا يؤمنون بذلك كله فكيف عرفوا به قيل ان المراد خوف شيء فانه يخاف وقوعه بما يرد ذلك وان لم يتيقن عنده ما خوف به حتى يستعمل لذلك ونرى انه كان يحمل شيء من ذلك الخطر فحمل ذلك هو لا خوفوا بالنار والوان العذاب ان كانوا شاكين وغير مصدقين لما يجوز ان يخافوه ويهابونه ويحتمل ان يكون التخويف بذلك المومنين كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين ويحتمل ان يكون التخويف بذلك لمن امن منهم بالبعث لان من الكفرة من قد امن بالبعث والجزاء والثواب والله اعلم وقوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط هذا على الاياس انهم لا يدخلون الجنة ابدا كما لا يدخل الجمل في سم الخياط قال بعضهم حتى يدخل البعير في خرق الابرة وقال ابن عباس رض حتى يدخل الحبل الذي يشد به السفينة في خرق وقال ليس القراءة هو الجمل ذو القوائم ولكنه الجمل يعني الغليظ وهو حبل السفينة وقال ابن مسعود رضي الله عنه الجمل ذو القوائم وقال ابن عوسجة رضي الله عنه السم يعني خرق الابرة او المسلة والجمل الحبل والخياط الابرة والمسلة والله اعلم بما اراد بذلك وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي كل مجرم لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش الاية قيل المهاد الفرش والغواشي اللحف وقيل الغواشي ما يغشاهم في النار يحيط بهم من تحتهم ومن فوقهم ومن امامهم ومن خلفهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اخبر ان النار تحيط بهم وكذلك قوله يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة لا يتقي المحيط بهم العذاب يعني ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها قال ابو بكر الكيساني رح قوله لا نكلف نفسا ليس من جنس ما ذكر من قوله والذين امنوا وعملوا

الصالحات لكنه قوله يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح ثم قوله لا نكلف نفسا
إلا وسعها ولكن عندنا أنه يستقيم أن يجعل صلة ما قبله أي لا نكلف نفسا من الأعمال الصالحات إلا ما نكلفه
دون وسعها وطاقتها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال الحسن رضي الله عنه قوله لا نكلف نفسا
إلا وسعها أي الأعمال تسع ويحتمل هو صلة قوله وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله
لا يأمر بالفحشاء إلى آخر ما ذكر فقوله لا نكلف نفسا إلا وسعها أي لا نكلف نفسا إلا ما تسع ويحتمل الأمر بما يسع
ولا يحتمل والله أعلم وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل قال القتيبي الغل الحسد والعداوة وقيل
الغش والغل واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد ثم اختلف أهل التأويل أن نزع ما في صدورهم
من الغل في أي موضع يكون قال بعضهم ونزعنا ما في صدورهم من غل في الدنيا ينزع الله تعالى من قلوبهم الغل
يعني من قلوب المؤمنين العداوة التي كانت بسبب الكفر مع الذين يؤمنون ويجعلهم إخوانا بالإيمان وهو كقوله
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا الآية يخبر أنهم أعداء فألف بين قلوبهم بالإيمان الذي
أكرمهم به حتى صاروا إخوانا بعدما كانوا أعداء وقال بعضهم هذا في الآخرة ينزع الله عز وجل من قلوبهم الغل
الذي كان بينهم في الدنيا فيصيرون جميعا إخوانا كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين
ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم من الذين قال
الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الآية في علي وأبي بكر
وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود وعمار وسلمان وأبي ذر رضي الله عنهم أجمعين فينزع في الآخرة ما كان
في قلوبهم من غش وعداوة فيما اختلفوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان منهم ما كان فيدخلون
الجنة والله أعلم لأن الذي كان بينهم من الاختلاف في القتال والعداوة كان دينية لم يكن بحيث الدنيا
ومكان المذهب فذلك يرتفع في الآخرة ويبطل فأما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة وهي لا تزول أبدا
في الدنيا والآخرة لأنها عداوة الدين والمذهب وهي لا ترتفع أبدا ويشبه أن يكون قوله ونزعنا على ابتداء النزع
لا على ما كانوا فيه وهو كقوله يخرجهم من الظلمات إلى النور على منع الدخول في الظلمات على ابتداء المنع أي لا يدخلهم
من ذلك وإلا كانوا فيه فعلى ذلك قوله ونزعنا أي ما يجعل في قلوبهم الغل رأسا ولو تركهم على ما هم لكان منهم
ذلك والله أعلم وكذلك قال الحسن رضي الله عنه ليس في قلوب أهل الجنة الغل والحسد إنما هما غار وشين وإنما فيها المودة
والمحبة وفي الآية دلالة أن لله تعالى في فعل العباد صنعا لأن الغل والغش من فعل العباد فيمنون على ذلك ثم
أخبر أنه نزع ذلك عن قلوبهم فأساء منهم الشكر على ذلك بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ومنهم
من طلب الحمد على ما لم يفعل فقد طلب الحمد منهم على أن له فيه صنعا لذلك طلب الحمد والله أعلم وقوله تعالى
تجري من تحتها الأنهار ذكر هذا والله أعلم لما علم من طباع الخلق الرغبة في هذه الأنهار الجارية في الدنيا فيما
يقع عليها الأبصار فرغبهم في الآخرة بما كان طباعهم وأنفسهم يميل إلى مثلها في الدنيا ليرغبوا في ذلك فأمرهم ونهاهم
عن نهيه وكذلك جميع ما ذكر في القرآن من القصور والخيام والحور والعين والأكواب والأباريق وغير ذلك
مما رغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل أنفسهم إلى ذلك وعد لهم في الآخرة ورغبهم في ذلك والله أعلم
وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله قال الحسن رضي الله عنه قوله
هدانا لهذا أي دلنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أي لولا دلنا الله وأما عندنا فليس المراد بالهداية
هو هداية البيان والدلالة ولكن المراد هو الهداية التي أكرمهم الله تعالى بلطفه وفضله وهو توفيقهم
على فعل الهدى وكسبه أو خلق الهدى منهم باختيارهم لأنه خرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان المراد هو البيان
والدلالة لكان لا معنى لذكر المنة والتفضل لأن إقامة الدلالة على توحيده وصفاته وإظهار الدين الحق عليه
من حيث الحكمة والامتنان في فعل ما على الفاعل والثاني أن الأنبياء عليهم السلام وغيرهم وجد منهم الهدى
من حيث البيان والدلالة ولو كان المراد هو الهداية من حيث البيان والدلالة لم يكن للامتنان معنى وقد
وجد ذلك من غيره والثالث أن كل أحد يعرف من نفسه العلم بكونه الذي يهتدي غير حال الإبداع وقت ما اهتدى
الله تعالى وفقه وقد يجوز أن يكون المراد الإيثار على الهدى وقت البيان والدلالة والضلال الهدى مقابلة
دل أن المراد من الهداية ما ذكرنا والله أعلم قال بعض أهل العلم بأن المعتزلة خالفوا الله تعالى فيما أخبر وخالفوا
الرسل عليهم السلام فيما أخبر خالفوا الله تعالى وخالفوا أهل الجنة وأهل النار وخالفوا إبليس أيضا أما مخالفتهم
ومخالفة أهل الجنة فإن الله تعالى أخبر عن أهل الجنة أنهم قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
أن هدانا الله ترحيبا لنا بأن نعمل الخير في الدنيا ودعانا إلى ذلك والمعتزلة تقول ما هدانا الله ولكنا اهتدينا
وتحدث الهداية في أنفسنا باختيارنا لا بصنع الله تعالى في ذلك وأما مخالفتهم الرسل عليهم السلام قوله

ولا ينفعكم

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم وهم يقولون أن الله تعالى لا يريد الإغواء وأما
مخالفة أهل النار فإنهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم وهم لا يقولون بذلك وأما مخالفة إبليس قال رب بما أغويتني
فهو أعلم من المعتزلة وقوله تعالى لقد جاءت رسل ربنا بالحق يحتمل هذا وجوها يحتمل جاءوا بالحق أي بالدين الذي
هو الحق ويحتمل أو جاءوا بالأعمال التي من عمل بها كان صوابا أو رشدا وكل حق صواب ورشد ويحتمل أنهم جاءوا
وهو حق وصواب في العقول ويحتمل أنهم جاءوا بالحق الذي استحقه على عباده من العبادة وغيرها والله أعلم وقوله تعالى
ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون في الإشكال أن لفظة تلك إنما تستعمل إشارة إلى الغائب
البعيد عن المخاطب لا لمن يخاطبهم في الجنة فهذا قال هذه التي هي إشارة إلى الحاضر فيحتمل تأويله والله أعلم
ونودوا أن تلكم الجنة التي كنتم وعدتم في الدنيا وأخبرتم عنها هذه أورثتموها بما كنتم تعملون وفي الآية دلالة
خلق الإيمان فإن فيها دلالة أن الإيمان من جملة أعمال الناجين قال أورثتموها بما كنتم تعملون وفي الآية دلالة
خلق الإيمان فإن فيها دلالة أن الإيمان من جملة أعمال الناجين قال أورثتموها بما كنتم تعملون وإنما أورثت بالإيمان
وسائر الأعمال لا بالإيمان إذ ليس سائر الأعمال إلا بالإيمان وإنما ينال بالأعمال الدرجات ثم ذكر أنهم أورثوا
الجنة بما عملوا وإن كانوا نالوا بما تفضل منه لا بحقهم قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله لأن تشبعوا للناس أعمالهم فضل من الله تعالى إياهم حيث لم يجعل سعيهم هدرا والله أعلم
وقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قالوا نعم وما وعد الله تعالى المؤمنين هو الجنة وما فيها من النعم واللذات والشهوات بقوله ولكم
فيها ما تشتهي أنفسكم وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وقوله لذة للشاربين وما وعد الكافرين هو النار وما فيها
من الشدائد وأنواع العذاب فأقروا أنهم وجدوا ما وعدهم ربهم ثم قوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
إن كان المراد بالحق الذي ذكر بالوعد الذي وعدهم تفسير الصدق أي كونه وعدا صدقا وإن كان المراد
بالحق هو الموعود من الجنة ونعيمها فتأويله وجدتم كائنا حاضرا كما علمتم يقينا بالخبر وهو كما ذكر ليحق له
ليعلم الله الذين آمنوا أي ليعلمه حاضرا كما علمه معدوما وقوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على
الظالمين أي حقت لعنته على الظالمين الذين تعدوا في الدنيا ويحتمل قوله فأذن مؤذن بينهم يحتمل
الملائكة ويحتمل غيرهم وليس لنا أن نعرف ذلك إلا بالخبر وليس بنا إلى معرفته حاجة فإن قيل ذكر في الآية نداء أهل الجنة
أهل النار وأهل النار أهل الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون إلا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض
الجنة وسعتها ما روي أن أقل ما يكون لواحد في الجنة مثل عرض الدنيا وما ذكر أن حوراء لو نظرت
نظرة إلى الدنيا لأضاءت الدنيا من ضوئها أو نورها وكذلك من بعدها وعظمها وقد جاء في وصف النار أن شررة
منها لو وقعت في الأرض لأحرقتها أو كلام نحو هذا فإذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض
فهلا يتأذى أهل الجنة بالنار ولا ينتفع أهل النار بنعيم الجنة وإن كان بعضهم بعيدا من بعض كيف يسمع
بعضهم نداء بعض وكيف يكون هذا قيل إن كان بعضهم بعيدا من بعض فإن الله تعالى قادر أن يوقع نداء هؤلاء
في مسامع أولئك ونداء أولئك في مسامع هؤلاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل فريق نداء الفريق الآخر
ويحتمل أن يكون الله تعالى يعطي بصر هذا الخلق ويشبه في الآخرة على غير هذه البنية من حيث العظم والقوى
مع ارتفاع الآفات عن الخلق في جميع ذلك فيسمع بعضهم نداء بعض مع البعد الذي ذكر وينظر بعضهم إلى بعض
وبعضهم مع البعد المفرط لأن في الدنيا الآفات والحجب تمنع ذلك فإذا ارتفع ذلك كان ما ذكر والله أعلم
ويحتمل أن يقرب الجنة من النار والنار من الجنة بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء وهو قادر
مع ذلك أن يمنع أذى النار عن أهل الجنة ويمنع ريح الجنة ونفعها عن أهل النار ويحتمل نحو ذلك مع ذلك في
مسامعهم كيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه والله أعلم وقوله تعالى الذين يصدون عن سبيل
الله الصد قد يكون منع غيره وقد يكون منع نفسه وقوله سبيل الله دين الله وقال الحسن رضي الله عنه دين الله
الذي ارتضى لعباده وأمرهم بذلك ودعاهم رسله عليهم السلام وقوله تعالى ويبغونها عوجا
أي يبغون الدين الذي فيه عوج وهو دين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
والعوج التفرق الذي ذكر في تلك الآية ويحتمل أن يكون قوله ويبغونها عوجا أي طعنا وقد كانوا يبغون
طعنا في دين الله وقوله تعالى وبينهما حجاب يشبه أن يكون ما ذكر من الحجاب ههنا ما ذكر في آية أخرى
فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فأمكن أن يكون الحجاب الذي
بينهما هو السور الذي ذكر ثم والله أعلم وقوله تعالى وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال بعضهم
قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم لم يدخلوا الجنة حتى لا يخافوا عقوبته ولا ييأسوا حتى لا يطمعوا في رحمته

دخولهم فيها بل كانوا على الخوف والرجاء وقال بعضهم هم الملائكة لكن هذا ضعيف لان ملائكة الله لا يسمون رجالا لم يسمع ذلك والله اعلم وقال آخرون هم اهل كرامة الله تعالى اكرمهم بذلك ورفعهم على ذلك السور لينظروا الى حكم الله تعالى في الخلق وعدله فيهم بحاجاتهم والله اعلم وقيل هم الانبياء عليهم السلام وهذا هو الاشبه وهو ان يكونوا على الاعراف يشهدون للامم وعليهم ويشفعون فيمن شفعهم الله تعالى قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال بعضهم هم قوم نصبهم الله تعالى لمحاجة اهل النار كقوله قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون هذا والمسألة الحاجة التي يحاجون بها اهل النار ويحتمل قوم يصيبون بين اهل الجنة واهل النار يؤدون كلام بعض الى بعض ويبينون مخاطبات بعض الى بعض من ذلك قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية ونحو ذلك والله اعلم من هم فلا نقطع القول بشيء من ذلك ثم اختلف في تسميتهم اصحاب الاعراف قال بعضهم سموا اصحاب الاعراف لانهم على الاعراف وهو اسم سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع من الارض عند العرب اعراف وهو قول القتبي رحمه الله وقال بعضهم الاعراف من المعرفة لانهم عرفوا فعرفوا كعرف الديك والفرس مثل التاج وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن رضي الله عنه هم اصحاب المعرفة يعرفون اهل النار بعدل الله فيهم وتحكيمهم من الشدائد وانواع العذاب بما حل بهم لما كان منهم في الدنيا من صدهم الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل ثم يعرفون ما نزل بهم من ذلك عدل منه ويعرفون اهل الجنة بفضل الله تعالى واحسانه وانما نالوا بفضل منه واحسانه والله اعلم وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم قيل ان المؤمن يعرف ببياض وجهه والكافر بسواد وجهه ويحتمل ما قال الحسن رضي الله عنه انهم يعرفون بالمنازل والاماكن وقوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم وقوله تعالى سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم باللسان خاصة ولكن في كل كلام سديد وقول حسن وجواب وهو كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي سديدا حسنا وكذلك قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون قولا سديدا محكما فعلى ذلك الاول وقوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون قال عامة اهل التأويل هم اصحاب الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون دخولها وقيل هم الكفار اهل النار يطمعون ان يعطوا من نعيم الجنة كقوله ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله تعالى قالوا ان الله حرمهما على الكافرين في هذا الوقت كانوا يطمعون في دخولها والنيل منها ثم أيسوا بهذا القول وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون دخولها قبل ان يدخل اهل الجنة الجنة وقبل ان يدخل اهل النار النار وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قيل واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين من شدة ما رأوا من العذاب بعد ما نزل بهم وقيل واذا صرفت ابصار اهل الجنة تلقاء اصحاب النار ذلك وقت خروجهم من حوضهم وقيل واذا قلبت ابصارهم نحو اصحاب النار قالوا يعوذون بالله ربنا لا تجعلنا ربنا مع القوم الظالمين وقوله تعالى ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ان كان ذلك القول من الانبياء عليهم السلام او من اهل كرامة الله تعالى الذين كانوا على الاعراف فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة ومعنى التعوذ منهم من النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فيخافون التقصير كان منهم في شكر النعم ويحتمل انهم يتعوذون منها بالطبع وان كانوا مستيقنين بانهم اهل الجنة كما يتعوذ كل احد اذا رأى احدا في البلاء منه والله اعلم وقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال عامة اهل التأويل يعرفونهم بسواد الوجوه وزرقة العيون ويحتمل ايضا انهم يعرفونهم بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا سوى سواد الوجوه وزرقة العيون الا يرى انهم يخاطبونهم بقوله ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فلو لم يعرفوهم باثار كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يخاطبونهم بجمع الاموال والاستكبار في الدنيا ولا يقال للفقراء ذلك انما يقال للاغنياء الذين هم الذين يجمعون الاموال وهم المستكبرون على الخلق كقوله نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ويشبه ان يخاطب الكل وفيهم من قد جمع واستكبر وذلك يجاب هذا على تأويل من يجعل اصحاب الاعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم وقوله تعالى اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال عامة اهل التأويل اقسم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ولكن يكونون معهم فيقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء الذين اقسمتم الآية ويحتمل ان يكون القسم الذي ذكر في الآية كان منهم في الدنيا كانوا يقسمون ان لا يدخل الجنة فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه وانهم يعنون انفسهم كل خير في الدنيا فيقول لهم في الآخرة اهؤلاء الذين اقسمتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة وقوله تعالى لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قال ابو بكر الاصم رحمه الله الحزن في فوت كل محبوب والخوف في نيل كل مكروه كقول يعقوب عليه السلام اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب ذكر الحزن عند فوت محبوبه والخوف عند نيل المكروه

ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب والخوف لما سيصيبه من المكروه وقوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال الحسن رضي الله عنه الماء مما رزقهم الله ولكن وقع مكررا منه وقال ابو بكر رحمه الله طلبوا الماء والرزق هو الاطعمة ونحوها وانما طلبوا ليدفعوا عن انفسهم ما اشتد بهم من الظمأ والعطش ثم يقع لهم الحاجة الى الطعام لان الرجل اذا اشتد الظمأ لا يشتهي الاكل ويشبه ان يكون طلب بعضهم الماء وبعضهم الطعام البعض زعمهم الله تعالى هذا جائز وان لم نذكره وهو كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لكن من الفريقين جميعا هذا القول لكن كان من اليهود قول الا من كان هودا ومن النصارى او نصارى فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قول الكفرة للمؤمنين في الدنيا حين امروا بدفع المال الى الفقراء المؤمنين في الدنيا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فيقول لهم المؤمنون في الآخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمهما على الكافرين ثم قوله ان الله حرمهما ليس على التحريم شرعا ولكن على المنع حقيقة لان الكفرة لا يمتحنون بعدما نالوا دار الجزاء ما كان حلالا او كان على المنع حقيقة لقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل ليس هو تحريم حرمة ولكن منع الارتضاع حقيقة ويحتمل ان يكون المراد تحريم الاطعام على المؤمنين للكافرين من طعام الجنة ونعيمها والله اعلم بذلك وقوله تعالى الذين اتخذوا دينهم قال الحسن رضي الله عنه اي اتخذوا دينهم الذي كلفوا وامروا ان يأتوا به لهوا ولعبا وهو الدين الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة له وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لهو ولعب وكل من عمل لعاقبته فهو ليس بلهو ولعب وهم كانوا يعملون لا لعاقبة لذلك كان لهوا ولعبا ويحتمل ان يكون قوله اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم الملاهي التي كانوا يلهون به ويلعبون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لانهم كانوا ينكرون البعث وفي انكارهم البعث انكار الجزاء للحسنات والسيئات وفي الحكمة ايجاب ذلك فلم ير ذلك فهو لاعب لاه وقيل اتخذوا دينهم الذي كانوا به لعبا ولهوا لانهم يدينون به لا لعاقبة وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا قال بعضهم ان الحياة الدنيا لا تغر احدا وانما اضيف اليها التغرير لما كانت من اسباب الاغترار بها فاضيف اليها كقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء وقد يضاف الشيء الى سببه كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به لانه سبب ذلك وبعضهم قالوا اضيف ذلك اليها لما كان منها من الشيب والنماء فلو كان ذلك من ذوي العقل والتمييز كان ذلك غرورا من نحو التزيين وغيره ويحتمل ان يضاف التغرير اليها على ارادة اهلها فيكون الاهل مضمرا غيرهم اهلها وهم القادة والرؤساء والله اعلم وقوله تعالى فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا والاشكال ان النسيان آفة فكيف يضاف الى الله تعالى فيقال ان النسيان الذي هو آفة لا يجوز نسبته الى الله تعالى ولكن تأويله ان يقال انه يجزيهم جزاء نسيانهم فسمى الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثاني ليست سيئة وانما سماها سيئة لما هو جزاء لها فعلى ذلك هذا وكقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتداء ولكنه جزاء الاعتداء فسماه باسمه لما هو جزاؤه فعلى ذلك سمي الثاني نسيانا لانه جزاء النسيان فان كان الله تعالى لا يجوز ان ينسى او يسهو عن شيء او يغفل ويحتمل ان المراد منه الترك لان في النسيان تركا وكل منسي متروك فمعناه نتركهم في العذاب كما تهاونوا كما تركوا امر الله تعالى ونسوه في الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه ان الله تعالى لا ينسى شيئا ولا يسهو عن شيء ولكن المراد ان الكفرة يكونون من الكرامة والرحمة والمنزلة في الآخرة كالشيء المنسي وعن العذاب والهوان لا او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون قيل وما هاهنا صلة زائدة كانه قال وكانوا بآياتنا يجحدون وقال بعضهم ليس بصلة بل هي على ما ذكر انه ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا يجحدون بآياتنا وقوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه يحتمل قوله فصلناه اي بيناه والتفصيل التبيين ويحتمل اي فرقناه في انزاله لم ننزله جملة واحدة وهو كقوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث وفرقناه في الانزال على قدر النوازل ليعلموا حكم كل آية نزلت بالنوازل التي وقعت لهم لان ذلك اقرب الى الحفظ بحفظ النوازل او عاده او انزله مفرقا لان معرفة ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالتفاريق اهون وايسر على الطباع من معرفة ما فيه اذا انزل جملة وقوله تعالى على علم يحتمل وجوها يحتمل فصلناه على علم اي بيناه بالحجج والبراهين على علم منه ان الخلائق لا يقومون باتيان مثله ليعلم انه من عند الله نزل ويحتمل اي بيناه مفصلا على علم منه بمن يصدقه ويتبعه وبمن يكذبه ولا يتبعه ويحتمل على علم منه بمصالح الخلق انه انزل لمصالح الخلق او على علم منه بمعاملة القوم اياه انه لا ان المنفعة في انزاله المنة عليهم لا للرسل والمنفعة فيه

الردى والمنفعة لهم والله اعلم وقوله تعالى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • قال ابو بكر الكيساني رحمه الله اي
هذا الكل للمؤمن والكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة فاما عندنا فهو هدى للمؤمنين وعمى على الكافرين
على ما ذكر قوله وهو عليهم عمى خص المؤمنين بالهدى لهم لانهم هم المخصوصون بالانتفاع به دون الكافرين
فانه عليهم عمى وكقوله والله اعلم وقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله • اي ما ينتظرون الا وقوع ما وعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من وعد باس الله بهم او العذاب اي لا يؤمنون الا بعد وقوع الباس والعذاب بهم لكن
لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهذا استفهام على سبيل النفي والله اعلم تأويله تعالى الذين نسوه من قبل
قال ابنا قيل عاقبة الشيء وما ينتهي اليه الامر ويؤول اليه وما يقع بهم من كان شيء الموجود له فاذا اتاهم العذاب
يقول الذين نسوا هذا اليوم ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني بالحق الواقع بهم من
باس الله الذي كانت الرسل عليهم السلام بعد لهم اي ما اوعدوا من وقوع الباس بهم كان حقا ويحتمل قوله جاءت
رسل ربنا بالحق اي التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم السلام كان حقا والله اعلم وقوله تعالى فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا • كانهم اذا حل بهم وتحقق ما اوعدهم الرسل عليهم السلام تمنوا عند ذلك الشفعاء الذين
كانوا يعبدون في الدنيا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيعرفوا انما تمنوا
ذلك لما كانوا شاهدوا في الدنيا طلب الشفعاء اذا نزل بهم امر عظيم فيشفع بعضهم لبعض ويعين بعضهم بعضا
فعلى ذلك تمنوا في الاخرة فاذا ايسوا عن ذلك الشفعاء تمنوا اذ لا شفيع لهم فعند ذلك سألوا او نرد فنعمل غير الذي
كنا نعمل الا انهم قالوا مجموعا كقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الى قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
انهم قد خسروا انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا بعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل
عنهم ما كانوا يفترون في قولهم لا شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وغير ذلك
من الافتراء قد بطل ذلك كله عنهم وبقوا حيارى وانقطع رجاؤهم وطمعهم وقيل خسروا امن رحمة الله
وقيل خسروا اما وعدوا لو اطاعوا وقيل خسروا اهلكوا والله اعلم وقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام • قال الشيخ رحمه الله عليه ذكر خلق السموات والارض في مواضع
ولم يذكر ما بينهما في مواضع وذلك داخل على ما جرى التفسير في ذلك بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الذي صنع ذلك ثم قال وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ثم جمع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر واقيه وقال في اربعة ايام سواء
للسائلين ليعلم انه اذا خلق في يومين ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين فصار الجملة ستة ايام فقد ذكر
في الستة على التفاريق خلق السموات والارض وما بينهما من الرواسي والاقوات وغيرها فدل انه ذلك داخل
في الستة التي ذكرها في بعض المواضع والله اعلم ثم قال ثم استوى الى السماء الى قوله فقضاهن سبع سموات
في يومين فصير ستة الايام التي اعلمها في غير ذلك ثم بين عز وجل فساد قول كل من عبد غيره وعجز كل ذلك
عما له يعبد وجهله بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق بما فيه من اثار التدبير وعليه من دلالة التقدير
واستحقاقه جميع معاني الخليقة ودخوله تحت الصنعة وحاجته الى من احتاج اليه وقلة من اثار العبودة
فلا يستحق العبادة لما فيه من اثار العبودية من علامة الحدث والبقية لمثل ذلك يبعث على العبادة ويوجب
اظهار الذلة والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر وما لزمهم الفزع اليه في لهم الى الرب الحق بعد عوم
الى المعبود المتعالي عن الاشباه والاضداد وبما يوجب السنة المشاكلة ومخوف ذلك الحاصل الحق بعقل له شكل
وذلك اية الصنعة ودلالة الحدث وفي تحقق الضد خوف ذهاب وفساد وقصد محل الالوهية ويستحق
حق التحول تحت التقدير والقيام على ما شاء من له التدبير جل الله سبحانه عن توهم ذلك فالزم من نعمته الحاجة الى
معرفته ودعته الخلقة الى العلم بمن انعم عليه واختصه من بين كثير من خلقه بما ركب فيه ما به تتبين عزه ويعرف
قدر النعم عليه لمن كرمه ليشكر له فيما اولاه ويحمده على ما اعطاه فنبه بالمهاد ذلك على لسان رسوله الذي
عز خلقه بما نصب من حججه فقال انه ربكم الله الذي لا رب لكم سواه ولا احد من الخلائق وهو الله الذي لا اله
لحجهم اليه العبادة في الحقيقة وليؤدوا اليه شكر ما انعم عليهم وان كانت نعمه اعظم من ان تشكر بالعبادة
وحقه اجل من ان تقوم به العباد ولو كان الله تعالى لم يرد من البيان على ربوبيته والدليل على الوهيته سوى ما
بلسان رسوله عليه السلام نعدل الايضاح انه لا ينطق الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان ذلك بيانا شافيا
لكنه تفضل برحمته بين الادلة التي تحقق ذلك ويعلم انه كما جاء به رسوله عليه السلام لا انه الحق وبكل
العقل فقال عز وجل الذي خلق السموات والارض الى اخر ما ذكر من دلالة الخلق مما ذكر فيها ذكر من اثار التدبير وعجيب التقدير
الذي به تلائم كل من يحتمل المنافع والمضار واتصال ما بين السماء والارض على تباعد بعض من بعض في المنافع مع جميع

الاضداد التي من طبعها التباعد في اصل ما ذكر حتى صارت كالاشكال العدان كانت السموات والارض متشبهة
لا يشعر بما صنعهما من الحكمة ولا بالذي فيهما من الاية من اي وجه يقتضي الحاجة ليدل ان مدبر الكل واحد وانه عليم
حكيم وضع كل شيء موضعه ودل لكل ذي عقل على الوجه الذي يطيق بحاجته ويقيم وجوده ويصل الى نفسه ويحرك
ذكر يصير كلا من ذلك حاركا ذا بيانا بما لا ينتفع هو به ولا مصنع عليه فيعلم انه لغير تدبر ولحاجة غيره سير وكذلك
حمل على القرار وامسك عن الزوال من غير ان كان له في حقيقة في احد الوجهين نفع او ضر ليعلم ان مدبر ذلك
جرى لا له ولكن لاهله الممتحنين الذين بهم يظهر العز والشرف ويتبين الكرم والجود وتعظيم الملك والسلطان
اذ عندهم يتبين الاحوال من تفريق الامور وتوجيه كل الى حقه واعطاء كل ذي فضل فضله ليعلم من هذا وصفه
انه لم يفن شيء عبثا ولا خلق باطلا اذ به معظمهم كل خلق ويشرح دلالة كل جليل المجرانه لم يثله فيكون خلق
الجميع لغير شيء معنا في ذلك من فناء نور سيد ما الكل في الحكمة العقل وضده مثله عبث فثبت انه خلق للمحنة وليكون للبقاء
ولكن جعل البقاء جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو منتهى ولو جعل الدنيا دار بقاء وهي دار محنة ابدا لبطل
القول بالجزاء يكون بعد الفراغ من العمل اذا كانت المحنة باقية كان العمل واجبا ابدا لا يمكن القول بالجزاء فيبطل
الجزاء فيعظم المقصد في الابتداء اذا فسد ان يجعل المحنة للبقاء فدل على حاجة الممتحن مما فيه من السر والجزاء
اذ حال التقدير به على ما له الجزاء والله الموفق اي اذا جعل دار الدنيا للامتحان على سبيل الدوام يكون خلقها
لحاجة الممتحن اذ ذكر به نفسه كمن امر عبده في الشاهد التكليف والمحنة لحاجة الى ذلك والله تعالى غني بذاته
عن الحاجات ثم الاصل انه تعالى جعل العقل لجزء من عالمه وجعله دليلا لاهله في معرفة المحاسن والمساوي و
علما للتمييز بين الحكمة والسفه وبين الاتقان والعبث وجعله الذي يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه
فيه من المزهود فيه فلم يجز ان يكون انشأ كل العالم على غير الحكمة لانه سفه وهو بالذي هو جزء من العالم يعلم
الذميم من الحميد فثبت انه انشأ للحكمة وعلى ذلك يقدر كل ما قل على احتمال ما يضره وينفعه بحق الجزاء والمحنة
فثبت ان ذلك المحنة ثم الهلاك بلا جزاء ولا يقع للممتحن عبثا ايضا وسفه فلزم به القول بالبعث والبعث دار
معما كان لكل ما شاهد بكل غائب يحمد عليه او يذم وكذا اصل كل ذي عقل انما هو لعاقبة عليه ويعقل عنه فيذم عليه
عليه فعلى ذلك امر تدبير هذه الدار من جرى لا يجوز ان يخلي الجملة عن الدلالة ولا يخلو كل جزء منها او جملة
الافضال من العواقب والاول منها اذا خرج بقي عبثا وسفها فثبت ان الذي ذكر القول بالتوحيد والذي
والدار بان ذا بها يعرف العواقب بما هي عليه وحقائق كل غائب يعرف بالاخبار عنها او الدلالة عليها ثم لا دلالة
على ماهية الجزاء ولا الشكر ولا العبادة بما الدلالة تقتضي حيثيا لتدبر على العلم بها جملة لزم القول بالرسل ولا
قوة الا بالله ثم قوله في ستة ايام يحتمل وجهين احدهما خلق اصول الاشياء التي يكون غيرها بحق التوالد من ذلك
والانقلاب ويحتمل على خلق السموات والارضين وما بينهما من الجبال والجبال مما عليه تركب هذا العالم
الى ان يبدل ربنا لم اخر لا يتبدل ولا يفنى فان كان في الاول لهو الستة من الستة التي عليها مدار العدد والذي
اذ جعل كل ما تاوه جميع ما ذكر من الحالين يحسب الازمنة والاوقات والعدد هاه كذلك عندنا كل الحوادث
لكل منها بدء يصير ذلك وقتا سابقا وذلك نقض على الباطنية في قولهم المبدع الاول لا يقع في الزمان والمكان
وانه لا يعيد ولا يفنى لو كان كيف لم يكن مبدعا ولكن كان قديما لا يقع عليه الابداع فلما وقت ثبت له البدء
وقصدت وصفه بالوقت من حيث الابتداء وهو ايضا معلول عندهم وعلته فيه وهو الابداع بما لو زال التعليلة
لما دوا ذا ابيت انه معلول شيئا ان علته وحيثيته فاحدثته بعد ان لم يكن فوجب له وقتيه كما ذكر كان فيه والله اعلم
ثم على هذا كان ذكر الاشياء مما ذكر في الايام الستة ولم يذكر في ذلك ممتحنا فيشبه ان يكون وقت كون الممتحنين
المخاطبين يوم السابع وبهم تم ظهور الملك فاستوى على العرش وهو الملك اذ لم يكن قبل ذلك من له التمييز معرفة
الملك والسلطان وقدر العلم بالحامد والمعاني واضداد ذلك بما يكون لنا ولئك الذين ركبت فيهم العقول
والزموا التمييز ولا امثالهم جعل العالم وهم المقصودون من الاشياء كذلك جعل كل شيء سواهم مسخرا لمنافعهم
داخلة تحت افهامهم بتدبير ما تحصل بذلك العلم نفعه صدورا لانفسهم ولمعرفة ما عليهم من النعم
والعبادة فكان بهم تمام ظهور الملك ببلوغ النهاية واخبر بالاستواء اذ هو وصف بالرفعة ووصف في الرتبة
والقدر وهو كقوله فلما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وذلك معنى الاستواء على العرش من حيث ظهور
الملك ببيان الحجة والربوبية للمستدلين والمعتبرين والله اعلم فان كان ان الاول هو الثاني فيخرج على وجهين
احدهما ما قال بعض اهل التفسير ان كل يوم من الايام الاخرة وذلك الف سنة فلم يبين لنا مقدار ذلك فجائز
ان يكون منتهى تدبير هذا العالم الى ذلك ستة ايام يعني ستة الاف سنة على العدد الذي قدره الله تعالى ثم يكون
السابع هو يوم القيمة لا يتبدل ابدا ولا ينقضي فيه تبدل العالم ويظهر كل متحل له بالملك له والجلال وان كان كذلك

في الاول فيقع في للساعات من الاخبار والعلم بذلك من كل جبار وغيره وعلى نحو ما قيل لمن الملك اليوم الا لله وقيل وبرزوا لله وقيل والامر يومئذ لله ونحو ذلك على ان الملك له ابدا وقد كان لم يكن يخفى عليه شيء لكن ذلك بما تعلم كل انه كذلك فبذلك يتم ظهور كل معنى من ذلك وان كانت حقيقته موجودة قبل ذلك وبالله التوفيق وعلى ذلك القول حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونحو ذلك انه اذ ذاك يظهر لكل معلومة واضيفا اليه بحرف الابتداء وهو على ذلك متعالى على هذا جميع ما بينا فذلك ظهور بتمام شرائط الملك والاعراض من الكل بذلك والله اعلم والثاني ان يكون ملك الايام الستة على ما في علم الله تعالى بتقديرها لا يعلم احد سواه الا من طريق الجملة ادعو تدبير يحسن الف سنة وبيوم كالف سنة مما لا يعلم غيره ثم كان يوم السابع يوم تبلى السرائر ويقع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم الاول فيكون ذكر من تمام الظهور والله الموفق على هذا او قيل ان الله تعالى قال يحملون العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فكيف حمله على الملك فيقال لهم ليس المراد من هذا العرش ما هو المراد في قوله الرحمن على العرش استوى اذ جائز ان يكون هذا السرير المعروف المنشأ من النور بعد ما شاء تكريما به اولياءه يوم القيمة والاول هو الملك الذي يظهر بتمامه على ما بينا ثم لو كان العرش المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى هو ما فهم اهل التشبيه من مكان لم يكن يجب ان يفهم من الاستواء عليه الاستقرار وان يكون لله تعالى مكان يوصف بالكون فيه وعليه لانه ليس في كون احد في مكان دليل جلالة قدره وعظم بعضه ولا انا نتعارف من حال الملوك الاجلة بل كل منسوب الى مكان من جهة التمكن فيه والقرار منسوبا الى استعانة وحاجة منه اليه مع ذلك على انه لا يخلو اما ان يكون العرش مثله او اعظم منه فيكون له عديلا في العظمة واما ان يكون دونه فمن التخف الجلوس على مكان لا يطمئن به ويقصر عنه مما قد يعاب انه لم [illegible] فيكون اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالى بل كان ولا مكان [illegible] عن الاستحالة والتغيير اذ هما اثار الحدث واما [illegible] ولا قوة الا بالله ثم الاصل انه لو كان تنويها باضافة الله تعالى الى العلو عليه تعظيم له وعلى ذلك كل شيء يضاف الى الله او الله اليه من جهة الخصوص فهو على تعظيم ذلك لا على ان يفهم منه ما يفهم مثله من الخلائق نحو العقل الكتاب لله وناقة الله وبيت الله وحدود الله ونحو ذلك المشبهة فهمت من اضافة الاستواء على العرش المعنى المكروه على الاحتمال الاستواء معانيه الذي ذكروا اذ كان يقال استوى ثم واستوى قصد واستوى علا واستوى استقر واستوى استولى فاذا كان معناه يتوجه الى هذه الوجوه لم يحتمل ان يكون بعد رموز [illegible] ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل به ثم الاصل ان لا شيء فالى الاشياء يعرف المقصود بها وان كان في ظاهر المخرج واحدا باختلاف من اليه القصد به الاضافة والاضافة جميعا يقال الخالق [illegible] وقيل في [illegible] وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وقال انتم الفسقة اولئك اصحاب النار ونحو ذلك الا على نعم في المعنى واحد الاستواء الذي يتوجه الى وجوه نحو ذلك والله الموفق ثم قد قيل في قوله استوى على العرش وجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم [illegible] على التقديم والتاخير كان قال الذي [illegible] الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها [illegible] وقد منها زوجها وعلى هذا البلخي في قوله ان ربكم الله الذي استوى على العرش انه في الاول كان لم يكن [illegible] اذ وقعت على ربها اذ اصرف على شبهة فيكون قوله وقد استوى وخلق العرش كقوله ثم استوى الى السماء [illegible] خلق السماء لو قصد خلقه ونحو ذلك والله اعلم وقال الحسن رضي الله عنه ثم استوى على العرش اي استوى عليه امره وصنعه [illegible] صنع العرش [illegible] امره وان كان امر غيره وصنعه وهو كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على استواء الامر في التدبير والصنع والله اعلم وقال الحسين [illegible] معناه استوى على العرش يقال استوى فلان على بغداد بمعنى استولى [illegible] الموفق وقال قوم معناه استوى عليه وهو فوق كل شيء في القدر والعظمة تعظيما له على غير [illegible] عليه والتحقيق بينه وبين غيره كالذي ذكرنا بان الامر كله يوم القيمة له [illegible] على التفضيل دون تخصيصه [illegible] من حيث ذلك والله اعلم وقال قوم اذا كان العرش فوق كل شيء في تقدير المعارف فقال هو [illegible] لا يوصف في الخلق ولكن على ما كان ولا حول ولا قوة الا بالله ونحن نقول وبالله التوفيق قد ثبت من طريق الدليل بانه استوى على العرش وقد لزم القول بانه ليس كمثله شيء وعلى ذلك اتفاق القول ان لا يعقد بكلامه [illegible] من كلام الخلق ولا فعله به ولا بعلمه [illegible] كذا الاراد به المفهوم من الخلق لكن الوجه الذي يليق به ما يوجبه حق الربوبية [illegible] ثم يلزم تسليم الذي اجملنا عنه اذ لم يبينه لنا وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول بالمكان [illegible] بالذي يحتج بوجوه احدها ان قوله ثم استوى على العرش اخبار عن فعله الذي [illegible] في خلق الخلق على اختلاف المخرج وتعاون الالفاظ على ذكر [illegible] مرة ابدع ومرة فطر ومرة جعل وانزل وانبت وكتب ونفخ واعطى وانشا ونحو ذلك من الالفاظ

وحقيقة ذلك بالخلق اذ ذلك معنى فعله في الحقيقة وعلى ذلك يكون وصل كلام في بعض المواضع ثم يجب توجيه كل واحد من هذه الالفاظ الى الوجه الذي يليق فيه العقل بالخلق وكذا في هذا اصل [illegible] وايقن واحكم ونحو ذلك وكذلك في قوله ثم استوى على العرش يجب ان يقال ذلك بالخلق اذ هو اضافة الى فعله ثم يخرج على وجهين احدهما انه خلق العرش ورفعه واعلاه بعد ان كان العرش على الماء كقوله وكان عرشه على الماء وكقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس [illegible] ثم ينتقل من حال الى حال اذ لو كان كذلك لكان [illegible] حيث ينتقل من خلق الى خلق فيما يخلق حتى يكون في الوقت الذي يصير الى العرش صائرا الى الثرى وفي الوقت الذي يحدث خلق ما فوق وما في السماء متنقلا من ذا الى ذا وذلك متناقض فاسد وفي ذلك بطلان معنى القول بالاستواء على العرش بل يكون ابدا غير مستوى عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدا اذ هو في الانتقال ابعد وذلك متناقض فاسد جل الله تعالى عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون قوله ثم استوى على العرش اي الى العرش في خلقه ورفعه وتمامه ويحتمل ان يكون على ارادة الى اذ هما من حروف الخفض وقد وضع بعض موضع بعض قال الله تعالى اذا اكتالوا على الناس وقال اذ دخلوا على داود [illegible] وعند ربهم كما قال الله تعالى ثم ان علينا بيانه اي الينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل يعني اليه فعلى ذلك قوله ثم استوى على العرش اي الى العرش وهو على الماء كما ذكر وكان عرشه على الماء فرفعه واتمه كما قال ثم استوى الى السماء وهي دخان فخلق ما ذكر والله اعلم والوجه الثالث ان المذكور في الاية من اسم الرب بقوله ان ربكم وخلق ما ذكر بقوله الذي خلق السموات في ستة ايام وتسخيره ما وصف بقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وتغشية الليل النهار بقوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ثم لم يتوهم في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف الى الخلق في هذه الاشياء ان علا ما ربك كذا او سخر كذا او فعل وصنع كذا ملحد ولا موحد فكيف احتمل عند المشبهة قوله الرحمن على العرش استوى لولا جهلهم بالله تعالى وتقديره بالذي عليه امر نفسه والله الموفق وكذا الناس الناس في خلق الله مختلفون فمنهم من جعل خلق الله تعالى هو نفس المخلوق دون ان يكون لله تعالى بذاته بخلقه وصف يستوي اضافة الخلق اليه فان كان [illegible] ولم يكن خالقا فيما [illegible] القائل انه ليس بوصف له حتى يكون صفة حادثة تقوم به بعد ان لم يكن وانما يحدث في اضافتنا المخلوق اليه فعلى ذلك قوله ثم استوى على العرش انما هو ما ذكر من غير ان كان لله تعالى بالحقيقة وصف لم يكن له فيجب انكاره لما يتضمن حدوثه الاستواء الذي هو صفته ان الاستواء ليس غير المستوي عليه فلا يؤدي الى القول بحدوث صفته وتغيره وتبدله من حال الى حال كما يفهم منه [illegible] خالقا بذاته في الازل لتكون جميع الخلائق الى الابد بتكوينه الذي يعبر عنه بقوله كن من غير ان كان ثم كاف ونون فيكون كل شيء من غير تغير عليه ولا زوال كان عليه اذ لا شيء غيره اذ كل من لو حقق وجب تغيير عليه [illegible] ونحو ذلك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ ذلك علم الحدث وامارة التغير ولا قوة الا بالله والرابع وهو الذي يرى [illegible] على ما عليه فعل الخلق من الحركة والزوال والسكون والقرار بجهل اضافة العرش اليه بمعنى الاستقرار وتخصيصه بمكان دون مكان وحال دون حال الا ما استثنا كذلك نبطل القول بالمكان في جميع الاقاويل ولا قوة الا بالله وايد الذي ذكرت ما ختم به الاية من قوله تبارك الله رب العالمين [illegible] وصف ذاته بالربوبية وبالتعالي من جميع معاني المربوبين اذ من حيث التشاكل من جنس وجه من ان يكونه بما الاخر من ان يكون مربوبا فاذا ثبت ان كل شيء من كل وجه مربوب يجب مجانبته من كل وجوه الموفق ثم في قوله خلق السموات والارض في ستة ايام على وجهين احدهما باضمار ما بينهما على ما جرى الذكر في غير نحو قوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام حتى يكون الايات على الموافقة فان الله تعالى نفى الاختلاف عن كلامه بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والثاني على اخبار وبيان لا ابتداء وقتا لكون العالم وجميع الخلق بقوله خلق السموات والارض وما بينهما الى الانتهاء لا على تحقيق ذلك كله من كل وقت كما يقال بنى فلان الدار في شهر كذا لا على احاطة كليه اجزاء الشهر بكلية ذلك لكن على بيان ابتداء كونه الى الانتهاء والتمام فيكون معنى قوله في ستة ايام ومعنى التوقيت بالايام ليس على الحاجة الى ذلك فان فعل الله تعالى لا يتعلق بالوقت نظرا [illegible] الا ان الوقت داخل في جملة الخلق فلو كان خلقه للاشياء يقتضي زمانا ووقتا لكان خلقه للاشياء يقتضي زمانا ووقتا لكان خلقه الزمان يقتضي زمانا آخر فيؤدي الى ما لا يتناهى لكن ذكر الوقت يخرج لوجوه وان كان الله تعالى قادرا على انشاء جميع ما ذكر بدفعة واحدة ووجهان ما ذكرنا احدهما انه ذكر الايام لما كان عليها مدار مدد الخلق واصول ما عليه تبنى الاعمار والثاني على بيان منتهى العالم وهو ستة ايام او يريد بها ستة الاف سنة على ما ذكرنا والثالث في ذكر الايام اخبار ان الخلق كله بحسب [illegible] الزمان تعدد خل فيه مع علو [illegible] كثير منهم وجلالة اقدار [illegible]

حتى لا احد ينظر اليهم الا بعين الاجلال والتعظيم حتى دام تكبر منهم امر تدبير العالم وسياسة الخلق
وحتى عبدوا من دون الله تعظيما مع ما فيه دلالة خروجه عن الاستحقاق وهو سمات الحدث وامارات النقص وهم
الله تعالى داخلين تحت الازمنة والمدد معهودين بها حتى لو اريد بكل جهد تحويل امر شيء من ذلك او تبديل
بعض ببعض من تبديل الشتاء بالربيع او الزيادة في البعض دون البعض وتخليص الجبابرة عن بعض ذلك
حتى لا يلحقهم حر الصيف او برد الشتاء لما تهيأ لهم ليعلم ادلة الخلقة وامارة الحدث وعلامة الحاجة
فكان بيان ذكر الايام ليحول الخلق خبرها وانه لا خلاص لاحد منهم عن ذلك ثم كانت الاوقات متعادية
متتابعة لو اسقطت منها الاولية لبطل الكل ولما جاوز الحساب على الوهم انتهى الى ما هو بعيد المضي ليعلم
بداولية كل شيء من العالم وحدثه مما جعلت الايام يتقدر على امر واحد وشيئين واحديها احاجة لجميع المحتاجين
ممن ذكر شيء كذلك وضعت لها اسما معروفة في الايام والشهور والسنين ونحو حتى يحقق مقصدهم على الانتساب
اليه باسمه المعروف ليحفظ به المواعيد فيجزها ويعلم به ما يجب لذي الحقوق المؤجلة وما يبطل بانقضاء
ذلك الوقت ووجوده ولو كان قديما لكان واحدا لا يحتمل الانقضاء والتعدد ولم يتحقق حينئذ هذه الحوايج
وبالله التوفيق ثم الاصل اذ جعلت هذه الدار دار المحنة والمحنة انما يكون بمختلف الاحوال جعلت الاحوال
مختلفة من نحو موت وحياة وصحة وسقم وغناء وفقر ولو كان جميع الخلق على حال واحدة منها يكون جهلا
باضدادها فان من دام على الصحة يكون جاهلا عن المرض فلا يتم له شكر الصحة في ذلك الجهل باللذات والآلام
فيجب لذلك اختلاف الاحوال ليكمل الشكر وعلى ذلك امر الايام الذي فيه من السعة والضيق وغير ذلك فعلى
ذلك امر خلق ما ذكر في الايام مختلفة تحقيقا للابتلاء ثم يجمع الكل في البعث مرة واحدة وفي حال
اما حال اللذة ان كان من اهل الجنة واما حال الشدة والعناء ان كان من اهل النار دون اختلاف الحال التي
في حق كل فريق كما في الدنيا اذ ليس ذلك وقت الامتحان انما هو وقت المجازاة فيما كان اختلاف الاحوال في
الى الدلالة وافصح في الحجة وكذلك الارادة فيه فهذا الذي ازلام الحجة واظهار المحنة والكلفة وكذا من اختلاف
الاحوال الذي هو بعض هذا العالم من اسم جميع المحدثات وبالله التوفيق والاصل ان العقول انسبت متناهية
تقصر عن الاحاطة بكنه الاشياء والافهام متقاصرة عن بلوغ غاية الامور اذ هي من اجزاء العالم الذي هو
بكليته متناهي واسباب الادراك التي تدرك بها المسائل تعجز عن كنه ما يقع عليها من الظلام فضلا عما
استتر منها فاذا كان هذا وصف ما يدرك به مبلغ الحكمة فهي قاصرة عن الاحاطة بالحكمة الموصوفة في الاشياء
فمن رام الاحاطة بها ابلوغ حكمة الربوبية من غير اشارة وتنصيص من الله تعالى فهو يظلم العقل ويحمل عليه
ما يعجز عنه ومعلوم ان في المذكور من الايام في خلق ما ذكر حكمة بالغة واذ قصرت العقول عن الاحاطة
اذ الذي قدرها بها هو الذي حمد الحكمة واوجب لاهلها الفضل وبجعل ذم السفه وافعال اهل التعذيب
بذلك بتحقيق الحكمة وان لم يبلغها الافهام دار ما يلزم به وانما الموفق وقوله تعالى يغشي الليل النهار يطلبه
حثيثا اي يذهب بضوء النهار ظلمة الليل اذا جاء هذا يذهب سلطان الآخر وقوله يطلبه حثيثا اي
سريعا من عجيب قدرته ثم هو ان الله عز وجل يظهر الضوء في ابتداء النهار من طرف من اطراف السماء والظلمة
في اول الليل ثم ينتشر ذلك في اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الآفاق والجوانب في قدر لحظة
وطرفة عين ما لو اريد تقدير ذلك بالهندسة وبجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعلم ان الله عز وجل
على ما يشاء قدير وانه لو اراد ان يخلق ما ذكر انه خلق في ستة ايام لكان قادرا ان يخلق في طرفة عين لكنه خلق
في ستة ايام لحكم في ذلك والله اعلم ويعلم ان القادر على البعث وجميع ما جاءت الرسل عليهم السلام بالخبر عنه
على انه يلبس وجوه كلية الاشياء الستر ويجليها بطرفة عين للتدبير في العلم الذي له بما يوجب ذلك مما يعجز
عن توهم مثله جميع الحكماء فضلا عن ادراكه ليعلم انه عليم عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يتفاوت صنعه في
لا يتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله وقريب من ذلك ما جعل في جوهر الانسان من البصر الذي يبصر باول الفتح قدر
خمسمائة سنة والفكر الذي يبلغ من غير ان يزول عن مكانه منتهى مرجع الخلق من الجنة والنار ويبصر
المعاد والمعاش والعقل الذي يعرف به حقائق من غاب عنه وحضر مما لصورته او طبيعته او احدهما مما يستوحد
من الاخرين على قصور الحواس عن ادراك صورة شيء لا طبيعته ليعلم ان الذي قدر على تقدير مثله في جوهر واحد
وعلم كيف تصنيع فيه ليعمل ذلك العمل قادر على كل شيء حكيم عليم وهذا معنى ما قيل ان الانسان هو العالم الصغير يعني
يوجد فيه لكل امر من امور العالم الكبير مثال ولا قوة الا بالله ثم قوله يطلبه حثيثا الكون ما ذكر طلب حقيقة لكن ذكر
الطلب لما كان من كل واحد منهما لصاحبه وهو كما ذكر من قوله وغرتهم الحياة الدنيا انها انشئت على هيئة وقدر
لو كان ذلك ممن يكون منه التغرير كان يغر فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره

سخرهن بالسير فيما يرجع الى منافع الخلق وجعل فيهن اية لولا العيان لم يكن يصدق به احد ممن يجحد البعث والرسل
عليهم السلام ان يخبر الواحد عن سيرهن في اليوم الواحد مسيرة اكثر من الف سنة وبعد جواهرهن بعضها من بعد
عنه مقدار خمسمائة عام وتفسح كل شيء وصلاحه به ابعد عن احتمال العقول من اعادة شيء بعد الفناء او ارسال
الرسل عليهم السلام باعلام ما يخفى من المصالح والامور اذ ذلك امر معتاد في صنيع الخلق معاينة وذلك انه بعث
بعضهم بعضا بالرسل لاجل مقاصدهم واغراضهم ومعاينة عود الليل والنهار بعد الانقضاء والفناء لكن
الله تعالى اظهر لهم من قدرته وعظيم حكمته عيانا بما بسط لهم الارض بلطفها وسعتها ورفع عليها السماء بغير
عمد ترى وافق كلا من ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وسيرها بالتسخير ما ذكر من الشمس والقمر والنجوم لحاجة
الاهل في تيسير ذلك ليعلم انه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه ولا يدخل في تدبيره عوج ولا في خلقه تفاوت وان الذي
اظهر هو ابداع على غير احتذاء ولا اعادة وقوله بامره قال ابو بكر رحمه الله يحتمل وجهين احدهما انه امر كما يقال اتى امر الله
الى العذاب والموت ونحو ذلك على ارادة ذلك الذي يراد به والثاني اي يطلعن ويغربن بامره توحيد الله والايمان
به وطلوعها وغروبها انما فيهن من عجيب الحكمة ومن عظيم القدرة امارات ودلالات على توحيد الله والايمان به بمنزلة
الامر الذي قال بامره وقال الحسن رضي الله عنه بامره الذي يكون في الاشياء به وهو قوله كن فهكذا قال بعضهم بامره
اي بتكوينه اي انشاها وكونها مسخرات لمنفعتهم ايام قال الشيخ رحمه الله يحتمل القول الاول قول من لا يرى
خالق الخلق غير الخلق والثاني فعل منه يرى ذلك الشيء هو الصحيح فان قوله كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق
ابد الابدين من غير ان كان في الحقيقة كاف ونون لكنه اقصر ما يفهم به المراد من الكلام وكذا هذه عبارة دالة
على نفي الصعوبة عن نفسه في التخليق والاخبار عن تيسير ذلك عليه فذلك في الحقيقة عن التكوين والخلق اذ
انه كان بدا الخلق حيث قال كن فيكون وكل شيء يكون نشوءه في التعارف من القول وغيره وقوله تعالى الا له
الخلق والامر في الامر وجهان احدهما هو اخبار عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عن حقيقة الامر في خلقه
بما يشاء لا يرد شيء من امره من الوحد الذي امر به وجوبا وندبا والله اعلم وقوله تعالى تبارك الله رب العالمين
اي تعالى الله عما نعتت المشبهة من ثم استوى على العرش وقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال بعضهم ادعوا
ربكم اي اعبدوا ربكم فهو كقوله ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتداء
الدعاء وفي آخره العبادة فكان الامر بالدعاء امر بالعبادة وقال بعضهم المراد هو حقيقة الدعاء وقد جاء
في الحديث ان الدعاء مخ العبادة لان العبادة قد يكون بالتقليد والدعاء لا يحتمل التقليد لكن انما يكون
عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة اليه والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك يفزع الى ربه جل جلاله
فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعضهم ادعوا ربكم تضرعا وخفية تضرعا اي خضوعا وخفية اي اخلاصا
وقيل تضرعا ظاهرا وخفية سرا واضمارا اي اعبدوا ربكم في كل وقت وكل ساعة وادعوه خاضعين مخلصين
وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين قيل المجاوزين الحد بالاشراك بالله تعالى وقيل لا يحب الاعتداء في الدعاء
نحو ان يقول اللهم اجعلني نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل كذا في موضع كذا وروي عن عبد الله بن مغفل
سمع ابنه يقول اللهم اسألك الفردوس واسألك كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة وتعوذ به من النار
فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور وعن الحسن رضي قال في قوله
ادعوا ربكم تضرعا وخفية علمكم الله تعالى كيف تدعون ربكم وقال العبد الصالح حيث رضي عبادته دعاه
اذ نادى ربه نداء خفيا وعن انس رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل البر كله نصف العبادة
والدعاء نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى حقيقة الدعاء وقال يكره للرجل
ان يرفع صوته في الدعاء ويروون في ذلك حديثا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه سمع قوما يرفعون اصواتهم
فقال ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ولكن كذا ويحتمل الاعتداء في الدعاء ان يسأل ربه ما هو
ليس باهل له نحو ان يسأل كرامة الاخيار والرسل واصل الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له
وقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال بعضهم بعد اصلاحها اي بعد ما بعث الرسل عليهم السلام بالامر
من الدعاء الى طاعة الله والعبادة له ويامرون بالحلال وينهون عن الحرام وقال بعضهم ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها اي بعد ما خلقها طاهرة عن جميع انواع المعاصي والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك وقيل
بعد اصلاحها اي بعد ما اعطاكم اسبابا بها تقدرون على الاصلاح وبها تملكون باصلاحها وجائز ان يكون
المراد باصلاح الارض اصلاح اهلها اي لا تفسدوا اهلها وهو كقوله وكم من قرية عتت عن امر ربها والقرية
لا يوصف بالعتو لكن اهلها وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا مما كان في عبادته
من التقصير وطمعا في النجاة دون القبول لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادته لا يقصر في ذلك على ذلك

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك دعاء الملائكة يقولون يوم القيمة ما عبدناك حق عبادتك
ويجب على كل مؤمن ان يكون في فعله خائفا راجيا الخوف من التقصير والرجاء لكمال رحمته وقال بعضهم خوفا
من عذابه ونقمته وطمعا في جنته وقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين • قال اهل التأويل ان الجنة
قريب من المحسنين ونقول ان اراد بالقرب الوقوع فيها او النزول ويحتمل ان يكون اراد بالرحمة صفته فيكون
تأويله ان منفعة رحمة الله قريب من المحسنين وقال الحسن رحمه الله ان رحمة الله وهي الجنة قريب من الخائفين وقال
بعضهم ان رحمة الله اي اجابة الله قريب الى من استجاب دعاءه ثم قوله من المحسنين يحتمل المحسنين الى انفسهم
والمحسنين الى الخلق والمحسنين الى نعم الله تعالى اي المحسنين لصحبة نعمه بالقيام بشكرها واجتناب الكفران
بها ويحتمل ان يراد المحسنين الموحدين والله اعلم وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته •
قرئت بقراءة بشرا وبُشُرا ونشرى فالنشر هو جمع النشور وهو من الاحياء والبشر من التفرق اي يفرق الله تعالى
ويسوق ذلك السحاب وقيل الريح يرسل ويسوق ذلك السحاب والبشرى من البشارة وقوله تعالى حتى اذا اقلت
سحابا ثقالا • قيل اقلت حملت وقيل رفعت الماء وهو واحد وقوله تعالى اي ثقالا بما فيه من الماء وقوله تعالى
سقناه لبلد ميت • اي الى بلد ميت وقوله تعالى فانزلنا به الماء • اي انزلنا بالبلد الماء وقوله تعالى فاخرجنا به
من كل الثمرات • قال بعضهم كل الثمرات اي من كل ما يشاهدون من الثمرات وقوله تعالى كذلك نخرج الموتى • اي
كما اخرج النبات والثمار من الارض والنخل بعد ما تفانوا وذهبوا انهما كذلك يخرج الموتى بعد ما ماتوا
وذهبوا حتى لم يبق منهم شيء وقوله تعالى لعلكم تذكرون • اي تتفكرون وتعرفون قدرته ولطفه
على الاحياء بعد الموت وقيل تذكرون اي تتعظون ذكر الله تعالى في هذه الآية حكمته وقدرته ونعمه ليحتج
بها على الكفرة بالبعث والاحياء اما حكمته فما يرسل الرياح ويسوق السحاب الى المكان الذي يريد ان يمطر
فيه ما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوا ما عرفوا ان كيفية ترسل المطر من السماء وكيف ترسل الرياح وتسوق السحاب
وفي ذلك تذكير حكمته بانهم وانما نعمه فهو ما يسوق السحاب بالريح الى المكان الذي فيه حاجة الى المطر ثم يرسل
على ذلك المكان المطر وذلك من عظيم نعمه عليهم ليعلم ان ذلك كان برحمته لانهم كانوا مستوجبين ذلك
واما ما ذكر من قدرته هو ما ذكر من احياء الارض واخراج النبات والثمر بعد موتها ليعلم انه قادر على احياء
الموتى وبعثهم بعد موتهم على ما قدر على احياء الارض بالنبات واحياء الارض بالنبات واحياء النخل لانا
نعلم ما علم كل ان لا نبات فيها ولا ثمار فاذا اخرج النبات منها والثمار من النخل على ما خرج في العام الاول دل ذلك
على وحدانيته وقدرته على احياء الموتى وبعثهم بعد ما صاروا ترابا فانيا الموقوتة وقوله بين يدي رحمته دلالة
ان لا يفهم من اليدين الجارحتان وقيل بين يديه مبسوطتان على ما يفهم من الخلق كما لا يفهم احد بذكر اليدين في المطر
الجارحة في قوله بين يدي رحمته لانه لا جارحة له وكذلك في قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه الجارحة لانه لا جارحة
للقرآن فعلى ذلك لا يفهم ما ذكر من اليدين المضافتين الى الله عز وجل ما يفهم من الخلق وانما يفهم لسوء اعتقاد وغلبة
جهله اذا قام له الدلائل العقلية والسمعية انه بريء عن مشابهة الخلق ومعانيهم على ما قال ليس كمثله شيء
وقوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا • ذكر المثل بذكر الطيب وقيل
لم اهل التأويل انه ضرب المثل للمؤمن والكافر ثم يحتمل ضرب المثل وجهين احدهما انه وصف الارض التي
يخرج منها النبات بالطيب ووصف الارض التي لا يخرج منها النبات بالخبث فعلى ذلك المؤمن لما كان منه
من الاعمال الطيبة من الطاعة لربه والائتمار لامره موصوف بانه طيب وجعله من جوهر الطيب والكافر
لما يكون منه من الاعمال الخبيثة من الكفر والمعصية للرب موصوف بانه خبيث وجعله من جوهر الخبيث كما
ان الارض التي يخرج منها النبات التي ينتفع به موصوفة بطيب الاصل والجوهر والتي لا يخرج النبات او النبات
الذي لا ينتفع به موصوفة بخبث الاصل والوجه الثاني ان الله تعالى جعل هذا القرآن مباركا شفاء للخلق على
ما وصفه الله تعالى في غير موضع من الكتاب ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا انزل ذلك
المبارك في الارض الطيب الجوهر يخرج منها الاقوات والنبات المنتفع بها واذا انزل في الارض السبخة الخبيثة
الجوهر لم يخرج لخبث اصلها فعلى ذلك هذا القرآن هو مبارك شفاء فيستمعه المؤمن ويتبعه ويعمل به والكافر
يستمعه ولا يتبعه ولا يعمل به فصار مثل المؤمن الذي يستمع هذا القرآن ويتبعه ويعمل به مثل الماء الذي ينزل
في الارض فيخرج منها النبات لطيب جوهرها واصلها وكان مثل الارض الذي لا يخرج منها النبات لخبث
اصلها وجوهرها ولصله انه ضرب المثل الذي هو مستحسن في العقل بالذي هو مستحسن في الطبع لان معرفة
ما حسن بالطبع يكون بالحس وما حسن في العقل فانما يعرف حسنه بالدلائل وهو غائب فمثل لما يعرف حسنه

بالعقل وهو غائب بالذي يعرف حسنه بالحس والمشاهدة وهو ما ذكر من النبات الذي يخرج من الارض فذلك
يدل على طيب اصلها وجوهرها والذي لا يخرج شيئا هو لخبث جوهرها واصلها فعلى ذلك المؤمن والكافر
والله اعلم طاب عمل المؤمن وحسن جميع ما يكون منه لطيب اصله وخبث عمل الكافر وقبح ما يكون منه
لخبث اصله كالارض التي ذكر والله اعلم ثم حسن عمل هذا وقبح عمل الآخر وخبثه انما يظهر في الآخرة وذلك
يقتضي وجود البعث لانهما جميعا استويا في هذه الدنيا فدل على ان هنالك دارا اخرى فيها يظهر الطيب من
الخبيث وقوله تعالى باذن ربه يحتمل بعلمه وتكوينه وقوله الا نكدا قال الحسن رضي الله عنه خبيثا ان لا يخرج الخبيث
الا خبيثا وقال ابو بكر الاصم رحمه الله الا نكدا اي لا منفعة فيه وقيل الا نكدا اي عسرا وقيل الا قليلا وهو واحد
وقوله تعالى كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون • اي لقوم ينتفعون بالآيات وقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا
الى قومه • اي لقد ارسلنا الى قومه كما ارسلناك الى قومك ولست انت باول رسول كقوله قل ما كنت بدعا
من الرسل وفي الآية دلالة على ان الايمان يصح بالانبياء والرسل عليهم السلام وان لم يعرف انسابهم فانه
ذكر الانبياء والرسل عليهم السلام باسمائهم دل ان الايمان بهم صحيح من غير ان يعرف انسابهم وكذلك يصح الايمان
بالانبياء من لا يعرف اسمهم وان الله تعالى صحح الايمان به قال الله تعالى ومنهم من لم نقصص عليك فقد وجب الايمان
بالانبياء كلهم دل ان معرفة اسمائهم ليس بشرط وفي الآية دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
فانه اخبر عن رسالة نوح عليه السلام فدل انه بالله عرف ذلك وقوله تعالى اعبدوا الله ما لكم من اله غيره •
قيل اعبدوا الله اي وحدوا الله سمى العبادة توحيدا لان العبادة لا تصح الا بالتوحيد فيهما الله تعالى في ما
سمى ذلك مجازا ويجوز ان يكون المراد من العبادة ما هو عبادة حقيقة وقوله ما لكم من اله غيره اي ما لكم
من اله الحق الذي يثبت الوهيته وربوبيته بالدلائل والحجج والبراهين اله غيره وقوله تعالى اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم • ان متم على هذا قال بعضهم الى حقيقة الخوف وهو خوف اشفاق وذلك يحتمل ان يكون
في الوقت الذي كان يطمع ايمان قومه كقوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن وقوله عذاب يوم عظيم اي عظيم
على الخلق كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم على الخلق كما وصف وقوله تعالى قال
الملأ من قومه • اي اشراف قومه وسادتهم كقوله انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وكانوا هم
اضداد الانبياء عليهم السلام لانهم كانوا يدعون الناس الى ما كان يوحي اليهم الشيطان والرسل عليهم السلام
كانوا يدعون الى ما يوحي اليهم الله تعالى وينزل عليهم لذلك قالوا انا لنراك في ضلال مبين لانهم ظنوا انما يوحي
اليهم الشيطان هو الحق وانما يدعو اليه الرسل عليهم السلام ضلال وباطل وقوله تعالى قال يا قوم ليس بي
ضلالة ولكني رسول من رب العالمين • اي لست بضال لانه اذا نفى الضلالة عن نفسه فقد نفى ان يكون
ضالا وهو حرف لين عذوق على ذلك لسائر الانبياء والرسل عليهم السلام انهم لو كان ذلك انجع في القلوب
واقرب الى القلوب بالقبول ويحتمل قوله انا لنراك في ضلال مبين لفي خطاء مبين فيخرج على وجهين احدهما
انهم نسبوه الى الضلال والخطاء لما راوه خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم
ونسبوه الى الخطاء لما راوه يعرض نفسه للقتل والثاني نسبوه الى الخطاء لانه ترك دين ابائه واجداده وقوله
ابلغكم رسالات ربي • اي رسالة التي امرني بتبليغها اليكم قبلتم او رددتم او وعدتم اي ابلغها على
اي حال استقبلتموني او رددتموني ويحتمل ابلغكم رسالاته التي ارسلها وقوله تعالى وانصح لكم • اي ادعوكم
وامركم الى ما فيه صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم والنصيحة هي الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد
ويكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان الدين النصيحة قيل
لمن قال لله ولرسوله وقال ابو القسم رحمه الله النصيحة هي النهاية من صدق العناية ثم اخبر عليه السلام انه يبلغهم رسالات
ربه ولم يبين فيها اذ لم كان باتى اليه او يوحى في غير كتاب يوحى اليه وليس لنا في معرفة ذلك حاجة سوى التصديق
له فيما يبلغ اليهم وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون • اخبر انه قد اتاه من الله تعالى العلم اشياء لم ياتهم مثله بها
وهو كقول ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني ويحتمل قوله واعلم من الله ما لا تعلمون
اي العذاب ينزل بكم ما لا تعلمون ان تم ادمتم على ما انتم عليه وقوله تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم • اي تعجبون
لما جاءكم ذكر من الله تعالى على يدي رجل منكم ما لا اقدر انا ولا انتم تقدرون على مثله وكانوا يعجبون وينكرون
ان يكون رسولا الله تعالى من البشر كقوله تعالى خبر عنهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله
لانزل ملائكة ونحو هذا كانوا ينكرون رسالة البشر وما ينبغي لهم ان ينكروا ذلك لانهم كانوا رأوا تفضيل بعض
البشر على البعض في وضع الرسالة في الرسل عليهم السلام تفضيلهم وتقدموا ذلك فيما بينهم والله تعالى يفضل
بعض الخلق على البعض اذ لله الخلق والامر يتصرف في ملكه كيف شاء ولكل ذي ملك وسلطان ان يصنع في ملكه

مارسنا او ليقولوا او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ولو كان خاليا على من هو من غير جوهركم لكان في ذلك شبه
اشتباه عليكم لما لا يعلمون ان حاله لينذركم عذاب الله وليتقوا معاصيه ولعلكم ترحمون ان اتقيتم بها ما لكم
عنه ويحتمل ان يكون في قوله ومن يحمون ان يحجون برحمته وقوله تعالى فكذبوه يعنى جاء عليه السلام فيما دعاهم الى عبادة الله و
وحدانيته ونهاهم عن عبادة غيره تعالى وكذبوه فيما اتاهم من الآيات على نبوته ورسالته وقوله تعالى فانجيناه يعني
نوحا عليه السلام والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين
عمين عن الحق ... وكون ذلك عاما لمن ترك الايمان الذي يحمل الاخرة وقوله
تعالى وجعل كذبوا باياتنا ... الاثبات الالوهيته والتوحيد وقوله تعالى انهم كانوا قوما عمين
اي عموا عن الحق وقوله تعالى والى عاد اخاهم هودا يحتمل الاخوة وجوها احدها اخوة النسب واخوة الجوهر واخوة
للمودة والمحبة لكن يحتمل اخوة النسب لان البشر على بعد من آدم عليه السلام كلهم اولاده فاذا كان كذلك
فهم فيما بينهم بعضهم اخوة بعض كاولاد رجل واحد يكون بعضهم اخوة بعض نسبه ويحتمل اخوة الجوهر كما قال
هذا اخ هذا اذا كان من جنسه وجوهره فاحتمل هذا الاخوة دون الوجهين الاخرين وقوله تعالى يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله الذي يستحق العبادة ما لكم من اله غيره اي ليس لكم معبود سواه والمعنى
المعبود في الحقيقة افلا تتقون في عبادة غير الله او افلا تتقون الله في عبادتكم غيره حتى تكذبوا هودا عليه السلام
افلا تتقون عذابه او نقمته عليكم بجحدكم اياه وقوله تعالى قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة
الملأ من قومه اي اشراف قومه وسادتهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ...
تكذيبهم الرسل عليهم السلام وفي موضع اخر قطعوا في التكذيب وهو قوله ان هو الا رجل افترى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين وقد اخبر الله تعالى بذلك كله وهذا في الظاهر اختلاف وتناقض لكن يخرج قوله انا لنظنك
من الكاذبين كانه ابتداء ما دعاهم الى عبادة الله تعالى ووحدانيته كانوا في ظن فيه لما كان عندهم صدوقا وامينا
قبل دعائه اياهم الى ما دعاهم فلما ان قام عليهم ايات الرسالة والنبوة وكان ظهر عندهم عيب ما عبدوا وغير الله تعالى
فاصل ذلك وتحقق الكفر عندهم عند ذلك قالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ...
انهم عنادا كذبوا الرسل عليهم السلام كانوا امروا ان يعاملوا الخلق باحسن معاملة وهو على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف الاية وقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة ونحو ذلك فعلوا في الرسل الذين كانوا
من قبل كانوا مأمورين بذلك كذلك قال هود عليه السلام ليس بي سفاهة ... والسفه قال ليس بي ولكني رسول
... من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي ... ويحتمل ابلغكم رسالة
ربي ... فكيف تنسبوني الى السفه والافتراء على الله تعالى
وقوله تعالى وانا لكم ناصح امين اي كنت لكم قبل هذا ناصحا امينا فيكم فكيف تكذبونني وتنسبونني الى السفه
ويحتمل امين على الرسالة والوحي الذي وضع الله تعالى عندي والله اعلم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء
يحتمل وجوها ان جعلهم خلفاء قوم اهلكهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام ولم يهلككم فاحذروا اهلاكا
بتكذيبكم الرسول المبعوث اليكم كما اهلك اولئك بتكذيبهم ويحتمل ان جعل الخلفاء قوم صدقوا رسولا
من البشر وهو نوح عليه السلام فكيف كذبتموني في دعواي الرسالة ودعواي الى عبادة الله ووحدانيته وانى بشر
هذا منكم تناقض ويحتمل ان ذكروا نوحا عليه السلام وهو كان رسولا من البشر فكيف تنكرون ان تكون الرسل
من البشر وكان الرسل جميعا من البشر ويحتمل ان ذكر نعمة الله تعالى التي انعمها عليكم من السعة في المال والقوة
في الانفس وحسن الخلق والقامة وكان لعاد ذلك كله كقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم
يخلق مثلها في البلاد هذا في السعة في المال واما في القوة في الانفس وطول القامة لما ذكر من قوله فترى القوم
فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله كانهم اعجاز نخل منقعر فيه وصف لهم بالقوة وطول القامة وعلى ذلك
فسر اهل التاويل قوله وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة وقدرة وقال بعضهم هي الطول والعظم في الجسم ذكر الله
تعالى في عاد اشياء اربعة خصهم بها من بين غيرهم احدها العظم في الانفس بقوله وزادكم في الخلق بسطة
والثاني القوة بقوله من اشد منا قوة والثالث السعة في الاموال بقوله ارم ذات العماد والرابع فضل العلم
بقوله وكانوا مستبصرين وقوله تعالى فاذكروا الاء الله قال بعضهم الالاء في دفع البلايا والنعماء في سوق
النعم لكنهما واحد لانه ما من بلاء يدفع من المرء الا وفي ذلك سوق نعم اخرى اليه ولان الله تعالى ذكر في سورة الرحمن
الالاء في جميع ما ذكر وانما ذكر سوق النعم بقوله الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الى آخر ما ذكر ودفع البلاء
وقوله تعالى لعلكم تفلحون اي يفلحون ان ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها ولم تصرفوا عبادتكم وشكركم الى غيره
ويحتمل الذي يكرمكم الفلاح ويحتمل حتى تكونوا من اهل الفلاح وقوله تعالى قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر

ما كان يعبد آباؤنا • هذا يدل على انه رسالته التي يبلغها اليهم في دعائهم الى عبادة الله وحده وترك
عبادة من دونه حيث قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ثم في قولهم تناقض لانهم
كانوا يتعجبون ان يكون من البشر رسولا كقوله تعالى خبرا عنهم قالوا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه
ويشرب مما تشربون ثم يقلدون آباءهم في عبادتهم الاصنام والاوثان ومراد الخلق والخسيس الثاني انهم
كانوا يقلدون اباءهم في عبادة غير الله تعالى وفي اباءهم من يعبد الله ولا يعبد غيره وهم الذين نجوا مع نوح عليه السلام
فكيف لم يقلدوا من نجا منهم ولم يعبدوا غير الله دون ان قلدوا الذين عبدوا غير الله فهذا مناقضة وسفه
ايضا حين تعجبوا من خلاف منهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وعبادتهم غير الله تعالى ولم يتعجبوا من نجاتهم
فذكر عز وجل سفههم وتناقضهم في القول لكن على سبيل التعريض دون التصريح وكذا عامة ما ذكر جل وعلا
في كتابه من سفههم انما ذكر بالتعريض لما لم يؤمنوا برسالة البشر ورضوا بالالهة الحجارة والخشب وقوله تعالى
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • كان يعدهم العذاب ان لم يصدقوه بما دعوهم اليه وتركوا التقليد بآبائهم
في عبادة غير الله تعالى وقوله تعالى قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب • قال بعضهم الرجس العذاب اي قد وجب
عليكم العذاب بتكذيبكم هودا عليه السلام وتقليدكم اباكم في عبادة غير الله وقوله وغضب اي العذاب ايضا
ويحتمل ان يكون الرجس هاهنا الخذلان ونحوهما ان التوفيق والعصمة اي قد وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان
التوفيق باختياركم ما اخترتم من الكفر وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان
واجتنبوا قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من الرجس النجس
الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وقوله تعالى اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم • يحاجونهم
ما قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده الاية ويحتمل في اسماء سميتموها وقوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان
قيل من حجة اي لم ينزل لكم من حجة في عبادة غير الله وتسميتهم الاصنام الهة وشفعاء وتحوذ الذي قيل
السلطان هاهنا يعني العذر اي لم ينزل لهم عذرا في ذلك وقوله تعالى فانتظروا • اي انتظروا انتم وعد الشيطان
اني معكم من المنتظرين وعد الرحمن وكذا قال الحسن رضي الله عنه انتظروا انتم مواعيد الشيطان اني معكم
من المنتظرين مواعيد الرحمن وقوله تعالى فانجيناه • يعني هودا عليه السلام والذين معه برحمة منا اذ من علم
الله تعالى انه اذا كان قوما اهلاك تعذيب استأصلهم وينجي انبياءه واولياءه الذين فيما بينهم ويخرجهم
وقوله تعالى برحمة منا • يحتمل برحمة التي هداهم بها عز وجل ولولا رحمته ما اهتدوا ولكنه رحمهم فهداهم
وبرحمته اهتدوا ويحتمل انه انما انجاهم من العذاب برحمة منه وان كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون
بها العذاب لكنه انجاهم برحمته منه وفضل والله اعلم وفيه ان من نجا انما نجا برحمته وفضله لا ان كان برسول
لا باستحقاق النجاة بنفسه وعمله ما روي حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني برحمته وقوله تعالى وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا • اي استأصلوا فلم يبق منهم
احد وقيل دابر الذين كذبوا اي اصل الذين كذبوا باياتنا ولم يبين لنا الايات التي اعطى هودا عليه السلام
وليس لنا الى معرفتها حاجة سوى ما اخبر انه ما حل بهم من العذاب انما حل بهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام
وذلك كان حكمه وسنته في الامم السالفة وقوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا • قد ذكرنا انه صلة قوله
لقد ارسلنا نوحا الى قومه كانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره • قد ذكرنا ان الرسل عليهم السلام لجميعهم انما بعثوا ليدعوا الخلق الى وحدانية الله تعالى
في العبادة لما ان لا معبود سواه يستحق العبادة من الخلق وقوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم • قيل
في ذلك بوجهين قيل بينة من ربكم لما ذكر من الناقة التي جعلها آية لرسالته وهو قوله هذه ناقة الله لكم
آية قد عرفوها وقيل بينة من ربكم اي الآيات التي ظهرت على لسان صالح عليه السلام وجرت على يديه ما يدل
على رسالته ونبوته لكنهم كابروا تلك الآيات في التكذيب وعاندوا ثم قوله هذه ناقة الله يحتمل تخصيص
اضافة تلك الناقة الى الله تعالى وجوها وان كانت النوق كلها في الحقيقة له احدها انها خصت بذكر
عبادة الله امر وحدانيته تعظيما لها على ما خصت المساجد بالاضافة لكنه بقوله وان المساجد لله
لما جعلت تلك البقاع لاقامة عبادة الله تعالى خصت بالاضافة اليه تعظيما لتلك البقاع فعلى ذلك
خصت الناقة بالاضافة اليه لما يذكر فيها عبادة الله ووحدانيته والثاني يجوز ان يكون تخصيص هذه
الناقة بالاضافة اليه ان جعلها آية من آياته خارجة عن غيرها من النوق مخالفة بينتها بينة غيرها اما خلقة
او في ابتداء احداثها وانشائها حيث خلقها بلا اصل حيث في سواء منه على خلاف انشاء الخلق لذلك
اضافها اليه والله اعلم ويحتمل الاضافة اليه وجها آخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم بلا حمل

عليهم مؤنتها بل اخبر ان ذروها تاكل في ارض الله تجعل مؤنتها مما يخرج من الارض ليست كسائر النوق التي تجعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم يعني التخصيص لانها اضافة الى الله تعالى لما لم يجعل المؤنة فيها حقا ولا ملكا ولا في منافعها ثم لا يجب ان نتكلف المعنى الذي له جعل الناقة آية لانه جل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى فلو كلف ذكره فلعله يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية من هذه القصص واخبار الامم الماضية انما ذكرت في القرآن ليكون آية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولو ذكر على خلاف ما كان في كتبهم لكان لهم في ذلك مقال ثم قوله فذروها تاكل في ارض الله دلالة ان تلك الناقة كان غذاؤها مثل غذاء سائر النوق وان كانت خارجة عن طباع سائر النوق من جهة الآية ليعلم انها وان كانت آية لرسالته دلالة لنبوته فيشبه بها سائر النوق في تلك الجهة لا يخرجها عن حكم الآية والدلالة فعلى ذلك الرسل عليهم السلام وان كانوا ساووا غيرهم من الناس في المطعم والمشرب لا يمنع ذلك من ان يكونوا رسلا والله اعلم وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم يحتمل ان لا تتعرضوا لها ابتلاء ولا قطعا ولا عقرا كما انها ليست لهم وذكر ههنا فياخذكم عذاب اليم وقال في موضع آخر فياخذكم عذاب قريب فهذا يدل على انه انما اراد به عذاب الاليم عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة لانه ياخذهم عذاب الآخرة بكفرهم فيكون هذا الوعيد عذاب الدنيا والله اعلم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد قد ذكرنا تاويله في قصة هود عليه السلام وقوله تعالى وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا يذكرهم عز وجل ما انعم عليهم من سعة المال وبسط الرزق وما خصهم من اتخاذ البيوت من الجبال دون غيرهم من الناس خص هؤلاء القوم بسعة الرزق وبسط الاموال وقوم هود عليه السلام بالقوة والبطش بقوله وزادكم في الخلق بسطة وقالوا من اشد منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين وقوله فاذكروا آلاء الله من السعة في الاموال وبسط الارزاق وبما جعلكم خلفاء من بعد عاد وبما اقدركم على اتخاذ البيوت من الجبال لم يقدر على مثله احد لان غيرهم انما ينتفعون بالجبال على ما هي عليه واما هم فقد مكنهم من اتخاذها بيوتا وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين اي ذكرهم ان لا تشركوا في العبادة غيره وقوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا الملأ هم كبراؤهم واستكبروا عليه لما راوه دونهم في اسباب الدنيا ولم يتبعوه وقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم فيه دلالة ان من استضعفوا من قومه لم يكن من حيث خص لمن آمن منهم وفيه دلالة ان اول من اتبع الرسل عليهم السلام هم الضعفاء وكذلك كان الاتباع جميعا هم الضعفاء وقوله تعالى خبرا عنهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون في الاشكال ان يقول هؤلاء الذين آمنوا بصالح عليه السلام وصدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جواب ما سئلوا لانه لكبرائه قالوا لهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه انما سالوهم عن علمهم برسالته لم يسالوهم عن ايمانهم وهم اجابوا عن السؤال بالايمان به بقوله انا بما ارسل به مؤمنون فيدل انهم اجابوا عن غير ما سئلوا عنه في الظاهر هكذا ولكن هذا جواب ما سئلوا من حيث المعنى والدلالة لانهم اخبروا انهم آمنوا بما ارسل به والايمان بالرسالة لا يكون الا بالعلم منهم برسالته فيكون هذا الخبر منهم عن العلم برسالته دلالة وان لم يكن على الافصاح كانهم قالوا بل علمنا انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مؤمنون والثالث يحتمل الاستعارة على المجاز فانه يجوز ان يكنى العلم بالشيء على التصديق والايمان بذلك فكانهم انما سالوهم عن الايمان به والتصديق له لا عن العلم برسالته لان العلم بالشيء قد يقع بلا صنع والايمان لا يكون الا بصنع فكانهم قالوا لهم اتؤمنون بصالح عليه السلام وتصدقون به لذلك قالوا انا بما ارسل به مؤمنون وفي الآية دلالة على ان من يمكن له من العلم باسباب جعلت طريقا للوصول الى العلم لم يعذر بالجهل في ذلك حيث قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وقوله تعالى قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو التصديق لانهم قالوا ذلك على مقابلة قولهم انا بما ارسل به مؤمنون وهؤلاء لم يعرفوا جميع الطاعات انما عرفوا تصديقا على ما هو حقيقة اللغة وقوله تعالى فعقروا الناقة اضاف ههنا العقر اليهم جميعا وفي موضع آخر اضاف الى الواحد بقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فيحتمل ان يتولى منهم عقرها بمشورتهم جميعا وتدبيرهم وعونهم وتراضيهم على ذلك فاضيف ذلك اليهم جميعا على ذلك والواحد المباشر نفس الفعل منهم وفيه دلالة لمذهب اصحابنا رحمهم الله ان قطاع الطريق اذا ولي بعضهم القتل واخذ الاموال ولم يتول بعضهم انهم يشتركون جميعا في حكم قطاع الطريق بعد ان يكون بعضهم عونا للبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل ولم يتول البعض بعد ان كان في عون اولئك فانهم يقتلون جميعا استدلالا على هذا وقال كان غلط من الكاتب فان الجرح من كل واحد

شرط لوجوب القصاص عليهم انما لا يجب على الردء عندنا قصاصا انما يجب في قطع الطريق ان كان الحد رواية منصوصة ان الجرح شرط والا فالصحيح ما ذكرنا ههنا انه يجب على الردء وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه حيث قال لو تمالأ اهل صنعاء لقتلتهم واهل صنعاء اذا اجتمعوا لا يستقيم لكل ان يتولى قتله ولا بد له على العون والنصرة لبعضهم بعضا يشتركون جميعا في القصاص على ما شاركوا وليس جميعا في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول لما ان كان ذلك العقر بعونهم وتراضيهم على ذلك والله اعلم وقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم العتو هو النهاية في التمرد والخلاف لامر علماء العلم منهم بالخلاف لا اهل الغفلة والجهل وقوله تعالى وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فاخذتهم الرجفة انما اخذهم العذاب لما استعجلوا منه العذاب وكذبوه فيما اوعدهم العذاب ثم قال فاخذتهم الصيحة وقال في موضع فاخذتهم الصاعقة والقصة قصة واحدة فجائز ان يكون المعنى في الكل واحدا وان اختلف الالفاظ وهو عبارة عن العذاب وجائز ان يكون صيح بهم فصعقوا جميعا فماتوا وهو واحد في المعنى وقيل الرجفة الزلزلة وقيل الصيحة وقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ميتين وقيل لاصقين بالارض قد ماتوا ويقال الجاثم اللاطي بالارض والمجثمة هي الطائر الذي يشد جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالارض ثم يرمى بالنبل حتى يموت يقال جثمت الطائر اي شددته رجليه وجناحيه ويقال جثم جثوما وجثما اذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فتولى عنهم اي اعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم ان العذاب ينزل بهم وقوله تعالى يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم والنصيحة ما ذكرنا انه كل من دل آخر على ما به نجاته وسعى في دفع البلاء والهلاك عنه فهو ناصح له فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل عليهم السلام قد دلوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا في دفع الهلاك عنهم لكنهم لم يقبلوا النصيحة منهم وقوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ذكر الله تعالى في غيره من الانبياء دعاهم قومهم الى عبادة الله تعالى وتوحيد اياه على ما قال نوح عليه السلام يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء عليهم السلام ولم يذكر في لوط عليه السلام ذلك ههنا ولكنه يحتمل انه قد كان منه الدعاء كما كان من غيره من الانبياء في توحيد الله تعالى وعبادته قبل النهي عن الفواحش والتعيير عليها وهو ما ذكر في آية اخرى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون فهذا منه دعاء الى عبادة الله وطاعته والانتهاء عن معاصيه فثبت انه لا يخالف الانبياء عليهم السلام في دعاء الى عبادة الله ووحدانيته اولا ثم النهي عن ارتكاب الفواحش والتعيير عليها وقوله اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين يحتمل ان يكون لما كان منهم ما كان من تقليد آبائهم في العبادة لغير الله كقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وقولهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وقولهم انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ونحو ذلك وكان من قوم لوط اللواطة فلما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته اجابوه بما اجاب الاقوام الانبياء من التقليد لآبائهم فقال لهم اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي انكم تعملون عملا لم يعملها آباؤكم ولا تقلدون آباءكم في تركها ذكر من اتيانهم الفاحشة وقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فرد دعواهم التقليد لآبائهم وسفه احلامهم ايضا في اتيانهم ما ياتون من الفاحشة الا ترى انهم قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون والتواطؤ في الفعل والشرع فيكون فاحشة بيان ذلك ان ما حرم الله عز وجل من المحرمات على الخلق وما احل من الحلالات تكون محنة منه لهم على ذلك ثم جعل فيما احل لهم من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دواما لهذا العالم لانهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا ولو هلكوا انقطع هذا العالم وانقطع نسلهم ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على التناول لما احل لهم ليدوم هذا العالم لا انه احل لهم الشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فلجهل ان ما ياتون من الفعل فاحشة لما ليس تناسلهم اياه الا لقضاء الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم ولا بقاؤه وذلك فاحش محرم في العقل لما لم يعلموا عاقبة فتحديد النوع بالتحريم من كان ملقيا في العقل الاسراف التجاوز عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء والمجاوزة من الحد وكان قوم لوط تجاوزوا ذلك النوع من الفاحشة وجاوزوا الحد فسماهم مسرفين لذلك والله اعلم ويحتمل سماهم مسرفين لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث اعطاهم الازواج فضلا منه ومنة قال ومن آياته ان جعل لكم من انفسكم ازواجا الآية من الله تعالى عليهم بما اعطاهم من ذلك ثم هم لا يشكرون على ما انعم عليهم يتبعوها ولا اختاروهم غيرها جعل لهم فذلك اسراف منهم ويحتمل ان يكون الاسراف هو المجاوزة من الحد

حمل لهم فذلك اسراف منهم ويحتمل ان يكون الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم وهم قد جاوزوه 301
والله اعلم وقوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون • وقال
ان الله تعالى اخبر وقال وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقد قال في موضع آخر وما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ولحوق الملحدة هذا تناقض فيقول كان من قومه اجوبة سوى هذا وقوله وما كان
جواب قومه الا ان قالوا كذا ليس فيه انه لم يكن منهم في ذلك الامر الخاص الا هذا ولكن اراد لم يكن جواب قومه عن ما نهاهم
عن ارتكابهم ان يكفوا من الفواحش وغيرهم عليها الا ما قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
لما نهاهم ويعيرهم عن ذلك فيكون ذلك الاخر لا في المشاهد والمجالس ثم لم يكن في مجلس ومشهد الا ما اخبر
ويحتمل ما كان جواب قومه فيما بينهم بعضهم لبعض الا ما قالوا كنا في هذه الآية وفي الآية الاخرى فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وهذا فيما بينهم وبين لوط عليه السلام فلا يؤدي
الى الاختلاف ثم قوله انهم اناس يتطهرون يحتمل ما قال اهل التأويل يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتحرجون
من ذلك ويعيبون عليهم في ذلك والله اعلم وقوله تعالى فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين • قيل
الغابرين الغائبين يقال غبرت اي غبت عنا معناه كانت من الغائبين عن لوط واهله وقت العذاب فنجت ويقال قومه
كانوا غائبين عن قرياتهم لوط فقلبت القريات على الحاضرين وامطرت الحجارة على الغائبين والله اعلم وقيل الغابرين
اي الباقين في العذاب وقوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا • اختلف فيه قال بعضهم قلبت قريات لوط وجعل
عاليها سافلها على ما قال وجعلنا عاليها سافلها ثم امطرنا على من غاب منهم الحجارة وقال بعضهم قلبت القريات
فامطرت على اهلها كالمطر ذكر على سبيل المجاز وقال بعضهم قلبت الارض وامطر عليها حجارة من سجيل لتسوي
الارض كما كانت وكلام نحو هذا والله اعلم ثم العذاب في الامم لم يأتهم في الدنيا بنفس الكفر ولكن لما كان منهم
من استحلال اشياء حرم عليهم ومن قتل الانبياء وايذائهم والمكابرات التي كانت بينهم بعد علمهم انهم على باطل
وعناد وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المجرمين • يحتمل ان يكون هذا الخطاب ليس لرسولنا عليه السلام خاصة
بل يكون لكل احد امر النظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وعنادهم ليكونوا على حذر من
صنيعهم لان لا يحل بهم ما حل باولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون الخطاب للرسول عليه السلام خاصة فان كان
الخطاب له فكأنه امره ان ينظر في عاقبة المجرمين لئلا يرحمهم فلا يدعو عليهم بالعذاب في الهلاك والله اعلم •
وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا • قد ذكرنا فيما تقدم ان معناه ارسلنا شعيبا عليه السلام الى مدين
وقوله اخاهم قد ذكرنا تأويله وقوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • قد ذكرنا ان الرسل عليهم السلام
انما جاؤوا وبعثوا بالدعاء الى توحيد الله تعالى والعبادة له وان لا معبود يستحق العبادة سواه وقوله تعالى
قد جاءتكم بينة من ربكم • قال بعضهم كانت نفس شعيب صلوات الله عليه بينة وحجة لقومه لكنا لا نعلم ذلك
لعدم قيام دليل يوجب العلم غير انه يعلم انه كانت معه آيات وبراهين لكن الله عز وجل لم يبين لنا ذلك اما
نفس محمد صلى الله عليه وسلم كانت حجة وبينة بالاعلام التي جعلت له في نفسه من ذلك الخاتم الذي بين كتفيه
والنور الذي روي انه وقت ولادته والغمام الذي اظله وقت غيبته عن اهله وحفظ نفسه عن جميع ما كان يتعاطاه
قومه من عبادة الاصنام والفواحش وهو صلى الله عليه وسلم بريا من ذلك كله وما لم يوجد عليه كذبا قط وان كان
نشأ بين اظهرهم وغير ذلك من الاعلام التي كانت في نفسه ظاهرة لقومه فلو لم يكن له آيات غيرها لكانت
واحدة منها كافية لمن لم يكابر فكيف وقد كانت له آيات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا ايتها المنصفين على
قبولها ويحتمل قوله قد جاءتكم بينة من ربكم اي حجة وقوله تعالى فاوفوا الكيل والميزان • وذكر في سورة هود
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ثم يحتمل الامر بايفاء الكيل والميزان وجوها احدها انهم كانوا امناء
فامرهم بايفاء الكيل والوزن بالعدل لئلا يذهب عنهم تلك الامانة التي كانت لهم في قومهم والثاني لئلا يظلموا
الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث امرهم بذلك لئلا يقعوا في الربا لانه ما منعوا منهم من الكيل والوزن
والخسر والنقص يكون ربا ولذلك قوله بالقسط اي بالعدل فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان اذا طابت
انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى لذكر القسط لان من زاد آخر على حقه لم يمنع عن ذلك لعلمنا ذلك
من ذلك على انهم لاجل الربا منعوا عن ذلك والله اعلم وذكر قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم انما سماها اشياءهم
لانها للمشتري صار ملكا لهم فان كان يقبض البائع بعد في ايديهم فمن لم يوفوا الكيل والوزن عند التسليم فقد نقصوا عليهم
ومنعوا بعض ملكهم وهذا دليل على ان البيع قبل القبض يوجب الملك للمشتري بني في قوله اوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس اشياءهم انهم كانوا لا يوفون لان الامر بالشيء لا يدل على مباشرة ضده من المأمور وقيل الامر كذلك
النهي عن الشيء لا يدل على مباشرة المنهي عن ذلك هذا انما يدل على المقصود لا غير ولكن انما عرفنا ذلك في سياق قوله وقوله

اوفوا

٣٠١

اوفوا المكيال والميزان بالقسط حيث قال خبرا عنهم قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء الآية وقوله تعالى ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها • اي لا تفسدوا في الارض بعد
ان جعلها الله صالحة لمعاشكم ومقامكم فيها ويحتمل اي بعد ما بعث الرسل عليهم السلام باصلاحها من الدعاء
الى توحيد الله تعالى والعبادة له والطاعة ويحتمل بعدما آمن وتبين ما به صلاحكم وصلاح دينكم وقيل لا تفسدوا
في الارض بعد ما خلقت طاهرة عن جميع انواع المعاصي وقيل بعدما اعطيتم ما تقدرون به على اصلاحها ويحتمل
ان يكون المراد من اصلاح اهلها كقوله وكأين من قرية عتت عن امر ربها اي اهلها وقوله تعالى ذلكم خير لكم •
قال بعض اهل التأويل ذلك وفاء الكيل والوزن خير لكم من النقصان الذي تصنعون ولا تبخسوا شيئا وهو كقوله
بقية الله خير لكم ويحتمل ذلك خير لكم اي اسلم في الآخرة خير لكم من نقصان الكيل والوزن في الدنيا والله اعلم
وقوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون • الآية يحتمل ما قال اهل التأويل ان كبراء اهل الشرك وقادتهم
كانوا يقعدون في الطرق اناسا يصدون الذين كانوا يأتون شعيبا عليه السلام ليؤمنوا به من الآفاق والنواحي
ويكون معنى قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به على هذا التأويل اي تصدون عن سبيل الله من اراد ان يؤمن
به ويحتمل قوله ولا تقعدوا ليس على القعود نفسه ولكن على المنع من اقامة الشرائع التي شرع الله تعالى لشعيب وقومه
اي لا تمنعوهم عن ذلك وهو كقول ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم فعلى ذلك قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
كانوا يمنعون من آمن به عن اقامة الشرائع والعبادات التي دعوا الى اقامتها ويوعدون على ذلك ويخوفونهم فيها او نحو ذلك
وعلى هذا التأويل يكون معنى قوله من آمن به على وجود حقيقة الايمان منهم وقوله تعالى وتبغونها عوجا • اي تلتمسون
بها اهل الزيغ وقيل يبغون هلاك الاسلام وبطلانه وقيل ويبغون السبل التي هي غير سبيل الحق وكله واحد •
وقوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم • يحتمل وجهين احدهما يحتمل اذ كنتم قليلا في العدد من لوط ثم كثر
عددكم لانهم انما تولدوا من بقية لوط عليه السلام ويحتمل اذ كنتم قليلا في الاموال والسعة في الدنيا فكثركم
اي كثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا وقوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين • امر فيما حل بالامم الخالية
بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل عليهم السلام لان من نظر في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن
الافساد في الارض والتكذيب للرسل عليهم السلام اذا علم ان ما حل بهم بما حل لما ذكروا نهم والله اعلم امرنا النظر
في الاسباب التي صار بها من تقدمهم اهل فساد وما نزل بهم من الهلاك والعذاب لينزجر عن مثل صنيعهم والا كان
منكرا انفسهم وزعمهم انهم اهل صلاح لا اهل فساد وقوله تعالى وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت
وطائفة لم يؤمنوا • فاصبروا يا معشر المؤمنين حتى يحكم الله بيننا اي يقضي عليهم بالهلاك ولم يكن شعيب
صلوات الله عليه امر بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طائفة منكم يعني المؤمنين آمنوا بالذي ارسلت به من العذاب وطائفة
يعني الكفار لم يؤمنوا بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتى يحكم الله بيننا في امر العذاب في الدنيا وهو خير الحاكمين
ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون
في اشياء يفعلونها ان الذي نحن عليه هو الذي امرنا الله بذلك فقال لهم حتى يحكم الله بيننا بما ذا امر بالذي عليكم
او بالذي نحن عليه وقوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه • قد ذكرنا ان الملأ من قومه هم كبراؤهم ورؤساؤهم
استكبروا اي استكبروا عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم لانهم كانوا يستضعفون شعيبا ويعيبونه
ويزدرون به كقولهم انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ثم لم يروا الامر بالخضوع لمن دونهم
في الدنيا عدلا وحكمة وهم بما عندهم وذلك من ابليس اللعين حيث ابى وقال حسدا انا خير منه حين امر بالسجود لآدم عليه
السلام لم ير اللعين الامر بالخضوع لادم من الله تعالى عدلا وحكمة فاستكبر عليه وكفر به كذلك هؤلاء لم يروا الخضوع
لمن دونهم عندهم عدلا فاستكبروا عليه فكفروا وقوله تعالى لنخرجنك يا شعيب • قال الحسن اي لنقتلنك والذين
آمنوا معك من قريتنا وقال غيره لنخرجنك الاخراج نفسه اي نخرجك ومن معك من المؤمنين من قريتنا ان لم يتبع ديننا
لكن قد كان الانبياء عليهم السلام كلا المعنيين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا كما قالوا ولولا رهطك لرجمناك
وقول قوم لوط عليه السلام لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وكقول قوم نوح عليه السلام لتكونن من المرجومين وما
اخبر عن قول الكفرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
فدل ان عادة الكفار في حق الانبياء عليهم السلام التوعد بهما جميعا فعلى ذلك يحتمل ان يكون التوعد في حق شعيب
عليه السلام كذلك والله اعلم وعلى ذلك اخبر الله تعالى انهم كانوا يقولون للرسل عليهم السلام جميعا ذلك بقوله
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا دل ان عادة الكفرة انهم كانوا يخوفون الرسل
والانبياء عليهم السلام بالاخراج مرة وبالقتل ثانيا وقوله او لتعودن في ملتنا وانما قالوا ذلك لما كان عندهم
انه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يظهر عبادة الله تعالى فيما بينهم ثم قالوا لتعودن في ملتنا على ما كان عندهم

انه كان على ضلال وهو كما قالوا لصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كان عندهم انه على دينهم فعلى ذلك يحتمل قول هؤلاء في ملتنا من العود الى ما كان عندهم انه على ذلك والله اعلم ويحتمل ان المراد منه هنا ابتداء الدخول فيها والاختيار لها دونا لنعود على زعمهم وان ذكر بلفظ العود فهو كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور على الدخول فيها الا ان كانوا فيها ثم خرجوا وكقوله تعالى رفع السموات بغير عمد ترونها اى رفعها ابتداء من غير ان كانت موضوعة على الارض فرفعها فكذلك هذا وقوله تعالى اولو كنا كارهين اى كيف نعود في ملتكم وكنا كارهين لذلك اى تاتى عقولنا وتكره طباعنا العود الى ملتكم وقوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها • والاشكال انه كيف قال شعيب عم ذلك وكيف اخبر انهم افتروا على الله كذبا لو عادوا الى ملتهم بعد اذ نجاهم الله تعالى منها اضاف الى نفسه الاعادة وذلك بعد الابتداء يكون يحتمل وجوها ثلاثة احدها ان ذلك منه اخبار عن قومه لا عن نفسه اى قد افتروا على الله كذبا ان عادوا في ملتكم بعد اذ نجاهم الله تعالى منها وما يجوز لهم ان يعودوا فيها فاما قوله عن نفسه وقد ذكر في سورة هود عليه السلام يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون اجاب قومه كما اخبر غيره من الرسل عليهم السلام من قومهم حين اوعدوهم بالقتل والتعذيب نحو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم كيدوني فلا تنظرون وكقول هود عليه السلام اني برئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ونحو ذلك من الجوابات التي كانت من الانبياء عليهم السلام لاقوامهم والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون على الابتداء من غير ان كان فيها اى كيف ادخل في ملتكم بعد اذ نجانا الله تعالى منها اى عصمنا الله منها ابتداء على ما ذكرنا من الامثلة ويحتمل انه انما اجابهم بلفظة العود والنجاة منها بناء على ما عندهم انه على ذلك والله اعلم وقوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا • وما يجوز لنا ان نعود فيها ثم قول شعيب عليه السلام في ملتكم قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها تعريض وتسفيه منه اياهم انكم قد افتريتم على الله كذبا لا تصريح بحيث لم يقل قد افتريتم على الله كذبا ولكن قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم على شرط العود وذلك لين ولطف لهم ورفق كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا تعريض معناه انا نحن على هدى وانتم على ضلال وقوله تعالى الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما الاية • حجة لنا على المعتزلة لانه تعالى شاء وجود الكفر من الكافر [illegible] حيث اعتقد شعيب ذلك واستثنى حال المشيئة ما ينبغي لنا ان نعود في ملتكم في حال من الاحوال الا ان يشاء الله ذلك منا فدل ان الكفر يحدث بمشيئة الله تعالى فيكون حجة على المعتزلة واختلف اهل التأويل فيه قال الحسن رضي الله عنه حين حكم الله عز وجل ان من قبل دينه واطاع رسوله باختياره ان يكون وليا له ويسميه مؤمنا ومن رد دينه [illegible] ان يكون عدوا له وتحت كذلك يسمى كافرا فكان قوله الا ان يشاء الله الا ان يحكم الله وانه ما ينبغي لنا ان نعود في ملتكم ونشرك بالله باختيارنا ومشيئتنا دون مشيئة الله تعالى الا ان يحكم الله تعالى انه ما ينبغي لنا ان نعود في ملتكم ونشرك بالله باختيارنا ومشيئتنا دون مشيئة الله تعالى الا ان يحكم الله تعالى انه يجب ان نعود ويكون من احكامه ويعلم ذلك منا فيفعل لما تقدره ذلك حتى يكون باختيارنا الامر كما قدر على اثره وسع ربنا كل شئ علما اى لا يعلم الا ما يصير عاقبة امرنا فلعل الله تعالى [illegible] علينا الولاية او العداوة وقال ابو بكر الكلام في قوله الا ان يشاء الله ربنا الاستثناء [illegible] على صدر الكلام فكان المراد من الملة في صدر الكلام ليس هو الدين الذي هم عليه من الكفر لكن المراد بعض ما يتقربون في دينهم من الافعال والعبادات [illegible] ما من حال الحال المراد من الملة هو الشريعة هنا فكان تقديرها لا ينبغي لنا ان نعود [illegible] التي يحتمل ان يصير شريعة الله تعالى اذ [illegible] الامر بذلك من الله تعالى عن ذلك الا ان يشاء الله ان يصير شريعة [illegible] بذلك والما قال ذلك على الاياس منهم وقطع الرجاء [illegible] بالعود الى ملتكم [illegible] بذلك [illegible] او على الاسلام والاطاعة [illegible] سم الخياط [illegible] كما قال الحسن رحمه الله من حكم الله [illegible] ان يكون من [illegible] فليس فيه [illegible] فلا معنى للاستثناء ولا الاستثناء ينقض صدر الكلام وهو العود الى ملتهم الا ان يشاء الله [illegible] العود الى الكفر حرام لا ينبغي ذلك ولا يجوز شرعا [illegible] وبه يبطل قول الكافي لانه ذكر الملة التي كانوا عليها وكانوا ينتظرون منه العود اليها دون العود الى بعض شرائعهم التي يحتمل التبدل الا ان الحاجة فينبغي ان يرجع الاستثناء اليها حتى يكون جوابا لسؤالهم لا الى غيرها [illegible]

واما قول جعفر بن حرب ان الاياس وقطع الطمع عن ذلك فبعيد ايضا لان الاياس انما يكون فيما يعلم استحالته نحو ما ذكر ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ونحوه فاما في مثل هذا فانه لا يستقيم فيه الاياس وكانوا يقولون ان الله تعالى امرهم بالشرك والفواحش واذا كان الكفر عندهم مامورا لا يستحيل الامر والاباحة فانى يقع الاياس بذلك بل انما قالوه فاسدا عندنا فنجري الاية على حقيقتها في الفعل حقيقة المشيئة وذلك ان من علم الله منه ان يختار فعل الكفر ويؤثر ذلك على فعل الايمان والطاعة شاء له ذلك على ما علم انه يختار ومن علم منه انه لا يختار ذلك لم يشأ له ذلك بل شاء له ضده اذ لا يجوز ان يعلم من المرء غير الذي يعلم انه يكون منه فيؤدي الى ان يصير مغلوبا فيما شاء فيكون عجزا تعالى الله عن ذلك واصله ان شعيبا خاف ان يسبق منه زلة او تقصير يقع منه لاختيار لذلك فيشاء الله بذلك الزيغ والضلال وكذلك جميع الانبياء عليهم السلام خافوا كقول ابراهيم عم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا الاية وكقول يوسف عم حيث قال الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء كان خوف الانبياء عليهم السلام اشد من خوف غيرهم وقد ذكرنا وجه ذلك في موضعه وقوله تعالى وسع ربي كل شئ علما • معناه والله اعلم اي نعلم الى ماذا يصير عاقبة امرنا في علم الله تعالى وانما قيل ربنا اتسع علمه وبلوغه كل شئ وقوله تعالى على الله توكلنا • قيل على الله اعتمدنا فيما يخوفونا من الاخراج واليه نلجا في سلطانه وملكه وبه نثق في وعده بما وعدنا من الاجر والنصر والظفر على الاعداء وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين • قيل افتح اى احكم بيننا وبين قومنا بالحق وروى عن ابن عباس رض قال ما كنت اعلم ما معنى الفتح في الاية حتى تزوجت امرأة من بني كذا فوقعت بيننا مخاصمة فقالت لي تعال حتى افاتحك الى فلان فعند ذلك عرفت ان المفاتحة هي المحاكمة وقوله بالحق قيل هو العذاب الذي كان اوعدهم بان ينزل عليهم بتكذيبهم شعيبا وبايذائهم اياه ثم المعتزلة ادعت تعلقا بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاية في دفع سؤال [illegible] في سؤال الاصلح واللطف لان الانبياء عليهم السلام والاخيار يقولون على سبيل الدعاء والسؤال اللهم [illegible] اعصمنا واصلح ديننا ولما كان اعطاهم ذلك كله وبقي في مقدوره ما هو صلاح لهم لم يكن للسؤال معنى فيكون ذلك سؤال الامتناع عن الجور كانهم قالوا اللهم لا تجر علينا [illegible] علينا على سبيل الاحتجاج ان الله تعالى قال خبرا عنه صلوات الله عليه ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ولا يؤدي ذلك الى ما قلتم لانه يخرج السؤال على ترك الجور والامتناع عنه اى لا تجر علينا وكذلك قال في اية اخرى رب احكم بالحق ونحوه لكن عندنا يخرج بقوله احكم بالحق وافتح بيننا بالحق على وجوه احدها لعله ربنا افتح بيننا بحق لك هو الحق والثاني يقول ربنا احكم بالحق في حادث الوقت كما علمت في الوقت الماضي وهو كقوله اهدنا الصراط المستقيم وهو [illegible] والهداية [illegible] على استعمال العذاب بهم والله اعلم وقوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا من قومه • قد ذكرنا معنى الملأ وهم الاشراف والقادة [illegible] الرؤساء قالوا للاتباع والسفلة لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون قال ابو بكر الجاهلون ثم يحتمل قوله انكم اذا لخاسرون وجوها احدها ان شعيبا كان يحذرهم عن التطفيف في الكيل والوزن ويامرهم بوفاء حقوق الناس بقوله اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وبقوله اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيقول الكبراء والرؤساء للسفلة لئن اتبعتم شعيبا في دينه وما يامركم به من وفاء الحق للناس انكم اذا لخاسرون في الارباح والثاني انه كان يحذرهم ويمنعهم عن عبادة الاصنام والاوثان ويدعوهم الى العبادة لله تعالى ويرغبهم في ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام ليقربهم عبادتهم اياها الى الله تعالى زلفى ويكون لهم شفعاء في الاخرة فقالوا لئن اتبعتم فيما يدعوكم اليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين لا شفعاء لكم في الاخرة والثالث انهم كانوا يوعدون شعيبا وقومه بالاخراج كقولهم لنخرجنك يا شعيب فقالوا لئن اتبعتم شعيبا وهو يخرج لا محالة فيخرجونا انتم فتصيرون من الخاسرين والله اعلم وقوله تعالى فاخذتهم الرجفة • قيل الصيحة وقيل الزلزلة لما قيل انهم اصابهم حر شديد فبعثت سحابة فخرجوا يطلبون الروح تحتها فلما كانوا تحتها سال عليهم العذاب ورجفت بهم الارض فهلكوا وهو ما ذكر في اية اخرى عذاب يوم الظلة والله اعلم وقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين هو والله اعلم مقابل قولهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فجاوبهم بقوله الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين لا الذين اتبعوه والله اعلم وقوله تعالى كأن لم يغنوا فيها اى كأن لم يغنوا فيها ولم يعمروا قط وقيل كأن لم يقيموا فيها قال القتبي رض يقال غنينا بمكان كذا وكذا اى اقمنا ويقال للمنازل مغاني واحدها مغنى ويقال كأن لم يعيشوا فيها اى كأن لم يكونوا فيها قط [illegible] والله اعلم لما كانوا يستقلون [illegible] حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ونحوه كل ذلك اخبار عن قطع اثارهم انه لم يبق منهم احد يحزن عليهم ويبكي عليهم وقوله تعالى فتولى عنهم • افحين رآهم هلكى فقال شعيب فكيف آسى على قوم كافرين اى كيف احزن على قوم قد كذبوني في الحال فيما اوعدتهم وصاروا لي اعداء فكيف احزن عليهم الهلاك وهم اعدائي وجائز ان يكون شعيب

حيث قال فكيف آسى على قوم كافرين حيث علم انهم يهلكون وينزل بهم العذاب لا محالة وعلى هذا ما ذكر حيث قال بعضهم
هو على التقديم والتأخير قال ذلك في الوقت الذي قال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الاية يقول كيف احزن
على قوم وعلمهم ما ذكر وقوله تعالى لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وقد ذكرنا هذا وقوله تعالى وما ارسلنا
في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون في الاية اضمار من وجهين والله اعلم احدهما
قوله وما ارسلنا في قرية من نبي الا فكذبوه الا اخذنا اهلها المكذبين له بالباساء وما ذكر والا لا يحتمل ان يرسل
اليهم رسولا ثم ياخذهم بما ذكر من غير ان كان منهم رد او تكذيب لهم والثاني وما ارسلنا في قرية اهلكناها من نبي
الا اخذنا اهلها قبل الهلاك بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم لم ياخذ الله عز وجل قوما بالهلاك قبل ان يبعث
اليهم الرسول وقيل لا يغير ما هم فيه من النعم عليهم بانفسهم كقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث رسولا وقال ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كان ربك ليهلك القرى الا واهلها ظالمون وغير ذلك من الايات اخبر
انه لا ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان له الاهلاك قبل ان يبعث اليهم الرسول لما
ركب فيهم من العقول السليمة مما يوصل الى نعم كل ما جعل فيهم من آثار وحدانيته وآيات ربوبيته وما جعل لهم
من السمع والنطق مما يوصل الى سمع كل ما غاب والنطق بما يبلغون به الى تحصيل ذلك لغيرهم من البهائم ومما انعم
عليهم من احسن الصور التي لم ينعم احد يحكي به منها الا غيرهم من الصور لكن لا يهلكهم الا بعد بعث الرسل
اليهم لما ان الخلق على مراتب منهم من يفهم بالعقل لا يحتاج الى معرفة السمع وهم الحكماء العلماء الذين يدركون الاشياء
بالفكر والاستدلال الصريح ومنهم من لا يدرك الا بمعونة السمع وهم الصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع في
فصل البنية ومنهم من لا يفهم ولا يدرك ذلك لا بالعقل لغلبة الهوى عليه ولا بالسمع لقلة التامل في آيات الرسل
ليعرفوا صدقه بها ثم يصيبهم الشدائد والفقر في انفسهم وفيما انعم عليهم كالبهائم الذين لا عقل لهم ولا سمع
ولكن يعرفون الشدائد والبلايا وما يصيبهم من البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا
وما يصيبهم من البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عز وجل ويبتليهم بالشدائد والبلايا وما يصيبهم من البلايا والاذى
فانهم جبلوا على ذلك عرفوا انهم ولا اهلكهم بعد ذلك يتذكرون ويتقون وذلك قوله فاخذناهم
بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون اي لكي يكون عليهم التضرع او لكي يلزمهم التضرع والتذكير قوله تعالى ثم بدلنا مكان
السيئة الحسنة ذكر اهل التاويل هو السعة والرخاء بعد الشدة والقحط ما حل بهم من البلايا حتى عفوا
قيل جموا وكثروا اي كشف عنهم ذلك حتى كثروا وقيل حتى عفوا كان اهلك بعضهم وترك بعضا حتى عفوا
من ذلك البعض ولكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله تعالى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اي قالوا انا كان نزل
بهم ذلك ويصيبهم مرة شدة ومرة نعمة ولم يكن ذلك عقوبة لهم فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدائد والبلايا
ليس ذلك بعقوبة لنا فكذب واذا النعم وتصرفهم على الشدة والبلاء وعلى النعمة والخصب لكي ثم اخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون ليعلموا ان ذلك كان عقوبة لهم وقطعا لعذرهم ثم سمى ذلك اخذا بالبغتة لان
الهلاك في حال الشدة والبلاء لا يكون اخذا بغتة لانه من حل به بلاء وشدة يخاف فيه الهلاك فاذا اهلك
تلك الحال لم يكن اخذا بالهلاك بغتة الا ترى انه سمى الموت الذي يموت المؤمن من غير مرض حل به موت فجاءة والذي
يموت بمرض يتقدم الموت لا وان الموت في الوجهين جميعا لا يعلم بحلوله لكنه اذا لم يتقدمه مرض لا يخاف منه
واذا كان بمرض يخاف منه فلم يكن فجاءة فعلى ذلك الشدائد الخفية في حال الشدة لم يكن اخذا بالبغتة لما يخاف
فيها الهلاك واذا كانوا في سعة ورخاء لا يخافون فيؤخذون في تلك الحال الغفلة اخذا بالبغتة وهو اشد
والله اعلم وقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الاية قيل امنوا واتقوا قبل ان يهلكوا بعد ما اصابهم من الشدائد
والبلايا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لاعطوا كل خير ينال من الارض والسماء والبركة كل خير
ينال من غير مؤنة ولا تبعة ولكن كذبوا الرسل عليهم السلام فاخذناهم بما كانوا يكسبون من التكذيب لكفران
والله اعلم ثم ذكر هاهنا انه يفتح عليهم بركات السماء والارض لو امنوا واتقوا ثم ذكر في موضع آخر انهم لما نسوا
ونسوا ما ذكروا به فتح عليهم ابواب كل شيء بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما
اخذناهم بغتة ولم يذكر البركة لان فيما لم يذكر البركة وان فتح لهم ابواب النعم ولكن تلك النعم تصير سببا لهلاكهم
في العاقبة لما اقدموا على الكفران ويحق عليهم اللعنة والعقوبة بذلك وفيما ذكر فيه من البركة بعد الايمان لا يلحقهم
تبعة ولا غرم لان البركة كل شيء لا تبعة عليه ولا شدة والله اعلم وقوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا
وهم نائمون خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة على الايجاب كقوله تعالى افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله الاية في الظاهر وان خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة على الايجاب
كانه قال في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا ان يحيف الله عليهم فعلى ذلك قوله افامن اهل القرى ان ياتيهم وامن اهل القرى

على الايجاب كانه قال قد امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى الاية ثم اختلف في قوله
افامن اهل القرى وامن اهل الاية قال الحسن رحمه الله هذه الايات في الامم السالفة اخبر عن امنهم بمكر الله وعذابه
بهم حين ذكر في هذه الاية ليكونوا على حذر عن مثل صنيعهم وقال الاخرون هذه الاية في هذه الامة لا في الامم السالفة
يقول لا تخافوا باسنا كما امن اولئك منه فانهم اذا صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الاخرة من العذاب ما نزل بهم
في الدنيا وقوله باسنا بياتا وهم نائمون وقوله باسنا ضحى وهم يلعبون اخبر ان العذاب انما نزل بهم في حال الامن
وهو وقت النوم والغفلة ووقت الغفلة واللهو وامن ما يكون الانسان انما يكون في حال النوم فذكر هذا والله اعلم
اهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم لئلا يكونوا آمنين عن باس الله تعالى في وقت من الاوقات
والله اعلم وقوله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المكر في الشاهد هو ان يراقب
من عدوه حال الغفلة لينتقم منه وينتصر لكن في حق الله تعالى لا حاجة الى المراقبة لقدرته على الانتقام منه في
حال ما شاء لكن سمى ما ينزل بهم في حال الغفلة مكرا بطريق المجاز لوجود بعض ما في الحقيقة وهو باعتبار حال
الغفلة فقد عدم وصف المراقبة وهذا طريق المجاز في اللغة هو المشابهة في بعض ما في الحقيقة ونظير ما قلنا
لفظ الامتحان والابتلاء يستعمل في حق الله تعالى وان كان الامتحان والابتلاء فيما بين الخلق هو استظهار ما خفي
عليهم مجعلهم من بعض فيامرون بذلك وينهون ليظهر لهم ما خفي عليهم فاطلق لفظة الابتلاء والامتحان
على الامر والنهي من الله تعالى وان كان ما خفي على الخلق من الخفيات ظاهرا في حقه بطريق المجاز لما في الامتحان
من الامر والنهي ويحتمل انما احد من الله سمي مكرا وان لم يكن مكرا على الحقيقة لما انه جزاء مكرهم فسمي جزاء المكر
مجازا كما سمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء فعلى ذلك تسمية الجزاء الواجب بالمكر مكرا وان لم يكن مكرا
على الحقيقة والدليل على انه لا يجوز ان يكون مكرا على الحقيقة فانه لا يجوز ان يسمى ماكرا ولو كان على حقيقة المكر
لجاز التسمية بذلك فدل ان التسمية لما ذكرنا من الوجهين بطريق المجاز اما بطريق المشابهة او بطريق التسبيب
والله اعلم وقوله تعالى اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها من جعل الاية في الامم السالفة فتاويله
ان يعقلوا او لم يتفقهوا او لم يستمعوا للصواب بهلاك ابيهم امة بعد امة وقوم بعد قوم ومن يقول هذه الاية في هذه
الامة فتاويله ان يعقلوا اولم يتبين لهؤلاء الذين يرثون وورثوا الارض بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
اي عذبنا الارض من بعد هلاك اهلها ان لو نشاء اصبناهم بعذاب ذنوبهم كما اصاب اولئك العذاب
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم الاية ثم قوله اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها قرئ على اسقاط
الالف والواو لم يهد الذين يرثون الارض وقرئ على اثبات الالف والواو اولم يهد للذين يرثون الارض
فمن قرا بالاسقاط فقراءته يحتمل وجوها احدها على النفي اي الاثبات اي قد هداهم وبين لهم انهم انما
انما اهلكوا لما اصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد لكنهم لم يهتدوا لعنادهم والثاني اعلم يهدهم لما لم يتفكروا
ولم ينظروا فيما امثال الاولين وما حل بهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام انهم اذا تركوا التفكر والتامل
والثالث يحتمل لم يهد لهم انهم لم ينتفعوا بما هداهم فكانه لم يهدهم وهو كما نفى عنهم السمع والبصر
والعقل مع الوجود حقيقة لما لم ينتفعوا بها فهذا مثله واما القراءة باثبات الالف والواو فمعناه لم يبين
لهم الرسل عليهم السلام وتدبره انه تعالى في اهلاك اهلاك الامم الماضية ليعلموا انه قادر على اهلاك الذين
يرثون الارض من بعد اهلها ويحتمل اولم يهد لهم وراثة الارض من بعد هلاك اهلها انهم اهلكوا
حتى يتركوا ويتقوا عن مثله والله اعلم ثم قوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان كانت في الامم السالفة
فمعناه ان لو نشاء اصبنا قوما بعدهم بذنوبهم ان كانت في المتاخرين فيكون تاويله ان لو نشاء اصبنا
بذنوبهم ان كانت في المتاخرين فيكون تاويله ان لو نشاء اصبنا هؤلاء بذنوبهم على ما اصاب اولئك بذنوبهم
وقوله تعالى ونطبع على قلوبهم يحتمل ان نختم على قلوبهم لان الطبع هو الختم ويحتمل الطبع ظلمة الكفر
اي نستر قلوبهم ظلمة الكفر وكل شيء ستر شيئا وغشاه فهو طبع وقوله تعالى فهم لا يسمعون يحتمل
وجهين يحتمل لا يسمعون اي لا ينتفعون بسمعهم ويحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده
اي اجاب من دعاه وقوله تعالى تلك القرى نقص عليك من انبائها قوله نقص عليك اي قصصنا عليك
بما هو حق من الانباء يخبر رسوله عليه السلام بما قص عليه ان اهل القرى الذين كانوا من قبل سالوا رسلهم
الايات فجاءوا بها فلم يؤمنوا ولم يصدقوها فعلى ذلك هؤلاء انك لو اتيت بما سالوا من الايات لم يؤمنوا بها
ولم يصدقوها يخبر عن تعنتهم وعنادهم والثاني يخبر ان الايات ليس يجيئان بامر بها من ذلك يريدون انما عليهم
ان ياتوا بما هو حجة في نفسه والله اعلم وقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل وجوها ان الاية
الايات الرسل عليهم السلام قوم من نزول العذاب بالتعذيب الكفر بها ويحتمل البينات الايات التي كانت على

صدق رسالة الرسل بما يقولون ويخبرون بعد ما سألوهم الآيات التي ردوها رد عناد ومكابرة بعد ما عرفوها
وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل • اي لا ينفعهم ايمانهم عند رؤيتهم بأس الله كقوله لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل الآية ويحتمل اي ما كانوا ليؤمنوا بسؤالهم الآيات اذا اتاهم الآيات بما كذبوا من قبل لان تركهم
الايمان وتكذيبهم الرسل عليهم السلام ليس لما لم يكن لهم الآيات ولكن للتعنت فاخبر انهم وان سألوا الآيات
فانهم لا يؤمنون والثالث ما كانوا ليؤمنوا بخبرهم الرسل عليهم السلام من اتيان العذاب بهم بما كذبوا من قبل من الآيات
وقوله تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد • يحتمل العهد المذكور وجوها احدها الخلقة التي في خلقة كل احد الشهادة
بالوحدانية والالوهية فلم يوفوا تلك العهود بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله تعالى عليهم على السنة الرسل
عليهم السلام كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وامنتم برسلي الآية فلم يوفوا بذلك
والثالث ما اعطوا من انفسهم من العهد كقول فرعون لموسى عليه السلام يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل الآية فلم يوفوا بما اعطوا اياها من العهود
والله اعلم وقوله تعالى وان وجدنا اكثرهم لفاسقين • اي وقد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد والله اعلم
وقوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى • يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك فراعين كثير موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه ثم قوله بآياتنا يحتمل حججا والحجج يحتمل حجج وحدانية الله تعالى والوهيته ويحتمل حجج رسالته
ونبوته وقال الحسن رحمه الله بآياتنا بديننا وكذلك تأويل الآيات عنده في جميع القرآن وقوله تعالى الى فرعون وملائه
ذكر ههنا ان موسى عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون وملائه وذكر في بعض الآيات انه كان مبعوثا الى فرعون
وملائه والاتباع جميعا لا الى فرعون وملائه خاصة لكن يخرج تخصيص ذكر هؤلاء القادة والله اعلم
لما ان الذي ينازع الانبياء والرسل عليهم السلام هم الكبراء والرؤساء دون الاتباع والسفلة واما الاتباع فيتبعون
عن اما الكفر ويتبعونهم في الامور وفيما يدعونهم اليه وعلى ذلك سمي الكبراء والرؤساء اضدادا للرسل ولانه
كان موسى عليه السلام مبعوثا الى الكل الوضيع منهم والرفيع ولا قوة الا بالله وقوله تعالى فظلموا بها • قال بعضهم
ظلموا الآيات والحجج التي اتاها موسى عليه السلام فرعون وقومه سمى ذلك ظلما لانهم سموا تلك الآيات سحرا بعد
ما عرفوا انها منزلة من الله تعالى فوضعوها غير موضعها والظلم وضع الشيء غير موضعه وقال آخرون فظلموا بنعم الله
التي انعمها عليهم حيث عبدوا غيره فصرفوا شكر تلك النعم الى غير من انعمها عليهم فذلك الظلم شكروا من
لم ينعم عليهم وصرفوا الشكر الى غير من انعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا بها اي ظلموا الاتباع بتلك الآيات حيث
منعوهم عن اتباع الرسل عليهم السلام واستتبعوهم ويحتمل ظلموا بها انفسهم حيث تركوا اتباع الآيات
والله اعلم وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين • هذا الخطاب في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان المراد بالخطاب غيره امر كل بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم لان من نظر في عاقبة
ما حل بغيره بسبب معصيته وفساده يمتنع عن مثله حتى لا يلحقه مثل ما لحق ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما المانه لما حل بهم من بعض التسلي لاذاهم اياه لان من توهم حلول الهلاك
على عدوه في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض التسلي في ذلك والله اعلم والثاني لتذكرهم ويشبههم ما حل
بهم في العاقبة بسبب ما كانوا يباشرون من الكفر والعناد ليمتنعوا عن ما ارتكبوا من افعالهم ولان ذلك انزل
وقوله تعالى وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين • وللاشكال ان يقال كيف قال اني رسول من رب العالمين
وهذا يخرج في الظاهر مخرج تزكية نفسه والامتداح لها وقد نهى الله عن ذلك بقوله فلا تزكوا انفسكم
فانه اخبر انه المحل الذي يوضع فيه الرسالة وانه اهل لها ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكيته لها لانه انما
يذكر منة الله تعالى على نفسه حيث وضع فيه الرسالة وجعله اهلا لها فيكون شكر النعمة قال الله تعالى واما بنعمة
ربك فحدث فاما التزكية والامتداح انما يقع فيما هو فعله حقيقة لا فعل الله تعالى ويحتمل الجواب انه كان على
هذا تزكية وامتداحا لنفسه لان الله تعالى امره بذلك لما يتضمن امرا واجبا عليه وهو تبليغ رسالته الى
خلقه التي يتضمن حكمة بالغة ومصلحة الخلق تامة ولا يمكن ذلك الا بعد اضافة الرسالة الى نفسه وتزكية
النفس لعينها يقبح اما لغيرها فلا ويحتمل انه اراد بذلك تعريف نفسه بالرسالة صيانة لنفسه عن الهلاك
لان من عادة الملوك انهم اذا بعث بعضهم الى بعض رسولا فانهم لا يستقبلون الرسول بالمكروه والشر بل
يعظمون الرسل ويكرمونهم وان كان بينهم معاداة فذكر انه رسول من رب العالمين لئلا يستقبل بالمكروه
والله اعلم وقوله تعالى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق • قال اهل التأويل ان موسى عليه السلام قال لفرعون
اني رسول من رب العالمين فقال له كذبت لم يرسلك الله بنحو هذا فعند ذلك قال حقيق على ان لا اقول على الله
الحق اي ما كان ينبغي لي ان اقول على الله الا الحق وهذا هو الظاهر فان مثل هذا الكلام لا يمكن الا بعد مقدمة

فيكون هذا الكلام خرج جوابا لما قال له فرعون على ما قال اهل التأويل ونحو ما قال عيسى عليه السلام سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق لما قال الله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله كان ذلك
القول من عيسى عليه السلام نفي ما ادعوه عليه انه قال لهم ذلك فلذلك قال سبحانك انت ولسانه
خرج ذلك القول منهم جوابا لما تقدم فيكون ذلك على الاول قول موسى عليه السلام حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
خرج على ما تقدم كان منهم ويحتمل ان يكون منه ذلك على غير تكذيب القول من فرعون ولكنه قال ذلك لما انه حقيق
على كل احد اكرمه الله تعالى بالرسالة واختاره لها ان لا يقول على الله الا الحق ويحتمل ان يقول اني رسول من رب العالمين
حقيق على بعدما اكرمني بالرسالة ان لا اقول على الله الا الحق ثم حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق بتخفيف
على وتشديده فمن قرأ بالتخفيف فالحقيق فعيل بمعنى مفعول اي محقوق على ان لا اقول على الله الا الحق ومن
قرأه بالتشديد فتأويله حق علي ان لا اقول على الله الا الحق والله اعلم وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم
يحتمل قوله ببينة من ربكم ما بين وحدانية الله تعالى والوهيته ويحتمل بحجة الرسالة فانه بين انه رسول
رب العالمين غير كاذب عليه ولا مفتر وقوله تعالى فارسل معي بني اسرائيل • اي لا تستعبدهم فانهم
ليسوا بعبيد لك لم يرد ارسالهم ليذهبوا معه ولكن طلب منه استنقاذهم من العبودية وهو قوله ان عبدت بني
اسرائيل وقوله تعالى قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين • دل قول فرعون ان كنت جئت
بآية ان موسى عليه السلام اراد بقوله قد جئتكم ببينة الآية ودل قوله ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين
انه لعنه الله قد كان عرف انه ليس بإله وعرف عبودية نفسه حيث طلب منه الآية على صدق ما ادعى من الرسالة
ولو كان عنده انه اله لكان قال لموسى عليه السلام انا الاله فمن ارسلك ولم يطلب منه الآية وقوله تعالى
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين • قال ابو عوسجة الثعبان الحية وقال كل حية تسمى ثعبانا والثعابين
جماعة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الثعبان الحية الذكر وقوله مبين اي مبين انها حية وهي كما ذكر في قوله فاذا هي
حية تسعى مبين اي لا يشك احد انها ليست بحية ويحتمل اي مبين ان كان ذلك الثعبان على التحقيق لا يكون
الامر تخييلا وقوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين • ذكر انه نزع يده ولم يذكر من ماذا نزع وقد ذكر
في الآية الاخرى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قيل اي من غير برص وقال اهل التأويل
من غير برص ولكن عندنا من غير سوء اي من غير ان تستقبح وتستقذر لان خروج الشيء عن خلقته وجوهره مما تستقذر
ذا حكم انه لم يكن كذلك من غير ادخال وكذلك في صيرورة العصا حية بعد ما طرحها على الارض دون
ان تصير حية وهو في يده قيل والله اعلم اما في العصا فظاهر فانه اراهم فيها آية بعدما اخرج العصا عن سلطان
موسى عليه السلام وتدبيره ليعلم انها صارت حية لا بتدبيره وتغييره ولكن بالله عز وجل وكذلك
ايضا اليد صيرها بيضاء بعدما غيبها عن بصره وتدبيره حتى لا يتوهم متوهم انه ينفخ فيها او يوقع عليها شيئا باليد
الاخرى والله اعلم والثاني هذا امتحان من الله تعالى اياه ليكون محتسبا لربه في كل حال لينال به الانتهاء
ونظير العبودية والطاعة في كل شيء والله اعلم وقوله تعالى قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم
وقال في آية اخرى قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم اي قال فرعون للملأ ويحتمل ان يكون فرعون قال للملأ
ان هذا كذا ثم قال الملأ لقومهم ان هذا الساحر عليم ارادوا والله اعلم تلبيس ما اتى به موسى عليه السلام من الآية
على قومهم وزاد بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره لغرقوته علمنا بالسحر عندنا هل هو من آيات الرسالة
في الجملة لانه لا يستفاد الا بعلم من السماء وفي غيرها وكذلك هذه الحرف والمكاسب التي تكتسب في الخلق
لانها لا تعلم الا بالوحي من السماء لكنه ليس آية على الاشارة والتعيين اعني انه ليس آية في حق كل شخص
وحده لانه قد يوجد من الشخص بطريق التعلم من غيره الى ان ينتهي الى الوحي بالحرف والمكاسب سواء وهذا الطريق
معناه الآية ما خرجت على نقض العادة وانما تكون آية بوصف خاص وهو ان توجد منه في حق من يعرف انه
لم يحصله بالتعلم فيتبين فحقه الوحي وهو خلاف العادة فيكون آية في حق موسى عليه السلام لو كان ما اتى
سحرا لكان آية لوجود طريقه لانه نشأ بين اظهرهم ولم يروه اختلف في ذلك الى احد للتعلم الا ان الله تعالى
اخرج ما ظهر على يده من نسج السحرة وتدبيرهم اذ السحر له مبلغ معلوم يعرفه كل من له حظ فيه انه لا يتجاوز عن
مجرى العادة مثل القادة الحكاوة والحبو الطرح ونحو ذلك وان كان ذلك منفردا الله تعالى على طريق تخصيص الشيء
في مقدور الساحر اذا صرفه عن محل قدرته لكن اجرى الله تعالى العادة على ظهور ذلك على يد الساحر عند وجود
اسبابه من الرقية ونحوها فالمخرج على حد المعتاد مثل احياء الموتى واثبات الحياة في الخشب ونحو ذلك
يعرفه من له بصر في بابه انه خارج عن تدبيرهم وانه ليس مما اجرى الله العادة ولا يكون سحرا فيتيقن انه آية من آيات الله
تعالى يظهرها على يدي من يدعي الرسالة ليصدقه في دعواه بهذا الطريق عرف سحرة فرعون كون ذلك انه ليس من جنس

السحر وان كان السحر بنفسه انه لان لا يطعن عليه احد فيقول انما اتى به سحر لا اية والله اعلم ولا يقال ان السحر لما كان
امرا يظهر على نقض العادة فربما ياتي به الساحر في موضع لا علم لهم بذلك فيدعي النبوة فيقتضي تحقيق لما ذا كان امر
يظهر على ايدي السحرة على مجرى العادة عند وجود اسبابه باحداث الله تعالى اياها اجرى العادة بذلك اذا لم يدع النبوة
عقيبه النبوة والرسالة اما اذا ادعى لم يظهر بل يصرفه عن ذلك لئلا يقع الفرق بين الكاذب والصادق وهو كما
قلنا في القران انه معجز ثم اذا اراد احد ان يتحدى به النبوة فحق قوم لم يبلغهم ذلك يعجز عن اتيانه ليظهر كذبه
وكذلك هنا فلا يقال لا ان سحرة فرعون قد اتوا بجنس ما اتى به موسى من ان ما الحبال التي الحبال والعصي مثل الحية
صورة لان ذلك تخيل من سعيه وانه جنس اخر وراء السحر لا حقيقة له وانما ذلك اخذ الاعين واما السحر
فهو تقلب الجواهر لكن يحد معلوم لا على الاطلاق وكل شيء يعرف السعة من السحر والله اعلم وقوله تعالى تريد ان
ان يخرجكم من ارضكم بسحره • كان موسى عم لا يريد ان يخرجهم من ارضهم لكن والله اعلم كان فرعون قال ذلك
لقومه اغواء لهم اي ان اتبعتم موسى عم واجبتموه الى ما يدعوكم اليه لاخرجكم من ارضكم لكن اضاف الى موسى عم
لما كان هو سبب اخراجهم والله اعلم ويحتمل ان يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب ودر احتكم وتلذذكم بانواع
التلذذ لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل ويستخدمونهم وليس يجوعون ويسعون فيقول الفقراء يريد ذهب
بذلك كله عنكم ويحتمل ان يكون موسى عليه السلام لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من
ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذي كانوا عليه فكنّه كان يحري من خلفه وقوله تعالى فماذا تامرون
دل هذا القول من فرعون لقومه انه يعرف انه ليس باله ولا رب لانه لو كان يحقق ما ادعاه انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري
لنفسه لكان لا يطلب من قومه المشاورة في ذلك فدل ذلك ان كان يعرف عجزه وضعفه لكنه يكابر ويلبس
على قومه وتمويه يقوله ان هذا لساحر عليم ثم خوفه بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره هو يخرجهم فاخرهم ويحرضهم
عليه وقوله فماذا تامرون هو حرفه تقرب حيث جعل الامر الى الاشارة وجعلهم من اهل مشورته وقوله تعالى
قالوا ارجه • اي اخره هذا الحرف لا يقال ابتداء الا ان يكون هنالك تقدم شيء يكون منهم فعله كقوله ذروني
اقتل موسى وليدع ربه فقالوا ارجه واخاه اي اخره واحبسه واخاه هرون عليهما السلام ولا تقتله ليبين
سحره عند الخلق جميعا كانوا يمنعون فرعون عن قتله الا ترى انه قال اقتل موسى والله اعلم وقال القتبي
ارجه واخاه اي اخره ومنه قوله تعالى ترجي من تشاء ومنه سميت المرجئة قال ابن عباس رضي الله عنهما
ارجه واخاه هرون يقول احبسهما ولا تقتلهما وقوله تعالى وابعث في المدائن حاشرين • اي ابعث الى المدائن
الشرط حاشرين اي يحشرون عليك السحرة ويجمعون ويأتون بكل ساحر عليم ويجمع كل انواع السحر ليتبين سحره
لا لان كان ساحر واحد كافيا ولكن ارادوا ما قلنا بقوله يأتوك بكل ساحر عليم ان يجمع جميع انواع السحر عنده
ليتبين سحره والله اعلم وقوله تعالى وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم
لمن المقربين • اي في القدر والمنزلة عندي هذا يدل على ان همة الساحر ليس الا الدنيا الا انهم طلبوا من فرعون
الاجر في القدر والمنزلة عنده ان كانوا هم الغالبين ولا يجوز من همته هذه الدنيا ما ذكر ان يكون للرسالة
بحال وهمة الانبياء عليهم السلام كانت هي الدين وطلب الاخرة وقوله تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين • هذا ليس على القاء موسى عصاه وترك اولئك الالقاء وان كان ظاهر الاية هذا
لو كان على القاء احدهما لكان لا يتبين السحر من الاية لكن المراد هو الاولية في الالقاء كانهم قالوا يا موسى
اما ان تلقي اولا او نحن الملقون اول مرة وهو كما ذكر في اية اخرى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى وقوله
قال القوا • وقال في موضع اخر القوا ما انتم ملقون كان امر الله تعالى موسى عليه السلام ان يامر بذلك فقال
القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم هذا يدل على ان السحر انما ياخذ الابصار على حقيقة كانت له
وهو كالسراب كذا يرى من بعيد يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فعلى ذلك السحر ياخذ الابصار
ظاهرا فاذا هو في الحقيقة باطل لا شيء وهو كالحبال التي القوا لا حقيقة له وهذا النوع من السحر كذلك من
باب التخييل فاما اثبات الحياة في الخشب خارج عن صنع السحرة وليس من جنس السحر لكنهم يخيلون الناس بما
ياخذون ابصارهم ظاهرا وكان يغضهم بذلك استرهاب الناس وتخويفهم به الا ترى انه ذكر في اية
اخرى فاوجس في نفسه خيفة موسى وقال سحروا اعين الناس اي خيلوا وكقوله انكم مسحورون اي تاخذ
اعينكم فاما السحر الحقيقي فيقدر ما اجرى الله تعالى في العادة يظهرون على يدي السحرة باسباب والات وصنعت
لذلك خلافا للمعتزلة ان ذلك كله خيال وتمويه لا حقيقة لشيء من ذلك وعندنا هو نوعان والله اعلم ثم
قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى يخرج على وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره وعينه كما اخذ عين الناس
والثاني خاف ان يكون سحرهم يمنع اولئك السحرة عن رؤيته حقيقة ما جاء به من الاية وقوله تعالى وخاف

بسحر عظيم • اي جاؤوا بسحر اعظم مما احتمل وسعهم وقد ذكرنا ان ما جاء به السحر في الحقيقة لكان ذلك
حجة لهم في اثبات الرسالة لان قومهم لم يروهم اختلفوا الى ساحر قط فيعرفوا ضرورة انه انما عرف ذلك بالله
وهو كالانبياء الذي انباها رسولنا صلى الله عليه وسلم يكون اية ومعجزة على رسالته بهذا الطريق وقوله تعالى واوحينا
الى موسى ان الق عصاك • فيه دلالة ان موسى عليه السلام كان لا يلقي عصاه الا بعد الامر ويحتمل انه فعل ذلك
امتحانا لموسى عليه السلام ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن فالا كان قادرا ان يفلق البحر من غير الامر
بالضرب بالعصا وكذلك يفجر الحجر ويسق على غير ضرب بالعصا وكذلك يصير العصا حية من غير الامر بالالقاء
ولكن امر بذلك كله امتحانا امتحانا والله اعلم امتحانا وابتلاء على الامتثال والله اعلم وقوله تعالى فاذا هي تلقف ما يافكون
اي ما جاؤوا به من التكذيب وقوله تعالى فوقع الحق • قيل اي ظهر الحق وقوله تعالى وبطل ما كانوا يعملون • يحتمل هذا
وجهين احدهما اي بطل ما عملوا من السحر والثاني بطل ما كانوا يعملون اي ترك السحرة العمل بالسحر اذ ظهر الحق
لهم والله اعلم وذكر ان في زمن موسى عليه السلام كان السحر هو الظاهر وكان الناس حينئذ يتعلقون بالسحر فجاء
موسى عم من الايات على رسالته نوع مما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك ليعرفوا العجز في ذلك عن وسعهم ويجاوز
عن الحد الذي هو مبلغ السحر على ان ذلك ليس بسحر ولكنه انما هو اية سماوية وكذلك ما جاء عيسى عم من الايات جاء
بنوع مما كان يعمله قومه وهو الطب من احياء الموتى وابراء الاكمه ويخرج ذلك عن طوقهم ليعرفوا انه عرف
ذلك بالله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فغلبوا هنالك • اي عند ذلك غلب السحرة وذلك انهم قالوا لفرعون
في الابتداء ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فذكر هاهنا انهم غلبوا اعند ظهور الحق لا انهم صاروا غالبين
وقوله تعالى وانقلبوا صاغرين • قال بعض اهل التاويل رجع السحرة مغلوبين صاغرين مذلين لكن نحن نقول
والله اعلم انه رجع فرعون وقومه الى منازلهم مذلين لا السحرة لان السحرة قد امنوا فلا يحتمل ان يوصفوا
بالرجوع صاغرين مذلين وقد رجعوا من الايمان ثم قوله فغلبوا هنالك ليس غلبة القهر والقسر ولكن غلبة
الحجة اي غلبوا بالحجج والايات وقوله تعالى والقي السحرة ساجدين • اي امروا فسجدوا الا انهم القوا ساجدين
جبرا وقهرا وقال اخرون ان هذا عبارة عن سرعة سجودهم اي لسرعة ما سجدوا كانهم القوا والاية حجة على
المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون لله عز وجل في فعل العبد صنعا وهاهنا قد اضيف الفعل الى غيرهم بقوله
والقي السحرة ساجدين وليس ذلك الا ان يخلق الله تعالى فعل السجود منهم فدل ان لله تعالى في فعل العبد صنعا
وقال جعفر بن حرب بعض يجوز ان يضاف الفعل الى غيره وان لم يكن لذلك الغير في ذلك الفعل صنع نحو ما قال
في السحرة هؤلاء خلفوا اولئك اذا تقدموهم وهم لم يخلفوهم في الحقيقة ولا صنع لهم في التخليف ومع هذا
اضيف فعل التخليف اليهم ولا فعل في ذلك هذا لا نا نقول لا بل لهم في ذلك فعل لانهم اذا لم يتبطوا عنهم فقد خلفوهم
فاضيف اليهم لوجود الصنع منهم ولان الحقيقة ما قلنا ثم لا يمكن العمل بحقيقة الاضافة فيكون على طريق
المجاز لانهم لا يملكون تخليف هؤلاء لانه لا قدرة لاحد على غيره فيحمل على الاضافة بطريق المجاز واما الله تعالى
قدرته ان يلقيهم او يخلق فعل السجود منهم لان قدرته كاملة فاضيف ذلك الفعل اليه فيجب العمل بحقيقة
الاضافة وذلك في التحقيق لا فعل منه والله الموفق وقوله تعالى امنا برب العالمين رب موسى وهرون • قال
بعض اهل التاويل انهم لما قالوا امنا برب العالمين قال لهم فرعون اياي يعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن
رب موسى وهرون عليهما السلام ولكن لا ندري هذا على ان موسى عليه السلام اول ما جاء الى فرعون ودعاه
اليه قال اني رسول رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه قولهم امنا برب العالمين ويحتمل ان يكون قولهم
امنا برب العالمين رب موسى وهرون اي امنا برب العالمين الذي ارسل موسى وهرون عليهما السلام رسولا وقوله تعالى
قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم • هذا يدل على ان الايمان هو التصديق لانه لما قال السحرة امنا برب
العالمين قال لهم فرعون امنتم به وهم انما اتوا سوى التصديق والله تعالى قص ذلك عن جميعهم بالانكار
ان ذلك ليس بايمان دل ان الايمان هو التصديق في الدين لا غير وقوله تعالى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
لتخرجوا منها اهلها • هذا من فرعون نوع تمويه على قومه كما قال في الابتداء ان هذا لساحر عليم تمويها
والتلبيس على قومه لئلا يؤمنوا كما امن السحرة برب موسى عم معنى قوله ان هذا لمكر مكرتموه اي شيء صنعتموه فيما
بينكم وبين موسى عم كما قال في اية اخرى انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله تعالى لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف • هذا الجهل باشد العقوبة والنكال والامر بوعيدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف فذلك
ايسر واقل في العقوبة من القطع من جانب واحد لان القطع من خلاف فلا يمنع القيام ببعض المنافع ولا يحتمل
فوات النفس وكذلك جعل ذلك حدا في بعض الجنايات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة مشروعة
لحال ما كان اشد وانكل من الخلاف مع انه لجهله ما قال في اي يصح منه دعوى الالوهية ويحتمل ان اختار الفعل من خلاف

ثم انه اسير لتكون مؤنة الصلب عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد يتمكن من العقود على الخشبة ليصلب واما المقطوع
من جانب واحد لا يتمكن من ذلك **وقوله تعالى** قالوا انا الى ربنا منقلبون ٭ وفي موضع اخر قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون
هذا والله اعلم خرج على وجهين احدهما الاقرار منهم بالبعث والايمان به والثاني هذا وعيد منهم لفرعون
حيث اوعدهم بقطع الايدي والارجل والصلب ومن ذلك قالوا انا والى ربنا منقلبون فيجزي كل واحد
جزاء صنيعك بنا **وقوله تعالى** وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ٭ قيل فيه وجهين قيل وما تنقم
منا اي وما تعيب علينا وتطعن الا ما كان منا من الايمان بآيات ربنا لما جاءتنا وهي ما جاءتهم من الآيات وقيل وما
تنقم اي وما تعاقبنا الا بسبب الايمان بآيات ربنا وكان الحق علينا وعليك ان نؤمن بآيات الله تعالى **وقوله تعالى**
ربنا افرغ علينا صبرا ٭ قيل افرغ علينا صبرا وقيل اتمم لنا صبرا وقيل اصبب علينا صبرا وكله واحد ثم يحتمل
سؤالهم الصبر لما لعله اذا فعل بهم ما اوعدهم من العقوبات لم يقدروا على الصبر على ذلك حتى يكونوا لا يثبتوا لذلك
سألوا ربهم الصبر على ذلك ليثبتوا على الايمان به والله اعلم ثم قوله ربنا افرغ علينا صبرا دليل على انهم علموا انه اذا
افرغ عليهم الصبر صبروا واذا لم يفعل لم يكن لسؤالهم معنى وهذا على المعتزلة فان عندهم ان الله تعالى قد اعطاهم
غاية ما فيه صلاحهم في الدين وانه افرغ عليهم الصبر فدل سؤالهم ذلك على انه لم يعطهم وان عنده مزيدا لو اعطاهم
ذلك لكان خيرا لهم وان الله تعالى قصد لك علينا لم يكن عليهم انكم لما اذا سألوني افرغ الصبر ليكن قد اعطيتكم
جميع ما به صلاحكم في الدين حتى لا يكون له حجة عليهم **وقوله تعالى** وتوفنا مسلمين ٭ سألوا ربهم التوفي على الاسلام
وهكذا كان دعاء الانبياء عليهم السلام والاخيار قال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وكذلك كان اوصى
ابراهيم بنيه صلوات الله عليهم اجمعين حيث قال ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وهذا الواجب
على كل مؤمن ان يتضرع الى الله تعالى في كل وقت ويبتهل اليه في كل ساعة لئلا يسلب منه الايمان لسكت به
ان الانبياء عليهم السلام مع عصمتهم عن الشرك والمعاصي كانوا يخافون ذلك لما ان العصمة لا تسقط الخوف
ولا تؤمن عن الزلات فغيرهم احق **وقوله تعالى** وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ويذرك والهتك ٭ قوله ليفسدوا في الارض قال بعضهم فيخرجكم من ارض مصر ولعلهم ادعوا الغلبة عليهم
ويحتمل لما ذكر من ترك عبادة فرعون نحو حجته وقوله ويذرك والهتك قرأ العامة والهتك جميع الالهة
وقرئ ايضا والهتك في قراءة والهتك جملة على العبادة اي يذرك وعبادتك وهو قراءة ابن عباس ومجاهد وعامة القراء رحمهم الله والمرجع الالهة ثم بعضهم اختاروا القراءة الاولى فقالوا ان فرعون كان
يدعي ويقول انا ربكم الاعلى فكيف يتخذ الالهة ولكن القراءة العامة صحيحة فانه ذكر ان فرعون لعنه الله كان
جعل لقومه آلهة يعبدونها ليتقربوا بعبادتهم تلك الاصنام اليه على ما كان اهل الاصنام دون الله تعالى يقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا ويذرك والهتك التي جعل لهم ليتقربوا اليه لما انه هو الذي جعلها
آلهة لهم ولهذا قال انا ربكم الاعلى لما ان دونه على زعمه لهم آلهة وهي الاصنام وقال بعضهم ان فرعون كان
يعبد الاصنام والاوثان تعلى ما عبد غيره ويدعي الالهية لنفسه حقا منه كما قال لقومه فماذا تأمرون وهل
من لا يعقل العبد مثله ذلك العدل على جهل من حمقه **وقوله تعالى** قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
قال بعضهم سنقتل ابناءهم يعني رجالهم ونستحيي نساءهم اي نترك نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابناء وفيهم
منكم لينصبغ انما كان ذلك في الرجال وقال بعضهم كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل في العام الذي قيل
له انه يولد فيه مولود يذهب الملك ويغير دين اهل الارض فلم يزل يقتل في ذلك العام الابناء ويترك النساء
فذلك قوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم والله اعلم **وقوله تعالى** وانا فوقهم قاهرون ٭ قيل مسلطون
عليهم فان قيل ما الحكمة في ذكر هذه القصص والانباء السالفة في القرآن قيل بوجوه احدها انه جعل دليل
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه القصص والانباء كانت في كتبهم وعرفوا انه لا يختلف
الى احد ممن عرف ذلك ليتعلم منه ولا يسمع عن احد منهم ثم انباهم عما كانت في كتبهم دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم
علم الغيب وهو الله تعالى فيدل على رسالته والثاني ان البشر جبلوا على حب الاستماع الى الاخبار والاحاديث وحب
ذلك في قلوبهم حتى ان الواحد منهم لو لم يحدث بها من ذات نفسه لا ان يسمعوا في ذلك والا يسمعوا منه
فذكر لهم هذه الانباء والقصص ليكون استماعهم اليها وسماعهم لها وذلك احسن وافوق اذ اخبر ان ذلك
احسن القصص بقوله نحن نقص عليك احسن القصص والثالث ذكرهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة
من المهلك والاستيصال وانواع العذاب بفسادهم وتكذيبهم الرسل عليهم السلام وما عاقبة المفسد
والمصلح ليكون ذلك زجرا لهم عن صنيع مثلهم والله اعلم والرابع ذكر ذلك ليعلم كيف كانت معاملة الانبياء
والرسل عليهم السلام اعداءهم ليعاملوا اعداءهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر

رسولا فاخبر ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم من البشر والسادس انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام
والاوثان ويقولون انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وانا على آثارهم مقتدون فاخبر انه كان في آبائهم السعداء
وهم الانبياء وكذلك الاشقياء وهم الكفرة فكيف اقتديتم بالاشقياء دون الانبياء وهلا اتبعتم السعداء
منهم دون الاشقياء والسابع فيها ان كيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عرفنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن
يأمر به وينهى عنه والثامن فيها ان الصالحين منهم ذكروا بعد ما ماتوا وانقرضوا وصاروا ترابا وكانوا بالذكر احياء ليرغب
الناس في مباشرة الخير وايثار الصلاح رغبة في بقاء الذكر والاثر بعد ذهاب اعيانهم وفنائها **وقوله تعالى**
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ٭ يحتمل قوله استعينوا بالله على اداء طاعته وما يتقربون به الى الله تعالى
ليكون لهم زلفى لديه ويحتمل ان قال لهم استعينوا بالله ليعينكم بالنصر لكم والظفر واصبروا على اذاهم والبلاد **وقوله تعالى**
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ٭ يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يخرج ذلك من موسى عليه السلام مخرج الوعد
لهم بالنصر والظفر لهم على الاعداء وجعل الارض من بعد اهلاك العدو لهم وهو كما ذكر في موضع آخر ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ويحتمل ان يخرج ذلك منه مخرج التصبر على
الرضاء بقضاء الله تعالى ان الارض له يورثها من يشاء من عباده فاصبروا انتم على بلائه وارضوا بقضائه **وقوله تعالى**
والعاقبة للمتقين ٭ قال الحسن رضي الله عنه العاقبة اي الآخرة للمتقين خاصة فاما الدنيا فانها بالشركة بين اهل الكفر واهل
الاسلام يكون لهم جميعا لانك ولما الآخرة فلا حظ للكفرة فيها انما هي للمؤمنين خاصة وهو كما ذكر في آية اخرى ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية والآخرة عند ربك للمتقين ويحتمل
الامر بالنصر والظفر للمتقين على اعدائهم وان كان قد يكون في الدفعة الاولى عليهم **وقوله تعالى** قالوا اوذينا من قبل
ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا ٭ يخرج هذا على وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطاء النصر والظفر كأنهم استبطؤا
النصر والظفر على الاعداء واهلاكهم فقال لهم موسى عليه السلام عند ذلك عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض والثاني يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى عليه السلام فلا يحتمل ان خطر ببال موسى عليه السلام انهم يقولون
انما اصابهم من البلاء والشدائد لاجله وبسببه ومكانه فقالوا عند ذلك اعتذارا منهم ان قد اصابنا
ذلك وقد اوذينا من قبل ان تأتينا كما اوذينا من بعد ما جئتنا لا تختص لاذى بمكانك لئلا يتوهم موسى عليه السلام
انهم يقولون ذلك ان خطر ببالهم ذلك لفعلهم الا ان يكونوا قالوا ذلك على التعيير والتوبيخ يقولون لم يصبنا
الاذى بسببك ولاجلك من قبل ان تأتينا لان الاستخدام والاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء ومن بعد
ما جئتنا من انواع الضرر وهذا لا يبعد من امثالهم لما غلبة الجهل منهم والله اعلم **وقوله تعالى** عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض ٭ وعسى من الله واجب من وعد لهم عز وجل اهلاك العدو واستخلافهم في الارض
وقوله تعالى فينظر كيف تعملون ٭ يحتمل هذا وجهين احدهما ان يجعل لكم الارض ويوسع عليكم الرزق و
يمتحنكم في ذلك ويبتليكم لا انه يجعل لكم ذلك على غير امتحان يعملون ما شئتم في ذلك والله اعلم والثاني
يحتمل يمتحنكم بالشدائد والبلايا لينظر كيف تصبرون عليها ويحتمل وجها آخر عسى ربكم ان يهلك عدوكم
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تشكرون ربكم فيما انعم عليكم ويحتمل فينظر كيف الواضع لكم من الحركة والذهاب
بسبب العمل ثم قوله وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا يحتمل وجهين احدهما انه امرهم بطلب المعونة
من الله تعالى على قضاء حوائجهم دينا ودنيا ويحتمل ان يكون على طلب التوفيق والمعونة من الله تعالى والعصمة عن كل ما نهى
عنه جرى به سنة الاخيار ثم لا يصح على قول المعتزلة لان الدعاء بالمعونة على اداء ما كلف قد اعطى جميع اهل
التكليف اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا وقد بقي له شيء مما به اداء ما كلف عند الله تعالى وطلب ما اعطى كتمان
العطية وكتمان العطية كفران النعمة فيصير كان الله تعالى امر بكفران النعمة وكفرانها وهو مع هذا يطلبها من الله تعالى
يعني فيطلب مثله بالله تعالى كفر ثم لا يخلو ان يكون عند الله ما يطلب من المعونة فلم يعط التمام اذا وليس عنده
فيكون طلبه استهزاء اذ من طلب من الآخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به في العرف فلما كان الذي يطلب ان يكون
لله تعالى ان لا يعطيه مع انه مكلف فيبطل قولهم انه لا يجوز ان يكلف احدا شيئا وعنده ما به الصلاح في الدين ثم حقه
ولا يعطيه وان يسأله ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا علمه بربه فالاسلام ولى به فهذا
مما لا يدعو الله احد بالمعونة الا ويطلب قلبه انه لا بد له عند المعرفة ولا يزيغ عند العصمة وليس مثله
على الله تعالى عند المعتزلة وبالله العصمة **وقوله تعالى** ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بالسنين بالجوع وقال بالقحط وقال مجاهد بالسنين الجوع وهو ما يستأصل ونقص من الثمرات
دون ذلك وقال القتبي بالسنين الجدب يقال اصابت الناس سنة اي جدب فان قيل انه ذكر انه اخذ آل فرعون
بالسنين وكان فيهم بنو اسرائيل فما معنى التخصيص قيل يحتمل ان يكون ذلك لهم حاجته دون بني اسرائيل كان كافي

فيهم على ما ذكر في بعض القصص ان القبط كانوا يشربون الدم وبنو اسرائيل الماء ويحتمل ان الجدب والقحط كان
يضر آل فرعون ولا يضر بني اسرائيل لما انهم كانوا يأكلون للشهوة وبنو اسرائيل للحاجة ومن يأكل للحاجة كان
حاجته للطعام مما يأكل للشهوة فاذا لم يجد ما يأكلون للشهوة كان يضر ذلك بهم وبنو اسرائيل كانوا يجدون
ما يدفعون به حاجتهم وتقضي حق النفس ولا يضرهم لذلك تعلق بأكل المؤمن في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء
ويحتمل ان يخرج تخصيص ذلك لهم لما ان في عقوبة بني اسرائيل ان الله تعالى ان يمتحنهم بجميع انواع المحن مرة بالشدة
ومرة بالسعة ومن بعد القبط فاضيف ذلك اليهم لما لم يكن في عقوبتهم ذلك وانهم كانوا جميعا في ذلك والله اعلم
وقوله تعالى لعلهم يذكرون قيل يتذكرون ما نسوا مما عليهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ويحتمل لكي يرتدعوا
الاتعاظ والتذكير والله اعلم وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب والسعة قالوا لنا هذه اي انا
هذا مما نعرفه ابدا على مجرى العادة ويحتمل ان يقولوا انه هذه لنا بسبب فرعون وعبادتنا له وان تصبهم سيئة
اي القحط والضيق يطيروا بموسى ومن معه وقالوا هذا يصيبنا بشؤمه وهذا كما قالت العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم
كما اخبر تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كانوا يضيفون ما اصابهم من الحسنة الى الله تعالى لانهم كانوا يقرون بالله تعالى والقبط لا يقولون ذلك انما
من فرعون اولنا على جريان العادة فقال تعالى كل من عند الله تعالى ذلك قال الا انما طائرهم عند الله ثم قوله
عند الله يحتمل وجوها قيل اي جزاء تطيرهم عند الله في الآخرة وقيل طائرهم اي شؤمهم الذي كانوا يتطيرون بموسى
كان بتكذيبهم موسى واضافة ذلك الى ما عنده من الآيات لانهم يتنزلون الآيات وهو كقوله تعالى زادتهم رجسا الى رجسهم
وليس ذلك من رجس حقيقة ولكن لما وقعوا في ذلك بسبب انكارهم ذلك فسمي ذلك فيما يرجع الى زعمهم ثم قوله
يطيروا من الطيرة وهو من التشاؤم يقال تشاءمت بفلان اي قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان مثله ايضا ويقال
تبركت به اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت وتطيرت وبه يستعمل الصلبي وقوله تعالى ولكن اكثرهم
لا يعلمون انه كان طائرهم وشؤمهم بتكذيبهم موسى عليه السلام من عند الله وقوله تعالى مهما تأتنا به من آية
لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قال ابو بكر الكيساني تأويله كلما تأتينا به تزعم انه آية تريد ان تسحرنا بها قوله
من زيادة وبه قال القتيبي رض ومعناه وقالوا ما تأتنا به من آية وقال الخليل هو في الاصل ما ما احدهما نائب فبطل
الالف وابدلت مكانها ها طلبا للتخفيف وقال سيبويه قوله مهما تأتنا به من آية اي مه كما نقول للرجل اسكت
تقول للرجل الاخر اسكت ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين والسحر هو التحيير واخذ الابصار
ولا حقيقة له على الاطلاق وانما يتحقق منه على قدر ما اجرى الله تعالى العادة به كقوله اني لاظنك يا موسى
مسحورا اي متحيرا وقوله سحروا اعين الناس ثم دل قوله مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين
على انما قالوا انه ساحر وانه سحر عن علم قالوا ذلك سفهة وما اتى به من الآيات لا عن جهل وغفلة فارادوا بهذا
القول الاياس له عن الايمان به وقبول آياته لانهم حسبوا انهم لا يقبلون الآيات ولا يصدقونه في ذلك الجاهل
بالشيء يطلب الدليل على ذلك لا ان ينكر اصلا انما المعاند هو الذي ينكر رأسا فدل ذلك على عنادهم بالآية وقوله
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى آخره ذكر قال اهل التأويل لما قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين بعد اخذ السنين ونقص من الثمرات واظهروا العناد والمكابرة بقولهم فما نحن لك بمؤمنين ارسل
عليهم الطوفان والجراد وما ذكر ثم اعقبها الغرق استيصالا لهم جزاء على عنادهم ومكابرتهم ويحتمل ان
يكون قوله فارسلنا عليهم الطوفان الى آخره وان كان مؤخرا في الذكر فهو مقدم كأنه قال ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى آخره لعلهم يذكرون فلعلهم
يتعظون فلما لم يتعظوا واظهروا العناد وقالوا مهما تأتنا به من آية الى آخر الآية استأصلهم بالغرق ثم اختلف
اهل التأويل في الطوفان قال بعضهم الطوفان الماء والمطر حتى خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وغيره
رضي الله عنهم وقالت عائشة رضي الله عنها سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطوفان فقال الموت وقال ثابت فهو موت وقيل
الطوفان نوع من انواع العذاب واما الجراد فهو الجراد المعروف واما القمل قال بعضهم هو بنات الجراد يقال له الدبى
وقيل هو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها والضفادع والدم معروف وقوله تعالى آيات مفصلات قيل اي آيات
مفرقات واحدا بعد واحد لم يرسل الكل جملة انما ارسلت بعد ما اخرى بعضها على اثر بعض ليكون
ابلغ في الزجر وقيل مفصلات ومبينات واضحات ما علم كل احد منها انه ليس من عمل السحر وانه خارج
عن وسع البشر لكنه آية سماوية لانه لو كان سحرا عندهم لتكلفوا في دفعه واشتغلوا بالسحر كما اشتغلوا
بسحر العصا والحبال لما كان في زعمهم ان ذلك من باب السحر فاذا لم يتكلفوا بذلك ولم يشتغلوا بدفعه لجأ فرعون
الى موسى عليه السلام ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الايمان به وارسال بني اسرائيل معه فقالوا ادع لنا ربك

بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدل فزعهم اليه انهم قد عرفوا
انها ليست بسحر وانها آيات وقوله تعالى فلما وقع عليهم الرجز الرجز العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان
والجراد وما ذكر ثم قولهم لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز يحتمل ان يكون كلما حل بهم نوع من العذاب سألوا
موسى ان يكشف عنهم الرجز لنؤمنن لك الآية فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك العهد وعادوا الى ما كانوا من قبل
ويحتمل ان يكون قولهم لموسى عليه السلام ادع لنا ربك بما عهد عندك الآية بعدما حل بهم انواع العذاب فعند ذلك
قالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشف ذلك نكثوا عهدهم وهو قولهم لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني
اسرائيل وعادوا الى ما كانوا فعند ذلك كان ما ذكر فانتقمنا منهم والله اعلم وقوله تعالى بما عهد عندك قيل
فيه قال بعضهم ما عهد لك انك متى دعوته اجابك وقال بعضهم بما عهد عندك انه متى اجابك ما سألك وصدقك
كشفت عنا الرجز وقوله لنؤمنن لك اي بما تدعي انك رسول ولنرسلن معك بني اسرائيل امكن ان يكون ليس على
نفس الارسال معه ولكن على ترك الاستعباد والاستعباد لهم بعد هذا وقال الحسن رضي الله عنه في قوله
فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون اي كشفنا عنهم لو اطاعوا ووفوا بالعهد الذي عهدوا
لكنهم لما نكثوا ذلك انتقمنا منهم وهذا الحرف من قول الحسن رض يؤدي الى مذهب الاعتزال لانهم يقولون ان من
قتل او صنع بعذر نفسه فهلاكه انما هلك قبل اجله واجله الموت وهذا فاسد لان هذا انما يصلح ممن يجهل العواقب
فاما الله عز وجل كان عالما انه يجعل له اجلين احدهما الموت والاخر القتل ولكن يجعل اجل من علم انه يقتل القتل
ومن يموت حتف انفه الموت وعلى ذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم يزيد في العمر انه من علم منه انه يصل الرحم جعل
عمره ازيد ممن لا يعلم انه يصل الرحم لان يحتمل ان عمره الى وقت ثم اذا وصل زيد لما ذكرنا ان ذلك امر من يجهل
عواقب الامور فاما من يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون انه لو كان كيف كان يكون فلا والله الموفق وقوله تعالى
فانتقمنا منهم يحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم ما ذكر على اثره من الغرق بقوله فاغرقناهم في اليم ويحتمل
ان يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب الذي ذكر الذي حل بهم ثم كان الاغراق من بعد وقوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا بآياتنا يحتمل الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام على وحدانية الله تعالى وربوبيته وهي
الحجج ويحتمل الآيات التي جاءتهم من الطوفان والجراد وما ذكر وقال الحسن بآياتنا ديننا وقوله تعالى وكانوا عنها
غافلين اي معرضين مكذبين لها لا انهم كانوا على سهو وغفلة عنها لكنهم اعرضوا عنها لما انهم مكابرين
كانهم كانوا عنها غافلين ويحتمل ان المراد وكانوا غافلين عما يحل بهم من العقوبة بتكذيبها وقوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها هو ما سبق لهم من الوعد بوراثة ايام الارض
وابدالهم فيها وهو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين كان وعدهم الاستخلاف والارث في ارض عدوهم ثم اخبر
انه انجز لهم واورثهم على ما وعدهم بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون استعبادهم حتى ملكوا مشارق
الارض ومغاربها من نحو ذي القرنين وداود وسليمان عليهم السلام وكان الملك وراثة جميع الارض بعض بني اسرائيل
بعضهم من فرعون والبعض من الكفرة والله اعلم وقيل مشارق الارض ومغاربها اي فضلوا على اهل مشارق
الارض ومغاربها اي فضلوا على اهل مشارق الارض كقوله تعالى وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم
ثم بفضيلتهم على البهائم بالجوهر والخلقة وعلى الجن بالرسالة والنبوة والشرائع وعلى غيرهم من بني آدم بالرسالة
والحكمة والملك وهو كقوله وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله تعالى التي باركنا فيها قيل
ارض الشام وقيل ارض مصر ونواحيها ثم قيل سماها مباركة لكثرة اموالها وسعتها وقوله تعالى وتمت كلمة
ربك الحسنى قيل هي الجنة اي تمت لهم الجنة بما صبروا وقيل اي وتمت كلمة ربك الحسنى الكلمة التي ذكر بما
كان وعدهم انه يورثهم ويستخلفهم بعد ما عذبهم من عليهم وقيل وتمت كلمة ربك الحسنى اي النعمة
التي انعم على بني اسرائيل بما صبروا على البلاء حين كلفوا ما لا يطيقون من قتل الابناء واستحياء النساء واستعبادهم
وقوله تعالى بما صبروا يحتمل بما صبروا على اذى فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم وقوله ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه كلام تام ويبتدأ بقوله وما كانوا يعرشون معطوفا على قوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وما كانوا يعرشون وهو من العريش بحذو الملوك
وقيل وقوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون تمام الكلام اي دمرنا واهلكنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما يعرشون ويعرشون بمعنى يبنون من البيوت في الكروم والاشجار والله اعلم وقوله تعالى
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دل هذا على ان لله تعالى في فعل العباد صنعا حيث نسب المجاوزة الى نفسه
وهم الذين جاوزوا البحر دل انه في ذلك صنعا ابطل قول المعتزلة في انكارهم خلق افعال العباد من الله تعالى

وبالله القوة وقوله تعالى فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم • أي يجدونهم عكفوا على عبادة الأصنام مقيمين
على ذلك وقوله تعالى قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون • يشبه أن يكون سؤالهم
إلها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسله عليهم السلام ولكن قالوا ذلك لما لم يروا أنفسهم أهلا
للعبادة لله تعالى والخدمة له لما رأوا في الشاهد أنه لا يخدم الملوك إلا الخواص لهم والمقربون إليهم ومن يبعد من
الملوك يخدم خواصهم وكذلك كان عادة العرب لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ليقربهم عبادتها إلى الله زلفى
فذلك ما ذكر في بعض القصة أن فرعون كان يتخذ لقومه أصناما يعبدونها ليقربهم عبادة تلك الأصنام
إليه زلفى فعلى ذلك هؤلاء سألوا موسى عليه السلام إلها أي معبودا يعبدونه لما لم يروا أنفسهم أهلا لعبادة
الله تعالى والخدمة له ليقربهم عبادة ذلك المعبود إلى الله تعالى ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله تعالى والتبجيل له
لا على الكفر وصرف العبادة عنه إلى غيره ليتوجهوا إليه بالعبادة وغرضهم تعظيم الله تعالى كالتوجه إلى الكعبة
في شريعتنا ومثل هذا الاعتقاد لا يوجب الكفر إذ أصدر من جهل وكفر مشركي العرب لاعتقادهم الإشراك
في استحقاق العبادة فلو لم يعتقدوها مستحقات للعبادة وإنما يعبدونها للتوسل والتقرب
لما سموا الآلهة شركاء لله فيكون كفرهم لجهلهم بالله تعالى كما هو فأما هؤلاء فقد قرروا بموسى عم وعرفوا الله حق
معرفته ثم مع ذلك يروا التعظيم لله تعالى فيما سألوا من الخدمة لغيره فلم يكونوا بطلوا ولكن والله أعلم ويحتمل أن
يكون قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لم يريدوا بذلك جعل الأصنام آلهة يعبدونها لكن أرادوا أن
لهم قادة ورؤساء يخدمونهم ويعظمونهم فيكونون سفراء بينهم وبين موسى عم وليكون لهم من أولئك الرؤساء
النعم وأنواع المنافع كما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم أي رأوا قوما يعكفون على خدمة رؤسائهم وعظمائهم
ونالوا منهم النعم وأنواع المنافع فتمنوا ذلك لا أنهم سألوا منه أن يعبدوا غير الله تعالى فإنه لا يتصور أن أهل
التوحيد يرون العبادة لغير الله تعالى لأنه لا يتحقق التوحيد إلا بهذا وما من أحد من أهل التوحيد أن يعبد له
ومنزلته إلا وآثار نعم الله تعالى عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل أحد وكان اعتقاده بحاله في التوحيد لله تعالى ورؤية
استحقاق العبادة له دون غيره حتى لو بذل له جميع حطام الدنيا أو هدد بكل أنواع الوعيد ليترك الذي
هو عليه ما ترك البتة فدل أن التأويل على ما قلنا والله أعلم ويحتمل أن يكون سؤالهم إلها يعبدونه لما أن أهل
الكفر قالوا لهما إذا الرسل عليهم السلام هما الذين أمروهم بعبادة الأصنام كقوله تعالى والله أمرنا بها فسألوا
موسى عليه السلام ليظهر لهم حقيقة كذبهم ويزيل عنهم ما يخطر ببالهم من الشبهة بواسطة رؤسائهم والله أعلم
وقوله تعالى إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون • أي إن هؤلاء مفسد ما هم فيه أي من العبادة
لغير الله تعالى واتخاذهم الأصنام آلهة وإن عبادتهم لغير الله يهلكهم ويفسدهم وباطل ما كانوا
يعملون أي باطل ما تأملون بعبادتهم هؤلاء وقال القتبي رح التبار الهلاك وقال أبو عبيدة المتبر
المفسد يقال تبرنا الشيء أي أفسدناه ويقال رجل متبر أي مفسد وقوله تعالى أغير الله أبغيكم إلها وهو
فضلكم على العالمين • يقول أتستحقون ربكم أن تسألوا إلها تعبدونه من دونه وقد فضلكم بإكرامكم
ووفقكم الهداية لما لم يوفق ولم يهد أحدا من عالمي زمانكم ويحتمل أبغيكم إلها وقد فضلكم بأن استنقذكم
من استخدام فرعون وقهره إياكم وأخرجكم من يده وأعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الإله الحق وهو ما ذكر
على أثر قوله وإذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم يذكر
نعم الله عليهم بما استنقذهم من فرعون وأهلكهم ثم وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب • قيل قتل الأبناء واستحياء
النساء أي بقاؤهن وقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • يقال البلاء بالمحمود النعمة وبغير المحمود الشدة
وقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر • ذكر ههنا ثلاثين ثم ذكر التمام بالعشر وذكر في سورة
البقرة ذكر فيها أربعين ليلة بقوله وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة فكيف يكون هذا فيقول الميعاد
ليلة وهو أن يعبد الله تعالى كما أمره حتى إذا أتم تلك العبادة يكرمه بالمناجاة على الطور ولكنه يحتمل ذكر ثلاثين
ليلة وعشرا وجهين أحدهما أن ثلاثين ليلة لأمر وعشرا لأمر آخر فذكر متفرقا لأمرين مختلفين وأربعين ليلة جملة
أربعين والميعاد بعد الفراغ من الأمرين والثاني يحتمل أربعين ليلة في وقتين مختلفين لأهل التتابع ثلاثين
ليلة في وقت وعشر ليال في وقت آخر بعد ذلك وذكر التمام بالعشر وهو كقوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة
أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة أي ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد الرجوع والجملة عشرة في
وقتين وقوله تعالى فتم ميقات ربه أربعين ليلة • دل هذا أن الميعاد الذي وعد له أربعين ليلة وقوله تعالى
وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي • وكان شريكا معه رسولا إلى فرعون شريكا في تبليغ الرسالة إلى
فرعون كما في تبليغ الرسالة إلى فرعون كما قال تعالى وأشركه في أمري وقولهما إنا رسولا ربك وقوله أخي هرون هو أفصح

مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني فإذا كان هو رسولا لموسى عم في تبليغ الرسالة فيقول يحتمل هذا الوجهين
أحدهما أن يكونا رسولين كما ذكر ولكن من وطاء شيئين أمر لم يكن لواحد منهما أن ينفرد به الآخر إذ كان
ذلك مما يحتاج فيه إلى التدبير والرأي والرسالة وتبليغ الرسالة من هذا القبيل فكأنه قال اخلفني في الحكم بينهم
وأصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك إلى سبيل المفسدين والثاني يحتمل أن يكون موسى عم هو الرسول على الأصالة
فكان إليه الحكم وكان هرون عم دخلا في أمره وتابعا له على ما قال فأرسله معي ردءا يصدقني ولا موسى عم كان هو [illegible]
بها أولا والمبعوث إليهم دونه لأنه سأل من الله تعالى أن يشركه في أمره وأن يجعله ردءا له لأنه كان المناجى به دون
هرون عم وهو كان المعطى الألواح دون هرون عليه السلام كقوله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء وهو الذي
آنس نارا وهو الذي نودي بالبركة من شاطئ الوادي الأيمن دون هرون عليه السلام وما ظهر على يده الآيات
من انقلاب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وتفجير الحجر ونحوهما وإذا كان كذلك فهذا استخلاف في قومه
حال الذهاب إلى المناجاة والله أعلم وقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا • أي لميعادنا الذي وعدناه وقوله
وكلمه ربه لا يجوز لنا أن نصف كيفيته والكلام وما بينه سوى أنه أسمعه صوتا بما شاء دالا على كلام الله
فالصوت مخلوق وكلام الله تعالى ليس بمخلوق وسماع كلام الله تعالى هو سماع صوت منظوم يدل على كلامه وقد
ذكرنا في موضع آخر وقوله تعالى قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه
فسوف تراني • هذه الآية حجة على المعتزلة في جواز رؤية الله تعالى فإن عندنا القول بالرؤية جائز في الدنيا
والآخرة عقلا وفي الآخرة القول بها لازم وهي حجة من عز اذا سؤلا تفسير الاستدلال بهذه الآية من وجهين
أحدهما قول موسى عليه السلام رب أرني أنظر إليك اعتقد جواز رؤية الله تعالى فسألها منه ولولا أنه
الحال دون الإحالة وإلا لما اعتقد جوازها وما سألها ولا يكون ذلك جهلا منه بربه حتى علمه جائز الرؤية
بل لم يكن جائز الرؤية بل يستحيل رؤيته ومن جهل الله تعالى لا يكون موضعا لرسالته أمينا على وحيه ولأنه
لو جاز أنه في سؤال الرؤية فلم يؤنبه ولم ينهه ولو كان ذلك مستحيلا لكان من حق الحكيم أن يوبخه عليه
بدون ذلك حتى نوحا عم حين قال إن ابني من أهلي إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به
علم وغير ذلك عليه السلام وغيره من الرسل عم ولم ينكر ما سأله جائز الوجوه لكان مبلغ اعتقاد ذلك كفرا ولما
لم يوبخ عليه ولم يزجر عن ذلك دل أنه في حد الجواز والثانية قال ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
علق الرؤية باستقرار الجبل ولا يستحيل استقرار الجبل بالتجلي له وما يعلق بشرط متصور الوجود في
نفسه يكون متصورا قالت المعتزلة في الخروج من الاحتجاج بهذه الآية أن موسى عليه السلام لم يسأل ربه تعالى
الرؤية لنفسه ولكنه سأل لقومه سؤال القوم منه إذ سألوه بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لنظهر
لهم أن ذلك غير جائز فإن كان هو عليه السلام عالما بذلك لكن يقول هذا بعيد لأنه لو كان سؤاله إياه لسؤال
قومه لكان لا يقول أرني أنظر إليك ولكن أرهم ينظروا إليك فعلم أنه لم يكن كذلك وقال بعض المعتزلة هذا
شبه لنبي بسؤال رؤية الرب ولكن سؤال أن يعلم بها الله تعالى على وجه لا يعتريه شبهة ولا يخطر بباله خطرة مثل
سؤال رؤية الآيات والأعلام وإن كان قد يقع الكفاية بالبعض ألا ترى أن إبرهيم عليه السلام قال رب أرني كيف تحيي
الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فهذا مثله لكنا نقول هذا التأويل فاسد أيضا لوجوه أحدها
أنه قد كان أعطاه الآيات والأعلام ما لم يكن له الحاجة إلى غيرها من الآيات نحو العصا التي صارت حية تسعى والتي
كان يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وما كان من فلق البحر وإهلاك العدو غرقا واليد البيضاء فلا
يحتمل أنه احتاج لدفع الشبهة مع هذه الآيات لأن الشبهة لو لم تندفع بهذه الآيات لم تندفع بآية أخرى غيرها
من جنسها ولأن طلب الآية بعد ظهور الآيات عنده يخرج مخرج التعنت وذلك صنع الكفرة فإنهم لا يزالون
يطلبون الآيات وإن كانت الكفاية قد ثبتت لهم ولا شك في اجتماع الآيات عنده فيشبه الطلب منه آية أخرى
صنع الكفار فيجب تنزيه الرسل عليهم السلام عن مثله والله الموفق وإنما قال فإن استقر مكانه فسوف تراني علق
وجود ما سأل باستقرار الجبل ولو كان المراد من هذا سؤال الآية لم يستقم التعليق باستقرار الجبل لأن الآية
التي لا يستقر معها الجبل بل يندك أعظم من الآية التي يستقر معها الجبل دل أن الحمل على الآية فاسد
ومن الدليل لنا في المسألة قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ولو كان عن جائز الرؤية
لم يكن لنفي الإدراك حكمة إذ لا يدرك غيره بغير رؤية فيبقى الإدراك عن غيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية
لا معنى والله أعلم ولأن الآية وردت للتمدح وغيره إذا كان لا يدرك إلا بالرؤية لم يكن فيه التمدح لأنه
غير مدرك ليظهر له اختصاص ولا يقال بأن الآية حجة عليكم فإن الإدراك على طريق التمدح يجب أن يكون
الإدراك منفيا والإدراك هو الرؤية لأنا نقول لظاهر هذه الآية أنه لا يدرك ولكنه يرى وقد تمدح بنفي

الرؤية بتحقيق بلا ادراك وهو كقوله ولا يحيطون به علما ليس فيه نفي العلم لكن فيه ايجاب العلم ونفي
الاحاطة فكذا مثله في حق الادراك والله اعلم والدليل على انه لا ندرك ان الادراك هو الاحاطة بالحدود
والله سبحانه يتعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية اجزائه نهاية اجزاء الشيء وتقصير عما هو اعلى منه والله تعالى ليس بذي
اجزاء حتى يتحقق فيه النهاية على انه واحد لذاته والحد وصف المتصل الاجزاء حتى ينقضي على ان القول بالحد محال
في حق الله تعالى اذ كان ولا ما يحد وما يحد لانه من غير ليصير محدودا به واذا لم يكن محدودا فلا ادراك له يوصل على ذلك
لا يستغني على العدم محال على ان كل شيء من الحدث حدا يدرك بطريق وسببه نحو الطعم واللون والرائحة ونحو
ذلك من مناصبة الاشياء لها حدود جعل الله لكل شيء من ذلك وجها وحدا يدرك به ويحاط بالطرق التي
وضعت لمعرفتها حتى المعقول من الاعراض فان بين اللونين من جنس واحد ونوع تفاوت يدرك ذلك بحاسة
البصر وبين الطعمين تفاوت يدرك بحاسة الذوق ونحو ذلك فاخبر الله تعالى انه ليس بذي حدود ووجها
من هذا الوجه يدرك بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات لانه لا احد يجانسه ولا شيء يشابهه حتى يدرك التفاوت
بينهما من حيث القدر والكيفية فدل ان القول بالتحديد باطل لتحققه والادراك يقتضي الاحاطة بحدود
الشيء فلا يتحقق في حق من يستحيل القول بالحد فيه والله الموفق فاما الرؤية لا تقتضي ان يكون المرئي محدودا
لان كل شيء يرى كما هو الا يرى انه يعلم وانه تقتضي الاحاطة والادراك فكذا الرؤية يقع على حقيقته لا من
كل وجه منها الا ان العلم بذلك الوجه فان كان شيئا يعلم على وجوهه وكيفيته ما فوق هو عليه بالرؤية بمن حكى الا
ذلك وما لا يعرف له وجه ولا يدرك له حد يجب القول بتحقيق الرؤية ونفي ما بينهما اذ لا منافية لان ما
الادراك انما هو معنى الوقوف على حدود الشيء فيجب نفيه اصلا الا ترى ان الظل من الحقيقي يرى لكن لا يدرك
الا بالشمس يتبين لخراجه بوجود الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا ما يتحقق فيه الحد وبالله التوفيق
وضوء النهار يرى ولكن لا نعرف حده بداية وكذلك الظلمة لا نعرف فيها الا يرى حتى تدرك ويحاط به ويحد
يدرك الشيء وان كان يرى لانها وكذا السد ردضرب المثل في رؤية الله تعالى بالقمر في قوله انكم سترون ربكم
يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لانه يبدي حده وسعته على الحقيقة وان كان على ما يرى من حسن القمر
محدودا للتوقف ويحاط به فهو مرئي متقن ولا قوة الا بالله والاصل فيه القول بان الشيء على قدر ما جاء وبقي
كل معنى من معاني القول والتفسير ولا يكيفه كما لو يخ وبالله التوفيق ومن الدليل لنا قوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ولا يحتمل صرف الآية الى الانتظار لثواب الله عز وجل لوجوه احدها ان الآخرة ليست بدار
الانتظار انما هي الدنيا اما الآخرة هي دار وقوع الثواب ووجود الجزاء لا وقت الفزع ولانه قال وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ونضرة الوجوه من باب وقوع ووجود الجزاء لا وقت الفزع ولانه قال وجوه يومئذ
ناضرة ونضرة الوجوه من باب وقوع الثواب وتحقق وقوع الثواب لا معنى الانتظار ولانه ذكر بحرف الى فقال
الى ربها ناظرة والحرف يستعمل في النظر الى الشيء لا في الانتظار فعلم ان النظر ها هنا في الرؤية ونظرة في
الانتظار ولان الآية خرجت مخرج البشارة لعظيم ما نالوه من النعم والانتظار ليس منه مما كان الفرض من حقيقة
المفهوم خصوصا ما انه يلزم القول بالنظر الى الله تعالى على ما قال على نفي معاني الشبهة على الله تعالى على مثل ما اسف
فيصير لهم الموعود بالغيب مشهودا كما صار المطلوب من الثواب محصلا ولا قوة الا بالله ولانه يقال بانه يجعل
جزاء الايمان والتوحيد هو العلم بالله تعالى على وجه لا يعتريه الوساوس باعطاء آيات يضطرهم على ذلك وبعث
لا يخطر ببالهم شيء من الشبه كما يحصل بالعيان والرؤية فيما يحتمل العيان لانا نقول هذا هو الحجة عليكم لانه
اجمعوا على العلم بالله تعالى في الآخرة مما لا يعتبر بالرسول وكذلك قلتم انه يحصل لهم مثل هذا العلم جزاء
على الايمان والتوحيد فذلك العلم لا يتحقق الا بالعيان دون الاستدلال بالآيات كما في دار الدنيا فانه لا يزداد
في الآخرة الا كثرة الآيات لانها لا يحقق على الحوالي الذي لا يعتبر بالشبهة [illegible]
للملائكة وكلهم المرسلين الآية وكذلك ما ذكر واستغنا [illegible] بالكذب الرسل عليهم السلام في الآخرة
[illegible]
فدل ان كثرة الآيات لا توجب ذلك والله الموفق [illegible] ذلك العلم الذي لا يعتريه الوساوس في الآخرة
لا يختص المؤمن بل يستوي فيه الكافر والمؤمن ويختص المؤمن بالبشارة بالرؤية فكان هو الموعود جزاء
الثقة على التحقيق هو الرؤية والله اعلم ثم نعم الكلام في اثبات الرؤية من الوجوه التي تعلم بها الاشياء
لفي الضرورة والاكتساب فكذلك الحجاب لا يرى في الغائب الا بالوجوه التي يرى في الشاهد من المباينة

والمسافة والمقابلة واتصال الهواء وعدم الصغر ولو جازت الرؤية بخلاف هذا لجاز العلم بخلاف الوجوه التي
في الشاهد مع ما قاله فاسد لانه قد وقف بين رؤية الله تعالى برؤية جوهر وقد علم ان من جوهر ما هو جوهر يوزن
من النحو الذي لا يقدر على الاحاطة بجوهرهم فضلا على ادراك بعض اثاهم نحو الملائكة والجن وغيرهم ممن
يروننا من حيث لا نراهم وكذا الحبة الصغيرة مثل البق ونحو ذلك مما يرى اشياء بمثل ذلك البصر ما لو قدرنا
بابصارنا لما احتمل الادراك وكذلك يرى الملك الذي يكتب جميع حوائجنا ويسمع جميع قول الناس على ما ورد مما
نقل يزيد ذلك مما عليه يحمله الشرع انكار ذلك كله وذلك عظيم على ذلك مما ذكر من نطق الجلود وغيرها ما لو يعني
مثلها من الشاهد لجعل عظيما ويعتبر انه في الشاهد يفصل بين البصرين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوت
ما اعترض هما من الحجب حتى لو قابل حال احدهما بحال الآخر على الآخر حاله كان اختص احدهما بحدة البصر واذا كان
كذلك بطل التقدير والقياس الذي ذكر والله اعلم وايضا انه في الشاهد لا نعلم بكل اسباب العلم غير العرض والجوهر
ثم جاز العلم بالغائب خارجا منه فانه نعلم وانه ليس بجوهر ولا عرض فكذلك الرؤية والله اعلم والثالث ما ذكر
من قصة رؤية الظل والظلمة والنور من غير شيء من تلك الوجوه فعلى ذلك الغائب والرابع انه قد يجوز وجود ما ذكر
من المعاني كلها مع عدم الرؤية اما بالحجب وبالجوهر فجاز تحقيق الرؤية مع نفي تلك المعاني وهذا كما قال المعتزلة
للقائل بالجسم قد منعنا نفي تلك بانا ان الله تعالى جسم لانه فاعل لما رأينا وجدنا جسما ليس بفاعل كالجماد كما جاز
وجود جسم ولا فاعل كما جاز وجود فاعل ليس بجسم فكذلك في الرؤية على ان البعد الذي يحجبنا والرقة يحجب الى بلغه
بصير غير نام مع البعد والرقة فصار ارتفاع الرؤية واعدلها بالحجاب فاذا ارتفع الحجاب جاز ولا قوة الا بالله العلي
فاذا الذي يعقوله تقدير برؤية الاجسام وقياس عليها ولم يمتحن بصره بعين الاجسام والاعراض او كيف سبيل
الرؤية والكلام فيه دونه من الجسم والعرض فلم قال انما ذكر من المعاني شرط الرؤية وبعد فان كل جسم يرى
وان كانت الرقة والبعد يحجبان يجوز ارتفاعهما على بصر غير فتري على ما يرى ملك الموت من باطن الارض و
وسطها ما لو اعتبر ذلك البصيرة لما احتمل الادراك فثبت ان المعتقد انه ليس هو سبب بعرفه مما نعمله بصره
ولكن سبب تعريفنا ما يحجب به البصر فاذا ارتفع المانع راى معنا كان المنفي والممنوع رؤيته لذاته هو العرض لا غير
والا فكل جسم يرى فان لزم انكار الرؤية في حق الله تعالى لانه ليس بجسم او لما ير الا بما ذكر من المعاني لزم الاقرار
برؤيته لما ان الذي لا يرى لذاته هو العرض والا فكل جسم يرى وانه ليس بعرض يحجب ان يكون مرئيا اذا ارتفع المانع في
الموضع وعارضنا الكعبي ان ما في الدنيا انه لا يرى في الدنيا مع ما ذكرتم لانا نقول انه جائز الرؤية في الدنيا ايضا
ولا محال لذلك الا ان دار الدنيا دار محنة وكلفة وان الرؤية فيها تسقط المحنة والكلفة بخلاف دار الآخرة فانه
دار جزاء فكانت الرؤية لا نفعه بها الا بما نافع فيها والله الموفق وذكر ان موسى عليه السلام رسول بعثه الى ما بعثه الخلق من
الدعاء الى التوحيد والعبادة لله تعالى وهو مكلف ممتحن بتبليغ الرسالة اليهم وهذا النوع من العلم الضروري مما يسقط
والابتلاء الا يبقى الحظ الى ما عن الشبهة اليوم بالبعث بالاستدلال بالآيات فدل ان سؤاله هذا النوع من العلم
في دار المحنة لا يجوز وانما سأل الرؤية بحق عقيدة وليعرف عظيم محله عند الله تعالى وان كان في اعطاء ذلك
دفع الامتحان فلذلك لم يعط المسؤول في الدنيا وانه يكون الله تعالى امره بان يسأل الرؤية ليعلم الخلق جواز ذلك
وانه كان لا يكرمه بذلك في الدنيا وبالله التوفيق ثم استدل الكعبي وقال ان الله لم ير بنفسه من يعقل انما اري الجبل
والجبل لا يعقل يتجلى وليرى بلى انه لم يرد سؤال المراد تحقيقه الرؤية فيقال له تعلق هذا الا يصح الحمل على ارادة
الآية التي ذكر لان الجبل لا يرى الها ولا يعقل الآية ايضا وتحا ان تكلف الجبل وانسقاطه لا لانه رأى الا ان آية لمن ذلك
وعليها انه قد رأى موسى عليه السلام الآية وعلها ما يكك الجبل والله تعالى يقول ارني وحمله على الآية وتقديرها
ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبة موسى عليه السلام من ذلك بقوله اني تبت اليك وانا اول المؤمنين لو كان سؤاله
بالامر من عند الله تعالى قيل يحتمل ان يكون التوبة منه على سبيل العادة في الخلق عند حدوث رؤية الاهوال بلا وجود ذنب
منهم فعلى ذلك قول موسى عليه السلام عند اندكاك الجبل ويحتمل انه لما رأى من جلال الله تعالى وعظمته فزع
الى التوبة واحداث الايمان وان لم يكن ما يوجب ذلك كالمستغفر في الخلق ويحتمل انه كان ما اعتقد جواز الرؤية
في الشاهد واحتمال وسعه وطاقته لذلك ما علم من وعد الله اياه في الآخرة ولكن لم يعرف معنى تعيين الآخرة للرؤية
دون الدنيا فلما قال لن تراني رجع عما كان عنده من التسوية بين الدارين في ذلك العلم واما الذي قال اني
تبت اليك وانا اول المؤمنين وان كان في الاصل ايمانه واحداثه على نحو احداث المؤمنين وانه في الاصل ايمانه
اخلاء على نحو احداث المؤمنين الايمان بكل آية تنزل وبكل فريضة تتجدد وان كانوا في الجملة مؤمنين بالكل والله الموفق ثم
عرض على تعلقنا بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بما ذكرنا وقد بينا ما فيه كفاية والاصل في الكلام انه اذا كان
امرا مشهودا وتعرف به المقصود يعرفه اليه عن حقيقته والاولى ذلك نحو قولنا الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء

وقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد وقد نطق بلفظ الرؤية فعلا اخر علم به انه لم يرد الرؤية بالبصر لكن اريد به العلم فان قال المعنى بر شيء واطلق نظرها الى حقيقته الا ترى ان من قال رايت فلانا او نظرت الى فلان لم يحتمل غير رؤية ذاته بالبصر وان قال رأيته يفعل كذا ويفعل كذا انه لا يريد ذاته مثله امر قصة موسى عليه السلام بقوله انظر اليك وقوله الى ربها ناظرة وقوله عرضه رب عملنا في البصر فقال انا اهل النص اما ان كان موسى عم مشبها او ما انكانا الله تعالى يرى لا شبه لكان بالكون لا يرى رؤية كان جاهلا مشبها اياه بخلقه قيل انه يرى ثم الاصل انه تأمل الكذا ذكر الكعبي في انه مشبه المذهب لانه لم يذكر المعنى الذي يجب ان يكون الرؤية تلك الشرائط انما الخبر انه كذلك وجد في الشاهد وهو قول المشبهة انه لحد كل فاعل جسم وكذا كان عالم فيجب مثله في الغائب فكذلك هو ذكر انه في الشاهد لا يرى الا الجسم وكذا في الغائب على انه ذكر معنى رؤية الجسم لم يذكر معنى رؤية غير الجسم حتى يكون ذلك دليل وبعد فانه نفى بالرقة والبعوضة زائد ان من اهل الله يجب ان يرى ثم احتج ايضا بامتداح الله تعالى بنفي الادراك بقوله لا تدركه الابصار وقال لا يجوز ان يزول معنى المدح واذا قلتم يرى في الاخرة زال بنفي الادراك الرؤية فلا يحتمل معنى المدح بل يكون في وقت دون وقت ويرد عليه مثله في قوله خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير يجب ان لا يزول الله ممتدح به وهو قال انه ليس خالقا قبله في الازل انما يصير خالقا بعد الخلق وكذلك لم يصف الله تعالى بالقدرة على خلق افعال العباد منهم خطر في الاختيار ثم انما يرجع هذا على قول من يجعل الادراك والرؤية واحدا وهو قول بعض اهل السنة من اصحاب الحديث فاما في قولنا ذكرنا ان الادراك لا يتحقق في حق الله تعالى لا في الدنيا ولا في الاخرة فلا يلزمنا هذا الكلام والله الموفق ثم سلم الكعبي ان الله تعالى رأى جميع المرئيات بدون ما ذكر من المشابهة والمقابلة ونحو ذلك فيجوز ان يكون مرئيا بدون ما ذكر وبهذا يتبين ان ما ذكر لا يؤدي عن كيفيته ما ثبت الرؤية فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف لان الكيفية تكون لذي صورة بل يرى بلا وصف قيام وقعود واتكاء وتعلق واتصال ومقابلة ومحاذاة وقصير وطويل ونور وظلمة وحركة وساكن ومماس ومباين وخارج وداخل ولا معنى ياخذه الوهم ويقدره العقل لتعاليه عن ذلك ولا قوة الا بالله وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية قال ابو بكر الاصم اي بالايات والاعلام التي بها يعلم ذاته بطريق الضرورة على وجه لا يبقى له الشبهة لا رؤية لنا فيه وقد بينا نحن ان هذا التأويل فاسد بعيد عن الوهم انه قد اعطاه من الايات والاعلام ما لا يغنيه بها عن غيرها الا يحتاج الى غيرها وقال الحسن رضي الله عنه ان موسى عليه السلام سال ربه الرؤية فالحسن لم يرد برؤية الله تعالى لكنه يقول انه سالها في الدنيا وبنيته هذا العالم لا يحتمل ذلك الا ترى انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني اخبر ان الجبل لا يستقر له فكيف يستقر انت لكنه يرى في الاخرة بنيته مسلم على وجه يحتمل ذلك وقال الذي قال لموسى عم تبت اليك كلا انا اول المؤمنين بانه ليس في الدنيا الرؤية الى نحو هذا ذهب الحسن رض ولكن عندنا الرؤية جائزة في الدنيا لما في البنية دل قدره ان يجعلها محتملة لها لكن وعدها الاخرة دون الدنيا تحقيقا للامتحان وقال اهل التأويل تجلى ربه للجبل اي ظهر قرله من غير كيفية بعد ما احيى الله تعالى فيه الحياة وما به يبصر لكن لا نفهم من ظهوره ما نفهم من ظهور الخلق على ما ذكرنا في قوله استوى على العرش وقوله وجاء ربك وغيرهما من الايات لا يقدر استواؤه باستواء الخلق ولا مجيئه بمجيء الخلق فعلى ذلك ظهوره و بالله العصمة وروي انه جاء في التوراة انه جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعير واطلع من جبل فاران اي كلم موسى عم وظهر على عيسى عم في جبل ساعير واطلع على محمد صلى الله عليه وسلم في جبل فاران وجبال مكة فان قيل كيف اجترى موسى عم على هذا السؤال فقال ارني انظر اليك فهذا امر عجيب قيل يحتمل هذا وجوها احدها يحتمل ان الله تعالى امره بهذا السؤال ليعلم انه قد يرى فيعتقد ذلك ويحتمل انه سال على الاستدلال قبله انه لما راى انه اعطاه اشياء لا يكون مثلها في الدنيا انما يكون في الاخرة نحو ما خص من انفجار العيون من الحجر من غير مؤنة تكون لهم في حفر الانهار واصلاحها ونحو ما اعطاهم من اللباس الذي كان ينمو ويزداد على قدر قاماتهم وطولهم ومن نحو ما اعطاهم من المن والسلوى على غير مؤنة لا جهد وذلك كله وصف الجنة فلما راى ذلك ظن على ان الرؤية يكون ايضا في الدنيا له وانه لم يكن لاحد قبله على ما كانت له من اشياء مما لم يكن مثلها لاحد في الدنيا ومثل هذه الاستدراك غير مستبعد في العقول ويحتمل انه لما دعى نفسه تسمع كلام الله والتذ في سمعه كلامه لا من موضع ولا من قرب ولا بعد ولا من اسفل ولا من اعلا ولا من فوق ولا من تحت ولكن اسمعه بما شاء كيف شاء بلطفه والله اعلم وقوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي سمى الله تعالى موسى وسائر الانبياء باسماء الجوهر نحو موسى وعيسى ونوح وابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام وسمى نبينا عليه السلام نبيا ورسولا ونحو ذلك يدل على تفضيله عليهم وكذلك سمى سائر الامم المتقدمة بني اسرائيل وبني ادم وسمى امة محمد صلى الله عليه وسلم باسم الايمان وبما هو من اسماء الشرف والفضيلة فقال يا ايها الذين امنوا وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ونحو ذلك يدل على تفضيل امته على سائر الامم والله اعلم ثم قوله اني اصطفيتك على الناس

برسالاتي وبكلامي اي اخترتك وفضلتك على الناس كافة الانبياء وغيرهم برسالاتي وبكلامي لانه تعالى لم يكلم احدا من الرسل عليهم السلام الا بسفير سوى موسى عليه السلام فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير والاشكال على هذا من وجهين احدهما انه ذكر انه فضله واصطفاه على الناس بالرسالة وليس لبعض الرسل على البعض تفضيل في الرسالة اذا كانوا مبعوثين الى كافة الخلق اما اذا كان رسولا الى قوم خاص فهو دون المبعوث الى البشر كلهم في المنزلة وغير موسى عليه السلام من الرسل عليهم السلام كانوا مبعوثين الى الخلق كلهم فكيف يكون مصطفى على الناس كلهم والثاني ان سائر الانبياء عليهم السلام سواه ان لم يكن مخصوصا بالكلام بلا واسطة فنبينا عليه السلام كان مكرما بالكلام بلا واسطة ليلة المعراج فكيف يكون هو افضل من هو اعلى الناس اي على ناس زمانه واهله صاحبه لا لجنس الناس كلهم وهو قوله تعالى في قوم موسى عليه السلام واني فضلتكم على العالمين وامة محمد عليه السلام افضل الامم كما انه اخبر انه افضل الانبياء عليهم السلام لكن المراد عالمي زمانهم فكذا هنا فهو كان افضل ناس زمانه على سائر الناس بالكلام وبالرسالة لانه هو الاصل وهرون عليه السلام كان وزيره والردء كما قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري وعلى الانبياء ايضا الكلام لانه لم يكلمهم الا بالوحي وكلمه بلا واسطة والله اعلم ثم على قول المعتزلة لا يكون الله عز وجل مصطفى موسى عليه السلام ولا غيره من الانبياء عليهم السلام ولكنهم هم الذين اصطفوا انفسهم لانهم يقولون ان الله تعالى لا يرسل رسولا الا من يستحق الرسالة بسبب ما اتى من الاعمال الصالحة لله تعالى وتطهيرها عن الشهوات وتصفيتها من الشوائب لا ان الله تعالى يعطيه الرسالة ابتداء وعندنا ما ذكر كان طريقا للرسالة لا الاستحقاق بسبب العمل لا الافضال والاحسان بل الامتنان من الله تعالى مع قدرته عليه بقوله اني اصطفيتك وقال انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار فكان طريقه الاصطفاء والاحسان دون الاستحقاق وقوله تعالى فخذ ما اتيتك يخرج على وجهين احدهما الاخذ في القبول اي اقبل ما اصطفيتك وهو كقوله خذ من اموالهم صدقة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي يقبل ويحتمل قوله خذ ما اتيتك اي اعمل بما اتيتك بالحسن العمل وقوله تعالى وكن من الشاكرين اي للنعمة التي انعمتها عليك من التكلم والرسالة وغيرها من النعم والله اعلم وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل وجهين احدهما انه اضاف ذلك الى نفسه لما تولى كتابتها الملائكة البررة الكرام واضاف ذلك الى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما لهم على ما ذكر في الكتاب في غير موضع من نحو قوله فنفخنا فيه من روحنا وقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله اخبر ان طاعة الرسول عليه السلام طاعته وغير ذلك كذلك هذا والله اعلم ويحتمل انه اضاف خلق الى نفسه لما انه كان ويكون بتكوينه الازلي ليكون في الاوقات التي اراد ان يكون فيها ذلك تحقيقا لما قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فعلى ذلك كتبه تلك الالواح يجب ذلك التكوين وان كان اضاف بعض تلك الاشياء الى نفسه بطريق الخصوص نحو قوله وجعل لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم السمع والابصار وقوله وانزل لكم من السماء ونحو ذلك وكان ذلك كله تحت قوله كن وكان على ما اراد ان يكون في الاوقات التي اراد كونها فيها والله اعلم ثم قوله من كل شيء يحتمل ما يقع للعباد الحاجة اليه ويحتمل من امره ونهيه وحلاله وحرامه وقوله تعالى موعظة قال المواعظ هي التي تحمل القلوب على القبول والجوارح على العمل وقال بعضهم المواعظ هي التي تنهى عن الاجل وقال ابو بكر الجرجاني رحمه الله المواعظ هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة وعندنا المواعظ هي التي تذكر العواقب وتحمل على العمل لها والله اعلم وقوله تعالى وتفصيلا لكل شيء قيل تفصيلا لما امر به وما نهى عنه وقيل بيانا لكل ما يحتاج اليه وقوله تعالى فخذها بقوة يحتمل وجهين اي اقبل واعمل بما فيها على ما ذكرنا في قوله فخذ ما اتيتك وقوله بقوة قال اهل التأويل اي بجد ومواظبة ولكن يمكن حمل الاية على حقيقة القوة المعروفة ثم المعتزلة استدلوا بقوله فخذها بقوة على ان القوة تقدمت الامر بالاخذ ولكن لا حجة لهم فيها بل هي حجة لهم فيها بل هي حجة عليهم لانه امر بالاخذ بالقوة تقدمت الامر بالاخذ ولكن لا حجة لهم فيها بل هي حجة عليهم لانه امر بالاخذ بالقوة فيدل على قولهم لا يكون اخذا بقوة لانهم يقولون ان القوة تكون قبل الفعل ثم يقولون انها لا تبقى وقتين فيكون في الحاصل لو كانت القوة قبل الفعل كما زعموا لا تبقى وقت الفعل فيكون اخذا بغير قوة دل ان القوة مع الفعل والله الموفق وقوله تعالى وامر قومك ياخذوا باحسنها يحتمل قوله ياخذوا ما ذكرنا من الوجهين القبول والعمل اي مرهم يقبلوا بالحسن القبول ويعملوا باحسنها ثم يحتمل قوله باحسنها لما البعض اهل التأويل باحسن ما فيها من الامر والنهي والحلال والحرام ويحتمل بما هو احكم وايقن وقوله تعالى ساريكم دار الفاسقين قال بعض اهل التأويل دار الذين

لبني اسرائيل سأريكم دار الفاسقين يعني سنة الفاسقين وهي الاهلاك التي هي سنة الله تعالى
فيهم كقوله فقد مضت سنة الاولين ع سنتهم في اهل الكفر والفسق منهم الاهلاك والاستئصال
قال ابن عباس رض سأريكم دار الفاسقين جهنم ويمكن ان يكون الخطاب للفسقة او سأريكم يا اهل
الفسق دار الفاسقين وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ◦ قوله سأصرف
عن آياتي يحتمل وجهين احدهما اي سأصرفهم عن قبولها وتصديقها اذا لم يستقبلوها بالتعظيم لها بل
استهزءوا بها واستخفوا على علم منهم انها آيات الله وحججه والثاني اي سأصرفهم عن وجود الطعن والقدح
فيها والكيد لها ثم ان كل واحد من هذين الوجهين يتوجه الى وجهين اما احد وجهي الاول ما قال الحسن رح
ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد يطبع على قلبه فلا يقبل ولا يصدق آياته بعد ذلك والثاني انهم كانوا
يتعنتون في آياته ويكابرون فيردونها مع علمهم انها آيات وحجج من الله تعالى واذا تعنتوا صرفهم الله تعالى عن قبولها
وتصديقها فهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي يخلق منهم فعل
الزيغ وفعل الانصراف وهكذا كل من يختار عداوة الله تعالى فان الله تعالى لا يختار له ولا يشعر لكن يختار له ما
اختار هو واما احد الوجهين للثاني اي سأصرف عن وجود الطعن والقدح وذلك ان الله تعالى جعل للرسل
والانبياء اضدادا كثيرين للكفرة وعظمائهم وكانوا يطعنون في الآيات ويقدحون فيها فاخبرهم انه يصرفهم
عن وجوه الطعن فيها والقدح اي لا يجدون فيها مطعنا ولا قدحا حقيقة وان كانوا يتكلمون بلسانهم في الآيات
اي سأصرفهم عن آياتي بالاهلاك والابطال بل هم يهلكون والآيات هي الباقية ثم آياته قال الحسن رض اي يدل وتلى
ما ذكرنا انهم اذا بلغوا ذلك الحد صرفهم عن الذين الحق وقال غيره حججه وبراهينه وقوله الذين يتكبرون في الارض
اي الذين كانوا يتكبرون على الرسل ع م لما يرى منهم امثالا لانفسهم واشكالا وكذا كل من يتكبر على آخر انما
كان لما لم ير مثالا لنفسه ولا شكلا ويحتمل انه يرى لنفسه حقوقا عليه فيتكبر واذا كان التكبر لهذا فالحق
كلهم اكفاء بعضهم لبعض امثال واشكال وفيهم العيوب والحاجات فلا يسع لاحد التكبر على احد وانما التكبر
لله تعالى وانه يليق به لا مثل له ولا شكل وهو منزه عن العيوب كلها والحاجات لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء
والعظمة وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ◦ يحتمل ان يكون قوله يروا اي وان يعلموا انه لا يؤمن
بها ابدا هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
ولا يتبعوه مخافة ان يذهب رياستهم ومكانتهم وقوله تعالى وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ◦
اي وان علموا ان ذلك هو سبيل الغي والباطل يتخذونه سبيلا وقوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا
يحتمل قوله ذلك اي الصرف الذي ذكر عن آياته انما كان بحقهم لما كذبوا الآيات بعد علمهم انها آيات الله
وقوله تعالى وكانوا عنها غافلين ◦ اي غفلة العناد والاعراض لا غفلة الجهل والسهو وقوله تعالى
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ◦ اي الذين كذبوا بالآيات وبالبعث بعد الموت وقوله تعالى حبطت
اعمالهم ◦ يحتمل وجهين يحتمل انهم كانوا مؤمنين من قبل فكذبوا الآيات وكفروا بها فحبطت اعمالهم
التي كانت لهم في حال الايمان وبطلت ويحتمل حبطت اعمالهم اي المعروف الذي كانوا يفعلون في حال الكفر
من نحو صلة الرحم والصدقات وغير ذلك من الخيرات التي هي من باب الاحسان والمعروف وسقط ثواب ذلك
كله اذا لم يأتوا بالايمان اي لم يجعل لذلك ثوابا لعدم الايمان والله اعلم وقوله تعالى هل يجزون الا ما كانوا
يعملون ◦ اي ما يجزون الا ما كانوا يعملون من الاستهزاء بالآيات والاستخفاف وقوله تعالى واتخذ قوم
موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ◦ قد ذكرنا كيفية اتخاذهم العجل في سورة طه فليرجع
لهم جسدا له خوار وقوله تعالى فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي ◦ الآية وصف الله عز وجل قوم موسى
بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ووصف
بعضهم بالسفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين كما اخبر عنهم بقوله اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقال
ههنا انهم اتخذوا العجل الها عبدوه ذكر ههنا والله اعلم ليظهر في الآية وحججه وليتفكروا في نعم موسى
شكرها ويتذكروا في آياته وحججه ليتفكر في نعمه فيؤدي شكرها ويتذكر في آياته وحججه ليتبعها
على ما صنع قوم موسى عليه السلام وقوله من بعده اي من بعد مفارقته موسى قومه وقوله من حليهم وقال في
آخر اوزارا من زينة القوم وكانت تلك الحلي عارية عندهم من قوم فرعون واضافها ههنا الى قوم موسى عليه السلام
بقوله من حليهم ودل ان العارية يجوز ان ينسب الى المستعير وفيه دلالة لقول اصحابنا رحمهم الله فيمن حلف
ان لا يدخل دار فلان فدخل دارا عارية عنده حنث وقوله تعالى عجلا جسدا له خوار قال بعضهم صورته كانت صورة عجل ولم يكن
عجلا جسدا له خوار قال بعضهم صورته كانت صورة عجل ولم يكن عجلا في جوهره وقال الجسد الذي لا تدبير

والعقيق ولا بيان لا يرى الى قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا سفه احلامهم حيث عبدوا ١٤٨
من لا تدبير له ولا كلام يعبر به اذا دعاه واختاروا الهية من صنعه ما ذكر وقوله له خوار قيل ان السامري كان
قد اخذ قبضة من اثر الرسول والقى تلك القبضة في الحلي التي القوها في النار فصارت تشبه عجلا له خوار قال
بعضهم صاغ من تلك الحلي عجلا فنفخ فيه من تلك القبضة فجاء خوار وقال بعضهم ان السامري كان هيأ ذلك
العجل بحيث يحدث بحال الاشتداد حركة وسمع خوار وقال بعضهم كان وضعه في مهب الريح فتدخل الريح في دبره
وتخرج من فيه فيحدث عنده ذلك والله اعلم وقوله تعالى الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ◦ ذكر ههنا
هكذا وذكر في سورة طه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا منعهم عن عبادته وعيرهم بما ذكر انه لا يكلمهم ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا وليس فيه انه يكلمهم او يملك لهم ضرا ونفعا يجوز ان يتبع مثل هذه الآية ان حظر الحكم
في حال لا يوجب اباحة ذلك في حال اخرى وفيه ان الامتناع عنه عن اطرادها يوجب نقصانها او انطرادها
في الابتداء فيحلو لانها لم يدل على صحتها وقوله اتخذوه اي اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين في عبادة
العجل لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها والالهية في غير مستحقها وبالله التوفيق وقوله تعالى ولما
سقط في ايديهم ◦ هذا حرف يستعمله العرب عند وقوع الندامة وحلولها وتأويله لما بان لهم ضلالهم عند
سقط في ايديهم عندموا على ما كان منهم وقوله تعالى قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ◦ اي لئن لم يرحمنا
ربنا في توفيقنا الهداية والعبادة له ويغفر لنا ما كان منا من عبادة العجل والفرط في العصيان لنكونن من الخاسرين
ويحتمل قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء بسبب المغفرة والرحمة كقوله واستغفروا ربكم الآية في قوله
الم يروا انه لا يكلمهم بعد قوله له خوار دلالة ان الكلام ما يفهم منه المراد ليست الحروف بنفسها لانه اخبر
ثم اخبر انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان له هجاء وحروف فليس بكلام وذلك دليل قول اصحابنا رحمهم الله في من
حلف لا يكلم فلانا ثم خاطبه بشيء لا يفهم مراده اصلا لان ذلك ليس بكلام ولا يحنث في يمينه والله اعلم
وقوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا ◦ الاسف هو كذا يتخذ الحزن والغضب كقوله يا اسفى على
يوسف وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا لكن الغضب على من دونه والاسف والحزن على من فوقه
وقوله غضبان وغضبان لله تعالى على قومه لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله تعالى حزينا على قومه لما يحقهم
من العقوبة والهلاك رحمة منه لهم ورأفة عليهم ويلزم الشكر لربه لعصمته عن مثله وكذلك وصف رسوله
عليه السلام بالاسف والحزن لتكذيبهم اياه وحتى كادت نفسه تذهب حسرات عليهم حيث قال لعلك باخع
نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ذكر هذه القصة لنا لنعرف ان كيف
يعامل باهل المناكر ومعتاديها والله اعلم وقوله تعالى بئسما خلفتموني من بعدي ◦ يخرج هذا
على وجهين احدهما اي بئسما احدثتم من عبادتكم العجل على عبادة الله تعالى والثاني بئسما خلفتموني في اتباعكم
السامري الى ما دعاكم اليه بعد اتباعكم اياي فاخبركم رسول الله وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله تعالى
اعجلتم امر ربكم ◦ اختلف في تأويله قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اعجلتم
الوعد الحسن الذي وعدكم ربكم وهو قوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وقال آخرون اي عجلتم لربكم
وعذاب ربكم وغضبه بعبادتكم العجل فاتخاذكم اياه الها وقد سمى الله تعالى في غير موضع من القرآن العذاب
باسم الامر كقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وقوله وجاء امر الله ونحو ذلك وقوله تعالى والقى الالواح ◦ قال
اكثر اهل التأويل القى الالواح اي طرحها على الارض غضبا منه فرفع منها كذا كذا لوحا ولكن لا يجوز ان يفهم
من قوله والقى الالواح طرحها لاغير لان الله تعالى قال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ليس يفهم منه
الطرح انما يفهم منه الوضع فعلى ذلك قوله والقى الالواح او احد لانه اخذ براس اخيه ولحيته اخي هرون اخيه
عليه السلام ولا سبيل له الى ان يأخذ براسه ولحيته والالواح في يده فوضعها على الارض ثم اخذ براسه
ولحيته يجره اليه على ما ذكر في سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا براسي قيل ان المراد منه ان لا
يجب الحمل عليه تنزيها للرسول عليه السلام عن الاستخفاف بكتاب الله تعالى على ما قالوا من الطرح والله الموفق
وقوله تعالى واخذ براس اخيه يجره اليه ◦ وقال في سورة طه خبرا عن هرون عم حيث قال لموسى عم بقوله
قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا براسي فدل انه كان اخذ بلحيته وراسه جميعا لشدة غضبه لله تعالى على
قومه وفي الآية دلالة للعمل بالاجتهاد لانه قال لا تأخذ بلحيتي ولا براسي ولا يحتمل ان موسى عم ان يكون اخذ
بالامر والوحي من الله تعالى ثم يقول له هرون عم لا تأخذ كذا ولا يفعل كذا دل انه علم انه فعل ذلك بالاجتهاد
تقريبا ما قلنا ان هرون عليه السلام قال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي عند
اليه ولو كان فعل موسى عليه السلام بالوحي لم يكن ليعتذر اليه وكذا قال فلا تشمت بي الاعداء ولو كان

ما يفعل عن وجهه ولم يقل هكذا لان الاجتهاد سائغ العمل به وفي قوله واخذ برأس اخيه يجره دلالة انه انما اخذ
شعر رأسه لانه لو كان اخذ رأسه لكان لا يحتاج الى ان يجره اليه دل انه كان اخذ شعر رأسه وذلك على قوله
لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وفيه دلالة لاصحابنا ان من مسح رأسه ثم زال الشعر لم يسقط عنه حكم المسح واذا
مسح على لحيته ثم سقط زال عنه حكمه ولزمه غسل ذقنه لما سمي الشعر رأسا وسمي اللحية لحية لا ذقنا والله اعلم
وقوله تعالى قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني • خرج هذا صلة قول موسى عليه السلام لهرون عم
لما قال له يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري فقال عند ذلك يا ابن ام ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين وقوله تعالى قال
رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك • قال بعضهم انما خص اخاه بسؤال المغفرة لانهم جميعا عبدوا
العجل سوى اخيه هرون فلذلك خصه بسؤال المغفرة وقال بعضهم انما قال ذلك تحببا لما قال هرون عم
فلا تشمت بي الاعداء الاية ويحتمل انه انما خصه بالسؤال له بالمغفرة من الله تعالى لانه سأل ربه ان يجعل
هرون عم له وزيرا بقوله اجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري الاية كما سأل ربه ان يشركه
في امره ويشدد به ازره فسأل ربه المغفرة له هنا وقوله وانت ارحم الراحمين لان كل من يرحم دونه فانما يرحم برحمته
وقوله تعالى ان الذين اتخذوا العجل • اي عبدوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا قال بعضهم
غضب من ربهم لعذاب في الاخرة لمن مات منهم على ذلك وذلة في الحيوة الدنيا القتل والهلاك في الدنيا وقال
بعضهم غضب من ربهم القتل والهلاك في الدنيا وذلة في الحياة الدنيا الجزية والاسترقاق والقهر ويحتمل
قوله وذلة في الحياة الدنيا ذكر الذم بصنيعهم وسائر الشتم على مكان بصنيع الجزاء في الدنيا والله
اعلم وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين • اي كذلك نجزي كل مفتر على الله تعالى ثم قوله سينالهم غضب
من ربهم يحتمل وجهين احدهما ان قد نالهم غضب من ربهم وما ذكر والثاني ان يكون ذلك مذكورا في كتبهم
ان من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم فان كان هذا خبرا عما في كتبهم فسينالهم على الوعد
والا على الخبر ان قد نالهم والله اعلم وقوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا الاية
ولكن لا معنى للتبعيد بهم بل كل من عمل السيئات فانه سيئة كانت اذا تاب عنها وندم عليها وطلب من
المغفرة غفر له والله اعلم وقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب • اي الغضب الذي غضب لله تعالى
على قومه بعبادتهم العجل وقال ابو بكر الاصم هو العقوبة والمعنى لا يصف الله تعالى بالغضب لانه في
الحقيقة غليان الدم ولكن يقول هو ارادة الانتقام وقوله اخذ الالواح يعني الالواح التي وضعها
على الارض وقوله تعالى وفي نسختها هدى ورحمة • قال بعضهم يعني في نسخة الالواح لما كانت انتسخت
من اللوح المحفوظ وقال بعضهم وفي نسختها اي الكتب التي انتسخها بنو اسرائيل من تلك الالواح وقوله هدى
ورحمة اي هدى من كل ضلالة وبيان من كل عمى وشبهة ورحمة من كل عذاب وسخطه وقوله تعالى للذين هم
لربهم يرهبون • اي الذين يخشون ربهم يعملون وقوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
قال بعضهم لميقاتنا اي لتمام الموعد الذي وعد وهي الاربعين التي وعد ولكن لا ندري ذلك الميقات
الذي ذكر في قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا اختلف في تأويل ذلك قال بعضهم اي السبعين
الذين اختارهم موسى عليه السلام ليكونوا مع هرون عليه السلام فعبدوا العجل في اعينهم فلم ينكروا على بعض
ذلك فلم يعبدوا العجل بانفسهم فاخذتهم الرجفة قال الحسن رضي الله عنه انهم قد عبدوا العجل جميعا
الا هرون عليه السلام والرجفة التي اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل واحتمل ان يكون موسى عم لما كان
السبعين ليخرجوا معه ليكونوا شهداء له على انزال التوراة عليه وكلام ربه وقيل هم الذين تركهم في اصل
الجبل فلما جاءهم موسى عم بالتوراة قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فهلكوا
نقول لم ذلك وقيل اختارهم موسى عليه السلام ليتوبوا الى الله تعالى مما عمل قومهم وليس لنا حاجة الى معرفة اولئك
السبعين اختارهم موسى عم ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك والله اعلم وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي • قال بعض اهل التأويل اي لو شئت امتهم اياي بقتل القبطي وقال الاخرون
هو على حقيقة الاهلاك اي لو شئت اهلكتهم وقوله واياي على القدرة لا الاهلاك اي يقدر على اهلاكه
لكن لا تهلك لما لم يكن منا ما استحق ذلك ليشبه ان يكون قوله لو شئت اهلكتهم واياي اي هلاك فتنة
وابتلاء من غير تقدم سبب ويحتمل انك لو شئت اهلكتهم واياي من قبل هذا ولا تهلك الا لانه خاف
ان يأتي قومه ويخبرهم انهم اهلكوا بسبب كذا فيصدقوه ويتهموه فيهم ويقولوا انك قتلتهم على ما ذكر من
انه خرج هرون عليهما السلام الى بعض الجبال فمات هرون عم هنالك واخبر قومه بذلك فقالوا انت قتلته فعلى ذلك قال

هذا والله اعلم ويحتمل النفي ويحتمل الايجاب اما التقرير فالايجاب كانه قال الى ان تهلكنا فيكون معنى قوله اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا ابتداء اهلاك امتحان وابتلاء لا بذنب لان انه قال ان هي الا فتنتك
والفتنة الابتلاء والامتحان فلك ان تهلك السفهاء بما فعلوا واما على النفي اي لا تفعل لا تهلكنا
بما فعل السفهاء بقول الرجل لاخر افعل كذا على النفي اي لا تفعل والله اعلم ويحتمل ان يكون على الاستفهام
ولكن لم يخرج الجواب وكقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وكذب
ثم لم يخرج الجواب فعلى ذلك هذا المسألة يحتمل اهلاكه اياهم محنته بتفريط كان من بعضهم وان كان بعضهم
برئ من ذلك على ما كان من الامر بتكذيبهم العصيان وجد من البعض وكان القتل والهزيمة عليهم محنة
منه اياهم بقوله اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر الى قوله ليبتليكم فعلى ذلك هذا والله اعلم
وقوله تعالى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء • اي ما هي الا محنتك تضل بها من تشاء
بنهي من تشاء نهيا لولا ذلك النهي لم يكن الفعل فعل الضلال وتهدي من تشاء اي تأمره امرا لولا ذلك الامر لم يكن الفعل
فعل الاهتداء فكان النهي سببا لصيرورة الفعل فعل الضلال والامر طريقا لصيرورة الفعل فعل الاهتداء
فكان الاضافة سببا ولكن هذا فاسد لانه ترك العمل بالحقيقة ولان النهي عن فعل الضلال والامر بالاهتداء
وقع باب الحكمة فكيف يجعل تحت المشية فتأويله عندنا انه يخلق فعل الضلال ممن يعلم منه انه يختار ذلك ويخلق
فعل الاهتداء ممن يعلم انه يختار ذلك لانه هو خالق كل شيء واصل ذلك ان جميع ما يضاف الى الله تعالى من الاحوال على
اختلاف الاضافة باختلاف وجوهها حقيقة ذلك من الله تعالى خلق ما اضيف اليه من الوجه الذي يحق وصفه
بانه خالقه فعلى ذلك تعلقه ويضل ويحتمل يوفق ويخذل وبالله التوفيق وقوله تعالى انت ولينا • اي
انت اولى بنا ويحتمل انت ناصرنا وحافظنا انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين لان كل احد
دونه انما يغفر برحمته وقوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة • يحتمل الكتابة الاثبات
اي اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ويحتمل الاثبات اي اثبت لنا واعطنا في هذه الدنيا حسنة
ويكون كقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقال بعضهم واكتب لنا اي وفقنا لعمل يستوجب به الحسنة
في الدنيا والاخرة ويحتمل حقيقة الكتابة اي اكتب لنا في الدنيا الحسنات ولا تكتب علينا السيئات والله اعلم ويحتمل قوله
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انهم سألوا الرحمة وكذلك قال تعالى فساكتبها للذين يتقون اي يتقون
معاصيه ومخالفته ثم قوله في هذه الدنيا حسنة اي حسنة يختم بها الدنيا وينقضي بها الا انما من احد يمكن عنه
الدنيا الا وله حسنة ما اياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة انهم سألوا
حسنة يختمون عليها ويكون كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من جاء بالحسنة في الاخرة ويختم عليها
والله اعلم وقوله تعالى انا هدنا اليك • قال اهل التأويل قوله هدنا اليك اي ملنا اليك وقال غيرهم تبنا اليك
وكذلك سميت اليهود انفسها يهودا ارادوا انهم تائبون الى الله عز وجل لكن لو كان الامر كما ذكروا لكان قوله
ابراهيم عليه السلام ما كان ابراهيم يهوديا او ما كان ابراهيم تائبا وذلك كفر لكن انهم سموا انفسهم يهودا لما
ذكروا ويحتمل ان نفى قول الله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا اي لم يكن ابراهيم عليه السلام على المذهب الذي عليه اليهود
وكذلك لم يكن على المذهب الذي عليه النصارى ولكن كان حنيفا مسلما وقوله تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء
ورحمتي وسعت كل شيء • قال الحسن من شاء ان يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله عليهم السلام ومن شاء
ان يصيبه رحمته من اطاع الله وصدق رسله عليهم السلام ودل قوله عذابي اصيب به من اشاء انه لما شاء ان يصيبهم
عذابه شاء منهم العمل والفعل الذي كان به يصيبهم العذاب لا انه خرج منا بما يصير به عن نجدة من الاختيار الانسان الى
الايمان ثم نشاء لهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذا علم منهم انهم لا يؤمنون ويختارون فعل الضلال شاء فعل الهدى
شاء لهم ما اختاروا فدل على ان افعال العباد كلها تحت مشيئة الله تعالى خيرا كان او شرا ثم قوله ورحمتي وسعت كل
شيء اي ما من احد مسلم وكافر الا وعليه اثار رحمته في هذه الدنيا بها يعيشون ويتوالدون ويولدون وفيها يتقلبون
وانما المؤمن الخصوص به في الاخرة ولا حظ للكافر فيها وذلك قوله فساكتبها للذين يتقون اي الذين يتقون معصيته
ومخالفته ويؤتون الزكاة وهو كقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركة بين المسلم والكافر وجعلها
يوم القيمة للذين آمنوا لا حظ للكافر فيها فعلى ذلك لكل احد في هذه الدنيا لكنها للذين سلموا اتقوا الشرك
خاصة في الاخرة والله اعلم وقوله تعالى ويؤتون الزكاة • يحتمل الزكاة المعروفة ويحتمل تزكية كقوله تعالى
قد افلح من زكيها ومعلوم انه لم يرد به زكاة المال ولكن زكاة النفس بالتوحيد والتقوى وتطهيرها بذلك عن
الشرك والضلال وعلى هذا قوله ولولا فضل الله ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن هو هذا الزكاة لا الزكاة

المعروفة وزكاة المال فعلى ذلك الاول على انه ان كان في الزكاة المعروفة فذلك في قوم يثقل عليهم اخراج الزكاة من اموالهم كقوله والذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون وقوله تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون قد ذكرنا في غير موضع انهم امنوا بايات الله وصدقوها حقا امنوا بالله ورسله ومن كذب بايات الله وخالف الحجج العقلية لا طريق لمعرفة الله ورسله عليهم السلام الا ما هو من طريق الحجج والايات ليس من طريق المحسوسات وبالله التوفيق وقوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي اي يتبعون الرسول في كل سيرة وفي كل امر ونهيه ويطيعونه سماه رسولا ونبيا فقوله الرسول النبي الامي والرسول كان المبعوث على تبليغ الرسالة والكلام بها على كل حال والنبي كان المنبي لهم المرشد عندما سالوه ويستخبرونه والرسول هو المامور بالتبليغ سالوا او لم يسالوا او ابوا وكان محمد صلى الله عليه وسلم كلاهما التبليغ والانباء قال الله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله ان عليك الا البلاغ وقوله تعالى الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الامي ما ذكر في اية اخرى وهو قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وقوله الذي يجدونه في التوراة والانجيل انه رسول نبي وانه امي ثم الحكمة في جعله اميا ما ذكر في قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب بل لئلا يقولوا انك اخذت هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمها ولا تخطه بيمينك لئلا يقولوا انه من تاليفك وتعلمك من عند الله تعالى لا من ذات نفسه وقوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر ما ذكر دلالة رسالته انا اولئك لم يأتوا بالتوراة والانجيل فيقولون لا نجد ما ذكر في التوراة والانجيل دل ذلك انه علم انهم وجدوه كذلك وقوله تعالى ويحل لهم الطيبات او ما احل لهم ويحرم عليهم الخبائث ما حرم الله عليهم ولا نبي من [illegible] ولا يحل شيئا ولا يحرم الا بامر الله تعالى لكنهم ينكرونه انكار عناد ومكابرة وهو كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ويحتمل قوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اي يامرهم بما هو معروف في العقل وشهادة الخلقة وهو التوحيد وكذلك ينهاهم عما هو في العقل وشهادة الخلقة منكر وهو الكفر وجميع المعاصي وقوله تعالى ويحل لهم الطيبات اي يحل ما هو طيب في العقل والطبع ويحرم ما هو خبيث في الطبع جميعا لان من الاشياء ما هو مستحسن في الطبع لم يحل عند الشريعة وانما حل عندنا بعضها ما هو مستطاب في الطبع بالغ غايته في الطيب كذلك لا جعل غذاء البهائم والانعام هذا محتمل والله اعلم ثم المعرفة في الطيبات لو تركت العقول والطباع على ما هي عليها لكان لا حاجة تقع الى الرسول الذي يخبر ان هذا معروف وهذا طيب وهذا خبيث ومنكر ولكن يعرف العقول والطباع ذلك لكنه لاحسن ما ذكرنا يعرف بالعقل والطباع لكن اعترض العقول شبهات فتمنعها عن معرفة ذلك فاحتاج الى رسول يعرف ذلك فيكون في ارسال الرسل في هذا الفصل تاكيد ما في العقول حسنه ولدفع الشبهات عنها ليعرفها العقول والله اعلم وقوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم قيل الاصر ما غلظوا على انفسهم وذلك كله متقارب وقال القتبي اصرهم اي ذنبهم الذي كانوا اذنبوا اي عقوبة الذنب الذي كانوا اذنبوا في الدنيا والاغلال التي كانت عليهم وقال الحسن رضي الله عنه ان اليهود قالوا ان يد الله مغلولة اي محبوسة عن عقوبتنا فقال عز وجل غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اي غلت ايديهم الى اعناقهم في الدنيا واخبر ان امة محمد صلى الله عليه وسلم لما امنوا به وصدقوه وقع رفع تلك الاغلال التي كانت عليهم عن هذه الامة بطاعتهم رسوله وقيل الاغلال التي كانت عليهم الشدائد التي كانت عليهم من نحو ما لا يجوز لهم العفو عن دم العمد ولا اهل احد الدية وما لا يجوز غسل النجاسات ولا يجوز الصلاة فيه الا بالقطع وغير ذلك من الاشياء التي لم تحل لهم واحلت لهذه الامة وقيل الاغلال التي كانت عليهم هي الشدائد التي كانت عليهم من نحو ما حرمت عليهم من اشياء بظلم كان منهم وتحريم كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم حرم تلك الاشياء عليهم عقوبة لبغيهم وظلمهم الذي كان منهم اخبر انه وضع ذلك عن هؤلاء ولا يحرم مثل ذلك عليهم وفي هذه الاية اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه امي والامي ما ذكر في قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب الاية وكان لا يتلو ولا يخط بيمينه ثم اخبر على ما كان في كتبهم اذ عرف ما في كتبهم لو نظر فيها او عرف لسانهم علم انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله تعالى فالذين امنوا به اي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وعزروه قيل اعانوه باموالهم ونصروه بالسيف بايديهم وقال الحسن عزروه ونصروه انما هو كلام مثنى ومعناهما الاعانة وقيل عزروه اي اطاعوه ونصروه اعانوه وقيل عزروه عظموه وقوله تعالى واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سماه نورا لما تبين الاشياء عن حقائقها بالعقول لان النور في الشاهد هو الذي يكشف عن الاشياء ستائرها فكذلك القران هو نور لما يرفع الشبه عن القلوب ويكشف عن ستائرها وقال بعضهم سمي نورا لما يبين الاشياء ويعرفهم ما غاب عما شاهد فيصير الغائب كالمشاهد والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فيه دلالة انه كان مبعوثا الى الناس كافة وكذلك روي

قال بعثت الى الاحمر والاسود وسائر الانبياء عليهم السلام بعثوا الى اقوام خاصة والى البلدان والقرى المخصوصة المعروفة المحدودة وان كان منهم مبعوثا الى الناس كافة مثل نوح وغيره عليهم السلام فلم يكن غيره مبعوثا الى الثقلين الانس والجن جميعا وفي الاية ان الله تعالى امر مخاطبه ان يقول للناس اني رسول الله اليكم فانه لا سبيل له الى ان يخاطب الناس جميعا بنفسه فيقول اني رسول الله اليكم ولكن انما يكون ذلك ببعث الرسل عليهم السلام اليهم فيقولون انه رسول الله اليكم فانتشر ذكره بتبليغ المرسل اليهم وصار بذلك مبلغا حتى قال الا هل بلغت فدل ان تبليغ المرسل بنفسه وان حصل الواحد حجة اذ كان بتبليغ الاحاد من الرسل عليهم السلام الى الافاق والله اعلم ويحتمل ان الله عز وجل سخر الخلق حتى بلغ بعضا رسالته حتى فشى خبره وانتشر ذكره في جميع افاق الارض شرقا وغربا كافة بلغ بنفسه وذلك من عظيم اياته بنبوته ورسالته ثم بين انه رسول من له ملك السماوات والارض وهو الواحد الذي لا شريك له الذي يتفرد بالاحياء والاماتة ذكر تخصيص السموات والارض بالملك وان كان ملك الكل لما هو لنهاية في ملك البشر ويحتمل انه ذكر هذا ليعلموا ان التدبير فيهما جميعا لواحد حيث تتصل منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما وقوله تعالى لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب كانت تسمي كل معبود الها وكانت تسمي الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة فنفى الالوهية عما يعبدونها واثبتها لنفسه واخبر انه المستحق لاسم الالوهية والعبادة لا غير لانه يحيي ويميت ومن الذين تعبدون لا يملك الاحياء ولا وذكر الحياة والموت والله اعلم لانه ليس شيء الذ ولا اشهى في الشاهد من الحياة ولا امر ولا اشد من الموت ليرغبوا فيما غاب عنهم ويفزعوا عن الامر الاكره فيما غاب عنهم والله اعلم ويحتمل انه ذكر انه يحيي ويميت ليدل انه فعل واحد لا عدد والله اعلم وقوله تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله كان صلى الله عليه وسلم هو السابق الى كل خير فعلى ذلك دعا الخلق ذلك انما امر الايمان بالله تعالى وكلماته بعدما امن هو ويحتمل ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اي امن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله وكلماته التي كانت في الكتب المتقدمة واخبرهم على ما في كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى وقوله تعالى وكلماته قال عامة اهل التاويل وكلماته القران وذكر في بعض القراءات وكلمته بلا الف وصرفوا تاويلها الى عيسى ابن مريم سمى كلمة الله كقوله وكلمته القاها الى مريم الاية كانه قال فامنوا بالله تعالى وبمحمد وبعيسى عليهما السلام ويحتمل ان يكون قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر والنهي والحكمة والاحكام التي امر بها وشرعها لنا على ما ذكر في ابراهيم عليه السلام انه ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم في الاية بيان كرامة امة محمد صلى الله عليه وسلم بين انه اكرمهم بالطاعة لرسوله عليه السلام والخضوع له والتعظيم له حتى لم يحظ بالحد الخلاف بعد ما اتبعه وامن به وما اكرمهم ايضا من الحكمة حتى ذكر في الحديث كاد هذه الامة ان تكون انبياء وقوم موسى عليه السلام وغيرهم من الامم لم يكونوا مثلهم لان قوم موسى عليه السلام قد خالفوا اشياء امرهم بها وما اخبر منهم من افعال الجهال والله اعلم وقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وعد ذكر الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا وقوله تعالى ومن قوم موسى يحتمل انه اراد ان من قوم موسى وعلماء هم الذين كانوا في زمنه يدعون الناس الى الايمان والحق ويحتمل ان يكون الامة من قوم موسى عليه السلام في زمن رسولنا عليه السلام من بقية قوم موسى عليه السلام ممن به يدعون الناس الى الحق وبه يعدلون وقوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما قال ابن عباس رض في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة يعني جماعة قيل قطعناهم في الارض امما اي جعلنا بني اسرائيل قوم موسى عليه السلام اثنتي عشرة فرقا وقيل وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما اي جاوزنا بهم البحر كقوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قال ابو عوسجة الاسباط الاحفاد والسبط واحد وقال القتيبي الاسباط الاحفاد والسبط واحد وقال القتيبي الاسباط القبائل واحدهم سبط وقيل الحفدة دون القبيلة وقيل الاسباط هم كالقبائل للعرب وقيل سبط الرجل ولد ولده على ما روي في الحديث ان الحسن والحسين رضي الله عنهما اسباط رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان اولاد اسحاق سموا اسباطا واولاد اسمعيل قبائل والحفاد وكذلك انما العرب يقال قبيلة كذا وفخذ كذا ولسنا ندري حقيقة ذلك والله اعلم وقوله تعالى واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر قيل ذلك في قوله اذا استسقاه قومه انهم كانوا في المفازة لا في البلدان والقرى لانهم لو كانوا فيها في الامصار والقرى لا يحتالوا بماء يجري ويعيون للاستسقاء الا يرى انه قال وظللنا عليهم الغمام دل انهم كانوا في المفازة دون البنيان لانه هنا الذي يقع الحاجة الى الغمام للاظلال واما في العمران وقوله تعالى فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال بعضهم انبجست على ما ذكر في سورة اخرى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وقيل انبجست الكلمة بلسانهم لا بلسان العرب وقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم لان بعضهم [illegible] فعرفهم الله تعالى بمعرفة كل منهم مشربهم لئلا يتجاوز منه الى مشرب صاحبه وكانوا مكلفين

بذلك طريق الابتلاء والامتحان وقال بعضهم انما كان لئلا يزدحموا في ذلك فيفضي بهم الى التنازع فلا
وذلك يبقى لهم اولادهم والله اعلم وقوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى
فيه انه جميع مؤنهم كانت من السماء بلا مؤنة ولا تعب على انفسهم وقوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم من المن
والسلوى وغير ذلك وقوله تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون لا احد يقصد قصد ظلم الله
تعالى ولكن يقصد واحد دون الله عز وجل الذي جعلها لهما ويجاوزونها فيقع ظلمهم انفسهم لما يرجع ضرر ذلك
التعدي اليهم وهذه النعم التي ذكرها الله تعالى انما جعلها المن في حال العقوبة والابتلاء من التيه والعقوبة
والغمام فيدل هذا على ان عقوبات الدنيا قد يتسع بها نعم ولذة وكذلك لذات الدنيا قد يكون فيها شدائد وغموم
فاما الخلوص فلا يصفو هذه النعمة في الآخرة وكذلك بالعقوبة يخلص فيعادها اللذات وقوله تعالى واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية قال عامة اهل التأويل اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ويحتمل ان يكون هذه القرية
التي ذكرها ههنا هي الارض التي ذكرت في سورة المائدة بقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا
ترتدوا على ادباركم امرهم بالدخول فيها ونهاهم عن الارتداد على ادبارهم فامرهم ههنا بالسكون فيها وابيح لهم
التناول منها مما شاءوا وقوله تعالى وقولوا حطة فما كذا فلم يكن قولهم قولوا حطة امرهم بان يقولوا اللهم
لما عملنا اذنبنا من الخطايا ولكن هذا امرهم مما شرع للعباد التي هي سبب مغفرة الخطايا والعفو عنها
وهو كما قال هود عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا لم يرد به
ان يقولوا اللهم اغفر لنا لانهم كانوا كفارا ودعاء الكفار لا يستجاب فيغفر لهم الذنوب لكن اراد اي ابتغوا
بالسبب الذي يغفر الذنوب وهو التوحيد فههنا مثله وقوله تعالى وادخلوا الباب سجدا قد ذكرناه في سورة
البقرة وقوله تعالى فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا
يظلمون هذا ايضا ذكرناه في سورة البقرة غير انه ذكر ههنا فارسلنا عليهم رجزا من السماء وذكر في سورة
البقرة فانزلنا على الذين ظلموا وذكر ههنا بما كانوا يظلمون وهنالك بما كانوا يفسقون والقصة واحدة ليعلم
ان اختلاف الالفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والاحكام اذا لم يغيرها فدل على جواز الصلاة بالفارسية
ودل على نقل الحديث بالمعنى فاما الفسق والظلم من حيث المعنى فواحد لان الفسق هو الخروج عن امر الله تعالى
والظلم هو وضع الشيء غير موضعه ومن خرج عن امر الله فقد وضع الشيء غير موضعه ومن وضع الشيء غير
موضعه فقد خرج عن امر الله وقد وضع الشيء غير موضعه ومن وضع الشيء غير موضعه فقد خرج عن امر الله
تعالى ويحتمل ما ذكر بلفظ الظلم والفسق لان الامرين جميعا كانا منهم والله اعلم وقوله تعالى واسألهم
عن القرية التي كانت حاضرة البحر بعضهم قال ايلة وقال الآخرون كانت [illegible] ولسنا ندري ما اسم تلك القرية
وليس لنا الى معرفتها حاجة والاشكال انه امر نبينا عليه السلام بان يسأل اهل الكتاب عن هذه القرية ثم بين
لهم الرسول عليه السلام بقوله اذ يعدون في السبت الى آخر ما ذكر والسؤال هو الاستخبار والاخبار انما
يكون من المسؤول دون المستخبر فكيف يكون هذا فنقول في الجواب عن هذا من وجهين احدهما ان الامر
يكون من وجهين احدهما ابتداء اخبار والثاني طلب التصديق منهم فههنا لم يحتمل ابتداء الخبر فيكون
طلب التصديق كأنه قال لهم اليس كذا فيقولون نعم فيصدقونه فيما يقول لهم والثاني ما قيل انه ليس
بالسؤال حقيقة ولكنه على التمثيل كأنه قال لو سألتهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر يقولون ان
كذا وهو كقوله سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ليس على الامر بان يسأل لهم ولكن لو سألتهم عن كذا
لاجابوك كذا فعلى ذلك هذا والله اعلم وقيل امره ان يسألهم لما عذبهم الله تعالى بذنوبهم يعني اهل القرية
ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون في السبت وقوله تعالى اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابتدعوا السبت فعظموه بانفسهم فابتلوا فيه بتحريم
اصطياد الحيتان فيه وامتحنوا بذلك وقال مجاهد رضي الله عنه حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت
تأتيهم في السبت شرعا بلا مؤنة ولا تكلف ولا تأتيهم في غيره مثله لزيادة الابتلاء عليهم وقال بعضهم ابتلاهم
الله تعالى بتحريم السمك في السبت ليرى الخلق المطيع منهم من العاصي وقال ما يلحق ابتلاهم بذلك بما كانوا يفسقون
في السبت ليكون فسقهم وتعديهم ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله تعالى لئلا يقولوا عند العذاب انهم
عذبوا بالظلم ولا تعدي والله اعلم وذلك في قوله كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقوله شرعا قال ابن عباس
رضي الله عنه هي التي تدنو من الشط او الحيتان شارع وقال القتيبي ظاهرة شرعا اي شوارع اذ يعدون اي يتعدون
الحق يقال عدوت على فلان اي ظلمته وقيل شرعا اي تشارع الماء من غير الماء او خارجا وقيل شرعا اي كثيرة اي كثرة
الحيتان يوم السبت ونعمل في ذلك وقوله تعالى ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقال الكلبي رحمه الله يقرأ يسبتون

بالرفع فمن قرأه برفع الباء اراد يخلون في السبت يقال اسبتنا اي دخلت في السبت والربيع والخميس اي دخل
في الاربعاء والخميس ومن قرأه بالفتح اراد شيئا عظيما يقال السبت يسبت سبتا وسبوتا والله اعلم
وقوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والاشكال انه
ذكر في ابتداء الآية انهم كانوا ثلاث فرق فريق عدوا وتركوا امر الله تعالى وارتكبوا نهيه وظلموا انفسهم وفريق
نهوا الذين اعتدوا وانتهكوا المحارم كقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقوم لم يعتدوا
ولم يرتكبوا نهيه ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم للواعظين اياهم
وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انهم كانوا ثلاث فرق فرقة وعظت وفرقة موعوظة وفرقة ثالثة وهم الذين
قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم ثم قال في آخر الآية انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
خلقهم فرقتين فرقة هي التي هلكت بالاعتداء وفرقة هي التي نهت ونجت فكيف يكون هذا فنقول
كلهم ثلاث فرق ثم ذكر الفرقتين عند الهلاك والنجاة لان الفرقة الثالثة دخلت في احدى الفرقتين اما
الناجية لكن اختلف اهل التأويل قال بعضهم كانوا في الفرقة الذين هلكوا لوجهين احدهما انه لما لم ينهوا
اولئك الذين اعتدوا وكان فرض عليهم النهي عن المنكر والامر بالمعروف فاذا لم ينهوا اولئك منكرهم شركوهم
في العذاب وهو كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت الآية والثاني
ان الفرقة الناجية كانوا ينهون فاولئك المعذبين صيرهم ههنا الفرقة نهوا اولئك الناهين اياهم عن النهي
عن المنكر بقولهم لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ينهوا عن المنكر بانفسهم بل نهوا الناهين عن المنكر عن
النهي عن المنكر فصاروا من جملة المعتدين بهذا والله اعلم وقال بعضهم لا بل كانوا نهوا اولئك المعتدين
عن الاعتداء والظلم الذي كان منهم وكان قولهم لم تعظون قوما الله مهلكهم بعدما نهوهم وقد وعظوهم
فلم يتعظوا فقالوا اولئك لم تعظون قوما قد نهيناهم ووعظوا وكيف تعظون قوما لا يتعظون
فانما قالوا ذلك بعدما نهوا وبعدما اتوا بما في وسعهم ولا تكليف فوق الوسع والله تعالى لا يؤاخذ المرء الا
في وسعه وقال بعضهم ان هذا القول منهم نهي وزجر وتوبيخ لانهم اوعدوا وعيدا شديدا بقولهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم فيقين هذا القول منهم بعدما زجرهم الاخير واعلمهم نهاية من الوعيد وهو الهلاك
في الدنيا والعذاب الشديد فيما يأتون من الصنيع ولكن لا حاجة لنا الى معرفة حقيقة ذلك انهم كانوا في
الناجين ولم يتعلق بذلك عمل ولا اعتقاد سوى ما بين انه نجا منهم من نهى عن الظلم والعدوان
ومن هلك وعذب انما عذب بسبب الظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ولو كان لنا الى ذلك حاجة لكان بين لنا ولم يترك الى اجتهادنا والله اعلم وقوله تعالى قالوا
معذرة الى ربكم قرئ معذرة بالرفع والنصب فمن قرأه بالرفع اضمر فيه كلمة هذه كانهم قالوا هذه معذرة
الى ربكم وهو كقوله سورة انزلناها ومن قرأه بالنصب فاعتذارا منهم الى ربهم على انه مفعول القول
وقوله تعالى ولعلهم يتقون اي لعلهم ينتهون وقوله فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا واعرضوا عما ذكروا به
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قرأ بعضهم بئيس بكسر الباء
وفتحة بغير همز وبعضهم بفتح الباء وكسر الهمزة بئيس على وزن فعيل وكله لغات ومعناه الشديد كذلك قال
القتيبي وابو عوسجة رضي الله عنهما يقال بؤس اذا افتقر وبؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقال بعضهم اي وجيع
وقرأ الحسن رضي الله عنه بعذاب بئس بما كانوا يفسقون من قولهم بئس الشيء يبأس نعم الشيء وقوله تعالى
فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابو عوسجة رضي عتوا واستكبروا يقال عتا يعتو عتوا وكان العتو هو النهاية
في اليبس وكذلك قيل في قوله من الكبر عتيا اي يبسا ذكر عتوا ليبس قلوبهم لذلك سمي مرة قساوة
ومرة استكبارا ومرة عتوا وهو واحد وقوله تعالى قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اختلف في كيفية كونهم
قردة قال بعضهم حول صورتهم وجسدهم صورة القردة وكانت عقولهم على ما هي عقول البشر
ليعلموا تعذيب الله تعالى اياهم وما اصابهم بهتك حرمة الله تعالى وقال بعضهم تحول طباعهم طباع القردة
واما الصورة والجسد على حاله وقوله خاسئين قال بعضهم اي قاصين مبعدين هو من خسئ الكلب
فهو خاسئ يقال خسأته فخسأ وخسئ هو بعيد وكذلك وقوله اخسؤوا فيها اي ابعدوا فيها
وقيل الخاسئ الذليل وقوله تعالى واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب
قيل تأذن ربك اي قال ربك ليبعثن وقيل امر ربك وقال ابو عوسجة واذ تأذن من الاذان اي اعلم ربك
ثم اختلف اهل التأويل في نزول الآية قال بعضهم نزلت بمكة في سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الكفار كانوا يمنعون من ارادوا الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاوعدهم الله تعالى ليبعثن عليهم

الى يوم القيمة من يقتلهم ويأخذ منهم الجزية بما كانوا يمنعون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاجابة فيما يدعوا اليه وقال بعضهم هو في بني اسرائيل وهو ما قال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الى قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا اخبر انهم ان عادوا عدنا فلم يبين في هذه الاية كقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وقال قائلون الاية نزلت في هؤلاء الذين سبق ذكرهم في قوله انجينا الذين ينهون عن السوء الاية قال ابو بكر الاصم هذا التاويل لا يصح لان من اتى من هؤلاء لم يحتمل ذلك وكان من صار منهم قردة لم يحتمل ان يعذبوا بعد ما صاروا قردة فهو والله اعلم على الوجهين الذين ذكرنا جميعا والله اعلم وقوله تعالى ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم يحتمل سريع العقاب اي ياخذهم في حال امنهم ليس كما ياخذهم ملوك الارض تويهم بعد ما يتقدم اليهم التخويف فعند ذلك ياخذهم بالعذاب ويحتمل سريع العقاب اي سريع ياخذهم عقابه وقيل سريع العقاب لمن كفر وكذب وغفور رحيم لمن آمن وصدق الله ورسوله وقوله تعالى وقطعناهم في الارض امما يحتمل فرقناهم فرقا كانوا مجتمعين ثم يحتمل الجمع وجوها احدها اي كانوا مجتمعين في الدين ثم تفرقوا احزابا بعضهم كفارا وبعضهم مؤمنين والثاني يحتمل انهم كانوا مجتمعين في المكان والمعاش ثم تفرقوا احزابا متفرقين ويحتمل انهم كانوا في الدين واحد ثم تفرقوا احزابا واصحاب اهواء ويحتمل قوله وقطعناهم في الارض امما اي فرقة وجماعة بعد جماعة خلفاء بعضهم لبعض على ما ذكر في اية اخرى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الاية وقوله تعالى منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان كان قوله وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فيكون تاويله منهم الصالحون المؤمنون ومنهم دون ذلك الكفار ويكون قوله دون ذلك يعني غير ذلك كقوله يعبدون من دون الله اي غير الله وان كان في المعاش فبعضهم دون بعض في المعاش ويبغي المعاش على بعض وبعض على بعض ويحتمل ان يكون بعضهم دون الصالح في الدين والمذهب يكون بعضهم دون بعض في الصلاح نحو المطيع على الاطلاق مع المطيع الذي يباشر بعض المعاصي والله اعلم وقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون اي ابتلاء بعضهم بالخصب والسعة وبعضهم بالضيق والشدة لتذكرهم الموعود من الثواب والموعود من العقاب عن السيئات وذلك قوله لعلهم يرجعون ثم قوله لعلهم يرجعون يحتمل وجوها بلوناهم بالنعم والخصب والسعة ليعرفوا فضل الله واحسانه فيرجعوا اليه بالشكر والثناء وبالسيئات بالبلايا في انفسهم والمصائب والضيق ليعرفوا قدرة الله وسلطانه ويرجعوا اليه بالفزع والدعاء والتوبة والتضرع والثاني معناه اي بلوناهم بالحسنات والسيئات المؤمن منهم والكافر وجعلنا ادلوا الاستواء في الحكمة التفريق بينهم فيضطر الجميع الى الايمان بالبعث اذ خرجوا من الدنيا على سواء والرابع انه انما جعل النعم في الدنيا ليعرفوا لذة الموعود في الاخرة وكذلك الشدة والمحنة والعقوبة فابتلاهم بالامرين جميعا ليستعدوا الخروج الى الموعود في الاخرة والله اعلم وقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب قال قائلون هو صلة قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فالصالحون هم الذين آمنوا بالله تعالى وحفظوا حدوده وحلاله وحرامه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد الصالحين خلف وهم الذين لم يحفظوا حدوده وحلاله وحرامه وقال ما يكون هو صلة ما تقدم من ذكر الانبياء والرسل عليهم السلام والله اعلم وقال القتبي الخلف الردي من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من القول وقوله تعالى ياخذون عرض هذا الادنى انا اهل الدنيا على احد وجوه ثلثة منهم من كان ياخذها مستحلا لها ومنهم من كان ياخذها ان اهل الكتاب كانوا ياخذون التحريف اعني تحريف الكتاب ومنهم من يتناول لها ما بات او لا اهل الاسلام على قدر الحاجة وههنا لا يحتمل الاخذ بالتبديل او الاستحلال والاخذ بالاستحلال ههنا اقرب كانوا ياخذون عرض هذا الادنى مستحلين له ويقولون سيغفر لنا هذا يحتمل وجوها يحتمل ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فيستحلون اموال الناس ياخذونها ويقولون سيغفر لنا لانا ابناء الله واحباؤه فيستحلونه ويحتمل انهم قالوا سيغفر لنا مع علمهم انه لا يغفر لهم اذ تناولوه مستحلين ويحتمل انهم اذا عوتبوا على ما فعلوا من اخذ عرض الدنيا قالوا سيغفر لنا وقال بعضهم ياخذونه حلالا كان او حراما وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وقوله تعالى الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق يحتمل قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله لانهم كانوا اذا استحلوا ذلك اضافوا ذلك الى الله تعالى فقالوا الله امرنا بها اي بالاخذ واذن لنا في ذلك الم يؤخذ عليهم بيان الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اي لا يضيفوا الى الله تعالى ما استحلوا ويقولون انا ابن بذلك ويحتمل ما يقال الم يؤخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال بعضهم قوله الم يؤخذ

عليهم ميثاق الكتاب الاية فيما يرجون على الله تعالى من مغفرة ذنوبهم الذي لا يزالون يعودون اليها ولا يتوبون عنها بقوله تعالى ودرسوا ما فيه اي قرؤوا ما فيه وعلموا بما فيه وقوله تعالى والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون اي افلا تعقلون بما في كتابهم ان ترك مخالفة الله تعالى خير من الاخرة ثم اخبر عن المؤمنين فقال والذين يمسكون بالكتاب بما فيه من الحلال والحرام واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة قيل اي رفعنا الجبل كقوله ورفعنا فوقهم الطور وقيل نتق قطع وقال بعضهم هذا حرف اخذ من كتبهم ولا ندري كيف يقال حركناه هو قول القتبي رضي الله عنه وقال ابو عبيد كل شيء قلعته من موضعه فقد نتقته ذكر هذا والله اعلم ليصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفه قومه لان سفه قوم موسى عليه السلام مع كثرة ما عاينوا من الايات التي جرت على يدي موسى عليه السلام وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من استنقاذه اياهم من اسر فرعون واخراجه اياهم من يديه وفرق البحر لهم ومجاوزته بهم البحر وتفجر الانهار من الحجر وانزال المن والسلوى عليهم وجميع ما ذكرنا ونحو ذلك من الله تعالى بسبب موسى عليه السلام ومع ذلك لم يقبلوا التوراة ولم يقروا بها الا بعد رفع الجبل عليهم والا رسالة ليعتذر ذلك فصبر رسوله عليه السلام لئلا يضجر بمخالفة قومه اياه وكثرة سفههم ثم قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم يحتمل وجهين احدهما انهم عاينوا ذلك حين استوا به وقبلوا الكتاب فيكون ذلك منهم ايمان دفع العذاب وذلك يكون عن قهر وجبر ولا يكون في حال القهر ايمان والثاني صيرت له اية عظيمة وحجة واضحة معجزة فقبلوها وحققوا الايمان به ثم تركوا ذلك بدلالة ما ذكر في سورة البقرة ثم توليتم من بعد ذلك وقوله تعالى وظنوا انه واقع بهم اي ايقنوا انهم ان لم يقبلوا وقع بهم وقوله تعالى خذوا ما اتيناكم بقوة يحتمل وجهين احدهما خذوا اي اقبلوا ما فيه والثاني اي اعملوا بما فيه وقوله تعالى واذكروا ما فيه قيل اعملوا بما فيه من الحلال والحرام لعلكم تتقون من العقوبة والله اعلم وقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الاية قال الشيخ رحمه الله اختلف في تاويله قال بعضهم ان الله تعالى قال الست بربكم عند ما خلق آدم عليه السلام اخرج من يكون من ذريته الى يوم القيمة مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم قالوا بلى لكن هؤلاء اختلفوا فيما بينهم منهم من قال لا بل جعلهم بالمبلغ الذي يجري على مثلهم القلم بان جعل فيهم الحياة والعقل والتمييز نحو قول الحسن رحمه ومنهم من قال عرض ذلك على الارواح دون الابدان وقال بعضهم بان خلقهم صنفين فقال هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ثم عرض عليهم قوله الست بربكم قال بعضهم عرض على الكل التوحيد فقال الست بربكم واعلمهم ما عليه احوالهم واحوالهم في الدنيا من الفقر والغنى والاجل ونحو ذلك فالله اعلم كيف كانت القصة او كيف يرى احوال الفقر والغنى في الذر وكيف قال هؤلاء فكذا او لا ابالي مع اجتماع الكل على القول بلى بما عرض عليهم في قوله الست بربكم وقد دينا في تلك الاخبار التي فيها حقيقة الذر ما كان حفظ دينه والحاجة حفظ العوام واهل الضعف عن تبليغها الرد وانعظم في النفع وابعد عن السبيه من درنيها وتكلف الكشف عنها فنسأل الله تعالى العصمة عما به الهلاك والتوفيق لما به نجاة كل ساع ودفع كل شبهة وحيرة فانه لا يقوم الاية ومنهم من ذهب في تاويل الاية الى ما عرف من ذرية آدم عليه السلام والاخذ من اصلاب الاباء والانشاء في الارحام على ما كان ويكونوا الى يوم القيمة على ما قال الله تعالى فلينظر الانسان مم خلق الى قوله يخرج من بين الصلب والترائب وقال وكنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا وغير ذلك مما احتج الله تعالى به من قدرته بما يجري به تدبيره الماشر مما يعجزهم تقديره وتمنع الخلق وتستر عن عقولهم كيفيته بدون ذلك عما عليه ينقله من حال الى حال في كل طرفة عين ولحظة بصر بما فيه من عجيب التدبير وحسن التقويم الذي لو تكلف الخلق تصوير مثله بكل انواع الحيل من الاصول الظاهرة بحيث يبصره كل بصير لكان يعجز عنه فكيف في الظلمات الثلث مما يكتنفه من العقل والسمع والبصر وما يجعل في كل ما انشأ فيه من مما لم تبلغه الاوهام فضلا من الاحاطة لما في ذلك من الحكمة وكذلك قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك من الحكمة وكذلك قال الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك هو العهد الى الجميع الذي انشأهم عليه تعالى من ذريتهم على ذلك ما نشأهم على ما فيهم عن ان يكون له كفو وشريك او يقيد احد قدرة فذلك هو معنى اشهادهم على انفسهم اي جعلهم على انفسهم شهودا ان يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا رب لهم غيره وانه ليس كمثله شيء مما اوجعل ذريته يعرف كل بما يرى من عجزه عن تدبير ولده وجهله بالحوال كونه في رحم ابويه بانه انه لا كان لابائه وامهاته علم ولكن برب العالمين وذلك هو المعنى الذي منعهم عن القول بالغفلة عن ذلك اذ علم كل منهم لاكما له كونهم في الوقت الذي لا يذكره احد وذلك قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والتعصب بان هذا التاويل حق من الاول لما دل عليه سياق الاية من ذلك قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وقوله

من ذكرت على الاخذ وانه خلاف ظاهر الاية والثاني قوله من ظهورهم وعلى ما قالوا يكون من ظهر آدم وهو خلاف
الظاهر ايضا والثالث قوله يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقالوا انه اشهدهم على انفسهم الست بربكم حتى
لا يقولوا يوم القيمة كنا فكيف يحتجون عن القول بذلك وقد علم انهم كذلك لايحتج منهم ذكرانه خرج الذريه وقال
لهم الست بربكم والاخذ انما يقرعنه وانه نبه بكل اولم التنبيه والرابع قوله انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
وكيف وجهان احدهما الشي في ذلك العرض ما يمنعهم عن هذا القول اذا لم يكن بينهم بذلك ولانه تعالى احتج
عليهم بانهم لو كانوا ذرية من بعدهم وقد اشرك اباونا من قبل لم يرد عليهم انكم كنتم ذرية تعبدون آدم عليهم
دلالة التاويل الثاني احق والخامس انهم قالوا انه جعل الذين ضمنوا فقال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في الجنة
ولا ابالي وفي القران الجمع بينهم جميعا في العقل بلى حيث قال الست بربكم قالوا بلى فلا بد ان لم يكن البعض وقد ذكر البعض
وذلك بعد توحيدا منهم فكيف قال هؤلاء في النار ولا ابالي والسادس في القران ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين وقال في موضع اخر وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ذكر الموت والحياة مرتين وعلى ما قالوا هؤلاء
يكون اثبات الحيوة والموت اكثر من العدد الذي جاء به القران فكل هذا لان هذا القول يودي الى خلاف القران
من هذه الوجوه واما التاويل يمكن العمل به من غير خلاف ظاهر القران اما اول الاية فظاهر لانه جعل الاخذ
من بني آدم من ظهورهم وهو النطفة وهو الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب واما قوله واشهدهم
على انفسهم اي اطلعهم ما منه انشاهم وقلبهم من حال الى حال انقضت النسمية التسمية وظهرت البشرية
على ما اعلم كل في ذريته خروج دوه من تدبير الله وقيامه على ما عليه معاده وقراره بتدبيره فلا يخرج شي ولا
يخفى عليه امر ليعقلوا انا الذي دبرت هذا ودبرتهم بالعهد ما هم عليه الا ليس كمثله شي وكان ذلك اعلام من الله
اياهم على نفسهم وشهادة منها بالخلقة انه ربهم الذي رباهم ومالكهم على ما جرى فيهم من تدبير الله تعالى كذلك
ليعقلوا ابدا انا كنا عن هذا غافلين وقد عرف ذلك كل ذي عقل وعرف انه كان بالله سبحانه لا بالابا ليعقلوا
شرك الاباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا ابنيهم واقاموا والاخلاف ان يكونوا لله تعالى اشهدهم على انفسهم
بما اراهم من احوال ذريتهم في الانتقال الى انا نفسهم كذلك كانت دخل كل من جوهرهم فذلك التدبير ليعلموا
ان الذي دبرهم على ذلك دبر لكل شي ولا عنهم شبهة لكون يعرفوا ان الذي ليس كمثله شي ويعقل عنهم
مبدا العطله وملاحقا الشبهة بكون الذين من حيث سعوا التقليد بما نعلم خروج الجميع من التدبير
ورجوع التدبير الى غيره يكون موضع الاستدلال بما اراهم وقد عاهدهم الله لانهما امرهم بين الاباء والامهات
ثم العقل بلى كما اخبر عنهم قالوا بلى يكون نطقا ويكون خلقة ويحال الفطرة نحوا ثم امل بالنطق انه لا تشكل
قبل التلقين الا وهو يعقل بالرب والخالق وعلى ذلك قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وانما الخلقة بما كان من حاجته الى مقيم والى مدبر على شركة كل ذي ذلك اقرار له بالربوبية معنى نفي التعارف
من خلقه وفطرته بما يعليه على احوال لو تامل الخلائق ادراك كل حال لضعها ومحمه التنقل وعند التعيير
وكل حال لما بيا لهم ليعلم ان في الفطرة شهادة التوحيد وهذا معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال كل مولود يولد على الفطرة اي على حال لو تركنا العقول والفكر فيها الشهدت بالتوحيد وذلك معنى
قوله قالوا بلى لا انهم قولا لسانا بل نطق حالا كما قال الحكيم كل صامت ناطق لانه يضمنه ذلك تدبير الخفي فهو ناطق
باللسان عن الواحد العزيز ولا قوة الا بالله وقد يحتمل الاشهاد ان جعلهم شاهدا على انفسهم بالعبودية
لله تعالى وانه ربهم والمالك عليهم والعقل بلى بما يلزم من ذلك القول بالتامل فكانه قال والله اعلم
وفي الاية دلالة خلق الله تعالى فعل الخالق لما نهم النطق وقد اخبر الله تعالى انه خلق ذلك والله اعلم بالقول
على ما يخرج تاويل السلف قبل لعلهم وجدوا فيه ضعفا ظنوا ان الاية يخرج عليه فاولوها على ذلك فان اريد
تسوية ذلك بالاية لابد من زيادات يلحق بها ان يخرج عليها ولا لا يخرج من ذلك ان تقول فاذا اخذ ربك من بني آدم
وقد يكون نصلة في الكلام كقوله يكفر عنكم من سيئاتكم اي يكفر عنكم من سيئاتكم اي يكفر عنكم سيئاتكم
ويوخذ بنو آدم من ظهر آدم عليه السلام كما يوخذ ابن كل احد من ظهره وذكر من ظهورهم وذكر وقال من ظهورهم
لما كان منسوبا اليهم فان كان له طرح حرف الصلة بطل الشبهة فحفظ في ذكرهم حق الوصل وانكان صفة الاول
كقوله وكاي من قرية عتت عن امر ربها وغير ذلك مما كنى عن اهل القرية باسمها وعلى ذلك الحق ذكر الفعل وان
لم يكن لها في الحقيقة فعلى ذلك هذا فيصير في التحصيل كانه قال واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهره ثم يكون الماء
الذي عرض عليه محمولا على حد تعقل الخطاب ويعني قوله الست بربكم قالوا بلى هذا ظاهر واما الخبر الذي فيه
القسمة هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي كانه ورد لا في هذه الحادثة لكن يحصل تاخر حرف
العدد فيظن انه قد ورد فيه ولئن كان في حديث الذي يحتمل ان يكون في الاية ذكر اجابة احد الفريقين بقوله

قالوا بلى اراد به البعض الذي قال فيهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي ويحتمل انه كان بين الجميع اتفاق في هذا الحرف وقالوا
باجمعهم بلى جوابا للعقل الست بربكم لكن وقع الاختلاف بينهم فيما وراء الاحتراز به الالوهية والربوبية فالقسمة
لما بعد الاقرار بالربوبية وصاروا فريقين بالاختلاف بينهم في اشيا اخر قد يوجد في هذا العقد اتفاق
بين عامة الكفرة واهل الاسلام وان كان بينهم اختلاف فيما وراه وسماهم سمة الكفر بما انكروا ما وراه
فعلى ذلك هذا ثم قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين على اضمار بعث الرسل وانزال الكتب الاخبار
عن ذلك لئلا يدعوا الغفلة بما كانت منهم في ذلك بما ادغل وسهوا ولا يحتجوا بما اعرضهم من الغفلة اذ قطع
عذرهم بعد ذلك من الادلة وانزل عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباونا من قبل
لا تقولوا اي بعث الرسل وانزل الكتب لقطع هذا النوع من الشبهة على الوجهين الذين ذكرتهما بقوله ولولا ان
اهلكناهم بعذاب من قبله الاية وقوله ولولا ان تصيبهم وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويكون في الثاني
الاول ظهور امر الذرية الاولاد في الخروج عن تدبير الاباء والامهات بقطع التخالج بهذين الحرفين وفي الثاني
نزول الكتب وارسال الرسل بما امكن جعل هذا الذي لنا فلين جميعا والله اعلم وقوله تعالى افتهلكنا بما فعل
المبطلون يخرج على وجوه احدها ان ذلك الاهلاك ليس هو التعذيب لكنه الامانة كقوله ان امرؤ هلك
اي اتلك ذميمنا اذ فعل السفهاء ما فعلوا انه كان لا نعذبهم وتركهم لما يرجى منهم من التوبة او يحدث
منهم من لا يسفه واضافة الى الجملة في قوله اتهلكنا يحتمل وجهين احدهما الى ارادة السفهاء منهم ازلا
ثم الكل على البعض والثاني ان المراد هو الكل اذ الموت حق مكتوب على جميع البشر لا على التعذيب لكن على المحنة
والابتلاء والله اعلم ويحتمل نفي التعذيب ولا نفعل انت كذلك كما يقول الرجل انا افعل هذا او انت
تفعل هذا على التبري والتنزيه ويحتمل ان يكون على الانجاء والاثبات بجمعهم في ذلك لا ان كان الذي
استحق بعضهم يحق الحيا اذ له ذلك اشتكى ذلك تعالى امر اخذهم باسلافهم وان لم يكن منهم جميعا المعصية
وعلى ذلك امر جميع انواع المصائب يجمع فيها اهل الخير والشر يحق المحنة لا العقوبة وان كان ذلك في بعضهم
عقوبة والله اعلم وقوله تعالى وكذلك نفصل الايات على وجهين على البيان ان يكشف ما يبين النعمة
وتزيل الشبهة والثاني تغيير فيهما ويضع كل واحد منهما في حق مواضعه واولى ذلك ليقطع المعذر ونزع
العلل وقوله تعالى ولعلهم يرجعون ان يتاملوا عما عليهم من الباطل واقتضى الهادي وقوله تعالى واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها اختلف اهل التاويل في الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة
نباه عليهم قال بعضهم كان هو نبيا من الانبيا فانسلخ منها يعني من النبوة وكفر بها لكن هذا بعيد محال
ان يجعل الله تعالى الرسالة فيمن يعلم انه يكفر بها ويختار لانه يختار من يعلم انه ليس باهل لها قال الله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالاته وقال بعضهم كان رجلا من العلماء اي اعطاه الله تعالى اياته فكفر بها فانسلخ منها
وقيل اسم الاسم المخزون وكان مستجاب الدعوة بجميع ما يسال الله وقال بعضهم كان هو امية بن الصلت على ما ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فيه امن شعره وكفر قلبه حين سمع شعره وكفر قلبه حين سمع شعره وكان شاعرا وقال
بعضهم نزلت الاية في منافقي اهل الكتاب فكان اعطاهم الله تعالى الايات فكفروا بها وكتموها ولكن
لا يدري فيمن نزلت الاية وفي يصلح ان يعم جميع مكذبي الايات فلا يجب ان ينص على واحد وليس الاية
انها نزلت فيه ولكن نقول انها نزلت في جميع مكذبي الايات والله اعلم ثم قوله فانسلخ منها اي خرج منها
وقيل انسلخ منها وصار كانه كله في المعنى واحد ثم قوله فانسلخ منها يحتمل وجهين انه كان قبلها ثم ردها
من بعد القبول والثاني انه لم يقبلها في الابتداء وكذبها ولكن سمي انسلاخا وخروجا والله اعلم وقوله تعالى
فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله تعالى لا يتبع الشيطان احد ولا يرغبه الا اذا كان
فيه الاحتقار للضلال والميل اليه حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان انما اتبع الشيطان بعد
ما كان منه الانسلاخ والنزوع وقوله عز وجل فكان من الغاوين قيل كان في علم الله تعالى ان يكون في ذلك
الوقت من الغاوين وقيل كان من الغاوين بها رغبا ومن اذا انسلخ منها وخرج والغاوي الضال
قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ويحتمل لرفعناه بها لعصمناه حتى لا ينسلخ منها ولا يكذب بها
ثم معناه عصمناه حتى يعمل بها فان يقال ولو شئنا لعصمناه حتى لا اختيار لكنه اذ علم انه يختار ذلك
ويميل اليه شاء ان لا يعصمه ولا يرفعه لكيف ما كان في الاية حجة على المعتزلة لانه اخبر انه لو شاء لرفعه
بها فكان له مشية الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه بها كان له مشية الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه
بها كان اصلح في الدارين ودل انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح في الدين وهم يقولون ان المشية ههنا مشية
القسر والقهر لا مشية الاختيار وقد ذكرنا ابطال ذلك فيما تقدم غير مرة والله الموفق وقوله تعالى ولكنه

اخلد الى الارض • هو ما ذكرنا انه لما علم منه انه يخلد الى الارض ويميل اليها لم يرفعه ولم يوفقه فلم يرفعه
والاخلاد الى الارض قال الحسن اى سكن الى الارض وكذلك قال الكسائى ان الاخلاد فى كلام العرب السكون الى
الشى والركون اليه قال ابو عبيدة هو اللزوم للشى ثم فى قوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه دلالة على ان
الارادة من الله تعالى وترك العصمة له لما يكون من العبد الميل والركون الى مخالفة الله تعالى وترك الاتباع له واتباع
الهوى وقال قتادة رضى الله عنه اى لو شئنا لرفعناه بما آتيناه من الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل
ولكن يبتلى من يشاء من عباده ثم قوله اخلد الى الارض يحتمل ان يكون ذكر الارض كناية عن الدنيا كقوله
وغرتهم الحياة الدنيا ويحتمل ان يكون كناية عن الذل والهوان لان كل خير وبركة انما يطلب من السماء
فهم اذا اختاروا الارض فقد اختاروا الذل والهوان قوله تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل
عليه يلهث الاية • قال الحسن رض حال الشيطان بينه وبين ان يصحب للهوى بما امناه وزينه واتبع
هواه فمثله كمثل الكلب قال مثل الكافر واستغواده كما استغوا دهذا الكلب وقال فى قوله ساء مثلا القوم
الذين كذبوا باياتنا صدق والله لبئس المثل وقوله تعالى فاقصص القصص لعلهم يتفكرون • فقال ابو بكر
وتفكروا او تدبروا فى الامثال التى ضربها الله تعالى واعقلوها الى هنا ذهب الحسن رض وقال غيره وجه
ضرب مثل الذى كذب بالايات بالكلب هو ان الكلب فى عادته ان يذل ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال
منه او يرضى ولا يبالى بما يصيبه من الذل والهوان فى ذلك بعد ان ينال منه شيئا فعلى ذلك الكافر
المكذب بالايات لا يبالى ما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب شيئا ويشبه ان يكون وجه ضرب
المثل بالكلب ثم ان من عادة الكلب انه اذا ظفر بالجيفة تمكث حولها وان كان يتادى لها او زعا
لا يكترث النتن ولا يلتفت الا ما يؤذى ويدعى اليه وقال قتادة رض هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما اميت
فؤاد الكلب وقوله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يخرج لسانه ويتنفس تنفسا شديدا تحمل
عليه او تتركه ومعناه والله اعلم ان الكلب اذا اصابه الجوع والعطش لهث واذا لم يصبه لهث ايضا
فعلى ذلك الكافر يميل الى ذلك وتجاره اصابته شدة او لم يصبه او كلام نحوه وقوله تعالى ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا • ضرب الله تعالى مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت ومرة بالاعمى ومرة بالاصم
ومرة بالانعام ونحوها وذلك لما فيه من معانى ما ذكر وقوله فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
وقوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه اياتنا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ليقص انباء الامم السالفة
على هؤلاء ليكون زجرا وتحذيرا للكفار ليعلموا ان ما حل باولئك كان بصنيعهم ليحذروا عن مثل صنيعهم
ويكون عظة وتذكيرا للمؤمنين كقوله وموعظة للمتقين ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن ولو كان
بيانا للكافر ذلك البيان من الرسل عليهم وعن على قولهم وقوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون اى ساء مثل الافعال التى ضرب الله تعالى مثلها بالذى ذكر فى القرآن وقد ذكر
فى غير موضع تاويل ايات الله تعالى وقوله تعالى من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
شهد الله عز وجل ان من هداه فهو المهتدى فى الاخرة ومن يضلله فى الدنيا فهو الخاسر فى الاخرة ولو كان
الهدى من الله تعالى هو البيان والامر والنهى على ما ذكره القوم لكان الكافر والمؤمن فى ذلك سواء اذ كان
البيان والامر والنهى للكافر على ما كان للمؤمن فلم يهتد دل انه من الله تعالى فى ذلك زيادة معنى لم يكن
ذلك منه للكافر وهو التوفيق والعصمة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن وكذلك
لو كان بيانا للكافر ذلك البيان من الرسل عليهم السلام وغيرهم من الخلفاء والعلماء رحمهم الله فعطل عنهم الحد
وكذلك قوله ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون اخبر ان من اضله خسر لانه كان منه زيادة معنى وهو
ما ترك اذ خلق فعل الضلال منه وليس على ما يقوله المعتزلة انه قد هداهم جميعا ولكنهم لم يهتدوا انفسا
لهم انتم اعلم ام الله كما قال تعالى لليهود قل انتم اعلم ام الله الاية فظاهر الحجة على خلاف ما يقولون وبين
والله الموفق وقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس • قال المعتزلة لم يخلقهم لجهنم ولكن
خلقهم وذرأهم للجنة واعطاهم من القوة ما يسكنون الجنة غير انهم باختيارهم السوء عملوا اعمالا
استوجبوا بها النار فصاروا بها اهل النار لا ان خلقهم لجهنم ثم اختلفوا فى تاويل قوله ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس قال بعضهم ما ذكر هذه اللام عاقبة اى لعاقبة امرهم وهذه اللام تسمى لام العاقبة
وهو كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن ليكون
لهم ما ذكر حيث قال عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا لما التقطوه لكن صار لهم عدوا وحزنا فى عاقبة الامر
اخبر بما اليه الامر فكذلك هذا وكما يقال للمثل السائر لدوا للموت وابنوا للخراب ولا احد يلد للموت

ولا يبنى للخراب ولكن اخبر عما يؤول اليه عاقبة الامر من الموت والخراب كذلك هذا الى هذا التاويل ذهب
عامة المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الاية على التقديم والتاخير كانه قال ولقد ذرانا كثيرا من الجن والانس
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك لجهنم واولئك
كالانعام ولكن هذا التاويل بعيد لانه لو جاز هذا فى هذا لجاز مثله فى جميع القرآن ان يجعل اول الاية
فى آخرها وآخر الاية فى اولها وهو يؤدى الى القول باخراجه من ان يكون حجة وانما يجوز التقديم والتاخير فى موضع
لا يمكن العمل بظاهر النظم وتمام الامكان فلا والله اعلم واما تاويل عامة المعتزلة انه اخبر عما يؤول اليه عاقبة
امرهم واستشهادهم له فالتقطه آل فرعون الاية فهو انما يستقيم ممن يجهل عواقب الامور فيخرج ذلك منه على
التنبيه والايقاظ لما لم يعرف الامر فاما الله تعالى عالم السر والعلانية وما كان ويكون فى الاوقات التى تكون
لا يحتمل ذلك وقول الناس لدوا للموت وابنوا للخراب انما يذكر عند التنبيه والايقاظ لجهلهم بعواقب الامور
وان كانوا لا يبنون ولا يلدون للموت والخراب ولا يقصدون واما التاويل عندنا على ما ذكر فى ظاهر الاية
انه خلق لجهنم كثيرا من الجن والانس لما علم عز وجل فى الازل انهم يختارون فعل الكفر واعمال الخبيثة
التى يستوجبون بها النار وخلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك فى الازل فيكون ما علم على ما علم وكذلك خلق
المؤمنين للجنة لما علم فى الازل انهم يختارون فعل الهدى ويعملون اعمال الطيبة يستوجبون بها الجنة
لا ان خلقهم للجنة مرسلا وخلقه للنار مطلقا بل خلق البعض للنار والبعض للجنة والله الموفق فان قيل
اليس الله تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اخبر انه خلق الكل للعبادة ثم لم توجد العبادة
من البعض دون البعض فهلا قلتم هاهنا كذلك ان الكل خلقوا للجنة وان لم يوجد من الكل فعل يستوجب
به الجنة قيل لا فرق بين الامرين لان الله تعالى انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده ويطيعه واما من علم
انه يكفر به ويعصيه فانما خلقه لما علم انه يكون منه كما علمه فى الازل انه يكون منه العبادة خلقهم
للعبادة ومن علم انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز ان يعلم منه المعصية وفعل الكفر فيخلقه
على خلاف ذلك دل انه لا فرق بينهما وعلى هذا نص فى الاية وهو قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
الى الفريق الذى علم منهم العبادة لا الكل وكم من عام يراد به الخصوص الم تر ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا
تحت هذا النص فكذلك الفريق الذى علم منهم الكفر والمعصية لم يدخلوا الجنة الدليل عليه قوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم الذين خلقهم بغير الايمان والعبادة فهذه الاية فى فريق آخر فلا يكون
جمعا بين الايتين بقدر الامكان ويحتمل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى الا لاكلفهم
العبادة وامرهم بها وعلى هذا التاويل تكون الاية على العموم دون الخصوص فان التكليف يشمل الكافر والمؤمن
جميعا والله اعلم ويحتمل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ما خلقت الجن والانس الا ليشهد
خلقهم على وحدانية الله تعالى والوهيته والله اعلم وقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها • قيل الفقه هو معرفة
الشى بمعناه الدليل على نظيره وقيل معرفة الشى بمعناه الدال على مدبره وصانعه وكل واحد من هذين
الحدين غير مطرد فالاول لا يطرد فى معرفة الله تعالى فانه قال الدال على نظيره والله تعالى ليس بنظير العالم
لكنه مستقيم فى الاحكام والثانى يستقيم فى معرفة الله تعالى لا فى غيره والحد المطرد ان يقال الفقه
معرفة الشى بمعناه الدال على غيره اخبر ان هؤلاء الكفرة لم ينتفعوا لما لم ينظروا الى الاشياء بمعانيها نفعا وحقا
انما نظروا اليها بظواهرها وكذلك قوله ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا الى ظواهرها ولم ينظروا الى معانيها
وحقائقها فيدلهم على تدبير منشيها وحكمته وكذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها وقوله اولئك كالانعام
قلوب واعين وآذان لكن لا يفقهون معناها وحقيقتها وانهم يسمعون النداء ويبصرون ظواهر الا
فعلى ذلك هؤلاء الكفار وان كانوا يسمعون النداء ويبصرون ما ذكرنا لكن لم يفقهوا وتدبير مدبرها
فهم كالانعام وقوله بل هم اضل لان بنية الانعام لا تحتمل فهم ذلك وبنية هؤلاء تحتمل ان جعل لهم عقول
يميزون ويعرفون حكمة مدبرها ومنشيها لكنهم ضيعوها وبنية الانعام لم تضيع لذلك كانوا اولئك اضل والله
اعلم وقال القائلون انما نفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك الحواس بل كانوا كمن ليست لهم
فاذا لم يستعملوها فى المعانى التى خلقت لها جعلت كالعدم فى حقهم فهم كالانعام التى ليست لهم قدرة
استعمال هذه الحواس فى المعانى التى وضعت لها الا من حيث الظاهر بل هم اضل لان هؤلاء اذا دلوا
الطريق فهدوا وارشدوا وهؤلاء لم يهتدوا ولا يرجعون عن ذلك والدواب اذا ضلوا الطريق فهدوا لها فقد
عرفوا وقال ابو بكر فهم اضل من الانعام واضل ما ذكرنا انهم لما لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم وهو معرفة
حقائق الاشياء وما ادرج فيها من المعانى والحكمة فصاروا فى الحقيقة كمن لا حواس له اذا لم ينتفعوا بها انتفاع

من اهم ذلك لذلك نفى عنهم والله اعلم وعن ابن عباس رضه في قوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية لما ختم الله تعالى على قلوبهم بقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فلم يفقه قلوبهم ولم يبصر اعينهم ولم يسمع اذانهم وقال ضرب لهم مثلا فقال اولئك كالانعام اي في الاكل لا همة لهم ليست الا الاكل والشرب وقضاء الشهوة كهمة الانعام والبهائم فانها تسمع النداء ولا تعقل فعلى ذلك الكفار وقوله اولئك كالانعام اي عرفهم ما القى اليهم بل هم اضل لان الانعام تعرف نفعها او توحده وتذكره بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقال كل قد علم صلاته وتسبيحه وهؤلاء لا يعرفون ربهم تعالى ولا يوحدونه ويحتمل بل هم اضل لانهم يضلون نعم يضلون غيرهم والانعام ينتفع بها وقوله تعالى واولئك هم الغافلون اي عن فهم ما القى اليهم وما امروا به ونهوا او يحتمل في غافلون عما وعدوا واوعدوا وقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها يحتمل هذا وجهين احدهما ان الكفار قد طعنوا في اثبات عدد الاسماء اثبات اعداد من الذات فيردون اهل التوحيد فيقولون انكم تدعون التوحيد ثم تسمونه باسماء كثيرة وهو غلط فاسد اذ قد يسمى الشيء الواحد في الشاهد باسماء مختلفة لا يوجب ذلك اثبات عدد ذلك الشيء ولا تجزئته من نحو ما تسمى الحركة حركة عرضا شيئا مخلوقا من غير ان وجب ذلك اثبات عدد الحركة او تجزئته وكذلك في جميع الاشياء فعلى ذلك يجزئه ليس في اثبات عدد الاسماء عددا للذات على ما ذكرنا والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذا مقابل بل فعل كان منهم وهو ان وصفوا الله تعالى بشيء لا يحسن ان يوصف به واضافوا اليه اشياء لا تصلح ان تضاف اليه من نحو قولهم يا خالق الخنازير ويا اله القرود فاخبر تعالى ان ادعوه بالاسماء الحسنى مما يثبت عند الخلق انه مسمى به مما اعطاهم من الهداية والرشد فيقال يا هادي يا مرشد ونحوه او يقال بما اعطاهم النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحوه او يقال يا خالق ويا رازق ويا رحمن ويا رحيم ونحو ذلك ويقال يا الله ويا رب لما يعرفون في انفسهم من الوهيته وربوبيته فقال لا يدعوا كذا ولكن ادعوه بالاسماء التي تثبت عند الخلق حقيقتها انه مسمى بها وقد روي على الوجه الاول خبر ذكر عن رجل من المشركين قال النصر زعم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم يعبدون الها واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى ويحتمل قوله ولله الاسماء الحسنى اي له الاسماء الحسنى التي تعبد بها من نحو ما سموها اربابا والهة فقال هذه الاسماء التي يدعون بها الاصنام اسماء الله تعالى فادعوه بها ولا تدعوا بها الاصنام وقوله تعالى وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون اي لا تكافئهم بصنيعهم ولا تجازيهم باذاهم اياك فان الله تعالى هو المكافي لهم والمجازي لصنيعهم الا ترى انه قال سيجزون ما كانوا يعملون قال ابن عباس رضه الالحاد الميل [illegible] وقيل الالحاد التكذيب وقال القتبي رضه يلحدون اي يجورون عن الحق ويعدلون واصل الالحاد الميل عن الحق والوضع في غير موضعه وهم سموا الملحدين لما سموا غيره باسمائه او لاشراك غيره في اسمائه والمراد شكر نعمه الى غيره وعبدوا دونه مع علمهم انه لم يكن منهم اليهم شيء من ذلك انما كان ذلك لهم من الله عز وجل سيجزون ما كانوا يعملون قيل هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر على اعدائه في الدنيا وقال بعضهم هو حرف وعيد اوعدهم عز وجل باذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي يهدون بالحق الذي عندهم وهو القرآن والكتب ويحتمل ان يكون بالحق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم به يهتدون وبه يعملون ويحتمل اي يدعون الخلق الى سبيل الله على ما ذكر في اية اخرى حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ويحتمل الحق ههنا هو الله تعالى لقوله ان الله هو الحق وقوله وبه يعدلون اي بالحق يهتدون يعملون وهو قوله [illegible] وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال القائلون هو صلة قوله تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا وقوله فاولئك هم الخاسرون وقال بعضهم فيه الوعيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر على اعدائه ثم الاستدراج هو الاخذ في حال الغفلة من حيث لا يعلم الرجل بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وقال القائلون الاستدراج المكر لكن معنى ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير الذي يضاف الى الله تعالى والجهة التي تضاف الى الله تعالى غير الجهة التي تضاف الى الخلق امر مذموم والجهة التي تضاف الى الله تعالى محمود وكذلك ما اضيف اليه من الاستهزاء والخداع على الجزاء وهو ان الله تعالى ياخذهم بما يستوجبون ويستحقون بحق الموافاة مع الجزاء فلا يلحقه في ذلك ذم فاما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون لا على استحقاق الجزاء بل ابتداء فعل وقيل سنستدرجهم اي نجزيهم جزاء استدراجهم وجزاء كيدهم وهو قوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا اي جزيناهم جزاء مكرهم نسمي الشيء باسم ما يقابله كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ونحو ذلك وعن الحسن رضه في قوله سنستدرجهم

من حيث لا يعلمون قال كلما احدثوا معصية الله تعالى احدث الله لهم نعمة ليستمروا او ليبشروا ويبطروا ثم يهلكهم وقال بعضهم يبطرهم النعم وينسيهم الشكر ويحتمل ما ذكر من المكر والاستدراج والكيد عبارة عن العذاب الا ترى انه قال ان كيدي متين يحتمل قوله واملي لهم ان كيدي متين اي عقوبتي واخذي شديد ويحتمل واملي لهم ان نفعل بهم ما هو عندهم استدراج وكيد وكذلك نفعل بهم ما هو مكر وخداع عندهم وان لم يكن في الحقيقة استدراجا وكيدا وخداعا ومكرا وهو كقوله وهو اهون عليه اي اعادة الشيء عندكم اهون من الابتداء وان كان عند الله تعالى الاعادة والابتداء سواء فعلى ذلك قوله تعالى سنستدرجهم وكيدي متين وقوله متين اي شديد وقيل المتين هو المحكم القوي ثم ذكر قوله واملي لهم على انه ليس يمسهم لحاجة له اليهم او لمنفعة له فيهم ولكن انشاهم لحوائج انفسهم ولمنافع ترجع اليهم حتى ان عملوا نفعوا انفسهم وان تركوا ضروا انفسهم وقوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة وذلك ان الكفرة كانوا ينسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجنون احيانا والذي حملهم على ذلك والله اعلم لانهم كانوا اهل المعرفة والشرف في الدنيا وكان لا يخالفهم احد فلا يستقبلهم بالمكروه الا احد الرجلين رجل له هيبة وقوة له اعوان وانصار ورجل به جنون لانهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شيء من الامر فلما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفهم واستقبلهم بما كانوا يكرهون ولم يروا معه انصارا واعوانا اذ اعمامه وان كانوا رؤساء الكفرة واهل الشرف لكن لا ينصرونه بل يكايدونه ويعادونه الى ان رزق الله تعالى لبعضهم الايمان ظنوا انه لا يخالفهم الا جنون فينسبوه الى الجنون والله اعلم ويحتمل نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها وهم وقدما والعقلاء منهم قد عبدوا الاصنام وامروهم ولم يحرموا عليهم ذلك فلما حرم هو ذلك عليهم وافسد من بينهم [illegible] ظنوا انه انما انفرد بذلك لسفه فيه لا تدبر فيه فذلك حملهم على نسبته الى الجنون والله اعلم ثم الله تعالى بين كذبهم التفكر فيه بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ليتبين لهم انه ليس به جنون وما ظنوا بما جرى على خواطرهم من وساوس الشيطان وذلك يحتمل وجهين احدهما انه لو تفكروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اقبل بهم من المرغوب والمرهوب والمحذور على غير [illegible] من غير اختلاف منه الى احد ولا تعلم [illegible] انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما [illegible] وحده من غير اعوان وانصار من الخلق بعلمه من طريق الوحي ان الضر والنفع [illegible] اعدائه ولا يقدرون على قتله واهلاكه ويحتمل اي لم يتفكروا في انفسهم وفي اولئك الذين عبدوا من الاصنام والاوثان ليظهر لهم انهم على باطل وسفه وليتبين لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا هم عليه لا انه مجنون والله اعلم وفيه دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم ذلك الا بالتفكر والتدبر [illegible] من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا التفكر وكان لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك والله اعلم ويحتمل قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة اي قد تفكروا وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الاية اي قد تفكروا في ذلك وعرفوا ان مثل هذا لم يخلق عبثا باطلا كما قال او لم يفعل كما على الانكار اي قد علمت لكنهم عاندوا وكابروا باياته وجحدوا ان هو الا نذير مبين وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض يحتمل هذا على الابتداء ويحتمل على الصلة فيما تقدم من قوله اولم يتذكروا وهو انهم اذا نظروا في ملكوت السموات والارض يحمل هذه على الاشياء عرفوا الهيته وربوبيته لما يرون من اتصال المنافع بعضها ببعض على بعد ما بينهما واتساق التدبير في ذلك وعرفوا ان ذلك كله مسخر لمنزلة التمييز وان المقصود من خلقه اهل التمييز فاذا عرفوا ذلك عرفوا انهم محتاجون الى من يعرفهم ذلك ويعلمهم ما يحتاجون في ذلك اذ بمجرد العقول لا يعرفون الا اصل الشكر وتعظيم المنعم والخلق انما لا يعرفون مقادير ذلك وقدره ولا يعرف ذلك الا المنعم الذي خلقهم فيعرفوا ان الرسل عليهم السلام لا بد لهم ليعرفهم الله تعالى ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ابتداء الامر بالتفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ليدلهم على وحدانيته وربوبيته وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون كانه انما يعرف صدقه لكنه عاند في تكذيبه فقال وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عليهم [illegible] لم يرجعوا الى تصديقه مخافة الخروج من الدنيا على ما هم عليه وقوله فباي حديث بعده يؤمنون يحتمل وجوها احدها اي انكم ممن يقبلون الاخبار والحديث واذا لم يقبلوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخبره ولم تصدقوه ومعه حجج وبراهين فاي حديث بعده يقبلون ويصدقون لاحاديث من لا حجة [illegible] التاييد بالمعجزات الناقضة للعادات والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون قوله فباي حديث بعده يؤمنون يعني القرآن هو كما وصفه الله تعالى بقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وقال لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فاذا لم يقبلوا هذا القرآن الذي وصفه كما ذكرنا فانتم ممن يقبلون الحديث

فاي حيث يقبلون بعده والثالث يحتمل ان يكون قوله فباي حديث بعده يؤمنون يريد به الاخرة اي لا حديث بعده
يؤمنون وقد اقترب اجلكم فباي حديث تؤمنون والله اعلم وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له اي من اهانه الله تعالى فخلق
فعل الضلال منه فلا احد يملك ان يامره بالهداية وذكر هاهنا من يضلل الله فلا هادي له وذكر في موضع آخر من يهدي
الله فلا مضل له اخبر ان الضلال والهدى يتحقق لا من غيره لو كان الهداية المضافة الى الله تعالى هو البيان كما يقوله المعتزلة
وكذا الاضلال والا لغفلة هي النهي والتخلية لكن الهداية والاضلال من غيره وهذا لا يستقيم وبطل التمدح
به ولا يكمل من اراد الله ان يهديه اضله غيره وكل من اراد ان يضله يهديه غيره وهذا محال لان في كل موضع اضاف
الاضلال الى الخلق ذكر على الذم ومن اضاف الهداية اليه مدحهم اضافهما جميعا الى نفسه دل ان تفرد له زيادة
معنى ليس ذلك في الاضافة الى الخلق وهو كما ذكرنا في غير موضع انما خلق فعل الضلال من الكافر وخلق فعل الاهتداء
والايمان من المؤمن وكان هنا التوفيق والمعونة في الهدى والخذلان في الكفر وهذان الوجهان لا يكونان من الخلق
وانما يكون من الخلق الدعاء وغيره لا كل معنى كان الاضافة اليه لا كما قال المعتزلة من البيان والامر والنهي والتخلية اذ كل
ذلك من الخلق وانما لله ذلك وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم يعمهون ولا ضرر يلحقه في طغيانهم اذ لك تركهم
ذلك على انه لا ينشئهم لحاجة نفسه ولا لدفع ضرره ولكن لحاجة انفسهم وهذا حرف يكفي عن جميع ما ذكرنا
من حيث لا يعلمون وقوله ان كيدي متين وقوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قيل اي متى قيامها وقال القتبي
ايان مرساها اي متى ثبوتها يقال رسا في الارض اذا ثبت ورسا في الماء ويقال للجبال رواسي لثبوتها ثم اختلف في السؤال
عماذا قال بعضهم كان السؤال عن فناء الخلق وهلاكهم بالنفخة الاولى في الواقعة وقعتها لانه قال في آخره لا تاتيكم الا بغتة
وقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون وذلك يكون في الدنيا وقال بعضهم كان السؤال عن البعث
وقيام القيمة انكارا منهم اياها واستعجالا لا لتحقيق قال تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها وقال خبرا عنهم اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون وغير ذلك من الآيات فكان السؤال عن البعث
والقيمة وليس في قوله لا تاتيكم الا بغتة ما يدل على ان المراد به الفناء اذ هم كانوا ينكرون الفناء كانوا يتيقنون
بذلك فلا معنى للسؤال عنه انما السؤال عن البعث وقيام الساعة على وجهين احدهما ان كان السؤال عن المكذب
لها فهو سؤال استهزاء واستعجال لما ذكرنا لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والثاني كان السؤال
عن المصدق لها فهو سؤال استعلام واشفاق ليتاهبوا لها ويستعدوا كقوله تعالى والذين آمنوا مشفقون
منها لما سمعوا من الآيات ما يقرب وقوعها كقوله تعالى اقتربت الساعة وقال تعالى اقترب للناس حسابهم وقوله اتى
امر الله فلا تستعجلوه ونحوه من الآيات وما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والساعة كهاتين وفي بعض
الاخبار كادت الساعة تسبقني وغير ذلك من الاخبار حملهم ذلك على السؤال ليتاهبوا ويستعدوا وقوله تعالى
انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يكشفها ولا يظهر وقتها الا هو ليس كالامور التي يجري على ايدي
الخلق ويكون لهم فيها تدبير من اخراج الثمار والنبات وغير ذلك اعني الملائكة الذين سلطوا على حفظ المطر والنبات
فاما الساعة فانما تقوم من غير ان يكون لاحد من الخلائق فيها تدبير او علم وهو ما وصفها الله تعالى بقوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اخبر ان امر الساعة يخرج عن تدبير الخلق بل تقوم بتدبير الله تعالى من غير ان تجري على
يدي احد والله اعلم وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض قيل ثقلت على اهل السموات والارض فذكر الثقل
لان من خفي عليه شيء ثقل عليه فانما ذكر انها ثقيلة عليهم لخفائها وقال قائلون ثقل وقوعها على اهل السموات والارض
وكثرت عليهم ويحتمل ان يكون قوله ثقلت في السموات والارض على نفس السموات معناه انها لو كانت مما يجري بعرف
وسنين وسنة من قدر يثقل شيء لثقلت عليهما وهو ما قلنا في قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا والدنيا لا تغر
احدا ولكن ما كان فيها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان غرورا فعلى ذلك الاول وقال بعضهم ثقل ذكرها على اهل
السماء والارض واصله ما ذكرنا او خفي علمها على اهل السموات والارض واذا خفي الشيء ثقل وقوله تعالى يسالونك
كانك حفي عنها اختلف فيه قال قائلون يسالونك عنها كانك مكرم مقرب ذو منزلة عند الله تعالى عندهم
فيعلمك عنها وكذلك قيل في قوله انه كان بي حفيا اي بارا رحيما فالحفي هو المكرم البار الذي لا يستخفى منه شيء ولا سر
عليه وقال قائلون يسالونك كانك تحفى عنها اي تسال عنها كانك عالم بها والحفي العالم الخبير وقال القتبي
كانك حفي بهم كانك تحب ان يسالوك عنها وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير يسالونك عنها
كانك حفي يعني كانك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها وقوله تعالى قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ما لي بها علم انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انك لا تعلم انها متى تكون
ويحتمل اي لا يعلمون ما لهم وما عليهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال بعض اهل التاويل لا املك
لنفسي الهدى والضلال وقال قايلون من اهل التاويل لا املك جلب النفع الى نفسي ولا دفع الضر عنها الا ما شاء الله

اي الا ان يقدرني الله على ذلك فاملك ذلك ويشبه ان يكون خاطرهم ان يقول لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا
يتخذوه معبودا او لا ينسبوه الى الله تعالى بما لا يليق بالنسبة نحو ما قالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن
الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله لعظيم ما يقع منكم من محل هؤلاء وقدرهم عند الله فقال لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا ينسبوه الى الله تعالى من الوجه الذي نسبوا اولئك اظهر من نفسه العجز والعبودية وهو
كما قال عيسى عليه السلام اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وقوله تعالى لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
يعني العمل الصالح ان انا الا نذير وبشير الآية وقال ابن عباس رضي ان اهل مكة قالوا الا يخبرك يا محمد بالتجارة المربحة
فنشتري فيها فنربح او لا يخبرك بالسنة القحط والجدوبة ويخبرك بوقت السعة والخصب فقال عند ذلك ولو كنت
اعلم الغيب من جدوبة الارض والقحط لاستكثرت من الخيرات اي لما لذلك وما مسني السوء من الضر والشدة
والجهد ذهب عامة اهل التاويل على هذا الوجه غير ما ذهبوا اليه فانما ذهبوا اليه نوع وجه اما التاويل لو كنت اعلم
متى اموت لاستكثرت من العمل الصالح فانه لا يدري متى يموت كان اقبل على العمل ممن يعلم انه يموت في وقت معلوم
فان وقت الموت اذا لم يعلم يخاف ان يكون الوقت قريبا فانه ياتيه بغتة فيكون مستعدا لذلك فاما من علم
انه يموت بعد سنة او اكثر فهو يتكاسل الى ان يقرب الوقت ليتوب قبل ذلك فيقبل توبته فلذا ذهب هذا
التاويل ضعيف فاما تاويل ضعيف فاما تاويل الاول فهو بعيد فان النبي صلى الله عليه وسلم ما يحتمل المال
ويصف وكان ذهب كالفقر لا يقبل الى الدنيا ولكن التاويل الاشبه ان يقال والله اعلم اي لا املك
لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم لكم الغيب لاستكثرت من الخير عند الله تعالى اي لو كنت اعلم لكم ذلك
لصدقتموني وآمنتم بي لاستكثرت من الخير عند الله تعالى بايمانكم بالتحدي تصديقكم اياي وان يقال لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت املك ذلك لكم لاستكثرت من الخير لانكم اذا رايتم املك نفع ما غاب عنكم
ودفع ضرر ما غاب لآمنتم وصدقتموني فانا بذلك استوجب عند الله خيرا كثيرا وقال بعضهم قوله لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا اي ولا اعلم الغيب الا ويدعنا او يوحى الي ولو كنت اعلم كثرتها او يوحى الي لاستكثرت
من الخير وقال بعضهم لا اعلم قبل ان يوحى الي لو كنت اعلم لاستكثرت من الخير بذلك ويحتمل ان يكون
قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير لانه لا يشتغل بمن يعلم انه يريد لا يجيب والمستعمل بمن يعلم
انه يجيب ولا يكذب بمشتكيه اتباعه والمطيعين لله تعالى والاشبه من الناس ولكن ما ذكرنا لاستكثرت
من الخير بتصديقكم اياي وايمانكم بحجة ما ذكرنا اي كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضرر ما غاب
لآمنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استوجب من الله خيرا كثيرا وقوله تعالى وما مسني السوء ان انا الا نذير
وبشير لقوم يؤمنون قد ذكر اهل التاويل ان وما مسني السوء من الضر والشدة ويحتمل وما مسني السوء
تكذيبكم سوء رد وتكذيب لانه لو علم الذي يجيبه ويصدقه من الذي لا يجيبه ولا يطيعه ولا يمسه منه
سوء الرد والاذى لانه لا يشتغل بعد ما قام عليه الحجة في تجيب حكمهم ان انا الا نذير وبشير
لقوم يؤمنون وقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا فمرت به الآية قال عامة اهل التاويل ان آدم وحوا عليهما السلام لما اهبطا الى الارض
ادم عليه السلام فحملت فاتاها ابليس فقال يا حوا ما هذا الذي في بطنك قالت لا ادري قال لعله بهيمة من
هذه البهائم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها فلما اثقلت اتاها وقال كيف تجدينك قالت
اني اخاف ان يكون الذي ذكرت ما استطيع القيام اذا قعدت قال الا يجهد قال افلا تريد ان ادعو الله تعالى
ان يجعله انسانا مثلك او مثل آدم اتسميه بي قالت نعم فانصرف عنها فقالت لادم عليهما السلام لقد
اتاني آت فخبرني بكذا ولقد خفت مما ذكر فدعوا الله تعالى في ذلك فذلك قوله تعالى دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا
اي جعلته انسانا لنكونن من الشاكرين وكان هذا دعاؤهما قبل ان تلد فلما ولدت اتاها ابليس فقال الا تسمي
بي كما وعدتني قالت نعم ما اسمك فقال اسمي الحارث فسميته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتاهما صالحا
جعلا له شركا فيما آتاهما الآية هذا حمل اهل التاويل الآية على آدم وحوا عليهما السلام وصرفوها وذلك
من القول قبيح في آدم وحوا ذلك ولان تسمية الولد بذلك ونسبتها اليه لو ثبت لم يكن شركا اذ لو كان
في مثله شرك لكان اضافة العبيد والمماليك الى الخلق شركا الا لو جبت ينبغي ان يمنع الخلق من اضافة
عبيدهم الى انفسهم فلان عبد فلان وامة فلان ولما اطلق ذلك من غير منع من احد من الانبياء والرسل عليهم السلام
لا من احد من العقلاء دل انه لا اشراك في هذه الاضافة ولم يوجب منها ومنهما تسمية الى الحارث
انها جعلا له شركا فيما آتاهما دلنا انه لا يصح حملها على آدم وحوا عليهما السلام وانما علم من التاويل عندنا
غير ما ذهب هؤلاء اليه وهو ان قوله عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وجعل

زوجها اي حوا وغيرها من ازواج اولاده الى يوم القيمة اخبر انه خلق بني آدم وبناته من نفس آدم عليه السلام كانه
في كل نفس جزء منه قد اجتمعت الاجزاء كلها في آدم عليه السلام فيكون الجملة نفسا واحدة ثم جعل من تلك
النفس زوجها وزوجة كل واحد من بنيه الى قيام الساعة اذا الكل اجزاؤه منه فيصير في التقدير كانه خلق
الزوجات كلها من انفس الازواج فهو كقوله تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفس الازواج وهو كقوله تعالى ومن اياته
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها الاية اخبر ان الازواج خلقهن من انفس الازواج فان من
انفسهم خلقهن فيصير في قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها اي لكل زوج زوجة
وازواجا كان يقول فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فيصير في الكل فيرجع حملت من زوج من اولاد آدم وحوا
عليهما السلام لا اليهما فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين يمكن ان يصرف
الى كل زوج وزوجة يدعون عند ظهور الحمل بالمراة بالصلاح والخير لاولادهما الذين يولدون الى يوم القيمة
من كان مسلما من اولادهما كان يتعاطيهما اذ هما ابدا ما يدعوا الولدان للاولاد بالصلاح والخير وقوله فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما ينصرف الى كل زوج وزوجة من الكفرة يدعون لولدهما بالصلاح
ويكفران بالشكر عند حصول الصلاح ثم يجعلان له شركا في الولد ويدعون الولد الى عبادة الصنم
ظنا منهما ان ذلك شكر منهما لما ذكر من زعمهما ان عبادة الاصنام للتوسل الى الله تعالى كما اخبر تعالى
عنهم بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى على هذا وامثاله يحتج من يحتج بالاية فاما ما قالوا وانك
بعيد محال والله اعلم وقال بعضهم ان العرب كانوا اذا ولد لهم اولاد كانوا ينسبون الى الاصنام التي يعبدونها
ويضيفونها اليها تعظيما ويقولون ابن اللات وابن العزى وابن المناة ونحو ذلك وكانوا يقتلون البنات
وكانوا اذا اصابتهم الشدة يفزعون الى الله عز وجل ويتضرعون اليه كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين واذا ذهب ذلك عنهم رجعوا اعادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاهم اذا هم ونحوه
ما في بطنها جعلا يدعون الى الله تعالى ربهما الذي ابتداه وكونه ويخلصون للولادة لنكونن من الشاكرين فلما
اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما اي جعلا له شركا في الولد الذي ولدهما ونسبوه الى الاصنام التي
كانوا يعبدونها فذلك قوله جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون فعلى هذا التاويل يكون
صدر الاية في آدم وحوا عليهما السلام وقوله فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به اي استمرت
بالحمل قال القتيبي رضي الى اخر الاية نصرفها الى غير آدم وحوا عليهما السلام وقال الحسن رضي الاية في مشركي
العرب الا قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فانه في آدم وحوا عليهما السلام لا غير
انه قال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وقال ابو بكر الاصم في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وهو نفس آدم عليه السلام وجعل منها زوجها اي خلق كل نفس منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس
منكم زوجة من تلك النفس لتسكن اليها فعلى هذا التاويل يصرف اخر الاية الى غير آدم وحوا عليهما السلام
ويحتمل قوله خلقكم من نفس واحدة الاية ان العرب كانت تعبد الاصنام تقليدا لابائهم فسفههم فذكر
سفههم ان النفس التي خلقتهم منها لم تقلد احدا ولم تشرك احدا انما اتبعت ما في العقل حسنة
او ما في السمع من الامر فكيف لا اتبعتم انتم النفس التي خلقتم منها وهي لم تتبع الاباء كما دونه اتبعتم
الاباء الى الله تعالى من دونه ولو كانت القصة في آدم عليه السلام على ما تقوله اهل التاويل لكان الحرف
واقتداء به فيتعوقوا ان اشرك ونحن نشرك اتباعا له فدل انه ليس على ما قالوا والله اعلم في قوله خلقكم من نفس
واحدة وهم اخوة واخوات فان كان لاحدهم فضل على الاخر فانما يكون للاعمال او اكتسابه الاخلاق محمودة
اختارها كقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فاما من جهة الخلقة فلا فلا فضل لبعض على بعض والله اعلم
وقوله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ذكر سفههم انهم يشركون في عبادته والوهيته
من يعلمون انهم لم يخلقهم الله تعالى وخلق ما يعبدون بعض من العبادة الى غير الذي خلقهم سفه
وجور وقوله تعالى لا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون سفههم ايضا ان في الشاهد
لا يخضع احد لاحد ولا يستكين له الا مجازاة منه لما اليه من النعم او لما يامل من منفعة في العاقبة وانتم
تعبدون هذه الاصنام ولم يصل منها اليكم شي ولا لكم رجاء نفع في العاقبة فكيف تعبدون هذه
الاصنام ويحتمل ولا يستطيعون لهم نصرا يدفعون عنهم الضر ولا انفسهم ينصرون يدفعون عن انفسهم
قصدهم بالكسر والاتلاف لا يملكون دفعه عن انفسهم والله اعلم وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى
لا يتبعوكم يحتمل هذا وجهين احدهما ان تدعوهم الى الاصنام الى الهدى ليهتدوا لا يتبعوكم اي لا يسمعوها
ولا يبصرونها ولا يملكون ذلك وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون يحتمل ان الامر في

علم الله انهم لا يؤمنون ابدا كقوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال بعضهم قوله
وان تدعوهم يعني المشركين الى الهدى لا يتبعوكم فعلى ذلك يخرج قوله سواء عليكم ادعوتموهم وامكن ان يكون
قوله سواء عليكم ادعوتموهم في الاصنام والاول في المشركين والله اعلم ثم يحتمل ان يكون الخطاب للرسل
بقوله وان تدعوهم يعني اهل مكة الى الهدى لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم وجائز ان يكون الخطاب لاهل مكة بقوله
وان تدعوهم اي الاصنام التي يعبدونها الى الهدى لا يملكون اجابتكم يسفههم في عبادتهم من حاله ما ذكر
وقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اي تعبدون من دونه لانهم
كانوا يعبدون من دون الله وكانوا يعبدون من دون الله اصناما واوثانا ويحتمل تدعون اي تسمون من دون الله
الهة وقوله عباد امثالكم اي في الخلقة والحدثية والدلالة على وحدانية الله تعالى ولكن في التدبير ممن
دونهم الا يرى انه قال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها الاية اي ليس لهم ما ذكر فهم دونكم
في التدبير ويحتمل قوله عباد امثالكم اي الملائكة الذين عبدتموهم عباد امثالكم فلم تسمونهم الهة
ولا تسمونهم عبادا امثالكم ولكن عبيد امثاله ولا نظير على هذين التاويلين جواب اشكال
الملحدين في هذه الاية فقالوا ان فيها تناقضا لانه قال عباد امثالكم ثم قال في اخرها الهم ارجل يمشون بها الاية
فاذا لم يكن لما تعبدون هذه الاشياء فكيف يكونوا امثالكم فعلى التاويل الاول المراد هو مماثلة في
اصل الخلقة والحدثية والحاجة الى الخالق والمحدث وان كانوا بينهم تفاوت في الصورة والتدبير والمعونة
ونحوها وعلى التاويل الثاني المراد هم الملائكة وبينهم تماثل فيما ذكر من الايدي والارجل والاذان والاعين ونحوها
وان كان المراد هو التاويل الاول فقوله الهم ارجل يمشون بها مبني على قوله عباد امثالكم وان كان المراد
هو الملائكة فقوله الهم ارجل يمشون بها لانه مقطوع عن الاول منصرف الى الاصنام والله اعلم وبعضهم
اجابوا عن هذا الاشكال لو قالوا ان قوله عباد امثالكم ذكر على الاستفهام اي اعباد امثالكم على حذف حرف
الاستفهام اي ليس عباد امثالكم لذلك قال الهم ارجل يمشون بها الاية اي ليس لهم ذلك فيحقق نفي
المماثلة ويسفههم بعبادة من ليس بمثل لهم والله اعلم وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
ذكر الدعاء والاستجابة ولم يبين فيماذا يستجيبونهم ولا يجب ان تعين الاستجابة في الشفاعة او في
غير ذلك الا ان يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم كذا وقوله ان كنتم صادقين انهم
الهة على ما يزعمون او ان كنتم صادقين فيما تزعمون ان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى وقوله
الهم ارجل يمشون بها ام لهم اعين يبصرون بها اي يبصرون من يقصدهم بالسوء ام لهم اذان يسمعون بها من
يشتمهم ويذكرهم بالسوء يسفههم في عبادة من لا يملك دفع من يقصده بسوء او لا يحس بامنه وما يقصدنا منه
الينا بالسوء فاذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدونهم وهو كقول ابراهيم عليه السلام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع اليكم
او دفع الضر عنكم والله اعلم وقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم اي ادعوا من شاركتم في عبادة من دونه ثم كيدون
يحتمل ان يكون الخطاب لجميع الكفار الذين كانوا يعبدون الاصنام والاوثان من دون الله تعالى قال لهم
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم اي فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ثم لم يقدر احد
الكيد به والضرر مع قوتهم وعددهم بالكثرة والاعوان وضعف رسول عليه السلام دل ذلك على
انه كان ايه في نفسه وانه بالله ينتصر وانه بامره يقول ذلك وانه قوي على اعدائه وعصمه عن كيدهم وذلك
من عظيم اياته لانه قال ذلك لمن كانت همتهم القتل والاهلاك له ولمن عليه من الدين ثم لم يقدر احد منهم الضرر
به دل انه كان بالله حفظه وكذلك قال عامة الانبياء عليهم السلام بين ظهراني قومهم من نحو هود ونوح
عليهما السلام قال هود لقومه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم وقال
نوح عليه السلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين الاية ذكر هذا على اثر قوله ثم كيدون جميعا ثم لا تنظرون كما ذكر هود عليه السلام
ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فزعوا الى الله تعالى عند وعيد قومهم بالاهلاك وعليه اعتمدوا
ربه ووثقوا فعلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان وليي الله الذي انزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
اي وليي يحفظني وهو يحفظ الصالحين او يتولى الصالحين اي يتولى صالحي الناس من ذكرنا من الرسل
عليهم السلام من قومهم ويحتمل حافظي وناصري الله الذي نزل الكتاب الذي عجز الخلق عن اتيان مثله
وتلي تدبيري الله الذي نزل الكتاب اي على الخلق او الى الله وهو يتولى الصالحين وقوله تعالى والذين تدعون

من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون • يذكر سفههم بعبادة من يعجز عن دفع الضرر
عن نفسه فضلا أن يدفع ذلك عنهم أو يجروا إلى أنفسهم منفعة ولحقن عن جهلهم أنهم يعبدون من لا يملك
دفع ضرر ولا جر نفع بقوله وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا الآية ثم قال بعضهم تدعون من دون الله هم
الملائكة بقوله لا يملكون ما ذكر وقال بعضهم الأصنام التي تعبدون وما ذكر وهو أشبه ثم قوله وإن تدعوهم
إلى الهدى يخرج على وجهين أحدهما يخاطب به المؤمنين يقول إن تدعوهم أهل مكة إلى الهدى لا يسمعوا
أي لا يجيبوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون فأي لا ينتفعون به أو لشدة تعنتهم لا يبصرون ويحتمل
أن يكون قوله وإن تدعوا الأصنام التي تعبدون إلى الهدى لا يسمعوا أي لا يجيبوا ولا يملكوا الإجابة و
يحتمل لا يسمعوا لحقيقة السماع وتراهم ينظرون إليك على التمثيل أي كأنهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون
حقيقة وقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية يتوجه وجهين أحدهما على حقيقة الأخذ والثاني على العمل بالعفو
فإن كان على الأخذ فهو على وجهين أحدهما أي خذ العفو الذي لا حق فيه ولا يجري الشح والغضب من أموالهم
وهو القليل من ذلك وكان ذلك في الابتداء الأمر ثم صار منسوخا بآية الزكاة والثاني خذ ما فضل من
أنفسهم وحل يحلهم إذا أعطوك من غير مسألة منهم أي اقبل منهم ما أعطوك ولا تلح في المسألة كقوله
ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا الآية أخبر أنه إن سأل أموالهم حملهم ذلك على البخل فنهاه
على العمل فهو على وجوه أحدها أن اعف عن ظلمة عن ظلمهم لا تكافئهم بظلمهم وأمر أن تعرض عن سفه السفهاء
والجهال وأن تحكم معهم وأمر أن يعامل المؤمنين بالرفق واللين والمراقبة وبذلك وصفه الله تعالى فقال
بالمؤمنين رؤوف رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير قال الله في قوله خذ العفو وأمر بالعرف الآية ما أنزل الله
تعالى هذه الآية إلا في أخلاق الناس وعن قتادة رضي الله عنه قال في هذه الآية أخلاق حسان أمر الله تعالى
نبيه بها ودعاه إليها هذا ذهب بعض أهل التأويل وصرف تأويل الآية إليه وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنهما خذ العفو وأمر بالعرف وانه عن المنكر وأعرض عن الجاهلين وفيه دلالة أنه أمر بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والمعروف هو اسم كل خير وأمر بالعفو عن الظلمة والإعراض عن الجهال وهي على الستر
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رجل يشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو شئت لتعاديناه وقد حسبه قالت فقلت
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا يشتمك قال لي يا عائشة إن من شرار الناس الذين يكرمون
لاتقاء شرهم والسنة في الحديث هذا دعي النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عن الظلمة وترك المكافاة وقيل
وأمر بالمعروف أي بين الناس بالعرف هو ما يشهد خلقك وفيه ... به وهو أشياء ثلاثة اثنان فيما بينه وبين
ربه والواحد فيما بينه وبين الناس أما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه أحدهما بأمر خلقته ويشهد
على وحدانيته لله تعالى وألوهيته والثاني يشهد على نعم الله فيدعوه إلى الشكر لما أنعم عليه وأما الواحد
الذي بينه وبين الناس مما يدعو خلقه إليه هو ما رغب نفسه عن كل أذى وسوء فأمر النبي صلى الله عليه
وسلم بأن يعامل الخلق بما رغب نفسه ويطمع في المحاسن ويمتنع عن كل أذى وسوء والله أعلم وقوله تعالى
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم • قال بعضهم النزغة هي ... أفعال المعصية
وكذلك فسر ابن عباس رضي الله عنهما إذا أذنبت ذنبا فاستعذ بالله تعالى وقال القتبي رح ينزغنك أي
وقيل نزغ شيئا إذا أفسد وقال أبو عوسجة رح هو التحريك للفساد وقال بعضهم ينزغنك من الشيطان نزغ أي
الشيطان وسوسة وقوله فاستعذ بالله والاستعاذة وجهان أحدهما الفزع إلى الله عز وجل عند نزغ
الشيطان والالتجاء إليه لما رأى نفسه معاجزا عن دفع ما يوسوس إليه وكيده ليكون هو الدافع عنه ذلك
وهو المراد فأمر الله تعالى رسوله عليه السلام عند وسوسة الشيطان الفزع إليه والالتجاء وقال الخليل
أعوذ بالله أي ألجأ إلى الله وكذلك قوله استعذ بالله ومعاذ الله معناه أعوذ بالله وهو الإعاذة والتعويذ
والتعوذ وقال غيره أعوذ بالله أي أمتنع بالله وقيل أعوذ أي أتحصن به وقيل الاستعاذة بالله لدفع ما اعترض
له من الشيطان وكله قريب بعضه من بعض فإن قيل ما الحكمة في جعل عدوهم من غير جنسهم وبحيث لا يرونه
ويراهم قيل فيه وجهان أحدهما ليكونوا أبدا على التيقظ والانتباه غير غافلين عنه والثاني ليكونوا فازعين إليه
متضرعين إليه مبتهلين ليكون هو الحافظ لهم والدافع عنهم شره وعلى هذا ... فيما أمر بالفزع إليه والاستعاذة به
عند نزغ الشيطان يرد قول المعتزلة لأنهم يقولون أعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونزغاته
حتى لم يبق عنده شيء بعد فعلى قولهم يخرج طلب الإعاذة مخرج كتمان النعمة فلا يراد ذاك إذ ذلك عنده فيكون
السؤال كتمانا وتخذ ذلك كفرانها والله الموفق وقوله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا • وقرئ طيف من الشيطان فمن قرأ طيف قال الطيف اللمة وهي فعلة من اللمم وهو الجنون

الحضرة والشيء الذي يجيء قليل وقيل الطيف الوسوسة وقيل الطيف الخيال الذي يأتيك في المنام يقال طاف
فلان يطوف وطاف الخيال يطيف وقيل الطيف ما يأتيك من الشيطان وقال مجاهد رضي الله عنه طيف
من الشيطان وقال الغضب من الشيطان ومن قرأ طائف قال هو الطوف وقيل الطائف والطيف في اللغة واحد
وقوله تذكروا يحتمل وجوها أحدها إذا مسهم ذلك فامتنعوا وتابوا عما كان منهم كقوله والذين إذا فعلوا فاحشة
أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم والثاني تذكروا وجوه حيل دفع وساوسه والثالث استعاذ
حين أمرهم بالاستعاذة به عند نزغ الشيطان وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذا مسهم طائف من الشيطان قال إذا أذ
ذنبا تذكروا ذنوبهم فتابوا عنها وكذلك قوله في قوله ينزغنك من الشيطان نزغ هو أذى ذنب ترتكبه فإن كان على هذا
فهو يخرج على النهي عن ذلك والمراد به أمته كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تكونن من الجاهلين ولا تكونن من الممترين
فإن كان يعلم أنه لا يشك ولا يجهل ولا يشرك غيره في ألوهيته وعبادته فعلى ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه
بقوله فإما ينزغنك من الشيطان نزغ أو يكون هذا خرج لتعليمه أمته بأن كيف يفعلون إذا اعترض لهم ذلك
وهو أن يستعيذ بالله تعالى ويحتمل قوله إن الذين اتقوا إذا مسهم أي الذين اتقوا مكايد الشيطان إذا لحقهم
شيء من ذلك تذكروا ذلك وعرفوا أنه من الشيطان ويحتمل قوله إن الذين اتقوا المعاصي إذا أصابتهم وسوسة
من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعضهم أي إن الذين اتقوا الشرك لكن هذا ضعيف لأنه ليس كل من اتقى الشرك
يكون كما ذكر أنه يذكر فيكون من المبصرين وقوله تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي • قال بعض أهل التأويل قوله وإخوانهم
يعني إخوان الكفار الشياطين يمدونهم في الغي قالوا في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون عنها أي لا ينتهون عنها
ولا يبصرونها كما أبصر الذين اتقوا عنها حين أبصروها ويحتمل وإخوانهم يعني أصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم
من الإنس يدعونهم إلى دينهم لكنهم لا يجيبونهم فيما يدعونهم إليه إذ يجوز أن يكون لكل مؤمن شيطان
من الإنس وشيطان من الجن كقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن فقد دعا أولئك
شياطين الجن فتذكروا ولم يجيبوهم ثم دعاهم شياطين الإنس أيضا فلم يجيبوهم والله أعلم وقوله تعالى
وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها • ظاهر الآية في سؤال أهل الكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان
إذا أتاهم بآية استهزؤوا بها وتعنتوا وإذا لم يأتهم سألوه الآية سؤال المستهزئين المتعنتين كما أخبر الله تعالى
وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا ابتدعتها وأحدثتها وأنشأتها وهلا أنشأتها من قبل نفسك فأمر
عليه السلام بأن يقول إني لا أبتدعها ولا أنشئها من نفسي إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي ويحتمل أن يكون سؤال الآية من المؤمنين
فإن كان منهم فهو سؤال الاسترشاد لما يزداد لهم بكل آية زيادة قوة ويقين في دينهم كقوله تعالى وإذا ما أنزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك الآية ثم أخبر أنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه
ثم أخبر أنه بصائر من ربكم قيل بيان أي هذا القرآن بيان من ربكم يبصر به من لم يعاينه ولم يكن يدرك بعقله كل ما عليه
وإنه البيان بين الحق والباطل وهدى من الضلالة ورحمة لقوم يؤمنون أي ورحمة من العذاب والله أعلم وقوله تعالى
فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون • أمر الله عز وجل بالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات
له إذا قرئ وإن كان في العقل أنه من خاطب آخر بخطاب يلزمه الاستماع إلى ما يخاطبه ويشافهه به والله تعالى
إذا خاطب بخطاب أولى من الاستماع إلى ما يخاطبه ويشافهه به والله تعالى إذا خاطب بخطاب أولى من استمع له
مما ذكر في غير موضع من القرآن آيات ما أوجب في العقل الاستماع إليه كقوله هذا بصائر من ربكم وهدى
ورحمة وقوله واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وغير ذلك من الآيات ولا سبيل إلى إتباعه وأنه بصائر وأنه هدى
وما ذكر إلا بالاستماع والتفكر فيه فدل على أن الاستماع لازم في العقل لمن له أدنى عقل على ما ذكرنا من الخطاب
في الشاهد لكن ذكر ههنا الاستماع إليه والله أعلم لوجهين أحدهما مقابل ما كان الكفرة يقولون لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه والثاني يجوز أن يكون أمر بالاستماع في الصلاة على ما قال بعض أهل التأويل إنه
في الصلاة وقال بعضهم في حال الخطبة لما سبق إلى أوهام بعضهم لما اشتغلوا إلى غيرها من العبادات وكل
أنواع القرب يسقط عنهم حق الاستماع فأمر عز وجل بالاستماع إليه والإنصات له لتعلموا أنه حق الإنصات والاستماع
لأن كل الاستماع إليه يكون ليفهم ما أودع فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد وغيره والإنصات للتعظيم
له والإجلال ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة ولكن إنما يلزم لما أودع فيه من الأمر والنهي والعبر والحكم
لينتهوا عما ... ويقفوا وفق ذلك فأما سائر الأذكار فعلى استماع تلاوة القرآن والله أعلم ولأن
القرآن كتاب الله تعالى ومن الاستخفاف والجفاء أن يكتب الإنسان إلى أخيه كتابا ثم ينظر فيه ولا يستمع له فترك
استماع الكتاب أعظم في الجفاء والاستخفاف فإن القرآن حجة وسائر الأذكار لا حجة فإن كان لم ... يستمع
... لا يستمع إلى القرآن لا فرق بينهما والله أعلم وذكر في بعض القصة أن الآية نزلت في الصلاة وهو أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ في صلاته كانوا يقولون مثل ما قال فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والأمر بالاستماع
إليه والإنصات له وذكر أيضاً أنهم كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت
لذلك ولا يدرى كيف كانت القصة وفيم كانت ثم إن كانت الآية في الصلاة ففيها دلالة النهي عن القراءة
خلف الإمام لأنه أمر بالاستماع إليه والإنصات له وعلى ذلك جاءت الأخبار عن الجماعة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا صلى يقرأ أصحابه أجمعون خلفه حتى نزل فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا فسكتوا وروى علي بن أبي طالب أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة الفجر الواقعة وقرأها رجل خلفه فلما فرغ من الصلاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الذي نازعني في هذه فقال الرجل أنا يا رسول الله صلى الله عليك فأنزل الله فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا وغير ذلك من الأخبار قال القوم لمن الإنصات الذي أمر به المؤتم معناه أن لا يجهر بقراءته أما ليس فيه نهي عن
القراءة على سبيل المخافتة في نفسه وبه نقول إن المقتدي يقرأ في نفسه لا جهراً والقارئ على سبيل المخافتة يسمى صامتاً
ومنصتاً لما روي عن أبي هريرة رض قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كبر سكت بين التكبير والقراءة فقلت له بأبي
أنت أرأيت سكاتك بين التكبير والقراءة أخبرني بما تقول قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق
والمغرب وغير ذلك من الدعوات سمى أبو هريرة النبي عليه السلام ساكتاً في حال ما يقرأ على المخافتة الدعوات ولم ينكر عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم دل أن التأويل صحيح كما نقول لئلا يخالف الأحاديث الواردة في الباب روى أبو هريرة
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة ظن أنها الصبح فلما سلم أقبل على الناس وقال هل يقرأ منكم أحد فقال
رجل أنا فقال عليه السلام إني أقول ما لي أنازع القرآن قال أبو هريرة فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر النبي عليه السلام
وقد علمنا أن المؤتم لا يجهر بقراءته فيما فلم يكن منازعة النبي صلى الله عليه وسلم أن يشغله عن القراءة بسبب الجهر
فلا وجه لقوله ما لي أنازع القرآن إلا نهي المؤتم عن القراءة أصلاً جهراً أو مخافتة ولما روي عن عمر رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الظهر فلما قضى صلاته قال أيكم قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال بعض القوم
أنا يا رسول الله صلى الله عليك فقال قد عرفت أن بعضكم خالجنيها وفي عمران بن حصين أن الرجل الذي قرأ
وروي عن ابن مسعود رض أنه قال كنا نقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلام خلطتم علي القرآن
فإن قيل لعلهم كانوا يجهرون بالقراءة فنهى عن الجهر قيل له ما بلغنا في شيء من الأخبار أن المؤتمين كانوا يقرؤون
جهراً ولو كانوا يقرؤون جهراً لأدى إلينا كما أدى أنهم كانوا يقرؤون والدليل على صحة ما قلنا ما روي عن أبي
وائل رض قال سألت ابن مسعود رضي الله عنه عن القراءة خلف الإمام فقال أنصت فإن في الصلاة شغلاً
وسيكفيك ذلك الإمام وعن عبد الله بن شداد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة
وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى خلفه رجل فقرأ فنهاه رجل
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القراءة في الصلاة فتنازعا حتى ذكرا للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال من صلى خلف إمام فقراءته له قراءة وعن أبي موسى رض عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قرأ الإمام فأنصتوا
وعن أبي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا
وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم قالوا لا قراءة على من خلف الإمام منهم علي وابن مسعود وجابر
وسعد وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رض أما علي رض فقال من قرأ
خلف الإمام ملئ فوه تراباً وعن زيد رض من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له وعن سعد رضي الله عنه قال وددت
أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه جمرة وعن ابن عمر رض كان إذا سئل هل يقرأ أحد خلف الإمام قال إذا
صلى أحدكم وحده فليقرأ وكان ابن عمر رض لا يقرأ خلف الإمام وعن أبي سعيد رض أنه سئل عن القراءة قال
يكفيك ذلك الإمام وعن ابن عباس رض أن رجلاً سأله أقرأ خلف الإمام قال لا فحمل هذه الأحاديث بعضهم
رحمهم الله وتعلق من قال بوجوب القراءة على المقتدي بما روي عن عبادة بن الصامت رض عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ولكن نقول إن الحديث عام مطلق يجب حمله على المصلي وحده عملاً بالأخبار
المفسرة في كتابه عملاً بتلك الأحاديث وهكذا أوله سفيان الثوري رض ولا يترك بمثل هذا الحديث الكتاب
والأحاديث المشهورة المفصحة في الباب وإجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والله أعلم وقوله تعالى واذكر
ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين • اختلف أهل التأويل
في الذكر منهم من صرفه إلى التلاوة فإن كان ذكر الغدو والآصال كناية عن الليل والنهار فهو أمر بأن يذكره
في جميع أحواله تذكره نعمه وإحسانه وذكره هو شكر ذلك وتذكر نقمته وسلطانه وذلك يحمله على الخضوع
والتواضع ويذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده وذلك يوجب الاعتراف بالتقصير والخوف بعقوبته والرغبة في
ثوابه فكأنه قال واذكر ربك في كل حال في الليل والنهار أما شكر النعمة والحمد وأما الاعتراف بالتقصير في أمره ونهيه

وأما الخوف لوعيده والرغبة لوعده إنما ذكر ثم قال تضرعاً متواضعاً خائفاً راغباً وإن كان الغدو والآصال
كناية عن الغداة والعشي فهو كناية عن التلاوة في الصلاة على ما سبق من كان تلاوة من قوله فإذا قرئ فاستمعوا
لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أي لا تجهر بصلاتك في بعض صلاتك ولا تخافت في بعضها ولكن
ابتغ بين ذلك سبيلاً لا تجهر جهراً يسمعه من لا يريد ولا تخافت غاية المخافتة ولكن بين ذلك لا الجهر ولا المخافتة
ولكن [illegible] وذكر في نفسك تضرعاً وخيفة ومن الخوف
وقال المجاهد رضي الله عنه [illegible] أن يذكره في نفسك تضرعاً وخيفة وأن تخلف الإمام يسمع قراءته
وأما الآصال قال أبو عوسجة الغدو [illegible] العشيات والواحد أصيل ولا يكون [illegible]
صلى الله عليه وسلم ولكن هذا على النهي لأمته كقوله ولا تكونن من الجاهلين ولا تكونن
من المشركين فاستقم وقوله تعالى إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته قالت المشبهة لو لم يكن
الله تعالى في مكان لم يكن الملائكة قرب الذات لكان عند ربك سواء وكان لا معنى لتخصيص الملائكة
بذلك لكن التأويل عندنا أن عند ربك عن الطاعة ومن الكرامة والمنزلة ليس على قرب الذات ولكن على
قرب الذات ولكن على ما وصفهم الله تعالى بقوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا
يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصفهم الله تعالى بالذل
والخضوع فعلى الأول قال والساجد ما يكون أقرب من ربه وهو ساجد فاسجدوا
الله تعالى مخرج تعظيم تلك الجزئيات كقوله وأن المساجد لله ونحو ذلك
كلها لله تعظيماً لها وكذلك قوله الكعبة بيت الله تعالى فكذلك الأول أضافهم إلى نفسه أما الطاعة
لمراياه والخضوع وأما الكرامة لهم والمنزلة وإضافة كلية الأشياء وإلى الله تعالى يخرج مخرج التعظيم
كقوله له الخلق والأمر وقوله خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ومن الناس من استدل بتفضيل الملائكة
على البشر بهذه الآية لكنا نقول الأفضل عند الله تعالى الأطوع له والأخضع والأتقى والأقوم لأمره ونهيه
على ما ذكر إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا يستوي هؤلاء لا أفضل من هؤلاء وقد ذكرنا الوجه في هذا لتقدمنا
وتأويل الآية والله أعلم وقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون
أي أنهم على هذه الأوصاف وإن لم يكن لهم حاجة إلى المأكل والمشرب وأنواع الحاجات ولهم أحرى أن لا يستكبروا
عن عبادته أو أن يقول إن الذين يعبدون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته وأنهم أحق أن لا يستكبروا
عن عبادته لأن من الناس من يعبد الملائكة فيخرج هذا على ذلك والله أعلم وقوله تعالى ويسبحونه التسبيح هو
وصفه بالرب عز وجل بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي من الأشباه والأمثال عما وصفه الملحدون و
تنزيهه عن جميع معاني الخلق وقوله وله يسجدون السجود للخضوع غاية الجلال لعلي في الآية دليل وجوب السجود
على من تلاها أو سمعها إنما فيها الإخبار عن الساجدين أنهم سجدوا غير مستكبرين وفيه للبشر ترغيب في السجود
لا أنه روي صلى الله عليه وسلم سجد وسجد من معه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرأ علينا السور التي فيها السجدة ويسجد حتى ما يجد أحدنا موضعاً يسجد فيه وعن ابن عباس رض
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن في غير الصلاة فيسجد ويسجد معه وعن ابن مسعود رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم فسجد فيها ولم يبق معه أحد إلا سجد إلا رجلاً من قريش
أخذ كفاً من تراب فرفعه إلى جبهته فلقد رأيته قتل كافراً وعن ابن عباس رض أنه ذكر سجود القرآن وعد فقال الأعراف
والرعد والنحل وبني إسرائيل ومريم والحج سجدة والفرقان وطس والم تنزيل وص وحم تنزيل وقال ليس في المفصل سجود
وعن ابن مسعود رض أنه كان يسجد في الأعراف وبني إسرائيل والنجم وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك والحج بعض
ثم على أن السجود على من تلا آية السجدة واجب إذ أجمع عليه أهل العلم أن المصلي إذا تلا آية فيها سجدة أن يسجد في صلاته
ولو كان السجود تطوعاً لما كان لأحد أن يزيد في صلاته ما ليس منها فدل ذلك أن السجود واجب في الصلاة وإذا كان
في الصلاة واجباً فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا أيضاً ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ آيات سجود فيها فكان السجود
بها واجباً كان النبي عليه السلام لما صلى صلاة العيدين كان واجباً مواظبته على الشيء دليل الوجوب والله أعلم بالصواب وإليه الحق

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسألونك عن الأنفال قل الأنفال
لله والرسول • اختلف في الأنفال قال بعضهم الأنفال هي المغانم التي يغنمها المسلمون من أهل الحرب وقال بعضهم

هي الفضول عن حقوق اصحاب المغانم فان النفل ماخوذ من الزيادة ومنه التنفل وهو اعطاء شيء زائد على اصل السهم لزيادة عناية فاذا كان المراد من الانفال الغنائم فالسؤال يحتمل وجوها احدها السؤال عن حل الغنائم وحرمتها لان الغنائم كانت لا تحل في الامم السابقة كما قيل ان الامم السابقة كانوا يجمعونها ويجمعونها في موضع فيجئ نار فيحرقها فسالوا عن حلها وحرمتها فنزلت يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول اي حق الحكم في الانفال لله والرسول يحلها لمن يشاء ويحرمها على من يشاء ويحتمل السؤال عنها على من يشاء ويحتمل السؤال عنها عن قسمتها على ما روي في بعض التفسير عن ابي امامة الباهلي رض قال سالت عبادة ابن الصامت رض عن الانفال قال فينا اصحاب بدر نزلت ان النبي صلى الله عليه وسلم النفل لنا يوم بدر نفل كل امرء ما اصاب وكنا اثلاثا ثلث في نحر العدو يقاتلون ويأسرون وثلث يجمعون النفل وثلث قيام دون رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يكون من العدو غرة يحيون كر العدو عليه فلما وضعت الحرب اوزارها قال الذين اصابوا النفل هو لنا قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرء ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون نحن احق بها فانا ولينا القتال وشغلنا العدو عنكم وخلينا بينكم وبين النفل وقال الذين قاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم باحق منا كنا خشينا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كر العدو فقمنا دونه نحرسه لم نرد الكم فلما اختلفنا انتزعه الله تعالى من ايدينا فجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم فقسمه على الناس عن بواء فهو اصل ذلك قوله يسئلونك عن الانفال لله والرسول اي عن الانفال لله والرسول فنسخها قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول وكذلك روي عن ابن عباس رض قال في قوله يسئلونك عن الانفال الانفال هي الغنائم التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لاحد فيها شيء ما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوا به فمن حبس منه شيئا اثم او خيطا فهو غلول فكان يعطي من يشاء ويحتمل يسئلونك عن الانفال اي يسئلونك الانفال على اسقاط حرف عن ولو كان يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فان كان الانفال هو فضول الغنائم على ما قال بعضهم فهو على ما روي في الاخبار ان منهم من اخذ سيفا وقال يا رسول الله اجعله لي واخذ الاخر سيفا وقال اجعله لي ونحو ذلك كانوا يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويحتمل ان يكون سؤالهم عن النفل وهو ان يعطيهم الرسول عليه السلام بعد ما وقع في ايديهم او بعدما انهزم الكفار وادبر العدو على ما روي عن مصعب بن سعد قال نزلت في اربع ايات يوم بدر اصبت سيفا فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبي الله نفلنيه اجعلني كمن لا غنى له فقال صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث اخذته فنزلت هذه الاية يسئلونك عن الانفال الاية ثم قال سعد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فخذ سيفك فهذا يدل على انهم نهوا عن طلب التنفل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد حصول القسمة في ايديهم وان النبي صلى الله عليه وسلم اطلق التصرف في الغنائم كيف شاء لا حق لغيره فيها حتى قال لمصعب بن سعد بعد نزوله الاية اذهب فخذ سيفك الى ان استقر امر الغنائم في ان تقسم على خمسة اسهم يجعل اربعة الاخماس بين اصناف الذين حضروا اليهم على ما ذكر ونقل الاحراز والوقوع في ايديهم تحريضا للمقاتلة لا يبطل حقوقهم وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود قال النفل ما لم يلتق الزحفان والصفان فاذا التقيا فهو مغنم وعند ابي الاحاديث متفقة الدلالة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الغنيمة لم تحل لاحد قبلنا وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤس مثلكم كانت تنزل نار من السماء فتاكلها فلما كان يوم بدر اسرع في الغنائم فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وعن ابي ذر رضي الله عنه قال خرجت فطلبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلي فانتظرته حتى صلى فقال اوتيت الليلة خمسا فيها واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي في غير ذلك من الاحاديث وقوله تعالى فاتقوا الله قيل اتقوا الله في اخذ الانفال ولكن سعى ان يجري على اطلاقه في الانفال وغيرها اي اتقوا معصيته ومخالفته في امره ونهيه وقوله تعالى واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين وهو ان يكونوا مجتمعين على كلمة واحدة لما ذكر من عظيم منته ونعمته التي انعمها عليهم بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبكم وذلك من عظيم نعمه عليهم فامرهم ههنا باصلاح ذات البين لكي على النعم التي انعمها عليهم مجتمعين غير متفرقين وقوله تعالى واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله تعالى في امره ونهيه واطيعوا رسوله عليه السلام في دابه وسننه ان كنتم مؤمنين ويحتمل اطيعوا الله فيما دعاكم

اليد ودعكم فيه واطيعوا رسوله ان كنتم مؤمنين مصدقين به وقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية تعلقت المعتزلة بهذه الاية على ان مجرد التصديق او التصديق مع الاقرار ليس بايمان ما لم ينضم الى ذلك هذه الاعمال حيث فسر المؤمنين بالذين فعلوا هذه الافعال لكنا نقول ان الاية تخرج على وجه يحتمل ما ذكرتم ويحتمل وجها اخر ايضا فان انما المؤمنون ينبغي ان يكونوا على ما ذكر من الاوصاف باتيان جميع ما ذكر من الافعال فمن يقول فان هذه الافعال من شرائع الايمان ومواجبه لانه ينعدم وصف الايمان بترك الافعال ويحتمل اي انما المؤمنون المختارون الذين لهم درجات عند ربهم ومغفرة على الاطلاق هم الذين وصفهم بما ذكر من الافعال فاما الذين عرى عن هذه الاوصاف وعن بعضها فهو مؤمن حقيقة ويرجى له الدرجات والمغفرة بسبب شفاعة الاخيار اما لم يدخل تحت الوعيد المطلق بدون ان يعذب بقدر ذنوبهم في عاقبة الجنة ويحتمل انما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم هم الذين اتوا بهذه الافعال من وجل القلب والخشية وازدياد اليقين على ما كان عليه واقامة الصلاة والتوكل على الله تعالى في جميع اموره ليس كالمنافقين الذين كانوا مرتابين في ايمانهم كما وصفهم في اية اخرى حيث قال واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وكانوا اذا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون الله الا قليلا مراءاة للناس فانما المؤمنون الذين يظهر صدقهم عندكم هم الذين يقومون بوفاء ذلك كله وهو كما وصفهم في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم الى قوله اولئك هم الصادقون فحمل ما ذكر من الافعال علما بين الصادق في الايمان وبين المنافق في حق العباد ليعرفوا المعاملة معهم واما حقيقة الايمان فعلمه لله تعالى وهو حقيقة التصديق ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة ليس على نفس العمل كانه قال انما المؤمنون الذين اعتقدوا ما ذكر من وجل القلب والخشية عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه اذ ما يرتكب المؤمن من المعاصي انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب كقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية يرتكب ذلك اما لغلبة شهوة او اعتقاد التوبة من بعد او رجاء رحمة الله وفضله في العفو عن ذلك فكان المراد من قوله انما المؤمنون الذين اعتقدوا ما ذكره الله تعالى من الافعال وهو كقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم هو على الاعتقاد ما القول لانهم اذا اعتقدوا ذلك وقبلوا يخلى سبيلهم هو على الاعتقاد وان لم يقيموا الصلاة وما ذكر فعلى ذلك الاول يحتمل ذلك واذا ثبت احتمال الاية الوجوه التي ذكرنا لا يجب صرف الاية الى الوجه الذي قالوا لان الامة اجمعت ان من امن بقلبه وصدق بلسانه كان مؤمنا وان لم يات بشيء من الافعال التي ذكر يجوز ان يؤمن ثم يخترم من ساعته مات مؤمنا قبل ان ذكر هذه الافعال لم يخرج على الشرط ولكن على الوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يحتمل الاية حجة وبرهانا اذا تليت عليهم ذلك يزدادوا به ايمانا وذلك على ما كان فاما المنافقون فان الايات التي تنزل كانت تزيدهم رجسا الى رجسهم كما ذكر في اخر سورة براءة ويحتمل انه ذكر الزيادة لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت وكل ساعة فاذا كان له حكم الحدوث والتجدد فهو زيادة على ما كان فان شئت سميتها زيادة وان شئت ثباتا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه زيد الايمان بالتفسير على الايمان بالجملة ان كل مؤمن امن بالله تعالى وبجميع الكتب وبجميع الانبياء فان الله الخالق والامر فاذا فسر له الانبياء واحدا بعد واحد بالاسامي والنسب وفسر له الكتب واحدا بعد واحد باسمه وصفته وكذلك في الخلق كلها ازداد له الايمان والتصديق على الايمان جملة من حيث معرفة الاوصاف والله اعلم وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون عليه في كل امورهم لا في غيره ليس كالمنافقين الذين يتوكلون على النعم التي اعطوا كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية ونحو ذلك واما المؤمن فانه في جميع احواله يتوكل على الله تعالى ومنه يخاف ويرجوا ويعتقد ان ما يصل من البلية والنعمة على يد غيره فانما هو في الحقيقة من الله تعالى وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لحق الله تعالى الذي عليهم وقوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقا يحتمل اولئك المؤمنون الذين حققوا ايمانهم ويحتمل اولئك المؤمنون الذين وعد لهم عندكم حقا وهو ما وعد لهم من الدرجة والمغفرة بقوله لهم درجات عند ربهم اي فضائل عند ربهم ومغفرة اي يستر عليهم ذنوبهم التي كانت لهم في الجنة حتى ينسيها عليهم لان ذكرها ينغص عليهم النعم التي انعم عليهم وقوله تعالى ورزق كريم قال الحسن اي ما كريم اهله به وقوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا في حرف قال بعضهم هو صلة قوله يسئلونك عن الانفال يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل كذا وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين لهم كذلك يجادلونك في قسمة الانفال او يسئلونك عنها ومنهم من يقول جوابه فامض لامر الله ما امرك اياه بالقتال اي كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون الخروج فكذلك امرك بالقتال مع الكفرة وهم كارهون لذلك ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم

من السماء ماء ليطهركم به الآية يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق واختار الله تعالى في الخروج للقتال العدو عن يديك بربكم
ولا نظر في ذلك لهلاك ... النعاس امنة وانزال الماء من السماء للتطهير وتثبيت الاقدام على غير علم منكم لا بتدبير
ومنهم من يقول كما اخرجك ربك من بيتك وهم غير متاهبين للقتال ولا مستعدين له كذلك تعدكم الله الظفر
والنصر والله اعلم وقال بعضهم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي
وان فريقا من المؤمنين اجابوا لذلك وان كانوا كارهين للخروج من شدة الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله
تعالى لهم بالنصر والظفر وامنهم من ذلك الخوف والله اعلم وقوله من بيتك بالحق يحتمل وجوها يحتمل الحق الذي
لله عليهم من الامر بالخروج للقتال ويحتمل بالحق الموعد الذي وعدهم وهو النصر والظفر وقيل الحق القرآن لكن
ان كان فالمراد ما ذكر من الامر الذي في القرآن وهو الامر بالقتال والله اعلم وقوله تعالى وان فريقا من المؤمنين
لكارهون من حيث الظاهر دون الباطن وهم المنافقون او ذكر هو الخروج للقتال ويحتمل ان يكون المراد
من المؤمنين المؤمنين من حيث الحقيقة لكن المعنى انهم كرهوا الخروج للقتال كراهة الطبع لا كراهة الاختيار
لما امروا بالخروج وهم غير متاهبين له ولا مستعدين فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لفقد انهم اسباب
القتال لا انهم كرهوا امر الله تعالى كراهية الاختيار والله اعلم وفي هذه الآية دلالة على ان الامر قد يكون في الشيء
وان لم يعلم وقت الامر فاذا توخر وقتها دليل جواز تاخير البيان لانهم امروا بالخروج للقتال وهم لم يعلموا وقت
الخروج بماذا يؤمرون ثم علموا بعد ذلك وقوله تعالى يجادلونك في الحق قيل في القتال ويحتمل في الحق
في الوعد الذي وعدهم وهو النصر والظفر وقوله تعالى بعد ما تبين يحتمل بعد ما تبين لهم الامر بالقتال
ويحتمل بعد ما تبين لهم النصر والوعد والظفر وقوله تعالى كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان كان
الآية في المنافقين فظاهر وان المنافقين كذلك وصفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات قال الله تعالى واذا
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان كانت الآية في المؤمنين الذين
حققوا الايمان فهو لما كانوا غير مستعدين للقتال ولا متاهبين له كانوا كارهين له كراهة الطبع لا كراهة
الاختيار والله اعلم وقوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الآية ذكر في بعض القصة ان عير
قريش لما اقبلت من الشام خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم نحوهم على ما خرج الى العير
غير متاهبين للحرب فخرجت قريش من مكة تبعت عيرها وهي الطائفة الاخرى ووعد الله تعالى لهم احدى الطائفتين
لهم اما العير واما العسكر اي انهم ينصرون عليهم وهم يودون ان يكون لهم ذات الشوكة وهي التي ليس
فيها حرب وهو العير لانهم اهون شوكة واعظم غنيمة كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم وانما كانوا يودون ذلك لما كانوا غير مستعدين للحرب وكان فيهم ضعف وفي اولئك قوة ومنعة
والله اعلم وقوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي يريد ان يظهر الحق بان منه وهو الظهور ممن على الطائفة
التي كانت لها شوكة وليس عندهم اسباب الحرب وهو كما ذكر في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة
تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين اخبر عن غلبة هؤلاء اولئك مع ضعف
ابدانهم وقلة عددهم وقصور اسباب الحرب من السلاح والكراع والعدة وعز ذلك مع قوة ابدان اولئك
وكثرة عددهم وتمام عدتهم وتاهبهم واستعدادهم للحرب آية عظيمة فاراد الله تعالى ان يظهر الحق
بذلك فنجى العير وامرهم بالقتال مع العسكر الذين لهم شوكة وقوة ليغلبوهم فعلى ذلك ليعلم كل منهم ان ذلك
انما كان بالله تعالى لانهم قال الله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اخبر
ان ذلك بالله تعالى لا بهم ويحتمل قوله ويحق الحق بكلماته اي بالوعد الذي وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة والنصر والظفر واراد ان يظهر ذلك بتحقيقه ويحتمل بكلماته وامره ويحتمل ان يوجب الحق ويظهره
بحججه وبراهينه ويحتمل كلماته البشارات التي بشر بها المؤمنون بالنصر والعز لهم وسائر العدات التي كانت منه
اياهم والله اعلم ويحتمل يحق الحق بكلماته اي بملائكته الذي بعثهم مددا لهم يوم بدر على ما ذكر خاصا لهم
الى نفسه تعظيما واجلالا لهم نعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى ويقطع دابر الكافرين يحتمل يقطع
آثار الكافرين يقتلون جميعا ويستاصلون حتى لا يبقى لهم اثر ويحتمل ويقطع ما ادبرهم حتى لا ياتيهم
مدد وقوله تعالى ليحق الحق يحتمل ليظهر الحق ويجب فقال حق كذا اي وجب ويحتمل ليظهر حق الحق ويبطل
الباطل ويحتمل ليحق الحق اي يحق الحق ويذهب الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل اي ذهب وعلى هذا
يحق الحق ويذهب الباطل ولو كره المجرمون وقوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
قال بعضهم هو صلة قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة في الآية بيان الامتنان عليهم بالاعانة
والامداد من الملائكة يوم بدر والاشكال انه ذكر ههنا بالف من الملائكة مردفين وذكر في آية ثلثة

الاف من الملائكة منزلين وذكر في آية بخمسة الاف من الملائكة مسومين فكيف يكون هذا ضيقا قيل والله اعلم يحتمل
ان يكون هذا بملائكة يوم بدر خمسة الاف كما ذكر بخمسة الاف من الملائكة مسومين ثم ذكر في آية بثلاثة الاف من
الملائكة منزلين وذكر في هذه الآية بالف من الملائكة مردفين وهما الفان من خمسة الاف لكنه ذكر على سبيل التكرار
ومنهم من يقول ان قوله بثلاثة الاف من الملائكة منزلين كان في حرب احد ذكر على اثر قصة احد فان كانوا
كما ذكروا فيحتمل ان يكون يوم بدر بالف ثم بخمسة الاف مسومين مع العلامات ثم انزل الف مردفين والارداف
التتابع اي الف تتابعوا المشركين يوم بدر في حال لما انهزموا واتبعهم اهل بدر ويجوز ان يكون الارداف الامداد
فيكون المراد انه انزل الف من الملائكة بعدما انزل خمسة الاف فيحتمل في حال وثلاثة الاف في حال والف
او الف على اختلاف تاويل الارداف في حال فيكون تحقيقا وليس فيه تناقض والله اعلم ثم فائدة ما ذكر من
الف ملائكة وثلاثة الاف وخمسة الاف طمانينة قلوب اولئك المؤمنين لما انه عبارة عن الكره وطمانينة
القلب بالمدد الكثير ابلغ والا فمع الملك الواحد كفاية وان كثروا ولكن كمال قوة الملك لا يستتم اذ كان هو
يراهم ولا يرونه والله اعلم قال بعض اهل التاويل قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وهو رسول صلى الله
عليه وانما ذكر بلفظة الجماعة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى كثرة المشركين علم انه لا قوة لهم معهم الا بالله فدعا
ربه وتضرع اليه ولكن عندنا هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين الا ترى انه قال اذ تقول للمؤمنين
الحكيم الآية والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيها البشارة لهم بالنصر والطمانينة
لقلوبهم والله اعلم ان حقيقة النصر انما يكون بالله عز وجل لا باحد سواه وذلك قوله وما النصر الا من عند الله
ان الله عزيز حكيم وفي حكمه فان لا يذله احد ولا يهزمه حكيم في امره ونهيه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء الا وفيه
حكمة فان قيل في قوله اذ تستغيثون ربكم الآية وقوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون دلالة انهم
كان الخوف نحو وصفهم الله تعالى بشدة الخوف كانما يساقون الى الموت وكيف خافوا كل هذا الخوف وقد وعدهم
النصر والظفر قيل هذا من وجهين احدهما انه يحتمل ان نصرف الآية وهو قوله كانما يساقون الى الموت ونحوه
الى المنافقين وقد عرفنا انهم لم يلزموا السؤال فان المنافقين على شك من الوعد بالظفر فلذلك خافوا
والثاني يحتمل ان يكون في المؤمنين وخوفهم مع خوفهم النصر والظفر ويحتمل وجوها احدها يحتمل ان يكون
في الوعد بالنصر والظفر للمؤمنين انما بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لهم فالقي في قلوبهم الرعب
والخوف من العدو لكثرتهم وشوكتهم وقلة هؤلاء وضعفهم على ما هو مقتضى الطباع والله اعلم ويحتمل
ان الله تعالى بين للمؤمنين الوعد بالنصر والظفر وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم انه في اي وقت يكون الظفر
انهم امروا بالخروج ولا يدرون الى ماذا يؤمرون فخافوا لاحتمال ان وقت الظفر والنصر متاخر مثل هذا الباب
فيه ويحتمل ان وعد النصر بلغهم وعلموا الوعد بالنصر وان لهم الظفر في هذا الحرب على الكفرة غير انهم خافوا لان
وكرهوا القتال لخوف الطبع وكراهة النفس لا كراهة الاختيار وجائز وجود الخوف طبعا من القتال مع التيقن
بالنصر والظفر وتحقق ذلك بالدليل سمعا وعقلا ويحتمل ان يكون الوعد بالنصر والظفر لهم معلقا بشرط التوكل
اليه والاستغاثة منه على ما يكون في الكفارات ان يكون المغفرة معلقا بالاستغفار والبقاء وتوجب المغفرة عند
الدعاء لا محالة وعلى ما يكون سعادة بعض ودخوله الجنة معلقا بتركيبها وسعادة آخر ودخول الجنة بحين
ان يادلها فيصيرون ... فيكرمهم بتهيئة الاسباب فهذا كذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك الخوف لهم من بعثهم
في الخروج الى الجهاد محنة يمتحنهم بها من الله تعالى وان علموا بوعد النصر ليكون لهم الثواب لمقابلة الخوف مع حصول
النصر والظفر والوعد كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الآية والله اعلم وقوله تعالى اذ يغشيكم النعاس
امنة منه ذكر النعاس بعد شدة خوفهم والنعاس لا يكون اشتد به الخوف ولا يغشاه الا بعد الامن فيكون في هذا
ذكر منته ولطفه اعطاء الامن لهم بعدما كان من خوفهم ما ذكر حيث قال كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
وقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة ان المشركين سبقوا فاخذوا الماء وبقي
المسلمين في رمل لا يثبت اقدامهم عطشى فوسوس اليهم الشيطان انهم لو كانوا على حق ما ابتلوا بمثل ذلك في رمل لا يثبت
اقدامهم عطشى فانزل الله تعالى لهم مكان الخوف امنا يامنون به فانزل من السماء ماء فطهرهم به وشربوا منه و
شدت الرمل فثبتت اقدامهم فذلك قوله اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
وقوله تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان قيل هو وسوسة الشيطان الذي وسوس اليهم على ما ذكر في بعض
القصة ان المسلمين اصابهم ضعف شديد والقى الشيطان في قلوبهم ليقنطوا وياسوا وقال لهم تزعمون
انكم اولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين فامطر الله تعالى عليهم مطرا شديدا
فشرب المسلمون وتطهروا واذهب رجز الشيطان وتشدد الرمل حين اصابه المطر حتى مشى الناس عليه والدواب فساروا الى العدو

وامداده تعالى بتثبيته عليهم بالف من الملائكة مردفين وقيل الرجز الاثم كقوله رجزا وفسقا اى يذهب عنهم الاثم الحاصل بسبب
الوسوسة وعلى القول الاول يذهب عنهم الوسوسة التي هي سبب العذاب في الرجز العذاب فذكر الرجز والمراد سببه
وقوله تعالى وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام * يحتمل حقيقة تثبيت الاقدام ويحتمل التثبت تماما عليه والربط هو
هو السد فيحتمل قوله وليربط على قلوبكم اى يسدها حتى لا يزول احد عما هو عليه ولا يرتفع عن ذلك حتى ابتلاه الله
بانواع الشدائد والبلايا ذكر في التوحيد والايمان الربط والتثبيت بقوله كذلك لنثبت به فؤادك وقوله و
ليربط على قلوبكم وذكر في الشرك والكفر الطبع والختم والقفل ونحو ذلك عقوبة لهم بما اختاروا فذلك عندنا
هذا جائز بطريق العقوبة عليهم لان ذلك واجب بطريق العقوبة لا محالة وعند المعتزلة الطبع وغيره ولكن يحقق
عليهم على كفرهم على ما مر ذكره وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا * الوحي الى الملائكة
ان يكون بطريق الالهام حقيقة ويحتمل ان يسمعهم كلاما وصوتا دالا على كلامه الازلي وقيل اسمعهم كلامه بلا
ولا صوت ولا كيفية ويحتمل ان يريهم مكتوبا في اللوح المحفوظ ويقفوا على مراد الله تعالى ويحتمل ان يسمع الملائكة
كلامه على لسان جبريل عليه السلام ونحو كما يكون الوحي الى الانبياء عليهم السلام ثم انما سمى ذلك وحيا لسرعة
تدفقه في القلوب ووقوعه فيها وكذلك سمي والله اعلم وساوس الشيطان وحيا بقوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اى يقذفون في قلوبهم ويدعونهم الى اشياء من غير ان يعلموا بذلك وانما الحاجة بذلك وتمام تنبيه
لسرعة وقوعها في القلب ايضا قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل قيل هو الالهام اى الهم النحل ان تتخذ من الجبال
بيوتا وقال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا هو ما الهم سمي وحيا لسرعة وقوعه في القلب وقذفه فيه
على غير علم منهم انه من اين كان ومن كان وفيه دلالة ان غيره هو الذي يخطر في قلبه وقذفه فيه لا انه يحدث
ذلك بنفسه على غير اخطار احد ولا قذفه فان كان ما قذف فيه خيرا فهو من الملك وان كان شرا فهو من قذف
الشيطان ووسوسته وذلك بطريق التسبب منهما فاما الانشاء فذلك كله خيرا او شرا من الله تعالى اذ هو
الخالق للاشياء كلها وهذا يدل ايضا على ثبوت الملك والشياطين على ما اشار الموفق وقوله انى معكم يحتمل انه قول
انى معكم قول من الله تعالى للملائكة اى معكم معناه في المعونة والنصر ووقع النصر ودفع العدو عنكم او يقول انى معكم في
ويحتمل ايضا ان يكون هذا وحيا الى الملائكة ان قولوا للملائكة المؤمنين وابشروهم انى معكم ومعناه ما ذكر من
من النصر والمعونة والدفع والتوفيق والله اعلم وقوله تعالى فثبتوا الذين امنوا الملائكة ان تثبتوا الذين امنوا بالنصر
والامن حيث ما كانوا خائفين فسلى خاسين واما اعطاهم هذه الكرامة [illegible] ربهم مع ضعف ابدانهم
وقلة عددهم فابدلهم الله تعالى مكان الخوف لهم امنا ومكان الضعف قوة ومكان الذل عزا وابدل المشركين مكان
الامن لهم خوفا ومكان العز ذلا ومكان القوة والكثرة ضعفا وقلة والله اعلم ويحتمل ان يكون تثبيتهم وقال الملائكة
تثبيت منهم المؤمنين لان تنزلهم سبب تثبيتهم ويحتمل ان ثبت الملائكة اياهم من غير ان علم المؤمنون بهم بان
العواقف قلوبهم القوة والثبات وقوله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان * والاشكال انه امر بالضرب فوق الاعناق في المحاربة مع الكفرة وذلك مما لا يتاتى على كل حال
قال القائلون قوله فاضربوا فوق الاعناق وهو المفصل الذي بين الراس والعنق [illegible]
وفي الضرب في غير ذلك مثله وقوله واضربوا منهم كل بنان في الحرب لا [illegible]
لا يكون مثله فكانه قال فاضربوا فوق الاعناق اذا قدرتم عليهم وتمكنتم منهم واضربوا منهم كل بنان
على حسب ما يقدرون عليه ويحتمل ان اضربوا الاعناق وما فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان
تمثيلا كمهم في اطراف الاعناق وغير ذلك وفيه بيان انه لا عبرة لموضع خاص والله اعلم وقوله
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله * ثم قوله شاقوا الله قيل وحادوا الله ورسوله وقيل خالفوا الله تعالى ورسوله
عليه السلام وحقيقة المشاقة المخالفة والمخالفة قد تكون بالمحاربة وقد تكون بمخالفة الامر والنهي وقوله
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب * اى شديد العقاب لهم في الاخرة وقوله تعالى ذلكم فذوقوه
اى ذوقوا ذلك العذاب والعقاب وقوله تعالى وان للكافرين عذاب النار * اى الخلود فيها
والمحاربة معهما وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار * قيل
وفرضه كان لبذل الانفس وتسليمها للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف الجماعة والعدد الذي ليس بحد
للواحد القيام للجماعة ومعنى الامر بالقتال مع الزحف ونهيهم عن الفرار لان فرض القتال في الابتداء كان
لبذل الانفس للقتل ويدل ذلك صحيح قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولزم الواحد
الواحد القيام للعشرة اذ خاطبه على سبيل المغالبة فيحتمل ان يفرض بذل الانفس للقتال كما قال الله تعالى
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ثم ابتلاه وامتحانا

منه لهم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله كانما يساقون الى الموت هو على التحقيق اذ الى ذلك يساقون فهم صائرون
تحقيقا وجاز الفرار من الثلاثة فصاعدا بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ويحتمل وجها
اخر وهو ان الله تعالى انما امر بذلك ليكون ذلك القتال معجزا فانه لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفة كل
انه انما قام ذلك القتال بالنبي وحل لا يقوم انفس عدد ليس في وسع احد على سبيل العادة القيام للعشرة وجماعة
كثيرة بقوة اذا خاطبوا به فتكون ذلك على نقض العادة وهو تفسير الاية والمعجزة والله اعلم وقوله تعالى ومن يولهم يومئذ
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله * فيه النهي عن الانهزام والتولي عن العدو الا ان يكون
على الوصف الذي ذكر وهو المتحرف للقتال والمتحيز الى فئة قيل المتحرف للقتال هو المنتقل من مكان الى مكان الحرب
ما هو داب اهل الحرب من الخداع والمكيدة والمتحيز الى فئة هو الملتجئ الى فئة على جهة العود اليهم الحرب يقال
تحوز وتحيز بالواو والياء جميعا اذا توجه نحو الحيز وقوله تعالى فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس
المصير دليل بما كان النهي فان المراد منه التحريم لان العقاب لا يوعد الا على المحرم ثم الاية تحتمل وجهين احدهما
ان يكون الاستثناء من قوله فقد باء بغضب من الله كانه قال ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله الا
متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة على التقديم والتاخير فعلى هذا لم يكن التولي مباحا اصلا لكن فيه رفع الوعيد
لتحول الاستثناء عليه فيرتفع المؤاخذة مع قيام فيرتفع المؤاخذة مع قيام الحرمة فيكون رخصة حقيقة ويحتمل
ان يكون الاستثناء من قوله ومن يولهم يومئذ دبره كما ذكر ظاهر الاية فيكون الاستثناء من التولي خصا و
التولي على الوصف الذي ذكر مستثنى فيكون مباحا اذ الاستثناء من الحظر اباحة وهذا الوجه اصح فانه جاء عن عمر
واهل من الصحابة رضي الله عنهم بوليها الدبر على الوصف الذي ذكر وكذلك قال عليه السلام فيمن فر من الحرب
الى المدينة وفيها النبي عليه السلام انتم الكرارون انا فئة لكل مسلم والله اعلم ثم قالت المعتزلة دل ما اوعد الله تعالى
المتحرف لغير قتال والمتحيز الى فئة بقوله فقد باء بغضب من الله ان من ارتكب كبيرة يخلد في النار لانه ذكر في اول
الاية المؤمنين كلهم بخرج الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا واوعدهم الوعيد الشديد الذي
بمثله يخلد اهل النار غير اهل الايمان فدل انه يخرج عن الايمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار قالوا ولا يحول
الاية الى اهل النفاق لانه ذكر في القصة انه لم يكن يومئذ منافق والاية نزلت في اهل بدر وقلنا نحن في الخروج
عن هذه الشبهة وجهين احدهما ان الاية نزلت في المنافقين دون اهل الاسلام فانه لم يكن للاسلام يومئذ
فيه تحيزه الى فئة لانه يومئذ لم يكن دار اسلام لما لم يكن الغلبة لاحكام اهل الاسلام بل لاحكام الكفر ظاهرة
ثم لم يصح قولهم انه لم يكن يومئذ منافق فان الله تعالى قال اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء
دينهم قيل نزلت هذه الاية يوم بدر والثاني يحتمل ان ما ذكر من الوعيد لمعنى في التولية عن الدبر والاعراض
من القتال الا انه تولية الدبر اذ قد ذكر تولية الدبر في اية اخرى وذكر العفو عنها بقوله ان الذين تولوا منكم يوم
التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا عنهم وذلك هو كتاب سبب يقضي الى
الكفر والردة فيكون هذا عقاب الكفر لا عقاب مطلق الكبيرة فان قيل اهل التوبة مضمرة فيما يكون من الاية كما
قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فتابوا ولقد عفا عنهم قيل لا يجوز ان يجعل التوبة مضمرة فيها
كما جاز اضمار الردة فيما تلونا فيما ذكرنا من الاية لبيان ان الحكم غير متعلق بنفس التولي ظاهرا مع جواز ما ذكرتم
ان الحكم متعلق بالتولي والعفو بعد التوبة ويحتمل على ما قلنا الدلائل تدل على اضمار الردة احدها انه ذكر
التحيز الى فئة ولم يكن المسلم يومئذ فيه تحيز اليها فاذا تحيز انما يتحيز ليصير الى المدعو القصد الى ذلك وتحقيقه
سبب الكفر والثاني ما ذكر في بعض القصة انه لما اصطف القوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال
يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا ومن هرب وولى الدبر في مثل تلك الحال كان قصده ان لا
يعبد الله تعالى في الارض ابدا والتولي على هذا القصد سبب الكفر والثالث ان الله تعالى قد وعد النصر والظفر على
العدو فمن ولى دبره لم يول الا للتكذيب بالوعد الذي وعد لهم وذلك كفر والله اعلم وقوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * يخرج على وجوه احدها فيه دليل على انه لا صنع للعبد
في القتل واستخراج الروح منها انما ذلك فعل الله تعالى وانه ذلك وهو المالك له الا ترى ان الضربة والجرح قد يكون
ولا موت هنالك وكذلك المحيي كل من ان يسكن شيئا من هو رمي انما يصير رميا بالله تعالى لانه هو الذي انشأ
فعل المضي في السهم وفعل الاصابة والاخراج وكانه لا صنع للرامي فيه الا ترى انه لو ملك شيئا لتهم اذ الى
ولو كان فعله بملك شرده لان من قدر على فعل يقدر على الترك والامتناع منه وهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه
ان الاستيجار على القتل باطل والثاني انهم انما قتلوا بمعونة الله تعالى ونصرته كما يقول الرجل الاخر اذا قتل
رجلا انك لم تقتله وانما قتله فلان اذا قتل بمعونة ذلك الرجل فعلى ذلك الاول والله اعلم والثالث

فلم يقبلوا هواه أي لم يطيعوا الخروج حكم إليهم فقتلهم لأنهم كانوا بالمحل الذي وصفهم من الضعف والذل وشدة
الخوف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون والكفار لهم قوة وشوكة فكأنه قال والله أعلم فلم تقتلوهم ولكن
الله تعالى قتلهم أي لم يطيعوا الخروج حكم إليهم وقصدكم إياهم وقتلهم لما كان بحالكم من الضعف وقوة أولئك ولكن
الله تعالى أذلهم وألقى الرعب في قلوبهم حتى قتلتموهم وكان ذلك فضلا قتلهم وكذلك قوله وما رميت إذ رميت ولكن الله
رمى أي إذ لا يطيع الإنسان أن يرمي كفا من تراب لتبلغ من أعدائه كلهم ولكن الله رمى حيث بلغ ذلك أبصارهم
وغطت أعينهم على ما ذكر في القصة أنه رمى كفا من تراب فغشي أبصار المشركين فانهزموا لذلك والله أعلم ويحتمل
أن نسبة القتل والرمي إلى نفسه لما أطلق وأضاف كل إلى نفسه كما قال يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي
إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين وقوله ولكن الله يهدي من يشاء وقوله اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وغير ذلك من الآيات التي فيها إضافة الأفعال إلى الخلق ووضعت
الله تعالى فعلى ذلك بسبب تعليمه ذلك نفسه بخلوصه وصفة لله والله أعلم وقوله تعالى وليبلي المؤمنين منه
بلاء حسنا أي نعمة عظيمة أي حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف أبدانهم وقلة عددهم وكثرة أعدائهم
وقوة أبدانهم ووفور عددهم وهو كما ذكر في هلاك فرعون وقومه بقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم أي نعمة
عظيمة فعلى ذلك هذا والله أعلم وقوله تعالى إن الله سميع عليم أي سميع لدعائكم الذي تدعون وتضرعكم
الذي تضرعتم إليه أو أن يقول سميع أي مجيب لدعائكم عليم بأفعالكم وأقوالكم التي يقولون وتلقون
وقوله تعالى ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين قوله ذلكم أي ذلكم الذي كان بهم من القتل والأسر والهزيمة
لما أوهن الله وأضعف كيدهم ويحتمل أن يكون هذا صلة قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا أي ذلك
الإبلاء والإحسان أن الذي من الله تعالى بما أنعم عليه من لما كيد الكفرة وذلك يكون في جملة المؤمنين من من
الانتفاع إليه بلاء وإنعام في كل حال لا أنها كيد الكافرين وقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يحتمل
الاستفتاح وجوها يحتمل الاستكشاف وطلب بيان الحق معناه إن تطلبوا بيان الحق فقد جاءكم بيان الحق
محمد صلى الله عليه وسلم والثاني يحتمل طلب النصر والمعونة فقد جاءكم النصر بمحمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون به وكذا قال القتيبي رحمه الله إن تستفتحوا أي تطلبوا
النصر والثالث يحتمل طلب الحكم بين الحق والباطل يقال فتح بكذا أي قضى به وحكم به وسمي القاضي فتاحا
وهو يخرج على وجهين أحدهما على طلب بيان الحق من المبطل والثاني على طلب بيان أحق الدينين بالنصر والحكم
وقد بين الله تعالى لهم أحق الدينين بما ذكر في القصة أن أبا جهل قال اللهم اقض بيننا وبين محمد صلى الله عليه
وسلم وقال اللهم أينا كان أوصل للرحم وأرضى عندك فانصره فنصر الله تعالى ذلك فنصر النبي صلى الله عليه وسلم
مع المؤمنين وأهلك أبا جهل وهو من المشركين فنزلت هذه الآية وقيل إن أبا جهل دعا فقال اللهم انصر
أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فكان ما ذكرنا بيانا لأحق الدينين وأعز الجندين والله الموفق
والرابع ما قيل إنهم كانوا يستفتحون بالعذاب وكان استفتاحهم ما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فجاءهم العذاب يوم بدر وقال الحسن رحمه الله الفتح القضاء
وكذلك قال قتادة ومعناه إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء في يوم بدر وهو قوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقوله تعالى وإن تنتهوا فهو خير لكم يحتمل قوله وإن تنتهوا أي انتهيتم
عما كنتم فهو خير لكم يغفر لكم كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل إن تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه
وسلم فهو خير لكم أي تنتهي محمد عليه السلام عن قتالكم وقوله تعالى وإن تعودوا نعد يحتمل وإن تعودوا إلى
قتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد إليكم بالقتل والأسر والقهر ويحتمل وإن تعودوا بعد البيان والكشف
إلى ما كنتم من قبل البيان من الكفر والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم نعد إلى الانتقام والتعذيب وهو
قوله وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقوله تعالى ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله
مع المؤمنين أي بالنصر والمعونة فإن قيل ذكر في قصة بدر ولن تغني عنكم فئتكم بين أن كثرتهم وقوتهم
لا تغنيهم وقد انهزموا يوم أحد الكثرة والعدة حيث ذكر أن الهزيمة كانت على المؤمنين قيل في هذا وجهين
أحدهما أن العاقبة الآخرة كان للمؤمنين وإن كان في الابتداء عليهم فلم يغن عنهم ذلك على ما ذكر لأنه لو كان
انهزامهم ذلك لكان لهم الابتداء والعاقبة والعز والغلبة للعاقبة والثاني أن الهزيمة والبلية لم تكن على المسلمين
إلا بالعصيان منهم بطريق المجازاة لهم بقوله ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم
وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون فما أصاب المؤمنين من النكبات إنما كان بسبب
منهم لا بالعدو فلم يكن مضافا إلى جندهم وقوتهم ولكن ابتلاهم الله تعالى بالمجازاة على صنيعهم

لهم في المستقبل لغيرهم والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله أي أطيعوا الله في أمره
ونهيه ورسوله في بيانه وفيما دعا إليه وقيل أطيعوا الله في فرائضه ورسوله في سننه وآدابه وقوله تعالى
ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أي لا تعرضوا عنه وأنتم تسمعون آياته وحججه وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي لا تكونوا في الإيمان والتوحيد والآيات كالذين قالوا سمعنا ذلك
وهم لا يسمعون أي لا يجيبون ولا يؤمنون ويحتمل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا قد سمعنا الآيات والحجج
وهم يسمعون أي لا ينتفعون بسماعهم ولا يعقلونه كالدواب وغيرها وقال أبو بكر الأصم ولا تسمعون
استثقالا أو بغضا أي لا يسمعونه لأنه لا أنه يستثقل شيئا أو يبغضه لم يسمعه وهو كقوله لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون والإشكال
من حيث اللغة أن كلمة التفضيل متى أضيفت إلى الجماعة فإن كانت الجماعة من جنس المفضل يضاف كلمة التفضيل
إلى الجماعة من غير كلمة من وإن كانت بخلاف جنس المفضل يضاف بكلمة من يقال هذا الفرس أعدى الأفراس
وخيرهم في الجنس ويقال لما في خلاف الجنس الفرس أعدى من الحمر ولا يقال الفرس أعدى الحمر وههنا أضاف
كلمة الترجيح وهي أفعل إلى الشر إلى خلاف الجنس لأن الكافر ليس من جنس الدواب فإنما عندنا الأعلاء واسم الحاصله
البهائم فرد دون بني آدم ومع ذلك لم يذكر كلمة من وتأويله والله أعلم من وجهين أحدهما أن كلمة من مضمرة
ومعناه إن الذي هو شر من الدواب عند الله تعالى هو الصم البكم الذين لا يؤمنون والثاني أن دابة الإضافة
إلى الجنس وهو جنس من يدب على وجه الأرض فلذا الناس أضاف الكلمة إليه بلا كلمة من ثم قوله الصم البكم يحتمل
وجهين أحدهما الذي لا ينتفع بسمعه والأبكم الذي لا ينتفع بلسانه ونطقه لأنهم لم ينتفعوا بسمعهم
لما جعل له النطق ولم ينتفعوا بعقلهم لما جعل لهم العقل فهم شر الدواب وهو كقوله أولئك كالأنعام بل هم أضل
وشر الأنعام والدواب انتفعت بجوارحها لما جعلت لها فإنها عرفت بها المهالك والمضار وتتقي عنها وعرفت الملاذ والمنافع
فرغبت فيها وتقع فانتفعت الدواب بهذه الجوارح لما جعلت لها إذ لم يجعل لها هذه الجوارح إلا بمقدار الذي استعملتها فيه
من دفع المضار وعلم المنافع الحاضرة وإذ لا عقل لها يتحرى معرفة العواقب فأما هؤلاء الكفرة لم ينتفعوا بجوارحهم
التي حصلت لهم لما جعلت إذ إنما جعلت لهم هذه الجوارح ليعرفوا بها المنافع لهم والملاذ في العاقبة بما يكون
الدنيا بما فيها نموذج الآخرة فعملوا الطاعات وعرفوا المضار لهم في العاقبة والمهالك فيتقوا عنها فلم ينتفعوا بجوارحهم
المجعولة لها والدواب انتفعت لذلك كانوا أضل وأشر من الدواب والله أعلم والثاني ويحتمل أن شر الدواب هم
الذين يكتسبونهم الدائم في الآخرة كقوله ونحشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما لما أحسنوا فيها ولم يعملوا
وتركوا السيئات البصر الدائم والسمع الدائم والنطق الدائم والعز الدائم وهو نظر القلب وسمع القلب ونطق
القلب فهذه هي الحواس التي تكون بالاكتساب وكذا أضدادها والكفرة لم يكتسبوا هذه الحواس الباطنة إنما لهم
الحواس الظاهرة التي يكون مثلها لسائر الحيوان والله أعلم وقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم الآية
قيل نزلت الآية في المردة من الكفرة كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الهداية وقد كانوا يأتيهم بآيات
قبل ذلك فلم يقبلوها فقال لو علم الله فيهم خيرا أن يقبلوا جواب المسائل التي سألوا لأوحى إليهم حتى يسمعوا لكن
علم أنه لو أسمعهم جواب ما سألوا فلم يقبلوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم نفر من بني عبد الدار واستدلت
المعتزلة بهذه الآية في الأصلح وقالت بأن الآية دلت على أنه قد أعطاهم جميع ما قد علم أنه خير لهم لكنهم لم يقبلوا
لأنه قال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فدل أنه لم يكن عنده ما يعطيهم إلا لو كان عنده من الخير ما يقبلون لأسمعهم
ولكن قال العلماء ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم فإنما نفى أنه ليس عندهم خير والكلام فيه إنما الكلام هل في عند الله
تعالى ما هو خير ومصلحة للكافر أم لا وليس في الآية بيان ذلك فعلى أن الوجه في الآية ما ذكرنا أي لو علم الله فيهم خيرا
لأسمعهم أي لو علم منهم أنهم يقبلون جواب ما سألوا لأوحى إليهم حتى يسمعوا ولكن علم أنهم لا يقبلون فلم يوح إليهم
شيئا ألا ترى أنه قال ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون أي يكونون تعنتا وتمردا منهم وأخبر أنهم كانوا سألوا سؤال
تعنت وتمرد لا سؤال التعنت وتمرد لا سؤال الاسترشاد وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
إذا دعاكم لما يحييكم قال بعضهم هذه الصلة قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين
لكارهون يقول والله أعلم استجيبوا لله وللرسول إذا دعوكم وإن كانت أنفسكم تكره الخروج لذلك لقلة عددكم
وضعف أبدانكم وقوة أعدائكم وكثرة عددهم فإنه إنما دعاكم إليه لما يحييكم بذلك أي يحييكم الذكر والشرف
والثناء الحسن في الدنيا والحياة الدائمة في الآخرة وإن متم وهلكتم فيما يدعوكم إليه من القتال ليكون لكم في ذلك
حياة الأبد ويحتمل أن يكون الآية في جملة المؤمنين أي استجيبوا لله في أوامره ونواهيه واستجيبوا للرسول فيما
يدعوكم إليه وإنما كان يدعو إلى دار الآخرة كقوله والله يدعو إلى دار السلام دار الآخرة فدار الحياة قال الله تعالى وإن

الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون كأنه قال والله اعلم استجيبوا لله وللرسول فانهما يدعوانكم الى ما تصيرون فيها الى الحياة التي لا موت فيها ولا يحيى بتركه الاجابة وقيل استجيبوا لله وللرسول بالطاعة في امر القتال اذا دعاكم لما يحييكم بالحرب التي احياكم الله تعالى بعد الذل بالعز وبعد القلة بالكثرة وبقوتكم بعد الضعف وكان الجهاد الحياة وقوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه• فيجعل القوي ضعيفا والضعيف قويا والعزيز ذليلا والذليل عزيزا والجبان شجاعا والشجاع جبانا والخائف امنا والامن خائفا فاجيبوا لله وللرسول بالخروج الى الجهاد فان كنتم تخافون لضعفكم وقلتكم والله اعلم ويحتمل ان جملة المؤمنين وذلك من وجوه احدها ان من اجاب لله وللرسول اذا دعاه لم يجعل قلبه هو الغالب على نفسه والحال بينه وبين ما يدعوه اليه قلبه والداعية الى ذلك فانه اليه تحشرون والثاني يحتمل ان يحول بين قلب المؤمن وبين الكفر ويحول بين قلب الكافر وبين الايمان والثالث يحتمل ان يكون الاية للتحريض على تعجيل التوبة اي اجيبوا لله وللرسول قبل ان يحال بين المرء وقلبه بالموت فلا تتمكنوا من التوبة والرابع يحتمل ان يحول بين المرء وقلبه بالاعمال التي يكتسبها من المعاصي فينشئ بسببها طبع قلبه وختمه اي يطبع على قلبه ويختمه وينشئ ظلمه بينه وبين ما يقصده وبين ما اليه فيكون الاية للزجر عن المعاصي والتنبيه والله اعلم وقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة• وهو العذاب في الاخرة يكون خازنها بالاتقاء عن النار بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين ويحتمل ذلك وحذف حرف الاجابة في الكلام على صورة قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بكسر الالف وطرح لا على ان معناه اذا جاءت يؤمنون فعلى هذا يكون وقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يحتمل وجوها احدها ما قيل اتقوا لا تكونوا فتنة للذين ظلموا كقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وحمله ايام فتنة لهم كفروا على ان يجعل العدو في الباطل على اهل الايمان ناصرين وهم معلومون ظنوا انهم على الحق والمؤمنون على باطل فذلك معنى قوله لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فيكون على هذا على الحق او على ما هم عليه من اتباع الظلمة وادنيهم بعضهم على بعض فيتبع منهم او انهم الظلمة ولا يتاب منهم على السيما البعث فالاتباع الظلمة يظنون بعضهم على بعض وذلك معروف فيما بينهم في الفتنة فيكون هؤلاء الاتباع فتنة لاولئك الظلمة بين الخلق والظلمة ان يعوق الاتباع بعضهم على بعض فيحقق الفتنة فيكون ذلك فتنة اذ بذلك يقوم الفتنة بين الظلمة والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى جعل الفتنة في بعض الاحوال للخلق من سعة وخصب ومرة قحطا وضيقا ومرة ظلمة الاعداء على اهل الايمان ومرة توفيق الظلمة بترك من ترك الكلام من اهل الصلاح ما لو يجد المشاركة منهم الظلمة في الظلم ولو ان اهل الصلاح يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاذا اشار اهل الصلاح الظلمة في الظلم وامتنعوا عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركهم اهل الفساد على الفساد والظلم فيما صنعوا قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم واهل الصلاح بتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يصيبهم البلاء والعذاب يصير اهل الصلاح خاصة اترك اهل الصلاح الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يصيبهم البلاء والعذاب فتنة الظلمة ثم يصيبهم البلاء بسبب اجتماع اهل الصلاح من الاخذ على ايدي الظلمة ومنعهم اياهم على ذلك كان لا يصيبهم العذاب فاعرفوا ان الفتنة ومن هو الفتنة واتقوا علمهم ومقتهم ويسلط الله الفتنة عليهم وقيل ان الفتنة على وجهين احدهما الجزاء على الاعمال وهي لا تاخذ الا من استحقها والثانية ما بلي الاشتراك فيه المحن والاخذ من وقوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم• الاية قال اهل التاويل ان الاسلام في ابتداء الامر كانوا قليل العدد مستضعفين عند الكفرة حتى كانوا يخافون ان يتسلط الكفرة او يخرجوهم كافة لا يامنون على انفسهم والمقام في البلدان لقلة عددهم وضعفهم خوفا على انفسهم فتركوا المقام في البلدان وخرجوا الى الجبال والغيران فاواهم فيها والكلاء لخيس طعاما لهم ايامهم اخرجوا على انفسهم واشفاقا على انفسهم ثم ان الله جعل لهم في البلاد الامصار وايدهم ونصرهم على الاعداء ورزقهم من الطيبات طعاما البشر ليلزمهم الشكر على ذلك فيشكروا فذلك قوله فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ذكرهم الله اهلهم هذا الذي يكون في هي من الاشفاق في الدين مثل ما لبثت حين اختاروا ما ذكروا من المخرج الى الجبال والغيران بيوتا واتخاذ الخيس طعاما وتركهم الملاء وبيوتهم وبلادهم ليسلم لهم دينهم وقال عامة اهل التاويل نزلت الاية في اهل بدر كانوا قليل العدد والعدة ضعفاء الابدان والعدو كثير العدد قوي الابدان فاستدعي عليهم الخروج الى القتال منهم لما ذكر الله تعالى بقوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الى قوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فكيف كان القصة فقالوا الاية فاذكروا والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا

اذ انتم قليل مستضعفون فاذ كنتم قليلا لا في حال نزول الاية لم تكونوا قليلا لانه انما ذكر هذا الانعام عليهم لاظهار المنة والنعمة وفيه دلالة العقل لا في حقيقة رضي لمن قال هذا الشي لفلان اشتريته منه صدق وتصديق كانه قال هذا الشي كان لفلان اشتريته منه كما في قوله واذكروا اذ انتم قليل اي اذ كنتم والله اعلم وقوله تعالى وايدكم بنصره• على هذا التاويل كان في ايام الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات الغنائم لعلهم رزقهم واحل لهم والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم• جعل الله تعالى هذه الامة وسطا عدلا كما قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فكانه قال يا ايها الذين آمنوا قد جعلكم امة وجعل امة عدلا امناء فلا تخونوا الله فيما اتاكم من الشهادة وهو قوله يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم وقال ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى ويحتمل ان يكون المراد منه النهي عن الخيانة فيما حملتم من الامانة التي ذكرها في قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه جاهل بما الزم البشر الامانة يعدون لما ذكر من الخلائق ثم منهم من ضيع في تلك الامانة من المنافقين والمشركين فخانوا فيها فلحقهم الوعيد بالتضييع وهو قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وقال في المؤمنين ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات لان خيانة المنافقين والمشركين في الدين وخيانة المؤمنين في اصابتهم فوعدهم التوبة على خيانتهم فرقا في الامانة لهم في الدين فكانه قال يا ايها الذين آمنوا انكم قد قبلتم امانة الله تعالى فلا تضيعوها ولا تخونوا فيها وهو كما قال اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وغير ذلك من الايات التي فيها ذكر الامانة والعهد والميثاق والله اعلم ويحتمل وجها اخر كانه قال يا ايها الذين آمنوا ان انفسكم واموالكم لله تعالى وهي عندكم امانة واستحفظكم فيها فمن استعملها في غير ما اذن له صار خائنا فيها فامنوا انما فعلى ذلك انفسكم واموالكم لله تعالى عندكم امانة استحفظكم فيها فان استعملتم في غير ما اذن لكم خنتم الله تعالى والرسول حكينا لتسالكم فيها فخنتم فاماناتكم التي لكم عند الله تعالى وقال بعضهم وتخونوا اماناتكم التي فيما بينكم وعن ابن عباس رضي قال الامانة هي الاعمال التي امن الله تعالى العباد عليها يعني الفرائض فقال لا تخونوا اماناتكم اي لا تنقصوا واصله ان الله تعالى انما امتحن العباد وكلفهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم مصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كانهم خانوا انفسهم وخانوا اماناتهم وهو كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اي فعليها وقوله وانتم تعلمون• يخرج على هذه الوجوه من التاويل اي وانتم تعلمون ان انفسكم واموالكم ليست لكم انما هي لله عندكم او انتم تعلمون ان الخيانة فيما امتحنكم خيانة على انفسكم وتاخذ للاثم اختلف اهل التاويل في نزول الاية قال بعضهم نزلت في ابي لبابة على ما قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر قريظة فسالوا الصلح على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات فابى النبي صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على الحكم فابوا فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم فارسل النبي صلى الله عليه وسلم ابا لبابة لينزلوا على حكم محمد صلى الله عليه وسلم فاشار بيده ان الامر انما على الحكم فاطلعوا وكان ماله في بني قريظة وولده معهم فخان الحكم فنزلت الاية في شانه وقال بعضهم نزلت الاية في حاطب بن ابي بلتعة وكان منه مثل فعل ابي لبابة وقيل نزلت في شان قوم بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد لكنا لا ندري في شان من نزلت وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيها ما ذكرنا من النهي عن الخيانة في امانة الله تعالى والامر بحفظها والله اعلم وقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة• اي لم يعطهم الاموال والاولاد لعبا وباطلا ولكن الاموال والاولاد ولكن اعطاهم محنة وابتلاء وكذلك جميع ما انشا في الدنيا من الاشياء انما انشا لنا فتنة ومحنة لا لا عيانها كقوله ونبلوكم بالخير والشر فتنة وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات وغيرها من الايات فعلى ذلك قوله انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة وابتلاء والمحنة في الاولاد ما جعل من الاباء من انواع التاديب والتعليم والحفظ واداء الحقوق لهم عليهم وهو كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا الاية واوجب في الاموال الحقوق امتحانا بتلك الحقوق التي جعل فيها وكذلك في جميع ما ذكر الله تعالى الخلائق بامور ونهاهم انما امرهم لمنفعة الخلائق ودفع الضرر عنهم لا لمنفعة نفسه او لحاجة او لدفع ضرر عن نفسه اذ له ما في السموات والارض وهو الغني بذاته عن ان يمسه حاجة او يلحقه ضرر تعالى عن الوصف بذلك وقوله تعالى وان الله عنده اجر عظيم• وعدلهم الاجر العظيم اذا قاموا بوفاء ما امتحنهم وابتلاهم في الاموال والاولاد ويحتمل وان الله عنده اجر عظيم لمن لم يخن الله والرسول وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا• قال بعض اهل التاويل قال ان هذه الاية صلة ما سبق

من الأمر بالجهاد ببدر والخروج إليه كأنه قال يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله أي أطعتم الله وأجبتم لما دعاكم
إليه من الخروج إلى الجهاد يجعل لكم فرقانا أي يجعل خروجكم له وجهادكم معهم أنه يعرف بها الحق والباطل
ويظهر بها المحق من المبطل كقوله ويريد الله أن يحق الحق بكلماته وقال ليحق الحق ويبطل الباطل فكان بحمد الله ذلك
فظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل ويحتمل أن تجري الآية على إطلاقها أي إن تتقوا الله تعالى فيما أمركم بالتقوى
عنه يجعل لكم فرقانا قيل مخرجا في الدين من الشبهات وقيل مخرجا في الدنيا والآخرة ويحتمل فرقانا أي بيانا أن جعل الله
تعالى التقوى مشتملا على كل خير وأصلا لكل بر وصيرها مخرجا من كل شبهة ومن كل ضيق وشدة وجعله سببا
يتوصل به إلى كل لذة وسرور وبيانا له كل خير وبركة على ما ذكر في غير آي من القرآن وقوله تعالى ويكفر عنكم سيئاتكم
أي سيئاتكم التي سبقت ويغفر لكم أي يستر عليكم ذنوبكم لا يطلع أحدا عليها وهذا من أعظم النعم أصل المغفرة
الستر وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم أي وهو أهل الفضل أي يعطيكم خيرا مما تطمعون منه بالتقوى
بالتقوى التي ذكر وقوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك • من الناس من قال
إن هذه الآية صلة قوله واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض الآية كانوا ضعفاء أذلاء بين الكفرة
خائفين على أنفسهم منهم فهموا أن يمكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم والمكر به ما ذكر من القتل والإثبات
وهو الحبس والإخراج كأنهم تشاوروا فيما بينهم واستشاروا ما يفعل بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر في القصة
أن بعضهم أشار إلى القتل وبعضهم إلى الحبس وبعضهم إلى الإخراج فكان مشاورتهم وآراؤهم راجعة إلى
هذه الوجوه أما القتل وأما الحبس وأما الإخراج ثم إن الله تعالى أخرج رسوله عليه السلام من بين أظهرهم على الوجه
الذي يكون مطيعا لله تعالى متعبدا له حيث كان خروجه بأمره حتى يكون خروجه على غير الجهة التي أرادوا
به وسمي خروجه هجرة كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ورد العقبيهم والاستذلال والاستخفاف به بالخروج
بإخراجهم والثاني يحتمل جعل خروجه من بين أظهرهم مع حفظهم إياه لأعدائه ما قصدوا به من القتل والإخراج بطريق الإذلال
والذل وعلمه بكيدهم ومكرهم بأنه من آيات الله تعالى برسالته إذ إنما تشاوروا ذلك فيما بينهم على طريق الإخفاء
فيكون علمه بذلك بالله تعالى حتى يكون له آية الرسالة عند مفارقته إياهم كما كان لهم الآيات وقت مقامه بين أظهرهم
تأكيد الحجة عليهم وهو كما قال لعيسى عليه السلام إذ تعقبت مقامه بين أظهرهم غضا أنا نصنع عند مفارقته
وهو الرفع من بين أيديهم وإبقاء شبهه على غيره فعلى ذلك الأول فهم وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا إلى ما ذكر
بيان نعم الله على رسوله عليه السلام وعلى أصحابه رضي الله عنهم لأنه وأهله آمنين بعدما كانوا خائفين منهم ولأنهم
المدينة بعدما كانوا في الغزاة والجبال ورزقهم الطيبات طعام البشر بعدما كانوا يتناولون من طعام البهائم
والسباع كما ذكر في الآية الأولى فذكر في هذه الآية نعمه عليهم باستنقاذه إياه من بين ظهرانيهم والحيلولة
بينه وبين ما قصدوا وهموا بالمكر والهلاك وقوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين • قال
بعضهم أرادوا أن يمكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم شرا وهموا أن يطفئوا النور ليذهب هذا الدين وقد
أتاه وأراد الله تعالى أن يسلم منهم نفرا ليكونوا أهل ثناء وأنصار الله ليأخذ حظهم لذلك وهو خير الماكرين
وقيل ويمكرون ويمكر الله أي أرادوا قتله فقتلهم ببدر وأحل بهم ما هم أحلوا به بمحمد صلى الله عليه وسلم
وهو خير الماكرين أي أفضل مكرا منهم حيث غلب مكره مكرهم فكان ما أراده دون ما أرادوا به وقال بعضهم
ويمكر الله أي يجزيهم جزاء مكرهم وقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا • يحتمل آياتنا آيات القرآن كان
يتلو رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ويحتمل حججه وبراهينه التي توجب الوعيد وقصص الأنبياء والرسل
عليهم السلام بعد ما تذكرها قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قالوا ذلك متعنتين إذ كان يقرع
قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقوله قل فأتوا بسورة من مثله
الآية ثم لم يطع أحد منهم أن يأتي بمثله ولا يتكلف في ذلك فدل أن قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا تعنت وعناد
وقوله تعالى إن هذا إلا أساطير الأولين إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء • الآية لم يبالوا بإهلاك أنفسهم لشدة سفههم وبغضهم الحق ولهذا ذكر والله أعلم ليعلم النبي
ما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاء هؤلاء السفهاء الذين بالله وما تحمل من المؤن العظيمة ثم
فذكر قول السفهاء ودعاءهم بالأمطار بالحجارة عليهم وجعل ذلك كتابا يتلى في الصلاة وغيرها
أوجه ثلاثة من الحكمة أحدها ما ذكرنا من بيان ما لحق النبي صلى الله عليه وسلم منهم والثاني تعليم هذه
الأمة المعاملة مع السفهاء عند ارتكاب المناكير من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنهم إذا تمادوا في
عنهم واستقبلوا بالمكروه والأذى أن لا يتركوا لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤيسوا من خيرهم
اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يترك دعاءهم إلى الحق وأمرهم بالمعروف مع شدة سفههم وغاية

تعسهم وتمردهم والثالث بيان للخلق أن نجاة الأنبياء بلزومهم [illegible]
[illegible] أنفسهم العذاب [illegible] وقوله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم • يحتمل قوله وأنت فيهم هذا خطاب الرسول عليه السلام وأراد به هو [illegible]
من أمته كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء [illegible]
في الدنيا ما دام [illegible] وهو كما ذكر وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون [illegible]
الصلاة سبب المغفرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون [illegible]
ابن عباس رضي الله عنهما [illegible]
[illegible]
قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وقد ذهب أمان وبقي
أمان وهو الاستغفار وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الله تعالى جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين
من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم فأمان قبضه الله إليه وأمان بقي فيكم وهو الاستغفار وقد يحكى عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا في آخر سجوده في صلاة الآيات فقال أف أف
ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون وعن بعضهم أمانان أنزلهما
الله تعالى أما أحدهما فقضى وهو نبي الله عليه السلام وأما الآخر فأبقاه الله تعالى بين أظهركم وهو الاستغفار والتوبة
ثم إن المعتزلة تعلقت بظاهر قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي يستغفرون ولا يعذبهم ما دام
يعلم أن فيهم أحدا يؤمن في آخر عمره [illegible] أنه لا يجوز لله تعالى أن يهلك أحدا إذا كان في علمه أنه يؤمن
في آخر عمره بقي لهم فيه الأصلح لأن الله لا يفعل بخلقه إلا ما هو الأصلح لهم في الدين هذا التأويل فاسد لأنه لو كان
الأمر كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم لما يسقط الأمر بالقتال إذ كل فيهم من يسلم وقد أمر بالجهاد والقتال
معهم دل أن ذلك ليس على ما توهموا والله أعلم وقوله تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
أي ما لهم من عذر يدفع العذاب عن أنفسهم وقد كان منهم من أنواع ما لو كان واحد من ذلك كانوا يستوجبون
العذاب من تكذيبهم الرسول وردهم الآيات التي يسألونها إليهم وصدهم الناس عن المسجد الحرام وهو مكان العبادة
وسؤالهم العذاب بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء الآية أي ليس لهم عذر يدفع العذاب عن أنفسهم والاحتجاج
على الله تعالى أنه لو لم يرسل رسولا لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك بل أرسل إليهم الرسول فكذبوه وكذبت
إليهم الآيات فكذبوا بها وصدوا الناس عن المسجد الحرام فلا عذر لهم بوجه من الوجوه فإنما صرف العذاب عنهم إلا أن الله
تعالى بفضله ورحمته صرف العذاب عنهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفار المؤمنين وإلا فكان منهم
جميع أسباب العذاب ثم قوله وهم يصدون عن المسجد الحرام يحتمل أنهم يصدون الناس عن الصلاة فيه ويحتمل
أن يكونوا صدوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن لا يروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتبعوه لكنه
ذكر المسجد الحرام لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان فيه فيكون يتضمن التحول في المسجد الحرام قصدا من النبي
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما كانوا أولياءه • يحتمل أن يكون صلة قوله ليصرف العذاب عنهم بسبب
الولاية ويحتمل ما قيل أنهم كانوا يصدون الناس عن المسجد الحرام لما ادعوا أنهم أولياء الله تعالى فأخبر تعالى
أنهم ليسوا بأوليائه إنما أولياؤه المتقون أي الذين يتقون ما ذكرنا أولياؤه الموحدون لا الذين أشركوا معه
في عبادته وألوهيته وقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية • قال بعضهم كان ذلك
الذي هم عليه حال الصلاة فإذا كان صلاتهم مكاء وتصدية فكيف حالهم في غير الصلاة وقال بعضهم كان النبي عليه السلام
وأصحابه رضي الله عنهم إذا صلوا في المسجد الحرام يقوم طائفة من المشركين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم
يصفرون كما يصفر المكاء وطائفة يقوم عن يسارهم يصفقون بأيديهم ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم
صلاته وأصحابه رضي الله عنهم صلاتهم ثم اختلف في المكاء والتصدية قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق والتصدية

قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق والتصدية هو طوافهم على الشمال وقال القتيبي رضي المكاء الصفير يقال مكا يمكو
اي صفر وصوت والتصدية التصفيق يقال صدى اذا صفق بيديه وقال ابو عبيدة رضي المكاء الصفير
والتصدية تضرب باليدين وهو من الصدى وهو الصوت وقيل المكاء هو صفير كان اهل الجاهلية يلعبون
به والتصدية الصد عن سبيل الله ودينه وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. قال بعض اهل
التاويل فذوقوا العذاب يوم بدر يعني الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر ويحتمل قوله فذوقوا العذاب
بكفركم في الدنيا وقوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية يذكرهم النعم التي
انعمها عليهم من انواع النعم احدها ما انهم في بقعة تخصب وفضلت على غيرها من البقاع وهي مكان العبادة ثم
صدوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها ومن ذلك بعث الرسول منهم نبيهم فكذبوه وما اطعمهم واعطاهم
من الاموال فانفقوها في الصد عن سبيل الله ثم اختلفوا في منع الصد قال بعضهم ان كفار قريش استاجروا
لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر رجالا من قبائل العرب عونا لهم فذلك نفقتهم التي انفقوا فصار
ذلك حسرة عليهم لما كانت الهزيمة عليهم فذلك قوله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه سئل عن هذه الاية فقال تلك قد خلت ناسا في الجاهلية كانوا يعطون ناسا اموالهم يقاتلون
بها النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا لعلمها فطلبوا فكانت حسرة عليهم وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه نزلت
الاية في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم
ويحتمل قوله ثم تكون عليهم حسرة في يوم القيامة او النفقة التي انفقوها يصير حسرة عليهم في الاخرة لما انفقوها
في غير حل للصد عن سبيل الله وقوله تعالى والذين كفروا الى جهنم يحشرون. اي يجمعون الى جهنم بكفرهم بالله
وقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب. جعل الله الخبيث مختلطا بالطيب في الدنيا في سمتهم ونصرهم ونطقهم
وجميع جوارحهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم وجميع منافعهم وغيرها ثم ميز بين الطيب والخبيث في
الاخرة باعلام يعرف بتلك الاعلام الخبيث من الطيب من نحو ما ذكر في الطيب وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة وقال وجوه يومئذ مسفرة وقال في الخبيث ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال ومن اعرض عن ذكري فان له
لمعيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى ونحو ذلك من الايات يميز بين الخبيث والطيب بهذه بالمناهل التي
جرت بين ابي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ابو جهل لعنه الله اللهم انصر من هو اهدى سبيلا كذا وقسما
وافصل بينهما فاجيب فنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي فميز بين المحق والمبطل ويحتمل ان يكون
من التمييز في الاخرة كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله تعالى ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا فيجعله في جهنم. هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعل لهم دركات بعضها اسفل من بعض كقوله ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويحتمل ان يجعل بعضهم على بعض مقرنين في الاصفاد وقوله فيركمه
جميعا قيل يجمعه ويحتمل ان يكون هذا اخبارا عن الضيق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقال القتيبي
فيركمه جميعا اي يجعله ركاما بعضهم فوق بعض وقال ابو عبيدة رضي يقال ركمت المتاع اذا جعلت بعضه
فوق بعض وقوله فيجعله في جهنم هو المكان الذي يجمع اهل النار فيه للعذاب وقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف. ذكر الله تعالى غاية كرمه وجوده لما وعد لهم من المغفرة ما صنعوا وما كان منهم من الاشراك
في الوهيته وصرف العبادة الى غيره وصد الناس عن عبادته وطاعته ونصب الحروب له نصبوها بينهم وبين
المؤمنين وغير ذلك من انواع القبائح مع وجودها الاشياء ونحوها منهم بالانتهاء عنها التعلم غاية كرمه
وجوده ثم المغفرة يحتمل التجاوز والتغطية وعنهم ما كان منهم لا يواخذهم بذلك ويحتمل ستر عليهم مساويهم
التي كان منهم ولا يذكروا ذلك لانهم لو ذكروا ذلك يتنغص عليهم النعم وفي الاية دلالة نقض قول المعتزلة
فان بين الكفر والايمان واسطة ومنزلة ثالثة لان الله تعالى اخبر انهم ان انتهوا وعادوا عن الكفر غفر لهم
ما قد كان منهم وان كانوا منتهين عن الكفر بالايمان ولم يجعل بين الكفر والايمان منزلة ثالثة وهم يجعلون
بينهما منزلة ثالثة ويقولون ان من ارتكب كبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر فجعل المنزل لانه لو
الايمان لو كان بينهما منزلة ولا ينتهون عن تلك المنزلة ينبغي ان لا يغفر لهم على قولهم فدل ما ذكر من المغفرة
على ان ليس بينهما منزلة ثالثة ولكن اذا انتهوا عن الكفر دخلوا في الايمان وفي الاية دليل نقض من يقول
بان على الكافر فعل العبادات من نحو الصلاة والزكاة والصيام لانه ذكر الانتهاء الانتهاء عما كان منهم لم
العبادات القيام بقضائها فاذا ما تركوا فيما لم يجب عليهم اداء شيء من ذلك دل انه لم يكن عليهم في حال كفرهم فعل
تلك العبادات انما عليهم اعتقادها اذ لو كانت عليهم لكان لا الانتهاء عنها بقضائها كقوله عليه السلام من نام

عن صلاة او نسيها فعليه ان يصليها اذا ذكرها واسقط عنه ذلك كفارة وكذلك تاويل قوله فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ليس على الفعل ولكن على الاعتقاد اذ لا سبيل الى القيام بفعل
ما ذكر الا بعد وجود وقت طويل والله اعلم وقوله تعالى فان يعودوا فقد مضت سنة الاولين.
قال بعضهم وان يعودوا الى الكفر بقتال محمد عليه السلام بعد ما انتهوا عنه فقد مضت سنة الاولين
ثم العود يحتمل وجهين احدهما ان الكفر حكم التجدد في كل وقت فيكون العود فيه باتيان مثله بعد الحال ضده
ويحتمل انه ذكر العود فيه لدوامهم فيه بمعنى قوله وان تعودوا وانتم عليه فذلك جائز في اللسان كقوله
يخرجهم من الظلمات الى النور ابتداء اخرج من غير ان كانوا فيه وقوله رفع السموات بغير عمد ابتداء من غير ان
كانت موضوعة فرفعها من بعد ضلى في اللغة ثم قوله فقد مضت سنة الاولين قيل القتال والقتل
والهلاك الذي كان وقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة. قيل الفتنة الشرك اي قاتلوهم حتى لا يكون
الشرك ويكون الدين كله لله ويحتمل قوله حتى لا تكون فتنة اي محنة القتال في الاخرة كانه قال قاتلوهم
الى الوقت الذي يرتفع المحنة وهو يوم القيامة وعند لا له ترتفع الجهاد الحي فهم الدين وقوله تعالى ويكون الدين كله
لله. يخرج على وجهين احدهما اي يكون الدين الذي هو الدين الحق الذي بعث الرسل عليهم السلام وانزل
الكتب بالدعاء اليه كله لله ويحتمل ان يكون الحكم كله لله كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي
في حكمه وقوله تعالى فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير. ظاهر وقوله تعالى وان تولوا فاعلموا ان الله
مولاكم. قيل ناصركم وقيل المولى المالك وقيل مولاكم اي هو اولى بكم وقوله تعالى نعم المولى ونعم النصير
اي نعم الناصر والمعين وقيل نعم النصير لانه لا يعجزه شيء وقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول الاية. قال اهل التاويل ان الغنيمة هي التي اصاب المسلمون من اموال المشركين بالقتال عنوة
والفيء ما يعطونه بايديهم صلحا ويأخذ الامام الخمس من الغنيمة ويقسم الباقي بين الغانمين والفيء
الامام فيضعه في مصلحة المسلمين ولا خمس فيه وقال بعضهم الغنيمة والفيء واحد في قوله واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية ذكر الخمس ولم يذكر الاربعة اخماس انها لمن لكن المقاتلة بقوله عز وجل
فكلوا مما غنمتم حلالا فكانت الغنيمة كلها لمن غنمها بظاهر هذه الاية الا ما استثنى الله بما تلونا من الاية
وهو الخمس وعلى ذلك اجمع عليه اهل العلم وتواترت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته
من بعده رضي موفرة عليهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن المال يعني الغنيمة قال لله
خمسه والاربعة اخماسه لها ولا بعض المسلمين وفي رواية انه قال خمسه لله تعالى واربعة اخماسه لمن والاه
وروي انه قسم الاربعة اخماس بين المقاتلة وعن عرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
وبرة فقال ما لي من فيئكم هذه ما لي منه الا الخمس فادوا الخيط والمخيط فانه عار ونار وشنار على صاحبه يوم
القيامة وعن عمرو بن شعيب في حديث طويل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده
لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا لو كانت غنائمكم مثل شجر تهامة لقسمتها بينكم وما لي فيها الا الخمس
والخمس مردود فيكم وفي بعض الاخبار عن المقداد ابن الاسود رضي قال كان ابو الدرداء رضي الله عنه وعبادة بن الصامت
والحارث بن معاوية رضي جلوسا فقال ابو الدرداء انكم تذكرون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعير من
المغنم فقال عبادة رضي انا احدث فقال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعير من المغنم فلما انصرف تناول وبرة من
البعير فقال ما يحل لي من غنائمكم ما تزن هذه الا الخمس ثم هو مردود فيكم وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال
كانت الغنائم تجزأ خمسة اجزاء ثم يسهم عليها فما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له لا يتخير وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وعن ذلك من الاخبار
وعلى ذلك اتفاق الامة ثم تكلم اهل العلم في كيفية الخمس عن ابن عباس رضي قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة
اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على اربعة فربع لله تعالى وللرسول عليه السلام ولذي
القربى يعني قرابة النبي عليه السلام فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله
عليه وسلم من الخمس شيئا والربع الثاني لليتامى والربع الثالث للمساكين والربع الرابع لابن السبيل
وهو الضيف الضعيف الذي ينزل المسلمين وكذا روي عن عكرمة وابن نعيم رضي الله عنهما انه يقسم الخمس
على اربعة اسهم سهم لله تعالى وللرسول عليه السلام ولذي القربى سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم
ولابن السبيل سهم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي انه قال كان يقسم الخمس على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لله تعالى وللرسول سهم ولذي القربى سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل
سهم قال ثم قسمه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على ثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وبذلك اخذ

قتادة رض ان الخمس يقسم على الخمسة المذكورين في الآية ومنهم من يقول يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يجعل
في ستر الكعبة وسهم لرسوله عليه السلام ينتفع به واربعة اسهم لمن ذكر في الآية وحكي هذا رواية عن ابي العالية
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيضرب بيده فيما وقع فيها من شيء جعله للكعبة وهو
الذي لله تعالى ثم يقسم ما بقي على خمسة فيكون للنبي عليه السلام سهم ولذي القربى سهم ولليتامى سهم وللمساكين
سهم ولابن السبيل سهم ومنهم من يقول يقسم على خمسة سهم لرسوله عليه السلام واربعة اخماس لمن غنم ومنهم من قال
يقسم على اربعة سهم لرسوله عليه السلام وثلثة ارباعه لمن غنم وعن جابر بن عبد الله انه سئل كيف يصنع النبي
صلى الله عليه وسلم بالخمس قال كان يحمل منه في سبيل الله للرجل ثم الرجل ثم الرجل وعن عطاء انه قال كان
يعطي منه من جاءه من المستحقين ولا يقسمه خمسة اخماس وفي رواية عنه انه قال كان يحمل النبي صلى الله عليه
من الخمس في سبيل الله ويعطي منه لمن يأتيه من القوم فلما كثر المال جعل في غير ذلك وعن عطاء رضي الله عنه
قال الخمس لله تعالى فان لله خمسه ان خمس الله خمس رسوله واحد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل منه
ويصنع فيه ما يشاء والمختار عندنا ما قال جابر رض انه يصرف الخمس الى المستحقين والفقراء ممن سماهم الله تعالى
على حسب ما اتفق ولا يجب ان يعمد لكل فريق ممن سماهم الله تعالى ويعطي فقراء قرابة النبي عليه السلام كفايتهم
دون الاغنياء منهم وتقدم فقراء قرابته على غيرهم ويجاوز عن الخمس لمن لا حظ لهم من الصدقات كما روي عن
غيرهم وعن الشعبي رض انه قال في قوله فان لله خمسه هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة وكذا روي عن محمد بن
الحنفية رض قال هذا مفتاح كلام ليس لله فيه نصيب لله الدنيا والآخرة ثم اضاف الخمس الى الله تعالى تحميدا
لمن هو المحل ذلك لاقامة العبادات وانواع البر والخيرات والقرب التي هي لله تعالى وكذلك سمى الكعبة بيت الله
وان كانت الاشياء كلها لله تعالى لما جعلها موضعا لاقامة العبادات وانواع القرب فاضيف ذلك الى الله تعالى لذلك
فعلى ذلك يحمل اضافة ذلك السهم اليه لما قلنا وهذا دليلنا في ان الخمس يصرف في وجوه البر والقرب الى الله تعالى
حيث اضاف الى نفسه بقوله فان لله خمسه وحقيقة الاضافة تكون في الخمس لكل الصرف الى وجوه القرب لله تعالى ثم
فسر الله تعالى تلك الوجوه فقال وللرسول ولذي القربى الآية فكانت تسمية هذه الاصناف فيما الله تعالى اعلم بيانا
لنا ان الخمس يصرف الى من ذكر من اهلها دون غيرهم وليس ذلك بايجاب منه لكل صنف منها شيئا معلوما ولكن
على بيان الاهل في الموضع وتعيين المصرف وهو كما قلنا في قوله تعالى انما الصدقات للفقراء انه لبيان الاهل والمصرف
حتى لا يجوز الصرف الى غير هؤلاء لا لبيان الاستحقاق لهم بالسوية حتى يكون لكل صنف منهم شيئا معلوما
محدودا ولكن يعطى كل فريق على قدر حاجته او يعطي فريق واحد كيف ما رأى الامام المصلحة في ذلك فكذلك
امر الخمس ولا نعطي الاغنياء منهم لان ذلك لا يجري مجرى الصدقة ولا مجرى القربة والدليل على ما ذكرنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى منه بعض القرابة وحرم بعضها ولو كان حقا لجميع القرابة غنيهم وفقيرهم
لقسم فيهم ذكرهم والاربعة الاخماس بين المقاتلة غنيهم وفقيرهم ولم يحرم بعضهم وقد روي عن جبير بن مطعم
قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب اتيته انا وعثمان فقلنا
يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله تعالى فيهم ارأيت بني المطلب اعطيتهم
ومنعتنا انما نحن وهم منك بمنزلة فقال عليه السلام انهم لم يفارقوني في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم
وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه والدليل عليه فعل عمر رض فانه روي عن ابن عباس رض انه قال
كان عمر يعطينا من الخمس فقال لعمر رض انما جعل الله تعالى الخمس لاصناف سماها فاسعدهم بها اكثرهم عددا واشدهم
فاقة فاخذ ذلك ناس وتركه ناس وكذلك روي ان نجدة كتب الى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربى لمن
هو فكتب اليه ابن عباس رض كتبت تسألني عن سهم ذوي القربى لمن هو وهو لنا اهل البيت وقد كان عمر رض دعانا الى ان ينكح
منه ايمنا ويخدم منه عائلنا ويقضي منه عن غارمنا فابينا الا ان يسلمه لنا فاتى ذلك علينا فذلك فعل عمر رض على
التأويل بان الخمس عنده كان ما قلنا ان القرابة يعطون من الخمس ما يستحقون به فاقتهم اذ كان سبيل الخمس
انه لله تعالى يعني انه يصرف في وجوه القربة اليه لا انهم يعطون بطريق الاستحقاق اذ لو كان كذلك لاعطى غنيهم وفقيرهم
جميع الخمس ومما يدل ايضا ان ذلك لاهل الحاجة منهم دون الكل انه كان يزوج الايامى من القرابة من الخمس
دون ان يعطي اليهم روي عن المطلب بن ربيعة بن الحرث انه قال انطلقت انا والفضل بن العباس باذن
ربيعة بن الحرث والعباس بن عبد المطلب الى رسول الله صلى الله عليه فلما سبقناه الى الحجرة قمنا عنده
حتى جاء واخذنا بيده ثم قال اخرجا ما تصرران ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال
ثم تكلمنا فقلنا يا رسول الله صلى الله عليك انت ابر الناس واوصل وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا
على هذه الصدقات فنؤدي اليك ما يؤدي العمال ونصيب ما يصيبون فمكث طويلا حتى اردنا ان نكلمه

ثانيا حتى جعلت زينب تلمع الينا من وراء الحجاب ان لا تكلماه ثم قال الا ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد عليه السلام انما هي
اوساخ الناس وفي رواية ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد عليه السلام انما هي اوساخ الناس ادعوا الي محمية بن جزء وكان
على الخمس ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب فجاءاه فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل فانكحه وقال لنوفل
انكح هذا الغلام ابنتك فانكحه ثم قال لمحمية اصدقهما من الخمس كذا وكذا والدليل على ان ذا القربى يعطون على
سبيل الحاجة كما يعطى غيرهم من المسلمين ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في خبر حين قال ما لي من هذا المال الا الخمس
والخمس مردود فيكم على المسلمين جميعا بقوله والخمس مردود فيكم فلم يخص القرابة بشيء منه فدل ان سبيلهم
سبيل سائر المسلمين يعطى من يحتاج منهم كفايته وعلى هذا ايضا مضى امر الائمة الراشدين على ما روينا
عن ابن عباس رض عنهما ولم ينكر عليه احد ممن ولي الامر ولا يجوز مخالفة هؤلاء الائمة فدل انهم علموا ان التأويل
في الخمس ما ذكرنا والدليل انه لا حق للاغنياء من القرابة قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله و
للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم فوجب بظاهر
الآية قطعا علما ان لا يكون للاغنياء من القرابة وغيرهم فيه حق وتبين ذلك ان الله تعالى قال في اثر هذه الآية
للفقراء المهاجرين فذلك ان الاغنياء لا يستحقون شيئا لفقد الخمس من الغنيمة والله اعلم والوجه الثاني
في اضافة الخمس الى نفسه هو قوله فان لله خمسه انما اضاف ذلك الى نفسه خصوصية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ كان الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا من الاحاديث وكذا الفيء ما روي عن عمر رضي الله عنه
كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله وكانت له خالصة وكان ينفق منها على اهله نفقة سنة وما بقي
جعله في الكراع والسلاح وفي رواية عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع احواله وامور دنياه لله
لم يكن لنفسه ولا لاحد من الخلق فعلى ذلك الجميع ماله وما كان يحويه يده لم يكن له انما كان ذلك في الصالح لله تعالى
يصرف ذلك في انواع البر والقرب واليتامى والمساكين وابن السبيل الاحياء منهم والاموات والبعيد والقريب
جميعا الا ترى انه قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فهذا يدل على ان ما تركه صدقة ولا يورث
منه ولو كان له لورث منه كما يورث من غيره ذلك نفسه وما له كان لله الصادق وكذلك جميع اموره لله الا
ترى انه روي في الخبر انه كان يجوع يوما ويشبع يوما ويجوع ثلاثة وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع
فاذا كان كذلك كان اضافة الخمس الى الله تعالى لخصوصيته وخلوص نفسه وماله فان كان جميع الخلائق وما
يحويه ايديهم لله تعالى حقيقة لكن لهم فيها الانتفاع وقضاء الحوائج والتدبير لانواع التصرف في ذلك شركة
مشاركة غيره في ذلك لم يخص الاضافة الى نفسه وان كان ذلك كله له حقيقة ولما كان نفس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحويه يده لله تعالى لا تدبير له في ذلك ولا شرك لاحد فيه رخص له الاضافة الى نفسه وهو
كما قال الله تعالى الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال مالك يوم الدين وقال والامر يومئذ
لله جميعا خص بالذكر ملك ذلك اليوم لزوال التمويه والتصرف اليه لما ينقطع يومئذ تدبير جميع ملوك الارض وقد
سلطانهم عنهم ويصعق البرية وان كان الملك له في جميع الاحوال والاوقات جميعا وكذلك البروز له
والمصير اليه في جميع الاحوال فعلى ذلك الاول والله اعلم وهذا دليل لما قلنا ان الخمس ليس بحق مقسوم على
الاصناف المذكورة مقدارا معلوما على طريق الاستحقاق ولكنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم يصرفه الى حوائج
عياله وما يفضل من ذلك يصرفه الى حوائج الغرباء من صلة القرابة وقضاء حوائج المسلمين فان قيل ذكر الله تعالى
قرابة الرسول عليه السلام ذكرا عاما لم يخص فقيرهم من غنيهم قيل ليس في ظاهر الآية دليل ان المراد بقوله
ولذي القربى قرابة الرسول عليه السلام لانه خاطب الكل بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى الا ترى انه لم يعمهم من قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قرابة رسول الله عليه السلام
والقرابة المخاطبين جميعا وكذلك لم يرجع قوله ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين قرابة الرسول
عليه السلام بل الى قرابة المخاطبين به فعلى ذلك الظاهر من قوله ولذي القربى من خاطب الخطاب جميعا
فان قال المراد به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلالة اخرى سوى ظاهر الآية وهو ما روي انه قسم
الخمس بين بني هاشم وما روينا انه قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم وما روي ان نجدة
كتب الى ابن عباس رض يسأله عن سهم ذي القربى لمن هو فكتب كتبت تسألني عن سهم ذوي القربى لمن هو
وهو لنا اهل البيت وقد كان عمر رض دعانا الى ان ينكح منه ايمنا ويقضي منه غارمنا فابينا الا ان يسلمه لنا
وابى ذلك علينا وغير ذلك من الاحاديث فيقول بفعل عمر رض وما ذكرنا من الادلة ان سبيل الخمس ان يصرف
الى وجوه القرب فان النبي عليه السلام انما قسم بين الفقراء من القرابة سد الحاجتهم دون الاغنياء وكما ذكرنا
من الاحاديث يدل على ذكر الفقراء منهم ويكون هذا تحقيقا وتعليلا بما ذكرنا من الادلة لا تخصيص الكتاب وتقييد

اذ ظاهر الكتاب لا يقتضي قرابة الرسول عليه السلام على انه كان هذا تخصيصا لظاهر الاية فذلك جائز
بما ذكرنا من الكتاب والسنة والاجماع الا ترى ان الله تعالى ذكر مع القرابة اليتامى وذكرهما ثم خص اغنياء اليتامى
من العام بالاجماع لما ذكرنا والله اعلم ان السبيل في الخمس ان يصرف الى وجوه البر والقرب وانما يتحقق ذلك
بالاعطاء الى الفقراء من اليتامى دون الاغنياء من اليتامى اجماعا على تخصيص الاغنياء من القرابة والله اعلم
فان قالوا لو كان قرابة النبي صلى الله عليه وسلم يعطون من الخمس لاجل الفقر والحاجة فهم يدخلون في عموم المساكين
فما وجه ذكرهم على الخصوص قيل لان الله تعالى قال انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية وقال النبي عليه السلام
لا تحل الصدقة لمحمد عليه السلام ولا لآل محمد عليه السلام فلولا تخصيصهم بالذكر في الخمس لجاز ان يقال لا يعطى
من الخمس وان كانوا فقراء كما لا يجوز ان يعطوا من الصدقات وان كانوا فقراء فكان تخصيص الله تعالى اياهم بالذكر
وان ساواهم قوله والمساكين لازالة هذه الشبهة وليعلم ان سبيل الخمس سبيل سائر الصدقات في جميع
الاحكام والله اعلم ثم اختلف اهل العلم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سهم الرسول عليه السلام وسهم
ذي القربى فقالت طائفة منهم سهم الرسول عليه السلام للخليفة من بعده وقال بعضهم سهم الرسول لقرابته
ولقرابة الخلفاء وبه قال الحسن وعندنا سهم الرسول عليه السلام لا يكون للخليفة ولا لاحد على الخصوص ولكن
يرد الى سائر السهام ويعطى الخمس الفقراء من قرابته كما في حال حياته ويعطى اليتامى والمساكين وابن السبيل قدر
حاجتهم ولا يكون القسمة عليهم بالتسوية [illegible] ولصاد ذلك ما ذكرنا ان الخمس كان خالصا للنبي صلى الله عليه
يصرفه الى من يشاء من اهل قرابته صلة لهم او في القرابة ما دام حيا ثم قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وروي عن عائشة رضي الله عنها ان فاطمة والعباس اتيا
ابا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان ارضه من فدك
وسهمه من خيبر فقال لهما ابو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا صدقة
انما يأكل آل محمد من هذا المال اني والله لا ادع امرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه الا صنعته
وعن عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه الا اصنعه وعن عائشة رضي الله عنها ان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اردن ان يبعثن عثمان رضي الله عنه الى ابي بكر رضي الله عنه يسألنه ميراثهن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت عائشة رض اما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا صدقة
عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة
عاملي ومؤنة نسائي فهو صدقة فاذا لم يورث عنه ما ترك من سهامه فكيف يورث عنه ما لم يملكه لانه لا يورث
ولو كان سهمه ولو كان سهمه له لعلم بحوزه فلم يحقه من بعده كان سهمه الله تعالى حيازة وملكه عنه
الاخر بطريق الاحرى والاولى وبهذا يتبين ان سهمه لا يكون للخليفة بعده وانه لا يقبله شيئا من الخمس
لان ذلك كان خصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كالصفي الذي يكون له على الخصوص دون غيره وكما لم
يجعل المسلمون الصفي لاحد كما يكون له على الخصوص دون غيره فكذلك الخمس كما لم يكن لاحد خصوص من الصفي
ولم يجب ان يكون له خصوص من الصفي لم يجب ان يكون له خصوص في الخمس والله اعلم ثم الخطاب في قوله تعالى
انما غنمتم من شيء لا يحتمل كل احد بنفسه كالخطاب باداء الزكاة وغيرها من الحقوق بل الخطاب يرجع الى الجماعة
الذين لهم منعة وقوة يقومون للعدو ولا يخاطب لكل احد بنفسه الا ترى انه لو ان الواحد او الاثنين
اذا دخلوا دار الحرب بغير اذن الامام وغنموا غنائم لا يخمس ولكن يسلم الكل لهم ولان الغنيمة نفسها لا يحتمل
ان يرجع الحد معلوما او مقدارا محدودا كالزكاة وسائر الحقوق لان الغنيمة شيء يوجد من ايدي الكفرة
وانما يوجد على قدر ما يظفر به ويوجد فلا يحتمل ان يرجع الخطاب الى عدد دون عدد بل القليل من ذلك والكثير
سواء لاحد فيه ذلك لا يصلح تقديرا فاما المقصد لهم في الاخذ وذا ممكن ان يكون لهم مقدار معلوم يحتمل
ذلك حد الوجوب الخمس فيما غنموا هو ان يكون لهم منعة يقومون للعدو والله اعلم وقوله تعالى ان كنتم آمنتم
بالله • قال بعضهم هو صلة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله كانه قال وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ان كنتم آمنتم بالله الاية ثم قال فان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم اي
فان تولوا هم وقد آمنتم انتم فاعلموا ان الله مولاكم اي ليس هو مولاهم وقال طائفة قوله ان كنتم آمنتم
بالله ليس على الشرط على ان لا يكون غنيمة اذ لم يكونوا مؤمنين ولا يجب العدل في القسمة اذا كانوا غير مؤمنين
ولكن على التنبيه والانعاظ كقوله تعالى وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين وكقوله واطيعوا الله ورسوله
ان كنتم مؤمنين ليس على انه لا يجب ان يذروا الربا اذا لم يكونوا مؤمنين ولا يجب ان يطيعوا الله ورسوله اذا
لم يكونوا مؤمنين ولكن على ما ذكرنا فعلى ذلك الاول ولم يكن في الاية دليلا على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه

وقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان • قيل ما انزلنا على عبدنا قيل الملائكة
ارسلهم يوم بدر لنصرة المؤمنين وما انزل عليهم من المطر حتى ثبتت الارض كذلك [illegible]
[illegible]
اخذوا الماء فاما سمي يوم بدر يوم الفرقان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فلذلك سماه يوم الفرقان وقيل سمي يوم الفرقان [illegible]
يوم الفرقان فكذلك سماه يوم الجمع لقوله يوم التقى الجمعان فكيف هذا قيل يوم الفرقان ويوم الجمع [illegible]
في حال بين المؤمنين والمشركين قد اجتمعوا فيه حال التقاء الصفين [illegible]
نصرة الله تعالى المؤمنين فيكون يوم الفرقان باعتبار حال ويوم الجمع باعتبار حال [illegible] القيامة
يوم الجمع ويوم الفرقان قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقال في آية اخرى ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فكذلك يوم الجمع حال ويوم الفرقان حال اخرى فسمي باعتبار الحالين
كذلك قال الله تعالى وقوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى • قال بعضهم العدوة
القصوى شفير الوادي الاقصى وكذلك قال القتبي [illegible] شفير الوادي وقال ابو عبيدة [illegible]
ناحية الوادي وقال انما سميت الدنيا لانها دنت من المدينة والاخرى لانها [illegible]
مسعود رضي الله عنه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة السفلى [illegible]
القصيا وقال ابو معاذ العدوة والعدوة لغتان وقال بعضهم اذ انتم يعني المؤمنين بالعدوة الدنيا من
الوادي على الشط مما يلي المدينة وهم بالعدوة القصوى من الجانب الآخر مما يلي مكة يعني مشركي العرب وقوله
والركب اسفل منكم • يعني اصحاب العير على ساحل البحر وعلى الماء وقال قتادة رض جمع الله تعالى المشركين والمسلمين
ببدر على غير ميعاد وهي الوادي كان المسلمون باعلى شفيره والمشركون باسفله والركب اسفل منهم وابو سفيان
انطلق بالعير نحو البحر وقيل اذ انتم بادنى المدينة وهم باقصى مما يلي مكة قال ابو معاذ والركب والركبان والركوب
كله لغة وقوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد • اي لو علمتم انكم تخرجون الى الحرب دون العير لم تخرجوا
الا لميعاد ليتاهبوا للحرب والقتال ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اما الخروج نفسه واما الميعاد نفسه
اي تخرجون فلا تخرجون او منكم من يحب الخروج عن وقت الميعاد ومنكم من لا يخرج راسا اسعى ذلك وقوله تعالى
ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا • يحتمل ولكن ليجز الله ما وعد الله من النصر في مفعولا لان اهل التأويل
تكلموا فيه قال البصري وعد الله مفعولا يحتمل القضاء يحتمل الابتداء والانشاء والخلق اي ليقضي الله ويخلق
ما قد علم انه يكون كائنا ويحتمل الحكم اي ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا وقوله تعالى ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة • قال بعض اهل التأويل اي ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة وحجة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان على الحق وكان صادقا ويؤمن من آمن على مثل ذلك ثم يحتمل قوله ليهلك من هلك
عن بينة هلاك بالدين وحياة بالدين ويحتمل هلاك الانفس وحياتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اي عن بيان وحجة وهو ما قد علم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان قد اتاهم بآيات حسنة فسموه ساحرا حين رأوهم وانباهم بالانباء الماضية التي كانت في كتبهم فقالوا
ان هذا الا اساطير الاولين وقالوا انه معلم مجنون وقالوا انما يعلمه بشر وقد كان رسول الله صلى الله عليه
يخالفهم في جميع صنيعهم من عبادتهم الاصنام والاوثان دون الله تعالى وكان يخوفهم ويوعدهم
باشياء وكان لا يخافهم وهم كانوا ذوي سلاح وكبراء لا يخالفهم احد لعزهم وتبسطهم الامن كان يجنون
فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفهم في جميع امورهم نسبوه الى الجنون وقالوا معلم مجنون فاراد الله
تعالى ان يجعل له آية عظيمة حتى لا يقدروا على النسبة الى شيء مما كانوا ينسبونه من قبل فوعد المؤمنين النصر
والفتح يوم بدر بعينه اعلم وليس ضعف المؤمنين وقلة عددهم وقوة انفسهم وكثرة عددهم فيكون
آية ظاهرة لم تكن حياة من حي بعد ذلك عن بينة وآية وعقوبة ما تعلى مثل ذلك كان لمن الآيات التي
لم يمانعوا ولا كابروا او عقلوا لكانت واحد منها كافية فان قيل ما الحكمة في ذكر القصة من اولها الى آخرها
وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا قيل انما ذكر احوالهم التي كانوا عليها من الضعف والذلة والخوف وقد ليسوا
الحرب والقتال فخرج المسلمون والقوة والكثرة مع الامن ووجود اسباب الخوف والقتال لمخرج الكفرة ثم النصر

للمسلمين والهزيمة على الكفرة ليعلم الخلق ان النصر والغلبة ليس يكون بالكثرة والقوة والاسباب ولكن الله تعالى
لئلا يتكلوا على الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا يضعفوا كقولهم لا نحسن لعقد اسباب الحرب ولا تخافوا عدوهم
وليعرفوا انما اصابهم من الهزيمة والغلبة انما اصابهم لمعصية كانت منهم للرسول عليه السلام كما في حرب احد او انما
بالكثرة واعتمادا على القوة والاسباب كما في يوم حنين والله اعلم وقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا •
قال بعضهم قوله في منامك المنام نفسه كان الله تعالى ارى رسوله عليه السلام المشركين في منامه
قليلا قليل يوم بدر فاخبر اصحابه رضي الله عنهم بما راى فقالوا رؤيا النبي عليه السلام حق والقوم قليل ليس
كما بلغنا انهم كثير فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في اعين المؤمنين تصديقا لرؤيا رسوله عليه السلام
وقال الحسن رضي الله عنه اذ يريكهم الله في منامك اي في عينك التي تنام بها ذكر المنام واراد به موضع النوم وهو
وهو العين دون حقيقة النوم وذلك يكون في حال اليقظة لانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تنام عيني
ولا ينام قلبي وانما اراه اياهم قليلا في العين التي بها ينام وهي عين الوجه في حال اليقظة ويدل على ذلك ما
روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحب لي اتراهم سبعين فقال اراهم مائة
حتى اخذنا رجلا منهم فقال كنا الفا فان كان التاويل هو الذي ذكر اراكهم رسوله عليه السلام قليلا في اليقظة
بالعين التي ينام بها وهو ظاهر وان كان اراه اياهم في المنام حقيقة فلعل الذين تقولون ان رؤيا الرسل عليهم السلام
حق كيف اراه اياهم قليلا وهم كثير بخلاف ما هو في الحقيقة والجواب يحتمل ان يكون اراه بعضهم لا الكل وهو
حقيقة ما اراه اياهم فذلك تقليل عجائب ان يكون اراه اصحابه اياهم قليلا فاضاف ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم دليله ما ذكر في اية اخرى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ومثل ذلك كثير في القران ان يخاطب به
عليه السلام والمراد به غيره الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ومعلوم
ان نزول هذه الاية بعد وفاة والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هذا خطاب له ظاهرا والمراد به امته
فكذلك هنا فاذا كان كذلك فلا يجب ان يخرج رؤيا غير الانبياء عليهم السلام على الخلاف والله اعلم وقوله تعالى
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم • اي لجبنتم ولتنازعتم في الامر اي في امر القتال والحرب ولكن الله سلم اي سلم
للمسلمين لجرأتهم على عدوهم فهزمهم ونصرهم عليهم ويحتمل قوله سلم اي اجاب المسلمين لما استغاثوا الى ربهم
بالنصر والظفر لهم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور • اي عليم بما في قلوب المؤمنين من الجبن والفشل عن
عدوهم والله اعلم وقوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم • ويحتمل قوله
اذ يريكموهم لما راوا الملائكة لانفسهم انصارا واعوانا اذ كان وعدهم النصر والاعانة بالملائكة فاستقلوا
العدو مع الملائكة لانه لعدوهم وان كانوا اكثر لانهم قليل مع الملائكة فراوهم قليلا لما كانوا في مقابلة الملائكة
ويقللكم في اعينهم على الحقيقة لانهم كذلك كانوا قليلا ولم يروا الملائكة معهم وقال بعضهم لما التقوا قلل
قلل هؤلاء في اعين اولئك وقلل اولئك في اعين هؤلاء اذا التقوا فقلل كل فريق
منهم في اعين الفريق الاخر ليجترئ بعضهم على بعض ويجري في القتال فيتحقق ما هو المراد في ذلك وقوله تعالى
ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وهو ما ذكرنا اي لينجز لهم ما وعد من النصر والظفر للمؤمنين والغلبة والهزيمة
على الكفرة لتكون ذلك اية ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ذكر في القصة ان قوله تعالى سيهزم الجمع
ويولون الدبر نزل قبل بدر ووعد ذلك لهم فيه وكان وعد الله مفعولا ثم قوله ليقضي الله يحتمل اي ليخلق امرا شيئا
ما قد علم انه يكون كائنا او ليفصل بين الحق والباطل ما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل ليقضي الله
امرا كان في علمه مفعولا كائنا فيوجب امر الاية كائن ليعز الاسلام واهله بالنصر وترك الشرك واهله بالقتل
والهزيمة وهو قريب مما ذكرنا وقوله تعالى والى الله ترجع الامور • اي الى الله تعالى يرجع تدبير الامور وتقدير ما
في الدنيا والاخرة وذكر في بعض القصة ان ابا جهل لعنه الله لما راى قلة المؤمنين يوم بدر قال ان الله لا يعبد
بعد اليوم فاكذبه الله تعالى وقتله فقال تعالى الى الله ترجع الامور لا الى الخلق والله اعلم وامر ... من اوله
الى اخره كان اية حتى عرف كل ذلك الامر ما ندري بعقله وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
فاثبتوا • قيل الفئة اسم جماعة يتحاز اليها وهو من الفيء وهو الرجوع الى الجماعة يعني الناس اليها ويرجعون
ذكر ههنا الفئة وذكر في الاية التي تقدمت الزحف فقال اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ونهى هناك عن
الادبار بقوله فلا تولوهم الادبار وامر ههنا بالثبات بقوله ليعلم ان الامر بالثبات نهي عن تولية الادبار والنهي
عن تولية الادبار امر بالثبات يكون في النهي عن الشيء امر بضده والامر بالشيء نهي عن ضده والله اعلم وقوله تعالى
واذكروا الله ذكرا كثيرا • قال ابو بكر الكيساني اي واذكروا الله فيما تعبدكم من طاعته ووعدكم من نصره ولا تبطروا
الى الكثرة لتظفروا ويحتمل اي واذكروا الله فيما له من انفسكم واموالكم اي اذكروا انفسكم واموالكم لله تعالى

ان شاء اخذها منكم بوجه يتقربون به الى الله تعالى وان شاء اخذها بوجه لا يتقربون به الى الله تعالى فاذكروا
الله على ذلك وهو ما ذكر ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية ويحتمل فاذكروا الله كثيرا الاية
في النعم التي انعمها عليكم ويحتمل واذكروا المقام بين يدي رب العالمين وذلك بالذكر يمنعكم عن المعاصي والخلاف
لامره وفيه بعض ما يرغبكم في طاعته ويحرضكم على الجهاد فعلى هذه الوجوه يكون الامر بذكر الاحوال ويحتمل
ايضا الامر بذكر الله تعالى باللسان وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب وهو شعار من التكبير والتهليل
ونحو ذلك وقوله تعالى لعلكم تفلحون • اي لكي تفلحوا بالنصر والظفر وقوله تفلحون اي تظفرون وقوله
واطيعوا الله ورسوله • اي اطيعوا الله تعالى فيما امركم بالجهاد والثبات مع العدو واطيعوا رسول الله صلى الله
فيما امركم بالمقام في المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع في الحرب وذلك بعض ما يستعان به في
امر الحرب وذلك قوله ولا تنازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يامر من امر الحرب وبينكم كقوله يجادلونك
في الحق واشار الى المعنى انكم اذا تنازعتم اختلفتم واذا اختلفتم تفرقتم واذا تفرقتم جبنتم فلا تنصرون
ولا تظهرون على عدوكم بل يظفر بكم عدوكم ويحتمل ولا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم فيشغلكم التباغض
بانفسكم عن الجهاد فيظفر بكم العدو لترك الجهاد معهم ولا يقوم والله اعلم وقوله تعالى وتذهب ريحكم
قال بعضهم اي ويذهب نصركم وظفركم وقيل وتذهب دولتكم ويحتمل حقيقة الريح التي به ينصرون
على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهو ما ذكر
وارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله تعالى ان الله مع الصابرين • اي اصبروا في الجهاد والقتال فان
ان الله مع الصابرين بالنصر لهم والظفر وفي هذه الايات تاديب من الله تعالى للمؤمنين وتعليم امر الحرب واسباب
القتال مع العدو فانه امرهم بالثبات والذكر في الحرب وامرهم بذكر الله تعالى ونهاهم عن التنازع والاختلاف
وذلك كله مما يستعان به في الاستظهار على الاعداء والله اعلم وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من
ديارهم بطرا ورئاء الناس • قوله بطرا اي كفرا بانعم الله تعالى كقوله ضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة
ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فعلى ذلك هؤلاء لما خرجوا الى قتال محمد صلى الله عليه وسلم
وهو من اعظم نعم الله تعالى عليهم فقد كفروا بتلك النعمة حيث خرجوا لقتاله وكذلك في قوله بطرت معيشتها
اي كفرت ويحتمل بطرا اي تكبرا اي خرجوا متكبرين وقوله ورئاء الناس يحتمل مراءاتهم وجهين احدهما
من مراءاتهم امر الدين لانهم قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين سبيلا وافضلنا رحما واقرانا ضيفا فعندهم انهم
على الحق وان المؤمنين على الباطل ويحتمل مراءاتهم في امر الدنيا لانهم كانوا اهل ثروة ومال واهل
عدة وقوة خرجوا امرا بين الناس صادين الناس عن ذكر الله فذلك قوله عز وجل ويصدون عن سبيل الله اخبر الله
عز وجل عن خروج اولئك الكفرة انهم خرجوا لما ذكر فكان فيه امر المؤمنين بالخروج على ضد ذلك كانه قال
اخرجوا انتم شاكرين لنعم الله باكين متواضعين لله مخلصين له الدين داعين الناس الى دين الله تعالى والله اعلم
وقوله تعالى والله بما تعملون محيط • اي علمه محيط بهم لا يغيب عنه شيء ولا يتخلص احد عن ملكه ويحتمل
محيط بما يعملون من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه والنصر له ويحتمل
محيط بما يعملون يجزيهم جزاء مكايدهم ولا يفوت عنه شيء على الوعيد وقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم • قال بعضهم زين لهم الشيطان اعمالهم بالوساوس في العداوة لهم
انكم اهل حرم الله وسكان بيته وحفاظه يدفع عنكم نكبة هؤلاء يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهم كما دفع عنكم فيما كان من قبل وعلى هذا التاويل قوله واني جار لكم اي مجيركم ومغيثكم اي يوسوس اليهم
ويلقي في قلوبهم التجري على الله تعالى ان يغيثهم كما اغاثهم من قبل في غير حرم الا انه اخبر عن نفسه انه مجير لهم وقال
بعضهم ان الشيطان تمثل بصورة رجل فقال لهم انا سراقة بن مالك بن جعشم فاتاهم فقال لا ترجعوا حتى تستاصلوهم
فانكم كثير وعدوكم قليل فياه من غيركم ونحو هذا من الكلام وقال صاحب التاويل الاول لا يستقيم لان اهل
مكة كانوا جبابرة واهل قوة وباس فلا يحتمل ان يصدروا عن راي رجل دونهم لا يعرفونه ولا يكشفوا سرهم
معه ولكن على التاويل الثاني انه تمثل بفلان يكون تاويل قوله واني جار لكم على ما ذكر في بعض القصة ان
ابا جهل واصحابه اعتزلوا واستشاروا فيما بينهم فاتاهم ابليس اللعين متمثلا بسراقة فاستغواهم واستاخروا
لئلا يطلع على اسرارهم فيفشيها فلما راى ذلك منهم قال واني جار لكم وكان الرجل الذي تمثل به من جيرانهم
اشار الى انه من جملتهم وانه لا يفشي سرهم ويكون تاويله هؤلاء اشبه بما في اخر الاية وهو قوله فلما تراءت
الفئتان نكص على عقبيه اي رجع مستاخرا مقبلا وجهه اليهم فقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله
شديد العقاب قيل راى جبريل عليه السلام مع الملائكة ينزلون فخاف منهم وفي الاية دلالة على ان ابليس كان

يخاف من العذاب بحيل يوم القيمة لانه ان كان منظر الى القيمة فيكونوا منا على الهلاك لا يكونوا منا من طلوع
العذيب سوى الاهلاك والله اعلم وقوله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم
اختلف في قوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم المشركون كافة قال اذ يقول المنافقون والمشركون
والمشركون غر هؤلاء دينهم وقال الحسن رضي الله عنه هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين
لان هذا وصفهم كما قال الله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال بعضهم قوم كانوا اسلموا بمكة
فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى بدر خرج هؤلاء معهم فلما راوا
قلة المؤمنين وضعفهم وقوة اولئك الفرق شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا غر هؤلاء دينهم لكن اذ كان
هنا في المنافقين فيكون على اسقاط الواو كانه قال اذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض على الاظهار او يكون
في غير المنافقين لان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر خفية والذين في قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا
الكفر لكنهم ارتابوا وشكوا او اعترض لهم شك وريبة من بعدما ذا راوا ما جاء الموعود الذي وعدهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم والنصر في الدنيا فدانوا بذلك واعتقدوا واقدموا على القتال فزعموا
فيكون دينهم غرهم او معهم في الهلاك وان الذي غر هؤلاء الموعود لهم في الاخرة من النعم الدائمة والحياة الباقية
لما راوهم تركوا اباهم واولادهم وجميع شهواتهم وخرجوا الى القتال مع انه لم يكن عدة ولا اسباب الحرب فلم يكن
خروجهم الا اشفاقا وخوفا على دينهم ليسلم لهم دينهم ولم يكونوا يقاتلون الا لسلامة دينهم فلذلك قالوا
غر هؤلاء دينهم والله اعلم وفي الاية دليل اثبات رسالته لانهم قالوا ذلك سرا فيما بينهم فاطلعه الله تعالى على
ليعلم انه عرف بالله تعالى والله الموفق وقوله تعالى ومن يتوكل على الله اي يعتمد على الله فيما يريد ويثق به
في النصر بدل العوض لمن غر هؤلاء دينهم فان الله عزيز لا يعجزه شيء يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء بالقتل
والهزيمة وقيل العزيز في هذا الموضع الغالب حكيم بما امر بالقتال ويحتمل ومن يتوكل على الله في جميع اموره
ويكل اليه امره والله اعلم وذلك انهم بذلوا انفسهم للهلاك بخروجهم الى قتال اهل بدر مع ضعفهم وقلة
عددهم وكثرة اعدائهم وقوتهم رجاء ان يسلم لهم دينهم فيكون في قلوبنا مثل ذلك ويقتدي بهم
في تعقيد الدين والله اعلم وقوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
قال بعضهم الاية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يقول والله اعلم ولو ترى
اذ تستقبل الملائكة ارواح الذين كفروا كيف يقبضون ارواحهم وكيف يضربون وجوههم وادبارهم اي
لو رايت وعاينت الحال التي يقبض فيها ارواحهم وما ينزل بهم من العذاب لعلمت انما عملوا من صد الناس
عن سبيل الله واستكبارهم على المؤمنين وخروجهم لقتال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدهم
عنهم انما عملوا بانفسهم لا بالمؤمنين ثم قوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة يوم بدر لان الاية ذكرت في قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك في كل كافر ان الملائكة
يفعلون بهم ما ذكر كقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم الاية فهذا في كل
كافر فعلى هذا في كل كافر فعلى هذا يحتمل الاول والله اعلم ثم قوله يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ان يكون على ارادة
حقيقة الوجه والدبر ويكون ايصال الالم اليهم بكل ضرب من كل جهة كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل ليس على ارادة التحت والفوق ولكن عبارة عن احاطة العذاب بهم فعلى ذلك الاول او قال
يضربون وجوههم في حال اقبالهم المؤمنين بالمحاربة والمسابقة وادبارهم في حال ادبارهم وحال الهزيمة من
المؤمنين والله اعلم وقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد اي ما لحقهم مما ذكر
كان باكتسابهم واختيارهم والله تعالى ليس بظلام لهم فيما شرع من القتال او الاهلاك والتعذيب في الاخرة
لانه مكن لهم حتى يكتسبوا النجاة والحياة الدائمة فهم بسوء اختيارهم دعوا فيما دعوا بالله القوة
والحول وفي الاية دلالة الرد على الجبرية لانهم لا يجعلون للعباد في افعالهم صنعا بل يجعلون حقيقة الافعال
لله تعالى والله تعالى ذكر ذلك بما قدمت ايديكم ولو لم يكن لهم فعل لم يكن لقوله بما قدمت ايديكم معنى وكذلك قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب بطريق الجزاء ظلما دل ان لهم فعلا حقيقة
والله الموفق وقوله تعالى كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات قال بعضهم صنع هؤلاء اي صنيع اهل
مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم كصنيع فرعون وقومه بموسى عليه السلام يعني في التكذيب والكفر باياته وما جاء
من الله تعالى وقال بعضهم صنع الله تعالى باهل مكة من العقوبة والتكذيب كصنيعه بفرعون وال من سبق
من الامم من الاهلاك والتعذيب وقد فعل باهل مكة يوم بدر بسوء معاملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما فعل ذلك بفرعون وال بسوء معاملتهم موسى عليه السلام وقوله كداب قيل كصنع وقيل كفعل وقيل كعمل

وقيل كسنة وكله واحد وقوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب اي لا تمنعه شيء ولا
عما يريد وقوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم يخرج على وجهين احدهما يحتمل النعم الدينية
التي انعمها عليهم من الرسل عليهم السلام الذي بعثهم اليهم والكتب التي انزلها عليهم السلام الذي بعثهم
اليهم والكتب التي انزلها عليهم لم يك مغيرا تلك النعمة عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم وهو تكذيبهم الرسل عليهم السلام
وردهم الكتب وترك القبول كبدما اختصوا انهم يكذبون بها فهذه من احديها لا الاثم واختيارهم الشرك والكفر على الا
والتوحيد فاذا اختاروا ذلك يغير عليهم ذلك وهو كقوله وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو
عليهم اياته والثاني يحتمل النعمة الدنيوية اي لا يغير عليهم تلك الا بتغيير من قبلهم بترك الشكر لها فانما نصرف الى
غير الذي انعمها عليهم ولو رايت التغيير يكون في هذين في حق المسلمين بذلك ليس بتغيير في الحقيقة لان ذلك
ينقله الى خلف اما في الدنيا واما في الاخرة فلا يكون تغييرا في الحقيقة وقال ابن عباس رضي الله عنهما نعمة
من النعم ان تولوا عن شكرها غيرها الله عليهم واخذها منهم وقوله تعالى وان الله سميع عليم قيل سميع لشكر
من شكره ويجده عليم بزيادة النعمة اذا شكر ويحتمل انه سميع لما اسروه وقوله تعالى كداب ال فرعون والذين من
قبلهم كذبوا بايات ربهم قد ذكرنا تاويله فان قيل ما فائدة تخصيص ال فرعون من بينهم وما الحكمة في
تكرار قوله كداب ال فرعون الاية قيل اما التخصيص فيحتمل ان يكون لما كان ال فرعون وهم اليهود اقرب
الى هؤلاء من غيرهم ممن كان قبلهم من النصارى والمجوس وهو كقوله انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا
عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا لانهم الواعظهم فيعرفوا صدق ذلك ويحتمل ان يذكر اهل الكتاب
لما كانوا ينكرون البعث الى الاميين فاخبر ان موسى عليه السلام لم يكن من القبط وهو قد بعث رسولا اليهم
فعلى ذلك محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم اما فائدة التكرار والله
اعلم من وجوه احدها ان ذكر في الاية الاولى الاخذ بالذنوب والتعذيب ولم يبين ما كان ذلك العذاب
ثم بين في الاية الثانية ان ذلك العذاب هو الاهلاك والتغريق حيث قال فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
ال فرعون وكل كانوا ظالمين والثاني يحتمل ان المراد الاية الاولى العذاب في الاخرة بكفرهم بايات الله حيث قال كفروا
بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم وحقيقة المؤاخذة بسبب الذنوب في الاخرة اذ عذاب الدنيا تسوية
الحكم مطلقة والمراد الاية الثانية هو الاهلاك في الدنيا تحقيقا للرجوع بسبب جحاد ربهم حيث ذكر وقال
كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون والثالث يحتمل انه ذكر الاية الاولى الكفر بايات
الله تعالى فلم يبين ما الكفر فذكر في الاية الاخرى التكذيب باياته فبين فيها ان التكذيب باياته هو التكذيب
بها وفي الاية دلالة ان الايمان هو التصديق لانه جعله مقابلة وضد التكذيب وفيه دليل ان الايمان
ليس هو التصديق لكن المعرفة لانه تقابل المعرفة الجهل والجهل بالله ليس هو التكذيب لكن المعرفة سبب
التصديق والجهل سبب التكذيب ثم التصديق انما يتحقق في الاخبار فيكون الايمان هو تصديق ما اخبر الله
تعالى على لسان الرسول عليه السلام وتصديق ما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم واخبر عن الله تعالى والكفر
على مضادة ذلك او تصديق ما شهدت الدلائل والايات الحقيقة على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الشركاء
اذ الدلائل في الحقيقة كلها كانها انما اخبرت وشهدت ما جعلت دلالة عليها او يكون الله تعالى اخبر انما نصب
من الدلائل على ما جعلها دلالة على ذلك والكفر على خلاف ذلك والله الموفق وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا فهم لا يؤمنون قد ذكرنا تاويل الاية ثم ذكر ههنا ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
اي شر الدواب عند الله الذين لا يؤمنون وذكر فيما تقدم ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
او الذين سمعوا الايات والحق وعقلوها فلم يؤمنوا بها فكانهم لم يسمعوا ولم يعقلوا حيث لم ينتفعوا بما سمعوا
فتكون الايات في المعنى واحدة انما يكون من هذا الوصف ذا ختموا على الكفر وترك الايمان فتكون الاية
في قوم قد علم الله تعالى انهم ختموا على الكفر ولا يؤمنون ثم اختلف اهل التاويل في ذلك قال بعضهم نزل
في بني قريظة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعانوا مشركي مكة على رسول الله عليه السلام
بالسلاح وغيرهم فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون نسينا واخطانا ثم عاهدهم مرة ثانية
فنقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون نقض العهد ولا يتقون الشرك
وقال بعضهم نزلت في المردة والفراعنة من الكفار والائمة منهم حيث كانوا عقلوا ما سمعوا ودرسوا الكتب
لكن عاندوها فلم يؤمنوا بها وعلى هذا حمل اهل التاويل تاويل الاية وعلى ما ذكرنا صرفوا الاية الى
اهل النفاق وقوله لانهم هم المعروفون بنقض العهد مرة بعد مرة وقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم
من خلفهم قيل فاما تثقفنهم في الحرب اي تاسرهم في الحرب وقيل تلقينهم في الحرب من اللقاء وقيل او تجدنهم

في الحرب وقوله فشرد بهم من خلفهم قيل اي نكل بهم من بعدهم اي اصنع بهم ما تنكلون به من بعدهم اي يخشون وقيل
تعظ بهم من خلفهم اي اجعلهم عظة لمن سواهم وعبرة لمن وراءهم وقال ابو عبيدة التشريد التنكيل وكان التشديد والتفريق
اي فرق بهم وقال القتيبي رض قوله فشرد بهم من خلفهم اي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل ما تفرق به من
وراءهم من الاعداء قال وقيل التشريد لهم سمع بهم بلغة قريش وقال ابو عوسجة رض التشريد التنكيل والتنكيل الحبس
والردع عما يكره والنكال العذاب اي نكل بهم حتى يخاف من خلفهم والتشريد الطريد والتشريد القتل وقيل فشرد بهم
من خلفهم اي اخف لهم من بعدهم بما يصنع هؤلاء وبعضه قريب من بعض ثم الاية نزلت في قوم علم الله تعالى
لا يؤمنون وكان عادتهم نقض العهد فامر الله تعالى رسوله عليه السلام ان ينكل هؤلاء ليكون في ذلك زجر وعبرة
لمن بعدهم وان لم يكن لهم في ذلك نجع فيكون في تنكيل هؤلاء منفعة لغيرهم اذا علم غيرهم او راى انه فعل بهم
لا ما ذكر وهو كقوله ولكم في القصاص حياة من راى انه يقتل القاتل عمدا يمتنع عن قتل الحر فيكون في ذلك حياة
الخلق وكذلك ما جعل الله تعالى من القتال من العدو ونصب الحرب فيما بينهم رحمة لان في طبائع الخلق الفرار من القتل
فاذا راى انه يقتل بتركه الاسلام لجأ الى ذلك اسفا على نفسه وخوفا على تلف مهجته فيكون في القتال رحمة
وكذلك جميع ما جعل الله وجعل ما بين الخلق من العقوبات في النفس وما دون النفس جعل زواجر وموانع [illegible]
الى مثل ذلك قوله فشرد بهم من خلفهم يريد ذلك عظة وزجرا لمن خلفهم وهو قوله لعلهم يذكرون لكي
يذكروا النكال لئلا ينقضوا العهد كذلك مرغوب في الدنيا ومرهوب جعل دواعي وزواجر ليكون في الآخرة
وجعل لكل لذة ينالها في الدنيا [illegible] في الآخرة في الجنة ولكل كربة [illegible] الجزاء من الموعود
الآخرة في النار وعلى هذا بنا امر الدنيا من المحاسن والقبائح والمنافع والمضار والملاذ والله اعلم وقوله تعالى
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ۝ قال بعضهم تخافن اي تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم
على سواء اي لا تفعل بهم مثل ما تفعلون من الخيانة فتكون انت وهم في الخيانة سواء لان عندهم انهم معاهدون
لقيام العهد بعد ولكن انبذ اليهم العهد ثم ناصبهم الحرب وقال بعضهم هو على حقيقة الخوف
يقول لما اخفت منهم النقض والخيانة فانبذ اليهم اي الق اليهم بفصل لتكون انت وهم في العلم بالنقض
سواء وقال ابو عبيدة رض فانبذ اليهم على سواء اي اعلمهم انك عدو وانك مناصبهم حتى تعلم انت وهم سواء
وقال ابو عبيدة قال غير واحد من اهل العلم فانبذ اليهم على سواء اي اعلمهم انك تريد ان تحاربهم حتى يصيروا
مثلك في العلم فذلك السواء وقال الكسائي السواء العدل وقال بعضهم على سواء اي على امر بين وقال ابو عوسجة
فانبذ اليهم على سواء اي سواء انك وهم قد علموا انك حاربتهم وبعضه قريب من بعض والاصل في العهد
ما ذكر في آية اخرى وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الآية امر عز وجل باتمام العهد الى المدة اذا لم ينقضوا بشيء ولم يخونوا ولم يظاهروا
علينا احدا منهم فاذا فعلوا شيئا من ذلك قلنا ان ينقض العهد الذي كان بيننا وبينهم وكذلك ان قصد
العهد فيما بيننا وبينهم اذا سألوا [illegible] ليس للامام ان يعطي لهم العهد اذا لم يكن في العهد منفعة للمسلمين
ظاهرة فعلى ذلك ما دام يرجو في العهد منفعة للمسلمين وخيرا لهم له مراعاة ذلك العهد وحفظه فاذا خاف
منهم الخيانة واطلع على خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان تلك الخيانة من جملتهم ومن له منعة
فله ان يناصبهم الحرب وان لم ينبذ اليهم فاذا كان ذلك من نقض من سبيل التلصص والسرقة فليس له
ان يحاربهم الا بعد النبذ اليهم والله اعلم وقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون
قال بعضهم اي لا تحسبن الذين نجوا وتخلصوا يا محمد من المشركين يوم بدر ان لا اظفرك عليهم في غيره من
الحروب والمغازي وانهم يفوتون ويعجزون الله تعالى عن ذلك وقال بعضهم اي لا تحسبن الذين كفروا انهم
يفوتون ويعجزون الله عن نقمته وعذابه ثم قرأ بعضهم بنصب الالف انهم لا يعجزون ولذلك وجهان
احدهما على حذف حرف لا وجعلها صلة زائدة كانه قال فلا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون
والثاني على اضمار اللام كانه قال ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا لانهم لا يعجزون واما قراءة العامة
بالخفض وعلى هذا الابتداء كانه تم الكلام بقوله ولا تحسبن الذين كفروا ثم قال انهم لا يعجزون
على الابتداء وقال القتيبي رض سبقوا اي فاتوا وقيل المعجز السابق والله اعلم وقوله تعالى
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ۝ قال بعضهم معناه لا تخرجوا الى الحرب والمغازي بالسلاح والاهبة كما خرجتم
ليوم بدر لان الله تعالى اراد ان يجعل حرب بدر آية ليميز بين الحق والباطل وبين المحق والمبطل كذلك لم
يأمرهم بالخروج اليه بالسلاح والاهبة فاما غيرها من الحروب فلا تخرجوا اليها الا مستعدين لها ومتأهبين [illegible]
يكون الاستعداد للحرب طاعة لله تعالى فانه امرهم بالخروج كذلك وفي الاشتغال بالاستعداد بالطاعة

امر الله عز وجل بها الاعداد لها لما [illegible] الاسباب [illegible] رهبة العدو من ترك الاستعداد
قالوا [illegible] لانهم استعدوا [illegible] من الله عز وجل الاسباب في الحروب وان كان قادرا
على نصرهم واوليائه على اعدائه بلا سبب وكذا الطاعة [illegible] والحكم يختلف باختلاف الاحوال
والمصلحة يتفاوت وعلى هذا جعل جميع امور الدنيا مقرونا بالاسباب نحو الحياة والموت وجميع الاشياء
وان كان يقدر على [illegible] الاشياء والخلائق بلا [illegible] الاسباب
تحقيقا للابتلاء [illegible] وقوله ما استطعتم من قوة [illegible]
ما تقدرون به [illegible] قال اهل التأويل
قال بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ما استطعتم
من قوة فقال الا ان القوة الرمي قال ذلك ثلاثا [illegible] عقبة بن عامر [illegible] عليه السلام وقال
بعضهم القوة السلاح وقيل الخيل [illegible] جميع الاسباب [illegible]
التي هي اسباب الفعل [illegible]
الاسباب الاستطاعة الفعل [illegible] ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم [illegible] هذا
كناية عن استعداد الخيل والاعداد للحرب [illegible] الرهبة للعدو وقوله تعالى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم ۝ اختلف في قوله [illegible] قال بعضهم ترهبون برباط الخيل [illegible] المشركين
من دونهم اليهود والنصارى فترهبونهم لانهم ايضا وقال بعضهم وآخرين من دونهم المنافقون الذين
كانوا فيما بينهم لا تعرفونهم وكانوا طلائع المشركين وعيونا لهم يخبرونهم عن عورات المؤمنين فترهبون هؤلاء
ايضا وقال بعضهم وآخرين من دونهم من الاعداء الذين يكونون من بعد الى يوم القيامة وقال بعضهم وآخرين
من دونهم من الشياطين لا تعلمونهم الله يعلمهم وهو كقوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ويروى في
ذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لن يخبل الشيطان انسانا في داره فرس عتيق فان فعل اي رهبة
في جميع اوليائهم لانهم يخافون وقوع الدائرة على المشركين والكفرة ويحتمل ان يكون الرهبة والخوف لاولئك
وهم الكفار يكون بسبب ذلك الاستعداد ومثل ذلك كثير في القرآن ثم قوله عدو الله وعدوكم دلالة ان من كان
عدو الله يكون عدوا للمؤمنين ومن كان عدوا للمؤمنين فهو عدو الله ثم سمى عدو الله
عدو المؤمنين وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم ۝ اخبر انهم ما انفقوا في سبيل الله
يوف عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا كقوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه واما في الآخرة الثواب ۝
وقوله تعالى وانتم لا تظلمون ۝ يحتمل وجهين احدهما وانتم لا تظلمون فيما امركم بالجهاد في سبيل الله بجهاد
العدو بالانفاق فيها اذ انفسكم واموالكم لله تعالى فله ان يأخذها منكم والثاني وانتم لا تظلمون في الثواب
في الآخرة اي يعطيكم في الآخرة الثواب والخلف في الدنيا على التمام بلا نقصان والله اعلم وقوله تعالى وان
جنحوا للسلم فاجنح لها ۝ قرئ بالنصب السلم وقرئ بالخفض قال اهل اللغة من قرأ بالنصب حمل على المصالحة
والموادعة ومن قرأ بالخفض حمل الآية على الاسلام وتأويله والله اعلم اي اذا جنحوا للصلح وطلبوا منك
فاجنح لها اي مل اليهم ولا يمنعك عن الصلح معهم ما كان منهم من نقض على ما ذكر في قوله الذين ينقضون
عهدهم في كل مرة يقول لا يمنعك من الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النقض ونكث العهد وتوكل
على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يكفيك ويطلعك على ذلك والله اعلم والهدى
قوله فاجنح لها ينصرف الى المسالمة والمصالحة ومنهم من قال وان جنحوا للسلم اي ان خضعوا وتواضعوا
للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين امره بخفض الجناح لهم فان قيل
ما المعنى في قوله فاجنح لها على قول من قال ان المراد من قوله وان جنحوا للسلم هو الاسلام لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يدعو الى الاسلام ولا شك انه كان يقبل منهم الاسلام كان يدعو الى الاسلام ولا شك انه كان
يقبل منهم الاسلام فلمعنى الامر بقبول الاسلام منهم امر بترك المؤاخذة ما كان منهم في حال نقض العهد
من الجراحات لاحد يتبعونه بها ويؤاخذون اذا اسلموا وانا نقضوا العهد ثم اصابوا شيئا من ذلك ثم اسلموا
لم يؤاخذوا بذلك فيحتمل ان يقول له فاجنح لها اي لا تؤاخذهم بما كان منهم في حال نقض العهد ليكون
ترغيبا لهم في الاسلام وحثا على المؤاخذة بها وقال الحسن رض هذا منسوخ نسخه قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وقال بعضهم نسخه قوله اقتلوا المشركين الآية وقال بعضهم نسخه قوله ولا تهنوا وتدعوا الى السلم
وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا ان الامام اذا راى الصلح والموادعة وهو الامان الموقت بمال او بغير
منفعة ونظر للمسلمين اجابهم الى ذلك لمصلحتهم واذا طلب الكفار منه والمسلمين قوة للقتال لحربهم

لم يجبهم الى ذلك وما ذكروا من نسخ الاية بما قالوا فلا نعرفه والله اعلم وقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك اي يخانوك في الصلح فان حسبك الله اي امكنك الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم وان كان من قوله فاجنح لها في الاسلام فيكون قوله فان حسبك الله اي يطلعك الله ما في قلوبهم من النفاق اي وان خفتم منهم انهم يظهرون لك الاسلام في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك عن قبول الاسلام منهم فان الله يكفيك ذلك ويطلعك على ذلك والله اعلم وقوله تعالى هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين * يحتمل قوله وبالمؤمنين الملائكة الذين انزلهم الله تعالى يوم بدر معونة للمؤمنين ويحتمل وبالمؤمنين المؤمنين الذين كانوا معه يوم بدر فاخبر الله تعالى انه ايده بنصره وبالمؤمنين ونصرهم وكان النصر له بالله تعالى في الحقيقة بقوله وما النصر الا من عند الله لكن النصر من الله تعالى مرة بالاسباب من الملائكة والمؤمنين وبغير ذلك من الاسباب ومرة باللطف منه بلا سبب وقوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم * قال بعضهم الف بين قلوبهم بالدين الذين اجتمعوا عليه بقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا الاية اخبر انهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر فلما اسلموا صاروا اخوانا ولكن عندنا الاسلام يجب التاليف بين القلوب والاجتماع بينها ولكن لا يجوز ان لا يوجد التاليف ان وجد الاسلام ليعلم ان الله عز وجل هو الذي يؤلف بينهم بلطفه وفضله كقوله عز وجل ولكن الله الف بينهم والذي يكون سبب التاليف على انه يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب مرة يكون بالدين ومرة باللطف من الله تعالى فاذا كان الخلاف والعداوة فيهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق في الدين ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان في الاطماع فهو يرتفع باللطف من الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى انه عزيز حكيم عزيز لا يعجزه شيء حكيم في امره وقوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين * قال بعضهم اي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين فيكون قوله معطوفا على الكاف من قوله حسبك وقيل كفاك الله في العون والنصر وكفى المؤمنين من اتباعك قال بعضهم اي حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين فيكون قوله ومن اتبعك نسقا وعطفا على قوله الله اي حسبك نصر الله وحسبك نصر المؤمنين وهو على ما ذكر هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وهذا الاول اشبه وقوله تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال * التحريض على القتال يكون بوجهين احدهما ان يعدهم من المنافع في الدنيا فيطمع لهم ذلك من نحو ما جاء في النفل ان من فعل كذا فله كذا ويعدهم المنافع في الاخرة كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وما ذكر من الثواب في الاخرة في النفقة التي ينفقها في سبيل الله وبقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فيكون ان يعدهم بالمنافع في الدنيا والاخرة ويعدهم النصر تحريضا على القتال والثاني يكون التحريض ببيان ما نهوا اولئك وبكثرة ما يصل اليهم من قبلهم كقوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة الى قوله يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء جمع الله عز وجل في هذه الاية جميع انواع الخير الذي يكون في القتال مع العدو من وعد النصر للمؤمنين وادخال السرور في قلوبهم ونفي الحزن عنهم وتعذيب اولئك بايديهم ونحو ذلك وهذا كله تحريض على القتال وترغيبهم في الحرب مع العدو والله اعلم وقوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون * اختلف في تاويل هذه الاية قال بعضهم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين على الامر كانه قال ليكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا امر العشرة القيام بمائة قال الدليل على انه على الامر قوله الان خفف الله عنكم ولو لم يكن على الامر في العزيمة لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال بعضهم هو على الوعد انهم اذا صبروا وثبتوا للعدو هم غلبوا عدوهم وهو على ما اخبر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وظاهر الاية اخبار حيث قال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اخبر انهم اذا صبروا غلبوا على ما وعد الله تعالى واخبر عنه لكن الاشبه ان يكون على الامر ليس على الخبر على ما ذكرنا من قوله الان خفف الله عنكم والذي يؤيد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فكتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة ثم نزلت الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين فاحتمل ما معنى قوله عز وجل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم في ما امر العشرة بالقيام للمائة والعشرين بالقيام للمائتين فما معنى التعليل امر بذلك على العشرة بالقيام للمائة مع علمه ان فيهم ضعفا فان كان في ذلك اهلاك انفسهم وذلك عنه غير ان ذلك الا انه في ذلك تكلفها بالمو وان شاء قتيل العدو اما التخفيف منه رحمة وفضل كما ان امر الواحد بالقيام للعشرة على علم منه بالضعف فيه

ابتداء امتحانا منه له ان يمتحن عباده فيما فيه وسعهم وما لا وسع لهم فيه وفي الجملة ذلك له لانه الانفس والاموال فله ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو كقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك لا يحتمل ان يكون ذلك عليهم ويحتمل اي علم فيهم الضعف كائنا شاهدا عيانا كما علم انه يكون فيهم الضعف وهو كما ذكرنا في قوله حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي نعلم انه جاهد كما علم انه يجاهد فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم ذكر العشرين والمائتين وذكر المائة والالف يحتمل ان يكون على التحديد حتى اذا كمل العدد الذي ذكر لم يسعهم الفرار وعليهم القتال واذا كانوا دون ذلك لم يلزم فيجب على العشرين ان يقاتلوا المائتين ولا يفروا منهم ويباح للواحد ان يفر من العشرة وكذلك لا يباح للمائة الفرار من الالف ويباح للعشرة الفرار من المائة ثم امر الله تعالى الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فامر ان يصبر مائة للمائتين وان فروا منهم لم يعذروا وكذلك قال الحسن رحمه الله ان الله امر ان يصبر عشرون لمائتين ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر مائة لالف ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر مائة لالف ان فروا منهم لم يعذروا فان كان على التحديد فالمعنى فيه انهم اذا كانوا عددا كثيرا كانوا منعة لا يسعهم ان لا يقاتلوا ويفروا عن الحرب واذا كانوا عددا قليلا وسع لهم ويحتمل ان يكون ذكر العشرة والعشرين والمائة والمائتين ليس على التحديد ولكن في الابتداء امر العشرين ان يصبروا للمائتين والمائة ان يصبروا للالف ثم خفف ونسخ الاول وامر المائة ان يصبروا للمائتين والالف ان يصبروا للالفين فيكون الحكم الاول وجوب المقاومة على الواحد مع الاثنين والدليل على ان ذكر العدد ليس على التحديد ولكن لبيان ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر في الناسخ والمنسوخ عددا غير العدد في المنسوخ لانه في المنسوخ ذكر العشرين للمائتين والمائة للالف وفي الناسخ ذكر المائة للمائتين والالف للالفين ولو كان ذكر ذلك على التحديد ينبغي ان يذكر في الناسخ العشرين للاربعين كما ذكر المائة بمقابلة المائتين للالف ولما ذكر الالف للالفين بمقابلة ما ذكر العشرين للمائتين دل انه ليس هو على ذلك على سبيل التحديد الا ترى على ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال انا الفئة الرجل يحمل من الكفار رغاشنا فله فداء لا علينا واذا لقي ثلثة فعلينا فداه لم يجعل الواحد الفرار من اثنين حيث لم يوجب علينا الفداء اذ جعل نفسه ناسيا لهم ولا يقابلهم وقد جعل له الفرار من ثلثة حيث جعل له الفداء اذ جعل نفسه ناسيا لهم بترك القتال لعدوه عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذلك وهذا هو الاصح ثم الصبر ما هو قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله تعالى وكفها عن جميع شهواتها ولذاتها واذا فعل ذلك غلب على العدو وقد يحتمل في ذلك واما الشكر قيل هو ان يبذل نفسه وما اعطاه الله تعالى لا يجعل لغيره فيكون الصبر والشكر في الحاصل سواء وان كانا في العبارة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما اعطاه الله والصبر على الكف عن جميع ما نهى الله تعالى عنه وحبس النفس على جميع ما امر الله تعالى به واذا ما اقتضى بذلك حسب عن غيره يكون باذلا ولهذا سمى الصالحين بقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر ههنا مكان ما ذكر في غيره الايمان وهو قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والله اعلم وقوله تعالى والله مع الصابرين في النصر على عدوهم والغلبة عليهم وقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض * يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما اي ما كان لنبي ان ياخذ الفداء من الاسارى حتى يثخن في الارض اي يغلب في الارض حتى اذا اخذ الفداء وترحمهم واطلقهم يكون رجوعهم الى غير منعة وشركة فلا يكون في ذلك ضرر بالمسلمين واذا لم يغلب في الارض ثم اخذ الفداء واطلقهم يكون رجوعهم الى منعة فيصيروا حربا على المسلمين فيكون في ذلك ضرر بالمسلمين فلا يحل والثاني وما كان لنبي ان يباشر الاسارى حتى يغلب في الارض اي حتى يصير الدين كله لله تعالى بل عليه ان يقتله الحال كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ثم اختلف في نفس الاثخان قال ابن عباس رضي الله عنه الاثخان القتل وقيل حتى يثخن له حتى يغلب وقال ابو معاذ رضي الله عنه حتى يثخن في الارض اي يثخن في اهل الارض ويكثر الجراح ويقتل والجراحات فيهم يقال اثخن في القوم اذا كثرت فيهم القتل والجراح ويقال ضربه حتى اثخنه اي ضربه على ان لا يقدر على القيام وهو ما ذكر محمد رحمه الله في بعض مسائله انه اذا رمى صيدا فاصابه واثخنه ثم رماه اخر بسهم فاصابه فانه للاول لانه صير بالاثخان خارجا عن ان يكون صيدا وهو الضرب الذي وصفنا ويقال اثخن يثخن اثخانا واثخنه وهو ثخين ثم اختلف اهل التاويل في قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض هو عام مطلق في كل شيء ام لا قال بعضهم هو عام مطلق في حق كل نبي ونبينا عليهم السلام داخل فيه ويقال ابو بكر الكاتب رحمه الله واحتج وقال ان الله تعالى عاتب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في اخذ الاسارى عتابا مطلقا وبالغ في العتاب في اخذ الفداء منهم بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما استشار اصحابه رضي الله عنهم في الاسارى اشار ابو بكر رضي الله عنه الى اخذ الفداء وعمر رضي الله عنه الى القتل فقال لو نزل من السماء

عذاب يخا الاعمر رضي عا تبهم باخذ الاسارى على الحق العذاب الشديد في اخذ الفداء وقد امر بضرب الرقاب بقوله
فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وعن ابن عباس رضي قال لم يكن لاحد الانبياء عليهم السلام فيما مضى يكون لهم
اسارى حتى يثخنوا في الارض وعن سعيد بن جبير رضي انه قال يقتل اسارى المشركين ولا يفادون حتى يثخن فيهم القتل
وقوله حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء ولا نقبل الا بامر الله ولا نقبل الا باذن الله تعالى قال لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم فيه عذاب عظيم معناه والله اعلم انه لولا الحكم السابق بالاباحة في وجه ما لا
ولا حكمكم العذاب بذلك فدل ان الرخصة ثابتة في حق نبينا عليه السلام وامته لان هذه الاية اعني قوله لولا كتاب
من الله سبق يستوجبها الى وجوه من التاويل احدها ما قاله ابو بكر الكسائي لولا كتاب من الله سبق ان لا يعذب
المخطئين في عملهم على خطا امره ولا لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسارى والفداء منهم عذاب عظيم وقال اخرون
لولا كتاب من الله سبق انهم سيتوبون عما عملوا من الاخذ بغير اذن سيتوب عليهم ولا لمسكم العذاب بذلك وقال
اخرون لولا كتاب من الله ان احل الغنائم لهذه الامة لمسكم فيما اخذتم لو استحللتم عذاب عظيم وقال بعض
اهل العلم يحتمل قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى اي ما كان لنبي قبلكم ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
واما انتم فقد احلت لكم الاسارى والغنائم الا ترى انه قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا والدليل على ان المراد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما اسروا الاسارى يوم
بدر قال النبي عليه السلام لابي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ما تقولون في هؤلاء الاسارى فاشار ابو بكر
الى الفداء وعمر رضي الى القتل فهوي ما قال ابو بكر رضي ولم يهو ما قال عمر رضي فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل لهم الغنيمة وعن عبد الله بن مسعود رضي قال لما كان يوم
بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسارى فقال ابو بكر رضي قومك واهلك
واستبقهم واستانهم لعل الله تعالى ان يتوب عليهم وقال عمر رضي كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم
وقال عبد الله بن رواحة رضي يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا فقال العباس
قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر رضي
وقال ناس ياخذ بقول عمر رضي وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله تعالى ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم عم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم وان مثلك يا ابا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال ان تعذبهم فانهم عبادك الاية وان مثلك يا عمر كمثل
موسى عليه السلام قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وكمثل نوح عليه السلام حيث قال لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا انتم عالة فلا يفلتن احد منكم الا بفداء او ضربة عنق قال عبد الله فقلت
يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتني
في يوم اخوف ان تقع علي الحجارة مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء
فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى اخر الاية والدليل عليها انه في قوله فاضربوا فوق الاعناق دلالة
اباحة الاسر ورخصته لانه قال فاضربوا فوق الاعناق ... لانه من المفصل الذي بيانه ... وذلك
قبل ما يكون في القتال ولا نقدر ... في الحرب انما يكون ذلك بعد ما اخذوا ووقعوا في ايديهم فدل
ذلك على اباحة الاخذ وانما ما ذكر من ضرب كل بنان فهو في الحرب انما يضرب فيما ظفر وجعل السبيل الى ذلك
فيكون في الاية اشارة الى اباحة الاسر والقتل كيف ما ارادوا والله اعلم ولا نقبل الا من وجهين قوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لانا نقول انما عوتب لا لخطاء الاسر والمفاداة لكن لانه لم ينتظر
بلوغ الوحي وعمل بالاجتهاد فقال لولا كتاب من الله سبق اي لولا ما سبق من حكم الله تعالى ان لا يعذب احدا على
العمل بالاجتهاد لمسكم العذاب باقدامكم على الاسر بالاجتهاد وترككم انتظار الوحي على انه يحتمل ان يكون قوله
لولا كتاب من الله سبق ملحقا على ما سبق من قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون
يجادلونك في الحق الاية ويكون صلة لذلك لا في هذه الحادثة اي لولا ما سبق من حكم الله تعالى ان يجعل لكم الظفر
على احدى الطائفتين منهما مطلقا فعلمتم بمعيتها مطلق النصرة لمسكم العذاب بمجادلتكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومخالفتكم في الخروج وارادتكم العير دون الجيش وكره قوله اخذتم معناه عملتم والله اعلم
واختلف اهل العلم في فداء الاسارى بالمال واباحة الاسر قال ابن عباس رضي انه نزل ما كان لنبي ان يكون له اسرى
حتى يثخن في الارض نزل في يوم بدر والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل بعد ذلك في الاسرى
فاما منا بعد واما فداء فجعل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاءوا قتلوهم وان شاءوا استعبدوهم

نحو النبي صلى الله عليه وسلم فامر الاسارى يوم بدر بفداية اياهم لقلة عدد المسلمين فلما كثر المسلمون
واثخن في الارض وظهر الدين اطلق لنا المفاداة وقال سعيد بن جبير رضي يقتل الاسرى ولا يفادون حتى
يثخن فيهم القتل ويكثر الى المسلمين وقرأ حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء وعن الحسن
انه كره قتل الاسرى وما يصنع به ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم باسارى بني عليه وبعاد وهو قول
وعنه وقال المجاهد القتل افضل من الفداء وقال ابو عبيد ان الامام مخير بين ان يقتل الاسير او يمن عليه او يفاديه
او يسترقه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر ثم قدم المدينة
فحكم في سائرهم بالفداء والمن فكذلك حكم في بني قريظة سعد رضي الله عنه ان يقتل مقاتلتهم ثم من النبي صلى الله عليه
وسلم على الزبير بن باطا لثابت بن قيس ثم من على بني المصطلق فلم يقتل احدا منهم ثم من على اهل حنين
وقد قتل ابن الحقيق ثم كان فتح مكة فقتل هلال بن خطل ومقيس بن صبابة واطلق سائر الناس وفادى ابو بكر رضي
الله عنه على عتبة بن حصين والاشعث بن قيس وقتل رجالا من بني سليم لكنا نقول لا نقول ابي عبيد ان
الامام ان يقتل الاسير فهو كما قال لان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل من ذكر من الاسرى واما قوله انه ان
يمن فلان النبي صلى الله عليه وسلم نادى اسارى اهل بدر فليس كذلك عندنا فان المفاداة عن الاسرى انما
لئن يرد الى دار الحرب فيصير حربا لنا فلا يجوز ومشركوا العرب مما لا يجوز تركهم على الكفر بالجزية لقوله عليه السلام
لا يجتمع دينان في جزيرة العرب وكذلك مفاداة الاسير باسير من المسلمين لا يجوز عند ابي حنيفة رضي خلافا
لصاحبيه رحمهما الله وعند الشافعي رض يجوز اخذ الفداء عن الاسير كيف ما كان واما اخذ الفداء من اسارى
بدر وكان قبل نزول قوله تقاتلونهم او يسلمون وقوله فاما منا بعد واما فداء الا ان الحجة فيه على ما ذكر والله اعلم
وقوله ان له ان يسترقه فهو كما قال اذا كان الاسير من اهل الكتاب من العجم واما مشركوا العرب واهل الردة
فلا يسترقون لانه لم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم استرق احدا منهم على شرهم ولم يبلغنا ان ابا بكر
رضي الله عنه استرق احدا من رجال اهل الردة وكيف يسترقون وقد قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
واما قوله ان يمن عليه ولا يقتله فهو في اهل الكتاب صحيح فاما في العرب فلا قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
وقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوهم حيث وجدتموهم واما قوله فاما منا بعد واما فداء فقد قيل عن السدي
وقتادة وغيرهما رضي الله عنهما ان ذلك منسوخ بقوله اقتلوا المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
وسورة البراءة نزلت بعد سورة محمد صلى الله عليه وسلم على انه يجوز ان يكون ذلك في اهل الكتاب فيمن
عليهم بعد اسرهم على ان يصيروا اكرة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل خيبر وذمة كما فعل عمر رض باهل
السواد او يسترقوا اذا كانوا لوقوع عليهم واما ابو بكر رض انما من على الاشعث وعقبة لما انهما اسلما واما الزبير
واهل حنين فقد من عليه ولم يقتله ولم يثبت انه هل جعله ذمة والزمه الجزية ام لا والله اعلم وفيما روينا من
استشارة النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم في اسارى بدر دلالة العمل بالاجتهاد فيكون حجة على منكري
القياس والذي يدل على صحة الاجتهاد ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما
يا ابا بكر وعمر ان الله جعل لي ان اشاوركما ولولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلافكما فهذا
دليل انه لا يجوز لاحد ان يخالفهما فيما اجتمعا عليه وانما اختلفا فيه فلا يجوز لاحد ان يخالفهما فيما اجتمعا
عليه وان اختلفا فيه فلا يجوز العدول عن قولهما ويجب الاخذ باحدهما فذلك يكون بالاجتهاد والقياس
اذ الترجيح بالمعنى يكون قالت المعتزلة في قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة يريد ما
اراد العباد فلذلك يجب اذا ارادوا المعاصي ان يكون الله تعالى مريدا لها لان الله اخبر انهم ارادوا عرض الدنيا
والله يريد الاخرة فيجوز انهم ارادوا المعصية والله تعالى يريد الطاعة لكن التاويل عندنا اي تريدون حب
الدنيا وعرضها والله يريد الاخرة وعرضها فان الله تعالى اراد لهم الاخرة بالقتال مع احدى الطائفتين
وهم العسكر وهم ارادوا عرض الدنيا وهو العير فقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوا بانفسهم لان
ما يريد الله تعالى يكون لا محالة واما ما اراد العبد قد يكون وقد لا يكون لان ارادة حقيقة لمقارنتها الفعل وقد لا يكون
فيكون التمني وذلك جائز في صفات العبد ومثله ان الله تعالى اراد الاخرة لاهل بدر فكان ما اراد وارادة
اولئك الكفرة النار فكان كما اراد وهو لقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة على حقيقة الارادة
وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم اي تودون القتال مع غير ذات الشوكة حتى يكون لهم الغنائم ثم الارادة التي تضاف الى الله تعالى
تخرج على وجوه ثلثة احدها الرضا كقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا كانوا يستدلون
بتركهم اياه وهم على ان الله تعالى رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قالوا

وجدنا عليها اباءنا زائلة امرنا بها والثالث الارادة هي صفة فعل كل فاعل يخرج فعله على غير سهو وغفلة
ولا طبع بل يخرج على الاختيار وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا • قال بعضهم حلالا طيبا واصل كل
حلال طيب وكل حرام خبيث واما طيبا اذا حل وخبثا اذا حرم ولكن يحتمل قوله حلالا طيبا حلالا
بالشرع طيبا بالطبع وكذلك الحرام هو حرام بالشرع خبيث بالطبع ولان الطيب هو الذي يتلذذ به ولا تبعة
فيه لان خوف التبعة مما يتنغص عليه ويذهب بطيبه ولن تنفك مما ذكرنا من الطيب ههنا لما ان اهل الشرك
كانوا ما اخذوا من الاموال التي يحبون بها من وجه لا يحل واسباب فاسدة فيكره المسلمون التناول منها اذا غنموها
لاجل تلك الاسباب الفاسدة فيطيب قلوبهم بقوله طيبا انه لا مواخذة لكم في ذلك وفيه دليل جواز التصرف
والتقلب في البيع الفاسد وطيب التناول وفيه الثاني وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون ذلك
كاموال الكفرة المستفادة باسباب فاسدة في حق من عليكما بالامساك والاستغنام والله اعلم وفيه دلالة
ان اهل الكفر لا يؤاخذون بالافعال التي كانت لهم في الكفر ولا بما كانوا تركوا من العبادات لما اسلموا اذ انها انما
عليهم الاعتقاد والله اعلم وقوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم • قال عامة اهل التاويل ان الاية نزلت في العباس بن عبد المطلب واصحابه وكذلك قال ابن عباس
رضي الله عنهما قالوا للنبي عليه السلام امنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي
يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق له في قلوبكم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي يخلف عليكم خيرا مما اصيب عليكم
واخذ منكم في الدنيا وكذا روي عن العباس رض انه قال لعبد ما اتهمناه وابدلنا لما ان الله تعالى وعدني بقوله يؤتكم
خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم وقد صدق احد الوعدين والاخر وعن ابن انه اعطاه مالا كثيرا فلا رجو ان ينجز
الوعد الاخر وهو المغفرة هذا معنى قوله لكن الاية فيه وفي غيره كل من فعل مثل ما فعله فهو في ذلك سواء ويحتمل
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وهو الايمان والتصديق لكن معناه في الحقيقة ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا وهو الميل الى الايمان والعزم عليه فقد اتاكم خيرا مما اخذ منكم وهو الايمان لان علم الله تعالى لا يحتمل
التعليق بل الله تعالى له علم انه بما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون اذ لك قلنا اراد به الماضي ويجوز ان يكون
يفعل مكان فعل في اللغة قال الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم اي
المنافقين وذلك كثير في القران فعلى ذلك هذا والله الموفق ويحتمل يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي يعطيكم
افضل مما اخذ منكم من الفداء في الاخرة من النعم الدائمة والحياة الباقية والله اعلم وقوله تعالى ويغفر لكم
ذنوبكم والله غفور رحيم • اي غفور بما كان منهم في حال الشرك كقوله فان انتهوا فان الله غفور للذين
الذي سلف منهم وقوله رحيم اي يرحمهم في حال الاسلام وقوله تعالى وان يريدوا خيانتك فقد خانوا
الله من قبل فامكن منهم • يحتمل ان يكون الاية صلة ما سبق من الايات من قوله تعالى الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون وقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم وقوله وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله وغير ذلك محتمل معناه والله اعلم وان يريدوا خيانتك في نقض العهد فقد
خانوا الله من قبل ثم قوله قد خانوا الله من قبل يحتمل اي خانوا الله من قبل فيما عاهدوا ان يوفوا بذلك من ذلك
قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
الاية وقد نا هم الله تعالى ولم يوفوا بما عاهدوا او غير ذلك من العهود ويحتمل ما عهد اليهم في امر محمد صلى الله عليه
وسلم واظهار نعته وصفته في كتبهم فكتموا ذلك وحرفوه واظهروا خلاف نعته وصفته فكذلك منهم خيانة
يقول فانهم خانوا الله من قبل فامكن منهم اذ لخانوك يمكنك الله تعالى ايضا منهم وقال بعضهم وان يريدوا
خيانتك الاية اي ان خانوك بعد اسلامهم بالكفر بك فقد خانوا الله من قبل اي فقد كفروا بالله فقتل منهم يوم
بدر نقول ان خانتك كل منهم فقتلتهم واسرتهم كما اصلت بهم يوم بدر والله اعلم وقوله فامكن منهم قال
اي انتقم منهم جزاء خيانتهم يمكنك ايضا حتى تنتقم منهم اذا خانوك وقال بعضهم فقد خانوا الله من قبل فامكن
منهم اي قدرك عليهم ايضا ثم قوله وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة ولكن على حقيقة وقوع فعل
الخيانة كانه قال ان خانوك فقد خانوا الله من قبل لكن ذكر الارادة واكد بها حقيقة الفعل لجواز ان
الارادة صفة كل فاعل مختار لما لا يكون الافعال الاختيارية الا بالارادة والله الموفق وقوله تعالى والله عليم
حكيم • اي عليم بما يسرون وما يضمرون من الخيانة ونقض العهود في امره حكيم حيث امكنك منهم
وقوله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله • قوله امنوا اي صدقوا
بايات الله وحججه او صدقوا رسوله عليه السلام في جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كدأب ال فرعون والذين
من قبلهم كفروا بايات الله وكذبوا بايات ربهم ذكر ههنا التصديق هناك قوله وجاهدوا في اظهار دين الله تعالى

وتنصروه باموالهم وانفسهم اي بذلوا ذلك والذين اووا اي ضموا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروا اولئك بعضهم
اولياء بعض قال ابن عباس وعامة اهل التاويل رضي الله عنهم في الايات التي ذكرت في الاية في التوارث جعل الميراث
للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة وكذلك قالوا في قوله والذين امنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا يعني الميراث وروي عن عبد الله بن مسعود رض قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض في الدنيا والاخرة وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وعن ابن مسعود رض في القسم قال اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه
رضي الله عنهم فاخا بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام فكانا يتوارثان بذلك لانهم هاجروا وتركوا ذوي ارحامهم
حتى نزل الله تعالى اية المواريث وعن ابن عباس رض قال في قوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم الاية
قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الانصاري دون ذوي رحمه بالاخوة التي اخى النبي عليه السلام
فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون نسختها وقوله والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم
نصيبهم اي من النصر والنصيحة والرفادة ويوصي له ولا ميراث وعن الحسن رض في قوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله تعالى فكان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان الاعرابي لا يرث المهاجر والمهاجر لا يرثه
الاعرابي فيحضهم بذلك على الهجرة حتى كثر المسلمون فانزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
يؤذن للاعرابي المهاجرون والى هذا يذهب عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان الهجرة كانت مفروضة ثم
نسخها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عائشة رضي الله عنها انقطعت
الهجرة الى الله تعالى ورسوله عليه السلام والمؤمنين يفرون بدينهم ان يفتنوا عنه وقد افشى الله تعالى الاسلام
ويحتمل غير ما ذكر اهل التاويل وهو ان الذين امنوا وهاجروا الى قوله اولئك بعضهم اولياء بعض في تمام
الولاية في التناصر والتعاون والحقوق والديانة ثم ولي بعضهم ببعض في الذين امنوا ولم يهاجروا لانهم
امنوا وهاجروا وتركوا اهلهم وما بايديهم ببلدهم الذي كانوا فيه مقيمين اشفاقا على دينهم واستسلاما لهم
ولانفسهم والانصار اووهم وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وجعلوا اجميع بينهم من غير ان
يسبق منهم اليهم شيء خصا بحكم اخوانا فالانصار والمهاجرون بعضهم اولياء بعض في تمام ما ذكرنا من الولاية
وكذا قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء اي من تمام ما ذكرنا من الولاية لهم ولاية الدين
وليس لهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع الذي يكتسب بالدين والله اعلم وقوله تعالى
والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء • دلالة نقض قول المعتزلة في اصحاب الكبيرة
يخرج من الايمان لان الله تعالى ابقى للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفروضة فصاروا
بتركهم الهجرة مرتكبين كبيرة فدل ان ارتكاب الكبيرة لا يزيل الايمان ثم قوله ما لكم من ولايتهم من شيء
قرئ بالنصب والخفض وكذلك قوله هنالك الولاية لله الحق قرئ بنصب الواو والخفض ثم قال
بعض اهل الادب الولاية بنصب الواو النصرة والمعونة وبخفض الواو السلطان اي السلطان لله وقال بعضهم
على العكس وقال اخرون هما سواء فيهما وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • اي اولوا الارحام اذا امنوا
وهاجروا بعضهم اولى ببعض ولا من غيرهم لانهم اذا امنوا وهاجروا اهل قرابة سالفة ورحم متقدمة كانوا اولى
من غيرهم الذين لا قرابة بينهم ولا رحم لانه اجتمع فيهم الرحم والنصرة والديانة والحقوق فقد اجتمع فيهم سببا
اربعة وفي اولئك ثلثة فهم اولى بهم من غيرهم على هذا التاويل الذي ذكرنا وقوله تعالى وان استنصروكم
في الدين يعني الذين لم يهاجروا وهو يحتمل وجهين احدهما اي اذا طلبوا منكم النصرة والمعونة على عدوهم فعليكم
النصر والمعونة على اوليائنا الذين لم يكن بينكم وبينهم ميثاق والثاني اذا علمتم انهم يخشون على انفسهم
من عدوهم مخافة فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي اذا استنصروكم في الدين على قوم بينكم
وبينهم ميثاق فلا تنصروهم اي ليس عليكم ان تنصروهم وان كانوا هم عدوا من المشركين وقاتلوهم ليردوهم عن
الاسلام لكن الاية وان كانت مطلقة فالمراد بها والله اعلم اي فلا تنصروهم اذا كان بينكم وبينهم ميثاق
حتى ينبذوا العهد وعليكم بعد النبذ نصرة المسلمين والله اعلم وقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء
بعض • على قول ابن عباس وعامة اهل التاويل رضي الله عنهم اي بعضهم اولياء بعض في التوارث على ما قالوا
في المهاجرين والانصار ويحتمل ما ذكرنا ان بعضهم اولياء بعض في التعاون والتناصر في الدين والحقوق
جميعا على ما ذكرنا في المؤمنين وقوله تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير • قيل فيه وجوه
احدها الا تناصروا الذين لم يهاجروا اذا استنصروكم على عدوهم فلم ينصروهم تكن فتنة في الارض وفساد كبير
اي ان لم يكن بعضكم اعوانا وانصارا لبعض على ما كان اهل الكفر بعضهم اعوانا وانصارا لبعض عليكم

العدو وتهونكم فيكون في ذلك فتنة وفساد كبير وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة في الارض وفساد كبير
يلحق بقوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي ان استنصروكم اخوانكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق نقض قوم
تكن فتنة في الارض وفساد كبير وقال بعضهم الا تفعلوه اي ان تفعلوا ما امركم به من جعل التوارث فيما بين
المؤمنين وجعلتم التوارث فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير لانه تعالى وجل ذكر المواريث
ثم ذكر في آخر الآية تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله الآية وما ذكر من تركه من ترك حدود الله وطاعة رسوله
في جميع ما امر تكن فتنة في الارض وفساد كبير والله اعلم وقوله تعالى والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله والذين آووا ونصروا اي ضموا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين الى انفسهم ونصروهم وقوله تعالى
اولئك هم المؤمنون حقا اراد بالمهاجرين والانصار سماهم مؤمنين حقا لما حققوا ايمانهم باعمالهم لان
المهاجرين هاجروا بلادهم واهاليهم واموالهم اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واطاعوه في ذلك والانصار ضموا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين الى انفسهم واموالهم ونصروهم
دورهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم التي عملوا عند الله تعالى انما علم ويحتمل اولئك هم المؤمنون
الذي وعد لهم وعدا حقا وهو ما ذكر في آخر الآية لهم مغفرة ورزق كريم ويحتمل اولئك هم المؤمنون حقا
اي اولئك هم المؤمنون بصدقاتهم السر والعلانية ليسوا كالمنافقين الذين يكونون ايمانهم في العلانية دون السر
وهو كقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين
وقد جمع بين المهاجرين والانصار في حق الشهادة لهم بالتصديق والايمان حيث قال اولئك هم المؤمنون
حقا وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتب بها من المنافع حيث قال اولئك بعضهم اولياء بعض وجمع بينهم
في الثواب والاجر حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم وجمع بينهم في هذه الخصال وان قدم ذكر المهاجرين في
غير واحد من الآيات لما انهم يستوجبون الاسباب التي استوجبوها وذلك لما ذكر ان المهاجرين تركوا الاوطان
والمنازل والخروج منها والمفارقة عن اهليهم واموالهم وكان من الانصار مقابل ذلك انزالهم بيوتهم واطعامهم
وبذلهم اموالهم وقيام اهليهم وخدمتهم فدل على استواء اسباب الاستحقاق لذلك جمع الله تعالى بين الكل والله اعلم
وقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن كريم اهله به وقوله تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم اي من آمن من بعد هؤلاء وهاجر بعد هجرة هؤلاء فانهم يلحقون باولئك في جميع ما ذكر
اولئك من الشهادة في التصديق بالايمان والولاية وعقد المغفرة ويحتمل الذي حيث قال فاولئك منكم اي يكون هذه
والله اعلم لنفعل بحق ما عمل اولئك من الهجرة والنصرة وبذل النفس والمال والاشفاق على الدين يكون منهم كما جعل
منهم وجعل وجوه الهجرة من الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين تاخرت هجرتهم سواء والله اعلم
وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث من جميع المؤمنين
هاجروا ولم يهاجروا وهذه الآية نسخت حكم الميراث الذي ذكر في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء لانه كان يجعل ميراثهم بحق الايمان والهجرة ثم نسخ ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فاذا لم يبق من الرحم احد فعند ذلك
يكون يحملها المؤمنين وعلى ذلك يخرج قول اصحابنا رحمهم الله ان ذوي الارحام اولى بالميراث من جملة المؤمنين
حتى يرد عليهم ولا يوضع في بيت المال الذي هو حق المؤمنين لظاهر الآية وعلى ذلك يخرج قولهم في العقل
انه على ذوي الارحام فاذا لم يكن احد منهم يكون على جملة المؤمنين في بيت المال وقوله تعالى في كتاب الله اي
في حكم الله ويحتمل في كتاب الله اي ذكر في كتاب الله تعالى وقوله تعالى ان الله بكل شيء عليم اي عليم بالعباد
وما يكون منهم ويحتمل اي عليم بما يحتاجون وما لا يحتاجون وهو حرف يقع في غيبه والله اعلم تمت السورة

سورة التوبة

قوله تعالى عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال اهل التاويل المراد من قوله براءة
من الله ورسوله هي البراءة من العهود وهي نقض العهود التي كانت بين رسول الله وبين المشركين امر بنقض العهد
الذي بينه وبينهم بعد اربعة اشهر فانه قال فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي سيحوا في هذه المدة آمنين عن الحرب ثم ينتهي
بمضي هذه المدة ثم نبذ اليهم واختلف اهل التاويل في كيفية ذلك لان ظاهر هذه الآية يقتضي ان من كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد كيف ما كان فاجله اربعة اشهر لانه ذكر العهد مطلقا بقوله الى الذين عاهدتم من
المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر ثم قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا

اليهم عهدهم الى مدتهم ظاهره يقتضي ان لا ينقض العهد من المشركين جملة كيف ما كان العهد بل يتم العهد الى المدة
المسماة لهم وان يوفى عهدهم الى تلك المدة ثم قال في آية اخرى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم امر بابقاء عهدهم وامضائه ما داموا على العهد ولم ينقضوا ولم يجيئوا وقد وردت الاحاديث مختلفة ايضا
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه مكة في رمضان ورجع الى المدينة ونزلت براءة من الله ورسوله فبعث
ابا بكر الى مكة على حج الناس ليقيم للمؤمنين حجهم ويكون اميرا عليهم وبعث معه عشر آيات او تسع آيات وامره ان يقرأها على اهل مكة
وينبذ الى كل ذي عهد عهده كما وصف له فلما خرج ابو بكر منطلقا نحو مكة نزل جبريل فقال يا رسول الله انه لا يؤدي عن
ذمتك الا رجل من اهل بيتك فلا تبعث ذمتك الا رجل من اهل بيتك فدعا عليا رضي الله عنه وبعثه الى اهل مكة وقال له كن انت الذي
تقرأ هؤلاء الآيات على اهل مكة فانه لا يؤدي عن ذمتي ولا يعطي ذمتي الا رجل من اهل بيتي وامر ابا بكر ليصلي بالناس وسار حتى لحق
ابا بكر في الطريق فاخبره بما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابو بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم وعلي رضي الله عنه صاحب البراءة وفي رواية لما ادرك
علي واخبره بذلك واخذ منه البراءة رجع ابو بكر الى النبي فقال للنبي بابي انت وامي انزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري او رجل
مني اما ترضى يا ابا بكر انك صاحبي في الغار وانك اخي في الاسلام وانك ترد علي الحوض يوم القيامة قال بلى يا رسول الله
فمضى ابو بكر على الناس ومضى علي بالبراءة فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون قام علي عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني
رسول رسول الله اليكم قالوا له بماذا فقرأ على الناس براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الآيات اي
من كان بينه وبين رسول الله عهد فهو بريء منه غير اربعة اشهر فانهم يسيحون فيها آمنين غير خائفين فهذا الحديث
موافق لظاهر اول السورة ولكنه مخالف لقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم
احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كنت مع النبي عليه السلام ببراءة الى المشركين فكنت انادي
حتى صحل صوتي فقيل له باي شيء كنت تنادي قال امرنا ان ننادي ولا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد فاجله الى اربعة اشهر وفي رواية ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فان اجله الى اربعة اشهر
فان الله بريء من المشركين وهذا موافق ايضا لظاهر اول السورة مخالف لقوله الا الذين عاهدتم من المشركين وروي
عن علي رضي الله عنه انه سئل باي شيء بعثت الى اهل مكة قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين النبي صلى الله
عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن بينه وبين النبي عهد فعهده اربعة اشهر ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع
الحرم مشرك بعد عامه هذا وهذا الحديث يخالف ظاهر اول السورة فانه يذكر ان من كان بينه وبين رسول الله عهد
وعهده الى مدته وفي اول براءة من كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله اربعة اشهر ولكنه موافق للآية الثانية وهي
قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم لما اختلف ظاهر الآيات والاحاديث فاختلف اهل التاويل في التوفيق بينهما اذ كتاب الله تعالى منزه عن
الاختلاف وكذلك احاديث رسول الله فقال بعضهم ان اول السورة في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد مطلق
مرسل غير موقت بوقت معين فامر بنقض ذلك العهد المرسل بعد اربعة اشهر وبتمام الاربعة الاشهر وهو قوله فسيحوا
في الارض اربعة اشهر وما ذكر من قوله الا الذين عاهدتم من المشركين وقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام في العهد
المؤقت الى مدة معلومة فاستثنى العهد المؤقت وامر باتمام العهد المسمى وقته الى انتهاء المدة بذلك قوله فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم وقوله فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وكذا روي عن محمد بن اسحق بعث رسول الله ابا بكر اميرا على الحج في سنة
تسع ليقيم للمؤمنين حجهم فخرج ابو بكر ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله وبين المشركين من العهد الذي كان بينه وبينهم
من العهد ان لا يصد عن البيت احد جاءه ولا يخاف احد في الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما مرسلا بينه وبين اهل
الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله وبين قبائل من العرب خصوصة الى آجال مسماة فنزلت براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين اي الى اهل العهد العام المرسل من اهل الشرك من العرب بان الله بريء من المشركين ورسوله
بعد مضي اربعة اشهر وقوله الا الذين عاهدتم من المشركين يعني العهد الخاص الى الاجل المسمى وكذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام فاذا احمل عليه فلا يكون حينئذ بين الآيات اختلاف وكذلك على هذا يخرج الاحاديث فان حديث ابي هريرة ان من كان
بينه وبين رسول الله عهد فان اجله اربعة اشهر انصرف الى من كان له عهد مطلق غير موقت الى مدة معلومة وحديث
علي ان من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته انصرف الى الاجل المسمى فاما قوله ومن لم يكن بينه وبين
رسول الله عهد اي عهد مدة معلومة فاجله اربعة اشهر وما روي في حديث ابي هريرة في رواية اخرى ومن كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد او مدة معلومة فاجله اربعة اشهر وما روي في حديث ابي هريرة في رواية اخرى ومن كان
بينه وبين رسول الله مدة فاجلها اربعة اشهر اراد والله اعلم مدة مبهمة مرسلة لا معينة بان عهدا لهم عهودا وبينين
غير مسماة ويحتمل الاحاديث على ما ذكرنا ويقع الاختلاف فيما قاله ظلم وقال بعضهم ان اول السورة في قوم كانت عادتهم
نقض العهود ونكثه كقوله الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فامر تعالى رسوله بان يؤجل من نقض عهده

اربعة اشهر كأنه قال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فنقضوا عهدهم فسيحوا في الارض اربعة اشهر فامضى فنقضوا لعهدهم والعرب تقتصر مثل هذا في كلامهم واما قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم امر باتمام عهد من لم ينقض وكذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وبهذا تبين ان النقض منهم في اول الاية كانه استثنى اتمام عهد من لم ينقض عهده الجملة والمستثنى خلاف المستثنى منه فدل ان المراد في اول السورة على من نقض العهد وعلى هذا يخرج الاخبار فيحمل على موافق ما ذكرنا فانه قال ومن كان بينه وبين النبي عهد فعهده اربعة اشهر اي اذا نقض العهد لانه كان بينه وبينه عهده اربعة اشهر وحديث ابي هريرة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى اربعة اشهر او عهد فنقضه وكذلك الروايات الاخر عمن كان بينه وبين رسول الله مدة فانا اجله الى اربعة اشهر ومن ... ونقضها حتى يكون توفيقا بين الاحاديث والايات ... هذا القول قال ابو بكر الكاتب ... قال بعضهم في الاية كان قوم كان لهم عهد دون اربعة اشهر فامر باتمام اربعة اشهر بقوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر دليله ما ذكر من لفظ الاتمام فيما استثنى بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين الى قوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم فاستثنى من كانت مدته اكثر من اربعة اشهر ويخرج عليه حديث علي ومن كان بينه وبين النبي عهد اي اكثر من اربعة اشهر فعهده الى مدته ومن لم بينه وبين النبي عهدا او اكثر من اربعة اشهر فعهده اربعة اشهر وكذا حديث ابي هريرة وقال بعضهم اول الاية خطاب لمن كان عهدهم اكثر من اربعة اشهر فامر ان يحط الى اربعة اشهر ان لم ينقض بعد ذلك الا في ... احدهما الذين عاهدوا رسول الله عند المسجد الحرام من قبائل بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش فلم يكن نقضا الا هذا الحي من بني وهو الدئل فامر النبي عليه السلام باتمام العهد لمن لم يكن نقضه من بني بكر الى مدته فذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفريق الثاني كان ... من خزاعة من بني المصطلق ... ان يتم لهم العهد الذي بينهم وبين النبي فذلك قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الاية وعن الكلبي عن ابن عباس رض ان المشركين حين جعلوا ينقضون عهودهم قبل الاجل فامر الله نبيه ان ينظر من كان عهده اربعة اشهر لا ينقره الى ان تمضي اربعة اشهر وذلك من يوم النحر الى عشر يمضين من شهر ربيع الاخر ومن كان له من العهد اكثر من اربعة اشهر ان يحط الى اربعة اشهر وذلك من يوم النحر الى انقضاء اربعة اشهر ومن كان له من العهد اقل من اربعة اشهر ان يرفعه له فيجعله اربعة اشهر ومن لم يكن عهد بين رسول الله ان يجعل له خمسين ليلة وذلك من يوم النحر الى ان تمضي خمسون ليلة وذلك الى انسلاخ المحرم الا حي واحد منهم من بني ضمرة من بني كنانة كان بقي لهم من عهدهم تسعة اشهر فامر نبيه ان يتم لهم عهدهم الى مدتهم وقد كانوا عاهدوا رسول الله في العمرة التي احلت بها مكة بعد الحديبية بسنة فكان عهدهم في تلك الايام عند النبي فذلك قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يقول من كان بينه وبين رسول الله عهد فهو بريء من عهده بعد اربعة اشهر ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم من المشركين هم بنو ضمرة حي من بني كنانة امر الله تعالى ان يفي لهم بما عاهدهم الى مدتهم وكذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم الاية ثم بنو ضمرة فما استقاموا لكم في العهد فلم ينقضوا كما نقض غيرهم فاستقيموا لهم في اتمام عهدهم هذا كله قول اهل التأويل وعندنا يحتمل غير هذا وهو ان قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الاية اي براءة في امضاء العهد وبقائه واتمامه ليس على النقض والبراءة من العهد لا انه قال الى الذين عاهدتم من المشركين والبراءة اليهم هي الامان ونبذ العهد اليهم ولو كان على النقض لكان يخرج الكلام براءة من الذين عاهدتم فدل انه في اتمام العهد لهم وامضائه ويؤيد ما قلنا ما قال بعض اهل الادب البراءة هي الامان كما يقال كتبت له براءة اي امانا وهذا اشبه مما قال اهل التأويل ولا يقال ان الله تعالى قال واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله دل ان المراد من اول السورة البراءة من العهد وكذلك ما روي من حديث ابي بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما انه بعثهما بنقض العهد لانا نقول امر بنقض عهد من نقض العهد الا بعد انما والاتمام اربعة اشهر وبعد النقض يكون بحكم قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله ولا يقال بانه استثنى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الى قوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ولو كان الاول على اتمام العهد كيف يستثنى اتمام العهد ايضا وحكم المستثنى خلاف حكم المستثنى منه لانا نقول بان في الاول امر باتمام العهد اربعة اشهر واستثنى اتمام العهد الى تمام مدتهم وكذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام على ان هذا ليس باستثناء في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الاية بل قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا مستثنى من قوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم وكذلك قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام مستثنى من

فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الى ان قال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام والله اعلم قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي سيروا او اذهبوا في الارض اربعة اشهر اي في مدتها لعهد آمنين غير خائفين قوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله اي اعلموا ان المؤمنين وان اعطوا لكم العهد في وقت فانكم فائتين من الله بعد تلك المدة ويحتمل انكم غير معجزي وليا اما تسعون النقض بعد تلك المدة قوله تعالى وان الله مخزي الكافرين الخزي هو العذاب الذي فضح الذي يفضحهم يظهر عليهم ويحتمل ان يكون ذلك العذاب في الاخرة الدنيا وفي الاخرة قوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر قال القتبي واذان من الله اي اعلام ومنه اذان الصلاة وهو الاعلام يقال اذنتهم ايذانا قوله تعالى ان الله بريء من المشركين ورسوله اي اعلام من الله ان الله بريء من المشركين ورسوله بعد اربعة اشهر من يوم الحج الاكبر وكان ابتداء الاجل الذي احل الله تعالى للمشركين عامة الا ما استثنى هو يوم الحج الاكبر واختلفت الروايات عن النبي في تفسيره وكذا اختلف الصحابة واهل التأويل في ذلك اما الروايات فانه روي عن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة هل تدرون اي يوم هذا قالوا نعم اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال فان الله تعالى قد حرم دماءكم واموالكم عليكم الى يوم القيمة كحرمة يومكم هذا وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال رأيت رسول الله وسمعته يقول يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع اي يوم هذا قالوا هذا يوم النحر قال فاي بلد هذا قالوا البلد الحرام قال فاي شهر هذا قالوا شهر الحرام قال هذا يوم الحج الاكبر فدماؤكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال هل بلغت وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب على ناقته حمراء يوم النحر فقال اتدرون اي يوم هذا قال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر وروي انه كان في كتاب رسول الله الذي كتب لعمرو بن حزم والحج الاصغر العمرة فهذا دليل على ان الحج الاكبر هو الوقوف بعرفة على ما قال عليه السلام الحج عرفة واما اختلاف الصحابة روي عن عمر رض انه وقف بعرفات ... فضيل العبد العيشي فاستغفر ودعا الله ثم قال ان هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وروي عن سعيد بن المسيب انه سئل عن صوم يوم عرفة فقال كان ابن عمر يقول هو افضل من مائة ضعف ثم قال قال عمر بن الخطاب ان يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وعن ابن الزبير قال يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر وعن الحارث قال سألت عليا عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن علي رض انه خرج يوم النحر على بغلته يريد الجبانة فجاء رجل فاخذ بلجام بغلته فسأله عن الاكبر فقال هو يومكم هذا خل سبيلها وعن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم العيد هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج الاكبر وعن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر واما اختلاف العلماء روي عن مجاهد انه قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقال ايضا يوم الحج الاكبر حين الحج الاكبر اذا الوقوف بعرفة وعن ابي حنيفة انه سئل عن الحج الاكبر فقال اليوم عرفة فقيل له من قبلك او من عند اصحاب محمد فقال كل ذلك وروي عن عبد الله بن ابي اوفى وسعيد بن جبير يقولان الحج الاكبر يوم النحر وسئل عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر فقال الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة وعن مجاهد ايضا انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر ولكن عامة اهل التأويل على انه يوم النحر كان حديث عبد الله بن الزبير عن ابيه غير متصل ثم مع ذلك يسأل فيه وهو لا خطبة النبي المشهورة في الحج قال فيها اي يوم هذا قالوا يوم حرام قال اي بلد هذا قالوا بلد حرام ومنى من الحرم وعرفة خارجة من الحرم فدل ان المروي عن النبي عليه السلام في يوم عرفة هل تدرون اي يوم هذا وهم واما حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو متصل الاسناد وقد ثبت حديث علي رض على ما روي عنه انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثني يوم الحج الاكبر ان لا يطوف بالبيت عريان الحديث بطوله وقد روي عن علي رض ان يوم الحج الاكبر يوم النحر فكان قوله على هذا مفسرا لقوله بعثني النبي يوم الحج الاكبر واما رواية عمرو بن حزم فهي مرسلة وحكاية من كتاب وليس في الكتاب بيان عن يوم الحج الاصغر ولا رواية على ما بين فيجاز ان يقال يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر لانه هو الذي يوقف فيه بعرفة وهو الركن الاصلي في الحج على ما روي في الخبر الحج عرفة ومن ادرك عرفة بليل فقد صلى بجمع فقد تم حجه وقضى تفثه ثم كان باداركه تم الحج وبفوته يفوته ويجاز ان يقال هو يوم النحر لان فيه يقضي طواف الزيارة وهو فريضة ويقضي فيه اكثر مناسك الحج فقد استوى اليومان في انه يقضي في كل واحد منهما فرض من فرائض الحج وذا يوم النحر على يوم عرفة بما يفعل فيه من مناسك الحج ولا يفعل في يوم عرفة من النسك الا الوقوف ثم يؤدى فيه اكثر مناسك الحج كان اولى بان يضاف اليه الحج الاكبر والله اعلم وعن الحسن انه سئل فقيل له ما الحج الاكبر فقال سنة حج المسلمون والمشركون جميعا اجتمعوا بمكة وكان ذلك اليوم لليهود عيدا وللنصارى عيدا لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله تعالى الحج الاكبر قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان يسمي الله تعالى عيد اليهود والنصارى يوم الحج الاكبر وهو يوم نزول السخطة واللعنة عليهم ولكنا نقول يحتمل ان يسمى به لاجتماع الخلائق فيه من كل نوع على ما سمي يوم الحشر يوما عظيما لقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم من الناس من استدل

بالخبر الذي روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه براءة ثم اتبعه
عليا فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الصديق على الحج وبعث معه
براءة ثم اتبعه عليا فادركه فاخذها منه ورجع ابو بكر الى النبي وقال هل نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري
او رجل مني على ان عليا هو المستحق للخلافة وهو اللاحق بها دون ابي بكر لكنا نقول لا حجة فيه لانه يحتمل انه ارسل
ذلك عليا لما كان من عادة العرب انهم اذا عاهدوا عهدا انه لا ينقض ذلك عليكم الا من هو من قومهم فولى
عليا لئلا يكون لهم الاحتجاج علينا فيقولون لم ينقض علينا العهد بعدم على الحرب قبل نبذ العهد وان
في كتابه ان لا يبدأ بالمحاربة مع اهل العهد قبل النبذ فنبذ الكتاب ويحتمل انه لما قال انه ولى عليا امر القتال
فهو كان ابصر واقوى بامر الحرب من ابي بكر وولى ابا بكر امر اقامة الحج والمناسك فكان ابو بكر هو المولى في امر
العبادات وعلي امر الحرب والحاجة الى الخلافة لاقامة العبادات اكثر من الحاجة الى الخلافة لاقامة العبادات
اكثر من الحاجة الى اقامة الحرب على انه يحتمل ان يقال لان هذا حجة عليكم فان ابا بكر كان امير الموسم وعلي كان
منادية والامير في شاهدنا اجل قدرا واعظم منزلة من المنادي وقوله تعالى فان تبتم فهو خير لكم اي لا
آمنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب
من مسيرة شهرين وقوله تعالى وان توليتم اي اذا اعرضتم عما ذكرنا فاعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين
عن نعمة الله وعذابه ويحتمل قوله فان تبتم عن نقض العهد فهو خير لكم في الدنيا وان تبتم عن الشرك
فهو خير لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم هو القتل والاسر ويحتمل
ان يكون المراد به هو العذاب في الآخرة وقوله الا الذين عاهدتم من المشركين الآية قال بعضهم هو صلة قوله براءة
من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين اي من العهود التي كانت بين رسول الله وبينهم ما سوى
الاربعة الاشهر من يوم الحج الاكبر ثم استثنى من جملة ذلك فقال الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امرهم بتمام العهد للذين لم ينقضوا المسلمين شيئا
ولا ظاهروا عليهم احدا فاما الذين عاهدتهم نقض العهد بكثرة فانه لا يتم لهم ويحتمل ان يكون صلة قوله
وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ويكون العذاب الاليم هو القتل والاسر فكانه قال وبشر الذين كفروا بالقتل
والاسر الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ثم قوله لم ينقصوكم شيئا
اي لم يخونوكم ما داموا في العهد ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا ولا اطاعوا احدا من المشركين عليكم وقوله
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر بابقاء العهد لهم الى تمام المسمى اذا لم يخونوا ولم يظاهروا عليهم احدا
وهو كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء امر بالنبذ اليهم عند خوف الخيانة والاتمام عند
عدم الخيانة وقال بعضهم هذا في قوم خاص وهم الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية او قوم من بني كنانة
وهم بنو ضمرة على حسب الخلف فيه اهل التأويل فلم يبرأ الله ورسوله من عهدهم في الاشهر الاربعة ثم
لم ينقضوكم في الاشهر الاربعة ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعينوا على قتالكم احدا من المشركين فان لم ينقضوا
ذلك فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي وفوا بعهدهم الى اجلهم المسمى وان زاد على الاربعة الاشهر وقوله
ان الله يحب المتقين اي نقض العهد وقيل يحب المتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي وقوله تعالى
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال بعضهم الاشهر الحرم هي الاربعة الاشهر
التي هي اشهر العهد والامان التي جعلها الله تعالى اجلا لمن لم ينقض عهده سوى ما استثناهم من جملة اهل العهد
على ما ذكرنا وهي الاشهر الحرم المتواليات من عشر ذي الحجة الى العشر يخلو من شهر ربيع الآخر وسماها اشهر الحرم لتحريم
القتال فيها بسبب العهد والامان فامر اذا انسلخت الاشهر الاربعة بان يضع السيف فيمن عاهد ان لم
يدخلوا في الاسلام ونقض ما سمى لهم من العهد الا في قوم استثناهم بقي عهدهم الى اجلهم والله اعلم
وعن اسمعيل السدي في قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر قال العشرون بقين من ذي الحجة الى عشر من ربيع الآخر
ثم لا امان لاحد ولا عهد الا الاسلام او السيف وقال قتادة فاذا انسلخ الاشهر الحرم هي عشرون من ذي الحجة
الى العشر من ربيع الآخر وقال الزهري هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ولكن هذا بعيد لانه نزلت سورة
براءة بعدما بعث خروج ابي بكر رضي الله عنه للحاج فاتبعه بها عليا وابو بكر خرج في آخر ذي القعدة او في اول ذي الحجة
فدل ان هذا القول ضعيف وقال بعضهم الاشهر الحرم هي الاشهر التي خلقها الله وجعلها حرما بقوله ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فكان معناه فاذا انسلخ
الحرم فاقتلوا المشركين وليكن ذلك في حق من لم يكن له عهد مع رسول الله لما ذكرنا ان من كان له عهد فاجله اربعة
اشهر من يوم النحر الى تمامها وذلك بعد عشر من ربيع الآخر كذلك روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله فسيحوا

فسيحوا في الارض اربعة اشهر قال جعل الله تعالى للذين عاهدوا رسوله اربعة اشهر يسيحون فيها حيث شاؤوا
واجل من ليس له عهد انسلاخ اشهر الحرم خمسين يوما والله اعلم ثم قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال بعضهم
هو في الاماكن كلها في الحل والحرم ويكون نسخ الحرمة القتال في الحرم بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه لان كلمة حيث يترجم بها ويعبر عن كل مكان وقال بعضهم معناه فاقتلوا المشركين في الاماكن
كلها الا في الحرم واليه مال اصحابنا رحمهم الله حتى قالوا لا يجوز ان يبدأ بقتال المشركين في الحرم ولا يقتل اذا دخله
ملتجئا اليه دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث
اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فامكن ان يكون انهم لا يقتلون الا
ان يدخلوا الحرم … هنا الا على ما روي عن علي رضي الله عنه انه نادى بالموسم الا لا يحج بعد العام مشرك
فاذا دخلوا يقتلون ويكون دخولهم فيه بمنزلة ابتداء مقاتلتهم … بالقتال المنعة فحينئذ واذا قاتلوا عند المسجد الحرام
قاتلناهم لقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم وقوله تعالى وخذوهم واحصروهم اي اسروهم واحصروهم اي احبسوهم
وقوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد المرصد الطريق كانه امر بقوله فاقتلوا المشركين بقتلهم اذا اقتدروا عليهم
وامكن لهم ذلك والاسر عند الامكان والحبس اذا دخلوا الحصن وحفظ المرصد عند فوت الامكان لئلا يخرجوا
ويقال المرصد اي انظروا ان اخذتموهم … اي انظروا وقال بعضهم وقوله كل مرصد اي اقعدوا
بكل طريق يرصدونهم ويحفظونهم ليضيق عليهم الامر فيضجروا فينقادوا وفيه دليل النهي عن حمل …
من انواع الثياب والامتعة وما ينتفعون به لان الله تعالى امر بالحصر وحفظ الطريق والمرصد ليضيق عليهم الامر
ويضطروا فينقادوا وفي ما يحمل لهم توسيع عليهم والله اعلم ويحتمل قوله وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم
كل مرصد اي قيموا عليهم الحجج والبراهين ليضطروا الى قبول ذلك فاذا انقادوا لكم والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم
وقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم قال بعضهم امر الله تعالى في اول الآية
بقتل المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم فوجب بظاهر الآية ان يقاتل من آمن ولم يقم الصلوة ولم يؤت الزكوة لان الله اوجب القتل وعلق
دفعه بمباشرة هذه الافعال والمعلق بالافعال لا يترك الا بعد وجود كل شرط … الكل يبقى القتال
على ما كان وكذلك فعل ابي بكر دليل على هذا فانه لما ارتدت العرب ومنعوا الزكوة حاربهم حتى اذعنوا باداءها لانه
فانه روي عن انس رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر
اتريد ان تقاتل العرب كافة فقال ابو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة منعوا مني دماءهم واموالهم والله لو منعوني عناقا مما كانوا يعطون رسول الله لقاتلتهم
عليه قال عمر فلما رأيت رأي ابي بكر قد شرح عرفت انه الحق وعن الحسن قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت
العرب عن الاسلام الا اهل المدينة واهل مكة فنصب لهم ابو بكر الحرب فقالوا انا نشهد ان لا اله الا الله ونصلي
ولكن لا نزكي فمشى عمر والبدريون الى ابي بكر فقالوا دعهم فانهم اذا استقر الاسلام في قلوبهم وثبت ادوا فقال
ابو بكر والله لو منعوني عقالا مما اخذه رسول الله لقاتلتهم عليه قال … قاتل رسول الله على ثلاث شهادة ان لا اله الا
الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله لا اسأل
فوقهن ولا اقصر دونهن فقالوا انا نزكي ولكن لا ندفعها اليك فقال لا والله حتى آخذها كما اخذ رسول الله
واضعها مواضعها وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وارتد
من العرب بعث ابو بكر لقتال من ارتد عن الاسلام فقال له عمر يا ابا بكر الم تسمع رسول الله يقول امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال لو منعوني
عقالا مما كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه فلما رأيت انه شرح صدر ابي بكر علمت انه الحق وقال الآخرون ان المراد
من قوله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو قبولهما والاعتقاد دون فعلهما واستدلوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي بعض الاخبار
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني كذا وفي بعضها حتى يقولوا
لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة واذا فعلوا ذلك عصموا مني كذا دل ما ذكرنا من الاخبار على
ان النبي كان يقاتل قوما مختلفين … على القبول للرسالة والاعتقاد لا على الفعل نفسه من كان لا يقر بشيء من ذلك …
لا اله الا الله كان ايمانا في الظاهر ومن كان يقول بالالوهية ويقر بها ولا يقر بالرسالة فاذا قال لا اله الا الله وانه
محمد رسول الله كان ذلك منه ايمانا ومن كان يقر بهذين ولا يقر بالصلوة والزكوة فاذا اقر بذلك كان منه ايمانا فوجب
حمل هذه الاحاديث على القبول والاعتقاد لا على نفس الفعل يؤيد ما قلنا ان الائمة اذا اخذوا منهم الزكوة شاؤوا او ابوا …

اداء الصلوة والزكوة من جملة الايمان لكانوا غير مؤمنين بالحد هو الاجبر الانه لم يوجد منهم الاداء والله اعلم
وقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ◦ الاية وقد قال في الاية الاولى فاذا
انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين امر في الاية الاولى بالقتل والاسر عند الوجود وقال فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم (?) وامر في هذه الاية بالاجارة والامان اذا وجدناهم وظفرنا بهم اذا استجاروا وامنا (?) ليسمعوا كلام الله ففي الاية
الاولى امر بان نقعد له كل مرصد لاخذه فيقتله او ياسره وفي هذه الاية امر بان نبلغه مامنه اذا استجار وسمع كلام الله
لم يؤمن وحال الداخل في هذه الاية مثل حال الداخل في الاولى لانه تهيا له في كل وقت يظفر به ان يستجير ليسمع كلام الله
فيظهر من نفسه الانقياد كما لم يكن غرضه من الدخول دار الاسلام ذلك لرده الى مامنه مثل الذي دخل لطلب لا
حقيقة فوقع التعارض بين الايتين اذ … العمل والقيام بما في احكام الايتين في الظاهر وكتاب الله تعالى منزه عن ذلك
فلزم طلب المعنى الموفق بين الامرين من طريق التامل بالاسباب التي هي تدل على جواز العمل بالايتين جميعا لزوال التعارض
والتناقض من كتاب رب … الكلام فقال اصحابنا انه اذا قصد المشرك نحو ما من اهل الاسلام عن مظهر اعلام الحرب
ولا ما يدل على مجيئه الى دار الاسلام لذلك بل يمشي مشي من ينقلب لحاجة ويتعاهد ويطلب من ينادي بالاستجارة
والامان فيجار له وان كان مقبلا نحو مامنا كالطالب لاحد وكان قد … اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذب
يرصدون له والذين لهم منعة وقوة به فلا يقبل قوله انه قصد الاستجارة وطلب الامان دون تحصيل غرض
له في الاضرار بالمسلمين وذلك مبني على تسليم الامر الغالب من الاحوال اذ لا وجه للعمل بحقيقة العلم في ذلك
وعلى ذلك عامة الامور بين اهل الدارين وفي هذه الاية على الوجه الذي ذكرته دلالة القول بالقياس والاعتبار
اذ لا وجه سوى الاجتهاد والاعتبار باحوالهما وهذا مما لا يعرف الا بغالب الرأي وكل قياس هو الحمل بغالب
الرأي بناء على اسباب يعد لائل والله اعلم ثم في قوله فاجره حتى يسمع كلام الله تعالى دليل انه … الحربي التاجر
مامن المسلمين الى ان يبلغ مقصده … لانا نعلم انه لا يمكنه ان يسمع من مامنه لبعد كل منهما عن مامن
الاخر ثم لا يكون مامن الفريقين في حد الدارين لما كان … على كل فريق منهما … الاخذ به حوفه
فاذا كان كذلك … لا يوجب … المسلمين … حتى … ويحبسوهم …
لم يجز ولا يسع تعرضه لشيء من ذلك والله اعلم ثم في قوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
امر بالاجارة وبذل الامان له من غير ان بين انه طلب الامان والاستجارة لماذا ولكنه … انه لا يجار انه المشرك على كل
حال اذا استجار لكنه يحتمل ان يكون ترك بيان ذلك … كانه قال وان احد من المشركين استجارك
حتى يسمع كلام الله فاجره ثم ابلغه مامنه وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الاية في الخطاب
بيان ما استفتوا كانه قال ما يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم فيها فهذا مثله ويحتمل انه لزم الاجابة
بقوله فاجره حتى يسمع كلام الله على كل وجه دخل اذا استجار وطلب الامان فيسمع كلام الله تعالى ويسمع حجته
وان لم يذكر بطلب الامان شيئا وهو احسن لانا امرنا بالتضييق عليهم ليسلموا فاذا … لذلك من
يذهب منفعة التضييق فيكون المقصود بالعهد ما يرون من اثار الاسلام ومحاسنه ومن رعاية اهل الاسلام
وجميل معاملتهم ويسمعون حججه وما به ظهور الحق … لذلك يؤدون وان كان في ذلك
… انه لم يكن يقاتل حتى يدعوا الى الاسلام فما كان دعاهم مرة فكذلك المعنى عند الامان
اولى ثم قوله حتى يسمع كلام الله تعلق المعتزلة بهذه الاية على ان كلام الله مخلوق لانه اخبر ان كلامه مسموع ولا يسمع
الا الصوت فدل ان كلامه هو الحروف المنظومة وانه مخلوق ولكنا نقول ان كلام الله تعالى هو صفته قائمة بذاته
ازلية وحقيقة الكلام لا تسمع في الشاهد اذ الكلام صفة المتكلم قائمة به فان الذي به يؤدي الكلام ويفهم
ويبلغ وهو الحروف التي … تنتظم بوضع اللسان مخارج الحروف لا يسمع … ثم صوت بانه يستعمل
اللسان في مواضع الحروف على وجه السداد وانما يسمع بصوت … الجارحة التي تتكلم فيبلغ حروف كلامه
المسامع والسمع يقع على الصوت الذي به يؤدي الكلام … سمع الكلام في الاصل كان لا حقيقة
فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله … هو يخرج على وجوه احدها وهو انه يسمع … التي يحصل لها الكلام من الامر
والنهي والتحريم والتحليل ونحو ما سماع الفاظه الدالة عليها انظمها الله تعالى ليقف الخلق على معنى كلامه … يسمعها
فقيل انه سمع كلام الله لما سمع ما يفهم به … كلامه التي هي الاغراض … السماع الى كلامه
لضرورة … مسموعا … ويحتمل ان الله تعالى نظم القران والفه على ما … الخلق عن مثله … كلامه
اليه … على ما هو عليه … من غيره … الى منشئها والكتب الى مؤلفها
والاقاويل الى الاوائل التي منهم ظهرت … ان لم يكن الذي يقوله في الحقيقة قوله وكلامه بما كان منه البناء الذي
عليه يتكلم مثله فمعنى قوله حتى يسمع كلام الله والله الموفق ووجه الثالث انه يسمى سماعا الكلام وان كان يسمع الحروف

والاصوات

والاصوات والله تعالى يجل عن الوصف لكلامه بالحروف والهجاء والابعاض ونحوها لما انه بها يغير كلامه وبها
يوصف انه كلاما فنسب اليه لما اليه المرجع واذ كانت هذه الاوصاف غير موهمة في كلامه ولا مقصودة وهنا
كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وقوله هو الذي خلقكم من تراب من غير توهم كلية العالم من ذلك التراب
او النفس الواحدة لما اليه مرجع الكل فنسب اليه فعلى ذلك امر الكلام وهذا كقوله انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
وقوله والينا المصير فاضيف اليه اللقاء والرجوع والمصير يوم القيمة لما انه لا تدبير لاحد في ذلك اليوم لا انه
في ذلك اليوم صيرورة اليه ورجوع او لقاء لم يكن من قبل فكذلك هذا ثم ان الله تعالى يجل عن التصوير في الاوهام والتحديد
في العقول فعلى ذلك صفته بل في … واولى اذ تحد صفات الخلق في الجملة لا يحيط بالتصور في الاوهام
ولا يقدرها العقول الا من طريق القول دون حقائقها مثل السمع والبصر والعقل على ما هي اسامي لهم فالله
المتعالي عن التصور في الاوهام وصفه بالعلم والكلام ونحو ذلك احق في ابطال توهم ذلك عنه والله اعلم وقال
البلخي يقال كلام الله على المجاز والموافقة لاهل الحقيقة كما يقال هذا قول فلان وكلام فلان وليس هو كلامه وانما
هو كلام المتكلم به كما للقائل به وقال ابو بكر الاصم هذا يدل على ان كلام الله يسمع من وجوه وكانه يذهب الى مثل ما يقال
يعرف الله تعالى من وجوه على تحقيق الوجود لغيره من غير توهم … الذي به يعرف الله تعالى من قبله كلامه والله اعلم
ثم سماع كلام الله تعالى يخرج على سماع القران وعلى سماع امر الله ونواهيه في حق الغرض عليه وعلى سماع حجج النبوة
وايات الرسالة او التوحيد في القران والله اعلم ثم معلوم ان كلام الله هو حجة وان الحجة قد تلزم الخلق من وجهين
احدهما اما ظهر عن الخلق من مثله والثاني الخبر … على قطع طمع المقاتلين لرسول الله بالرد الباطل عن … حجة
ايديهم في اطفاء نوره فكان ذلك الحجة بينة لرسالته والله تعالى اعلم والثاني ان جميع ما يتلى منه لا يؤتى على ايات لا
وفيها ما تشهد العقول على قصور افهام الخلق عن بلوغ مثله في الحكمة ويحب ما فيه من الحجة مما لو قيل بما فيه
من الحسن والمحدث به من الفائدة ليعلم انه ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه واذا كان كذلك صار بها
بالركم (?) مكابرا وحق مثله الزجر والتاديب ثم لم يفعل بمن استجار فيسمع كلام الله ولم يقبل بل يرد الى مامنه لما لم
تضمن امانه القبول ثم ارض ايضا بالرد وليس هذا اعظم من مباشرة ما فيه الحدود ثم لم يؤخذ بها لما لم
يلتزم بالدخول فلا يقام عليه في التعرض بالحدود لا يقام والله اعلم ثم قوله ثم ابلغه مامنه يحتمل وجهين احدهما اي يرده
ولا يمنعه عن العود الى مامنه ليعلم ان حكم دار الكفار لم يرتفع عنه بل هو في حكم الحربي فلذلك لا يجب العود بقتله ولذا
لا يلزمه الجزية الا عن طوع او … والله اعلم والثاني ان يكون يعنى احفظه الى ان يبلغ مامنه بدفع المسلمين
منه وفي ذلك دليل على لزوم حق الامان لجميع بامان البعض وليس لمن لم يؤمن له ان يتعرض له لان امان البعض نفذ
على الكل والله اعلم ثم في قوله ثم ابلغه مامنه دلالة انه لم يقبل ما اسمع وعرض عليه اذ لو قبل لكان مامنه دار الاسلام
لا دار الحرب فانه لو اسلم في دار الحرب يجب عليه الخروج منها فكيف يعود اليها والله اعلم وقوله تعالى ذلك بانهم قوم
لا يعلمون ◦ اي لا يعلمون ما لهم وما عليهم ويحتمل ايضا لا يعلم بما لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك ليعلم من بعث الله
كيفية مقاتلة الكفرة وحسن المعاشرة معهم اذ هم لا يعلمون حقيقة ذلك كما لم يكونوا يعلمون من قبل والله اعلم
وقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هو والله اعلم اي كيف يستحقون العهد وكيف ينبغي
لهم وقد نقضوا العهود التي بينهم وبين ربهم والعهود التي بينهم وبين ربهم عهد الخلقة اذ في خلقة كل احد الشهادة
على وحدانية الله والربوبية والشهادة على الرسالة وما عهد اليهم في كتبهم من اظهار صفة محمد ونعته فنقضوا
… وكذلك نقضوا العهود التي بينهم وبين رسول الله تعالى والله اعلم كيف يستحقون ان يعطى
العهد وقد نقضوا العهود التي عهد الله اليهم والعهود التي اعطاهم رسول الله لا يستحقون ذلك الا ان يعطيها
بفضله واحسانه اذن ان يعطي لهم العهود بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم اي اوفوا لهم العهود ما وفوا لكم ويحتمل قوله الا الذين عاهدتم ثم استثنى قوما خاصا انه عاهدهم رسول الله ثم
لم ينقضوا شيئا فذلك فامر بالوفاء بعهودهم الى اجله اذا استقاموا على موجب العهد فلذلك ورد والله اعلم
ويحتمل ان لا يعطى العهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وقوله تعالى ان الله يحب المتقين ◦ اي يحب من اتقى
الشرك ونقض كل عهد وظلم والله اعلم وقوله تعالى كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة …
والله اعلم كيف تعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم وظفروا بكم لا يرقبوا فيكم الا
اي لا يحفظون قيل الال الله والذمة العهد وكذا روى عن ابن عباس رضي الله عنه الال الله وكذلك قال في تفسير جبريل
عبد الله وقيل الال القرابة وقيل الال العهد وقال القتبي الال العهد وقال ابو عوسجة الال العهد والذمة
الذمم وفي حرف حفصة لا يرقبوا بكم عهدا ولا ذمة وقيل الال الحلف يقول كيف تعطون لهم العهد وان يظهروا
عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا العهد ولا الحلف وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرحم حتى … بعضهم

تفصيلًا بيانها اذ كان يقع بين قراباتهم ورحمهم وبين قوم آخرين مباغضة وعداوة وكانوا يرعون حرمة الله
حتى لا يقاتلوا في الاشهر الحرم ولا عند المسجد الحرام وكانوا يحفظون العهود فيما بينهم [illegible]
كيف ولا يحفظون شيئًا من ذلك وقوله تعالى يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم اي يقولون بالسنتهم انهم
يرعون العهد ويحفظونه وتأبى قلوبهم الا النقض وقوله تعالى واكثرهم فاسقون اي ناقضون العهد والفسق
هو الخروج عن امر الله كما في قوله ففسق عن امر ربه وقوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا يحتمل آياته التي هي حججه
ويحتمل آيات القرآن ويحتمل محمدًا [illegible] وقوله تعالى فصدوا عن سبيله اي صدوا الناس عن متابعة رسول الله
[illegible] انهم ساء ما كانوا يعملون [illegible]
[illegible] وقوله تعالى واولئك هم المعتدون اي في نقض العهد [illegible]
عن الحد الذي حد لهم وقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يحتمل وجهين احدهما يحتمل الصلاة
المعروفة والمراد [illegible]
[illegible]
[illegible]
تدانيهم كيف ولما [illegible] وقوله تعالى ونفصل الآيات لقوم يعلمون اي نبين الآيات لقوم يعقلون ما يعلم
ويحتمل اي يقوم اذا نظروا وتدبروا فيها العلم الا القوم لا يعلمون قال بعض اهل التأويل تعرفوا الى الكرم ربكم وجود
قوم افتروا على الله كذبا او كذبوا رسوله وهو باخراجه من بين اظهرهم وقتاله وطعنوا في الدين الحق وحملوا كل بلية
من نصب الحروب والقتال فيما بينهم انه ومن عظيم المغفرة والتجاوز مما كان منهم بالتوبة بقوله اذ ينتقون بعضهم ما اكد
وجعل فيما بينهم الاخوة والمودة بقوله فاخوانكم في الدين وقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا ومعنى ذلك من الآيات فهذا يدل على انه من كان له لمكانه ذنب وخطيئة اذا رجع عن ذلك وتاب يلزمه ان يتجاوز عنه
وان لا يذكر بعد ذلك ما كان منه من الذنب على ما جعل الله فيما بين من كان منهم بقوله فاخوانكم في الدين وقوله تعالى وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم يحتمل قوله ايمانهم العهود نفسها الايمان سمي ايمانا لما قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ثم ذكر العهود ثم قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ويحتمل ان يريد بها نفس الايمان التي تعلقوا بها لبعد العهد
الايمان توكيدا لها النادين ينقضون العهد الذي عاهدتم نقضوا العهد ونكثه وقوله تعالى وطعنوا في دينكم طعنهم
في الدين ظاهر وقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اي ائمة الكفرة تخصيص الامر بمقاتلة الائمة لما ان الاتباع
الذين يقلدون الائمة ويصدرون عن آرائهم وتدابيرهم فاذا قاتلوهم اتبع الاتباع لهم فيكون الامر بالقتال
معهم امرا بالقتال مع الاتباع والثاني لنفي الشبهة لان اصحاب الصوامع لا يقتلون وهؤلاء الائمة كانوا ائمة في الدين
والطاعة فيشكل انهم لا يقاتلون بين الله تعالى الامر بالقتال مع الائمة لذلك الوهم لان اصحاب الصوامع قد
انفصلوا عن الناس وعن جميع الجامع وحبسوها للعبادة واشتغلوا عن الاضرار بالخلق والائمة ليس كذلك والله اعلم
والثالث خص الائمة بالقتال لانهم اذا قتلوا لم يتولهم امام في الكفر فيذهب الكفر راسا وهو كقوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة فالغرض من مقاتلة الكفرة هو انكسار شوكتهم ودفع فتنتهم واظهار دين الحق وذلك يحصل
بقتل ائمتهم ورؤسائهم والله اعلم وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم يحتمل ان لا عهد لهم بعد نقض العهد الذي
كان لهم اذا نقضوا ويحتمل اي لا ايمان لهم اي لا يعطى لهم العهد ثانيا بعد ما نقضوا العهد لانهم عاندوا ونقضوا العهد
ثم فائدة قوله انهم لا ايمان لهم تخرج على وجهين احدهما ان اهل العهد اذا نقضوا العهد ينقض في السعي ويكون على
ويقاتلون بعد النقض وليس كاهل الذمة اذا نقضوا الذمة لا يتركون ذلك ولكن يردون الى الذمة ولا ينقضون
منهم والثاني قال ذلك في قوم علم انهم لا يوفون العهد ابدا وفي الآية قراءة اخرى بكسر الالف اي لا يؤمنون ابدا
فان كان كذلك فهم في قوم قد علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وقال الحسن لا ايمان لهم ولا تصديق لهم وقوله تعالى
لعلهم ينتهون اي عن نقض العهد وقوله تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اي كيف لا تقاتلون من هم
لما ذكرنا وهو حرض المؤمنين على مقاتلة من اعتاد نقض العهود والتحريض على ذلك وقوله تعالى وهموا باخراج الرسول
يحتمل اي هموا بقتله وفي القتل اخراجه فلذلك ذكر الاخراج ويحتمل وهموا باخراجه من المدينة على ما ذكر في القصة
ان اليهود قالوا للرسول ان الانبياء كانوا بالشام وليس هاهنا بيت المقدس لا المدينة فانتقل اليه وهذا [illegible] انبياء
الرسالة لانه معلوم انهم لم يسروا فيما بينهم اخراجه وقتله وما اظهروا [illegible] والله اعلم بحقيقة ذلك
بانه قمعا وقوله تعالى وهم بدؤوكم اول مرة يحتمل بدؤوكم في نقض العهد اي هم بدؤوكم بنقض العهد والاخراج ويحتمل
هم بدؤوكم بالقتال اول مرة وقوله تعالى اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اي لا تخشوهم واخشوا الله فانه احق

على ان يفصل الحكم بحكمة الابتداء ان الله يأمرهم ويحتمل اي تحسبونهم وان الله قادر ينصركم ويجزئ عليكم وانه حتى ان
ان كنتم مؤمنين ادعوا القتال وعلى سيوفهم عنكم وينصركم عليهم وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم علم الله
عز وجل كراهة القتال وثقله على الخلق خاصة المؤمنين بمقاتلة الكفرة ووعدهم النصر وتعذيب الكفرة بايديهم
ثم عذابهم يحتمل وجهين احدهما القتل والهزيمة والثاني الاسر والسبي وقوله تعالى ويخزهم يحتمل وجهين
يحتمل الهزيمة والاخرى والاذلال في الدنيا ويحتمل ويخزهم في الآخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته والخزي هو العذاب الذي فيه الفضيحة والعلة في قوله يعذبهم الله بايديكم دلالة نقض قول المعتزلة
في خلق الافعال لانهم يقولون ان لا قدرة لله على فعل الخلق وقد اضافه تعذيبهم بايديهم ولو كان قادرا
على افعالهم لكان تعذيبه اياهم بيده لا بايديهم وقوله تعالى وينصركم عليهم وعدهم النصر والظفر عليهم وخزي
الكفرة وهو كقوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
من عنده او بايدينا ثم ذكر ذلك في قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا دلالة نقض قول المعتزلة
في خلق الافعال لانه اضاف تعذيبهم العذاب من عنده او بايدي المؤمنين فاضافه وقوله تعالى ويشف صدور
قوم مؤمنين يحتمل ان يكون قلوب المؤمنين توجعت وتألمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول وقد
شفاها بنصره [illegible] ويحتمل وجهين احدهما [illegible] [illegible] قلوبهم
[illegible] والرهبة فيكون [illegible]
مما نالت وتوجعت التكذيب والكفر بآيات الله وتكذيب رسوله وقوله تعالى ويذهب غيظ قلوبهم هذا [illegible]
[illegible] الذي كان في قلوب المؤمنين بتكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيات الله
[illegible] الغيظ والغضب الذي كان [illegible]
وقوله تعالى ويتوب الله على من يشاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى والله عليم حكيم اي عليم بما كان [illegible]
[illegible]
حكيم اي [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
[illegible] ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

على الدين

ويحتمل هذا وجها آخر وهو انه اضاف العلم الى نفسه واراد به اولياءه كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء
الله ينصركم وان تنصروا دينه ورسوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم اولياؤه المنافق
المرائي والمؤمن المحقق المخلص وليتبين لهم ويحتمل كقوله ايضا لما يعصون الله وهو جاحدهم دعوى اوليائه اذ الله
لا يخادع ولا ينصر دونه ناصر كل احد لا يخفى عليه شيء ظاهر ما يكون فيرقبه ما يكون والله عليم قوله تعالى ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي لم يتخذوا وليجة يلجأون اليه دون ما ذكر ولذلك كان الوليجة
قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا
لولوا اليه وهم يجمحون اخبر انهم لو وجدوا ملجأ يلجأون اليه لولوا اليه ولا يظهرون ذلك قال بعض اهل الادب الوليجة البطانة
من غير المسلمين واصلها الولوج وهو ان يتخذ رجل من المسلمين دخيلا من الكفرة وخليلا ووديدا وقال بعضهم
الوليجة خاصة الملك اصلها من الولوج وهو الدخول قال الله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال بعضهم الوليجة الخيانة
وقال بعضهم الوليجة ما يلجأ اليه وقال بعضهم كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو وليجة وبعضه قريب من بعض قوله تعالى
والله خبير بما تعملون خرج على الوعيد. قوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
بالكفر. قال بعض اهل التأويل نزلت الآية في العباس بن عبد المطلب لما أسر يوم بدر فاقبل اناس من المهاجرين والانصار
فيهم علي بن ابي طالب فعيروه بالكفر وقتال مع النبي وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقالوا وهل لك محاسن فقال اي والله انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليه
ولكن في آخر الآية دلالة على انه لا يحتمل ان يكون الآية في العباس على ما قالوا لانه قال اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون
والعباس قد اسلم من بعد فلا يحتمل هذا الوعيد بعد الاسلام ولكن يكون الآية في غيره من المشركين وقال غيرهم من اهل التأويل
ما كان للمشركين ان يعمروا اي ما كان بالمشركين عمارة مساجد الله انما كان لهم خراب مساجد الله لان المساجد انما اتخذت
ليقام فيها الصلوة واقامة الخيرات وهم لم يعمروها بذكر اسم الله فيها بل هم يكيدون الاصنام والاوثان فيها ويعبدون فيها فكان
بهم خراب المساجد لا العمارة وقال بعضهم اي ما كان ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله على ما عندهم لانه كان معظم
عن الايمان بالشفقة الدنيا فيها على ما عندهم ما ينبغي لهم ان يعمروها وقال بعضهم اي ما كان على المشركين عمارة
مساجد الله لانهم لا ينتفعون بها في الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وانما يقصد بعمارة المساجد الانتفاع بها
الثواب في الآخرة وهم لا يؤمنون بها فيضيع نفعهم فذلك اذ لا منفعة لهم فيها انما ذلك على المسلمين ويحتمل ان يكون
على قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اي فعليها. وقوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعضهم
اي على نفس محمد وعلى من آمن به سماهم انفسهم لانهم من قراباتهم وارحامهم وقد سمى الله تعالى المتصلين بالقوم بهذا
الاسم قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله ذكر المتصلين بهم باسم
انفسهم فعلى ذلك الاول ويحتمل شاهدين على انفسهم بالكفر حقيقة لكن عند البأس وهي حال نزول العذاب بهم وعند
الهلاك وهو كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وغير ذلك من الاحوال التي كانوا يقرون
فيها بالكفر وقال بعضهم يشهد انفسهم بالكفر عليهم لان فعلتهم تدل على وحدانية الله وتشهد على الوهيته بما جعل
فيها من آثار الحدث فيكون شاهدا على فعلهم بالكفر اذ عليهم الشهادة بوحدانية الله انفسهم من آثار الحدث
الدالة على الصانع فيكون انفسهم شاهدة عليهم من الله وهو كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة قيل اي الانسان من نفسه بصيرة
اي من نفسه بيان فعلها ومثله والله اعلم. وقوله تعالى اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون في الآخرة الآية فقيم
على الكفر. وقوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان بهم عمارة مساجد الله ولهم ينبغي ان يعمروها
بما يذكرون الله فيها ويقيمون الصلوة ويؤدون الخيرات وعليهم عمارتها لانهم هم الذين ينتفعون بها ويطلبون الثواب
والله اعلم. وقوله تعالى ولم يخش الا الله قال بعضهم هو مثل قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
امر ان تخشاه ولا تخشوا غيره وقال بعضهم الخشية العبادة كأنه يقول لم يعبد الا الله ولم يعبد غيره. وقوله
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب اي كانوا مهتدين. وقوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله في الآية اضمار فعل الفاعل لكي يصح المقابلة لانه انما يقابل الفعل بفعل
او فاعل بفاعل انما لا يقابل فعل بفاعل ولا فاعل بفعل وههنا ذكر السقاية وعمارة المسجد الحرام وهو فعل مقابل قوله
من آمن بالله وهو اسم فهو والله اعلم كأنه قال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر
وقال اجعلتم القائم لاصلاح سقاية الحاج والعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله لكونه مقابلة شخص بشخص ومقابلة فعل
بفعل والله اعلم. وقوله تعالى لا يستوون عند الله نفى المساواة بين من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو كافر وبين من آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيله والاشكال انه لا يصح ان يجمع بين الكافر والمسلم فيقال لا يستويان عند الله ولانه كان
الكافر قد اتى بالمحاسن وانواع الخير وانما يقابل الشيء بالشيء اذا قرب بعضه من بعض واما اذا بعد لا يقابل ولا يقال لا

يستويان

لا يستويان فيحتمل ان المراد منه ليس من فعل محاسن في حال كفره ثم آمن من بعد كمن آمن وفعل محاسن فهو مؤمن
بل هما لا يستويان فاما الكافر الذي مات على الكفر وان عمل خيرات ومحاسن والمؤمن الذي عمل الصالحات ثم مات على ذلك
لا يقال انهما لا يستويان لانه نوع تفاوت في الاوقات وانما التفاوت في شأنين ويحتمل ان يقال بالجهاد الذي ذكر اعلى ليس
من بذل نفسه للقتل والتلف لله كمن سقى الحاج وعمر المسجد الحرام لله ولم يبذل نفسه التفاوت بين الامرين من حيث الثواب
فالاجتهاد على ان نفي التساوي من كل وجه انما يكون عند وجود التفاوت والاختلاف لانه لا ينبغي التساوي على الكمال
الا لوجود ضدين وهو المخالفة والتفاوت على الكمال كيف ما بين الضدين ولكن مع هذا في متعارف اللسان لا ينفى التساوي
بين الحر والبرد وبين الليل والنهار في الحرارة والضياء لاشتباه ذلك لا ان يكون في ذلك تباعد ثم لكن اذا كان في موضع
يشتبه على البعض لاعتقاد فاسد او لسبب التشابه انا انهم على ... لقول النبي وبيان التفاوت بينهما الا ترى ان
الكافر لما كان في معتقده انه على الحق والمؤمن بخلافه كيف نفى المساواة بينهما بقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون وضرب في حقهما امثالا لا تشتبه على احد كقوله هل يستوي الاعمى والبصير افلا
تتفكرون وقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا
الاموات ونحو ذلك فكذلك ههنا الكفرة لما اعتقدوا ان لهم محاسن وخيرات وانهم ينفعهم ذلك ابتغاء مرضات الله
ويحسبون انهم على شيء دون من خالفهم في الدين نفى اعتقادهم بقوله لا يستوون عند الله والله اعلم. وقوله تعالى
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهديهم ما داموا في ظلمهم وما داموا اختاروه وقد اختاروا ذلك ويحتمل
ان يكون هذا في قوم خاص والله اعلم. وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
قوله الذين آمنوا اي صدقوا رسول الله في جميع ما دعاهم اليه وامرهم به ونهاهم عنه لانهم كانوا مؤمنين بالله لقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانوا مؤمنين بالله لكنهم يكذبون الرسل
والرسالة. وقوله وهاجروا اي فارقوا آباءهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ومنازلهم وبلادهم هاجروا جميع ما تميل انفسهم
وهواه وتميل اليه القلوب وذلك ما ذكر في الآية التي يتلوها وفارقوا الكل اشفاقا على دينهم ليسلم لهم لو اعطوا قبل الاسلام
الدنيا وما فيها او وعدوا بكل وعيد وخوف ما فارقوا ذلك ثم اذا اسلموا فارقوهم ولحقوا برسول الله كل ذلك ابتغاء مرضات
الله وطلبا لرضوانه ليعلم عظم قدر الدين في قلوبهم وخطر منزلته عندهم وليعلم نحو اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعظم واشد من محبتنا لان محبتهم كانت على خلاف عادتهم وخلاف طبعهم لان الانسان مطبوع على حب ما ذكرنا
ومجبول عليه حتى ترك ذلك وتركوا وفارقوا وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء مرضاة ربهم فاما محبتنا فانهم على ما نستن من عادة
... وقوله وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي بذلوا احب الاشياء الى الله تعالى وهي الانفس و
الاموال. وقوله تعالى اعظم درجة عند الله قال بعض اهل التأويل من صدق بتوحيد الله وهاجر الى المدينة وجاهد
العدو بماله ونفسه فهو اعظم درجة عند الله من الذي افتخر بسقاية الحاج الى قوله لا يستوون عند الله ولكن
الوجه في ذلك عندنا ان اولئك الذين ذكرهم اعظم درجة عند الله من الذين اسلموا من بعد ولحقوا باولئك والله اعلم
وقوله تعالى واولئك هم الفائزون الفوز هو الظفر في اللغة اي اولئك الظافرون بنعم الله وكرامته والناجون
عن عذاب الله ونقمته. وقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه يحتمل قوله برحمة منه اي النصر لهم في الدنيا و
لهم على عدوهم ويحتمل برحمة منه الثواب في الآخرة والكرامة فيها. وقوله تعالى ورضوان اي يبشرهم ايضا
انه يكفيهم ويرضى. وقوله تعالى وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي يبشرهم ايضا بجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم خالدين
فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الحسن ما سماه الله تعالى عظيما فهو عظيم لا تدرك عظمته. وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم في الدين حقيقة ومن يتولهم في الحقيقة في الدين فهو منهم وهو ظالم لانه
ان كان انشأ قبل هذا فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون الا معنى الكفر في قوله ان استحبوا
الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر على الايمان والمحبة ههنا محبة الايثار والاختيار نهانا عن موالاة الكفرة
جملة بقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء هذا النهي لنا في جملة الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء ثم نهانا ان نوالي المتصلين بنا
من الآباء والامهات وغيرهم من القرابات لئلا يقع الشبهة في موالاة المختصين بهم فخص النهي فيه وكذلك خص
اليهود والنصارى لان بيننا وبينهم موافقة في اصل التوحيد وفي بعض الكتب ونحو ذلك والله اعلم ويحتمل الولاية
اظهار الموافقة لهم في الظاهر على غير حقيقة الموافقة في الدين لكن اظهار الموافقة على غير حقيقة مباح في حال
الاضطرار وهي عند خوف الهلاك وذهاب الدين لكي ان يكونوا قوم اسروا الايمان في انفسهم وكتموه ويظهرون
الموافقة لهم في الظاهر اشفاقا على دينهم وخوفا على انفسهم فيباح لهم ذلك فلما ان جعل الله تعالى الهجرة فرضا

وجعل للمؤمنين انتصارا وما دعى يلجأوا اليه لم يعتذروا في اظهار الموافقة لهم وان كانوا في الستر مسلمين على دينهم لمكانهم
فيما عملوا على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه في غير حال الاضطرار يكفر كان على ما يجعل هؤلاء اولياء الكفر حقيقة
ظلمة فلهم فاتقوا الله فيهم في الظاهر وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك وهذا اشبه وهو كقوله ان الذين توفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
لم يعذروا في ترك الهجرة فعلى ذلك هؤلاء اذا اظهروا الموافقة لهم بعد ما جعل المأوى والانصار صاروا في الجملة
كاولئك والله اعلم ثم في الآية التي نهانا الله عنها يخرج على وجوه احدها المودة والخشية الا تعدوهم ولا تعدوهم
دهم كقوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة والثاني لا تتخذوهم
موضع سرنا وبطانتنا كقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم والثالث ولاية الطاعة لهم ولا تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم الآية فالله تعالى نهانا ان نحبهم لعداوتهم ونهانا ايضا ان نتخذهم موضع سرنا ونفشي اليهم
اسرارنا ونهانا ان نطيعهم فيما يدعوننا اليه وانما كان ذلك كله للخلاف الذي بيننا في الدين والله اعلم
وقوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم هو مقابل قوله الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله الآية دل على ما ذكرنا في قوله قل ان كان آباؤكم وابناؤكم على ما ذكر من قوله لا تتخذوا
آباءكم الآية والآباء والابناء جميعا في قوله واخوانكم الاخوات وجميع المتصلين بهم بالنسب لما ذكر ثم قال
قل ان كان آباؤكم وابناؤكم وما ذكر الى ان قال طاعة هؤلاء ورضاهم احب اليكم من طاعة الله وطاعة رسوله
وقضاء واجب من جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم قوله حتى يأتي الله بامره هو حرف وعيد اي
انتظروا حتى يأتي الله بامره اي بعذابه وقال اهل التأويل اي حتى يأتي الله بامره في فتح مكة وقوله تعالى واموال
اقترفتموها قال بعضهم اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم لم تؤدوا حق الله فيها اي اموالا جعلوها حلالا وحراما
ويقولون الله اذن لنا في ذلك كقوله قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم
اخبر انهم كانوا يجعلونها لانعام الحلال وحراما ويقولون ان الله امرهم بذلك والله اعلم وقوله تعالى وتجارة
تخشون كسادها اي كانوا يخشون فواتها وذهابها لا الكساد في الهجرة وقوله تعالى لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصركم في مواطن كثيرة كان قبلكم الله ونصركم يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم
باعجابكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا اي لم تغن الكثرة بدركم عزوجل منه وفضله عليهم لان النصرة والظفر
كانا انما كان بالله لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين كثرة وقوة ما كان يوم حنين
ثم كانت الهزيمة عليهم في الابتداء لاعجابهم بالكثرة واعتمادهم عليها ليعلم ان النصر والظفر انما يكون بالله لا
بالقوة والكثرة لئلا يعتمدوا على الكثرة ولا يتكلوا عليها فان قيل قد امرنا الله تعالى باخذ العدة والقوة ما
بقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية فانما امرنا بما يعجبنا قيل انما النهي عن الاعجاب بالكثرة والقوة
وكذلك نهانا عن التاسي والحزن على ما فاتنا ونهانا ان نفرح بما آتانا وقد كلفنا الشكر لما آتانا والصبر على ما ذهب
عنا فلو لم نفرح بما آتانا ما لزمنا الشكر ولا الصبر فالمعنى في ذلك قيل معناه والله اعلم انه نهانا ان نفرح بفضل
ونستعلي من قبلنا مختصا به وعلى ذلك الشكر وعلى ذلك الصبر بما يصيبنا وانما امرنا ان نرى في الآخرة
عظيما وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا آتانا ذلك علينا ان نعجب بفضل ... الكثرة ... بها الا
نفسها والقوة والله اعلم فان قيل الاعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل فكيف هزم الكل وكيف
العصيان يوم احد انما كان من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان يتلف الكل ابتداء الا ترى ان امر
الواحد بالقيام للاثنين في الجهاد ثم امر الجهاد امر على غير وسع ولا ذلك في سائر العبادات لانه امر الواحد بالقيام
للاثنين في الجهاد وليس في وسع الواحد القيام للاثنين فهو والله اعلم لما ان له ان يكلف قتل انفسهم
ابتلاء بقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الآية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن لذكره
دلالة ان له ذلك وان له ان يميتهم ويهلكهم فعلى ذلك له ان يأمر الواحد بالقيام للاثنين وبعد فان كان
في ذلك تلف انفسهم ولان الله تعالى امرنا بمجاهدة الشيطان عدونا واخبر انه يرانا ولا نراه بقوله انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو يرانا ولا نراه صعب شديد لكن الله تعالى علمنا اسباب
ما نحارب معه ونجاهد فنغلبه قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الآية علمنا اسبابا نقابل بها الشيطان فنغلبه ونقهره وهو
من ذكر الله تعالى فهو كذلك في العدو الذي نراه من البشر حيث قال يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا وقال واصبروا ان الله مع الصابرين وقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقد علمنا
اسباب الجهاد معهم والحيل التي يجوز للواحد القيام للاثنين خصما عددا بالخيل فان لم يكن في الوسع بالقوة

نفسها والله اعلم ثم الفرق بين الجهاد وبين غيره من العبادات فيما ذكرنا انه يحتمل ان يجعل الله تعالى الجهاد آية من آيات
الحق والرسالة والقيام بالرسالة ليعلموا على ذلك بخلاف العادة فيظهر النصر والظفر ليعلم الخلائق ان النصر والظفر
كان بالله لا بالعدد ولا يظهر نصر الله الا لاهل الحق ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم وقوله تعالى وضاقت
عليكم الارض بما رحبت هذا على التمثيل يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغهما الغاية والنهاية ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وانما يقال ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق وقوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين قال بعضهم السكينة الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به الآية
وقال بعضهم سكينة نصرة وقيل وقاره ورحمته وقيل طمأنينته واصله اي سكنت قلوبهم واطمأنت بعد
شدة الخوف والحزن باي وجه ما سكنها الملائكة او بغيرهم واسكن قلب رسول الله لما اشتد عليه هزيمة
اصحابه وسعادتهم اياه ثم في قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين دلالة نقض قول المعتزلة
لانه سماهم مؤمنين على ما كان منهم من التولي والتولي لم يخرجهم من الايمان الاول مع ان ذلك كبيرة منهم دل
ان الكبيرة لا تخرج من الايمان وقوله تعالى وانزل جنودا لم تروها هم الملائكة وقوله تعالى وعذب الذين كفروا
اي بالقتال والهزيمة وذلك جزاؤهم بقوله وذلك جزاء الكافرين وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اختلف فيه قال بعضهم النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه
وعند كان النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه وعندنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام نهي عن دخول مكة نفسها
للحج واقامة العبادات والدليل احدهما قوله بعد عامهم هذا ولو كان لدخول المسجد لكان ذلك العام وغيره بالمنع عن الدخول
فيه من غيره والثاني قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وخوف العيلة انما يكون لمنعهم عن دخول
مكة لا عن دخول المسجد نفسه لانه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك لانهم
يحضرونه ويدخلون مكة للتجارة ولا يدخلون المسجد الحرام فلا خوف عليهم في ذلك ولنا الحديث على رضي الله
عنه انه قال الا لا يحجن بعد العام مشرك فتبعه الى الموسم ينادي بين الناس بذا وهذا يبين ان المراد من
الآية هو النهي عن دخول مكة للحج وانما ذكر دخول المسجد الحرام عبارة عن دخول مكة للحج لان البيت انما للزيارة قال
تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال ولله على الناس حج البيت وقال وليطوفوا بالبيت العتيق كان
البيت وهو المقصود بالحج والاسلام والكفر جميعا فعلى ذلك النهي لكنه ذكر المسجد لما ان البيت فيه وقد
[illegible]

وعدلهم السعة والغنا بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فقال بعضهم دل بقوله ان شاء على انه وعد لهم الامر
في بعض الاوقات وقال بعضهم انه تعالى امر رسوله ان يخبر اهل مكة بان يغنيهم من فضله فامرنا بان نقرن به
ان شاء الله فهو مامور بان نستثني في جميع ما نعد كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
معناه فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء انه يحتمل قوله فسوف يغنيكم الله من فضله اي ان شاء يغنيكم عن
تجار اهل الافاق من اليمن وغيره وعن تجاراتهم قد خلتهم بغيرهم على ما ذكر في القصة انه لما قال علي في الموسم على مشركي العرب
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال اناس من بكر بن وائل والنبي صلى
يا اهل مكة ستعلمون اذا فعلتم هذا ماذا تلقون فيها من الشدة من اين تاكلون اما والله لتقطعن سبلكم ولا
الكرم ستفيئا فخاف اهل مكة من ذلك فانزل الله تعالى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء في
فسوف يغنيكم الله من فضله عن تجارة هؤلاء الذين قالوا كفلنا لخصب تبالة وجرش تحملوا الى مكة الطعام
والاكارع وكل ما يحتاجون اليه ثم تتابع بذلك عليهم عوانا فاخصبوا واغناهم الله عن تجارة اولئك وعن قطع
وقال بعضهم يحتمل قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء هؤلاء الذين منعوا عن مكة لا تختصب لهم التجارة
والمكاسب فعانا الذين عن الارباح بها فيحملهم ذلك على الاسلام فيدخلون فيها فيكونون لهم عونا كما كان ... لهم
حب التجارة والربح عن ترك الحرم كقوله وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
على ترك الحرم كقوله وتجارة تخشون كسادها فعلى تاويل الاول والله اعلم وقال بعضهم فسوف يغنيكم الله
فضله بالجزية التي ذكرها في الاية التي تليها **وقوله تعالى** ان الله عليم حكيم اي عليم بما اضمروا من خوف العيلة
او عليم بمن يكون له الغناء حكيم في امره وحكمه وفي قوله وان خفتم عيلة دلالة اثبات رسالة محمد صلى
الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اضمروا ذلك في انفسهم ثم اخبرهم رسول الله بذلك فدل انه انما عرف ذلك بالله تعالى

وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون
دين الحق من الذين اوتوا الكتاب. وفي الاشكال انه ذكر اهل الكتاب اليهود والنصارى واخبر انهم لا يؤمنون
بالله وهم في الظاهر يقرون بوحدانية الله واليوم الاخر فمعنى هذا ... والله اعلم وانا من ... الظاهر من
عندهم فانما يؤمنون باله له ولد كما ذكر عن ... وهو قوله حين ... وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله والايمان باله له ولد ليس بايمان بالله تعالى فهم غير مؤمنين حقيقة وكذلك امنوا بالبعث واليوم الاخر
لم يؤمنوا بما هو الموجود في اليوم الاخر فالاقرار باليوم الاخر بغير ما هو عليه ليس بايمان به ويحتمل ان يقال انهم
وان اقروا بما ذكرنا فامنوا بالكتب استحلوا اشياء حرمها الله تعالى عليهم وحرموا اشياء احلها الله لهم وانكروا
رسالة رسولنا ومن امن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن باية منها او برسول منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الاخر مصدق
لم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله تضمنت هذه الاية احكاما منها الامر بقتال من لم يؤمن بالله واليوم الاخر واهل
الكتاب يقرون بالامر يعني بالله واليوم الاخر لكنه يخرج على وجوه ثلاثة احدها انهم مشبهة ومن تشبيههم الله
بخلقه احتمل على نفيهم القول بالوحدانية اذا الذي يستدل من الخالق على ذلك ... وان ابعض ... ذا كان
كذلك فهم غير مؤمنين في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا به وان له يكون الالهة ... الها
والله اعلم والثاني ان الذي يجبل عليه الخلق من تعظيم رسل الملوك واجلالهم حتى يوجد من ... رسول
قد ظهرت بينهم العداوة فلما كذبوا رسول الله مع البراهين التي قد اجريت الخالق وشهادة كتبهم به ...
عرفوا انهم مكذبون بكتبهم ورسلهم على من صدق بذلك اعني تظاهر مشركي العرب على محمد بعدهم منكرون كتبهم
ومحمد عليه السلام مصدق ثبت انهم في الحقيقة مكذبون بجميع الكتب والرسل وان اظهروا الوفاق وان ذلك
لا يكون الا التكذيب منهم بالله فعلى ذلك ايمانهم بالله يكون بايمانهم بالرسل وعلى ذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في وفد عبد قيس انه قال امركم باربع امركم بالايمان بالله ثم قال اتدرون ما الايمان بالله
شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فلذلك لم يكن ايمانهم ايمانا بالله حتى يؤمنوا برسول الله فلهذا يجاب به
والله اعلم والثالث يحتمل انه نفى عنهم الايمان نفي منفعة الايمان عنهم اذ كل المنفعة بالايمان برسله على ... فيهم
بالتعظيم اذ اظهرت هذه المنفعة تركوا القتال لها الا فلا والله اعلم ثم الترك على قبول الجزية ... الكتاب
وان كان الامر قد تقدم بالقتل بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى ان قال من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون يكون في ذلك دليل على ان الاخذ ذلك المال لعله ... لهم حتى تركنا القتال لهم وامرنا
بالترك على كفرهم اذا اعطوا المال اذ في ذلك تكميل الرضا بكفرهم كما كتب الله تعالى على كل نفس الموت ثم قد يكون على
ما هم عليه من اختلاف الاديان وتفرقها الا هكذا وان كان ذلك لا يدل على الامر والرضا بما اختاروا ... في الاولى
لا يدل على الرضا بكفرهم ولا على القتال لاخذ تلك الاموال عنهم والله اعلم ثم الاصل ان القتال لم يجعل فيكون ...

فالكفر ادنى من القتل ومعناه ... الاختيار ... جميعا وهو الموت ... الى ذلك
احدهما ... على الاجابة ... اللذة ... الحق ...
يقتضيهم ... الى ... الحجب ... اللذة ...
اللذة ... النظر ... الحق ... الحجة ... بعض الذين
يتفرعنه ... الى ... الحجة ... زيادة
كرامة ... بالحياة ... والثاني ...
والسيئات ... الموت ... قوله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن
عملا ... الى الاسلام ...
... بالقتال ... الموعود ...
... الحكمة ... الفرق
بين مشركي العرب ... احدهما ... لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ...
... اهل الكتاب ...
... الحرب ... من الاولى ...
... اهل الكتاب ...
... الجزية ... الرسول ...
... العهد ...
... الجزية ...
... الاسلام ...
... الفضيلة ... رسول الله ...
... الاسلام ...
... القتل ... الكفر ...
... الاسلام ...

وهو ان مشركي العرب ليس لهم دين يدينون به ولا مذهب معلوم اعتمدوا عليه يتاملون ويناضلون عن ذلك
الدين وليس لهم دين اعتمدوا عليه ولهذا لم يذكر في شيء من الكتب لهم مذاهب فانما هم كالسباع عادتهم السلب والقتل
والاغارة والتناحر في الذبح عن القبائل فعند ترك العادات بما يعترض عليها لما منع الاخذ عليها من القتال والحرب فاذا
لم يقاوموا على ذلك تركوا عادتهم في ذلك ثم قبلوا ما امروا من الدين دفعا للضرر عن انفسهم في البقاء على العادة الاولى
والجلب فيما امروا بالعدول اليه فاما اهل المذاهب فانما الزموا عليها ودانوا بها بالحجج ومثل ذلك لا يترك الا بالحجج وببعض
عقد الذمة يتحقق هذا الغرض ليخالطوا المسلمين ويروا محاسن الحق ويسمعوا الحجج ويلزموا الدلائل عليهم فانه لا بد
لذلك من زمان طويل يترددون ويتاملون فيها فلذلك اختاروا ... وهو ان يترك الله كل ذي مذهب بما يوجد
في مذهبه ما يثبت القول به الاسلام ونقض التشبيه ان نقول لليهود والنصارى انكم اعتقدتم حقية دينكم بقوله ...
فالكتاب الذي انزل عليكم على لسانه ... كذلك الكتاب كتاب الله تعالى ... فانه رسول
وما اتى به كتاب الله بما عجزكم عن اتيان مثله ما اتى به من الدلائل ... ومثل ذلك العام حقية هذا ...

وكان اعتقاد ذكر حقيقة ذلك الدين لاجل قيام الحجة يوجب عليكم اعتقاد هذا المذهب وانما نتوصل بهذه المناظرة
بعد اعطائنا اياهم العهد والذمة فكان فيه رجاء الوصول الى ما شرع له القتال وانما اشركوا القرب بين مذهبهم (على)
الحج انما تقليد وعادة فليس معهم مما دانوا به ما يقضي بهم الى الدين الحق فلذلك ما فترقا والله اعلم فان قال الملحد لم
تقاتلون الكفرة لكفرهم ثم اذا اعطوكم شيئا من الاموال تركتم مقاتلتهم فلو كان قتالكم لانتقالهم الى الدين الحق لا لطمع
في الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشيء يبذلونكم وكذلك لو كان المقاتلة للنزوع عن الكفر والوصول
الى ما هو نجاتهم في الاخرة لكان الرجال والنساء في ذلك على السواء فنقول انما لا نقاتل الكفرة لوجود الكفر منهم
جزاء على كفرهم وعقوبة عليهم ولكنا لندعوهم الى الاسلام ولان الحال الذي له السعادة لا ما ذكرتم لنضطرهم الى الاسلام
لهذا انما نقاتلهم لا لشيء سواه فاذا كان في اخذ الجزية وعقد الذمة مما يدعوهم الى الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم
على ذلك لعلهم يرغبون الى الاسلام اذا راوا شرائعنا واحكامنا لا انا تركناهم رغبة فيما ناخذ منهم وطمعا في ذلك
واصله ما قررنا ان القتل بطريق المحنة اذ الدار دار محنة لا دار جزاء والمحنة تكون بمختلف الاشياء يمتحن بالقتل
نفسه ومرة باخذ الاموال ومرة بالشدائد كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فاذا كان محنة لا جزاء جاز ذلك وكان حكمة لحصول المراد بمختلف الطرق عند اختلاف الاحوال والله اعلم
وقولهم انكم تقاتلون الرجال دون النساء لانهن اتباع الرجال في جميع الاحوال وخدم لهم يعتمدن على ما يلي الرجال
لعصوبتهن فاذا اسلم الرجال فهذا هو المراد فيما بينهم فكان شرع القتال واخذ الجزية في حق الرجال مما يغني
عن ذلك والله اعلم ولما ذكرنا ان القتال محنة لا جزاء الكفر اذ الدار دار محنة وتكليف فله ان يمتحن بعضا بالقتل
وبعضا بالقتل وبعضا باخذ المال وبعضا لا بذا ولا بذاك ويبنى الامر على تحقيق ما شرع لاجله ولما لو كان جزاء
الجزاء لوجب التسوية بين الكل كما لا تختلف فانا نقول في الاخرة جزاء فعلما والله اعلم وقوله تعالى ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله يحتمل انهم لا يحرمون ما حرموا تحريفا الكتب كما ان نعت رسول الله وانتم حرموه ذلك عليه ويحتمل ولا يحرمون
عبادة الاوثان والله ورسوله يحرمها ذلك ويحتمل ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الخمر والخنزير والميتة
ونحوها والله اعلم وقوله تعالى ولا يدينون دين الحق اي دين الاسلام لانه دين يوجب العقول كل الطاعة ويشهد
على حقيته خلقة الخلائق كلها ويحتمل ولا يدينون دين الحق اي لا يدينون دين الحق ولا يتخذون دينا سبحانه (?)
بل يدينون دينا لا اصل له وهو دين الشيطان وهو ما يدعوهم الى عبادة الاصنام ونحوها والله اعلم وقوله تعالى
حتى يعطوا الجزية يحتمل قوله حتى يعطوا اي حتى يقبلوها لا على الاعطاء نفسه وهو
كما ذكرنا في قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو على القبول لها لا على الفعل نفسه وهذا كذلك
ويحتمل نفس الاعطاء فهو والله اعلم جعلت لحقن الدم في المستقبل فيعتبر ليحقن بها الدم على حسب مضي الايام
ولتلحقهم المشقة والصغار باخذ المال جبرا وكرها في حال بقاء العهد فيعجزوا عن البقاء ويرغبوا مع المسلمين
حربا انا الظاهر انهم انما يقبلون العهد في مثل هذا الحال فيحملهم ذلك على الاسلام والله اعلم وقوله تعالى عن يد وهم
صاغرون قال بعضهم اي لا يؤخذ منهم غصبا وحتى يقبلوا انما يؤخذ يدا بيد سلما قلنا وقال بعضهم عن يد
اي عن قهر وغلبة وجبر تخفيفا للصغار على ما قال ينبغي ان يؤخذ بتلابيبه ويهز هزا ويقال ادّ الجزية
يا عدو الله وقال بعضهم عن يد اي عن طوع وطيب النفس فيقبل جماعتهم لكنا لا ندري ما نعني بالجماعة
وقوله وهم صاغرون قيل ذليلون وهو من الضعف ركنهم الذل يقال صغر يصغر صغارا وهو صاغر اي ذليل وقيل وهم
مذمومون وعن ابن عباس رضي الله عنهما صاغرون اي يمشون ملببين وانما قلنا لا اختلاف بين اهل العلم ان اليهود
والنصارى يقرون على دينهم بالذمة واخذ الجزية واما المجوس فانهم يقرون ايضا على دينهم باخذ الجزية
من المجوس فانه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وفي بعض الروايات
اشهد ان رسول الله اخذ الجزية من مجوس هجر وروي عن عمر رضي الله عنه قال ما ادري ما اصنع بالمجوس وانهم ليسوا
بمسلمين ولا من اهل الكتاب فقال له عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بهم سنوا بهم سنة اهل الكتاب بعد وروي ان ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما اخذا الجزية من المجوس وعن علي
رضي الله عنه انا اعلم الناس بهم كانوا اهل الكتاب يقرؤونه واهل العلم يدرسونه فنزع ذلك من صدورهم وعن
موسى قال لولا اني رايت اصحابي اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها وعن ابي عبيدة الجراح قال كتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى اهل هجر من استقبل قبلتنا فصلى صلاتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله
ومن ابى ذلك فالجزية عليه [illegible] من المجوس ومن بني تغلب الجزية وعلى ذلك بعضهم [illegible] ولم ينكره احد من السلف
قال القوم ان المجوس انما اخذت منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا فاسد اهم ورفع كتابهم اتباعا لما روي عن علي وقال
آخرون ليسوا من اهل الكتاب ولكن يؤخذ منهم الجزية اتباعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة

اهل الكتاب

اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ثم المسألة في تقدير الجزية روي في بعض الاخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وروي عن عمر
رضي الله عنه انه بعث عثمان بن حنيف الى السواد وامره ان يضع على اهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما
وفي بعض الروايات انه ضرب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما وضيافة ثلاثة ايام وارزاق
للمسلمين واصحابنا رحمهم الله يجعلونهم ثلث طبقات اغنياء واوساطا وفقراء فيؤخذ من الغني الموسر ثمانية واربعون
درهما ومن الوسط اربعة وعشرون درهما ومن الفقير المحترف اثنا عشر درهما وما روي في بعض الاخبار اربعين
درهما وما روي في بعض الاخبار اربعين درهما او اربعة دنانير لا يخالف ما ذكرنا فان ذلك من غير المؤنة كالضيافة
والارزاق للمسلمين في الجزية ما ذكرنا من ثمانية واربعين مع المؤنة والضيافة فهما سواء في المعنى وهذا من عمر بحضرة المهاجرين
والانصار فلم يات من احد منهم النكير عليه ولا الرد فهو كالاتفاق منهم على ذلك على انه لا يحتمل ان يكون عمر قدر
ذلك رايا منه لان المقدرات والحدود سبيل معرفتها التوقيف والسمع لا العقل فهو كالمسموع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما حديث معاذ فيحتمل ان النبي انما امره بذلك لما كان اهل يمن وحاجته على ما روي عن عمر في الضعفاء من اهل مصر
والشام وليس هو الحد الذي لا يلزم اكثر من ذلك الا يرى ان عمر زاد على اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد
من الصحابة فدل اجماعهم على ما وصفنا ثم المسألة في التمييز بين اصحاب الطبقات بين الغني الموسر وبين الوسط
وبين الفقير قال بعضهم الطبقة الاولى من ليس له ما تجب في مثله الزكوة على المسلمين وهم الفقراء المحترفون
فمن كان له مال اقل من مائتي درهم وهو من اهل هذه الطبقة ومن بلغ ماله مائتي درهم فهو من اهل الطبقة الثانية
واذا بلغ ماله اربعة آلاف فصاعدا فصار من اهل الطبقة الثالثة واخذ ذلك من علي وعبد الله بن عمر
قال اربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوق ذلك كنز ويحتمل ان يكون الطبقة الثانية من ملك مائتي درهم
الى عشرة آلاف درهم مما ذكر في ذلك من الطبقة الثانية فكذا روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من ترك عشرة آلاف درهم جعلت صفائح يعذب بها يوم القيامة ثم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا
الجزية دلالة على ان الجزية انما توضع على المقاتلة دون من ليس باهل القتال من النسوان والصبيان فانه امر بقتال الذين
اعطاء الجزية وانما اهل القتال هم المقاتلة دون الصبيان والنساء لان قتلهم حرام بالاجماع وكتب عمر
رضي الله عنه انه كتب الى امراء الجيوش ان لا تقاتلوا الا من قاتلكم ولا تقتلوا النساء والصبيان ولا تقتلوا الا من جرت
عليه المواسي وكتب الى عماله ان لا يضربوا الجزية على الصبيان والنساء وفي بعض الروايات ان لا تاخذوا الجزية الا
على من جرت عليه المواسي وكذلك روي في حديث معاذ قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وامرني
ان اخذ من كل حالم دينارا او عدله معافر فان قيل روي في حديث معاذ امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخذ من كل
حالم وحالمة دينارا وفي بعض الروايات امرني ان اخذ من كل حالم ذكر وانثى دينارا قيل لو كان الحديث محفوظا فيحمل
على ما يؤخذ من نصارى بني تغلب فحكم نساء العرب فيما يؤخذ منها من اهل الكتاب يخالف حكم نساء
العجم ويحتمل انه غير محفوظ لان عمل الائمة بخلافه لان الوفاق قد جرى على ان لا جزية على النساء ولو كان محفوظا
لظهر العمل به ويحتمل قوله خذ من كل حالم وحالمة دينارا اي خذ منهما دينارا او فيه جعل المرأة تبعا للرجل في الجزية
والله اعلم ثم تكلموا في مسئلة ليس في الآية ذكرها وهي ان الجزية اذا ضربت فمضت سنة لم يؤد فيها ان يؤديها
اخذت منه الجزية للسنة الثانية المستقبلة ولا يؤخذ للسنة الماضية وليست كسائر الديون لطولب
بها بعد الاسلام كسائر الديون فان قيل اليس ان من اخر الخراج من سنة الى سنة فانه يطالب ولا يسقط فهلا كان
في خراج الرؤس قيل ليست الجزية نظير الخراج يجب على المسلم في ارضه فهو كسائر الديون بخلاف الجزية فان
المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنة لا يطالب بها فانه روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه رفع الجزية بالاسلام ثم
قال لو ان الله ان في الاسلام لمعادا ان قيل وقال عليه السلام ليس على مسلم جزية فرط ان بعد الاسلام جعل
الجزية فان قيل ان المسلم انما يرفع عنه الجزية الماضية لانه صار في حال لا يجوز ان يوضع الجزية عليه ابتداء فلا
اهل الجزية فلا يبقى بخلاف الذمي اذا اخر فانه بقي اهلا لان يوضع عليه في السنة الثانية ابتداء قيل ان الذمي
اذا اجتمع عليه جزية سنتين بمنزلة الحال لا يجوز ان يلزم عليه مثلها ابتداء فانه اذا كان فقيرا لا يجوز
على اكثر من اثني عشر درهما فكذا يجب ان لا يبقى الجزية الماضية حتى لا يؤخذ ضعف ما وضع عليه في كل سنة
واصله ان الجزية انما جعلت لحقن الدم في المستقبل فاذا صار ذمة محقوق في السنة الماضية فلا يؤخذ الجزية
لاجلها فانه لا حاجة الى ذلك كما اذا اسلم انما تسقط عنه الجزية لعدم الحاجة الى الحقن بها والله اعلم
قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال في آية اخرى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا اخبر ان السموات تتفطر وتنشق الارض وتخر الجبال

لعظم ما قالوا في الله من البهتان نحو العزير عليه انه ابن له وولدا ثم بين الذي قال ذلك تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله تأويل هذه الاية انهم قالوا ذلك وهم كانوا يعلمون انهم قالوا في الله ما قالوا انما ذكره لوجوه احدها
لما فيه من اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم لا يكتمون ذلك ثم اخبر رسول الله اوائلهم قالوا ذلك ثم
كانوا يكتمون عن رسول الله ليعلموا انه انما علم ذلك بالله تعالى والله اعلم والثاني يخبر رسوله سفه اولئك ليصبر على
هؤلاء ليصبر على سفههم واذاهم والثالث يخبر انهم مشبهة لانهم نسبوا الخلق والابنة وقالوا ان فلانا ابنه
فلولا انهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوقة لما قالوا ذلك لما اعتقدوا من التشبيه والله اعلم وقوله تعالى
ذلك قولهم بافواههم ● اي ذلك قول قالوه بلا حجة ولا برهان كانت لهم في ذلك فقالوا ذلك بافواههم من غير
شبهة اعترضت لهم تحملهم على ذلك والله اعلم وقوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ● يحتمل هذا
ان قد كان هؤلاء من الكفرة من قد تقدم لمثل قول هؤلاء ويحتمل يضاهئون قولهم من سبق من الكفرة فيما قالوا
من الشرك الكفرة والكذب والافتراء على الله وهو كقوله تشابهت قلوبهم وفي الكفر المضاهاة تعيق
مطلقا لا من جميع الوجوه كقوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ليس يحيي الموتى كلهم كما احيي
ذلك القتيل بضرب بعض البقرة عليه ولكن يحييهم احياء فعلى ذلك يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
في الكفر نفسه ويحتمل قوله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل اي قول النصارى يضاهئ قول
الذين كفروا وهم اليهود من قبل فان النصارى قالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزير ابن الله
قولهم الى النصارى الذي هو الاقرب لان الجملة السابقة وقوله تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون هذه الكلمة كلمة اللعن
تستعمل عند ذكر المقول في الفعل من غير ارادة تحقيق ما وضعت له ثم قوله انى يؤفكون يحتمل اي انى يؤفكون
ويفترون على الله من غير شبهة اعترضت لهم ويحتمل اي كيف يؤفكون بلا منفعة تحصل لهم ومن غير حجة
وبرهان كان لهم والله اعلم وقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ● قيل الاحبار العلماء
والرهبان العباد وقيل الاحبار هم اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى ثم قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
يحتمل انه خرج على سبيل التمثيل والتشبيه والاتباع اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا اي اتخذوا في الطاعة
لهم والاتباع لامرهم لانهم اتخذوا اربابا لا على التحقيق وهو كما ذكرنا من تسمية عبادة الشيطان انهم يعبدونه
خبرا عن ابرهيم يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن صاروا بالطاعة
له والائتمار لامره كانهم عباده اما في المسيح فهو على التحقيق لانهم قالوا انه اله وقالوا ابن الله وهو يخرج في المسيح
على التحقيق وفي الاحبار والرهبان على التمثيل ويحتمل ما روي في الخبر انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا
لهم اشياء حرمها الله عليهم فاستحلوها او حرموا اشياء احل الله ذلك لهم فحرموا ذلك فقال اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا لهذا وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا الاية يحتمل اي ما امروا ان يعبدوا الهة
على ما يعبدون الاصنام والاوثان ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا وقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ● قيل نور الله ذكر الله وتوحيده وقيل القرآن وقيل دين الاسلام فان كان المراد من النور هو الذكر
والتوحيد فمعناه والله اعلم انهم لم يكونوا يدعون ذكر الاصنام واياها يذكرون في المجالس والحرمين
فيما بينهم فلما ان بعث رسوله بذكر الله وتوحيده وما ابتلي صار يحقق الذين ارادوا ان يطفئوا ذلك النور من
قال ارادوا بين ان انما القرآن فعند ذلك ارادوا اطفاءه كقوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقولهم ما هذا
الا اساطير الاولين وقولهم ما هذا الا سحر مفترى ونحو ذلك ومن قال نور الله هو الدين كقوله افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقال الله نور السموات والارض وفي حرف ابي رض مثل نور المؤمن
وقيل ارادوا اطفاء هذا النور وهو الدين الحق لما يسلم لهم المنافع التي كانت لهم بسبب الدين الباطل لما اتخذوا
الاتباع خدما ومأكلة والله اعلم ثم قوله يريدون ان يطفئوا اي يجتهدون ان يطفئوا نور الله فما يقدرون
على اطفائه ويحتمل يريدون اي يحتالون ان يطفئوا باسباب يتكلفون ويباشرونها وقوله تعالى ويأبى الله الا ان يتم
نوره اي بالحجج والبراهين ويحتمل بالنشر والاظهار وقيل ابقائه لقوله اليوم اكملت لكم دينكم وقوله تعالى ولو كره
الكافرون ● ظاهر وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ● يحتمل بالهدى اي هدى يهديهم
الى ما به يكون جميع المحاسن والخيرات محاسن وخيرات وهو الايمان لان المحاسن والخيرات انما تقوم بالايمان وبه
ينتفع بها نفسه لذلك والله اعلم ويحتمل الهدى القرآن اي يهديهم ويبين لهم المحاسن من المساوي والحسنات
من السيئات وقوله ودين الحق اي هو دين الحق اي الايمان الذي يصير المحاسن محاسن والخيرات خيرات هو دين الحق
ويحتمل قوله ودين الحق اي دين الله لقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين وقوله تعالى ليظهره على الدين كله ● يحتمل
وجوها يحتمل ليظهر رسوله على اهل الدين كله بالحجج والايات وقد اظهره بحمد الله على اهل الاديان كلها بالحجج

والايات حتى لم يقصد احد معارضته [illegible]
ليظهره على اهل الاديان كلها بالقهر والغلبة [illegible]
[illegible]
[illegible] ولو كره المشركون [illegible]
[illegible] وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل [illegible]
[illegible]
[illegible] والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله [illegible]
[illegible] وقد روي في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم [illegible]
[illegible]

ثم لم ينسخ حق الله في رقابها وظهورها كانت له سترا من النار يوم القيامة فان ثبت هذا الخبر ففيه دلالة وجوب الزكاة
في الخيل فهو حجة لابي حنيفة رحمه الله لانه قال ثم لم ينسخ حق الله في رقابها وظهورها والحق الذي في رقابها
هو الزكاة والذي في ظهورها الجهاد عليها والله اعلم وقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب
قوله في كتاب الله يحتمل اللوح المحفوظ على ما قاله اهل التأويل ويحتمل في كتاب الله اي في حكم الله وقوله عند الله
يحتمل في اللوح المحفوظ عند الله لا يطلع عليه غيره وفيه تقديم وتأخير كانه قال ان عدة الشهور اثنا عشر شهرا في كتاب
الله عند الله اي في اللوح المحفوظ الذي هو عند الله لا يطلع عليه غيره ويحتمل عند الله اي في علمه لا يقف عليه
الا من اطلعه الله عليه على ما عرفته العرب فكان تأويله على هذا والله اعلم على ما قال بعضهم ان الله تعالى جعل عدة
الشهور اثني عشر شهرا بالاهلة على ما عرفته العرب كما وقفوا على معرفة ذلك ولم يوقف غيرهم من العجم والروم حين
يعدوا السنة بالايام دون الاهلة والعرب تعرفها بالاهلة على ما خلقها الله تعالى يوم خلق السموات والارض
منها اربعة حرم فيكون في هذا اظهار فضيلة العرب والله اعلم ويحتمل ما ذكره اخبار انه جعل اربعة
من الشهور الاثني عشر حرما وكانت العرب يتدينون بذلك ويمسكون عن القتال والاغارة فيها الى ان مقتلهم الزمان
وكان معيشتهم من الاغارة وكان عادتهم القتال والسبا فيشق عليهم توالي ثلثة اشهر حرم لا يصيبون فيها شيئا
على ما قال بعضهم ان اشهر الحرم عند العرب شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال بعضهم ثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم فرد وهو رجب حتى احل لهم القتال في المحرم وحرم في صفر بدلا عنه في سنة ثم حرم المحرم
واحل في صفر في سنة اخرى واحد من رؤساء العرب كان له شوكة وقوة وكانت العرب لا يخرجون عن حكمه
فبقي ذلك الى زمن النبي فنزلت الاية ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض
منها اربعة حرم الى ان قال انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما الاية
بيانا ان القتال حرام في هذه الاشهر الحرم في ابتداء الاسلام على ما كان اهل الجاهلية يحرمونه وزاد فيه بيان
حيث عاب اصحاب النسيء باستحلالهم القتال في المحرم وتأخيرهم الحرمة الى صفر وجعله زيادة في الكفر بقوله انما
النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فعابهم بتحليل المحرم وتحريم المحلل وقد ورد
الاحاديث موافقة للاية فانه روي عن النبي عليه السلام انه خطب في الموسم وقال في خطبته الا ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي شهر هذا واي يوم هذا واي
بلد هو قالوا البلد حرام وشهر حرام ويوم حرام فقال الا هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد وفي بعض الاخبار زيادة
انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله وذلك انهم
كانوا يجعلون صفر عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النسيء من الشيطان
الحديث الى اخره فهذه الاحاديث دلت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرم القتال فيها اذ بين الاشهر الحرم وعاب
الكفرة بتغييرهم النسيء وجعل النسيء زيادة في الكفر ثم ان الله تعالى نسخ ذلك بعد بقوله فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم ولم يوقت الاخر وصار القتال واجبا في الشهور كلها والله اعلم فان قال قائل ما معنى الحديث الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض الحديث بطوله قيل يحتمل ما اشار الحديث ان الله
جعل اربعة اشهر حرما وبينها وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والعرب في الجاهلية غيرت فجعلت
المحرم حلالا في سنة واقامت صفر مقامه وفي السنة الاخرى جعلت على ما وضع الله تعالى من تحريم المحرم واحلال
صفر واعتقدت ذلك دينا وشرعا لهم فاخبر عليه السلام ان قد رجعت واستدار الزمان على الهيئة التي كانت موضوعة
الله على الاضافة الى اعتقاد العرب لانها عملت به دينا وشرعا حقا وان كان وضع الله من حيث الحقيقة لا يتغير الذي
لا يتغير بتغيير البشر او اكد من حيث العمل اي تغير الا ان العمل على الوجه الذي صنعته العرب يعود الى ما وضع الله
والله اعلم ويحتمل وجها اخر ما ذكر عن مجاهد رحمه الله ان الله فرض الله تعالى الحج في ذي الحجة وكانوا يسمى المشركين هذا
الشهر الذي فرض الحج ذي الحجة ثم غيرت العرب هذا الحكم فكانوا يحجون في ذي الحجة عامين ثم في المحرم عامين ويسمون
ذا الحجة ثم سموا المحرم صفر وسموا صفر ربيعا الى اخره ثم في صفر عامين حتى وافق حجة ابي بكر بعد الاسلام
في ذي القعدة في اخر العامين ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة في ذي الحجة فلذلك قال في خطبته في الموسم الا
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض اي ان وقت الحج الذي امر الله بالحج فيه هذا الشهر وعادت
العرب الان ما دل الى الاصل والله اعلم وروي عن محمد بن اسحق انه قال ان الناس في الجاهلية حتى قول رسول الله ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض فقال كانت قريش يحجون في كل سنة شهرا وانما كانوا يوافقون
ذا الحجة في كل اثني عشرة سنة مرة فوفق الله تعالى لرسوله في حجته التي حج ذا الحجة فحج فيها فقال الا ان الزمان قد

استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض والله اعلم وقوله تعالى ذلك الدين القيم قيل ذلك
الحساب اي حساب الاشهر قيم اي مستقيم على ما خلقه الله تعالى وقيل ذلك الدين القيم اي القضاء العدل وقوله تعالى فلا
تظلموا فيهن انفسكم قال بعضهم لا تظلموا في الاشهر كلها لما جعل هذه الاشهر شهودا عليكم يشهدون بما
تفعلون فيها من المعاصي والخيرات فقال لا تظلموا في هذه الاشهر التي تأتيكم بكل خير وبكل نعمة ثم تشهد عليكم بما عملتم
فيها من الخير والشر شهودا فاحذروا عن الظلم فيها والله اعلم ويحتمل فلا تظلموا فيها وان كان الظلم حراما في الايام
كلها يبقى له سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم والله اعلم وقوله تعالى وقاتلوا
المشركين كافة يحتمل قوله كافة اي مجتمعين معناه قاتلوهم مجتمعين كما يقاتلونكم مجتمعين ويقال كافة جماعة
وهما واحد ويحتمل كافة اي الابتداء قاتلوهم في الوقت الذي يقاتلونكم كما يقاتلونكم وقوله تعالى واعلموا ان الله
مع المتقين اي في النصر والمعونة وقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا اي ما احدث اولئك
الملوك من العرب من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله على ما ذكرنا كيفيته زيادة في كفر اولئك الذين احدثوا من
وقت احداثهم وقوله تعالى يضل به الذين كفروا يحتمل يضل به اي بذلك الذين كفروا اي الذين احدثوا ويحتمل
يضل به الذين كفروا اي بما احدث اولئك الملوك بما احدثوا ليضل به الاتباع وقوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ذكرنا القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون فيه الدماء والاموال ويحرمونه عاما فلا يستحلون
فيه الدماء والاموال وهو معنى النسيء والتغيير فان النسيء في اللغة هو التأخير قال ابو عوسجة النسيء التأخير
يقال نسأت الشيء اي اخرته ويقال انسأ الله اجلك ونسأ في اجلك وكذا قال القتبي النسيء التأخير وكانوا
يؤخرون تحريم المحرم منها سنة ويحرمون صفر مكانه لحاجتهم الى القتال فيه ثم يردونه الى التحريم في سنة
اخرى كانهم يستنسئون ذلك وقوله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله قيل ليوافقوا عدة ما حرم الله كان
عندهم ان التحريم انما كان لعدد الاشهر لا لتلك الاشهر لما في الاشهر من زيادة معنى يقتضي الحرمة فحفظوا عدد الاشهر
ولم يحفظوا اعيان الاشهر وانما اقاموا التحريم في صفر مقام التحريم في المحرم لكيلا ينقص عدد الاشهر الحرم وقوله
فيحلوا ما حرم الله اي انهم كانوا استحلوا بالنسيء ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله وحرموا
ما احل الله اذا المحرم من هذه الاشهر الاربعة شهر غير متعينة فوقعوا في تحريم الحلال وتحليل الحرام لما وجد منهم
من الظلم ... ويحتمل انهم اذا حرموا شهرا اخر مكان الشهر الحرام ليواطئوا ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال
وقوله تعالى زين لهم سوء اعمالهم اي قد زين تأخير الحلال وتقديم المحرم وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الكافرين
قد ذكرناه في غير موضع من هذه الاية والايات التي قبلها ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا كانها في شرك ...
وسائر الايات التي قبلها من قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقوله يا ايها الذين امنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان في اهل الكتاب يخبران ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا
من دون الله حتى يتبعوهم في جميع ما يحلونه ويحرمونه كما ان اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم اربابا من
اولئك عبيدا لهم فكانه قال للمؤمنين ان ملوك العرب واحبار اليهود والنصارى اتخذوا انفسهم اربابا
والاتباع عبيدا فانتم يا معشر المؤمنين لا تتخذوا انفسكم اربابا والاتباع عبيدا الا ترى انه قال في الاية
التي تلو هذه يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة
الدنيا من الاخرة عاتب المؤمنين بالتثاقل في الخروج الى الجهاد ونهاهم عن الركون الى الدنيا والله اعلم وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الاية نزلت في المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك الا في المسلمين وكذلك قوله انفروا خفافا وثقالا وهو كقوله
وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق ففيهم ذكر ذلك الوعيد وقال بعضهم الاية
نزلت في المؤمنين وكذلك قوله انفروا خفافا وثقالا ثم اختلفوا بعد ذلك فقال عامتهم هي في حال مخصوصة
وهي في غزوة تبوك لان النبي عليه السلام خرج فيها بنفسه الا ترى الى قوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا
لاتبعوك ولذلك وقع التشديد على من تخلف عن تلك الغزاة وقعد عن رسول الله من قوله وعلى الثلاثة الذين
خلفوا لانهم تخلفوا عن رسول الله فاما في الحالة التي لم يخرج فيها النبي بنفسه فلا يجب على الناس جميعا
ان يخرجوا الى الجهاد بل على التفرقة بين الحالين قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فهذه الحالة التي اوجب الله تعالى الخروج فيها على المسلمين جميعا واما في الحالة
الاخرى فان الله تعالى قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى واوعد
القاعدين عن رسول الله ما اوعدهم الا من تاب عليه منهم وهم الثلاثة الذين خلفوا والله اعلم وقال بعضهم

هذا في المؤمنين في جميع الغزوات وجميع الاوقات ولكن نقول انا ذكرنا ان النفير واجب على المسلمين لما لم يستغني الثغور
فاذا استغنت نال الغرض عن القاعدين فهو صحيح على ما اراد والغرض في عموم الاوقات فليس بصحيح لانه على ما ذكرنا
من الايات ولان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اعلم بكتاب الله واولى ان يتبعوه وهم ما خرجوا كلهم الى الجهاد
بل بعضهم قاعدون مع النبي وبعضهم خرجوا الى الجهاد وكذلك بعد وفاته لم يخرجوا كلهم الى الجهاد وقد قال الله تعالى
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية قال ابن عباس رضي الله
عنهما اي ينفر طائفة وتمكث طائفة مع النبي فالماكثون الذين يتفقهون في الدين وينذرون اخوانهم اذا رجعوا
اليهم من الغزو بما انزل من كتابه وحدوده والله اعلم ثم قوله اثاقلتم الى الارض قيل استثقلتم النفر في سبيل الله
ويحتمل التثاقل هو ان يسوي نفسه الثقل من غير ان يكون ثم ثقل وهو لم يثقل كما يقال تصامم وتعامى اذا ارى
من نفسه الصمم والعمى من غير ان كان به ذلك وقال بعض اهل الادب اثاقلتم اصله تثاقلتم وذكر ان الحاكم وذلك
في القرآن كثير كقوله حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا والله اعلم وقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل اي ما استمتعتم في الدنيا قليل بمقابلة ما وعد ان يمتعكم في الاخرة ويحتمل
اي متاع الدنيا من اولها الى اخرها ينتهي قليل عند متاع الاخرة وكرامتها لان كرامة الدنيا على شرف الزوال وكرامة
الاخرة على الدوام والقرار ويحتمل متاع الحيوة الدنيا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الدنيا [illegible] الدنيا
يشوبها الافات والمضرات ومنافع الاخرة خالصة لا يشوبها الافات والمضرات والله اعلم وقوله تعالى الا تنفروا
يعذبكم عذابا اليما اي ان لا تنفروا فان كانت الاية في المنافقين فهو ظاهر وان كانت في المؤمنين فيحتمل
يعذبكم عذابا اليما او يحل بهم العذاب لم يبين ما ذلك العذاب على الخلود او لا وقال بعضهم شدد الله تعالى
الوعيد في تركهم النفير والخروج في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شدد الوعيد في التولية عن الدين
بقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله الاية فانه شدد كما
لما لم يكن لهم ملجأ وكان فرارهم فرار نفاق وههنا شدد الوعيد لان ليظهر للمؤمنين ملجأ وموضع يتحيزون اليه
وذلك يخرج على وجوه احدها لان تخلف المؤمنين موضع لعذر المنافقين بالتخلف عن رسول الله والقعود عن الجهاد
فيقولون انهم لو تخلفوا للعذر فنحن نتخلف ايضا للعذر وعلمنا في ذلك عذرا والثاني يكون لذلك كان موضع الاحتجاج
عليهم فيقولون انهم يرجون ثواب الاخرة ويخشون على الشيم انهم يتفرقون عنه لشيم يرجعون عنه والثالث
يكون في تخلفهم اثبات الشوكة للكفار على المؤمنين اذ نقل المؤمنون اذا تخلفوا والله اعلم وقوله تعالى ويستبدل
قوما غيركم قيل فيه بوجوه قيل يستبدل الملائكة ينصروا رسول الله على ما استبدل لهم يوم بدر ويوم حنين وقيل
يستبدل قوما غيركم فينصرونه على ما استبدلكم باهل مكة وقال بعض اهل التأويل يستبدل قوما خيرا منكم
او ينشئ قوما غيركم لكن الاول اشبه الاية لانه قال الا تنصروه فقد نصره الله وقوله تعالى ولا تضروه شيئا
هو ما ذكرنا اي لا تنصروا رسول الله بالتخلف عنه وقال بعضهم الا تضروا الله شيئا والاول اشبه وقوله
الا تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروا رسول الله فان الله ينصره على ما نصره في الوقت الذي كان في الغار لم
معه احد من البشر الا واحد وان لم تنصروه فالله كافيه فينصره على ما كفاه فاذا نصره في الحال التي لم يكن معه احد من البشر
الا واحد فاليوم لا ينصره ومعه من الاعوان والانصار ما لا يحصى واصله ان الله تعالى انما استنصر لا لحاجة له
الى نصرهم اذ قادر ان ينصر رسول الله بما شاء لكن طلب النصر له منهم ليكتسبوا بذلك ثوابا لانفسهم وذخرا لهم
وعلى هذا ما طلب من الشكر من العباد على نعم اعطاهم لا لحاجة له في ذلك لكن ليستديموا النعمة ويصلوا بها الى
النعم الباقية وكذلك استنفار رسول الله اياهم وامره بالخروج الى العدو لم يكن لمكان نفسه اذ يعلم ان الله
كافيه وناصره ولكن انما يستنصرهم ويأمرهم بالخروج لمكان انفسهم ليكتسبوا بذلك قربا وثوابا عند الله وفي
الاية انه قال الا تنفروه يعذبكم عذابا اليما وقال ولا تضروه شيئا اي لم تنصروا ولا تنصروا رسول الله
ولا تضروه شيئا اذ الله كافيه في نصره وانما عاتبهم بترك النفر والخروج لئلا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا
بالحيوة الدنيا من الاخرة على ما ركن اولئك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا وحبهم اياها والذي منعهم عن اتباع محمد
وهو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الاجابة له فيما يدعوهم اليه فيقول الله اعلم للمؤمنين
لا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا بها من الاخرة ليمنعكم ذلك عن النفر والخروج الى ما يأمركم رسول الله على ما منع اولئك
الكفرة والله اعلم وقوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا اي اضطروه الى الخروج حين هموا بقتله حتى خرج من بين اظهرهم
وقوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار ثاني اثنين ولم يكن معه احد من البشر الا واحد وهو ابو بكر رضي الله عنه وانما
ذكر هذا لوجهين احدهما انه يخبر انه لم يكن بالوحدة النصر والحفظ من الله ليعلموا ان النصر لم يكن باحد البشر
وانما كان ذلك بالله تعالى والثاني يذكر لاظهار فضيلة ابي بكر وهو ثانيه في كل امر وهو قوله تعالى اذ يقول لصاحبه

لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن ابي بكر خوفا على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله ان يصاب وكذلك
روي في الخبر قال لرسول الله يا رسول الله ان اصبت يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض
الاخبار ان ابا بكر كان يبكي اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال
ما ذكرنا فقال له يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل انهما اذا اتيا باب الغار سبق ابو بكر فدخل الغار
معروفا بالهوام فالقمها ابو بكر قدميه فاطال ذلك فقال انكان فيه شيء بدا بي وكلام نحو هذا والله اعلم وقوله
لا تحزن ليس بنهي عن الحزن لان الحزن حال طبيعي لا يتصور النهي عنه ولكن على تخفيف الامر عليه وتيسير الحال
التي هو عليها وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه قيل انزل السكينة على ابي بكر حين قال له رسول الله ما ظنك
ما ظنك باثنين الله ثالثهما فحينئذ سكن قلب ابي بكر من الحزن والخوف على رسول الله وقال بعضهم نزل
السكينة على رسول الله وهو يخرج على وجهين احدهما انه انزل السكينة عليه حتى رأى جنودا لم يروها
حيث قال وايده بجنود لم تروها والثاني انزل السكينة عليه بالحجج والبراهين لكنه ان كان ما ذكر فهو
قد انزل السكينة عليه في الابتداء فانه كان يقول عليه السلام لا اخاف سوى الله ويعلم انه ينصره لا محالة وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فانزل الله سكينته عليه اي على ابي بكر لان النبي لم تزل السكينة
معه وهذا اشبه وقوله تعالى وايده بجنود لم تروها يحتمل في ذلك الوقت الذي في الغار ويحتمل
في الغزوات التي نصره الملائكة يوم بدر وغيره يخبر الله تعالى انه قادر ان ينصره لا بالبشر ليعلموا انه انما
يأمرهم بالنفر لا للنصر لرسول الله ولكن ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب والله اعلم وقوله تعالى وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى يحتمل كلمة الذين كفروا هي ما مكروا برسول الله وهموا بقتله وجعل كيدهم
ومكرهم واجتماعهم على ذلك هو السفلى وقوله تعالى وكلمة الله هي العليا اي مكر الله تعالى بهم ونصره
رسوله هو العليا وهو كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وقوله
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا دينهم الذي يدينون به ومذهبهم
الذي ينتحلونه السفلى ويجعل ذلك السفلى بالحجج ويجعل دين محمد هو العليا بالحجج والبراهين على ما كان
ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا السفلى اي يجعل اهل الكلمة الذين كفروا هم الاسفلين واهل دين الله هم
الاعلين وهو كقوله وانتم الاعلون وقوله تعالى والله عزيز حكيم عزيز لا يعجزه شيء حكيم في امره وقوله تعالى
انفروا خفافا وثقالا اختلف في تأويله قيل شبانا وشيوخا وقيل فرسانا ورجالا وقيل مشاغيل وغير
مشاغيل وقيل فقراء واغنياء وقيل نشاطا وغير نشاط واصله انفروا مستخفين ومستثقلين اي انفروا
خف عليكم الخروج او ثقل او خف على الطبع او ثقل مما ذكر اهل التأويل من الشيخوخة والشغل والفقر
والمرض يرجع الى هذا لان ذلك مما يثقل به الخروج والنفر فكان التأويل في الحاصل انفروا خف عليكم او ثقل
والله اعلم وقوله تعالى ذلكم خير لكم اي ذلك النفر والجهاد خير لكم من المقام في الدنيا والاخرة ان كنتم تعلمون
وقوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قال بعض اهل التأويل لو كان عرضا قريبا
اي غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي هينا سهلا لاتبعوك في ذلك العرض قيل العرض الدنيا والسفر القاصد
اي الذي ليس فيه مشقة واصله لو كان عرضا قريبا اي منافع حاضرة وسفرا قاصدا اي منافع غائبة مستظهرة
والعرض هو منافع يعقوب لو كانت لهم منافع حاضرة او غير حاضرة لاتبعوك فيما استتبعتهم لان عادتهم اتباع
المنافع وهي عادة المنافقين وهو كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله على حرف واما المؤمنون فهم يعبدون الله في كل
حال في حال السعة وفي حال الضيق ويتبعون رسول الله لا يفارقون ان كانت لهم منافع او لم يكن
وقوله تعالى ولكن بعدت عليهم الشقة يعني المسير وقوله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يحتمل قوله لو استطعنا لخرجنا معكم اي لو كان لنا ظهر وسلاح لخرجنا معكم او لو كان زاد وما نشتري
به المحارب لخرجنا معكم وقوله تعالى يهلكون انفسهم قيل يهلكون انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم
لا يستطيعون وقيل يهلكون انفسهم بتركهم الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج للعهود التي
تلك كقوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ويحتمل يهلكون انفسهم في الاخرة بنفاقهم
في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون اخبر ان لهم استطاعة على ذلك وانهم
كاذبون انه لا استطاعة لهم حيث قال في اية اخرى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ثم المعتزلة
تعلقت بهذه الاية على ان الاستطاعة تتقدم الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا ما نعني
وما نشتري به السلاح ولكنا نقول ان الاستطاعة على وجهين استطاعة الاسباب والاحوال والاستطاعة

الافعال الى استطاعة الاسباب والاحوال يجوز ان تتقدم وهذه الاستطاعة هي استطاعة الاسباب الا ترى انه قال
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ومن قولهم ان استطاعة الافعال لا تبقى وقتا تاما فاخبر ان استطاعتهم كانت
باقية اوقاتا فدل ان المراد بها استطاعة الاسباب والاحوال دون استطاعة الافعال والله اعلم وقوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين • اي لماذا اذنت لهم بالتخلف حتى
يطلعك الله على نفاقهم فيما امرك بالاذن بالتخلف في حق المؤمنين دون المنافقين فتعلم بالاذن من المنافقين
من المخلص فيكون ذلك له من آيات النبوة لما فيه من علم الغيب ولا يعلم الغيب الا من يطلعه الله عليه ويحتمل
انك لم تاذن لهم يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون وفيما يعودك وانك لم تاذن لهم والذين صدقوك الا يتخلفوا
ما لم تاذن لهم فيتبين لك هؤلاء من هؤلاء ويظهر كذب هؤلاء وصدق المؤمنين وفي قوله عفا الله عنك لم اذنت
لهم دلالة على ان النبي انما اذن لهم بالتخلف بلا امر من الله ولا اطلاق تنصيصا حيث عاتبه على ذلك واحتاج هو الى
العفو عن ذلك فيكون فيه دلالة على جواز العمل بالاجتهاد اذ لو كان اذنه لهم بالتخلف بامر لما استحق به العتاب نصا لم يكن
ليعاتبه الله على الاذن بقوله لم اذنت لهم فدل انه انما اذن لهم بالتخلف بالاجتهاد لما كان في ظنه انه كذب
وما كتمه الله عليه انهم انما يستاذنونه بالقعود عن الجهاد لهم فاذن لهم لكن عاتبه رسول الله بما اذن لهم بالقعود
عن اجتهاد واجتهاد من حق ان اجتهد لانه كان انما يحكم بما اراه الله لقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله ويحتمل
يحتمل انه انما عاتبه على ترك الافضل لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن لهم بذلك لما ذكر انه يتبين
بالصادق من الكاذب ويكون فيه آية من آيات الرسالة ويجوز ان يعاتب على ترك الافضل ويحتمل ان يكون
قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم يكون على طريق المعاتبة ولكن على طريق التعليم من الله اياه انك كيف تعامل الناس
وكيف يعامل الناس بعضهم بعضا وهو ان يبدا في الكلام بما هو يعتذر ودعاء فيتنقل ما قال الله تعالى
الله وما يليك الله يخون ذلك ثم يشرع في الكلام ليكون انجع في القلب كما ذكر الله تعالى عفا الله عنك على رسول
المرح والتلطف مع النبي لانه بادره الاخبار عن العفو والله اعلم وغلط ناس من استدل بهذه الاية على فضل
رسول الله على غيره من الانبياء لانه جعل وعز بذكر العفو عما استحق العفو عنه وكذلك في جميع ما ذكر من عتابه
لم يذكر ذنبه وذكر في سائر الانبياء الزلات ثم سماهم بها دونه والله اعلم وقوله تعالى لا يستاذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم • اي لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف عن الجهاد
بغير عذر انما يستاذنونك بعذر وقوله تعالى انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر • بالقعود و
التخلف عن الجهاد بغير عذر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي في شكهم يترددون وكان قيل
ان الله تعالى عاتب رسوله بالاذن بالقعود والتخلف عن الجهاد لمن استاذنه بل لعدم الاستيذان بالقعود
عن الجهاد في هذه الاية وذكر في سورة النور قال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه الى ان قال فأذن لمن شئت منهم لم يجعل الاستيذان منعهم بل جعله
علامة الايمان تعالى جعل الخيار في الاذن واباح له الاذن لمن شاء فكيف التوفيق بين الايتين فعنه ذكر عن الحسن
انه قال ان هذه الاية نسخت بالاية التي ذكرت في سورة النور فعلم بكون الاذن بالقعود مباحا في الابتداء ثم صار
رخصة على الناس وكذلك روي عن ابن عباس لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان سورة النور نزلت من قبل ما نزلت
ولما ذكرنا ان النبي كان يأذن للبعض في القعود ويامر البعض بالخروج في سائر الغزوات والا بالتشديد في غزوة
تبوك لعله لم نعرف احدا فات تقاة الا الاية ولكن انما عوتب النبي بالاذن في التخلف في حق اولئك لانهم كانوا
من المنافقين واستاذنوه من غير عذر وكان النبي لا يعلم بذلك وبنى الامر على ظاهر الحال فعلم ببطن بلوغ الوحي عن
هذا وقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه في المؤمنين فلا يستاذن المؤمن الا بعذر
كذلك روي عن ابن عباس فيحتمل ان الاستيذان في هذه الاية من قوم لحقتهم تهمة النفاق فلو لم ياذن لهم
النبي في الاستاع والتخلف لتخلفوا بغير اذن فكان يظهر نفاقهم وقد عرف كذبهم فيما اظهروا من الايمان
فعوتب بالاذن في التخلف لهذا واما قوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه في المؤمنين
الذين لا نفاق لهم فلم يكونوا ممن يتخلفون لو لم ياذن لهم فقال فاذا استاذنوك لبعض شانهم فأذن لمن شئت لذلك
قد صح عندك ايمانهم ولا تحتاج الى امتحانهم لمعرفتك بهم فأذن لمن شئت منهم فامكن التوفيق بين الايتين
على هذا الوجه فلا تحتاج الى القول بالنسخ والله اعلم وقوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة • يحتمل ان يكون
هذا في غزوة تبوك على ما قاله اهل التاويل انهم امروا بالخروج والتأهب للغزو فعزموا ان لا يخرجوا فعوتبوا على ذلك
ويحتمل ان يكون هذا في جميع الغزوات عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يتاهبوا له فطعنوا وقالوا لو استطعنا لخرجنا
معكم فاكذبهم الله تعالى واخبر انهم كاذبون وانهم اغنياء لكنهم عزموا ان لا يخرجوا فلا يعدوا له عدة والله اعلم وقوله تعالى

ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم • يحتمل كره خروجهم وانبعاثهم بين الوجهين احدهما الذي لم يرض لاجله ما ذكر في قوله
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الاية [illegible] ويحتمل كره انبعاثهم لما [illegible]
انهم لا يخرجون لما يريد [illegible] من الخبال [illegible] الاسباب التي [illegible]
وفي حرف ابن مسعود [illegible] وقوله تعالى فثبطهم قيل حبسهم [illegible] التثبيط التثقيل [illegible]
[illegible] الخروج الى الجهاد [illegible]
[illegible]
يكونون عيونا للعدو يخبرونهم عن عورات المسلمين ويحتمل انهم كانوا يجبنون اهل الاسلام كقوله الذين قال
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل ما ذكر من الاية يتصل بعضها ببعض ولاوضعوا
خلالكم قيل هو من ايضاع الابل خلالهم ويخللون الابل فيما بينكم وقيل وضعوا خلالكم اي اوضعوا
حتى يدخلوا بينكم حتى لا يصيبهم الاذى فكانوا يستترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شيء من البلاء والشدة
وقال القتبي ولاوضعوا اي الوضع وهو شدة السير وقيل هو من عدو الابل يقال اوضعت الابل وركضت
الفرس واجريت الحمار وقوله تعالى خلالكم • اي بينكم وقيل الخلال القتال لانهم يتشاورون
اسبابا يدخل فيها المفسدون الفشل ويفضي بهم الى الهلاك او القتل وقوله تعالى يبغونكم الفتنة •
قيل يبغون فيكم الفتنة وهي الشرك الذي كانوا هم عليه ويحتمل ما ذكرنا من القتل او ادخال الفشل والجبن
فيهم والله اعلم وقوله تعالى وفيكم سماعون لهم • يحتمل فيكم من المنافقين الذين تخلفوا ولم يخرجوا
يستمعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا ايضا بما يكرهون يقولون الذين هم مؤمنين فيحذرونهم ويحتمل ان يكون
هؤلاء المنافقين سماعين للكفرة وجواسيس يخبرونهم عن عورات المسلمين وضعفهم ويحتمل وفيكم من
المؤمنين سماعون لهم لا انهم قيل انه كان في اصحاب النبي من يحبهم لهم وطاعة لشرفهم فيهم وعن ابن عباس رضي
قال في قوله يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم كان الرجل يدع الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يتخلف بهم
فيقول لهم ان بعثكم الى العدو اما انكم يعرفون الشتات وفعلوا كذا وحيث الله وقوله تعالى والله عليم
بالظالمين • اي لا عن جهل امهلهم على ما هم عليه ولكن اخرهم ليوم وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل يحتمل
الفتنة الوجهين اللذين ذكرتهما وقوله تعالى وقلبوا لك الامور قيل اي تكلفوا واجتهدوا ليطفئوا هذا النور
ويحتمل قلبوا الامور ظهرا لبطن ليمكروا برسول الله ويقتلوه وقوله تعالى حتى جاء الحق وظهر امر الله • قيل دين الاسلام
وقيل حجج الله وادلته وهو كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم وقوله تعالى وهم كارهون • اي كان ظهور
دين الاسلام وهو كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي و
لا تفتني • فيه دلالة ان لا كل المنافقين قالوا ذلك انما قال بعضهم وبعضهم قالوا غير هذا ثم قوله ولا تفتني قيل
اي لا تمتحني بالمحبة لبنات الاصفر يقول لا تعرضني بامر فيه الهلاك الا في الفتنة سقطوا
اي في المشقة والبلاء والهلاك وقعوا وقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين • على ان اهل النفاق كفرة
لانه ذكر في اول الاية وصف المنافقين ثم سماهم كفرة بقوله لمحيطة بالكافرين وقيل لا تفتني اي لا تؤثمني
وقيل لا تحرجني وقيل ولا تكفرني وقيل ولا تفتني اي لا تكن سبب فتنتي ومعصيتي اي لا تامرني بالخروج ولكن
ائذن لي بالقعود لانك ان امرتني بالخروج ولم تأذن لي بالقعود والتخلف فقعدت وتخلفت كنت عاصيا لذلك الامر
فكنت انت سبب عصياني فتكون انت سبب فتنتي وقيل ولا تفتني اي لا تامرني بالمشقة والشدة ولكن بالدعة
وهم كانوا اهل الدعة والراحة كانوا اماثلوا اليه كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية ومنهم من قال بعيال
لحيني عنهم قال لي اذا رايت النساء لم اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بمالي فقيل له قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم وعن ابن عباس يقول لا تامرني بالخروج فاني مولع بالنساء لا اصبر اذا رايتهن ولا ادري كيف كانت

والله اعلم وقوله تعالى الا في الفتنة سقطوا اي الا في الشر والاثم سقطوا على تاويل من تاول قوله ولا تفتني
الا تؤثمني ولا تحرجني وعلى تاويل من تاول قوله ولا تفتني ولا تشق علي ولا تامرني بالمشقة في الشدة والضيق
يقول الا في الشدة والضيق سقطوا والله اعلم وقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي محيطة بهم حتى
لا يجدوا منفذا ولا مخلصا لما يحيط بهم من فوق وتحت وامام وخلف ويمين وشمال فيحيط بكل جارحة
منهم وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الاية وقوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك
مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل قيل ان تصبك حسنة من الغنيمة والنصر والظفر على الاعداء تسؤهم
ذلك وان تصبك مصيبة اي النكبة والهزيمة يفرحوا بها ويقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ثم قوله قد اخذنا امرنا
من قبل يحتمل اي اخذنا امرنا بالوثيقة والاحتياط حيث لم نخرج معهم حتى لم يصبنا ما اصابهم ويحتمل
قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اظهرنا الموافقة للمؤمنين في الظاهر وكنا مع الكافرين في السر وما لسنا هم في الحقيقة
وهو ما ذكرنا من انتظارهم احد الامرين في قوله الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقوله تعالى ويتولوا وهم فرحون يحتمل
يتولوا الى الكفرة وهم فرحون وفي الاية دلالة اثبات الرسالة لانه معلوم انما اسروا هم كانوا فيما بينهم فخبر
عنهم ثم اخبر عما اسروا واضمروا دل انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال
بعضهم الا ما كتب الله لنا في القران وهو قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة الاية ويحتمل قوله لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا اي ما وعدنا الله تعالى من الكرامة والمنزلة والنعم الدائمة في الاخرة ويحتمل الا ما جعل الله لنا
وما ابيح ويحتمل الا ما قضى لنا وكتب لا ابقى العصى فيما يكون لهم لا ما يقال الغما عليهم فانما ابقى الكتب لهم وكتب
فصار معنى الاية وتاويلها لن يصيبنا الا ما كتب الله ان كنتم انتم تفرحون بذلك فيما يصيبنا من [illegible] وقوله تعالى
هو مولينا اي الذي كتب هو مولينا اي هو يتولانا ونحن عبيده فله ان يكتب لنا ما يشاء من الخير والشر وقوله تعالى
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يحتمل وجهين يحتمل على الايجاب اي على الله يتوكل المؤمنون لا يتوكلون على غيره
ويحتمل ان يكون على الامر اي على الله توكلوا ايها المؤمنون وقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
عن ابن عباس رضه اي هل تربصون بنا الا الشهادة وهي الحيوة والرزق الدائم والكرامة كقوله ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويحتمل الا احدى
الحسنيين في الدنيا الغنيمة والظفر وقيل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين اما الحيوة الدائمة في الاخرة والرزق
الحسن والكرامة واما الغنيمة والظفر والنصر في الدنيا هذا ما تربصون بنا وقوله ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده او بايدينا اي من عند الله من العذاب في الاخرة ان متم او بايدينا او القتل بايدينا وقوله فتربصوا
انا معكم متربصون اي تربصوا بنا ما تربصون انا معكم متربصون العذاب بكم ثم قوله هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين انما سمى ذلك الحسنيين وهم كانوا لا يتربصون بنا الا الشر [illegible] نفسهم بقولهم ونتربص
بكم الدوائر ولا تربصون بنا الحسنى لكن الذي تربصوا بنا وان كان عندهم هلاكا وشرا فهو للمؤمنين
الحسنى في الاخرة لذلك سماه الحسنيين والله اعلم وقوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
قال بعضهم الاية في الجهاد ان المنافقين كانوا يخرجون الى الجهاد والقتال مع الكفرة على اهل الايمان
ثم منهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم من كان يخرج كارها ويخرج فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اي خوفا
لن يتقبل منكم ومنهم من قال الاية في الزكوة لان الله فرض الزكوة في اموال المؤمنين والمنافقين فيما ظهر والاكثر
وكانوا ينفقون ويؤدون الزكوة لكن من كان منهم يؤدي طوعا ومنهم من يؤدي كرها فقال قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم ثم بين ما به لا يتقبل نفقاتهم ما ذكر انكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم ان تقبل
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون بين انهم كانوا
لا يرون في ذلك قربة لكفرهم وفسقهم وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن والتقرب الى الله تعالى لا يكون
الا عن طوع واختيار ثم في هذه الاية وجهان من الدلالة احدهما اثبات رسالة محمد لانه اخبر انهم لا ياتون الصلوة
الا وهم كسالى وهم في الظاهر كانوا ياتونها على ما كان ياتي المؤمنون وكذلك اخبر انهم كانوا ينفقون وهم كارهون
لذلك وكانوا ينفقون في الظاهر مثل انفاق المسلمين وقد اخبر انهم ينفقون مراءاة مع كرههم كارهين في السر دل
انه انما عرف ذلك بالله تعالى والثاني فيه دلالة ان لا تنفع قربة ولا تقبل الا مع حقيقة الايمان والايمان هو شرط
هذه العبادات وقبولها لقربة انفسها انما تحبط وتبطل طاعاتهم لانهم كانوا يظهرون الايمان ويسترون الكفر
والله اعلم ثم قوله انكم كنتم قوما فاسقين يحتمل انكم كنتم فاسقين ويحتمل كنتم او صرتم فاسقين بما انفقتم وانتم

كارهون وهذا [illegible] اظهروا الايمان ثم كفروا كقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا [illegible] انهم كانوا امنوا ثم كفروا فعلى ذلك
الاية وقوله تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اخبر انهم لا ياتون الصلوة الا مستثقلين لانهم كانوا
لا يرون فيها قربة [illegible] وقوله تعالى فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا [illegible]
[illegible]
وتزهق انفسهم وهم كافرون [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون [illegible]
[illegible]
لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون [illegible]
حرزا او مغارات في الجبال او مدخلا [illegible] سربا في الارض [illegible]
روى عن ابن عباس قال الملجأ الحرز والمغارات الغيران والمدخل السرب [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون [illegible]
[illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال اعدل يا رسول الله [illegible] ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل [illegible]
[illegible] يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله [illegible]

ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الله من الرزق ورسوله من الصدقات وقالوا حسبنا الله سيؤتينا
الله من فضله ورسوله وقيل ولو انهم رضوا ما آتاهم الله من فضله اي من دينه ورسوله وقالوا حسبنا الله لكان خيرا
لهم مما طمعوا في اخذ الصدقات وطعنوا رسول الله في ذلك وقال بعضهم رضوا ما آتاهم الله من فضله اي رضوا بما يبذل لهم
كان خيرا لهم مما فعلوا وقال بعضهم ولو انهم رضوا ما آتاهم الله من فضله اي من الصدقات التي كان اعطاهم رسول الله ورغبوا
الى الله لكان خيرا لهم مما طمعوا في تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسخطوا عليه والله اعلم وقوله تعالى انما الصدقات
للفقراء والمساكين الآية يشبه ان يكون الآية في بيان موضع الصدقة لا لاثبات الشركة من الاصناف الثمانية ولهذا ذكر
لبيان اسباب الاستحقاق التي ترجع الى معنى واحد وهو الحاجة يدل على ذلك ما ذكرنا من سبب نزول الآية ان المنافقين
كانوا يأتون رسول الله ويسألونه من الصدقات فان اعطاهم رضوا منه وان منعهم ان لم يعطهم طعنوا فيه
وعابوا عليه كما ذكر بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
وبين الله تعالى بهذه الآية انما الصدقات للفقراء ان الصدقات ليست لهؤلاء ولكن للفقراء المسلمين والمساكين من
المسلمين ومن ذكر من هؤلاء الاصناف من المسلمين لا لهم وعلى ذلك جاءت الاخبار والآثار روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه جعل الصدقات تابعا لها جعلها اليه في صنف واحد وروي عن حذيفة رضي الله عنه قال هؤلاء اهلها اجمع اي صنف منها
اجزاك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا جمع صدقات المواشي البقر والغنم نظر منها ما كان منيحة
اللبن فيعطيها لاهل بيت واحد على قدر ما يكفيهم وكان يعطي العشرة للبيت الواحد ثم يقول عطية تكفي خير من عطية
لا تكفي او كلام نحو هذا وروي عنه انه سئل عما يؤخذ من صدقات الاعراب كيف يصنع بها فقال والله لاردن عليهم
الصدقة حتى تروح على احدهم مائة ناقة او مائة بعير وروي عن علي رضي الله عنه انه اتي بصدقة واحدة فبعثها الى اهل بيت واحد
فهؤلاء نجباء الصحابة استجازوا وضع الصدقة في صنف واحد فلو كان ذكر هذه الاصناف للاستحقاق لكان هؤلاء
الصحابة يمنعوا ذلك ولا يظن بهم ابطال الحق وعن ابي سعيد الخدري قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن الى النبي صلى الله
عليه وسلم ذهبة في تربتها فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين الاقرع بن حابس وبين زيد الخيل وبين عيينة بن حصن
وعلقمة بن علاثة فغضبت قريش والانصار وقالوا تعطي صناديد اهل نجد فقال انما اتألفهم ولو كانت الصدقة مقسومة
على الثمانية بطريق الاستحقاق لما دفع النبي الذهبة الى المؤلفة قلوبهم دون غيرهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث معاذا الى اليمن فقال له واعلمهم ان الله تعالى ذكر بحرف اللام فقال انما الصدقات للفقراء واللام للتمليك
وبيان الحق له دون غيره لا للتسوية لغة وانما حرف بين موضوع للشركة والتسوية الا ترى ان قوله المال لقرابة فلان
وانه لم يكن يستحقه كل الاقرباء لما انه يراد به ان لا حق للاجنبيين فيه انما هو حقهم ولو قيل الميراث بين قرابة فلان كان
لان بين يقتضي الخاصة لجميعهم وليس كذلك في الشرع وكذلك قيل الخلافة لبني العباس والسدانة لبني عبد الدار
والسقاية لبني هاشم يراد بذلك ان لا حق فيها لغيرهم لا انها بينهم بالحصص على التسوية ولو قيل الخلافة بين بني العباس
والسدانة بين بني عبد الدار والسقاية بين بني هاشم لكان خطأ ولذلك قال العلماء رحمهم الله فيمن قال مالي لفلان
والموتى انه كله لفلان ولو قال هو بين فلان وبين الموتى كان لفلان نصفه ولو كان الامر على ما قال القوم ان الصدقة
تقسم بين هؤلاء الاصناف الثمانية بالتسوية لكان قال انما الصدقات بين الفقراء الآية فان قيل اليس ان الرجل اذا قال
ثلث مالي لفلان وفلان ان ثلث ماله يقسم بينهما بالتسوية كما اذا قال الثلث مالي بين فلان وفلان فكذلك يجب ان يكون
الحكم في الآية كذلك قيل هذا الاتفاق لم يكن من موجب الصيغة فان هذه الصيغة لا توجب الاشتراك والتسوية
وانما موجبها ما قلنا الا ان في الوصية لما جعل الثلث حقا لهما دون غيرهما وهو شيء معلوم لا يزيد بعد الموت ولا يحتمل
المدد وليس احدهما باولى من الآخر فيقسم بينهما على التسوية نظرا لهما جميعا فاما الصدقات فليست باموال معينة لا
تحتمل الزيادة والمدد حتى يحرم البعض بصرفها الى البعض بل هي يرد بعضها بعضا اذا فني ما يجيء في سنة جاءت
سنة يجيء سنة اخرى بما يحدث بعد لا انقطاع للصدقات الى يوم القيامة فاذا صرف الامام صدقة يأخذها من قوم الى صنف
منهم لم يثبت الحرمان للباقين لما يحمل اليه صدقة اخرى فيصرفها الى غيرهم فلا ضرورة الى الشركة والتسوية في كل ما يحمل الى
الامام من الصدقات والله اعلم ومعلوم انه لم يكن يعد احد من الائمة انه يكلف طلب هؤلاء الاصناف فيقسمها بينهم
وكذلك لم يذكر عن احد من ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء ولو كان الواجب هو القسمة على التسوية
بينهم لم يجز ان لا يقسموها كذلك ويضيعوا حقوق هؤلاء ومعلوم انه لو كلف الائمة ان يطلبوا هؤلاء لكان
ما قدروا على ذلك دل انه لم يخرج الخطاب على ما توهم القوم ولان الحق لو كان هو التسوية بينهم في كل صدقة لكان
اذا لم يوجد في بلدة مكاتبون ولا احد من هؤلاء الاصناف الواجب ان يسقط مقدار حصتهم عن اربابها وذلك بعيد وكيف يكون
الصدقة مقسومة على ثمانية اسهم ولا خلاف ان يعطى العاملون قدر عمالتهم وذلك قد يزيد على الثمن وقد ينقص
ولذا ان القسمة في احد الاصناف انه يجوز في الجميع ويعطى كل صنف منهم بقدر حاجته كما اعطي العامل كيف يصنع الحاكم

لنابيه

لتأليفهم وتألف قلوبهم وقد انقطع ذلك ... ردوه الى اسلامهم ... جاز ان يزاد على الثمن فوق ما
جاز ان ينقص منه ... وقوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين اختلف في تفسير الفقير والمسكين
قال الضحاك الفقراء المهاجرون وكذلك قوله للفقراء المهاجرين المراد والمساكين الذين لم يهاجروا وقال قتادة الفقير الذي به
زمانة وهو ذو حاجة والمسكين المحتاج الذي لا زمانة به وقال الحسن الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل وعن جابر بن زيد
قال الفقراء هم المتعففون في بيوتهم لا يخرجون ولا يسألون والمساكين الذين يسألون ويحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الفقراء من المسلمين والمساكين الطوافون وعن
عمر رضي الله عنه ... قال ليس المسكين الذي لا مال له ولكن المسكين الذي لا يصيب المكسب ...
عن النبي عليه السلام انه قال ليس المسكين هذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان
قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس
[illegible]
ولا مكتسب وان تحمل قول النبي ليس المسكين الذي ترده ... لكن المسكين الذي لا يفطن به ولا يسأل الناس على ان ذلك
الذي لا يفطن به هو اشد مسكنة من الآخر وان كان الآخر ايضا مسكينا كان موافقا للمعنى الذي ذهبنا اليه
لانا قلنا ان المسكين هو الشديد الفقر وقد يكون فقيرا وان لم يبلغ به الفقر مبلغ الاول وقد يخرج قول من قال
ان المسكين الذي يسأل على هذا المخرج لان من شأن المسلم الفقير انه يتحمل ما كانت له حيلة ويتعفف فلا يخرج
ولا حيلة فخروجه يدل على شدة ضيقه وسوء حاله فكان القولان يرجعان الى معنى واحد اذ كان الفقير احسن
حالا من المسكين لما ذكرنا فعند ابي حنيفة يجوز ان يدفع الصدقة الى من له مال قليل لانه فقير وان لم يكن حاله في الفقر بلغت
حال المسكين الذي لا يملك شيئا وهذا يدل على ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لذي مرة
سوي وقوله لا تحل الصدقة لمن له غنى او اقتناء انما هو على سبيل الزجر عن الصدقة والحث على الاستعمال الكسب
والله اعلم وقوله تعالى والعاملين عليها اختلف فيه قال بعضهم يعطى لهم الثمن وقال بعضهم يعطى لهم بقدر
وقال بعضهم يعطى لهم بقدر عمالتهم وقال بعضهم يعطى لهم بقدر كفايتهم وكفاية اعوانهم اما قول من قال يعطى
الثمن لا معنى له لما يجوز ان يبلغ الثمن الوفا وعمله لا يبلغ عشر ذلك ومن قال يعطى لهم كفايتهم وكفاية اعوانهم
فانما يكون كذلك اذا كان قد سلم نفسه لامور المسلمين واستعمله الامام على جميع ذلك لانه اذا كان فرغ نفسه لامور
المسلمين كان نفقته وكفايته عليهم وفي مالهم فاما اذا ولي شيئا من العمل في وقت فلا يعطى له الكفاية في جميع
الوقت والاشبه عندنا ان يعطى لهم بقدر عمالتهم وهكذا الامام اذا استعمل احدا في عمل من اعمال اليتيم وعمل
اليتيم فانه يعطى له بقدر اجر عمله وقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه سئل عن العاملين على الصدقة قال لهم
بقدر عمالتهم وعن مالك رحمه الله قال ادركت من مضى من اهل العلم لا يجعلون للعاملين عليها فريضة مسماة
والله اعلم وقوله تعالى والمؤلفة قلوبهم قيل كانوا قوما من رؤساء قريش وصناديد العرب مثل سفيان بن
حرب وصفوان بن امية والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري وحكيم بن حزام ومالك بن عوف النصري
ولهم شوكة وقوة واتباع كثير بعضهم اسلم حقيقة وبعضهم اسلم لا حقيقة وبعضهم ظاهرا لا حقيقة
فيكون من المنافقين وبعضهم من المسالمين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقة تطييبا
لقلوب المسلمين منهم وتقريرا لهم على الاسلام وتحريضا لاتباعهم الى اتباعهم وتأليفا لمن لم يحسن اسلامه
على الاسلام وقد حسن اسلام عامتهم الا من شاء الله لحسن معاملة النبي معهم وجميل سيرته والله اعلم روي عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى يوم فتح حنين الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مائة
من الابل واعطى عيينة بن حصن مائة من الابل فقال قوم من الانصار ان رسول الله يعطي غنائمنا قوما تقطر دماؤنا
من سيوفهم فبلغ ذلك رسول الله فجمع الانصار وقال هل فيكم غيركم فقالوا لا الا ابن اخت لنا وعن ابي سعيد الخدري
قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها الى النبي فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين زيد
الخيل والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة فغضبت قريش والانصار وقالوا تعطي صناديد
اهل نجد قال انما اتألفهم وفي رواية عنه انه بعث علي الى النبي بذهبة في اديم مقروظ فقسمها بين زيد الخير والاقرع

بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة او عامر بن الطفيل الحديث بطوله وعن عامر بن سعد عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعطى الرجل العطاء لغيره احب الى منه وما افعل ذلك الا مخافة
ان يكبه الله تعالى فى النار على وجهه وعن صفوان بن امية قال اعطانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وانه لابغض الناس الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما
اصاب رسول الله الغنائم يوم حنين وقسم للمتالفين من قريش وفى سائر العرب ما قسم وجد هذا الحى من الانصار
فى انفسهم فذكر الحديث وقال فيه قال رسول الله لهم وجدتم فى انفسكم يا معشر الانصار فى لعاعة من الدنيا
تالفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام فذكر الحديث وفى الاحاديث كثرة وقد ثبت
جواز الصرف اليهم بنص الكتاب وهو قوله والمؤلفة قلوبهم ثم تكلم اهل العلم فى ذلك بعد وفاة النبى صلى الله عليه
وسلم فبعضهم قالوا ان حقهم باق واعطوا المؤلفة قلوبهم الذين اخذوا فى عهده عليه السلام والآن يعطى
لمن حدث اسلامه من الكفرة تطييبا لقلبه وتقريرا له على الاسلام ويعطى الرعماء من اهل الحرب اذا كان لهم غلبة
يخاف على المسلمين شرهم لان المعنى الذى له اعطى النبى اولئك قائم موجود فى هؤلاء روى عن الزهرى انه سئل عن المؤلفة
قلوبهم قال من اسلم من يهودى او نصرانى قيل له وان كان غنيا قال وان كان غنيا ولكن الاشبه هو مذهبنا ان سهم
اولئك انتسخ وذهب وما اعطوا شيئا بعد النبى ولا يعطى الآن لمثل حالهم وقد صح ذلك فى حديث ابى بكر وعمر رضى الله
عنهما انهما لم يعطيا شيئا من الصدقات المؤلفة قلوبهم وقد جاء الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يطلبان الى ابى بكر
وقالا يا خليفة رسول الله ان عندنا ارضا سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة فان رايت ان تقطعناها فاقطعهما اياها
وكتب لهما عليها كتابا واشهد عمر وليس فى القوم فانطلقا الى عمر ليشهداه فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله من
ايديهما ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه فتذمرا وقالا له مقالة سيئة فقال عمر ان رسول الله كان يتالفكما والاسلام
يومئذ قليل وان الله تعالى قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا جهدكما لا رعى الله عليكما ان رعيتما ثم اتيا ابا بكر فاخبراه بقوله
وفعله وبلغ ذلك الصحابة رضى الله عنهم ولم ينكروا فكان اجماعا منهم على ذلك ولا نزاع فيه باتفاق الائمة
ان النبى انما كان يعطيهم ليتالفهم على الاسلام ولهذا سماهم الله تعالى المؤلفة قلوبهم والاسلام يومئذ فى ضعف
واهله فى قلة واولئك كثير ذو قوة وعدد واليوم قد كثر اهل الاسلام وعز الدين وضعف اهل الشرك اذ ذاك
بحمد الله تعالى والحكم متى ثبت معقولا بمعنى خاص ينتهى بذهاب ذلك المعنى وقد ورد فى القرآن نظير
فان النبى صلى الله عليه وسلم كان عاهد كثيرا من المشركين وهم اهل مكة وغيرهم ومعاهدته لهم من حيث احتاج لما ذكرنا من قلة
اهل الاسلام وضعفهم ثم لما اعز الله تعالى الاسلام وكثر اهله امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يرد الى اهل العهود عهودهم وان
يحاربهم جميعا بقوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا
المشركين الآية فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وكذلك نسخ فى الابتداء كان الاسر واخذ الفداء من الاسارى
منسوخا لقلة اهل الاسلام وضعفهم وقوة اولئك لئلا يلحقوا بديارهم فيصير ذلك زيادة فى قوة الكفرة
كما قال الله تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض ثم لما كثر اهل الاسلام وقويت شوكتهم
انتسخ الحكم الاول واباح الاسر والمفاداة فكذلك ما نحن فيه والله تعالى اعلم وفى الآية دلالة جواز النسخ بالاجماع
لارتفاع المعنى الذى كان لتعلق النسخ ونكيره يجوز والله اعلم وفى خبر ابى بكر وعمر رضى الله عنهما دلالة ان اذن
الامام شرط فى احياء الارض الموات ولا تملك الا باذن الامام لان ذينك الرجلين لم يملكا ما سالا ابا بكر الا بعد
اذنه وانها ارض سبخة لا كلاء فيها ولا منفعة وذلك صفة ارض الموات والله اعلم وقوله تعالى وفى الرقاب اختلف
فيه قال بعضهم معناه فى عتق الرقاب فيجوز ان يعتق من الزكوة الرقبة كذا روى عن مجاهد عن ابن عباس انه كان
لا يرى باسا ان يعطى الرجل من زكوته فى الحج وان يعتق منها الرقبة وقال الآخرون هم المكاتبون فيعطى المكاتب
شيئا يؤدى فى كتابته وهو الاشبه وهو قولنا ولا يشبه الاعتاق بنية الزكوة ما يدفع الى المكاتب فيؤدى بدل
كتابته فيعتق لوجوه احدها ان الاعتاق ابطال الملك وليس بتمليك وما يدفع الى المكاتب تمليك وانما
يكون الزكوة زكوة اذا انتقل من مالكه الى مالك الله تعالى قال الله تعالى وآتوا الزكوة والايتاء هو التمليك والثانى ما اشار اليه
سعيد بن جبير قال لا يعتق من الزكوة مخافة جر الولاء وهذا لان الاعتاق يوجب الولاء للمعتق فكان منفعة الاعتاق
لم ينقطع من كل وجه فلم يتحقق الاخلاص فلا يكون عبادة والزكوة عبادة فلا تتادى بغير عبادة فاما الذى يدفع الى
المكاتب انقطع عنه حق المودى ولا يرجع اليه بذلك حق فلذلك اختلفا والثالث هو ان الله تعالى قال والغارمين
ومن قضى عن غارم دينه بغير امره بنية الزكوة لم يجز من زكوة ماله ولو دفع الى الغارم فقضى به دينه عن زكوته جاز فصار
المزكى العبد بمنزلة قضاء دين الغارم لما يحصل باحدهما الفكاك عن الرق وبالآخر الفكاك عن الدين ولا يجوز
فى واحد منهما الا قبول من الغارم والعبد ولما اعطاه الزكوة المكاتب كدفعه الى الغارم فلذلك افترقا والله اعلم

وقوله تعالى والغارمين عن مجاهد انه قال الغارم من ذهب السيل بماله او اصابه حريق فاذهب ماله
او يكون له عيال لا يجد ما ينفق عليهم فيستدين فيكون الغارم محل الصدقة وهو الذى لحقه الغرم من اى وجه
كان من دين او غيره وقيل الغارم المستدين من غير سرف وعن عمر بن عبد العزيز انه كتب الى عماله ان اقضوا عن الغارمين فكتب
اليه انا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس فكتب اليهم انه لا بد للمرء من مسكن يسكنه وخادم يكفيه مهنته
وفرس يجاهد عليه عدوه وقد روى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المسئلة لا تحل الا لاحد ثلث لذى فقر
مدقع او غرم مفظع او ذى دم موجع وكذا روى عن الحسن والحسين وابن عمر وابن حفص انهم سالهم رجل شيئا فقالوا ان كانت
مسئلتك فى احدى ثلث فقد وجب حقك لذى فقر مدقع او غرم مفظع او دم موجع فهذه الاحاديث تدل على ان الغارم
اذا كان دينه مستغرقا بماله يحل له اخذ الزكوة ليقضى بها دينه لان الدين المفظع هذا فاما قيل فى الخبر او غرم مفظع
ومن كان دينه غير مفظع يحل له اخذ الزكوة بان كان دينه اقل من المال لكن ما وراء الدين ليس بنصاب فيحل لان الدين المفظع
ان يكون اكثر من المال الذى فى يديه او مثله اما اذا كان المال اكثر لكن لا يبلغ نصابا فانه لا يباح له المسئلة ولكن
يحل وضع الزكوة فيه فيباح له اخذه وكان المراد من الحديث ان لا يباح المسئلة لا ان لا يباح له الاخذ ولا يكون مخالفا
للآية والله اعلم وقوله تعالى وفى سبيل الله قيل هم الغزاة وقيل فى سبيل الله اى كل من سعى فى طاعة الله وسبيل
الخيرات فانه داخل فى ذلك اذا كان محتاجا ويدفع اليه ولا يكره وان كان قادرا على الكسب لاشتغاله بالغزو
او التعلم والتعليم ونحو ذلك واصله ما روى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال لا تحل الصدقة الا فى سبيل الله او ابن سبيل او رجل له جار مسكين تصدق عليه فاهداها اليه وعن
عطاء بن يسار عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة العاملين عليها او رجل اشتراها
او غارم او غاز فى سبيل الله او فقير تصدق عليه فاهداها لغنى وهذا لان الرجل قد يكون غنيا بان يكون
له دار يسكنها ومتاع يمتهنه وثياب يلبسها وله مع ذلك فضل مائتى درهم فلا تحل له الصدقة فاذا عزم على
الخروج فى سفر غزو احتاج الى آلات سفر وسلاح يستعمله فى غزوه ومركب يغزو عليه وخادم يستعين بخدمته
على ما لم يكن محتاجا فى حال اقامته فيجوز ان يعطى من الصدقات ما يستعين به فى حوائجه التى تحدث له فى سفره وهو
فى مقامه غنى بما يملكه لانه غير محتاج فى حال اقامته محتاج فى حال السفر فيحمل ان يكون معنى قول النبى صلى الله عليه
وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا فى سبيل الله على من كان غنيا فى حال مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه
لسفره لما احدث السفر له من الحاجة لا انه حين يعطى هو غنى لانه كان الرجل قد يكون له المتاع لا يحتاج اليه
او الدابة لا تركبها ولا يجوز له ان ياخذ من الزكوة فان عرض له مرض او سفر فاحتاج الى الدابة ليركبها انه يخرج من الغنى
بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له ان ياخذ الصدقة عندنا لانه لا يستغنى عما هو ملكه وانما الغنى من
استغنى عما يملكه فكذلك الغازى فى الغزو قد يحدث له الحاجة الى اكثر مما يملك فى حال الاقامة وصار محتاجا
ان يعان وان كان ملكه الذى كان به غنيا قبل ذلك قائما من غير نقصان وكذلك يسمى الغارم غنيا عن اعتباره ما كان
قبل حلول الغرم به وقد حدث له الحاجة بسبب الغرم والله اعلم وقوله تعالى وابن السبيل قيل ابن السبيل صيف
ينزل به وقيل هو المار عليه المنقطع عن ماله وان كان غنيا وقيل هو المجتاز من ارض الى ارض لا الى رجل وعن ابن عباس
فى قوله تعالى ابن السبيل هو المسافر واصله عندنا هو المنقطع عن ماله وان كان غنيا فى مقامه لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الصدقة لا تحل لغنى الا فى سبيل الله او ابن السبيل الحديث ثم انما يجوز ان يعطى هؤلاء الذين ذكرناهم اذا لم يكن له
شى معه او يكون اقل من مائتى درهم لكن اذا كان له فيما يملك سداد من عيش فيكره له الاخذ اما الجواز فلما روى عن ابى
هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وجاء فى بعض الاخبار عن الحسن بن على عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق وان جاء على فرس وعن الحسن قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياخذون الصدقة ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمة عشرة الاف درهم فهذا الجواز لكن التعفف
منها احسن لقوله عليه السلام من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم
حبلا فيحتطب خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه وقال بعضهم اذا كان له خمسون او اربعون لا يحل له
الصدقة ولا يباح ان تعطى له لما روى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يسال عبد
مسئلة وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيمة شينا او خدوشا او كدوحا فى وجهه قالوا يا رسول الله وما غناه
او ما غناه قال خمسون درهما او حسابها من الذهب وعن الجد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من سال وله اربعون درهما فقد الحف وعن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وسعد بن ابى وقاص مثل ذلك المروى
عن على وعبد الله وسعد لا تحل الصدقة لمن كان له خمسون درهما او عوضها من الذهب واما عن عمر قال من سال وله
اوقية فقد الحف وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال من سال وله اربعون درهما فقد الحف لكنا نقول هذا لتحا...

في كراهة السؤال او الاخذ ايضا اذ كانتا في يده يكفيه لسداد العيش الا انه تعالى لما روي عن ابن عباس ان رجلا
سال النبي عليه السلام وقال اني لي اربعين درهما افسكين انا قال نعم وكما روي في حديث معاذ خذها من اغنيائهم
وردها في فقرائهم قسم الناس قسمين الفقراء والاغنيا فجعل الاغنيا من تؤخذ منهم والفقراء من ترد فيهم
فكل من لم تؤخذ منه يكون فقيرا ومن كان له اقل من النصاب لا تؤخذ منه فيجوز الدفع ومن الناس من قال اذا كان لرجل
صحيحا لا تحل له الصدقة فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي
بعض الاخبار ولا لقوي مكتسب ولكن هذا فاسد لما روينا ان الصدقة لا تحل الا في ثلاث حديث كفقر مدقع
من غير فصل بين ان يكون صحيحا او زمنا مكتسبا او غير مكتسب الا ترى انه قال للرجلين اللذين سالاه ان
شئتما اعطيتكما منه ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب ولو كان حراما لم يكن ليعطيهما الحرام ولكن ذلك
في المسئلة وكما روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة فقال لاصحابه
كلوا ولم ياكل ولا يتوهم متوهم ان اصحابه كانوا زمنى وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سال الناس
عن ظهر غنا فانما يستكثر من جمر جهنم قيل يا رسول الله ما ظهر الغنا قال ان يعلم ان عنده ما يغديهم او يعشيهم
دل انه الامر على ما قلنا والله اعلم وقوله تعالى فريضة من الله والله عليم حكيم يحتمل بيانا من الله واعلاما
ان اهل الصدقات منهم لا من غيرهم ويحتمل فريضة من الله واجبا من الله وفرضا والله اعلم وقوله تعالى ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ومنهم اي من المنافقين يؤذون ولم يبين بم كانوا يؤذون فيحتمل يؤذون النبي بتكذيبهم
اياه وتركهم الاجابة له والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل يؤذونه بكلام يسمعونه من طعن يطعنونه ويعيبون
عليه وقوله تعالى ويقولون هو اذن قيل الاذن هو الذي يقبل عذر من اعتذر اليه ويسمع من كل احد عذر اليه
ويقبل وكذلك كان النبي يقبل عذر من اعتذر اليه ويسمع سواء كان له في ذلك العذر او لا لا عذر له لكرمه
وشرفه وحسن خلقه فظن اولئك الملحدون اذ رأوا انه كان يعاملهم معاملة اهل الكرم والشرف والحياء انه
انما يعاملهم هذه المعاملة لسلامة قلبه وصغر همته وقصور رأيه وهم كانوا اهل كبر وانفة فقالوا هو اذن
نقول له ما شئنا لم نخلف نعتذر اليه فيصدقنا ويقبل عذرنا فقال الله تعالى قل يا محمد هو اذن خير لكم
من الذي لا يقبل ولا يسمع فكيف تؤذونه وتطعنون فيه وتعيبون عليه ولا تصدقونه ولا تؤمنون به يحيى بن بعد
عن سفههم وقيل ويقولون هو اذن اي يسر في نفسه بكم ولا يكافي من اذاه ولا يجازي قال ابو عوسجة
الاذن الذي من قال له شيئا او حدثه حديثا صدقه واستمع منه وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يصدق كل من
قال له شيئا او حدثه واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه لا لما ظنوا اولئك وقيل ايضا قل اذن
خير لكم اي هو يستمع الخير من التصديق ولا يستمع الكفر والنفاق وقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين قيل في
يصدق الله بما بين له على النبي من اياته ويصدق المؤمنين فيما بينهم من شهاداتهم وايمانهم على حقوقهم وفروجهم ودمائهم
اي يصدق محمد بما يخبره من سر المنافقين وما اسكنوه منه من المكر والمكيدة ويحتمل ويؤمن للمؤمنين بما يخبره
من قبل اولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه والايمان بغيره وهو التصديق لجميع
ما فيه والايمان له من خيره وحديثه ويحتمل اي ويؤمن للمؤمنين فيما يشهدون في الاخرة له بالتبليغ اليهم كقوله
فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ويحتمل ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم فيما بينهم من الاخوة في الدين
كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين وقوله تعالى ورحمة للذين امنوا منكم كان النبي
صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما استنقذهم من الكفر الى الايمان ومن الهلاك الى النجاة ويشفع لهم في
الاخرة بايمانهم في الدنيا وقوله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اي في الاخرة وقوله تعالى
يحلفون بالله لكم ليرضوكم اي بما حلفوا عليه قال بعض اهل التاويل ان الانصار مشوا الى المنافقين فقالوا
لهم متغيرا بما نزل فيكم حتى متى وكانوا يحلفون للانصار انه ما كان شيء من ذلك فاكذبهم الله تعالى فقال
يحلفون بالله لكم ما كان الذي بلغكم ليرضوكم بما حلفوا والله ورسوله احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث
اطلع على ما حلفوا وهم كذبة ان كانوا مؤمنين مصدقين ولكن الاشبه ان تكون الاية في معاتبة جرت بين
المؤمنين والمنافقين باستهزاء كان منهم برسول الله وطعن فيه او استهزاء بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا
على ذلك ليرضوه فقال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين حقيقة ولكن ليسوا بمؤمنين وقال
بعض اهل التاويل ان رجلا من المنافقين قال والله لئن كان محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها رجل من المسلمين
فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فحلف ما قاله فنزل قوله يحلفون بالله لكم
ليرضوكم لا يصح ايضا لانه لو كان كما ذكر لكانوا يحلفون لرسول الله ولا يحلفون للمؤمنين دل ان الاية
نزلت في غير ما ذكر وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان الاية نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا

عن رسول الله في غزوة تبوك فجعلوا لرسول الله حين رجع انهم لا يتخلفون عنه ابدا وكذب الله غيره من اهل التاويل
ايضا ولو كان كما ذكروا لكانوا يحلفون لرسول الله لا للمؤمنين دل ان الاشبه ما ذكرنا والله اعلم ثم في الاية
وجوه من الفوائد احدها فيها دلالة تحقيق رسالته لما علموا انه من حيث اطلعه على ما اسروه في انفسهم وكتموه من
انواع السفه والثاني ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة اليه لما علموا انه يطلع على جميع ما يسرون عنده ويكتمون
والثالث تنبيها للمؤمنين وتعليما لهم منه بانه اذا وقع منهم مثل ذلك لا يستعانون بالحلف طلبا للرضاء بعضهم بعضا ولكن
يطلبون به مرضات الله ويتولون اليه وقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه لان الحلف والخيانة كان في حق الله تعالى
لم يكن في حق المؤمنين لذلك قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه من المؤمنين وقوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها يخرج على وجهين احدهما قد علموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر لكنهم
عاندوا الخلاف والمحادة له مع علمهم والثاني اعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف
الاستفهام من الله يخرج مخرج الايجاب او الالزام ثم قوله يحادد الله يحتمل يعاند الله ويحتمل يشاق اي يخالفه
ثم في الاية دلالة انهم علموا انهم معاندون في صنيعهم وعلموا ان من عاند وكان بغير حق فان له نار جهنم على التاويل
الذي ذكرنا ان المراد به قد علموا ثم ذكر محادة الله ورسوله ثم اقتصر على ارضاء رسوله لانهم لم يقصدوا قصد مخالفة
الله انما قصدوا مخالفة رسوله ويحتمل انه ذكر ارضاء رسوله لان في ارضائه رضاء الرب تبارك وتعالى كقوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله فكذلك ههنا ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضا الى رسوله بقوله احق ان يرضوه
فلم يقل احق ان يرضوهما وهو والله اعلم لانهم اذا رضوا رسول الله رضي الله عنهم وكان في رضا رسوله رضا الله
وهو كما ذكر ايضا بقوله واذا دعوا الى الله ورسوله ثم اضاف الحكم الى رسوله بذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله
ثم اضاف الحكم الى رسوله وذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم بما دعوا ليحكم الرسول بينهم فهذا
مثله وقوله تعالى ذلك الخزي العظيم يحتمل وجهين يحتمل الخزي اي الفضيحة العظيمة في الدنيا ويحتمل ذلك الخزي
العذاب في الاخرة اذ نار جهنم خزي عظيم وقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
يحتمل قوله يحذر المنافقون اي الحق على المنافقين ان يحذروا لما اطلع الله تعالى رسوله على ما اسروه وكتموه ويحتمل
على الخبر اي انهم كانوا يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم لكثرة ما اطلع الله رسوله من سرائرهم
وسفههم وقوله تعالى قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون فهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد يقول
استهزءوا فان الله مظهر ومبين لما اسررتم وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه اي لا تفعلوا وقوله تعالى
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ذكر الله تعالى السؤال ولم يبين ما يسالهم ولكن في الجواب بيان انه
السؤال انما كان عن الاستهزاء حيث قال ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون اي ان سالتهم عن الاستهزاء فيقولون
لا بل نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون ردا عليهم وتكذيبا لهم ذكر ان نفرا من المنافقين كانوا
اجتمعوا في بعض الطريق ليهم رسول الله ويرجع من الغزو فيقتلوه فاطلع الله رسوله على اجتماعهم في ذلك الوادي
فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فذكر بعض اهل التاويل ان النبي عليه السلام لما رجع من غزوة تبوك
بينا هو يسير اذ هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزءون فاطلع الله تعالى رسوله انهم يستهزءون بالله وكتابه
ورسوله فقال ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب اي لو سالتهم ما تقولون فيقولون ذلك بما يخوض فيه
الركب اذا ساروا وقد قيل بغير ما ذكرنا ايضا ولكن ليس لنا الى معرفة كيفية استهزائهم حاجة سوى انه ما ذكرنا من
المنافقين تنبيها للمؤمنين وتحذيرا لهم ليحذروا امثاله لم يظهروا على السنتهم ليعلموا ان الله تعالى مطلع على ما يسرون وما
يضمرون وقوله تعالى قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا احد يقصد قصد الاستهزاء بالله ولكنهم كانوا
يستهزءون برسول الله وبالمؤمنين فاضاف الله تعالى ذلك الى نفسه كقوله يخادعون الله وهو خادعهم اي يخادعون
اولياء الله لانه لا احد يقصد قصد مخادعة الله وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله او ان تنصروا
دين الله ينصركم فعلى ذلك الاول كانوا يستهزءون برسول الله وبالمؤمنين لكن اضاف الله تعالى ذلك تعظيما او اكراما لهم
او اعلاما انهم من جملة اوليائه وقوله تعالى واياته يحتمل انهم كانوا يستهزءون بالاحكام التي لها ايات في القرآن كاستهزائهم بتلك الاحكام
الثابتة بالايات فيكون ذلك الاستهزاء بالايات فاضاف الاستهزاء الى الايات وذلك كقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا ايات الله هزوا وهم ما هزؤا بالايات ولكن هزؤا بالاحكام الثابتة بالايات فكان ذلك استهزاء
واستهزاء بالايات وهذا مثله ثم قوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون يحتمل وجهين احدهما على الايجاب
والتحقيق اي تستهزءون بالله واياته ورسوله ويحتمل على التعبيد والتهديد والتوبيخ معناه ابالله واياته ورسوله
تفعلونه هذا والله اعلم وقوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اي لا تعتذروا فانه لا يقبل اعذاركم كان لا
لكم فيما تعتذرون بعدما قلتم ان اذن لما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك وهو كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل

لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم أخبر أنه لا يصدقهم فيما اعتذروا إليه لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم ثم قوله
قد كفرتم بعد إيمانكم يحتمل كفرتم في الباطن بعد ما أظهرتم الإيمان باللسان ويحتمل قد كفرتم بعد إيمانكم حقيقة أي قد كفرتم
بعد ما آمنوا حقيقة والله أعلم وقوله تعالى إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة قال بعضهم قوله إن نعف عن طائفة
منكم أي المنافقين من آمن منهم بعد النفاق وتاب يخبر أنه إن نعف عن الطائفة الذين آمنوا حقيقة وتابوا عن النفاق
نعذب الطائفة الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل إنما قال ذلك لأن من المنافقين منهم من يعزم على الإيمان ومنهم من
يثبت على الكفر فوعد العفو عمن يعزم على الإيمان كقوله ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم أخبر أنه إن شاء تاب عليهم
بقوله إن نعف عن طائفة منكم أي عن الطائفة التي يتوب الله عليهم وقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض وذكر في أهل الإيمان أن بعضهم أولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وذكر في أهل الكفر
الولاية لبعضهم بعضا بقوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض وإنما كان والله أعلم لأن أهل الإيمان دينا يدينون
به ويتناصرون ويدعون الناس إليه وأهل الكفر يدينون أيضا بدين ويتناصرون ويتعاونون بعضهم بعضا ولكل واحد
من الفريقين فيما بينهم موالاة الدين فأما المنافقون فإنه لا دين لهم يدينون به ولا مذهب ينتحلونه ولا يتناصرون بعضهم
بعضا ولا يتعاونون ولا يجري بينهم التظاهر والتناصر وإنما هم عباد النعمة والسعة ما لو احتشمها النعم والسعة فلذلك
كان على ما ذكر في قوله والمنافقات دلالة أن من نافق بالتقليد لآخر وكفر بالتقليد لآخر إنما في ... ولكن لا بد إلى المقلد
سواء في استحقاق اسم النفاق واستيجاب العذاب لأن النساء هن أتباع وأهل تقليد للرجال ثم سوى بين الرجال
والنساء في استحقاق اسم النفاق والوعيد والله أعلم وقوله تعالى يأمرون بالمنكر يحتمل المنكر ما تنكره العقول من
الشرك بالله تعالى والخلاف له وقوله تعالى وينهون عن المعروف أي ينهون عما تعرفه العقول وتستحسنه وهو التوحيد
لله والإيمان به ويدخل في المعروف كل خير وحسن وفي المنكر كل شر ومعصية وقوله تعالى ويقبضون أيديهم أي
من الإنفاق في سبيل الخير كذلك قالوا ولكن يحتمل أن يكون على سبيل التمثيل لا على التحقيق قبض اليد كناية عن كف
النفس ومنعها عن الاستعمال بالخيرات وخوضها في جميع الطاعات لكنه ذكر اليد لما بالأيدي يعمل و
يكتسب الخيرات والحسنات وهو كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وذلك مما لا يعمل بالأيدي لأن
الكفر من عمل القلب وكسبه وهو التكذيب واعتقاد الشرك لكنه ذكر اليد لما باليد يقدم ما يقدم ويقبض به ما
في الشاهد ويعمل به ويحتمل ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة الإنفاق في الجهاد كقوله ولا ينفقون إلا وهم كارهون
نسوا الله فنسيهم قيل جعلوا الله كالشيء المنسي لا يذكرونه أبدا فنسيهم أي جعلهم كالمنسيين في الآخرة من رحمته
لا ينالونها ويحتمل نسوا الله فنسيهم أي نسوا نعم الله التي أنعمها عليهم فلم يشكروها فنسيهم على المجازاة لذلك
وإن لم يكن نسيانا كما سمي جزاء السيئة سيئة وإن لم يكن الثاني سيئة فعلى ذلك ذكر النسيان على مجازاة النسيان
وإن لم يحتمل النسيان والثالث نسوا الله نسوا لهم المعونة والنصر والتوفيق فنسيهم الله أي لم ينصرهم ولم يوفقهم
وقوله تعالى إن المنافقين هم الفاسقون والإشكال أن اسم النفاق أقبح وشر من اسم الفسق فما معنى ذكر الفسق
لهم فهو والله أعلم لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين باللسان فأخبروا أنهم ليسوا على ما أظهروا ويحتمل أنه سماهم
فاسقين لأن كل الأديان يأنفون عن النسبة إلى الفسق والتسمية به ويحتمل أن يكون معنى في أنفسهم أنهم
أهل النفاق ولا يعرفون أنهم فسقة وأصل الفسق هو الخروج عن أمر الله ويحتمل أن اسم الفسق عند من يحتمل
أن يكون اسم الفسق أكبر في القبح والله أعلم وقوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
وعد لهم نار جهنم هي المكان الذي يعذبون فيه والنار فيه بها يعذبون وقوله تعالى خالدين فيها هي حسبهم
أي النار كفاية للكفرة جزاء بصنيعهم يقول الرجل لآخر حسبك كذا أي كفاك كذا جزاء لك وقوله تعالى
ولعنهم الله قيل اللعن هو الطرد في اللغة أي طردهم عن رحمته وقوله تعالى ولهم عذاب مقيم أي لازم لهم أبدا
وقوله تعالى كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة أي هؤلاء المنافقون وأولئك الكفرة كالذين من قبلكم في
ليس بين ما ولكن يحتمل كالذين من قبلكم أي أصابكم ما أصاب الذين من قبلكم من العذاب كما صاروا إليه وكانوا أشد منكم
قوة وبطشا وأكثر أموالا وأولادا وفي الشاهد إنما يدفع العذاب والعقوبة وبذلك يتناصر بعضهم ب
بعض ثم لم يقدروا على دفع ذلك عن أنفسهم فأنتم دونهم كيف تقدرون على دفع ذلك وقيل كالذين من قبلكم
أي صرتم أنتم في اختياركم من الأعمال الخبيثة من الخلاف لله وتكذيب الرسل وتعنتا على ما لا يحل كما صار إليه
الذين من قبلكم في اختيارهم هذه الأعمال الخبيثة أنتم كما صار أولئك وقوله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم أي انتفعوا بخلاقهم أي أكلتم الدنيا بأنفسكم كما أولئك أكلوا الدنيا بأنفسهم
وقيل فاستمتعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا شيئا للآخرة فاستمتعتم بنصيبكم من الدنيا ولم تقدموا شيئا
للآخرة كما استمتع أولئك بنصيبهم من الدنيا ولم يقدموا شيئا للآخرة والخلاق النصيب كقوله أولئك لا خلاق لهم

والسيئات

في الآخرة أي لا نصيب لهم وقال أبو هريرة رضي الله عنه الخلاق الدين وكذلك قال الحسن بخلاقهم أي بدينهم وقوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا أي خضتم أنتم في الباطل والتكذيب كالذي خاض أولئك الأمم الخالية قال أبو عبيد
خضتم أي لعبتم كالذي خاضوا أي لعبوا بالتكذيب وقوله تعالى أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة أي
لا ثواب لها في الدنيا والآخرة لأن ثواب الأعمال في الآخرة إنما يكون بالإيمان فإن أعمالهم كانت في غير الإيمان
وقوله تعالى وأولئك هم الخاسرون أو خسروا يقينا وإنما بطلت أعمالهم في الدنيا لما لم يقبل واحد من الفريقين
صنيعهم من المؤمنين والكفار لأنهم يرون من أنفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا واحدا من الفريقين
وذلك كقوله مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والله أعلم وقوله تعالى ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم
قوم نوح لأنه يحتمل وجهين أحدهما ألم يأتهم وقد أتاهم خبر الذين من قبلهم وما حل بهم وما أنعم الله عليهم بكثرتهم
وسعتهم في قبلهم وإهلاكهم وهم من جنس نفسكم وأشد قوة وبطشا منكم وأنتم تقلدونهم في ذلك
ثم حل بهم ما حل بتكذيبهم الرسل والخلاف لهم فأنتم دونهم في كل شيء وأقل منهم في القوة والبأس أولى بذلك
أن يصيبكم ويحتمل قوله ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم أي يأتيهم نبأ الذين من قبلهم أي يأتيهم نبأ الذين من قبلهم
وما حل بهم كقوله ألم تر كيف أي ستر ... على ذلك لا بد يحتمل هذا وهو حرف وعيد يحذرهم بما حل بأولئك ليمتنعوا
عن مثل صنيعهم والله أعلم وقوله تعالى والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات قال أهل التأويل هي قريات
لوط سميت مؤتفكات أي منقلبات قال القتبي ائتفكت أي انقلبت وقال أبو عوسجة المؤتفكات هي من الإفك
وهو الصرف كقوله أنى يؤفكون أي يصرفون وقال بعضهم المؤتفكات المكذبات أتتهم رسلهم بالبينات
أي أهلها فكذبوهم فأهلكوا ثم هي من الانقلاب أشبه والله أعلم وقوله تعالى فما كان الله ليظلمهم أي
بتعذيبه إياهم أي لا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك العذاب وقوله تعالى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي
ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاؤوا به من البينات والبراهين والله أعلم وقوله تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يحتمل قوله بعضهم أولياء بعض على الإيجاب والإخبار أي الدين الذي يدينون
ويتمسكون به يوجب الولاية لبعضهم بعضهم أولياء بعض كقوله إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا
وقوله إنما المؤمنون إخوة الدين والولاية ويحتمل قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض على الأمر أي
اتخذوا بعضكم أولياء بعض ولا تتخذوا غيركم أولياء كقوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
وقوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء نهى المؤمنين أن يتخذوا أولياء من غيرهم كأنه أمر أن
يتخذ المؤمنون بعضهم بعضا أولياء ولا يتخذوا من غيرهم ثم الولاية يحتمل وجهين أحدهما ولاية روحانية
وهو الولاية في الدين وهي توجب رعاية حقوق تحدث في الدين الذي جمعهما وحفظها والثانية ولاية نفسانية
وهي الولاية التي تكون في الأنفس والأموال نحو ولاية النكاح والميراث وغيرهما وهذه الولاية هي الولاية
النفسانية التي كانت بالرحم والنسب فإذا اجتمعا في دين واحد وجبت تلك الولاية لهم وهي الولاية نفسها والولاية
الروحانية هي المحبة والمودة يجب رعايتها بالدين وتعاهدها وهذا كما يقال الحياة روحانية وحياة جسمانية
فالحياة الروحانية هي العلم والأدب ترى بها أشياء ونعم فيها من ضد الحياة الجسمانية هي كروح الذي به تحيى
الجسد وبزوالها يموت الجسد والله أعلم وقوله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ذكر أنه إن كان المراد
فيما بين الكفرة فمعناه يأمرهم المؤمنون بالإيمان ويدعونهم إلى ذلك وينهونهم عن ضد ذلك وإن كان المراد فيما
بينهم من أمر شرع ونهي شرع يأمر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما جاء الشرع بخلافه ويحتمل أي يأمر بعضهم
بعضا بكل خير ويمنعون عن كل شر ومعصية وقوله تعالى ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة قد ذكرنا وقوله
ويطيعون الله ورسوله أي في كل أمره ونهيه وقوله تعالى أولئك سيرحمهم الله وعدا أن يرحمهم وقوله
إن الله عزيز حكيم قيل عزيز ينتقم من أعدائه حكيم في كل شيء حكيم يرى آثار حكمته وتدبيره في كل شيء وقوله تعالى وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن وعدلهم هذه
الأشياء ثم قال ورضوان من الله أكبر أي رضا الله عنهم في الآخرة أكبر مما أعطاهم لأن فيه حياة الروح ولذ
وما أعطاهم من الجنات والمساكن الطيبة فيه حياة الجسد ولذته وحياة الروح أرفع وأكبر من حياة الجسد لأنه لا يؤثر
زيادة في الجسد وكذلك ذكر الحسن والعز والجاه فيه حياة الروح لأنه لا يزيد في الجسد بل هو سرور وفرح يدخل فيه
وإن أصابه شيء من الذل فيسمع مكروها حزن واهتم من غير أن يتأذى جسده ويحل به وتسلى عن نفسه وذلك
لأنه إنما أضر روحه لم يضر جسده وأصله أن العمل في الدنيا لطلب رضاء الله ورضاه أكبر من العمل لطلب ثواب
لأن العمل لطلب رضاه أمر عليه والعمل لطلب الثواب له والنفع يحاذيه فما عليه أعظم درجة وأكبر فضلا من
النفع قائم بعمل ما له لأن كل أحد يعمل ما له وله فيه نفع ولا كل أحد يعمل لغيره فلذلك كان كما ذكر والله أعلم وقوله تعالى

ذلك هو الفوز العظيم • لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل وقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم • يحتمل ان يكون هذا امرا بالجهاد مع الفريقين جميعا جهادا بالسيف
ويحتمل المجاهدة مع الفريقين جميعا بالحجج والبراهين دون السيف ويحتمل ايضا الامر بمجاهدة الكفار بالسيف
والغلظ والتشديد على المنافقين من حيث القول واقامة الحدود عليهم فان كان على مجاهدة الفريقين بالسيف
فهو والله اعلم في المنافقين الذين انفصلوا من المؤمنين وخرجوا من بين اظهرهم واظهروا الخلاف للمؤمنين بعد ما
اظهروا الموافقة لهم وامثال هؤلاء مما يجاهدون بالسيف فيقاتلون به وهو كقوله لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الى قوله ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا اخبر انهم يؤخذون ويقتلون اينما
وجدوا فيشبه ان يكون الاية في الامر بالجهاد في هؤلاء المنافقين ويحتمل وجها اخر وهو ان المنافقين كانوا
يطعنون في رسول الله ويعيبون عليه فاطلع الله رسوله وهم علموا ان الله قد اطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرون
بسوء فقال الله تعالى جاهدهم اذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك فان كان الامر بالمجاهدة هو المجاهدة بالحجج
فهو صلى الله عليه وسلم قد كان يحاج الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة البراءة في محاجة المنافقين ويحتمل
الامر بالجهاد مع الكفار خاصة وفي المنافقين تغليظ القول والتشديد واقامة الحدود والتعزير اذا ارتكبوا
شيئا مما يجب فيه الحد والتعزير بما اقاموا بين اظهر المؤمنين مظهرين لهم الموافقة والله اعلم وقوله تعالى
ومأواهم جهنم وبئس المصير • هذا في المنافقين الذين ماتوا على النفاق وقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر قال بعض اهل التاويل نزلت الاية في شأن رجل منافق قال لئن كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير فسمع ذلك غلام وهو ربيب ذلك القائل فقال كلمة بئس الكلام وجاء الغلام الى النبي فاخبره
بذلك فارسل اليه النبي فاتاه فجعل يحلف ما قال ذلك فنزلت الاية فيه لكن عندنا كان ما نسبه لا يكون كلمة
الكفر وقالوا كلمة الكفر بقول الرجل لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا القول بنفسه ليس بكلام
كفر انما هو كلام ذم من به نفسه اذا لم يرد به التعليق كما لو قال الشهود لو وقعه وكان من حيث
ربما الغلبة للكفر لو كان دين الاسلام حقا لم يخذل اهله لانه لم يرد به تعليق حقيقة الدين بترك الخذلان ولكن
اراد التحقيق اي دين الاسلام حق وانه لا يخذل اهله اذا احتمل التحقيق واحتمل التعليق فلا يكون كلمة الكفر
بالاحتمال الا اذا كان الرجل معروفا بالنفاق فيحمل كلامه على الشك وقيل نزلت في شأن عبد الله بن ابي قال لاصحابه
والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
فاخبر النبي بذلك فدعاه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فهذا التاويل اولى لان الله تعالى قال في ظاهر
الاية فان الله تعالى قال يحلفون بالله ما قالوا نسب الى الجماعة لا الى الواحد لكن يشبه ان يكون الاية مثل قوله
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون كانوا يستهزءون بالله وآياته
وبرسوله والاستهزاء بذلك كفر فاخبر الله تعالى انهم قالوا قول كفر ولكن لم يبين ما ذلك القول فلا نفسر
ذلك القول ما هو وليس لنا الى معرفة عين ذلك القول حاجة
وقوله تعالى وكفروا بعد اسلامهم • يحتمل كفروا بعد ما اظهروا الاسلام اي بعد ما اظهروا ويحتمل كفروا
بعد ما اسلموا اسلام حقيقة وفي الاية دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال كفروا بعد اسلامهم
وقال في اية اخرى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا فدل ان الايمان والاسلام واحد والله الموفق وقوله تعالى وهموا بما
لم ينالوا قيل هموا بقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا به وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم
اسروا ما هموا به وفيه دلالة اثبات الرسالة له لانهم اسروا ما هموا به ثم اخبر عن ذلك فدل انه بالله
علم والله الموفق وقوله تعالى وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله قال بعض اهل التاويل ان رجلا كان
قال ذلك ثم تاب عن ذلك فقبل توبته وكان له قتيل في الاسلام فوداه رسول الله فاعطاه ديته فاستغنى بها
وعن ابن عباس رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي المنافقين من الغنائم والصدقات يقول ما نقموا الا
ما اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة والصدقة ثم قوله نقموا قال بعض اهل الادب نقموا اي طعنوا
فيه يقال نقم ينقم بفتح القاف في الماضي وكسره في المستقبل [illegible] على العكس نقم ينقم والله اعلم بقوله
في رسول الله وما ذكروه بسوء الا لما اغناهم الله ورسوله لانهم لو كانوا اهل فقر وحاجة ما اجترءوا على الطعن
عليه وما ذكروه بسوء ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما عاملهم رسول الله معاملة الكرام وانبسط اليهم
حتى قالوا هو اذن يقبل العذر ذلك الذي حملهم على الطعن فيه والله اعلم وقوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم
فيه ان المنافق يقبل منه التوبة وقوله تعالى وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما • يحتمل وان يتولوا بعد ما اسلموا

ويحتمل داموا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالامر بالجهاد
والقتل والخوف واما التعذيب في الاخرة فظاهر وقوله تعالى وما لهم في الارض من ولي ولا نصير • تقدم
هذا في غير موضع وقوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الاية قال بعضهم نزلت في ثعلبة
بن حاطب سأل رسول الله ان يدعو الله ليرزقه مالا قال لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
ومنهم من قال الاية في حاطب بن ابي بلتعة انه كان له اموال بالشام فقال لئن تأتي تلك الاموال لاصدقن
ولاكونن من الصالحين فعندما آتاه الله تعالى تلك الاموال فبخل ومنع ما وعد ومنهم من قال نزلت في المنافقين
جملة في شأن واحد اشار اليه ثم يحتمل قوله ومنهم من عاهد الله انه كان منافقا وقت ما وعد ويحتمل انه
لم يكن منافقا في ذلك الوقت لكنه صار بما بخل وكذب واعتقد الخلاف او استحل الخلف لما وعد منافقا
فان كان انما صار منافقا بما بخل او استحل الخلف والمنع فيكون قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي صار ذلك
في قلوبهم نفاقا وان كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي اعقبهم الدوام على
النفاق الى يوم القيمة ببخلهم ومنعهم ما وعدوا او يكون نفاقا كقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات ثم في قوله
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الاية ان النذور تلزم اهلها ويجب الوفاء بها ويؤاخذون بترك
الوفاء ويكفر من استحل نقض ما عقد والله اعلم وقوله تعالى ولنكونن من الصالحين • قال بعضهم من المؤمنين
وهو على تأويل من قال انه كان منافقا وقت العقد ويحتمل ان نكونن من الشاكرين وكذلك ذكر في الخبر ان ثعلبة سأل
رسول الله ان يسأل الله تعالى له مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي حقه وكلام نحو هذا
وقوله تعالى فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون • يحتمل تولوا عن وفاء ما وعدوا ويحتمل تولوا
عن طاعة الله تعالى وهم معرضون عن طاعة الله ومعرضون عما وعدوا وعاهدوا ان يفعلوا وقوله تعالى فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه • قال بعضهم اي اثابهم نفاقا بما بخلوا الى يوم القيمة وقال بعضهم اعقبهم الدوام
على النفاق بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ينبغي للمسلم ان يجتنب الكذب والخلف في الوعد فانه
سبب للنفاق او نوع من النفاق وعلى ذلك روي في الخبر اجتنبوا الكذب فانه باب من ابواب النفاق وعليكم
بالصدق فانه باب الايمان وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه كان منافقا
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي بعضها واذا ائتمن خان قيل لان
اولاد يعقوب عليه السلام اؤتمنوا فخانوا وحدثوا فكذبوا بقولهم اكله الذئب ووعدوا فاخلفوا ولم يصيروا منافقين
نافقوا قيل لما روي ان من اذا حدث كذب اي كذب في امر الدين واما الكذب في غير امر الدين فلا يوجب النفاق
ولان اولاد يعقوب بعد ما عزموا على التوبة والاصلاح قبل صنيعهم الذي صنعوا على ما اخبر عنهم بما يخلو
كما اخبر الله تعالى يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين فلم يصيروا منافقين واصله ان اعتقاد
الكذب واستحلال الخلف في الوعد والخلاف في العهد هو الموجب للنفاق فاما ترك فعل الوفاء على غير
استحلال للخلاف فلا يوجب ما ذكر والله اعلم ثم في الاية دلالة على انه لا ينبغي ان يعرض السؤال في شيء
على غير طلب الخير في ذلك من الله تعالى الا ترى ان ثعلبة لما الح على رسول الله ان يسأل له ربه ان يرزقه مالا فعل ما
ابتلاه النفاق الى يوم القيمة والله اعلم وقوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم • يحتمل وجهين احدهما
قد علموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله على ما اسروا من الخلاف وطعنهم في رسول الله وذكرهم
اياه بالسوء والثاني الم يعلموا اي المنافقون الذين نافقوا ان يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم فيطلع رسوله
على سرهم ونجواهم فيتركون الطعن في رسول الله وذكر السوء والخلاف له وقوله تعالى وان الله علام الغيوب
اي ما غاب عن الخلق انه لا يخفى عليه شيء يغيب عنه ما غاب عن الخلق وما لم يغب عنهم ويحتمل انه علام بما يكون
ابدا في الاوقات وقوله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الاية يشبه ان يكون الاية
صلة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله وهم معرضون ان اهل النفاق كانوا اهل بخل
لا ينفقون الا مراءاة وسمعة فظنوا بمن انفق من المسلمين وتصدق ظنا بانفسهم فقالوا انهم انفقوا وتصدقوا
مراءاة وسمعة وذكر في بعض القصة ان عبد الرحمن بن عوف جاء بنصف ماله في غزوة تبوك يتقرب به الى الله وقال
يا نبي الله هذا نصف مالي اتيتك به وتركت نصفه لعيالي فدعا له نبي الله ان يبارك له فيما اعطاه وفيما امسك
فلمزه المنافقون وقالوا ما اعطى الا رياء وسمعة وجاء رجل من فقراء المسلمين بصاع من تمر في الصدقة
فقال يا نبي الله [illegible] ودعا له فقال المنافقون ان الله لغني عن صاع هذا فذلك لمزهم فانزل الله تعالى قوله
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعني
الذي جاء بصاع قال القتبي يلمزون يعيبون وقوله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم اي طاقتهم والجهد

الطاقة والجهد المشقة وقال ابو عوسجة الجهد انفاق الرجل من المال القليل يقال جهد الرجل ان كان من ضعيف
او الفقر ويقال اجهد في العمل يجهد جهدا اذا بالغ في العمل وقال ابو عبيد الجهد مثل الوسع والجهد الطاقة
وكذلك قال ابو معاذ وفي الاية دلالة على شيئين احدهما اثبات الرسالة له لانه معلوم ان ما كان منهم من اللمز لم يكن
ظاهرا بل كان سرا ثم اخبرهم رسول الله بذلك دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى والثاني ان الامور التي فيما بين الخلق
انما ينظر الى ظواهرها وان كان في الباطن على خلاف الظاهر حيث عوتبوا بما طعنوا بالرياء والسمعة ليعلم ان الامور
التي بين الخلق انما تحمل على ظواهرها والحقيقة فيما بطن فيما اسر به يخلص العمل لله والسر ما اسر المرائي في نفسه والسخري
هو اجتماع جماعة على نحو من الاستهزاء فيما لم يقع من المكان والاسرار وقوله تعالى فيسخرون منهم سخر الله منهم
قال بعضهم ان من اعتدى الى اخر فيقبل جزاء منه علم من المعتدى اليه انه لا عدوان فيما يعتدى بانه كاذب في ذلك يعمر
المعتدى اليه ما يعتدى من المعتدي بجزائه من المعتدى اليه الى المعتدي وقال بعضهم سخر الله منهم اي جزاهم جزاء
السخرية فسمى جزاء السخرية باسمها وان لم يكن الثاني سخرية كما سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني
اعتداء تعلق ذلك الاول ويحتمل سخر الله منهم اي سخر اولياء الله منهم فاضيف اليه وكذلك هذا يحتمل في قوله
الله يستهزئ بهم اي يستهزئ بهم اولياؤه وذلك قولهم في الاخرة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فذلك استهزاؤهم
بهم وجائز اضافة الشيء الى اخر والمراد منه غير المضاف اليه لكن من يكون من المتصلين به وقوله تعالى استغفر لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عامة اهل التاويل انه لما مات عبد الله بن ابي دعي
النبي ان يصلي عليه فاخذ عمر بن الخطاب بثوبه وقال لما امرك الله بهذا قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد خيرني ربي فقال افعل او لا تفعل وفي بعض الروايات
قال له عمر لا تستغفر فان الله قد نهاك عن هذا فقال لا بل امرني فلاستغفرن لهم فوق سبعين مرة او كلام نحو هذا
فانزل الله تعالى عند ذلك سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا بعيد ان يفهم
رسول الله من الاية التخيير وعمر منعه عن ذلك ولا يجوز ان يفهم التخيير في ذلك ويخرج ذلك عن الحد بالسبعين
ولا يحتمل ان يكون الاية نسخ بقوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لان ذلك وعيد
والوعيد لا يحتمل النسخ دل انه ما حمل الاية عليه ما قال اهل التاويل لا يستقيم لما ذكرنا والوجه فيه والله اعلم ان استغفار
لهم والاستغفار ليس الذي يرد فلا يجب لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله وقد علم من حكمه ان لا يغفر لمن مات
على ذلك يخرج على الاعتذار من رسول الله في ذلك والنهي له عن الاستغفار لهم وهو كقوله ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية وقد علم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار
لهم او لا يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يطلع رسوله على كفرهم وذلك انه لما اطلعه بذلك نهاه وفي الاية دلالة نقض
قول المعتزلة في قولهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له لانه اخبر انه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله فدل انه من لم يكفر
بالله ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر في طلب المغفرة من الله تعالى والشفاعة
لغير لا يكون الا الخواص من الخلق وهم الرسل والانبياء عليهم السلام على ما يكون في الشاهد لا يرفع الى الملوك الا رفع
الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون الا اهل الشرف والمنزلة عندهم لكن الله تعالى اذن لنا في استغفار
غيرنا بفعله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ثم قوله سواء عليهم
استغفرت لهم يحتمل سواء عندهم استغفرت او لم تستغفر لهم وكانوا طلبوا استغفارهم من رسول الله تعالى
منهم لم يحتفلوا سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا خرج قولهم فاستغفر لنا
مخرج الاستهزاء على هذا التاويل ويحتمل قوله سواء عليهم اي سواء عند الله استغفرت لهم او لم تستغفر لهم
فانه لا يغفر لهم لكفرهم بالله ورسوله وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم طريق الجنة
في الاخرة لفسقهم في الدنيا اذا ماتوا على ذلك ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة يحتمل ذكر السبعين لان السبعين
هو النهاية والغاية في الاستغفار على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستغفر في كل يوم سبعين استغفارا
اخبر انك وان انتهيت في الاستغفار النهاية لا يغفر لهم ولا ينفع لهم والله اعلم وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا ذكر الله تعالى خصال المنافقين في هذه الاية احدها ما ذكر من الفرح بالتخلف
عن رسول الله والخلاف له والثاني كراهتهم الجهاد مع رسول الله وتخلفهم باموالهم والثالث صدهم الناس عن الجهاد
والخروج في سبيل الله بقولهم لا تنفروا في الحر وقوله فرح المخلفون فيه اشكال لانه ذكر المخلفون وهم كانوا متخلفين
في الحقيقة بانفسهم لا ان غيرهم خلفهم فهو يحتمل وجهين احدهما انه ذكر المخلفون لان الله تعالى خلفهم لما ذكر ان
خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا وانهم يبغون الفتنة ويسمعون فخلفهم الله تعالى عن ذلك وهو كقوله
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم اي حبسهم فعلى ذلك قوله فرح المخلفون

ويحتمل

ويحتمل سموا مخلفين لما خلفهم اصحاب رسول الله لانهم لو ارادوا ان يخرجوهم كرها لقدروا على ذلك فهم كالمخلفين
من هذا الوجه وان كانوا متخلفين حقيقة ثم قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وروي خلفه رسول الله اي فرحوا
بمقعدهم خلف رسول الله اي بعد خروجه ثم يحتمل بمقعدهم اي بقعودهم خلفه لان المفعل يذكر ويحتمل بمقعدهم
اي بمقعدهم اي موضع لان المفعل يذكر للمصدر ويحتمل بمقعدهم اي بقعودهم خلفه لان المفعل يذكر للمصدر و
يحتمل بمقعدهم اي بموضع قعودهم وهو منازلهم واوطانهم وقوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اي كرهوا ذلك لبخلهم وخلا فيهم النفاق قلوبهم وقوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر هذا في الظاهر
يخرج على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن لم يكونوا ارادوا ذلك انما ارادوا حبسهم عن الخروج في سبيل الله لكن المؤمنين
لا يمتنعون عن الخروج في سبيل الله اذ قالوا لهم مطلقا لا تنفروا وهو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كانوا يخيفون المؤمنين عن الخروج في سبيل الله ولو اطلقوا القول لذا المنع وصرحوا به لفهم المؤمنون ذلك
والظهر نفاقهم ويحتمل ان يكون قوله لا تنفروا في الحر قالوا ذلك لاصحابهم لا للمؤمنين كقوله وقالوا لاخوانهم
اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى الاية وقوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اي لو كانوا يفقهون ما انزل
على رسول الله لعلموا ان نار جهنم اشد حرا من حر الدنيا ويحتمل لو كانوا يفقهون انهم لم يخلقوا في الدنيا
للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم ليعلموا ان الموعود في الاخرة اشد مما امتحنوا في الدنيا وقوله تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور والبكاء كناية عن الحزن يقول ليفرحوا ويسروا
قليلا ويحزنون في الاخرة طويلا كثيرا ويحتمل ان يكون على حقيقة الضحك لانهم كانوا يضحكون ويسرون بالموت
في الدنيا يقول فليضحكوا قليلا لان الاخرة لا تنقطع وقوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون ظاهر وقوله تعالى فان رجعك
الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج دل قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم ان ليس كل من تخلف
عن غزو النبي منافق ولا كل المنافقين تخلفوا عنه وقوله طائفة منهم دليل ان الكل ما تخلفوا بل البعض كانوا مع
النبي وكذا دليل على ان بعض المتخلفين ليس بمنافق لانه قال فان رجعك الله الى طائفة منهم ولم يقل اليهم وقوله فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة يحتمل وجهين احدهما اي لن
اذن لكم ان تخرجوا ولن اذن لكم ان تقاتلوا معي عدوا منعهم عن ذلك عقوبة عليهم لما في ذلك ظهور نفاقهم ونظر
للمسلمين لما اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا ويحتمل ان يكون على سبيل الاخبار اي وان اذنت
لهم بالخروج فلن يخرجوا فكان هذا اخبار امر في المستقبل وكان كما اخبر فيكون دلالة رسالته والله اعلم
وقوله فاقعدوا مع الخالفين قيل المتخلفين وهم المنافقون ويحتمل اي اقعدوا مع اصحاب الاعذار وقال بعضهم
مع النساء والصبيان والمعنى واحد وقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا قوله منهم اي من المنافقين ذكر في بعض
القصة انه لما مات عبد الله بن ابي جاء ابنه الى رسول الله فقال ان ابي قد مات وقد اوصانا ان يكفن في قميصك وان تصلي
عليه فخلع النبي قميصه فاعطاه ومشى وصلى وقام على قبره وروي في بعض الاخبار انه صلى عليه والبسه قميصه
فقيل له تلبس عدو الله قميصك فقال لا وما يغني عنه قميصي من الخزي لعله ذكر انه لما فعل ذلك اسلم الف رجل من المنافقين
وروي انه لم يصل عليه فلا ندري كيف كان الامر بعد ان جاء النهي عن الصلاة على المنافقين
والقيام على قبورهم بقوله ولا تصل على احد منهم الاية فيجب العمل به وقد روي عن عمر في حديث فيه طول ان
عبد الله بن ابي لما توفي جاء ابنه الى النبي فاخبره بذلك فقال يا رسول الله اشهدنا ابي وقد وضعناه على سريره
نعم فصل عليه فصلى عليه ثم مشى رسول الله معه وقام على قبره حتى دفن ثم لم يلبث الا قليلا حتى انزل الله تعالى
ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فوالله ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على احد من المنافقين ولا
قام على احد بعده وقوله تعالى انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم فسقة واسم الكفر اقبح
وادوم لكنهم جمعوا مع الكفر انواع الفسق فسماهم به ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذي يذهبون انما اعتقدوه
بهواهم اذ الفسق يجري على كل مذهب يعتقد ويكون بانفعال الفسق وبترك ولا كذلك الكفر لان كل من ينتحل كفرا
بضده واصل الفسق هو الخروج عن الامر وقد تقدم وقوله تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان
يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى واذا انزلت سورة ان
امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله اي اذا انزلت سورة فيها ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله لانها لا تنزل بهذا
الحرف لكن فيها ذكر ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
وقوله ان امنوا بالله اي بقلوبهم لانهم قد اظهروا الايمان باللسان ان الايمان هو التصديق وهو عمل القلب ويحتمل
ان امنوا بالله اذ هم لم يكونوا مؤمنين حقيقة وقوله تعالى استاذنك اولوا الطول منهم قيل اولوا الطول اهل
الغنى والسعة وقيل هم اهل الشرف والفضل الذين كانوا يصدرون عن ارائهم وينظرون الى تدبيرهم وقد كان في

أهل النفاق أهل السعة والغنى وأهل الرأي والتدبير وقوله تعالى وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ◦ استأذنوا
عن القعود والجهاد والله أعلم لما كانوا يوالون أهل الشرك سرا ويكرهون أن يقاتلوا مع الأولياء ويحتمل أنهم كانوا يتخلفون
ويمتنعون عن الخروج الى القتال لفشلهم وجبنهم لأنهم كانوا لا يأملون العواقب إنما كانوا يأملون المنافع الحاضرة
لذلك كانوا يمتنعون عن القتال لما فيه خوف هلاك بخلاف أهل الإيمان فإنهم إنما يعملون للعواقب وكذلك
أهل الكفر إنما كانوا يقاتلون أهل الإيمان لعاقبة الغنيمة في الدنيا ودفع الشر عن أنفسهم في الحال والله أعلم وقوله ذرنا
نكن مع القاعدين يحتمل مع القاعدين من الضعفاء والمرضى والصبيان أي اتركنا وذرنا نكن مع هؤلاء حتى إذا انهزم
العدو من تبعنا خرج الرجال الى قتال العدو يقومون لدفع العدو عن هؤلاء ويحتمل قولهم ذرنا نكن مع القاعدين
أي مع أهل العذر يرون من أنفسهم أنهم أهل العذر ولم يكن لهم عذر في ذلك وهو كقوله يقولون إن بيوتنا عورة
وما هي بعورة فعلى ذلك يحتمل الأول والله أعلم وقوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ◦ قيل مع النساء وهذا
حرف تعيير وتوبيخ أي رضوا بأن يكونوا مع مثل هذا النساء دون مشاهدة القتال وقوله تعالى وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون ◦ إن للإيمان نورا يبصر به عواقب الأمور ويرفع الحجاب والستر عن القلوب عن الأمور فيصير ذا نظام
وللكفر ظلمة تستر الظاهر من الأمور فذلك هو الطبع وقد ذكرنا الوجه فيه في غير موضع وقوله فهم لا يفقهون
أي ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف وقوله تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم
وأنفسهم ◦ يقول والله أعلم إن الرسول والذين حققوا الإيمان والتصديق جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي بذلوا
أموالهم وأنفسهم لنصر دين الله وإظهار سبيله ولم يبخلوا كما بخل أهل النفاق ببذل أموالهم وأنفسهم في نصرة دينه
والمجاهدة مع أعدائه ولم يحققوا الإيمان والتصديق ثم أخبر أن المؤمنين هم الذين حققوا الإيمان والتصديق
وبذلوا أموالهم وأنفسهم وجاهدوا بهما في نصر دين الله وإظهار سبيله ثم قال وأولئك لهم الخيرات قال بعضهم
لهم الخيرات أي الذكر في الدنيا والثناء الحسن وسلوك الناس طريقهم وفي الآخرة الثواب والجزاء وقيل لهم الخيرات
في الآخرة وقيل لهم الخيرات أي الحور العين لقوله تعالى فيهن خيرات حسان والله أعلم وقوله تعالى وأولئك هم المفلحون
المفلح الذي يظفر بحاجته وقوله تعالى أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
ليعلم أن العظيم ليس يقع بما يقع فيه الغلظ والكثافة ولكن المراد به العظيم المنزلة وقوله تعالى وجاء المعذرون
من الأعراب ليؤذن لهم قال بعض أهل التأويل المعذرون هم الذين كانوا يستأذنون في القعود ولا عذر لهم في ذلك
وقال الكلبي المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة وقال بعضهم المعذرون هم المعتذرون وعن ابن عباس رضي الله عنه
قرأ المعذرون بالتخفيف وقال لعن الله المعذرين كأنه ذهب الى أن المعذر هو الذي له عذر والمعذر بالتشديد
الذي لا عذر له لذلك لعن المعذرين وقال أبو معاذ أكثر كلام العرب المعذر الذي له عذر وهو قولهم قد أعذر
من أنذر وقال أبو عوسجة المعذر بالتشديد الذي لا يناصح إنما يريد أن يعتذر يقال عذر في الأمر إذا لم يبالغ فيه
وأعذر في الأمر إذا بالغ فيه وقال القتبي المعذرون بالتشديد هم الذين لا يجدون ولا يمرضون بالتشديد هم
الذين لا يجدون ولا يمرضون بل يريدون أن يفعلوه يقال عذرت في الأمر إذا قصرت وأعذرت حذرت وقال بعض
أهل التأويل دل هذا على أن أهل النفاق كانوا صنفين صنف كانوا يستأذنون في القعود وصنف لا يستأذنون بقوله
وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم وقد
قوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم إن من أهل النفاق من قد تاب وآمن وإن من تاب يقبل منه ذلك لأنه
قال سيصيب الذين كفروا ولم يقل سيصيبهم عذاب أليم وقال بعضهم المعذرون بالتخفيف هم المؤمنون
الذين عذرهم التخلف لأن رسول الله لينظر في أمرهم الأوفق إن كان لهم الخروج أو فتح بخروجه وإن كان القعود فبقعوده
تدل على ذلك الآية التي تتلو هذه وهي قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج الآية فإن قيل كيف احتمل أن يكون آية واحدة في الفريقين المختلفين إذا قرئ بالتخفيف فهي في الذين لهم عذر
وإذا قرئ بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم قيل يصير على اختلاف القراءة كآيتين في حالتين وفي فريقين مختلفين
إن كان تأويل المعذر بالتشديد هو الذي يعتذر ولا عذر له والمعذر بالتخفيف هو الذي له عذر أو كانت نزلت
في أحد الفريقين على ضد الآخر كأنهم عذر في حال ولا عذر لهم في حال لأنه لا يحتمل أن يكون القراءتان جميعا في
وقت واحد وقد يتأولهما على الاختلاف الذي ذكرنا والله أعلم وهي كقوله وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وربنا باعد
بين أسفارنا أحدهما على الدعاء والآخر على الخبر هما إذا صار بآية واحدة لاختلاف القراءة في حالتين مختلفين
كذلك هذا هنا وقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لو لم يذكر المرضى
ولا الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لو لم يذكر المرضى ولا الذين لا يجدون ما ينفقون لكان الضعفاء يجمع في قوله
ليس على الضعفاء المريض والذي لا يجد ما ينفق وكذلك لو ذكر المريض كان في ذكره ما يفهم منه كل ضعيف وكل من لا

ما ينفق ففي كل حرف من هذه الحروف ما يفهم منه معنى الآخر فلما ذكر دل أن المراد من ذكر الضعفاء الزمنى
من نحو الأعمى والأعرج فكان كقوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج فتكون الآيتان واحدة في معنى
واحد وفيه دلالة أن التنصيص في ذكر عدد من الأشياء لا يحظر دخول غير المذكور في حكم المذكور إذا كان في معناه
ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله إن النبي فيما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا في الربا بقوله الحنطة بالحنطة
والذهب بالذهب في الفضل دليل على أنه لا يقتضي وجود ولا يتخلل فيه ما لم يذكر لما ذكرنا أنه لو ذكر الضعفاء لدخل
المريض والأعمى والأعرج وجميع من ضعف عن الخروج من أنواع الأعذار ثم لم يدل ما ذكر من العدد على التخصيص أنه
لا لمعنى ذكر فعلى ذلك الخبر الربا ثم جعل العرج والعمى والمرض وعدم النفقة عذرا في ترك الخروج ولم يجعل شدة الحر
وبعد المسافة ونحوه عذرا بقوله لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وأصله والله أعلم
أن كل ما لم يعمل في منع عن الخروج لشهوة أو طمع يرجى له من التجارة ونحوها لم يجعل ذلك عذرا في ترك الخروج
أي شدة الحر وبعد السفر وخوف العدو مما لم يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصر ذلك عذرا في التخلف عن الخروج للجهاد
وأما حال المرض والزمانة وعدم النفقة يمنعهم ويعجزهم عن الخروج في كل ما يهوون ويشتهون فصار ذلك عذرا لهم
بالتخلف عن الخروج الى الجهاد والثاني يحتمل أن كل ما يقدر على دفعه بحال لم يجعل ذلك عذرا في التخلف وما لا سبيل
له الى دفعه فهو عذر وعلى الحر وبعد السفر وخوف العدو يجوز أن يقع بيضر كان ليس بمقابلتها ما هو أعظم
منه وذلك قوله قل نار جهنم أشد حرا وإذا ذكر شدة حر جهنم وبعد سفر الآخرة وأهواله هان عليه الخروج في مثل
وإن يقع ذلك التخلف للتحسر إحداهما عذر والأخرى لا والله أعلم وقوله تعالى إذا نصحوا لله ورسوله ◦ قال الحسن
أحدا في دينه ولم يغش أحدا في دنياه وقيل أي أطاعوا الله ورسوله في الحضر ولم يتركوا طاعته وقوله تعالى ما على المحسنين
أي ما على المحسنين من سبيل في تركهم الخروج إذا لم يقعدوا على الخروج لما ذكرنا من الزمانة وعدم ما ينفقون
والله غفور رحيم ◦ أي بتركهم الخروج وتخلفهم عن الجهاد مع الأعذار وقوله تعالى ولا على الذين إذا ما أتوك
لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ◦ الآية ذكر في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا أن أشق
على أمتي أو قال على المؤمنين ما تخلفت في كل سرية بعثتها إلا أنهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا أجد ما
أحملهم عليه فيشق عليهم مفارقتهم إيانا فلا حرج عليهم بترك الخروج إذا لم يجدوا ما ينفقون فيتركون
الخروج بقوله إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي مع النساء
وقوله تعالى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ◦ قد ذكر هاهنا وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
وذكر في الآية الأولى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه هو معرفة الشيء بغيره والعلم هو وقوع
العلم لا بغيره ولذلك لم يقل لله تعالى فقيه ولا يجوز أن يقال فقيه ولا عين كما أنهم لا يعرفون الحق بالعبر وبالأنفسهم
عنادا منهم ومكابرة وقوله تعالى يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا
عما يقول لهم المنافقون إذا رجعوا إليهم وتعليم من الله رسوله والمؤمنين ما يقولون لهم وماذا يجيبون
أخبر أن المنافقين يعتذرون عن التخلف والقعود عن الجهاد إذا رجعوا إليهم فعلم الله تعالى رسوله والمؤمنين
فقال قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم بما تعتذرون أي بما تظهرون لأنفسكم من العذر وقوله
لا تعتذروا ليس على النهي ولكن على التوبيخ والتعيير وقوله قد نبأنا الله تعالى أنكم لا تصلحون أبدا كما قال إنهم
رجس ومأواهم جهنم أخبر أنهم رجس ومأواهم جهنم أخبر أنهم رجس وأن مأواهم جهنم وقيل قد نبأنا الله
من أخباركم حيث قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا إلى آخر الآية وقوله تعالى وسيرى الله عملكم ورسوله
قال بعضهم وسيرى الله عملكم فيما تستأنفون ويحتمل قوله وسيرى الله عملكم ورسوله بالطلاع ويحتمل
وسيرى الله عملكم أي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله والمؤمنون يشهدون عليكم بذلك وقوله تعالى ثم
تردون إلى عالم الغيب والشهادة ◦ قد ذكرنا أنه ليس شيء يغيب عنه أو يكون عنده شيء أظهر من شيء ولكن
ما يغيب عن الخلق وما لا يغيب عنده بمحل واحد وقوله فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد وقوله تعالى
سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ◦ يحتمل قوله لتعرضوا أي يحلفون بالله لكم
إذا رجعتم إليهم أنهم تخلفوا للأعذار لتعرضوا عنهم أي لتتجافوا وتدفعوا عنهم فلا تؤذوهم ولا تعرضوا عنهم وأن تكافئوا
مجازاة بهم لما سألوا من المجافاة وترك المكافاة ويحتمل قوله فأعرضوا عنهم أي لا تجالسوهم ولا تشتغلوا بهم فإنهم
لا يصلحون أبدا وذلك قوله إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وقوله تعالى يحلفون لكم لترضوا
عنهم أي لتقبلوا منهم ما يظهرون من العذر ثم قال فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
أخبر أنكم إن رضيتم عنهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم فإن الله لا يرضى عنهم لما يعلم أنه لا عذر لهم فيما يظهرون
لكم من العذر والله أعلم وليس في الآية نهي عن الرضا عمن اعتذر إلينا وعلينا إذا لم نعلم بحقيقة حال الاعتذار

الله تعالى انما يكون بناء على حقيقة الباطن وانما نهى الله النبي واصحابه عن الصلاة على ذلك لما اعلمهم عن حقيقة
حالهم انهم منافقون والله اعلم قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا يحتمل هذا وجهين احدهما اي
طائفة من الاعراب اشد كفرا ونفاقا وهو ان رسول الله دعا كفار المدينة ومنافقيها الى الايمان فايس
عن ايمانهم بقوله فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم وايس عن هؤلاء اقبل يخاطب قوما من الاعراب
الذين كانوا بقرب المدينة وحواليها فاخبر عنهم انهم اشد كفرا ونفاقا ويحتمل ان اراد بالاعراب الاعراب جملة انهم اشد
انما لكفار منهم واهل النفاق اشد كفرا ونفاقا من اهل الامصار والمدن وهذا الوجهين احدهما ان اهل الكفار
والمدن كانوا يسمعون الايات والحجج ويخالطون اهل رافة ورحمة ومودة واما الاعراب هم اهل البادية
كانوا لا يسمعون الايات والحجج ولا يخالطوا اهل رافة ورحمة فهولاء اقسى قلوبا واضيق صدورا واهل المدن
والامصار الين قلوبا واوسع صدورا فهم اسرع الاجابة واولئك ابطاء الاجابة وابعد والله اعلم والثاني
انهم وصفوا بفضل الجهل لما لم يوصف اهل المدن والامصار وذلك على ما روي عن النبي عليه السلام انه قال
لا يؤمنكم اعرابي وفي بعضها لا يؤمن اعرابي مهاجرا وفي بعض الاخبار من بدا جفا وذلك والله اعلم لانهم كانوا
لا يدخلون الامصار والمدن ليتادبوا او يتعلموا الاداب واذا كان كذلك فهم اهل الجهل والايمان هو التصديق والتصديق
انما يكون بعد العلم لانه لما لم يعلم لم يصدقه فاذا كانوا بالجهل ما وصفنا كانوا اشد الحادا وتكذيبا من غيرهم وقوله
ما ذكرنا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وصفهم بالجهل فالجهل يكون التكذيب ضد العلم
يكون التصديق والله اعلم وقوله تعالى حدود ما انزل الله على رسوله قال بعضهم اي انهم اقل علما بالسنن وقيل
بالفرائض وقيل الحدود ما بين من طاعة الله ورسوله ومعصيته وحاصل ذلك انهم اهل الجهل بجميع الاوامر والنواهي
وجميع الاداب وما يحل وما يحرم وقوله تعالى والله عليم حكيم اي عليم بما يكون منهم خلقهم حكيم حيث وضع
الخلائق بوضع يدل على وحدانية الله تعالى والوهيته ان تدبروا وانظروا فيها وقوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما اي كان لا ينفق ولا يحتسبه وقال بعضهم ينفق ولا يراه حقا وانما يراها غرما يلحقه وانما انهم
لو كانوا علموا حقيقة انهم وما خرج من ايديهم لله ليس لهم لم يعدوا ذلك غرما ولا تبعة ولا تبعة يلحقهم
لما لم يعلموا ان اموالهم لله حقيقة لا لهم عدوا ذلك غرما وتبعة والله اعلم وقوله تعالى ويتربص بكم الدوائر عليهم
دائرة السوء قيل الدوائر هو انقلاب الامر وهو من الدوران وكذلك قيل دوائر الزمان حوادثها وقيل يتربص
بكم موت محمد وقوله عليهم دائرة السوء اي عليهم انقلاب الامر وعليهم ما يتربصوا بالمومنين وقوله تعالى والله سميع
عليم سميع لما قالوا عليم بما اسروا واضمروا وقوله تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله ذكر في الاية ان من الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ليعلم ان قوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا كان في قوم
بشان انها لا كل الاعراب لانه ذكر ههنا ان منهم من قد امن وذكر في الاية الاولى ان منهم من يتخذ ما ينفق
مغرما الكراهة حقا واجبا فيكرهه ما يلحقه ومنهم من يرى ذلك حقا لله واجبا في اموالهم ويجعلون ذلك لهم عند
الله ثم في الاية تخوف دخول المومنين في وعيد هذه الاية الذين لا يودون الزكوة ولا ينفقونه وتخوف لحوق النفاق
لانه اخبر انهم يتخذون ما ينفقون مغرما فمن ترك اداه انما يتركه لانه لا يرى ذلك حقا لانه لو راى ذلك حقا
واجبا لاداه على ما ادى غيره من الحقوق ولو كان موقنا بالبعث لا ينفق وجعل ذلك ذخيرة له عند الله لان
المومنين لما ينفق ويامل العاقبة فاذا ترك ذلك يخاف دخوله في وعيد الاية ويحكم اسم النفاق واذ كان لا
نشهد عليه بذلك والله اعلم وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال بعضهم جعل
ما انفقوا قربات عند الله وصلوات الرسول لانهم اذا انفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر وكان
لهم قربات عند الله باستغفار الرسول ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما انفقوا وصلوات الرسول طمانينة لهم
وبراءة من النفاق لان الرسول كان لا يدعو لاهل الكفر والنفاق واذا دعا لهؤلاء وصلى عليهم كان طمانينة
لقلوبهم وعلما لهم للبراءة من النفاق وعلى ذلك يخرج قوله ان صلواتك سكن لهم اي تسكن قلوبهم بصلوة
الرسول وتطمئن بانهم ليسوا من اهل النفاق وانهم براء من ذلك والله اعلم وقوله تعالى الا انها قربة لهم ذكر
هنا مقابل ما ذكر في الاية الاولى وهو قوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء لحزنهم ان ما يتربصون
بالمومنين من الدوائر عليهم كذلك وههنا اخبر ان ما ينفق المومنون ويطلبون بذلك قربة عند الله انها قربة لهم
ثم وعدهم الجنة بقوله سيدخلهم الله في رحمته اي في جنته سمى الجنة رحمة لما برحمته يدخلونها لا استحقاقا منه
بالعمل بل برحمة منه وفضلا وقوله تعالى ان الله غفور لما كان منهم من المساوي والشرك اذا تابوا وامنوا رحيم حيث
لم يواخذهم بذلك وقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار يحتمل ان يكون منا مرتبطا معطوفا
على قوله لهم سيدخلهم الله في رحمته مع السابقين الاولين اي اولئك الذين امنوا من بعد اولئك المهاجرين

والانصار

والانصار ويحرف الواو بمعنى مع ويحتمل ان يكون على الابتداء لا على العطف على الاول ثم اختلف فيه قال بعضهم
السابقون هم الاولون في الاسلام وفي النصرة وقال بعضهم هم الاولون في الهجرة وقال بعض اهل التاويل
السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقال بعضهم هم الذين صلوا
بالقبلتين وقال بعضهم السابقون الى الاسلام الاولون من المهاجرين والانصار وهم الذين صلوا الى القبلتين
وقوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين اتبعوا ولكن في الاسلام على تاويل من جعل السابقة
في الاسلام وعلى تاويل من جعل على الهجرة اي والذين اتبعوهم الى يوم القيمة باحسان وعن عمر رضي الله عنه انه
قراه على طرح الواو والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان جعلهم فريقين المهاجرين
والانصار ولم يجعلهم طبقة ثالثة واما قراءة العامة من القراء فهي على اثبات الواو جعلهم طبقة ثالثة ثم خص
تسمية اهل المدينة انصارا وان كانوا والمهاجرين جميعا نصروا رسول الله فهو والله اعلم لانهم نصروا المهاجرين
حيث اووهم وانزلوهم في منازلهم واوطانهم فبذلوا انفسهم واموالهم وان كانوا جميعا في نصر رسول الله شرعا
سواء ثم في الاية الرد على الروافض لانهم يجعلون ابا بكر وعمر ومن تابعهما ظلمة لاهل الحق ويلعنونهم الخلائق ولا
وفي هذه الاية رد عليهم لانه معلوم انهم كانوا داخلين في قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
ثم اخبر الله تعالى انه رضي عنهم وانهم رضوا عنه بقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه دل انهم كانوا على حق وصواب
من الامر وان من وصفهم بالظلم والتعدي هو الظالم المتعدي وفيه دلالة تقليد الصحابة والاتباع
لهم والاقتداء بهم لانه مدح من تبع المهاجرين والانصار بقوله والذين اتبعوهم باحسان ثم اخبر عن حالهم
ان الله تعالى رضي عنهم دل ان التقليد لهم لازم والاقتداء بهم والاتباع بهم واجب واذا اخبرنا بخبر
وحدثونا بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه والله اعلم به وقوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق اخبر ان من حولهم من الاعراب ومن اهل المدينة ايضا منافقين مردوا
على النفاق ثم قال بعضهم مردوا على النفاق اي ثبتوا وداموا عليه وقال بعضهم مردوا اي عتوا عليه وبالغوا
فيه اخبر انهم اشتد مكرهم وخداعهم وعتوهم لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين لان من المنافقين من كان
يعرفهم الرسول في لحن القول ومنهم من كان يعرفه الرسول في صلوته كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلفه عنه في الغزوات بغير عذر في خروجهم وحمل الحمولات لشدة عتوهم ومكرهم
وفضل خداعهم لا تعرف نفاقهم حتى تعرف نفاقهم ثم اخبر انه يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبي وعن الحسن
قال عذاب في الدنيا وعذاب في القبر وقال بعضهم يعذبهم بالجوع مرتين وقال ابو بكر الاصم سيعذبهم مرتين
القتل والسبي وقيل تعذيبهم انهم يرهبون الموت وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ويحتمل
ان يكون تعذيبه اياهم مرتين حيث لحقهم الانفاق على المومنين وبينهم وبين المومنين عداوة وامروا ايضا
بالقتال مع الكفار وهم اولياؤهم فاحد العذابين هو الانفاق على الاعداء والاخر هو القتال مع اوليائهم
والقتل فيه ذلك عذاب لهم لانهما فعلا حتى يكون ذلك تعذيبا اياه قيل لم يبلغنا ولم يذكر لنا انه
كانوا لا يعرفونهم بقوله لا تعلمهم فاذا لم يعرفوهم فيقتلونه كما يقتل غيرهم من المومنين والله اعلم وقال بعضهم
سنعذبهم مرتين عند الموت ضرب الملائكة الوجوه والادبار كقوله يضربون وجوههم وادبارهم والاخر
عذاب القبر وقوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قال عامة اهل التاويل
الاية نزلت في ابي لبابة واصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك فندموا على ذلك فاعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا
فقبل الله توبتهم ووعد لهم المغفرة بقوله عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وذكر في بعض
القصة انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة تلك جاء هولاء الذين تخلفوا عنه باموالهم الى
رسول الله فقالوا هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها فتصدق عنا فكره ان ياخذها فقال لم اومر بذلك
فنزل قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وهذا الوعد لكل مسلم ارتكب ذنبا او رجع من الايمان
ثم ندم على ذلك وتاب يرجى ان يكون في وعد هذه الاية والله اعلم ثم ذكر المومنين وما هم عليه وذكر المنافقين
وما هم عليه ثم ذكر الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا ثم يندمون على ما فعلوا وتابوا وعد لهم قبول التوبة
والمغفرة وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم اختلف في هذه الصدقة قيل امر الله رسوله باخذها
من حالهم قال بعضهم هي صدقة فريضة ثم اختلفوا لا انها اية فريضة هي قال بعضهم هي فريضة
زكوة الاموال وقال بعضهم هي فريضة زكوة الاموال وقال بعضهم هي فريضة كفارة الماثم فقال هي
كفارة قالوا ان الاية نزلت في الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما ندموا امر الله تعالى رسوله ان ياخذ ذلك
منهم ويتصدق بها على الفقراء كفارة لما ارتكبوا ومن قال هي فريضة زكوة المال تعلق بما روي عن ابي

قال ان ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله فقال يا رسول الله ادع ان يرزقني مالا فقال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاء فقال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة اما ترضى ان تكون مثل رسول الله لو سألت الله تعالى ان يسيل الجبال
علي ذهبا لسالت ثم اتاه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فوالله لئن اتاني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فدعا له
فقال اللهم ارزق ثعلبة مالا ثلاث مرات فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت عليه الارض به
المدينة فتنحى بها وكان يصلي الصلوات كلها مع رسول الله ثم يخرج اليها ثم ضاقت عليه مراعي المدينة فتنحى بها فكان
يصلي الظهر والعصر مع رسول الله ثم يتبعها ثم تنحى بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها ثم بلغ بها وتلقى
الركبان فنسيتهم عن الخبر وعنا ان الله على رسوله فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله على
الصدقة رجلين فكتب لهما فرائض الصدقة وامرهما ان يسعيا في الناس وياخذا صدقاتهما حتى ان يمرا
ثعلبة ورجل من بني سليم فياخذا صدقاتهما فخرجا يصدقان فان الناس قربا لسلمي فاقرأاه كتاب رسول الله
فاطاع بالصدقة ومرا بثعلبة فاقرأاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية او
اخت الجزية فاذا فرغتما فارجعا حتى ارى فلما فرغا من الناس مرا به فقال لهما مثل ما قال اولا فانطلقا حتى
سالقي رسول الله فانزل الله تعالى قوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية الى هذا ذهب عامة اهل التاويل
وقال بعضهم ان الصدقة التي امر الله رسوله ان ياخذها من اموالهم هي صدقة تطوع فانه تعالى لما بين الرحيم وهو
لما ذكر انه رسول الله كان يحث الناس على الانفاق فخرج تبوك فجاءه عبد الرحمن بن عوف بكذا وفلان
بكذا فلمزهما منهم وفيهم نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ومنهم من جاء بكل
صدقة تطوع قليلا او كثيرا ثم قال خذ من اموالهم صدقة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذ
من اموالهم مقدار ما راى المصلحة فيه لا ياخذ الكل لكي لا يشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات ولكن امر ان ياخذ
قدرا منها وطائفة لما يكفرها ان تكبوا ان كان المراد هي الكفارة وان كان الزكوة فالمراد القليل لا الكل لان كلمة
من للتبعيض والله اعلم وقوله تعالى تطهرهم وتزكيهم بها ان كانت صدقة الزكوة فهي تطهر اثامهم وتزكي
اخلاقهم حتى يتيسر عليهم اخراج الصدقة واداؤها الى اهلها وان كانت صدقة الكفارة لمن تخلف عن غزوة
تبوك فهي تكفر اثامهم التي لحقتهم بذلك وتطهرهم قبل ان تطهرهم وهو ظاهر وان كانت صدقة تطوع
فما يطهرهم ايضا وتزكيهم لما ينفي عنهم البخل ويؤدي الى الجود والكرم الا ترى انه مدح من اعطى وذم من بخل
بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى وقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتى احد بصدقة دعا له واستغفر وكان لا يستغفر لاهل النفاق فكان قلوبهم تسكن وتطمئن
باستغفار النبي لما علموا بذلك انهم من اهل النفاق والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى امر رسوله
ان يستغفر لهم ويصلي لهم ثم لا يحتمل ان يامر بذلك فلا يفعل او يفعل فلا يجيبه فكانت قلوبهم تسكن
وتطمئن باستغفار النبي اياهم لما قبلت توبتهم وكفرت سيئاتهم والله اعلم وقوله تعالى والله سميع عليم
قد ذكرنا تاويله فيما تقدم ثم قوله خذ من اموالهم صدقة فيه دلالة على ان الصدقة اذا وقعت في يد المتصدق عليها
عليها سقطت عن اربابها وان لم يقع في ايدي الفقراء والمصلى اليهم لان النبي كان لا يحل له الصدقة
ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية والله اعلم وفيه استدلال لاصحابنا رحمهم الله ان الوصي
اذا وقف ما اخرجه من يده ثم جعله في يدي من لا حق له فذلك منه جائز ويكون وقفا صحيحا جائزا والله
ومن الناس من استدل بهذه الاية على ان للامام مطالبة زكوات المواشي والاموال الظاهرة فان الله تعالى
امر بذلك رسوله وكذلك مضت السنة من رسول الله في بعث المصدقين الى احياء العرب والافاق
والبلدان لاخذ صدقات الانعام والمواشي في مواضعها وعلى ذلك فعل الائمة من بعده ابو بكر وعمر
والائمة الراشدون وظهر العمل بذلك من بعدهم الى يومنا هذا حتى قال ابو بكر رض لما امتنعت العرب من اداء
الزكوة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لحاربتهم عليه فذلك مما يدل على ان وجوب المطالبة
بزكوة الاموال الظاهرة وقد بين الله تعالى ذلك بيانا شافيا بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها فجعل للعاملين عليها حقا فلو لم يكن على الامام ان يطالب ارباب الاموال بصدقات الانعام
في اماكنها وكان اداؤها الى ارباب الاموال لم يكن لذكر العاملين وجه ولم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث في مطالبة المسلمين بزكوات الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا يعطون ذلك ومنهم من حملها
الى الائمة فيقبلون ما حمل اليهم منها ولا نسال احدا عن مبلغ ماله ولا يطالبونه الا ما كان من توجيه العشار

ظ برو

في الاطراف وكان ذلك منه عندنا والله اعلم عمن يبعد داره ويشق عليه ان يحمل صدقته وقد جعل في كل طرف من الطرق
عاشر التجار اهل الحرب والذمة فامرهم ان ياخذوا من تجار المسلمين ما يدفعونه اليه وكان ذلك من عمر تخفيفا على المسلمين
لان على الامام مطالبة ارباب اموال الورق واموال التجارة باداء الزكوة اليه كهو في المواشي والانعام الى الائمة
الا ان يأتي احد منهم الامام بشيء من ذلك فيقبله ولا يتعدى عما جرت به السنة الخبرة والله اعلم وقوله تعالى
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات يحتمل قوله الم يعلموا اي قد علموا ان الله يقبل
توبة من تاب ويحتمل على الامر اي اعلموا ان الله هو يقبل التوبة عمن تاب وقوله وياخذ الصدقات قيل يقبل
التوبة عمن تاب وقوله وياخذ الصدقات قيل يقبل الصدقات ويثيب وياخذ الرسول الصدقات
قيل يقبل الصدقات ويثيبه وياخذ الرسول الصدقات لكن اضاف اخذه رسوله الى نفسه وذلك
في القرآن كثير وهو كقوله خذ من اموالهم صدقة والله اعلم وقوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم قال ابو بكر
الاصم التواب نبكر لمعنيين احدهما بمعنى الهادي فيقال تاب الله عليه اي هداه عن ذنبه وندم فيعطي لتائب المبالغة
والتواب عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزمه مع التوبة اخرى وان كان ارتكب مساوي
بعد لحقوقها الشرك والكفر والمسلم اذا ارتكب مساوي تحلو منه التوبة والكفارة جميعا وذلك لان المسلم
لما اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب ما ذكرنا لجرح شرايعه وادخل نقصانا فيما اعتقد حفظه
ادخل فيه النقصان فلزمته كفارة يجبر بها النقصان الذي ادخل فيه والكافر ليس عليه شيء من الشرايع انما عليه ان
يتوب عن الشرك فاتى بالايمان لذلك افترقا والله اعلم وقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين
اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الذين كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك فتاب الله عليهم يقول
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ان عملتم الى ما فيه تبتم من التخلف يطلع الله رسوله والمؤمنين
ذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون الى ما اعد لكم عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون وقال بعضهم الاية في المنافقين يقول اعملوا ما تعملون فان الله يطلع رسوله والمؤمنين على نفاقكم
فتفتضحون بحيث تطلعون على سرائركم وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي تردون الى ما اعد لكم عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم جزاء ما كنتم تعملون يجمع ذلك على ما ذكر في بعض الاخبار
ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد جنازة والمؤمنون ايضا شهدوها فاثنى عليها فقال وجبت فقيل يا رسول الله
لما وجبت قال الملائكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت ثم قرأ وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فان ثبت هذا ففيه دلالة حجة الاجماع لانه قال الملائكة شهداء
الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت فاذا شهدوا على شر فهو شر واذا شهدوا على خير فهو
خير فعلى هذا اذا شهدوا على حكم لزم العمل به ثم قوله وقل اعملوا ليس على الامر ان يفعلوا جميعا اعملوا كذا
ولكن على ان من تلقته هذه الاية يتفكر فيها ويتدبر فلا يقدم على عمل لا يستحسنه ان يكون رسول الله
والمؤمنون بحضرته فاذا خلا به لا يفعله وكذلك قوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على الامر بالتفكر والتامل والتدبر فيما نزل بهم بالتكذيب وكذلك
قوله قل هو الله احد ليس على الامر ان يقول لهم ذلك ولكن على ان يتفكر كل من سمع فيه انه واحد وقيل ان
هذه الاية كانها نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وركنوا الى الدنيا ورغبة فيها
وكرهوا المؤمنون والاية التي كانت قبل هذه في المنافقين الذين تخلفوا وركنوا في الدنيا كفرا ونفاقا
والله اعلم وقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قال بعضهم هو صلة
قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اي كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون
ما يحكم الله فيهم ايعذبهم ام يتوب عليهم فنزل قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وقال بعضهم هو صلة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا كانوا اتخذوا
مسجدا وكانوا مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة مرجون اي محبوسون يقال
ارجيته اي حبسته وقال القتبي مرجون لامر الله اي مؤخرون على امره اي محبوسون موقوفون على امره وقوله
تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين
اتخذوا مسجدا فلما فرغوا منه جاءوا الى النبي وهو يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب ان تاتينا فتصلي فيه فقال رسول الله انا على سفر وحال
ولو قدمنا من سفرنا اتيناكم فصلينا لكم فيه ان شاء الله تعالى فانزل الله على رسوله والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا الاية اخبر فيه انهم لم يقصدوا ببناء مسجدهم ذلك ما ذكروا انا بنينا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة

والاشفاق على الذين يحفظ الصلوة بالجماعة ولكن يقصدون به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين ثم
قوله وتفريقا بين المؤمنين تفسير لقوله ضرارا يقصدون ببناء المسجد الذي بنوا ان يفرقوا بين المؤمنين
وبين رسول الله حتى اذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين فيكون ايسر واهون عليهم في الكسر عليهم والظفر بهم
من ان كانوا مجتمعين على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا وكلمتهم واحدة وكقوله تعالى
ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم جعل الاجتماع في الدين نعمة الله عليهم ونهاهم عن التفرق فاولئك قصدوا
قصد التفريق لما ذكر ويحتمل انهم كانوا يقصدون بذلك ان يفرقوا بين ضعفة المسلمين وبين رسول الله
فيلبسوا عليهم الدين لانهم كانوا اهل لسان وجدل وذلك كفر كله على ما ذكر وفيه دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين
فاطلع الله نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من
قبل • قال عامة اهل التاويل ان الذي ذكر انه حارب الله ورسوله هو ابو عامر ذكر ان ابا عامر حارب رسول الله
ثم فر منه فقال للمنافقين ابنوا مسجدا واستعدوا فاني ذاهب الى قيصر فآتي بجند فنخرج محمدا واصحابه
من المدينة فذهب الى قيصر بالشام فبنوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله
ورسوله يعني ابا عامر قال القتبي ضرارا اي مضارة وارصادا اي ترقبا بالعداوة وقال ابو عوسجة ضرارا
مضارة وارصادا اي توقعا وانتظارا للفريضة لمن حارب الله على المؤمنين وقوله تعالى وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى اي حلفوا انهم ما ارادوا باتخاذ المسجد الا الحسنى والخير ثم قال والله يشهد انهم لكاذبون
فيما ذكرنا من اثباتنا الدلالة على رسالة محمد وقوله تعالى لا تقم فيه ابدا • قيل لا تصل فيه لانهم سالوه
ان يصلي فيه وقيل لا تقم فيه اي لا تاته ولا تدخل فيه واحد وقوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه • قال بعضهم هو مسجد قباء وقال بعضهم هو مسجد رسول الله لما روي عن ابي سعيد
الخدري قال اختصما وقال اختصمنا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هو مسجدي هذا وعن ابي بن كعب قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى
فقال هو مسجدي هذا وظاهر ما ذكر ان يكون مسجد قباء لانه ذكر بنيانه بقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المتطهرين قال عليه السلام لاهل قباء ان الله قد احسن عليكم في الطهور فما انتم تصنعون قالوا
انا نغسل عنا اثر الغائط والبول وقوله فيه كناية عما سبق ذكره من قوله لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وفي بعض الاخبار قالوا يا رسول الله انا نحبه [illegible]
علينا في التوبة الاستنجاء بالماء فلا ندعه فقال عليه السلام فلا تدعوه وقوله فيه رجال يحبون
ان يتطهروا يحتمل فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي فيه رجال يؤثرون التطهير بالايمان والتوحيد والصلوة
فيه وكل مسجد هذا فيه مؤسس على التقوى اي تقوى الشرك والخلاف لامر الله ومناهيه ويحتمل فيه
رجال يحبون ان يتطهروا اي يؤثرون التطهير بالتقوى والاعمال الصالحة على غيرها من الاعمال التي يحبهم
ويحتمل ما ذكر اهل التاويل من التطهير من الاقذار والانجاس التي تصيبهم وقوله تعالى افمن اسس بنيانه
على تقوى من الله ورضوان خير اي من اسس بنيانه على الطاعة لله والاخلاص له وطلب مرضاته خير
ام من بنيانه على شفا جرف هار اي من الذي بني للاختلاف والتفريق بين المؤمنين والكفر بالله هذا مقابلة
مكان بمكان تقول من ينتقل قرار الارض مما يقر فيه وينتفع به حين ممن بنى على المكان الذي لا يقر فيه و
يؤدي الى الهلاك فلا ينتفع به والاول مقابلة فعل بفعل لا غير قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
وتفريقا بين المؤمنين كالذي بني لضد ذلك اي ليس اسوة ثم قال لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه فهذا مقابلة فعل بفعل والله اعلم وقوله افمن اسس على اصل الاس والاسس والكتاب
والاساس واحد وقوله تعالى على شفا جرف هار • قال ابو عوسجة شفاه حده والجميع اشفاء وجرف الوادي
يسيل فيها السيل حتى يحفرها والجرفة الجميع والهار الهش الذي ليس بصلب ويقال انهار انهيارا وانهدم
ويقال رجل هار اي ضعيف وارض هشة اي رخوة سريعة الانهدام وقال القتبي شفا جرف هار اي حرف
جرف هار والجرف ما يجرف بالسيول من الاودية والهار الساقط ومنه جرف هار ومقلوب هار وهائر يقال
تهور البناء وانهار اذا سقط وقال ابو عبيدة الشفا هو الشفير والجرف ما يجرف بالسيول من الاودية
وهار بمعنى هائر وقوله تعالى فانهار به في نار جهنم • قال بعضهم خسف الله بهم بنيانهم حتى اتى نار جهنم وفي
خبر ابن مسعود رضي الله عنه خر من قواعده في نار جهنم ويقال لحفر فيه نفقة فرؤي منها دخان ساطع
وقال بعضهم اي يهوي بنيانهم الذي بنوه في نار جهنم ولا ندري كيف هو ومعناه وقوله تعالى لا يزال [illegible]

بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم • قال بعضهم ريبة اي حسرة وندامة وقال بعضهم ريبة اي شكا وريبا
واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب اذا كان فيه تهمة فمن قال حسرة وندامة فهو على وجهين يحتمل انهم تابوا وندموا
على صنيعهم ويحتمل حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما ارادوا بقوله والله يشهد انهم لكاذبون ومن قال
شكا ونفاقا اقاموا على ذلك الشك والنفاق الى الموت وهو كقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه
وقوله تعالى الا ان تقطع قلوبهم • هذا يحتمل وجهين احدهما على التمثيل يقال فلان منقطع القلب اذا بلغ خوفه
وحزنه غايته فمعناه والله اعلم انهم على الشك والنفاق ابدا الا ان تقطع قلوبهم اي حزنا تخلو بهم منقطعة اي
خائفة حزنة في غاية الخوف والحزن والثاني على الاستعارة عن حقيقة القطع اي هم على النفاق الا ان تقطع قلوبهم
اي الى ان يموتوا فيكون تقطع كناية عن الموت والله اعلم وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة يحتمل قوله اشترى واستام لان قوله اشترى خبر عن الماضي والمراد بهذا الى يوم القيمة دل ان المراد منه
في المستانف فذلك هو الاستيام اي استام وطلب منهم ان يبذلوا انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين بذل الانفس
والاموال بان لهم الجنة ثم بين بذل الانفس والاموال فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ويحتمل ان
يكون على الماضي من المؤمنين انفسهم واموالهم خبرا عن قوم باعوا انفسهم واموالهم كقوله ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل
فيقتل او يغلب فاذا اصابوا بانفسهم انفسهم من الله تعالى صار الله مشتريا منهم ثم بين انه كيف باع وكيف اشترى فقال
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون او يقتلون العدو ويقتلون بقتل العدو وقرئ الاول ايضا بالنصب
فيقتلون ويقتلون والثاني بنصب الياء وهما في المعنى واحد ثم ليس المراد منه هو الجمع ان يقتلوا ويقتلوا لا محالة هذا الوعد وهو
الجنة ولكن الشرط احدهما وهو ان يقتلوا العدو او يقتلهم العدو وانهما كانوا ان يقاتلوا العدو وان لم يقتلوا فرضناه
بنص آخر وهو قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم جعل الايمان بالله تعالى
والمجاهدة في سبيله تجارة منجية عن عذاب ولم يشترط قتل العدو لا محالة دل ان المراد بما ذكر هو نفس الجهاد والقتال
مع العدو والله اعلم ثم في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة جعل الجنة بدلا وعوضا عما بذلوا
من الاموال والانفس من حيث الظاهر وان كانت الجنة لهم عن الوعد محض فضل منه ورحمة لا بحق البدل لان انفسهم
واموالهم في الحقيقة لله تعالى ملك له وله ان ياخذ منهم انفسهم واموالهم وان يتلفهم على اي وجه شاء ولكن
الامر بالجهاد طلب بذل ما له عندهم من الاموال والانفس وشرى ما له في الحقيقة وذلك لا يوجب استحقاق البدل
ولكن بما ذكر شرى انفسهم واموالهم منهم واضافها اليهم وجعل الجنة كالبدل بما ادخل البدل فيه بقوله بان لهم
الجنة لوجهين احدهما اظهار كرمه وجوده وفضله بما عامل عباده معاملة من لا ملك له فيهم لا حوجه وعده لهم على ذلك
اجرا وبدلا كذلك ما ذكر من الاقتراض وقوله ووعدهم لهم على ذلك الاجر اضعافا بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا
فيضاعفه له الاية وعلى هذا ما وعد لهم من الثواب فيما تعملوه لانفسهم كالعاملين لاجل سؤال جزاء بما كانوا يعملون
وقال ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا وغير ذلك وان كانوا في ذلك غير مستحقين
عوضا لما عليهم الخدمة لمولاهم بحق عبوديتهم وامائه وعلى ذلك قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها
وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها جعلهم عاملين لانفسهم بما اكتسبوا بها العوض في الاخرة من الثواب
والعقاب والله اعلم والثاني ذكر شرى ما له في الحقيقة ليعلم الخلق انكيف يعامل بعضهم بعضا وكذلك قوله واقرضوا الله
قرضا حسنا عاملهم معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم ليعامل الناس بعضهم بعضا في اموالهم وانفسهم كمن لا حق
له في ذلك فيكون هذا تعليما للخلق حسن المعاملة فيما بينهم والله اعلم ويشبه ان يكون الشرى الذي ذكر وما وعد لهم
ببذل انفسهم واموالهم في الجهاد يكون ذلك ايضا في غيره من الطاعات والخيرات من بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة
له والجهد وما ذكر في الاية فهو بايع نفسه منه كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والعود الى الحكم والله اعلم
وقوله تعالى وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن • اي وعدا واجبا ثابتا حقيقة منه في التورية والانجيل
والقرآن وهو ما ذكرنا من نيل الجنة ببذل الانفس والاموال في سبيل الله وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه عليه حقا
في التورية والانجيل والفرقان ثم قال ومن اوفى بعهده من الله هذا يدل على ان قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة انما هو عهد عهد اليهم حيث قال ومن اوفى بعهده من الله معناه لا احد اوفى لعهده من الله
ان وفيتم انتم بعهده الذي عهد اليكم والله اعلم ثم قوله وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ينقض قول من يقول
بان الانجيل على الخفة واليسير ليس فيه شيء من الشدائد والتورية نزلت على التشديد فان فيه ان الجهاد
في الانجيل مكتوب [illegible] فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم وذلك مذكور

فى حكم الانجيل الا ان يقال ان قوله وعدا عليه فى التورية والانجيل اى كان هذا مذكورا لهذه الامة فى التورية والانجيل لا لهم والله اعلم وقوله تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ❊ يحتمل ان يكون المراد من الاستبشار فى جميع الاوقات ويشبه ان يكون الاستبشار الذى ذكر وقت الموت بان يقول لهم الملائكة فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فى حال الحيوة وهذه الاية تدل على ان البيع انما يكون بيعا ببدله وان لم يتلفظ بلفظة البيع وان لم يوجد لفظة البيع ههنا من الخلق وسماه بيعا لما كان منهم عطاء العوض لما تاملون من العوض وهو الجنة وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام لا تتعلق بالالفاظ والاسامى انما يتعلق بالمعانى وانما وجد معنى البيع كان بيعا وسمى به وقوله تعالى وذلك هو الفوز العظيم اى الذى ذكر وقوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون ❊ الى اخر الاية قال بعضهم هو على الصلة الاولى مما ذكر من الشراء والوعد لهم الجنة اذا كانوا على الوصف الذى ذكر على اثره وكذلك فى حرف ابن مسعود وابى رضى الله عنهما ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم التائبين العابدين الحامدين على الصلة بالكسر الى قوله والحافظين لحدود الله وقرأ اهل الكوفة على حدود ذا انما انفسهم وانما لهم الجزاء بان لهم الجنة ومنهم من قال هو على الابتداء بالرفع التائبون العابدون الى آخر الاية ثم قوله التائبون يحتمل التائبون من الشرك ويحتمل التائبون من جميع المعاصى وقوله العابدون يحتمل الموحدون ويحتمل العابدون بجميع انواع العبادة العبادة وقوله الحامدون قيل الشاكرون وقيل المثنون على الله تعالى فان كان قوله العابدون من العبادة فيكون قوله الحامدون المثنون على الله تعالى لان العبادة كلها شكر وان كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون الشاكرون فى النعم التى انعمها الله عليهم وقوله السائحون قيل الصائمون روى عن ذلك ذو عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن السائحين فقال هم الصائمون وقال صلى الله عليه وسلم سياحة امتى الصيام قال القتبى اصل السائح الذاهب فى الارض ومنه يقال الماء اذا جرى وذهب سائح فى الارض يمتنع عن الشهوات فشبه الصائم به لانه يمسك فى صومه عن المطعم والمشرب وجميع اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون على وجوههم فى الارض ليست لهم منازل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة وقوله تعالى الراكعون الساجدون قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون له وكذلك فى حرف حفصة رضى الله عنها وقوله تعالى الآمرون بالمعروف ❊ يحتمل التوحيد اى يأمرون الناس بتوحيد الله ويحتمل الامر بالخيرات كلها فى ذلك كله وقوله والناهون عن المنكر ❊ يحتمل الشرك ويحتمل كل معصية وقوله تعالى والحافظون لحدود الله قال بعضهم لفرائض الله وقال بعضهم لسنن الله وما اشبه والحافظون لجميع احكام الله لا يجاوزون ما حد لهم ولا يفرطون فيها وقوله وبشر المؤمنين ❊ يحتمل البشارة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ويحتمل على الابتداء اى بشر جميع المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا والله اعلم وقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ❊ دلت الاية بما نهانا ان نستغفر لمن علمنا انه من اهل النار ان الله تعالى لا يغفر لمن علم انه لا يؤمن فعلى ما علمنا انه لا يغفر له لا نستغفر له لم يحل لنا ان نعلم انه اراد الايمان لمن نعلم انه لا يؤمن ابدا كما لم يحل ان يغفر لمن علم انه من اهل النار وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى قد اراد لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم قوله ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم قال بعض اهل التأويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لاحد ابويه وذكر انه دخل على ابى طالب عمه ودعاه الى شهادة ان لا اله الا الله فابى ثم استغفر له وقال لاستغفرن لك ما لم انه عنه او كلام نحو هذا فنزل قوله ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى الاية وقال الحسن لا يحتمل ان يكون رسول الله من الرسل لا يعلم ان الله تعالى لا يغفر لكافر اذ فى العقل والحكمة ان الله لم يبل يعذبه ابدا وعند ان فى الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر لوجوه احدها ان فى ذلك تسوية بين العدو ووليه ومن سوى بين وليه وعدوه فهو ليس بحكيم اذ فى الحكمة التمييز بينهما والثانى ان اذا عبد غير الله مع انما تعبيد غير الله لجهله وتلك الجهالة لا ترتفع ابدا لانه اذا غفر له يقع عنده انه انما جوزى به وغفر بعبادة غيره والثالث انه لو غفر الكافر لذهبت حكمته الافعال لان الافعال انما توجب العواقب تمثل اما حمدا واما ذما فاذا غفر له حمد بلغها لكان الحولها النهم بها وفى ذلك الخروج عن الحكمة والله اعلم ويحتمل ان يكون رسول الله كان يستغفر للمؤمنين قبل ان يتبين له انهم منافقون فلما تبين له نفاقهم كف عن استغفارهم فاما ان يستغفر لكافر على علم منه انه كافر فلا يحتمل على ما توهمه بعض اهل التأويل انه استغفر لعمه ولاحد ابويه والله اعلم وقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ❊ قال بعضهم ان اباه وعد له ان يسلم فكان استغفاره لابيه على ظن انه يجيء فيكون استغفاره بعد الاسلام الا ترى انه قال ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فانما طلب له المغفرة فى ذلك اليوم لا فى الحال وعد له ان يسلم فيستغفر له فى ذلك اليوم لوجود الاسلام منه ظاهرا يدل عليه انه تبرأ منه اذ تبين له انه من اهل النار وانه لا يتحقق منه انجاز ما وعد له بقوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه والله اعلم ويحتمل ان يكون استغفار ابرهيم لابيه طلب السبب الذى يستوجب

بالمغفرة

بالمغفرة وهو التوحيد والاسلام وهو كقول هود لقومه يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكذلك قوله خبرا عن ابرهيم واغفر لابى انه كان من الضالين فاعطه السبب الذى به المغفرة وهو التوحيد على هذا يحمل استغفار رسولنا لعمه لو ثبت انه سأله سؤال التوحيد الاسلام الذى هو سبب للمغفرة لم والله اعلم فان قيل انكار قوله ما ذكرتم كيف استثنى الاقوال ابرهيم لابيه لاستغفرن لك بعدما اخبر ولنا فى ابرهيم قدوة بقوله قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابرهيم قيل يحتمل الاستثناء فى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك اى حتى تعلم المعنى من استغفاره لابيه لانا لا نعلم مراد ابرهيم من استغفاره لابيه كذلك استغفار الابناء لقومهم والمتصلين بهم فاستثنى ذلك الى ان نعلم مرادهم من استغفارهم وقوله تعالى ان ابرهيم لاواه حليم ❊ قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاواه فقال الدعاء الخاشع المتضرع وعن ابن عباس رض قال الاواه المؤمن وقيل الاواه الفقيه الموقن وقيل المسبح وقيل الاواه المتأوه خوفا وحزنا وقوله حليم قيل الحليم خلاف السفيه وقيل العليم وقيل الحليم هو الذى لا يغضب ولا يسفه عند سفه السفيه وقوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اختلف اهل التأويل فيه قال بعضهم الاية فى استغفار المؤمنين المشركين وقال بعضهم الاية فى نسخ الاحكام والشرائع التى يحتمل النسخ فان كان فى استغفار المشركين فليس هناك نسخ لانه لم يسبق الامر بالاستغفار ولا الاباحة لهم فى ذلك فكانه قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا بالاستغفار للمشركين بعد اذ جعلهم مهتدين حتى تعلموا النهى عن ذلك والله اعلم وهو يحتمل ايضا ما ذكر نهى عن استغفارهم للمنافقين قبل ان يبين لهم بقول لا يجعلهم ضلالا حتى يبين لهم ذلك وان كان فى نسخ الاحكام فكانه قال والله اعلم ما كان الله ليجعل قوما ضلالا لاجل الا بفعلهم الذى فعلوا بالامر حتى يبين لهم ما يتقون وحتى يعلموا بالدليل بانه الانتهاء عنه وهو النسخ فاما الاحكام التى لا تحتمل النسخ فلا والاصل ان كل ما كان فى العقل امتناع نسخه فانه لا يرد فيه النسخ وكل ما كان فى العقل امتناع نسخه فانه لا يرد فيه النسخ وكل ما كان فى العقل جواز نسخه فانه يجوز نسخه وانه يجوز ان يرد فيه النسخ ثم المسئلة فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم بالنسخ مثل العمل الذى عملوا به يحرجون او يأثمون فى عملهم بذلك او يثابون ويؤجرون عليه فان كان الفعل فعل طاعة وقربة فانه يثاب فى قصده وفعله ويكون له القربة فى فعله كما روى انهم كانوا يصلون الى بيت المقدس فجاء عليهم من يقال الا ان القبلة قد حولت الى الكعبة وهم فى الركوع فتحولوا نحوها فاخبروا بذلك رسول الله فلم يأمرهم بالاعادة وهذا لان الافعال التى فرضت لم تفرض لنفس الافعال انما فرضت لطاعة الله فيها والتقرب وقد وجد الفعل على قصد التقرب فيؤجرون على ذلك وان كان الفعل فعل حل وحرمة فانه لا يحرج فى فعله قبل بلوغ النسخ نحو ما روى انهم كانوا يشربون الخمر فاتاهم آت فقال الا ان الخمر قد حرمت فصبوها وكفوا عنها فهم فى شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر بالتحريم لا يحرجون والله اعلم وقوله تعالى ان الله بكل شئ عليم ❊ اى عليم بما فيه بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه مصالحهم كان هذا والله اعلم خرج لرد قول من انكر النسخ فى الشرائع يقول ان الله تعالى يعلم ما فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون فى نسخ كان ذلك بيانا منه ان المصلحة فى الناسخ فعند ذلك يجب الانقياد لذلك وقوله ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت فانتم عبيده وليس لعبيد ان يكون شئ على سيد انما عليه الطاعة والانقياد لسيده فى اوامره ونواهيه وقوله يحيى ويميت دليل على هذا اى كما له ان يميت بعد الحيوة ويحيى بعد الموت فكذلك له ان يتعبدهم وفى حال العبادة اخرى والله اعلم وقوله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الاية ❊ قال بعض اهل التأويل تاب الله عليهم اذ لا تسبقت منهم ولعلها تقدمت لان تكون منهم زلات فى غزوة تبوك اما التوبة على النبى فقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم الاية واما على المهاجرين والانصار ما كان منهم يوم احد ويوم حنين وهو قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم وقال بعضهم عفى الله عنهم لهفوات كانت منهم فى غزوة تبوك فانهم هموا ان ينصرفوا فى غزوة الانصراف على غير اذن تشديد اصابتهم تاب الله عليهم كما هموا بالانصراف فى غزوة الانصراف لانه ذكر التوبة على النبى على الاشتراك لم مع المؤمنين من غير ان كان منه ذنب او زلة لانه اخبر ان ذنبه مغفور بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر هو كما اشركه فى الاستغفار كقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات على ذلك الاول ويشبه ان يكون التوبة التى ذكر على وجهين سوى ما ذكر احدهما وهو انه تاب عليهم على معنى انه وفقهم التجديد للتوبة للهفوات التى تقدمت والثانى تاب عليهم من غير ان كان منهم فى الحادث شئ يجب التوبة عنه اذ التوبة من الله تعالى على العبد يراد بها توفيقه اياهم على التوبة فكان التوفيق يحتمل ان يكون لهم توبة منه عليهم وهذا كسؤال الهدى كقوله اهدنا الصراط المستقيم وقوله يا ايها الذين آمنوا امنوا بالله اى يا ايها الذين آمنوا فيما مضى من الوقت آمنوا فى حادث الوقت واثبتوا على ذلك ان لم يحل بينه وبين ذلك ما هو ضد الايمان الا

فعل يتجدد فكذلك التوبة من العبد اذ هي عبارة عن الندم على الفعل والعزم على ترك مثله في المستقبل فانه
يتجدد في كل ساعة والثاني انما ذكر انه تاب عليهم وذلك لانهم حيث صبروا على ما اصابهم من الشدائد والجهد
كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عندهم وجلى لهم امورا عظيمة كانت لا تتجلى لهم من قبل ثم انكشفت وتجلت
لهم بصبرهم على الشدائد التي اصابتهم وهو كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
لما صبروا على ما اصابهم من المصائب ازداد تفويض وتسليم الامر والرجوع اليه وكقوله ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ازداد لهم بما صبروا هدى ويتجلى لهم اشياء لم تكن من قبل فعلى ذلك
لما تحملوا الشدائد وصبروا عليها ازدادهم الله تعالى بسبب ذلك ندما ورجوعا اليه وعزما على الامتناع وتقدم
على ذلك فهو كتوبة من الله على العبد فلذلك قال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الى آخره وما قلنا من
الوجهين انما يتحقق قال من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم اخبر ان الله تاب عليهم من بعد ما كاد يزيغ قلوب
فريق منهم ولم يقل انها زاغت وذكر قلوب فريق منهم ولم يذكر قلوب الكل فدل ان ذلك من غير وجود الذنب
منهم فيكون المراد ما قلنا من الوجهين ثم التوبة من الله تعالى تخرج على وجوه احدها التوفيق وهو ان يوفقهم للتوبة
ويكرمهم بها كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا والثاني التوبة منه قبولها منهم اي يقبل
التوبة منهم كقوله انه هو التواب الرحيم والثالث التوبة منه العفو والصفح والتجاوز يقال تاب الله عليهم اي
عفا وتجاوز عنهم الى هذه الوجوه يخرج اضافة التوبة الى الله وقوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة قيل عسرة
النفقة فان في تلك الغزوة الامر ضيق ولذلك سموا جيش العسرة وقيل عسرة الظفر فانه اشتد عليهم امر الحرب
وعسر عليهم الظفر البعيد وقوله تعالى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصة انه اصابهم
من الجهد والشدة حتى ان الرجلين ليقتسمان التمرة بينهما وقد [illegible] جماعة يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء
ثم يمصها هذا ونحو ذلك ولكن لا ندري كيف كان الامر سوى ان اخبر ان قلوبهم كادت تزيغ من الجهد بهم
وقوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال بعضهم خلفوا عن التوبة ثبت في حق المهاجرين والانصار بقوله
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار ثم اخبر في الثلاثة انه تاب عليهم سوى هؤلاء الثلاثة كانوا
يتبهلون ويدعون الله حتى تاب عليهم وقال قائلون اي خلفوا عن رسول الله لما تقدم بهم القوم وخلفوهم
فهم مخلفون بتقدم القوم عليهم وقال قائلون خلفوا اي خلفهم الله تعالى على معنى انه خلق منهم التخلف
عن الغزو مع رسول الله ثم ندموا على تخلفهم فلحقوا رسول الله والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم يحتمل هذا على التحقيق ويحتمل على التمثيل ثم التحقيق يحتمل
احدهما ما ذكر في القصة انهم شدوا انفسهم على السواري والاسطوانات وقالوا باموالهم التي منعتهم عن الخروج
وتصدقوا بالارضين التي منعتهم عن الخروج فضاقت عليهم الارض بعد ما كانت متسعة يتسعون فيها وكذلك
ضاقت عليهم انفسهم بما شدوا انفسهم على الاسطوانات ذكر في القصة ان واحدا من هؤلاء ما حبسته
ارضه عن الخروج فتصدق بها على الفقراء وكان له التوسيع بتلك الارض ثم ضاقت عليه وكذلك ضاقت عليهم
الارض بما حبسوا انفسهم على ما اصابهم وتركوا شهواتهم وما يليهم وما يتلذذون به فذلك ضيق الارض عليهم
وضيق النفس واما الوجه الثاني بطريق التمثيل وهو ان الخوف اذا اشتد بالانسان وبلغ غايته حتى يمنعه من
القرار في الارض والتلذذ فيها انها ضاقت عليه الارض بسعتها وقوله وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر ان
الناس كانوا لا يكلمونهم ولا يخالطونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهاليهم والله اعلم وقوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه قال بعضهم ظنوا ان لا نجاة من عقوبته الا بالعفو فايقنوا ان لا مخلص لهم ولا احتراز
من عقابه وقيل وظنوا ان لا ملجأ من عذاب الله الا الى رحمته وقيل وظنوا ان لا ملجأ من رسول الله الا الى الله
لانه ذكر انهم سألوا رسول الله التجاوز عن ذلك فلم يجبهم فايقنوا عند ذلك ان المفزع والملجأ الى الله لا الى احد
دونه وقوله تعالى ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة فتابوا وقوله تعالى ان الله هو التواب الرحيم اي الموفق للتوبة
او القابل لها والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ظاهر الآية انه امر قوما
بالصدق فامروا بالكون معهم في دين الله ويشبه ان يكون امر هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله بالكون
مع المهاجرين والانصار الذين كانوا مع رسول الله [illegible] دلالة ان الاجماع حجة فانه امرهم بالكون مع الصادقين
في دين الله فلو لم يلزمهم قبول قولهم لم يكن للامر بالكون معهم وجه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
وكونوا من الصادقين وهو ظاهر وقوله اتقوا الله يحتمل وجوها احدها اتقوا الله في حقه ولا تضيعوه وكونوا
مع الصادقين في وفاء ذلك الحق وحفظه ويحتمل اتقوا الله في ترك ما امتحنكم به من الخروج الى الجهاد مع رسول الله
وغير ذلك من الجهاد ويقول اتقوا مخالفة الله ورسوله فيما امركم به وكونوا مع الموافقين لامرهما والله اعلم

وقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يشبه ان يكون هذا صلة
ما سبق منهم من المتابعة والعهود التي جرت بينهم وبين رسول الله يقول تعالى والله اعلم ما كان اي لم يكن لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما قبلوا النصرة له والمعونة وبايعوه على ذلك
هذا يحتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا لما ذكر على اثره وهو قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة
في سبيل الله يقول والله اعلم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعل
لكل ما يصيبهم في القسم من العناء والشدة وفي اموالهم من النقصان وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة
او يصيبون من العدو من القتل والغنيمة عوضا واجرا وكتب لهم بذلك عملا صالحا او ما كان ينبغي لهم ان يتخلفوا
عنه وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم من الشدة والعناء وما يصيبون من الخير العمل الصالح والاجر العظيم والله اعلم ويحتمل
ما كان لاهل المدينة ان يتخلفوا عن رسول الله بعد ما تخلفوا مرة وقوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
اي ما كان ينبغي لهم ان يرضوا عن رسول الله لكن ذكر بانفسهم عن نفسه على طريق التأكيد قطعا للاحتمال كما يقال
جاءني زيد نفسه لاحتمال ان يجيء رسوله فيقال جاء زيد مجازا وتقول رأيت انا بعيني لاحتمال ان يقال رأيت
كذا اي علمت بالخبر مجازا وكذا هنا لا يرغبوا بانفسهم تأكيدا والله اعلم ويحتمل ولا يرغبوا بانفسهم اي ولا يرغبوا
لانفسهم اي لاجل انفسهم عن نفس رسول الله وذلك جائز في اللغة وقوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ
ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله قوله ظمأ قيل عطش ولا نصب قيل العناء والمشقة ولا مخمصة في سبيل الله
اي مجاعة وقوله تعالى ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار قال بعضهم ولا يقفون موقفا وقال بعضهم من الوطء
والموطئ هو الشيء الذي يوطأ وقوله تعالى ولا ينالون من عدو نيلا قيل من قتل فيهم او اغارة عليهم الا
كتب لهم به عمل صالح اي يكتب بما لهم وما عليهم العمل الصالح ذكر هذا والله اعلم لمكان من تخلف منهم مخافة ان
يصيبه من العناء والشدة يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم هو ما ذكرنا انه ان يجزيهم بكل ما يصيبهم
من الشدة والعناء في انفسهم وفي اموالهم من النقصان وما ينفقون وقوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون
اي يجزيهم بصالح اعمالهم ولا يجزيهم بسيئاتهم وهو كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز
عن سيئاتهم احتج به الاول انه يجزيهم احسن ما عملوا في الغزو ولا يجزيهم سيئاتهم والله اعلم وقوله تعالى
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون اختلف اهل التأويل قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج للغزو خرج
جميعا معه فتبقى المدينة خالية من الرجال فنهوا عن ذلك وقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما كان
ينبغي للمؤمنين ان ينفروا كافة مع رسول الله ولولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وقال بعضهم كان رسول الله اذا
بعث سرية خرجوا جميعا فبقي وحده ولم يبق معه احد ممن يشهد التنزيل ليخبر اولئك الذين غابوا عنه وقال
بعضهم الآية في الوفود وذلك ان الوفود اذا قدموا من الآفاق المدينة النساء والذراري فامر ان ينفر من كل قوم
طائفة منهم لا الكل فمن يقول ان الآية في الذين كانوا يخرجون مع رسول الله اذا خرج كان نهى عن الخروج جملة
مع النبي خوفا على اهاليهم وذراريهم لعل العدو يسباهم واخذ اموالهم يقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين اي هلا نفر طائفة من كل فرقة منهم ويبقى طائفة لحفظ النساء والذراري ثم الذين نفروا
معه يخبرون الكفار والمنافقين اذا حضروا بما انزل الله تعالى على رسوله من النصر والمعونة للمسلمين والهزيمة على الكفرة
الذين قاتلوا رسول الله وكان ذلك سبب دعائهم الى الاسلام والى هذا يذهب الحسن والاصم ومن يقول
الآية في الذين خرجوا ونفروا مع السرايا نهاهم عن خروج الكل لما لعله انزل على رسول الله شيء فلم يكن معه احد
يبلغه اليهم ثم يبلغه الى من غاب وخرج الى الغزو فلم يكونوا على علم ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من الاحكام والشرائع
فامر ان ينفر طائفة ويبقى طائفة ليبلغ الشاهد الغائب ما نزل عليهم من القرآن والله اعلم ومن يقول الآية
في الوفود الذين كانوا يأتون رسول الله المدينة بالنساء والذراري كان انهم كانوا يضيقون على اهل
المدينة اوطانهم ويغلون اسعارهم يقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتعلموا الدين واحكامه ثم ليرجعوا الى قومهم فيعلموهم والله اعلم
فان قيل تضمن الآية نهي الكل ان ينفروا مع النبي الى الجهاد وامر في الآية الاخرى بنفر الكل بقوله انفروا خفافا
وثقالا وقال فانفروا ثبات وانفروا جميعا وقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن
رسول الله قيل قال بعض اهل التأويل بان هذه الآية نسخت الاولى التي توجب الخروج جملة وتمنع التخلف وقد
قال الحسن والاصم لكن يمكن تخريج الآيات على التوافق فكان القول به اقرب من النسخ وذلك من وجهين احدهما

يحتمل انه امر بنفر الجميع عند قلة المؤمنين ليكون لهم الكفاية مع العدو فاذا كثر المسلمون امر بنفر البعض دون البعض
لما قال في الثاني فيحتمل انه امر بنفر الكل عند النفير وامر بنفر البعض دون البعض في غير حال النفير فيحمل بعض الايات
على حال النفير والبعض على غير حال النفير جمعا بين الايات بقدر الممكن والله اعلم ثم قال من كل فرقة منهم طائفة قيل
من كل عصبة او من كل قبيلة وعن كل حي وفي الاية دلالة سقوط فرض النفر لتعلم العلم والتفقه في الدين عن الكل ولزوم
تقضي ذلك فيخرجون ويتعلمون ثم يعلمون قومهم لانه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الاية وفيها ايضا دلالة
سقوط فرض الجهاد اذا قام بعض عنهم ثم الاية تحتمل وجهين احدهما ان اهل بلدة او اهل قبيلة يختارون من يصلح
للتفقه في الدين والتعلم فيخرج حتى اذا تفقه وتعلم رجع الى قومه ليعلمهم والثاني يأمر من يصلح للتفقه بالتخلف
عن الجهاد اذا كان بهم غنية ليتفقهوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يعلموا قومهم اذا رجعوا اليهم من غزاتهم وفيه دلالة لزوم
العمل بخبر الواحد وان احتمل الغلط لان ما ذكر من الطائفة يحتمل ان يجتمعوا على ذلك كذبا او غلطا ثم الزمهم
قبول خبرهم بقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار اختلف فيه قال بعضهم ان هذه الاية نزلت قبل نزول قوله وقاتلوا المشركين كافة
وقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كان الامر في الابتداء بقتال الادنى فالادنى ثم جاء الامر
بقتال الكفار عاما وقال بعضهم ان النبي كان اذا اراد ما جاوز كفارا وتركهم ... يكون
ذلك اية لسنة ليعلم ان الابتداء بمن يقاتل ... ثم امر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب
فالاقرب والادنى فالادنى منهم وان لا يتركوا العدو ... قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يخرج على
وجهين احدهما انه يخرج على تعليم من القتال لهم للمؤمنين واسبابه كما علمهم جميع ما يقع لهم الحاجة اليه من اسباب
الحرب في غير اية من القرآن نحو قوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم وغير ذلك من الايات والثاني في اخبار بما ... دوام الجهاد والقتال مع الاعداء الى يوم القيامة
لانه امر بقتال من يلونهم من الكفار وكلما فتحوا ناحية وقوما صار القوم الذين يقعدون وراء هؤلاء الذين وقع
الذين وقع الفتح عليهم من الذين يلونهم والله اعلم ويحتمل انه امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم كيلا يرعبنا
والله اعلم وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم ... ابن مسعود وابي رضي الله عنهما وليجدوا فيكم
غلظة بضم الغين وكسرها وهما لغتان بمعنى واحد وقوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين يخرج على وجهين احدهما
ان اتقوا الخلاف له فيما عليهم من امر الحرب يكون معهم بالنصر والمعونة على عدوهم والثاني معهم في الحفظ
والهداية والثبات عند اخطار الحرب وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل
التاويل يعني يقول المنافقون بعضهم لبعض او لضعفة من المؤمنين ايكم زادته هذه ايمانا استهزاء منهم بها وسخرية
فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اي السورة زادت اهل الايمان ايمانا وتصديقا على ما كان لهم وزادت
لاهل النفاق تكذيبا وكفرا الى تكذيبهم الذي كان منهم وهذا لان اهل النفاق ليسوا باهل انصاف يقبلون الحجة
والدلالة اذا قامت عليهم انما همتهم العناد والتكذيب ورد الحجج والدلائل فكلما ازدادت لهم الحجج والبراهين
ازداد لهم العناد في التكذيب والرد واما اهل الايمان فان همتهم قبول الحجج والانصاف فكلما ازدادت لهم الحجج
ازداد لهم الايمان والتصديق على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايمانا وقوله فزادتهم رجسا يحتمل وجوها
احدها اي زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قامت لهم من الحجج والبراهين وكذا ازداد لاهل النفاق
الثبات والدوام على العناد في تكذيب الحجج والايات كما ذكرنا ان السورة حجة ودلالة وبالحجة يزداد الثبات لاهل
الايمان بها اذ هم يتلقونها بقبول الحجج والدلائل واما اهل النفاق والكفر فهم اهل عناد ومكابرة يزدادون
رد الحجج وزاد لهم العناد والكفر ويحتمل فزادتهم ايمانا اي ازداد لهم الايمان بالتفسير على ما امنوا بالجملة وان
كانوا مصدقين لذلك كله جملة فاذا انزل بهم نوازل وفي تفصيل يزداد لهم بذلك تصديقا وايمانا وكذلك اهل
النفاق اعتقدوا الكفر والنفاق ورد الحجج جملة ثم يزداد لهم التكذيب برد الحجج على التفصيل والتكذيب لها
ويحتمل فزادتهم ايمانا اي ازدادت لهم الحجج والبراهين على الايمان والتصديق على ما كان من قبل وكذلك يزداد
لاهل النفاق ضد ذلك على التفاصيل ذلك انه لو لم كان منهم من الايمان والتصديق لكان يحدث منهم ابتداء ايمان
واحداث تصديق وكذا لو لم يكن من اهل النفاق ما سبق من العناد والمكابرة لكان ذلك منهم احداث تكذيب
وعناد فسمي زيادة على هذا الاعتبار والله اعلم وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان بها خيرات ولاهل النفاق شرا
ثم اضافة الزيادة الى السورة بقوله فزادتهم ايمانا وقوله فزادتهم رجسا يحتمل وجهين احدهما اضيف اليها الزيادة

على ما اضيف الغرور الى الدنيا وهو ما ذكرنا انه يبدو منها الغرور لتزيين ما لو كان ذلك من ذوي الافعال
والتمييز لكان ذلك منه غرورا فكذلك ههنا يظهر لهم بنزول السورة من الثبات والدوام وانشراح الصدور ما لو كان
ذلك ممن يتصور منه البيان لكان ذلك منه زيادة الحجة والبيان والثاني اضاف الغرور الى الدنيا لانها اغترت
اهلها وانه كان لا يصنع من جهتها في الدعوة لما فيها من الحسن الظاهر وانواع اللذات التي تعتري النفوس وتميل
طبعه اليها فكذلك اضافة الزيادة الى السورة لما انه ازداد لاهل الايمان بها التصديق ولما ان فيها تميل
العقل الى العمل بها والتصديق لها وازداد لاهل النفاق التكذيب والكفر بما اعتقدوا بالخبث اعتقادهم
رد الحجج والتكذيب لها فيزداد الرد والتكذيب عند زيادة الحجج وقال ابو بكر الاصم انما اضيفت الزيادة
اليها لانها كانت سببا لزيادة وقد تضاف الاشياء الى اسبابها كما تضاف في الحقيقة الى الافعال ولكن
لا يحتمل ان تكون السورة التي نزلت سببا لزيادة الكفر لكن الوجه ما ذكرنا وعلى ذلك الوجه يكون السورة
شرطا لا سببا والله اعلم ثم قوله وهم يستبشرون قيل يفرحون بنزولها وقوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين قيل يفتنون بالجهاد والغزو فيتخلفون عنه فيظهر بذلك كفرهم ونفاقهم وقيل يفتنون
بالشدة والجوع فيظهر ايضا بذلك نفاقهم وكفرهم وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
وكقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وقيل
يفتنون باطلاع الله تعالى رسوله على ما اسروا في انفسهم والافتضاح بذلك فانهم كانوا اذا خلوا يتكلمون بالكفر فيما بينهم
واذا اتوا النبي يخبرهم بما تكلموا به في السر فيفتضحون بذلك فذلك افتتانهم ولا يقال انهم لا يفتنون في كل عام مرة
او مرتين وانكم تاولتم النفاق واسرار الخلاف لا يحتمل ان يكون في العام مرة او مرتين لانا نقول ان ذلك يكون منهم
لكن الافتضاح بذلك وظهور اسرارهم للنبي وللمؤمنين مرة او مرتين ويحتمل ان يفتنوا بهذه الوجوه الثلاثة
في كل عام مرة او مرتين وقوله تعالى ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي لا يتوبون وقوله تعالى ولا هم يذكرون
بما ابتلوا من هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم
من احد ثم انصرفوا قال بعضهم هذه الاية صلة قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه
ايمانا كانوا ينظر بعضهم الى بعض ثم يقولون ما ذكر وقال بعضهم اذا كانت السورة التي نزلت حجة في اظهار
الدين والايمان يسمعون منه ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا واذا نزلت في اظهار نفاقهم وافتضاحهم نظر
بعضهم الى بعض ثم انصرفوا ولا يسمعون منها السورة اشفاقا وخوفا من ظهور نفاقهم وقوله تعالى صرف الله
قلوبهم يحتمل خلق الله منهم الانصراف ثم اضيف اليه الصرف فيحتمل ان يكون قوله صرف الله قلوبهم بقوة
او فاجاهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وردهم الحجج وتركهم التفهم والنظر والتامل فيها
والله اعلم وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اي من البشر وهو منا
من الله تعالى عليهم حيث بعث الرسول من البشر ولم يبعث من غير البشر لكنه بعث من البشر ليعرفوا الايات التي يأتي بها
من النبوة لانهم يعرفون طبائع ووسع البشر في الاشياء وقدر تمكنهم بتعلم الاشياء فاذا جاء بالاشياء الخارجة
عن الطباع ووسع البشر في التعلم عرفوا انها ايات لا تمويهات فيما انه يالف كل ذي جنس بجنسه وينفر من غير جنسه
هذا ظاهر في الخلق ان كل ذي جنس يالف بجنسه ولا يالف بغير جنسه فبعث الرسول من البشر ومن جنسهم ليألفوا
به ويقبلوا منه ما ياتيهم من الله ويجيبوه الى ما يدعوهم اليه والله اعلم وقال بعضهم من انفسكم اي من انسابكم
وهو ايضا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من انسابهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه بين اظهرهم سليما
عن جميع الافات بريئا عن جميع المطاعن والعيوب لانه لو اذا كان مولده ومنشاه في قبيلة او مكان لا يعرف
لزال النسبة بما يتمكن فيه الطعن والعيب ويقع التناكر في نسبه لجهلهم بنسبه واذا كان لا يعرف مولده
ومنشاه لا يعرف نشوه على السلامة والصحة والبراءة من العيوب فبعث الله تعالى رسوله من مولدهم ومنشاهم
ومن نسبهم لئلا يتمكن فيه ما ذكروا من المطاعن ولا يعرف بشيء من العيوب والافات التي ذكروها فيه من نحو
السحر والكهانة والجنون والافتراء على الله تعالى ويكون ذلك اقرب الى المعرفة بانه رسول الله لانه لما اتى بهم
من الايات والحجج يعرفون انها سماوية لما عرفوا انه لم يتعلم السحر ولا اختلف اليه بكتبه قط ولا خط لما كان نشوه
فيما بين اظهرهم والله اعلم وقال بعضهم من انفسكم اي من العرب اميا كما هم لا يكتب ولا يقرأ ولا يخطه بيمينه
على ما وصفه الله تعالى في كتابه بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
وقال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان العرب كانت تتمنى ان يبعث
رسول منهم لقوله تعالى خبرا عنهم لئن جاءهم رسول نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الاية وقوله تعالى عزيز عليه
ما عنتم قيل شديد عليه ما اعنتكم وما ضيق عليكم وضركم وقال القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم

وقال ابو عمرو سحقة هوا الى الاثم اقرب وهو يحتمل كل الاثم الكفر وغيره وقوله تعالى حريص عليكم • قال البعض حريص
على من لم يسلم ان يسلم وقيل حريص عليكم بالرشد والهدى وقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم • اى رحمة الدين
والاسلام لا رحمة الطبع وقوله تعالى فان تولوا • اى اعرضوا عن اجابتك عند دعائك اياهم الى الايمان والتوحيد فقل
حسبى الله اى يكفينى الله لا اله الا هو ويحتمل فان تولوا عن نصرك ومعونتك على الاعداء فقل حسبى الله فى النصر
والمعونة على الاعداء وكفاية عليهم هذا فى هذا الموضع اقرب لانه ذكر على اثر ذكر المنافقين ويحتمل ما ذكرنا من الاعراض
عن التوحيد والاجابة له ويحتمل فان تولوا عنك وردوا اجابتك الى الطاعة والانقياد وهموا ان يكيدوا بك فقل
حسبى الله اى كفانا الله لا اله الا هو عليه توكلت اى اتكلت على ما وعدنى من النصر والظفر وعليه وكلت امرى اليه وقوله
وهو رب العرش العظيم • قيل هو رب الملك العظيم اى كل ملك عنده لكنه صغير يسير وان كان المراد من العرش هو السرير
على ما قاله البعض اهل التاويل فهو والله اعلم السرير الذى يكرم به الاعيان من الخلائق والاملاك منهم وقد ذكرنا ما قيل فى العرش فيما تقدم والله اعلم

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب الحكيم • وقد ذكرنا الكلام
فى الحروف المقطعة وقوله تلك آيات الكتاب الحكيم قال البعض الحكيم هو الله كانه قال تلك آيات الكتاب الله تعالى
قال بعضهم الحكيم صفة القرآن والكتاب ثم يحتمل هذا وجهين يحتمل انه سماه حكيما فعيل بمعنى مفعول اى انه محكم
تسمية المفعول باسم الفعيل بمعنى مفعول كما يقال جريح بمعنى مجروح ونحو ذلك معناه انه كتاب محكم فيه الحلال والحرام
والامر والنهى او محكم متقن مبرء من الباطل والكذب والاختلاف وهو ما وصفه الله تعالى لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والثانى سماه حكيما لما ان من تامل فيه ونظر فيه فهم ما اودع فيه وادرج
صار حكيما وهو ما وصفه وسماه مجيدا اى من تامله ونظر فيه صار مجيدا شريفا والحكيم هو المصيب فى الحقيقة
ان كان صفة للقرآن فهو ايضا كذلك ثم قوله آيات الكتاب يحتمل آيات الكتاب المعروفة ويحتمل الحجج والبراهين او حجج الكتاب
ويحتمل اعلامه على ما تقدم ذكرها وقوله تعالى اكان للناس عجبا • حرف الاستفهام متى كان من الله يحتمل وجهين
احدهما حقيقة الاخبار انه قد عجبوا ان اوحينا الى رجل منهم والثانى يحتمل على الاستنكار اى عجبوا ان اوحينا
الى رجل منهم اى لا يعجبوا ان اوحينا الى رجل من البشر فان الايحاء الى من هو من البشر ابلغ فى الحجاج واقطع للعذر واقرب
الى الرافة والرحمة لان البشر يعرفون خروج ما هو خارج عن طوق البشر وحد وسعهم ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم
وكذا يالف كل جوهر بجوهره وكل جنس بجنسه ولا يالف بغير جوهره وجنسه فاذا كان الامر ما وصفنا كان بعث
الرسل من جنس المبعوث اليهم ومن جوهرهم ابلغ فى الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرافة والرحمة فاين موضع التعجب
وكان الكفار يعجبون من ثلاثة من انزال القرآن على رجل منهم بحيث لا يقدرون على ان ياتوا بمثله ويعجبون من الوحى الى رجل
منهم والرسالة رسولا من بين كل امتى البشر كما قال تعالى خبرا عنهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم اانزل عليه الذكر
من بيننا وكانوا يعجبون من البعث ايضا كقولهم اذا متنا وكنا ترابا وغيره من الآيات فى ذلك ثم قال تعالى لهم بهذه
الآية بان ارسال الرسول من البشر يحتمل قوله ان اوحينا افا رسلنا الى رجل منهم معناه ذلك ابلغ فى التعريف
الحجاج لانه نبت امينا لم يعرفوه يدرس الكتب المتقدمة ولا تلا شيئا منها ولا اختلف الى احد منهم يتعلم
كتبهم ولا خط بيده ولم يكتب شيئا ولا خط خطا فقد تم اخبرهم عما فى كتبهم على موافقة ما فيها وكانت كتبهم بغير لسانه
دل انه انما عرف ذلك بالله فذلك ابلغ فى اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم وقوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين
آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم • قال البعض الانذار يكون فى كل مكروه ومرهوب والبشارة فى كل محبوب
ومرغوب وقال البعض انه انذر الناس يعنى الكفار بالنار وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم
اختلف فى قوله قدم صدق عند ربهم قال البعض اى لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة يقدمون
عليها وقيل قدم صدق اى محمد عليه السلام يشفع لهم عند ربهم وقيل ان لهم ثواب اعمالهم الصالحة التى قدموها
بين ايديهم وقيل القدم صدقا اى سلف خير او سلف وعد وعده لهم بالخير وكان اصله من القبر وقال ابو عوسجة
يقال لفلان فى هذا الكلام ان لفلان نعمة قدم صدق ويد صدق اى نعمة وكلاهما الى واحد قال القتبى قدم صدق يعنى عملا صالحا
قدموه وعن ابن عباس رضى الله عنه قال سبق لهم السعادة فى الذكر الاول اى فى اللوح المحفوظ فيكون القدم صدق هو السعادة
والقدم كناية عن السعادة والصدق عبارة عن الثبات والبقاء اى لهم سعادة ثابتة لا محالة وفيه وعد وثواب
لا محالة اى يتقدم لهم وقد حق وصدق ويحتمل قدم صدقا اى يسبق عدوهم ولا تزل بهم قدم لا تزل الاقدام على ما وصف
من ثبوت قدم المؤمنين والكفار فيه وان تزل عدم الكافرين كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وقوله تعالى قال الكافرون

ان هذا لساحر مبين • ومن قرا لسحر على هذا القرآن ومن قرا لساحر عنى النبى ثم المراد من السحر فهمنا هو ما يرى
فى الحقيقة باطل لا شئ وهو نوعان ما ياخذ الابصار وما ياخذ العقول وليس له حقيقة فاما الذى ياخذ الابصار فهو
ما يرى الشئ على غير ما هو فى الحقيقة وذلك شعبذة وتخييل واما الذى ياخذ العقول فهو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا
ونحو ذلك وقول فرعون لموسى انى لاظنك يا موسى مسحورا اى مجنونا الكفرة لا اراد يريد ابقى الساحر يبنى السحر
الذى ياخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذى ياخذ الابصار فى الظاهر وهو لا شئ فى الحقيقة ثم فى قولهم ان هذا
لساحر مبين دليل على انهم عجزوا عن رده وعرفوا انه حق لكنهم ارادوا التمويه على الناس كقول فرعون للسحرة اذا
آمنوا برب موسى انه لكبيركم الذى علمكم السحر اراد ان يموه على الناس والله اعلم وقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام • ان القوم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله فيقول ان ربكم الذى يستحق العبادة والالوهية هو الذى خلقكم وخلق السموات والارض لا الذى
تعبدونه وقوله فى ستة ايام ثم استوى على العرش قد تقدم ذكره وقوله تعالى يدبر الامر • هو ايضا على المعنى الذى
ذكرنا اى الذى يستحق صرف العبادة اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذى يدبر الامور فى مصالح الخلق ومنافعهم فى جر
المنافع اليهم ودفع المضار عنهم لا الذين لا يملكون جر المنافع الى انفسهم ودفع المضار فضلا من ان يملكوا جرها
الى من يعبدهم او دفع المضار عنهم وقال البعض اهل التاويل يدبر الامر اى يقضيه والتدبير القضاء ولعد قال
بعضهم يقدر اى يقدر بما ذكرنا والتدبير والتقدير سواء وقوله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه الشفيع فى الملوك
والقدر عند الذى يشفع اليه لا احد فى الشاهد يشفع لاحد الى آخر الا بعد ان يكون الشفيع عند الذى يشفع اليه
ذا منزلة وقدر واذا كان كذلك فعند ذلك لا يشفع الا من بعد ما اذن له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد او لنقص
فى الاعمال التى امر بها او نهى عنها والله اعلم وقوله تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه • يقول ذلك الذى يستحق العبادة
هو الذى خلقكم وخلق السموات والارض ودبر اموركم فاعبدوه ولا تعبدوا الذى لا يملك شيئا من ذلك
وقوله تعالى افلا تذكرون • انه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب للشكر لا الذين تعبدون انتم وقوله تعالى
اليه مرجعكم جميعا • اليه رجوع الجميع فى جميع الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لما ان الخلائق كلهم يومئذ
يومئذ انهم راجعون اليه وسمى البعث رجوعا اليه لما ان المقصود من انشائهم البعث على ما خرج عن موضعه
كقوله وبرزوا لله جميعا وهم بارزون له فى الدنيا والآخرة لكنهم يومئذ يعرفون ويقرون بالبروز اليه وكذا
قوله الملك يومئذ لله وقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له فى الدنيا والآخرة وفى الاوقات كلها
على الحقيقة لكنه خص ذلك اليوم لما لا ينازع فى ذلك اليوم فى الملك ويعترفون بالملك له فى ذلك اليوم وفى الدنيا
من قد نازع فى ملكه ولا يقر به فعلى ذلك المرجع والله اعلم وقوله تعالى وعد الله حقا • يحتمل البعث الذى ذكر
على اثره بقوله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ويحتمل ما وعد من الثواب الحسن والعقاب المسئ حق وقوله تعالى انه
يبدؤ الخلق ثم يعيده • اى يعرفهم انه هو الذى بدا خلق الخلق جميعا فكذلك هو يعيدكم بعد ما افناكم اذ بدا الشئ
على غير مثال اشد عندكم من اعادته على مثال وهو كقوله وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اى اعادته فى الشاهد
اهون عندكم من بداه وقوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط • قيل بالعدل ولكن فى هذا التاويل
نظر لان جزاء العبادة يكون فضلا واحسانا لا استحقاقا واستيجابا وما كان بطريق العدل فهو مستحق لا محالة
وانما جزاء الكفر بطريق العدل لكن جزاء العصيان لكن جزاء المعصية يحتمل العفو والمغفرة بلا توبة بخلاف جزاء
الكفر على ما نعرف والله الموفق ثم هذه المعصية يحتمل العفو والمغفرة بلا توبة بخلاف جزاء الكفر على ما نعرف والله الموفق
ثم هذه الآية يحتمل وجوها يحتمل وجوها يحتمل بالقسط او يجزى الحسنى جزاء الاحسان والسيئ جزاء الاساءة
ويفصل بين الولى والعدو فى الآخرة فى الجزاء ويجعل للولى علامة واثرا يعرف بها من عدو اذ لم يفصل فى الدنيا
بين الاولياء والاعداء فى الرزق وما يناولهم من النعم ولا جعل علامة يعرف بها الولى من العدو وحمل فى الآخرة
ذلك حتى يعرف هذا من هذا فهذا العدل الذى ذكرنا يشبه ان يكون هو المراد والله اعلم ويحتمل القسط الذى
او يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع لا على العدد لانه يجزى بالحسنة قدرا لا يبلغ الحصر والحكمة الجزاء بمثل الحسنة
حسنة وللسيئة ويحتمل قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل اى يجزى الذين عملوا بالعدل الذى
فيه ولا يجاوزوا الحد الذى حد لهم اى يجزيهم فى الآخرة بما اقسطوا فى الدنيا وعدلوا وكنيته ان يكون على تقديم
العدل كانه قال يجزى الذين آمنوا بالعدل اى لا يعذبهم فى النار اذا آمنوا ثم للذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم
ويزيدهم من فضله والله اعلم ثم القسط على بعض ما ذكرنا من التاويل يكون نعتا للمؤمنين وعلى البعض راجع الى الله
ويكون وصفا له ثم يحتمل وجوها آخر يكون القسط فيه راجعا الى الله وصفا له احدها ان يجزيهم بعمل هو
بالعدل وهو جزاء المثل ويجزى بغير آخر الفضل والاحسان بحيث لا يجزى جزاء الحسنة ويكفر سيئاتهم

وهو كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وهو كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والله اعلم
والثاني يجزيهم بالعدل لان العدل هو وضع الشيء موضعه فيضع الفضل في اهله لا يضعه في غير اهله ويضع
الفضل في اهل الايمان بعدل لانهم اهل له وهو كقوله ويؤت كل ذي فضل فضله والثالث العدل الذي هو
مقابل الاحسان هو الفضل لا العدل الذي هو ضد الجور كقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية
لا يحتمل ان يقول لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في العدل الذي هو ضد الجور لانهم يستطيعون
ان يعدلوا بينهن الذي هو ضد الجور فلا يجوز ان يخلو ذلك القول ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالعدل
الذي هو مقابل الاحسان وهو الفضل اذ للفضل درجات واصلها ان جزاء الاخرة كله افضال على الاحسان وانما
استيجاب على استحقاق والله الموفق وقوله تعالى والذين كفروا لهم شراب من حميم قيل الحميم هو الشراب الذي
هو في غايته وقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر في الشمس الضياء وفي القمر النور فهو والله اعلم
لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويغلب على ظلمة الليل فيقهرها فاما النهار مبصر على ما ذكر الله تعالى والنهار مبصرا
جعل فيه الضياء فلو جعل في الشمس النور خاصة لكان لا يظهر نور الشمس ولا يغلب نورها على نور النهار
وكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق فجعل فيها ضياء ليظهر نورها على نور النهار ويغلبه ويقهره
ليظهر المنافع التي جعل فيها ولو كان نورا مثله لم يظهر هذا من هذا ولم يصل الخلق الى المنافع التي جعلت فيها للخلق
وهو ما ذكر انه مد الظل واخبر انه لو شاء جعله ساكنا ممدودا على ما جعله بقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا لكان لا يعرف الظل ثم اخبر انه جعل الشمس دليلا عليه ليعرف بها الظل بنسخ الشمس ذلك الظل الممدود
شيئا بعد شيء فصارت الشمس بها يعرف الظل فيما يظهر فجعل ذلك الضياء الذي في الشمس كانه يعرف نورها من غيره
من نور النهار ونفسه ويوصل الى منافع الشمس ولو كان نورا لكان لا يعرف ولا يظهر اذ لا يغلب ولم يصلح ولا يعرف
ايات الشمس من ايات النهار فجعل ايات الشمس في البر على جميع الايات حتى لا يبصر النجم بالنهار اصلا والقمر وان كان يرى
ويبصر بحال لكان نور الشمس يغلبه ويقهره حتى لا يظهر فما جعل الله تعالى في الشمس منفعتين معرفة الاوقات ومعرفة
الازمنة ومعرفة نضج الاشياء والانزال والله اعلم وقوله تعالى وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
ثبت ان يكون التقدير الذي ذكر يكون لهما جميعا ويعرف الحساب وعدد السنين بهما جميعا وكذلك ذكر في
حفصة رضي الله عنها وقدرهما منازل ويحتمل ان يكون جعل الشمس الذي تعرف بها اوقات الصلوة والازمنة
من الشتاء والصيف ولا يعرف ذلك بالقمر وجعل في القمر معرفة الشهور وعدد السنين وفي الشمس معرفة اوقات
الصلوة والازمنة لا يعرف بها الشهور والسنون الا بعد جهد وبالقمر لا يعرف اوقات الصلوة والازمنة
وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب ليس انه يعرف هذا بهما ولا يعرف بغيرهما بل يعرف بما ذكر واشياء اخر اذ التخصيص
على الشيء لا يدل على نفي ما عداه والله اعلم وقوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق قال ابو بكر الكيساني ما خلق
ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفته وبعضهم اي ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الدلالة على الالوهية و
على الوحدانية ويحتمل بالحق اي بالحكمة اي لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ولكن للحكمة وقال بعضهم اي ما خلق الله ذلك الا بالامر الكائن لا محالة وهو البعث والله اعلم
وقوله تعالى يفصل الايات لقوم يعلمون قيل يبين ويصرفها لقوم ينتفعون بعلمهم والله اعلم وقوله تعالى
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون انه في اختلاف
الليل والنهار اية البعث ودلالة تدبير صانعهما ودلالة الوحدانية اما دلالة البعث فلانه كل واحد منهما
اذا جاء ذهب الاخر حتى لا يبقى اثر ثم يجدد ويحدث فانه قادر على ذلك الامر فمن قدر على ذلك فهو قادر على بعث
الخلق وانشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا واما دلالة التدبير هو جريانهما وسيرهما على سنن واحد وتقدير
واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت او نقصان او زيادة فان كان احدهما يتخلف الاخر دليل على ان فيهما
تدبير عزيز ذي علم ازلي واما دلالة انه واحد انه ما ذكرنا من جريانهما على سنن واحد من غير تفاوت ولو كان التدبير
فيهما لعدد لكانا يختلفان ولا يجريان على تدبير واحد من غير تفاوت فيهما او زيادة او نقصان دل انه واحد
والله الموفق وقوله وما خلق الله في السموات والارض دلالة وحدانية منشئهما وخالقهما لانه انشأهما
وبينهما من البعد ما بينهما ثم جعل منافع احدهما متصلة بمنافع الاخر على بعد ما بينهما دل ان منشئهما واحد اذ لو كان
عددا لكان منع كل واحد منهما نفعه من الوصول الى الاخر على ما هو فعل ملوك الارض وقوله تعالى لقوم يتقون
اي يتقون مخالفة الله ويتقون الشرور والمعاصي وقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا قال قائلون لا يرجون
من الرجاء اي لا يرجون ما وعد الخلق من الثواب ولا يرجون فيما يرجى ويطمع من الرغائب فصيرهم كانه قال ان الذين لا يخافون

لان المؤمن يرجو ويخاف وقال بعضهم لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون لقاءنا ولا من خوف الا وفيه رجاء ولا من رجاء
الا وفيه خوف لان الخوف الذي لا رجاء فيه هو اياس والرجاء الذي لا خوف فيه امن لكن الغالب في الحسنات
والخيرات الرجاء وفيه خوف والغالب في السيئات والشرور الخوف وفيه ادنى الرجاء وهو كما ذكر ان الشكر
والصبر انهما واحد لان الصبر هو كف النفس عن الشهوات في اللذات والشكر هو استعمال النعم في الخيرات وكفها
عن الشهوات واستعمالها في الخيرات لذلك قلنا انهما في الحقيقة واحد الا ان الشكر هو القبول ولكن الصبر ايضا
فيرى ان الشكر في قبول النعم والصبر في قبول البلايا والمصائب والله اعلم وقوله تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا
واطمانوا بها اي اختاروها واطمانوا بها اي اختاروا المقام فيها وعملوا لها كانهم مقيمون فيها ابدا ثم قوله
ورضوا بالحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما اثروا بها وابتغوا بمحاسن الدنيا على ثواب الاخرة والثاني
رضاهم بالدنيا والطمانينة بها منعتهم عن التفكر والنظر في امر الاخرة وقوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون
اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون اي بما كانوا يكسبون من ردهم الايات وتكذيبهم بها وقوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ويحتمل وجهين احدهما اي يهديهم ربهم بايمانهم في
المناظر في الجنة في الاخرة وهو معنى ما ذكر في القصة ان المؤمن اذا خرج من القبر يصور له عمله بصورة
حسنة والله اعلم والثاني يهديهم ربهم بايمانهم اي يبصر فيهتدون بهدايته اياهم ويثبته يهديهم بايمانهم
او يوفقهم الى الخيرات في الدنيا بسبب ايمانهم وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم قول
اهل التاويل من تحت اهل الجنة وقد تقدم ذكره وقوله تعالى دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها
سلام قال بعضهم دعويهم ما يدعون اي يدعون بالاخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا
في الدنيا وحدانية الله تعالى ونزهوه وقوله سبحانك اللهم هو حرف التنزيه وتبرئة الرب عن الاشياء وجميع
الافات التي وصفه المشبهة والملحدة فهذا يدل ان ما خرج مخرج الدعوى فانه لا يختلف بين الدارين وقوله
سبحانك اللهم يخرج على وجوه احدها يجري ذلك على لسان اهل الجنة من العادات سوى التوحيد اذ هو كلمة التوحيد
والثاني يقولون ذلك للتعظيم لما رأوا من النعم العجيبة ما نالوا والثالث شكرا لما اعطاهم من الوان النعم والاكرمة
وقال عامة اهل التاويل هي من النداء فيقولون انهم اذا اشتهوا طعاما او شرابا او تمنوا شيئا فيحضر فيقولون
سبحانك اللهم فيؤتون ما تمنوا واشتهوا لكن الاشكال انه ذكر ان لا ينقطع لذات الجنة ولو كان الامر على
ما قاله اهل التاويل لكان ذلك فيه انقطاع اللذات والشهوات حتى يطلبوها بالدعاء الا ان يقال انهم يلهمون
الشهوات واللذات والاماني وكلما كانت فيشتهون فيسألون بها بذكر هذه الكلمة قال الله تعالى ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم وقال وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون الاية لكن لا نعلم مراد الله تعالى من الحقيقة فلا نقطع
القول بشيء من ذلك مع جواز ان يكون كل واحد مرادا والله اعلم وقوله وتحيتهم فيها سلام قال اهل التاويل
ان الملائكة ياتونهم بما اشتهوا او يسلمون عليهم فيردون السلام على الملائكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام
فاذا طعموا او فرغوا قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس يحتمل ان يكون قوله وتحيتهم فيها سلام
الكلام الذي لا عيب فيه ولا مطعن اي كلام بعضهم لبعض منزه عن جميع العيوب سالم عن المطاعن وهو كقوله
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ونحوه وقوله تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
قال اهل التاويل يقولون على فراغهم من الطعام والشراب ذلك وقال الحسن ان الله تعالى رضي من عباده الشكر
لما انعم عليهم في الدنيا والاخرة بالحمد لله رب العالمين ويشبه ان يكون قوله واخر دعويهم اي دعويهم في الاخرة
الحمد لله رب العالمين كما كان دعويهم في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم كان الاية على الاضمار كانه قال ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه كما يعجل لهم
الخير اذا استعجلوه لقضي اليهم اجلهم لانه لم يذكر في ظاهر الاية استعجالهم الشر انما ذكر تعجيله ولكن فيه ما ذكرنا
من اضمار استعجال الشر وهو ما ذكر في غير اية من القران استعجالهم العذاب كقوله ويستعجلونك بالعذاب
وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وقوله خبرا عنهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك
فكانوا يستعجلون العذاب استعجال تضرع فقال لو يعجل لهم العذاب اذا استعجلوا كما يعجل لهم الخير
اذا استعجلوا لقضي اليهم اجلهم او لهلكوا وفنوا وهذا التاويل في اهل الكفر خاصة عند استعجالهم
العذاب بتضرع وسؤال ويشبه ان يكون هذا في جميع الخلائق على غير تضرع وسؤال ولكن فيما يكتسبون من الشر
والمعاصي كانه يقول والله اعلم ولو يعجل الله للناس الشر باكتسابهم الشر وبادر كما يعجل الخير بوقت اكتسابهم كما يعجل
لهم الخير وقت اكتسابهم لقضي اليهم اجلهم لكنه لم يعجل لهم ذلك بل اخر الى الذي جعل لاجالهم وهو كقوله
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى ويحتمل وجها اخر وهو ما يدعو بعضهم على بعض

بالتعن والخزي يجعل الرجل عند شدة الغضب اللهم العن فلانا اللهم اخزه ونحو ذلك من الدعوات يقول
لو يعجل لهم اجابة هذه الدعوات كما يعجل لهم الاجابة عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة لقضي اليهم اجلهم
والله اعلم ثم قوله لقضي اليهم اجلهم يحتمل لهلكوا قبل المدة التي جعلت اجلا لهم ويحتمل اي هلكوا ويكون ذلك انقضاء
اجلهم اي يجعل اجلهم ذلك في الابد وهذا التاويل هو الموافق لما اخبر في كثير من الايات لاهل الايمان اذا جاء اجلهم
لا يتقدم ولا يتاخر من نحو قوله لا يستقدمون ساعة ولا يستاخرون وغير ذلك وقوله تعالى فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمته ان لا يعطي احدا من اهل الكفر في الدنيا بصنيعه الذي صنع ويعجل
لهم جزاء حسناتهم في الدنيا بما يبسط عليهم من انواع النعم لكن من حكمته ان يوخر عقوبتهم الى يوم القيمة فذلك تاويل قوله
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي نتركهم يترددون في عماهم وحيرتهم الى اليوم الذي وعد لهم العذاب والله اعلم
وقوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الاية قال بعض اهل التاويل جميع ما ذكر
في القران الانسان فالمراد منه الكافر نحو قوله يا ايها الانسان انك كادح وقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
وقوله والعصر ان الانسان لفي خسر لكن لا نقطع القول بما قالوا ان المراد من الانسان في القران هو الكافر
لانه لم يقم دليل مقطوع به على ذلك ولئن كان ما ذكروا فان اهل الايمان يدخلون في ذلك الخطاب من حيث الحكم
بان يكون منهم ما يكون من الكفرة لان من اهل الايمان من يقبل على الدعاء والتضرع الى الله عند مس الشدائد والحاجة
فاذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعاء والتضرع ودخل فيه ذلك والله اعلم ثم قوله دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما ليس على ارادة حقيقة الجنب والقعود والقيام ولكن على ارادة الدعاء في كل حال اي يدعونه في كل حال لما
عرفوا ان الذين كانوا يعبدونه من دون الله لا يملكون دفع ما حل بهم من الشدة ابتغى الخلاص دعوا الله بالتضرع والله
اليه فكشف ذلك عنهم ثم اخبر عن سفههم حيث نسيتهم بعودهم الى الحال التي كانوا عليها من قبل بقوله فلما
كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يحتمل والله اعلم لما انجلى عنه العذاب نسيه كان لم يعرف ما مر اي سعى
على ترك الدعاء في الرخاء والله اعلم وقوله تعالى كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون الاسراف هو العدوان والتعدي
عن الحد الذي جعل له وهو وضع الاموال في غير الموضع الذي لا ينتفعون بها في عبادة الاصنام وغيرها والله اعلم
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا اي قيل قد اهلك من قد ظلم ومن لم يظلم فبم نعلم ان من اهلك من الظلمة انما
اهلكهم لظلمهم ولم يهلك بالصلاح من لم يظلم قيل انه اهلك الظلمة اهلاك استيصال وعقوبة واهلك من
لم يظلم لا اهلاك عقوبة واستيصال انما هو هلاك بانقضاء اجالهم التي جعل لهم ويحتمل انه انما اهلك اولئك لسوالهم
الذي سالوا رسلهم التعنت من الايات المقترحة اذ من حكمه الاهلاك على اثر سوال الايات المقترحة بعد ما اقام الحجج كما
قال وجاءتهم رسلهم بالبينات كانه قال على سبيل الزجر والنهي لاهل مكة عن سوال الايات المقترحة يا اهل مكة لا تسالوا
مثلها فانكم اذا سالتم لرسولكم كذبتموها فعذبكم كما عذب اولئك اذ سالوا الايات فلم يقبلوها والله اعلم وقوله
وما كانوا ليؤمنوا يخبر رسوله انهم وان سالوا الايات فاذا جئت بها فانهم لا يؤمنون يعني اهل مكة وقوله تعالى
كذلك نجزي القوم المجرمين اي كل مجرم وقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم يحتمل قوله خلائف
اي جعل انفسكم خلفاء نفس اولئك الذين اهلكهم يخرج هذا مخرج ذكر النعمة والاحسان والرحمة عليكم اذ ابقاكم حين
اهلك الكل فلا يكون منهم خلفاء لاولئك ولكن بفضله ورحمته ابقى البعض ليكونوا خلفاءهم ويحتمل ان
يجعلهم خلفاء اولئك في المحنة والعبادة اي جعل عليكم من المحنة والعبادة كما كان على ابائكم وكيف ان تكونوا وقوله ثم جعلناكم
خلائف الذين لم يظلموا ولم يكذبوا الرسل فكيف لا تتبعونهم كما تبعتم اباءكم الذين كانوا على ما هم عليه وانهم على
اباءهم يقول جعلناكم خلائف الذين لم يظلموا اذا الذين ظلموا فلم تركتم مذهب ابائكم والله اعلم ويحتمل ان يكون صلة قوله
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم اي لست انا اول رسول ارسلت اليكم ولستم انتم باول قوم ارسل اليهم الرسل
بل قد ارسل الله تعالى رسلا في الامم وكان فيهم اتباع يتبعون رسلهم الى ما يدعونهم اليه ويجيبونهم فاتبعوني
انتم يا اهل مكة فيما ادعوكم اليه وقوله تعالى لننظر كيف تعملون لم يزل الله تعالى عالما بما كان ويكون منهم من الطاعة
والمعصية ولكن معناه ليعلمهم عصاة ومطيعين لان المعصية انما تكون بعد ما يكون النهي والطاعة انما تكون
بعد الامر فيبتليكم ليعلمكم عصاة كما علم انه يكون منكم معصية وليعلمكم مطيعين كما علم انه يكون منكم الطاعة وقد
ذكرنا امثال هذا فيما تقدم والله اعلم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قد ذكرنا في غير موضع وقد ذكرنا
ايضا قوله بينات اي حججا تبين انها ايات نزلت من عند الله لم يخترعها احد من الخلق وقوله تعالى قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله يشبه ان يكون قولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا ان ياتي بغير هذا القران نحو ما سالوا
ما حكي من قولهم كانهم قالوا ائت بقران غير هذا او بدله الاية لانه قال قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي انما
اجابهم بالتبديل ودل انه السوال كان سوال التبديل ولكن انما الوزر سوال التكذيب والاستهزاء لانه لا منفعة لهم

لو اتى

لو اتى بغير هذا وبدله سوى ما في هذا ولو جاز لهم هذا السوال لجاز لهم ذلك في كل ما اتى به واحدا بعد واحد
مما لا نهاية له ثم اختلف اهل التاويل في التبديل الذي سالوا قال بعضهم سالوا ان يبدل ويجعل مكان اية العذاب
اية الرحمة ومكان ما فيه من ذم الهتهم مدحها ونحو ذلك ويحتمل ان يبدل الاحكام ويترك رسمه ونظمه ونحن لا نقطع
القول بما ارادوا انه التبديل تبديل الاحكام او تبديل الرسم والنظم بما لا نعلم ذلك الا بالسمع بطريق التواتر ولا تواتر فالكف
الكف عن القطع فيه احق ثم اخبر انه لا يقول ولا يتبع الا ما يوحى اليه ويومر به بقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي
ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اتبع الا ما يوحى الي وقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي ان تركت تبليغ
ما امرت بالتبليغ اليكم وهكذا كل من عرف ربه خاف ان عصاه وخالف امره ومن لم يعرف ربه لم يخف ان عصاه و
خالفه وقوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به هو صلة ما تقدم من قوله حيث قالوا ائت بقران
غير هذا او بدله قد ذكرنا انه يحتمل وجهين يحتمل انهم سالوا ان يبدل الاحكام على ترك رسمه ونظمه ويحتمل تبديل
رسمه والاحكام كانهم ادعوا على رسول الله اختراع هذا القران من نفسه واختلاقه من عنده فقال قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولا ادراكم به تاويله والله اعلم لو شاء الله ان لا ابطلوه فيكم ما الزمكم حجته ولا بعثني اليكم رسولا
ما تلوته عليكم ولا ادراكم به او ولا اعلمكم به ويحتمل قوله ولا ادراكم اي ولا اعلمكم ما فيه من الاحكام ثم في قوله لو شاء
الله ما تلوته عليكم دلالة انه قد شاء ما شاء كان ما لم يشأ لم يكن لانه اخبر انه لو شاء ما تلوته عليكم فلو لم يشأ ان تلوه
ما تلاه فدل انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وذلك يرد على المعتزلة قولهم شاء الله ان يومن الخلائق كلهم لكنهم
لم يومنوا والله اعلم ويحتمل لو شاء الله لم يوح الي ولا امرني بتبليغ ما اوحي الي اليكم ولا بالدعاء الى ما امرني ان ادعوكم
اليه والله اعلم وقوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون اي قد لبثت فيكم عمرا من قبل هذا فلم ادع فيه
ما ادعي الحال ولا تلوت ما اتلو الان فلم لا تعقلون اني لم اخترع هذا من نفسي ولكن وحي الي اذ لو كان اخترعا
مني لكان ذلك فيما مضى من الوقت وكنت لا ابالي فيه انكم لا تتعقلون ان الذي دعاني اليه هو الوحي والامر
من الله تعالى بتبليغ ما اوحي الي لا اني اخترع هذا من نفسي ثم يحتمل هذا وجوها احدها انهم ادعوا عليه الاختراع
من عند نفسه فقال قد لبثت فيكم عمرا قبل ان يوحى الي هذا فلم تروني خططت بيميني ولا اختلفت الى احد في التعلم والدراسة
فكيف اخترع من عند نفسي ذا التاليف الا يتم ولا ينتظم الا بالاستيناس فيما تقدم والثاني فقد لبثت فيكم عمرا اي سنين لم تعرفوني
ولا ترونني كذبت قط فكيف افتري على الله واخترع القران من عند نفسي الا ترى انه قال على اثر هذه الاية
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا والثالث يحتمل فقد لبثت فيكم عمرا من قبله
كالم اسمع احدا ادعى البعثة ولا اقام الحجة عليه وانا قد ادعيت البعث واقمت على ذلك الحجة افلا تعقلون ان هذا الذي
لم اخترع هذا من عند نفسي وقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته يشبه ان يكون هذا
صلة قوله ائت بقران غير هذا او بدله اي كيف تطلبون مني اتيان غيره وتبديل احكامه وقد تعرفون قبح الكذب
وفحشه فكيف تطلبون مني الافتراء على الله وتكذيب اياته ويحتمل ان يكون هذا صلة ما ادعوا عليه انه افتراه من
عند نفسه واخترعه يقول انكم لم تاخذوا علي كذبا قط وقد لبثت فيكم عمرا فكيف تنسبوني الى الكذب على الله
وقد عرفتم اباي على خلاف هذا في الكذب على الخلق والله اعلم ويحتمل على الابتداء وقد ذكرناه في غير موضع ان قوله
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو استفهام يقتضي الجواب وجوابه ما قال اهل التاويل لا احد ابلغ في الاستفهام الذي ضمن
في الكلام لانه تفسير الاية وقيل فيها وقوله او كذب باياته الا افتراء على الله تكذيب اياته وتكذيبه اياه افترا على
الله او على رسله انما كذبها والله اعلم وقوله تعالى انه لا يفلح المجرمون ظاهر قد تقدم ذكره وقوله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم يحتمل وجهين احدهما ما لا يضرهم لو تركوا عبادته ولا ينفعهم لو اقاموا
على عبادته اي لا يملك ايصال الضرر اليهم بالترك ولا ايصال النفع بالحصول اذا يعبدونه ويحتمل انهم
في عبادتهم من لا يملك لهم دفع الضرر ولا جر النفع وترك عبادة من به يكون جميع منافعهم وعنه يتقون
يكون ذلك كل خوف وضرر والله اعلم وقوله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يحتمل ان يكون هذا القول
منهم تقليدا لابائهم لقولهم وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ظنوا ان اباءهم لما تركوا وما هم عليه لم يعذبوا
انهم على الحق وان الله قد رضي بذلك ويحتمل انما قالوا ذلك لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله والقيام بخدمته
وقد يكون مثل هذا في ملوك الارض ان كل احد لا يرى نفسه صالحا لخدمة الملك فيخدم من دونه من المتصلين
به رجاء ان يكون من خدمه شفيعا له عند الملك فعلى ذلك هؤلاء اطمعوا انهم بعبادتهم هؤلاء تقربهم الى الله زلفى
ويكونوا لهم شفعاء عند الله والله اعلم وقوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض يحتمل
وجهين احدهما انه هذا وان كان نفي العلم عن نفسه فيما ادعوا من كون الاصنام شفعاء عند الله نفى لها الاسم
لكن في الحقيقة نفي ما ادعوا بعقل الخبر فيه انه بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي يعلمون انه عالم بما في السموات

وما في الأرض ولو كان لما تدعون من كون الأصنام شفعاء عند الله لكان هو أعلم به منكم فيكون نفياً لما ادعوا الباطل
قريب من هذا يقول قل أتنبئون الله بما لا يعلم أي تخبرون من يعلم أنه ليس كما تدعون وهو كقولنا للناس ما شاء الله كان
وما لا يشاء لا يكون وما شاء الله كان يعني ما شاء أن لا يكون لا يكون وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون كلمة
سبحان جعلت لإجلال الله عما يحتمله غيره من الأشكال والأضداد ومن العيوب والآفات وهي في هذا الموضع
يحتمل وجهين أحدهما أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول سبحانه أن يجعل
لأمثال أولئك شفاعة عنده إذ الشفيع إنما يكون بمنزلة وقدر عند من يشفع إليه والمنزلة والقدر إنما يكون
إنما يوضع الله تعالى للشيء من الفضيلة والحرمة فيصير ذا قدر بما يتعبد من كان من أهل العبادة فيقوم بتوفيره بما يحتمله
وسعته من العبادة فكيف لما ذكرتم عند الله تقتلكم الأحجار التي تعبدون الأصنام ولا هم في الجملة ما لهم
حرمة توضع الله تعالى فبعيد أن يكون لهم الشفاعة فنزه الله نفسه بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون من أن يجعل
لهؤلاء دون الأنبياء والرسل كيف وقد أخبر أنها لا تملك ضراً ولا نفعاً وفي الشفاعة ذلك والثاني نزه نفسه
عما أشركوا الأصنام إياه في العبادة فقال سبحانه عن أن يكون معه أو يأذن أحداً بعبادة غيره والله أعلم وقوله
وما كان الناس إلا أمة واحدة • اختلف في تأويله قال بعضهم الآية في أهل مكة فإنهم كانوا في أهل فترة
وعباد الأوثان والأصنام لم يكن فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيء من اختلاف المذاهب فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من آمن به وصدقه وأخلص دينه ومنهم من عانده وكابره بعدما عرف أنه رسول
ومنهم من شك فيه ومنهم من لم ينظر في أمره قط ولا تفكر فيه فصار ذوي أديان فرق وقال بعضهم معناه وما كان
الناس إلا أمة واحدة بالفطرة أي كانوا جميعاً على الفطرة وفي فطرة كل أحد الشهادة على وحدانية الله والوهيته
كقوله وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها أي جعل
في خلقه كل أحد الشهادة على وحدانيته وألوهيته فاختلفوا منهم من كان على تلك الفطرة على قدر شهادة
الأحبار بشهادة الخلقة ومنهم من كذب واختار الكفر على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه وينصرانه أخبر أنهم على الفطرة لولا ذلك لكان أبواه يمنعانه عن ذلك
عليها وقيل وما كان الناس إلا أمة واحدة أي كان الخلائق جملة أمماً الناس من تلك الأمم أمة واحدة كقوله
وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم كأنه يقول هذه الأمة تقول إن الأمم مع اختلاف
جواهرها وأجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له فأنتم أيها الناس أمة من تلك الأمم كيف خالفتم وأشركتم
غيره في الوهيته وربوبيته أو عبادته مع ما ركب فيكم من العقل الذي به فرقتم التمييز بين ما هو حكمة
وما هو سفه وقد خصكم على غيرها من الأمم بما خلق لكم ما لم يفعل ذلك لغيرها من الأمم وقال بعض أهل التأويل
معناه وما كان الناس إلا أمة واحدة في زمن نوح عليه السلام لأن الكفار هلكوا بالطوفان ومن دخل
معه في السفينة كانوا على دينه ثم اختلفوا بعدما خرجوا ومنهم من قال معناه وما كان الناس من زمن آدم إلا
أمة واحدة كانوا على دينه ما دام هو فيهم ثم اختلف أولاده بعد وفاته ومنهم من قال كان الناس على دين واحد
من زمن إبراهيم عليه السلام ثم اختلفوا لكن لا نشهد كيف كان الأمر ولا نقطع القول فيه لأنه لا نعلم إلا بخبر
من الله وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون • قيل لولا أن من حكم الله
تعالى أن لا يعذب هذه الأمة عند تكذيبهم الآيات إذا سألوها وإلا لأهلكهم كما أهلك الأمم الخالية بتكذيبهم
الآيات عند السؤال ولكن أخر تعذيب هذه الأمة إلى يوم القيمة والثاني ولولا كلمة سبقت من ربك
الآن لا نستأصل هذه الأمة عند تكذيبهم رسولهم كما استأصل الأمم السالفة بتكذيبهم الرسل وكعذاب
لهم فاصلاً والثاني في ترك الاستيصال والآخر في تأخير العذاب عنهم إلى وقت وقوله تعالى لقضي بينهم فيما
يختلفون • أي لقضي بينهم ببيان يضطرهم إلى القبول وقوله تعالى ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه • أي هلا
أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله قيل جوابه والله أعلم ما ذكر لولا كلمة سبقت من ربك أن لا يعذب هذه الأمة
بتكذيبهم الآيات عند سؤالها وإلا أنزل عليك الآية التي سألوها فيكذبونها فيعذبون كما عذب الأمم
الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال وقوله تعالى فقل إنما الغيب لله • أي إنكم تعلمون أنه يعلم الغيب لله
وقد أنزل من الآيات ما يتبين ويدل على رسالته وقد كذبتموها فلا ندري ما الحكمة عند الله تعالى في أن لم ينزل
ما تسألون من الآية المعينة المقترحة وقوله تعالى فانتظروا إني معكم من المنتظرين • قيل انتظروا هلاكي إني منتظر
هلاككم لأنهم كانوا يوعدونه الهلاك وقيل انتظروا مواعيد الشيطان إني منتظر مواعيد الله وهو حرف وعيد
وتهديد وقوله تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قال أهل التأويل أذقنا
الناس يعني أهل مكة إذا أصابهم سعة وخصب ونجاة مما كانوا فيه عادوا إلى ما كانوا من التكذيب وعبادة الأصنام

ولكن نقول

ولكن نقول لا معنى لتخصيص أهل مكة بهذا بل هذا في جميع الكفار فإنهم كانوا إذا أيسوا مما يعبدون من الأصنام
لا معنى لتخصيص أهل مكة بهذا بل هذا في جميع الكفار فإنهم كانوا إذا أيسوا مما يعبدون من الأصنام والأوثان
يفزعون إلى الله ويخلصون له الدين كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر
إذا هم يشركون وقوله وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا
إلى ضر مسه وقوله وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه الآية وغير ذلك من الآيات كانت عادتهم الفزع إلى الله عند
إصابتهم الشدائد والبلايا لعلمهم أن الأصنام التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك وقوله تعالى إذا لهم مكر
في آياتنا المكر تكذيبها وردها والجحود لها كذا قال بعض أهل اللغة وقيل المكر بالآيات هو الاستهزاء بها ثم نسبة
الآيات ههنا محمداً صلى الله عليه وسلم فإنه كان من أول أمره إلى آخره آية مكروا حيث هموا بقتله غير مرة كقوله وإذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويحتمل سائر الآيات والحجج مكروا فيها أي كذبوها وردوها و
استهزءوا بها والله أعلم وقوله تعالى قل الله أسرع مكراً • المكر هو الأخذ من حيث لا يعلم هو به فيقول الله أسرع مكراً
أي أسرع أخذاً بما مكرتم وأنتم لا تعلمون به ولا تقدرون أن تلحقوا رسول الله وتمكروا به إلا وهو يعلم بذلك بعد
أسرع مكراً منكم وقوله تعالى إن رسلنا يكتبون ما تمكرون • أي الحفظة ويحتمل قل الله أسرع مكراً أي أسرع
جزاء المكر منكم أو أسرع أخذاً من حيث لا تعلمون أنتم وقوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر • اختلف فيه قال
بعضهم هو الذي يسيركم أي هو الذي سخر لكم ما به تسيرون في البر والبحر وهو الدواب والسفن التي تقطع بها
البراري والبحار وهو كقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل هو الذي يسيركم في البر والبحر أي يسخر لكم البر والبحر بها
مكان الخوف والهلاك أو حفظكم فيهما لحوائجكم وليس في وسع الخلق حفظ البراري والبحار عما فيهما من الأهوال
فتولى الله بفضله حفظ السائرين فيهما حتى قضوا منهما حوائجهم وهو كقوله وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه
لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها إلى آخر ما ذكر من أنواع المنافع فلولا أن الله تعالى سخر لهم ذلك وحفظهم
فيه وإلا لم يكن في وسع أحد القيام بذلك وحفظ نفسه من الأهوال التي تكون فيها ذكرهم نعمه ومننه التي أنعمها عليهم
ليوجهوا شكر نعمه إليه ويحتمل هو الذي يسيركم في البر والبحر في يخلق وينشئ فيكم فعل السير في البر والبحر وهو كقوله
وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي الآية والسير هو التخليق والمعتدل المخلوق وفيه دلالة خلق أفعال العباد
لأن السير هو فعل الخلق وقد أضافه إلى نفسه دل أنه منه فعلهم ويحتمل أن يكون قوله هو الذي يسيركم في البر و
البحر لم يرد به نفس البر والبحر ولكنه أراد تذكير نعمه عليهم في كل حال وكل وقت وكل مكان ليشكروا النعم في كل
حال وهو كقوله ظهر الفساد في البر والبحر لم يرد به البر والبحر أنفسهما ولكن المكان الذي منه المياه والذي يظهر العشب
في الأماكن التي فيها الخلق فعلى ذلك الأول يذكرهم نعمه التي أنعمها عليهم في الأماكن كلها والأحوال كلها والله أعلم
وقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك • أي في الفلك وجرين بهم بريح طيبة أي تجري بهم السفن بريح طيبة
ذكر أن السفن ليست تجري في البحار بجريان الماء لأن الماء هادئ كبركة الطاهر ولكن الريح هي التي تجريها وتسيرها ولا
الأمواج التي تكون فيها ليست لشدة جريان الماء ولكن هي الريح تهيج الأمواج وترفعها لا بنفس الماء وقوله
وفرحوا بها • قيل سروا بها وقيل أشروا وبطروا وقوله تعالى جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان •
أخبر أن من الريح ما هي طيبة تجري بها السفن ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتغرق السفن وتهلك أهلها
ليعلم أن الأشياء تفسد مرة وتصلح تارة لا لأنفسها ولكن لحفظ الحق فيها وكذلك النار تحرق مرة
وتفسد وتصلح تارة وكذلك الماء وذلك إذا حفظه الحق أصلح وإن لم يحفظه أفسد ولا يحتمل الشيء الواحد
لنفسه تارة يصلح وتارة يفسد فدل أنه إن حفظه الحق فيها على ما يرى من المصلحة والحكمة فدل على أنه
صانع حكيم وأنه الموفق وقوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم • قيل أيقنوا أنهم مهلكون ولكن معناه كأنهم
أيقنوا أنهم مهلكون لغلبة ظنهم بذلك لا أن ثبت لهم الإيقان وهو العلم بطريق القطع لأن الإيقان
الشيء الذي يصيب في حادثة الأوقات إنما يكون بالخبر الصادق ولم يكن ذلك في حقهم ولا يدرون لعل الله
يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الإيقان ألا ترى أنه قال دعوا الله مخلصين له الدين وإنما دعوا رجاء
النجاة ومع رجاء النجاة كيف يكون تيقن الهلاك ولكن يجعل الظن الغالب في كثير من الأشياء كالإيقان
ألا ترى أن الله تعالى أباح الميتة في حال الضرورة بغالب الظن إذ قد يجوز أن لا يهلك بذلك وكذلك أباح
للمكره بالقتل أن يجري كلمة الكفر على لسانه بغالب الظن وإن لم يعلم بالإحاطة أنه يقتله لا محالة فعلى
ذلك قوله وظنوا أنهم أحيط بهم فكأنهم أيقنوا أنهم أحيط بهم بغالب الظن والله أعلم وقوله تعالى دعوا الله
مخلصين له الدين أنهم إذا أيسوا من الأصنام التي عبدوها في دفع ما حل بهم فزعوا إلى الله وأخلصوا الدعاء

له وقالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجيهم من شفقتهم يعودون الى ما كانوا عليه من قبل فلما
انجيهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق وهكذا كانت عادتهم على ما تقدم ذكره والبغي في الارض هو الفساد
فيها وقوله تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ٭ يحتمل وجهين احدهما ان يراد انفسهم حقيقة اي
حاصل بغيكم يرجع الى انفسكم في العاقبة ويحتمل انما بغيكم على انفسكم اي بعضكم على بعض كقوله فسلموا على
انفسكم وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ٭ هذا اخره وعيد فان كان التاويل في قوله انما بغيكم
على انفسكم اي بعضكم على بعض فالوعيد في قوله ثم الينا مرجعكم وان كان التاويل يرجع الى انفسهم حقيقة اي
حاصل بغيهم يرجع اليهم في العاقبة فهو كلام وعيد وقوله ثم الينا مرجعكم تاكيد لذلك الوعيد والله اعلم
وقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام ٭
قيل في ضرب مثل الحيوة الدنيا بالزرع الذي ذكر وجوه قال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا في سرعة فنائها وانقطاعها
وخيبة اشتغالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله عن صاحبه ويحتمل ان يقال انما
مثل الحيوة الدنيا فيما يسر بها ويبتهج ثم كان ما ذكر كان لم تغن بالامس وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا فيما ينفق
فيها لا لاجل حيوة الدنيا للانتفاع بها والاستمتاع دون التوسل بها الاخرة والحيوة الدائمة مثل صاحب الزرع
الذي ينفق عليه لما يامل من المنافع ويطمع ويطمع فيه ثم كان ما ذكر كان لم تغن بالامس ولو علم في الابتداء انه يرد
ويصير الى ما صار لكان لا ينفق فعلى ذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم بعاقبة ما ينفقه لاجل حيوة الدنيا
يصير حسرة وندامة عليه ما انفق اذ لو علم انه لا ينتفع بما بقيه مما انفق كصاحب الزرع اذ لو علم انه يصير
وانه يهلكه به لا يبقى ولا يدوم بل يتسارع الى الانقطاع والزوال لما تكلف ذلك وعلم انها تزول عنه وينقطع
تلك الشهوة بحيث لا يمكنه الانتفاع به مما انفق ذلك والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت ٭ قيل اي اخذت الارض حسنها وازينت اي حسنت وانبتت من الوان النبات وقال ابو عوسجة زخرفها
زينتها من النبات كل شيء زينته زخرف وظن اهلها انهم قادرون عليها اي ظن اهل الدنيا انما ينتفعون انهم قادرون
على تلك النفقة كما ظن صاحب الزرع انه قادر على ذلك الزرع وقوله تعالى اتيها امرنا ليلا او نهارا ٭ قيل امرنا
وانما سمي العذاب امرا لانه بامره ياتي وفيه بيان انه لم ياته عن غفلة وسهو ولكن عن علم حاز عظته وتنبيها الا
سبحانه قال كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون كان الايات في هذا الموضع المواعظ بما ذكر من ضرب مثل الحيوة
الدنيا بالنبات والزرع الذي ذكر عظة وتنبيها لمن تفكر فيه واتعظ به والله اعلم وقوله تعالى فجعلناها حصيدا
اي محصودا كما يحصد الحصاد والحصاد الزرع وقوله تعالى كان لم تغن بالامس ٭ قيل اي لم تعش والمغاني
المواضع التي تعيش فيها الناس وواحد المغاني مغنى وقيل كان لم تغن بالامس اي لم تنعم وقيل لم تعمر وقال بعضهم
هو من الغنا اي كان لم يكن غنيا بالامس والله اعلم وقوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى
صراط مستقيم ٭ ذكر المشية والاستثناء في الهداية ولم يذكر في الدعاء ليعلم ان لا كل من يدعو الى دار السلام
يهديه وانما يهدي من يعلم منه انه يختار الهدى وذلك على القدرية انهم يقولون انه اعطى الهدى للكل والهدى
على وجوه ثلاثة احدها الدعاء والبيان قال الله تعالى ولكل قوم هاد اي داع ومبين وكقوله هدى للمتقين والثاني
والثالث خلق فعل الاهتداء والثالث التوفيق والعصمة والاهتداء والهدى ههنا هو التوفيق ثم اختلفوا في
قوله دار السلام قال بعضهم دار السلام الجنة والسلام اسم من اسماء الله تعالى كانه قال دار الله اضافها الى نفسه ثم يحتمل
اضافة الجنة الى نفسه وتسميتها دار الله وجهين احدهما انها دار اوليائه فيجوز اضافتها الى الله تعالى لكرامة لهم
الى اوليائه كقوله يخادعون الله اي اولياءه ونحو ذلك والثاني انها اذا فضلها الله تعالى فيكون الاضافة الى
بيان فضيلتها وشرفها كاضافة المساجد اليه لانها امكنة تعام فيها القرب والعبادة لله تعالى وقال بعضهم المراد
من دار السلام الجنة وانما سميت الجنة دار السلام لوجهين احدهما انها دار السلامة فان كل من دخلها امن وسلم
من جميع الاهوال والافات التي تكون في الدنيا والثاني سميت دار السلام لانه لا يدخلها الا المسلمون وقال بعضهم
المراد من دار السلام هو الاسلام اي يدعوا الى الاسلام دار السلام يحتمل وجهين احدهما ان من دخل في الاسلام
يسلم من القتل والاسترقاق والجزية في الدنيا وعن خلود العذاب في الاخرة اذا ختم عليه والثاني اضاف الاسلام الى
نفسه بقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فجعل الاسلام نورا من ربه وقد اضاف النار الى نفسه
بقوله دار السلام اي دار الله فذكر دار السلام واراد به الاسلام اذ كل واحد منهما يضاف اليه وقد روي في بعض الاخبار
عن ابي قلابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قيل لي لتنم عينك ولتعقل قلبك ولتسمع اذنك فنامت
عيني وعقل قلبي وسمعت اذني ثم قيل سيد بنى دارا وعمل مادبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل
من المادبة ورضي عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمادبة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم انه ثبت

هذا الخبر فيكون حجة لهذا القول وفي خبر اخر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فقال رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي فقال احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع
سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها
مادبة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام
والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة
اكل ما فيها فهذا يدل على ان الدار التي ذكر في الاية هي الاسلام ان ثبت هذا الحديث والله اعلم وقوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة ٭ اختلف فيه قال بعضهم في للذين احسنوا في الدنيا الحسنى في الاخرة جزاء
ذلك الاحسان وهي الجنة سمي الجنة الحسنى لانها جزاء الحسنى كما سمي النار السوءى بقوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى لانها
جزاء السوء وكقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقوله وزيادة قيل المحبة في قلوب العباد يحبه كل محسن والمحبة
لذي في قلوب الناس بلا حد على غير سلطان له ولا يبغي قال بعضهم الحسنى ما تقتضيه العقول وتدركه الاوهام من
النعم في الجنة واما الزيادة فهي التي لا تقدرها العقول ولا تصورها الاوهام على ما قال عليه السلام في صفة
نعيم الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال بعضهم الذين احسنوا الحسنى اي مثل تلك
الحسنة وزيادة التضعيف حتى يكون عشرا او سبعمائة او ما شاء الله يدل على ذلك قوله والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وقال قائلون الزيادة رؤية الرب والنظر اليه كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة وقال قائلون الزيادة هي قبول حسناتهم مع ما فيها من الخلط بالسيئات تقبل حسناته بفضله ورضوانه
منه وان كانت تستوجبها السيئات وذلك طريقة الفضل والاحسان اذ قد سبق من الله اليه من النعم ما لا يعد في
القيام على شكر نعمة منها طول عمره وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة ولها
اربعة ابواب ولكن نحن لا نقطع القول بان الزيادة ما هي التي ذكرها الله في الاية ما هي الا بالخبر عن الله على لسان رسوله
الصادق ولم يبلغنا ذلك بالتواتر وانما ورد بالاحاد وانه لا يوجب العلم قطعا والله اعلم وقوله تعالى ولا يرهق
وجوههم قتر ولا ذلة ٭ قيل لا يغشى وجوههم الرهج والغبار على ما يوصف به وجوه اهل النار وهو قوله ووجوه
يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ولكن على ما وصف وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة وذلك والله اعلم ان حسناتهم التي عملوها في الدنيا لما لم يروا النعم التي كانت لهم من سوى الله حتى
صرفوا شكرها اليه دون غيره والغبرة والقترة التي ذكر لاهل النار هي اثار السيئات التي عملوها في الدنيا من عبادة
دون الله وصرفهم شكر النعم الى غيره ونحو ذلك من صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ٭ ظاهر وقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ٭ جزاء
السيئة مما يوجب الحكمة ان يكون مثلها واما جزاء الاحسان والخير طريق وجوبه الافضال لان الاحسان ليس طريق
وجوبه الحكمة والعدل حتى لا يوصف الله تعالى بالمنع جائز لانه سبق من الله تعالى الى كل احد من النعم ما لا يبلغ وسعه
القيام بمكافاة واحدة منها طول عمره وان اجتهد كل جهده فضلا من ان يستوجب قبله جزاء ما كان منه من الجزاء
والله اعلم وقوله تعالى وترهقهم ذلة ما ذكر من اثار السيئات التي عملوها في الدنيا لا ان يهوانهم وقوله تعالى
ما لهم من الله من عاصم ٭ وذلك والله اعلم انهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان يكون لهم شفعاء عند الله
كقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاخبر انه ليس لهم من عذاب الله مانع يمنع ذلك عنهم وقوله تعالى كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما ٭ قيل السين غطيت جعلها اي متقلا ومخففا القطع بالتثقيل هو
جمع القطعة والقطع بالتخفيف جمعها من الليل يقال سرنا بقطع من الليل اي بجزء من الليل قال الله تعالى فاسر باهلك
بقطع من الليل اي بجزء منه والله اعلم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد
الوجوه في الدنيا وذلك والله اعلم ان سواد الوجوه على ما يكون في الدنيا لا يبلغ من القبح غايته اذ قد يرغب في كل من
جنسه ونوعه في ذلك ويحسن ذلك عنده فاذا كانت الرغبة تقع لبعضهم في بعض لم يبلغ غايته واما ظلمة
الليل فان الطباع مما ينفر عنها ولا يقع الرغبة فيها بحال لذلك شبه وجوه اهل النار بها والله اعلم وقوله تعالى
ويوم نحشرهم جميعا ٭ قال اهل التاويل يعني العابد والمعبود الذي عبد من دونه ولكن يحشر الخلائق جميعا وقوله
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم هذا الحرف ههنا حرف وعيد لانه كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل في
الكرامة وبين بعضهم بعضا يقول الرجل لاخر مكانك اسكنا وانما يريد ان امر بالمقعدات وما تقدم ههنا
يدل على انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به الوعيد وقوله تعالى فزيلنا بينهم ٭ اي فرقنا بين العابدين والمعبودين ثم يحتمل
التفريق وجوها يحتمل فرقنا بينهم في وقت الحساب مع الكفرة ماذا اعلمتم ولمن عملتم ومن صحبتم في الدنيا ثم صحب
الاصنام وما عبدوهم وقد عملوا لهم فيفرق بينهم وبين معبودهم الذين عبدوهم في الدنيا في هذا الوقت ويحتمل

فرقنا بينهم في الشفاعة فانهم انما طمعوا في عبادة هؤلاء ليشفعوا لهم كما اخبر عنهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ففرق بينهم في الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم بما ضل عنهم ما كانوا يفترون ويحتمل ما عبدوه تبرأ وهم
في النار فهو التفريق بينهم والله اعلم وقوله تعالى فقال شركاؤهم يحتمل قوله شركاؤهم سماهم شركاء وان لم يكونوا
في الحقيقة شركاء لهم لما عندهم انهم شركاء في الالوهية كما سمى الاصنام آلهة لما عندهم انها آلهة والثاني سماهم شركاء
انهم اشركوها في العبادة فهم شركاؤهم في نعمهم وقوله تعالى ما كنتم ايانا تعبدون ينطق الله تعالى هذه الاصنام
يوم القيمة وان لم يكن في خلقتها النطق في الدنيا كقوله يومئذ تحدث اخبارها وقوله يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم الاية انطقهم ليشهدوا عليهم ويحتمل ان يراد به الملائكة الذين عبدوهم انكروا ان يكونوا عبدوهم
والاشكال الملائكة كيف انكروا ذلك وانه كذب ولا يوصفون به فيقول لان العبادة لاحد انما يكون عبادة
اذا كان عن قصد منهم بها وكانت عبادة الشيطان لانه هو الامر لهم بالعبادة دون الاصنام وهو كقوله يا ابت
لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد بقصده عبادة الشيطان لكنه لما كان الامر بالعبادة للاصنام هو الشيطان
صار كانهم عبدوه وان لم يقصدوه ويحتمل ما ذكر من الانكار من الاصنام لما انطقهم الله تعالى وما يجري على لسانهم
بالحمد لله تعالى في هذه الحالة لا يكون الا صدقا وهو صدق لما ذكرنا ان عبادتهم اياها بدون امرهم والله اعلم
وقوله تعالى فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى الله القاضي والحاكم بيننا وبينكم انا لم نامركم بعبادتنا او هو
العالم بانا كنا عن عبادتكم لغافلين والله اعلم وقوله تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت قيل هنالك في ذلك
يوم القيمة ثم قرئ تبلو وتتلو بالتاء اما بالتاء قيل تقرأ في الصحف ما كتبت من اعمالهم وقيل تتبع كل نفس ما قدمت
من الاعمال واما بالباء من الابتلاء يقال بلوته وابتليته وخبرته واختبرته واحد وقيل تبلوا تجد وقيل تعلم
كل نفس ما قدمت من الاعمال وقيل تجزي كل نفس بما عملت والله اعلم وقوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق
قيل مالكهم الحق لانه فيه من الخلق الذين عبدوها قد بطل عنهم وضل في الاخرة ويحتمل اي حق ما يجد كل نفس
ما قدمت من اعمالها ويحتمل اي حق ان تبلو كل نفس ما عملت وضل عنهم ما كانوا يفترون من العبادة للاصنام
وتعلق الكفر في قوله ردوا يحتمل وجهين اي ردوا الى ما اعد لهم وليهم الحق والثاني اي ردوا الى الامر مولاهم
الحق لا الى امر الاصنام التي يعبدونها وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
الاية امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يحاج اهل مكة في التوحيد والربوبية وكان هذه السورة نزلت في محاجة
اهل مكة في التوحيد لانها مكية ثم قوله من يرزقكم يحتمل وجهين احدهما من يرزقكم اي من ينزل لكم الرزق
من السماء ومن يستخرج لكم الرزق من الارض لا احد يملك انزال الرزق من السماء ولا استخراج النبات من الارض
سواه والثاني يحتمل من يرزقكم من السماء والارض اي من يدبر لكم الرزق في السماء او من يدبر الرزق في الارض ولا
لا احد يملك تدبير الرزق في السماء والارض سواه ولا احد ايضا يملك اخراج الحي من الميت ولا اخراج الميت من الحي ولا
تدبير الامر وانتم لا تعرفون ماهية السمع والبصر ولا كيفيتهما فكيف تملكون انشاءهما وصنعهما فاذا قرئ انه لا يملك
احد سوى الله ذلك وهو ما اخبر عنهم بقوله فسيقولون الله وقوله تعالى فقل افلا تتقون اي تعلمون اذ عرفتم
واقررتم انه لا يملك ما ذكر سواه وعرفتم ان له السلطان والقدرة على الكمال افلا تتقون من نعمه ونقمته او
اذا عرفتم انه لا يملك احد اصلاح ما ذكر اذا فسد افلا تتقون مخالفته وعصيانه ويحتمل افلا تتقون صرف شكر
الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم هذه النعم لا من تعبدون دونه ويحتمل افلا تتقون عبادة غيره دونه
واشراككم غيره في الوهيته وربوبيته وقوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق اي ذلكم الله الذي ذكر ربكم الحق الذي ثبت
الوهيته وربوبيته بالحجج والبراهين فماذا بعد الحق الذي ثبت حقيته بالحجج والبراهين الا الضلال لانه لا حجة
عليه ولا برهان فهو ضلال ويحتمل فذلكم الله ربكم الحق اي الذي قد اقررتم انه المالك السموات والارض والمالك
ما ذكر من الرزق والسمع والبصر فاذا لم تروا ذلك لغيره انه هو المستحق للعبادة والقيام بشكره دونه فلا يملك
شيئا من ذلك فماذا صنعتم اذ لك [illegible] باسم الضلال فماذا بعد الحق الا الضلال وقوله تعالى فانى
تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره بهوى النفس ووسوسة الشيطان ويحتمل فانى تصرفون عن شكر المنعم الى
غير المنعم وتعبدون غير الله فانى تعدلون من لا يملك ما ذكر من يملك والله اعلم وقوله تعالى كذلك حقت كلمة ربك
قيل حقت اي وجبت ثم هذا يحتمل وجهين احدهما يحتمل ما اوعده ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون
فان كان على هذا فهو في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون في الدنيا ويحتمل كلمة ربك اي وجبت حجج ربك
وبراهينه على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون اي لا ينتفعون بايمانهم في الاخرة وعند الموت اذا لم يؤمنوا في الدنيا
والله اعلم وقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قال عامة اهل التاويل ثم يعيده الى الحياة بعد البعث
بعد الموت اي لا احد من شركائكم الذين تعبدون يملك بدء الخلق ولا اعادته وبعثه وقال بعضهم ثم يعيده [illegible]

البعث لانهم كانوا لا يقرون بالبعث فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك ولكن معنى قوله ثم يعيده اي ما سوى
البشر لانهم ما ينكرون اعادة البشر فاما اعادة البشر فاما اعادة غير البشر من الاشياء فلا ينكرونها نحو اعادة
الليل والنهار واعادة الانزال والنبات لما انها [illegible] ويتجدد مثلها ولكن اذا ثبت في غير البشر ثبت في البشر
لانه مثل ذلك ولكن عندنا يحتمل الامرين جميعا بعث البشر واعادتهم واعادة سائر الاشياء ويكون ذلك [illegible] لما
لهم بما اقام من الحجج والبراهين الايات انه كالاول الله يبدؤ الخلق ثم يعيده [illegible] فيكون نصا على اعادة الخلق والا ترى انه
احتج عليهم بما يلزمهم ذلك بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون
والله اعلم وقوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق يحتمل قوله يهدي الى الحق اي يدعوا الى الحق اذا كانت
هذه الاصنام التي تعبدونها لا يملكون الدعاء الى شيء فلا يملكون الدعاء الى شيء فلا يملكون النفع والضر من
الخلائق من لا يملك النفع والضر ويملك الدعاء الجزاء او النفع هؤلاء دون الخلائق جميعا اذ لا يملكون الدعاء كيف
يملكون النفع والضر بين الله تعالى سفههم بعبادتهم الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ويحتمل من يهدي
الى الحق اي يبين ويقيم الدلائل والحجج على استحقاق العبادة لهم وقوله تعالى قل الله يهدي للحق امره بان يخبر
ان الله هو الذي يهدي للحق ثم يحتمل الوجهين الذين ذكرنا انه هو الذي يملك الدعاء الى الحق ويملك اقامة
الدلائل والحجج على ما دعا اليه وهو يستحق العبادة له والربوبية ويحتمل وهو الذي يوفق لاتيان الحق ويحتمل هو
الذي يخلق فعل الاهتداء بمن علم منه اختيار الاهتداء والله اعلم وقوله تعالى امن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدى اي الذي يبين الحق بالبراهين والحجج احق ان يتبع امن لا يبين ولا يدعو الا ان يهدى
اي يبين له فان قيل ما معنى الاستثناء والصنم وان هدي لا يهتدي قيل قال بعضهم اراد من هذا الانسان
لان الصنم لا يحتمل الاهتداء وان هدي وقال بعضهم الا ان يهدى اي الصنم لا يهتدي الطريق الى مكان
يريد ان يكون فيه الا ان يحمل من موضع في ذلك المكان فاما ان يهتدي هو بنفسه فلا ولكن الوجه الصحيح انه
ان هذا صلة ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا تعبدون ينطقهم الله تعالى يوم القيمة فيشهدون عليهم انهم
لم يامروهم بالعبادة لهم ولا دعوهم الى اشراكهم في العبادة فيكون قوله الا ان يهدوا اي الا ان يجعلهم الله بحيث
يعرفون اذا هدوا او يجيبون اذا دعوا بان يخلق فيهم الحيوة واذن لهم بالنطق واقدرهم عليه والله اعلم
وقوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا قال بعضهم هذا في الائمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الاوثان والاصنام
وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك من القول ما يتبع اكثرهم
في عبادتهم الاصنام بانهم يكونون لهم شفعاء عند الله الا ظنا لا علم وقال بعضهم هذا في الاتباع والقوم
ليس في الائمة وذلك لان الائمة قد عرفوا البراهين والحجج قامت عليهم بانه الى الحق لما رسول الله
لكن قالوا ان هذا الا سحر مبين وما هذا الا افك مفترى ان هذا الا اختلاق ونحو ذلك ارادوا ان يلبسوا على
العوام ويشبهوا عليهم فاتبع العوام الائمة فيما قالوا انه كذا وانه كذا وصدقوهم فيما قالوا فاخبر تعالى وما يتبع اكثرهم
الا ظنا اي ما يتبع كثير الاتباع الائمة في ذلك الا ظنا ظنوه والله اعلم ويشبه ان يكون قوله وما يتبع اكثرهم
في اهل مكة اي ما يتبع اكثر اهل مكة الاوائل والاسلاف في عبادة الاصنام والاوثان الا ظنا لانهم عبدوا
الاصنام ويقولون انا وجدنا اباءنا [illegible] بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون والتقليد مبني على الظن ثم
اخبر ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي الظن لا يدرك به الحق ما يدرك الحق باليقين وقوله تعالى ان الله عليم
بما يفعلون هو حرف وعيد ليكونوا على حذر وقوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله يخرج على
وجهين احدهما اي ما كان هذا القرآن بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طوق البشر وعن وسعهم
يحتمله كونه مفترى بجوهره او بنفسه والثاني لما اودع فيه من الحكمة والصدق يدل على كونه من عند الله اذ كونه
غيره يحتمل السفه والكذب ولا يحتمل الشبه عنه لا اذا ابدى من جهته وعصمه عن ذلك وهو الرسول واختلف
في نزوله قال بعضهم هو صلة قوله قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله فقال وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله كقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي والله اعلم
وقال بعضهم ان كفار قريش قالوا ان محمدا افترى هذا القرآن من عند نفسه وتقوله واختلقه فقال وما كان
هذا القرآن ان يفترى من دون الله او يضاف الى غيره او يختلق ولكن تصديق الذي بين يديه او يصدق هذا
القرآن الكتب المتقدمة ولو كان محمد هو الذي افتراه واختلقه من عند نفسه لكان يخرج هو وسائر الكتب
المتقدمة مختلفا انه لم يعرف هو سائر الكتب المتقدمة اذ كانت بغير لسانه ولم يكن له اختلاف الى من يعرفها
ولا كان قارئا للكتب كما قال وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فخرج هو اعني القرآن مصدقا
موافقا لتلك الكتب دل انه من عند الله جاء وقوله تعالى وتفصيل الكتاب قيل هذا القرآن بيان الكتب التي

قبله وتمام هذا الكلام انه هذا وان كان مختلفا في اللفظ فهو في الحكمة والصدق مبين موافق للاول ويحتمل
اي مفصل من اللوح المحفوظ وقيل وتفصيل الكتاب اي تفصيل ما كتب لهم وما عليهم ويحتمل اي الى الله
تفصيل الكتاب يبين الى غيره وقوله تعالى لا ريب فيه ۝ اي لا شك فيه انه من عند رب العالمين وقوله تعالى
ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة من مثله يقول ان كان محمد افتراه من عند نفسه فاتوا انتم بسورة مثله
اذ لسانه لسانكم واحد وانتم قد عرفتم بالفرية والكذب وقد عرفتم محمدا لم تعرفوه قط ولا اخذتم عليه بكذب فانتم
اولى ان تاتوا بسورة مثله وقوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝ اختلف فيه
قال بعضهم ادعوا الهتكم التي تعبدونها ليعينوكم على اتيان مثله وقال بعضهم ادعوا من لسانه مثل لسانكم ليعينوكم على
ذلك ويحتمل اعوانا تستعينون بدراسة الكتب لتقدروا على اتيان مثله ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه من نفسه فذلك
تركتم استعانتهم بذلك على انهم قد عرفوا انه ليس بمفترى وانه سماوي وقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قال بعضهم
اي انهم لم يحفظوا نظم لفظه ولا نظروا وتدبروا فيه ليعلموا معناه بل كذبوا بالبديهة والشيء انما يعرف كذبه وصدقه
بالنظر فيه والتفكر والتدبر لا بالبديهة فذلك والله اعلم تاويل قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لانعدام سبب الاحاطة
العلم في حقهم ويحتمل او كذبوا على علم منهم انهم كذبة فيما يقولون ويقولون انه مفترى ليس كذلك والله اعلم وقوله تعالى
ولما ياتهم تاويله ۝ اي علم تاويله اي بتاويل القران ومعناه والله اعلم انهم كذبوا من غير ان حفظوا لفظه
ولفظه وتدبروا معناه ولا اتاهم العلم بعاقبته وآخره اذ قيل التاويل في كل شيء الى ما يئول الامر واليه كانت عاقبة كل اخر
كل فعل هو قصد فاوله وقصد كل شيء اوله وهو آخر في فعله او نحوه واصل التاويل هو النظر الى ما يئول عاقبة الامر
وقال بعضهم قوله ولما ياتهم تاويله ما وعد الله انه يكون نحو قوله انه يكون وقال ابن عباس تاويل القران منه ما يكون في الدنيا
ومنه ما يكون في الاخرة من الوعيد قال بعضهم تاويله ثوابه وقيل عاقبته وقال الواقدي اي ولما ياتهم عاقبة ما في الحلال
في القران من الوعيد وقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم ۝ اي كذلك كذب الامم الخالية رسلهم كما كذب كفار مكة
رسولهم وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ۝ اي انظر كيف كانوا يلاقون بالتكذيب ثم هذا يحتمل وجهين
احدهما التسلية لرسوله اي لست انت باول مكذب بل كذب غيرك من اخوانك ليكون له التسلي عما هو فيه من تكذيبهم
اياه وردهم عليه انه ينزل بهم ما قد نزل باولئك ان هم اقاموا على ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب كان لكفار مكة
لرسول الله فهو راجع الى قومه يامرهم بالنظر فيما نزل بالامم السالفة فانه سيتاملون احوالهم يكون ذلك سببا لرجوعهم
عما هم فيه والله اعلم وقوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ۝ ثم قوله به يحتمل ان يكون
كناية عن الرسول ويحتمل ان يكون كناية عن القران ثم يحتمل قوله من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن من اي منهم من قد امن به ومنهم
من لم يؤمن به على الماضي ويحتمل على الوعد فيما يستقبل اي من اهل مكة من يؤمن بهذا القران ومنهم من لا يؤمن به وهم
كذلك كانوا منهم من قد امن به ومنهم من لم يؤمن به فتكون اية رسالته حيث خرج على ما اخبر وذلك لا يعلم الا بالوحي
وقال بعضهم الاية في البعث ليس في اهل مكة ولكن الظاهر انها في اهل مكة على ذلك عول عامة اهل التاويل وكان
هذا خرج على البشارة ان منهم من يؤمن به لئلا ينقطع ويمنع دعاءه اياهم الى الاسلام واخبار منهم من لا يؤمن
به حتى لا يشتد حزنه على كفر من لم يسلم منهم وعاند والله اعلم وقوله تعالى وربك اعلم بالمفسدين ۝ يشبه ان يكون
معناه اي على علم بما كان منهم من الفساد خلقهم وانشاهم ليس على غفلة ويحتمل بالفساد انشاهم لكن عن علم بذلك
لما لا يضره فساد المفسد ولا ينفعه صلاح المصلح انما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون
على الوعيد اي عالم بفسادهم فيجزيهم جزاء فسادهم والله اعلم وقوله تعالى وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم
بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ۝ تاويله والله اعلم اي ان كذبت فيما اخبرتهم انه جاء من عند الله فقل لهم لي
عملي اي فعلي جزاء عملي فيما بلغتكم ولكم عملكم اي فعليكم جرم ما رددتم علي فيما بلغتكم من الله وهو كقوله ام يقولون
افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اي على جرم افترائي ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم علي
ويحتمل ما قاله اهل التاويل لي عملي اي لي ديني ولكم عملكم اي دينكم وقوله تعالى انتم بريئون مما اعمل وانا بريء
مما تعملون ۝ تاويله والله اعلم اي انا لا اواخذ بما دنتم ولا انتم تؤاخذون بما دنت انا او عملت وهو كقوله ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله فان توليتم
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقوله قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون وقوله تعالى ومنهم
من يستمعون اليك ۝ اخبر ان منهم من يستمع اليه يقصد الى محمد عما يتلو من القران لكنه لا يؤمن به ابدا كل مستمع
الى شيء ينتفع بما يستمع او يعقل ما يستمع ويفهم فما ينتفع بالاستماع ويعقل على قدر المقصود والحاجة اليه فهم
كانوا يستمعون اليه لما ان منهم من يستمع اليه ليتخذ لنفسه عنده منزلة وقدرا ويكون عنده مقبول القول لحسن
استماعه القران ومنهم من كان يستمع ليسمع غيره كقوله سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين ومنهم من كان

ويطلبه فيه فاذا خرج من عنده غيره وبدله كما اخبر عنهم يحرفونه ويقولون سمعنا وعصينا فاذا برزوا من عندك بيت
طائفة منهم غير الذي تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء به وطلب الطعن فيه والعيب فنفى عنهم العقل
والسمع والبصر بقوله افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
وذلك لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا باسماعهم وعقولهم وابصارهم فيما ليست له هذه الحواس فنفى عنهم
لم يسمع العقل حيث قال لا يعقلون ونفى عنهم الاهتداء بتركهم النظر والابصار فقال افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
لان البصر يوصل الى الاهتداء الطريق اذا سلكوها الا ان يقع العبد فيها فيرى بصر الطريق ويسلك فيها ويتقي بها المهالك
ولا يعقل ما التبس لها سمع العقل فلا يعقل ما يسمع القلب بالعقل وبصره ونظام البصر بعض الاشياء وبنظام
السمع يسمع الالفاظ فانما نفى عنهم هذه الحواس لما ذكرنا انها جعلت لينتفع بها الا انهم تركوا ما لا ينتفعوا بها والثاني ان
العقل والسمع والبصر يكون منها مكتسبا ومنها ما يكون غريزيا فنفى عنهم لما تركوا اكتسابه بذلك فلا يحصل
لهم ما يحصل بالاكتساب فيحتمل نفي هذه الحواس هذين الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم وقوله تعالى ان الله لا يظلم
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ۝ يخبر ان ما حل باولئك من عذاب استئصال العقوبة انما حل بظلمهم
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في قبورهم
فيما تعرفوا اذا خرجوا من قبورهم وقال بعض اهل التاويل اي كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في الدنيا واصله كانهم استقلوا
طول مقامهم في الدنيا وما انعموا فيها لما عاينوا من اهوال الخلائق اليوم وشدائده او استقلوا لبثهم في الدنيا ومقامهم
لطول مقامهم في الاخرة في العذاب بعد فيه وجه آخر وهو انه يذكر من شدة سفههم وغاية جهلهم انهم استقلوا ما يعد
انتفعوا من الخزي والعذاب الابد كانهم يلبثوا فيها الا ساعة من النهار جحدوا بالدنيا لجهلهم ذلك فلا يشتغل عن اكتساب
ما به يستوجبوا العذاب الابد والله اعلم وقوله تعالى يتعارفون بينهم ۝ اي يعرف بعضهم بعضا على تقدم ما يعرف بعضهم
على بعض كقوله ويلعن بعضهم بعضا وعلى تقدم ما يتبرا بعضهم من بعض ثم يفرق بينهم كقوله فزيلنا بينهم اي فرقنا
بينهم وقوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ۝ اي خسروا فيما فعلوا من النعيم الدائمة في الاخرة بترك اكتسابهم
اياها اذ قد اختاروا ما يكسبون من نعيم الاخرة فاكتسبوا ما به خسروا وهو كقوله فما اصبرهم على النار اي فما اصبرهم على اكتساب
ما يستوجبوا النار وقوله تعالى واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فيحتمل تاويل هذه الاية وجهين
احدهما ان هذا على حذف حرف الشك الحرف حرفا ما واصله وحرفان كانه يقول انا نرينك اما نرينك بعض ما نعدهم
لا كل ما نعدهم او نتوفينك ولا نرينك شيئا ثم هذا يحتمل ان يكون هذا ابتداء خطابا بالنبي ويحتمل ان يكون سؤاله
يكون لهم ان نريهم شيئا مما يعدهم ذلك فقال اما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك كانه يقول الرسل اليك اما وقد
اتماد الينا كقوله ليس لك من الامر شيء والثاني في التاويل ان قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم اي لقد
نرينك بعض ما نعدهم وهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اي لقد كان فعلى هذا التاويل نريه بعض ما نعدهم
ولا نريه كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول كان اراد انا نريه بعض الذي او لا نريه شيئا فان قيل انما حرف شك وكيف
او كيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما كان ويكون قيل انما يستقيم اضافته من جهل العواقب قيل جميع حروف
الشك التي اضيفت الى الله تعالى على اليقين والوجوب على الوقوع نحو حرف عسى ولعل وحرف او والى وحرف الاستفهام اذ
هو لم يزل عالما بما كان ويكون في اوقاته وهذا لان الالفاظ ان كانت موضوعة لغة لذلك لكنها تستعمل عند اهل
اللسان ايضا للوقوع والايجاب دون الشك ايضا فهي اذا اضيفت الى الله يجب حملها الى ما يليق به وهو كما ذكرنا
في نسبة الفاظ الى الله يوجب التشبيه من حيث الظاهر من المعنى في اللغة الاتيان والمجيء ونحو ذلك ان كان في
اللغة المعاني لا تجوز على الله ولكنها لما استعملت لمعاني على المجاز يجوز الاضافة اليه وتليق بصفاته صرفت
الى ما يحتمل فيها كذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ۝ هذا يحتمل ان الله يشهد
لك يوم القيمة عليهم بما فعلوا من التكذيب بالايات وردها وهو كقوله قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا
القران الاية ويحتمل اي عالم بما يفعلون لا يغيب عنه شيء وهو وعيد كقوله والله بصير بما تعملون وهو بكل
شيء عليم ونحوه والله اعلم وقوله تعالى ولكل امة رسول ۝ اي لكل امة فيما خلا رسول بعث اليهم انا بالذي
رسول بعث اليكم وهو كقوله قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقوله تعالى فاذا جاء
رسولهم قضي بينهم بالقسط ۝ يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضي بينهم يوم القيمة بالقسط اي
يقضي بين الرسل وبين الامم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة اليهم والدعاء الى دين الله وكان من الامم من
الامم من التكذيب للرسل والرد لا ما يقضي بينهم بالعدل ثم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص والثاني يحتمل
قضي بينهم اي يهلك المكذبين منهم وينجي الرسل ومن صدق منهم كقوله ثم ننجي رسلنا والذين امنوا الاية
وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ۝ وذلك انه لما اوعدهم العذاب يعني قال واما نرينك

بعض الذي نعدهم من العذاب بقولهم متى هذا العذاب الذي توعدهم من العذاب بقولهم متى هذا العذاب الذي
نعدهم من العذاب بقولهم متى هذا العذاب الذي توعدهم من العذاب الذي توعدنا يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب
نازل بنا في الدنيا وهو على التأويل الثاني الذي ذكرنا القدر بينك بعض ما نعدهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا الا ما شاء الله امر الله تعالى ان يجيبهم فيقول لا املك لنفسي ضرا دفعه عنها ولا املك جر منفعة اليها
ولا اقدر على ان ادفع عن نفسي سوءا حين نزل فكيف لا املك ان اسوق اليها خيرا البتة فاذا لم املك هذا كيف املك
انزال العذاب عليكم انما ذلك الى الله هو المالك عليه والقادر على ذلك لا املك انا احد سواه وهو كقوله قل انما انا
بشر مثلكم وقوله تعالى لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي اذا جاء اجلهم
لا يقدرون على تأخيره ولا يقدرون تقديمه ليس على انهم لا يطلبون تأخيره ولا تقديمه يسألون ذلك ولكن لا يترك
جاء ولا يقدم قبل اجله وفيه دلالة ان لا يملك احد قبل نفسه … اجله فهو رد على المعتزلة حيث قالوا من قتل آخر
فانما قتله قبل اجله والله تعالى يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدمون والله الموفق
يخبر الله تعالى بقوله فلا يستأخرون ساعة الآية ان عذاب الله اذا نزل بهم وقته لا يملك احد تقديمه ولا تأخيره
ولا تأخيره ولا يحتمل ذلك بالعذر والمنزلة كما يحتمل ذلك في الدنيا بالشفاعة والفداء ويذكر عجز النبي في انزال العذاب
عليهم في قوله قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا والله اعلم وقوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل
منه المجرمون يقول والله اعلم اي منفعة لكم ان اتاكم عذابه لا منفعة لكم في ذلك بل فيه ضرر لكم فاستعجال ما
لا منفعة فيه سفه وجهل تستعجلون بسؤالهم العذاب والله اعلم وقوله تعالى اثم اذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم
به تستعجلون اي العذاب اذا نزل بكم آمنتم به الآن يخبر عنهم انه اذا نزل بهم العذاب يؤمنون به ويحتمل قوله
آمنتم اي بالله وبرسوله كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ثم اخبر انه
لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب وهو كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقوله لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل ويحتمل قوله آمنتم به اي بالعذاب لانهم كانوا يكذبون رسول الله فيما يوعدهم العذاب وهم
يستعجلون باستهزاء ويكذبونه فاذا نزل بهم امنوا وصدقوا بذلك العذاب فيقول آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء انه غير نازل بكم ذلك والله اعلم وقوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا اي قيل للذين اشركوا في الوهية
غيره ذوقوا عذاب الخلد الذي تخلدون فيه اي عذاب الابد ذلك بعد ما ادخلوا في النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
في الدنيا وقوله تعالى ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين قوله ويستنبئونك احق هو
اي يستخبرونك هذا الحرف اهو حق ويحتمل ان يكون من الشاكين منهم في ذلك طلبوا من النبي في ذلك الحجاج لا
ومن المعاندين استعجال العذاب الذي كان يوعدهم رسول الله استهزاء وتكذيبا له وهم المتعنتون والمطبعون للصد
عن الايمان به كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق فكانوا فرقا
ثلاثة فرقة آمنوا به وفرقة شكوا فيه وفرقة كذبوه ثم قوله ويستنبئونك احق هو يحتمل وجوها يحتمل يستخبرونك
ويسألونك احق هو العذاب الذي كان يوعدهم انه ينزل بهم على ما قال عامة اهل التأويل ثم قال قل اي وربي انه
لحق اي قل نعم وربي انه لحق اتيان لكم وما انتم بمعجزين اي بفائتين عنه ولا سابقين له ويحتمل احق ما تدعونا
اليه من التوحيد وهو كقولهم لابراهيم أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات الآية وعلى ذلك
قولهم احق هو اخبر انه حق بقوله قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين فائتين عنه ويحتمل ما تأتيهم معجزات احق
هي ويحتمل محمدا او يحتمل القرآن اهو حق ام لا فقال اي وربي انه لحق ليس بهزء لا لعب وهو كقوله ان الله يأمركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اخبر انه انما يأمرهم به ويدعوهم اليه ليس هو بهزء ولا لعب
ولكن حق امر من الله تعالى فعلى ذلك قوله احق هو قل اي وربي انه لحق الآية وقوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض
لافتدت به يخبر عنهم انهم يفتدون ويبذلون جميع ما في الارض لو قدروا عليه عند نزول العذاب بهم لشدة
العذاب وان كان الذي منعهم عن الايمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها وما فيها بقوله ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها وقوله تعالى واسروا الندامة لما رأوا العذاب الندامة لا تكون الا سرا بالقلب كانه قال حققوا الندامة
في قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالآيات والعناد في ردها وقال بعضهم اسروا الندامة اي اظهروا الندامة وهو
ما يستعمل في الاخفاء والاظهار ويجوز مثل هذا كقولهم شعب اي جمع وفرق فيراد به على سبيل المجاز لانه
اذا استرخى نفسه لا بد من ان يضع ذلك في اخر فذلك عند اظهاره بطريق النسبة وقوله تعالى فقضي بينهم بالقسط
يحتمل قضي بينهم بالقسط اي قضي بينهم بما يوجبه الحكمة لان الحكمة توجب تعذيب كل كافر وكل قائل في الله
ما لا يليق به ويحتمل ان يكون تفسير قوله بالقسط ما ذكر على اثره وهم لا يظلمون اي بالعدل دون الظلم ويحتمل
بالقسط ما ذكر على اثره وهم لا يظلمون اي بالعدل دون الظلم ويحتمل بالقسط ما ذكر في قوله كفى بنفسك

اليوم عليك حسيبا والقسط هو العدل وهو يومئذ عرفوا انه كان يقضي بالعدل في الدنيا والآخرة والله اعلم
وقوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض اي انما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه وملكه لا تعبدوا لكن
دونه من الاصنام والاوثان فمن عند من يملك الدنيا والآخرة اطلبوا ذلك لا من عند من لا يملك فيبين سفههم
في طلبهم الدنيا من عند من يعلمون انه لا يملك في ذلك والله اعلم وقوله تعالى الا ان وعد الله حق هذا اخبار منه
في كل وقت وعهد انه كائن لا محالة من عذاب كان او رحمة وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم
ويحتمل قوله لا يعلمون اي لا يكتسبون سبب العلم وهو التأمل والنظر في آياته وحججه ويحتمل نفي العلم لما لم يتعاطوا
اسباب العلم وهو العقل فلم يعلموا فان كان على هذا فيكون معذورين فان كان على الوجهين الاولين فلا عذر
لهم في ذلك ثم في قوله الا ان لله ما في السموات والارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكرون قدرته في خلق
السموات والارض وما بينهما لغلظها وكثافتها وشدتها وعظم خلقها على ان تلك القدرة خارجة عن وسع البشر
ودون فهمهم من يقدر على ذلك فهو قادر على البعث واحياء الخلق بعد فنائهم والثاني يخبر عن حكمته في تعليق منافع الارض
بالسماء على ما بعدها بينهما فالا افضل للخلق بانواع النعم التي تكثر ان تحصى وان كل شيء منها قد وضع في
فلا يحتمل من تكوين هذا وصنعه في الحكمة ان يخلق شيئا عبثا وباطلا ولو كان للفناء لا لحق لا لغيره يكون خارجا
عن الحكمة فظهر انه خلقهم لامر اراد بهم والله اعلم وقوله تعالى هو يحيي ويميت واليه ترجعون اي تعلمون انه هو
احيا الاحياء وهو يميت الاموات ايضا وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو
محيي الاحياء وهو مميت الاموات فاعرفوا انه هو الذي يبعثكم واليه ترجعون الزمهم الحجة اي لا يكون
احيز عما يكون من الحجة وهو كقوله وهو الذي احياكم ثم يميتكم الآية وقوله تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم اي هذا القرآن ثم تكلموا في تفسير الموعظة قال بعضهم الموعظة التي كقوله يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا قيل نهاكم ان تعودوا لمثله وقال آخرون الموعظة هي التي تدعو الى المكارم وتزجر عن كل مرهوب
وقال بعضهم الموعظة هي التي تلين قلب كل قاسي وتجلي قلب كل مظلم وقيل الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية
وتدمع العيون اليابسة وتجلي الصدور المظلمة ثم في القرآن جميع ما ذكر لان فيه النهي عن كل قبيح والترغيب
الى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب وهو يلين القلوب القاسية ويجلي المظلمة اذا تأملوا فيه ونظروا نظر
المسترشد وطالب الحق والله الموفق وقوله تعالى وشفاء لما في الصدور اي الذين آفات تضر وتتلف كما للابدان
للابدان آفات وامراض تحمل في اتلافها واهلاكها ثم جعلت لآفات الابدان والامراض ادوية تشفي بها الابدان
المريضة فعلى ذلك جعل القرآن شفاء لما في الدين … يذهب بآفاته وامراضه كما تعمل الادوية
في دفع آفات الابدان وامراضها لذلك سماه شفاء للصدور والله اعلم وقوله تعالى وهدى ورحمة قيل هدى من الضلالة
ورحمة من عذاب وقيل هدى يدعو الى الخير ويهديه اليه ورحمة لمن يتبعه فانه هدى ورحمة لمن تبعه وتمسك به وعمى
لمن خالفه وترك اتباعه وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقوله فزادتهم ايمانا وهو قوله فزادتهم رجسا وزاد للمؤمنين
ايمانا الى ايمانهم وزاد للكافرين رجسا الى رجسهم ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته قال بعضهم
فضل الله ورحمته القرآن وقال بعضهم فضل الله القرآن ورحمته الايمان وغيره انه ما انزل القرآن مفصلا ادلة
لا ينزل حجما بل على ان اهل الفترة يؤاخذون نحو حال فترتهم لانه لما كان مفصلا في انزال القرآن دلالة … حججا
عقلية قبله ثم جاء التكليفية ما لا تكون … انزال القرآن … والله اعلم ثم قيل هذا امر
النبي ان يقول مع المؤمنين ويخاطبهم بذلك افعل المؤمنين بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا يعني بهذا الفضل
والرحمة فليفرحوا يعني المؤمنين هو خير مما يجمعون اي فرحهم بما ذكر خير مما يجمعون ينبغي مما يجمع الكفار من الاموال ونعم
الدنيا والله اعلم وقوله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق يحتمل قوله ما انزل الله لكم من رزق اضاف انزاله
الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما كانت اسبابها متعلقة بالسماء من نحو المطر الذي به تنبت الارض
النبات وتخرج به جميع انواع الخارج مما يكون غذاء للبشر والدواب ونحو الشمس التي بها تنضج الانزال وتبلغ الاعناب
وجميع الثمار اضاف ذلك الى السماء لما ذكرنا على هذا قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون اي اسباب ذلك في السماء
لا ان عين ذلك في السماء والله اعلم ويحتمل قوله ما انزل الله لكم من رزق اي ما خلق لكم وهو كقوله وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج ويكون ذلك انما خلق فعلى ذلك الاول وقوله تعالى فجعلتم منه حراما وحلالا قال بعضهم اي ما حرموا
من البحيرة والسائبة والوصيلة وما ذكر في سورة المائدة وقال بعضهم اي ما حرموا من الانعام التي كانوا يعبدون بها ويجعلون
للاصنام وهو ما ذكر في سورة الانعام والله اعلم وقوله تعالى قل الله اذن لكم ام على الله تفترون اي الله اذن لكم
في تحريم ما حرمتم وتحليل ما حللتم ام على الله تكذبون وذلك ان هذه السورة نزلت في محاجة اهل مكة وهم لا يؤمنون
بالرسل والكتب وانما يوصل الى معرفة الحرمة والحل بالرسل والكتب الخبر عن الله وهم لا يؤمنون بها حتى بما ذكرنا

يقول كيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم لا تؤمنون بما يعرف به الحرام والحلال فكيف حرمتم ما احل لكم واحللتم
ما حرم عليكم بتخرص سفهائهم وعنادهم وافترائهم على الله فاذا اجترءوا ان يفتروا على الله فعلى عزم لجزائه
اقدم وقوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة فيه توعيد لهم بيوم القيمة فان قيل كيف
يوعدهم بيوم القيمة وهم كانوا لا يؤمنون بالبعث قيل قد لزمهم الحجة بكون البعث بما اظهر من كذبهم في تحريمهم
على الله في التحريم والتحليل فذلك مما يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث ويحتمل وجها آخر يقول وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب يوم القيمة لو خرج الامر حقا وكان صدقا على ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما قال من البعث والجزاء لما اكتسبوا مع ما قد توعد المرء بما لا يتيقن به ويخوف عليه ويحذر به اذا لم يحيط
علمه بكذبه هذا على انه قد جعل في عقولهم ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزاء للاعمال اذ ليس من الحكمة خلق
الخلق للفناء خاصة وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس هو ذو فضل على جميع الناس من جهة وهو ما
الى الكل من الرزق كافرهم ومؤمنهم وانواع النعم وما اخرهم من العذاب الى وقت ويحتمل ذو فضل بما بعث
اليهم الرسل وانزل الكتب عليهم انه كان منهم الى الله سابقة صنع يستوجبون بها ذلك منه مخصوص بفضل على المؤمنين
ليس ذلك على الكافرين وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لفضله وما انعم عليهم وقوله تعالى وما تكون
في شان وما تتلو منه من قرآن قال بعض اهل التأويل في شان في امر وحال وما تتلو منه من قرآن ما تبلغهم من الرسالة
وقال بعضهم وما تكون في شان او في عبادة وما تتلو منه من قرآن تبلغهم به الرسالة وقوله تعالى ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا يخاطب النبي تنبيها وايقاظا والمراد هو وغيره الا ترى انه قال ولا تعملون من عمل عمهم جميعا
في ذلك يخبر انكم في كل امر يكون بينكم وبين ربكم وفي كل امر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم شهود لينبههم
ويوقظهم ليكونوا على حذر ابدا متنبهين متيقظين وقوله تعالى اذ تفيضون فيه قال بعضهم تفيضون تاخذون
فيه وقيل تخوضون وقيل تقولون وقيل تكثرون ثم يحتمل قوله فيه في الحق ويحتمل في الدين ويحتمل في القرآن
ويحتمل في رسول الله يقولون انا شاهد فيما تخوضون فيه وفيما تقولون في القرآن وفي النبي وقال ابو بكر
الاصم اذ تفيضون فيه وتنتشرون فيه وفيما قبله ولا تعملون من عمل تنتشرون به الا كنا عليكم شهودا وقوله تعالى
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء اي لا يغيب عنه ما في الارض ولا في السماء وما لا
فيه ولا يمنع لا تخلفه فالدعوة في الكلام الاكبر والنهي في الكلام الاخرى انه لا يغيب عنه شيء منه قال ذلك
على طريق التقدير بالشاهد انهم يرعون الاهم فالاهم والا فهو حق العالم سواء واما علم ثم قوله وما يعزب عن ربك
من مثقال ذرة تحذير وتخويف على طريق التمثيل دون التصريح والتوكيد على تحقيق احدهما على التمثيل والاخر
على التصريح وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين قيل ما قيل وكتب الا في كتاب يعني اللوح
المحفوظ مبين ويحتمل اي في الكتب المنزلة من السماء فالله اعلم وقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون قالت المعتزلة دلت الآية على ان اصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين لكانوا اولياء الله واذا كانوا اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذا كان ثابتا على اصحاب الكبائر خوفا وحزنا دل انهم ليسوا بمؤمنين
لكنهم ولاية الايمان لكن التاويل عندنا فالله اعلم الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في وقت
دون وقت وليس في الآية انه ليس على اولياء الله خوف ولا حزن في اول الامر او في الآخرة وفي الاحوال كلها ويجوز
ان يكون لاصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت وهو وقت التوبة او حال ما يعفو الله تعالى عنهم
او في الجنة اذا اختموا على الايمان وعذبوا بالنار على قدر ذنوبهم والمطلق يجوز تقييده بالدليل ويحتمل قوله
ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ليس لاولياء الله على ما يكون لاهل الدنيا من الخوف والحزن بسبب
الاموال والاولاد ما خوفهم وحزنهم لعاقبتهم والمراد من الاولياء ههنا هم الخواص من المؤمنين على ما استعمل
هذا الاسم فيهم بحكم العرف وان كان كل مؤمن وليا ولاية الايمان وهو العام يحتمل تخصيصه بالعرف في استعمال
اهل اللسان وقال بعضهم ان اولياء اسم لاهل التوحيد جملة لكل البشارة والوعد لاهل التوحيد في الاعتقاد
والوفاء جميعا لا لاهل الاعتقاد خاصة عرفنا ذلك بدلائل فكان المراد من هذا العام هو الخاص والله اعلم وقوله
ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الجنة لقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهكذا يكون اذا دخلوا
الجنة يامنون عن جميع ما يفضحهم ويحزنهم والله اعلم وقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
قال بعضهم البشرى في الحيوة الدنيا هي الرؤيا الصالحة وعلى ذلك روي الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن هذه الآية ففسر بالرؤيا الصالحة فان ثبت فهو الحق وقال بعضهم لا يحتمل البشرى الرؤيا الصالحة لانه يسوي البشرى
في الحيوة الآخرة على البشرى في الحيوة الدنيا فقال لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولا شك انه لا يكون في الآخرة
الرؤيا الصالحة ولكن ان ثبت ما ذكر من الخبر فهو المراد وان عطف البشرى في الآخرة على البشرى في الحيوة الدنيا اذ يجوز

ان يكون تلك البشارة خلاف البشارة في الدنيا من حيث الصورة وان كان فيهما معنى البشارة فان البشارة يكون
نائما فثبت ان التاويل صحيح لو ثبت الحديث ويشبه ان يكون البشارة التي ذكرها ههنا نحو قوله فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله ذلك الذي يبشر الله
عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وامثال ذلك لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الجنة وقال بعضهم لهم
البشرى في الحيوة الدنيا اي بشارة الملائكة عند الموت يقولون لهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا وفي الآخرة بالجنة والله اعلم
وقوله تعالى لا تبديل لكلمات الله يحتمل لا تبديل لكلمات الله من وعده ووعيده ذلك بما لا تبديل له ولا تحويل في اللفظ
وان كان نظما لكن المراد منه الخاص لما قام الدليل على جواز النسخ ووجوده في الاحكام ويحتمل لا تبديل لكلمات الله
اي القرآن ثم هو يحتمل وجهين اي تبديل نظمه بعد قراءته وان انتسخ حكمه والثاني لا تبديل لما فيه من الوعد والوعيد
وما ثبت بالحجج العقلية اذ النسخ جائز في الاحكام ويحتمل لا تبديل لما مضى من سنته في الاولين في الآخرين من الهلاك
والاستيصال بتكذيبهم الرسل والآيات كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله فقد
مضت سنة الاولين ويحتمل قوله لا تبديل لكلمات الله لا تبديل البشرى التي ذكر لهؤلاء الذين تقدم ذكرهم ويحتمل لا تبديل
لحجج الله وبراهينه والله اعلم وقوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك البشرى هو الفوز العظيم اذ لا خوف بعده قال
بعضهم اي لا خوف عليهم من النار ولا هم يحزنون اي يخرجون من الجنة ابدا والله اعلم وقوله تعالى ولا يحزنك قولهم يحتمل
ولا يحزنك ما قالوا في الله ما لا يليق به من الولد والشريك ان العزة لله جميعا ويحتمل اي ولا يحزنك قولهم الذي قالوا فيك
انه ساحر وانه مفتري ولا يحزنك قولهم فيك انه ساحر وانه يفتري على الله كذبا ونسبهم اياك الى ذلك ولا يحزنك قولهم
اي مكرهم الذي مكروا بآياته وكيدهم الذي كادوه يؤيد ذلك قوله ان العزة لله جميعا اي العزة في المكر والكيد لله الغلبة
وهو كقوله وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا اي مكره ينقض مكرهم وكيدهم وكيده ينسخ كيدهم … ذلك
قوله ان العزة لله جميعا اي ينقض جميع ما يمكرون بك ويكيدون وتكون العزة القوة يقول ان العزة لله ينصرك على اعدائك
ويدفع عنك مكرهم وكيدهم الذي يهمون بك وقوله تعالى هو السميع العليم اي السميع لقولهم الذي قالوا العليم بمصالحهم
ويقال السميع المجيب الدعاء العليم بما يكون منهم وقوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي يعلم
ان من في السموات ومن في الارض كلهم عبيده واماؤه فكيف تزعمون ان فلانا ولده وان لله شريكا ولا يتخذ احد منكم من
عبيده وامائه ولدا ولا شريكا او كيف يحتمل ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات وما في الارض ولا حاجة تمسه تكشف لحسنه
الولد اليه والشريك وما في الواقعة مما لا يليق به او يخرج عن غناه عما يامرهم وينهاهم ويتعبدهم اي ليس يامر وينهى ويتعبد
العباد ويمتحنهم بانواع المحن لحاجة له او منفعة له في ذلك ولكن لمنفعة لهم في ذلك وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون فيما يدعون من دون الله شركاء الحجج والبراهين
او اليقين بكتاب وقول رسول انما يتبعون الظن والحسد وقوله تعالى وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون فيما يتبعون
من الظن والحزر بعبادتهم دون الله شركاء لانهم كانوا اهل شرك لم يكن لهم كتاب ولا آمنوا برسول فهم تدعوا انهم مفترون
كاذبون في دعائهم دون الله شركاء او لا رسول معرفة ذلك الكتاب او الرسول لم يكن لهم واحد من ذلك وقوله تعالى هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يخبر ههنا انه جعل الليل للسكون والراحة فيه وكذلك السكون في الليل … انه
جعل النهار للسعي وطلب المعاش … امر لابد منه على ما اجرى الله من البقاء باسبابه وذلك مما يوصل اليه بالكسب لابد
من زمان السكون والراحة فكان تعيين الله الليل للسكون تعيينا للنهار للمعاش وفي الآية اشارة اليه بقوله والنهار
اي مبصرا يبتغى فيه ما يتعيشون وقد نص على ذلك في آية اخرى بقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله يعني في النهار ثم في قوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية وجوه من الدلالة … الحث على الشكر
والنهي عن الكفران اذ هو موضع الامتنان وتذكير النعم يستدعي بذلك شكر ما انعم عليه وفيه دلالة اثبات الصانع لانهما
يجريان على تقدير واحد وذلك يدل على تدبير مدبر لانهما لو كانا على غير تدبير لكانا لا يجريان على تقدير واحد على سنن
واحد لكن يدخل فيهما الزيادة والنقصان والقلة والكثرة وفيه دلالة انه مدبرهما واحد لانه لو كان مدبرهما عدد
لكان اذا غلب احدهما دام غلبته ولا يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا وفيه دلالة البعث بعد الموت اذ كل واحد
منهما اذا جاء يتلف صاحبه ويتلف آثاره لا يبقى له اثر ثم يكون مثله بحيث لا يخالف الذاهب الحادث ولا الاول الثاني فذلك
ان الله يقدر على انشاء مثل ما قد ذهب اثره واصله لقادر على البعث … على احداث ما … لقادر على احد
… الشيء اذا كان حجبه بشيء لم يحجب اذا عدم لانه قال في النهار مبصرا وانما يبصر عند النهار ودونه
السرج جميعا ثم اذا فات … نور البصر ونور النهار لم يبصر شيئا دل ان الحكم اذا وجب بشرطين لا يجب الا باجتماعهما
ولانا الشيء في النهار انما يبصر عند البصر … في نفسه ثم الليل يستر وجوه الاشياء لا انه لا يرى بانفسها او النهار
يكشف عن وجوه الاشياء ثم ان الليل لا يمنع البصر العمل من غير اخراج الشيء من ان يكون مرئيا في نفسه مع ذلك …

374

الحكم وهو الرؤية ليعلم ان الحكم انما كان ويجئ بشر طيني يحفظان يمنع بما يدخل في احدهما والله اعلم وفي الاشباه وقدرة الله حيث انشا هذا واحدثه وانلف الاخر وقدر على هذا لا يعجزه شيء وفيه دليل السلطان لمرجيثا حدثهما الليل ويستر عليهم الاشياء شاؤا او ابوا وكذلك النهار ياتيهم ويكشف وجوه الاشياء ويجليها من غير ارادة ذلك في بعض الاوقات فذلك على جريان سلطانه على الخلائق والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يسمعون • قيل يبصرون وظاهر ما سبق من الذكر يجب ان يقول لقوم يبصرون لانه قال والنهار مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اي يعقلون وهو كقوله ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ويحتمل انه ذكر من اول السورة الى هذا الموضع ايات لقوم يسمعون اي ينتفعون بسماعهم ويحتمل يسمعون اي يجيبونه كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب وقوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني • قال بعضهم ارادوا بقولهم اتخذ الله ولدا حقيقة اتخاذ الولد كقوله خرقوا له بنين وبنات وكقوله ويجعلون لله البنات وكقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فنفى عن نفسه عما قالوا بقوله هو الغني له ما في السموات وما في الارض تاويله والله اعلم ان من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحدى وجوه ثلاثة اما الحاجة تمسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على اعدائه فاذا كان له ملك السموات والارض وملك ما فيهما كلهم عبيده واماؤه فلا حاجة له تقع الى الولد ولان الولد يكون من شكل الوالد وكل ذي شكل له ضد ومن له شكل وضد فلا ربوبية له ولا الوهية وبهذا نفينا الشريك لان الشريك من جنس الشريك وشكله وفي نفي الشريك نفي الولد لان معناهما واحد وقال بعضهم لم يريدوا بقولهم اتخذ الله ولدا حقيقة الولد وانما ارادوا ان اتخاذ النبي ومن فاسد لما ذكرنا ولانه لا احد في الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من عبيده واماه فاذا كان جميع الخلائق عبيده واماؤه كيف احتمل منه اتخاذ الولد منهم وقال بعضهم لم يريدوا اتخاذ الولد ولكن ارادوا التخصيص بهذا الاسم انه كرامة الولد ومنزلته عنده وهذا فاسد ايضا وهو منفي عن الله لان من لا يحتمل حقيقة الولد امتنع ان يكون لشيء عنده منزلة الولد وكرامته وان ينسب جزء الى نفسه بهذا الاسم لان الحقيقة انما انتفى عنه لعيب يدخل فيه فاذا ثبت له منزلة تلك الحقيقة دخل عيب الحقيقة او شبهه فيجب تنزيهه جل وعلا عن ذلك والله الموفق وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا قيل ما عندكم من حجة على ما تقولون ان له ولدا لانهم كانوا اهل تقليد لابائهم اسلافهم وكانوا لا يؤمنون بالرسل ولا الكتب فلم يكن عندهم حجة والله الموفق وقوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون • اي تقولون على الله انه اتخذ الولد وتعلمون انه لم يتخذ وقوله تعالى قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون • هو ما ذكرنا انهم علموا انه لم يتخذ ولدا لكن قالوا ذلك افتراء على الله لا يفلحون في الاخرة لما طمعوا في الدنيا بعبادتهم من الشفاعة عند الله والتقرب اليه بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يظفرون بما طمعوا الى الاخرة وقوله تعالى متاع في الدنيا • اي ذلك متاع في الدنيا دون الاخرة وقوله تعالى ثم الينا مرجعهم • خاطب رسول الله بان يخبر ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون في الدنيا مرجعهم ثم الينا مرجعهم يحتمل وجهين احدهما انما اشتد على رسول الله افتراؤهم الكذب على الله يقول الينا مرجعهم نجزيهم جزاء فريتهم والثاني الينا مرجعهم فنذيقهم العذاب الشديد بدلا ما طمعوا عندنا من الشفاعة والزلفى والله اعلم وقوله تعالى واتل عليهم نبا نوح • يحتمل وجوها احدها اي اذكر منابذة نوح قومه وما ارادوا به من الكيد والمكر تسلية للنبي والثاني اي اتل عليهم عقوبة قوم نوح وما حل بهم من سوء معاملتهم رسولهم والثالث واتل عليهم نبا نوح نجزيه ونحدثه على ما ادقال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله قال بعضهم فان كان كبر عليكم طول مقامي ومكثي

[illegible]

قال الكسائي [illegible]

[illegible]

الكتوفي فراغ الى الهتهم وقوله فراغ الى اهله ثم فعل من فعل نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الى قوله ولا تنظرون وقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقول رسولنا قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم لانهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين اظهرهم ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل انهم انما قالوا ذلك لاعتمادهم على الله واتكالا بمعونته ونصره اياهم والله اعلم وقوله تعالى فان توليتم فما سالتكم • من اجر التولي اسم للاعراض والادبار كقوله واذا تولى سعى في الارض واسم للاقبال والقبول كقوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا الاية وهاهنا يحتمل الامرين جميعا اي فان اقبلتم وقبلتم ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله اي ما اجري الا على الله وان كان على الاعراض والرد فكانه يقول كيف اعرضتم عن قبوله وما سالتكم على ذلك اجرا فيكون ذلكم ينفي الاعراض والرد كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لم اسالكم على ما اعرضه وادعوكم اليه غرما حتى يثقل عليكم ذلك الغرم فيمنعكم ثقل الغرم عن الاجابة ثم في هذه الاية وامثالها دلالة منع اخذ الاجرة على تعليم القران والعلم لانه لو جاز اخذ الاجر على ذلك لكان لهم ذلك لانهم كانوا لا يشتغلون شيئا من ذلك فرض من شرائع الله واسقاطها والله اعلم وقوله تعالى وامرت ان اكون من المسلمين • اي مسلما نفسي الى الله سالما لا اجعل لاحد سواه فيها حقا ولا حظا او امرت ان اكون من المخلصين لله والخاضعين له وهو يحتمل ذلك كله والله اعلم وقوله تعالى فكذبوه • يعني نوحا كذبه قومه فيما ادعى من الرسالة او فيما اتاهم من الايات او فيما اوعدهم من العذاب بتكذيبهم اياه وقوله تعالى فنجيناه • يعني نوحا ومن معه في الفلك ومن ركب معه الفلك من المؤمنين وقوله وجعلناهم خلائف • يحتمل خلائف خلفاء في الارض وسكانا يخلف بعضهم بعضا ويحتمل وجعلناهم خلائف اي خلف قوم هلكوا واستوصلوا بالتكذيب وقوله تعالى واغرقنا الذين كذبوا باياتنا • يحتمل الايات الحجج والبراهين التي اقامها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل قوله كذبوا باياتنا العذاب الذي وعدهم بتكذيبهم اياه فيما وعد وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • كان انذر الفريقين المؤمن والكافر جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر فيكون تاويل قوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي انظر كيف كان عاقبة من اجاب ومن لم يجب عاقبة من اجاب النجاة وعاقبة من لم يجب العذاب والله اعلم ويحتمل المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار ولم يجيبوا اي انظر كيف كان عاقبتهم من الهلاك والاستئصال بالعناد والتكذيب ويكون تاويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر انما يقبل الانذار من اتبع او انما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر وقوله تعالى ثم بعثنا من بعده • اي من بعد نوح رسلا الى قومهم اي بعثنا الى كل قوم رسولا لا انه بعث الرسل جملة الى قومهم ولكن واحدا على اثر واحد على الاكثر فجاءوهم بالبينات يحتمل البينات الحجج والبراهين التي اقاموها على ما ادعوا من الرسالة والنبوة ويحتمل البينات ما اخبروا قومهم بالعذاب انه نازل بهم في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل قال بعضهم بما كذبوا به من قبل اي قبل البعث لم يصدقوا بما اوائلهم وقال بعضهم بما كذبوا به من قبل اي قبل مقالهم وفيه دلالة ان اهل الفترة يؤاخذون بالكفر في حال الفترة ويحتمل قوله بما كذبوا به من قبل اي من قبل اتيان الرسل اي ما كانوا ليؤمنوا بعد مجيء الرسل بالايات وقوله تعالى كذلك نطبع على قلوب المعتدين • اي هكذا نطبع على قلوب اهل الكفر كما طبعنا على قلوب اوائلهم اذ علم انهم لا يقبلون الايات ولا يؤمنون بها والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذي جعل والله اعلم وقوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه باياتنا • اي بعثنا من بعد من ذكرنا من الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه وقد بعثهما الى الملا وغير الملا لكن ذكر الملا وهم الاشراف وذكرهم يكون ذكرا للاتباع وقوله باياتنا يحتمل الوجوه التي ذكرنا وقوله تعالى فاستكبروا فيه بيان انهم قد عرفوا انها حجج الرسل من الايات انها ايات لكنهم ما انقادوا لها ولم يخضعوا لها وقوله تعالى وكانوا قوما مجرمين • ظاهر وقوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال بعضهم اي جاءهم الحجج والايات من عندنا قالوا ان هذا اي الحجج والايات لسحر مبين سمى الحجج الاحق سحرا لما ان السحر عندهم باطل فعلى قولهم الحجج انها سحر يموهون بها على الناس ويلبسون عليهم لئلا يظهر عندهم الحق فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الدين كقوله ان الدين عند الله الاسلام فعلى التاويل الاول سموا حجج الدين سحرا وعلى الثاني سموا نفس الدين الذي جاء به ودعاهم اليه سحرا ثم قوله من عندنا من امرنا وكذلك قوله ان الدين عند الله الاسلام اي الاسلام هو الدين الذي امر الله به لا انه يفهم من العندية مكان ينتقل منه الى غيره ولكن يفهم لعندية الامر وعلى هذا قوله ان الذين عند ربك يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته اي الذين بامر ربك يعبدونه لا يستكبرون عن عبادته اذ كان لا يفهم من مجيء الحق من عند الله مكانا يتعالى عن ذلك لا يجوز ان يفهم من قوله ان الذين عند ربك المكان وقرب المكان ولكن التاويل ما ذكرنا ان الموضوع من عندنا فيه امره والله اعلم وقوله تعالى قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ما ذكرنا وقوله تعالى ولا يفلح الساحرون • اي لا يظفر الساحر بالحاجة ولا يغلب لان السحر باطل ولا يغلب الباطل

الحق بل الحق هو الغالب والسحر هو المغلوب على ما غلب الحق الذي جاء به موسى السحر الذي جاء به سحرة فرعون ويحتمل
لا يفلح الساحرون بسحرهم في حال السحر كقوله لا يفلح الكافرون ولا يفلح الظالمون اي لا يفلحون بظلمهم في حال
ظلمهم حتى اذا تركوا الظلم وتابوا عنه فقد افلحوا على ذلك السحرة اذا تركوا السحر وتابوا عنه فقد
افلحوا والله اعلم وقوله تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا قيل لتصرفنا وتصدنا قال القتبي لفت فلانا عن كذا اي
صرفته والالتفات منه وهو الانصراف وكذلك قال ابو عوسجة وقال لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا اي عن عبادة الاصنام
والاوثان ويحتمل عن عبادة فرعون والطاعة له وقوله ويكون لكما الكبرياء في الارض قال عامة اهل التاويل
الكبرياء الملك والسلطان والشرف اي الملك الذي كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس لكما لان
كل متبوع مطاع معظم شرف فيحتمل لكما الكبرياء اي الالوهية لانه كان يدعي فرعون لنفسه لادعائهم ان كل
من اطيع واتبع فقد عبد نصب لهما وقوله وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما تدعوننا اليه او ما تدعيان
من الرسالة وقوله تعالى وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم هذا نقض ما ادعى فرعون من الالوهية لانه اظهر
الحاجة والعجز ولا يجوز ان يكون المحتاج الها وقوله تعالى فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله اي سيبطل عمل السحر الذي تصنعون بان يجعله مغلوبا وقوله ان الله
لا يصلح عمل المفسدين اي لا يصلح ما افسدوا من اعمالهم فيجعلها صالحين يجعل اعمالهم الفاسدة صالحة وقال
بعضهم لا يصلح اي لا يرضى بعمل المفسدين وقال بعضهم اي لا يجعل المفسدين باعمالهم الفاسدة صالحين
وقوله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ذكر في الباطل ويبطل الباطل باطل كان لم يبطل ولكن يحتمل
قوله ليحق الحق ويبطل الباطل اي يجعل الحق في الابتداء حقا وبابطاله الباطل يكون باطلا وهو كما يقال هدى
فاهتدى واضله فضل اي بهدايته اهتدى وباضلاله ضل فعلى ذلك الباطل بابطاله يبطل والحق بتحقيقه
حق والله الموفق وقوله بكلماته يحتمل برسله اذ بالرسل يظهر الحق ويتم ويظهر بطلان الباطل وهم حجج الله
وبالحجج يظهر الحق والباطل ويحتمل ما ذكر اهل التاويل بكلماته اي بحججه وآياته اي باياته التي انزل على موسى
حقيقة ما اتى به ويظهر بطلان ما اتى به السحرة من السحر ويحتمل كلماته ما وعد موسى وقومه من الظفر على اعدائهم
لهم وغير ذلك مما وعد من النعمة لهم كقوله يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل منكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه يحتمل من قومه من قوم موسى لما قيل ان موسى
كان من اولاد اسرائيل فهو ذريته من هذا الوجه وقال اهل التاويل غير هذا فانه لم يكن البتة له ويحتمل الا ذرية
من قومه الاقربين من قرابته وقال اهل التاويل اراد بالذرية القليل منهم اي ما آمن منهم الا القليل ويحتمل الا ذرية
منه قوم فرعون اي آمن قليل من قومه ولكن لا ندري ذلك والله اعلم وقوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم
يحتمل ما آمن من آمن من قومه الا على خوف من فرعون اي آمنوا وان خافوا من فرعون وملائه ويحتمل ما ترك من قومه الايمان
بموسى من ترك الا على خوف من فرعون ان يفتنهم اي يقتلهم ويعذبهم وفيه دلالة ان الخوف لا يعذر المرء في ترك الايمان
حقيقة وان كان يعذر في ترك اظهاره لان الايمان هو التصديق والتصديق يكون بالقلب ولا احد من الخلائق
مطلع على ذلك لذلك لم يعذر في تركه لانه يقدر على ستره الا ترى الى قوله وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم
ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وبين ربه ان لم يظهر وقوله تعالى وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين قال وهو ما
ان فرعون علا في الارض اي تجبر وغلب على اهل الارض وقوله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه
توكلوا ان كنتم مسلمين في الآية دلالة ان الايمان والاسلام واحد في الحقيقة لانه بدا بالايمان بقوله ان كنتم
آمنتم بالله وختم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دل انهما واحد وقيل ان الايمان اعتقاد ترك تضييع كل حق
والاسلام اعتقاد تسليم كل حق وترك تضييعه وقيل الايمان هو التصديق بكلية الاشياء فانها
لله بالربوبية والاسلام هو جعل كلية الاشياء سالمة له والله اعلم وقوله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا مما اوعد فرعون من عقوبته كقوله للسحرة لما آمنوا لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف الآية فقال عند ذلك فعليه توكلوا في دفع ذلك عنكم فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين ويحتمل قولهم لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ما تقدم ذكره فما آمن لموسى الا ذرية من قومه
على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم اي يعذبهم ثم يخرج هذا على وجهين احدهما اي لا تجعل لهم علينا الظفر
والنصر فيظنوا انهم على هدى وعلى حق ونحن على ضلال وباطل والثاني اي لا تجعلنا محنة لهم لظلمة فيعذبوننا
فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة على ما فعل فرعون بالسحرة لما آمنوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
فيه دلالة ان قوله الظالمين والكافرين ههنا بمعنى واحد وقوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة الآية يحتمل وجهين احدهما اي اتخذا لقومكما مساجد يصلون فيها واجعلوا

في بيوتكم

في بيوتكم التي اتخذتم مساجد قبلة فيكون في قوله تبوآ لقومكما بمصر بيوتا الامر باتخاذ المساجد وفي قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة في المساجد التي امر ببنائها والثاني قوله ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا اي اتخذا لقومكما
بمصر مساجد على ما ذكرنا وقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا في بيوتكم لانفسكم قبلة تتوجهون اليها ويكون
فيه دلالة ان نصب الجماعة واتخاذ المساجد والقبلة فيها كانت مسنونة لمن كان قبلنا وفي شريعتنا خاصة
ويؤيد ما ذكرنا ان فيها الامر باتخاذ المساجد وقوله واقيموا الصلاة دل الامر باقامة الصلاة على ان الامر بتبوء البيوت
امر باتخاذ المساجد واتخاذ القبلة فان قيل هذا في الظاهر امر باتخاذ المساجد وفي الآية التي ذكر فيها اتخاذ
المساجد هو قوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه دلالة الاباحة حيث قال اذن الله قيل معناه في بيوت
امر الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لا الاباحة قال ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ولا شك ان ذكر
اسمه والتسبيح فيها والصلاة مامور به على الوجوب فكذلك المعطوف عليه واما اهل التاويل فانهم قالوا انهم
كانوا يخافون فرعون وملائه فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة القبلة يصلون فيها سرا خوفا من فرعون
وهذا يحتمل ان كان قبل هلاك فرعون وقبل ان يستولوا على مصر واما اذا كان بعد هلاكه وبعد ما استولوا على مصر
وملكوه فلا فيجب حمله على ما ذكرنا من الامر باتخاذ المساجد ونصب القبلة واقامة الصلاة فيها بجماعة والله اعلم
وقال بعض اهل التاويل معناه وجهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لانه لا يكون بيت الا ويكون
جهة من جهاته الى القبلة فلا معنى له ثم يحتمل الامر لهما بتبوء البيوت بمصر وجعل البيوت قبلة وجهين آخرين
احدهما الامر بالانفصال من فرعون وقومه حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا على ذلك لئلا يحتاجون
الى المرور عليهم كان ذلك الانفصال انما كان من جهة القبلة والثاني ما ذكرنا انه كان لا يتهيأ لهم اقامة
الصلاة بالجماعات في بيوت فرعون فامروا بالاعتزال عنهم واتخاذ بيوت اخر ليتهيأ لهم اقامة الصلاة على
الاشتهار والله اعلم وقوله تعالى وبشر المؤمنين يحتمل البشارة في الآخرة بالجنة وانواع النعمة ويحتمل
ان يكون البشارة بالملك في الدنيا والظفر على فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدائد من فرعون
كقوله يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الآية قال
ابو عوسجة قوله ان تبوآ لقومكما اي هيئا لهم موضعا من التبوئة وهو كقوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ
صدق اي هيئنا لهم مبوأ صدق وقوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة
الدنيا يحتمل قوله زينة من انواع ما اتاهم من الاموال والبنات ونحو ذلك ويحتمل الزينة التي كانوا يتزينون
بها من المراكب والملابس ومما يتحلون بها من انواع الحلي وغيرها وقوله تعالى ربنا ليضلوا عن سبيلك قال المعتزلة
تاويل قوله ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك اي اتاهم
لئلا يضلوا الناس عن سبيله ولكنهم اضلوا عن سبيله وقالوا هذا كما يقال لم اتيت لتفعل كذا ولكن فعلت
كذا ونحو من الكلام ولكن عندنا هو كما ذكر اتاهم الاموال لما ذكر ليضلوا عن سبيله لانه اذا علم منهم انهم
يضلون الناس عن سبيله اتاهم ليضلوا وهو كما ذكرنا في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله نسارع لهم في
الخيرات بل لا يشعرون وامثاله فكذا هذا فيكون الحجة عليهم بظاهرها والله الموفق وقوله تعالى ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم يحتمل هذا وجهين يحتمل اي اطمس على اموالهم واجعل في قلوبهم قساوة
وغلظة تنفر الاتباع وممن يقلدهم عن اتباعهم وتقليدهم فيكون ذلك هونا علينا في استبعاد الاتباع
والدعاء لهم الى الايمان ويكون ذلك سببا لابعادهم عن اتباعهم وتقليدهم والله اعلم والثاني اي اجعل ذلك آية
تضطرهم الى الايمان لانهم لم يؤمنوا بالآيات التي ارسلنا عليهم من الطوفان والجراد وما ذكر من الآيات ويكون
قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم اي من طمس الاموال والقساوة للقلوب وشدتها ويحتمل ان موسى انما
دعا عليهم بهذا لما آيس من ايمانهم وعلم بالوحي انهم لا يؤمنون وهو كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا عند الاياس من ايمانهم فعلى ذلك موسى انما دعا بذلك وانما يسع له هذا الدعاء لهذا فاما قبل ان يعلم انهم
لا يؤمنون وقبل ان يتحقق له الاياس من ايمانهم فلا يسع له ان يدعو بهذا وهو انما ارسلا ليهدياهم ويدعواهم
الى الايمان والله اعلم قال ابو عوسجة الطمس هو الذهاب بها اي اذهب بها وقال القتبي اي اهلكها ومنه يقال
طمس الطريق اذا عفا ودرس وقال غيره الطمس هو المسخ كقوله لطمسنا اعينهم اي مسخناهم وقال بعضهم الطمس
التغيير عن جوهرها والله اعلم وقوله تعالى قال قد اجيبت دعوتكما قال بعضهم ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن
على دعائه فقال ههنا دعوتكما فسمى كلا الكلامين دعاء ولهذا قال محمد بن الحسن رحمه الله في بعض كتبه ان الذي
يرفع صوته في الوتر يقعد القوم يؤمنون وقوله تعالى فاستقيما اي على الرسالة وما امركما به وقوله تعالى ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد عليه السلام ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون فعلى ذلك لا تتبع اهواء قوم قد ضلوا

من قبل وبعده وان كان العلم محيطا ان الانبيا عليهم السلام لا يتبعون سبيل اوليك ولا اهواهم لما عصمهم
الله تعالى عن الكباير فى الكفر ولكن ذكر هنا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا تزيل النهى والامر بل تزيد حظر الرسا
والله اعلم وقوله تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا هذا ظاهر وفى قوله وجاوزنا
ببنى اسرائيل البحر دلالة خلق افعال العباد لانه اضاف الى نفسه انه جاوز بهم وبنوا اسرائيل هم الذين جاوزوا
دل انه خالق فعلهم وقوله حتى اذا ادركه الغرق اى حتى اذا غرق لانه ذكر فى بعض القصة ان فرعون لما انتهى الى
ساحل البحر فراى البحر منفرجا طرقا فقال انما انفرج البحر لى فلما دخل غرق فعند ذلك قال امنت انه لا اله الا الذى
امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين ثم ايمانه لم يقبل فى ذلك الوقت لوجهين احدهما لما يحتمل ان يكون ايمانه عند نزول
الباس وخوف الهلاك وهو ايمان دفع الباس لا ايمان حقيقة وهو على ما اخبر عن ايمان الكفرة فى الاخرة لما عاينوا العذاب
فقال الكفرة ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل وكقوله رب ارجعون لعلى اعمل صالحا
فيما تركت وكقوله ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل كلما عاينوا من العذاب اكبر واشد مما عاينت
فرعون ثم اخبر انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لكنهم قالوا ذلك لدفع العذاب فعلى ذلك ايمان فرعون
ايمان دفع الباس ودفع العذاب عن نفسه لا ايمان حقيقة واختيار والله اعلم والثانى ان الايمان والاسلام هو تسليم
النفس الى الله فاذا امن فى وقت خرجت نفسه من يده لم يسلم نفسه الى الله اذ نفسه ليست فى يده لذلك
لم يقبل الايمان فى ذلك الوقت الاشراف على الهلاك والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان الايمان بالربوبية انما
يكون بالاستدلال بالشاهد على الغائب ولا يمكن الاستدلال بالشاهد على الغائب فى ذلك الوقت
لا يجى النظر والتفكر لذلك لم يكن النفع فى ايمانه حقيقة والله اعلم وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك
قيل فيه بوجوه ننجيك من النجوة اى نلقيك على النجوة وهى مكان ما ارتفع وما اشرف ليراه كل احد انه
هلك لينظر لهم انه لم يكن الها على ما ادعى واما سائر قومه لم يلق على النجوة ولكن بقيت فى البحر والثانى
قيل ننجيك اى نخرجك من البحر فلا تترك فيه لتكون اية لمن خلفك والثالث ننجيك ببدنك اى ننجيك
ببدنك بروحك لانه ذكر فى القصة انهم لما غرقوا هو وقومه الى النار كقوله مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا فاخبر انه لم ينج جسده بروحه الى النار ولكن اخرج بدنه من البحر وهو فى درجه
الى النار مع سائر قومه لترى جسده فينظر كذبه ولا يشتبه امره عليهم والله اعلم ثم قوله لتكون لمن خلفك
اية يحتمل وجهين ليكون هلاكك اية فلا يدعى احد الربوبية والالوهية كما ادعيت والثانى اى لمن شاهدك
كذلك غرقا ملقى اية والله اعلم وقوله تعالى وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون قال بعضهم الناس
يعنى اهل مكة لغافلون عن هلاك فرعون وقومه حيث قالوا ما هذا الا سحر والا افك مفترى وقال بعضهم
هم غافلون عما اصابوا ولكنه اذ مثل هذا لا يفترى اعنى مثل هذه القصص ويحتمل اى كثيرا منهم كانوا
غافلين عما اصابهم والله اعلم والغفلة على وجهين احدهما غفلة الاعراض والعناد بعد العلم والمعرفة بان ذلك
حق والثانى غفلة بترك النظر والتفكر وكلا الوجهين مذموم وقوله تعالى ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق
قال عامة اهل التاويل بوانا اى انزلنا بنى اسرائيل منزل صدق يعنى منزلا حسنا وقال ابو عوسجة بوانا اى هيانا
لهم مهيئا صدقا اى حسنا كقوله تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال اى تهيئ وقال بعضهم اى مكناهم تمكين صدق وهو
كقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ويحتمل
ما ذكر فى هذه الاية وقوله مبوا صدق اى منزل صدق اى حسن وقيل مبوا صدقا اى حسن كريم ويحتمل مبوا صدق
وجهين اخرين احدهما انه وعدهم ان يمكن لهم فى الارض فانجز ذلك الوعد لهم مبوا صدق اى مكنهم صدقا حيث
انجز لهم الوعد وصدق الوعد قالوا لما ذكر واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
الاية والثانى مبوا صدق اى مبوا اهل صدق لان الشام كان لم يزل منزل اهل صدق وعلى هذا يخرج قوله رب
ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق اى مدخل اهل صدق واخرجنى مخرج اهل صدق والله اعلم
وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات قال اهل التاويل يعنى المن والسلوى ولكن يمكن اجراء اللفظ على العموم
فلا يصح التقييد والطيبات هى التى طابت بها الانفس مما حل بالشرع مما لا تبعة على اربابها فيها لم يعص فيها والله
اعلم وقوله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم اى فما اختلفوا فى الدين الا من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل فما اختلفوا
فى محمد انه رسول الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول وقيل فما اختلفوا فى القران والايات التى اتى بها على رسوله
الا من بعد ما جاءهم العلم انه منزل من عند الله والله اعلم وقوله تعالى ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون يحتمل وجهين احدهما فى الجزاء والثواب والثانى فى تبيين المحق من المبطل وقوله تعالى فان كنت فى شك
مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اختلف فيه قال بعضهم الخطاب لرسول الله والمراد منه غيره

وقال بعضهم الخطاب لرسول الله والمراد منه غيره وقال بعضهم الخطاب له والمراد به من حضره ولا هو وقال بعضهم
الخطاب لرسول الله والمراد غيره من عادة الناس انهم يخاطبون من هو اعظم منزلة وقدرا ويريدون به غيره
ويجب الحمل عليه وان كان خلاف ظاهر الصيغة وضعا لانه لا يحتمل ان يكون رسول الله شك فيما انزل اليه خطاب ربما
يجب الصرف الى غيره وهو كقوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف الاية ومعلوم انه لم يكن
ابوا رسول الله وقت هذا الخطاب حيين لكن خاطبه والمراد به غيره فكذا هذا ومنهم من قال الخطاب للرسول والمراد به من حضر
رسول الله بقولها ان الوفود من الكفرة كانوا يقدمون رسول الله ويسالونه عن اشيا شتى فامره الله تعالى ان يخبر
الذين حضروا منهم ويقول فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وقد كان
يحضره اليهود والنصارى والجماعة وهذا الخطاب للواحد الذى حضره وعلى هذا التاويل قوله انزلنا اليك يكون [illegible]
لذلك الرجل لان كل منزل على رسول الله منزل عليه والى الكل حتى قال الله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
امرهم باتباع ما انزل اليهم لان كل منزل على رسول الله منزل عليهم والله اعلم ويحتمل ان يخاطب به كل انسان كقوله
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد به انسانا معهودا ولا جنس الانسان ايضا لانه ليس كل انسان معهودا
ولكن المراد به كل انسان معهود بشر وكل كافر وقد [illegible] فى القران ان يخاطب به كلا فى نفسه والله اعلم ومن قال الخطاب
برسول الله والمراد هو ايضا فهو يحتمل وجهين احدهما انه فى الابتدا لم يكن على يقين بانه يوحى اليه امر الله اذ كل من
نبى يحتاج فى خاصة نفسه الى اية ومعجزة ليعرف انه رسول مبعوث وان الذى يامره بالرسالة هو الملك دون
الشيطان فيحتمل ان يكون المراد هذا فيامره ان يسال اهل الكتاب بما نزل عليه حتى اذا اخبروه بذلك تيقن
ان المخبر له هو الملك او يامره بان يسال اهل الكتاب عن نعت من هو رسول اخر الزمان ليصفوه فيعلم برسالة
نفسه وهو كقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الاية وقوله وما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فقال
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ليخبروك انه نزل اليك لما ذكرنا
والله اعلم والثانى ما قال ابو بكر الاصم ان تاويله ما كنت فى شك مما انزلنا اليك لكن فاسال الذين يقرؤن
الكتاب الانباء التى اخبرتهم وانباتهم وادعيت انها اوحيت اليك ويكذبوك فى ذلك ليخبروك على ما اخبرتهم
ليزيدك تقريرا وطمانينة وتثبيتا والزيادة فى التثبت ليس مما يدل على الشك والوقف فى العلم كقوله لابراهيم
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى وكقوله لموسى وهرون ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وقال لنوح
انى اعظك ان تكون من الجاهلين فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
قال بعضهم يعنى من امن منهم وقيل فاسال اهل الكتاب منهم يخبرونك لانه مكتوب عندهم كقوله يجدونه
مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل وقوله تعالى لقد جاءك الحق من ربك قيل الحق القران جاء من ربك
قيل الحق القران جاء من ربك وقيل جاء البيان انه من عند الله وقوله تعالى فلا تكونن من الممترين اى من الشاكين
وقوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين هو مما ذكرنا انه يريد الخطاب غيره اذ لا يحتمل
ان يكون رسول الله من الذين يكذبون بايات الله او يكون من الخاسرين وقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمت ربك
لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا فى حق من يختم
قلبه بالكفر والله اعلم والثانى يحتمل حقت عليهم كلمة ربك او حكم ربك بالجزاء من كان فى علمه انه لا يؤمن
لا يؤمن وقت اختياره الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادى له وقت اختياره الكفر وكذلك قوله والله لا يهدى
القوم الظالمين وقت اختيارهم الظلم فالتاويل الاول يرجع الى الجملة والثانى الى من يثبت فى علمه انه لا يؤمن
الى وقت كذا لا يؤمن الى ذلك الوقت ويحتمل قوله حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ما ذكر فى اية اخرى ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب ويحتمل ايضا كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقوله تعالى ولو جاءتهم
كل اية حتى يروا العذاب الاليم قيل فى الدنيا ايمان دفع العذاب على ما ذكرنا وقوله تعالى فلولا كانت قرية
امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقيل اى لم يكن قرية من القرى امنت عند معاينة العذاب ايمانا نفعها
ايمانها الا قوم يونس فانهم امنوا ايمانا حقيقة وعلم الله صدقهم فى ايمانهم فنفعهم ايمانهم والله اعلم وقال بعضهم
فهلا كانت قرية امنت اذا رات باسنا فكانت مثل قوم يونس متعاطين راوا العذاب ثم هذا يخرج على وجوه
احدها ان سائر القرى كان ايمانهم عند اتيان العذاب اليهم واشراف الوقوع عليهم وهم لم يعاينوا ذلك
فامنوا فما العذاب المعاين عن انفسهم لم يكن ايمانا حقيقة واما قوم يونس فان ايمانهم كان لحق نفعهم
قبل ان يعاينوا العذاب واشرف عليهم بالوقوع فيكون ايمانا حقيقة والله اعلم والثانى يحتمل ان يكون نزول
العذاب بقوم يونس على طريق التخيير والتمكين ان يقبلوا الايمان فامنوا دفع العذاب عنهم وان لم يقبلوا نزل
بهم كما حل بغيرهم من العذاب لا على هذا الوجه لما ظهر عنادهم وعلم الله منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم وكذا

يحتمل كان ايمان سائر القرى بعدما عاينوا مقامهم في النار فآمنوا فلم يكن ينفعهم ايمانهم اضطرارا وقوم يونس آمنوا قبل
ان يعاينوا العذاب وانما عاينوا غشي عذاب الدنيا ويشبه ان سائر القرى آمنت بعد وقوع العذاب
والبأس فلم ينفعهم ايمانهم لانهم آمنوا بعدما خرجت انفسهم من ايديهم فان ايمان فرعون وقومه انما كان بعد
غرق فلم يقبل ايمانهم فاما قوم يونس فانهم آمنوا اذا عاينوا العذاب قبل ان يقع بهم وانفسهم في ايديهم بعد
فقبل منهم كما ذكر وان نتق الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم آمنوا عندما عاينوا قبل ان يقع بهم
وسائر الامم الخالية كان منهم الايمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثالهم والله اعلم وقوله تعالى
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا هو العذاب الفاضح وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا • قالت المعتزلة المراد من المشيئة هي مشيئة القهر والجبر اي لو شاء منهم الايمان جبرا بان يجبرهم
على الايمان بان يخلق فيهم الايمان جبرا لو شاء لآمنوا كلهم بالله ضرورة ولكن قد شاء ان يؤمنوا بمشيئة الاختيار
اي يؤمنوا عن اختيار فلم يؤمنوا والدليل على ان المراد منه مشيئة الجبر لا مشيئة الاختيار قوله افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين اي ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الي لو شئت ذلك لآمنوا جبرا وقهرا
لكن ان نصرف الآية الى مشيئة الجبر فاسد لوجوه احدها ان مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشيئة القهر خفية
غائبة فاذا وجد منه مشيئة الاختيار فلم يؤمنوا ولم ينفذ مشيئته فيهم فكيف يصدق مع الجبر والقهر لا من فعل
العبد وفعل العبد ما يحصل بقدرة محدثة ولن يتحقق ذلك بدون الاختيار وتكره في التاويل على ما نقول
ولو شاء ربك ان يؤمنوا فلا يؤمنوا وهذا متناقض فاسد بعد فان كلا كان مؤمنا بخلقته اذ خلقه كل احد
يشهد على وحدانيته ولو صاروا مؤمنين بمشيئة الجبر لكان ايمانهم في تلك لا منفعة لهم فيه من الثواب
وذلك الايمان سواء ويكون ذلك في حق الشهادة على الله سبحانه الا انه في الحال التي الشهادة بطريق البلاء
وفي الحال الثانية بطريق الاختصاص فاما من حيث انه في الحال التي الشهادة بطريق الاضطرار دون الاختيار
فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة لم يستقم تعليق خلق الايمان او فعله بالمشيئة بما لا يستقيم تعليقه ثم لم يكن
منهم فدل ان الحمل على مشيئة الجبر فاسد لكن تاويله عندنا هو ان عند الله تعالى لطفا لو اعطاهم لآمنوا كلهم
عن اختيار ولكن لما علم منهم انهم لا يؤمنون لم يعطهم من التوفيق والعصمة واذا علم انهم لم يؤمنوا شاء ان لا يؤمنوا
شاء ان لا يؤمنوا لم يعطهم من التوفيق والعصمة واذا علم انهم لم يؤمنوا شاء انهم لا يؤمنوا والله الموفق وقوله
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين • والاشكال انه لا يؤمنوا والله الموفق وقوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين • والاشكال ان في هذه الآية نهيا للرسول عن الاكراه على الايمان وهو كقوله لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي وقال في آية اخرى تقاتلونهم او يسلمون وقال عليه السلام امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا اكراه فكيف يجمع بين هذه الآيات فنقول من وجهين احدهما ما ذكر ان هذه
السورة مكية وقوله تقاتلونهم او يسلمون مدنية فيحتمل ان النبي نهي عن الاكراه على الايمان بقوله افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكرههم ثم امر بالقتال والحرب والاكراه على الاسلام بعد ذلك فنسخ
الحكم الاول والثاني يحتمل ان يجمع بين الآيات فان المراد من قوله تقاتلونهم او يسلمون ونحوه الاكراه على كلمة الاسلام
اي تقاتلونهم حتى يقولوا كلمة الاسلام ويتكلموا بكلمة الايمان كما نص عليه في الحديث امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله والقول بلا اله الا الله على حقيقته ذلك في الفكر ليس باعتقاد وفي هذه الآية
قال حتى يكونوا مؤمنين وبالاكراه لا يكونون مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب والاكراه مما لا يعمل عليه
وكان تاويل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا يمكنك ان تكرههم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لشدة حرصه ورغبته في ايمانهم كاد ان يكرههم على الايمان اشفاقا عليهم كقوله لعلك باخع
نفسك الآية ونحو ذلك وقوله تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله • قيل باذن الله اي بعلم الله وما كان
لنفس في علم الله انها لا تؤمن فتؤمن اي لا تؤمن نفس في علم الله انها لا تؤمن انما يؤمن من في علم الله انه
يؤمن واما من كان في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل الا باذن الله اي بمشيئته وارادته معناه لا تؤمن
نفس الا بمشيئة الله اي اذا آمنت انما تؤمن بمشيئة الله ما تفعل انما تفعل بمشيئته سبحانه وهو كقوله وما
تشاؤون الا ان يشاء الله وقال بعضهم الا باذن الله اي بامر الله معناه اذا آمنت انما تؤمن بامره لا
بغير امره وفيه وهاء لان ظاهر هذا يقتضي ان يكون الامر بالايمان من قرائن وجوده لا ينفك عنه كالا
وجود الايمان عن علم الله ومشيئته وارادته وكم من مامور بالايمان لم يؤمن فدل ان الاول اقرب واصلح
ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون الله تعالى يعلم من خلقه اختيار معاداته وفي الخلاف نشاء الولاية له لانه يحتج
بحجج العجز لان في الشاهد من اختار معاداة احد والآخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه وحاجته

اليه تعالى الله عن ذلك كله فلا يوصف بما يؤدي اليه والله الموفق وقوله تعالى ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون • قيل الرجس الاثم وقيل العذاب على الذين لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم حتى يعرفوا
وقيل جزاء الكفر على الذين لا يعقلون اي لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم وقوله تعالى قل انظروا
ماذا في السموات والارض • تاويله والله اعلم اي انظروا الى آثار نعمه واحسانه التي في السموات والارض كي
تشكروه ويحتمل اي انظروا الى آثار ربوبيته والوهيته في السموات والارض فتتخذوه ربا ويحتمل ان يقال
انظروا الى آثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته وعقابه او انظروا الى ما خلق من الخلق والى ما فيه على تقدير
ليدلكم على وحدانيته ونحو ذلك ليس شيء في السموات والارض يقع عليه البصر الا وفيه دلالة
حتى طرفة العين ولحظة البصر وقوله تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون • اي ما تغني الآيات
والنذر من همته الانقياد والقبول وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية ويحتمل قوله وما تغني
الآيات والنذر في الآخرة عن قوم لا يؤمنون في الدنيا انما تنفع وتغني لقوم يؤمنون وقوله تعالى فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم • اي فهل ينتظرون في نومهم من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
اي مثل ما انتظر الذين خلوا من قبلهم برسلهم من الهلاك فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل
وذهاب امرهم ويحتمل اي فهل ينتظرون من نزول العذاب بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب
بهم الى هذا يذهب بعض اهل التاويل ويحتمل قوله فهل ينتظرون من تاخيرهم الايمان الى وقت نزول
العذاب بهم الا مثل ما اخر اولئك الذين خلوا من قبلهم الايمان الى وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج على الايا
من ايمانهم اي فلا ينفعهم في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم فيه والوجه الاول على التوبيخ والتعيير بالكفر و
هو كقوله خبرا عنه فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي فانتظروا اجد ذلك والله اعلم وقوله تعالى ثم ننجي رسلنا
والذين آمنوا • قوله ثم ننجي رسلنا اي ننجي الرسل والذين آمنوا لانه لم يكن يعقبه رسول حتى
يصرف الوعد الى المستقبل ومعناه كما وعدنا ان ننجي الرسل والذين آمنوا واخزنا الوعد فننجيهم فيما
مضى من انبياء الكفرة وشرهم وكذلك في المستقبل حق علينا ان ننجي المؤمنين فيخرج هذا الوعد ايضا والله اعلم
وقوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني • اي ان كنتم في شك من ديني الذي ادين به او ان كنتم
في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي اذا شككتم في ديني الذي ادعوكم
اليه كنتم شاكين في دينكم الذي انتم عليه فتركتم ديني الذي انا عليه بالشك ثم تدعونني الى دينكم الذي
انتم عليه بالشك يذكر سفههم بين لهم اجابته بالشك دعاهم اياه الى دينهم بالشك لان الشك يوجب
الوقف في الاشياء ولا يوجب الدعاء اليه انما يوجب الدعاء اليه بطلان غيره لا الشك هذا والله اعلم ويحتمل
يخرج على وجهين احدهما على الاضمار والآخر على المنابذة اما الاضمار فما ذكرنا ان كنتم في شك من ديني الذي
ادين به وادعوكم اليه فانا لا اشك فيه هذا وجه الاضمار واما المنابذة ان كنتم في شك مما اعبد وادين به
فلا اعبد دون ذلك لا اشك فيه وانا لا اعبد ما تعبدون ولا ادين بما تدينون وهو كقوله قل يا ايها الكافرون
الى قوله لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم التوفي هو الغاية والنهاية في الاضرار يعني
ان الاصنام دونه لا يملكون توفيكم ولا الاضرار بكم ان لا تعبدوها يذكر سفههم ويبين لهم ان الذي
يتوفاكم هو المستحق للعبادة دون الاصنام التي تعبدونها والله اعلم وقوله تعالى وامرت ان اكون من المؤمنين
يحتمل ان يكون قوله من المؤمنين من المرسلين كقوله انهما من عبادنا المؤمنين فعلى ذلك هذا ويحتمل الايمان
نفسه على ما نهى ان يكون من المشركين او الشاكين فعلى ذلك امر ان يكون من المخلصين له المسلمين انفسهم
والله اعلم وقوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا • امرت ان اقيم نفسي لله خالصا سالما لا اشرك فيها غيره
ولا اجعل لسواه فيها نصيبا ويحتمل اي امرت ان اقيم نفسي على ما جبلها وشاهدها عليها اذ خلقه كل نفس
تشهد على وحدانية الله والوهيته ويحتمل ان اقم وجهه امرك وكل ما تدين به وتقيم عليه والله اعلم وقوله تعالى
ولا تكونن من المشركين هو على ما ذكرنا من قوله فلا تكونن من الممترين ونحو ذلك وقوله تعالى ولا تدع من دون الله
ما لا ينفعك ولا يضرك • اي فلا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته واجبته ولا يضرك ان تركت اجابته
وطاعته ثم قوله ولا تدع من دون الله يحتمل وجهين احدهما اي لا تعبد من دون الله ما لا يملك جر المنفعة
اليك ولا دفع الضر عنك والثاني يحتمل الدعاء نفسه اي لا تسم ولا تذكر من دون الله الها وقوله تعالى
فان فعلت فانك اذا من الظالمين • ههنا ذكر الظلم ان فعل ما ذكر والمراد منه الشرك كقصة آدم وحوا
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقد قرباها ولم يكونا من المشركين انما استحقا اسم العصيان لا
ان الشيء في موافقة الاسماء الموافقة في الحقائق والمعاني انما يكون الموافقة في الحقائق في موافقة الاسباب الذاتية

كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فيه نهي عن الرجاء والطمع الى من دونه
اذا اجله لا يوجد ذلك من عند غيره وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله اخبر انه اذا اراد احدا
بفضل فلا راد لذلك الخير والفضل والايمان من اعظم الخير واجل افضله فاذا اراد الله لاحد كان ولا
احد دفع ما اراد ولا رده دل انه اذا اراد الايمان لاحد كان مؤمنا وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا انه
اراد الايمان للخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا اذ اخبر انه اذا اراد به خيرا فلا راد له وهم يقولون بل يملك العبد
رد ما اراد له ودفعه وبالله العصمة وفيه دليل على انه ليس على الله فعل ذلك اعني فعل الخير لانه سماه فضله
والفضل هو ما ليس عليه هو المفهوم في الناس وما عليهم من الفعل لا يسمونه فضلا انما يسمون الفضل ما ليس
عليهم والله اعلم وقوله تعالى يصيب به من يشاء من عباده اي يصيبه من يشاء من الفضل والخير لمن ليس
وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم اي لا يعجل بالعقوبة وفيه دلالة تخصيص بعض الناس على البعض حيث
قال يصيب به من يشاء من عباده وقوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم قيل الحق محمد وقيل الحق
القرآن الذي انزل عليه ويمكن ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوهم رسول الله اليه لانه قال يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني فيشبه ان يكون الحق هو الدين الذي كان يدعوهم رسول الله اليه وشكوا فيه فجاءكم
ما يزيل عنكم ذلك الشك ان تأملتم ويحتمل الحق على ما ذكره بعض اهل التأويل كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اول النشو الى آخر عمره آية ويحتمل الحق القرآن على ما ذكر بعضهم وهو ما ذكر لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه الآية وقوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها اي من اهتدى
فانما منفعة اهتدائه له في الدنيا والآخرة ومن ضل فانما يرجع ضرر ضلالته اليه وجنايته عليه اي ما يأمر وينهى
ليس لمنفعة تحصل له او لحاجة تمسه انما يأمر وينهى لمنفعة الخلق ولحاجاتهم وقوله تعالى وما انا عليكم بوكيل
اي بمسلط قال بعض اهل التأويل انه منسوخ نسخته آية القتال لكنه لا يحتمل لانه وان كان مأمورا بالقتال
فهو ليس بوكيل ولا مسلط على حفظ اعمالهم انما عليه التبليغ كقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله فانما
عليه ما حمل وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله تعالى واتبع ما يوحى
اليك يحتمل القرآن وغيره من الوحي غير القرآن اذ هو نوعان متلو وغير متلو وقوله تعالى واصبر حتى يحكم الله
اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا يؤذونه ويقولون فيه ما لا يليق به ويحتمل اي اصبر على تبليغ الرسالة والقيام
لما امرت به وقيل اصبر على اذاهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة ووقت عقوبة
وهو خير الحاكمين او اصبر على تكذيبهم اياك حتى يحكم الله بينك وبين مكذبيك والله اعلم والحكم

سورة هود عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت قال
الحسن احكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال بعضهم احكمت آياته حتى لا يأتيها
الباطل من بين يديها ولا من خلفها ثم فصلت بين ما يؤتى ويتقى وما لهم وما عليهم وما لله عليهم وقال
بعضهم احكمت آياته بالفرائض وفصلت بالثواب والعقاب وقيل احكمت آياته عن ان يرد عليها النقض
والتناقض وقيل احكمت حتى لا يملك احد التبديل والتغيير ويحتمل احكمت عن ان يقع فيها الاختلاف
وقال بعضهم احكمت آياته فلم تنسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل فصلت اي فرقت في الانزال انزل
شيء بعد شيء على قدر النوازل والاسباب لم تنزل جملة لانه لو انزل جملة لاحتاجوا
الى ان يعرفوا لكل سببه وشأنه وخصوصه وعمومه فاذا انزل متفرقا في اوقات مختلفة على النوازل والاسباب
عرفوا ذلك من غير بيان واعلام لهم والتفصيل هو التفريق والتبيين وكلا المعنيين محتمل ههنا والله اعلم
وقوله تعالى من لدن حكيم خبير اي من عند حكيم عليم جاءت هذه الآيات [illegible] في هذه الآية جواز تأخير
البيان فانه قال احكمت آياته ثم فصلت [illegible] الترتيب على وجه التراخي فذلك [illegible]
جائز وقوله تعالى الا تعبدوا الا الله قيل الا تعبدوا الا الله الذي في شهادة خلقكم انه لا يستحق العبادة
[illegible] خالقكم [illegible] عليه مستحقا الشكر والتعظيم والحمد [illegible] وقيل الا تعبدوا
اي لا توحدوا الا الذي في شهادة خلقكم وحدانيته وقوله تعالى انني لكم منه نذير وبشير اي من الله
نذير لمن ينذر وبشير يبشر من اتبع [illegible] وقوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه [illegible]
فيكون قوله استغفروا ربكم اي اسلموا ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه عن كل معصية وكل اثم تأتونه [illegible]

في المسلمين فظاهر فيكون قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه [illegible] وقوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى اي يمتعكم
في الدنيا متاعا [illegible] يستحسنون ذلك المتاع والتمتع في الآخرة واما الكافر فانهم لا يستحسنون في الآخرة ما متعوا
به في الدنيا [illegible] في الدنيا انما يتمتع لامر الآخرة والتزود لها والله اعلم وقوله
تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤتي كل ذي فضل في الدنيا جزاء فضله في الآخرة ويحتمل [illegible]
[illegible] كل ذي فضل في الدنيا انما اتاه بفضله ويحتمل ويؤت فضله في الآخرة كل ذي فضل في الدنيا
لان اهل الفضل في الدنيا هم اهل الفضل في الآخرة ويحتمل [illegible]
والله اعلم وقوله تعالى وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير [illegible] عذاب يوم عظيم
في موضع آخر وهو لما يكبر ويعظم ذلك اليوم وقوله تعالى الى الله مرجعكم اي الى ما اعد لكم مرجعكم من
وعد ووعيد وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير اي هو على ما اعد ووعد قدير وقوله تعالى الا انهم يثنون
صدورهم ليستخفوا منه عن ابن عباس [illegible] وقال قتادة
كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله وذكره وقال بعضهم نزلت الآية في رجل يقال له الاخنس بن
شريق الثقفي كان يجالس النبي ويظهر له امرا حسنا وكان حسن المنظر حسن الحديث وكان النبي يعجبه حديثه
ويقربه في مجلسه وكان يضمر خلاف ما يظهر فانزل الله تعالى الا انهم يثنون صدورهم [illegible] ما في قلوبهم
ليستخفوا منه [illegible] واصل [illegible] الصدور [illegible] في الصدر والى الطرف الآخر لكي
[illegible] ما اضمروا سرا واخفوا [illegible] يثنون صدورهم [illegible]
[illegible] ان يكون يثني الصدور ان يكون كناية عن ضيق الصدر كقوله ومن يرد ان
يجعل صدره ضيقا حرجا ويحتمل ان يكون تعبيرا عن الكبر وهو كقوله ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله
وقوله تعالى ليستخفوا منه قال بعضهم اي من الله وقال بعضهم من رسول الله لكن ان كانت الآية في المنافقين
على ما ذكره بعض اهل التأويل فالاستتار يرجع الى الاستتار من رسول الله لانهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون
الخلاف فيها لعداوة له وان كانت الآية في المشركين فالاستتار يرجع الى الاستتار من الله تعالى لانهم لا يبالون الخلاف
لرسول الله واظهار العداوة له وعندهم ان الله تعالى لا يطلع على ما يسرون ويضمرون في قلوبهم فاخبر تعالى انه يعلم
ما اسروا واعلنوا وفيه دلالة اثبات الرسالة لانهم كانوا يسرون في انفسهم ويضمرون فاخبرهم بذلك ليعلم
انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله تعالى الا حين يستغشون ثيابهم اي يستترون بها قال الحسن الا حين يستغشون
ثيابهم في ظلمة الليل وفي اجواف بيوتهم يعلم في تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون فاصله انهم يعلمون ان الله هو
الذي انشأ هذه الصدور وفي القلوب وفي الثياب هم الذين نسجوها واكتسبوها ثم لا يملكون الاستتار بما
كسبوا فلان لا يملكوا الاستتار بما فطر الله وانشأ من غير صنع من جهتهم احق والله اعلم وقوله الا حين حرف
الا للتاكيد للكلام وهو في الذي يعيد وغيره وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور قال اهل اللغة قيل عليم بما في الصدور
يقال ذات المرأة ذا بطنها او ما كان في بطنها من الولد لكن يشبه ان يكون قوله بذات الصدور كناية عن صدور
لها تمييز وتدبير وهم البشر وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قال بعضهم عني بالدابة الممتحنة
من الخلق وهم البشر فاما غيرهم من الدواب فقد سخرها لهم وقال القائلون ان كل دابة تدخل في هذه الآية من الممتحن
وغيره ثم قوله الا على الله رزقها يحتمل وجهين قال بعضهم اي على الله انشاء رزقها وخلقه لها الذي به قوامها
وعيشها وهو كقوله وفي السماء رزقكم اي ينشئ ويخلق رزقكم بسبب في السماء من المطر وغيره فعلى ذلك
قوله على الله رزقها اي على الله انشاء رزقها وخلقه لها ومن الرزق ما جعله بسبب ومنه ما جعله بغير سبب
وقيل على الله رزقها اي على الله ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها كقوله وقدر فيها اقواتها اي عليه
تبليغ رزقها وما به معاشها ثم قوله على الله قال بعضهم اي ما جاءها من الرزق انما جاءها من الله لا رازق غيره وعلى
على معنى حرف من وهذا جائز في اللغة كقوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون وهو قول مجاهد ويحتمل على الله رزقها
اي على الله وعد ما وعد وتكفل فوعد ان يرزقها فعليه وفاء ما عهد ووعد وانجاز ووعد ويحتمل وجها آخر وهو انه
لما خلقها ليبقيها الى وقت معلوم عنده فعليه ما به تعيش الى ذلك الوقت اذ اجرى السنة ان لا بقاء للبشر بدون
الغذاء وان كان في قدرته ذلك والله اعلم وقوله تعالى ويعلم مستقرها ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم
مستقرها بالليل ومستودعها بالنهار في معاشهم اذ الليل للسكون والقرار والنهار للكسب والابتغاء
وقال بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وقال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم وقال بعضهم
المستقر مثواها في الآخرة والمستودع المتقلب في الدنيا وهو كقوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم متقلبكم
في الدنيا وتحرككم في معاملكم ومثواكم اي قراركم ومقامكم في الآخرة وقال بعضهم مستقرها في الدنيا ومستودعها

فى القعر يشبه ان يكون هذا الخبر اعنى العلم بها فى كل حال من حال سكونها وفى حال حركتها لانها لا تخلو اما
ان تكون ساكنة تارة او متحركة اى يعلم عنها كل احوالها ويشبه ان يكون صلة ما تقدم وهو قوله الا انهم يثنون
صدورهم الآية يخبر انه اذا لم يخف عليه كون كل دابة فى بطن الارض وما تغيض الارحام وما استودع الاصلاب
كيف يخفى عليه اعمالكم التى فيها الثواب والعقاب لكم وعليكم فيها الامر والنهى والله اعلم وقوله تعالى كل فى
كتاب مبين اى مبين فى كتاب ثم يحتمل الكتاب اللوح المحفوظ ويحتمل القرآن والله اعلم وقوله تعالى وهو الذى خلق
السموات والارض فى ستة ايام وذكر فى موضع خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وقال فى موضع
آخر قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وقال فى موضع آخر فقضاهن سبع سموات فى يومين
وقال وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام وهذه الايات فى الظاهر مختلفة لكن يحتمل ان يكون المراد والله اعلم ان جعل
للارض يومين يوماً لوجودها ويوماً لعدمها وكذلك السماء جعل يوماً لوجودها ويوماً لعدمها كقوله يوم تبدل
الارض غير الارض وقوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقوله يوم تشقق السماء بالغمام وكذلك
ما بينهما جعل يوماً للوجود ويوماً لعدمه فهذا احتمل وسمعنا فى سورة الاعراف وجائز ان يكون اليوم
هو اليوم الذى انشأ فيه المعنى وهو المقصود من خلق ما ذكر من الاشياء اعنى البشر وفى هذه الآية دلالة ان
السماء والارض داخلتان تحت الاوقات بقوله فى ستة ايام اذ الايام عند الناس انما هو مضى الاوقات
واذا دخلتا تحت الاوقات ليستا بازليتين على ما يقوله بعض الملحدة انهما ازليتان كما ذكرنا والله الموفق
وقوله تعالى وكان عرشه على الماء ان كان العرش ههنا اسم الملك والسلطان على ما قاله بعض اهل التأويل
فتأويله والله اعلم كان اظهر ملكه عن الماء على معنى انه بالماء ظهور كل شئ وبقاؤه كقوله وجعلنا من الماء
كل شئ حى وان كان العرش ههنا هو اسم السرير على ما قاله بعض الناس فهو خلق من خلائقه على الماء ثم اضافه
الى نفسه كاضافة سائر الاشياء اليه لكن يضاف الاشياء اليه مرة بالجملة والكلية ومرة بالاشارة الى
عين ما اضيف بالاشارة والافراد فهو على تعظيم ذلك الشئ واظهار قدره وشرفه كقوله ان طهرا بيتى وناقة
الله وان المساجد لله واما ما اضيف اليه بالاجمال والارسال فهو على ذكر عظمة الله وكبريائه وذكر سلطانه كقوله
له ملك السموات والارض وقوله خالق كل شئ فكان اضافة العرش اليه الذى هو من افراد خلقه لبيان شرف
ذلك او جرحته خلق العرش وعظم لتكرمه اولياؤه وليتعبد ملائكته بالحمل والخدمة له على ما يكون للملوك
الارض سرير ويتعبدون بخدمتهم فى ذلك والله اعلم وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملاً اى خلق السموات
والارض وما بينهما الممتحن فيهما لم يخلق هذه الاشياء لانفسها انما خلقها للممتحن فيهما كقوله وسخر لكم
ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه لان خلقها لا لانفسها عبث حتى بقى مخلوقه للفناء خاصة وكل مخلوق
للفناء خاصة فهو عبث لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين خاطب نبيه واخبره ان كان يقول للكفرة انهم مبعوثون من بعد الموت
فيقولون ان هذا الا سحر مبين وفى ظاهر الآية اشكال لانه اخبر انهم يقولون ما يقوله سحر والسحر انما يكون فى
تقليب الاشياء واظهار ما فيه اعجوبة لا فى مجرد الاخبار عن البعث بعد الموت فيقولون قال بعضهم لم يرد الله
انك متى قلت انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا سحر ولكن اراد انه متى اخبرهم انهم مبعوثون من بعد الموت
واقام الحجج والبراهين على البعث بعد ذلك قالوا للحجج التى اقامها وبراهينه ما هذا الا سحر لما ان الحجج على خلاف العادة
نظير السحر من حيث الصورة ويحتمل ان اراد به القول نفسه اى انك متى قلت لهم انكم مبعوثون من بعد الموت
فيقولون ان هذا الا سحر مبين لكن الله تعالى يريد بهذا الاخبار عن سفههم حيث اعتادوا نسبة كل شئ
الى السحر من الاشياء التى لا تحتمل السحر وهو الاخبار يسمونه سحراً والله اعلم ويحتمل وجهاً آخر انهم جعلوا
ذكر السحر عبارة عن الباطل والتمويه فيكون هذا تكذيباً للرسول فى الاخبار عن البعث لا انهم ارادوا به حقيقة
السحر والله اعلم وقوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل الى وقت معلوم وهو الحين كذلك
الامة واراد به مدة ممتدة لان الامة اسم لطائفة وجملة من القوم فعبر ههنا عن جملة من الاوقات والله اعلم
وقوله ليقولن ما يحبسه اى كان الكفار يقولون لم يحبس عنا العذاب الذى يعدنا ان لم يكن عادتهم استعجال العذاب
استهزاء بالرسل وقوله تعالى الا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم اى اذا جاء ذلك العذاب يوم جاء لا يملك احد صرفه
عنهم كقوله والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير وكقوله ما لهم من شفيع وقيل اى لا يصرف عنهم شفاعة
من طمعوا شفاعته كما اخبر عنهم بقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا اى لا يكونون لهم ردءاً على ما طمعوا
ورجوا بعبادتهم وقوله واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون وقد ذكر انهم انما يعبدون الاصنام رجاء ان تشفع
لهم لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله والله اعلم وقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة قيل يعنى النعمة

٤٠ ونعمة وقوله تعالى ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور اى ايسه ذهاب ذلك المال عنه ونزعه منه عن العود اليه
واقنطه كفور لما اتى نزع ذلك المال والنعمة منه جحوداً لها فهو كفور وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ولئن اذقنا
الانسان يعنى الكافر منا رحمة يقول نعمة بالعافية وسعة فى المال ومباشرته ثم نزعناها منه يعنى الرحمة انه ليؤس
كفور يعنى قنوطاً آيساً وهو كقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم
يقنطون والاياس قد يكون كفراً كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويحتمل قوله انه ليؤس فى حال
ذهاب النعمة كفور فى حال النعمة والسعة والله اعلم وقوله تعالى ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن
ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور الفرح هو الراضى كقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا وقيل الفرح البطر البسط فى حال
الرخاء والسعة كقوله ان الله لا يحب الفرحين والفرح قد يبلغ كفراً يكون بجحده فيخرج كفراً وقد يكون الفرح
سروراً ولا يكون كفراً والفخور الذى يفتخر على الفقير بالمال الذى اعطى ويفتخر على الانبياء والرسل بالتكذيب
وكذلك كانت عادة رؤسائهم انهم كانوا ذوى مال وسعة فلا يرون الرسالة تكون فى غيرهم فى المال
والسعة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالاً واولاداً ونحوه
واصله وهو انهم كانوا لا ينظرون فى النعم الى من انعم عليهم انما ينظرون الى اعين النعم وانفسها لذلك حملهم
نزع ما اعطوا منهم وانعم عليهم على الاياس والقنوط عما اعطوا وذلك يحملهم على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا
فى تلك النعم الى المنعم لم يقع لهم الاياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل بل يصبرون عند النزع ويرجون
ويشكرون المنعم عليهم فى حال النيل والله اعلم ثم استثنى فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
يعنى الطاعات قد يشبه ان يكون قوله الا الذين صبروا اى امنوا على ما ذكر فى غيرها من الآيات الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كقوله والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ويحتمل
ان يكون قوله الا الذين صبروا عن المعاصى فلم يرتكبوها وعملوا الصالحات اى الطاعات والايمان نفسه هو
اعتقاد الانتهاء عن المعاصى جميعاً والانتفاء عن جميع ما يدخل نقصاً واتيان الطاعات كلها فهكذا اعتقد
كل مؤمن ان ينتهى ويتقى كل معصية ويأتى بكل طاعة ويعمل بها والله الموفق وقوله تعالى اولئك لهم مغفرة واجر
كبير يشبه ان يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا من الصغائر من الذنوب مع الاجتناب عن الكبائر منها واجر كبير
على ما اتقوا وعملوا من الكبائر من الطاعات ويحتمل لهم مغفرة اى الستر فى الدنيا ستر عليهم تلك الذنوب فى الدنيا
فلم يطلع عليها الخلق واجر كبير بما اظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس اليهم بعين التعظيم
لما ظهر منهم من الخيرات وخفى عليهم ما ارتكبوا من المعاصى فهذا التأويل يكون فى الدنيا والاول فى الآخرة والله اعلم
وقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل على النهى اى لا تترك بعض
ما يوحى اليك وان كان معلوماً انه لا يترك كقوله ولا تكونن من المشركين وقوله فلا تكونن من الممترين وامثال
ذلك نهاه وان كان لا يحتمل ان يفعل ذلك رسول الله وهو كما يقول الرجل لآخر لعلك تريد ان تفعل كذا
هذا منه نهى له عن ذلك الفعل والثانى نهاه عن ذلك عند القرب من الفعل والدنو منه كقوله لقد كدت تركن
اليهم شيئاً قليلاً نهاه عن ذلك عند الميل اليه والقرب منه طمعاً منه فى ايمانهم وذلك فيما يحمل له الترك فى تحمله
وكذلك ما قيل من سب آلهتهم وذكر العيب فيهم ويحمل له ترك سب آلهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله
لعلك باخع نفسك يحتمل الوجهين على المنع والنهى عن ان لا يحمل على نفسه اشفاقاً عليهم ان لا يؤمنوا
ما يوجب تلفه والثانى على التخفيف كقوله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون وقوله ولا تحزن عليهم
ولا تحزن لهو على التخفيف ليس على النهى والله اعلم وقوله تعالى بعض ما يوحى اليك يحتمل ما قاله اهل التأويل
من سب آلهتهم وعيبها وقوله تعالى وضائق به صدرك اى بما يقولونه مما اخبر عنهم بقوله ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك على طريق الاستهزاء به وكل من استهزئ به يخاف ان يضيق صدره ويحتمل ان يضيق صدره
لما لا يقدر على اتيان ما طلبوا منه من الكنز واتيان الملك ويحتمل وعدوا ان يؤمنوا لو فعل والله اعلم وفى قوله
باخع نفسك وقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك وجه آخر وهو نهى يخرج على التسلى
له فانه كان يخاف ضيق صدره واشتغال القلب عند سوء معاملتهم اياه فيقع له تأخير فى الدعوة مما امر
بتبليغه فامنه الله تعالى عن ذلك وعصمه ووجه آخر فى النهى عن ذلك وهو مما يقع له فى حال الرخاء وذهاب الاخيار اذا
ابتلوا بالاسترخاء يؤذن لهم بمفارقتهم وترك الامر فيهم فلعله كان يقع له فى حال الرخاء ان قد يؤذن له
فى حال من الاحوال ان يأخذ التبليغ فآيسه الله تعالى عن ذلك وكلفه بتبليغ ما امر به فى جميع الاحوال والله اعلم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك لان الكنز والملك يحلان فى قلوب الخلق قبولاً فقالوا لولا انزل عليه كنز فيعطيه
فيصدقه على ما ادعى وكذلك الملك له حال عظيم عندهم اذا كان معه ملك عظموه وصدقوه وقوله تعالى انما

أنت نذير • قال ذلك على اثر قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اي انما انت نذير ليس عليك اتيان ما سألوا
اعا ذلك يحكم منه على الله وانما عليك بلاغ ما انزل من الانذار وما عندك من الحجة وقوله تعالى والله على كل شيء
وكيل • اي حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتقولون باذن الحفيظ والوكيل لا انت كقوله لست عليهم بمصيطر
وقوله وما انت عليهم بوكيل ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى ام يقولون افتريه • اي قالوا افترى محمد هذا
القرآن من عند نفسه قل يا محمد لهم ان كان افتراه محمد كما تقولون فأتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات لانكم
اقدر على الافتراء منه لانكم قد عودتم انفسكم على الكذب والافتراء ولم تأخذوا عليه بكذب قط ولا ظهر
منه افتراء ومن عود نفسه على الافتراء والكذب فهو عليها اقدر ممن لم يعرف به قط فأتوا بسورة مثله وادعوا
شهداءكم ايضا من الجن والانس من استطعتم من دون الله يعينوكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين انه افتراه من
عنده ثم ذكر ههنا فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال في موضع آخر فأتوا بسورة مثله قال بعضهم دعوا
اولا ان يأتوا بعشر سور فلما عجزوا عن ذلك عند ذلك قيل لهم فأتوا بسورة مثله ويحتمل ان محمدا قد جاء بسور
فيها انباء ما اسررتم وما اخفيتم مما لا سبيل الى معرفة ذلك الا بالاطلاع عليه الا من جهة الوحي واطلاع الله اياه
فأتوا انتم بسورة مفتراة فيها انباء ما اضمر سائرهم وتطلعون على سرائرهم ما اطلع على سرائركم وادعوا من استطعتم
من دونه من الآلهة ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم ويحتمل ان يقول انكم مثل رسالة محمد فان قدر
هو على افتراء مثله من عنده فتقدرون انتم على افتراء مثله فأتوا به وادعوا ايضا من لسان مثل لسانكم حتى يعينوكم
على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم فان قيل ذكر فأتوا بعشر سور مثله مفتريات قيل انه كان هذا
ما يحتمل الافتراء على ما تزعمون فأتوا بمثله انتم لانكم اقدر على الافتراء من محمد هذا كما سمى الاصنام آلهة بناء
على زعمهم وقوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم • اي فان لم تقدروا انتم ولم يجيبوكم اولئك على الاعانة على اتيان
مثله فاعلموا انما انزل بعلم الله وبامره ومن عنده لم يختلقه مفترى وان لا اله الا هو اي لا الوهية لمن تعبدونه
دونه من الاصنام والاوثان والثاني فان لم يستجيبوا لكم يا اصحاب محمد ولم يقدروا على اتيان مثله فاعلموا
انتم انما انزل بعلم الله وهو من عنده نزل على التنبيه والتذكير وعرفوا وكانوا يعلمون انه من عند الله كقوله فاعلم
انه لا اله الا الله على التنبيه والتذكير ليس على انه لا يعلم فعلى ذلك الاول وقوله تعالى فهل انتم مسلمون • اي مخلصون
لمخلصون وعلى التأويل الاول على حقيقة الاسلام والايمان وفي قوله انزل بعلم الله نقض قول الجهمية بنفيهم
العلم عن الله وفي الآية اثبات العلم له وقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية • اختلف فيه قال
بعضهم الآية في اهل الايمان الذين عملوا الصالحات مراآة للخلق نوف اليهم اعمالهم فيها من الذكر والشرف
وما طلبوا باعمالهم في الدنيا من المباهات وغيرها اتاه الله تعالى في الدنيا جزاء تلك الاعمال التي عملوها وبطل ما
فيها وباطل ما كانوا يعملون لانهم عملوا لغير الله فلا يجزون باعمالهم في الآخرة الى هذا يذهب ابن عباس وروي
في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العبد المعروف بالخير يشدد عليه عند الموت والرجل
المعروف بالشر يهون عليه الموت فقال عليه السلام المؤمن يكون له ذنوب فيجازى بها عند موته فيفضي الى الله تعالى
ولا ذنب له والكافر يكون له الحسنات فيجازى بها عند الموت فيخفف بها عنه كرب الموت ثم يفضي الى الآخرة و
ليست حسنة او كلام نحوه وقال بعضهم الآية في اهل الكفر يعملون اعمالا هي في الظاهر صالحة نحو التصدق
على الفقراء او عمارات الطرق واتخاذ القناطر والرباطات يقول نوف اليهم جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا
لا ينقص منها شيئا نحو ما وسع عليهم في الدنيا ويحتمل ان يكون نوف اليهم اعمالهم اي نرد اليهم اعمالهم
التي عملوها فلا نقبلها فيكون اتيانا اعمالهم هو رد تلك الاعمال عليهم وتسليمها اليهم والله اعلم وقوله تعالى
وهم فيها لا يبخسون • اي لا ينقصون مما قدر لهم من الرزق الى انقضاء اجالهم [illegible] وقوله تعالى
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار • على هذا التأويل ظاهر اذ ليس لاهل الكفر في الآخرة الا النار
وعلى التأويل الاول الذي قيل انها في اهل الايمان اي يستوجبون بتلك الاعمال التي عملوها مراآة الا النار لانه
اذا راءى فيها لم يخلصها لله وضيع امره وكل من ضيع امر الله وترك فريضته يستوجب التعذيب عليه ولله
ان يعفو عنه ان شاء وليس في الآية انه لا محالة يعذبهم ويخلدهم والله اعلم وقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه • قوله افمن حرف يقتضي الجواب لكن جوابه ههنا لم يخرج في الظاهر لانه جوابه ان يقول افمن
كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة من ربه كما قال افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى لا يعلم فعلى ذلك قوله افمن كان على بينة من ربه لكن الجواب عندنا على وجوه مرة بالتصريح وهو
مثل ما ذكرنا ومرة يكون بالاشارة ومرة بالكناية على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو قوله
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي لا

كذلك ومنهم من يجعل جوابه فيما تأخر وهو قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن
يكفر به من الاحزاب [illegible] لا يكون كذلك وقالوا لم يجئ تقديم الجواب وتأخيره وهذا كقوله افمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه لم يخرج لهذا ايضا جواب التصريح وانما اختلفوا في جوابه
فيما تأخر وهو قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون [illegible] وصف الذين يعلمون وكذا نقول في
[illegible] ومنهم من يجعل جوابه [illegible]
نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار
يقول من جعل لله اندادا وضل عن سبيله وصار من اصحاب النار كمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما اي
لا يستويان [illegible] والله اعلم
[illegible] فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه [illegible] الاستفهام فلا يقتضي جوابا
ولكن يقتضي خبر المبتدا وهو قوله اولئك يؤمنون به تمام الكلام كانه يقول فمن كان على بيان من ربه اولئك
يؤمنون به وقال بعضهم [illegible]
عليه وقال بعضهم افمن كان على بينة من ربه اي على برهان من ربه ويتلوه شاهد منه [illegible]
له من ربه [illegible] وقال بعضهم [illegible] جبريل [illegible]
يتلو عليه القرآن وقال بعضهم يتلوه شاهد منه يعني لسانه وقيل يتلوه شاهد منه القرآن ثم قوله
افمن كان على بينة من ربه يحتمل اصحاب عيسى الذين آمنوا به ومن قبله كتاب موسى اصحاب التوراة الذين
آمنوا بها اولئك يؤمنون به اي هؤلاء الذين آمنوا بهؤلاء هم الذين كانوا يؤمنون بمحمد بما جاء به وقوله تعالى
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة • قيل فيه بوجوه قيل اي ومن قبل القرآن كتاب موسى جاء بهذا القرآن اماما
يقتدى به ورحمة لهم من العذاب ويحتمل قوله ومن قبله يعني قبل القرآن كتاب موسى التوراة اماما ورحمة
فيها انباء هذا القرآن وانباء محمد انه رسوله كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقوله
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وامثاله وعن ابن عباس رضي قال كان كتاب موسى وهو التوراة اماما يقتدى به
ورحمة اولئك يؤمنون به قال اصحاب محمد الذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم ويحتمل اولئك يؤمنون
به اي كان مؤمنو اهل التوراة يؤمنون بالقرآن ويقتدون به كما آمنوا بالتوراة واقتدوا بها وقوله تعالى
ومن يكفر به • اي بمحمد ويحتمل اي بالدين الذي هو عليه ويدعوهم اليه ويحتمل بالقرآن من الاحزاب
الاحزاب الفرق والاصناف وقوله تعالى فالنار موعده • اي النار موعده ان مات على ذلك فاما اذا اسلم
ومات على الاسلام فلا تكون النار موعده وقوله تعالى فلا تك في مرية منه • يحتمل الرجوع الى ما تقدم الى
ذكر ما من الدين والقرآن والنبي ثم النهي يحتمل هو نفسه ويحتمل ان يكون الخطاب له والمراد غيره كما ذكرنا في قوله
ولا تكونن من المشركين وقوله فلا تكونن من الممترين ونحو ذلك وقد ذكرنا ان العصمة لا تزيل الامر والنهي لان العصمة
يظهر بموافقة الامر ومخالفة النهي والله الموفق وقوله تعالى انه الحق من ربك • يحتمل الدين الذي هو عليه ويحتمل
هو نفسه الحق من ربه وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • ظاهر وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
هو ما ذكرنا ان لا احد اظلم على نفسه ممن اخذ نفسه من معبود وشغلها في عبادة من لا يملك لها نفعا ان عبده
ولا ضرا ان ترك عبادته وقال اهل التأويل لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا ومعناه لا احد افحش ظلما ممن افترى
على الله كذبا ومعناه لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا بعد معرفته ان جميع ما له من الله ويحتمل اي لا احد
اظلم على نفسه ممن القى نفسه الطاهرة في عذاب الله ونقمته بنا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة
وقوله تعالى اولئك يعرضون على ربهم • اي اولئك الذين تعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم فان وافقت اعمالهم
ما في شهادة خلقتهم من التوحيد سعوا العبادة له شكرا على ما انعم عليهم دخلوا الجنة وان خالف اعمالهم شهادة
خلقتهم ادخلوا النار تعرض اعمالهم على انفسهم عند ربهم لان الله تعالى عالم بما كان منهم من الاعمال والاحوال ويحتمل
ان يعرضوا على انفسهم عند ربهم على ما وعد ربهم في الدنيا وعلى ما اوعدهم فكان اعمالهم خرج موافقا لذلك ترى
الجنة والا فيصلون النار ثم ينجي الذين اتقوا عن الشرك والله اعلم ويحتمل ما هو ظاهر الآية اي يعرضون على ربهم
من غير غيبة كان منهم عن حالهم ويحتمل يعرضون على ربهم لا انفسهم لانهم اياما يؤمرون وينهون ويمتحنون لا لانفسهم
ولمنفعة انفسهم لتكون عرضهم لهم وقوله على ربهم اي عند ربهم وهو كقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي عند
ربهم والله اعلم وقوله تعالى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم • اختلف فيه قال بعضهم الاشهاد هم الرسل
والانبياء عليهم السلام وقال بعضهم الاشهاد الملائكة وقال بعضهم الاشهاد المؤمنون فمن قال هم الانبياء والمؤمنون
فهو كقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومن قال هم الملائكة

فهو كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ويحتمل
ومعناه والله اعلم انه يعرض اعمالهم واقوالهم على انفسهم فاذا قرؤها بعثوا الى النار واذا انكروا يشهد عليهم ما ذكر
من الشهدا فاذا انكروا يقال لهم اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا انكروا ذلك يشهد عليهم
جوارحهم كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية ويحتمل ان يكون الملائكة ينادون في ملا
من الخلق قبل ان يدخلوا النار هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويحتمل ما ذكر من شهادة الذين كانوا موكلين بكتابة اعمالهم
واقوالهم يخبرون بما كتبوا من الكتبة والله اعلم وقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين قال بعضهم اللعنة هو العذاب
وقال بعضهم هي الطرد عن جميع المنافع والابعاد عن رحمته انتفوا في الدنيا عن دينه وفي الاخرة عن ثوابه وقوله
الذين يصدون عن سبيل الله يصدون في يحتمل ما عرضوا بانفسهم عن دين الله ويحتمل انهم صرفوا الناس عن
دين الله والله اعلم ومما يتبين ذلك بالمصدر انه اذا كان ذا اوذا يقال الاعراض هو نفسه صد يصد صدودا ولو كان
يصدون غيره صد صدا وفي صرف غيره صد يصد صدا والله اعلم وقوله تعالى ويبغونها عوجا قال بعضهم يبغون
على دين الله بالجحود وقال بعضهم يبغون من الناس الميل عن دين الله الى دينهم ذلك هو بغي العوج ثم كل سبيل
هو غير سبيل الله فهو عوج ولكن كانه قال يبغون سبيلا غير سبيل الله وقوله تعالى وهم بالاخرة هم كافرون اي جاحدون
وقوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي اولئك لم يكونوا معجزي الله في الدنيا من ان يعذبهم او ينتقم
منهم ان شاء والثاني اولئك لم يكونوا سابقي الله في الاخرة في دفع العذاب عن انفسهم ويحتمل لم يكونوا الائمة
في الائمة منهم والجبابرة يخبر انهم معجزين عما يريد من التعذيب لهم وقوله تعالى وما كان لهم من دون الله من اولياء
حسبوا ان اولياء الذين عبدوا دون الله يكونون لهم اولياء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطمعون في شفاعة الاصنام التي تعبدونها وان الذين يعبدونهم يكونون
لهم اولياء فاخبر الله تعالى انه ليس لهم اولياء على ما طمعوا وحسبوا بل يكونون لهم اعداء كقوله واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وامثاله كثير ويحتمل وما كان لهم من دون الله اولياء اي لا ينفعهم ولاية
من اتخذوا من دون الله اولياء وهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا وقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا اي لم تكن لهم ما طمعوا وقال سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اي صاروا لهم اعداء والله اعلم وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب
هذا يدل على ان العذاب للذين يصدون عن سبيل الله في الائمة الذين صرفوا الناس عن دين الله لانه اخبر انه يضاعف
لهم العذاب احدهما بما ضلوا بانفسهم والاخر لما صرفوا الناس عن دين الله وقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يبصرون والاية بظاهرها حجة على المعتزلة لانه نفى عنهم استطاعة السمع والبصر ولم يرد به
سلامة الجوارح فانها موجودة في حقهم دل ان المراد به نفي استطاعة الفعل واعترضت المعتزلة على العلو لا
وقالت فيها بوجهين احدهما انه لا حجة لكم في الاية فانهم كانوا يسمعون ويبصرون حقيقة فيكون لهم استطاعة
ذلك لكن معنى قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي لا يستطيعون ذلك لاستثقالهم
النظر اليهم والسماع لكلامهم وهو كما يقول الرجل ما استطيع ان انظر الى فلان ولا استطيع ان اسمع كلامه
وهو ناظر اليه سامع لكلامه حقيقة لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظر اليه والسماع لكلامه فعلى ذلك
الاول كانوا يسمعون ويبصرون لكنهم كانوا يستثقلون النظر اليهم والسماع لكلامهم فنفى ذلك عنهم والله اعلم
والثاني انهم لا يستطيعون السمع والبصر وهو ما اخبر عنهم صم بكم عمي كانوا يتصامون ويتعامون عن
الحق فنقول وبالله التوفيق ما ذكروا من التاويل لا يصح وانه لو اراد انهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون حقيقة السمع والبصر كما قلتم ولكن المراد انهم لا يستطيعون سمع الرحمة ولا النظر بعين الرحمة
فانهم كانوا لا يسمعون كلامهم بحق السمع والقبول ولا نظروا اليهم بعين الرحمة والنظر بهم من ذلك الوجه
كانوا لا يستطيعون فنفى عنهم هذه الاستطاعة والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب كقوله لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذه الاستطاعة استطاعة الفعل لا استطاعة الاحوال لان جوارحهم
سليمة صحيحة فدل ان الاستطاعة التي يكون بها الفعل مع الفعل واصله عندنا ما كانوا يستطيعون السمع المكتسب
والبصر المكتسب وما ذكر المراد منها السمع المكتسب فان البصر في الاخرة والسمع في الاخرة انما يكون بسبب السمع والبصر
في الدنيا او باستعمالهما ذلك قال الله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى وكذلك الحيوة الدائمة في الاخرة
بسبب الحيوة في الدنيا ان استعملها على وجه ما يكتسب بها الحيوة الاخرة فانها وضعت لاكتساب تلك الحيوة
وكذلك السمع والبصر خلقا في الدنيا ليكتسب بهما السمع والبصر في الاخرة والله اعلم وعن الحسن انه سئل عن قوله
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال هو كقوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون

سمعا اذا سمعوا الوحي تقنعوا في ثيابهم فلم يستطيعوا اذ ذلك لما انه حتى يمنعهم من ذلك وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما
لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع وفي حرف حفصة رضي وما كانوا يستطيعون السمع بالواو وفي حرف ابن ... ظاهر
تاويله اي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وابطلوا فالله اعلم وقوله تعالى اولئك الذين
خسروا انفسهم اي في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فبعبادتهم غير معبودهم الذي منه كان جميع النعم والمنافع وما لحقهم
بتلك من الذل لعبادة الصنم واما في الاخرة بالعذاب الدائم الذي بدلا عن النعم الدائمة وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا
يفترون اي بطل عنهم ما كانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وامثال ذلك
وقوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون قال ابو عوسجة لا جرم واجب من الكلام اي حقا انهم في الاخرة هم الاخسرون
وقال الفراء لا جرم اي لا بد لكن الناس اكثروا استعماله حتى صار في مستعار فهو حقا ولكن نقول ان القولين يرجعان
الى واحد لانه اذا كان لا بد منه فهو حق وقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون تاويله والله اعلم ان الذين آمنوا بالله وبجميع ما انزل على رسوله وعملوا الصالحات ولكن
ذلك حتى صاروا الى الله اولئك اصحاب الجنة اذ مطلق الوعد فهو كذلك لا في مطلق المؤمنين وهو كقوله الا من تاب
وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى من الشرك وآمن بالله وعمل صالحا ثم اهتدى سنن الذين اولئك كذا ثم اختلف في تاويل قوله واخبتوا
الى ربهم قال بعضهم الاخبات الخشوع والتواضع اي تخشعوا وتواضعوا خوفا من ربهم وقال بعضهم اخبتوا اي اطمأنوا
على ذلك وقال ابن عباس رضي اخبتوا خافوا من ربهم وقال القتبي اخبتوا اي تواضعوا لربهم وقال الاخبات التواضع
والوقار وقال ابو عوسجة الاخبات التوبة والانابة والمخبت التائب وبعض هذا قريب من بعض والله اعلم ومن قال الاخبات
هو التواضع والخشوع فمعناه اي تواضعوا وتخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه ربهم وندبهم والله اعلم وقوله تعالى
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا في مثل الصنفين الذين سبق ذكرهما ووصفهما
وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية هو وصف الكافر والفريق الاخر قوله افمن كان على بينة من ربه الى اخر
ما ذكر وهو وصف المؤمن ويحتمل ان يكون وصف الكافر ما ذكر في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون
على ربهم الى قوله اولئك الذين خسروا انفسهم في الاخرة وما ذكر ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى
ربهم الاية هذا والله اعلم الفريقان اللذان ضرب مثلهما بالاعمى والاصم والبصير والسميع ثم وجه ضرب مثل الكافر
بالاعمى والاصم والمؤمن بالبصير والسميع هو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب واصم السمع لم يبصر ما غاب عنه من الموعود
ولم يسمع ما غاب عنه من الموعود انما ابصر ظواهر الامور وكذلك انما سمع ظواهر الامور لم ينظر الى الغائب من الموعود
لا سمع ذلك وهو لم يخلق لمعرفة ذلك خاصة انما خلق لما وعد واوعد في الغائب والمؤمن ابصر ذلك الغائب وسمع
ما غاب من الموعود فكانه يقول كما لم يستو عندكم في الظاهر الاعمى والبصير والسميع والاصم لم يستو من كان اعمى
القلب بما غاب بصير القلب بل لا يستويان عندنا وكذلك لم يستو ايضا من هو اصم القلب ومن كان سميعا به والله اعلم
وقوله تعالى افلا تذكرون اي افلا تتذكرون انهما لا يستويان في العقل فلا تتذكرون ذلك افلا تتعظون بما انزل من القران
وتنتهون عما تنهون عنه ثم في قوله مثل الفريقين الاية وجوه من الاسئلة احدها ان يقال كيف احتج عليهم وهو كان ذكر
انهم صم بكم عمي وكيف العميان والصم ولا يكلف الاعمى الابصار والنظر ولا الاصم السماع والثاني يقولون انا نبصر ونسمع ليس
بنا صمم ولا عمى بل انتم العميان والصم والثالث كيف ذكر المثل لهم وهم لا يتفكرون ولا ينظرون في ذلك المثل ولا يلتفتون
اليه فاي فائدة لضرب المثل والجواب عن الاول من وجهين احدهما ان قيل انه انما احتج عليهم لانهم تركوا اكتساب
بصر الاخرة واكتساب سمع الاخرة فنفى عنهم السمع والبصر والحيوة لانه بالبصر الذي خلق لهم ما يكتسب صاحبه به بصرا
في الدين وسمعا في امر الدين وحيوة الدين فيكون بذلك مكتسبا الحيوة الدائمة والبصر الدائم والسمع الدائم فيكون
في الاخرة بصيرا سميعا حيا كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثاني انما نفى عنهم هذه الحواس لانهم
لم ينتفعوا بها لان هذه الحواس انما انشئت لهم والله اعلم واما الجواب عن الثاني فهو ان لهم ان يبصروا سمعاء وانتم
العميان والصم يقال لهم ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك فقد اشتغلوا بالتفكر فيما قرع اسماعهم من الايات
والنظر فيها وانتم لا بل انتم تعاميتم عنها وتصاممتم فدل تفكرهم ونظرهم فيها على انهم بصراء سمعاء احياء
يا اهل الكفر العمي والصم والاموات والثاني من الجواب ان هذه الايات انما نزلت في محاجة اهل مكة وهم قد علموا ان اباءهم
لم يكونوا حكماء ولا علماء وهم كانوا يقلدون اباءهم فيما هم عليه فلم يكونوا بصراء ولا سمعاء ولا احياء كما ادعوا
فصاروا صما عميا امواتا واما الجواب عن الثالث انه ذكر المثل لهم على علم منا انهم لا يقبلون المثل ولا ينظرون
من وجوه احدها انما ذكر هذا لاهل الاسلام وهم ينظرون اليه ويتفكرون فيتعظون به ولكن ان ذكر المثل مما
يبعثهم على النظر فيه والتفكر والثالث فيه دلالة البعث وذلك لان احد الفريقين كما ذكر يحيى اوهم وقد يستوي
وانما ذكر في هذه الدنيا وفي العقل والحكمة التفريق بينهما فيدل لذلك على وجود دار اخرى يفرق بينهما والله الموفق

وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اخبر انه ارسله الى قومه ثم لم يفهم منه الارسال من مكان الى مكان وكذلك قال
في حق رسولنا لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يكن مجيئه من مكان الى مكان فهذا يدل على انه لم يفهم من ذكر المجي الا الانتقال
من مكان الى مكان فبطل بهذا تعلق المجسمة بالايات التي فيها ذكر المجي والاتيان مضافا الى الله تعالى لا يراد بالمجي الانتقال
من مكان الى مكان لا محالة والله الموفق وقوله تعالى اني لكم نذير مبين اي نذير على عصي النذارة ونعتقا به بين الانذار وقوله
ان لا تعبدوا الا الله اي لا تجعلوا عبادتكم الا لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم لا لخلقهم بل عليكم شهادة خلقتكم انه المستحق
للعبادة هو الذي خلقهم دون من تعبدون من الاصنام ويحتمل قوله ان لا تعبدوا الا الله اي وحدوا الله ولا تشركوا معه غيره
ولا تصرفوا الالوهية والعبادة الى غيره وقوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم جعل الاليم نعتا لليوم لا نعتا للعذاب
تحتاج به باعراب اليوم دون اعراب العذاب فكيف يكون اليوم اليما لا يوصف لكنه والله اعلم انما اضافه اليه لما فيه يؤلم
وهو كقوله وجعل الليل سكنا والليل لا يسكن ولا يوصف لكن يسكن فيه وكذا قال والنهار مبصرا والنهار لا يبصر لكن
فيه فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم قوله اني اخاف عليكم يبين انه يخاف عليهم خوفا لم في غيره لا يكون خوفا على الحقيقة وكذلك
الرجا في غيره لا يكون في الحقيقة رجاء وانما يكون في حق نفسه خوفا ورجاء على الحقيقة لما المحقق في نفسه ان يحل
به ذلك او يحقق نفع في الرجا فاما في غيره لا يتحقق ضرر ان يحل ذلك بغيره ولا ينال النفع من الرجا ان نال ذلك الغير ذم
كان كذلك كيف يكون [illegible] هذا من الانبياء لكن يخرج هذا على وجهين احدهما ان المراد من الخوف هاهنا هو العلم اي اني اعلم
انه ينزل بكم العذاب اذا لم تؤمنوا وهو كقوله وان خفتم شقاق بينهما اي علمتم وقوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله
اي فان علمتم ان لا يقيما حدود الله والثاني يخاف عليهم العذاب اشفاقا منه لان الخلق جبلوا على الاشفاق بما يحل
من الالم بغيرهم حتى لا يكون في وسع بعضهم دون ذلك بغيره والله اعلم فان قيل في الخوف رجا وفي الرجا خوف لان
الخوف اذا لم يكن فيه رجا فهو اياس والرجا اذا لم يكن فيه خوف فهو امن وقد قال ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم اي ان لم تؤمنوا فالعذاب في حق الكفرة متيقن لا شك فيه فلم ترجا العفو فكيف ذكر بلفظ الخوف
قيل هو هنا من وجهين احدهما ما ذكرنا ان المراد منه العلم والثاني انما قال ذلك في وقت لم يكن ايس من ايمانهم بل على رجاء
الايمان منهم لم ثبت القول بالعذاب في حق من خاطبهم بقوله انني نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله والله اعلم وقوله تعالى
فقال الملا الذين كفروا من قومه قيل الملا اشراف قومه وائمتهم وقوله ما نراك الا بشرا مثلنا وهكذا كان كل قوم
لرسلهم الذين بعث اليهم ما انتم الا بشر مثلنا فكان هذا احتجاجا منهم في رد الرسالات يحتجون على الرسل بقولهم
ان الرسل لشاهد انما يجيبون من عند المرسل وانتم تشاكلوننا بين اظهرنا لم تاتونا من عند احد لا ظاهرا ولا سرا
هو الذي ياتي من عند غيره وكذا يكون الرسول خصوصية عند مرسله لا نرى لك خصوصية في الخلقة ولا في العقيدة
ولا في المال وغيرها فكيف بعثتم الينا رسلا دوننا نبعث الحكيم رسلا اذ نحن وانتم في الخلقة وفي الامور كلها
سوا وكان من هذا من الكلام فجوابهم هذا كله ما ذكر ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشا من عباده وما قال
نوح يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده اي اذ على بينة دعواه وعلى ما اتاني رحمة من عنده
بمثل هذا يحتج عليهم فيقال انكم لا تنكرون تفضيل الله وتخصيصه بعضا على بعض اذ جعلكم ائمة ورؤسا في
امور الدنيا على غيركم فكيف تنكرون تفضيل الله وتخصيصه بعضا على بعض بفضل الدين والرسالة لكن من عادة الكفرة
انه متى لزمتهم الحجة واقيم عليهم البرهان بحيث لا يمكنهم دفع ذلك نسبوا الرسل الى السحر وقالوا انهم سحرة لنا
على طريق العناد والمكابرة والله الهادي وقوله وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي احتجوا ايضا
في رد الرسالة فقالوا ان الاراذل هم اتباع لكل من دعاهم يتبعونه بلا دليل وحجة وهم فروع واتباع لا الاشراف
ولم يتبعك احد من الاصول وكذلك قالوا انما اتبعك من كان بادي الراي اي سخيف الراي في ظاهر الراي لم يعرف حقائق
الامور لكن يقال لهم نحو ذلك الاراذل لما اتبعوا الرسل ولم يتبعوا الائمة والرؤسا الذين معهم الدنيا و
الاموال ولم يكن في اتباعهم الرسل ذلك ثم تركوا اتباع اولئك مع ما في ايديهم ما يدعوهم اليه واتبعوا الرسل دل انهم انما
اتبعوا الرسل بالحجة والبراهين التي اقاموها عليهم والله اعلم والاراذل قيل هم السفلة والضعفاء وقال القتبي
اراذلنا اي اشرارنا وقوله بادي الراي قال بعضهم ظاهر الراي من قولك بدا لي ما كان خفيا اي نعمل بظاهر الراي من
غير تفكر وتامل وقال بعضهم بادي الراي خفيف الراي لانه من حقائق الامور غافل عن ظواهرها هذا
على قراءة من قراه بغير همز من بدا يبدو اي ظهر ومن قرا بادي الراي بالهمز فهو من البداءة والابتداء اي في اول
وابتداءه لا ينظر في عواقب الامور وقوله وما نرى لكم علينا من فضل يحتمل هذا اي فضلا في الخلقة او في
او في مال ولا في شي ولكن يحتمل بهذا ما ذكر في قوله واتاني رحمة من عنده على ما ذكرنا تفسيره وقوله بل نظنكم
كاذبين هكذا كانت عادة الكفرة يردون دلالات الرسل والحجج بالظن وقوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي واتاني رحمة من عنده اي اذ على بيان من ربي او على حجة من ربي وبرهان فيما اتاني من رحمته

والرحمة يحتمل النبوة لانهم كانوا ينكرون رسالته لانه بشر مثلهم فكيف هو خص بها دوننا وهو مثلنا فقال
واتاني رحمة اي النبوة واتاني ايضا على ذلك بينة وحجة ولو اتاكم وجعلكم موضعا للرسالة فعلى ذلك ويحتمل
الرحمة الدين الذي امر بان يدعوهم اليه ويحتمل حقيقة الرحمة اي واتاني النبوة من عنده فضلا ورحمة كما قال
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وقوله فعميت عليكم قرئ بالتشديد والتخفيف فمن قرا بالتشديد فعميت عليكم
يرجع الى الاتباع والسفلة اي عميت عليهم القادة والرؤسا وليت ومن قرا بالتخفيف يرجع الى القادة
اي عمي والتبس على القادة والرؤسا وقوله تعالى انلزمكموها اي انوجبها عليكم وهي الذي ذكر انه اتاه
اياه من النبوة او البينة او الدين الذي كان يدعوهم اليه اي لا نوجبها عليكم ولا نلزمها وانتم كارهون لها
بلا حجة وبرهان نشتيتم وابيتم ولكني ندعوكم اليه بالحجة والبرهان والله اعلم وقوله تعالى ويا قوم لا اسالكم
عليه مالا اي على تبليغ الرسالة او على اقامة الحجة على ما ادعى من الرسالة او على الدين الذي ادعوكم اليه اي
لا اسالكم على ذلك اجرا فلماذا لم ترضون عما ادعوكم اليه واقيمه عليكم لتكون لكم الاحتجاج والاعتذار
وان لم يكن ذلك حجة وهو كقوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا اسالكم اجرا على ما ابلغه اليكم
ويدعوكم الميل فيمنعكم ثقل ذلك المغرم عن اجابتكم اياه فعلى ذلك الاول كهذا الان ما يلحق الانسان من ضرر
ربما يمنعه عن الاذعان للحق والاقبال الى العلم نوع اثم او يمنعه عن التامل فيه ولا يتبين له الحق والثاني
اي لا اسالكم على ما ادعوكم اليه رغبة فيما ايديكم من الاموال والمنفعة لنفسي بل انما ادعوكم الى ما ادعوكم اليه
لمنفعة انفسكم لئلا يكون لكم الاحتجاج والاعتذار عند الله وان لا يكون لكم حجة وهو كقوله لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل ليس علي انما اسالكم على ذلك اجرا يكون لكم عذر في ذلك وترك الاجابة
لماذا نقحمه ان تكلفهم الاجابة والطاعة بالمال الغير الما له وقوله تعالى ان اجري الا على الله اي ما اجري
الا على الله وذلك ليس عليكم وقوله تعالى وما انا بطارد الذين امنوا الاية فيه دلالة انهم كانوا سالوا رسولهم
ان يجعل لهم مجلسا على حدة ولهم ذلك دون الاراذل الضعفاء الذين اتبعوه ويطرد الضعفاء وكذلك قوم
نحو رسولنا فلا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية فقال اهل التاويل في قوله وما انا بطارد الذين
امنوا اي ما انا بالذي لا اقبل الايمان من الاراذل والضعفاء عندكم لقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
بادي الراي لانهم يقولون اتبعك الاراذل ظاهرا واما في الباطن فليسوا على ذلك ولذلك قال ولا اقول للذين تزدري
اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم يعني بما في قلوب السفلة فيقول عليه السلام ما انا بطارد
الذين امنوا ظاهرا الله اعلم بما في قلوبهم وقوله تعالى انهم ملاقوا ربهم يحتمل وجهين احدهما اي انهم ملاقو
ربهم فيشكون ظلمه فاما انهم يخاصمونني في ذلك ويطالبونني في طردي اياهم والثاني انهم ملاقو
ربهم بايمانهم ظاهرا كان او باطنا في كل حال كانوا بلا قوة ربهم فيجزيهم بما هم عليه فكيف اطردهم اجابهم كلا
تسترون وقوله تعالى ولكني اراكم قوما تجهلون يحتمل تجهلون بما ادعوكم اليه او تجهلون في قولكم انهم
انما امنوا واتبعوا ظاهرا لا حقيقة اذ لا وقوف على السرائر الا الله تعالى او تجهلون ما يلحقني في طردهم وقوله تعالى
ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم اي من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم على ما يدعونني اليه ويحتمل اي ما
يمنعني من عذاب الله ان لم اقبل منهم الايمان وقوله تعالى افلا تذكرون اي فلا تتذكرون انه لا يسع لي ما تدعون
اليه من طرد هولاء او ردا بما انهم يحتمل افلا تذكرون فتؤمنوا والله اعلم وقوله تعالى ولا اقول لكم عندي
خزائن الله الاية يخرج على وجوه احدها يقول ليس عندي خزائن الله السعة فابذل لكم لتؤمنوا رغبة
في المال والسعة والثاني يقول ليس عندي سعة فيقع عندكم اني انما ادعوكم الى ما ادعوكم طمعا الارغبة
في المال ولكن لتعلموا اني مكلف بذلك مامور به والثالث يحتمل انه انما قال ذلك بناء على اسولة كانت منهم
في اتيان الخزائن والاموال ونحو ذلك فقال لا اقول لكم عندي خزائن الله وقوله تعالى ولا اعلم الغيب ولا اقول
اني ملك هذا القول منه لهم يحتمل وجوها احدها انه قال ذلك لهم على اثر سوال سالوه كانت منهم من نحو قولهم
لرسول الله لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون
لك جنة وقولهم او يكون لك بيت من زخرف واشباه ذلك انما الخزائن عند الله فيقول لهم ليس عندي ونحوها مما تطلبون
وتسالون انما ذلك عند الله ونحو ذلك قوله لا اعلم الغيب يحتمل ان يكونوا سالوه ان يخبرهم عن امور تستقبلهم
قبل ان تستقبلهم حتى اذا كان شرا فيعد واله في دفعه وان كان منافع فيستقبلونها ويتاهبون فيقول لهم
ذا غيب وانا لا اعلم الغيب انما العلم في ذلك الى الله وانا اخبركم بما اوحي الي وامرت بالتبليغ اليكم وقوله تعالى
ولا اقول اني ملك اي ولا اقول اني ملك اعلم اخبار السما والامور التي فيها انما انا بشر مثلكم
وعن ابن عباس رض قال ولا اقول لكم عندي خزائن الله مفاتيح الله في الرزق هذا كانهم سالوه السعة حتى يتبعوه

يقول ليس عندي ذلك ويحتمل أن يكون قال لهم هذا لدفع الشبه عنهم في ذلك لأن من الكفرة من اتخذ الرسل
آلهة فعبدوه بعد ما عاينوا أنه من البشر ومنهم من قال إنه ابن الله كما حكي عن اليهود والنصارى ومنهم من قال
إنه ملك وكانوا يعبدون الملائكة وكان الرسل يخبرونهم عن أشياء غابت عنهم فظنوا أنه إنما علم ذلك لأنه
إله فقال لهم هذه التي ذكر دفعا لهذه الشبهة عنهم متبرئا عن مثل ما يدعون من أمثاله ولذلك قال عيسى إني
عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا وهو عليه السلام كان يعلم في نفسه أنه عبد الله ولكن قال
لهم لئلا ينسبوه إلى الألوهية فأقر بالعبودية له تعالى إرشادا لهم وتبرؤا عن مثل ما زعم بعض الجهال فيه أمثالهم
فهذا مثله والله أعلم بذلك وقال بعض أهل التأويل لا أقول لكم عندي خزائن الله أي مفاتيح الله بأنه يهدي السفلة
دونكم ولا أعلم الغيب أي لا أقول لكم إني أعلم غيب ذلك بأن الله يهديهم هم مؤمنون في السر حقيقة وهو كقوله
وما علمي بما كانوا يعملون وقوله ولا أقول إني ملك إنما أنا بشر مثلكم لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا إلى آخر الآية ثم قال
ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا أي ولا أقول للذين تحقرهم أعينكم يعني السفلة والأتباع وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الذين لم تأخذهم أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا أي إيمانا وقوله الله أعلم بما في أنفسهم من
الصدق وقوله إني إذا لمن الظالمين أي إن لم أقبل منهم الإيمان وطردتهم إذا لمن الظالمين لهم والله أعلم وقوله تعالى
قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا قالوا ذلك له لأنه قد كان طال عمره وهو بين أظهرهم يدعوهم إلى الإيمان
فأكثر محاججته ومجادلته إياهم فقالوا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وكان وعدهم العذاب
إن لم يؤمنوا بقوله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وما كان وعد لهم في غير آية من القرآن إن لم يجيبوه فقالوا
ائتنا بما تعدنا من العذاب فقال إنما يأتيكم به الله إن شاء أي ليس إلي إتيان ذلك إلى الله إن شاء عجل وإن شاء
أخر إلى ما بعد الموت وهو كقول رسول الله لقوله لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم
وقوله تعالى وما أنتم بمعجزين أي لا تعجزونه أي لا تفوتونه عن تعذيبكم فتفوتونه بعد ما بغى الله لا ما لكم
الحيلة حتى يجزيكم بها والله أعلم وقوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم
تأويله والله أعلم لا ينفعكم دعائي إلى ما به نجاتكم إن كان الله يريد إضلالكم ثم اختلف في وقت ذلك قال بعضهم
لا ينفعكم نصحي عند إتيان العذاب لكم إن كان حكم الله أن يكون من الغاوين في ذلك الوقت وقال بعضهم
أي لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم في الدنيا ويجعلهم في جهنم ويعجل العذاب بكفرهم فسوف يكون
غيا أو عذاب جهنم ونحوه من الكلام ثم في قوله ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم
دلالة تعليق الشرط على الشرط أو ما لعندنا أنه على ما أخبر أن كان الله يريد إغواءهم وأراد أنهم اختاروا الغواية أبدا وأصله
أن الله تعالى أراد غواية من في علمه أنه يختار الضلال لأنه من في علمه أنه يختار الغواية والضلال اختار عداوته
ولا يجوز أن يريد هداية من يعلم أنه يختار عداوته لأن ذلك يكون من الضعف أن يختار المرء ولاية من يختار
عداوته فدل أنه لم يرد الهداية لمن علم منه أنه يختار الغواية والضلال ثم إضافة الإغواء والإزاغة والإضلال
إلى الله يخرج على وجهين أحدهما أنه ينشئ ذلك الفعل منهم غيا أو زيغا أو ضلالا لا أن فعلهم فعل غواية وزيغ
والثاني أنه خذلهم ولم يوفقهم ولم يرشد بعضهم ولم يسددهم ومن هذا الوجه ليس فعله فعل الذم
حتى يخرج بالإضافة إليه ومن الوجه الذي يضاف إلى الخلق يكون على الذم لأن فعلهم نفسه فعل غواية
فاستوجبوا الذم والله أعلم ثم الإغواء من الخلق هو الدعاء إلى ذلك أو الأمر به وهو مذموم يذمون على ذلك
وليس من الله تعالى من هذا الوجه ولكن على الوجهين الذين ذكرناهما وقوله تعالى أم يقولون افتراه قل إن
افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون أو بل يقولون افتراه من عند نفسه ثم اختلف أهل التأويل فيه
قال بعضهم قال قوم نوح لنوح افترى على الله أنه رسول إليهم من الله على ما سمع من حكايته قومه الذين الله فقال
لما أنه افتريته وهو محاوله قومه إياه في ذلك وقال بعضهم هذا من قوم محمد له قالوا افترى هذا القرآن من عند نفسه
لبشر هو من الله على ما أخبر الله عنهم في صدر السورة بقوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
إلى آخر الآية فعلى ذلك هذا فقال الله تعالى له قل إن افتريته فعلي إجرامي أي إذا افتريته فعلي جرم افترائي وجزاؤه
وأنا بريء مما تجرمون معناه والله أعلم لا تؤاخذون أنتم بجرم افترائي إذا افتريته وأنا لا أؤاخذ بإجرامكم كقوله
فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
فعلى ذلك هذا والله أعلم ويمكن أن يكون هذا القول لهم لما أيس من إيمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم
لما أيس عن إيمانهم وانقطع طمعه ورجاؤه عنهم بالإسلام فقال لهم ذلك فلا محاجة بيننا وبينكم بعد
هذا والله أعلم وقوله تعالى وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن قال بعضهم إن نوحا لم يدع على قومه
بالهلاك ما دام يرجو ويطمع من قومه الإيمان فلما أيس وانقطع رجاؤه وطمعه فحينئذ دعا عليهم بالهلاك

كقوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا أي أحدا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا
وعرف الإياس عن إيمانهم بهذه الآية حيث قال وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وكذلك سائر
الأنبياء والرسل عليهم السلام لم يؤذن لهم بالدعاء على قومهم بالإهلاك وبالخروج من بين أظهرهم ما داموا يرجون
ويطمعون منهم الإيمان والإجابة لهم فإذا أيسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك أذن لهم
بالدعاء عليهم بالإهلاك والخروج من بين أظهرهم وعلى ذلك عوتب يونس عليه السلام بالخروج من بين أظهر قومه قبل أن يؤذن
له بالخروج من بينهم ثم في قوله لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن دلالة على أن للإيمان حكم التجدد والابتداء في كل وقت
وكل حال لأنه أخبر أنه لن يؤمن من قد آمن فيحدث في حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكر في الإيمان بقوله
فزادتهم إيمانا الآية وقوله تعالى فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قال أبو عوسجة فلا تبتئس من الحزن يقال ابتأس
يبتئس ابتئاسا أي حزن وقال الكسائي أيضا فلا تبتئس أي لا تحزن وهو من البأس يقال لا تبتئس بهذا الأمر
ثم هذا يحتمل وجهين أحدهما أي لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم إياك ليس على النهي عن الحزن في ذلك إذ الحزن
فعل ضروري طبيعي لا يدخل تحت النهي ولكن على التسلي ورفع الحزن عنه أي ليس هذا موضع الحزن وهو أن يحزن
لكفر قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ولأن الأنبياء يحزنون لكفر قومهم بالله ويحملون أنفسهم أعباء له كقوله
لرسوله لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وأمثاله وكان الأنبياء
أشد حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم إياه وأشدهم رغبة في إيمانهم وكان حزنهم لا يبكي على هلاكهم لأنه روي
أن نوحا عليه السلام دعا عليهم بالهلاك فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وكذلك سائر الأنبياء
دل أن حزنهم كان لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم إياه لا لمكان هلاكهم شفقا على أنفسهم والله أعلم والثاني
يحتمل أنهم كانوا هموا قتله والمكر به فقال لا تحزن لمكان ما يسعون في هلاكك أي ليس هذا موضع الحزن فإني
كافيهم وعاصمك منهم والله أعلم وقوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا قال بعض أهل التأويل أي
بأمرنا ووحينا وقال بعضهم أي بمنظر منا ومرأى منا ولكن عندنا يحتمل وجهين أحدهما قوله بأعيننا أي
بحفظنا ورعايتنا كقوله بعين الله عليك أي حفظه عليك لا يفهم من قوله بأعيننا نفس العين على ما لا يفهم
من قوله ذلك بما قدمت أيديكم وكسبت أيديكم نفس الأيدي ولكن ذكر الأيدي لما أن الشاهد إنما يقدم باليد
ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين لما بالعين يحفظ في الشاهد والله أعلم والثاني قوله بأعيننا أي بإعلامنا
إياك لأنه لولا تعليم الله إياه اتخاذ السفينة وتجرها لم يكن ليعرف أن كيف تتخذ وكيف تجري إنما عرف ذلك بتعليم
الله إياه والله أعلم وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون هذا يحتمل وجهين أحدهما أي لا تكلم
في نجاة الذين ظلموا فإنهم مغرقون في حكم الله والثاني لا تخاطبني في هداية الذين هم في حكم الله أنهم
يموتون ظلمة أي لا تسألني إيمان من في علم الله أنه لا يؤمن وفيه نهي السؤال عما في علم الله أنه لا يكون لأنه إذا
أخبر أنه لا يكون أو لا يفعل فإذا سأله كان يسأله أن يكذب خبره والدعاء حين أنه لا يكون وقيل ذلك زاد الله تعالى
إيمانا أحدا ممن لم يرد إيمانه لا يجوز عن الله الموفق وقوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه الملأ هم الأشراف والرؤساء من قومه هم الذين سخروا منه قال بعضهم سخريتهم منه لما رأوه يتخذ الفلك
في الأمصار تجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه لما رأوه يتخذ الفلك ولم يكن هنالك
بحر ولا واد ولا المياه الجارية إنما هي آبارهم فقالوا يتخذ السفينة ليسيرها في البراري ونحو ذلك من الكلام وقوله تعالى
قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم قالوا سخرية نوح وقومه منهم إذا ركبوا الفلك رأوهم يغرقون قالوا كنتم على حق هكذا
كيف لا ينجيكم من يعبدونه من الغرق ونحو هذا من الكلام ولكن هذا لا نعلم لعدم حجة أو دليل يوجب العلم ولا حاجة لنا
إلى معرفة سخريتهم أنه كيف كانت سوى أن نخبر أنهم سخروا منه ويحتمل قوله فإنا نسخر منكم أي نجزيكم جزاء سخريتكم
وقوله فسوف تعلمون هو وعيد أي سوف تعلمون أن باطل سخريتكم يرجع إليكم كقوله وما يخدعون إلا أنفسهم
أي سوف تعلمون أن نجونا نحن وغرقتم أنتم وقوله تعالى من يأتيه عذاب يخزيه أي عذاب يفضحه ويهلكه
وهو الغرق ويحل عليه عذاب مقيم أي عذاب يدوم وقال بعضهم عذاب مقيم أي عذاب الآخرة والله أعلم
وأما ما قال أهل التأويل إن سفينة نوح كان طولها كذا وعرضها كذا وقامتها كذا فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا
إلى معرفة ذلك فإن صح فهو كما قالوا وكذا قولهم كان لها ثلاثة أبواب وثلاثة أطباق فذلك أيضا لا نعرفه والله أعلم
وقوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قوله جاء أمرنا أي عجلته وقضاؤنا بالعذاب الذي تستعجلون بقولهم فأتنا
بما تعدنا إن كنت من الصادقين وسمى العذاب أمر الله لما لا صنع لأحد فيه وكذلك الموت سمي أمر الله لما لا صنع لأحد
من الخلائق فيه وكذلك الصلاة سميت أمر الله لما بأمره تقام الصلاة وقوله وفار التنور قال أبو عوسجة يقال فار
الماء إذا خرج ويقال فار يفور فورا أي غلى كما تغلي القدر وتصديقه قوله وهي تفور تكاد تميز من الغيظ أي تخرج كلهم

في التنور قال بعضهم التنور هو وجه الأرض قال الله إذا رأيت الماء جرى وظهر على وجه الأرض فاركب وقال بعضهم
التنور هو تنور الخابزة التي تخبز فيه قالوا إذا رأيت الماء نبع من تنورك فاركب قالوا وكان الماء ينزل من السماء و
ينبع من الأرض كقوله ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا لكن جعل علامة وقته كونه من خروج
الماء من الأرض ونبعه منها وقوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين. يحتمل هذا وجهين يحتمل أنه كما قلنا
قلنا له إذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل أنه كما قلنا له وقت فور الماء من التنور احمل فيها من كل
زوجين اثنين ثم قال من كل زوجين أي من ذكر وأنثى والزوج اسم لكل فرد ذي شفع فيقال عند الاجتماع زوجان لأنه
ليس باسم للشفع ثم يحتمل زوجين من ذوي الأرواح التي يكون لهم النسل لئلا ينقطع نسلهم ويحتمل ذوي الأرواح
وغيرها والله أعلم وقوله تعالى وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن قال بعضهم قوله وأهلك أراد به قرابته
وأزواجه وجميع المؤمنين بر فإن المؤمنين من جملة أهل الأنبياء على ما روي عن النبي عليه السلام أنه سئل من
آلك قال كل مؤمن تقي كأنه يقول احمل فيها من كل زوجين اثنين واحمل أهلك أيضا أي الأقارب والأزواج
والمؤمنين إلا من سبق عليه القول أي إلا من سبق في علم الله أنه لا يؤمن أو إلا من كان في علم الله أنه من الهالكين
منها أهلك وقوله ومن آمن عطف على قوله وأهلك وإنه عطف الشيء على نفسه كما ذكرنا أن اسم الأهل يقع على
المؤمنين من غير قرابته ولكن عطف الشيء على نفسه جائز لغة على ما تقدم ذكره والله أعلم وقال بعضهم قوله
وأهلك أراد أهله خاصة دون المؤمنين من أمته ألا يرى أنه عطف قوله ومن آمن على قوله وأهلك والشيء يعطف
على غيره هو الأصل في اللغة وقد يعطف على نفسه لضرورة على خلاف الأصل ثم استثنى من سبق عليه القول من أهله
وهو ابنه وزوجته فمعناه احمل أهلك والذين آمنوا معك إلا من سبق عليه القول بأنه لا يؤمن من أهلك فيكون الكلام
خاصا في الأهل فتبين أن المراد من المستثنى منه هم الأهل الذين آمنوا والله أعلم وهذا يدل على أن في أهله من كان
كافرا حيث استثنى من أهله والله أعلم وقوله تعالى وما آمن معه إلا قليل ذكر هذا والله أعلم تذكيرا لرسول الله
سنته وتعزيته لئلا يهمه أهليه لأن نوحا مع طول مكثه بين أظهر قومه وكثرة دعائه قومه إلى دين الله ووعظه لم يؤمن
من قومه إلا القليل منهم ورسول الله مع قلة مكثه وقصر عمره آمن من قومه الكثير فيه نعمه عليه وفيه دلالة
تدفع قول من يقول إن المواعظ إنما تنفع الموعوظ على قدر استعمال الواعظ ليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعوظ
إياها وقدر الإقبال عليها لأن نوحا عليه السلام كان أشد الناس استعمالا للمواعظ وأكثرهم دعاء ثم لم يؤمن من قومه
إلا القليل دل أنه ليس كما فهموا وأما ذكر أهل التأويل أنه حمل في السفينة حبات العنب فأخذها إبليس ولم يعطه
إلا أن أعطى له الشركة في العنب فهذا شيء لا علم لنا به فإن ثبت ذلك فيكون فيه دلالة أن ليس له في سائر الأشربة
والأشربة نصيبا إنما يكون له فيما يخرج من عصير العنب وتقدير الثلث والثلثين إنما يكون في عصير العنب خاصة
ليس في غيره فيكون حجة لأبي حنيفة رحمه الله في المثلث والله أعلم وقوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها يحتمل قوله بسم الله مجريها ومجريها أنه لما قال لهم نوح اركبوا فيها قال لهم قولوا بسم الله مجريها ومرسيها
وهو كقول الناس بسم الله من أوله إلى آخره وكما يذكر اسم الله مكيا في افتتاح كل أمر وكل عمل من تناول وركوب وغيره
ويحتمل قوله بسم الله أي بالله مجراها ومرسيها أنه يجري الفلك ويرسو واسم صلة زائدة ليست كسائر السفن
التي بأهلها تجري وبهم يقف وهم الذين يتكلفون ويتولون إجراءها ووقفها فأما سفينة نوح كانت تجري بنفسها
بالله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك والله أعلم وقوله إن ربي لغفور رحيم أي غفور لمن آمن به وصدق رسوله
ينجيه من الغرق كما قال الكلبي وقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على ما ذكرنا أنها كانت بالله تجري
وبه ترسو حيث لم يخافوا الغرق من تلك الأمواج وأما سائر السفن فإن أهلها يخافون أمواجها إلا كان لهم الذين
يتولون ويتكلفون إجراءها ووقفها والله أعلم وهذا يدل أيضا على أن سفينة نوح كانت آية لرسالته لأن الأمواج
تمنع من جريان السفينة وسيرها فإذا أخبر أنها لم تمنع هذه عن جريانها دل أنه أراد أن يكون آية لهم لزيادة تأكيد
والله أعلم وقال القتبي مرساها أي حيث تقف وقيل مرساها رسوها وقوله تعالى ونادى نوح ابنه وكان في معزل
يحتمل قوله وكان في معزل أي بمعزل من نوح ويحتمل أنه كان بمعزل عن السفينة أو ما كان في قوله يا بني اركب معنا ولا تكن
من الكافرين يحتمل لا تكن مع الكافرين فتغرق ويحتمل ولا تكن مع الكافرين لم يعلم الله سبحانه وتعالى أنه لم يعلم حقيقة
حال ابنه أنه من الكافرين لأنه كان يظهر الإيمان معه وقوله تعالى قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أي ما نعم
الجبل يمنعني من الماء ظن اللعين أن هذا الماء كغيره من المياه التي يسلم منها بالالتجاء إلى الجبال فأخبره تعالى
لا عاصم اليوم من أمر الله أي لا مانع اليوم من أمر الله أي من عذاب الله وقال القتبي فلا معصوم اليوم من عذاب الله
كقوله تعالى خلق من ماء دافق وأصله لا عاصم أي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم ولا دافع لهم
منه ثم سمى عذابه أمرا لأنه يحصل بأمر التكوين وهو إيقاع العذاب عليهم كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول

له كن فيكون ولأن التعذيب هو النهاية في الاحتجاج والأمر بالإيمان فسمي باسمه كما سمي البعث لقاء الله لأنه هو
النهاية في الاحتجاج على منكري البعث وقوله تعالى إلا من رحم أي من رحم عليه بهم إياه أو إلا من سبقت الرحمة
من الله بالهداية له والنجاة وقوله تعالى وحال بينهما الموج يحتمل قوله بينهما أي بين نوح وبين ابنه ويحتمل بينه وبين
السفينة وقوله تعالى فكان من المغرقين يحتمل أي صار من المغرقين ويحتمل كان في علم الله أنه يغرق في وقت كذا وهذا
يدل على أن قوله في إبليس لعنه الله وكان من الكافرين أنه يخرج على هذين الوجهين أي كان في علم الله أنه يكفر أو صار
من الكافرين كما ذكرنا فكان من المغرقين ولم يكن من المغرقين في الأزل والله أعلم وقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي
ماءك ويا سماء أقلعي وقال بعضهم عاد كل ماء إلى حيث خرج منه ما أرسل من السماء عاد إليها وما خرج من الأرض
عاد إلى الأرض وغار فيها وقال بعضهم لا ولكن أمسك السماء من إرساله وأمسكت الأرض من نبعه وقيل في
قوله يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ليس على القول لهم ذلك ولكن الله تعالى أمسكهما عن إرساله ونبعه ويكون
أمر تكوين على ما ذكرنا ويحتمل على القول منه لهم بالنطق جعل فيهم ما يفهم به أمره من الخلق وغيرهما والله أعلم وقوله تعالى
وغيض الماء أي غار الماء في الأرض وقوله تعالى وقضي الأمر أي بهلاك قوم نوح وقوله تعالى واستوت على الجودي
أي استقرت على الجودي وهو جبل وقوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا وقيل بعدا من رحمة الله
وقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس
من أهلك هذا والله أعلم كان عند نوح أن ابنه كان على دينه لما أنه كان يظهر الموافقة له وإلا لا يحتمل أن يقول إن
ابني من أهلي ويسأل له النجاة وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون
ولا يحتمل أن يكون يعلم أنه ليس على دينه ثم يسأله النجاة بعدما نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا وقوله إنه ليس
من أهلك أي في الباطن والسر وإلا يخرج هذا القول مخرج التكذيب لرسول الله لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه كان
في الظاهر عند نوح أنه كان على دينه لما كان يظهر له الموافقة وكان لا يعرف ما يضمر فسأله على الظاهر الذي
وكذلك أهل النفاق كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله وأصحابه ويضمرون الخلاف له وكانوا لا يعرفون ما
إلا بعد اطلاع الله تعالى إياه واطلاعه إياهم فعلى ذلك نوح كان لا يعرف ما يضمر ابنه لذلك خرج سؤاله فقال
تعالى إنه ليس من أهلك الذي وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر وقوله تعالى إنه عمل
غير صالح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ عمل غير صالح بغير تنوين وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ
إنه عمل غير صالح بالتنوين فمن قرأ بالنصب عمل غير صالح أي أن ابنك عمل غير صالح ومن قرأه بالتنوين يكون معناه والله أعلم
إن سؤالك هذا عمل غير صالح ومن قرأ بالتنوين يكون معناه والله أعلم إن سؤالك هذا عمل غير صالح ويجوز أن يصرف
القراءتين إلى ابنه أي إنه عمل غير صالح وهو عمل الكفر وعمل غير صالح أو الذي كان هو عليه عمل غير صالح والله أعلم وقوله
وإن وعدك الحق يحتمل أي إن وعدك بالغرق للظلمة حق ويحتمل أي إن وعدك بنجاة المؤمنين حق وقوله تعالى فلا
تسألن ما ليس لك به علم يحتمل هذا نهيا عن سؤال ما لم يؤذن له من بعد لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا لا يسألون
شيئا إلا بعد الإذن لهم في السؤال وإنه كان نوح سأل ذلك يحتمل أن يكون نهيا لما سبق من الأنبياء كانوا
ما تبين نهي أشياء يحل لهم ذلك نحو قوله لرسوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
وقد كان بعض الأمر بالقعود والنهي عن الخروج بقوله فلن تخرجوا معي أبدا ونحوه وقوله تعالى إني أعظك أن تكون
من الجاهلين هو كما نهى رسول الله فلا تكونن من الجاهلين ولا تكونن من المشركين وأمثاله وإن كان معلوما أنه لا يكون
من الجاهلين وقوله تعالى قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم أي إني أعوذ بك أن أعود إلى سؤال
لا أعلم بالإذن في السؤال هذا يحتمل وقوله وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين أي إن لم ترحمني بالعصمة عن العود إلى
أكن من الخاسرين فهذا يشبه أن يكون هو ما ذكرنا أن العصمة لا تمنع من شيء بل بالنهي تظهر العصمة ويحتمل أن يكون
ذكر هذا لما لا يستحق المغفرة والرحمة إلا برحمة الله وفضله نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته والله أعلم وقوله
وإن تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين هو طلب المغفرة بالكناية وهو أبلغ من قوله اللهم اغفر لي لأن قوله وإلا
ترحمني قطع رجاء المغفرة من غيره وأخبر أن لا يملك أحد ذلك وليس في قوله اغفر لي قطع كون ذلك من غيره لذلك كان
أبلغ من هذا وكذلك سؤال آدم عليه السلام المغفرة بهذا الطريق حيث قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين هو سؤاله بالكناية وهو أبلغ في السؤال والله الموفق وقوله تعالى قيل يا نوح اهبط قال بعضهم
أي انزل من الجودي إلى الأرض وهو من العلو إلى السفل وقال بعضهم اهبط أي انزل وأقم على المقام والمكث في المكان كنى
على الهبوط من المكان المرتفع إلى المكان المنحدر وقوله تعالى بسلام منا وبركات عليك السلام هو أن يسلم من الشرور
والآفات والبركة هي نيل كل خير وبر على غيرهم ثم هما في التحصيل واحد لأنه إذا سلم عن كل شر نال كل خير وبر وإذا نال

كل خير وبسلم عن كل شر وآفة فهما في الحقيقة واحد لكن في العبارة مختلفان وهو نظير البر والتقوى من القبائل
هو كسب كل خير والتقوى بقوا تعالى كل شر ومعصية فهما في الحقيقة واحد وفي العبارة مختلفان لانه اذا اتقى كل
عمل كل خير وبر واذا عمل خيرا اتقى كل شر وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر فالصبر هو كف النفس عن كل مأثم والشكر هو استعمال
النفس في كل طاعة فهما ايضا في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا كف النفس عن كل مأثم فقد استعملها
في كل طاعة واذا استعملها في الطاعة كفها عن كل معصية ومأثم وعلى ذلك يخرج الاسلام والايمان فالاسلام هو تسليم
النفس لله خالصا سالما لا يجعل لغيره فيها حقا والايمان هو تصديق الله تعالى بالربوبية في نفسه في كل شيء
فهما في الحقيقة واحد وفي العبارة مختلفان لانه اذا جعل نفسه وكل شيء لله سالما اقر بالربوبية له في نفسه وفي كل شيء
واذا صدقه واقر له بالربوبية في نفسه وفي كل شيء جعلها لله تعالى وكل شيء له هذه اشياء في العبارة مختلفة وفي التحصيل
واحد ثم قوله اهبط بسلام مناجاته ان يكون تحت قوله والا تغفر لي وترحمني امنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة
والثاني السلام منه له هو الثناء الحسن كقوله سلام على نوح في العالمين وقوله وبركات عليك يحتمل ان يكون جواب
قوله رب انزلني منزلا مباركا والبركة اسم لكل خير لا انقطاع له وانه اسم كل لا سوء عليه فيه وقوله تعالى وعلى امم
ممن معك لترك من معه المؤمنين في ذلك السلام والبركات ثم اختلف فيه قال بعضهم ذلك السلام وتلك البركة
في الدنيا السلام فاسلم من الغرق والبركات ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع وعلى قول بعضهم السلام والبركات
جميعا في الآخرة والاشكال انه قال وعلى امم ممن معك ولم يكن مع نوح يومئذ امم انما كان معه نفر كما ذكر الله تعالى
الامم التي كانوا من بعده كانه قال وعلى امم تكون من نسل من معك ويكون نسل دينا صحابتك على انه دليل لان الانبياء
والرسل جميعا دين واحد وان اختلف شرائعهم لان تلك الامم لم يكونوا بانفسهم مع نوح دل انهم كانوا جميعا على
دينه وهو واحد وعلى هذا يخرج دعاؤه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات دعاء بالمغفرة
لكل مؤمن ومؤمنة يكون بعده وكذلك يخرج على كل كافر دعاؤه ولا تزد الظالمين الا تبارا وقوله تعالى وامم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم اخبر انه يمتعهم ثم يمسهم عذاب اليم ويمتع المؤمن ايضا في هذه الدنيا بانواع المنافع ثم
اخبر ان العاقبة للمتقين جعل العاقبة للمتقين ثابتا ما جعل لهم عذابا اليما وهذا لان الله تعالى جعل المؤمن
والكافر مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها وجعل منافع الآخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة بقوله والعاقبة
للمتقين وقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم قال قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا
خالصة يوم القيامة والله اعلم وقال بعض اهل التأويل في قوله اهبط بسلام منا من السفينة بسلام منا سلمه
الله ومن معه من المؤمنين من الغرق وبركات عليك وعلى امم ممن معك يعني بالبركة انهم توالدوا وكثروا بعدما خرجوا
من السفينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وبركات عليك وعلى امم ممن معك اي من سبق له في علم الله البركات
والسعادة من النبيين وغيرهم والله اعلم وقوله تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل تلك اي قصة نوح
من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها ولم تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فان كان المراد من قوله تلك من انباء الغيب
قصة نوح خاصة وانباءه كانه يحتمل ان يقول هذه من انباء الغيب نوحيها اليك لان قوله تلك انما تستعمل في المعهود
لم يذكر وهو في ذكر هذه القصة فيجيء من حيث الكلام ان يقول هذه من انباء الغيب لكن نقول والله اعلم كانه على الاضمار
اي هذه الانباء هي تلك الانباء التي ذكرت في كتبهم وان كان المراد هذه وغيرها من الانباء فيصير كانه قال هذه من تلك
الانباء ويحتمل ان يريد بقوله من انباء الغيب ما في القصص كلها قصة نوح وغيره من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها
ولم تعلمها انت ولا قومك خصوصا لان غيرهم من الاقوام قد كانوا عرفوا تلك الانباء بكتبهم وفيه دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم على ما اخبر وكتب الذين عرفوا تلك الانباء بكتبهم مع انهم عرفوا انه لم يختلف
الى احد منهم ليتعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله تعالى فاصبر يحتمل على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم او اصبر على
ما امرت ونهيت او اصبر على ما صبر اخوانك من قبل كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقوله تعالى ان العاقبة
للمتقين يشبه ان يكون قوله المتقين الذين اتقوا الشرك ويمكن ان يكون المراد الذين اتقوا الشرك والمعاصي كلها
والاشبه ان يكون المراد منها اتقاء الشرك لانه ذكر بازائه قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم فهو في العقل
اشبه والله اعلم وقوله تعالى والى عاد اخاهم هودا هذا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فيقول
ولقد ارسلنا هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله اخاهم وجهين من حيث الجنس والنسب لان الاخوة على وجهين اخوة جنس [illegible]
هذا من حيث النسب [illegible] واخوة في الدين قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وهو لا يحتمل ان يكون
اخا لهم في الدين لاختلاف دينهم ولكن يحتمل ان اراد اخاهم في الجنس ويحتمل في النسب ايضا لان الناس كلهم ينتسبون
الى آدم عليه السلام فيقال لهم بنو آدم مع بعد ما بينه وبينهم فعلى ذلك يكون بعضهم اخوة لبعض مع بعد النسب الذي
بينهم والله اعلم وقوله تعالى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم من اله غيره يستحق العبادة لان الذي

تعبدونه ليس باله على الحقيقة يستحق العبادة انما الاله الذي يستحق العبادة هو الله الذي خلقكم وخلق لكم الاشياء
التي تحتاجون اليها وقوله ان انتم الا مفترون اي ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون هود قال لهم هذا في اول ما دعاهم
الى التوحيد وفي اول ما ردوا اجابته وكذبوه لانه امر بالقول اللين وتذكير النعمة عليهم كقوله لموسى وهارون حيث
بعثهما الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولكن كانه قال لهم ذلك بعدما اسوء منهم اليهم دعاهم مرة وقام
عليهم الحجج والبراهين فردوها فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة الآية ثم قوله ان انتم الا مفترون
يحتمل وجهين يحتمل في تسميتهم الاصنام التي يعبدونها آلهة ويحتمل ان انتم مفترون فيما صنعتم الامر الذي في الفاحشة
الى التحسين فعلتم الله امرنا بذلك وقال ان انتم الا مفترون في ذلك ويحتمل ان انتم الا مفترون في انكاركم البعث والرسالة
وقوله يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون قد ذكرنا في غير موضع اي لا اسألكم على ما ادعوكم
اليه اجرا يمنعكم ثقل ذلك الاجر وغرمه عن الاجابة فما الذي يمنعكم عن الاجابة والنظر فيما ادعوكم وقوله افلا تعقلون
الى من تتولون اليكم بالحجج والآيات تجيبون بها او فلا تعقلون انها آيات وحجج او فلا تعقلون ان ذا تسوى احد ولذاته بكل شيء
وخالق كل شيء ومنشئه وقوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يحتمل على التقديم والتأخير كانه قال توبوا اليه
ثم استغفروا مما كان منكم من المساوي والقبائح [illegible] من افعالكم ثم لا يحتمل ان يدعوهم هود بقوله استغفروا
ان يقولوا استغفر الله ولكن امرهم ان [illegible] الاسباب المغفرة فقال استغفروا اي اطلبوا السبب الذي به يحصل لكم المغفرة
وهو التوحيد كانه قال وحدوا ربكم وآمنوا به ثم توبوا اليه وهذا امر اياهم بالانتهاء عن الكفر كقوله ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف وقال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا وقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال بعض اهل التأويل انه قد كان
منع عنهم المطر وانقطع نسلهم فاخبرهم انكم ان تبتم الى الله واستغفرتم ربكم يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم
في تناسلكم وتوالدكم ويحتمل قوله ويزدكم قوة اي يزدكم قوة في افعالكم في الخيرات الى قوة ابدانكم لانهم كانوا اهل قوة
وبطش كقوله وقالوا من اشد منا قوة ويحتمل على الابتداء يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم وقوله ولا تتولوا
مجرمين اي لا تتولوا عما ادعوكم اليه فتكونوا مجرمين قال ابو بكر المجرم الذي اثبت في الاثم وقيل المجرم هو المكتسب وقوله تعالى
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي ما جئتنا ببينة على ما تدعونا اليه وعلى ما تدعي من الرسالة صدقك قال لهم هود
ان انتم الا مفترون في قوله وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك اي بقولك كان لا يدعوهم هود الى ترك عبادة الالهة بمجرد
القول خاصة ولكن يدعوهم الى ما قام على ذلك من الحجج والبراهين لكنهم قالوا ذلك سفها منهم ومكابرة وقوله تعالى وما نحن لك
بمؤمنين اي بمصدقين فيما تدعونا اليه وتنهانا عن عبادة ما يعبد آباؤنا وقوله تعالى ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء قيل كان هود عليه السلام يسب آلهتهم ويذكرهم بالعيب فقالوا انه اعتراك بعض آلهتنا بسوء من خبل وجنون ولا
ان يصيبك منها فاجتنبها لما [illegible] منهم حجج [illegible] انما اتاك من سب آلهتنا وذكر العيب فيها اشفاقا
عليك لئلا يصيبك منها شيء كانه يخوفونه ان يصيبه الهتهم بسوء بترك عبادتها على ما يخوف عبادها بها شفقا
لهم والله اعلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما لو شتمت آلهتنا فخبلتك واصابتك بجنون معناه انك انما تدعونا
اليه وتدعي ما تدعي لما اصابك آلهتنا بشيء اعتراك بجنون وغيرها والله اعلم قال ابو عوسجة الاعتراء الاخذ يقال اعترته الحمى
اي اخذته وقال القتبي الاعتراء الاصابة يقال اعتراني اي اصبت وقوله الا اعتراك بعض آلهتنا اي الا اصابك بعض
آلهتنا بسوء وقوله تعالى قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي اني اشهد الله اني بريء مما تشركون
به وتعبدونه من الالهة واشهدوا انتم ايضا اني بريء من ذلك وقوله تعالى فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي فكيدوني
جميعا انتم وآلهتكم فيما تخوفونني من الهلاك والسوء ثم لا تنظرون اي لا تمهلون في تنفيذ ذلك ويحتمل قوله فكيدوني جميعا اي
اعملوا انتم وآلهتكم جميعا التي تزعمون انها تخبلني وتجنني ثم لا تنظرون في ذلك ولا تمهلوني وهذا من آيات
النبوة لانه يقول لهم ذلك وهو بين اظهرهم وحيدا فلولا انه يقول لهم ذلك بوثوق من الله والاعتماد عليه والاستنصار به
والا ما اجترأ على ان يقول هذا بين اعدائه ثم قال ذلك بالله تعالى وكذلك قال الله تعالى خبرا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم قل ادعوا
شركاءكم ثم كيدوني فلا تنظرون وقول نوح ثم اقضوا الي ولا تنظرون وقول شعيب يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل الآية
وامثاله قالوا عليهم السلام بين ظهراني الاعداء ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل انهم انما قالوا ذلك بالله تعالى فيكون علما آيات
النبوة لهم وقوله تعالى اني توكلت على الله ربي وربكم اي فوضت امري اليه او وكلت جميع عملي اليه او وثقت به واعتمد
عليه فيما تهددونني من الهلاك وتوكلت عليه في دفع ما اوعدتموني وقوله ربي وربكم اي كيف تهددونني بآلهتكم التي
تعبدون ولا اخاف دون الله تعالى انه هو ربي وربكم وهو كما قال ابراهيم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله وقوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها قيل اي يتصرف بها وقيل اي ما من دابة الا هي في ملكه وسلطانه وتحت
قدرته وتصرفه يقال فلان آخذ بحلقوم فلان وفلان في قبضة فلان اي انه بقبضته في نفسه ولكن يراد به سلطانه
وملكه وقوله تعالى ان ربي على صراط مستقيم اي على الدين الذي امرني به ودعاني اليه ويحتمل انه على صراط مستقيم

أي أنا الذي أمرني ربي وبه دعاكم إليه هو على صراط مستقيم كقوله إن ربك لبالمرصاد وقوله تعالى فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت
به إليكم يحتمل على الإضمار أي إن تولوا عن إجابتك وطاعتك فقل فقد أبلغتكم رسالتي لأن قوله تولوا أمر غيب
وقوله فقد أبلغتكم خطاب ويمكن أن يكونا جميعا على الخطاب كأنه يقول فإن توليتم عن إجابتي فيما أدعوكم إليه
فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم وليس علي إلا التبليغ كقوله ما على الرسول إلا البلاغ وقوله إن عليك إلا البلاغ
يقول إنما علي إبلاغ رسالاته إليكم ليس علي جرم توليكم عن إجابتي كقوله فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم
ويحتمل أن يكون على إضمار أي فاعلموا وقوله تعالى ويستخلف ربي قوما غيركم فيه وجهان أحدهما الخبر عن هلاكهم لأنه إنما
يستخلف قوما غيركم وما لم يهلك هؤلاء لا يكون غيرهم خلفهم وإنما قال الخلائف والله أعلم لأنهم كانوا يقولون من أشد
منا قوة فيقول إن قوة أبدانكم وبطشكم لا يمنع من إهلاككم ويحتمل وجها آخر فيه إخبارا أن ما دار السلام إلى النهاية في الطاعة
فإنما لم تبق وجهتم المسلمة بل يكون بعدهم غيرهم والله أعلم وقوله تعالى ولا تضرونه شيئا أي لا تضرونه بتوليكم
وإعراضكم عن إجابتي وترككم رسالة الله إليكم ليس كملوك الأرض إذا تولى عنهم خدمهم وحشمهم ضرهم ذلك وكانوا
لا يضرونه شيئا كما يضر ملوك الأرض بالقتال الحاجة بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه لأنه لا منفعة له فيما يدعوكم
إليه حتى يضره ضد ذلك إذ ليس يدعوكم إلى ما يدعو لحاجة نفسه ولا لمنفعة له إنما يأمركم ويدعوكم لحاجة
أنفسكم والمنفعة لكم ويحتمل أن يكون ولا تضرونه شيئا جوابا لقوله فكيدوني جميعا الآية وقوله تعالى إن ربي
على كل شيء حفيظ أي لا يخفى عليه شيء وإن لطف فكيف يخفى عليه أعمالكم وأقوالكم [illegible] ويحتمل
أي لا يذهب عنه شيء ولا يفوته فيجزيكم عليه والله أعلم وقوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه
برحمة منا أي أمر تكوين وقوله جاء أي ظهر إذ أمرنا لساعة وهو التكوين لا نفس الأمر فإنه أزلي وهو كقوله إنما أمره
إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فعلى ذلك هذا أو المراد منه العذاب ثم هنا دليل أن من نجا إنما نجا برحمة
الله لا بعمله وليس على ما تقوله المعتزلة أن من نجا إنما ينجو بعمله لا برحمته وفضله فيكون الآية حجة عليهم وكذلك
ذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله قيل ولا أنت يا رسول الله
قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ثم قوله برحمة منا يحتمل وجوها أحدها الرحمة هي ما يحتمل أن يكون أراد هودا أو
رحمهم به حيث بعث إليهم رسولا فنجى من اتبعه فإن كان أراد هذا ففيه دليل على أن أفعل نعمة ما يكون
في حال فترتهم لأنه أخبر أن من نجا إنما نجا بهود فدل أنهم معاقبون قبل بعث الرسل والله أعلم ويحتمل قوله برحمة
منا أي بتوفيقنا إياهم ونجاتهم بالإيمان بسبب النجاة وهو الإيمان ويحتمل برحمة منا أي بفضل منا لا بأعمالهم
وقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ قال بعضهم أي نجيناهم من العذاب الذي أهلك هؤلاء ويحتمل أن يكون
على الوعيد أي نجيناهم في الآخرة من عذاب غليظ والله أعلم وقوله تعالى وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله
أخبر أنهم كفروا بآياته وعصوا رسله أخبر كفروا بآياته وعصوا رسله وهم من خبثائهم الظاهر عصوا رسولا
وهو هود المبعوث إليهم ولكن الكفر بآيات الله كفر بجميع رسله وكذا الكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا
وبالله لأن كل واحد من الرسل يدعو إلى الإيمان بالله وبجميع الرسل فالإيمان بواحد منهم إيمان بالله وبجميع الرسل
والآيات والكفر بواحد من هذا كفر بالله وبجميع الرسل وإنما كان الكفر بالآيات كفرا به وقوله تعالى واتبعوا
أمر كل جبار عنيد أخبر أنهم اتبعوا أمر الجبابرة وأطاعوهم وتركوا اتباع الرسل وطاعتهم والجبار قيل هو الذي
يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم لأن الرؤساء منهم كانوا يتجبرون على الرسل ويتكبرون ويمنعون الأتباع اتباع الرسل
في علمهم وقال أبو عوسجة الجبار هو المتجبر والعنيد هو المعاند المخالف وقال القتبي العنود والعنيد والعاند
المعارض لك بالخلاف عليك وقال أبو عبيدة العنيد والعنود والعاند الجائر وقوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا
لعنة ويوم القيامة قال بعضهم اللعن هو العذاب أي اتبعوا في الدنيا والآخرة بالعذاب كقوله ألا لعنة الله على
الظالمين أي عذاب الله واتبعوا أي ألحقوا وقيل إن اللعن هو الطرد طردوا عن رحمة الله حتى لا ينالوها لا في الدنيا
ولا في الآخرة وقوله تعالى ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود أي لا بعدا لهم عن رحمة الله وقوله تعالى
وإلى ثمود أخاهم صالحا هو ما ذكرنا أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وقد ذكرنا قبل الأخوة وقوله تعالى قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أن الرسل كلما دعوا قومهم إنما دعوا إلى توحيد الله وجعل العبادة له لأن عز
من العباد إنما يقوم بالتوحيد وكان قبل دعائهم قومهم إلى التوحيد وجعل العبادة له وقوله تعالى هو أنشأكم
من الأرض قيل فخلق أصلكم وأنشأه من الأرض وهو آدم فأضاف إنشاءنا إليها لما أنشأ أصلنا والله أعلم
كهو كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة أخبر أن الله خلقنا من نفس آدم وإن لم يكن أنفسنا منه فعلى ذلك
إضافة خلقه إيانا من الأرض وإن لم يخلق أنفسنا منها والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله هو أنشأكم من الأرض
أي جعل نشأ الخلائق كلها بما هو حياتهم ونشأتهم من الأرض وقوله تعالى واستعمركم فيها قال بعضهم

أي أسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال بعضهم جعلكم عمار الأرض تعمرونها لمعاشكم ومعادكم وقال
بعضهم واستعمركم أي جعل أعماركم طويلة وقوله تعالى فاستغفروه ثم توبوا إليه هذا قد ذكرنا فيما تقدم أي كونوا
بحال يغفر لكم كأنه قال انتهوا عن الكفر يغفر لكم وقوله تعالى إن ربي قريب مجيب قريب بحفظ الخلائق أو قريب بما أنعم
عليهم أو قريب الحكم لمن يفزع إليه وقوله مجيب أو مجيب لمن دعا كل داع كقوله وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب
دعوة الداع إذا دعان الآية وقوله تعالى قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا
قال بعضهم قولهم قد كنت فينا مرجوا أي كنت ترحم الضعفاء وتعود المرضى ونحو ذلك من الكلام والساعة صرت على
خلاف ذلك وقال بعضهم كنت مرجوا أي كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا قبل هذا الذي تدعونا إليه والساعة صرت تشتم
آلهتنا وتذكرها بعيب أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا أي ما كنا نعرف آباءنا عندك سفهاء من قبل هذه الساعة
صرت تسفه أحلامهم في عبادتهم الأصنام وقوله تعالى وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب كانوا يذكرون هذا
له احتجاجا لهم عليه فيما دعاهم إلى توحيد الله وعبادته يا [illegible] فقالوا إنا على يقين أن آباءنا قد عبدوا هذه الأصنام
وإنا في شك مما تدعونا إليه مريب غير يقين أمرك وقد عاونك لنا إلى آلهتنا الذين هذا ما قاله أهل التأويل في قولهم
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ولكنا لا نعلم ما كانوا يرجون فيه وما المعنى الذي قالوا له قد كنت فينا مرجوا سوى أنا نعلم
أنه كان مرجوا فيهم بالعقل والدين والعلم والبصيرة ونحوها فكان مرجوا فيهم بهذه الأشياء ونحوها والله أعلم
وقوله تعالى قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أي إن كنت على حجة وبرهان وبيان من ربي فيما أدعوكم إلى التوحيد
وصرف العبادة إليه وقوله تعالى وآتاني منه رحمة يحتمل أي آتاني هدى ونبوة من عنده فمن ينصرني من الله أي
من يمنعني من عذاب الله إن عصيته ورجعت إلى دينكم أي لا أحد ينصركم لو أجبتكم إلى ما تدعونني إليه ثم الذي
دعوه إليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة إليهم أو دعوه إلى عبادة الأصنام التي يعبدونها وقوله تعالى فما تزيدونني
غير تخسير قيل فيه بوجوه قيل فما تزيدونني بمجادلتكم إياي فيما تجادلونني إلا خسرانا وقال بعضهم فما تزدادون
بمعصيتكم إياي إلا خسرانا لأنفسكم وقال القتبي غير تخسير أي غير نقصان وقال أبو عوسجة هو من الخسران تفعال
خسرته أي ألزمته الخسران وقوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فقال لهم هذا حين سألوا منه الآية فقال هذه
ناقة الله لكم آية على صدق صالح فيما ادعى من الرسالة أو هذه ناقة الله لكم آية أي الآية التي سألتموها على الرسالة
ثم قوله هذه ناقة الله أضاف الناقة إلى نفسه لخصوصية كانت فيها لم تكن تلك الخصوصية في غيرها
من النوق لما جعلها آية لرسالته خارجة عما عاينوا من النوق وشاهدوها وكذا كانت آيات الرسل خارجة عن وسع البشر
وطوقهم وعلى خلاف ما اعتادوا ليعلموا أنها سماوية ثم لا نعرف أية خصوصية كانت لها لعظم جسمها وغلظه
حيث قسم الشرب بينهم وبينها حتى جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم أو غير
ذلك فلم نقسم ما قسم بينها وبينهم بقوله فذروها تأكل في أرض الله وإنما قال بعض الناس إنها خرجت من
صخرة كذا وإنها كانت تحلب في كل يوم كذا وكذا من الأشياء أخذ كروها فإنا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول في ذلك سوى
أنا نعرف أنها كانت لخصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها من النوق ولو كانت لنا إلى تلك الخصوصية حاجة
لبينها الله تعالى ولبينه ما ذكرنا أن إضافة جزئية الأشياء إلى الله لتعظيم تلك الجزئيات المضافة إليه وإضافة كلية
الأشياء إليه لتعظيمه الله وجلاله وإرادة التعظيم والتبجيل له نحو قوله له ملك السموات والأرض وقوله رب كل
شيء ونحو ذلك والله الموفق وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء نهاهم أن يمسوها بسوء ولم يبين ما ذلك السوء ويحتمل أن يكون
ذلك شيئا لم يعرف فنهاهم عن ذلك وقال بعضهم لا تمسوها بسوء لا تعقروها وقوله فيأخذكم عذاب قريب هو قريب
لما كان ذلك على أثر عقرهم الناقة بثلاثة أيام حيث قال فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير
مكذوب وقيل قريب أي سريع لا تمهلون حتى تعذبوا وما ذكر أن وجوههم اصفرت في اليوم الأول ثم احمرت في الثاني
ثم اسودت في الثالث ثم نزل بهم العذاب في اليوم الرابع فذلك مما لا نعرفه قطعا والله أعلم وقوله ذلك وعد غير
مكذوب أي ليس فيه كذب وكان تعذيبهم إنما نزل على أثر سؤال الآية سألوا ذلك فلما جاءهم بها كذبوها فنزل
العذاب وهكذا السنة في الأمم الماضية أنهم إذا سألوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا نزل بهم العذاب وهو قوله وما منعنا
أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الآية والله أعلم وقوله تعالى فلما جاء أمرنا
أي جاء ما أمر به كما يقال جاء وعدنا أي موعودنا أي وقت وأمر لا يحتمل ولأنه أزلي وكذلك جاء ما أمر به وعد
وهو العذاب وقيل جاء أمرنا أي وقت ما أمر به وهو حقيقة العذاب الذي وعدوا به وقوله تعالى نجينا صالحا والذين
آمنوا معه برحمة منا قد تقدم ذكره وقوله تعالى ومن خزي يومئذ قيل الخزي هو العذاب الذي يفضحهم وقيل كل عذاب
خزي أي نجاهم من عذاب ذلك اليوم وقوله تعالى إن ربك هو القوي العزيز قيل القوي العزيز قيل القوي هو الذي
لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي يذل له من دونه وقيل القوي المنتقم المنتصر لأوليائه من أعدائه

والعزيز هو المنيع في ملكه وسلطانه والله الموفق وقوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل هذا بهم كان صيحة صاح جبريل صلوات الله عليه وقيل الصيحة الصاعقة وقيل كل عذاب هو صيحة لا ندري كيف كان ويحتمل ان يكون عذابهم قدر صيحة لسرعته وقوعه بهم ويحتمل سمى ذلك العذاب صيحة لما يصيحوا فيما بينهم والله عز وجل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ههنا قال ديارهم وذكر في سورة الاعراف فاصبحوا في دارهم والقصة واحدة قال بعضهم دارهم وديارهم ومنازلهم ولكن هو على حدة اصبحوا في دارهم ومنازلهم ثم قوله جاثمين قيل جامدين موتى قيل جاثمين قوله جاثمين قيل جامدين موتى واصل قوله جاثمين اي منكبين على وجوههم لقولهم الجثم الطائر اذا اكب على وجهه مخافة الصيد والله اعلم وقوله كان لم يغنوا فيها اي كان لم يعيشوا فيها وقيل كان لم ينبتوا فيها وقيل كان لم يتكلموا فيها وقيل كان لم يسكنوا فيها وقيل كان لم يبرحوا فيها وهو واحد وصار لما اصبحوا كان لم يكونوا اما الاخبار والاثر وديارهم وانما بقيت ابدانهم وصارت كان لم يكن وفي الركن كانهم احياء يذكرون بعد موتهم والله اعلم وقوله الا ان ثمود كفروا ربهم اي كفروا بآيات ربهم وذلك كفر بالله وقوله الا بعدا لثمود اي بعدا من رحمة الله وقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اختلفوا في هذه البشارة قال بعضهم جاءوا ببشارة اسحق وقال بعضهم ببشارة هلاك قوم لوط والكافرين واهله قيل ان لوطا عليه السلام كان ابن اخ ابراهيم وكان تضرع الى الله تعالى بسوء عمل قومه وصنيعهم ودعا بالنجاة منهم هو قوله عز وجل رب نجني واهلي مما يعملون فحتى ذكر في بعض القصة انه قالت لابراهيم عليه السلام ضم ابن اخيك الى نفسك فان قومه معذبون فكان هلاك قوم لوط بشارة له على ما هم عليه والله اعلم وقوله تعالى قالوا سلاما قال سلام هذا يدل على ان السلام سنة والرسل والملائكة تعليمهم السلام في الدنيا والآخرة لم يخص هو به بل كانت سنة الرسل الماضية والامم السالفة وكذلك هو تحية اهل الجنة بقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها ونحو ذلك انتصابه بقوله سلاما وارتفاع الثاني سلام ما الانتصاب بعلوقوع القول عليه حيث قال قالوا سلاما كقولك قال العلاوا واما ارتفاع الثاني على الحكاية لقوله سلام لان الحكاية لقوله سلام لا الحكاية تعرف على ما كان يقول الرجل دابتدينا يقال له مرتفع على ذلك قال ابرهيم جوابا لسوال الملائكة سلام عليكم ولو كان الاول على وجه الحكاية كان جائزا ولو نصب الثاني لاصاب بوقوع الفعل عليه كما استقيما والله اعلم وقوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ يحتمل وجهين اي ما ابطا عندهم حتى اشتغل بتقديم الشيء اليهم والمؤانسة اسبابا ذلك ان لم يلبث عندهم في المؤانسة والحديث معهم على ما يفعل بالاضياف لان المرء به لم يلبث حتى جاء بعجل حنيذا اي بعجل حنيذ مع عسرلبث لان في ذبح العجل وشيه لبث لا محالة الا ان يكون العجل مشويا عنده فحينئذ جاء بالعجل وان لم يكن مشويا فيصرفها الى انه لم يلبث عندهم حتى اشتغل بتهيئة اسباب الذبح والله اعلم وفي الآية دلالة على الادب في صاحب الضيافة اذا نزل به ضيف انه لا يشتغل بمحادثتهم اولا ولكن يشتغل بقراهم وانا له حاجتهم لان ابرهيم عليه السلام اشتغل بقراهم ولم يشتغل بالسؤال عن احوالهم فانه لو سأل عن احوالهم اولا لعرفانهم من الملائكة وقد عرف ان الملائكة لا يتناولون شيئا من الطعام فلا يشتغل بقراهم فدل ان الادب ما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في الحنيذ قال بعضهم الحنيذ السمين لانه ذكر في موضع آخر فجاء بعجل سمين وقال بعضهم الحنيذ المشوي الذي تستصليه النار ويسيل منه الماء وقال بعضهم وقال بعضهم الحنيذ النضيج وقال بعضهم المحفور حدّ له في الارض حدا ثم شوى فيه بالحجارة المحماة وقيل هو الذي اشوى على الحجر فشوى والله اعلم وقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم قال بعضهم نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد وهو من الانكار معناه ان ابرهيم عليه السلام لم يرهم فظن انهم لصوص لان اللصوص من عادتهم انهم كانوا اذا ارادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم يأكلوا شيئا عندهم فلهم ذلك لم يأكلوا مما قدم اليهم من العجل فظنهم لصوصا وقيل لما لم يأكلوا عنده الطعام نكرهم انهم من البشر وقوله واوجس منهم خيفة قيل اي اضمر منهم خيفة قال بعضهم خاف لما ظن انهم سراق حيث لم يتناولوا شيئا مما قدم اليهم وصاحب الضيافة قد تلحقه الوحشة بما لم يتناول الضيف طعامه وقال بعضهم ان منزل ابرهيم عليه السلام كان نائيا من البلد لم ينزل به احد من البشر الا وقد احتاج الى الطعام فلما لم يتناولوا علم انهم ليسوا من البشر فخاف الا لامر عظيم لتعذيب قوم وهلاكهم فخاف لذلك فعند ذلك قالوا له لا تخف كما اخبر الله تعالى بقوله قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقال في موضع لا تخف وبشروه وقال ما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ذكر في هذه السورة انا ارسلنا الى قوم لوط من غير ان ذكر سؤال ابرهيم عليه السلام اياهم وذكر في تلك السورة ان على ان السؤال من ابرهيم عليه السلام بقوله فما خطبكم ايها المرسلون والمعنى والله اعلم ان ذلك كان على ان سأل ابرهيم عليه السلام لكن جمع ذلك في هذه السورة بالحكاية عن قولهم ولم يذكر السؤال وان كان بعض لان في تلك السورة ذكر السؤال والجواب فخرجت الحكاية على ما كان في الحقيقة وذلك مستقيم في كلام العرب سائغ في الاستعمال والله اعلم وقوله وامرأته قائمة قال بعضهم اي قائمة على رؤوس الاضياف لانها كانت عجوزا ولا بأس بالعجوز ذلك الا ترى

انه قال عز وجل والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة الآية قال بعضهم قائمة من وراء الباب داخل البيت لكن لسنا ندري ذلك كان وقوله فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من خوف ابرهيم عليه السلام انهم لصوص وهم كانوا ثلاثة او اربعة دون عشرة وكان خدم ابرهيم عليه السلام انهم لصوص وهم كانوا ثلاثة او اربعة دون عشرة وكان خدم ابرهيم عليه السلام يبلغ عدد هم ثلثمائة نفس على ما ذكر في القصة فضحكت تعجبا كيف يخاف من نفر عدده دون عشرة وعنده من الخدم ما يبلغ ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم ضحكت تعجبا مما بشروها بالولد وقد بلغ سنهما ما بلغ من الكبر وهو كقوله تعالى اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وقال بعضهم ضحكت اي حاضت من قولهم ضحكت الارنب اذا حاضت وهو قول ابن عباس وعكرمة وقال الفراء ضحكت حاضت غير مسموع ولا معروف ثم على تأويل من قال انها ضحكت تعجبا لما بشرت بالولد هو على التقديم والتأخير كأنه قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم لانهما جميعا خافا منهم وقوله ومن وراء اسحق يعقوب ظاهر هذا ان بشرت باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ولدا لها بعد اسحق ولكن لم يكن يعقوب ولدا من ابرهيم انما ولد من اسحق فيكون نافلة لها فاما قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نافلة وهو كما ذكر ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والله اعلم وقوله قالت يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب في الاشكال انها كيف تتعجب من ذلك وهي معتقدة بان الله تعالى فيقول هي لم تتعجب من قدرة الله تعالى انه قادر على ان يهب الولد في كل وقت ولكنها تعجبت لما رأت العادة في النساء والرجال انهم اذا بلغوا المبلغ الذي كانا بلغاه لم يلدوا فتعجبت انها تلد في الحال التي هما عليه او يردان الى حال الشباب فعند ذلك تولد لهما او كلاهما فتعجبت بخروج الحال على خلاف العادة لا تعجب قدرة الله تعالى ثم قال في هذه السورة وامرأته قائمة فضحكت وقال في موضع آخر فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها واختلف في الاقبال اذا لم تكن حاضرة وحاضرة كيف وجه الجمع بين الآيتين فيقول ان كان لنا تأويل على ما قالوا انها كانت قائمة وراء الباب داخل البيت فيكون اقبالها خروجها اليهم على الاضياف فان كان لنا تأويل انها قائمة على رؤوسهم فيكون معنى الاقبال الذي ذكر ضرب وجهها وصكها ليس ذلك على العدوم ولكن على الاقبال بفعل ما اخبر عنها من صك الوجه اي اقدمت على صك الوجه واقبلت عليه والله اعلم ونظير تعجبها ببشارة الولد ما ذكرنا من قول زكريا عليه السلام اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وفي موضع وقد بلغت من الكبر عتيا معناه اني يكون لي ولد في الحال التي انا عليها او يرد الى الشباب فعلى ذلك قولها أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب وقوله قالوا اتعجبين من قدرة الله هذا الكلمة لا يحتمل ان تتعجب من قدرة الله ولكن تعجبها مما ذكرنا من العادة الجارية ومعناه لا تتعجبين من امر الله هذا او من نقض العادة الجارية ومعناه لا تتعجبين من امر الله هذا او من نقض العادة الجارية على طريق الآية وكثيرا ما رأيت امثال ذلك يا اهل البيت وذلك قوله رحمة الله وبركاته صلة قوله قالوا سلاما لانه معلوم انه لم يقولوا سلام فحسب بحيث لم يزيدوا عليه بل زادوا وكانهم قالوا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت وقالوا سلام الله ورحمته وبركاته عليكم اهل البيت وقوله اهل البيت بالنصب معناه يا اهل البيت على حذف حرف النداء وهو كقوله عليه السلام تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي اي يا اهل بيتي وقوله انه حميد مجيد يحتمل الحميد الذي يقبل اليسير ويعطي الجزيل كالشكور ويحتمل المجيد والشرف وقيل الحميد المحمود والمجيد الماجد وهو الكريم والله اعلم وقوله فلما ذهب عن ابرهيم الروع وقيل الروع هو الفرق والفزع الذي دخل فيه بمجيء الملائكة عليهم السلام وقوله وجاءته البشرى بالولد الخالف وبنجاة لوط واهله وقوله يجادلنا في قوم لوط قال بعض اهل التأويل يجادل رسلنا في قوم لوط ما ذكر في القصة انه قال لهم ارأيتم ان كان فيهم من المؤمنين اتعذبونهم قالوا ونحو من الكلام ويحتمل مجادلته اياهم في استبقاء قوم لوط شفقة عليهم ورحمة لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يدعون لئلا ينزل بهم ما وعد بتشفع اليهم لتنبا لو ادبهم ان يبقيهم والله اعلم فان ثبت هذا والا لا نعلم ما مجادلته اياهم وامكن ان يكون مجادلته في دفع العذاب عنهم او تأخيره بدليله قولهم يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب قيل الحليم هو الذي لا يكافئ من ظلمه ولا يجازيه ويحتمل الحليم عن كل سفيه وقوله اواه قيل الاواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المتأوه وهو الدعاء اي كثير الدعاء وقيل الاواه الذي لا يفتر لسانه عن ذكره وقيل الاواه الحزين فيما بينه وبين ربه وقوله منيب قيل المنيب المخلص لله تعالى وقيل الى الله تعالى بقلبه وبدنه وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة جمع في هذا الحرف جميع انواع الخير والطاعة ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين الخلق فذكر انه حليم اواه منيب وقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا يعني عن الجدال الذي كانت بينهم وقوله انه قد جاء امر ربك وجاء موعود ربك وقوله وانهم آتيهم عذاب غير مردود غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل يا ابرهيم اعرض عن هذا اي عن الجدال انه قد جاء امر ربك بالابصار فلا تجمع

عنك ويحتمل جاء امر ربك بالذي امر من انزال العذاب بهم وقوله ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي ساء مجيئهم
في مكانهم وكرههم لصنيع قومهم بالغرباء مخافة ان يلحقهم سوء من قبل قومه وقوله وضاق بهم ذرعا اي لم يدر كيف
يصنع بهم وكيف يحتال لدفع صنيعهم سوء قومه والذرع قيل هو المقدرة والطاقة ويحتمل قوله سيء بهم وضاق بهم
ذرعا المجادلة الذي باهلاك قومه شاء ذلك وضاق به ذرعا كذلك وقوله هذا يوم عصيب قيل فظيع شديد
لانه يوم يهتك الاستار وتفتضح الرجال فيه دليل جواز الاجتهاد دلالة قال يوم عصيب عن لم ينظر لم يشتد
بالوحي وانما قال بالاجتهاد والله اعلم وقوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم يهرولون
اليه والهرولة سير بين السعي والمشي وقال بعضهم يهرعون اليه اي يرعشون اليه من الرعب اي فزعين اليه
والله اعلم وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات هذا يحتمل وجهين احدهما اي من قبل ان بعث لوط رسولا اليهم
كانوا يعملون السيئات والسيئات الشرك وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم
هؤلاء بناتي هن اطهر لكم قال بعضهم اراد بنات قومه لان الانبياء عليهم السلام كانوا كالاباء لاولاد قومهم
ينسبون اليهم الا ترى الى قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي حرف ابن مسعود رضي
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم سمى ازواجه امهاتهم والنبي اباهم فعلى ذلك يحتمل قوم لوط هؤلاء بناتي اراد بنات
قومه ينسبهن الى نفسه ثم يحتمل معنى جعل النبي لاولاد قومه كالاب وجعل ازواجه كالامهات وجهين احدهما نسبوا اليه
للشفقة هو اشفق بهم من الاب والام واحق للتربية والتعليم الذين كالاب لهم فهو اولى بهم من انفسهم والثاني
والله اعلم وقال عامتهم اراد بنات نفسه ثم اختلف في معناه قال بعضهم كان ذلك منه تعرضا لهم بالنكاح اي ان
هؤلاء بناتي هن اطهر لكم نكاحا ان كنتم قابلين الايمان وقال بعضهم هو تعريض منه لما هو بعيد عندهم لانه عرض
ذلك عند نفسه وهذا كما يقولون لمن يكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا باس بان يشتم ويقصد
بشتمه محمدا اخر وان كان عند المكره انه يشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اخطر الشتم بقلبه غيره
وكذلك اذا اكره على ان يسجد للصنم لا باس ان يقصد بالسجود لله وان كان عندهم انه انما يسجد للصنم الذي عنده
فعلى ذلك يحتمل قوم لوط عليه السلام هؤلاء بناتي هن اطهر لكم تعريض بما عندهم وان كان عنده ان لا يكن
لذلك وقال بعض القائلين انما قال هذا ليقبح الفعل الذي كانوا قصدوا باضيافه لان الزنا كان
عندهم محرما فعرض عليهم بناته ليعرفوا قبح ذلك الفعل حيث احتمل ان يطلب في بناته ولا يحتمل في اضيافه ليمتنعوا عن
ذلك او يحتمل ان يكون قال ذلك لهم وكانا حرامين لكن احدهما ايسر واهون ويجوز الجمع بين شرين ليدفع اعظمهما ويختار اهون
اذا كان احدهما اهون وكذلك يجوز ان يجمع بين حرامين فيختار اهون فيما الزنا وان كان حراما فدون اتيان الرجال
وادبار الرجال مما لا يحل بحال وقال بعضهم انهم كانوا يخطبون بناته وكان ابى ان يزوجهن منهم لما ركبوا من الفواحش
ثم عرض عليهم في ذلك الوقت ليقبحوا ذلك الفعل الذي قصدوا باضيافه وكلام نحو هذا والله اعلم وقوله فاتقوا الله
ولا تخزون في ضيفي قال في موضع ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون لتعلم ان الاخزاء هو الفضيحة هذا يدل ان الخزي
هو الذي يفضح من نزل به وقوله اليس منكم رجل رشيد اي اليس منكم رجل يرشد كم بعضكم ويمنعكم اليس منكم
رجل رشيد على الكف فيمنعهم عما يريدون باضيافه وقال بعضهم ان يزوج بعض بناته ممن يصد عن ذلك ويمنعهم
عن اضيافه كانه يقول اليس منكم من يرشد ويصد عن ذلك ثم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق قال عامة
اهل التاويل ما لنا في بناتك من حاجة وانك لتعلم ما نريد يعنون الاضياف ثم يحتمل الحق على التاويل الذي
ذكرنا بقوله هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وجهين احدهما حق النكاح والثاني حق الاستمتاع ويحتمل انك لتعلم ان ليس
لنا في ضيفك من حق فكيف تمنعنا عنهم وتعرض علينا بناتك وهي مما ليس لنا فيهن حق كما قلت والله اعلم وقوله
قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد قيل الركن الشديد عند العرب العشيرة ولو كان قوم في نفسي وعشيرة يمنعوني
لقاتلتكم فيه وقوله لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد كيلا يقبحوا هو الوطا او غيره حتى قال لما قال الذي
انا الملائكة قالوا له انهم لن يصلوا اليك والله اعلم وقوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك
اعينهم وقوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر قال القائلون قالوا ذلك لما اراد
لوطا حين طمست اعينهم ان ضيفك فستعلم غدا ما اتبعنا اهلك فقالوا له عند ذلك لن يصلوا اليك فاسر باهلك
بقطع من الليل قيل قطع الليل اخره وهو قدر السحر وقيل بعض الليل ووقته من اخره وقوله ولا يلتفت منكم احد الا
امراتك يحتمل النهي عن الالتفات كانه يقول لا يلتفت احد ويحتمل الخبر كانه يقول ولا يلتفت منكم احد الا امرتك
وهو وجهه وكذلك حكايته ما قال فيها انه قوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك قيل لا يتخلف احد منكم الا
فانها تتخلف فيصيبها ما اصابهم وقال بعضهم لا يلتفت من الالتفات والنظر وقيل لا يترك احد منكم
الا امراتك فانها الا تتبعك فيصيبها ما اصابهم اولئك والله اعلم وقوله ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب كان لوطا

عليه السلام استبطا الصبح العذاب بهم فقالوا اليس الصبح بقريب وهذا من لوط لا يحتمل ان يكون قال ذلك
وهو بين اظهرهم ويعلم انه يقلب علاها اسفلها اي اسفلها اعلاها ولكن انما قال ذلك والله اعلم بعد ما اخرج
واهله من بين اظهرهم فعند ذلك قال لما قال واستبطا وقت نزول العذاب بهم فقالوا عند ذلك اليس الصبح بقريب
والله اعلم وقوله فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها اي جاء المراد بامرنا فامر هو جعله عاليها سافلها وهو امر
تكوين اي جاء وقت صيرورة قرى قوم لوط عاليها سافلها اذا التكوين واما المراد فهو المكون الذي هو امر التكوين
السابق والله الموفق وقيل ادخل جبريل صلى الله عليه وسلم جناحه تحت قريات لوط عليه السلام فرفعها الى السماء
ثم قلبها فجعل ما هو اعلاها اسفلها فهوت الى الارض وذلك قوله والمؤتفكة اهوى قيل اهوى بها جبريل صلوات
الله عليه من السماء الى الارض ويحتمل ان يكون اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض جعل اعلاها اسفلها لكن اهل
التاويل حملوا على ما ذكرنا واجمعوا عليه والله اعلم وقوله وامطرنا عليها حجارة من سجيل قال بعضهم امطرنا الحجارة
على اهل تلك القريات بعد ما جعلنا عاليها سافلها فنصب كل واحد منهم حجارة من طين وقال بعضهم قلبت القرى
وجعلنا اعلاها اسفلها وارسلت الحجارة على من كان غائبا عن القريات فكتب على كل حجارة مكتوب باسم صاحبها
فتصيبه فتقتله وقال بعضهم بان الحجارة تصيب كل الغائب والحاضر جميعا والله اعلم ثم قوله من سجيل قال
بعضهم هو اسم المكان الذي رفع الحجر اليه فامطر وقال بعضهم هو طين مطبوخ كالاجر وعن ابن عباس رضه قال
وكل قوله منضود اي نضد الحجر بالطين والصق بعضه بعضا قوله مسومة عند ربك اي معلمة مخططة بسواد
وحمرة وبياض من عند ربك وقال بعضهم مسومة مكتوب عليها اصحابها وقوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد
قال بعضهم وما هي من ظلمة قوم لوط ببعيد وقال بعضهم وما هي من ظالمي اهل مكة ببعيد اي عذاب ليس ببعيد
منهم نعيد بهم ان شاء في الدنيا ويحتمل قوله وما هي من الظالمين ببعيدا في تلك القرى والامكنة التي اهلك اهلها
ليست ببعيد من مشركي مكة وهي مما ذكر وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وفي هذه الاية
حيث لم يحمل هذا بهم عذاب الاستيصال الكن جعل عذابهم الجهاد بقاتلونهم حتى يسلموا او ينقادوا للحق والله
وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره هذا قد ذكرنا فيما تقدم ثم في قوله اخاهم شعيبا وما ذكر في غيره من الاخوة دلالة على ان الرسل من قبل كانوا
من البشر من جنس قومهم لا من الملائكة ومعلوم انهم لم يكونوا اخوة لهم في الدين فيكون المراد الاخوة من حيث الجنس
وفي الاية دلالة ايضا ان الاخوة لا توجب فضيلة المواخاة لانه ذكر الرسل عليهم السلام اخوة لهم لانهم اخوة
وهم كفرة وكذلك يرد قول الروافض في تفضيل علي على ابي بكر رضي الله عنهما بالمواخاة التي كانت بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين علي رضه ان المواخاة لا تدل على الفضيلة فاما الخلة فانها توجب الفضيلة وقد جاء عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال لو اتخذت من دون ربي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان
ذكر انهم كانوا ينقصون المكيال والميزان لا يوفون الناس حقوقهم فيها فنهاهم عن ذلك ثم في النهي وجهان احدهما
انما هو لحق الرب لا لان النقصان لو كان برضا صاحبه يجوز وانما لا يجوز مع الرضا اذا كان لحق الرب او الكيل والوزن
مما يعرف الا الربا فهذا لو كان حراما في شريعتهم وقبلنا والثاني النهي يرجع الى التصرف في المبيع قبل القبض وذلك
منهي مع البائع او غيره لا لان انما ينقص من حقه برضاه يكون هبة المبيع من البائع قبل قبضه ثم قيام البيع بينهما فدل
ان التصرف في المبيع قبل القبض منهي مع البائع والله اعلم وقوله اني اراكم بخير قيل اي في سعة المال وقيل
في رخص من السعر وانما يحمل الى ما يجعل على النقصان والظلم على اخذهم غيرة الشيء وضيق الحال فكيف تنقصون انتم حال
السعة ورخص السعر ويحتمل اني اراكم بخير اي اراكم بخير في غير هذا مقدرين على السخاوة والاعطاء فلا تظلموا
الناس في هذا ولا تمنعوا حقوقهم وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط هذا يحتمل وجهين احدهما ان تكون
الاحاطة مضافة الى اليوم معناه اخاف عليكم عذاب يوم محيط بالناس اجمع وهو صفة يوم القيامة فانه
اليوم المحيط بجميع الخلائق ويحتمل ان تكون الاحاطة الى العذاب اي يحيط العذاب بهم في ذلك اليوم حتى لم
يجد رحمة من كان ظاهره وباطنه الا وقد يحيط بها العذاب ويصيبها لكنه نسبه الى اليوم لان العذاب يحيط بهم فيه
كقوله والنهار مبصرا اي يبصر فيه فقدر الاية واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط فيه العذاب بكم فعلى التاويل الاول
فاليوم محيط بالكافرين والمؤمنين جميعا وعلى الثاني هو محيط بالكفرة خاصة لان العذاب يحيط بالكفرة تبنية
لا غيرهم والله اعلم وقوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم خص المكيال
والميزان والله اعلم لما كانوا يطففون المكيال والميزان يبخسهم فيهما وفيهما يجري الربا لما ذكرنا ثم النهي بتخصيص
المكيال والميزان لا يدل على انه لم يكن فيهم من المآثم والاجرام سوى ذلك لكن انما خص هذا لما كان الظاهر فيهم نقصان
الكيل والوزن وهو الغالب من اجرامهم وهو كما خص قوم لوط عليه السلام بقوله اتاتون الذكران من العالمين وقال

انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ليس على انهم لم يكونوا ياتون من الفواحش شيئا لكن على
هذا رايه الظاهر الغالب فيهم على ذلك هذا والله اعلم وفي قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم دلالة ان المشتري يملك
المبيع قبل ان يقبضه لانه قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولو كان لا يملك بنفس الشراء لم تكن اشياء الناس بل
اشياء البائع فانما نقص ماله لا مال الناس والله اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين هو كما ذكر في موضع
اخر ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وقال بعضهم اي
ما ابقى لكم من ثوابه في الاخرة خير لكم ان اصبتم بر واطعتموه مما تجمعون من الاموال وقال بعضهم بقية الله خير لكم اي
ما احل الله لكم مما يحل خير لكم مما يحرم عليكم من نقصان الكيل والميزان ان كنتم مؤمنين بالحلال والحرام او بالاخرة
وقال بعضهم ما امركم به وما يدعوكم اليه خير مما تعملون وقال الحسن رزق الله خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم
وهذا يرجع الى ما ذكرنا وقوله وما انا عليكم بحفيظ اي لست شهيدا بلغتكم حتى اعلم بخسكم الناس المكيال والميزان
لكن انما الفرض لي بانه تعالى وفيه دلالة اثبات رسالته ويحتمل وما انا عليكم بحفيظ اي بمسلط عليكم انما ابلغ
اليكم وقوله قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وتقرا اصلاتك
قال بعض اهل التاويل اي قراءتك تامرك هذا وقال ابن عباس رضي الله عنه ذلك لان شعيبا كان يكثر الصلوة كان يخرج
على الاصنام ويقولون اصلواتك تامرك ان تامرنا بترك عبادة ما عبد اباؤنا ثم قوله اصلاتك وصلواتك يحتمل ان
تكون الصلوات معروفة يفعلها فيقولون اصلواتك التي تامرك ان نترك كذا او صلوة واحدة بكثرتها تامرك
ان نترك كذا وتخصيص الصلوة بالذكر من بين غيرها من الطاعات لما انها كانت من اظهر طاعاته عندهم فلذلك
هذا اما الاية لعلى نفي غيرها من الطاعات عن فضل قول من يقول بان التخصيص بالذكر يدل على نفي ما عداه ثم يحتمل ما ذكر
وجهين احدهما كانهم قالوا اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء على السفه
او التجهيل لكون نبح اخر وسفه يفعل اهلك تامرك بذلك او دينك او ايمانك تامرك بهذا على الانكار او لا تامرك
بذلك اذا كانت الصلوة هي التي ذكروها امرته عندهم حتى يستقيم ذلك منهم على الانكار ان الصلوة لا تامرك
وانها لم تكن حسنة عندهم فالتاويل هو الاول انهم قالوا ذلك على الاستهزاء والله اعلم ثم قوله اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا يدل على ان حجتهم تقليدا باتباعهم في عبادة الاصنام واتباعهم في الاموال التي كانت
لهم فمنعهم هذا عن النظر في الحجج والايات لحبهم تقليد الاباء في الاموال وهكذا جميع الكفرة انما منعهم عن النظر
في الايات والتامل فيها والحجج التي اتباع رسله احد الوجوه التي ذكرنا اما تقليد الاباء وحب اللذات والميل الى الشهوات
وما لم ياسطيعوا انهم لو اتبعوا الرسل فيما جاؤوهم الى ما دعوهم اليه لذهبت عنهم ذلك والله اعلم وقوله او ان نفعل
في اموالنا ما نشاء يحتمل قضاء جميع الشهوات ويحتمل ما ذكر من نقصان الكيل والميزان تقولون اموالنا اموالنا ليس
لاحد فيها حق نفعل فيها ما نشاء وقال بعضهم او ان نفعل الا الفضلة والتقريب وان نفعل في اموالنا ما نشاء
وقوله انك لانت الحليم الرشيد قال اهل التاويل قالوا له استهزاء به وسخرية كنوا بالحلم عن السفيه وبالرشيد
عن الضال لما انه السفيه حيث سفهتنا بانك تنهانا عن عبادة الاصنام وانت الضال حيث تركت ملتهم ودينهم وقال
بعضهم قالوا ذلك على النفي والانكار اي ما انت الحليم الرشيد ويشبه ان يكون على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد
لانهم لم ياخذوا عليه كذبا قط ولا راوه على خلاف ولا على سفاهة قط فقالوا انك لانت الحليم الرشيد اي
كنت هكذا فكيف تركت ذلك بما دعانا الى رسالته ومنعنا عن دين الاباء واستماعهم عنه وهو كما قال قوم صالح لصالح
يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا من قبل وقوله قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة
من ربي ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه ما قال اولئك الانبياء عليهم السلام واتاني رحمة من عنده كما ذكر
في قوله واتاني منه رحمة وقوله ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل انه رزقني الدين والهدى والنبوة ويحتمل ان
يكون الرزق الحسن هو الاموال الحلال الطيبة التي لا تبعة عليه فيها خلاف ما رزق اولئك الكفرة عليهم تبعة
لانهم اكتسبوها من غير وجه الحل وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من الناس من قال انما قال شعيب هذا
لاسماع قالوا له على ما ذكر في سورة الاعراف لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
يقول ادعوكم الى الايمان والتوحيد بالله وانهاكم عن الكفر به ثم ارتكب ما انهاكم عنه واترك ما ادعوكم اليه وقال
قتادة لم اكن انهاكم عن امر وارتكبه فهو واحد ويحتمل اي وما اريد فيما انهاكم عنه ان اظهر لكم المخالفة فيما اريد
بذلك الاصلاح والنفع لكم فليس المراد منه المخالفة انما المراد ان يحصل النفع لكم بقبول ما ادعوكم اليه وقوله
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اي ما اريد الا الاصلاح ما دمت مستطيعا وفي الاية دلالة على ان الاستطاعة
تكون مع الفعل لانه لا يخلو اما ان اراد استطاعة الارادة او استطاعة الفعل وكيفما كان ففيه دلالة انه يريد
لهم من الصلاح ما استطاع وهو نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان لهم استطاعة تتقدم الفعل ومع ذلك لا يجيء

وقيل فان قالوا على قولهم كان [illegible] ان الصلاح [illegible] لما لا يستطيع وانه خلاف ظاهر الاية وانما التوفيق وما توفيقي
الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع والخذلان [illegible] كل عاص وقال بعضهم التوفيق هو [illegible]
بين قوله وفعله والخذلان لما يفرق في المعصية بين قوله وفعله [illegible]
[illegible]
وقال الحسين النجار التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية وعندنا التوفيق
[illegible]
وقوله عليه توكلت واليه انيب [illegible]
[illegible] ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد [illegible]
[illegible]
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه [illegible] ان ربي رحيم ودود [illegible]
[illegible]
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول [illegible]
[illegible]
وانا لنراك فينا ضعيفا [illegible] ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز [illegible]
[illegible]
قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله [illegible]

في جميع ما هم عليه والمساعدة لهم والثاني على الخوف والنكاية لهم لقى بهم وكبتهم وفضل تطلعهم تركنا ما أوعدنا بخوفا من رهطه فقال لخوفكم من رهطي أشد عليكم أكثر من الخوف من الله وقد بلغكم من نكايته ونقمته عما حل بالأمم الماضية أو حرمة رهطي عندكم وحقهم أعظم من حق الله تعالى وحرمته وقد تعلمون إحسانه الكثير إليكم نعمة عليكم والله وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم حملتموه على ظهوركم وحملتم إياه على ظهوركم أي تخطئهم إياه تقويما لم يرتفع لأن حمل الناس على ظهورهم أي سخطهم على نفسه ولكن لا ندري أنقال هنا أم لا أو قيل فهو محتمل وهو قول أبي بكر الأصم وقال غيره من أهل التأويل نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وهذا على التمثيل أي جعلوا أمر الله ودينه الذي دعوا إليه كالمنبوذ وراء ظهورهم لا ينظرون إليه ولا يكترثون وهو ما ذكر في قوله نكص على عقبيه انقلبتم على أعقابكم على التمسك أي الذي أنتم عليه في الفتح كانقلاب على أعقاب وقوله إن ربي بما تعملون محيط يخرج على وجهين أي بما تعملون من الأعمال الحفيظ محيط فيجزيكم أو يقول إن ربي بما تعملون من الكيد برسول الله والمكر محيط فيجعله عليكم وقوله ويا قوم اعملوا على مكانتكم أي فاعل هذا يخرج على وجهين أحدهما أي كونوا على دينكم الذي أنتم عليه وأنا أكون على ديني الذي أنا عليه لأن قوم شعيب قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا فقال لهم عند ذلك وهذا أيضا قوله للإياس عن إيمانهم والثاني قوله اعملوا على مكانتكم أي فاعل أي اعملوا في كيدي والمكر في هلاكي أي فاعل ذلك بكم وقوله سوف تعلمون أي ستعلمون لمن العاقبة يخرج على الوعيد وقوله من يأتيه عذاب يخزيه أي سوف تعلمون في العاقبة من يأتيه عذاب يخزيه يخزي أم أنتم وقوله ومن هو كاذب تعلمون في العاقبة من الكاذب بعينا لأن لكل واحد من الفريقين يدعي على الفريق الآخر الكذب والافتراء على الله تعالى فيقول سوف تعلمون في العاقبة من الكاذب منا والمفتري على الله تعالى والصادق عليه وقوله وارتقبوا إني معكم رقيب أي ارتقبوا هلاكي فإني أرتقب هلاككم أو ارتقبوا العاقبة منا فإني معكم رقيب والله أعلم وقوله ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة أي هلكوا بصيحة جبريل صلوات الله عليه وقال بعضهم الصيحة اسم كل هذا وكذلك الرجفة يسمى هذا بأسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة وقوله فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها قد ذكرنا فيما تقدم وقوله ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هذا أيضا قد ذكرنا وقال بعض أهل التأويل ألا بعدا لمدين في الهلاك كما بعدت ثمود كما هلكت ثمود لأن كل واحد منهما أهلك بالصيحة ثم تم اختصاص ذكر ثمود من بين الأمم وقيل في قوله ألا بعدا لمدين أي ألا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمة الله وعن ابن عباس قال لم يعذب نبيان أمة واحدة إلا قوم شعيب وصالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم قال نشأت سحابة فيها أهداف لهم لم تعملوا كهيئة المظلة فيها ريح فلما رأوها أتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فسال عليهم العذاب من فوقهم وذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة الآية والله أعلم وقوله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين يحتمل قوله بآياتنا وسلطان واحد على التكرار وهو الحجج ويحتمل أن يكون الآيات هي الأوامر والنواهي وما يتقى وقوله وسلطان مبين الحجج والبرهان وقوله إلى فرعون وملائه وقد ذكرنا أن الملأ اسم سمي بين اسم الجماعة واسم الأشراف وهو كان مبعوثا إلى الأشراف من قومه وإلى العامة أيضا لكن خص بعثه إلى فرعون وملائه ولأنه كان مبعوثا إلى الكل لما أن العرف في الملوك أنهم يخاطبون الكبراء منهم والأشراف وإن كان المقصود من الخطاب الكل وقوله فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما ذكر في المؤمن حيث قال لهم ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أطاعوا فرعون في قوله [illegible] وما أمر فرعون برشيد أي بهدى ولكن عندنا أنهم أطاعوا فرعون في جميع أمره ونهيه من عبادة الأصنام وغيرها [illegible] سخف قومه فأطاعوه ويحتمل [illegible] برشيد [illegible] ضلالا [illegible] مضلا وقوله يقدم قومه يوم القيامة [illegible] فأوردهم النار [illegible] يتبعون أثره كما تابعوه في الدنيا [illegible] كقوله يوم ندعو كل أناس بإمامهم قال وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار [illegible] يكونون لهم أئمة في الآخرة [illegible] فأوردهم النار [illegible] في الدنيا [illegible] وقال بعضهم [illegible] بئس الدخل المدخول [illegible] ابن عباس [illegible] بئس الورد المورود [illegible] وقوله وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة [illegible] بئس الرفد المرفود [illegible] الدنيا الذي [illegible]

في الآخرة كما عذبوا في الدنيا والثاني يحتمل لعن الخلائق إياهم أي يلعنهم في الآخرة واللعن هو الطرد في اللغة أي طردوا عن رحمة الله لم يرحموا في عذاب الدنيا ولا يرحمون في عذاب الآخرة والله أعلم وقوله وبئس الرفد المرفود عن ابن عباس يقول لعنة الدنيا والآخرة وقال قتادة أي ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة الدنيا ولعنة الآخرة ولكن على زعم يحيى أن يقال الردف من الترادف وقال القتبي الرفد العطية والعون يعني العون المعطى يقال رفدته إذا أعطيته وأعنته كأنه يقول بئس العطاء المعطى وكذلك قال أبو عوسجة بئسما أعطوا وأعينوا وبئس المعطى والله أعلم وقوله تعالى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد قوله ذلك من أنباء القرى يحتمل ما سبق من ذكر القرى والقرون في هذه السورة من أنباء الغيب نقصه عليك لتعلم بها رسالتك وتكون آية لنبوتك لأنك لم تشاهدها ولا اختلفت إلى أحد منهم فتعلمت منهم ولا كانت الكتب بسالتك فيقولون نظرت فيها فأخذت ذلك منها ثم أنبأت على ما كانوا وقصصت عليهم لتعلم أنك إنما عرفت بالله تعالى وقوله منها قائم وحصيد قال بعض أهل التأويل أي أن تلك القرى منها قائم يرى مكانها وينظر إليها ومنها حصيد لا ترى لها أثر ولا مكانها وقال بعضهم أي خاوية على عروشها وحصيد مستأصلة وعن الحسن قال منها قائم ومنها حصيد والله أعلم أي من القرى التي أهلك الله تعالى من القرى ما كتب وقصصناه عليك نبأه فمنها قائم مثل قرى عاد وثمود ومدين أهلك أهلها وبقيت القرى لأهل الإسلام لأنه يقول في قرى عاد فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ومنها حصيد أهلك أهلها والقرى جميعا نحو قوم نوح وقوم لوط هلكوا بنيانهم فذلك تأويل قوله منها قائم وحصيد وفيه وجوه ثلاثة أحدها أنه لرسالته على ما ذكرنا والثاني عبرة لأهل التقوى وهو ما ذكر في آخر ما نزل في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة عبرة والثالث زجر لأهل الشرك والكفر لأنهم يذكرون ما نزل بأولئك فينزجرون عن صنيعهم والله أعلم وقوله وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم وفي قوله ظلمناهم وجهان أحدهما أي لم نظلمهم لأنهم وبنيانهم ملك لنا تعالى وكل ذي ملك له أن يهلك ملكه ولا يوصف بالظلم من يتلف ملكه وهم ظلموا أنفسهم وأنفسهم ليست لهم وكذلك بنيانهم من تلف ملك غيره فهو ظالم والثاني أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه يقول وما ظلمناهم بالعذاب إذ هم يستوجبون ذلك لما ارتكبوا فلم نضع العذاب في غير موضعه بل هم الذين وضعوا أنفسهم في غير موضعها حيث صرفوها إلى غير مالكها وعبدوا غيره فهو ظلم هذا التأويل في أنفسهم فأما البنيان فإنما جعلها لهم فإذا أهلكوا أهلكوا لما جعل لهم مما أتى لهم ما داموا هم فأما إذا بادوا هم فلا معنى لبقاء البنيان لأجلهم ومما ذكر من ظلمهم أنفسهم يحتمل وجوها أحدها ظلموا أنفسهم بعبادتهم غير الله تعالى والثاني نقصوا حظهم الذي وضعهم عن عبادة الله ووجهوا إلى عبادة من لا يستحقها والثالث ستوجبوا العذاب بقوله فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك أي عذاب ربك بقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى بخبر أن عبادتهم الأصنام لم تنفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني فما أغنت عنهم أي نفس آلهتهم في دفع العذاب عنهم لحوائج إليها لعجزهم وضعفهم في أنفسهم لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فإذا لم يملكوا ذلك في وقت الحاجة فكيف يملكون في غيره من الحال والله أعلم وقوله وما زادوهم غير تتبيب يحتمل ما زاد عبادتهم إياها غير تتبيب التخلف في التتبيب قال عامة أهل التأويل هو التخسير وقال أبو عوسجة أي غير فساد والتتبيب الفساد وكذلك عن أبي عبيدة وما كيد فرعون إلا في تباب أي خسار وقال غيره إلا في خسار وقال غيره في تخسير وكذلك قالوا في قوله تبت يدا أبي لهب وتب وكذلك قالوا في قول الناس تبا لك وقال بعضهم غير تتبيب غير شر والتتبيب الشر والخسران بعضه قريب من بعض وقوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى أي هكذا نأخذ كفار هذه الأمة كما أخذ أولئك وكما عذب الأمم الخالية وقوله وهي ظالمة أي مشركة كافرة أي كذلك نعذب هذه الأمة لكن أخر عن هذه الأمة رحمة منه عليهم وقوله إن أخذه أليم شديد أي أن أخذه بالعذاب شديد لأن الأخذ نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالألم لكن العذاب يوصف بالألم فقال العذاب أليم والشدة فكأن المراد من الأخذ أخذه عذابا أي أخذه العذاب شديد وعذابه أليم والله أعلم وقوله إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة أي في ذلك لعبرة لأهل التقوى على ما تقدم ذكره وقوله ذلك يوم مجموع له الناس خص الناس بالذكر وإن كان الجمع لهم ولغيرهم من الجن والشياطين والحيوانات كلها قال الله تعالى وإذا الوحوش حشرت وما كان لو خص أحدهما لأنه ذكر عقيب قوله إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة والآية إنما تكون للناس والثاني أن الناس هم المقصودون بالجمع وبذلك اليوم والله أعلم وقيل الجمع فيه الأولون والآخرون وقوله وذلك يوم مشهود قال بعضهم أي يشهده أهل السماء وأهل الأرض للعرض والحساب والله أعلم وقوله وما نؤخره إلا لأجل معدود أي ما نؤخر العذاب عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هنا والله أعلم جوابا لما استعجلوا العذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحوه فقال وما نؤخره إلا لأجل معدود أي إلا لوقت موقت ثم قوله إلا لأجل معدود أي معدود عند الله

ولو كان ما روى عن ابن عباس انه سبعة آلاف فيكون اجلاً معدوداً عند الناس ويكون وقت القيمة معلوماً لهم وقد اخبر الله تعالى انه لا يجليها لوقتها الا هو والله اعلم وقوله يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى ويحتمل ان لا تكلم نفس لاهوال ذلك اليوم فلم يفهم منه كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن الآية والله اعلم وقوله فمنهم شقي وسعيد اي منهم شقي باعماله الخبيثة التي اذا اختارها وعملها ادخلته النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعات والخيرات التي اذا عملها واختارها ادخلته الجنة كل عامل بعمل فيدخله الجنة فهو سعيد وكل عامل بعمل فيدخله النار فهو شقي وقد روي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فمنهم شقي وسعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلام نعمل على شيء قد فرغ منه او شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت هذا فهو دليل لما ذكرنا والله اعلم وقوله فاما الذين شقوا ففي النار لما ذكرنا لهم فيها زفير وشهيق وقال بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصدر وهو اول ما ينهق والشهيق كشهيق الحمار في الحلق وهو آخر ما يفرغ من نهيقه وقال بعضهم الزفير ما لا يفهم منه شيء ما هو كما لا يفهم من الجرع من شيء يصيبه ولا يتبين منه والشهيق ما يرتفع مثل الصوت ويحتمل ما ذكر من الزفير والشهيق انهم يصيحون ويدعون كثيراً ويدعا بهم فيما بينهم حتى يكون من كل واحد منهم الزفير والشهيق لا يفهم منه كصوت الحمير اذا اصابها الحر خالدين فيها ما دامت السموات والارض عن الحسن قال في قوله ما دامت السموات والارض يبدل سما غير هذه السماء وارض غير هذه الارض لان الله تعالى اخبر ان هذه تنشق وتطوى وتبدل بقوله يوم تنشق السماء ويوم نطوي السماء وقال يوم تبدل الارض غير الارض ويحتمل ان المراد خالدين فيها ما دامت تلك السماء وتلك الارض وهي لا تفنى ابداً فكذا يكون هذا بسبب الكفر على الابد وقال بعضهم ان ذكر مدة العذاب على الابد كما دامت السموات والارض لاهل الدنيا ما داموا فيها لانهما تفنيان بفنا اهلها وتبطلان بهلاك الاهل فاخبر ان العذاب يدوم لهم كما يدوم لاهل الدنيا السماء والارض والله اعلم وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت سماء الجنة وارضها وسماء النار وارضها لكن ذكر هذا لانهم اهل الجنة اهلكت قبل هلاك سمائها وارضها فلما لم يتوهم هلاكها اهل الدنيا قبل هلاك سمائها وارضها والله اعلم وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي ما دامت السماء سماء والارض ارضاً يتكلمون على ما يعد من فعالهم بهتاناً وهو ويقولون لا يبرح هذا على عادة العرب اذا ارادت الابد ويحتمل قوله ما دامت السموات والارض خرج على الصلة بقوله خالدين فيها وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة يقول الرجل لآخر لا اكلمك ما دام الليل والنهار يريد ابداً والله اعلم وقوله تعالى الا ما شاء ربك قال بعضهم ان ناساً من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها او يصيبهم تعذيب الآية كما قال اما الذين شقوا ففي النار الا ما شاء ربك فانهم لم يشقوا شقاء من يخلد في النار فلا يخلدون ولما الذين سعدوا ففي الجنة الا ما شاء ربك فانهم لم ينالوا السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار فلا يدخلون الجنة قبل دخول النار ذكر المسلم العاصي الذي يدخل النار دخولاً في النار حيث يخرج منه ولا يكون له ايضاً خلود في الجنة بمقابلة من لم يدخل النار لانه لم يدخل الجنة من الابتداء فهو معنى الاستثناء بالخلود والله اعلم وقد روي صاحب هذا التأويل انه روي عن ابي سعيد الخدري وعن ابي هريرة رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستثناء في الآيتين كلتيهما لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا انه لم يكن خلود في حق المسلم الذي دخل النار حيث يخرج من النار ويدخل الجنة ولا يكون له خلود في الجنة في الوقت الذي دخله الذي لا ذنب له فلا يكون له في مقابلة ذلك دوام وخلود وقد روي في بعض الاثر قال اما من يريد الله اخراجه منها فانهم بما توعد فيها المائة وقال بعضهم كان اما من يريد الله به الخلود فلا يخرجون منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبتت الاخبار فهذا هو المعتمد وقال بعضهم الا ما شاء ربك اي وقد شاء ربك لاهل النار الابد الخلود وشاء لاهل الجنة عطاء غير مجذوذ اي غير منقطع ويؤيد هذا التأويل ما ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما انهما لم يذكرا التنيا في اهل الجنة فذكرا ما دامت السموات والارض في الآيتين فذكر في الاولى الا ما شاء ربك وفي الاخرة ما دامت السموات والارض عطاء غير مجذوذ واصل هذا ما ذكر ابو حنيفة قال الاستثناء الذي هو في اهل السعادة هو المشكل لانه يقال كيف يستثنى وقد وعد لهم خلود الابد في الجنة وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ادري الى من يسندها الا انه لها مخارج في كلام العرب يتأتى في الآثار وانما تكلم الناس في هذا على المعاني والله اعلم بما اراد من الوجوه ولا نقطع على واحد منها لكونه مراد الله قال الحكمي ان الوجوه في الاستثناء بما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشيء ليفعلنه او يعد غيره ثم يقول ان شاء الله وهو مع صحيح مع استثنائه انه فاعل لا بد غيره ومما يقوي هذا المذهب قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فاستثنى وقد علم الله تعالى انهم يدخلونه البتة ومشيئته تعالى للنبي ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقوله ذلك الوعد من النبي واجب عنه ما روي في حديث

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لقطتها الا لمنشد قيل انه استثنى المنشد واللقطة لا تحل له كما لا تحل لغيره والوجه الثاني ان يكون الا بمعنى سوى وغير فان العرب تفعل ذلك تقول لي عليك الف درهم قبل كذا وكذا الا الالفين قبل ذلك اي سوى الالفين التي قبل ذلك وغيرها فيكون المعنى على هذا انه وعدهم خلوداً لا بد سوى ما اعد لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها لهم ومما يقوي هذا التأويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فلا ترى هذا من الزيادة مما لم يطلعهم عليه والوجه الثالث ان يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث والحساب وتعجيل ما بين البعث والموت وهو البرزخ الذي ذكر الى ان يصيروا الى الجنة ثم خلود الابد علم يغيبوا من الجنة الا مقدار ما كانوا في البرزخ ومما يقوي هذا التأويل ما روي انهم برزخ الى يوم يبعثون قيل ما بين الموت والبعث والله اعلم ثم اختلف القراء في قراءة واما الذين سعدوا قراءة حمزة والكسائي بضم السين سعدوا واما ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القراء قرءوا بفتح السين سعدوا على ما شقوا قال ابو عوسجة لا اعرف سعد بضم السين انما اعرف بالفتح وقوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل تأويله والله اعلم لا تكن يا محمد في شك بان هؤلاء قد بلغوا في عبادتهم الاصنام الحد الذي بلغ آباؤهم في عبادة الاصنام ثم هم اهلكوا اذا بلغوا ذلك الحد فهؤلاء ايضاً قد بلغوا ذلك المبلغ او مبلغ الهلاك لكن الله عز وجل برحمته وفضله اخرهم الى وقت والله اعلم ويحتمل ان يقال ان هؤلاء قد بلغوا في عبادة غير الله بعد نزول القرآن والحجة المبلغ الذي كان بلغ آباؤهم قبل نزول الحجة والبرهان في عبادة غير الله ويحتمل انه كان في قوم قد اظهروا الموافقة لهم فكانوا يعبدون الاصنام في السر على ما يعبد آباؤهم فقال هؤلاء وان اظهروا الموافقة لك فقد بلغوا بصنيعهم في السر مبلغ آبائهم وهذا يحتمل وجهين احدهما الخبر عن قوم خاص انه لا يؤمن احد منهم ليحمل شغله بغيرهم والثاني الاخبار انه لا يؤمن جميع قومك كما لم يؤمن قوم موسى باجمعهم بل آمن منهم فريق ولم يؤمن فريق فعلى ذلك يكون في قومك والله اعلم وقوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ان كان التأويل الذي قال في الفريق مما يعبد هؤلاء على الاياس من خيرهم علم انهم لا يؤمنون فيكون تأويله ما ذكر في آية اخرى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وان كان التأويل الثاني فالتأويل ما ذكر في آية اخرى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب فكان المعنى على التأويل الاول انا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اي نوفيهم نصيبهم في الدنيا من الارزاق وما قدر لهم من النعيم غير منقوص لا ينقص ما قدر لهم في الدنيا لكونهم حتى نوفي لهم الارزاق وقال قائلون وانا لموفوهم باعمالهم غير منقوص اي لا ينقصون من اعمالهم شيئاً ولا يزادون على جزاء انكان الحسنات فخير وان كان شراً فشر على الجزاء وقيل انا لموفوهم حظهم من العذاب في الآخرة غير منقوص عنهم ذلك العذاب والله اعلم وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي آتينا موسى التوراة فاختلف فيها والاختلاف يحتمل وجوهاً ثلاثة احدها الاختلاف في الايمان بالكتاب وفي الكفر به منهم من آمن به ومنهم من كفر والثاني اختلفوا في الزيادة والنقصان فيه والتبديل والتحريف كقوله وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب الآية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وامثاله من الآيات والوجه الثالث اختلفوا في تأويله ومعناه بعدما آمنوا به وقبلوه والاختلاف في التأويل ما احتمل الكتاب فاما التبديل والتحريف والزيادة والنقصان فانه لا يحتمل لان الله تعالى ضمن حفظ هذا الكلام بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وجعله ميسراً على السن الناس وتلوه حتى من زاد او نقص او بدل حرفاً بشيء او قدم او اخر عرف ذلك وهو والله اعلم لما لم يحتمل احكامه فيه نسخها ولا شريعة تبدلها واما الكتب السالفة انما جعل حفظها اليهم بقوله بما استحفظوا من كتاب الله وهو والله اعلم لما احتمل شريعة نسخها وتبديلها لذلك كان الامر على ما قلنا والله اعلم ثم قوله ولقد آتينا موسى الكتاب بذكر هذا لرسول الله صبيراً له على ما اختلف قومه في الكتاب الذي انزل عليه بقوله وقد اختلف فيما انزل على من قبلك كما اختلف فيما انزل اليك والله اعلم وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم يحتمل الكلمة التي ذكر انها سبقت في قوم موسى وهي آية لا يهلكهم بعد الفرق اهلاك الاستئصال والاستيعاب والتوراة انما انزلت من بعد ما اهلك قوم فرعون وهو ما قال الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق ويحتمل قوله ولولا كلمة سبقت من ربك اي لولا ما سبق من حكمه ان يختم الرسالة بمحمد وان يجعله من خاتم النبيين امته آخر الامم بهم تقوم الساعة والا لقضي بينهم بالهلاك اهلاك استئصال واستيعاب والله اعلم ويحتمل وجهاً آخر وهو انه كان من حكم الله وسنته انهم اذا اختلفوا في الكتاب بعث الله رسولاً وبعث لا يهتدون الى شيء ولا يجدون سبيلاً الى الدين ويندرس آثار الشريعة التي كانت ان يبعث رسولاً آخر يبين لهم الدين ويدعوهم الى الهدى الى قيام الساعة لولا هذا الحكم الذي سبق والا لقضي بينهم بالهلاك والله اعلم ويحتمل لولا سبق

من حكمه ان يؤخر العذاب عن هذه الامة الى وقت ولا ينقضي جنتهم بالهلاك والله اعلم وقوله تعالى وانهم لفي شك
منه مريب • يحتمل لفي شك منه من الذي مريب وقال بعضهم لفي شك منه يعني بالعذاب مريب وقد ذكرنا الفرق
بين الشك والريب فيما تقدم وقوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم • قرئ مخففا وقرئ مشددا فمن قرأ مخففا
قيل لما ههنا صلة فيكون معناه وان كلا ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم في الاخرة ان كان شرا فشر وان كان حسنا
فحسن وقال الفراء جعل لما اسما للناس بمعنى من كما قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثم جعل اللام التي فيها
جوابا لان وجعل اللام التي في ليوفينهم لاما دخلت على نية القسم فيما بينها وبين صلتها كقوله وان منكم
لمن ليبطئن ومعناه وان منكم لمن والله ليبطئن فعلى ذلك معناه ههنا وان كلا لمن والله ليوفينهم وان كل الناس
والله ليوفينهم ربك اعمالهم واما القراءة بالتشديد اختلف فيه قال الفراء اراد والله اعلم وان كلا لمما ليوفينهم
اصله لمن ما فاجتمعت الميمات الثلاث فحذفت واحدة فبقيت ثنتان وادغمت واحدة في الاخرى • كما قال الشاعر
واني لما اصدر الامر وجهه • اذا هو اعيى بالسبيل مصادره • وعن الفراء ايضا وجه اخر انه يقول هي لغة
هذلية قال الله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ معناه ان كل نفس الا عليها حافظ وكذا حكي عن سيبويه وجميع
البصريين ان لما بمعنى الا فمعناه ههنا وان كلا الا ليوفينهم ربك اعمالهم وذكر الكسائي عن الزهري انه كان ينون
لما على معنى وان كلا جميعا ليوفينهم كقوله وتاكلون التراث اكلا لما وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وان
كل الا ليوفينهم ربك اعمالهم والله اعلم وقوله تعالى انه بما تعملون خبير • هو وعيد وقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن
تاب معك • وقال في موضع اخر فلذلك فادع واستقم كما امرت قيل الاستقامة هي التوحيد واستقم عليه حتى
تاتي بربك وهو كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي ثم استقاموا على ذلك حتى توفاهم الله به
وكذلك قال بعضهم في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا القشيري قوله ثم استقاموا ما تضمن قولهم ربنا
الله وهو اقرارهم له بالربوبية فيجعل له في نفسه وجميع اموره الربوبية لله ويجعل له في نفسه العبودية له وهذا
هو تفسير التوحيد وقال بعضهم الاستقامة هي ان يجعل له في نفسه وجميع اموره الالوهية والربوبية لله
ويأتي بما يجب ان يؤتى وينتهي عما يجب ان ينتهى عنه ويتبع جميع اوامره ونواهيه ثم قوله فاستقم كما امرت
انت ومن معك ايضا يستقيم على ما امر والثاني يقول امض على ما امرت فيحتمل ما يخرج على هذين الوجهين امض
على ما امرت تعالى الى ما امرت وقوله ومن تاب معك من الشرك امرهم على ان يستقيموا على ما اقروا ودانوا به
وقوله تعالى ولا تطغوا • قال بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له معناه ولا تطغوا بل اشكروا
نعمة الله بالتواضع له عند انعامه واحسانه عليكم وكان هذا ذكر لاختلاف الامم التي قبله انهم اختلفوا في التوحيد
وكفروا انعمه ما انعم الله عليهم بالبينات فيه وقد انعم عليكم بالقران فلا تتعدوا ما امرتم به ولا تطغوا بكفر هذه النعمة
فتجاوزوا امر الله فيه كما جعل من قبلكم وقوله تعالى انه بما تعملون بصير • هذا وعيد وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار • قال الحسن هو صلة قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك الى قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وقال الحسن بينهما دين استوى بين الطغيان في النعمة وبين الركون الى الظلمة وان كانت الاية في اهل الشرك فهي
فيهم وفي غيرهم من الظلمة تحتمل ان كل من ركن الى الظلمة يطيعه او يعبده فهو يخاف ان يكون في وعيد هذه الاية وقوله تعالى
وما لكم من دون الله من اولياء • اي من دفع العذاب عنهم ويدفع اليهم وقوله تعالى ثم لا تنصرون • اي لا ناصر
دونه ولا مانع والله اعلم وقال بعضهم ان الاية وهي قوله ولا تركنوا نزلت في رسول الله حين دعاه اهل الشرك
الى ملة ابائه يقول ولا تميلوا الى اهل الشرك ولا تلحقوا بهم ثم قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا كانه يخرج جميع الظلمة
من خاص لانه لا كل ظالم يركن اليه تمسه النار كانه نهى لا تتبع الكفرة اي لا تركنوا الى القادة والكبراء في ظلمهم
وفيما يدعونكم اليه فتمسكم النار والله اعلم وقوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ظاهر الاية
انه يكون المراد ثلاث صلوات صلوة الفجر في الطرف الاول وصلوة العصر في الاخر وزلفا من الليل صلوة المغرب
لانه ذكر زلفا من الليل وهو جمع زلفة وهي القربة ومنه الزلفى القربة ومنه قوله وازلفت الجنة للمتقين فيكون
قوله وزلفا من الليل اي قريبا من الليل في الطرف الاخر من النهار فذلك هو صلوة المغرب ويكون ذكر صلوة الظهر
والعشاء في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وغسق الليل العشاء وكذا في قوله
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون حين تمسون
صلوة العصر وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العشاء وحين تظهرون صلوة الظهر وليس لصلوة المغرب
ذكر في هذه الاية لكنها ذكرت في قوله وزلفا من الليل وقال بعضهم في قوله واقم الصلوة طرفي النهار ذكر اربع صلوات
طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال بعض اهل التاويل في الاية ذكر الصلوات الخمس
قال الطرفي النهار صلوة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء وعلى ذلك جاءت الاثار

في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات هي الصلوات الخمس يروى عن ابن مسعود ومعاذ وابي امامة رضي الله تعالى عنهم
انه رجلا اصاب من امراة كل شيء الا الجماع فندم على ذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه القصة وقال
ما ادري ما ارد عليك حتى ياتيني فيك شيء من الله تعالى فبينما هم كذلك اذ حضرت الصلوة فلما فرغ من صلوته
نزل جبريل بتوبته فقال واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية الغداة والظهر والعصر وزلفا من الليل
صلوة المغرب والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات ذلك يعني الصلوة الخمس ذكرى للذاكرين
قال التوبة للتائبين فقال عمر يا رسول الله اخاص له ام عام فقال الا بل عام للناس كلهم فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك
وعن عثمان رض في بعض الاخبار انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات
فقال له ما الباقيات الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله وعن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات الخطايا اقرؤا
ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات وعن ابن عباس رض قال في قوله ان الحسنات يذهبن السيئات هي الصلوات
الخمس وعن جابر رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم يغتسل منه
كل يوم خمس مرات وفي الاخبار في الباب كثيرة قال ابو عوسجة زلفا من الليل ساعات الليل وقال الزلفة المرحلة
والزلفة القربة وقال ابو عبيدة الزلف جمع زلفة وهي الساعة وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال بعضهم
فعل الصلوات نفسها وهو ما ذكرنا من الاخبار ان ثبتت وقال بعضهم نفس الصلوات لا تكفر ولكن تذكر ما ارتكب
من الذنوب فيندم عليها فذلك يكفر وهو كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الاية اخبر ان الصلوة تنهى
ولا تنهى الا بعد ان يذكر ذلك فيحتمل قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الصلوات وغيرها من الحسنات انه اخبار
ان الحسنات تكفر شيئا من السيئات والله اعلم وقوله تعالى ذلك ذكرى للذاكرين • اي ذلك الذي سبق ذكره عظة
للمتعظين وقوله تعالى واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين • ظاهر ما ذكر من الكلام ان يقول واصبر فان الله لا يضيع
اجر الصابرين لانه ذكر الصبر بقوله واصبر فيقول والله اعلم واصبر على اداء ما كلفت من الطاعات او تبليغ ما كلفت من التبليغ
اليهم لكنه يحتمل واصبر على الشر وتكلفها واحسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين بل يجزيهم جزاء احسانهم ويحتمل
وجها اخر واصبر على اذاهم ولا تكافئهم فانك اذا لم تكافئهم فقد احسنت اليهم فان الله لا يضيع اجر المحسنين و
يحتمل ان يكون موصولا بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات والله اعلم وقوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم
اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم • فلا شك ان الاية تخرج للمعاتبة والتذكير والتنبيه
لانه يقول فلولا كان من القرون في الامم الذين كانوا اولو بقية وهلا كانوا وليس ثمة من يعاتب وينبه ويذكر
لكنا نقول يخرج مخرج الذم لاولئك والتذكير والعظة لغيرهم فيما يستقبل وانه على وجهين احدهما اي فهلا
كانوا اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض ومعناه والله اعلم هلا كثر اهل الاسلام فيهم حتى قدروا على النهي
عن الفساد في الارض لانهم اذا كانوا قليلا لم يقدروا نحو لوط واهله كانوا عددا قليلا ونوح ايضا كان معه
نفر يقل عددهم فلم يقدروا على منع قومهم عن الفساد ونحوه فاذا كان ما ذكرنا فكانه يقول هلا كثر اهل الاسلام
واولو بقية ينهون عن الفساد في الارض فيكون الحاقا الذم بهم في امتناعهم عن الاسلام والامتناع من النهي
عن الفساد في الارض والثاني وقد كان منهم اولو بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد في الارض فاهلكوا جميعا الا
قليلا ممن انجينا منهم وذلك القليل قد نهوا عن الفساد في الارض فنجوا من اولئك فاصل هذا يخرج على الوجهين
اللذين ذكرنا اما احدهما لم يكن معهم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض على ما قاله بعض اهل التاويل في تقدم
في الامتناع عن الاسلام حتى لا يصير لهم اولو بقية ينهون والثاني كان فيهم اولو بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد
الا قليلا منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه • يخرج على وجهين
يحتمل واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا ما اترفوا فيه من الاموال الذي وسع عليهم وهم الاجلة والائمة منهم اي
اثروا اتباع الاجلة والائمة الذين اترفوا فيه على اتباع الرسل والانبياء والثاني واتبع الذين ظلموا وهم الائمة
والاجلة منهم ما اترفوا فيه لما اعطوا من الاموال اي اثروا الدنيا وما فيها على اتباع الرسل والانبياء فالاول في
يرجع الى السفلة والاتباع وهو الاول والثاني الى الاجلة والائمة هم اثروا اتباع الدنيا على اتباع الرسل ثم تبعهم
الاتباع والسفلة والله اعلم وقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون • اي ما كان الله
ليهلك القرى بظلم اهلها استيصالا وانتقاما واهلها كلهم مصلحون او اكثر اهلها مصلحون انما يهلك القرى
اذا كان اهلها كلها مفسدين او عامة اهلها مفسدين وهذا يدل على ان الحكم في دار الاسلام ودار الكفر بغلبة
اهلها فاذا كان اكثر اهلها اهل الاسلام فالحكم حكم الاسلام وان كان عامة اهلها اهل الحرب والكفر فالحكم
حكمهم الا ترى انه قال في قوم لوط انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء سماهم اهل قرية وان كان فيها لوط واهله

مصلحين غير داخلين في الوعيد اعتبارا للاكثر والله اعلم ثم قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي لا يكون
في اهلاكهم ظالما فهو يخرج على وجهين احدهما ان الخلق له فهو باهلاكه اياهم لا يكون ظالما لانه اهلك
ماله والثاني اي انما يهلكهم بظلم كان منهم مما اكتسبوا من الكفر وغيره ثم بما اكتسبوا اظلموا انفسهم وهو
كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة قالت
المعتزلة هذه المشية مشية قسر وقهر بعد ذلك مما يرفع المحنة ويبطل الدين المثوبة والعقوبة وكذلك قوله
ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا واما عندنا فهو لو شاء لجعلهم امة واحدة مشية لا ترفع معها
المحنة فصاروا كلهم مؤمنين عن اختيار لا جبر كما قالوا والذي يدل على ما قلنا تخصيصا لحوادثها ان الله تعالى
قد عرفنا الايمان والدين الذي يقع به اجتماع وفيه الاختلاف بما ركب فيها من العقول التي بها تعرف حقايق
الاشياء ومجاراتها ومحاسن الامور ومقابحها بالتامل فيما يحسن من الامور وبالسمع فذلك انما يكون
بالاختيار اما بالاستدلال العقلي وبالتعلم ممن كرم به او معرفة ما لا يحسن بصفاته والدين الذي هو طلبه
له وعبادة انما يكون بالاستدلال وطريقة الاجتهاد او التعلم عن اختيار وما يجهل من المعرفة جبرا لا اختيار فيه
ولا طاعة فيه ولا فضل يكون في الذي امر به وطلب منه فكانه قال ولو شاء ان يكون منهم الايمان لا يكون ذا الايمان
الذي هو طاعة من العبد هو الايمان الذي هو في حال الاختيار فاما في حال القهر والاضطرار لا يكون ايمانا
هو طاعة انما المضطر والمجبور لا فضل له وانما الموتى على ان صرف الاية الى مشية القهر لا يستقيم منهم وكون
مشية القهر من الله على قود مذهبهم غير مقبوله وهو غير نافع لان الخلق يبنى ان كان شاء من افعال الخلق فلم يكن
لم يشا فكان على زعمهم شاء ايمان الخلق كلهم ولم يكن ولم يشا كفرهم فيكون كان من غير عجز كل
هذا العجز على قولهم كيف يقبل منه دعوى قهر كل الخلق لو شاء لكن ظهر عجزه بجميع ادلة العجز ثم بين ان له قدرة بها
يقهر من شاء فذلك كمن لا يقوم ولا يقدر على الانتصاب والنهوض فيدعي انه يقدر على الصعود وهو لا يملك
مثقال ذرة يدعي انه يملك السموات والارض على انه لو كان كما قالوا ان له قدرة ان يخلق فيهم الايمان لم يجئ ان يكون
يقدر على خلق فعل السفه والكفر والكذب فيهم جبرا اذ من يقدر على فعل شيء ولا يقدر على فعل ضده عندهم
ليس ذلك بقدرة ثم لو كان له قدرة ذلك بلا غير يصير فعلا له بناء على وجود اختيار يكون في الحقيقة الخالق
لسفيها كذابا كافرا اذ عندهم الفاعل من يوجب الفعل عن قدرة [illegible] الا حكيم
تحت قدرة غيره وحكمته فيحتمل المضادة فهو مسئول عما يفعل مطالب بالحجة فاني يكون لمن خلق الشيء وصفه ربوبية
جل الله تعالى عن ذلك علوا والله الموفق ووجه اخر ان الذي يكون بالقسر والجبر يكون امر الخلقة لا امر فعل العبد
وذلك في الحقيقة لله لا للبشر وما هو له من جهة الخلقة موجود لان نفس كل احد بالخلقة مؤمن وقد شاء الله تلك
المشية فالقول بلو شاء لا معنى له بل قد شاء فكان بعلامة الايات ووجه اخر وهو ان الله تعالى وعد انه لو شاء
لجعلهم امة واحدة لو كان المراد مشية الجبر فهو لو فعل حتى صاروا مؤمنين حين كان يجعل من قدامى منهم
في الحقيقة مؤمنا في المجاز كافرا في الحقيقة لان كثيرا منهم كانوا مؤمنين بالاختيار ولا يصيرون امة واحدة
الا بعد ان يبطل الايمان الاختياري فيمن كان ويثبت الايمان الجبري الضروري لان الايمان الاختياري يخالف
الايمان الضروري فلا يكونوا امة واحدة فلا يتحقق معنى التمدح بيانا بالقدرة على جعلهم امة واحدة لو شاء فيكون
الحمل على مشية الجبر يتضمن الايمان الاختياري وتبديله بالايمان الضروري ولا يتحقق معنى التمدح بجعلهم امة
واحدة وعلى ما قلنا من المشية بطريق الاختيار لا يؤدي الى هذا لانه قد امن البعض عن اختيار فيؤمن الباقي عن اختيار
لو شاء فصاروا امة واحدة فوجب الحمل على ما قلنا والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى قد جعل دليل كل من ادعى دعوى
ظاهرا لكل معتبر وعلمنا ان لو عدنا الدعوى له مما يحتمل عليه امرا بينا وهذا النوع من المشية عندهم والدعوى
بما يحتمل جميع ما شاء ان يكون فكان ذلك حصيرا بالذي به ادعى لنفسه من القدرة ممكنا بما يحتمل المنع مثله
الادلة ومن ذلك وصفه فهو غير حكيم جل الله عن هذا على ان المتامل فيما اخبر يجد حقيقته دون ان يحتاج
الى دليل يفصح قدرته على ما ادعى على بقاء المحنة سبيل شهد لا جمع الله لا يحتاج الى ما ذكروا من المكان ومعنى ما
قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ومعلوم انهم لو كفروا جميعا لما ذكر من جعل
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون لكانوا مختارين في ذلك الى ما جاءوا به غير مضطرين فاذا استقام كونهم
على دين الكفر مختارين كذلك تستقيم كونهم على دين الاسلام ايضا مختارين ثم لا يحتمل ان يوجب ذلك نفيا
عن الايمان لو كانوا كذلك فيقدر على قولهم ان يجعلهم كفارا بالمحنة لا يقدر ان يجعلهم مؤمنين بها او ذلك
وصفا للعجز عندهم وان كان لا يكون كذلك عندنا لانه مستقيم لفعل ما بقدرته على احد غيره ومحال القول
على جعل غيره قديما او على اخراج غيره لئلا يحتمل الوصف بالقدرة على اغناء عنه وعليهم وضح اذ اجازوا له

القدرة على كل حركة للعبد وسكون بالاضطرار لم يجوز وذلك بالاختيار اللهم ان يقولوا لا يجوز ان يكون
العبد غير كامل القدرة وهي القدرة على مضادات الاشياء فاستحق الوصف بالقدرة الناقصة حتى
ربما جعلوا للعبد قدرة على ما يجهل الرب ويجعله كاذبا فيما اخبر على بقاء الربوبية ولو انه لا يقدر على ابقاء
مثله في العبد على بقاء العبودية له بالمحنة او بما اقدر العبد على اهلاك من وعد الله فيه الابقاء ومن يريد ذلك
وذلك فعله وعدله مع ذلك ان يوبقه كما في القاتل بما يقتله ويمنع الرب عن انجاز وعده وعن سلطان ابقاء
جل الرب فحو لهم فيما يضيف الله تعالى جد عن هذا اذ ذلك قولهم فيما يضيف الله تعالى الذي يصدق اجلا جرى
مصلحة عباده بعد الكافر على قتله قبل مضي ذلك الاجل وابطال جميع ما وعد الابقاء بما هو صنعه من ابقاء
الجنوح فيه ولا يقدر الله تعالى على انجاز ما وعد وابقائه على ما اراد والعبد يحاله الا ان يعجزه او يميته ويجعله
زمنا والله المستعان ثم الاصل ان كل مريد بفعله فيما فعله انما لا يكون ذلك عنه ولم يكن فعله الا لذلك يوجب
احد امرين اما جهلا بالعواقب وخطا في الفعل حين يفعل فعلا يحرز به عليه او يلحقه به مكروه فهو لا يفعله له
نظر عند فاعله انه عن جهل فعل وعلى الخطا خرج فعله وعلى ذلك معنى التحذير في الخلق والتنبيه كقولهم
لدوا للموت وابنوا للخراب وسرق ليقطع وبادر ليقتل من حيث كان الثاني متصلا بالاول لينبههم عن الغفلة
على ارادة التحذير انه اليه يؤول امر فعله وعلى ذلك قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او يقال
ذلك على انه كذلك في فعله عند الله وان جهل هو او يوجب السفه في الفعل والعبث انه لو يقصد بفعله
ما يعلم انه لا يكون او يريد ما يتيقن انه لا يبلغ واذا كان كذلك فاعطاه الله تعالى القدرة ليؤمن او خلقه ليعبده
انه يفعل ذلك واختار ذلك الفعل ولم يكن ذلك مع علمه انه لا يكون ذلك لذلك يوجب احد ذينك الوجهين
جل الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله تعالى عالم بالعواقب متعال عن العبث ثبت انه خلق من خلق واعطى ما اعطى
لما علم انه يكون وقد علم ما يكون وعلى هذا التقدير يخرج الامر في قوله ولقد ذرانا لجهنم الاية وقوله ولا تعجبك
اموالهم الاية وقوله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قالت المعتزلة ولذلك خلقهم
اي للرحمة خلقهم فقال البعض من اصحابنا ان يذكر الرحمة بالتانيث وهو لما ذكر بالتذكير حيث قال ولذلك
خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم دل انه ليس على ما يقولون وقال قائلون وللاختلاف خلقهم الا من رحم ربك

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين ذكر تلك
يعني اشارة الى شيء سبق ذكره ولم يتقدم فيه ذكر شيء يشار اليه وذكر ايات ايضا وليس هنالك ايات وشيء يكون
اية في الظاهر لكن يشبه ان يكون قوله تلك بمعنى هذه ايات ويجوز استعمال تلك مكان هذه على ما يجوز ذكر
ذلك مكان هذه كقوله الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب او ان يكون قوله تلك اشارة الى ما في السماء اي الذي في السماء
ايات الكتاب او يقول تلك اشارة الى ما في اللوح المحفوظ او اشارة الى ما في الكتب المتقدمة اي تلك ايات الكتاب المبين
يحتمل المبين انها ايات الرسالة او مبينا انها من عند الله وقوله ايات الكتاب بهذا ايضا يشبه ان يخرج على وجهين
اشارة الحروف المقطعة المعجمة فقال تلك الحروف المقطعة اذا جمعت تكون ايات الكتاب وان يكن الله اذكر
لا نعلم ما اراد فيقول تلك ايات الكتاب اي ذلك الذي اراد هو ايات الكتاب والله اعلم بما اراد به وقوله تعالى المبين
يحتمل المبين او ليبين فيه الحلال من الحرام وما يتقى وما يؤتى كقوله تعالى تبيانا لكل شيء وقال البعض ليبين بركته
وهداه ورشده او يبين فيه الحق من الباطل والعدل من الجور والكتاب هو اسم ما يكتب وسمي قرانا لما يقرا
او كتابا لما فيه كتاب اخذ ودفع وقوله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا قوله انزلناه الهاء كناية عن الكتاب
الذي تقدم ذكره قرانا عربيا انزله بلسان العرب لا ندري باي لسان كان في اللوح المحفوظ غير انه انزل بلسان
العرب وهكذا كل كتاب انزل انما انزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم وقوله تعالى لعلكم تعقلون
ما لكم وما عليكم وما تاتون وما تتقون او تعقلون ان هذه الانباء الذي يخبركم بها محمد من الله تعالى لانها
كانت في كتبهم بغير لسانه فاخبر على ما كانت في كتبهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ولعلكم تعقلون بان فيه
شرفكم لانكم تصيرون متبوعين لما يحتاج الناس الى معرفة ما فيه ولا يوصل ذلك الا بكم فتكونون متبوعين
والناس اتباع لكم وهو كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال اهل التاويل فيه شرفكم والله اعلم وقوله
تعالى نحن نقص عليك احسن القصص قال البعض قوله نقص عليك اي نبين عليك احسن البيان بما اوحينا
اليك هذا القران وقال البعض نقص عليك نخبرك احسن ما في كتبهم من القصص واحسن ما في كتبهم من الانباء واحسنها

وقوله تعالى احسن القصص اصدقه وكذلك قوله الله نزل احسن الحديث كتابا واحسن الحديث اصدقه هو احسن
القصص اي اصدقه واحسن الحديث اصدقه وقوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه الانباء وعن
قصصهم فهذا يدل ان الايمان بجملة الانبياء والرسل ايمان وان لم يعرف انفس الانبياء وانفس الرسل واساميهم
لانه اخبر انه كان غافلا عن انبائهم ومن قصصهم لا شك انه كان مؤمنا بالله مخلصا وبالله العصمة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما احسن القصص كلام الرحمن وقال مجاهد الله نزل احسن الحديث كلام رب العالمين وقوله تلك ايات الكتاب
يخرج على وجهين احدهما ان يكون تلك لما سالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه السلام وصيرورة
بني اسرائيل بمصر وقد كانوا من قبل بالشام فقال تلك الانباء والقصص يجعلها ايات هذه السورة التي هي من الكتاب
المبين او تلك ايات وحجج وبراهين انه رسول محمد عليه السلام اذ هي من انباء الغيب عنهم فعلم الانباء عنها بالله سبحانه
وتعالى وقوله تعالى اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ذكر قوله اني
رايت احد عشر كوكبا ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء وعيون الارض نجوما يقتدى بهم ويهتدى بالنجوم في الارض
وبها يهتدون الطرق في المسالك بعد قوله والشمس والقمر حيث خرج على ابويه انه كان بهما جميع منافع الخلق اذ بهما صلاح
جميع الاغذية في الارض ونضج جميع الفواكه والاثمار وجميع المنافع التي ما بالناس حاجة الى ذلك بعد لقوله اني رايت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ان الرؤيا يخرج على معنى ما ادا ويخرج على غيره بالمعنى الذي يتضمنه لانه
راى الكواكب والشمس والقمر فخرج على اخوته وابويه كان المراد بالكواكب النجوم غير الكواكب وغير الشمس والقمر ولكن
لمعنى ذكر السجود وخرج على غير السجود وحقيقته وكذلك ما راى ابرهيم عليه السلام في المنام ذبح ولد يخرج الذبح على
حقيقة الذبح وهو ذبح الكبش وراى ابنه وكان المراد منه الكبش فهذا اصل لنا ان الخطاب يخرج والمراد منه على غير
ذلك الخطاب لا غير وقد يخرج لمعنى فيه فاذا اتصل ذلك المعنى بغيره يجب لذلك الحكم فيه جواز الاجتهاد وطلب المعنى
في المخاطبات وكذلك ما طرح الناس من تعبير الرؤيا على الاجتهاد يدل على جواز العمل بالاجتهاد وقال بعض اهل التاويل
ان يوسف صلوات الله عليه لما قص رؤياه على ابيه بين يدي اخوته قال له هذه رؤيا النهار نسي وقال
ليوسف صلوات الله عليه في السر اذا رايت رؤيا بعد هذا فلا تقصها على اخوتك لكن هذا كذب بعيد يجوز ان يكذب
رسول الله يعقوب عليه السلام فيقول له رؤيا النهار ليس بشيء لم يعبر له في السر ولا يتوهم على نبي من انبياء الله الكذب
وهو كذب فان كان خبرا لامر وقوله تعالى يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك ذكر قوله لا تقصص رؤياك
على اخوتك ذكر قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك على انه راى يوسف عليه السلام من سجود الكواكب له وسجود الشمس
والقمر انه انما كان راى ذلك في المنام وبيان ذلك ما ذكر في اخره ايضا على ذلك وهو قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل
ودل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان يعقوب عليه السلام انما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول
في قوله فيكيدوا لك كيدا ولم يستثن في ذلك فعدوا فعلوا به ما قال وفيه دلالة ان اخوته كانوا يعرفون تعبير الرؤيا وكانوا
علماء حكماء حيث قال لا تقصص رؤياك على اخوتك لانهم لو كانوا لا يعرفون تاويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لنهيه
عن ان يقص على اخوته لانه لو قصها او لم يقصها اذا لم يعلموا سواء وفيه دلالة ان الاخ يتهم في اخيه ويكره من الاخ الحسد
لاخيه والاب والام لا يتهمان في الابن والولد يتهم في الولد ولا يكون من بعض الى بعض خيانة في الغالب لان يعقوب
عليه السلام نهى ولده يوسف عم ان يقصها على اخوته واخبر انهم اذا علموا بذلك كادوه وحسدوه ولم ينهه ان يقصها على
ذلك لان الاخ لا يتهم في شهادة اخيه ويتهم الابعد الاخ في شهادته لوالديه وكذلك الولد يتهم في والديه ولهذا قال
اصحابنا رحمهم الله ان شهادة الوالد لولده لا تقبل وكذلك شهادة الولد لوالديه واما شهادة الاخ لاخيه تقبل وانما
كان كذلك لما ينتفع الولد بمال والديه والوالد بمال الولد ولا ينتفع الاخ بمال اخيه وكل من انتفع بمال الاخر تهم في شهادته
لم تقبل شهادته وكل من لا ينتفع به قبلت والله اعلم وقوله تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة
وقال موسى عليه السلام حين قتل ذلك الرجل هذا من عمل الشيطان بدو كل شر يكون الشيطان ينفخ في القلوب
ويحضر في الصدور ثم تكون العزيمة على ذلك الفعل من العبد وهو ما قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ وقال ان الذين
اتقوا اذا مسهم الاية والطيف النزغ هو القذف في الوسوسة فاذا ذكر الله ذهب وقيل الكيد والمكر سواء
وهو قول ابي عوسجة وقال القتبي رحمهما الله الكيد هو الاحتيال والاحتيال لو قيل الكيد هو ان يطلب ايصال الشر
به على غير علم منه وكذلك المكر وقوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى
ال يعقوب كما اتمها على ابويك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بانواع الخيرات واتم نعمته عليهم كذلك يجتبيك ربك
ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب ويحتمل قوله وكذلك يجتبيك ربك اي كما اجتباك ربك بالرؤيا التي اراك يفعل ذلك
بك وقوله ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل تعبير الرؤيا وقال بعضهم علمه تاويل الصحف التي كانت لابرهيم وغيره عليهم السلام
وعلمه تاويل تلك الصحف والاحاديث وقوله ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها قال بعضهم كما اتمها على ابويك

من قبل ابرهيم واسحق حين اراد ذبح ابنه فجعل مكانه كبشا فعلى ذلك يتم نعمته عليك ويسجد لك اخوتك وابويك
ثم من الناس من استدل بهذا ان الذبيح كان اسحق عليه السلام لانه ذكر اتمام نعمته على ابرهيم واسحق ويدل قوله وعلى ال يعقوب
على انه اجتباهم بالنبوة من غير ولاد يعقوب عليه وعليهم السلام لان ولده من آله وقد اخبر انه يجتبيهم ويتم نعمته عليهم
كما فضل بابويه ابرهيم واسحق وكذلك يذكر عن الحسن رحمه الله انه قال في اخوة يوسف عليه السلام نبوا بعد ما صنعوا
بيوسف عليه السلام ما صنعوا وقال بعضهم تاويل العلماء الكلام قال وكان يوسف عم اعبر الناس وهو ما قال الله تعالى ولما بلغ
اشده اتيناه حكما وعلما وقوله تعالى ان ربك عليم بما صنع باخوته او عليم بما ذكر من التمام حكيم وضع كل شيء
موضعه وقوله تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين الاية اية للسائلين اذا كان السائل مسترشدا
وكذلك القران كله حجة واية للمسترشد واما المتعنت فهو اية عليهم ثم يحتمل قوله ايات للسائلين الذين سالوا
على ما ذكر في بعض القصة ان اليهود سالوا النبي عن امر يوسف عليه السلام ونبائه فاخبرهم بالحق فدل ذلك على ما كان فهو اية
لهم ان يثبت ذلك ويحتمل قوله ايات للسائلين الذين يجيئون من بعد الى آخر الدهر عن نبأ يوسف عم كل من سال عن خبره
ونبائه فهو اية له ثم وجه نبائه اية يحتمل وجوها احدها ان جعل قصة يوسف عم ونبائه سورة وتلك السورة هي
ايات الكتاب على ما ذكر الر تلك ايات الكتاب المبين جعل قصة يوسف عم ونباءه ايات من الكتاب ويحتمل ايضا انه
جعل النبوة رسوله ورسالته لان قصته ونباءه كان في كتبهم بغير لسانه من غير ترجمة احد منهم ولا تعليمهم لخبرهم
على ما كان في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان فدل انه انما علمه بالله تعالى لانه اخذ من كتبهم وهو ما ذكر في القصة ان اليهود
سمعوا النبي عليه السلام يقرأ سورة يوسف عم فقالوا يا محمد من علمكها قال الله تعالى علمنيها فعجبوا من قرائته اياها على ما كان
في كتبهم دل انه عرفها بالله تعالى ثم يحتمل ان يكون اية لمن سال عن محمد رسالته هي اية لمن سال الطاعنين والله اعلم وقوله تعالى
اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة في الاية دلالة ان لا باس للرجل ان يختص بعض ولده بالهبة
او الصدقة فلهذا لم يقصد بها الجور على غيرهم من الاولاد ثم يحتمل تخصيص يعقوب عليه السلام يوسف واخاه عليهما
السلام بالحب لهما وجوها احدها لما راى فيهما من الضعف في انفسهما والعجز في ابدانهما فازداد شفقته لهما
وعطفه عليهما لذلك فهذا ما يكون فيما بين الخلق وكان ذلك منه لهما لصغرهما وهذا ايضا معروف في الناس ان الصغار
من الاولاد يكون عندهم احب وعلى قلوبهم اليهم اميل وعليهم اعطف ولهم ارحم من الكبار منهم وخصهما بذلك الفضل
خصوصية كانت لهما اما من جهة الدين والعلم او غيره امره الله تعالى بذلك لذلك فعرفوا او نحرها اخوة يعقوب بنبوة
يوسف عم فكان يفضله على سائر اولاده وقد ثم عليه لذلك وانما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا لانه
تظهر عندهم والا حقيقة المحبة لا تعرف وقوله ونحن عصبة قيل العصبة الجماعة وقال بعضهم العصبة من عشرة
الى اربعين والعصبة الجماعة اي نحن جماعة ولنا منعة ولهذا ما قال اصحابنا التسعة مع الامام يكون منعة يستوجبون
ما يستوجب السرية اذا دخلت دار الحرب فغنمت فلم يخمس منها وقوله ونحن عصبة اي ان ابانا لفي ضلال مبين لم يعنوا
ضلالا في الدين وانما قالوا ذلك والله اعلم انا جماعة نقدر على دفع مضرة ونحن الضرر به ونقصد تحصيل الشر بنفسه وماله
ونحن اولى وقوم بما يقوم معاشه واسبابه فكيف يؤثر هؤلاء علينا وكذلك قوله ووجدك ضالا فهدى لم يرد به ضلال
الدين ولكن وجها آخر وقالوا ذلك لما كانت لهم منافع من انفسهم لم تكن تلك المنافع من يوسف واخيه عليهما السلام ابدا
انما يؤثر المرء حب من له منافع من قبله لا حب من لا منفعة له منه فهو في ضلال مبين حيث يؤثر من لا منفعة له منه على
حب من كانت له منه منافع واشباه والله اعلم وقوله تعالى اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لا يحتمل ان يكونوا
عزموا على قتله ولكن على المشاورة فيما بينهم نفعل ذا او ذا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليس على العزيمة
على واحد ولكن على المشورة فيما بينهم يدل على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم انهم ارادوا ان يخلو لهم وجه ابيهم لهم لا
انما ارادوا غيبته وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم ويقبل عليكم ابوكم بوجهه وقال بعضهم يفرغ لكم من الشغل
بيوسف وقوله تعالى وتكونوا من بعده قوما صالحين

وقوله تعالى ولما بلغ أشده • الأشد هو اشتداد كل شيء ونهاية كل نوع من الكمال ويحتمل أشده انتهاء بلوغه أو انتهاء شبابه أو انتهاء عقله في التمام لا يخلو من هذه الأوجه الثلاثة وقول أهل التأويل من ثماني عشرة إلى أربعين لأنه قد يتم ويكمل كل نوع من ذلك إلى هذه المدة والله أعلم وقوله تعالى آتيناه حكما وعلما • يحتمل قوله حكما الحكم بين الناس والعلم في الحكم ويحتمل قوله حكما أي أعطيناه النبوة وعلمناه علم تأويل الأحاديث أو قوله حكما وعلما أي إذا أعطاه الحكم أعطاه العلم وإذا أعطاه العلم أعطاه الحكم وقوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين • يحتمل المحسنين وجوها ثلاثة أحدها الإحسان في الأعمال أي هم الذين عملوا الأعمال الحسنة الصالحة والثاني يحتمل الإحسان إلى الناس وهم الذين أحسنوا إلى الناس بأنواع البر والإحسان من بذل المال والجاه والعلم ونحو ذلك ويحتمل الإحسان إلى نفسه ثم قوله وكذلك نجزي المحسنين أي وكذلك نجزي من أحسن صحبة نعم الله وإحسانه وقام بشكر ذلك أن مثل جزاء يوسف لأنه لم يكن يجزى غيره عين ما جزاه به يوسف ولكن يجزيه مثل ذلك والله أعلم وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه • دل قوله في بيتها على أن البيت قد يجوز أن يضاف إلى المرأة وإن كان البيت في الحقيقة لزوجها حيث أضافه الله تعالى بيت زوجها إليها إذ الظاهر أن البيت للأزواج ثم قوله وراودته أي دعته إلى نفسها والمراودة هي الدعوة والطلب وقال أهل التأويل راودته وقوله تعالى وغلقت الأبواب وقالت هيت لك • قيل إن هذه كلمة أخذت عن الكتب المتقدمة ليست بعربية ونحن لا نعرف ما أرادت بها لكن أهل التأويل تكلموا فيها قال بعضهم هيت لك أي هلم لك أي هلم أنا لك أي تعال فأنا لك وقرئ هئت لك بجعلها تاء للمتكلم تقول العرب هيت لك أي أمر كذا وكذا على جمع هيأت لك وفي بعض القراءات هيت لك بالهمز ومعناه ما ذكر تهيأت لك ويشبه أن يكون قوله هيت لك أي هيأت أنا لك وقوله تعالى قال معاذ الله • أي أعوذ بالله وألجأ إليه وأتحصن به وقوله تعالى إنه ربي أحسن مثواي • قال أهل التأويل يعني سيدي الذي اشتراه أحسن مثواي أي أكرم مقامي ومكاني دليله قوله لزوجته أكرمي مثواه وقوله أحسن مثواي يدل على أن المراد من قوله أكرمي مثواه أحسني مثواه ويشبه أن يكون أراد يوسف بقوله ربي ربه الذي خلقه أي إنه ربي الذي خلقني وخلق كل شيء أكرم مقامي ورزقني النبوة وعلم التأويل وأنعم علي النعم حفظا على ما تدعوني إليه ونهاني عنه فكيف أعصيه فأكون ظالما فإنه لا يفلح الظالمون أي لا يفوز الظالمون بظلمهم إذا أصروا على الظلم فأما إذا أقلعوا عنه وتابوا فقد أفلحوا والله أعلم وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه • قال بعض أهل التأويل همت به أي أنها استلقت له وهم بها أي حل سراويله وأمثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل أن يقال فيه شيء من ذلك والدليل على فساد ذلك من وجوه أحدها قولها هي راودتني عن نفسي ولو كان المراد منه الإرادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها ويبرئ نفسه من ذلك والثاني قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان شيء مما ذكروا من السراويل والحلول بين رجليها لم يكن السوء مصروفا عنه فيكون فيه خلاف كتاب الله والثالث قولها ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب أخبر يوسف أنه لم يخن زوجها بالغيب ولو كان فيه ما ذكروا لصار خائنا بالغيب فيكون كاذبا في قوله وفيه نسبة الكذب على الأنبياء عليهم السلام والرابع قولها ما علمنا عليه من سوء وقولها الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وهذا كله يدل على أن ما قال أهل التأويل فاسد لا يحل أن يتكلم فيه بشيء من ذلك وليس في ظاهر الآية شيء مما قالوا من حل ولا إذ ليس في الآية سوى أنه همت به وهم بها ثم الآية تحتمل وجوها عندنا أحدها همت به هم عزم وهم بها هم خطر لا هم العزم فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه إنما المؤاخذة إذا صار الخطر عزما وإرادة وهو قول الحسن والثاني همت به هم الإرادة والقصد وهم بها هم دفع فهم أن يدفعها عن نفسه لكن يحمل على هذا التأويل قوله لولا أن رأى برهان ربه إذ كان هم بها أن يدفعها عن نفسه لم يكن لقوله لولا أن رأى برهان ربه معنى إذ رآه البرهان لئلا يقدم على ما يدعى إليه ويدفع ذلك فلا معنى لإرادة البرهان فلأن تقدير الكلام وهم بها هم دفع لولا أن رأى برهان ربه أي لما رأى برهان ربه لم يهم بها هم دفع وهذا فاسد والثالث يشبه أن يكون هم بها هم قتلها لما عنده أنه لم يمكنه دفعها عن نفسه بدون قتلها فإذا كان هم بقتلها فرأى برهان ربه أن اترك قتلها وادفعها بدون القتل وفر منها فترك القتل لما علم بالبرهان أنه يمكنه دفعها بدونه فلا يحل له قتلها والله أعلم والرابع أي وهم بها لولا أن رأى برهان ربه على الشرط أي كان يهم بها لولا أنه رأى برهان ربه فإذا رأى لم يهم وهو كقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا أي لولا ما كان من تثبيتنا إياك وإلا ركنت إليهم شيئا قليلا فإذ ثبتناك لم تركن فعلى هذا يخرج قول إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون أي لو كان هو الذي ينطق لفعل فهو علق فعل الصنم بشرط كونه ناطقا فإذ لم يكن ينطق لم يفعل في التعليق بشرط لا يكون حقيقة وعادة وكذا نحو ما قال الذي لم يفعل المعلق فلم يكن ذلك منه كذبا لأنه علق الفعل فيكذا لما يرى لهم أنه أراد به فعل كبيرهم حقيقة حتى تركوه فعلى ذلك هذا والله أعلم ثم اختلف في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال بعض أهل التأويل إنه رأى يعقوب عاضا على شفتيه أو أنامله بإصبعه وقال بعضهم مثل له يعقوب بصورة ورآه عاضا على إصبعه وقال بعضهم رأى آية من كتاب الله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة لكن هذا كله لا ندري ولا نقطع القول به وأصل

البره

البرهان الحجة أي لولا ما رأى من حجة الله تعالى وإلا كان يهم بها ولكن لا ندري ما تلك الحجة والله أعلم وقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين • أي صرف عنه ذلك بإراءة البرهان والله أعلم وقوله تعالى واستبقا الباب • قال بعضهم استبقت هي لتغلق الباب واستبق هو ليخرج ويفر لكن قوله لتغلق لا يحتمل لأن الأبواب كانت مغلقة لقوله وغلقت الأبواب ولكن استبقت هي لتحبسه وتمنعه واستبق هو ليخرج ويفر قال أبو عوسجة قدت قميصه أي شقت ومزقت وممدود أي مشقوق ومن دبر أي من خلف قدت قميصه من دبر لحاجته لتحبسه وقوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب • أي وجدا سيدها هذا يدل على أن قوله إنه ربي أحسن مثواي لم يرد به العزيز الذي اشتراه ولكن أراد به العزيز الذي خلقه لأنه قال سيدها ولم يقل سيدهما ولم يقل سيدهما وقوله لدى الباب أي عند الباب وقوله تعالى ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم هذا يدل على أن الإرادة يكون مع الفعل لأنها كانت لا تعلم إرادة ضميره وإنما أخبرت بما عرفت من الميل والطهارة والفعل وكذلك قول إخوة يوسف إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا وكانوا لا يعرفون ما في ضميره من الحب ولكن ما في ضميره من الحب سوى ما ظهر لهم من الميل إليه وإبداء الشفقة له فعلى ذلك الإرادة والله أعلم وقوله تعالى قال هي راودتني عن نفسي • أي هي دعتني عن نفسي وقد ذكرنا أن المراودة هي الدعوة وهو كقوله سنراود عنه أباه أي سندعوه منه ونطلب فإن قيل كيف هتك سترها بقوله هي راودتني عن نفسي قيل فيه قصد هتك الستر عليها بل فيه نفي العيب والطعن عن نفسه فما لو يجب على المرء أن ينفي العيب وما يشينه عن نفسه على ما فعل يوسف والله أعلم • وقوله تعالى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين من دبر أي من خلف ومن قبل أي من قدام وهو مأخوذ من قبل ومن قبل المرأة واختلف أهل التأويل في الشاهد قال بعضهم ذلك الشاهد ابن عمها رجل حكيم وقال بعضهم صبي في المهد وقال بعضهم شق القميص من دبر هو الشاهد وأمثال ذلك قالوا لكن لا نعلم من كان ذلك الشاهد وليس لنا إلى معرفته حاجة والله أعلم ثم قوله إن كان قميصه قد من قبل فصدقت الآية وإنما كان الأمر على ما ذكر الشاهد لأن القميص إذا كان مقدودا من قبل فإنه إنما انقد من دفعها إياه عن نفسها وإذا كان مقدودا من دبر فهو إنما انقد من جرها إياه إلى نفسها لا من دفعها إياه عن نفسها لذلك قال ذلك الشاهد إن كان قميصه قد من كذا فهو كذا وإن قد من كذا فهو كذا وقوله تعالى فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم • استدل على أنه إنما تمزق من جرها إياه لا من دفعها إياه عن نفسها وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد ولأن القميص في العادة لا يتمزق من دبر إلا من جر من قدامه ولا من قبل إلا من قدام وإن كان يجوز أن يكون في الحقيقة على غير ذلك لكن ينظر إلى الغالب فدل أن الحكم يتعلق بالغالب والله أعلم وقد ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله في مسائل إنه يبنى على ظاهر الحال وغالب الأمر في ذلك وهو نحو ما ذكر في بيت فيه لؤلؤ وإهاب أحدهما لؤلؤي والآخر دباغ فتنازعا فيه من اللؤلؤ والإهاب فإنه يقضي لكل واحد منهما اللؤلؤ للؤلؤي والدباغ بالإهاب بظاهر ما يدل على الشاهد بالمراودة بتمزيق القميص من دبر ومن قبل وعلى ذلك قال الزوجان يختلفان في متاع البيت إن ما كان من متاع الرجال فهو في يد الرجل وما كان من متاع النساء فهو في يد المرأة وأمثال هذه مسائل كثيرة تقضى فيها بالدلائل الغالبة والأحوال الظاهرة وإن كان يجوز في الحقيقة على خلاف الظاهر والغالب والله أعلم وقوله تعالى إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم • يشبه أن يكون كيدها أنه لما راودته عن نفسه وامتنع عن طاعتها رمته وافترت عليه فأفشت قبل ذلك الخيانة إلى خيانتها إظهارا للبراءة ونفيها عن ذلك فقالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ذلك القول منها ومن كيدهن وأصل الكيد والمكر هو الأخذ على الأمن والله أعلم وقوله تعالى يوسف أعرض عن هذا يحتمل قوله يوسف أعرض عن هذا أي عن قوله هي راودتني عن نفسي ويشبه أن يكون قوله أعرض عن هذا أي عن جميع ما بينكما أي استر عليها ولا تهتك سترها وقوله تعالى واستغفري لذنبك ذلك القائل الذي قال ليوسف أعرض عن هذا قال لها واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين لما ظهر عنده أنها هي التي راودته عن نفسه ودعته إلى نفسها ثم اختلف في قائل هذا القول قال بعضهم هو زوجها قال ليوسف أعرض عن هذا ولا تهتك سترها وقال لها استغفري لذنبك علم الذنب منها وأمرها بالاستغفار لكنهم قالوا إنه كان قليل الغيرة في النساء فلذلك قال ما قال ولم يهتم بالأمر وما شدد عليهما والله أعلم وقال بعضهم ذلك القائل هو رجل آخر هو رجل آخر هو ابن عمها الذي قال بعض أهل التأويل هو الذي ذكره الله تعالى بقوله وشهد شاهد من أهلها فيكون هو مع زوجها الذي لدى الباب فيكون القائل هو دون زوجها والله أعلم وهذا أشبه ثم قوله واستغفري لذنبك قال بعضهم إنما قال لها ذلك وأمرها بالاستغفار لأنهم وإن كانوا يعبدون الأصنام فإنما يعبدونها ليقربوهم إلى الله زلفى وقال بعض أهل التأويل واستغفري لذنبك أي من زوجك بخيانته فإن كان التأويل هذا فهو

يدل على ان القايل لذلك رجل آخر لا زوجها وان كان الاول فاشبه فيحتمل كليهما انهما كانا والله اعلم وقوله تعالى
وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها يشبه ان يكون استكتمت سرها عند نسوة في المدينة
فافشين سرها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الخبر الملك ويحتمل انها لم تكن اعلنت تلك النسوة ولكن لا بد ان يعلم خدمها
فالخادم اعلنت سرها وافشت عند نسوة من اهل المدينة فقلن عند ذلك تراود فتيها عن نفسه اي تدعو عبدها
الى نفسها وقوله تعالى قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو حجاب القلب وغلافه قد شغفها حبا اي بلغ
حبها اياه الشغاف وقال ابو عوسجة شغفها حبا اي دخل الحب في شغاف القلب وهو غطاؤه وقرئ بالعين شعفها
اي ذهب عقلها وعشقها والمشعوف المجنون جدا وقال الحسن الشغف ان يكون قد بطن بها حبه والشعف
ان يكون مشعوفا به وهو من العشق وقال عامة اهل الادب ان الشعف بالعين اشد من الشغف لكن هذا قول اولئك
النسوة فلا ندري ما ارادوا بذلك وانما هذا خبر عن قولهن وقوله تعالى انا لنريها في ضلال مبين حيث خانت
زوجها وتحيل في خيره من حبها اياه وقوله تعالى فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن والمكر هو الاخذ في حال الامن
وهو الخيانة فيما اؤتمن واستكتم فكانها استكتمت سرها وهو حبها ليوسف عليه السلام عن الناس وافشت الى
نسوة المدينة على ان يستكتمن عن الناس فافشين عليها ذلك فذلك المكر الذي سمعت الى هذا ذهب بعض اهل التاويل
والله اعلم ويمكن ان يكون المراة لم تفش اليهن ولكن بعض خدمها التي اطلعت على ذلك هي التي افشت اليهن فافشين
هن ذلك فلما سمعت ذلك منهن ارسلت اليهن لما تدعوهن دعاهن للضيافة واما استعار بمكرهن اراد قوله
فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واما قول اهل التاويل ان النسوة كانت امراة الخباز والساقي وغير ذلك لا نعلمه وليس
لنا الى ذلك حاجة والله اعلم وقوله تعالى واعتدت لهن متكئا القراءة المعروفة متكأ مثقل من تكأ والمتكأ ما يتكأ عليه من
الوسائد وما يتكأ عليه وقال الكسائي المجالس يتكئون عليها في الضيافة وقال ابو عوسجة واعتدت لهن متكأ اي
هيئات المجلس وما يتكأ عليه وقرأ بعضهم متكا مخففا وهو الاترج والطعام بلغتهم ومن الطعام ما يحتاج
بالسكين فهو متك وكذلك قال القتبي قال وقال الزجاج وغيره على ذلك قال الحسن واعتدت لهن متكئا اي طعاما والله
والله اعلم وقوله تعالى وآتت كل واحدة منهن سكينا اي اعطت كل واحدة منهن سكينا وقوله تعالى وقالت اخرج
عليهن فيه وجوه من الكلام واشكال انه كيف اطاعها يوسف بالخروج على النساء بقولها اياه اخرج عليهن وفي ذلك خلوة
بهن وذلك مما لا يحل لكن يخرج على وجوه احدها انه انما يكره الدخول عليهن والخلوة بهن واما الخروج عليهن فليس
بمكروه اذ فيه الخروج منهن لانه اذا خرج عليهن كان يقدر ان يخرج منهن فكانه عليه السلام لما اذنت له بالخروج
عليهن خرج رغبة في الخروج من عندهن وعلى هذا الامر خرج لا للعزم على الخروج عليهن اذ لم يقدر ان يخرج من البيت
بغير اذنها فالامر بالخروج عليهن اذن له الاذن بالخروج من البيت فلا سبيل له الى الخروج منه بلا اذن فخرج
عليهن ثم من عندهن لا لغيره من المكان وذلك لا يكره اذا كان مما لا سبيل له ما سواه والله اعلم وفيه دلالة ان
مشتري يوسف كان يمنع يوسف عن ان يخرج الى السوق وعن ان يخالط الناس وامر امراته بان تحفظه
وتقوم بامره اما اشفاقا على نفسه لئلا تطلع احد على نفس يوسف لما وقع عنده انه مسروق او لئلا تفتتن
به النساء فكيفما كان ففيه دليل ان على المرء ان يحفظ ولده او عبده اشفاقا عليه والله اعلم ويشبه ان يكون
منها الامر بالخروج فحسب ولم تعلم يوسف انها انما تامره بالخروج على النساء فخرج لكن الله تعالى اخبر عن مقصودها
من الامر بالخروج مطلقا المقيد فهو الخروج عليهن فاخبر تعالى عن مقصودها بقوله وقالت اخرج عليهن وذلك
جائز في اللغة ويكون مثل هذا في الكلام واستعمال اهل اللسان والله اعلم ويحتمل وجها آخر ان يكون قوله
اخرج عليهن اي عنهن فذكر اخرج عليهن ظاهرا لئلا تراه منها النساء بان يطيعها فيما تامره به من حيث الانشاء
والدلالة انه عرضها ان يخرج من بين النساء ويفرق بينهن لما احدثت لهن ضيافة لكن ذكر حملهن على الكناية
عنهن على ما هو جار مستعمل في اللغة فانه تستعمل الكلمة على مكان عن كقوله اذا اكتالوا على الناس اي عن الناس والله
اعلم وقوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن قوله اكبرنه اي اعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا في البشر
الا ترى انهن قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقوله وقطعن ايديهن اي القصر مما تحيرن بعقولهن
من حسنه فقطعن ايديهن جزءا جزءا بالسكين وقوله تعالى وقلن حاش لله قال اهل التاويل اي معاذ الله وقال
بعضهم حاش كلمة تنزيه من القبيح ويقرأ ايضا حاشا لله وفي مصحف حاشى فهذه كلها لغات معناها واحد معا
وكل هذا القول منهن انهن اقررن بالشهادة بقولهن معاذ الله ما هذا بشرا ثم قوله ما هذا بشرا كذلك العامة على
ما هذا بشرا والعرب ما عند الله فانما على معنى بقايم وفي مصحف ما هذا بشر فيكون دليلا للقراءة العامة وفي
حرف ابن مسعود رضي ما هذا بشر والعرب تقول ما عبد الله قايما والله اعلم وقولها ان هذا الا ملك كريم كان للملك
الكفرة حسن وان لم يروه فيشبهون كل حسن الى الملائكة والشيطان قبيح عندهم ينسبون كل قبيح اليه وقوله تعالى

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه في قولهن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه اي انكن لمتنني ان راودته عن نفسه
وانكن قطعن ايديكن اذ رأيتن وانكرتن ان يكون هو بشرا فذلك اعظم وقوله ولقد راودته عن نفسه اي دعوته
الى نفسي فاستعصم قيل امتنع لقوله لا عاصم اليوم اي لا مانع ويشبه قوله فاستعصم اي استعصم بالله او بدينه
ونبوته او بعقله والله اعلم وقوله تعالى ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قالت ذلك
ذلك امراة العزيز يشبه ان يكون قولها ليسجنن وليكونا في السجن من الصاغرين اي الصغار بسبب السجن اضمار
آخر مع السجن ويحتمل ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الذليلين لان الصاغر هو الذليل لانه قال العزيز لامراته
اكرمي مثواه فكان مكرما عندها معظما فلما ابى ما راودته ليسجنن وليكونا من الصاغرين خوفته بالسجن والاذلال
ليجيبها الى ما تدعوه والمراد السجن والاذلال آخر وراء الحاصل بالسجن وقوله تعالى رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
دلالة انه قد كان دعينه من المراودة والدعاء ما كان من امراة العزيز من المراودة والدعاء الى نفسها حيث قال رب السجن احب
الي مما يدعونني اليه لاجرم انه قال في موضع آخر ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وانما قالت امراة العزيز
فذلكن الذي لمتنني فيه اي كنتن تلمنني في ان راودته عن نفسه وانتن قد راودتنه على نفسه ويحتمل انهن امرنه
بالاجابة لدعائها اياه الى نفسها على سبيل الشفاعة والاعانة لها لذلك قال مما يدعونني اليه ثم قول يوسف رب السجن
احب الي مما يدعونني اليه وذلك ان الذل والصغار احب الي ان تقيني واحفظ الدين مما تدعونني اليه وكان
ما يدعونه اليه هوى نفسه وميل اليه وتحبه طبيعته لكن اختار السجن احب الي لما ان الله واخبر في الدين
ان النفس تكره السجن وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فهذا يدل
على انه انما اراد بقوله رب السجن احب الي المحبة الاختيار والايثار في الدين لا محبة النفس والاختيار بل كانت
النفس تحب وتهوى ما يدعونه لذلك قال الا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ثم ليس في الدعاء في قوله رب السجن
احب الي مما يدعونني اليه كما قال بعض الناس ولذلك قالوا انه انما وقع في السجن لانه سأل السجن بالدعاء من ان يستجيب دعاءه
في ذلك وليس بدعاء فقوله والا تصرف عني كيدهن وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اخبار لا دعاء وهو
كقول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ليس بدعاء في قولهما ربنا ظلمنا
انفسنا بل اخبار عما كان منهما انما الدعاء في قولهما وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك
قال نوح قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني فكذلك قوله والا تصرف عني
كيدهن معناه لا احد يملك صرف كيدهن عني ان لم تصرفه انت عني كذلك قولهما وان لم تغفر لنا وترحمنا وقوله
والا تغفر لي وترحمني وعلى جمع في الكلام من قولنا اللهم اصرف عني كيدهن ومن قولنا اللهم اغفر وارحم والله اعلم
ثم في قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن دلالة ان عند الله لطفا لم يكن اعطى يوسف ذلك السرور
ليعطيه فيصرف بذلك عنه كيدهن اذ لو كان اعطاه ذلك لكان كيدهن مصروفا عنه لم يكن ليسأل الله
عني كيدهن معنى فهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى قد اعطى كل مكلف قدرة كل طاعة وقوة كل خير
وقوة دفع كل شر وانه انما العصمة اصب اليهن اي امل اليهن صبا يصبو اي مال الميل وعمل اصب اليهن
انا اجيبهن الى ما لم تصرف عني كيدهن لانا نجيبهن لعلمي الا الصنع هو الخروج من الامر الذي هو فيه بقاها كل من خرج
من دين الى دين صابئا لذلك كان المشركون يسمون النبي صابيا اي خرج من دين آبائه الى غيرهم وقال ابو بكر
الاصم الصبو هو الهوى المحب وقوله واكن من الجاهلين اي بكونه تعلي فعل الجهال لا فعل العلماء والحكماء
اذ لم تصرف عني كيدهن وقوله تعالى فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اي اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
هذا يدل على ان الدعاء كان في قوله والا تصرف عني كيدهن ليس في قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
حيث اخبر انه اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن دل ان الدعاء في قوله والا تصرف عني كيدهن دلالة انهن كن يدعونه
الى ذلك على وجه كان يخفى عليه ولا يشعر بذلك اذ المكر والكيد هو هذا او فالتجا الى الله في صرف ذلك عنه والله اعلم
وقوله تعالى انه هو السميع العليم اي السميع لكل قول وكلام خفيا كان على الخلق او ظاهرا العليم الذي لا يخفى عليه
شيء وقوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين والله اعلم النسوة مع زوجها الملك
قال ذلك باللفظ المذكر تغليبا للتذكير على التانيث عند الاجتماع على ما ذكر في بعض القصة انها قالت لزوجها ان
يوسف راودني عن نفسي فابيت عليه فصدقها الزوج فحبسه في السجن وقيل حبسه ليصرف عن المرأة ما رميت
به لينقطع ذلك القول عن الناس ويموت ذلك الخبر ويذهب ثم هم اختلفوا في تلك الآيات ما رأوا الآيات قال اهل التاويل هو قد القميص
من دبر وخمش الوجه وغير ذلك ولكن يشبه ان يكون الآيات هي آيات نبوته ورسالته فيما بهم حبسوه بعد ما
رأوا آيات عصمته وبراءته عما اتهموه وانهم ظلمة في حبسه والله اعلم وقوله تعالى ودخل معه السجن فتيان
قيل الفتيان كانا عبدين للملك غضب عليهما الملك وقوله تعالى قال احدهما اني اراني اعصر خمرا اعنبا قال بعضهم

العنب اسم للخمر بلغة قوم وقيل سمي العنب خمرا باسم اصله وجائز في اللغة تسمية الشيء باسم سببه وباسم اصله وقوله تعالى وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تأكل الطير منه • قيل كان احدهما خباز الملك والآخر ساقيه وقوله نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال بعضهم احسانه في السجن انه كان يداويهم في السجن ويعود المرضى ويعزي حزينهم ويجتهد في نفسه في العبادة لربه ويحتمل انا نراك من المحسنين علما او احسن الى اهل السجن بما يكون له من العلم ونحوه ويحتمل الاحسان ههنا العلم او نراك من العلماء ويحتمل انه كان يبر اهل السجن ويصلهم ويجتهد في العبادة من الصلاة والصوم وانواع العبادات التي تكون فيما بينه وبين ربه فسموه محسنا لذلك وفيه انه يكون قال انا نراك من المحسنين لما رايا به سيما الخير فيما تأول وكان يدعوهم الى توحيد الله وللعبادة له ويمنعهم عن عبادة الاصنام والاوثان فسمياه محسنا لذلك والله اعلم ثم قوله نبئنا بتأويله اي بتعبيره سمي التعبير تأويلا لان التأويل هو الاخبار عن العواقب ثم خرج تأويل الذي راى انه كان يعصر الخمر على العود الى ما كان فيه من امر السقي للملك فانه كان ساقيا له على ما ذكر في بعض القصة فلما راى انه دام على العزم اقبله بالعود الى الامر الذي كان فيه والآخر كان خبازا على ما ذكر وهو مما كان يخبز للناس فلما راى انه حمل الخبز على راسه وان الطير تأكل منه علم انه يخرج من الامر الذي كان فيه وخروجه على الامر الذي كان فيه هلاكه لما فيه انتهاء امره الذي هو سبب معاشه ولانه كان من قبل يخبز للناس فصار ما خبز لغيرهم على الطير وكان ما يخبز سبب معاش الناس فلا ادخر يتسبب معاش الطير والخبز ليس بسبب قوام الطير لانه لا يكون من غير ما يصلح وسبب لوجود الخبز وهو الخباز فان الطير مما تأكل من الآدمي بعد ان يصلب ياكل الطير من راسه لما راى انه حمل الخبز على الراس والطير تأكل منه وهو يجاور راسه وانما عبر انه يصلب لانه كان قائما منتصبا والخشب الذي يكون منتصبا هو المصلوب فاول على ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله • قيل ان يأتيكما يحتمل هذا وجهين احدهما اي لا يأتيكما طعام ان يأتيكما اثاره في المنام الا نبأتكما بتأويله قبل ذلك هل له تأويل او ذلك والله اعلم والثاني يحتمل قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما هذا منه دعوى الآية وهو الاخبار عن الغيب الذي لا يكون الا بالله ولا يطلع عليه الا رسله كما قال عيسى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم وانما قال لهم هذا لتبيين فهمهما انه اذ كان عنده علم ما لا يحتاج اليه فعلم ما يحتاج اليه احرى ان يكون عنده فهذا منه والله اعلم احتيال لتبين دعوهم عما هم فيه من عبادة الاصنام وترغيبهم في توحيد الله ووصف العبادة اليه حق اذ رأوه متلفقا في الخلقة والجوهر وخصوصا بما لا يشارك فيه غيره من الاخبار عن الغيب فذلك لا يكون الا معجزة للانبياء اسرعوا الى الاجابة اذا دعاهم الى التوحيد فقدم المعجزة قبل الدعوة ولذلك قال الحسن ان في حجة من ذلك القول ذلكما مما علمني ربي بطريق اللطف اما بواسطة تعليم الملائكة او القاء ذلك في قلبه بالالهام وذلك لطف من الله تعالى والله اعلم وقوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ليس انه كان فيه ثم تركه ولكن تركه ابتداء اما لو لم يكن تركها لا يحتاج بهت وهو كقوله الله الذي رفع السموات ليس انها كانت موضوعة فرفعها ولكن رفعها او لما خلقها وكذلك قوله والارض وضعها للانام ليس انها كانت مرفوعة فوضعها لكن انشاها مرفوعة وموضوعة وهو كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ليس انهم كانوا في الظلمات فاخرجهم منها الى النور لكن عصمهم عن الظلمات لو لم يكن لهم احلكهم في تلك الاول والله اعلم وفي قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله واخبر انهم كافرون بالله دلالة ان من لم يؤمن بالله فهو كافر وهذا ينقض قول المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والايمان رتبة ثالثة وفيه دلالة ان الكفر كله ملة واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله على اختلاف مذاهبهم وفيه دلالة على ابطال قولهم في صاحب الكبيرة من وجه آخر فانه اعتقد يوسف ان من لم يؤمن بالله فهو كافر وهم يقولون ان صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر فيصير مكذبا يوسف ولا في خبره مخطئين في اعتقاده والله الموفق ثم اخبر انه اتبع ملة آبائه بقوله واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ثم اخبر عن ملة آبائه فقال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء اخبر ان ملة آبائه ودينهم هو ترك الاشراك بالله لا من حيث الذات ولا من حيث الصفات ولا في استحقاق العبادة وفي الآية دليل على ان الملة ليست الا ملتين ملة الكفر وملة الاسلام واخبر انه من لم يكن في ملة الاسلام كان في ملة الكفر ثم انما خص بذكر هؤلاء ابراهيم واسحق ويعقوب لان هؤلاء كانوا مكرمين عند الناس كافة وكل الذين يدعون انهم على دين اولئك فاخبر عليه السلام انهم على دين الاسلام الحنيف المخلص ليس على ما تزعمون انتم ولهذا قال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقوله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس اي ذلك الدين والملة التي انا عليها او ما نحن من فضل الله علينا وعلى الناس لانه جعل الناس على فطرة يعرفون وحدانية الله تعالى وربوبيته بعقولهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلك الدين وتلك الهداية والله اعلم وقوله يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار لما سأل يوسف

عن تأويل الرؤيا دعاهما الى توحيد الله تعالى ودلهم على ذلك فقال ذلكما مما علمني ربي وان الغيب لا يعلمه الا الله يطلعه من شاء من عبيده ولا يطلع على ذلك من هو كاذب في ادعاء الرسالة عليه وقال ايضا يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اي عبادة رب واحد وارضاؤه خير ام عبادة عدد وارضاء نفر لانه اذا اجتهد في عبادة بعض وارضائهم اسخط الباقين ولا سبيل له الى الوصول الى المقصود والظفر بحاجته الا بارضاء الكل ولا يقدر على ارضائهم جميعا فاما اذا عبد الواحد فانه يقدر على ارضائه بان لا يزال يكون في عبادته وارضائه ويصل الى حاجته والظفر بمقصوده والله الموفق والثاني يخبر ان الواحد القهار يقهر غيره من الارباب ومن يتعبد بعبادة الواحد القاهر خير من عبادة عدد مقهورين وقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم اي ما تعبدون من دون الله من الاوثان والاصنام الا اسماء سميتموها آلهة انتم وآباؤكم وهم لا يستحقون العبادة ولا التسمية بالآلهة انما المستحق لذلك الذي خلقكم وخلق السموات والارض وقوله تعالى ما انزل الله بها من سلطان • اي ما انزل الله على ما عبدتموهم وسميتموهم انتم وآباؤكم آلهة من حجة ولا برهان وقوله تعالى ان الحكم الا لله • اي ما الحكم في تسميته الالوهية والعبادة الا لله تعالى ليس كما تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي ما الحكم في الشفاعة والالوهية الا لله تعالى ويحتمل ما الحكم في الخلق والامر الا لله تعالى كقوله له الخلق والامر فله الخلق وله الامر في الخلق وقوله امر الا تعبدوا الا اياه حكمه هذا ان لا تعبدوا الا اياه وقوله تعالى ذلك الدين القيم • اي عبادة الله وحده هو الدين القيم لانه دين قام عليه الحجة والبرهان فاما سائر الاديان فليست بقيمة اذ لا حجة قامت عليها ولا برهان والقيم هو القائم الذي قام بحجة وبرهان وقال اهل التأويل القيم المستقيم وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون • يحتمل لا يعلمون لما لم يتفكروا فيه ولم ينظروا ولو نظروا فيه وتفكروا لعلموا وهذا يدل على ان العقوبة تلزم وان جهل المرء اذا امكن له العلم بذلك ولا عذر له في الجهل ويحتمل انهم علموا لكن لما لم ينتفعوا بعلمهم كانهم لم يعلموا فنفى عنهم العلم لذلك والله اعلم وقال ابو بكر الاصم يا صاحبي السجن سماهما صاحبي السجن لانهم كانوا في السجن كما يقال اصحاب النار واصحاب الجنة ونحو ذلك لكن هذا لا يصح لانه لو كان كما ذكر لقال يا صاحبا السجن بالالف فلما لم يقل دل انه اضاف الى نفسه كانه قال يا صاحبي في السجن لانهما كانا معه في السجن وكان هذا الذي وقع غلطا من الكاتب لكن لفظه لان النداء المضاف منصوب يقال يا صاحبي لذا من وجه آخر فان التسمية بصاحب السجن من باب التحقير وعرضه تعظيمهما وذلك في اضافتهما الى نفسه اي يا صاحبي في السجن والله اعلم وقوله يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه اما تأويل رؤيا الساقي ما ذكر لانه عبرها على العود الى ما كان يعمل من قبل لما راى انه كان يعمل على ما كان يعمل من قبل وعبر رؤيا الخباز بالهلاك لما راى انه حمل الخبز على الراس والخباز اذا خبز الخبز لا يحمل ذلك على راسه وراى انه قد انتهى امره اذ رآه يحمل على خلاف ما كان يحمل من قبل وعبر انه يصلب وتأكل الطير من رأسه لما راى انه حمل الخبز على الراس ويأكل الطير من ذلك الخبز في حال قيامه وانتصابه فهو الهلاك الذي في حال الانتصاب مع بالصلب يكون والله اعلم كان يخبز للناس ويكون خبزه سبب قوامهم فلما انتصل خبزه سبب قوام الطير والخبز لا تأكل الطير فعبر بالاكل من الخباز الذي هو حامل الخبز فيأكل من رأسه لما حمل عليه الخبز والله اعلم وقوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان قال بعضهم قال التأويل انكما عبر لهما رؤياهما قالا لم نر شيئا انما كنا نلعب فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي خرج وانتهى لكن هذا لا نعلم انهما قالا ذلك ام لم يقولا وليس في القرآن سوى انه عبر رؤياهما وكان كما عبر لهما وقد علم ذلك بتعليم الله اياه بقوله ذلكما مما علمني ربي وقوله تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما • اختلف في قوله ظن انه فعل من قال بعضهم ان الظن فعل يوسف معناه قال يوسف للرجل الذي كان عند يوسف انه ناج منهما وظن انه نجا اذكرني عند ربك وقال بعضهم ان الظن هو فعل ذلك الرجل الذي عبر رؤياه بالنجاة بتعبيره قال يوسف للرجل الذي ظن ان يوسف صدق فيما عبر رؤياه وانه ناج فان كان الظان هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن اذ لا حقيقة عند ذلك الرجل سوى تعبير رؤياه ولم تثبت رسالته عند ذلك الرجل ليعرف صدقه قوله فكان الظن مستعملا بحقيقته وان كان الظان هو يوسف فالمراد من الظن هو العلم واليقين اي علم وايقن انه ناج منهما لانه لا يحتمل ان يشك فيما يعبر وقد علمه الله تعالى تأويل الاحاديث لقوله ويعلمك من تأويل الاحاديث وقال ذلكما مما علمني ربي والله اعلم ويحتمل ان يخرج على حقيقة الظن من يوسف ولكن لا يصرف الظن الى تعبير الرؤيا من النجاة وصيرورته ساقيا ربه ولكن يصرف الظن الى ان ذلك الرجل يذكره عند ربه على التقديم والتأخير في الآية كانه قال فقال الذي ناج منهما وظن انه يذكره عند ربه اذكرني عند ربك والله اعلم وقوله اذكرني عند ربك اذكر عند ربك قال بعضهم

أهل التأويل ان يوسف لما فزع الى غير الله وطلب الخروج من السجن من الملك أنساه الله تعالى سنين واثم فيه
عقوبة عليه حيث رجا النجاة من غيره لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يوسف يفزع الى غير الله ويرفع قلبه عن الله تعالى
بمن دونه لكنه رأى والله اعلم ان الله تعالى جعل سبب نجاته على يديه وان بقي فيه منسيا لما علم انه لم يكن منه سبب
يستحق السجن بذلك السبب سوى الاعتذار الاعتلال الى الناس على نفي ما قرفت به زوجته او ليقطع ذلك
الخبر عن السن الناس ويبعد عن اوهامهم فلم يمنعه ذلك وترفع قلبه عن الله وهكذا جعل الله تعالى امور الدنيا
كلها باسباب وعلى ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب القدر فيه من الله تعالى نحو ما
جعل الاثمار والزرع باسباب يكتسبونها ونحو الاسلحة التي اتخذت للحرب والقتال بها وانما يحاربون
بالله وبه يقاتلون ومن عنده ينصرون فقد امر بذلك كله وبتلك الاسباب قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة وليس كل من فعل هذا فزع الى غير الله انما النجاة والنصر عند الله لشيء والسبب بل يرى ذلك من الله
ومن عنده فعلى ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الى المخلوق مثله ورأى نجاته من عنده ولكن الوجه فيه ما ذكرنا
والله اعلم ثم قوله اذكرني عند ربك يحتمل وجهين احدهما قال اذكرني عند ربك لما لعل عنده اني حبست بلا علم منه
وبغير امره لان تلك المرأة هي التي اوعدت له السجن فوقع عنده انها هي التي احتالت في حبسه فقال له ذلك لما قال
والله اعلم والثاني يقول اذكرني بالذي رأيت مني وسمعت لانه صلى الله عليه وسلم دعاهما في السجن الى التوحيد
والى عبادة ربهم حيث قال ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وقوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه
قال بعض اهل التأويل انسى الشيطان يوسف دعاء ربه الذي خلقه فلم يدع ربه ليخرجه من السجن ولكن طلب
من ذلك الرجل ليذكره عند الملك فينجيه من السجن ولكن هذا بعيد لانه ان عنى انه لم يدع الله تعالى النجاة في ذلك
الوقت الذي قال له اذكرني عند ربك وانما دعا النجاة من الملك فقد ذكرنا انه كان رآه سبب نجاته وكان يدعو ربه
من الله تعالى في الحقيقة وان عنى ان الشيطان انساه ذكر ربه حتى لا يدعو مدة في السجن فهذا لا يحتمل فانه كان
يدعو الناس في السجن الى الله تعالى وكان يصوم ويصلي ويجتهد في العبادة ولكن تفسيره ما قال لو انساه الشيطان
ذكر ربه اي انسى الشيطان ذلك الرجل الذي قال ليوسف اذكرني عند ربك ذكره سنين كثيرة وهذا هو الاشبه
الاشبه لان الله تعالى قال وادكر بعد امة اي تذكر ذلك الرجل بعد حين ذلك انه انما انساه الشيطان على ذلك
فلهذا كرحينا والله اعلم ثم فائدة السنين هي والله اعلم ان الله تعالى اراد ان يظهر رسالته وحجة نبوته بكونه
في السجن وظهور براءته في شان تلك المرأة بشهادة اولئك النسوان وذلك من علم الاحاديث كالرؤيا التي
عبرها والله اعلم وقال بعضهم نسيه الشيطان ولكن تركه عمدا لحاجة انه لو ذكره يحتاج الى ذكر السجن وانه رأى
في السجن رجلا عادته كذا وحبس ظلما او نحو ذلك لعله يتذكر الملك ما تقدم من المقالة فيه اغني هذا الساقي فيرد
عليه غضبا ترك عمدا الى ان جاء وقته والله اعلم ثم قوله فانساه الشيطان اضاف الانساء الى الشيطان وكذلك
قال موسى وما انسانيه الا الشيطان فهو والله اعلم لان ابن كل شيء يكون من الشيطان لانه يخطر بالمرء ما يصد
في قلبه ويوسوسه ثم يكون من العبد العزيمة على ذلك والفعل والله اعلم وقوله تعالى فلبث في السجن بضع
سنين قال بعضهم خمس سنين وقال بعضهم سبع سنين ونحو ذلك ولكن لا نعلم ذلك ولا نعلم ما نبين لنا الى معرفة
ذلك حاجة سوى ما ذكر فيه انه لبث فيه حينا وقوله تعالى وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان الاية ذكر
في الاية انه رأى وليس فيها انه رأى في المنام ولكن ذكر في آخره الرؤيا بقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون دل انه
رأى في المنام وقوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون خاطب الاشراف من قومه
والعلماء بقوله يا ايها الملأ على ما ذكرنا فيما تقدم ان الملأ هو اسم الاشراف الرؤساء منهم والقادة وكذلك
العادة في الملوك انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون اعقلهم واعظمهم منزلة عندهم واكرمهم شانا ثم ذكر
قوله افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون كأنه نهاهم ان يتكلفوا التعبير للرؤيا التي رآها اذا لم يكن
لهم بها علم وكذا الواجب على كل من سئل عن شيء ان لا يشتغل به ولا يتكلف حتى اذا لم يكن له علم حيث قال
الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله تعالى قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين
اختلف في قوله اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل احلام كاذبة وقال بعضهم اي اخلاط احلام مثل اضغاث
النبات يجمع فتكون فيها ضروب مختلفة وهو كما قيل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اي جماعة
من اغصان الشجر وقال بعضهم اضغاث احلام ما لا يكون لها تأويل ويقال لنوع من الكلاء ضغث وهي الحلفا
شبه البردي وقيل ان الاضغاث والاحلام شيء واحد سمي بهما لشيء لا معنى له ولا تأويل وهما واحد واصل الاحلام ان يخرج
من وجهين احدهما العقول دليله قوله ام تأمرهم احلامهم بهذا اي عقولهم ام هم قوم طاغون والثاني ان يخرج الحلم
كقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ومنه الاحتلام وتسمية الحلم ان يخرج تسمية النوم الذي لا تأويل له اضغاث احلام

لان

لان الصبي لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولذلك لا يحتلم لان الاحتلام هو من لعب الشيطان به فسمي الرؤيا الباطلة
لما ذكرنا لانها من لعب الشيطان بذلك الرائي كما سمي احتلام الصبي حلما لانه اذا بلغ اعقل لعب الشيطان به
والله اعلم وقوله تعالى وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يحتمل اي وما نحن بعالمين لما لا تأويل لها ولا تعبير كقوله
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا تشفع لهم ويحتمل وما نحن بتأويل الاحلام
بعالمين على ان لها تأويل ولكنا لا نحن بعالمين بتأويلها او لا نعلمها والله اعلم وفي الاية دليل على ان من الرؤيا ما هو حق لها
حقيقة ومنها باطلة لا حقيقة لها لانه قال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام فكان
الرؤيا حقا لها حقيقة يتأمل عواقبها واضغاث احلام لا حقيقة لها والله اعلم وقوله تعالى وقال الذي نجا منهما اي
من الهلاك وهو الساقي الذي ذكر وقوله تعالى وادكر بعد امة اي تذكر بعد امة ثم اختلف في الامة قال بعضهم الامة
ههنا الحين اي تذكر بعد حين وهو كقوله ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت محدود
وقال الحسن وادكر بعد امة او تذكر بعد امة من الناس وبقي بعد امة وقال ابو عوسجة الامة النسيان والسهو يقال تذكر
بعد نسيان وسهو لحق له فانساه الشيطان ذكر ربه كقال في الكلام امة يا مه امها فهو امه اي نسي والامة الجماعة
والجميع الامم وهم القرون الماضية كقوله تلك امة قد خلت والامة النعمة والامة ايضا الدين والسنة كقوله انا
وجدنا اباءنا على امة اي على دين وسنة وقال الامة ايضا القامة يقال فلان ذو امة اي حسن القامة ويقال فلان حسن
الامة اي القامة ويقال الاثم العيب وما ذكر في الاية يحتمل الوجهين الذين ذكرناهما اي ذلك بعد حين ووقت
او بعد نسيان من جراءة بالنصح والله اعلم وقوله تعالى انا انبئكم بتأويله فارسلون معناه انا انبئكم بتأويلها
لانه كان هو بينهم بنفسه ويحتمل اي انا انبئكم بتأويله اي انا اتعلم منه فانبئكم بتأويله الا يرى انه قال فارسلون
يوسف حيث ما كان وقال ارسلون الى يوسف والله اعلم وقوله تعالى يوسف ايها الصديق ليس في الذي
في الاية انه ارسل الى يوسف ولا انه اتى به انما فيها انه سأل ان يرسلوه اليه ولكن فيه دلالة على انه ارسل الى يوسف
ولا انه اتى به انما فيها انه سأل ان يرسلوه اليه ولكن فيه دلالة على انه ارسل واتاه حيث قال يوسف ايها الصديق
فانما يخاطبه بالسؤال عند اتاه يوسف ايها الصديق بعد الحضور الى يوسف ثم قيل الصديق هو كثير الصدق
كما يقال شريب وفسيق وسكير اذا كثر منه ذلك وقيل الصديق هو الذي لم يوجد عليه كذب قط ويحتمل سماه
صديقا لما انه عبر رؤياه وخرج كما اخبر له في الحقيقة ورؤياه تعبيره فتعين عنده صدقه فلم يزل ذلك سماه
صديقا وقوله تعالى افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
فاتاها الرؤيا وعبرها عليه وهو ما قال تزرعون سبع سنين دابا الى اخر ما ذكر انما البقرات هي السنون والسمان
هي الخصبات الواسعات والكل هي سبع عجاف الجاف فهي المجدبات وسبع سنبلات خضر السنبلات سنبلا خضر
عبارة عما يحصد واخر يابسات عبارة عما لا يحصد او لا يكون فيها ما يحصد فذلك قوله ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون وفي الاية دلالة على ان من الرؤيا ما يكون مصرحا مشارا اليه يعلم الذي
ويخرج عنها ومنها ما يكون كناية مبهما غير مفسر لا يعلم الا بالنظر فيها والتفكر والتأمل لانه قال اني ارى سبع بقرات
سمان وسبع هو سبع لا غير وبقرات هي كناية عن السنين وسمان كناية عن الخصب والسعة وقوله ياكلهن على حقيقة
الاكل لا غير وكذلك سبع عجاف السبع هو سبع والعجاف كناية عن الشدة والجدب وسبع سنبلات هي هي سنبلات
وخضر هي كناية عما يحصد ويابسات كناية عما لا يكون فيه ما يحصد ففيه دليل ان من الخطاب ما يكون مصرحا مبينا
مشارا اليه يفهم المراد منه بالبديهة ويخرج الخطاب السمع ومنه ما يكون مبهما غير مفسر وهو على وجهين منه ما يفهم
بالنظر فيه والتفكر والثاني لا يفهم لا بالبديهة ولا بالنظر والتأمل فيه والتفكر الا بنبأ يعرف به سوى ذلك
فلهذا يخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق والله اعلم وقوله تعالى لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون هذا يحتمل
يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة ليس كما قال اولئك اضغاث احلام والثاني لعلهم يعلمون فضلك على غيرك
من الناس والثالث اي يعلمونه انك تصلح لحاجاتهم التي تقع في حال يقظتهم فيرجعون بها اليك كما صلحت لهم
في حال نومهم والله اعلم ثم علمهم الزراعة وجمع الطعام والادخار وانه كيف يدخر حتى يبقى الى ذلك الوقت فقال
تزرعون سبع سنين دابا قال بعضهم دائبا اي يداومون الزراعة فيها وقال ابو عوسجة دابا من الدؤب وهو الجد
والتعب وقال القتبي كما ابا اي جدا في الزراعة ومتابعة وكله واحد وقوله تعالى فما حصدتم فذروه في سنبله
لا تقوم لانه ذلك ابقى له من ان ينقى حبه الا قليلا مما تاكلون فنقوه ان شئتم اي قدر ما تاكلون وقوله تعالى ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد قيل مجدبات من السنين ياكلن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لهن الا قليلا مما تحصنون
قال بعضهم تدخرون وقال بعضهم تحرزون وقال ابو عوسجة تحصنه اي تدخره وقوله تعالى ثم ياتي من بعد ذلك
عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال بعضهم هو من الغيث وهو المطر اي يمطرون وقيل يعانون بالمطر وهو الفرج

والامانة وقوله وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصر الاعناب والدهن والزيت وغير ذلك وهو عبارة عن
الخصب والسعة وقال بعضهم يعصرون اي ينجون من شدة الزمان ويحاذون ويعتصمون بالخصب وهو من العصر وهو
الملجا اي الحاذة الى الغيث وهو قول ابي عبيدة واما قول غيره من اهل الادب والتاويل فهو من عصر العنب والله اعلم
وقوله تعالى وقال الملك ائتوني به يعني بيوسف وقوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن فيه دلالة ان لو قبل يوسف الرجل ذكر في عنده تهمة بما طلب بذلك براءة نفسه عما اتهم
به ليس كما قال اهل التاويل لانه لو كان غير ذلك لكان لا يرد الرسول الذي ولكن يخرج والله اعلم وقوله تعالى فاسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن يحتمل هذا وجهين احدهما امر على كيدهن ضيا امر لجميع ذلك والثاني ليعلم
الملك براءته مما قذف به واتهم ليظهر عنده بانه كان بريا مما قذف به وقوله تعالى ان ربي بكيدهن عليم اي عليم انهن كدنه
وقوله تعالى قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه اي قال لهن الملك ما خطبكن اي ما شانكن وما امركن والخطب
الشان والامر وقيل ما بالكن اذ راودتن وقد ذكرنا المراودة وفي هذا دليل ان الملك قد علم انهن راودن يوسف
عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل هل اذ راودتن ام لا ولكن قطع القول فيه ذلك اذ راودتن
وقوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء بدا لهن حتى اقررن انه كان بريا مما قذف واتهم ثم امراة العزيز بعد
لما اقرت النسوة فقالت الآن حصحص الحق وهو ما قال الحالت امراة العزيز الآن حصحص الحق قيل الآن تبين الحق
وتحقق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ثم قوله حاش لله اي معاذ الله على ذكر
وقوله تعالى ما علمنا عليه من سوء قال اهل التاويل السوء الزنا ولكن عندنا قولهن ما علمنا عليه من سوء هو السوء
الذي قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا هو ذلك السوء قالت انا راودته فقلن ما علمنا منه ذلك وفيه دلالة انه
لم يكن منه ما قال اهل التاويل من حل السراويل وغيره لانه لو كان ذلك لكن قد علمن منه السوء وقوله تعالى ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب قوله ذلك اي الرد الذي كان منه لرسول الملك وترك الاجابة له حيث قال ائتوني به ليعلم الملك
اني لم اخنه في اهله اذ غاب عنه برد القول اما جزاء من اراد باهلك سوءا وتصديقا له لقوله حيث قال هي راودتني
عن نفسي وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم اني لم اخنه يعني الزوج بالغيب لكن هذا بعيد اذ قد علم يوسف
ان الله تعالى قد علم يوسف ان الله تعالى قد علم انه لم يخنه بالغيب وفي قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب دليل على انه
لم يكن منه ما قال اهل التاويل من حل السراويل وغيره لانه لو كان منه ذلك لقد علم منه الخيانة وقوله تعالى وان الله
لا يهدي كيد الخائنين اي لا يجعل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة هدى
ورشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا انما يجعل
فعل الكيد والخيانة ضلالا وغواية والله اعلم وقوله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء قال اهل
التاويل ايضا لما قال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال جبريل ولا حين هممت بما هممت فقال وما
ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء لكن هذا مما لا نعلمه وقد ذكرنا الخلاف في قوله ولقد همت به وهم بها
ويسع ان نتكلم فيه وفسادا قول اهل التاويل من الرجوع الى ذكرنا ثم يحتمل قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي اي عصم ربي والله اعلم انه قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب لم يعصمني الله عن ذلك ولو
لم يكن عصمني لكنت اخونه ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا ما عصم ربي لان النفس جبلت وطبعت على
الميل الى الشهوات واللذات الهوى فيها والرغبة والتوقي عن المكروهات والشدائد الا [illegible]
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى
اتبع النفس للهوى واثار الحياة الدنيا وشهواتها وهذا يدل على ان قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
محبة الاختيار والايثار في الدين لا محبة النفس ويقول ان النفس انما تختار وتوثر ما هي لذة وشهوة وتنفر
عن الشدائد والمكروهات وعلى هذا طبعت وجبلت والله اعلم وقوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
اي اجعله لنفسي خالصا ويحتمل ان يكون قوله استخلصه لنفسي اي اصدر عن رايه واطيع امره وفي
هذا نفع استخلاصه اياه ولذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ليوسف لا ان يجعله خالصا لحاجة نفسه
دون الناس لا يشركه فيه غيره دليل ذلك ما ذكر في حرف حفصة انك اليوم لدينا مطاع امين وقوله تعالى فلما
كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر في القرآن انه اي شيء كلمه قال فلما كلمه دل انه عاين به وقيل المكين
الرضا وقيل المكين الامين الموصى وقيل الامين على ما استامنك وقوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض
سال هذا لما علم انه ليس في وسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام وعلم انه لو ولي غيره الخزائن لم يعرف لهم
الناس ممن ظهر تقديمه من يحب تقديمه والقيام لحاجة الاحوج من غيره وعلم انه اليه يرجع ويقع حوائج اكثر الناس
وبه قوام ابدانهم فسأله ليقوم بذلك كله وعلى تدبيره يجري ولذلك قال اني حفيظ عليم قال بعضهم حفيظ

لما في الارض من غلة عليم في غالبها وعن ابن عباس رضي الله عنه حفيظ لما كتب بدي عليم بالناس وقيل حفيظ اي بصير
بتقديره عليم بساعات الجوع حين يقع وقيل حفيظ لما استحفظت فيه عليم بتقدير الاحوج والله اعلم وقوله
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يقول والله اعلم كما برانا يوسف مما قذف به واظهرنا براءته منه مكناه في الارض
حتى احتاج اهل نواحي مصر واهل الافاق اليه ويحتمل الى كما حفظناه واغنيناه عما قصده اخوته من الاهلاك
وغيره مكنا له في الارض ايضا على اهلها والله اعلم وقوله تعالى يتبوأ منها حيث يشاء اي ينزل منها حيث يشاء
او يسكن منها حيث يشاء وقوله تعالى نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا ونعيمها كقوله
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية ويحتمل نصيب برحمتنا من نشاء المراد بها النبوة والعصمة وهو على
المعتزلة لانهم يقولون ليس لله ان يختص احدا بالرحمة وان رحمته لا نصيب احدا دون احد الا من لم
يكن منه ما هو اليه ويسوله من الرحمة الا وكان قد اعطى مثله وقوله تعالى ولا نضيع اجر المحسنين اي لا نضيع
اجر من احسن صحبة اولياء الله في الدنيا والآخرة او يجزيهم جزاء احسانه في الدارين وقوله تعالى ولاجر الآخرة
خير للذين آمنوا او ثواب الآخرة واجرها خير لهم من ثواب الدنيا واجرها وقوله تعالى آمنوا وكانوا يتقون
وكانوا يتقون الشرك ويحتمل وكانوا يتقون الفواحش والمعاصي والله اعلم وقوله تعالى وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي لا يعرفونه كيف له لو منكر ذو او غيرهم وعن عندنا انهم ينكر
هو لا يدعو ولا يعرض في الشرع ولا في العقل والله اعلم وقوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم اي اعطاهم الطعام
الذي طلبوا منه قال ابو عوسجة الجهاز المتاع الذي يجهز به ولا يقال الجهاز بخفض الجيم وقال اهل التاويل
ان يوسف قال لهم حين دخلوا عليه انتم عيون بعثكم ملككم تنظرون الى اهل مصر ثم تاتونه بالخبر فانتم
بكذا هذا مما نعرفه ولا يحتمل ان قال لهم ذلك لانه كيف قد عرف ان هؤلاء الكلمات التي قالوا انه قال لهم كذا وقالوا له
كذا نحن كذا كنا رجالا هلك منا كذا او لنا اب كذا مثل هذا لا يكون كلام الانبياء انما هو كلام بعض العوام الغوغاء
والله اعلم وقوله تعالى قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين مثل هذا لا يحتمل ان
يوسف ابتدأ على غير سبب او كلام كان هنالك لكنه لم يذكر الذي كان ونحن لا نعرف ما الذي كان هنالك
جرى فيما بينهم وكذلك قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون واما اهل التاويل فانهم قالوا انما
قال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم الاخر ما ذكر لانه لما قال لهم انكم جواسيس عيون الملك فامر بحبسهم فقالوا نحن بنو
يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم وكنا اثني عشر رجلا فهلك منا رجل في الغنم وجدنا على قميصه دما وابانا
ابانا قتلنا كذا وقد خلفنا عند ابينا اخا من قبل امه فعند ذلك قال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم ليظهر صدق
قولكم عندي لكن هذا لا يكون جوابا لقوله فانه قال الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وقد جهزهم
الطعام وازدادوا الضيافة فلا يليق هذا بالحبس وطلب البراءة منهم باتيان الاخ لابيه فذلك
ما قالوه لا يكون جوابا لقوله وقد ذكرنا ان هذا الكلام لا يصح مبتدأ لكنا نعلم بالعقل انه كان هنالك
سبب ومعنى من يوسف اياهم بذلك وان يقول لهم ذلك وكذا لا يحتمل ان يقول لهم يوسف فان لم تاتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وهو كان يعلم ان اباه يعقوب يحتاج الى الطعام ويعرف حاجتهم في ذلك هذا الا
لسبب كان ثمة ومعنى والله اعلم ثم قوله الا ترون اني اوفي الكيل يحتمل وجهين احدهما قال ذلك لهم اني اوفي
لهم اي يوفي لهم الكيل لان اهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويخسرون الكيل لضيق فقال الا ترون اني
اوفي الكيل ولا اخسر والثاني لا ترون اني اوفي الكيل اي اوفي الكيل لكم على غير المخاصمة وكانوا يحملون الغير لهم
على المخاصمة اي انا اوفي على قدر الحاجة وكان هذا منه امتنانا عليهم واطماعا في التسعير وكذا قال وانا خير
في الاحسان اليكم والتوسيع عليكم لان اهل ذلك المكان لا يحسنون الى الناس لين لهم ولا يوسعون بحسن
الطعام وكان قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين موخر عن قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون كانه ائتوني باخ لكم من ابيكم فان لم تاتوني به فلا كيل عندي ولا تقربون فعند ذلك قال الا ترون
اني اوفي الكيل والله اعلم وقوله تعالى فلا كيل لكم عندي فيما يستقبل ولا تقربون اي لا تاتوني وقوله تعالى
قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون هذا الكلام في الظاهر ليس هو جواب قول يوسف حيث قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم بل جوابه ان يقولوا له ناتي او لا ناتي فاما ان يحمل قولهم سنراود عنه اباه وانا لفاعلون جوابا
له فلا يحتمل مما ان في قولهم سنراود عنه اباه اضطرابا انهم يملكون او لا يملكون وقولهم انا لفاعلون على القطع
فكيف يجمعون بين الاضطراب والقطع لكن يشبه ان يخرج على الوجهين احدهما على الاضمار ومعناه سنراود عنه
اباه فان اذن لنا ابلك فانا لفاعلون ذلك والله اعلم ويحتمل على التقديم والتاخير ويكون جوابا لقوله ائتوني باخ
لكم من ابيكم في قولهم وانا لفاعلون كانه لما قال لهم يوسف ائتوني باخ لكم من ابيكم قالوا انا لفاعلون ثم قالوا

فيما بينهم سنراود عنه اباه على هذين الوجهين يشبه ان يخرج والله اعلم ثم قوله سنراود عنه اباه قال ابو عوسجة
المراودة الممارسة وهي المعالجة التي فيها شبه المخادعة وقيل سنراود اي سنجهد وقوله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم • قرئ لفتيانه ولفتيته فالفتية الخدم والفتيان المماليك وقوله اجعلوا بضاعتهم في
رحالهم اي دراهمهم في اوعيتهم فيه دلالة على ان الهبة قد تصح وان لم يصرح بها اذا وقع في يدي الموهوب له وقبضه
وانه لم يعلم هو بذلك وقت ما جعل له لان يوسف جعل بضاعتهم في رحالهم وذلك هبة منه بضاعتهم لهم
وهم لم يعلموا بذلك وقت ما جعل يوسف ذلك ملكا لهم ولهذا قال اصحابنا انه من وضع ما له في طريق من طرق
المسلمين ليكون ذلك ملكا لمن رفعه جاز ما فعل والله اعلم وقوله تعالى لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم
يرجعون • هذا يحتمل وجهين احدهما يرجعون مخافة ان يقرفوا بالسرقة لما عسى يقع عندهم ان واحدا منهم حمل
هذا في متاعنا واوعيتنا سرا منهم فيفعل يوسف ما فعل من جعل بضاعتهم في رحالهم ليرجعوا مخافة ان يقرفوا
بالسرقة اظهارا لبراءة انفسهم عنده ثم هذا التاويل ان لو ظهر الثاني مما قاله اهل التاويل وهو انه خاف يوسف
ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى فجعل دراهمهم في اوعيتهم ليرجعوا اليه ولا يحبسهم عنه
ابوهم لعدم الثمن من الدراهم لانهم كانوا اهل ماشية وقوله تعالى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
اي فيما نستقبل وليسنا نفي قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فارسل معنا اخانا نكتل
وانا له لحافظون قوله نكتل وانا له لحافظون قوله نكتل يقرا بالنون والياء جميعا قريب لانهم قالوا منع منا الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل بسببه ويحتمل بالياء هو يكتل ان ارسلته وقوله تعالى وانا له لحافظون • لا يحتمل ان
انهم يقولوا له هذا من غير سبب كان منهم الا انهم خاف عليه من اخيه ومن تهمة اتهمهم لانه كان خاف من ابنهم
خاف عليه ان يضيعوه لقلة الشفقة او لذا استقبله امر لا يعينونه او امرا لم يذكر ولسنا نذكر ما ذلك المعنى
والله اعلم وقوله تعالى قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل • وفي حرف ابن مسعود رض هل تحفظونه الا
كما حفظتم اخاه يوسف من قبل وفي هذه الاية دلالة على ان من ظهرت منه تهمة فانه يجوز ان يتهم فيما لم يظهر منه
شيء حيث اتهمهم يعقوب في بنيامين بخيانة كانت منهم في يوسف فانه لم يظهر منهم في بنيامين شيء وهو حجة
لاصحابنا رحمهم الله فان من ظهر فسقه في شيء او كذبه فانه صار مجروح الشهادة في غيره والله اعلم وقوله تعالى
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين • اي انا ارسله فانما اعتمد على حفظ الله واليه اكل حفظه لست اعتمد
على حفظكم وهو ارحم الراحمين اي هو بكل مكروه عنه يحفظه ارحم من كل راحم لان كل من يرحم انما يرحم برحمته انما هو والله اعلم
وقوله تعالى ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم • هذا قد ذكرنا وقوله تعالى قالوا يا ابانا ما نبغي هذه
بضاعتنا ردت الينا قوله ما نبغي هذا يحتمل وجهين يحتمل ما نبغي سوى الثمن ما نطلب سوى الثمن لنرجع بها
الى الطعام وهذه بضاعتنا ردت الينا اي قدرنا على الثمن بسبب بضاعتنا التي ردت الينا والله اعلم
ويحتمل ما نبغي وراء هذا اكثر شيء انما نبغي ثمن بعير واحد وثمن طعام بعير واحد يسير لانه قد ردت بضاعتنا
وهي ثمن عشرة ابعرة ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه يذكر ان يوسف عليه السلام كان لا يعطي كل رجل
الا حمل بعير لا يعطي اكثر من ذلك ثقتنا الوافي فنزداد كيل بعير بسبب اخينا بنيامين ومن اجله وقوله تعالى ذلك كيل
يسير • قال بعضهم ذلك كيل يسير اي سريع لوجود لا حبس فيه وقال بعضهم ذلك كيل يسير يتيسر علينا الكيل
ولا يحبس عنا الطعام ولا يثقل عليه ذلك بقوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به
فلا كيل لنا او نحبس عنه والله اعلم ويشبه ان يكون فيه وجه آخر وهو انهم قالوا او هو ان يكون له ذلك كيل يسير
او طلب ثمن كل بعير يسير لانه قد ردت اليهم بضاعتهم وهي ثمن كل عشرة اقفزة فانما احتاجوا الى ثمن كيل بعير
واحد يسير لا كلفة فيه وهو ثمن كيل بعير بنيامين والله اعلم وقوله تعالى قال لن ارسله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله • اي حتى تاتوني بما تثق من الله وبعهود منه لتاتنني به وفيه دلالة على انه وان قال فالله خير حافظا
واعتمد في الحفظ على الله ورأى الحفظ منه لم يرسله معهم الا بالمواثيق والعهود من الله هذا امر ظاهر بين الناس
انهم وان كان اعتمادهم على الله واليه يكلون في جميع امورهم في الاموال والانفس ويكتبون الحفظ فانه ياخذ
بعضهم من بعض المواثيق والعهود فعلى ذلك يعقوب انه وان اخبر باعتماده وتوكله في حفظ ولده على الله لم يرسله
معهم الا بعد اخذ منهم المواثيق والعهود فيكون دلالة على جواز ذلك وان هذا لا يخل في الاعتماد على الحفظ
لان هذا سبب الحفظ والله اعلم وقوله تعالى الا ان يحاط بكم • اخبر انه لن يرسله معكم حتى ياتوا بمواثيق على انهم
ياتون به اليه الا ان يحاط بهم جميعا او يعجزون عن الاتيان قيل الا ان يحاط بكم اي الا ان يجمعكم امر يعمكم
بكم الهلاك فعند ذلك تكونون معذورين فاما ان يخص به امر فلا ويحتمل الا ان يجيء بكم امر يمنعكم عن رده الي كانه
خاف عليه الملك حيث طلب منهم ان ياتوه به وقوله تعالى فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اي انه

على المواثيق والعهود الذي اخذ منهم انكم شهيد ثم تعول الله حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم وقوله تعالى
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة • قال بعض اهل التاويل انه خاف عليهم العين
لانهم كانوا ذوي صورة وجمال [illegible]
البيات او الهلاك لانهم كانوا [illegible]
اذا كانوا متفرقين [illegible]
لما اراد بهذا والله اعلم [illegible]
خاف عليهم ان يصيبهم [illegible]
والله اعلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
والغيرة والشجاعة [illegible]
وما اغني عنكم من الله من شيء • اي لا ادفع عنكم من الله من شيء [illegible]
الا اسفنا اصله قوله وما اغني عنكم من الله من شيء اي لا ادفع عنكم مما اخشى لقدر الله تعالى وقضاؤه ان
يصيبكم يصيبكم لا محالة وينزل بكم الحكم في ذلك ما في حكمه وقضائه ان يصيبكم يصيبكم والله اعلم
وقوله تعالى عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون • هذا اصل كل امر يخاف المرء ان ياخذ بالحذر ثم يتوكل
على الله في ذلك والحذر العباد عن الخلق والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد عليه والله اعلم وقوله تعالى
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم من الله من شيء
اي ما كان يدفع ذلك عنهم ما حكم الله عليهم ان يصيبهم وقوله تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضاها • الحاجة
في نفس يعقوب قضاها يحتمل احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة بقوله ولا يجدون في صدورهم حاجة
فعلى ذلك الحاجة ليعقوب اما ان تكون رغبة في تفرقهم او رهبة عن اجتماعهم فقضى تلك الحاجة وقوله تعالى
وانه لذو علم لما علمناه • يشبه ان يكون فاصله ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة اي وانه لذو علم بما امرهم بالدخول على التفرق ونهاهم عن الاجتماع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما اراد
بقوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضي الله عنه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب
المتفرقة ما كان يغني عنهم من قضاء الله شيئا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها يقول بدا لها فتكلم بها وانه
لذو علم لما علمناه يقول لحافظ لما علمناه وقيل حافظا لما علمناه وقيل حافظا لما قال الله به ويحتمل ان يكون قوله
وانه لذو علم لما علمناه اي وما اصابه الحزن بذهاب يوسف واخيه وما اصابهم من الشدة والنكبة لم يؤثر ذلك
في علمه الذي علمناه ولم يؤثر ذلك في نفسه وبدنه اي علمه لما علمناه بعد ما اصابه ما اصابه كهو ما كان قبل ذلك
والله اعلم ويحتمل فيه ولم يؤثر قيل لذو علم لما علمناه في عمل الجميع ما علموا ينتفع به ولكن الناس لم ينتفعوا بما علم
والله اعلم ويحتمل وانه لذو علم بقصة يوسف من اولها الى آخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعن الحسن
لما اظن ان في قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت له طريقة
تطير بها ولكن قد علم او ظن ان يوسف سيلقاه اخاه فيقول انا اخوك واكثر اهل التاويل قالوا في قوله الا حاجة
في نفس يعقوب قضاها اي خيفة العين على بنيه بجمالهم وبهائهم وحسن صورهم او لما يكون لواحد كذا
كذا عددا من البنين فيقصدون بحسدهم بالكتابة عليهم على ما ذكرنا او ما اراد بذلك والله اعلم وقوله تعالى
ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه • هذا يحتمل وجهين احدهما انهم لما دخلوا المكان الذي فيه يوسف امر
بان ينزل الاخوة في منازلهم واوى اخاه بنيامين منزل نفسه ودعاه وضمه اليه ويحتمل انهم دخلوا جميعا على يوسف
فضم اخاه الى نفسه واكرمه بذلك لما انزلهم بالتواتر كما هو المعتاد فيمن دعا غيره الى منزله يكرمه ويضمه الى
نفسه فاما سائر الاخوة فقد دخلوا عليه قبل ذلك فخص الذي دخل عليه اول مرة بزيادة كرامة وهي الضم الى
نفسه وهو الاعتناق والله اعلم وقوله تعالى قال اني انا اخوك فان كان هذا من الايواء هو تخصيصه بالانزال
في منزله وكان يقوله في الوقت الذي دخل عليه اني انا اخوك بحيث لا يسمع احد غيرهما وان كان المراد هو تخصيصه
بالاعتناق في حال دخولهم جملة عليه فحين اعتنقه قال له اني انا اخوك على الاخفاء بحيث لا يسمعه غيره وكان

أراد به الأخوة بالنسبة حتى لا يشعر اخوته بذلك وقال بعض اهل التأويل لم يقل انا اخوك بالنسب ولكن قال انا
انا اخوك مكان اخيك الهالك فان كان هذا فيقول ذلك على الجهل بما سمع من اخوته انه كان له اخ من قبل امه وهلك في الغنم
فقال انا اخوك مكان اخيك الهالك اظهارا للشفقة في حقه وزيادة اكرام وانعام في حقه والله اعلم وقوله تعالى
فلا تبتئس بما كانوا يعملون • قيل اي لا تحزن وقيل من البؤس ثم هذا يحتمل وجهين احدهما اي لا تبتئس بما كان عمل اخوتك
كانه دعاه الى ضمه الى نفسه شكا بعض اخوته فقال له عند ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون والثاني يحتمل
فلا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء من حبس وجهما كانه اخبره بما كان يريد ان يكيدهم من جعل الصاع في رحله فقال
فلا تبتئس بما كانوا يعملون بك لانه لا يجوز ان يجعل اخاه متهما من غير ان يظهر فيهم منه شئ وقد اعلمه انه اخوه
فكانه اراد ان يعلمه بما يريد ان يكيد بهم ليكون هو على علم بذلك ثم يحتمل ضم يوسف اخاه وجهين احدهما المكان مثلا
ايامهم دنيا ثوابه او لمكان فضله ومنزلته ليعلم ان ما كان ليوسف ولاخيه عند ابيهم من فضل المحبة والمنزلة من
ان يجعل ذلك عند الملك وغيره والله اعلم وقوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم • الجهاز هو ما يهيأ للخروج وكذلك
يقال المتاع المهيأ جهاز وقوله تعالى جعل السقاية في رحل اخيه قيل السقاية هي الاناء الذي كان يشرب فيه الملك وقيل
هي الصاع الذي كان يكال به الطعام ولكن لا نعلم ما كان ذلك الشئ الا ان السقاية كانت ذات قيمة وثمن الا ترى
انه قال لمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم فلولا انها كانت ذات قيمة وثمن والا لم يبسط لمن جاء به حمل
بعير طعام وكان قيمة الطعام عندهم في ذلك المكان ما كان والله اعلم وقوله تعالى ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم
لسارقون اي نادى مناد انكم لسارقون يخاطب اهل العير والاشكال ان يوسف كيف امر رسوله ومناديه
ان سماهم سارقين وقد علم انهم ليسوا سارقين فنقول لا يحتمل ان يكون يوسف امر رسوله ان يقول لهم انكم
لسارقون وقد علم انهم ليسوا كذلك ولكن يحتمل انه قال ذلك المنادي الذي نادى ينادي على ظاهر الحال انكم لسارقون
من نفسه من غير علم له بحقيقة الحال لما كان يفعل ذلك يوسف على سبيل الاخفاء او انه كان علم رسوله لكنه
هو بعض من يتولى كيل الطعام على الناس وامثاله ممن لا يبالون عن الكذب ويحتمل ان قال لهم ذلك من غير ان يحضر
لا رسول يوسف ايتها العير انكم لسارقون ويحتمل ان يكون على الاستفهام اانكم لسارقون فان كان هذا
فهو ما يحتمل ان يكون من يوسف بامر رسوله حتى يقول ذلك النطق على الاستفهام على حذف حرف الاستفهام واما على
غير هذا الوجه فانه كذب والله الموفق وقوله تعالى قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك •
ان الملك سماه مرة صاعا ومرة صواعا ومرة سقاية والصاع والصواع واحد ويحتمل انه انما سماه بهذين
الاسمين لانه يستعمل في الامرين جميعا في الاستقاء والكيل جميعا وقولهم للمنادي ماذا تفقدون قال ابو بكر
تفقدون اي تعدمون وتضيعون وقد يقال نفقده اي فقدناه وطلبناه وقوله تعالى ولمن جاء به حمل بعير وانا به
زعيم • قيل اي ضمين لذلك الطعام وكفيل به والزعيم كان ايضا اسم الرئيس للقوم وقوله تعالى قالوا تالله لقد
علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين • هذا يحتمل وجوها يحتمل انهم قالوا ذلك اي انكم تعلمون
انكم رددتم الينا الدراهم وجعلتم في اوعيتنا ثم رددنا عليكم مخافة ان نتهم بالسرقة والفساد في الارض فكيف
تتهموننا بهذا ويحتمل قوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض لما انهم دخلوا من ابواب متفرقة ولو كانوا سراقا
لدخلوا مجتمعين لان عادة السراق الاجتماع لا التفرق ويحتمل اي انكم تعلمون انا من ابناء النبي والرسول والانبياء
لا يكون منهم السرقة ولا الفساد في الارض ومثل هذا لم يظهر في اهل بيتنا قط ولا في ابائنا فكيف نتهم به
والله اعلم ويحتمل اي انكم تعرفوننا قوما امينين من كان هذا فعله وديدنه فانه لا يتهم بالسرقة والله اعلم وقوله تعالى
قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين • اي ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك عنه فما جزاؤه قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه وهذا يحتمل وجهين يحتمل هو لهم من جزاؤه اي يصير رقيقا مملوكا بالكل ويحتمل الطيب محبوسا بما عنده
ثم قال لهم من جزاؤه هذا منهم بيانا في الحكم فيما بينهم حكم يعقوب لا حكم غيره وان حكم يعقوب هذا وحكم يعقوب
حكم بالذي في السنة والله الموفق وقوله تعالى فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام انه كذلك هو كذا
نفتش اوعيتهم وطلب ذلك فيها ليخفى نسبة ذلك الى انه بدأ بهم قبل وعاء اخيه لكن يقول انما نسبناه لانه امر به
الملوك لا يتولون مثل ذلك الفعل بانفسهم وقد امر ان يفصل بين سائر الاخوة وبين بنيامين حتى [illegible]
ولما نسبه الكيد الى نفسه [illegible] وهو يخرج على وجهين احدهما انه قد ذكره في هذا الخبر
قال الداني له اخوه [illegible] اسم الاخوة لمكان ذكره كما سماه بالاخ [illegible]
او كيف لم ينكر [illegible] سمى صنيعه هذا [illegible]
على الاخوة والصلة التي كانت بينه وبينه واما سائر الاخوة فقد كان منهم الى يوسف من سوء صنيعهم وقبح فعالهم
يخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة بسبب ما كان منهم اليه وهو كقوله لنوح حين قال ان ابني من اهلي انه ليس من اهلك انه عمل

غير صالح فكذلك لم يكن من اهله لسوء عمله وقبح فعله فعلى ذلك الاول يحتمل هذا والله اعلم ثم استخرجها من
وعاء اخيه والظاهر الآية انه قد كان منه ايضا التفتيش والطلب في وعاء اخيه [illegible]
ثم استخرجها من وعاء اخيه [illegible] ثم استخرجها من وعاء
اخيه وقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف هذا يحتمل وجهين احدهما [illegible]
[illegible]
ابيهم [illegible]
[illegible]
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك [illegible]
الا ان يشاء الله • يحتمل وجهين يحتمل ما كان ليأخذ اخاه في حكم الملك الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك
الحكم حكم الملك ويحتمل ان يجعل لهم الاخذ في الحكم وان لم يكن ذلك في حكمه ويحتمل ان تكون الا بمعنى لكن
[illegible]
كقول ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا اي لا اخاف ما تشركون به الا ان يكون مني ما استوجب
ذلك تركه منتشيا انه ذلك مني والله اعلم ويحتمل ان قال الا ان يشاء الله على ما قال ابراهيم الا ان يشاء ربي شيئا وكان
الانبياء عليهم السلام يذكرون الثنيا على حقيقة المشيئة معناه ولا اخاف ما تشركون به الا ما شاء الله اي لا اخاف ولكن
بلفظ الثنيا فعلى ذلك قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ما شاء الله اي لا يأخذ اخاه في حكم الملك والله اعلم وقوله تعالى
نرفع درجات من نشاء • الدرجات الفضائل كما يرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم وفي كل شئ والله اعلم وقوله تعالى
وفوق كل ذي علم عليم • اخبر انه ما من عالم الا وقد يكون فوقه من هو الطف علما منه واكثر واعلم في شئ
ويحتمل ان يكون قوله وفوق كل ذي علم عليم اي الله تعالى فوق كل ذي علم عليم او كل ذي علم يستفيد العلم منه وهو
عالم بذاته وعلمه ذلك انه عالم ومن يقول انه عالم لا بعلم يحتج بظاهر هذه الآية حيث قال وفوق كل ذي علم عليم
اثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه بل ذكر العليم ولانه قال وفوق كل ذي علم عليم ولو كان هو ذا علم لكان فوقه عليم
وانه غير محتمل ولكنا نقول بانه اذا قال العليم فقد اثبت العلم ولانه اذا قال وفوق كل العلماء عليم يكون لك ذلك
فوق بقية العباد دون الله والله الموفق وقوله تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل • قال بعض اهل التأويل كانت
سرقته صنم من ذهب لجده ابي امه يعبد فسرق ذلك منه لئلا يعبد دون الله ولكنا لا نعلم ذلك ونعلم انهم كذبوا
في قولهم فقد سرق اخ له من قبل وارادوا بهذا القول ان يتبرؤوا من بنيامين وينفوا عن انفسهم ليعلم انه ليس منهم فانه
ليس اخاهم من قبل ابيهم وقوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا اي شر مكانا
قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة في نفسه ولم يظهرها لهم ويحتمل اي اسر ما اتهموه بالسرقة والله اعلم وقوله تعالى والله
اعلم بما تصفون • اي اعلم بما تصفون من الكذب بانه سرق اخ له من قبل وقيل انهم خاطبوا بنيامين ان سرقت فقد
سرق اخ لك من قبل فيما بينهم دون ان يعلم يوسف بذلك وقال بعضهم انهم شر مكانا اي انتم شر صنعا بيوسف
وقوله تعالى قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه • ارادوا بذلك والله اعلم ان يرقوا قلبه حين
ان له شيخا كبيرا لما ان يكون قلب الشيخ بولده الصغير اميل وهو عنده ابر واكثر منزلة منا فخذ احدنا مكانه
انا نراك من المحسنين لما احسن اليهم في الكيل والا انه انزلهم المنزل واكرم الضيافة والقرى وقد رأوه وعلموا محسنا اليهم
وقوله تعالى قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده • قيل هذا قول يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله ان نأخذ
ونحبس بالسرقة الا من وجدنا متاعنا عنده وان قيل كيف يعوذ على ترك اخذه واخذ غيره مكانه ولم يكن وجب حبس الآخر
اذ لم يكن سرقه وانما يعوذ على ترك ما لا يسع تركه قيل انه لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه انما تعوذ على اخذ غير من وجد
المتاع عنده وقوله انا اذا لظالمون اي انا لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده اذا لظالمون عندكم اذ في حكمكم اخذ
من سرق بسبب السرقة والحبس بها والله اعلم وقوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا • اي ايسوا ان يرد عليهم
اخاهم خلصوا نجيا اي خلوا من الناس وتناجوا فيما بينهم في امر اخيهم وفي الانصراف الى ابيهم وفي المقام فيه وقوله تعالى
قال كبيرهم • قال اهل التأويل اي كبيرهم في العقل دون السن وهو فلان وقال بعضهم هو يهودا وقال بعضهم هو شمعون

ولكن لا نعلم من كان قائل هذا منهم ولا نحتاج الى معرفة ذلك سوى ان فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم في العقل او في السن وقوله الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله يحتمل ان يستعمل في احكام بني في موضع الامر اى اعلموا كما او في موضع النفي بما التنبيه اى قد علمتم وههنا كانه قال ذلك على النفي بما التنبيه اى قد علمتم ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض في هذا دلالة على ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم هو الا ان يعمكم امر يحيط بكم فتهلكوا جميعا وليس كما قال بعضهم الا ان تغلبوا فتعجزوا لان ان الذي يحيى ما يمنعكم من رده لانه قد كان ما منعهم من رده ثم منعنا الى اكثرهم الرجوع الى ابيه دل ان التاويل هذا هو والله اعلم ومن يقول ان التاويل في قوله الا ان يحاط بكم الا ان يجى ما يمنعكم عن الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق ولو كان على ما يعمهم و يجمعهم لم يكن ليأمرهم بالرجوع الى ابيهم دل انه ما ذكره اهل التاويل الاول لكنه يقولون ان قوله ارجعوا الى ابيكم ليس على الامر ولكن معناه اذا رجعتم الى ابيكم فقولوا ان ابنك سرق وكذلك يخرج قوله واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها ليس على الامر ولكن معناه لو سألت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا وقوله ومن قبل ما فرطتم في يوسف اى من قبل ما صنعتم من امركم في يوسف وضيعتم امره ووعده في يوسف **وقوله تعالى فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي** يحتمل وجهين يحتمل حتى ياذن لي ابي بالرجوع اليه اذا ظهر عنده عذرنا وصدقنا في امر ابنه ويحتمل حتى ياذن لي بالمنازعة في القتال مع الملك حتى يسعد لحربه واستخلصه منه وقوله او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين اى يحكم الله لي باظهار عذرنا او صدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين في اظهار العذر لانه اذ الحكم باظهار العذر يظهر ذلك في الخلق جميعا ولا كذلك حكم غيره ويحتمل ويحكم الله لي في الرجوع الى الاب او في القتال معه وهو خير الحاكمين لان كل من حكم يحكم بدل يحكم انما يحكم بحكمه فهو خير الحاكمين وهو كقوله وهو ارحم الراحمين لان من رحم الخلق فانما يرحم برحمته فهو ارحم الراحمين وقوله ارجعوا الى ابيكم يحتمل على الامر على ما هو في الظاهر ويحتمل ما ذكرنا اى لو رجعتم اليه فتقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يحتمل ان يكون هذا منه تعريضا لابيهم في المخاطبة على ما كان يوثر على غيره من الاولاد يعنى يوسف اى انك كنت توثر علينا بالمحبة وميل القلب اليه قد سرق والله اعلم ويشبه ان يكون على الاخبار على ما ظهر عندهم من ظاهر الامر انهم وجدوا السقاية في رحله ليس على التعريض لبدل عليه ما ذكروا على اثره وما شهدنا الا بما علمنا اى بما اخرج المتاع من رحله وقوله وما كنا للغيب حافظين على التاويل الذي قيل في قوله الا ان يحاط بكم اى يعمكم اى ما كنا نعلم في وقت اعطاء العهد والميثاق انه يسرق والا لم نعط العهد على ذلك ويحتمل وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج المتاع من رحله اى وما كنا نعلم في الابتداء ان الامر يؤول الى هذا الا لم نخرجه معنا وقوله واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها اى لو سألت اهل القرية واهل العير لاخبروك انه على ما نقول وانا لصادقون على ذلك على ما ظهر لنا في استخراج الاناء من وعائه لا على حقيقة الامر والله اعلم **وقوله تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا** فان قيل كيف قال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا وجعلهم الخيرة من تسويل انفسهم وتزيينها ولم يخالفوه فيما امرهم في امر بنيامين في شئ ولا تركوا شيئا مما امرهم به في سفرهم هذا كما قال لهم في امر يوسف بل سولت لكم انفسكم امرا لانه قد كان منهم خلاف لما امرهم به والكيد على اهلاكه فكان ما ذكر من تسويل انفسهم وتزيينها في موضع التسويل والتزيين فاما ههنا فلم يات منهم خلاف لذلك الامر فكيف قال بل سولت لكم انفسكم قيل يشبه ان يكون قال لهم لانهم لما اتهموا جميعا بالسرقة فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقطعوا القول بانهم لم يكونوا سارقين وهو كان منهم ومن ابيهم فكيف قطعتم القول فيه بالسرقة ان ابنك سرق بنفس وجود متاعهم في رحله مع احتمال ان غيره وضع فيه لغرض لهم في ذلك فهلا تخلصتم في تلك الحال ولكن سولت لكم انفسكم امرا من بعضكم لبعضكم وهما اى تكم حيث تركتم التخلص عنها له وامرهاد لاكل من وجد في رحله شئ يكون هو الذي صنع ذلك بل قد يضع غيره فيه على غير علم منه كما وضعت بضاعتهم في رحالهم بغير علم منهم ولم يك ذلك على كونهم سارقين ثم تخلصوا في تلك الحال فتبرءوا انفسهم عن تهمة السرقة فهلا فعلوا كذلك في اخيهم لذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا والله اعلم **وقوله تعالى فصبر جميل** قد ذكرنا **وقوله تعالى عسى الله ان ياتيني بهم جميعا** قال اهل التاويل قال ان ياتيني بهم جميعا لانهم صاروا جماعة يوسف وبنيامين اخوهم ويهودا قد تخلفوا بسبب حبس يوسف اخاه وقال بعض اهل التاويل ان جبريل اتى يعقوب على احسن صورة فسأله عن ابنه في الاحياء ام في الاموات فقال لا بل هو في الاحياء فقال عند ذلك عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لكن عندنا انه كان عالما بان يوسف في الاحياء وانه غير هالك لما راى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب والشمس والقمر له وعلم تاويله فلا يشكل عليه انه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه ولكن كان لا يعلم اين هو فقال ذلك لهذا **وقوله تعالى انه**

هو العليم الحكيم اى هو العليم بحقيقة حال يوسف ومكانه الحكيم اى المحكمة في الخفاء ذلك على الى ان يظهر وقته والله اعلم **وقوله تعالى وتولى عنهم** وقال يا اسفى على يوسف قوله وتولى عنهم اى اعرض عنهم ولم يكلمهم حين اخبروه ان ابنك سرق وقوله يا اسفى على يوسف قيل يا حزناه على يوسف وقيل يا جزعاه على يوسف ثم قوله يا اسفى يحتمل ان يكون لا على اظهار القول منه باللسان ولكن الله اخبر بها في ضميره وذلك جائز كقوله انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما في قلوبهم لا ان قالوا ذلك باللسان ويحتمل القول له باللسان على غير قصد منه على ما يجري في العادة في مثله وقال القتبي الاسف اشد الحسرة واصله عندنا ان الاسف كان النهاية في الحزن والحزن اذا بلغ غايته ونهايته يقال اسف وهو النهاية في الغضب ايضا كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اى اغضبونا **وقوله تعالى** وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم الكظم هو كف النفس عن الجزع والجزع وتدبير الحزن في الجوف على غير اظهار في افعاله ويحتمل ان يكون الكظم هو الذي يمسك الحزن في قلبه والجزع هو ما يظهر في افعاله والذي يهيج الحزن هو الذي يهيج الغضب الا ان الحزن يكون على من فوقه والغضب على من تحته وان كان سبب هيجانهما واحدا والكظيم هو الذي يمسك ويغطى الوقت القلب اذا حل به من الهموم والحزن دونه وهو ما يبعثه على القصد من مباشرة سبب دفعه فلا يعذر من الهم وهو الضمير قيل الهم فوق الغم لان الغم الحزن المتمام وهو ما يمنع الطبع والهم ماخوذ من قولهم شيخ هم اذا كان فانيا ضعيفا وقيل الحزن ما يؤثر في التغير في الخلقة ولا يظهر في الافعال والجزع ما يظهر في الافعال ولا يغير الخلقة عن حالها كذلك على ضعف نفس يعقوب وقيل اظهار ذلك حتى ذهبت عيناه وابيضت من الحزن والكظم ما ذكرنا هو الذي يرد الحزن في جوفه ولا يظهره ويكف عن الجزع تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين وقوله تالله هو يمينهم كان قوله وبالله وبتالله وقال ابن عباس رضي الله عنه تالله لاكيدن اصنامكم وقوله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره حتى تكون حرضا كانهم دعوه الى السلوة من حزنه لانه بالبكاء يتجدد الحزن ويحدث فقالوا له لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل مريضا او هرما فاصل الحرض الضعف وقوله او تكون من الهالكين اى تصير من الهالكين وكذلك حال يعقوب انه ضعف بدنه في الحزن وصار بعض مرضه من الهالكين حيث ابيضت عيناه من الحزن وقال بعضهم الحرض الذي قد ذهب عقله من الكبر او يكون من الهالكين فيموت وما ذكر اهل التاويل ان يعقوب قال كذا من الجزع على يوسف والجزع عليه لا يحتمل لانه كان نبيا من الانبياء وقد صبر صبرا جميلا فيما ذكروا هم منه ليس هو بصبر فضلا ان يكون جميلا **وقوله تعالى قال انما اشكو بثي وحزني الى الله تعالى** قال القتبي البث اشد الحزن لان صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه ويشكوه وكذا روي عن الحسن بث الحزن ليس يصبر عليه الشكا وما ذكر من الشكاية الى الله ليس على ما نطق به اللسان ولكن بالقلب وقال الحسن اشكو بثي وحزني اى حاجتي وحزني الى الله ويشبه ان يكون البث والحزن واحدا ذكر على التكرار والله اعلم **وقوله تعالى** واعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل واعلم من الله تحقيق رؤيا يوسف انه كائن ما لا تعلمون انتم وانا ساسجد له ويحتمل انه علم من الله شيئا ما لا تعلمون لكنه لم يبين ما ذلك وهو كما قال الا انبئه بالايات ثم ان مات في يوم العلم ما لم يأتك فقال ابو عبيد واعلم من الله ما لا تعلمون انه يحي لرمينه ويشبه ان يكون قوله واعلم من الله ما لا تعلمون اى اعلم ان نفعي يأتي من الله ما لا تنتفعون انتم منه والله اعلم واصله انه لما خرج يوسف علم ان امر يوسف يبلغ مبلغ الملك والعز لما قصته يحبسه عن والده ولا يسعون فيه ما يسعون من افساد امره فكيف لم يعلموا والله اعلم **وقوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه** قال اهل التاويل تحسسوا اى اطلبوا الخبر عنه وعن اخيه لكن غير هذا كانه اقرب وهو من وقوع الحس عليه كانه قال اذهبوا فانظروا اليه والى اخيه لانهم لم يكن لهم علم بان يوسف ابن هو ولقد كانوا يعلمون حال الاخ بنيامين انه عند فلو كان في الطلب والتحسس الاخبار لا يحتمل على ما قال اهل التاويل ان احتمل في يوسف لا يحتمل في اخيه اذ كانوا يعلمون مكانه وانهم كانوا لا يعلمون مكان يوسف فهو انما امرهم ان يتحسسوهما فذلك ان التحسس ياخذ من الحس وهو امرهم بان ينظروا الى يوسف واخيه وكان علم بالوحي انه هنالك ولعله معه لكنه لم يخبر بنيه انه هنالك لما علم انهم يكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فامرهم بذلك امر تعريض لا امر تصريح ويحتمل ان يكون على الاضمار اى تحسسوا امر يوسف واسالوه منه رد اخيه لما علم ان اخاه يكون معه والله اعلم وقال عامة اهل التاويل انما قال لهم هذا وعلم انه من الاحياء لما انه سال ملك الموت فقال له هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الارواح قال لا وقال له هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الارواح قال لا وقال بعضهم رأى في المنام ملك الموت فقال له ما ذكرنا فعند ذلك قال لهذا القول لكنا نقول لا تكاد تثبت الاحكام ليس بها الا ما يرى في الرؤيا تصير فيعلم انه لا يموت الا بعد خروج رؤياه على الصدق والحق لكنه لم يعلم ان هو في مثل علم من جهة الوحي مكانه وحاله فامر بنيه ان ياتوه فينظروا اليه والى اخيه والله اعلم واصل هذا ان الله تعالى يعقوب بحزن يوسف وغيبته عنه محنة امتحنه الله بها والبلايا تبلى بما تبلى به الاخبار والانبياء ان يوسف لو اراد ان يخبر اباه ويعلم اباه ويعلم عن حاله ومكانه لقدر عليه لانه كان يعلم مكان ابيه ولو كان لا يعلم يعقوب بمكانه

فلم يعلم الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم وقوله تعالى ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ قيل من رحمة الله ﴿انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون﴾ اخبر انه لا ييأس من رحمة الله الا الكفرة لان من لا يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته فلا ييأس
من رحمته واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته والاية ترد على المعتزلة قولهم
ان صاحب الكبيرة مخلد في النار وانه ليس بكافر وهو آيس من روح الله على قولهم وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من رحمة الله وهو ليس بكافر فانما نهاهم عن الاياس لما كان عندهم ان يوسف
كان هالكا حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم لما قال لهم اني لاجد ريح يوسف ولو كان يحسبانا بالسرقة والجبن
لا يرد في حكمهم ويحتمل انهما هو وان لم يكونوا آيسين ثم اخبر عن جهة قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وهذا كما بشر ابراهيم بالولد حيث قال بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين نهى عن القنوط ولا يحتمل ان يكون ابراهيم
قانطا من رحمة الله ولكنه نهى ثم اخبر ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى ﴿فلما دخلوا عليه﴾ اي
على يوسف ﴿قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر﴾ سموه عزيزا لما الملك يسمى كل ملك العزيز او سموه عزيزا لمكانه
عند الملك عزيزا بقوله اكرمي مثواه او لما كان الناس لديه حاجة في الطعام الذي في يديه وهو كان خزينا على
والله اعلم ﴿مسنا واهلنا الضر﴾ قال اهل التأويل اصابتنا الشدة والبلاء من الجوع ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾
قيل دراهم نفاية بنهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لانه كان فيها غش وتنفق في غيره وقال ابو عوسجة مزجاة بضاعة
اي قليلة وهو القتبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الورق الرديئة التي لا تنفق حتى يوضع منها وقال ابو عبيدة الازجاء
في كلام العرب الدفع والسوق وهو كقوله الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوق ويدفع وقال بعضهم ناقصة
وقال بعضهم جاؤا بسمن وصوف وقيل جاؤا بصنوبر وحبة الخضراء قالوا ويشبه ان يكون مزجاة من الترجية
كما قال لنزجي يوما بيوم وهو النقد الادون الذي يستعمل في النفقات دون ما يشترى بها الاشياء النفيسة
وتقوم بها التجارات والله اعلم وقوله تعالى ﴿فاوف لنا الكيل﴾ قال بعضهم اي وف لنا الكيل طلبوا ان يأخذ منهم النفاية
ويكيل لهم الطعام بسعر الجياد لكن نقول غاية قبلنا الكيل في الحقيقة اي سلم لنا الكيل تاما الا ان الايفاء هو
التسليم على الوفاء والتمام كقوله فاوفوا الكيل والميزان وقوله تعالى ﴿وتصدق علينا﴾ اي تصدق علينا بفضل ما بين
الثمنين والوزن وقيل تصدق بفضل ما بين الكيلين وقال بعضهم وتصدق علينا اي رد علينا اخانا ليس
صدقة لنا انسانا لكن يشبه على ما قالوا وسألوا منه الصدقة وحط الثمن لا حقيقة الصدقة لان الصدقة
لا تحل للانبياء وقالوا هو وتجويز الحط لهم وكذلك يحل لنبي الله ان يحط له الثمن باقل من ثمن المثل ولا يحل له
الصدقة اذ الحط لا يجري مجرى الصدقة فلذلك قال الوالد زن وارجح ولذلك يجوز الحط ممن لا تجوز منه
الصدقة نحو العبد المأذون له بالتجارة ونحوه والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم مسنا واهلنا الضر يريدون به
بضر ابيهم مستهم بذلك واهلهم الضر وتصدق علينا اي رد علينا ابن يامين لعل الله يرد بصره عليه ﴿ان الله يجزي
المتصدقين﴾ قال اهل التأويل ان الله يجزي المتصدقين ان كان على دين الاسلام ولكن عندنا كانهم ظنوا انه ليس على
دين الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لقالوا ان الله يجزيك بالصدقة وقوله تعالى ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه﴾ والاشكال انما فعلوا بيوسف هو ظاهر لا يحتاج الى ذكره ولكن ما فعلوا باخيه شيئا ظاهرا فما معنى هذا
الكلام قال اهل التأويل انما قال ذلك لانهم قالوا لابن يامين يا ابن سرق ولكن هذا ضعيف لانهم لم يقولوا لا احد
ما ظنوا هم من الاخر فلا يلحقهم بذلك العقوبة فضل تعيير لكن يشبه ان يكونوا هم آذوه بانواع الاذى ولا شك انهم
كانوا يبغضون يوسف واخاه حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة كذلك قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه ثم الله تعالى لبس يوسف امره على ابيه واخوته واخفى ذكره وخبره امتحانا منه لهم
فلم يعرفوه ولم يشعروا بمكانه الى ان انقضى وقت المحنة والابتلاء فاذا انقضى وقته فعند ذلك امر ان يظهر لهم
وان يعلمهم انه يوسف وقيل ايضا في قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه قد كانوا علموا ما فعلوا بيوسف لكنه
قال هل تذكرون ما فعلتم بيوسف اذ انتم جاهلون ذلك ناسون كانه يقول لهم اذكروا ما فعلتم بيوسف
واخيه وتوبوا الى الله ولا تكونوا جاهلين عند ذلك او يقول لهم هل رجعتم وتبتم ذلك وانتم تعلمونه وقوله
اذ انتم جاهلون قال بعض اهل التأويل اذ انتم مذنبون ولكن عندنا اذ انتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته لانهم لو علموا
ما قدر يوسف عند الله ومنزلته لما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ولما خطؤوا اباهم في حبه
اياه بقولهم ان ابانا لفي ضلال مبين ولما فعلوا به ما فعلوا والله اعلم وقوله تعالى ﴿قالوا أئنك لانت يوسف﴾ كانهم
عرفوا انه يوسف بما يقول لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ويحتمل انهم عرفوا بقول ابيهم لهم حيث قال لهم
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لما ذكر اخاه ورأوه معه عرفوا انه يوسف لذلك قالوا والله اعلم وقوله تعالى ﴿قال
انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر﴾ يحتمل من يتق معاصيه ويصبر على بلاياه ويحتمل

من اتقى معاصيه وصبر على اذاه ما امر به ومن اتقى وصبر فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين ويحتمل من يتق
الجفاء ويصبر على البلاء فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾
قوله تالله قسم قد اعتادوه في مجرى كلامهم على غير ارادة يمين بذلك هكذا كانت عادة العرب الا ان يعلم
يوسف ان الله قد آثره عليهم ويشبه ان يخرج القسم ههنا على تأكيد معرفتهم فضله ومنزلته اي لم تزل
كنت مؤثرا مفضلا علينا وان كنا لخاطئين اي وقد كنا خاطئين فيما كان منا اليك من التضييع ويحتمل ان يكون قولهم
لقد آثرك الله علينا فيما قالوا ليوسف احب الى ابينا منا ونحن عصبة اي لما كان يؤثرهما عليهم فقالوا كنت مؤثرا
علينا على ما كان ابونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ قال القتبي اي لا تعيير عليكم
بعد هذا اليوم بما صنعتم واصل التثريب الافساد يقال ثرب علينا الامر اي افسده وقال ابو عوسجة التثريب
اللائمة يقول لا لوم عليكم في صنيعكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تثريب عليكم اي لا اعيركم بعد اليوم بهذا ابدا ولا اعتد
عليكم وقال بعضهم لا تثريب عليكم اي لا تنغيص عليكم ثم الاصل عندنا وجهان احدهما لا تعيير عليكم ولا ملامة
عليكم بما ليس في العقل عليكم تعيير ولا ملامة اذ اتيتم واقررتم بالخطأ وهكذا كل من اذنب ذنبا او ارتكب
اثما ثم تاب عنها انه لا يعير عليها ولا يلام ولذلك قيل في قوله ولا تنابزوا بالالقاب ذكر انهم كانوا يعيرون
اهل الكفر في كفرهم وتابوا بعد تهم ثم اسلموا فنهوا من ان يعيروهم ويصنعوا بهم مثل صنيعهم في حال كفرهم ولو جب
التعيير والملامة بعد الانتزاع منه والتوبة او يخوف ذلك لكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم معيرين ملامين لانهم كانوا اهل الكفر
في الابتداء وهذا مما لا يحل في العقل وحرم الشرع ذلك والله الموفق والثاني قوله لا تثريب عليكم اليوم اي لا
اذكر مما كان منكم الينا اسفهم عن ان يذكر شيئا مما كان منهم اليه ولذلك قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
والله اعلم وقوله يغفر الله لكم يحتمل ان يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة ويحتمل على الاخبار بان الله قد غفر لهم وقد
غفر لهم ويحتمل اي استغفروا الذي كان بين الله وبينكم يغفر لكم وقطع القول فيه بالمغفرة لهم حين اقروا بالخطأ
وتابوا عما فعلوا وهكذا كل من تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنها انه يقطع القول فيه بالمغفرة والرحمة والله اعلم وقوله وهو ارحم
الراحمين لان كل من يرحم من الخلائق انما يرحم برحمة من الله فهو ارحم الراحمين وهو كما قلنا في قوله خير الحاكمين واحكم
الحاكمين لان من يحكم من الخلائق يحكم فانما يحكم بالحكمة والله اعلم وقوله تعالى ﴿اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا﴾ دل هذا من يوسف حيث قطع القول فيه انه يصير بصيرا انه عن وحي قال لا عن رأيه
واجتهاد اذ قطع فيه القول انه اذا القي على وجهه يصير بصيرا ولان مثل هذا لا يدرك بالرأي ثم قوله يأت بصيرا
يخرج على وجهين احدهما يصير بصيرا على ما ذكرنا والثاني يأت بصيرا اي يأتيني بصيرا وقوله تعالى ﴿واتوني باهلكم
اجمعين﴾ اراد والله اعلم حيث امرهم ان يأتوا باهلهم اجمعين ان يبرهم ويكرمهم حين تابوا عما فعلوا به واقروا بالخطأ
في امره وقوله تعالى ﴿ولما فصلت العير﴾ قيل خرجت يقال فصلت وانفصلت ولكل فصل فصلا متعد وفصل فصولا
لازم وقوله تعالى ﴿قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف﴾ قال اهل التأويل كان بينهما ثمانون فرسخا يعني بين مصر وبين
كنعان مسكن يعقوب وقيل مسيرة ثمانية ايام وقيل ما بين الكوفة والبصرة ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك سوى ان نعلم
انه كان بينهما مسيرة ايام ثم وجد يعقوب ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك آية من
آيات الله حيث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد لغيره وذلك من آيات البشارة والسرور الذي يحل فيه وقوله
هذا يحتمل ان يحتمل ان يكون ذلك ريح قميص من قميصه على ما قال اهل التأويل ان ذلك القميص من كسوة الجنة
كان الله تعالى كساه ابراهيم وكساه ابراهيم اسحق وكسا اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف لذلك وجد ريحه
لانه كان من ثياب الجنة وهذا ان ثبت على ما قالوا فهو آية لرسالته حيث وجد هو ذلك الريح ولم يجد غيره وكذا
هو لا يجد ايضا ذلك الريح قبل فصول العير وكان ذلك القميص مع يوسف فدل ان ذلك من باب الابتلاء والله اعلم
وقوله تعالى ﴿لولا ان تفندون﴾ قيل تجهلون وقيل تهرمون وقيل تكذبون وقيل تضعفون وقيل تعجزون وقيل
تحمقون وقيل تجهلوني وقيل تسفهون وقيل لولا ان تقولوا ذهب عقله ثم قالوا ان حرف لولا اذا كان على الابتداء
فهو على النهي كقوله فهنا لولا ان تفندون اي لا تفندون واذا كان على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية
آمنت فنفعها ايمانها الا لم ينفع والتفنيد معروف عند الناس وهو الذي يبلغ في الكبر غايته مثل الدهاء ونحو قوله
ومنكم من يرد الى ارذل العمر والله اعلم وقوله تعالى ﴿قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم﴾ قيل في حب يوسف
وذكره القديم كان عندهم بانه هالك فلذلك انكروا عليه وخطؤوه فيما يجد من ريحه وعنده انه في الاحياء لذلك
ما ذكروا والله اعلم وقوله تعالى ﴿فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا﴾ اي رجع بصيرا على ما كان قال اهل
التأويل البشير كان يهوذا وقيل البريد ولا ندري من كان وليس بنا الى معرفته حاجة سوى ان المدفوع اليه
كان واحدا لانه قد جاء البشير القاه على وجهه وانه قال من الابتداء اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي

قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون • قال بعض اهل التاويل وذلك ان يعقوب قال لهم قبل ذلك انما اشكو
بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون انتم من تصديق رؤيا يوسف وانه حي وكان يعلم هو من الله سبحانه
ما لا يعلمون وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين • قال يعقوب سوف استغفر لكم
ربي طلبوا من ابيهم ان يستغفر لذنوبهم فاخر استغفاره الى وقت وطلبوا من يوسف العفو واقروا له بالخطاء
والذنب فعفا عنهم وقت سؤالهم العفو فمن الناس من يقول انما اخر يعقوب الاستغفار وعفا عنهم يوسف لان
قلب الشاب يكون الين وارق من قلب الشيخ لذلك كان ما كان لكن هذا ليس بشيء انما يكون هذا في عوام الناس فاما الانبياء
كلما مضى وقت يزيد دقة قلوبهم ليناً ورقة وخشوعاً لكن يحتمل ان يعقوب انما اخر الاستغفار لان الذنب في ذلك كان
بينهم وبين ربهم فاخر الى ان يجيء الاذن من الله تعالى لان الانبياء والملائكة كانوا لا يستغفرون ولا يشفعون
لاحد الا باذن من الله قال الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى واما الذنب فيما
بينهم وبين يوسف فعفا عنهم من ساعته لذلك افترق الامران والله اعلم ويحتمل ان سوف استغفر لكم ذلك المستغفر
انتم او قال سوف استغفر لكم اذا جاء وقته وهو ما قال ابن عباس انه اخر الى وقت السحر ويحتمل انه اخر الى ان يقدم شيئا
بين يدي الاستغفار والشفاعة من الصدقة او عبادة ليكون باسرع الى الاجابة ومنهم من يقول انما كان كذلك
لان وجد يعقوب كان اكثر من وجد يوسف اذ لكان اجابهم يوسف وقت سؤالهم العفو واخر يعقوب الى وقت
اقلم لكن الوجه فيه عندنا ما ذكرنا انهم انما سالوا يعقوب وطلبوا منه الاستغفار من الله ليكون لهم شفيعا الى الله
فلذلك اخر لان الاستغفار والشفاعة ليس كل الاوقات يكون نافعا والاستغفار وطلبوا من يوسف العفو
عنهم وقت طلبهم من العفو فيحتمل ان يخرج على هذا والله اعلم وقوله تعالى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين ظاهر هذا ان يكون يوسف كان تلقاهم خارجا من مصر فقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين
فلما دخلوا مصر آوى الى نفسه ابويه اي ضمهما ان يكون قال لهم هذا القول وقت ما قال لهم واتوني باهلكم اجمعين
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فلما جاؤه ودخلوا مصر آوى اي قال الى نفسه ابويه وضمهما اليه فاما قال ادخلوا مصر
آمنين والله اعلم لان مصر كان اهله اهل كفر وكانوا يخافون الملك الذي كان يعرفون الامر لذلك يحتمل ذكر الثنيا
فيه لان هذا وعد منه وكذلك الانبياء عليهم السلام كانوا لا يعدون شيئا الا ويستثنون في ذلك لقوله ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واما ذكر الثنيا في الامن ولم يذكر الثنيا في الدخول لان ما ذكر من الدخول
امر وما ذكر من الامن وعد حيث قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين امرهم بالدخول ووعد لهم بالامن وصفهم
بالامن حالة الدخول فيكون الاستثناء في الوعد دون الدخول والله اعلم وقوله تعالى ورفع ابويه على العرش اي
لا يكون فيه اوفى ابويه هو ما ذكر من رفعه ابويه على العرش خص ابويه بالرفع على العرش يحتمل ان يكون
رفع ابويه على العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة جميعا الا انه لم يذكر وكان في منهم لما اقروا له بالخطاء
وقال لا تثريب عليكم اليوم لكان يقع عندهما انه قد بقي شيء مما كان بينهم لذلك خص ابويه بالذكر لترغيبهما
على ما لحقهم الاشراف والاعظام بالخطاب وارسال الرسل اليهم وان كان ذلك الى الكل كقوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه ونحو ذلك فعلى ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك لتعظيم الابوين وان في العقول والعادة
ان لا ينبغي ان يستوي بين الابوين والاولاد في المجلس بل يجب عليهم ذلك والله اعلم ثم دل قوله ورفع ابويه على العرش
على ان اتخاذ العرش والجلوس عليه لا باس به اذ لو كان لا يحل ولا يباح ذلك لكان يوسف لا يتخذه ولا كان يعقوب
يجلس عليه دل انه ذلك مباح لا باس به وقوله تعالى وخروا له سجدا • قال بعض اهل التاويل كانت تحيتهم بعضهم
فيما بينهم السجود يسجد بعضهم لبعض مكان ما السلام كان بعضنا على بعض فاما اليوم فهو غير مباح وانما التحية في
لكن نقول ان السجود لاحد دون الله تعالى ليس يكره لنفس السجود انما يكره ويمنع عنه في السجود وهي العبادة ولا يحل
لاحد ان يجعل العبادة ولا يحل لاحد ان يجعل العبادة لغيره انما منع نفس السجود فانه كالقيام والقعود وغيرهما
من الاحوال يكون المراد بها والله اعلم وقال بعضهم وخروا له سجدا او خروا لله سجدا شكرا لما جمع بينهم وبينه وزع كان
بينهم وهو قول ابن عباس ويحتمل قوله وخروا له سجدا او خروا له خاضعين والسجود يعبر عن الخضوع لان من يجد اهل
هو السجود العبادة والله اعلم وقوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا • اي حقق
تلك الرؤيا التي رآها من قبل وجعلها صدقا لما رأى يوسف وهو بالخروج رؤياه بعد حين ووقت وزمان
طويل فهذا يدل على ان الخطاب اذا قرع السمع يجوز ان تاتي بيانه من بعد حين وزمان ويجوز ان يكون مقرونا به وليس
في تاخر البيان عن الخطاب تلبيس على ما قال بعض الناس وقوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ذكر احسانه ومنته
ولم يذكر محنته على التصريح وانما ذكر على التعريض حيث قال اذ اخرجني من السجن ولم يقل سجنا وحبست وامثال
ما كان ابتلاه الله به على طريق حسن الادب ان يذكر الانعام والاحسان دون الشدة والبلاء فذكر فذكر الاخراج من السجن

دون الاستيحان فهو كما قال ابرهيم والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والله اعلم وقوله تعالى وجاء
بكم من البدو • قيل من البادية لانهم كانوا اهل البادية اصحاب المواشي وقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي وكان النزغ هو الافساد على ما ذكره اهل التاويل يقول من بعد ما افسد الشيطان بيني وبين اخوتي واضاف
ذلك الى الشيطان لما كان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم حين اقروا له بالخطاء في فعلهم وقوله ان ربي لطيف
لما يشاء اللطيف يذكر في اسماء الله بمعنيين احدهما اي العاطف والبر لطف فيقال الخلان بار تعاطف والثاني
اللطيف يعني العالم يقال اللطيف هو عالم بما يلطف من الاشياء من يبصر كما يعلم ما يعظم ويجسم ويقال اللطيف الذي
يعلم المستور من الامور والخفية على الخلق كما يعلم الظاهر منها والبادية لا يخفى عليه من يعلم السر واخفى ثم دل تسمية
الله باللطيف والعظيم معا انه لم يسم بعظيم لما يفهم من عظم الخلق ولا باللطيف لما يفهم من لطافة ما يفهم من
الخلق اذ لا يجوز في الخلق ان يكون عظيما لطيفا معا ويجوز في الله تعالى دل انه ما يفهم من هذا غير ما يفهم من ذلك
والله اعلم وقوله انه هو العليم الحكيم العليم بما كان ويكون وما ظهر وبطن وما يسر ويعلن او يقال العالم بعواقب الامور
وبداياتها الحكيم الذي يحكم بعلم ويضع كل شيء موضعه لم يحكم بجهل ولا غفلة ولا سفه على ما يحكم بعض الخلق تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا وقوله رب قد آتيتني من الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من الملك لانه لم يؤت كل الملك اذ فوقه ملك اكبر
منه لكن نقول لكل المراد ذكر حرف من اذ معلوم انه لم يؤت احد كل ملك الدنيا قال الله تعالى تؤتي الملك من تشاء ويكون
في وقت واحد ملوك وقال مقاتل من صلة كانه قال رب قد آتيتني الملك لكن الوجه ما ذكرنا وقوله تعالى وعلمتني
من تاويل الاحاديث • قال اهل التاويل المراد منه تعبير الرؤيا وعندنا ان الاحاديث هي الانباء والتاويل هو علم
العاقبة وعلم ما يؤول اليه الامر فكانه قال علمتني مستقر الانباء وعواقب الامور ونهاياتها وهو كقوله لكل نبأ مستقر
وسوف تعلمون وقوله تعالى فاطر السموات والارض • كانه على الدعاء والنداء ذكر يا فاطر السموات والارض لذلك انتصب
وقوله تعالى انت وليي في الدنيا والآخرة • يشبه ان يكون تاويله انت ولي نعمتي في الدنيا والآخرة كما يقال فلان
ولي نعمة فلان ويحتمل انت اولى بي في الدنيا والآخرة ويحتمل انت ناصري في الدنيا والآخرة قوله رب قد آتيتني
من الملك الى قوله توفني مسلما ذكر الحمد والثناء على الله تعالى وبيان احسانه ومحامده وصنائعه عليه وقوله تعالى
توفني مسلما • سؤال الدعاء من الله تعالى التوفي على الاسلام وما ذكر قدم يوسف دعاءه وسؤاله ربه ما سال
احسانه اليه ومحامده وصنائعه ليكون ذلك وسيلة له الى ربه في الاجابة فيكون تعليما لكل موحد مخلص ان يقدم
قبل الدعاء الحمد والثناء على الله وذكر احسانه ومننه ليكون اسرع الى القلوب في الاجابة والله اعلم وفي الآية دلالة نقض
قول المعتزلة من وجوه احدها يقولون ان كل احد شفيعه عمله ويوسف لم يذكر ما كان منه من الخيرات اني فعلت كذا وفعلت
كذا وكذا ولكن ذكر نعم الله واحسانه اليه والثاني من قولهم انه لا يعطي احدا ملكا ولا نبوة الا لمن له الاستحقاق له ولا يكون
من الله الى احد نعمة واحسان الا بعد الاستحقاق لذلك وما كان هذا سبيله فلا يستحق الحمد والثناء على من
اعطاه ذلك لانه لا يمنع لذلك لانه ليس فيه كثير محمدة اذ لو لم يعط على مذهبهم يصير ظالما جائرا والله الموفق والثالث
من قولهم ان كل احد هو المتعلم باختياره لا ان الله تعالى يعلم احدا وقد اضاف يوسف التعليم الى الله حيث قال وعلمتني من
تاويل الاحاديث وهم يقولون لم يعلمه ولكنه تعلم بنفسه فينسبونه الى الكذب في القول فيسال الله تعالى العصمة
والنجاة وقوله توفني مسلما والحقني بالصالحين سال يوسف ودعا ربه التوفي على الاسلام والالحاق بالصالحين فهو
اعلم ان الله تعالى قد اتاه النهاية في الشرف والمجد في الدنيا دينا ودنيا لان نهاية الشرف في الدين هو النبوة والرسالة ونهاية الشرف
في الدنيا الملك فاحب صلوات الله عليه ان يكون له في الآخرة مثله فقال توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم يحتمل
سؤاله ان يلحقه بالصالحين بكل صالح ويحتمل انه سال له ان يلحقه بالصالحين من آبائه واجداده وبجميع الانبياء والرسل
ثم قوله توفني مسلما والحقني بالصالحين ينقض على المعتزلة قولهم فانه من قولهم ان ليس به تعالى ان لا يتوفاه مسلما لانه
يصير ظالما جائرا فيكون هو في دعائه عابثا على قولهم والثاني على قولهم لا يملك ان يتوفاه مسلما لانه من قولهم انه اعطى كل احد
ما به يكون مؤمنا حتى لم يبق عنده شيء ومن سال آخر شيئا يعلم انه ليس عنده فهو عابث في سؤاله يكون هزءا به او يكون كتمانا النعمة
وهذا لا يظن بالانبياء والرسل وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك • اي خبر يوسف واخوته وقصصهم التي
قصصنا عليك واخبرناك من اوله الى آخره من انباء الغيب لم تشهدها انت ولم تحضرها كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا التعليم اي انما علمتها وعرفتها بالله وحيا اليك فهو على رسالتك ونبوتك اذ لا وقوف على الغيب الا بالله
وقوله تعالى وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم • اي ما كنت لديهم لا يحضرهم ثم انبات على ما كان ليدلك على ما ذكرنا
من الرسالة وقوله تعالى وهم يمكرون • اي اخوة يوسف يمكرون بابيهم واخيهم اما مكرهم بابيهم حيث قالوا ارسله
معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون فضمنوا له يوسف ولم يحفظوه واما مكرهم باخيهم حيث قالوا ما لك لا تامنا
على يوسف وانا له لناصحون لحبرهم انهم له ناصحون فخانوه ومكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال في الاخذ والاخذ

على جهة الامر وقد فعلوا ذلك بابيهم واخيهم وانما الموفق ربهم. قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين. اى
ما اكثر الناس مؤمنين ولو حرصت يا محمد ان يكونوا مؤمنين كقوله انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء
كان بلغ من شفقته ورحمته على الخلق ورغبته فى ايمانهم حتى كادت نفسه تهلك فى ذلك الحرص قال لعلك باخع نفسك
الاية وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لا تحزن عليهم كان حرصه على ايمانهم بلغ ما ذكر حتى خفف عليه
بهذه الايات وقال بعض اهل التاويل قوله وما اكثر الناس يعنى اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين وهم كذلك كان كان
اكثرهم غير مؤمنين من اهل مكة ويجزهم سوء اعمالهم كذلك كانوا والله اعلم. قوله تعالى وما تسألهم عليه من اجر. اى
على ما تبلغ اليهم وتدعوهم الى طاعة الله وحمل العبادة له وتوجيه الشكر اليه لا تسألهم على ذلك اجرا فالذى يمنعهم
عن الاجابة لك فيما تدعوهم والايمان بامرك وفيه دلالة على انه لا يجوز اخذ الاجر على الطاعات والعبادات وعلى تعليم القران
والعلم ونحو ذلك لانه على ما ذكر لا تسألهم على ما تبلغ اليهم اجرا وهو لم يتول تبليغ جميع ما امر بتبليغه الى الخلق
كافة بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس بنفسه ولكنه تولى التبليغ الى البعض بنفسه وولى بعضه غيره بقوله
الا فليبلغ الشاهد الغائب فاذا لم يجز له اخذ الاجر فيما يبلغ فمن الذى كان مامورا ان يبلغ عنه لا يجوز ايضا
ان ياخذ الاجر على ما يبلغ والله اعلم ثم قوله وما تسألهم عليه من اجر وجهان احدهما انه ليس يسألهم على الذى يبلغ اليهم
ويدعوهم اليه اجرا حتى يمنعهم ثقل ذلك عن الاجابة والثانى اخبار ان ليس له ان ياخذ من الدنيا شيئا كقوله
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية ومعلوم انه لا يمد عينيه الى ما لا يحل شيئا ...
المبلغ والله اعلم. قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين. او هذا القران الذى تبلغهم ليس الا ذكر وعظة للعالمين او تنبيه
ذكر وعظة وآية لمن اقتضاه من العالمين وقيل او شرف وذكر لمن اتبعه وعمل به وهو ما ذكر فى آية اخرى ان فى ذلك لذكرى
لمن كان له قلب والله اعلم. قوله تعالى وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون. قال اهل
التاويل الايات التى فى السماء من نحو الشمس والقمر والنجوم والسحاب وامثال ذلك والايات التى فى الارض من نحو الجبال
والانهار والبحار والدواب وغيرها لكن السماء نفسها آية وما يخرج منها من النبات يمرون عليها وهم عنها معرضون
او هم معرضون عما حملت هذه الايات لانهن انما حملن آيات الوحدانية لله تعالى اذ ليس فى السموات والارض شىء
الا وفيه دلالة وحدانيته وآية الوهيته فهم عما حملت هذه الايات معرضون وبالله الهداية ثم يحتمل الاعراض وجهين
احدهما اعرضوا عنها فلم ينظروا فيها فلم يتفكروا ليدلهم على وحدانية الله والوهيته فهو اعراض عنها والثانى نظروا
انها آيات لكنهم اعرضوا عنها لما بينهم معاندين والله اعلم وقال بعضهم آيات السماء ما ذكرنا من نحو الشمس والقمر و
الكواكب وآيات الارض مثل آثار الامم الذين اهلكوا من قبل من نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن اهلكوا
يمرون عليها ويرونها فلا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا انهم معرضون عما حملت تلك الايات انما حملت آيات الوحدانية
له والوهيته او معرضون عن التفكر فيها اعراض معاندة ومكابرة. قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
وهذا يحتمل وجوها احدها الاشراك فى الالوهية اى وما يؤمن اكثرهم انه اله وهم مشركون الاصنام والاوثان
فى الالوهية وتسميتها آلهة كقوله قل لو كان معه آلهة كما يقولون والثانى الاشراك فى الفعل اى وما يؤمن
بالله الا وهم مشركون غيره فى عبادته من الاصنام والاوثان وغيرها وقيل وما يؤمن اكثرهم بالله بالسنتهم الا وهم مشركون
بقلوبهم ويحتمل وما يؤمن اكثرهم بالله فى النعمة انها من الله الا وهم مشركون فى الشكر له اذ المنعم فى الحقيقة هو الله فيجب
ان يوجه الشكر اليه ويشكر لمن وصل النعمة على يديه شكرا لتوسله لا شكر الانعام فمن شكر لشكر الانعام صار مشركا
لله غيره فى الانعام فان فعل عن اعتقاد يكون كفرا والا فيكون معصية وهو الذى يدعى الشرك الخفى ونحو ذلك
والله اعلم. قوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون. اى كيف
امنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة فقد سمعوا اتيان العذاب من قبلهم وهلاكهم وقد
جاء ما يخوفهم اتيان الساعة وان لم يعلموا ذلك حقيقة لما تركوا العلم بها ترك معاندة لا ترك من لم يبين له وما فيه
التخويف والاعلام له وصار محجوجا عند ربه بعدما تاكد الدليل عليه والله اعلم ثم يجب ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله
وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وكذلك بقوله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
الاية وان كانت الايات نزلت فى اهل الكفر لان المسلمين يمرون على هذه الايات فيجب ان يعتبروا بها وان تركوا ما امروا به من التفريط
فى ذلك لما عسى ان تاتيهم الساعة وهم فى التفريط بعد ولم يوفقوا للتوبة والله اعلم قال ابو عوسجة غاشية من عذاب الله
اى مجللة تغشاهم ومنه قوله هل اتاك حديث الغاشية وهى ما ياتيهم العذاب من فوقهم وقال غيره غاشية من عذاب
الله اى عذاب من عذاب الله وهو كقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك والله اعلم. قوله تعالى قل هذه سبيلى ادعو
الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى. اى قل يا محمد سبيلى هذه التى انا عليها ويحتمل هذه سبيلى التى ادعوكم اليها انما ادعوكم
على بصيرة انا ومن اتبعنى حتى على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان بين ليس كسائر الاديان التى يدعا اليها على الهوى والشهوة بغير حجة وبرهان

يحتمل ما لحدث محمد وما اخبر من القصص واخبار الرسل الماضية والامم السالفة بالذي افترى مما اخبر ما كان من الكتب
السالفة على غير تعلم من احد ولا دراسة من كتاب يحتمل ما كان هذا القرآن بالذي يفترى قوله تعالى ولكن
تصديق الذي بين يديه اي هذا القرآن الذي هو نطق رسول الله تصديق للكتب التي من قبل قوله تعالى وتفصيل كل شيء
اي تفصيل ما بالناس اليه حاجة قوله تعالى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون اي هدى من الضلالة لمن اهتدى به
للمؤمنين وفيما ذكر من قصة يوسف واخوته تسلية لرسول الله … النصر له على اذى قريش كانه يقول ان اخوة يوسف مع
ما صنعوا اباه في الدين … عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد له والمكر به فمكنه مع … اباك … الذي كيف
لا يقدمون على الكيد بك … الا الذي هم … والصبر على اذاهم … بالصبر على …

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى المر تلك آيات الكتاب يحتمل ان يكون قوله المر حكاية
عن جميع الحروف المقطعة المعجمة فيكون قوله تلك آيات الكتاب اشارة الى الحروف المقطعة اذ منها تأتلف آيات الكتاب
هذا هو الظاهر من اتيانه كل الحروف المقطعة المعجمة ان يكون ما ذكر من بعضها على انها تفسير … وعبارة عنها
والله اعلم والثاني يشبه ان يكون قوله المر حكاية عن الحجج والبراهين وسائر الحكمة قال … الكتب
جعلنا … آيات القرآن وحججه وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة على الاستقصاء فيما تقدم والله اعلم واختلف
في قوله تلك آيات الكتاب التوراة والانجيل وسائر الكتب المتقدمة قوله تعالى والذي انزل اليك من ربك هو القرآن
الذي انزل على محمد وقال بعضهم تلك آيات الكتاب هو القرآن والذي انزل اليك من ربك ايضا هو القرآن لكن يقول الذي
انزل اليك من ربك … وقوله الحق يحتمل هو الحق اي منزل من الله ليس كما قال اولئك الكفرة انه ليس من الله
انما تقوله محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
اي لا يؤمنون انه منزل من الله او اكثر الناس لا يؤمنون انها آيات الله وحججه قوله تعالى الله الذي رفع السموات قوله
رفع السموات اي انشاها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها في الابتداء مرفوعة وهو كقوله والارض وضعها
للانام وقوله وهو الذي مد الارض وقوله والجبال ارساها ونحو ذلك اي انشاها موضوعة ممدودة لا انها كانت
مرفوعة فوضعها او كانت منقبضة فبسطها ولكن انشاها كذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها قال بعضهم هي بعمد
لكن لا ترونها او ترونها بغير عمد وقال بعضهم هي بغير عمد على ما اخبر ودل عليه ظاهر اللفظ ويكون
… اللطف والاعجوبة فيما يمسكها بعمد لا ترى كاللطف والاعجوبة فيما امسكها بغير عمد لان في الشاهد لم يقدر احد
على رفع سقف فيه سعة بغير عمد لا ترى ولكن ما يرفع انما يرفع بعمد ترى واللطف في هذا كاللطف في الآخر وفيه دلالة
قدرته على البعث لانه ذكر هذا ثم قال في آخر الآية لعلكم بلقاء ربكم توقنون اي من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد
لقادر على اعادة الخلق وبعثهم واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشيء بعد فنائه
اذ في الشاهد من قد يقدر على اعادة الشيء بعد فنائه ولا يقدر على رفع سقف في سعة وبعد بغير عمد من هذا الوجه
يمكن ان يحتج والله اعلم قوله تعالى ثم استوى على العرش تعلقت الكرامية بهذه الآية في اثبات المكان والمشبهة في ايجاد
التشبيه لكن لا حجة لهم فيها فان الاستواء المضاف الى الله لا يفهم منه من الاستواء المضاف الى الخلق وهو الاستقرار وان
كان استواء هم لا ينفك عن الاستقرار هذا كما ان الله تعالى يوصف بانه سميع بصير عليم مدبر ولا يفهم منه مثل ما يفهم
من الخلق من الآلات والجوارح وان كانت لا ينفك عنها في الشاهد وكذا لم يجز ان يفهم من استوائه ما فهم من استواء الخلق
والله الموفق ويبعد ان في الشاهد اذا قيل فلان استوى على بلد كذا او استوى على بلد كذا لم يفهم منه المكان بل فهم منه نفاذ
الامر والمشيئة والسلطان فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من استواء الصفة لله الاستواء على المكان واصله ما ذكرنا فيما تقدم
انه اخبر انه ليس كمثله شيء فيدل على انه لا يشبه الخلق في كل شيء وكل وجه اذ الخلق في الشاهد ليس يشبه بعضهم بعضا من جميع
الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة فيتضادون جميعا اشكالا وامثالا بتلك الجهة التي يقع بها بينهم التشابه فاذا نفى الله
تعالى لما اخبر انه ليس كمثله شيء دل انه انما نفى عنه الجهة التي يقع بها التشابه وانه يخالف الخلق من جميع الجهات فلو كان متمكنا في
المكان كسائر الخلق لثبت التشابه من هذا الوجه وانه مخالف للنص القاطع والله الموفق وهذه المسألة مذكورة فيما تقدم ثم
اختلف في العرش المذكور ههنا قال بعضهم اراد به الممتحنين من الخلق اي استوى تدبير انشاء غيرهم من العالم الذي
اي تم ذلك بهم لانهم هم المقصودون في انشاء ذلك كله وقال بعضهم اراد بالعرش البعث اي استوى تدبير انشاء الخلق
اي بالبعث تم انشاء العالم حكمة لما لولا البعث يكون انشاؤه اياهم عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون اخبر انه لولا الرجوع اليه لكان انشاء الخلق عبثا فجعل عدم الرجوع اليه جهلا في انشاء الخلق عبثا ثم اسعو ذلك

وقال بعضهم العرش هو الملك وهو ما ذكر وقيل العرش هو سرير الملك قوله تعالى وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى
تقدم ذكره قوله تعالى يدبر الامر اي يدبر الامر على ما في الفضل … بتدبير … على علم وحكمة وضع ليس على
الجزاف بلا تدبير ولا علم قوله تعالى يفصل الآيات يحتمل يبين الحجج والبراهين ويحتمل يفصل الآيات اي آيات القرآن
انزلها بالتفاريق لا مجموعة قوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون هو على ما ذكرنا ان فيما ذكر من الآيات والسموات ورفع
السماء بلا عمد دلالة البعث والاحياء بعد الموت والله اعلم وقوله بلقاء ربكم توقنون هو ما ذكر اي لعلكم اليه ترجعون جميعا
وتلقاء يوم هم بارزون وقوله والينا المصير والى الله المصير قوله تعالى وهو الذي مد الارض وقال في آية اخرى والارض بعد ذلك
دحيها وقال في موضع والى الارض كيف سطحت وقال الذي جعل لكم الارض فراشا وقال الذي جعل لكم الارض مهادا
يذكرهم عز وجل نعمه التي انعمها عليهم بمد الارض وبسطها ثم قوله مد الارض اي انشاها ممدودة لا انها كانت مجموعة
في مكان فبسطها وهو كما ذكر من رفع السماء وهي … قوله تعالى وجعل فيها رواسي ذكر اهل التأويل ان الارض كانت
على الماء فكانت تكفأ باهلها وتضطرب كما تكفأ السفينة فارساها بالجبال لتثبت فاستقرت وثبتت
ايضا انها مدت وبسطت على الهواء ثم اثبتها بما ذكر من الجبال … الامر لكان على ما ذكروا لكان يجيء ان لا تكون
الجبال ثباتها واستقرارها لان الارض والجبال من طبعهما التسفل والانحدار … فكلما ازداد من ذلك
النوع كان التسفل والانحدار اكثر … الثبات ولا الاستقرار بل ما يكون الاستقرار …
العلو والارتفاع فيمنع ذلك الشيء … التسفل والانحدار لا الاثبات …
تضطرب وتميد باهلها على ما ذكر وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم … فيكون بالجبال ثباتها
واستقرارها ومنعها عن الاضطراب والميلان ويحتمل انه انما ذكر هذا ليعلم لطفه وقدرته حيث امسكها مع التسفل
والانحدار … من طبعها التسفل والانحدار وقضية الطباع سرعة الانحدار بلا امساك ولا استقرار ليعلم قدرته
ولطفه في كل شيء وليعلم بطلان قول اهل الطبع والله اعلم قوله تعالى وانهارا اخبر انه مد الارض وبسطها وجعلها
مستقرة ثابتة ليقروا عليها … انهارا لينتفعوا بها من جميع انواع المنافع قوله تعالى ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين اخبر انه جعل في الارض من كل الثمرات زوجين قال بعض اهل التأويل زوجين اثنين اي
جعل منها ذا لونين وقال بعضهم ذا طعمين لكن هذا ضعيف فان الثمار يكون منها الوان كثيرة اكثر من اثنين احمر وابيض
واصفر واسود واخضر ونحو ذلك وكذلك الطعم لها اكثر من اثنين منها حامض وحلو ومر ومز الا ان يقال …
اثنين الطيب والخبيث حتى يتناول الكل فانه ليس بين الخبيث والطيب واسطة … والله اعلم وقال
بعضهم زوجين اثنين الذكر والانثى ولكن هذا انما يصح اذا اراد الاصول والاشجار التي يخرج منها الثمار فاما نفس الثمار
لا يكون ذكرا وانثى فانما يصح هذا في الاشجار ايضا فان منها ما يثمر ومنها ما لا يثمر فالذي يثمر هو انثى والذي لا يثمر هو الذكر
واما على غيرها لا يصح … في هذا التأويل … المقابل … الاشكال … الاضداد … جعل الخلق كله ذا
اشكال واضداد من نحو الليل والنهار والذكر والانثى … في حق انفسهم … الاضداد … الزوج
يكون اسما للاشكال والامثال واسما للاضداد ايضا والله اعلم … جعل فيها زوجين اثنين منقطعا
عن قوله ومن كل الثمرات على التأويل الاول اراد بالزوجين … قوله تعالى يغشي الليل النهار اي يذهب
ظلمة الليل بضوء النهار … ضوء النهار بظلمة الليل ويلبس احدهما صاحبه … ظاهرا
للخلق … مستور … والله اعلم قوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ذكر ان الآيات
لتكون آيات لهم بالتفكر والنظر فيها لا انها تصير آيات بالبديهة والله اعلم او يقول ان منفعة الآيات تكون لمن تفكر فيها
لا لمن ترك التفكر والتأمل وان كانت بانفسها آيات والله اعلم ثم فيما ذكر … من رفع السموات بغير عمد وتسخير
الشمس والقمر ومد الارض وجعل الجبال الرواسي ونحو ذلك دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم والحكمة و
دلالة الوحدانية لقوم يتفكرون في آياته وحججه لا لمن … يعاندون آياته ويكابرونها ثم فيما ذكر من مد الارض وبسطها
واثباتها بالرواسي التي ذكر وجعل الانهار فيها ليصلوا الى الانتفاع وجهان احدهما ذكر على طريق بيان النعم عليهم
حيث انعم عليهم بمد الارض وبسطها واثباتها بالرواسي وجعل الانهار فيها والثمرات لينتفعوا بها فيتأدى
بذلك شكرا والثاني يذكر بحق الاخبار عن قدرته وسلطانه لانه جعل الارض بحيث لا يدخل فيها شيء على خلاف الطبع
وسائر المانع ثم اخبر انه ادخل فيها الجبال مع كثافتها وعظمها بقوله وجعل فيها رواسي والله اعلم
وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان دل قوله قطع متجاورات ان القطع
انما تذكر وتطلق اذا كانت الارض قطعا كل قطعة مميزة عن الاخرى بعلامة فاما اذا كانت الارض ارضا واحدة
فانها لا يقال فيها التجاور ولا يستعمل هذا الاسم وان كانت اجزاؤها على الحقيقة متجاورة لان الله تعالى
في الارض قطعا متجاورة ولم يجعل كل الارض متجاورة فهذا يبطل قول من يقول ان التجاور يذكر فيما فيه الشركة

فيجب الشفعة فيما فيه الشرك ويحمل الاحاديث الواردة في الجار على الشريك وهذه الاية تدل على ان التجاور والجوار
انما يكون عند كون الاراضي قطعا قطعا وذلك لا يكون حال الشركة والله اعلم ثم قوله قطع متجاورات وجنات من اعناب
القطع المتجاورات هي الاراضي والبقاع التي تصلح للزروع وقوله وجنات من اعناب اي وجنات متجاورات ايضا وهي
المحفوفة بالاشجار التي فيها الوان الثمار من الكرم والنخل وهي التي تسمى البساتين ثم قوله صنوان وغير صنوان
قيل الصنوان هي النخلات على اصل واحد وغير صنوان النخل المتفرقة وقيل الصنوان ما كان اصله واحدا وهو
متفرق وغير صنوان التي نبتت وحدها وقيل الصنوان هي النخلة تخرج فاذا خرجت انشعبت بعد خروج الاصل
لهذا قيل عم الرجل صنو ابيه ثم قوله تسقى بماء واحد فتسقى ما ذكر من النخل والزروع والاعناب والجنات وقوله تعالى
ونفضل بعضها على بعض في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جوهر الارض كلها واحد وهي قطع متجاورات بعضها من بعض
ثم هي مختلفة في حق الثمار والفواكه وكذلك الاشجار والنخل كلها من جوهر واحد ومن جنس واحد والارض جوهر واحد
واحد تسقى كلها بماء واحد ثم تخرج مختلفة في الوانها وطعومها وطيبها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم تكن بنفسها
ولا بالاسباب التي جعلت لها ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانها لو كانت بانفسها وطباعها او بالاسباب
لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن على لون واحد ولا طعم واحد دل
واحد دل انه كان بتدبير مدبر واحد عليم لطيف فيبطل به قول الثنوية واهل الطبع والله الموفق ثم اختلف في تاويل
قوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال بعضهم نفضل بعضها على بعض الحمل يكون بعضها اكثر من بعض حملا
وبعضها اقل وبعضها لا يحمل ولكن عندنا ما ذكرنا انه نفضل بعضها على بعض في الطيب والخبث في الطعم واللون
والمنظر والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لآيات اي دلالات على وحدانيته وتدبيره وعلمه وحكمته وقوله تعالى لقوم
يعقلون اي لقوم همتهم العقل والفهم والنظر والتفكر لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم ينتفعون
بعقلهم وعلمهم والله اعلم قال الحسن هذا مثل ضربه الله عز وجل لقلوب بني آدم كانت الارض في الاصل طينة واحدة
فسطحها الرحمن جل وعلا ثم بطحها فصارت الارض قطعا متجاورة فينزل عليها من السماء ماء فتخرج هذه زهرتها
وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها وتحيي مواتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد وكذلك الناس
خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتخضع وتقسو قلوب فتلهو وتسهو قال الحسن والله ما جالس القرآن احد
الا قام من عنده بزيادة او نقصان ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا وقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم قال الحسن وان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك في الرسالة فعجب قولهم
اي ان تعجب يا محمد فيما اوحينا اليك من القرآن كقوله في الصافات بل عجبت ويسخرون فعجب قولهم اي كان عجب
اي ليكن قولهم اعجب عندك حين قالوا أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد بتكذيبهم بالبعث واصله والله اعلم وان
تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك ولم يكن منك اليهم حقيقة الهداية والنعم والآيات والحجج وانما
كان منك البيان والدعاء فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله تعالى على البعث وقولهم في الله سبحانه وتعالى
ما قالوا لا يليق به بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بآياته اليهم والله اعلم او يقال والله اعلم يقول ان تعجب من قولهم
في تكذيبهم اياك في الرسالة ولم يكن رسولا من قبل في قولهم وانكارهم فقولهم في قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت
اعجب اذ قد رأوا وشاهدوا من قدرة الله وآياته ما لو تفكروا وتأملوا ولم يعاندوا لعرفوا انه قادر على ذلك كله او يقال
في وصفهم الله تعالى بالعجز وقولهم انه لا يقدر على البعث والاحياء بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة
فلم يكن سبق منك اليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعرفهم قدرته على ذلك كله
وعلى اكثر منه والله اعلم وقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم يشبه ان يكونوا لما كفروا بالبعث كان كفرهم
كفرا بالله تعالى لانهم عرفوا ما جعلت قالوا لا يقدر على بعث الخلق ومن عرفه بانه عاجز فهو لم يعرف الرب حقيقة ولا
الحقيقة وقوله تعالى واولئك الاغلال في اعناقهم قال بعضهم اي صار الكفر في اعناقهم اغلالا لانهم انكروا
الرسالة في البشر ثم جعلوا الاصنام والاوثان معبودهم يعكفون لها ويخضعون ثم يستحيون ان يكون من البشر
رسول قال امرهم الى ان صفقوا ان يكونوا من هو دون البشر آلهة وهم الاوثان والاصنام وذلك صيرورة الاغلال في
اعناقهم وقال بعضهم اي اولئك الاغلال في اعناقهم في الآخرة كقوله خذوه فغلوه وقوله تعالى واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ظاهر وقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال على وجهين يستعمل
عند اهل اللسان احدهما الطلب للفعل والثاني في نفس الفعل اما الاول فظاهر واما الثاني كقوله ادعوني
استجب لكم اي اجيبكم وقوله فليستجيبوا لي اي فليجيبوا لي وقوله ويستعجلونك فان كان على طلب الفعل فهو سؤالهم
رسول الله العذاب كقوله سأل سائل بعذاب واقع وقوله ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
الآية فيه تسويغ الهلاك قبل سؤالهم بتأخير العذاب واما الرد بتأخير العذاب عنهم واما الذي بالحسنة فاستعجلوا به

قبل هذا

قبل هذا وان كان على نفس الفعل فقوله ويستعجلونك اي يعجلون بالسيئة اليك قبل ان يكون منهم اليك حسنة
حيث يكذبونك في الرسالة ويؤذونك في نفسك ولم يكن منهم اليك احسان من قبل والله اعلم ثم سؤالهم السيئة والعذاب
يكون لجهلهم بانه رسول وانه صادق فيما يخبر لانهم لو علموا انه رسول وانه صادق فيما يخبر ويوعدهم العذاب كانوا لا
العذاب لانهم يعلمون ان الله تعالى يقدر على ان ينزل بهم العذاب لكن سألوا ذلك لجهلهم بانه رسول استهزاء وسخرية فكان
على هذا سؤالهم كان فيه دلالة ان العقوبة والعذاب قد تلزم من جهل الامر اذا كان سبيل العلم به بالنظر والتفكر
هؤلاء جهلوا به رسول لتركهم النظر والاستدلال والله اعلم وقوله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلات قال بعضهم
اي العقوبات وقد كان في الامم الخالية العقوبات بسؤالهم العذاب والمعاندة في الآيات اذا جاءت كانت والله فلم يصبر رسوله
على سفه قومه بسؤالهم العذاب والآيات المقترحة ثم المعاندة فيها مع انهم علموا ان في الامم الماضية كانوا اذا سألوا من الرسل
العذاب والآيات ثم عاندوا فتنزل لهم انزل بهم العقوبات فعلى ذلك هم والله اعلم وقال بعضهم المثلات الامثال والاشباه
وكذلك ذكر في حرف حفصة رضي الله عنها وقد خلت من قبلهم الامثال وتأويله اي وقد خلت من قبلهم الامثال لو اعتبروا بها
كان مثلا لهم ولكن لا يعتبرون ولم يمنعهم من امثال ذلك والله اعلم وقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
قال بعضهم اي لذو ستر على ظلمهم وتأخير العذاب الموعد كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله ويؤخركم
الى اجل مسمى وكذلك وان ربك لشديد العقاب اذا عاقب ويحتمل قوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اذا تابوا وان ربك
لشديد العقاب اذا اصروا ولم يتوبوا عن ظلمهم اي الكفر ويحتمل ان ربك لذو مغفرة للمؤمنين على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب
للكفار وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال في موضع آخر
فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقال في آية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية فيحتمل سؤالهم الآيات
كما ارسل الاولون بعين تلك الآيات التي اتت بها الرسل عليهم السلام ان يأتي بعين تلك الآيات او ما قبله ان يأتي بآية
يخرج عن فهمهم وطباعهم اذ الرسل جميعا لم يأتوا بآية واحدة انما جاؤوا بآيات مختلفات كل واحد جاء بآية سوى ما جاء
به الآخر فقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك انما انت منذر ويحتمل ان يقول انما انت منذر وليس اليك انشاء الآيات والاختراع
ولا تملك اتيانها كما قال قل انما الآيات عند الله وقال قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم ونحو
ذلك او سألوا الآيات سؤال عناد لذلك ما هلاكهم على ما اصل الاولون فقال انما انت منذر وقد جاءهم هذا الامر حين جاءتهم
الآيات وانا نهلكهم هلاكهم وقد في سؤالهم الآيات كانوا معاندين لانه قد جاءتهم رسالته واظهار ما لم يكشفهم لكنهم
يعاندون والله اعلم وقوله ولكل قوم هاد اي داع يدعوهم الى توحيد الله ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير
ثم اختلف في ذلك الداعي قال بعضهم هو الله وقال بعضهم كل نبي من الانبياء وقال بعضهم هو داع ودليل سوى
النبي وقالت الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي لئلا يزيغ عن الحق ولكن عندنا معصوما كان او لم يكن
فان في القرآن ما يمنع من الزيغ والتغيير فيه من داع عن الحق وصنف الحاجة الى امام معصوم والله الموفق وقوله تعالى الله يعلم
ما تحمل كل انثى قيل يعلم انها حملت انثى او ذكرا مستويا او غير مستو فان قيل لو قالت الملحدة هذا دعوى ما الدليل انه
يعلم ذلك قيل اتساق تدبيره ولطفه يدل على علمه بذلك من حيث بناه فيه وانشاءه مستويا سليما من الآفات
على استواء الجوارح كلها لا تكون بعضها اكبر واعظم وبعضها انقص وبعضها اعني العينين تراهما مستويين
لا زيادة في احديهما دون الاخرى ثم يمر كل على الاستواء من غير زيادة ونقصان وكذلك اليدان والرجلان تراهما
وامثالها فذلك دليل على علم المنشئ لها والمدبر ايا لا يخفى عليه شيء وقوله تعالى وما تغيض الارحام وما تزداد
اي يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد ثم اختلف في تأويل ذلك قال عامة اهل التأويل ما تغيض الارحام اي ما تنقص
عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة الاشهر وقال الحسن تغيض الرحم ان تضع لستة اشهر او سبعة او ثمانية
واما الزيادة فما زاد على تسعة اشهر وفي حرف ابي رضي الله عنه الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تضع ثم عند تحتمل ما
تغيض الارحام وما تزداد وجوها احدها اي ما لا تحمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والمغيض منه تكون ذهاب
الشيء قال الله تعالى وغيض الماء اي ذهب وما تزداد اي ما تحمل والثاني تحمل وما تغيض الارحام تلد بدون الوقت الذي
تلد النساء وما تزداد على الوقت الذي تلد النساء وكذلك تحمل وما تغيض الارحام وما تزداد يرجع الى زيادة عدد
الاولاد ونقصانهم ما تحمل واحدا او اكثر من واحد ويحتمل ان يكون في زيادة قد نفس الولد ونقصانه لان من الولد
ما يصيبه في البطن آفة فلا يزيد له فينقص ومنه ما ينمو ويزداد حاله والله اعلم وقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار
اي كل شيء عنده مقدر بالتقدير ليس على الجزاف على ما يكون عند الخلق ولكنه بتقدير وتدبير وقوله تعالى عالم الغيب
والشهادة قال بعضهم اي لا يغيب عنه شيء ولكن هو عالم بما يغيب عن الخلق وبما يشهده الخلق اي ما يغيب وما يشهد
عنده بمحل واحد في العلم وقال بعضهم عالم الغيب والشهادة اي عالم ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه وقوله
بنفسه نحو ما لم يوجد بعد ولم يكن في الشاهد وما قد وجد وكان يعلم ما لم يوجد بعد انه يوجد وانه يوجد اذا وجد

يوجد ومتى يوجد وفي أي وقت يوجد وما يحدث ويشهد بعلمه شاهدا موجودا على هذين الوجهين يجوز أن يخرج الآية
والله أعلم. وقوله تعالى: الكبير المتعال. أي المتعالي عن جميع ما يحتمله الخلق يقال في الناس فلان عظيم القوم وكبيرهم
وهذا واحد زمانه ولا يعنون بعظم النفس وكبره وتوحده من حيث العدد ولكن من حيث نفاذ الأمر له والمشيئة
فيهم والعز والسلطان وذلة الخلق والخضوع له فعلى ذلك لا يفهم مما وصف هو به من الكبير والعظيم ما يفهم من الخلق من عظم
الجسم وكبر النفس وعلى هذا أنه وصف بأشياء لا يحتمل ذلك من الخلق نحو ما قال في أوصافه أنه أول وآخر وظاهر وباطن وعظيم
ولطيف ومثل هذا مما لا يوصف من الخلق إذ من قيل له في الشاهد إنه عظيم لم يقل له إنه لطيف ومن قيل إنه أول لم يقل إنه
آخر وكذلك الظاهر والباطن إذ وصف بأحدهما انتفى عنه الآخر ليعلم أنه لا يفهم مما وصف هو به ما يفهم من وصف
الخلق ولصفه الوهم والله الموفق. وقوله تعالى: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار
قال بعضهم أي سواء منكم من أسر القول في نفسه في حال انفراده ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل أي مستتر
في ظلمة الليل وسارب بالنهار وقال بعضهم مستخف بالليل أي ساكن بالليل في مقره وسارب بالنهار أي منصرف
ومتقلب بالنهار في حوائجه وقال بعضهم في قوله وسارب بالنهار أي من يكون في السرب بالنهار وهو الغار ثم هذه الآية
صلة ما تقدم وهو قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ويعلم أيضا ما تزداد وما ذكر أنه عالم الغيب والشهادة
يقول أيضا ويعلم من أسر القول ومن جهر به ومن كان مستخفيا بالليل وساربا بالنهار أي يعلم كل ذلك لا يخفى عليه شيء
من عمل سر من الخلق وعمل ظاهر منهم ليكونوا أبدا على حذر من الأعمال إذ يعلم أنه عليه رقيب حفيظ ليكونوا أحذارا
وخوضهم يعلم أنه لا يسع عليه ذلك والله أعلم. وقال بعضهم سواء منكم عند الله من أسر القول ومن جهر به وسواء منكم
من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أو من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل أو هو مستتر بتلك المعصية في النهار
معلن بها فعلم ذلك كله عند الله سواء. وقوله تعالى: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله. اختلف
في تأويل قوله له معقبات قال بعضهم هم الأمراء والشرط الذين يحفظونه في الظاهر من أمر [illegible] إذا عملوا فيه بشيء مما هو
من حدود الشرع يعاقبونه على ذلك ويعزرونه [illegible] أنه مما هو محفوظ عليه الظاهر من أمره ومن هو محفوظ عليه الحفظة
من أمره وحيث قال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الآية أخبر أنه يعلم ذلك كله ومحفوظ عليه الظاهر من أمره تأكيدا
للحذر عن المعاصي المختفية عن الناس وقال بعضهم معقبات الملائكة الذين يحفظون على ذلك ويروى في الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال يجتمعون فيكم عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر وقوله من بين يديه ومن خلفه يحتمل وجوها قيل أي
الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال بعضهم بين يديه يحتمل الحسنات
ومن خلفه الشرور والسيئات ويحتمل بين يديه ما قدم من الأعمال ومن خلفه ما أخر كقوله علمت نفس ما قدمت وأخرت ويحتمل
بين يديه ما مضى من الوقت ومن خلفه ما بقي وقوله يحفظونه من أمر الله أي يحفظون نفسه من البلايا والنكبات التي تنزل
على ابن آدم فإن كان المراد يحفظ نفسه فقوله من أمر الله أي من عذاب الله وبلائه ويحتمل يحفظونه من أمر الله أي يحفظون
أعماله بأمر الله وفي ذلك تذكير لأحد أمرين أحدهما يذكر نعمه التي أنعمها عليهم من أولها إلى آخر ما ينتهون إليه ليستأدي
بذلك الشكر منهم ليستديموا تلك النعم بذلك أبدا ما كانوا والثاني يذكرهم علمه بجميع أحوالهم وأعمالهم ليكونوا أبدا على حذر
من معاصيه والخلاف له أما نعمه كما ذكر له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وأما علمه فهو ما ذكر الله يعلم
ما تحمل كل أنثى الآية والله أعلم قال ابن عوسجة المعقبات الحفظة الذين يحفظونه بأمر الله تعالى يقال عقبته أي حفظته
وقوله لا معقب لحكمه لا راد لحكمه قال ويقال إنه عزه هذا العقب فلا كذا فلانا أي ذهب هو وجاء هذا ويقال عقبت أي
رجعت وما أخذهما من العقب ويقال الرجم على عقبيه أي من حيث جاء وقال القتبي معقبات ملائكة يعقب بعضهم بعضا
في الليل والنهار إذا مضى فريق خلفه فريق الآخر يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله. وقوله تعالى: إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم. يشبه أن يكون هذه النعمة نعمة الدين من رسول وقرآن لو ما كان من أمر الدين لا يغير ذلك
عليهم إلا بتغيير يكون منهم من تفريط وتقصير ونحو ذلك كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله فلما زاغوا أزاغ الله
قلوبهم ويحتمل أن يكون ذلك في النعم الدنيوية من الصحة والسلامة والمال لا يغير عليهم إلا بتغيير ذلك من أنفسهم فإن قيل
إن الأنبياء عليهم السلام قد كانوا أبدا يبتلون بأنواع البلايا لا يحتمل أن يكون منهم البداية في التغيير قيل أبدل لهم مكان النعمة
خيرا منها فيكون ذلك في الحقيقة استدامة تلك النعم مع حصول الزيادة لأن ذلك تغيير النعمة حتى يقال كيف تغير بلا
تغيير منهم والله أعلم ثم النعم التي لا يلحق لها الحدوث [illegible] من الطاقات وأمثال الخير يكون التغيير عليهم حال اكتساب
أضداد ذلك فتغير عليهم تلك النعم بمنع التوفيق والعصمة وإعطاء الخذلان وما كان من النعم البقاء من الأحوال كالأعيان
وما يحكم الدوام ويتجدد أمثالها حينا لا ينقطع مثل السلامة الذهن والفهم ونحو ذلك يكون التغيير من أجله من تبديل
التغيير منهم بصرف تلك النعم في غير موضعها والامتناع عن قضاء حق شكرها والله أعلم. وقوله تعالى: وإذا أراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له. الآية ترد على المعتزلة لأنهم يقولون إن الله تعالى لا يريد إلا ما هو أصلح لهم في الدين وقد أخبر أنه إذا أراد بقوم سوءا

فلا مرد له دل أنه قد يريد بهم السوء إذا غيروا هم ما أنعم الله عليهم فيغير ذلك عليهم وهم يقولون بملك
الخلق دفع سوء أراده الله بهم وإذا أراد الخير فلا يملكون رد ذلك فلا راد لفضله وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له
والله أعلم. وقوله تعالى: وما لهم من دونه من وال. أي ليس لهم من دفع العذاب الذي أراد بهم وأن يدفع عنهم ولا ينصرهم
كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. وقوله وال يحتمل وليا ومثل قائد ومدبر وحافظ وحفيظ. وقوله تعالى:
هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا. أي مخوفا ومطمعا أو يخافون ويطمعون قال أهل التأويل خوفا للمسافر وطمعا
للمقيم وقيل خوفا لأهل البنيان وطمعا لأهل الأنزال وعندنا يطمعون ويخافون قوم ولا يطمعون نفعه
في وقت المنفعة ويخافون ضرره في غير وقت النفع أو يطمعون نفعه ويخافون ضرره في وقته والله أعلم
ويحتمل وجها آخر أي يريكم خوفا موعودا وطمعا موعودا لأن في البرق نورا ونارا فالنور يطمع النور الموعود
في الجنة والنار يخوف النار الموعودة في الآخرة لأن فيها نارا [illegible] إذا اشتد أحرق من أصابه والله أعلم
وقوله تعالى: وينشئ السحاب الثقال. أي يرفع السحاب الثقال التي فيها المطر والماء قال أبو عوسجة نشأت
السماء إذا ارتفع الغيم فيها ونشأ الغيم نشوءا ويقال أنشأ ارتفعوا وأنشأ أعدم ويقال أنشأه الله أي أخرجه
ويقال أنشأ الله الخلق أي خلقهم. وقوله تعالى: ويسبح الرعد بحمده. اختلف في الرعد والبرق قال بعضهم الرعد هو
اسم ملك من الملائكة يكون مع كل سحاب صوته تسبيحه وعلى ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبلت يهود إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق
من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله عز وجل فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال زجره بالسحاب إذا
زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر فقالوا صدقت فإن ثبت هذا فهو هو وعن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الرعد والبرق فقال الرعد
الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقيل الرعد ملك على ما ذكرنا يزجر السحاب بتسبيحه ويسوقه فإذا اشتد
سحابة ضمها فإذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق وقال بعضهم الرعد هو الريح التي تسوق
السحاب فإذا تراكم السحاب فلم يجد منفذا صوت فذلك صوته وقال بعض الفلاسفة الرعد اصطكاك الأجرام فيحدث
بذلك هذا الصوت كالحجر يصيب الحجر وقال بعض الفلاسفة إنما هو ريح تحتقن تحت السحاب فتصدعه أو تشقه
فذلك الصوت منه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال الرعد ملك والبرق صوته الذي يزجر به السحاب
وقيل أمثال هذا كثير والله أعلم بذلك وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة سوى أنه هول هائل يهول الخلق و
يذكرهم سلطانه وعظمته ولولا أن الخلق اعتادوا ذلك وإلا لم يبق لهم نفس لسماع ذلك والله أعلم ثم يتكلم في
في كيفية تسبيح الرعد فإن كان الرعد هو الملك فيحتمل تسبيحه مثل تسبيح الملائكة وإن كان غير الملك فتسبيحه
هو تذكير الناس عظمة الله وسلطانه وتسبيحه وتنزيهه عما لا يليق به وصفاته [illegible] وإن كان الرعد غير ما
كان الملك والريح ونحوهما فالتسبيح يحتمل من كل شيء على ما أخبر الله تعالى حيث قال وإن من شيء إلا يسبح بحمده ثم يحتمل
التسبيح وجهين أحدهما تسبيح الخلقة فإنه جعل في خلقة كل شيء حمد صانعه وبراءته وتنزيهه عن كل ما وصفته
الملحدة به ودلالة ألوهيته وربوبيته وتوحيده ويحتمل التسبيح بالقول أيضا فإنه جعل في سرية كل شيء تسبيحه
وتنزيهه بحيث لا يفهمه الخلق ولا يسمع والله أعلم. وقوله تعالى: والملائكة من خيفته. أي الملائكة يسبحون من خيفته
الرعد ثم خوف الملائكة يخرج على وجهين أحدهما أي خوفا من عقوبته إياهم لأنه قد جاء فيهم الوعيد إن زلوا
كقوله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين والثاني خوف هيبة وجلال لا خوف
عقوبة ونكال لأن الله تعالى وصفهم بالطاعة والاستسلام بقوله لا يعصون الله ما أمرهم الآية وقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ونحو ذلك فخوف الهيبة والجلال لا يزول في الآخرة وخوف العقوبة يزول عنهم والله الموفق
وقوله تعالى: ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء. قيل الصاعقة التي يموت بها البعض ويذهب عقل البعض
كقوله فصعق من في السماوات ومن في الأرض وقيل هي اسم لعذاب وقد ذكرنا في موضع آخر وذكر في بعض الأخبار أن
رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن شيء من أمر الرب تعالى فجاءت صاعقة فأحرقته فنزل ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله أي في توحيد الله لأن أهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله و
ألوهيته. وقوله تعالى: وهو شديد المحال. قال بعضهم أي شديد الانتقام والعقوبة وقيل شديد القوة وقيل
شديد الأخذ وقال القتبي المحال الكيد والمكر وأصل المحال الحيلة لكن سمي باسم الأول لأنه جزاء الحيلة فكان
كتسميته جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء والكيد والمكر هو ما ذكرنا الأخذ من حيث الأمن من حيث
لا يشعرون وقال أبو عوسجة المحال الحيلة من المكر والله أعلم. وقوله تعالى: له دعوة الحق. يحتمل وجهين يحتمل
له عبادة الحق ليس لمن دونه العبادة بحق فهو المستحق للعبادة ليس لمن يعبد دونه بالحق يستحق العبادة فيبا
الحق له ليس لمن دونه والثاني له دعوة الحق والإجابة دعوة الحق ليس ذلك لمن دونه إجابة من دعي بالحق فعلى التأويل الأول الدعوة

العبادة وعلى التأويل الثاني الدعوة الاجابة اي له اجابة دعوة الحق وهو يملك ذلك فاما من دونه فلا يملكون ذلك
على ذلك قوله على اثره والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء اي ما الذين يدعون من دونه لا يملكون الاجابة
ويحتمل لا يملكون ما يأملون من عبادتهم الاصنام فيكون مثلهم ما ذكر الا كباسط كفيه الى الماء فيدعو الماء فكما
لا يجيبه الماء وان دعاه فكذلك من يعبد الاصنام لا يملكون اجابته والله اعلم ويحتمل ان يكون وجه ضرب هذا
المثل الذي من يعبدون دون الله او يدعون من دونه ليس الا كباسط الى الماء وهو على بعد منه فكما لا يصل هو الى الماء لا يصل
من يعبد دون الله تعالى ما يأمل ويطمع ويحتمل وجها اخر وهو ان الماء لم يغترف اذ قبض الكف ولا سبيل الى الاغتراف
اذ انبسط فمثل ذلك من يعبدون دون الله والله اعلم وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي دعاؤهم
وعبادتهم لم تعقب لهم الا الخسار في الآخرة بل يضل ذلك كله عنهم لا يصلون الى ما يأملون بالدعاء والعبادة
كقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل
قوله يسجد على حقيقة السجود فانه يسجد له المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فانه يسجد له بالاختيار والطوع
والكافر يسجد في حالة الضرورة كرها في حال الشدة والضيق ويحتمل ان المؤمن يسجدون له طوعا طوع عقل
لا طوع طبع ويكرهون سجوده كراهة الطبع لا كراهة العقل اذ النفس والطبع يأبى كل ما فيه مشقة والله اعلم ويحتمل
ان يكون سجود الكفار لله تعالى اختيارا وطوعا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله انهم وان عبدوا الاصنام ينوون العبادة والسجود لله تعالى لكنه لم يقبل ذلك منهم لاشراكهم غيره
في عبادته ثم يحتمل ما ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود فان كان هذا فهو التأويل ما ذكرنا لكنه
خاصة والثاني يحتمل سجود الخلقة فان كان المراد هذا فهو في جميع الخلائق ان جعل الله تعالى في خلقه كل شيء دلالة
وحدانيته والوهيته والثالث يحتمل سجود الاحوال فهو في المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فهو يسجد له على كل حال
واما الكافر فانه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضيق والله اعلم وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال
يحتمل ان يسجد ظلالهم بالغدو والآصال ايضا يستقل ظل كل احد باتباع نفسه ثم يحتمل سجود خلقة
وهو الخضوع يخضع له من في السموات والارض طوعا وكرها وفي هذا الخلائق كلهم سواء من البشر وغير البشر
ذي الروح وغير ذي الروح فهو قوله وظلالهم بالغدو والآصال اي ظلالهم تخضع ايضا وتعظم ويدل كل شيء
دلالة وحدانيته وعظمته فان قيل ما معنى التخصيص بالغدو والآصال قيل يحتمل وجهين احدهما يرجع الى الظلال
اي انها تسجد بالغدو والآصال لان الظلال تظهر بالغدو والآصال والثاني يرجع الى الجميع من ذكر دون كل الغدو
والآصال ليس على مراد الوقت ولكن يراد به الابد والدوام اي يسجد له من في السموات والارض في الاوقات كلها
والله اعلم وقوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله امر نبيه ان يسأل الكفرة ويقول لهم من رب السموات
والارض ثم امره ان يجيب لهم فيقول رب السموات والارض هو الله والاشكال ان هذا في الظاهر دعوى
يكون حجة لهم لان هذا وان كان في الظاهر دعوى لكنهم مقرون بالخالق على ما ذكر لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
وقوله خلقوا كخلقه ونحو ذلك لانهم يعرفون بهذا انهم لا يخلقون كخلقه ولا يملكون دفع الضر وجر النفع
والله اعلم ثم قوله قل من رب السموات والارض امر ان نبيا لهم من رب السموات والارض فلم يقل من يكون (?)
هذا فيقول لما امره ان يسألهم لا يتجاسرون ان يقولوا الاصنام التي يعبدونها هي ارباب السموات والارض
فاذا اقروا بهذا انه رب السموات والارض يدخل ما في السموات والارض في ربوبيته اذ السموات والارض انما خلقهما
لاهلهما فاذا كان هو رب السموات والارض كان رب ما فيهما فكانه يقول قل من رب السموات والارض والخلق
قل من يحكم على هذا التدبير والحكمة فذكر ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم في قوله قل من رب السموات والارض
قل الله امر ان نبيا لهم بذلك وامره ايضا ان يسبقهم بالجواب لانه هو السابق بكل خير فانهم مجيبون انه رب السموات
والارض دليله حرف ابي وابن مسعود وحفصة رضي الله تعالى عنهم حيث قرأوا قل من رب السموات والارض قالوا الله
وهو كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فدل انه امره ان يسبقهم بالاجابة حتى يكون هو السابق على
كل خير والله اعلم وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء يقول والله اعلم اذا اقررتم ان رب السموات والارض
هو الله وهو الاله فكيف اتخذتم من دونه الاصنام آلهة وأربابا وعبدتموها وجعلتم من ليس هو رب السموات
اولى بالعبادة له ممن اقررتم انه ربهما والله اعلم وقوله تعالى لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا اي اذ لا يملكون
نفعا لانفسهم ولا دفع الضر عنها فكيف يملكون نفع غيرهم او دفع الضر عن غيرهم وعرفتم انهم لا يملكون ذلك
وان الله تعالى هو المالك لذلك فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك واقدمتم على عبادة من لا يملك ويخرج تأويل
الآية على وجهين يقول لهم لا يملكون بانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتموهم آلهة دون الله والثاني لا يملكون لكم
نفعا ولا ضرا مع وجود الحاجة فيهما فكيف تجعلونه على رجاء النفع لكم بقولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولقد

لما ادى وقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور اي تعلمون ان الاصنام التي
تعبدونها عمي لا تبصر شيئا والله هو البصير فكيف تركتم عبادة من يبصر وعبدتم من لا يبصر هل يستوي الاعمى
والبصير اي لا يستوي ذلك او يقول لهم انكم تعبدون الاصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عمي وانتم بصراء
هل رأيتم اعمى يقود بصيرا في الشاهد وهل رأيتم من لا يبصر يكون دليلا للبصير فاذا لم تروا فكيف طمعتم من الاصنام
ذلك وقال اهل التأويل هل يستوي الاعمى والبصير الاعمى الكافر والبصير المؤمن وكذلك قالوا في قوله هل تستوي الظلمات
والنور الظلمات الكفر والنور الايمان ووجه قولهم في تشبيه الكفر بالظلمات والايمان بالنور لان الظلمة تحجب وتستر كل شيء
والنور يرفع ذلك الحجاب وذلك ان المستغل الايمان له دلائل وحجج يرفع تلك الحجب والستور فتنور له كل شيء والكفر ليس له
حجج ودلائل يرفع ذلك فهو ظلمة لا تضيء له شيئا والايمان نور يكشف له كل شيء بالدلائل والحجج فصار الكافر كالاعمى
لا يبصر شيئا لانه في الظلمة والمؤمن كالبصير لان معه دلائل يبصر بها كل شيء والله اعلم وقوله تعالى ام جعلوا لله شركاء
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اي خلق هؤلاء الاصنام التي تعبدونها واشركوها في الالوهية كخلق الله فتشابه
عليهم خلقه من خلق الاصنام اي عرفوا انها لم تخلق شيئا كما خلق الله فكيف اشركوا هذه الاصنام في عبادة الله (?)
وهم اقروا ان الله خالق كل شيء وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله تعالى لم يخلق افعال العباد ولا يقدر
على خلق افعالهم وهم خالقوها على زعمهم فيكون موضع تشابه الخلق عليهم على قولهم فيلزم فساد قولهم وقوله تعالى قل الله
خالق كل شيء وهو الواحد القهار اي كل شيء دونه تحت قهره وسلطانه والاصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة
وقوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الى آخر ما ذكر من الامثال
الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقال بعضهم
هذا مثل ضربه الله تعالى اليقين والشك فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع منه عمل
فاما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
وهو اليقين وكما يجعل الذهب في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك
وهو قول ابن عباس وقال قتادة قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره اي الوادي
الصغير والكبير ما احتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك
يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من زبده واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ضرب
المثل للحق والباطل يقول والله اعلم كما اضمحل هذا الزبد الذي ظهر على فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به ولا يرجى بركته
كذلك يضمحل الباطل عن اهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء في الارض وقرارها فامرعت به (?)
واخرجت الارض نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي هذا الماء في الارض ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول
كما يبقى خالص هذا الذهب والفضة حين ادخل في النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله وقوله او متاع زبد مثله
يعني بالمتاع الحديد والصفر والشبه ونحوها التي ينتفع بها وفيها منافع يقول كما بقي خالص هذا الحديد وهذا
الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي خالصهما والله اعلم وقال الكلبي قوله انزل من السماء
ماء وهو القرآن فاحتملته القلوب باهوائها ذو اليقين على قدر يقينه وذو الشك على قدر شكه فاحتملت الاهواء
باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية هي القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل وكذلك المتاع والحلية هو
الكذب (?) يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء فاما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فالزبد وخبث الحلية
وخبث المتاع هو الباطل من اصاب من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيامة لا ينتفع به واما الماء والحلية
والمتاع فهو الحق من اصاب شيئا منه ينتفع به فكذلك صاحب الحق يوم ينتفع به والله اعلم وقال الحسن هو مثل
ضربه الله مثل الايمان والكفر ومثل الحق والباطل فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها سال الوادي
الكبير على قدر كبره والوادي الصغير على قدر صغره فاحتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا ثم قال ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية الذهب والفضة والحديد والصفر والرصاص وقوله زبد مثله اي الذهب والفضة والشبه
والحديد خبث مثل زبد الماء اذا دخل النار وذلك الزبد والخبث لا ينفع اهله في الدنيا فكذلك الباطل
لا ينفع اهله في الآخرة كذلك يضرب الله الحق والباطل اي هكذا يضرب الله اي يبين الله ما ذكر من مثل الحق والباطل
وقوله فاما الزبد فيذهب جفاء قال يعني يابسا لا ينتفع به واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الارض فيسقون
ويزرعون به وينتفعون فهذه ثلاثة امثال ضربها الله تعالى في مثل واحد وذلك قوله كذلك يضرب الله الامثال
للذين استجابوا لربهم الحسنى يقول هكذا يبين الله تعالى الامثال والاشباه للذين استجابوا لربهم الحسنى
اي اجابوا لربهم في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى لهم فهي الجنة في الآخرة حين كان الله تعالى مثل الايمان
والحق ووصفهما بالنبات والقرار بالطيب بالارض الطيبة وبالشجرة الطيبة ثانيا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض

الطيبة وبالشجرة الطيبة ثابتا وضرب مثل الكفر والباطل بالأرض الخبيثة والشجرة الخبيثة ووصفهما بالخبث والذهاب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء الآية وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا وضرب مثل المؤمن مرة بالبصير والسميع ومثل الكافر بالأعمى والأصم فقال مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد ومثل الإيمان بالنور والضياء والحياة ونحو هذه الأمثال التي ضربها الله يخرج كلها مخرج الدعوى ظاهرا إذ ليس فيها بيان الحق من الباطل وبيان المحق من غير المحق سوى أن فيها هل يستوي ذا مع ذا وهل يستوي الطيب والخبيث والبصير والأعمى والظلمات والنور وأمثاله هذا كله غير مستو وكل أهل الأديان وإن اختلفت مذاهبهم يقولون إن الذي عليه هو الحق والذي عليه غيره هو الباطل وينفي كل من نفسه العمى والصمم وكونه في ظلمة ويدعي كونه في النور ونحو ذلك في هذه الأمثال التي ضربت بيان الحق من الباطل والمحق من غير المحق من الإيمان والحجج وإلا لم يعرف ذا من ذا المعقول بالعقول الحسنة الطيبة وما يعقب من ثمرة وبين قبح الكفر والباطل وما يعقب لأهله من مرارة والله أعلم وقال القتبي زبدا رابيا أي عاليا ابتغاء حلية أي حلي أو متاع أي من فلز الأرض وجواهرها مثل الرصاص والحديد ونحوهما من الذهب والفضة وكذلك خبث يعلوها إذا أذيبت مثل زبد الماء والجفاء ما رمى به الوادي إلى جنباته يقال أجفأت القدر بزبدها إذا ألقت زبدها عنها وقال أبو عوسجة رابيا أي مرتفعا فوق ظهر الماء فهو لحمة يقال ربا الماء أي ارتفع زبد وقوله ابتغاء حلية من الذهب والفضة مما يتحلى به وقوله يذهب جفاء أي باطلا لا ينتفع به وقال الجفاء ما يجفا إذا أجفأت القدر إذا ألقاه وذلك ثم يجري به الماء وأما الجفاء فهو طرحها والتهاون بالإنسان وقيله الاستخفاف به وقال أبو عبيد الجفاء الجمود يذهب إلى أن الزبد يجمد ويجتمع على الماء ثم يذهب بما شاء وقال فيذهب جفاء أي يذهب سريعا كما جاء قال الشيخ رحمه الله ويشبه أن يكون المثل الذي ضرب بالماء هو الدين وهو أن الدين الحق الذي أنزل من السماء واحد لكن الناس يحدثون أديانا متفرقة ومذاهب مختلفة كقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فالدين الذي أمر باتباعه وسلوكه واحد وهو كالماء الذي أنزل واحدا صافيا وهو الأصل ثم أحدث منها أشياء لا ينتفع بها ولا يكثر فكذلك السبيل الحق واحد والله أعلم ويحتمل أن يكون ضرب مثله بالماء الذي أنزل من السماء أنزل طيبا عذبا لكن اختلف ألوانه وطعومه باختلاف الأرض فبعضه خرج مالحا أجاجا وبعضه مرا وبعضه عذبا فالذي ينتفع به هو العذب فكذلك الدين الذي ينتفع به واحد والذي لا ينتفع به كالمياه المرة والمالحة والله أعلم ويحتمل أن يكون غير هذا مما نحن لا نعرفه والله أعلم وقوله تعالى كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى أي أجابوا ربهم فيما دعاهم وإنما دعاهم إلى دار السلام بقوله والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم دعاهم إلى دار السلام ومكن لهم في الإجابة والرد فمن أجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسنى التي ذكر ومن رد دعاءه كان له النار ودار الهوان فإنما اختار فعله الموعود الذي وعد إن اختار إجابته إلى ما دعاه فله النعيم لما أن الذي وعد دار السلام ولمن اختار الرد وترك الإجابة فله ما وعد من العذاب الدائم والهوان والأمثال التي ذكرناها الذين استجابوا لربهم وهكذا للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وكذلك ما ذكر من هدى ورحمة وشفاء ونحوه أي هدى ورحمة للمؤمنين فأما على أهل الكفر فهو عمى وضلال قال الله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم وأما قلوب الكفار فكما ذكر في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وأمثال ذلك والله أعلم وقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به ذكر هذا والله أعلم أن الذي كان يمنعهم عن الإجابة إلى ما دعاهم رغبتهم في هذه الدنيا وميلهم إليها يتمنون بما يحل بهم من العذاب والشدائد أن يكون لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه حتى يفتدوا به لو قبل منهم والله أعلم وقوله تعالى أولئك لهم سوء الحساب أي يحاسبون حسابا يسوءهم لأن حسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم بل صارت كالسراب الذي ذكر الله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا أو لا يتجاوز عن سيئاتهم وقوله تعالى ومأواهم جهنم وبئس المهاد أي مرجعهم وقرارهم جهنم وبئس المهاد لما يسوءهم ذلك والله أعلم وقوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي من يعلم الحق حقا كمن هو عمي عنه ولا يعلم أو من يعلم الحق حقا كمن يعلمه باطلا أي لا يستوي وهو كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى إنما يتذكر أولو الألباب أي إنما يتذكر بالتذكير أولو الألباب وقوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فقال الذين يوفون بعهد الله يحتمل عهد الله في خلقه يوفون بما في خلقهم من العهد إذ في خلقة كل أحد دلالة وحدانيته وشهادة ألوهيته وحكمته فوفوا بذلك العهد ويحتمل عهد الله على ألسن الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وهو ما ذكر في آية أخرى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

وحكمة الآية وقال وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقوله تعالى ولا ينقضون الميثاق الميثاق والعهد واحد وسمي العهد ميثاقا لأنه يوثق المرء ويمنعه عن الاستعمال بغيره والله أعلم وقوله تعالى والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل الصلات التي أمر الله بها أن توصل على جهاتها ومراتبها أما بينه وبين المسلمين أن لا يحبهم إلا بما يحب لنفسه ولا يصحبهم إلا بما يحب وأما فيما بينه وبين محارمه أن يؤدي ويحفظ الحقوق التي جعل الله لبعضهم على بعض ولا يضيعها وأما فيما بينه وبين الرسل فهو أن يحفظ حقوقهم أن يوصل الإيمان بالنبيين جميعا والكتب كلها فهذه الصلات التي أمر الله أن يوصل بها والله أعلم وقوله تعالى ويخشون ربهم أما بالتقصير فيما أمر أن يوصل وأما بالتفريط في ذلك وترك الصلة أصلا وقوله تعالى ويخافون سوء الحساب أي شدة الحساب حتى لا يتغمدهم حسابهم ولا يتجاوز ولا يتجافى عن سيئاتهم فذلك يسوءهم وقوله تعالى والذين صبروا فقد ذكرنا فيما تقدم أن الصبر هو كف النفس وحبسها عما تهواه وحملها على ما تكره ويثقل عليها فيحتمل كفها وحبسها عن الجزع في المصائب وعلى أداء ما افترض عليهم وأمرهم بها ويحتمل أي كفوا أنفسهم وحبسوها عن المعاصي فيكون الصبر على هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا وقوله تعالى ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل ابتغاء رضوان الله ويحتمل ابتغاء وجه يكون لهم عند الله وهو المنزلة والرفعة ولذلك سمي الرفيع وذو المنزلة وجيها قال الله تعالى وجيها في الدنيا والآخرة أي ذا منزلة ورفعة في الدنيا والآخرة وعلى هذا يخرج قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله أي ثمة الجهة التي أمر الله تعالى أن يتوجه إليها وقيل ثم رضاء الله فعلى ذلك قوله ابتغاء وجه ربهم أي ابتغاء المنزلة والرفعة التي تكون لهم عند ربهم وابتغاء رضوان ربهم ومرضاته والله أعلم وقوله تعالى وأقاموا الصلاة أي داوموا على إقامتها وعلى ذلك قوله أقيموا الصلاة أي داوموا على إقامتها ويحتمل وأقاموا الصلاة أي جعلوها قائمة أبدا وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل كل نفقة الصدقة والزكاة وما ينفق على عياله وولده سرا وعلانية أي ينفقون في كل وقت سرا من الناس وعلانية منهم أي ينفقون في جهل من الناس وعلى علم منهم ينفقون على كل حال لا يمنعهم علم الناس بذلك عن الإنفاق بعد أن يكون لابتغاء وجه ربهم وقوله تعالى ويدرؤون بالحسنة السيئة أي يدفعون بالحسنة السيئة ثم يحتمل وجهين أحدهما يدفعون بالإحسان إليهم العداوة التي كانت بينهم كقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم والثاني أي يدرؤون الإساءة التي كانت إليهم بالخير إليهم والمعروف ولا يكافئون بالسيء ولكن يدفعون بالخير كالمعصية في قوله ويدرؤون بالحسنة السيئة أي إذا سفه عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة وقوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار أي العقبى لأولئك الذين أتوا بما ذكر من وفاء العهد ووصلوا التي أمروا أن يوصل وصبروا على أداء ما أمروا به وافترض عليهم وانتهوا عما نهوا عنه الدار التي دعاهم الله إليها بقوله والله يدعو إلى دار السلام والثاني أولئك لهم عقبى الدار أو عقبى حسناتهم دار الحسنة أو أولئك لهم عقبى هذه الدار الجنة أو عاقبتهم دار الجنة ثم نعت تلك الدار فقال جنات عدن يدخلونها قال أهل التأويل العدن هو بطنان الجنة وهو وسطها وقال بعضهم العدن هو الإقامة أي جنات يقيمون فيها يقال عدن بمكان أي أقام به وقوله تعالى ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فإن قيل خص الذكر للآباء والأزواج والذريات وهم يدخلون في قوله الذين يوفون بعهد الله وفي قوله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وفي قوله والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فما معنى تخصيصهم بالذكر قيل لهذا يحتمل وجوها أحدها يحتمل أنه يكون فيمن أسلموا فاخترموا كما أسلموا ولم يكن لهم ما ذكر من الخيرات والحسنات التي بها نالوا الجنات إذ أصل الإيمان ينال به الجنة إنما الدرجات بالطاعات والعبادات ولكن هؤلاء يدخلونها أيضا ويلحقون بأولئك سلفهم والثاني لم يبلغوا الدرجة التي بلغ أولئك فأخبر أنه يبلغهم درجات أولئك ويلحقهم بهم كقوله والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الآية يضم بعضهم إلى بعض في الآخرة كما كانوا في الدنيا ويضم كل قرين إلى قرينه في الآخرة أيضا ثم في قوله ومن صلح من آبائهم وما ذكر دلالة أن صلاح غيره وإن قرب منه لا ينفعه حتى يكون نفسه صالحا حيث قال ومن صلح من آبائهم وهو ما قال لنوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح دل هذا على أن صلاح والده أو قرينه لا يجدي له نفعا إذا لم يكن له صلاح نفسه والله أعلم وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب هذا يحتمل وجهين يحتمل أن يكون لتلقيهم وما يتعلق بهم أي يدخل عليهم من كل باب ويحتمل أن يأتي كل ملك بتحفة غير التحفة التي بها الآخر على اختلاف خيراتهم وتعداد أعمالهم من كل باب أي من كل نوع من التحف وفي الآية وجهان من الدلالة أحدهما أن الملائكة يكونون خدم أهل الجنة وفي ذلك تفضيل البشر عليهم والثاني أن يكونوا على حق المصاحبة التي لأهل الخير من البشر في الدنيا الخير لهم فيجعل الله بينهم الرفقة والصحبة في الآخرة والله أعلم وقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم كقوله تحيتهم فيها سلام وقوله فنعم عقبى الدار بما ذكرنا في قوله أولئك لهم عقبى الدار وقوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرنا في غير موضع وكذلك النقض وقوله تعالى ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض كل حرف من هذه الأحرف يقتضي معنى الحرف الآخر إذ النقض للعهد والميثاق فقد قطعوا

ما امر الله به ان يوصل صلة الايمان بالنبيين والكتب جميعا ان كان صلة الارحام فهو فضل والسعي في الارض بالفساد فعل
ايضا من زنا او سرقة او قطع الطريق وغير ذلك من المعاصي مما كان نهوا ان يعثوا في الارض والله اعلم ثم قوله ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل يحتمل وجوها يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا من وصل الايمان ببعض الرسل بالكل وبجميع الكتب
ويحتمل صلة الارحام التي فرض الله عليهم صلتهم فقطعوا ذلك وامرهم ان يصلوا اعمالهم بما اعتقدوا والله اعلم وقوله
اولئك لهم اللعنة * اللعنة هي الطرد والابعاد في اللغة كانهم طردوا وابعدوا من رحمة الله في الاخرة او طردوا وابعدوا
من هداية الله وارشاده في الدنيا وقوله تعالى ولهم سوء الدار * قد ذكرنا انهم دعوا الى دار وحمدوا فيها اذ دعى الى
دار انسلكم فاذا اجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر وحمدوا واعز دار الهوان فان لم يجيبوا فلهم دار السوء الخلود والله اعلم
ويحتمل ان ذكر لاهل النار سوء الدار مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسن المآب وحسن الثواب والحسنى ويحتمل سماها سوء الدار
لما يسوء مقامهم فيها والله اعلم وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر * يرغبهم فيما عنده ويؤيسهم عما في ايدي
الخلق ويقطع رجاءهم عن ذلك لان الذي كان يمنعهم عن الايمان به ويحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة لهم
هذه الاموال التي كانت في ايدي اولئك وبما رأوا ودوام الرياسة والعز والشرف لهم في هذه الدار فقال الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر اخبر ان الله هو الباسط لذلك والمقتر والقادر له لا اولئك يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء ليس في
الى الخلق والله اعلم وذكر انه يبسط الرزق لمن يشاء من اوليائه واعدائه ويقدر على من يشاء من اوليائه واعدائه ليعلم ان
التوسيع في الدنيا والبسط لا يدل على الولاية ولا التقتير والتضييق يدل على العداوة وليس كما يكون في الشاهد من التوسيع
على الاولياء والتضييق على الاعداء لان التوسيع في الدنيا والتضييق محنة وفي الاخرة محل الجزاء ويسوي في المحنة
بين الولي والعدو ويجمع بينهما في ذلك ويفرق بينهما في الجزاء والله اعلم وقوله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا * يحتمل
قوله وفرحوا بالحيوة الدنيا صلة ما تقدم وهو قوله والذين ينقضون عهد الله الى قوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض ويفرحون بالحيوة الدنيا ثم الفرح يحتمل وجهين احدهما يحتمل فرحوا بالحيوة الدنيا اي رضوا
بها كقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها او فرحوا اسروا بها فان قيل ان المؤمن ربما يسر بالحيوة الدنيا قيل لكن المؤمن
قد يسر لكن لا ينهى سروره بها وفرحه عليها عن الاخرة ولا يمنعه عن الطاعات بل اما الكافر فانه يشتد سروره
بها وفرحه عليها يلهيه عن الاخرة ويمنع جميع الطاعات وهكذا المرء في الناس انه اذا اشتد به السرور بالشيء يلهو
عن غيره او يغفل عنه والثاني يحتمل ان يكون قوله فرحوا اي اشروا وبطروا كقوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين اي الاشرين البطرين وقوله تعالى وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع * تأويله والله اعلم اي ما الحيوة الدنيا
مع طول تمتعهم بمقابلة تمتع الاخرة الا كمتاع ساعة او كمتاع شيء يسير فهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحيها
وقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون مع طول ما متعوا في هذه الدنيا عند متاع الاخرة كانهم ما متعوا الا ساعة
فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وهو كما ذكر في قوله فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل لانه
عند متاع الاخرة لان متاع الاخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع لا يشوبه آفة ولا حزن ولا خوف لذلك كان عند
قليلا عند متاع الاخرة ونعيمها والله اعلم وقال بعض اهل التاويل وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع اي الا لهو
وباطل لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم بذلك وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه * يحتمل
سؤالهم الآيات تعنتا الآيات التي اتت بها الرسل من قبل قومهم او سألوا آيات سموها كقوله وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخر ما ذكر من الآيات سألوها منه ويحتمل سألوا آيات تضطرهم وتقهرهم على الايمان
كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفي الآية دلالة على انه لو شاء لانزل آية آمنوا
كلهم بها واهتدوا وان عنده اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم وتوحيدهم وكذلك عنده اشياء
لو اعطى لكان ذلك سبب كفرهم جميعا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون لكنه لا ينزل الآية على شهواتهم واما لهم ولكن ينزل اشياء تكون
عند التأمل والنظر حجة لمن تأمل فيها وتفكر لاهتدى وآمن بالاختيار ومن اعرض عنها ولم يتفكر ضل وكفر
بالاختيار ويحتمل قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية اي ان نشأ ايمانهم واهتداءهم ننزل عليهم آية ولكن
ان الله انما شاء اهتداء من علم انه يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال من علم انه يختار فعل الضلال والكفر
فشاء لكل ما علم منه انه يختار ذلك بعد ذلك تأويل قوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب
اي ينزل من الآيات ما يهتدي بها المنيب اليها والمقبل ويضل المعرض عنها والمضاد بالاختيار ويكون اهتداؤهم
باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا بالاضطرار والقهر لا برهانه قال الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهو
القرآن الذي انزله على رسوله فهو وصف المقبل المنيب الى ذكر الله لتسكن وتطمئن قلوبهم بالتأمل والتفكر فيها الا
بذكر الله تطمئن القلوب وتسكن اليه وقال بعض اهل التاويل هو في الحلف والخصومة اي الا بالحلف بالله تطمئن وتسكن قلوب

الذين آمنوا لا تطمئن بالحلف بغير الله وقال بعضهم اي بالقرآن وبما في القرآن من الثواب يسكن قلوب الذين آمنوا
والله اعلم ويشبه ان يكون قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي تفرح وتستبشر قلوب الذين آمنوا بذكر الله
الا بذكر الله تستبشر وتفرح قلوب الذين آمنوا ذكر في الكافر الفرح بالحيوة وهو قوله وفرحوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا
بها وذكر في المؤمن الاستبشار والفرح بذكر الله وفي اولئك ذكر ان قلوبهم تشمئز بذكر الرحمن ويستبشر بذكر من دونه
بقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون واخبر
ان قلوب المؤمنين تستبشر وتفرح بذكر الله وقلوب اولئك تشمئز بذكر الله وتستبشر بذكر من دون الله والله اعلم
ثم يحتمل قوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وجهين ايضا احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله لهم اي بذكر الله اياهم
التوفيق والتسديد والعصمة ونحو ذلك والثاني يطمئن قلوبهم بذكر الله وذكرهم الله احسانه ونعمه وعظمته وجلاله
ونحو ذلك وقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب * قيل خير لهم وغبطة وقيل حسنى لهم
ونعمى لهم وقيل طوبى لهم اي اصبت خيرا وقيل طوبى اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بالهندية وقيل اسم شجرة في الجنة
سئل عنها رسول الله فاجاب بكذا ذكر اهل الجنة فان كان هذا اسم شجرة فذلك لا يستقيم الا على سبب وهو ما
كان اهل الكتاب يدعونها لانفسهم فاخبر انها للذين آمنوا لا لهم كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ثم بلى
من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا الجنة لانفسهم فاخبر انها ليست لهم لكن للذين اسلم واخلص وجهه لله فعلى ذلك
يشبه ان يكونوا ادعوا طوبى لانفسهم فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين آمنوا وان كان في مشركي العرب فهم ينكرون
البعث والجنة والنار فيشبه ان يكون لما قالوا ان كان بعث على ما قالوا او كان بعث على ما يقولون وجنة وطوبى فهي لنا
كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم طوبى كلمة مدح الله تعالى بها اوليائه مما بهم وقال بعضهم طوبى كرامة
اعدها الله تعالى لاوليائه وهي مذكورة في الكتب والله اعلم وقوله تعالى كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها
امم * اي كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا ولكم بكم يكفرون بالرحمن وقال لكل واحد من الرسل لا اله الا هو عليه توكلت واليه
متاب اي كل رسول كان ارسل قبلك امر ان يقول ما ذكر كذلك ارسلناك الى قومك رسولا وان كانوا يكفرون
بالرحمن فقل انت ما قال اولئك الرسل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب لم يخل امة عن رسول كقوله
وان من امة الا خلا فيها نذير والله اعلم ويشبه ان يكون هذه الآية صلة قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
آية من ربه فيقول ارسلناك لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك انباء الرسل والامم الذين كانوا من قبلك عليهم ليكون
آية لرسالتك ليعلموا انك انما علمت تلك الانباء بالله تعالى والله اعلم وقوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن يقول والله اعلم
وهم يكفرون بالرحمن وفي كل الخلائق آية توحيد الرحمن والوهيته وفي كل الخلائق آية رسالتك وهم مع هذا يكفرون
بالرحمن فعلى ذلك يكفرون برسالتك يصبر النبي على تكذيبهم لكفرهم اياه والله اعلم وقال بعضهم الرحمن اسم من اسماء الله
في الكتب الاولى وان النبي عليه السلام كتب في كتاب الى بعض الكفرة بسم الله الرحمن الرحيم فابوا ان يقروا به وقالوا
وما الرحمن انا لا نعرفه فنزل قوله وهم يكفرون بالرحمن والله اعلم قال ابو بكر الاصم قوله وهم يكفرون بالرحمن صلة
قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه كانه يقول ارسلناك اليهم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وان
كانوا يكفرون بالرحمن ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه تعنتا فانهم من اهل التعنت والعناد فلا تنظر الى عنادهم
وانزل عليهم ما نزل في الكتاب الا ترى انه قال على اثر ذلك ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض الآية فقال لو
ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بعد ما رحيت بذلك كله كان يرد عليهم التكذيب والعناد
وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله
ان نشأ ننزل عليهم من السماء الآية يخبر عن عنادهم انهم لا يؤمنون بالآية وان عظمت الا ان يشاء الله ان يؤمنوا كرها
والله اعلم وقال بعضهم قوله وهم يكفرون بالرحمن باسم الرحمن لانهم قالوا ان محمدا كان يدعونا الى عبادة الله فالساعة
يدعونا الى عبادة الرحمن والوهيته فذلك منه دعاء الى عبادة اثنين وكان ينهانا عن ذلك فقال وهم يكفرون بالرحمن
قل هو ربي لا اله الا هو اي دعائي الى عبادة الرحمن والوهيته هو دعائي الى عبادة الله هو واحد ليس باثنين ولا عدد كقوله
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي تعدد الاسماء لا يوجب عددا لذات كما يكون في الشاهد الشيء باسماء
مختلفة فعلى ذلك في الغائب وقوله تعالى عليه توكلت * قد ذكرنا وقوله تعالى واليه متاب * اي اليه المرجع والله اعلم
وقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال * الى آخره ذكر بعض اهل التاويل انه ولو ان قرآنا غير قرآنك سيرت
به الجبال عن اماكنها او قطعت به الارض او كلم به الموتى لفعل الله ذلك بقرآنك ولكن لم تفعل بكتاب من كتب انزلها على الرسل
الذين من قبلك ولكن شيء اعطيته انبيائي ورسلي بل لله الامر جميعا يقول بل جميع ذلك الامر كان من الله لا من القرآن
اي لو فعل بالقرآن ذلك لكان جميع ذلك من الله بل لله الامر جميعا ان شاء فعل لما سألتم وان شاء لم يفعل والله اعلم ويحتمل
اي لو ان قرآنا فعل بما ذكر لكان هذا القرآن لعظمه لهذا الفعل والله اعلم اقرب وهذا محتمل ويشبه ان يكون فيه غير هذا والله

وهو ان يكون هذا صلة لما تقدم من سؤالهم الآيات وهو قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
فيقول ولو ان قرآنا الذي تقراه عليهم لو سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما امنوا بك
ولما صدقوك على ما سالت على ما لا يؤمنون بالرحمن وكل الخلائق لماية لو جاءتهم والوحشة بحضرة تعنتهم و
تمردهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم رسول الله ان سؤالهم الاية سؤال تعنت وتمرد ليس سؤال استرشاد
واستهدا والله اعلم وقوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا قال بعضهم هو صلة قوله وهم يكفرون بالرحمن وقوله ولو
ان قرآنا سيرت به الجبال الآية يقول افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمان هؤلاء مما ذكرنا من الآيات عودا لما ذكرنا
وصفهم وتمام هذا كان المؤمنين سالوا لهم الآيات التي سالوها من رسول الله ليؤمنوا فقيل افلم ييأس الذين
آمنوا عن ايمان هؤلاء كما قال عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات
عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كان المؤمنين سالوا لهم الآيات ليؤمنوا فقال وما يشعركم ايها المؤمنون
انها اذا جاءت لا يؤمنون على طرح حرف لا اي يؤمنون على هذا التأويل فعلى ذلك هذا والله اعلم وقال بعضهم
افلم ييأس الذين آمنوا انهم لا يؤمنون لكثرة ما رأوا منهم من العناد والمكابرة وقال بعضهم فلم ييأس الذين
آمنوا اي افلم يعلم الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فسروا الاياس بالعلم واليقين لان الاياس
اذا غلب يعمل عمل العلم كالخوف والظن جعلوه يقينا وعلما للغلبة لانه اذا غلب يعمل عمل اليقين فعلى ذلك
ذلك فكذلك ههنا ذكر الاياس على ارادة العلم وعن عائشة رضي الله عنها في قوله افلم ييأس الذين آمنوا
ان قوله افلم ييأس خطأ من الكاتب انما هو افلم يتبين للذين آمنوا وقال بعضهم افلم ييأس الذين آمنوا افلم يعلم
الذين آمنوا اي حتى يعلم الذين آمنوا ان لو يشاء لهدى الناس واهتدى اهل الاسلام وقال صاحب هذا التأويل جائز في
اللغة ييأس بمعنى يعلم وذكر انها لغة لخم وغيرها والله اعلم وقال بعضهم قوله افلم ييأس الذين آمنوا منقطع
من قوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ان لو يشاء الله موصول بما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء فقال لو كان ما قالوا يكون لهدى الناس جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدي
من يشاء اي من علم منه انه يختار الضلال لا يهدي من يشاء كذلك ان من علم منه انه يختار الهدى يشاء ذلك له وقوله
قوله افلم ييأس الذين آمنوا منقطع عنه لا جواب له وجوابه كانه قال افلم ييأس الذين آمنوا منقطع عنه لاجل ان
لا جوابه كانه قال افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم لكثرة ما رأوا منهم من العناد والمكابرة لتمردهم ثم سألهم الآيات
والحجج كان اهل الايمان سالوا رسول الله الآيات التي سالوها رغبة في اسلامهم فاشفقوا عليهم فقال والله اعلم
افلم ييأس الذين آمنوا اي الرباني للذين آمنوا الاياس من ايمانهم وهذا في الذين آمنوا ان ييأسوا من ايمانهم وهو كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية فعلى ذلك هذا يقول لا في الدين ان ييأسوا من ايمانهم ولو يشاء الله لهدى الناس
جميعا وهو كقوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله والله اعلم وقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله اي ولا يزال الذين كفروا وحاربوا رسول الله تصيبهم بما صنعوا قارعة
القارعة هي ما تقرع القلوب ويكسرها وقرعهم يكون بعذاب وقتل وهزيمة وسبي ذراريهم واغتنام المسلمين
اموالهم ويحتمل ما ذكر من اصابة القارعة الجوع والشدائد التي اصابتهم ويحتمل القتال الذي كان بينه وبينهم
وقوله او تحل قريبا من دارهم هو نزول السرايا بقرب من دارهم او تحل انت قريبا من دارهم وقال بعضهم اي القارعة
تحل بالدين او قريب منكم ديارهم وقال بعضهم لا يزال السرية من سرايا رسول الله تحل بعضهم وينزل هو قريبا منهم
وقوله حتى يأتي وعد الله يحتمل فتح مكة اي تحل قريبا من دارهم حتى يكون ما وعد الله من فتح مكة عليك او يكون
وعد الله هو البعث والله اعلم ثم قوله حتى يأتي وعد الله يخرج على وجهين احدهما ان تظفر بهم جميعا وان
تورث المؤمنين ارضهم وديارهم واموالهم والثاني يكون وعد الله من فتح مكة عليك او يكون وعد الله وهو
والله اعلم ثم قوله حتى يأتي وعد الله يخرج على وجهين احدهما ان تظفر بهم جميعا وان تورث المؤمنين ارضهم
وديارهم واموالهم والثاني يكون وعد الله فتح مكة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وقوله
ان الله لا يخلف الميعاد اي لا يخلف ما وعد رسوله من الفتح والنصر وغير ذلك
وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد استهزئ برسل من قبلك قومهم كما استهزئ بك قومك
ثم امرهم بالصبر على تكذيبهم وقال ابو بكر الاصم ولقد استهزئ برسل اي ولقد استهزئ بمن تقدم من الرسل سالهم
قومهم الآيات فاتاهم العذاب بعدما سالوه من الآية اراد والله اعلم وهو صلة ما تقدم من قوله ويقول الذين كفروا
لولا انزل عليه آية من ربه وقوله تعالى فامليت للذين كفروا اي امهلتهم فكفروا وهزءوا وقوله تعالى ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب هذا يدل على ان تأخير العذاب عنهم لا يؤمنهم ثم اخذتهم وهم آمنون فكيف كان عقاب
يقول الخلائق بهم حين ما نزل بهم وقال بعضهم فكيف كان عقاب الله اي شديد عقابه وهو كقوله وكأين من قرية

امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير وقيل فكيف رأيت هذا الخطر الشديد وجدوه شديدا ويحتمل فكيف كان
عقابا لشديدا اوعد الرسل من العذاب كان حقا صدقا والله اعلم وقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
قال ابو بكر الاصم يقول امن الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت الله ام شركاؤكم والقائم هو المدبر الحافظ لكل ما في
الخلق وكسبه كان يكون تأويله امن هو قائم وحافظ وعالم وبالرزق لهم والدفع عنهم على كل نفس بما كسبت كمن
هو لعمى عن ذلك ليسا سواء كقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى او يقول افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت كمن هو غير قائم عليه ليسا سواء والله اعلم وقال مقاتل افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت على رزقهم
وطعامهم ثم قال وجعلوا لله شركاء وصنعوا له شركاء وعبدوها والله احق ان تعبد من غيره يقول الله انا القائم
على كل نفس لرزقهم واطعمهم فكونوا وشركائي الذين لا يفعلون ذلك سواء او كيف تعبدون ما صنعتم افمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت اي يرزق ويبصر ويعلم ما يعمل ويكتسب ويحفظ من انواع البلاء كمن هو اعمى جاهل عاجز به
عن ذلك كله اي ليس هذا كذلك يسفههم في اشراكهم الاصنام التي عبدوها في الالوهية والعبادة وهي بالوصف
الذي ذكر اعمى عاجز جاهل والله اعلم ويحتمل افمن هو قائم على كل نفس بما قدر لها وقوتها او في الجزاء يجزي على ما كسبت
وجعلوا لله شركاء في العبادة او في تسميتهم آلهة لا يعلمون ما كسبت ولا يملكون جزاء ما كسبوا لهم ايضا
سفههم في جعلهم الاصنام شركاء لله في العبادة وتسميتهم آلهة مع علمهم انهم لا يقدرون ولا يملكون
من ذلك شيئا وقوله تعالى قل سموهم قال بعض اهل التأويل قل سموهم بحق الاسم فلو سموهم سموهم بكذب
باطل وزور وعندنا قوله قل سموهم اي لو سميتموها آلهة واتخذتموها معبودا فسموهم ايضا باسماء سميتم
بها من نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحو ذلك يقول والله اعلم اذ سميتم هذه الاصنام آلهة ومعبودا
وسموهم ايضا خالقا ورازقا ورحمانا ورحيما وانتم تعلمون انها ليست كذلك والله اعلم وقوله تعالى ام تنبئونه
بما لا يعلم في الارض اي ام تنبئون الله وهو عالم في السموات وما في الارض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم ما يقولون
في الارض من آلهة وما تصفون بها انها شركاء وكذلك يخرج قوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه
وتعالى عما يشركون ويحتمل ام تنبئونه بما ليس في الارض شيء مما يقولون وتصفون وقوله تعالى ام بظاهر من القول
قال اهل التأويل اي بل بباطل من القول ويشبه ان يكون بظاهر من القول اي بضعيف من القول يسمون
الشيء الذي لا حقيقة له ولا اثبات بظاهر بادئ كقوله الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ضعيفي الرأي وحقيقة له
ولا قرار ويحتمل ام بظاهر من القول في الخلق والاسلام اي لم ينظر ما يقولون ويصفون من الهية هذه الاصنام
وتسميتها آلهة ومعبودا فيكون ام في موضع حقيقة ويقين على هذا التأويل وقوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم
قال بعض اهل التأويل مكرهم قولهم الذي قالوه من الكذب والزور انها آلهة وانها شركاء لله لكن يشبه ان يكون
قوله مكرهم اي مكرهم برسول الله حيث احتالوا الحيل ليقتلوه لئلا يظهر هذا الدين في الارض ويطفئوا هذا النور
عزهم وشرفهم في هذه الدنيا وهو كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية في المكر الحيل
والاخذ من حيث الامن والله اعلم وقوله تعالى وصدوا عن السبيل اي صدوا اتباعهم من مكرهم واحتيالهم الحيل الخالق
والسبيل المطلق هو سبيل الله والا كان جميع الاديان والمذاهب يسمى سبيلا لقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق ينصرف الى سبيل الله والكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله
وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد اي من اضله الله فلا يملك احد هدايته ومن هداه الله فلا يملك احد اضلاله
وقوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا يحتمل القتل والقتال والجوع والخوف وانواع البلايا كقوله وضرب الله
مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون وقوله تعالى ولعذاب الآخرة اشق اي اشد وقوله تعالى وما لهم من الله من واق اي ما لهم
من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي اشبه الجنة التي وعد المتقون
كشبه النار التي وعد الكافرون اي ليسا بشبيهين ولا مثلين ولا يكون هذا مثل ذلك ولا يشبهها وهو كقوله مثل
الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الى قوله كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم يقول
والله اعلم الذي وصف من النعيم الثابتة كالذي يكون عذابه ووصف كذا اي لا يكون نعيم ذلك الاول وقوله تعالى
تجري من تحتها الانهار اكلها دائم اي ثمارها دائمة لا تزول ولا تنقطع ليست كثمار الدنيا ونعيمها اذ ليس ثم
من ثمرات الدنيا الاولى تزول وتنقطع في وقت فاخبر ان ثمار الآخرة وما فيها من النعيم غير زائلة ولا منقطعة وكذلك
عذابها دائم لا يزول وقوله تعالى وظلها اخبر ان ظل الجنة لا يزول ولا ينقطع لا يكون فيها شمس تنسخ ظلها في دعا
وصف جميع ما في الجنة بالدوام والمنفعة الظل لا اذى فيه وفيه منافع والشمس فيه اذى ومنافع وكذلك جميع ما يكون
في الدنيا من الاشياء يكون فيها منافع ومضار وانها تزول وتنقطع فاخبر ان ظل الآخرة وما فيها من النعيم نعمة بلا

غير زائلة ولا منقطعة ولا محضرة فيها ليس كنعيم الدنيا وظلها دائم وقوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى
الكافرين النار. ظاهر هذا ان يكون المراد بقوله الذين اتقوا اتقاء الشرك لانه ذكر مقابله وعقبى الكافرين النار
ومعناه تلك الجنة التي ذكرنا وصفها جزاء الذين اتقوا الشرك وعقبى الكافرين النار اي جزاء الكافرين النار او يقال
عقبى الذين اتقوا هذه الدنيا الجنة وعقبى مكذبيها النار وقال بعضهم تلك عاقبة الذين اتقوا اي اتقوا الى عاقبة اعمالهم
وحسناتهم الجنة وعاقبة اعمال الذين كفروا وسيئاتهم النار وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل
اليك. تأويله والله اعلم كأنه قال لعل الذين آتيناهم منافع الكتاب اولئك يفرحون بما انزل اليك وهو ما قال في آية اخرى
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته لان اكثرهم لا يفرحون بما انزل على محمد ويحتمل ان يكون الآية صلة قوله وهم يكفرون
بالرحمن فاخبر ان الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك بذكر الرحمن ثم اختلف في قوله الذين آتيناهم الكتاب
قال بعضهم هم اصحاب محمد فرحوا بما انزل الى رسول الله وقال بعضهم الذين آتيناهم الكتاب اهل التورية يفرحون بما انزل
اليك ذكر هاهنا انهم يفرحون بما انزل الى رسول الله وقد ذكر في موضع آخر ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم من خير من ربكم وقال في موضع آخر الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ثم بين بهم
الكتاب بحق تلاوته فمن لم يبدل له ولم يغيره فهو مؤمن به فيفرح بما انزل على محمد ومن بدله فهو لم يفرح بما انزل اليه وقوله تعالى
ومن الاحزاب من ينكر بعضه. يحتمل ان اهل الكتاب كانوا ينكرون بعض ما انزل اليه ولا ينكرون كل
ما انزل اليه انما ينكرون نعته وصفته لانهم كانوا كتموا نعته وصفته من الحق في كتبهم ويحتمل
ومن الاحزاب من ينكر بعضه من مشركي العرب فانهم ايضا انكروا بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم يكفرون بالرحمن
وقوله لجميل الاهلة لما اولى جيدا وهو من ينكر كله فانهم سمعوا اكثر من انباء المتقدمة من التحاك بها القران فلم ينكروها
وقوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب. كأن هذا قاله على اثر قوله كانهم
دعوه الى ان يتركهم في عبادة الاصنام ودعوه ان يكون على ما كان آباؤهم فقال انما امرت ان اعبد الله ولم يأمرني
به ويحتمل قوله ولا اشرك به قال ذلك من نفسه لانه قال انما امرت ان اعبد الله فقط لا اشرك
به احدا واليه ادعو الى توحيد الله ادعو غيري لما افعل غيره واليه مآب اي اليه مرجعي وقوله تعالى وكذلك انزلناه
حكما عربيا. اي كما مكنا الناس آباءنا واعطيناك النبوة والرسالة كذلك انزلناه حكما عربيا ثم قوله حكما عربيا
يحتمل وجهين احدهما ما قيل الحكمة عربية وكانت العرب لا يفهم الحكمة ويحتمل اي انزلناه مما فيه حكم وقوله تعالى
ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم. هذا يدل على انهم كانوا يدعونه الى ان يتابعهم في بعض امورهم فيه
وقوله تعالى ما لك من الله من ولي ولا واق. اي ما لك من الله من ولي ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا واق
يقي العذاب تفسير قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا ما ذكر في آية اخرى وهي قوله وكذلك انزلناه قرآنا عربيا سمي حكما
حكما لانه يحكم … والله اعلم وقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قال بعض اهل التأويل
انما نزلت الآية لان اليهود عيروا رسول الله وطعنوا فيه في كثرة النساء والاولاد وقالوا لو كان نبيا كما يزعم لكان يشتغل
بالنبوة ولا يشتغل بالنساء ولا يطلب الاولاد كما يفعله غيره من الناس وكانت النبوة تشغله عن ذلك فانزل الله تعالى قوله ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية اي الاستمتاع بالنساء والاستكثار منهن لم يمنع عن الخصائص النبوة
والرسالة على ما لم يمنع غيره من الرسل الذين من قبل والله اعلم وقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله. اي
لا يملكون انزال الآيات من انفسهم انما يسألون الله ان ينزلها اذا شاء ذلك وهو كقول عيسى وابرئ الاكمه والابرص
واحيي الموتى باذن الله اخبر ان ما يأتي من الآيات انما يأتي باذن الله وبامره لا من نفسه والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا صلة
ما ذكر اهل التأويل من الطعن بكثرة النكاح فكان غيره الانبياء كذلك وهو جعلهم رسلا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وسؤالهم الآيات التي سألوهم ويجاب بكان الرسل من البشر تقع الى انت باقل رسول لطعنت بما طعنك به قومك
ولكن كان يقع لانه رسل طعنهم قومهم بما طعن به قومك وسألوهم الآيات ما سألك به قومك فلم يكن ذلك لهم بدا في
تدمار دوا وتلك مما تركوا بل ادخلتهم العذاب فكذلك … قومك والله اعلم وقوله تعالى لكل اجل كتاب. اختلف فيه قال
لكل كتاب اجل يعني الكتب التي انزلت على الرسل يعمل بها الى وقت ثم تنسخ ويترك العمل بها وقال قائلون هو ما قال
لكل اجل كتاب اي لكل ذي اجل اجل الى وقت انقضائه وليس المراد الكتابة باليد ولكن … الاثبات كقوله اولئك كتب
في قلوبهم الايمان اي اثبت ليس ذكر هاهنا الكتب … لكل اجل كتاب اي اثبات الى وقت والله اعلم ويحتمل
قوله لكل اجل كتاب اي لكل ما كتب له الاجل ويجعل له الوقت من العذاب ينزل بالمعاندين ويهلكهم والنصر للرسل فانه
لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتأخر عنه وهو قوله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ونحوه
وقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت. قال القائلون يمحو الله ما يشاء اي انشأ في الابتداء يمحو الليل كان مثبتا
محاه ولكن انشأه كما محاه وهو كقوله فمحونا آية الليل … كان مثبتا … ولكن انشأه في الابتداء محوا

وقوله الله الذي رفع السموات ليس انها كانت موضوعة ثم رفعها ولكن انشأها مرتفعة كما هي فعلى ذلك هذا ثم كذلك
انشأه محوا من الابتداء ويحتمل الاعمال التي كانت معقودة فالاخير يمحى اعمال الصبيان والاعمال التي لا اجر عليها من
المباحات فيمحوها وقال القائلون قوله يمحو الله على احد معنيين بعد الاثبات ثم يحتمل ذلك المحو ما يحتمل يمحو الله بالنسخ
من الاحكام فهو على محو الحكم به والعمل به ليس على محو نفس المتلو وقوله ويثبت ما لا ينسخ ولا يترك العمل به والحكم
ويحتمل المحو محو الاحوال وهو ما ينقل وينحل من حال الى حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال
المضغة يحوله وينقله من حال الى حال اخرى فيعدم الحال الاولى ويثبت الثانية فذلك هو المحو والاثبات والله اعلم ويحتمل
المحو ايضا هو ما يختم به العمر على السعادة او على الشقاوة اذا كان كافرا ثم اسلم في آخر عمره محى الاعمال التي كانت له في حال
كفره وابدلت حسنات واذا كان مسلما ثم ختم بالكفر محى الاعمال التي كانت له من الصالحات فلم ينتفع بها والله اعلم
ويحتمل ان يكون ما ذكر من المحو والاثبات هو ما يكتب الحفظة من الاعمال والافعال يمحو منها ما لا جزاء له ولا عقاب ويثبت
ما له الجزاء والثواب ويترك مكتوبا كما هو والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون الخلق مقاصد افعالهم والحفظة
لا يطلعون على مقاصدهم فيكتبون ما هو في الحقيقة حسنة بقصده سيئة على ظاهر ما يعمل او حسنة في الظاهر وفي
الحقيقة سيئة فيغير ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة سيئا في الظاهر حسنا بالقصد وما هو في الحقيقة حسن
وفي الظاهر شر حسنا بالقصد فذلك هو المحو والاثبات والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك في كتابة الحفظة من وجه آخر
وهو ان الحفظة يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما في اللوح المحفوظ فيمحى من كتابة الحفظة من الزيادة ويثبت فيها
ما كان فيه من النقصان والله اعلم وقوله تعالى وعنده ام الكتاب. يحتمل وعنده ام الكتاب الذي يعارض به
كتاب الملائكة وهو اللوح المحفوظ ويحتمل وعنده ام الكتاب الذي تستنسخ منه الكتب التي انزلت على الانبياء
والرسل وهو اللوح المحفوظ وفي هذا دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب تغيير المعنى لانه لا يدرى بأي لسان تلك الكتب
في اللوح باي لسان هو ثم انزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذي بين لقومه وكذلك الملائكة الذين يكتبون اعمال
بني آدم لا يحتمل ان يكتبوا بلسان الخلق لانه يطول لو كانوا يكتبون بلسان هؤلاء فدل انهم يكتبون بلسان انفسهم فهذا
كله يدل على ان اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف المعنى والله اعلم وقوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب. كان النبي صلى الله عليه وسلم طمع او سأل ان يريه جميع ما وعد
من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال ان نشأ نريك بعض ما وعدناهم وان نشأ نتوفينك ولم نرك فانما
عليك البلاغ اي ليس لك من الامر شيء انما عليك البلاغ فيخرج مخرج النهي والتوبيخ ليس يخرج الوعيد لانه ادخله في
اذا حرف شك ولا يجوز ان يضاف الشك الى الله ثم قوله واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك هذا في الظاهر حرف شك
وهو يخرج على الوعد او على النهي عن سؤال … رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان على النهي فكأنه نهاه ان يسأل انزال
العذاب عليهم فقال ان نشأ انزلنا وان نشأ لم ننزل وان كان على الوعد يريه بعض ما وعدنا ولا يريه كله والله اعلم
وقوله وعلينا الحساب يحتمل حسابنا او قدر جزائه ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسبهم به يوم القيمة ويحتمل
اي لا يذهب هذا دون … والله اعلم وقوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها. ذكرنا فيما تقدم ان حرف الاستفهام من الله يخرج على
وجهين احدهما على الخبر … والثاني على التقرير … او لم يروا
اي قد رأوا انا نأتي الارض او ينزلوا في الارض ثم اختلف في تأويل نقصان الارض قال بعضهم هو ما جعل من ارض الكفر
للمسلمين بالفتح والنصر عليهم … الاخراج من سلطان اولئك الكفرة وادخالها في ايدي المسلمين …
النقصان وهو والله اعلم ما وعد الله تعالى لرسوله ان يريه بعض ما وعدهم فقالت الكفرة عند ذلك اين ما وعد
ربك انه يريك فقال عند ذلك اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي اولم يروا انه جعل بعض ما كان لهم في ايدي
المسلمين فانا قدرنا على جعل البعض لهم فنحن لا نقدر ان نجعل الكل لهم او لا يعتبرون بهذا والله اعلم ثم الارض ذكر نقصانها
وقال قائلون نقصان الارض موت فقهائها وعلمائها وهذا وجه وهو ان الفقهاء والعلماء هم عمال الارض وهم اهلها
ربهم صلاح الارض فوصف الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما وصف الارض بالفساد وهو قوله ظهر الفساد
في البر والبحر وقوله لفسدت الارض والارض لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد لفساد اهلها وعمارها كان
نقصها وهلاك علمائها والله اعلم ثم يحتمل هذا العلماء المتقدمين بعد موت رسول الله الامم السالفة وهم علماء اهل
الكتاب فيقول الا يعتبرون بان ليت اولئك الذين قبضوا وتفانوا من علمائهم فلا يبعث رسول يعلمهم الا ذاتية العلوم عندهم
لم … من الرسوم وذهب من الاحبار وكيف انكروا رسالته هذا محتمل كان المراد به منكرين الرسول عند ذلك
في وقت حدوث العلماء وزمانه لا وقت ذهابهم وفنائهم والله اعلم فان كان المراد العلماء المتأخرين والفقهاء فهم
فيخرج ذلك مخرج التعزية له اي تصير الارض بحال توصف بالنقصان بذهاب العلماء والفقهاء والله اعلم وقوله تعالى
والله يحكم لا معقب لحكمه قيل لا راد لحكمه وحكمه يحتمل العذاب الذي حكم على الكفرة يقول لا راد العذاب

الذي حكم عليهم وهو كقوله رب احكم بالحق اي بالعذاب الذي حكمت عليهم ويحتمل قوله لا معقب لحكمه اي لا يتعقب
احد حكمه ولا يعقب احد سلطانه كما يكون في حكم الخلق يتعقب بعض على بعض وهو كما ذكر في الحفظة له معقبات
من بين يديه اي الحفظة يتعقب بعض بعضا فيما سلطوا عليه والله اعلم وقوله تعالى وهو سريع الحساب قد ذكرنا
في غير موضع وقوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا قيل اي مكر الذين من قبلهم برسلهم كمكر
هؤلاء بك يصبر رسول الله على اذاهم ثم يحتمل المكر وجهين احدهما مكروا بانفسهم اي هموا قتله واهلاكه
والثاني مكروا به اي بدينه الذي دعاهم اليه واراد اظهاره فهموا اطفاء ذلك وابطاله وكذلك مكر الذين
من قبلهم برسلهم يخرج على هذا والله اعلم وقوله فلله المكر جميعا هذا ايضا يخرج على وجهين يقول ولله جزاء المكر جميعا
يجزي كلا بمكره والثاني اي لله حقيقة المكر ياخذهم جميعا بالحق من حيث لا يشعرون واما هم فانما ياخذون
لا بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون على الاخذ من حيث لا يشعرون الا قليلا من ذلك فحقيقة المكر الذي هو
مكر بالحق في الحقيقة لله لا لهم والله اعلم ويحتمل فلله المكر جميعا اي لله تدبير المكر جميعا ان شاء امضاه
وان شاء منعه اليه ذلك لا اليهم او بتحقيقه المكر يقلب مكره اولئك ويفعل فلله المكر جميعا ان شاء امضى
مكرهم وان شاء منع والله اعلم وقوله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس من خير او شر وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ان
يشبه ان يكون عقبى الدار معروف عندهم وهي الجنة فيكون صلة قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
والله اعلم اي سيعلمون هم لمن عقبى الدار وان يكونوا ذاكرين لقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى انهم
لما راوا انفسهم مفضلين في امر الدنيا وموسعا عليهم الدنيا ظنوا انهم في الاخرة كذلك فقال ذلك حقا بالامر اوهم
او هو للمؤمنين وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا اي قال الذين كفروا لست مرسلا اي لم يبعثك
الله رسولا وهم كذلك كانوا يقولون له فامره الله تعالى ان يقول لهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اني رسول
اليكم بالايات التي اتيتها او كان قال لهم هذا لما بالغ في الحجاج والبراهين في اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا
ذلك وايس من تصديقهم فعند ذلك قال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وقوله تعالى ومن عنده علم الكتاب
اي من كان عنده علم الكتاب يعني التوراة والانجيل فيشهد ايضا انه رسول يعني اي يعلم من كان عنده علم الكتاب
انه على حق وانه رسول الله وهو كقوله اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل والله اعلم ويقرا بخفض الميم
والدال ومن عنده علم الكتاب فتنا فيه والله اعلم اي من عند الله جاء علم هذا الكتاب والله اعلم وعامة القراء
فانهم يختارون بالنصب ومن عنده علم الكتاب على التاويل الذي ذكرنا وقال الجبيد وقرا بعضهم ومن عنده
علم الكتاب بخفض الميم والدال ورفع العين ولكن لا ادري عمن هو وروي عن عبد الله بن سلام انه قال في نزل
قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ان يشهد هذا اهل التاويل حيث قالوا
ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله تعالى عنهم والله اعلم بالصواب والحمد لله وحده

سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى الر كتاب انزلناه اليك قد ذكرنا الكلام في
الحروف المقطعة وقوله كتاب انزلناه اليك اي جعلنا الحروف المقطعة بالحكمة جمعا كتابا وانزلناه
اليك بعينه لم تكن تدري ما الكتاب وهو كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله تعالى لتخرج الناس
من الظلمات الى النور اضاف الاخراج من الظلمات الى النور الى النبي وهو غير الهداية وقد اضاف الى نفسه في
مواضع الهداية واضاف الاخراج بقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ونحو ذلك ثم اضافة الاخراج والهداية
الى الرسول بطريق الاسباب والاسباب التي يملك الرسل اتيانها على وجهين احدهما الدعاء الى الحق وبيان الطريق
الذي امرهم بالسلوك فيه والثاني ما الحق بهم من الحجة والدليل على ذلك فهم انما يملكون هذين الوجهين
من الاسباب فاما اعطاء ما به يكون الفعل وهو الاقتدار وان كان من باب الاسباب فلا يملكه الرسل انما ذلك
الى الله واما الاخراج المضاف الى الله والهداية فيخرج على وجوه احدها بالامر والدعوة فانه يامر الخلق ويدعوهم الى الله
الحق والثاني البيان فانه يبين ويكشف الحق من الباطل ويبين ما له على الناس وما لبعض على البعض والثالث
الترغيب والترهيب ليرغبوا الى المرغوب ويحذروا من المرهوب والرابع اعطاء الالة السليمة واعطاء حقيقة
القدرة التي هي سبب ووسيلة الى الفعل والخامس تحقيق ما به يكون الهداية وهو التوفيق والعصمة والتيسير
تخليق نفس فعل الاهتداء والخروج من الظلمات الى النور والله الموفق ثم قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور قيل
من الكفر الى الايمان سمى الكفر ظلمات وهو والله اعلم لانه يستر جميع منافذ الجوارح من البصر والسمع واللسان بصر

ويسمع ما لا يصلح ويقول ما لا يصلح وكذلك جميع الجوارح والايمان يرفع ويكشف جميع الحجب والستور ويفتح
له كل مستور والثاني قوله من الظلمات اي من الشبهات الى النور اي الايمان والهدى وقوله تعالى باذن ربهم قيل
بامر ربهم اي يدعوهم بامر ربهم وقال القائلون بعلم ربهم اي ان هذه الحروف المقطعة بعلمه والثالث يحتمل بتوفيق
ربهم فالاذن من الله يحتمل احد الوجوه التي ذكرنا الامر والعلم والتوفيق وقوله تعالى الى صراط العزيز الحميد العزيز
الحميد هو الله اي يدعوكم الى طريق الله الذي من سلكه نجا العزيز هو الذي به يعز كل عزيز ويقال العزيز لانه عزيز بذاته
لا بغيره كالخلائق وقيل العزيز هو الذي لا يغلب والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله كالحكيم هو الذي لا يلحقه
الخطا في تدبيره وقال اهل التاويل العزيز المنيع والحميد الذي يقبل اليسير من العبادة وقوله تعالى الله الذي له ما في السموات
وما في الارض من قرا بالخفض صيره موصولا بالاول وجعله كلاما واحدا واتبع الخفض الخفض ومن قرا بالرفع
جعله مقطوعا عن الاول على حق الابتداء فقال الله الذي له ما في السموات وما في الارض وكان المعنى له ما في السموات
وما في الارض عقيب امره النبي باخراج الناس من الظلمات الى النور ودعائهم الى الحق وتبليغ رسالته اليهم ليعلموا
انه انما يامرهم بذلك لا لمنافع نفسه او لحاجة له في ذلك لان من كان له ما في السموات وما في الارض لا يحتاج الى شيء
وانما امتحنهم بانواع المحن لمنافعهم وحوائجهم والله اعلم وقوله تعالى وويل للكافرين من عذاب شديد قال بعضهم
الويل هو الشدة وقيل الويل هو اسم واد في جهنم وقال ابو بكر الاصم الويل هو نداء مكروب ... من شدة البلاء وقوله تعالى
الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة وصفهم وصف اولئك الذين ذكر ان لهم الويل من هم فقال الذين يستحبون الحياة
الدنيا على الاخرة اي اثروا واختاروا الحياة الدنيا على الاخرة اي رضوا بها واطمانوا اليها كقوله ورضوا بالحياة الدنيا
واطمانوا بها اختاروا الحياة الدنيا للدنيا لم يختاروا للاخرة فالدنيا انشئت لا للدنيا ولكن انما انشئت للاخرة
فمن اختارها لا للسلوك الى الاخرة ضل عن نهج الحق وقيل الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة اي يستحبون الحياة
الدنيا حتى لهوا عن الاخرة وسهوا عنها وغفلوا والا اهل الاسلام ربما يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا
انهم يختارون ذلك للاخرة واولئك للدنيا فلذلك كانوا في الحقيقة استحبابهم الحياة الدنيا على الاخرة بل ذلك
للاخرة والله اعلم وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يحتمل يصدون وجهين احدهما اي اعرضوا عن سبيل الله
بانفسهم والثاني اي صدوا الناس عن سبيل الله الذي من سلكه نجا وكلا التاويلين محتمل اللفظ لغة لانه يقال صد
مشترك يستعمل فيهما لكن انما يظهر ويتبين بالمصدر يقال صد يصد صدودا اي اعرض بنفسه وهو لازم وصد يصد
صدا كله رد ومنع وهو متعد وقوله تعالى ويبغونها عوجا اي يطلبون طعنا وعيبا فيه دلالة انه في الرؤساء والقادة
الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله ويبغون في دين الله الطعن والعيب فما وجدوا الى ذلك سبيلا قط
وقوله تعالى اولئك في ضلال بعيد الضلال يحتمل وجوها يحتمل الهلاك اي هلكوا هلاكا لا نجاة فيه ويحتمل
الحيرة والتيه اي تحيروا فيه وتاهوا حتى لا يهتدوا ابدا ويحتمل الضلال البطلان اي ضلوا بطلانا بعيدا حتى لا يصلح
ابدا وهو في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ويختمون على الكفر والضلال والله اعلم وقوله تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم لو كان نزل من الكتب بغير لسان الامم لكان هذا الكتاب يحتج ان يكون بغير
لسان قومه لانه جعل هذا الكتاب بنفسه حجة وآية لرسالته لانهم عجزوا عن اتيان مثله فجعله معجزا بنظمه
العجيب وانما يتحقق الاعجاز في حقهم اذا كان بلسانهم ليعلموا انه من الله اذ لو كان من اختراع البشر لقدروا على
اختراع مثله لان لسانهم مثل لسانه فاذا عجزوا عن اتيان مثله دل انه منزل من الله لا انه مخترع الخلق ولا كذلك
سائر الكتب فانها ليست بمعجزات من حيث النظم لكونها لا بلسان الذين انزل عليهم دلالة النبوة لكن مع هذا انزل
كل كتاب بلسانهم وارسل كل رسول على لسانهم لوجوه احدها يحتمل ما قال بعضهم انه لو انه اختلفت الالسن و
العبارات لكان لكل كتاب بلسان قومه وفيه انباء الاولين الذين كانوا بلسانهم غير لسان هؤلاء ويخبر ذلك الرسول عن اخبار
اوائلهم من غير ان تعلم لسانه الاختلاف الى غير اهل لسانه والتعلم من احد ليعلموا انما عرف تلك الانباء والاخبار التي كانت
بغير لسانه بالله فتكون آية دالة على رسالته والله الموفق وقال بعضهم ارسل كل رسول بلسان قومه وانزل الكتاب كذلك
لئلا يكون لهم مقال كقوله لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي والثالث انه اذا كان الرسول بلسانهم يكون اقرب
الى القبول لما ان المركب اذ كل نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه وجوهره الف واقرب الى قبوله من غير نوعه وجوهره
وهو كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اذ ليس في وسع البشر رؤية الملك والنظر اليه على ما هو عليه فجعل
كل ذي لسان يكون بلسانه افهم واقرب للصواب واقهر من غيره والله اعلم وقوله ليبين لهم قال القائلون ان يكون ابين
لهم وافهم وقال بعضهم ليبين لهم ما يتقون تولى رسول منه لا من ترجمان بغيره اذ ذلك اصح في القلوب واغنى والله
اعلم وقوله تعالى فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي يضل الضلال من يشاء ويهدي من يشاء اي في
سبب الاهتداء وقال القائلون فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء هذا الحكم انما يضل المكذب وتهديه المصدقين

ولكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم • لان جميع الخلائق يعتقدون ان البلاد بعزه عز من عز والحكيم
في بعث الرسل وفي جميع فعله لم يوخذ عليه في فعله خطأ قط مصيب في وضع كل شيء موضعه او العزيز هو الذي لا يذل
والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في الحكم والتدبير والله الموفق وقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا • يحتمل
آياته حججه وبراهينه التي ارسل بها على وحدانية الله والوهيته ويحتمل آياته التي بعثها الى موسى ليقيمها على رسالته
وقال بعضهم آياته اعلامه وكذا الكتاب والاعلام والحجج والحق والله اعلم فيكون اعلام وحدانية الله والوهيته واعلام
نبوته ورسالته وقال بعضهم بآياتنا اي ببيننا وهو قول الحسن وكذلك يفسر في جميع القرآن الآيات بالدين اي ارسلنا
موسى بديننا الذي بعث الخلق اليه والله اعلم وقوله تعالى ان اخرج قومك من الظلمات الى النور • وعلى ذلك بعث جميع الرسل
والانبياء ليخرجوهم من الظلمات الى النور وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى وذكرهم بايام الله • التذكير هو العظة
او عظهم بايام الله التذكير هو العظة او عظهم بايام الله ثم اختلف في تأويل قوله بايام الله قال قتادة ايام الله
نعم الله التي انعمها عليهم قيل تذكر عليكم بايام من النعم كايام القوم كم من خير قد اعطاه الله لكم وكم من خير قد اعطاه
الله لكم وكم من شر قد صرفه الله عنكم وكم من كرب قد نفسه الله عنكم وكم من غم قد فرجه الله عنكم فاللهم ربنا لك الحمد
ويشبه ان يكون ايام موسى ان يذكر بني اسرائيل ما كان عليهم من فرعون من انواع التعذيب ثم انجاهم منه وقول ابن عباس
وذكرهم الايام الماضية وما نالوها وهذا اشبه واقرب والله اعلم وقال قائلون بايام وقائعه اي ذكرهم ايام الله وقائعه في الامم
السالفة التي نكبتها واهلكهم بما كذبوا الرسل هذا يحتمل ان يذكرهم نعمه التي كانت على الصديقين بتصديقهم وهو ما انجاهم
من التعذيب والاهلاك ويذكر المكذبين منهم بالوقائع التي كانت على اولئك بالتكذيب وهو الاهلاك ويشبه
ان يكون قوله بايام الله الايام التي تأتيهم وتمضي بالتعاظم واعمارهم انه كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وتفنى اعمارهم
وآجالهم وفيما ياتي بانهم ايضا النعم انما ليهم في ذهاب اعمارهم وآجالهم سلطانا افعز دونه فلم يذكره
بذلك والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور • وقد ذكرنا ان الصبر هو كف نفسه عن المعاصي
رغبة في طاعته لا لمن يصادوكل على الرسل ويكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يقبل ما دعوهم اليه ليس لاستيلاء
عزة فاية لكن لما ذكرنا والله اعلم ويشبه ان يكونا الصبار والشكور كناية عن المؤمن لان كل من آمن بالله يحملهم على
الكف عن جميع معاصيه والرغبة في كل طاعته وان كان يقع احيانا في معصيته فكأنه قال ان في ذلك لآيات للمؤمنين
على ما ذكر في غير آي من القرآن نحو قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وللموقنين وللمتقين ونحو ذلك والله اعلم
وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون • يشبه ان يكون هذا على الاضمار وهو
ما ذكر في آية اخرى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
واذكروا ايضا اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ثم قوله يسومونكم اي يجزونكم سوء العذاب
والسوم هو الاذاقة والتعريض يقال سام كذا اي اذاقه وعرض ويقال سام الدابة على الحوض اي عرضت ويقال
يكلفونكم سوء العذاب بفعل تفسيره ما ذكر على اثره وهو قوله ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم وقد تقدم تأويل هذا في سورة البقرة والاعراف والله اعلم وقوله تعالى واذ تأذن ربكم قيل اعلم
ربكم واخبر واذن والعرب ربما تقول افعلت بمعنى تفعلت فهذا من ذلك ومثله في الكلام اوعدني وتوعدني واوجد
القرآن وحقيقته وعد ربكم او قال ربكم وقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم • لم يقل لئن شكرتم نعمة كذا ولا ذكر
ايضا لئن شكرتم النعم كلها او نعمة دون نعمة ولا قال ايضا لئن شكرتم لماذا وقال ايضا لأزيدنكم ولم يذكر
مماذا ومن ايش يحتمل ان يكون قوله لئن شكرتم لأزيدنكم اي لئن شكرتم بالتوحيد اي ان وحدتم الله في
فيما خلقكم خلقا وكفيكم ما تلذذون وتنعمون به في الدنيا وفيما رزقكم في احسن تقويم لأزيدنكم النعمة التي
في الآخرة فيصير على هذا التأويل كأنه قال لئن انتم شاكرين في الآخرة لأزيدنكم النعم الدائمة والى هذا ذهب ابن عباس
الا ترى انه قال ولئن كفرتم ان عذابي لشديد اي ولئن كفرتم ولم توحدوه واشركتم فيه غيره وصرفتم شكر تلك النعم الى غير
انعامها ان عذابي لشديد ويحتمل ان يكون بكل نعمة تشكرها ان يزيد من نعمها في الدنيا ويديم له ذلك ثم في قوله لئن شكرتم لأزيدنكم
بيان لطف الله وفضله علينا لان الشكر من المجازاة والمكافاة لما سبق من نعمه لا يكافى بها النعم ولا انهم
يستزيدون لانفسهم زيادة النعم بالشكر الذي ذكر وهو ليس بشكر في الحقيقة لكن هذا منه لطف ذكره وهو
كقوله واقرضوا الله قرضا حسنا وقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وهذه الانفس والاموال
في الحقيقة لله تعالى ليست لهم فهم فيما يقرضون يقرضون لانفسهم وكذلك يشترون لانفسهم لكنه ذكر ذلك لهم
لطفا منه وفضلا فعلى ذلك ما ذكر من الشكر له يطلبون الزيادة لانفسهم لطفا منه لا استغناء قال ان تكفروا انتم ومن في
الارض جميعا فان الله لغني حميد اي غني بذاته ليس امرنا بما امر لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن ما امتحنكم انما امتحنكم
لحاجة انفسكم ولمنفعة ابدانكم وان كان الشكر في الظاهر هو صفة المكافاة لما سبق من الرب وكما ليس يكافات

ولكن

ولكن سبب الزيادة ثم سماه شكرا لطفا منه وفضلا على ما ذكر القصد وقرضا والله اعلم وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اي غني عن عبادة خلقه حميد عند خلقه وهو ما ذكرنا انه ليس يامرهم فيما
يامر لمنفعة نفسه او لحاجة نفسه ولكن لمنافع تحصل للخلق ولحوائج تبدو لهم وكذا النهي عما ينهى ليس لخوف
مضرة تلحقه ولكن لمضرة تلحقهم ولا فرق يتوجه اليهم يخبر عن غناه عما يامر خلقه من طاعته وعبادته ويوجب
الشكر له والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله تعالى والله اعلم انهم وان تكفروا ومن قبلكم وكان على علم
منهم انهم يكفرون نعمه ثم بذلك لا يحمله ذلك في انشائهم ثم تنعيمهم والله اعلم وقوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم • يشبه ان يكون الخطاب لاهل الايمان منهم والرسل خاطبهم بصيرته اياهم
وتنبيها لهم على تكذيب الكفرة وازاهم واستهزائهم بهم فقال الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم انه ماذا نزل بهم بتكذيبهم
الرسل والاستهزاء باتباعهم يذكر هذا لهم ليهون ذلك عليهم ويخف لان من علم ان له شركاء فيما بلي به وامتحن كان ذلك
اهون عليه واخف من ان يكون هو المخصوص به والله اعلم ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل الكفر منهم الم ياتكم
نبأ الذين من قبلكم اي قد اتاكم خبر الذين من قبلكم انه ماذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم باتباعهم فينزل
بكم ما نزل بهم لان الذي انزل ذلك عليهم حي قادر على انزال مثله عليكم فيخرج ذلك مخرج التوبيخ والتعيير والوعيد
لهم لما صنع اولئك وهو كما قال ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر والله اعلم
وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله • فيه دلالة ان تكلف معرفة الانساب وحفظها الى آدم تشغل وتكلف لانه اخبر ان
فيهم من لا يعلمه الا الله وروي في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان ينتسب الى مضر ولا ينتسب الى اكثر من ذلك وقال ابو بكر
الاصم في قوله لا يعلمهم الا الله يكذب الله تعالى من ادعى معرفة الانساب المتقدمة لانه قال لا يعلمهم الا الله وقد اخبر ايضا انه لم يقصص
عليه خبر الكل بقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ومن البعيد ان يكلف معرفة ما لم يقص على رسول الله
والله اعلم وقوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات • قيل اي بالبينات على وحدانية الله والوهيته ويحتمل الحجج التي اتى بها الرسل
على اثبات الرسالة والنبوة وقال بعضهم البينات بيان ما ياتون وما يتقون وما يحل عليهم وما يحرم وقوله تعالى فردوا
ايديهم في افواههم • يحتمل ان يكون هذا على التمثيل والكناية من التكذيب وترك الاجابة لان رد الايدي في افواههم
يمنعهم عن التصديق كقوله الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه الآية وقوله يردوكم على اعقابكم الآية وامثاله ويشبه
ان يكون على تحقيق جعل الايدي في افواههم ثم يخرج على وجهين احدهما فردوا ايديهم في افواههم في افواه الرسل فيقولون
اسكتوا كذبة ويحتمل رد الايدي في افواه انفسهم يصوتون ويستهزؤون بهم وباتباعهم كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية فعلى ذلك هذا يحتمل والله اعلم وقال بعض اهل التأويل فردوا ايديهم اي عضوا على اصابعهم غيظا على ما دعوا
اليه وقال بعضهم اي ردوا عليهم وكذبوهم وهو ما ذكرنا انه سواء وقيل ردوا عليهم بافواههم وهو واحد وقوله تعالى
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب • يحتمل قوله بما ارسلتم به التوحيد لانهم ارسلوا
بالدعاء الى توحيد الله وعبادته وقوله يدل على ذلك قوله وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب وقول الرسل افي الله شك
الآية ويحتمل قوله بما ارسلتم من آيات الرسالة واقامة الحجج عليها وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من التصديق بالرسالة
والنبوة مريب ثم هذه الآية دليل على انهم كانوا على شك مما يعبدون من الاوثان والاصنام لانه لو كانوا مرتابين في ذلك
وحججه ودعا اليه لكانوا لا يقولون انا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ولكن يقطعون فيه القول لان الشك في احد الجانبين
يوجب الشك في الآخر فدل انهم كانوا على شك وريب في عبادتهم الاصنام التي يعبدونها ثم الشك والريب قيل
هما سواء وقال بعضهم الشك هو الشك المعروف والريب هو النهاية في الشك والله اعلم وقوله تعالى قالت رسلهم افي الله شك
اي في الوهيته شك او في عبادة الله شك اي ليس في الوهيته ولا في عبادته شك اي تقرون انتم انه اله وانه معبود
وكذلك اباؤكم اقروا بانه اله وانه معبود فليس في الوهيته شك ولا في عبادته شك انما الشك في عبادة من تعبدون
من دونه من الاوثان والاصنام والوهيتها لان اباءكم قد اقروا بالوهيته وانه معبود حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واقروا انه خالق السموات والارض وفاطرهما بقوله ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وان الاصنام التي تعبدونها لم تخلق شيئا فليس في الله شك عندكم انما الشك فيما
تعبدون دونه وقوله تعالى فاطر السموات والارض وتعلمون انه خالقهما • ويحتمل ان يكون على الاحتجاج اي افي الله شك
وهو فاطر السموات والارض وقوله تعالى يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم • هذا يحتمل وجهين احدهما يحتمل ليغفر لكم
من ذنوبكم التي كانت لكم في حال الفترة اذا اسلمتم وفيه دلالة ان المآثم التي كانت لهم في وقت الفترة مأخوذة
عليهم ثم وعد لهم المغفرة اذا اسلموا والثاني وعد المغفرة والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله تعالى والقول
بما لا يليق به اذا اسلموا بالوعد للتائب انكم وان افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذبتم رسله فاذا اسلمتم وتبتم
وصدقتم رسله غفر لكم ذلك كله وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه ويحتمل ايضا ان يكون قوله يدعوكم ليغفر لكم

من ذنوبكم صلة قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اجابا لهم وهو يقول انا اسلمتم وتبعتم لا تتخطفون
ولكن تبلغون الى اجالكم المسماة وقوله تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى يتعلق المعتزلة بظاهر هذه الاية فقالوا ان لكل
انسان اجلين اجل في حال اذا كان فعل كذا واجل في حال اذا كان فعل كذا ولكن ما قالوه فاسد لانه جعل الاجلين انما
يكون لجهل في العواقب ممن يجهل العواقب فاما الله تعالى فهو عالم بما كان وبما يكون اذ كان كيف يكون فلا يحتمل ان يجعل
له اجلين وانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منتهيا الوقت الذي جعل والله اعلم وقوله تعالى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا في قولهم هذا تناقض من وجهين احدهما انهم تركوا طاعة رسلهم لانهم
بشر مثلهم ثم اطاعوا اباءهم واتبعوهم في عبادة الاصنام وهم بشر مثلهم حيث قالوا تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا وذلك تناقض في القول والثاني انهم لم يروا الرسل متبوعين لانهم بشر ثم لا يخلو اتباعهم
من ان يكونوا متبوعين ليتبعوا غيرهم من دونهم وكانوا اتباعا لغيرهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون وذلك تناقض في القول والله الموفق وقوله تعالى فاتونا بسلطان مبين سالوا الحجة على
ما دعوا اليه من الوهية الله وربوبيته او على ما ادعى الرسل من الرسالة من الله وفي كل شيء وقع عليه بصرهم
دلالة وحدانية الله والهيته لكنهم سالوا ذلك سؤال التعنت عنادا كذلك الرسل قد اقاموا الحجج على ما ادعوا
من الرسالة لكنهم فيما ادعوا ويكابرون في رد ذلك وسالوا اية وحجة تضطرهم وتقهرهم على ترك ما يكون
عند اتيانها هلاكهم فاجابهم رسلهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ما كان لنا ان ناتيكم باية
يكون بها هلاككم انما ذلك الى الله تعالى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وقوله تعالى ان نحن الا بشر مثلكم اي ما نحن
الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء فيه دلالة رد قول الباطنية لانهم ينكرون كون الرسالة في جوهر
البشرية ويقولون انما تكون الرسالة في جوهر الروحانية فيخصمهم الله عليهم بما اجابوا قومهم حيث قالوا لهم
ما انتم الا بشر مثلنا وقولهم ان نحن الا بشر مثلكم لم يذكروا شيئا سوى البشرية فقول الباطنية باطل حيث
قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فيه دلالة نقض قول المعتزلة ايضا لانهم يقولون
ان الله تعالى لا يخص احدا بالرسالة الا من كان عنده ما يستحق به الرسالة وهم لم يذكروا شيئا سوى منة الله تعالى
عليهم فدل انه يمن عليهم ويخصهم بالرسالة من غير شيء يكون منهم من الاعمال والله الموفق ثم قوله وما كان
لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله الاذن في الحقيقة موضوع للاباحة وهو مقابل الحجر والمنع لكن الاذن
المذكور في القرآن ليس كله على وجه واحد لكن في كل موضع يحمل على ما يليق به وان كان على خلاف الحقيقة
قال الله تعالى فهزموهم باذن الله ونصر الله لان الهزيمة هي موضع النصر يحمل عليه وقال تعالى خبرا عن عيسى واحيي
الموتى باذن الله اي بانشاء الله لان احياء الموتى لا يدخل تحت قدرة الخلق فعلى ذلك الاذن ههنا حيث قال وما كان
لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي بانشاء الله تعالى السلطان واجرائه على ايدينا فيحمل الاذن المذكور في
القرآن على كل ما يصلح ويليق بما تقدم ذكره ويحتمل الاذن ههنا الامر اي بامر الله ناتي بالسلطان اي ان امر الله
بذلك ناتي به والله اعلم وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون يشبه ان يكون ذكر هذا على اثر وعيد واذى
الكفرة اليهم فقالوا على الله نتكل ونعتمد المؤمنون في دفع وعيدكم واذاكم والله اعلم ثم قوله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون يخرج على وجهين احدهما على الامر اي على الله توكلوا يا ايها المؤمنون في جميع ما يوعدكم اهل الكفر وفي
جميع اموركم ويحتمل على الاخبار عن صنيع المؤمنين انهم انما يتوكلون على الله وبه يعتمدون في جميع امورهم ومنه
يرجون كل خير لا بالاسباب التي لهم اما اهل الكفر فانما يتوكلون ويعتمدون بالاسباب ومنها يرجون كل سعة
وخير وقوله تعالى وما لنا الا نتوكل على الله كان هذا خرج على اثر جواب كان من الكفرة لما قالت الرسل للكفرة
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاجابهم الكفرة بما يخرج يكون جواب الرسل
عن ذلك عند ذلك ما اخبر عن الرسل حيث قالوا وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا قال بعضهم في قوله
وقد هدانا سبلنا اي وقد بين لنا سلوك سبلنا وهو تاويل المعتزلة وعندنا وقد هدانا سبلنا اي وفقنا
السلوك في السبل التي علينا ان نسلكها واكرمنا بذلك اي ما لنا الا نتوكل على الله في النصرة والظفر عليكم
وقد وفقنا واكرمنا السلوك في السبل التي علينا ان نسلكها وذلك اعسر من القيام للاعداء والنصر بهم وقد
اكرمنا بما هو اعظم واعسر في وهم الخلق فلان ينصرنا عليكم احق واولى ويشبه ان يكون قوله وما لنا الا نتوكل
على الله انما قالوا ذلك لما كان اهل الكفر في كثرة وكان اهل الاسلام واتباع الرسل في قلة يستقلون اهل
الاسلام ويستبعدون على ذلك فقالوا عند ذلك وما لنا الا نتوكل على الله بالنصر لنا على الاعداء والغلبة عليهم وقد
اكرمنا بالعطاء الدين الحق ووفقنا الهدى والله اعلم وقوله تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا يحتمل ان يكون هذا اهل الا

بالقتل

بالقتل معهم والاستيصال منهم امروا بالصبر على اذاهم فقالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل
المتوكلون هو كان يخرج على الامر اي على الله توكلوا ولا تتوكلوا على غيره ويشبه ان يكون على الخبر اي لا يتوكل الا على الله
لا يتوكل على غيره كقول الرسل من ذلك قول هود اني توكلت على الله ربي وربكم ونحو ذلك وقال خبرا عن المؤمنين
على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق والله اعلم وقوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا الاخراج يحتمل وجوها ثلاثة احدها على حقيقة الاخراج من البلد الذي كانوا فيه الى غيره من البلدان
والارضين ويحتمل الاخراج الحبس لنخرجنكم اي لنحبسنكم عن الانتفاع بالبلد باهله وبما فيه ويحتمل الاخراج
القتل اي لنقتلكم وقد كان اهل الكفر يوعدون ويخوفون الرسل واتباعهم بهذه الثلاثة كقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ونحو ذلك ثم في قيام الكفرة الذين اوعدوا الرسل حيث تجاسروا على مثل هذا
الوعيد على المشافهة ومع الرسل ايات وحجج من وجوه احدها انهم راوا انفسهم مسلطين على اولئك حاكمين عليهم
وكانوا اهل كبر وتجبر الا يرى انه قال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد دل هذا انهم راوا انفسهم كما ذكرنا اهل تسلط
وتجبر والثاني يحتمل انهم قالوا ذلك لما لم يكن عندهم ما يدفعون حجج الرسل وبراهينهم فلما قهروا اخرجهم لعجزهم
عن دفع ما الزمهم الرسل وهكذا الامر المتعارف بين الخلق ان الخصم لا يقصد اهلاك خصمه ما دام له الوصول الى
الحجاج فاذا عجز عن ذلك حينئذ لان يهم بقتله ويقصد اهلاكه وقوله او لتعودن في ملتنا الملة الدين كقوله
بل ملة ابراهيم حنيفا اي دين ابراهيم وقال عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين ثم قوله لتعودن في ملتنا ليس ان الرسل
كانوا فيها فتركوها ثم دعاهم الكفرة الى العود اليه فيكون المراد ابتداء الدخول فيها على ما ذكرنا من قوله يخرجهم
من الظلمات الى النور ونحوه وقوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
وعد لهم النصر والظفر عليهم والتمكين في ارضهم مع قلة عدد اتباع الرسل وضعف ابدانهم ومع كثرة
الاعداء وقوة ابدانهم ليعلموا انهم انما قالوا ذلك بوحي من الله وعده اياهم لا من تلقاء انفسهم وكان كما اخبر وكان
ذلك من ايات رسالتهم والله اعلم ثم ما ينبغي لهم ان يطلبوا من الرسل الايات والحجج على ما ادعوا لانهم لم يدعوهم الى
طاعة انفسهم وانما دعوهم الى وحدانية الله والوهيته وجعل الطاعة والعبادة له دون ما عبدوها
من الاصنام وذلك مما يشهد خلقتهم شهادة كل خلقة وان لطف او ضخم فلم يحتاجوا الى ان يقيموا البراهين
والحجج على ما ادعوا ودعوهم اليه لكنهم كانوا قوما معاندين مكابرين لا يمهلون قولهم ولا ينصفون تعنتا منهم وتكبرا
ولم ينظروا في خلق الله ليتذكروا ايات وحدانيته والوهيته فكلفوا اقامة الحجج والايات لئلا يكون لهم معاذير
وان لم يكن لهم الاحتجاج والله الموفق وقوله تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد يحتمل قوله ذلك لمن وجوها
لانه قد سبق خصال ثلاثة ما يحتمل رجوع هذا الحرف الى كل واحد من ذلك احدها قوله ان نحن الا بشر مثلكم ولكن
لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا قوله وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا اي ذلك الهدى والسبل
هدينا اليها لمن خاف مقامي وخاف وعيد وسبق ايضا قوله فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض
من بعدهم اي ذلك النصر والظفر بهم والتمكين في الارض لمن خاف مقامي وخاف وعيد والله اعلم ثم قوله لمن خاف
مقامي وخاف وعيد قال بعضهم اي خاف مقامي في الدنيا والاخرة وتاويله والله اعلم اي خاف سلطاني ونقمتي و
عذابي في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فما نزل بمكذبي رسله واتباعهم وعذابه في الاخرة حيث علم انه يحل بهم
بالتكذيب وترك الاجابة وقال بعضهم خاف مقامي في الاخرة وهو كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يخاف
ذلك المقام ويخاف ما وعد من العذاب في النار ثم قوله خاف مقامي حيث اضاف المقام الى نفسه ليس في الاشتباه
باقل من قوله الرحمن على العرش استوى وقوله وجاء ربك وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله وامثاله فكيف اشتبه
هذه الايات على اهل التشبيه حيث استدلوا بهذه الايات ولم يشتبه عليهم قوله مقامي حتى لم يستدل احد منهم بهذه
الاية فدل ان الاستدلال بمثل هذه الايات لا يصح في اثبات التشبيه مع احتمال الوجوه الصرف الى ما لا تشبيه
فيه ثم الاصل في قوله مقامي وامثاله من قوله واليه المصير وقوله واليه تردون وقوله اليه مرجعكم ثم
ذكر هذا وان كان الخلائق جميعا في الدارين يكون مصيرهم ومرجعهم اليه لانه لم يخلقهم للمقام في الدنيا والدوام
فيها لكن خلقهم فيها ليمتحنهم ويبتليهم فيها ثم يصيرهم الى دار المقام فالاخرة هي المقصودة من خلقهم في الدنيا
لا الدنيا فاذا كان كذلك اضاف المصير الى نفسه لما هو المقصود من خلقهم وان كانوا في الدنيا والاخرة صائرين
اليه عنها ليس عنه طرفة عين ولا في شيء فسمى الاخرة مقاما واضافه الى نفسه لانها هي دار مقام الخلق وعاقبة الحياة ثم
ذكر الله تعالى ابناء الرسل الماضية واتباعهم وابناء اعدائهم وما فعل بعضهم بعضا وما نزل بالاعداء بما عاملوا
رسلهم من العذاب والاستيصال وانواع البلاء وما اكرم رسله واتباعهم واولياءهم من النصر على اعدائهم والظفر
بهم والتمكين في الارض وجعل ذلك كله كالابتلاء ليعلم كيف يعامل الاعداء والاولياء ولم يفصل فيما استوى

الاولياء ولم يرضوا انهما استوجبه الاولياء من الكرامات ولتحد دواعي مثل صنيع الاعداء وليعلموا انه كيف عامل الله تعالى رسله واولياءه وكيف عامل الرسل بعد تعنتهم ايانا في جميع ما نالوا من الخيرات والكرامات الى الله عز وجل كان صنع لهم فذلك لئلا يغفلوا ان نحن الا بشر مثلكم ليعلم ان الخير ليس يكون بالجوهر ولكن بفضل الله ورحمته قالوا وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وكذا الاضداد ولنا لنبتلينا كانه لا اصنع لهم في ذلك وذكر الله تعالى ما اكرم اولياءه ورسله في النصر والتمكين في الارض ليذكر لنا كانهم استوجبوا ذلك بفعل كان منهم والله المجيد اعلم من خاف كذلك بان خاف مقامي اي ذلك النصر والتمكين وما ذكر من الوعيد لمن خاف مقامي وخاف وعيد ذكر كانهم استوجبوا تلك الا كان ذلك من الله تعالى فضلا لتعلم امتنا ان ليعلموا معاملة الله رسله واولياءه ومعاملة الانبياء والاولياء سيدهم ورسلهم ومولاهم والله الموفق وقوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد يحتمل الاستفتاح وجهين احدهما الاستنصار من الله اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون والثاني استفتحوا اي تحاكموا الى الله في النصر الاحق منهم كالامر الى الحق لقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وهو المحاكم عليه وقوله وخاب كل جبار عنيد هو ما ذكرنا انهم تحاكموا الى الله فضل اولياءه وخاب اعداءه على ما ذكر في الخبر انه بالحق قالوا اللهم ربنا المقدر يا ذا الحسنة ايما كان احب اليك واقرب في الحق فانصر المؤمنين واهلك الاعداء ثم قوله وخاب كل جبار عنيد الجبار يجبر على رسله واولياءه والعنيد هو المعرض المجانب عن الحق والطاعة وقال بعضهم الجبار القاتل على الغضب والضارب على الغضب هو ما ذكرنا وقوله تعالى من ورائه جهنم يحتمل وجوها يحتمل اي من بعد ذلك عذاب الدنيا له جهنم وعذابه ويحتمل اي من وراء جهنم الوراء قد يستعمل في امام وخلف اي من امام ما حل بهم ويحتمل اي بعد ما اصابهم من الشدائد والعذاب ما ذكر وقوله تعالى ويسقى من ماء صديد اي يسقى في جهنم صديدا مكان ما يسقون في الدنيا الماء وهو الذي يسيل من القروح جعل الله تعالى للكافر في الاخرة مكان ما كان لهم في الدنيا اللباس والطعام والشراب ما كانت تكرهه انفسهم جعل مكان ما يسقون في الدنيا من الماء في النار الصديد والغسلين والحميم ومكان الطعام في الدنيا في النار الزقوم والضريع ومكان اللباس في الدنيا القطران ونحوه في النار ومكان القرين والصديق في الدنيا جعل قرينهم الشيطان لقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اذ ذلك كله كان يمنعهم من دين الله ويصدهم عن ذكره فيكون جزاؤهم من نوع ما كان يمنعهم في الدنيا من طاعته ثم قوله ويسقى من ماء صديد يحتمل ان يكون في الظاهر والحقيقة صديدا ولكن تمتزجون ولا يدفع عطشهم ثم قال بعضهم ان الصديد الذي يسقون هو ان النار تخرجهم وتحرقهم فيسيل من تلك الجروح الصديد فيسقون من ذلك وقال بعضهم لا ولكن يجعل شرابهم في جهنم صديدا خلق منها ابتداء من غير اصل كما جعل شراب اهل الجنة وطعامهم من غير اصل وقوله تعالى يتجرعه قال ابو عوسجة التجرع ما تشربه الشيء مكروها قليلا وقوله تعالى ولا يكاد يسيغه يقال اسغته اي ادخلته في الحلق يقال اساغه اي يدخل سهلا من غير ان يؤذيه وكذا قيل في قوله سائغ شرابه اي سهل في الحلق وساغ في حلقه اذا دخل سهلا لا يؤذيه وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت قال بعضهم اي يأتيه الهم والغم من كل مكان وكذلك العرب تقول لمن اشتد به الغم والهم تقول لمن رآه كانك تموت من الغم وكانك ميت وقال بعضهم ويأتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت كما لو كان في الدنيا يأتيه الموت في جهنم لما به من الشدة ما يحل به ولكن قضاؤه انهم لا يموتون فيها ولا يحيون وما هو بميت اي موت حقيقة ثم قوله من كل مكان قال بعضهم من كل ناحية من فوق ومن تحت ومن خلف ومن امام كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اخبر ان النار تأتيهم وتأخذهم من كل نواحي وكل جهة ويحتمل من كل مكان اي بكل سبب من تلك الاسباب وقال بعضهم اي ليس من موضع شعر من جسده وسائر جسده الا والموت يأتيه منها من شدة ما يحل بهم حتى يجد طعم الموت وكربه وقوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ اي من وراء ذلك العذاب عذاب غليظ لا ينقطع ولا يفتر وصفه بالغلظ والشدة لدوامه لا يأس عن انقطاعه والله اعلم وقوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح هو والله اعلم على التقديم والتأخير اي مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح ثم يحتمل اعمالهم الاعمال التي كانت لهم في حال الايمان وهو كما ذكر في قوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ونحو ذلك ويحتمل ان يكون محاسنهم التي كانت لهم في حال الكفر من صلة الارحام والتصدق على الفقراء والجود بالمال ونحو ذلك طمعوا ان ينتفعوا بها فصارت كرماد الذي تذروه الرياح الشديدة لم ينتفع صاحب ذلك الرماد به بعدما حملت به الريح ما حملت فعلى ذلك الاعمال الصالحة التي عملوها في حال الكفر او اعمالهم الصالحة التي كانت لهم في حال الايمان ثم احدثوا الكفر لا ينتفعون بها وقال في اية اخرى اعمالهم كسراب بقيعة والاشبه ان يكون هذا في اعمالهم السيئة في انفسها او هي صالحة حسنة كقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فشبه ما كان في نفسه شيئا بالسراب لانه لا شيء هنالك عيانا يحسبه الاعمى ذلك اعمالهم السيئة في انفسها

فرآها صالحة حسنة وما كانت والله اعلم وقوله تعالى في يوم عاصف جعل العاصف نعتا لليوم واليوم لا يكون عاصفا لكن على الاضمار كانه قال في يوم فيه ريح عاصفة كقوله والنهار مبصرا النهار لا يبصر ولكن يبصر فيه ويبصر به فعلى ذلك هذا ثم العاصف قيل هي القاصف الكاسر الذي يكسر الاشياء ويحتمل ان يكون قوله اشتدت به الريح والعاصف حرفان يؤديان معنى واحدا وقوله تعالى لا يقدرون مما كسبوا على شيء اي لا يقدرون على اعمالهم كالرماد الذي ذكرنا ان صاحبه لا يقدر عليه بعدما حملت به الريح فذريته والله اعلم وقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد يحتمل ذلك الكفر هو الهلاك البعيد الذي لا نجاة فيه ابدا ويحتمل ان ذلك الكفر الذي تولوا به بعيد عن الحق وقوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق الم تر حرف تنبيه عن عجيب بلغه وعلم غفل عنهما او تقول حرف تنبيه عن عجيب لم يبلغه يعرف لم يعلم بمثل هذين الوجهين يشبه ان يكون قوله الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان كان الخطاب لرسول الله فيصير كانه قال قد رأيت وعلمت ان الله خالق السموات والارض بالحق وان كان الخطاب لغيره من اولئك فيقول اعلموا ان الله خلق السموات والارض بالحق لم يخلقهما عبثا باطلا ثم قوله بالحق قال عامة اهل التأويل الحق في الحق وتاويل هؤلاء ما قلنا ثم قوله بالحق اي الكائن لا محالة وهي الاخرة لانه خلق العالم الاول للعالم الثاني والمقصود من خلق هذا العالم هو العالم الثاني فكان خلق السموات والارض فالحاصل الثاني لا الاول لانه لو كان الاول دون الثاني يحصل خلقهما للفناء وذلك خارج عن الحكمة وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال بعضهم بالحق اي بالحق الذي يجب عليهم بالامتحان والابتلاء خلقهما للثواب للمحسنين في الاخرة ويحتمل خلقهما بالحق اي بالحكمة والحكمة ما ذكرنا وهو ان يكون البعث والجزاء حتى لا يكون خلق الخلق للفناء خاصة والله اعلم وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد قال بعض اهل التأويل هذه المخاطبة يخاطب بها اهل مكة يذكر قدرته وسلطانه على بعثهم بعد الموت والهلاك يقول لما يقدر على اذهابكم واهلاككم ويقدر ايضا على ان يأتي بغيركم فعلى ذلك يقدر على بعثكم بعد مماتكم وقوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز قال اهل التأويل اي هين يسير ولكن عندنا والله اعلم وما ذلك اي اذهابكم وافناؤكم عليه ليس بشديد ليس كملوك الارض انه اذا ذهب شيء من ملكهم يشتد ذلك عليهم فاما الله تعالى لا يزيد الخلق في سلطانه ولا في ملكه ولا ينقص فناؤهم وذهابهم من ملكه شيئا والله الموفق كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي شديد عليهم وهو كما وصفهم اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مكان العز الشدة ومكان الذل ههنا الرحمة فعلى ذلك هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله وما ذلك على الله بعزيز اي بما نبعثكم واحياءكم بعد الممات ليس على الله بشاق ولا شديد وقوله تعالى وبرزوا لله جميعا قال بعضهم اي خرجوا الى الله من قبورهم جميعا وقال جميعا لانه لا يغادر احدا الا بعثه ثم الاية تحتمل وجوها اخر سوى هذا يحتمل وبرزوا اي انقادوا لامر الله ولوعده الذي وعد انهم يبعثون او برزوا لحكم الله الذي يحكم في بعثهم او برزوا لله اي ظهروا له ووجدوا فيكونون موجودين له ظاهرين بعد ان كانوا فانين ذاهبين غائبين على زعم الكفرة لانه في زعمهم انهم كانوا فانين غائبين عن الله في الدنيا فيومئذ يعلمون انه كان لا يخفى عليه شيء من افعالهم واحوالهم وكانهم لم يكونوا يعلمون قبل والله اعلم وصار نظير هذا ما ذكرنا من قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقوله عالم الغيب والشهادة وقوله ليعلم الله من يخافه بالغيب وامثاله اي يعلمهم مجاهدين صابرين كما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين ويعلمهم شهودا حاضرين كما علمهم غائبين فعلى ذلك قوله وبرزوا لله جميعا اي يكونون له موجودين ظاهرين والله اعلم ثم اضافة البروز اليه في الاخرة وان كان بروزهم له في الدارين جميعا وكذلك ما ذكر من قوله واليه المصير واليه مآب ونحو ذلك والله اعلم لما لا ينازعه احد في بروزهم له في ذلك اليوم وقد ينازع فوق في الدنيا ويحتمل ان خص ذلك اليوم بالاضافة اليه لما هو المقصود من انشائه اياهم وخلقهم اذ ليس المقصود من انشائهم الاول ولكن الاخر لذلك خص ذلك بالاضافة اليه والله اعلم وقوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قال بعضهم فهل انتم مغنون عنا او دافعون عنا عذاب الله اذ كنا لكم اتباعا وانتم متبوعين فادفعوا عنا ذلك لكن هذا يبعد ان يطلب الاتباع منهم دفع العذاب عنهم وقد رأوهم في العذاب ولو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوا اولا عن انفسهم لكن يحتمل انهم انما قالوا ذلك لانهم كانوا في حيرة وعمى في الاخرة كما كانوا في الدنيا كقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فقالوا ذلك عن حيرة فلم يكن لهم هذا التمييز انهم عجزوا عن دفع ذلك عن انفسهم فكيف دفعوا عنهم والاشبه انهم يطلبون منهم تحمل بعض العذاب عنهم لانه مؤنة الاتباع في الدنيا كما يحملها المتبوعون فيطلبون منهم تحمل بعض ما حل بهم وهو ما ذكر في اية اخرى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار يطلبون منهم تحمل بعض ما حل بهم والله اعلم وقوله تعالى قالوا لو هدانا الله لهديناكم قال بعض اهل العلم ان الكفرة جميعا متبوعهم واتباعهم علموا بهداية الله من المعتزلة لانهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم علموا ان الله تعالى لو هداهم لاهتدوا وانه يملك هدايتهم وانما هداهم والمعتزلة يقولون قد هدى

جميع الكفرة وجميع الخلايق فلم يهتدوا به ولو اراد ان يهدي احدا لم يعلك والكفر حينئذ قالوا لو
هدينا الله لهديناكم او علموا ان الله لو هداهم لاهتدوا الا انهم لو لم يهتدوا بهدايته اذا هداهم لم يعتدوا
الى اتباعهم بقولهم لو هدانا الله لهديناكم ثم قولهم لو هدانا الله اي لو رزقنا الله الهدى كما رزقنا به لهديناكم ولكن
لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا به لهديناكم ولكن لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا به والله اعلم وقال ابو بكر الاصم تاويل قولهم لو هدانا
الله لهديناكم اي لو كان الذي لنا اخليه هدى لهديناكم ولكن هذا لهديناكم ولكن هذا اصرف هذه الاية من وجهها بلا
دليل فلو جاز له هذا جاز لغيره صرف جميع الايات عن ظاهرها بلا دليل وقوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص قال اهل التاويل انهم قالوا فيما بينهم تعالوا نجزع لعل الله يرحمنا فجزعوا حينا فلم يرحموا ثم قالوا
تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا فلم يرحموا فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ولكن لا يحتمل
ان يقولوا ذلك للعناء على ذلك المواضعة والامتحان ولكن كانهم قالوا ذلك بالخبر الذي سمعوا وهو قوله فاصبروا او لا
تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون لما سمعوا هذا فعند ذلك قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
اي من منجا ومخلص ثم لا يحتمل ان يقولوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص في اول الحال وامورهم ولكن يحتمل
ما ذكر اهل التاويل انهم يقولون ذلك عند الاياس وقوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر قال بعضهم قضي
الامر اي ادخل اهل الجنة الجنة وادخل النار النار فيقوم ابليس خطيبا في النار يخطب كما ذكر في الاية وقال بعضهم
لما قضي الامر لما ميز بين اهل الجنة من اهل النار قام ابليس خطيبا يخطب لاتباعه كما ذكر ويشبه ان يكون
قوله لما قضي الامر هو ان الله تعالى كان وعد ان يقوم ابليس خطيبا لهم فقضي الامر اي انجز ما وعد انه يخطب وقال
بعضهم لما قضي الامر اي لما نزل بهم العذاب ويحتمل قوله لما قضي الامر اي لما فرغ من الحساب وفي امرهم عند ذلك
يخطب بما ذكر وهو كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فعلى ذلك هذا ويحتمل ان يكون لاهل الكفر خصومات و
منازعات فيما بينهم يوم القيمة كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله فيحلفون
له كما يحلفون لكم الاية يكذبون في الاخرة ويكون لهم خصوم كما كانوا في الدنيا فلما انقضى ذلك الامر اي النار عما
بينهم حينئذ يقوم خطيبا كما ذكر ويحتمل انهم يحتجون فيقولون ان ابليس هو كان يضلنا وهو علينا الامر كان انا
نحن لم نعرف المعبود والعلو عن ما خوذ بما كان زعمه في حكمك يحتجون بمثل هذه الخرافات والحجاج ويقولون
هو اضلنا فيقوم عند ذلك خطيبا بينهم وقال لما كان لي عليكم من سلطان [illegible] الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي [illegible] وقوله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق [illegible]
ان يكون ما ذكر من وعد [illegible] البعث والجنة والنار والحساب والعذاب [illegible]
[illegible]
وما انتم بمصرخي [illegible] ما انا بناصركم [illegible]
[illegible]
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار [illegible] خالدين فيها باذن ربهم [illegible] تحيتهم فيها سلام [illegible]
[illegible]

الم تر كيف ضرب الله مثلا وقوله الم تر قد ذكرنا انه حرف تعجيب عن عجيب وقال ابو بكر هي كلمة تفتح بها العرب عند
الحاجة يقول الرجل لاخيه الم تر الى ما فعل فلان ونحوه هذا يحتمل ان يكون حرف تنبيه وحرف اهتمام فلا يحتمل ان يكون
المتعلق من الحاجات ثم قوله ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت قيل بين الله مثلا قال طيبة كشجرة
طيبة وقال ابو بكر الكيساني كلمة طيبة هي هذا القرآن وكلمة خبيثة هي الكتب التي انتحلها الناس شبه القرآن
بالشجرة الطيبة وهي النخلة على ما ذكر في الخبر انه شبه كل شجرة مثمرة وشبه الكتب التي انتحلها الناس بالشجرة الخبيثة
وهي التي لا ثمر قال انما شبه القرآن بالشجرة الطيبة المثمرة لان الشجرة الطيبة هي باقية الى اخر الدهر ينتفع الناس
بها بجميع انواع المنافع ولا ينقطع نماؤها وتدوم وتبقى فعلى ذلك هذا القرآن ينتفع به الناس في دهرهم ابدا وقوله اصلها
ثابت وفرعها في السماء اصلها ثابت لها قرار فعلى ذلك القرآن هو ثابت بالحجج والبراهين والكتب التي احدثها
اولئك هي باطلة مضمحلة متلاشية لا حجة معها ولا برهان كالشجرة الخبيثة التي هي غير مثمرة لا قرار لها ولا
لابقاء ولا ثبات والله اعلم وقال بعضهم الكلمة الطيبة هي التوحيد والايمان شبهها بالشجرة الطيبة وهي التي
تثمر وتدوم وتزكو على ما وصفها الله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها فعلى ذلك الايمان والتوحيد لا يزال
يثمر لاهله الخيرات والاعمال الصالحة كالشجرة التي وصفها انها تؤتي اكلها اهلها في كل حين وفي كل وقت اصلها
ثابت بالحجج والبراهين وفرعها في السماء في كل وقت يصعد ويرتفع له العمل الى السماء والكلمة الخبيثة هي الكفر
لانه لا منفعة لاهلها فيها اذ لا عاقبة له ولا حجة معه ولا برهان انما هو شيء اخذ عن هوى واماني وهو كالشجرة
الخبيثة التي لا ثمرة لها ولا منفعة لاهلها فيها لا تبقى ولا تدوم كذلك قوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
ويشبه ان يكون ضرب المثل لغير هذا المعنى وهو انه تعالى ذكر جواهر طيبة وجواهر خبيثة مما يقع عليه الحواس ويقع عليه
البصر ليكون كل جوهر من هذه الجواهر التي يقع عليها الحس من طيب وخبيث دليلا وشاهدا على ما غاب عن الخلق
لا يقع عليه الحواس وهكذا جعل تعالى هذه المحسوسات الاشياء الظاهرة دليلا وشاهدا لما غاب عنهم ولا يقع
عليه الحس والبصر الا انه كتب فيهم لمن عرف الطيب الذي يقع عليه الحس والبصر على الموعود الغايب وجد الخبيث المحسوس
لهم فيما وعد واوعد وكذلك جعل الالام والامراض والشدايد التي حصلت في هذه الدنيا حاجات لتزجرهم عن الافعال التي
بها يستوجبون مثلها في الاخرة وكذلك النعم التي في الدنيا واللذات جعلها لتدلهم على النعم الدائمة على نحو هذا يخرج
تخريج الاية لانه اراد بالشجرة الطيبة الشجرة نفسها والشجرة الخبيثة الشجرة نفسها على ما وصفنا والله اعلم وقال
قايلون ضرب الله مثل الشجرة الطيبة مثلا للمؤمن هو في الارض وعمله يصعد في السماء كل يوم وكما تؤتي الشجرة الاكل كل
حين كذلك المؤمن يعمل لله في ساعات النهار والليل ويحتمل الكلمة الطيبة ان يكون هي الوحي الذي اوحى الله الى رسول الله
والكلمة الخبيثة ما اوحى الشيطان الى اتباعه كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم الاية فوحي الله تعالى هو ثابت
دايم ينتفع باهله في الدنيا والاخرة ووحي الشيطان هو باطل مضمحل لا عاقبة له ولا ينتفع باهله والله اعلم وقال
بعض اهل التاويل شبه كلمة الشرك بحنظلة قطعت فلا اصل لها في الارض ولا فرع في السماء وكذلك كلمة الشرك
لا اصل لها ولا فرع اي لا يصعد لها عمل ولا لها قرار وشبه كلمة الايمان في نفعها وفضلها وثباتها وقرارها
في الارض بما ذكر من الشجرة الطيبة والله اعلم ويحتمل الكلمة الطيبة التوحيد وفرعه وهي الخوف والخشوع والخضوع
والرغبة والرهبة واكلها هي الاعمال الصالحة والخيرات تكون نتيجة فعال الايمان والكلمة الخبيثة هي الشرك وفرعه
ما يكون منه في الشرك من الفساد والتمرد والعناد واكلها هي الاعمال التي تكون منه في الشرك ويحتمل ان يكون الكلمة
الطيبة الايمان وفرعها هي الشرايع والاحكام التي تعمل واكلها هو ما يثاب بعمله في الدنيا والاخرة ابدا والله اعلم
وقوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها قال بعضهم اي كل عام لانها تثمر كل عام مرة وقال قايلون في ستة اشهر
من وقت طلوعها الى وقت ادراكها وقال قايلون كل حين اي كل غدوة وعشية وهو كقوله فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقال قايلون اي شهرين وامثال ذلك عشية ان يكون ما ذكرنا انه ليس في وقت دون وقت لكن
في الاوقات كلها وكل نعت وكل ساعة وقوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس يحتمل يبين الله الامثال التي
يقع عليها الحس والبصر والاشياء الظاهرة ليدلهم على ما استتر وغاب عنهم يذكرون بالعقول ما استتر
بالظاهر المحسوس لعلهم يتذكرون يتعظون وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار وقال بعضهم اي استوصلت وقيل انتزعت وقال ابو عوسجة اقتلعت من اصلها يقال اجتثت الشجرة
اجتثها اجتثاثا اذا اقتلعتها من اصلها فان قال لنا الملحد ان الكلمة التي ضرب الله مثلها بالشجرة الطيبة هي كلمتنا نحن الدين
بذلك والكلمة الخبيثة التي ضرب مثلها بالشجرة الخبيثة هي كلمتكم وانتم المذبذبون فبم تدفعون ذلك قيل لهم قد سبق منا
امثال نوردها الدليل على ان الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة واخرة فكل امر له عاقبة واخرة فهو الحق والله اعلم علمه لا عاقبة
له ولا اخرة قول الحكمة ان كل امر لا عاقبة له فهو باطل والكفر لا عاقبة له والثاني ان الايمان والتوحيد جميع دلايل الكفر

ما لا حجة لمن لا دليل له انما هو ماخوذ بالاماني والشهوات من تسويل الشيطان وتزيينه والله اعلم ومنهم من احتج بهذه الاية
في خلق الايمان والكفر من الله لانه شبههما بما هو خلق له وهو الشجرة لكن عندنا لا يجب ان يستدل بهذا في
من الله ولكن يجب ان يستدل بها على الوحدانية سبحانه وانه هو المنشي دون غيره لانه لو كان منشئهما مختلفا لكان لا يصير
مثل هذا ولا هذا مثلها فاذ ضرب ذلك مثلهما واحدا فاذا ثبت ذلك دل لما وصفنا والله اعلم ومن الناس من استدل بها
على ان الايمان يزداد وينقص حيث شبهها بالشجرة وهي تزداد وتنقص نحو قوله تعالى في الاية دلالة ما ذكروا لان
الشجرة في نفسها ليست بتحصد بل تزداد حقيقة وتنتقص في ذاتها فاما الايمان لحصول علم وهو التصديق
فانه لا يزداد ولا ينقص فما يزداد انما هو نحو التزين والحسن واما الايمان نفسه فانه لا يزداد كالشجرة لا ترى
وتخرج ثمارها تتصف بالزينة والحسن فاما نفس الشجرة فلا تتصف بالزيادة فعلى ذلك الايمان والله اعلم قوله تعالى
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة . مرة ذكر بالثبات ومرة ذكر الزيادة كقوله ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ومرة على الابتداء والتجديد بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله وقوله اهدنا الصراط المستقيم فالتجديد
والابتداء في حادث الوقت لان الايمان لا ينقضي ولا يذهب لا تبقى واما الزيادة فانما سماها زيادة على ما كان لم يضم
في هذا الوقت الى ما كان والثبات على ما كان وكله واحد في الحقيقة ثم قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة يشبه ان يكون صلة قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة على تاويل من يقول ان الكلمة
الطيبة هي القران يكون القول الثابت القران يقول والله اعلم يثبت الله الذين امنوا في الحيوة حيث دعوه بالاجابة في الحياة
والعمل به وفي الاخرة اي يفرقون بالاخرة والبعث ويضل الله الظالمين حيث تركوا الاجابة له ودعوه بالرد والمكابرة
والعناد وعلى تاويل من يقول الكلمة الطيبة هي التوحيد والايمان يكون القول الثابت هو الايمان يثبتهم في الحيوة الدنيا
باختيارهم وفي الاخرة قيل من معبودهم يثبتهم للاجابة منكر ونكير وعلى ظاهر من ذلك ويضل الله الظالمين حيث تركوا الاجابة
في الحيوة الدنيا وفي القبور حيث تركوا الاجابة في الدنيا والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا هو ما ذكر والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم يثبت من اجاب الله تعالى الى ما دعاه في الدنيا
وفي الاخرة يهديه الطريق الذي يوصل الى دار السلام والكافر حيث ترك الاجابة الى ما دعاه يضله في الاخرة طريق دار السلام
بترك اجابته في الدنيا والله اعلم ثم قوله ويضل الله الظالمين اضاف الاضلال مرة الى نفسه ومرة الى الشيطان ثم لا شك
انما اضيف الى الشيطان انما اضيف على الذم فاذا كان ما ذكر يكون الجهة التي اضيف الى الشيطان الجهة التي اضيف
الى الشيطان الجهة التي اضيفت الى الله هو ان خلق فعل الضلال من الكافر وما اضيف الى الشيطان فهو على الدعاء
ليصح الاضافتان جميعا وعلى التسمية على ما يقوله المعتزلة ان الاضلال هو تسمية ضالا لكان كل من سمى احدا ضالا
كان او يكون مضلا له بالمجاز ان يسمى مضلا اذا لم يسمه بتسميته ضالا وكان مضلا حقيقة لا انه انما سمى الله نفسه مضلا
لتحقيق الفعل له فيه وهو ما ذكرنا ان خلق فعل الضلال منه والمعتزلة يقولون انا نشهد على الخلق جميعا الكفرة منهم انهم
ضلوا جميعا من غير ان يكون الله اضلهم وهذا مخالف ظاهر الاية الى غير دليل وقوله تعالى ويفعل الله ما يشاء
اي يفعل الله ما يشاء فهدى من اختار الاجابة والاهتداء واضل من اختار ترك الاجابة والغواية وعلى قول المعتزلة
لا يمكن ان يفعل ما يشاء لانهم يقولون انه شاء ايمان جميع البشر لكنهم لم يؤمنوا وكذلك قالوا افعال الخير اراد منهم
ارادة ايمانهم لكنه لم يفعل ما اراد والايمان وقد اخبر انه فاعل لما يريد لما يشاء وهم يقولون لم يعمل ما يشاء وقد
بل الله يفعلون ما شاء واخبر ما شاء هو فيكون تاويلهم خلاف ظاهر القران والله الموفق قوله تعالى الم تر الى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا . اختلف في نزول هذه الاية قال بعضهم هذه السورة كلها نزلت بمكة الا هذه الاية فانها نزلت
بالمدينة وقال بعضهم كلها نزلت بمكة ومن يقول نزلت بالمدينة يقول ما نزل واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها
اريد به حرب بدر وحمل القادة اتباعهم الحرب بدر حتى قتلوا يوم بدر لم يكن بمكة انما كان يوم بدر بالمدينة فقالوا ان هذه
الاية نزلت بالمدينة ومن يقول نزلت هذه بمكة مع سائرها يقول انه اراد به دار البوار جهنم على ما نسر ظاهر الكتاب وهو
الاشبه بظاهر الاية قال دار البوار ثم فسرها بقوله جهنم وفي الاية دلالة ان الاشكال في ظاهر الاية وذكر نعم
قال واحلوا قومهم ثم اختلف في النعمة التي ذكر انهم بدلوها كفرا وهي تحتمل وجوها احدها ان النعمة انهم لهم في هذه الدنيا
ووسعها عليهم حرموا تلك النعم على انفسهم فجعلوها للاصنام لتعبدوها وينسبوها لم ينتفعوا بها من البحيرة
والسائبة والوصيلة والحامي وما كان من الاصنام كما ذكر وهذا الشركاء انما كان لشركائهم ما جعل الحلال الاية
فذلك تبديل النعمة كفرا حيث حرموا ما انعم عليهم واحل لهم والثاني تلك النعمة محمد صلى الله عليه والقران والاسلام
وهي نعمة عظيمة في حقهم فكذبوهم وكفروا بهم فيكون تبديل النعمة كفرا ثم حقيقته تخرج على وجهين احدهما بدلوا
ما انعم الله عليهم ورحمته على انفسهم حتى اخذتهم وامر الهجرة الظاهرة بدلوا بكفر والثاني حق لو انه كفر بعد ما سالوا نبيهم
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلم يشكروا ما انعم عليهم بدلوا الشكر كفرا بجعل النعمة سبب

الكفر ولم يشكروه بما انعم عليهم . قوله تعالى واحلوا قومهم دار البوار . اي انزلوا دار البوار وقد ذكر الحلول اهل المكي لانه قد كان
منهم الجناية بالاحلال لمن في دار البوار وقد ذكر في دخولهم جهنم على الانشاء والاستقبال بقوله جهنم يصلونها وبئس القرار
ما لم يوجد بعد وسيوجد فكان معنى الاية والله اعلم اي سيتسببون في حقهم سببا سيستحقون الحلول في دار البوار حيث
امروهم باتباعهم في الكفر وترك اجابة النبي ويحتمل ان يقال الحلول ان احلوهم دار البوار ثم يدخل الجسد بعد ذلك في الاخرة
وهذه الاية حجة لاصحابنا في مسئلة وهي ان العبد اذا حصن شرا ثم لقي العدو فوقع في السبي انسان ينظر الى قيمة العبد يوم
حصن لان الحصن مستحبا به في ذلك الوقت الى قيمة الواقع فيها يوم الوقوع لان يوم الحصن لا يكون يوم تكون يوم الحصن والله اعلم
وقوله تعالى وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله ثم فسر انهم لحلول قومهم دار البوار بقوله وجعلوا لله اندادا
في العبادة يعبدونها كما يعبد الله وفي التسمية يسمونها الهة كما يسمى الله فجعلوه اندادا في ذلك الوجهين يذكر
سفههم حيث جعلوه اندادا في هذا في الوجهين يذكر سفههم حيث جعلوا اندادا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر
لمن لا امثالا امثالا لانه على علم منهم ان الله هو الذي خلقهم وقد رزقهم ونعم عليهم وهو الذي يدفع عنهم كل بلاء
وشدة ويحتمل ان يكون قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله هو تفسير ما ذكر من تبديل النعمة كفرا وقوله تعالى
قل تمتعوا فان مصيركم الى النار . اي تمتعوا بهذه النعم التي ذكر انهم بدلوا كفرا فان مصيركم الى النار فهذا في قوم ماتوا
على الكفر فان مصيركم الى النار وهذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وفيه دلالة اثبات الرسالة وقال ابو عوسجة
البوار الهلاك وهذا يقال بار الرجل يبور بورا فهو بائر وقوم بور اي هلكى ويقال بارت السوق وبارت السلعة
اذا كسدت ويقال للايم المراة تبور بورا فهو بائر اذا كسدت وفي حديث النبي عليه السلام نعوذ بالله من بوار الايم
قيل يعني من كسادها والله اعلم وقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة . يحتمل قوله يقيموا الصلوة
اي اقامة الايمان بها كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والمراد اقامة الايمان بها
اذ لا يحتمل الحبس وترك التخلية الى ان يقيموا الصلوة اقامة الفعل والوفا الى اخر العمر اذ في ذلك حبسهم ابدا فدل
ان المراد اعتقاد وجوب الصلوة والزكوة وذلك من باب الايمان فان قيل كيف يحتمل الامر باقامتها اقامة الايمان بها
وقد سبق منهم ذلك من الايمان بها حيث قال للذين امنوا يقيموا الصلوة فاذا كانوا مومنين كيف يومرون باقامة الاية
قيل هذا جائز ان يامرهم باقامة الايمان في حادث الوقت اذ الايمان حكم التجدد في كل وقت وهو كقوله يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله اي امنوا في حادث الوقت فعلى ذلك يحتمل الامر باقامتها اقامة الايمان بها والله اعلم ويحتمل ما ذكر من
الصلوة والانفاق هي اقامة الصلوة المعروفة المعهودة والزكوة المعروفة المفروضة والادامة لهما واللزوم بهما
ويحتمل ايضا الفعل والوفاء بهما جميعا والله اعلم وقوله تعالى وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية . قال الحسن
الامر بالانفاق مما ذكر ينصرف الى الزكوات المفروضة لانه ذكر الوعيد في اخره فقال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
ولا خلال ولا يحتمل الوعيد في التطوعات وهو كما ذكر في اية اخرى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت
الاية ولا يحتمل طلب الرجوع والتاخير الى اجل في النوافل دل انه اراد بالزكوات المفروضة وقال بعضهم وينفقوا
مما رزقناهم سرا في التطوع وعلانية في الفريضة لان الفريضة لا بد من ان يظهر ويعلن وليس في ادائها رياء وفي
العلم وقوله تعالى من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه . اي يوم لا يقدر احد ان يبيع فيه نفسه من ربه وفي الدنيا يقدر
ان يبيع نفسه من ربه كقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وكقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم يقول من قبل ان ياتي يوم لا يقدر احد بيع نفسه من ربه فيه ويحتمل قوله يوم لا بيع فيه
اي لا ينفعه بيع نفسه فيه فذلك اليوم وان باع كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل الاية والله اعلم
وقوله تعالى ولا خلال . هو مصدر من الخلة والصداقة قال القتبي الخلال مصدر خاللته خلالا
ومخالة والاسم الخلة وهي الصداقة وقال ابو عوسجة الخلال من المخالة وهي المودة ثم هو يحتمل وجهين احدهما
اي لا تنفعهم الخلة التي كانت بينهم في الدنيا الا كل خلة كانت لله فهي تصير عداوة في الاخرة كقوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اخبر ان الاخلاء الذين كانوا يتخالون في الدنيا للدنيا فهم الاعداء يوم القيمة
الا الخلة التي كانت لله فهي تنفع لله لهما وهو كما ذكر ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وامثاله
يخبر ان الخلة التي كانت بينهم في الدنيا الا لله فهي تصير عداوة في الاخرة حتى يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم
بعضا والثاني يكون لهم شفعاء واخلاء لكن لا يشفعون كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى او يشفع لهم لكن
لا تقبل كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين والله اعلم وقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم . فيه دلالة ان تدبير الله متسق محيط بجميع ما في السموات والارض وعلمه محيط بجميع ذلك
حيث ذكر انه انزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يعني البشر جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض
مع بعد ما بينهما دل انه من تدبير فعل هذا وعلم وانه تدبير واحد عليم قدير ثم ما ذكر من تسخير السموات والارض مسخرة السماء

وصلابتها وملاطة الارض وكثافتها وتسخير البحر مع اهواله وامواجه وتسخير الانهار الجارية وتسخير الشمس والقمر
والليل والنهار لهذا البشر ذلك كله ويحتمل ان يذكرهم نعمه التى انعمها عليهم من المنافع التى جعل لهم فى
تسخير هذه الاشياء التى ذكر لهم ولم يجعل هذه الاشياء ابى تسخرت لغيرهم ليتأدى بذلك شكرها او كان يذكر
سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وملاطتها واهوالها من قدر على تسخير ما ذكر
لقادر على البعث والاحياء بعد الموت لهم ويحتمل ما ذكر من تسخير الاشياء التى ذكر ان انشاء هذه الاشياء مسخرة لله
لنا او لنا مسخرة اى جعلنا من الاسباب والحيل التى تهيأ لنا الانتفاع بها والتسخير قال ابو عوسجة سخر لكم الشمس والقمر دائبين
اى يجريان دائبا دأبهم من الدؤوب اى التعب والله اعلم وقوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه ضم لغتان نونا وبلا نون قال بعضهم
وآتاكم من كلٍ على التنوين ما سألتموه على الجحد اى آتاكم من غير سؤال منكم طلب هذه الاشياء التى ذكر انه سخرها لنا او كان
وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لانه اعطانا اشياء قبل ان نعلم ما يجب ان نسأل حيث خلق هذه الاشياء التى
ذكر من قبل ان خلقنا والله اعلم وقال الحسن من كل ما سألتموه قال ما لم تسألوه وهو ما ذكر ان القراءة المعروفة على الاضافة
على معنى من كل شئ سألتموه والله اعلم فان قيل انا نسأل الاشياء ولا يعطيها لنا فما معنى الآية قيل بوجوه احدها انه ذكر حرف
التبعيض وهو ما قال من كل ما سألتموه والثانى اى وآتاكم علم ما سألتموه قبل ان تسألوه وجه علم الانتفاع به وكلنا النفع تركم
من كل ما يجئ السؤال ويليق به على هذه الوجوه يخرج الآية والله اعلم وقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها قال بعضهم
لا تحصوها اى لا تقدروا احصاها وعدها وهكذا لان اقل الناس نعمة لو تكلف احصاء ما اعطاه الله مما كرم عليه
من حسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبنية وسلامة الجوارح وغير ذلك مما لا سبيل الى احصائها الا بعد
طول التفكر والنظر وقال بعضهم اى وان تعدوا نعمت الله لا تحيطوا بكنهها ونهايتها وقيل وان تعدوا نعمت الله
لا تحصوها اى لا تشكروها اى لا تقدرون شكرها والله اعلم وقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار لظلوم ظلم
نفسه حيث صرفها الى غير الجهة التى جعلت وامر بالصرف اليها وادخلها فى المهالك والقاها فى التهلكة كفار
لنعمه حيث صرف شكرها الى غير الذى جعلها له والله اعلم وقوله تعالى واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد آمنا •
اى مأمنا سمى هنا لما يأمن الخلق فيه كما سمى النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه ومثله كثير ويحتمل قوله رب
اجعل هذا البلد آمنا ما قال بعض اهل التأويل انما طلب ابرهيم ان يجعله آمنا لاهله وولده خاصة لا لاهل الدنيا
كافة الا يرى انه سفك فيه الدم وهتك فيه الحرم دل انه جعله آمنا لاهله وولده خاصة ولكن لو كان ما ذكر يحتمل
ما يضيع بقوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وغيره من الآيات تلحق ان يجعل
تلك البقعة مأمنا للخلق وان استوى فيها ثم يحتمل وجهين احدهما جعله آمنا بحق الابتلاء والامتحان الزم الخلق حفظ
تلك البقعة عن سفك الدماء فيها وهتك الحرم وغير ذلك من المعاصى وان كانوا صنعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يصلح
كالمساجد التى بنيت للعبادة واقامة الخيرات والزم على اهلها وعلى جميع الخلائق حفظها عن ادخال ما لا يصلح
ولا يحل ثم ان الناس قد صنعوا ذلك وعملوا فيها بما لا يليق بها وما لا يصلح فعلى ذلك الحرم الذى اخبر انه جعله مأمنا
والله اعلم والثانى جعله مأمنا بالخلقة حتى يكون الامن فيها ثابتا من حيث الخلقة ولا يقال كيف جعل بالخلقة
آمنا وقد سفك فيه الدم وهتك فيه الحرم لانا نقول يجوز هذا بحق العقوبة فى حق قوم خاص فى وقت خاص الا يرى
الى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الطيبات بالخلقة حلال
لكنه حرم عليهم ذلك بالظلم الذى كان منهم بحق العقوبة والانتقام فعلى ذلك الحرم جعله مأمنا بالخلقة ثم
القتل لبعضهم عقوبة لما كان منهم من المعاصى والله اعلم وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام قال ابو عوسجة واجنبنى
اى باعدنى وجنبنى ايضا وقال القتبى اى جنبنى وبنى فان قيل كيف دعا وطلب من الله العصمة وقد عصم النبوة
والرسالة عن ذلك كله فنقول قال بعضهم انما سأل العصمة لولده وذريته لما علم ان ذريته يختلفون
فى دين الله وتوحيده الا انه ذكر لنفسه ايضا لما المعروف عند الخلق ان من دعا لاحد يبدأ بنفسه وقالت المعتزلة
انه انما دعا ذلك مع علمه انه معصوم عن ذلك كله على طريق التعبد العبادة لله تعالى نفس الدعاء عبادة على ما روى
فى الحديث الدعاء مخ العبادة واستدلوا بهذه الآية على انه يجوز ان يدعا بدعوات تعبدا فاذا كان الدعاء تعبدا له
مما قد اعطاه الله او يعلم انه مفعول لا محالة لزمنا اياهم فى مسئلة الاصلح والهداية دعوات الاخيار من
التوفيق والصلاح ولو كان اعطاهم ذلك لم يسألوا او [illegible] ابرهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام يخبر ان يكون
عصمتهم كانت مقرونة بما طلبوه منه وسألوه وتضرعوا اليه اذ يعلمون انهم لا يستفيدون تلك العصمة باعمالهم انفسهم
وتركهم اياها بل انما وجبت لهم ذلك بما اجتهدوا انفسهم فى طاعة الله والله اعلم ثم الآية حجة على المعتزلة من وجهين احدها
ان ابرهيم طلب منه العصمة عن عبادة الاصنام وهو علم انه يعتصم لعصمة عن ذلك واهتدى اذا هداه وهم يقولون ان الله
لا يعصم العبد ولا يهدى ويقولون انا اعطى [illegible] اذا اخرج من يده ولا يملك اعطاه [illegible] ولم يخرج

[illegible]

الصلاة • قال بعض اهل التأويل فيه تقديم وتأخير كانه يقول واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ليقيموا الصلاة عند
بيتك [illegible]

[illegible]

وقد جعل الله تعالى بمنه هذا البشر على ان لا قوام لهم الا بالاغذية والاشربة فسأل ربه ذلك ليتعيشوا به لتحمل اليهم
والله اعلم وقال اهل التأويل لو قال فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم لحجوا ولو قال فاجعل افئدة الناس تهوي
اليهم ولم يقل افئدة من الناس يحرض من الجنة الخلق اجمع الكفار والمسلمون لكن عندنا لا يحتمل ان يسأله الخلق جميعا
وكذلك لو لم يقل افئدة من الناس والحج لم يرجع الى الخلائق جميعا الكافر والمؤمن بل يرجع ذلك الى الخصوص وان لم يذكر ثم
حرج من فعل ذلك هنا وقوله تعالى وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون يحتمل لعلهم من التعيش بما يحمل اليهم من الاغذية
والاطعمة والله اعلم ويحتمل قوله وارزقهم من الثمرات ليس على تخصيص الثمرات لكن سأل الثمرات وما يغذوهم
وقوامهم وقوله تعالى ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن لا يحتمل ان يكون سؤال هذا الدعاء منه على سبيل الامتنان
بل كانه والله اعلم دعاء بما تلى بان له نزل لنا اذ تعلم انك تعلم ما نخفي ونعلم ما نعلن لكن لم يبين ما ذلك لنا وقال اهل
التأويل يقولون قال هذا اي تعلم ما نخفي من الحزن والوجد على اسمعيل وامه حيث تركهما بواد غير ذي زرع ولا ماء ويقولون
وما نعلن هو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي لكن لا نعلم ذلك الا ان يثبت ذلك بخبر عن النبي عليه السلام فهو تواتر ولم يبين في
القرآن ذكر ذلك والله اعلم وقوله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء كانه قال ذلك لجوا بالله واختيارا
منه اياه انه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي لا يخفى عليه ما الامر فيه فلا نعلم الاجزاء فكيف يخفى عليه الامر
الذي عليها الجزاء والامر يحتمل قوله ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن كانت تلك حاجات اخفاها او طلبة مرتبة انها تعلم
تعلم حاجاتي اخفيتها او اعلنتها فاقضها لي وهو كقول عيسى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ويحتمل ان يكون ذلك لان
لان اهل الاديان جميعا كانوا ابولوا ابرهيم ويدعون انه على دينهم ولذلك قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما برأه الله تعالى مما ادعى كل فريق ثم منهم من كان من هذه الفرق يدعون الاسرار عن الله فقال هذا ليعلم الناس
لو جحدوه انه يقول لا يخفى على الله شيء والله اعلم وقوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق قال اهل
التأويل انه وهب له الولد وهو ابن كذا وامرأته بنت كذا سنة لكن لا نعلم ذلك سوى ما ذكر في الكتاب انه وهب له الولد على الكبر
في وقت الاياس عن الولد حيث بشر بالولد فقال ابشرتموني على ان مسني الكبر الآية وحيث قالت امرأته لما بشرت بالولد أألد
وانا عجوز وهذا بعلي شيخا فعلم انه وهب له الولد وهما كانا كبيرين في وقت الاياس عن الولد ثم قوله الحمد لله الذي وهب
لي على الكبر اسمعيل واسحق يكون حمده على الامرين جميعا على هبة الولد وعلى حصول الولد في حال الكبر وهو حال الياس
اذ كل واحد منهما مما يوجب الحمد والشكر عليه وقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء قيل لمجيب الدعاء وقوله تعالى رب اجعلني
مقيم الصلاة ومن ذريتي قد سبق من الله تعالى الامر باقامة الصلاة وهو المقيم لها فلذلك الدعاء منه والمسئلة ان يجعله
مقيم الصلاة ان عند الله لطفا سوى الامر لم يعطه فيسأل له ذلك فهو لطف وتوفيق وهو على المعتزلة حيث قالوا ان الله اعطى
كل شيء يحتاج المكلف الى اداء الايمان وغيره حتى لم يبق عنده ما يعطيه والله الهادي وقوله تعالى ربنا وتقبل دعاء قال
بعضهم اي تقبل دعائي في اقامة الصلوة لنفسه وذريته لكن لا يجب ان يخص به ذلك من الدعوات لكن سأل ان يتقبل
وقد دعا ربه بدعوات كثيرة نحو ما قال رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال ربنا ليقيموا
الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم الآية وقال في موضع آخر ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة ونحوه من الدعوات
فلا معنى لتخصيص سؤال القبول للدعاء في اقامة الصلوة لا غير وقوله تعالى ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم
يقوم الحساب طلب من الله المغفرة لوالديه قال الحسن ان امه كانت مسلمة وان اباه كان كافرا لانه قال واغفر لابي انه
كان من الضالين خص اباه بالضلال دل ان امه كانت مسلمة لكن لا نعلم حال الام كانت مسلمة او كافرة فاما ابوه
لا شك انه كان كافرا اذ لم يثبت اسلامه بخبر متواتر ولا ذكر ذلك في الكتاب فالكف عن وصفها بالاسلام اولى لكن
اسلم ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران ان كانت امه كافرة على اضمار الاسلام اي اغفر لهما ان اسلما ويحتمل ان يكون
سؤال المغفرة لهما سؤال الاسلام لهما الذي هو سبب المغفرة لهما او سبب صيرورتهما اهلا للمغفرة وهو ما ذكر في امر
نوح استغفروا ربكم ونحو ذلك على ما تقدم او ان يكون ذلك منه طلب الستر عليهما في الدنيا وان لا يفضحهما ولا يخزيهما لكنه
سأل المغفرة يوم يقوم الحساب وقرن بينهما وبين المؤمنين فقال ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
الا ان ينفصل قوله ربنا اغفر لي ولوالدي من قوله وللمؤمنين ويبتدئ من قوله وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وقد ذكرنا فيما تقدم
والله اعلم وقوله تعالى يوم يقوم الحساب بالعدل كقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة اي بالعدل يقول الرجل لآخر
اتحاسبني اي اتعدل فيه واقامة الحساب العدل فيه على ما يوجبه الحكم لا يزاد فيه ولا ينقص والله اعلم وقوله تعالى ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون قال بعضهم المخاطبة بهذا لرسول الله خاصة على علم منه تعالى انه بنبيه ورسوله كان لا يظن
ان الله يغفل عما يعمل الظالمون لكنه خاطبه كما خاطبه في قوله ولا تدع مع الله الها آخر وقوله ولا تكونن من المشركين
نهاه عن ذلك مع العلم منه انه لا يفعل ولا يدعو معه الها آخر ولا يشرك به واصله ما ذكرنا ان العصمة لا ترفع المحنة
وليس المحنة الا الامر والنهي اذ لو رفعت العصمة المحنة والامر والنهي لذهبت فائدة العصمة ولا حاجة تقع اليها لذلك

ان العصمة

ان العصمة المحنة والامر والنهي لذهبت فائدة العصمة ولا حاجة تقع اليها لان العصمة تزيد في المحنة ومع المحنة تقع
الحاجة اليها وينتفع بها والله الموفق ثم قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون يخرج على وجهين احدهما يقول لا تحسبن
الله غافلا وقت خلقه الخلق وانشائه اياهم عما يكون منهم من الظلم والكفر والعصيان اي لم يخلقهم عن غفلة وسهو عن ظلم الظالمين
انشاهم وخلقهم ولكن عن علم بما يكون منهم انشأهم لكن انشاؤه اياهم على علم منه بذلك لان من انشأ ما يكون منهم
وضرره يرجع اليهم لا اليه فلم يخرج انشاؤه اياهم على علم منه بذلك ولكن لما لا ياخذهم بالعذاب بعقب صنيعهم لزوال
المحنة لما يصير العذاب والثواب مشاهدا معاينة ويحتمل ان يكون الخطاب بالآية غيره كل ظان يظن بانه الغفلة عن
ظلم الظالم وهو كما خاطب بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك الآية امر الخطاب كل من غره
بربه الكريم لا كل انسان فعلى ذلك الخطاب بقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون لكل من ظن بالله
الغفلة عن ظلم الظالم والله اعلم ثم ان الذي حملهم على الظن بانه الغفلة عن ظلم الظالم امهاله وتأخيره العذاب عنهم
عن وقت ظلمهم وتركه الاخذ لهم بذلك ومنهم من ادعى الغفلة لذلك انكارا منهم لذلك ممن لم ياخذ ملوك الارض من ظلم
واجترأ من اتباعه انتقم منه في العاجل وقت يقدر على الانتقام منه فلما تأخير الله العذاب عنهم ذلك الانتقام
منهم على القول بالغفلة ومنهم من ادعى على الله الرضا بما اختاروا هم من الشرك الكفر وادعوا الامر بذلك لما لم
يستأصلهم بصنيعهم فاستدلوا بذلك على رضاه بفعلهم وامره اياهم بذلك كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله
والله امرنا بها فاخبر رسوله ان تأخير العذاب عنهم وامهاله اياهم ليس عن غفلة منه ولا عن سهو ولا رضاه بذلك ولا امره
ولكن انما يؤخرهم ليوم وصف شدة ذلك اليوم وهوله فقال ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد
اليهم طرفهم ثم اختلف في تأويل الآية قال بعضهم هذه الاوصاف كلها ترجع الى النظر والبصر يقولون شاخصة ابصارهم
مهطعين ناظرين اليه الى الداعي مقنعي رؤسهم رافعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم لهول ذلك اليوم يصرفون هذا كله
الى الابصار دون الانفس والاهطاع والاقناع هو النظر والتشخص الابصار ومنهم من صرف قوله تشخص فيه الابصار
وقوله لا يرتد اليهم طرفهم الى الابصار وصرف قوله مهطعين مقنعي رؤسهم الى الانفس وهو ما ذكر في موضع آخر مهطعين الى
الداع اي مسرعين اليه للاجابة رجاء التخلص والنجاة مما حل بهم بترك الاجابة ثم قيل الاهطاع هو النظر الدائم والاقناع
هو الرفع رفع الرؤس بقوله مهطعين اي مديمي النظر مقنعي رؤسهم رافعيها وعلى تأويل بعضهم مسرعين وقال بعضهم
مقنعي رؤسهم اي رافعيها ملتفتة الى اعناقهم وقوله تعالى وافئدتهم هواء خالية لهول ذلك اليوم اي خالية
عن التدبر لان من نزل الشاهد من بلى بكرب او شدائد لا يتدبر ولا يتفكر في دفع ذلك فيخبر ان افئدتهم يومئذ هواء اي خالية
عن التدبير اذ افئدتهم لا تمكن معهم لشدة الهول له وقال بعضهم هواء اي لا شيء فيها مما ينتفعون به وكذا الهواء لا يكاد
يوصف بالخلاء عن كل شيء والله اعلم وقوله تعالى وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى
اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل يحتمل قوله وانذر الناس اي انذر الناس هو اليوم الذي يقولون يومئذ ربنا
اخرنا الى اجل قريب الآية ويحتمل وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب الذي يحل بهم ثم اخبر بما يقولون اذا حل بهم العذاب ربنا
اخرنا الى اجل قريب ثم قوله الى اجل قريب قال بعضهم الى الدنيا والدنيا اجلها قريب لكن هذا لا يحتمل لان الدنيا
اقل من الآخرة اخرى فلو جاز هذا لكون الآخرة اولى ما الدنيا اخرى وذلك بعيد لكن يحتمل انهم طلبوا الرد الى حال
الامن ليجيبوا داعيه اذ لم ينفعهم اجابتهم في حال الخوف والهول فما حل بهم بما حل بتركهم الاجابة في حال الامن فطلبوا
منه الرد الى حال الامن ليجيبوا داعيه فينفعهم اجابتهم حيث قالوا نجب دعوتك ونتبع الرسل والله اعلم وقوله تعالى
اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال لم يبين بما اقسموا في هذه الآية وهو ما بين في آية اخرى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم قوله ما لكم من زوال قال بعضهم اي اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال من الدنيا
اي كنتم تقولون ان ليس الا الدنيا لا زوال لنا منها الخبر وعن الحسن كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وعلى ما ذكر
قسمهم انهم لا يبعثون بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وقال اهل التأويل قوله ما لكم من زوال اجابة ذلك
لسؤالهم ربنا اخرنا الى اجل قريب قال ما لكم من زوال اي ما انتم فيه من العذاب الى ما تسألون من المدة والتأخير اي ما لكم الى
سبيل والله اعلم وقال بعضهم في قوله وافئدتهم هواء اي نزع قلوبهم حتى صارت في حناجرهم فلا تخرج من افواههم
ولا تعود الى اماكنها لشدة هول ذلك اليوم وفزعه عليهم وهو على التمثيل والكناية كقوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر لشدة خوفهم وهو على التمثيل اذ لا يحتمل بلوغ القلوب الحناجر في
حقيقة اذ لو بلغت لخرجت فماتوا اذ الدنيا لا تحتمل الموت فيها فدل ان ذلك على التمثيل لشدة خوفهم والله اعلم وقوله تعالى
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم اي بتكذيبهم الرسل وتأويله انهم كانوا يطلبون من ربهم الرد الى حال الامن
ليجيبوا داعيه بقوله ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فقال او سكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
بتكذيبهم الرسل اي سكنتم في الدنيا في منازلهم ومساكنهم فرأيتم ما نزل باولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم فلم

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الى آخره ما ذكر دلالة لزوم النظر والاستدلال ولزوم القياس ودلالة لزوم العقوبة
وانكانوا لم يعلموا به بعد ان تمكنوا من العلم بذلك ما دلالة النظر والاستدلال العقل وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
فهلا نظرتم ما حل بهم من تكذيبهم الرسل واتعظتم به ودلالة القياس هي ما خوفهم ان ينزل بهم ما نزل باولئك لانهم
اشركوا الى المعنى الذي نزل باولئك ما نزل وهو تكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم الاهم وذلك حولهم وتبين لكم كيف فعلنا
من الاستيصال بالتكذيب ثم لم تتعظوا بما حل بهم ولم تعتبروا بمثل ذلك اذا رددتم الى الحال الاخرى لا تتعظون بما حل
في هذه الحال الدنيا كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فيما يقولون انهم يحبون عودته هذا والله اعلم
تاويله وقال بعض اهل التاويل وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم اي عملتم مثل اعمالهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم
من الاستيصال بالتكذيب للرسل فلم تتعظوا بذلك فلا تتعظون بهذا ايضا اذا رددتم والله اعلم وقوله تعالى وضربنا
لكم الامثال اي ضربنا لكم من الامثال ما لو تفكرتم فيها ونظرتم لكان ذلك لكم موعظة وزجرا عن مثل صنيعكم
او بينا لكم الامثال والاشباه ما يزجركم لو تاملتم ان اولئك لكم اشباه وامثال وصنيعهم لصنيعكم اشباه
وامثال فينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم وقوله تعالى وقد مكروا مكرهم اي احتالوا على اهلاك الرسل وقتلهم كقوله
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية يكيدهم الذي ذكر في غيره من القرآن برسل الله حتى قال
الرسول فكيدوني جميعا ومكروا ايضا بدين الله الذي اتت به الرسل مكروا واحتالوا على اطفاء ذلك النور فابى الله
ذلك واظهر دينه وابقى نوره الى يوم القيمة فكان مكرهم وكيدهم يرجع في احد التاويلين الى انفس الرسل حيث هموا
بقتلهم وقصدوا اهلاكهم والتاويل الاخر يرجع الى اطفاء الدين الذي اتى به الرسل والنور الذي دعوا اليه كقوله يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره الاية وقوله تعالى وعند الله مكرهم يحتمل وجوها احدها
عند الله جزاء مكرهم الذي مكروا برسل الله وبدينه ويحتمل اي عند الله العلم بمكرهم محفوظ ذلك عنده لا يفوت
ولا يذهب عنه شئ يجزيهم بذلك في الآخرة ويحتمل وعند الله مكرهم اي عند الله الاسباب التي بها مكروا من عند الله
استفادوا وهي النعم التي اعطاهم والاموال التي ملكهم والعقول التي ركب فيهم فيها قدروا على المكر والاحتيال لكنه
ذلك كله والله اعلم وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اختلف في تلاوته وتاويله قرأ بعضهم لتزول
مكرهم بالدال وهو حرف ابن مسعود وابي وابن عباس رضي الله عنهم وقرأ بعضهم وان كان مكرهم بالنون ثم اختلف
في قوله وان كان قال الحسن وغيره ان بمعنى ما اي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال لكان مكرهم اوهن واضعف من ان
تزول منه الجبال وحرف ان بمعنى ما كثير في القرآن كقوله لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اي ما كنا فاعلين وقوله ان
نحن الا بشر مثلكم وقيل انه ليس بمعنى ما فمعناه وقد كان مكرهم لتزول منه الجبال وقد يستعمل ان في موضع قد كقوله
ان كان وعد ربنا لمفعولا اي قد كان وعد ربنا لمفعولا ومن جعل حرف ان على النفي استهان بمكرهم واستخف به فقال
ان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال او الجبال اوهن واسرع زوالا من رسالة الرسل ودين الله بل رسالة
الرسل ودين الله اثبت من الجبال لان دين الله ورسله مهيمنة بحجج الله وبراهينه فاذا لم يحتمل مكرهم فان الجبال لا يحتمل
انه دين الله ورسالة الرسل ومن جعل حرف ان على قد فكان على الاستعظام لمكرهم اي وان كان مكرهم في الكيادة
العظم بحيث تزول منه الجبال فهو ضعيف في مقابلة مكر الله او العظيم ما قصدوا واحتالوا في الاستخفاف برسله
ونقض دينه وتكذيبهم رسله لتزول منه الجبال وعلى ذلك يخرج قراءة وان كاد مكرهم بالدال على الاستعظام بمكرهم
كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فكذا عظيم ما قالوا في الله [illegible]
[illegible] مكرهم [illegible] الجبال [illegible] جميعا [illegible]
ان يقال ان [illegible] من حيث الشرك والكفر عظيمة ومن حيث [illegible] ضعيف [illegible]
اهلم وقال اهل التاويل [illegible]
[illegible]
[illegible]
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عزيز ذو انتقام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يوم تبدل الارض غير الارض [illegible]

تعني هذه الارض ثم تعاد من ساعته مستوية لا شجر فيها ولا جبل ولا اكام ولا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
وقال بعضهم تبدل الارض ارضا غيرها بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها بالمعاصي وكذلك السموات
ومنهم من يقول لا تبدل عينها ولكن يتغير صفتها وزينتها كما تقول للاخر تبدلت يا فلان لا تريد تبدل اصله وعينه
ولكن تغير الاخلاق والذي يحتمل ذلك ما ذكر من تبدل الارض والسموات والله اعلم ويحتمل وجهين احدهما تبدل
اهلها على ما ذكر الارض والقرية والمراد منهما الاهل كقوله واسئل القرية التي كنا فيها وقرية كانت امنة مطمئنة
والثاني تبديل نفس الارض ثم يحتمل كل واحد من الوجهين اما تبديل اهلها فهو ان يكونوا مستسلمين خاضعين لله في ذلك اليوم
ولم يكونوا في الدنيا كذلك والثاني تبدل اهلها هو ان يكون الاولياء في النعيم واللذات واللذة الباقية والاعداء في العذاب
والالم والشدة وكانوا في هذه الدنيا جميعا مشتركين الاولياء والاعداء في اللذات والالام وان كان تبديل الارض
فهو يخرج على وجهين احدهما تغير زينتها وصفتها والثاني تبديل عينها وجوهرها وهو ما ذكر ان ارض الجنة يكون من مسك
وزعفران ويخرج ذلك على ما ذكر في الخبر والله اعلم والاشبه ان يكون على اختلاف الاحوال كل ما ذكر من الاحتمال لان الله
ذكر في آية يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها وقال واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وقال ويوم تشقق
السماء بالغمام وقال اذا السماء انشقت وقال اذا السماء انفطرت وقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقال ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
وقال فجعلناه هباء منثورا وقال يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقال والسموات مطويات
بيمينه ذكر مرة انه يمد الارض وذكر مرة انها تخبر وتحدث بما عمل عليها وذكر في السماء الانشقاق والانفطار وذكر في الجبال
ذكر مرة السير والحركة وذكر مرة الرجف والنسف وذكر مرة اخرى انه يجعلها هباء منثورا وامثال ذلك وهذه كلها لا يتحقق
في حال واحدة فيشبه ان يكون هذا كله على اختلاف الاحوال والاوقات اذ يوم القيمة يوم ممتد فيكون في بعض الاوقات
كذا وفي البعض كذا حتى يكون جملة الآيات كلها وهو كقوله يومئذ لا يتساءلون وقال فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
انس ولا جان وقال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال في آية اخرى يسأله من في السموات والارض فهو والله اعلم على اختلاف
الاحوال والاوقات يكون ذلك كله فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهار يتذكرنا
تخصيص بروزهم لله يوم القيمة انه والله اعلم لان انشاء هذا العالم الاول للعالم الثاني والعالم الثاني هو المقصود ببروزهم
له يومئذ لما هو المقصود في انشائهم وان كانوا في العالم الاول بارزين له وقال القائلون تخصيص البروز له يومئذ لانهم
يخرجون من قبورهم للحساب والجزاء وهو يحاسبهم وان كان ما انعم عليهم في الدنيا وهو يوم الحساب فاضاف البروز اليه لامر
الاله فاما في الدنيا فانما يخرجون لحوائج انفسهم لذلك ثبت تخصيص الاضافة للبروز اليه في ذلك اليوم والله اعلم
ثم يحتمل قوله وبرزوا لله وجهين احدهما برزوا لله مستسلمين خاضعين قائلين طائعين ولم يكونوا في الدنيا كذلك
والثاني يبرزون له لما وعدوا واوعدوا اي يبرزون لوعده ووعيده ولما دعوا اليه ورغبوا فيه وقيل يبرزون لله لانهم
اخفوا انفسهم وسترها بل يكونون ظاهرين له في ذلك اليوم والله اعلم وقوله الواحد القهار الواحد لا شريك له والقهار
يقهر الخلائق كلهم ويغلب الجبابرة والفراعنة وقيل هو صلة قوله ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي وبرزوا لله الواحد
القهار ليجزيهم على ما ذكر كل نفس ما كسبت وقوله تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد اي يقرن ويقبض
يومئذ بعضهم ببعض كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين لانه كان يتبعه وقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وكذلك الرؤساء منهم والمتبعون وقوله تعالى سرابيلهم من قطران لما كانوا يفتخرون
في الدنيا بلباسهم وكذلك كل نوع كانوا يفتخرون به في الدنيا ويمنعهم عن اجابة الرسل فيجعل بذلك تعذيبهم في
الآخرة وكل ما كان سبب منعهم عن اجابة الرسل من الاموال والاصحاب والازواج والثياب الفاخرة تحرمها ويجعل
تعذيبهم في الآخرة بذلك النوع من النار والاصفاد قيل الاغلال اي تقرن بعضهم الى بعض في الاغلال واحدها
صفد وهو قول القتبي وكذلك قال ابو عوسجة في الاصفاد الا انه قال واحدها صفاد والصفد العطية وقوله
سرابيلهم اي قمصهم واحدها سربال وقوله من قطران قال بعضهم هو عبارتان قطر وآن فالقطر النحاس والآن الذي
قد اشتد حره وانتهى نهايته في الحرارة وهو قول القتبي وابي عوسجة وقال بعضهم القطر الصفر وقال بعضهم من
قطر آن اي من نحاس قد انتهى حره اي حان وقرب وقت انه بعد بوابه وقال بعضهم هو كلمة واحدة وهو القطران
المعروف الذي يطلى به الابل ذكر هذا لانه اشد احتراقا واشتعالا وقوله تعالى وتغشى وجوههم النار لان ايديهم
مغلولة الى اعناقهم فلا يقدرون ان يتقوا النار بايديهم ذكر هذا لان في الشاهد من اصاب وجهه اذى يتقي عنه بكفه
فيخبر انهم انما يتقون ذلك بوجوههم وقوله تعالى ليجزي الله كل نفس ما كسبت لما ذكر انهم يبرزون له ليجزيهم جزاء
اعمالهم وقوله تعالى ان الله سريع الحساب قال بعضهم اي اذا حاسب فحسابه سريع والثاني انما ذكر هذا لان الحساب
انما يبطئ في الشاهد لما لا يذكر من الحساب من يحاسبه فيما يحاسب به فيطول الحساب او لاشتغاله بشئ يشغله

عنه او يجهل بالحساب فاما الله تعالى لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء كله محفوظ عنده فهو سريع الحساب
والله اعلم او يقال انما يطول الحساب فالناس لانه يستدل ويحتاج الى النظر والتفكر والتذكر والله تعالى عن ذلك
كله فهو سريع الحساب والله اعلم وقوله تعالى هذا بلاغ للناس يحتمل قوله هذا بلاغ القرآن هو بلاغ للناس على ما
ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله هذا بلاغ ما ذكر من المواعيد وهو قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى آخر
ما ذكر اي هذا الذي ذكر بلاغ يبلغهم لا محالة وقوله تعالى ولينذروا به ذكر هذه المواعيد والشدائد وانواع ما يعذبون
به في الآخرة وتنعيمها على الناس من حفظ من صدقهم بالآيات والحجج ليحذروا ما اوعدوا ويرغبوا فيما رغبوا لئلا يكون لهم
الاحتجاج يومئذ لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد اي ليعلموا بالآيات التي اقاموها على وحدانيته والوهيته
انه اله واحد لا شريك له وقوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي ذووا العقول والله اعلم تم هذه السورة بحمد الله ومنّه

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وقد ذكرنا
انه يحتمل ان الحروف المقطعة كناية عن كتابه او الآية اي جميع هذه الحروف المقطعة نجعلها كتابا او آيات كتاب
ويحتمل ان يكون كناية عن الانباء والاخبار عن الامم السالفة التي لم يشهدها رسول الله اي جعلنا تلك الانباء
والاخبار كتابا او آيات يتلو عليكم لتعلموا انه انما الكتاب انما نزل من السماء وانه انما علم بالوحي من الله وقد ذكرنا هذا في غير
موضع وقوله وقرآن مبين قيل قرآن بين فيه ما يؤتى وما يتقى او مبين لصنيعي الحق والباطل والله اعلم وقال الحسن الر تلك آيات
الكتاب قسم لما ذكر ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين يقول اقسم بالحروف المقطعة انهم يودون الاسلام والله اعلم
وقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال العامة اهل التاويل انما يودون الاسلام والتوحيد حين يخرج من النار بالذنب
قوم من اهل التوحيد بذنوبهم ثم اخرجوا منها بالشفاعة او بالرحمة فعند ذلك يتمنى اهل الشرك ويودون الاسلام لو كانوا
حتى يخرجوا منها كما اخرج اولئك لكن هذا بعيد لا يحتمل صرف الآية اليه على الخصوص لانه يبعد ان لا يتمنوا الا في النار بعد اخرج
اولئك وقد اصابهم الشدائد والبلايا من قبل ان يأتوا النار قال الله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اخبر انه يتمنى كل كافر عند حلول الموت الاسلام ويتمنى ان يطلب الرجوع الى الدنيا دل انهم يودون
الاسلام قبل الوقت الذي ذكروا وكذا يتمنوا الاسلام اذا حوسبوا واعطي اهل الجنة الجنة وبعثوا هم الى النار يتمنون
الاسلام قبل ذلك في مواضع فدل ان صرف الآية الى ما ذكر على الخصوص لا يستقيم ويحتمل ربما يتمنى الاحاد من الكفرة
ويودون في الدنيا لو كانوا مسلمين في احوال واوقات يظهر لهم الحق وقد بلا لهم الحق لكن الذي يمنعهم عن الاسلام هو تمنيهم
في الدنيا وذهاب شيء من الدنيا وذهاب شيء عن طمعوا فيه دل عليه ما ذكر على اثره ذرهم يأكلوا ويتمتعوا اي كان منعهم عن
الاسلام هذا والله اعلم ثم قوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس هذا على الامر ولكن على التهدد والتوعد والابلاغ في الوعيد
التاكيد كقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير هو على الوعيد حيث قال انه بما تعملون بصير فعلى ذلك قوله ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا يحتمل ان يكون قوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا اي لا تكافهم بصنيعهم والله اعلم وقوله تعالى ويلههم الامل اي الطمع
اختلف فيه قال بعضهم ويلههم طمعهم انهم واباءهم قد اصابوا الحق فذلك منعهم من الاجابة والنظر في الآيات
والحجج والثاني ما يعتقدون رفقا بآبائهم والرياسة والرفاهية بابتداء دعوتهم هو الذي كان يمنعهم عن الاجابة
والنظر في الآيات والحجج والثالث يطمعون هلاك النبي ويتمنون بعد ذلك انقطاع ملكه وامره والعود اليهم فذلك
كان يمنعهم ويحتمل ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الامل وقوله تعالى فسوف يعلمون اي سوف يعلمون
الحق من الباطل ان الحق ان ادم ويحتمل سوف يعلمون نصيحتك اياهم وشفقتك عليهم انك قد نصحت لهم واشفقت
عليهم لا انك خنتهم وغششتهم ويحتمل فسوف يعلمون ما يحل بهم لو جاء ذلك والله اعلم وقوله تعالى وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم قال الحسن اي وما اهلكنا اهل قرية اهلاك تعذيب الا وقد ارسلنا اليهم رسلا
بكتاب معلوم يتلون ذلك الكتاب المعلوم عليهم فاذا كذبوا هم ورسلهم اعانهم عند ذلك يهلكون اهلاك تعذيب
وهو ما قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقال
بعضهم وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم يقول لكتاب معلوم يقول كتاب فيه اجل معلوم موقت اهلاكها
الناس قيل الكتاب المعلوم الاجل دل عليه ما ذكر على اثره ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون كان نجيح حتى بالغ
من كان من الكفرة يستعجلون الهلاك وقوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي ما تسبق امة من اجلها الذي
جعل الله لها بالاهلاك ولا يستأخرون عنه وهو كقوله لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما يستأخرون ساعة

من الوقت الذي جعل لهم ولا يستقدمون وهذا ينقض على المعتزلة حيث قالوا انا قد يجعل لكل احد من خلقه اجلا ثم يجيء
آخر فيقتل احدهم قبل الاجل الذي جعل الله له والله يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب يخبر انه لولا ما جعل من اجل مسمى قد جاءهم بغيا وعدوانا بلوغ الى الاجل الذي
سمي لما الحق بهم العذاب وعلى قول المعتزلة لا يملك انجاز ما وعد لانه يحتاج ان [illegible] فيمنع فيمضي وفاء ما وعد وذلك
عجز وخلف تعالى الله عن ذلك [illegible] وقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
اي القرآن انك لمجنون قال الحسن يا ايها الذي تزعم انه نزل عليه الذكر انك لمجنون [illegible] نزول الذكر هو على الانفا
[illegible] الحسن ولكن الظاهر متناقض قولهم لانهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه لانهم لو اقروا بنزول الذكر
عليه لكان قولهم متناقضا فاسدا وقولهم انك لمجنون سموه مجنونا والذي حملهم على ان سموه مجنونا وجعلوه
لما ركبوه انه قد اظهر الخلاف لذوي العقول منهم والافهام والدهاء الى عبر [illegible] فيروا انه ليس يخالف اهل العقول
الا المجنون منه فسموه مجنونا والثاني لما رأوه قد اظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والاهلاك
لمن اظهر الخلاف لهم في امر من امورهم الدنيوية فكيف لمن اظهر الخلاف في الدين فظنوا انه [illegible] الا المجنون به
اذ لا يخاطر احد بروحه ونفسه الا المجنون والثالث قالوا ذلك لما رأوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا
ان ذلك لآفة فيه وعن تأمل حقيقة ذلك العلم انه [illegible] بالجنون [illegible] حيث قال اولم يتفكروا ما بصاحبهم
من جنة ولكن عن معاندة ومكابرة [illegible] سموه ساحرا كما سموه مجنونا [illegible] يسمى من له فضل بصر ودقة
وزيادة حذاقة فيكون ذلك تناقضا فيهم والله اعلم وقوله تعالى لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
تأويله والله اعلم يقولون له انك تزعم ان الملائكة يأتونك بالوحي فهلا اظهرتهم لنا اذا انزلوا فننظر اليهم املائكة هم
على ما تزعم ام شياطين وقال بعضهم اي لو ما تأتينا بالملائكة فيشهدوا ان الله ارسلك الينا رسولا على ما
من الرسالة فقال تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين قال بعضهم اي ليس في وسع البشر رؤية الملائكة
على صورتهم على مجرى العادة فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق اي بالموت لو [illegible] وسعهم رؤية
الملائكة وهو كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون اخبر انه لو انزل عليهم
الملك لماتوا اذ ليس في وسعهم رؤية الملك على صورته ثم اخبر انه لو جعله ملكا لجعله رجلا ويكون في ذلك لبس على
اولئك كما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال بعضهم ما ننزل الملائكة الا بالحق اي الا بالحجج
والآيات والبراهين على الرسل وعلى من هو اهل لذلك ليس على كل احد وقال بعضهم الا بالحق اي بالعذاب الذي
فيه هلاكهم والله اعلم وهكذا ان الملائكة لا تنزل الا بالعذاب الذي فيه هلاكهم او بالحجج والبراهين والله اعلم
وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر اي القرآن وانا له لحافظون نحفظه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وفيما وكل الحفظ الى نفسه لم يقدر احد من الطاعنين فيه [illegible]
[illegible] والله اعلم ويحتمل الذكر [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين [illegible]
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون [illegible]
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به [illegible] اختلف فيه قال بعضهم نسلك التكذيب والاستهزاء في قلوب المجرمين

لا يؤمنون به يقول من حكمة الله ان يسلك التكذيب في قلب من اختار التكذيب وكذب به ومن حكمه ان يسلك
التصديق في قلب من اختار التصديق وصدق به كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقوله وما يضل به الا الفاسقين
وقال بعضهم اي كذلك نجعل الكفر والتكذيب في قلوب المجرمين باختيارهم الكفر كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان
يفقهوه وقوله وجعلنا قلوبهم قاسية ونحو ذلك ويحتمل قوله نسلكه في قلوب المجرمين اي نسلك العلم في قلوب المجرمين
بالحجج والآيات ليكون تكذيبهم وردهم الآيات والحجج تكذيب عناد ومكابرة بعد ما عرفوا فلم يحتمل كذلك نسلكه
في قلوب المجرمين اي كما سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الآيات والتصديق لها بما علمنا انهم يختارون ذلك كذلك
نسلكه في قلوب المجرمين من تكذيب الآيات والحجج وردها لما علمنا منهم الرد والتكذيب لها هذا يحتمل ويحتمل غير هذا على ما
ذكرنا والله اعلم وقال بعض اهل التأويل كذلك نسلكه اي نجعل الكفر بالعذاب والتكذيب به في قلوب المجرمين لا يؤمنون
به لا يصدقون بالعذاب والله اعلم قال ابو عوسجة نسلكه اي ندخله وتصديقه قوله اسلك يدك في جيبك والسلوك
الدخول والسالك الداخل ويكون سلك واسلك بمعنى واحد وقوله عز وجل وقد خلت سنة الاولين يحتمل وقد خلت سنة
الاولين بالتكذيب والرد على المعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج والآيات ويحتمل وقد خلت سنة الاولين بالاهلاك
والاستيصال لعند مكابرة الحجج ومعاندتهم للرسل ويحتمل وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب لرسلهم بوعد العذاب
لهم وهم لا يستيقنون بسنتهم وقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا
بل نحن قوم مسحورون يخبر عز وجل عن سفههم وعنادهم في سؤالهم الآيات ومطالبتهم انزال الملائكة بقوله حكاية عنهم
لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين يقول انهم في سؤالهم الآيات وما سألوه متعنتين مكابرين لانهم سألوه
لكن اهل الاسلام لا يعرفون تعنتهم لما اخبر عنهم الله بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن
بها فكانوا يستشفعون رسول الله حتى يسأل من الله ان يعطيه الآيات التي سألوه لعلهم يؤمنون فاخبر الله تعالى
بقوله قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون انهم كانوا متعنتين غير مسترشدين فعلى ذلك قوله
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما ذكرنا يخبر انهم كانوا في سؤالهم انزال الملائكة معاندين
مكابرين والله اعلم ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم يعني على الملائكة بابا حتى يأتوا ويعاينوا الملائكة
ينزلون من السماء ويصعدون فلا يؤمنون ويقولوا انما سكرت ابصارنا اي حيرت وسدت بل نحن قوم مسحورون
اي سحرنا محمد فلا نرى ذلك وقال بعضهم ولو فتحنا عليهم يعني هم كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب ولو
فتحنا لهؤلاء الكفرة بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون حتى يعرجوا فيه ويعاينوا بعد الآيات ويشاهدوا كل شيء
لقالوا انما سكرت ابصارنا يؤيس رسول الله اصحابه عن ايمان هؤلاء لشدة تعنتهم وسفههم والله اعلم قال ابو عوسجة
فظلوا اي صاروا وقوله يعرجون اي يرتقون ويصعدون وقال غيره فظلوا اي ما زالوا كقوله فظلت اعناقهم
اي ما زالت وقال في قوله سكرت ابصارنا اي حيرت ويقال السكر بصره انا حيره ويقال سكر الله بصره اي حيره وسكرت
الريح تسكر سكورا اذا سكنت ومنه يقال الليل ساكر اي ساكن وسكرت الماء اسكره سكرا اي حبسته والمسكر السد
والسكور جماعة والسكر مصدر سكر يسكر سكرا فهو سكران وقوم سكرى وسكارى والسكرة الغمرة قال الله تعالى
وجاءت سكرة الموت بالحق اي شدته وقال القتبي سكرت اي غشيت ومنه يقال سكر النهر اذا سد والسكر اسم
سكرت به سكر الشراب منه انما هو الغطاء على العقل والعين وقال الحسن سكرت اي سحرت والله اعلم وقوله تعالى
ولقد جعلنا في السماء بروجا قيل نجوما ويحتمل البروج المنازل التي ينزلها الشمس والقمر والنجوم جعل لكل
واحد منها منزلا ينزل في كل ليلة في منزل على حدة وقيل ان البروج اثنا عشر واصل البرج الحصن والقصر ويحتمل
ما ذكرنا البروج هي مطالع الشمس والقمر والنجوم ومغاربها وقوله تعالى وزيناها للناظرين يعني زينا السماء للناظرين
وقال في آية اخرى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الآية وقال في موضع آخر ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح جعل الله في الشمس والقمر والنجوم منافع يسلكون بها الطرق في ظلمات البر والبحر وجعلها
مصابيح في الظلمات واخبر انه زينها للناظرين لان ما يعجب في العين منظرا لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر الذي فيه
ليحملهم ذلك على التفكر فيها والنظر اليها فيعلموا ان ذلك تدبير واحد حيث جعل منافع السماء متصلة بمنافع
الارض مع بعد ما بينهما وايضا ترى ما هو في الظاهر اضداد وهي كالاشكال نحو النور والظلمة في الظاهر
من الاضداد وصارا كالاشكال لانه لا ينتفع بالضوء وهو كقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها اي بالنجوم في ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك اهل الارض وهما في الظاهر من الاضداد وصارا لما يظهر نفعهما
كالاشكال اذ النور انما يظهر ويتبين في الظلم وترى ما في الظاهر اشكالا وهي اضداد نحو النجم والشمس والقمر
فانه لا ينتفع بضوء النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس وهي اشكال من حيث الظاهر وصارت بايدي
كل واحد منهما بسلطان الآخر كالاضداد فيعلم انه تدبير واحد حيث جعل الاضداد كالاشكال والاشكال

كالاضداد في حق الانتفاع للعباد وصار الضد معاونا للضد مع التنافر من حيث الجوهر فدل على توحيد الخالق والمدبر
ثم في قوله وزيناها للناظرين دلالة نقض قول من يمنع عن النظر الى السماء من الناس لانه اخبر انه زينها للناظرين لا يحتمل
ان يزينها للناظرين ثم ينهى عن النظر اليها دل انه لا بأس بذلك وهو كقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقوله تعالى
وحفظناها يعني السماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ذكر ان الشياطين كانوا يصعدون
السماء فيسمعون من اخبار السماء من الملائكة بما في الارض من غيب وغيره ثم نزلوا واتوا بها اولياءهم وانطلقوا بذلك
الى الكهنة فيخبر الكهنة الناس فيقولون انه يكون كذا وكذا يوم كذا وكذا فمنعوا من ذلك اعني عن صعود
السماء وامر بحفظ السماء عنهم فجعلوا يسترقون السمع فسلط الله عليهم الشهب حتى يقذفوا بها وهو قوله ويقذفون
من كل جانب دحورا وقوله فاتبعه شهاب مبين ويحتمل وحفظناها يعني اهلها من الشيطان الرجيم لما ذكر انه لم يترك
اشياء من القرية يعني مصر والعير والمراد بذا اهله قال واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها والمراد اهلها
فعلى ذلك ههنا ذكر السماء واراد اهلها وذلك لان اهل السماء بجميعهم اهل ولاية الله واهل طاعته وفيما اهل الارض
فيهم من اعداء الله الذين هم اولياء الشيطان كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه فانما اهل السماء خص بالحفظ
اهلها ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة وبالشهب على ما ذكرنا وقد ذكر في غير آي من القرآن والله اعلم وقوله رجيم
قال بعضهم سمي رجيما لانه يرجم رجما لما يرجم به ويقذف والرجيم هو المرجوم وقال بعضهم الرجيم اللعين وكذلك
ذكر في حرف ابن مسعود من كل شيطان لعين واللعين في اللغة هو المطرود المبعد من رحمة الله تعالى وهو على ما ذكر دحورا
وقوله الا من استرق السمع يقول لحفظناها من ان يصل اليها شيطان او يعلم من امرها شيئا الا من استرق فاتبعه شهاب
مبين اي كوكب مضيء وقال ابو عوسجة في قوله الا من استرق السمع يقال استرقت السمع اي تغفلته وما حتى سمعت
حديثهم وهم لا يعلمون وهكذا الى علمنا الملائكة ان الشياطين يسترقون السمع فيحفظون لسانهم عن ذلك ويسكتون
عن الكلام حتى لا يسمعوا كلامهم وحديثهم والشهاب كوكب مضيء وقيل الشهاب خشبة في طرفها نار والشهب
جماعة ثم قيل ان الشهاب كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وقال في آية اخرى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم اي الجبال ظاهر هذا ان الارض كانت تضطرب و
تتكفأ فاثبتها بالجبال لما لا من طبعها التسفل والانحدار وكذلك الجبال فكيف كان ثباتها بشيء كان طبعه التسفل
والترسب الا ان يقال ان طبعهما كان هو الاضطراب والانحدار فاثبتها بالجبال ليستقيم والله اعلم ويحتمل ان يقال ان
طبعهما ما ذكرنا من الانحدار والترسب بما هو من طبعه كذلك تقتضيه الطبع من جهة الانحدار دون المنع وقد جعل ذلك
على خلاف ذلك وهو الثبات والقرار ليعلم لطف الله وقدرته وان الطباع مسخرات بامره يتصرف فيها كيف شاء والله اعلم به
وقوله تعالى وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال بعضهم وانبتنا فيها اي في الجبال من كل شيء موزون اي ما يوزن من نحو الذهب
والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج من معادنها وهذا كانه ليس بصحيح لانه لا يقال لما يخرج من الذهب والفضة والحديد
والرصاص وانبتنا في الارض وانما يقال جعلنا فيها او خلقنا فيها انما يقال الغالب في النبات ومما ينبت فيها وقال بعضهم
وانبتنا فيها يعني في الارض من كل الوان النبات موزون اي معلوم مقدر بقدر كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم ليس على الجزاف
على ما يكون من نبت جاهل على غير تدبير ولا تقدير والله اعلم ويحتمل وانبتنا في الارض ما يتصل بعضه بالآخر من الحبوب التي
تخرج من الزروع والله اعلم ويحتمل قوله من كل شيء موزون ما لو اجتمع الخلائق لم يعرفوا قدر ما يزداد وينمو من النبات في كل لحظة ولعله وزنه
من مبدأ اوله الى منتهاه يخرج من الارض وذلك موزون عنده معلوم قدره ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وانه تدبير
واحد حيث لم يختلف ولم يتفاوت والله اعلم وقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش يعني الارض والجبال التي تعيشون
بها وقوله تعالى ومن لستم له برازقين اي وجعلنا فيها ايضا معايش وارزاق من لستم له برازقين لم يقل الحرث جعلنا
لكم فيها في الارض معايش ما تعيشون به ولمن جعلكم ايضا جعل فيها معايش لا ترزقونهم انما ذلك على تسخير رزقهم
واياكم وقال بعضهم ومن لستم له برازقين الوحوش والطيور وغيرها من الانعام فانها تشارك البشر في المعايش وان بعضهم اسعد
بالبشر يكون غذاء الدواب والله اعلم ولكن كان هذا في اوحى وهو اهل مكة كانوا يمنون على رسول الله ويقولون
ربيناه وانفقنا عليه ورزقناه ثم فعل بنا كذلك يخرج هذا جوابا لهم وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين
اي محمدا وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه يحتمل هذا والله اعلم وان من شيء يخزن في الخلق الا عندنا خزائنه
اي الا عندنا تلك الخزائن اي ما يخزنون من الاشياء فتلك عندنا وفي خزائننا وما ننزله الا بقدر معلوم على هذا التأويل
وما ننزله اي ما نعطيه الا بقدر معلوم اي ما كان عندهم يخزنون ويحبسونه فان ذلك كله في خزائنه يعطي من شاء ويحرم
من شاء ويحتمل الخزائن هي الامكنة الخفية التي يخزن فيها الاشياء التي في بطون الارض يقول والله اعلم ان ما يكون
في بطون الارض وامكنة مخفية الا عندنا نتبين ذلك ونعلم بغير تدبير ونعلم ما في الخفية من الامكنة كما في الظاهر لا يخفى
شيء عن تدبيره وعلمه بل كل ذلك في تدبيره وعلمه والله اعلم وقال الحسن وان من شيء الا عندنا خزائنه اي المطر الذي جعل خزائنه

كل شيء ولا يخرج شيء من منافعه فهو خزائنه الاشياء كلها فيه قوام كل شيء قال الا ترى انه قال وما ننزله الا بقدر
معلوم ذكر الانزال وهو المطر الذي ينزل من السماء ظاهر هذا الذي قال ويحتمل الكرخي تمامه ان يقال ان المطر خزائنه
والخزائن هي المواضع التي يخزن فيها وتحفظ قوم ومعنى يكون فيها حياة الخلق ومنافعهم فيما جعل فيه لا في نفس المطر
الا ترى انه يصيب عروق الشجر فيظهر منافعه وبعضه يذهب في الهواء امثاله فيه قوة سرية ومعنى يكون المنافع بها
لا بنفس المطر والله اعلم ثم ما ذكر انه تعالى من الخزائن والرياح والمطر وغير ذلك من النعم على سبيل الامتنان عليهم
لا انما انشأ هذه الاشياء وخلقها لحوائجهم لا لانشائها لنفسها فاذا كان انشاها لهم فلا يحتمل ان يتركهم سدى لا
يأمرهم ولا ينهيهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولذلك كانت الدنيا لآخرة ولذلك كانت هي محنتهم وقوله تعالى
الا بقدر معلوم على التأويل الاول لما ذكرنا اي ما نعطيه الا بقدر معلوم ان نعرف من نحسبه ويحتمل الا بقدر معلوم
اي بقدر سابق معلوم في الانجاز وكان التأويل هذا فانه يدل على انه ما يكون ويحدث انما يكون بقدر سابق لا يكون شيء
ما سبق تقديره ويحتمل بقدر معلوم اي محدود لشيء من اجزائه ولكن معلوم محدود والله اعلم وقوله تعالى وارسلنا
الرياح لواقح قال بعضهم لواقح حوامل للماء التي تحمل الاشجار وتلقحها قال بعضهم هذا لا يصح لانه لو كان المراد هذا
يجب ان يقال وارسلنا الرياح ملاقح وملقحات لانها جمع الملقحة واللواقح جمع اللاقح وقال ابو عوسجة لواقح اي تلقح
الاشجار اي تثبت وردها وهي ملقحة فذكر اللقاح واراد الملقحات ويقال ناقة لاقح اي حامل ونوق لواقح والحرب اللاقح
اي شديدة وسحاب لاقح اي فيه ماء اي مطر وريح لاقح لا ملقح تلقح الشجر اي تنبت حمله ويقال الفحل اذا لقح انثاه
اي حملت وفحل ملقح واللقوح الناقة التي معها ولد صغير والجمع اللقح وجمع الجمع لقائح ولقح واللواقح هي الحوامل من الابل وقال
القتبي قال ابو عبيدة لواقح انما هي ملاقح جمع ملقحة يريد انها تلقح السحاب وتلقح الشجر كانها تنتجه والملاقح المنتجة الثمار من
الاشجار وغيرها وقوله تعالى فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين هو ما ذكرنا على التأويل وقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما انتم له بخازنين هي تأويل الحسن هو ما ذكر من المطر وما انتم له بخازنين اي بمانعين
المنزل الذي من المطر والمطر الذي ذكر انه من السماء ويحتمل وما انتم له بخازنين اي تتحاذرين وليس لكم شيء في ايديكم
ولا منافعه ولكن بيد الله فهو الخازن له خزائنه والله اعلم وعلى التأويل الآخر وما انتم له بخازنين اي ما ترون من مكنون
في الارض ودفن والله اعلم وقوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق كله فيبقى هو ولذ
سمى من خلف الميت وارثا لانه يموت ويبقى الذي يخلف بعده وقوله نحن نرث الارض ومن عليها والله اعلم وقوله تعالى
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال بعضهم اي ولقد علمنا المستقدمين من المكذبين منكم
وما حل بهم من التكذيب ولقد علمنا المستأخرين من المكذبين وما يحل بهم من العذاب وقال بعضهم ولقد علمنا
من كان منهم ومات وعلمنا المستأخرين من يكون منهم ويولد ولذلك قال والله بكل شيء عليم من مضى ومن بقي ومن
يجيء لم يكن بعد الى يوم القيامة وقال الحسن ولقد علمنا المستقدمين منكم في الخير والمستأخرين في الشر وقال بعضهم
وقال بعضهم ولقد علمنا المستقدمين في الصف الاول والمستأخرين في الصف الآخر وهذا بعيد والله اعلم ليس بموضع
به التمدح اذ يعلمه كل احد والله اعلم وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون وقال في موضع
آخر هو الذي خلقكم من طين وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال في آية اخرى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين وقال خلقناكم من تراب ذكر مرة الحمأ المسنون وقيل هو الطين الاسود المتغير وذكر مرة التراب ومرة الطين اللازب
وهو الملتزق ومرة من سلالة الطين لانه كل طين يحتمل ان يكون على اختلاف الاحوال والاوقات كان في الحال ترابا ثم جعل
طينا لازبا وفي حال حمأ مسنونا وهو الذي اسود وتغير لطول مكثه وفي حال الصلصال الذي قد يبس قبل ان يكون خلق
فيه اللحم والعظم وركب فيه الجوارح كان على هذه الاحوال الثلاثة على ما اخبر من تغير احوال الاولاد حيث قال خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من مضغة ذكر لهم الاحوال الثلاثة قبل ان يخلق فيه لحما وعظما في حال كان نطفة ثم صار علقة
ثم صار مضغة فعلى ذلك يحتمل ما ذكر في آدم من تراب وطين لازب وحمإ مسنون يكون ذلك على اختلاف الاحوال
الا في حال واحد لقيل التنافي بين هذه الاوصاف في شيء واحد لذلك قلنا والله اعلم ويحتمل ان يكون على التشبيه
والتمثيل ووجه التمثيل بالطين وهو ان الطين الذي يكون كالصلصال والفخار واللازب ونحوه الطين الطيب الذي
يجمع فيه البناء والاواني والقدور وجميع انواع المنافع واما الطين الذي خبث فانه لا يتخذ منه شيء مما ذكرنا ولا يستقيم
اتخاذ شيء من ذلك فكان تشبيه خلق آدم بالطين الذي فيه جميع انواع المنافع بيانا انه جمع فيه انواع المنافع والخير
كالطين الطيب والله اعلم ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكر نفخه حيث اخبر انه خلق آدم من تراب وطين وما ذكر ليس
في التراب ولا في الطين من اثر البشرية وكذلك ليس في النطفة التي خلق البشر منها من اثر البشرية شيء ليعلم انه قادر على انشاء
الاشياء من شيء ومن لا شيء اذ ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذي خلق منه البشر من اثر البشرية شيء ولا في النطفة التي خلق
منها اولاده من آثار الانسانية من اللحم والعظم والشعر وغيرها وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح شيء ليعلم

قدرته

قدرته وسلطانه على خلق الاشياء لا من شيء وليعرفوا نعمه التي انعمها عليهم حيث اخبر انه خلق آدم من طين لازب وصلصال
وما ذكر وذا الوصف الطين بالطيب لان الخبيث من الطين لا يبلغ المبلغ الذي وصف ولا يصير الى تلك الحال وان طال
مكثه لانه لا ينتفع به في اتخاذ البناء والاواني والقدور ولا ينبت الزرع منها والله اعلم ثم ما ذكر خلقه من الطين والصلصال
ونحو ذلك انما هو للتمثيل لا على التحقيق على الاحوال المختلفة دليل على ابطال قول من يقول بالطبائع وخلق من الطبائع فهذا ما يرد على الفلاسفة
التي يخلق منها البشر تكون طاهرة وهي التي لا تصيب شيئا من النجاسات والرطوبات في البدء وهي على غير الوصف الذي
يخرج لانه قال من ماء دافق والله اعلم ثم الصلصال قال بعضهم هو التراب اليابس والحمأ هو الطين الاسود والمسنون
المنتن المتغير وقال بعضهم الصلصال هو الذي اذا ضربته يصوت ومنه صلصلة اللجام والفرس اذا كان يصلصل
اي يصوت وهو قول ابن عباس وقال القتبي الصلصال الطين اليابس لم تصبه النار فاذا نقرته صوت فاذا مسته
النار فهو فخار والمسنون المتغير الرائحة والمسنون ايضا هو المصبوب يقال سننت الشيء اذا صببته صبا سهلا
الماء لحمكم وجلدكم وقال ابو عوسجة في قوله من حمإ مسنون الحمأ التراب الاسود الذي يكون في اسفل البئر ومسنون
اي مخلوق وقال الحسن في قوله من صلصال من حمإ مسنون قال الصلصال هو الطين الحر الذي يتصلصل من صلابته
ويبوسته والحمأ الطين الحر والمسنون الذي سن عليه خلقه فهو سنة الخالق من بعده من ذريته اي يخلق بخلقته قال
في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين اي استلها من بين ظهراني الطين لا من كل طين خلقه وكذلك قال في نسل
ذريته ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين اي ليس من كل ماء خلقهم لكن من سلالة استلها من بين ظهراني ذلك الماء والله
هذا قالوا والله اعلم وقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال بعضهم الجان ابليس وقال بعضهم الجان
هو ابو الجن وابليس ابو الشياطين سموا شياطين لتمردهم في ضلالتهم وذلك معتقد من فعلهم لانه ذكر من الجن
والانس شياطين وهو كقوله شياطين الانس والجن وذلك لتمردهم والجان معتقد من فعله وهو الاستجنان
وقال الحسن الجان ابليس هو ابو الجن خلقناه من قبل من قبل آدم من نار السموم السموم هو اسم من اسماء جهنم لها اسماء
كثيرة اخبر انه خلقه من نار جهنم والله اعلم وقوله من نار السموم قد ذكرنا قول الحسن وقال بعضهم السموم لهب النار الذي
له دخان تدعو صاحب من نار وهو كمتقطع منها وقال بعضهم موضع النار كانه الذي لهبها وقال بعضهم نار السموم الريح الحارة
التي تقتل فان كان السموم ما ذكر بعضهم انه لهب النار فهو طبعه الارتفاع والعلو فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الارتفاع
والعلو هو الجان الذي ذكر والطين لما كان من طبعه التسفل والانحدار الى الارض فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهوي
الى الارض وكل البشر والله اعلم وقال ابو عوسجة الجن واحد والجان جماعة تسمى ذلك لاستجنانه وقال غيره الجن
جماعة والجان واحد وقوله واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي وقال المتأولون فيه ونفخت فيه من روحنا الروح نسبه هذا على الشبهة ولم يفهموا من قوله ونفخت وقوله
ما فهموا من نفخ الخلق فيما بينهم كما فهموا من قوله ثم استوى على العرش وقوله ثم استوى الى السماء استواء الخلق بل فهم نفخه
من فهم نفخ الخلق او قرب من استوائه لانه امكن صرف الاستواء الى وجوه ولا يمكن صرف النفخ الا الى وجه واحد لكن
انما يشتبه عليهم لانهم فهموا من فعل الله بفعل الخلق ولا يجب ان يقدروا بالخلق على ما لم يعقل الخلق من المحدث
الله وعباد الله وخلق الله وامثاله وقد اخبر انه ليس كمثله شيء او تلقين من الشيطان والله الموفق وقوله روحي وروح
اي الروح المخصوص لانه الخلق لكنه اضافه الى نفسه لانه خلقه كسائر الخلائق فاضافه الى نفسه من باب الكرامة
له كقوله ناقة الله وقوله ان طهرا بيتي ونحو ذلك على ما تقدم ذكره وقوله تعالى فقعوا له ساجدين هذا
بناء على قوله واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين اخبر انه سيفعل وامرهم بالسجود له اذا فعل فيكون امرا بالسجود لآدم قبل خلقه ليفعلوا المفعول
وقت وجوده ونفخ الروح فيه فهذا يدل على انه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل والله اعلم وقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ظاهر الامر بالسجود والاستثناء الذي ذكر يدل على ان ابليس
من الملائكة لان المستثنى من جنس المستثنى منه وقد ذكرنا اختلاف الناس واقاويلهم فيما تقدم والله اعلم ثم
الاصل ان كل ما خرج مخرج الاستثناء يجب ان يسقط اسم ما اجمل بسبب الاستثناء ولا يبقى الجملة المستثنى
منها مسمى بالاسم الذي كان قبل الاستثناء نحو قول الرجل لآخر لك علي عشرة الا درهما سقط الاستثناء اسم الجملة
المستثنى عنها وهو اسم العشرة حتى صارت تسعة وكذلك اذا قال الف الا خمسين واذا كان الاستثناء لا يسقط
ذلك الاسم لا بد ان يكون لفظ الكل مضمرا فيه حتى يسقط اسم الكل الى البعض نحو قول الرجل رأيت الملائكة الا
ملكا فان اسم الجملة وهو الملائكة بعد الاستثناء قائم ولم يبطل فيجب ان يضمر فيه حرف الكل كانه يقول رأيت كل
ملك الا ملكا الا فلانا حتى يقع الاستثناء عليه ويخرج منه بعض فلا يبقى بعد الاستثناء كلا فيكون الحال بعد
الاستثناء على خلاف ما كان قبله ولهذا قال ههنا لفظ الكل بقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس لان لفظ الكل

يبقى بعد الاستثناء فذكر لفظ الكل ليقع الاستثناء عليه فلا يبقى الكل بعد الاستثناء والله أعلم وقوله تعالى قال لم أكن
لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ذكر ههنا فسجدوا إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين وقال
في موضع آخر إلا إبليس أبى واستكبر وقال في موضع ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي الآية وقال ما منعك ألا تكون
مع الساجدين وقال في موضع ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك وقال في موضع خلقتني من نار وخلقته من طين وذكر مثل
هذا في اختلاف الألفاظ ومعلوم أنه لم يخاطب معه لم تكن مرارا ولكن مرة واحدة قال أبو بكر الأصم ذكر الله قصة
إبليس وقصة الأنبياء جميعا في مواضع على اختلاف الألفاظ لأنها كانت كذلك في كتبهم فذكرها على ما في كتبهم ليكون
ان [illegible] لما [illegible] بالله ليدلهم على صدقه وفيه دلالة أن اختلاف الألفاظ وتغيرها لا يوجب اختلاف الحكم
[illegible] لا يغير [illegible] على أن رواية الخبر بالمعنى على اختلاف لفظه يجوز وكذلك إذا وافق اللسان الذي [illegible]
يجوز إذا ألف معناه والله أعلم وقوله تعالى قال فاخرج منها فإنك رجيم قال بعضهم أي اخرج من السماء إلى الأرض وقال
بعضهم اخرج من الأرض إلى جزائر البحر وقال بعضهم اخرج من الجنة وأمثاله ويجانب أن يقال اخرج من كذا أي تحول عن حال
الحال على غير حقيقة الخروج ويحتمل اخرج من صورة الملائكة الصورة إلا بالمشية ولسنا ندري كيف كان ذلك والله أعلم
وقوله رجيم قيل الرجيم الملعون وقيل الرجيم لأنه يرجم بالكواكب وقوله تعالى وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين اللعنة
هي الطرد في اللغة والخذلان أي طرد من رحمة الله تعالى إلى يوم الدين أي من هدايته حتى لا يهتدي إلى دينه وهذه الآية
الدنيا جزاؤه لا يبدل له الهداية لأن الهداية في الدنيا إنما تدرك برحمته والرحمة في الآخرة هي العفو يوم الدين لعنة
الكافر واللعنة القائمة وقوله تعالى قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم
قال بعضهم إلى النفخة الأولى وقيل النفخة الثانية ونحو ذلك لكنا لا نعلم ذلك لكنا نعلم أنه نظره إلى الوقت المعلوم عندهم
لذلك الوقت ولا نطلقه حيث قال جل ثناؤه وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم
إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أخبر أنه يخاف الله ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك الوقت
فهذا يدل على ما ذكرنا فإن قيل ما الحكمة في خلق الله إبليس مع علمه ما يكون منه من فساد خلقه والدعاء إلى المعاصي
وإنظاره إلى الوقت المعلوم وقد علم أن منه الإنظار ليفسد عباده ما الحكمة في خلقه وإنظاره إلى ذلك الوقت
فنقول قال بعضهم خلق إبليس وأهل الكفر والمعاصي مع علمه ذلك ليعلم أنه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه ولا لحاجة
نفسه فإن معاصيهم لا تضره ولا تدخل نقصا في ملكه فخلقه مع علمه ليعلم أنه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه
ولا لحاجة ولكن لمنافع أنفسهم ولحاجتهم وقال بعضهم خلق الأعداء للأولياء لنظر الأولياء النعم وليعلموا
الاختصاص الذي اختصهم بذلك ولو كانوا جميعا أولياء لم يعرفوا فضيلة الله واختصاصه إياهم وهكذا نعم الله
وإحسانه لا تعرف بأنفسها وإنما تعرف بما يقابلها من البلايا والشدائد التي تحل فعلى ذلك الأولياء لو لم يكن لهم
الأعداء لم يعرفوا اختصاص الله لهم وفضله الذي أكرمهم بها والله أعلم والأصل أن الله تعالى جائز أن ينشئ أشياء
فيها حكمة وسر لا يبلغها علم الخلق ولكن حكمة البشرية على ما جبل النعم الظاهرة فيها حكمة وسر لا يبلغها علم الخلق
ولا حكمة البشرية فعلى ذلك جائز أنه خلق إبليس والغواة والعصاة لحكمة له في ذلك لم يبلغها علم الخلق ولا تدركه
حكمة البشرية والجهل بالحكمة مما لا يخرج الفعل عن الحكمة والله الموفق والأصل أن الله تعالى خلق الخلق على علم
منه أنهم يعصون ويعادون ولكن مكن لهم من الاختيار ما به نجاتهم وهلاكهم فإذا اختاروا
ذلك فإنما اختاروا ما به نجاتهم نجوا وإن اختاروا ما به هلاكهم هلكوا فيكونون هلكوا
باختيارهم وأصله ما ذكرنا في غير موضع أنه إنما أنشأهم في هذه الدنيا ليمتحنهم فيها فخلق ما ذكر من إبليس وغيره
ليتم لهم المحنة وفيه أنه خلق ذلك ذهابا بالمحنة وهي دار الامتحان والله الموفق وقوله تعالى قال رب بما أغويتني
لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين قال الحسن قوله أغويتني أي لعنتني وهذا منه احتيال لدفع [illegible] مذهب
الاعتزال وما يلزمهم في قوله أغويتني يلزمهم في قوله لعنتني لأن اللعن هو الطرد فإذا طرده عن رحمته فقد خذله
والإغواء والإضلال سواء فيلزمهم في اللعن ما يلزمهم في الإغواء والله الموفق وقال أبو بكر الأصم الإغواء واللعن
من الله شتم أي نسبتهم إلى الإغواء واللعن وتسميتهم بذلك كما يقول يا ضال ويا غاوي ويا ملعون لا لإحداث
فعل الغواية والضلال واللعنة لكن هذا بعيد لا يجوز أن يضاف إلى الله الشتم ولو قال إنه يشتم لأن الشاتم
والساب لأحد في الشاهد مذموم بما يشتمه عند الخلق وينسب إلى الخفة والسفه فلا يجوز أن يضاف إلى الله
ما به يذم والله الموفق وأصله عندنا أنه يحتمل قوله رب بما أغويتني أي خلقت فعل الغواية مني ويحتمل أنه خذله ولم يوفقه
للاهتداء لما علم منه أنه يختار الغواية والضلال ثم قوله رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين
كأنه يقول اللعين رب بما أغويتني لأزيدن لهم في الغواية بما أغويتهم وتذكر ما هنا واحتماله فيما تقدم أن الذي تولى
من إبليس هو مباشرة الأسباب الأخرى والله الموفق فإن قيل قوله أغويتني قول إبليس وهو كاذب بالإضافة إلى الله تعالى قيل

لو كان قول إبليس كذبا لما [illegible] بقول نوح إن كان الله يريد أن يغويكم وقال موسى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم على أنه
لو كان فيما أضاف إليه الإغواء كاذبا بالكذب لأنه تعالى فيه ورد عليه قوله كما رد عليه وكذبه في قوله أنا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين حيث قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فلم يرد عليه ولم يكذبه فيما أضاف إليه من الإغواء دل
أن إضافة الإغواء والإضلال إليه يجوز حقيقة فعل ذلك منه وهو خلق فعل الغواية والضلال وخلقهما منه والله الموفق ثم إن
قوله خلقتني من نار وخلقته من طين فيه ذكر فضل الله وإحسانه حيث أخبر أنه خلقه مما هو أفضل وأعظم مما خلق منه آدم فيخرج
ذلك منه مخرج الشكر من حيث الظاهر لكنه لما كان غرضه بذلك تفضيل نفسه على آدم كذبه ورد عليه وليس في قوله أغويتني
ذلك بل فيه إضافة فعل الشر إليه فلا يحتمل أن لا يكذبه ولا يرد عليه قوله إذا كان كاذبا فيه ولا يكون منه الإغواء وخلق
فعل الغواية فلا يرد له ما ذكرنا والله الموفق ثم قوله رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين يحتمل
وجهين أحدهما أنه لا يتفوه بذلك القول بل يكون منه عزم على ما ذكر لكن أخبر الله عنه ما كان عزم من الإغواء وعزمه بالقول وذلك
جائز أن يخبر عن العزم والقصد بالقول كقوله إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يحتمل أن يكون هذا قولا
منهم [illegible] هذه الآية أحد من المتصدقين على الفقراء يتقول بمثل ذلك إنما القول في الظن بنا ولكنه أخبار عما عزموا
وقصدوا بالتصدق فعلى ذلك يشبه أن يكون هذا من الله إخبارا عما عزم إبليس وقصد على غير تحقق والقول به وهو كما ذكر
يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أخبر أنهم كتموا فيه وأضمروا والله أعلم والثاني يحتمل أن يكون منه على التحقق وهو أن الله تعالى لما
قال وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين لما شهد الله تعالى عليه باللعن إلى يوم الدين أيس اللعين عن الهدى فقال رب بما أغويتني
أي لعنتني وشهدت علي بذلك لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين والله أعلم وقوله إلا عبادك منهم المخلصين المخلِصين
بكسر اللام هو الذي أخلص له الاعتقاد والعمل والرياء والمخلَص بفتح اللام هو الذي أخلصه الله وحفظه وعصمه وخصه
بذلك والمخلص لا ينال الإخلاص إلا بأن يكون لله تعالى فيه صنع واختصاص وفضيلة خصه بها بفضله ورحمته والمعتزلة
يقولون لا يستوجب أحد الاختصاص والفضيلة إلا بفعل يكون منه لا يستوجب بالله تعالى ويقولون إن الله لا يغوي
أحدا إلا إبليس ولا أحدا من أتباعه ولا يخص أحدا إلا بصنيع يكون منه فإبليس لعنه الله أعرف بالله من المعتزلة حيث رأى
الإغواء والاختصاص من الله فقال رب بما أغويتني إلى قوله إلا عبادك منهم المخلصين بل والله الموفق
وقوله تعالى قال هذا صراط علي مستقيم قال بعضهم قوله علي بمعنى إلى أي إلى صراط مستقيم يقول هو [illegible] لي سبيل
وقال بعضهم هذا صراط علي مستقيم أي الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعوج عليه شيء ويحتمل قوله هذا صراط علي مستقيم
أي هذا صراط علي بيانه وهو مستقيم وهو كقوله وعلى الله قصد السبيل أي بيان قصد السبيل وقال بعضهم لما قال إبليس
لأغوينهم أجمعين قال الله تعالى هذا صراط علي مستقيم يقول على من أغويته وتابعك كقولك لأنا أوحده أنا طريق علي
وأنا على الطريق فهذا على الوعيد والله أعلم وقوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أي ليس لك عليهم حجة إلا
من اتبعك من الغاوين فإنهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان ويحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان قهر وتسلط على ذلك
إلا من اتبعك من الغاوين فإنهم يتبعونك على غير قهر واضطرار أي من كان في علم الله أنه يتبعك ويختار الغواية فإن لك
عليه سلطانا والله أعلم وقوله تعالى وإن جهنم لموعدهم أجمعين أي لموعد إبليس وأتباعه وقوله تعالى لها سبعة أبواب
يحتمل الأبواب المعروفة ويحتمل الأبواب الموائد والجهال التي تكون لها ألا ترى أنه قال لكل باب منهم جزء مقسوم فهذا
يدل على أن المراد بالأبواب الموائد نحو الدركات لا نفس الأبواب إذ الجزء المقسوم إنما يكون للدركات والطبقات دون الأبواب
أنفسها والله أعلم قال الحسن وأبو بكر الأصم إنها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم اليهود باب والنصارى باب والمجوس
باب والذين أشركوا باب والمنافقين باب ولأهل الكبائر باب وذكر أيضا بابا للفريق [illegible] أهل الكبائر طبقة
ودرك فيها على الخصوص كسائر أهل الكفر وغيره لا أبواب الطبقات والدركات وعندنا أن ظاهر الآية في الكافرين لأنه قال
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين هذه الحكاية ينصرف إلى ما سبق
ذكره وهم الغاوون وهم الكافرون وكذلك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وإذا كان كذلك فالسبعة
الأبواب التي ذكر كلها لأهل الكفر لا يدخل فيها أهل الكبائر ويحتمل السبعة الأبواب أن يكون باب للجاهلية وهم الذين
أنكروا الصانع أصلا وهم يقولون بالدهر وباب للذين أشركوا وهم فريقان فريق يشركون في الألوهية فيقولون بالاثنين
وهم الثنوية وفريق يقولون بالوحدانية لكنهم يشركونه غيره في العبادة وتسمية الألوهية وهم مشركو العرب يعبدون
الأصنام ويسمونها آلهة مع إقرارهم بأن خالق السماء والأرض واحد وباب لمنكري الرسالة أصلا وهم البراهمة وغيرهم
وباب لليهود وباب للنصارى وباب للمجوس وباب للمنافقين فذلك سبعة وليس لأهل الكبائر باب يسمى معلوما فهذا
كله لأهل الكفر إذ عندنا لا يبقى في النار أحد من المسلمين على الخلود فكيف يكون لهم طبقة على الخصوص والله الموفق
وقوله تعالى إن المتقين في جنات وعيون إن دخل أهل الكبائر في قوله لها سبعة أبواب فيكون المراد من قوله
إن المتقين الذين اتقوا الكبائر فإن كان أصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله لها سبعة أبواب فيكون المراد من قوله المتقين

الذين اتقوا الشرك فيه والله اعلم ثم قال في جنات وعيون جنات ... وهي التي تلتف بالاشجار والنخيل وغير ذلك وعيون ذكر العيون
ليعلم ان مياه الجنة لا تستقر ... من الانهار والانهار ... الدنيا ... فتمنع ... تجري ... عيون
... الدنيا ... لانها تتصل بالارض ... قال الله ... عيون في الجنة ... عشرة ... فالعيون
في ذلك الحجارة ... الارض فذكر لطفه ... اللطائف ... حب ... الكون
ذكر العيون ... مختلف ... الدنيا الانهار ... ويلتذ بالنظر اليها ... وغيرها ... عند الجاري
والدنيا فقد تكون تجارية وقد تكون حجارة فذكر مرة العيون مطلقا وذكر مرة العيون الجارية بقوله فيهما عينان تجريان
وذكر مرة الانهار كقوله تجري من تحتها الانهار على ما ذكر مرة الجاري والقابل ومرة الرفرف والعبقري وذكر انواع الفرش والبسط
والكيزان والاكواب والاباريق والحلي من الذهب والفضة وغير ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا فيهم من يرغب في نوع اخر فذكر فيها
كل ما يرغبون في الدنيا ليشتهوا على احتمال التعب ليتوصلوا الى ذلك كله والله اعلم وقوله تعالى ادخلوها بسلام امنين قال بعضهم
ادخلوها بسلام اي اجعلوا دخولكم فيها بالسلام على ما امرهم الله ان يجعلوا الدخول في المنازل بالسلام كقوله فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة وعلى ما اخبر ان الملائكة يسلمون عليهم بقوله سلام عليكم
الاية وكقوله ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال بعضهم اي ادخلوها بسلامة لا يصيبكم مكروه
امنين لا يمسكم خوف ولا حزن على ما اخبر الا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين قال بعضهم هو صلة قوله ان المتقين في جنات وعيون اي نزعنا ما في صدورهم من الغل الذي كان
لهم في الدنيا بالكفر فصاروا اخوانا بالاسلام الذي هداهم الله فكانوا اخوانا ثم قيل لهم ادخلوا الجنة بما ... وهو
كما قال فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار وقد نزع من قلوبهم ما كان بينهم في الدنيا فصاروا اخوانا فادخلوا
الجنة وقال بعضهم اي ونزعنا ما في صدورهم من غل في الاخرة اذا دخلوا الجنة وتقابلوا اذا اتكأوا على سررهم فيذهب ذلك
بنوع الغل من قلوبهم والمظالم التي كانت بينهم فان كان التاويل هذا فهو في اهل الاسلام وعلى ذلك يحتمل ان يكون كل
اخر في الدنيا ان ينسيهم الله تعالى ذلك منهم في الجنة لا ذكر الجفا بعض النعم التي فيها وكذلك ما يكون بين الرجل وولده
من الجفا والعقوق يجوز ان ينسي الله تعالى ذلك عليهم وعلى ما روي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني لارجو
ان اكون انا وطلحة ... قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ثم قوله على سرر متقابلين
يخبر عن اجتماعهم في الاخرة في انواع الطعام على ما يستحسن الاجتماع في الدنيا الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ
ونظر بعضهم الى بعض فعلى ذلك اخبر انهم في الاخرة كذلك والله اعلم وقوله متقابلين قال بعضهم يجعل الله
نفسها المقابل بعض فينظر بعضهم الى بعض ويرى بعضهم بعضا وقال بعضهم ... السرر التي هم عليها جلوس يكون
بعضها مقابل بعض اذا ارادوا ... بعض ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل مقبلين وقوله تعالى لا يمسهم
فيها نصب وهو كقوله ولا يمسنا فيها لغوب معناه لا يمسهم فيها عناء ومشقة لان الانسان انما يمسه ما يكون
في الدنيا لان الانسان اذا دام في نوع ... يمل عن ذلك ويسام وكذلك اذا اكثر من نوع من الطعام والشراب او الفاكهة
يمل على ذلك ويسام ... ذلك ولا يوافقه فاخبر ان اهل الجنة لا يملون ولا يؤذيهم طعامها وانما كنى ... عن
وما هم منها بمخرجين اخبر انهم لا يخرجون منها ولا هم يطلبون الخروج منها ايضا لقوله لا يبغون عنها حولا لان خوف
زوال النعمة مما ينغص على صاحبها تلك النعمة فاخبر انهم فيها ابدا وان تلك النعمة لهم دائمة غير زائلة عنهم والله اعلم
وقوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم فيه بشارة ونذارة اما البشارة ففي قوله اني انا الغفور الرحيم والنذارة
في قوله وان عذابي هو العذاب الاليم ثم قال بعضهم اي نبئهم اني انا الغفور الرحيم لمن استغفر وتاب عما ارتكب من
المعاصي وان عذابي هو العذاب الاليم لمن عصاني ولم يستغفر ولم يتب الى ... ويحتمل نبئهم ... ما ... نبئ عبادي اني انا
الغفور الرحيم ليكونوا ابدا راجين رحمته ولا يقنطوا منه ونبئهم ايضا ان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يكونوا امنين ابدا ولكن
يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه وعدله والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله نبئ عبادي ... كانه قال البشر ... يعني
اني انا الغفور الرحيم بالليالي وان عذابي شديدا ليهابوا عذابي والله اعلم وقوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابرهيم اي نبئ
قومك عن ضيف ابرهيم فان في ذلك اية لرسالتك فنبئك لانه ... ما في كتبهم لم تشهدها انت ولم تختلف اليهم
ولم تتلق منهم ... ليعلموا انما عرف ذلك بالله تعالى ... ونبئهم ... ما فيه من الزجر والموعظة لان في ذلك اخبارا
عما نزل بالمكذبين بتكذيبهم الرسل بعد ما اهلكوا ونجاة من صدقهم ففيه تمام ما يزجرهم ويعظهم من الترهيب والترغيب
وقوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال في موضع اخر قالوا سلاما قال سلام اي سلموا على ابرهيم فرد عليهم ابرهيم
السلام قال ابو بكر الاصم جعل الله تعالى السلام امانا بين الخلق وعطفا فيما بينهم وسببا لاخراج الضغائن من قلوبهم
وقال بعضهم جعل السلام تحية كل داخل على اخر وهو ما ذكرنا وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير ويمن وبركة فقوله ...
فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله تعالى قال انا منكم وجلون اي خائفون وقال بعض اهل التاويل انما خاف لانه

ظن انهم لصوص واهل ريبة لكن هذا لا يحتمل لانهم سلموا عليه وقت ما دخلوا عليه واللصوص واهل الريبة اذا دخلوا
بيتا لا يسلمون عليه لكن يحتمل انه انما خاف منهم انه راى ايديهم لا تصل اليه وانه قرب اليهم العجل السمين ولم يتناولوا منه قال فلما
راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فعند ذلك خاف منهم وظن انهم ملائكة بعثوا لعذاب قوم او لامر ما
وترك اليهم فخاف الامر عظيم والله اعلم وقوله تعالى قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم وقال في اية اخرى وبشرناه بغلام حليم
الحليم هو الذي يغضي عن صاحبه كل اخلاق دينه والعليم هو الذي يدعو صاحبه الى كل خلق رفيع لكن علم انه يجتمع فيه جميع الخصال
المرضية ويدعو الى كل خلق رفيع ويصل في تعلمه والله المفضل وقوله تعالى قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون
اي ابشرتموني بعد كبري وانا على الحال التي انا عليها او تردوني الى شبابي فبم تبشرون والا لا يحتمل ان
قدرة الله على هبة الولد اياه في حال الكبر لكنه اراد الولد في تلك الحال على مجرى العادة فاستخبرهم انه يولد
في تلك الحال او يرد الى الحالة الاولى حالة الشباب والله اعلم وقوله تعالى قالوا بشرناك بالحق فهو كما ذكر لا محالة
والحق على كل وجه يكون انما هو تعليم وهو في نعمة ان يشتغل بالشكر للمنعم لا ان يستكشف عن الوجوه التي يوصل اليه النعمة لا حال التي
يكون عليها والله اعلم ثم يحتمل بشارة الولد بشارتان احدهما بشارة بالغلام والثانية بالبقاء والبلوغ الى وقت
العلم حيث قال انا نبشرك بغلام عليم وهو كما قال وبشرناه بالعلم والكمال اي يكون كامل الدلالة وبشارة
لما يبلغ الى الصبر كما انه يكون بشارة الولد والبقاء فعلى ذلك هذا وقوله فلا تكن من القانطين وذكر انما نهى
ان الانبياء ... عن اشياء عصموا عنها لما لا يحتمل ان يكون ذلك كقوله ولا تكونن من المشركين ونحو ذلك فعلى
ذلك ابرهيم لم يكن قنط من رحمة ربه لانه اراد الولد في حال الكبر ولكن لما ذكرنا والله اعلم الا انه قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون اخبر انه لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون ثم المعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لمن ارتكب
الكبائر لما يقولون وقد اخبر ان القنوط من رحمته الضلال لا ياس منها كفر وعندهم يضيق رحمته حتى لا يسع فيها
الكبائر والله الموفق وقوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اي قال ما خبركم وما مضيكم وما شانكم والخطب الشان
اي على امر وشان ارسلتم وقوله تعالى قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يحتمل ان يكون قوله لما اخبر ابرهيم قالوا ففي هذه
القوم لكن كان ما ذكر في اية اخرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين وكقوله انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون فقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها الاية فذكر فهنا على الاختصار
وقالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ثم استثنى ال لوط واهله من المؤمنين وفي هذا دليل على ان رعاية الخبر المجمل ان
لا يوقف بلفظه والله اعلم وقوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين كان الاستثناء منها تكون
على الاستخلاص من نفس اهل القرية لا من قوله مجرمين لان ال لوط لم يكونوا مجرمين فلا يحتمل الاستثناء ثم كانهم
قالوا انا ارسلنا الى اهل هذه القرية الا ال لوط ويكون استثناء الجنس من الجنس ويحتمل ان يكون لا على حقيقة الاستثناء وانما
استثنا من حيث الصنيعة لكن كانه قال انا ارسلنا الى قوم مجرمين لكن ان ننجي ال لوط اجمعين الا امراته كما ... في
في القران والله اعلم ثم قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته اخبر انهم ينجون قومه ثم استثنى اله منهم امراته
من اله ففي الاية دلالة من وجوه احدها ان الثنيا ليس برجوع ولا يحمل على المعارضة للاول لانه لو كان رجوعا لكان ذلك
الكذب في الخبر ولكنه الثنيا لتحصيل المراد مما يحمله اللفظ والله اعلم وفيه دلالة انه يستثنى من الاستثناء لانه
استثنى امراته من اله بقوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امراته فخصت المراة من قومه حيث استثناها من اله وفيه لان
اله ... يجوز ان يستثنى من خلاف جنسه وفيه لانه استثنى ال لوط من قوم المجرمين والمجرمون ليس من نوع الصالحين واستثنى
امراته من اله وهي ليست منهم وفيه ايضا ان ال الرجل يطلق على اتباعه وان لم يكن لهم قرابة لانه استثنى اله من قومه
فالال من يتبعه من غير القرابة والاتباع انه قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون وانما هم اتباعه وكذلك قال ال موسى وال هرون وال عمران
وكل ذلك يرجع الى اتباعهم فعلى هذا تدخل في قولهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كل من تبعه والله اعلم وقوله الا امراته
قدرنا انها لمن الغابرين قال ابو بكر الاصم قدرنا انها لمن الغابرين اي علمنا انها لمن الغابرين لكن هذا منه احتيال
لتقوية مذهب الاعتزال لانهم ينكرون ان يكون افعال العبد مقدرة او مخلوقة وفي الاية دلالة ان افعال العباد
مخلوقة مقدرة لله والله الموفق وقوله من الغابرين قال ابو عوسجة الغابرين الماضين والغابر الباقي يقال غبر يغبر غبورا
اذا بقي واذا مضى وقوله تعالى فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اي انكم قوم منكرون لا نعرفكم من اهل
هذه البلدة وانما قال لهم هذا لانهم كانوا انما يعملون ما يعملون بالغرباء لا يعملون باهل البلدة الا ترى انهم قالوا اولم
ننهك عن العالمين اولم ننهك عن ان تضيف احدا منهم وقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون هذا
من حيث النظم ليس بجواب لما سبق من قوله انكم قوم منكرون ولكن قالوا ذلك له والله اعلم لما كان بين لوط
وبين قومه مجادلات ومخاصمات من ذلك قوله ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون في ضيفي
ونحو ذلك من المخاصمات وقد كان لوط يعدهم العذاب على صنيعهم الذي كانوا يصنعون ولذلك قال لوط ائتنا بما تعدنا

ان كنت من الصادقين فعند ذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون اي بما كان يعدهم من العذاب وقال بعضهم اي بما كانوا فيه يجادلون وربما زعمون يحتمل بل جئناك بحركة مما كانوا يمترون من امترائهم يحتمل بجدالهم اياه ويحتمل ما كانوا عليه من الريبة وقوله واتيناك بالحق وانا لصادقون قال بعضهم واتيناك بالحق اي بنجاتك ونجاة اهلك واهلاك قومك وقال بعضهم واتيناك بالحق اي بالعذاب الذي كنت تعدهم وانا لصادقون فيما نقول يحتمل هذا ان لم يكن هذا قولا منهم قالوه لان لوطا يعلم انهم صادقون فيما يقولون حيث علم انهم ملائكة الله لكن اخبر الله تعالى عنهم عما كانوا عليه من غير قول كان منهم والله اعلم وقوله تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل اي ببعض من الليل وقال بعضهم بسحر على ما قال نجيناهم بسحر لكن المراد منه بعض الليل سحرا كان او غيره وقوله واتبع ادبارهم اي سر انت من ورائهم وهكذا الواجب على كل من تولى امر جيش ان يتبع اثرهم او يأمر من يتبع اثرهم لئلا يجوع من الخلف منهم ويحمل المنقطع منهم وليكن ذلك لحفظ لهم وقوله ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون قال بعضهم اي لا ينظر احد وراءه ويحتمل والله اعلم لعلهم اذا نظروا وراءهم فراوا ما حل بهم من تقلب الارض وما عليهم لا يحتمل بنيتهم وقلوبهم فيهلكوه او يضعفون الا ترى ان موسى عليه السلام مع قوته لم يحتمل اندكاك الجبل ولكن صعق وصار مدهوشا في ذلك الوقت فهؤلاء اضعف وما حل بهم اشد فهو احرى ان لا يحتمل والله اعلم وقال بعضهم اي لا يتخلف منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وفي الآية الاخرى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك فانه يتخلف منكم فيصيبها ما اصابهم اولئك هذا يدل على انه ليس في تقديم الكلام وتاخيره منع ولا في تغيير اللسان وتفاوته بعد ان يؤدي المحفوظ لان قصة لوط وغيره من القصص ذكرت وكررت على الزيادة والنقصان وعلى اختلاف الالفاظ واللسان دل انه لا باس بذلك والله اعلم وقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قيل امضينا اليه كقوله وقضينا الى بني اسرائيل اي اوحينا اليهم وقال بعضهم وقضينا اليه اي امضينا اليه واعلمناه وهو قول الكسائي والقتبي وقوله تعالى ذلك الامر يحتمل قوله ذلك الامر هو ما ذكر على اثره وهو قوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين هذا الذي اوحينا اليه واعلمنا والله اعلم ويحتمل قوله وقضينا اليه ذلك الامر اي اوحينا الى محمد ذلك الامر الذي بلغ ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ويحتمل الوحي الى لوط على ما ذكرنا على البشارة اذا دابر قومه مقطوع مصبحين ثم قوله دابر هؤلاء قال بعضهم اي اصل هؤلاء مقطوع اي مقطوع نسلهم فيه اخبار عن قطع نسلهم وفي الاخبار عن قطع نسلهم اخبار عن هلاكهم وقيل دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي ان هؤلاء مستأصلين مصبحين اي يريد حين اصبحوا وحين بلا الطلوع الفجر ولكن وارد طلوع الشمس الا ترى انه قال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة مشرقين واشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها في الارض دل انه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى وجاء اهل المدينة يستبشرون يحتمل انهم يستبشرون اضيافه ويحتمل ان يبشر بعضهم بعضا لما راوا بهم من حسن الهيئة والمنظر ونقعة اللباس وقوله ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون يحتمل هذا وجهين احدهما اي لا تفضحوني في ضيفي فانهم امناء الي وانا علي من بنا فلا تفضحوني عندهم وهو ما قال في اية اخرى ولا تخزون في ضيفي ويحتمل لا تفضحون في الخلق يقولون كان في اهل بيت لوط يفعل بالاضياف كذا وانما لم يبق اهل بيتي عند الخلق بالامن على الصلاح فلا تفضحوني في الخلق وقوله واتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اي اتقوا الله في صنيعكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق قيل هذا من الخزي ويشبه ان يكون قوله واتقوا الله ولا تخزون ان يكون من الاخزاء كما ان الفضيحة دليله ما ذكر ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون فيكون هذا تفسير ذلك ويحتمل الخزي الهوان كما قيل في قوله ان الخزي اليوم اي الهوان اليوم وقوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين هذا يدل على انه قد كان يمنعهم الرمي اياه عن اتيان الاضياف لذلك قالوا اولم ننهك عن العالمين قال ابو بكر الاصم يخرج قولهم اولم ننهك عن العالمين مخرج الاعتذار لانهم كانوا يطعمون الرسل اعني قوام الرسل جميعا اذ لم يكن من الرسل اليهم سوى الخلاف في الله قال لو كان الذين الله فيهم وان يكذبوا الحجج التي اتت بها الرسل فقد كانوا يطعمونهم الا ترى ان الله تعالى قال لرسولنا انهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون والاول اشبه والله اعلم وقوله تعالى قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين وقال في موضع اخر هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وقد ذكرنا ذلك في سورة هود فيما ذكر هود قال بعضهم ما امرهم ولكنهم نوى لا بانة بطريق النكاح الا انه اضافها الى نفسه بالبنية لانه كالاب لهم على ما ذكر ان نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم امهاتهم وقال بعضهم ذكر البنات اختبارا منه لهم بنهاية خبث صنيعهم لانه يجوز ان يرد حل الشرع على بنات لهم لا يجوز حل ذلك بحال وقوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال الحسن يقسم الله عز وجل بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وانما اقسم بحياة محمد وقال بعضهم اقسم بحياة محمد ولم يقسم بحياة غيره لفضيلته وقال بعضهم قوله لعمرك كلمة تستعملها العرب في اقسامهم على غير ارادة القسم بحياة احد واصله ان الله تعالى قد اقسم باشياء اقسم بالشمس والقمر والليل والنهار واقسم بالجبال والسماء وغيرها من الاشياء التي تعظم عند الخلق فرسول الله قد اخبر انه ارسله رحمة للخلق فهو اولى ان يعظم بالقسم به الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن كان

رحمة للعالم

رحمة للعالمين اولى ان تعظم من غيره اذ منافعه لهم اكثر من غيره والله اعلم وقال بعضهم لعمرك [illegible] ولكنه لدينه وهو قول الضحاك وقوله انهم لفي سكرتهم قال بعضهم السكرة الشدة التي تحل عند الموت يشبه حيرتهم التي فيها بسكرة الموت يعمهون اي يترددون وقال بعضهم في ضلالتهم وكفرهم يعمهون يتحيرون وقوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين الصيحة يحتمل وجوها يحتمل انهم اهلكوا بالصيحة [illegible] او الصيحة كان لها ويحتمل ان هلاكهم ليس بالصيحة لكن ذكر الصيحة تقدم بها [illegible] مشرقين قال بعضهم اشرقت الشمس اي ارتفعت وانارت واشرقت اذا ارتفعت وهو قول الكسائي وقال ابو عوسجة مشرقين اي اذا طلعت الشمس عليهم [illegible] والله اعلم وقوله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قد ذكرنا في سورة هود وقوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين اي المتفرسين من الفراسة وروي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية ابي سعيد الخدري قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال ثم قرأ ان في ذلك لايات للمتوسمين فان ثبت الخبر ثبت تاويل هذه الاية على ما ذكر وقال بعضهم للمتوسمين اي المعتبرين [illegible] ابراهيم ولوط [illegible] هلاك من هلك منهم ونجاة من نجى منهم اية لمن كان [illegible] من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجى منهم نجا بالتصديق [illegible] لايات للمتوسمين اي للمؤمنين المتقين اذ الاعتبار بها والتفكر للمؤمنين لانهم هم المنتفعون [illegible] هو الذي ينال بعلامة وكذلك المتفرس هو الذي يعلم بعلامة وقوله تعالى وانها لبسبيل مقيم [illegible] وقوله تعالى ان في ذلك لاية للمؤمنين [illegible] ذكر في هذه الاية اية للمؤمنين لان في الاية الاولى ذكر ابراهيم وقصته وقصة قوم لوط [illegible] وقوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين اي وقد كان اصحاب الايكة لظالمين والايكة [illegible] الغيضة من الشجر [illegible] في الغيضة وذكر بعض اهل التاويل ان شعيبا عليه السلام بعث الى اهل الغيضة مرة والى اهل مدين مرة [illegible] لظالمين [illegible] والظلم والفسق قد يقع على ما دون الكفر [illegible] الكفر [illegible] والاصنام التي كانوا اهل الكفر [illegible] الايمان بالله والكفر المطلق هو الكفر بالله [illegible] الله وان الدين المطلق دين الله وان كان اسم الكتاب والدين يقع على ما دونه والله اعلم وقوله تعالى فانتقمنا منهم ذكر الانتقام منهم ولم يذكر هاهنا بم كان الانتقام وقال في اية اخرى فاخذتهم الرجفة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في اية اخرى فاخذهم عذاب يوم الظلة يحتمل ان يكون الرجفة لقوم والصيحة لقوم وعذاب يوم الظلة لقوم منهم او كان ذلك كله ولكنه سماها باسماء مختلفة وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما نعرف انهم انما اهلكوا وعذبوا بالتكذيب ليكون ذلك اية لمن بعدهم ليحذروا مثل صنيعهم ثم قوله فانتقمنا منهم اي فانتقمنا منهم لرسلنا كما انتقمنا من قوم لوط لسوء صنيعهم وسوء معاملتهم اياه فعلى ذلك ننتقم من اهل مكة لمحمد لسوء صنيعهم ومعاملتهم اياه وقد كان ان اصحاب الايكة كفاية فانزجروا لعظة لم لا يحتاج الى ما ذكر من ان يقوم لوط وقوله تعالى وانهما لبامام مبين قال بعضهم يعني قوم لوط وقوم شعيب لبامام مبين اي طريق مستبين اي بين هلاكهم وطريق قوم وتقصد بين واضح وقيل وانها لبسبيل مقيم وانهما لبامام مبين واحد اي بين واضح اثارهم من سلك ذلك الطريق او دخل قراهم ومكانهم لاستبان له اثار هلاكهم وما حل بهم والله اعلم وقوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل اصحاب الحجر هم قوم صالح ثمود قالوا الحجر اسم وادي وقيل هو اسم قرية على شط الوادي ينسب اليه وقالوا نعني بالمرسلين صالحا وحده وانما ذكر المرسلين ويعني به صالحا لان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعا سائر الرسل

فاذا كذبوا صالحا فكانما كذبوا الرسل جميعا ولان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فاذا كذب واحدا منهم
فقد كذب الكل والله اعلم وقوله تعالى وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يحتمل الايات آيات وحدانية الله وحججه
ويحتمل جميع الايات آيات الوحدانية وحججها وآيات رسالته وقوله معرضين اى لم يقبلوها فاذا لم يقبلوها فقد اعرضوا عنها
ويحتمل معرضين اى مكذبين وقوله تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين يحتمل آمنين عما وعدهم صالح من عذاب
الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا آمنين عن ذلك وقال بعضهم اى كانوا آمنين عن ان يقع
عليهم ما نحتوا بحذاقتهم وهو ما قال وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تأويل حاذقين والله اعلم وقوله تعالى فاخذتهم
الصيحة مصبحين يحتمل اخذتهم ظاهرة بالنهار وقوله تعالى فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يحتمل قوله فما اغنى
عنهم اى ما كانوا ينحتون من الجبال لا يغنيهم من عذاب الله من شيء ويحتمل ما اغنى عنهم ما عملوا من عبادة الاصنام
حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله والله اعلم ويحتمل لما اغنى عنهم
ما سمعوا وابصروا في هذه الدنيا في دفع عذاب الله عن انفسهم كقوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله اى ما اعطى لما ذكر من السمع والافئدة اذا لم ينظروا ولم يتفكروا في آياته
فجحدوها لم يغنهم عنها والله اعلم وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يحتمل قوله
بالحق الذي يحمل النفع عن اهلها والحق الذي لبعض على بعض والحق هو اسم كل محمود مختار من الفعل والفضل
وقال بعضهم تأويله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا شهودا لله تعالى بالحق على اهلهما وقال بعضهم
الا بالحق اى لم يخلقهما لعبث ولكن خلقهما لمحنة يمتحنهم للعبادة فيها والى هذا ذهب الحسن وعندنا من علم
التوحيد والعبادة خلقه لذلك ومن علم منه الكفر والمعاصي خلقه لذلك وانه لكون وقد خلقهما وما بينهما الامر
كان يرغله لعاقبة الثواب والجزاء لم يخلقهم للفنا خاصة ولكن للعاقبة لان خلق الشيء للفنا خاصة عبث وهو ما
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان خلقهم لا للرجوع اليه ولا للعاقبة عبث وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم وقوله تعالى وان الساعة لآتية انما قال هذا الاحتجاج على اولئك لانكارهم الساعة لوجهين احدهما
ما ذكرنا انه لو لم يكن الساعة يحصل خلقهما وخلق ما بينهما للفنا خاصة وخلق الشيء للفنا خاصة عبث وباطل والثاني
ان لا عاقبة يقصد عبث وباطل والثاني ان يكون في ذلك التسوية بين الاعداء والاولياء وفي الحكمة التفريق بينهما وبين
الموفق وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال بعضهم فاصفح الصفح الجميل اى اعرض عنهم ولا تكافهم بما اذوك بالشتم
وبغلهم وان الساعة لآتية فانا اكافيهم عنك على اذاهم اياك بصنيعهم يومئذ ويحتمل الصفح الجميل هو ان يصفح
عليهم ان الفعل الجميل هو ما لا نقص فيه ولا منة في العرف كانه امر بصفح يوصف به جميل الاخلاق وهو ان لا نقص ولا منة
وان الساعة آتية فتجزي الناس على الصفح الجميل يوم على اذاهم والله اعلم وقوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم هذا
يحتمل وجهين احدهما اى انه على علم منه بما يكون منهم من الخلاف والعصية خلقهم لا خلقهم عن غفلة وجهل لذلك
ليعلم انه لم يخلق لحاجة نفسه ولا لمنفعة نفسه لكن خلقهم ليمتحنهم بما امرهم ونهاهم والله اعلم والثاني قوله ان
ربك هو الخلاق الخلقة العليم بمصالحهم بان الصفح الجميل لهم اصلح في دينهم من المكافاة والله اعلم وقوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم اختلف في قوله سبعا من المثاني قال بعضهم القرآن كله لقوله الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها مثاني الاية وما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل
في التورية ولا في الانجيل والزبور ولا في القرآن مثلها يعني ام القرآن وانها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت ذكره
السبع من المثاني وانما سمي القرآن كله المثاني لانه ترددت فيه الامثال والعبر والانباء وتعاد وتكرر والله اعلم فيكون
على هذا التأويل قوله سبعا من المثاني اى سبعا من القرآن العظيم ثم يحتمل سبعا يعني فاتحة الكتاب من القرآن اي
آتيناك فاتحة الكتاب من القرآن ويحتمل سبعا اى السبع الطوال من القرآن وقوم يقولون السبع المثاني هو فاتحة الكتاب
ويروون في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وعن ابي رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التورية والانجيل
مثل ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل قالوا وسميت مثاني لانها تثنى في كل ركعة
او ما جعل فيها مكررا معادا مثنى لان كل حرف منها يؤدي معنى حرف آخر فسمي مثاني والله اعلم ومن الناس من قال المثاني السبع
الطوال لانه يثنى فيها حدود القرآن وفرائضه وعامة احكامه فان عامة الاحكام في هذه السبع والله اعلم ومنهم من
قال المثاني هو اوساط المفصل المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت السبع الطوال مكان التورية والمثاني مكان
الانجيل وفضلني ربي بالمفصل ومنهم من يقول المثاني هو المفصل لانه يثنى فيها القصص وبعض الاحكام والله اعلم
فان كان السبع المثاني هو فاتحة الكتاب فيصير تقدير الاية كانه قال ولقد آتيناك سبعا وهي المثاني وكذلك التقدير
ان كان السبع المثاني هو السبع الطوال او الاوساط او المفصل اى آتيناك سبعا وهي المثاني ثم ان ثبت ما روي في الخبر انه صلى

فاتحة الكتاب

فاتحة الكتاب [illegible]
[illegible]
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم [illegible]
[illegible]
واغلظ عليهم وهو ما وصفهم اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اخبر انهم
اهل شدة على الكفار واهل غلظة رحماء بينهم واهل ذلة على المؤمنين واهل عزة وشدة على الكفرة فعلى ذلك اخبر
والله اعلم ويحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على تخفيف الثقل ورفع المؤنة عن نفسه لانه كان يحزن لكفرهم باشتغال كان منهم
حتى كادت نفسه تتلف لذلك كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وامثاله ويحتمل وجها آخر وهو انه كان يحزن عليهم ويضيق صدره لما مكروا به وكادوه كقوله ولا تحزن عليهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون فقال لا تكافيهم والله اعلم وقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين يحتمل قوله انا النذير
المبين اي انا النذير على معاصيه المبين على طاعاته ويحتمل النذير للعصاة من عذاب الله المبين لما لزم من نواهيه
والله اعلم وقوله تعالى كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين قال الحسن الكتب كلها قرآن فالقرآن
يسمى به لانه يقرن بعضه ببعض اقتسموا كتاب الله وجعلوه عضين اي فرقوها بالتحريف والتبديل فما وافق هواهم اخذوه وما
لم يوافق غيروه وبدلوه كقوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فذلك اقتسامهم وتعضيتهم
وهو كقوله قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وكقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقال بعضهم
اقتسامهم هو ان نفرا من قريش كانوا اقتسموا عقاب مكة وطرقها ليصدوا الناس عن رسول الله فيقوم بكل موضع
طائفة منهم اذا سئلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كاهن واذا سئل طائفة اخرى عنه يقولون هو ساحر ويقول طائفة شاعر ومجنون
وانه مفتري فهذا اقتسامهم وجعلهم القرآن عضين هو تفريقهم القول في القرآن سموه كهانة وبعضه سحرا وشعرا
ومجنونا وافتراء واساطير الاولين وامثال ما قالوا فذلك اقتسامهم وتعضيتهم ثم قوله كما انزلنا على المقتسمين قيل
عند بعضهم اي كما انزلنا من العقوبة والوعيد على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ننزل على من خالف رسول الله
مثل ما نزل بهم من احزانهم والله اعلم وقال بعضهم هو على التقديم والتأخير كانه قال آتيناك المثاني والقرآن العظيم
وانزلناه عليك كما انزلنا التورية والانجيل على اليهود والنصارى فهم المقتسمون كتاب الله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض
والله اعلم قال ابو عبيدة يقال عضيت الجزور اي قسمتها عضوا عضوا والعضين جمع عضة مثل عزة وعزين واصله عضوة

مثل غروة وقال الغيره هو من العضة بالهاء الاصلية وهو السحر لان قريشا تقول للساحر عاضه وللسحر عضه وقال
القتيبي اراد بالمقتسمين قوما تحالفوا على عضة النبي وان ينعوا ذلك بكل طريق ويجبر جابه النزاع اليهم من الحلق قوله
عضين اي فرقوه وعضوه اي نسبوه الى العضه وهو السحر وقيل فرقوا القول فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فوربك
لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون • قيل هذا قسم اقسم بلنسئلنهم اجمعين قال بعضهم الخلايق كلها كقوله فلنسئلن
الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين خبرا انه يسالهم جميعا الرسل عن التبليغ والذين ارسل اليهم عن الاجابة لهم
وقال بعضهم هو صلة الذين سبق ذكرهم من المقتسمين كانه قال فوربك لنسئلنهم اجمعين اي لنسئلن الذين سبق ذكرهم
من المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين والذين استهزؤا برسول الله واصحابه وظاهره لنسئلنهم اجمعين عما كانوا
يعملون فان يسئلوا لعن لنفس ما عملوا ولكن لا يسألوا لم الذي فعلتم وايش عملتم لان ذلك يكون مكتوبا في كتبهم يعرفون
كقوله اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ولكن يسالهم عن حجج ما فعلوا اي ما السبب الحامل لهم على ذلك فقال
لهم ما الذي حملكم على سوء معاملة رسولي وكتابي لاي شئ نسبتم رسولي وكتابي الى السحر والكذب والكهانة ونحو ذلك
ونحو ذلك والله اعلم ثم في قوله فوربك لنسئلنهم اجمعين وعيد شديد لانه وعيد مقرون بالقسم وكل وعيد قرن
بالقسم فهو في نهاية الشدة … نادلنا لو … عن ملك البشر كما ذا فعلوا ولا هددكم في ذلك يجب ان يخاف فكيف
من رب العالمين والله اعلم وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر قال بعضهم فاصدع بما تؤمر اي فاستقم كما امرت كقوله فاستقم
كما امرت الاية فهو في كل ما امر به وقال بعضهم فاصدع اي امض بما تؤمر من تبليغ الرسالة وقيل امض بما تؤمر من
تبليغ الرسالة اليهم لا تخفهم ولا تهبهم ولا يمنعك عن تبليغ الرسالة الخوف ولا القرابة ولا شئ من ذلك ولكن
امض على ما تؤمر وهو كما قال ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على انفسكم اي لا يمنعكم من القول بالحق والعدل بغضكم اياهم ولا قرابتكم التي فيما بينكم فعلى ذلك
قوله فاصدع بما تؤمر والله اعلم وقال القتبي فاصدع بما تؤمر اي اظهر ذلك واصله الفتح والفرق يريد اصدع فبلغ
يجعلك حتى يأتيك الموقن به وهو الموت وقال ابو عوسجة فاصدع اي فامض على ما تؤمر واصدع فاي مضيت في ذلك
من المضي واصل هذا كله الشق يقال تصدعوا اي تفرقوا والله اعلم وقوله تعالى واعرض عن المشركين • قيل هو منسوخ بآية
السيف ولكن يمكن تخريجه على وجه لا نسخ اي واعرض عن مكافاتهم فانا نكافيهم عنك على ما اذوك ويحتمل ان لا
اذن بالقتال اي اعرض عن قتالهم الى وقت القتال او التوحيد فانه بدعا الكفر الى الاسلام او … يقاتلون ويحتمل
ان يكون في قوم خاص علم الله تعالى انهم لا يجيبونه ولا يؤمنون بل ايس رسول الله من ايمانهم فقال اعرض عن هؤلاء
ولا تدعهم ولا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون ولكن ادع قوما آخرين والله اعلم وقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
قال بعضهم اي الكفرة جميعا منعناهم عن ان يصلوا اليك على ما قصدوا من هلاكك وغير ذلك قال الله والله يعصمك
نصرت بالرعب مسيرة شهر وقال بعضهم اي كفيناك المستهزئين الذين كانوا على الطرق وقالوا لهم لا تصدقوا الناس
عن رسول الله على ما ذكر في القصة عدد سبعة او خمسة كفاه الله تعالى بان اهلكهم كما ذكر اهل التاويل ان الذين
ما هلكوا جميعا بعقوبات مختلفة والله اعلم فان كان قوله انا كفيناك المستهزئين الذين فعلوا به ما فعلوا ممن تقدم
ذكرهم فيكون قوله الذين يجعلون مع الله الها آخر على اضمار كان اي الذين كانوا يجعلون مع الله الها
آخر وان كان في الذين يكونون من بعد فهو على ظاهره اي يجعلون في المستقبل والله اعلم ثم قوله الذين يجعلون مع الله
الها ليس على الجعل لانهم لو جعلوا لكان لان كل مجعول كائن موجود ولكن قوله يجعلون اي يزعمون ان مع الله الها آخر
اما في التسمية او في العبادة وكذلك قوله جعلوا القرآن عضين فلكن زعموا انه هكذا لا ان الله جعل عضة الى نصه
بقوله وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه دل انه على القول لا كذلك قالوا والله اعلم ونحوه
المجاز وعلى هذا قوله فراغ الى آلهتهم وقوله اجعل الآلهة الها واحدا فهو كله على المجاز على ما اعتقدهم اما بحق التسمية انها
آلهة واما بصرف العبادة اليها والله اعلم ثم ظاهر الاية ان المستهزئين الذين ذكرهم الله انه كفاه شرهم هم الكفرة جميعا
لكن يحتمل ان الذين ذكرهم اهل التاويل كانوا على مراصد مكة واصحاب تلقاء لبيهم ذهب لانهم هم الذين امروا غيرهم
بان يجعلوا دونه الها فكانهم فعلوا ذلك بانفسهم قالوا والله اعلم وقوله تعالى فسوف يعلمون • وعيد اي سوف
يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء برسول الله واصحابه اذا نزل بهم العذاب والله اعلم وقوله تعالى ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون • وما قالوا هو ما تقدم ذكره من الاقتسام والعضة والاستهزاء وانواع الاذى
الذي كان منهم برسول الله او نعلم ذلك كله وهو محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك فلا يضيقن صدرك لذلك فهو على
النصر على الاذى والتسلي عن ذلك وترك المكافاة لهم والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم يضيق صدره مرة لتركهم الاجابة
ومرة للاذى بالتسلي [illegible] على علم منا لما يكون منهم من الاذى وما يكون من ضيق صدرك بذلك لكي نتناهم ومكافاتهم
على علم منا بذلك امتحانا او ابتلاء لك بذلك والله اعلم وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين • قال

اهل التاويل

اهل التاويل اي صل بامر ربك وكن من الساجدين اي من المصلين لكن لا يعضد التاويل فانه قوله فسبح امر وكذا
قوله وكن من الساجدين فاذا اصل ذلك كان بامره لو كان الحمد يراد به الامر لم يكن ذلك الامر فعليه حقيقة الامر
معنى والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله فسبح بحمد ربك اي نزه الله عن جميع ما قالت الملحدة فيه اذ التسبيح هو
هو التنزيه في اللغة بحمد ربك اي نزه عن ذلك كله بثناء تثنيه عليه ويحتمل ان يكون ذلك امره اياه بالتسبيح على التسلي
وتوسيع صدره بالذي يكون منهم اي سبح ربك مكان ما يضيق صدرك وقوله وكن من الساجدين اي من الخاضعين لان السجود
اذا السجود هو الخضوع والله اعلم وقوله تعالى واعبد ربك • يحتمل التوحيد اي وحد ربك كما قال ابن عباس رضي الله عنه
كل عبادة ذكرت في القرآن فهو توحيد يأمره باعتقاد الاخلاص في كل امر والله اعلم ويحتمل العبادة نفسها بامره
باعتقاد الاخلاص له في كل امر والله اعلم ويحتمل العبادة نفسها بامره بالعبادة لله شكرا له على ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه انه صلى حتى تورمت ساقاه فقيل له اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا والله اعلم وقوله تعالى حتى يأتيك اليقين • اي ما تتيقن به وهو الموقن به وهو كقوله ومن يكفر
بالايمان فقد حبط عمله اي ومن يكفر بالمؤمن به فقد حبط عمله لان الايمان لا يكفر فعلى ذلك اليقين لا يأتيه الموقن
به وهو كما قيل الصلوة امر الله والصلوة لا يكون امر الله ولكن بامر الله يكون مأمورا بها وكذلك [illegible] هذا
المحو والله اعلم ويحتمل حتى يأتيك اليقين فيهم وهو ما وعد من العذاب اي ما يتيقنون بذلك والله اعلم قال بعض اهل التاويل

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه • في قوله اتى امر الله
فلا تستعجلوه يحتاج الى شيئين احدهما ان يعرف ما الامر الذي استعجلوه وما الاتيان اما الامر يحتمل ان يكون
هو الساعة والقيامة لان الكفرة كانوا يستعجلون بها كما اخبر الله تعالى بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين
امنوا مشفقون منها الاية ونحوها من الاية وقال بعضهم امر الله هو عذابه وكذلك جميع ما ذكر في القرآن من امر الله المعنى
منه عذابه كقوله حتى جاء امر الله اي عذابه ثم المراد من قوله اتى امر الله على هذين التاويلين لم يرد وقوعه ووجوده ولكن قربه
اي قرب اتيان امر الله كما يقال اتاك الجزع واتاك الامر كنا على ارادة القرب لا على الوقوع فعلى ذلك هذا وجائز ان يكون قوله اتى
امر الله اي ظهر اعلام امر الله واماراته ليس على اتيان امر من مكان الى مكان كقوله وقل جاء الحق وزهق الباطل واثار موجود
الله لانه كان يختم بالنبوة فهو من اعلام الساعة على ما روى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار
الى اصبعين لقربها منه ويحتمل اتى امر الله اي قد حصل امر الله كان يستنصر باهل الكتاب على المشركين كما قال وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا الاية وكان يتمنى مشركوا العرب بان يكون لهم رسول كما للامم كقوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما ان بعث رسول الله لم يصدقوه وقصدوا قتله واهلاكه هم
فقال اتى امر الله فلا تستعجلوه اي ذلك الرسول الذي كنتم تتمنونه فلا تستعجلوه اي فلا تستعجلوا هذا ما كنتم تتمنونه هذا
تاويل قوله فلا تستعجلوه على التاويل الاخير الامر هو الرسول وعلى ما ذكر من التاويل الاول فقوله فلا تستعجلوه اي
لا منفعة لكم في استعجال العذاب والساعة كقوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون
اي لا منفعة لكم فيه بل فيه ضرر عليكم والله اعلم وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون • سبحان هو كلمة انطق الله به
يجريها على السنة اوليائه لتنزيهه عما قالت الملحدة فيه من الولد والصاحبة والشريك وغير ذلك من الاشباه والاضداد
تعالى الله عما نسبوا اليه علوا كبيرا وقيل سبحان الله تعجب يذكر على اثر شئ مستبعد او مستعجب او مستعظم جوابا
لذلك وهنا ذكره على اثر وصفهم اياه بما لا يليق باسمه من الولد والشريك ونحوه فقال سبحانه تعالى التنزيه عما وصفوه
وقالوا فيه وقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره • قال بعضهم بالروح اي بالوحي لان الله تعالى رسله ويحتمل الروح
الرحمة وهو الذي به نجاة كل احد ورحمة الله وهداه لدينه وهو ما ذكر حيث قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل الروح
والنبوة والقرآن سمي هذه الاشياء روحا لانه بذلك يحصل حيوة الدين كما سمي الكفر موتا والايمان روحا وقال الحسن
قوله بالروح من امره اي بالحيوة من امره وهو ما ذكرنا من حيوة الدين وقوله تعالى على من يشاء من عباده • اي على من يشاء ان يخصه
من عباده ويختاره وهو مشيئة الاختيار وان كان اهل الذي يخصه يصلح للنبوة فهو باختياره يخصه لا لاستحقاق
راجع الى ذات المختص وضده لانه لم يخص بعضهم على بعض وان كان غيره يصلح لذلك والله اعلم وقوله تعالى ان انذروا انه
لا اله الا انا فاتقون • على هذا جاءت الرسل والانبياء بالانذار والدعاء الى توحيد الله وتوجيه العبادة اليه ثم قوله
ان انذروا هو صلة ما تقدم من قوله ينزل الملائكة ان انذروا ولا يتصل بما يتلوه فتوضيح ما تلوه وهو قوله انه لا اله
الا انا فاتقون نفي الاصنام اي ان انذروا وقولوا لهم انه قال انه لا اله الا انا فاتقون والله اعلم وقوله تعالى خلق السموات

والأرض بالحق * قد ذكرنا قوله بالحق في غير موضع أي أنه لم يخلقهما عبثا بل لأمر كائن ثابت وهو تفسير الحق أو المحنة والجزاء ونحو
ذلك وقوله تعالى تعالى عما يشركون * أي تعالى عما يشركون من لا يخلق ولا ينفع ولا يضر ولا يكون في الذي يخلق وينفع و
يضر ويدفع تعالى عن ذلك وتبرأ وقوله تعالى خلق الإنسان من نطفة * يذكر عز وجل نعمه عليهم وقدرته وسلطانه وعلمه
لأنه لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يدركوا المعنى الذي به يصير النطفة نسمة وإنسانا تاما ما قدروا عليه حيث خلق من النطفة
إنسانا تاما على أحسن تقويم وأحسن صورة وفيه نقض قول الدهرية حيث أنكروا خلق الشيء من لا شيء لأن الحامل لهم على إنكار
ذلك أنهم لم يشاهدوا إنشاء الشيء لا من شيء ولا أدركوا ذلك بأوهامهم ثم أقروا بخلق الإنسان من نطفة ولم يشاهدوا ذلك
ولا أدركوا بأوهامهم وجود الإنسان من نطفة فلما أقروا بهذا لزمهم أن يقروا بخلق الشيء من لا شيء وإن لم يشاهدوا ولم
يدركوا ذلك بالوهم والله الموفق وفيه دلالة البعث لأن من قدر على إنشاء الإنسان من النطفة وليس فيها من آثار الإنسان
شيء يقدر على البعث وإنشاء الأشياء لا من شيء وقوله تعالى فإذا هو خصيم مبين * قال بعضهم الخصيم هو الذي يجادل
بالباطل مبين أي ظاهر مجادلته ومخاصمته وقال بعضهم الخصيم هو الجدل الذي يجادل في الباطل أو غيره وقال أبو
الخصيم المخاصم والمخاصم ويقال فلان خصيمي أي خصمي مبين ظاهر خصومته والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل
والمفعول جميعا فكأنه قال هو خصيم مبين أي منقطع الخصومة بين انقطاعه وهو ما ذكر من خصومته في آية أخرى حيث قطع
حجته حيث قال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي
العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فهذا الذي احتج عليه انقطعت حجته وبهت كالذي أنكر وجحد
حيث لم يتهيأ له جواب ما احتج عليه وقطع حجته وقوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع * يحتمل وجهين
أحدهما على الظاهر أي خلق هذه الأشياء لنا وخلق لنا فيها الدفء والمنافع كقوله هو الذي خلق لكم ما في الأرض
جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه والثاني يجعل والأنعام خلقها ثم ابتدأ خلق لنا فيها
منافع بقوله لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ثم قوله فيها دفء قال بعضهم الدفء نسل كل دابة وقيل الدفء ما ينتفع
منه وقال القتبي الدفء ما استدفأت به ويشبه أن يكون تفسير الدفء والمنافع التي ذكرهم ما فسر في آية أخرى وهو
قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن
أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين وقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم جعل الله
تعالى وما ذكر كفاية لجميع أنواع الأذى من [illegible] وغيره مما يمنع من الأذى من الحر والبرد والجوع وغير ذلك مما يكثر
عدها ويطول ذكرها وجعل منافع كثيرة من الركوب والشرب والأكل حيث قال الله تعالى وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة وأخبر أيضا أن فيها جمالا وزينة بقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
ذكر الله تعالى أنواع المنافع والنعم التي أنعم علينا مفسرة مبينة وأجملها هنا في هذه السورة وفي غيرها من السور إنما
ذكرها مجملة غير مشار إلى كل واحد منها على ما أشار في هذه السورة ليعرفوا بذكرها ليعلموا قدرته على خلق الأشياء لا
من الأشياء ولا قوة إلا بالله فإن قال قائل الجمال يكون لنا فيها حين الإراحة والسرح فنقول قال بعضهم إن الأنعام أحسن
ما يكون عند الإراحة عظاما ضروعا وأعظم أسنمتها وحين تسرحون إذا سرحت لرعيها ويحتمل أن يكون الجمال عند الإراحة
والسرح شرب ألبانها وتوقي الضيف من ألبانها في الرواح والمساء وقال بعضهم يحتمل ما قال ذلك أن ألبانها كالذي يسير
عند الإراحة والتسريح وذلك أن السرور يظهر في وجوههم فإذا ظهر ازداد لهم بذلك جمال الحسن وهكذا المعروف في الناس
أنهم إذا سروا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد لهم جمال بذلك وإذا حزنوا وأصابهم غم يرى ذلك الغم نقصانا
في خلقتهم ويزداد لهم قبحا وتشويها والله أعلم وقال بعضهم إنهم إذا راحوها وسرحوها رأى الناس أن أربابها أهل
ثروة وأنهم لا يحتاجون إلى غيرهم ويكون للغير إليهم حاجة إذ هي من الأموال الظاهرة فيكون لهم بذلك قدر عند الناس
وشرف فذلك الجمال المذكور فيها والجمال فيها ظاهر لأن ما يبسط ويفرش إنما يتخذ منها ومن أصوافها وكذا ما يلبس ويتكون
منها فإنما يبسط ويفرش ويلبس للتجمل والبهاء والله أعلم وقوله تعالى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق
الأنفس * ذكر أيضا ما جعل فيها من النعم التحمل من الأثقال من مكان إلى مكان ومن البلد إلى البلد ما لا يوصل إلى ذلك إلا
بالجهد والشدة وذلك والله أعلم أن الله جعل للأنفس حوائج وقواما لا قوام لها إلا بذلك فلعله لا ينطبق
بما به قوام النفس إلا من بلد آخر ومكان آخر فلو تحمل ذلك بنفسه لكان يجد ذلك تلف نفسه وهلاكها به قوامه فذكر
أنه خلق لنا ما نحمل به من البلد إلى البلد ما به قوام أنفسنا وحاجتنا والله أعلم وقوله تعالى إن ربكم لرءوف رحيم * أي من رأفته
ما جعل لكم من المنافع في الأنعام وما ذكر ويحتمل أن ذكر هذا لئلا ترحموا على هذه الأنعام التي خلقها لهم في الإنفاق
والإحسان إليها فيحتمل ما ذكر الرأفة والرحمة لأنه ذكر من منافعها الأكل بقوله ومنها تأكلون ولا يوصل إلى أكل ذلك
إلا بالذبح ليعلم أن الذبح فيما يؤكل وينتفع به ليس بخارج من الرحمة والرأفة وذلك ينقض على الثنوية قولهم حيث أنكروا
الذبح في الحيوانات ويقولون إنهم يتألمون بالذبح والضرب والقتل كما تتألمون أنتم ومن قصد أحدكم بالقتل فهو سفيه

عند كل غير حكيم ولا رحيم بل موصوف بالقساوة والسفه والله تعالى موصوف بالحكمة والرأفة فلا يجوز أن يأمر بالذبح
والقتل لهذه الأشياء إذ ذلك مما يزيل الرأفة والرحمة فهذه الآية مما ينقض قولهم عليهم حيث أباح أكل بعضها ولا أكل
يتحقق بدون الذبح ثم ما ذكروه غير لازم لوجوه أحدها أن الله تعالى خلق البشر في هذه الدنيا للمحنة وللعاقبة جعل دارها
أو نقول إنا ما نعقل أنه لأجله خلق هذه الأشياء لنا وجعل لنا فيها منافع تحتمل ويقصد ويعقل ذلك العبد من هو موصوف
بالرحمة والرأفة على نفسه يجرح نفسه بالجراحات ويحمل عليها الشدائد والمكروه في المنافع يقصد وخير يأمل في العاقبة ثم لم يوصف
بالسفه ولا بالخروج عن الحكمة والرحمة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الأدوية الكريهة ما لو لم يأمل ما قصد من النفع
والعافية في العاقبة لما تحمل تلك المكروهات والشدائد فدل لما وصفنا أن تحمل الأذى لا لأمر غير خارج عن الحكمة
والرحمة ولا الفعل مما فعل مشقة إذا كان لمنافع تقصد في العاقبة وخير يأمل فيبطل قول الثنوية إذ ذلك لا مما
يزيل الرحمة والله الموفق على أن هذه الأنعام لم تخلق للمحنة والجزاء في العاقبة ولكن خلقت لمنافع البشر فلهم الانتفاع
بها من الوجوه ما يرى من حمل الأثقال والانتفاع بظهورها ودرها وبالأكل فلم يكن خلقها للأنفس خاصة بل وسيلة لبقاء
المكلفين الذين خلقوا للجزاء والعاقبة على ما خلق البشر لما كانت حكمة لما خلقوا للآخرة وذلك بأعمال تكون في الدنيا
فلا يتحقق ذلك إلا بالبقاء وهذه الأشياء خلقها صالحة للبقاء وهذا الفعل سبب البقاء فيكون حسنا والله
الموفق قال أبو عوسجة حين تريحون يقال أرحت الإبل ريحها إراحة والإراحة عندنا أن يرد الراعي
مواشيها بالليل إلى مأويها ولهذا سمي ذلك الموضع المراح وقيل حين تسرحون هو إخراجها إلى المرعى يقال سرحتها أسرحها
سرحا وسروحا وكذلك قال القتبي وأبو عوسجة ثم في قوله ومنها تأكلون دليل على أنه أبيح لنا الانتفاع بها بالذبح
على غير جهل حقيقة الناسخ لم يبح لنا إتلافها على الإهلاك وإذا لو كانوا أصول الأشياء إنها لما كان لا يمنعها عن الإتلاف
فدل أنه أبيح لنا الانتفاع بها على غير جهل الحقيقة والأصول لنا فضل قول من يقول إن الأشياء في الأصل على الحل
والإباحة حتى يقوم ما يحظر والله أعلم وقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة * قوله وزينة
يحتمل وجهين أحدهما أن الماشي هو دون الراكب والمشي يورث نقصانا أو ضعفا في الوجه والركوب بلا ذلك الزينة
والثاني أن الراكب إذا نظر إلى الخيل تسر بركوبه ويسر ويظهر في وجهه وذلك يزيد في حسنه وجماله والله أعلم واستدل
أصحابنا رحمهم الله بهذه الآية على كراهة لحم الخيل على ما سئل ابن عباس عن لحوم الخيل فقرأ والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ولم يقل لتأكلوها فيكره أكلها لذلك وتمام هذا الاستدلال أن الله عز وجل ذكر الأنعام في
الانتفاع بها وبالغ في ذكرها الآية قال والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون الآية وقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات وقال وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا إلى آخر ما ذكر
ذكر جميع ما ينتفع به من أنواع المنافع ذكر أشياء مبالغا فيه مكتفى عند ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال و
الحمير على أنه ليس فيها منفعة أخرى سوى ما ذكر وهو الركوب إذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء لبيان
فلو كان فيها منفعة أخرى لذكر على ما ذكر في غيره والله أعلم والثاني أن في الأشياء أشياء يرغب فيها وينقاد لطباع
فيها والصبيان أول ما يبلغوا يرغبون في ركوبها لا أحد يرغب في أكلها إلا من في طبعه عما كان يميل إليه فهو يرغب
في أكله وأما من رشد طبعه يستخبث وينفر طبعه عن أكله وروي عن جابر رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أصاب الناس مجاعة
فأخذوا الحمر الأهلية فذبحوها فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الإنسية ولحوم الخيل والبغال وكل ذي ناب
من السباع وكل ذي مخلب من الطير وحرم الخلسة والنهبة فإن قيل روي عن جابر خلاف ذلك قال أطعمنا رسول الله
لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر وفي بعض الأخبار عن جابر رضي الله عنه قال كنا قد جعلنا في قدورنا لحوم الخيل ولحوم الحمر
فنهانا النبي أن نأكل لحم الحمار وأمرنا أن نأكل لحم الخيل وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت نحرنا فرسا في عهد
رسول الله فأكلناه قيل قد يحتمل أن يكونوا أكلوا في الحال التي يؤكل فيها الحمر لأن النبي إنما نهى عن أكل لحوم الحمر يوم خيبر فيجوز
أن يكونوا أكلوا في حال الإباحة لأن أسماء لم تذكر الوقت يدل عليه ما روي عن الزهري أنه قال ما علمنا الخيل أكلت إلا
في حصار وعن الحسن أنه قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكلون لحم الخيل في مغازيهم فهذا يدل على أنهم كانوا
يأكلونها في حال الضرورة كما قال الزهري والله أعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الخيل لثلاثة هي لرجل أجر
ولرجل ستر وعلى رجل وزر بين أنها لا تصلح لغير ذلك ولو صلحت للأكل لقال الخيل لأربعة ولقال لرجل طعام وأيضا
تقرر ما ذكرنا أن البغل حرام وهو من الفرس فلو كان الفرس حلالا لكان هو حلالا أيضا لأن حكم الولد حكم أمه لأنه منها
فهو كبعضها فحرم لحم البغل لزم أن يحرم الفرس في حكم النظر والقياس ألا ترى أن حمارا وحشيا لو نزا على حمارة أهلية
لم يؤكل ولدها ولو أن حمارا أهليا نزا على حمارة وحشية أكل ولدها فجعل حكم الولد حكم أمه في الحل والحرمة
دون الفحل فلما كان لحم البغل حراما وجب أن يكون لحم الفرس كذلك هذا الذي ذكرنا يجيء على رواية الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يحرم

اكلها وروي عن ابي يوسف ومحمد رحمهما الله انهما ابيحا اكلها لما ذكرنا من الاحاديث ويجوز ان يفرق بين المولود من الفرس
وبين ولد الحمار الوحشية اذا نزا عليه حمار اهلي بان ولد الحمار لم يتغير عن جنس فحكمها واما البغل فليس من جنس
امه بل هو من جنس ثالث فلذلك لم يكن سبيلها سبيلها والله اعلم والرواية الظاهرة عن ابي حنيفة انه يكره اكلها ولا يطلق
التحريم لاختلاف الاحاديث المروية واختلاف الصحابة واختلاف السلف وتعارض الادلة اما الاحاديث فعلى ما ذكرنا
واما اختلاف السلف فعن ابن عباس والزهري وعطاء وغيرهم انهم كرهوها فاكلها وعن شريح والاسود والحسن وغيرهم
يبيحون ذلك فكره ابو حنيفة احتياطا لباب الحرمة والله اعلم وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون اخبر انه يخلق ما لا نعلم
فليس لنا ان نتكلف في علم ذلك ويحتمل انه يخلق من النعم فيما يخلق ما لا تعلمون انتم انها نعم وقوله تعالى وعلى الله
قصد السبيل اختلف فيه قال بعضهم اي على الله بيان قصد السبيل وهو طريق الهدى من الضلالة اي بين
السبل المتفرقة عن سبيله كقوله ثم ان علينا بيانه وقوله تعالى ومنها جائر اي عليه بيان ما يجوز منها اي السبل
التي ذكرنا وقال بعضهم وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر اي لله طريق الحق والعدل وقد يستعمل حرف على مكان
اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم كقوله يوم يقوم الناس
لرب العالمين ومنها جائر وهو السبيل المتفرقة عن سبيله وقال بعضهم وعلى الله قصد السبيل اي على الله يقصد
السبيل ومنها جائر كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين
يخرج على وجهين احدهما لو شاء اكرم الخلق باللطف الذي اكرم اولياءه فاهتدوا به فيهتدون والثاني لو شاء
اعطاهم جميعا الحال التي يكون بها الاهتداء وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاخر ما ذكر لا يحتمل
انه اذا كان ذلك مع الكفار لكفروا جميعا واذا كان ذلك الحال للمسلمين لاسلموا حتى اجزاءه لو جعل لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج على ما ذكر لكفر الناس كلهم فاذ لم يجعل هذا للمسلمين وجعل للكفرة فيضيك لا اسلموا جميعا وقوله
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون هو موصول بقوله خلق السموات والارض بالحق
وقوله خلق الانسان من نطفة وقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء وقال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
يقول الذي خلق لكم ما ذكر من الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر يحتمل قوله منه شراب
جميع ما يشرب من الاشربة اذ منه يكون جميع الاشربة وجميع الاشياء كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي ويحتمل
شراب الماء خاصة وقوله ومنه شجر الشجر المعروف هو الذي يقع ويعلو في الارض لا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه
الارض شجرا فظاهر هذا انه يرجع الى ذلك المعروف لانه ذكر فيه تسيمون اي ترعون وقد يحتمل هذا الذي هو الشجر
المنبسط على وجه الارض والمرتفع عليها قال ابو عبيدة فاستمسك بمعنى في غير ترعونها وقال القتبي السائمة الراعية
ومنه قوله تعالى والخيل المسومة اي الراعية عند بعضهم والله اعلم وقوله تعالى ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات اي ينبت لكم بالماء الذي انزل من السماء الزرع والزيتون وجميع ما ذكر جعل
الله تعالى بلطفه الماء لقاحا لكل الاشياء المختلفة والمتفقة ليس كغيره من التراب حيث لم يجعل في كل شيء من جنسه لقاحا انما جعل
لقاح كل نوع من نوعه وجعل في الماء بلطفه تربية يوافق جميع الاشياء المختلفة ما لو اجتمع الخلائق على ادراك ذلك وان
اجتهدوا لم يقدروا عليه يعرفون في الماء ظاهرا ولا يدركون ما فيه من اللطف والتربية الذي به يكون نمو كل شيء وموافقة
وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ذكر في بعضها لقوم يتفكرون وفي بعض لقوم كذا وكذا ولكنه قدر ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون اي بالتفكر يعرفون انه كذا وهذا يدل على ان الاشياء التي غابت عن ظاهر الحواس بالتفكر والنظر
يدرك والله اعلم وقوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وما ذكر ووجه تسخير هذه الاشياء
لنا وهو ان الله تعالى خلق هذه الاشياء وجعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شئنا او ابينا حينا وكرها جعل
في الليل والنهار معاشا للخلق ومنقلبا فيه يتعيشون ويتقلبون وجعل الليل راحة لهم وسكنا ينتفعون بهما شاءوا او ابوا
وكذلك ما جعل في الشمس والقمر والنجوم من المنافع من نضج الفواكه والثمار واشتداد ذلك الزروع وبلوغها ومعرفة الحساب
والسنين والاشهر ومعرفة الطرق والسلوك بها وغير ذلك من المنافع ما لا يحصى فسخر للخلق اذ كان ينتفع الخلق بها وجعل
فيها من المنافع شاءت هذه الاشياء او ابت فذلك وجه تسخيرها لنا والله اعلم ويحتمل ما ذكر من تسخير هذه
لنا ما جعل لنا في وسعنا استعمال هذه الاشياء من الانعام وغيرها والانتفاع بها والحيل التي بها نقدر على استعمالها
في حوائجنا ويحتمل تسخيرها لنا انا ننتفع بها شئن او ابين بالطباع والله اعلم وقوله تعالى مسخرات بامره يحتمل
وجهين احدهما اي كونها في الاصل مسخرات حتى ينتفع الخلق بها والثاني اي صرن مسخرات لهم لينتفعوا بها بامره
والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ذكر في الاية الاولى لقوم يتفكرون وفي الاية الثانية لقوم
يعقلون وفي الاية الثالثة لقوم يذكرون وفي الاية الرابعة ولعلكم تشكرون فهو والله اعلم ذكره مرتبا لانه بالتفكر في
الاية يعقل ويعلم شكر نعمه التي جعل فيه بعد العلم والعقل والفهم يتذكر اذا تذكر عند ذلك يشكر نعمه جعل الله

تعالى التفكر سبيلا للعقول الى ادراك الاشياء المغيبة بالحواس الظاهرة اذ لا سبيل للعقل الى ادراك ما غاب عنه
الا بالحواس الظاهرة والتفكر فيها والله اعلم ثم قوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وقوله لايات لقوم يعقلون وما ذكر
دلالة وحدانية الله ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته ودلالة بعث الخلائق ودلالة قدرته وسلطانه اما دلالة قدرته
وسلطانه اما دلالة قدرته وسلطانه فان الليل والنهار ياتيان الجبابرة والفراعنة ويذهبان بغير مشيئتهم ولو ارادوا ذلك
اية سلطانه وقدرته ليعلم انه السلطان والقدرة لا لهم وفيهما دلالة البعث لانه اذا اتى هذا ذهب الآخر حتى كانه
لا اثر ثم ينشئ مثله بعدما لم يبق من الاول اثر ولا شيء فالذي قدر على انشاء الليل والنهار بعد ذهاب اثرهما وتلاشيهما
لقادر على انشاء الليل والنهار بعد ذهاب اثرهما وتلاشيهما القادر على انشاء الخلق بعد فناء اثرهم وكذلك الشمس والقمر
والنجوم وما ذكر لما اتسق هذا كله على سنن واحد وتقدير واحد على جري تفاوت منها ولا تفضل ولا تقديم ولا تاخير
جرى كله على سنن واحد وتقدير دل على انه على تدبير خرج ذلك لا على الجزاف والتدبير لذلك كله واحد اذ لو كان تدبير
مدبر لخرج مختلفا متفاوتا فدل انه تدبير واحد لا احد وانه على تدبير مخرج وكذلك لا بنفسه وانه على حكمة وعلم
جرى كذلك فيدل على لزوم الرسالة والعبادة لما ذكرنا ان في هذه الاشياء من اسباب النعمة وانها تقتضي الشكر وليس يعرف
بذل الشكر ووضعه وجنسه بالعقل فيدل ذلك على اثبات الرسالة في الجملة والله الموفق والمستعان وكلمهم وقد
ذلك الشكر ووضعه وجنسه بالعقل فيدل ذلك على اثبات الرسالة في الجملة والله الموفق وقوله تعالى وما ذرأ لكم في الارض
مختلفا الوانه اي مختلفا اصنافه وجواهره يخبر عز وجل عن قدرته وسلطانه ونعمه التي انعمها عليهم اما سلطانه
وقدرته ما خلق في الارض وانبت فيها بالماء لم يرجع الى جوهر الارض وجنسها ولا الى جوهر الماء وجنسه وهما كالوالدين
الماء كالاب والارض كالام فلم يرجع ما خرج منهما الى جنسهما ولا جوهرهما كما كان في سائر الاشياء رجع التوالد الى
الوالدين وجوهرهما وههنا رجع التوالد الى جنس المبتدع جوهره والشيء من الارض والماء ليعلم قدرته وسلطانه على انشاء
الاشياء بأسباب وبغير اسباب ومن شيء ومن لا شيء واما ذكر نعمه حيث اخبر ما يخلق في الارض من الاصناف المختلفة الجواهر
المختلفة لينتفعوا بها وقوله ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ذكر في اية لقوم يذكرون وفي اية لقوم يعقلون وفي اية لقوم
يتفكرون وفي اية لكل صبار شكور وفي اية للمتوسمين وفي اية للمؤمنين فيحتمل ان يكون كله كناية عن المؤمنين كانه قال
ان في ذلك لاية للمؤمنين اذ يجمع الايمان جميع ما ذكر من التفكر والتذكر والعقل والاهتداء والصبر والشكر وغير ذلك ويحتمل
قوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ويعقلون ويذكرون اي لقوم همتهم التفكر والتذكر والنظر في الايات ولقوم همتهم
التعنت كالاعتساف لا التوحيد همتهم العناد والمكابرة والاعراض عن النظر في الايات والتفكر فيها والله اعلم وذكر الاية للمتفكر
والعاقلين والمذكرين لما كان منفعة الاية تكون لهؤلاء وان كانت الايات ايات لهم ولغيرهم والله اعلم وقوله تعالى وهو
الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها تسخير البحر لنا هو ما ابدل البحر لنا وهو ما بذل للخلق
ما فيه من انواع الاموال التي يتخلق الله فيه من الحلي والجوهر واللؤلؤ وما فيه من السمك والدواب ولولا تسخيره لنا يا للخلق
وتعليمه اياهم الحيل التي بها يوصل الى ما فيه من الاموال النفيسة لما قدروا على استخراج ما فيه والوصول اليه لشدة
اهواله وافزاعه فقوله لتاكلوا منه لحما طريا يحتمل السمك خاصة ويحتمل السمك وما فيه من الدواب من نوع ما لو كان
اكل من نحو الجواميس وغيرها وقوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يحتمل الحلية اللؤلؤ والمرجان الذي ذكر في اية اخرى
حيث قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وفي ذلك دلالة الا انه دلالة اباحة التجارة وركوب الاخطار لان الغائص في البحر
يخاطر بنفسه وذو عجلة وكذلك راكب السفن فلولا انه مباح لطلب ذلك والا ما ذكر هذا في منته اذ هو يخرج مخرج ذكر
الامتنان ثم يحتمل قوله حلية اي ما يتخذ منه حلية بان يضم اليه الذهب يصلح ان يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه ويتم
ما يضرب به في المنقبا وسمي حلية لانه زينة ولا شك انا اللؤلؤ والمرجان فهما زينة الا ترى انه ذكر في الانعام زينة وجمالا
فالزينة في اللؤلؤ والمرجان اكثر والجمال فيهما اظهر والله اعلم وقوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه قال الحسن وابو بكر
الاصم المواخر السفن المشحونات الموقرة لحمالها وانعامها ذكر منته التي من بها عليهم حيث جعل لهم السفن والفلك
التي تحمل بها الاحمال والاثقال العظام في البحار ما سبيلها الثقل والانحدار في البحر والرسوب فيه بالسفن العظام
وقال بعضهم مواخر اي جارية مقبلة ومدبرة بريح واحدة في البحر وذكر ان جري السفن فيه بالريح حيث ما اراد وقصد
اذ الاشياء قد تجري على جرية الماء اذا كان له جري فاما اذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل لها وهي السفن الى ذلك ففيه تسخيره
الحيل والاسباب التي بها علمنا السبيل الى ذلك فذكر عظيم منته وقدرته على اجراء السفن في الماء الراكد بالريح
والله اعلم بالصواب وقال بعضهم مواخر فيه اي تشق الماء شقا وتخرقه خرقا يقال مخرت السفينة ومخر الذي
انما هو شق الماء لها وهو قول القتبي وكذلك قال ابو عوسجة المواخر المستقبلة يقال استمخرت الريح اذا استقبلتها وقال
ابو عبيد مواخر من الاستدبار يقال اذا اراد احدكم البول فليتمخر الريح اي ليستدبرها والله اعلم وقوله تعالى ولتبتغوا
من فضله يحتمل التجارة وما يحصل السبيل اليها قطع التجار الى بلاد نائية بعيدة بالسفن لينتفعوا بما قوله ولعلكم

وانفسهم ان يجعل بينهم بحيث لا تقوم الا باعدية ولعلهم لا يظفرون بما به قوامهم ابدا بينهم وبين بعض بلادهم فيحتاجون
الى بلاد نائية منهم عن عليهم بذلك كما من تعطيل المفاد فجا البرارى بالندا بقوله ويحتمل انعامكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس ويحتمل ولتبتغوا من فضله بما تستخرج منه لعلكم تشكرون بجميع ما ذكر من الوان النعم وانواع
المنافع من اول السورة الى آخرها تستاديكم شكرها والله اعلم وقوله تعالى والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم اى
القى فى الارض رواسى ان تميد بكم اى القى فى الارض الجبال الثقال لئلا تميد بكم لانها تبسط على الماء فكانت تكفأ باهلها كما
تكفأ السفينة فى الماء فاثبتها بالجبال لتقر باهلها كما تكفو السفينة فى الماء فاثبتها بالجبال لتقر باهلها لكن لو كان
الامر على ما ذكروا انها تبسط على الماء لكانت لا تكفو ولا تضطرب ولكن يترسب فى الماء وهما يجعلان من طبعها
التسفل والترسب فى الماء الا ان يقال ان الله يجعل بلطفه طبعها طبع ما يضطرب ويتكفؤ دون الترسب والانحدار
مثل الخشب فهذا يحتمل ما ذكروا والله اعلم وقال بعضهم انها تبسط على ظهر الثور فكانت تضطرب بتحركه
مما ذكر والله اعلم ولو قالوا انها تبسط على الريح لكان يحتمل ما قالوا ويكون اشبه من قولهم الا ترى ان الريح فى الاوراب
لا يعنى بل تنطفو كما اشرح فيشبه ان يكون انطفاؤه الريح يكون فى الارض والله اعلم وقد ذكرنا فيما تقدم ثم قوله القى
فى الارض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا يخرج مخرج الامتنان وذكر النعمة لانه لو ترك الارض على ما خلقها ولم
بالجبال لتميد باهلها وتميلها فلا يقدرون على القرار عليها والانتفاع بها لكنه بفضله ومنته اثبتها بالجبال ليقروا
عليها ويقدروا على الانتفاع وكذلك لو لم يجعل لهم بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التى بها يصلون الى
حوائجهم ويكلفهم طلب الطرق والسبل التى بها يفضى الى البلدان والامكنة التى فيها قضى حوائجهم وكذلك
بفضله جعل لهم فى الارض انهارا جارية واثبت الارض بالرواسى ليقروا عليها وذلك بمنه وفضله وقوله تعالى لعلكم
تهتدون • يحتمل تهتدون الطرق والسبل التى تفضيهم الى الحوائج ويحتمل لعلكم تهتدون انه هو المنعم بما ذكر من انواع
نعمه ومننه والله اعلم وقوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون • هذا ايضا يخرج مخرج ذكر المنن والنعم عليهم لانهم قالوا
لولا ما جعل الله علامات فى البحار والبرارى يعرفون بها السلوك فيها والا لم يقدروا على معرفة الطرق فى البحار والبرارى
ثم يحتمل الاعلام فى البحار مرة بطلع المكان ومرة بالجبال التى فيها وبالرياح ومرة تكون بالنجم يعرفون بطلعها الآن
الطريق يفضى الى موضع كذا وكذا يعرفون بالجبال وبالرياح السبل الى حوائجهم ومقصدهم وكذلك بالنجوم يعرفون
الطرق فالاعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل ويحتمل يهتدون بما ذكر من الاعلام والنجم الى انه اسباب لهم
الى الحوائج انه تخلق الله علم وقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون • يحتمل هذا وجهين احدهما على الاحتجاج
عليهم اى لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا ينعم كمن هو خالق الاشياء كلها ومنعم النعم عليكم افلا تذكرون فتعرفون
العبادة والشكر الحقيقى لخالقكم وغير منعمكم جور وظلم والثانى يخرج مخرج تسفيه احلامهم اى انهم يعبدون من
يعلمون انه ليس بخالق ويتركون عبادة من يعلمون انه خالق الاشياء كلها افلا تذكرون والله اعلم وقوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • هذا يحتمل وجوها احدها اى وان تعدوا انفس نعم الله التى انعمها عليكم
واعينها لا تقدروا على عدها لكثرتها والثانى وان تعدوا اى وان تكلفتم واجتهدتم كل جهد لا تقومون لشكر
ما انعم الله عليكم ما قدرتم على القيام لشكر واحدة منها فضلا من ان تقوموا الكل والله اعلم والثالث يخرج على العتاب
والتوبيخ كيف صرفتم العبادة الى من لا يخلق ولا ينعم عن عبادة من خلق وانعم وكنتم لا تقدرون على احصاء ما انعم
عليكم فضلا من ان تقوموا لشكره وقال الحسن وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تعرفون كل نعم الله لقوله واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فاذا لم تعلموا لم تقدروا احصاءها والله اعلم وقوله تعالى ان الله لغفور رحيم • هذا يحتمل
وجهين احدهما انكم وان افتريتم على الله تعالى وعاندتم حججه وآياته وكذبتم رسله فاذا استغفرتم وتبتم عما كان
ذلك منكم يغفر لكم ذلك كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والثانى لغفور رحيم اى ستر عليكم
ما كان منكم ما لو ظهر ذلك لافتضحتم لكنه برحمته ستر ذلك عليكم ويحتمل انه ذكر لغفور رحيم على اثر ذكر النعم و
انواع المنافع لتكونوا على ما ذكر ما سخر لنا والله اعلم وقوله تعالى والله يعلم ما تسرون وما تعلنون • هذا يخرج
على وجهين احدهما ذكر هذا لتكونوا ابدا متيقظا وحذرا لان من يعلم ان شاهدا عليه رقيبا حفيظا فيما يفعل كان احذر
واحفظ لاعماله والثانى انه يعلم ما تسرون من المكر برسول الله والكيد له من القتل والاخراج وغير ذلك او يعلم
ذلك كله منكم ما اسررتم وما اعلنتم وهو يخرج على نهاية الوعيد والتعيير والله اعلم وقوله تعالى والذين تدعون من دون
الله • يحتمل تدعون الدعاء نفسه لما كانوا يدعونهم عند الحاجة ويحتمل تدعون اى تسمونها آلهة ويحتمل تدعون
اى تعبدون من دون الله وقوله تعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون • فهذا يرجع الى الاول وهو قوله افمن يخلق
كمن لا يخلق وقوله تعالى اموات غير احياء • يحتمل المراد بقوله اموات غير احياء الذين عبدوا الاصنام وجميع من كفر بالله
هم اموات غير احياء لان الله تعالى سمى الكافر فى غير آى من القرآن ميتا فيشبه ان يكون قوله اموات غير احياء هم ايضا وقال

اموات غير احياء الاصنام التى عبدوها هى اموات غير احياء وقال بعضهم اموات لانها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع
ولا تضر كالميت غير احياء اى ليس فيها ارواح تنتفع بها كما تنتفع البهائم والانعام وقوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون • يحتمل
[illegible]
وقوله تعالى الهكم اله واحد [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة • يحتمل [illegible]
[illegible] وهم مستكبرون • يحتمل [illegible]
[illegible] وقوله تعالى لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • قال لا جرم قال ابو بكر الاصم هى كلمة
[illegible] انه لا يحب المستكبرين [illegible]
[illegible] وقوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة [illegible]
[illegible]

بالكذب وحملوهم على ذلك او وزر الاتباع الذين يقلدون رسلهم ويودونهم ويتبعونهم بغير علم لانهم لم يعلموا ان اولئك
يقولون عن علم وهو كما ذكر من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ثم قوله يضلونهم بغير علم دليل على
انهم يواخذون بضلالهم وان لم يعلموا بذلك فيكون حجة على من لم يثبت المواخذة قبل ارسال الرسل ويحتمل قوله ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم اي من اوزار الذين ظنوا الاسلام ثم اخبروهم بذلك انه حتى اذا اسلموا سقط عنهم تلك الاوزار
واذا اسلموا المتبوعون الاسلام الذي يسقط الاوزار عنهم تحمل تلك الاوزار عليهم والله اعلم وقوله بغير علم اي بسفه
وقوله تعالى الا ساء ما يزرون اي ساء ما يحملون وقد لم تعلموا ان يصير وزرهم عليه ولم يعلموا ما يحل بهم من المأثم وقوله تعالى قد
مكر الذين من قبلهم لم يزل كانت عادة الكفرة المكر برسل الله والكيد لهم وكذلك مكر كفار مكة برسول الله صلعم
يذكر هذا والله اعلم لرسوله ليصبره على اذاهم اياه فيصبر هو كما صبر اولئك على مكر قومهم وترك مكافاتهم على الاذى
ثم مكرهم الذي ذكر يخرج على وجهين احدهما فيما جاءت به الرسل كانوا يتكلفون تلبيس ما جاءت به الرسل على قومهم لكيلا
يرجع مكرهم الى النفس الرسل من الهم بقتلهم واخراجهم من بين اظهرهم وقوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد يخوف
بذلك اهل مكة بمكرهم برسول الله ان ينزل بهم كما نزل باولئك الذين مكروا برسلهم لئلا يعاملوه بمثل ما عامل اولئك
رسلهم ثم قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد قال الحسن هذا على التمثيل بالبناء الذي بني على غير اساس فينهدم ولا يعلم
من اي سبب انهدم فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى كالبناء المبني على غير اساس ويشبه ان يكون على التمثيل من غير
هذا الوجه وهو انهم لما مكروا واحكموا مكرهم ظنهم يتحصنون بذلك كالبناء الذي يتحصن به فابطل الله مكرهم كقوله
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وقوله ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين وقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم هو ما ذكرنا من ابطال مكرهم الذي به كانوا يتحصنون
كوقوع السقف الذي يتحصن به من انواع الاذى والشرور ويحتمل ما ذكر على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من السقف
وتقليب البنيان وامطار الحجر عليها واما ذكر اهل التاويل انه اراد الصرح الذي بنى نمروذ اللعين وبنيانه ووقع عليهم
فكنا لا نعلم ذلك اذ لم يثبت بالتواتر وقوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون كذلك كان ياتي العذاب الظلمة
والكذبة من حيث لا علم لهم بذلك كقوله فاخذناهم بغتة ثم قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد هو من الاتيان ثم لا يجوز
من اتيانه المضاف اليه الانتقال من مكان الى مكان ولكن اتيان نحو ما اضيف اليه الاتيان لما بامره ياتيهم ومنه تعالى
حين فعلى ذلك يجب ان لا يفهم من قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اتيانا لا انتقال وتحول من مكان
الى مكان والله الموفق وقوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم اخبر انه يخزيهم يوم القيمة بعد ما عذبهم في الدنيا
بقوله واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم قوله يخزيهم قال اهل التاويل يعذبهم كان الاخزاء الاذلال والهلاك
والفضيحة يذلهم ويهينهم ويفضحهم في الاخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبر على النبي وهو كقوله يوم
لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه اي لا يذلهم ولا يهينهم لتواضعهم للنبي وخفض جناحهم له وقوله تعالى ويقول
اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قوله اين شركاءي ليس له شركاء تعالى الله عن ذلك لكن اضافها الى نفسه لما قال
شركاءي على زعمهم في الدنيا انهم شركاءه وكذلك قوله فراغ الى الهتهم اي الهتهم في زعمهم وتسميتهم اياها الهة وقوله
تشاقون فيهم اي كنتم تخالفون فيهم وتعادون اي تخالفون المؤمنين في عبادتهم اياها لانهم يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يخالفون المؤمنين ويشاقون في ذلك الا انه اضاف ذلك الى نفسه لان المؤمنين
اولياؤه وانصار دينه ويحتمل انه اضاف المشاقة الى نفسه لانهم خالفوا امر الله وقوله تعالى قال الذين اوتوا العلم
اي الملائكة الكرام الكاتبون كذلك قال اهل التاويل ولكن هم وغيرهم من المؤمنين يقولون لهم ان الخزي
اليوم والسوء على الكافرين اي الذل والهوان والافتضاح وكل سوء على الكافرين هكذا يقال لكل معاند ومكابر في حجج
وبراهينه فكان استكبارهم وتجبرهم في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قال
الحسن تتوفيهم الملائكة من بين يدي الله يوم الحساب الى النار وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة وقت قبض ارواحهم
وقوله ظالمي انفسهم قال الحسن اي ظالمي انفسهم في الدنيا بالشرك والكفر بالله ويحتمل ان يوصفوا بالظلم في الاخرة انما
يكذبهم فيها بقولهم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثال ذلك من الكذب حيث ينكرون الشرك
في الالوهية وعبادته وقوله تعالى فالقوا السلم قال بعضهم اي يسلمون ويستسلمون لامر الله ولكن هذا التاويل ضعيف
لانه لو كان التاويل ما ذكروا لكانوا لا ينكرون عمل السوء بقولهم ما كنا نعمل من سوء لان ذلك كذب منهم وقال بعضهم
فالقوا السلم اي اظهروا الاستخذاء والتضرع والخضوع ويشبه ان يكون قوله فالقوا السلم اي يسلمون عند الموت
ويؤمنون لمعاينة العذاب او يسلمون في الاخرة على الملائكة على ما كانوا في الدنيا يسلم بعضهم بعضا وقوله ما كنا نعمل من
سوء كان هذا الانكار والكذب منهم في اول ما ظنوا منهم ان ذلك ينفعهم فلما علموا انه لم ينفعهم انكارهم الشرك
والكذب والعمل السوء في الدنيا طلبوا الرد الى الدنيا او الى حال الامن ليعملوا غير الذي كانوا يعملون كقوله خبرا عنهم ربنا اخرجنا نعمل

غير الذي كنا نعمل فاذا لم يردوا وايسوا عن ذلك فعند ذلك انطق الله جوارحهم حتى تشهد عليهم بما كان منهم فعند
ذلك يقرون ويعترفون بذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم وقوله بلى اكذبهم الله تعالى في قولهم ما كنا نعمل من سوء
وقوله تعالى ان الله عليم بما كنتم تعملون هذا وعيد يخبر ان كذبهم لا يخفى في الاخرة كما لا يخفى في الدنيا ولم يطلعهم
وقوله تعالى فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم وقوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا قال اهل التاويل هذا قول المؤمنين مقابل قول المشركين كما اخبر واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا
اساطير الاولين ثم اختلف في قوله خيرا قال بعضهم قالوا خيرا حكاية عما انزل على رسوله وخبرا عما انزل عليه من الخير
ويحتمل ان يكون الناس الذين يفدون من الافاق يسالون عن رسول الله فاذا سالوا المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
واذا سالوا الكفرة قالوا اساطير الاولين ويحتمل ان يكون اتباع المؤمنين سالوا كبراءهم ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
مقابل ما كان من كبراء الكفرة لاتباعهم قولهم اساطير الاولين وقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
من النصر لهم والظفر على عدوهم ولدار الاخرة خير لهم مما كانوا اعطوا في الدنيا وقال بعضهم اي الذين احسنوا العمل في
هذه الدنيا حسنة في الاخرة ولدار الاخرة اي الجنة خير وافضل للمؤمنين مما اوتوا في الدنيا وقوله تعالى ولنعم
دار المتقين قال هذا للمؤمنين مكان ما قال للكافرين فلبئس مثوى المتكبرين اي بئس مقام المتكبرين تكبروا على ذكره
او تكبروا على اجابة الرسل من تبعهم ما انزل الله عليهم ثم نعت الدار التي وعدها المتقين فقال جنات عدن يدخلونها
تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون اي من اللذات والشهوات فان قيل اذا سالوا ان يكون لهم
درجات الانبياء ومنازل الابرار والصديقين ايكون لهم ذلك قيل لا يسالون ذلك لانه مثل هذا انما يكون
في الدنيا اما حسدا واما تمنيا ولا يكون في الجنة حسد لان الحسد هو ان يرى لاحد شيئا ليس له فيحسده او يتمنى
مثله واهل الجنة يجدون جميع ما يتمنون من اللذات والشهوات ويخطر ببالهم ولا يمضي لسؤالهم بهم الى ذلك
ولان ذلك لو كان انما يكون باخطار الله ببالهم واما ما لم يخطر في قلوبهم ولم يحس ذلك فلا يسال ذلك
والله اعلم وقوله تعالى كذلك يجزي الله المتقين ظاهر وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين قال بعضهم
يتوفاهم الملائكة وهم طيبون احياء وامواتا وهم المؤمنون الذين طابت اعمالهم في الدنيا وقوله تعالى يقولون
سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي تقول لهم الملائكة سلام عليكم ادخلوا الجنة ثم قوله سلام
عليكم ادخلوا الجنة ثم قوله سلام عليكم يحتمل السلام وجهين احدهما التحية تحييهم الملائكة بالسلام في الجنة
كما يحيي اهل الايمان في الدنيا بعضهم بعضا بالسلام والثاني يكون السلام منهم اخبارا بالامن في الجنة
من جميع الافات والمكروهات التي تكون في الدنيا والله اعلم وقد ذكرنا ان السلام هو تحية جعل الله بين الخلق
في الدنيا والاخرة في غير موضع وقوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك هذا الحرف يخرج على الاياس
من ايمانهم اي ما ينتظرون لايمانهم الا وقت قبض ارواحهم او وقت نزول العذاب عليهم اي لا يؤمنون الا في هذين
الوقتين ولا ينفعهم الايمان في هذين الوقتين لان ايمانهم ايمان اضطرار كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وكفرنا
بما كنا به مشركين وقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي يؤمنون عند معاينة باس الله يخبر انهم
ينتظرون ذلك الوقت ايأسا منه رسوله عن ايمانهم الا ما علم انهم لا يؤمنون ليرفع عنه مؤنة الدعاء لهم الى الايمان والقتال
معهم هو خوف من خاص والله اعلم وقوله تعالى كذلك فعل الذين من قبلهم هذا يحتمل وجهين احدهما اي كذلك
فعل المعاندون والمكابرون الذين كانوا من قبل برسلهم من التكذيب لهم والعناد وتركهم الايمان الى الوقت الذي ذكر
كما فعل قومك من التكذيب بل على العناد والله اعلم والثاني يحتمل كذلك فعل الذين من قبلهم اي هكذا انزل
العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل والعناد معهم والله اعلم وقوله تعالى وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم
يظلمون اي ما ظلمهم الله بما عذبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث وضعوا انفسهم في غير موضعها الذي
وضعها الله حيث صرفوها عن عبادة من نعمه عليهم وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا لانه لا يستحق
العبادة فكان في ذلك ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن الحكمة الى غير الحكمة اذ الله وضعها حيث توجب الحكمة ذلك الظلم
هو وضع الشيء في غير موضعه والحكمة هي وضع الشيء في موضعه انهم وضعوا انفسهم في غير موضعها لان الله تعالى وضعها له
المواضع التي توجب الحكمة وضعها فيها والله الموفق وقيل في قوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كانه قال
ما ينظرون الايمان بعد حجج السمعية وبعد حجج العقلية وبعد حجج الحسية الا ان ينزل الملائكة بالعذاب من بعد ما عليهم لان الله
قد اقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات والحسيات فلم يؤمنوا بها لم يصدقوها فيقول ما ينتظرون بعد هذه الحجج الا ان ياتيهم ويضطرهم
فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول العذاب او يفعل ما ينظرون لايمانهم الا الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم وهو الوقت
الذي يخرج انفسهم من ايديهم واخبر انه لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت وهو ما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
وقوله تعالى فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ظاهر وقوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله

ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم * وقال في سورة الانعام
كذلك كذب الذين من قبلهم وقال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وقال هاهنا فهل على الرسل
الا البلاغ المبين وهل حرف استفهام في الظاهر لكن المراد منه ما قال اهل التحصيل … اي ليس على
الرسل الا البلاغ المبين وهو كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة اي ما ينظرون وكذا قوله ام للانسان ما تمنى اي
ليس ومراده ما للانسان ما تمنى وقد ذكرنا تأويل قوله وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء في سورة الانعام
انه يحتمل وجوها احدها قالوا على الاستهزاء كقوله ويقول الانسان اءذا ما مت لسوف اخرج حيا والثاني لو شاء الله
اي لو امرنا الله ان نعبده ولا نعبد غيره فعلنا كقوله والله امرنا بها والثالث قالوا … ذلك ما تركنا
وقولنا لو فعلنا بل اهلكنا وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا * يخبر رسوله انك لست باول مبعوث الى امتك
ولكن قد بعثنا في كل امة رسولا وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير يصبره على ما يصيبه منهم من الاذى والمكروه انك
لست باول من يصيبه ذلك بل كان قبلك اخوانا ابتلي بهم من امتهم ما يصيبك من امتك ثم قال ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت على الاضمار كانه قال ولقد بعثنا في كل امة رسولا … ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فعلى ذلك كانت الرسل جميعا يدعون الى توحيد الله وجعل العبادة لله والنهي عن عبادة من دونه
كقوله فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ويكون قوله واجتنبوا الطاغوت وقوله ما لكم من اله غيره واحد … واختلف
في الطاغوت قال بعضهم كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت هو الشيطان نسب العبادة اليه لانه دعاه
لانه الشيطان كان يدعو من عبد دونه ويعبد بامره فاضيف ذلك اليه وقد ذكرنا فيما تقدم قوله تعالى فمنهم من هدى الله
ومنهم من حقت عليه الضلالة لم يخص بعضهم بهداية لما اختاروا الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اي لزمت الضلالة
لاختيارهم اياها ثم قوله فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يرد على المعتزلة قولهم ان الهدى المضاف الى الله هو بيان
طريق الحق وذلك سبق من البيان لكل احد لانه ثبت في حق البعض دون البعض وههنا بين انه هدى البعض وحقت الضلالة
على البعض دل انه لم يرد البيان في هذا الموضع لكن اراد بالهدى ما ذكر ان الله يخص به من يشاء فضله ورحمته وهو خلق فعل الاهتداء
او التوفيق لاكتساب الهداية والله الموفق وقوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * قال الحسن
فسيروا في الارض ليس على الامر ولكن كانه قال لو سرتم في الارض لرأيتم كيف كان عاقبة المكذبين وقال بعضهم قوله
فسيروا في الارض كانه على الحجاج عليهم كان النبي عليه السلام يخبرهم من انباء الامم الخالية وما نزل بهم فيكون تعالى
عند ذلك سيروا في الارض فانظروا الى آثار من كان قبلكم ويشبه ان يكون … ولكن على التامل والنظر
في آثار اولئك وامور … بهم ما نزل والله اعلم وقوله تعالى ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل *
قال ابو بكر الاصم كان … يحرص رسول الله على هدى قرابته كما قال انك لا تهدي من احببت فقال فان الله لا يهدي من يضل
اي لا يهديهم بضلالهم وقت ضلالهم ثم يحتمل لا يهدي وقت اختيارهم الضلال ويحتمل لا يهدي من علم انه يختار الضلالة
ويهلك على الضلال ويحتمل انه لا يهدي من يهلك على الضلال وهو كقوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله والله
لا يهدي القوم الكافرين اي لا يهديهم وقت اختيارهم الظلم والكفر او لا يهدي من علم منه انه يختار الظلم والكفر ولا
من لزم الظلم والكفر والله اعلم ثم قوله فان الله لا يهدي من يضل فيه ثلاث تأويلات احدها الا يهدي من يضل … لا يهدي
من يضل وله معنيان احدهما ان الله لا يهدي من يضله الله في سابق علمه لعلمه تعالى باختياره الضلال والثاني على التقديم
والتأخير كانه قال فان الله من يضل لا يهدي اي لا يهتدي … هداه … والثالث ما ذكر في الكتاب …
اي لا يهدي في الآخرة الجنة وطريقها من اضله في الدنيا لاختياره الضلال وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت * ذكر ان مشركي العرب كانوا لا يقسمون بالله الا فيما يعظم من الامر ويشتد عليهم تعظيما له ولهذا
انما كانوا يقسمون بالاصنام والاوثان التي عبدوها فاذا حلفوا بالله فذلك جهد ايمانهم فان قيل ما الحكمة والفائدة
في ذكر قسمهم الذي اقسموا في القرآن وجعل ذلك آية يتلى وذلك القسم الذي اقسموا كان بحضرة النبي وهم علموا ذلك الا … الانباء
والقصص التي كانت من قبل انه كان … شيئا غاب عنه لم يشهده فاخبرهم على ما كان ففي ذلك دلالة اثبات رسالته
ونبوته فالحكمة والفائدة من ذكرها في القرآن وجعلها آيات تتلى ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى واما القسم الذي اقسموا
ليس فيه ما ذكر من اثبات الرسالة وهم قد علموا ذلك فما الفائدة في ذكره قيل يحتمل ان يكون ذكره لنا لنعلم عظم
سفه اولئك وقلة عقلهم وحلم رسول الله واحتماله ما احتمل من الاذى والمكروه لنعلم نحن كيف نعامل السفهاء اهل
الفساد والعصبة من الناس على ما عامل رسول الله قومه مع عظم سفههم وقلة عقلهم فذلك فائدة ذكر قسمهم …
والله اعلم ثم انما اقسم اولئك الكفرة بالله انه لا يبعث من يموت تلبيسا منهم على الاتباع الآيات والحجج التي جاءت بها الرسل
على البعث والرسالة فان الكبراء منهم تكلفوا انما تلبيس على الاتباع بمكرهم بالنسبة الى السحر مرة بالنسبة الى الافتراء
ومرة بالنسبة الى الجنون ومرة بالتهمة لما انه … يريدون بذلك التلبيس على السفلة والاتباع فعلى ذلك اقسموا بالله

جهد ايمانهم انهم لا يبعثون لما تقرر عندهم ان القسم بالله لا يكون الا في امر عظيم ولغاية التأكيد حتى يلبسوا امر البعث عليهم
ثم البعث واجب بالحكمة والعقل واخبار الرسل اذ ليس … تصديق اخبار الرسل وهم ممن يقبلون الاخبار في الجملة وانما
الرسل اولى بالقبول والتصديق من غيرهم لان معهم آيات صدقهم ودلالات تحقيقهم واما العقل وذلك ان يكون هذا
العالم وانشاؤه للفناء خاصة خارج عن الحكمة اذ كل عمل لا يكون له عاقبة عبث وهو كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون اخبر انه اذا لم يكن رجوع اليه يكون خلقه اياهم عبثا وان الحكمة توجب الانتقام للمظلوم من الظلمة … للطائع
والاحسان لاهل الاحسان وكذلك التفريق بين الاولياء والاعداء واجب في الحكمة وقد جمعهم في هذه الدنيا
فلو لم يكن البعث والحياة بعد الموت لينتقم من الظالم للمظلوم ويجزي المحسن باحسانه تذهب فائدة الترغيب على الطاعة
والاحسان والوعيد على الظلم الا الانتقام للمظلوم فدل على ان البعث واجب للوجوه التي ذكرنا والله الموفق وقوله تعالى بلى
وعدا عليه حقا * قوله بلى رد لقولهم لا يبعث الله من يموت فقال بلى يبعث وقوله وعدا عليه حقا يحتمل وعدا عليه
اي وعدا انه يبعثهم حق عليه ان ينجز ما وعد ويحتمل الحق عليه ان يبعث … له والله اعلم وقوله تعالى ولكن
اكثر الناس لا يعلمون * هذا يحتمل وجهين احدهما نفى عنهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم كما نفى عنهم السمع والبصر ونحوها
من الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع ما لذلك كان خلقها فنفى ذلك عنهم والثاني يحتمل انه نفى حقيقة العلم لكنهم
لانهم لم ينظروا ولم يتأملوا في الآيات والاسباب التي بها يحصل لهم الوصول الى العلم … لهم …
لهم سبيل الوصول الى العلم … بالنظر والتأمل في الآيات والحجج لكنهم شغلوا انفسهم في غيرها ولم ينظروا في الاسباب التي
جعلها لهم سبيل الوصول اليه … ان من جهل امر الله … يكون مؤاخذا به … ان جعل لهم سبيل الوصول
اليه بالدلائل والاسباب فلا يخرج مؤاخذته اياهم وعقوبته بترك امره عن الحكمة وكذلك الشاهد من … عبده سببا
ثم لم يعلمه ما امر به ثم عاقبه فذلك خارج عن الحكمة اذ لا سبيل له الى الوصول بما امر به الا بالتعليم ولم يكن منه تضييع …
لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم الا … الوعيد الشديد … بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين ثم قوله وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل … ليعلم اتباعهم … انهم كانوا كاذبين
والاتباع الرؤساء منهم … انهم كانوا كاذبين ويحتمل … لما ادعى اولئك الكفرة ان الآخرة لهم كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فقال … ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في ادعائهم الآخرة لانفسهم وقوله
ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال بعضهم انما اختلفوا في البعث فمنهم من صدق ذلك ومنهم من كذب به فقال فيبين لهم
ذلك ويحتمل في كل ما اختلفوا فيه من الدين والمذهب كل ادعى دينا ومذهبا … غيره الى دينه ومذهبه فيبين لهم المحق
من المبطل والصادق منهم من الكاذب وقوله تعالى وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل كفرهم بالبعث و
انكارهم اياه او كفروا برسل الله وبآياته وحججه اي ليعلموا انهم كانوا كاذبين في انكارهم ما انكروا من الآخرة فيبين لهم ذلك
والله اعلم وقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون * يخبر عن سرعة نفاذ امره وسهولة الامر عليه
انه يكون اسرع من لحظة بصر … وفيه دلالة ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء لانه عبر بكن عن تكوينه … عن التكوين
… انما قولنا لشيء … التكوين … شيئا اذ كان
معدوما … الوجود ثبت ان التكوين غير المكون ثم لا يخلو اما ان يكون التكوين … الى ما لا نهاية له …
… واما الحدث … والله الموفق … ان من كان … كسبا
… سمي … مختصا باسم … الحركة يسمى متحركا …
سمي ساكنا فلو كان … فعل الله تعالى … فيسمى …
صغير كبير … فعل الله …
وانه بذاته … وقوله تعالى والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا * كان ظلمهم اياهم على وجوه منهم من ظلم بالاخراج من …
الذين … ومنهم من ظلم بالمنع من الهجرة الى رسول الله ومنهم من ظلم بالمنع …
رسول الله … لنبوئنهم في الدنيا حسنة فقال لنبوئنهم في الدنيا حسنة …
لتعطينهم … في الدنيا حسنة يحتمل الحسنة … الذل … بعد الضيق … والنصر
الغلبة … في ايدي الاعداء … ان الحسنة التي … في الدنيا
والله اعلم وقوله تعالى ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون * يشبه ان يكون ذكر هذا … الكفرة …
لما … في الدنيا … وهم … اهل الكفر … ولاجر
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون … المهاجرين … عليهم ذلك والله اعلم ثم قوله
والذين هاجروا … المهاجرة … قطعوا ارحامهم … ومكاسبهم … ديارهم …

تعالى مكان الأرحام والأقارب إخوانا وأخلاء وإخوانا ومكانا من الأمر الأخرى وكذلك الدور وكل شيء تركوها هنالك فأبدلهم مكان ذلك كله والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يحتمل قوله صبروا على أمر أو صبروا على التحرم والانقطاع لما ذهب عنهم وفراق ما كان لهم وقوله ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال الحسن أي على ربهم يثقون في إنجاز ما وعد لهم في الآخرة أنه ينجز ذلك والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ هذا والله أعلم يكون على إثر كلام كان من الكفرة نحو ما قال أهل التأويل إنهم قالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل عليه الملائكة ونحوه من الكلام فقال تعالى جوابا لقولهم ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ أي لا بشرا أفلم يرسل من غير البشر فيكون قوله رجالا كناية عن البشر ويكون قوله ﴿إلا رجالا نوحي إليهم﴾ أي لم يبعث من النساء رسولا إنما بعث من الرجال لا من النساء. وقوله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ قال بعضهم يعني أهل الكتاب ولكن معناه لو سألتم أهل الذكر لأخبروكم أنه لم يبعث رسولا من قبل إلا من البشر وقال بعضهم هو لأمر بالسؤال أو سلوا أهل الذكر وقلدوهم لئن كان لا بد من التقليد فقلدوا أهل الذكر واسألوا عنهم لأنهم يعلمون ذلك في كتبهم ويحتمل قوله فاسألوا أهل الذكر أي أهل الشرف من أهل الكتاب ليبينوا لكم البينات والزبر لأنهم يأنفون من الكذب والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر﴾ قال بعضهم فاسألوا أهل الذكر وقلدوهم إن كنتم لا تعلمون بالبينات والحجج لأنهم كانوا أهل تقليد لم يكونوا أهل نظر وتذكر في الحجج والبينات ويحتمل أن يكون قوله بالبينات والزبر الكتب المتقدمة التي أتت بها الرسل فيكون على التقديم والتأخير على ما قال بعض أهل التأويل كأنه قال وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم بالبينات والزبر فاسألوهم ليخبروكم أن الرسل إنما بعثوا من البشر إن كنتم لا تعلمون. وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ قيل أنزلنا إليك القرآن لتبين لهم ما لحقهم من كتبهم وبدلوه وغيره فيكون فيه آية لرسالتك ويحتمل أن يكون الذكر أنزل إليه كالمنزل إليهم حيث ذكر أنه يبين لهم ما أنزل إليه ويحتمل أي ليبين للناس من أنباء الغيب ما غاب عنهم من الله عليهم وما لبعضهم على بعض وليبين لهم جميع ما يأتون ويسعون وما يحل وما يحرم. وقوله تعالى: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ أي يتفكرون في نحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض﴾ قد ذكرنا أن حرف الاستفهام إذا كان من الله تعالى غير محتمل ذلك وهو على الإيجاب ثم هو يخرج على وجهين أحدهما على الخبر أنهم قد أمنوا مكر الله والثاني على النهي أي لا تأمنوا كقوله فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون هذا يشبه أن يكون هذا الذي ذكر أنه أخبر عن أمنهم مكر الله وعلى النهي أي لا تأمنوا كقوله أفأمنوا مكر الله ثم أخبر أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وقال في موضع آخر إلا القوم الكافرون لأنهم كذبوا الرسل فيما أوعدوا وأطمعوا بالعذاب فأمنوا لذلك ولم يعرفوا الله ولم يعرفوا حقوقه ونعمته فأما من عرف الله وعرف حقوقه ونعمته ونقمته فلا يأمن مكره والله أعلم. ثم قوله مكروا السيئات قال بعضهم مكرهم السيئات ما مكروا برسول الله وأصحابه ما أرادوا بهم ذلك لشاءهم وما ظاهروا عليهم عدوهم وقال بعضهم مكرهم السيئات هو أعمالهم الخبيثة التي عملوها وكل ذلك كان منهم مكروا برسول الله وأصحابه وكانوا ظاهروا عليهم عدوهم وقد عملوا الأعمال الخبيثة السيئة. وقوله تعالى: ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ أي أفأمنوا حين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض. وقوله تعالى: ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي في الحال التي لا يكونون آمنين ولا خائفين. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ قيل في أسفارهم وفي تجاراتهم لأن الناس إنما يسافرون ويتجرون في البلدان في حال أمنهم. وقوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال بعضهم على تنقص من الأموال وغيرها كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وقال بعضهم أو يأخذهم على تخوف أي يأخذ قرية فقرية وبلدة فبلدة حتى يأتي قريبا منهم ثم يأخذهم وكل ما أخذ قرية كان لهم من ذلك خوف فذلك الأخذ بتخوف وهو ما قال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله تحل قريبا من دارهم كان يخوفهم حتى ينزل بساحتهم فذلك الأخذ بالتخوف وجملته الجملة أن عذابه لا يؤمن حلوله وأن أخذه إياهم في جميع الأحوال في الحال التي ليس لهم أمن ولا خوف أي لم يغلب أحد على هذا وفي الحال التي يكونون آمنين في تقلبهم وحوائجهم وفي الحال التي يكونون متخوفين والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿فإن ربكم لرءوف رحيم﴾ حيث لم يستأصلكم ولم يأخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله والتكذيب لرسله والمكابرة لآياته وحججه وقد كان أهلكم وأخر ذلك عنكم ويحتمل رءوف رحيم أي إذا تبتم ورجعتم عما كان منكم يرحمكم ويغفر لكم ذلك. وقوله تعالى: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله﴾ قوله أولم يروا يحتمل وجهين أحدهما أن قال ذلك لقوم قد تقرر عندهم وثبت أن كل شيء يسجد لله ويخضع له فقال ذلك لهم على العتاب لكم إذ علمتم أن كل شيء لم يركب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والسمع يخضع له ويسجد له ويسبح فما بالكم لا تخضعون له مما ركب فيكم العقول وجعل فيكم الأفهام وغيرها والله

والثاني

والثاني على الأمر أن اعلموا أن كل شيء من خلق الله يسجد له ويخضع وقد قام عليهم من الحجة على ذلك ما لو تأملوا وتفكروا لعلموا أن كل ذلك يخضع ويسجد ويسبح والأظهر قوله أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء أن يقول لو لم أن كان الخطاب لأهل مكة على ما ذكر أهل التأويل لكن يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرتهما والله أعلم ويشبه أن يكون قوله أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء الآية الخطاب لأهل الإسلام لما أنهم كانوا استوحشوا من عبادة أولئك الكفرة الأصنام وتعظيم ما قالوا في الله ما قالوا فقال كذلك ولم يروا إلى ما خلق الله من شيء الآية أي إن لم يعبد هؤلاء الكفرة ولم يخضع له فكل الأشياء خاضعة له ثم قوله يتفيأ ظلاله قال بعضهم يريد بالظلال الشخص ذلك الشيء والظلال كناية عن الشخص كما يقال فلان استظل بفلان أي بشخصه وقال بعضهم أراد بالظلال الظل نفسه لكن خضوعه وسجوده إنما يظهر عند قيام الشمس والقمر وعلى تأويل من يجعل كناية عن الشخص يجعل كل نفس يتفيأ خضوعا له وسجودا ثم معنى سجود هذه الأشياء هذه الأشياء الموات وخضوعها من نحو قوله يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ومن نحو قوله يسبحن بالعشي والإشراق وقوله يا جبال أوبي معه والطير وقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقوله تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا وأمثالها يحتمل وجوها أحدها أن يجعل الله تعالى بلطفه في سريته هذه الأشياء معنى يعلم السجود لله وهو أن يجعل فيها الحياة والعلم على وجه لا يظهر منها آثار الحياة بلطف تدبيره وهو كما ذكر في الريح وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أخبر أنها تجري بأمره فكأنها تعلم أمر الله وقال شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أخبر أنها تشهد وتنطق ولولا أنها تفهم وتعلم الخطاب لما خوطبت وإن كانت مواتا من حيث الظاهر لما جعل في سريتها معنى الحياة والعلم والتمييز على ذلك تسبيحها وخضوعها وسجودها والله أعلم والثاني يكون سجود هذه الأشياء وتسبيحها بالتسخير والاضطرار أي جعلها مسخرة لتلك الأفعال فيها من اضطرار كما يخلق الجريان في الماء والحركة في اليد المرتعشة اضطرارا بلا حياة في اليد والثالث أن المراد من السجود والخضوع والتسبيح من حيث الخلقة أي جعل خلقة هذه الأشياء له وشاهدة على وحدانية الله وألوهيته وعلى تنزيهه وتسبيحه عما يقوله الملحدون خاضعة له بالخلقة التي جعلها والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وهم داخرون﴾ أي صاغرون ذليلون. وقوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ ذكر هنا والله أعلم أنه يسجد له أعلى الخلائق وأعلاهم وهم الملائكة ويسجد له أشد الخلق وأصلبه وهو الجبال والسماوات والأرض ويسجد له … أسفه الخلق وأجهله وهو الدواب وغيرها فكأنه يقول للكفرة إنه يسجد له هذه الأشياء وأنتم أبيتم السجود له والخضوع واستكبرتم عن عبادته وهؤلاء الذين ذكرتهم لا يستكبرون عن عبادته يخبر عن سفه أولئك في إبائهم السجود له والخضوع واستكبارهم عليه والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ قال بعضهم خوف الملائكة والرسل خوف هيبة من الله لا لشيء يصيبهم وكذلك رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يتصل إليهم والله أعلم وقال بعضهم خوف الملائكة والرسل خوف أن يكون العقوبة والانتقام لأنهم ممتحنون وكل ممتحن يخاف عقاب الله ونقمته ألا ترى أنه كيف أوعدهم العذاب بقوله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال إبراهيم واجنبني وبني أن نعبد الأصنام خاف عبادة غير الله ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه والله أعلم ثم قوله من فوقهم الفوق والتحت والأسفل وضع من الأمكنة والمجالس لمن فيه فضل عز وشرف ومرتبة ولا الذل والخضوع والهوان لما يجوز أن يكون هذا لله كان فوق علو المكان والمجلس تحته وأسفل منه في المرتبة والقدر … مكانا ولا إنما كان تحته ذل وهوان فدل هذا على أنه لا يفهم من فوقه فوق المكان ولا من تحته لأن من صعد الجبال والأمكنة المرتفعة لا يوصف بالعلو والعظمة فإذا قيل فلان على العراق وعلى خراسان كان ذلك تعظيما له لا نذكره بالقدرة والسلطان ونفاذ الأمر والمشيئة فيهم ويحتمل اطلاعه على جميع ما يسرون ويضمرون ويعلنون ويظهرون وعلمه بجميع ما لهم على أحد يجوز أن يتأول الفوق. وقوله تعالى: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ وصفهم بفضل طاعتهم له وخضوعهم إياه وهو ما قال إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وقال وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقوله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد﴾ لا نعلم أن الخطاب بهذا لمن كان الخطاب لأهل مكة فهو مشكل لأنهم اتخذوا آلهة بقولهم أجعل الآلهة إلها واحدا الآية لأن يخاطب بالثنوية والزنادقة فإنهم يقولون باثنين ويحتمل أن يكون المراد من ذكر اثنين إنما هو نهي الزيادة على الواحد كأنه قال لا تتخذوا أو لا تعبدوا أكثر من الواحد ويشبه أن يكون المراد بالخطاب أهل مكة لأنهم اتخذوا آلهة فإنهم في الحقيقة عابدون لأنهم إنما كانوا يعبدون تلك الأصنام بأمر الشيطان وطاعتهم إياه فنسب العبادة له لما أمرهم بعبادة هذه الأصنام ألا ترى أن إبراهيم قال لأبيه يا أبت لا تعبد

الشيطان واذ كان هو في الظاهر لا يعبد الشيطان لكن لما كان يأمره بعبادة الاصنام اضاف العبادة اليه والله اعلم وقوله تعالى
فاياي فارهبون ۞ اي خافوني ولا تخافوا الاصنام التي تعبدونها فانكم ان تركتم عبادتها لا تضركم وان تركتم عبادتي
لا تنفعكم وقوله تعالى وله ما في السموات والارض ۞ اي وله يخضع ما في السموات والارض وانتم لا تخضعون وما في السموات
والارض اي وله يخضع ما في السموات والارض وانتم لا تخضعون وما في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه فكيف
اشركتم عبيده في الوهيته وربوبيته وقوله تعالى وله الدين واصبا ۞ اي دائبا دائما لان غير الدين الاسلام كل ما هو
دين الله كله يبطل ويضمحل ويبقى دينه في الدنيا جميعا وقال بعضهم وله الدين واصبا اي مخلصا من الوصب والتعب
واراد بهذا والله اعلم اي وله دين لا يوصل اليه الا بتعب وجهد واجتهاد وتعب ليخلصوا له الدين خالصا قوله
واصبا اي مخلصا وقوله تعالى افغير الله تتقون ۞ اي تخافون غير الله تتقون اي تتقوا مخالفة الله ولا تتقوا مخالفة
غيره ويحتمل اي تتقون غير الله ولا تخافوا سواه فاتقوا الله واتقوا نقمته وخافوه وقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم
اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ۞ اي تتضرعون يخبر عن سفههم وقلة عقلهم انهم يعلمون ان له ما في السموات والارض
وان ذلك كله ملكه وان ما لهم من النعمة منه وما يحل بهم من الشدة والبلاء هو الكاشف لهم والدافع عنهم ثم يكفرون
ويصرفون شكر ما انعم من النعم الى غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء فيقول انا المنعم عليكم تلك
النعم وانا المالك الكشف عنكم لا الاصنام التي عبدتموها فكيف كفرتم بي في وقت الرخاء والسعة واستغثتم في
الضيق والشدة او كانوا يخلصون له الدين في الاوقات كلها بقوله وله الدين واصبا لا تتركون الايمان في وقت دون وقت
لين وقت كذلك كانت عادتهم يكفرون بربهم في الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال البلاء والشدة كما اخبر عنهم بقوله
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وغيره ويحتمل ان يكون ضرا لجهل على المسلمين
والقتال معهم طلبا المعنى لان من عادتهم الايمان في وقت البلاء والشدة وقد فرض عليهم القتال معهم ليضطروا الى الايمان
فيؤمنوا ويبقوا الايمان وقد فرض القتال معهم كي يكونوا اهل الاسلام ويدخلوا فيه ويحاجوا وكان قبل ذلك يدعون
ولحد افواجا والله اعلم وفيه دلالة اثبات الرسالة حيث قال وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون فاخبر عما عملوا وقد اسروه في انفسهم ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى
والله اعلم وقوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم ۞ وهذا يحتمل وجهين
احدهما ان يجعلوا ما آتاهم الله وانعم عليهم سبب كفرهم بالله والثاني اي ليكفروا بنعم الله بسبب عبادتهم الاصنام وترك
الشكر كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها والله اعلم وقال ابو بكر الاصم ليكفروا بما آتيناهم اي
بالقرآن ويشبه ان يكون هذا الخبر عن سفههم من وجه آخر وهو انهم لو رأوا في البشر احدا يطلع ويخضع لاحد
دافع بلاء عنهم او جالب نفع اليهم فالاصنام التي عبدوها ليس فيها دفع بلاء ولا جر نفع فلماذا عبدوها والله اعلم
وقوله تعالى فتمتعوا فسوف تعلمون ۞ هذا وعيد من الله لهم يقول فسوف تعلمون ما يحل بكم اذا نزل بهم عذابه فرقوا وفي قوله وما بكم
من نعمة فمن الله الاية موعظة للمؤمنين لانه اخبر منهم يتضرعون الى الله اذا اصابهم الضر والبلاء واذا كشف ذلك
تركوا ذلك التضرع ونسوا ربهم فيعظهم مثل صنيع اولئك والله اعلم وقوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
مما رزقناهم ۞ اي يجعلون للاوثان والاصنام التي يعبدونها نصيبا مما رزقناهم من الانعام والحرث على ما
جعل لهم كما اخبر عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
حرموا على انفسهم ما جعل للشركاء وجعلوه لالهتهم ويحتمل ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم وهو الشيطان اي
الذي كان ذلك للشيطان في الحقيقة لانه هو الذي امرهم بذلك وهو الذي دعاهم الى ذلك وهو كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان
لا احد يقصد فيقصد عبادة الشيطان لا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم اذا عبدوا الاوثان كانهم
عبدوا الشيطان لانه هو الذي امرهم بذلك وهو دعاهم اليه فعلى ذلك ما يجعلون للاوثان فذلك للشيطان كما ذكرنا
ولا يعلمون ان لهم في ذلك نصيبا والله اعلم ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي يعلمون انه ليس لها نصيب
في ذلك ولكن يجعلون ذلك لها على علم منهم ان لا نصيب لها في ذلك وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض اي اتنبئون الله بما يعلم انه ليس فيهما اي يعلم غير الذي تنبئون تزعمونه ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
يقولون نجعل لما لا يملكون نجعل ذلك وقوله تعالى تالله لتسألن عما كنتم تفترون ۞ يحتمل قوله تفترون تسميتهم الاصنام
آلهة ويحتمل قوله تفترون تسميتهم الاصنام آلهة ويحتمل افتراءهم على الله كما قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها آباءنا والله امرنا بها نعلم انما فعلوا وفعل آباؤهم كان بامر الله ورضاه محتجين بهم على ذلك فقال الله انه لتسألن
ثم قوله تالله لتسألن يحتمل السؤال بمعنى الجزاء اي والله لتجزون بما كنتم تفترون ويحتمل ان يكون السؤال سؤال حجة اي
يسألون الحجة على ما ادعوا على الله من الامر لهم بالفاحشة بقولهم والله امرنا بها واقسم لهم وقوله تعالى ويجعلون لله
البنات ۞ اي يقولون لله البنات يخبر عن شدة سفههم حيث يأنفون ويستحيون من البنات ثم ينسبون ذلك الى الله ويصفونه

اليه يصير

اليه ليصير رسوله على اذى الكفرة حيث قالوا فيه انه ساحر وانه مجنون وانه مفترى فصبر على ذلك ثم قالوا الله على علم منهم
ويقينا انه ربهم وفي الفهم ودارتهم تكذيب لرسالته واولى بالصبر على تعلمهم والحلم منهم وقوله تعالى سبحانه كلمة تنزيه
عما قالوا فيه وحرف تعجب حيث نسبوا الى الله ما كرهوا لانفسهم وقوله تعالى ولهم ما يشتهون ۞ ظاهر وقوله تعالى
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ۞ قال بعضهم قال ذلك على عادة العرب يقولون بيض الله وجهك
وسود الله وجهك ليس على ارادة السواد والقبح ولكن على ارادة ما يكرهون في ذلك الدلال حقيقة السواد والقبح ولكن
اراد ظهور اثر الكراهة في وجهه وقال الحسن ظل وجهه مسودا اي متغيرا من الغم وهو كظيم حزين وهكذا الرواية
في الناس اذا اشتد بهم الحزن والغم يظهر ذلك في وجوههم قبحا وسوادا والله اعلم وقوله تعالى يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به ايمسكه على هون يصبر ويستحيي ويصحبه ام يدسه في التراب اي يدفنه وهو حي فيقول انه يختار الدفن
بها الى ان فانه لحي بها وهي الموؤودة التي قال الله واذا الموؤودة سئلت باي ذنب قتلت وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون
في جعلهم لله ما يكرهون لانفسهم او في حكمهم والله امرنا بها او في قولهم وهذا لشركائنا والله اعلم وقوله تعالى للذين
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ۞ قال بعضهم مثل السوء اي لهم جزاء السوء وهو النار وقال الحسن مثل السوء اي صفة
السوء التي وصفوا بها ربهم انه اتخذ البنات ونحو ذلك ولله المثل الاعلى اي الصفة العلى التي ليس لها شبه اي صفة
لا تشبه الصفات كما قال ليس كمثله شيء لا تشبه النعات ويحتمل مثل السوء اي شبه السوء ويحتمل مثل السوء اي صفة السوء ونعته
فان كان على التشبيه فهو في الدنيا ما شبههم الله في غير اية من القرآن بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة وبالرماد
والتراب ونحوها وان كان على النعت والصفة فهو في الآخرة وهو ما ذكر ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما ونحو ذلك او يكون مثل السوء لهم ما سماهم الله مرضى او مرضا او مرضلة وحرمهم في الظلمات انما ردوا
وصفهم بهذه الاوصاف لما انكروا الآخرة وذلك مما يوجبه الحكمة والعقل والشريعة فلهم ذلك الوصف لما
ما يوجبه الحكمة والعقل والشرع والله اعلم وقوله تعالى ولله المثل الاعلى ۞ يحتمل لاوليائه المثل الاعلى وهم
المؤمنون لما ان الله وصف المؤمنين بالخشوع والخوف والعدل وغير ذلك من الاسماء الحسنة وذلك في الحقيقة لكنه
بفضله ورحمته وصفهم بها وسماهم بذلك فاضيف الى الله لما بفضله استوجبوا الاسم لا باستحقاق انفسهم وفي هذا انما
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الصلاة واولياء الله الاسماء الحسنى اضيف ذلك الى الله لما بفضله تستوجبون تلك
الاسماء التي سماهم فيصير قوله ولله المثل الاعلى اي لاوليائه المثل الاعلى كانه قال والذين يؤمنون بالآخرة المثل
الاعلى مقابل لما ذكر حيث قال للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم ۞ قال الحسن العزيز الذي ذل له
كل الاشياء كلها وكل شيء دونه ذليل الحكيم العدل منه في كل قضاء والله اعلم وقد ذكرنا في غير موضع
العزيز الحكيم وفي هذا الموضع كانه قال هو العزيز بنفسه لا بخلقه واوليائه كما يكون ملوك الارض عزهم بجندهم
وحشمهم فاذا ذهبوا وقصوا يصير مقهورا مغلوبا فاما الله تعالى هو عزيز بذاته لا بشيء والحكيم في انشائه الاشياء
منهم على علم منه بذلك لا يخرج فعله عن الحكمة وبالله التوفيق وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها
من دابة وقال في موضع ما ترك على ظهرها من دابة كقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الاية على انه لو يستأصل
ويهلكهم بما كان منهم لكنه بفضله تركهم الى المدة التي ضربها لهم لانه لو لم يكن له ذلك لم يكن للوعيد الذي اوعد
معنى وقال ابو بكر الاصم ليس لله ان يخلف بما اوعد في الوعيد ليس في حضرة نعمته ولا ان يمنع فضل اليه ولكن يجد
ما يوجبه الحكمة فلذلك انه يمهل لازم واجب معنى قوله لان الوعيد مما يوجبه الحكمة لكن يمهلهم بعد الوعيد
رحمة منه وفضلا على ذلك يحتمل ان يخرجهم من النار بعد ما ادخلهم فيها بما ارتكبوا من الكبائر فقوله ولو
يؤاخذ الله الناس بظلمهم الاية دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس لله امهال قوم ما قد علم منهم الايمان
في وقت او يكون في اصلابهم من يؤمن اذ قد كان يمهل وقد علم ذلك الوقت من بعضهم الايمان وفي اصلابهم من كان
يؤمن فكذلك يوعيدا انه فيتميز لك من علم انه يؤمن فاخرجهم او ابقاه اذ لا يوجد الاسماء الذين نفعل بعباده ما ليس ذلك
لهم باصلح لهم في الدين لان ذلك لا يخل الا بما ليس باصلح لهم في الدين ثم اختلف في قوله بظلمهم قال بعضهم هو
خاصة وقال بعضهم هو في المؤمنين كل من يكتسب زلة اذ ما من احد ارتكب زلة الا وقد استوجب العقوبة بذلك
والمؤاخذة لكنه بفضله عفا عمن شاء والله الموفق وقوله ما ترك عليها من دابة قال بعضهم اراد بالدابة الدابة التي
لا تخلقها الظلم اذ اهلك الناس اهلك الدواب لانما خلقها لهم وقال بعضهم ما ترك على ظهرها من دابة لان الدواب
انما تعيش بما كان يتعيش الناس فاذا اهلك الناس يهلك الدواب ايضا لما ذهب سبب عيشها والله اعلم ويجوز
ان يكون اراد بالدابة البشر ما تركهم على ظهر الارض ولكن نملكهم وسماهم دابة لانه ذكرهم في موضع الظلم حيث
كان سماهم في غير موضع بالاسماء الحسنة فقد سماهم في موضع آخر حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها ولا شك ان البشر دخلوا في هذه التسمية فعلى ذلك جائز دخولهم فيما ذكرنا والله اعلم فان كان المراد من الدابة

الدواب انفسها فلا ذا الدواب انما انشات للبشر ولمنافعهم فاذا اهلك البشر هلك المنتفع لهم والله اعلم وان كان المراد من الدابة البشر فيشكل ان الانبياء كيف يهلكون ولا ظلم لهم فنقول المراد به سوى الانبياء لان المؤاخذة اذا كانت بسبب الظلم وهو الاهلاك لا يتناول الانبياء ولمن لم يكن منه الظلم او كان المراد في وقت لم يكن فيه الانبياء فان كان فيهم مؤمنون لا من غير الانبياء لا يخلو عن الذنب صغيرة او كبيرة وكل ذلك سبب المؤاخذة واذا اخذ الكبار منهم واهلك بسبب الظلم هلك الصغار بسبب عدم المربي لا بظلمهم اذ لا ظلم لهم ويحتمل ما ترك على ظهرها من دابة من الانبياء وغيرهم اي لا هلك الكفرة وما كان الانبياء وللمعلوم لا بد الظلمة فاذا اهلكوا لم يولد الانبياء منهم ولكن ينقطع النسل ولكان وجود الانبياء على مجرى العادة على وجه الارض فيكون هلاكهم وان لا يوجدوا على وجه الارض يكون بسبب ظلم اباءهم والله اعلم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون • في الاية دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون جعل الله للخلق اجلا لا تم يجيء كافر فيقتله دون الوقت الاجل الذي جعل له فقد اخبر انهم لا يستاخرون بعد الاجل المضروب لهم ولا يستقدمون وهم يقولون بل يستقدم كافر بقتله ونحو ذلك من الفعل والله الموفق ثم قوله لا يستقدمون ساعة ولا يستقدمون يخرج على وجهين احدهما اي لا يتاخر الاجل الذي جعل لهم ساعة ولا يتقدم عن ذلك والثاني لا يجاب في التاخير لانهم لا يقدر ان يتقدموا وقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون • كانوا يجعلون لله اشياء يكرهون تلك الانفسهم من نحو البنات يقولون لله البنات ويكرهون لانفسهم ويجعلون له الشركاء من عبيده وكانوا يكرهون لانفسهم الشركاء من عبيدهم كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم يخبر عن غاية سفههم وسرفهم في القول ويخبر عن حلمه حيث لم يستأصلهم ولم يهلكهم بما قالوا فيه من عظيم القول ما لو كلف الشريك لتعلم انه لم يمهلهم لعقله ولا سفه ولكن لحلم لكي يحلم الخلق في ذات الله ولا يعجلوا بالعقوبة اذ لو كان اهلاكهم لا هلكهم ساعة قالوا ذلك ولا يمهلهم حتى يتوبون لكن اخرهم ليوم وهو ما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ويحتمل قوله ويجعلون لله ما يكرهون اي يجعلون لاوليائه ما يكرهون لانفسهم لانهم يقولون ان لهم الحسنى في الاخرة وهي الجنة وان للمؤمنين النار بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وهو تاويل قوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى على هذا التاويل اي الجنة وقال ابو بكر الاصم قوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى يقولون انا على دين الله وعلى الحق ويقولون ان لهم الحسنى يعنون انهم يحسنون في اعمالهم وما هم من دين ويحتمل ما قال بعضهم ان لهم الحسنى يعنون البنين لانهم كانوا يضيفون البنات الى الله وينسبون البنين الى انفسهم فذلك الحسنى الذي ذكر والا انا لكنا نعرف منهم دعوى الاشتراك مع المؤمنين في نعيم الاخرة كما كان لهم اشتراك في نعيم الدنيا كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ومنهم من ادعى الاخرة لانفسهم كما كانت لهم الدنيا خاصة اذ ذكره قوله ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى هم الذين ادعوا الحسنى وهي الجنة لانفسهم ثم اكذبهم الله في دعواهم بل لهم الحسنى فقال لا جرم ان لهم النار اي ليس لهم الحسنى على ما زعموا ولكن لهم النار تعتقد ذكرنا قوله لا جرم فيما تقدم وقوله تعالى وانهم مفرطون هو من الفرط وهو السبق والتقدم كان الاية في الرؤساء منهم لضلالهم سابقون اتباعهم الى النار وهو كقوله وقالت اولاهم لاخراهم لا اولاهم المتبوعون واخراهم الاتباع وقال بعضهم معجلون الى النار من بين اتباعهم وهو ما ذكرنا وقال بعضهم مفرطون او متروكون منسيون في النار وقال بعضهم مفرطون مبعدون من رحمة الله لكن هذا التاويل ليس بتاويل الاية في الحقيقة اذ كل من في النار فهو منسي متروك فيها مبعد من رحمة الله وقال بعضهم وانهم مفرطون اي وانهم مدخلون فيها والوجه ما ذكرنا وقوله تعالى تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك • لا يحتمل ان يكون هذا القسم من الله على الابتداء من غير سابقة امر لكن كانه على انكار كان منهم وتكذيب للرسالة فعند ذلك اقسم بقوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي كما ارسلناك الى امتك ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لامتك فهو كان وليهم يومئذ كما هو ولي لامتك اليوم ويحتمل قوله فزين لهم الشيطان اعمالهم اي ليس هؤلاء باول من زين لهم الشيطان اعمالهم فهو الامم الماضية من زين لهم الشيطان اعمالهم فكذبوا رسلهم فلست انت باول مكذب بل كان الرسل كلهم كذبت وقوله تعالى فهو وليهم اليوم • قال بعضهم فهو وليهم في الدنيا لان الدنيا هي دار الولاية بينهم كقوله بعضهم اولياء بعض وقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت واما في الاخرة فيصيرون اعداء كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ولا يحتمل ان يكونوا اولياء في الاخرة ثم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض فذلك علامة العداوة والله اعلم ويحتمل فهو وليهم اليوم في الاخرة اي الشيطان او لى بهم فيقرن بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقيل فهو وليهم اي صاحبهم وقرينهم كقوله فهو له قرين وقوله احشروا الذين

ظلموا وازواجهم اي قرناءهم وهو وتحقيق ذلك وقوله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه قال بعضهم قوله الذي اختلفوا فيه الكتب التي كانت من قبل لانهم اختلفوا في كتبهم فمنهم من بدل ومنهم من غير وحرف والله اعلم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي في كتبهم لان هذا الكتاب انزل مصدقا لما بين يديه من الكتب فيبين هذا الكتاب ما اختلفوا في كتبهم الحق من الباطل وقال بعضهم الذي اختلفوا فيه في الاديان وفي الكتاب المنزل عليه لانهم اختلفوا في ذلك كله فبين لهم الحق من الباطل في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي انزل عليه اذ فيه انباء الامم الماضية ولم يشهدها ولا اختلف الى من يخبره عنها فاخبر على ما كان فيدل انه انما عرف ذلك بالله وفيه تثبيت لرسالته ومنه دلالة ان الحوادث التي قد انقطعت تتوسلون بها الى يوم القيمة جعل لهم سبل الوصول الى بيانها بهذا الكتاب اما بيانا بتصريح واما بيانا بكناية حيث قال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه حيث لم يدعهم والاختلاف على غير بيان فعل ذلك حيث علم انهم يبتلون بالحوادث التي ليست بمنصوص عليها في الكتاب لا يحتمل ان لا يبين لهم ذلك ويدعهم حيارى لكن البيان على وجهين بيان تصريح يعقل ببديهته العقل وبيان كناية يدرك ذلك بالنظر والتامل والاستدلال والله اعلم واصله قوله وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي الا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه لانهم اختلفوا في الحق في ذلك لان كل فريق ادعى انه المحق وان الذي هو عليه حق وان غيره على باطل فاخبر انا انزلنا الكتاب عليه ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه والله اعلم وقوله تعالى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون • سماه هدى ورحمة لهم لانهم امنوا به وصدقوه وقبلوه فصار ذلك لهم رحمة وهدى ونورا فاما من كذب به ولم يقبله صار هذا عليهم وعمى وهو كقوله واما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقوله وهو عليهم عمى والله اعلم وقوله تعالى والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها • يذكر قدرته وسلطانه حيث احيى انه انزل من السماء ماء فيحيي به الارض وهي ميتة ويخرج منها نباتا وزروعا واشجارا فمن قدر على هذا لقادر على احياء الانفس بعد موتها اذ لا فرق بين الاحياءين فمن قدر على احدهما قدر على الاخر وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يسمعون • قال بعضهم يسمعون المواعظ وقال بعضهم يسمعون الايات والحجج والمعنى لم يسمع فلا يكون له اية واصله ان في ذلك لاية لقوم ينتفعون بسماعهم اي اية للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين يسمعون اياته ومواعظه فيكون هذا كناية عن المؤمنين والله اعلم وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة • العبرة الاية اي انشا لكم انعاما فيها الاية وهو صلة قوله والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها اي انزل من السماء ماء وانشا الانعام لكم فيها اية وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونه ذكر هاهنا التذكير وظاهره ان يذكر بالتانيث لانه اما ان يرجع الى الامهات التي يدر منهن وعنها اللبن او الى جماعة من الذكر وكيف ما كان يجب ان يذكر بالتانيث لكن بعضهم قالوا انما ذكر بلفظ التذكير على ارادة الاصل الذي كان به اللبن وهو الفحل وهذا يؤيد لابي حنيفة رحمه الله ان لبن الفحل يحرم فان وجد اللبن مضافا اليه وقال بعضهم انما ذكر بلفظ التذكير على ارادة الجنس والقوم من بين الاجناس والجواهر دون العدد والجماعة والله اعلم ثم استخرج الانسان في الانعام لبنا غداء لاولادها فوقعت لا يصل اليه بالعلف يجعل لاربابها الانتفاع بذلك اللبن وفي الاشياء التي لا يوكل لحمها يحصل لاربابها الانتفاع بما يفضل من اللبن والله اعلم وقوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين • قال ابن عباس رضي الله عنه استخرج اللبن من بين فرث ودم وذلك ان العلف اذا وقع في الكرش طحنه الكرش فيجعل الفرث اسفله والدم اعلاه واللبن بين ذلك ثم يسلط الكبد عليهم فيجعل الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش كما هو وقال بعض الفلاسفة ان العلف اذا وقع فيه يصير منه فرثا ثم يصير منه دما ثم يصير لبنا خالصا وهو كالنطفة التي وقعت في الرحم يصير علقة ثم يصير مضغة ما ذكر له فعلى ذلك اللبن الذي ذكر فيحتمل على ما قالت الفلاسفة ان العلف يصير فرثا ثم دما ثم لبنا ويحتمل ان يكون مخرج اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم كما قال ابن عباس فاي الوجهين كان ففيه اللطف لمن تذكر وقال القتبي الفرث ما في الكرش لان اللبن كان طعاما فخلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبن خالص وقوله سائغا اي سهلا في الشرب لا يشجى به ولا يغص شاربه وكذلك قال ابو عوسجة يقال اساغه اي ادخله في حلقه سهلا ووجه ذكر هذا والله اعلم على الامتنان وكذلك ما ذكر من الاعناب والثمرات ان لطف اخراج اللبن الصافي من الاشياء والطفها من بين اخبث الاشياء وكذلك ما في اخراج من قدر على حفظ هذا مما ذكرنا بلا حجاب بينهما وحاجز يحجز لقادر على انشاء الاشياء من لا شيء لان الحكيم لا يجوز على ان يذكر السبب الذي به حفظ هذا من هذا وامتنع من الخلط بالحيث ما ادركوا وكذلك ما يخرج من النخيل والكروم الثمرات الطيبة والاعناب الحلوة من غير ان يرى اثر ذلك فيها ومن غير ان يذكر السبب الذي به كان الاعناب والثمرات اذ هي خشبة يابسة دل انه قادر على الاشياء من لا شيء اذ هذا في البعد عن الوهم مثل ذلك البلوغ ثم عرفنا هذا بالحس والمشاهدة يجب القول في الاخر وانه بعد عن الوهم فبان قيام الدليل على الوجود والله الموفق وقوله تعالى ومن ثمرات

النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال بعضهم السكر ما يحرم من ثمرها والرزق الحسن ما يحل منها
والرزق الحسن ما يحل من ثمرها وقال بعضهم السكر ما يتخذ منه من الشراب والرزق الحسن ما يؤكل تمرا وزبيبا وقال بعضهم
السكر خمر الاعاجم والرزق الحسن ما ينبذونه ويخللونه ويأكلونه وروي في بعض الاخبار انه حرم السكر ولم يفسر الاية
وفي بعض الاخبار انه عليه السلام بعث معاذا الى اليمن وامره ان ينهاهم عن نبيذ السكر وعن عبد الله انه قال ان اولادكم ولدوا
على الفطرة فلا يسقوهم السكر فان الله عز وجل لم يجعل في حرام شفاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الحبشة الرزق
الحسن الزبيب ثم نسختها قوله يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الاية واختلف اهل التاويل في نزول هذه الاية قال بعضهم
نزلت قبل تحريم الخمر وقال آخرون نزلت بعد تحريم الخمر وكيف كان الامر في نزولها فان اهل العلم لا اختلاف بينهم في الانتصاف
في تحريم السكر ونقيع البسر ونقيع الزبيب اذا اسكر كثيرها او طبخ انها حرام وانما يختلفون في المطبوخ منها فان كانت هذه الاية
قبل نزول تحريم الخمر فتخرج على وجهين احدهما ان السكر كان حلالا اي تتخذون منه سكرا ما يشربون ورزقا حسنا [illegible] ثم
صار حراما بعد ذلك بتحريم الخمر وان كانت بعد نزول تحريم الخمر تخرج على التعيير والتوبيخ يجعلونه ويتخذون من ثمرات النخيل
والاعناب ما هو حلال لهم فيصيرونه حراما وهو كالذي بعضه حلال لهم من الدبس والزبيب والخل ونحو ذلك وهو كقوله
قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا والله اعلم وقوله تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من
الجبال بيوتا الى آخر ما ذكر قال بعضهم الهمها اي قذف في قلوبها والهمها ان تفعل ما ذكر والوحي هو المعروف [illegible]
وتوجه ونفاذه في العقل من غير ان يشير [illegible] فيه والمعتقد ويقع في قلبه ان احدا فعل ذلك والقاه فيه [illegible] يقول ان الله
مكن الشيطان من القاء الوسوسة في القلوب وقذفها فيها من غير ان يعلم الموسوس اليه والمقذوف في قلبه ان احدا القى اليه ذلك
او دسه ذلك وكذلك ما يلهم الملك بني آدم من اشياء من غير ان يعلم ان احدا [illegible] الى ذلك والقاه في قلوبهم [illegible]
على من مكن الملائكة والشياطين وهم طائفة من الملحدة يقولون ان الشهوات [illegible] النفس هي التي تبعثهم
وتهيجهم على ذلك لا الشيطان فيقال لهم ان الانسان قد يخطر بباله الاشياء ويقع في قلبه من غير ان كان منه في ذلك تفكر
واماني او سابق تدبير فدل ذلك على ان غيره القى ذلك في قلبه وقذف [illegible] هذا ايضا يدل على لطف الله
في البشر [illegible] الطاعات ويحببهم عليها من غير ان يعلموا ان احدا في ذلك صنيعا وكذلك يخذل [illegible] المعاصي
التي يكتسبونها والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يعقلون اي دليلا وبيانا للعقلاء ان الذي اخرج
لهم من الثمار من خشب يابسة لقادر ان يحيي الموتى ويخلق ما يشاء ويحتمل ذلك على ما ذكرنا والله الموفق ثم يحتمل قوله
ربك على ما ذكرنا والله الموفق ثم يحتمل قوله واوحى ربك الى النحل وغيرها من البهائم وجهين احدهما ان يجعل الله
هذه البهائم على طبائع [illegible] الطبع [illegible] ومعانيها [illegible] وما فيه صلاحها
من غير ان يعلمها احد [illegible] ونحو ذلك [illegible] ويأمر وينهى لكنها بالطبع تعرف وتعلم ذلك على نحو ما تعلم وتعرف اشياء
بالطباع تعرف وتعلم ذلك على نحو ما تعلم وتعرف اشياء بالطباع من غير ان يعلمها احد [illegible]
من غير ان يعلم [illegible] وكذا الطير يطير في الهواء من غير ان يعلم الطيران وكذا الصغار من البهائم [illegible]
من غير تعليم ونحو ذلك والثاني ان يكون الله تعالى جعل خلقة هذه الاشياء بالذي تقف على الحاجات [illegible]
ما لا يعرف مثلها البشر الا ترى ان البشر لا يعرف المهالك والمصالح الا ترى ان البشر لا يعرف المهالك [illegible] الا بالتعلم
الا بالتعلم والبهائم تعرف ذلك وانه يعرفه بها حتى يتوقى المهالك ويرغب في الصلاح وما يدل على ان هذه الاشياء
الامر والنهي والخطاب قوله تعالى شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء الا ترى انهم فهموا الخطاب [illegible] انطقنا الله
فدل ما ذكرنا والله اعلم ثم قيل الوحي والقذف في كل البهائم لا النحل خاصة لما ذكرنا من معرفة البهائم كلها المهالك
وما به معاشها وقوتها وما به فسادها وهلاكها كما كانت النحل ثم ان البهائم مما ذكرنا من غير تعلم والبشر لا يدرك الا بالتعلم
لوجهين احدهما المحنة والابتلاء ان البشر ممتحن بالتعلم وذلك يعني انه ممتحن والبهائم لا محنة عليهم ولا
ولا ابتلاء لهم ليس من اهل المحنة والابتلاء لعدم الالة وهي العقل فعرفوا ذلك على غير تعلم وليس بالتعلم والثاني يحتمل
ان كان ذلك للبشر بالتعلم ليفضل بعضهم على بعض في العلم بالتعلم ويفوق درجة العالم على درجة الجاهل اذ يقع التفاضل
والتفاوت فيه اذ بالعلم يثبت المرتبة والفضل والكمال فيجتهد كل في التعلم لينال الدرجة والمنزلة بسبب العلم
ولا كذلك البهائم فيستوي صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك والله اعلم فاذا كانت البهائم كلها مشتركة في ذلك الوحي
والالهام فما معنى تخصيص النحل بالذكر قيل يحتمل والله اعلم لما ان هذه الانعام غير النحل لا تعطي تلك الحكمة التي جعلت فيها
ولا تبذل البشر الا بالرياضة والتعليم والنحل تعطي لهم ويبذل من غير تعليم ولا رياضة وكان فيها بلاء وكان يخرج غيرها
من الحيوان والله اعلم وقوله تعالى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون اي ارشدها ودلها بطبعها ان اتخذي
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ان تتخذ مما يبني الانسان المسكنة ويحتمل ان تتخذ بيوتا من العرش وهو كذلك

يتخذ من الخشب وقال بعضهم امر بين الحيطان الى الاعلى [illegible]
ثم كلي من كل الثمرات قال بعضهم من كل الثمرات التي تاكل النحل [illegible] جميع انواع الثمرات
التي تكون في الجبال فاسلكي سبل ربك ذللا وهذا يخرج على وجهين احدهما اي سبل ربك وسهل الله
لها حتى تسلك كيف شئت [illegible] سبل ذللا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه [illegible]
شفاء للناس [illegible]
للناس لما فيهم [illegible] شفاء [illegible]
[illegible]
وتحسن [illegible] شفاء للاجساد والقلوب [illegible]
فان اراد الاجساد والقلوب فاذا اراد الاجساد فهو ما يكون بسبب وصول النفع اليها في الدنيا من المال والحياة
وفي الاخرة من النعيم الدائم يحصل به شفاء الابدان والقلوب جميعا وعن عبد الله قال القرآن والعسل هما الشفاءان القرآن
شفاء القلوب يحييها بسبب النظر والتأمل فيعرف التوحيد وانواع العبر بل شفاء الدين والعسل شفاء
الابدان ثم قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا وقوله ثم كلي من كل الثمرات وقوله فاسلكي ونحو ظاهره امر لكن حقيقته تمكين
وتسهيل لها ومثله كثير في القرآن ثم قال بعض اهل اللغة في قوله واوحى ربك الى النحل ان الوحي في كلام العرب على وجوه
منها وحي النبوة وهو ارسال الله الملائكة الى انبيائه ورسله كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية ومنها وحي
اشارة كقوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ومنها وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل وقوله واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه ومن الهام قوله يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ومنها وحي الاسرار كقوله يوحي بعضهم الى بعض
زخرف القول غرورا وقال بعضهم ان اصل الوحي عندنا هو ان يلقي الى صاحبه شيئا بالاستتار والاخفاء من
غير ان يعلم ذلك الا به ولكن اصل الوحي ما ذكرنا انه شيء به لسرعة [illegible] ووقوعه في القلب والله اعلم قال ابو بكر ان
الوحي ان يعلم الله [illegible] بشر وذلك على وجهين احدهما ان الله تعالى انشأ كل دابة [illegible] الانسان الى مصالحها
والهرب من مهالكها بما فطرها الله عليه كما ارشد الانسان الى ما يصلح به في دينه ودنياه بالتعلم [illegible]
ما فيه مصلحتها ومفسدتها بما فطرها عليه كما علم الانسان بالقول واللسان يعني قوله واوحى ربك الى النحل
اي ارشدها ودلها ان تطلب بها ان اتخذي من الجبال بيوتا وما ذكر والله اعلم ثم قوله يخرج من بطونها شراب مختلف
الوانه وفيما ذكرنا من الاية تحقيق قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وقوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا [illegible] على الانشاء من لا شيء [illegible] وتدبير لانه اخرج من هذه الجواهر المختلفة اشياء
من غير جوهرها وجنسها ما لا يكون شيء مما اكل منها هذه البهائم من الجواهر التي تخرج منها يعني العسل الذي تخرج من
الفواكه التي اكلت واللبن من العلف الذي اكل والعصير والسكر من الاعناب لكن اذ ليس شيء يخرج منها من جنس
ما اكل ولا من جوهر ما سقى ذلك ليكون دليلا على قدرته على انشاء الاشياء لا من شيء ولا سبب [illegible] لانه عليم [illegible]
وحكمته لانه انشأ ذلك اللبن من [illegible] على غير جوهر ما تناولته ومن خلاف لونه في تلك الظلمات وكذلك العسل يحدث
ويكون من اللبن بالعلف الذي يأكل والطعام الذي [illegible] والثمار التي تخرج ليس يكون بنفس الاكل او
بنفس الطعام والعلف ولكن باللطف من الله لانه قد يسقي الماء شجرة ونخلة ثم لا يكون فيها ثمر وكذلك الدواب تعلف
في وقت ولا يكون منها اللبن فدل ان ذلك باللطف كان والله الموفق وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
يعقول لعبرة ودليلا لمن تفكر فيما يشاهد ويعلم تدبير الله وتقديره وقدرته على ما يشاء والله الموفق
وقوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا قال الاية سبقت
لبيان المنة علينا [illegible] خلقنا [illegible] الحال التي ذكر وهي حال الحمل حتى لا يعلم شيئا
[illegible] الذي خلقكم ثم هو يتوفاكم وهو يرد بعضكم الى الحال التي لا يعلم
شيئا في ملكه وسلطانه [illegible] فكيف عبدتم الاصنام والاوثان التي لا تملك شيئا من ذلك [illegible] اشركتموها في الوهيته
وعبادته ويحتمل ان يذكر [illegible] كمال القدرة اي ان خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم [illegible] الحال

التي لا تعلمون شيئا بعد ما جعلكم عقلاء علماء فمن ملك هذا او يقدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت والبعث بعد
الفناء ويحتمل ان يذكر هذا ليعلموا انه لم يكن المقصود بخلقهم الفناء خاصة لكن لامر آخر اذ لو خلقهم للفناء لا لغيره
لما اخبر اعادهم الى ارذل العمر وقد ذكرنا ان الناس لا يرتابون لاكرهم ذلك وامتحنهم بذلك وبما ذكر فيما تقدم من انواع النعم ومحنهم
ما ذكر من الاشياء لهم اذ لو كان المقصود هو الفناء خاصة فلا معنى للتعليق من الاغذية والنعم التي انشأها لهم
والاشياء التي سخرها لهم فانها اسباب البقاء والله اعلم وقال ابو بكر الاصم ما الله خلقكم وكنتم نطفا امواتا فاحياكم
ثم يتوفاكم اطفالا او شيوخا ومنكم من يرد الى ارذل العمر فقد علم بعد قوة وعلم وتمييز الى الخرف والجهل ليتبين لكم قدرة
الله في الرزق ليس مما يثبت انه القوة والعلم والتدبير فانهما اذا كانا ثابتان ويرجع المرء الى الجهل والخرف ثم يلي ويغذى بغذاء
الاغذية ولكن بلطف من الله وتدبير منه بقاء الخلق الى مدة واجل اراده الله لا بالاغذية والله الموفق ثم الحكمة فيما ذكر من تعريف
الآجال لكيلا يموتوا ابدا خلافا فيني راحتين لانه لو كانت آجالهم واحدة باسره ويتعاطون ذلك على من لما يعلمون وقت نزول
الموت فيعتمدون عليها على عزم التوبة من بعد فلم يجعل آجالهم متحدة معلومة ليجد دنو فلما الموت في حال لا يتمكن من التوبة يستعد
لنزوله قبله بالتوبة او بالامتناع عما يحتاج فيه الى التوبة فطلب الحكمة والله اعلم لم يجعل اشراط الساعة التي لا تقبل بعدها
التوبة معلومة الوقت واخبرنا انها قريبة ليكون المرء على التوبة في كل حال حذرا من وقوعها والله اعلم والثاني ليعلموا
ان التدبير في انفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم لانه لو كان التدبير والامر لو كان اليهم لكان كل منهم يختار من الحال اما الموت
له ويختار كل طول العمر والقوة ونحو ذلك فقال الله تعالى ان الله عليم قدير اي عليم بما دبر في خلقه بما يعرفون
به قدرته في خلقهم وتصريف الامور بما يكون بحكمه حكماء ان الذي دبرها حكيم عليم قدير على ما شاء ولا قوة الا بالله
وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق قال بعض اهل التأويل ذكر هذا مقابل لما اشركوا خلقه وعبيده
في الوهيته وعبادته يقول لما فضل بعضكم على بعض في الرزق والاموال حتى بلغتم درجة السادة والموالي ثم لا ترضون
ان يكون عبيدكم وما ملكتم شركاء ملككم واموالكم فكيف ترضون لله ان يكون عبيده ومماليكه شركاء له في تسمية الالوهية
واستحقاق العبادة وقيل فضل بعضكم على بعض في الرزق لتكونوا ناظرين الى ذلك شاكرين له لانه لا يحسد بعضهم
بعضا الا انهم اذا رأوا ذلك من الله فضلا منه تركوا الحسد واليه رجعوا وله شكروا والله اعلم وقال ابو بكر الاصم قوله
فضل بعضكم على بعض اي اغنى بعضكم وافقر بعضكم وجعل منكم حرا وعبدا فما الذين فضلوا بالغنى والملك برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء اي ليس الذين فضلوا بالغنى والملك وهم الموالي برادي رزقهم على ما ملكتم
ويقيدهم حتى يستوي الموالي في العبيد والاملاك يقول فليس يرضى احدكم ان يكون عبده بمنزلته فيما يملك سواء واذا لم
ذلك فضلا لكم لو فعلتم فكيف زعمتم ان الله شرك بينه وبين الحجارة حتى اشركتم بينه وبين الاوثان في العبادة واشركتم
فيما آتاكم من الرزق بين الله وبينها فقلتم هذا لله وهذا لشركائنا وقوله تعالى افبنعمة الله يجحدون يقول انعم الله عليهم
بانفسهم وازواجهم واموالهم واولادهم فاشركوا غير الله فيها وجحدوا نعمة الله عليهم بها وعصوه بها وكفروا والله اعلم
ثم الزمهم الله تعالى النظر الى عين الفضل الذي كان من الله لا الى الاسباب التي اكتسبوها بما ذكر والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق ليعلموا انهم لم ينالوا ذلك الفضل باستحقاق منهم ونفعلهم بل انما نالوا ذلك الفضل بفضل منه ورحمة
فيكون ذلك دليلا لهم فيما انكروا من افضال الله في اختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وانكارهم جميعا من بشر وهم من جنس
واحد على ما فضل بعضهم على بعض في الرزق والسعة والملك والحرية والسلطان وان كانوا جميعا من جنس الجنس
واحدا فاذا لم ينكروا هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف انكرتم الفضل والاختصاص بالرسالة
من فضله ورحمته لبعض دون بعض وذلك قال الله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اخبر انه برحمته وفضله نال من نال الرسالة وغيرها لا باستحقاق واستيجاب
كان منهم والله اعلم ويحتمل ان يذكر سفههم بانهم يأنفون ان يشركوا عبيدهم وما ملكتهم في ملكهم واموالهم ولهم
منهم منافع من الخدمة والاعانة في الامور ثم ابوا لهم ان يشركوا الحجارة والخشب لا منفعة لاحد فيها في الوهية وعبادة
وقوله افبنعمة الله يجحدون وعلى تأويل النبوة ابفضل الله ورحمته يجحدون انه لا يفضل بعضا على بعض بالرسالة
او يجحدون ما آتاهم الله من النعم فيصرفون شكر نعمه الى غيرهم وهو الاصنام التي عبدوها فقالوا هذا لشركائنا او يصرفون
شكر نعمه الى غيره وهو الاوثان التي عبدوها والله اعلم وقوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من
ازواجكم بنين وحفدة قال الحسن وغيره الحفدة الخدم والمماليك فيكون على التقديم والتأخير كانه يقول جعل لكم
من انفسكم ازواجا وخدما من جنسكم لانه ذكر فيما تقدم والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الاية يذكرهم
نعمه وفضله الذي ذكر انه جعل لكم من جنسكم ازواجا وخدما احتاج اليكم تستمتعون بالازواج وتستمتعون بالخدم
والمماليك وهم من جنسكم وجوهركم ثم ذكر فضله ونعمه عليهم وبين انهم كرهوا هذا اصله قوله واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا وهو كظيم كانوا يأنفون من البنات ويدفنونهن احياء اذا ولدن انفة منهن كانه يقول والله اعلم كيف

تأنفون منهن وقد جعل لكم من البنات ازواجا تستمتعون بهن حتى لا تصبروا عنهن وكذلك جعل لكم من البنات
البنين الذين ترغب انفسكم فيهم ما لولا البنات لم يكن لكم الازواج اللاتي تستمتعون بهن ولم يكن لكم البنون
الذين ترغبون فيهم ولا الانصار والاعوان والخدم الذين ترغبون فيهم بذكر تناقضهم في الانفة في البنات
ومنهن يكون ما يرغبون فيه والله الموفق وفي الاية دلالة على ان النساء يصرن كالمماليك للازواج ويصرن تحت
ايديهم في حق الاستمتاع كالمماليك في حق ملك الرقاب ثم جعل التناسل في الخلق على التفاوت من حال الى حال وعلم
ابدا كذلك ليكون ما ذكر للتدبير والنظر في آياته ودلالاته ولو شاء لانشأ الخلق كله مرة واحدة وافناهم بدفعة
بدفعة واحدة وكذلك ما جعل لهم من الارزاق وانواع النبات لو شاء لاخرج لهم ذلك مرة واحدة في وقت واحد
لكنه انشأ لهم بالتفاوت ليذكرهم النظر في آياته وتدبيره ليكون ذلك لهم داعيا الى المرغوب والحذر للمرهوب وكذلك
ما ورد من الانباء والقصص ما لو عيد ذكر الجمع والاتيان في القرآن في غير موضع ليكون ذلك يبعثهم ويحثهم على
النظر في آياته ويرغبهم في كل وقت في المرغوب ويحذرهم عن المحذور والمرهوب والله اعلم ثم قال ههنا جعل لكم
من انفسكم ازواجا اي من جنسكم وقال في موضع آخر من انفسكم واراد حقيقة الانفس وقال ولا تقتلوا انفسكم ونحو
ذلك ذكر الانفس في هذا كله ثم لم يفهم اهل الخطاب من هذا كله معنى واحدا او شيئا واحدا وان كان في حق اللسان
واللغة واحدا لكنهم فهموا في كل واحد غير ما فهموا من الآخر فهذا يدل على ان الحكم غير متعلق بظاهر الخطاب بل بدليل الحكمة
المجعولة في الخطاب والله اعلم ثم اختلفوا في الحفدة قال بعضهم الحفدة الخدم المماليك وبه قال الحسن وقال بعضهم
الحفدة ولد الولد وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه الحفدة الاختان وروي عنه ايضا انه قال الحفدة
الاصهار وكان الاصهار والاختان عنده واحد وقيل الحفدة الاعوان والانصار وقال ابو عوسجة الحفدة بنو
البنين وقال ايضا الحفدة الاعوان وقال ايضا الحافد المجتهد في العبادة والعمل يقول حفد يحفد اي خدم ويجتهد
ومنه يقال في الوتر واليك نسعى ونحفد اي نجتهد وقال القتبي الحفدة الخدم والاعوان وقال اصل الحفد
مدارك الخطو والاسراع في المشي وانما يفعل ذلك الخدم فقيل لهم حفدة واحدهم حافد ومنه يقال في دعاء الوتر
ونحفد اي نسرع في طاعتك وطلب رضاك وقال ابو عبيدة اصل الحفد العمل ومنه الحرف في القنوت نحفد اي نعمل
والله اعلم وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات قال بعضهم الطيبات الحلالات وقال بعضهم كل ما طاب ولذ ولطف
ورزق من غير كد من التعب والنصب ذكر كل ما حسن وطاب بذكرهم منه ونعمه عليهم ليستأدي بذلك شكرها والله اعلم
وقوله تعالى افبالباطل يؤمنون قال بعضهم اي بالشيطان يصدقون ويجيبونه الى ما دعاهم من الانفة من البنات
وبنعمة الله هم يكفرون اي هذه البنات لكم نعمة فكيف تكفرونها وقيل افبالباطل يؤمنون اي الشيطان الى
ما دعاكم فتصدقونه وتجيبونه وبنعمة الله اي محمد يكفرون او بالاسلام او بالقرآن وقال ابو بكر الاصم افبالباطل
يؤمنون يقول تقرون بان لكم عبيد الاحجار تحلون لها وتعبدونها وبنعمة الله تكفرون يقول وما انعم الله عليكم
في انفسكم وما خولكم بدنياكم تكفرون فكان الشكر اولى بكم والله اعلم وقوله تعالى ويعبدون من دون الله
ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فائدة ذكر هذا لنا والله اعلم لئلا نتبع بعض
المخلوقين باهوائنا ولا نشكل في امورنا الحق نعلم انه لا يملك ضرا ولا نفعا ولا يستطيع شيئا من الرزق
كما تبع اولئك من يعلمون انه لا يملك شيئا ولا نفعا ولا ضرا بل كسفههم في عبادتهم من يعلمون انه لا يملك شيئا
من النفع والغنى والرزق لئلا نعمل مثل صنيعهم بمن دون الله من المخلوقين والله اعلم ثم اختلف في قوله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض قال الحسن هو على التقديم اي تعبدون من دون الله شيئا لا يملك لهم ما ذكر وقال بعضهم
اي لا يملك لهم رزقا من السماء ولا من الارض ولا يستطيعون شيئا وقوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا
امثالا من الخلق واشباها في الوهيته وعبادته ويحتمل اي لا تقولوا ان لله امثالا واشباها او لا تجعلوا لله امثالا
واشباها في العبادة وتسميتها آلهة على ظلم منكم انما يكون لكم انما يكون بالله لا بالاصنام التي تجعلونها امثالا
لله في العبادة وحاجاتنا ان يكون من صلة فلا تضربوا لله الامثال اي فلا تضربوا لاوليائه لله الامثال وقوله ان الله
يعلم وانتم لا تعلمون اي ان الله يعلم ان لا مثل له في الخلق ولا شبه وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل ان الله يعلم
بما الحكم وانتم لا تعلمون ما به صلاحكم وهلاككم ويحتمل ان الله يعلم محل اوليائه ومكانهم وقد بين لكم انه
لا تعلمون ذلك وقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق
منه سرا وجهرا هل يستوون ضرب المثل بهذا من وجهين احدهما انه لا يقدر ولا يملك ان ينفق في الناس
عندكم ليس كمن يملك ويقدر ان ينفق وهو كقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير وكقوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع هل يستويان مثلا يعني ليس يستوي الاعمى والبصير ولا الاصم والسميع فعلى ذلك لا يستوي
من يملك الانفاق والانعام وهو المعبود الحق ومن لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل والثاني ضرب مثل المؤمن والكافر

ان الكافر لا ينفق مما انعم عليه من المال في طاعة الله وفي خيراته والمؤمن ينفق جميع ما انعم عليه واعطاه في طاعة الله
وخيراته فليسا بسواء من انفق في طاعة الله كما لا ينفق شيئا والله اعلم ثم في الاية وجوه من الدلائل احدها ان العبد
لا ينفق في الفضل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
جعل مقابل العبد الفضل وقوله ورزقناه مقابل الفضل فعلى مثله على ما هو الاصل في صحة المقابلة فلما ذكر
مقابل العبد الفضل دل انه ينافي لازم الفضل وقرابته وانما الانفاق في الفضل حتى يكون الجنس مقابلا لجنسه
والله اعلم وفيه ان العبد لا يملك حقيقة الملك حيث ذكر عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وان قدر ما يملك انما يملك باذن
من له الملك وكذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الاملاك انما حقيقة الملك في الاشياء لله وان قدروا يملكون
انما يملكون بالاذن في الملك وبقدر ما اذن لهم والله الموفق وفيه ان العبد لا يملك الانفاق والتصدق حيث قال عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال فيمن يملك ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق لانه لا يملك العبد الانفاق والهبة
وقوله ومن رزقناه منا اي منا في ... ذكرنا وذلك جائز سائغ وقوله هل يستوون الحمد لله قال بعضهم ذكر الحمد
على اثر ما ذكر لانه عرفهم النعم ... المنافع فرعهم على شكر ذلك الحمد وقال بعضهم الحمد لله ثناء اجراه كانهم
لا يعلمون بحمد الله وثنائه ثم قوله بل اكثرهم لا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا او على حقيقة
النفي لما لم ينظروا في الايات والحجج ... فلم يعلموا والله اعلم وقوله تعالى وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل قال اهل التاويل هذا المثل
يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في الاول احدهما المؤمن والكافر يشبه الكافر بالمملوك الابكم الذي لا يقدر على شيء
وهو كل على مولاه لا ياتي المولى بخير ونفع ولا ينتفع به ويشبه المؤمن بما ياتي المولى بكل خير ونفع هل يستوي
هذا مع هذا عندكم فلا يستوي فعلى ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئا من طاعة الله ولا ياتي بخير والمؤمن الذي
يعمل كل طاعة لله وياتي بكل خير ويامر بكل عدل وهو على صراط مستقيم والثاني ضرب مثل الاله المعبود بالحق
المعبود بالباطل فقوله هل يستوي من ياتيكم بكل نعمة وكل خير ويامر بكل عدل ومن هو ابكم لا يقدر على شيء ولا ينفع ولا
ولا يجيب ولا يسمع وهو حمل وكل على من يعبده ويخدمه هل يستوي هذا مع ذلك فلا يستويان مثلا ...
ضرب الله لا ينطق بالخير ولا يامر بالعدل ذكر مقابل الابكم الذي يامر بالعدل فعلى ذلك يحتمل ضرب المثل الله لا يملك الانفاق
بالذي يملك الانفاق وقوله ومن يامر بالعدل اي بالتوحيد وقوله تعالى وهو على صراط مستقيم اي وهو على الحق المستقيم
وهو مثل المعبود بالحق قال ابو عوسجة الكل العيال وكذلك قال غيره من اهل الادب وقال بعضهم الكل الفقر وقالت
وهو كل على مولاه اي عبء على مولاه من النفقة وغيرها والابكم الاخرس ... لا ينطق ... وقوله تعالى ولله غيب
السموات والارض هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكر اهل التاويل من السؤال عن الساعة وعن وقتها كقوله يسألونك عن
الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لخفائها على اهلها لا
خفي على المتقبل عليه اخبر انه لا يجليها لوقتها ... لا يعلمه الا هو ... ويحتمل ما غاب عن اهل السموات
والارض اي ما غيب بعضهم عن بعض فذلك ليس بغيب عن الله بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك كله لله ...
واحد وكذلك ... هذه الاشياء الى الخلق ... اذ الخلق وان كانوا يعلمون ...
والاشياء الظاهرة ... لا يعلمون ...
بحقوق كل شيء وان كانوا ... الانسان لا يعلمون ... الذي به يبصر الانسان ...
من السمع والبصر والعقل يعلمون ويرون ظواهر هذه الحواس ولكن لا يدركون اللطف الذي به يسمع وبه يبصر وبه يعقل ...
كانه قال ... يعلم ما غاب عن الخلق ... هذه الاشياء الظاهرة والاجسام المرئية من السرائر والمعاني ... والله اعلم ...
اي ... عما غاب عن اهل السموات واهل الارض ... ما لم يغب عنهم ... ولله غيب السموات والارض
وقوله ما في السموات والارض وقوله لله ما في السموات وما في الارض والله اعلم وقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح
البصر او هو اقرب قال بعضهم امر الساعة اهون على الله وايسر من لمح البصر اذ ليس شيء ايسر واهون على الانسان
من لمح البصر وهو لا يشعر به وقوله او هو اقرب اي بل هو اقرب ... من لمح البصر وقال الحسن اي اعادة الخلق على الله يسير
واهون من لمح البصر لانه يلمح ببصره فيبصر بلحظة ما بين الارض الى السماء وهو مسيرة خمسمائة عام يقول من قدر ان
ينشئ في خلق من حدقته ما يبصر بلحظة البصر مسيرة خمسمائة عام لقادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد الفناء بل
اي اعادته اياهم اسرع واقرب من لمح البصر الى هذا ذهب الحسن وقال بعضهم وما امر الساعة اي قيام الساعة
الا كلمح البصر ... بل هو اقرب من لمح البصر لكنه مثل بلمح البصر لكنه ...
البصر لما ليس عند الناس اسرع واهون من لمح البصر لما ذكرنا انه يلمح ولا يشعر به لسرعته ... فذكر هذا على التمثيل
ليس على التحقيق ... الوقت بقدر لمح البصر ولكن على المبالغة في السرعة وذكر اقصى ما يقع في الاوهام ويتصور من نحو ما قال

تعالى

[illegible]

من الاجنحة في الهواء ... من سفل ولا علو ... القادر على انشاء الخلق واعادتهم بعد الفناء او نقول لم
الى اللطف الذي جعل في الطير والحكمة حتى تقدر على الاستمساك في الهواء والطيران في الجو ما لو اجتمع الخلائق كلهم
يدركوا ذلك اللطف وتلك الحكمة ما قدروا على ذلك وفي ذلك نقض قول المعتزلة لان الطيران فعل الطير والاستمساك
ثم اضافه الى نفسه حيث قال ما يمسكهن الا الله دل ان لله في ذلك فعلا حيث قال ما يمسكهن الا الله دل ان له في
صنعا وفعلا والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون جميع ما ذكر يكون اية لمن آمن لانه هو المنتفع بها قال
ابو عوسجة جو السماء هواؤها ويقال بطن السماء وجوف السماء ويقال الجو ما بين الارض الى السماء
والله اعلم وقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ... انه جعل للناس البيوت ما يسكن فيه ...
جعل لكم من بيوتكم سكنا حرف من التبعيض وهو كما ذكر ... ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة وفي
كالمساجد والرباطات ونحوها ويشبه ان يكون ذكر هذا ... حيث جعل الارض بحال ...
وامكن لهم القيام بها بالبناء ... ذكر انه انبت فيها ... فلا ... جعل فيها ... والله اعلم
ويحتمل ان يكون حرف من صلة اي جعل لكم بيوتا تسكنون فيها ثم قال وقد جعل لكم من بيوتكم سكنا تحتمل وجهين
احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها فتسكنون فيها والثاني جعل لكم بيوتا ... ما تبنون
فيها من البيوت ما لولا تعليمه اياكم ما تعتدون على بناء البيوت فيها ... عليهم والله اعلم وقوله تعالى وجعل لكم من
جلود الانعام بيوتا قال اهل التاويل جعل لكم من جلود الانعام من صوفها لكنه اضاف الى الجلود لخروج الصوف
منها ... وهو ما ذكر من اصوافها واصوافها صوف الغنم واوبارها صوف الابل واشعارها ما يخرج من المعز
يحتمل الاول حقيقة الجلود على ما هو عادة العرب يتخذون من الجلود بيوتا ويسمونها ... ويسمونها الطراف
وقوله تعالى تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم قال ابو عوسجة يوم ظعنكم يوم سيركم يقال الظعن ...
اي سار وقيل يوم سفركم وقوله تعالى ويوم اقامتكم قال بعضهم يوم اقامتكم في الحضر وقال بعضهم في سفر
النزول ... جعل لكم من بيوتكم سكنا والسكن ... ذكر في البيوت المتخذة
من المدر ... قال من بيوتكم سكنا ... البيوت المتخذة من الجلود والاوبار والاشعار لكنه يحتمل ذكر

السكنى في الاول ذكر فيه انواع اذ ذكر في الاول ذكر وفي الثاني ذكر دلالة وقوله تعالى اثاثا ومتاعا الى حين قيل الاثاث
والامتعة واحد وقوله ومتاعا الى حين اي الى وقت تبلى تلك الثياب ويحتمل الى حين اي وقت فنائهم والله اعلم وقوله تعالى
والله جعل لكم مما خلق ظلالا البيوت التي ذكر وهي تظلهم ويحتمل الاشجار والجبال والظلال القبلي وظلال الاشجار
والجبال وقوله تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي الغيران والبيوت التي تتخذ في الجبال لتقيهم من الحر والبرد وقوله
وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم ذكر انها تقي الحر وهي تقي الحر والبرد جميعا لكن انما لم يذكر البرد لانه
في ذكر احدهما ذكر الآخر كفاية ثم قوله سرابيل قال ابو عوسجة القمص واحدها سربال ويقال هما الدروع ثم ذكر انه ذكر
من البيوت والاكنان والسرابيل تقيكم الحر وتقيكم ايضا باس العدو وقوله تعالى كذلك يتم نعمته عليكم اي كذلك يتم ذكر
نعمه عليكم لينعمكم الاسلام او يحببه ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره ويحتمل الرسول وقوله تعالى لعلكم تسلمون هذا والله
اعلم في قوم علم الله انهم يؤمنون لما ذكر من انواع النعم والافضال ليعلم ان الاسلام من اعظم نعم الله لا ينال احد الا
بنعمته وقال بعض اهل التاويل سورة النحل سميت سورة النعم لما فيها من ذكر النعم وانواع منافع الخلق بها ولها الى آخرها
وانما ذكر هذه النعم لهذا الحرف وهو قوله لعلكم تسلمون وقوله تعالى فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين اي فان تولوا
عن الاجابة بذلك وعما تدعوهم اليه فانما عليك البلاغ المبين اي ليس عليك الجائهم انما عليك التبليغ اليهم والبيان
لهم وقوله تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه لكنهم ينكرونه
كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وما ذكر يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحتمل نعم الله ما ذكر من النعم
عرفوا انها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم الاصنام وصرفهم شكرها الى غيره كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله مما يعرفون ان الله هو خالقهم وان ما لهم كله من عند الله يعبدون الاصنام فيكون بعبادتهم دون الله كفران
نعم الله وذلك قوله واكثرهم الكافرون وقوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا قال بعضهم شهيدها انبياؤها تشهد
عليهم من نحو ما ذكر من شهادة الجوارح عليهم كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الآية وقوله شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقوله يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ونحو ذلك من الآيات التي فيها
ذكر الشهادة عند انكارهم اعمالهم التي عملوها والله اعلم وقال بعضهم شهيدها هو رسولها الذي بعث اليهم تشهد
عليهم انه قد بلغ اليهم رسالات ربهم وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير والنذير هو الرسول المبعوث اليهم وهو
ما ذكرنا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وكقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اخبر انه يجيء رسولنا شهيدا
على اولئك انه بلغهم وبلغوا الرسالة اليهم وهو ما ذكر فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وقوله يوم
يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم سال الرسل عن تبليغ الرسالة اليهم ثم يسال قومهم عن اجابتهم الرسل الى هذا
يذهب بعض اهل التاويل وقوله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا قال الحسن لا يؤذن لهم بالاعتذار لانه لا عذر لهم
وهو ما قال هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون لانه لا عذر لهم واعتذارهم لا ينفع لهم شيئا اذا اعتذروا
من نحو قوله ربنا هؤلاء اضلونا وقوله لولا انتم لكنا مؤمنين ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم وقوله
ولا هم يستعتبون قال الحسن ولا هم يقالون من الاقالة وكذلك القتبي قال وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي من
المقالين اي يقالون عما كان منهم ويحتمل ثم لا يؤذن للذين كفروا اي لا يؤذن لهم بالكلام كقوله اخسئوا فيها
ولا تكلمون ويحتمل فلا يؤذن الشفعاء ان يشفعوا للذين كفروا ويؤذن الشفعاء ان يشفعوا للمؤمنين وقوله ولا هم
ثم لا يؤذن لهم اي لا يمكنون من التوبة والرجوع عما كانوا لان ذلك الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع كقوله فلما راوا
باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم الآية ونحو ذلك من ولا هم يستعتبون العتاب
في الخلق هو تذكير ما كان من التفريط ليرجع عما كان منه وذلك لا يحتمل في الآخرة وقوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب
اي وقعوا فيه دليله قوله فلا يخفف عنهم العذاب دل انه لم يرد به رؤية العذاب ولكن الوقوع فيه وقوله تعالى فلا يخفف
عنهم العذاب لانه يدوم ولا تخفيف فيما يدوم من العذاب وقوله تعالى ولا هم ينظرون اي يمهلون عن العذاب او لا
يخفف عنهم اي لا يخفف عما استحقوا واستوجبوا من العذاب وما ذكرنا انه لا يكون لعذابهم انقطاع وقوله تعالى
واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك قال الحسن اي واذا راى الذين
اشركوا قرناءهم واولياءهم من الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي قرناءهم وقوله نقيض له شيطانا فهو
قرين فيقول هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك على هذا التاويل كانا ندعوا اياهم من دونك وقوله تعالى فالقوا
اليهم القول انكم لكاذبون اي يقولون لهم انكم لكاذبون وقال بعضهم شركاؤهم الانداد الاصنام التي عبدوها قالوا
هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي يكذبونهم وهو ما ذكرنا انكاش
عبادتكم لنا ولئن يجحدون انهم كانوا غافلين عن عبادتهم ويحتمل شركاؤهم رؤساءهم الذين عبدوهم ويحتمل شركاؤهم

الملائكة

الملائكة الذين عبدوهم كقوله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اخبر انهم انما يعبدون الجن بامرهم لم يعبدوهم فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون تقول لهم الملائكة انكم لكاذبون او يكذبونهم فيما يزعمون ويدعون وقوله تعالى والقوا الى الله يومئذ
السلم اي يخضعون كلهم لله يومئذ ويخلصون له الدين ويسلمون له الامر وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون
اي بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم الاصنام التي عبدوها من الشفاعة والتوسل كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله بطل عنهم ما طمعوا ورجوا من عبادة اولئك من الشفاعة لهم
والقربة الى الله وقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
قال بعضهم هؤلاء كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب الدائم بكفرهم
بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم الآية اخبر انهم يحملون اوزارهم واثقالهم واوزار الذين اضلوهم
كمنعهم عن الاسلام فعلى ذلك قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما اضلوا اتباعهم وسعوا في الارض الفساد وهو قول
ابي بكر الاصم وقال بعضهم معناه ان عذابهم كلما اراد ان يسكن ينضج الجلود زيد لهم بتبديلها كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها او نارها كلما ارادت ان تخمد زيدت لهم سعيرا كقوله كلما خبت زدناهم سعيرا فذلك هو الزيادة في العذاب
ويحتمل غير هذا وهو ان عذاب الكفرة دائم ابدا فيزداد لهم حساب بما كان لهم في الكفر من الكفر اعمال العصيان كما يعفى
ويتجاوز عن المؤمنين بما كان منهم من المساوي كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم فمقابل
ما كان يتعاضى للمؤمنين من المساوي زيد لاهل الكفر عذابا لكفرانهم والله اعلم واصله ان جزاء الآخرة ليس
والله اعلم بالمضاعفة لانه دائم لا انقطاع له وما ذكر من الزيادة فالعوق وغيره فهو على المضاعفة وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه زدناهم عذابا باضعاف بما كانوا يفترون وقوله تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
يحتمل قوله من انفسهم اي من البشر ويحتمل ما ذكر من شهادة الجوارح عليهم وقوله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
هو ما ذكرنا يشهد الرسل بالتبليغ ويشهد على الخلق بالاجابة والطاعة وعلى من رد وكذب بالرد والتكذيب وقوله تعالى
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء يحتمل تبيانا لكل شيء ما ذكر في هذه السورة ذكر الكتاب والدين في هذه السورة
لانه ذكر فيها اصناف النعم بجواهرها والوجوه التي بها يوصل اليها وذكر فيها ما سخر لهم من انواع الجواهر وذكر فيها ما وعد
وعيدا وامر ونهى وذكر ما حل بالاعداء وما ظهر لاوليائه بهم وفيه ذكر سلطانه وقدرته وذكر سفه الكفرة وعادتهم
وذكر ما يوحي ويتقي عن ذلك تبيان كل شيء ويحتمل ان يكون الكتاب تبيانا لكل شيء اي القرآن كله كما في الكتاب من الامر والنهي والوعد
والوعيد واخبار الامم الماضية وامثالهم ففيه تبيان كل شيء من الوجه الذي ذكرنا ويحتمل اي انزل عليك الكتاب تبيانا لكل ما دعا
الرسل والجاحدين الرسل والكتب جميعا اذ في هذا الكتاب جميع ما اتى به الرسل والكتب من الامر والنهي والوعد والوعيد
كقوله ومهيمنا عليه ثم اختلف في ذلك التبيان قال بعضهم يحتمل وجهين احدهما النصوص على الاصول دون الفروع
كذكر الكمال للدين بقوله اليوم اكملت لكم دينكم بكونه على كمال اصول الدين واصول الاحكام دون فروعها لكن
فيه ضعف لان الشرع ضعف لكن مع ذلك يقع له الكمال بالكتاب والسنة ولم يثبت بعد جميع الاحكام فعرفنا ان المراد به
الاصول دون الفروع انها اوصف الكتاب بانه تبيان كل شيء فلم يخل التقصير عن الاشتمال بما الذي الحاجة من امر
الدين انه نمل الابيانه ينتظم جميع ذلك لعله الله تعالى انزل الكتاب تبيانا لكل ما وقعت اليه حاجة في اصول الدين من الايمان
وانواع العبادات والاحكام من الحدود والحقوق ومكارم الاخلاق التي ينتظم صلة الرحم وعشرة الاخوان وصحبة
الجيران وغير ذلك فيشتمل الكتاب على هذه الجملة من اصول الدين وما وراءها يكون موكولا الى بيان الرسول الذي كان
بما شرط له التبليغ ودلالة والوجه الثاني ان يكون تبيانا لكل شيء اي منظم لما فيه مجمله ومشكله ومتشابهه بالرسول
بيانا لمجمله وتفسيرا لمبهمه وايضاح مشكله ان المعنى كلها بيانا في الكتاب لان بعضه يفسر بعضا ثم قد يحتمل الآية التي
ذكر البيان والتفصيل وجوها غير هذين الوجهين اللذين ذكرهما العلماء انه تبيانا لكل شيء ظهر فيه التنازع بين اهل الاديان
والمتبعين الخبر وقوم فيه الى البيان بجعل الله هذا الكتاب تبيانا الزمهم بالتدبر العلم بانه من عند الله لتعجز وجه عما فيه
وسع الفقه من نوع ما ذكر فيه من الحجج والادلة وما يعجزهم عن الطمع في تاليف مثله ونظمه ليعرفوا ان الله تعالى قد اتاهم ما بهم
الحاجة والجاتهم الضرورة الى من يطلعهم على الحق فيما لو اخلوا عن ذلك لتولد منه الفساد والعناد فانعم الله تعالى عليهم
وبين فيه جميع ما بهم اليه من الحاجة لتعلم الآخرة وحصول الالفة وما لهم وصلة الى الآخرة والنعم الدائمة من الله
ويحتمل ان يكون فيه تبيان كل شيء الطلب من عند وبالبحث والنظر بكل ما نزل بهم من الحاجات الى الابد ويكون طريق وصل
ذلك يكون بالاجتهاد والاستنباط يوصل الى حقيقة العلم به وذلك نحو ما جعل الله خلق كل شيء وصف ذكر السماء بانه
الجميع وخبر بانه انزل من السماء المآثي والرياش وخبر انه خلقنا من تراب ثم اخبر انه خلقنا جميعا من نفس واحدة فعلى نحو

كل ما ذكرنا فيه باختلاف الاشياء والتوحيد والله اعلم وذلك كما قال اهل الكلام فجعل المحسوسات ادلة لكل غائب معناه ان الله تعالى جعلها ادلة يتوصل بها الى كل غائب بالتأمل والنظر فيكون المحسوس مشاعر في الدلالة على اختلاف التدبير فحد البيان مما قد جعله الله تعالى كذلك حتى ان في القلوب سعة من تكلف استخراج كلية امور العالم العلوي والسفلي بما على ذلك مدارهما من هذا المحسوس بفضله … الموفق والثالث ان يكون فيه بيان على الفرق الاشارة مرة وعلى الكشف ثانيا كما كان منه على الرمز ومكشوف في المعاني وطرقا الوصول الى ما في تلك المعاني من الامور مختلفة منها ما يقع بمعونة الوحي من عند الكتاب على اختلاف وجوه الوحي من رسائل الى انبياء … او الطالع والتأمل في ذلك والاستدلال بما ابتدأ وضح بعد التوفيق لله تعالى اياه لاصابة الحق من ذلك وعصمته عن الزيغ او على ما شاء من ترتيب الحكمة في حق التفاهم لغوامض الامور او عن ذلك … بيانه على ذلك فان لطف رب العالمين بما عامل به الاخيار والانبياء يحل من احتمال العباد عنه او تصوير في الاوهام عن كتابة الحفظة وقبض ملك الموت ان يلوح جملة من الخلق في وقت واحد في اطراف الارض ونحوها وذلك كله هذا اللطف الذي يعجز البشر عن الاحاطة فعلى ذلك امر تبيان كل شيء مما يحتمل الرجوع بتأويل الاية الى اغلب الامور واعمها كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي فلا يؤمنون … ولا قوة الا بالله والاصل عندنا ان ليس شيء عندنا … يجب حفظ العدد على ما ذكر وهو انه على خمسة … احدهما ما يبين هو والثاني ما يبين غيره لكن الوجوه التي بها يقع ما غاب من الحواس اصله الواقع تحت الحواس اذ هو البيان الذي من جحده فقد جحد البيان … كلا مؤنة خصومته ثم ما يبين غيره مما يصير بالتأمل في الوجوه التي جعلت للوصول وان بعد وقرب بلا … له كالمحسوس اذ التأمل في الاشياء هو سبب الوصول الى ما غاب كاستعمال الحواس فيما يشاهد … القطع على حدا ومن يختلج فيه الى دليل واصل البيان وحقيقته هو الظهور والاستظهار للاشياء متفاوتة وعلى ذلك مقاديرها في الظهور وجملته ارتفاع السواتر عن القلوب وتجلي حقائق الامور لها على قدر العقول في الادراك وما يحلى القلوب على مقدار ما يحتمل من الظهور والله الموفق وقوله تعالى وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين يحتمل يكون قوله تبيانا لكل شيء وقوله وهدى ورحمة كله واحدا اذ برحمته وهداه يبين لهم ويوضح كقوله قال الكتاب كله يبين لهم ويوضح فيتبين لهم واتضح الامر حتى من معاند وكابر والهدى والرحمة للمؤمنين خاصة على ما ذكر وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ذكرها خاصة والله اعلم وقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى قال الحسن ان الله يأمر بالعدل اي يأمر الحكم فيما بينهم بالعدل وقوله والاحسان هو ما كلفهم بالطاعة له وكل فعل حسن ويحتمل ان يكون الامر بالعدل فيما بينه وبين الخلق ان يعامل ربه بالعدل لان العدل هو وضع الشيء موضعه وهو لا يعدل عن الجائز عن العدل حتى يكون في حد الاحسان فيما بينه وبين ربه وقدر ان يصير الى خلقه اكثر ما يستوجبون اليه فيكون محسنا اليهم واما الى الله فلا يكون محسنا اليه وقوله وايتاء ذي القربى اعطاء الصدقة من غير الزكاة المفروضة وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي جمع المكاره من الفواحش كلها وقال ابو بكر الاصم يأمر بالعدل اي بالحق الذي له عليهم والاحسان هو ما عند هو من العباد والطاعات التي جعلت سببا للعطف بعضهم على بعض وايتاء ذي القربى صلة القرابة والارحام وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي هو المعاصي كلها وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وغيرهم قوله يأمر بالعدل اي بالتوحيد وقوله والاحسان قال ابن عباس وقتادة اي اداء الفرائض وقال مقاتل الاحسان هو فيما بينهم يعفو بعضهم عن بعض وايتاء ذي القربى صلة الارحام وينهى عن الفحشاء اي الزنا والمنكر اي الشرك … المنكر ما لا يعرف في شرائع ولا سنة وقيل المنكر ما وعد فيه النار والبغي الظلم … والله اعلم في حقيقة العدل انه هو وضع كل شيء موضعه فيدخل فيه كل شيء التوحيد وغيره ان يجعل الربوبية لله والالوهية لله لا يشرك فيها غيره ولا … ولا يصرف بل ينسب الربوبية والالوهية الى الله والعبودية الى العباد لا يصرف العبودية الى الله ولا الربوبية والالوهية الى العباد فذلك هو العدل وهو وضع كل شيء موضعه الربوبية في موضعها والعبودية في موضعها والله اعلم واما الاحسان فهو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل سأله عن الاحسان حين سأله عن الايمان والاسلام فقال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك … ينظر اليه … رضاه فذلك العمل في خالصه له وطلب مرضاته فيه الاحسان يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا ان يعمل له كأنه يراه وذلك فيما بينه وبين ربه والثاني فيما بين الخلق وبينه وهو ان يحب لهم ما يحب لنفسه فيما ادى لهم … على الاطلاق ان يحب لهم ما يحب لنفسه فان كان رضي بالقتال والحرب التي بيننا وبين اهل الحرب فانه لا … الا لانفسنا ويحب لهم … في ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب الدائم الابدي وذلك مما يحب لانفسنا ان يبتغي … نجاة … وما ارسلناك الا رحمة للعالمين … رحمة لكن في الحقيقة رحمة حيث يحملهم القتال على الاسلام اذ كان …

فلما انصبت الحروب معهم وانقسا التخلق في الاسلام افواجا افواجا صار ذلك في الحقيقة رحمة وان كان في الظاهر ليس برحمة وكذلك هذه المصائب والبلايا التي تتصل بالخلق هي في الحقيقة نعمة ورحمة ولذلك عد … الافضل الناس نعمة لما اقتضت من الثواب والنعمة اذ اصبر عليها وتاديه للشكر حقا وعدلا في … حال الضراء … واكثر منه وهو يصيب بنفسه في جميع الاحوال اذ انظر الى العاقبة … يجعل ذلك نعمة ورحمة واما في ظاهر الحال فلا ان كان الاثنين لاحد حضر عليك كان ذلك الخصال الاربعة احدها تكفير ما ارتكب من المعاصي والثاني معرفة العبودية … والثالث التعب عن الثواب والنعيم الكامل والرابع معرفة النعم من الشدة لان الشدة تعرض النعم واما الاحسان الى نفسه فهو ان يحفظها عما فيه هلاكها وينهيها عن الفحشاء والمنكر الفحشاء هو ما يكبر ويفحش من الشر والمنكر هو … التي تنكرها بنفسها … فالمنكر هو ما يفعل من هو معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبا اذ لم يعرف بذلك فعد ذلك منهم منكرا والفحشاء ما يكون من اهل الفساد والشرور ويفحش منهم والبغي هو الظلم … يحتمل ان يكون هذا كله الفحشاء والمنكر والبغي هو الظلم وقوله تعالى يعظكم اي ينهاكم عما ذكر كله وقال بعضهم الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية … وقوله تعالى لعلكم تذكرون اي تتعظون به … واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يحتمل ان يكون وفاء العهد المعهود … نقضهم … فقال واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم … في ذلك لكنه ذكر وفاء العهد اذا عاهدتم ونهى عن النقض … والخشية … وهو كقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا … بوفاء العهد اذا عاهدوا وان كان وفاء العهد لازما لهم وان لم يعاهدوا اذ جعل البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل فيهم من خلقتهم بحيث يعتقدون على القيام بذلك كقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها بالخلقة … وحملها الانسان بالخلقة وبنيته يحتمل ذلك … في الايمان التي يقسمون بها حيث قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ذكر الايمان ونهى عن نقضها … لانه نهى عن نقضها ولكن … على اليمين … الاصل على الاشياء المباحة … ذكر فيه من توكيدها قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وانه يصح نقض اليمين وان لم يؤكدها اذا لم يكن في الوفاء بها اثم لكنه ذكر التوكيد لان النقض بعد ذلك اقبح والفحش من النقض على غير التوكيد على ما ذكرنا في القبيح والفحش في نقض العهود بعد ما عاهدوا والله اعلم وقال بعضهم قوله بعد توكيدها هو حلفهم بالله لان مشركي العرب كانوا لا يقسمون الا بالله الا بعد ما اعظم ويجعل من الاثم وذلك لخراقتهم ولذلك قال بعض اهل التأويل في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم يقول جهد ايمانهم قسمهم بالله وقوله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا كانوا يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلا عليهم قيل الكفيل هو الشهيد وقيل الحافظ وهكذا الكفيل انما يتخذ ليحفظ المال او النفس وقوله تعالى ان الله يعلم ما تفعلون اي عالم بما تفعلون … وقوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا قال بعضهم الاية نزلت في حلفاء اهل الكفر بعضهم بعضا وهو انه يشد بعضهم بعضا وينصر بعضهم بعضا ويحلفون على ذلك … كان هكذا وعلى ذلك اي ينصر بعضهم بعضا ويعاون بعضهم بعضا ثم اذا رأوا الكثرة والغلبة مع غير الذين حالفوهم نقضوا ذلك ورجعوا الى الذين معهم الكثرة والغلبة فنهوا عن ذلك والله اعلم وقال بعضهم الاية في الذين كانوا بعد رسول الله واصحابه … ان يكون خارج … الاختلاف في الدين بما كانت الكثرة والغلبة لهم على اهل العدل نهى من عاهد اهل العدل وبايعهم ان يترك بيعتهم ويخالفهم ويكون مع اهل البغي … ونقض ما عاهدوا عليه قال انما يبلوكم الله به فهذا يدل على انه في اهل الاسلام والله اعلم وقال بعضهم الاية في اهل النفاق انهم كانوا يقسمون بالله انهم ينصرون رسول الله واصحابه … انا معكم كقوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم وكانوا يتخذون ايمانهم للواحد منهم والنصر والعون لهم على اعدائهم ويحلفون بالله على ذلك ثم اذا رأوا الكثرة والغلبة مع الكفرة وقلة المؤمنين تحولوا الى اولئك ونقضوا ايمانهم وكانوا معهم كقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين والله اعلم ثم ضرب لها مثلا لما اعطوا العهد والميثاق وتوكيد الايمان ثم ذلك ثم نقضوا ذلك بالمرأة … التي نقضت ذلك الغزل من بعد قوة انكاثا بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا … والله اعلم كما لا تنتفع هذه المرأة بغزلها اذا نقضته من بعد ابرامها اياه كذلك لا ينتفع ولا … من اعطى العهد ثم نقض … ولا هي تركت القطن والكتان وكذلك الذي يعطي العهد ثم ينقضه فلا هو …

اعطاه ووفا به ولا هو ترك العهد فلم ينقضه والله اعلم فيحتمل قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي
لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمرأة التي تنقض غزلها من بعد قوة ويحتمل ان يكون غير هذا يقول لا تظنوا
بالله انه يكون في انشاء الخلق كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة ولو لم يكن بعث لكان يكون في انشاء الخلق كالتي
التي نقضت غزلها وقد عرفتم قبح ذلك فعلى ذلك انشاء الخلق ثم اختلف في تلك المرأة قال بعضهم هي امرأة من قريش
حمقاء بمكة كانت اذا غزلت نقضته وقال بعضهم هذا على التمثيل لا ان كانت ثمة امرأة فعلت كذلك يقول وانه لعلم
لو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعدما ابرمتها اياه لقلتم ما احمقها فعلى ذلك من اعطى العهد والميثاق ثم نقض
فهو كذلك والله اعلم وقوله تعالى تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال ابو بكر الذي لا يصح ولا يستقيم وقال اهل اللغة دخلا
اي غير صحيح وقال غيره دخلا كلمة خديعة ومكرا ليخدع بعضهم بعضا وهو قول ابي عوسجة وقال القتبي دخلا بينكم
اي دغلا وخيانة بينكم وقوله تعالى ان تكون امة هي اربى من امة اي فريق اربى من فريق ثم قوله انكاثا قال ابو عوسجة هي
جمع نكث وهو من الحبل خيط ينكث ثم تطرق وتصير صوفا ثم من بعد ذلك تغزل قال والمطرق قضيب يضرب به الصوف
حتى ينتفش ويلين كما تنتفش القطن يقال طرقت الصوف اطرقه طرقا اي ضربته ويقال انتفشته انتفاشا اي فرقت
بينه فتفرق وتمدد ويقال كالعهن المنفوش وكل الحبل شيء اذا كان ذا طاقين ومثلوث ومربوع ونحو ذلك وهو مسبوع
ومثمون ومتسوع ومعشور وقال القتبي الانكاث جمع النكث وهو ما نقض من غزل الشعر وغيره وقوله تعالى ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة قال الحسن المشيئة هاهنا مشيئة القسر والجبر اي لو شاء الله لجبرهم وقهرهم على الايمان فآمنوا
جميعا وهذا فاسد لانه لا يكون بالقهر والجبر ايمان لانه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر حقيقة فيبطل ما ذكر لانه
لا يجوز ان يثبت ايمان في تلك الحال وقال ابو بكر تأويله لو شاء الله لانزل لهم آية حتى يؤمنوا جميعا بسبب الآية
وهو كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر انه لو انزل آية يكونون لها
خاضعين ولكن عندنا معناها انهم ليسوا بمؤمنين ويخضعون للآية ولكن انما يصيرون مؤمنين بما يأتيهم الله
اختيارا لان الآية لا يجوز ان تحملهم على الايمان شاؤوا او ابوا لانه اقروا ان الله تعالى اخبر عن الكفرة انهم يكذبون
يوم الحشر مع معاينتهم الآيات وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا الى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اخبر انهم يكذبون
وقد عاينوا الآيات فليس التي تنزل عليهم في الدنيا باعظم من الآيات التي يعاينونها يوم القيمة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب
دل ان الآية لا تحملهم على الايمان ولا تضطرهم اليه ولكن يؤمنون بها بالاختيار لو شاء منهم الايمان فيبطل تأويل من تأول
ثم الآية تحتمل وجهين عندنا احدهما اي لو شاء الله لجعلهم امة واحدة بان يعطيهم السبب الذي اذا اعطاهم لآمنوا لاجل
ذلك السبب كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية اخبر انه لولا ما يرغب الناس في الكفر
فيكونون كلهم كفارا لجعل سقف اهل الكفر ومعارجهم من فضة فلو جعل ذلك لاهل الاسلام ولو جعل ذلك لهم
لآمنوا كلهم ايضا لانه لا يحتمل ان يكون ذلك في ايدي الكفرة ويحمل اهل الاسلام على الكفر واذا كان بعينه لاهل
الاسلام وفي ايديهم فلا يحمل اهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الاسلام والوجه الثاني اي لو شاء لجعلهم
ولكن لطف بهم بشرح صدر كل واحد منهم للاسلام من غير ان يعلم ان احدا القى ذلك في قلبه وذلك نحو ما مكن
للشيطان حتى يقذف في قلوب الخلق ويلقي وسواس من غير ان يعلم ان احدا دعا الى ذلك او القى ذلك فيهم الا ترى ان
ابليس لما وسوس لآدم ليتناول من الشجرة التي نهي عنها لم يعلم انه ابليس لما اجابه وكذلك ما مكن الملائكة من تثبيت قلوب
الذين آمنوا والقاء اشياء في قلوبهم والهامهم اياهم كما قال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
من غير ان يعلموا ان احدا دعاهم الى ذلك او القى ذلك في قلوبهم فعلى ذلك يملك شرح الصدور للاسلام والدعاء
الى ذلك من غير ان يعلموا ان احدا الهمهم بذلك فيختاروا الايمان والله اعلم وقوله تعالى ولكن يضل من يشاء ويهدي
من يشاء قال الحسن يضل ليحكم بالضلال لمن يشاء ويحكم بالهدى لمن يشاء ولكن هذا خلاف حقيقة الكلام وقال ابو بكر
الاصم اي ينهى عن الضلال لمن يشاء ويأمر بالهدى لمن يشاء وهذا التأويل فاسد لانه لو جاز القول بهذا لصار بالنهي
مضلا وبالامر هاديا فيكون مضلا للانبياء والرسل لانه قد نهاهم عنها وهذا في غاية الفساد لما يقتضي ان يه
مثله فانه لم يصر مضلا للانبياء والرسل لانهم لم يرتكبوا المناهي قبل الارتكاب قط ثم وان جعله مضلا
بفعله وهو النهي فدل انه لا امر وعندنا قوله يضل من يشاء اي يخلق فعل الضلال منهم او يضل من علم انه يختار
الضلال الهوى فيخذلهم ولا يعصمهم والله الموفق وقوله تعالى ولتسألن عما كنتم تعملون وهو ظاهر على الوعيد
وقوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم قد ذكرنا وقوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها قال ابو بكر ذلل اقوام فتزل
قدم بعد ثبوتها ان الآية نزلت في قوم ذكرها في اهل الاسلام لانه اخبر انه تزل بعد ثبوتها وهو الكفر بعد الاسلام
وعندنا ما ذكرنا ان قوله فتزل قدم بالخوف بعد ثبوتها اي بعدما كانوا آمنين لانهم بايمانهم كانوا يأمنون
وبنقضهم العهد والايمان يخافون فيكون قوله فتزل قدم بعد ثبوتها كناية عن الخوف والثبوت كناية عن الامن

اي صاروا خائفين بنقضهم العهود والايمان بعدما كانوا آمنين بها والله اعلم وقوله تعالى وتذوقوا السوء بما صددتم
عن سبيل الله على هذا التأويل اي تذوقون ذلك في الدنيا بالقتل والقهر ويحتمل في الآخرة بما صددتم عن دين
الله واستبدلتم الكفر بعد الايمان ولكم عذاب عظيم وقوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قال بعضهم
عهد الله دين الله وقال بعضهم عهد الله الذي عهد عليهم ويحتمل عهد الله ما اعطوا من العهد والميثاق والايمان
اي تنقضونها بشيء يسير وقوله تعالى انما عند الله هو خير لكم لانه دائم باق وهذا زائل فان وما يجري بوفاء ما عهدوا
خير لكم من هذا الشيء اليسير الذي يحملهم على النقض والله اعلم وقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق اي ما اخذتم
من الاموال واكتسبتم بنقض العهود والايمان ينفد ويفنى وما عند الله من الثواب والجزاء بوفاء العهد باق وقوله تعالى
ولنجزين الذين صبروا اجرهم يحتمل قوله صبروا على اداء ما امروا ونهوا او صبروا على وفاء العهد وقوله تعالى باحسن ما كانوا
يعملون يحتمل قوله باحسن اي الجزاء الذي يجزيهم على الصبر احسن من وفاء العهد ويحتمل ونجزيهم باحسن ما كانوا
يعملون اي يجعل سيئاتهم حسنات كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله اولئك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
اختلف اهل التأويل فيه قال بعضهم قوله حيوة طيبة في الآخرة وهي الجنة وقال بعضهم حيوة طيبة في الدنيا
فمن قال الحيوة الطيبة هي الجنة يكون تأويله من يكن عمله في الدنيا صالحا فيحييه الله تعالى في الآخرة حيوة طيبة
والظاهر قوله من عمل صالحا انما يقع على عمل واحد وبذلك لا يثبت مطلق الوعد بل الى المشيئة بين التعذيب
بقدر ذنوبه وبين العفو وعاقبته الجنة لا محالة وهو كقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة ظاهره على حسنة واحدة
لكن معناه اي ما تؤتينا في الدنيا آتنا حسنة فعلى ذلك ما ذكرنا من يكن عمله في الدنيا صالحا فلنفعله كذا ويحتمل
ان يكون على الختم بان ختم بالعمل الصالح فيحييه الله تعالى حيوة طيبة في الجنة يقول من جاء بالحسنة فله كذا
وقال الحسن الحيوة الطيبة هي الجنة لان في الدنيا ما ينغص حيوة وقال بعضهم الحيوة الطيبة في الدنيا وتأويله
من يكون همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة اي نوفقه وييسره في الخيرات والعمل الصالح
والطاعات وهو ما روي انه قال كل ميسر لما خلق له وكقوله فاما من اعطى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وقوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ونحو ذلك والله اعلم وقال بعضهم من عمل صالحا اي من قنع في الدنيا بما
قسم الله له ورزقه ورضي به فنحييه في الدنيا حيوة طيبة لما ان اعنتهم طلب الفضل وغمه وذله وحرصه عليه
لان اكثر هموم الناس في الدنيا وغمهم الرضا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا به فهو يحييه حيوة طيبة لما عصم عن
ذلك والله اعلم وقال بعضهم حيوة طيبة الرزق الحلال وقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي في الآخرة
على تأويل من قال الحيوة الطيبة في الدنيا وقال ابو بكر ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال في آية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله وقال في آية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الآية فيجب ان يتعوذ من همزاته على ما امر رسوله
او عند نزغ الشيطان كما ذكر لكن اذا تعوذ منه تعوذ من همزاته ونزغاته فان قيل كيف خص قراءة القرآن بالتعوذ به
دون غيره من العبادات والاعمال الصالحة والشيطان يوسوس في العبادات كلها ويقصد ايقاع السهو والخلل
فيها قيل قد يتعوذ عند غير القراءة من العبادات والاذكار لقولهم بسم الله الرحمن الرحيم اذ لا يفتتح شيء الا به فلهذا
تعوذهم بالكناية والتعوذ في قراءة القرآن بالتصريح واما كان لان القرآن حجة وبرهان وطعن الاعداء فيما هو حجة
بنفسه اكثر من الافعال التي يفعلونها الا ترى ان الشيطان كان يلقي في اوليائه حتى قالوا فيه انه سحر وانه اساطير
الاولين وانه انما يعلمه بشر ونحو ذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم كانوا يطلبون
الطعن في القرآن لانه حجة وبرهان ولم يشتغلوا بمثل ذلك في سائر العبادات والاذكار فلذلك خص قراءة القرآن
بالتعوذ منه صريحا واكتفى بالكناية في غيرها من العبادات والله اعلم ثم قوله فاذا قرأت القرآن معناه اذا اردت قراءة
القرآن وهو كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم اي اذا اردتم القيام الى الصلوة ثم في هذه الآية وفي قوله
اذا قمتم الى الصلوة لم يفهم اهلها ما هو ظاهر المخرج لكن فهموا على مخرج الحكمة لان ظاهر المخرج ان يفهم منه التعوذ
بعد الفراغ من القراءة كما فهم من مخرج الآيات وكذلك يفهم من الامر بالقيام الى الصلوة الوضوء بعد القيام اليه
ثم لم يفهموا هذا ونحوه ولكن فهموا اذا اردتم قراءة القرآن فاستعذ بالله وكذلك فهموا من قوله اذا قمتم الى الصلوة
اي اذا اردتم القيام فاغسلوا كذا وفهموا من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض ومن قوله فاذا طعمتم فانتشروا
ومن قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله الفراغ منهما لان الخطاب لا يجب فهمه ومرامه على ظاهر المخرج ولكن على
مخرج الحكمة والمعنى والله اعلم واصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده وقوله تعالى انه ليس له
سلطان على الذين آمنوا قال بعضهم ليس له سبيل على الذين آمنوا وقال بعضهم السلطان هو الحجة اي ليس له حجة

على الذين آمنوا ملك القهر والغلبة انما ملكه على الذين يتولونه ولكن هذا الوجه ضعيف لانه ليس له ملك القهر
على الذين يتولونه ايضا انما يتبعونه ويطيعونه باشارات منه طوعا فعلى ان تاويل الملك لا يصح ويكون تاويله السلطان
او الحجة ثم يحتمل قوله ليس له سلطان على الذين آمنوا بالقرآن لانه ذكر على اثر ذكر القرآن ويحتمل الذين آمنوا بربهم
وهما واحد وكل من آمن بالقرآن فقد آمن بالله ومن آمن بالله فقد آمن بالقرآن لكن سلطانه حجته وسبيله على الذين
يتخذونه وليا يطيعونه في كل امره وجميع اشاراته وما يلقون اليهم واصله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون في جميع حوائجهم وساير اتهم اي لا سلطان له ولا سبيل على من آمن به وتوكل عليه وقوله تعالى والذين هم به
مشركون • يحتمل قوله به مشركون بابليس عليه اللعنة اي يتبعونه ويعدلون بربهم ويحتمل به مشركون اي بربهم والله اعلم
والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الامر اليه في كل حال السراء والضراء وفي وقت الضيق والسعة فذلك التوكل به
وقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية • يحتمل وجهين احدهما ما قال اهل التاويل على الناسخ ان يبدل آية مكان آية
وهو تبديل حكم آية اخرى لا على رفع عينها اما النسخ التلاوة وعينها النسيان يكون ورفعه عن القلوب والثاني واذا
بدلنا آية مكان آية اي بدلنا وجددنا حجة بعد حجة وآية بعد آية لرسالته ثم يحتمل واذا بدلنا آية مكان آية ليسأل
الذين سألوا قالوا انما انت مفتر اي كلما اتاهم حجة على اثر حجة وآية بعد آية يقولون انما انت مفتر ينسبونه
الى الافتراء انه هو افتراه كما كانت عادتهم المعاندة والمكابرة كقوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين
وقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون كلما اتاهم حجة وآية كذبوا به كانوا يستقبلونه بالتكذيب
لها ونسبته رسول الله الى افترائه من نفسه فيزداد لهم بذلك كفرا وهو ما قال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر انها
لم يزداد لاهل الايمان بما بين لهم بسورة ايمانا ويزداد لاهل الشرك رجسا وكفرا الى كفرهم يحتمل هذا والله اعلم وكلمة
اذا في قوله واذا بدلنا يعني لو بدلنا آية مكان آية وحجة على اثر حجة جديدة ما آمنوا كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
اي لو ان هذا القرآن قرآن سيرت به الجبال او قطعت به الارض وكلم به الموتى ما آمنوا به لعنادهم فعلى ذلك الاول
وقوله تعالى والله اعلم بما ينزل • يحتمل قوله بما ينزل بما به صلاحهم وبما فيه صلاحهم ويحتمل والله اعلم بما ينزل تثبيتا
قلوب الذين آمنوا كقوله ليثبت الله الذين آمنوا ويحتمل بما ينزل جبريل حتى ابا لقولهم انما انت مفتر كقوله قل نزله
روح القدس اي ليس هو بمفتري ولكن نزله جبريل من ربه ليثبت الذين آمنوا هذا تفسير قوله فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا لان ما اخبر انه انزله ليثبت الذين آمنوا فما ذكر من زيادة الايمان هو التثبيت الذي ذكر ههنا وذكر قوله انما
انت مفتر مقابل قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم ليعلم ان الزيادة التي ذكر في سورة
التوبة ما ذكر من التثبيت والطمانينة ههنا والله اعلم وقوله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق • اي بالحق
الذي لهم عليهم او بالحق الذي لبعضهم على بعض والحق في الاقوال هو الصدق وفي الافعال الصواب وفي الاحكام
اصابته لما هو عند الله على ما تقدم ذكره وقيل الحق هو اتيان الذي يحمد عليه فاعله وقوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر لحكاية انهم يقولوا انما يعلمه بشر على التنكير ولكن كانوا يشيرون على واحد بعينه ويسمونه لكن الجبر
مولى [illegible] من البشر [illegible] الآية [illegible] لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين [illegible]
الذي [illegible] عنهم انهم يقولون انما يعلمه بشر [illegible]
[illegible]
[illegible] بما يعلمه بشر
[illegible] الاسلام [illegible] رسول الله [illegible] العربي لسانا
[illegible] لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين [illegible] القرآن حيث قال
انما انت مفتر [illegible] يقولون انما يعلمه بشر [illegible] القرآن [illegible]
لسانكم عربي لا تقدرون ان تأتوا بمثله ولا بسورة مثله [illegible]
[illegible] اللسان [illegible] على الاحتجاج عليهم [illegible] ظاهر [illegible] انما
انت مفتري [illegible] انما يعلمه بشر [illegible] نفسه فذلك
ظاهر الافتراء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الآية [illegible]

عليه بهذا اللسان فلو كان على ما ذكروا لكان قولهم موافقا لقول اولئك الكفرة في ادعاء الافتراء على الله وتبين انه
ان هذا اللسان عربي مبين وقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم قال الحسن ومن
من كذب بآيات الله فهو ليس بمهتدي عند الله وقال ابو بكر الاصم لا يهديهم الله بتكذيبهم الآيات وهو كله خيال
على من تشكل ويحتمل ان من كذب بآيات الله فهو غير مهتدي ومن جعل هذا وقول ابي بكر الاصم يتوهم ان من كذب بآياته
انه يهديه هذا كله فاستحال ان الاصل عندنا قوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله لعنادهم ومكابرتهم
لانهم كانوا يعاندون بآيات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات وانها حق او قال ذلك لقوم علم الله انهم
لا يؤمنون ويموتون عليه فمن علم منه انه لا يؤمن لا يهديه وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها وقوله تعالى واولئك هم الكاذبون • اي الذين كذبوا بها وقوله تعالى من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان هذا يحتمل وجهين احدهما اي من كفر بالله في زعم المكره لانه اكرهه
وتدلق ولا اطلاع له على ما في ضميره فهو في زعمه هو كافر بالله لاجابته الى ما طلب منه ودعي اليه وهو كفر في اظهار الى الهتهم
في زعمهما انها الهة فلم يكونوا الهة حقيقة وقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا سماه الها على زعم السامري
فعلى ذلك هذا سمي كفرا بناه على زعم المكره لا ان ذلك كفر اذ كان قلبه مطمئنا بالايمان والله الموفق والثاني في
على التقديم والتاخير اي من كفر بالله شارحا صدره بالكفر فهو الكافر فاما من اظهر الكفر بلسانه بالاكراه وقلبه معتقد
الايمان على ما كان مطمئن به فهو ليس بكافر وذلك قوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان اي سوى من اكره فاقه ثم واصله ان من يعتقد
مذهبا ودينا انما يعتقد لخصال ثلاث احديها ان يعقل ويحل لما رآه ابصر احذق واعلم فيه وهو لا يبلغ ذلك فيقلده
لفضل ضبطه وعلمه والثاني الذي يعتقده للشبهة التي تتراءى عنده الحق فيعتقد لتلك الشبهة والثالث يعتقده لكونه
الحق الدليل والبرهان فليعتبر الوجوه الثلاث ثم يعتقد من يعتقد دينا ومذهبا فلما ان يعتقد الانسان مذهبا مجانا
على الجزاف فلا فاذا كان ما ذكر المكره تسبب الاكراه والحال المكره عليه ليس فيه ما ذكرنا واحد من الوجوه لم يصر كافرا ولقد
ما روي في الخبر ان نعتلوا اهل الكتاب ليعطوا الجزية لا اسلامهم باكراه وعلى ذلك نطق الكتاب وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وقوله
عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم اذا اسلم لخوف السيف كان اسلامه اسلاما في الظاهر في
حق الاحكام حتى يحكم له باحكام الاسلام كما اذا اكره على الكفر واجرى كلمة الكفر على لسانه يجب ان يكون ذلك كفرا
في الظاهر فيحكم بحكمه ومما الفرق بين الامرين فاذ كل واحد منهما مبني على الاختيار والاكراه لا يزيل الاختيار وكل
يتمسك على دينه ظاهرا لولا الاكراه ودليل على انه يتكلم بالايمان صدقا وتحقق في قلبه وكل واحد منهما رجع الى الاعتقاد
دون ظاهر اللسان والجواب من هذا من وجهين احدهما ان حقيقة الايمان والكفر بالقلب دون اللسان لان الايمان تصديق
والكفر تكذيب فذلك عمل القلب دون اللسان وغيره من الجوارح والاكراه انما يجري فيما يقوم بالجوارح الظاهرة مما يعرف
المرء مخافة ان يستعمل فيما اكره وعليه لخوف الهلاك على نفسه فاما القلب فلا سبيل لاحد عليه لاستعماله فانه اذا اكره
عليه فانه [illegible] بظاهر اللسان مع ما في القلب على ضده فلا سبيل لاحد من البشر على استعماله وذلك فضل من الله ومنه
على عباده حتى لا يقدر احد على جعله مضطرا في الكفر فاذا لا يجب بالاكراه والناس ضيعها في القلب حالة الطوع ولانه
يمتنع عن ذلك فلم يكن الاعتقاد عليه مع الاكراه دليلا على ما في الضمير فيجب ان لا يحكم بكفره ولا باسلامه بسبب الاكراه
كرها اذا ما حقيقة الحال فامر بينه وبين ربه فاذا اتى بالكفر حقيقة بقلبه يكفر وان اتى بالاسلام حقيقة يكون مسلما لكن
احتمال ان يأتي بالحقيقة في هذه الحالة ويكون الكلام باختيار كما في قلب غايته فالاسلام الثابت في حق الاحكام حال
الطوع بدليل لا يزول في حال الاكراه بالاحتمال والكفر الثابت بالدليل وهو الاختيار من طوع يزول بالاحتمال الذي هو
اضعفهما قبلنا منهم الاسلام مع الاكراه لنقرهم فيما بين المسلمين فيرون محاسن الاسلام ومحاسنه ويسمعون حقيقته فيوله
امرهم الى الحقيقة وان كنا لا نعلم حقيقة الحال الاسلام ولا من حيث غالب الحال الا يرى انه قال يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن [illegible] سماهن مؤمنات ثم امر بامتحانهن ليظهر حقيقة ايمانهن بالدليل الغالب والاسلام يكون بالامتحان
معنى لان الاسلام من الخوف السيف من حيث الظاهر وهذا المعنى معدوم في جانب الاكراه على الكفر وهذا قلنا انه لا يجبر
على الاسلام لان معنى الجبر تحقق في حقه لانه صار من اهل دار الاسلام بالذمة فيرى محاسن الاسلام فيفضيه الى الا
[illegible] والله اعلم والثاني ان ملة الاسلام واجبة فالحق الاسلام [illegible] فلا يكون عنا ان الدليل المحمل
في باب الاسلام من باب الجلاد الذي فاعتبار الغالب على العرض والحقيقة من حيث اليقين غير ثابت فيجب اعتبار المحتمل
دون الغالب فلا يحكم الاسلام والله الموفق وكان بن المعيني يجوز الاكراه على الاسلام في حق اهل الحرب بالمقاتلة وعدهم
اخوانا الاكراه على الاسلام بالمقاتلة على طريق المجازاة فانهم يقاتلونا ويجبرونا على دينهم لو ظفروا بنا فنحن نصنع بهم
مثل ذلك وان كنا نعرف من حيث الظاهر ان ايمانهم ايمان دفع القتل عن انفسهم قال الله تعالى وقاتلوا المشركين كافة

كما نبيا تلونكم كافة والله اعلم وعلى هذا الاصل خرج الفرق بين الطلاق والعتاق والنكاح وبين الاقرار بهذه الاشياء
حيث صح الانشاء بعد الاكراه لا الانشاء هذه التصرفات تثبت بالتكلم باللسان والمكره مختار في ذلك التكلم لانه غير مضطر
من جهة لان المكره لو اجتهد ان يستعمل لسانه بالتكلم لا يقدر عليه فكان باختيار يتكلم به لكن لخوف السيف اختار الايتان به
والا لا تقتضيه له فاما الاقرار اخبار عن امر كان والاخبار يقتضي وجود المخبر به اذا كان يكون الاخبار صدقا والا يكون كذبا
وانما يعرف الصدق في الخبر من حيث الظاهر والظاهر لا يدل عليه مع الاكراه فلم يصح بخلاف الانشاء فانه لا يدل به عن احتمال
الفعل لوجوده فاما البيع والشراء ونحوهما من التمليكات لم يصح مع الاكراه حتى لا يفيد الحكم بدون القبض والتسليم لان
تمام الحكم وهو ثبوت الملك للغير والازالة عن نفسه لا يتعلق بالكلام نفسه انه يثبت بالاخذ والتسليم ويعد الحكم
به وهو بطريق التمام وهذا لان حقيقة التمليك انما يظهر عند ازالة يده والتسليم الى الغير لا ان التكلم به دليل عليه حالة
الطوع فاذا لم يوجد التسليم حقيقة لا يثبت الملك مع الاكراه بخلاف الاسقاطات ونحوها والله اعلم ووجه اخر من الفرق
بين الاكراه على الاسلام والاكراه على الكفر ما قيل ان المكره مختار على ما ذكرنا والتكلم باللسان اقيم مقام عمل القلب
في حق الاحكام وان تعذر الحقيقة ذلك في المنافقين بيد انما تحقيقه لم يعمل به في حق الاحكام واذا كان كذلك
تجري على الظاهر بعد وجود الدليل من حيث الظاهر عن اختيار يجب القول بصحتها في حق الاحكام الا ان الله عفى عن عباده
عن اتيان كلمة الكفر عن اختيار عند الاكراه في حق الاحكام فضلا منه ونعمة اذا كان قلبه مطمئنا بالايمان بقوله الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فبقي اسلامه وسائر الاحكام واقعة ثابتة لكن في هذا الوجه ضعف لان الاسلام
اذا كان هو التصديق وحده او كان التصديق مع الاقرار جميعا عند بعض الناس فعالم يوجد جميعا لا يكون ايمانا الا ان
من حيث هو اصل عند البعض ان يوجد فحيث هو داخل التصديق لم يوجد الا الاكراه يبطل لانه على ذلك فكيف يحكم
بايمانه من حيث الظاهر بعدم الدليل دل على ذلك الكفر وهذا الاصلح الاقرار في حال الاكراه في حق الطلاق والعتاق
والبيع وغير ذلك دليلا على وجود المقر به لكونه ملحقا في هذا الامر والله اعلم ويبطل بما قلنا مذهب من يجعل تصرفات
المكره فاذا استدل بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العفو عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
لان ذلك في الكفر ليس بعذر لان الاكراه على الكفر كان ظاهرا ... وكذلك غيره من طلاق احد وغيره فيجب ان
كان معناه ما اتعارفوا عليه والله اعلم فقال الاكثر من اهل التأويل ان الاية نزلت في عمار بن ياسر وليس لها حاجة الى الخاصة فيما ذكرنا
من الحكم فيه من الحكمة والله اعلم وقوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا اي من شرح صدره بالكفر فهو كافر وان كان
ذلك على الاكراه لما ذكرنا انه باختياره للكفر بالقلب يشرح له للكفر بالقلب ينشرح له الصدر ولهذا لا يعمل الاكراه
على القلب فيكون طائعا في التكذيب بالقلب واعتقاد ذلك وقوله تعالى فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم
ظاهر وقوله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة اي ذلك الغضب بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة
وذلك يحتمل وجهين احدهما استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة جحودا وانكارا في الاخرة لان استحباب الدنيا قد يكون من المؤمن
ولا يزول عنه اسم الايمان كقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم
بالحيوة الدنيا لم يزل عنهم اسم الايمان باختيارهم واستحبابهم الحيوة الدنيا فدل ان الاول على الجحود والانكار وهذا
على الميل اليه دون الجحود والله اعلم ويحتمل ان يكونوا كذلك لما لم يروا الاخرة كائنة لا محالة ولكن ظنوا انها
كائنة كقوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين واما اهل الاسلام فانهم لم يكونوا فيها ظانين شاكين ولكن كانوا
محققين متيقنين فاستحبوا لذلك وقوله تعالى وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر
او قال ذلك لقوم علم الله بانهم يختارون الكفر ويموتون على الكفر فلا يهديهم او ان الله لا يهدي القوم المختارين
للكفر على الايمان وقوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم الطبع هو التغطية يغطي ظلمة
الكفر نور القلب ونور السمع ونور البصر كان لكل احد نورين وبصرين ظاهر وباطن يبصر بهما جميعا فاذا ذهب
احدهما او عمي صار لا يبصر شيئا لكن يبصر ببصر الظاهر انما يبصر بنور بصره وبنور الهوى فاذا دخل في احدهما افة ذهب
الانتفاع وصار لا يبصر شيئا فعلى ذلك القلب له بصر خفي وبصر ظاهر الذي هو سمع وخفاته يبصر بهما فاذا غطى ظلمة
الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا الا يرى انه قال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولحنوا في الا
الظاهر لا تعمى ولكن عميت القلوب التي في الصدور وهذا معنى طبع السمع والبصر والله اعلم وقوله تعالى واولئك هم الغافلون
يحتمل غافلون عن النظر في اياته وحججه ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم اياته وحججه والله اعلم
وقوله تعالى لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون قد ذكرنا ما قيل في قوله لا جرم فيما سبق وقوله هم الخاسرون قال الحسن
انهم والله خسروا الجنة رحمة الله وخسروا اهليهم ومنازلهم التي كانت لهم في الجنة وخسروا انفسهم حيث لم ينتفعوا بها
وقال ابو بكر الاصم خسروا النعم الدائمة الباقية بلذاته الفانية وخسروا انفسهم حيث قبلوا واسروا في الدنيا
والله اعلم وقوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قيل عذبوا على الايمان بمكة من جهة الكفار ثم جاهدوا

مع النبي واصحابه عدوهم وصبروا على ذلك ان ربك من بعدها اي من بعد الفتنة لغفور لما كان منهم رحيم ثم ذكر ان ربك
مرتين فقال ثم ان ربك للذين هاجروا ثم قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم فينبغي ان يكتفى بمرة واحدة فيكون ان ربك لغفور
رحيم موصولا بقوله للذين هاجروا لكنه ذكر مرتين لوجهين احدهما انه طال الكلام قبل وجود الجواب فاعاد ذلك ليصح
لا يقع في الاوهام انه غير متصل بالاول ومن هذا اخذ اصحاب الشروط انهم يكتبون هذا ما اشترى فلان بن فلان من فلان
بن فلان ثم اعاد قوله اشترى لطول الكلام كذا هذا ويحتمل ان غفور لهم يعني لهؤلاء الذين فتنوا وعذبوا وغيرهم وذكر
اهل التأويل ان اناسا من المؤمنين خرجوا الى المدينة فادركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا
فانزل الله تعالى قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية ومنهم من قال ايضا فيهم نزل قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون وقوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها قال الحسن تجادل اي تحتج عن نفسها بما عمل من خير او شر
وقال ابو بكر الاصم ان كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائر في عنقه ولكن ليس فيما ذكر المجادلة والله تعالى
ذكر المجادلة والمجادلة المخاصمة كانها تخاصم عن نفسها من انكار اشياء ودعوى اشياء على ما ذكر في غير اية من نحو قوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال بعضهم ان جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل الا وقد جثا لركبتيه خوفا منها فعند ذلك تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها والاشبه ان يكون
مجادلتهم على غير هذا ... ما ذكر يشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء فذلك مجادلتهم انفسهم وهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين وكذلك ما ذكر في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فذلك كله مجادلتهم
انفسهم وان يقال تجادل كل نفس عن نفسها كما احتج لا بنفسها تلك المجادلة لان الله ذكر المجادلة ولم يفسرها
والله اعلم وقوله تعالى وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم
وهذه الاية على المعتزلة لانهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه توفى كل نفس ما عملت فما بال الوفاء
ما عملت من شر ولا يوفى ما عملت من الخير وهي الطاعات وقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية اختلف في ضرب المثل
في هذه الاية وفي نزولها قال بعضهم ضرب المثل لاهل مكة وفيها نزلت الاية ضرب المثل لهم بقريات نزل بهم العذاب
بتكذيبهم رسلهم كبني اسرائيل يحذر اهل مكة بتكذيبهم رسول الله نزول العذاب بهم كما نزل باولئك وقال بعضهم
نزلت في اهل المدينة وضرب لهم المثل باهل مكة يحذر اهل المدينة لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اهل مكة فيحل بهم
كما حل باهل مكة من لباس الجوع والخوف بالتكذيب وقوله تعالى كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
قيل هي مكة وهكذا كانت مكة اهلها امنين مطمئنين ياتيهم رزقهم رغدا من كل مكان ويحتمل قرية اخرى غيرها
على ما ذكر وقوله رغدا قال الكسائي رغد الرجل اذا اصاب عيشا ... وقال القتبي رغدا اي كثيرا
واسعا وقوله تعالى فكفرت بانعم الله اي كفرت بالشكر لانعم الله اي لم يشكروها لانهم لم يروها من الله
وقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون اللباس هو ما يستر وجوه الجوهر الا ترى انه سمى
الليل لباسا لما يستر وجوه الاشياء فعلى ذلك الجوع يرفع الستر واللباس الذي كان قبل الجوع لان الجوع اذا اشتد
غير وجه صاحبه ورفع ستره والجوع ما ذكر انه اصابهم جوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والخوف
ما ذكر انه ... ما بعث اليهم من البعوث والسرايا الا ترى انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقيل الخوف بالقتل
وقوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون وقوله منهم اي من انفسهم من نسبهم
وجنسهم يعرفونه كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون في التكذيب حيث وضعوه
في غير موضعه ويحتمل ظالمون على انفسهم احتج عز وجل انه بعث الرسول من جنسهم ومن جنسهم لانه اذا كان من غير جوهرهم
لم يظهر الاية من غير الاية ولا الحجة من الشبهة لانه اذا خرج على غير المعتاد والطوق عرفوا انه اية وانه حجة ولا يعرفون
من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق ولا يعرفون ذلك من جوهرهم لما يعقل من كان على غير جوهرهم في القوة والطبيعة على
خلافهم وكذلك يعرف صدق من نشأ بين اظهرهم من كذبه ولا يعرف اذا كان من غيرهم والله اعلم وقوله تعالى فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا قال بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا ما احل لكم وهو كقوله انكحوا ما طاب لكم
اي ما احل لكم وقال بعضهم اي حلالا يطيب لكم وهو ما يتلذذ به لان من الحلال ما لا يتلذذ النفس ولا تستطيبه
تكرم وهذا لان الله تعالى جعل هذا البشر ما هو طيب عالي ونحل البهائم والانعام ما هو خبيث لانه ما هو طيب
والذي على الشكر والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله حلالا طيبا اي لا سعر لكم وفي الاية انه قد يرزق ما يصيب لا يحل ليس
ما اختاره المعتزلة شرطوا فيه الحلال والله اعلم وقوله تعالى واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون الشكر لم يلزم
وانه يعبد او هو كقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين طاعته وطاعة رسوله واجبة وان لم تكونوا مؤمنين
ويحتمل اي وجهوا شكر نعمه اليه ان كنتم عابدين له اي اجعلوا العبادة له والشكر في الاحوال كلها وقوله تعالى انما حرم عليكم

الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • اي حرم اكل الميتة وما ذكر كانه قال هذا وذكر في كل اثم حرم عليهم شيئا
احل لهم نحو ما حرموا على انفسهم اشيا احل الله لهم من الوصيلة والحام والبحيرة والسائبة وما ذكر يقال لهم حرم ذلك وكيف
انما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه على هذا الخط يخرج تاويله فلا يحل الاعتداء فانه سعيد والله اعلم
وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم • اي فمن اضطر الى ما ذكر من المحرم غير باغ على الذي عنه
وهو السبع كقوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وقال بعضهم غير باغ غير مستحل في دينه ولا عاد او لا معتد
في اكله وقال بعضهم غير باغ على المسلمين مفارق لجماعتهم مشاق لهم ولا عاد عليهم بسيفهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
وكذا تاويله عندنا ان قوله غير باغ سوى دفع الهلاك عن نفسه ولا عاد معتد ويتجاوز اضطراره ولا يحتمل ما قال بعض
الناس غير باغ على الناس ولا معتد عليهم [illegible] لانه لا يحتمل البغي على الناس في حال الاضطرار لانه
لا يقدر عليه [illegible] يكون باغيا على نفسه لانه
ان لم يتناول وهلكت نفسه فيصير باغيا على نفسه [illegible] وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام [illegible]
[illegible]

امة قانتا لله اي مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقال بعضهم كان امة اي اماما يقتدى به في كل خير كقوله اني جاعلك
للناس اماما وقال الحسن كان امة اي سنة يقتدى به فيحتمل ان يكون سماه امة لما كان كالامة والجماعة في قيامه
مع الاعداء لانه وان كان منفردا وحده وكان قيامه مع الاعداء قيام الاكابر منهم كالجماعة والامة لا كالمنفرد او مثل
الامة الجماعة والعدد وقيل امة اي دينا كقوله ان هذه امتكم امة واحدة اي دينكم دينا واحدا ويحتمل كان امة لانه
كان يجمع كل خير وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير فسماه لهذا ويحتمل ان يكون يقتدي
الامة بما ذكر على اثره قانتا لله حنيفا الآية والقانت هو المطيع والقنوت هو القيام كما ذكر انه سئل عن افضل
الصلاة فقال طول القنوت اي طول القيام فعلى هذا المعنى هو القائم لله في كل ما تعبده وامره به وقوله حنيفا
قيل الحنيف المسلم وقيل المخلص وغيره على السلم كل ذلك كان خالصا مسلما مخلصا لله تعالى واصل الحنيف الميل
اي كان مائلا الى امر الله وما تعبده به وقوله تعالى ولم يك من المشركين لا يشك انه لم يكن من المشركين لكنه ذكر هذا
لوجهين احدهما لما ادعى كل اهل الاديان انهم على دينه وانتسبوا اليه فبرأه الله تعالى من ذلك واخبر انه
ليس على ما هم عليه من الدين وهو ما قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
والثاني ذكر هذا انه لم يكن من المشركين لقوله هذا ربي فاخبر ان ذلك منه في الظاهر يوهم اشراكا وتشبيها فبرأه
الله تعالى من ذلك واخبر ان ذلك منه لم يكن اشراكا ولكن خرج ذلك منه على المحاجة مع قومه لمحاجة قومه فذلك قوله
وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه والله اعلم وقوله تعالى شاكرا لانعمه اي لم يقصر في شكر نعم الله المنعم بل صرف كل
النعم الى المنعم فالشكر في الشاهد هو المكافاة ولا يبلغ احد من الخلائق في المرتبة التي تكافئ الله في اصغر نعمة انعمها
عليه ولا يتفرغ احد من اداء ما عليه من احسان الله عليه فضلا من ان يتفرغ لمكافاته لكنه تعالى بفضله ومنه
سمى ذلك شكرا وان لم يكن في الحقيقة شكرا كما ذكر الصدقة التي يتصدق بها العبد قرضا وكما سمى تسليمه نفسه
وبذله لامره تعالى شرى وان كانت انفسهم واموالهم في الحقيقة له ولا يطلب المرء القرض من عبده وكذلك
الشرى لكنه بفضله ولطفه عامل عباده معاملة من لا ملك له في انفسهم واموالهم فعلى ذلك في تسمية الشكر والله
اعلم وقوله تعالى اجتباه قال بعضهم اجتباه لرسالته ونبوته او اجتباه من بين ذلك القوم وجعله اماما يقتدى به
وقوله تعالى وهديه الى صراط مستقيم • وهو دين الاسلام وهو ما ذكر قال انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما الآية
وقوله تعالى وآتيناه في الدنيا حسنة قال بعضهم لسان الحسن وقال بعضهم الحسنة في الدنيا هي ان جميع اهل الاديان
يتولونه ويرضونه ويحتمل قوله وآتيناه في الدنيا حسنة اي ما آتاه الله من النبوة الا حسنة فعلى ما ذكر في قوله
ربنا آتنا في الدنيا حسنة اي ما آتينا في الدنيا اتنا الحسنة لا ان تؤتي حسنة انما هي حسنة ولهذا ويحتمل
ان يكون صلة وآتيناه في الدنيا حسنة مسكا متضمن روحه اي حال الحسنة متضمن وجه وقوله تعالى وانه في الآخرة
لمن الصالحين • اي لم ينقص مما آتاه في الدنيا مما له من الثواب في الآخرة وقال بعضهم وآتيناه في الدنيا حسنة الثناء والذكر
والله اعلم او يقال انه لم يعط الحسنة التي اخبرنا اتاها اياه ما هي لكن بين خصوصيته بذلك كما خص ابرهيم في قوله
اللهم صل على محمد كما صليت على ابرهيم وبركاته ابرهيم معنى حتى خص الله تعالى ابرهيم بمن بين غيره وكذلك الاولى
والله اعلم وقوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا • اي دين ابرهيم وسبيله وذكر في بعض الاخبار عن
نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال جاء جبريل الى ابرهيم عليه السلام يوم التروية فراح به الى منى فعلمه المناسك ثم اراها
اياه فاوحى الله تعالى الى محمد ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ولكن لا معنى للتخصيص بالحج فيحتمل امره ان يتبع
ملته في الحج وفي غيره واصل الملة الدين كقوله عليه السلام لا تتوارث اهل ملتين اي اهل دينين وقوله تعالى انما جعل
السبت على الذين اختلفوا فيه • قال بعضهم اختلافهم ان موسى عليه السلام امر بني اسرائيل ان يتفرغوا في كل سبعة ايام
يوما للعبادة وهو يوم الجمعة ويتركوا فيه عمل دنياهم فقالوا نتفرغ يوم السبت فان الله لم يخلق يوم السبت شيئا فقال
قوم منهم انظروا الى ما امركم به نبيكم فجيء بالعبادة فذلك اختلافهم فجعل لهم يوم السبت على ما سألوا فاستحلوا فيه
المعاصي فحرم الله عليهم العمل فيه عقوبة لهم وقال الحسن وقتادة انما جعل السبت اي انما لعن في السبت ومسخ قردة
الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم انه حرمه بعضهم واستحله بعض فرخص لهم انما جعل السبت على الذين اختلفوا
فيه يخرج على وجهين احدهما انما جعل محنة السبت على الذين اختلفوا فيه على الذين فسقوا فيه حيث قال بما كانوا يفسقون
والثاني انما جعل عقوبة السبت على الذين اعتدوا فيه دون الذين اختلفوا فيه لان فرقا منهم قد نهوا اياهم عن ذلك
وفرقا قد اعتدوا فاهلك الذين اعتدوا دون الذين نهوا اياهم عن ذلك والله اعلم وقال ابو بكر الاصم اختلافهم كان
في تكذيب الرسل والانبياء فمنهم من صدق ومنهم من كذب فحرم عليهم يوم السبت عقوبة عليهم ويحتمل ان يكون اختلافهم
ما سألوا موسى من الآيات العجيبة والاسئلة الوحشة كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة
ونحو ذلك بعدما اقام عليهم آيات كانت لهم فيها كفاية فيشبه ان يكون اختلافهم الذي ذكر في ذلك والله اعلم ثم قوله اختلفوا

يختلفون فيه اى في موسى او اختلفوا في يوم السبت حكى ما صوفيه والله اعلم وقوله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ٭ اى يحكم بينهم بالجزاء فيما اختلفوا فيه ويحتمل يحكم بينهم بما يبين المحق من المبطل على ما قال
بعضهم لكن لقائل ان يقول انه قد بين في الدنيا بين المحق والمبطل حيث اهلك المبطلين وانجى المحقين فكيف قال انه ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة الا ترى انه لا شبهة ان يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
قيل دين ربك بالحكمة قال الحسن الحكمة القرآن اى ادعهم الى دين الله بالقرآن وقال بعضهم الحكمة اى بالحجة والبرهان
حجة الله وقوله تعالى والموعظة الحسنة ٭ قال الحسن لعظهم بالمواعظ التى وعظهم عز وجل في الكتاب وقال ابو بكر
اى ذكرهم النعم التى انعم عليهم وجادلهم بالتى هى احسن اى جادلهم باحسن المجادلة بلين القول وخفض الجانب
ولين الجناح لعلهم يتبعون دينه ويخضعون لربهم وكذلك اختلفوا في قوله واذ علمتك الكتاب والحكمة وفي قوله ويعلمهم الكتاب
والحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة واحد انه شئ واحد هو القرآن وقال بعضهم الكتاب هو القرآن وهو جامع لكون الحكمة
هى الاحكام وهى السنة وقال بعضهم الكتاب هو التنزيل والحكمة هو معنى الموضع ضمنه فيقولان الكتاب والحكمة واحد هو
القرآن نفسه لكن في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة القرآن ومن يقول انهما غيران يقول بعضهم ان الحكمة الحجة والبرهان لما
من جهة الاحكام ومن جهة الاخراج من الكتاب لان الحكمة هى تشتمل على العمل والعلم جميعا كانه قال ادعهم الى دين الله
بالعلم والعمل ويحتمل ان يكون قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة التى ذكر في هذه السورة من ذلك قوله يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه من بطون النحل وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه الاية وما ذكر انه يخرج من الحب والنبات والا
وانواع الثمرات ونحو ذلك فهذا كله بحكمة اى ادعهم الى دينه وذكرهم بهذا وهم يقرون به لقبلوا دينه ويخضعوا لربهم والموعظة
الحسنة ما ذكر في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر وذلك كله مستحسن في العقل
وتوجبه الحكمة لان العدل والاحسان وما ذكر من ايتاء ذى القربى الصنيعة مستحسن في عقل كل احد والانتهاء ايضا عن
الفحشاء والمنكر مستحسن مستقبح ثم قال بعد ذلك في اياته ثم قال يعظكم لعلكم تذكرون وقوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن
يحتمل والله اعلم اى جادلهم بالذى يقرون على ما ينكرون وهو كما ذكر افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وقوله ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شئ الاية وقوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الاية ونحوه امر بان يجادلهم باحسن المجادلة بما يقرون وذلك
على النبى منكر وتليين لهم القول والخضوع له والله اعلم ثم في الاية دلالة تعليم المناظرة في الدين وكيفية المناظرة بعضهم
بعضا فيما يحسن حال الدعوة الى سبيل ربك بالحكمة التى هى القرآن وغيره من الحجج والبينات والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتى هى احسن هكذا يجب ان يناظر بعضهم بعضا بالرفق والنصح وصف الله على ذلك ما ذكر الله في كتابه مناظرة الانبياء
والرسل مع الفراعنة وكبار الكفرة وهو ما قال الم تر الى الذى حاج ابرهيم في ربه ان اتيه الله الملك اذ قال ابرهيم ربى الذى
يحيى ويميت قال انا احيى واميت الى اخره ولذكر قوله وحاجه قومه قال اتحاجونى في الله وقد هدان وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه ومناظرة فرعون مع موسى حيث قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
وكذلك ما قال اللعين فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وما قال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون وكذلك قال الملحدون فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه ونحو ذلك مما يكثر فهذه مناظرة
الرسل والانبياء عليهم السلام مع الفراعنة والملحدين فكيف المناظرة بين الاولياء فهذا كله يرد على من يابى المناظرة
في الدين ويمنع التكلم فيه والاحتجاج والله اعلم وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
في الاية اشارة وكناية الى نسبتهم الى الضلال لا على التصريح بذلك لحسن المعاملة التى علم رسوله وامره بها ما لهم لم يقل
لهم صريحا انكم قد ضللتم عن سبيله لان ذلك اقرب الى القبول وانميل الى العقل واخذ الاريحية قال الله لموسى وهرون
حين ارسلهما الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
اختلف في سبب نزوله قال بعضهم نزلت في اصحاب رسول الله وذلك انهم قد مثلوا يوم احد بقتلى المسلمين وقطع
الاذان وجدع الانوف ونقل البطون حتى قال النبى اذا اظفرنا الله بهم لنفعلن ونفعلن كذا وكذا فلما ارادوا ان يجاوزوا
ذلك فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ففى الاية بشارة لهم بالنصر والظفر على اعدائهم لانه لو لم يكن
لهم الظفر بهم كيف يقدرون على معاقبة مثل ما عوقبوا دل انه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم وفيه لا انه يجب ان يأخذ
من تولى القتل والاخذ والضرب ما عملهم لا انه يطفروا باولئك الذين تولوا ذلك لكن يأخذ احدا منهم بهم والمعونة
بعضهم بعضا فعلوا ذلك فيكون في الاية دليل اخذ جميع قطاع الطريق بالقطع والقتل وان كان تولى ذلك البعض منهم لان
من تولى ذلك انما تولى بمعونة من لم يتول والله اعلم وقال بعضهم نزلت الاية في حمزة سيد الشهداء انه مثل به حين قتل
فاشتد ذلك على النبى عليه السلام لئن ظفرنا باولئك لنفعلن كذا ولنفعلن كذا فنزلت الاية وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به لكن انا نثبت هذا فى الوقت الذى كان يؤخذ غير القاتل والجارح بالقتل وذلك كان في ابتداء الاسلام الا ترى

انه قال الحر بالحر والعبد بالعبد كانوا هموا ان يأخذوا الحر بالعبد والذكر بالانثى حتى نزل هذا فصارت منسوخة بقوله وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس ولو كان يؤخذ غير القاتل العاصي لم يكن فيه حرج ذلك يخرج على احد وجهين على النسخ الذى ذكرنا او على النهى عن
الاخذ اكثر من حقه كقوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال بعضهم نزلت الاية في ابتداء الامر لانه كان القتل
مع الكفرة بطريق المجازاة مثل قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم ونحو ذلك
كان على المجازاة امران لا يجاوزوا حقهم منهم ولكن مثله فاما اذا كان القتال معهم لا على المجازاة فانهم يقتلون جميعا
اذا ابوا الاسلام بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله تقاتلونهم او يسلمون وقوله عليه السلام امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والله اعلم وقال بعضهم الاولى ان الاية نزلت في اهل الاسلام وحكمه في القصاص
والقطع فيما دون النفس والجراحات امروا ان لا يجاوزوا حقهم كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى
الاية والله اعلم وقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ٭ اى الصبر خير للصابرين وهذا يدل على ان الاية في القصاص
لا في الحرب لانه لا يقال في الحرب اصبروا ولا يكون الصبر خيرا لانه في غير حال المحاربة والله اعلم وقوله تعالى واصبر وما صبرك
الا بالله ٭ اى اصبر لهم وما توفيقك على الصبر الا بالله كقول شعيب ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى
الا بالله الاية والثانى واصبر وما صبرك الا بالله او اترك القصاص وما تركك القصاص الا لامر الله حيث امرك به
لا لضعف او عجز فيك وقوله تعالى ولا تحزن عليهم قال بعضهم انه كان يحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم وتركهم
الايمان به كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقال ولا تحزن عليهم
على التخفيف والتسلى لذلك لا على النهى عن ذلك ويحتمل ان يكون قوله ولا تحزن على المؤمنين الذين قتلوا واستشهدوا
لانهم مستبشرون فرحون عند ربهم بما اتاهم الله كقوله بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله
الاية اى لا تحزن عليهم وهم فيما ذكره ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله لا تحزن على المؤمنين ولا يضيق صدرك
بما يمكر بك اولئك الكفرة اذ كانوا يمكرون برسول الله واصحابه ويؤذونهم امره لا يضيق صدره لذلك فان الله
يعصمكم عن ذلك وقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يحتمل مع الذين اتقوا مخالفة الله ورسوله
بالنصر لهم والعون ويقول ان الله مع الذين اتقوا محارم الله وان تكون مناهيه بالنصر لهم والمعونة وقوله تعالى
والذين هم محسنون ٭ اى الى نعم الله بالقيام بشكرها ويحتمل الذين هم محسنون في العمل بالتوحيد والله اعلم

سورة الاسرى

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ٭ سبحان كلمة
اجلال الله عن الاكفاء وتنزيه عن ما قالت الملحدة فيه وظنت الملحدة به من الولد والحاجة وجميع معانى الخلق وروى
في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل شر ومعنى قوله
سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والله اعلم كانه ذكر انه قدر على ان اسرى بعبده ليلا
مسيرة شهر يقدر على احياء الموتى بعد الموت ويملك حفظ رسوله عن الاعداء والنصر والظهار اياه ونبوته ورسالته وقطع
جميع حيل المكذبين له ونحو ذلك وقوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى اى مسجد بيت المقدس وسماه الاقصى
وهو الابعد من قصى يقصى فهو قاص وانما سماه الاقصى لانه يومئذ لم يكن الا المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس فيكون
ذلك بمقابلته ابعد وقوله تعالى الذى باركنا حوله ٭ قيل سمى مباركا لكثرة انزاله وخيراته وسعته وقيل سمى مباركا لانه
كان مكان الانبياء ومقامهم ويتبركون بهم ومنهم والله اعلم وقوله تعالى لنريه من اياتنا ٭ اى لنريه من اياتنا
الحسية بعدما اريناه الايات العقلية لان الايات الحسية اكبر في قطع الشبهة ودفع الوساوس من العقلية اذ لا يسلك
احد فيما كان سبيل معرفته الحس والعيان وقد يعترض فيما الشبهة والوساوس في العقليات لانه لا يسلك احد في
انه هو ولعل الله تعالى اراد ان يرى رسوله ايات حسية يضطر المتعنتين على قبولها والاخبار بها والاقرار له انه رسول الله لما
انه كان يخبرهم من الاخبار حيث قال انه راى عير فلان وامورا يعلمون انه لا يقول الا عن مشاهدة وعيان ليس ذلك على
التحرص ولا هوى منه ولا هو افتراء ولا اساطير الاولين على ما نسبوه الى السحر والى الافك والافتراء ثانيا لانه عليه
السلام كان ما اخبر من الايات العقليات قالوا انه سحر وما ذكر من الانباء التى كانت في الكتب المتقدمة قالوا اساطير الاولين
وانما نعلمه بشر والله اعلم ثم ما روى من الاخبار انه عرج به الى السماء حتى راى اخوانه الانبياء الماضين قبله وما ذكر فيها
فنحن نقول لما قال الصديق رضى الله عنه لقد صدقتك ما قال انى اشهد على ذلك ولا نقول بعدد ما في الاية
انه اسرى به الى بيت المقدس المسجد الاقصى ولا نزيد عليه لانه من اخبار الاحاد فلا تسع الشهادة به وقوله تعالى انه هو السميع

البصير • يحتمل الخبير بمجيب لمن دعاه وسأله والبصير اي خبير بحوائجهم ويحتمل اي من بصير لرسله ان انزل ونحو ان يرد
على المادرك لا يحتمل ان يخفى عليه شيء من قول او عمل والله اعلم قوله تعالى واتينا موسى الكتاب يعني التورية وجعلناه هدى
لبني اسرائيل كل كتب الله تعالى هدى لمن استهدى ورشد لمن استرشد وبيان لمن استوضح لانها دعا الى ثلث خصال الى
محاسن الامور ومكارم الاخلاق ومصالح الاعمال ونهت عن ثلاث عن مساوي الاخلاق وعن سفاسف الامور وعن رذائل
الاخلاق ورداءتها والله اعلم وانما ذكر انه جعل الكتاب هدى لبني اسرائيل وان كان في نفسه هدى على الاطلاق لان المنفعة
الكتاب حصلت لهم لانهم هم الذين استهدوا به فعلى ذلك قوله هدى للمتقين قوله تعالى الا تتخذوا من دوني وكيلا اي الينا
لهم في الكتاب او ذكرنا المرضيا او لعرنا لهم ان لا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا عليه الوكيل هو موكول الامر اليه معتمد في جميع
الاحوال عليه قائم في جميع ما وكل اليه بالشرع والفضل وقيل اي ربا والها وقيل شريكا واصله ما ذكرنا ان الوكيل هو المعتمد عليه
قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح قال بعضهم يعني بالذرية الانبياء الذين كانوا من قبل او كانوا من ذرية نوح ومن حمل معه
وهم بشر قال ذكر هذا لانكارهم بعث الرسل من البشر حيث قالوا ابعث الله بشرا رسولا ولو كان يحتمل ذرية من حملنا مع نوح اي
هؤلاء الكفرة من ذرية من حملنا مع نوح فكيف خالفوا اباءهم الذين كانوا على الهدى بانكارهم او يذكر انه هؤلاء الرسل
من ذرية من حملنا مع نوح وهم بشر فكيف انكروا الرسول على ما ذكرنا ثم قال بعضهم هو على النداء والدعاء اي يا من ذرية من حملنا
مع نوح في السفينة في اصلاب الرجال وارحام النساء زمان الطوفان لا تتخذوا من دوني وكيلا قوله تعالى انه كان عبدا شكورا
يعني نوحا قال بعضهم سماه شكورا لانه كان يذكر به في جميع احواله او يقال ان عبادته لله كانت عبادة شكر لا عبادة
استغفار اي كان شاكرا في عبادته لا مستغفرا وقال بعضهم الشكور هو الذي يبتغي مرضاة منعمه ويجتنب مساخطه وقال
بعضهم الشكور هو المطيع فسوق ذكرنا معنى الشكر انه اسم المكافاة والله اعلم قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين • اختلف في تاويل قوله وقضينا قال الحسن وغيره اي اوحينا اليهم فاخبرناهم واعلمناهم
في الكتاب وقال بعضهم اي حكمنا عليهم وقال بعضهم اي كتبنا عليهم وهذا لانه نقض على قول المعتزلة لانه اخبر
انه قضى على بني اسرائيل بالفساد وهم يقولون ان الله لا يقضي الا بما هو صلاح دون الفساد فان كان تاويل القضاء
هو الكتابة او الحكم والتقدير او الاخبار وهو ظاهر وان كان هو الاخبار والاعلام كما ذكر الحسن وغيره حجة عليهم
ايضا لانه اخبر انه اخبرهم واعلمهم انهم لتفسدن في الارض مرتين فيقال لهم كان اخبرهم واعلمهم ليصدق في خبره
او لا فان قالوا انما اخبرهم ليكذب في خبره فهذا كفر فاذا كان اخبرهم ليصدق في خبره فذلك منه حكم بهم لتفسدن
في الارض والله الموفق ثم من سأل آخر في المعصية انها كانت بقضاء ما لا يجيب على الاطلاق بنعم او بلا لانه
انه ما يريد بالقضاء وما يفهم منه لان القضاء يتوجه الى وجوه احدها يرجع الى الخلق والانشاء وهو كقوله فقضاهن
سبع سموات في يومين ويكون يريد به الامر كقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ويكون يريد به الحكم كقوله
فاقض ما انت قاض اي احكم ما انت حاكم ولم يعرف القضاء الحكم والنص على ما يقع له المعتزلة فلا يجاب على الاطلاق ولا
ان يبين انه ما اراد بالقضاء فاذا اراد بالقضاء الحكم ضد ذلك يقول نعم كانت المعصية بقضائه وحكمه وليس فيما
قضى وحكم رضاه في المعصية وحمله على ذلك والله الموفق ثم اختلف في قوله مرتين قال بعضهم ان بني اسرائيل عملوا بالمعاصي
فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم وسبى ذراريهم واخذ اموالهم فكانوا كذلك زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك ثم بعث
الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من يديه وردهم الى مكانهم ثم عادوا الى ما كانوا من قبل ثم سلط عليهم بخت نصر ففعل
بهم ما فعل جالوت ثم تابوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بعث اولا بخت نصر ثم (?) ثم (?)
وهو ما قال فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد الى قوله وان عدتم عدنا اي ان عدتم الى المعصية
عدنا الى العقوبة ولكن ليس لنا الى معرفة تلك حاجة سوى ما فيه من وجوه الحكمة الثلاثة احدها فيه دلالة اثبات
رسالة رسولنا لانه اخبر عما كان في كتبهم من غير ان يعلم ما في كتبهم ولا اختلف الى احد منهم وكان على ما اخبر دل انه
انما عرف ذلك بالله تعالى اخبر في كتابه وفيه انه لم يكن لقوم ما ينبغي لكفر اهلاك استيصال الحق كان فيهم من الكفر الذي
في الارض بالفساد والمعاصي دلالة ان ليس على الله حفظ الاصلح للعباد في الدين ولعطاء ما به يقوموا حيث لم يعصمهم على
الايمان ولكن ابقاهم حتى عصوا ربهم ثم سلط عليهم من قتلهم على تلك الحال ودعاهم الى دينه وهو كفر فلو كان عليه اعطاء
الاصلح لاماتهم على الاسلام قوله تعالى ولتعلن علوا كبيرا • قيل لتجترئن جراءة عظيمة وقيل لتقهرن ولتغلبن فيه
كقوله ان فرعون علا في الارض اي قهر وغلب الاترى انه قال وجعل اهلها شيعا يستضعف بيانه على الغلبة والقهر والله اعلم
وقيل العلو والجراءة قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما • اي جاء وعد هلاك من عصى منهم اولا وخالف امر الله
وكفر به بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد قال الحسن بعثنا عليكم ليس على بعث الوحي اليهم ولكن على التخلية اي
خلينا بينهم وبين عباد لنا اولي باس شديد اي اولي بطش شديد وقوة كقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
اي خلينا بينهم وبين الشياطين وقال بعضهم بعثنا عليكم اي سلطنا عليكم ثم قوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد

على التخلية

على التخلية لانه ذكر انه بعث عليهم عبادا اولي باس شديد انما بعثهم لجزاء اساءتهم ومن صنيعهم وذلك يفعل بهم
دل ان لله تعالى صنعا في جميع فعل العباد قوله تعالى فجاسوا خلال الديار • قال بعضهم جاسوا من التجسس اي يتجسسون
اخبارهم ويستمعون احاديثهم وهم جنود جاؤوا من فارس وقال بعضهم فجاسوا خلال الديار اي قتلوا الناس في الازقة
وقيل في الطرق وقال القتبي جاسوا اي عاثوا بين الديار وافسدوا وقال ابو عبيد فجاسوا اي قتلوا في ديارهم وقيل
فجاسوا اي داسوا قوله تعالى وكان وعدا مفعولا • اي موعودا كائنا انا لوعد لاتي وكذلك قوله انه كان وعد
ربنا اي موعوده ماتيا وكذلك ما اشبه هذا قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم • اي الغلبة والهلاك عليهم
وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا اي اكثر نفيرا لانهم حتى قهروا ثم اذا عصوا ثانيا وكفروا بربهم
سلط الله عليهم قوما آخرين فدمروا عليهم فذلك قوله فاذا جاء وعد الاخرة بالهلاك والتدمير ليسوءوا وجوهكم
ثم وعد لهم الرحمة ان تابوا وكفوا عن ذلك لقوله عسى ربكم ان يرحمكم بعد ما يعدكم العود اليهم بالعقوبة بقوله وان
عدتم عدنا اي ان عدتم الى المعاصي عدنا الكم بالعقوبة وقال القتبي ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة وقوله اكثر نفيرا له
عكسها وقال ابو عوسجة اكثر نفيرا هو من الخروج والنفر ومعناه اكثر عددا وقال قتادة المقاتلة الذين يستنفرون
للقتال اي استنفر قومه واستنفر اولئك كنتم اكثر منهم ثم قوله فاذا جاء وعد اولاهما الحق فجاسوا خلال الديار يحتمل
انه لم يكن في زمانهم الخطاب على ما ذكرنا ولكن كان والله اعلم فاذا جاء وعد اولاهما لنبعثن عبادا لنا اولي باس شديد
يجتسون او يجاسون ولكنه خاطب بهذا والله اعلم الذين كانوا بحضرة رسول الله وان كانوا هم لم يفعلوا ما ذكر لكن
كان فعل اوائلهم وكان هؤلاء يفتخرون باوائلهم يقولون هم ابناؤنا قد فعلوا كذا فيذكر هؤلاء نعم الله انعم على اوائلهم
ويحذرهم صنيعهم وهو كما خاطبهم بقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ونحو ذلك خاطب هؤلاء الذين كانوا
بحضرة رسول الله وما بهم على صنيع اولئك وفعلهم وان كانوا لم يفعلوا ذلك لما رضوا بصنيع اولئك ويعلمهم اسند
الشكر منهم على ما انعم اولئك ويحذرهم عن مثل صنيعهم والله اعلم قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم • لانه تعالى
ان الكريم يرجع منفعته ذلك وانتم تجزون على ذلك وان اساتم فلها اي فعليها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
اي عليها ضرر ذلك ودل على ذلك جميع ما امر الله تعالى عباده من الاعمال ونهاهم عنها انما امر ونهى لمنفعة انفسهم ولدفع ضررها
لا لمنفعة نفسه ولا لحاجة له تعالى ليحق المنافع والحوائج وقال وان اساتم فلها اي اليها اي الى انفسكم تسيئون قوله
فاذا جاء وعد الاخرة • اي فاذا جاء وعد عقوبة الاخرة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله ليسوءوا وجوهكم ولم يبين
من يسوء وجوههم فيشبه ان يكون قوما يسيئون وجوههم كما ذكر في الوعد الاول فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فهم يسيئون وجوههم هذا على القراءة التي قرئت بالياء وهي قراءة بواو
الجماعة وبواو واحدة على الوحدان وهو قوله ليسوء وجوهكم اضاف الى نفسه اي بامره كان يفعل ما كان من تسليط
اياهم عليهم فيضاف اليه والله اعلم ثم قوله ليسوءوا وجوهكم قال بعضهم ذكر الوجه كناية عن الحزن والهم والاهانة لهم ههنا
كما يقال لمن سررته اكرم وجهه او ادخل فيه سرورا وذكر الوجه لما بالوجه يظهر ذلك التغير والقبح والله اعلم قوله تعالى
وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة • فظاهر الاية ان يدخل الاولون المسجد في المرة الثانية كما دخلوه في المرة الاولى
لانه قال كما دخلوه اول مرة لكن يحتمل ليدخل عباد اخرون المسجد في المرة الثانية كما دخل الاولون في المرة الاولى
والله اعلم وقال بعضهم المسجد ههنا الكنيسة او البيعة قوله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا • اي ليهلكوا ويهلكوا
الى ما اقبلوا به ويدمروا عليه بالاسباب التي بها عصوا وقال ابو عوسجة ما علوا اي ليفسدوا ما ملكوا والتبار الفساد وقال
علوا ما علوا اي ملكت قوله تعالى عسى ربكم ان يرحمكم • يحتمل ان يكون ذلك لاولئك الذين تقدم ذكرهم وفيهم نزل
ما نزل ليرحمهم ان تابوا وعادوا الى الحق ويشبه ان يكون على الابتداء عسى ربكم ان يرحمكم قوله تعالى وان عدتم
عدنا • اي وان عدتم الى التكذيب والعصيان عدنا الى العقوبة في القتال الى يوم القيامة قوله تعالى وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا • اي محبسا لا يخرجون منها او مهادا محبسا وحصيرا يحصرون فيها والله اعلم قوله تعالى ان هذا القران
يهدي للتي هي اقوم معنى التانيث فيه لانه التي هي اقوم قيل فيه وجوه قيل انه هذا القران يهدي للملة التي هي اقوم الملل
والملة هي الدين دين الله وقال بعضهم معناه يهدي الى الامور التي هي اعدل الامور واصوبها وقيل يهدي الى السبل التي
هي اقوم السبل واعدلها ويحتمل ما ذكرنا من الخصال الثلاث يهدي الى الخصال التي هي اقوم وهي ما ذكرنا من معالي
الامور ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومصالحها وينهى عن مساوي الاعمال وسوء الاخلاق ورداءة الامور وخبائثها
ان يكون قوله يهدي للتي هي اقوم اي الاعمال الصالحات والخيرات لانه الاعمال الصالحات ثم قوله يهدي يحتمل وجهين
ههنا احدهما يبين والثاني يدعو فهو يهدي الكل على هذين الوجهين لكن خص هؤلاء لما ان منفعة البيان والدعاء ترجع
اليهم والله اعلم قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات • البشارة المطلقة انما جعل للمؤمنين
الذين عملوا الصالحات لم يذكر للمؤمنين خاصة بدون العمل الصالح وفيه دلالة ان يقع اسم المؤمن بدون العمل الصالح

فانه قال للمؤمنين الذين يعملون الصالحات شرط فيه العمل الصالح وشرط الشيء غيره فدل ان اسم الايمان تستحق بدون العمل الصالح وقوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا سماه كبيرا لكبر خطره عند الله كما سمى النار عظيما لعظيم خطره عنده او سماه كبيرا لانه اكبر ما يرغب فيه ويقصد له وهو ثواب الجنة كما ان النار اعظم ما يحذر عنها ويرهب منها وقوله تعالى وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما انكارهم البعث وكفرهم به هو الذي حملهم على تكذيبهم الرسل و كفرهم بالله ليسلم لهم شهواتهم في الدنيا لان الرسل جميعا دعوهم الى ترك شهواتهم في الدنيا ودعوهم فيما يوجب لهم الثواب في الاخرة وحذروهم عما يوجب العقاب فانكروا الاخرة والبعث ليسلم لهم الشهوات في الدنيا هو الذي حملهم على انكار الرسل وتكذيبهم اياهم الا ترى انه قال الذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقرآن او بمحمد اي ايمانهم بالبعث حملهم على الايمان بالقرآن فالرسول وتكذيبهم بالاخرة حملهم على تكذيبهم الرسل والله اعلم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير هذا يحتمل وجهين احدهما ويدع الانسان بالشر على العلم منه بذلك والثاني ويدعو الانسان بالشر لجيب فيه على الجهل منه والغفلة كدعائه بالخير لجيب في ذلك ثم انه كان ذلك الانسان هو كافر فهو يدعو على الاستهزاء كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقوله سأل سائل بعذاب واقع ونحو ذلك وان كان مسلما فهو يدعو بالشر على نفسه واهله عند الغضب على علم منه انه شر ويدعو ايضا بالشر على السهو والغفلة منه ما يسأل الانسان الله النكاح ولعل ذلك شر له وقال بعضهم معناه اذا غضب الانسان دعا على نفسه وولده واهله ويلعن كدعائه عليهم بالخير لذلك انتصب قوله دعاءه بالخير وقال الحسن ان الانسان يتضجر فيضجر وقلبه بادي شيء اكره فيلعن على نفسه واهله فلا يجيبه الله ثم يدعو بالخير فيعطيه الله او نحو من الكلام وقوله تعالى وكان الانسان عجولا قال بعضهم هذا لادم عليه السلام لانه لما خلقه الله تعالى نفخ الروح في بعض جسده همّ ان يقوم فسماه عجولا لكن كل انسان خلق من اصل الطبع عجولا لا اطلاق لاختصاصه بادم الا ترى ان الانسان لا يصبر على امر واحد ولا على شيء واحد فان كان نعمة لا يصبر عليها ولكن يمل منها وكذلك في شدة وبلاء اذا ابتلي به لم يصبر عليه فابدا يريد الانتقال من حال الى حال الا ترى ان قوم موسى قد اكرمهم الله تعالى بكرامات انزل المن والسلوى عليهم من غير كد ولا جهد ولا مؤنة وكذلك اللباس ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا لن نصبر على طعام واحد فسأل ربك لهم الثوم والبصل ونحو ذلك على ذلك الطبع الانسان ملول لا عجول لا يقدر اهلوعا على ما ذكر الا ان الله تعالى مكن في باطنه وجعل فيه سعة للاصلاح نفسه وصرفها الى احد الوجهين الذين يحمد عليهما او لا يأثم وهو ان يروضها ويعودها على الصبر والحلم فالوقار ويصرف ذلك العجلة الى الخيرات والطاعات التي يحمد عليها بالعجلة ولا يفوض ظاهر الخلقة والطبع منشئ فحكم وما ذكر الا ترى انه قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا كذا وهو ما ذكرنا والله اعلم لكن بما امتحنه من الامر والنهي والترغيب في الموعود والترهيب صيره بحيث يخرجه عما طبع وانشئ الى حال اخرى بالرياضة التي ذكرنا الا ترى انه ذكر الهلع والجزع ثم استثنى الا المصلين وعلى ذلك خلق الله تعالى الخلق على همم مختلفة واحوال متشتتة لم يخلقهم جميعا على همة واحدة بحيث يرغبون جميعا في معالي الامور ومعاظم الحرف وانفع الاشياء بل طبعهم على احوال مختلفة منهم من رغب في معالي الامور ومعاظم الحرف ومنهم من كانت همته الرغبة الى الدون من الحرف نحو الحجامة والدباغة والحياكة ونحوها وكذلك في الاشياء منهم من كانت همته في معالي الامور ومعاظم الاشياء وانفع الاشياء ومنهم بخلاف ذلك ولو كانت هممهم واحدة لذهبت المنافع والمعاش جميعا والله اعلم وقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين اختلف فيه قال بعضهم المراد بالليل والنهار الشمس والقمر وجعلنا الشمس والقمر آيتين الا ترى انه اضاف الآية الى الليل والنهار حيث قال فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وحيث قال لتبتغوا ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما يعلم ذلك بالقمر الا ترى انه قال ايضا هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب انما اضاف معرفة عدد السنين والحساب الى القمر لانه بالقمر يعلم ذلك وهو قول علي وابن عباس وغيرهما من اهل التأويل ويكون تأويل المحو الذي ذكر في قوله فمحونا آية الليل ما قالوا انه محو وهو السواد الذي يرى فيه والنقصان الذي يكون في آخره وقال بعضهم محي منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا وهذا ايد لهؤلاء واما الحسن وابو بكر وغيرهما من اهل التأويل يقولون ليس في الآية ذكر الشمس والقمر انما ذكر الليل والنهار واخبر انه جعلهما آيتين وهما كذلك آيتان وبهما يعلم عدد السنين والحساب لانه بالايام يعرف ذلك واما الشهور فانما تعرف بالقمر لا تعرف بالايام ويكون تأويل قوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة اي جعلنا آية الليل في الابتداء ممحوة مظلمة وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة في الابتداء ليس لانه كانا جميعا مبصرتين مضيئتين ثم محت آية الليل وابقيت آية النهار مضيئة ولكن انشاء آية الليل في الابتداء مظلمة وانشاء آية النهار في الابتداء مبصرة وهو كقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت انما انشاهما في الابتداء كذلك لا ان السماء كانت موضوعة فرفعها وكذلك الجبال كانت مبسوطة ثم نصبها ولكن انشاهما في الابتداء كذلك فعلى ذلك

قوله

قوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ثم قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين هما آيتان مختلفتان بل متضادتان تضاد كل واحدة منهما صاحبتها اذ كل واحدة منهما تنسخ الاخرى حتى لا يبقى لها اثر وهما آيتان على وحدانية الله لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اتى هذا على هذا وغلب عليه منع ان يكون للاخر سلطان وامر ولم يقدر على دفعه انه فعل واحد وفيه دلالة التدبير حيث جريا على سنن واحد ومقدار واحد على غير تفاوت يكون فيهما وتفاضل او تغير على ما كان ومضى دل انه من تدبير جرى وكان ذلك وفيه دلالة علم وحكمة لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل نفسه ولو كان النهار سرمدا لذهب منفعة النهار راسا وفيه دلالة البعث لانه يتلف احدهما اذا جاء الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يعيد على ما كان من غير ان يعلم انه غير الاول وفيه دلالة نقض قول اصحاب الطبائع واصحاب النجوم والدهرية وجميع الملحدة اما نقض قول اصحاب الطبائع لما ذكرنا من تساوي جريانهما على سنن واحد في امر واحد دل انه بالتدبير تعلقا لا يكون ذلك بالطبع واما نقض قول اصحاب النجوم لما جعل النجوم مسخرة لمنافع الخلق وتعلوه بعلوها ضوء الشمس ونور القمر حتى لا ترى دل انه لا تدبير لها وانما التدبير لغيرها واما نقض قول غيرهم من الملحدة ما ذكرنا من اتصال المنافع هذا بهذا ومنافع هذا بهذا والله الموفق وقوله تعالى لتبتغوا فضلا من ربكم يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق والمعاش الذي ذكر في آية اخرى وهي قوله وجعلنا النهار معاشا ويحتمل انواع الفضل الذي يكون في الدين وقوله تعالى ولتعلموا عدد السنين والحساب هو ما ذكرنا اذ بهما يعرف عدد السنين والحساب وقوله تعالى وكل شيء فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل تفصيل آية من اخرى اي لم يجعلها آية واحدة على ما ذكر وقال الحسن اي فصل وبين ما امر عباده ونهاهم وفصل ما يؤتى وما يتقى والله اعلم واصله انه بينه غاية البيان ولم يتركه مبهما وقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال بعضهم طائره سعادته وشقاوته ورزقه وعيشه وقال بعضهم عمله الذي يعمل من خير او شر وقال بعضهم حظه ونصيبه من عمله وهو جزاؤه وذلك كله يرجع الى معنى واحد لانه انما يسعد ويشقى بعمله الذي يعمله وكذلك يجزى عمله وكذلك قال الحسن في تأويل قوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي عملنا التي عملناها ثم يخرج تسمية العمل وما ذكر طائرا لوجهين احدهما على وجه التفاؤل والطيرة كانت العرب يتفاءلون ويتطيرون بالاشياء بالطائر وغيره يقولون جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له بكذا من الشر على طريق الفال والطيرة فخاطبهم على ما يستعملون واخبر ان ذلك يلزم اعناقهم ويخرج عليهم وهو كما قال الله تعالى خبرا عن قول الكفرة تطيرنا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله وقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله ونحوه والثاني سمى الاعمال التي عملوها طائرا لما ان التي يتولد منها الاعمال كالطائر وهي الهمة او لا يخطر الله تعالى بباله شيئا وفي الاخطار لا صنع له ثم يهم ثم تبعث الهمة على الارادة ثم الارادة تبعثه على الطلب والعمل فالهمة التي في النفس التي يتولد منها تلك الاعمال كالطائر فسماه لذلك باسمه والله اعلم وقال ابو عوسجة اي كتب ما عمل ثم تقلد في عنقه فيجيء به يوم القيامة وقال ابو عبيدة طائره حظه وقال غيره من المفسرين ما عمل من خير وشر الزمناه عنقه وقال القتبي وهذان المعنيان يحتاجان الى بيان والمعنى فيهما ارى والله اعلم ان لكل امرئ حظا من الخير والشر قد قضاه الله تعالى فهو لازم عنقه والعرب تقول لكل ما لزم الانسان لزم عنقه وهو لازم طائره عنقه وهذا لك علي وفي عنقي حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لما ذكرنا من قول العرب جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر على وجه الفال والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا وقوله في عنقه يحتمل وجهين احدهما يحتمل ان يكون العنق كناية عن النفس اي الزمناه نفسه وذلك جائز في عرف اللسان يقال العلادن علي وفي عنقي كذا سواء ويحتمل انه ذكر العنق كما يقول الرجل للاخر اذا اراد التخلص عن عمل قلدتك هذا العمل وجعلته في عنقك اي كمن انت المأخوذ به انما ان كان في ذلك شر وانت المأخوذ به المثاب ان كان فيه خير والمعنى في قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي لا يؤخذ غيره بعمل آخر وتبعاته ولكن هو المأخوذ به وهو كقوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى هذه الآيات كلها معناها واحد هو ما ذكرنا اي لا يؤخذ غيره بعمل آخر ولا يحمل نفس خطيئة اخرى ولا وزرها ولكن كل نفس هي تحمل خطيئة نفسها والله اعلم وقوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا يحتمل وجهين احدهما اي يحمل ما الزم عنقه كتابا يلقاه منشورا وقوله او يجعل بما الزم عنقه كتابا والله اعلم وقال القتبي اي يخرج ذلك العمل كتابا وهو ما ذكرنا وقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي يخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا يقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي ذلك لطف عظيم حيث يقرأ كتابه باي لسان كان لانه لم يبين باي لسان يكتب ثم يتذكر جميع ما عمل في عمره وقد ينسى الرجل عملا يعمل في ادنى مدة وهذا يتذكر في ساعة ما كان عامله والله اعلم وقوله حسيبا اي شاهدا وقيل كافيا وقيلهما وهو واحد لان المؤمن بما سبق من صالحاته يقف فيها لا ينقطع العمل فيها لاجابة رحمته ويخوفه عن مساويه فلا يشهد على نفسه بالعقوبة ويكون الحساب معينا اما الكافر فانه يشهد على نفسه بالكتاب لانه لم يكن له ما يطمع في رحمته والله اعلم وقوله

من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه • أي من اهتدى على الحجج أو تفكر في أنواع النعم وقام بأداء شكرها فإنما فعل ذلك
لنفسه لأنه هو المنتفع به وهو كقوله ومن شكر فإنما يشكر لنفسه وقوله ومن كفر فعليه كفره ويحتمل أن يقول من اختار الهدى
وأتبع الرشاد فآتاه مولاه فإنما يهتدي لنفسه أي فإنما اختار ذلك لنفسه لأنه هو المنتفع به وهو كما ... رقبته وقوله
ومن ضل فإنما يضل عليها • أي من اختار الضلال فإنما يرجع عليها ضرره وهو كما ذكر من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
وقال إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ونحو ذلك ومن ضل عن ذلك فإنما يضل عليها أي يرجع ضرر ضلاله على
نفسه والله أعلم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى • هو ما ذكرنا أن لا تحمل نفس خطيئة أخرى ولا تأثم بوزر أخرى
وإنما ذكر هذا والله أعلم ليعلم أن أمر الآخرة يخالف أمر الدنيا فقد تؤخذ نفس في الدنيا مكان أخرى وتحمل نفس مؤنة أخرى وفي الآخرة
لا تؤخذ نفس بدل أخرى ويحتمل الثاني فقد يتبرع في الدنيا بعض عن بعض بتحمل المؤنات والقيام بالمكارم وأما في الآخرة فلا يتبرع
بذلك والله أعلم وقوله تعالى وما كنا معذبين تعذيبا يستأصل الخلق في الدنيا إلا بعد دفع الشبه ونصبها عن الحجج وكل وجه
وتقدم تمامها وإن كانت الحجة قد لزمتهم بدون بعث الرسل ليندفع عذرهم من كل وجه ويحتمل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
أي فضلا لا منه ورحمة وإن كان العذاب يحل بهم والحجة قد قامت عليهم ثم العذاب الذي كانوا يعذبون في الدنيا ليس هو
عذاب الكفر لأن عذاب الكفر دائم أبدا لا ينقطع وهذا مما ينقطع وينفصل ولكن إنما يعذبون بأشياء كانت منهم من العناد
ودفع الآيات ونحو ذلك وأما عذاب الكفر فهو في الآخرة أبدا لا ينقطع وفي الآية دلالة أن حجة التوحيد لازمة لهم وقامت
عليهم بالعقل حيث قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولو لم تلزمهم لكان الرسل إذا دعوهم إلى ذلك يدفع الشبه
عنهم ويقطع عنهم عذرهم ... ليبينها إذ أسباب العلم أمور ثلاثة فمنها ما يعلم بظاهر الحواس بالبديهة ومنها
ما يفهم ويعلم بالتأمل والنظر ومنها ما لا يعلم إلا بالتعليم فالبينة تكون تنبيها وتذكيرا لهم والله أعلم ثم قوله وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا التعذيب يكون على وجوه ثلاثة أحدها أن يعذبهم في الدنيا ... تعذيبا ... أو ...
بلا جريمة كانت منهم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات فيكون تنبيها وتذكيرا
لهم لا لكفرهم والثاني يعذب تعذيب العناد والمكابرة وهو تعذيب أهل الشرك تعذيب استئصال ... عقوبة لهم وموعظة للمتقين
وعبرة لغيرهم وهو الذي يأتي على التمهيد والثالث العذاب الموعود في الآخرة فيحتمل وما كنا معذبين في الآخرة حتى نبعث
رسولا في الدنيا والأشبه أن يكون ما ذكر من التعذيب هو تعذيب استئصال في الدنيا وقوله تعالى وإذا أردنا
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها • قرئت الآية بالتخفيف والتثقيل فيحتمل وجهين أحدهما أمرنا مترفيها من الإمارة والتسليط
أي أمرنا عليهم وسلطنا مترفيها ففسقوا فيها ويستكبرون بها والثاني أمرنا مترفيها أي كثرنا عددهم وأكثرنا أموالهم
يقول العرب أمر القوم ... فيحتمل ... قالوا إنا وجدنا آباءنا على
أمة وإنا على آثارهم مقتدون وقوله وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين كانوا يزعمون أنهم لا يعذبون
لأنهم ممن أنعم الله عليهم في هذه الدنيا وأكثر أموالهم وأولادهم فظنوا أنهم يبقون كذلك ولا يهلكون ... أنه
ما أهلك من الأمم الخالية ... عليهم الشدة لم يهلكوا في حال الشدة والضيق كقوله ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة حتى عفوا أي كثروا وقوله حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون لم يأخذهم إلا في حال كثرة نعمهم
وانبساطهم فيها بالسعة ... بكثرة أموالهم وأولادهم وقوله ... من قرأ بالتخفيف ... من الأمر أي أمرنا
عظماءهم وكبراءهم بطاعة الرسل والإجابة إلى ما دعاهم إليه حتى إذا عصوا رسله وتركوا إجابتهم للعناد والمكابرة حينئذ
ذلك يهلكون لما ذكرنا أو تستأصل الأمم الخالية ... عنادهم في آيات الله وتكذيبهم ... وتكذيبهم ... لأنه
... كذبوا آيات الله وخالفوا رسله والله أعلم وقوله مترفيها اختلف فيه قال بعضهم المترف المنعم وقال بعضهم
المكثر المستكبر وقال بعضهم الآخر وكله يرجع إلى واحد ثم قوله وإذا أردنا أن نهلك قرية فيه دليل أن الإرادة غير
المراد لأنه أخبر بتقديم الإرادة على وقت الإهلاك ... على أن إرادة ... يهلكون بالتكذيب
والعناد لأنه ما علم منهم أنهم يختارون ذلك ... إهلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب الهلاك ... يرد على
المعتزلة أن الإرادة هي المراد ... ما كان من سبب الهلاك وهو العناد والتكذيب والله أعلم وقوله تعالى
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا • أي فحق عليها القول بما أراد إهلاكهم وأن يكون ... فحق عليها العذاب بما أخبر
عن الأمم الخالية وهو قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الآية وقوله فدمرناها تدميرا أي أهلكناها إهلاكا وقوله تعالى
وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح • يحتمل وجهين أحدهما أراد إهلاكهم ... حتف أنفهم ...
كانوا عددا قليلا ... من نوح ... ويحتمل أن يكون ... إهلاك أهل
استئصال وهو يخرج على وجهين أحدهما أنهم إذا استووا في هذه الدنيا ... في الحكمة التمييز
والتفريق بينهما ... يفرق بينهما فيها والثاني ... جميعا ... والحكمة ... الخلق
للفناء خاصة بلا عاقبة تقصد ... عبث باطل ... دار ... مقصودة حتى ... هؤلاء حكمة

بقصد

وفيه إثبات البعث وقوله تعالى وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا • يحتمل أن يكون الخبير واحدا ويشبه أن
يكون بينهما فرق الخبير العالم بما غاب عن الخلق والبصير العالم بما عاينه الخلق ... فلان يبصر في أمر كذا
وفلان أبصر من فلان ويحتمل أن يكون أراد بذنوب عباده هي مكرهم الذي كانوا يمكرون برسوله فقال وكفى بربك
الذي يمكرون بك خبيرا بصيرا وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد • يحتمل أحدهما أنهم
أنهم كانوا يعملون أعمالا حسنة في حال الكفر من نحو الإنفاق والصدقات وبذل الأموال للأقارب ونحوها
يريدون بذلك الشرف والذكر في الدنيا فأخبر أن ما يريدون بما يفعلون من الأعمال الحسنة ذلك أعني الذكر والشرف
في الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والثاني يكون هو لمن كان يريد العاجلة أي من يريد بها جمع الأموال وسعتها
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم أخبر أنه ليس لكل من أرادها يعجل له ذلك ولا كل ما أراد يعجل له ذلك ولكن إنما يعجل ما أراد
لمن أراد ثم أخبر بما يعطى في الآخرة لمن أراد العاجلة فقال ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مذموما
بما يسمى بأسماء قبيحة دنية مذمومة عند الخلق أو يذم ويلام في الناس مدحورا أي مطرودا من الأسماء الحسنى ومن
الخيرات ومبعدا من رحمته وقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن • تفسير قوله من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد كأنه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر به مكذب بالآخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ومن كان يريد الآخرة وهو مصدق بالآخرة وسعى لها وهو مؤمن بها فأولئك كان سعيهم مشكورا أي مجزيا مقبولا لأن الشيء
المشكور هو الذي يجزى ويثاب عليه والله أعلم ويحتمل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أي من أراد
الدنيا للدنيا فهو مذموم ومن كان يريد العاجلة للآخرة فليس بمذموم وهو ما ذكر فأولئك كان سعيهم مشكورا
وهو كقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وقوله إنما الحياة الدنيا لعب ولهو من أراد الحياة
الدنيا للحياة الدنيا فهي لعب ولهو فأما من أراد الحياة الدنيا للحياة الآخرة فهي ليست بلهو لأن الدنيا لم تنشأ لنفسها
إنما أنشئت للآخرة فعلى ذلك هذا وقوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك • أي المؤمن والكافر نعطي
هذا وهذا أي لا نحرم من العاجلة من أراد الآخرة بل نعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر لأنه ليس يعطي الدنيا
وسعتها لمن يكفر بالآخرة ولكن يعطي لمن يكفر بها ومن آمن بها لئلا يحملهم حب الدنيا وطلب العز وكثرتها على الكفر
بالآخرة حيث قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أي المؤمن والكافر وقوله تعالى وما كان عطاء ربك محظورا • أي وما كان
رزق ربك وفضله محظورا قال بعضهم محبوسا ممنوعا وقال بعضهم محظورا أي منقوصا وهو في الآخرة أهله لا ينقص
في الآخرة من جزائهم ويروى في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي
الآخرة على نية الدنيا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت نية العبد الآخرة كفى الله من ضيعته وجعل
غناه في قلبه وإذا كانت نيته الدنيا أفشى الله تعالى عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولا يمسي إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا
وقوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض • في الدنيا في الرزق وفي الخلقة يكون بعضهم أعمى وبعضهم بصيرا
ويكون أصم ويكون سميعا ونحو ذلك فعلى ما يكونون في الدنيا على التفاوت والتفاضل يكونون في الآخرة كذلك
في المنزلة والقدر عند الله لا في الضيق والسعة والأحوال التي يكونون في الدنيا حيث قال وللآخرة أكبر درجات
وأكبر تفضيلا ... على القدر والمنزلة عند الله لا في الأحوال التي يكونون في الدنيا
عليه والله أعلم وقوله تعالى لا تجعل مع الله إلها آخر • قد ذكرنا فيما تقدم أن النهي في مثل هذا والخطاب لرسوله وإن كان
عن معصوم منه للعصمة كأنه غير مستحيل في ذاته وذلك لا يمنع التكليف بالأمر والنهي لأن العصمة إنما ينتفع بها مع الأمر
والنهي لا تثبت إلا بالأمر والنهي أو لا يحتاج إليهما ويحتمل أن خاطبه به على إرادة غيره على ما خاطب ملوك الأرض الأقرب إليهم والأعظم
والخطير منهم دون غيرهم ... الناس ... والثالث أنه يخاطب كل أحد في نفسه ليس يخص رسوله بذلك ولكن كل من هو منه
ذلك ويحتمل خاطب به وهو كقوله يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم وقوله يا أيها الناس إني رسول ... الخطاب من ...
فعلى ذلك الأول والله أعلم ويحتمل أنه خاطب به رسوله ليعلم من دونه أنه ليس لأحد أن يعظم قدره عند الله وأن يفتح له
منزلة محاباة في الدين لأن الرسل هم الأكرمون على الله المعظمون عنده فإذا لم يعفوا عن هذا لم يعف من هو دونهم الذي
أنه قال الملائكة ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وهم كرام خلقه خشية فيهم
أنهم لا يعصونه ... أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فعلى ذلك الرسل والله أعلم وقوله تعالى فتقعد مذموما مخذولا •
أي مذموما عند الناس مخذولا أي ذليلا مقهورا لأن الخذلان هو ضد النصر والعون ألا ترى أنه قال إن ينصركم الله فلا
غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ذكر الخذلان مقابل النصر فعلى ذلك قوله مخذولا أي مقهورا
ذليلا غير منصور والله أعلم وقوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه • قال بعضهم قضى حكم وقال بعضهم
قضى ههنا أمر أي أمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وقال بعضهم قضى ربك أوصى ربك وكذا عن ابن مسعود
وأبي رضي الله عنهما أنهما كانا يقرآن ووصى ربك وقال بعضهم أي عهد ربك وقال القتبي قضى ربك أي حتم ربك

وهو من الفرض والالزام اي فرض ربك والزمان لا تعبدوا الا اياه وهذا اشبه الا يرى انه قال في اية اخرى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ثم قال ومن يعص الله ورسوله بدل قوله ومن يعص الله ورسوله ان قوله قضى الله معناه اي فرض الله ورسوله وحتم امرا وتاويل من قال وقضى ربك اي حكم ربك ان لا تعبدوا الا اياه عبادة الخلقة دون العبادة عن اختيار لما انشا في خلقه كل احد اثار وحدانيته وشهادة ربوبيته واستحقاق العبادة له وهذا التاويل من قال وقضى ربك اي حكم حتى يكون المحكوم ثابتا لا محالة واما من كان المراد من العبادة ما هو فعل العبد من الايمان والصلاة والصوم ونحو ذلك وقد يختص من البعض دون البعض وحكم الله يتحقق لا محالة فلا يصح هذا التاويل الا ان يقال المراد من العام الخاص فيصح التاويل والله اعلم واما تاويل من قال وقضى ربك اي امر ربك وكلف ان لا تعبدوا الا اياه يكون امرا بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره كما قال امر ربك ان اعبدوه ونهى ان تعبدوا غيره ثم الفرق بين الطاعة والعبادة يجوز ان يطاع غير الله ولا يجوز ان يعبد غيره لان الطاعة هي الايتمار كقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اي ائتمروا واما العبادة هي الاستسلام والخضوع له والشكر على نعمه ولا يجوز لاحد ان يخضع وينقاد لغيره لذاته ولا الشكر له لنفسه انما يجوز الشكر لكونه وسيلة الى النعم حقيقة والله اعلم وان يكون العبادة معنى لا يدرك كنهه لا يدرك حيث لا يجوز تسميته غيره به فعلى ذلك العبادة لا العبادة لغيره وان كان لا يدرك ويجوز الايتمار والطاعة والله اعلم وقوله ان لا تعبدوا الا اياه اي لا تعبدوا الا اياه فانه المعبود الحق المستحق العبادة والربوبية ولا تعبدوا دونه احدا وقد ابان لنا انه هو الاله والرب المستحق العبادة والالوهية والربوبية لا التي تعبدون من دونه من الاوثان والاجسام بوجوه ثلاثة احدها ان العقول تجهلها عن درك كيفية العقول ومائيتها لان العقول لا تعرف كيفية انفسها ولا مائيتها وتعرف محاسن الاشياء وتعلمها وقد عرفت الالوهية لله وحسن العبادة له وقبحها لغيره والثاني ما يوجد في جميع الخلائق من اثار الوهيته وربوبيته وجعل العبادة له شكرا فعلى ذلك في كل جارحة من جوارح الانسان عبادة شكرا لله لما فيها من اثار الوهيته والثالث السمع بانه لا اله الا الله ولا الوهية لسواه دونه فذلك معنى ما فرض على خلقه وامرهم ان لا تعبدوا الا اياه والله الموفق وقوله وبالوالدين احسانا هذا مثل قوله وقضى ربك اي فرض عليكم ايضا وحكم الاحسان بالوالدين او امر بالاحسان الى الوالدين ثم الاحسان في عرف الناس هو الفضل الذي ليس عليه انما هو فضل ومعروف يصنعه الى غيره هذا هو الاحسان في اللغة والعرف لكن المراد منه بالاحسان الى الوالدين هو الشكر لا ما ذكرنا من الاحسان المعروف عند الناس وهو ما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير لان الشكر هو المكافاة والجزاء لما انعم عليه وصنع من المعروف معه والله اعلم فان ذكر الاحسان فهذا وجه عرف الايات وهو قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ونحوه والمراد منه الشكر لما ذكر في قوله ان اشكر لي ولوالديك و الشكر هو المكافاة امر ان يكافئ لهما ويجازي لبعض ما كان منهما اليه من التربية والبر والعطف عليه والوقاية من كل شر ومكروه في البطن وبعدما خرج من البطن حتى كانا يؤثرانه على انفسهما في السرور ويجعلان انفسهما وقاية له من كل سوء ومحذور فامر الولدان ان يشكروا له بجزاء ومكافاة لما كان منهما اليه مما ذكرنا وانما ذكر هذا في الحال التي عجز الولد عن القيام لامر انفسهما والحوائج لهما والله اعلم وذلك لانهما اذا كانا قويين قادرين بحوائج انفسهما ومنافعهما يرد ولدهما ويحسنان اليه فيحمل برهما واحسانهما اليه على الطاقة لهما والبر والاحسان اليهما على المكافاة وهكذا المعروف عند الناس انما ابتر بعضهم بعضا يعتقد اليه على المكافاة ليدوم ذلك عليهم وان لا ينقطع فذكر لذلك الاحسان الى الوالدين في الحال التي هي عجز وضعف حيث قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما ثم امر ان يذكر الحالة التي هو عليها وهي حال طفولية وصغره ان كيف ربياه وبراه وعطفا عليه ولان الولد لا وصل حتى لم يستقذر منه ما يستقذر الناس بعضهم من بعض ولم يبعدهما عنه ما يبعد الخلق بعضهم من بعض من انواع الاذى والخبث فامر انعامهما اذا بلغا في الحال التي كانت هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على ما كان هو بلغا المبلغ الذي يستقذر منهما ويتبعد عنهما ان لا يستقذر هو منهما ولا يبعد عنهما كما لم يستقذرا منه ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة اليه كما لم يفعلا هما له بل يلين لهما ويذل ويخضع كما كانا يخضعان له وهو كما قال والله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وقال في اية اخرى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اخبر انه يردهم من بعد العلم والقوة الى الحال التي كانوا عليها في حال الضعف والجهل حيث قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الاية وقال خلقكم من ضعف والله اعلم وقوله فلا تقل لهما اف قال بعضهم فلا تقل لهما اف هو كناية عن اظهار الكراهة لهما في الوجه وقوله ولا تنهرهما اي لا تعنفهما في القول والكلام على ما لم يفعلا هما بك وقال بعضهم فلا تقل لهما اف المراد منه هو ولا تعنف ولا تنهرهما اي لا تعنفهما ولا تخشن لكنه ذكر اقل حال الاستثقال او الكراهة منه واخرها اي لا تقل لهما على ما يستثقل الناس شيئا ويكرهونه في اول حال يرونه شيئا مستثقلا مكروها يقولون اف اي لا تقل اف لما تحمل

ذلك على العنف والخشونة والنهر وعلى هذا المعنى قال في قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم قال بعضهم يغضوا من ابصارهم ليحفظوا فروجهم لان النظر بالبصر يحمل على الزنا في الفرج ومنه يكون بدء الفجور وقال بعضهم يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذكر اول حال الفاحشة وآخرها ليمتنعوا عن كل ذلك فعلى ذلك قال في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ذكر اول الحال وآخرها والله اعلم والثاني لا تظهر في وجههما من الكراهة والاستثقال ليحمل ذلك على العنف والانتهار والله اعلم وان كان تاويل قوله اف هو القول لهما اف لا غير ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله في النفخ في موضع سجوده هو كلام يقطع صلوته حيث قال فلا تقل لهما اف اي لا تكلمهما والله اعلم قال ابو عوسجة يقال نهرته وانتهرته وهو الخشن من الكلام شبه الغضب وقوله وقل لهما قولا كريما حيث نهاه ان يقول لهما اف وعن ان ينهرهما فاذا امتنع عن الاف وعن النهر كان بعد ذلك قولا لينا لطيفا قال ابو بكر الكيساني الكريم هو الذي لا يطلب آخر نعمة ويشدد ترك الاذى على المن لقوله يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم في وصف السخي الذي يبذل لما احتوى عليه لمحتاج اليه وقطع طمعه عما احتوى عليه غيره عند حاجته اليه وتشبه ان يكون الكريم قريبا منه والله اعلم فان قيل ان الوالدين كالمجبولين المطبوعين على البر لاولادهما والشفقة عليهم ولكذلك الاولاد كيف شبه من كان مطبوعا عليه مجبولا بمن لم يكن ذلك بطبعه قيل لذلك ذكر هذا في الولد دون الوالدين يفعلان بالطبع والولد لا لذلك كان على ما ذكر والله اعلم ولهذا لم يجعل ولم يشرع قتل الوالدين بولده وشرع قتل الولد بوالديه لان القصاص جعل حياة بينهم بالانزجار عن الاقدام على انفسهم وفي الوالد من الشفقة والرحمة ما يمنع اباهما عن قتل الولد وليس في الولد ذلك فجعل في قتل الولد والديه القصاص ولم يجعل في قتل الوالدين ولدهما فصلى ذلك بعدما في البر والاحسان والله اعلم فان قيل ما الحكمة فيما قرن شكر الوالدين بشكره في غير اية من القرآن حيث قال ان اشكر لي ولوالديك قيل لانه كان منهما ما ذكره من اول حاله الى آخرها الى ان انتهى اليه من النعمة والتربية والوقاية له عن كل سوء والحفظ من كل آفة وشر على ما كان من الله من انشاء الاغذية وسوق الرزق وامرهما بكذا لهما كما امر لنفسه والله اعلم وفي الاية دليل لقول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال في المكاتب اذا اشترى والديه او ولده صار مكاتبا له مثله وان اشترى اخاه او ذا رحم محرم منه لم يصر مكاتبا له لان الابوين صيرا له كالبعض الجزء والشكر فعليه ذلك لان المكاتب من اهل ما كان الحكم الاصل فاما الاخ وغيره من المحارم يعتق بحق المعروف لا بحق الجزاء والشكر وهو ملكه لا يحتمل المعروف والصلة والتبرع والله اعلم ثم الخطاب ههنا وهو قوله وبالوالدين احسانا اما يبلغان عندك الكبر الاية وان كان في الظاهر لرسول الله فالمراد منه غيره لانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك والديه في الوقت الذي ارسل اليه وخاطبه بما خاطب دل انه اراد بالخطاب كل من يحتمل ذلك او هو موهوم منه غيره والله اعلم وقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يحتمل ان يكون الجناح كناية عن اليدين لان اليدين في الانسان بموضع الجناح للطائر وجناح الطائر يداه فكانه قال اخفض واخضع لهما بيديك كما امره ان يخضع لهما باللسان بقوله وقل لهما قولا كريما اي اخضع لهما قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الجناح كناية عن النفس اي اخضع لهما بجميع النفس والجوارح وقوله جناح الذل من الرحمة يحتمل انه اراد الذل نفسه اي كن لهما كالمستعين المحتاج اليهما لا كالمعين لهما قاضي الحاجات ولكن كان من الآخذ لما لا دافع الحاجة اليه ويحتمل ان يكون الذل كناية عن الرحمة التي تكون في القلب اي اخضع لهما رحمة القلب والجوارح جميعا الا يرى انه قال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي رحماء على المؤمنين اشداء على الكافرين كما قال في اية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مقابل الذل في تلك الاية الرحمة فهذا في مقابل العز الشدة فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله جناح الذل كناية عن الرحمة فيكون معناه اي اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما والله اعلم وقال ابو عوسجة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي لن لهما وارفق بهما وقوله رب وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا قال بعضهم رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فمعناه اذ ربياني صغيرا ويحتمل ان يكون على الاضمار فكانه قال والله اعلم وقل رب ارحمهما كما رحماني وربياني صغيرا وقال اهل التاويل الاية منسوخ نسخه قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وهذا بعيد لا يمكن ان يكون الاية في المؤمنين والكافرين جميعا فالرحمة التي ذكر تكون سؤال النبي الكافرين سؤال الهداية لهم وجعلهم اهلا للرحمة والمغفرة وذلك جائز كقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا اي اسلموا ان ربكم يهديكم فيغفر لكم ما كان منكم انه كان لم يزل غفارا اذ لا يحتمل ان يامرهم بالاستغفار ويعدهم المغفرة على الحال التي هم عليها وكذلك استغفار ابراهيم لابيه والله اعلم ويحتمل ان يكون من الرحمة التي يتراحم بعضهم بعضا والشفقة التي تكون بين الناس كما يتراحم الضعفاء والضعفة والله اعلم ثم ليس في ظاهر الاية ذكر البر بالمال والانفاق عليهما وانما فيه ذكر البر باللسان والخضوع لهما قولا وفعلا ويشبه ان يكون ذلك داخلا في قوله وبالوالدين احسانا ويحتمل انه لم يذكر ذلك لما ان مال الولد مال لهما

ويحتمل السلطان عليهم سلطان القهر والغلبة انما له عليهم الدعاء والوسوسة والتزيين لا غير (وكفى بربك
وكيلا) يحتمل وكيلا عاصما يعصمك عن مهواته ومهالكه وناصرا ينصرك على مكائده وقيل وكيلا مفزعا تفزع اليه
او معتمدا يعتمد عليه في جميع امورك والله اعلم وقوله (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) يزجي يجري الفلك
في البحر لتبتغوا من فضله يزجي يجري ويسير وتسوق الفلك في البحر وقال الحسن يزجي يجري الفلك والسفن لنا في البحر والدواب
في البر لنقطع بها المجاهل والمفاوز لنصل بذلك الى حوائجنا التي جعلت لنا في البلدان النائية والامكنة البعيدة و
كذلك قال في قوله (وحملناهم في البر والبحر) البحر مجرى ذلك لنا ونحن كذلك سخر لنا ما ذكر الا انه اضاف ذلك الى نفسه
خلق تسييرنا وتجرينا في البحر والبر لما انه افعال لنا مخلوقة فتكون الآية حجة لنا على المعتزلة وتاويله واذ كان في العقل
افعال العباد من الله فكيف يحتج بالآية والله الموفق وفي الآية وجوه من الدلالة احدها ما ذكرنا والثاني تعليم الاسباب
التي بها يوصل الى قطع المجاهل والبراري وعن اتخاذ السفن والحمل على الدواب لنا لتيسير حوائج كبرى لنا ما لولا
ما هيأ لنا استعمال ذلك والرابع دلالة الرسالة اذ لولا خبر السماء والا ما عرف ما يحتاج اليه من منافع البلدان
النائية والامكنة البعيدة وما نعلم ان ذلك انما يتوصل الى تلك الامكنة الا بخبر الرسل صلوات الله عليهم فيه دلالة قدرة
وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب وجعل فيه ما يسير على وجه الماء مع ثقله ومن طبع الشيء الثقيل الرسوب في الماء ويسفل
ولا يعلم الخفيف الذي به يسير على وجه الماء وانه كان دون ذلك في الثقل يرسب في الماء ويسفل ويجعل ذلك مع قيام
طبعه بحيث يسير على وجه الماء ولا يرسب فيه لطفا منه فيقدر على انشاء ما يسير على وجه الماء يحتمل فيه الاثقال نحو
ان المطلع فقادر على ما انشأ الخلق واعادته بعد فنائه ونفاده وان كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك واوهام
البشر تعجز عن دركه وكما قدر على تسكين الامواج في البحر فيهما وخلق ما يحتاج اليه حتى يجري بها السفن في الماء الكثير كما
يجري في الماء الجاري بالماء فهو قد يقدر على ما ذكرنا من احياء الخلق بعد فنائهم ما ذكرنا منه كيف وما ينكرونه ذكر
سلطانه وقدرته ايجاب منه ولا ينكر قدرته وسلطانه في شيء من الاشياء على ما انكر قدرته وسلطانه في شيء من الاشياء
على ما انكرها عنه ببعض خلقه لقصور عقولهم عن درك ذلك والله الموفق وقوله (انه كان بكم رحيما) قال بعضهم رحيما حين
سخر لكم الفلك والدواب لتصلوا بها الى ما فيه حوائجكم في بلدكم النائية البعيدة وقال بعضهم اي ربكم
رحيما اذا مسكم الضر حين نجاكم من ذلك اذ كانت الآية في المؤمنين فهو رحيم بهم رحيما وان كانت في الاوثان فهو تعجيب
ما قالت الثنوية كيف تصفون ربكم بالرأفة والرحمة وهو يميتكم ويقتلكم ويحمل عليكم الشدائد والمحن العظام وذلك
ليس من صفة الرحيم قيل انا قد كفاكم فيه موضع جواب السؤال ان كل انسان رحيم شفيق على نفسه وله الرحمة الشفقة
عليها ثم مع ذلك يحمل نفسه الشدائد والمؤن العظام لما يأمل من النفع في العاقبة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية
الكريهة ما لولا ما يأمل النفع في العاقبة ما يحمل ذلك وكذلك الوالدان فيهما من الرأفة والرحمة لولدهما ما لا يخفى ثم
على احد ثم يحملان على ولدهما ما ذكرنا من الشدائد لما يأملان من النفع في العاقبة ثم لا يمنع ذلك عن الوصف بالرحمة والرأفة
فعلى ذلك سبحانه لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن ان يوصف بالرحمة ولا يخرجه ذلك عن الرحمة بل هو على ما قال وهو ارحم الراحمين
والله الموفق وقوله (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه) اي بطل ما كانوا يأملون من عبادتهم الاصنام
الا العبادة لله كانت شفاعة لا يشكل ما ادعوا من عبادتهم اياه لانهم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حين سفههم بعبادتهم الاصنام فحجهم بما يعلمون ذكر
في الآخرة حيث لم يملكوا دفع شيء مما مسهم وكشفه اصابهم في الدنيا فكيف يملكون ذلك في الآخرة ويحتمل قوله ضل من تدعون
الا اياه اي ضل الآلهة التي تعبدونها دون الله الحق المستحق للعبادة فانه انجاكم وانقذكم من الهلاك (فلما نجاكم
الى البر اعرضتم) هكذا العادة فيهم انهم اذا خافوا الهلاك على انفسهم اخلصوا الدعاء فيكون له فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين الآية وقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل
مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ونحو ذلك من الآيات عادتهم
هذا فعلوا ذلك في الهلاك فلما نجاكم الى البر اعرضتم اي اعرضتم عن توحيده هذا الوقت وما عرفوا ذلك (وكان الانسان كفورا)
او لنعمه تعالى ويذكر سفههم من وجهين احدهما عبادتهم من يعلمون انه لا ينعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء
في حال الشدة والثاني انه لا يشاهدون انعم على احد نعمة واحسن اليه فيشكره ويثني عليه واذا حل به بلاء وشدة من احد
من الخلائق يذمه ويعاديه ويلعنه فهذا معاملة اولئك الكفرة مع الله على خلاف معاملة الخلق بعضهم بعضا يخلصون الدعاء
له في حال الشدة والبلاء ويكفرون نعمه في حال الرخاء والله اعلم وقوله (افامنتم ان يخسف بكم جانب البر) لعلها
قوما في البر (او يرسل عليكم حاصبا) على ما ارسل على قوم من الحصى وهو الحصباء فاهلكهم وقال القتبي الحاصب الريح سميت
لانها تحصب اي ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار وقوله تعالى (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) اي ناصرا ينصركم او معتمدا تعتمدون
عليه وقوله (ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم) اي افامنتم ان يحملكم تارة

المركوب البحر او يرسل عليكم قاصفا من الريح اي شديدة وهي التي تقصف الشجر اي تكسرها فيغرقكم بما كفرتم ذكر هذا
الملتجأ في النجوة يحتمل ان ذكر هذا ان من قدر على انشاء ما ذكر من الفلك واجرائها في البحر وتسكين امواجه ودفع
اهواله لقادر على اهلاككم في البر ومن اعادتكم في البحر تارة اخرى لكم فيه والله اعلم ثم قال ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة
اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح وفي قوله ربكم الله الذي يزجي لكم الفلك في البحر وقوله وهو الذي يسيركم في البر
والبحر دلالة ان لله صنعا في فعل العباد لانهم هم الذين يسيرون في البحر وهم الذين يجرون الفلك فيه وهم الذين
يهدون في البحر ثم اضاف ذلك الى نفسه فدل على ما ذكرنا فيكون حجة على المعتزلة وقوله تعالى ثم لا تجدوا لكم علينا
به تبيعا اي من يتبعنا بدمائكم ويطالبنا بها وقال ابو عوسجة التبيع الكفيل المتقاضي وقال غيره من التبعة اي لا تجدوا
لكم ملتجأ به تبعه وقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم اي كرمهم بان خلقهم في احسن صورة كقوله وصوركم فاحسن صوركم
وقومهم في احسن تقويم واحسن قامة كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ويحتمل ان كرم بني ادم لانه كرم ادم
وكرم ادم لانه اسجد له ملائكته وجعله رسولا اليهم حيث قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما اكرم ادم فصار ذلك تكرمة لبنيه
ايضا ولهذا نقول ان الاب يصير مستوجبا باسناد بنيه وكرمهم بان ركب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات من
ويدرفون بها المحاسن من المساوي والحكمة من السفه والخير من الشر وكرمهم بان جعل لهم لسانا يتكلمون به بالحكمة
وكل خير ونبيتوصلون الى درك الحكمة وجمعها وكرمهم بان جعل لهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ما لحبث
منها وما فضل منهم وكرمهم بان خلق جميع ما على وجه الارض لهم بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا وكرمهم بان سخر لهم
الخلائق جميعا كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجعل بني ادم هم المقصودون بخلق جميع الخلائق
لهم ونحو ذلك التي كرمهم حيث جعل لهم بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والارض واستعمال الشمس والقمر والنجوم
استعمال البراري والبحار وجميع الصناعات والتدابير في حوائجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ لغيرهم من الخلائق ذلك في ذلك
تفضيلهم وما قال اهل التاويل انه فضل بني ادم على غيرهم من الحيوانات والدواب بان ياكلوا ويشربوا بايديهم وسائر الدواب
ياكلون ويشربون بافواههم هذا الذي ذكروا ليس من جملة التفضيل الا ان ذكروا خاصية ليس فيه كبير حكمة وفضل لكن فضلهم
وكرمهم بما ذكرنا من وجوه الكرامات وهذا ايضا داخل في جملتها والله اعلم ويحتمل ان يكون تفسير ما ذكر من تكريم بني ادم
تفضيله اياهم بما ذكر على اثره وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
جائز ما ذكر من تكريم بني ادم وتفضيله اياهم هو ما جعل فيهم من الانبياء والرسل والاتقياء والاخيار فيهم ما لم يجعل
ذلك في غيرهم الا ترى ان موسى عليه السلام قال يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الاية والله اعلم
وقوله تعالى وحملناهم في البر والبحر يحتمل هذا وجهين احدهما ان جعل لهم البر والبحر مسخرين حتى يصلوا الى ما في باطن البحر مما فيه
من انواع الاموال والمنافع وكذا في باطن البر وظاهره والثاني ان حملهم بحيث يقضون من حوائجهم التي كانت لهم من وراء البحر
ووراء البر ما لا يحمل ذلك لغيرهم من الخلائق وذلك معنى تفضيلهم الذي ذكر وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات من حيث
ما ذكرنا ان جعل ارزاقهم وغذائهم ما يبلغ في الطيب غايته ولا كذلك غذاء غيرهم من الدواب ورزقهم لانهم لا ياكلون
الا بعد ان يستخرجوا منه ما فيه من الاذى والخبث والخشونة ثم الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب غايته التي غايته واما سائر
الدواب فانما ياكلون كما هو نيا غير مطبوخ ولا نضيج مع ما فيه من الخبث والاذى والخشونة والله اعلم وقوله تعالى وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا قال بعض اهل التاويل فضلهم على الجن والشياطين واصناف غير الملائكة وقال بعضهم
على كثير من الخلق من الدواب تفضيلا بالاكل بالايدي وحمل رزقهم من غير رزق الثعلب ويحتمل كثير ممن خلقنا على وجه الارض
من الجن وغيرهم لم يرسل الى الجن رسولا منهم ولا انزل عليهم كتابا بلغتهم ولما جعل لذاتهم مما يفضل فيه البشر من النطق
والسرقين وغير ذلك على ما ذكر من ذلك وجب تفضيلهم عليهم واما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة والملائكة
على البشر فانا لا نتكلم فيه لما لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى وذلك في الكلام بين الانبياء
والرسل وانقياد الخلق وبين الملائكة وتفضيل هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء ان نكل الامر فيه الى الله تعالى فاما
لا خطابنا ان نجمع بين شرار البشر وفسقتهم وبين الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين فيقال هم افضل من الملائكة ولكن
ان كان ولا بد فانما نجمع بين من ذكرنا وبين الملائكة فنتكلم حينئذ بتفضيل بعض على بعض والله اعلم وقد ذكرنا هذا فيما
تقدم وقوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم قال الحسن هذا صلة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده الاية فيقول
اي يوم فيقول يوم ندعو كل اناس بامامهم ثم اختلف في قوله بامامهم قال بعضهم بنبيهم الذي كانوا به ودعوا عنه فيقال
يا ايها المؤمنون ايها اليهود ايها النصارى ونحو ذلك والله اعلم وقال بعضهم بامامهم اي بائمتهم ورؤسائهم الذين اضلوهم فيدعى
الاتباع بالنسبة الى رؤسائهم وائمتهم الذين اضلوهم يا قوم فلان ويا اتباع فلان حتى يلوم بعضهم على بعض ويلعن بعضهم
بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله ويلعن بعضكم بعضا وقوله يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين يقول الاتباع للمتبوعين وقال بعضهم يدعى كل اناس باعيانهم الذي دعاهم ان كان

رسولا فالرسول وان كان شيطانا فالشيطان وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم بامامهم اي بكتابهم الذي انزل عليهم بدءا
كل ما ذكر ليعلموا ان الحجة قد قامت عليهم ووجب عليهم العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان والله اعلم وقال بعضهم
بامامهم اي بكتابهم الذي كتبت لهم الملائكة اعمالهم فيه وحاصل تاويل هؤلاء يرجع الى وجوه ثلاثة احدها يدعو امام كل اناس
كان امامهم في خير او شر فيجزى له جزاءه ثم تكلف هو دعا اتباعه الى ما اعد لهم من الثواب والعقاب والثاني يدعى كل امام ورئيس في
خير وشر باتباعه الذين اتبعوه فيما يدعوهم اليه نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه وكل رئيس وشيطان يدعى بقومه الذين
اتبعوه والثالث بامامهم اي بكتابهم الذي كتب فيه اعمالهم كقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك
الاية وقوله فاما من اوتي كتابه كذا وقوله تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم الاية كان هم يقرءون كتابهم عن ان المؤمن
اذا نظر في الكتاب فرح به واستبشر بما فيه فيسهل عليه القراءة وهان لما كان يتبع حجج الله واما الكافر اذا نظر في الكتاب حزن
واغتم فعسر عليه القراءة وهو ما قال عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه
ويقول الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لانه اتبع ما اتبع بلا حجة او ان يكون المؤمن اذا نظر في كتابه راى
سيئاته مغفورة كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم ففرح بذلك والكافر يرى سيئاته
باقية عليه وحسناته قد بطلت فحزن بذلك واهتم لذلك ما قال الله والله اعلم وقوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا قال بعضهم من كان في هذه الدنيا اعمى عن الحق فهو في الاخرة اعمى عن الحجة لانه اذا عمي عن الحق بنفسه
فهو عن حجته اعمى وقال بعضهم ومن كان في هذه الدنيا اعمى عن توحيد الله تعالى والايمان به مع كثرة اياته ودلالاته وحججه
فهو عن الايمان بالاخرة والبعث بعد الموت اعمى ويكون نحو هذا في معنى ان الايات والدلالات على وحدانية الله اكثر
واظهر من الدلالة على البعث اذ ليس شيء الا وفيه اثر وحدانيته ودلالة الوهيته وكذلك البعث والاخرة فمن عمي عن الدلالة
بالتوحيد فهو عن الايمان بالاخرة اشد عمى والله اعلم وقال بعضهم من عمي في هذه الدنيا عن الايمان بالله فهو في الاخرة اعمى عن
الايمان به لان الدنيا انما يقبل فيها الايمان وفي الاخرة لا يقبل وهو ما قال عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون
وبين ما يشتهون من الايمان به كما فعل باشياعهم من قبل اي كما حيل بين اشياعهم وبين الايمان به عند معاينة باس الله
وهو قول الحسن والله اعلم وقال ابو بكر قريبا من هذا وهو ان من عمي عن الرشد والحق في هذه الدنيا الجهل به وهي حال تمكن
الدلائل فلم يرزقه الايمان فلم يوكل لذلك فهو في الاخرة عند علمه بالرشد والحق معاينة وانه لا يقبل في تلك الحال
يكون اشد عمى وحرمانا عنه او كلاما نحو هذا وقال بعضهم من عمي قلبه في الدنيا عن الايمان بالله والتوحيد له في الاخرة يكون
اعمى الوجه والحواس كقوله ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقوله ونحشرهم يوم القيمة على
وجوههم عميا وبكما وصما الاية يحشرون على ما ذكر ذاهبة حواسهم لما تركوا الانتفاع بها في الدنيا لما جعلت لهم الحواس
والله اعلم ويشبه ان يكون قوله ومن كان في هذه اعمى الاعمى عن الايات اعمى الله تعالى فهو في الاخرة اعمى او مفتر على الله ايضا كقوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يفترون في الاخرة ويكذبون كما كذبوا في الدنيا فكقوله ولو ردوا
فنعمل غير الذي كنا نعمل ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال قتادة ومن كان في هذه
اعمى لمن كان عمي في الدنيا فيما اراه الله من اياته من خلق السموات والارض والجبال والنجوم فهو في الاخرة الغائبة عنه التي لم يرها
اعمى واضل سبيلا وهو قريب مما ذكرنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي ومن كان في هذه النعم اعمى ان يعلم انها من الله تعالى فهو
في الاخرة اعمى عن حجته وقيل ومن كان في هذه الدنيا اعمى عن دين الله فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا طريقا وقال بعض اهل
التاويل ومن كان في هذه النعم اعمى يعني الكافر منها وهو يعاينها ولا يعرفها انها من الله فيشكر ربها فهو في الاخرة اعمى يقول
فهو عما غاب عنه من امر الاخرة من البعث والجزاء اعمى واضل سبيلا واخطأ طريقا وبعضه قريب من بعض والله اعلم وقوله تعالى
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك دل هذا على انه قد كان من الكفرة شيء من الدعاء الى شيء يصير به مفتونا
لو اجابهم الى ذلك وكذلك كانت عادة الكفرة كانوا ان يضلوا رسول الله ويفتنوه عن الدعاء وعما لنبيه ونصرته
عنه كقوله ائت بقران غير هذا او بدله وكانوا يطلبون منه الافتراء على الله تعالى والضلال على وجه المكر به لا ضلال التصريح
ولكن معنى يؤدي ذلك الى الضلال والكفر ويريدون منه المساهلة في بعض ما هم بما كانوا يرونه من الموافقة والمساهرة
لكن الله تعالى عصم رسوله من جميع ما كانوا يطلبون منه من الاشياء التي ذكر في كتابه والعفو كقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ومن لم يكن معصوما يجوز ان يوجد منه حرج فيما قضي به
وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ومن لم يكن معصوما يجوز ان يؤذى في الجملة بما وجد منه
سبب يستحق به الاذى الا ترى انه في حق المؤمنين قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا
وانما استثنا المحقق منهم كسب سببا يستحق به الاذى الا ترى انه الحق اللعن بالمؤذي في حقه على الاطلاق دل انه معصوم عن
جميع المناكير والجرائم وكذا ذكر الله تعالى في القران ايات توجب علينا الطاعة والامتثال لامره قال الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وقال اطيعوا الله واطيعوا الرسول فعلمنا ان ذلك مما يكتب عندها وكذلك العصمة

نستهديه انه كان معصوما عن الكذب وانه لا يجوز ان يكون على ما قالوا من التاويل لان فيه ذكر ما لا يليق بالنبي ولا يحل تاويلها ولانه لو كان كذلك لكان غير معصوم ولا ينبغي ان يظن به ما ظنوا لانه كذبة يجوزونه وانه لا يكون منه وقد قلنا ان التاويل لا يحل الا بما يجوز
عندنا لا تشهد على النبي بخلاف ما اتى الآيات المحكمة والدلائل المعقولة والله الموفق ولئن كانت تلك سبب نزول هذه
الاية فالكلام فيها انه لو كان لا يصح ... قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره ... تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
ترتجى ... ما اهل مكة انما كانوا قالوا ... ان يسلم الحجر ... اهل الشرك على ذلك ... البيت
هذه الولاية ان ... في تلاوة القران ... النبي على ما ذكرنا ... وكذلك ... فانه قد يكون اسلاما ... لا يحرم
اصنامهم في حال ... الاثنين ... الاسلام لمعاهدتهم
انهم الدنيا ... رسول الله ... اهل التاويل ... ان يطرد ... تسوى ... شيئا ... فيهم ... ان يصنعوا
بفضل ... الفتنة ... الحق ... لكن ... ذلك كله خيال فاسد ... مما هو ... انهم
لو تركوا ... حقيقة ... شيئا منه ... والموضوع ...
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ان لا ان هم ... من ذلك ثم قوله
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فظاهر هذه الاية يريد جميع ما قال اهل التاويل في هذه الاية لان
يقول ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقد ثبته فلم يركن اليهم ... على الحق وكان لا يركن
اليهم شيئا قليلا لكن ثبته فلم يكن ان يركن اليهم وكذلك ... شيئا قليلا ... شيئا يسيرا ... ما قال اهل
التاويل ... شيئا كثيرا ... الكفر ... وكذا ما قال ... ولو كدت تركن اليهم ... لما قارب
ان قاربت ان تركن كقوله ... السموات يتفطرن منه اي قربت ان يتفطرن وليس ... كدت ... فاسد الوجوه
التي ذكرنا ... شيئا قليلا ... الكفر ... قاربت وهو حرف ... ف
الثالث ذكر على الشرط فقال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم فلم يكن ... كما قال ... لو لا ان رأى برهان ربه
هذا ... كانوا ينطقون ... يوسف عليه السلام ... به وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه ... على الشرط فقال ... الحسن ... تركن اليهم شيئا قليلا ...
همت ... بها ... يوسف ... ولقد همت به وهم بها ... قال ... ان
ان يحمل هذا مجلسا على حد ... ذلك الركون على شأنهم وأشفاقا عليهم فمثل هذا لا يجوز لهم ان يفعلوا
شيئا وان صغر الا باذن من الله تعالى الا ترى ان يونس عليه السلام لما خرج من عند قومه مغاضبا عليهم بغير اذن من الله كيف
عاتبه بذلك معاتبة عظيمة حيث قال فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطن الحوت الى يوم يبعثون ومثل هذا لو فعله غيره
من دون الانبياء كان محمودا ... محمودا في ذلك فهذا يدل على ان الانبياء لا يحل لهم فعل شيء وان قل الا باذن من الله تعالى والله اعلم
ويشبه ان يكون قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك اي كادوا ان يفتنوك بالمكر والكيد والخديعة
لك ليستفزونك من الارض لانهم كانوا يطمعون ان يفتنوه ويصلوه عن الذي اوحى اليه على التصريح ولكن على جهة
المكر والخديعة والله اعلم وقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات قال ابو عوسجة ضعف الحيوة
اي مثل الحيوة وقال غيره ضعف الحيوة عذاب الدنيا وضعف الممات عذاب الاخرة وقوله تعالى ثم لا تجد لك علينا
نصيرا قيل مانعا يمنعك منا وقيل ناصرا ينصرك بما يفعل بك والله اعلم وقوله تعالى وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قال الحسن قوله ليستفزونك اي كادوا ليضلونك وليخرجوك منها
بالقتل وقد كانوا هموا بقتله لكن الله تعالى عصمه عن ذلك بقوله والله يعصمك من الناس وقوله تعالى واذا لا يلبثون
خلافك وخلفك اي بعدك الا قليلا هكذا سنة الله تعالى في الامم الخالية انهم اذا قتلوا نبيهم لم يلبثوا بعده الا
قليلا حتى اهلكوا وقال بعضهم هو الاخراج نفسه الا ان الله تعالى اخرجه اخراج هجرة الى المدينة لما سبق من حكمه
وفضله ان لا يهلك هذه الامة اهلاك استيصال فلو كانوا هم اخرجوه لاستوجبوا به الاهلاك لما كان من سنته في الذين
اهلكهم انما اخرجوا رسولهم من بينهم وقال بعضهم هو على حقيقة الاخراج منهم اخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا
فلم يلبثوا بعده الا قليلا حتى اهلكهم الله بالقتل يوم بدر وغيره وهو كما قال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فيه دلالة انهم اخرجوه وانهم هلكوا بذلك لانه اضاف اليه ذلك الاخراج من قريش وكذلك سنته
في الرسل انما اهلكهم قومهم قبله لبث الله اعلم وقال اهل التاويل في قوله وان كادوا ليستفزونك اي ليستزلونك
من ارض المدينة حيث نزل بالمدينة قالت له اليهود ان هذه الارض ليست بارض الانبياء وان الرسل انما ارض الانبياء ارض
ارض الشام فان كنت نبيا رسولا فاخرج اليها فخرج النبي متوجها الى الشام فعسكر على راس اميال لكنه الينا بال اليه اصحابه
حتى نزل جبريل بهذه الاية لكن ذكرنا ان هذا وامثاله مما لا يحتمل لانه لا يجوز ان يخرج رسول الله من ارض المدينة الى ارض
الشام بقول اولئك اليهود من غير اذن كان من الله تعالى اذ لم يكن في ذلك هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك والوجه فيه ما ذكرنا

والله اعلم

والله اعلم وقوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا على قول الحسن السنة في الامم الذين خلوا انهم اذا قتلوا
الرسول اهلكوا وعذبوا وعلى قول بعضهم السنة فيهم انهم اذا اخرجوا الرسول من بينهم على علم من الله انهم لا يؤمنون
نزل الاهلاك وعلى قول بعضهم على الاخراج نفسه وهؤلاء قد اخرجوا رسولهم من بينهم بقوله الا تنصروه فقد
نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا وقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم
ولكنهم عذبوا تعذيب رحمة لا اهلاك استيصال وقوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا وقوله تعالى
اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلوة الامر بالدوام عليها والدوام بها اي الزم بها وادمها واسم الاقامة يقع على التمام
والكمال اي اتمها واكملها بالشرائط التي امرت بها ويحتمل قوله اقم فعلها لكن يفهم من قوله اقم الصلوة الانتصاب على ما ينتصب
ويقام فذلك لا يفهم من الكلام والله اعلم ثم يحتمل وجهين احدهما اي اقم الصلوة للذي ترى دلوك الشمس تصير كقوله
تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله والثاني اقم الصلوة للوقت الذي تبلو دلوك الشمس الى غسق الليل واقم قران الفجر
اي صلوة الفجر او قراءة الصلوة وقران الفجر قراءة صلوة الفجر وقوله تعالى لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم
دلوك الشمس زوالها وغسق الليل وقران الفجر صلوة الفجر فقيل بعض الناس في هذه الاية اوقات الصلوات الخمس جميعا
لانه ذكر اول وقت الظهر من الصلوة وهي الظهر الى ما ينتهي وهي الفجر فعلى هذا التاويل لا يكون حرف الى غاية ولكن يكون كانه قال
اقم الصلوة لدلوك الشمس وغسق الليل وقران الفجر ومنهم من يقول فيه ذكر صلوة النهار لانه ذكر دلوك الشمس وهو
زوالها الى غسق الليل وغسق الليل هو بدو ظلمة الليل يدخل فيه الظهر والعصر وعلى هذا التاويل يكون حرف الى غاية لا يدخل
في صلوة الليل ثم قال وقران الفجر وهو صلوة الفجر فكان في هذه الاية ذكر صلوة النهار ودخل صلوة الليل بقوله ومن الليل
فتهجد به نافلة لك لكن في هذا التاويل نوع ضعف لانهم يقولون ان التهجد انما يكون بعد النوم ويكره النوم قبل العشاء
والعشا فلا يصح هذا التاويل ومنهم من يقول دلوك الشمس غروبها وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره وقال
فيه ذكر صلوة الليل لانه ذكر بدو ظلمة الليل وذلك بالغروب ثم قال وقران الفجر وهو اخر ما ينتهي ظلمة الليل لانه بقي ظلمة الليل
وقت الفراغ من الفجر والله اعلم وقوله وقران الفجر يحتمل هذا وجهين احدهما القران كناية عن صلوة الفجر كانه قال اقم الصلوة
لدلوك الشمس واقم ايضا صلوة الفجر لانه نسق على الاول ويحتمل قوله وقران الفجر اي اقم قران الفجر ويجوز ان يذكر القران
ويراد به القران كقوله ان علينا جمعه وقرانه اي قراءته ومن الناس من احتج بفرضية القراءة في الصلوة بهذه الاية لانه
نسق على الاول على ما ذكرنا كانه قال واقم قراءة الفجر انما خص على قراءة الفجر دون غيرها من الصلوات لوجهين احدهما ان
القراءة فيها اطول لتقصيرها عن الاربع بخلاف غيرها من الصلوات واذا كانت اطول كان اشق على المرء فحضه فلهذا حث
على قراءتها والثاني انما خص قراءة الفجر لما ذكر في الكتاب حيث قال ان قران الفجر كان مشهودا ثم قوله ان قران الفجر
كان مشهودا اي لم يزل في علم الله كان مشهودا قال عامة اهل التاويل يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار في صلوة
الصبح وكان ابو هريرة يقول واقرؤا ان شئتم وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال
وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا قال هو صلوة الصبح تدارك الحرسان ينزل ملائكة النهار ويصعد ملائكة الليل
وفي رواية تدارك الحرسان حرس الليل وحرس النهار في صلوة الفجر اقرؤا ان شئتم وقران الفجر كان مشهودا وعلى هذا حمله اهل
التاويل وعلى ذلك روت الاخبار ان يقال فيه بوجه اخر وهو ان يشهده القلوب في السمع والعقول لانه ذلك الوقت هو
وقت الفراغ من جميع الاشتغال والموانع التي تشغل عن الاستماع والفهم عنه ما لا يكون في ذلك الفراغ لغيرها من الصلوات
من صلوة المغرب والعشاء لانهما يقربان من الاشتغال والموانع والحوائج ولهذا كان الجهر بالقراءة انما جعل في الاوقات
التي هي اوقات الفراغ عن الاشتغال وهي الفجر والمغرب والعشاء لكن وقت الفجر هو احق وقت عن غيره لانه بعد الفراغ من
النوم وقبل الهجوم وقت التقلب في القراءة فيها السمع والقلوب فلما اشهد لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى ما ذكرنا والله اعلم
ثم تخصيص الخطاب لرسول الله والامر له باقامة الصلوة كانه قال اقم لهم الصلوة لانك انت فيه لانه صح ان صلوة
صلوة القوم بصلوة الامام حيث قال اقم لهم الصلوة ولو كان كل احد يقيم صلوة نفسه لكان لا يقول اقم الصلوة لكن
يقول صل الصلوة فدل انه على ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال بعضهم النافلة الغنيمة
كقوله يسألونك عن الانفال اي الغنائم وقوله نافلة لك اي غنيمة لك تغنم بها اغتنام وكلام نحو هذا وقال الحسن قوله
نافلة لك اي خالصة لك خلوصه له وهو ان لا يفعل هو عن شيء منها في حال من الاحوال وغيره من الناس يفعلون فيها
على شيء والله اعلم وقال بعضهم انما ذكر انه نافلة له لانه كان مغفورا له فلا يحمل يكون نافلة له في لله غيره وان يعمل من
الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة والله اعلم وقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال
بعضهم ان يبعثك ربك مقاما محمودا بالتهجد اي يبعثك مقاما تحمد ذلك العاقبة جملة تحمد في الدنيا وقال بعضهم
مقاما محمودا اي يحمده كل الخلائق الاولون والاخرون وقال بعضهم مقاما محمودا هو مقام الشفاعة اي تشفع لاهل
العصيان من امتك والله اعلم ويجاز ان يكون هو صلة ما تقدم من قوله فتقعد مذموما مخذولا وقوله فتلقى في جهنم

ملوما مدحورا وقوله فتقعد ملوما مخذولا وما ذكر من المواعيد لما سمع هذا وقرع سمعه ذلك اخاف ذلك واوجعه
فنزل قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اى عبدت الله واطعته فى جميع امره ونواهيه واحتملهم الصلوة والصيام
والنساء فلهم قوله تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق ⁕ ظاهر الخطاب يكون لرسول الله امره ان يدعو
بما ذكر وقد تقدم ذكرها امره من الدعاء بقوله وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق والحاجة تقع الى ان نطلب
المراد من ذلك الا ان يكون لغيره فى ذلك اشراك فعند ذلك يتكلف فيه ويطلب المراد منه وقد تكلم اهل التاويل
فى ذلك قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فامره بالهجرة منها الى المدينة فامره ان يدعو بهذا الدعاء رب
ادخلنى مدخل صدق فانا على زعم اليهود واخرجنى من المدينة الى مكة مخرج صدق فانا على زعم كفار اهل مكة ظاهرا عليهم
وقال بعضهم رب ادخلنى مدخل صدق يعنى فى مكة ظاهرا عليهم ظافرا ليعلم اهل مكة انى قد بلغت الرسالة واخرجنى
مخرج صدق ليعلم يهود المدينة انى نصحت وبلغت ما امرت به وقال الحسن اخرجنى من مكة مخرج صدق وادخلنى الجنة
مدخل صدق وقال بعضهم رب ادخلنى مدخل صدق فيما حملتنى من الرسالة والنبوة وما امرتنى لاؤديها الى ما امرتنى
فابلغ الرسالة الى الخلق على ما كلفتنى واخرجنى مخرج صدق لما اخرجنى مما كلفتنى سالما لا تبعة على وكلام نحو واصله
كانه امره ان يسأل الله الصدق فى جميع احواله واقواله وفى جميع ما يصدر به من الدخول فى امر والخروج منه لا دخلت
لعيب من هذين من الدخول فى امر والخروج منه سالما الصدق فى كل حال وكل دخول وكل خروج وقال مجاهد رب ادخلنى
مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق فى الرسالة والنبوة وهو ما ذكرنا من قبل الصدق الاخلاص وقال بعضهم الاخلاص
هو ان لا يجعل لذى شىء من قلبه نصيبا الا احد سواه والصدق ان يجعل لا يصل بالتلذذ وقيل الصدق ان يجعل الفضل
فى جميع امثاله لله لا يجعل شيئا من الفضل ويعلم ذلك يلزمه الشكر له فى جميع خيراته وقوله تعالى واجعل لى من لدنك
سلطانا نصيرا ⁕ اى سلطانا نصيرا عليهم ففعل الله تعالى ذلك والحاجة وقد ذكرنا فى غير موضع ان حرف السلطان
يتوجه الى وجوه ثلاثة يكون مرة عبارة عن حجة غالبة ويكون عن ولاية نافذة ويكون عبارة عن برهان ظاهر طائلة
ايضا وقد كان بحمد الله ومنه لرسول الله على الكفرة ذلك كله وقال بعضهم عن حجة بينة وقد قامت على الكفرة قال
بعضهم سلطانا نصيرا اى اجعل فى قلوب الناس هيبة ليهابونى وقد كان نحوه وما يذكر من مسيرة شهر وعن الحسن قال لما
مكر كفار مكة برسول الله ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه واراد الله تعالى بقاء اهل مكة بأمر رسوله بنبيه ان يخرج منها
مهاجرا الى المدينة وعلمه ما يقول حين خروجه قوله وقل رب ادخلنى مدخل صدق الاية وعد الله تعالى لينزعن ذلك الفارس والروم
وليجعلنه لامته والله اعلم وقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ⁕ قال بعضهم جاء الحق وهو الاسلام وقيل جاء الحق
اى القرآن وقيل جاء الحق اى محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وزهق الباطل اى ذهب وبطل غيره من الاديان والمذاهب
من عبادة الاصنام ونحو ذلك قالوا واصله ان الناس كانوا فى تيه وحيرة قبل مبعث رسول الله كانوا فقدوا دين
دين الله وسبيله منذ كان رفع عيسى من الارض الى السماء لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون الى شىء حيارى حتى بعث الله
محمدا ليدعوهم الى دين الله ويبين لهم سبيله الذى كان يتمسك به الانبياء من قبله ويخرجهم من تلك الحيرة التى كانوا فيها
ففعل صلوات الله عليه فذلك قوله وقل جاء الحق وزهق الباطل اى جاء الحق الذى كانوا فقدوه بذلك وزهق الباطل
وذهب واضمحل او جاء آثار الحق وذهب الباطل وآثاره او جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شبه الباطل وتمويهاته
وقوله تعالى ان الباطل كان زهوقا ⁕ اى ذاهبا مضمحلا لا يجدى خيرا ولا يعقب لاهله نفعا والحق هو الذى يعقب لكل
لاهله نفعا لان الحق يبقى والباطل يتلاشى وعلى هذا ضرب الله مثل الحق بالشىء الذى يبقى وضرب مثل الباطل بالذى
لا يثبت ولا يبقى فقال كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ضرب
مثل الباطل بالزبد وهو يتلاشى لا ينتفع به [illegible]
مثل الباطل ايضا بالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الارض [illegible]
من فوق الارض ما لها من قرار [illegible] الشجرة الطيبة الثابتة [illegible]
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء [illegible]
[illegible]

يجوز ان يذكر بفعل بمعنى فعلنا وقد ثبت فى القرآن كثيرا ثم جائز ان يكون قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء نفس القرآن
وجميع ما ذكرنا ويحتمل المواعيد التى ذكرت فى القرآن من وقائع تكون فى الكفرة وبيان وقوع الهزيمة والدبرة عليهم وكانت
فى ذلك شفاء للمؤمنين كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ثم
قوله شفاء ورحمة اى شفاء للمستشفين به فى الدنيا ورحمة فى الاخرة لمن تمسك به ويحتمل خسارا عن ظلمه لمن ترك عنه
ونظر اليه بعين الاستخفاف والاستثقال فاما من نظر اليه بعين التعظيم والاجلال كان هو له شفاء ورحمة وان كان
القرآن نفسه نورا وشفاء وهكذا فى الشاهد ان من ابصر شيئا انما يبصر بنور البصر وبنور الهواء وبه تعالج ما يستتر النورين
جميعا لانه اذا كان اعمى البصر لم يبصر شيئا وان كان نور الهواء متجليا وكذلك لا يبصر اذا كان نور البصر متجليا بعد ان يستتر بالظلمة
نور الهواء فاذا كان ما ذكرنا انه لا يبصر فى الشاهد شىء الا بجزئين نور البصر ونور الهواء بعد ارتفاع السواتر فكذلك لم يبصر نور القرآن
وشفاءه بعد ما يرى نور الايمان وظلمة الكفر وهكذا الادوية انها لا تجدى نفعها وان كانت نافعة شافية فى نفسها الا بقبول
الطبيعة لان الطبع اذا لم يقبلها لم تنفع صاحبها ولم يكن لديها شفاء وان كانت شافية نافعة فى نفسها وصارت كانها كانت
فى الاصل ضارة غير شافية فعلى ذلك القرآن وان كان فى نفسه شفاء ورحمة صار للكافر ضرا وخسارا لاستثقاله ولانه
لم يستقبله الكفرة الا بكفر فصار كما قال الله رجسا ويزيدهم طغيانا وهو ما قال ولا يزيد الظالمين الا خسارا والله اعلم
وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه ⁕ تشبه ان تكون النعمة التى ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا
انهم كانوا فى حيرة وحجج لا يجدون السبيل الى دين الله وكانوا يتمنون ان يكون لهم نذير يدعوهم الى الحق ليؤمنوا وكانوا يحلفون
على ذلك كما اخبر الله عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير
ما زادهم الا نفورا فبعث الله محمدا ليدعوهم الى دين الله ويبين سبيله فذلك نعمة عظيمة فلم يقبلوها وتباعدوا
عنه فذلك الاعراض عما انعم عليهم ويشبه ان يكون ذلك قالوا لاهل الكتاب ونحو ذلك او يوسع عليه الرزق والعيش اعرض عن ذكر الله
ونأى بجانبه وتباعد عنه وقوله واذا مسه الشر كان يؤوسا ⁕ اى آيسا من الخير ان يعود اليه ابدا كما كانت عادتهم انهم كانوا
يخلصون الدعاء لله اذا مسهم ما اصابتهم شدة ويكفرون بالله عند التجلى ذلك عنهم والكشف كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا
مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقوله واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو
دعاء عريض وامثال ذلك وكان الناس كلهم فرقا اربعة منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا انهم كانوا يخلصون له الدعاء
فى حال الشدة ويكفرون فى حال الرخاء والسعة ومنهم من كان يؤمن به فى حال الرخاء والنعمة ويكفر به فى حال الشدة كقوله
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وهم اهل النفاق ومنهم
من يكفر به فى الاحوال كلها والفرقة الرابعة هم اهل الاسلام يؤمنون به فى حال الرخاء والسعة وفى حال الضيق والشدة
فى الاحوال كلها وعلى هذا يحتمل ان يكون قوله واذا مسه الشر كان يؤوسا او كان يؤوسا من الاصنام كقوله ضل من تدعون
الا اياه فيكونوا آيسين من الاصنام التى عبدوها لكن اهل التأويل صرفوه الى ما ذكرنا من الاياس عن الخير ان يعود اليهم وقوله
قل كل يعمل على شاكلته ⁕ مثل هذا الكلام لا يذكر على الابتداء بلا سبب ونازلة كان منهم فيشبه ان يكون ما قالوا لو
ايسألنا رسول الله عن اعماله لما يرتبهم وجعلوا اياهم وكثرة تلاوته الايات عليهم واقامة الحجج عليهم الا هذا الى ان
فقال عند ذلك قل كل يعمل على شاكلته اى كل على دينه وطريقته وهو كقوله فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا
برىء مما تعملون ونحن كلهم على الايمان انهم لا يدينون بدينه ولا يعملون بعمله وكذا القتبى على شاكلته اى على طبيعته وقال
ابو عوسجة الشاكلة الخاصرة اى ناحيته وقال القتبى شاكلته اى خليقته وطبيعته وقال بعضهم على نيته وقيل على
ومذهبه وقيل على جديلته ومنهاجه وقوله خطر ولا اشبه ويشبه ان يكون قوله قل كل يعمل على شاكلته اى كل يعمل ما
يشبه بلان يتشكل الشىء هو ما يشبه يقال هذا شكل هذا انا اعلم على قول من يقول على شاكلته على خليقته ويحملها
على الطبيعة فعلم منه انه يختار ذلك ويؤثر وقوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ⁕ اى ربكم اعلم بمن على الهدى ومن
ضل او ربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا نحن او انتم والله اعلم وقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى
فيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الروح من امر ربى اى من خلق ربى وقال ابو بكر الاصم الروح القرآن هاهنا كقوله ينزل
الملائكة بالروح من امره وقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نورا قال الروح من امر ربى اى القرآن يعنى الله ينزل به الوحى على وجه الارض ما دروا على مثله فانزل قيل
كيف سألوه عن القرآن وهم لم يقروا بالقرآن قيل سموه قرآنا وتهكما على ما خبر رسول الله كقولهم عن الكفار
ما لهذا الرسول يأكل الطعام وهم لم يكونوا اقروا انه رسول الله ولكن سموه رسولا لما ادعى نفسه وزعمه
رسولا اى ما لهذا الذى يزعم انه رسول يأكل الطعام فعلى ذلك قوله ويسألونك عن الروح انه على زعمه روح او
عن القرآن الذى هو على زعمه انه رسول يأكل الطعام فعلى ذلك قوله ويسألونك عن الروح الذى على زعمه لوح او عن القرآن
الذى هو على زعمه انه قرآن لا انهم اقروا به الى هذا يذهب ابو بكر وقال الحسن قوله ويسألونك عن الروح الذى يحيى الابدان

من علامات الضلال اي تمسك [illegible] هلاك الضلال [illegible] قل الروح من امر ربي [illegible] وقال بعضهم الروح
هو الملك [illegible] قال الروح من امر ربي [illegible]
[illegible] الروح [illegible]
[illegible]
[illegible]
بما ظاهرها [illegible] والله اعلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بما تكلمنا وقالوا [illegible] الروح من امر ربي [illegible] الكلام [illegible]
امرنا بالتكلم في الكلام بقوله وجادلهم بالتي هي احسن الاية وقوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا الاية ونحوه فكيف نهى عن الخوض في
الكلام لكنا نقول انما نهى عن الخوض في الكلام لانه لا يدرك ولا يبلغ الخوض فيه الاحتراق [illegible]
عليه السلام انه قال تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق لانه لا يدرك ولا يبلغ الا الحيرة وتيها وحيرة واما الخوض في الذي
يدرك ويعقل فانه لم ينه عن مثله والله اعلم وتحصيله ما ذكرنا من اباحة التكلم في الدين والخوض في الكلام في كثير من الايات
من ذلك قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن ونحوه والله اعلم وقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي ما اوتيتم من العلم الذي تسالونه وغيره
الا قليلا وهو هكذا انما اوتيت الا علم ظواهر الاشياء ولم يؤت علم بواطن الاشياء وحقائقها وذلك انا نعلم
ان البصر يبصر والسمع يسمع واللسان ينطق والرجل تمشي واليد تبطش ولكن لا نعلم المعنى الذي جعل فيه
يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه تاخذ وبه تمشي ونحو ذلك كذلك نعرف هذا الحي من الذي تشاهده ونعاينها بانها
حي وهذا ميت ولكن لا نعرف المعنى الذي به صار هذا حيا وهذا ميتا وكذلك سائر الجواهر والاجسام نعرف
من العلوم التي اعطانا الله الا القليل منها ظواهرها فاما الحقائق فلا والله اعلم وقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك من يقول ان الروح الذي سالوه عنه هو الوحي والقران والتاويل عليه يحتج بهذه الاية وبقوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران المذكور على اثر سؤال الروح فكذا استدل والله اعلم وهذه الاية حجة على
انهم يقولون ان القران والكلام صفة انما الذي هو الله متكلم به موصوف به ولا يزايله ثم يقولون ان القران في المصاحف
وهو في الارض وفي القلوب محفوظ متناقض كيف يكون الشيء قائما بالله لا يزايله وهو بعينه في كل مصحف من الارض
وفي اللوح المحفوظ وفي السماء وهذه الاية تنقض مذهبهم فانه اخبر انه لو شاء لاذهب بالقران وصفاته لا تحتمل الفناء
والعدم دل ان القران ليس باسم لما هو صفة قائمة به حقيقة وانما هو لما هو عبارة عنه وانه يحتمل الذهاب والعدم
ونحو ذلك وقد تعلقت المعتزلة بهذه الاية على ان القران مخلوق فانه اخبر انه لو شاء لاذهب به وغير المخلوق لا يوصف به
نقول انما تعلقوا بهذا لجهلهم في معرفة حقيقة القران والكلام فانهم يظنون ان كلام الله ما هو المكتوب في المصاحف
المحفوظ في القلوب وليس كذلك عندنا بل كلامه صفة ازلية قائمة به لا تزايل عنه وانما القران حقيقة اسم لهذا
المنظوم العجيب البديع الذي هو عبارة عن كلامه القائم به فيسمع الخلق اياه وكم فيه كلامه وما ذكر من الاذهاب اي
بالنزول والمجيء وغيره انما هو صفة هذا المنظوم ولو وصف الكلام به فيكون على المجاز لا على الحقيقة كما يقال سمعت
كلام فلان وفي لغة فلان وكتبت حديثه فذلك نحو الكلام على المجاز لا على الحقيقة اذ قول فلان وكلامه وحديثه قائم
به لا يسمع ولا يكتب عينه ولكن يسمع صوت يفهم به قوله وكلامه وحديثه ويكتب علامات تدل على كلامه فعلى ذلك
لا فلا يذهب بالذي يسمع ويكتب فاما حقيقة ذلك فلا يوصف بشيء من ذلك ثم المعنى له ما اضيف الى ان كلام الله
لا على زعمهم كلام الله هو ما يكتب ويثبت ويمحى ويتلى فعل العباد وهو يقولون انا ظالم من يقول ان كلام الله فكيف يقولون
ان القران مخلوق والله قد كذبهم وانما قالوا ان مخلوقا بائنا ثم يحتمل قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ان يكون صلة
قوله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ولئن شئنا لنذهبن حتى لا تنطق به وما اكان رسول الله يتكلم به
لتحصيل الذي اوحي اليه فقد يعقله وكذلك يعقله وكذلك يعرف هذا الاوصي ويحتمل ان يكون في الابتداء فانكان الابتداء
فيخرج على ذكر المنة والرحمة والفضل والاحسان انه لو شاء لرفع هذا الذي اوحي اليه لفعل اذا ابقاه النبوة والوحي فضل منه ورحمة
وكذلك الوحي اليه في الابتداء ومبعثه رسولا اليهم يكون فضلا واختصاصا لا استحقاقا كقوله والله يختص
برحمته من يشاء اخبر ان النبوة وما انزل اليه يكون اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا اخبر ان ابقاء النبوة يكون
بحمة منه وفضلا وهذه الاية تنقض المعتزلة من وجوه احدها ما قالوا ان لا يختار الله احدا لرسالته ونبوته الا
كان مستحقا لها ومستوجبا لذلك فقد اخبر انه بفضله واختصاصه ارسله رسولا بفضله ورحمته ابقاها

وابقا الوحي والثاني فيه ان الله لا يفعل الا ما ليس هو باصلح لهم في الدين حيث وعد لهم برفع ما اوحي اليه واذهابه ولا
الله تعالى الايمان لا يفعل بعباده اذ لا يوعد بما ليس له فعل ذلك في الحكمة ثم لا شك ان ابقاء النبوة وترك ما اوحي اليه
ام نفع لهم من رفعها او تركها اياهم غير ذلك لانه قد يفعل ما ليس هو باصلح لهم في الدين والله الموفق وفيه انه قد كلف
خلقه التوحيد والايمان سوى انه لم يرسل رسولا ولا اوحى اليه حيث قال انه لو شاء لاذهب الوحي واخبر ان بعث الرسل و
ابقاءهما فضل منه ورحمة يقولها لا ان حجة من تلزمه انما فضله كان عليك كبيرا اي ابقاء النبوة والوحي رحمة وفضل من ربك
كبير ومعلوم انه لو لم يرسل الرسل ولا كانوا مكلفين في انفسهم كان خلقهم اياهم عبثا لتركهم سدى والارسال بفضل
ورحمة منه دل ان التكليف بالتوحيد والمعرفة كان ثابتا بدون ارسال الرسل حتى لا يكون خلقه الخلق عبثا تعالى الله عن ذلك
وفيه ان الحفظ والنسيان وان كانا من العبد حقيقة فهو صنع من الله يحفظ وبه ينسى حيث قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك اخبر انه لو شاء لذهب المحفوظ في القلب بنسيه وهو كقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله دل ان
له صنعا في افعال العباد والله الموفق ويفيد ايضا تنبيه المؤمنين ليعلموا ان الفضل كله من الله لئلا يروا انفسهم في شيء
اصلا وينسبوا جميع ما يجري على ايديهم من انواع الخير والطاعة الى الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا على ان ياتوا به ما قدروا عليه والجن انما يذكر المثل ويراد به عين الشيء كقوله ليس كمثله شيء
اي ليس كهو شيء اذ لا مثل له فذلك انما قال لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على ان ياتوا به بعدما عجزوا وايسوا فلا يقدرون
على اتيان ابتداء فقيل انما نظر اهل نظم الشيء وتصويره الا مستعملا بعد ما عاينوا الصور والاشباه
اهون وايسر من تصويرها وتنظيمها قبل ان يعاينوها ويشاهدوها والله اعلم وجائز ان يستدل بهذه الاية على انه
صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا حيث قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القران ولو لم يكن مبعوثا الى الفريقين جميعا لم يكن لذكرهما معنى وفيه دلالة ان في الجن من هو كتب ان لا نريد في
لم يكن ذلك لم يكن يذكر اولئك بمحاجة او يكون قوله لئن اجتمعت الانس مع الانس والجن مع الجن والانس مع الجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقال بعض اهل التاويل انما ذكر هذا لقولهم انه سحر وانما يعلمه بشر وقولهم ان هذا الا
افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون ونحوه اي افتري على الله كذبا وتحدي الى بعض لا انه سحر وما ذكر لا يكون الا من هؤلاء
الفريقين من الجن والانس فاخبر انهم لو اجتمعوا على ان ياتوا بمثله ما قدروا عليه وعجزوا عنه حيث قال لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وكما امتنع ان يحدث الفعل لم يخرج لمعارضته ولم يطع احد منهم في ذلك الا سفيه لم يره
سفيه وكذبوا القران حيث قال الجن امنه لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية حيث كذب به وسفه حيث قال ان هذا الا اساطير الاولين ثم قال ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء لم يسال التوفيق يقولوا ان كان هو حقا فوفقنا لاقامته ولكن
سال العذاب دل انه كان سفيها في غاية السفه وكذا قال ان هذا الا اساطير الاولين حقق به سفاهة ثم ارتاب فيه
وشك بقوله ان كان هذا هو الحق من عندك الاية لم يطمع الا خطر بباله الحق من الحكمة انه يقدر على اتيان مثله وانما يحكي
ان نحيا تضمه احد والله الموفق ثم اختلف في معنى قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران قيل مثل نظمه ووصفه وقيل مثل حقه وصدقه
ويحتمل مثل علمه وحكمته ويحتمل مثل احكامه ومعانيه ويحتمل حججه وبراهينه فيحتمل قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله في هذه الوجوه التي ذكرنا والله اعلم ثم يحتمل ما ذكرنا من الاية لو تكلفوا ونحوه وذهب على التاويل الذي
جعلناه صلة لقوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
اي بالذي اذهب به ورفع لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على اتيانه على ما ذكرنا ويحتمل ان يكون على الابتداء فان كان على الابتداء
فهو على المثل له لا يقدرون على ان ياتوا بمثله مع علمهم بفصاحتهم وبلاغتهم بعدما قرع سمعهم هذا القول اعني انه اخبر انهم لا يقدرون
وان اجتمعوا فلو كان نحو سمعهم ذلك لفعلوا حتى يخرج قولهم صدقا وقول رسول الله كذبا فاذا لم يفعلوا ذلك ولم يتكلفوا
انهم عرفوا ان ذلك من الله تعالى وانه اية معجزة تخادعهم وسفههم والله الموفق وقوله تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران
من كل مثل قوله صرفنا اي بينا ويحتمل صرفنا اي فرقنا للناس في هذا القران من كل مثل اي ذكرنا للناس مثلا على اثر مثل
ومثلا بعد مثل لعلهم يتفكروا فيه ويتاملوا ليعرفوا صدق رسول الله وكذبا انفسهم وسفههم ليعرفوا الحق من الباطل
والمحق من المبطل ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتاملوا فيها ذكر ثم قوله من كل مثل لا يريد به كل الامثال ولكن ما بلده الله
ما ذكرنا من كل مثل لو تاملوا فيه وتفكروا لكان لهم فيها اعتبار وتنبيه ثم يحتمل ما ذكر من تصريف الامثال العبر بها الناس
وجوها احدها ضرب المثل لهذه الامة التي شهدت رسول الله ومن لم يشهده من مكذبيهم ومصدقيهم بالامم الماضية انه بادر
بالمكذبين منهم رسل الله من نقمته وعذابه وما حل بالصديقين منهم من نعمة وثوابه وقد اخبر ان تلك السنة في المكذبين منهم
وذكر ان سنته تلك لا تبدل ولا تحول وهو قوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ذي لا تحول
ولا تبدل لكن ان لا ولا ان عجله وهذه الامة مؤخرة لسبب بركة رسولنا عليه السلام والثاني يحتمل تصريف الامثال

هو ما ذكر لهم فيه وبين ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم ما لو تأملوا وتفكروا لأدركوا ذلك ولكن يكون تصريفا الامثال التي ذكر دعاة الى دين الله سبيله بالحكمة والموعظة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة الى هذه الوجوه الثلاثة تصرف جميع ما ذكر من الامثال في القرآن والله اعلم وقوله تعالى فأبى اكثر الناس الا كفورا اي ابى اكثر الناس الا كفورا بالامثال التي صرفها في القرآن وضربها لهم ويقول فأبى اكثر الناس الا كفورا بنعم الله وصرفها الشكر الى غيره او كفورا في وحدانية الله والوهيته وقوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب الى آخر ما ذكر من الاسئلة يشبه ان يكون هذه الاسئلة جميعا في فريق واحد منهم ويجوز ان يكون في كل فريق سؤال لم يكن ذلك من غيره من الفرق وهو كقوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا كان من كل فريق غيرها كان من الآخر كان من اليهود كونوا هودا تهتدوا ومن النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول كذلك ثم ان الذي حملهم على هذه الاسئلة الحالية الفاسدة وجوه احدها ما كان يعدهم رسول الله الجنان والانهار الجارية والبساتين المثمرة ثم [illegible] ان لم تكن الاجابة سألوا ما وعدهم من الجنان بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية وسألوه ما يوعدهم من العذاب بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعامة ذلك استعجالا منهم على الاستهزاء لا على الاستهداء كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويحتمل ان يكون اهل الكتاب علموا مشركي العرب الذين لا كتاب لهم هذه الاسئلة الفاسدة المحالة التي عرفوا انه لا يجيبهم فيها ليسألوا رسول الله فلا يجيبهم ليبرزوا السفلة منهم والاتباع انه لو كان رسولا لاجابهم فيدوم لهم الاعتماد والرياسة عليهم وصلاحا لانفسهم ويبقون على ما هم عليه او ان يكونوا رؤساء منهم والقادة سألوه على علم منهم انه لا يجيبهم فيما سألوه ابتلاء منهم انهم قد حاجوا رسول الله واعترضوا الحجة وبراهينه لئلا ينظروا الى الحجة وبراهينه ليبقى لهم الرياسة والمنافع التي كانت لهم ولا يذهب ذلك عنهم والله اعلم ثم بين ان اسئلتهم هذه التي سألوها اسئلة التعنت والعناد لا اسئلة الاسترشاد وحاجة بما ذكر من قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وما ذكر بسفه القوم وشدة تعنتهم وسوء معاملتهم برسول الله من قولهم او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه دل هذا كله ان سؤالهم ذلك كله سؤال المعاندة لا سؤال الاسترشاد والاستهداء اذ لو كانوا سألوا سؤال الاسترشاد والاستهداء لكانوا لا يسألون اسقاط السماء عليهم اذ لا منفعة لهم في ذلك وان كان في سؤالهم الجنة لهم منفعة والله اعلم ثم الحكمة والفائدة في جعل ذلك يتلى الى يوم القيامة ليعرف المتأخرون معاملة السفهاء اذ ابتلوا بهم كيف عاملوهم حتى يعاملوهم مثل معاملة الرسل منهم والله اعلم وقوله تعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا اي قل تعاظم ربي وتعالى من ان يكون لعباده عليه احتكام ولحسابا امره ان ينزه ربه من ان يكون لاحد عليه الاحتكام والتحكم والذي سألوه من باب التحكم منهم على الله من [illegible] يقدر على ذلك احد سواه مما سألوا من اتيان الجنة وغير ذلك مما ذكر في الآية والله اعلم ويحتمل اي هل كنت الا بشرا كغيري من الرسل الذين كانوا من قبل من البشر فلم يسألوهم مثل الذي تسألوني انتم من الاسئلة [illegible] كقوله ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ويحتمل ان يكون قوله هل كنت الا بشرا رسولا اي ليس الى الرسول ان يعترض على المرسل بشيء انما على الرسول تبليغ ما ارسل اليه وامر بتبليغه والله اعلم ويحتمل ان يقول اني لا املك مما تسألوني شيئا سوى تسبيحه وتنزيهه والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي الينبوع العين والينابيع جميع والكسفة القطعة والكسف جميع وقال بعضهم الكسف بالجزم عذاب وكسفا مثل قطع وقال بعضهم كسفا بالجزم عذابا وكسفا مثقلا قطعا وقوله قبيلا قال ابو عوسجة معاينة وهو من المقابلة وقوله بيت من زخرف اي من ذهب وقال ابو عوسجة الزخرف الذهب [illegible] وقوله ترقى في السماء [illegible] اي الارتفاع والارتقاء والصعود والله اعلم وقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي اذ جاءهم الرسول بالهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقال في آية اخرى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين ذكر هذا على الاياس عن ايمانهم [illegible] وقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الآية يخرج هذا القول منهم مخرج الاحتجاج اي سألته او يؤمن لانزل الملائكة وهو كقوله لولا انزل علينا الملائكة وموضع الشبهة لهم انهم يقولوا هو بشر ونحن بشر فليس هو اولى بالرسالة الينا من ان نكون نحن رسلا اليه فاجابه تعالى لذلك لما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول اليهم من جوهرهم وجنسهم فقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين اي مقيمين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ثم اختلف في وجه الاحتجاج عليهم بهذه الآية قال بعضهم اي لو كان سكان الارض ملائكة فبعثنا اليهم رسولا منهم اكان لهم ان يقولوا ابعث الله ملكا رسولا اي بعث البشر رسولا من جوهرنا اي ليس لهم ان يقولوا ذلك فعلى ذلك اذا كان سكانها البشر ليس لهم ان يقولوا ابعث الله البشر من جوهرنا رسولا اي كان الامر والمشيئة في الارسال الى ابعث من يشاء من جوهر ما لهم والحكم والاختيار والله اعلم ولكن اي لو كانت الارض سكانها ملائكة وهم سكانها فبعث اليهم بشرا رسولا من غير جوهرهم لكان لهم ان يقولوا ابعث الله بشرا رسولا

من غير جوهرنا فاما اذا كانت الارض مكان البشر وهم سكانها فبعث اليهم بشرا رسولا فليس لهم ان ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم وهم يعرفون من كان من جوهرهم ولا يعرفون من ليس من جوهرهم فبعث الرسول من جوهرهم اولى من غير جوهرهم والثالث يقول له لو كان في الارض ملائكة ويعرفوا الملائكة لكان لهم ان يبعث الرسول من الملائكة حيث عرفوهم وظهرت لهم قواهم ومقدار وسعهم فاما اذا كان سكان الارض ليسوا الا البشر فليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم لم يعرفوا قوى الملائكة ولا قوى الجن وقدر قواهم فلم يكن يعرفون ان الآيات والحجج التي جاءتهم اذ اخرجت عن وسعهم والبشر في القوى على السوية خصوصا اذا كان من بلدهم لعرفوا انها من آيات المعجزة فاما اذا كانوا لا يعرفون قوى الملائكة والجن وبعث رسولا كان آتيا من الآيات والحجج لا يمكنهم معرفتها اذ لهم ان يقولوا انها زيادة قوة ليست لنا فيمكنهم اتيان ذلك وتحصيلها دوننا فلذلك بعث الرسول من جوهرهم هو الحكمة البالغة فتعنتهم فاما فرق ابى رسالة البشر لانهم لا يعرفون الملائكة لا يجعل من البشر بوجود الملك اذ لم يكن لهم اختلاط مع الملائكة ولا شاهدوهم ليعرفوهم وانما عرفوهم بالخبر من البشر فقد قبلوا قول البشر في وجود الملائكة في العالم وليس لهم ان ينكروا رسالة البشر واصله ما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لما ذكرنا انهم لا يعرفون الملائكة ومن كان من غير جوهرهم فلا بد ان يكون رجلا على هيئة البشر لانه لو لم يكن رجلا لكان في تلبيس على ما اخبر وللبسنا عليهم ما يلبسون والله اعلم وقوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم قال بعضهم يحتمل كفى بما اقام الله من الآيات والحجج على رسالتي وانه رسول اليكم اذ كان ذلك من قبل الله [illegible] الكفرة من انكار الرسالة وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلك على الاياس عن ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير وقوله تعالى انه كان بعباده خبيرا بصيرا يذكر هذا والله اعلم بانه عن علم باجابتهم وردهم بعث اليهم رسولا لا عن جهل بأمرهم وليس فيما يعلم انهم يردون ولا يجيبون ثم بعث اليهم رسولا خروج عن الحكمة لانه ليس في اجابتهم منفعة للمرسل ولا في ردهم ضرر انما المنفعة في الاجابة لهم وضرر الرد عليهم فلم يكن في بعث الرسل على علم منه بالرد خروج عن الحكمة وفي الشاهد كان خروجا عن الحكمة لان في الشاهد انما يبعث الرسول لمنفعة تأملها المرسل ويحصل اليه او لضرر يدفع عنه فاذا كان انه يرد رسالته ولا يجيب كان في بعثه الرسول سفيها غير حكيم ففرق الحكم بين الشاهد والغائب لافتراق المعنى والله الموفق ويحتمل ان يخرج قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا على الوعيد وكذلك امثاله فاحتج علينا بعض المعتزلة بقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قالوا لا يمنع الكافر عن الايمان شيء سوى ما ذكر من تعنتهم وانتم تقولون انه يمنعه القضاء والقدر لان عندكم ان يفعل الانسان من فعل معصية وطاعة فانما يفعل بقضائه وبقدر وكذلك قال وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وعلى قوله ما قلتم يقول الكفرة منعنا القضاء والقدر ويكون لهم الاحتجاج على الله بان يقولوا منعنا القضاء والقدر [illegible] لكن هذا فاسد لانهم لا يعلمون ما يفعلون وقت فعلهم لان الله تعالى قضى ذلك وقدره فلم يجز لهم الاحتجاج بذلك لان الاحتجاج بالعلم [illegible] ان يوجد منه ذلك ولا تقدير [illegible] لان هذا ليس بشيء فاذا كانوا هم عند انفسهم لا يعلمون ما يفعلون وقت فعلهم لما كان ذلك قضى عليهم فلم يكن الاحتجاج عليه بذلك ولا ان القضاء والقدر لم يمنعهم من ذلك لما لا يضطرهم الى ذلك وانما قضى ذلك لعلم انهم يفعلون ويختارون ذلك [illegible] في الشاهد انما تقضي لما سبق منه العلم به والله الموفق فكان تأويل الآية وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى على ما كان عندهم وعلى ما يفعلون الافعال والله اعلم وقوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد اي من يعرف انه يقبل ما كان من الهدى وعصمه [illegible] فهو المهتدي عند الله وعند من عقل الهدى وقوله تعالى ومن يضلل اي من خذله فلم يعصمه حتى قبل من الشيطان ما جاء من وساوسه ومن هذا [illegible] وقوله تعالى فلن تجد لهم اولياء من دونه يحتمل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم لدينه ويوفقونهم ويحتمل فلن تجد لهم اولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون عنهم ما نزل بهم من العذاب والله اعلم وقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما قال الحسن يحاسبون حتى يعلموا الشيء صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا ثم يحشرون الى جهنم كما ذكر عميا وبكما وصما او كلام نحو هذا ثم يحتمل قوله نحشرهم على وجوههم ما ذكر في آية اخرى يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة انما يتقي بوجههم لما ان ايديهم مغلولة الى اعناقهم ثم قوله عميا وبكما وصما يحتمل وجهين احدهما اسماهم عميا وبكما وصما لانهم اضاعوا هذه الحواس ولذا هي في الآخرة ليس على حقيقة ذهابها لكن حال بينها وبين الانتفاع بها لما ذكر لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فيكون الظلل يحول بينها وبين رؤية الاشياء وهذا كما سماهم في الدنيا صما وبكما وعميا ليس على ذهاب حقيقتها عنهم ولكن لما لم ينتفعوا بهذه الحواس في الدنيا ولم يستعملوها فيما امروا استعمالها فيه [illegible] في الآخرة ويحتمل على حقيقة ذهاب هذه الحواس عقوبة لما لم يستعملوها في الدنيا لما خلقت لها كقوله قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا مأواهم جهنم اي مقامهم جهنم [illegible] وقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اختلف فيه قال الحسن كلما خبت اي كلما اخذت لهبها وسكنت زدناهم سعيرا وقال [illegible] لهبها من غير ان يذهب وهج ما اصابتا زدناهم سعيرا وقال بعضهم كلما خبت

اي نضجت جلودهم وسكنت النار زدناهم سعيرا اي يعود بنار كما كانت وجعلت تلتهب وتستعر كقوله كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها وقال بعضهم النار اذا اكلتهم فلم تبق منهم غير العظام وصاروا فحما سكنت النار فهو الخبو ثم بدلوا
خلقا غيرها جديدا لهم فيكونون وقودا وبعضه قريب من بعض قال القتبي خبت اي سكن لهبها والخبو فاذا سكن لهبها ولم يطفى
الجمر يقال خمدت تخمد خمودا فان طفئت ولم يبق منها شيء قيل همدت تهمد همودا وقوله زدناهم سعيرا اي نارا تستعر وتلتهب
وكذا قال ابو عوسجة السعير النار يقال سعرت النار اذا اوقدتها ويقال نار مسعورة اي موقدة وقوله تعالى ذلك
جزاؤهم اي ذلك الذي ذكر جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
ثم قال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم اي اولم يعتبروا ولم ينظروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم هذا الاحتجاج يحتمل وجهين احدهما انكم تعرفون ان الله هو خالق السموات
والارض وخالقكم فخلق السموات والارض على الابتداء وخلق سائر الخلق على الابتداء بلا احتذاء تقدم من سبق
اعظم واكبر من خلق شيء دونه فمن قدر على انشاء العالم على العادة اقدر ان اعادة الاشياء في عقولكم ايسر واهون
من ابتدائها والثاني يخبر انه خلق السموات والارض وخلقكم فلم يخلقها للفناء خاصة اذ خلق الشيء للفناء
خاصة لا لعاقبة عبث ولعب فدل انه خلقكم وخلق السموات والارض لعاقبة وهي البعث وعلى ذلك يخرج قوله
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه اي البعث لا ريب فيه انه كائن لا محالة ويجوز ان يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال وجعل لهم اجلا لا يتقدم عنه ولا يتأخر او ان يكون قوله وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه الموت الذي به تنقضي اجالهم لكنه لم يخلقهم للموت خاصة ولكنه للعاقبة وهو ما ذكرنا والله اعلم
وقوله تعالى فابى الظالمون الا كفورا اي كفروا بالبعث والظالمون ههنا هم الكافرون كانه قال فابى الكافرون الا
كفورا والله اعلم وقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق تحتمل الاية وجوها
قال بعضهم هو صلة ما تقدم من سؤالهم وهو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة
من نخيل وعنب وقوله او يكون لك بيت من زخرف وقوله او تكون لك جنة يأكل منها كانوا سالوا هذه الاشياء على التعنت
والعناد والاستهزاء ما اخبر الله انه وان اعطاهم ما سالوا لا ينفقون بل يمسكون عن الانفاق وعن سنة الله
اذا اعطاهم ما سالوا على سؤال التعنت وتركوا الايمان به والوفاء لما التزموا انهم يهلكون فاخبر انهم
سالوه سؤال التعنت لا سؤال الحاجة ليتوسعوا بها والله اعلم وقال بعضهم قوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
اذا لامسكتم خشية الانفاق في قوم خاص علم الله انهم لو اعطوا ما سالوا لفعلوا ما ذكر لا في كل منهم وهو كقوله الذي
اوليس نذرهم لا يؤمنون وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا
وامثال هذا كان في اقوام علم الله انهم لا يؤمنون فعلى ذلك الاول والله اعلم ويحتمل ان تكون الاية في قوم ضمنوا لله
الانفاق والتوسيع على الناس وعاهدوا الله على ذلك ان وسع عليهم فاخبر انهم لا يفعلون ما عاهدوه وضمنوا له
وهو كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الاية والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا اخبارا منه عن طبع الخلق
وعادتهم وذلك انهم كلما استكثروا من الاموال وجمعوا ازداد لهم بذلك حرص على جمعها وبخل على التوسيع والانفاق
لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار ذلك هذا هو المعروف من طباع الناس فاخبر انهم يمسكون عن الانفاق والتوسيع
اذا ملكوا ما ذكر على ما طبع الانسان بالبخل والتضييق عند الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك والله اعلم وقوله تعالى وكان
الانسان قتورا يحتمل ان يكون هذا صفة كل كافر كقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا يكون عادتهم البخل والجزع عند المصائب ويجوز ان يكون هذا صفة كل انسان في الابتداء على مقتضى
الطبيعة ثم الامتحان والتجربة يصيرهم اسخياء صابرين والله اعلم ويحتمل انه يخبر لو ملكوا واعطوا جميع ما لم يرزقوا
في عمرهم على التفاريق بدفعة واحدة مجموعا لامسكوا عن الانفاق خشية الفقر في اخر عمرهم اذ لا يعلمون الوقت الذي
ينتهي اجالهم اليه فيحملهم ذلك على البخل والامساك والله اعلم او لما ذكرنا ان الانسان جبل وانشأ على الامساك
والاقتار في الابتداء وان لم يكن لهم حاجة الى ما في ايديهم لان الصبيان يمنعون ما في ايديهم عن غيرهم وان لم يكن
لهم حاجة الى ذلك وانما جبلهم وانشأهم هكذا ليمتحنهم بالجود والتوسيع والبخل والتضييق ليتحقق الابتلاء وهو
ما اخبر خلق الانسان هلوعا منوعا جزوعا يخبر لا انشأهم جزوعا عن الالم والمصائب غير صابرين عليها وكذلك انشأهم
لا يصبرون على امر واحد ولا على حالة واحدة ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة فعلى ذلك قوله وكان الانسان
قتورا او طبع وجبل بخيلا ممسكا مضيقا لم يترك ذلك بالامتحان والاعتياد خلاف ذلك والله اعلم وقوله تعالى ولقد
اتينا موسى تسع ايات بينات ذكر تسع ايات وايات موسى اكثر من تسع فمعناه والله اعلم اي اتاه تسعا من الايات لم
يحاج بها فرعون لا ان ايات موسى كانت اكثر من تسع كانها تبلغ عشرين او تزداد عليه اذ كان في عصاه اربع من الايات احدها
حيث ضرب على ماء البحر انفلق وحيث ضرب على الحجر فتفجر منه كذا عيونا وحيث القاها فصارت ثعبانا وحيث كانت تلقف

حبالهم وعصيهم لكنه ذكر تسع ايات التي امره الله تعالى ان يحاج بها فرعون وقومه ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
اي انها من عند الله جاءت تعالى انها ليست من البشر وانها سماوية او بينات مبينات ما يبين صدق موسى في جميع ما يخبر
ويفعل ويبين عدله وحكمه وفضله لان الايات انما تحتاج الى هذا ليبين الناس صدقهم في قولهم وعدلهم وحكمهم
ثم اختلف في هذه الايات التسع قال بعضهم العصا واليد البيضاء والحجر والطمس والخمس التي ذكر في سورة الاعراف وهو قوله
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الاية وقال بعضهم الخمس التي ذكر في سورة الاعراف والعصا
والموت الذي ارسل عليهم حمله واليد البيضاء وانفلاق البحر وقال بعضهم الخمسة في الاعراف واليد وحل العقدة من لسانه
وفي العصا ايتين وقال ابن عباس رض العصا واليد والسنون ونقص من الثمرات والخمس التي ذكر في الاعراف ثم منهم من
يجعل السنين ونقصا من الثمرات اية واحدة ومنهم من يجعل ايتين وكذلك العصا منهم من يجعل اية واحدة ومنهم
من يجعل ايتين ومنهم من يعد الطمس ومنهم من لا يعده لكن يجعل العصا اية واحدة والسنين ونقصا من الثمرات اية
واحدة والطمس اية واحدة والخمس التي في سورة الاعراف فتكون ثماني ايات ويكون التاسعة قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصائر لانه قال لقد علمت انها ايات ولم يكفه فرعون ولم يستقبله بشيء وكذب في قوله وهو كما
قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وروي عن صفوان بن عسال المرادي انه قال ان يهوديين اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالاه عن تسع ايات التي ذكر انه اتاها موسى عليه السلام فقال رسول الله لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تاكلوا الربوا ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة يا يهود ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي
فقال عليه السلام فما يمنعكما ان تسلما قالا نخشى ان اسلمنا ان تقتلنا اليهود فان ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز ان يتعدى
الى غيره والله اعلم وقوله تعالى فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم يعني موسى قال بعضهم امر رسولنا صلى الله عليه وسلم ان يسال بني
اسرائيل وهم اهل الكتاب في زمانه الكتاب التي كانت في كتبهم على التقرير عندهم انه امر في ذلك بالله وانه رسول الله لعلموا
انه كان تلك الايات في كتبهم بغير لسانه وكان لا يخط بيمينه ولا كان اختلف الى احد منهم ليعرف ذلك وذلك انهم علموا انه انما عرف ذلك
بالوحي من السماء وقال بعضهم النبي هو على الامر في سائلهم ولكن معناه ما نسألوا ما انهم لا يخبرونك فيها كقوله فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وقوله تعالى فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مسحورا في عقلك اي سحرت والمسحور هو الملوب
في العقل بغلبة متناقض لانه كان مرة قال انه ساحر ومرة قال مسحور والمسحور المغلوب والساحر هو الذي يبلغ في الحيلة وقامته
وقوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض قرئ علمت بالرفع والنصب جميعا والمكن ان يكون قال عليه
في الابتداء لقد علمت ما انزل هؤلاء اي هذه الايات الا رب السموات والارض وقال اخر لما قام عليه لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله تعالى بصائر اي ما يبصر بها الحق من الباطل لم يعاند ولم يكابر وقوله واني
لاظنك يا فرعون مثبورا قال موسى لفرعون اني لاظنك يا فرعون مثبورا مقابل لما قال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا والله اعلم ثم قوله مثبورا قال بعضهم هالكا وقيل مغلوبا وقيل مبدلا ويحتمل اني لاظنك يا فرعون مثبورا
اي تدعو على نفسك بالثبور وهو الهلاك وهو كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا
والله اعلم والظن يذكر في موضع الظن ويذكر في موضع العلم فالظن من فرعون يحمل على الحسبان والظن من موسى على العلم لما
له العلم بما ذكره عن قبل الله اعلم بما يتحقق وقوله تعالى فاراد ان يستفزهم من الارض قال اهل التاويل اراد فرعون ان
يستخفهم ويخرجهم من الارض اي ارض مصر لكنهم قد كانوا خرجوا طائعين قبل ان يخرجهم وهو كما امر موسى ان يخرجهم بقوله
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي ليلا انكم متبعون فيكون تاويل قوله فاراد ان يستفزهم من الارض الاخراج بالقتل والاهلاك
من الدنيا الارض كانه قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الذين مشارق الارض
الا قد كانوا هم خرجوا من ارضه على ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فاغرقناه ومن معه جميعا وهو ما قال في اية اخرى فاتبعهم
فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق وقوله تعالى وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض اختلف فيه
قال بعضهم اسكنوا الارض اي ارض مصر التي كان يسكن فرعون وهو كقوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وقال بعضهم اسكنوا الارض اي اسكنوا ارض الشام والارض المقدسة كقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله
لكم وقال بعضهم اسكنوا الارض ليس المراد ارضا دون ارض ولكن المراد اي ارض شئتم من مشارقها ومغاربها امنين
لا خوف عليكم على ما اراد ان يخرجكم من مشارق الارض ومغاربها بالقتل كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها وهو قول ابن عباس وعلى هذا قوله فاذا جاء وعد الاخرة بعد عيسى جئنا بكم لفيفا مجتمعين
من مشارق الارض ومغاربها على ما تفرقوا وقال بعضهم فاذا جاء وعد الاخرة يعني خروج عيسى ونزوله من السماء جئنا بكم
لفيفا اي جميع الامم من الفرق بعضها الى بعض جميعا وهو مثل الاول واما عامة اهل التاويل وانما عامة اهل التاويل بانهم
قالوا فاذا جاء وعد الاخرة يوم القيمة جئنا بكم لفيفا اي جميعا انتم وفرعون وجنوده حتى يعاكم اما بكم الشاكر منهم بها ويوم

هو أنهم والله أعلم. وقوله تعالى: وبالحق أنزلناه وبالحق نزل. قال الحسن: أنزل القرآن حكما وأنباء حكيمة فيلغوا أنباؤه صدقا وحق، وهو كقوله: وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا، صدقا ما فيه من الأنباء وعدلا ما فيه من الحكم، فيذال الحق الذي فيه من الحكم العدل والأنباء الصدق. أو أن يعرض ويحتمل أي بالحق الذي يحق على عباده أنزله وبالحق الذي لبعضكم على بعض نزل، فيه بيّن ما يستقر، وأصل هذا أن الحق اسم كل محبوب ومحمود والباطل اسم كل مكروه ومذموم في العقول، صار محمود المحمود ومن خالفه وتركه باتباعه صار مذموما. ويحتمل وبالحق نزل أي لم يأته التغيير والتبديل. وقوله تعالى: وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا. في ظاهر الآية أنه لم يرسله إلا بهذين الذين ذكرهما من النذارة والبشارة، وهو كذلك في حق الرسالة إلى الخلق لم يرسله إلا بالبشارة والنذارة، بمعنى كثيرة إذ لم يكن مخصوصا في جميع الأوقات بهذين خاصة، فيكون معناه لم نرسلك حافظا ولا وكيلا ولا سلطناك عليهم بل أرسلناك لتبليغ الرسالة إليهم والبشارة والنذارة أمر يكون أن ينظروا في عواقب الأمور، البشارة تكون عاقبة كل محبوب محمود والنذارة عاقبة كل مكروه مذموم. ثم لقائل أن يقول: إن الآية تدل على أن النهي للحظر فإنه قال: وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا، فالبشارة لمن أجابه فيما دعا به وكفّ النهي، والنذارة لمن ارتكب ما نهى عنه، فكيف لا دل هذا على أن النهي يوجب الحظر والتحريم حيث ألحق النذارة بما نهى عنه، فنقول: إن النذارة عاقبة كل مكروه مذموم والبشارة عاقبة كل محبوب محمود، فالبشارة تكون للأدب والواجب جميعا، فأما النذارة لا تكون إلا في مكروه مذموم فيدل على الحظر، وهذا في النهي الذي يكون نهي تحريم وحكم، فأما النهي الذي هو نهي أدب فلا يمتنع، ليس بمكروه حرام لكنه أدب وفضل، والنبي عليه السلام بعث لهذين البشارة والنذارة، فالبشارة في كل محمود حاديا كان أو لازما، والنذارة في المحرم لا غير والله أعلم، ولأن الرسل لم يبعثوا إلا لتغيير ما كان فيه هؤلاء من الخلق من الشرك وغيره من الفواحش والمناكير، وذلك حرام يرجع خطره بالعقل، إنما لم يبعثوا لصغائر ظهرت فيهم، ثم دخل الصغائر في الأحكام فيما أرسل به تبعا، ولهذا كان سبب إرسالهم والغرض منه تغيير الكبائر والفواحش، فلم يعرف الخطر بمجرد صيغة النهي، ونعرف أن الله تعالى قد أخبر أنه قد عفا عن كثير من السيئات، وما عفي عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد والله أعلم. وقوله تعالى: وقرآنا فرقناه. قرئ بالتخفيف والتثقيل، قال بعضهم: فرقناه بالتخفيف أي أحكمناه وبيناه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقال بعضهم: فرقناه أي قطعناه في الإنزال سورة سورة وآية آية على ما أنزل لتقرأه على الناس على مكث، وهو والله أعلم لوجوه: أحدها ما ذكر في قوله: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك، فأخبر أنه إنما أنزل متفرقا ليثبت به فؤاده لأن ذلك أثبت في القلب وأبقى في الحفظ. والثاني أنزله بالتفاريق على قدر النوازل ليجدد لهم البصيرة ويزداد لهم الحجة، ولو كان جملة لم يكن ليتجدد لهم ذلك ولا ازداد لهم البصيرة. والثالث يحتمل أن يكون أنزله بالتفاريق ليتبين في كل وقت ويظهر في كل حال أنه ذلك أنبأ له، هذا أعظم من أن يكون منزلا جملة واحدة. والرابع أن الآية إذا دامت يكون ذلك في التنبيه أقل، وإذا كانت منقطعة في الأوقات كانت أخضع وأنبه، نحو كسوف الشمس والقمر بالليل وغيره مما اعتاد بالدوام على مجرى العادة غير مخوف ولا منبه لهم للدوام، وكسوفها بالنهار صار منبها للانقطاع، فعلى ذلك الأول والله أعلم. وقوله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا. ظاهر هذا يخرج على التخيير لكن المراد منه يخرج على ختم الموعظة وتأكيد الوعيد، كقوله تعالى: اعملوا ما شئتم، ظاهره على التخيير لكن الحكماء يعملون مثله لا لتأكيد الوعيد وختم الموعظة، وكذا المعروف في الناس أن الإنسان إذا أمر آخر بأمر ووعظه ثم لم ينجع فيه يقول له: إن شئت فافعل وإن شئت لم تفعل، على أنك إن فعلت أو لم تفعل ما ضرر ذلك إلا عليك إن تركت ونفعه يرجع إليك لو فعلت، فعلى ذلك قوله: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا، فلا ضرر علينا في تركهم الإيمان ولا يرجع نفعه إلينا إن آمنتم، فإنما نفعه لكم وإن تركتم فضرره عليكم، إن شئتم فعلتم وإن شئتم لم تفعلوا، وهو كقوله: إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها، وقوله: من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها، ونحو ذلك كثير، أو كل من عمل خيرا فلنفسه عمل ومن عمل شرا فعلى نفسه ضرر ذلك. وهذا ينقض على أصحاب الظواهر حيث قالوا: إنهم من الخطاب بظاهره ولا يتعدى عن ظاهره، يجب أن يجب من قوله: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا التخيير، بل هو منه الوعيد تغليظا وتأكيدا وختم الموعظة. فإن قيل: ما الحكمة في الأمر والنهي وما فائدته إن كان ما أمر به ونهى من المنافع لأنفسنا والمضرة علينا، ومن لم يعمل في الشاهد ما يسعى لنفع نفسه لا إثم عليه ولا مؤاخذة؟ قيل: في الحكمة أن يفترض علينا السعي في هلاك أنفسنا ودفع الهلاك عنها، ومن ترك ذلك يلحقه الإثم في الشاهد عقلا وحكمة، ويعد من السفهاء، والمنع من السفه حكمة، فكل أمر ونهي منه لنفع في هلاك أنفسنا ودفع الهلاك عنها كان من حقهم نهي خطر، ولا يكون على الندب والأدب، فحاصل أمره ونهيه يرجع إلى منفعتنا لا له، ولذلك الضرر، ولكن الافتراض لدفع السفه لا لتحصيل النفع، وعلى هذا يخرج قوله: وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وعلى هذا يخرج دعاء آدم: ربنا ظلمنا أنفسنا الآية. وقوله تعالى: إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا، أي أن الذين أوتوا منفعة العلم يخرون للأذقان سجدا، وهذا ينقض على أصحاب الظواهر لأنه لا كل من أوتي العلم منهم يخرون لذلك على ما خرج ظاهره، ودل أن الاعتقاد ليس على ظاهر الألفاظ بل ما توجبه الحكمة، ثم يحتمل قوله: يخرون للأذقان سجدا أي

التذلل

التذلل لا على حقيقة السجود ولا على الانقياد لما سمعوا والخضوع له على ما ذكرنا من التمثيل في قوله: انقلبتم على أعقابكم، لا على حقيقة الانقلاب ولكن على الرجوع عنه وترك العمل به، فعلى ذلك الأول، كقوله: فنبذوه وراء ظهورهم، على ترك العمل به. ويحتمل أن يكون السجود كناية عن الصلاة أي يصلون لله، ويحتمل أن يكون على حقيقة السجود خروا لله سجدا إذا تتلى عليهم آيات الله وحججه، وهو كسجود سحرة فرعون حين عاينوا الآيات وحججه على ما قال: فألقي السحرة ساجدين، فكذا هذا. وقوله تعالى: ويقولون سبحان ربنا. تنزيه عما قالت الملحدة فيه. وقوله تعالى: إن كان وعد ربنا لمفعولا. أي قد كان موعود ربنا لمفعولا إذ وعده صفة أزلية، ويحتمل أي قد كان ما وعد في كتبهم أن يبعث رسولا كان موعودا وما أخبر به كائنا مفعولا، دل على ذلك قوله: وكان أمر الله مفعولا، وقوله: وكان أمر الله قدرا مقدورا، أي كل ما يأمر الله به كائنا مفعولا إذ أمره أزلي صفة له. وقوله تعالى: ويخرون للأذقان يبكون. فإن كان تأويل السجود الصلاة فهو حجة لأبي حنيفة رحمه الله في المصلي إذا بكى في صلاته خوفا على نفسه أو سرورا على ما أنعم الله عليه وأكرم دينه لم تفسد صلاته، فإذا كان البكاء للتسلي عما حل به من الشدائد تفسد صلاته، لأن البكاء إذا كان لله لا تفسد، وإذا كان للدنيا أو لحاجة نفسه فهو تفسد. وقوله تعالى: ويزيدهم خشوعا. أي يزيد ما يتلى عليهم من القرآن أو الآيات خشوعا وخضوعا. قال الحسن: الخشوع هو الخوف الدائم في القلب. وقوله تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا. ذكر هذا والله أعلم لأن العرب كانت لا تعرف الرسل والكتب المنزلة ولا يؤمنون بها، وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به وكذلك غيره من الأسماء، لما السبيل معرفة ذلك إما بالرسل وإما بالكتب المنزلة من السماء، فإذا لم يؤمنوا بها حملهم ذلك على الجحود والإنكار لتلك الأسماء، ولذلك قالوا: وما الرحمن، وقوله: وهم يكفرون بذكر الرحمن وأسمائه والله أعلم، وما أنهم فهم يسمون كل معبود إلها، وعلى ذلك سموا الأصنام التي كانوا يعبدونها آلهة ويقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فيسمونه الله لما هو المعبود عندهم، وإن عبادتهم ترجع إلى الله حيث زعموا أنهم كانوا يطلبون بعبادتهم الأصنام القربة إلى الله، لذلك أنكروا غيره من الأسماء، على أن العرب لم ينكروا الشيء يجد اسمين وأكثر، وعرفوا أن اختلاف الأسماء وكثرتها لا يوجب اختلاف المسمى ولا يوجب عددا منه، فإنما قالوا: أجعل الآلهة كان يدعونا إلى العبادة واحد فالساعة يدعو إلى عبادة اثنين، وأكثر ما قالوا على التعنت والعناد، ولأنه عرفوا أن واحدا اسمين وأكثر، لكنهم أنكروا ذلك لما ذكرنا عنتا منهم وعنادا، لأهل هذا يجوز أن يتناول الآية والله أعلم. ويحتمل أنهم إنما أنكروا لما لم يعرفوا أنه مأخوذ من الرحمة ولم يعرفوا أنه من الرحمة ما أنكروا، ألا ترى أنهم لم ينكروا الرحيم. ثم اختلف في تخصيص ذكر هذين الاسمين الله والرحمن، قال بعضهم: لأنهما اسمان مخصوصان له لا يجوز أن يسمى غيره بهذين الاسمين، فأما غيرهما من الأسماء فإنه يجوز أن يسمى به غيره. وقال الحسن: لأنهما اسمان معظمان عند الخلق ما لم يكن غيرهما من الأسماء في التعظيم مثلهما عندهم. وقال أبو بكر: إنما خص هذين لأن غيرهما من الأسماء أسماء أخذت من صفاته، وأما هذان فهما اسما ذاته من غير أن أخذ من صفة. وقال الزجاج: الرحمن مأخوذ من الرحمة إلا أنه النهاية في الرحمة لأن فعلان نهاية الغضبان إذا انتهى غضبه غايته، ألا ترى أن الرحمن والرحيم كلاهما مأخوذان من الرحمة، وغيره من الخلائق لا يبلغ في الرحمة نهايتها لذلك اختص به، وهذا كله فاحش خلاف، وأصله ما ذكرنا أنه لا يشترك غيره في هذين. وقوله تعالى: أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى. يحتمل له أسماء مما تسمى بها كلها الحسنى ليس شيء منها قبيحا، ويحتمل أن كل أعمال صالحة وأمور حسنة له أي تنسب إليه ولا أضافة، لا يجوز أن تضاف إليه وينسب ما قبح لبها وسمج، وأصله ما ذكر أنه ينسب إليه كل حسن وكل صالح على الإشارة والتعيين والانفراد، ولا يجوز أن ينسب إليه كل قبيح وسمج على الإشارة والتسمية به والانفراد، وهو ما يذكر: التحيات لله والصلوات إلى آخره، أما أن القبيح قد ينسب إليه على الإجمال كقوله: خالق كل شيء ونحو ذلك والله أعلم. ويحتمل أن كل شيء حسن يسمى به غيره فهو راجع في الحقيقة إليه وهو مسمى به ومنسوب إليه والله أعلم. وقوله تعالى: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا. اختلف أهل التأويل، قال بعضهم: لا تجهر بصلاتك أي لا تجعل صلاتك في مكان غيظا للمشركين، ولا تخافت بها أي ولا تستر عن أصحابك فتخفى عليهم، لكن ابتغ بين ذلك سبيلا. وقال بعضهم: لا تجعل كل صلواتك في جماعة، ولا تخافت بها أي ولا كلها في غير جماعة، وابتغ بين ذلك سبيلا، اجعل بعضها بالجماعة وبعضها لا بجماعة. وقال بعضهم: ولا تجاوز الحد في الأمور والأعمال التي أمرك بها، ولا تنقص عن الحد الذي حددت لك فيها، ولكن بين ذلك. وقال بعضهم: ولا تجهر بصلاتك بقراءة القرآن ولا تخافت بها أي ولا تخفها للأصحاب. وجائز أن يكون أراد بالصلاة القراءة والأذكار، أي لا تجهر بجميع الأذكار التي في الصلاة أو بجميع القراءات التي فيها، ولا تخافت بالكل، ولكن بعضها بالجهر وبعضها بالمخافتة. وقال بعضهم: كان يجهر بالقراءة في صلاته بحيث يسمعه المشركون، فأمر أن لا يجهر بها لئلا يؤذوه، ولا تخافت كل المخافتة فيسمع أصحابك فيأخذوا قراءتك. وقال بعضهم: ذلك في الدعاء إلى الله وتوحيده في حق التبليغ والمسألة وأمثاله، ولكن لا يجوز أن نقطع القول في هذا وأمثاله على واحد متعين لا نخبر مراد الله تعالى لأنه يكون شهادة على الله من غير علم والله أعلم. وقل الحمد لله

لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك * ذكر في هذه الآية جميع ما يقع به الحاجة إلى التوحيد لانه من نفي التوحيد كونه
إنما نفى لأحد الوجوه التي ذكر منهم من قال بالولد وهم اليهود والنصارى ومنهم من قال بالشريك وهم مشركوا العرب ومنهم
من قال بالولي والعون من الذل وهم الثنوية حيث قالوا إن الشيء هذا العالم لم يستعين به على التخلص من الظلمة فنزه الله
تعالى نفسه وبرأه عن جميع ما قالوا فيه لأن الولد في الشاهد إنما يتخذ ويطلب إما للتلهي به وللاستيناس عن وحشة أو لحاجة
تمسه فيستعين به على قضائها إما الولي من الذل ليجانبه من عدوه فيستنصر به عليه والله تعالى عن أن يصيبه شيء من ذلك وكذا الشريك
في الشاهد إنما يتخذ للمعونة والتقوي على بعض ما لم يقدر عليه وأما الولي من الذل إنما يتخذ في الشاهد للاستنصار به على الأعداء
والله تعالى عن أن يقع له الحاجة إلى شيء من ذلك ثم قوله ولم يكن له ولي من الذل أي لا يتخذ الأولياء ليتعزز بهم من الذل
بل إنما اتخذ أولياء رحمة منه وتفضلا ليتعززوا هم بذلك ويكونوا عظماء وذكر لم يتخذ ولدا وقد خلق الأولاد ليعلم
أنه ليس مخلوق لشيء ما يصلح أن يتخذ لنفسه ولدا وقال ولم يكن له شريك في الملك ولو كان على ما يقوله المعتزلة
أن الله لم يرد لأحد من الكفرة الملك وعادا لأولياء كان له شريك في الملك وهم الفراعنة الذي حصلوا الملك
لأنفسهم وأرادوا أن يكون لهم الملك فجعل ما أرادوا ولم يكن ما أراد الله والله أعلم وقوله تعالى وكبره تكبيرا أي
عظمه عما وصف به نفسه وانف عنه جميع معاني الخلق فيكون بذلك تعظيمه وتكبيره أو عرضه عما ذكر عادة كذا أنه عظيم وكبره والله أعلم

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب * تأويل الحمد
هاهنا وفي أمثاله والله أعلم أي حق الحمد لله الذي منه وصلت إلى كل أحد نعمته أقلها وإن وصلت إلى كل من وصلت فإن
حق الحمد والثناء له في تلك النعمة وإن حمد من دونه إذ منه ذلك لأن من الذي وصلت على يديه فإن الذي وصل على
يديه كالمستعمل له فحق الحمد والثناء له لا لمن دونه ويحتمل أن يكون قوله الحمد لله أي قولوا الحمد والثناء له لأنه في جميع
ما ذكر الحمد له الحق به شيئا إما قدرته وسلطانه وإما نعمه التي أنعم على الخلق كقوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب
الآية وقوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله الحمد لله فاطر السموات
والأرض ونحوه ما ذكر الحمد لنفسه والثناء إلا ذكر على أثره إما قدرته وسلطانه وإما نعمه إذا كان المذكور على أثره
النعمة يتأدى به شكره وإن كان الملحق به القدرة والسلطان فيخرج القول به مخرج الأمر بالتعظيم له والهيبة
والإجلال والله أعلم وقوله تعالى ولم يجعل له عوجا قيما * أي لم يجعله عوجا إلا أن اللام زيادة ويجوز زيادة اللام
في مثله كقوله ردف لكم أي ردفكم هذا جائز في اللغة ثم قوله أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما يخرج على وجهين
أحدهما على التقديم والتأخير على ما قاله أهل التأويل أي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له
عوجا والثاني على زيادة بل كأنه قال ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما على أحد هذين الوجهين يخرج والله أعلم ثم قوله
ولم يجعل له عوجا قيما إذا لم يكن عوجا كان قيما فإذا كان غير عوج في كل واحد من الحرفين معنى الآخر إلا أن من عادة العرب تكرار
الكلام وإعادته على التأكيد كقوله محصنات غير مسافحات فإذا كن محصنات لم يكن مسافحات وإذا كن غير مسافحات
لم يكن محصنات وهما حرفان يؤديان معنى واحدا إلا أنه كرر لما ذكرنا من عادة العرب وكذلك ما ذكر من قوله لينذر بأسا
شديدا البأس هو الشديد والشديد هو البأس هما واحد فعلى ذلك الأول والله أعلم ثم اختلف في تأويل قوله قيما قال
بعضهم القيم الشاهد أي هو القيم على الكتب المتقدمة والشاهد عليها في الزيادة والنقصان وفي التغيير والتحريف من
ما زادوا فيها وما نقصوا وما غيروا كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وقوله يحرفون الكلم عن
مواضعه وقوله وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب كانوا يحرفون نظمه
ووضعه ومنهم من كان يحرف أحكامه وشرائعه فهذا القرآن شاهد عليهم في بيان ما فعلوا والله أعلم وقال بعضهم قوله
قيما أي ثابتا قائما أبدا لا يبطل لا يغير ولا ينسخ ولا يزاد ولا ينقص وهو على ما وصفه تعالى لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه وعلى ما وصف الحق أنه ثابت قائم والباطل أنه ذاهب تالف كقوله كذلك يضرب الله الحق
والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض وما وصف الكلمة الطيبة بالثبات والقرار
لها والخبيثة بالزوال والتغير والذهاب فعلى ذلك هذا القرآن لأنه حق وقيل قيما أي مستقيما فتأويل المستقيم
المستوي الموافق أي يصدق بعضه بعضا ويوافق أوله آخره وآخره أوله فلم يخرج مختلفا متناقضا وهو على ما قال
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أخبر أنه لو كان من عند غير الله كما قال أولئك الكفرة لكان يخرج مختلفا
متناقضا ينقض أوله آخره وآخره أوله فإذا لم يكن دل أنه من عند الله نزل ولو كان على ما يقول أصحاب العموم والظاهر أيضا
لم يكن قيما لا مستقيما مستويا بل يخرج مختلفا متناقضا لأنهم يعتقدون على العموم والظاهر ثم يخصون بدليل ثم يختلف

[illegible] لينذر بأسا شديدا من لدنه [illegible]
لينذر بأسا شديدا [illegible]
[illegible] ويبشر المؤمنين [illegible]
المؤمنين الذين يعملون الصالحات [illegible]
[illegible] الأعمال الصالحات [illegible] المؤمنين
الذين عملوا الصالحات [illegible] المؤمنين الذين
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أن لهم أجرا حسنا [illegible] ماكثين فيه أبدا [illegible]
عدها ما كثين فيه أبدا أي لا يأخذهم سآمة ولا ملالة فيه [illegible] التحول إلى غيرها على ما يكون في الشاهد أنه قد
يسأم المرء من طعام وإن كان شهيا ويرغب غيره دونه وهو ما قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا والثاني
ما كثين فيه أبدا لا يخوفون الخروج والزوال عن النعمة ما ينغص النعمة على صاحبها وهو ما قال خالدين فيها أبدا وقال
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم * هذا يحتمل وجهين
أحدهما أنهم يعلمون أنه لم يتخذ ولدا فلم يقولوا ذلك عن علم منهم بل كذبا وتعنتا كقوله يدعونني لأكفر بالله وأشرك
به ما ليس لي به علم أي أشرك به ما أعلم أنه ليس هو بشريك وكقوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض
أي أتنبئون الله بما يعلم أنه ليس على ما تقولون والثاني يحتمل قوله ما لهم به من علم أي عن جهل يقولون ما يقولون
من الولد والشريك تقليدا لآبائهم لا عن علم لأنهم لم يسألوا أهل الكتاب كي يعرفوه ولا كانوا يؤمنون بالرسل
ليعلموا من مثل هذا منهم أن الكتاب وخبر الرسل فما قالوا إنما قالوا عن جهل لا عن علم وكذلك آباؤهم وإن كان التأويل
هذا ففيه دلالة أن من قال بشيء عن جهل فإنه مؤاخذ به حيث قال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم
ولم يعذروا بذلك الجهل لأنهم بسبيل من العلم بذلك لو تأملوا ونظروا فيه علموا أن لا ولد لله ولا يكون له اتخاذ
الولد لأنه لا يقع إلا بالشهوة وقوله تعالى كبرت كلمة تخرج من أفواههم * أي كبرت وعظمت تلك الكلمة التي قالوها
على من كان يتحقق المعرفة كادت السموات يتفطرن والأرض تنشق لعظيم ما قالوا في الله كما أخبر تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ثم تكلم أهل الأدب في نصب قوله كلمة
قال بعضهم انتصب على المصدر أي كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة كقوله وكلم الله موسى تكليما وقال القطربي
هو على الوصف أي لتفسير والتمييز كما يقال عشرون درهما فإن قوله عشرون يحتمل أن يراد به الدراهم والدنانير
والثياب فقوله درهما خرج تفسيرا وتمييزا فانتصب وكما يقال بئس زيد رجلا ونعم زيد رجلا فإن ذكره
بئس زيد يحتمل معان من الخلق كالعقل ونحو ذلك فإذا قال رجلا تميز من أنواعه فعلى ذلك قوله كبرت يحتمل
معان فإذا قال كبرت كلمة تميزت من سائرها والله أعلم وقال الخليل انتصابها لأنها نعت لاسم مضمر معرفة
لأنه قال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا فهذا القول فرية فقيل له كبرت فرية كلمة أو كبرت المقالة كلمة
وهو كقوله ساء مثلا القوم الآية والله أعلم وقوله تعالى تخرج من أفواههم أي كبرت كلمة تكلموا بها أو كبرت كلمة
تكلموا بها والله أعلم وقوله تعالى إن يقولون إلا كذبا * أي ما يقولون إلا كذبا وقوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * وقال في آية أخرى لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين
أخبر أنه فاعل لما ذكر فقيل إنه للفعل أو لا تفعل له هذا أشبه أن يكون على النهي كما ذكر في آية أخرى وهو قوله
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولهذا قال بعض الناس إنه قوله باخع نفسك نهيا عن الحزن عليهم
وعندنا ليس يخرج على النهي ولكن على التسلي قال القتبي باخع نفسك أي مهلك نفسك وقال أبو عوسجة يبخع
نفسه أي أخرجها ثم اختلف في الأسف قال بعضهم الأسف هو النهاية في الغضب كقوله فلما آسفونا انتقمنا
منهم قال أهل التأويل آسفونا أغضبونا وقال بعضهم الأسف هو النهاية في الحزن كقوله يا أسفى على يوسف
أي يا حزنا فيحتمل أن يكون منه الحزن أسفا لما علم أنهم يتلفون أنفسهم في النار بتركهم الإيمان وكادت نفسه تتلف
عليهم بتركهم الإجابة والقول في الله سبحانه وتعالى على ما قالوا فيه وكلاهما يجوز إذا كان نفس النبي صلى الله
عليه وسلم كادت نفسه تتلف حزنا عليهم شفقا منه وكادت تتلف غضبا عليهم لتعنتهم دلالة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والإتلاف ولكن كان يقاتلهم ليسلموا حتى كادت نفسه تتلف

أسفا أي عليهم فلا تحمل أن يكون بنا تلهف الفعل وفي الفعل ترك الشفقة ولكن كان نقيا لهم لتصيرهم
القتال إلى الإسلام فيسلموا فلا يهلكون وفيه تذكير المؤمنين وتنبيه منهم من وجهين أحدهما أنا أخبرني
عظيم محل الذنوب في قلبه فلعل ذلك يؤذيه فليحسنهم اللعن كقوله إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والآخرة ففي ذلك زجر عن ارتكاب ما يسوءه ويؤذيه والثاني تعليمهم لأمته أن كيف يعاملوا الكفرة وأهل
المناكير منهم يقاتلوه في الظاهر ويضمروا الشفقة في القلب على ما فعل بهم رسول الله وعامل معهم أيهم
ثم قوله بهذا الحديث سمى القرآن حديثا وهو ما قال الله نزل أحسن الحديث كتابا سماه باسماء قصصا وخبرا
وذكرا ودنى حلو أمثاله فإنما هو اسم المكتوب لا اسم نفس الكلام القائم بالله تعالى وقوله تعالى إنا جعلنا ما على
الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ◦ فإنه كان لنا قيل فيكون قوله وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا في القيامة يعني جميع ما على وجه الأرض شيئا قاعا صفصفا وذلك لخلاد عن القيمة وقال بعضهم قوله
زينة لها هو النبات الذي عليها وما جعل لهم من الرزق ليبلوهم بما جعل لهم من الأرزاق بالأمر والنهي والفلاح
وغيره ليجعل لهم ذلك حسنات عليها وتلك الأرزاق محالا ولكن ليختبرهم ويمتحنهم بأنواع المحن فإذا كان
كذلك ففيه دلالة أن ليس للإنسان لا حسناتها قبل الأذى كانتا بها ولا يقدر على شيء منها إلا بإذن مولاها
فإنا قلم ذكر هاهنا أنه جعل ما على الأرض زينة لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقال في آية أخرى الذي خلق الموت والحيوة
ليبلوكم أيكم أحسن عملا ثم من الناس من جمع بين الآيتين فيقول جعل الخلق للابتلاء والابتلاء بما ذكر
على ذلك فيقول إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم إنما نبلوهم بالزينة والجوع لا بالصفو وكان
والله أعلم ومنهم من يقول أنه امتحنهم بها جميعا بالجوع ليترددوا فيها لما تعبدا المحتكم بتعبد وفي حال السعة
والرخاء الحال الضيق والشدة في ما يتعبد في حال السعة فلا كدار في حال الضيق فعلى ذلك عن الرشد ونحوه
فلا خلاد لتعبد التي وقوله تعالى وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ◦ أي نبتليهم ونختبرهم أيضا بفناء النبات
والأنداد وقد قال الله أي نبتليهم بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا
ترجعون وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحو قوله ولكن في قوله
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا والله أعلم أي نبتليهم
بالسعة والرخاء والضيق والشدة قال القتبي الصعيد المستوي ويقال وجه الأرض ومنه قيل للتراب صعيد الآية وقال
الأرض والجرز الأرض التي لا تنبت شيئا يقال أرض جرز وأرضون أجراز وقال أبو عوسجة الجرز الأرض التي
لا تنبت والصعيد التراب وقوله تعالى أم حسبت قيل أحسبت وقيل بل حسبت ويحتمل أم بمعنى بل كقوله أم يقولون
افتريه أي بل يقولون فعلى ذلك قوله أم حسبت يعني أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم وقد ذكرنا في غير موضع
أخرى أن الاستفهام من الله يكون على الإيجاب والإلزام فهو يخرج على وجهين أحدهما على الأمر أي احسب أنهم
أن ما أصحاب الكهف من آياتنا عجبا أو ما ذكرنا بل حسبت وهو كالأول والثاني لا تحسبن أن أصحاب الكهف
والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ليس بعجب منها بل آيات الله أعجب منها من الآيات والله أعلم ثم اختلف في الرقيم قال
بعضهم الكتاب الذي كتب فيه أسماؤهم كقوله كتاب مرقوم أي مكتوب وقال بعضهم الوادي الذي فيه كهفهم وقيل
الرقيم اللوح الذي كتب فيه أسامي الفتية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا أدري ما الرقيم لكني سألت كعبا فقال
إنها القرية التي خرجوا منها وقيل الرقيم الكلب ونحو ذلك قالوا وليس بنا إلى معرفة الرقيم حاجة ولا إلى اسم [?]
الكهف إنما ذلك بلسانهم وهؤلاء لم يسألوا رسول الله عن الكهف والرقيم وإنما سألوا عن أصحاب الكهف والرقيم
فما ينبغي لهم أن يشتغلوا به فلا نشتغل به ثم ما قال عامة أهل التأويل إن رسول الله سئل عن قصة أصحاب الكهف
وأنبائهم فقال أخبركم غدا ولم يستثن فعاتبه الله تعالى بأن حبس عنه الوحي كذا كذا يوما فنزل قوله ولا تقولن
لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله لكن ذلك فاسد مما توهموا على رسول الله من وعد الكذب لأنه لا يجوز أن
يكون رسول الله يقول لهم أخبركم غدا والله لم يأمره بذلك أو حال الخلاف ولم يستثن فيحبس الله الوحي عنه
ولا يخبره في الوقت الذي قال إنه يخبرهم فيه فيظهر كذبه عندهم فيعنا اختياره لرسالته واصطفاه لموضع
وحيه وتقيم على يديه المعجزات الناقضة للعادات لتصديق قوله ثم يكذب بعد هذا فإنه أشد محال [?] لما يحتمل
ما توهموا به على الله على رسوله وقد كان من كفار مكة ما كان السعي في منع رسول الله عن تبليغ الرسالة إلى الناس والحيلولة
عن الدعاء إلى ما أمر أن يدعوهم إليه واستقبال الحجج والبراهين يشبه بما عارضوها اللبس على الناس حججه وآياته
لله إياها فإنه لا يجد ذلك عليهم وأعجزهم عن الاستقبال المعارضة لحججه وبراهينه بتمويهاتهم وكشف الله عليه الكذب
يمنع الوحي عنه حتى يخبر عن الأخبار التي وعد لهم في الوقت الذي وعدهم وقد ذكر في غير قصة أنهم سألوا اليهود
عنه وعن نعته هل يجدون نعته في كتبهم إذ لم يكونوا أهل كتاب فعلوا ذلك فاحتاجوا إلى من يعلمهم ويخبرهم عن ذلك

فسألو

فسألوا اليهود المدينة عنه وعن خبره فقالوا نحن نجد نعته في كتابنا كما تقولون وهذا وقت خروجه وقالوا لهم
فقالوا لهم اختبروه بأشياء أنه لا يعلمها إلا نبي فقالوا سلوه عن ثلاث خصال فإن أخبركم بهن فهو نبي [illegible]
سلوه عن أصحاب الكهف وسلوه عن ذي القرنين ما كان أمرهما [illegible] وسلوه عن الروح فإن أخبر [illegible]
[illegible]
الخطاب [illegible]
[illegible]
عزة فإنه يجري على الحسنات والطيب وغيره والله أعلم وقوله تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك
رحمة إذ انضم الفتية إلى الكهف واختلف في الكهف قال بعضهم الكهف الغار في الجبل وقيل الكهف شبه الغار في الجبل
[illegible]
قوله ربنا آتنا من لدنك رحمة [illegible]
وقد عرفوا أنه ليس مفازة وقال الناس طلب السلامة الذين ولكن لم يعرفوا أنه ليس مفازة فوقهم كما أن قوله أنفسهم إلى
مكان يخالفون ذلك لتحصيل [?] الرزق إشفاقا على أنفسهم بقوله آتنا من لدنك رحمة أي دعاء وهيئ لنا
من أمرنا رشدا أي اجعل جميع أمورنا رشدا أي اجعل جميع أمورنا على الصواب والرشد على ما ذكرنا أنهم عرفوا
سعة المفازة للذين ولكن لم يعرفوا سعته لذلك إذ كان فيه خوف هلاك أنفسهم فسألوا ربهم أن يجعل أمرهم
ذلك على الرشد والصواب ويحتمل قوله آتنا من لدنك رحمة أي نعمة وسعة وهيئ لنا من أمرنا أي هيئ لنا أمر ديننا أي
اجعل أمر ديننا ودنيانا على الصواب والرشد وقيل هيئ لكم أي يسر لكم كقوله تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال أي تهيئ
وقوله رشدا قال لمعاني رشدا أي مخرجا والله أعلم وقوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا الضرب
على الآذان هو المحو محو الإسماع يقال اضرب على حديث كذا أي امحه ثم يحتمل محو الإسماع وجهين أحدهما محو الروح
التي بها تحيى الأنفس فيكون كناية عن الموت أو يكون محو روح الإسماع التي بها يسمع لا الموت يدل على ذلك آية أخرى
وتحسبهم أيقاظا وهم رقود دل أنه إنما أراد محو روح الإسماع لا محو الأرواح التي بها تحيى الأنفس وهو كقوله وهو الذي
يتوفيكم بالليل الآية وقال القتبي فضربنا على آذانهم أي أنمناهم وقوله تعالى ثم بعثناهم أي من نومهم لنعلم أي الحزبين
أحصى لما لبثوا أمدا الأمد الغاية وقوله تعالى لنعلم أي الحزبين أي لنعلم ما قد علمناه غائبا شاهدا إذ كان المخالفين
منهم وتأويله ما ذكرنا أي لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا شاهدا ما علمناه غائبا أو لنعلم المخطي منهم من المصيب ليكون
ووصفه بالعلم بالمخطي ولا يخطي نزوعا المصيب ولا مصيب ثم إذا كان كذلك فيكون قوله لنعلم المخطي من المصيب والمصيب
من المخطي إذا كان واصله أنه تعلم كائنا على ما علمه يكون كما أنه لم يزل تحقيقه لنعلم أي الحزبين أحصى للبث الذي لبثوا
فيه ويحتمل أحصى للمدة التي لبثوا فيها والله أعلم ثم اختلف في تأويل الحزبين قال بعضهم أي مشركهم ومؤمنهم وقال
من قال الملك والفتية وقال بعضهم الفتية اختلفوا في مدة مكثهم إذا انتبهوا قال بعضهم لبثنا يوما وقال بعضهم لبثنا
أو بعض يوم وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ويكون لنعلم أي الحزبين يختلف لنا المعرفة ذلك حاجة سوى ما ذكرنا
وقول أهل التأويل وقوله تعالى نحن نقص عليك نبأهم بالحق الحق في النبأ هو الصدق والحق في الأحكام العدل
وفي الفعل الصواب وقال بعضهم الحق هاهنا هو القرآن فيكون تأويله بالحق أي في الحق وهو القرآن أي نقص عليك نبأهم
في القرآن والله أعلم وقوله تعالى إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم هذان الحرفان معناهما
واحد أعني الزيادة والربط كل واحد منهما يؤدي معنى صاحبه أي ثبتناهم على الهدى زيادة الهدى يجوز أن يقال هي التثبيت
والربط كذلك ويجوز أن يقال على التجديد في الابتداء إذ الإيمان يحكم التجدد في كل وقت إذ هو يكون منكرا لما جاء
في كل وقت فيكون مجددا الإيمان كذلك في كل وقت فإن ثبت حمله على التثبيت والزيادة على ما كان وإن ثبت على الابتداء
والتجديد وعلى هذا قوله فزادتهم إيمانا أي في ذلك وقال القتبي وربطنا على قلوبهم أي ألهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم
وزدناهم هدى أي من حكم الإنسان في اهتدائه ازداد كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى [illegible]

لكان لا ينفعنا ان يكفنا انا اهتدينا مرة لانه لا يزال [illegible]
[illegible] وقوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض يحتمل [illegible]
[illegible]
[illegible] لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة [illegible]
[illegible]
[illegible] لولا يأتون عليهم بسلطان بين [illegible]
[illegible] فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا [illegible]
[illegible] واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله [illegible]
[illegible]
[illegible] فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته [illegible]
انكم لقد تدعون قومكم الى مكان ليس معكم طعام ولا شراب فتهلكون انفسكم [illegible]
ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ثم قوله ينشر لكم ربكم من رحمته قال بعضهم اي يخلق لكم ربكم كقوله
وانظر الى العظام كيف ننشزها بالراء اي فكيف نخلقها وقال بعضهم ينشر لكم ربكم اي يبسط والنشر هو البسط
وتعلمه من رحمته يحتمل الرزق ويحتمل كل شئ يدفع الهلاك عن انفسهم وقوله مرفقا اي ما يرتفقون به من
وهو قول ابي عوسجة وبه قال القتبي المرفق ما يرتفق به وقال ابن عوسجة المرفق الرفق وقال ابو عبيدة ما ارتفقت به
فاما في اليدين فهو مرفق لا غير وقال الكسائي يستعمل المرفق والمرفق في الرفق ايضا والله اعلم وقوله وترى الشمس
اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال اي تميل كذا قال ابو عوسجة تزاور وتزور
اي تميل وقوله تقرضهم اي تدعهم على شمالها اي ان الشمس لا تصيبهم طالعة ولا غاربة عند طلوعها وغروبها
ويقال قرضته تركته اقرضه ويقال قرضت كذا اي حاذيته وتركته ويقال قرضت اي قطعت ومقراض ويقال
بعضهم تزاور وتقرضهم كلاهما واحد وهو ان تعدل عن كهفهم وتدعهم ذات اليمين واذا غربت لم تقرضهم اي تدعهم
ذات الشمال قال بعض اهل التاويل ان الشمس كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند غروبها لان الكهف كان
مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس وقال بعضهم وهو مروي عن ابن عباس ايضا لا ولكن ثمة حجاب يستر ويحجب
الشمس عن ان تقع عليهم لكن كلا القولين ضعيف لان الله تعالى جعل ذلك لهم آية من آياته وكرامة ولو كان لا تقع
عليهم الشمس بحجاب وستر لم تكن آية ومنه انما الآية فيما تقع عليهم الشمس لم يدفع عنهم ضررها واذاها وكذا اذا كانوا

بحيث لا تصيبهم الشمس اذ كان الكهف مستقبل بنات النعش فليس في ذلك كبير آية وحكمة اذ كل من آوى الى مثل
هذا الموضع لا يصيبه ضوء الشمس واذاها ولكن كان اللطف الآية والكرامة في منع ضرر الشمس واذاها عنهم واصابة
الشمس اياهم ووقوعها عليهم او في منع اصابة الشمس اياهم مع جريها على العادة المستمرة وعلى هذا يكون قوله تزاور عن
كهفهم ذات اليمين وذات الشمال ينصرف الى يمينهم وشمالهم او يمين القبلة وشمالها لا الى يمين الجبل والبناء وعلى
ما قال اهل التاويل والله اعلم وقوله تعالى وهم في فجوة منه قال بعضهم الفجوة الظل اي هم في الظل وقال بعضهم الفجوة
الفضاء وقال بعضهم هي سعة المكان وقيل في فجوة منه اي في ناحية من الكهف قال ابن عوسجة الزاوية وقد ما يصلح
يخبر الله عن لطفه وقدرته انه قد حشرهم الى غار كانوا يسعون نحوه ما العادة ان يكون في الجبال لا يكون هكذا بل
يكون ضيقا وقوله تعالى ذلك من آيات الله هذه الآية ترد قول من ينكر جري الآيات على يدي غير الانبياء لانه جعل في
الكهف عددا من الآيات كلها خارجة من احوال طبع الخلق وعاداتهم كراماتهم بسبب مفارقتهم قومهم بسلامة
دينهم فان قوله تعالى من آيات الله في ذلك البناء وما ذكر من قصة اصحاب الكهف من آيات حدوثه الله ومن آيات
وحججه على اثبات رسالة رسوله او هما آيات كل آية للقصة ولمن اختار دين الله وآثر على غيره احدها ما اصاب
انه ضرب على آذانهم وانامهم نوما خارجا عن طبع الخلق وعاداتهم وهو ثلاثمائة سنة وتسع ثم بعثهم ليتساءلوا
بينهم على ما اخبر بقوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم والثاني لم تبل ثيابهم في مثل تلك المدة ولم تتغير
الا ترى انهم قالوا اذا بعثوا لبثنا يوما او بعض يوم ولو كانت ثيابهم بالية وحالهم متغيرة لم يستقلوا لا
كل هذا حيث قالوا لبثنا يوما او بعض يوم الا ترى انهم فزعوا الى الطعام ولم يفزعوا الى الثياب حيث قالوا فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة الآية ولو كانت ثيابهم بالية متغيرة لكان فزعهم الى الثياب كفزعهم الى الطعام وهو
اولى والثالث ما اخبر من تزاور الشمس اذا طلعت ذات اليمين وقرضها اياهم ذات الشمال والرابع منع الحر والبرد عنهم
اذ من طبعهما الاهلاك والافساد عند الاستدامة والخامس ما ذكر من تقليبه اياهم ذات اليمين وذات الشمال
بقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال لحفظه اياهم عما تفسدهم الارض وتاكلهم اذ من طبع الارض
عند امتداد الوقت والسادس ما ذكر في الآية من الهول والهيبة على من اراد ان يدخل عليهم واطلع حيث قال لو
اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا خوفا عما ترى منهم من الاهوال هذا لرسول الله وكيف لمن دونه
والسابع حفظه اياهم من جميع الخلائق حتى لم يطلع ولم يعثر عليهم احد من الخلائق والثامن ابقاؤهم احياء اكثر
من ثلاثمائة سنة بلا غذاء ولا نفس لا يبقى بلا غذاء على استمرار العادة وذلك باللطف وامثالها كثيرة
مما يكثر عددها واحصاؤها كلها آيات عظيمة خارجة من وسع الخلق وعاداتهم وذلك لهم لاختيارهم دين الله
من بين قومهم ومفارقتهم اياهم لتسلم لهم دينهم اذ الغلبة فيهم يومئذ للكفرة فاكرمهم الله بتلك الكرامات
التي ذكرنا وامثالها فلا ينكر ان يعطي الله احدا من اوليائه قطع مسيرة ايام بيوم او بساعة والمشي على الماء ونحو
ذلك ليس بمستبعد ولا مستنكر ثم قال اهل التاويل انهم كانوا كذا والكلب كذا واساميهم كذا وعددهم كذا ونحو
ذلك مما لا نعلم الا بخبر الصدق مما وقع الحق وقد نهى الله رسوله ان يستفتي منهم احدا وما ذكر ونحو ذلك كله من
الاستفتاء الذي نهى الله رسوله عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن
تجد له وليا مرشدا وقد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود قال بعضهم لانهم
كانوا منفتحة الاعين والابصار كاليقظان وقال بعضهم وتحسبهم ايقاظا لانهم كانوا ينقلبون في نومهم
الى اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا وقال بعضهم معنى قوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لانهم
كانوا في مكان البرية كاللصوص مما لا يأوي اليه الانسان عن ريبة وشر وقصد ريبة وطالب غرة ومكانهم
لم يكونوا في مكان ينام فيه ويرقد ويختار لذلك فقال وتحسبهم ايقاظا لما كانوا في مكان لا ينام فيه المخوف
كانهم ايقاظ لكونهم يرقد فيه والله اعلم ولكن نحن ندري لا معنى ذكر وتحسب الناظر اليهم كانهم ايقاظ وهم رقود بلا شك
الله ذلك فلا نفسره والله اعلم وقوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال هو ما ذكرنا ان النائم قد يتقلب
في نومه من جانب الى جانب فذكر التقليب له في تقليبهم فعل وصنع فيكون دلالة على انه خالق افعال العباد فيكون
حجة على المعتزلة وقال بعض اهل التاويل انما كان تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال ليدفع عنهم اذى الارض وضررها
لئلا تفسدهم ولا تاكلهم وان كان الله قادرا ان يدفع عنهم اذى الارض وضررها لا بتقليب من جانب الى جانب لكن
انما يفعل هذا من لا يملك دفع الاذى بما ذكر فاما من هو قادر بذاته مستغن عن الاسباب التي بها يدفع فيحتمل
منه ذلك لا على التعليم منه اياهم كيف ينفي الاذى وكيف يدفع الضرر واذا لم يكن بمشهد من الخلق يحصل لهم
التعلم فلا معنى له والله اعلم بذلك وقوله ذات اليمين وذات الشمال يدل انه لا يفهم من ذكر اليمين الا الشئ الاخر
انه ذكر ذات اليمين وكرر ذكر نفس اليمين على ذلك في قولنا لم يذكره لا نفهم منه الا العام وقول القائل [illegible]

فكذلك في لبثنا فالمراد انه يفهم منه العلم ايضا فافهمه المولى تعالى وقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
قال بعضهم الوصيد هو فناء الباب وقال بعضهم الوصيد عتبة الباب وقال القتيبي الوصيد الفناء وقيل العتبة كما وجد
العجب الى انهم يقولون اوصد بابك اى اغلقه ومن ذلك قوله انها عليهم مؤصدة اى مطبقة مغلقة ولم ادله في الحق
الباب بالعتبة اذا الغلقة فان كان الوصيد هو عتبة الباب ففيه ان الكلب لم يحل باب الغار ففيه باحد دخال الكلب في الدار
وان كان هو الفناء ففيه انه كان خارج باب الغار وفيه الحد اقتناء الكلب عند الحاجة اليه وفيه ايضا ان الله تعالى ابقى الكلب
ثلاثمائة سنة على ما ابقاهم وان لم يكن من جوهرهم بلطفه وقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم
رعبا قال بعض اهل التاويل ذلك لان شعورهم قد طالت واظفارهم قد امتدت وعظمت وكان بحال يرعب عنهم
ويهاب لكن هذا لا يحتمل لانهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ولو كانوا على الحال التي ذكروا من طول الشعور
وامتداد الاظفار وتغير الاحوال لم يكونوا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم اذ لو نظروا الى انفسهم لعلموا من تغير
الاحوال على ما قالوا لعرفوا انهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت ولان ذلك الخوف والهيبة لا لذلك والله اعلم وقال
بعضهم انما كان الخوف والهيبة لانهم كانوا في مكان الريبة والخوف فيما لا يؤوى اليه الا الخوف منه او لطلب
ولا يضم اليه الا هارب من شر او طالب شر على ما ذكرنا ان من قام في مثله ومكان يخوف منه ويخاف والله اعلم ويحتمل
ان يكون قوله لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ذلك الخوف وتلك الهيبة هيبة الدين على ما روى في الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وذلك للدين وحقيقته امر فعلى ذلك يجائز
ان يكون ما ذكر من هيبة احوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم ومعاداتهم اياهم الى مكان لا طعام فيه ولا شراب
لتسلم لهم دينهم وذلك لحقيقة ما اختاروا من الدين ويحتمل ان يكونوا بحيث يهابون ويخاف منهم لئلا يدنو منهم
احد ولا يقرب فلا يوقظهم احد ليبقوا الى المدة التي اراد الله ان يبقوا فيه وكذلك يحتمل هذا المعنى في تقلب اليمين
والشمال والله اعلم او كان ذلك المعنى لم يطلع الله رسوله على ذلك فلا نفسر والله اعلم وقوله تعالى وكذلك
بعثناهم ليتساءلوا بينهم اخبر انه انما بعثهم للتساؤل لما علم بما يكون منهم من التساؤل وهكذا في جميع ما
يخلق وينشأ انما يخلق وينشأ لما علم انه يكون منه ليظهر ما علم على ما علم وهو كقوله ولقد ذرأنا لجهنم
كثيرا من الجن والانس ذرأ لما علم انه يكون منهم وهو عمل اهل جهنم وعلى هذا قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
من علم انه يعبده ويعمل له عمل اهل الجنة خلقه لذلك وهكذا كل ما يخلق انما يخلق لما يعلم انه يكون منه اذ لا يجوز
ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يخرج الفعل لذلك مخرج الجهل والعبث فاذا كان الله تعالى عالما بما كان
ويكون ويتعالى عن ان يكون فعله عبثا لجاز ان يخلق شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا في الشاهد من عمل عملا
او فعل فعلا لغير ما علم انه يكون فهو عابث او جاهل بعواقبه والله الموفق وقوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم قال بعضهم تاويله ما ذكر في قوله ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى ثم قولهم لبثنا يوما
او بعض يوم قالوا ذلك لما لم يروا في انفسهم اثارا واعلاما تدل على طول المكث والمقام فيه فلما تذكروا احوالهم
وما يرى النائم في نومه من العجائب والاشياء الكثيرة عرفوا ان ذلك العدد من الاشياء وفي مثل ذلك من الحال التي
راوا لا يحتمل ان يكون في يوم او بعض يوم فعند ذلك وكلوا الامر في ذلك وقال بعضهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
الذي اماته الله مائة عام قطع القول في ذلك ولم يكل الامر الى الله فذلك قول بعضهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
واما النبي الذي اماته الله مائة عام قطع القول في ذلك ولم يكل الامر الى الله حيث قال كم لبثت قال لبثت يوما
او بعض يوم لانه كان حيا فلبث لا يرى شيئا ولم يكن في نفسه آثار يدل على ذلك فقطع القول فيه ولم يكل الامر
الى الله والنائم فانه يرى في نفسه اشياء فعرف انه لا يكون في وقت قصير رؤية تلك الاشياء فلذلك وكلوا الامر
الى الله وقوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه انهم لما فارقوا قومهم فارقوا معهم نقودهم والورق
ليأتيهم بطعام وقيل انه اضاف الورق اليهم ولا شك انه كان لهم فيه نصيب حيث قال بورقكم فمن ضيعه لا له
حق ان المناهدة في الاسفار وغيرها اذ كانت الورق بينهم ان لا عبرة لما يسبق في احدهم زيد من صاحبه
لما يتحرى في مثله الشح والضنة وفيه دلالة تجويز الوكالة وانها ليست ببدعة ولكن كانت في القرون الماضية
وهي متوارثة وقوله فلينظر ايها ازكى طعاما اختلف فيه قال بعضهم ازكى طعاما اي احل طعاما لان بعض
اهل تلك المدينة كانوا يذبحون للاصنام وباسم الاوثان التي كانوا يعبدونها فامروا ان يأتيهم بحلال يحل
كله والتناول منه وقال بعضهم ازكى طعاما اي اكثر وارخص وزيد لانهم كانوا في مكان لا يجدون ما
يخرجون منه فطلبوا الاكثر لتسع حاجتهم له ويكفي لوقت مقامهم ونحوه وقال بعضهم ازكى طعاما
اي اطيب واجود لان الطيب يزيد العقول واصلح للانفس وانفع ولذلك جعل الله تعالى ادراك البشر ما هو
ما هو اطيب والذي يزيد ذلك في العقول وفي الافهام ويحمل الغرم من الدواب بكل خبيث لما ليس

فهو لم يحتاج الى المداراة بلطفه واصل الزكاة النماء والزيادة وقوله تعالى وليتلطف اي وليترفق بهم لئلا يشعروا
انه من اولئك الذين تفادوا بدينهم او امرهم بالتلطف في الشراء بالسماحة والسهولة في الشراء فان الله يحب سهل
البيع سهل الشراء وقوله تعالى ولا يشعرن بكم احدا اي لا يشعرن بكم احدا ان فلانا ابن فلان وانه من قوم كذا
فيعرفون انه من اصحاب الكهف [illegible] وقوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم
[illegible]
[illegible]
في القرآن حجة لرسول الله [illegible]
وقوله تعالى ليعلموا ان وعد الله حق [illegible]
[illegible]
انه قد ذكر انهم اصحاب الكهف فيصدقون الرسل او الى من يخبرهم احق ان يصدق والثاني علموا ان المدار او انه انما هم
مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم عن كل ضرر واذى وغشاوة وابقاهم من غير طعام ولا شراب على علم منهم
ان الانفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة بكثير فضلا من ان تبقى الى مثل تلك المدة فعلموا
ان من قدر على حفظ ما ذكرنا وابقائهم لقادر على البعث بعد ما ذكرنا وابقائهم لقادر على البعث بعد الاحياء بعد
ولا يعجزه شيء يريد كون شيء والثالث علموا ان ذلك لتحقيق ان الله انامهم وقتا طويلا ثم حفظهم من جميع الآفات ثم
بعثهم واحياهم وهم انه لم ينبههم ولم يبعثهم الا لعاقبة يوصل وحكمة يقصدها فعلى ذلك انا احياء الخلق واماتتهم
لم يكن الا لعاقبة يوصل وحكمة يقصد بعد ذلك هو البعث والله اعلم وقوله تعالى اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ليس لنا نعلم في اي امر تنازعوا فيما بينهم
ويشبه ان يكون تنازعهم في البناء الذي ذكر من المسجد عليهم ويحتمل ان يكون تنازعهم في مدة نومهم على ما ذكر
ويحتمل ان يكون في عددهم او تنازعوا في السبب الذي به التجاؤوا الى الكهف ولكن لا نقطع القول فيه لذلك لما لم
الى النبي قال ربهم اعلم بهم ثم قوله لنتخذن عليهم مسجدا يحتمل بناء المسجد عليهم اكراما لهم واعظاما لما ذكر
في ذلك المكان على ما ظهر عندهم من اكرام الله اياهم ويحتمل يتخذون مسجدا للعبادة انفسهم ليعبدوا الله على ما بعثهم

ليس الواقف كلبهم ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم
كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ❊ قال بعضهم كان عددهم سبعة والثامن الكلب
ذكر في الثلاث والخمس رجما بالغيب أي قذفا بالغيب وظنا وقيل رجمة بالغيب أي بلا علم ولم يذكر في قوله ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم ذلك دل أنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه وقال ما يعلمهم إلا قليل
وأنا من القليل الذين استثنى وقيل ابن عباس قال أنا من القليل الذي استثنى واستدل بالآية التي ذكرناه كما قال
رسول الله أنهم كانوا سبعة والثامن الكلب وقال الحسن وأبو بكر وغيرهما إنما هو كما قال قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم
إلا قليل استثنى قليلا من عباده يعلم ذلك ونحن لا نعلم بأن أولئك القليل من الملائكة أم البشر أو من هم ولكن نقول
ربه نقول نحن نحو ما قال فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا نهى رسول الله أن يستفتي
فيهم منهم أحدا لما يحتمل أن يكون ذلك غير مبين في كتبهم ولا يطلع رسوله خوفا من التكذيب ولهذا لا تقطع
القول فيما ذكر من هذه القصة وسائر القصص مما لم يثبت بالتواتر ذكره في القرآن لما لعله يخرج لما ذكر
في كتبهم وهذه القصص لما ذكرت في القرآن حجة لرسول الله ودلالة على إثبات رسالته فلا يجوز أن يقطع القول
في شيء لم يثبت في الكتاب إلا ما ثبت عن الرسول بطريق التواتر لما يخاف فيه الزيادة والنقصان على ما ذكر فيخرج
من أن يكون حجة بل ينقلب حجة عليه لما اتفقوا أن ذلك خلاف ما في كتبهم وإنما علم بالصواب لمن كان في كتبهم
وقال بعضهم كان زمنا بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى وهو على [illegible]
وأبي بكر وغيرهما وهذا أشبه لأنهم إنما سألوا عنهما أهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل أن يكون بعد عيسى وهم
لا يؤمنون بعيسى وبالإنجيل وقيل أهل التأويل كان أسماؤهم كذا وعددهم كذا فلذلك لا نعلم إلا بخبر ثابت
وقد أخبر عز وجل أن أهل العدد منهم وأنهم نطلع على ذلك إلا القليل وليس بنا إلى معرفة أساميهم وعددهم حاجة
ولو كانت لأنزل الله بيان ذلك في الكتب وقال القتبي رجما بالغيب ظنا بالغيب ويقولون بالظن
وقيل قذفا بالغيب على غير يستيقنان وهما واحد فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا
ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله يحتمل الخطاب بهذا كل الناس ليس أحدا ولحيه من غير مخرج
ذلك التخصيص مخرج التعليم لهم في ترك المراء مع الكفرة إلا مراء ظاهرا وكذلك في ترك الاستفتاء وكذلك على الجملة
أن لا تعيد عدة إلا والثنيا بها ملحق ويحتمل أيضا أن يكون الخطاب به لرسول الله لكن ليس أنه قد كان منه ما ذكر
من المراء والاستفتاء والوعد بغير ثنيا ولكن خاطب به رسول الله ليتأدب غيره من الناس بذلك الأدب وهو
كما خاطبه بقوله ولا تكونن من المشركين وقوله فلا تكونن من الجاهلين وقوله فلا تكونن من الممترين ونحو ذلك
من الخطابات التي خاطبه بها من غير أن كان منه ذلك ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم ثم في قوله ولا تستفت
فيهم منهم أحدا دلالة أن لا يتبع النظر في كتب الفلسفة إلا على حجة الرد فيها على كتاب الله [illegible]
ويتبين البيان أنه اختلف في قوله فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا قال بعضهم ذلك في أمر أصحاب الكهف ولا تمار
فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا إلا قدر ما كان في كتبهم فإنك لو ماريتهم بما ليس في كتبهم
لكذبوك ولكن [illegible] كذا إذا كان في المسألة في أصحاب الكهف وغيرهم وإن كان عن أصحاب [illegible]
المحاجة والحجاج هو يحتمل أحدهما أي لا تمار فيهم إلا بما هو ظاهر [illegible]
أن الأصنام التي عبدوها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ونحوها مما قد عرفوا [illegible] والثاني أي لا
تحاجهم بلطائف الحكمة ودقائقها ولكن بشيء محسوس ظاهر من الآية لأنهم لم يلطف [illegible]
بالآيات حسيات والله أعلم وقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ❊ هذه الآية حجة
على من يعتقد العمل بظاهر القرآن فإنه لو كان يجب إجراء الخطاب على ظاهر مخرجه لكان قوله ولا تقولن لشيء إني فاعل
ذلك غدا إلا أن يشاء الله نهيا عن [illegible] مع الثنيا فإذ لم يفهم منه النهي [illegible] ولا تقولن لشيء إني
فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إلا أن يشاء الله على إضمار القول فيه دل أن الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما
الدليل في الحكمة والله أعلم ثم فيه [illegible] ولا يستثنى فيها   بعض الناس من الأيمان على العبادات
فيقول إذا حلف فإنه يلزمه أن يستثني فيها وذلك فاسد لأن الأيمان تخرج على تعظيم الرب فلا يجوز أن يوصل
بالثنيا فيها لأن في الثنيا نقض ذلك التعظيم وعلى هذا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا حلفتم
فاحلفوا بالله ولا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت نهى عن الحلف بغير الله لما في الحلف بغيره تعظيم ذلك الشيء
وأما العدة فإنما هي إضافة الفعل إلى نفسه وهو لا يملك حقيقته لذلك أمر أن يلحق الثنيا به لئلا يلحقه
الخلف في الوعد إذا لم يفعل ما وعد وعلى ذلك ذكر عن الأنبياء أنهم إذا وعدوا استثنوا فيه كقول موسى ستجدني
إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ثم لم يصبر [illegible] ولو كان حلف لعاتبه كما عاتبه صاحب موسى

حيث

حيث قال له إنك لن تستطيع معي صبرا وقد ظهر من الأنبياء والرسل الأيمان في القسم ثم لم يذكر عن أحد منهم الثنيا
في ذلك دل أن الثنيا في العدات لازم وفي الأيمان لا والله أعلم ويحتمل وجها ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء
الله دلالة أن لا يكون شيء إلا بمشيئته حيث يدل إلى الثنيا ثم إذا خرج على غير ما وعد لم يلحقه الخلف في الوعد
دل أنه قد شاء ذلك وإنما لم يشأ لم يكن لأنه لو كان شيئا لم يشأ هو أو شاء شيئا فلم يكن لم يكن لقوله إلا
أن يشاء الله معنى إذ كان ما لم يشأ هو ولم يكن ما هو شاء دل أن ما شاء هو كان وما لم يشأ لم يكن وفيه أنه قد شاء ما
ليس بطاعة إذ معلوم أنه رسول الله كان لا يعد ما ليس بطاعة بل كانت عداته أبدا إنما هو طاعة ثم قد شاء الله كل
طاعة وأرادها فإن لم يفعل ولم يذكر فعلها إنه الله قد شاء كل طاعة وخير من العبد فلو لم يشأ ما ليس بطاعة لكان
لا يستثني وقد علم أنه شاء ذلك فدل ثنياه على أنه قد شاء ما ليس بطاعة إذ أعلم الاعتقاد ذلك يعود ذلك على المعتزلة
والله أعلم فإن قيل إنما أمر بالثنيا في العدات لما لعله يموت قبل أن يفعل ما وعد ويذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد
قيل إن الأوهام لا ترجع إلى ذلك بل الإمكان مشروط فيه وإن لم يذكر نحو ما لا يؤمر الإنسان بالطاعة لعدم الإمكان
وكذلك جميع من يؤمر وينهى إنما يؤمر وينهى إذا كان الإمكان فيه موجودا فهو كالمشروط وإن لم يذكر فعلى ذلك
في العدات والأيمان وغيرها والله أعلم ويجوز أن يكون المراد بهذا الخطاب غير النبي وهو أشبه لما لم يحتمل أن يكون
النبي يعد عدة فلا يذكر الثنيا لما ذكرنا أنه لا يكون شيء إلا بمشيئته نصا وأدنة وأما غير النبي فجائز أن لا يعرف ذلك
لذلك كان غيره أولى به ويخرج ذلك منه على التعريف والتعليم لهم والله أعلم وقوله تعالى واذكر ربك إذا نسيت
هذا يحتمل وجهين أحدهما واذكر ربك إذا نسيت أي إذا ذكرت بعد ما نسيت فاذكره كقوله وإما ينسينك
الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين فعلى ذلك هذا والثاني واذكر ربك في آخر الكلام إذا نسيت
في أوله يعني الثنيا إذ المستحب أن يستثنى في أول الكلام على الابتداء كقوله وإنا إن شاء الله لمهتدون وإنا نستوي
إن شاء الله وعد فلهم المستحب فكأنه قال واذكر ربك الثنيا في آخر كلامك إذا نسيت في أوله وهذا يرد على أصحاب
الظاهر الخطاب أن يخاطبهم بذكر إذا نسي ولا يجوز أن يخاطب أحد في حال النسيان فإذا لم يفهم منه هذا دل
أنه لا يفهم على مخرج ظاهره ولكن على ما يوجبه الحكمة والله أعلم وقوله تعالى وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا
رشدا ❊ قال بعضهم وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا دليلا ودلالة على ما سألوا وأخذ بما سألوا النبي عن أمر أصحاب الكهف
لأنهم كانوا سألوا النبي عن خبرهم وأمرهم ليستدلوا على رسالته وصدقه فيقول عسى أن يعطي دلالة أقرب من ذلك وأوضح
مما سألوا النبي وأخذ للقلوب إذ كان ذلك إنما يحتاج على رسالته وقال الحسن وقل عسى أن يهدين ربي عسى من الله
واجب أي قد هداني ربي الرشد والصواب وأما غيره من أهل التأويل يقولون إنه وعد لأولئك أن يخبرهم عما سألوه
وقال عسى أن يرشدني ربي لأرشد من هذا النبأ الذي وعدت والله أعلم وقوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة
سنين ❊ قال بعضهم هو صلة قوله من أولئك الذين قالوا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الآية قالوا إنهم
لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا فأمره أن يقول لهم قل الله أعلم بما لبثوا الآية وقال بعضهم هو
قول الله أخبر أنهم لبثوا ما ذكر من المدة وازدادوا تسعا وقال بعضهم تسع سنين لكن ليس في الآية بيان أنه زاد
تسع سنين أو تسعة أشهر أو تسعة أيام فلا ندري ما زادوا وهذا الآخر أقرب إلى الأشكل لما أمر رسوله أن يقول لهم الله أعلم
بما لبثوا له غيب السماوات والأرض فإن قيل هلا قال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم قيل إنه
قرئ بالإضافة ثلاثمائة سنين وثلاثمائة سنين فمن قرأ ثلاثمائة سنين مضافة ولا ينون المائة فمعناه ثلاثمائة سنة
لأن السنين تشبه الواحد وإن كان جمعا قال الكسائي تقول العرب أقمت عنده مائة سنة ومائة سنين ويشبهه
بالواحد أجرى مجرى الواحد في الإضافة ومن قرأ بالتنوين ففيه وجهان أحدهما أن يجعل سنين في موضع النصب
انتصابه بالفعل الذي سبق كأنه قال ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة والوجه الثاني أن يجعل سنين في موضع
الخفض بدلا من قوله ثلاثمائة والله أعلم وقوله تعالى قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض هو ما ذكر
أنه جعل علم مدة لبثهم في كهفهم إلى الله وقوله له غيب السماوات والأرض يحتمل هذا وجوها ثلاثة أحدها له علم ما غاب
عن أهل السماوات وعن أهل الأرض كقوله عالم الغيب والشهادة والثاني له علم غيب ما أسر أهل السماوات وأهل الأرض بعضهم
من بعض والثالث له علم غيب ما شاهد أهل السماوات وأهل الأرض لأنهم إنما شاهدوا من الأشياء وعاينوها ظاهرا
وسريتها لم يعلموا من نحو الشمس شاهدوها وعرفوا أنها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذي به صلاح الأشياء
ومنافعها وكذلك القمر والنجوم والكواكب شاهدوا هذه الأشياء ولكن لم يعرفوا المعنى الذي به صار ما تنفع الأشياء
ومصلحتها وكذلك السمع والبصر والعقل ونحو ذلك من الحواس علموا ظواهرها ولكن لا يعرفون المعنى الذي به يسمعون
ويبصرون ويفهمون فمعناه له علم ما غاب عنكم من هذه الأشياء التي شاهدتموها والله أعلم وقوله تعالى أبصر به
وأسمع ❊ هذا كلام يتكلم به على النهاية والإبلاغ من الوصف كما يقال أكرم به من فلان إذا بلغ في الكرم غايته وكذا يقال

احسن من فلان اذا كان بلغ في الحسن غايته فعلى ذلك قوله ابصر به واسمع هو وصف له على الاحوال لكن في العلم انه يعلم ما غاب
عن الخلق وما شاهدوا اي ابصر به من الافعال التي يفعلون واسمع به من الاقوال التي يتفوهون اي يعلم ما غاب عنهم
مما لم يفعلوا ولم يقولوا انه لو فعلوه كيف يفعلونه حتى يعلم بحكمهم عن اضمارهم والله الموفق وقوله تعالى
ما لهم من دونه من ولي يحتمل ما لهم من دون الله من يتولى هدايتهم وتوفيقهم ويحتمل ما لهم من دونه من يتولى النصر
والمعونة لهم ويحتمل من يتولى دفع نقمة الله وعذابه عنهم والله اعلم وقوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا يحتمل
ولا يشرك في الوهيته وربوبيته احدا ويحتمل ولا يشرك في حكمه اي الحكم له ليس الحكم لاحد دونه انما عليهم
طلب الحكم منه فيما يحكمون ولا يشرك في تقديره وتدبيره الذي يدبر في خلقه احدا ولا يشرك في قسمته التي يقسم
بين خلقه احدا الا يشرك في حكم فيما جاءت به الرسل كمحمد الى الخلق احدا والله اعلم وقوله تعالى واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك يحتمل كتاب ربك اللوح المحفوظ اي بلغ ما اوحي اليك من اللوح الذي عند الله من متلو وغير متلو
كقوله بلغ ما انزل اليك من ربك هو جميع ما انزل اليه من المتلو وهو القرآن وغير المتلو غير القرآن مما اوحي اليه ويحتمل
من كتاب ربك الكتاب الذي انزل عليه وهو القرآن اي اتل عليهم ذلك الكتاب فاذا كان التاويل هذا ففيه ان القرآن
مما يقرب تلاوته ثم جعل له بلغ ما انزل اليك من ربك بقوله واتل ما اوحي اليك فريضة [illegible]
النبي بتبليغ رسالته وما انزل اليه ثم معلوم انه كان في اقصى الدنيا واقصى اطرافها لم يقدر ان يتكلف التولي
التبليغ بنفسه وكذلك بعد وفاته لا يجوز ان يؤمر هو ان يتولى تبليغه بنفسه فكان القيام بتبليغ ذلك الى
المسلمين وائمتهم فضيعوا ذلك وهذا انما دخل والله اعلم بدخول المسلمين دار الحرب للتجارة ودخول اولئك دار
الاسلام للتجارة ايضا انتهى اليهم جهدا الذين علم انه يكون قائمة في آخر الزمان لا يهتمون لدينهم ولا يتولون
بتبليغ ما امروا بتبليغه ويضيعون امر دينهم لتجارتهم لما الحاجة في تلك التجارة والاحوال التي يتجرون
فيها ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقال اهل التاويل قوله واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته نزل
في اصحاب الكهف يقول اخبرهم ما سالوك عما اوحينا اليك من اخبار اصحاب الكهف ولا تزد ولا تنقص فذلك
في امرهم من لهذا ان رسول الله كان لا يخبرهم الا ما اوحي اليه وانزل عليه من امرهم لا حجة فيه ما ذكر والله اعلم وقوله
لا مبدل لكلماته قال بعضهم اي لا مبدل لسنته وسنته في المكذبين الاهلاك والاستئصال وفي المصدقين النجاة هذا سنته
وان امكن تاخيرها وتعجيلها واما نفس سنته فهي لا تبدل ولا تحول كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد
لسنة الله تحويلا وقال الحسن لا مبدل لكلماته اي ما وعد او عد لهم في الدنيا فذلك في الآخرة لا تبديل لما وعد
اذ وعد للمؤمنين الجنة واوعد للكافرين العذاب فذلك لا تبديل وقال بعضهم لا مبدل لكلماته وهو القرآن لا يبدل
ولا يغير ولا يزاد ولا ينقص كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال بعضهم لا مبدل لكلماته لحججه
وبراهينه التي جعلها الدينية ومن قام بها على كل من خاصمه فان يظهر لخصمه الا وهو منقطع في العبادة عنه لمن كان المقام
عليه الحجة مكابرا معاندا فاما بعد فهذين المعنيين يظهر الحق التابع حتى يسلم لا محالة والله الموفق وقوله تعالى
ولن تجد من دونه ملتحدا فهذا الخطاب ان كان في الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه لغيره على ما ذكرنا
في غير اي من القرآن وقوله ملتحدا قال بعضهم مدخلا ولذلك سمي اللحد لحدا لما يدخل فيه وقال بعضهم ملجا والله اعلم
وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه يحتمل واصبر نفسك
بالغداة والعشي مع الذين يدعون ربهم فيكون فيه الامر بالجلوس لهم بالغداة والعشي للتذكير وتعليم
العلم على ما يعتاد الناس الجلوس للناس لذلك في هذين الوقتين لخلوهما عن الاشتغال التي عن ذلك والله اعلم
ويحتمل انه ذكر الغداة والعشي لما لم يجعل عليهم بعد صلوة الغداة صلوة وكذلك بعد العصر للتذكير الذي
ذكرنا وتعليم ما يحتاجون اليه لشغلهم ونهارهم ويحتمل ان يكون ذلك كناية عن صلوة الفجر والعصر لجلالتهما
من فضل ووعيد لم يجئ في غيرهما من الصلوات نحو ما ذكر وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وما روي في العصر من
الوعيد من فاته العصر فكانما وتر اهله وماله ويحتمل الامر بصبر نفسه على حفظ هذين الوقتين لما ذكرنا امر من ذكر
والله اعلم ويحتمل ان يكون لا على ارادة غداة وعشي ولكن امره بالكون مع اتباعه في كل وقت والصبر معهم ويكون
ذكر اول الوقت وآخره كذكر كله والله اعلم وقال اهل التاويل كذا هذا لان رؤسا كفار مكة سالوه ان يطرد اتباعه
من عنده ويتخذ لهم مجلسا فنزل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقوله واصبر نفسك الآية
وقوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا قيل ولا تعد عنهم الى غيرهم ولا تصرف ولا ترفع عنك
ولا تجاوزهم الى غيرهم وقوله تعالى تريد زينة الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين احدهما انه كان على تاويل اهل التاويل
انهم سالوه ان يتخذ لهم مجلسا دونهم فكانه يكون تاويل قوله تريد زينة الحيوة الدنيا اي تريد زينة الحيوة الدنيا
اي تريد اولئك الذين يطلبون منك مجلسا على حدة فذلك زينة الحيوة الدنيا لا تريدون بذلك وجه الله وكما

لو فعلت ما سالوك كان فعل ذلك فعل من يريد زينة الحيوة الدنيا لان المجالس التي تتخذ للاشراف والرؤسا
انما يريدون زينة الحيوة الدنيا والله اعلم وقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا تاويل الآية على قول الظاهر فيجيء
يقول على ما نطق ظاهر الآية من اغفلنا قلبه اي من جعلنا ظلمة الكفر في قلبه باختياره الكفر او خذلناه بكفره
الذي فعل فاما المعتزلة فانهم يقدرون على تاويله وتاويلها كتاويل الآية فيها يحمل منهم من صرف القرآن عن
وجهها وقرأ ولا تطع من اغفلنا بفتح اللام وقلبه برفع الباء على صرف الفعل الى القلب اي ولا تطع من اغفل قلبه
عنا او يكون غافلا عنا وكذلك يفعل مثل هذا كثير ممن يحرف من شرها على يعرف ذكر من شرها على الحق
معناه من شرح الحق ليصح على مذهبهم حتى يروا القرآن على مذهبهم ومن حقهم ان يقيموا المذهب على القرآن لانه
المذكور ومنهم من قال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي لا تطع من وجدنا قلبه غافلا وقالوا ذلك مستقيم في اللغة
يقال قاتلناهم فما اجبناهم اي ما وجدناهم جبناء ويقال سالناهم فما ابخلناهم اي ما وجدناهم بخلاء ونحوه
من الكلام وهو تاويل الجبائي فيما اظن وقال بعضهم ولا تطع من اغفلنا قلبه اي من خلينا بينه وبين ما يفعل
عنه وهو كما يقال لمن خلى عبده حتى افسد كثيرا من الناس سلطت عبدك على الناس وهو لم يسلطه عليهم لكنه
لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة بينه وبين ما اصل اضيف ذلك اليه فعلى ذلك قوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي
خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم وهو تاويل جعفر بن حرب وقال بعضهم اضاف ذلك الى نفسه لما اعطاهم
من اسباب الغفلة من السعة والغنا في الدنيا فتلك الاسباب التي اعطاهم حملتهم على ذلك الصنيع ومن
كان له عدو فيما بعضهم في بعض قوله تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا الآية وهو تاويل ابي بكر الاصم وقال الحسن
اغفلنا قلبه اي خذلناهم وطبعنا على قلوبهم جزاء متعهم او للكفر جزاء اذا بلغ الكافر ذلك الحد يختم الله ويطبع
على قلبه فلا يؤمن ابدا ثم الجواب عن الاول ما ذكرنا من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره ولو جاز لهم ذلك لجاز
لغيرهم صرف جميع الآيات عن ظاهرها ومن يرى فذلك بعيد محال واما تاويل الجبائي اي وجدناهم كذا فانما يسوغ
له هذا اذا كان يجمع حرف فعل يخرج على ما يتعلق به في اللغة فاذا كان يقال لذلك في بعض بل الغالب خلافه لا يقول
لم يصح تاويله وبعد فانه لو كان التاويل على ما ذكر لكان يقول للنبي ولا تطع من غفلته عن ذكرنا اي وجدته
غافلا عن ذكرنا لانه نهاه عن ان يطيع من وجده غافلا وهو لا يعلم من وجده الله غافلا انما يعلم من وجده بنفسه
غافلا فاذا كان ما ذكرنا لم يكن النهي عما ذكر معنى ويكون نهيا عما اليسير وسعه تحصيله فذلك ان تاويله
كما ذكر وان اضافته الى الله لمعنى يكون منه وهو ما ذكرنا واما تاويل جعفر انه على التخلية والتسلط فهو فاسد ايضا
لانه انما يقال في العرف سلطت عبدك على كذا على سبيل الذم لا على المدح ولا يجوز ان يقال ذلك في حق الله ويضاف
اليه على الذم وبهذا يظهر فساد تاويل ابي بكر ايضا حيث قال انما اضيف ذلك اليه لما اعطاهم من الاسباب التي
حملتهم على ذلك لان الاضافة اليه يكون على الانعام لك اعطيتك كذا حتى فعل كذا فالاضافة اليه على وجه الذم
باطل ايضا فاما الاضافة على سبيل المدح فيبطل تاويله فدل اضافة ذلك الى نفسه انه كان منه في ذلك معنى
تستقيم اضافته اليه بذلك المعنى وهو ما ذكرنا من خلق الظلمة في قلوبهم بكفرهم الذي اختاروا واخذا
لا يهم لما اختاروا وآثروا والله الموفق واما تاويل الحسن قوله في تفسير الطبع والخذلان وقد تقدم بيان فساده
ثم يقال له حمله على حال الكفر او بعد ذلك باوقات فان كان في حال الكفر فهو قولنا وانه
لا يزال الحالة ولكن بعد زمان فهو فاسد لانه يكون على جود كلامه ومذهبه الكافر موفقا الى ان يخذل
ولا شك انه يخذل الى ان يوفق اذ الخذلان والتوفيق ضدان والله الموفق وقوله تعالى وكان امره فرطا قال
بعضهم فرطا اي ضياعا وهلاكا وقال بعضهم فرطا اي خسرانا وخسارا وقال ابو عوسجة هو من التفريط
قال بعض اهل التاويل وكان امره فرطا اي افرط في القول وليس كما قال انا رؤسا مضر ان نسلم يسلم الناس
بعدنا على ما ذكر في بعض القصة وقال ابو عبيدة فرطا اي ندما وقوله تعالى وقل الحق من ربكم كانه على الاضمار
اي قل قد جئتكم بالحق من ربكم ويحتمل اي قل لهم قد تعلمون اني قد جئتكم بالحق من ربكم وهو الآيات والحجج التي اقامها
على رسالته اي قد تعلمون اني قد جئتكم من الآيات والحجج بما ادعوكم اليه ما لا يحتمل سبي ويخرج من سحر وكذا
والله اعلم وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر هذا وعيد احدها من شاء فليكفر فانه انما يعمل لنفسه
ليس يعمل لاحد سواه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها اي فعليها فعلى ذلك يقول والله اعلم من شاء فليؤمن فانه انما يعمل لنفسه ومن شاء فليكفر فانما
عليه والثاني يقول اني قد بلغت الرسالة اليكم فلا اكرهكم على الاسلام ولا اهدي سواي فمن شاء منكم فليؤمن
ومن شاء فليكفر فانه انما يؤمن باختياره ومشيته ومن كفر فانما يكفر باختياره ومشيته لا يكره على ذلك والثالث
انه الايمان والكفر قد بين الله لهما العواقب ما عاقبة من اختار الايمان وما عاقبة من اختار الكفر وهو ما ذكر انا اعتدنا

الظالمين نارا الى آخر ما ذكر وقال للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر ما ذكر ليقول بين لكل واحد منهما
عاقبته فمن شاء اكتسب لنفسه في العاقبة الجنان ونعيمها وما فيها من النعيم ومن شاء اكتسب ما ذكر في العاقبة من النار وانواع
العذاب فذلك كله يخرج مخرج الوعيد وقوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا اي اعتدناها لهم وقد خلقت النار لهم
وهو في الآخرة وقوله تعالى احاط بهم سرادقها يحتمل هذا وجهين احدهما على ارادة حقيقة السرادق والثاني على التمثيل
ان يحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها على ما يمنع السرادق من الخروج في دار الدنيا ويمنع الحر والبرد فان كان
على حقيقة السرادق فهو والله اعلم على ما جعل الله تعالى لهم من انواع ما كانوا يتفاخرون في الدنيا من اللباس والطعام
وغير ذلك يجعل لهم في الآخرة من ذلك النوع من النار يعذبهم كما ذكر سرابيلهم من قطران وما قال ليس لهم طعام الا من ضريع
والشراب ما ذكر من الصديد وما الغسلين وغير ذلك من النوع الذي كانوا يتفاخرون في الدنيا ويمنعهم عن الايمان فيجعل
لهم في الآخرة من ذلك النوع من النار يعذبهم بها تجهيلا لهم لما انهم كانوا يتفاخرون في الدنيا بالنوع كما ذكر الحجرات
فيعاقبهم الله في النار بذلك والله اعلم قال ابو عوسجة السرادق البناء الذي يبنى من الكرابيس شبه الدار والحجرة وقال
القتبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط ثم قال وهو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظل ذو ثلاث شعب
وقوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ويحتمل استغاثتهم هو ما ذكر في الآيات افيضوا علينا من الماء فيغاثوا
بماء كالمهل قال بعضهم المهل هو دردي الزيت او العصير وقيل هو ما اذيب من النحاس والرصاص وكل ذلك مختلف الفضة
وقال بعضهم شبهه به لغلظه لان الشيء الغليظ يكون الصق واخذ من غيره وقال بعضهم شبهه به لسواده وقال الحسن
وابو بكر شبهه به لكثرة تلونه من الحمرة والصفرة والسواد … كما ذكر يوم يكون السماء كالمهل شبهه بالمهل
لتلونه لشدة ذلك اليوم وقوله تعالى يشوي الوجوه بئس الشراب اي يشوي الوجوه ذلك الشراب بئس الشراب
وقوله تعالى وساءت مرتفقا ساءت النار مرتفقا اختلف فيه قال بعضهم المرتفق المجتمع وبئس الاجتماع ذلك
الاجتماع وقال ابو عوسجة مرتفقا اي متكأ ومنزلا وقال بعضهم مجلسا وقال بعضهم بئس منزل النار قرار اهل
الشياطين والكفار وقال القتبي مرتفقا اي مجلسا واصل الارتفاق هو الاتكاء على المرفق وقوله تعالى ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا قال بعضهم هو على التقديم والتأخير كانه قال انا لا نضيع اجر من احسن
عملا ثم قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن الى آخر ما ذكر وقال بعضهم ليس على التقديم
ولكن على ما ذكر ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن منهم عملا ثم بين ما لهم فقال اولئك لهم
جنات عدن الى آخر ما ذكر من ثواب المؤمنين … ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق
قال الاستبرق الديباج الغليظ والسندس هو الرقيق منه والغليظ منه لا يلبس لكنه كانه قد جمع بين ما يلبس به ذكر
اللبس لما يلبس كما يقال اطعمته طعاما وشرابا والشراب لا يطعم وقيل الاستبرق هو الرقيق من الديباج بلغة
قوم فان كان ما ذكر فكانه لما ذكر ذلك لاولئك والله اعلم وقوله تعالى متكئين فيها على الارائك قال بعضهم الارائك
السرر في الحجال والاريكة السرير في الحجلة وقال ابو عوسجة الاريكة الوسادة وقوله تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا
قد ذكرنا المرتفق وحاصل هذا انه وعد لهم في الآخرة باشياء رغبت انفسهم فيها في الدنيا ليتركوا ذلك في الدنيا لما
الموعود في الآخرة وكذلك حذرهم في الآخرة باشياء اشتهتها انفسهم وطباعهم في الدنيا ليحذروا ما يستوجبون
الموعود في الآخرة والله اعلم وقوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب … يحتمل ان يكون
هذا المثل كان في الامم المتقدمة وكتبهم سئل رسول الله عن ذلك ليعلم ويبين لهم صدقه وانه رسول على ما يحكي
على ما سئل المشركون عن قصة ذي القرنين ونبأ اصحاب الكهف واخبارهم ليبين لهم صدقه ادعى ان تلك الانباء
والقصص لا يعلم ولا يعرفها الا من عرف كتاب الله وكان ذلك في كتب الله وهو لم يعرف تلك الكتب لانها كانت بغير لسانه
فلم يروه اختلف الى من يعرفها فيتعلم منه ثم انباهم على ما كان في كتبهم فدل انه انما عرف ذلك بالله …
من ارساله على هذا يجوز ان يقال انه علم … ليدل به على نبوته ويحتمل قوله واضرب لهم مثلا رجلين
الى آخره او اضرب لهم مثلك ومثلهم مثل رجلين يحكون مثلك ومثلهم مثل ما ذكر من رجلين الى آخره ويحتمل ان يكون
قوله واضرب لهم مثلا رجلين اي اضرب المعتبرين والمؤمنين مثلا رجلين كل رجلين هذا سبيلهما احدهما رغب في
الدنيا وزينتها وطلبها لا يرى غيرها والآخر رغب في الزهد فيها وترك الطلب لها طلبا لما في الآخرة وان كان
على هذا فانه ذكر لهم ضرب مثله ومثل اولئك تنبيها على الابتداء ايخرج على الاعتبار والتفكر فيما ذكر تنبيها لهم وان
وان كان على السؤال فكان فيه دليل على الاحتجاج عليهم … على الانباء والاخبار انه رسول وفيه آية لرسالته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال في قوله واضرب لهم يعني لاهل مكة مثلا رجلين اخوين من بني مخزوم احدهما مسلم والآخر كافر وهما
الرجلان اللذان ذكرهما في سورة والصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين الى قوله فاطلع فرآه
في سواء الجحيم فتصدق المسلم منهما بماله وطلب الآخر به الدنيا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كانا اخوين ورثا عن ابيهما مالا

فاقتسماه

فاقتسماه فاما احدهما فالتمس بماله الدنيا وزينتها واما الآخر فتصدق به وطلب الآخرة حتى ما بقي له شيء الى هذا
يذهب هؤلاء والله اعلم ثم قوله واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا
بينهما زرعا اي جعلنا بين الجنتين زرعا وقوله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها اي اعطت حملها ولم يقل آتتا اكلهما
على الوحدان وان كان في المعنى على التثنية ويكون ذلك جائزا في اللغة كقولك كلتا المرأتين صالحة وكلانا صالح وقيل
قول الشاعر كلانا شاعر من حي … ولكن الرجوع على المثال … وقوله تعالى ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص من ثمرها وقوله
وفجرنا خلالهما نهرا اي اجرينا بينهما مياها جارية وقوله تعالى وكان له ثمر قال بعضهم من قرأ ثمر على الرفع هو كل ما يملك
من الجنان وغيرها ومن قرأ بالنصب فهو على الثمر وقال بعضهم الثمر بالنصب هو الثمر والثمر بالرفع هو جميع الثمار
والله اعلم وقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره اي يكلمه ويخاصمه او يناظره وقوله تعالى انا اكثر
منك مالا واعز نفرا لا يحتمل ان يكون هذا الخطاب منه على الابتداء من غير ما تقدمه سابقة امر منه ان يكون
كان من صاحبه له وعظ … عند ذلك قال له ما ذكر او يكون قال له صاحبه يعظه في طلب الآخرة مثل ذلك
او حثه عليها فقال له عند ذلك انا اكثر منك مالا واعز نفرا او قد فضلني عليك في الدنيا وفضلني عليك
ايضا في الآخرة هكذا الامر فانه قال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ان كان ما تزعم انا نبعث ونرد الى الله تعالى على
الابتداء لا تضيع انه اعلم وقوله تعالى ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ويحتمل ان يكون ظالم لنفسه …
ظالم بمعنى الكفر يكون في النفس … فيما استعملها فيه والله اعلم وقوله تعالى قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا قال
بعضهم ما اظن … وقال بعضهم هو الظن لان صاحبه كان يناظره فيه فاضطرب في قلبه وقيام الساعة
تثبت … والله اعلم وقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا … وكانه لم يشاهد الهلاك فلم ينظر اليه
فقال ذلك والله اعلم وقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اي لئن رددت الى ربي على ما زعمت لاجدن
خيرا منها منقلبا اي لو رددت الى ربي على ما زعمت لاجدن خيرا منها منقلبا ان كنت صادقا وقوله تعالى قال له
صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة اي خلق اصلك من تراب وخلقك من نطفة ثم
سواك رجلا ذكر لك صحتك وقوتك رجلا يحتمل ان يكون محاجته اياه في هذا الانكار البعث فاكفرت بالذي
قدر على البعث في الاعادة وهو خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة فانه اذا امتحن هلك فصار
ترابا او ماء فقدر على خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من ماء لقادر على اعادتك وبعثك بعد ما صرت
ترابا او ماء ويحتمل ان يكون محاجته في انكاره حكمة الله فيقول خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من
نطفة ثم سواك صحيحا فاذا لم يبعثك ويحييك كان خلق اصلك وخلقك بما ذكر هنا غير حكمة اذ من يبني
بناء ثم ينقضه على غير قصد الانتفاع به كان في بنائه الابتداء عابثا سفيها غير حكيم فعلى ذلك خلقك
وخلق اصلك وهو كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فصير خلقهم على غير رجوع اليه
عبثا ويحتمل ان يكون محاجته في تسفيهه اياه في عبادته غير الله فيقول اكفرت نعمة الله الذي خلق اصلك من تراب
وخلقك من نطفة وسواك صحيحا حتى تشكر غير المنعم وعبد غيره على هذه الوجوه الثلاثة يحتمل محاجته
اياه اما في انكاره قدرته على اعادته او انكاره الحكمة في البعث او في انكاره نعمه وصرفه الشكر الى غيره
والله اعلم بالصواب لكنا هو الله ربي كانه قال لكن الذي خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة هو ربي
ولا اشرك بربي احدا وقال الخليل لكنا هو الله انما هو على التأويل لكن انا اقول هو الله ربي … لكن انا
القول الاول حذفوا الالف فيها اثبتوها في الوقف وقوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله اي هلا اذ دخلت
جنتك نظرت الى قدرة الله وسلطانه وقلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ويكون قوله ولولا اذ دخلت
جنتك نظرت الى ما انعم الله عليك وفي يديك دون ان استغنت بما ذكر لك ونظرت الى ما في يديك
وحالك واستغنت بالافتخار على … قال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ثم ذكر طمعه في عطاء الله على
ربه وخوفه منه حيث قال فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء اي يرسل
على جنتك حسبانا قال اهل التأويل الحسبان العذاب …
جزاؤه في الكفر وهو ما ذكر في الجنتين اللتين اهلكهما حيث قال ذواتي اكل خمط الى قوله ذلك جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور وقال ابو عوسجة حسبانا … والحسبان الصغار من النبل … والحسبانة واحدة
وقوله تعالى فتصبح صعيدا زلقا قال ابو عوسجة الصعيد الذي ليس عليه نبت والزلق المستوي وقال القتبي
الصعيد الاملس المستوي والزلق الذي تزل عنه الاقدام وقوله تعالى او يصبح ماؤها غورا هذا يخرج
على وجهين احدهما يقول ويرسل عليها حسبانا من السماء اي عذابا فتصبح صعيدا زلقا ملسا لا نبات فيها
او يذهب بمائها فتهلك بذهاب الماء اذ هلاك البساتين يكون بذهاب الماء ومن العذاب النازل عليها … وقوله تعالى

فلن تستطيع له طلبا هذا يحتمل وجهين احدهما لن تستطيع له طلبا اى يصير بحال لا تستطيع له طلبا
او لن تستطيع له وجودا وقوله تعالى واحيط بثمره اى اهلك وقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها
هكذا عادة الناس اذا اصابهم خسران او مصيبة يقلبون كفيهم بعضها الى بعض على الندم والحسرة على ما فات
وقوله تعالى وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على عروشها كذا قال بعضهم ويحتمل خاوية ذاهبة البركة
وقوله تعالى ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ان كان هذا القول منه فى الدنيا فذلك منه توبة لان التوبة
هى الندامة على ما كان منه وقال بعضهم هذا القول منه فى الاخرة فاذا كان فى الاخرة فانه لا ينفعه وهكذا كل
كافر يؤمن فى الاخرة لكن لا ينفع ذلك وقوله تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هذا
كانه على مقابلة ما قال لذلك الرجل انا اكثر منك مالا واعز نفرا اى لم تنفعه عزه هذا بالله ما ذكر من النفر ولا قدر
ان يقوم بنفسه منتصرا بالمال الذى ذكر وقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق قوله هنالك قال بعضهم اى
فى ذلك وقال بعضهم هنالك اى وهكذا فقوله الولاية لله الحق اختلف فى تلاوته وتاويله قرأ بعضهم الولاية
لله بالفتح وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود هنالك الولاية لله الحق ثم هو الحق بالرفع وفى حرف حفصة هنالك
الملك والولاية لله الحق ذى الرحمة وقرأ بعضهم الولاية لله الحق اى الولاية لله الحق والولاية من الموالاة كان
ابن عباس رض لا يبقى احد الا تولى الله تعالى امن به وعلم انه حق والولاية بالكسر الامارة والملك على ما ذكر فى حرف حفصة
وفى حرف ابى هنالك الولاية الحق لله اى الولاية لله وهو الحق هنالك وقوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اى
ثواب هذا للمؤمن منهما افضل فى الاخرة وافضل عاقبة من عقبى ذلك الكافر والله الموفق وقوله تعالى واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء اختلف اهل التاويل فى ضرب هذا المثل قال بعضهم ضرب هذا المثل
لمشركى العرب لانهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها لانها لا تبيد ابدا الا الذى يعاينونه من فناء ما ذكر من النبات
وغيره وهلاكه على جزء منها فاذا احتمل جزء منها الفناء والهلاك فعلى ذلك الكل وقال بعضهم وجه ضرب هذا
المثل هو ان اهل الدنيا وطلابها اذا ظفروا بالدنيا وطمعوا الانتفاع بها والاستمتاع بحال بينهم وبين الانتفاع
بها والاستمتاع كالطمع الزراع الظفر بذلك الزرع والوصول الى الانتفاع به ثم حيل بينهم وبين الانتفاع بالزرع
والوصول الى المقصود فعلى ذلك الدنيا حال بين اهلها وطالبيها وبينها والله اعلم وقال بعضهم وجه ضرب
المثل الدنيا بما ذكر من النبات للتزين والتحسين لاهلها وتعجب لهم لانها تتزين وتحسن لاهلها كالنبات
الذى ذكر انه يعجب اهلها ويتزين لهم ثم يفسد ويصير لا شئ فعلى ذلك الدنيا وهو ما ذكر فى اية اخرى كمثل غيث
اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا وهكذا الدنيا وما فيها كلها مشوبة بالافات والفناء وفى هذا المثل وجوه
من الحكمة والدلالة احدها العظة والاعتبار للمتفكرين والمعتبرين والحجة على المعاندين والمكابرين فى انكارهم
حدث العالم وجحدهم ما كان من فناء العالم وانكارهم البعث ما حدث العالم الا على حدوث اشياء منهم
واجزاء فعلى ذلك الكل اذ الجزء لا يفارق كله وكذا اذا هم اشياء يفنى منها حتى لم يبق لها اثر ثم يحدث مثلها واذ
ظهر فى بعض منها فكذلك فى الكل واذ ظهر حدوثه وفناؤه لا بد من محدث يحدثها وفيه دلالة البعث اذا رءوا
ويحدث هذه الاشياء الاستحالة النبات وغيرها وتعود على ما كانت بعد فنائها فعلى ذلك الاعادة للبشر الذى هم
المقصودون فى انشاء تلك الاشياء وهم اولى بالاعادة من غيرهم من الاشياء وبعد فانهم اتفقوا على ان خلق البشر
وافناءه للهلاك خاصة من غير مقصود وعاقبة عبث ليس بحكمة فلو لم يكن بعث للاعادة لم يكن خلقه
اياهم حكمة لانه يحصل خلقه اياهم للفناء والهلاك خاصة والله الموفق وفى قوله كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض دلالة علمه وتدبيره وقدرته لانه اخبر انه ينزل من السماء ما يختلط به نبات الارض والماء مما
افسد النبات اذا اختلط به فاذا لم يفسد كان احياؤه بالاختلاط دل ان فى الماء معنى به يحيا النبات لا يعلم ذلك
غيره دل انه عالم بذاته وانما دلالة التدبير هو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل
ان ذلك كان من واحد عليم مدبر قادر بذاته ثم من يملك على ما ذكر من الاحياء والافناء قادر على الاعادة والبعث والله الموفق
وقوله تعالى فاصبح هشيما تذروه الرياح قيل هشيما اى كسيرا مكسورا قال ابو عوسجة هشيما اى يابسا بالنبات
وقال القتبى ومنه سمى الرجل هاشما وقوله تعالى تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا هو مفتعل من قدرت
قال ابو عوسجة تذروه الرياح اى تطيره وقال القتبى اى تنسفه كقوله فقل ينسفها ربى نسفا وقوله تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات كان هذا ذكر على مقصود الناس ومنى ما يقصدونه
فى الدنيا كثرة المال والبنين وهى زينة الحيوة الدنيا وهو الفانى الذاهب على ما ذكر من كان مقصوده فى هذه الدنيا
الخير لسعة الاخرة فهو الباقيات ابدا ثم اختلف فى الباقيات الصالحات قال بعضهم هى قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعلى ذلك روى فى الاخبار عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال

الا ان

الا ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هى الباقيات الصالحات وفى بعض الاخبار انه قال لاصحابه
خذوا جنتكم قالوا من عدو حضر قال لا جنتكم من النار فقالوا قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات المؤخرات الباقيات الصالحات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جلس تحت
شجرة فاخذ عودا يابسا فحط ورقه وقال ان قول لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله يحط الخطايا كما يحط
ورق هذه الشجرة خذهن يا ابا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن فانهن من الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة فان ثبت
هذه الاخبار فهى الاصل لا يجوز غيره وقال بعضهم الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهو قول ابن عباس وغيره وانهما
لا يخالف بعضها الاخر لان كل واحد منهما يجمع جميع انواع الخيرات والعبادات فى الحقيقة لان قوله سبحان الله هو تنزيه
الرب عن كل افة وعيب وقوله الحمد لله هو الثناء له بكل نعمة وصلت منه الى الخلق وجعله مستحقا الحمد والثناء له
دون من سواه وقوله ولا اله الا الله هو ان لا معبود سواه وان لا يستحق العبادة غيره وقوله والله اكبر هو الاكبر
من كل ما قيل فيه ونفى كل معانى الخلق عنه وقوله ولا حول ولا قوة الا بالله هو التبرى وقطع الطمع عمن دونه
وتفويض الامر بكليته اليه والتسليم له فكل حرف من هذه الحروف يجمع فى الحقيقة كل انواع العبادة والخيرات
لما ذكرنا وكذلك الصلوات ايضا تجمع كل انواع العبادات لانه تستعمل كل جارحة من جوارحه فيها فى كل حال فهى ايضا
تجمع جميع العبادات والاصل فى قوله والباقيات الصالحات انها كل الخيرات والطاعات لان الله تعالى ذكر
وصف الحق بالبقاء والثبات فى غير اى من القران ووصف الباطل بالتلاشى والفناء والذهاب من ذلك قوله
كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وقال الم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء الاية وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وامثاله فعلى ذلك قوله والباقيات الصالحات هى باقية خير
عند ربك ثوابا وخير املا اى خير مما يأملون وعن ابن عباس رض قال خير عند ربك ثوابا اى خير ما يثاب الناس
عليه وخير املا اى خير ما يأمل الناس من اعمالهم يوم القيمة والله اعلم وقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة يذكرهم عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث صار اشد شئ راوا فى الدنيا واكثر اصلب شئ رأوا فى الدنيا
وهو الجبال المستقرة اهون لذلك اليوم وافزاعه وقال فى اية اخرى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال فى اية اخرى
وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقال فى اية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وقال هباء منثورا
وما امثاله ويبدون هذه الاهوال الى الافزاع التى ذكر لا تقوم نفس البشر فى الدنيا فى هذه الاهوال التى ذكر وما امثالها فى
اخرها ان لا تقوم النفس له الا ترى ان موسى صلوات الله عليه كان اشد الناس واقوى البشر فى زمانه لم تقم نفسه لا نكر
الجبل حتى صعق الا ان الله تعالى حكم ان لاهل الايمان امنا بعد القيام والا كانت انفسهم لا تقوم ببعض ما ذكر
من الاهوال والافزاع ثم ما ذكر من احوال الجبال يكون ذلك فى اختلاف الاوقات فى ابتداء ذلك اليوم ما ذكر انها
انهم يرونها جامدة وهى تسير سير السحاب ثم تصير كثيبا مهيلا ثم تصير كالعهن المنفوش بعد ذلك ثم تصير هباء منثورا
تكون هذه الاحوال على اختلاف الاوقات على قدر الشدة والهول والله اعلم ثم يحتمل قوله وترى الجبال
جامدة وهى تمر مر السحاب لشدة ذلك اليوم ترى كانها جامدة وهى تمر مر السحاب بعد ما ترى فى الشاهد من شدة
الهول والفزع والتخاذل ترى كالجامد لازدحام الجبال واجتماعها وقد يرى فى الشاهد السائر كالجامد فى السائر
للكثرة والازدحام بحركة عظيم يراه الناظر انه كانه ساكن لا يسير فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل ان تكون
هذه الاهوال التى ذكر لاهل الكفر والعصاة منهم فاما اهل الايمان والاحسان يكونون امنين من ذلك الاهوال
لقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
التى كنتم توعدون والله اعلم وقوله تعالى وترى الارض بارزة اى ظاهرة ليس عليها بناء ولا شجر ولا جبال ولا
ولا شئ يستر مستوية على ما ذكر فى غير هذا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ويحتمل قوله وترى الارض
بارزة اى يكون اهلها بارزين لا يكتمون وبرزوا لله جميعا وقوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا اى
نجمعهم جميعا كقوله قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقوله تعالى وعرضوا على ربك صفا
اى عرضوا جميعا وقال بعضهم يعرضون على مقاماتهم اى يعرض كل فريق على مقامه اى يبعث كقوله وازلفت الجنة
للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ويحتمل معنى العرض عليه فى ذلك اليوم وان كانوا فى جميع الاحوال والاوقات فى الدنيا
والاخرة معروضين عليه وهو عالم بهم لما لم يعرفوا ذلك جميعا اى بمشاهدتهم ومقرهم بالعرض والقيام كقوله
وبرزوا لله جميعا وقوله والامر يومئذ لله والامر فى جميع الاوقات وكل الاشياء بارزة له فى جميع الاحوال لكنه
خص ذلك اليوم بالاضافة اليه لما يعرفون ذلك جميعا فى ذلك اليوم بالالوهية له والملك ويعرفون حقيقته فعلى ذلك
هذا والله اعلم وقوله تعالى لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة يحتمل لقد جئتمونا بالاجابة والاقرار لنا كما

خلقتكم فإذا خلقتكم أنا فما لهم في الدنيا والثاني أني لمعتضد بهم كما قال في الدنيا إنكم تبعثون وتحشرون ويوم تقوم الساعة [illegible]
[illegible]
بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا [illegible]
[illegible] ووضع الكتاب [illegible]
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها [illegible]
[illegible] ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا [illegible]
[illegible] وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه [illegible]
[illegible] أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا [illegible]
[illegible] ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم

فكيف قالوا ما قالوا فإنه من الدعاوى والثالث ما أشهدتهم أي ما استعنت بهم في خلق السموات والأرض
ولا في خلق أنفسهم فكيف أشركوا في الوهيتي وربوبيتي وما استعنتهم في ذلك والله أعلم وقد استدل
كثير من المتكلمين بهذه الآية على أن خلق الشيء هو غير ذلك الشيء لأنه قال ما أشهدتهم خلق السموات والأرض
ولا خلق أنفسهم وقد شهدوا السموات والأرض وشهدوا أنفسهم حتى قال وفي أنفسكم أفلا تبصرون ثم
أخبر أنه لم يشهدهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم دل أن خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم ذلك
خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم غير السموات والأرض وغير أنفسهم والله أعلم وقوله تعالى وما كنت متخذ
المضلين عضدا قال بعضهم وما كنت متخذ المضلين عضدا الذين أضلوا بني آدم عونا فيما خلقت من خلق السموات
والأرض ولا خلق أنفسهم وهم إبليس وذريته أو ما كنت متخذ المضلين أولياء إنما اتخذتهم أعداء وما كنت
متخذ المضلين عضدا أعوانا وأولياء كقوله لا ينال عهدي الظالمين ونحو ذلك وقوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائي
الذين زعمتم قال شركائي على زعمهم وقوله تعالى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم قال أبو بكر لم يجيبوهم وقد دعوهم
في وقت رجوا منهم نفعا فقالوا إن كنا عن عبادتكم لغافلين ولكن قوله فلم يستجيبوا لهم لما كانوا يعبدون
في الدنيا وإنما كانوا يعبدونها طمعا أن يكونوا شفعاء لهم كما قال ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى كقوله فاتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا فيكون قوله فلم يستجيبوا
لهم ما طمعوا بعبادتهم الأصنام من الشفاعة والنصر ودفع ما حل بهم عنهم والمنع عن عذاب الله والله أعلم وقوله
عز وجل وجعلنا بينهم موبقا أي بين أولئك وبين الأصنام موبقا أي مهلكا وقال بعضهم الموبق الذي
يفرق بينهم وبين آلهتهم في جهنم قال بعضهم الموبق واد في جهنم وقال بعضهم نهر فيها وقال بعضهم
أي جعلنا وصلهم في الدنيا الذي كان بين المشركين وبين الأصنام موبقا وقوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا
أنهم مواقعوها أي علموا وأيقنوا أنهم داخلوها وقوله تعالى ولم يجدوا عنها مصرفا أي لم يجد الأصنام التي
عبدوها النصر والمنع منهم قال أبو عبيدة مصرفا أي معدلا وقوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس
قد ذكرنا تأويل قوله صرفنا أي بينا في غير موضع من كل مثل يحتمل وجهين أحدهما من كل مثل أي من كل صفة كقوله وله
المثل الأعلى أي الصفة العليا أي المثل الشبه كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيكون معناه بينا في هذا القرآن
من كل ما بهم حاجة إلى معرفته مما غاب عنهم جعل لهم شبها مما شاهدوا ليعرفوا به ما غاب عنهم والله أعلم
ولكن كان تأويل المثل الصفة فكأنه يقول والله أعلم ولقد بينا في هذا القرآن من كل ما يحتاجون من صفة ما يعرفون به
ما لهم وما عليهم وما يأتون وما يتقون والله أعلم وقوله تعالى وكان الإنسان أكثر شيء جدلا قال أهل التأويل
وكان الإنسان يعني الكافر أكثر شيء جدلا كقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ويشبه أن يكون قوله وكان الإنسان
أكثر شيء جدلا أي وكان جوهر الإنسان أكثر جدلا لأن غيرهم من الجن والإنس لما عرض عليهم القرآن والآيات
تلوها على غير مجادلة لتحيث قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به الآية كقوله وإذ صرفنا إليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية وكذلك الملائكة لم يكن منهم الجدال والمحاجة في ذلك وقد كان من جوهر
الإنسان الجدال لأنه يحاج في الآيات والحجج من ذلك قوله ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم الآية وقوله
وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل
مثل العناد ولذلك يحتج إلى إنزال الكتب والآيات والحجج لكثرة ما ظهر منهم من المجادلة وفيه الإذن بالمجادلة والمحاجة
في الدين على الوصف الذي ذكر والله أعلم وقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى أي لم يمنع
أن يؤمنوا إلا التعنت والعناد لأنه قد أكثر عليهم من الحجج والآيات ما لو أنها نزلت على الجبال لزمتهم الإيمان
بها والتصديق لكن الذي منعهم عن الإيمان ما ذكر من عنادهم وتعنتهم وقوله تعالى إلا أن تأتيهم سنة الأولين
وهو الاستئصال والإهلاك أي لا يؤمنون إلا في ذلك الوقت والإيمان لا ينفعهم في ذلك الوقت كقوله لم يك
ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقوله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا أي عيانا وجهارا قال أبو عبيدة قبلا
أي مقابلة وقبلا استئنافا وقال مجاهد قبلا فجأة وقال الكلبي وقال أبو عوسجة قبلا وقبلا أي مواجهة
وقال القتبي قبلا وقبلا أي مقابلة وعيانا والله أعلم وقوله تعالى وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين
أي لم نرسلهم إلا بالبشارة لمن اتبع أمرهم وانتهى عما نهوا عنه والنذارة لمن ارتكب ما نهوا عنه فتكون البشارة
للمتبعين لهم في أمرهم والنذارة لمن ارتكب نهيه والله أعلم وقوله تعالى ويجادل الذين كفروا بالباطل هو ما نسبوا
إلى السحر والكهانة والإفك وغيره به يجادلونهم وهو باطل وأن يكونوا عرفوا إنما يجادلونهم ويحاجونهم بباطل
وأنما يدعوهم الرسل إلى الحق وصدق ولكن بما يتعنتون يجادلونه وعندهم أنهم على الباطل كقوله يريدون
أن يطفئوا نور الله بأفواههم الآية عرفوا أنه نور لكنهم تعنتوا في المجادلة والمحاجة والله أعلم وقوله تعالى ليدحضوا به الحق

اي ليبطلوا بالحق وقوله تعالى واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا قال بعضهم آيات الشمس والقمر وغيرهما وما انذروا
هزوا ما انذر الرسل به وهو القرآن وقال بعضهم آية الشمس والقمر وغيرهما وما انذروا هزوا ما انذر الرسل به هو
القرآن وقال بعضهم قوله واتخذوا آياتي القرآن والحجج التي اقامها وما انذروا عن القرآن من المواعيد هزوا وقال
صاحب هذا التأويل تأويل الاول باطل لا يصح لانه قال على اثره ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها فهذا
يدل على انه اراد بالآيات ما ذكر من الحجج والبراهين لا ما ذكر وجائز انهم اذا لم يعملوا بآياته ولم يستعملوها نسبهم
الى الهزؤ بها والسخرية وان لم يهزؤا بها وهو كما سماهم صما وبكما وعميا لما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولم يستعملوها
فيما جعلت له وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل اتخاذهم ما ذكر من قولهم
هذا سحر وكهانة وانه افك وشعر ويكون اتخاذهم اياهم ما قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ان انتم الا بشر
مثلنا واشباه ذلك لعين الاتخاذ لا تلك التي كانت منهم والله اعلم وقوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
عنها • يحتمل قوله ذكر بآيات ربه اي وعظ بالآيات التي نزلت بمكذبي الرسل من الامم الماضية فيكون تاويله
لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ بآيات ربه فاعرض عنها ولو اتعظ بها ووعظ كان به نجاته ويحتمل ان يكون ذكر
بآيات ربه هو ما اقام من حججه وبراهينه على توحيده ورسالة الرسول فلم يقبلها ولم يصدقها اي لا احد اظلم
على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الآيات والحجج ولم يقبلها والله اعلم وقوله فاعرض عنها يحتمل الاعراض عنها في الابتداء
انهم لم يقبلوها ولم يكترثوا اليها ولم ينظروا فيها او اعرض عنها بعد ما عرفها انها آيات وحجج تعنتا وعنادا وقوله تعالى
ونسي ما قدمت يداه • يحتمل اي نسي ما قدمت يداه من الخيانة والشرك ويحتمل انكر وجحد ونسي ما قدمت
يداه صلة الاول اي لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ وجعل له سبيل التخلص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ
به والله اعلم وقوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا • اذ الكفر ظلمة اذا اتى به انسان ستر على
نور القلب وعلى نور كل جارحة منه والايمان منير ينير القلب وينير كل جارحة وعضو وهو ما ذكر في موضع
ان الانسان انما يبصر الشيء بنورين بنور نفسه وبنور ذلك الشيء فاذا ذهب احدهما ذهب الانتفاع بالآخر واذا
اجتمع النوران فعند ذلك انتفع به على هذا كل جارحة من البصر والاذن وانما يجعل بصر الحق به ويبصر به ويسمع
الحق والصواب فعلى هذا الايمان نور وفي القلب نور فاذا اختار الكفر وهو ظلمة منع وستر على نور القلب وعلى نور
الجوارح فصار لا يبصر ولا يعتبر ولا يسمع ولا يتكلم بالحق وهو كما ذكرنا ان الانسان انما يبصر الشيء بنور الشيء وبنور
الحدقة فاذا ذهب احدهما صار لا يبصر شيئا فعلى ذلك هذا وفي الآية دلالة نقض قول المعتزلة لانه لا يحتمل الكفر
من ان يكون مظلما قبيحا ذميما بنفسه او بالله فان قالوا بنفسه صار كفعل [illegible] وجب ان لا يستحق
بانفسها اذ لا فرق بين ان يكون الشيء مظلما قبيحا ذميما بنفسه او الاشياء تحدث بانفسها على ما كانت فاذا بطل
كونه بنفسه مظلما قبيحا ثبت ان الله هو الذي جعله مظلما قبيحا ثبت ان الله هو الذي جعله مظلما قبيحا وهو
ما نقول ان الله خلق فعل الكفر من الكافر مظلما قبيحا وخلق فعل الايمان من المؤمن منيرا حسنا والله الموفق
وقوله تعالى وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا • هذا في قوم مخصوص علم الله انهم لا يؤمنون ابدا والا لم
يحتمل في جميع الكفار اذ من الكفار من قد آمن وقال الحسن هو في الذين جعل على قلوبهم الغطاء والطبع كقوله
ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدا وقال ابو عوسجة [illegible] في العناد والمكابرة
وتكذيب الآيات والحجج فاخبر انهم لا يؤمنون لما عاندوا واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى وربك الغفور
ذو الرحمة • يحتمل ان يكون على وجهين احدهما الغفور حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم وقت عصيانهم وذو الرحمة
حيث يقبل توبتهم اذا تابوا والثاني الغفور اذا استغفروا وتابوا وذو الرحمة يرحمهم ويتجاوز عنهم ما سبق منهم
من الذنب والله اعلم وقوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب • اي لعجل لهم العذاب في الدنيا بل لهم
موعد قال الحسن جعل الله لكل امة يهلكون لهلاكهم موعدا واجلا كقوله ان موعدهم الصبح وقال في آية تمتعوا
في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ثم جعل موعد هذه الامة الساعة وهو قوله بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر وقال بعضهم اهلك كل امة كذبت رسولها ليتعظ الامة التي تاتي بعدها وجعل هلاك هذه الامة محمد
لانه ليس بعدها امة يتعظ به والله اعلم وقوله تعالى لن يجدوا من دونه موئلا • قيل ملجأ قال القتبي يقال لا وألت
نفسك اي لا نجت ويقال وأل فلان الى كذا اي لجأ وقوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم
موعدا • فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يجعلون للمهلك هالكا قبل اجله بالقتل وقد جعل الله تعالى انه
جعل لمهلكهم موعدا لا يستقدم ولا يتاخر وقوله تعالى واذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين • قال اهل التاويل
لا ابرح اي لا ازال حتى ابلغ كذا فان كان على هذا فهو ظاهر وان كان على لا ابرح معبرا على البراح في المكان فقال لا ابرح المكان
حتى ابلغ مجمع البحرين وهو كانه على الاضمار كانه قال لا ابرح اسير معك حتى ابلغ كذا كانه سبق من فتاه انه يسير [illegible]

المكان دونه على ما يعقل الخادم [illegible] المكان دونه على ما يعقل الخادم ولولا [illegible]
[illegible] فقال الله موسى لا ابرح [illegible] حتى ابلغ ماذكر
[illegible]
[illegible]
[illegible] مجمع البحرين [illegible]
سنة [illegible] والله اعلم
وقوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما • [illegible]
[illegible] نسي الحوت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في البحر سربا • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الا الشيطان ان اذكره قال الحسن لم يرد بقوله فاني نسيت الحوت حقيقة النسيان وانما اراد بالنسيان هو الترك
اي تركت الذكر له متعمدا بامر الحوت وقصته وانما اضافه الى الشيطان اي الشيطان هو الذي حملني حتى تركت ذكر ذلك
وكذا يقول في قوله في آدم فنسي اي ضيع امره وتركه عمدا وكان يحمله على هذا ونحوه من الحال لما لا يرى النسيان جائز
المؤاخذ فحمل النسيان ههنا على الترك لانه يستدل بهذه الآية حيث قال وما انسانيه الا الشيطان فاضاف
الانساء الى الشيطان وانما يسعى الشيطان في كل ما هو جائز المؤاخذة لما الغفلة تؤاخذنا الذي وقع فيه ذلك
وكذلك في قصة آدم ذكر النسيان وجعل ذلك عصيانا حتى عاتبه بذلك فدل ان النسيان جائز المؤاخذة
وما ذكرنا فالمراد منه انه ترك ذكر حال الحوت لموسى عمدا لا معنى له لانه انما احتج عنه انه اضاف ذلك الى الشيطان
ولو كان المراد هو ترك الذكر له عمدا لم يكن لاضافة ذلك الى الشيطان معنى لان الشيطان انما يسعى في الاغلب بالحيلولة وتضييع
ما كان من امر الدين او ما يقضي اليه وفي النعم اذا كثرت واتسعت على انسان فينسيه الانسان في مثله فاما السعي والحمل
على ترك ذكر الحوت لا معنى له فاما لو انسى امر الحوت على الفتى حتى يحتاج الى الرجوع وطلبه وفيه تعب عظيم وكد
ما يخلو عن ذلك من تفسير هذا الذي ينبغي ان يسعى له الشيطان والله اعلم وقوله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا
قال بعضهم عجبا اي عجب موسى من الفتى انه كيف نسي ان يذكره وقد احتاج ان يتحمل مؤونة عظيمة في الرجوع وتحمل تلك
وقال بعضهم عجب موسى بعد الرجوع الى المكان الذي نسي فيه الحوت فلما ذكر الفتى لموسى خبر الحوت وما صنع
فقال عند ذلك الخبر ما اخبر قصته بقوله قال ذلك ما كنا نبغ اي نبغي للقاء ذلك اي فقد الحوت هو ما
كنا نبغي ونطلب من علامة تنامي الظفر بذلك الرجل اذ كان نحلك علما لوجود مكان ذلك الرجل الذي امر موسى
بالصبر اليه والله اعلم وقوله تعالى فارتدا على آثارهما قصصا • اي رجعا عودا على قدميهما وقال بعضهم اي رجعا
يقصان طريقهما وآثارهما الذي مشيا فيه يطلبان المكان الذي فقد الحوت فيه اذ ذلك المكان هو مكان
علم وجود ذلك الرجل والله اعلم وقال بعضهم اقتصا اثر الحوت في الماء لكن الاول اشبه لانه في الآية ذكرنا
لا ذكر اثر الحوت والله اعلم ثم في الآية وجوه من الفوائد احدها ان يلزم الانسان طلب العلم واقتباسه اذ كان
ونبأ الناس حاجة اليه وان بعدت الشقة ونأى الموضع حيث قال موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي
حقبا وفيه انه لا بأس لاثنين ان يسافرا اذ لكل واحد اثنين يكونان شيطانين على ما ذكر في بعض الاخبار ذكر الواحد

شيطان والاثنين شيطانان ولكن المراد منه واحد دون واحد واثنان دون اثنين فانهما قد سافرا معا
وقوله لا ابرح لازداد خيبة فقد موسى والفتى الحوت الذي ذكر حين خرجا الى الخضر امر موسى ان يخرج
الى مجمع البحرين واما اهل التاويل فانهم قالوا جميعا انه امر موسى ان ياتي خضرا فيتعلم منه العلم ولكن ليس في القرآن
ذكر الخضر انما فيه ذكر عبد من عباده حيث قال فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا
علما وفيه ان الثنيا انما تلزم في كل فعل مستقبل مما يشك فيه ويرتاب فاما ما كان سبيل معرفته الوحي واليقين
فانه لا يستثنى فيه حيث قال موسى عليه السلام لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا قال ذلك من غير
ثنيا لانه تعالى امره ان ياتيه ولا يحتمل ان يؤمر بالاتيان في مكان ثم هو يشك انه لا ياتيه كذلك قطع القول فيه
وكذلك قول العبد الصالح لموسى انك لن تستطيع معي صبرا قطع القول فيه من غير ثنيا لانه علم بالوحي انه لا يصبر
على ما يرى عنه واما موسى فانه قد استثنى فيما وعد انه يصبر لانه اضاف الى حادث من الاوقات على الشك منه
انه يصبر وعلى الارتياب ليس على اليقين مما ذكرنا فذكر الثنيا فقال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
وفيه ان الرجل اذا اختلف الى عالم ليقتبس منه العلم ويتعلم فراى منه مناكير ومعاظم لزمه ان يفارقه ولا يتعلم
منه العلم كصنيع موسى بصاحبه لما رآى وما رآه منه من خرق السفينة وقتل الغلام وغيره مما كان منكرا وظلما
في الظاهر فانه كان انما صار هو فعلا بالامر كره موسى صحبته وندم على ذلك ثم انه انما تخير صحبته على علم منه
وهكذا الواجب على الرجل اذا رأى مناكير من الذي ياخذ منه العلم ومعاظم ان يفارقه ولا ياخذ من علمه والله اعلم
وفي قول موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا دلالة ان الاختيار ما استحب في الثنيا ان يكون في ابتداء
الكلام لان موسى بدأ به وكذلك في قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فاذا تركه في اول الكلام يستثني في آخره
فيعمل عمله في دفع الحنث في الوعد والله اعلم وعلى هذا تاول بعض الناس قوله واذكر ربك اذا نسيت اي استثن
في آخره اذا نسيت في اول كلامك والله اعلم ثم هذه القصص والانباء ذكرت لرسول الله على ان يسأل الكافر
منهم على ما ذكرنا في قصة اصحاب الكهف وغيرها من القصص وعلى غير سؤال ولكن كان في كتبهم فذكره ليعلم
انه انما عرف ذلك بالله عز وجل ثم اختلف اهل التاويل في السبب الذي امر موسى على طلب العلم من عنده لا الرسل
وبعثه اليه قال بعضهم لان موسى عليه السلام لم يخطئ خطيئة قط فخطر خطرة لم يخطر قط مثلها فاعجبه ذلك
فوقع عنده انه ليس احد اعلم منه فاخبره ان في مجمع البحرين رجلا اعلم منك فامره بالمصير اليه والتعلم منه وقال
بعضهم لا ولكن موسى قد اعطي التورية وفيها علوم كثيرة فظن انه ليس احد اعلم منه فاخبر بان في مجمع البحرين عبدا
من عبادنا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه فان كان على ما ذكر اهل التاويل من السبب فخرج الامر له بالمصير
اليه والتعلم منه مخرج العتاب له لما خطر بباله ووقع في وهمه ما وقع والله اعلم ويجوز ان يكون الامر له بالمصير
اليه والتعلم منه ابتداء محنة من الله اياه بالتعلم منه بمحنته بها من غير سبب كما امر موسى بالمصير الى الطور شيئا
واعطي هنالك التورية في الالواح على غير سبب كان منه ولكن ابتداء محنة بها فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم
وقول اهل التاويل ان صاحب موسى الذي امر موسى بالمصير اليه والتعلم منه هو الخضر وفتاه الذي صحبه وتبعه
يوشع بن نون فذلك لا نعلم الا بالسمع وبالخبر عن نبي يوحى اليه فيعلمه بالوحي فان صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فذاك
ذلك فليس بنا الى معرفته ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع فيه من انواع الحكمة والعلوم وكما ذكر
انه فلان وانه كان في موضع كذا في البحر وان موسى قال له كذا وهو قال لموسى كذا فانه سبيل معرفته ذلك السمع فان
ثبت السمع والا لم يجب ان يذكر فيه اكثر مما ذكر في الكتاب لان هذه الانباء والقصص التي ذكرت في القرآن انما
ذكرت لتكون دلالة لرسالة نبينا فلو قيل فيها لم يذكر في كتبهم من الزيادة والنقصان لكان ذلك سببا للاكذاب
لا لتصديقه على ما ادعى من الرسالة والله اعلم وقوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا يحتمل
قوله رحمة من عندنا النبوة حيث قال لموسى انك لن تستطيع معي صبرا لا يحتمل ان يقول له هذا الا على علم وحي
وحيث قال وما فعلته عن امري اخبر انه لم يفعل ما فعل عن امر نفسه ولكن عن امر الله تعالى ويحتمل قوله رحمة من عندنا
كل بركة اعطاها الله اياه او ان تكون رحمة القلب والشفقة التي كانت منه على اهل السفينة بخرقها وقتل
ذلك الغلام الذي قتله اشفاقا منه على والديه وعلى الناس واقامة الجدار الذي كاد ان ينقض واشباه ذلك والله اعلم
وقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما هو ظاهر وقوله تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
في قوله هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا في قوله هل اتبعك دلالة انه كان على سفر ولم يكن مقيما في ذلك
المكان ومن يتعلم من آخر علما فانه يتبعه حيث يذهب هو في حوائجه لا يؤمر بالمقام حيث يقيم المتعلم لانه قال
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ثم قوله على ان تعلمن وقوله مما علمت رشدا يحتمل ان يشترط لي ما علمت او تعلمني
مما علمت من الرشد والصواب والله اعلم وقوله تعالى انك لن تستطيع معي صبرا اي لن تستطيع معي صبرا عما ترى مني

من الامور

من الامور مما يخرج ذلك في الظاهر مخرج المناكير ويقول لك انك رسول ونبي والرسول اذا راى منكرا في الظاهر
لا يسعه ترك الانكار عليه والتغيير وانت لا تصبر على ما ترى مني لما لم تعرف سببه الا ترى انه وسع له الانكار عليه
والتغيير حيث قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي ما لم تعلم علمه والله اعلم وقوله تعالى قال ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا يحتمل ان يكون الثنيا مستثنا على الامرين جميعا على الصبر الذي وعد وعلى قوله ولا اعصي
لك امرا ويشبه ان يكون على وعد الصبر خاصة دون قوله ولا اعصي لك امرا لانه قوله ولا اعصي لك امرا تعهد
منه والثنيا منه لا تستعمل في العهود واما قوله ستجدني ان شاء الله صابرا انما هو فعل اضافه الى نفسه
فلا بد ان يستثني فيه وقوله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اي عن شيء مما تنكره نفسك وتكرهه
حتى احدث لك منه ذكرا اي لماذا فعلت ما فعلت والله اعلم وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها هذا الكلام يخرج منه على وجهين احدهما يخرج على وجه الانكار عليه اي
اخرقتها لتغرق اهلها لما راى ذلك الفعل منكرا في الظاهر فانكر عليه وكذلك كانت عادة الانبياء والرسل
والثاني على الاستفهام اي اخرقتها لتغرق اهلها او لتعيبها او لماذا وظاهر هذا الحرف استفهام لولا قوله لقد
جئت شيئا امرا فان كان على الاول على الانكار عليه والرد فقوله لقد جئت شيئا امرا ظاهرا او جئت شيئا
عظيما شديدا وان كان على الاستفهام فهو على الاضمار كانه قال اخرقتها لتغرق اهلها فلئن خرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئا امرا عظيما شديدا فان كان التاويل على الانكار فهو كما يقال لمن يبني بناء ثم ترك
الانفاق عليه في عمارته بنيت لتخرب حيطانه وكما يقال لمن زرع زرعا ثم ترك سقيه زرعت لتفسده ونحو
ذلك وان كان لم يبن لذلك ولم يزرع لذلك ولكن لما كان ذلك يصير في العاقبة اذا ترك سقيه وعمارة
ما بنى فان قيل كيف قال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها وبعد لم يعلم ان ذلك الخرق يغرق اهلها وقد يجوز ان يكون
من غير غرق قيل انما اخبره بما يؤول الامر اليه في العاقبة والظاهر من الخرق ان يغرق في الاخرة وهو كما قلنا من بنى بناء
والزرع بنيت لتخرب وزرعت لتفسد وان لم يكن بناؤه وزراعته لذلك فعلى ذلك قول موسى لصاحبه والله اعلم
وقوله تعالى قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا هذه الاية على المعتزلة لانه قال له انك لن تستطيع معي صبرا
وقد كان له من الاسباب ما لو لم يكن ذلك لاستطاع الصبر معه فاذ قال له لن تستطيع معي صبرا دل انه كان
خرج على استطاعة يقارن الفعل فيكون له الفعل به اذ كانت له اسباب لو لم تكن علته لاستطاع الصبر
معه دل ان استطاعة الفعل لا تتقدم الفعل ولكن تقارنه وقال الحسن انما قيل هذا للاستثقال الا ان ذلك
كما يقول الرجل للاخر لا استطيع ان انظر اليك بغضا وهو ناظر اليه لكن يقال ذلك على الاستثقال والبغض
ليس على حقيقة نفي الاستطاعة فعلى ذلك الاول فيقال له هو كما يقال لا استطيع ان انظر اليك نظر الرحمة
فهو وان كان ناظرا اليه لما ذكر فهو غير ناظر اليه نظر رحمة وشفقة لما انه ليس له استطاعة ذلك الحال كان ليس له
استطاعة ذلك النظر فيكون نفي ذلك فهل فهمنا والله اعلم وقوله تعالى قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا قال بعضهم لا تكلفني من امري ما يعسر علي وقال بعضهم لا تحمل علي وقال بعضهم لا ترهقني لا تغشني
وقال بعضهم اي لا تعسر علي وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
فيحتمل هذا الكلام وجهين احدهما على الانكار والرد عليه والثاني على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا في الاول
قتلت نفسا زكية بغير نفس بحق ولماذا وعلى الانكار والرد على ما راى في الظاهر قتل نفس ولم يعرف الوجه
الذي يجب القتل وقوله لقد جئت شيئا نكرا هو على الانكار ظاهر وعلى الاستفهام والسؤال على الاضمار
اقتلت نفسا زكية بغير نفس فلئن فعلت لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا ثم اختلف في قوله نكرا قال بعضهم هو
نكرا اكبر من قوله امرا لانه يخبر مباشرة القتل واهلاك النفس بغير نفس وهو كبير وليس في نفس الخرق اهلاك انما هو
سبب الاهلاك وقد يجوز ان لا يهلك وقال بعضهم قوله امرا اكبر من قوله نكرا لان فيه اهلاك جماعة وهنا
اهلاك نفس واحدة فهو دون الاول والله اعلم وقوله تعالى قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ما ذكرنا
في الاول وقوله تعالى قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا اي قد بلغت من لدني
في تركك لمصاحبته عذرا لما قلت انك لن تستطيع معي صبرا ولم تصبر وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا اتيا اهل
قرية وهي كانت مدينة يريانه قال في آخره واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة دل انها كانت مدينة والعرب
قد تسمي المدينة قرية وقوله تعالى استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
قال الحسن كان ذلك الجدار على هيئة انه يسقط عند الناظر وقال ابو بكر قوله يريد الارادة صفة كل فاعل حقيقة
الفعل وليس لحقيقة الفعل بعد ان يضاف اليه الفعل الا انه يقال الجدار يسقط وانه في الحقيقة يسقط
وعندنا انما يقال ذلك لقرب الحال وعند الاشراف على الهلاك والسقوط ولكنه يذكر ذلك للاشراف على الهلاك

فقرب الحال لانه ليس على سقوط الارادة فعلى ذلك قوله يريد ان ينقض اي اشرف وقرب على حال السقوط وقوله
لو شئت لاتخذت عليه اجرا هذا القول من موسى عليه السلام يحتمل وجهين احدهما لو شئت لاتخذت عليه
اجرا لشدة حاجتنا الى الطعام لئلا يقع لهما الحاجة الى اهل تلك القرية لانه قد وقع لهما اليهم حاجة حيث قال
استطعما اهلها فردوهما فاراد ان يلجئهم على ذلك لاجل ان لا يقع لهما الحاجة اليهم والله اعلم والثاني قال له
ذلك لما رأى اهل تلك القرية اهلا لان يصنع لهم لما علم او رأى فيهم من البخل والضنة في الطعام حيث استطعماهم فلم
يطعموهما لبخل منهم وضنة والله اعلم ويحكى في بعض القصة ان الجدار الذي اقام صاحب موسى كان طوله خمسمائة ذراع
وقامته مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا او نحوه ونحن لا نعلم ذلك لكن لا حاجة بنا الى معرفة ذلك انما الحاجة
الى ما فيه من انواع الحكم والفوائد وقوله تعالى قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
اي سأنبئك ببيان ما قلت لك انك لن تستطيع معي صبرا ثم بين له وفسر له فقال اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اي اجعلها معيبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وذكر في بعض الحروف
وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا فعلى ذلك التأويل فيه فاردت ان اعيبها اي اجعلها معيبة
لئلا يأخذها ذلك الملك غصبا اذ كان لا يأخذ الا سفينة صالحة صحيحة والله اعلم وقوله تعالى واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين • اختلف في سن ذلك الغلام قال بعضهم كان ذلك الغلام كبيرا بالغا والكبير قد يسمى
الرجل البالغ الذي لم يلتح بعد او لم يستكمل لحيته غلاما لقربه من وقت البلوغ ولذلك قال له موسى اقتلت نفسا زكية
بغير نفس والصغير مما لا يقتل اذ لا يقتل نفسا بغير حق فلو كان صغيرا لم يكن لقول موسى اقتلت نفسا زكية
بغير نفس معنى وقال بعضهم كان ذلك الغلام صغيرا وقول موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لو احتمل
هذه النفس القتل لكان ذلك القتل نفس بغير نفس وهو كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اناسا منكم
يحقن دماءكم اي ان اناسا منكم تحقن دماءكم كما اذا طهرتم النعم وكقوله لولا الامانة لكانت الكحل ولها شان اذا ظهر منها
الزنا فعلى ذلك قوله اقتلت نفسا زكية بغير نفس لو كانت محتملة للقتل بالنفس والله اعلم وقال بعضهم قتله
لكفره فانه كان كافرا بالغا وكذلك ذكر في حرف ابي بن كعب واما الغلام فكان كافرا الا ترى انه قال فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا دل هذا انه كان بالغا كافرا اذ لو لم يكن كافرا لم يكن ليخشى والديه منه الطغيان والكفر
وقال بعضهم انما قتله لانه كان لصا قاطعا الطريق على الناس ويأخذ اموالهم وعلى قول من قال انه كان صغيرا قتله
لانه علم انه لو بلغ لبلغ كافرا والله اعلم وليس لنا الى معرفة السبب الذي قتله ولا انه كان صغيرا او كبيرا حاجة لا
لحيا انه انما قتله بامر الله لا من تلقاء نفسه حيث قال وما فعلته عن امري ولكني انما فعلته بامره ولله تعالى ان
يامر عبدا من عباده بقتل الصغير كما له ان يميته وعلى ما يأمر ملك الموت بقبض ارواح الخلق فعلى ذلك له ان يامره
على يدي آخر وان يقبض روحه اذ له الخلق والامر والله اعلم وقوله فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ليس المراد
من الخشية هو الخوف ولكن المراد هو العلم اي علمنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكذلك ذكر في حرفه فعلمنا فان قيل
كيف احتج على قتله واهلاكه بما علم انه يلحق ابويه منه الطغيان والكفر وقد ترك فرعون وابليس اللعين وجنوده
ويعيشون الى آخر الدهر على علم منه انهم يحملون الناس على الطغيان والكفر ويرهقونهم انواع الشر
وكذلك هؤلاء الظلمة الذين لا يكون منهم الا كل شر وجور على الناس تركهم على علم منه بما يكون منهم فما معنى
الاحتجاج عليه في قتله واهلاكه بما ذكر من ارهاق الطغيان والكفر بالوالدين قيل عن هذا جوابان احدهما
ان الله تعالى قد يمتحن البشر بمعاني وعلل واشياء تحملهم تلك المعاني والاشياء على الرغبة والخشية فيمتحنهم
واذ كان له الامتحان على تلك المعاني والاشياء على الرغبة والخشية فيما امتحنهم وانه كان له الامتحان لا على
تلك المعاني والعلل نحو ما امتحنهم بانواع العبادات والطاعات من غير ان جعل ذكر لهم فيها لو فعلوا كان له
الامتحان بذلك على غير ثواب ولا اجر وكذلك العقوبات ونحوها من المحن فعلى ذلك الاول والثاني ذكر هذا
ليطيب به انفس الوالدين احسانا منه اليهما وانعاما عليهما اذ له ان يميتهم صغارا وكبارا وعلى ذلك يخرج
قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقد جعل كثيرا من الخلق
ذلك لكن ذكر هذا لما اراد ان يفعل ذلك بالكل فهو لم يفعل ذلك بهم انما يفعل احسانا منه وتفضلا فعلى
ذلك الاول انما ذكر ما ذكر احسانا منه وتفضلا والله اعلم وقوله فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة
واقرب رحما قال بعضهم خيرا منه زكاة اي صلاحا واقرب رحما اوصل رحما وابر بوالديه وقال بعضهم
منه زكاة عملا واقرب رحما اي احسن منه برا بوالديه وقال ابو عوسجة رحما من الرحم القرابة وقال القتبي
رحما اي رحمة وعطفا وذكر انهما قد اعطيا جارية منه اي من المقتول والله اعلم وقوله واما الجدار فكان لغلامين
يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا اختلف في ذلك الكنز قال بعضهم كان ذلك

الكنز مالا كثيرا ابوهما قال ابن عباس رضي الله عنه حفظا بصلاح ابيهما وما ذكر منهما صلاحا وقال بعضهم كان ذلك الكنز
صحفا فيها علم قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان يكون ذلك علما لان العلم مما يعلمه العلماء ويشترك الناس فيه فلا يحتمل
ان يحفظ ذلك لهما دون الناس فان ثبت وحفظ هو ما لعله على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الجدار الذي قال الله عز وجل في كتابه وكان تحته كنز لهما لوح من ذهب فيه مكتوب
بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن ايقن بزوال
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حفظ هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما روي علم لان اللوح من الذهب مما يكبر ويعظم قدره والله اعلم وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله وما فعلته عن امري
هو ما ذكرنا انه اخبر انه عن امر الله فعل ما فعل لا عن امر نفسه والله اعلم وقوله ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا
تأويل ما قلت لك في بدء الامر انك لن تستطيع معي صبرا والله اعلم ثم لا يحتمل ان يكون موسى حين امر بالذهاب الى ذلك الرجل
والاتباع له والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه الا علم ما انكر عليه وسبب حل ذلك له اذ كان ذلك له
بالكلية مما انكر عليه من الافعال التي هي في الظاهر منكرة لكن جائز انه استفاد منه علوما كثيرة سوى ذلك لكنه
لم يذكر لنا ذلك والله اعلم وقول اهل التأويل اسم الغلام الذي قتله صاحب موسى جيسور واسم والديه كذا لا نعلم
ذلك وليس بنا الى معرفة اسمائهم حاجة وكذلك قالوا اسم الغلامين اليتيمين صاحبي الجدار اصرم وصريم ولا
ندري بما ذكروا ولا حاجة بنا الى ذلك وقالوا كان صاحب موسى خضرا وانه انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء
فاخضرت وذلك ايضا مما لا يعلم الا بالخبر عن الوحي فلا نقول فيه الا قدر ما ذكره في الكتاب فانه يخرج ذكر ذلك
عليه مخرج الشهادة على الله من غير حصول النفع لنا في ذلك من عمل او غير ذلك وليس في الكتاب الا ذكر عبد
من عبادنا وذكر الغلام وذكر الغلامين اليتيمين في المدينة ونحو ذلك فيقال ما فيه ولا يزاد على ذلك
فانما الشهادة على الله تعالى بالكذب وابطال الحجة على رسالة الرسول لما يعمل ملبس في كتبهم على ما يقال بل
خلافه والله اعلم وقوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا في الآية دلالة ان الآية نزلت
عن سؤال قبل ان سئل هو عن خبر ذي القرنين لانه قال ويسألونك بلفظ الاستقبال ولم يقل سألوك
والخبر الذي روي عقبة بن عامر الجهني يدل على ذلك ايضا لانه روي ان نفرا من اهل الكتاب جاؤوا بالصحف او الكتب
فقالوا استأذن لنا على رسول الله لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مالي ولهم يسألونني عما لا اعلم انما انا عبد لا اعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوءا اتوضأ به فتوضأ ثم
قام الى مسجد في بيته فركع ركعتين فما انصرف حتى السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن جاءك من
اصحابي قال فادخلتهم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسألوني عنه
وان شئتم اخبرتكم كما تجدونه في كتبكم قلنا ان شئت نبئنا قال انه نزل بذي القرنين خبره قيل ان تسألوني
اهل التأويل فانهم قالوا جميعا انه سئل قبل ان نزل عليه خبره ثم نزل من بعد السؤال والله اعلم ثم اختلف فيه
قال الحسن كان نبيا دليله ما قال قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال هذا تحكيم على ما يراه
ومثل هذا لا يؤتى الحكم الا من كان نبيا واما علي بن ابي طالب رضي الله عنه فانه سئل عنه ذلك كان نبيا او ملكا فقال لا نبيا
ولا ملكا وقال بعضهم انه كان ملكا يدل على ذلك الخبر الذي روى عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم سئل عن خبره وبنائه قال ان اول امره كان غلاما من الروم اعطي ملكا فسار حتى
بلغ كذا على ما ذكر في الخبر والاشبه انه كان ملكا الا ترى انه قال انا مكنا له في الارض اي ملكنا له الارض وكذا تمكين
الارض له جعله يصنع فيها ما يشاء لم يخصص له ناحية منها دون ناحية وليس كقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا
الآية وكقوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه هناك خص مكانا دون مكان واما في ذي القرنين ذكر
التمكين له في الارض لم يخص ناحية منها دون ناحية فهو انه ملكه وتمكينه الارض كلها وقول الحسن ان حكمه
وتولي له الحكم في هذه الآية انه كان نبيا الا ان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان
الا ترى الى قول اولئك الملأ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله دل ان الملوك هم الذين يتولون الجهاد
والقتال والحكم فعلى ذلك هذا وقوله تعالى قال اما من ظلم فسوف نعذبه واما من آمن كذا يحتمل ان يكون
هذا الهاما من الله اياه او تعليم الملك الذي كان معه او كان معه نبي فاخبر له بذلك والله اعلم وقوله وآتيناه
من كل شيء سببا فاتبع سببا • اختلف في ذلك السبب قال بعضهم علم المنازل لمنازل الارض ومعالمها
وآثارها وقال بعضهم العلم والقوة وقال بعضهم اعطاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك له ما يقطع
اليه وقال بعضهم ذلك السبب كان انه ما يحمل الخشب عليها ويتخذ سفينة لان يستقل البحر فيعبرها ثم ينقضها
ويحمل الخشب على الانعام ويعبر البر على الدواب فذلك السبب الذي ذكر والله اعلم واصله انه ذكر انه آتاه السبب

الذي به صلاح ما مكن له وملكه ولم يبين ما ذلك السبب فلا ندري ما اراد بذلك وقيل سببا اي طريقا والله اعلم
وقوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما • كأنه اراد وطلب ان يعرف
انها اين تغرب بحيث قال وجدها تغرب في عين حامية وحمئة قال ابو عوسجة حامية اراد في عين حارة
ومن قرأ حمئة مهموزة لا يغير الف اراد ذات الحمأة وهي الطينة السوداء والله اعلم بذلك وقوله ووجد عندها قوما قلنا
يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال بعضهم كانوا كفارا ومؤمنين الفريقان جميعا فقال في
الكفار اما ان تعذب وهو القتل وقال في المؤمنين واما ان تتخذ فيهم حسنا ليس في التخيير ولكن على الحكم في كل فريق
على حدة وقال بعضهم كانوا كلهم كفارا فيكون تأويل قوله اما ان تعذب اذا لم يتوبوا واما ان تتخذ فيهم حسنا
اذا تابوا واسلموا وقوله تعالى قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل
صالحا فله جزاء الحسنى • هذا ما ذكرنا انه حكم ذلك لتعليم نبي او ملك كان معه او حكم بذلك لما كان عرف ان سنة
في الكفار القتل او الاهلاك وفي المؤمنين الترك والاحسان او الهم الهاما بذلك والله اعلم وقوله تعالى وسنقول
له من امرنا يسرا • قال الحسن يسرا اي معروفا وقال بعضهم يسرا معروفا وقال بعضهم اليسر هو اسم كل خير وكل بر
والله اعلم وقوله تعالى ثم اتبع سببا ما ذكرنا من السبب الذي به سلك طريق المشرق والمغرب وبلغ ما بلغ وقال
الحسن سببا اي بلاغا الى حاجته ثم اختلف لماذا سمي ذا القرنين قال بعضهم سمي ذا القرنين لانه دعا الى توحيد الله
والايمان به فضرب على قرنه الايمن ثم غاب عنهم ما شاء وفي بعض الاخبار مات ثم احيي ودعاهم ثانيا فضرب
على قرنه الايسر فبقي عليه لذلك سمي ذا القرنين لان كان له قرنان كقرن الثور وقال بعضهم سمي ذا القرنين
لانه بلغ قرن الشمس مغربها ومطلعها وقال بعضهم سمي ذا القرنين لانه كان له ذوابتان على ضفيرتين وقال بعضهم
سمي ذا القرنين لانه عاش حوج قرنين والله اعلم وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وليس بنا الى معرفة
ذلك حاجة والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس بالسبب الذي ذكر انه اعطاه كما بلغ مغرب الشمس وجدها
تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن ان تلك الارض ارض سبخة وبيد لا تغر ولا تسكن ولا تحمل
البناء والحجر فاذا اطلعت الشمس طلعت عليهم لم يكن لهم بناء ولا سقف يتوارون في اسراب فاذا ارتفعت عنهم خرجوا
وقال ابن عباس اذا الشمس اذا طلعت كانت حرارتها اشد عند طلوعها من غروبها فتحرق كل شيء لا يبقى
لهم بيوت ولا بناء ولا اخبية لا غيرها الا احرقته وقوله تعالى كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا • اختلف في
قوله كذلك قال بعضهم قوله كذلك اي كذلك اخبر رسول الله من نبأ ذي القرنين نجزي على ما كان وقال بعضهم
اي كذلك اعطيناه من السبب حتى بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها بالسبب الذي ذكر وقال بعضهم كذلك فعل
في المطلع من قوله اما ان تعذب واما ان تتخذ حسنا كما قيل له في المغرب والله اعلم وقوله وقد احطنا بما لديه
خبرا اي من قبلهم بما لديكم وقال بعضهم على الابتداء ليس على الرجوع والصلة على الاول اي قد احطنا علما
بما لديه وقوله ثم اتبع سببا ما ذكرنا في بلوغ مغربها ومطلعها اي اعطيناه من السبب حتى بلغ بين السدين
وفي بعض القراءة السدين بالنصب فان كان بين القراءتين فرق فيشبه ان يكون السدين بالرفع الجبل الذي
كان هناك والسدين بالنصب هو ما بنى ذو القرنين فان كان لم يحتمل الفرق فهو ما بني هو فهو كان في الخلقة
وقال ابو عوسجة السدين ناحيتا الجبل ثم اختلف في ذلك السد قال بعضهم هو المنفذ الذي كان بين طرفي
الجبل الذي كان محيطا بالارض تدخل منه ياجوج وماجوج الى هذه الارض فسد ذو القرنين ذلك المنفذ
وقال بعضهم لا ولكن كان الجبلين احدهما سد بين ياجوج والثاني بين ماجوج فسد ذلك والله اعلم وقوله تعالى
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا • كانوا يفقهون ما به صلاح معاشهم وما به معادهم لا يفقهون
الهدى من الضلال والخير من الشر ونحو ذلك وقال بعضهم لا يفقهون قول من غير كلامهم ولسانهم ولكن يفقهون
بلسانهم وكلامهم وذو القرنين كان يعرف الالسن كلها يفهم منه ويفقه هو منهم حيث قالوا يا ذا القرنين
ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ خراجا
خرجا بغير الف قيل كلاهما واحد وهو الجعل والاجر وهو كقوله ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير اي تسلم
على ما اتيتهم باجر وقيل الخرج الفيء والخراج الضريبة وقيل الخراج الاسم والخرج مصدر تتفق لان خرج ارسلت
والله اعلم وقوله تعالى قال ما مكني فيه ربي خير • على تأويل الحسن يكون قوله ما مكني فيه ربي من السلطان خير
من الخراج الذي تجعلون لي لانه يقول كان بيننا حيث قال انا مكنا له في الارض وعلى قول غيره يكون ما مكني
فيه ربي في الملك والسبب الذي اعطاني وابلغ به مغرب الشمس ومطلعها خير مما تعطون والله اعلم
ثم في الآية دليل على انه فهم ذو القرنين كلامهم وفهموا هم ايضا كلامه فدل ذلك على انهم كانوا يفقهون بلسانهم
ولا يفقهون بلسان غيرهم وفي الآية دلالة ايضا انهم كانوا يفقهون شيئا من العقل لانه كانوا لا يفقهون كثيرا

لانه يعقل لا يكادون يفقهون قولا وهو يتكلم على القرب لا على النفي راسا والله اعلم وقوله فاعينوني بقوة
اي بما اتقوى به وقوله اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا وقوله اتوني زبر الحديد اي قطع الحديد قال بعضهم
سالم الحديد لان المكان كان مكان الحديد وقال بعضهم ان الحديد كان الين لهم واطوع من اللبن والقطر ولكن
لا نعلم ذلك الا بالسمع وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بلغ ذلك السد راس الصدفين وهما جبلان سوى بينهما
قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اصب عليه قطرا قيل نحاسا وقيل رصاصا وذكر انه كان يبسط
الحديد صفا ثم يبسط الحطب صفا ثم يبسط كذا فوق الحطب حتى بلغ راس الجبل وسوى بينهما على هذا السبيل
ثم اذيب القطر فصب فيه فعمل القطر عمل الحطب في نسيل الحديد حتى دخل القطر مكان الحديد فصار مكانه
ما التزق القطر بالحديد على هذا ذكر انه بني ذلك السد والله اعلم وقال الحسن كان بالقطر لبنا كان وقوله تعالى فما اسطاعوا
ان يظهروه • اي يعلوه يعني على ذلك السد وما استطاعوا له نقبا من اسفله ولا نزاد على المذكور في الكتاب
في هذه الانباء والقصص ونحو خوفا من الشهادة على الله والكذب عليه لكن نذكر مقدار ما ذكر في الكتاب لا نزيد على
ما في الكتاب القدر الذي ذكر وقوله تعالى قال هذا رحمة من ربي • يحتمل ان السد الذي بني وحال بينهم وبين
ياجوج وماجوج فذلك منه رحمة اي برحمة كانت تلك الحيلولة اي كان ذلك منه نعمة والرحمة هي النعمة اي هذا
السد بينكم وبينهم نعمة من ربي عليكم ثم فيه وجهان احدهما انه ذكر ان ذلك كان برحمة من الله اذا فرغ من بناء
هذا السد اضاف الفعل الى نفسه في الابتداء حيث قال فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما فدل ذلك
على ان فعل انما فعل برحمة منه وفضل وان لله في ذلك صنعا فيدل على نقض قول المعتزلة في خلق افعال
العباد والثاني فيه ان له ان يفعل بالخلق ما ليس هو اصلح لهم في الدين لانه لا يخلو اما ان كان الاول لهم اصلح في الدين
ثم فعل الثاني فلا يكون الثاني اصلح لهم في الدين وان كان الاصلح لهم في الدين الثاني فالاول لم يكن ثم ذكر ان ذلك
رحمة منه فبطل قولهم في الاصلح ايضا والله اعلم وقوله تعالى فاذا جاء وعد ربي • اي فاذا جاء الذي كان به وعد ربي
وهو الموعود لان الوعد صفة ازلية لا يوصف بالمجيء حقيقة وكانه قال فاذا جاء موعود ربي من خروج ياجوج
وماجوج او فتح ذلك السد جعله دكا اي كسرا او هدما اي هدمه وسواه بالارض وقال القتبي جعله دكا
اي الصقه بالارض وقوله وكان وعد ربي حقا وهذا وعد الاول موعود وقوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض • اي يجول بعضهم في بعض يحتمل قوله يموج في بعض عند السد الذي بناه ذو القرنين يموجون
عند فتح ذلك السد ويكثر هذا لكثرتهم وازدحامهم والله اعلم وقوله تعالى ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا
ظاهره على الماضي والمراد منه اي ينفخ في الصور فنجمعهم جمعا ومثل هذا كثير في القرآن يذكر الماضي بحرف المستقبل و
المستقبل بحرف الماضي والله اعلم وقوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا • يحتمل ان يكون ذكر عرضنا
عليهم قبل ان يدخلوا فيها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين ويشبه ان يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعد ما
ادخلوا فيها كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقوله تعالى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري قد ذكرنا
فيما تقدم في غير موضع ان ظلمة الكفر تستر وتحجب نور القلب ونور كل حاسة من حواسه من السمع والبصر واللسان
وغيرها اذ لكل حاسة من هذه الحواس نور وضياء نور سرتها الابصار ولا يسمع الحق والحجة الا بنورين جميعا نور البصر
ونور السريرة والباطن فالكفر يستر ويغطي ذلك النور فيجعله لا يبصر الحق ولا ينظر الى العبر ولا يتفكر ولا يتجلى
له الحق بنور الظاهر والايمان نور وضياء يبصر به ويسمع ويرفع له غطاء كل شيء حتى يتجلى له الحق ويرتفع حجب
كل حجاب وتفتح كل شيء وهو كما يرى الانسان الشيء بنور بصره وبنور الهواء فاذا ذهب احدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى
شيئا فعلى ذلك انما يعرف الشيء وينظر حقيقته بنورين بنور القلب وبنور الحواس فاذا غطى ظلمة الكفر
نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا يعتبر ولا يسمع ولا ينطق بالحق والايمان ينور ذلك ويضيء فيجعل يبصر كل
شيء ويتجلى له الحق من الباطل وعرفوا الآيات النموية والله اعلم وقوله تعالى وكانوا لا يستطيعون سمعا • فيه حجة
من الله لانه احدهما انه نفى عنهم استطاعة السمع وقد كان لهم السمع فدل ان الاستطاعة التي هي استطاعة الفعل
تقترن بالفعل لا تتقدم ولا تتأخر حيث قال وكانوا لا يستطيعون سمعا وكذلك قوله لصاحب موسى حيث قال انك
لن تستطيع معي صبرا في مواضع فدل لما نفى عند الفعل انها تقارن الفعل لا تحتمل التقدم والتأخر والثاني
فيه دلالة ان هناك استطاعة هم يستفيدونها من الله بانفسهم وكذلك يستوجبون به ضيعوها باستعمال
غيره حيث عوتبوا واستوجبوا بذلك العتاب والتوبيخ بالدفع كانه نفى عنهم فلو لم يكن ذلك عنهم لم يكن العتاب
معنى وقد ذكرنا مثل هذا وقول الحسن انما نفى ذلك عنهم لاستثقالهم ذلك لبغضهم اياه وقال بعضهم انما نفى ذلك
عنهم لما لم ينتفعوا به كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق والنظر لما لم ينتفعوا به ليس على انهم لم يكن لهم تلك الحواس
فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة لما لم ينتفعوا بها ليس على انها ليست والله اعلم وقوله تعالى افحسب الذين

كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء قال بعضهم أفحسب الذين عبدوا الملائكة والرسل واتخذوهم من دوني
أن يكونوا لهم أولياء في الآخرة ويقولون شفاعتهم يشفعون لهم ينصرونهم كلا أن ينصروهم أولياء كقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والثاني أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي المخلصين دوني
أولياء ويتولونهم أي لا يقدرون على أن يتخذوا أولياء من دوني فقد كانوا يدعون المؤمنين إلى دينهم ويتولونهم
وهو ما قال إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
والثالث أفحسب الذين كفروا أن ما اعتبدوا لعلهم يتخذوا من دوني أولياء أي لم تتهيأ للعباد أن يتخذوهم حتى قال الله أمرنا
بما يحق وكلا أنه أمرهم بذلك أو أذن لهم في ذلك تشفع هذا على القراءة المعروفة فأما من قرأ أفحسب الذين كفروا بجزم
السين ورفع الباء وهو قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو يخرج على وجوه ثلاثة أحدها أفحسب الذين كفروا
واتخذوا عبادي من دوني أولياء ما اعتدنا لهم من جهنم كفوا حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير والثاني
أفحسب الذين كفروا ما اتخذوا من دوني أولياء أي كفاهم ذلك حتى كان أن يرجعوا إلى عبادة الوهتي وقد انتسب إليها
والحج عليها والثالث حسبهم من الذين اتخذوا من دوني أولياء وقوله تعالى إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
قال بعضهم هو من النزل أي لا منزلا لهم إلا جهنم أي ما يكون فيه لنا نحكم فيها كلهم ويشربهم من النار وقال القتبي النزل ما يهيأ
للضيف ولأهل العسكر وقوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا يشبه
أن يكون هذا خرج على مقابلة قول كان من رؤساء الكفرة وجواب لهم وهو أن الرؤساء منهم كانوا يدعون لغي
على بعض أتباعهم ويحسبون أنهم صاروا أولئك الأتباع اتباع رسول الله ودخلوا في دينه تضيق عليهم
الدنيا وذهب المنافع التي كانت لهم منهم فعيرهم بذلك أولئك الكفرة وبخوهم على ما اختاروا من الدين آية
لو كان حقا لاتسع عليهم الدنيا كما اتسع علينا المسلوعليهم ما دعوتمونا إلى ديننا وكلام نحو هذا فأجابهم الله
لذلك حقا الحق هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الآية ويحتمل أن يكون على الابتداء في أهل الصوامع منهم والرهبان الذين
اعتزلوا الناس وحبسوا أنفسهم لعبادة الأصنام والأوثان واجتهدوا فيها وحملوا على أنفسهم الشدائد والمشقة
فأخبر أن هؤلاء أخسروا أعمالا وأضل سعيا من الذين طلبوا الدنيا والرياسة فيها ولم يفعلوا ما فعل هؤلاء وإن كانوا
في الكفر سواء والأخسر هو الوصف بالخسران على النهاية والغاية وجائز أن تستعمل أفعل في موضع فعل وهو في
غير ممتنع فيكون تأويله قل هل ننبئكم بالخاسرين أعمالا وهو كقوله الله أكبر على معنى الكبير والله أعلم وقوله تعالى الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا يحتمل وجهين أحدهما أو ضلوا لعبادتهم التي عبدوا تلك الأصنام والأوثان وخذلوا أنفسهم
بذلك على هذا يخرج قوله أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة أي أذلوا أنفسهم في الدنيا بعبادتهم
الأصنام والله أعلم والثاني ضل سعيهم الذي سعوا في الدنيا والآخرة حيث لم يصلوا إلى ما أملوا وطمعوا بعبادتهم
الأصنام في الآخرة لأنهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك
ما أملوا ورجوا في الآخرة بسعيهم في الدنيا والله أعلم وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أي وهم
يحسبون بعبادتهم الأصنام التي عبدوها أنهم يحسنون صنعا كلا ويحتمل يحسبون بما انفقوا على أولئك وقوله
عليهم أنهم يحسنون صنعا أي خيرا معروفا أي ليس ذلك بصنع ولا خير وفيه دلالة أنهم يؤاخذون بفعلهم
الذي فعلوا وإن جهلوا الحق وهكذا قولنا إن من فعل فعلا وهو جاهل فإنه يؤاخذ به بعد أن يكون له سبيل الوصول
إلى الحق بالطلب والتعلم حيث قال وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم أخبر عنهم فقال أولئك الذين كفروا
بآيات ربهم أي بآياته وحججه وقال الحسن دينه وقد ذكرنا وقوله تعالى ولقائه البعث والصيانة وهو مذكور أيضا
في غير موضع وقوله تعالى فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أي لا نقيم لهم يوم القيامة وزنا لما عليهم
فإنه يقيم وزنا وهو كقوله فما ربحت تجارتهم إذ خسرت عليهم قوله المحلوا وفادهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار
الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون هذا يدل على أن يقام عليهم الوزن ولا نقيم لهم والله أعلم ثم أخبر عن جزائهم
بقوله ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ثم ذكر للمؤمنين من الثواب والجزاء بأعمالهم التي عملوها
في الدنيا وأحيا نعاجيها مقابل لما ذكر للكفرة فقال إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
وذكر للكفار إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا وكان الجنات التي وعد للمؤمنين أربعة جنات النعيم وجنات المأوى وجنات
عدن وجنات الفردوس ثم كأنه كان في كل واحد من الجنات في الآخرة لأن في الجنات المأوى وهو ما يؤوي إليه
وجنات النعيم ظاهر وجنات عدن في المقام وغيره والفردوس سميت فردوسا لأنها تكون ملتفة محفوفة بالأشجار
فكل واحد من هذه المعاني موجد في ذلك كله وقد ذكرنا قوله نزلا وقوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا
أي يخبر أنهم لا يملون ولا يسأمون عن نعيمها كما يمل أهل الدنيا من نعيمها ويسأمون لأن المرء ربما يمل
في نعمة ويرغب في أخرى فأخبر أن أهل الجنة لا يملون ولا يسأمون عن نعيمها بل يكونون في كل وقت راغبين فيها

وهو يأ...

وهو على ما أخبر ولهم ما يشتهون ولهم ما يدعون وفاكهة مما يتخيرون والله أعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه سأل كعبا
عن الفردوس فقال هي جنات الأعناب بالسريانية وقال بعضهم ما ذكرنا إنما سميت بذلك لكثرة أشجارها والتفافها
وروي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء إلى الأرض والفردوس
أعلاها درجة من فوقها يكون العرش ومنها تتفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس وقوله تعالى
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي يشبه أن يكون هذا خرج مقابلة قوله ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقوله وتفصيل كل شيء وما بلادكم فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء فقال
كيف يحتمل هذا القدر أن يكون فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء فقال عند ذلك جوابا لقولهم لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر على بسط ما أودع فيه من المعاني والحكم وشرح ذلك وكتب ذلك لم يبلغ العدد الذي ذكر والله
والله أعلم وقال الحسن في قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي أي لو قال لما خلق وأملى في خلقت كذا وخلقت كذا فكتب
جميع ما خلق لم يبلغ العدد الذي ذكر فيرجع تأويله إلى ما خلق من جواهر الخلق وأجناس الأشخاص وقال أبو بكر الأصم قوله لكلمات
ربي تبيان ما خلق ربي فهو يرجع إلى الأول قال وغاية ما ذكروا أن يرجعوا في خلاف وعما أنشأ لنا أن ساربي
خارج من الوقوع في الأوهام مخافة عن تشبيها الخروج أن يكون خارجا عن الوقوع في الأوهام والتصور فيها ذلك لنا
أن يعرفوا قدرته وسلطانه وإحاطة علمه بالخلائق وما أنشأ فعلوا أن من قدر على هذا فهو على البعث الذي يكره
قادر ومن إحاطة علمه بما ذكر فهو على الإحاطة بأفعالهم وأقوالهم أعلم وأعرف فيكونون على الحذر أبدا وكل وقت والله
أعلم ثم يحتمل قوله لكلمات ربي حججه وآياته التي أقامها على وحدانيته وربوبيته أي لو كتب ذلك لم يبلغ ذلك ما ذكر
وإن كان المراد من الكلمات القرآن فالتأويل ما ذكرنا لو البيان عن خلقه وقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا هذا
ليس على التحديد ولكن على التعظيم والإبلاغ وهو ما قال ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده
سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ذلك هذا أن قوله ولو جئنا بمثله مددا أنه ليس لذلك المدد حد ونهاية
ولكن ذكر على التعظيم والإبلاغ والله أعلم وفيه دلالة أنه ليس للخلق أن يعرف العلوم من غاية ولا نهاية بل يدرك
الخلائق ولكن يوجد من كل جنس شيئا مما يحتمل به والله أعلم وقيل ليس للعلوم نهاية ولا لأحد أن يبلغ البشر ذلك بعد
أنه لما ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أمره أن يخبرهم أنه بشر مثلهم ثم يكون له ذلك
الأمر لأخبار أن أمره أنه بشر مثلهم وجوه أحدها أنهم كانوا يسألونه آيات خارجة عن وسع البشر وطوق البشر من
التحكم عليه مع أنه يعلمها بأقسام لها خارجة عن وسع البشر فأمره تعالى أن يخبرهم أنه بشر مثلهم لا يقدر على إتيان
كونه من الآيات التي يخرج عن وسع البشر وطوقهم وإنما يقدر عليه هو الله تعالى وليس لأحد أن يحكم على الله في
شيء إنما ذلك إلى الله إن شاء أن يفعل أن شاء لم يفعل وإن لا أملك شيئا من ذلك والثاني ذكر هذا لتعرفوا أنه
إذا جاء بالآيات التي لا يحتمل وسع البشر الإتيان بمثلها أنه إنما أتى بذلك من عند الله لا من ذات نفسه إذ علموا
أن وسع البشر لا يحتمل ذلك فيعلم أنه هو بذلك إنما أتى بها من عند الله وأنه رسول على ما يقول والثالث أمره
أن يقول لهم هذا أنا بشر مثلكم لئلا يحملهم فرط حبهم له على أن يتخذوه إلها كما اتخذ قوم عيسى إلها
ذلك على ما اتخذ قوم عيسى إلها لفرط حبهم إياه وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فإن كانت الآية في مشركي
فهم يكونون الحق ولا يرجون لكن يكون المراد بذكر لقاء ربه يعود وتنبيه لأنهم مقرون في أنفسهم بتمام إحسانه
إليهم ونعمه عليهم فأمرهم أن يعملوا العمل الصالح ليستوجبوا بذلك الإحسان كأنه من نشأ لهم فتحملهم العمل في التوحيد لله والآخر
بالبعث والله أعلم وإن كانت الآية في المؤمنين فتأويلها من كان يرجو لقاء ربه أي ثوابه فليعمل عملا لا يشتغله فالثواب إنما
يكون بعمل صالح دون غيره وما ذكرنا أن المقصود من العلم العمل الصالح إذ العلم الذي فيه نهاية فالأمر يطلب لا نهاية له ليس
لنفسه ولكن العمل به والله أعلم وقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا يحتمل حقيقة الإشراك في العبادة في
التسمية في الألوهية على ما أشرك أولئك الذين أشركوا الأصنام والأوثان التي عبدوها في عبادته وفي تسمية
الألوهية ويحتمل المراءة في العمل على ما يراءي بعض أهل التوحيد في بعض ما يعملون من الطاعات والخير والله أعلم

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى كهيعص قال بعضهم اسم من
أسماء الله تعالى وعلى ذلك روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كهيعص اغفر لي قال أبو بكر الأصم لا يصح
هذا عن علي بن أبي طالب لأن هذا لم يذكر في أسماء الله المعروفة التي يدعى بها وقال بعضهم هو اسم القرآن وقال
بعضهم حروف من أسماء الله افتتح بها السورة وقال بعضهم الكاف مفتاح اسمه كاف والهاء مفتاح اسمه هاد

والعين مفتاح اسمه عالم والصاد مفتاح اسمه صادق وقال ابن عباس الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم
والعين من عليم والصاد من صادق وقال الربيع بن انس الياء من قوله يجير ولا يجار عليه وقال الكلبي هو ثناء
اثنى الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لخلقه هاد لعباده عالم ببريته وفي بأمره صادق في قوله
وقال بعضهم لم ينزل الله تعالى كتابا الا وله سر لا يعلمه الا الله وجعل سر القرآن فواتحه وقال بعضهم يقسم
الله تعالى بها على ما ذكر وهو قول الحسن وامثال هذا قد كتبنا وقد ذكرنا الوجوه في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع
وقوله تعالى ذكر رحمت ربك عبده زكريا هذا يحتمل وجهين احدهما على الامر اي اذكر رحمت ربك على عبده
زكريا بالاجابة له عند سؤاله الولد في وقت يئس الولد في ذلك الوقت فيكون فيه دلالة رسالته ويحتمل ذكرهم
رحمة ربه على زكريا واخبرهم على ما في كتبهم انه فعل والثاني ذكر رحمة ربك عبده زكريا في دعائه وعلى هذا التأويل
يكون الذكر هو المعروف والله اعلم وقوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا قال بعضهم نداء خفيا في قلبه على الاخلاص
من غير ان نطق به وتكلم بلسانه وقال بعضهم اي نداء خفيا عن قومه ومن بحضرته ثم يحتمل وجهين احدهما الخفاء
واسره منهم اخلاصا لله وقصدا له والثاني اخفاه واسره منهم حياء من ان يعيبوه انه يسأل ربه الولد في وقت لا يكون
ولا يأتيه والله اعلم وقوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف ودق واشتعل الرأس شيبا
وقدم ذكر ما حل به من الكبر وبلوغه الى الوقت الذي لا يطمع في ذلك الوقت الولد الذي ضعف
بدنه ودق عظمه ثم سؤاله الولد ليس على انكار لانه عرف بقدرة الله انه قادر على هبة الولد على اي حال كان
في وقت الكبر والصغر والشيب وغير الشيب لكنه لانه عرف انه يسمع ويصلح سؤال الولد وهبته في الوقت
الذي كان هو وهو الوقت الذي لا يطمع فيه الولد لما رأى عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء غير متغيرة عن حالها فسألها عن ذلك كما ذكر في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فعند ذلك رغب
زكريا ان يسأل هبة الولد في وقت الاياس فسأل بعد ذلك ربه الولد وهو قوله هنالك دعا زكريا
ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء والله اعلم وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا قال بعضهم
اي كنت تعودني بالاجابة فيما مضى وقال بعضهم اي لم يكن دعائي مما يخيب عندك وهما واحد ذكر
منته وفضله الذي كان منه اليه وقوله واني خفت الموالي من ورائي قال الحسن خاف على الموالي ان يرثوا ماله
فلا يورث قال ابو بكر هذا لا يصح لانه لا يحتمل ان يخاف زكريا وراثة ماله من يرثه حتى يسأل ربه الولد ليرث ماله
ولكن كان خاف ان يضيع من اليه دينه وسنته من بعده فسأل ربه ان يهب له الولد ليقوم مقامه في حفظ دينه وسنته
وقال لا يحتمل وراثة المال لما روي في الخبر انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فلا يخلو هذا من احد وجهين
اما ان كان هذا للرسول خاصة دون سائر الانبياء او لم يكن زكريا نبيا وكلا الوجهين باطل لانه يعني به الجميع
تعلقا بانا معشر الانبياء لا نورث وثبت ان زكريا ثبتت نبوته بنص قاطع فدل هذا انه لا يحتمل وراثة المال
وراثة العلم اي خفت الموالي من ورائي والله اعلم ثم يحتمل قوله واني خفت الموالي من ورائي
وهو انه سأل ربه الولد الرضي الطيب ليذكر هو بعد وفاته بالاعمال الصالحة التي كانت منه في حياته
ذكره ودعاء الخلق كهذا هو المعروف عند الخلق انهم يذكرون ويدعون لهم بالخيرات التي كانت لهم في حياتهم
اذا كان لهم ولد صالح فعلى ذلك سؤال زكريا الولد والله اعلم وقوله وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا
اي امرأتي ممن لا تلد فهب لي من لدنك وليا قال ابو عوسجة العاقر والعقيم التي لا تلد وقوله يرثني ويرث
من آل يعقوب قال بعض اهل التأويل ما ذكرنا يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة وقال بعضهم يرثني مكاني ويرث من آل
يعقوب الملك لانهم كانوا ملوكا وكانوا اخواله وهو كان خيرا والله اعلم ولكن عندنا قوله يرثني ما كان له من العلم والحكمة
والدين ونحو ذلك ويرث من آل يعقوب ما كان لهم من العلوم وغيرها فان ثبت ان آل يعقوب كانوا اخوال يحيى فلانه
على ان ذوي الارحام يرث بعضهم من بعض والله اعلم وقوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل
له من قبل سميا قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم نجعل مثل يحيى من قبل في الفضل والمنزلة لانه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن من ولد آدم احد الا وقد عمل بخطيئة او هم بها غير يحيى بن زكريا فانه لم يهم
بخطيئة ولا عمل بها وقال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى ويحتمل ان يكون قوله لم نجعل له
من قبل سميا اي تولى الله تعالى تسميته يحيى لم يول تسميته غيره وقد وكل تسمية سائر الخلائق الى اهليهم وقوله تعالى
قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال الحسن عباد الله ان زكريا استوهب
ربه الولد فاجابه وبشره فقال انى يكون لي غلام فطلب منه الاية لذلك فقال رب اجعل لي آية فعاقبه على ذلك
ولا وجه ولكن رحمه وكلام نحو هذا وقال غيره انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لما سأل من الاية لذلك هؤلاء

كلا

كانهم يجعلون ذلك منزلته الا ان الحسن قال لم يعاقبه على ذلك ولا عاقبه ولكن ذكر ذلك رحمة منه له وغيره
من اهل التأويل يجعل ذلك عقوبة لما كان منه وجائز ان يخرج ذلك على ما قال الحسن وهو قوله انى يكون لي غلام اي
على اي حال يكون مني الولد على الحال التي انا عليها او ارد الى شبابي ففي تلك الحال يكون مني الولد فذلك منه استخبار
واستعلام عن الحال التي يكون منه الولد ليس على انه لم يعرف انه قادر على انشاء الولد في حال الكبر وبسبب وغير سبب
وعلى ذلك يخرج قوله حيث قال له قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
اي قبل ان تخلقك لم تك شيئا ثم طلب الاية والعلامة بعدما بشر يخرج على وجهين احدهما انه لما بشر بالولد لعله
اشكل عليه بان تلك البشارة بشارة ملك او بشارة غيره فطلب منه العلامة ليعرف ان تلك بشارة ملك وانها من الله لا من غيره
لانه ذكر في الاية فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى فطلب الاية منه ليخرج على استعلام
بشارة الملك وانه من الله لانه لم يعرف ان الله تعالى قادر على خلق ما شاء في كل حال هذا لا يظن باضعف مؤمن
في الدنيا فكيف يظن بنبي من الانبياء والثاني ان يكون طلب الاية منه ليعرف وقت حملها الولد ووقت وقوعه في الرحم
ليسبق له السرور بحملها في وقت الولادة وعن قتادة ... والله اعلم وقوله عتيا اي اشتد الكبر بي
... قال القتبي عتيا اي يبسا يقال عتا وعسا ... اذا كان قاسي القلب غير لين
وقوله هين اي خلق بسبب وغير سبب وقد خلقتك من قبل نطفة ولم تك شيئا وهو ... خلق الاشياء
من لا شيء وبلا سبب قادر على خلق الولد في حال الكبر من امرأة عاقر لم تلد ... وقوله تعالى قال
آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال بعضهم آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال وانت سوي صحيح كذلك قال
ابو عوسجة سويا اي سليما وقال بعضهم سويا اي كاملا تاما بايامها على ما قال في آية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا ذكر
ههنا ثلاث ليال وذكر هنالك ثلاثة ايام والقصة واحدة وقوله تعالى فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا
بكرة وعشيا قوله فاوحى اليهم قيل اومأ اليهم وقيل كتب لهم على الارض ويجوز ان يكون اوحى اليهم
على ما ذكر في آية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا والرمز هو تحريك الشفة والايماء بها والله اعلم وقال ابو عوسجة المحراب اشرف
مجلس ... وقوله ان سبحوا بكرة وعشيا فان كان التسبيح هو الصلاة فيدل ان الصلاة كانت
في الامم الماضية في حين الليل والنهار ويحتمل التسبيح نفسه والثناء على الله والذكر له بالغدو والعشي والله اعلم وقوله
يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال بعضهم خذ الكتاب بما فيه اي اعمل بما فيه وقال بعضهم خذ الكتاب واصبر على العمل
بما فيه وقال بعضهم خذ الكتاب بقوة اي بجد قال ابو بكر الاصم الجد هو الانكماش في العمل والقوة هي احتمال ما حمل
وفيه دلالة نقض مذهب المعتزلة لانهم يقولون ان القوة تتقدم الفعل ... فيكون على قولهم اخذ
بعد امره اذ ياخذ بقوة قولهم على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب والله اعلم وقوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اي النبوة
في حال صباه وقال بعضهم آتاه الله اللب والفهم وقال بعضهم آتاه الحكمة والعلم وكيف ما كان ففيه نقض مذهب
المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يختص احدا بنبوة ولا شيء من الخيرات الا بعد ان يستحق المختص له ما يستوجب
ذلك الاختصاص ويستحقه فالذي كان من يحيى في حال الصبا وطفوليته ما يستوجب النبوة وما ذكر من الحكم
آتاه فدل ان الاختصاص منه يكون على كل الاختصاص الا منا منه ورحمة لا باستحقاق من المختص له
وانما الموقف في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة دلالة انه كان نبيا حيث خاطبه ان آتاه الكتاب وقوله تعالى وحنانا من لدنا
هو منسوق على قوله وآتيناه الحكم صبيا وآتيناه حنانا وزكاة ايضا ثم اختلف في قوله وحنانا قال ابن عباس رضي الله عنهما
تعطفا من لدنا وقال بعضهم اي رحمة من عندنا وهو قول الحسن وقال بعضهم الحنان المحبة وقال ابو عوسجة
حنانك وحنانيك كلاهما يعني رحمتك وقال الاصل فيه التحنن ... وقال القتبي اصله من حنين الناقة
على ولدها وقوله تعالى وزكاة قال بعضهم زكوة اي صدقة تصدق بها على زكريا او زوجته في الوقت الذي لا يرجى
من مثلهما الولد وقال بعضهم زكوة اي صلاحا وما ينمو من الخير وجائز ان يكون الزكوة اسم كل خير وبركة وهي
كالبر والتقوى كأنه قال اعطيناه كل بر وخير وكان تقيا عن جميع الشر كقوله وتعاونوا على البر والتقوى اي تعاونوا
على البر وتعاونوا ايضا على دفع الشر والله اعلم وقوله تعالى وبرا بوالديه هو بناء على قوله وآتيناه الحكم صبيا
آتيناه البر بوالديه وقوله تعالى ولم يكن جبارا عصيا بل كان خاضعا لله ذليلا له مطيعا وقال الحسن لم يكن جبارا
عصيا اي لم يكن من يجبر الناس على معصية الله وقال اهل التأويل لم يكن جبارا اي قتالا ولم يكن ممن يقتل ويضرب
على الغضب واصله ما ذكرنا انه كان على ضد ما ذكر خاضعا لله مطيعا له على ما ذكرنا لم يرتكب ذنبا ولا هم
به وقوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يحتمل السلام عليه وجوها ثلاثة احدها هو
اسم كل بر وخير اي عليه كل بر وخير في هذه الاحوال التي ذكر والثاني السلام هو الثناء اثنى الله عليه في تلك الاحوال
ونعتا الموصوف الاخر او يكون السلام عليه في هذه الاحوال التي يكون للشيطان في تلك الاحوال ...

لانه وقت الولاد يعترض ويفسد الولدان وجلا السبيل اليه وكذلك عند الموت يعترض ويسعى في فساد امره فاخبر
تعالى ان يحيى كان سليما سالما عن الشيطان محفوظا عنه حتى لم يرتكب خطيئة ولا هم بها والله اعلم وفي قوله
ويوم يموت دلالة ان القتل والموت سواء وان كانا في الحقيقة مختلفا لانه ذكر في القصة ان يحيى قتل ثم ذكر الموت
فدل انهما واحد فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا ان المقتول ميت قبل اجله وفيه نقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل
الله اموات انه انما نهى ان نسميهم امواتا لوجهة تسمية الجهال كلها حيث سمى يحيى ميتا وهو كان شهيدا على ما ذكر انه قتل
والله اعلم وفي قوله واتيناه الحكم صبيا دلالة لابي حنيفة رحمه الله حيث توقف في اولاد المسلمين والمشركين وقال
لا علم لي بهم ولم يقطع فيهم القول لما يجوز ان يجعل الله لهم من المعرفة والتمييز والفهم في حال الصغر حتى يمتحنهم فيها
ويثبتهم على ما اعطى يحيى وعيسى عليهما السلام في حال صباهما وصغرهما الحكم والفهم والمعرفة والله اعلم
وقوله تعالى واذكر في الكتاب مريم قال الحسن هو صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي واذكر رحمة ربك
مريم ايضا وقال بعضهم واذكر نبأ مريم وقصتها في الكتاب وقوله تعالى اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اي
نحو المشرق ثم يحتمل انتبذت من اهلها اذا بلغت مبلغ النساء فارقت اهلها وانتبذت منهم لئلا يقع بصر غير
محرم عليها وان لا يراها احد لا يحل له النظر اليها وقال بعضهم مكانا شرقيا اي جلست في المشرقة لانه كان في
الشتاء وقوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا قال بعضهم احتجبت منهم ونهت اعينهم وقال بعضهم فاتخذت
من دونهم حجابا اي سترا وقال مقاتل اتخذت من دونهم الجبل سترا وحجابا منهم فجعلت الجبل بينها وبين
اهلها فلم يرها احد منهم وقوله تعالى فارسلنا اليها روحنا قال ابي بن كعب روحنا هو روح عيسى عليه السلام ارسله
الله تعالى الى مريم في صورة بشر فتمثل لها بشرا سويا وقال غيره من اهل التاويل فارسلنا اليها روحنا اي جبريل
وقد سمى الله تعالى جبريل روحا وحاشا عن ابي هذا لقوله روح القدس وغيره وقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا لا عيب
فيه ولا نقصان بل كان سويا صحيحا كاملا وقوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ولا اشكال
انها كيف تعوذت بالرحمن منه ان كان تقيا وانما يتعوذ بالرحمن من الفاجر والفاسق قال الحسن قوله ان كنت تقيا
مفصول عن قوله اني اعوذ بالرحمن منك فكانه على الابتداء كانها قالت ان كنت تقيا الا ان فعلك سوء ولا يمسني
بشر ويحتمل قوله ان كنت تقيا اي ما كنت تقيا اي حيث دخلت علي من غير استئذان ولا استئمار ما كنت
تقيا ويحتمل قوله ان كنت تقيا اي قد كنت تقيا فعلى هذا التاويل كانه دخل عليها في صورة بشر عرفته
بالتقى والصلاح فكانها قالت قد كنت عرفتك بالتقى والصلاح فكيف دخلت علي بلا اذن ولا امر وقد يجوز
ان يستعمل ان مكان ما ومكان قد في القرآن كثيرا والله اعلم وقوله تعالى قال انما انا رسول ربك لاهب لك
غلاما زكيا هو على الاضمار كانه قال انما انا رسول ربك بالقول لاهب لك غلاما زكيا اي ارسلني اليك
بهذا القول وهو قوله لاهب لك غلاما زكيا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما انا رسول ربك ليهب لك
غلاما زكيا ثم قوله زكيا اي صالحا طاهرا عن جميع الشرور وقوله تعالى قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا اذا قالت لم يمسسني بشر تعلم انها لم تمسها الابغياء ولا غيرهم لكن كانها قالت لم يمسسني بشر بنكاح
ولم اك بغيا اي ولا بغيا فانى يكون لي ولد كانها لم تعرف الولد الا بسبب لذلك فقالت انى يكون لي غلام
وقوله تعالى قال كذلك قال ربك اي كذلك قال ربك انه خالق بسبب ولا بسبب هو علي هين اي خلق الشيء
بسبب وبغير سبب هين وقال بعضهم قوله كذلك قال ربك للانبياء الذين كانوا من قبل انه يخلق ولدا
بلا اب ولا ام وقوله تعالى ولنجعله اية للناس اي نجعل ولادة بلا اب ولا ام علما على ما اخبر الانبياء من قبل اية للناس
لرسالتهم لانهم اخبروا انه يولد ولد بلا اب ولا ام فكان كما اخبروا فدل ذلك انهم علموا ذلك بالله فيكون
ذلك اية لصدقهم بكونه قوله وكان امرا مقضيا اي ذلك الخبر الذي اخبر الانبياء من قبل وانه وعد كذلك وعد ان
يكون امرا مقضيا كائنا وقال اهل التاويل ولنجعله اية للناس اي نجعل عيسى اية للناس حيث ولد بلا اب وكلم
الناس في المهد وغير ذلك من الايات التي كانت فيه وجائز ان يكون قوله اية للناس اي يكون اية للناس للبعث لانه
انشاه بلا اب ولا سبب وهم انما انكروا البعث لما لم يروا شيئا يتولد الا من الوالدين فاخبر انه كان قادرا على
البعث ولا فرق بينهما لان من قدر على انشاء ولد بلا اب ولا ام قدر على الاحياء بعد الموت وقوله تعالى
ورحمة منا اي رحمة منا للخلق لان من اهتدى واتبعه كان ذلك نجاة وهو ما قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وعلى ذلك جميع الانبياء والرسل الذين بعثهم الله الى الخلق كان ذلك رحمة منه للخلق وقوله
وكان امرا مقضيا اي كان امرا كائنا وعلى التاويل الذي ذكر ابو بكر الاصم في قوله كذلك قال ربك هو علي هين
ولنجعله اية للناس يكون قوله وكان امرا مقضيا اي كان وعدا وخبرا معلوما على لسان الانبياء من نبا عيسى وامه
وقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ذكر هنا حمل ان الولاد لم يذكر على اثر الحمل ولكن كان بين الولاد والحمل

وقت لكن لا يعلم ذلك الوقت كم هو الا بخبر عن الله تعالى ثم قوله فانتبذت به قال بعضهم تباعدت به حياء من اهلها
وقال بعضهم انفردت به مكانا قصيا متباعدا وقوله تعالى فاجاءها المخاض الى جذع النخلة يقال جاءت
في الحاجة الجاتني الحاجة وقال المخاض الحمل وذلك قوله فانتبذت به مكانا قصيا ان النخلة التي الجاءها
المخاض اليها كانت يابسة على ما قال اهل التاويل لانها انما انتبذت مكانا قصيا وتباعدت حياء من اهلها
فلو كانت تلك النخلة رطبة ذات ثمار لكان الناس ياوون اليها ويقيمون عندها فلا يحتمل ان تاوي اليها مريم
وعندها ماوى الناس ثم الجاءها الى النخلة لتتساند اليها وتستعين بها على ما يقع الحاجة للنساء وقت
الولاد الى شيء يستعين به لما نزل بهن من الشدة والله اعلم وقوله تعالى قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا
يحتمل قولها يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اي كنت غير معروفة ويحتمل ان يكون على ما ذكر يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اي لا اذكر بعد الموت بذلك لانها كانت من اهل شرف ومن اهل بيت
النبوة فتمنت ان تكون غير معروفة لئلا تذكر بعدها ولا تقذف وقال اهل التاويل وكنت نسيا منسيا اي حيضة
ملقاة وكذلك قال ابو عوسجة النسي الحيض وقال ابو بكر الاصم لا يحتمل هذا لانها عرفت تقدمها عندها فلا يحتمل
ان تتمنى ما ذكر لكن الاشبه انما يتمنى الامر العظيم اذا اشتد به الامر نحو ما يتمنى الموت في بعض الاوقات لعظيم ما يحل
به فعلى ذلك غير منكر هذا من مريم ان تتمنى ما ذكر اهل التاويل والله اعلم وقوله تعالى فناداها من تحتها وقرئ من
تحتها اي من تحت النخلة ثم اختلف فيه قال بعضهم ناداها ملك وقال بعضهم ناداها ابنها
عيسى قال ابو بكر الاصم لا يحتمل ان يكون الذي ناداها ملكا لانه قال من تحتها ولو كان ملكا لكان يناديها
من فوقها لكن هذا ليس بشيء لان الملك انما ينادي من حيث يؤمر من تحت او من فوق وقال بعض اهل التاويل
ناداها جبريل من بطن الوادي الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا والاشبه ان يكون ابنها عيسى لانها كانت
تخاف ان تشتم وتعير به فتسلى ان يتكلم ويصادف بذلك المحل بشرها بذلك لما لم تعلم انه ينفي عنها ما خافت
وفزعت به ويحتمل انها كانت تحزن خوفا على نفسها وولدها لاقامتها في مكان لا ماء فيه ولا طعام فبشرت
بحيث قال لها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا امنها من الخوف الذي كان لها من الشرب وقال بعضهم هو الجدول
وهو النهر الصغير وقوله وهزي اليك بجذع النخلة فيه دلالة لزوم التسبب لانه امر مريم ان تهز النخلة ليساقط
عليها الرطب ولو شاء لسقط من غير فعل يكون منها لكن هي وذلك تعلمنا هو وان الله على ما كان دون قوتها
عندما كانت مؤونتها على غيرها وكانت في عيال زكريا فيه دلالة ان لا يسع المسالة ما دام به قوة يقدر على قوته
وفيه ان زكريا كان افضل منها واكبر منزلة عند الله حيث رزقها عندما كانت في عيال زكريا من غير تكلف كان
من زكريا ولا مؤونة فلما فارقته كلفها امرها بالكسب وفيه ان الكرامة التي تكون للانبياء يجوز ان يجري الله على ايدي
غير الانبياء حيث جعل لمريم نخلة يابسة رطبة تثمر رطبا وحيث جعل من تحتها سريا اي نهرا جاريا في حين
رزقها عندما كانت في عيال زكريا من غير تكلف احد وذلك تشبه ايات الانبياء وفيه المحنة التي امتحن
بهم في الظاهر عظيمة عند الناس وفي الباطن من اعظم كرامة اليها لانه
اخبر انه اصطفاها على نساء العالمين لقوله ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين وسماها
صديقة بقوله وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وكذلك لا نسمي لامرئ من البشر في الصديقين منزلة
عالية وفيما ذكرنا على جواز ظهور تشبه الايات على ايدي الاولياء كرامة لهم وايات لرسولهم كانوا على دينه وقوله تعالى
وانها لمعجزة وقوله فكلي واشربي وقري عينا اي كلي الرطب الذي تساقط عليك واشربي من السري الذي جعل
وقري عينا اي وارضي وابرحي مكان ما حزنت عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك وطيبي نفسا ويحتمل
وقري عينا بولدك الذي هو اية وحجة لك مما نسب اليه وتعيرين والله اعلم وقوله فاما ترين من البشر احدا
اي فان ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وسكوتا وامساكا وكذلك روي في بعض
الحروف وهو في حرف ابي رضي الله عنه ثم قوله فقولي قال بعضهم ليس على القول نفسه ولكن اشارة اشارت
اليهم اني نذرت للرحمن صوما فان كان هذا ففيه دلالة ان الاشارة اذا كانت مما يفهم المراد تعمل عمل القول
نفسه والكلام ولذلك يصح الطلاق بالاشارة والنكاح وكل عقد من الاخرس وغيره اذا كانت الاشارة
مفهومة معقولة والله اعلم وقال بعضهم هو على حقيقة القول اي قولي اني نذرت للرحمن صوما فكان
نذرها الصوم للرحمن نعبدها القول حتى يصمت وسكت بعد هذا وبه الحسن والله اعلم وقوله تعالى فاتت
به قومها تحمله اي بعيسى قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا قال ابو بكر الاصم اي لقد قربت عظيما من الامر لكنه
يخرج تاويله من اعتقد ان يعالج فيه ولد وقال لقد قربت عظيما وهو ينفع بصريح الزنا كقوله فقد بحثه من
ايديهن وارجلهن وقال بعضهم شيئا فريا قال ابو عبيدة اي عجبا عملا جديدا وكذلك قال القتبي شيئا فريا اي عظيما

عجيبا وهذا اقرب ههنا اذ لا يجوز ان يحمل كلامهم على تصريح القذف فيؤول لتعريض القذف مسلك وقوله
يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا قال بعضهم كانت اخت هرون بن عمران اخي موسى بن عمران
اخي موسى بن عمران وعلى ذلك روي خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فان ثبت فهو وقال بعضهم لا ولكن لها اخ
من ابيها يقال له هرون نسبوها اليه فقال يا اخت هرون وقال بعضهم هرون كان رجلا
صالحا ناسكا فيهم فشبهوها به ونسبوها اليه لصلاحها ونسكها وقال بعضهم ان بني اسرائيل كانوا يسمون
كل رجل صالح ناسك هرون تحقيرا لهرون لذلك نسبوها الى هرون وقولهم ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت
امك ما ذكر ولا انت تبغي لكان ذلك منها هذا تعريض منهم الكلام ليس بتصريح قذف فهو ما ذكرنا انهم قالوا
ذلك على التعجب وطلب البيان منها ليس على تصريح الفرية والقذف بها وقوله تعالى فاشارت اليه اي الى ابنها
ان كلموه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف نكلم من كان صبيا في المهد وقوله تعالى قال اني عبد الله
آتاني الكتاب اي اتاني علم الكتاب ولا نفسر اي كتاب هو الانجيل او التورية او غير ذلك لانه قال في اية اخرى
ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ذكر الكتاب وذكر معه التورية والانجيل فهذا يدل على ان الكتاب
غير التورية والانجيل والله اعلم وقوله وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت هذا يدل على انه قد تكلم بعد هذه
الكلمات وليس كما قال اهل التأويل انه تكلم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم بعد ذلك الى ان بلغ المبلغ الذي يتكلم الصبيان
لانه اخبر انه جعله نبيا وجعله مباركا ولا يحتمل ان يكون نبيا ولا يتكلم ولا يدعو الناس الى دين الله واي بركة
تكون حينئذ اذ لم يتكلم بكلام خير والبركة اسم كل خير وصلاح فدل انه ليس على ما قالوا والله اعلم وقوله واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعهودة ويحتمل الصلوة الثناء والدعاء في كل وقت وفي كل
مكان والزكوة كل ما تزكو به النفس وتصلح وتنمو من كل خير فان كان لا يحتمل الصلوة المعهودة والزكوة المعروفة
ففي الصلوة يمكن العمل بظاهره وقوله واوصاني بالصلوة فاما في حق الزكوة لا يمكن لانه لم يكن لعيسى ما تجب فيه
الزكوة لكنه يخرج على وجهين احدهما التعليم للناس واعلامهم عن حكم الزكوة كانه قال واوصاني ان اعلم الناس
واعلمهم عن حكم الزكوة والثاني ان لا يراد بالزكوة المفروضة ولكن مطلق الصدقة والمواساة وفي ذلك قال
وما كثر سوكه وان كان الثاني قيل هو الثاني فهو وغيره من الناس في تلك الزكوة سواء والله اعلم وقوله وبرا بوالدتي
اي وجعلني برا بوالدتي هو صلة قوله وجعلني نبيا وجعلني مباركا وجعلني برا بوالدتي ولم يجعلني جبارا
شقيا وقد ذكرناه في قصة يحيى وقوله والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا هذا ايضا قد ذكرنا
في قصة يحيى غير ان الله تعالى هو سلم على يحيى في تلك الاحوال وههنا ذكر ان عيسى هو سلم على نفسه فذكر بعض
القصة ان عيسى ويحيى عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى استغفر لي فقال عيسى بل استغفر لي سلم الله
عليك وسلمت انا على نفسي والله اعلم وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اي ذلك عيسى بن مريم ليس على ما قالت النصارى
وغيرهم انه ابن الله وانه ثالث ثلاثة ولكن عيسى بن مريم عبد الله كما اقر هو بالعبودة له حيث قال اني عبد الله
ويحتمل ذلك اي ذلك الذي انبأتهم من نبأ عيسى قول الحق الذي فيه يمترون اي هؤلاء الكفرة حيث انكروا نبأ الحق
على ما انبأتهم من نبأه اي يشكون فيه هو قول الحق ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد فقال سبحانه نزه نفسه عن
فقال اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون نزه نفسه نفاذ الامر لا يقع له الحاجة الى الولد فيغني من تعالى في وجه
من الوجوه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم قول اهل التفسير انه نفخ في جيبها او في فرجها او غير ذلك
من القصص التي ذكر التي ليست في الكتاب فلا يجوز ان يقال ذلك لانه لا نعرف ذلك الا بوحي من الله واذا لم يعلم صدقه لا نقوله
لم نذكر الا مقدار ما في الكتاب لا يزاد عليه ولا ينقص لان هذه الانباء انما ذكرت لرسول الله لتكون آية لرسالته
لانها كانت عندهم في الكتب الاولى فكان هنالك من يعرفها فذكرت له هذه الانباء على حسبها كانت في كتبهم
من غير زيادة ولا نقصان ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله فاذا زيد او نقص لم تكن له على اثبات الرسالة بل يعكس الامر
فينقلب عليه والله اعلم وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم انهم كانوا يعرفون
ان الله هو ربهم حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه وكان عيسى صلوات الله عليه قال لهم ارجعوا
الى عبادة الله الذي تعرفون انه ربي وربكم واتركوا عبادة من لا تعرفون انه ليس بربكم والله اعلم وقوله فاختلف
الاحزاب من بينهم اختلف في تأويل الآية قال بعضهم اي اختلف الذين تحدثوا في عيسى في حياته فمنهم من قال
انه ساحر وقال بعضهم هو كاهن وقال بعضهم هو كذاب وهذا النحو وقال بعضهم اي اختلف الذين تحدثوا في عيسى
بعدما رفع من بينهم فمنهم من قال هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة والثاني
ما قالوا على علم منهم انه لم يكن على ما وصفوه وقالوا فيه لكنهم عاندوا وكابروا وقال بعضهم الآية في رسول الله
اي اختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا واختلفوا في رسول الله فمنهم من قال انه ساحر وانه كاهن

ويجوز

ويجوز وانه مفتري وانه كذاب ونحو ما قالوا لعلم منهم انما يقول هو يكون موافقا لما في كتبهم وان كان
مصدق لكتبهم وانه يؤمن بالرسل الذين يؤمنون هم لكتبهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة وقوله تعالى
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم فقال اصحاب التأويل الاول ان الويل والوعيد الذي ذكر هو للذين
تحزبوا في عيسى واختلفوا فيه وقال اصحاب التأويل الثاني الويل الذي ذكر لهؤلاء الذين تحزبوا في رسول الله
والله اعلم ولكن عندنا الويل لكل كافر من كان في الاول ولبذلك الوعيد فلا معنى للتخصيص في الاختصاص منه
مع اطلاق اللفظ وعمومه واستحقاق الكل ذلك والله اعلم ثم قوله من مشهد يوم عظيم وصف ذلك اليوم العظيم
لما يكون هو مجمع الاولين والآخرين ومشهد الجن والانس والشياطين والملائكة وجميع الخلائق فهو مشهد عظيم
ويحتمل انه وصفه بالعظم لانه هو المقصود في خلق العالم في الدنيا انما خلقهم لامر عظيم وهو ذلك اليوم الذي
فيه يفرق بين المحسن والمسيء وينصف المظلوم من الظالم ويجوز ذلك والله اعلم وقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم
يأتوننا قال الحسن اي يكونون سمعاء وبصراء في الآخرة ليس على ما كانوا في الدنيا عميا بكما صما وقال بعضهم
اي ما اسمعهم وما ابصرهم يوم يأتوننا وقال بعضهم لا يصح هذا لان هذا على وجه التعجب ولكن
يأتون له اي يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا في الدنيا والله اعلم وقال بعضهم اي اسمع بحديثهم اليوم و
اعلمهم وابصر كيف يصنع بهم يوم يأتوننا والله اعلم وقوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اي
في حيرة بينة الحق فلذلك بين وقد تقدم ذكره في غير موضع وقوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة قال عامة اهل التأويل
الحسرة هو ان يصور الموت بصورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فيطلع اهل الجنة واهل النار فيندم
اهل النار ويكون لهم الحسرة بما كانوا يطمعون الموت ليستريحوا عن العذاب حتى اذا ذبح الموت يئسوا منه
فتلك الحسرة التي ذكرها الله تعالى لكن هذا لا نعلم الا بخبر عن رسول الله فان ثبت فهو هو والا فان كل هو الحسرة
لهم في اعمالهم التي عملوا في الدنيا على خلاف ما امروا وهو ما قال كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وقوله يا حسرتى على
ما فرطت في جنب الله وقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها الآية ونحو ذلك كل عمل عملوا في الدنيا يكون ذلك لهم في الآخرة
حسرة وندامة وقوله تعالى اذ قضي الامر اي اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وهم في غفلة اي هم كانوا
في غفلة من هذا وهم لا يؤمنون بالله وقوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون هذا والله اعلم
كناية عن فناء الخلق جميعا وبقاء الخالق تعالى وعند ذلك يسمى الوراثة وعلى ذلك سمي الوارث في الشاهد وارثا لانه
بالوجه فناء مورثه والله اعلم وقوله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم قال الحسن هو صلة قوله كهيعص ذكر رحمة
ربك عبده زكريا يقول اذكر رحمة ربك ابرهيم وكذلك يجعل هو جميع ما ذكر في هذه السورة من نحو هذا
صلة ذلك كانه ذكر كهيعص في كل ذلك لانه يجعل تفسير كهيعص ما ذكر على اثره وكذلك يقول في جميع الحروف
المقطعة ان تفسيرها ما ذكر على اثرها والله اعلم واما غيره من اهل التأويل يقولون معناه واذكر لهم نبأ ابرهيم
وقصصه في الكتاب وكذلك يقولون في جميع ما ذكر في هذه السورة من قوله واذكر في الكتاب مريم اي اذكر نبأها
وقصتها في الكتاب وقوله واذكر في الكتاب موسى اي نبأ موسى وخبره ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى انه كان صديقا
نبيا الصديق هو اسم لمن كثر منه ما يستحق به الاسم وكذلك الشديد انما يذكر اذا كثر الفعل منه
وصار كالعادة له والطبع فكأنه سمي به لما لم يحصل منه ما ظهر له من الحقوق والفضل وبين وفائها وادائها
نظرة ولا مهلة بل كان يفي بها ويؤديها كما ظهرت له ولذلك سماه والله اعلم وفيما يقوله وابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن سماه ووفيا لما كان يحاذيه القيام بوفاء ما ظهر له واتمام ما ابتلاه الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى اذ قال
لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اي لم تعبد ما لا يسمع اذا دعوته ولا يبصر
اذا عبدته ولا يغني عنك شيئا اذا احتجت اليه وسألته ويحتمل ان يكون قوله ما لا يسمع اي لا يجيب لو دعوته
ولا يبصر حاجتك لو احتجت اليه ولا يغني عنك شيئا اي لا يبصر شيئا وقال بعضهم ولا يغني عنك شيئا من
عذاب الله في الآخرة يقول كيف تعبد من اذا دعوته سمع واذا عبدته ابصر واذا احتجت اليه وسألته نفع ونفعه
يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا قوله اني قد جاءني من العلم اي قد جاءني من البيان
ما لم يأتك بعد الحق اذا دمت على ما انت عليه ما لم يأتك ذلك العلم والبيان فاتبعني الى ما ادعوك اليه من دين الله اهدك
صراطا سويا اي دينا عدلا مستقيما لا عوج فيه وظاهر هذه الآية يدل على انه قد اوحي اليه في ذلك الوقت ويحتمل
ان يكون عرف ذلك بالاستدلال لانه وجهها الى غير وجه كقوله قال هذا اكبر اني بريء الى قوله اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وكل ذلك كان من الله تعالى الابراز وانه قال لهم في آخره وتلك حجتنا آتيناها
ابرهيم على قومه الآية وقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا كانوا لا يعبدون الشيطان
عند انفسهم ولا قصدوا ذلك لكن اصنام فعبادتهم الى الشيطان يحتمل وجهين احدهما ان الاصنام التي

عبدوها كانت لا تأمرهم بالعبادة ولا تدعوهم اليها ثم عبدوها فانما عبدوها بامر الشيطان وبدعائه اياهم واضاف ذلك اليه للامر الذي كان منه بذلك وفي التأويل ذكر ان الشيطان كان ينطق من جوف الصنم فيعبدونه لكلامه فكانهم عبدوا الشيطان والله اعلم وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن قال بعضهم قوله اخاف اي اعلم ان يمسك عذاب من الرحمن لو دمت على الكفر وختمت به اذ كان تاويل الخوف العلم فهو على هذا الشرط يخرج والله اعلم ويحتمل ان يكون الخوف في موضع الخوف اي اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن ان لم تنزجر وعدل عنه اباه كما نخاف على من نومن كما قال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وقوله فتكون للشيطان وليا اي قرينا في العذاب وقوله تعالى قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم اي اراغب انت عن عبادة الهتي يا ابرهيم ولا شك انه كان راغبا عن عبادة الهتهم وقوله لئن لم تنته لارجمنك يحتمل قوله لئن لم تنته وجوها احدها لئن لم تنته عن دينك الذي انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك والثاني لئن لم تنته عن دعائك اياي الى دينك لارجمنك اي لاطردنك والثالث لئن لم تنته عن قذف الهتنا وسبها وذكرها بالسوء لارجمنك اي لاشتمنك مكان شتمك وقذفك الهتنا فالرجم يشتمل على هذه الوجوه الثلثة القتل والطرد والشتم فان كان على القتل فهو مقابل ترك الانتهاء عن الذي عليه اي ان لم تنته عن دينك لاقتلنك وان كان على الطرد فهو مقابل الدعاء اي لو لم تنته عن دعائك اياي الى ما تدعو لاطردنك وان كان على الشتم فهو مقابل الشتم اي لئن لم تنته عن شتم الهتنا لاشتمنك والله اعلم وقوله واهجرني مليا قيل اطول كلامي لا تكلمني ابدا وقيل بعيدا اي تباعد عني وقيل دهرا طويلا لا تكلمني ابدا وقوله تعالى قال سلام عليك اي قال ابرهيم لابيه سلام عليك يحتمل انه ليس على ان سلم عليه ولكن كلمه بكلام سداد كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي ان يقول لهم قولا سديدا لا ان يسلموا عليهم ويحتمل سلام عليك على حقيقة السلام المعروف لكنه يخرج على الاضمار اي سلام عليك اذا اسلمت وقوله سأستغفر لك ربي اي سأسأل ربي ان يوفقك على السبب الذي به تستوجب المغفرة وتكون اهلا للاستغفار والله اعلم وقوله انه كان بي حفيا قال بعضهم اي ان ربي كان بي خبيرا لطيفا وقال بعضهم حفيا اي عالما وقال بعضهم انه كان يعودني الاجابة اذا دعوته قال ابو عوسجة الحفي العالم يقال حفي الرجل يحفى اذا سار بلا نعل ولا خف وهو حاف وهم حفاة والحفي يحفى اذا احسن حسبا وقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله الاعتزال ههنا اعتزال الهجرة الى ارض الشام ومفارقته اياهم مفارقة المكان والدار كقوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فقوله ونجيناه النجاة بالمفارقة منهم وقوله وما تدعون من دون الله وما تعبدون من دون الله ايضا ففيه اخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان وعن فعلهم ايضا اعتزلهم عن الامرين جميعا وقوله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا هذا يحتمل وجهين احدهما اي ادعو ربي عسى ان لا اكون بعبادتي عن الله شقيا كما كان قومي بعبادتهم غير الله اشقياء والثاني عسى ان لا اكون بدعاء ربي ذا دعوته شقيا اي خائبا مردود الدعاء والله اعلم وقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب اي فلما اعتزلهم اعتزال الدار والمكان بالهجرة الى الارض المباركة التي ذكرناها واعتزل ايضا صنيعهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم لغير الله وهبنا له اسحق ويعقوب ذكر الهبة وقال في موضع اخر ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة فانما ذكر الولد هبة من الله لانه اعطاه الولد لانه يعامل الله خلقه على الافضال منه والانعام عليهم لا ان يستحق ذلك حتى كان له عليه والله اعلم وقوله وكلا جعلنا نبيا ظاهر اخبر انه جعلهم انبياء وقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اختلف فيه قال بعضهم الرحمة ههنا النبوة اي وهبنا لهم النبوة وقال بعضهم الرحمة النعمة اي من نعمته ما وهب لهم من النبوة وغيرها وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا اختلف فيه قال بعضهم لسان صدق عبارة عن الكتب التي انزلها فيها انباء صدقهم وفضلهم وما من عليهم فيعظمهم الاخرون كما نطق باللسان والكلام وقال بعضهم اراد بلسان الصدق الاولاد الذين جعلهم انبياء ورسلا يذكرون ويعظمون بنسب الاولاد في الاخرين لان جميع الانبياء والرسل كانوا من نسل ابرهيم من ولده الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم كان لسان صدق عليا حيث يذكرون بكل خير وبركة ويمن والله اعلم وقال بعضهم لسان صدق عليا هو ما من جميع الاديان يرون ويتسمون اليه ويدينون جميعا بدينه واتبعوا ملته اعني ابرهيم وقال قوم هو تخصيص ابرهيم واله بالصلوة والبركة والرحمة قالوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم والله اعلم وقوله تعالى واذكر في الكتاب موسى يخرج على التأويلين على ما تقدم ذكرهما وقوله انه كان مخلصا قرئ بفتح اللام وكسرها مخلصا بالنصب اي اخلصه الله تعالى واصطفاه واختاره لرسالته ونبوته ومخلصا بالخفض اي اخلص عبادته وتوحيده له وقوله وكان رسولا نبيا قال بعضهم الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب والنبي هو الذي ينبئ ويخبر عن التأويل وقال بعضهم الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي والكتاب والنبي هو الذي ينبئ لا عن لسان واصل النبي هو الذي ينبئ عن كل خير وبركة وسمي نبيا لاجتماع خصال فيه كالصديق لا يسمى به

الا بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة ما لو انفرد بكل خصلة من تلك الخصال سمي صادقا فاذا اجتمع ذلك سمي صديقا فعلى ذلك النبي يسمى نبيا لاجتماع خصال الخير ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والصمت الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة فهذا يدل على انه انما سمي نبيا لاجتماع الخير والبركة كما ذكرنا في الصديق وقوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن فاذ كان الايمن من اليمن والبركة فيكون تأويله وناديناه من جانب الطور المبارك الميمون وكذلك روي في الخبر ان موسى عليه السلام قال اتاني ربي من جبل طور سيناء واطلع من جبل ساعير وظهر من جبل فاران اي اتاني وحي ربي من جبل طور سيناء واتى وحي عيسى من جبل ساعير واتى وحي محمد من جبل فاران فانه على اليمن من الجبل والبركة وقال بعضهم هو يمين الجبل وقال بعضهم يمين موسى وهذا لا يعلم الا بالخبر ولا نفسر انه ماذا اراد بمخافة الغلط لان هذا ذكر في موضع الاحتجاج عليهم فان زيد او نقص على ما في كتبهم يبطل الاحتجاج به عليهم وقوله وقربناه نجيا قال اهل التأويل هو التقرب من حيث المكان ولكن عندنا هو تقريب المنزلة والقدر والفضل هذا معروف وقوله نجيا من المناجاة اي ناجاه من حيث لم يطلع على ذلك غيرهما وانما سمي موسى نجيا لانه اخلص نفسه لله وسلمها اليه ولذا سمي المصلي مناجيا ربه لانه فرغ نفسه عن جميع الاشتغال وسلمها اليه وقال ابو عوسجة يقال فلان نجي فلان اي موضع سره والنجي المناجي وقوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله واذكر في الكتاب اسمعيل هذا يخرج على الوجهين الذين ذكرناهما ثم اختلف في المسمى باسمعيل ههنا قال عامة اهل التأويل هو اسمعيل بن ابرهيم وقال بعضهم هو الذي جاء خبر الله في كتابه اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وكان يسمى اشمويل بلسانهم ولكن لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله تعالى وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقوله انه كان صادق الوعد قال عامة اهل التأويل سماه صادق الوعد لانه وعد رجلا ان يقيم عليه وينتظره حتى يرجع اليه فاقام مكانه اياما ينتظره للميعاد حتى رجع اليه لكن لا يحتمل ان يكون مثل اسمعيل عليه السلام يعد ولا يستثني وقد نهى الله رسوله ان يقول اني فاعل كذا بدون الاستثناء بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاذا قرن الثنيا بوعده لا يلحقه الخلف بترك ذلك حتى يستحق اسم الصدق بالامر على تحقيق الوعد لكن انما سماه صادق الوعد لكن انما سماه صادقا في الوعد اي صديقا في الصديق هو القائم بوفاء كل حق ظهر له لانه كل مؤمن يعتقد في اصل الايمان طاعة ربه في كل امر امره والانتهاء عن كل نهي نهاه ووفاه كل حق عليه فسماه صادق الوعد بوفاء كل حق ظهر له ويحتمل والله اعلم وقوله وكان رسولا نبيا قد ذكرنا وقوله وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اي يأمر قومه فان كان المراد هو الصلوة المعروفة والزكوة المعهودة ففيه انهما كانتا في الامم الماضية وان كان الدعاء والثناء وما به تزكوا الانفس وتصلح فانه يجب على كل الخلائق في جميع الازمان والله اعلم وقوله وكان عند ربه مرضيا ظاهر وقوله واذكر في الكتاب ادريس قد ذكرنا وقوله انه كان صديقا نبيا قد ذكرناه ايضا وقوله ورفعناه مكانا عليا قال الحسن رفعناه اي رفعه في الجنة وقال عامة اهل التأويل رفعه الى السماء الرابعة وهو ميت فيها او كلام نحو هذا ولكن عندنا يشبه ان يكون رفعه اياه في المنزلة والقدر عند الله وعند الناس جميعا على ما ذكرنا في قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح اي اولئك الذين انعم الله عليهم بالنبوة والرحمة من النبيين من ذرية آدم الانبياء عليهم السلام كانوا من ذرية آدم ومن ذرية من حمل مع نوح ومن ذرية ابرهيم ايضا ومن ذرية اسرائيل اي يعقوب ومن ذرية من هديناه الى التوحيد واجتباه للرسالة والنبوة والله اعلم وقوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا قال بعض اهل التأويل هذا في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه اذا تتلى عليهم آيات القرآن بعد ما آمنوا خروا سجدا وبكيا ويشبه ان يكون هذا في اولئك الذين ذكرناهم انعم عليهم كانت لهم آيات في كتبهم فيها سجود اذا تليت عليهم خروا لله سجدا وبكيا ويحتمل انه لا يكون على حقيقة السجود ولكن على الخشوع والخضوع لما تلي الحجج والبراهين التي تليت عليهم ويحتمل ان يكونوا لا يملكون انفسهم اذا راوا آيات الله وسلطانه ولكن وقعوا سجدا كما اخبر الله تعالى عن سحرة فرعون عند معاينتهم الآيات حيث قال فالقي السحرة سجدا او ساجدين ليس انهم سجدوا له ولكن وقعوا سجدا لا يملكون انفسهم عند معاينتهم الآيات ويحتمل ان يكون قوله خروا سجدا كناية عن الصلوة ووصفهم حال صلاتهم بانهم كانوا يكونون في الصلوة خاشعين باكين قال ابو عوسجة في قوله بكيا ثلاث لغات بكيا وبكاء وهو جماعة الباكي وقوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات اي خلف من بعد اولئك الذين وصفهم الله تعالى بالصلوة لله والخشوع فيها والبكاء خلف اضاعوا الصلوة اي جعلوها لغير الله وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها فاذا جعلوها وصرفوها لا الى الذي يصلى له فقد اضاعوها واتبعوا الشهوات اي اثروا الشهوات على العبادة وجعلوا الشهوات هي المقصودة عليها دون العبادة ويحتمل ان يكون قوله اضاعوا الصلوة لان الصلوة هي اخر ما يترك ويضيع لانه روي في الخبر انه قال سينقض عرى

الاسلام عروة اولها الامانة وآخرها الصلوة وقال بعض اهل التأويل اضاعوا الصلوة اضاعتها تاخيرها عن مواقيتها
لا ان تركوا الصلوة اصلا والله اعلم وقال بعضهم الخلف بالجزم يستعمل في موضع الذم والخلف بتحريك اللام في
موضع المدح وقال بعضهم هما سواء يستعملان فيهما جميعا وقوله تعالى فسوف يلقون غيا ۞ قال بعضهم الغي
واد في جهنم لكن هذا لا يجوز ان يقال الا بالخبر عن رسول الله انه واد في جهنم وقال بعضهم الغي العذاب وقال بعضهم
الغي الشر وجائز ان يكون سمي جزاء اعمالهم التي عملوها في الدنيا بالغواية باسم اعمالهم غيا ويجوز تسمية الجزاء باسم سببه
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ونحوه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا اي الا من تاب عن الشرك وآمن بالله
وعمل صالحا لله وقوله تعالى فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ۞ يشبه ان يكون قوله ولا يظلمون شيئا اي
لا ينقصون من حسناتهم التي عملوها في حال ايمانهم لمكان ما عملوا من الاعمال في حال كفرهم بل يبدل سيئاتهم حسنات
على ما اخبر الله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال في آية اخرى فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقال
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اخبر انهم اذا آمنوا وانتهوا عن الشرك لا يؤاخذهم بما كان منهم في حال كفرهم والله اعلم ثم
بين انها اي الجنة يدخلون فيها فقال جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي عباده الذين آمنوا بالغيب ثم
يحتمل ايمانهم بالغيب اي انهم آمنوا بالله وان لم يروه ويحتمل الغيب الجنة او صدقوا بها وان لم يروها وكذلك الذي
آمنوا بالغيب البعث وقوله تعالى انه كان وعده مأتيا ۞ اي كان موعوده آتيا وكذلك كما يأتي الآن كل من اتاك فقد اتيته فسمي
لذلك مأتيا والله اعلم وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ۞ وقال في موضع آخر لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما
واللغو كانه اسم كل باطل وشر وقوله تأثيما اي لا يسمعون فيها باطلا ولا ما يكون بعضهم من بعض ولا ما يؤثم
بعضهم بعضا لكن سلاما والسلام كانه اسم كل خير وبركة وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ۞ قال بعضهم
ان اطيب العيش واحسنه الى العرب الغداء والعشاء فاخبر ان لهم في الجنة غداء وعشاء واطيب العيش عند العجم
لباسهم الحرير واللؤلؤ فاخبرهم ان لهم في الجنة ذلك بقوله يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير وقال اهل التأويل ليس في الجنة بكرة ولا عشي ولا ليل ولا نهار لكن يؤتون على ما يعرفون من البكرة
والعشي وعن ابن عباس رضي الله عنه على مقادير الليل والنهار ويشبه ان يكون قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
ليس على تخصيص وقت دون وقت ولكن في الاوقات كلها في كل وقت يحبون ويشتهون كقوله لهم فيها فاكهة
ولهم ما يدعون وقوله وفاكهة مما يتخيرون وانما ذكر البكرة والعشي لان زمان الجنة يشبه البكرة من وقت
طلوع الفجر الى طلوع الشمس في مثل الوقت الذي يكون بعد غروب الشمس الى ان تظلم لانه اخبر ان ظلها ممدود دائم
اخبر فقال تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اخبر ان تلك الجنة التي كان فيها كذا اهلها تورث
من عبادنا من كان تقيا ثم يحتمل ان يكون وعد الجنة للبشر كله بشرائط شرط عليهم ان وفوا بها فلهم الجنة وان لم يفوا
بها فلا ثم وفى بشرائطه التي شرط يحول الذي كان يعد للذي لم يف الذي وفى فذلك هو التوريث وعلى ذلك يخرج
قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون والوارث هو الباقي عن المورث والخلف عن
وقوله وما نتنزل الا بامر ربك هذا الكلام منه لا يكون الا عند سؤال كان منه فكانه استبطأ نزول
جبريل عند ذلك قال انا لا نتنزل الا بامر ربك ثم قيل انه لم يقل ذلك له الا بامر الله تعالى لانه لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون فلا يحتمل ان يقول له ذلك من تلقاء نفسه فيجعل ذلك آية في كتاب الله تعالى وقوله له
ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك كان هذا الكلام موصول بقوله وما نتنزل الا بامر ربك لانهم جميعا كانوا
يعلمون ان له ما بين ايديهم وما خلفهم وما بين ذلك فدل ان ذلك موصول بالاول وتوجيه الصلة بالاول يحتمل
وما نتنزل الا بامر ربك لا نتقدم لامره ولا نتأخر ولا نعمل شيئا الا بامره وهو كقوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
واما اهل التأويل اختلفوا فيه قال بعضهم له ما بين ايدينا للآخرة وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك الحال
التي نحن فيها وقال بعضهم قوله له ما بين ايدينا الدنيا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وقيل
هذا كما الذي ذكرنا بدءا اولى واشبه اذ هو على الصلة بالاول اي لا نتقدم ولا نتأخر ولا نعمل الا بامره والله اعلم وقوله
وما كان ربك نسيا هذا يخرج على وجوه احدها ما قال بعض اهل التأويل ان جبريل عليه السلام احتبس عنه
زمانا فقال اهل مكة قد ودعه ربه وقلاه فنزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى على ما قال
المشركون فيخرج على هذا قوله وما كان ربك نسيا على الترك اي ما كان ربك تاركك كما قال اولئك الكفرة
من التوديع والقلا ويحتمل وما كان ربك نسيا اي عما كان ربك بالبرية وتغفل كملوك الارض وغيبتهم
وغفلتهم وقت شغلهم ببعض الحوائج لا يطلبون حوائجهم ويشتغلون عن قضاء حوائج من يتصل بهم من العالم
بها ويحتمل وما كان ربك نسيا اي ناسيا ساهيا يتأخر نزولي عن وقت التنزيل بل انما ينزلنا في الوقت الذي
هو وقت النزول فهذان التأويلان يخرجان على النسيان بمعنى السهو والغفلة والاول على النسيان بمعنى الترك ويستعمل

النسيا

النسيان فيهما وقوله رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر نفسك عليها او على طاعته
وقوله هل تعلم له سميا اي ما تعلم له شريكا يشتغل بعبادته بعض عبادته فاعبده هو وحده وقال بعض اهل التأويل
هل تعلم احدا اسمه الله سواه وقال بعضهم لا يسمى احد باسمه يعني الله وقال بعضهم اي بالرحمن وقال بعضهم
هل تعلم له مثلا وشبيها وقال قتادة في قوله هل تعلم له سميا لا سمي لله ولا عدل له وكل خلق يقر له ويعرفه
ويعلم انه خالقه وقوله تعالى ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا ۞ هذا الكلام يخرج على وجهين احدهما
على انكار البعث لسوف اخرج حيا اي لا اخرج حيا والثاني على الهزء وجوابا لما قال لهم اهل الاسلام انكم تبعثون
وتحيون فقالوا عند ذلك هذا على الهزء بهم والسخرية تحذيرهم بذلك ... تكونوا شيئا فخلقهم وقال
اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فاذ قدر على خلقه في الابتداء ولم يكن شيئا كان على احيائه
وبعثه بعد ما كان شيئا في وهمه وتقدير عقله اقدر ثم اقسم تعالى انهم يبعثون فقال فوربك لنحشرنهم والشياطين
اي يجمعهم والشياطين الذين اضلوهم كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الآية
وقوله تعالى ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ۞ قال بعضهم جثيا جماعات كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا وقال بعضهم جثيا على الركب لان اقدامهم لا تحمل الشدة هو لذلك لشدة كذلك قال اهل الادب ان الجثي
جمع الجاثي وهو البارك على ركبتيه وقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ۞ قال بعضهم
الشيعة الصنف اي من كل صنف وفرقة قال ابو عوسجة والشيعة الاتباع كقوله هذا من شيعته وهذا
من عدوه اي من اتباعه وقوله لننزعن من كل شيعة اي لنبدأن بمن كان منهم ايهم اشد على الرحمن عتيا اي تمردا وعتوا
العاتي القاسي المتمرد في عتوه وهم القادة والرؤساء منهم فيقذفون في النار اولا ثم الامثل فالامثل على الترتيب
التي كانوا في الدنيا وقوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ۞ اي اعلم بمن هو اولى ان يصلى النار وهم القادة
من الكفرة وقوله تعالى وان منكم الا واردها ۞ اختلف فيه قال بعضهم الآية في الكفرة خاصة واستدلوا بقوله الآية
وهو قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين الى آخر ما ذكر والمؤمنون لا يحشرون مع الشياطين ولكن انما يحشر
الكفار مع الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ويكون قوله ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا على الابتداء منع الورود عليها والنجاة منها اي يردها الكفرة
دون المؤمنين وقال بعضهم الآية عامة في المؤمنين والكافرين جميعا لكن اختلفوا في تأويل الورود وقال
بعضهم الورود الحضور دون الدخول لان الله تعالى اخبر ان من دخل النار فقد اخزاه بقوله ربنا انك من
تدخل النار فقد اخزيته وقال بعضهم الورود الدخول فيها واستدل بقوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم انتم لها واردون وبقوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار يقول ليدخل الفريقان جميعا
فيها لانها تكون خامدة وبردا على المؤمنين على ما صارت بردا وسلاما على ابراهيم ثم تصير حارة محرقة
للكفار واهل الضلالة وقال الحسن لا يحتمل ان يدخل اهل الايمان النار لان الله تعالى امن المؤمنين ان يكون عليهم
خوف او حزن وقد اخبر ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فدل انهم لا يدخلونها وجائز ان يكونوا واردين
داخلين فيها لا دخول تعذيب وعقاب لانه ذكر ان ممرهم جميعا على الصراط والصراط على جهنم كالسطح للدار ومن
حلف ان لا يدخل دارا الا ان يتسور سورها او صعد سطحا من سطوحها لحنث ويصير داخلا فيها فعلى ذلك
جائز انهم اذا مروا على الصراط نجا اهل الايمان ثم زلت اقدام الكفرة فيها فبقوا فيها فكان الفريقان جميعا
وصفوا بالدخول على الوجه الذي وصفنا والله اعلم وقال بعضهم ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهري جهنم
وورود المشركين ان يدخلوها وقال النبي عليه السلام الزالون والزالات يومئذ كثير وما ذكر الحسن ان امن المؤمنين ان لا
عليهم خوف ولا حزن فجائز ان يكون الله تعالى يدخلهم فيها على غير جهة العقوبة فلا يكون لهم خوف ولا حزن
الا ترى انه اخبر انه جعل الملائكة اصحاب النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ثم لا يكون لهم خوف ولا حزن
وهم ممن اوعدوا بها اذا خالفوا امر الله وعصوه بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الآية
والا ترى انه اخبر ان اهل الجنة يطلعون على اهل النار في النار ثم لا يخافون ولا يحزنون بقوله فاطلع فرآه
في سواء الجحيم وهم في الدنيا اذا اطلعوا عليها لا شك انهم يخافون ويحزنون ويسوؤهم ذلك اشد الخوف
ثم في الآخرة لا فعلى ذلك جائز ان يكون يدخلهم يدخلونها ولا يخافون ولا يحزنون والله اعلم وقوله تعالى
كان على ربك حتما مقضيا ۞ اي قضاء واجبا وقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا يخرج على الوجوه التي ذكرنا
في تأويل الورود فمن حمل ذلك على الكفرة حمل قوله ثم ننجي على الابتداء منع الورود ومن قال الورود الحضور
دون الدخول حمل قوله ثم ننجي الذين اتقوا عن الدخول فيها ومن حمل على الدخول كان تأويل الانجاء ما ذكر من
المرور على الصراط دون الوقوع في جهنم ومعنى قوله ثم ننجي اي الذين اتقوا الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا

لان اهل الايمان لا يخلدون فيها عند اهل الحق وانما يقع الاختلاف في الدخول وكيفيته والله اعلم وقوله تعالى
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات هذا ايضا لما ذكرنا في غير موضع وقوله تعالى قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا كان هذا القول يخرج من الكفرة جوابا لما احتج عليهم اهل الايمان بالايات التي ذكروا واحتجوا
عليهم فيقولون انكم تقولون ان الدنيا والاخرة لله وقد وسع علينا الدنيا وضيق عليكم فعلى ذلك يوسع الاخرة
علينا ويضيق عليكم كما ضيق في الدنيا اذ لا يجوز ان يوسع الدنيا على اعدائه في الاخرة وعلى هذا قولهم نحن اكثر
اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ظنوا انهم انما وسع عليهم في الدنيا واحسن لهم الندي والمجلس وكذلك يكون
في الاخرة فاكذبهم الله تعالى ذلك ورد عليهم ذلك فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اخبر انهم
بمن عرفوا انهم كانوا اهل السعة والزينة ثم اهلكوا بتكذيبهم الرسل ولو كان كما ذكروا لم يهلكوا لعلمهم بما ذكر
انه من وسع عليه في الدنيا وضيق على الاخر انما كان يجوز الجنة لا يجوز المنزلة ولكن الثواب والعقاب فهو يحق له
والمنزلة قوله اثاثا ورئيا الاثاث المتاع والمال والرئي المنظر والشارة والهيئة والندي المجلس والاندية جميع
قال القتبي يقال للمجلس ندي ونادي ومنه قيل دار الندوة للتي كان المشركون يجلسون فيها فيتشاورون في
الله وقوله تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي يمهله ويوسعه في الدنيا حتى اذا راوا ما يوعدون
اما العذاب والهلاك الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا واما الساعة والقيامة والله اعلم وقيل فليمدد له الرحمن
مدا اي يمد له في ضلالته وقوله تعالى فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا هذا يدل على انهم كانوا يقولون نحن
خير مقاما واحسن نديا ارادوا الخدم والحواشي حيث قال على مقابلته شر مكانا واضعف جندا وقوله تعالى
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى جميع ما ذكر الله من زيادة الهدى على ابتداء الهداية فهو لما يريد الهداية ويهديه
ابتداء اذ كان من العبد رغبة في ذلك وطلبه ان كان مهتديا يريد الهداية او ثباتا على ما كان عليه في وقت رغبته
وطلبه منه وان لم يكن مهتديا يهديه ابتداء هداية في وقت رغبته وقبوله على هذا يخرج جميع ما ذكر في القران
من الهداية بحق الزيادة او بحق البداية او يحتمل قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي يوفقهم لما اهتدوا وعرفوا
وحدانية الله بانواع الخيرات والطاعات وقالت المعتزلة الهداية الاولى البيان وهي الهداية العامة والهداية
الثانية هي شرح الصدر لها والتوفيق وهي هداية خاصة تكون في وقت ثان بحق الثواب فتعلق زعمهم يجب ان
لا يكفر احد بعدما هداه الله تعالى مرة ابدا لانهم يقولون اذا اهتدى قبل الهداية مرة يوفقه ويشرح صدره
في الوقت الثاني ثوابا له فيكون على الايمان والهداية فاذا وجد على كثير ممن اهتدى ثم الكفر من بعد دل ان تاويلهم
ليس بصحيح وان التاويل ما ذكرنا نحن والله الموفق وقوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير
مردا يحتمل الباقيات الاعمال التي لها البقاء اي ما يبقى لكم عند الله خير مما يبطل لان الله تعالى وصف الحق و
الخير بالبقاء والمكث ووصف الباطل بالذهاب والتلاشي كقوله فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض وقال في اية اخرى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الاية وقال ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة الاية وقال جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اي ذاهبا فتلاشى ويحتمل الباقيات
الصالحات ما ابقى الله تعالى لكم في الاخرة من الثواب خير لكم مما اعطاكم في الدنيا لانه لا انقضاء لذلك والدنيا فانية
والله اعلم وقوله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا قال بعضهم هذا القول قاله العاص
بن وائل السهمي لما حاجه اهل الايمان في امر الاخرة انها لتكون فلما كفر فقال لهم عند ذلك لاوتين مالا وولدا
في الاخرة ان كان ما تقولون انتم حقا انا نبعث ونحيا كما اوتيت في الدنيا وقال الحسن قال هذا القول الوليد
بن المغيرة وهو ما قال ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع
ان ازيد كلا فكان يطمع ان يزيد له في الدنيا ابدا فقال كلا ردا عليه وقال ههنا اطلع الغيب ان يكون له ذلك
ذلك على التاويل الاول او في الدنيا في وقت اخر على تاويل الحسن وقوله تعالى ام اتخذ عند الرحمن عهدا اي له
عهد عند الرحمن كالعهد على ما ادعى وقوله تعالى سنكتب ما يقول اي سنحفظ ذلك عليه ونمد له من العذاب
مدا قال بعضهم نمد له اي نزيد له من العذاب في كل يوم كقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال بعضهم نمد له من العذاب
مدا اي نعذبه عذابا لا انقطاع له وقال بعضهم نمد له من العذاب مدا مثل ذلك وقوله تعالى ونرثه ما يقول
قال بعضهم نرثه المال والولد الذي قال لاوتين اي لله ما يقول انه له من المال والولد لانه يخلفه ويتركه في الدنيا
ويأتينا فردا لا شيء معه وقال بعضهم نرثه ما يقول انه يعطى في الجنة ما يعطى المؤمنون ونرثه غيره ونعطيه
غيره وجائز اضافة الوراثة اليه على ارادة اوليائه فنرثه ذلك اولياءه وقوله تعالى وياتينا فردا اي في الاخرة
لا شيء معه ولا اهل ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى الاية ويحتمل ويأتينا فردا في الدنيا في وقت لا شيء معه
ولا اهل ولا ولد على تاويل من يقول ان في قوله لاوتين مالا وولدا في الدنيا والله اعلم واختلف اهل التاويل في العهد

الذي ذكر

الذي ذكر ان له عند الله فقال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله في الدنيا وقيل تقديم العمل الصالح وقيل الصلوات
والمقامات عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتخذوا عند الله عهدا فان الله تعالى يقول يوم القيامة
من كان له عندي عهد فليقم فقيل كيف هو قال ان تقولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني
اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا ان لا تكلني الى عمل يقربني من الشر ويباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد والاول اشبه الا ان يثبت الخبر والله اعلم وقوله تعالى
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فان كان على الحقيقة العز فهو في العادة عنهم والمتبوعين الذين عبدوا
تلك الاصنام والاوثان واستعزوا بذلك ولا يذلوا ويدوم لهم الرياسة التي كانت لهم في الدنيا فظنوا انهم اذا امنوا يذهب
تلك الرياسة والماكلة عنهم ويحتمل قوله ليكونوا لهم عزا اي نصرا ومنعة فانه كان هذا منهم في الرؤساء والاتباع
في الدنيا والاخرة اما في الاخرة ما طمعوا بعبادة الاصنام التقريب والشفاعة والنصر في الاخرة كقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله واما في الدنيا ظنوا ان الهتهم التي اتخذوها وعبدوها
تنصرهم في الدنيا حيث قالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فكيفما كان فقد رد الله تعالى عليهم ما طمعوا منها
عزا كانوا او نصرا في الدنيا او الاخرة بقوله كلا وكيف يكون لهم عز وقد اذلوا انفسهم لخشب وحجر ظهورهم لها وكفى
به ذلا وصغارا كلا سيكفرون بعبادتهم وقال الحسن اي سيكفرون بعبادة الاصنام في الدنيا من عبدوها في
الاخرة انهم ما كفروا وما عبدوها كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين يكفرون وينكرون
ان يكونوا اشركوا فيه شيئا او عبدوا دونه وقال غيره من اهل التاويل سيكفرون المعبودون بعبادة العابدين ويتبرؤون
منهم كقوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ونحو ذلك وقوله تعالى
ويكونون عليهم ضدا قال بعضهم ضدا اعوانا وقيل اعداء وهو ان يلقى تلك الاصنام معهم في النار تحرق
فيها معهم فيزداد لهم بها عذابا فيكونوا عونا على احراقهم فيخرج على هذا التخريج قول من يقول الضد البلاء ويكونون عليهم بلاء
على ما ذكرنا وهو كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فاذا صاروا وقودا وحصبا لهم كانوا عونا على احراقهم
وبلاء عليهم وقال بعضهم ويكونون عليهم ضدا اي قرناء في النار يخاصم بعضهم بعضا ويكذب بعضهم بعضا ويلعن
ويتبرا بعضهم من بعض فذلك كله ضد عليهم فان ذلك ضد ما طمعوا في الاخرة فانهم عبدوها في الدنيا رجاء ان يكون
لهم شفعاء في الاخرة ونصرة فكانوا لهم على ضد ذلك اعداء وقال ابو عوسجة الضد الخصم وهو ما ذكرنا انه يخاصم
بعضهم بعضا وعن ابن عباس رضي ويكونون عليهم ضدا اي حسرة وكله قريب بعضه الى بعض وقوله تعالى الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا قال بعضهم ارسلنا اي سلطنا عليهم كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه
وقال بعضهم ارسلنا الشياطين اي قيضناهم بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين
وهما في المعنى واحد لانه اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا وقرنوا بعضهم
ببعض والله اعلم وقال الحسن وابو بكر الاصم وعامة اهل الاعتزال ارسلنا الشياطين على الكافرين اي خلينا بين الشياطين
وبين الكفرة حتى يفعلوا بهم ما ذكر ولو كان تاويل الارسال التخلية وتاويل التقييض كذلك لم يكن لتخصيص الكفار
بذلك معنى اذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين موجودا فدل ان هنالك معنى اخص في الكفار
ليس ذلك في المؤمنين وفي المؤمنين معنى ليس ذلك في الكفار وهو والله اعلم انه اذا علم من المؤمنين الرغبة والاجابة
وفقهم على ذلك بعصمته ولما علم من الكفار خلاف ذلك خذلهم واضلهم فذلك تخصيصه اياهم بذكر
والله اعلم وقوله تؤزهم ازا قال بعضهم اي تزعجهم ازعاجا وقال بعضهم تسليهم اشلاء وتغريهم اغراء وقال
الحسن تقدمهم اقداما على الشر وقيل تامرهم امرا وقيل تحركهم وقيل توقعهم ايقاعا ونحو ذلك وكله متقارب
وقوله تعالى فلا تعجل عليهم اي لا تكافئهم على اذاهم اياك ولا تعاقبهم انما نعد لهم عدا اي انفاسهم التي
يتنفسون بها في الدنيا هي معدودة تنقضي اجالهم عن قريب فلا تكافئهم على اذاهم فانهم سيتقلبون
بالمكروه والسوء والله اعلم ثم وجه ما ذكر من ارسال الشياطين عليهم وتمكينهم من الوسوسة في الصدور
اعني صدور المؤمنين والتمرد والتخويف من غير ان يملكوا القهر والقسر على ذلك وما جعلهم بحيث لا يراهم احد وهم
يرونا على ما اخبر الله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فهو والله اعلم ان من علم ان من يحضره وهو يعلم له
راصد وهو يطلب الفرصة عليه يكون احذر واهيب ممن لا يعلم ذلك الا ان يقربه حضرة عدوه على ذلك ما
جعل الله تعالى من الحفظة والكرام الكاتبين على بني ادم رقباء عليهم في قليل ما يفعلون ويتفوهون وكثيره لان
كان ادعى الى حفظ ذلك كله عليهم والتذكير لهم واحدا بعد واحد شيئا على اثر شيء وذلك لما ذكرنا ان من علم
ان عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل وكثير كان احذر واهيب ممن لا يعلم على نفسه رقيبا والله اعلم
وقوله تعالى يوم نحشر المتقين اي الذين اتقوا مخالفة الله في كل ما لا يغلب عليهم لان المؤمن لا يرتكب المعصية

لا لغلبة شهوة او لغلبة رجاء الى المغفرة ربه او توبة يضمرها بعد ارتكابها فهكذا يكون ارتكاب المؤمن مخالفة
ربه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي الى ما وعدهم الرحمن من الثواب وفدا اي الى ما اعد لهم الرحمن من الثواب
وفدا الوفد في الشاهد هم اهل الكرامة والمنزلة يبعثون لامور فكان ذكر ان المتقين يحشرون وهم مكرمون معظمون
ولهم منزلة عند الله وقدر والله اعلم وقوله تعالى ونسوق المجرمين الى جهنم وردا الورد طلب الماء والورد
جماعة فكانه قال ونسوق المجرمين الى جهنم عطاشا طلاب الماء على ما قال اهل التاويل وقيل وردا اي يردونها
اباها اي يدخلونها وقيل الورد النصيب من الماء والمجرم قال ابو بكر الاصم هو الوثاب في المعصية واصل الاجرام
الاكتساب فيما قال بعض اهل التاويل في قوله لا يجرمنكم شنآن قوم اي لا يكسبنكم واصله كسب الاثم فيحق له
ونسوق المجرمين دلالة انهم انما نسبوا قصدا على كره منهم ذكر في الكافرين السوق وذكر في المؤمنين الجمع والحشر وقوله
لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الشفاعة انما تكون فيمن استحق العذاب والعقوبة فاما من لا
عقوبة عليه وهو مغفور الذنب فانه لا معنى للشفاعة فيه فهو يرد على المعتزلة مذهبهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر وصاحب الصغيرة مغفور له فالشفاعة التي ذكر لا تخلو اما ان تكون لاهل الكبائر فيغفر لهم بالشفاعة فبطل
قولهم او في اهل الصغائر فلا يعذبهم فكيف ما كان فهو يرد قولهم اذ لا معنى لاثبات الشفاعة في المغفور له
فان قالوا ان الشفاعة في الشاهد ان يذكر محاسن الانسان عند الملك ليعرف محاسنه ومناقبه لتكون له صلة ومنزلة عنده قيل لكن نقول مثل هذا في الشاهد لا يسمى شفاعة انما يسمى هذا تعريفا او على ان مثل هذا انما يكون
في حق من يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه فاما من يعلم ما كان وما يكون وكيف يكون ومتى او وقت يكون فلا يحتمل
ذلك ولا يقوم الا بالله وقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قد ذكرنا تفسير العهد وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا قال بعضهم الآية في مشركي العرب لانهم هم الذين قالوا الملائكة بنات الله لكن لا معنى لتخصيص مشركي
العرب بهذا القول فان اهل الكتاب قالوا ايضا ذلك فان النصارى قالوا ان عيسى ابن الله وقالت اليهود
عزير ابن الله فهو في كل من قال ذلك وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا يخرج مخرج الاخبار اخبر انهم قالوا اتخذ الرحمن
ولدا ان قل لهم يا محمد لقد جئتم شيئا ادا اي قطيعا منكرا ويحتمل ان يكون لما قالوا ذلك امر ان يقول لهم فقال لهم
لقد جئتم شيئا ادا اي قولا شنيعا شديدا وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال بعضهم مثل هذا انما يقال على التمثيل في العظيم من الامور ويقال انها في الضيق
والشدة على التمثيل بقول الرجل لا حد اخذت الدنيا على فلان وضاقت عليه الارض بما رحبت فهو على
الابلاغ في الضيق والشدة فعلى ذلك ذكر هذا على الابلاغ والنهاية في العظيم من القول الذي قالوا في الله ثم
جعل مثل ما قالوا من العظيم في العقول كما يعظم من المحسوسات كسنا في الاصلح وهو ما ذكر من انفطار السموات
وانشقاق الارض وهد الجبال اذ هي اصلب الاشياء واشدها ليعرفوا عظم ما قالوا فيه هكذا يعرف الامور
الغائبة التي تشكل معرفتها بالاشياء المحسوسة من الاشياء فالله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من انشقاق
الارض وانفطار السماء وهد الجبال على حقيقة ما ذكر ان يكون عند ما قالوا لسبب عظم ذلك القول لكن
لم يشاهد ذلك ولا نحس كقوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فيقال انه ذكر السموات والارض والجبال
واراد اهلها اي انهم كادوا يكونون كما ذكر بما قالوا فيه عظاما للملك لعظم ما تكلموا والله اعلم بحقيقة هذا الى
صفتا بهذا بعدهم وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا اي ما ينبغي له ان يتخذ ولدا لان كل من في السموات
والارض الا اتى الرحمن عبدا وفي الشاهد لا احد يتخذ الولد من عبيده فكيف ينبغي لمن له ملك السموات
والارض وكلهم عبيده وامائه ان يتخذ ولدا من عبيده وقال بعضهم الا اتى الرحمن عبدا في الآخرة اي كلهم
يقرون له بالعبودية يومئذ وقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا يحتمل ان يكون قوله احصاهم وعدهم
من احصاهم انفسهم وعدهم على الحقيقة بلى لا يخفى عليه شيء ويحتمل ان يكون هم الحفظة ان يحصي قولهم
وافعالهم بما سلط عليهم من الملائكة يكتبون ذلك منهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة فردا اي وحده ليس معه من دنياه
شيء وقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحتمل هذا وجوها احدها يحتمل ان خاطب
به اهل مكة انكم اذا آمنتم وعملتم الصالحات يرفع الله ما بينكم من التباغض والتعادي ويبدل مكانه المودة والمحبة
كقوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم صاروا بالايمان
اخوانا مؤلفة قلوبهم بنعمة من الله وفضله والثاني يحتمل ان يجعل لهم في الجنة ودا اي ينزع ما في قلوبهم من غل
وغش كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والثالث يحتمل اي سيجعل لهم الرحمن ودا
في قلوب الانبياء والاخيار والصلحاء الذين لا يبغضون الا لله الدين والخاص عمله لله والصفاء لله لا للغناء

وما يحوي يده من دنياه وجائز ان يكون على ما روي في الاخبار ان نبيه روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله تعالى عبدا نادى ان قد احببت فلانا فاحبوه وكذلك هذا في البغض وقال كعب
وجدت في التوراة انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض حتى يكون يبتدئها من الله جل جلاله ينزلها على اهل السماء
ثم على اهل الارض وكذلك قال في البغض ثم قال وجدت ذلك في القرآن ثم قرأ هذه الآية ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحببهم ويحببهم الى المؤمنين في صدورهم فعلى هذا ان ثبت يجب ان يخاف المرء
على نفسه اذا رآه الناس لا يحبونه ان يكون ذلك من سوء عمله والله اعلم وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك قال بعضهم
اي يسرنا عليه تبليغ الرسالة بلسانه حتى بلغها الى الفراعنة منهم والاكابر الذين كانوا يقتلون من يخالفهم ويستقبلهم
بغير الذي هم عليه قولا وفعلا ويعاقبون على ذلك فيسر الله تعالى ذلك عليه حتى بلغها الى امثال هؤلاء وقدر
على ذلك من غير ان قدروا على اهلاكه حيث اخبر انه عصمه منهم كقوله والله يعصمك من الناس وقال بعضهم اي يسرناه
على لسانه حتى قدر على التكلم والنطق به لانه كلام رب العالمين قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لانه انزله بلسانه
وبلسان العرب فلا يحتمل ان لا يقدر على التكلم بلسانهم وقال تاويل يسرناه على لسانه حتى جعل يحفظ
ويقرا عن ظهر قلبه ليس كسائر الكتب المتقدمة انهم كانوا لا يقدرون على حفظها والقراءة من ظهر القلب
والله اعلم وقوله تعالى لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وقال في آية اخرى انما تنذر من اتبع الذكر وقال في آية اخرى
لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وقال في آية اخرى لتكون للعالمين نذيرا مرة ذكر النذارة للناس جميعا ومرة
للذين ظلموا خاصة ومرة للذين اتبعوا الذكر والاصل في النذارة والبشارة ان البشارة اذا كانت خاصة لاحد
فهي له على شرط التمام على ذلك ابدا وفيها النذارة ان لم يتم وكذلك النذارة الخاصة لاحد هي له ما دام ملتزما
لذلك الذي عليه فان تاب ورجع عن ذلك فله فيها البشارة فعلى هذا تكون البشارة الخاصة والنذارة الخاصة
يكون في كل واحد منها للاخرى واما البشارة المطلقة فهي بشارة لا تكون فيها النذارة وكذلك النذارة المطلقة
لا تكون فيها البشارة فعلى هذه الاقسام يخرج البشارة والنذارة والله اعلم وللعرب في البشرى ثلاث لغات بشرته
خفيفة فانا ابشره وبشرته بالتشديد وابشرته ايضا والرجل مبشور ومبشر ومبشر والله اعلم ثم قوله لدا قال القتبي
اللد جمع الالد وهو الخصم الجدل وقال ابو عوسجة الالد الشديد الخصومة وقال الحسن لدا اي صما لم اذانا القلوب وقال
بعضهم فجارا وقيل عوجا عن الحق والله اعلم وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا
يخوف به اهل مكة باهلاكه القرون الماضية بتكذيبهم الرسل لئلا يكذبوا محمدا كما كذب الذين من قبلهم فينزل بهم
من العذاب ما نزل باولئك كما نزل باولئك يقول الله هل تحس منهم من احد اي هل ترى وتبصر منهم احدا اي لا ترى
منهم احدا او تسمع لهم ركزا قيل صوتا وقيل ذكرا اي لا يذكرون بعد هلاكهم وقال ابو عوسجة هل تحس اي هل
ترى ركزا اي قيل صوتا وقال القتبي الركز الصوت الخفي الذي لا يفهم والله اعلم بالحكم والحمد لله رب العالمين

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى طه قال بعض اهل التاويل معناه يا رجل
بالنبطية وقال بعضهم بالسريانية وقيل يا فلان وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وحرف من اسمائه وقد ذكرنا القول
في الحروف المقطعات وقوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا يحتمل ان يكون هذا ابتداء من غير سبب ولا امر كان
لكن يشبه ان يكون له سبب نزل هذا ثم يحتمل ان يكون سببه وجوها احدها انه ما حمل نفسه من الشدائد والعبادات العظام
واجهد نفسه في ذلك فنزل قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي لتتعب نفسك الا ترى انه قال ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
فتشقى قيل تتعب فانه ذكر ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى والثاني انه لما كف نفسه عن الشهوات وعن جميع ما تهواه
من اللذات والثالث انهم قالوا ذلك لما رأوه دعا الفراعنة والجبابرة الى دينه واتباعه واظهر لهم الخلاف واستقبلهم
بما يكرهون وكانت عادتهم القتل والاهلاك لمن يظهر لهم الخلاف فخاطر بذلك نفسه فذلك قالوا انه شقي حيث
خاطر بنفسه فقال تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى على ما يقول اولئك الكفرة بل انزلناه عليك لتسعد حيث
اخبر انه عصمه بقوله والله يعصمك من الناس ولا نعرف نحن السبب ولا ننكر ذلك الامر الذي له نزلت الآية لانه
لم يبين الله ولا حاجة بنا الى معرفة السبب انما الحاجة لنا الى ما ذكر وهو قوله الا تذكرة لمن يخشى اي ما انزلناه عليك
لتشقى انما انزلناه لتسعد وانزلناه لتذكر به من يخشى كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله
الا تذكرة لمن يخشى اي عظة لمن ينتفع به يخشى ويحتمل قوله لمن يخشى كل مؤمن لان كل مؤمن يعتقد في اصل ايمانه
الخشية منه والاتقاء عن نقمته وعذابه وقوله تعالى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى كان هذا نزل على

قوله قالوا اولئك الكفرة وهو ما قالوا انه سحر وانه مفترى وانه شعر وانه انما يعلمه بشر ويخوف للشقاء الجواب
لهم تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ليس كما يقولوا اولئك الكفرة انه سحر وانه كذا والله اعلم وقوله تعالى
الرحمن على العرش استوى القول بالكون على العرش كون ذاته في الموضع المعلوم وهو كرسي المحفوف بالملائكة محال
او كون ذاته في كل الامكنة لانه لا يعدو من احاطة ذلك المكان به وذلك يقتضي كونه محدودا محاطا به منقوصا
عن ذلك المكان المخلوق اذ فقد دونه ولو جاز الوصف له بما يحيط به الامكنة لجاز بما يحيط به الاوقات فيصير متناهيا
بذاته منقوصا من خلقه تعالى الله عن ذلك وانه لو نزل في المكان لا ينقص عنه ايضا وذلك يحتمل الزيادة وفيما في الاول
ايجاد وته عن ذلك المكان واحاطته به وهو الامر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من ان يبنى ما لا يفضل عنه
مع ما يلزم ان من فعل الملوك انه لا يفضل عنهم من المقاعد شيء ويبتغا في ذلك التحرية بما كان يتصنع في ابناء
ويفضل في ذلك عن ذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك وعند هذا نلتمس الا يتفع الى ما يعلو من المكان
للجلوس والقيام شرف ولا وصف بالعظمة والكبرياء كمن يعلو السطوح والجبال انه لا يستحق الرفعة على من دونه
عند استواء الجوهر فلا يجوز تاويل الاية الذي بل في الاية ذكر العظمة والجلال لانه ذكر على اثره له ما في السموات
وما في الارض الاية وصف نفسه بالعظمة والسلطان والقدرة فكان المراد من تعاليه على العرش اي شيء كان العرش
من نور او جوهر او ما لا يبلغه علم الخلق هو عظمته وجلاله وكذلك اضافة الاستواء اليه على تحقيق احكام الملك
بما ذكر على ان سلطانه بربوبيته وقدرته وتعلق ما ذكر والثاني على تخصيصه الذكر بما هو اعظم الخلق واجله
المعروف من اضافة الامور العظيمة الى اعظم الاشياء كما يقال تم لفلان ملك بلد كذا واستوى على موضع كذا على
خصوص ذلك في الحقيقة ولكن معلوم ان له ما سوى ذلك مما دونه احق على ذلك قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
لم امر العرش وانس الذين كفروا من دينهم وكذا ما ذكر من سال الرسل الى القرية والى ام القرى لا يخصص
ولكن بذكر اعظم الامر يشتمل امر الغرض وهو كقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقوله امرنا مترفيها على
غيرهم فيحتمل ان يكون هذا المنع عن الوصف بالمكان نفي الامكنة عند الخلق ولا يعدوا العقول عن شيئا
ما شاء الله ليعلم علو عن الامكنة وتعاليه عن الحاجة وعلى ذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية ونحوه
ليس من نوع ما يضاف الى المكان ولكن يضاف الى الاشراف فاخبر بعلوه عن الامكنة وتعاليه عن ان يخفى عليه شيء ثم نعت
ذلك بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي بالسلطان والقوة والقدرة وبالالوهية في كلها لا بالامكنة
العبادة بقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وعلى كل شيء بقوله له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى وبقوله له ملك السموات والارض ان يملؤه وجلاله بقوله فوق كل شيء وهو بكل شيء عليم وهو على كل
تدبير جمع في هذه الاخرى ما فرق في تلك ليعلم انه بكل ما سمى به ووصف كان ذلك له بذاته لا بشيء من خلقه وكذلك عز
وشرف ومجد مجل عن الاشباه ولا اله غيره وقال بعضهم يريد بالعرش الملك اذ هو اسم ما ارتفع من الاشياء وقد
سمي به السطوح والعروش والاستواء قيل فيه باوجه ثلاثة احدها الاستيلاء كما يقال استوى فلان على كورة كذا بمعنى استولى
والثاني العلو والارتفاع كقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وقوله لتستووا على ظهوره بقوله اي علوتم والثالث
التمام كقوله حتى اذا بلغ اشده واستوى اي تم واستقر وكل الاستواء هو القصد والحد لا بوجه بعض اهل الادب وقوله
ثم استوى الى السماء اي قصد خلقها على التمثيل بفعل الخلق فيما يتولون فعله بانفسهم لا ان يكون بالقصد جائز الكون لانه الله القصد
اذ هو اسم للارادة على اعتبار الحدث تعالى الله عن ذلك ثم الوصف في ذلك لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء والملك فمعناه
الملك انه مستول على جميع خلقه وعلى هذا التاويل العرش المحمول المحفوف بالملائكة عبر هذا الذي ذكرهم بما يدل على الكل
جميعا قوله وهو رب العرش العظيم بمعنى الملك العظيم وهذا ما يدعونه من غيره وذلك العظيم يحتمل الحمل ويحف به
الملائكة والله اعلم واما على تاويل التمام والعلو فهو ان الله تعالى قال ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الى قوله ثم استوى الى السماء فقضيهن سبع سموات فاخبر بخلق ما ذكر في ستة ايام على التفاريق ثم جملها في موضع قال
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بين ان خلق المحن من خلق الارض والسموات من
الملائكة والجن والانس ينتظم تمام الملك واستوى وارتفع اذ هم المقصودون من خلق ما ابتلى من سائر الخلائق فذلك ثم
معنى الملك على اذ وصل الى الذين لهم خلقوا وقيل ذلك في خلق البشر خاصة اعني تمام الملك اذ هم المقصودون بالامتحان
بغيرهم من اهل التكليف دونهم بمنزلة التابع لقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ونحوه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان البشر خلق يوم السابع فيهم التمام والعلو اذ خلق لهم كل شيء وهم لعبادة الله ولحق بهم الجن بقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون لكن المقصود هو البشر اذ سخر ما ذكر كله يرجع الى منافعهم والاصل في ذلك عندنا ان الله تعالى قال
ليس كمثله شيء فنفى عن نفسه شبه خلقه وقد بينا انه في فعله وصفته متعالي عن الاشباه فيجب القول في قوله
الرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وينفي عنه شبه الخلق لما اضافه اليه واذا لزم القول بانه تعالى عن الاشباه

ذاتا وفعلا

ذاتا وفعلا لم يجز ان يفهم بالاضافة اليه المفهوم من غيره في الوجود والله الموفق وقد ذكرنا هذا في غير موضع من القرآن
وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى اخبار عن الوصف له بالقدرة والسلطان ان ذلك
على ما ذكرنا وقوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الوصف له بالعلم بالغيب السر والعلانية جميعا ليكونوا
ابدا على حذر وخوف ويقظة في جميع احوالهم وليكون المرء في الاول ليصرفوا طمعهم ورجاءهم من الخلق الى الله وانهم
لا يطيع ولا يرجى غيره ثم اختلف في قوله فانه يعلم السر واخفى قال بعضهم السر ما اسر به الى غيره
واخفى ما اضمرت واخفيت عن نفسك ولم تسر الى احد وقال بعضهم السر ما اسررت به وحدثت به نفسك واخفى ما
لم يكن ويكون ولم يكون بعد علم يعلم به وقيل السر ما اسر في نفسه واخفى ما خطر في قلبه وهو لا يضبطه
واصله ان قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى على الاضمار كانه قال وان تجهر بالقول او تسر به فانه يعلم السر
والله اعلم وقوله تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال ابو بكر الاصم اي ومن الله تعالى باسماء تعلم الحسنى
وهي الجنة على ما ذكرنا وقوله تعالى وهل اتيك حديث موسى اذ راى نارا ظاهر هذا انه لم يكن اتاه حديث موسى
ثم قال اتيك اتيانا ثم اختلف في معنى الاتيان قال الحسن وابو بكر معناه سنياتيك نبا موسى وانه يانك بعد ثم احد
واهله بحديثه ونبائه وقال بعضهم معناه قد اتاك حديث موسى لتخبرهم على ما كان في كتبهم فيكون ذلك اية لنبوتك
ورسالتك وقوله اذ راى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا اي رايت نارا وابصرت وهو قول القتبي وقيل رايت
نارا كقوله فان انستم منه رشدا اي علمتم منهم رشدا وقوله تعالى لعلي اتيكم منها بقبس ليس في هذه الاية بيان
موسى في اي حال كان وفي اي وقت كان ولكن ذكر في موضع اخر بيان ذلك وهو ما قال فلما قضى موسى الاجل وسار
باهله انس من جانب الطور نارا هذا يدل على انه كان في حال السفر والسير وبين في اية اخرى لعلي
اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون هذا يدل على انه كان في وقت الشتاء والبرد حيث قال لعلكم
تصطلون اذ الاصطلاء في وقت البرد يكون عادة قال ابو عوسجة القبس النار والاقتباس اعطاء النار يقال
اقبس قبسا اذا جاء بالنار ويقال اقتبسني نارا واقتبست ايضا تعلمت وهذا من الثلاثي العلم ونحوه
وقال القتبي يقال اقتبست اي علمت واستقبست اي سالت النار او العلم وقوله تعالى او اجد على النار هدى
هذا يشبه ان يكون قد استقبله الطرق فلم يعلم الطريق الذي له من غيره فقال او اجد على النار هدى اي من يدلني
ويرشدني على الطريق او ان كان قد ضل الطريق وصار لا يهتدي فقال عند ذلك ما قال والله اعلم وقوله تعالى فلما اتاها نودي
يا موسى اي قد اوحي اليه اني انا ربك فاخلع نعليك قال بعضهم انما امره ان يخلع نعليه لانهما كانا من جلد ميتة
وقال بعضهم انما امره بنزع نعليه ليمس قدميه بركة ذلك الوادي ويصيبه شرفه وقال بعضهم امره بذلك للتواضع
والخضوع له لان لبس النعل يخرج مخرج المباهاة والتجبر بذلك ليكون اخضع له وكما تواضعوا لله على نعله بذلك ولبس
ان نعتبر في ذلك انه لما ذا امره بذلك اذ لا ندري امر بخلع نعليه لحفي لم يطلع عليه احدا او لكرامة او لحكمة غيرنا نعقله
فنخرج ذلك مخرج الشهادة على الله بما يحتمل ان يكون كذبا فكان الكف عن مثله احق وقوله تعالى انك بالواد المقدس طوى
المقدس المطهر ولعله سماه مطهرا لما لم يعبد عليه سواه او سماه مطهرا لما خصه لفضل عباده لو غيرها على ما
يكون الفضل عباد ومقام فيها من نحو الكعبة والحرم والمساجد وغيرها وقوله طوى قال بعضهم هو اسم ذلك
الوادي وقال بعضهم هو من الطي اي طوي الارض المباركة حافيا وقال بعضهم المقدس طوى اي وقدس مرتين
مأخوذ من الطي وهو قول الحسن وقال بعضهم طوى اي يطوى حتى يحوز ذلك وقال ابو بكر الاصم لا نعرف
الا بحقيقة المعرفة لان هذه الانباء انما ذكرت لرسول الله وهي كانت في كتبهم لتكون حجة له وقد لا نعلي رسالته
عليهم فيجب ان لا نفسرها الا بما ثبت بالتواتر عن النبي بذلك اذ في تفسير ذلك باراءنا او بالاجتهاد خوف دخول الغلط فيه
وتغيير واذا تغير لا يصير له حجة عليهم ودلالة على رسالته بل تنعكس الامر لما كان التكون عنه والله اعلم
وقوله تعالى وانا اخترتك اي بالنبوة والرسالة او باشياء اخر كقوله واصطنعتك لنفسي وقال في اية اخرى
كان مخلصا اخلصه الله تعالى لنفسه باشياء وقوله تعالى فاستمع لما يوحى هذا يدل على ان النداء الذي نودي
كان دعاء وحي الله وهو قوله فلما اتاها نودي اي اوحي وقوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني هو ظاهر
امر بسائر اوله انما امر بذلك وقوله تعالى واقم الصلوة لذكري قال بعضهم اقم الصلوة لتكون ذاكرا لي لانك
ما تذكر المرء انما يذكر في الصلوة لان الصلوة من اولها الى اخرها ذكر افتتاحها وكذلك سميت الصلوة
ويحتمل ان يكون قوله واقم الصلوة لذكري اي لتذكرني فيها يا موسى وقال الحاملون اقم الصلوة لذكري اي اقم الصلوة
اذا نسيتها اذا ذكرتها على ما روي في الاخبار عن النبي عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
فان ذلك وقتها وقيل هذه الاية ان تستعجل ان يكون قوله واقم الصلوة لذكري اي اقم الصلوة لتستوجب بها
ذكري والله اعلم وقوله تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال الحسن كاد صلة وزائدة كانه قال ان الساعة اتية اخفيها

وفي حرف ابي رض ان الساعة آتية اكاد اخفيها من نفسي يحتمل قوله من نفسي وجهين احدهما اي لخفيها من خلقي
ولا يجب ان يفهم من نفسه ذاته بالاضافة كما لا يفهم من قوله ونفخت فيه من روحي روح ذاته وهو لخفيها من نفسي
لكن فهم منه خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله من نفسي ذاته هذا يحتمل والله اعلم والثاني اكاد اخفيها من نفسي اي
في اخيار عبادي مع عظم قدرهم ومنزلتهم عندي من نحو الملائكة والانبياء وكذا سبيل ذي عادة ملوك الارض
انهم لا يكتمون اسرارهم من خواصهم بل يطلعونهم على ذلك فاخبر انه اخفاها من خواص عباده واخيارهم
فكيف عن دونهم فيكون اضافته اياهم الى نفسه تعظيم قدر اولئك ومنزلتهم كقوله ان تنصروا الله ينصركم
والله لا ينصر ولكن معناه ان تنصروا دين الله او ان تنصروا الله ينصركم والله لا ينصر ولكن معناه ان تنصروا دين الله
او ان تنصروا اولياء الله ينصركم وكقوله يخادعون الله وهو خادعهم والله لا يخادع ولكن يخادعون اولياءه
ونحوه فعلى هذا قوله اخفيها من نفسي اي من خواصي واخيار خلقي والله اعلم هذا على اسقاط قوله اكاد وجعله
صلة زائدة ولما على اثباتها كاد اراد اي اريد اخفيها وهو معروف في اللغة ان يذكر كاد ويراد به اراد وهذا اي كاد
اي قارب تعرفه موسى ان رجلا قال اللغة على ارادة المقاربة يقال كادت الشمس تطلع او تغرب اي قاربت الشمس تطلع او
تقول الرجل كدت اسقط اي قاربت ولا اسقط ... فاذا كان ... انه قال ذلك فالله اعلم على التعظيم
للساعة اي قارب يخفيها من نفسها فكيف من غيره وقال ابن عباس قريبا من هذا اي اكاد اخفيها من نفسي فكيف
اقلها لكم اولا اظهر عليها احدا غيري وكانه سبحانه الاخبار في موضع الاظهار باللغة نحو ما قال في قوله واسروا
الندامة لما راوا العذاب اي اظهر ذلك كان الاسرار مستعملا في موضع الاظهار والكتمان فعلى ذلك يراد الاخفاء
مستعملا في الامرين جميعا وكذلك قال ابو عوسجة اخفيها اي اظهرها وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى اي لم
اخفاها الجزاء والمحنة لا للدفع ولو كان ظاهرا ... كل احد ... لان اذا علم كل انسان
ما ينزل به لما النفس مما سعت من العذاب يمتنع هو عنه جبرا ... كل احد ... بسببها ... مثلها
ضرورة فيكون بمعنى الدفع والاضطرار لا بمعنى المحنة والجزاء والله اعلم وقوله تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن
بها يعني الساعة ... لا يصدنك عنها باسباب القاها اليك ... لا انسان ... باسباب ...
وشبه يستعمل وان لم يقدر على منعه بالتصريح والاصلاح فكانه يقول والله اعلم لا يصدنك عن الساعة
من لا يؤمن بها واتبع هواه في التكذيب بها بالشبه والاسباب التي ذكرنا فتردى اي تهلك لو صدك عنها
والخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل واحد من المؤمنين على ما ذكرنا في غير اي من القرآن فيما خاطب به رسوله
قال ابو عوسجة فتردى اي تهلك يقال ارداه اي اهلكه ويقال تردى الرجل اذا وقع في بئر
او من فوق حائط او يقال تردية اي السقطة ... وتردت عنه وقوله تعالى وما تلك
بيمينك يا موسى كان موسى لم يفهم مراد سؤاله اياه انه اراد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى تبيانا عن اسمها
او تبيانا له عما له فيها فاجاب الامرين عن اسمه وعما له فيها حيث قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي
فيها مآرب اخرى قال الحسن ان الله تعالى ... انه كان في يد ... عصا ...
منها ... فعلم ذلك ... تنبيه ... ليعلم انه ... اخذها عصا ... انها لم ... حية
... بالاية التي جعلها له لانها كانت ... والله اعلم ... وما تلك بيمينك يا موسى
قال هي عصاي دلالة على ان الانسان اذا استخبر عن شيء ... يخبر المستخبر عما استخبر على الاجابة له وان كان
يعلم ان المستخبر له عن ذلك عالم بذلك لان موسى كان يعلم ان ربه كان يعلم عما في يده ولم يقل لحين سئل
عما في يده ربك انت اعلم به مني وكذلك قال هي عصاي اي اجابته لربه تعظيما لامره والله اعلم وكذلك في قوله وما تلك
بيمينك يا موسى دلالة ان العصا ... قال ابو عوسجة اتوكأ عليها اي استعين بها على المشي واهش بها
على غنمي اي اضرب الشجر بالعصا حتى ... الحاجة
ايضا الحاجة والارب جمع ... يقال ارب ... اربا ... وقوله تعالى قال القها
يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى يحتمل جعلها حية واراه الاية فيها لما ان قوم فرعون كانوا اهل بصر وحذق في
ذلك النوع من السحر فاحب ان يريهم الاية والعلامة من النوع الذي فيه بصرهم وحذاقتهم ليعلموا بعجزهم عن ... ويطلعوا
على انها اية وعلامة سماوية وربوبية لا بشرية اذ الاعلام التي جعلها الله آيات واعلاما لرسله على رسالتهم انما
جعلها ما كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك انها سماوية ربوبية لا بشرية من سحر او كهانة والله اعلم
وقوله تعالى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى اي على ما كانت في الاول عصا كان موسى خاف حين صارت
حية ... آية اخرى ... او عصا ... ذلك قال له خذها
ولا تخف اخبر انه يعيدها عصا على ما كانت والله اعلم وقوله تعالى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء

دعاك

وقال في آية اخرى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فكان في هذه تفسير الاولى وقوله من غير سوء
قال عامة اهل التاويل من غير برص فكانهم ذهبوا الى ان البياض في الانسان اذا اشتد به حتى يخالف سائر
بدنه لا يكون الا بالبرص لذلك قالوا من غير سوء من غير برص آية اخرى سوى آية العصا وجائز ان يكون قوله من غير
سوء اي من غير آفة وعيب واذى لان التغير اذا وقع في بدن الانسان لا يكون الا لعيب او آفة تحل به فاخبر ان ذلك
البياض ليس لآفة به ولا عيب في يديك ولا اذى ولكن آية من آياتنا والله اعلم وقوله تعالى لنريك من آياتنا
الكبرى قال بعضهم الآية الكبرى الآية في العصا لان سحرة فرعون كانوا في العصي والحبال لم يكن في غير ذلك
فاراهم آية في غير ما هم به علم وبصر ليعلموا ان ذلك ليس بسحر ولكن آية من الله تعالى اراهم اياها والله اعلم وقال قائلون
جائز ان تكون آية العصا اكبر من آية اليد لان اولئك كانوا اهل بصر وعلم في السحر في العصي فخرج عصا موسى عما
احتمل وسع الخلق عما لهم به بصر يدل على انما اتى به ليس هو بسحر ولكن آية من الله لان فضل بصر الرجل وعلمه في شيء
انما يظهر بتجاوزه غيره في ذلك ويظهر عليهم ولا يظهر عليهم على اهل الجهل بذلك فعلى ذلك امر عصى موسى وجائز
ان يكون قوله لنريك من آياتنا الكبرى اي ما ذكر الله في آية اخرى وهي قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات
اخبر ان الآيات الكبرى هي التسع التي ذكر في هذه الآية اذ كان لموسى آيات سوى التسع لكن التسع هي الكبرى
ويحتمل ان يكون ذلك على تخصيص آية دون آية بالكبر والعظم ولكن على وصف الكل بالكبر كقوله وما نريهم
من آية الا هي اكبر من اختها هو على وصف آياته كلها بالكبر وكقوله ولا تدعون بهم اقرب لكم نفعا هو على اثبات
النفع في كل واحد منهم على ما في الآخر فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى الطغيان
هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت له وكذلك كان فرعون قد تعدى وجاوز الحدود في كل شيء ادعى لنفسه
الربوبية حيث قال انا ربكم الاعلى وقوله تعالى قال رب اشرح لي صدري ان موسى عليه السلام سأل ربه ان يشرح
صدره وذكر في رسولنا انه شرح له صدره بقوله الم نشرح لك صدرك ثم جائز ان يكون شرح صدورهم لما
يحمل عليهم من ثقل النبوة والرسالة ليتسع صدورهم لذلك ويقدروا على الوفاء به او يكون سأله شرح
صدره لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيبهم قومهم حين دعوهم الى دينهم ويحزنون على ذلك فيمنعهم
غضبهم وحزنهم من القيام بتبليغ الرسالة كقوله رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني اخبر انه يخاف عند تكذيبه قومه ضيق صدره وثقل لسانه لذلك سأل ان يشرح صدره ويطلق لسانه
والله اعلم ويحتمل ما قال بعض اهل التاويل اشرح لي صدري اي لين لي قلبي لان الانبياء قد امتحنوا في حال
تبشيرهم متضادين بالغضب لله عند تكذيب قومهم اياهم والرأفة والرحمة لهم لما حل بهم من العذاب بالتكذيب
فذلك امران متضادان فخص الرسل بهما فجائز ان يكون سأل ربه ان يشرح صدره ليتسع الامرين جميعا الغضب
له والرحمة جميعا وقوله تعالى ويسر لي امري يحتمل تبليغ الرسالة اليهم والقيام بها او سأله التيسير بجميع ما امره
وبما نهاه عنه وقوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي يحتمل تبليغ الرسالة اليهم والقيام بها او سأله
التيسير بجميع ما امره به ونهاه عنه وقوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي يحتمل ما ذكرنا انه اشتد
الغضب يكل لسانه ويثقل حتى يمنعه عن النطق به فيطلق ذلك المعنى الخوف وكذلك فسأل ذلك حتى
لا يكل لسانه ... عند الغضب ويكون سأل ذلك لآفة كانت بلسانه مما كان يمنعه عن التكلم فسأل
ان يحل تلك الآفة والكربة التي كانت به ولما قال اهل التاويل انه كان اخذ بلحية فرعون ولطمه واراد ان
يقتله ... لذلك لانه كان لا يعقل فاتي بطست من جمر وطست من حلي فهما ... عن الحلي
فاهوى بيده جبريل الى الجمرة فاخذه وجعل في فيه فتلك العقدة التي سأل ان يحلها بذلك لكن هذا لا يعلم
الا بالوحي عن الله تعالى انه كذلك فالله اعلم وقوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي سأل ربه ان يجعل
اخاه معه وزيرا له ومشاورا ليتحمل عنه بعض ما حمل هو وعليه من الاثقال اذ قيل الوزير هو الذي يحمل عن الملك
بعض ثقل ما حمل وقوله اشدد به ازري قال بعضهم اشدد به ظهري اي قوتي وكذلك ذكر في حرف حفصة
وقرأ بعضهم اشدد به ازري على الخبر من موسى وكذا قوله واشركه في امري واما قراءة العامة فهي على الطلب والسؤال
وقال ابو عوسجة اشدد به ازري اي ظهري وقوتي يقال آزرته اي اعنته ويقال تآزروا وتعاونوا واستوزرت
اي استعنت به ومن هذا اخذ الوزير وقال القتبي ازري اي ظهري ويقال آزرت فلانا على الامر اي قويته
عليه واصل الوزارة من الوزر وهو الحمل كان الوزير يحمل عن السلطان بعض سلطانه فيحتمل عنه موسى عليه السلام
سأل ربه ان يعينه باخيه ويقويه فيما حمله وان يشركه فيما قلده من الرسالة والقيام بها فاجابه الله ذلك حيث
قال سنشد عضدك باخيك الآية والله اعلم وقوله تعالى كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا يحتمل قوله
نسبحك كثيرا اي نصلي لك كثيرا بالجماعة لان الصلاة بالجماعة يتضاعف على الصلاة وحده او ان يعين بعضنا

بعضا على التسبيح والذكر ونحوه وقوله تعالى انك كنت بنا بصيرا • اي انك كنت بضعفنا وعجزنا فيما حملتنا
فقلتنا بصيرا عالما وقوله تعالى قال قد اوتيت سؤلك يا موسى • اي اعطيت ما سالت فان كان ما سالة اشياء
فاوتي وقوله سؤلك وسؤالك ومسألتك سواء كلها واحد في اللغة وقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى
اذ اوحينا الى امك ما يوحى • يشبه ان يكون الامتحان النجاة فيما ابتلي بالبرد واشتباه الطريق حتى قال اني انست
نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فذلك المنة الاخرى ويكون المنة التي ذكر هي النجاة
حيث قتل ذلك القبطي فاشتد الخوف حتى بلغ الاياس فتلك المنة التي ذكر او ما ذكر من الوحي الى امه ان اقذفيه
في التابوت فاقذفيه في اليم الى اخر ما ذكر وقال بعضهم مننا عليك مع مرة اخرى ثم بين النعمة فقال اذ اوحينا
الى امك ما يوحى الى اخر ما ذكر والى هذا ذهب اهل التاويل فالاول كانه من محنة مما لا يحصى والله اعلم ثم الكلام
فيما المراة والقته دوعها ان تقذفه في البحر ايسع لها ان تفعل ذلك ونحل اولا اذ قد يجوز ان يكون
من الشيطان ثم مثل هذا على ما اخبر الله تعالى عنه حيث قال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى اخره
وفي ما كلمهم بهذا انه شيطان فعلى ذلك يجوز ان يكون في ذلك الالهام وما القى اليها [illegible] ومعنى عرفت
بذلك انه ذلك من الله لا من احد سواه او ان يكون ان الله يرفع الحجاب والموانع من قلبها فصار لها ذلك كالعيان
بان تخلق فيه علم ذلك ضرورة او هي صارت كالمضطرة بين شيئين الالقاء في البحر او التسليم الى فرعون ليقتله
فتبع لها اختيار ما هو اقرب الى رجاء السلامة والالقاء في البحر ارجى على ما صنعه في التابوت والقته
في البحر ولذلك وسع لها ذلك والله اعلم وقوله تعالى والقيت عليك محبة مني • قال عامة اهل التاويل
القى عليه محبته في قلب امراة فرعون حيث قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه الاية ولكن عندنا القى محبته في قلب
فرعون وفي قلبه ايضا حتى كان اشفق الناس عليه واحبهم اليه بعد ما كان يقتل الولدان بسببه ويحذره ويطلبه ذلك
جل وعلا رحمة عليه ومنة له وهي المنة التي ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى وقوله تعالى ولتصنع
على عيني • الصنع هو فعل الخير والمعروف والاحسان ثم قوله ولتصنع على عيني قال بعضهم اي لتجري على حفظي والعين
كناية عن الحفظ يقال عين الله عليك اي كن في حفظ الله وهو قول الحسن وقتادة وقال بعضهم لترى على علمي
كناية عن العلم والاول اقرب وكذلك قال ابو عوسجة ولتصنع على عيني اي تربي بعيني وبعين العلم ههنا والعين في
غير هذا المال والعين الاديم المحرق والعين المصدر من عان يعين عينا فهو عائن والمعنول معين وذا اصابه
بعين والعين الحقيقة كقولك هذا بعينه اي بحقيقته والعينة السلف وما اشبه ذلك وقوله ولتصنع [illegible]
اي نجعلنا وقوله تعالى اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله • اي من يضمه ويمنه [illegible]
الى نفسه ويحفظه ونحو كقوله ايهم يكفل مريم اي يضمها ويحفظها وقال ابو عوسجة على من يكفله اي من يضمه
وهذه الاية تدل على ان موسى صار عندهم من احب الناس واشفقهم عليه حيث قالت هل ادلكم على من يكفله وقوله تعالى
فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن • حيث قال انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وعدها ان يرده اليها وقد
وفى لها كي تقر عينها ولا تحزن اي يذهب حزنها الذي كان لانها كانت حزينة بطرحها اياه في اليم الا ترى انه قال ان كادت
لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها فهذا يدل على ان قوله ولا تحزن اي يذهب حزنها الذي كان لها وقوله تعالى وقتلت
نفسا فنجيناك من الغم • يحتمل ان يكون الغم الذي اخبر انه نجاه منه هو الخوف الذي كان له بقتل ذلك القبطي حتى
قال اني اخاف ان يقتلون وقوله فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ويحتمل الحبس او جميع انواع
الغموم وقوله تعالى وفتناك فتونا • قيل هو جمع فتنة او فتنا فتنا يقال الفتون هو مصدر فتن يفتن فتونا اي
ابتليناك ابتلاء اي بلاء على اثر بلاء ثم يحتمل الابتلاء في البلايا والشدائد والغموم التي ذكرنا نجاه منها ويحتمل
في النعم والخيرات اذ يكون الابتلاء في جميع الاوقات في البلايا والشدة ولكن كان في وقت في بلاء وشدة وفي وقت اخر
في نعمة وخير او فتنة بهما جميعا على ما اخبر بقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين
والله اعلم من المنة التي ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى وقوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى قال بعضهم
بالنبوة والرسالة او جئت مع النبوة والرسالة وقال بعضهم على موعد وقيل على قدر يا موسى اي وقت يجيء كذا قاله
ابو عوسجة وكيف ما كان ففيه ان مجيء العبد وذهابه وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقدير منه وفيه نقض قول المعتزلة
باسبابا وان كان قادرا على ان يجعل بغير اسباب وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي • اي اخترتك واصطفيتك لرسالتي
وسوى في ذكر نفسه لانه يامره بقوم باداء ذلك وقال ابو عوسجة واصطفيتك لرسالتي وسوى في ذكر نفسه لانه يامره
بقوم باداء ذلك وقال ابو عوسجة واصطنعتك لنفسي اي اخلصتك لنفسي اي استخلصتك لنفسي ثم انهم
من قوله لنفسي ذات تشبيه انفس الخلق كيف يفهم من قوله ولتصنع على عيني ما يفهم من الخلق ولا يتصور هذه
والامثال في وهم احد الا من اعتقد التشبيه ولم يعرف ربه ولو عرفه حق معرفته لكان لا يتصور في وهمه

لتشبيه

تشبيه الخالق به ولا تشبيهه بخلقه تعالى الله عن ذلك وقوله تعالى اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري
ولا تنيا في ذكري اي [illegible]
في التبليغ [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فقولا له قولا لينا [illegible]
[illegible]
[illegible] لعله يتذكر او يخشى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قالا ربنا اننا نخاف [illegible]
ان يفرط علينا او ان يطغى [illegible]
اي يقتلنا بعد ما يسمع الحجة منا وجائز ان يكون احدهما في القول والاخر في الفعل اي قوله ان يفرط علينا
او ان يطغى اي بما كان لانه قال تعالى في الجواب لهما قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما يقول لكما وارى
ما يفعل بكما فهذا يدل على ان الله اعلم اذ قوله ان يفرط علينا او ان يطغى يرجع احدهما الى القول والاخر الى الفعل والاية
انه قال في وقت وقوله تعالى اقبل يا موسى ولا تخف انك من الامنين الاية ونحو ذلك والله اعلم قال القتبي يفرط ان يعجل ويتقدم وقال
الفرط التقدم والسبق وفي الخبر عن النبي عليه السلام قال انا فرطكم على الحوض وهو من السبق وكذلك قال
ابو عوسجة فرط يفرط فرطا اي عجل وقوله تعالى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى • قوله لا تخافا ليس على نهي الخوف
عنهما ولكن ثباتا الامن لهما منه ليس على النهي عن الخوف لانه وصل الامن به لا يرد النهي عنه وهو كقوله ولا تحزن عليهم
ليس على النهي عن الحزن ولكن على التسلي ونحوه كذلك لا تخافا وقوله انني معكما في النصر والمعونة كما قال الدفع والذب
عنكما وقوله تعالى فاتياه فقولا انا رسولا ربك ويشبه ان يكون هذا صلة قوله ولا تنيا في ذكري اي لا تضعفا
في تبليغ الرسالة ولكن قولا انا رسولا ربك وقوله فارسل معنا بني اسرائيل لا يحتمل ان يكون اول ما اتيا فرعون
قالا له فارسل معنا بني اسرائيل بل قد سبق منهما الدعاء الى توحيد الله والاقرار له بالالوهية والربوبية وقوله
واذا ابى الاجابة لهما فعند ذلك قالا له ارسل معنا بني اسرائيل وقوله ولا تعذبهم هذا يحتمل وجهين احدهما
كانه كان يمنع بني اسرائيل عن الاسلام وهما ادعوا الى الاسلام فقال ارسل معنا بني اسرائيل ولا تمنعهم عن الاسلام
او كان يستعبدهم فامره ان يعتقهم من يده ويرسلهم كقوله ان عبدت بني اسرائيل الا ترى انه قال ولا تعذبهم وقوله
قد جئناك باية من ربك وهو ما قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله تعالى
والسلام على من اتبع الهدى • هذا يدل على انه لا يبدا بالسلام على اهل الكفر ولكن يبدا باهل الاسلام وفيه
ان تحية اهل الاسلام هو السلام لا قول الناس اطال الله بقاك ونحوه وقوله انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى كانه قال والسلام على من اتبع الهدى والعذاب على من كذب وتولى والسلام هو اسم كل خير
وقوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى • وقال في اية اخرى وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما سأله فرعون عن ماهيته واجاب موسى عن اثار صنعه في خلقه وانه رب
كل شيء ومالك له لم يجبه عما سال عن ماهيته وكيفيته حيث قال فمن ربكما يا موسى [illegible]
كذا فيه دلالة ان الله تعالى لا يعرف من جهة الماهية والكيفية اذ لا ماهية له ولا كيفية اذ هما اوصاف الخلق والله
وتعالى يتعالى عن ان يوصف بشيء من اوصاف الخلق ثم قوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى يحتمل وجوها احدها اي اعطى
كل شيء صورته وهيئته او اعطى كل شيء جنسه وشكله او اعطى كل شيء ما به معاشه وقوامه او اعطى كل شيء كونه
العيان صورته ما قد كان ليعلم انه قادر على بعثهم على الصورة التي كانوا عليها وقوله ثم هدى فهو بيني على قوله اعطى كل
خلقه ثم هدى فان كان تاويل اعطى كل شيء صورته وهيئته فقوله ثم هدى اي هداه النجاة وان كان التاويل
اعطى جنسه وشكله فقوله ثم هدى اي هداه للنسل وان كان قوله اعطى كل شيء ما به معاشهم وقوامهم فقوله
ثم هدى اي هداهم الى ما يتعيشون به ويقومون به فهداهم لما يصلح لهم وما لا يصلح لهم والله اعلم وقوله تعالى قال

فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي قال بعضهم انما سأل فرعون موسى عن القرون الأولى لانه قد سمع من ذلك
الرجل المؤمن حين قال له اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود الاية فلم يكن لموسى بذلك
علم على الحقيقة فوكل علم ذلك الى الله ثم انزل عليه التورية فبين له فيها امرهم وقال بعضهم سأل فرعون موسى عن ذلك
لان موسى اخبره انه يبعث يوم القيمة ويحوسب على عمله فعند ذلك قال له فرعون فما بال القرون الأولى لم يبعثوا منذ
اهلكوا فقال له ما قال وقال بعضهم قوله فما بال القرون الأولى اهم في الجنة ام في النار فقال علمها عند ربي وكذا
قال القتبي يقال اصلحك الله ما بال الناس اي ما حالهم وقال بعضهم انما سأله عن علم المراد بعمال القرون الأولى فقال
عند ربي وقوله تعالى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى قال بعضهم اي الكتاب الذي كتبت فيه اعمالهم كقوله كتاب
مرقوم يشهده المقربون وقوله ما يأتي ويتبع وقال بعضهم في اللوح المحفوظ وقوله لا يضل ربي ولا ينسى قيل لها
تأويلات لا يضل ولا ينسى ذلك الكتاب يعني لا يضله ولا يضل شيء منه لا يضل ربي اي لا يضل من ختم بالهدى
ومن قرأ لا يضل ربي اي لا يضل ذلك الكتاب عن ربي ولا ينسى اي لا يعدم وقوله الذي جعل لكم الارض مهدا
هذا صلة قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهو الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا
وانزل من السماء ماء الاية قوله مهدا اي فراشا يذكر نعمه التي انعمها عليهم يقول جعل لكم الارض بحيث
تفترشون بها وتعيشون ويمكنكم من القرار عليها بعد ما كانت تميد بكم وسلك لكم فيها طرقا تسلكونها
فيها وتختلفون الى البلدان النائية في حوائجكم وغاية معاشكم وقوامكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا قضيت
حوائجكم وقوله وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى اي اخرجنا بالماء ازواجا من نبات شتى
ما به معاشكم وقوامكم وقوام انعامكم على اختلاف ما جعل لكم لكل دابة من ذلك شيئا وعند [illegible] ذلك
تغيرها الا في من الدواب ما يأكل النبات ومنها ما يأكل الحب ومنها ما يأكل العشب ونحوه وقوله كلوا وارعوا انعامكم
فيما به قوامها وقوله ان في ذلك لآيات لاولي النهى اي لاولي العقول وقال الحسن ان في ذلك لآيات للذين
يتناهون عما نهوا وقال بعضهم لآيات لاولي الورع لكن اولوا النهى هم اهل العقول لانه بالعقل ينهى عما ينتهى
وينتهي عنه ففيما ذكر آيات لهم وكذا قال القتبي وقال النهية العقل والنهى جمع والله اعلم وقوله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم يحتمل قوله منها خلقناكم وجوها احدها منها خلقنا اصلكم وهو آدم
فانه خلقه من تراب وهو مثل الكلي اضاف خلقنا اليها ولم يخلقنا منها كما اضاف الانسان الى النطفة
يقول انا خلقنا الانسان من نطفة ولم يخلق الانسان منها لانه انتقل منها حتى صار علقة لكن اضافه اليها لانها
اصل الانسان فعلى ذلك اضافة خلق انفسنا الى الارض والله اعلم والثاني نسبنا اليها لانا من اولها الى ان ننتهي
الى آخر ما ينتهي اليه يكون قوتنا ومعاشنا من الخارج من الارض فنسب خلقنا اليها وهو كما قال يا بني آدم قد
انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم واللباس على هيئة ما يلبس لم ينزل من السماء لكن الاضافة باعتبار انه
صار باسباب كانت من السماء وأصله منها فعلى ذلك هذا والله اعلم وقال بعضهم ان الملك ينطلق فيأخذ
من تراب المكان الذي يدفن فيه الانسان فيذره على النطفة التي قضى الله منها الولد فيخلق من التراب
والنطفة فذلك معنى الاضافة اليها لكن هذا شيء لا يعرف الا بخبر فان ثبت فهو هو والا لا يحتاج الى تكلف
ذلك ايا والله اعلم وقوله تعالى وفيها نعيدكم يحتمل قوله وفيها نعيدكم اذا متم وتقبرون فيها ثم نخرج
الانسان ففي ذلك لنا خاصة دون غيرنا من البهائم والحيوان كرامة للموتى وصيانة للاجساد عن [illegible]
وهو كقوله ثم اماته فاقبره ويحتمل ان يكون قوله وفيها نعيدكم اي تصيرون في الارض ترابا اذا متم فنخرجكم تارة
وسلطانا اي من قدر على تصيير الانسان ترابا بعد ما لم يكن ترابا لقادر على ان تصير انسانا من بعد ما كان
ترابا لا فرق بين الامرين وهو ما قال ومنها نخرجكم تارة اخرى اي منها نبعثكم وننشئكم مرة اخرى والله اعلم
وقوله تعالى ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى والاشكال انه كيف قال لقد اريناه آياتنا كلها
ولم ير جميع آياته انما اراه بعض آياته لكن نقول ان كان المراد من الاراءة الاعلام له فالاعلام آية بمنزلة اعلام
الآيات كلها لانه حصل له العلم بكونها آية وبكفيها حجة في ارادة آية واحدة فيما يحصل العلم بالآيات
لذلك قال اريناه آياتنا كلها وتلك الاية ما قال له موسى عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر علم اللعين انها آيات وليست بسحر ويحتمل ان يريد بالآيات كلها الآيات التي ارسلها الى موسى
وقد اراه كلها فكأنه قال اريناه كل الآيات التي ارسلناها الى موسى فكذب بتلك الآيات وابى ان يصدقها
ويقبلها فيسلم وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى قد علم اللعين انه لم يجئ ليخرجهم
من ارضهم ولكن يريد منهم الاسلام وترك الكفر والشرك لكنه اراد بهذا الكلام ان يهيج قومه عليه كقوله
حين عتبه لقومه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون فهذا منه اغراء لقومه عليه وقوله فلنأتينك

بسحر مثله

بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال بعضهم اي تجعل بيننا
موعدا نجتمع فيه سوى هذا المكان الذي نحن فيه الآن وغير هذا المجلس وقال بعضهم سوى عدلا او نحو ذلك
[illegible]
ومقامات وقال القتبي وسطا وقال الكسائي سوى وسوى [illegible]
[illegible] قال موعدكم يوم الزينة قال بعضهم يوم عاشوراء
بعضهم يوم العيد وقال بعضهم يوم سوقهم [illegible]
[illegible] وان يحشر الناس ضحى [illegible]
وقال القتبي وان يحشر الناس ضحى [illegible]
[illegible] فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى [illegible]
[illegible] قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا [illegible]
[illegible] فيسحتكم بعذاب [illegible]
[illegible]
[illegible] فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى [illegible]
[illegible] قالوا ان هذان لساحران [illegible]
[illegible]
هذا لغة قوم من العرب يقولون [illegible] رجلان وقالوا هذه الالف لا تسقط في الوحدان نقا
مررت بهذان ورأيت هذان فهو على تلك اللغة وقال بعضهم ان هذان اي نعم هذان وذلك لغة قوم ان يستعملوا
ان مكان نعم يقول القائل ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه اي نعم وقال بعضهم انه خطأ
من الكاتب وهكذا روي عن عثمان رضي الله عنه انه لما نظر في الكتاب قال ارى فيه لحنا ستقيمه العرب
بالسنتها او كلام نحو هذا ولهذا قرأ بعض القراءة ان هذين ثم قوله يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما اما العذر
هذا القول لفرعون وحيث قال للقوم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره الاية وقوله قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا
بسحرك يا موسى ثم ان اللعين قال ذلك لانه ليس بحجة لقومه عليه لئلا يتبعوه وقوله ويذهبا بطريقتكم
المثلى اختلف فيه قال الحسن انهم كانوا جبابرة وفراعنة وكان بنو اسرائيل لهم خدما وخولا يستخدمونهم ويستعملونهم
في حوائجهم وكان يعيشهم بهم فقال ويذهبا بطريقتكم المثلى اي يذهبا بأمثل عيشكم حيث قال ارسل
معي بني اسرائيل ولا تعذبهم وقال بعضهم بطريقتكم المثلى اي يذهبا بدينكم ومذهبكم الامثل لانه يقول
ان الذي يدعوهم اليه هو الرشاد والذي يدعوهم اليه موسى هو باطل وسحر فسماه كقوله ذروني اقتل موسى وليدع
ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وحيث قال ما اهديكم الا سبيل الرشاد وحيث قال
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك يعني انما يدعوهم اليه موسى وقال القتبي ويذهبا بطريقتكم
المثلى اي الاشراف اي يذهب بطريقتنا اشرافكم وخياركم كما الطريقة قوم هم اشرافهم والمثلى مؤنث امثل مثل اكبر
وكبرى وقال ابو عوسجة اي بدينكم الافضل وهو من الامثل وقوله فاجمعوا كيدكم اي فاحكموا ثم الاجماع يستعمل
في العزم مرة والاجتماع ثانيا اما في العزم ما روي في الخبر لا صوم لمن لم يجمع الصيام من الليل اي لم يعزم على ما روي في خبر
آخر لا صوم لمن لم يعزم من الليل والاجتماع ظاهر فان كان على الاجتماع فكأنه قال اجتمعوا على امر واحد وعمل
واحد لا تختلفوا فيه وان كان على العزم اي اعزموا شيئا واحدا واقصدوا امرا واحدا لكي يعملوا وقوله ثم ائتوا
صفا قال بعضهم ائتوا جميعا غير متفرقين وقال بعضهم ائتوا صفا اي المصلى الذي كان موعود الاجتماع وهو يوم
الزينة وكذا قال ابو عبيدة الصف المصلى وحكي عن بعضهم انه قال ما استطعت ان آتي الصف اليوم اي المصلى وقال
القتبي صفا اي جميعا وقوله وقد افلح اليوم من استعلى قيل اي غلب فهو كقوله [illegible] في الارض او
ان يكون قوله استعلى اي طلب العلو واراد ان يستعبدهم وقد وعدهم فرعون الاجر ان كانوا هم الغالبين كقوله
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين فذلك هو ما طلبوا منه فاخبر انهم يظفرون بذلك
هذا اذا كان ذلك القول لفرعون والله اعلم وقوله تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا
انما قال لهم بل القوا بامر من الله واذن منه وقوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم

انها تسعى قال ابو عوسجة يخيل اليه اي يظن يقال يخيل الي اي يشبه لي ويخيل لي ان هذا الشيء كذا وكذا وقوله تعالى
فاوجس في نفسه خيفة موسى اي وقع في قلبه الخوف وخاف اذ صنع القوم ما صنعوا من السحر وقال القتبي
فاوجس اي اضمر خوفا وقال ابو عوسجة فاوجس اي احس ثم يحتمل ذلك الخوف منه وجهين احدهما خاف على ما
عليه البشر من خوف الطبع لا خوف غلبه لانه قال لهم ما جئتم به السحر ان الله سيبطله كان يعلم ان الله سيبطله
كان يعلم ان تمويهات السحر لا يبطل حجج الله تعالى واياته فدل ذلك انه خاف خوف الطبع والجبلة لا خوف التهمة
والغلبة والله اعلم ويحتمل ان يكون خوفه لما اخذ سحرهم كذلك اعين الناس خاف موسى ان يمنعهم ذلك عن ان يبصروا
ما جاء هو من الاية والبرهان وقال بعضهم خاف ان يشكوا فيمنعه ذلك ان يتبعوه او يشك في ذلك خبر من تابعه وهو ما ذكرنا
قريبا منه والله اعلم وقوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب ثم ان كان الخوف الذي ذكرنا خوف
طبع وما جبل عليه المرء فيكون قوله لا تخف على تسكين القلب واثبات الامن وان كان الثاني فهو على البشارة
والاخبار عن انه لا يمنع سحر اولئك اياهم من ان يبصروا ما اتى به من الاية والله اعلم وقوله تعالى والق ما في يمينك
تلقف ما صنعوا هذا يدل على ان سحر اولئك انما صار سحرا بعد ما القوه لما في ايديهم لم يكن ذلك سحرا وقت
كونه في ايديهم وكذلك عصا موسى انما صار اية وحجة بعد ما القاها من يده لم تكن وقت كونها في يده كذلك
حيث قال والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا اي تلقم وتاكل ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر
حيث اتى اي لا يفلح الساحر حيث اتى بسحره والا فقد افلح سحرة فرعون لما امنوا وتابوا عن السحر وفي حرف ابن مسعود
ولا يفلح الساحر اين اتى وقال بعضهم حيث يعني كان والكناية حيث وحوث لغتان وقوله تعالى فالقي السحرة
سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى لانهم عرفوا حقيقة ما اتى به موسى فعلموا انه سماوي وانه ليس بسحر فلذلك
امنوا لم يرتابوا قط وهذا يدل على ان كل ذي علم وبصر في شيء كان ابصر واعلم في ذلك الشيء من غيره الا ترى انهم
لم ينظروا فيما اتى موسى لما ايسوا ولم يتوقفوا ولا نظروا في مثله بل اسرعوا معرفتهم ذلك لم يملكوا انفسهم حتى القوا
على وجوههم ساجدين على ما اخبر بقوله فالقي السحرة ساجدين وقال ههنا فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب
هرون وموسى وقوله تعالى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر قال بعضهم يعني موسى
كبيركم الذي علمكم السحر وقال بعضهم يعني كبير السحرة الذي علم غيره السحر انه امركم بان تومنوا كما قال في اية اخرى
ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها قد علم فرعون اللعين ان هذا ليس بسحر ولا مكر لكنه
اراد ان يموه على قومه ويلبس عليهم امر موسى وما جاءهم من الايات والحجج لانه هو الذي رباه ونشا بين ظهريه
ابنه يعلم انه لم يتعلم السحر من احد قط اذا فارقه وخرج من عندهم الى مدين لم يكن هناك ساحر يتعلم السحر منه
لكنه اراد التمويه والتلبيس على قومه وكذلك اهل مكة حيث نسبوا رسول الله الى السحر والكهانة والافتراء
والجنون وقد علموا انه ليس بساحر ولا كاهن ولا مجنون ولا مفتري لانه نشا بين اظهرهم صغيرا لم يوجد
عليه كذب قط على احد من الخلائق فكيف على الله تعالى ولا راوه اختلف الى احد في السحر والكهانة في تعلم ذلك
لكنهم ارادوا بذلك التمويه والتلبيس على الناس لئلا يتبعوه ولا يجيبوه الى ما دعاهم اليه من دين الله وتوحيده
والرسل لو لم يكن معهم الايات المعجزة ولا الحجج النيرة لكانت انفسهم وما طبعوا عليه من السيرة الحسنة
والاخلاق الكريمة الجميلة وما اختاروا من الامور العظيمة الرفيعة دالة على رسالتهم ونبوتهم فكيف
وقد جاءوا بالايات المعجزة والبراهين النيرة وما طبع عليه السحرة من السيرة المذمومة والاخلاق الدنية والامور
الخسيسة يدل على كذبهم واشغالهم فكيف اشكل عليهم معرفة السحر من الرسالة لو لا التمويه من الحجة ولكنهم
ارادوا بذلك ما ذكرنا من التمويه على قومهم والله اعلم وقوله تعالى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
في جذوع النخل يشبه ان يكون هذا الوعيد منه في وقتين اوعدهم اولا بقطع اليد والرجل من خلاف على الابقاء
رجاء ان ينتهوا او يرجعوا عما اختاروا فلما لم ينتهوا عنه فعند ذلك اوعدهم بالقتل والصلب اذ في القتل والصلب
اتلاف ما دونه من الجوارح فان كان على هذا ففيه ان كل حد يراد به الابقاء فانه لا يوتى على الجوارح كلها والقطع في كل ما
يراد به الابقاء لذلك لا يوتى على الجوارح كلها وكذلك قطاع الطريق اذ يراد في ذلك النوع الابقاء لم يرد على قطع
اليد والرجل من خلاف والله اعلم قال ابو عوسجة جذع النخل ساقه واصله وقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى
لو ذاق اللعين من عذاب ربه شيئا لم يقل مثل هذه المقالة او لو لا ما عرض من حلم ربه والا لم يتجاسر ان يتكلم بمثل
هذا او يوعدهم انه عذابه اشد من عذاب الله وقوله تعالى قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات اي لن نوثرك بالربوبية
والعبادة وذلك الطاعة على ما جاء من البينات على ربوبيته والوهيته واستحقاقه العبادة وقوله والذي فطرنا
قال بعضهم لن نوثرك ايضا على الذي خلقنا لكن غيرهم كانه شبه وهو ان قوله والذي فطرنا على القسم بالذي
فطرنا كانهم ايسوه من العود الى عبادته بهذا القسم وقوله فاقض ما انت قاض ليس على الامر ولكن على الاذن

عن ذلك

عن ذلك اي انك انما تفعل ما اوعدت فانا لا نوثرك وقوله انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اي انما تقضي في هذه
الحيوة الدنيا وقوله انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى يحتمل والله خير
معبود وثوابه ابقى من ثواب غيره او يكون هذا جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى فيقول السحرة عذاب الله
اشد وابقى والله اعلم وقوله انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى اصل هذا والله اعلم انه من قبل عن الله تعالى حيوته بالشكر وطيبها بالاعمال الصالحة طيب الله
حيوته بالشكر وطيبها بالاعمال الصالحة طيب حيوته وعيشه في الاخرة ومن لم يقبل حيوته من الله تعالى بالشكر
في الدنيا بالكفر بها وخبثها وقبحها بالاعمال الخبيثة الدنية خبث حيوته وعيشه في الاخرة وقوله فاولئك لهم الدرجات
العلى الدرجات هي ما ترتفع وتعلو والدركات هي ما ترتفع وتعلو والدركات هي ما يستفل وينحدر في الارض فالدرجات
للمومنين في الجنة لاختيارهم في الدنيا الاعمال الصالحة الرفيعة العالية فلما اختاروا في الدنيا الاعمال الصالحة
الرفيعة العالية لهم في الاخرة مقابل ذلك الدرجات العلى واما الدركات فهي لاهل الكفر مقابل ما اختاروا في الدنيا
من الاعمال الخسيسة الدنية والله اعلم وقوله تعالى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء
من تزكى اي ذلك الذي ذكر جزاء من تزكى اي من اصلح عمله وايمانه والزكوة هي النماء في اللغة وقال بعضهم وذلك
جزاء من تزكى اي من اصلح عمله وايمانه والزكوة هي النماء في اللغة وقال بعضهم وذلك الجزاء من تزكى اي جزاء من
امن وذلك لانه بالايمان تزكوا الاعمال وتنمو به ثواب عملها ويوجد وقوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
الاسراء هو السير بالليل وقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اي اضرب بعصاك البحر فيصير لهم طريقا
في البحر يابسا وهو كقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق الاية وقوله تعالى لا تخاف دركا
ولا تخشى اي لا تخاف لحوق فرعون وجنوده ولا تخشى غرق البحر ليس على النهي لكن على الامن ورفع الخوف
عنه من ان يدركهم ويلحقهم الا يرى انه قال انا لمدركون قال كلا وكذا قال القتبي لا تخاف دركا ولا تخشى اي
لحاقا وقوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده اي لحقهم فرعون بجنوده دل هذا على انه كان معه جنود لا تحد
واهل علم العدد انهم كانوا كذا وكذا الف وقوم موسى كذا الف فذلك لا نعلم الا بالخبر وليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة وقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اي من الغرق والهلاك وقوله تعالى واضل فرعون قومه وما هدى
قال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداه الله وقال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداهم حيث قال وما اهديكم
الا سبيل الرشاد وقيل واضل فرعون قومه وما هدى نفسه وقيل واضل فرعون قومه طريق البر وما هدى
بنفسه حتى غرقوا جميعا وقوله تعالى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم قال بعض اهل التاويل هذا من الله تعالى
منة على بني اسرائيل بما نجاهم من فرعون وقومه بغرقهم في البحر ونجاتهم منه حين بلغته رسولنا فانه خاطب بني اسرائيل
بهذا واظهر المنة عليهم وقال بعضهم هذا خطاب يخاطب من حضر رسول الله من اهل الكتاب الذين هم من بني
اسرائيل يخبرهم بما انعم على ابائهم ومن على اولئك والا لم يكونوا هؤلاء يومئذ وفي الاية تذكير النعم والمن على الصحابة
رضي الله عنهم واهل اخر موذرهم لانه امنهم من عدوهم في اخر امرهم وايايسهم عن عود هؤلاء الى دينهم وفيه تذكير لنا
فيما انعم علينا ومن واول مورثنا واولها اخرها النبي لتذكير لبني اسرائيل خاصة ولكن لكل من انعم عليه ومن وقوله تعالى
وواعدناكم جانب الطور الايمن كان بعد مجاوزة موسى ببني اسرائيل البحر قالوا يا موسى ان تسعدنا ان تاتينا
بكتاب فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والفرائض قال بلى ثم تعجل موسى عليه السلام لكم لتاتيهم بالكتاب
لما وعدهم ان ياتيهم الى اربعين ليلة من يوم انطلق من عندهم ووعدهم جانب الطور الايمن يعني الطريق فذلك
قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن قال بعضهم الايمن هو اسم ذلك الجبل وقيل سماه لانه من يمين موسى ولسنا
ندري حقيقة ذلك انه سماه ايمن لانه من يمين موسى او سماه ايمن ليمنه وبركته وقال في اية اخرى نودي من شاطئ
الوادي الايمن فان كان من اليمن والبركة فهو كذلك لانه به كان بدو وحي موسى والله اعلم وقوله تعالى ونزلنا عليكم
المن والسلوى تذكير على هؤلاء ما وسع على اوائلهم من الرزق واخصبهم يستادي بذلك الشكر على من انعم
عليهم وذلك تذكير لنا ولكل من وسع عليه اذ ارسل عليهم سعة الرزق وكلنا من اول عمرنا الى اخره وقوله تعالى كلوا
من طيبات ما رزقناكم اي من حلال ما رزقناكم فهو يحتمل هذا فان كان على هذا ففيه ان قد يرزق ما ليس بحلال
اذ لو كان يرزق حلالا لكان من حق الكلام ان يقول كلوا ما رزقناكم فلما ذكر بكلمة من وهي للتبعيض ولم يكل بعض
ما رزقنا وهو الحلال دل ان من الرزق ما هو حرام ويحتمل من طيبات ما رزقناكم ما طيبه انفسكم فيكون لا له
على ما ذكرنا ايضا لانه ليس كل ما يطيب به الانفس يكون حلالا فكان المراد هو الامر بكل ما يطيب الانفس من الرزق
الحلال دون الحرام ثم في الاية دليل على هذا التاويل الذي يجوز ان يختار من الاطعمة ما هو اطيب وما تستطيب
به الانفس وقوله تعالى ولا تطغوا فيه الطغيان هو المجاوزة عن الحد وتلك جعلت في لا تطغوا ثمار رزقكم

من الطيبات ويجعلونه في غير محله ويتجاوزون عن الحد الذي جعل ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ بكسر الحاء والخفض من الحفض معناه ينزل عليكم غضبي وبالرفع يجب عليكم غضبي اي عذابي ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ قيل هوى اي هلك يقال هوت امه اي ثكلته وقيل فقد هوى اي سقط في النار يقال هوى في موضع كذا اي سقط ﴿وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ يحتمل انى لغفار لمن تاب من الشرك ورجع عنه وآمن بتوحيده وعمل صالحا فيما بين ثم اهتدى فحفظه امره ونهيه وقيل انى لغفار لمن تاب عن جميع المناهي وآمن بجميع ما امر ثم اهتدى او دام على ذلك وثبت كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية ﴿وما اعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال بعضهم ان موسى خرج سفر من قومه الى الجبل ليأخذوا التورية فعجل موسى حتى خلفهم وتركهم وراءه فعند ذلك قال الله وما اعجلك عن قومك يا موسى وقال بعضهم لم يخرج سفر ولكن خرج وحده وترك قومه فاصابهم ما اصاب من الافتتان بالعجل الذي اتخذ السامري ﴿قال هم اولاء على اثري﴾ هذا على التأويل الاول انهم يجيئون على اثري وعلى التأويل الثاني اي تركتهم على دينى وسبيلي وهو قول الحسن وقوله ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ اي عجلت اليك ربى فيما دعوتنى اجابة لك وطاعة لك فيما امرتنى لترضى هذا على التأويل الذي قالوا انه خرج وحده وعلى التأويل الذي خرج سفرا وعجلت اليك رب لترضى اي طلب رضاك وعجلت لترضى اذ لم يكن سبب ولا معنى يمنعني عن الاسراع الى ما دعوتنى وامرتنى وهكذا عندنا ان من لزم امر يدعوه ويأمره الاسراع والعجلة الى القيام باداء ذلك اذا لم يكن هناك سبب يمنعه من التعجل له والقيام به ﴿قال فانا قد فتنا قومك من بعدك﴾ الفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلايا ومعنى الافتتان ههنا هو ما فتنهم العجل الذي اتخذه السامري بعد ذلك وقوله ﴿واضلهم السامري﴾ اضاف الافتتان الى الله والاضلال الى السامري لانه كان سبب اضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى من قبل فاضاف الاضلال اليه لسبب كان منه ولا يملك احد اضلال احد واضاف الافتتان الى نفسه لما ذكرنا ان السامري اتخذ لهم عجلا من الذهب والحلي فانشأ الله جسدا مجسدا بلحم ودم ونفخ فيه الروح وجعل له خوار فذلك معنى اضافة الافتتان اليه والله اعلم فان قيل ما معنى اجرائه ما اجرى على يدي السامري مع ضلاله من الاية ليصير سبب ضلال لهم قيل هي والله اعلم لان مدعي لنفسه الربوبية لا يشتبه ذلك ولا تظهر لكثرة ما ادعى انه اله وآثار العبودية فيه قائمة ظاهرة يعرفها كل احد من الناس انه ليس باله فاما الرسالة فانه يجوز ان يشتبه على الناس ويلتبس عليهم فيمنع الله تعالى من ليس برسول اذا ادعى الرسالة لاشتباهها على الناس فاما الالوهية فلا يمنع عن اجراء الاية على يدي مدعيها لان آثار العبودية واعلام الحدث وكل فيه ظاهرة يعرفها كل احد وهكذا من اجترأ على تكذيبهم القرآن فعرفوا هذا القرآن فقال ان رسول الله لم يقدر انه تعالى على قراءته فلو ادعى الربوبية به لم يمنع لان آثار العجز في المسألة ونحوها الحدث موجودة ونحن لو ادعى الرسالة لم يكن دليل كذب المدعي للرسالة فانما يعلم ظهرت على يديه يؤدي الى التلبيس في ذلك فافترقا والله الموفق ﴿فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا﴾ الاسف هو النهاية في الغضب والنهاية في الحزن وهكذا جعل الله رسوله على نهاية الغضب لله والاسف لعنادهم ما يتبعه الخلاف منهم للتكذيب كقوله لرسوله تعالى باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ونحوه والله اعلم وقوله ﴿قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ قيل فيه قال الحسن الوعد الحسن هو ثواب الذي وعدهم على الدين وعدا حسنا اي عهدا او صدقا وقيل وعدهم ان يرجع اليهم بعد اربعين يوما على ما ذكر وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقوله ﴿افطال عليكم العهد﴾ على تأويل الحسن افطال عليكم عهد ما وعد لكم من الثواب والجزاء على دينه وسنته حتى تنسيتم ذلك على تأويل من قال ان الوعد هو ما وعد انه يرجع اليهم على رأس كذا يقول افطال ذلك عليكم ومعنى وعدى يحتمل الوعد الذي في الذين ذكرناهما ﴿قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا﴾ برفع الميم وكسرها ونصبه فمن قرأه برفع الميم اي بسلطاننا وطاقتنا اي لم نفعل بسلطاننا وطاقتنا ومن قرأ بكسر الميم ونصبه معناهما واحد اي لم نفعل بما ملكنا بايدينا وقوله ﴿ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم﴾ اي اثقالا من زينة قوم فرعون اي حلي القبط وقوله ﴿فقذفناها﴾ اي قذفنا ما حملنا من حليهم وقوله ﴿فكذلك القى السامري﴾ اي كذلك قذف ما حمل السامري من حليهم ويجوز ان يكون قوله فكذلك القى السامري اي القى ما اخذ من قبضة من اثر الرسول كقوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها والله اعلم وقوله ﴿فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾ اي عجلا جسدا مجسدا لا انه عجل في الحقيقة وقال بعضهم عجلا جسدا مثل العجل بلحم ودم وروح لكن لا يعيش كما يعيش العجل المولود من البقرة والاول اشبه وقوله ﴿فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي﴾ قال بعضهم هذا القول انما قاله السامري ثم قوله فنسي اي نسي السامري حيث قال لهم هذا القول وكذا قوله هذا الهكم واله موسى فيكون النسيان على هذا التأويل التضييع والترك كانه قال ضيع السامري معرفة ما علم وعرف من الدلائل

ونسب الالوهية الى العجل والله اعلم وقال بعضهم فنسي اي موسى كان السامري قال لهم هذا الهكم واله موسى من قبل لكنه نسي فخرج في طلب غيره ولكن هذا فاسد لانه لا يحتمل ان يقبلوا منه ويجعلوا العجل الذي اتخذه السامري الها وقد علموا انه اتخذه من حلي حملوه من القبط لكنه كانه كان في معتقدهم انه يجوز اتخاذ الا دونا كما العاملين والعباد ما يرجوا ان يقرب عبادتهم تلك الالهة الى الله وعلى هذا كانوا يعبدون الاصنام دونا تخضعا لولا نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذلك قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكذلك ما اتخذهم فرعون من الهتهم دونه والا لم يحتمل ان يقع عندهم انه رب العالمين هو ذلك العجل لكنه ما ذكرنا انهم كانوا يستحبون في اعتقادهم عبادة من دونه فقال الله ذلك فرد عليهم اعتقادهم ﴿افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ اي لا يرون انه لا اذن لهم في عبادة من يرجع اليهم عنه القول ويملك النفع والضر ويعرف اليسر ويكشف ان دونه عبادة من لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم قوله تعالى ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري﴾ يذكر هذا رسوله والله اعلم ان الذين كذبوك وجحدوا رسالتك لم يفعلوا ذلك لجهلهم برسالتك ولكن تعنتهم وعنادهم على ما انبأه من قول هارون لقومه لما عبدوا العجل حيث قال يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني فكانه يؤيسه من ايمان اولئك لعنادهم كما قال افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله الاية ثم قوله انما فتنتم به يحتمل وجهين احدهما فتنتم اي صرتم مفتونين بالعجل بصوته وخواره او نحو ذلك والثاني فتنتم اي ضللتم بالعجل ﴿فاتبعوني واطيعوا امري﴾ اي اجيبوني الى ما ادعوكم واطيعوا امري بما امركم به ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى﴾ قال بعضهم لن نبرح اي لن نفارق عبادته ﴿قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني﴾ اي قال موسى هذا لهارون فهذا يدل على ان قول هارون لهم انما فتنتم به اراد به الضلال حيث قال موسى اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري يحتمل قوله الا تتبعني اي ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا صرت الي لما كنت صرت انا وقد علمت اني نصرت ويحتمل ان يكون قوله الا تتبعني اي ان لا تتبعني سنتي وديني وكان من سنته ومذهبه القتال والحرب معهم اذا ضلوا وتكون اني انا قد عبد اليه هرون قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي يخرج على وجهين احدهما اني خشيت ان اتبعتك وصرت اليك ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي لانك لو نهيتهم عما اختاروا من عبادة العجل ويبسط لهم السبيل لعلهم يتقون تحيث تفعل فانت الذي فرقت بينهم والثاني على تأويل القتال والحرب في قوله الا تتبعني اي اني خشيت لو قاتلتهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فرقتين واذا تفرقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء فيتفانوا فتركت القتال لما اطمع في الايمان فرجعوا بقولهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وليس في قتال الطمع الايمان هذا على تأويل من يقول بان هرون دعاهم الى ترك عبادة العجل حتى اذا كثروا ادل على ما ذكر واما الحسن فانه يقول لكنهم قد عبدوا العجل الا هارون ونحو قوله الا يحتمل الحرب والقتال وقوله ولم ترقب قولي فقوله هو ما قال واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ودل قوله يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي بان كان له الشعر على الرأس وعلى اللحي والله اعلم قوله تعالى ﴿قال فما خطبك يا سامري﴾ قال الحسن احتجاج بالسامري على ما صنعت ولا حجة كانت له وقال غيره فما خطبك ما شأنك وما امرك والخطب هو الشأن والامر في اللغة وتأويله اعلم اي ما الذي حملك على صنيعك الذي صنعت وقيل سمى السامري سامريا لانه كان من قبيلة يقال لها سامرة ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾ وقرئ تبصروا بالتاء والياء جميعا يقال بصرت وابصرت بمعنى واحد بين ما الذي هو ما لم يبصر واحد فقال ﴿فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها﴾ اهل التأويل فانهم يقولون انه قبض قبضة من اثر فرس جبريل وليس في الاية ذكر التراب ولا ذكر الفرس ولا ان ذلك الرسول جبريل او غيره ويشبه ان يكون تلك القبضة هي تراب من اثر الفرس على ما قاله اهل التأويل فانه ذكر في الحرف فقبضت قبضة من اثر فرس الرسول فان ثبت فالامر يرد على ما ذكر في الكتاب على ما ذكر عامة وفي قراءة الحسن وقتادة فقبضت قبضة بالصاد القبضة هي الاخذ باطراف الاصابع والقبضة هي الاخذ بملء الكف فلا يحتمل ان يصحح جميعا بالاطراف الاصابع دون ملء الكف وهو خبر يخبر عما في كتبهم فاما ان يكون ذا او ذا فان يكونا جميعا فلا يحتمل الا ان يقال انه اخذ باطراف الاصابع اولا ثم رده الى الكف فيكون بمرتين والله اعلم وفي حرف عبد الله بصرت بما لم تبصروا به اذ جاء الرسول فقبضت قبضة من اثر فرسه فقبضته اثر الرسول وقوله ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ يحتمل وجهين احدهما اي كذلك سولت لي نفسي ان اخذ قبضة من اثر الحي فنبذتها في الحلي الحي ويحتمل اي سولت لي نفسي ان اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فيعبدونه على ما كان في عادتهم وطبعهم انهم لا يعبدون الها لا يرونه ولا يقع بصرهم عليه حيث قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ويحتمل ان سولت لي نفسي في اخذ قبضة اثر الرسول انه عظيم ويحتمل ان قال وكذلك سولت لي نفسي اعتقاد الجميع ما كان منه من اول الامر الى آخره ونسب ذلك اي تسويل النفس والله اعلم قوله سولت لي نفسي

بعضهم بهجت لي نفسي وظاهره زينت لي نفسي وقوله تعالى قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس قال
بعضهم أي لا تزال تقول لا مساس لا تقول غيره عقوبة له وجزاء لصنيعه وقال بعضهم لا يمسك أحد ولا يؤذيك
وقيل لا تمس أحدا ولا يمسك أحد أي تخرج من بين أظهرهم لما علم موسى وفي حرف أبي بن كعب فإن لك في الحياة أن لا مساس
مع طرح قوله أن تقول وفي حرف حفصة أن لك في هذه الحياة الدنيا أن تقول لا مساس وقال بعضهم لا يمسك إلا الطاعون
ولا يحيا الطويل قال أبو معاذ لا مساس مصدر ماسسته مساسا ومماسة كما تقول ضاربته ضرابا ومضاربة وسارَرْته
سرارا ومسارة وقرئ لا مساس على معنى كقوله نزال لعدد وذلك بمعنى الأمر أي انزل وقوله تعالى وإن لك موعدا
لن تخلفه يحتمل وإن لك موعدا للعذاب لن تخلفه ويحتمل في الدنيا وفي الآخرة وقوله تعالى وانظر إلى إلهك الذي
ظلت عليه عاكفا أي إلهك الذي اتخذته إلها لأن موسى سمى بذلك إلها وهو كقوله فراغ إلى آلهتهم أي آلهتهم
التي في زعمهم آلهة وفي حرف ابن مسعود وأبي وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا وانظر كيف يفعل بالعجل
الذي ظلت قال أبو معاذ ظلت لغة سوى أنا هو ظللت وظلت لغة جيدة يقال ظل الإنسان نهاره ويا بني الليل
وقوله تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا فهذا إثبات آية لموسى حيث قال لنحرقنه إذ كان العجل هو من لحم
ودم فليس من طبع النار إحراقه بحيث يصير رمادا يذر وينسف في البحر وإن كان من حلي الذهب والفضة فليس من طبع
النار إحراقهما حتى يصير رمادا ولكن من طبعهما الإذابة ثم أخبر أنها تحرقه فدل أن ذلك آية ثم في قوله لنحرقنه
لغتان بالتشديد ورفع النون وهو التحريق بالنار ولنحرقنه بنصب النون ورفع الراء خفيفة وهو القطع بالمبرد
قال أبو معاذ في قراءة لنحرقنه بنصب النون يقول كان العجل من الحلي فلم يقدر على تحريقه بالنار فحرق بالمبرد ومن
قرأ برفع النون والتشديد يقول كان لحما ودما فأحرق بالنار حتى صار رمادا ثم نسف في اليم قال معاذ قال
مقاتل بن سليمان لنحرقنه برفع النون بالنار ثم لنحرقنه بالنصب بالمبرد قال أبو معاذ يا سبحان الله إن كنت تحرقه
بالنار فما حاجتك إلى المبرد لكنه أراد مقاتل بجهله أن يجمع بين القراءتين وكانتا صحيحتين في قراءة واحدة والتأويل
واحد لكنه عندنا يجوز أن يكون العجل من لحم ودم في إحدى القراءتين وفي الأخرى من الحلي لا لحم فيه ولا دم ويكون
القراءتان صحيحتين ومما قال مقاتل أنه حرقت بالنار ثم حرق بالمبرد حسن لأن النار لا تحرق العجل إذا كان
لحما ودما لكنها تعيب ما يرد بالمبرد فعند ذلك نسف في اليم والله أعلم قال أبو معاذ تقول العرب نسفت البر
أنسفه نسفا إذا أخرجت النسف وطيرت غباره ويقال للجمل هو ما زال ينسف من مكانه أي يمشي وقال
أبو عوسجة لننسفنه أي لنذرينه نسفا أي نذريا والنسف القلع من الأصل وقوله تعالى إنما إلهكم الله الذي لا إله
إلا هو كأن أن يكون موسى لما أحرق العجل ونسفه في البحر قال عند ذلك إنما إلهكم الله الذي تعرفونه لا إله
إلا هو وسع كل شيء علما ذكر هذا لهم لما أصروا وأشربوا حب العجل في قلوبهم على ما أخبر عنهم وأشربوا في قلوبهم
على ما أخبر عنهم وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فقال لهم وسع كل شيء علما أعلم بما تسرون ويحتمل أن يكون على
أنه يعلم ما يضمرون وما يغيب عن الخلق وما يكون عندهم كما وكل الأرض يعلمون الظاهر من الأمور الحاضرة منها
ولا يعرفون الباطن منها والغائبة عنهم فأخبر تعالى أنه يعلم الظاهر والباطن والسر والعلانية والحاضر والغائب
وقوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ليكون آية لرسالتك حيث تخبر كما قصصنا عليك
هذا النبأ كذلك نقص عليك سائر الأنباء والله أعلم وقوله تعالى وقد آتيناك من لدنا ذكرا قال أهل التأويل
الذكر ههنا القرآن من أعرض عنه قال على أثره من أعرض عنه فإنه كذا ويحتمل أن يكون قوله ذكرا أي شرفا وذكرا لمكن
هو تعظيم أبدا وكذلك من اتبع ما جاء به الحاد عاه يصير مذكورا ثم قوله من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة
وزرا فالوزر الحمل وسميت الآثام وزرا وحملا لأن الآثام تنقض ظهر صاحبه وتكسره كالحمل الثقيل في الدنيا
تنقض ظهر صاحبه وتكسره وهو كما ذكر ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله تعالى خالدين فيه
أي في ذلك الوزر أي في جزائه وذلك لهم أبد الآبدين وقوله تعالى وساء لهم يوم القيامة حملا أي بئس الحمل
النار بئس الحمل حمل يورد صاحبه النار ويقال بئس ما حملوا على أنفسهم من الأحمال ثم قوله من أعرض عنه يحتمل
الإعراض عنه وجهين أحدهما أعرض عنه أي تكذيبه وكذبه ولم يتقبله والثاني أعرض عنه أي لم يعمل بما فيه
ومن لم يعمل بما فيه من المسلمين يخاف أن يكون في وعيد هذه الآية والله أعلم وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا يتخافتون أي يتكلمون فيما بينهم كلاما خفيا وهو إن لبثتم إلا عشرا مثل هذا الكلام يقولون
تلهفا وتحزنا على ما كان منهم في وقت قليل لاستقلالهم واستصغارهم الدنيا يقولون كيف كان ينال
هذا العمل في ذلك الوقت القليل ثم اختلفوا في ذلك اللبث قال بعضهم ذلك في الدنيا استقلوا مقامهم
في الدنيا لما عاينوا الآخرة فتقاصرت الدنيا في أعينهم ومقامهم فيها لما قابلوه بأهوال القيامة وقال بعضهم ذلك في القبور
واستشهد لمن نفى عذاب القبر بهذه الآية ويقول إنهم استقلوا مقامهم في القبور ولو كان لهم عذاب في ذلك

لاستعظموا

لاستعظموا واستكثروا لأن قليل الوقت في العذاب يستعظم ويستكثر لا أن يستقل ويستحقر فلما
استقلوا ذلك دل أنهم لا يعذبون في القبور واستدلوا في نفي العذاب في القبور بقوله يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا وكيف يكون العذاب في حال رقود من يقول بعذاب القبر يزعم أن ذلك إنما قالوا لأنهم بين النفختين يعود
إليهم يعذبون ويكونون في العذاب إلى النفخة الأولى ثم يرفع عنهم إلى النفخة الثانية فعند ذلك يرقدون فتستصغر
مقامهم النوم في ذلك الوقت عند ذلك يستصغر الوقت الطويل ويستقل في حال النوم على ما ذكر في قصة أصحاب
الكهف حيث قال لبثنا يوما أو بعض يوم وهم قاموا ثلاثمائة سنة وزيادة وجائز أن يكون عذاب القبر عذاب
عرض بأن يعرض عليهم النار في أوقات معلومة لا على الدوام وأما عذاب الآخرة على التأبيد كقوله النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب فاستصغر في العذاب بالعرض الذي كان
واستقلوا عند معاينة العذاب الدائم وقوله تعالى نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما قيل
أمثلهم قيل أعلمهم وأعقلهم وقيل أفضلهم إن لبثتم إلا يوما من كان أبصر وأعلم بأمور الآخرة وأهوالها كان
أكثر استحقارا بالدنيا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه نحن أعلم بما يقولون إذ عسل عليهم إذ يقول أمثلهم طريقة
قال أبو معاذ قوله عسل عليهم أي اشتبه وخفي وغاب عنهم علمه ومنه يقال عالت الفريضة تعول عولا إذا جازت السهام
فأشكل قسمة الفرائض واشتبه والله أعلم وقوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يشبه
أن يكون سؤالهم عن أحوال الجبال في ذلك اليوم لما بين لهم أحوال الناس في الساعة بقوله إن زلزلة الساعة
شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ووصف لهم أحوال الخلق في ذلك اليوم ولم يصف الجبال والأرض فعند ذلك سألوا عن أحوال
الجبال فأمر رسوله أن يخبرهم بما ذكر فقل ينسفها ربي نسفا وما ذكر في آية أخرى هباء منثورا وقوله كالعهن المنفوش
وقوله كالفراش المبثوث ونحوه لكن ذلك في اختلاف الأحوال في أحوال الهلاك على ما تقدم ذكره والله أعلم
وقوله تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال بعضهم القاع والصفصف واحد وهو
الأرض المستوية وقال بعضهم هي الملساء التي لا نبات فيها ولا زرع وقال أبو عوسجة القاع الأرض الصلبة
التي لا شيء فيها والصفصف الأرض المستوية القيعان والصفصف جميع وقال أبو عبيدة القاع الأرض التي
يعلوها الماء وقوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قيل لا ترى فيها واديا ولا رابية أي ربوة وقال بعضهم العوج الارتفاع
والأمت الهبوط وقال بعضهم العوج ههنا الأودية والأمت التلال وقال أبو عوسجة العوج والفوج والأمت واحد
وهو التل وقيل لا انخفاضا ولا ارتفاعا وقيل القاع الصفصف هو تفسير قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا
وقوله لا ترى فيها عوجا تفسير قوله قاعا صفصفا وقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له أي لا خلاف له
ليس كالداعي في الدنيا منهم من يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه ولا يجيبه فأخبر أنهم في الآخرة يجيبون
الداعي على أي حال كانوا لا يخالفونه والله أعلم وقوله تعالى وخشعت الأصوات للرحمن الأصوات لا تخشع لكنها
تخفض وتلين عند خوف أهلها وترتفع عند الأمن فكان المراد من الخشوع الانخفاض واللين ويحتمل أن يكون
خشوع الأصوات كناية عنهم أي يخشعون ويذلون لشدة فزعهم بأهوال ذلك اليوم وقال أبو عوسجة وخشعت
الأصوات للرحمن أي سكنت وقوله تعالى فلا تسمع إلا همسا قيل الهمس الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمعه وقيل وقع
الأقدام ونقلها وهو تحركها وقوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ليس أن يكون
لهم شفعاء يشفع شفاعتهم معناه أنه لا شافع لهم وقوله إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا إلا من أذن له الرحمن
بالشفاعة لأحد ورضي له بقول الشفاعة إذ لا أحد يتكلم يومئذ إلا بإذنه فضلا عن أن يشفع لغيره بغير إذنه
كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا والثاني لا تنفع الشفاعة إلا من وفقه الرحمن بما استوجب الشفاعة
له ورضي له قولا وهو قول الشهادة والتوحيد فيرجع أحد التأويلين إلى الشفعاء أنه لا أحد يشفع لأحد إلا بإذنه ورضي
له القول بقول الشفاعة والثاني يرجع إلى المشفوع له أنه لا أحد يستوجب شفاعة أحد إلا من وفقه الرحمن في الدنيا
بالتوحيد وشهادة الإخلاص والله أعلم وقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما بين أيديهم
قبل أن يخلقهم وما خلفهم بعد ما خلقوا وكانوا ويحتمل أن يكون ما بين أيديهم ما قدموا من الأعمال وما خلفهم
ما تركوا وخلفوا من بعدهم ويحتمل أن يكون قوله ما بين أيديهم كناية عن الخيرات أي يعلم ما يأتون من الخيرات وما خلفهم
كناية عن الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم وجائز أن يكون المراد من البين والخلف الأحوال كلها أي عالم بجميع
وبكل شيء يكون منهم وهو كقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يأتيه الباطل البتة لأنه ليس
للقرآن بين ولا خلف وقال بعضهم يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا وقوله تعالى ولا يحيطون
به علما هذا يحتمل وجهين أحدهما أي لا يحيطون بالله علما إنما يعرفونه على قدر ما يشهد الشواهد لهم من خلقه

لان الخلق انما يعرفون ربهم بدلالات خلقه والاحاطة بالشيء فيما طاب الحس والمشاهدة وانما كان بسبيل من
الاستدلال فانه لا يحاط به العلم والثاني ولا يحيطون به علما اي لا يحيطون بعلمه كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء وهو كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقيل ولا يحيطون به علما اي
لا يحيطون به علما لقول انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله فان كان هذا في الملائكة خاصة ففيه قيل من تمام قوله وما خلفهم
من الشرور لا يتصور اذ الملائكة لا يعصون طرفة عين وقوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم قيل عنت ذلت وخضعت
الوجوه وجائز ان يكون ذكر الوجوه كناية عن انفسهم بالوجوه لتظهر الذلة والخضوع فكنى به لقبل انفسهم فان كان
ما اخبر من خضوعهم وذلهم في الاخرة فهو على ما اخبر من خضوع الخلائق له في الاخرة فاذا كان بعضهم تكبر في الدنيا
وان كان ذكر ذلك في الدنيا فهو على خضوع الخلقة اذ خضعت خلقة الخلائق كلهم له وقال بعضهم وعنت الوجوه
اي عملت الوجوه للحي القيوم وتاويل عنت عملت اي خضعت له بالعمل في الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع والسجود
والقيام وغيره ليس ان يكون تاويل قوله عنت اي عملت حقيقة وهو في المؤمنين خاصة لان المؤمنين هم الخاضعون
له بالعمل في الدنيا دون الكفرة فان كان التاويل في الاخرة فهو في الفريقين جميعا فانهم يخضعون له ويذلون
جميعا في الاخرة وان كان من خضع منهم لا يتكبر في الدنيا والله اعلم وقال ابو عوسجة وعنت اي خضعت يقال عنى
يعني عنوا وقوله للحي القيوم قد تقدم ذكره وقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما اي وقد خاب من حمل الكفر لان الشرك
من الظلم ههنا هو الشرك وقيل وقد خاب من حمل ظلما ما ذكر من الحمل والوزر بقوله من اعرض عنه فانه يحمل
يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا اي خاب من حمل ذلك الحمل والوزر والله اعلم وقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيه دلالة انه يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحات وهو مؤمن فيه
دلالة ان الايمان شرط في قبول الاعمال الصالحة وجعلها طاعة تحت شرط الايمان فيه وقوله تعالى فلا يخاف
ظلما ولا هضما الظلم ههنا عندنا هو النقصان دون الظلم ههنا عندنا هو النقصان دون الظلم الذي هو
عبارة عن الجور لان الثواب على الاعمال الصالحات يحق لافضال لا بحق العدل فاذا كان كذلك يخرج قوله ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما اي لا يخاف ان ينقص من حسناته شيئا او يزيد في سيئاته شيئا ويجوز
في اللغة ذكر الظلم على ارادة النقصان كقوله كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا والجنة لا تظلم بالظلم الذي
هو جور فدل انه اراد بالظلم النقصان اي لم ينقص بل اتت بثمارها وافرة وافية وان كان على الظلم الذي هو ظلم
جور فهو على النفي اي لا يخف منه الظلم والجور وقوله هضما قال ابو عوسجة وغيره الهضم النقص يقال هضمته اهضمه هضما
ظلمته وقال ابو عبيدة الهضم النقصان وقوله تعالى وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
اي كما ذكرنا ان من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما كذلك انزلنا هذا القران العربي وصرفنا فيه من
الوعيد لعلهم يتقون حرف لعل في جميع القران يحتمل وجهين احدهما على الوعد اي لكي انهم يتقون ولكن ما
الزمهم ان يتقوا بما صرف فيه من الوعيد فان كان على الوعد والايجاب فهو للذين يتقون لا على العموم وان كان على
الالزام فهو في الكل ثم ان كان على الوعد يخرج قوله او يحدث لهم ذكرا عظة له وقوله ويحدث لهم ذكرا كقوله لعله
يتذكر او يخشى اي يتذكر ويخشى لان من تذكر خشي ومن خشي تذكر فعلى ذلك اذا اتقى احدث له الذكر واذا احدث
[illegible]
... وقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه [illegible]
[illegible]

تكلف

تكلف لكان لا ينساه ولا يدفع فيه ونسيان لا حد يدفع فيه ويضبط من غير سبب كان منه لا يملك دفعه عن نفسه
فذلك نسيان لا يعاتب عليه ولا يعاقب به وهكذا الكلفة من الله والمحنة انه جائز ان يكلف ويمتحن من لا يعلم
ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه اياه تعبدا ان يحتمل عقله اداء ذلك لو استعمله واما من كان عقله لا يحتمل
اداء ما كلفه وان استعمله واجهد نفسه فيه فانه لا يكلف البتة فعلى ذلك النسيان الذي ذكر من آدم
ان يكلف لحفظه وذكره وجائز ان يعاتب عليه لذلك نحو ما بينا والله اعلم وقوله تعالى ولم نجد له عزما اي لم
يمنع نفسه من وسوسة الشيطان فصار تاركا امر الله وقال بعضهم لم نجد منه حفظا اي لم يحفظ امره وقال
بعضهم لم نجد منه حفظا اي لم يحفظ امره وقال بعضهم صبرا ونحوه وعندنا العزم حقيقة القصد الى القطع
على الشيء وهو ضد النسيان الذي ذكرنا انه سهى ولم يقصد لحقيقة الخلاف لامر الله والله الموفق وقال بعضهم
العزم هو المحافظة على امر الله والتمسك به وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى
لو صرف اهل التاويل السجود الى الامر بالسجود حقيقة والاحتمال ان تصرف الامر بالسجود الى الخضوع لان السجود
هو الخضوع لغة وقد يؤمر الانسان بالخضوع لمن يتعلم منه العلم وقد تعلموا منه حيث انباهم باسمائهم والله اعلم
وقوله تعالى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال اهل التاويل يشقى المرء
بسقاء الدين ولكن يعنى النفس والنصب في العمل وقوله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى اي لا تصيبك الشمس وقال ابو عوسجة لا تضحى لا يصيبك الشمس والظمأ العطش وقال ابو عبيدة
الضحى الحر وقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اي ملك
لا يفنى وقوله تعالى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ابو عوسجة
طفقا وعلقا واحد يقال علق يعلق علقا وطفق يطفق طفقا ويقال من الخصف خصفت الخف اذا النعلة
ونعلت الخف وتسمى تلك القطعة التي تخصف بها النعلة والنعال جميع وقوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى ثم كل من عصى ربه فقد غوى كالعصيان والغواية واحد وقوله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
يحتمل قوله ثم اجتباه وجوها احدها اجتباه للتوبة وهداه لها او اجتباه ربه للرسالة بعد ما هداه لها او اجتباه
ربه للدين وهداه للتوحيد وهذا جائز عندنا لان للتوحيد والايمان حكم التجديد والحدوث في كل وقت
وكل ساعة لانه مأمور بترك الكفر ونفيه في كل وقت فاذا كان مأمورا بترك الكفر في كل وقت منهيا عنه
كان مأمورا بالايمان والتوحيد فاذا كان ما ذكرنا كان للايمان والتوحيد حكم التجديد والحدوث في كل وقت وان
ظاهر قوله ثم اجتباه ربه انه لم يكن مجتبى قبل اجتبائه من بعد لكنا لو خرجنا على ما ذكرنا من اجتبائه للدين وحمل
على التجديد بعد الاحداث ولما ذكرنا من اجتبائه للرسالة لكان لا نسأل لئلا يكون وقت وجوده والله اعلم وقوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو قال الحسن قوله اهبطا اي آدم ووسوسة الشيطان اي حكى
الشيطان ومعاشه في الدنيا وقوله بعضكم لبعض عدو يعني ذريته وذرية ابليس ولكن ظاهر الكلام الامر
بالهبوط لآدم وحواء في هذه الاية اي لآدم وابليس وفي قوله اهبطوا يعني آدم وحواء وابليس والهبوط ليس هو
الانحدار والتسفل من المكان العالي المرتفع انما هو النزول في المكان فجائز ان يكون قوله اهبطوا انزلوا بعضكم
لبعض عدو اي اراد ذريتهما ذرية آدم وابليس وعلى هذا يخرج قوله فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع الذرية فمن اتبع
هداي فلا يضل ولا يشقى وجائز ان يكون قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقيل اتبع الهدى لا يضل في
لا يشقى اذا ختم ولا يضل طريق الجنة ولا يشقى في النار والله اعلم وقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا الضنك هو الشدة والضيق وقال ابو عبيدة ضنكا اي ضيقة وكل ضيق من منزل او غيره فهو ضنك
ثم اختلفوا قال بعضهم فان له معيشة ضنكا في الدنيا وان كانت في الظاهر واسعة عليه لانهم ينفقون
ولا يرون لنفقتهم خلفا ولا عاقبة ويرون الدنيا انها تنعدم فذلك يمنعهم عن التوسع في الانفاق
خوفا النفاد المال وفناء انفسهم فذلك الضنك والله اعلم وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا اي
ينقصون مما اعطوا من المال وانعموا به عواقبه لان نفوسهم يكون في المعصية فنفى عنهم الانتفاع به كما
عنهم السمع والبصر واللسان باستعمالهم هذه الجوارح في المعصية على ما بينا انما ذهبت منافعها في الطاعة
وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا في القبر بسبب العذاب لكونه فيه وهو لانه لا يقال لمن كان في القبر انه
معيشة حتى يوصف بالضيق وقال قائلون ذلك في الاخرة لقوله اذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا
هنالك ثبورا فقوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال بعضهم نحشره اعمى عن حجته ودينه لكن هذا لا يصح
لانه قد كانت له الهداية بالحجج في الدنيا حتى يعمى عنها في الاخرة انما ممه الشبه والضلال وقال بعضهم
نحشره يوم القيمة اعمى على حقيقته بعمى على حقيقة عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما

يكون على حقيقة عمى البصر وهذا أشبه وقوله تعالى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال مجاهد أعمى بلا حجة لي وقد كنت بصيرا عالما في الدنيا لكن الأشبه ما ذكرنا من حقيقة عمى البصر إذ لم يكن الكافر حجة في الدنيا حتى يعود وقد كنت بصيرا ثم اختلف في وقت ذلك قال بعضهم لا ولكن يبعثون من قبورهم ويحشرون عميا والله أعلم وقوله تعالى قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي كما أتتك آياتنا صيرتها كالشيء المنسي لم تكترث إليها فلم تنظر فيها ولم تذكر كذلك تصير في النار كالشيء المنسي من رحمته لم يكترث لك ولا ينظر في أمرك وإن تحقق لك ما صنعت بآياتنا التي أتتك بحياتك كذلك يصنع أنت وتترك في النار لا نجاء لك والله أعلم وقوله تعالى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ليس لأحد الخصوص بذلك دون غيره لكن أخبر أن كل من صنع صنيعه في الدنيا يجازى به في الآخرة وقوله تعالى ولعذاب الآخرة أشد وأبقى كأنه قد سبق منه الوعيد لهم في الدنيا بعذاب ثم قال ولعذاب الآخرة أشد وأبقى من العذاب الذي وعدتم في الدنيا في الانتهاء لا انقطاع هنا والله أعلم وقوله تعالى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم جميع ما ذكر في القرآن مثل هذا أفلم يهد لهم أفلم يسيروا في الأرض فلم يروا وغيرها إنه قد بين لهم كذا أنهم قد عرفوا ما نزل التي أهلكهم الله من القرون الماضية وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل في الآيات التي أتوا بها وهم آمنون يمشون في مساكنهم فكيف أمن هؤلاء من عذاب أن يسمع موافقتهم ولكن في جميع صنيعهم وفعلهم والله أعلم وقوله تعالى إن في ذلك لآيات لأولي النهى قال بعضهم لأولي الورع وقد ذكرنا هذا وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما هو على التقديم والتأخير أي لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازما لهم بما عملوا والأجل المسمى الساعة كما قال الله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وجائز أن يكون على التقديم والتأخير لكنه على الإضمار أي لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما ولكن سبقت منه إلى أجل مسمى وهو ما ذكر في آية أخرى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ويحتمل ولولا كلمة سبقت من ربك بما يكون بحق الأفضال أو بما يوجبه الحكمة لكان العذاب لازما لهم ومن حقه لا انفصال ما استوجبوا لو عذابه يؤخر لا يترك الفضل طريقة الأفضال لم تفضلت وأصل قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما أي لولا ما سبق من وعده أنه لا يعذب هذه الأمة بعذاب إهلاك وقت تكذيبهم الرسل وردهم الآيات ولكن يؤخر إلى أجل مسمى وهو ما ذكرنا وهو قوله بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون يصبر رسوله على أذاهم بلسانهم من السب والنسبة إلى السحر والجنون والافتراء على الله ونحوه وإن كان وعد أن يعصمه منهم حتى لا يقدروا على إهلاكه لأنه حفظ نفسه من الإهلاك لأنه خوفنا أن تسلطوا إذ بعثه إلى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم وعادتهم قتل من يخالفهم في شيء وإهلاك من يستقبلهم بما يكرهون فذلك عجزهم عن إتلافه وإهلاكه وحفظ نفسه منهم أنه كان ذلك لآية في نفسه ولما أن أذاهم إياه بالكلام الشيء حفظ عنه آية وذلك لأنه لا يورث نقصا في نفسه حقيقة ولا يوجب شيئا لقيام الدلالة على براءته عما قالوا فيه من الشيء إليهم بما أتوا من الكذب الأمر بحالهم قالوا في الله ما لا يليق به من الشريك والولد والصاحبة ونحوها ولم يمنعهم عن ذلك بمقدرته حتى لا يقدروا عليه لما أن ذلك لا يوجب نقصا فيهم لقيام الحجج على تنزيه الله عن ذلك فعلى ذلك هذا مما لو عصمه عن ذلك لكان ذلك آية فيهم حيث عصموا عن الكلام والتصرف في ذلك بحق النبي من حيث التنبي على ما ذكرنا أنه حفظ نفسه عن الإتلاف فإن في ذلك إلحاق الضرر بالنبي وقد كان في عصمته عن ذلك عصمتهم عن الوقوع في جناية عظيمة فلذلك افترقا والله أعلم وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قال أهل التأويل فصل بأمر ربك وإنما أولوا على الصلاة لأنه أمره أن يصلي لله بقوله أقم الصلاة وبقوله أقيموا الصلاة فيكون قوله صل بأمر ربك لا بأمرك ولعل أهل التأويل التسبيح في هذه الآية إلى الصلاة ولا يجوز أن يصرف إلى غيرها من الأذكار لله في كل وقت لكن صرفوا إلى الصلاة لأن الصلاة تشتمل على معان قولا وفعلا وسائر الأذكار لا تشتمل إلا على معنى الذكر قولا فهي أجمع وأشمل للذكر وقوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قيل قبل طلوع الشمس صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة العصر وقال بعضهم قبل غروبها الظهر والعصر وقوله تعالى ومن آناء الليل قيل صلاة المغرب والعشاء وأطراف النهار قيل صلاة الفجر والعصر وهو على التكرار والإعادة تأكيدا كقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى خص الصلاة الوسطى بالذكر بعد دخولها في قوله حافظوا على الصلوات على التأكيد لمعنى فعلى ذلك جائز يكون قوله وأطراف النهار تكرارا منه لصلاة الفجر والعصر لمعنى والله أعلم وجائز أن يكون قوله وأطراف النهار ليس على إرادة وقت دون وقت ولكن يريد به الأوقات كلها وعلى ذلك يخرج قول من قال إنه قوله وقبل غروبها صلاة الظهر والعصر والله أعلم وقوله تعالى لعلك ترضى قرئ بالرفع والنصب فمعنى الرفع يرضيك ربك بما عملت وبالنصب ترضى بذلك وقوله تعالى ولا تمدن عينيك

إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا أي لا ترضين في هذه الدنيا ولا تركنن إلى ما متع به هؤلاء من ألوانها وزهرتها وهو كقوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية ما لتأويل قوله ولا تمدن عينيك على حقيقة مد البصر لا تمدن بصرك إلى الدنيا وإلى ظاهر ما هم عليه من الحسن والتزيين ولكن انظر إلى الدنيا إلى ما جعلت له وإلى ما فيها من سمومها وتنغيصها على أهلها فإن من نظر إليها لما فيها من سمومها وتنغيصها زهد فيها ورغب عنها ومن نظر إليها وإلى زينتها وظاهرها على ما عليه من الحسن والتزيين لاغتر بها ورغب فيها وركن إليها ثم معلوم أن رسول الله صلى الله عليه لم يكن يمد بصره إلى الدنيا للدنيا أو يركن إليها أو يرغب ليتمتع هو بها إنما يرغب في شيء منها ويتمنى للمواساة به على أهل الحاجة والفقر فنهاه الله تعالى عن ذلك فدل أن الزهد فيها والرغبة عنها خير من الأخذ منها والوضع في المستحقين لها حيث نهاه عن ذلك مع علم منه أنه لا يتمنى لا ليتمتع هو بها ويوسع على نفسه ولكن ليأخذها ليضع في المستحقين لها والله أعلم ثم اختلف أهل التأويل في التقديم والتأخير في هذه الآية قال الحسن هو على تقديم نزلت فيهم على قوله أزواجا يقول تأويله ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به منهم أزواجا زهرة الدنيا وقال بعضهم على غير تأخير وتقديم ولكن على نسق ما ذكر في الآية وعلى هذا يكون تأويل الأزواج أي رجالا منهم والله أعلم وقول أهل التأويل إن الآية نزلت في ضيف فاستسلف من يهودي طعاما فأبى أن يعطيه إلا برهن فرهن درعه عنده فنزل قوله ولا تمدن عينيك نعرف أن أهل الدنيا لكن لسنا نعرف نزول الآية على ما ذكروا أنه فيهم والله أعلم وقوله تعالى لنفتنهم فيه أي لنبتليهم ونختبرهم والفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلاء كأنه أخبر أنه إنما متعهم بزهرة الحياة الدنيا ليمتحنهم فيها بالشدائد كقوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وقال في آية أخرى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفي هذه دلالة أن السعة في الدنيا والضيق فيها ليس لفضل أهلها ولا لهوانهم ولكن إنما هو محنة يمتحنهم بعضهم بالسعة وبعضهم بالضيق والشدة فلا يتكلم بأن هذا خير من هذا وهذا أفضل من هذا كلام لا معنى له لما ذكر من البيان في قوله ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أن الزهد في الدنيا وترك التناول منها لعله لأجل خير من التناول منها حلالا ووضعها موضعها والله أعلم وقوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى أي ما رزقك ربك من النبوة والرسالة والتوحيد والإيمان به خير وأبقى مما متع به هؤلاء من زهرة الحياة الدنيا وأصنافها وقال بعضهم ورزق ربك خير وأبقى أي حظك من ربك خير في الجنة وأبقى في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا والله أعلم وقوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة قال بعضهم أراد بأهله قومه فقد يسمى قوم الرسل أهلهم وجائز أن يكون المراد بالأهل الذين تأهلهم وكانوا في عياله وقوله تعالى واصطبر عليها أي داوم عليها وقيل إنها فيما الصلاة وحث على الدوام عليها واللزوم وقوله تعالى لا نسألك رزقا قال بعضهم لا نسألك جعلا ولا جزاء على تبليغك ورسالتك وقوله تعالى نحن نرزقك وقال بعضهم لا نسأل الخلق رزقا بل نحن نرزقهم والعاقبة للتقوى أي لأهل التقوى كقوله والعاقبة للمتقين وقوله تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه سألوا أن يأتيهم بآية من ربه على رسالته ونبوته فقال أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى وقد أتاهم بينة على رسالته ونبوته ما في الصحف الأولى لأن الكتب المتقدمة كانت بغير لسان رسول الله ولم يكن يعرف الكتابة بلسانه فضلا عن أن يعرف ما في الكتب التي كانت على لسان غيره ثم أخبر عن الأنباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها فدل أنه إنما عرف تلك الأنباء والقصص التي كانت في كتبهم بالله تعالى فهذا والله أعلم تأويل قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى وقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أي من قبل رسوله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وقال الحسن أن يقيد بهم حد يعني هلاك من قبل أن يبعث رسولا ويحتج بظاهر هذه الآية ولو أنا أهلكناهم وعندنا أنه لو أنه أهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول إليهم لا يرد قد أقام عليهم حجة العقل ما لو تأملوا ونظروا فيه لعرفوا وأذعنوا لحق الله عليهم فإذا كان كذلك لكان إهلاكهم إهلاكا من بينة وحجة لكنه بفضله ورحمته لا يهلكهم بأول حجة وآية يرسل عليهم حتى يرسل آيات إفضالا منه ومنة ولا كان له إهلاكهم بآية واحدة فيكون قوله ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا كذا إنما ذلك لقطع ذلك القول منهم لا أن كان لهم ذلك القول والاحتجاج بذلك ولأن قوله ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا كذا يخرج مخرج الامتنان أنه لم يهلكهم قبل بعث الرسول فهذا يدل على أن له إهلاكهم قبل بعث الرسول فهذا يدل على أن له إهلاكهم قبل بعث الرسول لما ذكرنا من قيام حجة العقل عليهم وقوله تعالى قل كل متربص فتربصوا كانوا يتربصون هلاك رسول الله وانقلاب أمره ورسول الله يتربص بهم عذاب الله ومواعيده فيهم وقال الحسن قل كل متربص فتربصوا أي تربصوا أنتم مواعيد الشيطان ونحن نتربص مواعيد الله وقوله تعالى فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى أي فستعلمون في الآخرة

فلم يعلمان من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى يعني ام انتم وفي الدنيا اوتاما لو نظر او العقل فلم الاستدلال
من اصحاب الصراط السوي الصراط السوي فهذا تعيضهم العقل وقيل السوي المستقيم وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنهما ومن اهتدى وقيل الى الهدى والله اعلم * تم هذه السورة بحمد الله وكرمه والحمد لله رب العالمين

سورة الانبياء عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقترب للناس حسابهم * قال الحسن
اي بمحاسبتهم قوله تعالى وهم في غفلة معرضون * ظاهر هذا انه نزل في المشركين لانها نزلت بمكة وكان اكثر
اهلها اهل شرك لكن لاهل الاسلام في ذلك خطاب وتحضيض ما وصفهم الله تعالى بالغفلة عن ذلك
والاعراض عن هذا اهل الاسلام قد يتغافلون عن الحساب الا ان الغفلة الكفرة غفلة تكذيب واعراض عن
تكذيب الحساب وغفلة اهل الاسلام ليست هكذا فانهم قد امنوا بالحساب وصدقوا باياته ويعرفون انه
غفلة عن الحساب بشهوات مكنت فيهم وغلبت عليهم فاشغلتهم عنه في هذه الجهة كما كانت فانه من جهة
الايمان والتصديق بالايات ليسوا كما اولئك ثم وصف الحساب والساعة بالقرب والدنو وذلك يحتمل
اقترب الساعة وقوله او هو اقرب وامثاله قربه كما اتيته عند الله تعالى لانا لا نعلم لعله الاوقات كلها
في جملة ما تعلم قربه كما اتيته كان الخلق فانهم قد استبعدوها الا انهم انما يستبعدون ذلك لما خلا منهم
واعمارهم ومحاولة اعمارهم ومن عندهم ليس بقريب وهذا انما ذكره لعودها باعمارهم وقد اشتد
ذكره لما نزلت هذه الاية اقترب للناس حسابهم وقوله تعالى اقترب امر الله فلا تستعجلوه قال ناس من اهل الضلالة
نزعم هذا ان الساعة قد اقتربت فتناهوا قليلا ثم عادوا الى اعمالهم السيئة كذلك قالوا في قوله اقتربت الساعة فلما
عنها لما تأخرت لم يصبهم عادوا الى ما كانوا مرتبين لانهم
تدرك نعم فلما مضى ذلك وقع عندهم ان الخبر كذب فكذبوا لانهم اما مدركوا الا ما حاجاتهم لم تعرفوا في القرب
والدنو والله اعلم قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث * قوله من ذكر اي ما يذكرهم ما يأتون
وما يتقون وما يذكرهم اوعدوا او وعدوا خوفوا او ما يذكرهم مما يحدث عليهم او ما يحدث قال بعضهم اي محكم
احكمه من ان يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه واحكمه لما اخرج الخلق عن ان ياتوا بمثله وقال بعضهم
محدث لان الله تعالى انزل هذا القرآن بالتفاريق واحدث شيئا بعد شيء وكل وقت على قدر الحاجة فعلى هذا ذكر
بالتفاريق احدثها على الكفرة تكذيبه وزيادة عليهم ما ذكر الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم فزادتهم رجسا
الى رجسهم ونحو هو محدث من الحجة لذي ذكر ما ذات كل موضع الاختلاف من محدث هو الحجة ووقف المنظرة
وارادته الذكر هذا الانفس كلام الله والله اعلم وقوله تعالى الا استمعوه وهم يلعبون * اذ لعله الاستمع وهم
يلعبون فانا استماع هؤلاء اياه استماع استهزاء به وقوله تعالى لاهية قلوبهم * اي غافلة قلوبهم عن التفكر
وقوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا * هذا الذي اسروا فيما بينهم وهو ما قالوا هل هذا الا بشر
مثلكم وقوله تعالى افتأتون السحر وانتم تبصرون * اي انه سحر تبصرون انه سحر وفي حرف عبد الله وابي واسروا
النجوى الذين كفروا وقال الكسائي في بعض الحروف واسروا النجوى الذين ظلموا ثم قالوا وفي هذا لا يشعر
هذا اتمام الكلام منتهى واعلى قوله اقترب للناس حسابهم ثم اخبر عنهم حين سمعوا اضغاث احلام فقال الذين ظلموا
اذ لو كان هذا هكذا على الاول لكان من حق الكلام ان يقول واسروا النجوى الذين ظلموا كما في بعض الحروف وهو كقوله
ثم عموا وصموا كثير منهم وهذا على كلامين مستانفين فعلى ذلك الاول لعله والله اعلم وقال الفراء قالوا واسروا الا
فوقع الى قوله اقترب للناس حسابهم ووصفهم باللهو والغفلة وقوله الذين ظلموا نعت للناس مخفوضة
كانه قال اقترب للناس الذين هذه حالهم والله اعلم وقوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والارض
يشبه ان يكون قوله قل ربي يعلم القول في السماء والارض لقول الذي اسروا فيما بينهم وهو قولهم
هل هذا الا بشر مثلكم وقولهم اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر وامثال ما قالوا فيه ونسبوه الى ما
الجهر في علم ذلك القول بينكم في السماء والارض لينتهوا عن ذلك لان من لم يعلم اذا تقلع على جميع ما بحاله
من القول والفعل يترك ذلك ويمتنع عن التمويه والادهان على ما يختاره او يكون قال ذلك على الابتداء
والايتناف لانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم * السميع لقولهم
العليم بافعالهم وقوله تعالى قال ربي يعلم القول في السماء والارض وما الله اعلم اخبر عن سفههم وتلاعبهم
في قولهم وكلامهم وحفظهم على التناقض فقال بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فهذا نسبوه

الى السحر او الشعر او الافتراء ان اضغاث احلام تناقض لان السحر غير الافتراء ومن اضغاث احلام كذي الشعر كل حرف
من هذه الحروف التي تنسبه اليها يناقض الاخر ويبطل الاخر فكان انهم انما قالوا ذلك ونسبوه متعنتين مكابرين
متمردين وعلم انهم قالوا ذلك ومما ينقض من وجه آخر وهو ان السحر لا يدوم ولا يبقى في ما خرج المعجزة تبقى وتدوم
ما ادعوا عرفوا وعلموا انه دائم ويبقى الى آخر الدهر فيعتبرنا قصدوا وكذلك قالوا من الافتراء واضغاث الاحلام مختلف فانه
لو كان مما اتاهم به سحرا لكان ذلك آية وعلامة على صدقه ونبوته لان السحر لا يعرفه احد الا بالتعلم فاذا راوه نشا
بين اظهرهم ولم يختلف في قوم ساحر حتى يتعلم منه ولا اختلف الى احد من السحرة يتعلم منه السحر ثم اتى به وكان ذلك
دليلا يدل على انه انما عرف ذلك بالله فكيف وقد اتاهم بالحجج النيرة والبراهين الواضحة والايات المعجزة الخارجة
عن وسع البشر وطوقهم لكنهم كانوا يتعاونون عنادا فردوها وكذبوها والله الموفق قال ابو عوسجة اضغاث احلام
الضغث ما لا تاويل له ويقال حلم يحلم حلما اذا رأى شيئا في النوم واحتلم يحتلم لا يكون مثل
حلم يحلم ويقال من الحلم حلم يحلم حلما فهو حليم ويقال الحلمة ما يجعلته حلما والافتراء الكذب والشاعر انما
يسمى شاعرا لانه يشعر من الكلام ما لا يشعره غيره حملته اي جعلته حليما والافتراء الكذب والشاعر انما
يسمى شاعرا لانه يشعر من الكلام ما لا يشعره غيره وقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون * قد علموا قد علم حقيقته
انه كان اتاهم باية وحجج ما لو تاملوا فيها لم يكابروا انها على صدقه وفي رسالته وقد عرفوا انه صادق لكنهم تكبروا
بقولهم فليأتنا باية التي عند المكابرة والعناد وهي الآيات التي نزلت في الامم الخالية عند مكابرتهم الايات فيجيء
وهي هلاكهم واستئصالهم المراد من سنته وحكمه في الامم الهلاك والاستئصال عند مكابرتهم الايات والحجج وسنته
وحكمه في هذه الامة ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وابقاء شريعته الى الساعة وفي الامم الماضية هو نسخ
شرائعهم واستئصال الحكم فاذا كان ما ذكرنا جعل وقت اهلاكهم الساعة وفي الامم الماضية هو نسخ شرائعهم
واستئصال الاحكام فاذا كان ما ذكرنا لم يجعل وقت اهلاكهم الساعة وهو ما قال بل الساعة موعدهم والساعة ادهى
وامر وقوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها * اي آمنت قبلهم من قرية سالوا سؤال مكابرة وعناد فهلكوا
افهم يؤمنون * اي وان اتاهم آية فلا يؤمنون كما لا يؤمن اولئك المتقدمون لانهم سالوا سؤال عناد ومكابرة
لا سؤال استرشاد واستهداء كما اولئك وقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم * كانه خرج جوابا
لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون وجوابا لقولهم ابعث الله بشرا رسولا وجوابا لقولهم
لولا انزل عليه ملك فقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم اي الا بشرا نوحي الى عامة الخلق او رسالة
في الامم الذين من قبله الى عامة الخلق كانت في البشر لم تكن في الملائكة وانما كانت الرسالة في الملائكة الى خواص البشر
الرسل والملائكة رسل الله اليهم لا الى عامة الخلق فعلى ذلك لا يجعل الرسالة فهذه الامة في الملائكة
الى عامة الخلق ولكن يجعل في البشر على ما جعل في الامم الخالية في البشر والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم اي جعلها في الذكور منهم لم يجعلها في النساء والاناث لما انه لم يستكمل
شرائط الرسالة والنبوة فيهن فكان الاول لنفي بيان الجنس فلم يجعل الرسالة الى عامة الخلق في الملائكة
ولكن جعلها في البشر والثاني في بيان شرائط الرسالة واستحقاقها والله اعلم وفي حرف ابن مسعود وابي
رضي الله عنهما وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فعلى حرفهما كانه خاطب اولئك الكفرة اي وما ارسلنا
قبل محمد الا رجالا نوحي اليهم وفي القراءة الظاهرة المشهورة يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم والله اعلم وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * قال بعضهم امر اهل
من مشركي العرب ان يسألوا اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالكتب المتقدمة ليخبروهم انه لم يجعل
الرسالة الى عامة الخلق الا في البشر وقال بعضهم انما خاطب به من كفر من اهل الكتاب بمحمد ممن لا يؤمن بالكتاب
وغيرهم اي سلوا اهل الكتاب من آمن منهم ليخبروكم ان محمدا رسول الله اليكم ان كنتم لا تعلمون انه رسول
وهذا التاويل يرجع في رسول الله خاصة والتاويل الاول يرجع في جميع الرسل والله اعلم وقوله تعالى وما جعلناهم
جسدا لا يأكلون الطعام * قال بعضهم ما جعلناهم اجسادا لا ارواح فيها لا يأكلون ولا يشربون
ولكن جعلناهم اجسادا فيها ارواح يأكلون ويشربون ويمشون في الاسواق ويحتمل ان يكون قوله جسدا
لا يأكلون الطعام من نحو الملائكة والجن ولكن جعلناهم بشرا وحاصله انهم كانوا يطعنون في الرسل
باشياء مرة قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم ونحو ذلك كانوا لا يرون الرسالة
في البشر لا يرون الرسول ان يكون من نوع المبعوث اليهم فالزمهم ان الرسل الذين كانوا من قبل الذين صدقهم
اباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم ومرة طعنوا الرسل انهم يأكلون
اباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم ومرة طعنوا الرسل انهم يأكلون

الطعام ويشربون وينكحون ويمشون في الاسواق كغيرهم من الناس كما اخبر عنهم بقوله وقالوا مال هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ونحوه من قولهم فاخبر ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا ياكلون ويشربون
ويمشون ويقضون حوائجهم حيث قال وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا
وقال في آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم
كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن ياكل ويشرب وينكح وانه بشر وهو رسول كسائر الرسل على هذا يخرج تاويل
الآية والله اعلم وهذه الآية ترد على الباطنية مذهبهم لانهم يقولون ان الرسالة لا تكون في الجواهر الكثيفة
الجسمانية التي تاكل وتبيد وانما تكون في الجوهر البسيط الذي لا ياكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى فاخبر انه لم يجعلهم
جسدا لا ياكلون الطعام ولا يبيدون بل جعلهم اجسادا يبيدون وياكلون ويموتون بقوله وما جعلناهم
جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا
المسرفين اخبر انه وعد الرسل وعدا لكن لم يبين الشيء الذي كان وعدهم وانه ماذا لكن الوعد في آخره بين
ان الوعد الذي كان وعدهم كان وعد اهلاك وتعذيب لانه قال فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين
دل قوله فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين ان الوعد كان وعد اهلاك فيقول كما وعد الرسل الذين
من قبل انواع هلاك من كذبهم فكان كما وعد فان تاخر ذلك الموعود عن وقت الوعد فعلى ذلك ما وعدكم محمد من
العذاب فانه نازل بكم وان تاخر نزوله والله اعلم وقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم يحتمل قوله
ذكركم ما يذكركم ما تاتون وما تتقون او يذكركم ما لكم وما عليكم وقيل ذكركم اي شرفكم ونبلكم لو اتبعتموه كقوله
وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك وقيل فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم اي فيه دينكم الذي امسك به
عليكم بمعاشكم هذا انه بيان تعظيم ما انعم الله عليهم بان القرآن ذكر فيه امر دنياهم وآخرتهم ومعادهم
ومعاشهم وقوله تعالى افلا تعقلون اي افلا تعقلون ان ذلك كما اخبرناكم وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة اي اهلكنا واصل القصم الكسر يخوف الله اهل مكة بتكذيبهم محمدا بما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل
وهو الاهلاك والاستيصال وانشانا قوما آخرين بعدهم وقوله تعالى فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون
قوله احسوا قال بعضهم علموا بالعذاب وقال ابو عوسجة احسوا اي استيقنوا يقال احسست اي استيقنت
وعلمت ويقال احسست اي وجدت واحسست وقطعت وتحسست اي تخبرت والحسة الرخوة وقوله
يركضون اي يهربون ويعدون وقال ابو عبيدة يركضون يعدون وقوله تعالى لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم
فيه ومساكنكم اي لا تهربوا وارجعوا الى مساكنكم التي اترفتم فيها الى انهم مثل هذا يخرج على الاستهزاء
ليس على الامر لكن معناه لو رجعتم الى ما اترفتم فيه ومساكنكم وهو كقوله سيروا في الارض فانظروا كيف كان
ولكن معناه لو سرتم ونظرتم لعلمتم ذلك فعلى ذلك قوله وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي لو رجعتم لعلكم تسالون
الحوائج على ما كنتم تسالون من قبل فيخرج مخرج الاستهزاء آخر لصنيعهم وقال بعضهم كان هذا في نازلة كانوا يهربون
فتلقاهم الملائكة وهم هاربون فنادوهم فقالوا لهم لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم وقوله تعالى
لعلكم تسالون قال الحسن لعل من الله واجب والمعنى انكم ستعذبون وقال قتادة لعلكم تسالون من دنياكم
شيئا وقيل اي تعذبون وقيل تحاسبون وقيل لعلكم تسالون الايمان كما سالتموه من قبل وقيل لعلكم
تسالون عن قتل نبيكم لانهم قتلوا نبيهم تسالون لم قتلتموه والله اعلم وقوله تعالى قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين
يعترفون بالظلم لكن لا ينفعهم ذلك ويندمون على سوء صنيعهم ويطلبون العود الى الدنيا كقوله
يا ليتني كنت معهم وقوله يا ليتني قدمت لحياتي وقوله تعالى فما زالت تلك دعواهم اي لم يزل دعواهم
وهو قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى جعلناهم حصيدا خامدين فان كان هذا القول منهم في الدنيا
فيكون قوله حصيدا خامدين في النار في الآخرة والحصيد الهالك وهو المستاصل وهو يجري مجرى
المصدر الذي يوصف به الجمع والتثنية والذكر والانثى على لفظة واحدة انما شبههم بالزرع المحصود لان
الزرع اذا حصد يبس وجف والخمود الموت وعن ابن عباس خامدين ميتين اذا طفئت وقوله
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اخبر انه لم يخلق السماء والارض وما بينهما لتكون سماء
وارض على ما هما ثم تفنيان وتبيدان ولكن خلقهما للعاقبة ارادها وهو ان يمتحن اهلهما لان من عمل شيئا
عملا لا يقصد به عاقبة يامل ويرجو فهو عابث لاعب ولو كان على ما تقوله الملحدة واولئك الكفرة بان لا بعث ولا حساب
ولا جزاء ولا ثواب لكان انشاؤهما وانشاء ما فيهما لعبا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون صير عدم الرجوع اليه خلقهم عبثا باطلا وقال الحسن لم يخلقهما عبثا ولكن خلقهما ليكون من نظر اليهما
وتامل فيهما استدلالا على وحدانيته وسلطانه وقدرته وحكمته وعلمه وتدبيره وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ

لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين قال بعضهم لهوا اي ولدا وجه لكن بعيد لان الله تعالى احتج عليهم على نفي الولد
بنفي الصاحبة بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة فلولا انهم اقروا واعرفوا ان لا صاحبة له والا لم يكن للاحتجاج
عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة معنى ولكن الاشبه ان يكون معنى قوله لهوا اي ولدا لان الناس يتلهون بالولد
فسماه لهوا لذلك ولذلك قيل عن ابن عباس الولد حضرموت ثم قوله لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين يخرج
على وجهين احدهما اي لاتخذناه من حيث لا يبلغه افهامكم ولا يدركه علمكم لان الولد من جنس الوالدين ومن
شكلهما والثاني ان الغائب انما يعرف بالاستدلال بالشاهد وانما عرفنا ان لا اله الا الواحد المتفرد بالاستدلال
بالعالم الشاهد اذ هو يدل على الصانع الواحد الحكيم القدير العليم فاما هؤلاء فلا يدل على ان يكون له الولد من
معرفة الولد وادراكه لو كان على ما تزعمون والله الموفق ثم قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا
فاعلين ليس على انه يحتمل ان يكون له الولد او يحتمل ان يتخذ ولدا ولكن لو احتمل ان يكون له ولد يحتمل ان يدرك
ويعلم وهو كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ليس انه يحتمل ان يكون فيهما آلهة ولكن لو احتمل ان يكون
فيهما آلهة لفسدتا وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل يشبه ان يكون الحق الذي اخبر انه يقذف على
الباطل القرآن الذي انزله على رسوله او الرسول نفسه او الآيات التي جعلها لوحدانيته والوهيته
وقوله فيدمغه اي يبطل ذلك الذي قالوا في الله مما قالوا من الولد والصاحبة وغير ذلك مما لا يليق
به قال ابو عوسجة فيدمغه اي يبطله وقال غيره يهلكه وهو من قولك ضربت الرجل فدمغته اذا وصلت
الضربة الى الدماغ فيموت وكذلك يدمغ الحق الباطل يهلكه وقوله تعالى فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون
قوله زاهق اي ذاهب هالك لا شيء ومنه يقال زهق اي مات وهلك وزاهق هو دون هذا السهم وقوله ولكم
الويل مما تصفون من الولد والصاحبة وجميع ما تصفون مما لا يليق وقوله تعالى وله من في السموات والارض
كانه ذكر هذا يخرج جوابا لقولهم ووصفهم الله بالولد وغيره فقال جوابا لقولهم وردا عليهم وصفهم اياه
بالذي وصفوه فقال وله من في السموات والارض اي كلهم عبيده واماؤه ولا احد في الشاهد يتخذ لنفسه ولدا
من عبيده وامائه فاذا لم تروا هذا في الخلق انما تستنكفون فكيف جعلتم ذا في الله ووصفتم انه اتخذ من عباده خلقه
بانه من في السموات والارض والولد انما يطلب لحاجة تمسه فاذ كان الله غنيا بذاته عما ذكر لم يكن فيه حاجة
تبعث له الى الولد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يشبه ان يكون ذكر هذا لقولهم الملائكة بنات الله فاخبر انهم ليسوا كما وصفتم ولكنهم
عبيد لي لا يستكبرون عن عبادتي ولا يفترون ويحتمل ان يكون ذكر هذا لمكان من عبد الملائكة واتخذوهم
آلهة دونه فاخبر ان هؤلاء لا يستكبرون عن عبادتي ولا يفترون ولم يروا لانفسهم الالوهية فكيف
نسبتم الالوهية اليهم وعبدتموهم دوني وان يكون قال ذلك انكم ان استكبرتم عن عبادتي فلم يستكبر
عنها من هو ارفع منزلة واعظم قدرا منكم وقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي ينزهون
الله تعالى ويبرؤنه عما وصفه الملحدة من الولد وجميع ما قالوا فيه مما لا يليق به وهذه الآية تنقض على المعتزلة
مذهبهم حيث قالوا ان الافعال لانفسها منصبة متعبة في الخروج عما يلزمهم في افعال العباد انها مخلوقة
لله تعالى كسب للعباد لانها لا تنصب عن حسب ارادة العبد فانه يريد ان يمشي مشيا لا يتعب به وكذلك في كل فعل
ثم يحصل التعب من غير قصده وارادته فدل ان لغيرهم فيه صنعا وهذا ليس بخروج عما الزمناهم
لو كانت متعبة لانفسها لكان البشر والملائكة فيها سواء لان ما ثبت لنفسه لا يختلف بين حال وحال
وشخص وشخص فلما كان الملائكة لا يفترون ولا يعيون ولا يتعبهم العبادة دل انها صارت متعبة
بغير فيها لا لانفسها وهذا على الاستقصاء نذكر في موضعه والله الموفق ثم قوله ولا يستحسرون
اي لا يعيون ومنه الحسير والحسرة قال ابو عبيدة ناقة حسير ويقال حسرت بعيري اذا حملت عليه حتى تقطعه
من العمل فلا يقدر ان يحمل وقوله لا يفترون الفتور الاعياء وقيل يجري التسبيح منهم مجرى النفس منا فكما
لا نفتر عن النفس ولا نعيا فكذا هم لا يفترون عن التسبيح ومن عنده ما ذكر لاختصاصهم بدوام كرامه اياهم كما يقال
فلان عند الامير مكانا اي منزلة وعظيم قدر وقوله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون قوله ام اتخذوا
استفهام في الظاهر من الخلق لكن ذلك من الله على الايجاب كانه قال لقد اتخذوا آلهة وهكذا كل ما خرج في الظاهر
من الله على الاستفهام فانه على الايجاب لانه عالم بما كان ويكون لا يخفى عليه شيء واما الخلق فانه يجوز ان يستفهم
بعض من بعض لما يخفى على بعض امور فيطلب بعضهم من بعض العلم بذلك ثم هو يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا
اي قد اتخذوا آلهة من الارض هم لا ينشرون والثاني لم يتخذوا آلهة من الارض هم يملكون النشر او النشور والله اعلم
ثم قوله ينشرون اي يخلقون اي لم يتخذوا آلهة لا يخلقون وانما تعرف الالهية بالخلق وبآثار تكون في الخلق فاذا لم يكن

من هؤلاء خلق كيف اتخذتموها آلهة وكذلك قوله هم ينشرون أي يبعثون فإن كانوا لا يملكون البعث والإحياء فكيف اتخذتموها آلهة من لا يملك البعث والإحياء يعبد لكونه يخرج على غير الحكمة وفي الظاهر لأن من بنى في الشاهد بناء للنقض خاصة لا للعاقبة يقصد ما كان غير حكيم في فعله سفيها في بنائه وكذلك قال أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا الآية جعل خلق الخلق لا للرجوع إليه عبثا باطلا قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي حرف ابن مسعود وأبي وحفصة لو كان فيهن آلهة غير الله لفسدت ثم قوله لفسدتا يخرج على وجهين أحدهما لفسدتا أي لم تكونا في الأصل لأن الرسم في الملوك إذا رأوا أن يبني بناء يريد الآخر نقضه وإفناءه فلم يبق بناء فلم يكن من الأصل إلا كائنا لفسد وحيث شاهدناهما دل أنه لواحد والثاني لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لأنه إذا كان اثنين لم يجتمع منافع أحدهما متصلة بمنافع الآخر والخلق إذ تبع كل واحد منهما منافع ما خلق من أن يتصل بالآخر وحيث رأينا منافع السماء متصلة بمنافع الأرض ومنافع الأرض بالسماء دل أنه صنع واحد وتدبير واحد لا عدد والثالث لو كان عددا لكان تدبيرهما على حدة لعدد في كل عام فإذا اتسق التدبير وجرى الأمر في كل عام على سنن واحد من الفصول الأربعة دل أنه تدبير واحد لا عدد لو كان عددا كان يختلف ولم يتسق على سنن واحد والله الموفق وقوله تعالى فسبحان الله رب العرش عما يصفون هذا تنزيه نفسه من الولد والشريك وما لا يليق به وقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون هذا يحتمل وجوها أحدها لا يسأل عما يفعل لأن ما يفعل يفعل في ملكه وإنما يسأل من يفعل بسلطان غيره وملك غيره وفي ذلك دلالة أن لا يجوز السؤال عن شيء إلا الأمر والإباحة ما لم يعلم من يصل إليه الأشياء في الأصل على الحظر لا على الإباحة والثاني لا يسأل عما يفعل لأنه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة فإنما يسأل عمن يحتمل فعله السفه فأما من لا يحتمل فعله فإنه لا يحتمل السؤال لم فعلت كذا وإذا فعلت والثالث لو احتمل السؤال عما يفعل لاحتمل الأمر والنهي افعل كذا ولا تفعل كذا وذا مستحيل لعلو شأنه الأمر عنه لكان يخرج السؤال مخرج سؤال الحاجة لأن من أمر فوقه بأمر فإنما يكون قاصرا سؤال حاجة عمن يأمره دونه فيكون ذلك لهم والله الموفق وقوله تعالى أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم دلالة لزوم الدليل على النافي لأنه لما قال هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين كأنهم يقولون هات أنت برهانا على ما ادعيت من الألوهية ونحن ننكر ذلك ونستوفي ذلك يقولون لذلك فدل أن الدليل يلزم النافي ولو لم يكن الدليل لازما على النافي لم يكن أمرهم بإتيان الدليل إذ ليس من الحكمة طلب الدليل ممن ليس عليه الدليل في الحكمة والعقل والله الموفق وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي وبعض القراء ذكر من معي وذكر من قبلي وقال بعضهم ذكر من معي من الحلال والحرام وذكر من قبلي أي خبر كل أعمال الأمم السالفة وأخبارهم وما صنع الله بهم وإلى ما صاروا والبلاد يكون قوله هذا ذكر من معي أي ما معي وخبر من قبلي فيكون فيه دلالة رسالته لأنه لم يعرف أنباء الأمم السالفة وأخبارهم ما ذكرت في كتبهم من غير أن تعلم ما في كتبهم ثم منهم ونظر كان منه فيها ليعلموا أن ذلك إنما كان عرف ذلك بالله تعالى ويشبه أن يكون تأويل قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ما ذكر من قبلي وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون أي هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الرسل إلى قومهم وما قالوا لهم وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كذلك كانوا لا يعلمون الحق لإعراضهم عنه وقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون لم نبعث رسولا من رسل من قبلك إلا أمرناه بأن يقول لهم إنه لا إله إلا أنا فاعبدون أي وحدوني في الألوهية أي لا تصرفوا الألوهية إلى غيره وهو الأنسب من دونه في الألوهية وأن يكون قوله فاعبدون أي اصرفوا العبادة إلي لا تصرفوا العبادة إلى غيري والله الموفق وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون دل قوله بل عباد مكرمون أنهم نسبوا الولد إلى الله لما ولا قالوا إنه اتخذ ولدا على حقيقة الولادة ولكن قالوا ذلك على التصفي والاصطفاء من اصطفاه ونسبوا الولد إليه حين أنا أرى قالوا إنهم ولده من نحو عيسى وعزير والملائكة ليسوا كما وصفوا ولكن عباد مكرمون ثم أخبر إكرامهم فقال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون أخبر أنهم لا يتقدمون في قول ولا فعل إلا بإذن منه وأمر وأن يكون قوله لا يسبقونه بالقول أي لا يكرون ولا ينسون ولا يتقدمون في شيء الأمر من الله تعالى إذنه وقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم هذا قد ذكرنا في السورة التي فيها ذكرهم وقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقال في آية أخرى يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا فيكون تأويل قوله إلا لمن ارتضى إلا لمن أذن له ثم يتوجه قوله إلا لمن ارتضى إلى الشفيع أي لا يؤذن لأحد الشفاعة إلا من كان مرضيا يرتضي دينا وعملا أو يتوجه قوله إلا لمن ارتضى إلى المشفوع له أي لا يشفع إلا لمن ارتضى عند الرب مذهبا وعملا ثم يحتمل يدخل في عمله التقصير ثم الشفاعة إنما جعلت في الأصل للتجاوز وعما دخل في العمل من التقصير ثم الرجل الذي يشفع له إما أن يكون صاحب الصغيرة فيجوز أن يعذب عليها وإما أن يكون صاحب الكبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة لأنا قد علمنا أن الشفاعة إنما جعلت لمن فيه التقصير في العمل ففيه دلالة نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون إن صاحب الصغيرة معفو عنه بالصغيرة حتى لا يجوز أن يعذب عليها وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز بل هو معذب أبدا فيبطل معنى الشفاعة على قولهم وقوله تعالى وهم من خشيته مشفقون هذا والله أعلم كأنه صلة قوله لا يسبقونه بالقول الآية أي من خشية عذابه

وهيبته

وهيبته لا يتقدمون بقول ولا عمل ولا أمر ولا نهي خوفا منه وهيبة والله أعلم وقوله تعالى ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين هذا كأنه مقطوع عما تقدم ذكره غير موصول به لأن ما سبق هذا القول منهم اتخذ الرحمن ولدا فلو كان على الصلة بالأول لكان يقول ومن يقل منهم إني ولد الله لأنهم قالوا اتخذ الرحمن ولدا ولم يقولوا إنه اتخذ إلها فلو كان على الصلة بالأول فيخرج على لفظهم ومن يقل منهم إني ولد له لكن كأنهم كانوا فرقا منهم من قال اتخذ ولدا ومنهم من عبد دونه الملائكة واتخذهم آلهة فيخرج هذا جوابا لذلك فقال ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية فإن قيل لنا في قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وقد عبد عيسى دونه وعبد الملائكة دونه فيكون حصب جهنم على ظاهر ما ذكر فيقول تأويل قوله إنكم وما تعبدون من دون الله أمر الذي عبدوا في قولهم اعبدوني حصب جهنم دليله ما ذكر في الآية ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقوله كذلك نجزي الظالمين الظالمون ههنا المشركون والكافرون ثم قال الحسن في قوله ومن يقل منهم إني إله من دونه لا يحتمل أن يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم الله تعالى بالطاعة له وترك الخلاف لأمره لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق أنه تعالى وإن عظم قدره عنده وجل منزلته إنه يجزيه بما ذكر وأنه يستوجب لذلك وقال بعضهم ومن يقل منهم إني إله من دونه هو إبليس اللعين خاصة كأن منهم وهو قال ذلك إني إله من دونه فاعبدوني والله أعلم ولكن عندنا المعصية من الملائكة ممكن محتمل دليله قوله ومن يقل منهم إني إله من دونه ولأنه مدحهم بقوله لا يعصون الله ما أمرهم وقوله لا يستكبرون عن عبادته دل ذلك كله على أنهم يختارون في ذلك غير مجبورين والله أعلم وقوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قوله أولم ير يخرج على وجوه أحدها أما علموا أن السماوات والأرض كانتا كذا والثاني أولم تأملوا وتفكروا ليعلموا أنهما كذا والثالث على التنبيه أي قد علموا أنهما كانتا كذا وكذلك هذا في كل ما في قوله ألم تر يريد الكفرة ولم ير كذا يصح على هذه الوجوه ثم يكون قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل هذا في قوله أولم ير الذين كفروا كأنه يقول أولم يروا أنا جعلنا لهم من أنواع ما ذكر ثم ذكر هذا لهم لوجوه أحدها يذكرهم نعمه عليهم حيث أخبر أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتق منهما أرزاقهم وذكر أنه جعل لهم الحي وجعل لهم الأرض بحيث يقرون بأهلها ويسكنون بهم وجعلها مهادا وفراشا بالجبال حين فيقدروا بالمقام عليها والقرار ثم ذكر أنه جعل فجاجا وسبلا ليعلموا أن حوائجهم وشهوتهم ومنافعهم التي جعلت لهم في البلاد النائية فذكرهم نعمه أيضا في حفظ السماء عن أن تسقط عليهم على ما أخبر أنه هو يمسك كما يقول إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا الآية وذكرهم أيضا نعمه فيما جعل لهم من الليل والنهار والشمس والقمر من المنافع ليستأدي بذلك كلها الشكر على ما أنعم عليهم والثاني يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه أنه من قدر على فتق السماء من الأرض وجعل حياة كل شيء من الماء وإمساك السماء وحفظها عن أن تسقط بلا عمد وما ذكر من خلق الليل والنهار وقطع الشمس والقمر مسيرة مائة عام أي من قدر على ما ذكر لقادر على البعث والإحياء بعد الموت وتبعا صاروا ترابا أو أن يذكرهم غناه بذاته وملكه أن من كان سبيله هذا فإنه لا تقع له الحاجة إلى اتخاذ الولد والشريك رد على ما قالوا اتخذ الله ولدا وما اتخذوا من دونه آلهة ونحو ذلك فبين فساد ذلك كله وبطلانه حيث قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون فهذا كله يبين فساد ما ادعوا على الله أم اتخذ كذا والله المستعان ثم اختلف في قوله كانتا رتقا ففتقناهما قال بعضهم فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بالذي هو ألين الأشياء وهو الماء وكذلك فتق الأرض بالذي هو ألين شيء وهو النبات مع شدتها وصلابتها وهو ما ذكرنا من لطفه وقدرته وقال بعضهم كانتا ملتزقتين ففتقهما وجعل بينهما هواء ومكانا للخلق وقال بعضهم كانت السماء واحدة والأرض واحدة فجعل من السماء سبعا ومن الأرض كذلك سبعا فذلك فتقهما والله أعلم وقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي قال بعضهم يريد بالماء النطفة أي جعلنا من النطفة حياة الأصل وخلقهم وقال بعضهم وجعلنا من الماء الذي خلق في الأرض وأنزل من السماء حياة كل شيء فعلم حياة خلائق الأرض بهذا الماء ولكن لا نعلم حياة أهل السماء بماذا والله أعلم وقوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم هذا يدل على أن الأرض لم يكن من طبعها التسفل والتشرب في الماء في الأصل على ما قاله بعض الناس لأنه لو كان طبعها التسفل والتشرب لكان الجبال تزيدها التسفل والتشرب فإذا لم يكن دل أنه كان من طبعها الاضطراب والزوال والتحرك والميل بأهلها لا التسفل والتشرب فسكن على ما ذكر من الاضطراب والتشبث بالجبال ولأنا إنا نشاهد بعض أجزائها أنه يتشرب ويتسفل والجزء يحكي حكاية الكل لا إنا نفق لاعتبار الجزء بالكل باطل

في الجملة والاطلاق فان بعض العالم متعلق ببعض فانه لا يخلو عن مكان بل بعض مكان لبعض وكل العالم
لا تعلق له بالمكان تعالى ذلك الارض ممكن ان يكون بعضها اجزاء يتعلق به الماء والهواء والكل لا يتعلم
ان لتشبيه طبعها كذلك لكن على مجرى العادة بتقدير قادر مختار والله الهادي او كان طبعها التسفل والترسب
لكن جعلها الله تعالى بحيث تقر وتسكن بقدرته والله الموفق وقوله تعالى وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم
يهتدون قال بعضهم الفجاج السعة والفسحة والسبل الطرق وقال بعضهم الفجاج الطرق التي بين الجبال
والسبل التي في المفاوز وقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون اي محفوظا
من الشياطين اي صارت محفوظة منهم حتى لا يسمعون كلام الملائكة بعدما كانوا يسمعون من قبل وقال بعضهم
محفوظا اي محبوسا عن ان يسقط عليهم والله اعلم وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
كل في فلك يسبحون قال بعضهم الفلك السماء وقال بعضهم الفلك استدارة السماء وقيل المجرى
والسرعة وقيل في فلك او فلكه كفلكة المغزل وهو دوارته وكذلك فلكة الطاحونة هي ما يدور بالطاحونة و
الحديد التي تكون بها دوارنا الطاحونة وقالوا انما الفلك استدارة كل شيء له دوران ونحوه يسبحون قيل يجرون
وقيل يعملون وكذلك روي في حرف عبد الله كل في فلك يعملون ولكن ظاهر الآية ان يكون هنا الفلك مجرى
يجري فيه الشمس والقمر وفيه تغيبان ومنه تطلعان لانه قال كل في فلك يسبحون والسباحة المعروفة ما يسبح
المرء في بحر او نهر هذا ظاهر الآية وعلى ذلك جاءت الاخبار عن ابن عباس عن النبي عليه السلام انه قال خلق الله
بحرا دون السماء الدنيا بمقدار ثلاث فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء بامر الله لا يقطر منه قطرة والبحور
كلها ساكنة وذلك البحر جار في سرعة السهم ثم انطباقه في الهواء مستويا كانه حبل ممدود ما بين المشرق
والمغرب يجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر فذلك قوله كل في فلك يسبحون والخنس تخنس بالنهار
وتجري بالليل والفلك دوران العجلة في لجة غمرة ذلك البحر وقال رسول الله عليه السلام والذي نفسي بيده
لو بدت الشمس من ذلك البحر لاحرقت كل شيء في الارض حتى الصخور [illegible] القمر ومن ذلك البحر لافتتن به اهل الارض
كلهم يعبدونه من دون الله الا من عصمه الله تعالى وفي بعض الاخبار ان الفلك ماء هو مكفوف يجري فيه الشمس والقمر
والنجوم على الليل والنهار وقوله تعالى الشمس والقمر والليل والنهار كله دون السماء يدور بالفلك ومثل هذا
انه قد قيل فيه والله اعلم بذلك وظاهر الآية ما ذكرنا ان الشمس والقمر هما اللتان تجريان او تسبحان في ذلك
الماء وعلى تأويل بعضهم انهما على حالهما لا يجريان ولكن الفلك هو يجري بهما انهما يسبحان في وقت
ويختفيان في وقت آخر ولو كانا هما اللتان يجريان لكانا على حالة واحدة ويظهران في الاحوال كلها لكن لا نعلم
ذلك الا بالخبر عن الله تعالى انه كذلك والله اعلم وقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن مت فهم الخالدون
كان هذا خرج جوابا لقول كان لاولئك الكفرة في رسول الله والانبياء ان يكون ما اصابهم من الضيق والشدة
والهلاك كانوا يتشاءمون برسول الله ويتطيرون به ان ذلك انما يصيبهم بشؤمه ولولا هو لكان لا يصيبنا من
ذلك شيء فقال تعالى جوابا لذلك ما يتطيرون به من اصابة الهلاك والشدائد فقال وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افائن مت فهم الخالدون بل حكمه اي ميت لكل على ما قضى كل نفس ذائقة الموت فاذا لم يكن لاحد من قبلك
الخلد بل كلهم قد ماتوا فكيف يتشاءمون بك ان ذلك انما يصيبهم بسببك وبشؤمك افائن مت فهم الخالدون
اي وانت ان مت تخرج من بينهم لا يخلدون هم فيها كل نفس ذائقة الموت اي من حكمي ان كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم
بالشر والخير فتنة [illegible] وقوله تعالى واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا
هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم [illegible] رسول الله بذكر الهتهم بسوء ويعيبها [illegible]
[illegible]
وهم بذكر الرحمن هم كافرون قال بعضهم [illegible] الرحمن
[illegible]
وتعالى خلق الانسان من عجل [illegible]
[illegible] ويرضى بشيء دون ذلك

لكنه وان خلقه على ما اخبر يحتمل في وسعه ان رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما بالرياضة وهو كقوله ان الانسان
خلق هلوعا الآية اخبر انه خلقه هلوعا جزوعا منوعا شحيحا ثم قال الا المصلين دل استثناؤه منهم المصلين انه بالرياضة
يتحول عن الحالة التي خلقه عليها الى حالة اخرى وهي حالة الحلم والصبر وكذلك ما اخبر وكان الانسان قتورا كان ذلك [illegible]
لكنه بالرياضة والعادة يصير جوادا سخيا بعدما كان شحيحا بخيلا دل على ذلك ما ذكر من العجلة انه يحتمل ان [illegible]
حليما صبورا ويتحول عن الحالة التي خلق عليها وليست المحنة والتكليف الا الرياضة والنزوع عن العادة بتعويد ما خلق
على الطبع ان كل مكلف ان يروض نفسه ويعودها القيام بجميع ما امر به ويكفها عن جميع ما نهاه عنه وينقاد اتباع امره
وانتهائه عن نهيه والله الموفق وقوله تعالى سأريكم آياتي فلا تستعجلون يشبه ان يكونوا سألوا رسول الله آيات على رسالته
انه رسول لقد سألوه آيات على وحدانية الله وربوبيته فقال سأريكم آياتي من الوحدانية الذي تريدون انتم وسألتم وقد
بينت لكم الآيات التي اوحد الذي تريدون وقال بعض اهل التأويل سأريكم آياتي فيما انزل العذاب في من كان قبلكم من الامم
الرسل فان سافرتم وضربتم في الارض رأيتم آثار العذاب فيهم ونحن سائلهم فلا تستعجلون انتم العذاب الذي يعدكم الرسل
يخوفهم العذاب ويعدهم اياه فكذبوه في ذلك فقال عند ذلك سأريكم آياتي فلا تستعجلون فقال الوعيد لك متى هذا الوعد
بان العذاب كما اخبر عنهم بقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى هذا الوعد بالعذاب ان كنتم صادقين في
ان يكون الآية فيهم يكذب بها الساعة والقيمة وانكارهم اياها فقال سأريكم آياتي اي سأريكم [illegible] قبل وقوعها فلا تستعجلوا
وقوعها [illegible] بتكذيبكم اياها ما ذكر على اثره بقوله لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم ثم قوله لو يعلم الذين كفروا اي لو كانوا يعلمون ما يلبسهم من فزع القيمة حتى لا يملكون كفها عن وجوههم
ولا عن ظهورهم حتى لا يستعجلوا وانما استعجلوا وقوعها ثم قوله لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
انه يحيط بهم حتى لا يملكون دفعها عن انفسهم ولا يملك انصار الدنيا الذين اتخذوهم انصارا [illegible] دفع ذلك عنهم
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل [illegible] افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فجاءة فتحيرهم وتجعلهم مبهوتين [illegible] وترى الناس سكارى وما هم بسكارى الآية وكقوله انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اخبر انهم لا يملكون دفعها اذا وقعت بهم ولا هم ينظرون اذ في الدنيا
من ابتلي بالبلايا فانما [illegible] فيدفع عن نفسه اما بالانصار واعوان ينصرونه ويعينونه في دفعه عنه واما بالتضرع والابتهال والاستسلام
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا الآية فاخبر انهم لا يملكون دفعها بقوى انفسهم هم ينصرون ولا هم
ينظرون بالتضرع والاستسلام وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فيه تصبير
رسول الله على ما يستهزئ به قومه لانه قال ولقد استهزئ برسل من قبلك اي لست انت باول رسول استهزئ به قومه وفيه تخويف
اولئك باستهزائهم به [illegible] باستهزائهم برسلهم ثم قوله فحاق بالذين سخروا قال اهل التأويل [illegible]
وقال بعض اهل المعاني الحيق ما اشتمل على الانسان من مكروه فعل يفعله كقوله ولا يحيق المكر السيئ الآية والله اعلم وقال بعضهم حاق
اي رجع عليهم واحاط بهم والله اعلم وقوله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي من يحفظكم ويحرسكم عن عذاب الرحمن
وقيل من يمنع منكم عذاب الرحمن وهذا يخرج على وجهين احدهما قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي سائلهم من يكلؤكم من عذاب
الرحمن لا بد ان الرحمن هو الذي يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن لا آلهتهم التي تعبدونها وهو كقوله قل من رب السموات والارض
وقوله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير [illegible] الآلهة التي يعبدونها [illegible] عن عبادته وعبدتم من دونه [illegible]
[illegible] منكم العذاب وقد عرفتم ان الرحمن الذي يكلؤكم بالليل والنهار وهو رب السموات والارض كيف عبدتم من ليس له [illegible]
[illegible] ان لا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين [illegible] كانوا ينكرون الرحمن [illegible]
ما الرحمن [illegible] كيف ينكرون الرحمن [illegible] يكلؤكم بالليل والنهار [illegible] فعلى هذا يخرج قوله
بل هم عن ذكر ربهم معرضون اي بل هم عن ذكر [illegible] منكرون له والله اعلم وقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اي لهم آلهة
من دوننا تمنعهم [illegible] على النفي اي ليس لهم آلهة تمنعهم من عذابنا [illegible] ظاهره الاستفهام لما ذكرنا ان الاستفهام [illegible] يخرج على وجه
الايجاب وان كان ظاهره الاستفهام ثم بين موضع الاحتجاج عليهم [illegible] عجزهم حيث قال لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا
يصحبون اي لا تستطيع آلهتهم نصر انفسها اذا اريد بها شر ولا هم منا يصحبون [illegible] كيف عبدتم من دونه [illegible]
[illegible] شفعاء [illegible] حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا [illegible] وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله [illegible] لا يملكون نصر انفسها
اذا اصابها سوء [illegible] فكيف اتخذتم آلهة [illegible] دفع السوء عن نفسها [illegible]
[illegible] والله اعلم ثم [illegible] ما قال بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
[illegible] بالعقوبة [illegible] انما اشركنا الآية [illegible]
[illegible] حيث غلب عليهم [illegible]
واصحابه على بعض بلادهم وصار ملكا للمسلمين بقوله افلا يرون انا نأتي الارض الآية ثم اختلف في تأويلها قال الحسن

افلا يرون اي اولم يعلموا انا ناتي الارض الاية اي يحشرهم يوم القيمة من اطراف الارض الى المحشر فذلك نقصها وقال غيرهم افلا يرون ان
رسول الله كلما افتتح ارضا ظهر عليها نقصها بالظهور عليها ارضا فارضا افهم الغالبون بل رسول الله هو الغالب عليهم وقال ابن عباس
ننقصها الارض ذهاب فقهائها وخيارها اهلها وقال قتادة ننقصها بالموت وكذلك قال الحكم من نقصها من اطرافها بالموت وقال الوكيع
الارض تنقص باشياء الحقيقة ثم يوجب الرجل مجلس فيه ونحو هذا اشد قوله تعالى قل انما انذركم بالوحي هذا والله
يخرج على وجه التحدي لهم لجحدهم بالقرآن انه ليس من عند الله انهم كانوا ينكرون رسالته ويقولون ابشر كيف خص هو به فيقول
اني لست انذركم بما انذركم من نفسي حتى تقولوا ابشر مثلنا ولكني انما انذركم بالوحي من الله انتم ممن يقبلون بشارة من يخبر بنذارة
وكتاب قال ذلك لما تقدم منه من الآيات في النذارة وكتب رسالة عليهم انه من الله فامرنا ان نقول لهم انما انذركم من النذارة ثم
معناه والله اعلم اي فيما انذرتكم بما نزل من الامم المتقدمة من الانباء التي اخبرتكم عنها لم اشهدها ولا
بل انما انذركم بالوحي فذلك موضع الاحتجاج في اثبات رسالته تعالى قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون هذا
انهم لم يتعقلوا ان الاصم اذا دعي لم يرفع من المهالك لا يستدل ان يرفع منها ويكف بالدعاء والنداء ولكن انما يكف ويدفع
من المهالك بالايدي وقال الشيخ رحمه الله كانه قال ما كثرة دعاوة اياهم اليهما ومحاجتهم فانه لو ذلك لعله يحسبوه فقال حينئذ ذلك انكم لا تسمعون
النداء والدعاء ما بعثكم ولكن تعرضوا فذلك بالسيف والقتل وان يعقلوا انكم صم عن الحق حتى تسمعوه بالصم بالسمع والصم السمع
لا يسمع ولا ينادي ولا انه لا يسمع ولكن يجيء باليد وعرض على ذلك انهم صم عن الحق لا ينتفعون بالنداء ولكن بالدفع ثم ان الدعا
والله اعلم قوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك قال الحسن نفحة اي طائفة وقال بعضهم نصيب وقال بعضهم نفحة
الدفعة وقال بعضهم عقوبة ربك فاصل النفحة الرمية فعلى ذلك سمي نفحة الدابة ما يرميها وهو كما ذكر من رمى الشرر
بقوله انها ترمي بشرر كالقصر وقوله تعالى ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ثم قال ذلك عند ما مسهم عذاب الله لعرفوا
ظلمهم قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة اي الموازين العدل والقسط هو العدل في النعت فظاهر الاية
ان الموازين هي العدل لان القسط يرجع الى غير المنعوت يقال رجل عدل الرجل الظريف فالظريف هو الرجل والرجل هو الظريف كانه قال الموازين
القسط التي وضعت في الدنيا او توضع في الاخرة هو العدل الذي ضرب حدود الاشياء ومقاديرها فيكون على هذا التاويل الموازين
العدل وتفسير العدل ما ذكر في قوله فلا تظلم نفس شيئا الا تنقص من حسناتها ولا يزاد على جزاء سيئته ولكن توفى كل هذا بما لها من
غير زيادة ولا نقصان ويحتمل ان يكون قوله ونضع الموازين القسط على الاصل اي نضع الموازين التي تكون في الدنيا يوم القيمة
لا تطفف ولا تنقص ولكن تسوي وتستوفي من غير زيادة ولا نقصان في اشاهد اخوه لما التجهالة او المحاجة او التجوز فهذه
الوجوه تحمل على الزيادة والنقصان والله سبحانه يتعالى عن ذلك كله لانه عالم بذاته عادل بذاته فلا يوجب الخسران والزيادة
وقوله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها يحتمل اي اتينا بها او بعينها اي لا يخفى شيء منه ولا يغيب عنه وليس الي كذ
من ذكر مثقال حبة من خردل او مثقال ذرة الحبة والذرة ولكن ذكر على التمثيل لا يخفى عنه شيء ولا يغيب بذلك المقدار من الجزاء
عن ذات عنه ولا ينسى ولكنه يحفظ ويحاسب وقوله تعالى وكفى بنا حاسبين اي لا يشغله كثرة الحساب الذي حاسبه البشر كثرة الحساب
لكثرته ما ذكر عليه الحساب ولا دخل شغله ذلك عن حفظ الحساب وقوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
كل كتب الله فرقان وتعد وضياء وروح ومبارك وذكر اما الفرقان هو ما يفرق بين الحق والباطل وبين الشبه والواضح بين ما يؤتى
ويتقى ويبين ما عليهم وما لهم والنور هو ما يتجلى به حقائق الاشياء والضياء هو ما يظهر حسن ما يتحرى وينسى ان
والروح ما يحيى كل شيء يسمى القرآن روحا لانه يحيي الدين وهذا سمي الماء حيوة لانه يحيي الابدان والاشياء
هو ما ينال به ويتصل اليه خيرا والذكر هو ما يذكر ما لهم وعليهم وقوله ذكرى للمتقين قيل هو الوعظ والوعظ
قيل هو التي تلين القلوب وتوسع الصدور وتفتح وتخشع بها الفؤاد على هذه الاوصاف جميع كتب الله التي
انتهت الى القرآن بها ثم بين انها على الوصف الذي ذكر لمن فقال للمتقين فان كانت هي في نفسها على الوصف
الذي ذكر فانها انما يتجلى بها الشبه من الحقائق والحق من الباطل لمن قبلها واقبل نحوها وانظر اليها بعين التعظيم والاجلال
واما من اعرض عنها فلست هي على ما ذكر ولكن على ما اخبر بقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ثم بين من المتقون
فقال الذين يخشون ربهم بالغيب ويخشون العذاب الموعود في الغيب هو عذاب الاخرة ونقمتها اذ المؤمنين
خافوا العذاب الموعود في الآخرة فحذروا ما به يحل ذلك وهو الكفر والمعاصي وصدقوه واما الكفار
فانهم لم يخافوا الموعود في الآخرة ولم يصدقوه وانما يخافون العذاب المعاين المشاهد فاما العذاب الموعود
في الغيب فلا يخافونه ويحتمل ايضا قوله الذين يخشون ربهم بالغيب اي بما لا يرون ربهم وانما يرونه بما دل من آثار
سلطانه وملكه قوله تعالى وهم من الساعة مشفقون يحتمل هم من اهوال الساعة وان يحصل اتقوى ويحتمل اي
من محاسبة اعمالهم في الآخرة فانهم يحاسبون انفسهم في الدنيا اشفاقا على محاسبته انفسهم في الاخرة قوله تعالى
وهذا ذكر مبارك انزلناه قد ذكرناه قوله تعالى افانتم له منكرون ظاهره وان كان استفهاما فهو في الحقيقة
ايجاب كانه قال وهذا ذكر مبارك انزلناه وتعرفونه انه كذلك فلم تم هذا الانكار ثم يذكر سفههم وعنادهم

وقوله ولقد آتينا

قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده قال الحسن رشده دينه وهداه وقال غيره رشده النبوة ويشبه
ان يكون قوله آتينا ابراهيم رشده حججه وبراهينه التي حاج بها قومه على غير تعليم من احد وفيه دلالة ان الشيء
كل رشد وهدى بيان لانه لو كان كله بيانا لم يكن لتخصيص ابراهيم بالرشد كثير معنى اذ هو في ذلك البيان
وغيره من الكفرة والفراعنة سواء فدل قوله آتينا ابراهيم رشده انه يكون من الله للمهتدين فضل صنيع ليس في ذلك
واكما فيه وهو التوفيق والعصمة قوله تعالى من قبل قال بعضهم من قبل الآيات التي تعطي البشر الرشد وهو حال
الصغر ويحتمل قوله من قبل اي من قبل محمد وقال بعضهم من قبل موسى وهرون ويحتمل آتينا ابراهيم رشده
من قبل لما ان اهل الاديان يدعون انهم على دين ابراهيم فلا يحتمل ان يكون دينه ورشده الذي به ما يدعوه كل ذلك
بل انما كان ذلك واحدا فوجب النظر فيه والتامل لاخذ ذلك ليظهر الدين الذي كان عليه ابراهيم قوله تعالى وكنا
به عالمين اي بالذي من الرشد الذي علمنا ابراهيم عالمين من قبل او ان يكون قوله وكنا به عالمين اي كنا بجميع ما يكون
من ابراهيم عالمين قوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون كانه قال هذه التماثيل
التي اتخذتموها انتم لها عاكفون اي انما تعبدون تعبدا لفضل يكون من المعبود الى من يعبد فاما ان يعبد
انما يفضل بالمعبود فلا يحتمل وهو ما قال ابراهيم اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون نسبهم
ويعيب عليهم لعبادتهم ما ينحتونه بايديهم ويتركون عبادة من خلقهم وخلق اعمالهم قوله تعالى قالوا
وجدنا آباءنا لها عابدين فلما انقطع حججهم لما قال لهم ابراهيم ما قال واظهر سفههم فزعوا الى تقليد آبائهم
فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين لم ينكر عليهم فضل آبائهم في عبادتهم
الاصنام ولكن قال لهم بصنيع آبائهم ثم جمعهم وآباءهم واخبر انتم وآباؤكم في ضلال مبين بعبادتكم الاصنام
قوله تعالى قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما قال لهم ان مثل هذا القول لا يقول الا من كان عنده
بما يقول حجة ام انت من اللاعبين تلعب وتهزؤ لعلمه انه جاءهم بالحق وبين لهم ذلك الحق فقال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن لا الاصنام التي تعبدونها اي ربكم رب السموات والارض الذي عرف بالدلالات
والبراهين وآثار الصنعة فيه غيره لا الذي نحتموه انتم واتخذتموه والله اعلم وقوله تعالى وانا على ذلكم من الشاهدين
يحتمل وانا على جميع ما قال لكم وذكر من الحجج واقامة الحجج على الوهية الله وتسفيه اولئك في عبادة الا
من الشاهدين او من الشاهدين على خلقهما ويجوز ان يقال الشاهد المبين وانا على ذلكم من المبينين والله اعلم
قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم ان الاصنام لا يقصد اليها بالكيد لكن تاويله والله اعلم لاكيدن
لكم في اصنامكم وقوله تعالى بعد ان تولوا مدبرين من الاصنام الى عيدهم من تعديتها لاكيدن اصنامكم اي
لاكيدن لكم في اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين منها الى عيدكم وجائز ان يكون قوله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا
مدبرين عني وكانوا في ذلك الوقت يحضرون الاصنام لانه قال لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
ومثل هذا الكلام لا يقال الا بحضرة الاصنام لانه اشار الى الاصنام فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون فقال عند ذلك تالله لاكيدن اصنامكم اي لاكيدن لكم في اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عني
على التاويل يكون تولهم الادبار عن الاصنام الى عيدهم وعلى التاويل الثاني يكون تولهم الادبار عن ابراهيم
والله اعلم وقوله تعالى فجعلهم جذاذا وجذاذا قال بعضهم قطعا وقال القتبي جذاذا فتاتا وكل شيء كسرته فقد
جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ والجذ هو القطع والمجذوذ هو المقطوع وذلك قوله عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع
قوله تعالى الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون تقول الى الصنم الاكبر الذي لم يكسره ابراهيم يرجعون فيسالونه
وقال بعضهم لعلهم الى الحجة يرجعون وقيل هو آخر القولين اي من الحجة وقال بعضهم لعلهم اليه يرجعون اي الى ابراهيم
وجائز ان يكون قوله لعلهم اليه يرجعون اي يرجعون الى ما اراد ان يكيدهم في اصنامهم لانه انما اراد ان يكيدهم اذا رجعوا
الى الاصنام فراوها مجذوذة والكيد هو الاخذ على الامن وكذلك المكر قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه
لمن الظالمين لو تاملوا كانوا هم الظلمة في الحقيقة لانهم كانوا هم الظلمة في الحقيقة لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام
رجاء منفعة تكون لهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا اداهم لا يقدرون
على دفع الكسر والقطع عن انفسهم وقد وقع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعا او دفع الضر عن انفسهم لان من
عجز عن دفع الضر عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره اعجز فهم الظلمة في الحقيقة حيث طمعوا النفع ودفع الضر ممن لا
يملك ذلك لنفسه لكنهم قالوا سفها ذلك منهم قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم بالكيد فقال لهم تالله لاكيدن
اصنامكم سمع ذلك القول منه ناس فاخبروا قومهم لما قالوا من فعل هذا بآلهتنا فعند ذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم
بالعداوة وهو حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين اخبار ان اولئك الذين يعبدون الاصنام اعداء لهم المعبود الذي
عبدوه يكون عدوا لهم ايضا فاستدلوا بذلك القول منه انه هو فعل بهم ما فعل والله اعلم قوله تعالى

وقوله تعالى قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون • قال بعضهم على رؤوس الناس وقيل بحيث ينظر الناس إليه
أو بحيث يراه الناس وهو واحد اختلف فيه قال بعضهم يشهدون عقوبته بما فعل بأصنامهم فيكون نكالا لهم وزجرا
لغيرهم عن أن يفعل بها مثل ما فعل هو وذلك قالوا حرقوه نكالا له وزجرا لغيره عن أن يفعل بها مثل ما فعل هو ولذلك
قالوا حرقوه نكالا وزجرا لغيره كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها أي زجرا وكقوله فشرد بهم من
خلفهم وقال بعضهم لعلهم يشهدون يفعله الذي فعل بالأصنام لم يريدوا أن يعاقبوه بلا بينة ولا حجة
وقال بعضهم لعلهم يشهدون أنه قال لآلهتهم ما قال والله أعلم وقوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون • اختلف في هذا قال بعضهم هذا القول من إبراهيم كذب
في الظاهر فيما أراد أن يكيدهم وإن لم يكن في الحقيقة عنده كذبا وكذلك ما قال إني سقيم وكان صحيحا وقوله هذا
ربي ومثل هذا في الظاهر كذب لكن لم يرد به هو في الحقيقة كذبا وقال بعضهم إنه إنما قال ذلك على أن يريهم من نفسه
الموافقة في الظاهر ليمكنه الحجاج معهم وقيل بل هي أي بل فتكون تأويله والله أعلم لعل كبيرهم فعل بهم هذا أو أن يقول
أكبرهم فعل هذا بهم وكذلك قالوا في قوله هذا ربي قال بعضهم ليس على هذا ولا فيه كذب في الظاهر ولكن قال
ذلك على الشرط حيث قال بل فعله كبيرهم فعل بهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون أي بل فعله كبيرهم إن كانوا
ينطقون علق فعله بشرط النطق فإذا كانوا لا ينطقون لم يفعله وقوله إني سقيم أي سأسقم وكل حي سيسقم يوما
وقوله هذا ربي ومثل هذا قد قالوا والله أعلم وقوله تعالى فرجعوا إلى أنفسهم • أي رجعوا إلى أنفسهم باللائمة
فقالوا فيما بينهم إنكم أنتم الظالمون هذا يحتمل وجوها إنكم أنتم الظالمون حيث نسبتم الفعل بهذه الأصنام والكسر
إلى إبراهيم وقلتم إنه فعل ذلك بهم هذا كبيرهم لما وقع عندهم أن كبيرهم هو الذي فعل بهم والثاني إنكم أنتم الظالمون
حيث اتخذتم مع كبيرهم آخرين شركاء في العبادة حتى غضب عليهم فكسرهم [illegible] إنكم أنتم الظالمون يعني
الأصنام المكسورة يا هؤلاء إنكم أنتم الظالمون حيث جعلتم الكبير على كسركم والله أعلم بما أرادوا بذلك ولا نقول
لنا أن نزيد وننقص في هذه الأنباء المذكورة في الكتاب وننقطع على جهة دون جهة لأنها ذكرت لنحتج عليهم
بما في كتبهم فلو زدنا أو نقصنا وقطعنا على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بما عليهم والله أعلم وقوله تعالى ثم نكسوا على رؤوسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • قوله نكسوا [illegible] التفكر والنظر هذا إبراهيم حيث قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون [illegible]
[illegible] أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم [illegible]
[illegible] لا يضركم [illegible]
فإنه قد احتج عليهم بعجزهم عن النطق حيث قال فاسألوهم إن كانوا ينطقون [illegible] ما لا ينفعكم شيئا
[illegible] أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لهذه الخصال التي ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين • هذا الظاهر في قوله
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم جائز أن يكون قوله كوني بردا وسلاما أي جعلها في الخلقة بردا وسلاما
على إبراهيم خاصة [illegible]
[illegible] كوني بردا وسلاما على إبراهيم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ثم أوقدوا عليه النار [illegible]

وإن يكونوا كادوه كيدا آخر سوى ذلك لم يذكر نحن لا نعلم ذلك وقوله تعالى فجعلناهم الأخسرين • لأنك أن لهم
في الآخرة من الأخسرين وأما خسرانهم في الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران والله أعلم به وقال بعضهم في قوله أرادوا
كيدا وذلك أنه لما جعل في النار أنجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما على إبراهيم وأمره الله تعالى بالخروج
إلى الأرض المقدسة فخرج إليها فطلبوه وبعث ملكهم إلى الصحراء المناظر فقال لا يتكلم إنسان يتكلم بالسريانية إلا
حبستموه قال فحول الله لسانه بالعبرانية فمر بهم ففتش عليهم فانطلق إبراهيم متوجها نحو أهله فذلك قوله
وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين أي الأسفلين فأعلاهم إبراهيم صلوات الله عليه وقوله تعالى ونجيناه ولوطا
دل هذا القول أن إبراهيم كان كالمشرف على الهلاك لأن لفظة النجاة لا تقال إلا فيما كان هنالك مشرف على الهلاك
وفيه أن لوطا كان نعمة وإن كان إبراهيم هو المحتج بذلك لأنهم كانوا يقصدونه ويقصدونا فلذلك أرسل والأسباع
جميعا وقوله تعالى إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين • قال الحسن بركته ما ذكر في آية أخرى وهو قوله وآويناهما إلى ربوة
ذات قرار ومعين كثرة المياه والنبت ونحوه وقال بعضهم بركته لأنها كانت مكان الأنبياء والرسل وصارت مباركة
بهم وجائز أن يكون صارت مباركة بإبراهيم ولوط لما أظهر الإسلام هنالك والله أعلم وقوله تعالى ووهبنا له
إسحق ويعقوب نافلة • قال بعضهم النافلة العطية وقال بعضهم وأصل النافلة الغنيمة كقوله يسألونك
عن الأنفال أي الغنائم والولد وقيل الولد فضل منه وعطية وغنيمة لأنه سمى الولد هبة بقوله يهب لمن يشاء
إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ثم سمى الولد موهبا وخاصة إبراهيم لم يكن يطمع أن يولد له الولد في ذلك الوقت
فكيف يطمع ولد الولد وقوله تعالى وكلا جعلنا صالحين • رسلا أنبياء صالحين في كل أمر وكل شيء وقوله تعالى وجعلناهم
أئمة • قادة في أمر الدين يهدون بأمرنا يحتمل قوله يهدون أي يدعون الناس بأمرنا كقوله ولكل قوم هاد أي داع وجائز
أن يكون قوله يهدون بأمرنا أي يهدون الناس إلى طاعة أمر الله وإلى دينه وقوله تعالى وأوحينا إليهم فعل الخيرات
دل قوله وأوحينا إليهم أنهم كانوا رسلا ثم يحتمل قوله فعل الخيرات أي لفعل الخيرات وقوله تعالى وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة • فيه أن الصلاة والزكاة كانتا في شرائع المتقدمين وقوله تعالى وكانوا لنا عابدين موحدين ومطيعين
له في كل وقت وقوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما • قال بعضهم حكما يعني النبوة وقال بعضهم حكما أي الفهم
والعقل وعلما وجائز أن يكون قوله حكما أي الحكم الذي يحكم بين الناس وعلما أي العلم الذي كان يحكم بين
الناس ومن قال الحكم هو النبوة قال لأن الأنبياء إنما يحكمون بين الناس بالنبوة بالحكم عن النبوة ومن قال بالفهم
هو لأنه إنما يحكم بين الناس وعلما أي العلم الذي كان به يحكم بين الناس ومن قال الحكم هو النبوة قال لأن الأنبياء
إنما يحكمون بين الناس بالنبوة فيكون الحكم عن النبوة ومن قال بالفهم فهو لأنه إنما يحكم بين الناس بعدما فهم الخصوم
والحاصل الحكم هو الحكم بين الناس وعلما أي العلم الذي يحكم أو علما فيما بينه وبين ربه والله أعلم وقوله تعالى
ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث • وكذلك ذكر أضاف عمل الخبائث إلى القرية ومعلوم أن القرية لا تعمل
شيئا لكن معناه نجيناه من القرية التي كان أهلها يعملون الخبائث وكذلك ذكر في خصيصة وقوله الخبائث
كل أنواع الخبث من الكفر والتكذيب بالآيات واللواطة ونحوها وقوله تعالى إنهم كانوا قوم سوء فاسقين • أي كانوا قوم سوء
وأعمال المنكر وأعمال التي كانوا يعملونها فاسقين أي خارجين عن أمر الله تاركين له والفسق هو الخروج عن الأمر لأنه رحمته
ندخل فيها ونذكر بها الشيء وفي رحمتنا أي نعمتنا ونعمته النبوة كقوله لعيسى إن هو إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة
وجائز أن يكون قوله في رحمتنا أي أعطيناه كل أنواع الخير رحمتنا إذ كل من أصابه خير في الدنيا والآخرة إنما يدركه
برحمته وقوله تعالى إنه من الصالحين • من النبيين ومن الصالحين أي كان يعمل بكل أنواع الصلاح وقوله تعالى ونوحا
إذ نادى من قبل • قال بعضهم من قبل إبراهيم وإسحق ويعقوب لأنه ذكر هؤلاء على أثره ثم اختلف في ندائه قال
بعضهم نداؤه هو قوله فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وقال بعضهم نداؤه هو قوله رب إني دعوت قومي ليلا
ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وأن يكون ذلك قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقوله رب اغفر لي
ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا الآية وأمثاله وقوله تعالى فاستجبنا له فنجيناه وأهله • أهله أتباعه من أهله ومن
غيرهم وقوله تعالى من الكرب العظيم • قال عامة أهل التأويل الكرب العظيم هو الغرق والهول الشديد الذي
كان به وجائز أن يكون الكرب العظيم هو ما قاسى من قومه ولقي منهم بدعائه إياهم إلى دين الله تسعمائة
وخمسين عاما وما كانوا يسخرون به ويؤذونه من أنواع الأذى كقولهم إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم ونحو ذلك
من الأذى الذي قاساه منهم فنجاه من ذلك الكرب والله أعلم وقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا
وفي حرف أبي بن كعب ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا والنصر هو اسم الأمرين اسم المنع واسم الظفر فمن قرأ
نصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أي منعناه من أن يقتله قومه ويهلكوه والنصر المنع كقوله فلا ناصر لهم أي
لا مانع لهم ومن قرأ على القوم الذين كذبوا بآياتنا أي ظفرناه على قومه كقوله وما النصر إلا من عند الله وقد كان له الأمران

جميعا المنع والطلق وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء ما ذكر من اعمالهم واعمالهم وقوله تعالى فاغرقناهم اجمعين
حتى لم ينج منهم احد قال ابو عوسجة الكرب واحد وجمعه كروب قال القتبي الكرب تكون المدلاة وهي جماعة
الكرب وهو حبل يشد في عراقي الدلو ثم يشد بالحبل الواحد موثوق قال الكرب الحرث وقوله تعالى وداود وسليمن
اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الاية قال بعض الناس دل تخصيص سليمن بالتفهيم على انه لم يفهم داود
ذلك ويدل على ذلك وجوه احدها اشركه عز وجل اياهما جميعا في الحكم والعلم بقوله تعالى اذ يحكمان
في الحرث وقال وكلا آتيناه حكما وعلما ذكرهما كانا مشتركين فيه ثم خص سليمن بالتفهيم فذلك التخصيص بالشيء لاحدهما
والاشتراك في الاخر على انه كان مخصوصا به دون الاخر والثاني ان في هذه الانبا انما ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن
فلو لم يكن سليمن مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيدنا سوى الحكم والعلم وكنا نعلم انهما قد اوتيا حكما وعلما
وكانا محكمين بالعلم فاذا كان كذلك فذلك التخصيص بالتفهيم لاحدهما على ان الاخر لم يكن مفهما ذلك والله اعلم
والثالث فيه دلالة ان المجتهد اذا حكم انما اصاب بتفهيم الله اياه وبتوفيقه حيث اخبر انه قد اتاهما جميعا العلم
ثم خص سليمن بالتفهيم فذلك التخصيص بالشيء احدهما والاشتراك في الاخر على انه كان مخصوصا به دون الاخر والثاني
ان هذه الانبا انما ذكرت لنا لنستفيد بها علما لم يكن فلو لم يكن سليمن مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيد
سوى الحكم والعلم وكنا نعلم انهما قد اوتيا حكما وعلما وكانا محكمين بالعلم فاذا كان كذلك ففي التخصيص بالتفهيم
لاحدهما على ان الاخر لم يكن مفهما ذلك والله اعلم والثالث فيه دلالة ان المجتهد اذا حكم فاصاب الحكم انه انما اصاب
بتفهيم الله اياه وبتوفيقه حيث اخبر انه قد اتاهما جميعا العلم ثم خص سليمن بالتفهيم فالتفهيم هو فعل الله
اضاف ذلك الى نفسه ثم ان كان ما ذكرنا كان نحو ذلك لا دلالة لاصحابنا في قتل مسلما في دار الحرب اسلم هنالك
ان عليه الكفارة دون الدية لان الله تعالى قال ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة ذكر في الاول الدية والكفارة جميعا ثم خص الثالث بذكر الكفارة دون الدية فذلك التخصيص لاحدهما
على انه ليس عليه الاخر لانه لو لم يكن كذلك لكان يذكر في الاول الدية والكفارة ولا يذكر في الاخر فيكون ما ذكر
في الاول كالمذكور في الاخر او يذكر ذلك كله في كل قسم على التنصيص فاذا لم يفعل هكذا ولكنه ذكر في الاثنين
على الابتداء ونص على الحكمين وترك في قسم واحد احدهما وذكر الاخر دل التخصيص الثالث باحد الحكمين
والله اعلم ثم استدلوا بهذه الاية على جواز العمل والقضا باجتهاد الراي لكن منهم من استدل باصابة المجتهد فيما
يجتهد وان لم يصب هو الحكم الذي هو حكم عند الله في حقيقة وهو قول من يقول بان كل مجتهد مصيب فيما
عليه من الاجتهاد في تلك الحادثة وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومنهم من يستدل به على خطا احد المجتهدين
وعذره في خطاه فيذهب ان المقصود مما كلفا من الحكم فيه واحد فلا يجوز ان يحكم اثنان في شي واحد بحكمين مختلفين
والمقصود فيه واحد فيكونا جميعا مصيبين وانما اخص الله تعالى احدهما بالتفهيم بقوله ففهمناها سليمن ولم يفهم
الاخر دل على ان المصيب هو المفهم منهما وهو قول ابي حنيفة وبشر وغيرهما رحمهم الله ومن يستدل باصابته يستدل
بقوله وكلا اتينا حكما وعلما اخبر انه اتاهما حكما وعلما فدل ذلك على انه لم يكن على الخطا بل اتاهما جميعا
ما فصلا وحكما فيه وان لم يصيبا الحكم الذي هو حكم حقيقة عند الله تعالى والله اعلم ثم ذكر في الاية انهما حكما
في الحرث فلم يذكر انهما حكما بالضمان او بالبراءة عن الضمان او كيف كان حكمهما فدل ترك بيان ما حكما فيه
على انه ليس علينا ذلك الحكم اذ لو لزمنا العمل فيه وهو العمل بالاجتهاد حيث قال ففهمناها سليمن
ولم تبين لنا الحكم الذي حكما فيه فدل بيان ذا احدهما وترك بيان الاخر على انه ليس علينا الذي ترك ذكره
وبيانه الا ان اهل التاويل حملوا حكمهما على الضمان والبراءة وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ناقة لرجل عادية دخلت حائط رجل فافسدت ما فيه فحكم النبي فيها فقضى ان حفظ الحوائط
بالنهار على اهلها وان حفظ المواشي بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل
وقد روي انه قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شيء لكن
الخبر انما جاء في المدينة وفي المدينة انما لم يرعى المواشي في الشكل اذ ليس لها مراع ونحن نقول لا نعلو ارسل
ماشيته في مكان لا مرعى لها الا كرم انسان او حائط فافسد انه يجب عليه ضمان ما افسد وهو كمن يرسل
الماء في ملكه في مكان لا يقر فيه فيتعدى الى ملك جاره فافسد فعليه ضمان ما افسد فعلى ذلك المواشي اذا ارسل
في مكان لا مرعى لها ولا قرار الا الحائط الاخر فانه يضمن ما افسد منه والله اعلم ومن الناس من يجعل الخبر منسوخا
بما جاء انه جبار ولكن الوجه فيه ما ذكرنا وانما يكون جبارا اذا تعدت هي من غير ارسال صاحبها فاما اذا كان بصنع
فعليه الضمان والله اعلم قال القتبي نفشت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهي غنم نفش وانعام نفاش

ونوافش واحدها نافش وسرحت وسربت ترعى بالنهار وقال ابو عوسجة انفشنا الغنم اذا ارسلناها
في الليل فرعت وهي النفش ونفشت اي انتشرت بغير علم اهلها وقال ابو عبيدة النفش بالليل ان ينتشر في زرع
فتاكله وهي رعت وقوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ذكر هاهنا التسبيح للجبال ولم يذكر للطير
ولكن ذكر في اية اخرى حيث قال والطير محشورة كل له اواب اي يسبح له ثم يحتمل ان يكون تسبيح الجبال هاهنا والطير
تسبيح خلقة لكن لو كان المراد تسبيح خلقة لكان لا معنى لتخصيص داود لان تسبيحهما مع داود وغيره سواء
وقد ذكر تسبيحهن مع داود ليعلم ان الله تعالى جعل كهذه الاشياء تسبيحا يسبحن الله ويذكرنه وهو كقوله وان
من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وكذلك ما روي في الاخبار ان الطعام يسبح وكف رسول الله
وروي انه احد حجر اسبح في كفه انه اخذ كفا فسلم عليه وامثال هذا كثير وذلك كله اية لرسل الله على رسالتهم
وقوله تعالى وكنا فاعلين اي كنا فاعلين ما نريد اذا اردنا ان يسبحن وانا قد نا ان لا يسبحن
ليس كالخلائق لانهم يريدون اشياء لا تكون لهم وقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال في آية اخرى والنا
له الحديد فعلمناه السبب الذي به يلين الحديد له فيصنع كما علم غيره من الخلق السبب الذي به يلين الحديد له فيصنع
به كما علم غيره من الخلق السبب الذي به يلين الحديد فيخصصه بحق وان يكون باصطناع الانبياء ثم يحصل العلم
لهم بالتلقين منه والتعليم ويحتمل ان يجعل له الحديد لينا بلا سبب يسخر له كما سخر له عين من الاشياء الصلبة
الصلبة كما اعطى واذاب عين القطر حيث قال واسلنا له عين القطر فذلك لم يكن لاحد سواه وكذلك الحديد لان
لو الله جعل به مثل ما لم يكن ذلك لاحد سواه ثم قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم اي دروع من الحديد ليحصنكم
من بأسكم اي في حربكم من باسكم اي من عدوكم ومن حربكم وفيه قراءات لنحصنكم بالنون والتاء والياء قال الكسائي
من قرا بالتاء اي الصنعة تحصنكم من بأسكم ومن قرا بالياء اللبوس يحصنكم ومن قرا بالنون فكانه يقول الله
نحن نحصنكم من بأسكم والله اعلم وقوله تعالى فهل انتم شاكرون ما اعطى لكم من النعم التي ذكر من تسخير الجبال له
والطير والانة الحديد وتعليم صنعة اللبوس فقوله فهل انتم شاكرون فاي اشكروا والله لا الاستفهام من الله تعالى
على الايجاب وقوله تعالى ولسليمن الريح عاصفة ذكر هاهنا عاصفة وقال في آية اخرى فسخرنا له الريح تجري
بامره رخاء حيث اصاب اي لينة فهو يحتمل رخوها قال بعضهم كانت تشتد اذا اراد سليمن بن داود وتلين
اذا اراد وقال بعضهم كانت تشتد وتحمل الشي وتلين وقت كسرة ويحتمل ان يكون الريح عاصفة بنفسها
في الخلقة لكنها كانت تلين له وترخي مكانه كقوله سخرنا لسليمن الريح العاصفة الشديدة بحيث كانت تلين له
والله اعلم وقوله تعالى تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شي عالمين وقال في تلك الاية تجري بامره رخاء
حيث اصاب اي حيث قصد ويجري بامره حيث قصد وكان لا يقصد الا الى الارض التي باركنا فيها لا يقصد
غيرها والله اعلم وقوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك ذكر نعمه عليه حيث سخر له
اشد الاشياء واصلبها من نحو الجبال والرياح والشياطين ايضا وهم اعدا بني آدم سخر له الاعداء وقوله تعالى وكنا لهم
حافظين اي الشياطين حافظين ثم هذا يحتمل وجوها احدها او حافظين لهم عن الناس حتى لا يصلوا اليهم
بالضرر وقال بعضهم اي حافظين لهم على سليمن حتى لا يتفرقوا عنه لان سليمن كان لا يملك امساكهم و
استعمالهم لكن الله سخرهم له حتى ذلوا له وعملوا له عن خضوع وانقياد وامثال ذلك وكنا لهم حافظين عن الخلاف
له والله اعلم وقوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وقال في آية اخرى اذ نادى ربه
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكر في سليمن انه سلطه على الشياطين وجعلهم مسخرين له يستعملهم
في كل امر وعمل يشاء وذكر ايوب على ان في قصة سليمن واخبر ان سلط الشيطان عليه وصار هو لهم كالمسخر حيث
قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب حتى يعلم ان تسخير الشيطان لسليمن كان من الله افضالا عليه وانما
لم يكن يستحق منه ما سبق ما استوجب ذلك او يستحقه ولا كان من ايوب اليه من العصيان ما استحق ذلك
وما اصابه من البلا منه عدل وكان ما اعطى من الصحة والسلامة رحمة منه ونعمة وله ان يعطي من شا ما شا رحمة
من شا ما شا الامر عانه وقال في آية اخرى على اثر لما رد عليه ما اخذ منه وكشف عنه البلا رحمة منا وذكرى لاولي
الالباب ولو كان ذلك حقا له على الله لم يكن لذكر الرحمة معنى فهذا رد على المعتزلة مذهبهم ان على الله الاصلح للخلق
فدل انهم لانما اصاب ايوب من البلايا اضاف ذلك الى الشياطين حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
ولو كان ذلك اصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الاصلح الذي الله الى الشيطان حيث قال اني مسني الشيطان
فدل انه ليس على ما يذهبون اليه ثم قوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر يحتمل ان يكون فيه اضمار الدعا كانه
قال اني مسني الضر فارحمني وعافني وانت ارحم الراحمين الا ترى انه قال فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل انه
على الدعا خرج والله اعلم والثاني ضد اني مسني الضر وضر بحاله تحمني من لي من الخلق وانت ارحم لي من كل الراحمين

واللهُ أعلم قوله تعالى فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ هو ظاهر ذكر أنه انكشف عنه ما أصابه من البلاء حتى بدنه
حتى عاد إلى الحالة التي كان قبل ذلك قوله تعالى وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ قال بعضهم أحيا أهله في الدنيا
وأعطاه مثل أجورهم في الآخرة وقال بعضهم وآتينا أهله أحيا أهله الله تعالى ومثلهم معهم أنه كانت امرأة
أيوب ولدت قبل البلاء أولادا اثني عشر بنات فأحياهم الله تعالى وقال بعضهم وآتيناه أهله ومثلهم معهم
أي أعطاه ما يأهل به بعد كشف البلاء عنه من الأهل إليه الأنصار على ما كان له من قبل ومثلهم معهم لا أن الذين
ماتوا أحياهم في الدنيا قوله تعالى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ قوله وذكرى للعابدين يحتمل وجهين أحدهما
أن ابتلي ببلاء تصبر على ما صبر أيوب على بلائه فنفرجه عن ذلك البلاء فنفرجه عنه كما فرج عن أيوب والثاني
لئلا يصيبه من البلاء ليس لأمر يستوجب منه ولكن ابتدأ محنته من الله تعالى امتحنه بها وله أن يمتحن من شاء بما شاء
من المحن والله أعلم قوله تعالى وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ يشبه أن يكون ذو الكفل اسما
من أسمائه ويجوز أنه سمي ذا الكفل لأمر كان ذكر أنه كان رجلا صالحا تكفل النبي بأمر قومه فوفى بما تكفل به فسمي
بذلك ذا الكفل ثم اختلف أنه نبي أم لا قال بعضهم إنه ليس بنبي ولكنه رجل صالح وقال بعضهم كان نبيا ولكن
لسنا نعلم ذلك حقيقة بل هو في حد الإمكان سوى أنه ذكره من الصابرين والصالحين بقوله كل من الصابرين
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ سماهم صابرين على الإطلاق وذلك أنه والله أعلم لحقهم جميع أنواع
أنواع الصلاح صبروا على ما ابتلوا به وامتحنوا وصبروا جميع ما أمروا به من الطاعات وسعوا القيام بها وجميع الخيرات
وكذلك الصلاح سماهم به لما جمعوا جميع أنواع الصلاح والله أعلم قوله تعالى وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا في رحمتنا
وهي الجنة ويجوز أن يكون جميع ما نالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله برحمة الله وفضله إذ من نال شيئا
من الخيرات والطاعات فإنما نال ذلك بفضله ورحمته والله أعلم قوله تعالى وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا قال
بعضهم ذا النون هو اسم من أسمائه سمي به وقال بعضهم سماه ذا النون لكونه في بطن النون وهو الحوت أي صاحب
النون سمي بأحد هذين الوجهين إما أن كان اسما موضوعا له أو مأخوذا من فعله وهو صحبته مع النون إذ كان في بطنه
فأضيف إليه فهذا كما في حق عيسى أنه سمي مسيحا لأنه اسم موضوع له أو سمي به مشتقا من فعله وهو أنه يمسح بيده
على الموتى والمرضى فيعودون إلى الحالة الأولى ونظيره ذا الكفل إما اسم موضوع له أو مشتق من فعله وهو الكفالة
التي ذكرنا والله أعلم وقوله إذ ذهب مغاضبا اختلف فيه قال بعضهم مغاضبا لربه أي لحزنه لأنه كان أراد
أن يهلك الله قومه لما أيس من إيمان قومه وقد كثر عنادهم ومكابرتهم فخرج حزينا لذلك وقال بعضهم ذهب
مغاضبا للملك وذلك أن قومه قد أسر عدوهم قبل رسالته فقال الله تعالى أوحى إليه فقال إذا أسركم
عدوكم أو أصابتكم مصيبة فادعوني أستجب لكم فلما أيسوا وأنسوا أن يدعوا ربهم بالحق
ذهبت أيام عقوبتهم وبرئت أيام عافيتهم وقيل أوحى الله تعالى إلى بني إسرائيل إذ بعثوا رجلا قويا أمينا فالذي يلقي
في قلوب الذين أسروا قومهم أن يرسلوهم وفي القصة طول فغزا بالخصي فبعث ملكهم يونس إلى أولئك الأسارى
ليستعيدهم من أيديهم فخرج وأبى بأمر لكنه غضب عليه لما اشتد عليه ذلك فذلك قوله إذ ذهب مغاضبا
على ملكهم حيث أمره بالخروج إلى أولئك الأسرى وقال بعضهم ذهب مغاضبا على قومه وذلك يخرج على وجوه
أحدها خرج من عندهم لما أيس من إيمانهم فخرج تمكينا لقومه لأن السنة فيهم أنه إذا خرج نبيهم من بين أظهرهم
نزل بهم العذاب فخرج من عندهم ليخافوا العذاب فيؤمنوا والثاني خرج إشفاقا على نفسه لئلا يقتل لأنه قد
هموا بقتله كما أن رسولنا خرج من بينهم لما هموا بقتله لكن رسولنا خرج بالإذن من الله تعالى ويونس خرج
بغير إذن والثالث خرج من عندهم لما أنهم تركوا العبادة والمكابرة وأيس من إيمانهم فخرج ليتفرغ للعبادة فهذا كان
مأمورا بعبادته ومحاربة الخلق لكن فلما أيس من إيمانهم خرج لما ذكرنا فعوتب إذ خرج بغير إذن من ربه وكان أن لا يخرج حتى يقطعه
لم ... قوله تعالى فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ قال بعضهم أي لن نضيق عليه الأمر ولا نبتليه بالضيق
والشدائد للخروج من عندهم فيقال فلان مقدور عليه ومقتر أي مضيق وهو كقوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
أي يضيق وكقوله فقدر عليه رزقه أي ضيق عليه قوله تعالى فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ قال أهل التأويل ثلاث ظلمات ظلمة الليل
وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وقال بعضهم التقم الحوت حوت آخر فكان في بطن حوت وذلك الحوت في بطن حوت
آخر وظلمة البحر وقوله أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فسمع تسبيحه ودعاءه وقبل توبته وأخبر أنه كشف
عنه الغم وأخبر أنه كذلك ينجي المؤمنين ليعلموا أن من ابتلاه الله تعالى ببلية وشدة فدعا بما دعا يونس أن يفرج الله تعالى
عنه ذلك حيث قال وكذلك ننجي المؤمنين وعلى ذلك يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من دعا بدعوة
ذا النون استجيب له وقال بعضهم ... فإنه لم يبلغ الحوت إلى الأرض سمع ذلك من الأرض فقال
ذلك فقال بعضهم إنه كان رجلا صالحا ... وكان يعود نفسه ذلك قبل أن يدخل بطن الحوت فلما دخل فيه كان يقوله

فيه على ما كان يقوله من قبل وهو كقوله فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون قال بعضهم لولا أنه
من المسبحين قبل هذا وإلا للبث فيه إلى ما ذكر وقال بعضهم لولا أنه قال هذا القول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظالمين للبث فيه فيكون على هذا التأويل كان من المسبحين أي صار من المسبحين والأول أشبه ثم اختلف في
قوله ونجيناه من الغم قال بعضهم ذلك الغم هو ما ابتلاه الله تعالى بالضيق في بطن الحوت والبحر فنجاه من ذلك الغم
ولكن جائز أن يكون نجاه من الغم الذي كان بسبب خروجه من بين أظهرهم والله أعلم وقال أهل التأويل إن يونس
مكث في بطن الحوت أربعين يوما أو ثلاثة أيام ونحو هذا فذلك لا نعلم إلا بالوحي فإن ثبت فهو هو ليس بنا إلى
ذلك حاجة قوله تعالى وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ أي دعا ربه رب لا تذرني فردا قوله لا تذرني في الظاهر نهي كقوله
ربنا لا تزغ قلوبنا وأمثاله يخرج في الظاهر مخرج الأمر والنهي إذا كان من العبد للسيد هو تعوذ ودعاء وإذا
كان من السيد للعبد فهو أمر ونهي ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة الأمر والنهي وكذلك السؤال الأمير لرعيته
أمر ونهي وسؤال الرعية للأمير تضرع وتعوذ ودعاء والله أعلم ثم قوله رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين يحتمل
وجهين أحدهما لا تذرني فردا في الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمت حيا ولكن أشركني في العبادة
والذكر من يعينني على ذلك وهو كقول موسى واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري
كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ويكون كقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب أي هب لي
من لدنك وليا يعينني على عبادتك بالذكر وما ذكرنا فيه ما دمت حيا ويرثني ويرث من آل يعقوب بعد موتي والثاني أن
يكون قوله رب لا تذرني فردا بعدهما فيرجع إلى ... وأنت خير الوارثين أي يكون قوله رب لا تذرني فردا أعقب ما
ومحياي أخرى وأنت خير الوارثين أي وأنت خير من يرث العباد على هذا التأويل الأول فأنت خير من يعين على العبادة
والطاعة والله أعلم قوله تعالى فَاسْتَجَبْنَا لَهُ أي دعاءه وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى قال الحسن إنه كان حيي ما سماه الله تعالى في
الطاعة وفي العبادة وفي الآخرة يحييه في الكرامات والثواب الجزيل ... ذكرنا فيما تقدم وأصلحنا له زوجه
يخرج على وجهين أحدهما أي جعلناها بحيث يرغب فيها لجمالها ذات هيئة ومنظر لأنه ذكر في القصة أنها كانت
ذات سن ما بعين شيء والمرض في النساء إنهن إذا بلغن المبلغ الذي ذكرنا أنها تعتد ... من القواعد اللاتي
لا يرغب فيها أحد فأخبر أنه أصلحها وصيرها بحيث يرغب فيها ذات هيئة ومنظر والله أعلم والثاني أصلحنا له زوجه
أي جعلناها ولودا بحيث تلد لأنه لما يئس قال أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا والعاقر هي التي لا تلد فيكون قوله
وأصلحنا له زوجه أي جعلناها ولودا بحيث تلد والله أعلم هذان الوجهان محتملان فأما قول من يقول أن في لسانها
بذاء في خلقها سوء فذلك لا يحل أن يقال إلا أن يثبت أن هذا أيضا فعلى خلاف ذكرها الله ووصفهم حيث
قال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية ثم المسارعة في الخيرات أنه كان لا يمنعهم شيء
من الخيرات وهكذا المؤمن هو يرغب في الخيرات كلها إلا أن يمنعه شيء من شهوة أو سهو قوله تعالى ويدعوننا رغبا
ورهبا أي يدعوننا رغبا فيما عندنا من جزيل الثواب ورهبا من أليم العقاب والثاني رغبا فيما عندنا من اللطائف
من التوفيق على الخيرات والعصمة عن المعاصي ورهبا مما عندنا من النقمات والخذلان في النعم قوله تعالى وكانوا لنا خاشعين
قال بعضهم الخشوع هو الخوف الدائم اللازم للقلب لا يفارقه وقال بعضهم متواضعين وذلك الأمر الله وكذا
تفسير الخشوع ما ذكر بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا والله أعلم قوله تعالى وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا أي حفظت فرجها
كذلك قال أبو عوسجة ويقال امرأة حصان أي عفة ومحصنة أي قد أحصنها زوجها ومحصنة أي عفيفة وجمع
الحصان حاصنات ومحصنات قال والحصان ذكر الخيل والجمع حصن قوله تعالى فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا قال أهل
التأويل إن جبريل أتاها فنفخ في جيبها أو فرجها وهذا ليس في الآية قل الحق والقول به لا يثبت ولكن قوله فنفخنا
فيها من روحنا كقوله في آدم ونفخت فيه من روحي أي أنشأت فيه من روحي ذلك لم يقل الحق فيه بالنفخ أن جبريل نفخ
أن جبريل نفخ فيه فكذلك ما في هذه فنفخنا فيها من روحنا أي أنشأنا فيها من روح وخلقنا والله أعلم قوله تعالى وجعلناها
وابنها آية للعالمين ذكر فيهما آية واحدة لأنها ولدت بغير الزوج وولده بلا أب فهو لأحد ما كان ولدت
من غير زوج فيكون هو بغيرات فهو آية واحدة والآية فيها ما ذكر بقوله يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك و
اصطفاك على نساء العالمين وأنه عيسى حين تكلم في المهد قال إني عبد الله آتاني الكتاب الآية قوله تعالى إن هذه
أمتكم أمة واحدة قال بعضهم أي إن هذه ملتكم وشريعتكم ومنهاجكم ملة واحدة وشريعة واحدة ومنهاجا
واحدا وهي شريعة الإسلام ملة واحدة ليست بمتفرقة لكن أراد بهذا في أصل الدين وأصل الشريعة فأما الشرائع
مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والله أعلم وقال بعضهم إن هذا دينكم دين واحد ليس كدين
الأمم الخالية أديان مختلفة ويجوز أن يكون أخبارا عن هذه الأمة أنهم على دين واحد وملة واحدة ليسوا بمختلفين
ولا متفرقين كسائر الأمم الخالية وهو كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقوله

ولا يتفرقوا فيه اخبر عنهم انهم غير متفرقين ونهاهم ان يتفرقوا كما تفرق الاولون الاية فانه قال لعلي ان وتقطعوا
امرهم بينهم هذا اني لعلى انه اخبار عن اهل الاسلام فيصدق الامر انهم على شيء واحد فقال الزجاج ان هذه امتكم
واحدة ما لزموا الحق وما تبعوه فاما اذا تركوا الرؤية وتركوا اتباعه فهي ليست امة واحدة والله اعلم وقوله تعالى وانا
ربكم فاعبدون وقال في اية اخرى وانا ربكم فاتقون لتعلم ان التقوى والعبادة واحد في الحقيقة لان التقوى
هو ما يجتنب من الافعال والعبادة ما يوتى من الافعال العبادة ما يوتى من الافعال فاذا اجتنب ما يجب اجتنا
به فقد اتى بما يجب اتيانه وهو كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر لانه بفعله اياها يجتنب عن الفحشاء والمنكر
وجائز ان يكون قوله وانا ربكم فاعبدون وما بعده على ما قال اهل التاويل لانه خاطب به اهل مكة والله اعلم
وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم اخبر انهم اختلفوا في دينهم وتفرقوا وقوله تعالى كل الينا راجعون من يتفرق
ومن لم يتفرق كقوله واليه يرجعون وقوله والينا المصير وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيه دلالة
ان لا يقبل من الاعمال الا مع الايمان لان شرط قبولها الايمان بقوله وهو مؤمن وقوله تعالى فلا كفران لسعيه اي لا يكفر
سعيه ويقبل ولا يجحد ولا يكفر كقوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بالتاء والياء واصل الكفران هو الستر
والشكر هو الاظهار يخبر انه لا يستر ما عملوا من الحسنات من الخيرات بل يشكر ويظهر والله اعلم وقوله تعالى وانا له
كاتبون اي نكتب لهم تلك الحسنات والخيرات كقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة وقوله تعالى
وحرام على قرية اهلكناها وحرم بالالف ايضا انهم لا يرجعون على قول اهل اللغة حرام وحرم واحد كقولهم حرم
مكة كذا وحرام كما يقال حل وحلال واما على قول اهل التاويل بينهما فرق يقولون حرم حتم وواجب على
قرية اراد الله اهلاكهم وعلم هلاكهم انهم لا يرجعون اي لا يتوبون لانه انما اهلكهم لما علم منهم انهم
لا يتوبون او حرام اي واجب على قرية اهلكناها وعذبناها انهم لا يرجعون الى يوم القيامة وهو قوله حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج فاما قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ظاهره يقتضي ان يكون لهم
الرجوع والتوبة الى الله فان معناه منعهم وحرم عليهم الرجوع الى [illegible] اذا فتحت ياجوج وماجوج فحينئذ يرجعون
ويتوبون فحرف لا ههنا صلة زائدة كقوله ما منعك ان لا تسجد اي تسجد فعلى التاويل انهم لا يتوبون قرية
اراد الله هلاكها صلة على التاني يتوبون عند فتح السد ولكن لا ينفع توبتهم وكذا قال القتبي وحرام على
قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي حرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي حرام عليهم ان يرجعوا ويحتمل
قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون او تصير قوله انهم لا يرجعون تفسير قوله وحرام على قرية اهلكناها
فاذ ذلك عبارة عن نفي فعل منهم ثم بين ذلك النفي بقوله انهم لا يرجعون فيكون هذا اخبار عن نفي رجوعهم
اذا رديه التوبة فالمراد ما ذكرنا فيما تقدم وجائز ان يراد به حقيقة رجوعهم الى الدنيا رد لقول من يقول ان
الخلق كالنبات ينبت ثم ييبس ثم ينبت فعلى ذلك الخلق يموتون ثم يعودون ويرجعون ابدا [illegible]
يرجع على وفاته فاخبر الله تعالى انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج كناية عن القيامة ردا عليهم وكذبا
لخبرهم لان القران قد صار حجة عليهم وان انكروه لما عجزوا عن اتيان مثله ويحتمل ان يكون للعباد او في اثبات
البعث وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون بل يرجعون لكن بين وقت الرجوع بقوله حتى اذا فتحت كناية
عن القيامة فعلى هذا التاويل لا يحتاج الى الغاء حرف لا وقال الزجاج في قوله وحرام على قرية هذا يحتاج الى بيان
ومعنى والله اعلم انه اصله قوله فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون فاعلم انه يشكر ويقبل اعمال المسلمين ويكتب جزاءها
وحرام على قرية اهلكناها ان يتقبل منهم عمل لانه منع اعمال الكفار من ان يتقبل فيكون لهم ثواب لانهم لا يرجعون
ولا يتوبون والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج ابتداء الكلام ولا يحتاج الى الظاهر واما ان يضمر
دخل عليه حتى اذ تلحق حرف فيصير تقديره الاية حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج فتحت واقترب الوعد الحق
الاقتراب لو يلحق الواو من قوله اقترب الوعد كانه قال حتى اذا فتحت قرب الوعد هذا وطريق [illegible] في اللغة والله اعلم
وقوله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج كانه والله اعلم اضاف فتح ذلك السد الى انفسهم واوقع الفعل
عليهم وهم جماعة والجماعة [illegible] فتح السد وجها وقوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون
قيل الحدب من كل جهة ومن كل مكان وقوله ينسلون قيل يسرعون وقيل يخرجون فاخبر انهم من كل جهة ومن كل
ناحية ومن كل مكان يسرعون كانهم اذا سد عليهم بالكسر وجعل بينهم وبين ما يعيشون به [illegible] من هذا العالم
[illegible] في تلك الامكنة لطلب ما يعيشون فلما بلغهم فتح السد خرجوا من فتح ذلك السد فاذا فتح خرجوا مسرعين
[illegible] وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وقال القتبي من كل حدب ينسلون اي من كل نشز من الارض واكمة
ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذئب اذا بادر وقوله تعالى واقترب الوعد الحق
اي وقع ووجب الحق لانه اخبر في موضع اخر ان الوقت قد اقترب وهو قوله اقترب للناس حسابهم وقوله اقتربت

الساعة وهو كقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين اي رحمة الله المحسنين ليست على القرب ولكن على الوجوب
[illegible]
[illegible] فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا [illegible] الى الداعي الاية
وقوله تعالى يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين [illegible]
[illegible]
بالظلم والضلال والله اعلم وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال اهل التاويل
[illegible] انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال الكفرة ان عيسى وعزير والملائكة [illegible]
[illegible] ان الذين سبقت لهم منا الحسنى [illegible]
[illegible]
على هذا كانه قال انكم والشياطين الذين تعبدون من دون الله حصب جهنم وهو ما ذكر في اية اخرى احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الى قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فان قال قائل
منهم اذا كان يلحقه من ذكر ذلك ان القرين هو الشيطان وكقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين والله اعلم ثم قوله
حصب جهنم القراءة المعروفة بالصاد وقرى بالطاء حطب جهنم عن ابن عباس الحصب بلسان الزنجية هو الحطب
وقال بعضهم هو حطب بلسان الحبش وقال القتبي حصب جهنم ما القي فيها واصله من الحصباء وهي الحصى
يقال حصبت جهنم ما القي فيها واصله من الحصباء وهي الحصى يقال حصبت فلانا رميته حصبا بتسكين الصاد
وما رميت به حصب بفتح الصاد كما تقول نقضت الشيء نقضا وما وقع نقض واسم حصى الجمار حصب وقال ابو
الحصب والحطب واحد وقال وما اكثر من العرب من يتكلم بهذه اللفظة ولا اعرف حصب جهنم بالصاد وفي [illegible]
عن ابن عباس رضي الله عنه وعائشة رضي حضب جهنم بالضاد وقال الكسائي حضب النار اذا حب والقيت
عليها الحطب لتتقد وقال بعضهم الحضب التي تهيج النار عليهم وقوله انتم لها واردون اي داخلون
فيها وقيل انتم داخلون فيها وقوله تعالى لو كان هؤلاء الهة ما وردوها اي لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله
الهة على ما زعمتم ما وردوا النار فان قيل انهم لم يقروا انها ترد النار بل انكروا ذلك فكيف احتج عليهم بهذا
قيل انهم وان لم يقروا بذلك فقد الزمهم عز وجل الحجة من جهة الكتاب بما تردد لما عجزوا عن اتيان مثله فقد لزم
الحجة فكانهم اقروا انهم واردوها فهو كقوله عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم الاية لانهم لم يقروا انهم يحيون بعدما ماتوا ولكن لما عرفوا انهم كانوا امواتا فاحياهم فقد لزمهم الاقرار
والحجة بالاحياء بعد الموت فعلى ذلك الاول كانهم اقروا بانهم واردون بما لزمتهم الحجة وقوله تعالى وكل فيها
خالدون خالدون العابدون والمعبودون وقوله تعالى لهم فيها زفير قيل الزفير هو الصوت الخفيض الذي فيه
لين والشهيق هو الصوت الرفيع الذي فيه انين وقيل الشهيق اول نهيق الحمار والزفير هو اخر نهقه وقال ابو عوسجة
الزفير هو شدة النفس في الصدر يقال زفر يزفر زفيرا وزفرا وقال بعضهم الزفير هو انين كل محزون ومكروب
وقوله تعالى وهم فيها لا يسمعون لانهم يكونون صما بكما عميا في النار كقوله ونحشرهم على وجوههم عميا وصما والله
اعلم وقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الاية نزلت في عثمان وطلحة والزبير وانا من شيعة عثمان وطلحة والزبير وتلا قوله تعالى ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا الاية وقد ذكرنا عن اهل التاويل انهم قالوا انها نزلت في شان الكفرة الذين قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى وعزير والملائكة من الذين عبدوا [illegible] عليهم انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم نزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لاستثناء هؤلاء من جملة من عبد من دون
الله وقد ذكرنا الوجه فانه يثبت ان نزل الشان هؤلاء لا يحتاج الا في من سبق فهو من الله تعالى الحسنى ثم يحتمل

الجنة كقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى أي الجنة فعلى ذلك قوله سبقت لهم منا الحسنى ويحتمل الحسنى السعادة والبشارة بالجنة وثوابها وقوله تعالى أولئك عنها مبعدون يحتمل قوله مبعدون أي لا يعودون إليها أبدا ليس على بعد المكان كقوله أولئك في ضلال بعيد أي لا يعودون إلى الهدى أبدا ويحتمل أن يكون قوله مبعدون عنها مكانا بالكفية تذكر كفاية أخرى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون وقال في آية فاطلع فرآه في سواء الجحيم ولا نعلم هذا أنه يجعل لأهل الجنة أنفسهم متى ما أرادوا أن ينظروا إلى أولئك ويتكلم يقدرون على ذلك أو تقرب الدار إليهم وينظرون إليهم والله أعلم وكذا يحتمل الأمر لا سببه أنهم لا يعودون إليها أبدا وقوله تعالى لا يسمعون حسيسها أي صوتها وهو ما ذكر من الأبعاد إذا هلك منها لم يسمعوا حسيسها وهو من الحس وهو الصوت وقوله تعالى وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون وهو ما قال في آية أخرى ولكم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر أي الأكبر من أهوال يوم القيمة وأفزعها وقوله تعالى وتتلقاهم الملئكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون أي تتلقاهم الملئكة بالبشارة كقوله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ويحتمل لا يحزنهم الفزع الأكبر أي لا يحزنهم ما حل بالكفرة من الفزع والعذاب لمن رأوا منهم في الدنيا أنسابا وذوي بلاء وشدة ويعذب بعذاب أبقى يحزن ويهتم مما حل به فلعل الله أخبر أنهم لا يحزنون بما حل في الكفرة في الآخرة والله أعلم وقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كان هذا خرج على أثر سؤال سألوه لا ابتداء لأن الابتداء بمثله على غير تقدم أمر لا يحتمل وكأنه والله أعلم لما ذكر الله تعالى أهل النار بقوله فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا إلى قوله إنهم لها واردون وذكر أهل الجنة ووصفهم بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى إلى قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون فكأنهم قالوا متى يكون ذلك فقال عند ذلك يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ثم ذكر في السماء الطي مرة والتبديل أخرى بقوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وذكر الانشقاق في آية أخرى بقوله إذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت ونحو هو كما ذكر في الجبال الأحوال الآخرة قال وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وغير ذلك على اختلاف الأحوال كما ذكرنا فيما تقدم ثم تندك وتنسف حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هباء منثورا فعلى ذلك إن السموات والأرضين تختلف عليها الأحوال على ما ذكر ثم يكون آخرها التبديل كما ذكر يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات والله أعلم وذكر في هذه الآيات من تغير الجبال والسموات والأرضين دليل فناء هذا العالم بجملته واسم لزوال فناء السموات والجبال والأرض يبعد من إفهام الخلق وأما غيرها من الخلائق فيشاهدون فناءها فذكر فناء ما يبعد من أفهامهم ليعلموا أن هذا العالم يفنى بأسره وسيبدل بعالم آخر يحتمل البقاء للجزاء والله أعلم وقوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده ثم اختلف في تأويله قال بعضهم يكون نطفة ثم علقة ثم عظاما ثم لحما ثم ينفخ فيه الروح وقال بعضهم كما بدأنا أول خلق نعيده أي حفاة عراة على ما خلقوا في الابتداء وقال بعضهم كما بدأنا أول خلق نعيده يعني السموات السبع نطويها ثم نجعلها سماء واحدة كما كان في الأصل أن يخلق منها سبع سموات والأرضين كذلك والله أعلم وجائز أن يكون ذكر هذا إخبارا على أنه قادر على إعادتهم كما قدر على ابتداء خلقهم والله أعلم وقوله تعالى وعدا علينا إنا كنا فاعلين أي كان بعثهم وإعادتهم وعدا علينا لا نخلف ذلك على ما قال تعالى إنه لا يخلف الميعاد ثم اختلف في السجل وفي قراءته قال بعضهم السجل اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه نطوي السماء كطي الكاتب الكتاب وقال بعضهم اسم الملك الذي يكتب وقال بعضهم السجل الصحيفة وقال بعضهم من قرأ السجل بالتشديد يعني الصحيفة ومن قرأ السجل بالتخفيف هو ملك موكل على الصحيفة اسمه السجل وقال أبو عوسجة يقال أسجلت وسجلت سجلا وتسجيلا وسجلت أيضا عملت وسجل حلف يقال إنه يسجل يسجل سجلا والمساجلة المفاخرة ويقال أسجلت الكلام فهو مسجل أي أطلقته وأرسلته وقوله للكتاب يعني الكتب على الوحدان والجمع

وقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وقال بعضهم إن كل كتب أنزله الله تعالى فهو زبور وقوله من بعد الذكر أي الكتاب الذي عند الله وهو اللوح المحفوظ ومعناه والله أعلم على هذا التأويل في كتبنا التي أنزلناها بعد ما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ أن الأرض يرثها كذا وقال بعضهم إن الله تعالى كتب في الزبور المعروف هو زبور داود عليه السلام من بعد الذكر أي التورية أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وكتب ذلك في هذا القرآن فقال إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين وقال بعضهم ولقد كتبنا في الزبور أي زبور داود بعد ما كتب في الذكر الذي عنده وجائز أن يكون قوله كتبنا في الزبور

في بعض كتابا وفي بعض السور من بعد الذكر أي من بعد السورة أن الأرض يرثها كذا وجائز أيضا كتبنا في كتابا من بعد الذكر أي من بعد ما ذكرهم ووعظهم أن الأرض يرثها عبادي الصالحون قال ثم اختلفوا في قوله أن الأرض يرثها قال عامة أهل التأويل الجنة أخبر أن الجنة إنما يرثها عبادي الصالحون وهو ما قال في آية أخرى أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون نحكي هذا تفسير الذلك وقال بعضهم أن الأرض يعني أرض بيت المقدس يرثها عبادي الصالحون وهو كذلك كان لم يزل بها عباد الله الصالحون إلى يوم القيمة وجائز أن يكون قوله أن الأرض يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم كقوله زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فذلك الذي أراد بقوله عبادي الصالحون كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية أخبر أنها خير الأمم والله أعلم وقوله تعالى إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين يحتمل قوله في هذا أي فيما ذكر من قوله كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون لبلاغا لقوم عابدين همتهم العبادة أو لقوم مطيعين موحدين وجائز أن يكون قوله إن في هذا أي فيما تقدم من الآيات وهو قوله واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا إلى قوله إنهم لها واردون وما ذكر من قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى إلى آخر ما ذكر أن فيما ذكر كله لبلاغا للناس جميعا كقوله هذا بلاغ للناس ويكون قوله لقوم عابدين لقوم يكرمون العبادة وقال بعضهم إن في هذا لبلاغا أي في هذا القرآن بلاغه أي بلغهم عن الشكر وجل لقوم عابدين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه إن في هذا الذكر لقوم عابدين وقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين جائز أن يكون كل رسول الله رحمة من الله عز وجل للعالمين وكذلك كل كتابه رحمة للعالمين على ما ذكر في عيسى عليه السلام رحمة منا وكان أمرا مقضيا وجائز أن يكون خاصة لرسولنا صلى الله عليه وسلم فيكون على وجهين أحدهما وما أرسلناك إلا جعلناك رحمة للعالمين ويكون وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وأراد بالعالمين الجن والإنس لأنه بعث إليهم ثم الرحمة فيه يحتمل وجوها أحدها لكفرهم العذاب فيهم والثاني أنه رحمة حتى إذا اتبعوه تكون سبب نجاتهم وسبب عزهم في الدنيا والآخرة والثالث شفاعته لأهل الكبائر في الآخرة ونحو ذلك وقوله تعالى قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد كأنه على الدعاء خرج والأمر كأنه قال أمر ربي أن أخبركم أن إلهكم إله واحد فاصرفوا العبادة إليه ولا تشركوا فيها غيره وأن تجعلوا وحي إلي أن أدعوكم إلى إلهكم الذي هو إله واحد وإلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه إله واحد لكنه خرج على الدعاء والإخبار أنه لم يوح أن يخبرهم إلا بما أدعوكم إليه وأمركم به إنما أدعوكم وأمركم بالوحي لا من تلقاء نفسي كقوله قل إنما أنذركم بالوحي والله أعلم وقوله تعالى فهل أنتم مسلمون ظاهره وإن كان استفهاما فهو على الأمر والإيجاب كأنه قال قد أوحي إلي أنما إلهكم إله واحد فأسلموا له وأخلصوا العبادة له لا تشركوا فيها غيره والإسلام هو أن يجعل كلية الأشياء والأعمال لله تعالى ثم هو يكون على وجهين أحدهما في الاعتقاد أن تعتقد كلية الأشياء لله تعالى لا يخرج ذلك بالفعل والثاني في التحقيق جعل الأشياء كلها لله تعالى اعتقادا وفعلا وقولا منه لا يخاف غيره ولا يرجو من دونه فهو حقيقة الإسلام وقوله تعالى فإن تولوا هذا يدل على أن الأول خرج على الأمر والدعاء حيث قال فإن تولوا عن الإجابة إلى ما دعوتهم إليه فقل آذنتكم على سواء أي أعلمتكم حتى صرت أنا وأنتم في العلم على سواء أي على ألا في العداوة والمخالفة ونحوكم على الاستواء وهو كقوله فانبذ إليهم على سواء أي انبذ إليهم حتى تكون أنت وهم على الاستواء في العلم بالمنابذة وقوله تعالى وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون أي ما أدري قريب أم بعيد ما توعدون ثم يحتمل قوله ما توعدون القيامة التي كانوا يوعدون بها وهم كانوا يستعجلون بها وهم كانوا يستعجلونها كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فيقول لهم ما أدري أقريب ما توعدون أم بعيد ويحتمل قوله ما توعدون من العذاب الذي كان يعدهم أنه نازل بهم في الدنيا وهم كانوا يستعجلون به لقوله ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فيقول قل ما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون من العذاب والله أعلم وقوله تعالى إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون يخرج ذلك على الوعيد والتنبيه والزجر عن المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم والقول فيه بما لا يليق به يخبر أنه يعلم ما يظهرون من القول وما يكتمون من المكر به وفيه دلالة إثبات رسالته حيث أخبرهم عما أسروا فيما بينهم من المكر وقوله تعالى وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ذكر أنه ما أدري فتنة لكم ولم يبين ما الذي يكون فتنة لهم ذكر بعض أهل التأويل قال إنما أدري ما قلت لكم ولم يبين ما الذي يكون فتنة لم يذكر بعض أهل التأويل قال لعل ما أدري ما قلت لكم من العذاب بعد الساعة أن يؤخر عنكم لذاتكم والمتاع لكم فيضيع ما قلت لكم من العذاب بعد الساعة فتنة لكم فيقولوا لو كان ما خوفنا به محمد صلى الله عليه وسلم حقا كان نزل لعله بعضه ويحتمل ذلك فتنة لكم وهذا محتمل والله أعلم ويحتمل وجها آخر وهو كما قال وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون أنه كان يخوفهم بفزع

العذاب بهم ولكن لم يبين لهم الوقت بانه متى ينزل بهم فيقول لما ادرى لعل تأخيره اياكم العذاب على ما انتم عليه فتنة لكم لانه اذا تأخر عنهم العذاب يأمنون عنه فيحملهم ذلك على تكذيبهم فيما خوفهم من العذاب ويكونون يأمنون من العذاب ومتاع لهم لانه لو كان وقت نزول العذاب بيّنا لكانوا ابدا على خوف فينغّص ذلك الخوف ويمنعهم عن التمتع وان لم يبين لهم الوقت فاذا تأخر عنهم يأمنون ويتمتعون فيقول لما ادرى لعل تأخيره اياكم فتنة لكم والله اعلم ولا يجب ان نفسر قوله لعله فتنة لكم انه اى شىء اراد به وقد نعرف انه ما اراد وليس لنا ان نفسر ذلك انه اراد كذا الا بنبأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى قل رب احكم بالحق • تعلق اكثر المعتزلة بظاهر الآية فى مسائلهم فقالوا نهى ان يدعوا بدعوات يعلم الداعى انه تعالى يعطى ذلك كالداعى نحو سؤال المغفرة رب اغفر لى وهو مغفور ورب اعطنى وهو معطى له ذلك ونقول رب اغفر لى وهو يعلم انه لم يغفر ونحو هذا من المسائل لهم فيحتج بظاهر قوله قل رب احكم بالحق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو به على علم منه انه لا يحكم الا بالحق ونحن نقول لا نجوز ان يدعو بمثل هذا الدعاء على الاطلاق الا على الاعتقاد معنى آخر فى ذلك كان لله تعالى فعل ذلك ويكون منه عدلا وحقا يجوز ان يكون قوله رب احكم بالحق اى بالنصرة والظفر على اعدائه وله الا يفعل ويكون ذلك عدلا منه وحقا او ان يكون المراد بقوله رب احكم بالحق اى بالعدل الذى كان حملك على مكذبى رسلك فاما ان نعتقد من قوله احكم بالحق ما اعتقد المعتزلة فيجعل انه به اللهم لا تجر ورب اعدل ومن عرضه به هكذا فهو ليس بمرة خفيفة وقال ابو عبيدة قوله رب احكم بالحق احكم بحكمك وهو الحق وهو محتمل مستقيم وقد ذكرنا هذه المسئلة واشباهها فيما تقدم وقوله تعالى وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون • امر الله عز وجل رسوله ان يستعين بالله عما يقولون من تكذيبهم اياه فيما ادعو ويعد والله الموفق • والحمد لله رب العالمين • وصلواته على نبينا الرحمة وشفيع الامة خير خلقه وسلامه الاكرام

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم • قد ذكرنا فى غير موضع وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شىء عظيم • قال الحسن ان بين يدى الساعة آيات يحجب بها التوبة وقبول الايمان منها الزلزلة التى ذكر ومنها طلوع الشمس من مغربها ومنها خروج الدابة والدجال ويأجوج ومأجوج والسؤال ذلك وهو كقوله او يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل الآية وقيل جاز ايضا ان يكون هذه الآيات علامة لقبول التوبة والايمان حتى تقبل الى ذلك الوقت فلا يقبل بعد ذلك وان لم يؤمنوا وان يكون لا ينفع نفسا ايمانها لانهم لا يؤمنون لما انهم يشغلهم بذلك الآيات عن ذلك فلا يؤمنون لان تلك الآيات تعم الخلائق كلهم المؤمن والكافر جميعا فلا يعرف المبطل والضال انه على ضلال او باطل فيرجع الى الحق لهذا ليس كعذاب ينزل بقوم خاص لان ذلك يعرف اهل كل زمان انما نزل بهم خاصة لما فيهم من التكذيب والعناد فاذا كانت الآيات عامة لم يعرف اهل الضلال انهم على الباطل وانها انما تنزل بسببهم لما يرون الاهوال التى لا تفزع وتعم الخلائق كلها فقوله لا ينفع نفسا ايمانها اى لا يؤمنون كقوله لا ينفعهم شفاعة الشافعين اى لا يكون لهم من شفيع ليس ان يكون لهم شفيعا فيشفعون فلا تقبل شفاعتهم فعلى ذلك جاز ان يكون قوله لا ينفع لانهم يشغلون عن الايمان بسبب الاهوال فلا يؤمنون والله اعلم ثم اختلف فى وقت زلزلة الساعة هى الساعة ثم وصفها بالشدة والفزع فقال يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت لشدة هولها وافزاعها وتضع كل ذات حمل حملها الذلك وهذا على قول من يقول ان زلزلة الساعة شىء عظيم قبل الساعة لان هذا على التحقيق يكون قبل الساعة لانه يكون فى ذلك الوقت رضيع وحامل تذهل اهوال ذلك وافزاعها عن ولدها وارضاعه وتضع ما فى بطنها كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ونحوه لان من اصابه شيئا من البلاء فى الدنيا يفزع الى هؤلاء فيخبر ان فى ذلك اليوم يفر بعض من بعض لشدة ذلك اليوم وهوله لشغله بنفسه وعلى قول من يقول اذا زلزلت الساعة هى الساعة فيخرج قوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها على التمثيل اى تذهل عما ارضعت لو كانت مرضعة وتضع انه لو كانت حاملا لشدة وهوله والله اعلم وقوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى لاهوال ذلك اليوم وافزاعه والا فيجاز ان تراهم سكارى وما هم بسكارى فى الحقيقة وانما يراهم من يمكن له ذلك ويقوى عليه والا لو كانوا كلهم سكارى لكان لا يريهم سكارى لان السكران لا يرى من كان فى مثل حاله سكرانا او يكون خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكون يخفى ذلك الهول الذى يكون فى غيره او يكون ذلك على التمثيل ليس على التحقيق والله اعلم وقول اهل التأويل ان الله تعالى يقول لآدم عليه السلام يوم القيامة ابعث بعث النار فيقول يا رب كم قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار وواحد فى الجنة ويروون الاخبار على ذلك عن رسول الله صلى الله

وسلم فان ثبت ما روى عن ذلك والا الكف عن مثله اولى لان هذا مما يحزن آدم حيث يؤمر بان يتولى بعث ذريته الى النار ولا يجوز ان يصيبه الحزن فى الآخرة من غيران كان منه ما يستوجب به العقوبة اذ هى دار جزاء لا دار تحنة قيل الزلزلة الرجفة ويقال زلزلت اى تحركت ويقال زلزلت تحركت وقال القتبى تذهل كل مرضعة اى تسلو عن ولدها وتتركه وقال ابو عوسجة تذهل اى تنسى يقال ذهل يذهل ذهولا وذهلته اى انسيته ويقال عنه اى هل تشتغل وقوله تعالى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم • ذكر المجادلة فى الله ولم يبين فيم جادلوا وتكلم المجادل لهم من وجوه منهم من جادل فى منشئه ما لله تعالى ان لهذا العالم منشئا ام لا ومنهم من يجادل فى وحدانيته تعالى واحدا او عددا ومنهم من جادل فى بعث الانبياء وارسال الرسل عليهم السلام ومنهم من جادل فى انزال الكتب ومنهم من جادل فى البعث ومنهم من جادل فى ما يدعى الله تعالى المدعى اليه ومثل هذا فتكون منهم المجادلة وكل ذلك كانت مجادلة بغير علم لانهم لو تفكروا فى هذا العالم ونظروا فيه حق النظر لعرفوا ان لهذا العالم منشئا وانه واحد لا عدد وانه قادر على ذاته وانه يبعث الرسل والكتب وعرفوا ايضا انه يبعث هذا العالم بعد فنائه وانه قادر على ذلك لكنهم لم يتفكروا فيه ولم ينظروا حق النظر فجادلوا فيه بغير علم وبالله العصمة وقوله تعالى ويتبع كل شيطان مريد • يحتمل ان يريد الشيطان المعروف نفسه اى يتبع الشيطان الى كل ما يدعوه اليه ويحتمل ان يكون اراد ان يتبع كل من يعمل عمل الشيطان وهم القادة الذين كانوا يدعون الاتباع الى ما لله من الشيطان وهو كقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اخبر ان الشيطان يوحى الى اوليائه من الانس ليجادلهم فذلك معنى قوله ويتبع كل شيطان مريد فهو فعيل بمعنى فاعل على ما ذكر فى آية اخرى من كل شيطان مارد وقال بعضهم المارد كل متمرد فى العناد والمكابرة وقال بعضهم المارد هو المجاوز عن جنسه فى العتو والتمرد وانه قيل سمى الشجر الاملس امرد لخروجه ومجاوزته لخاصية من الذكور والمارد بالفارسية وقوله تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير • قال بعضهم اى كتب على الشيطان انه من تولاه واتبعه انه يضله ويهديه اى يدعوه الى عذاب السعير وهو ما قال فى آية اخرى ويدعوهم الى عذاب السعير وقال بعضهم كتب على من تولى الشيطان واتبعه ان الشيطان يضله اى يدعوه الى ما به ضلاله وهلاكه ويهديه الى عذاب السعير وقوله كتب قيل حكم وقيل قضى ويحتمل كتبا فاثبتوا الا الكتابة والاثبات ومعناه انه كتبه فى ام الكتاب ان من تولى الشيطان واتبعه انه اضله وقد ذكرنا اضلال الشيطان فى غير موضع وقوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة • الآية اى خلقنا اصلكم من تراب وخلقنا اولاده من نطفة ثم من علقة الى آخر الآية تأويله والله اعلم اى كيف تشكون فى البعث وتنكرونه وليس سبب انكاركم البعث الا ان تصيروا ترابا ورمادا فى العاقبة وقد كنتم فى مبادى احوالكم ترابا او ماء فكيف انكرتم بعثكم اذا صرتم ماء وترابا والله اعلم او ان يقول كيف انكرتم البعث وقد رأيتم انه يقلبكم من حال النطفة الى العلقة الى المضغة ولا يقلب من حال بلا عاقبة تقصد فلو لم يكن بعث لكان خلقكم وتقليبكم من حال الى حال عبثا على ما اخبر انه خلق الخلق لا الى الرجوع اليه عبثا على ذلك هذا او ان يكون تأويله والله اعلم وقوله تعالى فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى آخر ما ذكر لما اجمع حكماء البشر وعلماؤهم ليعرفوا السبب الذى خلق الانسان من ذلك التراب ومن النطفة ومما انشأ ذلك المعنى الذى به يصير كذلك ما قدروا عليه فما وجدوا فى التراب والماء اثر البشر ولا معنى البشرية عن حدوثه على ابتداء انشاء هذا العالم من التراب ومن النطفة من غير ان يكون فيها اثر ما له البشرية علا معناه لقادر على اعادتهم واعادة الشىء فى عقولهم ايسر واهون من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر وقوله تعالى مخلقة وغير مخلقة • قال بعضهم مخلقة اى مخلوقة خلقا وغير مخلقة اى غير مخلوقة خلقا نطفة على حالها وقال بعضهم مخلقة اى تامة وغير مخلقة اى غير تام متخلقا فهو اشبه لانه انما ذكر لتكثير الفعل والتخفيف لتقليله فكانه قال مخلقة اى قد تم خلقها من الجوارح والاعضاء وغير مخلقة اى غير تام خلقها بل ناقصة والله اعلم وقوله تعالى لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى • كانه قوله ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى موصول بقوله ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم نقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى من ستة اشهر الى سنتين وما شاء الله تعالى ثم نخرجكم من الارحام بعد الاقرار فيها طفلا قال بعضهم ثم نخرج كلا منهم طفلا ويقال الطفل اسم يجمع ويفرد وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم قال بعضهم الاشد هو ثلث وثلثون سنة وقال بعضهم الاشد هو من ثمانية عشر سنة الى ثلثين سنة واصل الاشد من اشتداد الشىء وتقوى كل شىء منه من الجوارح والاعضاء وجميع ما ذكر فيه من العقل والفهم ثم عند ذلك يبين لهم ويكون قوله لنبين لكم بعد هذا كله اذا بلغوا المبلغ الذى يعرفون تقليبه اياهم من حال الى حال على ما ذكر ثم يحتمل قوله لنبين لكم وجوها احدها نبين قدرته وسلطانه ان من قدر على تحويلهم

وتقليبهم من حال التراب الى حال الانسانية والبشرية ومن حال النطفة الى حال العلقة ثم الى حال اخرى فهو قادر
على البعث والاحياء بعدما صاروا ترابا اذ ليس الا تبديل حال الى حال اخرى ويبين علمه في الظلمات الثلاث التي كان هو
فيها اذ كيف قلبه من حال الى حال في تلك الظلمات ليعلم انه لا يخفى عليه شيء ويبين حكمته وتدبيره في خلق الانسان من التراب ومن
النطفة بما لو اجتمع جميع حكماء البشر وعلماؤهم ليعرفوا المعنى الذي به خلق الانسان منه وصار به بشرا لما قدروا على تعليله
ولا عرفوا السبب الذي به صار كذلك ليعلموا ان علمه بذاته وقدرته بذاته لا بتعليم غيره ولا باقدار غيره كان هذا
لا يعجزه شيء ينشئ الاشياء من لا اشياء ولا من الاشياء على ما شاء وكيف شاء وبانه المقوية وقوله تعالى ومنكم
من يتوفى من قبل ان يبلغ اشده كبيره ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان يبلغ ذلك المبلغ وهو الاشد وقوله تعالى
ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى وقت يستقدر نعته ويستحق كالصغير لان الصغير والطفل لما لم يصل منه في
المنافع والتلذذات وهذا لا يرجى منه ولا يوصل له العاقبة بل كلما امر عليه وقت كان ضعف نفسه وعقله ولا
كذلك الصغير وهو ما قال خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة قال القتبي
ارذل العمر الخرف والهرم وقوله تعالى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ۞ اي لكيلا يعلم من بعد ما كان يعلمه شيئا ثم
ذكر قدرته وسلطانه فقال وترى الارض هامدة قال بعضهم ميتة وقيل خاشعة وقيل هامدة يابسة وقيل
بالية وكله واحدة قال ابو عوسجة الهامد الخامد والبالي وكذلك يسمى الثوب الذي بلى هامدا ويقال خامدة من
حمدت النار يعني خمودها وقوله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ۞ قال الزجاج وربت اي زادت وكذلك
قال ابو عوسجة يقال ربا يربو اذا زاد ومنها الربا وربت من الارتفاع يعني ارتفعت كقوله الى ربوة ذات قرار
الى ربوة ذات قرار اي الى ذات ارتفاع وعلو وقال بعضهم وربت تحرك عنها النبات ثم اضاف الاهتزاز
والزيادة الى الارض وهي التي تهتز ولا تربو انما تهتز وتربو ما يخرج منها من النبات ولكن اضاف اليها لما بها كان
الاهتزاز للنبات وبها كان النماء فاضاف اليها فان كان من الارتفاع والربوة فهي ترتفع وتهتز وتهتز بالمطر
وقوله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج ۞ اي انبتت من كل جنس حسن والبهيج الحسن وقيل البهيج السار بهج يبهج
اي سر وهو فعيل بمعنى فاعل يقال امر مخلوق باهج وفي قوله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج اخبار عن قدرته
وسلطانه ان من يقدر على احياء الارض بعدما كانت يابسة ميتة لقادر على احياء الموتى بعد الموت وبعدما صاروا
ترابا وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق ۞ اي ذلك الذي تقدم ذكره من الساعة وتلك النطفة او هو الهادي او اخبر عما
ذكر من خلق الانسان وتقليبه من حال الى حال وما ذكر من البعث والاحياء واحياء الارض بعدما صارت يابسة
وميتة حق كله او كاين لا محالة الامر بانه قال وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة اتية لا ريب
فيها وان الله يبعث من في القبور فيكون هذا الذي تقدم ذكره من افعاله تعالى دليلا على ان الله هو الحق
القادر على الاحياء بعد الموت والبعث في القبور وانه لا يعجزه شيء وانه قادر بذاته فقال بعضهم ذلك
اي هذا الذي ذكر هذا كله صنعه يدل على ان الله هو الحق وغيره من الالهة التي تعبدونها باطل وانه يحيي الموتى
في الاخرة لا الالهة التي تعبدونها وانه على كل شيء قدير قال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله تعالى سمي به لانه
يحكم بالحق وقوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ۞ اي ولا بيان ولا دليل من جهة العقل
لا كتاب منير يعني لا كتاب منير ولا وحي يبين ما يجادل فيه ويخاصم ويحتمل ان يكون بغير علم اي بغير دلائل
ممن عنده العلم ولا هدى اي ولا استدلال ممن عنده الدليل ولا حجة من عنده كتاب بصير وقوله تعالى ثاني
عطفه ۞ قال بعضهم لاويا عنقه الى معصية الله تعالى وقال بعضهم ناظر في عطفه اي في جانبه وقال
ابو عوسجة ثاني عطفه اي متكبرا متجبرا والعطف في الاصل الجانب والاعطاف جميع وقال القتبي ثاني
عطفه اي متكبر معرضا ومثل هذا الكلام حقيقة يخرج على وجهين احدهما على التمثيل والكناية عن اعراضه عن دين
الله تعالى والصد وذهنه كقوله انقلب على وجهه وقوله انقلبتم على اعقابكم ونحوه كله على التمثيل والكناية
عن الاعراض عن الحق والصد ودينه لا على حقيقة الانقلاب على الاعقاب بعلى ذلك المجاز قوله ثاني عطفه
يخرج على التمثيل والكناية عن الاعراض عن الحق والله اعلم ويجوز ان يكون على حقيقة عطف العنق والميل عنهم
تكبرا وتجبرا منهم عليهم ثم بين انه لم يفعل ذلك فقال ليضل عن سبيل الله اي ليضل الناس عن سبيل الله ثم
ما له في الدنيا بصنعه فقال له في الدنيا خزي قال بعضهم الخزي وهو العذاب الذي يفضحه واصل الخزي الموت
والقتل وهو كالمرصولين عبادة الله تعالى ودينهم بلوا بعبادة الاصنام واتباع الشيطان فذلك الخزي
لهم في الدنيا ثم اخبر ما لهم في الاخرة من الجزاء فقال ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق وعامة اهل التاويل يصرفون
الاية الى كفرهم وهو النضر بن الحارث ويقولون له في الدنيا خزي لانه اسر يوم بدر فضرب عنقه وقتل
صبرا فذلك الخزي له قال الحسن هذا يجري في جميع الكفرة لانه لم يزل بعد اصنيعهم من كانوا فلهم الخزي في

الخصب على ما كانت في الامم الخالية وقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك ۞ ليس على حقيقة تقديم الايدي لكن
على التمثيل لما بالايدي تقدم فذكر الايدي على ما ذكرنا من الانقلاب على الاعقاب وقوله تعالى وان الله ليس بظلام
للعبيد ۞ لا ياخذ احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف ۞ اهل التاويل
اختلفوا في قوله على حرف قال بعضهم يعبد الله على حرف اي على شك يتعرض به على انه ان اعطاه طمعه في ملكه
في هذه الدنيا حق الالوهية له والعبادة وان لم يجد طمعه وامله لا يحق له ذلك ويقول انه ليس باله اذ لو كان
لاعطاه ما يطلب منه على هذا الشك يعبد بالامتحان وقال بعضهم على حرف اي على شرط اي يعبده على شرط الاعطاء
يقول ان اعطاني اعبده وان لم يعطني فلا اعبده يكون عبادته على هذا الشرط وقال بعضهم يعبد الله على حرف
اي على حرف واحد ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده في حالين جميعا حالا الظاهر والباطن وحالة الشر والخير
والضراء وحالة السعة والشدة على ما يعبده الله تعالى كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونبلوكم بالشر
والخير فتنة عبده المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبده الله تعالى فاما المنافق فانما يعبده على حالة الخصب والسعة
اي ليس يعرفه بحق المعرفة فانما يعبده في السعة والرخاء فاما المؤمن فاذا عرفه بحق معرفته فعبده في الاحوال
كلها كما عرف نفسه عبدا له وسيده ولم ير للعبد سعة في ترك العبادة لمولاه في كل حال او راى المعبود حق استعبادا
واستعبد امره في كل حال في حال الضيق وحال السعة او ان يكون راى ما يصيبه من الشدائد والبلايا كان بتقصير
تفريط منه فعبده في الاحوال كلها او لما راى ما عرض نعم ربه جل جلاله عليه كثيرة راى شكر تلك النعم عليه لازما
فعبده في الاحوال كلها شكرا فاما اولئك لم يروا نعم الله تعالى على انفسهم نعما فانما عبدوه على الجهة التي ذكرنا
وكان الكفرة فرقا ايضا منهم من يعبد الله في حال الشدة والضيق ولا يعبده في حال السعة والرخاء كقوله واذا
مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اذا هم يشركون ونحوه ومنهم من كان يعبده في حال
السعة والرخاء وهو ما ذكر اهل هذا النوع فاما المؤمن فهو يعبده في الاحوال كلها لما راه معبودا حقيقة والله اعلم
وقوله تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ۞ فذكرنا ان الفتنة هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء وقوله انقلب
على وجهه قال بعضهم هو على التمثيل على ما ذكرنا في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم وقال بعضهم
على تحقيق انقلاب الوجه لانه كان يعبده بعبادة ظاهرة لم يكن يعبده في الباطن الا في حال السعة فلما اصابته شدة ترك
عبادة الظاهر وانقلب على ما كان في الباطن وهو انقلاب وجهه والله اعلم وقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة اما
الدنيا فانه فاتت عنه ما كان ياملها ويطمع لها وخسران الاخرة ظاهر لعذابه في الشدائد ويجوز ان يكون خسران الدنيا
هو عبادة الاصنام والخضوع والتذلل لما لا يضر ولا ينفع بالعبادة وتركها وقوله تعالى ذلك هو الخسران المبين
لا خسران ابين من الذي يضيع جميع امله وطمعه ثم قوله على حرف قيل اي يعبده لا يدري احق هو ام باطل وهو الشك
اي من هذا الامر على حرف اي على شك ليس بمستيقن به وقال القتبي على حرف اي على وجه واحد وعلى مذهب
واحد سواء وقال قتادة على ما ذكرنا وقال ابو عبيدة على حرف اي لا يدوم تقول انما انا على حرف منك اي لا اثق
بك والله اعلم وقوله تعالى يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ۞ قيل ان الاية في
المنافقين وهم كانوا لا يعبدون الاصنام فكيف حملوا الاية على المنافقين لكن ذكر انهم يعبدون الله على حرف
والعبادة على حرف ليست هي العبادة لله تعالى انما هي عبادة الشيطان فاخبر انه يعبد ما لا يضره ان ترك العبادة
له ولا ينفعه ان عبده ويكون على ذلك قوله ذلك هو الضلال البعيد لانه عبد من لا يضره ان لم يعبده ولا ينفعه
ان عبده وقوله لبئس المولى ولبئس العشير قوله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اي يدعو من ضره اقرب من نفعه
ثم تاويله قال لمن يدعو من ضره اقرب من نفعه بانه ان عبده ضره عبادته في الاخرة وذكر في الاية الاولى يدعو من دون
الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي لا يضره ان ترك عبادته في الدنيا ولا ينفعه وذكر في الاية الثانية يدعو من كان
ضره اقرب من الانتفاع فيكون المراد في الاخرة والاية الاولى يراد بها في الدنيا حتى لا يختلف الايتان والله اعلم
وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير ۞ يعني الصاحب كقوله وعاشروهن بالمعروف وصاحبوهن بالمعروف
وقال بعضهم لبئس المولى الولي وهو الشيطان ولبئس العشير اي القرين الذي يقارنه وقال القتبي والصاحب
والخليل وهو واحد وقال ابو عوسجة العشير الرفيق الذي يعاشر ويصاحبه ويخالطه والعشراء جمع ايضا
والله اعلم وقوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
كذبت المعتزلة هذه الاية والاية التي تلي هذه وهي قوله وان الله يهدي من يريد لانهم يقولون اراد ايمان جميع الخلق
ثم لم يفعل ذلك واراد جميع الخيرات والكف عن الشرور ثم لم يقدر على وفاء ما اراده ويقولون لا صنع لله في افعال
العباد ولا تدبير على قولهم لم يفعل الله تعالى ما اراده واحد منا الموت ويقولون ان الله تعالى قد اراد هداية جميع الخلق
لكنهم لم يهتدوا وهو خبر انه يهدي من يريد وهم يقولون يريد هداية الخلق كلهم فلم يهتدوا فهو ينقل من اراد الله تعالى

فمعناه اهتدى ومن اراد ان يفعل ما يريد فيخرج على قوم على احد الوجهين اما على الخلف في الوعد واما على الكذب في القول
والحنث نعوذ بالله من الشرور في القول وقوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ • تأويل الآية يخرج عندنا على وجهين احدهما من كان يظن ان لن ينصره
الله اي يا محمد صلى الله عليه وسلم ثم نصره تعالى نصره اياه فيدوم غيظه فليمدد بسبب من السماء اي بحبل من السماء
فيختنق ويقتل نفسه فيذهب غيظه الذي غاظه نصره ليستريح مما غاظه والثاني يخرج على الوعد له بالنصر
والخذلان لمن ينصره يقول من كان يظن انما وعد له من النصر لا يفعل كذلك كله ولا ينصره ولا يخبر عنه فليمدد
بسبب من السماء ثم ليقطع اي يحبس ما وعد له من النصر انفاذه ما وعد ليذهب غيظه الذي غاظه على هذا
التأويل يكون السماء المعروفة اي يحبس السبب الذي ينزل من السماء والله اعلم وقال بعضهم من كان يظن ان
لن ينصره الله اي لن يرزقه ويجعل صلته تقتير معنى الناس من يعبد الله على حرف فانه يجعل الآية في اهل النفاق
فيقول من كان يظن من اهل النفاق ان الله يعطيه الا برزقه كان يأخذ ذلك الذي الدنيا الذي كان نصيبه وذاقه فليمدد [illegible]
قال مجاهد كيده ما يغيظ اي خوفه ان لا يرزق وقال القتبي من كان يظن ان لن ينصره الله اي لن يرزقه الله
يقال مطر ناصر وارض منصورة اي ممطورة وقال المفسرون من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا عليه السلام فليمدد
بسبب الى السماء اي بحبل الى سقف البيت ثم ليقطع اي ليختنق فلينظر هل يذهبن كيده اي فعله هل يذهبن غيظه
اي ليجهد جهده وقال ابو عوسجة فليمدد بسبب الى السماء هذا شيء لا يكون ولا يقدر عليه ولكن هذا ذم
للمقول فيه لانه جعل السماء عبارة عن السماء المعروفة وقوله فليمدد اي يمدد والسبب في الاصل الحبل اي تعلق
سببا حبلا فيرتقي الى السماء والسبب الحبال وسبوب جماعة قال والسبب الحبل بلغة هذيل وقوله ما يغيظ
الغيظ هو شدة الغضب والله اعلم وقوله تعالى وكذلك انزلناه آيات بينات • اي مثل هذا او هكذا انزلنا
آيات بينات يبين ما لهم وما عليهم وقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا • اما الصابئون فان الناس قد اختلفوا فيهم قال اهل التأويل هم عباد الملائكة وقال الكلبي
هم اهل الثنوية وقد ذكرنا هذا في سورة المائدة وقوله تعالى والذين اشركوا قيل هم مشركو العرب وهم عبدة
الاوثان وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة • اي يحكم بين هؤلاء يوم القيامة لاختلافهم في الدنيا
كقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ثم قال فالله يحكم بينهم يوم القيامة فالفصل بينهم يوم القيامة
هو الحكم الذي ذكر في هذه الآية ويحتمل قوله يفصل بينهم يوم القيامة يبعث هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار
فذلك الفصل بينهم وجائز ان يكون قوله يفصل بينهم اي يبين المحق من المبطل حتى يقروا جميعا بالحق
ويؤمنوا به لكن لا ينفعهم ذلك يومئذ والله اعلم وقوله تعالى ان الله على كل شيء شهيد • من افعالهم واعمالهم
واقوالهم وجميع ما كان منهم وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض • حرف من في
ظاهر اللغة وفي اللسان انما يعبر به عن الممتحن من البشر والجن والملائكة فاما الموات فانه لا يعبر عنه وانما يعبر
عنه بحرف ما لكن ذكر في آخره ما يدل على انه اراد الكل الممتحن والموات جميعا حيث قال ومن الناس وكثير حق عليه
العذاب وان كان قوله يسجد له من في السموات ومن في الارض يريد به العقلاء عطف عليه ما لا يعقل
لقوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس على سبيل تغليب ذلك الجملة حتى
يكون مستعملا في اللغة وجائز ان يكون حرف من يشمل الممتحن والموات عند الاجتماع تغليبا للممتحن وقصد
اليه على ما يذكر النساء عند اجتماع الذكور والاناث باسم الذكور والله اعلم ويمكن ان يجري الامر على ظاهره ان
من الممتحن من الخلق ويجعل عن الممتحن عطفا عليه ويكون قوله وكثير من الناس على الابتداء اي وكثير من الناس
في الجنة وكثير حق عليه العذاب الآية ثم ما ذكر من سجود هذه الاشياء يخرج على وجوه احدها سجود خلقه
يسجد كل شيء ذكر من خلقه له تعالى اي يخضع ويدل على وحدانيته على ما ذكر في تسبيح الموات والثاني سجود عباده
وهي سجود كل ممكن منه السجود وتركه وهو سجود الممتحن وذلك عند انقطاع اسباب الفعل المختار والثالث
سجود بدل ما جعل في هذه الاشياء من المنافع لا يأتي بدلها لاحد لكونها مسخرة لمنافعهم من المكان كالشمس
والقمر والشجر والنبات كل شيء والرابع ما الهم هذه الاشياء من طاعة الله تعالى والخضوع له الا ترى انه قال
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين الا ترى انه الهم معرفة اتيان المصالح للحيوانات انهم يعرفون
طاعته والخضوع له والله اعلم وقوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم • كقوله ومن يضلل الله فما له من هاد
وان يقول ومن اهانه الله ان تبخلنا ربنا فما له من يجيبه عن ذلك وقوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء • هذا
على المعتزلة لانهم يقولون شاء اشياء فلم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء وقوله تعالى هذان خصمان اختصموا
في ربهم • اختلفوا في تأويله قال بعضهم نزل هذا في ستة نفر بارزوا المبارزة من المسلمين حمزة بن عبد المطلب

يعني علي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وثلاثة من المشركين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد
بن عتبة فذلك اختصامهم وقال بعضهم اختصم اهل الاسلام واهل الكتاب في الدين قالت اليهود والنصارى
نحن اولى بالله منكم يا معشر المسلمين لان نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون
نحن اولى والله اعلم آمنا بكتابنا وبكتابكم وبنبينا ونبيكم وبكل كتاب انزل الله تعالى وبكل نبي ارسله الله تعالى
ثم كفرتم انتم بنبينا وبكتابنا وبكل شيء كان قبلكم فان الله تعالى ما فصل بين المؤمنين واهل الكتاب فقال
هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهم اليهود والنصارى
قطعت لهم ثياب من نار الى آخر ما ذكر وقال في المؤمنين ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار الآية وقال بعضهم هذان خصمان اختصموا النار والجنة فقالت النار جعلني الله للعقوبة وقالت
الجنة جعلني الله للرحمة ولكن هذا بعيد متى يكون للنار مخاصمة وكذلك الجنة وقال بعضهم اختصم المسلم والكافر
في البعث والله اعلم وجائز ان يكون اختصامهم ما ذكر في اول السورة الى هذا الموضع من ذلك قوله ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم وقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية وقوله ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يكون الاختصام بين هؤلاء الذين ذكرهم في هذه السورة وهم
اهل الاسلام واهل الكفر وفي الآية بيان ذلك الخصم قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار والآية وقال
في المؤمنين ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ثم جائز ان يكون هذا الذي ذكر من الفصل الذي
ذكر في الآية الاولى حيث قال ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بتنزيله اهل الاسلام في الجنة واهل الكفر
في النار والله اعلم وقوله تعالى قطعت لهم ثياب من نار • كقوله سرابيلهم من قطران الآية وقوله تعالى يصب من فوق
رؤوسهم الحميم • قيل الحميم من الماء الحار الذي انتهى حره غايته وقوله تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود • قال
القتبي يصهر يذاب يقال صهرت النار الشحم والصهارة ما اذيب منه الالية اذا اذيبت يقال صهرت الشحم اي
اذبته اصهره صهرا وقوله تعالى ولهم مقامع من حديد قال بعضهم المقامع الاعمدة من الحديد وقال بعضهم مقامع
الاعمدة من الحديد وقال بعضهم المقامع شبه العصا والواحد مقمعة وقال ابو معاذ معنى قوله يصهر به
ما في بطونهم اي يذاب ما في بطونهم من حرارته فاما الجلود فانها تحرق لان الجلود لا تنصهر ولا تنصهر وانما عطف
الجلود على قوله يصهر ما يليق به وهو الاحراق وعلى هذا قول العرب اتيته فاطعمني واسقاني اي
فانهضا اي خاصمنا اي والله وجائز ان يضم كل شيء بفعل يليق به كله معناه والحمي يزيد
وسقاني لبنا فلا يكون حملا على هذا اللسان العرب ومثله في القرآن كثير وقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من غم اعيدوا فيها • وقال بعضهم ذلك ان جهنم اذا جاشت القت من فيها الى اعلاها فيريدون الخروج فتعيدهم
الخزان فيها بالمقامع ويقول لهم الخزنة ذوقوا عذاب الحريق وقال بعضهم ان في جهنم دركات فاذا اشتد
العذاب بهم يتعلقون من دركة السفلى الى دركة العليا فيصعدون ثم يريدون الخروج منها فيعادون
فيها كقوله سارهقه صعودا وقال بعضهم يضربهم لهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع
من حديد فاذا انتهوا الى اسفلها ضربهم لهبها والله اعلم وقوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار • اي من تحت اهلها او هو ما يجري من ذكر في آية اخرى تجري من تحتهم الانهار
وقوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا • هذا والله اعلم للعقد خاص وهو ما ذكر في الآية الى قوله اساور
من ذهب الآية والاول لما رغبنا في الدنيا بالتحلي بالذهب للنساء خاصة او لقوم تفاخروا فيها
بالتحلي من عدمه في الآخرة بذلك لقولهم ولكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله ولؤلؤا قرئ بالخفض
والنصب قال الكسائي من قرأ ولؤلؤ بالخفض فهو يخرج على وجهين احدهما يحلون فيها من اساور من ذهب ومن
لؤلؤ والثاني يحلون فيها من لؤلؤ حلية سوى الاساور ومن قرأ بالنصب ولؤلؤا اي ويحلون فيها لؤلؤا وقوله تعالى
ولباسهم فيها حرير • وكذلك ذكر في الخبر من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال ابو عوسجة يحلون فيها من الحلي
من الذهب والفضة يقال حليت المرأة اي اتخذت لها الحلي وقوله تعالى وهدوا الى الطيب من القول وهدوا
الى صراط الحميد • جائز ان يكون هذا في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فهو قول التوحيد وشهادة الاخلاص واما
في الآخرة كقولهم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
من القول الطيب الذي هدوا اليه وقال بعضهم قوله وهدوا الى الطيب من القول هو القرآن وهدوا الى
صراط الحميد الاسلام وشرائعه وقال قتادة الهموا التسبيح والتحميد كما الهموا النفس وقال الطيب من القول هو
من الحسن وقوله الحميد يحتمل قوله صراط الحميد اي صراط الله تعالى ويحتمل ان يكون نعت الصراط اي صراط
حميد والله اعلم وقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام • قوله كفروا في الماضي

وقوله ويصدون عن سبيل الله خبر مستقبل نسق المستقبل على الماضي قال القتبي معناه ان الكافرين والصادين عن
سبيل الله فيكون عطف الاسم من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم معطوفا على الذين وعندنا
تاويله ان الذين كفروا من قبل ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويصدون عن سبيل الله اذ بعث محمد صلى
الله عليه وسلم ثم يحتمل قوله والمسجد الحرام اي يصدون الناس عن دخول المسجد الحرام ان كانوا يمنعون المسلمين
عن دخول المسجد الحرام الاسلام والسؤال عنه والثاني اخراجهم منه كقوله واخراج اهله منه اكبر عند الله
والفتنة اكبر من القتل وقوله تعالى الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ظاهر هذا ان يكون
الذي جعل فيه العاكف والبادي سواء هو المسجد الحرام لانه قال جعلناه للناس لكن اهل التاويل صرفوا ذلك
الى مكة فقال سواء العاكف فيها والباد يعني النزول في المنازل لما ظاهر ما ذكرنا وقال القتبي العاكف المقيم
فيه والبادي هو الطاري من البدو يكون خارج المصر وقال ابو عوسجة العاكف المقيم فيه والبادي من كان في البادية
وقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال بعضهم الالحاد هو العدول والميل عن الطريق
وهذا مشتق اللحد وتاويله من يلحد فيه الحاد ظلم نذقه كذا وحصل الكاتب تاويل قوله تعالى ومن يرد فيه
بالحاد بظلم وجهان احدهما قيل قوله سواء العاكف فيه والباد فاثبت بعد لانه لما لم يكن تنزلا خاصة
ثم يحتمل ان يكون المسجد الحرام مخصوصا ههنا ليس كسائر المساجد التي لها اهل لان اهلها احق بها
من غيرهم فاما المسجد الحرام فان الناس فيه سواء العاكف والباد ويحتمل ان يكون ذكر المسجد الحرام ههنا
فيه سواء ليعلم ان الحكم في سائر المساجد كذلك اي الناس فيها سواء اهلها وغير اهلها والله اعلم
ثم يحتمل تخصيص ذلك المكان بما ذكر وجوها احدها ليعلم ان كثير الخيرات تضاعف فيها بما يعمل في سائر
المساجد منه وهذا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صلاة واحدة بمكة تعدل كذا وكذا
صلاة في غيرها من الاماكن وكذلك كل حسنة فيها فيدل ان الطاعة فيها اعظمها تكون مكفرة للمساوي
التي توجد فيها في تلك البقعة والثاني خص بالذكر فيه على التغليظ والتشديد لما خصت هذه البقعة
بتضاعف الحسنات فكما تكون المساوي فيها اغلظ من ذلك في غيرها من البقاع لحرمة تلك البقعة
والثالث ان اهل تلك البقعة ادعوا انهم اولى بالله من غيرهم لتعظيمهم ذلك المكان فاخبر ان من يرد فيه بكذب
اذا كان كذلك لبيان ذلك المكان بما ذكر مخصوص من العفو عنهم ومرتبهم على غيرهم ليعلم ان ما ادعوا من الاختصاص
تكون دعوى فاسدة وقال بعضهم معناه ومن يرد فيه بالحاد بظلم الباء زائدة ومثله قوله تنبت بالدهن
معناه تنبت الدهن وروي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احتكار الطعام بمكة الحاد وكذلك
روي عن عمر وابن عمر ويحتمل ان يكون لما ذكرنا من التغليظ والتشديد تضاعف العقوبة وذلك كما يحرم
المجاورة بمكة من اهل الافاق للحج فتضاعف عليه العقوبة اذا ارتكب مأثما او الحدد تركوه فهو بيع رباع
مكة والاجارة بما تقوله سواء العاكف فيه والباد وعلى ذلك رويت الاخبار بالنهي عن ذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال مكة مناخ لا تباع رباعها ولا تؤاجر بيوتها وعن عمر رضي الله عنه انه قال يا اهل مكة لا تتخذوا لدوركم
ابوابا لينزل البادي حيث شاء ونهاهم ان يغلقوا ابواب دورهم وليس في ظاهر الاية ذكر مكة بل ذكر المسجد
قال والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد انما ذلك ذكر المسجد خاصة وقال
ابو حنيفة رحمه الله اكره اجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر فاما المقيم والمجاور فلا ارى باخذ ذلك
منهم باسا وهو قول محمد وقوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت قال بعضهم بوأنا اي هيأنا له مكان
البيت لينزل فيه بالنبوة لانه كان قال واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي بين لنا ابراهيم مكان البيت
لتتخذ فيه بيتا وقلنا له لا تشرك بي شيئا وهكذا بعث الانبياء عليهم السلام جميعا يعني ان لا تشركوا
بالله وامروا ان يدعوا الناس الى ترك الاشراك بالله تعالى وقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين يحتمل قوله
وطهر بيتي للطائفين وجوها اي طهره من الاوثان والاصنام التي هي فيه لئلا يعبد فيه غيره ويحتمل
ان يكون حق له وطهر بيتي للطائفين من جميع الخبائث ومن كل انواع الاذى من الخصومات والسباب وغير ما
وذلك المسجد الحرام وغيره من المساجد تطهر وتجنب جميع انواع الاذى والخبث والفحش ثم قوله
للطائفين والقائمين والركع السجود قال اهل التاويل الطائفين اي القادمين من البلدان والعاكفين
وقوله تعالى والقائمين اي المقيمين هنالك والركع السجود اي المصلين ويحتمل قوله للطائفين لكل طائف
والقائمين لكل قائم عاكف نحوه والعكوف هو المقام للعبادة فيه والركع السجود اي لكل راكع وساجد
نحوه اي لكل مصل وهذا اشبه والله اعلم وقوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا الاية هذا
يحتمل وجهين احدهما على الاعلام اي اعلم الناس ان لله عليهم الحج بالبيت كقوله ولله على الناس حج البيت

الاية والثاني واذن في الناس بالحج اي ادع الناس بالحج اي ادع الناس ونادهم الى الحج بالبيت وقال
اهل التاويل لما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان ينادي في الناس بالحج فنادى فاسمع الله صوته ما بين المشرق والمغرب
حتى سمع صوته ونداءه من في اصلاب الرجال وارحام النساء فقالوا لبيك ومن حج فيه فهو الذي اجاب ابراهيم عليه السلام
ندا امر بالحج لكن لا نعلم ذلك الا بخبر متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ما ذكروا لا السكوت عن مثله اولى وقالوا
اذن في الناس بالحج موصول بقوله واذ بوأنا لابراهيم لانه جائز ان يكون قوله واذن في الناس بالحج لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بكل رسول بعث ويكون الامر لكل في زمانه والله اعلم وقوله تعالى ياتوك رجالا اي على الارجل مشاة وعلى كل ضامر
اي على كل من يضمر وينصب بسفره لبعد الضرب هو ما ذكر ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد ثم قوله واذن في الناس
بالحج على الدعاء والامر فيكون قوله ياتوك رجالا دلالة لزوم الحج على المشاة كانه قال منهم من يجيء مشاة على الارجل
رجالا وان كان على الاعلام فهو على الوعد والخبر انهم ياتون على الارجل مشاة وعلى الدواب وقوله تعالى ياتين
من كل فج عميق اضاف الاتيان الى الدواب لانهم بالدواب ياتون فاضاف اليها لذلك والله اعلم قال ابو عوسجة
ياتوك رجالا اي يقوله رجل الراجل يرجل رجله فهو راجل وعلى كل ضامر اي على كل بعير ضامر اي خميص البطن والفج
الطريق العميق يقال عميق اي بعيد وعميق بمعنى واحد قال القتبي وعلى كل ضامر اي ركبانا على ضمر من طول السفر من كل
فج عميق اي بعيد غامض وقوله تعالى ليشهدوا منافع لهم قال الحسن ليشهدوا اجره ويذكروا الله تعالى فيها ويكتسبوا
اشياء تنفع لهم في الاخرة فذلك منافع لهم التي تشهدونها وقال بعضهم ليشهدوا منافع لهم اي مناحرهم وقضاء
مناسكهم وقال غيره من اهل التاويل منافع لهم التجارات المنافع التي كانوا يكتسبونها اذا خرجوا الحج وقال بعضهم
التجارة في الدنيا والاجر في الاخرة وهو مثل الاول ويحتمل ان يكون قوله ليشهدوا منافع لهم الارزاق التي جعلت
لهم في البلدان النائية البعيدة ما لم يشهدوها لم يسق الله ذلك اليهم لان من الارزاق ما يساق الى اهلها
وهم في مقامهم وامكنتهم ومن الارزاق ما يساق اهلها اليها ما لم ياتوها لم يسق اليهم فجائز ما ذكر من المنافع
لهم هو ما غاب عنهم من المنافع والارزاق التي جعلت لهم في البلدان البعيدة اذا خرجوا الحج نالوها واذا لم يخرجوا
الحج لم ينالوها والله اعلم وقوله تعالى ويذكروا اسم الله في ايام معلومات اختلف فيه قال الحسن هو يوم النحر خاصة
وجائز اضافة الواحد الى الجماعة كقوله عز وجل وجعل القمر فيهن نورا وانما جعل في السماء الدنيا وكما يقال لعدي
نزلت في بني تميم وانما هو في دار واحدة منه ومثل هذا كثير وذلك جائز في الكلام وقال بعضهم الايام المعلومات
هو يوم النحر ويومان بعده وقال بعضهم المعلومات والمعدودات هي ايام التشريق وقال بعضهم الايام المعلومات هي
العشر لانها هي ايام الذكر فيها وجائز ان يكون قوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات كناية عن الذبح وايام الذبح ثلثة
يوم النحر ويومان بعده الا ترى انه قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها ذكر الاكل منها ولم يذكر الذبح
فذلك يدل ان قوله ويذكروا اسم الله كناية عن الذبح وانما كان كناية عنه لانه بالذكر يقوم الذبائح ولا يخلو منه
وقوله تعالى فكلوا منها قال بعضهم من الاضاحي لان التناول من الاضاحي كان لا يحل فخرج رخصة التناول
منها والحل لكن الاضاحي لا يحتمل لان الوقت ليس وقت الاضاحي ولا اماكنها انما هو وقت دم المتعة والقران
ودم التطوع فيفيد اباحة التناول من دم المتعة والقران وقوله تعالى واطعموا البائس الفقير قال بعضهم البائس
البؤس وهو ما اشتد من الحاجة والشدة وقال بعضهم البائس الضرير وقوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم قال
بعض اهل الادب التفث لا تعرفه في لسان العرب ما يراد به وقال الحسن التفث هو التقشف وهو ترك الزينة
يدل على ذلك انه سئل عن الحاج فقال الاشعث التفل وقال ابو عوسجة التفث في الاصل الوسخ يقال
امرأة تفثة اذا كانت خبيثة الريح وهو قريب مما قال الحسن ترك الزينة واهل التاويل يقولون التفث
هو حلق الراس وقص الاظفار والشارب ونحو الجمار والذبح ونحوه وقال بعضهم ثم ليقضوا تفثهم المناسك
كلها وروي في الخبر من عرف بعرفة بليل فقد تم حجه وقضى تفثه ظاهر قوله فقضى تفثه اي قضى نسكه
وجائز ان يكون قوله وقضى تفثه اي حاجة وقضاء الزينة وهو وقت الحلق واللباس والله اعلم وقوله تعالى
وليوفوا نذورهم اي وليوفوا ما اوجبوا اذ يجيء ذكر فيما ساق من الهدي للمتعة والجنبة الاكل منه بقوله
فكلوا منها ولم يذكر الاكل منها اوجبه بالنذر وكذلك يقول اصحابنا رحمهم الله انه يجوز له التناول من هدي
المتعة والقران ولا يجوز التناول مما كان وجوبه بالنذر والكفارة بل عليه ان يتصدق بالكل وهو ما
تعدية من صيام او صدقة او نسك والله اعلم وقوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق هو طواف الزيارة
هو طواف يوم النحر وهو الفرض عندنا ولا يحتمل ما قال بعض الناس انه طواف الصدر لان لله تعالى
على الناس حج البيت هو الطواف بالبيت لا غير وطواف الدخول وطواف الصدر ليس على اهل مكة
وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس فدل ما ذكرنا ان قوله وليطوفوا بالبيت العتيق هو طواف الزيارة الذي

حج البيت الذي قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت وقوله البيت العتيق قال بعضهم سماه عتيقا لانه اعتقه الله تعالى
من الجبابرة ان يتجبروا عليه فكم من جبار قصده ليهدمه فمنعه الله تعالى عن ذلك وقال بعضهم سماه عتيقا
لانه رفع الى السماء الرابعة فذلك المرفوع هو البيت العتيق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي
البيت عتيقا لانه لم يظهر عليه جبار فان ثبت هذا فهو هو والبيت العتيق عندنا هو الذي بناه ابرهيم عليه السلام
واسسه ويكون قوله وليطوفوا بالبيت العتيق الذي اسس عليه السلام لا البيت الحادث الذي احدثت الناس الا ترى
انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة رضي الله عنها لولا قومك حديث عهد بالاسلام لاردت
البيت على اساس ابرهيم عليه السلام وجعلت له بابين باب يدخل منه وباب يخرج والله اعلم وقوله تعالى ذلك ومن
يعظم حرمات الله قوله ذلك جائز ان يكون الاية الذي تقدم ذكره من قوله يأتونك من كل فج عميق ليشهدوا منافع
لهم الى آخر ما ذكر ليقضوا تفثهم ونحو ذلك الذي ذكر من تعظيم حرمات الله تعالى وجائز ان يكون لا على ذلك
ولكن ذلك حرف يذكر عند ختم قصة والفراغ منها مبتدأ لا على ربط شيء متقدم نحو قوله تعالى هذا وان
للمتقين كذا وقوله هذا وان للطاغين كذا وقوله ان للمتقين وان للطاغين يصح ويفهم من دون قوله هذا
لكنه ذكر على ختم الكلام الاول والابتداء بالثاني فعلى ذلك جائز ان يكون قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله
ثم قوله ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه كانه قال ومن يعظم حرمات الله وخرج للحج وانفق المال واتعب
النفس فما له عند ربه من الثواب فذلك خير له من حفظ ماله وحفظ نفسه ولا شك انه من عظم حرمات
الله خير له مما لا يعظمها وقوله تعالى واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه واحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم من المحرمات من الميتة والدم وما ذكر
والله اعلم وقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان جائز ان يكون قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان هو الاوثان
من الاوثان فانها رجس وجائز ان يكون فاجتنبوا عبادة الاوثان فانها رجس وليس فيه ان غير الاوثان ليس
برجس فهو كقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وليس فيه انه يحل قتل الاولاد في غير خشية املاق فعلى
ذلك هذا واجتنبوا قول الزور يحتمل كل تعدد زور ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الشريك والولد وما لا يليق
به وقوله تعالى حنفاء لله اي كونوا مخلصين لله تعالى في جميع اموركم غير مشركين به في ذلك فذكرنا قبل هذا
وجائز ان يكون قوله غير مشركين به في ذلك والله اعلم وقوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق يحتمل ضرب مثل من اشرك بالله تعالى بالساقط من السماء واختطاف
الطير وهوي الريح في مكان سحيق وجوها احدها ما وصف وضرب مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات نحو ما ضرب
مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ونحو ما قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا مثل الكفر بشيء لا قرار له ولا ثبات فعلى ذلك ضرب مثله
بالساقط من السماء تخطفه الطير او تهوي به الريح لا تدري اين هو ولا اين يطلب له ولا يظفر به فعلى ذلك
الكافر والله اعلم والثاني ضرب مثله بالساقط من السماء وهو ابعد البقاع في الاوهام لا ينتفع بمن سقط منها
ولا شيء من نفسه ولا يبقى نفسه فذلك الكافر لا ينتفع بشيء من محاسنه ولا يبقى نفسه ينتفع بها لبعده
عن دين الله تعالى والله اعلم والثالث من سقط من السماء اذا سقط منها في نفسه وفي جميع جوارحه وغير ذلك
كله حتى لا يرجى برؤه ومن صحته فعلى ذلك الكافر يظهر آثار الكفر في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله تعالى
والله اعلم وقال بعضهم هذا مثل ضربه الله تعالى لمن اشرك به في هلاكه وبعده من الهدى والسحيق البعيد يقال
اسحق يسحق سحقا فهو سحيق اذا بعد والسحق الشيء الخلق يقال اسحق الثوب فهو مسحوق وسحق الثوب بنفسه فهو
سحيق والسحوق النخلة الطويلة وقوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فذكرنا تأويل
قوله ذلك في قوله ومن يعظم حرمات الله ثم تأويل قوله ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وهكذا
الامر الظاهر في الناس انه اذا كان شيء من تقوى او خير ظهر ذلك في الجوارح وكذلك الشر ايضا اذا كان في القلب
ظهر في الجوارح وقوله حرمات الله وشعائر الله قال بعضهم هما واحد وهي المناسك وقال بعضهم الحرمات هي جميع
محارم الله ومعاصيه يتقيها تعظيما لها وقد ذكرنا تأويل الشعائر في سورة المائدة وقوله تعالى لكم فيها
اي فيما ذكر من الشعائر منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق قال بعضهم لكم فيها منافع من ظهورها
والبانها واصوافها الى اجل مسمى الى ان يقلدوه هديا ثم محلها اذا قلدت واهديت الى البيت العتيق وعلى
قول اصحابنا انه من اوجب بدنة او اهدى هديا لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها الا في حال الاضطرار
فاذا بلغت محلها ونحرت حل الانتفاع بلحمها ومنهم من قال في قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى وقت
ركوبها وحلب اللبن وجز الصوف وغير ذلك مما كانوا ينتفعون بها من قبل ان يقلدوه وذكر حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم

رأى رجلا ساق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله فقال اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها
ويلك وفي رواية اركبها ويحك وبه تعلق بعض الناس باباحة الانتفاع بالهدايا والقلائد قبل ان تنحر ونحن نقول
لكن ذلك عندنا في وقت الحاجة الشديدة من اضطر اليها وفي مثل ذلك يكون الانتفاع بمال الغير بدل
فعلى ذلك بالهدايا ينتفع بالهدايا ويضمن ما نقصها ركوبه عليها والله اعلم وجائز ان يكون قوله لكم فيها منافع
الى اجل مسمى الى ان يهلك ويستهلك ثم كقوله ومتاعا الى حين اي الى وقت هلاككم اذا ثبت الاول ثم قوله
ثم محلها الى البيت العتيق ابتداء سؤال سئل عن محل الهدايا والقلائد فقال عند ذلك محلها الى البيت العتيق
والاول اشبه واقرب ثم قوله الى البيت العتيق معلوم انه لم يرد نفس البيت واذ كان البيت انما اراد البقعة
التي فيها البيت لانه لا تنحر لا تراق في البيت انما تراق في تلك البقعة التي فيها الا ان الحرم كله منحر ومذبح
واراد بقوله وليطوفوا بالبيت العتيق البيت الا ترى انه قال ههنا بالبيت وانما يطاف به وههنا قال الى البيت
اضاف اليه دل انه لم يرد نفس البيت ولكن البقعة التي فيها البيت والله اعلم وقوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا
وقال بعضهم المنسك الموضع الذي يعتادون ويسكنون فيها ويصيرون لعبادتهم ومن ذلك سمي
الرجل العابد ناسكا وكذلك قال منسكا اي عيدا يصيرون ويخرجون اليه للعبادة وقيل المنسك
الذي ويقال الشريعة وقال بعضهم المنسك المذبح والمنحر وجائز ان يسمى في اللغة الذبح نسكا كقوله
ففدية من صيام او صدقة او نسك وهو الذبح وقال ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
ولو كان النسك عبارة لذكر الصلاة وهي عبادة لكان لا يذكر النسك فدل ان اراد بالنسك الذبح
وقوله تعالى ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام دل قوله ليذكروا اسم الله ان من شرط الذبيحة
ذكر اسم الله فلم يذكر الذبح ولكن ذكر اسم الله الذبح دل انه من شرط جوازه وحله خلاف قول الشافعي فانه يقول
ما نهلك بالتسمية لان الامم جميعا حيث لم يجعل اسم الله تعالى من شرط الذبيحة وقوله تعالى فالهكم اله واحد كانه
ذكر قوله ولكل امة جعلنا منسكا لقوم نحو الذبائح فقال لكل جعلنا منسكا اي اتخاذ نحوه فذكر
اسم معبودهم عليه ثم اخبر ان معبوده واحد وقوله تعالى فله اسلموا وبشر المخبتين قيل المتواضعين وقيل المطمئنين
وقيل الخاشعين وقيل المخبت كل مجتهد في العبادة وقيل المخلصين ولكن تفسير المخبت ما ذكر على اثره
حيث قال الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى آخره وقال المخبت المطمئن قال الخبت الطمأنينة وقوله منسكا
ومنسكا بنصب السين وكسرها لغتان قال الكسائي فمن قرأه بكسر السين فهو من نسك ينسك ومن قرأ منسكا بالنصب
فهو من نسك ينسك وقوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خافت وفرقت خوفا منه وقوله تعالى
والصابرين على ما اصابهم من المصائب والرزايا وقوله تعالى والمقيمي الصلاة فقد ذكرنا تأويله فيما تقدم
في سورة الانفال وقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال بعضهم من فرائض الله وقال الحسن
من دين الله والاشبه ان يكون قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اي من معالم دينه وعبادته ونسكه لان
الشعائر هي المعالم في اللغة خصت بها المناسك دون غيرها من العبادات بجعلها معالم لها والبدنة سميت
بدنة لما نظر في نفسها او بدن يقال للرجل اذا عظم في نفسه بدن فلا نطاهر ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزي عن سبعة والبقرة تجزي عن سبعة ان البدنة هي الجزور في الابل حيث
قال البدنة تجزي عن سبعة والبقرة عن سبعة فرق بين البدنة والبقرة بالذكر وقوله تعالى لكم فيها خير
قال بعضهم المنافع الحاضرة من الركوب والحلب والحمل عليها تعبد ما قلدت واوجبت هديا وقال بعضهم
لكم فيها خير ما الى ان تقلد فاذا قلدت فلهم الاجر في الآخرة وكان هذا اشبه ان يكون قوله لكم فيها خير
اي الاجر في الآخرة لانه لا انتفاع بها لا يحل الى ان وجب بدنة الا في حال الاضطرار لانه قال في آية اخرى لا تحلوا
شعائر الله ونهى الانتفاع بها احلال الشعائر كذلك قال اصحابنا انه لا ينتفع بالبدن على ما ذكرنا والله اعلم
وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف فيها لغات ثلاث احدها صواف بالياء وهو من الاخلاص
والصفوة والثاني قرئ بالنون وهو ان يجعل الدابة ثلاث قوائم منها ويرسل واحدة مطلقة والثالث
صواف بتشديد الفاء اي قياما مصطفة ويجوز ان يكون جميع ما ذكر مراد بالآية ان يجمع فيها من الاخلاص
وعقل القوائم وكذلك جاءت السنة ولا تنافي الجمع بين هذه الاشياء وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
صوافن بالنون فظاهر الآية يدل على القيام لانه قال فاذا وجبت جنوبها اي سقطت كما يقال الشمس وجبت
اي سقطت والسقوط انما يكون من القيام فدل انها تنحر قياما مصطفة والله اعلم وقوله تعالى وكلوا منها
واطعموا القانع والمعتر قال بعضهم القانع هو الراضي وهو من القناعة وقال بعضهم هو السائل وهو من القنوع
والمعتر هو الذي يعتريك ولا يسأل والقانع هو الجالس في بيته ونحوه قال القتبي القانع السائل يقال قنع

يقنع قنوعا ومن الرضا قنع يقنع قناعة والمعتر الذي يعتريك ولا يسأل يقال اعتراني وعراني واعتراني وعرّني ... ابو عوسجة القانع السائل والقنوع السؤال والقناعة من الرضا يقال منه قنع يقنع قناعة ويقول قنعته اي ارضيته وقنعتها اي اعطيت راسه بالقناع ونحوه ويقال ان المعتر اعترهم وامترى وعراهم وا ... كلها واحد وعن ابن عباس رضي الله عنه القانع الذي يقنع بما اعطيته والمعتر الذي يريك نفسه ولا يسأل وقوله تعالى كذلك سخرناها لكم اي البدن التي ذكرها ثم يحتمل ما ذكر من تسخيره اياها لنا وجهين احدهما كذلك سخرناها لكم اي كما سخرناها لكم لتركبوا بها او تحمل عليها وانواع الانتفاع بها في حال الحياة كذلك سخرناها لكم ذبحها ونحرها حتى قدرتم على ذلك لعلكم تشكرون لعلي ذلك او ان يكون قوله سخرناها لكم اي مثل التي وصفته لكم كل ذلك من تسخيره اياها لكم والله اعلم وقوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم هذا يحتمل وجهين احدهما لن يقبل الله ذلك الا ممن كان من اهل التقوى لا يقبلها من اهل الكفر لانهم كانوا ينحرون البدن في الجاهلية على ما ذكر فاخبر انه لا يقبل ذلك الا ممن كان من اهل التقوى وهو كقوله انما يتقبل الله من المتقين والله اعلم والوجه الثاني ان يكون قوله لن ينال الله لحومها اي لن ترفع الا الاعمال الصالحة الزاكية ومما كان بالتقوى فاما ما كان من غيرها فانه لا يرفع ولا يصعد بها وهو كما قال ولكن يناله التقوى منكم وقال بعض اهل التاويل ذكر هذا لان الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن نضحوا بدماها حول البيت يتقربون بها الى الله تعالى فاراد المسلمون ان يفعلوا مثل ما فعلوا فنزل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقوله كذلك سخرها لكم وقد ذكرنا وقوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم اي لتصفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هداكم من اسباب تسخير البدن التي بها يوصل الى الانتفاع بها من انواع الانتفاع اذ لولا فضل الله تعالى وتعليمنا من الاسباب التي بها نسخر وبذلك والا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها وشدتها وصلابتها وكذا يحتمل ان يكون قوله على ما هداكم بعض ما امر الذين هداهم والله اعلم وقوله تعالى وبشر المحسنين يخرج قوله المحسنين على وجوه احدها المحسنين الى انفسهم او المحسنين الى اخوانهم او للذين حسنوا لله تعالى في جميع عملهم فاما المحسنين الى الله تعالى فلا يحتمل والله اعلم وقوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا وفي بعض القراءات ان الله يدفع عن الذين امنوا بغير الف وتاويل يدفع اي يدفع عن الذين امنوا جميع شرور الكفرة وأذاهم وتاويل يدافع اي يدافع الكفار عنهم وينصر المؤمنين عليهم وكان قوله يدافع عن الذين امنوا بمكة وعد الذين كانوا هنالك النصر والدفع عنهم في حال قلتهم وضعفهم وكثرة اولئك الكفرة وقوتهم هنالك كانوا كذلك اعني بمكة قليلا ضعيفا ويكون ان الله لا يحب كل خوان كفور بالمدينة لانه هنالك كان اهل خيانة لانهم اهل كتاب امنوا على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واشياء فخانوهم وكتموها فلم يكن يومئذ بمكة احد منهم انما كانوا جميعا اهل شرك فيشبه ان يكون ما ذكرنا او ان يكون قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور نزل في ما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه فاخبر انه لا يحب كل خوان كفور على ما يقولون بل يبغضهم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لكان ذلك احتج عليهم انه بالله عرف ذلك والله اعلم وقوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعض اهل التاويل ان المشركين كانوا لا يزالون يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقاتلونهم وهم لم يؤمروا بقتالهم فلما هاجروا الى المدينة امروا بقتالهم بقوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقال بعضهم انهم لم يكن الامر بقتالهم ولا الاذن فيه حتى كان ... ولئك انكم لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا فاخبر انهم اذنوا او امروا بالقتال معهم والله اعلم وفي الاية يقتضي انه كان هنالك منع عن القتال حتى اذنوا وامروا ولكن لا ندري لاي جهة كان ذلك والله اعلم وحكم وقوله تعالى وان الله على نصرهم لقدير ظاهر على ما اخبر وقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله قال بعض اهل التاويل اخرج الكفار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من مكة بغير حق بان قالوا ربنا الله وامنوا به وحده لما اخرجوهم وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير يقول كانه قال الذين ظلموا واخرجوا من ديارهم انهم يقاتلونهم الا ان يقولوا ربنا الله فاذا قالوا ذلك يرفع عنهم القتال لان اهل مكة كانوا لا يعرفون بالله وحده ولا يؤمنون به فاذا قالوا ذلك وقعوا به ... وحده رفع عنهم القتال واما من يقر ويصدقه لكن ينكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته فلم يقر بها ولا يصدق بها فان القتال لا يرفع عنهم فمن يقر بها ويصدق بها فاذا اقر بها رفع عنهم القتال وعلى ذلك كله يخرج الخبر انه قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفي خبر اخر حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلاة واتوا الزكاة الى اخر ما ذكر فالاول في الذين لا يقرون بوحدانية الله تعالى فاذا اقروا به رفع عنهم القتال والثاني في الذين يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة

فاذا

فاذا امنوا بها رفع عنهم القتال والثالث في الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله لكنهم ينكرون الشرائع فاذا اقروا بها رفع عنهم القتال فاذا الكفار انواع وفرق فجاء من كل فريق ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع الاية وقال في موضع اخر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وفي موضع اخر لفسدت السموات والارض الاية قال بعضهم دفع بالنبيين عن المؤمنين ودفع بالمجاهدين عن القاعدين بالقتل ويدفع لهدمت كنا وما ذكر ويدفع بالاخيار عن الاشرار بالاخيين عن الادون ولولا ذلك لهدمت وفسد ما ذكر قال بعضهم لولا ان الله تعالى دفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعلها لفسدت الارض ولهدمت الصوامع ومما دل على ذلك ما روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه صلى باهل دمشق صلاة الصبح فقال لو يعلم الناس ما في هذه الصلاة من الخير لحضروها ثم قال لولا ان الله يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قبلا او كلام نحو هذا وقال الحسن ان في الصوامع والبيع والكنائس من الرهبان والاحبار من يتمسك بالاسلام وشرائعه فيدفع بهم عمن لا يتمسك بذلك وقال بعضهم لولا دفع الله تعالى باهل هذا الدين اي الاسلام عن الاديان كلها لكان كذا وقال بعضهم دفع بالمسلمين عن مساجدهم وبالنصارى عن بيعتهم وباليهود عن كنيستهم الى هذا ذهب اهل التاويل وعندي والله اعلم ان هذا كان مناسبه واقرب وهو ان الله تعالى خلق هذا الخلق وجعل بعضهم عونا للبعض وردا وادرا لحاجاتهم والذين جميعا وجعل منافع بعضهم متصلة ببعض ولو كلف كلا القيام بنفسه فيه لهلكوا لم يكن في وسعهم القيام بذلك نحو ان لو كلف احدا القيام بجميع ما يحتاج اليه من الحراثة والزراعة والحصاد والدراس والتذرية والطحن والخبز وغير ذلك لما لو كلف واحدا القيام لنفسه بنفسه بذلك كله ولكن جعل بعضهم عونا للبعض وردا لهم في الانتفاع بعضهم ببعض وكذلك الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القياس ما لو كلف كلا بنفسه القيام بذلك كله لهلكوا فاذا هلكوا هلك ما لهم خلق من السموات والارض وما فيهما وما سخر لهم والله اعلم وقال بعضهم دفع بما يذكر اهل المساجد في المساجد اسماء الله تعالى عن اهل الصوامع والبيع والكنائس وهو قريب مما ذكرنا من قبل ثم اختلف فيما ذكر من الصوامع والبيع والصلوات قال بعضهم الصوامع للرهبان والبيع للنصارى وصلوات كنائس التي تكون لليهود والمساجد للمسلمين وقال بعضهم الصلوات للصابئين وقال القتبي الصوامع للصابئين والبيع للنصارى وصلوات بيوت صلوات اليهود والمساجد للمسلمين وقال ابو عوسجة الصوامع للرهبانية والبيع للنصارى مصليهم والصلوات لليهود وهي شبيهة البيعة والله اعلم وقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دين الله تعالى نصره او من نصر اولياء الله نصره وقال الحسن من نصر حكمه من نصر الله تعالى نصره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى ان الله لقوي عزيز يحتمل قوي بنصر اوليائه عزيز لانتقام اعدائه او ان يكون قوله القوي العزيز اي قوي تضعف كل قوى من دونه عند قوته وعزيز يذل كل عزيز عند عزه او قوي لا قوي سواه عزيز لا عزيز سواه ثم في قوله لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع الاية دلالة ترك الكنائس والبيع وما ذكر على حالها والنهي عن هدمها وقوله تعالى لانه ذكر الصوامع والبيع وعلى ذلك تركت الكنائس والبيع في امصار المسلمين لم يهدم ولا خلاف بين اهل العلم في ذلك وانما يمنعون عن احداث البيع والكنائس في امصار المسلمين فاقروهم وما العتيقة منها فانهم يتركون ذلك والله اعلم وقوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة الى اخره قال بعضهم هذا نعت من الله سبحانه وتعالى لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ومدح لهم بالدوام على دين الله تعالى الذين قتلوه واخذتهم في حال الخوف بعد ما مكن لهم في الارض وامنهم من الخوف الذي كان في الابتداء واخبر انهم داموا على ذلك فلم يتركوا ما كانوا عليه بل زادهم حرصا على ذلك وجهد وكذلك الاية التي في سورة النور وهي قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني الاية فان كان التاويل هذا فهو رد على الروافض لانهم ... الله تولاهم ومنعهم لانهم يقولون ان الخلافة لابي بكر رضي الله عنه باجماعهم عليها ... وعدهم الذين الذي اختاروه والاتيان بذلك على نقض قولهم لان الله تعالى اخبر انه مكن لهم في الارض واستخلفهم في الدين ثم الجنة وانما ارتدوا عن كان اسلامه بالقهر والغلبة فاذا امكن لهم تركوا ذلك وقال بعضهم في الاية وان كان ظاهرها خبرا فهو في الحقيقة امر اي افعلوا كذا الى اخر ما ذكر وقوله تعالى ولله عاقبة الامور يحتمل لله عاقبة الامور اي يرجع اليه عاقبة الامور في فعله والى الله ترجع الامور وجائز ان يكون قوله عاقبة الامور الى ...

من النصر والقهر لاعدائه والمراد بالاضافة اليه اولياؤه وكقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا
اولياء الله ينصركم وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح الاية يخرج هذا على وجهين احدهما
وان يكذبوك فيما اخبرتهم وذكرت من التمكين والثبوت على الدين ووعدتهم الجنة فقد كذبت الامم الذين
من قبلك رسلهم فيما اخبروا المرسلين او وعدوا لهم بنصر او نحوه وجائز ان يكون وان يكذبوك في الرسالة وفيما
يخبر عن الله تعالى من الاخبار فقد كذبت الامم المتقدمة رسلهم في ذلك تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول لست باول مكذب في الخلق ولكن قد كذب الاقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة
وهو ما قال وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك الاية وقوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم
فكيف كان نكير اي لم يعاتب الله تعالى قوما كذبوا رسلهم وقت تكذيبهم الرسل بل امهلهم حتى عتوا
بتاخير العذاب عنهم وزاد لهم تكذيب وعناد فعند ذلك اخذوا وعوقبوا بالتكذيب وهو ما اخبر عنهم
وهو قوله لولا يعذبنا الله بما نقول الاية وقال الحسن لم يهلك قوما باول التكذيب ولكن امهلهم قرنا
وقرنا وقوما بعد قوم ورسولا بعد رسول فعند ذلك اذ علم منهم انهم لا يؤمنون اهلكهم وان كان يعلم
في علم ظهور وعلم ابتداء انهم لا يؤمنون نحو قوله حتى نعلم المجاهدين منكم اي ليعلم ظهوره من الخلق وكان
يعلم علم باطن وخفي وقوله تعالى وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة لم يهلك الله عز وجل قرية اهلكها
استيصال وتعذيب الا بعد عناد اهلها وظلم منهم كقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
وكقوله وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا الاية على ما ذكرنا وقوله تعالى فهي خاوية
على عروشها قال بعضهم اذهب السقف وبقيت الحيطان فهي خاوية على عروشها وقال بعضهم
اي خربة ساقطة حيطانها على سقوفها وقال الحسن العرش كل ما ارتفع من الارض ويقال العرش والعروش
جمع وقال بعضهم ويحتمل كانما اهلك الله تعالى من القرى منها ما اهلك اهلها وترك القرى والبنيان
على حالها لا اهلها نحو قرى فرعون وقومه وغيرهم ومنها ما اهلك القرى واهلها لم يترك منها شيئا نحو
قريات لوط وهود وهو لا وقال بعضهم العروش هو احدام البنيان وانهدام الشجر اي اصولها نخل كالخاوية
واصل الخاوي الخالي فارغ عن الاهل وكذلك المعطلة وبئر معطلة وقصر مشيد قال بعضهم مشيد محصن
والشيد الجص وقال بعضهم مشيد مرتفع والمشيد المشدد المطول المرتفع وقال القتبي المشيد المجصص
بالشيد وهو الجص والمشيد المطول يقال لهما سواء وهو مطول وكذلك قال ابو عوسجة وقريبا منه وكان
ذكر هذا لاهل مكة لوجهين احدهما انه كانت لهم قرى فيها قصور مشيدة محصنة يتحصنون بها يخبر ان
من كان قبلكم اشد منكم قوة واكثر حصنا وقصورا فلما كذبوا رسلهم لم ينفعهم ذلك ولكن اهلكهم الله
تعالى فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل باولئك والثاني ان يكونوا امنين مطمئنين فقال اولئك
قد كانوا مطمئنين في قرارهم بامنهم ثم نزل بهم ما نزل فانتم وان كنتم امنين ينزل بكم مثل ما نزل باولئك وهو
ما قال ضرب الله مثلا قرية امنة مطمئنة الاية وقوله تعالى افلم يسيروا في الارض اي هلا ساروا في الارض
فتكون لهم قلوب يعقلون بها فينظروا واعتبروا ما حل باولئك من التكذيب فيمتنعوا عنها او اذان يسمعون
بها اي لم يسيروا في الارض حتى يسمعوا الاخبار فيها ذكر هلاكهم وما نزل بهم من العذاب بالتكذيب
والعناد لان ما حل بالاولين انما يعرف ذلك باحد امرين اما بالمعاينة بالنظر واما بالسماع من الاخبار ويحتمل
ان يكون قوله افلم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض لكنهم لم يكن لهم قلوب وعقول وافهام يعقلون
بها ما نزل باولئك بالتكذيب فيعتبروا بذلك والا كانت لهم اذان يسمعون بها ما حل بهم اي لو كانت
لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر واذان يسمعون بها لو سمعوا حق السماع لكنهم لم ينتفعوا بعقولهم
واسماعهم نفى ذلك عنهم وهو ما قال فانها لا تعمى الابصار لا ابصار الظاهر ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
وهو كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان لتركهم الانتفاع بها كقوله صم بكم عمي الاية وقال بعضهم هذه
الاية في شان عبد الله بن زائدة بن ام كلثوم الاعمى معناه ان العمى عمى القلب ليس عمى البصر وهو كان اعمى
البصر لا اعمى القلب هذا معناه ان ثبت والله اعلم وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده اي لن يخلف وعده الذي وعد في نزول العذاب انه ينزل بهم لا يتقدم ولا يتاخر عن يوم
وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال عامة اهل التاويل نحو ابن عباس والضحاك
ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم انما هي الايام التي خلق الله تعالى فيها الدنيا وجعلها اجلا لها فيعد كل
يوم كل يوم من تلك الايام كالف سنة الى هذا صرف عامة اهل التاويل ولا نعلم لذلك وجها وقال بعضهم
الى هذا صرف عامة اهل التاويل ولا نعلم لذلك وجها وقال بعضهم فان يوما عند ربك من عذابهم

في الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اليوم الف سنة ووجه هذا ان الوقت القصير القليل يجوز ان يصير
مديدا طويلا لشدة العذاب والبلاء نحو ما قيل لهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقصر ولعلهم في
شدة ما عاينوا من العذاب فعلى ذلك هذا والله اعلم وجائز ان يكون هذا لا للتوقيت والمدة اذ الاخرة لا غاية
لانتهائها وكل شيء لا غاية لانتهائه فذكر الوقت يخرج مخرج التمثيل لا للتوقيت كقوله وجنة عرضها كعرض السماء
والارض وقال عرضها السموات والارض ليس على التحديد لها والتوقيت لكن على ما خرج من الاوهام ذكر ذلك فعلى
ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة اي امهلت لها فلم اخذهم وقت ظلمهم
ثم اخذتها بعد ذلك والي المصير وقوله تعالى قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين هو ظاهر وقوله تعالى فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم ومعاشهم ورزق كريم قال بعضهم سماه رزقا لانه رزق حلال
واعطي بكرم ويعظم قدره وقال بعضهم سماه كريما لان الكريم هو الذي تقضى عنده الحوائج فعلى ذلك هذا الرزق
من ناله واصابه تقضى عنده الحوائج لذلك سمي كريما والله اعلم وقوله تعالى والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك
اصحاب الجحيم وفي بعض القراءات معجزين قال بعضهم معاجزين مثبطين يثبطون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه
وسلم والاشبه عندنا ان يجعل معاجزين سابقين فاتنين لكثرة على الاصنام كانه قال الذين سعوا في
اياتنا على ظن منهم انهم سابقون فائتون عن عذابنا اولئك اصحاب الجحيم وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قيل في قوله القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته
وقراءته الايات وقال عامة اهل التاويل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تمنى اي تلا في صلاته ما حدث نفسه
وتفكر في شيء في نفسه القى الشيطان على لسانه عند تلاوته بالنجم اذا هوى حتى انتهى الى قوله افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وذكروا انه اتاه على صورة جبريل عليه السلام
ما ذكروا ثم ان جبريل عليه السلام نزل عليه فاخبره فقال انه لم ينزل عليه قط مثل ذلك وامثال هذا قالوا لكن
هذا غير صحيح لو كان ما ذكروا لا كيف عرف في المرة الثانية انه جبريل عليه السلام وانه ليس بشيطان
ولا يؤمن ان يلبس عليه في وقت اخر فيما انزل وقال قتادة انه عليه السلام يتمنى ان يذكر الله عز وجل الهتهم بعيب
فلما قرا تلك الاية ومناة الثالثة الاخرى قال انهن الغرانيق العلى فان شفاعتهن ترتجى عندهم يعني عند
اولئك الكفرة وهم على ذلك كانوا يعبدون وقال الحسن انه اراد بقوله تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى
الملائكة لانهم كانوا يعبدون الملائكة رجاء ان يشفع لهم يوم القيمة فلحق بشفاعة الملائكة ترتجى
وهذا التاويل اشبه من الاول ولكن الاشبه عندنا ان يكون على غير هذا الذي قالوا وهو ان قوله وما ارسلنا
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي عند تلاوته القران في قلوب الكفرة ما يجادلون
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاجونه وينسبون ذلك الى الاتباع ليتبعوهم وهو نحو قولهم يحرم
ما ذبح الله ويحل ما ذبحتم بانفسهم ونحو قولهم عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون فقالوا ان عيسى وعزيرا والملائكة عليهم السلام عبدوا من دون الله فهم حصب جهنم اذن
ويخوضون فيهم وقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى حسابا الجمل وامثال هذا مما جادلوا رسول الله صلى الله عليه
وجادلوه به فاخبر عز وجل انه ينسخ جدالهم ومحاجتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يحكم اياته حيث قال
عند قولهم انه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله تعالى فبين انه حرم وما احل الاخر وهو قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وحرم الاخر بترك ذكر اسم الله تعالى عليه وبين في قولهم ان عيسى عليه السلام عبد دون الله والملائكة
عبدوا دون الله والاصنام عبدوا دونه فالاصنام حصب جهنم دون هؤلاء حيث استثنى
فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وابطل جدالهم ومحاجتهم بعض فهم الاية
الى حساب الجمل بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الى
اخر ما ذكر فهذا والله اعلم تاويل ذلك وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته فنسخ
ما القى الشيطان في قلوب اولئك الكفرة ما به جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وحاجوه واحكم اياته
مما ذكرنا والله اعلم ثم ان ثبت ما روي عن ابن عباس وعامة من ذكرنا قالوا اجرى على لسان النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك عند تلاوته فجائز فقد يجري الخطا على لسان من عصم ذا عرف السامع منه مذهبه ودينه
الذي يكون به لا يعرف ان ما جرى على لسانه جرى غلطا وخطا عن من يعتقد مذهبا وينتحل نحلة فجرى
على لسانه خلاف ما يعرف منه الاعتقاد يعرف انه جرى على لسانه غلطا فعلى ذلك يذكر هذا التاويل ان ثبت ذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك فخلاف قولنا والاشبه فيه ما ذكرنا من القاء الشيطان في قلوب الكفرة
ما يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاجونه كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم

لا يتعالى الله اعلم وقال القتبي الا اذا تمنى اي اذا تلا كالقران القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته وكذلك
قال ابو عوسجة وأما في مشتد جمعه وقال بعضهم اذا تمنى اذا حدث وفي امنيته في حديثه وقال بعضهم تمنى تمني
من تمني النفس كقوله ولا يتمنوا ما فضل الله الاية وهو قول الحسن تمنى كبعض ما يتمنى الناس من الدنيا وقال الثاني
تمنى ما ذكرنا من تمنوا النفس ان تذكر الهتهم التي كانت تعبد وترجى شفاعتهم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض هذا على تاويل القتبي او ليجعل ما يلقي الشيطان في تلاوته
وحديثه للذين في قلوبهم مرض وعلى تاويلنا ليجعل ما يلقي الشيطان في قلوب اولئك الكفرة فتنة للذين ذكر
لما ظنوا العلة لا يقدر على الاجابة لهم او لا يحضره ما يجيبهم فيكون ذلك فتنة لهم والله اعلم وقوله للذين في قلوبهم
مرض كانهم هم المنافقون نعتهم بصفة المسمون بهذا الاسم كقوله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله تعالى والقاسية قلوبهم كانهم هم الرؤساء المكابرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اما الكفرة كلهم اذ كلهم موصوفون بقساوة قلوبهم كقوله ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة الاية وقوله تعالى وان الظالمين لفي شقاق بعيد يحتمل
لفي عناد ومكابرة بعيد من الاجابة له او بعيد لاستماع الحق وقيل شقاق اي خلاف بعيد لا يرجعون الى
الوفاق ابدا والله اعلم وقوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم قوله فتخبت له قلوبهم اي تخضع وتلين وهو ما ذكرنا
في قوله وبشر المخبتين وقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة هذه الاية
كالايات التي ذكرناها فيما تقدم من ذلك قوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته
هذه ايمانا فاما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم الاية ونحوها من الايات التي وصف
اهل التوحيد بالقبول لها والاقبال اليها ووصف اهل الكفر والنفاق بالرد والتكذيب فعلى ذلك
قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك لانهم نظروا اليه بالتعظيم والتبجيل والخضوع له
فاقبلوا به فزادتهم بذلك هدى ورحمة وشفاء واولئك نظروا اليه بالاستخفاف والهوان والتكذيب
فزادتهم لذلك رجسا وضلالا وقساوة والله اعلم وقوله تعالى او ياتيهم عذاب يوم عقيم قال بعضهم
هو عذاب يوم القيامة وهو شديد بعينه قال ابو عوسجة عقيم اي شديد وجائز ان سماه عقيما لانه لا يرجى
النجاة منه ولا الخير كانه عقيم عن ان يكون منه خير وفرج للكافر لذلك قال القتبي ولذلك سميت المراة التي لا تلد
عقيما لما لا يرجى منها الولد والله اعلم وقوله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم دون غيره لانه في الدنيا من
قد يحكم غيره فاما يومئذ فالحكم له خاصة وعندنا التخصيص الملك له يومئذ بالذكر وان كان في الايام
كلها له تعالى لانهم يعرفون له بالملك يومئذ لا احد ينازع فيه وفي الدنيا من يدعي الملك لنفسه وهو
ما ذكرنا في قوله وبرزوا لله جميعا وقوله والى المصير والى الله ترجع الامور ونحو ذلك فعلى ذلك والله اعلم
وقوله تعالى فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم
عذاب مهين ظاهر وقوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية اما اهل
التاويل فانهم صرفوا الاية الى الغزاة والمجاهدين في سبيل الله قتلوا او ماتوا حتف انفسهم بانهم ما ذكر
من الرزق الحسن والمدخل المرضي فظاهره ان يكون في الذين هاجروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
منهم خفية ان لا ينقص قول الروافض حيث قالوا ارتدوا عامتهم حيث شهد الله تعالى لهم بالجنة والرزق
الحسن والمدخل المرضي قتلوا او ماتوا حتف انفسهم ولا يحتمل ان يكون منهم ما قالوا وقوله تعالى ليرزقنهم
الله رزقا حسنا قيل هو الجنة لانه انما ذكر بعد الموت والموت فلا يكون رزق حسن الا من فضله
فلا يكون رزق حسن الا في الجنة يستحسنها كل طبع وعقل وقوله تعالى وان الله لهو خير الرازقين اخبر
انه خير الرازقين وان لم يكن رازق سواه لانهم كانوا يطمعون ويطلبون الرزق والسعة فاخبر انه
هو الرزاق ومنه يطمع الرزق والسعة لانه هو الملاك لذلك والله اعلم وهكذا قال الحسن لخالق لانه
خالق سواه وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة ايضا رضي بها كل طبع وعقل وقوله تعالى
وان الله لعليم حليم بما صنع باوليائه اعداؤه او ما صنع هو باوليائه حليم حيث اخر الانتقام من اعدائه
لم ينتقم منهم وقت صنيعهم بما صنعوا باوليائه والله اعلم وقوله تعالى ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم
بغي عليه لينصرنه الله قد ذكرنا ان حرف ذلك وحرف هذا على الابتداء بالثاني والقطع عن الاول لعل ذلك
لما يحسن الابتداء به دون ذكر ذلك الحرف نحو قوله وان للمتقين لحسن مآب يستقيم ذكره بدون ذكر
ذكر هذا فلذلك هذا ويحتمل ان يكون ذكر ذلك صلة ما سبق من ذكر الانباء والاخبار يعقل ذلك

الذي ذكرت لك وما اتاك من عاقب بمثل ما عوقب به ثم اختلف في سبب نزول هذه الاية قال بعضهم هي
في القصاص ان من قتل على آخر فاقتص منه ثم المقتص منه بغى على ولي المقتول فقتله لينصرنه على ما بغي
وهو ما ذكر في آية اخرى وهو قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم لكن ذكر هنا الاعتداء بغيا الحد لما لم يعف وفي
ذكر النبي بعد القصاص حكما واحدا في المعنى اذ لا يبقى له حق بعد ذلك وقال بعضهم انه نزل في المؤمنين
والمشركين وذلك ان المشركين عاقبوا المؤمنين بعقوبات واعتدوا عليهم ثم ان المؤمنين ظفروا بهم
فعاقبوهم جزاء عقوبتهم ثم ان المشركين بغوا على المؤمنين فوعد الله لهم النصر عليهم بعد البغي وقال
بعضهم قريبا من هذا وهو ان المشركين كانوا يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن من منهم
وبغوا عليهم في اشهر الحج ولم يكن للمؤمنين اذن في قتالهم في ذلك الوقت فقاتلوهم مكافاة لهم فاحل الله
ووعد لهم النصر اذا بغى اولئك عليهم من بعد فعلى هذا التاويل يكون نظم الوعد بالنصر بعد ما بغى اولئك
على قولكم والله اعلم وقوله تعالى ان الله لعفو غفور للمؤمنين بقتالهم اولئك في اشهر الحج حيث كان
لم ياذن لهم بالقتال فيها وان الله لعفو غفور لاولئك اذا تابوا ورجعوا عما فعلوا والله اعلم وقوله تعالى ذلك
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قد ذكرنا ان حرف ذلك يستقيم ذكره على الابتداء
والاستئناف على غير صلة وجائز ان يكون صلة قوله لينصرنه الله اي ذلك النصر لهم لان من قدر على ايلاج
الليل في النهار وايلاج النهار في الليل قادر على ما وعد من النصر لهم وقوله تعالى وان الله سميع بصير اي سميع
لاقوالهم بصير بحوائجهم والسميع يقال هو المجيب اي مجيب لدعائهم بصير بما يكون من الاعداء والله اعلم
وذلك وان يكون على الابتداء في كل امر وكذلك قوله ذلك بان الله هو الحق هو ما ذكرنا وقال اي ذلك
بان الله هو الذي يفعل هذا وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق قال الحسن هو اسم من اسماء الله تعالى يعطي
ويمنع وبه يحكم بين الخلق وبه يقضي ونحوه وجائز ان يكون قوله ذلك بان الله هو الحق اي عنده ما يحق
ما يطمع في عبادته ويطلب اذ هو المالك لذلك وان ما يدعون من دونه هو الباطل اي ما يطمعون بعبادة
من دونه باطل وهي الاصنام التي عبدوها رجاء الشفاعة او طمعا في السعة فاخبر انها لا تملك ذلك
وقوله تعالى وان الله هو العلي الكبير اي على ما عنده تطلب العلو والمنزلة ومن عنده يطمع الرزق
والسعة والشفاعة والنصر والظفر والاجابة لا من عندها ولا الاصنام التي تعبد تملك ذلك سفههم
لعبادتهم الاصنام من دون الله تعالى وقوله تعالى الم تر اختلف فيه قال بعضهم الم تر انما هو حرف تعجب
يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يفعل من فعل الله عز وجل وقال بعضهم الم تر هو حرف ايضاح
الحجة والبراهين كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل هو ونحوه واصله انظر وان كان استفهاما فهو
في الحقيقة تحقيق وايجاب الم تر اي قد رايت وقد علمت وهكذا جميع ما يذكر بحرج الظاهر في الكتاب مخرج
الاستفهام هو في الحقيقة ايجاب بكل امر والله اعلم وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة وجائز في الاستدلال على منكري البعث احدهما لخبر عن قدرته وسلطانه انه من قدر على انزال الماء
من السماء وشق الارض واخراج النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الارض وشدتها قادر على احيا
الخلق بعد الموت ولا يعجزه شيء والثاني انه قدر على احياء الارض بعد موتها وتيبسها الغلد على البعث
والاحياء وقد عرفوا ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه اذ قد يقدر على الاعادة من لا يملك على الابتداء اذ عرف
الابتداء وقوله تعالى ان الله لطيف خبير قال الحسن اللطيف في الشاهد يقال على ثلاثة وجوه احدها انه يقال
للشيء لطيف لدقته ورقته وذلك عن الله تعالى منفي والثاني يقال اللطيف لما لا يبلغ له الاشياء ولا تصعب
عليه والثالث اللطيف البر على الخلق وهذان الوجهان تضافان الى الله تعالى والاول لا يجوز اضافته
اليه وقيل خبير عليم وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد يخبر ان له
ما في السموات وما في الارض وانهم عبيده واماؤه وانهم لم يخلقهم لحاجة نفسه ولكن انما خلقهم
لانفسهم حيث اخبر انه الغني بذاته والثاني يخبر انه لم يامرهم ولم ينههم ولا امتحنهم لمنافع ان تكون له لكن
للمنافع المحض والحمود في فعاله الحمد في فعاله والحميد الحامد وقوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
والفلك تجري في البحر بامره يذكرهم نعمته ليستادى به شكره وانه اخبر انه سخر لهم ما في الارض من انواع
المنافع ليعلموا انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى لان من خلقه لما ذكر لم يكن خلقه ليكون خلقا متروكا سدى
ويخبر انه اعطى لهم الاسباب التي بها يصلون الى المنافع الارض مع شدتها وصلابتها والاسباب التي بها يصلون
الى منافع البحر هي الفلك الذي خلقها لهم ليصلوا بها الى منافع البحر حيث جعلوا لهم الخشب فلا يغرقها على وجه الماء

متشبثة وغيرها من الاشياء من طبعها التسفل والتشرب من الحديد والحجر ونحوهما السفن في فضله ورحمته
انه كيف ثبت وتوجهنا على وجه الماء ولم يرسب الحديد بل يمسك الحديد على وجه الماء مع الخشب اذ السفن لا تخلو
من الحديد وبه تقوم السفن ثم لم تتشرب وقوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه اي يمسك
السماء لا بالاسباب والاشياء التي تمسك الاشياء في الشاهد وهو ما قال ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده الاية وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم اي من رأفته
ورحمته ما خلق لهم وسخر ما ذكر وقوله تعالى وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم هذا قد ذكرنا في غير موضع
وقوله تعالى ان الانسان لكفور جائز ان يكون قوله ان الانسان اي الكافر كفور النعم او لكفور لربه
في نعمه التي انعمها عليه وقد كان سخرها لهم في قوله سخر لكم كذا الاية نظر في الاشياء والحيل التي
لا ينظر الى فضل به وانعم الله في تلك النعم لذلك صار كفورا لربه في نعمه واما المؤمن فانه ليس ينظر الى الاشياء
والحيل التي فيها ولكن ينظر الى فضل الله تعالى وافضاله النعم عليه فيها فيكون شكورا لربه من كون
لها المعتزلة داخلون في قوله ان الانسان لكفور لانه تعالى يقول هو الذي سخر الفلك وهم يقولون لم يسخر لكن
انما سخر الخشب التي منها تتخذ الفلك لانهم لا يرون لله تعالى في فعل العباد تدبيرا ولا صنعا والخشب يصير فلكا
بصنع العباد فهم يكفرون نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا فتكون نعم داخلين تحت هذه الاية على
الوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اختلف في المنسك قال
بعضهم هو الدين اي جعلنا لكل امة دينا يدعون اليه اي كل امة تدعى الى دين تختاره هو دين الاسلام وهو
قول الحسن وقال بعضهم اي جعلنا لكل امة شريعة وهذا على الاختلاف اي جعلنا لكل امة شريعة على حدة
هم ناسكوه ذلك كقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال عامة اهل التاويل منسكا اي ذبائح
وهديا قال الو ذكر هذا والله اعلم لان من الناس من ينكر ان الذبائح شريعة الله تعالى فلم ينكر وجل ان الذبح
سنة الله وشريعته في الامم كلها ليس على ما قالت الثنوية وقوله تعالى فلا ينازعنك في الامر على تاويل من
يقول ان المنسك هو الدين اي لا يحاجنك في نفسك ان الذي انت عليه هو دين الله تعالى وادع الناس
اليه وعلى تاويل من يقول هو الذبح يقول لا ينازعنك اي لا يصدنك عن الذبح من ينكر ذلك كقوله
ولا يصدنك عن ايات الله وقوله تعالى وادع الى ربك اي الى توحيد ربك او ان يكون قوله ادع الى ربك
الى عبادة ربك وانههم عن عبادة من دونه وقوله تعالى انك لعلى هدى مستقيم هذا يدل ان التاويل
الذي ذكرنا في المنسك وهو الدين اشبه واقرب لانه ذكر لعلى هدى مستقيم ولا يحاجك في نفسك
شيئا من ذلك والله اعلم وقوله تعالى وان جادلوك اي في امر الذبيحة او في اصل الدين وعن جادلوه في الدين
كثير الكفر ذلك قال لعنك اياسهم عن توحيدهم واسلامهم يقول والله اعلم فان جادلوك في التوحيد
والدين فقل الله اعلم بما تعملون وهو كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير يعني في
قوله فقل الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من الدين وقال بعضهم ان
هذه الاية منسوخة نسختها اية القتال لان فيها حظر القتال وامر تركهم على ما هم عليه وتسليم
الامر الى الله تعالى يحكم بينكم يوم القيمة لكن جائز ما ذكرنا انه قال ذلك عند الاياس منهم عن توحيدهم
والله اعلم وقوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض قد ذكرنا حرف الم انه يتوجه الى وجوه
الى التعجب مرة والى التنبيه والايقاظ ثانيا والى ايضاح الحجج والبراهين ثالثا وقوله تعالى ان ذلك في كتاب
ان ذلك على الله يسير ظاهر وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا
وما ليس لهم به علم يخبر عن سفههم انهم يعبدون من دون الله تعالى ولا سلطان لهم ولا حجة لهم ولا علم لهم
بذلك لانهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم ولا كان لهم كتاب يعلمون به فيقول انهم يقولون ان الله امرهم بذلك
ولا حجة لهم بذلك ولا علم وفيه انه انما بعث الرسل عليهم السلام اليهم على علم منه انهم يكذبون الرسل لان
من الناس من ينكر بعث الرسول الى من يعلم انه يكذبهم ويترك اجابتهم كمن لا يبعث في الشاهد رسولا الى من يعلم انه
يكذبه ولا يجيبه فعلى ذلك يقولون لا يجوز ان الله تعالى يبعث الرسول الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه ولكن
نقول اخبر الله على علم منهم بالتكذيب وترك الاجابة تعنتهم لاهل الجهل حيث قال الم تعلم ان الله يعلم ما في
السموات والارض واما قولهم ان من علم في الشاهد تكذيب المرسل اليه رسولا فانه لا يبعث اليه لانه يرسل لما
لحاجة نفسه ومناصحة فاذا علم منه تكذيبه وترك الاجابة لم يبعثه فاما الله تعالى انما يرسل لحاجة المرسل اليه
ومنافعه لا لحاجة نفسه ومنفعته لتعاليه عن الحاجة والنفع بل الضرر يلحقه في تكذيبه حتى يمتنع عن ارساله
على علم منه بالتكذيب والله اعلم ثم في قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض دلالة رد قول المعتزلة حيث

قالوا انه

قالوا يكون يعني كذب الرسل الا بارادة الله تعالى كقولهم ان المعاصي ليس بارادة الله تعالى فذكر انه على علم منه بذلك
بعثهم وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في اخر الزمان ناس من امتي يكذبون بالقدر سكيتهم
من الرد عليهم ان يقولوا الم تعلموا ان الله يعلم ما في السموات والارض وتاويل هذا والله اعلم ان يسالوا فيقال لهم
اراد الله ان يصدق في خبره الذي اخبر او يكذب فان قالوا اراد ان يصدق في خبره لزمهم ان يقولوا اراد جميع ما كان
منهم وان قالوا اراد ان يكذب فيكون كفرا محضا والله الموفق وقوله تعالى وما للظالمين من نصير اي ينصرهم
ويمنعهم من عذاب الله تعالى نفيه دلالة اثبات رسالته لانه انما قال ذلك للرؤساء والقادة منهم فلم يتهيأ
لهم نصر شيء ولا رد ما قال النبي دل انه كان ذلك بالله تعالى وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يحتمل
الايات والحجج والبراهين ويحتمل القران المنزل عليه وقوله تعالى تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر هو الانكار
والعناد والرد للايات والكراهة والبغض له وقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يخبر
عن سفههم وشدة تعنتهم وعتوهم عند تلاوة الايات عليهم واقامة الحجج حيث قال يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم ثم قوله يسطون قيل ياخذون اخذا وقيل يبطشون بطشا وقال القتبي يسطون اي يتناولونهم بالمكروه
من الشتم والضرب وقال ابو عوسجة يكادون يسطون اي يقعون لهم يقال سطا يسطو سطوة ورجل ذو سطوة
وبسطة اي ذو قدرة وقوة ويقال سطوت بفلان اي اخذته اخذا شديدا وبطشت به كذلك ثم قال تعالى
قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير ظاهر الاية ليس بجواب لما تقدم ولا صلة
وليس على الابتداء ولكن على ان له ولم يكن منهم لم يذكر لنا ذلك فعلنا ابن عباس رضي الله عنه وغيره من اهل التاويل
انها نزلت جوابا لما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم حيث قالوا انا لا نعلم قوما اشر
منكم ولا اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم حيث ادوهم وقد حظرت الدنيا عليهم حيث لم يعطوا من الدنيا شيئا
فنزل جوابا لهم قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الذين كفروا وبئس المصير الاية وقال بعضهم هو جواب
قوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وهو
قولهم قل افأنبئكم بخير من ذلك مثوبة عند الله وقوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قد ذكرنا معنى ضرب
الامثال والحاجة وذلك ان العقول يجوز ان يعرض عليها ما يستر سبيل الحق عليها ويحجب عنها ادراك الحق
فضرب الامثال ليرتفع عنها الحجاب والستر ليشترك العقول لسبل الحق والاعلام الخفية لا يبدو للعقول المحجوبة
العقول عن درك الحق لكن يمنع عن درك الحق وسبله ما ذكرنا من اعتراض الشهوات والحجب فيكشف ذلك بما
ذكرنا من الامثال والله اعلم ثم في هذا المثل وجهان احدهما يخبر عن سفه احلامهم في عبادتهم من لا يقدر على خلق
اضعف خلق وهو ما ذكر ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وتركهم عبادة من هو خالقهم وخالق جميع الخلائق والثاني
يخبر عن قطع ما يأملون ويطمعون من عبادتهم الاصنام حيث قال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ويتركون عبادة من يوصل اليهم ويطمع كل خير والله اعلم وقوله تعالى فاستمعوا له
قال بعضهم اجيبوا له وقال بعضهم استمعوا له واستماع من ينظر ويتامل الحق ويقبله اذا ظهر له الحق لا استماع
من لا ينظر الحق ولا يقبله والله اعلم وقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ما ذكرنا من الوجهين وقوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب
قال بعضهم الطالب الصنم والمطلوب هو الذباب لكن على هذا التاويل يصير حرف لو ضعف الصنم
طالبا وقال بعضهم الطالب الذباب والمطلوب الصنم فاتى وصفهما جميعا بالضعف على الذباب
والصنم جميعا على تاويل هؤلاء فالصنم ضعيف عاجز على ما وصف واما الذباب فهو ليس بضعيف لانه غلب
ذلك الصنم اذ كان طالبا ومطلوبا فكيف وصفه بالضعف وهو الغالب عليه في الحالين لكنه انه رجع قوله
ضعف الطالب والمطلوب اي العابد والمعبود كانه قال ضعف العابد عما يامل ويطمع من عبادته اياه في ضعف
غير ابعاده ما يامل ويطمع منه فهذا اكثر مناسبة واقرب الى التاويل من الاول والله اعلم وقوله تعالى ما قدروا الله
حق قدره اختلف فيه قال بعضهم اي ما عرفوا الله حق معرفته حيث قالوا فيه بالشريك والولد والصاحبة
وما لا يليق به لانهم لو عرفوه حق معرفته لم ينسبوا اليه شيئا مما نسبوا ولا وصفوه بالذي وصفوه وعرفوا
براءته وتعاليه من ذلك كله لكن حيث لم يعرفوه حق معرفته شبهوه بواحد من خلقه على ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم
ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق عظمته حيث صرفوا العبادة والشكر الى غيره اذ لو عظموه حق تعظيمه
ما صرفوا عبادتهم وشكرهم الى غير الذي انعم عليهم وما اشركوا غيره وذلك على علم منهم انه انما وصلت اليهم من
النعم من الله عز وجل لا من عنده والله العصمة ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم اموره وقبولها
والقيام بها لا بالقول يا عظيم يا كبير ونحوه وكذلك محبة الله تعالى انما يكون في القيام باموره واتباع امره

والانتهاء عن مناهيه لا في عوليا ناجيبك او تصوير شيء في قلبه والله اعلم وقال ابو عوسجة ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا حق معرفته كقال الرجل الكاتم ما قدرتك اي ما عرفتك حق معرفتك وقوله تعالى ان الله لقوي عزيز ويحتمل ان الله لقوي بنصر اوليائه ويجعل العاقبة لهم عزيز بانتقم من اعدائه او قوي لا يضعف القوي عند قوته عزيز لانه يذل كل عزيز بعزه او يقول قوي لانه به يقوى من قوي ومنه يستفيد ذلك عزيز لانه به يعز من عز ومنه كان ذلك والله اعلم وقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس يحتمل قوله يصطفي من الملائكة رسلا من الملائكة رسلا لما اختار رسلا من الملائكة في بعض ما امتحنهم من انواع العبادات التي لعلنا نبعث منهم اليهم رسلا لتبليغ ذلك على ما اختار من الانس رسلا اليهم فيما امتحنهم ويحتمل انه اصطفى رسلا من الملائكة الى الرسل من الانس وقوله ومن الناس اي اختار منها اعني من الناس رسلا الى الانس وهو كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته والله اعلم وقوله تعالى ان الله سميع بصير جائز ان يكون قوله بصير بمن يصلح للرسالة ومن لا يصلح وبصير بمن اختارها ومن لم يختر سميع بما يلقى المرسل اليه من الاجابة والقبول او الرد والتكذيب وانه على علم منه بالرد والتكذيب بارسل وفيه دلالة انما اصطفاهم للرسالة لا لشيء يستوجبون منه ذلك ولكن افضالا منه وانعاما لهم حيث قال يصطفي كذا وهو ينقض قول المعتزلة حيث قالوا لا يختار للرسالة الا من كان عنده ما يستحق ذلك والله اعلم وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يحتمل قوله ما بين ايديهم اي يعلم ما كان قبل ان يخلقهم يعلم ما بعد ما خلقهم وقال الحسن يحتمل ان يعلم باوائل امورهم واواخرهم وقال بعضهم يعلم ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم في حياتهم وما خلفهم ما سنوا لغيرهم من بعدهم كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت ما عملت واخرت ما سنوا لغيرهم من بعدهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وجائز ان يكون لا على حقيقة الايدي والخلف ولكن على التمثيل اي لا يخفى عليه شيء من امورهم واموره في الحالين كانوا وعملوا والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الآية وفي الآية دلالة على ان الايمان هو شيء خاص وشيء واحد وهو التصديق لا اسم جميع الخيرات وهو لانه اثبت لهم اسم الايمان ثم امرهم بالركوع والسجود وفعل الخيرات ولان جميع المخاطبين بهذه الآية عرفوا من خوطب بها لانه لا يقدر احد على جميع الخيرات ودل انه شيء معروف خاص بمعرفة كل احد حيث عرف المخاطب به والله اعلم ثم يحتمل قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وجوها احدها اركعوا واسجدوا اي اجعلوا ركوعكم وسجودكم وعبادتكم لله تعالى لا تشركوا فيه غيره على ما اشرك اهل مكة وغيرهم من الكفار في عبادتهم غيره وهي الاصنام التي عبدوها والثاني اعبدوا ربكم بالاسباب والاشياء التي عرفكم انها عبادة وكذلك افعلوا الخيرات التي عرفكم انها خيرات والله اعلم والثالث ان اجعلوا احوالكم التي انتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى اي اجعلوا انقلابكم ايضا في المعاش والمكاسب لكم وان لم تكن عبادة لله تعالى فالاول هو عبادة نفسها التي جعلها الله تعالى عبادة والثاني هو الذي يصير عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع احواله مؤدي عبادة وهكذا الواجب على المرء ان يكون في جميع ما يؤدي من النوافل من الصلاة والصيام وغير ذلك يؤدي فرضا وهو يؤدي جميع ذلك بنية الشكر لنعمه ويكفر به المعاصي وكلاهما لازمان واجبان فان فعل ذلك كان مؤدي لازم والله اعلم وقال بعضهم اركعوا واسجدوا اي صلوا لله تعالى كقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي قيل لهم صلوا لا يصلون وقال قتادة اركعوا واسجدوا قال لا صلاة الا بركوع وانا قوما احدثوا ابدا ما يسجد منهم احد منهم احدهم مائة سجدة لا يركع فيهن وكان يقال ثلاث مما احدث الناس رفع الايدي في الدعاء والاصوات عند المسألة والاختصار في السجود الى الانفراد بالسجود دون سائر افعال الصلاة وقال ابو هريرة رضي الله عنه لا يصلح سجود الا بركوع ثم اختلف في قوله واسجدوا قال بعضهم بوجوب السجدة بتلاوته وروي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فسجد فيها سجدتين ثم قال ان ذكرنا والاصل في وجوب سجدة التلاوة ان كل سجود ذكر في القرآن للخضوع لله تعالى فهو واجب بالتلاوة ولازم وكل سجود كان الامر به نحو سجود الصلاة فانه لا يلزم بالتلاوة والامر بالسجود في قوله اركعوا واسجدوا في سجود الصلاة لا غير فلا يلزم بالآية السجود بالتلاوة والله اعلم وقال عامة اهل التاويل في قوله واعبدوا ربكم اي وحدوا ربكم وجعلوا كل عبادة مذكورة في الكتاب توحيدا فيكون ذكر العبادة ههنا كانه قال يا ايها الذين آمنوا وحدوا ربكم وهو كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله والله اعلم وقوله تعالى لعلكم تفلحون لما هو مخرج على الترجي وفي الحقيقة على الوجوب على ما تقدم وقوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ليس لحق الله تعالى غاية يوصل اليها فكذلك قوله اتقوا الله حق تقاته لانه لو كان لحقه غاية لكان الرسل والملائكة يقومون

يوفا ذلك وقد يتوهم منهم المجاوزة عن ذلك اي كل ذي حد وغاية يتوهم المجاوزة عنه فانه لا يحتمل المجاوزة لان حقه ليس بذي حد وغاية ولكن تاويل قوله حق جهاده وحق تقاته حقه الذي احتمل وسعكم وطاقتكم كقوله واتقوا الله ما استطعتم فيكون هذا تفسير قوله حق تقاته وحق جهاده والله اعلم ثم يحتمل قوله وجاهدوا في الله اي جاهدوا انفسكم في شهواتها وامانيها في الله وجاهدوا الاعداء في الله في دفع الوسوسة والمحاربة معهم وقوله تعالى هو اجتباكم يحتمل وجهين احدهما اجتباكم للايمان والهدى والتوحيد له وهو اجتباكم جنسا من افضل الاجناس واكرمهم كقوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وقوله اجتباكم اي اختاركم وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج يحتمل تاويله وجوها احدها ان عليهم معرفة وحدانية الله تعالى والوهيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء وعليهم معرفة نعمه والقيام بشكرها والخضوع له في كل وقت وان لم يبعث الرسل لكنه بفضله ورحمته بعث اليهم الرسل ليكونوا يسهل عليهم معرفة ذلك واهون والقيام باداء ذلك اخف لان معرفة الاشياء بالسماع من لسان الصدوق والمبلغ ايسر والادراك لها اهون من معرفتها بالنظر والتفكر وهو ما قال لولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا يا لقليل الذي استثنى اهل الذين يتفكرون وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر وذلك الامر فيه اجتهاد وتكلف فهو ما ذكر في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج ولكن بعث الله الرسل اليكم ليكون ذلك اسهل الحق ومعرفته وان كان له ان لا يرسل فيكلف ذلك بالنظر والتفكر والله اعلم والثاني لم يجعل عليكم في الدين من حرج في قطع ما يقع لهم الحوائج والمنع عن ذلك الاكل وتحريم كل انواع المطاعم والمشارب واللباس عليهم لكنه اذا حرم نوعا احل نوعا آخر بازاء ما يسد به حاجته ويرتفع به ملته ولو حرم كل انواعها كان حرجا في الدين وضيقا والثالث لم يجعل عليهم في العبادات والفرائض التي كلفهم بها او القيام باداء انما الا احتمل وسعهم ولا انسهم ولا حمل عليهم امورا شاقة خلافا ما عليه طباعهم مجاري معاشهم ولكن كلفهم بعبادات احتمل وسعهم ووسعهم وحمل عليهم امورا شاقة موافقة لما عليه امر معاشهم وطبائعهم وان بعد ذلك عنهم فالعبادات البدنية فيها قيام وركوع وسجود وهو من افعال ذلك المرء في امور معاشه وكذلك الحج وان كان فيه قطع مسافة بعيدة فالمرء قد يقطع المفاوز والبحار لطلب الارباح لم يحمل النفس عن ذلك طباعهم كل الحظ ونحو ذلك الجهاد فان المرء قد يدفع عن نفسه وماله بالقتال وكذلك العبادات المالية من جنس ما يفعلها المرء من الاحسان والانعام على اهل الحاجة وغيرهم ولان كل هذه العبادات من جنس افعال لا ينفر عنها الطباع لا من الجنس الذي ينفر عنه الطباع لم يكن في الدين حرج وضيق والرابع ان لم يجعل توبتهم عما فعلوا من المعاصي والمآثم التي ارتكبوها قتل بعضهم بعضا واهلاك بعضهم بعضا على ما جعل ذلك للذين من قبلهم حيث قال لهم فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ولو كلف ذلك كان حرجا في الدين واثقال الحرج والخامس جائز ان يكون قوله لم يجعل عليكم في الدين من حرج اي من شك وشبهة او قد ادرج منكم الشبهة والشك بالحجج والبراهين التي اقام لكم وجعل لكم من كل شبهة مخرجا عند التفكر والتأمل وطلبها على وجهها والله اعلم وقال اهل التاويل الحرج هو الضيق ههنا وفي غير هذا الموضع قيل هو شك كقوله فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك والضيق انما يكون من الشك اذا شك في شيء ضاق صدره فيه قال ابو معاذ واصل الحرج في كلام العرب شجر من شوك ملتف فالواحد حرجة ومنه حرجة سلم وقال بعضهم في قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج اي ما من شيء ابتلى الله تعالى هذه الامة شيئا الا جعل فيه رخصة لهم عند الاضطرار مثل التيمم اذا لم يجد الماء وتصلي قاعدا او مضطجعا في المرض ويفطر في المرض ونحو هذا ليست فريضة الا وفيها رخصة ولم يكن من قبل ذلك وهو قول مقاتل بن حيان وقال قتادة ما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب فليس عليك حرج وقال الله تعالى لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم انت شهيد على قومك وقال الله عز وجل لهذه الامة ويكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم سل تعطه وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم وقوله ملة ابيكم ابراهيم هذا يحتمل وجهين احدهما على الامر اي الزموا ملة ابيكم ابراهيم وقال عامة اهل التاويل هو سماكم اي الله سماكم المسلمين وقال بعضهم بان ابراهيم عليه السلام هو سماكم المسلمين من قبل حيث قال ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الى قوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من ولد اسمعيل ببركة دعائه وللتنبيه بذلك والله اعلم وذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا وهذا يبين تاويل من يقول هو سماكم المسلمين اي الله سماكم والله اعلم وقوله تعالى من قبل وفي هذا قال بعضهم من قبل في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن وقال بعضهم من قبل اي الامم التي كانت من قبل لانه ما من قوم من الامم الا وفيها مسلمون يتسمون بهذا الاسم وقوله وفي هذا الكتاب يتسمون بهذا الاسم في الامم الخالية

كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اى كنتم خير امة فى الامم التى كانت من قبل انها تخرج فى هذا الوقت الذى
خرجتم والله اعلم ثم قال تعالى ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس قال القتبى عليكم
بمعنى لكم وذلك جائز فى اللغة كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب فعلى ذلك يجوز فى هذا عليكم بمعنى لكم ويكون
تاويله ليكون الرسول لكم شهيدا بالتصديق له وتكونوا شهداء للناس بالتصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صدقتم اياه وقال بعضهم عليكم يجرى على ظاهره ويكون تاويله ليكون الرسول شهيدا عليكم اذا اجابا انتم ولم تصدقوه
وتكونوا انتم اذا صدقتم رسولكم ووافقتموه شهداء على سائر الناس اذا كذبوا رسولهم انهم كذبوه وخالفوه وقيل
ليكون الرسول عليكم شهيدا انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس ان الرسول قد بلغهم والله اعلم وفى هذه الاية دلالة
كون قرب اجماع حجة على من بعدهم حيث جعلهم شهداء على من بعدهم ومن قبلهم وقد ذكرنا تاويله فى سورة البقرة
وقوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاذا اراد الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة ففى الامر باقامة الصلاة
امر باصلاح ما بينهم وبين ربهم وفى الزكاة اصلاح ما بينهم وبين الخلق كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وفى حرف ابن مسعود ان الصلاة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله تعالى واعتصموا بالله قال بعضهم
بدين الله وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره من قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الاية
وكانه يقول اعتصموا بما تقدم ذكره واصل الاعتصام هو الامتناع فكانه قال امتنعوا عن كل ما نهى عنه
وبكل ما امر به من الخير والله اعلم وقوله تعالى هو مولاكم قال الحسن هو مولى كل من تولاه بالطاعة وقال بعضهم
المولى الناصر اى هو ناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير والنصير المنتصر ينتصر لهم من اعدائهم
ويمنع منهم الاعداء وجائز ان يكون قوله هو مولاكم اى ربكم وسيدكم يقال المولى السيد هذا مولاه وسيده والله اعلم

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد افلح المؤمنون قال القتبى الفلاح
هو البقاء اى بقى المؤمنون وداموا فى الجنة على الابد كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
وقال قائلون الفلاح السعادة وقال قائلون الفلاح الفوز والنجاح وامثاله ثم فى قوله قد افلح الى آخر ما ذكر دلالة
ان من المؤمنين من لم يكن بهذا الوصف الذى وصف هؤلاء وان اسم الايمان يقع بدون هذا الذى ذكر فى هذه الاية
لانه لو لم يكن لم يكن لذكر ما ذكر من الخشوع فى صلاتهم والحفظ لفروجهم والاعراض عن اللغو معنى دل انه يكون مؤمنا
بغير الوصف الذى وصف هؤلاء وهو كقوله واشهدوا ذوى عدل منكم وقوله ممن ترضون من الشهداء فذلك
انه منهم من ليس بعدل ومنهم من لا يرضى فى الشهادة حيث خص العدول والمرضيين بالشهادة والله اعلم وقوله تعالى
الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم اللازم فى القلب وقال غيره الخشوع
فى القلب واصل الخشوع فى الصلاة هو ان لا يعرض عن يمينه وشماله لان ذلك يشغله عن اصلاح ما هو فيه واصله
ما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعالى الذين هم فى صلاتهم خاشعون الخشوع هو الاسكان
عليها مع الذلة والخضوع وعن على رضى الله عنه انه سئل عن قوله تعالى الذين هم فى صلاتهم خاشعون
قال الخشوع فى القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم ولا تلتفت فى صلاتك وعن جماعة من اهل التاويل الخشوع هو
السكون وعن ابن سيرين قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى رفع راسه الى السماء فلما نزلت الذين هم
فى صلاتهم خاشعون نكس راسه وهشام عن محمد بن الحسن قال لما نزل قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون
خفضوا ابصارهم وكان الرجل يحب ان لا يجاوز بصره موضع سجوده وقوله تعالى والذين هم عن اللغو
معرضون اللغو كانه اسم كل باطل واسم كل ما لا يعنى ولا ينفع به اخبر انهم يعرضون عن كل باطل وعن كل ما نهوا عنه
ويقبلون على كل طاعة وبكل ما امروا به والله اعلم وقوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يحتمل الزكاة
التى بها تزكو انفسهم عند الله تعالى ويحتمل الزكاة المعروفة والمعهودة اخبر انهم فاعلون ذلك مؤدون
ويحتمل ان يكون ذكر هذا من المؤمنين اخبارا عن طاعتهم لله تعالى والايتمار بامره وارضائه فقابل ما كان من المنافقين
من الكراهة فى الانفاق والصلاة على الكسل والمراياة كقوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون
الناس الاية وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله الاية
نعتهم بالكسل والخلاف وترك الانفاق والمراياة فى الطاعات ونعت المؤمنين بضد ذلك من الرغبة فى طاعته
والانتهاء عن معاصيه والاحتمال على الانفاق لابتغاء وجهه وطلب رضاه والله اعلم وقوله تعالى والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى فى هذا ولم يستثن فى ما ذكر فى اول الاية

من اللغو وغيره لان هذا مما يحل فى حال ويحرم فى حال فذكر الفصل بين حال وحال فاما اللغو وما ذكر فى اول
الاية واخرها لا يحل بحال اللغو حرام فى الاحوال كلها وكذلك اداء الامانة والزكاة والصلاة مما
لا يحل تركها بحال مع القدرة والله اعلم وقوله تعالى فانهم غير ملومين ذكر ان لا يلحقهم اللائمة فى ذلك فى
وجهين والله اعلم احدهما رد لقول الثنوية لانهم لا يرون المناكح فاخبر ان لا لائمة فى هذين وان اللائمة فى غير
هذين والثانى ذكر لابطال المتعة لانه استثنى الازواج وما ملكت ايمانهم والمتعة ليست فى هذين اللذين
استثناهما ثم اخبر ان اللائمة فى غير هذين وفيما عداهما اللائمة والمتعة مما عداهما فدل انه ما قال والاكثر هو اختيارهم
على ابتغاء ان يدخلوا فى هذا بصر من حفظ الفروج والاكان يعلمه الناس يحفظون فروجهم عن الزنا
ويبرؤون من حرمته لكنهم كانوا يستحيون من المتعة والاجارة فيها لحرمة ذلك والله اعلم ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون العادى هو المجاوز عن الحد الذى حد له والله اعلم وقوله تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون يحتمل الامانات العبادات والفرائض التى فرضت عليهم راعوها اى ادوها فى اوقاتها
والعهود التى فيما بينهم وبين الخلق راعوها وادوها الى اربابها ولم يضيعوها والله اعلم وقوله تعالى والذين هم
على صلواتهم يحافظون يكون محافظة الصلاة بوجوه احدها يحافظون بها باداء فرائضها ولوازمها
وادابها والثانى يحافظونها بالاسباب التى يحتمل لها من الاوقات والطهارات وستر العورة وغيرها
من الاسباب التى لا تجوز الصلاة الا بها والثالث يحافظون بها بالخشوع والوقار واظهار الذلة والاخلاص
لله وغير ذلك من الاشياء مما يذهب اليه المصلى ويحتمل ذلك جميع ما ذكر من الامانات وغيرها والله اعلم وقوله تعالى
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الوارث هو الباقى عن الموت قال الله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها
اى انا باقون بعد فناء الخلائق فانه يفنى الخلائق وهو باق قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه ويحتمل ان يكون
قوله الذين يرثون الفردوس هو ما وعد الله عباده الجنة ان اجابوه والى ما دعاهم بقوله والله يدعو الى دار
السلام فمن ترك اجابته يصير الموعود الذى وعد له ان اجاب لمن اجاب فذلك الوراثة التى ذكرها الله تعالى
ثم الفردوس هو بلسان الروم البستان سمى الله تعالى الجنة باسماء مختلفة منها عدن ونعيم ومأوى وفردوس
وفى الحقيقة واحد كلها لان العدن هو المقام وهو موضع الاقامة والنعيم هو ما يتنعم به والمأوى ما ياوى
اليه فيه وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الفردوس ربوة الجنة العليا وهى
وسطها واحسنها فان ثبت هذا فهو ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين اى خلقنا آدم عليه السلام من السلالة قال بعضهم انما سمى التراب الذى خلق آدم عليه السلام منه
سلالة لانه سل من كل تربة السلالة الخالص من كل شىء وقال القتبى يقال للولد سلالة ويقال للنطفة
سلالة ويقال انما جعل آدم عليه السلام من سلالة انه سل من كل تربة وقال ابو معاذ انما سمى الولد سلالة
لان اصله هو الماء سل من تحت كل شعرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال السلالة صفوة الماء وقوله من طين اى
من طين جيد هو جيد طين ثم ذكر مرة من سلالة من طين ومرة من صلصال من حمأ مسنون ومرة قال خلقناكم
من تراب ومرة قال كالفخار وان ذلك كله وصف ما خلق منه آدم عليه السلام وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقوله تعالى
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين قال بعضهم الرحم وجائز ان يكون القرار هو صلب الرجل لان النطفة تكون
فى الصلب اول ما خلق الانسان ولكن يجعل فيه من بعد فيكون الصلب قرارها ومكانها وقرارها الى وقت
خروجها منه الى الرحم وعلى ذلك قوله فمستقر ومستودع قال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم وقال
بعضهم على العكس منه وجائز ان يكون جميعا واحدا ايهما كان الرحم او الصلب لان كلاهما قرار لما استودع
فيه والله اعلم وقال القتبى فى قرار مكين اى مكان حريز وهو الرحم والصلب لانهما كانا حريزا وصفه والله اعلم
وقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة الاية النطفة هى معروفة والعلقة الدم والمضغة القطعة من اللحم
وقال القتبى المضغة اللحمة الصغيرة وسميت بذلك لانها بقدر ما يمضغ كما قيل غرفة بقدر ما يغرف وفى ذكرهم
عن تحويلها بهم وتقلبه من حال الى حال وجوه من العبر احدها يخبر عن قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره لانه يعلم
ان من قدر على انشاء العلقة من النطفة والمضغة من العلقة والعظم من المضغة والانسان من ذلك كله بالوجه
الذى جميعا على ان يعرفوا سبب خلق هذا من هذا مع الحاجة فانه ليس فيهما ان العلقة شيء كذلك
فى سائرها ما قدروا على ذلك فمن قدر على هذا يقدر على انشائهم من الاصل ومن لا شيء ويقدر على احيائهم بعد
ما ماتوا وصاروا ترابا والاعجوبة فى خلق الانسان مما ذكر فى النطفة والعلقة والمضغة ليست بدون خلقه اياه من تراب
فيكون دلالة القدرة الذاتية والثانى فيه دلالة علمه الذاتى لانه من قدر على تحويلهم من حال الى حال كما ذكر فى الظلمات
الثلاث فدل انه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من احد ولا بقوة مكتسبة ولكن بالعلم الذاتى والقوة الذاتية لان من عليه

مستفاد وقوة مكتسبة لا يبلغ ذلك وفيه دلالة تدبير بخروج الخلق جميعا وتوالدهم من أول الأمر إلى آخر ما ينتهون
على مجرى واحد وعلى شيء واحد وعلى غير تغيير في التوالد والتناسل إلى حين فنائهم وكذلك جميع ما يخرج من الأرض من النبات
ومن الأشجار والأوراق في كل عام يخرج على جرية واحدة وشيء واحد لا يتغير ولا يتفاوت دل خروجه على تدبير
واحد وميزان واحد دل على أنه تدبير ذي تدبير لا على الجزاف بالله الحول والقوة وفيما ذكر من تحويله إياهم وتقليبه
من حال إلى حال دلالة أنه لم ينشئهم لأنفسهم وإنما أنشأهم لعاقبة لما أنشأهم فإن أنشأهم لأنفسهم لا لعاقبة
لأنه لو كان إنشاؤه إياهم لأنفسهم لكان لا يذكر في قوله ثم إنكم بعد ذلك لميتون لكان يتركهم على حال واحدة
لا يحولهم من حال إلى حال فتحويلهم وتقليبهم من حال إلى حال دل أنه لا للموت الذي ذكر خلقهم خاصة بقوله ثم إنكم
بعد ذلك لميتون ولكن للعاقبة يقصد وهو البقاء الدائم الذي لا فناء فيه وهو ما ذكر ثم إنكم يوم القيامة تبعثون
وقوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر أما أهل التأويل فيقولون هو نفخ الروح وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وغيره وقال بعضهم إنبات الشعر ونحوه وهو قول قتادة وغيره وعن الحسن وغيره وذكروا أنه يتخلق علامات
ذلك وجائز أن يكون قوله ثم أنشأناه خلقا آخر ما قال هؤلاء وهو إظهار الجوارح والأعضاء وتركيبها فيه لأنه
أخبر أنه يقلبه من حال إلى حال وإنما يقلبه شيئا واحدا مضمنا كتسوية هذه الجوارح والأعضاء إنما تكون
فيه إظهارها لا عينها وتركيبه فيه أعني الجوارح والأعضاء حتى يكون إنسانا فذلك هو خلق آخر ويكون نفخ الروح
ونبات الشعر في تركيب ما ذكرنا والله أعلم وفيه نقض قول من ينكر خلق الشيء لا من شيء ويقول بقدم العالم إنما ينكر ذلك
لما يرى في الشاهد صنع شيء لا من شيء فيقال له وهل رأيت إنشاء شيء من شيء على الإبقاء الأول فيه حتى لا يبقى منه
أثر فإذا لم تر هذا في الشاهد وقد أثبت في الغائب إنشاء شيء على الإفناء الأول فيه كالنطفة تصير علقة
على إتلاف النطفة فيه والعلقة مضغة على إتلاف العلقة فيه إلى آخر ما ذكر كل ذلك إنشاء من آخر بعد إتلاف الأول
فهذا دل على أنه يعدم الأشياء في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغائب لأنه حيث قدر على هذا يقدر على
كله والله أعلم وقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين من الناس من يستدل بالآية على أنه إذ لم يكن سواه
خالقا لم يكن لقوله أحسن الخالقين معنى كقوله أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين إنما يقال هذا لما يكون سواه
رحيما حكيما يعني يكونه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين فعلى ذلك قال أحسن الخالقين وهو تعلق بعض
المعتزلة في خلق أفعال العباد منهم وإنكارهم ذلك من الله تعالى ولكن عندنا جائز القول بمثل هذا وإن كان
الناس على إثبات آخر سواه في ذلك حقيقة وهو يخرج على وجوه أحدها أحسن الخالقين مما تسمونه أنتم إلهة
وتجعلونها آلهة عندكم كقوله فراغ إلى آلهتهم فإبراهيم عليه السلام لم يسم معبودهم الذي عبدوه إلها
على جعل الألوهية لها ولكن على ما سموها إياه ونسبوا الألوهية إليه على سبيل التعريف لهم وكذلك قول
موسى عليه السلام انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا على ما اعتقدهم ليس على تسمية الألوهية له بالحقيقة
حقيقة فهذا ذلك على تسمية ما ذكر لو يجوز أن لم يكن هنالك سواه إله خالقا وكذلك قوله فما تنفعهم
شفاعة الشافعين ليس على أن هنالك لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن شفعاء لهم فعلى ذلك هذا ما ذكرنا
والله أعلم والثاني تأويله أحسن الخالقين أي لو جاز أن يكون خالقا آخر سواه لكان هو أحسن الخالقين لكن
لا يجوز وهو كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما ذكر لكن لا يجوز ذلك وكقوله لو أردنا أن نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا أي لو جاز أن يكون كان من لدنا ليس على أنه يجوز أن يكون وكذلك قوله وما كان معه من إله
إذا لذهب كل إله بما خلق أي لو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق أي لو جاز أن يكون معه إله لذهب بما ذكر
لكن لا يجوز فعلى ذلك قوله تبارك الله أحسن الخالقين أي لو جاز أن يكون هنالك خالق آخر لكان هو أحسن
الخالقين ولكن لا يجوز والله الموفق والثالث أحسن الخالقين لما أن العرب تسمي كل صانع لشيء خالقا
فخرج الذكر لهم على ما يتصورهم ليس على حقيقة الخلق لمن دونه وهو كقول عيسى عليه السلام أني أخلق لكم من الطين
الآية أو يكون ذكر هذا القول من يقول العالم من أربع طبائع من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة أو يقول
بعض الفلاسفة أن العالم أصله من أربع أخس من الماء والأرض وأشباه ذلك ونحوها فأخبر أنه ليس كذا ولكن
هو خالقهم لا من الأشياء التي توهموا هم والله أعلم وعلى قول من يقول أنه يكون غيره خالقا لكان الخلق غير دال
على الخالق وقد جعل الله تعالى الخلق سببا لمعرفة الخالق فلو كان غيره خالقا لكان الخلق غير دال على
معرفة الخالق لأنه تعالى خلق الخلقة فتشابه الخلق عليهم ضرورة أنه لو كان سواه خالقا أو عنده الكافي ذلك
تشابه الخلق عليهم فإذا تشابه لم يكن سببا لمعرفته على ما أخبر في إثبات عدد الآلهة بقوله وما كان معه
من إله إذا لذهب كل إله بما خلق وإذا بطل هذا وكذلك عدد الآلهة وإثبات الألوهية لغيره فعلى ذلك في الخلق
على الوجه الذي ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون قد ذكرنا

فيما

تذكرنا فيما تقدم أن المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الإماتة والإفناء خاصة ولكن عاقبة تقصد
ويؤمل حيث قلبهم من حال إلى حال لم يتركهم على حالة واحدة فلو كان المقصود من خلقهم الفناء والهلاك
لا غير لكان يتركهم على حالة واحدة فلم يقلبهم من حال إلى حال فدل التحويل والتقليب من حال إلى حال على أن المقصود
من الخلق العاقبة على ما ذكرنا على أنه لو لم يكن خلقهم للعاقبة يقصد لكان عبثا حيث قال أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثا الآية صير خلقهم لا للرجوع إليه عبثا وقال في آية أخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
أنكاثا صير نقض الغزل بعد إبرامه وتقويته سفها منها ولا جائز أن يسفه تلك المرأة بنقضها غزلها بعد إحكام
والإبرام ولا يقع يكون لها من هو يفعل ذلك أنه يخلق الخلق للفناء والهلاك عبثا وعلى أن بناء البناء
في الشاهد لا لعاقبة ولمنفعة ولكن للهدم والنقض سفه وعبث كذلك قلنا إن خلق الخلق لا للموت خاصة
ولكن لما ذكر من قوله ثم إنكم يوم القيامة تبعثون أي تحيون وقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال
بعضهم سبع سموات وقال بعضهم سبع سموات وقال بعضهم سبع سموات وقال بعضهم سبعة أفلاك
وقال بعضهم سبعة أفلاك وقال القتبي سبع سموات سبع طرائق كل سماء طريقة وقيل إنها الأفلاك كل
واحد طريق وإنما سميت طرائق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض
ومنه يقال للدسوط طرائق وقال غيره طرائق أي مختلف فيذكرها والله أعلم أنهما كان السموات أو الأفلاك
جعلت لا من الخلق وكل يجمعهم لو حصنى أحدهما يخبر عن قدرته وسلطانه ومعناه أن من قدر على خلق ما ذكر
وإنشائه بلا سبب لقادر على إنشاء الخلق لا من شيء والثاني أن من قدر على هذا يقدر على بعثهم وإحيائهم
بعد الموت والله أعلم وقوله تعالى وما كنا عن الخلق غافلين أي لم نخلقهم على جهل منا بأحوالهم ولكن على
علم منا بذلك فلا يحتمل أن يكون خلقه إياهم على علم منه ثم يخلقهم للفناء فيه بأمل لأن من يفعل هذا في
الشاهد إنما يفعل لما يجهل به أو لحاجة والله يتعالى عن ذلك أو أن يكون قوله وما كنا عن الخلق غافلين
خلق ما ذكر أي ما ذكرتم أن خلق هذه الأشياء لا لأنفسها ولكن لأنفسكم لمنافعكم فلا يحتمل أن يكون
خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء فإن ثبت المحنة فلم يثبت الثواب والعقاب فإذا ثبت هذا ثبت البعث
والحياة والله أعلم وقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر قال بعضهم بقدر بعلم منا وقال بعضهم
أي بقدر ما تقع لهم الحاجة والكفاية وجائز أن يكون قوله بقدر أي معلوم بقدر بلا تقدم ولا تأخر
ولا يزداد ولا ينقص ولكن على ما قدر وكذلك جميع الأشياء وقوله تعالى فأسكناه في الأرض يذكر هذا
ويخبر عن قدرته وسلطانه أن من قدر على إسكان الماء من السماء يقدر على البعث وعلى خلق الشيء لا من شيء
إذ لا أحد من الخلائق يقدر على ذلك إلا بالحيل التي علمه الله تعالى أو أن يقول إنه حيث جعل منافع الأرض
متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء بمنافع الأرض لبعد ما بينهما دل اتصال أحدهما بالآخر مع بعد
ما بينهما على أن منشئهما ومدبرهما واحد عالم بذاته وقوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون هو كقوله
إن أصبح ماؤكم غورا الآية والله أعلم وقوله تعالى فأنشأنا لكم به أي بالماء جنات من نخيل وأعناب أي
الكروم يذكرهم نعمه التي أنعمها عليهم من الماء الذي به حياة الأبدان والأشياء جميعا ليستأديه شكره
وعبادته والله أعلم ثم قوله تعالى فأنشأنا لكم فيها جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة الآية فكان
قوله لكم فيها أي في الجنان حيث ذكر أنشأها لنا فواكه كثيرة الآية ففيه حجة لأبي حنيفة رحمه الله في قوله
لا يأكل فاكهة حيث يذكر فيه النخيل والأعناب وذكر الفواكه على حدة وإن كان يعني بالنخيل والأعناب ليس
فيه حجة له وقوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء أي أنشأنا لكم أيضا شجرة في طور سيناء الشجرة التي
تكون في الجبال لا صنع للخلق في نباتها وما يكون في الجنان والبساتين إنما يكون بإنبات الخلق وكسبهم
ثم أضاف كلاهما ما يكون للخلق فيه صنع وما لا يكون إلى نفسه فدل إضافة ذلك إلى نفسه على أن الله تعالى
في فعل الخلق صنعا وأن جميع ما يكون إنما يكون بصنع منه ولطف حيث ذكرهم نعمه التي أنعمها عليهم من إنشاء
الجنان لهم والنخيل والأعناب والفواكه التي ذكر يستأدي بذلك شكره وفيه دلالة قدرته وسلطانه
حيث أنشأ الشجرة وأخرجها من الجبل وهو أشد الأشياء وأصلبها ثم أنشأ في تلك الشجرة الدهن وهو
ألين الأشياء وألطفه فيخبر أن من قدر على إخراج ألين الأشياء من أشدها وأصلبها لا يعجزه شيء وفيه
أن لا بأس بقران شيء إلى شيء فيؤكلان جميعا ويضم بعضه إلى بعض فيصير في الأكل حيث قال تنبت بالدهن
وصبغ للآكلين الصبغ هو الإدام ثم اختلف في قوله طور سيناء قال بعضهم الطور الجبل بالسريانية والسيناء
الحسن بالحبشية وقال بعضهم الطور الجبل والسيناء الشجرة الحسنة وقال بعضهم الطور الذي كلم الله تعالى
موسى عليه السلام وأوحى إليه والشجرة هي شجرة الزيتون وقال بعضهم السيناء الحجارة وقال بعضهم طور سيناء

المبارك لما اوحى عليه السلام وقال بعضهم الطور الجبل والسيناء شجرة حوله وقرء ابن مسعود وحفصة رضي الله عنهما وشجرة تخرج من طور سيناء تخرج الدهن وصبغا للآكلين وقال بعضهم تخرج الثمر قال ابو عبيدة انبت النبات ونبت لغتان كقوله اسرى وسرى وقال زهير حتى اذا انبت البقل وقال الكسائي يقول خرجت بزيد اخرجته زيدا ولا يقول اخرجت بزيد الا ان يقول اخرجت بزيد عمرا اي بمعونته وقوته وقوله وصبغ للآكلين قال القتبي الصبغ والصباغ كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس وقال ابو عوسجة وصبغ للآكلين اي الصباغ وهو ما يصطبغ به من شيء او غمرة فيه وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وقد ذكر في سورة النحل مما في بطونه على التذكير قال بعضهم ما ذكره على التذكير اراد به الوحدان وفيما ذكر على التانيث اريد حقيقة ذلك وهو الجمع وقال بعضهم فيما ذكره في التذكير اراد به جنسا من الانعام نسقيكم مما في بطونها وهذا اشبه ثم قوله وان لكم في الانعام لعبرة وحكمة من وجوه احدها ما قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو ما ذكر من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ففي ذلك عبرة ودلالة على وحدانيته وربوبيته وعلمه وقدرته وتدبيره وحكمته لم ينشأ هذه الانعام لانفسها ولكن انشأها للبشر حيث اخبر انه سخرها لنا الثاني بعضهم بهائم اختلف في الانعام قال بعضهم الانعام كل شيء يؤكل لحمه ويشرب لبنه وما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من الانعام وقال ابو معاذ ان من الانعام ما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه وقال بعضهم الانعام كل بهيمة حتى الوحش والاشبه ان يكون الانعام غير الوحش لكنا لا نعلم حقيقته انما هو اللسان نحن على ما يسمعونه اهل اللسان وقوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة قيل من الحمولة وغيرها وقد ذكرنا في سورة النحل وقوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الانعام والفلك يذكرهم نعمه فيما سخر لهم من الانعام والسفن ليستأدي به شكرها والله اعلم وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يريد عز وجل انباء اولي العزم من الرسل واخبارهم ويكررها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون ابدا يقظا ناشئا ويعرف ان كيف عامل اولو العزم قومهم وكيف صبر اولو العزم على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم ويصبر على اذى قومه كما صبر اولئك على اذى قومهم وتكذيبهم ويعرف قومه ايضا ان لا ينظروا الا بما يأملون من تكذيبهم العاقبة بل العاقبة تصير له على ما صار لاولي العزم من الرسل لا لقومهم والله اعلم وقوله تعالى افلا تتقون يحتمل وجهين احدهما افلا تتقون مخالفة الله تعالى ومخالفة رسوله او افلا تتقون عذابه ونقمته او وعيده او افلا تتقون عبادة غير الله تعالى وقوله تعالى فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم هذا الذي قالوا متناقض منهم لانهم قالوا ان بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم بما ادعى الرسالة والدعاء الى ما دعاهم ثم هم اعني الرؤساء منهم والقادة ادعوا لانفسهم الفضل بما استعبدوا السفلة فطلبوا الموافقة لهم والاجابة به وهم بشر مثلهم وذلك متناقض في القول لانهم اقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرته على ذلك حيث قالوا لو شاء الله لانزل ملائكة فاذ قدر على تفضيل الملائكة على البشر قدر على تفضيل بعض البشر على بعض ثم اخبر نوح عليه السلام انه لا يريد بما ادعى من الرسالة التفضل عليهم ولكن يريد به النصح لهم والاشفاق عليهم حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم الآية وقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم عذاب يوم الظلة ويكون للناصحين انما اراد بذلك النصح لهم والشفقة لا التفضل الذي قالوا والله الموفق وقوله تعالى ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين هذا قولهم وكذبوا في قولهم وقوله تعالى ان هو الا رجل به جنة فقد عرفوا انه ليس بمجنون ولكن ارادوا التلبيس والتمويه على قومهم حيث خالفهم في جميع امورهم وعادى الرؤساء منهم والقادة يقولون لا يفعل هذا الا مجنون او آفة اصابته في عقله والا هم عرفوا في انفسهم يعني القادة انه ليس بمجنون ثم قال فتربصوا به حتى حين لسنا ندري ما ارادوا بالحين ارادوا الموت او وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون او ارادوا وقتا آخر وقال مقاتل يريد ان يتفضل عليكم بالرسالة ليس له عليكم فضل في شيء فتتبعوه وقوله ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين قال بعضهم اي العذاب في آبائنا الاولين ويقال ما سمعنا التوحيد في آبائنا الاولين كما يدعو نوح عليه السلام وقوله تعالى قال رب انصرني بما كذبون لم يدع عليهم عليه السلام باول ما كذبوه ولكن انما دعا عليهم بعدما ايس من عودهم الى التصديق وهو ما قال اني مغلوب فانتصر وقال اني مغلوب فانتصر وقال اهل التأويل انصرني بتحقيق ما وعدت لهم من العذاب بانه نازل بهم في الدنيا او ان يكون انصرني بما كذبون اي اجعل لي الظفر عليهم بسبب ما وجد منهم من التكذيب والله اعلم وقوله تعالى فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا قال بعضهم بمنظر منا وقال بعضهم بعلمنا وجائز ان يكون صلوات الله عليه ظن انه لما امر باتخاذ الفلك انهم لا يتركونه ان يتخذ الفلك فاخبر عز وجل انك تتخذه بحيث نراه وننظرك

عليهم بحيث لا يمكنهم سعل عن الفساد فيها قال اهل التأويل وقوله تعالى فاذا جاء امرنا وفار التنور اي اذا جاء الموعود وقد امرنا بالعذاب فار التنور فخرج الماء من التنور وظهر وقوله تعالى فاسلك فيها من كل زوجين اثنين قيل ادخل فيها يقال سلكت واسلكت وهو ادخال يقوله اسلك يدك في جيبك اي ادخل يدك وقد يسلك ما ذكر في آية اخرى قلنا احمل فيها فالله اعلم بقوله من كل زوجين اثنين يحتمل ان يكون من كل زوجين اي من كل صنفين الذكر والانثى جائز ان يكون من كل زوجين اي من كل لونين ابيض واسود وطيب وخبيث وقوله واهلك الا من سبق عليه القول منهم بالعذاب وقد ذكر هذا في سورة هود عليه السلام وقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اختلف فيه قال بعضهم انها نهاه عن مخاطبته في الذين ظلموا لانه لا ينبغي الا ما امر به وقال بعضهم ولا تخاطبني اي لا تخاطبني في اهلاكهم ولا تخاطبني في نجاة الذين ظلموا انهم مغرقون وقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وهكذا الواجب على من انجاه الله تعالى من الظلمة ان يحمد الله على ذلك ويثني عليه كما سأل موسى عليه السلام النجاة منهم حيث خرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وكما سألت امرأة فرعون النجاة من فرعون وعمله حيث قالت ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ثم علمه ان لا ينسى له الا الله انزاله لمنازل فقال وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك لجميع الخيرات والحسنات ويحتمل سؤاله المنزل المبارك الذي فيه السعة والخصب على ما قاله بعض اهل التأويل المبارك بالماء والشجر وغير ذلك فان كان هذا ففيه دلالة اباحة سؤال السعة والخصب والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لآيات اي في هلاك قوم نوح وغرقهم لآيات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين يا ابنا تفضلا منا واحسانا سوى ذلك ويحتمل آخر وهو ان قوله وان كنا لمبتلين او ما كنا لمبتلين قبله اي في ذلك الا في قوم نوح صلى الله عليه وسلم لهم لآيات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين سؤل الآيات التي كان وجائز في اللغة ان يعني ما والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو قوله وان كنا لمبتلين اي وقد كنا المبتلين اي قد ابتلاهم قبل اهلاكه اياهم ولسنا نعرف ما حقيقة هذا الكلام وما المراد به والله اعلم فلا يقال الا بحجة وان كنا المبتلين هنا من الابتلاء اي الاختبار فلا يسلكون والله اعلم وقوله تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين قيل من بعد قوم نوح عليه السلام قرنا آخرين عادا وغيرهم وقوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره جميع الانبياء والرسل عليهم السلام انما بعثوا بالدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له وقوله تعالى افلا تتقون مخالفته وعبادة من دونه وجميع معاصيه وقوله تعالى وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اي البعث واترفناهم في الحياة الدنيا قال بعضهم اترفناهم اي بسطنا لهم في الدنيا حتى ركبوا المعاصي وقال بعضهم الترف الغنى الطاغي قال القتبي اترفناهم اي وسعنا عليهم حتى اترفوا والترف منه ومثلها التحفة كانا المترف هو الذي يتحف وقوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم الآية وقد ذكرنا فيما تقدم انهم ناقضوا في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم الى قوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لما انهم منعوا الاتباع عن ان يتبعوا الرسول لئلا يطيعوه ثم طلبوا منهم الطاعة لهم والاتباع في امورهم وهم بشر امثالهم وذلك تناقض في القول وقوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون قال بعضهم قوله هيهات هيهات استبعاد الامر وانكاره اي بعيدا بعيدا اي امر لا يكون وكذلك قال ابو عوسجة هيهات استبعاد الامر اي انه لم يعد ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ان كان هذا القول من الثنوية والدهرية فقولهم نموت ونحيا اي ثم نحيا بانفسهم يقولون نموت لا انا نخلص دونا اما ثم ننبت من ذلك التراب الكلاء فاكله النعم والغنم فيصير ذلك نخرا من اجزائه فيصير حيا من بعد الموت فهو معنى قولهم ونحيا لانهم يقرون بالبعث وان كان هذا القول من غير الثنوية فيكون قوله نموت ونحيا اي نموت نحن ونحيا اي يكون لنا الحياة بعد الموت بحياة الاولاد والتناسل وبهم يبقى لنا الذكر وذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما نحيا ونموت بمعنى وهذا الحرف ظاهر وقوله تعالى ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين هذا قولهم قال رب انصرني بما كذبون فقد ذكرناه وقوله تعالى قال عما قليل ليصبحن نادمين اي عن قريب يندمون

بالتكذيب وفي هذا القول الذي قالوه والانكار الذي انكروه لاشك في ذلك ثم قال تعالى فاخذتهم الصيحة
بالحق قد ذكرنا الصيحة فيما تقدم قوله تعالى فجعلناهم غثاء قال بعضهم لغثاء اليابس الهامد كنبات
الارض اذا يبس وقال بعضهم كالشي البالي المتغير وقال ابو عبيدة الغثاء ما احتمل السيل من العيدان
وما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به والغثاء جمع فالغثاء هو حمل السيل وجائز ان يكون تاويل قوله غثاء
اي كالشي الميت الذي لا يلتفت اليه لان اولئك الفراعنة والاكاسرة اذا هلكوا لم يذكروا بالسير ولا افتخر احد منهم
بهم من بعد الهلاك كما افتخر اولاد الانبياء والرسل عليهم السلام والصالحين باباتهم واجدادهم من بعدهم
مذكورين الى ابد الابدين فاما اولئك صاروا خاملي الذكر كالشي الخسيس المتروك المنسي والله اعلم ذكر انفسهم
عاد وثمود وشبههم بما ذكر في الغثاء وكذلك يذكر انفسهم جميع اهل الشرور والعناد وذكر في اهل الخير
لا انفسهم لانهم اعمال الخيرات والصالحات فيجعل انفسهم حية بالاعمال كقوله فجعلناهم احاديث فيما
بينهم واما اهل الكفر والشر فانه لا اعمال لهم تذكر فتذكر انفسهم بعد الموت سحقا والله اعلم قوله تعالى ثم
انشانا من بعدهم قيل من بعد نوح وعاد وهولاء قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
ثم ما يستاخرون كانه ذكر هنا لما كانوا يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذي وعدوا فاخبر ان
لكل امة اجلا لا تسبق اجلها باستعجال من يستعجل ولا تستاخر عن اجلها الذي جعل لهم وقوله
ثم ارسلنا رسلنا تترى قال بعضهم تترى متتابع واحد بعد واحد بعضهم على اثر بعض وهو من المتابعة
وقال القتبي اي تتابع بفترة بين كل رسولين وهو من التواتر واصله وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها في
التقوى والتكلان قوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اي في الهلاك الاول وجعلناهم
احاديث لمن بعدهم ولم يبق منهم بقية الذين اهلكوا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم قوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
دلالة ان اهل الفترة ومن كان فيهما من بعث الرسل لا عذر لهم في شي لا تنقطع الحجج والبراهين حيث ان بعث
الرسل جاخبرانه ارسل الرسل تباعا بعضا على اثر بعض وان كان بين بعضهم فترة لما بقي الحجج والبراهين
واثار الرسل واعلامهم وكذلك قال فبعدا لقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا
الى فرعون وملائه قد ذكرنا فيما تقدم قوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين قيل غالبين كقوله ان فرعون
علا في الارض قال بعضهم متكبرين متجبرين وقال ابو عبيدة هو من العلو ليس من التعالي والتعالي الترفع
الخلق قوله تعالى فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون قال بعضهم اي بعبيدنا كما نحن على
عليهم فجعلهم مالنا علينا وكانوا لنا عابدين ويرفعهم فوقنا ويكونون تحتهم ونحن اليوم فوقهم فهم
تحتنا كيف نصنع قوله تعالى فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي صاروا مهلكين بالتكذيب قوله تعالى ولقد
اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ويشبه ان يكون قوله لعلهم لموسى عليه السلام اي اتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون عنده ولعل حرف رجاء وترجي لكن يستعمل مرة على الايجاب واللازم ومرة على النهي كقوله
لعلك باخع نفسك اي لا تبخع نفسك لعلك تارك بعض ما يوحى اليك فلا تترك بعض ما يوحى اليك
وذلك جائز في اللغة يقول الرجل لاخر لعلك تفعل كذا اي لا تفعل ونحو ذلك فحرف لعل من الله تعالى يحتمل
الايجاب والنهي ومن الخلق على الترجي والنهي والله اعلم قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية خص الله تعالى
عيسى وامه بان جعلهما اية بالذكر وجميع البشر في معنى الاية مثلهما على السوي اذ خلق جميعا من نطفة ثم
حولت النطفة علقة والعلقة مضغة الى اخر ما انتهى فيصير انسانا والاية والاعجوبة في خلق الانسان
من النطفة مما ذكرنا لم يكن اكبر واعظم لم يكن دون خلقه بلا اب ولا زوج ومما ذكر لكنه خصهما الله تعالى
بذكر الاية فيهما لخروجهما عن الامر المعتاد في الخلق اذا الامر المعتاد في الخلق والعادة الظاهرة فيهم ان يخلق
من النطفة والاب والتزوج والتناسل على الاسباب التي جعلت التوالد من الخلق فلخروجهما عن الامر المعتاد
والعادة الظاهرة خصهما بذكر الاية وان الاية والاعجوبة في خلق البشر من النطفة مما ذكرنا لم يكن اعظم
لم يكن دونه وهو كما خص بني اسرائيل بالخطاب بالشكر لما انعم عليهم من المن والسلوى ولما انجاهم من ال فرعون
بقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين وقد كان نعمه عليهم من النعم ما هو اعظم واكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم من فرعون
واله ولكنه خصهم بذكر المن والسلوى واستادى منهم الشكر لذلك من بين سائر النعم لانها خرجت من المعتاد
من النعم المعروفة وهم كانوا مخصوصين بها من بين غيرهم فعلى ذلك عيسى عليه السلام وامه رضي الله عنها
كانا خارجين عن الامر المعتاد مخصوصين بذلك لذلك خصهما بذكر الاية والله اعلم ثم الاية ما ذكر بعض اهل التاويل
انه خلق من غير اب وولدته امه من غير بعل وقال بعضهم الاية في عيسى عليه السلام بان كلم الناس في المهد صبيا ونحو ذلك

من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى واشباهها قوله تعالى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر انه
اواهما الى ربوة كما يوي الاب والام الولد الى مكان يتعيش به اذ الربوة هو مكان التعيش فيه الا ترى انه ذكر
ذات قرار ومعين وذات القرار هو المكان الذي يستقر فيه ويتعيش ومعنى المعين هو الماء الجاري الظاهر
الذي يدركه العيون وتقع عليه الابصار قال ابو عوسجة الربوة المكان المرتفع وابنيه والدنيته وقال القتبي
الربوة الارتفاع وكل شي ارتفع او زاد فقد ربا ومنه الربا في البيع قال ابو معاذ للعرب في الربوة اربع لغات ربوة
وربوة وربوة ورباوة وقوله ذات قرار ومعين قال ابو عوسجة القرار النبات يقال ارض قرار وهو قول الحسن
اي انبته والمعين الماء الظاهر الجاري وكذا قال القتبي وقال هو مفعول من العين كان اصله معيون كما يقال ثوب
مخيط وبر مكيل قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال عامة اهل التاويل ان هذا الخطاب
وان كان في الظاهر لعامة الرسل فهو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة على ما خاطب جميع امته
والمراد في ذلك الكل بما يراد لكنه ان قال انه خاطب بجميع الرسل لانهم جميعا مخاطبون بهذا كله من اكل الطيبات
والعمل الصالح هنا الخطاب فيه وفي حق غيره اذا عمهم جميعا بهذا والله اعلم ثم الطيبات يحتمل ان يراد به الحلال
كانه قال كلوا حلالا لا حراما والاعتبار به قال واعملوا صالحا اي اعملوا صالحا ولا تعملوا سيئا فعلى ذلك قوله كلوا
من الطيبات اي كلوا حلالا ولا تاكلوا حراما ما احببتم ويبين انهم يمتحنون كما يمتحن غيرهم من البشر بالامر والنهي ويحتمل
ايضا قوله كلوا من الطيبات ما طابت به انفسكم وتلذذت فان كان على هذا فهو يخرج على الاباحة والرخصة لبعض
على الاخر ومعناه لكم ان تاكلوا ما تطيب به انفسكم ولكم ان تؤثروا غيركم به على انفسكم وان كان الاول
فهو على الامر والنهي يخرج والله اعلم قوله تعالى اني بما تعملون عليم ظاهر وهو وعيد قوله تعالى ان هذه
امتكم امة واحدة جائز ان يكون قوله ان هذه امتكم امة واحدة في الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل عليهم
السلام كقوله كنتم خير امة اخرجت اي كنتم خير امة في الكتب المتقدمة وفي الامم الماضية فعلى ذلك هذا
وقال بعضهم ان هذه امتكم امة واحدة لا تختلفون في رسولكم الى يوم القيامة كما اختلف الامم الذين من قبلكم
في رسلهم بل تجعلون رسولكم رسولا على ما هو عليه على ما سائر الامم فانهم قد افرطوا فيهم حتى جاوزوا بهم
حد الرسول الى الالهية كقوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله قلنا هولاء لا يزالون
على امر واحد والله اعلم قوله تعالى وانا ربكم فاتقون وقال في اية اخرى فاعبدون فجائز ان يكونا واحدا
التقوى والعبادة وجائز ان فاتقون اي اتقوا مخالفتي فاعبدون اي اطيعوني قوله تعالى
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا قال فتقطعوا وتقطعوا امرهم واحد وهما لغتان كذلك قال ابو معاذ قطعوا
وتقطعوا لغتان كقولك علقت الشي وتعلقته وحولت وتحولت وقلبت وتقلبت وفي كتيبتهم قوله زبرا
قرى بفتح الباء وبرفعها فمن نصبه فمن النصب زبرا اي قطعا كقوله اتوني زبر الحديد وبالرفع اي كتبا جمع زبور وهو كقوله
يجعلونه قراطيس يبدونها وقوله يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله الاية ونحو كثير وكذا
في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وتقطعوا امرهم بينهم زبرا قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون اي معجبون
او مسرورون بما لديهم من الدين قوله تعالى فذرهم في غمرتهم حتى حين وقال في اية اخرى فذرهم يخوضوا
ويلعبوا وقال فذرهم وقطعا بهم ... فذلك يحتمل وجوها احدها قال اهل التفسير الاياس منهم عن اجابتهم
الى العلم عز وجل انهم لا يومنون وذلك في قوم مخصوصين كانه قال ذر هولاء واشتغل بغير هولاء الذين يعقلون
امرك ويجيبون دعاك ويسمعونه والثاني فذرهم في غمرتهم ولا تكافيهم حتى يا اكافيهم كقوله فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ولكن الثالث امرنا ان نذرهم ونعرض عنهم كيلا يخوضوا في سب الله تعالى والطعن
في اياته كقوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية وقوله حتى حين يحتمل القيامة ويحتمل
وقتا اخر لم يبين ثم قوله في غمرتهم قيل في ضلالتهم وغفلتهم وقال القتبي الغمرة الماء الكثير وغمر الحرب
وسطها وغمرة الموت شدته قد جل غمر ... قيل جمع وجمعه غمار ويقال الغمر الماء اذا اصابه وغمر العبد
والغمر الذي لم يجرب الامور وقوم اغمار والغمر الوسم والغمرة الشدة والغمرات جمع والغمرة القدح الصغير ورجل
المخاطرة يقال لمن يخاطر بنفسه او خاطر بها قوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون حسب اولئك الكفرة ان ما امدهم من الاموال والبنين وما اعطاهم انما اعطاهم خيرا
لانفسهم وبرا لا شرا فاخبر تعالى وكذبهم في حسبانهم الذي حسبوا فقال بل لا يشعرون انه انما اعطى
لهم ذلك شرا وانما فعل ما حسبوا ولكن الكفرة فيما اعطوا من الاموال والبنين انما اعطوا خيرا حسب المعتزلة
في قولهم ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين فاخبر الله تعالى ان ذلك ليس بخير لهم
ولا اصلح وهو على ما ذكر في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون انما نملي لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك

قالوا في قوله ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها وهم يقولون لا بل إنما أراد ليرحمهم بها
فيقال لهم أنتم أعلم أم الله تعالى كما قال لأولئك الكفرة حيث قال أأنتم أعلم أم الله إلا أن يكابروا في قوله لا يشعرون
إنهم إنما قالوا ذلك على الظن والحسبان لا على العلم حيث قال أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين فقال بل لا يشعرون
حيث قالوا إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين فإنما الواجب عليهم أن يعلموا ذلك علم إحاطة ويقين بنحو هذا أن يقال لهم
أن تعتقدوا أن ذلك إنما أعطي لهم وأملي خيرا وبرا لهم وكانوا هم على يقين من ذلك البر والخلطة عند أنفسهم أنه إنما
أعطاهم ذلك لما ذكروا بل أخبر أنما أعطاهم لضد ذلك والله أعلم وقوله تعالى إن الذين هم من خشية ربهم
مشفقون جائز أن يكون هذا موصولا بقوله نسارع لهم في الخيرات على التقديم والتأخير وكأنه قال إنما نسارع
في الخيرات للذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى آخر ما ذكر لا لأولئك الكفرة وجائز أن يكون على الابتداء
ذكر وصف الذين آمنوا ونعتهم فقال إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي من عذاب ربهم خائفون
وقوله تعالى والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الإيمان بالآيات يكون إيمانا بالله على حقيقته لأن الآيات هي
التي تدل على وحدانية الله تعالى وربوبيته والإيمان هو التصديق فإذا صدق آياته وهي أعلام وأخبار عن
وحدانيته جل وعلا فإذا صدقها صدق الله تعالى وكفى به لذلك قلنا إن الإيمان بآياته يكون إيمانا بالله تعالى
وقوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون أي لا يشركون غيره في عبادتهم وقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا
وفي بعض القراءات والذين يأتون ما أتوا مقصورة وهي قراءة عائشة رضي الله عنها فتأويل هذه القراءة
أي الذين يعملون من عمل وجلت قلوبهم أن يتقبل منهم أم لا والقراءة المعروفة من الإيتاء وهو الإعطاء والإنفاق
يقول والذين يعطون وينفقون مما أنفقوا وقلوبهم وجلة أن ذلك لم يتقبل منهم ولا يكون ذلك له إلا أن المطيع
فيما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسيء في إساءته وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقالت أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون فقال لا ولكنهم يصومون
ويتصدقون ويصلون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات الآية وجائز أن يكون
قوله وقلوبهم وجلة لا على ذلك ولكن على ما ذكر أي قلوبهم وجلة أنهم يرجعون إلى ربهم على السعادة أم
على الشقاوة والله أعلم وقوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون أخبر أن الذين نعتهم ووصفهم
هم الذين يسارعون في الخيرات لا أولئك الكفرة الذين تقدم ذكرهم وقوله تعالى ولا نكلف نفسا إلا وسعها جائز
أن يكون ذكر هذا لما أن أولئك الكفرة من الأعمال التي لا تسع ولا تحل فعلوا وقالوا الله أمرهم بذلك كما أخبر تعالى
عنهم بقوله والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ردا لقولهم وتكذيبا والله أعلم ويحتمل وجها آخر
وهو أن يقول لا نكلف نفسا من الأعمال إلا وسعها وذلك يحتمل وجهين أحدهما أن لا يكلف أحدا من العمل
ما يبلغ طاقته ووسعه فيه لا يكلف الغني من الإعطاء ما يبلغ به غناه وكذلك لا يكلف كل ذي عمل ما يبلغ به طاقته
وجهده ولكن إنما أمره وكلفه بأمور يحتمل طاقته ذلك العمل والأمر وإن كان كذلك يحتمل ذلك أنه لم يرد به طاقة
العلم وعدته ولكن طاقة الأحوال التي يجوز تقدمها على الأفعال وكذا ذكر هذا التأويل إنما نطق ما كلفنا
لأنهم تركوا الأعمال التي أمروا بها وكلفوا بأعمال مثلها التي تركوها وهي بمعاصي التي عملوها أنما أمروا من الأعمال الحسنات
بغير التي عملوها ولكن مثلها فلا يكون لهم في ذلك احتجاج وقوله تعالى ولدينا كتاب ينطق بالحق قال بعضهم
هو الكتاب الذي يكتب فيه أعمالهم وأفعالهم من الخيرات والسيئات وذلك كله محفوظ محصى عليهم كقوله ما يلفظ من
قول إلا لديه رقيب عتيد فإن كان هذا فيكون قوله بالحق أي بالصدق وقال قائلون هو الكتاب الذي أنزل إلينا
وهو القرآن ينطق عليكم بالحق الذي به علينا وبالحق الذي يكون لبعضهم على بعض وهو كقوله هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق وهو ما ذكرنا من الحق الذي علينا لله تعالى ولكل ذي حق حقه والله أعلم وجائز أن يكون
هو اللوح المحفوظ فإن كان هذا فيقول إنا نعلم ذلك عالما بما كان ويكون في الأوقات التي تكون أبد الآبدين
وقوله تعالى وهم لا يظلمون فإن كان على الكتاب الذي تكتب فيه أعمالهم فيكون قوله وهم لا يظلمون أي لا ينقص
من أعمالهم التي عملوا من الخيرات ولا يزاد على سيئاتهم بل يحفظ ما عملوا على ما كان ويحتمل لا يظلمون أي لا يزاد
الكفرة على الجزاء على قدر أعمالهم السيئة ولا ينقص من قدرها بل يجزون على قدر أعمالهم والله الموفق وقوله تعالى
بل قلوبهم في غمرة من هذا قيل في غمة وجهالة وغفلة من هذا قال قائلون من هذا الكتاب الذي كتب فيه
أعمالهم وأحصي عليهم وقال قائلون من هذه الأعمال التي ذكر للمؤمنين فيما تقدم من قوله إن الذين هم من خشية
ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون إلى آخر ما ذكر من أعمالهم فإن قلوب أولئك الكفرة في غفلة
وعماية من أعمال الذين عملها المؤمنون وقوله تعالى ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون اختلف فيه قال بعضهم
قوله ولهم أعمال من دون ذلك أي من دون ما عمل أولئك الكفرة من الأعمال التي تقدم ذكرها من قوله فذرهم في غمرتهم

حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وغير ما ذكر ثم أخبر أن لهم
أعمالا أخر دون ما ذكر وقال بعضهم قوله ولهم أعمال يعني المؤمنين في الدنيا أعمال البر أعمال دون تلك لا بد أن كلهم من دون
تلك الأعمال والله أعلم وقوله تعالى حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون قال أهل التأويل ذلك
في العذاب الذي أخذ أهل مكة في الدنيا من الجوع سنين حتى أكلوا الجيف والطعام المحرم ونحوها لكن لا يشبه
أن يكون ذلك في عذاب الآخرة لأنه يقول إذا هم يجأرون أي يتضرعون ثم يقول أيضا قد كانت آياتي تتلى
عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون فإنما يخبر أنكم تفعلون في الدنيا كذا وكذا ويقول إذا هم يجأرون ولا يحتمل أن
يكون في الدنيا ثم لا يقبل ذلك التضرع منهم وينهاهم عن التضرع بقوله لا تجأروا اليوم وكذا أنه ذلك في الآخرة
وهو كما ذكر بقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده مثل هذا يكون في الآخرة وفي الدنيا لما ذكر وهو قد
أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ذكر في عذاب الدنيا أنهم لم يتضرعوا فلا يحتمل الذي ذكر
في الدنيا عند نزول العذاب بهم ثم لا يقبل منهم التضرع والاستكانة فدل ما ذكر على أنه قال لا تجأروا اليوم
نهي عن التضرع ولا يحتمل النهي عن ذلك وقوله تعالى إنكم منا لا تنصرون أي لا تمنعون من عذابه قال أبو عوسجة
إذا هم يجأرون أي يستغيثون قال الجؤار أصله من الصياح وقال بعضهم يجأرون يضجون وقيل يصيحون
وقوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون أي ترجعون ليس على التحقيق بل
على التمثيل لأنهم إذا رجعوا على الأعقاب صار ما كان أمامهم وراءهم كأنهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم
أو أن يكون المنقلب على الأعقاب كالمكب على وجهه والمكب على وجهه مذموم عند جميع من رآه وعليه
لهذا شبه به وقد مثله به والله أعلم ثم قوله تنكصون قال بعضهم ترجعون وقال بعضهم تستأخرون
كقوله نكص على عقبيه وهما واحد وقوله تعالى مستكبرين به سامرا قال عامة أهل التأويل قوله به أي بالبيت
هذا أن أهل مكة لما رأوا أنفسهم آمنين بمقامهم عند البيت وفخروا بالله جل جلاله وأهل سائر البقاع
وخوفهم وظنوا أن ذلك التعظيم لفضل كرامتهم ومنزلتهم عند الله تعالى حملهم ذلك على الاستكبار برسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن تابعه والله أعلم وقال بعضهم مستكبرين به أي بالقرآن وتأويله أي مستكبرين على
رسوله بما نزل القرآن وأضاف الاستكبار إلى القرآن لأنهم بنزوله تكبروا على الله ورسوله بما نزل القرآن
وأضاف استكبارهم إليه لأنه كان سبب تكبرهم وهو كقوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة إلى قوله فزادتهم رجسا
إلى رجسهم أضاف زيادة الرجس إلى السورة لما أنها سبب زيادة رجسهم إذ كانت لا تزيد رجسا إلى رجسهم
في الحقيقة وقوله تعالى سامرا تهجرون قال الزجاج السمر هو ظل القمر وكانوا يسمرون في الليل فسمي الحديث
في الليل أو في ظل القمر باسمه وقوله تهجرون وقال بعضهم يهذون كما يهذي النائم والمريض الشديد المرض
وقال بعضهم أي تهجرون القرآن أي كانوا لا يعملون به ولا يسمعون وهو الهجر وفيه لغة أخرى تهجرون وهو الكلام
الفحش يقال أهجر يهجر من الهجر وهو الفحش وهجر يهجر إذا سار في الهاجرة وهو شدة الحر والله أعلم وقوله تعالى
أفلم يدبروا القول قيل القول القرآن ويحتمل قوله أفلم يدبروا أي فهلا تدبروا ذلك القول الذي يقولون
في الآخرة وفي دار الدنيا ويعوقهم بالنبيا ردنا فنعمل غير الذي كنا نعمل وما ذكر من تضرعهم في الآخرة وهو قوله
إذا هم يجأرون وجائز أن يكون قوله أفلم يدبروا ولم يخضعوا له إنما استكبارا ولا يرى أنه إذا قرع سمعهم
قوله فأتوا بسورة من مثله وقوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
الآية لا يحتمل أن لا يدبروا فيه ولكنهم تدبروا فيه وعرفوا إلا أنهم ما تبعوا كما برؤوا فاستكبروا إنما
واستكبارا عن اتباعه والخضوع له ويحتمل أنهم تركوا متابعته مع معرفتهم بأنه منزل من عند الله إشفاقا
على ذهاب رياستهم وطمعا في بقائها حتى لا ينقطع مادتهم والله أعلم ويحتمل على ترك التدبر
والإعراض أي لم يدبروا فيه ولم يتفكروا ولو تفكروا كان يعرفهم حجج الله تعالى وبراهينه على من جهلها ولزمهم
بالإعراض عنها وترك التدبر فيها حيث استوجبوا عذاب الله تعالى ومقته بجهلهم بما تركوا التدبر فيها لما
كان لهم سبيل الوصول إلى المعرفة والله أعلم وقوله تعالى أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أي قد جاء هم ما جاء
آباءهم الأولين من الرسول بالآيات فلم يأت هؤلاء بشيء إلا ما قد أتى آباءهم لم يخصوا هم بالرسول فكيف أنكروه والأمر
قالوا لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم وعلى ذلك يخرج قوله أم لم يعرفوا رسولهم أي قد عرفوا
رسولهم لكنهم أنكروه وتركوا اتباعه بما ذكر من القرآن من أحد الوجهين عنادا أو تكبرا أو إشفاقا على
ذلك ألا ترى أنه قال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وعلى هذا قوله تعالى أم يقولون به جنة أي قد عرفوا
ليس به جنة وجائز أن يكون قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين وجائز أن يكون قوله أفلم يدبروا القول
إلى آخر ما ذكر من قوله أم يقولون به جنة يخرج على الأمر بالتدبر فيه ومعرفة الرسول أنه ليس كما يصفونه من الجنون

وغيره كقوله أولم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة أي تفكروا فيه فإنه ليس به جنة على ما يصفونه أو على ما ذكرنا أنهم
تفكروا وعرفوا أنه ليس به جنون ولا شيء مما وصفوه به لكنهم أرادوا أن يلبسوا أمره على أتباعهم وسفلتهم إشفاقا
على إبقاء ما ذكرنا والله أعلم وقال بعضهم قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين من البراءة بالعذاب وقوله تعالى
بل جاءهم بالحق أي بالرسالة والقرآن من عند الله وبجعل العبادة لله دون الأصنام التي عبدوها ولكن أكثرهم
للحق كارهون كرهوا الحق لما ظنوا أن في اتباعه ذهاب الرياسة والأسباب التي كانت لهم على أتباعهم بعد معرفتهم
أنه حق والله أعلم أو كرهوا لما لم يروا في الحقيقة أنه حق لا لأن أحدا ممن يوصف بصحة العقل وسلامته يكره الحق
ويترك اتباعه إلا للوجهين اللذين ذكرناهما والله أعلم وقوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن
قال عامة أهل التأويل الحق هاهنا هو الله تعالى أي لو اتبع الله أهواءهم في كفرهم وشركهم لفسدت السموات والأرض
ومن فيهن فتأويل هذا أن الكفر والشرك مما لا عاقبة له وكل شيء لا عاقبة له فهو في الحكمة والعقل فاسد باطل
وقال بعضهم الحق هاهنا كتاب الله تعالى وهو القرآن أي لو جاء هذا القرآن على ما يهوونه هم لفسد ما ذكر لأنه يكون
خارجا عن الحكمة ويجوز أن يوصل قوله كارهون أي ذلك الحق إن كان برسالة أو قرآن أو كل خير لأن الحق هو اسم كل خير
قوله ولو اتبع أهواءهم الحق الذي سبق ذكره وهو قوله بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون أي ذلك الحق إن كان
رسالة أو قرآنا أو كل خير لأن الحق هو اسم كل خير واسم كل مستحسن وممدوح في العقل والحكمة لو اتبع ذلك الحق
أهواءهم وجاء على ما هويت أنفسهم واشتهت من عبادة غير الله تعالى وتسميتهم إياها آلهة وإنكارهم البعث
وغير ذلك من الأفعال التي كانوا اختاروها وعملوها لفسدت السموات والأرض وما ذكر لأنه يكون خلقهم وخلق
ما ذكر من السموات والأرض وما فيهن لا لما توجبه الحكمة والعقل إذ خلقهم وخلق ما ذكر لأفعالهم التي يفعلون
فإذا خرج أفعالهم لا لما توجبه الحكمة والعقل بل على السفه والجهل خرج إنشاء الخلق ومن أجله أنشئ لذلك الخلق
الشيء وفعله لا لعاقبة يقصد خارج عن الحكمة والله أعلم وقوله تعالى بل أتيناهم بذكرهم قال أهل التأويل
أي بشرفهم وذكرهم كقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك كذا أي فهم عن ذكرهم معرضون أي عن شرفهم معرضون
ويجوز أن يكون الذكر هو الحق الذي تقدم ذكره أي لو قبلوا ذلك الحق واتبعوه لكان يكون في ذلك ذكرهم بعد
هلاكهم كما يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعدهم إلى الآن [illegible] يذكر أنهم يعملون
يعملون أنا من بني فلان نتكئ هم الناس ويكرمونهم وأما أولئك فإنهم لا يذكرون بشيء من ذلك وفي ذلك
دليل على ما ذكرنا والله أعلم ويحتمل قوله بل أتيناهم بذكرهم أي بثنائهم عليهم ولو آمنوا لقيل لهم كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف الآية وقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وقوله والسابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار وغير ذلك من الثناء الذي أثنى الله تعالى على من آمن منهم فهم لو آمنوا استوجبوا ذلك الثناء وجائز
أن يكون قوله بل أتيناهم بذكرهم أي بدعاء لهم وهو ما دعا الرسل والملائكة المؤمنين كقوله ويستغفرون
للذين آمنوا وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات الآية وقول نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول إبراهيم عليه السلام ودعاؤه لهم لو آمنوا استوجبوا دعاء
الرسل والملائكة عليهم السلام أو أن يكون ما ذكرنا من إبقاء ذكرهم إلى يوم القيامة كما بقي ذكر أولئك الذين
صدقوا فيكون في ذلك كله شرفهم وتقدمهم على ما قال أهل التأويل والله أعلم وقوله تعالى أم تسألهم خرجا فخراج
ربك خير جائز أن يكون صلة ما تقدم من قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم أي قد
عرفوا رسولهم أم يقولون به جنة أي ليس به شيء يمنعهم عن الإجابة له والإيمان به مما يعتذرون هم في ترك الإيمان
به فعلى ذلك قوله أم تسألهم خرجا أي لم تسألهم أجرا على ما تدعوهم إليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الأجر عن الإجابة له
وتصديقه كقوله أيضا أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون فقطع بما ذكر جميع أعذارهم وحججهم ولم يكن
لهم أمر ولا حجة في ترك الإجابة له والله أعلم وقال بعضهم الخراج الرزق فلا تسأل منهم الرزق فإن رزق ربك خير
ورزقه خير وهو خير الرازقين وقوله تعالى وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم المستقيم بالآيات والحجج لا السبيل
التي تسلكونهم بلا آيات ولا حجج ولا برهان وقوله تعالى وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون
هذا يحتمل وجهين أحدهما إنكارهم البعث والآخرة هو الذي حملهم على العدول عن الصراط المستقيم ولأن
الصراط والهدى في الدنيا هو المجعول للآخرة فإذا تركوا سلوكه لما [illegible] من الآخرة أنكروها أو كلاما
نحو هذا وقوله لناكبون أي لعادلون من العدول عنه والمجانبة والميل الجور والله أعلم وقوله تعالى ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ذكر الضر ولم يذكر أي شيء كان ذلك الضر قال بعضهم كان ذلك الضر
الجوع أو كذا لا يشتد فيه وجهان من المعتبر أحدهما أن دفع الحرج الذي امتحنهم جل وعلا من البلاء والشدائد
إنما يكون برحمة منه وفضل لا على ما قاله بعض المعتزلة بالاستحقاق حيث ذكر أنه برحمته يكشف ذلك عنهم

وذكر

والثاني فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر أنه وإن كشف ذلك الضر عنهم للجوا في طغيانهم
يعمهون وكشف ذلك عنهم فلجوا في طغيانهم يعمهون على ما أخبر فدل أنه بالله تعالى عرف ذلك والله أعلم وقوله تعالى ولقد
أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون يخبر عز وجل عن سفههم وجهلهم بالله تعالى وقسوة
قلوبهم وتمردهم وعنادهم حيث أخبر أنا أخذناهم بالعذاب ليتضرعوا إليه وما استكانوا لجهلهم بالله تعالى
وقوله فما استكانوا أي لم يذلوا لربهم بالطاعة له والخضوع وقوله تعالى حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم
فيه مبلسون اختلف فيه قال بعضهم المبلس المنقطع الشيء ومنه سمي إبليس لأنه آيس من رحمة الله تعالى وانقطع رجاؤه
منه وهو قول الكسائي وقال بعضهم المبلس الآيس من كل خير وهو ما وصفهم جل وعز أن الإنسان ليؤوس كفور
واليؤوس قنوط ونحوه وقال الزجاج المبلس الساكت المتحير لا يدري ما يحمل به فعلى ذلك هم كانوا حيارى لما نزل بهم
العذاب لا يدرون ما يعملون به في دفع ذلك عن أنفسهم وقال أبو عوسجة المبلس اليائس الحزين ويقال أبلس الرجل إذا
اشتد حزنه وأبلس غيره أيضا وإنما سمي إبليس إبليسا لأنه يئس من رحمة الله تعالى وقوله تعالى وهو الذي أنشأ لكم السمع
والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ذكرهم جل وعلا نعمه التي أنعمها عليهم ليستأدي بذلك شكره عليها
لكنه ذكر أمهات النعم ولم يذكر غيرها وهو السمع والبصر والفؤاد الذي بها يوصل إلى معرفة كل نافع وضار وكل طيب
وخبيث وكل لين وخشن وكل سهل وشديد وكل حلو ومر وكان الإنسان مطبوعا على حب المنافع والطيب واللين
والسهل واختيارها على أضدادها و[illegible] كل ضار يعرف والفرق من أضدادها ما يكون المختار أضده وأخبث منه
لصلاحهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث ونحوه مشاهدة وخبرا فما به يميزون ذلك ويختار
ما هو المختار عندهم من غيرهم وما ينفعهم وما يضرهم ليستأدي ذلك شكره وقوله تعالى وهو الذي ذرأكم
في الأرض وإليه تحشرون أي جعلكم سكان الأرض بقدرته وسلطانه وأخبر أنه لم يخلقهم عبثا ولكن للبعث
بعد الموت والحشر إليه لما ذكرنا في غير موضع أن خلق الخلق للموت والفناء خاصة لا للبعث والإحياء بعد الموت
عبث وعبث فأخبر عن قدرته وسلطانه حيث قال وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار الآية أي
من قدر على ما ذكر من إحياء الموتى وإماتة الحي لقادر على البعث ومن قدر على إنشاء الليل بعدما ذهب أثر النهار أو
النهار بعدما ذهب أثر الليل لقادر على الإحياء بعد الموت ثم قال أفلا تعقلون أنه لذلك فكيف تنكرون
قدرته على البعث والإحياء بعدما صرتم ترابا ورمادا فكيف تشركون غيره في عبادتكم إياه وتصرفون الشكر
الذي هم فيما أنعم عليكم والله أعلم ثم أهل التأويل صرفوا قوله وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة
[illegible]
[illegible] بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما [illegible]
[illegible] لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل [illegible]
[illegible] إن هذا إلا أساطير الأولين [illegible]
[illegible] قل لمن الأرض ومن فيها [illegible]
[illegible] سيقولون لله [illegible]

ابدا من ان يعولوا الله وتتقوا ابدا لانهم لو انكروا ذلك حفظهم ويظهر جهلهم عند كل الخلائق ثم قالوا الله فيقول
فاذا عرفتم ان ذلك كله له وهو الحاكم فكيف تركتم طاعته وانا انشا ادعوكم الى ذلك ان تجعلوا الارض ومن فيها
كله لله تعالى افلا تنقطعون وتقرون بما ادعوكم اليه وعلى ذلك قوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل افلا تتقون ان لا تبدؤن ان تتقوا بذلك فاذا عرفتم ذلك واقررتم به فالا تتقون مخالفته وتتقون نقمته ولكن
ما قال قل من بيده ملكوت كل شي فاذا عرفتم ذلك واقررتم به فانى تسحرون اي فاني تستبعون الى السحر وتقولون
انه ساحر وانه كذاب فهو ليس يدعوكم الا الى ما اقررتم واعترفتم به وقيل فانى تسحرون فانى تصرفون عن ذلك
وقال بعضهم تخدعون وتموهون وذلك اذا عرفتم ان ذلك كله لله تعالى وقوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شي
تذكرنا فيما تقدم وهو قوله ومن يجبره ولا يجار عليه اي هو يؤمن كل خائف ولا يغيث احدا ان يؤمن من اخافه
هو وهو كقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الاية وقال ابو عوسجة وهو يجير اي يمنع ولا يجار
عليه اي لا يقدر احد ان يمنع عنه احدا وقوله تعالى بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون . وتعاليه عن الشركاء قد
ذكرنا ان الحق يحتمل وجوها احدها بالحق اي بوحدانية الله تعالى والهيته وتعاليه عن الشركاء والاولاد عما وصفوه
او ان يكون قوله بالحق اي بالقران الذي فيه انه حق وانه من عند الله تعالى او بالحق محمدا صلى الله عليه وسلم
انه حق ورسول اليهم او ان يكون الحق ما ذكر من ذكرهم وما فيه شرفهم وعزهم او بالحق الذي يحق عليهم
وما لبعضهم على بعض من الحقوق والله اعلم وقوله وانهم لكاذبون اي في وصفهم ربهم جل جلاله
بما وصفوه بما لا يليق به او كاذبون بان القران مفترى ومختلق من عند غير الله وكاذبون في قولهم انه
ساحر وانه مجنون وانه ليس برسول كذبوا في جميع ما انكروا وانتحلوا وقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق . جائز ان يكون كل حرف من هذه الحروف موصولا بعضه ببعض
مما تقدم وجائز ان يكون كل حرف منفصلا من الاول مستبدا بذاته فان كان على الاول فيكون قوله ما اتخذ الله
من ولد ولو كان اتخذ ولدا لكان الها اذ الولد من جنس الوالد ومن جوهره لا يكون من خلاف جوهره ولا
من غير جنسه في المعارف فاذا كان الها من الوجه الذي ذكرنا لذهب كل اله بما خلق وان كان منفصلا
وهو ما ذكرنا من فساد ذلك كله لانه قال لعلا بعضهم على بعض اذا لذهب كل اله بما خلق من الخير والشر
او الدلالة على الوهيته ولعلا بعضهم على بعض لانه يغلب بعضهم بعضا على ما يكون من ملوك الارض فاذ كان
ما قالوا ذهب دلالة الالوهية والربوبية ولم يكن ذلك دل انه واحد لا شريك له ولا ولد اذا انساق التدبير
وجرى الاشياء على حد واحد دل على الوهيته واحد لا اعداد لو كان لعدد لكان من ذكر من غلب
بعضهم على بعض وقهر بعض بعضا ثم ما ذكر لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم يعلم ان مثل هذا الاحتجاج
لا يكون مع الذين ينكرون الوهية الله تعالى ويعبدون الاصنام وهم مشركو العرب وكفار مكة ولكن
انما يكون مع الذين يقرون بالالوهية لله تعالى لكن يجعلون معه شركاء لحاجة تقع لهم وهم الثنوية والدهرية
والمجوس وامثالهم الذين يجعلون خالق الشر غير خالق الخير وخالق هذا غير خالق ذلك فيكون معه سبحانه عما
يصفون على هذا اي يتعالى عما وصفوه بالحاجة له في خلق ما خلق والنفع له في ذلك وكذلك قوله تعالى عما يشركون
واما على ظاهر ما تقدم ذكره من اتخاذ الولد والشريك سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما فيه
وينسبون اليه ما لا يليق به او ان يكون قوله سبحان الله عما يصفون به بما يوصف المخلوق المحدث لانهم وصفوه
بالولد والولد في متعارف الخلق لا يكون الا من الولادة هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق واذ وصفوه
باتخاذ الولد شبهوه بالمخلوق والمحدث في الوجه الذي ذكروا ونزه نفسه عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى
قل رب اما تريني ما يوعدون . يحتمل وجهين احدهما رب اما تريني وان لا تريني ما يوعدون فلا تجعلني
في القوم الظالمين لانه كان وعد له انه يريه ما وعدهم بقوله واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فكان
يريك شيئا فقال رب ان تريني ما يوعدون او لا تريني فلا تجعلني في القوم الظالمين والوجه الثاني احدهما
لا تجعلني في القوم الظالمين في العذاب الذي وعدت لهم ان ينزل لانه من العدل ان يعذبه ويعامله معاملة
اهل العدل لانه يعمل الا بعمله بمثل ما عامل اولئك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن منه
زلات ظاهرة فلعله كان من الله تعالى اليه من النعم والاحسان ما لو حاسبه شكر ذلك لم يقدر على اداء شكر واحد
منهما فضلا عن ان يؤدي شكر الكل لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة
احد الا برحمة الله وفضله قيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ويحتمل قوله رب لا تجعلني
في القوم الظالمين في الزيغ والعداوة سال ربه ان يعصمه عن الزيغ والضلال لما لا عصمة له الا به من القوم الظالمين
وهو كقول ابرهيم عليه السلام رب سال العصمة عن الزيغ بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وان كان

ومكنهم العصمة عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون . هذا ايضا يحتمل وجهين
احدهما يخبر رسوله عليه السلام انه ليس يؤخر ما وعدهم من العذاب لكن بحكمة منه وعفو وهو كقوله ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار على التنبيه والايقاظ فعلى ذلك يحتمل قوله
هذا والله اعلم والثاني يعرض رسوله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم اياه يقول اني مع قدرتي على انزال
العذاب عليهم والانتقام منهم احلم عنهم واؤخر عنهم وانت مع ضعفك على ذلك اولى ان تصبر على اذاهم
وعلى هذا يخرج قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة لا تكافيهم لاذاهم اياك ولا تشتغل بمجازاة ذلك ولكن ادفع بالتي
هي احسن وكل مكافاتهم الي حتى انا اكافيهم ونحن اعلم بما يصفون من الكذب في الاذى الذي يؤذونك ثم الباقي
ادفع بالتي هي احسن السيئة او ادفع سيئاتهم المتقدمة باحسان يكون منك اليهم فيكونوا لك اخوانا واولياء في
الاوقات وهو كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الاية وقوله تعالى
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون . وقال في اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله علم رسوله عليه السلام وامره ان يتعوذ من الشيطان الرجيم المعنى اذا نزغه وسوسه
وامره ايضا ان يتعوذ من همزاتهم وهمزهم وقصده بذلك وامره ان يتعوذ مكانا لوسوسته حتى يدفع منهم
ولا يحضروا ذلك المكان وكان التعوذ من نزغهم ليدفع عنهم لئلا يؤثر في نفسه كيدهم اذا حضروه
ووسوسوه والتعوذ عن همزهم هو ان يدفع عنه طعنهم ونخسهم لئلا يشغلوه بذلك قصده والتعوذ عن
حضورهم مكانا لوسوسته قال الحسن همزات الشياطين الموسوسة في القلب وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقال بعضهم همزاته ونزغاته واحد وقال
القتبي همزات الشياطين طعنها ونخسها ومنه قيل للعائب همزة كانه يطعن وينخس وقال ابو عوسجة همزات
الشياطين وساوسهم يقال همز يهمز همزا اي يتكلم ويوسوس ومن وجه اخر همزه يهمزه همزا اذا عابه ومنه قوله ويل لكل همزة
لمزة والله اعلم ثم في قوله رب اعوذ بك من همزات الشياطين الخ ما ذكر وجهان على المعتزلة احدهما انه
جل وعز امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ به مما ذكر فلو لم يكن عنده لطف لم يعطه ما لو اعطاه الله تعالى
لدفع به ما ذكر وانه ما لا يملك ذلك اذ لو كان يعطيه ما لك لبذل فلا يخرج السؤال مخرج الهزء وهذا من طلب من احد شيئا
يعلم انه ليس عنده ذلك يخرج ذلك الطلب مخرج الهزء به فعلى ذلك هذا والله اعلم والثاني ان كل ما يؤمر
بالتعوذ جعل الله تعالى له الاعاذة عما يتعوذ والوجهان ينقضان على المعتزلة في قولهم ان الله تعالى قد اعطى
كل الاصلح في الدين ولم يعطي العصمة عن كل زيغ وضلال والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب
ارجعون . بعد الموت وبعد ما عاينوا هول الاخرة وافزاعها الا ان الموت ليس هو بشيء يحيي من مكان الى
مكان انما هو شيء يذهب بالحياة التي فيهم وان اهل التاويل قالوا ان ذلك عند معاينتهم ملك الموت وعند مجيئه
عليهم باهواله فعند ذلك يسالون الرجعة الى الدنيا والاول اشبه واقرب والله اعلم ثم قوله حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون ليس هو صلة قوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
ولا جوابه لانه ليس من نوعه ولا من جنسه ذلك ولكنه والله اعلم صلة قوله بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون
وجواب قوله وانهم للحق كارهون وغيره الذي تقدم ذكره يقول وانهم على ذلك حتى اذا جاء احدهم الموت فعند
ذلك يرجع الى الحق ويصدق لكن ذلك لا ينفعه في ذلك الوقت ثم ذكر قال رب ارجعون ولم يقل رب ارجعني
وذلك يخرج على وجهين احدهما انه سال على ما يسال الملوك ويخاطبون انفسهم على الجماعة وان كان
المخاطب به واحدا على ما خرج من الله تعالى انا انزلناه ونحو ذلك والثاني ان يكون قوله رب ارجعون سال ربه ثم
ان يامر الملائكة الذين يتولون قبض روحه ان يرجعوه الى ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا انها كلمة هو قائلها . قال بعضهم فيما تركت اي فيما كذبت وقال بعضهم فيما تركت اي فيما تركت من الاموال
لم يؤد منه حقه الذي لكفرهم ما كان سبب كفرهم الا منع الزكاة وجحودهم لقوله لا يؤتون الزكوة وهم
بالاخرة هم كافرون فيسال ربه ان يرجع الى المال الذي تركه ليؤدي الحق الذي كان فيه منعه كقوله لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين وقوله فاصدق اي فاتصدق بالصدقة التي منعتها
لان الحظ كان في الصدقة وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم الاية وهذا اشبه والله اعلم وقوله كلا هو رد
لما سال من الرجعة وقوله انها كلمة هو قائلها قال بعضهم قوله انها كلمة هي قول الله تعالى ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها هو قائلها اي الله تعالى قائلها وتلك الكلمة قوله ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله اعلم
وقال بعضهم انها كلمة هو قائلها يعني الكافر عند معاينة العذاب وهو قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت ثم قوله كلا هذا يحتمل وجهين احدهما انه لا حقيقة لسؤاله الذي سال من الرجعة ليعمل العمل

الصالح اي فانه قال رد ورجع لا يعمل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه الآية والثاني ان لا ينفعه تعلقه بطلب
الرجعة اذ لو رجعوا لا يصلون الى ما يأملون لانهم يسألون ليؤمنوا فيصلوا الى النعيم وينجوا من العذاب
والايمان الذي هو سبب النفع في الآخرة هو الايمان بالاستدلال عند الغيب فاذا لم يستدلوا وتركوا
النظر والتأمل حتى حصل لهم العلم بطريق الاضطرار بالمعاينة لم ينفعهم الايمان والله اعلم وقوله تعالى
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ، قال بعضهم من ورائهم اي من امامهم وقال بعضهم من ورائهم على
حقيقة الوراء قال ابو معاذ انه مشتق من توارى عنك وكلما توارى عنك فهو امامك كان او خلفك وهو
ذلك وقوله برزخ الى يوم يبعثون قال بعضهم البرزخ هو ما بين النفختين وقال بعضهم البرزخ هو الاجل
والمدة بين الموت والبعث وهو قول الكلبي وقتادة وقال مجاهد البرزخ هو حاجز بين الموت والبعث
وهو قول الكلبي وقتادة وقال مجاهد البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع الى الدنيا وقال ابو عبيدة يعني
البرزخ ما بين الدنيا والآخرة وقال كل شيء بين شيئين فهو برزخ وقال ابو عوسجة البرزخ ما بين الحدين
يعني في الدنيا والآخرة وقال البرزخ الارض المستوي واصل البرزخ الحاجز ومنه قال بين البحرين وجعل
بينهما برزخا اي حاجزا وتأويله اي صائرون الى الوقت الذي يحجزهم عما يتمنون ويشتهون وهو كقوله
عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون انما يشتهون الايمان والاعمال الصالحة والله اعلم ويحتمل ان يكون
قوله ومن ورائهم برزخ اي من ورائهم احوال الممكنة الا انما بعدها احوال لا يمكن فيها الايمان وما تمنوا من العمل
الصالح والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية لانهم يقولون بان البعث هو ان يحصل للمؤمن من الاعمال الصالحة
صورة روحانية يبقى ببقاء تلك الصورة الروحانية وفي الاعمال القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحة
روحانية فهي تعاقب وتعذب ابدا فذلك البعث عندهم فاخبر تعالى ان ما بين موتهم وبين البعث
برزخا وهو الاجل الذي ذكرنا او الحاجز والحاجز يدل على نقض قولهم ان لا بعث الا خروج الصورة الروحانية
والله الموفق وقوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ان كان قوله فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون على العموم في جميع الناس كافة فذلك في اختلاف المواطن على ما قاله ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره من اهل التأويل لاختلاف الاوقات لا يتساءلون في موطن او وقت ويتساءلون في وقت
آخر وفي موطن آخر الا ترى انه قال فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ونحوه وان كانت الآية في الكفرة خاصة
فهو يخرج على وجهين احدهما فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون لانه كان يتناصر بعضهم ببعض على عدوهم
ويعين بعضهم بعضا ويكونون ردءا لهم في هذه الدنيا وشفعاء واعوانا وانصارا فاخبر ان ذلك ينقطع بينهم
ويذهب ذلك التناصر عنهم في الآخرة والعرب خاصة كانت يتفاخر بعضهم على بعض بالانساب ويتناصرون فاخبر
ان ذلك ينقطع عنهم في الآخرة والثاني لا انساب بينهم بما ذكر من اشتغالهم بانفسهم من فزع ذلك اليوم
واهواله ينسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وقوله يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه وقال في آية اخرى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
وقال تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها فذلك كله لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه
كان يكون له في نفسه شغل حتى لا يتفرغ الى احد ولا ترى عند اشتغالهم بانفسهم وذلك في الناس جميعا
اعني في حق الكافر والمسلم اعني فهو ما ذكرنا ان ذلك يكون في اختلاف المواطن والاوقات يتساءلون في وقت
ولا يتساءلون في وقت ويتساءلون في موطن ولا يتساءلون في موطن او يتساءلون عن شيء ولا يتساءلون عن آخر
وروي خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب ينقطع الا نسبي وكلام نحوه يحتمل قوله الا نسبي وجهين
احدهما الشفاعة لذي انسابه لا يكون ذلك لغيره في نسبه فاذا كان هذا فهو على حقيقة نسبه والثاني اراد
بقوله الا نسبي المتبعين له في دينه لان كل من اتبعه فقد انتسب اليه وكانه قال ان كل شفاعة دوني منقطع
الا شفاعتي لمن اتبعني وانتسب الي بقبول دينه والله اعلم وقوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه ، جائز ان يكون ثقلت موازينه اي من عظم قدره ومنزلته عند الله تعالى بالاعمال التي
عملها من الصالحات والحسنات وهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند الله تعالى باعماله الخبيثة
السيئة فهو من الذين خسروا انفسهم والله اعلم وقد ذكرنا اقاويل اهل التأويل في الموازين فيما تقدم
وقوله تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ، قال بعضهم تلفحهم النار لفحة فلم تدع لحما على عظم الا القته
ثم قال بعضهم تلفح وجوههم النار اي تنفخ وقال بعضهم تشوي وتحرق وكذلك عادة النار انها تعمل كل هذا العمل
وقال ابو عوسجة اي تضرب والنفخ الضرب يقال لفحته النار اي ضربته فاحرقته ولفحته تلفح لفحا ومنه لافحة
وهم فيها كالحون قال بعضهم عابسون وكذا قال ابو عوسجة الكالح العابس والله اعلم وقوله تعالى الم تكن آياتي تتلى

عليكم فكنتم بها تكذبون ، كذلك كانوا يكذبون بآياته وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا ، قال اهل التأويل اي غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة وهذا لا يحتمل لانهم يقولون
ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في امره والتضييع ولا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما
كان منهم اذ لو كان لما ذكروا ولكان يكون في ذلك طلب العذر لانفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا
لانفسهم ولكنهم يقرون بما كان منهم كقوله فاعترفوا بذنبهم وذلك يحتمل وجهين احدهما يقولون ربنا
شقينا باعمالنا التي عملناها وظلمنا انفسنا وكانوا سلطنا اليه وذاك حملنا عملناها اعمالا استوجبنا بتلك
الاعمال الجزاء فنجزى بذلك الجزاء او غلب علينا جزاء تلك الاعمال وكلام نحو هذا واما ما قال اهل التأويل غلبت
او كتبت فهو بعيد لانه انما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختاره ولا يكتب عن الذي علم انه يفعل او
يختار فلا يكون مغلوبا او مضطرا في الفعل والله الموفق وقوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون ، ظلم عيان وظلم ظاهر وما لا فاتكانوا اقروا بالظلم بقولهم فاعترفوا بذنبهم وقولهم وكنا قوما
ضالين فقد اقروا بالظلم لكنهم قرنوا بظلم خبر وظلم سماع الى ظلم عيان وقوله تعالى قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون
قال بعضهم اخسؤوا اي اسكتوا وقال بعضهم اي ابعدوا وقال ابو عوسجة يقال خسأت فلانا واخسأته اي باعدته
في ما احسن تباعد وقوله ولا تكلمون يحتمل وجهين احدهما جائز ان يكون هذا السؤال منهم في وقت ما دخلوا
فيها فقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فانكم ما كنتم ويحتمل ان يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألوا مالك
الموت مرة كقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك يعني الموت واخبرتكم ما كنتم فيها لو سألوا ان يخفف
يوم من العذاب فلما ايسوا منه فعند ذلك يسألون اخراجهم منها والاعادة الى المحنة فقال اخسؤوا فيها
اي ابعدوا فيها ولا تكلموه اي تقصيره تعالى لا يعد لونه على الكلام لشدة العذاب عند ذلك يكونون كمن
قال وقوله تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون ، يخبر جل وعلا اولئك الكفرة الذين يسألون الاخراج
من النار انكم قد اتخذتم فريقا من عبادي امنوا اي سخريا وكنتم منهم تضحكون بذكر هذا لهم والله اعلم ليكون
ذلك حسرة عليهم ونكاية وقوله سخريا اختلف في قراءته وتأويله قرأ بعضهم سخريا بكسر السين وقرأ بعضهم
برفعه قال ابو معاذ من قرأه برفع السين فهو من العبودية والخدمة اي تخذتموهم خولا وعبيدا ومن قرأ بكسر السين
وقرأ بعضهم برفعه فهو من الاستهزاء فانه قال الكسائي الرفع والكسر جميعا من الاستهزاء ولا يقال في العبودية
الا برفع السين وقال بعضهم هما سواء وقوله حتى انسوكم ذكري وقال بعضهم اي حتى انساكم الهزء بهم عن العمل
بطاعتي وقابل اضاف الانساء الى الذكر لانهم كانوا يذكرهم وقد عاتبهم الى ذكر الله تعالى يهزئون بهم فاضاف اليه
لذلك كان هذا كاضافة الرجس الى السورة لانه خلاف انما يزدادهم عند تلاوة السورة فاضيف ذلك
الى السورة والا كانت السورة لا تزيد رجسا فعلى ذلك اضاف الانساء الى الذكر والمتذكره وقد عاتبهم اليه
بحالة على ذلك فاضيف اليه والله اعلم وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم بما صبروا ، الآية اني جزيتهم اليوم الفوز
بما صبروا في الدنيا على اذى اولئك الكفرة او على ما اقروا به ومنع عنه وان يكون ذلك كقوله بالنصر رسلنا
والذين آمنوا في الحياة الدنيا فنصرهم بانهم هم الفائزون صار لهم العاقبة وقوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ، اختلف فيه قال مقاتل بن سليمان اي كم لبثتم في القبور وقال ابو معاذ
قد اخطأ مقاتل في ذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية والمعتزلة لان من كان في عذاب شديد
لا يقصر المقام فيه كل هذا الاقتصار حتى يقول لبثت يوما او بعض يوم بل يزداد له المقام في العذاب
على شدة واكثر الا انه قال انه كان يعني به ما بين النفختين حتى يوذن للارواح فترقد فاذا بعثوا استطالوا
رقدة ذلك المقدار بما كانوا قاسوا قبل الرقدة من العذاب في القبور لهذا يذهب بعض اهل التأويل وجائز
عندنا ما قال مقاتل ومحمد بن اسحق بان ذلك يكون في القبور ثم ذلك لا يدل على نفي عذاب القبر لانهم لا
في القبور بالعذاب الذي يعذبون في الآخرة فجائز ان يستقلوا عذاب القبر لعذاب الآخرة ويستقصر
في ذلك الوقت بعذاب الآخرة لشدته وهوله وذلك جائز في متعارف الخلق ان يكون الرجل في بلاء وشدة
ثم يزداد له البلاء والشدة فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حل به فعلى ذلك جائز ان يكونوا
في عذاب قبورهم لكنهم اذا عاينوا عذاب الآخرة استقلوا عذاب القبر واستقصروا لشدة عذاب الآخرة والله
اعلم او ان يكون عذاب القبر على الروح البدن الذي على روح الحياة نحو النائم يرى نفسه في بلاء وعذاب في
نومه ويكون في نوم وكانت نفسه ملقاة في مكان لا علم لها بذلك ولا خبر فيها آثار ذلك جائز ان يكون
عذاب القبر على هذا السبيل على الروح الذي به يدرك الاشياء لا على روح الحياة الذي يعي والله اعلم وقوله قالوا

ذلك في الدنيا استقلوا حياة الدنيا بحياة الآخرة الا قليل الا ترى انه قال فاسئل العادين هذا يدل على
ان حمل الاية على الحياة الدنيا اشبه حيث امر ان يسال الذين يعدون ذلك انما يكون في الدنيا الا ان الاولى
ثم اختلف في العادين قال بعضهم هم ملك الموت واعوانه والله اعلم وقوله تعالى قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون • ولكن لا تعلمون وقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون • هذا
يحتمل وجهين احدهما او تحسبتم انما خلقناكم عبثا والثاني احسبتم اي لا تحسبوا انا انما خلقناكم عبثا
وانكم الينا لا ترجعون حين خلقه لا الرجوع اليه والبعث عبثا لجهتين احدهما لان خلقه اياهم لا لعاقبة
تحصل او لمنافع تقصد يكون الهلاك خاصة ولعبا عبثا كما الثاني لا لمنفعة تقصد به ولكن للنقض
يكون في الشاهد عموما قال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا سفهها لجهل
في غزلها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدت بها وتهاونا ان تفعل مثل فعلها فلو لم يكن من خلق الخلق الا الموت والفنا
خاصة لا لعاقبة تقصد كان سفها وعبثا والثاني ما احتج الله عز وجل انما انشا هذا العالم وسخر لهذا البشر كله
سخر ذلك كله حيث قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اذ ليس لغير البشر منفعة بهذه النعم التي
انشاها لهم من نحو الجن والملئكة ونحوهم اذ لهم قوام بدون ذلك من الشمس والقمر ونحوه من النعم انما ذلك للبشر
خاصة فاذا كان كذلك لا يحتمل ان يجعل لهم كل هذه النعم التي ذكرها وانشاها لهم ثم لا يمتحنهم بالشكر عليها
ولا يامرهم ولا ينهاهم عما هي فدل ما انشا لهم من النعم وسخر لهم من الاشيا انهم يبعثون ويرجعون اليه
حتى يجزيهم جميعا المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة اذ في العقوبة التفرقة بين الولي والعدو والمحسن
والمسيء وبين الشاكر والكافر ثم راينا هم جميعا في هذه الدنيا اشتركوا على السوية في الضيق والسعة لم نر ما فضل بين
الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر فدلنا لم نر من التفرقة بين ما ذكرنا في هذه الدنيا ان
هنالك دارا اخرى دار الجزاء هنالك تفصل بين من ذكرنا في الجزاء والله اعلم وقوله لا ترجعون قال لا تبعثون
وقيل لا ترجعون اليه بالاعمال التي عملتموها كقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وكقوله
فاستقيموا اليه واستغفروه وقوله تعالى فتعالى الله الملك • اي فتعالى ان يكون خلق الخلق منه عبثا
او تعالى ان يكون خلق الخلق لا للحكمة وقوله الملك الحق قال الحسن الحق اسم من اسماء الله تعالى او الملك الحق هو الذي
خلق الخلق للحكمة وقوله تعالى لا اله الا هو تنزيه وتبرئة عن جميع ما قالوا وقوله تعالى رب العرش الكريم • يشبه
ان يكون من الاول فتعالى الله الملك الحق ورب العرش الكريم عن ان يخلقهم لا للحكمة او العبث وقال بعضهم
العرش القيمة ونحن نقول يشبه ان يكون العرش القيمة على ما قالوا لانهم لا ينفعهم بعثهم ليعتبروا القيمة ويقولون
هو قائم الزمان وهو الامام المعصوم وقلنا يحتمل ان يراد بالقيمة المعروفة وهي كلمته فمعناه رب القيمة وهو الملك
الذي ذكر او العرش الذي يتخاصمون الملك وهو كقوله لمن الملك اليوم لانه يخص ذلك اليوم بالملك له وان كان الملك له
في الدارين جميعا لما لا ينازع في ملكه يومئذ وقد نوزع في الدنيا فخاص ملك ذلك اليوم ووصفا له يومئذ والله اعلم
وقال بعض اهل التاويل العرش السرير اضافه الى نفسه لكرامته ومنزلته عند الله تعالى والكريم هو نعت كذلك
السرير كقوله ومقام كريم او حسن وهكذا يوصف كل كريم اي الحسن وقال بعضهم هو نعت الرب ذو عفو
وصفح والله اعلم وقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر اي لا تجعلوا كقوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر وكقوله
ولا تتخذوا من دونه آلهة والثاني ومن يدع مع الله الها آخر اي ومن يسمي مع الله الها آخر اذ كانوا يسمون الاصنام
التي كانوا يعبدونها الهة على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله تعالى لا برهان له به • اي لا حجة
له بذلك لان الحجة انما تكون بوجوه ثلثة بالاخبار التي يجوز الشهادة على صحتها وصدقها او انما بالعقول التي
تشهد على ذلك واما من جهة الحس يدل على ذلك ولم يكن لهم واحد من هذه الوجوه ثم الجهتين تكون دلالته
من وجهين احدهما بوقوع الحس عليه بالبديهة او بانا تدل على الالوهية فلا في ظاهر وقوع الحس كالالوهية ذلك
ولا لها آثار تدل على ذلك بل فيها آثار العبودية والذل فضلا من ان تكون لها آثار الالوهية ولا من تطمع في ذلك
لان العبادة لاحد انما تكون لوجوه اما للنعم والايادي تكون منه اليه فيعبده شكرا لما انعم عليه واحسن اليه واما لمن
يطمع نفعا منه او يخاف ضره او لما يرى له في نفسه من آثار العبودية له فاذا لم يكن واحد من هذه الوجوه التي ذكرنا
لا عذر لهم في عبادة تلك الاصنام فان قالوا لنا برهان وحجة في ذلك قيل ان الله تعالى قطع حجاجكم هذا بما ذكر
من قوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره وقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا ونحو ذلك من الايات التي فيها قطع حجاجهم وفي حرف حفصة رضي الله عنها الا سلطان له به مكان
قوله لا برهان له به والله اعلم وقوله تعالى فانما حسابه عند ربه • قال قائلون حسابه عند ربه هو قوله انه لا يفلح
الكافرون وقال بعضهم حسابه جزاؤه لصنيعه عند ربه كقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والله اعلم

وقوله

وقوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين • جائز ان يكون هذا تعليما من الله تعالى لكل احد سؤال
المغفرة والرحمة وقيل هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج على وجهين احدهما ان في حكمته وعدله
ان لا يغفر ولا يرحم احدا وان كان بفضله ورحمته يرحم ويغفر والثاني يجعل له بفضله الرحمة بهذا الدعاء
وان يكون العصمة تزيد في الخوف كقول ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وقوله وانت ارحم الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره
ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته والله اعلم • تم هذه السورة الشريفة • والحمد لله رب العالمين

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى سورة انزلناها • اي سميناها
سورة وجعلنا تلاوتها سورة ولم نجعل غيرها من السور بالتلاوة كما جعل لهذه فجاز ذلك لكثرة ما فيها
من الاحكام من الفرائض والاداب وبما بالناس الى ذلك حاجة والمعنى لم يذكره الله عز وجل ولا يوقف
عليه ولكنه ذكر هذا المعنى وحكمته عنده وله الخلق والامر قال ابو عوسجة السورة القطعة من كل شيء
سورت الشيء اذا قطعته وقال بعض العلماء انما سمي القرآن لجملة السور المجتمعة وسميت السورة مقطوعة
من الاخرى فلما قرب بعضها الى بعض سمي قرآنا كقوله ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي فاذا جمعناه
والفنا فاتبع قرآنه اي اتبع ما جمع فيه فاعمل به من امره ونهيه وقال الليث الشعر قرآن اي نظم وتاليف وقال ابن
ما قرات ناقة قط اي لم تجمع في بطنها ولدا وقال بعضهم سورة بلا همز هي المنزلة والرفعة وبالهمز سؤرة كبقية
سمي سؤر الحوض وسؤر الطعام اي بقية ما شرب وقطعة منه ثم قرئت بالنصب سورة انزلناها وبالرفع وهي العامة
الظاهر من قراها بالنصب اوقع الفعل عليها اي انزلنا سورة والفعل اذا وقع على شيء انتصب تقدم الفعل
او تاخر كقولك زيدا ضربناه وضربنا زيدا وقال بعضهم انما انتصب لاضمار فيه كانه اتبعوا سورة واذكروا
سورة انزلناها كقوله زيدا ضربناه وضربناه زيدا كقوله ناقة الله اي بالنصب اي احذروا ناقة الله والله اعلم
ومن قراها بالرفع رفع على الابتداء وكل ما يشتغل به ضمير رفع وقيل رفع بالهاء الزائدة اليه كقولك زيد ضربناه
وبعمر الهاء انقاله زيد ضربنا والله اعلم وقوله تعالى وفرضناها • قرئ بالتخفيف فرضناها وبالتشديد فرضناها
بالتشديد يخرج على وجهين احدهما اي كثرنا فيها الفرائض والاحكام والتشديد والتكثير وكذا العبة وفرضنا
فرضناها اي فصلنا فيها بين ما يؤتى وبين ما يتقى وبين ما امر فيها وبين ما نهي والله اعلم وقال بالتخفيف فرضنا
اي الزمنا ما فيها من الاداب وقال القتبي بالتخفيف فرضناها اي انزلنا فيها فرائض مختلفة ومن قرا بالتشديد
يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم الى يوم القيامة وهو التشديد والله اعلم وقوله تعالى وانزلنا فيها آيات
بينات • اي حججا يقيمها ويفهمها كل احد بالبديهة والتامل او ان يريد بالايات التي جمع فيها الا ان الاية انما
تستحق اسم الاية اذا جمعت كلمات وحروفا فاما الكلمة الواحدة والحرف فلا يستحق بهذا الاسم او ان يكون فيها آيات
بينات ما ذكر فيها من بين ما يتقى ويؤتى وما يحل وما يحرم والله اعلم وقوله تعالى لعلكم تذكرون • اي يتعظون
بما ذكر فيها من المواعظ ويبين فيها ما زجر عن المعاودة وهي الحدود التي ذكر فيها الا ان سبب الاتعاظ الحد
سبب المواعظ التي تلين القلوب والحدود التي تزجر النفوس وقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة • لو كان الخطاب يجب اعتقاده على ظاهر المخرج والعموم على ما قال بعض لكان لكل احد ان يقيم على
حد بظاهر قوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فلو لم يجز ذلك لقوله تعالى بذلك بقوله فاجلدوا وان يضربوا
جميعا واحدا من الزناة بظاهر قوله فاجلدوا فيزداد الضرب والحد على ما حد الله تعالى اضعافا مضاعفة
فذلك ان اعتقاد العموم فاسد وان يقول قائل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان واليدان
تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه سمي كل ناظر الى ما لا يحل له نظره اليه زانيا ولما لم
كذلك علمه انه الخطاب ظاهر قوله الزانية والزاني الاية ما ذكرنا كله دل ان الاعتقاد على عموم المخرج فاسد وان
المراد من قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة راجع الى الخصوص الى معتمد دون معتمد الحد
دون زان وهو الزاني الذي يجمع في فعل الزنا جميع بدنه العين واليد والرجل والفرج وجميع بدنه ورجع الخطاب
به الى البكرين الحرين او الثيبين الحرين اللذين لم يستجمعا جميع احكام الاحصان فاما من استجمع جميع شرائط الاحصان
فان حده الرجم على اتفاق القول منهم جميعا الا ان طائفة من اهل العلم وهو قول الشافعي اوجبوا عليه مع الرجم
الجلد وفي البكر مع الجلد تغريب عام والدليل على ان المراد به راجع الى البكرين الحرين او الى الثيبين اللذين لم يجمعا

اسباب الاحصان لما ذكرنا من القول المتفق عليه وكذا قوله تعالى فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات من العذاب فذلك الخطاب نصف ما على المحصنات من العذاب على الاماء على انه اراد بالمحصنات
الحرائر التي لم يستجمع جميع اسباب الاحصان وان الخطاب بقوله الزانية والزاني الاحرار لما ذكرنا على الحد
الحر من اللذين ذكرناهما والله اعلم وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا انيسا اغد على امراة هذا
فان اعترفت فارجمها فلم تذكر جلدا وكذلك الحديث ماعز انه اعترف بالزنا وهو محصن فرجمه فلم يثبت انه
جلده وعن ابي بكر رضي الله عنه قال لماعز لما اعترف ثلثا ان اعترفت في الرابعة رجمتك فلم يقل جلدتك ومن
عمر انه لم يرجم امراة زنت ولم يجلدها وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنه ولاجل هذه الاخبار ذهب اصحابنا وقالوا
لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان او عقوبتان وقوله الثيب بالثيب جلد مائة ورجم يحتمل ان خطا اي يجلد
الثيب اذا كان غير محصن ويرجم اذا كان محصنا عملا بالاخبار كلها والله اعلم ثم الضرب في الزنا الذي يتحقق
به الزنا هو الفرج ويقطع في السرقة وهو اليد والرجل الذي به يقوم السرقة وهو اليد والرجل والله اعلم وفي
ان الحدود جعلت زواجر عن المعاودة لم يجعل متلفة مذهبة لمكان تعطل الفعل من الاصل وفي ضرب الفرج هنا
مكان الفعل من الاصل وكذلك في قطع اليد في السرقة اذ تبقى اخرى بها يكتسب وبها يقتضي لذلك افترقا والله اعلم
او ان يقال ان في ضرب الفرج خوف هلاك كما في الانحلال وليس كذلك في قطع اليد حيا في الغالب وقد ذكرنا ان الحدود
لم يجعل مهلكة متلفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة ان ذلك افترقا والله اعلم لم يجعل مهلكة متلفة ولكن
جعلت وفي قوله الزانية والزاني دلالة على ان النفي ليس من عذاب الزانيين ولا من عقوبتهما لانه قال وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين والنفي مما لا يحتمل ان يؤمر بشهوده لانه لا يمكن فدل انه ليس من عذابهما ويدل ايضا
قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ثم اجمعوا على ان لا نفي على الاماء
او انه نفي وان شئت يحتمل فيجعل احدهما انه اراد به قطع الشين الذي الحقهما بفعل الزنا لانه ليس من
الاجرام اكبر شينا واشد من فعل الزنا واراد ان يقطع ذلك عن بين الناس وينسون ذلك بعدها عنهم
او ان يكون اراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنا بذل النفي وذلة الغربة ويحتمل ذلك عن باب التعذيب لا من باب الحكم
اضمار منسوخ لما اشد في الضرب بقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وفيما ذكر النفي وهو الحديث
لم يذكر فيه الشدة لما ذكر في الجلد فيحتمل بقوله اما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فجاز ان يكون الضرب
كان دون التخفيف وعنه نفي زيادة التغليظ من جنسه ارتفع النفي وانتسخ ذلك بهذا ويحتمل ان يراد بالنفي الحبس
كما قال تعالى في قصة قطاع الطريق او ينفوا من الارض حاربين الحبس فيحبس كما يحبس الداعر حتى يحدث توبة وقد جاء
عن عمر رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد ولحق بالروم فقال كفى بالنفي فتنة وقال لا انفي بعدها ابدا
وكذلك روي عن علي رضي الله عنه وقال الحدود سميت بها لانها تعد لذلك سميت حدودا لان لها نهاية
وغاية كما يقال لهذا حد الدار انه منتهاها واخرها فلما كان مكانا معلوما والدفع معلوما دل انه ليس
بحد وقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال بعضهم لا ياخذكم بهما رافة في تخفيفها وهو والله
اعلم انه من اعظم الاجرام في الشين ثم المعتزلة تعلق بظاهر الآية قالوا ان الله تعالى وصف نفسه بالرحمة بقوله
رؤف رحيم ووصف المؤمنين بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار بقوله اشداء على الكفار رحماء بينهم
ثم نهاهم ان تاخذهم رافة على الزانيين وقت اقامة الحدود عليهم دل ان الزاني قد خرج تعلقه من الايمان الذي ذكرنا
من رفع الرافة والرحمة منهما لكن عندنا في الآية دلالة على انه ليس على ما ذهبوا اليه لان الزاني لو كان خرج من الايمان
بالزنا لكان لا يحتاج الى ان يقول لا ياخذكم بهما رافة لانهم كانوا على ما وصفهم انهم رحماء بالشدة على
المؤمنين بقوله اشداء على الكفار دل ان الزاني لم يخرج من الايمان فنهاهم ان لا ياخذهم بهما رافة الايمان وكذلك يعطل
الحد او تخفيفه او يكون النهي عن اخذ الرافة ليحتمل ذلك الحد والالم لينتفع به في الاخرة وهو ان لا يعذب به
الا ترى انه قال ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فائدته لما ذكرنا انه لا تاخذكم بهما رافة في اضاعة الحد
ليندفع به عنهم عذاب الاخرة اذ الرجل قد يتحمل الشدائد والموت بما يامل من النفع في الاخرة نحو من يشرب الدواء
الكريه يقصد به حصول الطمع في البرء والنفع في العاقبة فعلى ذلك يحتمل ان يكون النهي عن اخذ الرافة
في حد الزاني ليقام ذلك عليه فيتحمل الم منجى في الاخرة من عذابه والله اعلم وقوله تعالى وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين قال بعضهم الطائفة الواحد اثنان فصاعدا وكذلك قال في قوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا هما رجلان اقتتلا دل على ذلك قوله فاصلحوا بين اخويكم وهما اثنان في الظاهر لكن
حيث ان ينضم الى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فتكون الطائفة جماعة لا واحد وقال بعضهم الطائفة جماعة
من العشرة فصاعدا ثم يجب ان ينظر لاي معنى امر ان يشهد عذابهما طائفة من بين سائر الاجرام وهو والله اعلم

يحتمل وجوها احدها المحنة اراد ان يمتحن من حضر في اللذات المحرمة على ضرب لحوم ما يحل بغيره لينزجر
عن مثله والثاني لانتشار الخبر في الناس لينزجروا عن مثله والثالث لئلا يتعدى الضارب والمقيم عليه
ذلك الحد ويجاوزه عن الحد الذي جعل له فانه يتعدى منعه من حضره عن المجاوزة والتعدي والرابع لنفي التهمة
عن الحاكم لئلا يتهم الناس اياه انه انما اقام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جرم والله اعلم فان كان الامر يشبه ذلك
عذابهما هذه الوجوه الثلثة التي ذكرنا من انتشار الخبر ودفع التهمة عنه ومنع المجاوزة فالطائفة يراد بها الجماعة
لان الواحد غير كاف كذلك وان كان الاول وهو المحنة فالواحد وما فوقه يكون ممتحن كالذي نفسه بحضوره ذلك
الحد حتى ان لم ينزل والله اعلم وقوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
الآية ان لا يحل للزاني ان ينكح الا الزانية من المؤمنات او المشركة كذلك الزانية من المؤمنات لا ينكحها العفيف
من المؤمنين وانما ينكحها الزاني منهم والمشرك فيكون في ظاهر الآية نهي الزاني عن نكاح العفائف فيحل له نكاح
الزانيات او المشركات فان كان ذلك نكاحا فانه قال ولا تنكحوا المشركات الا الزناة منهم فانه يحل لهم ان ينكحوا المشركات
وكذلك قوله ولا تنكحوا المشركين الا الزناة فانه يحل هذا ظاهره لكنهم اجمعوا على انه لا يحل للمؤمن وان كان زانيا
ان ينكح المشركة ولا يحل للمشركة ان تتزوج بالزاني من اهل الايمان ثم اختلف اهل التاويل فيه قال مقاتل ومحمد بن اسحق
في هؤلاء اي الزاني من اهل الكتاب لا ينكح ان يتزوج الا زانية من اهل الكتاب او مشركة من غير اهل الكتاب وعن ابن عباس رضي
قال نزلت الآية في نفر من مكة هاجروا الى المدينة وكانوا ذوي عسرة وكان بالمدينة نساء يسعين بانفسهن ظاهرا
بالفجور وكن مخصبات او مخاصيب البيت فهم اولئك المهاجرون ان يتزوجوا اولئك البغايا ليصيبوا من خصبهن
وشبعهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستاذنوا في ذلك فنزلت الآية في شانهن الزاني من
اهل القبلة المعلن به لا ينكح الا زانية من اليهود او مشركة الآية وحرم ذلك على المؤمنين اي حرم نكاحهن على المؤمنين
لكن هذا يصلح ان لو كان اولئك المهاجرون مثلهن زناة فاما اذا كانوا اهل ايمان وعفة فلا يصلح ان يقال
فيهم الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وهم لم يكونوا زناة الا ان يقال على الابتداء انه لا يفعل ذلك والله اعلم
وقال بعضهم الزاني لا ينكح اي لا يجامع ولا يزني الا بزانية مثله وكذلك الزانية لا ترضى الا بزان مثلها
او مشرك لا يحرم الزنا وهو قول الضحاك وروي ان نذكر عن سعيد بن المسيب قوله الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة فقال انه يقال انها نسخت بالآية التي بعدها وهي قوله وانكحوا الايامى منكم قال الزناة من
ايامى المسلمين وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل زنى بالمراة ثم تزوجها فقال هما زانيان متى اصطحبا وجائز
ان يكون فيه النهي عن نكاح الزانية والزاني ... لا عن نكاح كانه قال لا تزنوا فانكم اذا زنيتم صرتم
مرغوبا عنكم لا تجدون ان تنكحوا الا زانية او مشركة التي لا تحرم الزنا لان العفائف منهن لا ترغبن في نكاح من
يعلن بالزنا فاذا ارتضيتم لم تجدوا الا من ذكر وهو كما قال الله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ليس فيه النهي
عن قربان الصلاة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكر وكذلك ما روي انه قال لا صلاة للمراة الناشزة و
لا العبد الآبق ليس فيه نهي عن الصلاة انما هو نهي عن نشوزها وعن اباقه فعلى ذلك يجوز ان يكون قوله الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة الآية انما نهى عن الزنا اي لا تزنوا لترغب العفائف والمؤمنات فيكم ولا تزني النساء
لترغب اهل العفاف من المؤمنين فيهن فانكم اذا زنيتم وصرتم مرغوبا عنكم معلنين لا تجدوا الا نكاح من ذكر من
الزانية او المشركة والله اعلم او ان يكون ما ذكر لا يرغب الزاني الا في نكاح الزانية او المشركة وكذلك المراة الزانية
لا ترغب الا في نكاح زان مثلها او مشرك ولا يرغب الزاني في غير الزانية او مشركة التي لا تحرم الزنا والله اعلم
وقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين يحتمل وحرم الزنا على المؤمنين وان كان على النكاح فيكون تاويل قوله وحرم
اي منع المؤمنون عن ذلك اي عن نكاح الزانيات والزناة والله اعلم قال ابو عوسجة في قوله الزانية والزاني يقال
منه زنى يزني وهو ان زنا يزنا زنوا اي ارتقى يرتقي ويقال ... يقال زناته انا زنا اي ضيقت
به علينا وقال اهل الادب قال الزنا زنا زنا اي الارتقاء والصعود يقال زنات في الجبل اي صعدت وقوله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الآية ذكر الرمي ولم يذكر بم رموا لكن يعرف ذلك بالبيان
وهو قوله تعالى فان لم ياتوا باربعة شهداء ذكر الاربعة الشهود والزنا هو المخصوص بالشهود الاربعة دون
غيره من الاجرام فدل ذكر ذلك على ان الرمي المذكور فيه هو الزنا ثم قوله المحصنات هي الحرائر في هذا
الموضع لا العفائف لان قاذف الامة يلزمه التعزير لا الحد الا ترى انه قال فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب الآية كانه اوجب للاماء نصف ما على المحصنات وهي الحرائر لانا لو جعلنا قوله المحصنات
وكناية عن العفائف دون الحرائر لاسقطنا شهادة الشهود لان العفة يكذبها وكذلك يدل قوله الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا ... عبارة عن العفائف فدل ان المحصنات عبارة عن الحرائر ثم ذكر

المحصنون في حكم هذه الآية في الرمي والقذف وان لم يذكر في الآية ثم شدد الله تعالى في الزنا وغلظ فيه
ما لم يشدد ولم يغلظ في غيره من الاجرام مثله ما بها من تعطيل الحد فيها واضاعته وتخفيفه حتى قال ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله ومنها ما امر برجمه اذا كان محصنا مثل ما ترجم الكلاب وتقتل بالحجارة اذا كانت ضارية
بالناس ومنها انه اوجب على الرامي الحد اذا لم يأت باربعة شهداء فلهذا بهذا كله مخصص من بين غيره من الاجرام
وذلك والله اعلم انه قبيح في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع والدليل على انه قبيح في العقل والطبع ما ينفر
عنه طبع كل مسلم وعقل سليم فلو جعل لو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا يأتيه وقيل ينفر الا انه لشهوته
التي مكنت فيه تغلبه وتمنعه عن النفار عنه الا ترى انه لو تمكن مثله من المتصل به من الام والبنت وجميع المحارم
انه ينفعل من لم يحتمل قلبه ذلك وبمثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه فقال ائذن
لي في الزنا فقال ارأيت لو فعل بامك واختك مثله كنت تكره فقال نعم فقال اكره لغيرك ما تكره لنفسك
دل انه قبيح في الطبع والعقل جميعا الا ان الشهوة تمنعه عن النفار عنه والله اعلم وفيه انشاء الانسان
وكما انها لو جعلت فيما بين الخلق حتى لا يهتدي احد الى معلم يعلمه الحكمة والادب ومما لم
لا النفقة بالآباء وارتفع التواصل وحفظ الحقوق التي تقوم بعض لبعض والشفقة التي جعلت لبعض
على بعض من التربية في الصغار وحقوق المحارم ونحوها وبها امتحن البشر والعالم الصغير ويبطل ما ذكر
من الاشياء لهذا العالم وتسخير ما ذكر بما في السموات والارض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنا وغلبته في
والمنكر حتى لا يعرف هذا العالم قبحه ونهاية فحشه انما يعرفه العالم الروحاني الذين لم تكن فيهم هذه الشهوة و
لم يمتحنوا بها واما هذا العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قدر قبحه وفحشه لما تغلبهم الشهوة وتمنعهم
عن النفار عنه والنظر في معرفة قبحه لهذا والله اعلم ما شدد الله تعالى من الزنا وغلظ في احكامه ما لم يغلظ عليه
في غيره من الاحكام وعظم شانه من بين سائر الآثام والله اعلم وقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة ظاهر هذا انه لا يقع عند حضرة القذف فيكون له اتيان الى وقت اياس وهو الموت كمن يحلف بيمين ولم يوقت
لها وقتا فانما يقع الى وقت اياس فيجب عند ذلك فعلى ذلك يجيء ان يكون ظاهره ان يقع على الابد ليس عند حضرة
القذف لكنه لو وقع على الابد لكان فيه سقوطه اذ لا يقام الحد بعد الموت واذا ... شهود الاربعة زجر عن
قذف المحصنات لما لا يجد الشهود على الحال فالذي هو حق شرعا ... الحد فيلزمه بالقذف فان اراد
اسقاطه لم تسقط الا ببينة تقوم على حضرة ذلك ... وحق من الحقوق ثم ادعى العفو في ذلك
او اسقاطه ما اقربه والخروج منه لم يصدق الا ببينة تقوم على حضرة ذلك فعلى ذلك قوله فان لم ياتوا باربعة شهداء
وقع ذلك على حضرة القذف فان اتى به والا حد والله اعلم وقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم تسمية الفسق لهم لا يخلو اما ان يكون بما زنوا وقذفوا
بدبر بانه من الزنا ولما هتكوا عليه الستر من غير ان هتك هو على نفسه فان كان الاول فذلك لا يعلمه الا الله تعالى فكذلك
توبته لا تظهر عندنا وانما ذلك فيما بينه وبين الله تعالى وكانه قال واولئك هم الفاسقون عند الله الا الذين تابوا
وان كان الثاني فانا نعلمه فكانه قال واولئك هم الفاسقون عندكم الا الذين تابوا لكن توبته لا تظهر عندنا
لان توبته هي ان يعزم على ان لا يهتك سترا ويعزم ان لا يقذف بالزنا احدا فاي الوجهين كانت تسميته فسقهم
فان التوبة من ذلك لا تظهر عند الناس من ذلك لم تقبل والله اعلم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما انما توبته فيما بينه
وبين الله تعالى اذا تاب يغفر الله له من ذنبه المغفرة وكذلك روي عن عمر وعامة من السلف عن نحو الحسن وابراهيم
كانما الهم قال التوبة فيما بينه وبين الله عز وجل ثم قال عز وجل ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ليس لهم شهادة بعد
الى الحاكم فيردها ولكن معناه لا تقبلوا شهادة يرفعونها الى الحكام والحجج على كل شهادة يرفعون من بعد
ثم اذا شهد بعدما قذف قبل ان يحلف قبلت شهادته فهو قاذف فدل ان شهادته انما ترد بعد ما حد لما انهم الحكام
وكل شهادة ردت للتهمة فهي لا تقبل ما بقيت التهمة والتهم التي بها جلد القاذف حتى لا ترتفع ابدا الا ان يكون
توبته قوله قد كذبت فيما قذفت وكذا رد شهادته لتهمة الكذب فاذا اكذب نفسه تقبلها لتحقق الكذب
فهذا يبين واصله ان كل توبة كانت بعد التمكين فهي لا ترفع الحكم الذي يجعل له والحد وكل توبة كانت
قبل التمكين فهي ترفع العقوبة قال الله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ولو لم ترفع عنهم تلك العقوبة
لكانوا يتمادون في السعي في الارض بالفساد ولما فيها المخوفة فليس في ذلك التمادي فيه والله اعلم ثم قوله فاجلدوهم
ثمانين جلدة ان كان الجلد ماخوذا من ضرب الجلد فجائز ان يستخرج منه حد الضرب وكيفيته وهو ان لا يجاوز
الجلود ولكن يضرب مقدارا ما يتألم به ويتوجع ولا يمزق الجلود ولا يخرقها لانه الضرب يمزق الجلد خلاف ما امر
لانه اذا مزق الجلود لا يمكن الضرب على الجلود ويستخرج منه التفريق على الاعضاء كلها لانه لو ضرب في مكان واحد

تخرقه

تخرقه وتمزقه وسوى الرأس والوجه والمذاكير لما فيه من التاثير والمجاوزة فان كان كذلك فهو حجة لابي حنيفة
رحمه الله في قوله ان الشهود اذا شهدوا على حد فضربه الامام فاصابته الجراحات ثم رجعوا لا يضمنون ما اصابه من الجراح
لانهم لم يشهدوا على ضرب يجرح ولو ترضيه ما اصابه لذلك لم يضمنوا ثم قد ذكرنا ان قوله والذين يرمون المحصنات
يراد بها الحرائر ولكن المحصنين دخلوا فيه من جنس الحكم من الذي جرى ذكره في المحصنات وهو ما قال ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا وهو الايمان والاحصان والعفة فقد وجد ذلك في قذفهم جناية
مثل قذفها ولئن قذف المحصن وشتمه لم يكن اكثر في الشين واعظم في الحد ولا يكون دونه فيكون في الآية
دليل على ان لا يجب الجلد بقذف مملوكه او مملوك او بقذف الكفر فاما المملوك لما ذكرنا ان المراد من المحصنات
الحرائر ولانا لو اوجبنا على قاذفه الجلد اوجبنا جلد ثمانين وهو لو انه فعل الزنا حقيقة يحد خمسين ولا يجوز
ان يجب على قاذفه بما قذفه من الحد الذي هو ما يوجب في غير ذلك الفعل لان القذف نسبة الى الزنا ادعى الفعل
فيجب الحد فما لذلك الفاعل عن قذفه فان كان بحقيقة ذلك لا يجب على العبد الا خمسين كيف يجب
بالقذف لفاعل بحقيقة ثمانون فهذا ممتنع القول به وكذلك الكفر لما ذكرنا من قوله يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
شرط فيه الايمان والاحصان والعفة وانا عدم واحد مما ذكرنا لم يجب الحد ولانا لو اوجبنا الحد وحددناه
حددناه بقذف عدو الله تعالى ولا يجوز ان يجلد المسلم بقذف عدو من اعداء الله تعالى والله اعلم قوله تعالى
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله الآية روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية قال عاصم بن عدي الانصاري ان دخل منا رجل بيته فوجد رجلا
على بطن امرأته اراد ان يخرج فيجيء باربعة رجال يشهدون على ذلك فيقضي الرجل حاجته ويخرج وان
هو عجل فقتل قتل به وان هو قال وجدت فلانا معها ضرب عليه الحد ولا يفرق امرأته وان سكت سكت على
غيظ فذكر انما ابتلي بذلك من بين الناس ان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بذلك فقال وجدت
فلانا على بطنها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المرأة والى فلان فجمع بينهما وبين عاصم فقال
للمرأة ويحك ما يقول زوجك قالت يا رسول الله انه لكاذب ... ذلك ولكنه رجل غيور وذلك
الذي حمله على ان يتكلم بالذي تكلم به وكان فلان ضيفا لعمه وكان يدخل علينا ويخرج وهو يعلم ذلك ولم
ذلك سلفا من ليل ولا نهار انه لم يدخل علي ضيفا لعمه فقال الرجل يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل الا حقا
فقال يا رسول الله اقسم بالله ما قلت الا حقا ولقد رأيته على بطنها وهي حبلى فقد قربتها منذ كذا
وكذا فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم باللعان عند ذلك وقال يا عاصم فاشهد اربع شهادات بالله
انه لكما قلت وانك لمن الصادقين في قولك عليها ثم قال في الخامسة ان لعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين
ففعل ما ذكر ثم قال للمرأة فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين عليها في قوله والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين عليها في قوله فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرق بينهما ثم قال للمرأة اذا ولدت ولدا
فلا ترضعيه حتى تأتيني به فلما انصرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ولدته احيمر مثل الربشة فهو
يشبه اباه الذي نفاه وان ولدته اسود ادعج جعدا قططا فهو يشبه الذي رميت به فلما وضعت
اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه الذي رميت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الحلف
والايمان التي سبقت لكان لي فيها رأي وفي بعض الاخبار انه لما جمع بينهما فقال لهما اتقيا الله فان الله
يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فان عذاب الآخرة اشد من عذاب الدنيا وفي بعض الاخبار ان الآية نزلت
في شأن هلال بن امية حين قذف فيها ما ذكرنا بالشهادات بالله الآية والاصل في ذلك ان الله تعالى ذكر الشهادة في رمي
الاجنبية المحصنة وابراء القاذف عن الجلد اذا اتى بها وامر باقامة الحد اذا عجز عن اقامتها ثم استثنى رمي الزوج
الذي ذكر في قذف الاجنبية شهادة الزوجين بقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله فاذا لم يدخلا في تلك الشهادة اذا كانا عمياوين او كافرين او احدهما لم يدخلا فيما استثنى لان الاستثناء
استخراج من تلك الجملة المستثناة ويحصل منها الذي ذكر فعل اللعان والله اعلم ومسألة اخرى اذا ابى
احدهما الايمان حد عند بعض اهل العلم وهو قول الشافعي رحمه الله وعندنا لا يحد بالاباء وقد يثبت موجب الحد
بالاباء بظاهر قوله فان لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم اوجب الجلد في قذف الاجنبيتين اذا عجز عن اقامة الشهود
ودرأ عنه الحد اذا اتى باربعة شهود فعلى ذلك اذا درأ عن الزوجين الحد اذا شهد كل واحد منهما اربع شهادات
بالله تعالى فوجب ان ابى احدهما الايمان ان يحد اذ بالايمان يدرأ الحد ويوجب اللعان ولنا ما قال ويدرأ
عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله جعل الايمان سبب درء الحد عنها فاذا ابت ذلك لزم الحد وعندنا
لا يحد بالاباء لانه ليس في الآية ظهور الكذب اذ ليس كل من ابى اليمين يظهر كذبه فيه وانما يحد لظهور كذبه في القذف

وهو لا يظهر في الإماء وإنما يصدق في الأجنبية إذا رماها بأربعة شهداء لأنه في الظاهر عند الناس كاذب لأنه ليس بينه وبين الأجنبية سبب يحمله على إظهار ذلك وهي الغيرة فإذا كان كذلك فهو في قذف الزوجة في الظاهر صادق عند الناس بسبب الذي ذكرنا لا سيطالب حق حبلها على ما روي لا يوطئهن غيره بينهن من بكرة الأزواج ولا يزال صدقه بالنار في اليمين فأما في قذف الأجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحاصل على إظهاره ذلك فهو على ذلك الكذب حتى يأتي ما يزيل الكذب عنه وهو الشهود في الزوجة على الصدق حتى يظهر كذبه ولا يظهر بالإباء لذلك فيتعاولا الحد لانتقام بالإباء البتة ولأن القياس على الشهادة باطل لأنه لا أيمان لا ثبات بل الشهادة تعدد في حال لا أن ترى أنه شهد عليه شاهدا صدق بحق فحلف هو بأيمان لم تكن تعادل تلك الشهادة في سقوط الحق فبطل قياس أحدهما بالآخر ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله جاز أن يكون ذلك في تلك المرأة التي في أمرها نزلت الآية علم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها بالوحي ألا ترى أنه قال إن جاءت به كذا فهو لكذا وإن جاءت به كذا فهو لكذا ثم جاءت به شبيها بالذي رميت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الأيمان لكان لي ولها شأن فعلم كذبها حيث قال لولا الأيمان لكان لي ولها شأن فقد درأ العذاب عن تلك المرأة بالأيمان هذا أو أن يكون العذاب الذي درأ عنها الحبس إذ من قولنا إنها إلى اليمين تحبس حتى تشهد أربع شهادات بالله أو تقر بالزنا أو يكذب نفسه فقد درأ الحبس عنها بالأيمان الذي ذكره الله تعالى علمها إنما المرأة في الزنا لا يظهر الكذب بطل الأول والحد يدرأ بالشبهات ولأن الإباء في الحقيقة إباحة ولو أن إنسانا أباح للحاكم أن يقيم عليه الحد لم يقم عليه ذلك الحد إذ لم يجوز أن يبيح الأيمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذكرناه فلم يجب إقامة الشبهة ثم مسئلتان نحن هنا نذكرهما وإن لم يكونا في ظاهر الآية أحدهما في إلحاق الولد والثانية في تفريق الحاكم بينهما إذا تلاعنا قال بعض أهل العلم إذا فرغ الزوج من لعانه وقعت بينهما الفرقة وإن لم يفرق الحاكم وقلنا نحن لا تقع الفرقة بينهما حتى يفرغا من لعانهما ويفرق الحاكم بينهما فقال أولئك أيضا إذا فرغ الزوج من لعانه نفى الولد عنه وإن لم تلتعن المرأة والقياس في النفي قال وكذلك أنه نفى بفراغ الزوج من اللعان والقياس في وقوع الفرقة ما قال أصحابنا رحمهم الله عليهم أنه لا تقع إلا بعد فراغ الزوجين ويفرق الحاكم بينهما لأن الزوج إذا شهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى امرأته به فإذا ظهر ذلك ظهر أن الولد ليس منه فجاز نفيه بعد الفراغ من لعانه وأما الفرقة فإنها لا تقع بظهور الزنا ألا ترى أن امرأة الرجل إذا زنت لا تقع بينهما الفرقة ألا ترى أن دعوى المرأة باقية بعد فراغ الزوج من لعانه لذلك فرقنا فإن اختلفا في المذهب أصحابنا في المسئلتين جميعا فإنه روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا لاعن امرأته في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وألحق الولد بالمرأة وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عاصم بن عدي وبين امرأته فرق بينهما وفي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب قال ذلك لهما ثلاثا فأبيا ففرق بينهما وفي بعض الأخبار حسابكما على الله أحدكما كاذب لا سبيل لك عليها فدل بما فرق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما أن الفرقة لم تقع بينهما فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تحل له وقال لا سبيل لك عليها قيل قولكم إن الفرقة قد وقعت باللعان دعوى منكم وظاهر الأخبار تشهد لنا وعلى وهم الخصم ثم يقال لهم ما تقولون في المولي إذا مضت مدته وارتفعا إلى الحاكم هل يقع الفرقة بينهما إذا امتنع من الرجوع بها أو طلاقها ما لم يقل الحاكم قد فرقت بينكما فإن قيل فرقة الإيلاء طلاق وفرقة اللعان غير طلاق عندنا قيل هما عندنا طلاق وقد قيل إنكم تزعمون أن فرقة ... الدين بعض الأجل غير ممتنع أن تقع الفرقة باللعان عند تمام اللعان قيل لم يكن الحاكم في الأملاك حسنا ولا صلاح الحكمة وفي الآخر لا يتم اللعان إلا بالقاضي ولا يقع الفرقة إلا بالقاضي قيل لهم ما تقولون في رجل ادعى حقا فأقام شاهدين عليه عند قاض حتى لزمه الحكم قبل أن يقول القاضي قد حكمت فيقال لا بد أن يكون الفعل مثله فكذا اللعان أيضا لما تقولون في العنين أجله الحاكم سنة هل تقع الفرقة بينه وبين امرأته بمضي الأجل لا يقع الفرقة حتى تختار المرأة ويفرق الحاكم بينهما فلذلك قالوا لا يقع الفرقة حتى يفرق الحاكم بينهما قيل ما منع فرقة اللعان أنه كذلك فإن قالوا إنما صار في الفرقة لا يقع في العنين والمولي حتى يوقعها الحاكم لأن الحاكم يقول للزوج طلقها أو فارقها ويقول لامرأة العنين اختاري الفرقة أو المقام معه فلما كان الحاكم ينتظر ما يقول المولي وامرأة العنين لم يقع الفرقة حتى يوقعها فليس في اللعان شيء ينتظره الحاكم لذلك افترقا قيل بل ينتظر الحاكم تكذيب المرأة نفسها فيحدها أو تكون امرأته وكذلك إذا أكذب الزوج نفسه يحد وتكون امرأته والأصل هنا أن الفرقة لا تقع إلا بعد التعانهما جميعا وتفريق الحاكم بينهما لأنه إذا التعنا جميعا ذلك يكون أحدهما ملعونا لأنه كاذب والاستمتاع بالملعون حرام ألا ترى أنه روي في الخبر أنهما إذا التعنا قال

بما أوجبه أي اللعنة التي ذكرت وإنما يلحق اللعن أحدهما إذا التعنا جميعا فأما بلعان الزوج خاصة فلا يقع وإذا كان كذلك فيحتاج إلى أن يفرق الحاكم بينهما وتطرد أحدهما عن صاحبه إذ اللعن هو الطرد في اللغة وهو عندنا كالعقود التي تفسخ لا يكون إلا بالحاكم نحو ما ذكرنا من العنين والذي بإباء الإسلام وغير ذلك لا تقع الفرقة إلا بالحاكم فعلى ذلك هذا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ومسئلة أخرى وهو إذا القاضي إذا فرق بينهما باللعان فأكذب الملاعن نفسه يجوز له أن يتزوجها عند أبي حنيفة ومحمد وعند بعض أهل العلم لا يجوز وبه قال أبو يوسف واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وروي عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وجميع الصحابة رضي الله عنهم قالوا المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وهما يقولان إنه ليس في الخبر لا يجتمعان أبدا وإن ما أكذب نفسه فجاز أن يكون قوله لا يجتمعان أبدا ما داما في تلاعنهما فأما إذا أقام على قوله ولم يكذب نفسه وإنما كان نحو من قال إذ قال ... قبل التوبة وبعدها فدل على ما ذكرنا قوله إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم وقوله ولن تفلحوا إذا أبدا ما داموا في ملتهم فأما إذا انقلعوا عنها فقد أفلحوا فعلى ذلك قوله لا يجتمعان أبدا ما داما في تلاعنهما فأما إذا أقام الزوج على قوله أما إذا رجع عن ذلك فلهما الاجتماع ولأنه إذا أكذب نفسه بعد اللعان قبل الفرقة يحد ويكونان على نكاحهما فيجب إذا أكذب نفسه بعد اللعان والتفريق يحل له أن يتزوجها ثم اللعان عندنا طلاق وهي تطليقة بائنة لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما لاعن بين عويمر وامرأته كذبت عليها إن أمسكتها هي طالق ثلاثا فصار سنة المتلاعنين وإذا كانت السنة في المتلاعنين الطلاق الذي أوقعه عويمر فيجب أن يكون على كل متلاعن أن يطلق امرأته فإذا امتنع ينوب القاضي منابه في التفريق ويكون طلاقا كما في العنين ومن الدليل على ذلك أن قذف الزوج كان سبب هذه الفرقة وكل فرقة تكون من الزوج أو يكون فعل الزوج سببها فإنه يقع بقوله فيكون طلاقا كما في العنين والخلع والإيلاء ونحو ذلك وكذلك جاءت الآثار عن السلف أن كل فرقة وقعت من قبل الرجال فهو طلاق عن إبراهيم والحسن وسعيد وقتادة ونحو ذلك وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا الحرف مما اقتضى الجواب فيحتمل أن يكون جوابه لولا فضل الله عليكم ورحمته لأظهر الملعون منهما من غيره لكي لا ينتفع بأحدهما بما في جهة اللعن الذي ذكرنا لا يحل الانتفاع بالملعون ألا ترى أنه روي في الخبر أن امرأة تركت ناقتها ولعنت فأمر بها أن ينزع ثيابها ويخلى سبيلها لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوز لغيره أن ينتفع به وإن كان لا يجوز لأحدهما أن ينتفع بصاحبه ما دامت اللعنة قائمة وجاز أن يكون فيه وجه آخر وهو لولا فضل الله عليكم ورحمته ما لا يحل العقوبة بين الزوجين كما في الأجنبيين وهي الجلد والرجم الزاني منهما لكن بفضله لم يجعل ذلك وقوله تعالى وأن الله تواب حكيم جاز فعله تواب بقبول التوبة إذا تاب وأكذب نفسه ويرفع اللعن عنهما بالتوبة فإذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع والاجتماع بينهما حجة لقول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز نكاحهما إذا أكذب نفسه حكيم حيث حكم بما حكم بين المتلاعنين وحكيم حيث وضع كل شيء موضعه وفي الآية نقض قول المعتزلة أن الله تعالى لا يفعل بأحد إلا ما هو الأصلح له في الدين إذ لو لم يكن له أن يفعل غير الذي فعل لم يكن لتسميته ما فعل فضلا ورحمة معنى وقوله تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة أي الكذب عصبة منكم أي جماعة منكم ثم اختلف في قوله منكم قال القائلون كانوا من أصحاب عائشة رضي الله عنها وقرابتها والموها بما ذكر في الآية وقال بعضهم كانوا منافقين من نحو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وهؤلاء وقال بعضهم كان من الفريقين جميعا من أصحاب أبي بكر وقرابته ومن المنافقين أيضا فإن كان ذلك من أصحاب عائشة وأقربائها فذلك يخرج منها على الغفلة والعثرة ليس على الانتقام والحقد لأن القرابات والمتصلين بالرجل لا يقصد بعضهم بعضا بالانتقام والحقد بمثله فإن كان كذلك يخرج ذلك منهم مخرج الغفلة والزلة لا مخرج الانتقام وإن كان ذلك من المنافقين خرج على الانتقام وطلب السبيل منهم لها فكان في ظاهر الآية دلالة أنه أنباء ذلك الإفك من المنافقين ثم تسامع المؤمنون بعضهم من ذلك وتلقى بعضهم من بعض حيث قال لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا والله أعلم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال بعضهم لا تحسبوه شرا لكم لأنكم تؤجرون في الآخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قذفوا به بل هو خير لكم في الآخرة على ما ذكرنا من الأجر ويحتمل قوله بل هو خير لكم في الدنيا لما ذكرنا في الدنيا لما أظهر الله تعالى ما قذفوا به ودفع عنهم وتكلم بما فرقوا به ووعدهم الجنة بقوله أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وكان قبل نزول هذه الآية موهوما فيما عند الناس ممكن احتمال ذلك الفعل منهن ألا ترى أنه قال في آية أخرى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين

وكان ذلك على الله يسيرا وقال ومن يقنت منكن لله ورسوله الا ان كان الامر جميعا من هو منى ومنهن عند الله
فلما قذفت بما قذفت رفع الله تعالى مكانها مكانا عند كل ناس قبل ذلك ووعد لهم الثواب الكريم والرزق الحسن
بقوله اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ولا شك ان ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة وليس
لاولئك الذين رموها بذلك حق ولم يجاسر احد بعد ذلك ان ينطق فيها بلفظ السوء فضلا عن ان يقول فيها شيئا
والله اعلم او انه قال بل هو خير لكم لما انزل الله تعالى تبيانا بها آيات فيها براءتهم عما قذفوا به تتلى تلك الآيات الى يوم
القيمة فذلك خير لكم والله اعلم وقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ○ اي اثم ما قذفها به والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم هو ذلك المنافق الذي القى ذلك في الناس وله عذاب عظيم وفيه دلالة على ثبوت
نفاقه وكذلك كان لما مات على نفاقه فحقق ذلك الوعيد وقيل انه عبد الله بن ابي سلول والله اعلم وقوله تعالى
لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ○ قال بعضهم اي هلا اذ سمعتموه قذف عائشة رضي الله
عنها وصفوان كذبتم اولئك القذفة بقول الآخرين بعضهم ببعض خيرا وهلا قالوا هذا افك مبين بقول
انس وجل هلا قالوا الافك كذب مبين وعلى هذا يخرج ايضا قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اي
هلا جاءوا لهم باربعة شهداء على قذفهم اياها فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ويحتمل
ان يكون قوله لولا اذ سمعتموه ظن ما ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا دون ان يقولوا افكا
او ان يكونوا لما قيل انه لم يظن احد منكم بنفسه اذا كان مع زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فكيف ظن
بصفوان ذلك اذ كان هو مع زوجته او ان يقال اذا لم يكن يظن احد منكم بامهاته ومحارمه ذلك الظن
ظن بازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن امهاتكم امهات جميع المؤمنين والله اعلم وقوله تعالى
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء ○ اي لم يكن لهم بما قذفوا شهداء ولا يجدون على ذلك شهداء ويجوز ان يكون
قوله لولا اي لم يكن كقوله فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اي لم يكن من القرون من قبلكم اولوا بقية اي
لم يكن من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا كذا هاهنا هذا لانه لم يكن لهم شهداء
على ذلك فكيف يأتون بهم وقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون فان اتوا بالشهداء على
عائشة رضي الله عنها كانوا كاذبين ايضا فدل ان ثمة قيل قوله لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فكيف
قذفوها والله اعلم وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب
عظيم ○ هذا يحتمل وجهين احدهما لولا فضل الله عليكم ورحمته حيث ان لم في قذفكم عائشة رضي الله عنها
بصفوان ما استوجبتم به حتى تبتم عن ذلك والا لمسكم العذاب ولعاقبتكم بما قلتم في عائشة في الدنيا على
هذا التأويل العذاب في الدنيا وعلى التأويل الاول الوعيد في الآخرة لكن بفضله ورحمته دفع عنكم ذلك الالم
وقوله فيما افضتم فيما خضتم فيه وقال بعضهم في قوله بانفسهم خيرا اي بالامهات المرحمين تأويله لولا ظن
المؤمنون والمؤمنات بامهاتهم المرحمين دون ان يظنوا انهن شر والله اعلم ثم فيه تعظيم امر القذف وتشديده فيه
ما لم يشدد في غيره ولم يعظم وجوه احدها قطع طمع اهل الفجور والريبة فيهن لئلا يطمع احد منهم
في المحصنات واولاد الكرام ذلك الفعل فقطع طمعهم بما شدد فيه لئلا يقذفن بذلك ولا يطمع فيهن
والثاني ترك الناس الرغبة في مناكحة المحصنات واولاد الكرام فيرغبوا فيمن دونهن والثالث تحدث ايضا
الضغائن والعداوة بين القذفة وبين المتصلين بالمقذوفات ثم قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لكان هذا من الله تعالى على الايجاب اي قد كان ذلك منه اذ كان مضافا الى الخلق وهو على انه لم يكن لكذا
تاولوا هذا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات يقول للمؤمنين
لولا هلا اذ بلغكم عن عائشة رضي الله عنها وصفوان ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يقول وظننتم
بعائشة رضي الله عنها ظنكم بانفسكم وعلمتم ان امكم لا تفعل ذلك الشيء وقلتم هذا افك مبين لولا جاءوا اي هلا جاءوا
باربعة شهداء على قولهم وتصديق قولهم على مقالتهم فاذ لم يأتوا بالشهداء لكذبهم فاولئك عند الله هم الكاذبون
وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم ○ بالتشديد اي تقبلونه وتلقونه بالتخفيف
اي تاخذونه من الولق وهو الكذب وكذلك قرأت عائشة رضي الله عنها وقال ابو عوسجة اذ تلقونه اي تقبلونه ويقال
تلقيت الكلام ولقيته واحد ثم قوله اذ تلقونه بالسنتكم من غيركم وتقولون بافواهكم فيما بينكم ويحتمل
ان يكونا جميعا بمعنى واحد اي تتكلمون بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا الذي
تكلمتم من القذف حقا والله اعلم وقوله تعالى وتحسبونه هينا ○ اي تحسبونه انتم هينا في الدين لان القذف يحدث
نقصا ان كان في الدين والنقص في الدين عظيم عند الله وعظ الذين خاضوا في امر عائشة رضي الله عنها فقال
فلولا يقول هلا اذ سمعتموه اي القذف قلتم ما يكون لنا اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا الامر وهلا قلتم ما يكون

ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا الامر وهلا قلتم سبحانك هذا بهتان عظيم سماه بهتانا لعظمه العظيم ما قالوا فيها
البهتان الذي يبهت فيتحير فيه لما لم يكن منها القذف من الله قلم وقال ابو عوسجة البهتان الكذب يقال بهت
بهتا اي كذب وقوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ○ اي القذف ابدا ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى
ويبين الله لكم الآيات ○ اي في بيان ذلك وبراءتهم ليبين امره ونواهيه وقوله والله عليم حكيم اي عليم
بكل شيء من قول او فعل حكيم اي يضع كل شيء موضعه وقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين
امنوا ○ كانوا اهل النفاق قصدوا ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا قبل قذف عائشة رضي الله عنها وصفوان فاحبوا
ان تشيع ما قذفوا عائشة وصفوان في المؤمنين واهل النفاق هم الذين القوا ذلك في المؤمنين وقوله تعالى
لهم عذاب اليم ○ اي في الآخرة لنفاقهم وقذفهم عائشة رضي الله عنها واما في المؤمنين وهو ما قال يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين وروي عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت لما نزل عذري قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل امر برجلين وامرأة فضربوا حدهم وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد الله بن ابي وحسان ومسطح بن اثاثة الحد وفي بعض الاخبار ان امرأة
ايضا وهي حمنة لكل واحد ثمانين جلدة ثم ما ذكر من قذف عائشة رضي الله عنها انه بهتان عظيم وما قالوا يحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم ويحتمل ان يكون ذلك في قذف كل محصنة بعدوان ان يكون ذلك خصا
بعائشة رضي الله عنها وهو كما ذكر في قذف المحصنات والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا الآية وقوله ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة وقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين
امنوا هذا يحتمل وجهين احدهما يستعظمون الفاحشة ويشيعونها في الذين امنوا الذين تعلو اذا عقبوها
واشاعوها بانفسهم فيهم ما ذكر من العذاب الاليم والثاني يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لتكون
ذلك ذريعة لهم في المؤمنين فيقولوا ان دينكم لم يمنعكم عن الفاحشة والمنكر لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة
لانهم كانوا منافقين بهم فاول بدء القذف فيهم شاع لذلك كان لهم الوعيد وقوله تعالى والله يعلم وانتم لا
تعلمون اي والله يعلم حقائق الاشياء وانتم لا تعلمون حقائقها وحيث دلالة الحكم بالظواهر واسنادا على الحقائق
والله اعلم وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم ○ لم يذكر جوابه قوله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا بفضله يزكي من يزكي وبرحمته يصلح من يصلح لا بصنيع من نفسه
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء
والمنكر ○ نهى المؤمنين ان يتبعوا خطوات الشيطان ولم يبين ما خطوات الشيطان لكنه قال ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر فيحتمل ان يقول فان خطوته كذا وكذا فلم يقل ايضا ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يفعل الفاحشة ولكنه قال فانه يأمر بالفحشاء والمنكر لكن جوابه ما قال في آية اخرى
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ثم الخطوات
من الخطو والخطى وهما رفع القدم ووضعه واصله انه نهى عن اتباع اثاره وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء ○ التزكية تحتمل التوفيق والعصمة يزكون لما اعطى
لهم من التوفيق والعصمة ويزكون بما نسل اليهم من الرسل والكتب لكن التوفيق والعصمة اشرف فيه نقض
قول المعتزلة فانها خلاف من زكا انما زكى بفضل الله ورحمته وهم يقولون لو فعل بهم جل الله عن فعل كان
جائرا عندهم تعالى عن قولهم ليس بفضل لكنه عادل لانه ما فعل ما عليه ان يفعل فعلى قولهم لا يكون بفضل
انه ليس في الشاهد من فعل ما عليه بفضله متفضلا وكذا على قولهم انه قد اعطى كل ما به يزكو من يصلح
لكنهم لم يزكوا هم بالجنايات هم على قولهم لم يزكو من زكيه ولكن انما زكى بما اعطاه لم فقد اخبر ان من زكى فانما زكى
وانه قد نفى ما لو اعطاهم ذلك لزكوا وقد اعطى في الشيء زكى وصلح ولم يعطه ما لم يزكوا فذلك قوله تعالى الله
يزكي من يشاء والله سميع عليم وقوله تعالى والله سميع عليم ○ اي سميع لاقوالهم وعليم لافعالهم واصله ما ذكر
يعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ○ اي لا يحلف ولا يفعل
من الايلاء وهو الحلف فقال ابو عوسجة ولا يأتل اي لا يقصر ولا ينقص يقال ائتلا يأتلي والايلاء والالوة
التقصير وترك المبالغة ثم يحتمل قوله اولوا الفضل منكم والسعة ويحتمل اولوا الفضل منكم اي من له
الفضل والسعة ويحتمل اولوا الفضل منكم من له الافضال والمعروف ان يؤتوا اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله وذكر اهل التأويل ان ابا بكر رضي الله عنه حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة
وكان قريبه مما تكلم في عائشة رضي الله عنها فانزل الله تعالى النهي عن الحلف على ذلك ولا يأتل اولوا الفضل منكم الآية
وان كان خاصة فان جميع الناس يشتركون فيه وفي ذلك النهي على ذلك ما قال في آية اخرى وهو قوله

ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وذكر انهم كانوا يحلفون ان لا تبروا ولا تتقوا
ولا تصلحوا فيما بين الناس يريدون بذلك ان يكون حلفهم في ذلك عذرا لهم في ترك الانفاق عليهم و
الاصلاح بين الناس فنهوا عن ذلك فذلك النهي الذي كان في معناهم ليس لهم خاصة فعلى ذلك قوله ولا ياتل اولو
الفضل منكم الاية وان كان نزل في ابي بكر رضي الله عنه فهي فيه وفي الذين هم في معناه وان كان يحلف هذا بترك
الانفاق لاساءة كانت منهم اليه والاول على الابتداء لا الاساءة كانت منهم ولكن لحمية وتضرر النفس
في ترك الانفاق والاحسان والله اعلم وكذلك هذه الايات نزلت بنازلة في عائشة وصفوان رضي فاما نزلت
النازلة لمعنى لا انها نزلت لانها كانت عائشة او ابو بكر ولكن لمعنى فكل من وجد فيه ذلك المعنى يشرك في ذلك
فتحمل كان هذه الايات كلها نزلت فيه وهو ما قال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات فكل رام محصنة
غافلة مومنة بريئة مما رميت به دخل تحت هذه الاية نصا وكل رام محصن مومن غافل بري مما رمي به
دخل في الاية لوجود المعنى الذي نزلت الاية دلالة وعلى ذلك جميع القران اذا نزل لسبب او نازلة لمعنى
تشرك من وجد فيه ذلك المعنى في ذلك الحكم فعلى ذلك ما نزل في ابي بكر من النهي بترك الانفاق وما امر من
اصطناع المعروف اليه كما كان منه اليه من الاساءة وامر بالعفو عنه والصفح عنه وهو قوله وليعفوا وليصفحوا اي
اعفوا لهم اساءته واصفحوا اي لا تذكروا لهم عفوكم اياه على اساءته ولا تذكروا له اصلا لان ذكر العفو يخرج مخرج
الامتنان كقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اخبر ان المن يبطل الصدقة وذكر الصفح يخرج مخرج التعيير
والتوبيخ فامر بالعفو ظاهرا والصفح ما ذكر العفو والله جميعا والله اعلم وقوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم
اي حتى تحبون ان يغفر الله لكم ما كان منكم اليه من الاساءة فان احببتم ذلك فاعفوا عن اساءته اليكم والله
غفور رحيم وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات قد ذكرنا ان المحصنات هي الحرائر
والغافلات هي البريئات من الفواحش والمومنات ظاهر وقوله تعالى لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب
عظيم • كان الاية نزلت في المنافقين الذين كان منهم ابتداء القذف واشاعته في الناس كان الذي ذكر
فيهم اللعن والعذاب العظيم وهو كما قال ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا
والاخرة والمومن لا يحب شياع الفاحشة في المومنين انما ذلك على المنافقين ثم اللعن في الدنيا هو الحد
الذي ضربوا وفي الاخرة العذاب الاليم العظيم كانه ذكر اللعن والعذاب الاليم اذا لم يتوبوا وما ذكر في المنافقين
فيكون لهم ما ذكر فاما اذا تابوا عن النفاق وعما كان منهم من القذف فان الله غفور رحيم ومما يدل على
ان الاية في المنافقين ما ذكر على اثره وهو قوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون الاخر ما ذكر وانما تشهد هذه الجوارح على الكافر لانكاره باللسان فاما المومن يقر بذلك فلا
لشهادة الجوارح وهو ما قال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
وقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم اخبر انهم يحلفون لله في الاخرة كما يحلفون
لرسول الله واصحابه في الدنيا فيحتمل ان يكون السنتهم تشهد عليهم بعدما انكروا وتشهد عليهم سائر
الجوارح اذا انكروا وهو ما قال في اية اخرى حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء فيكون شهادة الالسن
بعدما انكروا ثم يحلفون عند ذلك تشهد عليهم السنتهم والله اعلم وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق اي يومنون به جميعا يومئذ ويقرون بالحق لكن لا ينفعهم ايمانهم يومئذ كقوله يوم ياتي بعض ايات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل الاية وقوله تعالى ويعلمون ان الله هو الحق المبين • اي يعلمون
انه ما دعاهم الرسول الله من توحيد الله والامر بالربوبية له والالوهية هو الحق المبين اي يتبين لهم الحق
المبين ما بين لهم ما يوتى به مما يتقى وما يحل مما يحرم والله اعلم وقوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات • اختلف فيه قال بعضهم اي الخبيثات من الكلمات والاقوال للخبيثين
من الرجال والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلمات والاقوال والطيبات من الكلمات للطيبين والطيبون
من الناس للطيبات من الكلمات وقال مجاهد هو القول الحسن والقول السيء فالحسن للمومنين والسيء للكافرين
وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمومنين وما قال المومنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين
كل بري مما ليس عليه له نحوه من الكلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل هذا في الذين قذفوا عائشة
وصفوان رضي الله عنهما وهم حسان بن ثابت واصحابه يقول الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال الخبيثات
من الكلام يخرج من الخبيثين من الرجال يعني به الذين قذفوا عائشة رضي الله عنها ثم قال والخبيثون من الرجال
للخبيثات من الكلام يعني به ما تكلم حسان واصحابه من الفرية فلو كانوا هم صالحين طيبين تكلموا الحسن من الكلام

بالطيب ولكن كانوا خبيثا تكلموا بالخبيث من الكلام ثم قال الله تعالى اولئك يعني عائشة وصفوان مبرؤون
مما يقولون اولئك القذفة لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن وابن عباس صرف الاية الى عائشة وصفوان وعلى
قذفتهم وهو قريب من الاول وقال بعضهم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من النساء والطيبات
من النساء للطيبين من الرجال لكن هذا يتوجه الى النكاح شرعا ووجودا اما الشرع فهو نهي المومنين عن نكاح
المشركات بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا وقوله الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك والمشركات هن الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون وكذلك
الزانيات للزناة منهم والمومنات هن الطيبات فهن للمومنين وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين
من اهل العفاف والصلاح هذا في الشرع واما الوجود فهو ما صير ازواج المنافقين والكفرة على كفر ازواجهن
والرسول الله والادلة وذلك لخبثهن وكفرهن وموافقة ازواجهن فلو كن طيبات لكن لا يصبرن على ذلك
كما لا تصبر المومنة بكفر زوجها والزوج بكفر امراته ومن صبر على ذلك انما صبر لخبثه فبعضهم اكفاء البعض الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات وكذلك الطيبات والطيبون والله اعلم وعن عبد الله بن مسعود رضي انه قال
ان الكلمة الخبيثة لتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الخبيث
فيضمها الى ما عنده من الشر وان الكلمة الصالحة لتكون في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى
يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها الى ما عنده من الخير ثم تلا عبد الله قوله الخبيثات للخبيثين الاية
وجائز ان يكون الخبيثات هي دركات التي تكون في النار للخبيثين الذين عملوا اعمالا خبيثة في الدنيا
والطيبات هي الدرجات التي تكون في الجنة للطيبين الذين عملوا في الدنيا اعمالا طيبة فالدرجات في الجنة
للطيبين الذين عملوا الطيبات من الاعمال في الدنيا والدركات للذين عملوا الخبائث والمعاصي والله اعلم وقال
بعضهم ان الذين يرمون المحصنات الى قوله الخبيثات للخبيثين الاية نزلت في المنافقين الذين قذفوا عائشة
رضي الله عنها وهم عبد الله بن ابي واصحابه وكان قذفها منافقون ومومنون وهو ما ذكرنا ان المومنين
او بعضهم بلغ قذفها ولكن كان ذلك زلة منهم او غفلة فاما المنافقون فقد قصدوا به القذف
والعيب فاوجب المنافقين اللعن والعذاب الاليم ولعنا العظيم على ما ذكر لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم
عذاب عظيم واما المومنون فقال لهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم ثم قال الخبيثات للخبيثين اي الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس ذكر هذا القائل
ما ذكر اولئك المبرؤون من اهل التاويل الا انه زاد فيه من القول والعمل وذلك كله قريب بعضه من بعض والله اعلم
وقال بعضهم ان الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيعقلها القائل فيقول ما نكلم ولكن نفعلها السامع من
من كلام فلان وروي عن كعب رضي الله عنه قال مثل ما قال عبد الله بن مسعود ان الكلمة الخبيثة تخرج
من لسان العبد فتصعد الى السماء فلا تفتح لها ابواب السماء وترجع الى الارض فلا تجد لها مستقرا
وتذهب الى البحور فلا تجد فيها مكانا فتقول اللهم ارني موضعا اسكنه عن الموضع الذي خرجت منه فترجع
الى صاحبها ثم تلا كعب الخبيثات للخبيثين الاية وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا على اهلها روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرا حتى تستاذنوا
وتسلموا على اهلها قال تستانسوا وهو من الكاتب وقال بعضهم الاستيناس الاستيذان وقال بعضهم
الاستيناس الاستعلام وهو ان يطلب من اهل البيت الاذن بالدخول والاستيذان هو طلب الاذن منهم
للدخول وروي عن ابي ايوب قال قلنا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فما الاستيناس قال يرفع صوته بالتحميد
وبالتسبيح او بالتكبير ليوذن للدخول فاذن هذا يرجع الى الاستعلام وقربه قوله فان انستم منهم رشدا
اي علمتم ثم قال بعضهم قوله حتى تستانسوا وهو ان تقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اادخل ام
لا ثم تستاذن وهو ما روي السلام قبل الكلام ولكن الاستيذان للدخول فاذا اذن بالدخول فدخل فعند ذلك
يسلم عليكم كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانما امر بالسلام بعد الدخول فعلى ذلك هذا يستاذن
للدخول فاذا اذن له فدخل فبعد يسلم عليهم لانه لو سلم اولا ثم استاذن احتاج الى ان يسلم ثانيا اذا دخل وهذا الذي
ذكرنا اشبه بفعل الناس وظاهر الاية ثم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لم يرجع الى السكنى وعنها بل يرجع
ذلك الى بيوت مسكونة فذلك يدل لقولنا ان من حلف ان لا يدخل بيتا فدخل المسجد يحنث وقوله تعالى ذلكم
خير لكم لعلكم تذكرون • اي فعل الاستيناس والتسليم خير لكم من تركه لانه ترك التادب بما ادبه الله تعالى
وعلمه لعلكم تذكرون اي تتعظون بادب الله وروي في بعض الاخبار ان من دخل بيتا بغير اذن قالت الملائكة الموكل
بصاحبه وادنته فيسمع صوته الخلق كلهم غير الثقلين وتصعد صوته الى السماء الدنيا فيقول ملائكة السماء

لفلان عضو بيّنة وما ذي قوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم هذا يدل على ان الاستئذان
وطلب الاذن لا لتحيا انفسهم خاصة ولكن لانفسهم ولما في البيوت من الاموال لانه قال فان لم تجدوا
فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم لم ياذن لهم بالدخول فيها وان لم يكن فيها احد حتى ياذن ارباب الاموال
المنازل بالدخول فيها ليعلم ان النهي عن الدخول للانفس والاموال جميعا وهذا لان الناس يتخذون البيوت
والمنازل لصون الانفس والاموال جميعا فكما يكرهون اطلاع غيرهم على انفسهم واما اليهم فلا يطيب انفسهم
الاطلاع من الغير على اموالهم وامتعتهم فلا يدخل الا باذن من اهلها وفي قوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
ذكر في بعض الاخبار ان الاستئذان ثلاث فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع اما الاول فيستمع الحي واما الثانية فليحذر
حذرهم واما الثالثة فان شاؤا اذنوا وان شاؤا ردوا وقيل لا يقعدن على باب قوم ردوه عن بابهم فان للناس
حاجات ولهم اشغال والله اعذر بالعذر وفي بعضها وما ينتم من نحو يا ابن آدم هو ازكى لكم وفي قوله تعالى هو ازكى لكم
لانه اذا لم يؤذن بالدخول فقعدوا على بابهم ولم يرجعوا اورث ذلك معاني تكره احدها تهمة على اهل الدار
على ما تقعد على ابواب اهل التهم من الشرطي وغيرهم وذلك مكروه عند الناس والثاني يكون للناس حاجات
واشغال في منازلهم وخارج المنازل فاذا انتظروا وقعدوا على بابهم صار ذلك ردعهم وشغل قلوبهم
بذلك وتعطل حاجاتهم لانه لو تم لتعلقهم به لذلك كان الرجوع ازكى لهم وخيرا من القعود على الباب والانتظار
ويدل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاستئذان ثلاث فان اذن لك فادخل والا فارجع وقال بعضهم
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول ان سكت عنكم فلم يؤذن لكم فهو قيل لكم ارجعوا وان لم يقولوا بالسنتهم
ارجعوا والله اعلم ثم الاستئذان على المحارم لازم ايضا لانه لا يجوز النظر الى شعرها ووجهها ونحو ذلك
لما بعد الى سره ومن عورتها فيقع بصره عليها وعن ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال انا اخدم
امي وافرشها استاذن عليها قال نعم فساله ثلثا فقال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها
وكذلك روي عن حذيفة ان رجلا ساله فقال استاذن على اختي فقال ان لم تستاذن عليها رايت ما يسوءك
وعن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رض انهما سئلا عن الاستئذان احدهما على الام والاخر على الاخت
فامرا بذلك وعن ابن مسعود رض ملحق بامراة قطعها ان تدخل في بيت النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يحلق باهل المحد
لكن الامر في الاستئذان على المحارم سهل لانه ايسر اذ كان مطلق النظر الى شعرها ووجهها وفي قوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم يحتمل قوله بيوتا غير مسكونة وجهين احدهما بيوتا
غير محتملة للسكنى وهي الخربات والمواضع التي تقضى فيها الحوائج وكذلك ذكر في حرف حفصة رض بيوتا غير معمورة
لكم فيها منافع والثاني بيوتا غير مسكونة محتملة للسكنى الا ان اهلها لم يسكنوها او تركوها لنزول الناس
فيها وهي نحو الخانات والرباطات التي تكون للمارة وعلى ذلك روي في الخبر ان لما نزلت آية الاستئذان قال ابو بكر يا رسول الله
فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وذكر في حرف ابن مسعود رض ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه ساكن لو ان تدخلوا
وقوله فيها متاع لكم ان كان المراد الخانات ونحوها التي فيها نزل اهل السفر فيكون قوله فيها متاع لكم اي منفعة
من الكن في الشتاء والظل في الصيف ودفع الحر في ايام الحر ودفع البرد في ايام البرد وان كان البيوت هي
الخربات والمواضع التي كانت في الطرق لقضاء الحوائج فيكون قوله فيها متاع لكم الحاجة التي لها وقوله تعالى والله
يعلم ما تبدون قيل ما تبدون من السلام وما يكتمون مما تخفون منه وهو في كل شي كقوله والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون ينكر هذا لتكونوا ابدا على حذر وخوف والله اعلم وفي قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم عن ابن عباس رض قال يغضوا ابصارهم عن شهواتهم فيما يكره الله تعالى ثم يحتمل قوله يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم فان حفظ الفروج انما يكون بغض البصر وحفظه والثاني يغضوا ابصارهم
عن النظر الى ما لا يحل من الاجنبيات لان النظر الى المحارم يحل ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والاجنبيات
الا الذين استثناهم في آية اخرى والثالث يغضوا ابصارهم عما في ايدي الخلق ولا ينظروا الى ما في ايديهم كقوله
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم على موافقة الاية وورد في الاحاديث وعن علي رض انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي ان لك كنزا في الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فان لك
الاولى وليست لك الاخرة وعن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن ادم لك اول نظرة واياك
الثانية وعن جرير رض قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني ان اصرف بصري وفي قوله تعالى
ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون اي اطهر لهم وادعى لهم الى الصلاح من النظر وعلى هذا الوجه يخرج قوله
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وفي قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها روي

عن عبد الله بن مسعود رض انه قال الا ما ظهر منها الرداء والثياب وعن ابن عباس رض قال الا ما ظهر منها الكحل
والخاتم وفي رواية اخرى عنه الكف والوجه وعن عائشة رض قالت الا ما ظهر منها القلب والفتخة وهي
خاتم اصبع الرجل وعن عبد الله الزينة زينتان زينة باطنة لا يراها الا الزوج واما الزينة الظاهرة فالثياب
والباطنة الكحل والسوار والخاتم فان كان التاويل ما روي عن ابن مسعود من الثياب وغيرها ففيه دلالة
ان لا يحل النظر الى وجه امراة لا بشهوة وان كان ما قالت عائشة من القلب والفتخة ففيه دلالة انه يحل النظر الى الكفين
والقدمين لانهما الظاهرتان الباديتان الا ترى انهما من الظاهر في فرائض الوضوء وان كان كذلك ففيه [illegible]
مع ظهور العدم وجائز ان يكون النظر الى وجه المراة حلالا اذا لم يكن بشهوة لكن غض البصر وترك النظر اولى
وازكى لقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين ندب الى ذلك تقربا الى ان يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين كما تؤذى الاماء فاما اذا كان بشهوة فلا يحل
النظر ويدخل تحت قوله عليه السلام العينان تزنيان لان زنا العين لا يكون الا النظر عن شهوة الا ان يريد معرفتها
عند الاشهاد او النكاح فانه قد رخص في ذلك فانه روي ان المغيرة رض اراد ان يتزوج امراة فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذهب فانظر اليها فانها احرى ان يؤدم بينكما ولكن الافضل للشابة ان تستر وجهها وبدنها الا دم لعلة تكيده
عن الرجال لئلا يكون في ذلك تحريم ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة ووقوع الفتنة فمن خاف الميل الى الناظر
شهوة فحذر ذلك بان كان شيخا كبيرا او كان المرد ذميما او عجوزا فانه لا يحظر النظر الى وجوه امثالهن وكذلك
في جانب النساء الافضل لهن ان لا ينظرن الى الرجال سوى محارمهن لخوف الفتنة لما روي ان ابن ام مكتوم دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنده بعض نسائه عائشة واخرى فقال لهما قوما فقالتا انه اعمى يا رسول الله فقال
لهما قوما فقالتا انه اعمى يا رسول الله فقال لهما افعمياوان انتما وعن خالد بن معدان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تبيت في مكان تسمع فيه نفس رجل ليس بمحرم لها ولا يحل
لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تبيت في مكان تسمع فيه نفس امراة ليست بمحرم وفي بعض الاخبار انه لم يرخص
للمراة ان ترى غير ذي محرم منها الا الوجه والكف ثم قد ذكرنا الاختلاف في قوله الا ما ظهر منها وعن الحسن
قال الا ما ظهر منها الوجه وما ظهر منها الثياب ولكن الصحيح ما ذكرنا انه لا باس بالنظر الى الوجه والكفين و
الرجلين فانه استثنى من قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ولم يكن موضع الزينة دون عينها فان النظر
الى الزينة حلال لكل احد من الحلي واللآلي والجواهر فكان من مواضع الزينة الظاهرة مستثناة من الاية والوجه
موضع الزينة وهو الكحل واليدان موضع الخاتم ويعرف في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على
ما قلنا فانه روي عن عائشة رض انها قالت دخلت علي اختي اسماء وعليها ثياب شامية رقاق وهي اليوم [illegible]
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ثياب لا تحبها سورة النور فامرتها فاخرجته فقلت يا رسول الله
زارتني اختي فعلت لها ما قلت فقال يا ابا بكر ان الجارية اذا حاضت لا يصلح ان يرى منها الا وجهها وكفاها فان
هذا كان تفسيرا لقوله الا ما ظهر منها والله اعلم وفي قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن روي عن عائشة رض
انها قالت لما نزلت هذه الاية اخذ النساء ازرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن به وعن ابن عباس رض
في تاويل الاية وليسدلن بخمرهن على جيوبهن يقول ليرخين بخمرهن على الصدر والنحر فلا يرى منها شي قال
وكن النساء قبل هذه الاية انما تسدل خمرهن من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت الاية سدلن الخمر
على النحر والله اعلم ثم رخص للاجنبي النظر الى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر من الوجه والكف على رخص
ما خفي منها وما بطن ثم استثنى المحارم منهم ورخص لهم النظر الى ذلك بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
الى آخر ما ذكر في ظاهر الاية اباحة النظر الى موضع الزينة الخفية وهو الصدر والاذنان والراس والساق
ونحو ذلك والنظر الى هذه في الجملة لا يباح لكل من ذكر فانه لا يباح للمملوك لها ان ينظر الى هذه المواضع وقد
قال او ما ملكت ايمانهن فجائز ان يكون المراد رخصة النظر الى نفس الزينة في موضع الزينة لا موضع الزينة
فيدخل في هذه الرخصة جميع من ذكر من المماليك والتابعين غير اولي الاربة من الرجال لان الزينة وما ذكر
انما تكون من ورد ثياب تكون على الصدر ثم رخص النظر للمحارم الى مواضع الزينة الخفية بغير هذه الاية
ويحتمل ان يكون رخصة النظر للمحارم الى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين ومن ذكر به رخصة
الدخول عليهن فيكون في الاية اضمار الدخول كانه قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ومن ذكر من المحارم
لا يدخل عليهن الا العبيد والتابعون من ذكر انما يباح الدخول لانهن وقت دخول هؤلاء لا يكن
متاهبات لان وقت دخول هؤلاء لا يكون معلوما فيتاهبن لهم لان العبد انما يدخلون على سيدهم
عند حاجتهن اليهم والتابعين انما يدخلون اذا دخل ان لو حجهن عليهن فيتاهبن لذلك ومثل هذا الاضمار جائز

في الكلام يتبين ذلك بالاستثناء كقوله أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم
دل قوله غير محلي الصيد على أنه قد كان الصيد مذكوراً فيه مراداً إذ لو لم يكن مذكوراً لم يكن استثناء منه وعلى
ذلك جاز أن يكون في الآية إضمار الدخول عليهن لهؤلاء الذين لا يحل لهم النظر إلى موضع منهن ورخصة الإذن
للخادم والله أعلم ثم جمع بين الأب وبين من سمى معه وبين الزوج في النظر إلى زينة المرأة ولا خلاف في أن الأب
لا يجوز له أن ينظر من عورة ابنته إلا إلى رأسها وقد يكون فيهما القرط فيجوز للأب النظر إلى
أذنيها ولا خلاف أيضاً أن له أن ينظر إلى صدرها وهو موضع الزينة لأنه مما تغطيه الخمار وينظر إلى الحجر وهو
موضع الخلخال من قدميها وهذه مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للأجنبي النظر إليها ثم عطفها على العورة
لا يحل لأحد النظر إليها إلا الأب وغيره من المحارم إلا الزوج خاصة من زوجته والمولى إلى مملوكته وهو ما قال
والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فاستثنى الأزواج والمولى من بين غيرهم
لأن النظر إلى ذلك لا يكون إلا للشهوة ولا يقع فيه حاجة فلا يباح ذلك إلا لمن أحل له الشهوة والوطء وهو
الزوج والمولى فانقسمت العورة إلى جهتين جهة يحل للمحارم منها النظر إليها لحاجة تقع لهم وجهة لا تحل
إلا للأزواج لما لا يقع لهم حاجة إلى النظر إلى ذلك ألا ترى أن الأمة ينظر إلى شعرها وذراعيها وساقيها وصدرها
إذا أراد شراءها فإذا جاز للأجنبي أن ينظر إليه من الأمة لحاجة الشراء لأن يجوز النظر للمحرم إلى هذه المواضع لحاجة
أولى وقد قيل إن الشرع في النظر إلى مواضع الزينة الخفية للأجنبي التداوي وهو أصل لسعة ذلك للضرورة فأما الحاجة
فلم لم يذكر في الآية المحارم جميعاً إلا الأعمام والأخوال قال بعضهم إنما لم يذكر في هذه الآية لئلا ينعتها لبنيهما وقد
كره من كره للمرأة المسلمة إبداء الزينة الخفية للكافرة من اليهودية والنصرانية لئلا تصفها لأزواجهن من المشركين
فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك لكنه جائز عندنا أن العم والخال إنما لم يذكرهما للتطويل وقد ذكر من أجله في ذكر
الخصة في أمثالهم كافية والله أعلم وقوله تعالى أو نسائهن يحتمل وجوهاً النساء اللاتي يختلطن بهن أو نساء أقاربهن
وأرحامهن أو النساء اللاتي يوافقنهن في دينهن من المسلمات على ما كره قوم إبداء الزينة لمخالفة دينها من النصرانية على
ما ذكرنا وقوله أو ما ملكت أيمانهن وقال قائلون العبيد والإماء جميعاً فإن كان المراد هو الإماء فهو ظاهر وإن كان
المراد هو الأمة والعبد ففيه إباحة نظر العبد إلى شعر مولاته على ما يقوله بعض الناس والأشبه أن يكون المراد به
والله أعلم الإماء دون العبد على ما ذكر في آخر الآية أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال والعبد من جملة التابعين
من الرجال فصار حكمه معلوماً بذكر التابعين فخص قوله أو ما ملكت أيمانهن الإماء ولأنه لو تم ذكر ذلك لكان
الحر والرقيق في الحرمة على السواء فإن قيل لا فائدة في تخصيص قوله أو ما ملكت أيمانهن على الإماء لأن إباحة نظر
النساء اللاتي عرفنا بقوله أو نسائهن قيل ليس كذلك لأنه أراد بالنساء الحرائر المسلمات على ما ذكرنا من اختلاف
الناس فيها وجاز أن يشكل على أحد أن الأمة لا يجوز لها النظر إلى شعر مولاتها فأبان تعالى بقوله أو ما ملكت أيمانهن
أن الحرة والأمة سواء وعلى أنه إن كان المراد من قوله أو ما ملكت أيمانهن العبيد والإماء جميعاً فعلى ما تقدم ذكره
أن الدخول عليهن مضمر في الآية كأنه قال ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن وما ذكر ولا يدخل إلا ما ملكت
أيمانهن أو التابعون الآية كان التابع وإن كان خصياً أو عنيناً لم يعتبروها على ما قالوا لا يحل لهؤلاء النظر
إلى تلك المواضع فدل ذلك لعبيدك لأن المراد هو إباحة الدخول عليها الدخول بغير إذن حتى يصح الاستثناء على
ما مر والأحكام كذلك في النساء كما أبيحت دخول العبد والتابعين بغير ما ذكرنا أنه لا يحل للحرة أن تراه
سيدها ولكن إنه ليس بمحرم لها والله أعلم فإن قيل ما معنى ذكره إماءهن ونساءهن وكل النسوان يجوز لهن النظر
إلى هذه المواضع من المرأة قيل خص الله تعالى إماءهن ونساءهن دون نساء الأجنبيات تأديباً لأخطار وذلك
أن المرأة قد يضيق عليها أن تستتر من أمتها ونسائها في بيتها لكثرة رؤيتهن لها وقد يبعد أن تستتر من
الأجنبية محاسنها وزينتها لقلة رؤيتها لها ألا ترى أنه نهى المرأة أن تضرب برجلها ليعلم ما يخفين من زينتها
ففي ذلك صيانة للرجل والمرأة وإبعاد لهما مما يحذر عليهما ويخاف وليس ببعيد أن يحصل نهي المرأة أن تظهر
زينتها ومحاسنها للأجنبية لما يخاف على الأجنبية من فساد قلبها وحدوث الشهوة لها صيانة للنساء
والرجال جميعاً وإبعاداً لهم من الزينة ولئلا يصفها الرجل بحسن ما فيتكلف الوصول إليها والله أعلم
وقوله تعالى أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال قال بعضهم الشيخ الكبير الذي لا حاجة له في النساء وقال
بعضهم المعتوه الأحمق الذي لا يشتهي النساء ولا يغار عليه الأزواج وقال بعضهم العنين والخصي
وهؤلاء الذين لا يطيقون الجماع لكن عندنا لا يسع للعنين ولا للخصي أن يخلو بامرأة أجنبية وقال الحسن
غير أولي الإربة من الرجال المخنثون ولكن هذا لا يصح لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يدخل على أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة قالت فدخل النبي ذات يوم وهو ينعت

امرأة

امرأة فقال لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم محجوب وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه
دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخي أم سلمة فقال يا عبد الله إن فتح الله لكم غداً الطائف دللتك على
بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي عليه السلام لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم
وقال بعضهم أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال الذين لا يهمهم إلا بطونهم ولا يخافون على النساء وكله
واحد وهم الذين ليست لهم الحاجة إلى النساء وقد ذكرنا أن التابعين غير أولي الإربة لا يباح لهم النظر إلى مواضع
الزينة الباطنة ولكن الدخول مضمر في الآية فيباح الدخول لمن أن يكون له غير أولي الإربة والله أعلم قال أبو عبيدة
الإربة الحاجة والأرب حاجة وقال ابن عباس غير أولي الإربة هو الذي لا تستحيي منه والطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء قال بعضهم هو من الاطلاع أي لم يطلعوا ولم يعلموا لما هم من الصغر وقال بعضهم لم يبلغوا
الحلم والأول أشبه وذلك أن الطفل الذي لم يحتلم قد أمر بالاستئذان في بعض الأوقات بقوله والذين
لم يبلغوا الحلم منكم والطفل الذي يؤمر بالاستئذان هو الذي يطلع على عورات النساء والذي لا يؤمر
بالاستئذان هو أصغر من ذلك وهو الذي لا يطلع على عورات النساء الصغير والله أعلم وقوله تعالى
ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ولا يضرب إحدى رجليها على الأخرى ليقرع الخلخال بالخلخال
ليعلم ما يخفين أي ما يواري الثياب من الزينة وهو الخلخال الذي يخفى لخفائه الثياب نهى المرأة عن ضرب
رجليها ليعلم الرجال ما يخفى من زينتها وذلك محظور عليها إنما يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس في جسدها
عليها إذ الزينة في الأصل ما جعلت إلا للترغيب والتحريض على نفسها وهي الداعية إلى النظر والشهوة
ففي ذلك بدا الدينة صيانتها وصيانة الرجال وإبعادهم جميعاً من الزينة والرغبة فكشف الشابة
عن وجهها ونظر الرجل لشهوة إليها أحرى أن يكون محظوراً لما فيها نهيا عنه والله أعلم وقوله تعالى
وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون يحتمل قوله وتوبوا إلى الله جميعاً ارجعوا إلى الله بالطاعة
له والخضوع لكي تكونوا مفلحين أو أن يكون قوله توبوا إلى الله أي ارجعوا عما قدمتم من المعاصي والمساوي في حال
مكان ذلك طاعة له ليعفو عنكم ما قدمتم من المعاصي وقوله تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم
وإمائكم المسائل يخرج مخرج الترغيب والتحريض فيه وفي الأحرار يخرج مخرج المعونة والتقوية لأن من بلغ
وكبر النكاح ذكراً أو أنثى استغنى وإن أقرباه وأهل النساء والمتمكنين به في ذلك فاستعانه بهم على ذلك
ولا كذلك السادات في المماليك دل أن الأمر في أحدهما يخرج على المعونة وفي الآخر على الترغيب والله أعلم
ثم تزويج العبد يخرج كأنه فعل المعروف إذ في ذلك لزام مؤونة بلا عوض يحصل له لأنه عليه السلام
مال المعروف من نحو الوصي والأب والمكاتب والعبد المأذون له في التجارة ولا كذلك تزويج الأمة
ما ادعى ملك مولاه ذلك وكل مكتسب خير لنفسه أو لغيره ثم جرى على الوفاق بينهما أن للمولى أن يزوج أمته
مثل ما هي له أب واختلفوا في تزويج العبد أمره وظاهر هذه الآية يدل على الجواز حيث خاطب المولى في
انكاحهم وأثبت لهم الولاية فيكون حجة لأصحابنا رحمهم الله ثم الناس اختلفوا في قوله الأيامى قال بعضهم
الإناث من الأحرار دون الذكور وقال بعضهم تقع على الإناث من الأحرار دون الذكور وقال بعضهم تقع
على الإناث والذكور جميعاً واستدل من قال ببطلان النكاح بغير ولي بهذه الآية فقال لأن الله تعالى أمر
الأولياء وخاطبهم أن ينكحوهن كما أمر الموالي بتزويج الإماء فأوجب للولي الولاية كما أوجبها للمولى ولو كان
يجوز لهن ذلك الولاية لكن عندنا لو كانت خرجت على التفسير ذلك قال الخصوم بأن المراد من الأيامى دون
الذكور لم يكن فيه دليل على ما قالوا هم ويخرج ذلك على وجوه أحدها على الترغيب في نكاحهن للأكفاء
النكاح بأنفسهن حياءً ويستحيين التكلم بالنكاح حتى من فعلت منهن ذلك لنفسها صارت مطعونة عند من
أو أن يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكر الأيامى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فلم ينكحه فأحدث فالإثم بينهما فهذا والله أعلم على وجه المعونة في تزويج
الابن البالغ فإذا كان الأب مأموراً من جهة التأديب على المعونة بتزويج الابنة ولا يوجب ذلك عليه ولاية
ذكره ذلك يكون مأموراً بتزويج ابنته من طريق المعونة ووجه الحياء والله أعلم أو أن يخرج ذلك على ما قال له
خوف ما يقول الولاية عليها ثم إنها لو رغبت في النكاح ورضيت به وكره وليها ذلك أجبر الولي على
وإن كرهت هي النكاح وأبت ورضي الولي وشاء الحبس على ذلك دل على أن الحق ما عليه غدوا أن يكون الحق
في ذلك له عليها فإذا كان الحق لها عليه جاز ذلك إذا تولت بنفسها والله أعلم هذا إذا كان في الآية ذكر الإناث
دون الذكور فكيف وأنه ليس في الآية ذكر تخصيص الإناث دون الذكور واسم الأيم يقع على الإناث والذكور
جميعاً ألا ترى أنه روي عن عمر رضي الله عنه قال ما رأيت مثل من يجلس بعد هذه الآية أيماً

وانكحوا الايامى منكم التمسوا الغنا في الباه وكذلك حديث ابن عباس لما كتب اليه نجدة يسئله ان يحيل الحق
في سهم ذوي القربى لنسائهم دون رجالهم وهو المشهور في كلام العرب قال شاعرهم فقال القائل لحضت في بني
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر. لله در بني علي ايم منهم وناكح. وذكر الفراء لابي ذهيل
عهدي بها في الحي قد جرم حلوقهم. قائمة تأخذ من القوم ايما. وعن ابي حاتم السجستاني انه قال الايامى تدخل فيه
الرجال والنساء. واذا كان كذلك بطل احتجاجهم بالاية لانه لا خلاف ان الرجل يلي على الرجل الايم الا باذنه وكذلك
المراة يجب ان لا يولى عليها الا باذنها والله اعلم. قوله تعالى والصالحين من عبادكم وامائكم. جاز ان يكون
قوله والصالحين في المؤمنين وجاز ان يكون الصالحين من طلب الصلاح والعفة منكم واذكر الصالحين
لما ان العبادة من قبل ذلك انهم يخاطبون اهل الصلاح منهم والاخيار لا على اخراج غيرهم من حكم ذلك الخطاب.
والله اعلم. قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم. من الناس من استدل بهذه الاية
على ان العبد يملك الاموال لانه ذكر في آخره الغنى. دل انه يملك وان استدل ايضا بقوله فانكحوهن باذن اهلهن
وآتوهن اجورهن اضاف الاجور الى الاماء. النهي دل انهن يملكن والله اعلم لكن عندنا ان المماليك يملكون ملك النكاح
وملك التصرف ويقع لهم غنى التوسيع وغنى التصرف فلا يقع لهم التملك لا حقيقة الملك والدلالة على ذلك
قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه
سواء لو كان ما ملكت ايمانهم يملكون ما يملكون الموالي والسادات لكان المماليك يفضلون على السادات
في الملك اذ هم الذين يتصرفون ويكتسبون الاموال دون السادات. اخبر لذلك بتفضيل بعضهم على بعض انهم
لا يملكون ما يملك الموالي والثاني قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل
يستويان مثلا ولو كانوا يملكون على ما يملك السادات كانوا لهم شركاء. دل انهم لا يملكون حقيقة الملك ولكن
يملكون ملك التوسيع والتصرف والله اعلم وان قوله يغنهم الله من فضله راجع الى الاحرار منهم وفي الاماء
وذلك يجوز في اللسان ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة حق على الله تعالى ان يعينهم
المجاهد في سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء. قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله. الاستعفاف هو طلب العفاف وكانه قال ليطلب الاسباب التي تمنعه
عن الزنا وتصيره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله واسباب العفة تكون اشياء احدها النكاح على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء. فيكتسب اسباب العفة اذا لم يكن عنده ما ينكح حتى لا يقع
في الزنا الى ان اغناه الله تعالى وهو كقوله عليه السلام من استعفف اعفه الله تعالى وجائز ان يكون قوله وليستعفف
اي يتعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله المحتمل الله تعالى الذي يعجز عن النكاح الاستمتاع
الفروج والاستمتاع بها اذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل في الاموال لغيرها وخصة التناول في ملك غير الحاجة
والضرورة ببذل الوجوه احدها انه خصة التناول في ملك الغير عند الحاجة انما يكون عند الضرورة
والضرورات لا يقع في الفروج وفي الاستمتاع بالنساء في الاصل كانه انما جعل وابيح لبقاء النسل كالتعلم
والله اعلم والثالث ان السعة والغنى وانواع النعم هي الداعية الى الحاجة وقضاء الشهوة فاذا كان فقيرا لا يجد
ما ينكح زال عنه الاسباب التي تدعو الى ذلك لذلك لم يبح واما الحاجة في التناول منها لانفسهم ولا بقاء
لذلك افترقا والله اعلم ثم في قوله يغنيهم الله من فضله وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حجة
من المعتزلة على نقض قول المعتزلة احدهما انه جل وعز اضاف الاغناء الى نفسه بقوله يغنيهم الله من فضله
وهو ليس يعطي احدا شيئا بطرحه ويلقيه في يده بلا سبب منه ولكن انما يغنيه ويعطيه باسباب الحيل
فيدل اضافة الاغناء الى نفسه ان له في تلك الاسباب التي بها اغنى صنعا وفعلا ليس على ما تقول
المعتزلة ان لا صنع له في افعال العباد. والثاني ان لله ان غناهم وسعتهم فضل منه ورحمة لا شيء
يستوجبون بانفسهم في ذلك فعله لكن افضل الاصلح في الاحسان اذ لو كان ذلك فعله بذلك كان منه عدلا لا فضلا
فدل تسميته التفضيل على ان من اعطاه الله تعالى اغناه فضلا منه وانعاما لا استيجابا واستحقاقا ما قبل
قولهم في مسئلة الاصلح ثم من الناس من استدل بهذه الاية بقوله يغنهم الله من فضله وبقوله حتى يغنيهم
الله من فضله في تفضيل الغنى على الفقر وقال لان الله جل جلاله سماه فضلا بقوله من فضله وسماه في غيره
من القرآن رحمة وحسنة وسماه ايضا في غير موضع وسمى الفقر والضيق بلاء وسيئة تأويلا وضرا وشدة
قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وغيرها من الايات فكان ما سمي من البلاء والشدة

وال

والضر والسيئة كلها عبارة وكناية عن الضيق والفقر وما ذكر من الخير والحسنة والرحمة ونحوها عبارة
عن السعة والغنى دل تسمية الغنى خيرا وحسنة ورحمة على انه افضل من الفقر اذ لا شك ان الخير والحسنة
والرحمة خير من الشر والسيئة والبلاء لذلك كان الغنى افضل من الفقر وغيره الفقر هو كما قلت ان هذه الاسباب
خير مما ذكرتم الا ان هذه الاسباب التي ذكرتم هي الداعية الى الفساد والباعثة على قضاء الحاجات والشهوات وانواع المعاصي
والتعاطي لانواع المحرمات ولا كذلك الفقر والضيق والشدة بل هي اسباب تمنع صاحبها من التعاطي لانواع المعاصي
والمحرمات فضلا من ان يدعو ويبعثه الى ذلك وقولنا انه افضل المعنى الذي ذكرنا الا ان المعنى فيه سوء انهم اذا كان
لا تكلم في تفضيل احدهما على الآخر اذ هما الخبيثان يمتحن بهما العباد هؤلاء بالصبر على الفقر والضيق وهؤلاء
بالشكر على النعمة والسعة والتكلم في تفضيل احدهما على الآخر فضل والله اعلم. قوله تعالى والذين يبتغون
الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم. الاية ظاهر هذا النهي على الكتاب يدل على الكتاب المعروف وهو كتاب
الله تعالى لان الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى نبيا لو ان سادتهم تعليم الكتاب لهم الا ان الناس اجمعوا
من غير هذا ولكن فهموا كتابة العبيد والاماء المكاتبين في الاية ثم قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ليس على الوجوب
والالزام ولكن على الترغيب فيها والحث عليها وترك الامة [illegible] لك بعد موتهم سيرا ثابتا [illegible] عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون واجبا عليهم فدل تركهم
ذلك على انه خرج مخرج الترغيب والحث لا على الوجوب وقوله ان علمتم فيهم خيرا اختلف في تأويله قال
بعضهم اي كاتبوهم ان علمتم انهم يرغبون في الخير من اقامة الصلوات وانواع الصلاح ويرغبوا انفسهم لذلك وقال
بعضهم ان علمتم فيهم خيرا اي وفاء وامانة وصلاحا وهو قول الحسن وقيل هذا اي كاتبوهم ان علمتم انهم
يقدرون على اداء المكاتبة وقال بعضهم خيرا اي مالا وقال بعضهم خيرا اي حرفة يقدرون وفي ذلك خبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم مفسر عن يحيى بن ابي كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان علمتم فيهم خيرا اي
حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس فان ثبت هذا لا يحتاج الى غيره من التفسير ولو كان قال الله تعالى ان علمتم لهم خيرا
جاز ان يتأول معناه مالا ولكن قال فيهم خيرا والمال لا يكون فيهم وانما يكون لهم والاشبه ان يكون الخير
حرفة لما يكون في الخير او وفاء او امانة والله اعلم وفي الاية دلالة ان العبد لا يملكون شيئا لانهم لو كانوا يملكون
لكان ضربهم وبعثهم على الاعتاق بما لهم دون الكتابة وترك ترغيبهم عليها على انهم لا يملكون الا ما قبل الكتابة
ثم بعقد الكتابة تصير الحرفة والكسب لهم دون الموالي ليتوصلوا الى اداء المكاتبة وفي الكتابة ايضا نظر
للمولى لانهم اذا ما قبلوا الا الكتابة لهم ردهم الى منافع انفسهم وان عجزوا عن الاداء يبطل حقهم بكده
بل لهم الحال بل يبقى في ذمة المفلس وفي قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا دليل على ان العمل بعلم
الاسباب دون اليقين جائز على ما قال ان علمتم فيهم خيرا فانه يحتمل اشياء من الحرفة والامانة والوفاء
ونحوها وذلك اشياء لا يتوصل الى الخبر على اكثر الرأي وغالب الظن لا على الحقيقة فدل على جواز الاجتهاد
وجواز العمل بظاهر الاسباب والله اعلم. قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم. اختلف في هذا الخطاب
قال الحسن وغيره هذا الخطاب للموالي وغيرهم حث لهم وتحريض في حقهم وهذا يخرج على وجهين احدهما
ما جعل الله تعالى في الحي المكاتبين سهما في الصدقات بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الى قوله وفي الرقاب
وهم المكاتبون امر ارباب الاموال ان يدفع الصدقات الى المكاتبين وجعلهم اهلا ليستعينوا بها على اداء ما عليهم
من الكتابة فان كان كذلك فعند ذلك يحتمل جاز ان يأمر الناس بمعونة هؤلاء المكاتبين على اداء ما عليهم
من الكتابة بانواع سوى الصدقة ليكفوا بذلك على ما روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
علمني عملا يدخلني الجنة قال اعتق النسمة وفك الرقبة فقال اليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تفرد بعتقها
وفك الرقبة ان تعين في ثمنها وقال بعضهم ان هذا الخطاب للموالي خاصة لما ان اول الخطاب بالكتابة راجع الى المولى
فعلى ذلك هذا ثم اختلفوا فيه روي عن علي رضي الله عنه انه يترك الثلث من مكاتبته وروي عنه انه قال ربع
المكاتبة وقال بعضهم يحط بعض بدل الكتابة ولم يقدر بشيء واستدلوا بما روي عن عمر رضي الله عنه
كاتب غلاما له يكنى ابا امية فقال الغلام حط عني آخره فقال عمر رضي الله عنه لعلي لا اصل الى الخير
خاف ان لا ادرك ذلك ثم قرأ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم وقال بعضهم يجعل له ربع مكاتبته من مال نفسه
ثم الحط عندنا على طريق الندب دون الوجوب وقال بعضهم على الوجوب وبه قال الشافعي تعلقا بظاهر
الاية وهو قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولكن هذا الامر على الاختيار والندب الا ترى الى ما روي عن
عثمان رضي الله عنه انه كاتب غلاما ولم يحط عنه شيئا ولو كان الحط واجبا لا يحتمل من عثمان ان لا يحط عنه
شيئا وعن ابن سيرين انه سئل عن قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال كان يعجبهم ان يدعوا لطائفة من كتابته

أو قوله كان عبارة من الصحابة رض والأصحاب إنما يستعمل في المرغبات دون الواجب فلما ذكرنا احتمل أن يكون
الخطاب لغير الموالي ويحتمل أن يكون للموالي فلا يكون حجة مع الاحتمال والله أعلم وقول من قال إن على المولى
أن يجعل له من ماله الربع وهو قول خارج عما روي عن عمر رضي الله عنه لأنه روي عن البعض الحط من الكتابة
دون الإيتاء وروي عن البعض الاستيفاء على الكمال من غير حط ولا إيتاء فدل أن هذا يخرج من قولهم جملة
وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا نهى عن الإكراه على البغاء إذا هن أردن التحصن
والعفاف فإذا لم يردن التعفف والتحصن يكون الإكراه على البغاء حلالا مستقيما أيضا فيبطل قول من قال إن المعلق
بالشرط يجب الوجود عنده والعدم عند عدمه وقول من يقول بكون المفهوم حجة لأن مفهوم هذا الإباحة
الإكراه على الزنا إذا لم يردن التعفف لأنه لم يذكر على سبيل الشرط لأنه لا يتمكن الإكراه إذا كن طوعن فيه
وأردن الزنا دون التحصن لأنه خرج ذلك على ما روي في القصة أن الموالي كانوا يكرهونهن على الزنا ابتغاء
الأموال ولكن يردن الإحصان فخرج الخطاب فيه نهي على فعلهم ذلك على ما كان دون أن يكون ذلك شرطا فيه والله
أعلم عبيد لأنه يبطل المنعة وفسادها لأنهم كانوا يكرهون إماءهم على أن يؤاجرن أنفسهن للزنا ابتغاء
الأجر وليست المنعة الاكتساب وقال أهل التأويل إن الآية نزلت في نفر من المنافقين عبد الله بن أبي وتلك
وفلان كانوا يكرهون نساءهم على الزنا ابتغاء عرض الدنيا فإن كان ما ذكروا ففيه دلالة أن الزنا كان حراما في
الأديان كلها والله أعلم وقوله تعالى ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم هذا يحتمل وجهين
أحدهما يرجع إلى الإماء كأنه قال فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم وكذلك روي في بعض الحروف أنه
قرئ فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم والثاني يرجع إلى السادة أمثالهم فإن الله غفور رحيم لهم إذا تابوا
وأصلحوا والله أعلم وقوله تعالى ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات خفض كثير وبعضهم نصبها ثم يحتمل أن يكون المراد
بالآيات القرآن نفسه من قرأه بالخفض أي يبين للخلق ما لهم وما عليهم وما لله عليهم ومن قرأ بالنصب أي آيات
مبينات بها من عند الله تعالى وجائز أن يكون المراد بالآيات الحجج والبراهين فإن كان هذا ففي قوله مبينات بالخفض
أي تبين وحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله عليه السلام مبينات بالنصب فقد أوضحنا بها الحجج والبراهين
والله أعلم وقوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة أي أنزلنا إليكم أيضا مثل الذين خلوا من قبلكم
ما حل بهم وما نزل بالمكذبين منا العذاب وموعظة ما يعظ المتقين ويحتمل لكم فيما أنزل من الآيات عليكم أمثال
الذين خلوا من قبلكم لتتعظوا به والله أعلم وقوله تعالى الله نور السموات والأرض اختلف أهل التأويل
في تأويل الآية قال بعضهم هادي السموات والأرض ثم انقطع الكلام وأخذ في نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وما ضرب له من الأمثال فقال مثل نوره يقول مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم إذ كان في صلب أبيه كمشكاة
أي كوة بلغة الحبشة غير نافذة فيها مصباح أي سراج المصباح يعني والله أعلم السراج المضيء ضوءه
في زجاجة الزجاجة نعتها أنها الصافية التامة الصفاء والمشكاة صلب أبيه عبد الله والزجاجة وصفها
محمد صلى الله عليه وسلم طهره من الأدناس والمعاصي والمصباح ونوره هو صفة قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما فيه من الإيمان والحكمة والنبوة كأنها كوكب دري قال محمد عليه السلام فذكر مع أسماء الأنبياء
والرسل عليهم السلام في اللوح المحفوظ عند الله تعالى في الفضيلة على تلك الأنبياء والرسل كفضل الكوكب
الدري المضيء وهو الزهرة على سائر الكواكب توقد من شجرة مباركة يقول والله أعلم استنار نور محمد
صلى الله عليه وسلم من نور إبراهيم عليه السلام لأن محمدا عليه السلام من نسل إبراهيم عليه السلام وقوله
زيتونة لا شرقية ولا غربية أراد بالزيتونة المحاسن وطاعة إبراهيم عليه السلام لربه تعالى فنفعه الله تعالى
بحسن طاعته يوم القيمة وفي غيره من المواطن كما نفع الزيتونة أهله في الدنيا في فاكهة وطعام وإدام وهو صبغ
والدهن والدباغة يعني زيتونة لا شرقية ولا غربية يقول إن إبراهيم عليه السلام لم يكن نصرانيا كقول النصارى
هو نصراني يصلي إلى قبلة النصارى من قبل المشرق ولا يهوديا يقول اليهود إنه كان على دينهم يصلي من قبل
بيت المقدس يقول الله تعالى بقوله لا شرقية ولا غربية أي لم يكن كما قال هؤلاء ولكن كان حنيفا مسلما
مصليا إلى الكعبة وهي قبلته والمناهج وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يقول والله أعلم
لو أن إبراهيم عليه السلام لم يكن نبيا لأصاب بحسن طاعة الله تعالى في الدنيا الفضل مع الأنبياء في الدنيا
والدرجات العلى في الآخرة وقوله تعالى نور على نور لأن محمدا عليه السلام وما جاء به من الدين والكتاب
أصل نوره من قبل إبراهيم عليه السلام لأنه على دينه وسنته وكتابه ومنهاجه ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء
أي يهدي الله لنوره النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم أي القرآن من يشاء ممن سبق في علمه السعادة
ويضل عنه من يشاء ممن سبق له في علمه الشقاوة ثم قال ويضرب الله الأمثال للناس ويصف الله الأمثال

للنا

للناس ليؤمنوا بالله عز وجل ويوحدوه ويعرفوا ربوبيته من صنعه ويصدقوا بإبراهيم ومحمد عليهما السلام
أنهما رسولا الرب جل وعلا وهو تأويل مقاتل وقال أهل الكلام قوله الله نور السموات والأرض أي منير أهل
السموات والأرض وقوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح أي مثل نوره الذي به أنار ما ذكر مثل المشكاة إلى
ذكر إلى آخره وجائز أن يكون قوله الله نور السموات والأرض أي بالله نور أهل السموات وأهل الأرض الاستعانة قال
مثل نوره كذا ولم يقل مثله كذا ولو كان النور هو الله تعالى على ما قاله المشبهة وفهموا من قوله تعالى الله نور السموات
والأرض مثله كذا فلم يكن يقول مثل نوره كذا فدل قوله مثل نوره كذا أنه لم يرد بالنور نفسه ولكن ما ذكرنا
أن نور أهل السموات وأهل الأرض الاستعانة قال في آخره يهدي الله لنوره من يشاء دل أنه لم يرد بالنور نفسه
وكذا قال ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور دل ليس على ما فهموا أنه نور كسائر الأنوار التي هي منورة
على هذا يخرج تأويل ابن عباس رضي الله عنه في الحديث الرواية عنه حيث قال الله هادي أهل السموات
والأرض وهو تأويل أنس رضي الله عنه وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية جائز أن يكون
قوله مثل نوره أي مثل نور المؤمن الذي في قلبه الإيمان الهداية الله مثل مشكاة فيها مصباح لأن المشكاة
هي الكوة التي لا منفذ لها لا يدخل فيها الأنوار فتكون مظلمة فإذا أدخل فيها المصباح أضاء ذلك المشكاة وأنار
حتى لا يبقى منها ناحية إلا وقد أضاءت بذلك الضياء والنور فكذلك القلب مظلم إذ ليس له منفذ يدخل
فيه النور من الخارج فإذا آمن أنار الله تعالى قلبه بإيمانه فيظهر ذلك النور وأثره في جميع نواحيه وجوارحه
وهو ما قال أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فهذا يدل على أن قوله مثل نوره إنما هو
مثل نور المؤمن وعلى ذلك يروى في حرف أبي بن كعب أنه قرأ مثل نور المؤمن كمشكاة وكذلك تأويله
قال مثل نور المؤمن قالها مقابيد إليه لا إلى الله تعالى وفي حرف ابن مسعود رض مثل نوره في قلب المؤمن
كمشكاة أي كوة فيها مصباح ويحتمل أن يكون قوله الله نور السموات والأرض أي به تجلي الظلمات وتكشف
الستر والحجب ألا ترى أنه سمى القرآن نورا والرسول نورا لما به تنجلي الشبهات والظلمات وبه ترتفع الستور والحجب
وإن كانا في أنفسهما ليسا بنور يتجلى بذلك الحجاب أو يسمى الله تعالى نورا لما به يكون تجلي الظلمات والشبه
وانكشاف الستور وارتفاع الحجب لأنه منور بالله التوفيق وقال بعضهم الله منور السموات والأرض
يضيء هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا
على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا
على نور وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال مثل نوره أي مثل نور المؤمن فهو عبد قد جعل الله تعالى الإيمان
والقرآن في صدره قال كمشكاة المشكاة صدره فيها مصباح المصباح القرآن والإيمان الذي جعل
في صدره وقوله المصباح في زجاجة قال الزجاجة قلبه وقوله الزجاجة كأنها كوكب دري يقول كوكب
مضيء قوله توقد من شجرة مباركة قال الشجرة المباركة الإخلاص لله تعالى وحده لا شريك له وقوله لا شرقية
ولا غربية قال مثله كمثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت
لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك هذا المؤمن قد ابتلي بما قد أنزل الله تعالى من الفتن وحفظ منها فصله منها
منها بين أربع خلال إن ابتلي صبر وإذا أعطي شكر وإن قال صدق وإن حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل
الحي يمشي في قبور الأموات وقوله نور على نور وهو يتقلب في خمسة من النور كلامه نور وعمله نور
ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيمة وقوله يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال
للناس الآية ثم ضرب مثل الكافر فقال مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة الآية فهو يحسب أن له
عند الله شيئا فلم يجده فيدخله الله تعالى النار وقال في آية أخرى له مثلا أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فهو يتقلب في الظلمات والله أعلم وقال الحسن وأبو العالية
من المرجئة عن ابن عباس رض الله نور السموات والأرض أي منورهما بنجومها وشمسها وقمرها وقال القتبي
الله نور السموات والأرض أي بنوره يهتدي من في السموات ومن في الأرض على ما ذكرنا مثل نوره
في قلب المؤمن كمشكاة وهي الكوة غير النافذة فيها مصباح أي سراج كوكب دري مضيء أي منسوب إلى
الدر وقال بعضهم الله نور السموات والأرض يقول بنوره أضاءت السموات والأرض يقول مثل
نوره في قلب المؤمن كما في حرف ابن مسعود وهذا مثل ضربه للإيمان والقرآن والقلب حين يدخله الإيمان
والقرآن كمشكاة يعني الكوة فيها مصباح يعني الإيمان والقرآن في زجاجة يعني القلب والمشكاة الصدر
فلما دخل المصباح في الزجاجة أضاءت فكذلك هذا المصباح إذا دخل القلب أضاء القلب ثم خرج من
الزجاجة فأضاءت المشكاة وكذلك أضاء الصدر ثم نزل الضوء من الكوة وأضاء البيت فكذلك نزل

النور من الصدر وما ضاق الخوف كله فلم يدخله حرام فهو نور اثار ذلك الضوء والله اعلم وقوله كمثل مثل
نوره قال ضرب مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كأنها كوكب دري مثل لسانه وقلبه وصدره يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يتبين
للناس وان لم ينطق ثم ان كان قوله مثل نوره اي نور المؤمن وليس كذلك فيصف كل مؤمن فنعته ولكن وصف
مؤمن الذي يجتمع فيه جميع شرائط الايمان وجميع الاخلاق الحسنة والآداب لانه وصف بطهارة نفسه وجسده
وقلبه وجميع اعماله وافعاله لانه قال كمشكاة وهي قلبه فيها مصباح وهو صدره ما الذي في قلبه المصباح
في زجاجة وهو الايمان الذي في صدره ثم نعت الزجاجة فقال كأنها كوكب دري اي مضيء ووصف لكل ما بينا
والنور وطهارة الداخل فيه والخارج منه وتفاوته وهو المؤمن الذي اجتمع فيه جميع الشرائط والخصال الحميدة
فاما كل مؤمن فلا يحتمل وهذا الشبه الآخر انه ذكر نعت الكافر من نعت هذا وخبثه حيث قال والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الآية فان كان وصف محمد صلى الله عليه وسلم ففيه جميع ما ذكر ونعت وان كان
القرآن فهو كذلك ايضا والله الموفق وقوله كمشكاة فيها مصباح قال بعضهم المشكاة الكوة التي
تكون في الحائط ومشاكي جماعة والكوى جمع الكوة وقال بعضهم المشكاة ما يجعل في وسط القنديل وهو
موضع الفتيلة وقال بعضهم هي الحدائد التي تعلق بها القنديل وقوله كأنها كوكب دري قال ابن عباس
في قوله كوكب دري عطارد وزهرة وبهرام والمشتري ونحوه قال قتادة الدري المضيء (?) وقال
ابو عمرو بن العلاء الدري النجم الذي يتلألأ كأنه يجيء ويذهب وعن دري في الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الرجل من اهل عليين ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنه كوكب دري وان ابا بكر
وعمر رضي الله عنهم منهم وانعما وروي في هذا الخبر بالرفع وفي خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اول
زمرة يدخلون الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اضوء كوكب دري في السماء
لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم والذي نفس محمد بيده ما فيها عزب
وعن الضحاك انه قال خلقنا لكواكب من نار يقال لها دري فتم كوكب دري وقال القتبي دري منسوب
الى الدر لصفائه تشبيها به وقال ابو عبيدة كوكب دري شديد الضوء ودري ايضا من الضوء ولجمعها جمع
من الدرو كوكب دري اي مضيئة وقال الكسائي من قرأ دري من خسته (?) وطوليه (?) وان ينضامه (?) يقال
دراء النجم هو ذا يعني هو فاشي ظاهر في كلام العرب وعن رفع الدال لم يسمع ففيه نسبه الى الدرة ومنهم
من رفع الدال وهمز واطنها لغة وقوله توقد من شجرة مباركة اختلف في قوله قرأ بعضهم توقد بالتاء
بالرفع ونصب القاف يعني المصباح او الكوكب وقرأ بعضهم بالياء ينصبه رده على الزجاجة اراد توقد
الزجاجة ثم طرحت احدى التائين ومنهم من قرأ توقد بالتاء وهي قراءة الحسن يعني الزجاجة واهل مكة
توقد بنصب التاء وتشديد القاف ونصب الدال يعنون المصباح وقوله من شجرة زيتونة لا شرقية قال بعضهم
هي شجرة قال بعضهم هي شجرة مضحية تطلع عليها الشمس اذا طلعت ولا تغرب عليها اذا غربت وقال بعضهم
هي شجرة ضاحية حين تطلع الشمس الى ان تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي فزيتها اصفى الزيت
واطيبه وقال بعضهم ليست شرقية يحوزها المشرق دون المغرب ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق
ولكنها بارزة في صحراء او رأس الجبل يصيبها الشمس النهار كله وهو مثل الاول وقال الكسائي ليس شرقية
وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية غربية كما تقول لا ابيض ولا اسود فلان انه تعني انه ليس كان
معناه لا تأتي واحدا منهما وان شئت معناه انك تأتيهما معا ومثله والله لا آكل ولا يأكل زيد ان تعنيه
وكذلك يقال رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ولا يحب الفتنة انه رجل صالح اما الفتنة فالمال
والولد لقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وهو يرجو الجنة ويخاف النار على ما فسرنا والله اعلم وقال
لا شرقية لا يضحى للشمس من اول النهار الى آخره ولا غربية عليها الظل من اول النهار الى آخره ولكنها شرقية
غربية يصيبها الشمس والظل والعرب تقول لا خير في شجرة في مغناة ولا خير في شجرة في مضحاة وقال بعضهم
هي شجرة بالشام ليست بالمشرق ولا بالمغرب ولكن كيفما كان فانما ذكر لبيان صفائه وخلوصه فيجب
ان ينسب الى اهله فيقال ان الزيت اجود واصفى الذي يصيبه الشمس او الذي لا يصيبه او الذي يصيبه في وقت
ولا يصيبه في وقت وقال الحسن والله لو كانت هذه الزيتونة في الارض لكانت شرقية او غربية والله ما هي
في الارض ولكن هذا مثل ضربه الله تعالى لنوره وهو هذا القرآن والله اعلم وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار يعني تشبيه ما ذكر بالزيت لان الزيت اصفى شيء واطهره واطيب شيء واطهره واطيب شيء واضوء السراج
فيه كل المنافع من الادام والدواء بغير ذلك وقوله نور على نور يحتمل محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ابراهيم

عليه السلام ويحتمل القرآن ويحتمل ايمان المؤمن في كله نور على نور وقال بعضهم نور على نور اي نبي بعد نبي
والمصباح نور والقنديل نور وقال بعضهم ايمان المؤمن نور وعمله نور وكلامه نور وهو نور على نور وقال
بعضهم نور النار ونور الزيت حين اجتمعا اضاءا ولا يضيء واحد بدون صاحبه كذلك نور الايمان ونور القرآن
اذا اجتمعا لا يكون احدهما مضيئا بدون صاحبه وقوله يهدي الله لنوره من يشاء اي لنوره يحتمل
بنوره محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل القرآن ويحتمل الايمان والهدى وقوله تعالى ويضرب الله الامثال
للناس والله بكل شيء عليم يحتمل ضرب الامثال لهم وجهين احدهما ضرب لاعمالهم واقوالهم مثلا مقاديرها
في الحسن والجمال العلي اعدها من الخير والثواب والله اعلم او ضرب الامثال لهم للانفس لكي يتبين للمطيعين
المستوجبين كل خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا ما استوجب اولئك والله اعلم وكان ضرب مثل الايمان
والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم او ما كان على اختلاف ما قالوا بالانوار التي ضربها الله تعالى علما لما انه قد
اقام الحجج والبراهين على الايمان والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم حتى صارت كالانوار التي شبهها بها في
الجمال والضياء والبهاء حتى تعرف حسن هذه الانوار كل احد فعلى ذلك ضرب بها المثل في الحسن
والبهاء والضياء الناس بالحجج والبراهين كالانوار التي لا يخفى حسنها وبهاؤها على احد ولا ينكرها الا معاند
مكابر وكذلك مثل الكفر والعناد في القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضها فوق بعض وكالسراب
والسراب الذي ذكر حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية وقال او كظلمات
في بحر لجي يغشاه موج الآية وقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع اختلف فيه قال بعضهم قوله ان ترفع اي
تعظم ويرفع قدرها وهي المساجد على غيرها من البيوت المسكونة يذكر فيها اسم الله تعالى والتسبيح والتنزيه
من الانداد والانجاس ومن امور الدنيوية وقال بعضهم ترفع اي يبنى وتتخذ كقوله واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت فان كان التأويل هذا ففيه الامر ببناء المساجد وايجادها وان كان الاول ففيه الامر بتعظيم
المساجد ورفع قدرها مما ذكر من ذكر الله تعالى والتسبيح فيها ثم المراد بالاذن هو الامر ههنا الوجهين جميعا
عن وامر الجماعات فيها في هذه الصلوات المعروفة اذ الارض كلها في الاصل جعلت مسجدا حيث قال جعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وهي في حق جواز الصلاة مسجد فيخرج الامر به مخرج الامر ببنائها لاقامة الجماعات
والثاني الامر بالبناء خصوصا المساجد من غيرها من البيوت المسكونة انما اتخذت وبنيت بالاذن والامر
تخص المساجد من غيرها من البيوت سواء والله اعلم وقوله ويذكر فيها اسمه يسبح له فان كان تأويل
قوله ان ترفع اي تعظم ويرفع قدرها فيكون قوله ويذكر فيها اسمه ويسبح تفسيرا لذلك التعظيم ورفع
القدر الذي امر اي امر ان يعظم ويرفع قدرها بذكر اسم الله تعالى فيها وما ذكر من التسبيح وان كان التأويل
هو الامر بالبناء يكون قوله ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها كذا على الابتداء اي امر ان يبنى بيوتا اي مساجد ان
يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال والله اعلم ثم اختلف في تلاوة قوله يسبح له قرأ بعضهم بنصب
الباء وقرأ بعضهم بالخفض فمن قرأها بالنصب رده على الاول وجعله صلة للداعي يذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والآصال ابتداء رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن قرأها بالخفض صيره منقطعا
على الاول مبتدأ ابتدأ يسبح له فيها رجال ثم ابتدأ من قوله لا تلهيهم تجارة فقوله يذكر فيها اسمه جائز ان يريد
بذكر اسمه الصلاة وكذلك التسبيح ويحتمل ان يريد بذكر اسمه جميع انواع الاذكار من الخير ويريد بالتسبيح
بالغدو والآصال الصلوات المفروضة ثم قال بعضهم الغدو صلاة الغداة والآصال الصلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء ويحتمل الاصيل عبارة عن هذه الصلوات اوقاتها وقال بعضهم الآصال صلاة
العصر وما غيرها من الصلوات فانما عرف ههنا ولكن يسمى آخرها الغدو هي صلاة الفجر والله اعلم وقوله
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا تشغلهم التجارة ولا بيع ذكر التجارة والبيع والبيع تجارة
لكن كان اسم التجارة يجمع كل انواع التقلب واسم البيع يقع على خاص وكذلك يقال الذي يجمع انواع
التقلب تاجر والذي يبيع شيئا خاصا بائع خبز وبائع ثياب (?) لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى
ثم جائز ان يكون قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا يشتغلون بالتجارة والبيع عن
انفسهم لذكر الله تعالى ثم جائز ان يكون قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا يشغلون
بالتجارة والبيع ولكن فرغوا انفسهم لذكر الله تعالى واقام الصلاة وما ذكر وجائز ان يكونوا يتجرون
ويبيعون لكن تجارتهم وبيعهم لا يشغلهم ولا يمنعهم عن ذكر الله تعالى يكونون ابدا في ذكر الله تعالى
ثم قوله عن ذكر الله يحتمل الصلاة وقوله واقام الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وجميع ما بها
وشرائطها وجائز ان يكون قوله ذكر الله جميع انواع الاذكار واقام الصلاة اقامة الصلاة نفسها وايتاء الزكاة

وقال بعضهم جاز ان يكون قوله عن ذكر الله الخطبة واقام الصلاة صلاة الجمعة لانه تعالى قال واذا رأوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وقال اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وهي الخطبة عند
اهل التأويل لكنه محتمل والله اعلم وقوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وهو يوم القيمة
يخبر عن شدة هول ذلك اليوم وخوفه لا يثبت القلوب والابصار خوفا وفزعا منه كقوله مهطعين مقنعي
رؤسهم وقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وجاز ان يكون قوله يخافون يوما تتقلب فيه الابصار اي يرون
مرة ويجهلون مرة ويعتبرون يومئذ بما لم يعتبروا في الدنيا ويقرون بما لم يقروا والله اعلم وقال بعضهم قوله
يوما تتقلب فيه القلوب تنتزع من اماكنها من الصدور فتنشب في حلوقهم عند الحناجر ثم [illegible] والابصار
اي تقلب ابصارهم فتكون زرقا وهو قول مقاتل وقوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما عملوا يحتمل قوله ليجزيهم
احسن ما عملوا اي ليجزيهم جزاء احسانهم ويكفر عن مساويهم ولا يجزيهم بها كقوله اولئك الذين نتقبل
عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وكقوله ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقوله تعالى ويزيدهم
من فضله على قدر حسناتهم وقوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب قال بعضهم ليس فوقه ملك يحاسبه
وهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب لا يخاف من احد يحاسبه كقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
ويحتمل اي يعطيهم الاحسان لا يحاسبهم ويدخلهم الجنة بلا محاسبة ويجوز قوله بغير حساب اضعافا مضاعفة
ما لا يحصى لا على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء
حتى اذا جاءه لم يجده شيئا جائز ان يكون ضرب مثل اعمال الكفار بالسراب الذي ذكر من وجهين احدهما
انهم قد عملوا في الظاهر اعمالا طمعوا ان يصلوا بها الى الآخرة وينتفعوا بها من نحو الصدقات والنفقات في صلة
الارحام ونحوها مما في الظاهر اعمال الخير فاذا هم من ذلك لم يجدوا شيئا كالذي يرى السراب من بعيد
يحسبه ماء فسار اليه فاذا هو لا شيء فكذلك الكفار عملوا تلك الاعمال على طمع منهم انهم ينتفعون
بها فاذا هم على لا شيء كالعطشان الذي يرى السراب والله اعلم والثاني ضرب مثل اعمالهم بالسراب فكذلك
لانهم قد عبدوا الاصنام والاوثان رجاء ان ينتفعوا بشفاعتهم في الآخرة كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت عبادتهم الاصنام املا ذكر من شفاعتهم واذا هم
بها صاروا كالعطشان الذي يرى السراب يحسبه ماء واذا جاءه فوجده سرابا لا ماء حسبه اليه [illegible]
المثل ثم ابتداء فقال ووجد الله عنده فوفاه حسابه اي وجد الله فوفاه حساب عمله وجزاءه او نقول قدم
على عمله يوم القيمة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئا الا كما يجد العطشان هذا السراب ووجد
الله عنده فوفاه حسابه اي عمله وقال بعضهم هذا المثل ضرب للكفار وذلك انهم يبعثون يوم القيمة
وقد تقطعت اعناقهم من العطش فيرفع لهم سراب بقيعة من الارض فانطلقوا اليه يحسبونه ماء فاتوا
ليشربوا منه فلم يجدوا شيئا ويوجدون ثم فيحاسبون فكذلك اعمالهم يضمحل يوم القيمة ولا يصيبون
منها خيرا وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي الى اخر ما ذكر هذا مثل اخر ضربه لاحوال الكافر وكظلمات
جسده شبهه بظلمات وذلك لان البحر اذا كان عميقا كان اشد ظلمة فقال والبحر اللجي قلب الكافر
يغشاه موج فوق الماء من فوقه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات فهو كظلمة الموج وظلمة الليل
وظلمة السحاب وهذه ظلمات بعضها فوق بعض فهكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في
جسد مظلم لا يبصر نور الايمان كما ان صاحب البحر اذا اخرج يده في تلك الظلمة لم يكد يراها اي لم يرها
البتة وان يكون ضرب المثل بظلمات تترادف بظلمات [illegible] لا يزال يزداد ظلمة كفر في كل وقت وفي كل
حال وعمله الذي يعمله كالظلمات التي ذكر فكما ضرب المثل الذي لا احوال المؤمن حيث قال مثل
نوره كمشكاة او لنور جسده وصدره وقلبه والله اعلم ثم قوله او كظلمات ليس هو حرف شك ولكن
كانه قال ان ضربت مثل عمله بالسراب فمستقيم وان ضربته بالظلمات التي ذكر فمستقيم وان ضربت بهما ضربت
فمستقيم صحيح لا انه ذا او ذا على الشك ثم ذكر في اعمال الكفرة مثلين احدهما السراب والثاني الظلمات
فجائز ان يكون في المؤمن ايضا مثلين الظلمة التي ذكر مقابل النور الذي ذكر في المؤمن والسراب الذي
ذكر لاعمالهم مقابل ما ذكر من اعمال المؤمنين في قوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله
والله يرزق من يشاء بغير حساب وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال بعضهم من لم يجعل الله
له ايمانا فما له من ايمان وقيل هدى فما له من هدى وهما واحد والآية على المعتزلة لانهم يقولون لم يجعل الله
للمؤمن من النور الا وقد جعل مثله للكافر وفي الآية اخبار انه لم يجعل للكافر النور اذ لو جعل للكافر ما جعل
للمؤمن لم يكن لقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور دل انه لم يجعل للكافر النور وقال القتبي السراب ما [illegible]

من الشمس

من الشمس كالماء نصف النهار [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات [illegible]
[illegible]
في المنفعة في الطاعة والعبادة لهم دونه تعالى فلذلك قال والله اعلم [illegible]
على اثر ذلك وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون قوله والطير صافات اي قد صففت اجنحتها في الهواء [illegible]
وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض والى الله المصير قد ذكرنا في غير موضع وقوله تعالى الم تر ان الله
يزجي سحابا ثم يؤلف بينه اي يضم بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما قيل فيه لغتان فتأخير اي يجعل
ركاما اي قطعا يحمل بعضه على بعض ثم يؤلف بينه اي يضم السحاب بعضه الى بعض بعد الركام وقال
بعضهم قوله يزجي سحابا اي يخرجه من الارض فيسخره بين السماء والارض وقوله تعالى فترى الودق
يخرج من خلاله اي المطر يخرج من خلاله وقيل خلاله اي من خلل السحاب وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها
من برد قال بعضهم جبال من ثلج ينزل الله تعالى منها الثلج والبرد وقال بعضهم جبال خلقها الله
تعالى من برد في السماء ثم ينزل ولعل تاويل الآية بيان الجبال التي ذكر انه ينزل من السماء من جبال انها من ثلج
او برد سوى ما اخبر ان فيها برد او الاشياء تشبه بالجبال لعظمها اما لكثرتها [illegible] ولما للشدة
والغلظة للتعظيم ثابتا في القوة وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فجائز ان يكون الجبال

المذكورة في هذه الآية هي الجبال التي اخبر انه ينزل منها الا يكون ان هي في السماء او فيما بين السماء والارض
وقوله تعالى فيصيب به من يشاء اي في نفسه او زرعه او ثمره فيضره ويصرفه عمن يشاء ولا يصيبه فان كان
على هذا فهو يخرج على التعذيب وكذلك يحمل البرد يفسد في مكان ويترك مكانا لا يتم ويكون يصيب مكانا
ويخطئ مكانا وجائز ان يكون قوله فيصيب به من يشاء من بركته ويصرفه عمن يشاء من بركته وقوله تعالى
يكاد سنا برقه قيل ضوء برقه كاد اي تقارب ان يذهب ضوء البرق بالابصار من شدة نوره وقوله تعالى
يقلب الله الليل والنهار تقليب الليل والنهار اختلافهما اي يأتي هذا ويذهب الآخر ذكر هذا والله اعلم
صلة قوله ولله ملك السموات والارض يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره وعلمه وحكمته ووحدانيته
اما سلطانه وقدرته فما ذكر من سوق السحاب بين السماء والارض وتسخيره وضم بعضه الى بعض ليدل
انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ويدل انزال المطر واصابته في مكان دون مكان وتخطئته من مكان دون بعض
مع اتصال السحاب وانضمام بعضه الى بعض على السواء انه على التدبير والعلم كان ذلك لا بالطباع السحاب
او على انحراف وتدل جريانها الآخر واتساق التدبير فيما ذكرنا وفي اختلاف الليل والنهار وتقليبهما من حال
الى حال من النقصان الى الزيادة ومن الزيادة الى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الارض يدل على
انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان تدبير عدد لمنع بعضا بعضا عما يريد هذا من التدبير ويمنع ذلك ذاك
كله على انه واحد عليم قادر مدبر لا يعجزه شيء وكذلك السحاب لا يقدر ذلك غيره لا اولي الانصاف لما ذكر
فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار قال القتبي وابو عوسجة يزجي اي يسوقه ركاما بعضه فوق بعض
وترى الودق اي المطر يخرج من خلاله ومن خلله من بينه والخلل واحد والخلال جمع يكاد سنا برقه ضوءه
والسنا مقصور وقيل السنا النار وهو واحد قال ابو عوسجة الركام هو الكثير المتراكم الذي بعضه
فوق بعض يقال تراكم الشيء اي صار بعضه على بعض ويقال ركمت الشيء اركمه والودق المطر يقال ودقت
السماء تدق ودقا او مطرت وقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء هو والله اعلم صلة قوله ولله ملك
السموات والارض الآية ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة والقدرة فعلى ذلك قوله والله خلق
كل دابة من ماء يذكر قدرته وعلمه وتدبيره واخبر انه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف جواهرهم
وجواهرهم من شيء واحد دل انهم لم يكونوا كذلك بالطباع ولكن بتدبير عالم بذاته لا بعلم وتدبير مستفاد
وعلم ذاتي اذ لو كان بالطباع لخرجوا على تدبير واحد وصفة واحدة والثاني انه لا احد من حكماء البشر يدرك
كيفية انشاء هذا العالم وخلق هذه الخلائق من هذه المياه واذا خلق ذلك لا يعلم في تلك المياه معنى
ولا شيء من جواهر الخلائق فدل انشاؤه اياهم على انه قادر بذاته لا يعجزه شيء يخلق بسبب وبغير سبب
وانه خلق جميع الخلائق بحكمة ذاتية اذ لم يدرك ذلك حكماء البشر وقد خلق هذه الخلائق على هذه الماء
والاشياء انه لم يخلقهم عبثا لكن ليمتحنهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم واذا ثبت الامر والنهي ثبت الاحياء
من بعد الممات للجزاء ودل قدرته على خلق هذه الخلائق من الماء انه قادر على الاحياء وانه لا يعجزه شيء
لانه قدر على هذا النفاذ على ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
الآية يذكر هذا والله اعلم لاحد وجهين اما تذكيرا اياهم نعمه ومننه وفضله اذ كانوا عظامهم واحسانه
الذي احسن اليهم لانه اخبر انه خلق هذا العالم معتدلا مستويا منتصبا من غير ذلك انه جعلهم خيار الخلق
او يستوجبون ذلك قبله وخلق غيرهم من الدواب منكبين على وجوههم وماشين على بطونهم فذلك فضل
ونعمة او ذكر مثال لحال الكفرة في الآخرة كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم
اخبر ان الكفرة يكونون منكبين على وجوههم واهل الاسلام منتصبين مستوين يخلق الله ما يشاء بسبب
وبغير سبب ان الله على كل شيء قدير لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة من غيره والله الموفق وقوله تعالى
لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قد ذكرنا تأويله وقوله تعالى ويقولون
آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك اختلف فيه قال ابن عباس وغيره من اهل
التأويل انه قد وقعت بين عثمان وعلي رضي الله عنهما خصومة في ارض اشتراها عثمان من علي رض فاختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك فقضى لعلي على عثمان والزمه الارض فقال قوم من عثمان ابن عمه واكرم عليه منك
فقضى لعلي ونحو هذا من الكلام فنزل في قوم عثمان ذلك الى آخر ما ذكر لكن هذا بعيد لا يحتمل ان
عثمان رض او قومه يخطر ببالهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر وهو محال وقال بعضهم هذا في بشر المنافق
وذلك انه خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
بشر الى كعب بن الاشرف وقال ان محمدا يحيف علينا ونحو ذلك من الكلام فنزل هذا

نصيبا بانها انما نزلت في المنافقين وظاهر الآية دلالة انهم علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقضي الا بالحق لانه تعالى ذكر في آخره وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اي مسرعين مطيعين ولو كان
عندهم انه يقضي بالجور لكانوا لا يأتونه للقضاء وان كان الحق لهم مخافة الجور والظلم عليهم لكنهم اذا كان لهم
هذا يمنع هذا التأويل وقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فهذا يدل
انه عندهم انه لا يقضي الا بالحق لانهم لو خافوا قال في قلوبهم مرض الآية على هذا الوصف يخاف جوره
وحيفه الا انه يحتمل الآية في فرق من المنافقين فرقة منهم عرفوا انه لا يقضي الا بالحق وفرقة كان في قلوبهم
مرض وفرقة ارتابوا فيه وفرقة خافوا جوره وهم فرق لو فرقوا الآخرين انه قال ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ومنهم من قال كذا ومنهم كذا او ان يكون تأويل قوله وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين
اي وان يكن القضاء بالحق لهم مذعنين اي اذا عرفوا انه يقضي لهم لا محالة اتوه والا لا يأتونه فان كان
على هذا فاذكر على ما ذكر من المرض والارتياب وخوف الحيف مستقيم على هذين الوجهين ان يخرج تأويل
على غير لا نعلمه والله اعلم وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين لانهم تولوا بعد ما شهدوا
الرسول وخافوا جوره وحيفه ومن كان هكذا فليس بمؤمن وقوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
يحتمل اضافة الدعاء الى الله ورسوله وجهين احدهما دعوا الى كتاب الله والى رسوله اذا فريق منهم معرضون
كقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا الآية والثاني اضافته الى الله تعالى
هو اضافته الى رسوله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله جعل طاعة الرسول طاعة الله تعالى فعلى ذلك
جائز ان يراد باضافة الدعاء الى الله تعالى الدعاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا يخرج قوله ام يخافون ان يحيف الله لا يحتمل ان يخافوا حيف الله وانما كانوا يخافون جور رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكتابه وقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين قد ذكرنا تأويله
افي قلوبهم مرض ام ارتابوا وخافوا لما ذكرنا انه لا يجوز الاستفهام من الله تعالى ولكن على ما ذكرنا انه من
فرق خافوا جور رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا انهم فرق فرقة عرفت انه لا يقضي الا بالحق وفرقة
منهم خافت جوره وظلمه والله اعلم قال القتبي مذعنين اي خاضعين وقال ابو عوسجة مسرعين
مطيعين يقال اذعن في شريعته ونوق مذاعين والحيف الجور وخاف يحيف حيفا فهو حائف
وقوله تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله قد ذكرنا اضافة الدعاء اليه تعالى في قصة
المنافقين ونعتهم وقوله تعالى ان يقولوا سمعنا واطعنا ليس على حقيقة القول منهم والنطق به
ولكن اخبار من الله تعالى عما هم عليه واعتقادهم اذ كل مؤمن يعتقد في اصل اعتقاده طاعة الله تعالى
وطاعة رسوله عليه السلام فيكون كما ذكر في آية اخرى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
هذا اخبار عما اضمروا في انفسهم ثم قالوا بالنطق انما نطعمكم كذا ولكن اخبار عما في قلوبهم فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله تعالى واولئك هم المفلحون المفلح الذي يظفر بحاجة دينية او دنيوية يقال افلح اي ظفر
بحاجته والله اعلم وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه يحتمل قوله ويخش الله اي
يخشى الله على ما مضى منه ويتقيه فيما بقي من عمره ويخشى الله على ما يكون منه من التقصير والتفريط
ويتقي معصية الله ومخالفته فاولئك هم الفائزون وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة رض
فاولئك هم المؤمنون وهما واحد وقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم قال بعضهم كل يمين بالله تعالى
فهي جهد اليمين لان من عادتهم انهم كانوا لا يحلفون بالله تعالى الا في العظيم من الامر وانما يحلفون
بغيره فيكون على هذا كل يمين بالله تعالى فهو جهد اليمين ويحتمل ان يكونوا حلفوا بيمين غليظة شديدة
على ما يغلظ الناس في ايمانهم بها فسمى ذلك جهد اليمين وان يكون جهد اليمين ما ذكر على اثره وهو
قوله لئن امرتهم ليخرجن من ارضهم التي تخاصموا اليه فيها اي ليخرجن ويسلمونها الى خصمهم والله اعلم
ويحتمل لئن امرتهم ليخرجن من جميع املاكهم وما تحويه ايديهم تعظيما لامرك واجلالا لك فكيف لا ينقادون
لحكمك ويتبعون قضاءك ويحتمل قوله ليخرجن من المدينة نفيا لانهم وجميع حرف شيعهم
الى الحرب وقال بعضهم لئن امرتهم ليخرجن اي امرتهم ان يخرجوا في الجهاد ليخرجن لانهم كانوا يتخلفون عن امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نهاهم عن القسم الدنيا فقسموا فقال قل لا تقسموا طاعة معروفة
به قال بعضهم لا تقسموا فان الله تعالى لو يكلف منكم الجهد لم تبلغوه ثم قال طاعة معروفة يقول اطيعوه
وقولوا له المعروف وقال بعضهم قوله لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا تم الكلام ثم قال طاعة معروفة
بالطاعة اطيعوه وقولوا له المعروف وقال بعضهم وقولوا لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا تم الكلام ثم قال طا

معروفة وفي هذا الكلام حرف الانكار يستدل بظاهره عليه كان القول كان من المنافقين يحلفون في الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم لا تقسموا هي طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها الطاعة فيها نفاق وقال بعضهم لا تحلفوا ولكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة حسنة وقال بعضهم طاعة معروفة اعطاعة يعرف انها طاعة بالقول دون العمل وبعضه قريب من بعض وقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون ٥ فلا تقسموا وفيه دلالة اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يسرون ويضمرون فيما بينهم التولي عن الامر عن حكمه ثم اخبرهم بذلك تعالى انه بالله تعالى عن ذلك وقوله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اي تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اي على النبي صلى الله عليه وسلم ما امر من تبليغ الرسالة وعليكم ما امرتم من طاعته تعالى ولرسوله عليه السلام ويحتمل فانما عليه اذا ما حمل من الفرائض وعليكم اذا ما حملتم من الفرائض ويجابه ان يكون قوله فانما عليه ما حمل اي لا تسال هو ولا يؤاخذ بما عليكم ولا تسالون ولا تؤاخذون بما عليه انما تسال كل عما عمله كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء واشباه قوله وان تطيعوه تهتدوا ٥ لا شك فيه انهم ان اطاعوه اهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين ظاهر وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ٥ قال بعضهم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين من بعدما اوحى اليه خائفا هو واصحابه يدعون الى الله تعالى سرا وعلانية ثم امره بالهجرة الى المدينة وكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح وقال رجل من اصحابه يا رسول الله اما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيهم حديدة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية واصحابه وعد الله عز وجل ان يظهرهم ويفتح لهم مكة ويتصدق ذلك ما ذكر في سورة الفتح وهو قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام الاية حتى قال في اخر ذلك هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية وعد رسوله صلى الله عليه وسلم في القران انه مستخلفهم في الارض ويبين لهم كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم خلفاء في الارض وقال قائلون كان وعد اياهم في التوراة والانجيل والزبور ان يجعلهم خلفاء في الارض كما جعل بالذين من قبلهم ولكن كيفما كان ذلك الوعد في القران او في الكتب المتقدمة ففيه امران اثنان احدهما البشارة للمسلمين والحجة للكافرين لانه وعد لهم النصر في وقت لا يرجون ولا يطمعون النجاة فضلا عن ان يطمعوا الاستخلاف والتمكين في الارض واظهار الدين الذي ارتضى لهم وهو الاسلام على الاديان كلها فاذا كان مثل ذلك الوقت البشارة لا يطمع ولا يرجى في مثل ذلك الوقت والخوف علم انه انما بشرهم بذلك بوحي من الله تعالى وعدهم فكان كما وعد فثبت انه بالله تعالى وعد ذلك وبشر وذلك حجة على الذين وبشارة للمؤمنين والله اعلم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٥ قوله ومن كفر بعد ذلك ليس بشرط فيه لانه لو كفر قبل ذلك ايضا فهو فاسق ثم من الناس من قال ومن كفر بعد هذه النعمة التي انعمها عليهم ولم يشكروه عليها فهو كذا وقوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم ترحمون ٥ اي ترحمون هو ظاهر قد تقدم ذكره ثم قال وقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماواهم النار ولبئس المصير ٥ قال بعضهم اي فائتين في الارض هربا من عذابه ولا يدركهم وقال بعضهم سابقين في الارض هربا ايضا لا يجزوا بكفرهم وهو واحد ثم قوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم انهم انما يبقوا بمشيئة الله تعالى ولا يسابقين عنه لكنه ذكر له هذا كما ذكر في ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون هما واحد وفي حرف ابي وابن مسعود وحفصة رضي الله عنهم حيث الذين كفروا ان يعجزوا الله في السموات والارض والحرف اذا اختلف في المعنى واحد والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ٥ قال بعضهم ذكر رجلا ان امراة تسمى اسماء بنت مرشد اتخذت طعاما للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسماء يا هذا يا رسول الله انه يدخل على الرجل والمراة بغير اذن وهما في ثوب واحد غلامهما المملوك فانزل الله تعالى ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم وقال بعضهم نزل هذا في شان عمر رضي الله عنه وهو ما قال الواقفي بعث في ثلاث ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر رضي الله عنه ظهيرة ليدعوه فوجده قائلا قد اغلق عليه الباب فسال الغلام عنه فاخبر انه في هذا البيت قال فدفع الغلام الباب ودخل الى عمر رضي الله عنه فلم يستيقظ عمر فرجع الغلام فرجع الباب فقام من خلفه وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام اللهم ايقظه لي فقال

ندفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر رضي الله عنه فجلس فانكشف منه شيء فراه الغلام فعرف عمر ان الغلام قد راى ذلك منه فقال عمر رضي الله عنه وددت ان الله تعالى نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد نزل عليه هذه الاية فامر بالاستيذان في دخولهم في هذه الساعات لكن لا حاجة لنا الى ان نعرف فيمن نزلت في شان فلان او فلان او خادم فلان وسببه سوى ان نعرف الموضع فيه وما ذكر من انواع الاداب والاحكام ثم خاطب بالاستيذان المستاذن تعليمهم لهم السادات والاباء ومن يعول الصغار المستاذن حيث قال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ولم يخاطب العبيد والصغار ليستاذنوا من الموالي والاولياء وذلك والله اعلم لان هذا الخطاب يخرج مخرج الامر للاباء والسادات بتعليم امر الدين والقيام بما يحتاجون اليه والتاديب على ذلك اذا اتت انفسهم في ذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مروا صبيانكم بالصلاة اذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع وخاطب به الاولياء والاباء ان يامروهم بامور الدين عادة والتعليم لهم بالاداب لئلا يمتنعوا عن ذلك عند الحلم لم يخاطبهم في انفسهم لجهلهم وقلة معرفتهم بامور دينهم واذا بلغوا وعرفوا الامر فعند ذلك خاطبهم بانفسهم بالاستيذان حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا الاية خاطبهم اذا بلغوا الحلم بالاستيذان وما داموا صغارا خاطب به الاولياء لما لا يجري عليهم القلم وليس لهم الخطاب والامر والنهي لا يجري القلم عليهم وترك الخطاب والامر لرفع القلم عنهم واما امر الاباء لهم بذلك يخرج مخرج الشفقة لهم عليهم والقيام بمصالحهم وذلك جائز انه اختلف في تاويل قوله الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال جماعة من اهل التاويل المراد به النساء دون الرجال واما الرجال فانهم يستاذنون في جميع الاوقات وقال بعضهم هم النساء والرجال والنهي عن الدخول في هذه الاوقات الثلاث اذ هي اوقات يحذر فيها ساعات تعقله الذكور والاناث جميعا ومنهم من يقول هم الكبار يستاذنون الصغار ولا يستاذن ان يكون في الصغار منهم لان الكبار منهم والاحرار سوى حفظ النظر الى العورة واباحته الا ترى انه قال والذين لم يبلغوا الحلم منكم وهم الاحرار والصغار يعلمون قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الصغار منهم ومن السادات تعليم ما ذكر من امور الله لهم وقوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم يحتمل وجهين يحتمل لم يبلغوا الحلم اي لم يحتلموا ويحتمل اي لم يبلغوا مبلغ الحلم بعد ما جعلهم استيفرات ثلاث على الصغار في حال لا يعرفون ولا يميزون عن حال الى الا يميزون بين العورة وغير العورة وهو ما قال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لا يعرفون العورة وحال يقع لهم الحلم النهار وقضاء الوطر فيؤمرون بالحجاب وجميع اخوالهم الى ان يبلغوا مبلغ الحلم عرفوا التمييز بينهما ولكن لا يقع لهم الحاجة الى ذلك فامروا بالحجاب في هذه الاوقات الثلاث ثم التفريق في المضاجع والله اعلم وقوله تعالى ثلث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلث عورات لكم ٥ يحتمل قوله ثلث عورات لكم وجهين احدهما ثلاث اوقات عورات لكم ويحتمل ثلاث عورات اي يكون ثم الاوقات يظهر فيها العورة كقوله ان بيوتنا عورة اي ليس مما يمنع السارق عن السرقة منها وقيل في العمل بالاجتهاد في الا والاكثر ليس على الحقيقة جائز لانه قد سمى ثلث عورات ونهى عن الدخول الا بالاستيذان ويجوز ان يكون العورة مستورة واباح في غيرها من الاوقات بلا استيذان ويجوز ان يكون هنا الكشف العورة قال ليس عليكم ولا عليهن جناح بعدهن اي بعد ثلاث ساعات طوافون عليكم بعضكم على بعض لكنه ابيح وخطر به الاغلب والاكثر لا على الحقيقة وهكذا العمل بالاجتهاد والله اعلم وقوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ٥ اي بعد مواضعكم بعد هذه الثلاث ساعات يدخلون عليكم بغير اذن بعضكم على بعض لحد لما ذكرنا ان الاغلب ان تكون العورات مستورة في غير هذه الاوقات الثلاثة قال القتبي ملكت ايمانكم العبيد والاماء ثلاث عورات لكم يريد هذه الاوقات لانها اوقات التجرد وظهور العورة اما قبل الصلاة الفجر فللخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار واما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة واما بعد صلاة فلوضع الثياب للقيلولة واما بعد صلاة العشاء فلوضع ثياب النوم بعدهن اي بعد هذه الاوقات ثم قال طوافون عليكم يريد انهم خدمكم ولا باس ان يدخلوا عليكم قال الله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي يطوف عليهم في الخدمة قال ابو عوسجة الظهيرة نصف النهار وظهائر جمع واظهرنا اي دخلنا في الظهيرة والظهيرة وقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا وقد ذكرنا انه خاطب به الاولياء بتعليم الاداب وامور الدين الصغار ولم يخاطبهم حيث قال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم فاذا بلغوا خاطبهم بانفسهم حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ويحتمل يحتمل اذا احتلموا يحتمل اذا بلغوا وقت الحلم والاول على حقيقة الاحتلام والثاني على قرب بلوغ الاحتلام فكان الاول اشبه

لانه خاطبهم فى انفسهم وامرهم بالاستيذان ولو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الاولياء كما خاطبهم
فى الاولى وفيه دلالة ان الحد فى بلوغ الصغير الاحتلام وعلى ذلك اتفاق القول منهم الا ترى انه قال فليستاذنوا
كما استاذن الذين من قبلهم يقول والله اعلم ما امر به قبل هذه الاية البالغين ان لا يدخلوا بيتا حتى يستاذنوا
على اهله او ان يكون قوله كما استاذن الذين من قبلهم يعنى الكبار ان يكون الاستيذان فى الكبار معروفا ظاهرا
وفى الصغار لا وامر اذا بلغوا ان يستاذنوا كما يستاذن الكبار منهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يوفق
ظاهر هذه الاية وهو قوله رفع القلم عن ثلث ثم ذكر الصبى حتى يحتلم وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم اى يبين لكم الاحكام التى تحتاجون وتعرفون بها ما يسع لكم عما لا يسع وما تؤتون مما تتقون
وقال بعضهم اياته هاهنا امره ونهيه والله اعلم وقوله تعالى والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا
قال اهل التاويل قوله لا يرجون نكاحا اى لا يريدون نكاحا لكبرها لا يشتهين ويكون قوله لا يرجون اى لا يطمعن
ان يرغب فيهن الرجال لكبرهن وهن لا يردن النكاح وان كن يرغبن وقوله تعالى فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن غير متبرجات بزينة قال بعضهم اراد بقوله ثيابهن الرداء ولذلك روى عن ابن مسعود رضى
الله عنه انه قرأ ان يضعن من ثيابهن وهو الرداء وقال بعضهم هى الجلباب ويقال الجلباب هو القناع الذى يكون
فوق الخمار فلا باس ان تضع ذلك عند اجنبى غيره بعد ان يكون عليها خمار صفيق غير متبرجة بزينة يقول
والله اعلم من غير ان يكون وضعت الرداء والجلباب يريدون اظهار الزينة والتبرج وان يستعففن خير
لهن ليس فان لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن وقال بعضهم الخمار لكنه لا يحتمل لانه معلوم
ان المراة وان كبرت وعجزت لا تكشف عورتها لاحد ثم الزينة انما تكشف الخمار ثم تكشف العنق
والاذن والصدر ونحو ذلك فاذا بلغت فى السن مبلغا لا يطمع ان يرغب فى نكاحها لا تتزين ومعها
لا يفعل لا يحل للاجنبى ان ينظر الى شعرها ولا الى صدرها ولا الى ساقيها فانها ان فعلت وراسها مكشوفة
فصلاتها فاسدة واذا كان كذلك فبطل تاويل وضع الثياب الخمار وقوله غير متبرجات بزينة اى غير متزينات
بزينة والمتبرجة المتزينة باظهار الزينة والزينة هى الداعية المرغبة النظر اليها وقضاء الشهوة بها
فكانه اباح لها وضع الثياب اذا كانت غير متزينة فاما اذا كانت متزينة فلا وابيح لها ايضا اذا لم تكن
لها محاسن يرغب فيها واذا كان لها ذلك لم يبح وقوله تعالى وان يستعففن خير لهن يحتمل وان يستعففن
ولا يبدين محاسنهن خير لهن من ان يبدين ويحتمل ان يستعففن ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علما بين
معرفة الحرة من الامة خيرا لهن من الوضع كقوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين
اى يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين كما تؤذى الاماء وقوله تعالى والله سميع عليم كان قوله سميع عليم هاهنا صلة
قوله ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والاليق فى هذه الاية ما يتصل به وحى بالله والله اعلم قال القتبى
القواعد من النساء هى العجز واحدها قاعد ويقال انما قيل لها قاعد لقعودها عن الحيض والولد وبعد ما لا
ترجو النكاح او تطمع فيه ولا ارها سميت قاعدا بالقعود عما ذكر الا انها تستحى عن التصرف وكثرة
الحركة فاطالت القعود فقيل لها قاعد بلا هاء ليدل بحذف الهاء على انه قعود كبر كما قالوا امراة حامل ليدلها
ليعلم انه حمل حبل وقالوا فى غير ذلك قاعدة فى بيتها وحاملة على ظهرها قال ابو العرب يقول امراة واضع اذا
كبرت فوضعت الثياب ولا يكون هذا الا فى المسنة ثم حاصل قوله فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات
بزينة يخرج على وجهين احدهما ان يكون تفسير قوله لا يرجون نكاحا وقوله غير متبرجات بزينة واحد كل واحد
من الحرفين معنا مفسر للاخر كقوله محصنات غير مسافحات اذ كن محصنات كن غير مسافحات واذا كن
غير مسافحات كن محصنات فعلى ذلك قوله لا يرجون نكاحا اذا كن لا يرجون النكاح كن غير متبرجات لان التزين
انما يكون منهن طمعا فى النكاح والله اعلم والثانى مما لا يرجون النكاح يتزين ويتبرجن فقال ليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن غير مظهرات الزينة على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله تعالى
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم الاية اختلف فى تاويله
قال بعضهم ان الرجل الصحيح كان يتحرج مواكلة الاعمى والاعرج والمريض اشفاقا عليهم ورحمة يقول
انه لا يبصر طيب الطعام ولعله ياكل الخبيث ونحن ناكل الطيب ويقول ان الاعرج لا يستوى جالسا
اذا قعد فلا يقدر ان يتناول كما نتناول وان المريض لا ياكل مثل ما ياكل الصحيح وكان الرجل لا ياكل
من بيت ابيه ولا من بيت امه ولا من بيت من ذكر الى اخر ما ذكر حتى يكونوا معه وكذلك الصديق فهؤلاء
فانزل الله تعالى هذه الاية فى رخصة ذلك كله والله اعلم وقال بعضهم هؤلاء الزمنى العميان والعرج
والمرضى اولو الحاجة منهم يستتبعهم رجال الى بيوتهم ويستضيفونهم فان لم يجدوا لهم طعاما او شيئا

ياكلونه

ياكلونه ذهبوا بهم الى بيوت ابائهم ومن عدد معهم فكره ذلك المستتبعون التناول من غير بيوت اولئك
بلا دعوة واذن سبق منهم فانزل الله تعالى الرخصة فى ذلك ورفع الجناح واحل لهم الطعام حيث
وجدوه وقال بعضهم ان الاعمى والاعرج والمريض هؤلاء الذين كانت بهم زمانة كانوا يتحرجون مواكلة
الاصحاء مخافة ان يتقذروا منهم ويستقذروهم ويقول الاعرج لا اواكل الناس لانى اخذ من المجلس مكان
رجلين واضيق عليهم وقال الاعمى انى افسد عليهم طعامهم وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك
فانزل الله تعالى الرخصة فى ذلك ورفع الجناح فى مواكلتهم الاصحاء فيقول ان الحق عليهم ان يرحموكم لما بكم من
الزمانة وان يعفوا لكم بالرفع عنكم لا النفرة والاستقذار عنكم وقال بعضهم ان الرجل الغنى كان يدخل على
الرجل الفقير فيدعوه الى طعامه فيقول انى لاتحرج ان اكل من طعامك وانا غنى وانت فقير
فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم ان الرجل كان يخرج الى الجهاد فيخلف اخر فى منزله ليحفظ له اهله
واهله والقيام بكفايتهم وكان يتحرج ان يتناول من ماله والاكل فكان يتحرج ولا ياكل من ماله شيئا ولا من طعامه
ويقول لا احفظها او هو غائب فانزل الله تعالى فى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزل قوله لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل قالوا ان الطعام من افضل اموالنا فلا يحل لاحد ان ياكل عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل
الله تعالى هذه الاية الى هنا ونحو ذلك والاشبه عندنا ان يكون تاويل الاية على ما ذهبوا اليه وهو
ان يكون قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اى ليس على هؤلاء حرج ان ياكلوا من
بيوت ابائهم او بيوت امهاتهم او بيوت اخوانهم او بيوت اخواتهم او بيوت اعمامهم او بيوت عماتهم او بيوت اخوالهم
او بيوت خالاتهم لانهم كانوا انما ياكلون بالحق لان من كان به زمانة كان له التناول من اموال من ذكر من اهل
الارحام والقرابات اذ تفرض لهم النفقة فى اموالهم فيكون فى ذلك دلالة وجوب النفقة لهم فى اموالهم
ويكون قوله ولا على انفسكم معناه ولا على انفسكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه
او صديقكم اى لا باس ان ياكلوا من بيوتكم او مما ملكتم مفاتحه او من بيوت صديقكم اذ ليس يباح للرجل
التناول من مال نفسه ومن مال صديقه فى حال العدم ولا يباح فى حال الصحة والسلامة بل يباح فى الاحوال
كلها دل ان التاويل ما ذكرنا انه اشبه فيصرف تناول الزمنى من اموال القرابات الى النفقة والحق ومن ليس
به زمانة فى ماله ومال صديقه الى الملاطفة على الصداقة لان الزمانة ترفع الصداقة من بينهم وكذلك
وجوب النفقة فى مال الصديق ترفع الصداقة ولا ترفع القرابة فلا يرى لفضلها والله اعلم ثم اختلف فى
قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم قال بعضهم من بيوت اولادهم وقال بعضهم من بيوت ازواجهم
ونسائهم وقال بعضهم من بيوت انفسهم وهو ما يجد الرجل فى بيته من طعام فانه لا باس ان ياكله وكذلك
لا باس ان ياكله وكذلك الام والاب ان يتناول من بيت ولده وقد بينا الوجه على الاشارة والتفسير فى
تاويل قوله ان تاكلوا من بيوتكم الى هو الاولاد وقوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه او خزائنه يحتمل العبيد لان السيد
يملك مال عبده ويحتمل الوكيل والخازن ان ياكل من طعامه وادمه بغير اذن السيد ويحتمل او ما ملكتم مفاتحه
السيد نفسه صاحب الخزانة وما كان والله اعلم ثم ذكر الاكل من بيوت من ذكر على التاويل الذى ذكرنا
واستدل للتلقى بايجاب النفقة لهؤلاء الزمنى فى اموال من ذكرنا من القرابات يخرج على وجهين احدهما ذكر
البيوت لانهم اذا كانوا زمنى يستوجبون السكنى ايضا مع النفقة لهؤلاء الزمنى فى اموال من ذكرنا من القرابات
يخرج على وجهين احدهما ذكر البيوت لانهم اذا كانوا زمنى يستوجبون السكنى ايضا فذكر البيوت لكونهم
فيها وسكناهم معهم والثانى ذكر الاكل من بيوتهم لئلا يفهم من الاكل الاخذ منها لانه ذكر فى ايات الاكل
والمراد المفهوم منه الاخذ كقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا وقوله الربا الاية مفهوم المراد من الاكل المذكور فى هذه الايات الاخذ لا الاكل نفسه فذكر هاهنا
الاكل من بيوتهم لئلا يفهم منه الاخذ كما فهم من تلك والله اعلم وعلى تاويل اهل التاويل مستقيم ظاهر ذكر
البيوت اذ لا يجعلون ذلك الاكل والتناول عند كلا من حقا ولا بحق والله اعلم وقوله تعالى ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال بعضهم ذكر هذا لان العرب كانوا لا ياكلون وحدهم ولا يرون ذلك
فى الخلق ويتحرجون عن ذلك حتى يكون معهم غير فرخص الله تعالى لهم ورفع عنهم الحرج فقال ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا والله اعلم وعلى تاويل من يقول انهم استضافوا قوما فلم يجدوا فى
شيئا ياكلون ذهبوا بهم الى بيوت من لانهم فتحرجوا اولئك الاضياف الاكل من بيوت اولئك الذين ليس فيها
فرخص لهم فى ذلك والله اعلم وعلى تاويل من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل مع الاعمى ومن ذلك اشفاقا
عليهم ورحمة لانه لا يبصر طيب الطعام ولا ياكلون ما ياكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخص

لمعنى في ذلك وعلى تأويل من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل مع هؤلاء تعززا واستقذارا فرخص في الاكل
مع اولئك وترك التعزز عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم يحتمل
قوله فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض فيصير المسلمون اجمع بعضهم لبعض كانفسهم كقوله
لا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا وقوله لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا يأكل بعضكم
اموال بعض بالباطل ونحو ذلك من الآيات فيصير بعضهم لبعض كانفسهم لانهم كشيء واحد يتألم بعضهم بألم
ويحزن بعضهم بحزن بعض ويسر بعضهم بسرور بعض وهم جميعا كشيء واحد انفسهم جميعا كنفس
واحدة كذلك جعل سلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان بعضهم
اذا سلم على بعض يرد مثله عليه فيصير كأنه هو سلم على نفسه وكذلك قوله ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل
احد الآخر فيقتل احد الآخر فيقتل به فيكون قاتل نفسه اذ لولا قتله اياه لم يقتل به وكذلك قوله
لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل انه اذا اكل مال الغير بغير رضاه ضمنه واذا ضمنه فكأنما اكل مال نفسه
بباطل والله اعلم ثم اراد بالسلام على انفسهم اي يسلم كل على نفسه وان لم يكن ثمة احد وكذلك يكون
على بيوت عيالهم قال ابن عباس اذا دخلها فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعلى ذلك
روي في الخبر من دخل بيتا او مسجدا ليس فيه احد فليقل السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله
الصالحين وعلى ذلك يجوز ان يكون قوله ولا تقتلوا انفسكم بترك الانفاق عليها وغيره وكذلك
قوله لا تأكلوا اموالكم بالباطل وجائز ان يراد بالانفس اهلهم اي سلموا على اهاليكم اذا دخلتم عليهم
والله اعلم ثم اختلف في معنى السلام قال بعضهم السلام من السلامة اي عليك السلامة من جميع الآفات والنكبات
وقال بعضهم السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فكأنه قيل عليك اسم الله الذي لا يضر معه شيء ولا يلحقك
بأذى كقوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء والله اعلم وقوله تعالى تحية من عند الله
مباركة. التحية كأنها الكرامة كأنه قال كرامة من عند الله لكم وقوله مباركة المباركة هو الذي ينال به خيره
ويزداد ان يسمى مباركا لما به ينمو الشيء ويزكو وقوله تعالى طيبة اي ما تستطيبه كل احد وقال بعضهم طيبة
اي حسنة وتأويله ما تستحسنه كل احد وقال بعضهم تحية من عند الله كقوله سلام من امر الله لكم
مباركة بالاجر طيبة بالمغفرة والله اعلم وقوله بيوتا قال بعضهم المساجد وقال بعضهم البيوت المسكونة
كقوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية وقوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه وقال في اخرى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته الآية هذا والله اعلم ليس على ان ما ذكر من الاستئذان وترك الارتياب وزيادة الايمان بالتلاوة
ونحوه من شرط الايمان ولكن والله اعلم ان الاولى بالمؤمنين هذا انهم لا يذهبون حتى يستأذنوا رسوله
عليه السلام وانهم لا يرتابوا وان يجاهدوا وان يزدادهم بالتلاوة ما ذكر ليس على جعله شرطا للايمان
ولكن ما ذكرنا من الاولى بهم والاختيار لهم ما ذكروا والله اعلم ثم ذكر في هذه الآية ان المؤمنين لا يذهبون
عنه ولا يفارقونه الا بالاستئذان منهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان المنافقين يذهبون
ويفارقونه تسللا ولواذا حيث قال قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقال في آية اخرى لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية ذكر انهم لا يستأذنون وانما يستأذنك المنافقون بقوله انما يستأذنك
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فهذه الآيات في ظاهر المخرج مختلفة وان كانت في المعاني المدرجة
فيها موافقة فهذا يبطل قول من يحتج بظاهر المخرج اي الملحدين انه لو كان هو مختلف في الظاهر ولو كان من عند
غير الله تعالى بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فثبت بما ذكرنا ان الاحتجاج بظاهر المخرج
باطل والاعتقاد به فاسد خيال ثم جائز ان يكون ما ذكر من الاستئذان للمؤمنين فيما نزل استئذان اولئك للخروج
منه لما لا يستأذنه المؤمنون للخروج من عنده الا بعذر بعدما لم يكن يستأذنونه للخروج لا لعذر كقوله تعالى ان بيوتنا
عورة وما هي بعورة ونحوه واما المؤمنون فلا كانوا يستأذنونه الا لعذر او ان يكون ذلك في نوائب مختلفة اخرى
او ان يكون المؤمنون يظهرون له عذرهم ويفوضون امورهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان ينظر في ذلك
فان رأى الصواب ان يمضي فامضى فيهم وان رأى الصلاح في المكوث والمقام معه اقاموا معه والمنافقون لا على ذلك
كانوا يفعلون على هذا والله اعلم جائز ان يخرج تأويل الآيات التي ذكرنا وقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا
حتى يستأذنوه. اي اذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع اختلف في تأويله قال بعضهم يوم
الجمعة والعيد وقال بعضهم في الغزو والجهاد في سبيل الله يخبر ان المؤمنين يكونون معه لا يذهبون عنه الا

باذن

باذن والمنافقون يتسللون ويذهبون مستخفين منه او يقعدون ولا يخرجون من عنده واصل قوله
واذا كانوا معه على امر جامع اي على امر من طاعة الله لم يذهبوا حتى يستأذنوه وقال بعض اهل التأويل هذه
الآية تنسخ الآية التي في سورة براءة حين قال عفا الله عنك لم اذنت لهم الآية وقال في هذه سورة النور فأذن
لمن شئت منهم اذن له عليه السلام بالاذن لهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا متى امكن التوفيق لا يحمل على الناسخ الا باجماع
الامة على الناسخ والله اعلم وقوله تعالى واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم. الامر بالاستغفار لهم يخرج
مخرج الامر بالتشفع لهم وقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا. هذا يحتمل وجهين احدهما
لا تجعلوا دعاء الرسول اياكم الى ما يدعوكم الله كدعاء بعضكم بعضا مرة تجيبون ومرة لا تجيبونه كما يجيب
بعضكم لبعض اذا دعاه مرة ولا يجيبه تارة بل اجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما يدعوكم
اليه وفي كل حالات تكونون والثاني لا تجعلوا دعاء الرسول اذا دعوتموه كما يدعو بعضكم بعضا يا فلان
ويا فلان ولكن ادعوه باسم هو مخصوص به نحو يا رسول الله ويا نبي الله على ما امرتم انه مخصوص من بينكم
بالرسالة فعلى ذلك في الدعاء والاجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له ولاجل الخصوصية له وفضيلة
وهو كما ذكر في آية اخرى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض الآية وقوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا. قال بعضهم ان المنافقين اذا كانوا في مجلس
فيستمعون رسول الله يذكر مثالبهم ومساويهم وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا ويلوذ بعضهم ببعض
ويستتر بعضهم ببعض ويخرجون وقال بعضهم نزل هذا في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون
من عنده بلا استئذان منهم اياه وقوله لواذا اي يستترون بالنبي ويلوذ بعضهم ببعض والله اعلم وقوله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره. يحتمل قوله يخالفون عن امره اي يخالفون امره ويحرفون عن حكمه فيه
وجائز ان يكون على ظاهر ما ذكر يخالفون عن امره والكلام على هذا فكأنه معنى قوله يخالفون عن امره اي يعدلون
عن امره ويرغبون عنه كقوله ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقوله تعالى ان تصيبهم
فتنة. يحتمل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة القتال والتعذيب في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة
والله اعلم وقوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض. ليس فيه ما يستقيم ان يحمل قوله الا ان
لله ما في السموات والارض صلة لما تقدم الا ان يجعل ذلك صلة قول من يجعل له الولد والشريك
او صلة قولهم ما هذا الا بشر مثلكم فيقول لمن له ما في السموات والارض لا يحتمل ان يقع له الحاجة الى
الولد والشريك او له ملك ما في السموات والارض يختار لرسالته من يشاء بشرا او ملكا ليس لاحد القول
في ذلك والله الموفق وقوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه. هذا وعيد منه واعلام انه مراقبهم ومطلع عليهم
في جميع احوالهم ليكونوا على حذر لانه عالم بما هم عليه رقيبا وحافظا كان انه وايقظ واحذر ممن لا يعلم ذلك
او ان يكونوا على علم باحوالكم وما انتم عليه من الخلاف لامره خلقكم وارسل اليكم رسولا لا عن جهل بذلك
وغفلة او يؤخر منكم العذاب على علم بما انتم عليه ليوم الموعود لا لسهو وغفلة كقوله ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فعلى ذلك قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون
اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم قال ابو عوسجة يتسللون اي يذهبون مستخفين ويقال انسل
اي استخرج من الناس اي فارقهم ولا يعلمون به والتسلل مما يستعمل اذا كان الاستخفاء من الجماعة وهو ان يستتر
بعضهم ببعض وقوله لواذا يقال لاذ منه اي اختبأ واختفى ويقال لاذ بي اي استتر بي وقال القتبي يتسللون
منكم لواذا اي من يستتر بصاحبه في انسلاله فيخرج يقال لاذ فلان لواذا مصدر والله اعلم واحكم

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده. قال اهل التأويل تبارك اي تفاعل من البركة لان البركة اسم كل نعمة وفضيلة وشرف فكان تأويله
تعالى من التعالي والارتفاع وقال اهل الادب تبارك هو من البركة والبركة هي اسم كل فضل وشرف وخير وقال
الكسائي والقتبي انه من البركة وقال ابو عوسجة تبارك تنزه مثل قولك تعالى وقوله نزل الفرقان سماه فرقانا
قال بعضهم لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الحرام والحلال وبين ما يؤتى وما يتقى وعلى هذا جائز ان يسمى جميع
كتب الله التي انزلها على رسله فرقانا لانها كانت تفرق بين الحق والباطل وبين ما يحل وما يحرم وبين ما يؤتى
وما يتقى وكذلك سمى التوراة فرقانا بقوله ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وقال بعضهم سمى الفرقان لاي

أنزل بالتفاريق تفرقا فيما بين الكتب انزلت مجموعة لكن الوجه فيه ما ذكرنا معنا وهو قريب مما شبه والله أعلم
وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا جائز ان يكون قوله نذيرا اي القرآن الذي انزله على عبده يكون نذيرا للخلق
ويحتمل قوله ليكون للعالمين نذيرا اي ليكون محمد بالقرآن الذي انزل عليه نذيرا كقوله وانذر به
نذير فقوله واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ اي من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذير ثم قوله
للعالمين جائز ان يكون المراد به الانس والجن ثم ذكر النذارة فيه ولم يذكر البشارة قال وكان على هذا احتج
حجة لابي حنيفة رحمه الله انه ليس للجن ثواب اذا اطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالاجرام لان
الله تعالى لم يذكر لهم الثواب في الكتاب وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به
يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب اليم وجائز ان يكون في النذارة
بشارة ايضا ما كان وما يكون في الحكم القيمة لانهم اذا اتقوا مخالفته ومعاصيه كانت لهم
فلهم بشارة في النذارة كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقوله تعالى
الذي له ملك السموات والارض صلة قوله تبارك الذي نزل الفرقان ووجهه والله اعلم ان
الذين [illegible] لحاجة نفسه لجر منفعة اليه او لدفع مضرة عنه على ما يبتغيه ملوك الارض
من ارسال الحوايج انفسهم لجر منفعة اليهم ولدفع مضرة ونحو ذلك فاما بعث الرسل الى البشر والجن
لمنافع انفسهم اذ لا يحتمل ان يكون له ملك السموات والارض ويبعث الرسل لحاجة نفسه
لفنائه واما ملوك الارض لا يملكون ذلك فيما يرسلون ويبعثون من الرسل انما يبعثون ويرسلون لمنافع
انفسهم وحوايجهم لدفع مضرة وجر منفعة اليهم [illegible] وقوله ولم يتخذ ولدا ولم يكن
له ولدا والشريك اذ له ملك السموات والارض وانما يتخذ الشاهد انما يتخذ بحاجة اما الوحشة فيستأنس
به واما الحاجة تصيبه فيستعين به واما الشهوة يكون فيه فيقضيها ان يكون منه الولد فاذا كان الله سبحانه
وتعالى عن ان يكون فيه ما ذكرنا او تمكن فيه شيء من ذلك الى ان يكون له الولد فالله الموفق فان الولد انما
انما يكون من جنس الوالد ومن شكله ومن جوهره وكل ذي شكل وجنس يكون فيه منقصة وكذا
الشريك يكون من جنسه وشكله وانما يقع الحاجة الى الشريك يكون من جنسه وشكله وانما تقع الحاجة
الى الشريك اما العجز او آفة فاذا كان الله تعالى له ملك السموات والارض وهو خالقهما ذلك نفى الحاجة
الى الولد او الشريك والله الموفق وقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا فيه دلالة نقض قول المعتزلة انهم
احتجوا بخلق كل شيء على قولهم اكثر الاشياء لم يخلقها من الحركات والسكون والاجتماع والافتراق
وجميع الاعراض لانهم يقولون انها ليست مخلوقة لله ولا صنع له فيها وقوله فقدره تقديرا يحتمل
ان يكون قوله فقدره تقديرا الحكمة اي على ما اقتضت الحكمة او قدره تقديرا ليكون دلالة على وحدانيته
والوهيته او قدره تقديرا اي جعل له حدا لو اجتمع الخلائق على ذلك ما عرفوا قدره فلا حيلة من صلاح
وعز ما العلم بعد ذلك يفسده وقوله تعالى واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون قوله آلهة
اي معبودين ثم تسميته اياها اعني الاصنام التي عبدوها آلهة ما عندهم وفي زعمهم انها آلهة والاله
عند العرب المعبود يسمون كل معبود الها وهو كقوله فراغ الى آلهتهم على المعنى في زعمهم وقول موسى
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا فكان تسميته اياها آلهة بناء على زعمهم تعريفا لهم ثم بين سفههم وقوله
فهمهم في عبادتهم الاصنام وتسميتهم اياها آلهة فقال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اي يتركون
عبادة من يعلمون انه خالق كل شيء ويعبدون من يعلمون انهم لا يخلقون وهم يخلقون ويتركون عبادة من يعلمون
انه يملك الضر والنفع ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضر ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي
يعبدون من يعلمون ان لا يملك لهم النفع ان عبدوه ولا الضر ان تركوا عبادته ولا يملكون النفع والضر لانفسهم
ايضا وهو قوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا لغيرهم فعلى هو
الظاهر يحتمل ان يكون هم سموا انفسهم آلهة لا الاصنام لانهم يملكون ضر الاصنام ونفعها والاصنام
لا تملك ذلك لهم ولا لانفسها وبالله العصمة وقال بعضهم في قوله ولا يملكون موتا اي الموت الذي كانوا قبل
ان يخلق الناس اي الموات كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية
وقوله ولا حياة كقوله لا يملكون ان يبقيكم في هذا الاجل الموصل ولا نشورا اي بعثا بعد الموت وقال بعضهم لا يملكون
ان يميتوا احدا قبل اجله ولا حياة ولا يحيوه ميتا اذا جاء اجله ولا نشورا اي بعثا على ما ذكرنا وقوله تعالى
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه يعنون هذا القرآن الذي انزل على رسوله وكان يقرأ عليهم
يقولون ما هذا الا افك اي كذب افتراه واخترعه من تلقاء نفسه ان اهل الشرك كانوا يكذبون الانباء الا

من غير ان كانت لهم الاسباب التي يوصل بها الى معرفة صدق الاخبار وكذبها لكن ذلك كان منهم عنادا منهم
لان الاسباب التي يعرف صدق الاخبار وكذبها هي الكتب السماوية والرسل الذين نطقوا عن وحي السماء وكفار
مكة لم يكن لهم احد هذين فكيف ادعوا على رسول الله اختلاق هذا القرآن واختراعه من نفسه وانه مفترى
من غير ان يكون لهم اسباب العلم بصدق الاخبار وكذبها مع ما ظهر لهم آيات رسالته واعلام صدقه في الاخبار
من حيث لم يجدوا عليه كذبا قط ولا رأوه اختلف الى احد من اهل الكتاب ولا كان يحسن الخط بيده كتابا
مما قرع اسماعهم من بدء الامر الى آخره الا بالتحرير والتقريع بقوله قل فاتوا بسورة من مثله وقوله فاتوا بعشر
سور مثله مفتريات فذلك عجزهم وترك تكلفهم ذلك على انهم عرفوا انه من عند الله وانهم كذبة في قولهم انه افك
مفترى ونحو ذلك وقوله واعانه عليه قوم آخرون قالوا انه افك مفترى واعانه على ذلك قوم آخرون في افترائه
واختراعه وهم قوم من اهل الكتاب اسلموا وقد كانوا يجدون في التوراة والانجيل نعته وصفته وما كان
انباهم واخبرهم من الانباء المتقدمة والاخبار الماضية فاخبروهم بذلك حين سألهم فلذلك المشركون اتهموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انه كما يقول وانه صادق في ذلك كله وانا نجد كله في كتابنا فلما سمعوا
ذلك من اهل الكتاب ما سمعوا من تصديقهم اياه عند ذلك قالوا واعانه عليه قوم آخرون ثم اخبر انهم جاءوا
ظلما وزورا اما قوله ظلما لانهم كذبوا في قولهم ان هذا الا افك افتراه من غير ان كان لهم سبب معرفة الصدق
والكذب فهو ظلم لانهم وضعوا ذلك غير موضعه واما قوله وزورا لانهم قالوا انه مختلق وانه
وانه انما يعلمه بشر وانه اعانه عليه قوم آخرون وقوله تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة
واصيلا قد ظهر كذبهم هذا فيما بينهم لانهم متى رأوه اختلف الى احد منهم يتعلم ذلك او متى رأوه
ساقط او يحسن الكتابة قط فاذ عرف تلك الانباء والاحاديث التي كانت منهم ولا شك انه لم يكن
بلسانهم وانما كانت بلسان اولئك وذلك الاخبار مما في كتبهم بلسان نفسه من غير ان تعرف له تعلما ولا كان
له معرفة بلسانهم ولا معرفة بالكتابة والقراءة على الكتاب عرفوا انهم عرفوا انه علم ذلك بالله تعالى وقوله بكرة
واصيلا قال اهل التأويل غدوا وعشيا ولو كان على ذلك لكان الكفرة حضروه في الغدو والعشي ويسمعونه
ويشاهدونه ما يملى عليه اذ الوقت وقت الحضور ولكن عندنا كانهم ارادوا بالبكرة والعشي اول الليل
واخر الاوقات التي هي ليست باوقات الحضور والجلوس يقولون يأتونه سرا فيملي عليه ونعلم لو كان ذلك
ايضا لكانوا يراقبونه ويحافظونه سرا ليعرفوا ذلك حيث شاهدوه فاذ لم يفعلوا ذلك انهم كانوا يعرفون صدقه
وانهم كذبة في زعمهم لكنهم كابروا وعاندوا في ذلك ثم اخبر انما انزله عليه الذي يعلم السر في السموات والارض
ليس بمختلق منه ولا مفترى بقوله قل انزله الذي يعلم الاعمال الخفية والسرية من اهل السموات والارض
يعلم الكواذب والاسرار التي في السموات والارض وخفياتها والله اعلم وقوله تعالى انه كان غفورا رحيما يحتمل
قوله غفورا رحيما اذا تابوا عن ذلك وآمنوا به ورجعوا الى الحق او غفور رحيم لا يعجل بالعقوبة وتاخير الرحمة في فضله
لا يعجل بالعقوبة لعلهم يعدمون على التوبة والرجوع الى الله وقال بعضهم في قوله قل انزله الذي يعلم السر على انهم
يجعل انزله اي هذا القرآن الذي يعلم السر وذلك ان اهل مكة قالوا سرا فيما بينهم ما هذا الا بشر مثلكم بل هو
ساحر فامر ان يخبرهم بان الذي انزله هو الذي يعلم السر الذي اسررتم فيما بينكم لتعلموا انه باسحر قالوا وقال
ابو معاذ الاساطير الاحاديث جمع احدوثة والله اعلم وذكر في حفصة رضي الله عنها في [illegible] عليه وهما
لغتان وفي سورة البقرة ولا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل وقوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق كانت الكفرة يطعنون في رسول الله بشيئين احدهما انه من البشر بقولهم ما هذا
الا بشر مثلكم وانه لا يكون بشر مثلنا كانوا لا يرون ان يكون من البشر رسول كقولهم لولا انزل عليه ملك الاية وقوله
لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ونحو ذلك والثاني كانوا يطعنون بالفقر والحاجة وصغر اليد حيث
قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وحيث قالوا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق كانهم ينكرون الرسالة
في الفقراء وذوي الحاجة ويرونها في ذوي الملك والاموال العظيمة حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم فعلى ذلك عيرهم يأكل الطعام كما يأكل الفقراء ويمشي في الاسواق في حوائجه كما يمشي الفقراء ولو كان رسولا
لكان ملكا غنيا يأكل الطعام الملوك ولا يقع له الحاجة الى ان يمشي في حوائجه في الاسواق فاما طعنهم
فيه انه بشر مثلهم وانكار الرسالة في البشر ووجوه احدها ما ذكرنا قالوا لولا انزل عليه ملك قال ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر الاية معناه والله اعلم لا ينزل الملائكة الا بالعذاب فلو انزل الا انزل بالعذاب كما اهلكوا والثاني ما قال
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون تاويله والله اعلم انه لم يجعل في وسع البشر رؤية الملك
على صورته وعلى ما هو عليه [illegible] فلو جعلناه رجلا لكان للبسنا عليهم ما كان

يلبسوا أو لكنك إنما نعلي الأتباع بقولهم إنه ساحر وإنه كذاب وإنه مجنون وكان يأخذ ذلك الشبه عليهم والثالث
ما قال لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لو كان أهل الأرض
ملائكة لكنا أنزلنا عليهم الرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم لأنهم أعرف به وأطوع وأصدق عندهم ممن هو
من غير جوهرهم وجنسهم فيكون هذا أقرب إلى المعرفة وآكد في الحجة عليهم فإذا كان أهل الأرض بشرا فالرسول
إذا كان منهم فهم أعرف به وصدقه أظهر عندهم وقلوبهم إلى الرسول الذي هو من جنسهم والله أعلم وإنما طعنهم
في أكله ومشيه في الأسواق حيث قال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق
أي غيره من الرسل الذين تؤمنون أنتم بهم كانوا فقراء يأكلون الطعام ويمشون في حوائجهم لم يمنع ذلك من أن
يكونوا موضعا للرسالة فكيف على ذلك محمد بل الفقير وذو الحاجة أحق أن يكون موضع الرسالة من الغني المترف لأن
الناس يتبعون الغني في منزلة الملك والثروة فلو كان غنيا مثل ملك كان لا يظهر صدق الحق من صدقه إذ كان في ذلك
محتاجا ليظهر ذلك إليهم أن يكون ملكا هو آية الرسالة نحو ما كان لسليمان وداود وذلك لنفسه آية لرسالته على ما
وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي والله أعلم وقوله تعالى لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا كأنهم قالوا
ذلك لما نزل لقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قالوا عند ذلك لولا أنزل إليه
ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو يكون له جنة يأكل منها عند سماع قوله الذي له ملك السموات والأرض
أي قالوا لو كان محمد رسول من له ملك السموات والأرض ونذيرا للعالمين على ما يقول لكان أنزل له معه ملك
نذيرا ولكان أعطي هو كنزا أي مالا أو يكون له جنة يأكل منها على ما يكون لرسل ملوك الأرض لكن الجواب
لهم ما ذكر تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار الآية أي لو شاء الله
أعطاك خيرا مما يقولون من البساتين والقصور على ما أعطى غيرك لكن ليس فيما منع منقصة ولا فيما
أعطاهم منزلة الفضيلة وقوله تعالى وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا لأنهم كانوا ينسبون
الرسول إلى السحر والجنون والكذب وقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال تأويل هذا الكلام والله أعلم
أي انظر إلى سفههم أنهم كيف ضربوا لك الأمثال وشبهوك بما نسبوك مرة إلى السحر قالوا إنك ساحر ومرة
إلى الشعر ومرة إلى الكذب حيث قالوا بل كذاب أشر ونحو ذلك مما كانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم إليه فيقول والله أعلم
انظر إلى سفههم أنهم كيف ضربوا لك الأمثال وينسبونك إلى ما ذكر لعلمي علم منهم أنك لست على ذلك وأنك
على الحق وهم على الباطل كذبوا والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال لما قالوا لولا أنزل إليه
ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو يكون له جنة يأكل منها أي أمثال ذلك مما سألوه فيقولون لو كان
ما تقول إنه رسول لكان نزلت الأعلام الرسالة وأمارات الصدق فيجعل الله تعالى أن الآيات والأعلام ليست
بأن على شهوات السؤال المعاندين وأمانيهم ولكن إنما تجيء على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادعى وتظهر
كذب من عاند ويتولى وقد أتاهم محمد بحجج وبراهين ما أظهر لهم صدق ما ادعى من الرسالة لكنهم عاندوها
وكابروا فلم يقبلوها ولم يروا بها لحق فأغرى أن تذهب عنهم رياستهم وقوله تعالى فضلوا فلا يستطيعون
لأمثالهم فيضلوا عن الهدى أو ضلوا عن الهدى بضربهم الأمثال له ونسبتهم إياه إلى ما نسبوا إليه
فلا يستطيعون سبيلا إلى الهدى وإلى ما سألوه من الأشياء والله أعلم وفي حرف حفصة رضي الله عنها
فلا يهتدون سبيلا وقال بعضهم فلا يستطيعون مخرجا من الأمثال التي ضربوها والله أعلم وقوله تعالى
تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا قد ذكرنا
أنه خرج جوابا لما سألوه من الأشياء من الملك والكنز والجنة وأنواع الطعن الذي طعنوا أي لو شاء لأعطاك
خيرا من ذلك والله أعلم ثم أخبر أن الذي حملهم على ذلك السؤال وأنواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة
حيث قال بل كذبوا بالساعة حيث لم يروا لأمورهم عاقبة ينتهون إليها يسألون عنها أو يعاقبون ثم أخبر
ما أعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ثم وصف ذلك
السعير فقال إذا رأتهم من مكان بعيد يحتمل وجهين أحدهما يجعل لها أسبابا تراهم بها كما يرونها تلك
الأسباب نحو ما تنادي أصحاب الكفرة في مكان يرونها فكأنها رأتهم إذ لو كانت تجعل إذن ويحتمل أن يرى عن نار
المكان يرونها تراهم أيضا فسمى بذلك على مجاز القول كقوله وغرتهم الحياة الدنيا وأمثال ذلك
وقوله تعالى وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قيل إن النار ترفعهم بلهبها وترديهم مكانا من أعلاها
أي أسفلها وترد من مكان من أعلاها إلى أسفلها وترد من مكان من أسفلها إلى أعلاها يجمعهم جميعا
فيضيق عليهم المكان وتستد بهم الأعداد كلما اضطربهم المكان كان العذاب لهم أشد والله أعلم وقوله
مقرنين قال بعضهم مقيدين بعضهم ببعض ثم قال بعضهم الشياطين يقرن ويضيق كل شيطان دعاه إلى ما دعا

واتبعه

واتبعه معه كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال بعضهم يقرن العابد بالمعبود
من دون الله وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها كقوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون
من دون الله والله أعلم وقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا أي هلاكا
والثبور الهلاك كقوله وإني لأظنك يا فرعون مثبورا أي هالكا والثبور الويل هاهنا فإن يدعوا بها كل أهل
في الهلكة والشدة فقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا أي لا يكون هلاكا واحدا كما يكون
في الدنيا أن من هلك مرة لا يهلك ثانيا وأما في النار فإن لأهلها هلاكا لا يحصى كقوله ويأتيه الموت من كل
مكان وما هو بميت وكقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وإنما يسألون ويدعون بالهلاك لما يرجون
النجاة من ذلك العذاب وهكذا كل من ابتلي ببلاء شديد يتمنى الهلاك والموت والله أعلم وقال بعضهم في
وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين في السلاسل وذلك أنهم إذا ألقوا فيها تضايق عليهم كتضايق الزج
في الرمح والأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون يخفضهم اللهب فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة
فعند ذلك يدعون بالثبور ويقولون واثبوراه واويلاه وذو مثله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه
كان يقول إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج في الرمح دعوا هنالك ثبورا يقولون وبلاه هلاكا كما قال الله
تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ثم قيل عند ذلك أذلك خير يعني الذي ذكر أم جنة الخلد
التي وعد المتقون كانت لهم جزاء لأعمالهم ومصيرا أي منزلا ثم قوله أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون
يشبه أن يكون قال هذا لقولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذير أو يلقى إليه كنز أو يكون له جنة يأكل منها
فيقول ذلك الذي سألتموه أنتم خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون وجائز أن يكون قوله هذا إنما قال لهم
لما رأوا لأنفسهم الفضل والمنزلة في الدنيا فأعظم من خطرها فقال ذلك الذي أعطيتم في الدنيا من السعة
خير أم جنة الخلد التي أعطي المتقون وقوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا
مما سأله لهم الملائكة كقوله ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم الآية أو سؤال الرسل كقوله
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو وعدا مسئولا مما سألوا هم بأنفسهم ربهم فوعد لهم ذلك وهذا
يدل على أنهم إنما يدخلون الجنة بالسؤال والتضرع لأنهم يستوجبون ذلك بأعمالهم والله أعلم
قال ابن عوسجة التغيظ من الغيظ وقال الزفير الشهيق يكون في الحلق وهو نفس في الحلق شديد له صوت وفي
ثبورا أي هلاكا وصرفه ثبر يثبر ثبورا وقال القتبي تغيظا وزفيرا أي تغيظا عليهم كذلك قال المفسرون وفي
قوم بل يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقوله لهم فيها زفير وشهيق واعتبر الأول
بقوله تكاد تميز من الغيظ وهذا أشبه بالتفسير إن شاء الله تعالى لأنه قال سمعوا لها فلم يقل سمعوا منها
والله أعلم وقوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء
أم هم ضلوا السبيل اختلف فيه قال بعضهم يحشر أولئك الذين عبدوا دون الله والمعبود يومئذ هم الملائكة
لأن من العرب من قد عبد الملائكة كقوله في آية أخرى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم
كانوا يعبدون وقال بعضهم هو عيسى يحشر بينه وبين من عبده لأنه قد عبد من دون الله فيقول الله تعالى
لما ذكر وهو كقوله وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال
سبحانك الآية وقال بعضهم يحشر الأصنام ومن عبدها ثم يأذن لها بالكلام فيقول أأنتم أضللتم
عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وهو كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم
وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم
لغافلين ولو كان المراد به عيسى أو الملائكة لكانوا عالمين بعبادتهم إياهم غير غافلين فدل ذلك أنها الأصنام التي
عبدوها من دون الله والله أعلم وكل ذلك يحتمل إذ قد كان ذلك كله منهم والله أعلم وقوله فيقول أأنتم
أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل والله أعلم يخرج مخرج توبيخ أولئك الكفرة وتعيير من ذكر دون الله
ويقولون لهم أمروهم بذلك وكانوا مقبولي القول عندهم صادقين فيما يخبرون ويقولون فأراد أن يظهر كذبهم
عند الخلائق بذلك سؤالهم الله والله عليم إلا كأنه هو أعلم بالكائن منهم من أنفسهم لكنه يخرج لما ذكرنا
ثم أخبر أنهم نزهوه عن جميع ما لا يليق به وبرؤوا أنفسهم عن أن كان منهم أمر أو شيء مما نسبوا أولئك الكفرة إليهم
وهم أعلم بهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء قال أهل التأويل العابدون ما يأذن لهم أن يتخذوا
أربابا من دونه ولا يتولى سواك وفي بعض القراءات أن نتخذ من دونك من أولياء برفع النون لكن أهل الأدب
يقولون لهن خطأ وقوله تعالى ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر هذا يحتمل وجهين أحدهما
أنا بادهم تعاملوا في هذه الدنيا حتى أتوا على ذلك من غير إذا أصابهم شيء مما أوعدهم في كتابهم وما أوعدهم الرسل

من العذاب و الهلاك على ما اختاروا من الدين و صنيعهم فظنوا انهم على حق بحيث لم يصيبهم تلك المواعيد على
التعجيل و على هذا التأويل النعت سوءه هو كنا بهم او ما ذكر لهم رسلهم فادكا على هذا فالآية في اهل الكتاب و يحتمل
ان يكون الآية في الفراعنة و الجبابرة من هؤلاء الكفرة متعوا في هذه الدنيا بانواع الرياسة و وسعت عليهم المعيشة
حتى نسوا الذكر و اتبعوا هواهم و طلبوا من التكذيب لرسوله و ما انزل اليه فاجيبوا بسبب الاموال التي عندهم
طمعا فيها فنسوا ما في القرآن من الوعيد و قوله و كانوا قوما بورا يحتمل قوله كانوا اي صاروا و يحتمل اي كانوا في علم الله
قوما بورا و البور عند بعضهم الهلاك و عند بعضهم الفساد قال القتبي و ابو عبيدة قوله بورا اي هلكى و هو من بار
يبور اذا هلك و بطل يقال بار الطعام اذا كسد و بارت الايم اذا لم يرغب فيها و في الحديث كان رسول الله صلى الله
عليه و سلم يتعوذ من بوار الايم قال ابو عبيدة يقال رجل بور و قوم بور لا يثنى و لا يجمع و قال ابو عوسجة قوما
بورا لا خير فيهم و يقال رجل بائر و كذلك قال ابو عبيد بورا اي ليس فيهم من الخير شيء قال قتادة بورا اي فاسد
ملئه اهل عمان و قال ما نسي قوم قط ذكر الله تعالى الا باروا و فسدوا و قوله تعالى فقد كذبوكم بما تقولون
خاطب الكفرة فقال لقد كذبكم اولئك المعبودون بما تقولون انهم امروكم بذلك و كانوا عندكم صدقة
و قوله تعالى فما تستطيعون صرفا و لا نصرا هذا يحتمل وجوها احدها اي ما تستطيع اولئك الكفرة
صرف قول من عبدوهم و تكذيبهم حين كذبوهم في قولهم و لا نصرا اي و لا استطاعوا الانتصار عنهم
حين كذبوهم و على ذلك يخرج قول من قرأه بالتاء فما تستطيعون صرفا و لا نصرا و يحتمل فما تستطيع
المعبود و نصرف عذاب الله و نقمته عنكم و لا كانوا لكم شفعاء و نصراء لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
و قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى و الله اعلم و الثالث فما تستطيعون صرفا اي عدلا و لا نصرا اي
و لا ناصرا اي لا يقبل منهم الفداء و لا كان لهم ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم كقوله لا يقبل منها عدل
و لا ينفعها شفاعة و قال القتبي و ابو عوسجة قال بعضهم الصرف الحيلة من قولهم ليتصرف و قال بعضهم الصرف
الحيلة من قولهم ليتصرف و قال بعضهم الصرف النافلة سميت صرفا لانها زيادة على الواجب و العدل الفريضة و هو
في الخبر من طلب صرف الحديث ليبتغي به اقبال وجوه الناس لم يرح رائحة الجنة اي من طلب تحسينه بالزيادة
و قال بعضهم الصرف الدية و العدل رجل مثله كانه قال لا يقبل منه ان يفتدي برجل مثله و عدله و لا يصرف
عن نفسه بديته و منه قيل صيرفي لتصريفه الدراهم بالدنانير لانك تصرف هذا الى هذا الحيلة ما ذكرنا و الله
اعلم و قوله تعالى و من يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا اي على قول بعض الخوارج كل ظالم ان يكبه و ذلك
على اصل مذهبهم و على قول المعتزلة كل صاحب الكبيرة في ذلك الوعيد و اما على قول اهل السنة فذلك
فذلك الوعيد لمن يكتسب الظلم ظلم شرك و كفر و اما ما دون ذلك فهو في مشيئة الله ان شاء عذبه و ان شاء
عفا عنه و الله الموفق و قوله تعالى و ما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون في الاسواق
قد ذكرنا فيما تقدم ان هذا انما خرج جوابا لقول اولئك الكفرة ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق
فاخبر ان الرسل الذين كانوا من قبل محمد كانوا يأكلون الطعام و يمشون في الاسواق على ما يأكل هو و يمشي
من التأني من ذكر الركوب في الاسواق و قال انه اخبر عن الانبياء و الرسل جملة انهم كانوا يمشون في الاسواق
و لم يذكر منهم الركوب فدل ذلك على انه مكروه منهي فيشبه ان يكون ما قال هؤلاء و انه يكون مكروها
لانه يخرج الركوب في الاسواق مخرج التعزز و المباهاة فالواجب على كل مسلم ان يكون تعززه بالاسلام
و بينة الدنيا اختاره الله له و خاصة على العلماء يجب ان يكون تعززهم و تباهيهم بالعلم الذي اعطاه
تعالى لهم و اكرمهم به فانه عز لا يعقبه ذل و لا يورثه ضعفا و لا وهنا و اما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو الذي
ما يصير سريعا كانه ليس بعز في الحقيقة لو تدبر و الله اعلم و قوله تعالى و جعلنا بعضكم لبعض فتنة
الفتنة كانها هي المحنة التي فيها شدة و بلاء ثم قال بعض اهل التأويل انه لما اسلم عبد الله و ابو ذر و عمار
و بلال و صهيب و امثالهم انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا اتبعوه من موالينا و اعرابنا فاذ الكل قوم
فازدروهم و اذوهم و استهزؤا بهم فانزل الله تعالى هذه الآية لهؤلاء الفقراء الذين اتبعوا رسول الله
ليصبروا على اذاهم مما لهم فجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اي اصبروا على ارادة الامر و ان لم يكن بصيغته هذا
يحتمل و قال الحسن قوله و جعلنا بعضكم لبعض فتنة يجعل اهل البلوى فتنة لغيرهم و غير اهل البلوى فتنة
لاهل البلوى يقول الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان و يقول الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل
فلان و كذلك يقول السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان لكنه اعطى اهل البلوى البلوى و امرهم
بالصبر عليه و هؤلاء النعمة و امرهم بالشكر عليها و يحتمل ان يكون غير هذا و هو قريب من هذا و ذلك انه اعطى
بعضا النعمة و السعة و جعل بعضها في ضيق و شدة ثم جعل كل فريق محتاجا الى الفريق الآخر جعل الغني

المرء

المرء محتاجا الى الفقير في بعض امور و الفقير محتاجا الى الغني لغناه و جعل البعض على بعض مؤونة
ما لولا ذلك الفقير لم يرض الغني بقدر غناه و لا الفقير بقدر فقره و لا قام بعض
الكفاية مؤونة بعض فلم يكن الا صبر على تحمل مؤونة الآخر بقوله اتصبرون اي اصبروا على الامر [illegible]
ظاهره الاستفهام و معناه الامر و الله اعلم و قوله تعالى و كان ربك بصيرا اي على من يصبر منهم على تحمل بعضهم
لبعض [illegible] و قوله تعالى و قال الذين لا يرجون لقاءنا قال اهل التأويل لا يرجون
اي لا يخافون [illegible]
و الخوف الذي [illegible] لولا انزل علينا الملائكة
ان يكون قولهم لولا انزل علينا الملائكة [illegible] رسلا دون ان انزل البشر رسلا
لانكارهم الرسل من البشر كقوله هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم و يحتمل قولهم لولا انزل علينا
الملائكة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ربنا [illegible] و الله اعلم و قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم
[illegible]
[illegible]
[illegible] و عتوا عتوا كبيرا قال بعضهم العتو
هو الجرأة و هي اشد من الاستكبار و قال بعضهم العتو هو الغلو في القول و الغلو اشد بيانا و قال بعضهم هو
من التكبر و كذا قال ابو عوسجة هو من الكبر و يقال عن الخلاف عتا عتيا [illegible] الكلام لا نعت على
لا تقال [illegible] و قال بعضهم هو من الشركة و [illegible] و قد بلغت من الكبر عتيا اي يبسا و قوله تعالى
يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا قال بعضهم ان الملائكة يتلقون المؤمنين
بالبشرى على ابواب الجنة و يقولون للكفرة لا بشرى لكم و يقولون حجرا محجورا اي يقول الملائكة حرام البشرى
للمجرمين او حرام عليهم الجنة ان يدخلوها و الحجر على هذا القول يعني الحرام الشرعي و قال بعضهم الحجر هاهنا هو المنع
و الخطر حجرا اي يقولون انهم ممنوعون و محظورون عما طمعوا و قصدوا بعبادتهم الملائكة و الاصنام التي
عبدوها حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيقولون يمنع عنهم ما قصدوا
و طمعوا بعبادتهم و يكون المنع و الحجر لتلك عملوها في الدنيا من صلة الارحام و الصدقات و نحوها
مما هي في الظاهر حسنات ليستوفوا ثوابها في الآخرة و هي كقوله و لئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
و قوله و لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى و نحو ذلك فقال انهم ممنوعون عن ذلك و الله اعلم و قال الحسن
حجرا محجورا اي حراما محرما فانه الملائكة كرهوه و قالوا حجرا محجورا اذا رأوا الملائكة و ما سمعوا من الوعيد
و الله اعلم و قال بعضهم حجرا محجورا اي عوذا معاذا فكأن المجرمين يستعيذون من الملائكة بهذا القول
و قال ابو عوسجة حجرا اي حراما محرما و يقال حجرت عليه مالي اي منعته منه احجره حجرا و يقال حجرت به
اي لطخت [illegible] بشيء من [illegible] و قوله تعالى و قدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال اهل التأويل
قدمنا اي عمدنا و قصدنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه كذلك و عندنا اي جعلنا اعمالهم بذلك في الاصل فيما
منثورا ثم قوله فجعلناه كذا هباء منثورا قال بعضهم هو شيء و هو رهج الدواب و قال بعضهم الهباء المنثور
هو غبار الشمس و قال بعضهم هو الغبار الذي يكون في شعاع الشمس في الكوة يسمى الذر و قيل هباء منثورا
اي لا شيء و الهباء هباء النار اي رمادا يكون على اعلى النار اذا خمدت و يقال هبت تهبو هبوا اذا خمدت
و الجمر على حالها الا انه قد غطاها فكذلك الهباء و كل شيء ليس بشيء فهو هباء يقال لهذا هباء اي لا شيء و المنثور
الذي ينتشر و قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و احسن مقيلا و صف في اول الآية اعمال
الكفرة بالهباء المنثور و قد وصفه مرة بالرماد الذي اشتدت به الريح في يوم عاصف و مرة بالتراب الذي يكون
على الصفوان و هو الحجر الاملس و اصابه الوابل فوصف اعمال المؤمنين بالثبات و القرار على ما تقدم ذكره
في آيات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل النار و اهل الجنة في الجنة
ثم قرأ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و احسن مقيلا و كذلك هو حرفه في سورة الصافات في قوله ثم ان مرجعهم

لا الى الجحيم نعقيلهم لا الى الجحيم ويشبه ان يكون ذكر هذا القول لما يلقى اليه كنزا ويكون له جنة ياكل منها
اى لنا اموال وجنات وليس له شيء من ذلك فقال جل وعلا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا • وصف الله تعالى لهول ذلك اليوم السماء باوصاف
وذكر لها احوالا وافعالا مختلفة واذا السماء كشطت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وقال يوم
نطوى السماء كطي السجل للكتب وقال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الاية ويحتمل ان في اختلاف
الاوقات يكون في كل وقت على حال او وصف وهو كما وصف الجبال مرة بالهباء المنثور ومرة شبهها بالعهن
المنفوش ومرة قال كثيبا مهيلا ومرة قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ونحوها وذلك يكون
في اوقات مختلفة يكون في كل وقت على حال او وصف فعلى ذلك يصف السماء في ذلك اليوم لشدته وهوله
والله اعلم ثم قوله يوم تشقق السماء بالغمام اى تنشق عن الغمام فيبقى بلا غمام كقوله واذا السماء كشطت جائز
ان يكون قوله بالغمام اى يبقى غماما فوقه رؤس الخلائق تظلهم وهذا يدل على قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام فان كان على هذا فيرتفع الاشتباه والله اعلم وقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن يحتمل
اضافة ذلك اليوم الى نفسه وان كان الملك له في جميع الايام في الدنيا والاخرة لوجوه احدها ان ملك الاخرة
دائم لا فناء له وملك الدنيا حياته فانيا لا دوام له ولا بقاء والثاني يقر له جميع الخلائق بالملك في ذلك اليوم وان
لم يقر له البعض بالملك في الدنيا والثالث انه لم ينازعه احد في ملك ذلك اليوم وان كان ينازع في الدنيا
والله اعلم او ان يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم يظهر للخلق ويومئذ يعلم كل واحد انه خلق
في الدنيا لذلك اليوم كان لا للدنيا خاصة والله اعلم ثم ذكر هاهنا الملك يومئذ الحق للرحمن وذكر في اية
اخرى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليعلم العرب ان الرحمن المذكور في هذه الاية هو الذي ذكر في تلك
الاية لان العرب تسمي وتعرف كل معبود الها ولا تعرف الرحمن ولا تسمية الرحمن تعرفهم ان الاله والرحمن
الذي ذكرهما واحد سواء والله اعلم وقوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا ظاهر لا شك فيه كذلك
يكون وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا • قال بعض اهل التاويل
نزلت في عقبة بن ابي معيط كان يواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه اذا دعاه الى طعامه فقال لا
حتى تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك ابي بن خلف فاتاه فقال له
... الى محمد واجبته الى ما دعاك اليه وغير ذلك فعلى ذلك رجع عقبة عن ذلك ... الى دينه وفي الحديث
طول فنزلت الاية في شانه وصنيعه وندامته وحسرته على ما فعل فقال له ويوم يعض الظالم على يديه الى اخر
ما ذكر وذكر ان عقبة وابي بن خلف قتل احدهما يوم بدر والاخر يوم احد لكن الاية في كل ظالم كافر يكون على ما ذكر
ثم يحتمل قوله يعض الظالم على يديه على التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة لان من اشتدت به الندامة والحسرة
والغيظ على شيء كاد ان يعض على يديه غيظا فيه على ذلك كما كنى بغل اليدين عن الانفاق وبالبسط عن كثرة
الانفاق والمجاوزة فيه كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكما كنى بالنبذ
وراء الظهر عن ترك العمل به والانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث له كقوله فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله
نكص على عقبيه كناية عن الرجوع وقوله يردوكم على اعقابكم وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وامثال هذا
كل هذا على التمثيل والكناية عن الرجوع والثبات والاخذ والترك فعلى ذلك جائز ان يكون عض الايدي
كناية عن شدة الندامة والغيظ على ما حل به ويشبه ان يكون على التحقيق تحقيق عض الايدي يجعل الله
عض يديه كما جعل عقوبة انفسهم بانفسهم حيث جعل حطبا للنار بها يعذبون ويتاذون والله اعلم
وقوله تعالى يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا • اى السبيل الذي دعاه الرسول اليه وقوله تعالى يا ويلتى
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا • ولم اطعه فيما دعاني واتبعت الذي علاه فيما امره بذلك واغراه والله اعلم
وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني • اى اضلني عن الشرع الذي يذكره المرء بعد ان جاءني ويبين او
اضلني عما ذكرني هذا او اضلني عن الذكر اى عن القران وما فيه من الذكر والمواعظ والله اعلم وقوله تعالى وكان
الشيطان للانسان خذولا • اى تاركا يتبرا منه كما قال في اية اخرى اني بريء منك اني اخاف الله وكما
قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى او ان يكون لما ذكر يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا والله اعلم او ان يكون ذلك الخذلان في الدنيا يمنيه بالاماني ويزين له الاشياء ثم
لا يوصله اليها والله اعلم وقوله تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا • قال بعضهم
المهجور هو الذي لا ينتفع به ولا يعمل به وقال ابو عوسجة والقتبي اى تركوه مهجورا اى متروكا اى جعلوه
كالهذيان والهجر الاسم يقال فلان يهجر في منامه اى يهذي وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين

اى مثل الذي جعلنا لك من العدو من الكفرة جعلنا لكل نبي عدوا قبلك ثم العداوة تكون في الدين مرة ومرة
في الانفس والحرمانات كان العداوة في الدين بجمع الكفرة للاعداء لخلافهم له في الدين وتكون من حيث صلة
اى جعلنا لكل نبي من المجرمين اعداء وان كانت العداوة عداوة الانفس لخوفهم فتكون على التحقيق حرفين
وذلك راجع الى الفراعنة واضداد الرسل من رسول الا وله فراعنة واضداد يناصبونه ويقاتلونه ويهمون
بقتله والله اعلم ثم بشر رسوله عليه السلام بالحفظ والنصر والظفر على اعدائه وهو كقوله وكفى بربك هاديا
ونصيرا وقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة • ذكر بعض اهل التاويل ان اهل
مكة كانوا اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعنتونه ويسالونه ويقولون يا محمد تزعم انك رسول
من عند الله ولا تاتينا بالقران جملة واحدة كما كانت التورية جملة واحدة على موسى والانجيل على عيسى والزبور
على داود عليهم السلام فقال تعالى كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وقوله تعالى لنثبت به فؤادك
يحتمل وجهين احدهما اى نزلناه متفرقا لنثبته في فؤادك لتحفظه وتذكره لان حفظ الشيء اذا كان سماعه
بالتفاريق كان حفظه اهون وايسر من حفظه اذا سمع جملة واحدة وخاصة اذا كان الكلام من اجناس وانواع والله اعلم
والثاني لنثبت به فؤادك اى بما فيه من الحكمة والمعاني ثم يحتمل قوله فؤادك لسانه يراد به فؤاد من يستمع اليه ويسمعه
منه وان كان هذا نص كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث والاية على ما ذكرنا انه يكون اسهل حفظا واهون
ثباتا من سماعه جملة واحدة وجائز ان يكون اراد به فؤاده كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
... بيانه وقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله كان يعجل بحفظه اذا اوحى عليه خوفا ان يذهب عنه فيثبت
فؤاده وبينه بالتفاريق لكي يحفظه ويذكره ثم ان كان المراد تثبيته في الفؤاد هو ما فيه من الحكمة والمعاني
وقراءته على الناس على مكث عرفنا والله اعلم ينزل على قدر النوازل والحوايج ليكون احفظ لتلك المعاني او من
مواضعها وتقريرها في النوازل به من ان ينزل جملة في دفعة واحدة والله اعلم وقوله تعالى ولا ياتونك
بمثل الا جئناك • اى بصفة يستبعون بها على الخلائق بصفة هي احق والبهاء فيرتفع ذلك الشبهة
عنهم ... عن الخلق او ان يقال ولا ياتونك بصفة هي باطلة الا جئناك بالحق بصفة هي حق بين ذلك
وبين محل وقوله تعالى واحسن تفسيرا • اى احسن بما تمن لان وعلى التاويل الاول وعلى التاويل الثاني ظاهر
لان مثل حكمة احسن والحق قال ابو عوسجة ورتلناه ترتيلا اى نزلنا بعضه بعد بعض على ان بعضه بنزله
مرة واحدة وكذلك في قوله ونزلناه تنزيلا وقال بعضهم ورتلناه ترتيلا بيناه تبيينا وقال بعضهم
في قوله ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا قال لا يخاصمونك بشيء ولا يجادلونك بشيء
الا جئناك بالحق يعني القران واحسن تفسيرا يقول جئناك بالقران باحسن مما جاؤا به تفسيرا وهو قريب
مما ذكرنا وفي حرف حفصة ... الا جئناك بالحق منه واحسن تفسيرا وهو شبيه ببعض التاويل الذي
ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا • يشبه ان يكون ذكر
هذا على مقابلة قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ذكر في هذا مقام اهل الجنة
ذكر مقابل ذلك مقام اهل النار فقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا
اى شر مكانا في الاخرة واضل سبيلا في الدنيا او ان يكون مقابل قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا اى
الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل
سبيلا من الذين امنوا بل مقام المؤمنين الجنة ومقام الكفرة النار فهم شر مكانا منهم والله اعلم وفي بعض الاخبار
ان رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة فقال ان الذي امشاه على رجليه قادر على
ان يمشيه على وجهه وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب • اى التورية وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
ذكر هاهنا انه كان وزيرا له وذكر في اية اخرى انه كان نبيا حيث قال ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون
نبيا وقال في اية اخرى انا رسولا ربك فكان مما ذكر انه كان نبيا ورسولا وكان له وزيرا والوزير هو العون
والعضد كانه قال وجعلنا معه اخاه هرون عونا وعضدا له كقوله اشدد به ازرى واشركه في امرى سأل
ربه عز وجل المعونة به والشركة في امره وقال فارسله معى ردءا يصدقنى قال الزجاج الوزير في اللغة الذي
يرجع اليه ويتحصن برايه وهو واحد وقوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا • فدعو
هم الى توحيد الله تعالى فذهبا اليه فدعواهم فكذبوا باياتنا ثم دمرناهم تدميرا اى اهلكناهم هلاكا فيه
وقوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم • جائز ان يكون قوله لما كذبوا الرسل اريد به نوح
عليه السلام خاصة لانه ذكر قوم نوح فان كان ذلك فحينئذ لا يتجوز تسمية الواحد باسم الجماعة
وجائز ان يكون نوح عليه السلام دعاهم الى الايمان به وبجميع الرسل عليهم السلام فكذبوهم وكذبوا الرسل

جميعا عليهم السلام والله أعلم وقوله لما أغرقناهم لم يغرقهم على أثر تكذيبهم ولكن إنما أغرقهم بعد ما دعاهم
ألف سنة إلا خمسين عاما وقوله تعالى وجعلناهم للناس آية يحتمل المكذبين منهم الإهلاك والاستئصال
وفي المصدقين منهم النجاة والخلاص منه فذلك آية لكل مكذب ومصدق لما إليه تؤول عاقبة أمرهم فإنه
المكذبين الإهلاك وعاقبة المصدقين النجاة فإن قيل إنهم جميعا أهلك المكذبون والمصدقون قيل له
هلاك المكذبين هلاك عقوبة وهلاك المصدقين بانقضاء آجالهم لا هلاك عقوبة ثم لكن ههنا جعلناهم
للناس آية ويحتمل نفسها آية مما ذكرنا وقال في آية أخرى وجعلناها آية للعالمين في السفينة قال بعضهم
جعل السفينة آية لأنه من طبع السفن أنها إذا استعملت في أوقات وطال الزمان أنها تفسد وتتلاشى وهي بعد
قائمة كما هي أعني سفينة نوح عليه السلام لكن ذلك لا يعلم أنه كما ذكر أم لا والله أعلم وقوله تعالى واعتدنا للظالمين
عذابا أليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم شرك وكفر أن يعذبه الله العذاب الأليم وقوله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس و
قرونا بين ذلك كثيرا أخبر أنه أهلك هؤلاء كلهم بالتكذيب عادا قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب
الرس قال بعضهم سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم عليه السلام في بئر أي دسوه فيها وقال بعضهم الرس هو البئر
التي كانوا ينزلون عليها فبعث الله تعالى إليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فسموا بذلك ونسبوا إلى تلك البئر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعبا عن أصحاب الرس فقال إنكم معاشر العرب تدعون البئر رسا والقبر
وتدعون الخد رسا فخدوا أخدودا في الأرض وأوقدوا فيها النيران للرسل الذين ذكرهما الله تعالى في سورة
يس إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والله أعلم وقوله تعالى وكلا ضربنا له الأمثال أي ذكر
لأهل مكة أمثال من تقدم منهم من الأمم من المكذبين والمصدقين وما حل بهم وما آل إليه عاقبة أمرهم
بالتكذيب حتى قال وكلا تبرنا تتبيرا أي أهلكنا إهلاكا وقال بعضهم تبرناهم أي كسرناهم بالنبطية يقول
الهدم للشيء إذا أراد أن يكسره اتبره وقوله تعالى ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني الحجارة يعني قرى
لوط عم أي مر عليهم أهل مكة في تجاراتهم وما توبهم ومر كما في الصافات وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
أفلا تعقلون أفلم يكونوا يرونها ما حل بهم بالتكذيب فيعتبروا بل كانوا لا يرجون نشورا أي بعثا بعد الموت
وإحياء أي إنما كذبوا الرسل عليهم السلام لأنهم لم يؤمنوا بالبعث ولا يخافون نشورا وقوله تعالى وإذا
رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا كانوا إذا رأوه هزؤوا به واستهزأ بعضهم إلى بعض
يقولون فيما بينهم أبعث الله بشرا رسولا هكذا كانت عادة الكفرة يهزؤون برسل إذا حضروا وإذا غابوا
عنه قالوا ذلك الذي ذكر وقوله تعالى إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها في قوله كاد ليضلنا
عن عبادة آلهتنا دلالة أنه أراد أن يضلهم عن عبادتهم الأصنام بالحجج والآيات التي وقع من النبي صلى الله
عليه وسلم صرفهم ومنعهم عن ذلك الأمر إلا من جهة لزوم الآيات والحجج إلا أنهم عاندوا تلك الآيات والحجج
التي أقامها عليهم أنه على الحق وأنهم على باطل ثم قال تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أي يعلمون
حين لا يقدرون على الجحود والإنكار إذا نزل بهم العذاب بعد ما وقع من أضل سبيلا هم أو المؤمنون لأنهم
وإن علموا بالآيات والحجج أنه على الحق وأنهم على الباطل وعلموا الموعود من العذاب حقا فإنهم يعلمون عنادا بعد
يعلمون علما لا يقدرون على جحوده وإنكاره كقوله لما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقوله أو نرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل وقوله فارجعنا نعمل صالحا الآية وأمثال ذلك إذا عاينوا الموعود في الدنيا يقرون به
ولا يقدرون على الجحود وكذلك قوله تعالى سوف يعلمون علما لا يقدرون على الجحود والإنكار حين يرون العذاب
من أضل سبيلا وقوله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه قال بعضهم إنهم كانوا يعبدون شيئا حجرا أو
فإذا رأوا أحسن منه في رأي العين والمنظر تركوا عبادة ذلك وعبدوا ما هو أحسن منه وقال بعضهم كلما هوت
أنفسهم شيئا عبدوه وكلما اشتهوا شيئا أتوه لا يحجزهم عن ذلك ورع ولا تقوى الله تعالى ويحتمل وجهين
آخرين سوى ما ذكر هؤلاء أحدهما أنهم تركوا عبادة الإله الذي قامت الحجج والبراهين على ألوهيته وربوبيته
ولزموا عبادة من لم تقم له الآيات والحجج وذلك باتباع هواهم والثاني أنهم عبدوا ما عبدوا من الأصنام لا لأمر كان
لهم من جهتهم والعبادة لا يتلوها أمر ليعبدونها بل عبدوا بهواهم أو كلام نحوه وقوله تعالى أفأنت تكون
عليه وكيلا أي لست أنت بوكيل عليهم لا مسلط عليهم ولا حافظ أي لا تسأل أنت عن أعمالهم ولا تحاسب
عليها بل هم المسؤولون عنها وهم المحاسبون عليها كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الآية وكقوله فإنما
عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والله أعلم وقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون قوله أم تحسب
إن كان في الظاهر استفهاما فهو على الحقيقة على الإيجاب وهكذا كل استفهام من الله تعالى فهو يخرج على الإيجاب
أو على النهي كأنه قال قد حسبت أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وإن يكون على النهي أي لا تحسب أن أكثرهم

لا يعقلون أنهم لا ينتفعون بما يسمعون ولا ينتفعون بما يعقلون والله أعلم وقوله تعالى إن هم إلا كالأنعام
بل هم أضل سبيلا [illegible] الأكل والشرب ليست لهم همة سوى ذلك [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى ألم تر إلى ربك كيف مد الظل [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال بعضهم [illegible]
[illegible] ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا [illegible]
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا [illegible]
[illegible]
وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته [illegible]
[illegible]
وبالله التوفيق وقوله تعالى ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا فيه لغتان أسقى وسقى بالألف وغير الألف
بمعنى الحرث وماشيته ونسقيه أي نناوله ما يشرب وهو قول القتبي وأبو عوسجة وقوله وأناسي كثيرا قال
الأناسي هو جمع إنسي وقال بعضهم هو جمع إنسان وأصله بالنون أناسين لكن أبدلت النون ياء وقال أبو عوسجة الأناسي
أناسي مشددة بمعنى أناسين وهو جمع الإنسان والله أعلم ثم يحتمل قوله ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي نسقيه
من الماء الطهور المنزل من السماء كثيرا من الأنعام وكثيرا من الناس وكثيرا مما تسقى من المياه النابعة من الأرض فإنه أنفع
وقوله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا أي صرفنا المطر والسحاب بينهم مطر في مكان ثم لا يسوقه إلى
مكان ولا يسوقه إلى مكان آخر وهو كقوله وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون
إلى بلد ميت الآية [illegible] ولقد صرفناه بينهم ليذكروا [illegible]

وحكمة وتدبير اما تدبيره حيث ينشئ السحاب في موضع ولا يرى في موضع ويراه منبسطا في الافاق كلها ثم تمطر في موضع
ولا تمطر في موضع اخر ولا تنزل في مكان وتنزل في مكان اخر ليعلم انه عن تدبير كان لا كما قالت الطبيعية لانه لو كان
بالطبع كذلك كان لا يجوز ان تمطر في مكان دون مكان دل انه بالتدبير كان ما كان وبالامر واما قدرته ما ذكر من
احياء الارض الميتة بعد موتها واماتتها بعد حياتها ثم تعلم كل احد حياتها وموتها ويقر بذلك فمن قدر على هذا
قادر على احياء الموتى بعد الموت لا يعجزه شيء واما الحكمة ان ما خلق ما ذكر وانشأه لم ينشئهم عبثا يهملهم لا يأمرهم ولا
ولا يمتحنهم بشيء ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولا يستأدي منهم شكر ما انعم عليهم من انواع النعم
ما يخرج عقولهم عن ادراكه وتقصر افهامهم عن تقدير مثله ليعلم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء وانه حكيم بذاته متعال عن
وقوله تعالى فأبى اكثر الناس الا كفورا قال الكسائي الكفور مثل الكفر الكفران والكفر نقيض الشكر والكفور
والشكور برفع الشين الشكر ونقيضها الشاكر وهو المؤمن فيكون تأويله فأبى اكثر الناس الا كفورا بالله تعالى
وبكفرهم بالنعم وصرفهم العبادة الى غيره لعبادتهم وتطيرهم بنعمه من نوع كفران وهذا من نوع كذا والله اعلم وقوله
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا هذا يحتمل وجهين احدهما لو شئنا لرفعنا عنك بعض ما حملنا عليك
من المؤونة من مؤنة التبليغ والقيام بذلك وحملناها غيرك فيكون تبليغ البعض عليك في جميع الخلق والبعض على غيره
ويكون هذا ايسر عليك واهون من القيام بالكل والثاني لو شئنا لجعلنا غيرك ايضا اهلا للرسالة وموضعا
لها في زمانك فبعثناه في بعض القرى ولكن لكمال فضلك جعلناك اهلا لها وخصصناك بها من بين غيرهم
من الناس فهو على الامتنان بتخصيصه والاختصاص له لا يخلو اذ الناس من ان يكون فيهم من يصلح للرسالة ويصلح
ان يكون لها اهلا وموضعا فيكون تأويله ولو شئنا لجعلنا فيهم من يصلح للرسالة ويصلح ان يكون اهلا
وموضعا فأي الوجهين كان ففيه نقض على المعتزلة قولهم لانه ان كان فيهم من يصلح لها فارسل كان اصلح له
ولم يرسل فقد ترك ما هو اصلح له ولغيره وان كان لا يصلح فيهم احد للرسالة لكنه يملك ان يصلحه ويجعله
اهلا لها فهو اصلح له ولغيره ثم لم يفعل به ذلك دل ان له ان يترك الاصلح والاخير في الدين عليه والله اعلم وقوله
فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا يخرج على وجهين احدهما انه لا يجوز للرسل عليهم السلام البقية ولا
عن التبليغ اليهم والقيام بمحاربتهم وان خافوا على انفسهم الهلاك حيث قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا
كبيرا ولم يجز لهم تركه ومعه ومنها لا قليل مما سعه انه كان ذلك بمكة لان سورة الفرقان فيها نزلت والثاني فيه
دلالة اثبات رسالته بنبينا صلى الله عليه وسلم لانه امر بالخلاف لهم والقيام بمجاهدتهم بالحجج والايات معهم
ان لا يكون منه وسع ولا جهد القيام بذلك لامثالهم وكانت همتهم القتل في الاهلاك لمن خالفهم فعلم انه انما قام
بذلك لامثالهم وكانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فعلم انه انما قام بذلك بالله تعالى لا بنفسه والله اعلم
وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال
بعضهم مرج البحرين اي خلق المالح على الماء العذب وقال بعضهم مرج اي ارسل البحرين احدهما عذب والاخر اجاج
وقال بعضهم مرج البحرين اي افاض احدهما على الاخر قال ابو معاذ العرب تقول مرجت الدابة خليتها ترعى
تذهب حيث شاءت ومرج الوالي الناس من السجن اذا ارسلهم ولذا ابو عوسجة يقال المرج قلت مرجت اي تركت مرجها
امرجا وانما سمي المرج مرجا لانه منزل للسباع غير ممنوع والمرج الذي ترعى دابته في المرج والدابة المرجة وقال
ابو عوسجة مرجهما اي خلطهما فهو مارج ومنه قوله تعالى في امر مريج اي مختلط ويقال مرجت عن كل شيء اي خلطت
والله اعلم ثم اختلف في البحرين فقال بعضهم احدهما بحر الارض والاخر بحر السماء وجعل بينهما برزخا اي حاجزا
من الخلط لا يختلط احدهما بالاخر وهو الهواء وقال بعضهم احدهما بالاخر وهو الهواء وقال بعضهم احدهما بحر السماء
وبحر تحت الارض وجعل بينهما برزخا وهو الارض وقال بعضهم بحر على وجه الارض احدهما بحر الشام
والاخر بحر العراق احدهما ملح اجاج والاخر عذب وكان الاجاج هو الذي بلغ في الملوحة غايته والفرات هو الذي
بلغ في العذوبة والحلاوة غايته ذكر تعالى غاية منه وفضله ولطفه حيث لم يخلط احدهما بالاخر بل حفظ
كلا على ما هو عليه ثم ان كان احدهما بحر السماء والاخر بحر الارض فالحاجز بينهما الهواء وان كان البحر في الهواء
بينهما الا اللطف كذلك لئلا يكون الثالث ليعلم انه من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حاجز او بحاجز لطيف
لقادر على احياء الموتى وبعثهم لا يعجزه شيء ولا القوة والحول قال ابو عوسجة ماء اجاج ملح شديد الملوحة ويقال
اج الماء يأج اجاجا فهو اجاج ويقال للماء ملحا اي ماء رديا وقوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا اي من النطفة
يخبر عز وجل عن قدرته وفضله ولطفه اما اللطف فقدرته حيث خلق البشر من النطفة ولو اجتمع جميع حكماء البشر
على ان يعرفوا او يدركوا كون البشر من النطفة او يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك دل انه قادر بذاته لطيف بكل
شيء واما فضله ما جعل لهم نسبا وصهرا اما النسب يتعارفون به ويتواصلون اما لولا ذلك ما تعارفوا
ولا تواصلوا

ولا تواصلوا واما الصهر فلما به تزاوجون وتوادون ويسكنون كقوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم
من ازواجكم بنين وحفدة وقال وجعل بينكم مودة ورحمة يذكر فضله ومنته ويستأدي به شكره ليعلم ان من
خلق مثل هذا لا يخرج فعله عبثا باطلا بلا عاقبة فكان النسب ما لا يجري بينهم التناكح والزواج والصهر هو
ما يحل ويجري بينهم التزاوج والتناكح وفي حرف ابن حفصة رض وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وال
ابو معاذ الفتى واله والختن ابو المرأة والختنة ام المرأة والاختان ابو المرأة واهلها والاصهار اهل الفتى واهل قال
ابو عوسجة وصهر امرأة اصهار وكلهم اصهار من الجانبين جميعا وهم في عندنا انه يسمى قرابة الزوج لغة بالرجل قرابة
المرأة اصهارا وذلك لسان فهو على ما تعارفوا بينهم وقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
اي يعبدون من دون الله ما يعلمون انه لا ينفعهم في الاخرة ان عبدوهم ولا يضرهم في الدنيا ان تركوا عبادتهم
جل الله سفههم بعبادتهم من يعلمون انه لا ينفع ولا يضر في تركهم عبادة من ينفعهم عبادته ان عبدوها ويضرهم ترك
عبادته ان تركوها فهو كما ذكرنا في ذا في الله بنصرهم لهم كاشفات ضره او اراد في رحمة هل هن ممسكات رحمته وامثال
ما ذكر فهو كثير في القرآن سفههم ونبأنا الكفرة بعبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله تعالى وقوله تعالى وكان الكافر
على ربه ظهيرا تأويله اي وكان الكافر للكافر ولوليه ظهيرا على من اطاع ربه يكون بعضهم لبعض عونا وظهيرا على اولياء
الله تعالى لا ان يكون الكافر على الرب ظهيرا ولكن على اوليائه ويكونون للرب على اوليائه ومن اطاعه كقوله ان تنصروا الله
ينصركم وكقوله يحاربون الله هو محاربتهم في محاربة اولياء الله انما اراد به اولياءه لا نفسه وقوله تعالى وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا لمن عصاه والبشارة هي الاعلام هي الاعلام بما يلحق من المكروه والمخوف في العاقبة بالاعمال
السيئة القبيحة والله اعلم وقوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر اي لا اسألكم على الذي ادعوكم اليه من اجر
لعلكم ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا اسألكم اجرا على ذلك حتى يمنعكم ثقل المغرم من اجابتي فعلى ذلك قوله
قل لا اسألكم عليه اجرا الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا كانه ضمار اي لا اسألكم عليه اجرا الا من شاء اي لكن
انما اسألكم ان تتخذوا الى ربه سبيلا وان يكون الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي ولكن من اراد ان يتخذ الى
ربه سبيلا اطاعني واجابني والله اعلم ويحتمل قوله قل ما اسألكم عليه من اجر على تبليغ الرسالة لكنكم تؤمنون
اليه الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا حتى يدلوا ان يكون قوله الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فهو يودي كقوله
قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت اي توكل على الله والتوكل
هو الاعتماد عليه بكل امر وقوله تعالى وسبح بحمده اي نزه ربك عما ينسبه الاخرون كلها والعيوب بثنائه حسب
وهو التسبيح ويحمده وقال اهل التأويل وصل بامر ربك يكفي التأويل ما ذكرنا وقوله تعالى وكفى به بذنوب
عباده خبيرا اي وكفى به عالما بذنوب عباده اي لا احد اعلم بها منه والله اعلم وقوله تعالى الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا قال القائلون اي فسل
بالنصب كانه يسأل عنه محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان بعض كفار مكة قالوا يا محمد ان كنت تعلم الشعر فبين
لنا فقال عليه السلام ما شعر هذا انه هذا كلام الرحمن فقالوا انا نجد انه كلام الرحمن الذي باليمامة فهو معلمك
فقال عليه السلام الرحمن هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما من عنده ثم بين ذلك فقالوا انزعم ان الله
واحد وهو يقول لكم ويدعى الرحمن فعلى الستم تعلمون ان هذا الهين وكلاهما صح هذا ويجوز ان يكون نحوهم
وما الرحمن انما لم يعرفوا الرحمن فانكروا ذلك فلما لم يكونوا سمعوا ذلك فهم فقيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية
او ان يكونوا يعرفون كل معبود الها وكذلك يسمون الاصنام التي عبدوها الهة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعاهم الى عبادة الرحمن فظنوا انه غيره فقالوا فلم جاز ان نعبد غير الله فنحن نعبد الاصنام فلم يمنعنا عن ذلك
فاخبر ان الرحمن هو الاله واحد ليس هو غيره حيث قال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا الى اخر ما ذكر ان يكون الرحمن غير الاله بل الرحمن هو الذي جعل في السماء بروجا وهي النجوم وجعل فيها
السراج وهي الشمس والقمر هو الله تعالى فاخبر ان الرحمن هو ذلك لا غيره والله اعلم وفي هذا دلالة قول بعضهم انه
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش من المكتوم ولكنه مما يعلم ويعرف
حيث قال فاسأل به خبيرا ولو كان فيما لا يعلم لكان لا يأمر ان يسأل به خبيرا او ان امره بالسؤال لكان
لا يحتمل ان لا يخبر دل ذلك على انه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم لكن لا يعلمه الا الخبير والخبير هو العالم ويحتمل
الخبير ها هنا الله تعالى او جبريل صلوات الله عليه او من علمه الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم في قوله فسل به خبيرا
اي ما اخبرتك من شيء فهو كما اخبرتك لا شك فيه والله اعلم وذكر في الكتاب على هذه الاية وذلك ان يهود حكوا
عن ابتداء خلق الاشياء بخلاف ما اخبر الله تعالى عنه فقال الله تعالى فسل به خبيرا قال القتبي سلني عنه فانك
تسأل بالسؤال اياي خبيرا يعني اني خلقت الاشياء فلا يخفى علي منها شيء فسلني عنها وقيل فسل عنه خبيرا

ولا نشتغل بعينه وعينا فسئل الرحمن عن خلق السموات خبيرا بذلك وقيل سئل عن الله خبيرا والكناية في به
راجعة الى الرحمن اي سل عنه العلماء من خلقه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك وقوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا اي زادهم
دعاؤه الى عبادة الرحمن نفورا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء
بروجا قد ذكرنا ان قوله تبارك كلمة تبارك هو من البركة وعند بعضهم هو من التعالي وقوله جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا هو ما ذكرنا انه خرج جوابا لقولهم وما الرحمن وكذلك قوله وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة قيل خلفة اي جعل احدهما يخلف الآخر اذا ذهب هذا جاء هذا وقوله تعالى لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا اي جعل الليل والنهار لمن اراد ان يتذكر لموعظته او يشكر لنعمه لانهما يذكران قدرته
وسلطانه حيث يقهران الجبابرة والفراعنة حيث يبطلانهم ويأتيانهم شاؤا او كرهوا لا يقدرون دفعهما عن
انفسهما وفيهما دلالة البعث والاحياء بعد الفناء والهلاك حيث ذهب هذا ولا يبقى الآخر بعد ان لم يبق
من اثره شيء فمن قدر على هذا قدر على البعث والاحياء بعد الموت وذهابه ويذكر ايضا نعمه والائه لانه جعل
النهار منقلبا لمعاشهم وطلبا لرزقهم وما به قوام انفسهم وجعل الليل مستراحا لابدانهم وسكونا
لاقوام الابدان باحدهما دون الآخر الا ترى انه كيف ذكر نعمهما قال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء الاية وقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة
من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون يذكرهم عظيم نعمه في الليل والنهار ليتأدى بذلك شكره
فعلى ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا يكون كل واحد منهما خلفا
عن الآخر فيما يفوت فيه من التذكر والشكر اي ما فات في احدهما من التذكر له والشكر يقضي في الآخر وهو
الحسن قريبا مما ذكرنا وقال بعضهم فاته شيء بالليل ادركه بالنهار او ادركه بالليل وعلى ذلك روي عن عمر رضي الله عنه
ان رجلا قال له يا امير المؤمنين فاتتني صلاة الليل فقال عمر رضي الله عنه ادرك ما فاتك من ليلتك في
نهارك فما فاتك من نهارك في ليلتك ثم قرأ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر الاية
وروي مثل هذا عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان رجلا اتاه فقال اني لا استطيع قيام الليل فقال
ان كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجز بالنهار وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول صلوا من الليل
ولو ركعتين او اربعا وعنه عليه السلام انه قال والذي نفسي بيده ان في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم
يسأل الله تعالى فيها خيرا الا اعطاه والليل والنهار مطيتان يحملان الناس الى اجالهم يقربان كل بعيد ويبليان
كل جديد ويجيئان بكل موعود حتى يؤدي ذلك الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يصير الناس باعمالهم
الى الجنة او الى النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا وصف جل وعز اهل الخضوع والاجلال من عباده انهم يمشون على الارض هونا قال بعضهم
اي حلماء علماء اتقياء بغير مرح ولا بطر وقال بعضهم اي متواضعين لا جبابرة ولا كبراء ولا مرحا وعن الحسن
قال هم المؤمنون قوم ذللت والله لهم الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض
وانهم لاصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ واصله انهم يمشون
هونا من غير ان يتأذى بهم احد والحق يحتمل منهم والله اعلم وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
قال بعضهم اذا جاهلهم الجاهلون نحو سافههم السفهاء لا يجاهلون اهل الجهل والسفه ولكن قالوا السلام
عليكم وقال بعضهم اذا سمعوا الشتم والاذى قالوا سلاما اي سدادا وصوابا من القول لجواب ما سمعوا من
القبيح مروا امروا فا اي اعرضوا عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافئوهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الاية
يخبر عن صحبتهم اهل السفه والجهل وحسن معاشرتهم اياهم ورفقهم بهم كيف يعاملون اهل الخرق والعقل
والعقل منهم ومن يصاحبونهم فهذه معاملتهم الخلائق على الوصف الذي وصف ثم اخبر عن صنيعهم لله تعالى
وركوعهم له فقال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وعن الحسن لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله الذين يبيتون الليل وايديهم على ركبهم قال من صلى بعد العشاء ركعتين فقد بات لله تعالى
ساجدا وقائما وقال الحسن كانوا يصلون لله تعالى على اقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا لربهم تجري
دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم وقال الاخرى ما سهر ليلة قط ولم يخشع له [illegible] وقوله تعالى والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يحتمل ان يكون هذا اخبارا من الله تعالى عما في ضميرهم ليس على حقيقة القول منهم
لان من بلغ في العبادة والوجه المبالغ الذي وصفهم عز وجل لا يشتغلون انفسهم بالسؤال عن دفع المضار ولا

النفع ويحتمل ان الدعاء القول على ما اخبر والله اعلم ثم قوله ان عذابها كان غراما قال الحسن
اللازم الذي لا ينقاد وصاحبه وكل غريم مفارق غريمه غير عذاب جهنم وقال بعضهم الغرام الهلاك وقوله تعالى
انها ساءت مستقرا ومقاما اي جهنم بئس المستقر وبئس المقام لا كلها هو مقابل ما ذكر لاهل الطاعة
الجنة حيث قال حسنت مستقرا ومقاما قال بعضهم غراما عن مواخذ الاخرة مما يعمل في الدنيا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه كان غراما انا اثبتنا انها ساءت مستقرا ومقاما وقال ابو عوسجة هو نامي آخر في ثقال هان يهون
هونا هو هاين [illegible] يقال للذي اعرض [illegible] اذا اشتد فارقه والغرام الهلاك وكذلك قال القتبي غراما
اي هلكة وقال يمشي هونا رويدا سلاما اي سدادا من القول لا رفث فيه ولا فحش وقوله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا قال بعضهم لم يسرفوا في غير حق كسبوا طيبا وانفقوا قصدا واعطوا فضلا [illegible]
استنفقوا ولم يقتروا اي لم يمسكوا من الحق وكان بين ذلك قواما اي بين الاسراف والتقتير قصدا وهو تاويل
مقاتل وقال بعضهم الاسراف هو الانفاق في معصية الله تعالى ولم يسرفوا لم ينفقوا في معصية الله تعالى ولم يقتروا
اي لم يمنعوا عن طاعة الله تعالى وكان بين ذلك قواما اي عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفق في باطل ولكن ينفقه
في طاعة الله تعالى وقال بعضهم الاسراف في النفقة هو الانفاق فيما لا ينتفع بها من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة
التي كانوا يتركونها سائبة ولا ينتفعون بها والاقتار هو الامساك عن الانفاق فيما ينتفع به وقال بعضهم
الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم الانفاق في الاكل والاقتار هو المنع عن الحد الذي جعل لهم وكان
بين ذلك قواما وسطا كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولكن بين ذلك
واصله لم يسرفوا ولم ينفقوا ولم يضعوا الا فيما امروا ان يضعوا فيه اموالهم ولم يقتروا اي لم يمنعوا عما امروا ان
يضعوا فيه وكان بين ذلك قواما اي قائما في ذلك لا يضرهم ما يفعلون ما يفعلون الا بامر ثم اخبر انهم لا يدعون
مع الله الها آخر يحتمل هذا وجهين احدهما لا يدعون اي لا يعبدون
دون الله غيره ولا يسمون غير الله الها وقوله تعالى ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
اخبر في الاية الاولى في قوله يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما عن معاملتهم
الخلق وصنيعهم بين الناس حين اخبر انهم يمشون هونا لا يؤذون احدا ولا يضرونه واذا اذاهم اهل الجهل
والسفه لم يكافوهم باذاهم ولكن احتملوا اذاهم وتجاوزوا وقالوا لهم قولا سدادا هذه معاملتهم
الخلق في النهار ثم اخبر عن معاملتهم ربهم ودعائهم بالليل حيث قال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الاية ثم اخبر عن صنيعهم في اموالهم التي في ايديهم انهم لا ينفقون
الا فيما امروا بالوضع فيه واخبر عن صفو تقواهم واخلاصهم لله تعالى في العبادة وكفهم عن محارم الله تعالى حيث
قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الا بالحق ولا يزنون وقوله والذين لا يشهدون الزور الاية موصولة بهذا ايضا وبتقديم قوله ومن يفعل
ذلك يلق اثاما كانه قال والذين لا يزنون والذين لا يشهدون الزور الاية ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من قتل النفس المحرمة والزنا
وشهادة الزور ونحوه يلق اثاما قال بعضهم اثاما واديا في جهنم وقال بعضهم اثاما عقابا [illegible] في الكتاب وقوله تعالى
والذين لا يشهدون الزور قال بعضهم لا يشهدون مكان الزور وهو الغنا اي لا يشهدون المكان الذي
فيه وقال بعضهم لا يشهدون الزور اي شهادة الزور وهو الكذب وقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
اي مروا كراما حلماء وان قدروا على تغيير ما عاينوا من اللغو والمنكر غيروه ومضوا على وجوههم من غير ان يدخل
في ذلك الفساد وان لم يقدروا مضوا ولم يعبؤا به ولم يستعملوا كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم الاية وفي قوله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون دلالة نقض قول
الخوارج باكفارهم اصحاب الكبائر لانه ذكر انها محرمة بعد ارتكابها الزنا والقتل كما هي قبل ارتكابها الا بالحق
حيث قال ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق دل انها محرمة بعد [illegible] ولو صارت النفس بارتكاب الكبيرة
كافرة لم يبق تحريمها ثم قوله الا بالحق يحتمل [illegible] ما ذكر في الخبر لا يحل قتل امرئ
مسلم الا باحدى خصال ثلث زنا بعد احصان او كفر بعد ايمان او قتل نفس بغير حق وقال ابو عوسجة الاسراف
الفساد والتضييق يقتروا اي لم ينفقوا [illegible] والقوام الواسطة ويقال الاقوام في هذا الامر
لا طاقة لي فيه فلان قام بهذا الامر لا اطيقه والقوام من القصد قال ابو معاذ [illegible] ولم يقتروا
اربع لم يقتروا ويرفع الياء ويخفض التاء [illegible] يقتروا بنصب الياء ويخفض التاء ويقتروا برفع الياء و
التاء والكل بمعنى واحد والله اعلم وقوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اي
قال بعضهم اذا ذكروا بايات ربهم لم يصموا عن الحق ولم يعموا وقال القوم عقلوا عن الله تعالى وانتفعوا بما سمعوا من كتاب

تعالى وقال الحسن من يقرأها بلسانه يخر عليها أصم أعمى كأنه يخبرنا أن أولئك أعني أهل صفوة الله تعالى وإخلاصه
لم يخروا على تلك الآيات صما وعميانا كالكفرة العبدة ولكن خروا عليها متذكرين منتفعين بها سامعين عالمين
بما فيها عاملين وهو كقوله إنما الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية وقوله يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد
فيه مهانا فإن قيل ما الإشكال أنه أخبر ههنا أنه يضاعف له العذاب وقال في آية أخرى ومن عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها
فما معنى الضعف فيقول هذا يحتمل وجهين أحدهما أن يضعف العذاب للذين تقدم ذكرهم إذ كفروا بالله تعالى
بعدما بلغوا المبلغ الذي وصفهم والرتبة التي ذكر أنه لا أحد منهم إذا كفر يضاعف له العذاب يضاعفه ضعفا
على قدر منزلته ومرتبته عند الله تعالى وعلى قدر نعم الله تعالى عليه إذا كان منه عصيان وكفران لذلك وهو
كما قال لرسوله صلى الله عليه وسلم ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وما ذكر لأزواجه حيث قال يا نساء
النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين كل من كان أعظم قدرا وأكثر نعما عليه فعقوبته
إذا عصى ربنا أشد وأكبر من الذي لم يبلغ ذلك المبلغ ولا تلك الرتبة فيكون تضعيف غيره [illegible] فلم يكن
بين الآيتين مخالفة بحمد الله تعالى والثاني أن يكون ذلك للأئمة منهم أعني الكفرة والرؤساء دون الأتباع لأنهم عملوا
هم بأنفسهم ودعوا غيرهم إلى ذلك فيكون العمل أثقل لهم وإنما ثقل الإثم ثقلا لهم الآية وأن يكون ذلك العناد
الذي كان منهم والمكابرة والله أعلم ثم استثنى من تاب منهم فقال إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية
فإن كانت الآية في الذين قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا كما يحدث الآية فيقول لقد لم يرتدوا ثم
رجع إلى الإسلام حيث استثنى من تاب منهم وقوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات هذا يحتمل
وجهين أحدهما يوفقهم الله تعالى إذا تابوا وندموا على ما فعلوا من السيئات في الشرك حتى يعملوا مكان كل سيئة
عملوها حسنة فذلك معنى تبديل الله سيئاتهم حسنات أي يوفقهم لذلك والثاني يبدل الله سيئاتهم
حسنات في الآخرة لما كان منهم من الندامة والحسرة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا وعلى ذلك روي عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال ليأتين أقوام يوم القيمة ودوا أنهم قد استكثروا من السيئات فقيل يا أبا هريرة ومن هم
قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وروي مثله عن عبد الله رضي وقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فإنه
يتوب إلى الله متابا يحتمل هذا وجهين أحدهما أن يكون على الأمر كأنه قال ومن تاب فليتب إلى الله متابا لا يرجع
عنه أبدا وعلى ذلك يخرج قوله تعالى إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين أي إن يكن منكم عشرون فليغلبوا
يغلبوا مائتين على الأمر لما ذكر قوله عز وجل حيث قال الآن خفف الله عنكم الآية والثاني أن يكون ذلك لقوم
علم الله تعالى أنهم إذا تابوا توبة لا يرجعون عنها أبدا وإلا ليس كل من تاب يتوب متابا لا ينقض توبته والله أعلم
وقوله عز وجل والذين لا يشهدون الزور قيل لا يحضرون [illegible] وكذلك قوله وإذا مروا باللغو مروا كراما وقال بعضهم لم يرضوا
صنيعهم وقال بعضهم إنهم إذا أتوا على ذكر النكاح كنوا عنه وقال أبو عوسجة والقتبي يلق أثاما أي عقوبة
الأثام والعقوبة وقوله مروا كراما أي لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم عنه وقوله صما وعميانا أي عند تلاوة
القرآن فلا يسمعون ولا يبصرون ولكن يخرون عليها سمعا وبصرا وقوله تعالى والذين يقولون ربنا
هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين نعتهم الله تعالى في معاملاتهم أنهم كيف عاملوا ربهم بالليل
والنهار ونعتهم أيضا في معاملتهم عباده أي كيف عاملوا عباده ثم نعتهم في معاملتهم أهاليهم ودعائهم
إياهم فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين فهو كما أمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم
النار بقوله قوا أنفسكم وأهليكم نارا فعند ذلك دعوه وسألوه أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم
ما تقر به أعينهم في الدنيا والآخرة وقال بعضهم أي اجعلهم صالحين مطيعين لك فإن ذلك يقر أعيننا
وقال الحسن ما شيء أحب إلى العبد المسلم من أن يرى ولده أو والده أو زوجه أو حميمه يطيع الله تعالى وقال بعضهم
يعملون بطاعة الله فتقر بذلك أعيننا والله أعلم وقوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما قال بعضهم أي اجعلنا
أئمة هدى وتقوى يقتدى بنا وقال بعضهم واجعلنا للمتقين إماما بمعنى يقتدى بنا المتقون [illegible]
كأنهم سألوا ربهم أن يجعلهم بحال من يقتدى بهم صالحا متقيا لا من اقتدى بهم صار ضالا شقيا
والله أعلم بتأويله [illegible] واجعلنا للمتقين إماما لا معنى لمن يطلب لأنفسهم الإمامة ولكن على
الذي ذكرنا ثم أخبر عز وجل عن جزائهم في الآخرة بصنيعهم في الدنيا فقال أولئك يجزون الغرفة هي أعلى المنازل
وأشرفها أخبر أنهم يجزون ذلك ويكونون فيها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه أولئك يجزون الجنة
بما صبروا يحتمل أن تكون الغرفة المذكورة في الآية كناية عن الجنة يدل له حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويحتمل
أن يراد بها نفس الغرفة وهو لارتفاعها وعلوها على غيرها من المنازل يختار السكون فيها في بعض الأوقات

في الدنيا والناس يرغبون فيها لا لأن فيها ولارتفاعها على غيرها فرغبهم بذلك في الآخرة والله أعلم وقوله تعالى
ويلقون فيها تحية وسلاما قرئ بالتخفيف والتشديد أي تلقاهم الملائكة بالتحية والسلام كقوله
سلام عليكم بما صبرتم وقوله سلام عليكم طبتم أو يلقى بعضهم بعضا بالتحية والسلام ويحيي بعضهم بعضا
ويسلم بعضهم على بعض والله أعلم وقوله تعالى خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما تأويله والله أعلم أي
حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يملوها ولا يسأموها ولا يأخذهم الوحشة والنكابة كما تأخذهم
الدنيا إنه يمل ويسأم عند الكثرة وطول المقام فيها والله أعلم وقوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم
قال بعضهم ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم لولا دعاؤه إياكم إلى التوحيد لتوحدوه وتطيعوه وقال بعضهم ما يعبأ
بكم أي ما يصنع بكم ربي وتأويله والله أعلم أي ما يصنع ربي بعذابكم إن شكرتم وآمنتم والله أعلم وقوله تعالى
فقد كذبتم فسوف يكون لزاما لم يختلف فيه قال بعضهم هو عذاب يوم بدر لازم بعضهم بعضا وكذلك
قال ابن مسعود رضي الله عنه مضى اللزام الدخان والبطشة واللزام يوم بدر وقال بعضهم لزاما أي عذابا
ملازما غير مفارق وهو عذاب الآخرة والله أعلم قال أبو عوسجة ما يعبأ بكم ربي أي ما يصنع بكم تقول
ما عبأت به شيئا أي لم أحفل به ويقال ما عبأت بهذا الأمر أي ما صنعت به ويقال عبأت [illegible]
أي جعلت [illegible] وكذلك قال القتبي والله أعلم بتمام السورة ولله المنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى طسم تلك آيات الكتاب المبين
قد ذكرنا تأويل الحروف المعجمة وقوله تلك آيات الكتاب المبين وقوله تعالى لعلك باخع نفسك ألا يكونوا
مؤمنين قيل كان يشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تركهم الإيمان وتكذيبهم إياه أسفا عليهم
وخوفا من نزول العذاب وتعظيما لله تعالى وإجلالا له حتى كادت نفسه تهلك حزنا على ذلك وهو كقوله
تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا والأسف هو النهاية في الحزن كقوله يا
أسفى على يوسف والنهاية في الغضب كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم أي أغضبونا وقد ذكرنا فيما تقدم ذكر الله تعالى
رسوله ووصفه بأنه كان يحزن على حزن الأسف لمكان كفرهم وتكذيبهم وهو كقوله عزيز عليه ما عنتم حريص
عليكم الآية كان يحزن أسفا عليهم ويغضب عليهم لله تعالى تعظيما له وإجلالا للأمر لما ضيعوا من أمر الله تعالى
وهكذا الواجب على كل من رأى آخر في فاحشة أو كبيرة أن يحزن ويغضب لله تعالى ويترحم على الذي فعله
وقوله تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين قال أبو عوسجة والقتبي فظلت
من ظللت اليوم ومعناه صارت الأعناق السادة والواحد عنق والخضوع كما يكون للأنفس وكذا روي عن
ابن عباس رضي الله عنه قال ستكون لنا دولة على بني أمية فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة وهوان بعد عز
فيكون كذلك ولذلك قال خاضعين ولم يقل خاضعات لأنه جمع ما يعقل وجمع بعض ما يعقل بالألف
وجمع ما لا يعقل بالواو والنون [illegible] على غير قياس وقيل الأعناق السادة والقادة فكان معناه إذا أسلم
القادة أسلم الأتباع اتباعا لهم والله أعلم وقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث قيل كلما نزل شيء
تجدد شيء من الموعظة والتذكير والتنبيه إلا كانوا عنه معرضين ويحتمل قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث أي ما يأتيهم من ذكر بما فيه ذكرهم في الآخرة وبقي لهم ذكر وشرف بسبب الإيمان كذكر الأنبياء والرسل
عليهم السلام فيهم إلى آخر الدهر ويحتمل من ذكر هو نفس القرآن وقوله تعالى محدث يعني على الوجهين الأول
لأن ما ينزل من الموعظة والتذكير يتجدد وقتا بعد وقت محدث وكذلك الإيمان الذي به يبقى شرفهم محدث
وأما على الوجه الآخر فالمراد من المحدث هو حدوث العهد بنا وإن كان هو في نفسه قديما على أنه وصف لذكر
يأتيهم من الذكر بكونه محدثا وما يوصف بالإتيان والنزول يوصف بالمحدث وهو الحروف المنظومة وإنما
الكلام القائم بالله تعالى الذي هو صفته غير محدث والله الموفق وقوله تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
الآية ظاهر قد ذكرنا معناه فيما تقدم وقوله تعالى أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم
يحتمل وجهين أحدهما أنه وإن كان على الاستفهام ظاهرا فالمراد منه التقرير والتحقيق أي قد رأوا وأما أنبتنا
وأخرجنا منها فالتأكيد على الأمرين أو أنا أنبتنا فيها وأخرجنا منها من كل زوج كريم أي من كل جنس حسن
كذلك قال الحسن الكريم الحسن كقوله من كل زوج بهيج وقوله تعالى إن في ذلك لآية يحتمل الآية لوحدانيته
وألوهيته وسلطانه وقدرته [illegible] وعلمه وتدبيره أي [illegible] على إحياء النبات من الأرض في كل عام على حد واحد

وعلى قدر ومنها انه تعالى جعل اني اخرج بتدبير مدبر عليم له تدبير ذاتي وقدرة ذاتية فان ذلك كله فعل واحد لا نفعل عدة فانه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والله التوفيق قوله تعالى وما كان اكثرهم مؤمنين يحتمل ان اكثر الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنين وهم الذين كانوا في وقت موسى عليه السلام ويحتمل وما كان اكثرهم اي ما يكون اكثرهم مؤمنين في المستقبل وقوله تعالى وان ربك لهو العزيز الرحيم جاز ان يقال العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم لاوليائه ويحتمل العزيز على الخلائق كلهم ... وقوله تعالى واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون ثم قوله الا يتقون يحتمل وجهين احدهما الا يتقون مخالفة امر الله تعالى ونهيه ويحتمل الا يتقون نقمة الله وعذابه والله اعلم ثم في الآية دلالة ان موسى عليه السلام كان مبعوثا ثم رسولا الى فرعون وقومه وان كان انه يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى وقال في بعضها الى فرعون وملائه وانما الملأ الرؤساء دون الاتباع لكن الاصل هم الرؤساء فاذا امن اتبعهم الاتباع والرعية فكان ذكر الملأ يغني عن الاتباع وكذلك ذكر الملك يغني عن ذكر الاتباع والرعية الا كان مبعوثا في الحقيقة رسولا اليه والى قومه جميعا الاتباع والمتبوعين كما نص عليه في هذه الآية وقوله تعالى قال رب اني اخاف ان يكذبون لم يقطع موسى عليه السلام القول فيه انهم يكذبون ولكنه قال ذلك على الرجاء وذلك لما بلغه قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فكان يرجو ذلك منه لهذا والله اعلم ويحتمل ان يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب كانه قال اني لاعلم ان يكذبون وجاز ذلك وانه الخوف مكان مقام العلم بطريق المجاز على ما تقدم ذكره وقوله تعالى ويضيق صدري ولا ينطلق لساني لشدة غضبي عليهم بالتكذيب لان عليه ان يغضب لله تعالى اذا كذبوه فاذا اشتد الغضب بالمرء يضيق صدره ويكل لسانه ولهذا كان دعاؤه ومسالته حيث قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فيكون ضيق الصدر وكلالة اللسان الغضب الذي اشتد به بسبب التكذيب لا لآفة كانت بلسانه فلشدة غضبه يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويكل لسانه حتى يمنع العبارة والبيان ويحتمل ان يكون ذلك لآفة كانت بلسانه ثم ضيق الصدر يحتمل وجهين احدهما لعظم امر الله تعالى وجلال قدره اذا كذبوه وردوا رسالته ويحتمل ان يضيق بالتكذيب لما يلحقهم من عذاب الله ونقمته اشفاقا منه عليهم والله الموفق وقوله تعالى فارسل الى هرون كان الاشكال ان الله تعالى اذا جعله رسولا كيف يرد وقال فارسل الى هرون لكن نقول هذا ليس برد بل سؤال منه لله تعالى ان يعطي هرون مثله وهو كسؤاله اياه حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فعلى ذلك قوله فارسل الى هرون يكون معي ظهيرا في رسالته وكقوله هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الآية والله الموفق وقوله تعالى ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون قد بين الذنب الذي ذكر انه عليه هو قتل ذلك القبطي الذي ذكره كما قال تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وقوله تعالى كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون قوله كلا رد على موسى عليه السلام في قوله فاخاف ان يقتلون كانه قال لا تخف منهم كما قال في آية اخرى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فعند ذلك قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فعلى ذلك قوله كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون وقال في تلك الآية انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما يقولون لكما وارى ما يفعلون بكما فاسمعهما ... ذكر الخوف منه من شيئين من القتل ومن ... حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى بالقتل والله اعلم وقوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل ليس على حقيقة الارسال معه ولكن ان يترك استعبادهم وهو كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ان يخلي بينهم وبين انفسهم ... استعبادهم والله اعلم قوله تعالى الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ذكر فرعون اللعين موسى عليه السلام نعما له انعمها عليه من تربيته اياه صغيرا وكونه لبث فيهم دهرا وكفرانه لما انعم عليه وذلك قوله لموسى وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه فاقر له موسى بذلك فاخبر انه فعل ذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين اي فعلت ذلك وانا لست من الجاهلين لانه لم يعلم ان وكزته تلك تقتله ولو علم ما وكزه لانه لم يكن يحل القتل في ذلك الوقت الا ترى انه قال هذا من عمل الشيطان دل ذلك انه لم يحل له قتله الا ان يجري ذلك على يده خطأ وجهلا وفي بعض الحروف فعلتها وانا من الجاهلين دل انه على الجهل فعل ما فعل وفي الآية دلالة ان الرجل قد يسمى ويؤاخذ بما يجري على يده خطأ وجهلا حيث يخاطب بذلك حيث قال له ذلك الرجل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فخرج منها خائفا يترقب وهذا فراره منهم وقوله تعالى فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين قال بعضهم فوهب لي ربي حكما اي نبوة وقال بعضهم حكما اي علما بالحكمة وجعلني من المرسلين وقد كان ذلك كله وقوله تعالى وتلك

نعمة

نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل هذا يحتمل وجوها احدها اي تلك ما انعمت علي وتمنها ولا تذكر ما استعبدت بني اسرائيل وهو استعبادهم اياهم اي اذا ذكرت هذا فاذكر هذا والثاني اي تلك نعمة تمنها حيث استعبدت بني اسرائيل يخرج هذا الكلام منه على تسويل المنة منه والثالث وتلك نعمة لو خليت عني بني اسرائيل ولم تستعبدهم اما اذا قهرت بني اسرائيل واستعبدتهم ... بني اسرائيل عبيد ... ثم تستعبد بني اسرائيل وتمن علي بقولك الم نربك فينا وليدا ... والله اعلم وقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين سأل موسى عليه السلام فقال ... رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون لما سأل فرعون موسى عن رب العالمين فاجابه موسى رب السموات والارض فظن اللعين ووقع عنده ان موسى قد حاد عن الجواب حيث سأله عن ماهية رب العالمين وقد اخبر موسى عن فعله وربوبيته قال لقومه الا تستمعون الى ما يقول موسى بطريق التعجب اي اسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر ثم قال موسى عليه السلام ربكم ورب آبائكم الاولين فقال فرعون عند ذلك ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون نسبه الى الجنون لما ذكرنا انه وقع عنده وحسب انه حاد عن الجواب حيث ذكر ما ذكر لما كان السؤال منه عن الماهية وهو لم يجبه عنها فعند ذلك قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ولم يجبه موسى في كل ما ذكر عن الماهية ولكنه اجابه في الاول في بيان الربوبية والالهية حيث قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ذلك ليعرف اللعين انه ليس رب السموات والارض بما يعلم انه لا صنع له في ذلك وانه لم ينشئهما لكن كانه لم يعرف حدثهما ولا فناهما لانه لم يشاهد حدثهما وفناهما فلم يتقرر ذلك عنده ولم يقع عنده انهما كذلك كانا ويكونان ابدا ... عنده ان لهما ربا فعند ذلك احتاج موسى الى ان ذكر ما شاهد حدثه وفناه فاذا عرف حدث ما ذكر وفناه يعرف انه لم يكن بنفسه ولا يكون بنفسه ولكن بمحدث احدثه ومدبر دبره فاقام دليلا لا يشكل فيه ذلك ولم يقم دلالة حدث السموات والارض لما عرف اللعين الاول لكن يريد التلبيس على القوم فاقام دليلا اظهر من الاول كما فعل ابراهيم عليه السلام مع النمروذ اللعين لما قال انا احيي واميت قال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ثم قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فذكر قدرته وسلطانه وهو ما يأتي بالنهار من المشرق ثم الليل من المغرب ثم تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب وكذلك القمر والنجوم وفيه دلالة البعث لان من قدر على ان يأتي بالنهار من المشرق والليل من المغرب والشمس والقمر من كذا قادر على البعث لا يعجزه شيء وفي كل حرف من هذه الاحرف دلالة على شيء ليس ذلك في الاخرى في قوله رب السموات والارض دلالة ربوبيته تعالى والوهيته وفي قوله ربكم ورب آبائكم الاولين دليل حدث ما ذكر من فنائه ودلالة محدثه ومدبره وفي قوله رب المشرق والمغرب دلالة قدرته وسلطانه على البعث على الوجه الذي ذكرنا والله الموفق وفي ذلك دلالة ان الله تعالى لا يعرف بالماهية ولا بالتقدير بما يحس وانما يعرف من جهة الاستدلال بخلقه والآيات التي تدل على وحدانيته حيث سأل فرعون موسى عن الماهية فاجابه عن الاستدلال بخلقه ثم قال اللعين لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال بعضهم انما اوعده بالسجن ولم يوعده بالقتل لانه طلب منه الحجة على ما ادعى من الرسالة حيث قال فات به ان كنت من الصادقين ولو قتله لكان لا يقدر على الاتيان بها وخاف ان يقع عندهم انه قتل لئلا يظهر الحجة فاجله لئن يرفع الوهم عن القوم ليلبس عليهم عند اثبات الحجة بنوع تلبيس وقال بعضهم انما اوعده بالسجن لان سجنه كان اشد من القتل ومن كل عقوبة قال له موسى عليه السلام اولو جئتك بشيء مبين اي ما يبين ربوبية الله تعالى والوهيته او ما يبين اني رسول الله فقال له فرعون فات به ان كنت من الصادقين في الرسالة وبما ادعيت ودل قول فرعون لموسى عليه السلام فات به ان كنت من الصادقين ان يعرف انه ليس له على ما ادعى من الالهية حجة حيث طلب منه الآية لان الآية انما تطلب في الدعوى التي هي في حد الامكان والجواز وقوله ان كنتم موقنين بالآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى والوهيته وذكر هذا مقابل انكارهم الصنعة والايقان هو العلم الذي يستفاد من جهة الاستدلال ولذلك لا يقال لله تعالى موقن والله اعلم وذكر قوله ان كنتم تعقلون ... بل قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قوله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل الثعبان هي الكبيرة العظيمة من الحيات وقال في موضع آخر تهتز كانها جان وهي الحية الصغيرة وقال في موضع آخر فاذا هي حية تسعى ولا يتصور في حالة واحدة ان يكون الشيء الواحد على هذه الاحوال هذا اشكال ... قال بعضهم انما وصفها بهذه الاوصاف وسماها بهذه الاسامي لمشابهتها لها كلها في شيء خاص لانه يكون لها عظم الثعبان وغلظة الحية ومن سرعة الجان واطلاق الاسم جائز باعتبار المشابهة في وصف خاص ...

به المسمى والثاني جانا ان يكون كالجان في حية موسى عم قبل ان يطرحها حتى يتمكن هو من اخذها او اذا طرحها
والقاها تصير كالثعبان والحية اسم جنس لها تدخل تحته الصغيرة والكبيرة وقوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين . بياضا خارجا عن خلقة البشرية وخارجا عن العادة على ما ذكر في اية اخرى بيضاء من غير سوء اي من غير
مرض والله اعلم وقوله تعالى قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره . هذا منه اغراء
وتحريض لقومه على موسى عم لئلا ينظروا اليه بعين التعظيم لعظيم ما اراهم من الاية واراها لهم حيث قال يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فتحوى . لم يرد اخراجهم من ارضهم ولكن ذلك منه اغراء لهم عليه لئلا يتبعوه كانه يقول
يريد ان يخرجكم من ارضكم فيفسد عليكم معاشكم ويضيق عليكم مقامكم ومنقلبكم وقوله تعالى فماذا تامرون
هذا يبين انه كان يعرف انه ليس باله لبين دناءته وقلة معرفته لانه لا يفعل ملك من ملوك الارض لقومه ماذا تامرون
وخاصة من يدعي لنفسه الالوهية فقوله ما علمت لكم من اله غيري فاضطر الى هذا حتى قال ذلك للتواطئ من نفسه
خساسة الهمة ودناءة الراي والثاني ليعلم ان الموصوف بما ذكر ليس باله ولا يصلح للالوهية وقوله تعالى قالوا
ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين . اي احبسه واخاه وابعث في المدائن حاشرين يجمعون الحاشر
الجامع والحشر الجمع وقوله تعالى ياتوك بكل سحار عليم . فكان ذا الراي ولطيف الصنعة ان يقابل السحر بسحر
مثله على طريق الحيلة بان يامر واحدا من خاصته لياتي بسحار عليم لا يحتاج الى ان يسال لكن فعل ذلك لكنه
اظهر لقلة البصر وخساسة الهمة ودناءة الراي قال ذلك على بطلان دعواه الالوهية والله الموفق وقوله تعالى
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
قال الامعين نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقل نتبعهما ان كانا معهما الحجة ليعلم انه قد علموا ان الحجة
معهما فان الحجة مع موسى عم محتسب وعدا اتباع الغالبين دون من معه الحجة وفي حرف ابن مسعود رض وقال للناس
هل انتم مستمعون انما السحرة الى السحرة ايهم الغالبون لعلنا نتبعهم ان كانوا الغالبين وقوله تعالى فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين . قال نعم وانكم اذا لمن المقربين . هذا ظاهر ذكر اهل التاويل
كان السحرة كذا وكذا عددا فان موسى عم قال للاكبر منهم سحرا اتؤمن بي ان غلبتك وقال الساحر كذا وغير ذلك من الزيادة
ما ليس في الكتاب ذكره وليس لهم ان يشتغلوا بشيء من ذلك لانه لو دخل في ذلك شيء من الزيادة والنقصان فيكون
الكفرة مقالا في ذلك وطعن في رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان هذه الانباء كانت في كتبهم
وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون اية لهم الرسالة فاذا زادوا ونقصوا يقولون نحن كذبه في كتبنا
في كتبنا لذلك قلنا الوجه ما ينبغي لهم ان يعرفوا على ما في الكتاب ولا يبعض لئلا يجدوا اولئك مقالا في كذب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنا في رسالته اذا كان ذلك يصلح رسول الله والله اعلم وقوله تعالى قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون . فان قيل كيف قال موسى عليه السلام للسحرة القوا ما انتم ملقون وهو يعلم
انما يلقون سحرا فكيف يامرهم بالسحر والسحر كفر قيل عن هذا من وجوه احدها انه وان كان في الظاهر امرا
في الحقيقة ليس بامر وانما هو تهدد وتوعد اي القوا لترون عجزكم وضعفكم وهو كقوله تعالى لابليس اللعين
واستفزز من استطعت منهم بصوتك الاية ليس يخرج على الامر ولكن على التوعد والتهدد وان يفعلوا ذلك
فلا سلطان لك عليهم كما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وهو كقوله اعملوا
ما شئتم ليس بامر لهم ليعملوا ما شاؤوا ولكن على الوعيد وامثاله كثيرة والثاني انما امرهم بذلك ليعلم ان الالقاء
سيبطل سحرهم ويكذبهم بسبب تبين حجته وصدقه فانما كان السحر فاسدا قبيحا لما يتمكن به
التغرير بالناس فاذا كان هذا العاقبة طريق الصلاح فلم يتضمن فسادا لانه يضمحل ولا يكون منه ترويج الباطل
لم يكن قبيحا او كان غرضه بالالقاء تحقيق ما ذكرنا من الصلاح وان كان نفسه فاسدا وهو ليس بامر ايجاب انما هو
ارادة حصول ذلك الفاسد ويجوز ارادة الفاسد اذا كان فيه عاقبة حميدة كما قال تعالى خبرا عن موسى عم
ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا الى قوله العذاب الاليم فلم يكن اراد الكفر منهم الكفر
ليعاقب على كفره قبيحة فهذا كذلك وهذا الفصل يلزم المعتزلة في ارادة الكفر والمعاصي لان موسى عم هل اراد
القاء السحر او مباشرة السحر ام لا ولابد ان يقولوا اراد وجود السحر الباطل القبيح وان كان لا يباشر ذلك بنفسه
لو كان اراد وجود القبيح قبيحا لكان لا يريد ليس نقضا لمعنى ذلك لانه اراد ذلك ليظهر عجزهم وتحقق
معجزته اذ طريق تحقيق معجزته هذا فقولوا ان الله تعالى اراد وجود الكفر والمعاصي من الكافر قبيحا للحكمة وهو
الكفرة التابعوا ان يعذبهم وهو ما دلت في ذلك فيتحقق ما علم على ما عرف في موضعه والله الموفق وقال
ذلك لهم لما كان ذلك سببا لايمان اولئك الكفرة والله اعلم وقوله تعالى فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة
فرعون الاية هذا يدل على ان السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث اقسموا بعزة فرعون فقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون

تدل على عجز فرعون وضعفه حيث فزع اليهم فقال لهم ماذا تامرون وقوله تعالى فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
ما يافكون . قرئ بالتشديد وبالتخفيف قال ابو عوسجة يقول العرب تلقفت الشيء والتقفته اي اخذته في
غير مهلة اي تلقم وقوله ما يافكون حرف ما متى قرن بالفعل يراد به المصدر اي تلقف افكهم وهو المصدر وقد
يراد به المفعول فكان تقدير الاية تلقف مافوكهم يقال هذا الدرهم ضرب فلان اي مضروبه وقوله تعالى فالقي
السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون . قوله فالقي اخبار عن سرعة سجودهم كانهم القوا
سجدا لما بان لهم من الحق وظهر لما كانوا يفعلون في السحر باسباب والات فلما راوا منه تقليب العصا حية من غير اسباب
والات علموا ان ذلك اية فقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون وقال اهل التاويل انهم لما قالوا امنا برب
العالمين قال فرعون عند ذلك اياي رب العالمين فقالت السحرة رب موسى وهرون فيردوا عليه لكن الامتناع
عن ذكر هذا وامثاله مما لم يذكر في الكتاب اولى لما ذكرنا انه انما يحتج عليهم بهذه الانباء ليصدقه اهل الكتاب في
نبوته فيدعوا على صدقه لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه على ذلك فيحتج به
القدر بالذي في القرآن لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيفرق بيننا فيقال والاولى الامتناع عن الكف اولى
والله اعلم وقوله تعالى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فرعون قد علم ان ما جاء به موسى
عليهم السلام صدق وحق لكنه كان يلبس على قومه واصحابه وكان يغريهم عليه فقال لعله او هذا الساحر عليم يريد ان
يخرجكم من ارضكم وقال لعله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقال لعله انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف
تعلمون وقال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة الاية ثم اوعدهم بانواع الوعيد كما اخبر تعالى عنه بقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين وقيل هذا دلالة حمق فرعون فان قطع اليد والرجل
من خلاف سبيل التخفيف اذ القطع من جانب واحد اغلظ لذلك لم يشرع في الحدود الا من خلاف وقد
اوعدهم في موضع التغليظ بما وضع التخفيف وقوله تعالى قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون . اي قال السحرة لا
ضير لا يضرنا ما توعدنا انا الى ربنا الذي وعدنا راجعون قال ابو عوسجة والقتبي لا ضير ماخوذ
من ضاره يضيره ويضوره بمعنى يضره وقد قرئ فان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا بالتخفيف
لا يضركم وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين . قيل اي لان كنا اول المؤمنين
من قوم فرعون وقيل اي ان كنا اول اهل مصر ايمانا ويحتمل ان كنا اول المؤمنين بالحال التي القوا فيها التحريم
وقال بعض اهل التاويل ان فرعون للعين قد فعل بهم ما وعد من قطع الايدي والارجل والصلب
لكن ليس في الاية بيان حلول ما اوعدهم ولا يقول بمخافة الكذب والله اعلم وقوله تعالى واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون . السري هو السير بالليل وهو ما قال في اية اخرى فاسر بعبادي
ليلا انكم متبعون اي فانه يتبعكم فرعون وقومه [illegible] خروج موسى ببني اسرائيل [illegible]
[illegible] من بين الظهراني [illegible] وكان ذلك اية عظيمة [illegible]
على رسالته وقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين . اي ارسل في المدائن من يحشر الجنود والعسكر
وقوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون . قالوا ان هؤلاء اصحاب موسى عليه السلام
لشرذمة قليلون اي طائفة قليلة وهي العصابة [illegible] وانهم لنا لغائظون اي ذهبوا بالحلي الذي
استعاروه [illegible]
[illegible] وانا لجميع حاذرون . ويقرئ
حذرون [illegible]
[illegible]
وقال القراء الحاذر الذي يحذرك الان [illegible] والحذر [illegible] والحاذر
المستعد والحذر المتيقظ [illegible]
بعضهم الحاذرون المقدرون [illegible]
حذرون [illegible] وقوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
اي اخرجنا فرعون وقومه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم [illegible]
[illegible] وقوله تعالى كذلك واورثناها
بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين . اي اتبع فرعون وقومه موسى [illegible] حين شرقت الشمس [illegible]
في الشمس [illegible] فلما تراءى الجمعان

اى جمع موسى عليه السلام وجمع فرعون عليه اللعنة اى ترى بعضهم بعضا قال اصحاب موسى انا لمدركون
قال كلا ان معى ربى سيهدين اى قال موسى عليه السلام انهم لا يدركونهم وهو ما قال لا تخاف دركا ولا
اى لا تخاف دركهم ولا تخشى اى لا تخاف دركهم ولا تخشى فرعون وقومه كذلك قالوا انا لمدركون وكذلك
البشارة لهم جميعا لا لموسى عم خاصة يدل على ذلك قول موسى عم كلا ان معى ربى سيهدين على اثر قولهم
انا لمدركون اى كلا انهم لا يدركونكم والله اعلم وقوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
فانفلق • اى انشق وكذلك فى حرف ابن مسعود فانشق فكان كل فرق كالطود العظيم اى كالجبل العظيم
والطود واحد والجماعة اطواد وقوله تعالى وازلفنا ثم الآخرين • قال الحسن ازلفناهم اى اهلكنا ثم الآخرين
وقال بعضهم جمعنا ومنه قيل للمزدلفة ليلة الازدلاف وهى الاجتماع ولذلك قيل لذلك
الموضع المزدلفة اى موضع جمع وقال بعضهم ازلفنا اى ادنيناهم وقربناهم منه يقال ازلفك الله اى قربك
ويقال ازلفنى كنا عند فلان اى قربنى منه والزلف المنازل والمراقى لانها تدنو بالمسافر الى المقصود ومنه
قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين اى ادنيت وقربت وكذلك قال ابو عوسجة والقتبى والآية حجة على المعتزلة
فى خلق الافعال وخلق المعصية لانه اضاف الازدلاف الى نفسه وهم انما خرجوا للمعصية فدل انه اضعف
ومدبر فى ذلك والله اعلم وقوله تعالى وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين • ان فى ذلك لآية
ان فى ذلك لآية • اى فيه هلاك فرعون وقومه وانجاء موسى ومن معه عظة ومن جهة الى هدى وحجة على
انه اهلك الاعداء وابقى الاولياء • وقوله تعالى وما كان اكثرهم مؤمنين • هذا يحتمل وجوها قيل لم يكن اكثر
اهل مصر مصدقين بتوحيد الله تعالى اذ لو كان اكثرهم مؤمنين لم يعبدوا فى الدنيا ولكن غير هذا الوجه
كانه اشبه اى لو لم يهلكهم الله تعالى وابقاهم لم يؤمنوا اكثرهم وقال بعضهم هذا ينصرف الى بنى اسرائيل اى لم يكن
يدوم اكثرهم على الايمان فانه ارتد اكثرهم من بعدما انجاهم حيث قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
وقوله تعالى وان ربك لهو العزيز الرحيم • العزيز المنتقم من فرعون وقومه الرحيم بموسى ومن معه من المؤمنين
هذا فى هذا الموضع يستقيم ان ينصرف تاويل العزيز الى الاعداء والرحيم الى الاولياء كل حرف من ذلك يرجع
الى الفريق الذى يستوجب ذلك الرحمة الى المؤمنين والنقمة الى الكافرين والله اعلم وقوله تعالى واتل عليهم
نبا ابراهيم • هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى اتل على اهل مكة نبا ابراهيم وخبره لان العرب كانوا من اولاد
ابرهيم ومن نسله وهم يقلدون اباهم فى عبادتهم الاصنام وابراهيم فضل اولاده اسمعيل واسحق وبعض اولادهما
كانوا مسلمين عبادا لرب العالمين لا عبادا للاصنام سفه احلامهم فى عبادتهم الاصنام وتركهم تقليد من ذكرهم
وعبد الله اى هلا اتبعوا ابرهيم عليه السلام ومن كان معه على دينه حيث ان اباهم من عبدة الاصنام والافتخار باتباع
اولئك الطيبين الحنفاء اعظم والمنفعة اكثر وقوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون • امر الله تعالى رسوله عليه السلام
حتى يخبرهم بما قال ابوهم ابرهيم عليه السلام لابيه وقومه ومحاجتهم ليكون ذلك لازما عليهم ثم قوله ما تعبدون
قيل اى ماذا تعبدون كانه رآهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذا الذى تعبدون كما ذكر فى آية اخرى ماذا تعبدون
ائفكا آلهة دون الله تريدون ويحتمل انه لم يرهم فى عبادة الاصنام واشكل عليه حالهم فسالهم وقال
ما تعبدون اى من تعبدون اى تعبدون رب السموات والارض او غيره فقالوا نعبد اصناما ما الهنا فنظل
نقيم لها عابدين اى ندوم على عبادتها والعكوف على الشىء والاقامة عليه على الدوام واحد وقال ابو معاذ النحوى
لا يقال ظل الا بالنهار ومحال ظل ليله يصنع كذا حتى يقال بات ليلة يفعل كذا ومنه الحديث ظل نهاره صائما
وبات ليلة قائما وقوله تعالى قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون • بين ابرهيم عليه السلام سفههم
بهذه الحجة قال هل يسمعونكم اذ تدعون الآية يحتمل قوله هل يسمعونكم اى هل يجيبونكم اذ تدعونهم ويحتمل
هل يسمعونكم السماع نفسه اى هل يسمعون دعاكم اذ تدعونهم كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية
ويحتمل ان تدعون تعبدون ويحتمل الدعا نفسه حقيقة فان كان على العبادة فلا يحتمل تاويل حقيقة السماع
وقوله او ينفعونكم او يضرون اى هل يقدرون على نفعكم وضرركم ان اراد ذلك بكم او شاء ويحتمل ما ذكر اهل
التاويل هل ينفعونكم ان عبدتموها واطعتموها او يضرون ان عصيتموها وتركتم عبادتكم اياها فتنتهوا فلم يقدروا
على الجواب سوى ما ذكروا من تقليد آبائهم فى ذلك كما اخبر الله تعالى عنهم بقولهم بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون لما عرفوا ان تلك الاصنام التى عبدوها لا تملك ضرا ولا نفعا سوى انهم عبدوها تقليدا لآبائهم
لما زعموا ان اباهم ما عبدوها الا بامر اذ لو لم يكن بامر لما تركوا فى ذلك كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله والله امرنا بها
لكن قد ذكرنا ان فى ابائهم من لم يعبدها قط ثم لم يقلدوهم فكيف قلدوا دل انما قالوه حجة عليهم والله اعلم
وقوله تعالى قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون • احتج عليه السلام فقال انهم وآباؤهم الذين

عبدوا الاصنام من قبل عدو لي الا رب العالمين وفي الظاهر اشكال فانه استثنى رب العالمين من الاعداء والاختلاف
في تاويل الاستثناء قال بعضهم هذا استثناء منقطع [illegible]
على الاصنام اي انهم جميعا عدو لي الا رب العالمين [illegible]
عدو لي الا رب العالمين فان المعبود على الحقيقة الذي يستحق العبادة [illegible] استثناء المعبود حقيقة
[illegible]
[illegible] الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين [illegible]
[illegible]
رب هب لي حكما • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ان يبق ثناه على الذى [illegible] وقوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
اى اجعل لى الثناء الحسن والذكر الجميل فى الآخرين فاستجاب الله تعالى دعاه وكذلك كان جميع الاديان
على اختلافهم قد انقادوا له عليه السلام وانتسبوا اليه وادعوا انهم على دينه وان دينه هو الذى هم عليه
ليس من اهل ملة الا وهم يتولونه والله اعلم وقوله تعالى واجعلنى من ورثة جنة النعيم • اى اجعلنى باقيا من بعد
موتى فى جنة النعيم اذ الوارث هو الباقى بعد الموت وكذلك تاويل قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها
اى نبقى بعد فناء اهلها اذا الوارث الباقى فاخبر ذلك بعد ابرهيم عليه السلام واجعلنى من ورثة جنة النعيم
والله اعلم وقوله تعالى واغفر لابى انه كان من الضالين • فى الاشكال انه كيف يحتمل على ما هو عليه ظاهر الآية
واغفر لابى انه كان من الضالين فانه لا يجوز من الانبياء عليهم السلام ان يطلبوا المغفرة من الله تعالى للكفرة
مع علمهم انه لا يغفر الكفر فكيف يطلب ابرهيم عليه السلام من ربه عز وجل المغفرة لابيه مع علمه انه كان من
الضالين حتى علل وقال اغفر لابى انه كان من الضالين لكنا نقول يحتمل وجهين احدهما يحتمل انه كان
الاستغفار من ابرهيم عليه السلام له بناء على ما وعد ابوه ان يسلم على ما ذكر فى القصة كذلك تعالى اشار
بقوله وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه فيحتمل
ابرهيم عم انه وفى وعده الذى وعد له عليه السلام فاستغفر له ثانيا فاخبر الله تعالى بقوله انه كان من الضالين اى
ان ضال بعد فكانه لا وقوله هو موصول وقوله واغفر لابى قول ابرهيم وقوله انه كان من الضالين اخبار من الله تعالى
وهو مفصول عن الاول كما قال بعض اهل التاويل فى قصة بلقيس حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا
قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة تم الكلام فصدقها الله عز وجل فى مقالتها تلك فقال
وكذلك يفعلون فقوله كذلك يفعلون تصديق من الله تعالى لا قول تلك المراة ومثل ذلك كثير فى القرآن
يكون بعضه مفصولا عن بعض كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره تم الكلام وقوله
لا تحرك به لسانك خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم مفصول عن قوله ولو القى معاذيره لا وصل بينهما
فعلى ذلك دعا ابرهيم عليه السلام يحتمل ان يكون قوله واغفر لابى مفصولا عن قوله انه كان من الضالين
وقوله واغفر لابى دعاء من ابرهيم عم لابيه بالمغفرة وقوله انه كان من الضالين اخبار من الله تعالى ابرهيم
ان اباه كان كذلك والله اعلم والثانى يحتمل ان يكون قوله واغفر لابى اى اعطه ما به تغفر خطاياه وهو
التوحيد فيكون سؤاله سؤال التوحيد او التوفيق على ذلك الذى به يغفر ما يغفر من الخطايا كقوله تعالى
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك يخرج قول نوح عليه السلام لقومه حيث قال استغفروا ربكم
انه كان غفارا اى اطلبوا منه المغفرة بما هو الموضع لها وهو الايمان فيكون معناه اسلموا لا ان قال لهم
قولوا استغفر الله وكذلك قول هود عليه السلام وامره لقومه بالاستغفار كما اخبر الله تعالى عنه بقوله
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اى توبوا اليه واسلموا طلب منهم ابتداء الاسلام الذى هو سبب المغفرة
لا يحتمل ان يقول لهم قولوا استغفر الله ولكن امرهم بان ياتوا بما به يغفر لهم وهو التوحيد وكذلك
المراد من قول الناس استغفر الله هو طلب المغفرة من الله تعالى بان يوفقهم للتوبة اليه وعلى ما به

في الجملة من الاعمال الصالحة ونحو ذلك خمذ امثاله والله اعلم وقوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون قال اهل
التأويل لا تخزني اي لا تعذبني يوم يبعثون وكان الخزي هو العذاب الذي يهتك الستر على صاحبه والعصمة
لا يدفع عن اصحابها الخوف بل كلما عظمت العصمة كان الخوف اشد لان الانبياء عليهم السلام كانوا يخافون
على دينهم وانفسهم من غيرهم ثم الامثل فالامثل الا ترى الى قول ابرهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين ومثل هذا كثير والاشكال ان الله تعالى اذ آمنهم
خوف الخاتمة وعن عذاب الآخرة وقد صدق الله تعالى فيما اخبر ووعد فلا معنى للخوف قيل يحتمل والله اعلم انه
آمنهم على شرط بقاء الخوف عليهم وجعل الخوف ثابتا في قلوبهم فلذلك وجدوا خائفين لكن الخوف حتى صار
التأييد في نفسه تخطر ببالهم ان الخوف الذي هو شرط الامن عسى يكون نادرا بدما نجى عليه فرجعوا الى الله تعالى
بالدعاء ليحفظهم على ذلك ويجعل في قلوبهم مقدار الخوف الذي هو شرط ذلك لانهم خائفين على ترك
انجاز وعده والخلف عنه وانما الموفق وقوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون اراد به لا ينفع من حيث دفع
الضرر ولا ينفع من حيث عين الانتفاع بهما في الدنيا الانتفاع بالمال والبنين بطريق الانتفاع باعيانهما
والثاني دفع الضرر وفي الآخرة احد جهتي الانتفاع باعيانهما لم يكن وفي الانتفاع الآخر وهو دفع الضرر بهما
عن انفسهم بالفداء بالمال وهو كقوله لا تقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة وكقوله لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم وقوله لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو
جاز عن والده شيئا وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقوله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه وقال تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله تعالى الا
من اتى الله بقلب سليم يحتمل وجهين احدهما ان يكون هذا الاستثناء بطريق الحقيقة فيكون انه ينتفع
بالمال والبنين اذا اتوا ربهم بقلوب سليمة اذ الاستثناء من النفي اثبات ويشبه ان يكون كذلك تنفعهم اموالهم
واولادهم اذا اتوا ربهم بقلوب سليمة لما استعملوا اموالهم في الطاعات وانواع القرب وعلموا اولادهم الاداب
الصالحة والاخلاق الحسنة فينفعهم يومئذ وهو كقوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عند
نا زلفى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا الخبر انهم اذا آمنوا وتابوا يقربهم لهم
اموالهم واولادهم عنده زلفى ويحتمل ان يكون هذا استثناء منقطعا بمعنى لكن اي هم لا ينفع المال
لكن ينفع من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو ما سلم من الشرك والشك الا انه يقع العيوب الخلقي
ليس لعينه فيحط ولا نصيب وكذلك في قوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم استثنى
فقال الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا معناه لكن الذين تابوا وعملوا
الصالحات فلهم ذلك ثم شرط في النفع بيان ذلك منه وهو بيان التوحيد والقلب السليم ليعلم
انه ما لم يقبض على هذه الصفة القلب بالتوحيد لا ينفعه ما كان بحيث فعل من الطاعات وكذلك شرط
في الحسنات الايمان فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة فله كذا لكن يخرج
الدنيا على التوحيد ولم يفسدها بما عمل من الحسنات بما يبطلها من السيئات وهو الشرك نعوذ بالله والله اعلم
وقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين يحتمل قوله ازلفت وبرزت اي تزلف و
تبرز وقد يذكر لفظ الماضي على معنى الاستقبال ويحتمل على الاضمار اي يومئذ ازلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين وقوله ازلفت اي قربت وبرزت اي اظهرت وفي حرف ابن مسعود وابي رضي الله
عنهما وقربت الجحيم للضالين والله اعلم وقوله تعالى وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله اي يقال
لهم في القيمة اين الذين تعبدون من دون الله في الدنيا هل ينصرونكم او ينتصرون اي يمنعونكم من عذاب الله
او ينتصرون اي هم ينتصرون من عذاب الله تعالى لانهم يطرحون جميعا العابدون والمعبودون في النار
وهو كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وانما يقال لهم ذلك لانهم
كانوا يقولون في الدنيا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيقال لهم
مقابل ذلك حينئذ هل ينصرونكم او ينتصرون والله اعلم وقوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود
ابليس اجمعون قال الزجاج هو من كب يكب اي كبوا لكن ذكر كبكبوا على تكرار بفعل الكب لعادته مرة بعد
اخرى او يكون ثم يكون له تلك على ذلك وكلام نحوه وبه قال ابو معاذ النحوي وقال القتبي كبكبوا فيها
اي القوا على رؤوسهم وقذفوا واصل الحرف كبوا من ذلك كبت الاناء فابدلت مكان الباء الكاف وهو
الطرح والالقاء على الوجه يقال كبكبهم اي طرحهم في النار او في البئر ومنه قوله فكبت وجوههم في النار
وقال بعضهم فكبكبوا فيها اي جمعوا فيها وقوله والغاوون قيل الضالون يقال الغوي يغوي غيا وغويا

فهو غاو

غاويا اي ضل كذلك قال ابو عوسجة والقتبي وقال بعضهم الغاوون الشياطين وجنود ابليس ذريته
اي الشياطين الذين اضلوا بني آدم وهو قول قتادة وقال بعضهم الغاوون هم الكفار من الجن وجنود ابليس
سائر الكفار لما اتبعوهم وقد دينهم والله اعلم وقوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون ذكر انهم يختصمون
في النار ولم يذكر فيمن تكون خصومتهم فيحتمل ان تكون خصومتهم ما ذكر في آية اخرى قال الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى آخر ما ذكر وقوله وقالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار الآية وقوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون
وامثاله كثير في القرآن من المجادلات التي تجري فيها بين الاتباع والمتبوعين وقال بعضهم خصامهم
ما ذكر على اثر وهو ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين هذه
هي مخاصمتهم معناه ما كنا الا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين لان حرف ان حتى ذكر ويذكر عقيبه
اللام يكون ان بمعنى ما النفي وتصير اللام بمعنى الا وله نظائر في القرآن واللغة ثم قوله نسويكم برب العالمين
الاصنام التي عبدوها فذلك في تسميتهم الهة وجعلهم العبادة لها يسوونها برب العالمين في التسمية
والعبادة وان كانوا نعتهم الشيطان في ضوء اتباعهم امرهم وما دعاهم اليه وعزمهم لا في العبادة والتسمية
لان احدا من الكفار لا يقصد بعبادة الشيطان وتسميته الها ولكن على ما ذكرنا من اتباعهم امرهم
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه اذ نسويكم برب العالمين اذ نشرككم برب العالمين وقال بعضهم
لان كنا نطيعكم كما نطيع رب العالمين وقال بعضهم اذ نعدلكم برب العالمين وبعضه قريب من بعض
في المعنى والله اعلم وقوله تعالى وما اضلنا الا المجرمون اي وما اضلنا الا اولونا وتاويل هذا والله اعلم
انهم لما راوا الاولين تركوا على ما كانوا عليه من الكفر والشرك لم يعذبوا في الدنيا ولا اصابتهم نقمة ظنوا
انهم امروا بذلك ورضي الله عنهم في ذلك وهو كما ذكر في آية اخرى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله امرنا بها والله اعلم وقوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم لانهم قالوا الاتباع هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ولم يشفعوا لهم فقال الاتباع لهم فما لنا من شافعين اي ليس لنا شفعاء يشفعون لنا
ولو كانت لهم شفعاء لم ينفعهم شفاعتهم ايضا على ما ذكر في آية اخرى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ليس انه لو كان
ينفعهم ذلك نفعل ذلك هذا والله اعلم وقوله ولا صديق حميم الحميم هو القريب اي ليس لهم قريب
يهتم بامرهم وقوله تعالى فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين اي لو ان لنا رجعة الى دار الدنيا فنكون من المؤمنين
ولضمانهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقوله تعالى ان في ذلك لآية اي فيما ذكر من الانباء والاخبار
لآية اي عبرة لمن اعتبر وقوله تعالى وما كان اكثرهم مؤمنين قال بعضهم لو كان اكثرهم مؤمنين ما عذبوا في الدنيا
ويحتمل انهم لو ردوا الى الدار الحنيفية التي سألوها لعادوا وما كان اكثرهم مؤمنين وفي الآية دلالة ان نفرا
منهم كانوا مؤمنين على تاويل الاول وعلى التاويل الثاني لو كانت الرجعة يصير اقلهم مؤمنين لا اكثرهم
لان الاكثر يذكر في مقابلة الاقل والتاويل الثاني على الاصل الذي ذكرنا من قبل ان الله تعالى عالم بما يكون
كيف يكون وبما لم يكن لو كان كيف يكون وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم قد ذكرناه وقوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين ذكر كذبت على التانيث على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم نوح المرسلين
والا القوم يذكر ولا يؤنث وانما ذكر المرسلين وهم كذبوا نوحا عليه السلام لان من كذب رسولا من الرسل عليهم
السلام فقد كذب الرسل جميعا لان كل رسول يدعو الخلق الى الايمان بجميع الرسل وبعد فان نوحا عليه السلام
كان يدعو قومه الى الايمان بالرسل الذين يكونون بعده كذلك قال والله اعلم كذبت قوم نوح المرسلين
بقوله تعالى اذ قال لهم اخوهم نوح قال اهل التاويل كان اخاهم في النسب وليس باخيهم في الدين قال الشيخ الامام
ابو منصور رحمه الله اراد بهذا التسمية اخوة في النسب على جد بعضهم من بعض كما يسمى الله تعالى الناس جميعا
بني آدم بقوله يا بني آدم على بعدهم من آدم عليه السلام والا لا يحتمل ان يكون هو اخو جميع قومه في النسب
على القرب والله اعلم وقوله تعالى اني لكم رسول امين يخرج على وجهين احدهما يحتمل اني كنت امينا فيكم
قبل هذا فتصدقوني في جميع ما اخبرتكم وانباتكم فما لكم لا تصدقوني الآن اذ اخبرتكم اني رسول الله
اليكم والله اعلم والثاني يحتمل ان يقول اني لكم رسول امين او جعلني الله تعالى امينا على وحيه وائتمنني
عليه فابلغكم رسالته شئتم وابيتم قبلتم ام لم تقبلوا ولا اخاف ما توعدوني تعلية بعذاب جعلني الله
تعالى امينا على وحيه وائتمنني على امانته وهو كقوله للنبي صلى الله عليه وسلم فبلغ قال لكما اخبر الله تعالى
بقوله فكيدوني جميعا الآية وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغكم عن الله عز وجل وادعوكم اليه

وقوله تعالى وما أسألكم عليه من أجر أي لا أسألكم على ما أدعوكم وأبلغكم أجرا أو شيئا يمنعكم ذلك ولا أحملكم في أموالكم وأنفسكم مؤنة فيما أدعوكم إليه بل أدعوكم إلى عبادة الواحد وعبادة الواحد أهون وأخف عليكم من عبادة العدد وقوله إن أجري إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ظاهر وقوله تعالى قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون يقولون أنصدقك وإنما اتبعك الضعفاء منا والسفلة الذين لا رأي لهم ولا تدبير ولو كنت صادقا لاتبعك الأشراف فكذلك لا أرى إلا أن الناس أتباع لمن بهم لما يأملون من فضل مال الدنيا منهم أو رياسة ومنزلة تكون لهم أو لفضل نصر وعلم في الدين فيصيرون أتباعا لمن كان عنده من الخصال شيء فالرسل عليهم السلام إذا لم يكن عندهم مال ليطمع فيها ولا رياسة تحملهم على الاتباع واتبعهم الضعفاء والسفلة مع الخوف على أنفسهم من الأشراف من القتل والصلب والحبس لخلافهم إياهم فما اتبعوهم إلا لما تبين عندهم أنهم على حق وأن ما يدعون من الرسالة يدعون صدقا فذلك في اتباع الأرذل إياهم أعظم دلالة على صدق الرسل فيما ادعوا من الرسالة لو تأملوا ونظروا في ذلك والله أعلم وقوله تعالى قال وما علمي بما كانوا يعملون أخبر عن نوح عليه السلام أنه قال ذلك وهو يحتمل وجهين أحدهما لعلكم لم تكن أعلم أن الله تعالى يهديهم إلى الإيمان والتوحيد دونكم يعني الضعفاء والأرذلون وأنه لا يهديكم ثم قال إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون والثاني يحتمل وما علمي بما كانوا يعملون أي بما أنا عالم بما كانوا يعملون هم في السر ثم قال إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون أي ما ذلك على إنما حسابهم على الله فيما يعملون في السر فكأن أولئك الكفرة طعنوا في الذين آمنوا بأنهم يعملون في السر على خلاف ما أظهروا حتى قال لهم ذلك وعلى هذا يكون التأويل الأخير أشبه وأقرب من الأول وفي بعض القرآن لو يشعرون بالياء فهو راجع إلى الذين آمنوا يقول حسابهم على الله فيما يعملون في السر لو يشعرون ذلك لا يعملون في السر خلاف ما يعملون في العلانية والله أعلم وقوله تعالى وما أنا بطارد المؤمنين قال أهل التأويل إنهم سألوا نوحا عليه السلام أن يطرد أولئك الذين آمنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا به فقال عند ذلك وما أنا بطارد المؤمنين الآية ويحتمل أنهم كانوا طعنوا في الذين آمنوا أنهم قالوا ذلك ظاهرا وأما في السر فليسوا على ذلك فقال نوح عليه السلام عند ذلك وما أنا بطارد المؤمنين وهذا إشارة إلى أنه ليس عليه إلا ذلك وإلا الوقوف له على الباطن يدل على صحة هذا التأويل قول نوح عليه السلام حيث قال ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم هذا القول منه يدل على أنه كان منهم طعن في أولئك الذين آمنوا به حيث وكل أمرهم إلى الله عز وجل فقال الله أعلم بما في أنفسهم وقوله تعالى إن أنا إلا نذير مبين قد ذكرناه فيما تقدم وقوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين المرجوم هو المقتول بالحجارة وهو أشد القتل لذلك أوعدوه به وقال بعضهم لتكونن من المشتومين باللسان لكن الأول أقرب والله أعلم لأنه قد كان منهم الشتم في كل وقت فلا يحتمل الوعيد به والله أعلم وقوله تعالى قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ثم دعا نوح عليه السلام عند ذلك بهذا الدعاء أي اقض بيني وبينهم قضاء أي اقض عليهم بالعذاب والهلاك ألا ترى أنه قال ونجني ومن معي من المؤمنين فهذا يدل على أنه سأل ربه هلاك من كذبه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا وهو ما قال في قصة أخرى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي بالحق الذي يحق أن ينزل بهم وهو العذاب فعلى هذا أنه ثم لا يحتمل أن يكون هذا منه في أول تكذيب كان منهم بل كان ذلك منه بعدما أيس من إيمانهم لأنه أتى بهم ما قال الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاما وفي ذلك دعاهم إلى التوحيد ثم دعا عليهم بالهلاك بعدما أخبر الله عز وجل عن أمرهم إياسه من إيمانهم بقوله لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وأذن له بالدعاء عليهم فعند ذلك دعا عليهم بما دعا إذ الأنبياء عليهم السلام لا يدعون على قوم بالهلاك إلا بإذن من الله تعالى في ذلك ألا ترى أنه عاتب يونس عليه السلام بالخروج من بينهم بلا إذن له من الله تعالى في ذلك الخروج فإذ عوتب هو بالخروج من بينهم بلا إذن فلا يحتمل الدعاء بالهلاك بلا إذن من الرسل عليهم السلام وقوله تعالى فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون قيل المشحون المملوء قال أبو معاذ تقول العرب شحنت السفينة فلم يبق إلا دفعه وهو شيء قلما تقول العرب شحنا عليهم بلادهم خيلا ورجالا أي ملأناها وقال بعضهم المشحون المجهز الذي قد فرغ فلم يبق إلا دفعه وهو واحد وإنما شحنت السفينة بأصناف من الخلق ولما كان المؤمنون ذلك العدد لا يحتمل أن تملأ السفينة بهم وهو ما قال تعالى فاحمل فيها من كل زوجين اثنين والله أعلم أخبر الله تعالى أنه أنجى من كان معه في الفلك المشحون وأهلك الباقين وقوله تعالى إن في ذلك لآية أي فيما ذكر نوح عليه السلام آية لمن كان بعدهم وأن في إهلاك قوم نوح وإغراقهم لعبرة لمن بعدهم وقوله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قد ذكرناه

كذبت عاد

تعالى كذبت عاد المرسلين هو والله أعلم ما ذكرنا أي كذبت جماعة عاد المرسلين ومعنى تكذيبهم المرسلين وإن كان واحد منهم تكذيب هود عليه السلام في الظاهر ما ذكرنا أن كل رسول دعا قومه إلى الإيمان به وبجميع الرسل عليهم السلام فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقوله تعالى إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون سمى هودا أخاهم من جهة النسب لكونه منهم أخوه فيما بينهم على ما يقال بعضهم من بعض كأن جميع الناس بنو آدم لكونهم من أولاد رجل واحد من آدم عليه السلام وقد ذكرنا قبل هذا ألا تتقون وقوله تعالى إني لكم رسول أمين أي أمين فيما بيني وبينكم على تبليغ رسالة ربكم فاتقوا الله وأطيعون أي خافوا الله وأطيعوني فيما يحتمل أن يكون على ما ذكر من قبل والله أعلم وقوله تعالى وما أسألكم عليه من أجر أي شيء مما يحملكم ويمنعكم من عبادة الله تعالى وما أسألكم عليه من أجر ولو سألت أهل الإيمان لأحد ذرة وهو يطمع على ذلك فيه أجرهم إنا لا أسألكم على ذلك أجرا فيمنعكم ذلك عن قبول ذلك مني إن أجري إلا على رب العالمين وقوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع قيل الريع هو المكان المرتفع وقال بعضهم هو الطريق وقال أبو عوسجة الريع ما ارتفع من الأرض وهو جمع الريعة وجمع الريع أرياع ومنه سمي الريع ريعا لقول ارتفع المال إذا زاد بجمعه وجمعه أرياع إلا أنه من آثار البناء وعلى الأصل كل ما ارتفع وأما المصانع قال بعضهم هي البنيان والقصور وقيل الحياض واحدها مصنعة وقد ذكرت في القرآن فيحتمل أنها القصور في موضع والحياض في موضع والمراد منها البنيان والقصور فيما يرجع الظاهر والله أعلم وقال القتبي الريع الارتفاع من الأرض والمصانع البنيان واحدها مصنعة وقال بعضهم الريع ما استقبل الطرق من الجبال والظراب وقال قتادة كل شيء في الأرض وقال بعضهم مصانع أي مجالس ومساكن وأما الآية ففسرها العلامة إنما سمي بناؤهم ذلك البنيان عبثا منهم والله أعلم لوجوه أحدها لما يحتمل أنهم كانوا يبنون بنيانا بلا حاجة لهم إليه في حق الانتفاع كما ينتفع الناس بالبنيان ولكن أرادوا لقصد بقائهم على الأموال كسبا فأرادوا لا حظ لهم في ذلك ومن عمل عملا لا ينتفع به ولا عاقبة له يكون عابثا والثاني قريب من هذا ما قال محمد بن إسحاق أنهم كانوا إذا سافروا لا يسلكون الطرق فلا يهتدون إلا بالنجوم فبنوا القصور الطوال ليقع للطرق معالم لهم بكل طريق يسلكونه واعتقادهم ذلك فيكون ذلك عبثا والثالث كانوا يستوثقون في البناء والحصون ويتحصنون في هذه القصور والأبنية المرتفعة تحصنهم من قدرة الله تعالى وعقوبته وإلى هذا يشير بقوله لعلكم تخلدون أي يبنون بناء كأنهم يخلدون ولا يموتون فهذا أمر لا لم يعتمدوا ذلك كما رأوا أمثالهم لا يقدرون على دفع الموت بشيء وقد بلغهم بالتواتر أن أحدا ممن تقدمهم لم يقدر على ذلك أيضا فيكون هذا فعلا منهم فمن بنى هذا البنيان لا عاقبة له فيكون عبثا والرابع يحتمل أنهم كانوا بنوا ذلك تلك البنيان للعب واللهو فيها ليكون اجتماعهم فيها لا لذلك فيكون بناؤها عبثا لأن العبث أمر لا عاقبة له فكان البناء لا لأجله فاسدا والخامس أن ذلك المكان كان يحتاج فيه الناس فبنوا فيه أعلاما يضلون بها الناس بما لم يعرفوا أنها طرق فلم يكن ذلك وكان قصدهم بذلك الفساد باطلا وكل باطل عبث والله أعلم وقوله تعالى لعلكم تخلدون أي تنفقون نفقة من يطمع أن يخلد في هذه الدنيا لا نفقة من يموت ويعرف زواله وعاقبته ويحتمل أنهم لما وسع عليهم الدنيا ورزقهم الدعة والسعة في هذه الدنيا يحسبون أنهم يخلدون لأن من وسع عليه في دنياه ونال السعة والدعة اطمأن إليها وسكن إليها كما قال تعالى يحسب أن ماله أخلده كلا فعلى ذلك الأول والله أعلم وفي حرف أبي رضي الله عنه وتبنون مصانع كأنكم خالدون وقوله تعالى وإذا بطشتم بطشتم جبارين البطش هو الأخذ يقال بطش بفلان إذا أخذه وبطش عليه والجبار هو الذي يضرب ويقتل بلا حق في تعنته في العاقبة والله أعلم وقيل الجبار الظالم وكأنه قال وإذا أخذتم أخذتم ظالمين وقيل في قوله وإذا بطشتم بطشتم جبارين إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين وإذا عاقبتم وقيل بطشتم أخذتم بالظلم والاعتداء أو الاستحلال لما حرم الله تعالى والله أعلم وقوله فاتقوا الله وأطيعون قد ذكرناه وقوله تعالى واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون قيل أمدكم أي أعطاكم النعم تباعا واحدة بعد واحدة مأخوذ من المدد الذي لا ينقطع ثم هو يحتمل وجهين أحدهما اتقوا كفران نعم الله التي أعطاكم فلا توجهوا شكرها إلى من لم ينعم عليكم ولم يمدها لكم وهي الأصنام التي لا تقدر على إعطاء شيء من النعم فإن الذي قدر على إعطائها قدر على صرفها عنكم وأخذها منكم والله أعلم والثاني اتقوا الله الذي أعطاكم هذه النعم فإنه القادر على الانتقام بها وقدر على الانتقام منكم ثم ذكر النعم التي أمدهم بها فقال عز وجل أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون هذا وغيره مما لا يحصى وقوله تعالى إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قيل أي أعلم أن ينزل بكم عذاب

يوم عظيم قيل الخوف ههنا هو الخوف نفسه لانه كان يرجو الايمان منهم فقال اني اخاف عليكم العذاب
ان اقمتم على هذا والله اعلم ثم قال الكفرة عند ذلك جوابا له كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله قالوا سواء علينا
اوعظت ام لم تكن من الواعظين الوعظ هو الاخبار بحسن عواقب الامور من ترغيب او ترهيب اي سواء علينا في
الحقيقة بانا لم نجئ فينا الا ان نصدقك ولا نجيبك الى ما تدعونا اليه والله اعلم وقال بعضهم الوعظ النهي بقوله
يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهاكم وقوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين اي اختراقهم انهم اختلقوا ذلك
ثم اختلف اهل التاويل فيه لوجوه احدها انه هذا الذي يخبرنا به ويعظنا الا دين الاولين وما اتيت به وتدعونا
اليه هو ما دين بدع والخلق يجوز ان يكون بمعنى الدين كقوله لا تبديل لخلق الله اي دين الله والله اعلم وقال
بعضهم وقوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي تقوله الا كذب الاولين واحاديثهم اي كذبت
تختلق كما اختلق الذين من قبلك من الرسل وهكذا يقولون ما هذا الا اساطير الاولين وقال ابو عوسجة والقتبي
خلق الاولين اي اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته اذا افتعلته قال الفراء العرب تقول للخرافات
الحادثات الخلق فان كان التاويل هذا فيكون قوله عز وجل كذبت عاد المرسلين هذا لانهم كذبوا الرسل جميعا
وقال بعضهم قولهم ان هذا الا خلق الاولين قالوا هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث
ولا حساب والله اعلم وعن قراءة خلق الاولين بضم الخاء وتحريك اللام بدلا عادتهم وشانهم وقوله تعالى وما نحن
بمعذبين اي لا نعذب نحن على ما نحن عليه كما لم نعذب بالاباء وقوله تعالى فكذبوه فاهلكناهم قيل اهلكوا
بالريح كقوله فاما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية وقوله ان في ذلك لاية الى اخر ما ذكرنا وقوله تعالى كذبت
ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون قد ذكرنا وقوله تعالى اني لكم رسول امين اي كنت امينا فيكم
قبل ذلك فقبول العقل فكيف تتهموني في اليوم فقال امين على الرسالة بالنصح لكم وقد ذكرنا الى قوله ان اجري
الا على رب العالمين وقوله تعالى اتتركون في ما ههنا امنين هذا وان خرج على الاستفهام فكانه قال على
الايجاب لا تتركون في ما ههنا امنين والثاني اتتركون افتظنون ان تتركوا فيما ههنا امنين اي لا تظنون
ان تتركوا في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اختلف في تاويل الهضيم قال بعضهم الهضيم المتهشم
وقال بعضهم الذي قد ارطب بعضه وهو الذي يسمى المذنب وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي ارطب
واسترخى وهو اللين وعن الحسن قال الذي ليس له نوى وقال بعضهم الهضيم من الرطب هو الذي ينقطع [illegible]
ومن اليابس الهشيم الذي يتكسر ليبوسته وقال القتبي الهضيم الطلع قبل ان ينشق عنه القشر فيخرج [illegible]
ابو عوسجة الهضيم الذي لا نواة له ولا مسعة وقال بعضهم هو الذي يتراكم بعضه على بعض [illegible]
[illegible]
والله اعلم وقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين [illegible]
[illegible]
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون [illegible]
[illegible]
قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فأت باية ان كنت من الصادقين [illegible]
[illegible]

من المسحرين اي من المعللين بالطعام والشراب وهو مثل الاول وقال ابو عوسجة من المسحرين اي ممن له سحر والسحر
الرئة وجمعه اسحار وقال بعضهم من المسحرين اي من المسحورين لكنه عندنا الكثرة يشدد والله اعلم وقوله تعالى
قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم طلبوا منه الاية على دعواه الرسالة فقال عليه السلام
هذه ناقة اي هذه الناقة اية على رسالتي كما قال في موضع اخر هذه ناقة الله لكم اية وذكر اهل التاويل ان
الماء كان مقسوما بينهم كان يوم لهم ويوم للناقة واستدلوا بقوله ولكم شرب يوم معلوم فلما كان يوم
لهم معلوم كان لها يوم معلوم ايضا لكن ليس فيما في الاية دلالة على ان الامر كان كما وصفوا ولكن في موضع
اخر ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فظاهره ان الماء بينهم بالقسمة لا الشرب فيكون يوم من الماء لهم
ويوم لها وقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يحتمل ان يكون الماء بينهم بعضه للناقة وبعضه
لهم ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة فيه من الشرب شيء فاذا احتمل ما ذكرنا لا يجوز ان يقطع القول
على شيء انه كان هذا الا ما ذكرنا ان هذه الانباء انما ذكرت في كتبهم حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزاد على ما ذكر
في الكتاب خوفا ان لا تكون حجة على اهل الكتاب فيكذبوا رسول الله فيما اخبر من الانباء التي في كتبهم بما يقال من العضة
من الزيادة والنقصان ويضاف ذلك الى الكتاب فيقولون انما ذكرت في كتابكم من القصة مخالف لما في كتابنا فكيف
كان يكون صدق كتابنا وفي هذا افتتاح عظيم وقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها
فاصبحوا نادمين نهاهم عز وجل ان يلحقوا الناقة بسوء واوعدهم على ذلك عذابا عظيما فاقدموا على قتل الناقة
غير خائفين من عذاب الله تعالى ثم قوله فاصبحوا نادمين اي اصبحوا نادمين اذ راوا العذاب نزل بهم واهلكوا والا لو ندموا
على صنيعهم توبة لتقبل ان يهلكوا الهلاك ذلك عنهم والله اعلم وقوله تعالى فاخذهم العذاب فاهلكوا كلهم انما هم
[illegible] لانه قد ذكرناه وقوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين
قد ذكرنا اذ كذبت بالتانيث على اضمار جماعة وعلى نية الجماعة من ذكر القوم وقوله تعالى اذ قال لهم اخوهم
لوط الا تتقون ولوط ليس من قبيلتهم وقد سماه اخاهم من حيث الدين ولكن سماه اخا لهم بالنسبة
الصهرية كما ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم
قوم عادون قد ذكر في موضع اخر انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين هذا تعيير لهم لما
عملوا اياهم بتركهم اتيان النساء واختيار الرجال لما في ذلك انقطاع ما خلق له وهو النسل اذ ليس في
ذلك الصنيع بقاء النسل لهذا والله اعلم ان النساء انما خلقن لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة لكن جعلت
فيهما الشهوة لشهوتهم ورغبتهم في ذلك ليبقى هذا النسل والا لو لم يجعل ذلك فيهم اكثرهم لا يتكلفون ذلك
ولا يتحملون مثل هذه المؤن التي يتكلفونها ويحملونها لذلك والله اعلم وفي الاية دلالة ان المراة هي مملوكة دون
الزوج والزوج مالك حيث قال وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم وقال في اية اخرى هو الذي خلق لكم
من انفسكم ازواجا والحال انه خلق النساء لنا لا انا خلقنا لهن وفي ذلك حجة لاصحابنا في قولهم المسلم اذا زوج
نصرانية بشهادة نصرانيين كان النكاح لانه هو المالك لها والمراة مملوكة وشهادة النصارى تجوز في اشياء
من النصرانية والطهارة والله اعلم وقوله عز وجل بل انتم قوم عادون اي بل انتم قوم متجاوزون عن الحد الذي
حد لكم بسبب النكاح وقيل هم عادون بحقه الله التي جعلها لكم وقوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين ذكر الانتهاء ولم يبين عن ماذا فجائز ان يكونوا قالوا لئن لم تنته يا لوط من تعييرنا بما لتكونن من المخرجين
وقولهم لكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل
انتم قوم عادون ويحتمل قوله لئن لم تنته عن عيب الهتنا التي تدعونا اليه لتكونن من المخرجين والله اعلم وقوله
لتكونن من المخرجين يحتمل نفس الاخراج اي يخرجك من القرية ومن قبيلتنا وبيننا وجائز ان يكونوا ارادوا الاخراج
اخراجا بالقتل كقول قوم نوح عليه السلام حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وهذا اشبه
وقوله تعالى قال اني لعملكم من القالين هذا جواب قوم لوط عليه السلام لقومه اني لعملكم من القالين اي المبغضين
قال ابو عوسجة والقتبي يقال قليت الرجل اي ابغضته وقوله وما ودعك ربك وما قلى اي كيف توعدوني
بالاخراج من بينكم ولي لعملكم الذي تعملونه فيكون منه ذلك ايضا الا رحمة الله او لولا امر الله تعالى اياي بالمقام بينكم
لا دعوكم الى التقوى لما كنت اقيم بينكم لشدة بغضي عملكم والله اعلم وقوله تعالى رب نجني واهلي مما يعملون
هذا يحتمل وجوها رب نجني واهلي من عذاب ما يعملون ونجاته ويحتمل رب نجني واهلي من عمل ما يعملون من
الخبائث كقول ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ويحتمل رب نجني واهلي من رؤية ما يعملون
ومعاينته وقوله تعالى فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين قد ذكرنا فيما تقدم وقوله
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين يحتمل ان يكون امطر عليهم الحجارة تعذيبا قبلهم [illegible]

كقوله تعالى جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ويحتمل ان يكون جعل عاليها سافلها ثم امطر
عليهم الحجارة ويحتمل ان يكون جعل القريات ومن فيها عاليها سافلها وامطر على من كان غائبا منهم الحجارة
والله اعلم ومن لم ينته بذلك الاية فقد ذكرنا وقوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين قال بعضهم الايكة شجر
فنسبوا اليها وكذا قال ابو عوسجة الايكة شجر والايك جماعة وقال الاعرج ليكة باللام وكذلك
قال عتبة وقال ابو [illegible] الانصار [illegible] اصحاب [illegible] وقال القتبي الايكة الغيضة وجمعها ايك وقوله تعالى
اذ قال لهم شعيب الا تتقون قال اهل التاويل انما لم يقل في شعيب اخوهم لان شعيبا لم يكن من نسل اصحاب
الايكة وقال في سورة هود عليه السلام والى مدين اخاهم شعيبا لانه كان من نسل اهل مدين ويقولون
ان شعيبا بعث الى اهل مدين وهو كان منهم والى اصحاب الايكة وهو لم يكن منهم لذلك قال اخاهم ولم يقل لهم
ههنا ولكنا نقول ليس في الكتاب انه ليس من نسلهم ولا من نسبهم الا انه لم يذكر انه اخوهم وليس فيه ما يدل
على انه لم يكن من نسلهم وهذا لان جميع اولاد آدم اخوة اذ سمي البشر بنيه فعلى ذلك اولاده اخوة
وهذا لان الاخوة المذكورة في هذه المواضع لا يراد بها الاخوة بالاتصال بالاب الاقرب الا ترى انه سمى
سائر الانبياء عليهم السلام مع جميع قومهم لا يتصورون الاخوة [illegible] الاب الاقرب وكذلك لوط
عليه السلام ليس من اهل قبيلتهم وقد سماه اخا لهم ومثل تلك الاخوة موجودة ههنا على انه يحتمل ان يكون
من الايكة والايكة غير مدين وبعث شعيب اليهما جميعا ويحتمل ان يكون موضع واحد له اسمان ينسب الى
الايكة مرة والى مدين اخرى وكان ذكر الاخ في احد الموضعين يكفي عن الاخر واذا كان كذلك فلا يحتمل ان
يقطع القول بهذا اي لا يكون خلافه فيصير الكتاب مطعنا للكفرة يعيرونا ان الحجة عليهم يكون شهادة
على الله تعالى بالكذب وقد ذكرنا تاويل قوله اني لكم رسول امين الى قوله العالمين وقوله تعالى اوفوا الكيل ولا تكونوا
من المخسرين وقال في سورة هود لاهل مدين واوفوا المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ذكر فيهما
جميعا ايضا الكيل والوزن وهنا [illegible] في الايكة وقد بين بعضها في الكيل والوزن فامرهم بايفائهما في
موضعين او كانت القصة واحدة وانه موضع واحد سمي باسمين فامر بذلك مرتين على طريق التاكيد كل
ذلك [illegible] ولا تبخسوا الناس اشياءهم ذكر النهي في موضعين احدهما في صورة البيع [illegible] المشتري قبل
القبض وانه اضاف الاشياء الى الناس ونسبها اليهم بقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم فلولا ان ذلك صار
ملكا لهم بالبيع قبل التسليم لم يضف [illegible] اشياءهم والثاني بيع المتاع وشراء [illegible] لانه قال
اوفوا المكيال والميزان وهذا فيما لم يكن مكيلا وقد اضاف الملك اليهم دل ان البيع جائز قبل التسليم وقوله
وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم القسطاس العدل اي زنوا الناس حقوقهم بالعدل لا تنقصوها
وقال بعضهم القسطاس هو القبان وهو الميزان الكبير وقوله المستقيم المستوي اي لا تجعلوا احدى الكفتين
اثقل من الاخرى كانهم يجعلون الكفة التي يوزن بها حقوق الناس اثقل والكفة التي يستوفون
بها من الناس اخف فامرهم الله تعالى ان يسووا الكفتين جميعا والله اعلم وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي لا تفسدوا في الارض والعيث الفساد وقوله تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
اي اتقوا نقمة الله تعالى الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين انكيف عذبهم وانتقم منهم بظلمهم والجبلة
هي الخليقة يقال جبل اي خلق وقوله قالوا انما انت من المسحرين مرتين وقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين
هذا يدل على انهم انما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا وحقا وقوله تعالى فاسقط علينا كسفا من السماء
ان كنت من الصادقين سالوا شعيبا على سبيل التعنت كما سال غيرهم لغيره فامطر علينا حجارة من
السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزل بهم العذاب من حيث سالوا من السماء وعن الحسن قال سلط الله الحر على
قوم شعيب عليه السلام سبعة ايام ولياليهن حتى كانوا لا ينتفعون بظل ولا ببرد ماء ثم رفعت
لهم سحابة في البرية فوجدوا تحتها الروح فجعل بعضهم يدعو بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها اشعلها الله
تعالى نارا فاحرقتهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة الاية وكذلك قال ابو عوسجة الظلة سحابة
وقال بعضهم سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم وقال القتبي كسفا اي قطعة من السماء والكسف القطع
وقال بعضهم اصابهم حر شديد [illegible] في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الروح قبله فلما غشيتهم تلك السحابة
اخذتهم الرجفة فاصبحوا جاثمين وقال بعضهم ظلال العذاب والله اعلم وبعضه قريب من بعض وعن ابن
عباس قريبا من هذا قال بعث الله عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلم [illegible] الموت بعث الله تعالى لهم
سحابة فاظلتهم فنادوا تحتها فلما اجتمعوا سقطت عليهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة والظلة
السحابة وهو قريب من الاول وقوله تعالى قال ربي اعلم بما تعملون [illegible] فاخذهم عذاب يوم الظلة اخبر عن شعيب

انه قال ربي اعلم

انه قال ربي اعلم بما تعملون ان ما تعملون من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم وقوله فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
يحتمل فكذبوه فيما اخبرهم من نزول العذاب بهم ويحتمل ان كذبوه فيما ادعى من الرسالة وما سوى ذلك فهو
مذكور فيما تقدم ذكره وقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وانه كناية عن القرآن اي القرآن تنزيل رب العالمين
اي نزله رب العالمين وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك انما قال ذلك ردا لقولهم انما يعلمه بشر
يخبر ان ربه هو الذي نزل هذا القرآن عليه لا على ما يقولون انه انما يعلمه بشر والله اعلم وقوله نزل به الروح
الامين على قلبك يحتمل وجوها احدها ان جبريل عليه السلام كان ينزل القرآن على قلبه وكان لا يحجبه شيء عن قلبه
والثاني على قلبك اي لا يذهب منه شيء بل يجمعه الله في قلبك كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرآنه ويحتمل ان يكون نزله على قلبك اي ثبته على قلبك كقولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك
لنثبت به فؤادك والله اعلم ويحتمل ان يكون قال ذلك لما انتهى في العدد وحفظه غاية حفظه قال على
قلبك كانه القي في قلبه وكذلك يقال في قوله لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين كانه قال والله اعلم
على التقديم والتاخير يخرج اي نزل به الروح الامين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين [illegible]
يقولون ان [illegible] لسان رسوله صلى الله عليه وسلم [illegible] غير موصوف بلسان ثم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه بلسانه العربي المبين او بغيره [illegible] هذا فاسد لانه قال في اية اخرى انا انزلناه قرآنا
عربيا [illegible] انزله قرآنا عربيا فبطل قول الباطنية [illegible] بلسان عربي من غير ان [illegible] ولانه
لو كان الامر على ما تقوله الباطنية انه لم ينزل بهذا اللسان لكان لا يصير جوابا لقولهم انما يعلمه بشر لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وقال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته
اعجمي وعربي فاذا ذكر هذا كان جوابا لقولهم وحجة عليهم [illegible] فان تاويل الاية ما ذكرنا
على التقديم والتاخير وقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وهذا في الظاهر مشكل فان كثيرا من الاحكام [illegible]
ليست في زبر الاولين ولكن اختلف اهل التاويل في تاويل الاية قال بعضهم بانه [illegible] نعت
محمد عليه السلام وصفته اي ان نعته كان في كتب الاولين ويحتمل ان يكون قوله وانه يصرف الى [illegible] مضمر
ان ذكر هذا القرآن انه ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الاولين لا ان عينه كان فيها ويحتمل ان يصرف
الى القرآن نفسه [illegible] ببعض القرآن في زبر الاولين [illegible] اسم الكل على البعض مجازا [illegible]
في اللغة فان قال قائل ان كلام الله تعالى واحد قيل بلى اما ما هو كلام الله تعالى الذي هو صفته قائمة بذاته فواحد
ليس له بعض ولا كل ولا حرف ولا صوت فاما المتلو المفهوم بالكلام له كل وبعض وذلك كله ليس في
جميع الكتب على السواء فانه لا اختلاف [illegible] شرائع الانبياء عليهم السلام مختلفة ولو كان جميع ما في الكتاب
[illegible] من الاحكام والاوامر والنواهي تكون في كتاب آخر لما تصور اختلاف الشرائع [illegible]
ان المعتمد عليه ما قلنا وقوله تعالى او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قال بعض اهل التاويل ان لم يكن
لهم محمد صلى الله عليه وسلم آية على رسالته او علماء بني اسرائيل كانوا يعلمون انه حق مكتوب عندهم
[illegible] قبله او لم يكفهم علم علماء بني اسرائيل بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الآية تكون بوجهين
احدهما ما ذكر ان اهل مكة ارسلوا الى اليهود بالمدينة فسألوهم فاخبروهم عنه انه يخرج في وقت كذا [illegible]
كذا وهذا وقت خروجه والثاني [illegible] او لم يكفهم آية اسلام علماء بني اسرائيل [illegible] انه رسول الله اذ كان لا
[illegible] عن علم ويقين انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان اسلامهم ذهاب رياستهم ومأكلهم والله
ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين اختلف في تاويله قال بعضهم معناه [illegible]
القرآن على رجل منهم عربي من جنسهم ممن عرفوا جنسه واحواله من الامانة والصدق وانه لم يتعلم من احد
ولا اعترض من بينهم وانه مثلهم فعجزوا عن اتيان مثله [illegible] فلم يؤمنوا به مستدلين بانه
من عند الله تعالى لا من عنده فكيف لو نزلناه على اعجمي بعيد عنهم فنطق انه تعلمه ممن هو افصح منه في قطر
من الارض ذكر هذا قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم وقال بعضهم ولو نزلنا هذا القرآن على بعض
الاعجمين بلسانهم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لما لم يفهموه وما دروا ما هو كما ذكر عنهم بقوله ولو جعلناه
قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي يقولون لولا انزل القرآن بلغة العجم اعجمي وعربي فالعرب
كيف يفهم العجمي [illegible] نزل عليه القرآن عربيا حتى فهموا ذلك فلم يؤمنوا به [illegible] تعنتهم وعنادهم وقال
بعضهم ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي من الدواب [illegible] ما صدقوه [illegible] سفههم وعنادهم والله اعلم
وقوله تعالى كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال بعضهم هكذا سلكنا الكفر والتكذيب
وادخلناه في قلوب المجرمين وقال بعضهم سلكنا يعني البيان والحجة في قلوب المجرمين حتى علموا ولزمتهم

الحجة لكنهم تركوا الايمان به تعنتا وعنادا لا يؤمنون به قوله تعالى حتى يروا العذاب الاليم جعل ذلك
غاية ايمانهم والمراد بالعذاب الاليم هو معاينة العذاب عند الموت فحينئذ يؤمنون ولكن لا ينفعهم ايمانهم
وهو كما قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا وقد ذكرناه فيما تقدم قوله تعالى فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون اي يأتيهم العذاب فجاءة وهم
لا يشعرون باتيانه عز وجل علم ان بعض الطائفة لا يؤمنون ابدا فانزل عليهم العذاب بغتة ولو علم منهم
انهم يؤمنون حقيقة عند معاينة العذاب لانزل عليهم العذاب معاينة مجاهرة ليؤمنوا فيقبل منهم ذلك
ويدفع العذاب عنهم كما قبل ايمان قوم يونس عليه السلام حيث قال فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا لما علم منهم تحقيق الايمان في ذلك
الوقت واما من كان همته العناد والمكابرة فهو لا يحقق الايمان والله الموفق قوله تعالى فيقولوا هل نحن
منظرون فالكفرة لا يزالون يطلبون النظرة والرجعة الى الدنيا ويتلمسون العذاب عن انفسهم اذا نزل
بهم كقوله تعالى خبرا عنهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك الآية وقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات
ربنا الآية فيستعدون الرجوع والنظرة وتأخير العذاب ولكن لا يجابون الى ذلك قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون
قال اهل التأويل هذا الجواب لهذا القول وهو انهم كانوا يستعجلون النبي صلى الله عليه وسلم بنزول العذاب بهم تكذيبا له واستهزاء
كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وبقوله فامطر علينا حجارة من السماء الآية
فقال الله تعالى عند ذلك افبعذابنا يستعجلون لكن ليس هذا في الظاهر جوابا لقوله فيقولوا هل نحن
منظرون وجواب هذا والله اعلم ما ذكر على اثره وهو قوله عز وجل افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فيحتمل ان يقول تعالى ما يغني تأخير العذاب عنهم وامهالهم وقت تمتعهم
من عذاب الله من شيء لا ينفعهم ذلك ويحتمل ان يكونوا سألوا العذاب في الظاهر واستعجلوا في الحقيقة
فيخرج قوله عز وجل افرأيت ان متعناهم سنين جوابا لاستعجالهم ويحتمل ان يكون بعضهم استعجل العذاب
واستمهل غيرهم فخرج هذا جوابا للمستمهل وما يكون فيه كثير نفع لهم بان يمتعوا مدة يسيرة وما فيه
الخلود في النار ثم خوفهم فقال عز وجل وما اهلكنا من قرية اهلاك استيصال وانتقام الا بعد الانذار
واقامة الحجج والبيان قوله تعالى ذكرى اي موعظة وزجرا لهم عما هم عليه ويحتمل تذكر ما لهم وما عليهم
او ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض والله اعلم قوله تعالى وما كنا ظالمين في تعذيبهم اي لم نعذبهم
بلا ذنب ولا جرم ولكن بسبب عنادهم ومكابرتهم لان العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر
ولكن للعناد والمكابرة وانما عذاب الكفر في الآخرة وعلى هذا يخرج قوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا لا نظر فيهم العناد والمكابرة نعذبهم والله اعلم وقال بعضهم وما كنا ظالمين اي
ما كنا نعذبهم الا بعد البيان والحجة وقطع العذر والله اعلم وفي مصحف ... وما اهلكنا من قرية الا
ينذر اهلها قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وذلك جواب لقول اهل مكة ان محمدا صلى الله عليه
وسلم كاهن يأتيه بما يقول الشيطان بالكاهن الشيطان وكانت الشياطين من قبل تقعد من
السماء مقاعد للسمع فيستمعون فيها الوحي من الملائكة فيقولون على الكهان في ... بعث
محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فاكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي
لهم ان ينزلوا بالقرآن قوله تعالى وما يستطيعون اي قد حيل بينهم وبين السمع من الملائكة
كما اخبر الله تعالى عن الجن انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانما كان يمكنهم
استراق السمع في غير اوان مبعث الرسل عليهم السلام فاما في وقت مبعث رسول لا يمكنهم من ذلك
الشهب ولذلك استنكرت الجن زيادة الشهب على مبعث رسول لما علموا من عادة الله في زيادة الشهب
عند مبعث الرسول وقوله انهم عن السمع لمعزولون اخبر الله تعالى ان الشياطين معزولون عن السمع وقوله
تعالى وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون دلالة انه اراد ان يجعل القرآن حجة لعين النبي ...
هو حجة له لم يقدر على النطق به ولا التلاوة نحو من اتى فقال لا ادري ... ان هذا القرآن
فادعى لنفسه النبوة وجعل يحتج بهذا القرآن فانه لا يقدر على تلاوته ولا النطق به لانه انما جعل حجة
وبرهانا للحق لا للمبطل حيث قال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم لو ينزلوا به وما يستطيعون
اخبر انهم لا يستطيعون ذلك وانهم معزولون عن ذلك والله اعلم وقد ذكرنا وجه النهي للرسول
عليه السلام في قوله فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا

فخص وعم وقال يا معشر بني قصي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك لكم ضرا ولا نفعا وكذلك لبني
عبد المطلب وقال لفاطمة رضي الله عنها ابنته يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لك
من الله ضرا ولا نفعا ولكن لكم رحم وسأبلها ببلالها اي سأصلها وفي بعض الاخبار قال عند نزول هذه الآية
اني ارسلت الى الناس عامة وارسلت اليكم يا بني هاشم وبني المطلب خاصة وهم الاقربون وهما اخوانا عبد
وقال الحسن قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اهل بيته قبل موته ثم قال الا اني لي عملي ولكم عملكم
الا اني لا املك لكم من الله شيئا الا ان اوليائي منكم المتقون الا لا اعرفنكم يوم القيامة تأتون بالدنيا تحملونها
على اعناقكم ويأتي الناس بالآخرة وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا
يفخذ عشيرته فخذا فخذا يدعوهم الى الله تعالى فقال في ذلك المشركون لقد بات هذا الرجل يهوت منذ الليل الى الصبح
فانزل الله تعالى في ذلك قل انما اعظكم بواحدة ثم معنى التخصيص في انذار عشيرته في هذه الآية يحتمل وجهين
وان كانوا داخلين في جملة انذار الناس جميعا في قوله نذيرا للعالمين وهم من العالمين احدهما جائز ان يكونوا
يطمعون في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لقرابته واتصالهم به وان لم يطيعوه فيما يدعوهم
الى ما يدعوهم اليه على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وسبب منقطع يومئذ الا نسبي وسببي
فيشبه ان يكونوا طامعين في شفاعته يومئذ وان خالفوه بحق القرابة والوصلة من لا يطمع في ذلك غيرهم
من الناس الا بالطاعة والاجابة له فامره عز وجل ان ينذرهم لئلا يتكلوا الى شفاعته ولكن حتى لو خليتهم
بالطاعة له والعمل بامرهم وهو ما ذكر في الاخبار التي رويناها اني لا املك لكم من الله ضرا ولا نفعا الا ان اوليائي
هم المتقون ... يطيعوه والله اعلم قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين قيل لين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين كانه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتواضع لهم
وقال في الوالدين واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في المؤمنين بعضهم لبعض فيما بينهم رحماء بينهم وقال
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ذكر الذل والرحمة فيما بينهم ولم يذكر الذل في رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم والله اعلم لان الذل لكان يرجع الى الخضوع والاستخدام لبعضهم بعضا وذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعد لا يحتمل ان يأمرهم بالخدمة لهم وجائز ان يخدم بعضهم بعضا والله اعلم قوله تعالى فان عصوك
فقل اني بريء مما تعملون قالوا انه راجع الى قوله وانذر عشيرتك الاقربين وموصول به كانه قال وانذر عشيرتك
الاقربين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريئا مما يعمل اولئك الكفرة لكنه
يحتمل ان يكونوا اولئك الكفرة لما انذرهم رسول الله طلبوا منه ان يطيعوه في بعض امورهم ويشاركهم في بعض اعمالهم
حتى يطيعوا له في بعض ما يأمرهم ويدعوهم اليه ويشاركونه في بعض اعماله فقال عند ذلك اني بريء مما تعملون
تبرأ مما يعملون ... وطلبوا منه مساعدته اياهم والاغماض عما كانوا يعملونه والله اعلم قوله تعالى وتوكل على العزيز
الرحيم كانه امنه عن شرهم وكيدهم فقال توكل على العزيز الرحيم ولا تخف مخالفتهم اياك فيما تدعوهم اليه ويحتمل
انه امره بان يكل نفسه اليه ويفوض جميع اموره اليه في كل وقت فقال توكل على العزيز الرحيم العزيز المنتقم من اعدائه
الرحيم باوليائه ويحتمل الشديد باعدائه لا لاوليائه ويحتمل ذكر العزيز الرحيم لانه يعز في تعزز ويرحم من رحم في تعزز
هو لا يكون عزيزا او من يرحمه لا ينتفع برحمته عزه والله هو العزيز الذي لا يعجزه قوله تعالى الذي يراك
حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال بعضهم الذي يراك حين تقوم في ظلمة الليل وحدك ويرى تقلبك
في الساجدين قائما وجالسا وعلى حالاتك ويرى تقلبك ايضا في الساجدين في الصلاة مع الناس في الجماعة
وقال بعضهم وتقلبك في الساجدين في الصلاة مع الناس في الجماعة وقال بعضهم وتقلبك في الساجدين
في المصلين كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من امامه لكن هذا ليس بتأويل الآية لانه لو كان المراد
هذا لكان يقول ويراك حين تقوم برفع الكاف لا بالنصب لانه اخبر عن وصف كان النبي صلى الله عليه وسلم
مختصا به وقد روي في بعض الاخبار انه قال اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام فاني
اراكم خلفي كما اراكم امامي والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا يا رسول الله
وما رأيت قال رأيت الجنة والنار وقال بعضهم يراك حين تقوم الى الصلاة فتصلي وحدك ويراك مع المصلين
في جماعة وهو مثل الاول وفي حرف حفصة رضي الله عنها وتقلب وجهك في الساجدين والله اعلم قوله تعالى
انه هو السميع العليم لمقالتهم مما يخوفون ويسرون ويعمه ما يعلنون وينطوون العليم بضمائرهم وخفياتهم
او السميع المجيب لمن دعاه العليم بافعالهم واعمالهم والله اعلم قوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم مخرج هذا والله اعلم وما تقدم ذكره من الآيات جوابا لقولهم ان من نفسه الكفرة في
قادتهم ولا انزلوه يلبسون على اتباعهم والسفلة من قومهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تدعيه

فقالوا مرة اساطير الاولين ومرة افك مفترى ومرة سحر مفترى ومرة انه شاعر وانه ساحر ومرة قالوا انما
يعلمه بشر وامثال هذا فخاف ان يكون منهم ايضا فقال ان الشياطين هم الذين يتلونه بهذا القرآن عليه
على ما ذكرنا انهم قالوا انما يجيء به الكاهن وهو الشيطان يلقيه على لسانه فقال عند ذلك للنبي بانهم وما تنزلت
به الشياطين وما ينبغي لهم الاية ولكنا انما نزلت به جبريل عليه السلام حيث قال نزل به الروح الامين على قلبك
لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ثم اخبر عن الشياطين انهم على من يتنزلون بحيث قال هل انبئكم
على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم ذكر هذا الملعون اهل الشياطين لا يتنزلون الا بكذب وباطل
من لا تنزل الا بكذب وباطل لا تنزل الا على كل كذاب بخلاف انكم كان تعلمون عندهم ان محمدا ما علمتم عليه كذب
قط ولا افك ابدا اذ لم يأخذ في ما بينهم عليه كذبا قط فيقول والله اعلم كيف تنزل به الشياطين وهو
عندكم انه ليس بكذاب ولا افاك فقد تعلمون ان الشياطين لا يتكلمون الا بكذب وباطل على هذا يخرج
تاويل هذه الايات والله اعلم والاحلى الاشتباه لا يحتمل ان يكون دون تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون
ثم قال بعضهم تلقى الشياطين باذانهم السمع كلام الملائكة في السماء وذلك بان الله تعالى اذا اراد امرا في
الارض علم به اهل السماء من الملائكة فيتكلمون به فتسمع الشياطين بذلك فيخبرون الكهنة ثم يخبر الكهنة
اهل الارض بذلك فيقولون انه يكون في الارض كذا في وقت كذا ثم قال واكثرهم كاذبون
على هذا التاويل اي واكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون الكهنة من اخبار السماء وقال بعضهم ان الجن
كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون باسماعهم الى السماء فيستمعون من اخبار اهلها ثم ينزلون به على الكهنة
فتسمع الكهنة ايضا من اخبار الرسل عليهم السلام ثم يخلطون ما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدثون
الناس بذلك فما كان من الرسل يكون حقا وما كان من الشياطين يكون باطلا فذلك تاويل قوله واكثرهم
كاذبون اي اكثر الكهنة كاذبون فيما يخبرون الناس ما سمعوا من الشياطين والله اعلم وقال بعضهم كانوا
يستمعون من الجن حقا وصدقا لكنهم يخلطون من عندهم كذبا فيحدثون به الناس حتى اذا كان الناس
يتركون ما يستمعون منهم من الكذب يحدثون بذلك الحق الذي نزل من السماء فيحفظونهم وتصديقهم
فذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي اكثر قولهم كذب والله اعلم بذلك وقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون
قال بعضهم كان رجلان شاعران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما من الانصار والاخر من قوم
اخر يهجوان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ومع كل واحد منهم غواة من قومه فذلك قوله والشعراء يتبعهم
الغاوون فاستاذن الشعراء المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقتصوا من المشركين فاذن لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فهجوا المشركين ومدحوا النبي صلى الله عليه وسلم فذلك قوله الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات اخبر في الاول ان الشعراء يتبعهم الغاوون واستثنى منهم الشعراء المؤمنين بقوله الا الذين
امنوا وقال بعضهم الشعراء غواة الجن يتبعهم غواة الانس كقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا وقال بعضهم الشعراء الكفار يتبعون ضلال الجن والانس وهو شبه الاول
وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون قال بعضهم في كل فن ياخذون اي يمدحون قوما بباطل ويذمون
قوما بباطل اذ انهم يقولون ما لا يفعلون اي انهم يصفون بما لا يعلمون وكذلك في بعض الحروف وذكر
كذا وقال بعضهم اي انهم في كل لغو وباطل يخوضون وانهم يقولون ما لا يفعلون يقولون في اكثر قولهم
يكذبون وقال بعضهم وانهم يقولون ما لا يفعلون اي يقولون فعلنا كذا وفعلنا كذا وهم كذبة لم يفعلوا
ذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة يهيمون اي يذهبون ويمضون ويركبون كل واد يقال هام يهيم هيما
وهيمانا اي عطشان والجمع هيم قال الله تعالى فشاربون شرب الهيم ومنه سمي الهائم هائما اذا كان عطشانا
او لقاء من لحبه والهوم النوم يقال هوم يهوم تهويما اذا نام وقال القتبي في كل واد يهيمون اي في كل
واد من القول وفي كل مذهب يذهبون كما يذهب الهائم على وجهه والله اعلم وقوله تعالى الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا هذا الاستثناء يحتمل ان ذلك من قوله
والشعراء يتبعهم الغاوون وهو ما ذكرنا كانه قال اولئك الشعراء وهم القادة من الكفرة هجوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وانشدوه واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم فيروونها فهجاهم
الشعراء المسلمون الذين قالوا الشعر واستثنى في انتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عنهم
فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يهيمون في كل واد ويقولون ما يفعلون ولا يقولون
ما لا يفعلون بل يذكرون الله كثيرا وينتصرون لرسوله عليه السلام ولانفسهم من بعد ما ظلموا فيكون الاستثناء
في احد التاويلين من الاتباع وفي الاخر من الائمة والقادة وكان يقول منهم من شتي في ذلك حتى قالوا الشعر

يتبعهم الغاوون اي ما ذكر اذ لا يحتمل الابتداء دون ذلك كان منهم على ما ذكرنا في قوله عز وجل وما تنزلت
به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم وقد كان من اولئك
الكفرة قول وطعن بان الشياطين هم الذين ينزلون به عليه حتى خرج جوابا لهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي
لهم وانما يذكر ذلك لما ان ذلك في الجواب كان منهم قول وطعن والله اعلم ثم اوعدهم فقال وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون يحتمل في الاخرة في منقلب الظلمة وهي النار اي يعلمون علم عيان ثم لم يعلموا ذلك
في الدنيا علم استدلال لما تركوا النظر والتامل في الدليل ويحتمل يعلمون ذلك علم عيان في الاخرة وان علموا في الدنيا
علم استدلال لكنهم عاندوا وكابروا ولم يؤمنوا والله اعلم تمت سورة الشعراء والحمد لله تعالى

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طس تلك ايات القرآن وكتاب
مبين قد ذكرنا فيما تقدم تاويل الحروف المعجمة وتاويل الناس فيها وذكرنا ايضا تاويل الايات المذكورة على اثرها
وذكرنا ايضا تاويل قوله وكتاب مبين وقوله تعالى هدى وبشرى للمؤمنين قوله هدى يحتمل وجهين احدهما
الدعاء كقوله ولكل قوم هاد اي داع يدعو الخلق الى توحيد الله تعالى فان كان التاويل هذا فهو للناس كافة
والثاني جائز ان يريد بالهدى الهدى الذي هو ضد الضلالة او نقيضه فان كان هذا فهو للمؤمنين خاصة
وقوله وبشرى للمؤمنين اي يدعوهم الى الايمان بالله ورسوله فاذا امنوا به كان لهم البشرى وعلى التاويل
الاخر ظاهر اذ البشرى للمؤمنين ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة يحتمل قوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة اي يقرون بهما ويؤمنون لان من الناس من كان
يؤمن بالله ورسوله لكنهم لم يؤمنوا بالصلاة والزكاة كقوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة
فخلوا سبيلهم اي الايمان بهما لا انه يحتمل ان يأمر بحبسهم الى ان يمضي السنة فيجب الزكاة عليهم ثم يؤدون
فحينئذ يخلون سبيلهم ولكن الامر بحبسهم الى ان يؤمنوا بهما فيؤمنون فيخلون عند ذلك سبيلهم
والله اعلم وكذلك قوله الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون اي لا يقرون ولا يقبلون
وكذلك الاول والله اعلم ويحتمل الاخر جميعا القبول والاداء جميعا اي اذا قبلوهما واقروا بهما وادوهما
فحينئذ يستوجبون هذه البشارة التي ذكر والله اعلم وقوله تعالى وهم بالاخرة هم يوقنون الايقان
بالشيء هو العلم به من جهة الاستدلال والاجتهاد والاسباب التي يستفاد بها العلم بالاشياء لا العلم
لا العلم المطلق وكذلك لا يوصف الله تعالى بالايقان بالشيء ولا الايقان انه موقن لان علمه لا بداية لا بالاسباب
وبالله التوفيق وقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم الاعمال التي هم فيها لما ركب فيها
لما ركب فيهم من الشهوات والاماني ويحتمل زينا لهم اعمالهم اي الاعمال التي عليهم او زين لهم الخيرات والطاعات
ولكنهم ابوا ان ياتوا بها وتعنتوا له قالوا بهذا التاويل قال ابو اه يقولوا بالاول ان يكون من الله تعالى تزيين
ما هم فيه من الشرك والكفر او ما تعالى الشر لا ان الله تعالى اضاف تزيين ذلك الى الشيطان بحيث قال وزين
لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل ويحتمل قوله زينا لهم اعمالهم وقال الله تعالى الشيطان سول لهم
واملى لهم ونحو ذلك من الايات فلما كان هذا مضافا الى الشيطان لا يجوز ان يضاف الى الله تعالى لكن عندنا
يجوز اضافة تزيين اعمالهم التي هم فيها من الشرك والمعاصي الى الله تعالى من جهة ما ركب فيهم من الشهوات والاماني
التي توافق طباعهم وانفسهم لان التزيين يقع نفس الكفر وافعاله اذا الكفر نفسه ليس بمزين ولا مستحسن
انما هو سمج في العقل ونسبته الى ما لا يليق به وصفاته ولكن تزيينه واستحسانه من جهة هذه
الافعال لموافقة طباعه والجهة التي تضاف الى الشيطان من التزيين والضلال غير الجهة التي تضاف
الى الله تعالى اذ الجهة التي تضاف الى الشيطان هو دعاؤه وامره الى ما يوافق طباعهم من المحرمات والمشتهيات
في هذه الجهة يجوز الاضافة الى الشيطان والجهة التي تضاف الى الله تعالى هو ما ركب فيهم من الشهوات
والاماني وجعل طباعهم موافقة لها الا ان الصدق وجميع الخيرات مما يكون مزينا مستحسنا في العقل
للعاقبة الحميدة والكفر وجميع المعاصي مستقبح في العقل اذ حمد احدهما وانثى على فعله وذم الاخر
وعوقب بسوء اختياره والله الموفق وقوله تعالى فهم يعمهون قيل يترددون ولفظ العمه الحيرة اي يتحيرون
وقوله تعالى اولئك الذين لهم سوء العذاب اي لهم سوءهم من العذاب في الاخرة لاختيارهم سوء
الاعمال في الدنيا وقوله وهم في الاخرة هم الاخسرون قيل الاخسرون والخاسر واحد وجائز ان يكون

لا خسرون القادة منهم والرؤساء دون الاتباع لانهم ضلوا بانفسهم واضلوا غيرهم فهم اخسر من الاتباع
وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الاية والله اعلم قوله
وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم • يحتمل هذا وجهين احدهما لتلقى القرآن من الله الحكيم العليم على
يدي رسوله وهو جبريل عليه السلام والثاني ان يكون المراد هو جبريل نفسه اي وانك لتلقى القرآن من
لدن جبريل عليه السلام ووصفه بانه حكيم عليم وانه حكيم يضع الوحي والقرآن حيث امر بوضعه فيه والحكيم
هو المصيب في فعله الواضع للشيء موضعه وكذا عليم هو عليم بما امر به وارسل الله وقد يجوز ان يطلق
اسم الحكيم والعليم على الخلق الا ترى ان يوسف عليه السلام قال اني حفيظ عليم فعلى ذلك هذا جائز
لكن الاول اشبه وهو ان المراد وانك لتلقى القرآن اي لتاخذ من الله تعالى الحكيم العليم على يدي رسوله
الامين جبريل بعدما يلتقط من رسوله كانه ياخذ من عنده رسله اذ الرسول انما يؤدي كلام مرسله والله اعلم
وقال ابو عوسجة والقتبي لتلقى اي لتاخذه يقال تلقيته ولقيته واخذته وقال محمد بن اسحق وانك لتلقى
القرآن اي لتؤتى بالقرآن وهو كقوله وما يلقاها الا الذين صبروا اي وما يؤتاها والله اعلم قوله تعالى اذ قال موسى
لاهله اني آنست نارا اي رايت وابصرت قوله تعالى سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون
وقال في آية اخرى لعلي آتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون وقال في آية اخرى لعلي آتيكم منها بقبس
او اجد على النار هدى وهذا يدل على ان موسى عليه السلام كان ضل الطريق على ما ذكر اهل التاويل ثم ذكر في آية اخرى
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون ذكر في القصة التقديم والتاخير على اختلاف
الالفاظ والحروف والقصة واحدة ويحتمل بذلك موسى عليه السلام لا عن قصد لان الله تعالى ليس على الناس تكلف
حفظ الالفاظ بلا تقديم ولا تاخير ولا يعتبر بعد اصابة المعنى المودع فيها المعنى لا الالفاظ من غير تعيين
اذ قصة موسى عليه السلام وغيرها من قصص الانبياء عليهم ذكر في الكتاب على التقديم والتاخير واختلاف
الالفاظ والحروف ليعلم ان ليس عليهم حفظ الالفاظ والحروف وانما عليهم حفظ الالفاظ والحروف
وانما عليهم اصابة المعنى واداؤها فيكون الاية حجة لنا في نقل الاحاديث بالمعنى وان نقل الشهادة على اللفظ
المسموع الى غيرها مما لا يخل بالمعنى جائز وكذلك نقل القرآن بالمعنى والقراءة بالفارسية جائز من غير ان يخل بالمعنى
فيكون حجة لابي حنيفة رحمه الله عليه وكذلك النكاح بغير لفظ التزويج والنكاح مما يؤدي معناه جائز
فيكون حجة له على الشافعي واختلفوا في تاويل القبس والشهاب قال بعضهم الشهاب خشبة في
طرفها نار والقبس النار وجمع الشهاب الشهبان ولا يشبه ان يكون قبسا الا ان يحمل من موضع الى موضع يقال تقبست
النار قبسا واقتبسته وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقال بعضهم القبس الجمر والشهاب الكنار للتوقد وهو
قول ابي عبد الله وقال بعضهم الشهاب النور ويسمى الكوكب شهابا للضوء ونوره وقال بعضهم الشهاب
قبس او شعلة من نار والجذوة كانها خشبة فيها نار وهو مثل الاول والله اعلم وقوله لعلكم تصطلون
اي لكي تصطلوا الوقت الذي طلب النار وقتا بردا ايام الشتاء حيث ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء قوله تعالى
فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها اي لما جاء موسى عليه السلام النار وحضرها نودي ان بورك
من في النار اضطرب فاول اهل التاويل في هذا صرف بعضهم تاويله الى ما لا يرتكبه الا اسماحه وبعد عن الحق
والصواب فقال تبارك من في النور ولم تكن نارا انما كان نورا بالعرش اي هو مبارك ومن حولها الملائكة حول
تلك النار من الملائكة وقيل يا موسى اني انا الله رب العالمين انا النور الذي رايت انا الله رب العالمين كذلك
حكي عن مقاتل بن سليمان والكلبي وهذا التشبيه محض تعالى الله عن ذلك ثم التاويل عندنا من وجوه احدها
ان حرف من جائز ان يستعمل في غير العقلاء واهل التمييز وقد ورد مثله في القرآن قال الله تعالى فمنهم من
يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع لا استفهام التاويل فيه من غير ان يتضمن تشبيها فيحمل كانه قال
بورك ما في النار وما حولها لانه قال في آية اخرى انك بالواد المقدس طوى اي طوى عليه البركة وقال في آية
اخرى باركنا حوله اخبر على بركة ذلك المكان فعلى ذلك كما جاز اطلاق حرف من في غير ذوي الفهم والتمييز
يصرف التاويل الى ما ذكرنا من المكان ويحتمل وجها اخر ان يقال بورك من في النار ومن حولها اي بورك
ما في النار من النار وما حولها وما يستنار به ويستضاء وهو استفادة النبوة والرسالة فانه سبب
طلب النار ذهب له ذلك وهذا التاويل ايضا على جواز اطلاق حرف من على غير اهل التمييز واستعارة من
من غير حرف ما لم يجز في اللغة استعارة حرف من من حرف ما واستعارة حرف من في غير العقلاء فتوجيه
الاية الى وجهين من التاويل ايضا احدهما ان يكون التاويل منصرفا الى ما ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما
على طرح حرف من حروف المعاني فانه ذكر في حرفهما ان بوركت النار ومن حولها وذلك جائز في اللغة ان يقال بورك

في فلان

في فلان وبورك لفلان وبورك فيك وكذلك ذكر عن الكسائي فان كان ما ذكر عن ابن عباس وابي
ثابتا صحيحا لم يقع فيه شبهة ولا ريب اذ البركة ترجع الى النار وقد جعل الله من البركة في تلك النار ما هي
من استفادة النبوة والارسال اليه والطريق والاصطلاء وغير ذلك وقوله ومن حولها كناية عن موسى عليه السلام
وقد بارك بما استفاد من النبوة والحكمة والعلم ونحوها ويحتمل ان ينصرف حرف من الى موسى عليه السلام
فيكون كانه قال بورك في الذي في النار وهو موسى عليه السلام ويحتمل ان يكون بورك فيمن حول الاقتباس
النار وهو موسى عليه السلام وقد جعل فيه البركة على ما ذكرنا قوله تعالى وسبحان الله رب العالمين
ذكر هذا والله اعلم تنزيها عما قاله بعض اهل التاويل وعما يتوهم الكلمة من نحو مقاتل وغيره من التمثيل ونحوه
مما يؤدي الى التشبيه لما قلنا في الاول لما اشتبه هذا الكلام واجرى البعض على ظاهره ادخل تنزيها
الى وجوه يحكمها العقول يكون على الاصول لعلمه سبحانه بلا تشبيه لذلك عن الاحتمال عن مثله والله اعلم قوله
يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم • قال بعض اهل الادب ان قوله انه صلة ومعناه يا موسى انا الله العزيز الحكيم
وقيل انه انا الله العزيز الحكيم اي الدعا عطا السؤال انا الله العزيز الحكيم وقيل انه انا الله العزيز الحكيم
ويحتمل ان الدعا كرمك بهذا انا الله العزيز الحكيم وما قال مقاتل ومن تبعه من اهل التاويل يا موسى انه انا الله الذي
النور الذي رايت انا الله فاسد لا وجه احدها انه محال في الكلام ان يقول الرجل لغيره انا الرجل الذي
رايت انا ولكن ينبغي ان يقول انا الذي رايت فاذا الرجل الذي رايت انا فعلى ذلك هذا والثاني ذكر عن
ابن مسعود رضي الله عنه نودي يا موسى لا تخف انه انا الله العزيز الحكيم يخاطبه ويكلمه يقول يا موسى
لا تخف ثم يقول انا النور الذي رايت نارا وما سمع هو الكلام من النور انما سمع الكلام من الشجرة ذلك فيه
خلاف الظاهر القرآن والثالث انه قال اني آنست نارا لعلي آتيكم منها وقال فلما اتاها نودي ولم يقل فلما
اتاه ولو كان نورا لنور الذي اتاه وغير عنها الكان لا يعتبر بلفظ التانيث والرابع ان قوله انه لو كان كناية
عن النور الذي ابصر بالنار التي ذكرها لكان يلغي قوله انه لان يقال انا النور الذي رايت انا ولا يجوز ان
ينعت بقوله الله لان قوله انا وانت اعرف المعارف فلا يجوز ان ينعت لغيره فانه لا يقال انا الذي رايت انا
بلا فائدة تذكر شي آخر فدل ان ما قاله فاسد مما تقدم من الدلائل العقلية والسمعية على ابطال التشبيه
فيكون تلك دلالة على بطلان هذا التاويل فانه الهادي الى الرشاد وقد مر تفسير العزيز الحكيم غير مرة فلا
نعيده قوله والق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان • ذكر اهل التاويل ان الجان هي الحية الصغيرة ثم ذكر الله ان موسى
عليه السلام خافها وولى مدبرا ولا يحتمل ان يخاف من حية صغيرة على الوصف الذي ذكر فكانها كانت
عظيمة لكنها في تحركها والتوائها كانها صغيرة اذ الحية الكبيرة والعظيمة لا تقدر على التحرك والالتواء
كالصغيرة لذلك خافها موسى عليه السلام حتى نهاه الله عن ذلك وقال لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
ثم قال بعضهم الجان من الحيات وقال ابو عوسجة الجان الحية التي تكون من الحيات قوله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب •
قال بعضهم ولم يعقب اي لم يرجع وقال بعضهم لم يلتفت وهو ماخوذ من العقب قوله تعالى يا موسى لا تخف
اني لا يخاف لدي المرسلون • وموسى عليه السلام كان من المرسلين فكيف نهاه عن ذلك وقد ان الله تعالى
مدح الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف عن ربهم حيث قال يخافون ربهم من فوقهم الاية وقال في آية اخرى
يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال واذكر ربك تضرعا وخيفة ومثل ذلك في آيات مما فيه مدحهم بالخوف
من ربهم قيل في هذا من وجوه احدها ان الله عز وجل قد امن موسى حيث قال لا تخف انك من الآمنين فكانه
قال ههنا لا تخف بعدما امنتك اني لا يخاف لدي المرسلون اذا امن غيره فكانه والله اعلم على هذا التاويل
انما نهاه عن الخوف من غيره واخبر انه لا يخاف لديه المرسلون من غيره والله اعلم والثالث هذا وان كان نهيا
عن الخوف من حيث الصيغة فهو اخبار له عن الامن من خوف الاخرة واهوالها كانه قال لا تخف فاني امان
من المرسلين من خوف يومئذ والله اعلم ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء او الاخبار
والثاني لا يخاف لدي المرسلون ولكن من ظلم من سواهم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم له
رجاء المغفرة وطمع العفو فيما كان منه ويحتمل لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم منهم نحو موسى
عليه السلام بقتله النفس ثم بدل حسنا وتاب عن ذلك فانه يخاف ايضا والله اعلم قوله تعالى وادخل
يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء • والاشكال ان الله تعالى قادر على ان يجعل يده بيضاء من غير
ادخاله اياها في جيبه لكن يعقل ذلك وانما امتحن موسى عليه السلام بالامر بادخالها في جيبه وكذلك
قادر ان يصير عصاه في يده ثعبانا او حية لكنه امتحنه بالامر بالقائها والله تعالى ان يمتحن عباده بكل انواع
المحن وقوله من غير سوء قيل من غير آفة من برص او غيره وقد ذكرنا فيما تقدم قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون

قال بعضهم الى بمعنى مع أي في تسع آيات أي من تسع آيات ومن جملتها الا انها وراء التسع وقد يجوز استعمال حرف في
مكان من كما يقال لفلان كذا كذا من الابل فهل فيها فحلان أي منها فحلان وقال بعضهم في تسع آيات أي مع تسع آيات
وقال أبو معاذ وقد يكون في بمعنى مع واحدا فيما لا يحصى عدده يقول خرجت في أهله وولده وحشمه أي مع أهله وولده
فإذا خرجت في تسع ومع تسع اختلفا لانك اذا حصنت العدة في تسعة أنت تاسعهم ومع تسعة أنت
عاشرهم وقال بعضهم هو الانقطاع من الأول وفيه تقديم الكلام بقوله تخرج بيضاء من غير سوء ثم ابتدأ الكلام
فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولقد بعثنا موسى في تسع آيات الى فرعون وقومه وقوله الى فرعون وقومه
دليل على ان موسى عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون وقومه جميعا اذ ذكر في آية فرعون خاصة وفي آية الى فرعون
وملائه وذكر ههنا الى فرعون وقومه فكان مبعوثا الى الكل والله أعلم وقوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
أي يبصر بها ويعلم كقوله وجعل النهار مبصرا أي يبصر فيه وقرأ بعضهم مبصرة بنصب الصاد أي بينة
ظاهرة يبصر فيها وكذلك قال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر وقوله عز وجل قالوا هذا سحر مبين لم تزل العادة فرعون اللعين يلبس امر موسى عليه السلام وآياته على قومه
لئلا يؤمنوا به ولا يطيعوه فيما يدعوهم اليه مرة قالوا هذا سحر مبين وساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره وما اشبه ذلك مما يلبس على قومه امرهم ويغريهم عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم اليه وقوله تعالى
وجحدوا بها أي جحدوا بالآيات وجاز في اللغة ان يقال جحد بها وجحدها كلاهما وقد قال بعضهم ان
الجحود لا يكون الا بعد العلم والايقان الا ترى انه قال واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا كبيرا ولكن هذا
ليس بصحيح فانه يجوز ان يقال الجحد للشيء قبل ان يعلم به ويعرفه كما يقال الكفر بعد العلم والمعرفة لان الجحود ليس
الا الانكار وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتا وقال بعضهم هو على التقديم والتأخير
كانه قال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة جحدوا بها ظلما وعلوا واستيقنتها انفسهم انها من الله تعالى وانها آيات
ليست بسحر ولو كان سحرا في الحقيقة لكانت آية لان السحر منه على غير تعلم ومن غير الآية فاشبه ان يكون آية
سماوية وقوله ظلما لانهم جحدوا الآيات وسموها سحرا فوضعوا الآيات موضع السحر فلما وضعوها في غير موضعها
والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقوله وعلوا أي تكبرا وعنادا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ليس على
الامر لهم بالنظر في ذلك ولكن على تنبيه اولئك والزجر لهم عما هم فيه أي انظروا ما نزل بهم بجحودهم الآيات وعنادهم
فيها ما نزل تأويلهم والله أعلم وقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المؤمنين قيل آتيناهما علما بالقضاء والحكم والعلم لكن عندنا انا نعتقد انه آتاهما العلم ولا نفسر ذلك العلم
انه فلم صار على المخالفة الكذب على الله تعالى فانه في الآية بيانا بان الله تعالى آتاهما العلم ولم يبين ما ذلك العلم
فيكون الكف عن ماهية ذلك اسلم والله أعلم ثم في الآية وجهان من الاستدلال احدهما في خلق افعال العباد
والثاني في ترك الاصلح اما الاستدلال على خلق الافعال فان الله تعالى قال ولقد آتينا داود وسليمان علما
وقال على اثره وعلمنا منطق الطير وقال لنبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقال
الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ونحوه من الآيات فيما فيها اضافة التعليم والعلم الى نفسه
ولو لم يكن له في ذلك صنع لم يكن لاضافة ذلك اليه معنى فدل انه خلق افعالهم فان قيل انما اضاف ذلك
الى نفسه لانه هو الذي اعطاهم اسباب تحصيل ذلك العلم والاضافة الى السبب شائع في اللغة قيل لا يجوز
ذلك لانه قد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع اسباب الشعر ولو كان اضافة التعليم اليه لاعطاء
الاسباب لكان لا يصح نفي تعليم الشعر في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد اعطاه جميع الاسباب
كما اعطى غيره ولم يكن غيره من الشعراء احق باسباب الشعر منه ولا لهم زيادة اختصاص فدل ان نفي تعليم الشعر
منه بطريق انه لم يخلق منه ذلك الفعل وخلقه في غيره والله أعلم واما في ترك الاصلح فهو ما ذكر في قوله
ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء انما ذكر هذا على
الامتنان على الافضال وكذلك حكى عنهما انهما اعتقدا ذلك منه افضالا حيث قالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين فلو كان لا يجوز له ان لا يعطيه ذلك لكان يجب عليه من حيث الحكمة ذلك وليس
له تركه لما فعل لهم من الافضال حتى يصير بالترك جائرا لم يكن لذكر ذلك على الافضال والامتنان معنى
ولا كان داود وسليمان عليهما السلام يحمدان الله تعالى على ما اعطاهما ولكان هو يستوجب الحمد لانه
فعل ما على الفاعل ان يفعله لا يوجب الشكر فدل انه انما اعطى ذلك لهم وفعل لهم ذلك على جهة الافضال
والامتنان وكان له تركه لما فعل وان كان ذلك لهم اصلح في الدين فهذا وجه انتقاض على المعتزلة
مذهبهم في انكارهم خلق الافعال وجواز ترك الاصلح في الدين والله الموفق وقوله تعالى وورث سليمان داود

قال أهل التأويل ورث النبوة والحكم والوارث هو الباقي بعد هلاك الآخر وفنائه كقوله انا نحن نرث
الارض ومن عليها أي نبقى بعد هلاك اهلها وفنائهم وقوله انا نحن الوارثون أي نبقى بعد فنائهم
الا انه ورث ... لم يكن له من قبل وكذلك قوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم أي ابقاكم في
ارضهم وديارهم وقوله وتلك الجنة التي اورثتموها أي تبقيتم فيها وامثال ذلك كله راجع الى البقاء فعلى
ذلك قوله عز وجل وورث سليمان داود أي بقي في ملكه ونبوته وعلى ذلك ما سأل زكريا ربه عز وجل
الولد بحيث قال فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب لا يحتمل ان سأل ربه ولدا يرثه
الله من بعد وفاته ولكن انه سأل ربه الولد ليبقى في نبوته وقد سأل ربه بعد وفاته لتبقى النبوة في نسله
والله أعلم وقوله تعالى يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء لا يحتمل ان يذكر هذا صلوات
الله عليه على الافتخار والتباهي ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي اعطاها اياه ومن عليه وذلك منه شكر
لما انعم عليه بالاظهار لذلك والتحدث عنه كقوله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث الا ترى انه قال ان
هذا لهو الفضل المبين ثم قوله واوتينا من كل شيء لا يحتمل كل شيء لانهم لو اوتوا كل شيء حتى لم يبق شيء انما اوتوا
بعض الاشياء ولكن المراد والله اعلم كانه قال واوتينا من كل شيء سألناه او يحتمل المراد واوتينا
من كل شيء يحتاج في الانبياء والملوك مما يحتاج اليه في باب الملك والنبوة والله أعلم وقوله تعالى وحشر
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال بعضهم فهم يوزعون أي يحبس اولهم على اخرهم
كانه قال لا تدعهم ان يتفرقوا ولكن سيرهم مجموعين على كل صنف منهم وتدعه يرد اولهم على آخرهم
وذلك سيرة الملوك وامراء العساكر ان يسيروا جنودهم مجموعة غير منتشرة ولا متفرقة وقال ابو عوسجة
فهم يوزعون أي يساقون والوزع من الكف والسوق يقال وزع أي كف وتدعه أي ساق وقد يقال اوزعني
أي الهمني كانه من السوق وقال ابو معاذ يوزعون أي يجمعون يقال وزعت الابل اجمعتها اوزع
وزعا وقال القتبي يوزعون أي يدفعون وأصل الوزع الكف والمنع يقال وزعت الرجل اذا كففته والوازع
الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق والانتشار ... وقال القتبي واصل الايزاع الاغراء بالشيء يقال
اوزعه بكذا أي اغريته به وهو موزع بكذا أي مغرى به وقوله تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل هذا يدل على ان النمل كان
لا يخالط الناس حيث اضاف الوادي اليها ولو كانت تخالط الناس لقال حتى اذا اتوا على وادي النمل اذ ليس
بعض الامكنة باولى من البعض في الاضافة لوجود النمل في كل مكان دل انها كانت لا تخالط الناس
وكان لهن مكان على حدة والله أعلم وقوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون يخرج قول نملة على وجهين احدهما على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر اطلع
الله تعالى سليمان على ذلك والقاه في مسامعه لطفا منه وفضلا من بين سائر الخلائق على ما ذكر في قوله
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الآية والثاني ان يجعل الله تعالى في سرية النمل معنى
بينهم بعضا من بعض ... اشارات مخصوصة لطفا منه وفضلا وهو كقوله انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ليس ان قالوا ذلك ولكن لما علم الله تعالى ذلك من
ضمائرهم ومرادهم على غير حقيقة فيما بينهم من غير ان كان منها نطق او كلام يفهم به الخلق والله اعلم وقال
... من الذكر المعروف وقولها وكذلك قال في الهدهد انه لم يرد به الهدهد المعروف ولا يجوز ان يكون
الهدهد من العلم اكثر مما يكون لسليمان عليه السلام ولغيره ولكن اراد به الرجل الذي يدعو الناس الى الهدى
ويدلهم على طريق الرشد وما قالوا فاسد لانه انما ذكر هذا على سبيل التعجب ولو كان ذلك انسانا ...
وكلام لم يكن لذكر ذلك معنى في موضع التعجب اذ لا تعجب منه دل ان ما قالوا ثم قوله لا يحطمنكم أي لا يكسرنكم
والحطم هو الكسر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لا يحطمكم على طرح النون وقوله وهم لا يشعرون قال
بعضهم هذا اخبار من النملة على سبيل الثناء على سليمان عليه السلام وعلى جنده بعدله وسلطانه اي انه لا يتعمد
ان يحطمكم ولم يهلككم وقال بعضهم وهم لا يشعرون أي لا يشعرون حيث سمع سليمان كلام النملة انما يشعر ذلك سليمان
خاصة والله أعلم وفي الآية دليل ان النملة كانت رئيس سائر النمل وسيدها حيث قالت ذلك من بين
غيرها من النمل وان على كل رئيس القوم ان يحفظ رعيته ويحرسها عن المهالك ويحملهم على ... والله اعلم
وفي الآية ابطال قول من يقول من اهل الجهل ان النمل كانت ... مثل الذباب والبعوض عظاما لانها لو كانت كما
ذكر لم يكن لقوله وهم لا يشعرون معنى لانها لو كانت كالذباب لشعروا بها فدل انها كانت على ما هي اليوم والله أعلم
وقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها قال بعضهم تبسم ضاحكا اي سبح الله تعالى بما رأى من قول النملة وحمد
... تبسم الانبياء عليهم السلام تسبيح ويحتمل ان يكون المراد من التبسم ههنا السرور اذ التبسم مما يكون

السرور يدخل في الانسان فيتبسم ان لم فيكون معنى قوله فتبسم ضاحكا من قولها اي سر بما اعطاه الله عز وجل من
النعمة والملك الا ترى انه سال ربه الالهام لشكر نعمه اياه حيث قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي
انعمت علي وعلى والدي سال ربه تعالى الالهام واللطف والتوفيق للعبد على شكر نعمه وبهذا ابطل
قول بعض الناس ان المراد من الايزاع هو الاعلام لان سليمان عليه السلام كان يعلم ان عليه شكر نعمه ولا يخفى سؤال الالهام
بقوله رب اوزعني او علمني وكذلك كل احد يعلم ان عليه شكر نعم المنعم فدل سؤال الالهام على الشكر على ان المراد
من سؤال الالهام هو اللطف الذي عنده وجوده يعصم المرء على الشكر له تعالى وهو التوفيق لا الانذار على ذلك
لا الاعلام الذي قاله والله اعلم وقوله تعالى وعلى والدي فيه انه على المرء شكر المنعم الذي انعم على والديه كما عليه
شكر المنعم الذي انعم عليه وقوله تعالى وان اعمل صالحا ترضاه سال ربه ان يوفقه على العمل الذي ترضاه منه
وقوله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين جائز ان يكون سؤاله هذا بادخاله فيما ذكر كسؤال
يوسف عليه السلام حيث قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فعلى ذلك سؤال سليمان صلوات الله عليه يشبه ان يخرج
على ذلك والله اعلم ثم في الاية دلالة ان النجاة ودخول الجنة انما يكون برحمة الله تعالى لا بالعمل حيث قال
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين بعدما سال ربه التوفيق للعمل الصالح المرضي منه والله اعلم
وقوله تعالى وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
يدعون كيف تفقد سليمان الهدهد اي لماذا تفقده قال اذا كان في فلاة من الارض دعا الهدهد فسأله عن
بعد الماء في الارض وعمقه وهو يعلمه من بين غيره من الطيور لذلك تفقده وسال عنه حين تفقد كذا انه سال
عبد الله بن سلام عن ذلك واخبر بذلك لكن هذا بعيد لان سليمان عليه السلام كانت الريح مسخرة له وكان
تحمله وجنوده كل غداة مسيرة شهر وكل عشي كذلك فلا يحتمل انه اذا وقعت له الحاجة الى الماء ان لا يرجع
الى الماء حتى يحتاج الى ان يحفر له البئر فيستخرج منها الماء والا ان الشياطين والجن كانوا مسخرين له حتى
قال الواحد منهم انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وكذلك من في جنوده واتباعه
من قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فمن له سلطان وقوة واتباع على الوجه الذي ذكرنا لا يحتمل
ان يقع له الحاجة الى الماء فاذا وقعت الحاجة يحتاج ان يتكلف الوصول اليه بالهدهد مع تكلف الحفر
في الارض هذا بعيد جدا والله اعلم ثم يحتمل تفقده الطير لما هو مامور بحفظ الرعية وتعاهد الجنود ومنعهم
عن الانتشار والتفرق في الارض وكذلك كل من استحفظ رعية من حاشيته والتفقد عن احوالهم واسبابهم
فكان التفقد للهدهد يخرج على هذا الطريق لانه من الجنود وكان يحفظه ايام حتى سال عنه من الجند
من الطيور ليتالف قلوبهم ومعرفة [illegible] فالله اعلم وقال بعض اهل التاويل في قوله وتفقد الطير
انما طلبه لان الطير كان يظل على راسه من الشمس فلما نظر الى الطير ورأى موضع الهدهد خاليا يقع عليه الشمس
فقال عند ذلك ما لي لا ارى الهدهد وقال ايضا في قوله لاعذبنه عذابا شديدا اي لانتفن ريشه حتى
حتى يصيبه الشمس وذلك هو العذاب الشديد لكن عندنا لا نفسر ما ذلك العذاب الشديد الذي اوعد
سليمان مخافة الكذب ولا نقطع على ما قال في القصة لشيء لم يكن في الكتاب في ذلك بيان ولا فيما
بطريق التواتر والله اعلم فان قال قائل قال ما لي لا ارى الهدهد عرفه بالالف واللام ولم يرد به الجنس فكان المراد
فما الهدهد الذي تفقده قيل يحتمل ان يكون من كل صنف واحدا لا بعد ذلك قال ما لي لا ارى الهدهد
اذ لو كان عدد من الهداهد لقال ما لي لا ارى هدهدا من الهداهد ويحتمل ان يكون في الهداهد كبير الذي
الذي فقده وغاب كان رئيسا المعروف من الهداهد وسيدهم فلذلك ذكره معرفا والله اعلم ثم قال ما لي لا ارى
الهدهد من بين غيرهم يغيب عن بصري ولا اراه كان من الغائبين منهم فكانه سال واحدا منهم عن ذلك
فاخبر انه كان من الغائبين فعند ذلك قال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين
قال اهل الباطن ان سليمان لا يحتمل ان يعذب من ليس بمخاطب في شيء لم يجر عليه القلم ولا وعيد اياه من التعذيب
والذبح انه لم يكن الهدهد المعروف عرفا بالاية ولكن كان رجلا ممن كان يخاطب ويجري عليه القلم كما قالوا
في النملة انها الرجل الذي يجري عليه القلم دون النملة المعروفة لكن الجواب لهم في ذلك ان الله تعالى
خلق هذه الدواب والطير وغيرها من الاشياء لمنافع البشر وحاجاتهم فجاز ان يعذبها ويذبحها [illegible]
اذا امتنعت عن الانتفاع بها كما تؤدب الدواب وتعذب بالرياضة والتعليم لردها الى الانتفاع بها ويحتمل
ان يعذبه بالعذاب لما شغله عن ذكر الله تعالى والقيام ببعض امره على ما ذكر في اية اخرى حيث قال اذ عرض عليه
بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا
بالسوق والاعناق اي يضرب اعناقها لما شغلته عن ذكر ربه عز وجل فعلى ذلك جائز ان يكون تعذيب الهدهد

هدهد والله اعلم ومن الناس من استدل بهذه الاية على مخاطبة الطيور [illegible]
[illegible] حيث قال لاعذبنه [illegible]
[illegible]
[illegible] فمكث غير بعيد [illegible]
[illegible] فقال احطت بما لم تحط به [illegible]
[illegible] وجئتك من سبإ بنبإ يقين [illegible]
[illegible] اني وجدت امراة تملكهم [illegible]
[illegible] ولها عرش عظيم [illegible]
[illegible] وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله [illegible]
انا الطيور وغيرها من البهائم يعرفون الله تعالى ويوحدونه وهو كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ثم قوله
يسجدون للشمس من دون الله قيل اي يعبدون الشمس من دون الله ويحتمل يطيعون الشمس ويخضعون
لها من دون الله وقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم اي زين لهم الشيطان اعمالهم السيئة الخبيثة
حتى رأوها حسنة وقوله تعالى فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الله لان السبيل المطلق هو سبيل
الاسلام والكتاب المطلق كتاب الله عز وجل وقوله تعالى فهم لا يهتدون فان كان هذا القول من الهدهد
فاوله صدهم عن السبيل فهم غير مهتدين وان كان من الله تعالى فهو اخبار بانهم لا يسمعون بما هم
انهم لا يهتدون والله اعلم وقوله تعالى الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والارض اختلف
في قوله الا يسجدوا بالتخفيف والتشديد فمن قراه بالتشديد الا فهو يخرج على وجهين احدهما على طرح الا كانه
يقول فهم لا يهتدون ان يسجدوا اي فهم لا يهتدون ان يسجدوا والثاني يكون صلة فهو قريب [illegible]
لهم فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا والله اعلم ومن قراه بالتخفيف الا يسجدوا فيخرج على الامر كانه

اختلف في تقديره فقال بعضهم تقديره الا يسجدوا وحرف الا صلة وكذلك حرف في صلة ايضا تقديره ان يسجدوا
وقال بعضهم الا الا يسجدوا على حقيقة الا انه وقف عليه ثم ابتدأ بامر اسجدوا فيكون قوله اسجدوا على
الامر الا ان الف الوصل يذهب في الوصل للحذف اسجدوا ويذهب الالف الثاني ايضا في الا لاجتماع الساكنين
ايضا ولا يجيء من الساكنين فصارت الا يسجدوا في الكتابة الا اسكن الياء بالتحدي في الكلمة ولذلك يبقى الحرف
لفظ فقال بعضهم تقديره هلا يسجدوا وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه هلا تسجدوا
لله وفي حرف ابي رضي الله عنه الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء ... قال بعض اهل التاويل من قرأ
بالتخفيف فلزمه سجدة التلاوة لانه امر والامر يقتضي الوجوب ومن قرأ بالتشديد لا يلزمه لانه خبر عن
السجدة والتلاوة من جهة الاخبار لا يتحمل ان يلزم السجود ... ولا يلزم ...
لا يسجدون وتعيرهم على ترك لزوم السجود ... انهم لا يسجدون ...
الطاعة ... فكذلك ما ...
الذي يخرج الخبء في السموات والارض ...
وفي الارض النبات ...
الا ترى انه قال ويعلم ما تخفون وما تعلنون ...
يسجدون لله ... ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ ...
هذا وانه اعلم ... ﴿قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين﴾ ...
سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين او تنظر اصدقت ...
من الكاذبين ...
الكذب ...
والكذب ... ﴿اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم﴾ قال ...
هذا يحتمل ان يكون سليمن ...
الهدهد ...
الكتاب اليهما ...
الخبر ...
اليهم ﴿ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ يحتمل ...
تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ...
كانه قال ... الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون ... والله اعلم ...
﴿قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم﴾ ...
في الاستحسان ...
والفعل اللطيف ...
انه قال من كرم الكتاب ختمه ...
الكتاب من انسان ...
يا ايها الملا ...
الى اني ...
كانهم ...
انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ... ﴿الا تعلوا علي واتوني مسلمين﴾
مسلمين ...
لاحد ...
باسم الله الرحمن الرحيم ...
انهم ...
بعض ...
مسلمين ... ﴿قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون﴾ ...
انهم اذا ارادوا امرا استقبلهم يستشيرون اولي الراي من قومهم واهل الحجى وعقلاء التدبير منهم ثم

يعملون بتدبيرهم ...
... ما كنت قاطعة امرا ...
...
﴿قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين﴾ ...
...
﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون﴾ ...
﴿واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ ...
...
﴿فلما جاء سليمن قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون﴾ ...
...
﴿ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون﴾ ...
...
﴿قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين﴾ ...
...

وهو اذن يرى ذلك العرش المعروف عنده وليعلم انه نبي ابن نبي عليه السلام والله اعلم وقال بعضهم قيل ان الذي اوتي سليمان
اي مثله الجني وغير ذلك مما انزل في القصة وقوله تعالى قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه
لقوي امين قال ابو عوسجة الخبيث المارد وعفاريت جمع قال القتبي عفريت اي شديد وثيق
العفرية النفرية [illegible] فيقال عفريت نفريت وعفرية نفرية وعفارية وقوله عز وجل قبل ان تقوم من مقامك
قيل ان تقوم من مقامك قيل مقامه مجلسه الذي يقضي فيه الى ان يفرغ من قضائه حتى يقوم به ومقام الرجل
الذي يكون فيه حتى يقوم ولكن لا ندري ما اراد بمقامه الذي ذكر والله اعلم وقوله واني عليه لقوي امين قيل لان
الجن اقوى من الانس وامين لان الجن لا يرغبون في الاموال كما يرغب الانس وقال بعضهم امين على فرج تلك
المرأة والله اعلم وقوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قيل لما قال
عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك اراد سليمان عليه السلام ان يكون اعجل من ذلك فقال الذي عنده
علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وهو قيل رجل كان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي
به اجاب ثم اختلف في ارتداد الطرف قال بعضهم هو ان يبعث رسولا الى منتهى طرفه فلا يرجع ذلك الرسول
عن ذلك الموضع حتى يؤتى بالعرش اليه وقال بعضهم هو ان ينظر الرجل الى الشيء البعيد قبل ان يرجع اليه طرفه
وقوله تعالى فلما راه مستقرا عنده قال بعضهم دخل في نفق من الارض وهو السرب فخرج بين يدي سليمان عليه السلام
يعني العرش كانه والله اعلم اتاه اذ دعاه بذلك الاسم الاعظم من غير ان يتكلف هو حمله او اتيانه وهذه الاية
ان الايات قد تجري على غير ايدي الرسل عليهم السلام لكن يكون ذلك اية ومعجزة لذلك الرسول الذي يقرب فكذا
تجري على ايدي غيرهم وقوله تعالى هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر قال سليمان عليه السلام لما راى العرش حاضرا
بين يديه قال هذا من فضل ربي قال بعضهم والله ما جعله فخرا ولا اشرا ولا بطرا ولكن جعله شكرا وتواضعا
وقال بعضهم لما دعا ذلك الرجل بذلك الاسم فراه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان عليه السلام تمني ان يكون
رجل عنده من العلم ما لم يكن عنده نعمة الله تعالى له على الجن بما وقع في قلبه ان هذا الرجل من حوله انه
اي جعله من حوله وخدمه فقال سليمان هذا من فضل ربي يقول حيث اعطى ذلك الرجل ما لم يعطني ليبلوني
أأشكر اذ كان مثله تحت يدي ام اكفر لكن هذا لا يحتمل ان يشكر الله تعالى سليمان على ما اعطى غيره لكن يحتمل
وجوها احدها ان يشكر على ما جعل مثل هذا الرجل الذي له مثل هذه الكرامة تحت يده ومن جملة خوله
ويحتمل قوله هذا من فضل ربي ليبلوني اولئك مسلمين ويحتمل النبوة والعلم الذي اتاه الله تعالى ويحتمل
هذا من فضل ربي اي تسخير ما سخر له من الجن والانس وجميع الخلق [illegible] وقوله ليبلوني ااشكر
ليمتحني اشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ليعلم انه انما امتحن بالشكر وبامره لا لمنفعة نفسه ولكن
لمنفعة الممتحن المامور وقوله تعالى فان ربي غني كريم اي غني عن شكر كريم يقبل القليل منه واليسير والله اعلم
وقوله تعالى قال نكروا لها عرشها قال اهل التأويل اي غيروا لها عرشها كانه امر عليه السلام ان يغير ويغير
ما عليه من الزيادة والنقصان ليمتحنها اتعرف عرشها ام لا والمنكر هو الذي لا يعرف كقوله قوم منكرون
وقوله فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة اي لم يعرفهم ثم قوله نكروا لها عرشها
قال بعضهم يجيء ان يقال نكروا لعرشها وهذا يشبه ان يكون والله اعلم وقوله تعالى ننظر اتهتدي ام تكون
من الذين لا يهتدون قال اهل التأويل ننظر اتهتدي انه عرشها او لا تهتدي ويحتمل ان يكون قوله
اتهتدي اي دين هدى الله تعالى منه الضلالة [illegible] لتكون [illegible] والله اعلم
وقوله تعالى فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو قال بعضهم هي عرفت عرشها لكن شبهت هي
عليهم وليستا [illegible] كما فعلوا هم فيها من تغيير عرشها وتلبيس ذلك لكن عند ما قيل لها كانه هو توقفت فيه فلم
تقطع فيه القول لما رأت فيه من التغيير والتنكير ورأت ايضا فيه شبه سريرها فوقفت اذ هو موضع التوقف
لمكان الاشتباه ودل قوله تعالى فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو على ان العرش المحمول [illegible]
عليه على ما قاله بعض اهل التأويل ان السرير حمل وهي عليه نائمة ولكن حمل العرش دونها من قبل مجيئها ثم
بعد ذلك والله اعلم فانه اشتبه عليها حال عرشها ولو حمل وهي نائمة عليها ثم انتبهت لا اشكل عليها حال
عرشها اذا ادركت نفسها نائمة عليه ولا رعاية لها لعرشها لتغير [illegible] او بعيدا ان تكون عليه ولم تشعر بذلك
والله اعلم وقوله تعالى واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين يحتمل ان يكون هذا القول من سليمان عليه السلام
وان كان فكانه يقول قد اوتينا العلم من قبل علمها بانه عرشها [illegible]
مستخبرين عن ذلك ممتحنين لها ويعني قوله وكنا مسلمين اي صرنا مسلمين جميعا اي صرنا مجتمعين على
والا في الظاهر ليس هذا صلة لما تقدم من قوله قالت كانه هو وان كان موصولا به حقيقة فانه لا يحتمل

ان يكون

ان يكون هذا القول منها فانه لم يكن لها العلم برسالة سليمان [illegible] وما كانوا مسلمين
اذ كانوا يعبدون الشمس والاصنام [illegible] على الاسلام وعبادة الله وقال بعضهم
وصدها [illegible] ما كانت تعبد من دون الله [illegible] انها اسلمت كما اخبر
عنها بقوله [illegible] وقوله تعالى قيل لها
ادخلي الصرح [illegible]

[illegible]

قالت اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين [illegible]

وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله [illegible]

[illegible]

فاذا هم فريقان يختصمون قيل فريقان مؤمن بصالح عليه السلام ومكذب به ولم يبين فيم كانت خصومة
فبين من كانت في هذه الاية لكنه بين في اية اخرى وفسر وهو قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فهذه هي الخصومة التي ذكر الله تعالى في قوله فاذا هم فريقان
يختصمون بين الرؤساء من الكفرة وبين المؤمنين بصالح عليه السلام وقوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة اي لم تستعجلون بالعذاب قبل الرحمة واستعجالهم العذاب ما ذكر في اية
اخرى وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فذلك
استعجالهم السيئة قبل الحسنة والله اعلم وقوله تعالى لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون اي
هلا توحدون الله ولا تشركوا في العبادة وتسميته الالوهية لكي يرحمكم وفيه اطماع لهم انهم لو
تابوا من الشرك لرحمهم وهو كقوله عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم وقوله تعالى قالوا
اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا بك وبمن معك ولم تزل الكفرة يقولون يقولون لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ولمن امن به منهم اطيرنا بك اذا اصابتهم الشدة والبلاء يتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون
انما اصابنا هذا بشؤمهم فاذا اصابتهم رخاء وسعة يقولون هذا لنا منا وبانفسنا وهو كما اخبر الله تعالى
عن قول قوم موسى لموسى ومن معه من المؤمنين بقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه وكذلك اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخبر تعالى بقوله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك كانوا يتطيرون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشاءمون بما يصيبهم
من الشدة وما ينزل بهم من البلاء فلقن الله تعالى رسوله عليه السلام وامره ان يقول لهم قل كل من عند الله
اي الرخاء والشدة من عند الله ليس لي هو باعث ذلك لا انا فكذلك ذلك وقوله تعالى قالوا طائركم عند الله بل
انتم قوم تفتنون • امر صالحا بان يقول لهم طائركم عند الله اي ما ينزل بكم من العذاب في الآخرة اعمالكم
بتكذيبكم اياي في الدنيا ويحتمل ان يقال الطائر عند الله اي حركاتكم عند الله هو يجزيكم بها في
الدنيا او الآخرة وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون يحتمل قوله بل انتم قوم تفتنون ابتداء مرة بالشدة ومرة بالرخاء
لا بما يكسبونه من الاعمال ويحتمل ان يكون قوله تفتنون بالعذاب بما تكسبون من الاعمال في الدنيا تعذبون
بها والله اعلم قال ابو عوسجة طائركم عند الله معناه الله علم بطائركم وما تطيرتم به وقال القتبي طائركم
عند الله اي ليس ذلك مني وانما هو من الله تعالى وهو ما ذكرنا وقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون
في الارض ولا يصلحون • قال بعضهم الرهط من ثلثة الى تسعة واذا نقص عن ذلك يعد او قد يقال له رجال
وقال ابو عوسجة الرهط النفر والارهط والرهوط جماعة ثم الرهط يحتمل وجهين احدهما تسعة رهط
اي تسعة نفر من الاتباع والرؤساء يفسدون في الارض ولا يصلحون والثاني تسعة رهط اي تسعة
نفر من الرؤساء ولكل واحد منهم رهط من الاتباع يفسدون في الارض ولا يصلحون ثم هذا جائز
ان يكون اخبارا عن الله تعالى انهم يفسدون في الارض ولا يؤمنون ابدا وجائز ان يكون اخبارا
عن حالهم اي يعملون بالفساد والمعاصي ولا يصلحون اي لا يسعون بالصلاح وقوله تعالى قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه • الاية قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان هؤلاء التسعة كانوا من ابناء
اشرافهم وكانوا يتحيون وكانوا فسقا فقال بعضهم لبعض لنقتلن صالحا واهله ثم لنقولن لوليه
لقومه من عشيرته ما قتلناه وهو قوله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله فحلفوا
على ذلك فاتوا صالحا ليلا ليدخلوا عليه باسيافهم ليقتلوه واهله فوجدوا عند صالح ملائكة عليهم السلام
حافظين له تعالى يحرسونه فقتلوا الرهط فخدوا صالحا بالحجارة فذلك قوله عز وجل ومكروا مكرا
واهله ومكرنا مكرا له اهلكناهم وهم لا يشعرون اي انهم يهلكون وقال بعضهم هؤلاء التسعة الرهط
توافقوا انهم يبيتون صالحا ويقتلونه واهله بعد ما عقروا الناقة وقالوا فيما بينهم فان خصمنا في
ذلك لنقولن وليقاسمن ما شهدنا مهلك اهله اي حضرنا هلاكهم على هذا التاويل نحو التقديم والتاخير
وقال بعضهم هؤلاء التسعة كانوا اشرار قوم خرجوا الى بعض الغيران ليتربصوا ثم ليسعوا على صالح عليه السلام
واهله فتربصوا هنالك فاهدت بهم الصخرة فهلكوا فيه فذلك قوله ومكروا بقتل صالح وهلاكه مكرا ومكرنا
جزا فلما هم مكرا وهم لا يشعرون والمكر هو الاخذ بغتة وقيل مكرهم اي جزاءهم جزاء مكرهم
وهم لا يشعرون وقوله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه اختلف في قراءته فقرا بعضهم فيهما جميعا بالنون وهم
قرا بعضهم فيهما جميعا بالنون وهو قول بعضهم لبعض اي يفعل هكذا وقرا بعضهم بالياء فيهما جميعا
وذلك قول الرؤساء للاتباع ومن قرا بالياء فجعله خبرا عن الله تعالى عنهم والله اعلم وقوله فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين • هذا ظاهر وقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي خالية
بما ظلموا انهم لم يسكن فيها احد ولكن تركها خالية وقال بعضهم خاوية اي خربة بما ظلموا كقوله عز وجل
وهي خاوية على عروشها اي ساقطة خربة وقد كان ذلك كله منها ما جعل لغيرهم مسكنا اذا اهلكهم من نحو
ما اورث بني اسرائيل ديار القبط واموالهم وانزلهم فيها ومنها ما تركها كذلك خالية بعد ما اهلك منها
ما اهلك اهلها وخربها وكلها كذلك والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لاية اي في هلاك من ذكر لاية وعبرة لقوم
تعتبرون وقوله تعالى وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون • مخالفة الله ومخالفة امره ونهيه والله اعلم وقوله
ولوطا اذ قال لقومه • كانه قال ارسلنا لوطا الى قومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اي
تعلمون انها فاحشة اسئلكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اي اشتهاؤكم من دون النساء يقول لا تاتون الذكر
من النساء وهو ما قال في اية اخرى اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم وقوله
بل انتم قوم تجهلون • اي تجهلون قال بعضهم بل انتم قوم تجهلون اي تجهلون الامر فتعصون ويحتمل

هذا جواب قوله لهم ... بل انتم قوم تجهلون ... فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون ... لان في الاوقات كلها ...
... فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين • في الاية دلالة ان
يجوز ان يسمى اهلا ... قدرناها من الغابرين ...
... وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين • قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى ... والسلام على عباده الذين اصطفى ...
رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الثناء عليه بالنعم ... والرسالة والهداية ... وسلام
على عباده الذين اصطفى يحتمل هذا السلام على الرسل عليهم السلام كقوله وسلام على المرسلين الاية ويحتمل ان
بالسلام اصحابه وجميع المؤمنين وهو كقوله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم امر رسوله
السلام بالسلام على المرسلين وعلى اصحابه وعلى المؤمنين ثم في قوله الذين اصطفى دلالة ان احدا لا يستوجب الصفوة
لا باستيهم حيث قال اصطفى وقوله تعالى الله خير اما يشركون • اي الذي فعل هذا بالامر بين من هلاك الاعداء
وابقاء الرسل والاولياء خير ام الاصنام التي يشركون في عبادته فهي لا تملك شيئا من ذلك فيقول ما الله عز
انكم تعلمون ان الله عز وجل يملك ما ذكر من اهلاك اعدائه وابقاء رسله والاصنام التي تعبدونها
لا تملك شيئا فكيف تشركونها في الوهيته وعبادته والله اعلم والا لم يذكر جواب قوله الله خير ام ما يشركون
وجوابا يقول بل الله خير فكذلك يدعى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرا هذه
الاية يقول بل الله خير وابقى واجل واكرم وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فانبتنا
به حدائق ذات بهجة يذكرهم بهذا شيئين احدهما قدرته وسلطانه في خلق ما ذكر من خلق السموات والارض
وانزال الماء من السماء وانبات النبات من الارض على اثر رمته انا نعمتم هو خالق ذلك كله لا غير فيقول اذا علمتم
ان الله هو خالق ذلك كله لا غير فيقول لما اذ علمتم ان الله هو خلق ذلك كله فكيف اشركتم غيره من لا يملك ذلك
ولا يقدر في العبادة وتسميته الالوهية والله اعلم والثاني يخبر عن اتساق الامر والتدبير فيهما جميعا واتصال
منافع احدهما بالاخر على تباعد ما بينهما ليعلم ان منشئهما ومدبرهما واحد لا عدد فاذا عرفتم ذلك فكيف
اشركتم غيره فيه وهذا الحرف على الثنوية والدهرية لانكارهم الواحد وقولهم بالعدد والاول على العرب بالعبادة
الا انهم اشركوا الاصنام في العبادة وتسميته الالوهية وهو كقوله قل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والله
الموفق ثم قوله حدائق ذات بهجة قال بعضهم الحدائق الحيطان والبساتين دون الحيطان وقال بعضهم الحدائق
الحوائط المحوطة بالاشجار والبساتين هي الملتفة بها وقال ابو عوسجة الحدائق البساتين والرياض وواحدها
حديقة سميت بها لانها احدقت اي حظر وقوله عز وجل ذات بهجة لما يبتهج صاحبها اذا نظر اليها وقيل
وقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها • اي ما تقدرون انتم تنبتون شجرها من دونكم اشد وابعد
فكيف اشركتم من هو دونكم في كل شيء في العبادة وتسميته الالوهية والله اعلم وقوله تعالى االه مع الله اي
لا اله مع الله وقوله تعالى بل هم قوم يعدلون يحتمل هذا وجهين يحتمل يعدلون اي يجعلون من لا يملك ما ذكر عدلا لله
والثاني يعدلون اي يعدلون بالله ويميلون الى غيره عن العدول والله اعلم وقوله تعالى امن جعل الارض قرارا
اي من الذي جعل الارض محلا يقرون عليها ويتعيشون فيها ويثبتون وقوله وجعل خلالها انهارا ينتفعون
بها ويشربون منها وجعل لها رواسي اي الجبال الثوابت تميد بهم وقوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا • قال
بعضهم جعل بين بحرين بحر الفرس وبحر الروم جزيرة العرب حاجزا وسميت جزيرة لما جزر الماء منها اي ذهب وقال
بعضهم بحر الشام وبحر العراق وقال بعضهم جعل بين البحرين حاجزا اي بين العذب والملح حاجزا بلطفه لا يختلط

هذا بيانا لطفا منه يذكرهم نعمه عليهم ولطفه ان كيف اشركتم في عبادته وتسميته الالوهية من لا يملك
ذلك وقصرتم شكرها الى غير المنعم وقوله تعالى أإله مع الله اي لا اله مع الله وقوله بل اكثرهم لا يعلمون يحتمل
قوله بل اكثرهم لا يعلمون لما لا ينتفعون بما يعلمون فكانهم لا يعلمون لان من لا ينتفع بما يعلمون فكانه
لا يعلمون فكانهم لا يعلمون لان من لا ينتفع بما يعلم فكانه يتجاهل لنفي منهم العلم لتركهم الانتفاع به كما نفي
عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم الانتفاع به كما نفي عنهم السمع والبصر واللسان والعقل لتركهم
الانتفاع بها والله اعلم والثاني بل اكثرهم لا يعلمون لما لا يتكلفون النظر في الدلائل حتى يعلموا ويحتمل
بل اكثرهم لا يعلمون ان بين العذاب والمآثم حاجز لما انه خلاف والمشاهدة والله اعلم وقوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض يخرج على الصلة كقوله الله خير اما يشركون
كانه يقول من يملك اجابة المضطر وكشف السوء عنه وجعلكم الخلفاء في الارض من الاملاك من ذلك سببا
غير ذلك انه يقول لعل الذي يملك ذلك خير ممن لا يملك ولا يقدر على ذلك ويحتمل انه على الوجهين الذي ذكرنا
احدهما انكم تعلمون ان الذي يجيب المضطر ويكشف السوء هو الله عز وجل لا الاصنام التي تعبدونها فكيف
اشركتموها في العبادة وتسميته الالوهية والثاني انه اذا اجاب دعوة المضطر وكشف السوء عنه وجعلكم خلفاء
الارض بعد هلاك اوائلكم فيدل ذلك انه واحد لا عدد اذ لو كان بفعل عدد لكان اذا اراد هذا كشف السوء
اراد الاخر ومنع فدل بقاء ذلك كله واتساقه انه واحد لا شريك له فهو على التسوية والاول على التركيب
غيره في العبادة وتسميته الالوهية وهو قوله عز وجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله أإله
مع الله قليلا ما تذكرون ثم قوله خلفاء الارض يخلفون من قبلكم من الامم كما انه قال
ابو معاذ واحد الخلفاء خليفة وواحد الخلائف خليفة والخليف الخالف كالعليم العالم وقوله امن يهديكم
في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون هذا يخرج على
الوجوه التي ذكرنا ثم قوله بشرا بين يدي رحمته اي الرياح تبشر بالامطار ومن قرأ نشرا بالنون فهو من النشر يعني الريح
اي ترفع السحاب وتفرقه وقوله تعالى امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض اي من يقدر
ويملك الانشاء والاعادة والبعث بعد الموت والاحياء ومن يقدر ان يرزق الخلق كله أإله مع الله اي
لا اله مع الله بل هو المتفرد بذلك كله دون من تعبدون وتشركون فكيف اشركتم غيره في عبادته والوهيته
على علم منكم ان الذي تعبدون من دون الله لا يملك شيئا ان يفعل لكم مما ذكر وكان في هذا بيان غاية
سفههم او قلة بصرهم ومعرفتهم والله اعلم ثم قوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اي هاتوا برهانكم
اي حجتكم ان كنتم فيما قلتم اله مع الله غيره تعالى بكم ان كنتم صادقين او قل الحجج فهذا الذي ذكر
اوائل ذلك دلائل على التوحيد او برهانكم ان كنتم صادقين في مقالتكم وقوله تعالى قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله كانه قال والله اعلم لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لا يعلم احد ممن تعبدون من
اهل السموات ومن في الارض الغيب الا الله لان بعضهم كانوا يعبدون اهل السماء وهم الملائكة وبعضهم
كانوا يعبدون من في الارض يقول لا يعلم من تعبدون من دون الله في السموات والارض الغيب الا الله
الغيب هو الله ثم قوله الغيب على وجهين احدهما ما يغيب عن بعض فهو يعلم ذلك والثاني لا يعلم الغيب
الا الله اي ما كان وما يكون الى ابد الابدين لا يعلم ذلك الا الله وان علموا علم ذلك من الله تعالى ويخرج
من صرف الغيب الى البعث والساعة يقول لا يعلم الساعة احد متى تكون الا الله تعالى وقوله تعالى وما يشعرون
ايان يبعثون والاشكال انه اخبر عن اهل مكة انهم لا يشعرون وقت البعث خصهم بهذا لو اهل مكة
وغيرهم من اهل السموات والارض سواء في الجهل بموجب البعث متى يكون وهو ما قال في آية اخرى يسئلونك
عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي اخبر انه لم يطلع احدا على ذلك بل علم ذلك عند الله تعالى لكن
جائز ان يكون هذه الآية في منكري البعث وكان هذا اخبار منه عن انكارهم البعث جعل لهم ذلك
واهل مكة منكرو البعث جاهلون به ولذلك خصهم بقوله وما يشعرون ايان يبعثون ذكر وقت
البعث واراد به اصل البعث والله اعلم وقوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها
بل هم منها عمون اختلف في تلاوته وتأويله اما التلاوة فقرأ بعضهم بل ادارك بالتشديد والالف
وقرأ بعضهم باسقاط التشديد والالف جميعا ادرك من الادراك ثم قرأ بعضهم باثبات الياء في بلى
وعلى الوقف وادرك على الاستفهام ومنهم من قرأ على استفهام ادرك من غير اثبات الياء في بل
وعلى غير الوقف عليها وعلى غير القطع منها بل ادرك علمهم في الآخرة على غير استفهام يقول معناه بل تدارك
علمهم في الآخرة حتى قرأه ادارك علمهم في الآخرة حين عاينوه وهم اليوم في شك منها وهم اليوم منها عمون

قال ابو

[illegible]

لرسوله صلى الله عليه وسلم ولا تكن في ضيق مما يمكرون بما توعدهم في اجر
بكم والله اعلم والثاني ولا تكن في ضيق مما يمكرون اي مما يريدون ويهمون من قتلك فان الله يحفظك
ويعصمك ولا يهمون المكر بما يريدون من قتلك واهلاكك وهو كما قال الله عز وجل والله يعصمك
من الناس وفيه دلالة اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم حيث اخبره انه يحفظه ويعصمه من جميع
الاعداء وهو بين اظهرهم فكان ذلك آية من آيات النبوة والرسالة والله اعلم وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قد ذكرنا انهم يقولون ذلك استهزاء وتكذيبا بما كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم
في الدنيا كما نزل باوائلهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام ومرة يوعدهم بعذاب ينزل بهم في الآخرة وكذلك
قال اوائلهم لرسلهم فأتنا بما تعدنا الآية والله اعلم وقوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون هذا يحتمل وجهين احدهما قوله ردف لكم بعد هذه الحال وبعد هذا القول الذي قالوا
بعض الذي تستعجلون به اي ينزلون بكم بعد هذه الحال وبعض الذي تستعجلون وهو العذاب
والثاني عسى ان يكون ردف لكم بعد الحرب والمكر في الذي يحل بكم بالموت بعض الذي تستعجلون
هو عذاب القبر لانهم وقت الموت يحزنون ويكرهون لما يعاينون ويشاهدون من حالهم ولذلك
يسألون ربهم الرجوع والرد الى الدنيا حيث قالوا رب ارجعون لعلي اعمل صالحا وتمنيهم الرد

غير الذي كنا نعمل ونحوه والله اعلم ثم قوله ردف لكم اي دنا منكم وقرب وقال بعضهم ردفكم اي لحق
لكم وقال القتبي ردف لكم اي تبعكم واللام زائدة كانه قال ردفكم اي تبعكم واللام زائدة كانه قال ردفكم
والله اعلم وقوله تعالى وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يحتمل قوله لذو فضل على الناس
وجوها احدها ذو فضل في تاخير العذاب عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون ذلك الفضل والثاني ذو فضل
على الناس فيما اعطاهم من الدين الحق والطريق المستقيم وفي بعثه رسالة اليهم من زجرهم ويعظهم عما
يستوجبون من هذا باسقاطه نقمته وهو الرسول عليه السلام ولكن لا يرون هذا الفضل ولا يشكرون
بل يعاندونه ويكابرونه والثالث يحتمل ذو فضل على الناس فيما انعم عليهم في امور انفسهم ولكنهم لا يشكرون
في ذلك بل يصرفون شكره الى غير المنعم والله اعلم وقوله تعالى وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
هذا يحتمل وجهين احدهما يحتمل ما تكنون انتم في صدوركم وتسرونه فيها وما تعلنون
ما تبدونه وما تظهرونه فيها ذلك كله والله اعلم والثاني يحتمل ما تكن صدورهم اي ما تخفي انفس الصدور
وتسرها وما يعلنون ما تحمل الصدور واصحابها على ابداء ما فيها واظهاره وهو على ما ذكر في الخبر حيث قال
ان في الانسان مضغة اذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب فعلى هذا التاويل جعل الفعل للصدور وفي الاول
لارباب الصدور والله اعلم وقوله تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين هذا يخرج على وجهين
احدهما ما من غائبة في السماء والارض مما كان ومما يكون ابد الابدين الا كان ذلك مثبتا معلوما اي محفوظا
ذكر الكتاب لعلم بنفسه ولكن ما ذكرنا استعادة له عن علم والحفظ لان الكتاب طريقه في الشاهد حفظ
ما كان وعلم بما علم ما يكون منهم ابد الابدين وانه عن علم بافعالهم صنعهم وخلقهم وانشاهم لا عن جهل او غفلة
والله اعلم والثاني وما من غائبة في السماء والارض اي من غائبة من الخلق ما يغيب بعضهم من بعض ويستتر بعضهم
بعضا الا كان ذلك في كتاب مبين اي الا كان ذلك عند الله محفوظا مثبتا
في اللوح المحفوظ ليكون على حذر يقول ما يغيب بعضكم من بعض فهو عند الله محفوظ لا يغيب عنه شيء وهو
كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله الموفق وقوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وفي ظاهر الاية اشكال من وجهين احدهما انه قال ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون او يبين هذا القران على الذين من بني اسرائيل الذي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
اكثر الذي هم فيه ويبين ما اختلفوا فيه فلا حاجة في البيان الى القران والثاني ذكر ان القران يبين اكثر ما اختلفوا
فيه لا جميعه وذكر في مواضع ان فيه بيان كل حكم فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال تبيانا
لكل شيء والانفصال عن هذين الاشكالين من وجهين احدهما قال بعضهم ان قوله ان هذا القران يقص على بني
اسرائيل كلام تام منقطع عما بعده وقوله اكثر الذي هم فيه يختلفون كلام مستانف غير موصول بما قبله فان
قيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ليس مفعولا لقوله يقص على بني اسرائيل وكيف قوله اكثر منصوب لانه فعل
من كثر يكثر اكثارا وصار تقدير الاية ان هذا القران يقص على بني اسرائيل جميع ما يحتاجون اليه وجميع ما
يختلفون فيه من الاحكام الا انه معفو لنقص ضميره والاضمار جائز في اللغة ثم قوله اكثر الذي هم فيه
من الاحكام والله اعلم وعلى هذا التاويل لم يتوجه واحد من الاشكالين والثاني قال بعضهم انه موصول
بعضه ببعض اي يبين القران على بني اسرائيل اكثر ما اختلفوا فيه والانفصال عن الاول ان تاويل الاية
والله اعلم ان هذا القران يبين لهم الحكم في اكثر ما يختلفون فيه واما الاشكال الثاني في ظاهر الاية
انه يبين لهم اكثر ما يختلفون فيه لكنه اول عندنا من وجهين احدهما انه بين لهم اكثر ما اختلفوا فيه من حيث
التنصيص والتصريح ولم يبين لهم كل ذلك بطريق التنصيص لكي يبين الباقي من حيث المعنى المودع فيه
والبيان صريح ودلالة وفي هذه الاية ان في القران بيان الحكم فيما اختلفوا فيه من حيث التنصيص في جميع
ما اختلفوا فيه دلالة في كثير وفي غيرها من الايات ان فيه بيان كل شيء من حيث المعنى المودع فيه فلا يكون بين
الايات تناقض بحمد الله تعالى والثاني ان القران يبين اكثر ما فيه تنصيص من حيث القران ولم يبين ما فيه بسنة
الرسول عليه السلام والسنة وحي عندنا وان لم يكن قرانا والله الموفق وقوله تعالى وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين اي القران الذي ذكر لهدى ورحمة فهو يهدي الى الصلاح لمن اتبعه في الدنيا وعمل به ورحمة في
العذاب عنهم في الاخرة فيكون هو هدى ورحمة لمن امن به وقوله تعالى ان ربك يقضي بينهم بحكمه حكمه
هو عدله كانه يقول ان ربك يقضي بينهم بعدله اي لا يجور ولا يظلم في الحكم والقضاء وهو كقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله تعالى وهو العزيز العليم العزيز الذي لا
يعجزه شيء العليم الذي لا يخفى عليه شيء وقوله تعالى فتوكل على الله انك على الحق المبين اي توكل على الله واعتمد عليه

بل لا تخف مكرهم وما يريدون ويقصدون ان يكيدوا لك فان الله عز وجل يعصمك عن كيدهم وهو كقول يعقوب
لاولاده وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
وقوله عز وجل انك على الحق المبين بان معك حججا وبراهين وليس معهم ولهم حجج ولا براهين وان كان كل منهم
يقول انا على الحق فانت على الحق المبين لان معك حججا وبراهين انك على الحق وما الذي هم عليه باطل ليس
وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قال بعض اهل التاويل بلغنا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه نادى قوم بدر فقال يا فلان ويا فلان هل وجدتم بعد ما امر ان جمعوا في قليب هل وجدتم ما وعد
ربكم ان لا تكذبوا نبيكم ولا تكفروا بربكم وتقطعوا ارحامكم فانزل الله تعالى هذه الاية انك لا تسمع الموتى الاية
منصرفة الى الكفار والله تعالى سمى الكفار موتى في اي من القران لما لم ينتفعوا انفسهم في عبادة الله تعالى ولا استعملوها
في طاعته فهم كالموتى وسماهم صما لما لم يستمعوا الحق ولم يقبلوا وسماهم موتى لما لم يستعملوا ابدانهم في الحق فنفي عنهم
هذه الحواس ولا استعملوها في ما انشئت وما خلقت فان كانت لهم هذه الحواس فعلى ذلك سماهم موتى وبكما
وفي موضع اخر شبههم بالانعام واخبر انهم اضل وهو قوله ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا لما لم يستعملوا
انفسهم فيما انشئت له ولم ينتفعوا بها فهذا مثله تقرير هذا التاويل اخر الاية وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان
تسمع الا من يؤمن باياتنا الاية فان قيل ما معنى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اخبر انه لا
يسمع الصم اذا ولوا مدبرين ولا يقدر ان يسمع الصم اذا كانوا مقبلين فلم يولوا فائدة ذكره في ذلك قوله
اذا ولوا مدبرين قيل والله اعلم هذا اخبار من الله تعالى عن شدة تعنتهم ومكابرتهم كالصم المدبرين لا يمكن اسماعهم
بحال ولا يفهمهم فان جهد لان الصم المقبلين قد يمكن اسماعهم وتفهيمهم بجهد بالاشارة والايماء ونحوه
والله اعلم وقوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وفي بعض القراءات وما انت تهدي العمي وهذه الاية
تدل على ان الهدى ليس هو عبارة عن البيان على ما قالت المعتزلة لانه لو كان الهدى كله بيانا لكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بين طريق الحق والكفر وكان قد قدر ان يهدي الكفار عن ضلالتهم فلا معنى كقوله
انك تهدي العمي عن ضلالتهم ويؤدي الى الخلف في خبر الله تعالى فهذا محال انما يؤدي اليه مثله فدل ان عنده
ثم هذا امر ولطف اذا سالوه وطلبوا منه ذلك فاعطاهم لاهتدوا وامنوا لذلك فهذا ينقض على المعتزلة
قوله وقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم اختلف في تاويله اذا وقع القول
عليهم قال بعضهم اي اذا وجبت السخطة والغضب عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض وقال بعضهم اذا وقع
القول عليهم اي اذا بلغوا في الكفر حدا يعلم الله تعالى انهم لا يؤمنون ابدا بعد ذلك اخرجنا لهم دابة لكن هذا
التاويل فاسد وقد ذكرنا فساده في غير موضع ان هذا القول باطل لان الله تعالى لم يزل عالما بما كان وبما يكون
منهم ابد الابدين وليس علمه باحوالهم مما يكون منهم عند بلوغ ذلك الحد بل لم يزل عالما بما يكون منهم وما
لا يكون فهذا الحرف يجيء القائل الى ان الله تعالى انما يعلم منهم انهم لا يؤمنون ابدا اذا بلغوا ذلك وقبل ذلك
لا ان تفسير التعلق هذا هو وهذا قول قبيح وهو القول بحدوث علم الله تعالى وجواز الجهل عليه المنافي
لالوهيته تعالى ان الجاهل لا يصلح الها تعالى الله عن قول هؤلاء علوا كبيرا وكذا التاويل الاخر فاسد ايضا
وهو قولهم اذا وجبت الحجة لان الحجة قد كانت قامت قبل ذلك ووجبت ولم يستقيم وتقع عليهم في ذلك
الوقت ولا يكون هذا التاويل بصحيح ثم التاويل الصحيح يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا
من وقوع العذاب عليهم والسخطة والمراد هو وقت نزول العذاب بهم ان العذاب كان واجبا مستحقا وهو كقوله
اولئك الذين حق عليهم القول الاية اي العذاب يجب عليهم وانما يقرب وقته وهو القيامة فيكون خروج
الدابة علامة قرب القيامة والثاني اذا وقت خروج الدابة لما روي ان النبي عليه السلام اخبر ان في ذلك
اي لا يتقدم ولا يتاخر وجها من الوقت الموعود فيه وهو كقوله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وهكذا كل شيء جعل الله تعالى لظهوره وكونه وقتا يكون لا فيه ونظيره لا يتقدم ذلك
الوقت ولا يتاخر هذا هو الاشبه ان يكون الاية والله اعلم وقوله تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
قراءة العامة بالتشديد تكلمهم من التكليم والتحديث وكذا ذكر في بعض الحروف تحدثهم وتنبئهم وقد قرئ تكلمهم
بالتخفيف وهو من الجرح وهو ما ذكر في الاخبار والقصص ان الدابة اذا خرجت تجرح الكافر وتسمه على وجهه
حتى يعرف المؤمن من الكافر فيقال يا مؤمن ويا كافر وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال تكلم المؤمن وتجرح
الكافر فيكون القراءتان على الوجهين احدهما في حق المسلم والثاني في حق الكافر والله اعلم ثم اختلف
في قوله ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون في قراءة تاويله وقراءة بعضهم ان الناس بنصب الالف وقرا بعضهم
بكسرها فمن قرا بالنصب ان الناس جعل ذلك القول من الدابة ان الناس كانوا لا يؤمنون وجحدوا وهو لا يوقنون

الى أخرج لهم دابة. والثاني انها تخبر عن الله تعالى فيكون كأنها تقول ان الله تعالى يقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
والله اعلم. ومن قرأ بالكسر ان الناس يحتمل ذلك القول عن الله تعالى ابتداء اخبارا كان الله تعالى يقول انهم كانوا لم يزالوا
لا يوقنون بآياتنا والله اعلم. ثم في خروج الدابة اعظم آيات في اثبات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
اخبر انها تخرج في وقت كذا فخرج على ما اخبر في ذلك الوقت على الوصف الذي وصف فدل خروجها على صدقه ولا يعلم
الا بالوحي من علام الغيوب. وقوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بآياتنا﴾ اي يوم القيامة
فانه يجمع القادة منهم والاتباع ويكتب عين جنسا قرن جميعا الى النار وهو كقوله ﴿احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم﴾ الآية وكقوله ﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا﴾ وكقوله ﴿ويوم
يحشر اعداء الله الى النار﴾ وقوله ﴿فهم يوزعون﴾ اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا وقد ذكرنا الوزع فيما
تقدم وما قيل فيه. وقوله تعالى ﴿حتى اذا جاءوا﴾ اي جاؤوا جميعا العذاب كما ﴿قال﴾ لهم ﴿اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها
علما﴾ او قد احطتم بها علما انها آيات لكن كذبتم وانكرتم انها آيات عنادا ومكابرة ويجوز ان يتكلم بالنفي على اثبات
ضده كقوله ﴿اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض﴾ اي يعلم بضد ذلك وبخلاف ما يعلمون انه ونحو ذلك
في القرآن كثير ويحتمل قوله ولم تحيطوا بها علما لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا اليها نظر التعظيم والاجلال
لكي تعرفوا وتحيطوا بها علما انها آيات الا وكان التأويل على ظاهر ما ذكر كان لهم عذر اذ لم يحيطوا
بها علما اذ لم يحط العلم بالشيء فله عذر الرد وترك القبول فيكون ظاهر الآية مشكلا من هذا الوجه لكن يخرج
على هذين الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم. وقوله تعالى ﴿اماذا كنتم تعملون﴾ اي في تكذيب الآيات التي
التي تمردها بلا حجة ولا برهان. وقوله تعالى ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾ اي وجب العقوبات
بالعذاب وقد وقعها او عذرا بما ظلموا احتمال ان يكونوا فيهم من الحجة والكلام جميعا وقوله ﴿فهم لا ينطقون﴾
اي لا ينطقون بالحجة ونحو ما يكون لهم به عذر والله اعلم. وقوله تعالى ﴿الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات﴾ اي في الليل والنهار دلالات لقوم يؤمنون ثم الآيات التي ذكر فيها
يخرج لوجوه احدها دلالة وحدانيته والثاني دلالة علمه وتدبيره وحكمته والثالث دلالة كرمه وجوده
والرابع دلالة قدرته وسلطانه والخامس دلالة القدرة على البعث والاحياء بعد ما صاروا ترابا ورمادا
اما دلالة كرمه وجوده هي ما جعل لهم في الليل والنهار من المنافع تركهم ما دامت بهم تلك المنافع يكون
وجهين لاحدها ما جعل النهار للتقلب فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام دنياهم وجعل الليل راحة لهم
وسكونا ولو جعلهما جميعا للتقلب لما قام معاشهم وما به قوام انفسهم وابدانهم لانه لا يلتئم ذلك الا
بالراحة ولو جعلهما جميعا للراحة والسكون لم يتم امر معاشهم ففي رحمته وفضله جعل احدهما للراحة
والآخر للتقلب فيه وما ذكر في آية اخرى ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾
الآية. والثاني من النعمة التي ذكر انه جعل فيهما الذي جعل للتقلب انما جعل ذلك للكل لا للبعض دون
بعض وكذلك الذي هو مجعول للراحة والقرار انما جعل ذلك للكل لا لقوم دون قوم ولو جعل ذلك
لكان لا يقوم دون قوم او جعل لذلك ولكان لا يتقوم من امر معاشهم لما به قوام انفسهم وابدانهم
لكن من فضله ورحمته جعل المجعول للراحة وقتا للراحة للكل لا للبعض دون بعض وكذلك المجعول للتقلب
للكل ليطلع المشترون بالباعة والباعة بالمشترين لما يلتئم معاشهم ودنياهم والله اعلم. واما دلالة وحدانيته
ما جعل منافع احدهما متصلة بمنافع الآخر اذ لا يقوم احدهما الا بالآخر على اختلافهما وجواهرهما ليعلم ان مدبرهما
ومنشئهما واحد اذ لو كان عددا لكان ما انشأ هذا ابطله ومنع الآخر فاذا لم يكن ذلك [illegible] واحد
بها ليعلم ان مدبرهما ومنشئهما واحد وانه لا شريك له وان ذلك تدبير واحد لا عدد له. واما دلالة علمه وحكمته
انهما منذ كانا على نسق واحد وعلى تقدير وميزان واحد من غير تغيير ولا تبديل يقع فيهما دل ان منشئهما
علم ذاتيا وحكمة ذاتية لا علم مكتسب مستفاد كعلم الخلق. واما دلالة القدرة والسلطان فلانهما
يقهران ويغلبان الخلق كلهم من الجبابرة والفراعنة شاؤوا او ابوا حتى اذا اراد واحد منهم منع الآخر او يزيد
في احدهما او ينقص من الآخر لم يقدر عليه ولو اجتمعوا جميعا على دفعهما او دفع احدهما دون الآخر لم يقدروا
عليه دل ان منشئهما قدرة وسلطانا اذ من قدر على انشاء هذا لا يعجزه شيء. واما دلالة القدرة على البعث
لانه يتلف احدهما ويذهبه حتى لا يبقى اثره ثم يأتي بالآخر على تقدير الاول ويعيد على انشائه من بعد
ذهاب الآخر بكليته فمن اقتدر على انشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم لا يعجزه شيء ثم الحجة
هنا لما ذكرنا وخلق ما خلق من المنافع لما ذكر [illegible] العالم وخلق الخلق للمحنة والتكليف بامرهم ونهيهم
ويجعل لهم فيها ثوابا لمن اطاعه ويعاقب من عصاه اذ لو لم يكن عاقبة لكان خلقهم عبثا لا حكمة فيه لانه

من بنا

من بنا بناء المفنا خاصة لا لعاقبة يؤمل نفعها كان بناؤه عبثا غير حكمة فعلى ذلك خلق الخلق لا لعاقبة
تقصد به ليس بحكمة والله الموفق. ثم قوله ﴿لآيات لقوم يؤمنون﴾ جعلها آيات لمن يؤمن بها وصدق لما تتبع
ما فيها من الحكم فاما من لم يؤمن بها وكذب فهي آيات عليهم لا لهم والله اعلم. وقوله تعالى ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات ومن في الارض﴾ اختلف في النفخ ما هو وفي عدد النفخ ايضا وكذلك اختلف في الصور انه ما هو
وكيف هو. اما اختلافهم في النفخ فمنهم من قال ليس على حقيقة النفخ ولكنه يحتمل شيئين احدهما انه عبارة عن
سرعة قيام القيامة وخفتها وانه لا يتصعب على الله قيامها كيف شاء اذ النفخ اخف شيء
والنفس على تقدير ما يكون من الخلق اذ لا يتعلق فعله بالزمان اصلا فاستعير النفخ في السرعة وانه لا يتصعب
عليه ذلك وهذا كقوله تعالى ﴿وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب﴾ شبه امرها بلمح البصر لما ليس شيء
اخف على المرء من لمح البصر على المجاز عن السرعة فعلى ذلك امر النفخ. والثاني ذكر النفخ عبارة عن سرعة نفاذ الساعة
اذ ليس شيء اسرع نفاذا من النفخ كما قال ﴿الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ وذكر ذلك تشبيها بالصيحة
والرجفة فيقول لا على حقيقة النفخ ولكنه اخبار بطريق الاستعارة عن خفتها على الله تعالى في ايجادها
وقيامها او سرعة نفاذها وهو كما قال الله تعالى ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ اي خلقناه من غير اصل كي تكون
ليس انه نفخ فيه النفخ حقيقة وهو جبريل عليه السلام ومنهم من يقول على حقيقة النفخ في الصور لكن
لا حاجة بنا الى القول بالقطع من غير دليل قاطع وان كان عبارة عن شيء آخر سوى حقيقة النفخ فقد ذكرنا
الوجه فيه وان كان على حقيقة النفخ ينفخ فيه الملك فهو امتحان نحو ذلك النفخ من غير ان تقع له الحاجة الى النفخ
لتحقيق الانشاء وهو ظهور ما علم على ما علم وذلك نحو ما امتحن وكلف كرام الكاتبين الكتابة لاعمال
الخلق وانما لهم من غير وقوع الحاجة اليه اذ هو عالم بما كان وبما يكون كيف يكون ومتى يكون واي شيء يكون
والله اعلم. ويحتمل ايضا ان يكون الامر بالكتابة لان ذلك اخوف للناس وابلغ في الحذر من غير الكتابة
يخرج على نحو عاداتهم فيكون اقرب الى المراد. واما اختلافهم في عدد النفخ قال بعضهم ان النفخ واحد لقوله
﴿الا صيحة واحدة﴾ ومنهم من قال انها نفختان لقوله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ [illegible]
من غيرها وكقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾ ومنهم من يقول انها النفخات الثلاث الا انه يحمل ذلك كله نفخا للموت
احداهما الفزع [illegible] والثالثة للاخراج منها والنشر ويقول هذا القائل يعذب اهل القبور
من النفخة الثانية الى النفخة الثالثة وعلى ذلك [illegible] فان ثبت فهو كذلك [illegible]
[illegible] ينفخ في الصورة والصور لان الصور يجمع صور كما يجمع صورة [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله﴾ [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

فاعلوه وهو جمع آت كقوله الا آتي الرحمن عبدا وآتوه نعت الفاعلين على معنى الفعل كانه قال وكل يأتونه
وقرأ بعضهم بقصر الالف ونصب التاء اخبار عن فعل الجماعة من الاتيان اي فعلوا الاتيان وقوله عز وجل داخرين
اي صاغرين ذليلين يقال دخر اي ذل وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قال بعضهم تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب لكثرتها وازدحامها يرى الناظر اليها ويحسبها كانها جامدة بمنزلة السحاب الذي
استوى في السماء وهي تمر ولا يحس مروره لازدحامه واشتماله السماء فهذا كذلك وكذا العسكر العظيم
الناظر اليه يراه كانه ساكن لكثرتهم وازدحامهم فعلى ذلك الجبال والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن لشدة
ذلك اليوم وهوله وفزعه على الناس يحسبون الجبال كانها جامدة وهي تمر مر السحاب وهو كما ذكر وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى لشدة ذلك اليوم وفزعه وقال بعضهم لا ولكن الجبال لهول ذلك اليوم وفزعه
تمر مر السحاب بحسيره وهو كقوله عز وجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش والله اعلم واصله انما ذكر هذا
وما تقدم من هول ذلك اليوم وشدته على الخلق وقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء اي انظروا الى صنع
او عاينوا صنع الله كقوله صبغة الله اي انظروا وعاينوا صبغة الله وقوله صنع الله الذي اتقن كل شيء
اثر وصف الجبال بما وصف من انتقاضها وافسادها واخراجها من الصفة التي انشاها الى ما ذكر ليخرج
من الاتقان والاحكام ليعلم انه ليس في افساد الشيء خروج عن الاتقان اذا كان في ذلك حكمة والله اعلم
ثم اختلف في قوله اتقن كل شيء قال بعضهم اتقن احكم وابرم وقال بعضهم اتقن اي احسن كل شيء وقال
بعضهم اتقن احكم وابرم وقال بعضهم اتقن اي احسن كل شيء وقال بعض المعتزلة كيف يكون الكفر حسنا
وهو قبيح لانه شتم رب العالمين ولا يجوز ان يقال الخلق شتم نفسه واحسن فعل الكافر وغير ذلك
من الخرافات فيقال لهم لا يقول احد انه خلق الكفر واحسنه او احسن شتم نفسه على هذا الاطلاق
ومن قال ذلك فهو كافر ولكن نقول خلق فعل الكافر كفرا من الكافر قبيحا وخلق شتم الشاتم لربه قبيحا
وخلق فعل المعصية من العاصي قبيحا لكنه من حيث خلقه وحقيقته حسنا متقنا محكما وان كان
ذلك الفعل منه قبيحا باطلا سفها جورا القبح من الكافر الا ترى ان من تكلف ان يعرف فعل الكافر
سفها وجورا كان غير مذموم لانه يكلف ان يعرف ما هو سفه في الحقيقة سفها ويعرف ما هو حق حقا
فهو من هذا الوجه عارف حق وحكمة لان الحكمة توجب ان يعرف الشيء على ما هو في نفسه وحقيقته فعلى
ذلك خلق فعل الكفر من الكافر على الوجه الذي ذكرنا هو حسن متقن محكم وان كان من حيث فعل الكافر
قبيحا سفها باطلا وهو كما نصفه تعالى على الاطلاق انه رب كل شيء وخالق كل شيء ولا يقول لخالق
الانجاس ويا رب الاقذار وان كان هذا داخلا في الجملة فقوله انه خالق الخلق ورب الا انه على الاطلاق
يخرج مخرج المدح والثناء وعلى التخصيص يخرج مخرج الذم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى من جاء بالحسنة
فله خير منها قال اهل التأويل جميعا ان الحسنة ههنا هو التوحيد والايمان والاشكال ان ظاهر الآية يقتضي
ان غير الايمان والطاعات خير منها والجزاء والثواب هو نعم الآخرة فكيف يكون خيرا من عبادة الرب
والتوحيد له والتعظيم والثناء لكن نقول في تأويل الآية وجوه احدها اي من جاء بالتوحيد الى
اي ختم عليه فله خير من اتيان نفس التوحيد وكذلك يجيء الحسنات كلها الى الآخرة خير من فعلها حسنا
وهذا لان الرجل قد يأتي الايمان وسائر الحسنات ثم يفسدها ويبطلها بما احدث له الشرع مبطلا فلا ينفع
ذلك منتفعا به ومن ختم على الايمان ينتفع بايمانه وعباداته ولهذا شرط الله تعالى في الثواب المجيء بالعبادات
اليه فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل بالحسنة فله كذا وكان هذا اخرج الامتحان
فله خير منها اي مما يعطى له في الآخرة من الثواب بعد الجزاء انما يكون من الحسنة التي تكون منه في الدنيا اي
من اجلها يقال الجميع الخيرات في الآخرة اذ هي سبب دخول الجنة والوصول الى النعيم وقال الله تعالى فاثابهم الله
بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار فكان الآية ترجع الى هذا لا الى الترجيح ان الثواب افضل من الطاعة
وخير منها وقال بعضهم فله خير منها لك الذي يعطى في الآخرة من الخيرات خير مما نال في الدنيا من النعم
وصبر عليها بيان خير مما تركه كقوله عز وجل الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الآية وقال بعضهم فله
خير منها اي رؤية الرب جل جلاله ولقاؤه خير مما يعطى غيرها من الخيرات كما يكون في الدنيا رؤية
الملك ولقاؤه خير على الرعية من طريق الخصوص اعظم وافضل عندهم من غيره من الكرامات وان
عظمت وجلت وقال بعضهم ذلك الثواب بعد الجزاء في الآخرة خير مما عملوا من الخيرات في الدنيا لان الثواب
وجوبه بطريق الفضل والرحمة لا الاستيجاب والاستحقاق اذ في الحكمة والعقل يجب على العبد
شكر النعمة فلا يكون الثواب جزاء ما يجب عليه تحصيله شكرا فاذا كان الجزاء وجوبه بطريق الفضل

لنعم اداه واجب عليه شكرا من حيث الحكمة والعقل فما كان سبيله فضل الله تعالى خير مما لم يكن سبيله
بطريق الفضل الا انهم يقولون بل ما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقل خير مما كان سبيل وجوبه الافضال
لما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقل لا يسع تركه وما كان وجوبه بطريق الفضل له تركه فاذا لم يكن في عين الثواب
مقابلة هذه العبادات لم يكن قبيحا في الفضل فما كان حسنه عقلا كان افضل مما كان حسنه بخلافه ولان
الايمان والعبادات فعلا وحسن الثواب طبيعي لما به تمام اللذة وكان افضل الا ان قوله فله خير منها يخرج
على تقدير ما في طباعنا اي في طباعكم وعندكم ذلك الثواب خير من ذلك لا انه في الحقيقة خير وهو كقوله
عز وجل وهو اهون عليه اي في طباعكم اذ عندكم الاعادة للشيء اهون من ابتدائه اما البدء اهون على الله
من شيء اذ لا يصعب عليه شيء ولكن بتقدير طباعنا اذ هذا الكلام خرج على الترغيب في الايمان والعبادات
وانما يقع الترغيب بما في الطباع له ترجيح على غيره وان كان له غير خير منه على الحقيقة والله اعلم وقوله تعالى
وهم من فزع يومئذ آمنون اخبر تعالى انهم اذا اتوا ربهم بالتوحيد يكونون آمنين من فزع ذلك اليوم وهوله
وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة اي الشرك فكبت وجوههم في النار المكب على الوجه هو الملقى على الوجه
وهو كقوله يوم تقلب وجوههم في النار وقوله تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي ما تجزون الا الاعمال
وقوله تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها الآية قوله حرمها يحتمل وجهين احدهما
تحريم منع من حيث الخلق اي منعها من الاستبداد والاصطفاء فيها وهو كما قال اولم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم ونظير التحريم الذي يراد به المنع قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ليس على التحريم
حتى لا يحل له ذلك ولكن على المنع حقيقة اي منعناه المراضع حتى لا يرضع من امرأة سوى امه والله اعلم
والثاني على التحريم نفسه وهو ما حصل في كل احد من الكافر والمسلم في الجاهلية والاسلام حرمة ذلك
المكان حتى لا يتناول احد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها والله اعلم وقوله تعالى وامرت ان اكون
من المسلمين وان اتلو القرآن اي وامرت ايضا ان اتلو القرآن عليكم كانهم اوعدوه بوعيد وخوفوه
به وطلبوا منه الموافقة لهم فقال لذلك لهم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وهو رب كل شيء
اي امرت ان اكون عبدا له لا اجعل نفسي عبدا لغيره وامرت ايضا ان اتلو القرآن عليكم فانا اتلوه عليكم
فكيدوني فلا تنظرون فاني لا اخاف كيدكم ولا مكركم والله اعلم ثم قوله انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
الذي حرمها دلالة لزوم الرسالة لان اهل مكة وغيرهم قد عرفوا جميعا حرمة تلك البقعة من اوائلهم
واوائلهم وما عرفوا ذلك الا بالرسل اذ لا تعرف ذلك بالحس والعقل نفسه فدل انهم انما عرفوا
بالرسالة والنبوة فعلى ذلك يلزم هؤلاء الاقرار بها والله اعلم وقوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه
اي من آمن وقبل الهدى فانما يفعل ذلك لمنفعة نفسه اي نفع ذلك يرجع اليه وانكم لا تحرضه تربية
تعالى عن اتصال نفع الله وتوحيده في ربوبيته ومن ضل فقل انما انا من المنذرين اي من ضل فقل انما انا
من المنذرين اي من ضل ايضا فانما يكون ضرره عليه وليس علي الا الانذار فاما غير ذلك فهو
عليكم كقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من
حسابك عليهم من شيء ونظير الآية قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله تعالى وقل
الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها هذا يحتمل وجهين احدهما سيريكم آيات وحدانيته وربوبيته
وآيات رسالته وقوله فتعرفونها اي بالآيات كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية والثاني
سيريهم ما وعد لهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا كما عرفوه خبرا والله اعلم وقوله تعالى وما ربك
بغافل عما تعملون قال بعضهم هذا الحرف توبيخ للظالم وتعيير له وتسلي للمظلوم وتعزية وتنصير
له وقال بعضهم هذا الحرف حرف ترغيب وترهيب والله اعلم تمت هذه السورة والحمد لله والمنة

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل طسم تلك آيات الكتاب
المبين قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله تعالى نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون
اي من خبرهما وقوله بالحق يحتمل اي بالصدق بما يعلم انه صدق وحق وجائز ان يكون قوله بالحق اي بالحق
الذي لموسى عليه السلام على فرعون وقومه ويحتمل بالحق الذي لله عليهم والله اعلم وقوله تعالى لقوم يؤمنون
يحتمل وجهين احدهما نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون للمؤمنين لانهم هم المنتفعون به انباء موسى ونبأه

فاما من لا يؤمن فلا ينتفع بها ولا يكون له آياتنا لقوم يؤمنون بالانباء والكتب المتقدمة هم يعرفون انه حق
لما في كتبهم ذلك والله أعلم وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض • اي بغى وتجبر ويكون يتعلق بما ذكر على اثر
يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم هذا هو علامة علم يشبه ان يكون علوه وتجبره
في الارض ويحتمل علا في الارض اي علا له قدره وارتفع رتبته في الارض لما ادعى لنفسه الالوهية بعد
ما كان عبدا كسائر العباد ودونهم فعلا قدره وارتفعت منزلته بدعواه ذلك والله أعلم وقوله
وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم • الآية قيل فرقا يستضعف طائفة ويذبح طائفة ويستحيي
طائفة منهم ويحتمل ان يكون قوله وجعل اهلها شيعا اي جعل لكل طائفة منهم عبادة صنم لم يجعل
ذلك لطائفة اخرى على ما اولئك وحولهم ليتفرغوا لعبادة الاصنام التي استعبدهم بها الا انه
يرجعون جميعا الى اصل واحد واله واحد والله أعلم وقوله تعالى انه كان من المفسدين • كذلك كان لعنه الله
وقوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض • هذا الظاهر اخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بانه سيفعل ذلك اي يمن عليهم لا انه من عليهم وفعل ذلك لانه يقول ونريد ان نمن وقد من الله عليهم وقهر فرعون
وقومه بالهلاك والغرق واورثهم ديارهم واموالهم فهذا على قد من على الذين استضعفوا في الارض ثم
مشكل فيجب ان … ما معناه والله أعلم او يكون يريد في الاكل ان نمن عليهم وان نجعلهم ائمة وان نجعلهم
الوارثين في وقت معلوم وقد تحقق ما اردناه والله الموفق وقوله تعالى ونجعلهم ائمة • يحتمل ونجعلهم كلهم
جعل كلهم ائمة لنا لنقتدي بهم ونتبع آثارهم حيث صبروا على اذى فرعون وقومه شاكرين لله تعالى على ما رزق
من الدين الحق واجتبيه فضله ورحمته فانجاهم الله تعالى منهم فكذا نصبر على اذى الكفرة
والظلمة ليلحقنا النجاة في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة ويحتمل ان يكون قوله ونجعلهم ائمة وقدوة
اي نجعل بعضهم ائمة لبعض وهو كقوله عز وجل لموسى عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
الذين ذكرهم في تلك الآية والله أعلم وقوله تعالى ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض • وهذا كما ذكر في آية
اخرى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الآية اي نورثهم الارض
وملكهم بعد فرعون وقومه والوارث هو الباقي على ما ذكرنا كانه قال يبقون في ارضهم وملكهم بعد هلاكهم
كقوله عز وجل انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نبقى نحن بعد هلاك الارض وما عليها والله أعلم وقوله
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون • اي نريهم ما كانوا يحذرون منه وهو الهلاك
وذهاب الملك هذا كانوا يحذرون فاراهم الله تعالى ذلك لان فرعون كان يذبح ابناء بني اسرائيل اشفاقا
على بقاء ملكه وحذر ذهابه وقال الزجاج ان من حماقة فرعون وقلة عقله انه كان يذبح ابناءهم بقول الكهنة
انه يذهب ملكه بغلام يولد في العام الذي قالوه فلا يخلو اما ان صدقوا في ذلك فيذهب ملكه ولا يقتل
الابناء فلا يمكنه قتل ذلك الغلام واما ان كذبوا في قولهم فلا معنى لقتل الابناء لانه لا يذهب ملكه
فعل ذلك لحماقته وسفهه وجهله بنفسه ثم في قوله عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
الى آخر ما ذكر نقض على المعتزلة في قولهم انه ليس لله تعالى ان يفعل بعباده الا ما هو الاصلح لهم في دينهم
ذلك لو كان جائزا فيقال لهم لو كان على فعل الاصلح لهم في دينهم على كل حال لكان لا معنى لذكر المنة على الذين
استضعفوا في الارض في جعلهم ائمة وابقائهم في ارضهم وتمكينه اياهم في ملكه وتوريثهم اياه
لانه على زعمهم فعل بهم ما عليه ان يفعل اذ ذلك اصلح لهم في الدين وكل من فعل ما عليه ذلك الفعل
لا يكون له الامتنان على المفعول له بذلك فلذلك لما ذكر انه فعل بهم على انه فعل بهم ما لم يكن عليه
ذلك الفعل ولكنه فعل بهم متفضلا وله ان لا يفعل ذلك حتى يتحقق الامتنان ولانهم يقولون
ايضا ان في هلاك فرعون وقومه اصلح لهم من بقائهم وكذلك في اماتتكم فلم نذكر المنة فيه على فرعون
وعلى كل كافر باهلاكهم دل انه ليس على ما يقولون وان قولهم متناقض مردود عليهم واستدلت المعتزلة بهذه
الآية على ان الارادة نظير الامر في انه ما اراد وجوده لا يوجد لا محالة كما اذا امر بشيء لا يوجد المامور به بكل
حال لانه تعالى قال ونجعلهم ائمة وقادة اي نريد ان نجعلهم ائمة فالارادة تمت فاضلة الكل ثم لم يصيروا
جميعا ائمة وقادة فجاز ان يقال انه اراد ايمان كل كافر لكنه لم يؤمن بسوء اختياره وشؤم طبعه والانفصال
عن هذا ما ذكرنا من الوجهين انه اراد ان يجعل كلهم ائمة وقدوة لنا فيما ذكرنا او اراد ان يجعل البعض منهم وكان
الامر كما اراد وتحقق ما اراد والله الموفق وقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية قال عامة اهل
التأويل الوحي هاهنا وحي الهام وقذف في القلب لا وحي ارسال الرسول من الملائكة واخبارها بذلك
لانه لو كان وحي ارسال الصادر رسوله وذلك لا يجوز لكن في هذا نوع اشكال انه جائز ان تلهم هذا

القاف

القافة فلم تأمنا ان تلهم ما ذكر في الآية لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين هل
ما الاستدلال بمعرفة ذلك عقلية لا يصح قوله مشافهة من ملك … انه كان لموسى عليه السلام آيات
والملائكة عرفت هي تلك الأعلام والآيات التي كانت بلا انه يرد اليها فانه سيبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خلقه الحق
وقد كانت بالرسل اعلام وآيات للرسل في حال صغرهم وصباهم نحو عيسى عليه السلام حيث كلمه قومه
في المهد صبيا كما اخبر الله تعالى بقوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني مباركا الآية ونحو ما ذكر في حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء اليه الملك … تلك الناحية واستضاءت بنوره حتى ظنوا
ان الشمس طلعت ونحو ذلك فعلى ذلك جائز ان يكون لموسى عليه السلام آيات عرفت امه بها انه رسول وانه يرد
اليها والله أعلم وقد تكلفنا هذا التصحيح قول أهل التأويل انه وحي الهام وقذف في القلب لا امر وعندنا
جائز ان يكون الوحي اليها وحي ارسال الرسول اليها والاخبار على المشافهة من غير ان صارت بذلك رسولة نحو ما ذكر
في قصة مريم ان الملك دخل عليها فتعوذت بالله منه كما اخبر الله تعالى عنها بقوله قالت اني أعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا وذلك رسول اتاها … وكلمها بذلك
غلاما زكيا مشافهة ونحو ما قالت الملائكة لها يا مريم ان الله اصطفاك الآية ونحو البشارة التي بشروها
بقوله ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية فلم تصر بما ارسل اليها من الرسل وشافههم رسولة ونحو بشارة
الملائكة ابراهيم عليه السلام بالولد وهو قوله فبشرناها باسحق ونحو ذلك مما يكثر ذكره ولم تصر بذلك
رسولا كذلك على ذلك الوحي الى ام موسى عليه السلام يحتمل ما ذكرنا والله أعلم من غير ان صارت رسولة
وقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا • وظاهر الآية مشكل لانهم عقلاء ولا يلتقط
لا يريد احد ان يكون له عدوا وحزنا او كما يرى انه اخفى عنهم على اثر هذه الآية قالت امرأة فرعون نتخذه
ولدا وكان لهم عكسا وحزنا او كلام نحو هذا والله أعلم ولنا في تحصيل هذا اخبار عما في علم الله تعالى انه يكون
ما ذكر معناه والله أعلم فالتقطه آل فرعون وكان في علم الله تعالى ان يكون لهم عدوا وحزنا ويحتمل ان يكون
من الاخبار عما يؤول اليه الامر كما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب والعقلاء لا يبنون للخراب ولا يلدون للموت
ولكن هذا اخبار عما يؤول اليه امرهم في العاقبة فعلى ذلك تقدير الآية فالتقطه آل فرعون ليكون في عاقبة ذلك
ان يكون لهم عدوا وحزنا وان كان غرضهم في الابتداء ان يكون قرة اعين وهذا جائز في اللغة ان يفعلوا
لغرض فيحصل ضده فيجعلهم يعرفوا الامور ولهذا سمى اهل اللغة مثل هذا لام العاقبة وقوله ان
فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين • ظاهر وفي الآية نقض قول المعتزلة قالوا ان الله تعالى انما
يبقي الكفرة بما فيه صلاحهم ثم قد بين انهم كانوا خاطئين فيما مضى من عمرهم والابقاء على الخطأ كيف يكون
اصلح وقوله تعالى وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا • هذا
لطف من الله تعالى ورحمة عليه حيث القى محبته في قلوبهم وخلافه في اعينهم وهو ما ذكر منته عليه
حيث قال والقيت عليك محبة مني ليستالك بذلك الشكر عليه والله أعلم قال مقاتل قوله قرة عين لي
ولك لا … تقول ليس لك بقرة عين قال ابو معاذ وهذا محال لانه لا ابتداء بقوله تقتلوه والله أعلم و
وهم لا يشعرون • يحتمل وهم لا يشعرون انه هلاكهم واستيصالهم على يديه والثاني لا يشعرون
انه هو المطلوب بقتله من بين الكل والله أعلم وقوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى فارغا • قال بعضهم اصبح
فارغا من هم موسى عليه السلام وحزنه وقال بعضهم فارغا من كل شيء الا من موسى عليه السلام
اي فرغ … ذكر موسى عليه السلام وامره وكان … واصبح فؤاد ام موسى فارغا صلة قوله ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك الآية ثم يحتمل هذا وجوها احدها ان الله تعالى دفع الحزن والخوف عن قلبها
وطمنها من فراقه ثم قوله وكلام والثاني على القول لها ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين فان كان على هذا فهو على البشارة لها بالرد اليها وجعله رسولا ويحتمل ان يكون على النهي
عن الحزن … الخوف والحزن طبيعي لا يرد النهي عنه
انما يرد على الفعل الاختياري والخوف خوف الهلاك عليه والحزن حزن مفارقته عنها وهو كقول يعقوب
عليه والحزن حزن مفارقته عنها وهو كقول يعقوب عم اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب
ذكر الحزن عند المفارقة والخوف عند الهلاك فرفع الله تعالى عنها الحزن بالمفارقة وبشرها بالرد اليها
وجعله رسولا وامنها من الهلاك فيكون قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا لما خافت عليه كما حزنت
والله أعلم وقال محمد بن ابي اسحق فارغا من … اسما الا كان … عهدنا اليها … عهد الله عظيم
ان تحمل بما وكادت تبديه ثم تذكر ما الله بالرحمة ربط على قلبها فذكرت … ما عهد اليها

صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فؤاد أم موسى فارغا من الحزن • وقوله تعالى إن كادت لتبدي به
لولا أن ربطنا على قلبها • لكنه ربط على قلبها بما ذكر من قوله عز وجل لا تخافي ولا تحزني الآية ثم
أن تبدي وهو كما ذكر من قوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كاد أن يهم بها
وكذلك قوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا أي كاد يركن إليهم شيئا قليلا
لو لم يثبته لكنه ثبته فلم يركن إليهم نحو فضل من ذلك الأول ثم قال أهل التأويل ربط على قلبها بالإيمان
أي أثبت الأمن لها ورفع الخوف ويحتمل أن يكون ربط على قلبها بما ذكر من قوله ولا تخافي ولا تحزني
الآية وقال بعضهم لتخبر فرعون فأدركتها الرقة وحب الولد وكادت تقول يا بني والأول أشبه
وفي حرف أبي وابن مسعود وحفصة رضي الله عنهم إن كادت لتشعر به • وقوله تعالى وقالت لأخته قصيه
أي اتبعي أثر موسى عليه السلام • وقوله عز وجل عن جنب قيل عن بعد أي كانت تتبع أثره من بعد قال بعضهم
الجنب أن يسمو ببصر الإنسان عن بعد إلى موضع بعيد وهو إلى جنبه يقرب منه وذلك عند الناس معروف
ظاهر فيهم ذلك وقيل فبصرت به عن جنب أي متقرب بجانبه وهي معرضة عنه كالأجنبية قال أبو عوسجة
والقتبي بصرت وأبصرت واحد وهو عن جنب أي ناحية بعيدة ولهذا سمي الأجنبي ويقال رجل جنب وقوم أجناب
ومجانب أي غريب بعيد غريب وهذا كله من الاجتناب وهم لا يشعرون أنها أخته والله أعلم وقوله
وحرمنا عليه المراضع من قبل • أي حرمنا تحريم منع وحظر لا تحريم ضد الإطلاق والإرسال لأن التحريم الذي هو ضد
الحل وهذا لطف من الله تعالى في حق موسى عليه السلام وفضل ورحمة حيث منعه أن يرضعه من النساء
طفل وهمه أمثاله الارتضاع وأن ينفتح لسانه لمن كل لبن ومن كل مرضعة لا يميز لهم في الأرضاع فقد
امتنع وكف نفسه عن الارتضاع من النساء لجميع ذلك لطف من الله عز وجل أعطاه ليمتنع عنه فعلى
هذا جائز أن يكون عند الله تعالى لطف لو أعطي الكافر الذي همته الكفر ورغبته فيه لآمن واهتدى لكنه
لما عرف رغبته وهمته فيه واختاره لم يمنع ذلك عنه ولم يعطه وهذا الحرف ينقض على المعتزلة قولهم
في زعمهم أنه قد أعطى كل كافر السبب الذي به يؤمن وما به يصير مؤمنا لم يبق شيء مما يكون به إيمانه
إلا وقد أعطاه الله لكنه لم يؤمن فينقض قولهم إذ كان من أمر موسى عليه السلام أن قبله اللطف المعطى
لو أعطاه لآمن واهتدى لكنه لم يعطه لما ذكرنا والله أعلم وفيه لطف آخر هو أن فرعون والقبط
كانوا يقتلون الولدان من الذكور فلم يصبر الذي خاف هلاكه وذهاب ملكه على يديه مقتولا فجعل الله تعالى بلطفه
ورحمته محبة موسى عليه السلام في قلب فرعون فتقلب قلبه حتى صار أحب الخلق إليهم وصار أشفق
الناس وأحبهم إليه حتى خاف هلاكه وطلبوا له المراضع لذلك بعدما كانوا يطلبون هلاكه وتلفه
وذلك لطف منه ورحمة له وهو ما قال الله عز وجل وألقيت عليك محبة مني الآية وبالله نستعيذ كل فضل
ونعمة قال الكسائي امرأة مرضع ما دامت ترضع وإذا فطمته سميت مرضعة لما كانت أرضعت فما دامت
تحلى عن مرضعه أي مسترضع • وقوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه • قوله فقالت أخته
التي كانت تتبعه وتمشي على أثره وذلك منها تعرض بالدلالة إلى أمه لئلا يشعروا أنها أمه حين قالت
هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه فلم تقل على امرأة لها لبن وهي ترضع ولعلها لو قالت ذلك لتوهم عندهم
أنها أمه ولكن دلتهم على أهل بيت يكفلونه ليقع عندهم أنهم أهل بيت قتل أولادهم
ليقع عندهم أنهم أهل بيت قتل أولادهم وأنهم يربونه لهم يكفلونه لكم أي يقبلونه ويضمونه إلى أنفسهم • وقوله وهم
له ناصحون أي لفرعون لعنه الله لا يخونون فيه ويحتمل أنهم له ناصحون أي لموسى والله أعلم • وقوله تعالى فرددناه
إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن • يحتمل كي تقر عينها بالمقام معه وأن تكون عنده ولا تحزن على فراقه
ويحتمل كي تقر عينها ولا تحزن أي تسر برده إليها وذلك معروف في النساء ظاهر أنهن يحزن
لمفارقة الأولاد عنهن ويهتممن لذلك ويسررن إذا رجعوا إليهن واجتمعوا معهن • وقوله تعالى ولتعلم أن وعد الله
حق • كان وعدها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين وكانت تعلم هي أن وعد الله حق لا محالة لما أوحى
إليها فما معنى قوله ولتعلم أن وعد الله حق فهذا مشكل من حيث ظاهر الآية ولكن معناه والله أعلم
كانت تعلم علم خبر لا علم مشاهدة وعيان كأنه قال تعالى ولتعلم علم عيان ومشاهدة كما علمت علم خبر وهذا لأن
علم العيان أبلغ وأدفع للشبهة من علم الأخبار وإن كانا من حيث يوجبان العلم قطعا سواء ألا ترى أن إبراهيم
عليه السلام سأل ربه أن يريه إحياء الموتى وإن كان يعلم أنه يحيي الموتى وأنه قادر على ذلك لكنه كان يعلم
علم خبر فأحب أن يعلمه علم عيان ومشاهدة لكونه أبلغ في دفع الوساوس وأدفع للشبهة من علم الأخبار فعلى
ذلك الأول والله أعلم • وقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون • أي أكثرهم لا يعلمون أن وعد الله حق والمعتزلة

من حماة هو كلام لأن الله تعالى أخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين حيث قال لأملأن جهنم الآية وهم
يقولون لو أراد أن لا يملأ جهنم لأنهم يقولون لو أراد إيمان كل الناس جميعا لو شاء ذلك لكنهم يؤمنون باختيارهم
شيء فعل فيهم إذا شاء بذلك الإيمان فلم يشأ الإيمان جميعهم منهم لأنه لو تحقق ما شاء من الإيمان لم يملأ جهنم
منهم وذلك خلف في الوعد وكذب في القول تعالى الله عن ذلك • وقوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى • قال أهل التأويل
الأشد هو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين ثم إلى ما بين الثلاثين إلى الأربعين واستواء الأشد ثم باختلاف يعني
النقصان وقال بعضهم قوله بلغ أشده ثلاث وثلاثون سنة وقوله استوى أربعون سنة وهكذا روي
عن ابن عباس رضي وقال بعضهم قوله بلغ أشده واستوى الأشد الحلم والاستواء أربعون سنة وأصل الأشد أن
يشتد كل شيء منه وصار يحتمل ما يصيبه ويقبل ثم فيدخل في ذلك العقل وكل شيء وقوله واستوى أي استوى
ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل ذلك ويحتمل أن يكون الاستواء على تفسير الأشد الذي ذكر والله أعلم وقال أبو عوسجة
والقتبي استوى أي استحكم وانتهى شبابه واستقر فلم يكن فيه زيادة وأصله ما ذكرنا • وقوله تعالى آتيناه حكما
وعلما • أي آتيناه الحكم الذي يحكم به بين الناس وعلما بمصالح نفسه وبمصالح الخلق وقال بعض أهل التأويل
المراد هو الفقه والعلم والعمل قبل النبوة • وقوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين • أي كذلك نجزي المحسنين
في الآخرة بالوعد الذي وعد لهم وفي الدنيا كما جزى موسى بما جازاه وعد له ويحتمل أن يكون من موسى عم إحسان
وجهد في طلب العلم وغير ذلك فأعطاه ذلك وأخبر أنه كذلك يجزي المحسنين وهو كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا الآية • وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها • قال عامة أهل التأويل على حين غفلة أهل تلك المدينة
وهو عند الظهيرة وذلك وقت القائلة وقال القائلون على حين غفلة من أهلها أي بعد دخول موسى عليه السلام
أي دخلها من غير أن يشعر به وعرفوا أنه موسى فعلى ذلك التأويل الغفلة تكون على دخول موسى عم وعلى الأول
غفلة أهل المدينة أي وقت غفلتهم فإن كان على هذا فيحتمل أن تكون غفلة أهلها هو أن كان ذلك يوم عيدهم
خرجوا إليه فدخل هو المدينة ليطلع أحوالها وأسبابها وإلا فعلى ما قال أهل التأويل أنه وقت القيلولة لا
إذ جميع أهل المدينة لا يحتمل أن يقيلوا على مجرى العادة والله أعلم إلا أن يكون العادة فيهم أنهم بأجمعهم يقيلون فيحتمل ح
والله أعلم • وقوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه • إنما قال الشاهد
والمشار إليه فإنما هو المعاين فلا إنه على إشارة لكن تأويل الآية والله أعلم أي في الابتداء كأنه قال فوجد فيها
رجلين يقتتلان من نظر إليهما يقول هذا من شيعته وهذا من عدوه والله أعلم ثم قال أهل التأويل كان أحدهما
إسرائيليا والآخر قبطيا فإن قيل كيف عرف الإسرائيلي من شيعة موسى عم وذلك قبل أن دخل موسى عم المدينة
وكيف عرف الإسرائيلي من القبطي لأن بني إسرائيل كانوا يومئذ بعبادة الأصنام وقد حبب ذلك إليهم حتى قالوا
لموسى عم بعد هلاك فرعون والقبط جميعا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لذلك قال مقاتل أن الرجلين اللذين
يقتتلان كانا كافرين جميعا ألا ترى أنه قال موسى عم رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين سمى الذي
ظاهر المجرمين فهذا إشارة أن الذي ظاهر من المجرمين والكفار فكيف يكون من شيعة موسى لكن يخرج
هذه على الإضمار كأنه قال يكون هذا من شيعته وهذا من عدوه لأنه في علم الله تعالى من شيعته ويحتمل أن يكون
هذا من قومه شيعته قوم أبا وهم المسلمون وسمى هذا عدوا في قومه هم أعداؤه والله أعلم وعلى أن أبا معاذ
النحوي ينكر قول مقاتل إنهما كانا كافرين وكذلك في الآية دليل على أن الإسرائيلي لم يكن على الكفر فإنه قال تعالى
على موسى بقوله فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما أي جعل القبطي الذي استنصر الإسرائيلي موسى بل
بعد ما قتل موسى رجلا قبطيا لا لأجله من قبل هكذا لموسى عم والإسرائيلي فدل أنه كان من المسلمين وهذا لأن بني إسرائيل
كانوا على دين إسرائيل عم ولهذا كان فرعون وقومه يقهرونهم ولو كانوا كفارا واتبعوا فرعون في دينه
لكانوا أمانا منهم فهذا يحتمل أنهما عرف موسى عم الإسرائيلي لما لهم علامات يتميزون بها عن القبط ويحتمل
الإسرائيلي بذلك فظاهر بما عرف من ظلم القبطي على بني إسرائيل بنا على ظاهر الحال والله أعلم • وقوله تعالى فاستغاثه
الذي من شيعته على الذي من عدوه • أي استغاثه الذي كان في علم الله تعالى أنه يكون من شيعته على الذي
في علم الله تعالى أنه يبقى عدوا له والاستغاثة هي الاستعانة والاستنصار أي سأله أن ينصره • وقوله تعالى
فوكزه موسى فقضى عليه • قال أبو عوسجة الوكز الطعن في الصدر وقال الزجاج والقتبي الوكز الدفع
فوكزه أي دفعه ولكن اختلف في تأويل قوله فقضى عليه قال بعضهم أي فرغ منه كقوله عز وجل فلما قضى موسى الأجل
وقوله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي فرغ وقال بعضهم فقضى عليه أي قتله وكلاهما سواء أي أراد قتله
وقد فرغ منه لكنه لم يتعمد قتله غير أن الله تعالى قضى أجله وجعل نقضه على يدي موسى عم وهل القتل
ألا ترى أنه قال إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون ولم يكذبه الله تعالى في قوله إنك لم تقتل وقال أيضا

انى ظلمت نفسى الاية وفى الاية دلالة لابى حنيفة رح فى ان قتل عمد بحجر او خشبة عظيمة فيما لا ينجا عن مثله
انه لا يجب القصاص فان موسى عم وكز ذلك القبطى فمات وذكر انه قوى اربعين رجلا ولم يرد القصاص به ولا يجد
الله ذلك الرجل ان كيده يا موسى بل خيفة لوله فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال
رب نجنى من القوم الظالمين ولو كان القصاص واجبا عليه بذلك القتل لكان لو لم يكن ظالما فى قتله
وكذا لا يحتمل ان يكون القصاص واجبا على موسى عم ويوسف مع ذلك ويهرب ففى ذلك ابطال حقهم ذلك
انه لم يكن واجبا والله اعلم ولا شك ان وكز من هو قوى اربعين رجلا الى الهلاك اسرع وادرى واعمل فى القتل
من الضرب بالحجر العظيم والخشبة العظيمة فاذا لم يجب فى الوكزة لم يجب فى هذا والله اعلم لا يقال ان موسى عم
لم يكن قاصدا فى قتل القبطى لانه لا يظن بمثله عم ان يقصد قتل شخص ليس بجان فى حقه لانا نقول انه
لم يقصد قتله لكن من حيث الظاهر فهذا العمد والقصد قد وجد فى حقه فان الاقدام على الضرب بالوكز
ممن له قوة اربعين رجلا دليل على القصد على القتل ظاهرا واحكام الشرع مبنى على الظاهر الا ترى ان من جرح
رجلا بالسيف فى غيره يجب القصاص وان كان ذلك احد غير قاصد للقتل بجراحه ولكن لما كان الظاهر
هو ما ذكرنا بنى الحكم عليه وكان على ما بنى عليه الحكم يكون القصاص واجبا عليه لو كان القتل بمثل هذه
الالات موجبا القصاص والله اعلم وقوله تعالى قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ظاهر
وقوله تعالى قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال بعضهم بما انعمت على بالمغفرة فلم تعاقبنى
من قتل النفس وعصمتنى من ان اعاقب بنفس كنت وجائز ان يكون قوله بما انعمت على اى بالنعمة هى نبوته التى اعطاها
اخبر انه لا يكون بما ظهيرا للمجرمين امتنانا منه عما يجرى على يديه من قتل القبطى والله اعلم وقوله تعالى فاصبح فى المدينة
خائفا يترقب اكثر ما ذكر فى القران اصبح اى صار كقوله عز وجل فاصبح ماؤها غورا اى صار وقوله
ان اصبح ماؤكم غورا اى صار ونحوه فاما هاهنا فانه اصبح فى المدينة خائفا يترقب مما ارتكب من الصلاح
نفسه ثم قوله خائفا يترقب قال عامة اهل التاويل يترقب اى ينتظر سوءا يناله منهم قال ابو عوسجة
الترقب الخوف كانه قال خائفا يخاف هلاكه واصل الترقب هو النظر والوقت ويترقب من يطلبه
ومن ياتيه فيطلبه ومنه الترقيب والله اعلم وقوله تعالى فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له
موسى انك لغوى مبين اى نادى موسى عليه السلام ذلك الرجل الذى لحق انه من شيعة موسى وسأله
النصر على القبطى ونصره حتى قتل القبطى مع آخر فاستصرخ موسى عليه السلام وطلب منه النصر له عليه
قال له موسى انك لغوى مبين كان ذلك الرجل الذى استنصره كان ضعيفا فى نفسه حيث لا يقدر
على ان يقوم لواحد ويقاومه فيستنصر من موسى عليه السلام ويستعينه به لانه كان يخاصم و
ينازع ويقابل مع غيره فيدع بلا ... لنقض ذلك منه موسى عم فقال له انك لغوى مبين اذ الخصومة
والمنازعة فى الجملة من باب الفساد خصوصا اذا كان احد الخصمين لا يقدر على مقاومة صاحبه فينسبه
الى الفساد السفه وانما عرف موسى عليه السلام غوايته بما استدلال الذى ذكرنا الا بالمشاهدة وذلك
اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما لئلا يقتله ولا يهلكه لما عرف غوايته بالاستدلال لا بالحقيقة وقوله تعالى
فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما ذكر البطش هاهنا واراد به الاخذ باليد وفى الاية ذكر الوكز
وهو الدفع والطعن فهو والله اعلم انه لما ذكر القبطى الثانى ومنعه عن اهلاكه واتلافه ... لئلا ياتى على
نفس الاخر كما فعلت الوكزة الاولى وقوله تعالى قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس اختلف
فى تاويل هذا على ما قال اهل التاويل ان قائل هذا الاسرائيلى الذى استصرخه واستغاثه قالوا لانه ظن ان موسى
عليه السلام انما اراد بطشه واخذه واليه قصد حين توجه اليهما وهما يقتتلان لذلك قال اتريد ان
تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس وقال قائلون انما قال ذلك القبطى فان كان القائل هذا فهو دليل على ان
قتله ذلك الرجل بالامس كان ظاهرا حيث علم به القبطى وكان قتله على حين غفلة من اهلها اى من دخول
موسى المدينة فان كان القائل هو الاسرائيلى كان قتله اياه خفيا غير ظاهر فعلى هذا يكون الغفلة
على اهل المدينة ليس على دخول موسى عليه السلام والله اعلم وقوله تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا
فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين قال بعضهم يقول هكذا فعل الجبابرة تقتل النفس بغير
نفس لا ان الذى يصلح بين اثنين لا يقتل ولا يلحق احدهما دون الاخر ولكن يصلح بينهما على
ذلك قال ما قال والله اعلم وقال بعضهم الجبار هو الذى يحمل الناس على هواه وعلى ما يريده ويقهرهم على
ما شاؤا او ابوا وقال بعضهم الجبار هو الذى يتكبر على الناس لا يرى احدا لنفسه نظيرا او كلام نحو هذا
وقيل كل قاتل على الغضب بغير حق فهو جبار والله اعلم وقوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى

وجهين احدهما انه قيل ان يكون مشركا من قوم فرعون وهو اقصى المدينة وهو منتهاها وذلك الرجل القبطى
الذى هو من اتباع فرعون ويحتمل ان يكون من اقصى المدينة وهو موطن الملأ والاشراف الذين ذكر انهم ائتمروا
على قتله فيجى منهم ويخبر بذلك وقوله تعالى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك قال اهل التاويل
يقولون يأتمرون بك اى قال بعضهم يتشاورون بك ليقتلوك وقال الزجاج يأتمرون بك اى يامر بعضهم بعضا بقتلك
قال القتبى اى يهمون بقتلك وهو يقلبه ايضا يأتمرون اى يتشاورون وهو واحد والاصل الائتمار المشورة
هو الطاعة والائتمار لما يؤمر من الفعل كانه يعنون امر الملأ ان يقتلوه فاطلعوا وقيل امروا الامر والله اعلم وقوله
فاخرج انى لك من الناصحين قال الزجاج قوله انى لك من الناصحين اى لمن الناصحين الذين ينصحون لك
فى تقديم كما تاخير وهذا ظاهر فى كلام وقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب وقد ذكرنا تاويل هذا
فى الاية يدل على انه لا باس بالخوف من دون الله تعالى خلاف ما يقول بعض الناس ان لا يسع الخوف من دون الله
الاشتغال بحقيقة الخوف يكون من الله لانه يخاف ان ينتقم منه على ما يرى هذا يقصده والله اعلم وقوله
قال رب نجنى من القوم الظالمين اى الذين حيث هو قاتله وقيل موسى على الكلام ذلك القبطى لم يوجب عليه
القتل والقصاص لانه لم يقصد قتله لم يستوجب القتل فذكر انهم ظالمون فى ارادتهم قتله وقال
ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل قال بعضهم انما ذكر ذلك لانه ... وقيل توجه تلقاء
مدين ووقع تلقاء مدين لانه لم يكن المقصود والله اعلم وقوله تعالى عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل اى الطريق الذى
يقصده ويطلبه وهو طريق مدين لانه ذكر انه كان ضل الطريق وقوله تعالى ولما ورد ماء مدين اى وجد
البئر التى كان ماء مدين من تلك البئر وجد عليه امة من الناس يسقون قيل انه اى جماعة وقيل اناس من الناس
يسقون اغنامهم ومواشيهم ودوابهم ووجد من دونهم امراتين تذودان قال بعضهم تذودان اى تحبسان
اغنامهما حتى يصدر الرعاء ولا تسقيانها لما انهما لا تقدران ان تسقيا اغنامهما مع غنم اولئك الرعاء
حتى يصدروا هم ويحتمل انهما لا يمنعان ذلك لكنهما لا يستحسنان ان يزاحما الرجال ويختلطا بهم فيتربصا
وانهم حتى يصدر الرعاء منها فان قيل فما بالهما لا يتخلفان وقت اجتماع القوم ولا ينتظران خلاء البئر عنهم
ثم يشهدان بعد ذلك الوقت حتى لا يقع بصر الرجال عليهما قيل لما ذكرنا ان على رأس البئر حجرا لا يقدر
لا يطيقه الا كذا كذا نفرا وكذلك الدلو الذى يستقى منها لا يطيق نزعه الا كذا كذا نفرا من عشرة الى اربعين على
ذلك فيشهدان تلك البئر وقت شهود القوم وحضورهم ليستقوا هم بنزع الدلو واستقاء فيسقيا اغنامهما
ويبقى فى الماء مقدار ما يكفى اغنامهما فيسقيان ولو تخلفتا وانتظرتا خلاء البئر عنهم ثم ياتيان لم يقدرا على
الحجر الذى عليها ونزع الدلو الذى هو فيها فلذلك كان ما ذكر وقوله تعالى قال ما خطبكما اى ما شأنكما وما امركما
قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء قرئ بنصب الياء وبرفعها جميعا فمن قرأ بالنصب فانه يقول معناه حتى يصدر
الرعاء بانفسهم اى يرجع ومن قرأ بالرفع معناه حتى يصرفوا اغنامهم والله اعلم وقوله تعالى وابونا شيخ كبير
دل الاشكال انهما انما ذكرتا ذكر سن ابيهما بلا سبب فقال السبب الحامل لهما على ذلك فيقول انما ذكرتا
والله اعلم عذر ابيهما فى التخلف عن سقى الغنم حين سأله اياهما فى ذلك ويتولى السقى بنفسه فقالتا ذلك لكبره
وضعفه حيث يتخلف عن ذلك عذرا بشأنهما والله اعلم ويحتمل ان يكون لمعنى اخر لا نعلمه نحن والله اعلم وقوله تعالى
فسقى لهما ثم تولى الى الظل وفى الاية دليل ان البئر التى كانت تستقى الماشية منها كانت فى الشمس وفيه
دليل على انه لا باس ان يتخلص فى الظل رد على قول من ينكر التنعم والاستراحة فى الدنيا وقوله تعالى قال رب انى
لما انزلت الى من خير فقير قيل الخير الطعام وقيل الخبز النضج وقيل الخير اصطناع المعروف لى وفقير
فى كل وقت على اصطناع المعروف وذكره الموحد قال ابن عباس رضى ما سأل الله الا اكله قيل انه انما قال
شكاية عما اصابه من الجوع لانه ذكر انه خرج من المصر الى مدين هاربا من فرعون وقومه غير متزود وهو مسيرة ثمان
ليال وفيه دلالة انه لا باس للرجل بان يخبر ويذكر عما هو فيه من الجوع الذى اصابه وكذلك ما قال فتاه آتنا
غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا والله اعلم وهذه الاية دليل على رد قول من قال ان مثل هذا يخرج مخرج الشكاية
الى الله تعالى لانه لو كان كذلك لكان موسى عم لا يقول ذلك ولا يذكر والله اعلم وقوله تعالى فجاءته احداهما
تمشى على استحياء اى تمشى مشى من لم تعتد الخروج او تمشى مشى من لم يخالط الناس على الستر والتغطية
وقوله تعالى قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا هذا يدل على انه لا باس ان يؤخذ على المعروف
لمن صنع اليه الاجر والافضل على من صنع اليه المعروف ان يعطى لمعروفه ويتبرع بذلك الاجر والافضل على
صانع المعروف ان لا ياخذ على ذلك بدلا الا ان موسى عليه السلام كان وقت اشتد به الحاجة لذلك كان
اخذ لمعروفه بدلا والله اعلم وقوله تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص اى لما جاءه موسى عليه السلام ابا المرأتين

وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين لانه لم يكن لفرعون على ذلك المكان سلطان ولا يد ولو كان
لم يفد خوفا لانه كان من قبل قد نجى موسى بخاصته دل انه لم يكن له عليه سلطان والله اعلم وقوله تعالى نجوت من القوم
الظالمين يحتمل الظالمين المشركين اذ كل مشرك ظالم ويحتمل نجوت من القوم الظالمين الذين يقتلون بغير حق
وقصدوا قتلك بغير حق لما ذكرنا انه لا يجب عليه القصاص بقتل القبطي والله اعلم وقوله تعالى قالت احداهما يا ابت
استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قال اهل التاويل قال لها ابوها لما قالت له استاجره فانه قوي
امين ما قوته وما امانته فقالت اما قوته فانه دفع الحجر من راس البئر وحده وكان لا يطيقه الا كذا وكذا نفرا فنزع له
من البئر وحده وكان لا يطيق الا كذا فذلك قوته واما امانته انه قال امشي خلفي وصفي لي الطريق فذلك امانته
ولكن عندنا انها كانت تعرف امانته قبل ذلك بما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما ما خطبكما وجرى
لهما وفي مثل هذا تعرف الامانة في ترك النظر اليهما وترك الاعراض عما يوجب التهمة والله اعلم وفي قوله تعالى يا ابت استاجره
دليل على انه كان ابوهما في طلب اجير قوي امين لكنه لا يجد ولا يظفر به لذلك قالت له استاجره ان خير من استاجرت
القوي الامين وهذا لانه لا يحتمل ان يكون له ماشية ولغنمه حاجة الى رعيها وسقيها وقد بلغ في نفسه من
الكبر والضعف ما يرسل ابنتيه الى الرعي والسقي ولا يستاجر اجيرا ليتولى ذلك له دون بناته هذا مما لا يحتمل وقوله تعالى
ما وصف الله تعالى ابنته بالحياء حيث قال تمشي على استحياء فدل ذلك على انه كان في طلب الاجير وانما ارسلهما
في سقي الغنم وهو مضطر الى ذلك محتاج اليه لذلك قالت له يا ابت استاجره الاية وقوله تعالى قال اني اريد ان
انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج طلبت هي الاستيجار والاب عرض على موسى النكاح فذلك
يحتمل وجهين احدهما ان المراة رغبت في استيجاره دون النكاح لكن الاب لما وجده قويا امينا كفيا لابنته ولذلك
الى ذلك في الجملة فعرض عليه النكاح لذلك والثاني يحتمل انها رغبت في النكاح لكنها لم تظهر من نفسها من غلبة
حيا وطلب الاستيجار وابوها كان محتاجا الى مثل موسى عليه السلام لاقامة اموره لكبر سنه وقدم من يقوم
بمراعاة اسبابه فعرض عليه النكاح ثم قوله على ان تاجرني ثماني حجج يحتمل وجهين احدهما ان جعل عمله بدل النكاح ومهر
لبضعها ثم صح به ثماني سنين لما ذا احتمل عمل ثماني سنين مهر مثلها والثاني قوله على ان تاجرني ثماني حجج لم يجعلها
على جعل عمله بدلا للنكاح ولكن على الاجارة المعروفة على اجر معلوم على حدة من غير ان كان كذلك مهر بل تزوجها
بمهر وعقد عليها عقد الاجارة فكانا عقدين ثم الصدود بثماني سنين على هذا التاويل يخرج على الحكم على وجهين
احدهما انه لما قص عليه قصته عرف انه لا يقدر على العود الى مصر وانه لا يامن في تلك الناحية بكون ما ذكر
من المدة بما جعل الله تعالى له طريق العلم من حيث العبادة او الوحي والثاني يحتمل انه اراد ان يعلمه ويروع
ويشوقه بالعود الى بلده في هذا القدر من المدة فشرط ذلك عليه الا ان زاده عليه لئلا يحدث نفسه بالرجوع اليه
في ذلك الوقت والله اعلم وقوله تعالى فان اتممت عشرا فمن عندك اي فان زدت سنتين فمن
عندك اي فانه زيادة سنتين على مهر المثل في فضلك واحسانك وقوله تعالى وما اريد ان اشق عليك اي
في الزيادة على ذلك كله والله اعلم وقوله تعالى ستجدني ان شاء الله من الصالحين اي في جميع ما يجري بيني وبينك من
المعاملة والصحبة وفي الاية ان التمني فيما يعدون كان ظاهرا في الامم السالفة والله اعلم ثم اختلفوا في
المرايين قال بعضهم كان شعيبا النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان من اولاد شعيب عم وقال الحسن كان
شعيبا ولكن سيد الماء يومئذ والله اعلم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فانه قيل ان شعيبا لم يكن في زمن
موسى عليه السلام فيكون الكف عن تعيينه احسن واسلم وقوله تعالى قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين
قضيت قال موسى عليه السلام ذلك الشرط والله اعلم بيني وبينك اي الاجلين قضيت اي وفيت او عملت
اما الثمان واما العشر فلا عدوان علي يقول لا سبيل لك علي بعد ذلك ولا تبعة والعدوان هو الظلم المجاوز
عن الحد الذي جعل له يقول لا اظلم علي ولا مجاوزة علي في الاختيار الى ما قضيت اي الاجلين حتى [illegible] ثم
قال والله على ما نقول وكيل قال بعضهم يقول انه شهيد على مقالتي ومقالتك والوكيل هو الشاهد والحافظ
كانه يقول والله على ما نقول شهيد والله اعلم وذكر ان جبريل عليه السلام جاء الى نبي الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واوفاهما وان سئلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى
فان ثبت هذا ففيه انه قضى الاجلين جميعا الثمان والعشر لكن في الاية الاقضى الاجل من غير تعيين
والله اعلم وقال القتبي على ان تاجرني اي تجازيني من قولك اجرك الله والاجر من الله تعالى هو الجزاء على العمل وقوله تعالى
فلما قضى موسى الاجل قال اهل التاويل ما ذكرنا انه قضى اتمهما واكثرهما لكن لا نعلم ذلك الا بالخبر الصحيح
وليس في الاية الا قضى الاجل ولا زاد على ذلك الا بثبوت خبر فان ثبت فهو هذا والله اعلم وقوله تعالى
وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قيل ابصر واحس نارا وقال بعضهم ان موسى عليه السلام لم يكن

نارا اي نورا ظن انه نار وهذا فاسد لانه لا يحتمل ان الله تعالى اخبر انه انس نارا فان لم يكن ذلك في الحقيقة نارا
لكن ذلك نورا كان ذلك يوجب الكذب في الخبر الا ان يقال على الاضمار انس من جانب الطور نورا ظن
انه نار وظن انه نار والله اعلم وقوله تعالى قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة
من النار اي امكثوا لعلي اتيكم منها بخبر يدلنا ويخبرنا عن الطريق فكانه قد ضل الطريق فيقول لعلي اتيكم
منها بخبر الطريق او جذوة من النار اي اتيكم بجذوة من النار لو بقيتم فيه وتركتم ههنا ان لم اتك بخبر الطريق
لعلكم تصطلون وقوله لعلكم تصطلون دلالة انه كان في ايام الشتاء ووقت البرد لان الاصطلاء
في الشتاء يكون قال قتادة الجذوة اصل شجرة فيها نار وقال ابو عوسجة الجذوة مثل الشهاب وجمعها جذى
وقال ابو عبيد هي القطعة الغليظة وقال بعضهم هي عود قد احترق بعضه وهو قال القتبي وقوله تعالى فلما
اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة شاطئ الوادي وسطه واختلف في الايمن قال بعضهم
الايمن عن يمين الجبل وقال بعضهم اي عن يمين موسى وقال بعضهم عن يمين الشجرة ولكن عندنا الايمن نعت
الوادي هو ماخوذ من اليمن وقوله في البقعة المباركة قال بعض اهل التاويل تسمى مباركا لكثرة اشجارها
وانهارها وكثرة ثمارها وعشبها ولكن عندنا سماه مباركا وايمن لانه مكان الانبياء والرسل عليهم السلام
وموضع الوحي والله اعلم وقوله تعالى من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين ولله تعالى ان يسمع ويخبر
من شاء بما شاء وكيف شاء كما اسمع مريم رضي الله عنها من تحتها حيث قال فناداها من تحتها الا تحزني
وان الق عصاك ليس هذا بموصول بقوله اني انا الله رب العالمين كانه قال اني انا الله رب العالمين
وان الق عصاك ولكن ذكر كما قال في سورة طه اني انا ربك فاخلع نعليك الى اخر ما ذكر ثم قال في اخره
وان الق عصاك والله اعلم وقوله تعالى فلما راها تهتز كانها جان اي تتحرك كانها جان قال بعضهم الجان
الحية الصغيرة وقال بعضهم الجان بين العظيمة والصغيرة والله اعلم وقوله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب
يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين [illegible] والثالث على التحقيق اي لا تخف انك من الامنين
اي احفظ وادفع اذاه عنك وهو كقوله انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا انني معكما
اسمع وارى اي اسمع ما تقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما وقوله ولى مدبرا ولم يعقب اي
فارا هاربا ولم يعقب اي لم يلتفت ولم يرجع لشدة خوفه وقد ذكرنا وقوله تعالى اسلك يدك في جيبك اي
ادخل يدك في جيبك على ما ذكرنا في اية اخرى فادخل يدك في جيبك وهذه الاية تدل على ان لا باس بتغيير
والاختلاف [illegible] بعد اصابة المعنى وما قصد به والله اعلم وقوله تعالى تخرج بيضاء من غير سوء وقد ذكرنا
تاويله وقوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه [illegible]
[illegible]
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ويحتمل ان يكون ذلك لان لسان هرون كان افهم وهو ابين امرا بمنطقه افهم ولموسى عم فيه ان كان معتذرا لاجله
وقوله تعالى فارسله معي ردءا يصدقني قال ابو معاذ تقول العرب اردأت الرجل اذا اعنته ولم يتبين في هذه
انه فيم طلب منه العون وقد ذكر في آية اخرى وهو قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه
في امري الاية وقوله يصدقني اي يصدقني فيما اقول اذا كذبوني وهم واستانس به اذا صدقني بالتكذيب
والرد والجناية كما اخبر عن نفسه كقوله سنشد عضدك باخيك وقال ابو عوسجة سنشد عضدك
باخيك اي نعينك به ونقويك والعضد كناية عن القوة لان القوة به تكون فيمن تكون وهو كقوله تثبت
اقدامنا الاثر بالاقدام تثبت وقوله نكص على عقبيه لانه بالعقب ينكص ومثله كثير فعلى ذلك هذا
والله اعلم وقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا اي حجة فلا يصلون اليكما باياتنا فلا يصلون اليكما وقال بعضهم
ونجعل لكما سلطانا بالتلطف يدفع عنكما اذاهم وشرهم وهو كقوله عز وجل لا تخافا انني معكما اسمع وارى
اي اسمع وارى ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع عنكما فلا يصلون اليكما بالايات التي معكما
والله اعلم وقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بالحجج والبراهين اي يغلب حججكما سحرهم وتمويهاتهم ويحتمل
ان يكون عاقبة الامر لكما ويحتمل ان يكون ذلك في الاخرة وقوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي جاء
موسى عليه السلام فرعون وقومه باياتنا اي باعلام اسبابا بانها فيظهر ان يظهرن وتوضح رسالة موسى
ونبوته وقد ظهر لهم ذلك وعرفوا انها ايات من الله تعالى منه نزلت الا ترى ان موسى عليه السلام قال لفرعون
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لكنهم قد عاندوا وكابروا فقالوا ما هذا
الا سحر مفترى هذا منهم تمويه وتلبيس على الاتباع والسفلة لئلا يعادوا تهمما التمويه والتلبيس على اتباع
امر موسى عليه السلام وقوله تعالى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يقولون والله اعلم انا بآبائنا قد عبدنا الاصنام
على ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك فعن قريب لن يتهمنا ولم يقولوا انا لو اعطيت الحق على دين
اباءنا وعلى ما هم عليه لكن تبديلنا بما تذكر وتوعدنا به من العذاب والله اعلم وقوله تعالى وقال موسى ربي
اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وهذا والله اعلم من موسى عليه
السلام كانه ليس بجواب لقولهم ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين فان كان ذكر
موصولا به فكأن جواب هذا على قولهم ما هذا الا سحر مفترى قوله انه لا يفلح الظالمون كأن الظلم عن
السحر يقول والله اعلم ان ليس بسحر لانه قد غلبتكم وقهرتكم وقد افلحنا نحن وقال لما اتيتكم لا افلح اذا لانه
تعالى اخبر ان الساحر لا يفلح بقوله عز وجل انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وكما قال
ايضا ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقد اصلح عملي وظهر انه ليس بفساد
ولكنه صلاح والله اعلم بالحكم ثم يقول تعالى ربي اعلم بمن جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح
الظالمون يحتمل ان يكون جوابا لما ذكر في سورة الاعراف قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون فقال لهم كذلك ربي اعلم
بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار جوابا لقوله هذا ويحتمل ان يكون قوله ربي اعلم بمن
جاء بالهدى من عنده جوابا لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد والله اعلم وقوله تعالى وقال فرعون يا ايها
الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين كانه قال لهذا الملأ وهم اشراف قومه على طريق الخبر
لهم لانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه والالهية له ثم
الاتباع اهلا لعبادة نفسه فجعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملأ اهلا لها لذلك خصهم بذلك
ومن هذا اتخذت العرب عبادة الاصنام دون الله تعالى لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله عز وجل
حتى قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والله اعلم وقوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل
لي صرحا قال اهل التاويل اوقد على الطين حتى يصير اجرا ولا نعلم ذلك حقيقة ويحتمل ان يكون من قبل فلا نقطع
القول به وقوله فاجعل لي صرحا اي قصرا وقوله تعالى لعلي اطلع الى اله موسى كان يعرف اللعين انه ليس
باله السماء والارض اذ لا يملك ذلك وكان اراد بقوله ما علمت لكم من اله غيري قومه واهله خاصة
دون سائر اهل الارض وما قال الملأ من قومه اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم الا انه اذ كان الاصنام الهته فكيف يدعي الالهية لنفسه
بقوله ما علمت لكم من اله غيري يخرج على ما ذكرنا انه خص الاشراف من قومه بالعبادة له واتخذ الاصنام
للسفلة انفة منهم من عبادتهم فيكون المراد من قوله ويذرك والهتك اي الاصنام التي اتخذوها الهة
لاتباعه والله اعلم وقوله تعالى واني لاظنه من الكاذبين كان جميع ما كان من الكلام من فرعون لموسى

عليه السلام كان يحمل الظن لا على حقيقته بعض الشك كما يكون في البعض وهو كقوله واني لاظنك يا موسى
مسحورا [illegible] واني لاظنك يا فرعون مثبورا [illegible] حقيقة العلم [illegible] على الاستعارة
لتشابه بينهما والله اعلم وقوله تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق [illegible]
[illegible]
[illegible] فانظر كيف كان عاقبة الظالمين [illegible] وجعلناهم ائمة
يدعون الى النار [illegible]
[illegible]
الى من يتبع الذكر [illegible]
في الشيطان انما يدعو اهل الاجابة وهو ما يدعو الحزبين جميعا لكنه اضاف دعاءه الى حزبه لما يكون منهم الاجابة
له واضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من يتبع ويقبله لما تطلعهم له فعلى ذلك الاول اضاف ذلك الى
ويمكن ان يفعلهم لما ان ذلك وجوده باسباب من الله تعالى فيقول ان الله تعالى اضاف الفعل الى نفسه حيث قال
وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ذلك على ما ذكرنا ان افعالهم من الخيرات والشر يكون بسبب جعلهم ثمة في ذلك السبب
تعالى صنع كان فعلهم لا يتحقق بلا اقدار الله تعالى اياهم واعطائه الالة وحقيقة القدرة والاختيار لكن
متى اضيف الفعل الى الله تعالى كان على حقيقة الفعل والسبب جميعا واذا اضيف الى فعل العباد يكون على حقيقة الفعل
دون السبب وكان اضافته الى الله تعالى فقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم لما يوجد
منهم الاسباب والله الموفق وكذلك نقول في ما ذكر من الامثلة من قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وفي قوله
انما يدعو حزبه وهو يدعو الحزبين جميعا ان الاضافة لم تكن لاجل السبب لما ذكرنا ان خلق السبب الذي
تعالى وصنعه من اعطاء القدرة ونحوها وكذلك نعت خلق الانذار دعاء الدعوة لكنه خص بالاضافة الذي
اتبع الذكر لان يتبع الانذار ينفع دون الذي لا ينفعه وكذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعا الا انه يفضل
بالدعاء من يضرهم الا ترى انه قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وكذلك رسول عليه السلام يقصد بالانذار
نفعهم بذلك حصل الانذار لمن اتبعه وخص في ذلك حزبه والله اعلم وقوله ائمة يدعون الى النار اي يدعون
الى اعمال توجب لهم النار لا انهم يدعون الى النار تصريحا ولو دعوهم الى النار لا يجيبوهم وهو كقوله
تعالى ويوم القيامة لا ينصرون كان الشيطان مناهم النصر والشفاعة لعبادة الاصنام فاخبر انهم لا ينصرون
الا لا نظير في ما مناهم والله اعلم وقوله تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وهو ما اهلكهم في الدنيا واستولى
عليهم ويوم القيامة هم من المقبوحين قال بعضهم اي مسودون وجوههم ويحتمل ان يكون ذلك الخزي
ما افتخروا في هذه الدنيا بالحلي والزينة وطعنوا في موسى عليه السلام لم يكن ما لهم حيث قالوا لولا القي عليه
اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فيخبر انهم يكونون في الاخرة على ضد الحال التي يكونون في الدنيا
ويفتخرون بها والله اعلم وقيل المقبوح هو المسود مع الزرقة وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى من نحو عاد وثمود وهؤلاء الذين كانوا من قبله من الامم اي ارسلناه من بعد هؤلاء
من ذكر وقوله تعالى بصائر للناس قيل بصائر للناس اي هداهم لان ذكر هلاك القرون نبصرهم وتحذرهم لئلا يكون
من بعدهم لئلا يحل بهم ذلك عن تكذيب الرسل عليهم السلام اذ ما نزل بهم انما نزل لتكذيبهم الرسل ويكون ذلك
في رسالة موسى صلوات الله عليه وسلم ان الكتاب الذي اتاه الله تعالى موسى بصائر للناس وهدى
ورحمة لهم اذا قبلوه واتبعوه وعملوا به وكذلك كان جميع كتب الله تعالى هدى ونعمة وبصيرة لمن رغب
عمل به ويحتمل ان يكون هذا حلا بما وصله لقولهم ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يقول والله اعلم انكم
سمعوا والله اعلم انكم لو تسمعوا ذلك فما يأتيكم الا الذين يسعون رسلهم وما جاؤهم فانما ان كذبوهم فانا

فانا اهلكنا قوم تكذيبهم الرسل عليهم السلام واستأصلناهم والله اعلم وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
قال بعضهم بجانب الغربي حيث يغرب الشمس والقمر والنجوم والشرقي حيث يشرق الشمس ويطلع وقال بعضهم
الغربي اي بجانب الوادي الغربي اي بجانب الوادي الغربي والله اعلم وقوله تعالى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين
وقال وما كنت مقيما وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يخرج على وجوه احدها انك لم تكن شاهدا
هذه المشاهدة التي شهدها موسى عليه السلام حيث قال اذ قضينا الى موسى الامر بجانب الغربي ولم تكن شاهدا
هنالك وما كنت ثاويا في اهل مدين ثاويا حيث يعلم موسى عم ونحو ذلك اي لم تكن شاهدا هذه المشاهد التي كان موسى
شاهدا فيها ثم اعلمناك تلك الانباء والاخبار على ما كانت ليتلو ذلك لانه ليس من الانباء والاخبار على اهل
مكة فانه آية لنبوتك ورسالتك انه لم يشهدها ولا اختلف الى احد ممن يعرفها فعلمك ثم انبأك على ما كانت ليعرفوا
انك انما عرفت بالله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا تقول الجهمية لم يناد
هذا لم نشاهدها انما هو شيء انزلناه عليك لتتلو على اهل مكة والثاني يحتمل ان يذكر هذا للامتنان عليه
ليستادي به شكره لانه ذكر انه اوحى الى موسى عليه السلام ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وامته في التوراة وكرامته
حين تمنى موسى عم ان يجعله من امته فيقول والله اعلم لم تكن شاهدا في هذه المشاهد فذكرتك يومئذ وامتك
والله اعلم والثالث يحتمل ان يذكر هذا على الاختصاص له ليعرف ان امر الرسل والوحي اليهم على طريق
الاختصاص لهم والاصطفاء من بين جوهرهم دون ان كان لا امكان منهم من العباد ردا على قول من يقول ان الحكمة
يجب ان الرسالة انما يبلغها الرسل بكثرة العمل والله الموفق وقال بعض اهل التاويل في قوله وما كنت
بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور نحو ذلك ولا بعيد وقوله تعالى ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر
هذا ليس بصلة الاول ولكن على الابتداء يقول والله اعلم ولكنا انشأنا قرونا بعد انقراض الرسل ودروس
آثارهم واعلامهم وتطاول العهد والعمر عليهم ثم بعثنا فيهم رسولا لتحيي آثارهم وخطر فيهم شرايعهم
واعلامهم رحمة منا اليهم هو ما قال في آخره ولكن رحمة من ربك اي ارسلناك اليهم رحمة منا وهو ما
قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويحتمل ان يكون قوله ولكن رحمة من ربك اي ما انبائك واعلمك
من انباء موسى عليه السلام واخباره حيث لم تشهدها رحمة من ربك حيث جعلها آية لنبوتك وحجة
لرسالتك والله اعلم وقوله تعالى لتنذر قوما ما انذرتهم الرسل الذين من قبلك قومهم امره بان ينذر قومه
بمثل ما انذر به الرسل قومهم ويحتمل ان يكون ذلك خاصة في قوم ما اتاهم النذير من قبلك اي اهل
الكتاب على هذين التاويلين يكون قوله ما اتاهم من نذير على الايجاب والاثبات دون النفي والثاني
يحتمل ان يكون حرف ما النفي ومعناه لتنذر قوما ما اتاهم من نذير اي لم ياتهم نذير قبلك وهم العرب
والله اعلم وقوله تعالى لعلهم يتذكرون اي رجاء التذكر تنذرهم ويحتمل ان يكون لعل الايجاب اي كان
المراد به قوما خاصة والله اعلم وقوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم حرف لولا يستدعي
الجواب وما ذكر على اثره موصولا به لا يصلح جوابا له الا ان يقال ان معنى قوله لولا ان تصيبهم مصيبة
اي لم تصبهم مصيبة وذلك جائز كقوله تعالى لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي
لم تقولوا ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وكذا قوله تعالى وكذا قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لمسكم اي لم يمسكم وجميع ما ذكر في هذه السورة من لولا معناه لم يكن فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله
ولولا ان تصيبهم مصيبة اي لم تصبهم ولو اصابتهم مصيبة وهو العذاب فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين وهو كقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية والله اعلم ثم في هذه الآية وفي قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا [illegible] دلالة وحجة من وجهين احدهما على من يقول [illegible]
السلام [illegible] الا ان في الآيتين بيانا ان الله تعالى
انما لم يعذبهم [illegible]
للايجاب [illegible]
الرسل [illegible] دلائل التوحيد [illegible]
والثاني حجة على المعتزلة في قولهم [illegible]
اصلح لهم [illegible]
جائز [illegible]

جائز

جائز اذا وعد بما كان وغيره اصلح لهم مما وعد فدل بما ذكرنا على انه ليس على الله تعالى حفظ الاصلح لهم
في الدين والله اعلم ثم المخالف لنا في ان الكفر بنفسه موجب للعقوبة في الدنيا لهذا اوجبوا القتل على المرتد
يتعلق بقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم اي الكفر لانا نقول ليس المراد بقوله بما قدمت ايديهم
نفس الكفر ولكن العناد والمكابرة مع الكفر لان العذاب بالكفر في الآخرة ليس في الدنيا الا ان الله عز وجل
ذا انتقى كثيرا من الكفرة لم يهلكهم ولم يعذبهم في الدنيا ولكن انما اهلك واستأصل في الدنيا من عاند وكابر
الرسل في الآيات والحجج التي اتوهم بها واقاموها عليهم على ان سؤالهم كان منهم لا لنفس الكفر والله اعلم ثم قوله
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين اخبر عز وجل عن العادة على ما صار
المتاعن الكفرة قبل بعث الرسل فانه كان التعنت بما اقام من الآيات والحجج ليقطع حججهم ومنازعتهم
فضلا منه وان لم يكن لهم الاحتجاج عليه ثم قوله فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين يحتمل الآيات التي بعث
مع الرسل عليهم السلام لانه يبعث الرسل بالآيات ويحتمل ان يراد بالآيات الرسل انفسهم لانهم
آيات الله وحجته في ارضه قولهم فنتبع آياتك اي نتبع رسلك والله اعلم وقوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا
يحتمل ان يكون الحق الذي ينكر الرسول بنفسه ويحتمل ان يكون الحق هو الكتاب الذي انزل عليه ويحتمل
المعجزات القائمة على اثبات رسالته وقوله تعالى قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى هذا يحتمل وجوها
احدها هلا اوتي محمد صلى الله عليه وسلم من انواع النعم من المن والسلوى وغيره من غير تكلف كما اعطي اوتي
موسى عليه السلام لو كان رسولا على ما يقول والثاني يحتمل ان يقولوا لولا اوتي محمد من الآيات الحسيات
الظاهرات من نحو اليد والعصا والحجر الذي كان ينفجر منها الماء والغمام وما ذكر من الضفادع والقمل
والدم والطوفان وغير ذلك مثل ما اوتي موسى والثالث يحتمل ان يقولوا لولا اوتي محمد القرآن جملة
فيا ناجهارا كما اوتي موسى التوراة جملة فيا ناجهارا والله اعلم بما عنوا بذلك ثم بين الله تعالى في الجواب
انهم انما سألوا ما سألوا سؤال العناد ومكابرة لا سؤال استرشاد وطلب حق حيث قال
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قال بعضهم اي اولم يكفر هؤلاء الذين سألوا الآيات بما اوتي موسى
بعضا اهل مكة لانهم كانوا مشركين لم يؤمنوا برسول قط فاذا لم يؤمنوا بما اوتي من الآيات فيكون سؤالهم
عند مثل تلك الآيات ليؤمنوا بل يكون تعنتا لا تحقيقا وقيل يحتمل قوله اولم يكفروا اي اولم يكفر قوم
موسى بما اوتي موسى بعد سؤالهم الآيات اذا تاهم بها فعلى ذلك هؤلاء اذ تلك لا يضطر اولئك حتى يضطر
هؤلاء ولو تأملوا واستدلوا فيها فيصير هؤلاء الدلائل مثلها فلا معنى للسؤال والله اعلم والآية
وقوله تعالى قالوا ساحران تظاهرا ومن قرأ سحران تظاهرا بالالف اما بالاول قال بعضهم ساحران تظاهرا
ارادوا موسى وهرون تظاهرا كل واحد منهما وقال بعضهم موسى ومحمد عليهما السلام معا لما بينهما الالف سنة
تظاهرا اي كتابان تظاهرا الكتابين قال بعضهم التوراة والانجيل وقال بعضهم الفرقان والتوراة
ثم قال بعض اهل الادب ساحران اولى واقرب لانه ذكر التظاهر والتظاهر انما يكون بين الانفس لا يكون
بين الكتب وقال بعضهم اهل الادب سحران بغير الف اولى لانه قال بعد كتابين لانهما هما يطلبون منه
بما قالوا انهما الكتاب بحيث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان قل لهم فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما اتبعه ان كنتم صادقين ردا على ما قالوا وطلبوا منه لكي يعقل في الاعجاز بان تختار اهدى
القرآنين على الاخرى لان هذا خبر اخبر عنهم لا ما قالوا اذ ذلك لم قالوا ساحران ومرة قالوا سحران
على ما قالوا فتكون القراءتان دليلا على الاخبارين وكذلك يعقل في قوله تعالى سيقولون لله بالف
بغير الف لا يختار احدى القراءتين على الاخرى لانه خبر اخبر عنهم على ما كان منهم فهي على ما اخبر به اعلم
وقال بعض اهل التاويل في قوله لولا اوتي مثل ما اوتي موسى ان اليهود قالت لقريش حتى سالوا محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يسأل من الله تعالى ان يؤتى مثل ما اوتي موسى فقال الله تعالى لرسوله ان قل
لقريش حتى يقولوا لليهود اولم يكفروا بما اوتي موسى يعني اليهود فقالوا ساحران تظاهرا اي اليهود
قالوا لموسى وهرون ساحران تظاهرا وهو قريب بما ذكرنا وقوله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول لقريش اهل مكة
فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي من التوراة والفرقان اي التوراة والانجيل على اختلاف ما
اتبعه ان كنتم صادقين في زعمكم انهما ساحران تظاهرا وانه مفترى ابتوا انتم من عند الله كتابا اتبعه
الهدى يذهب اهل التاويل فوجه آخر يشبه ان يكون اقرب منه وهو ان قوله فأتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما اتبعه اي فأتوا بكتاب من عند الله انه امركم بعبادة الاصنام والاوثان لانهم كانوا يعبدون

الاصنام دون الله تعالى ويقولون ان الله امرنا بذلك كما اخبر الله تعالى منهم بقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحو ذلك فقال الله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله انه
امركم بذلك هو اهدى منهما اي ابين منهما واوضح من هذين اللذين هما ينهيان عن عبادة غير الله ويمنعانها
ما دونه فقال فاتوا بكتاب هو اهدى منهما وابين مما جاء من هذين ان كنتم صادقين ان الله يامركم بذلك و
يكون عبادتكم اياها على ما تزعمون هذا جائز فهو قريب من الاول او شبهه والله اعلم وقوله تعالى فان لم يستجيبوا
لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم. اي فان لم يستجيبوا لك في اتيانهم ما تطلب منهم وتسال من الكتاب فاعلم
انما يتبعون في عبادة الاصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام اهواءهم وتحتمل اهل هوى الاثام اذ هم
لا يؤمنون برسول حتى يكون له كتاب ثم قال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي لا احد اضل ممن
اتبع هواه بغير حجة من السماء او بغير بيان من الله وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين. اي ان الله لا
يهدي قوما يتبعون اهواءهم لا يتبعون الحجج والبراهين لا يهديهم ما داموا في اتباع هواهم ويحتمل ان لا يهديهم الذين
هم ظلمة الحجج والبراهين والله اعلم وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون. اختلف فيه قال بعضهم
المراد به هو القرآن ثم يخرج هو على وجهين احدهما وصل القرآن بعضه ببعض حتى يخرج كانه من تعالى بعضه
بعضا مصدقا مجتمعا غير مختلف وان كان نزوله في الاوقات على تباعد الاوقات وطول المدد نعلمهم بذلك
وان مثل هذا لا يكون الا ممن يعلم الغيب ولا يعزب عنه شيء ولا يغيب اذ لو كان ممن لا يملك ذلك ولا يعلم
ذلك من كلام المخلوق فيخرج مختلفا متناقضا في طول المدة وتباعد الوقت والله اعلم والثاني وصل
مواعظ القرآن بعضها ببعض ومواعيده ووعيده بعضها ببعض واوامره ونواهيه كذلك وانه يفرق بينها
واختلف مواضعها يتخوفهم ليتعوذوا به مرة بعد مرة لعلهم يتذكرون به والله اعلم وقال قائلون في قوله
ولقد وصلنا لهم القول اي الاخبار والانباء الواردة من الامم الخالية نبأ بعد نبأ وخبر بعد خبر كان
يكذب الرسل منهم من اهلك بالعذاب ومصدقي الرسل عليهم السلام من النجاة والبقاء في النعم الدائمة على
اقرار منهم بذلك وعلم انهم كان بهم ذلك لعلهم يتذكرون اي يتعظون وينزجرون عن تكذيب رسلهم
مخافة ان ينزل بهم بالتكذيب ما نزل باولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله وصلنا لهم القول اي قول
التوحيد وجه هذا ان وصلنا التوحيد حتى جعلنا في كل امة وكل قرن اهل توحيد لم نخل قوما ولا امة
عنه كقوله تعالى ولكل قوم هاد وقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق ونحو ذلك من الايات دل على ان في كل
امة وقرن اهل التوحيد لعلهم يتذكرون بان في ابائهم من قد امن بالرسل وصدقهم ولا يقولون انا وجدنا
على ما هم عليه والله اعلم وقال ابو عوسجة والقتبي وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم
اي انزلناه متفرقا فاجتمع عندهم وقال بعضهم وصلنا اي بينا شيئا بعد شيء حتى صار عندهم ظاهرا
وقال ابو معاذ وصلنا في كلام العرب اتممنا كصلتك الشيء بالشيء والله اعلم وقوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون. وقال في اية اخرى والذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال في اية والذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن
به وقال في اية والذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من لا يؤمن به وقال فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ونحو ذلك ذكر في بعض الايات ان من اهل الكتاب
من لا يؤمن به وذكر في الاية الاولى على الاطلاق الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون فهذا في الظاهر
مشكل ثم يحتمل تاويله وجهين احدهما اي الذين اتيناهم الكتاب ينتفعون به هم يؤمنون فاما الذين لم ينتفعوا
به ولم يعملوا بما فيه لا يؤمنون به ويحتمل اي الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته هم يؤمنون به على ما ذكر
في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به اخبر ان الذين يتلون الكتاب حق تلاوته
هم المؤمنون به واما من لم يتل حق تلاوته فلا يؤمن به وقال اهل التاويل ان الاية في قوم خاص من اهل الكتاب
نحو عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا به ويشبه ان يكون الاية في قوم خاص منهم لانه قال
على اثره واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ذكر اهل التاويل انهم كانوا مسلمين
به قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث ثبتوا على ذلك وفيه نقض قول من يقول [illegible] وفي الاية دلالة
ان الايمان والاسلام واحد لانهم قالوا امنا به وقالوا انا كنا من قبله مسلمين وهو كما قال الله تعالى في قوله فاخرجنا
من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ذكر مرة الاسلام ومرة الايمان دل انهما واحد وقوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا. هذا يحتمل وجوها احدها يؤتون اجرهم مرة في الاسلام ومرة بما صبروا على [illegible]

والرياسة والتقدم والمنزلة وقد هدى الله بالاسلام فلهم الاجر مرتين لذلك والله اعلم والثاني يؤتون
اجرهم مرة بالاسلام ومرة بما صبروا على [illegible] اهل الاسلام تارة [illegible]
[illegible]
ويصنعون اليهم قبل الاسلام لكي يستمعوا غدا انهم في المستقبل وهو كقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم والثاني ويدرءون بالحسنة السيئة اي يعفون
عن اذاهم ولا يجازونهم فيكون كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وتعالوا وحمل العفو
وليس بمحي لا وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله ويدرءون يرجع الى قوله الذين اتيناهم
الكتاب من قبله الاية وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون. اي ينفقون في حق الله تعالى في سبيل الخير
والاكل كما ينفق كقوله مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم الاية وقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه. هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما اذا سمعوا
من الكفرة من الكلام ما يتاذون به من اللغو والاذى والاهانة اعرضوا عنهم اي لم يكافئوهم لاذاهم والثاني
اذا سمعوا ما يلقون به من الباطل اعرضوا عنه اي لا يخالطوهم فيما هم فيه ليس انهم لا ينهون عن منكر ولا يمنعون
لكن اذا راوا النهي ينجع فيهم نهوا واذا راوا لا ينجع فيهم فعند ذلك اعرضوا وهو كقوله واذا مروا باللغو
مروا كراما وقوله تعالى وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم. يقولون هذا لهم اذا لم ينجع النهي والموعظة
فيهم فلم يقبلوا ذلك اي عليكم جزاء اعمالكم ولنا جزاء اعمالنا وهو كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين
هذا في ابتداء الدعاء ولكن بعد ما ايسوا من ايمانهم واجابتهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى سلام
عليكم لا نبتغي الجاهلين. هذا يخرج على وجهين احدهما على العقل منهم بالسلام عليهم اي كانوا لا يجازون
الجهال بالتخالط بهم الا بالسلام خاصة بهذا القدر يخالطونهم خشية والثاني ليس على حقيقة قول
السلام عليكم ولكن على الصلح وترك المواخاة لهم وتركهم اياهم على ما هم عليه اذ السلام هو الصلح والله اعلم
وقال بعضهم ردوا عليهم معروفا بمقابلة ما يوجد منهم من الاذى وقالوا لا نبتغي الجاهلين لا نريد ان نكون
من اهل الجهل والسفه والله اعلم ومن الناس من يتعلق بالاية على جواز ابتداء السلام على الكافر بهذه الاية
وهو فاسد على التاويل الذي قيل هو السلام بالقول لوجهين احدهما انه سلام متاركة لا سلام تحية
والسلام يستعمل على وجهين احدهما المسالمة التي هي المتاركة والثاني التحية التي هي الدعاء بالسلامة
الاول كما اخبر تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله واهجرني مليا قال سلام عليك ساستغفر لك
ربي خبرا عن ابراهيم عليه السلام والثاني هو تسليم المسلمين بعضهم على بعض والثاني انه تحية لكن
كان ذلك في ابتداء الاسلام وكان الكفرة يومئذ يخالطونهم بهذا القدر من السلام دفعا لاذاهم عن انفسهم
ثم صار ذلك منسوخا بعد ذلك لقوله عليه السلام في الكفار لا تبدءوهم بالسلام وانهم اذا سلم عليكم
اهل الكتاب فقولوا وعليكم والله اعلم وقوله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية ذكر اهل التاويل

نزلت الآية في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن أبا طالب قال يا معشر بني هاشم أطيعوا
محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها
لنفسك فقال له ما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة في آخر يوم من الدنيا أن تقول لا إله إلا الله
أشهد لك بها عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون
عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى
من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فنزلت
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية ثم الآية حجة على المعتزلة لأنهم يقولون الهدى هو البيان
وقد عم به الناس أجمع فإنه قام دلائل المعرفة لكنهم لم يهتدوا بسوء اختيارهم فلو كان الأمر على
ما يقولونه لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد هدى الخلق أجمع فكيف يقول إنك لا تهدي وكذلك
قادر على البيان في حق الناس كافة فكيف يوصف بما ذكر إن قوله البيان ما سمي هدى بل هو خلق الاهتداء
وأعطاه التوفيق والقدرة والعصمة والتثبيت ونحو ذلك اعترض الجبائي على التعلق بالآية وقال يحتمل
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على أن يدخله الجنة فقال تعالى إنك لا تهدي من أحببت طريق
الجنة أي حتى يدخلها وكان المراد هنا هو هداية طريق الجنة ولكن هذا تعسف فإنه قال ولكن الله يهدي
من يشاء علق الهداية بالمشيئة وهداية طريق الجنة مما لا يتعلق بالمشيئة فإن المؤمن المطيع يهديه طريق
الجنة على القطع وصاحب الكبيرة كذلك عندنا وعندكم لا يهديه طريق الجنة فإنه يخلده في النار دل
أن التأويل فاسد وقال جعفر بن حارث في تأويل هذه الآية أنه لم يرد ابتداء هداية لكن أراد زيادة
هداية ولطفاً يخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء المتقين الأنفس وهو كقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى والآية تخبر أنك لا تملك الهداية اللطيفة التي تخرج مخرج الثواب أن تهديهم لكن
يقال أحد ما نص تلك الزيادة التي يخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في الابتداء هل فيها
نفع ومصلحة لهم في الدين أم لا فإن قالوا نعم فيقال فهي واجبة عليه أن يفعل بهم لأن عندكم أنه يجب عليه
أن يفعل بكل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك في حق ذلك مع أنه ينفعهم وهو مصلحة لهم وإن
لم يكن لهم فيها نفع ومصلحة في الدين فكيف يكون ثواباً لهم والثاني يقال لهم تلك الزيادة
التي تخرج مخرج الثواب لهم والألطاف على ما كان منهم في الابتداء يستوجبها ويستحقها بسبب ما صدر
من الاهتداء أم لا فإن كان لا يستوجبها فبطل مذهبهم لأن عندهم الثواب بطريق الاستحقاق
فلا معنى لقوله ولكن الله يهدي من يشاء لأن المستحق الذي يصير حقه كالدين لا يتعلق بالمشيئة فبطل
ما ذكر من التأويل ولأن كم من يزيد ولا يخرج على الإيمان ولو كان المراد زيادة الهداية والألطاف
في المستقبل كان أمر في الثبات على ذلك فينبغي أن لا يتحقق الردة فدل أن التأويل الذي ذكر ضعيف ثم
عندنا زيادة الهداية وابتداؤها وهو شيء عندنا سوى البيان إذا أعطى العبد يصير به مؤمناً وهو الموفقة
والعصمة والسداد والتيسير وذلك مما لا يملك أحد إنشاءه وابتداءه بل الله تعالى هو المالك لذلك قال
إنك لا تهدي من أحببت فأما البيان فيملكه النبي صلى الله عليه وسلم كما في كل من علم الحق والله الموفق
وقوله تعالى وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا يخرج قولهم هذا على وجهين أحدهما أي
ونصير جميعاً إذا خالفنا أهل الآفاق في الدين لا بأن أرزاقهم وما بهم من إمدادهم بالمحل يجبى لنا من الآفاق
فيقولون أنا إذا اتبعنا الهدى معك وخالفناهم في الدين يمنعون عنا الميرة فهلكت ونموت جوعاً
فذلك تخطفهم من الأرض والثاني قالوا ذلك مخافة أن يغزوا ويؤسروا ويقتلوا إذا خالفوهم أهل الآفاق
في الدين واتبعوا الهدى فكأنهم امتنعوا لخوف الجوع والأسر والقتل فظهر أن نحذر العدو لهم ولجأ بهم
الله تعالى أنا في ذلك ورد عليهم أعذارهم في الوجهين فقال أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات
كل شيء رزقاً من لدنا يقول والله أعلم إنا جعلنا في الحرم سنين يجبى إليه ثمرات إليهم وتصل إليهم مجبأة
إليه من الآفاق بطريق اللطف لا بموافقة الدين ألا ترى أن الكفار مع موافقتنا الدين كانوا يتخطفون
حول مكة كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أخبر أنهم مع
موافقتهم في الدين يتخطفون فدل أنما جعل لهم الحرم آمناً والميرة إليها باللطف لا بالموافقة في الدين
ألا ترى أنه لا يتعرض لأهل الحرم في الحرم ولا خارجاً منه ولا يتعرض لمن يدخل الحرم من غير أهله ليعلم أن ذلك كان
كذلك باللطف من الله تعالى لا بالموافقة في الدين فلا تكون المخالفة ضاراً لهم لأنها لا تمنع اللطف بل تثبت
زيادة مصلحة لا استحقاقاً فاللطف والله أعلم والثاني أنهم مع ما كانوا يعبدون الأصنام دون الله تعالى

فيه لا يمنعهم الرزق ويحفظهم الأمن فلأن يفعل ذلك بهم عند عبادتهم الله تعالى وتركهم عبادة غير الله
أحرى وأجدر فأما مع مخالفتهم والله أعلم وقال أبو عوسجة نتخطف من أرضنا أي نؤخذ وقوله يجبى ثمرات كل شيء
من الجباية وهو الجمع يقال جبيت الشيء أجبي جباية وجبياً وأجبي يجبي أي أحرز يحرز ثم قوله تعالى يجبى إليه
ثمرات كل شيء قال أهل التأويل يجبى إليه ثمرات كل شيء أي يجمع وذلك يتضمن لأن ثمرة كل شيء
أنفعه يقال ثمرة هذا الكلام كذا أي ما ينتفع به من هذا هذا والله أعلم وقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون
أي ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما يحمل إليه من الآفاق ويجبى إليهم من الثمرات والأطعمة إنما هو باللطف
لا بموافقة الدين وكذلك لا يعلمون أن أمنهم فيه باللطف لا بموافقة الدين والله أعلم وقوله تعالى
وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال بعضهم كفرت معيشتها أي الكفران وقال بعضهم لم ترض
معيشتها أي بها قال أبو عوسجة وقال القتبي أي أشرت وخرجت مصدر ومعناه بطرت في معيشتها أو
وانتصب المعيشة لانتزاع حرف في وإنما انتصب المعيشة في الحقيقة لأنها مفعول لبطرت لكن إذا كان
حرف في مضمر لكن المعيشة مخفوضة من حيث الظاهر بحرف في فإذا كان محله النصب فحين انتزع حرف
في انتصب نصب الانتصاب إليها إضافة الحكم الحذف وإلا لم يعمل إلا أنه علة الانتصاب والله أعلم ثم
تأويل الآية والله أعلم أي كم أهلكنا من قرية بطر أهلها في معيشتها حتى صرفوا شكرهم إلى غير الذي أنعم عليهم
وجعلوا عبادتهم لغير الذي جعل لهم السعة والرخاء وإنكم يا أهل مكة إذا بطرتم في معايشكم في سعتكم
وخصبكم تهلكون كما أهلك من قبلكم وهو كما قال الله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة الآية وقوله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً
من القريات يحتمل ما يأتي إذا هلك أهلها أسكن غيرهم فيها نحو قريات فرعون جعل مساكنهم لبني إسرائيل حيث
قال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها الآية وقوله وأورثنا
بني إسرائيل ومن القريات ما جعلها خربة معطلة لم تسكن غيرهم فيها نحو قريات قوم لوط عليه السلام
وغيرها والله أعلم وقوله تعالى وكنا نحن الوارثين أي الباقين والوارث هو الباقي على ما تقدم ذكره ثم ذلك
يخرج على وجهين أحدهما أنه إخبار عن هلاك أهل الأرض وفنائهم وعن بقائه بنفسه وهو كقوله إنا نحن
نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون والثاني إخبار عن هلاك أولئك وجعلنا الغير هم أي المتقين
كقوله إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والله أعلم وقوله تعالى وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث في أمها رسولاً قال أهل التأويل أي في أكبرها وأعظمها قدراً وهي مكة فإن النبي صلى الله
عليه وسلم منهم والكتاب أنزل عليهم وقال أبو عوسجة والقتبي أن كلمة أمها لم يتكلم بها العرب عن
الكبر بها ولكنها إنما تعني أصل الشيء ثم تأويل الآية وجهان أحدهما يحتمل أن يكون المراد من القرى التي
أخبر أنه غير مهلكها حتى يبعث في أمها رسولاً هي قريات التي هي حول مكة لا يهلك تلك القرى حتى يبعث
في أمها رسولاً أصلها وهي مكة رسولاً يتلو عليهم آياتنا فإن كان هذا فتكون المراد من الأهل الذين
لها إلا أن ينتزع من أبنيتهم وجعلها في أيدي أهل الإسلام على ما كان لأنا نسمع وصل كما نفتح على
صلى الله عليه وسلم قرية قرية وبلدة بلدة حتى جعل الكل في أيدي المسلمين وهو ما قال ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله وهو وعد فتح مكة وذلك
إهلاكهم والله أعلم والثاني يحتمل أن يكون هذا في كل القرى في جميع الرسل عليهم السلام أنه كان لا يهلكها
بالكفر نفسه حتى يبعث في أكبرها وأعظمها وهي المصر رسولاً يتلو عليهم آياتنا وذلك يشبه كقوله
عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً إنما ذكر بعث الرسول في أهلها لأنه إذا بعث الرسول في
أعظمها وهي المصر ينتشر خبره وينتهي إلى الصغار منها والقرى لما أنهم يدخلون المصر لحوائجهم فيسمعوا
للرسول عليه السلام تلاوة الآيات عليهم ودعاءه لهم إلى الدين الحق وإذا كان في بعض القرى لا يسمعها أهل ذلك
والله أعلم وقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون أي معاندون مكابرون لا نهلكهم
إهلاك تعذيب بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة وإنما يعذبون والله أعلم بعذاب
الكفر في الآخرة وهو عذاب الأبد والله أعلم وقوله تعالى وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أن الكفار كانوا يتفاخرون بما أعطوا من السعة ومتاع الحياة
الدنيا وأهل الزهد والتقوى آثروا الباقي الموعود في الآخرة على متاع الحياة الدنيا وزينتها وكذلك قال
أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا لم يذكر جواب هذا الاستفهام وجوابه
أنه ليس الذي عند الله بل الموعود الحسن الباقي الذي له عاقبة خير من المتاع الفاني الذي ليس له عاقبة لكنه لم يذكر كل

استفهام كان من الله تعالى هو على الايجاب حقيقة ليس على الاستفهام وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين
اى محضرون في النار المعذبين وكلاهما واحد من احضر في النار يعذب ومن عذب احضر وقوله تعالى ويوم
يناديهم اين شركائى اى اين شركائى الذين زعمتم انهم شركائى حيث اشركتموهم في العبادة وتسمية الالوهية
انه ليس لله تعالى شريك على الحقيقة حتى يقول اين شركائى ثم قوله اين شركائى انما يقال لهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول اين شفاعة من زعمتم انهم شفعاؤكم عند الله
واين تقريبكم وزلفتكم بعبادتكم اياهم حيث زعمتم انكم تعبدونهم ليقربوكم الى الله زلفى اين ذلك كله منهم
والله اعلم وقوله تعالى قال الذين حق عليهم القول يحتمل قوله حق عليهم القول قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين ويحتمل ان يكون قوله حق عليهم القول قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ويحتمل ان يكون
قوله حق عليهم القول اى وجب عليهم العذاب وهو كقوله تعالى واذا وقع القول عليهم كقوله لما وقع العذاب
عليهم بما ظلموا اى وجب العذاب عليهم بما ظلموا ونحوه ثم اختلف في الذين حق عليهم القول فمنهم من يقول
هم رؤساء الكفرة وائمتهم الذين صدوا اتباعهم ودعوهم الى الضلال ومنهم من يقول هم شياطين الجن ثم
الفريقين جميعا اعنى شياطين الجن وشياطين الانس وهم قادة الكفر في الكتاب ذكر في ائمتهم اذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وقوله وقالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا الاية
وامثال هذا كثيرة فذكر في شياطين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الحق
الذين خلوا الى اولياءهم ومثله كثير اضلونا وقوله تعالى ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا لعبدونى
انه لم يكن منا اليهم الا الدعاء والاشارة الى الغواية وهو كقول ابليس اللعين وخطبته يومئذ كما اخبر الله
وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم فعلى ذلك هؤلاء يقولون لم يكن منا اليكم
سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتبعتمونا فلا تلومونا ولوموا انفسكم حيث تركتم اجابة الرسل عليهم
السلام ومعهم برهان وحجج واجبتمونا بلا حجة ولا برهان فاغويناكم كما غوينا ولكنا على الهدى لهديناكم
وهو كما اخبر الله تعالى عنهم حيث قوله قالوا لو هدانا الله لهديناكم والله اعلم وقوله تعالى تبرأنا اليك ما كانوا
ايانا يعبدون انما تبرؤوا عن الامر بالعبادة لهم اى انا لم نامرهم بالعبادة لنا والا كانوا عبدوهم ثم
المعتزلة اذ تعلق بهذه الاية لانهم يقولون انما اضافوا الغواية الى انفسهم حيث قالوا اغويناهم
كما غوينا فدل ان الله تعالى لا يغوى احدا ولكنا نقول انا لا نضيف ولا نحيل اضافة الغواية الى الله تعالى
فيما يخرج عليه مخرج الذم له وانما يضيف فيما يخرج مخرج المدح له والثناء عليه واضافة الغواية اليه على
ولا يجوز ان يقال انه يغوى ويضل ويا مغوى ويا مضل انما يجوز اضافتهما اليه مقرونا بالهداية
والارشاد كما قال يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو كما قال انما اضاف تعالى انه يضل بالكتاب ولكن يقال
في القرآن باضافتها نافع لانه اسم مدح فقد للقرآن وقد لا ينفرد اسم ذم وهو من تعالى فيما يختار لسانه اهل
فعلى ذلك الغواية والارشاد والهداية والاضلال الا ما فيما ابليس فانما اضاف الغواية الى الله تعالى كما
تعالى عن اللعين بقوله قال رب بما اغويتنى في غير موضع ولم ينكر عليه وقال الخضر عن موسى عليه السلام
ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ونحو ذلك كثير وقد ذكرنا في غير موضع ذلك والله اعلم
وقيل ادعوا شركاءكم يحتمل شركاءكم في الخلقة لا تستوى انهم في الخلقة اذ كانا المراد به
هو الرؤساء ويحتمل شركاءكم في العبادة اى التي اشركتموها في العبادة لله تعالى معه اى ادعوهم ليشفعوا
لكم ويقربوكم الى الله تعالى على ما زعمتم في الدنيا وقوله تعالى فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فلم يشفعوا
ويحتمل فلم يستجيبوا لهم لما لم يجعل في وسعهم الاجابة له وقوله تعالى ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
يحتمل وجوها يحتمل انهم يومئذ لو كانوا يهتدون لرأوا في الدنيا العذاب واجبا كما يرونه في الاخرة ويحتمل
لو رأوا في الدنيا العذاب واجبا في الاخرة لكانوا يهتدون ولكن لم يروه واجبا اى لم يصدقوا بالعذاب
في الدنيا ولو صدقوه لاهتدوا مخافة نزول العذاب عليهم والله اعلم ويحتمل لو انهم كانوا يهتدون
في الدنيا ما كانوا يرون العذاب في الاخرة وما انهم امنوا انهم يعذبون والله اعلم وقوله تعالى ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون قال ابو عوسجة وعمى
فعميت بالتخفيف خفيت وبالتشديد اخفيت ثم اختلف فيه قال اهل التأويل انما يسألون عن اجابتهم الرسل
عليهم السلام ما اجبتموهم على علم من الله تعالى انهم ماذا اجابوهم فعميت عليهم الانباء اى الاجابة ولم
لم الاجابة لهول ذلك وفزعهم منه وقال بعضهم انما يسألون عن الحجة والعذر الذى لاجله تركوا

الاجابة للرسل عليهم السلام فيقول لهم لاى حجة وعذر تركتم اجابتهم فعميت عليهم الانباء اى الحجج لانه
لم يكن لهم حجة ولا عذر في تركهم اجابتهم وقوله فهم لا يتساءلون قال بعضهم لا يسأل بعضهم بعضا
اى يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ويوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقال بعضهم اى فهم لا يتساءلون بالحجة والبرهان بلا حجة لهم
ولا برهان اى لا يسأل بعضكم بعضا من الحجج لان الله تعالى اخرس حججهم وذلل السنتهم وقال بعضهم
لا يتساءلون بالانساب يومئذ كما يتساءلون في الدنيا وهو كقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون والله اعلم ثم ان بعض المعتزلة تعلق بهذه الاية وقال لو كان الامر على ما يقوله القدرية والجبرية
في المشية والارادة اى مشيئة عامة في الخير والشر جميعا لكان سبيل الاحتجاج للكفرة ويقولون فيقولون
يا ربنا اخترنا امرا تقدم من مشيتك وارادتك وما قضى من قضائك وكتابتك علينا اذا انت كتبت
وقضيت علينا وشئت فاردت ما كان منا التكذيب لهم وترك الاجابة فلم يكن لنا مخلص مما شئت انت
وقضيت علينا الى هذا الخيال ذهب جعفر بن حرب وغيره ممن ذكر من الاسمين القبيحين اهل السنة والجماعة
ويشنع عليهم ونحن نقول هذا الكلام منه تعليم لاولئك الكفرة الحجاج بالباطل والتكذيب بين يدى
رب العالمين للتكذيب كيف كان منهم عصيانا اتمحل مثل هذا الصنيع ثم يقول لو كان لهم هذا الحجاج
على زعمكم فلا يكون ذلك حجة لنا ولكنا انما نكون محتجين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقول السلف
اجمع حيث قالوا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وانما كان الله تعالى ما ذكر في غير اى من القرآن من قوله ولو
شاء لجمعهم على الهدى وقوله لو شاء لهداكم اجمعين وقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين وقوله يضل
من يشاء ويهدى من يشاء وقال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا ثم الا ما حكى من الايات فيكون شناعته يرجع اليهم لا علينا ومن كان له مثل هذا
الحجاج والوقاحة حتى يحتج بهذا الحجاج فالشيطان معيشته وهو وليه ثم الاصل انه لا يكون لهم هذا
النوع من الاحتجاج لانهم لا يعلمون وقت فعلهم انه لا يجوز ان الله تعالى شاء ذلك منهم وقضى وكتب
ذلك عليهم ولا كانوا يؤمنون ويحسبون وقت فعلهم ذلك بل عينا ان الله تعالى شاء ذلك منهم لانه
وانما يفعلون للاغراض من جهلهم لطبائع الاهواء على تحصيلها من الشهوات الاماني فاذا كانوا وقت فعلهم
لا يفعلون لذلك فكيف يكون لهم الحجاج بما يفعلون لا لاجل مشيئته وارادته ذلك منهم لكن فيما
تعليم من هذا القائل الكذب لهم ليكذبوا بين يدى رب العالمين على ما ذكرنا ثم الاصل عندنا فعندنا انا
نقول ان الله تعالى شاء من كل ما علم انه يكون بحسبه وصار ذلك وكذلك قضى وكتب على كل ما علم انه يكون
منه اذ لا يجوز ان شاء منه خلاف ما علم انه يكون لا ان فيه احد وجهين اما اثبات الجهل له بالعواقب
واما اثبات العجز فيه وذلك منفى عن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا واصله ما روى عن ابى
حنيفة رحمه الله انه قال بيننا وبين القدرية حرفان احدهما انا نقول لهم ان الله تعالى هل علم ما يكون
يكون كان فان قالوا لا كفروا لانهم يقولون شاء ما ذى يجهله فذلك كفر وان قالوا بلى شاء ذلك لزمهم
قولنا في المشيئة والارادة لله تعالى على العموم كما قلنا تعالى الله الموفق وقوله تعالى فاما من تاب وآمن
وعمل صالحا اى فاما من رجع عما كان فيه من الشرك والكفر وآمن بالذى دعاهم الرسل الى اجابتهم
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه عز وجل فعسى ان يكون من المفلحين ثم قوله فعسى يحتمل ان يرجع
ذلك الى الجملة الذى نعته بقوله فاما من تاب وآمن الاية على رجاء الفوز والفلاح ما يفعل من التوبة ويحتمل
الصالح ويحتمل ان يقال لما قال اهل التأويل ان عسى من الله واجب وهو كما ذكرنا ان كل استفهام
كان استفهام كان من الله تعالى هو على الوجوب والتروم فعلى ذلك الرجاء وعسى فانه كان حرف شك
في الظاهر فهو من الله تعالى على الوجوب والتعيين والله اعلم قال ابو معاذ الفلاح في كلام العرب البقاء
ويقال النجاة وقد ذكرنا في غير موضع قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة قال
بعض اهل التأويل اى وربك يخلق للرسالة من يشاء ويختار فيجعلهم رسلا ما كان لهم الخيرة يقول
لم يكن لهم ان يختاروهم ولكن الله تعالى يختار ويصطفى من يشاء رد لقولهم لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ويحتمل ان يكون هذا في كل امر يخرج على اطلاقه اى ربك يختار ما يشاء
ويأمرهم ما كان لهم الخيرة اى التخلص والنجاة من امره كقوله ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم فالقضاء ههنا هو الامر فعلى ذلك المراد ههنا هو الامر والله اعلم ثم قوله
وربك يخلق ما يشاء ويختار يحتمل وجهين احدهما على الوقف في قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار

يحتمل وجهين احدهما على الوقف فيه قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم الابتداء من قوله ما كان لهم الخيرة
فان كان على هذا فيكون ما على الصلة ليس على الجحد ويكون تاويله وربك يخلق ما يشاء ويختار الذي
الخيرة كقوله وما يشاؤن الا ان يشاء الله وقال ابو معاذ الخيرة بجزم الياء وتحريكها ثم هذه الاية حجة على المعتزلة
من وجهين في مسئلة خلق افعال العباد احدهما ان الله تعالى حديثا جميع ما يفعله العباد من الخيرات
والطاعات مما ذا شاهد على انه خلقها اذا اخبر انه تعالى انه يخلق ما يشاء فاذا كانت الخيرات بمشيته فذلك
ذلك على انه خالق الخيرات فيكون الاية حجة عليهم على انه خالق افعال العباد من الطاعات والثاني ان قوله وربك
يخلق ما يشاء ويختار خرج مخرج الامتداح لربوبيته على ما له من السلطان والاختيار مع الارادة و
لن يتحقق الامتداح الا وان يكون خالق الخلق كلهم من الاجسام والاعراض وعلى قولهم اكثر الاشياء غير مخلوقة
لله تعالى لان افعال الخلق لا شك انها اكثر من انفسهم وهم يخلقون افعالهم بمشيتهم فاذن يقع الامتداح
لله تعالى بخلق الاجسام بمشيته واختياره وتاويلهم انهم يقيدون الاية فيقولون معناه وربك
يخلق ما يشاء اذا خلقه وكذلك يقولون في قوله والله على كل شيء قدير انه على كل شيء قدير ان يخلقه او يخلق
ما يشاء مما هو داخل تحت قدرته وقادر على خلق كل شيء توصف بالقدرة عليه مما لم ينسوا انه يوصف بالقدرة
على خلق افعال العباد منهم من اختياره لا يستقيم لتعلق بالايات لكنا نقول هذا التقييد فاسد لان
ان الاية خرجت مخرج الامتداح وبيان السلطان والقدرة وكل من دب على وجه الارض من الخلق يدخل تحت
هذا الوصف فاذن عندهم كل حيوان خالق فعل نفسه فانه كل الاختيار في الافعال فيكون كل حيوان على زعمهم
يخلق ما يشاء اذا فعله ويختار مما هو من افعاله فاذن يقع الامتداح وبيان القدرة كذلك الالزام في قوله
والله على كل شيء قدير خرج مخرج الامتداح وبيان القدرة والسلطان ثم في زعمهم ان الله تعالى على اكثر الاشياء غير
قدير وكل حيوان موصوف بالقدرة على ما هو فعله وخلقه فدل ان ما قالوه ابطال لما قد دلت النصوص من
بيان كمال القدرة والسلطان وتحقيق الامتداح والثناء نعوذ بالله من هذا القول وامثاله وبالله الموفق
ثم نزه الله تعالى نفسه وبرأها عما قال الملحدة واشركوا غيره في الوهيته وعبادته فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون
وقوله تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون هذا يخرج على الوعيد لتنبيه لتكونوا على حذر فيما
يسرون من القول والفعل وما يعلنون والله اعلم وقوله تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
هذا يخرج على وجوه احدها ما قال اهل التاويل انه اولياؤه يحمدونه في الدنيا والاخرة في الجنة حيث قالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقال بعضهم في الدنيا والاخرة يقول له في السموات والارض ويصدق
قوله عز وجل وله الحمد في السموات والارض وقوله ايضا يسبح لله ما في السموات وما في الارض وقوله يسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن والثالث يحتمل قوله له الحمد في الاولى والاخرة وهو انه جعل الدنيا
مشتركة بين الاولياء والاعداء في نعمها غير مفترقة ولا مختلفة واما الاخرة ففرق بين الاولياء
والاعداء جعل للاولياء النعم الدائمة وللاعداء العذاب الدائم فله الحمد على ذلك والرابع يحتمل جعل
للاولياء النعم الدائمة فله الحمد على ذلك والرابع يحتمل قوله له الحمد في الاولى والاخرة بما جعل الدنيا دار
والاخرة دار جزاء كرامة لهذا الجنة والخامس يحتمل قوله له الحمد في الاولى والاخرة اي الحمد له على الخلق
في كل حال وفي كل وقت كقوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين انهم يحمدونه في كل امر
وختمه وقوله تعالى وله الحكم واليه ترجعون قوله تعالى له الحكم كقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة يخرج على وجهين احدهما انه له الاختيار لا لهم الاختيار بخلافهم ولا يملكون ان يختاروا
دونه والثاني هو يختار لهم الخيرة فامرهم لانه هو العالم بمصالح امورهم وما يرجع الى الاولى في الدنيا
والاخرة لا انفسهم الخلائق لا يدرون فله الحكم في امورهم وافعالهم كما له الحكم في اختيارهم لانه لا
الخطاء في حكمه اذ هو عالم بذاته فله الحكم في الدارين جميعا والله الموفق وقوله تعالى قل ارايتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة الى قوله افلا تسمعون وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة تسكنون فيه افلا تبصرون فيخرج ذلك على وجهين احدهما في تسفيههم في صرف العبادة والشكر الى
الاصنام التي كانوا يعبدونها على علم منهم انها لا تملك شيئا مما ذكر من جعل الليل نهارا وجعل النهار
ليلا كيف تركتم عبادة من تعلمون انه يملك ذلك كله وتخليف مثله ما ذكر في اية اخرى حيث قال ارايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته يقول فاذا
كانوا لا يملكون ما تعبدون من دون الله كشف ضر اراده الله به وجعله رحمة ولا دفع رحمة اراد بها الله
ضرا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة من جعل هذا هذا ودفع هذا بهذا فعلى ذلك يقول والله اعلم

كيف تعبدون من لا يملك جعل الزمان كله ليلا دائما لا نهار فيه وجعل النهار كله دائما لا ليل فيه وتتركون
عبادة من يملك ذلك كله بجعل وقت الراحة والسكون ووقت الاكتساب للتعيش ووقت التقلب والكسب
ووقت الراحة والقرار والله اعلم والثاني يذكرهم عظيم نعمه ومنته حيث انشأ هذا العالم محتاجا الى ما به
قوام انفسهم وابدانهم في دينهم ودنياهم ثم جعل ذلك كله على التعاون والتضامن بعضه بعضا ما لو جعل
ذلك على غير ذلك لا تقوم انفسهم وابدانهم لانه حيث جعل الليل وقت الراحة والسكون والنهار وقت التقلب
والتعيش ولو كان ذلك كله وقتا للراحة لا تقوم انفسهم بالتعيش والكسب لا راحة فيه لا تقوم انفسهم
بذلك لكنه من رحمته وفضله جعل لهم وقتا للراحة انما جعله للكل لا لبعض دون بعض وكذلك ما جعله
وقت التقلب انما جعله للكل لا لبعض دون بعض ليقوم اسباب التعيش وما به قوام انفسهم وابدانهم
ولو كان ذلك كله وقتا لاحدهما لم يتم انفسهم ولا بقي هذا العالم الى الوقت الذي جعل لهم البقاء اليه لذلك
الوقت وذلك ما ذكر من قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ثم قال افلا تسمعون وفي الاخرى افلا تبصرون انما اريد به سمع عقل وقلب وبصر عقل والله اعلم كقوله
عز وجل فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وكانه يقول تعالى افلا تسمعون بهذا العقل
فلا يبصرون بالعقل والله اعلم وقوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون وقوله تعالى قيل
ادعوا شركاءكم ولعل ذلك تكرر ذكرها واعادها مرة بعد مرة على علم منه انهم لا يصلحون لها ولا يقبلونها او
لا يستمعون اليها فان كرر تعالى عليكم غير مرة فلما يخرج والله اعلم على وجهين احدهما التاكيد لزوم الحجة لما انهم
مكنوا من الاستماع والسماع فما منعوا من الاستماع مع الامكان نعيدها عليهم ونكرر وقتا تاكد الحجة
عليهم وينقطع عذرهم في الكفر وان كان لا عذر لهم بما اقام من الدلائل العقلية اذ لو كرر ذلك مرة بعد
عليهم ولعل العاقل لا يقبل شيئا في وقت ويكابر عقله ثم يقبله في وقت اخر ويرجع فيه فيقولون
لو كرر عندك لقبلناه فكان ذلك التاكيد الالزام والثاني ويكون فيه عظة للمؤمنين وذلك يخرج على وجوه
احدها الشكر بما عصموا من عبادة غير الله تعالى ووفقوا عبادة ما لله المستحق لها وعرفوا عظيم نعم الله تعالى
عليهم والثاني ليحذروا لعاقبتهم الرجوع الى ما هم عليه اولئك الكفرة على ما احد ذلك الرسل والانبياء
صلوات الله عليهم سالوا ربهم العصمة [illegible] الرجوع الى ذلك كقول ابراهيم عليه السلام واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله
[illegible] فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وضل عنهم ما كانوا يفترون [illegible]
[illegible]
[illegible] ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الى كانت بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من نزول عذاب الله ونقمته بهما اذ تركا اتباعهم
ونجتا عليهما فعلى ذلك يا اهل مكة لا ينفعكم عذاب من الله ونقمته قرابتكم مع رسول الله صلى الله
وسلم ولا صلتكم به والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في قوله فبغى عليهم ما بغى قرون عليهم قال بعضهم
هو ان موسى عليه السلام طلب منه زكاة ما اتاه الله تعالى من المال فمنعها فذلك بغيه وقال بعضهم بغيه
عليه هو اعطى امراة مالا لتقذف موسى عليه السلام وترمي عليه بالزنا فاراد ان تفضحه على رؤوس
الملأ وان يرجموه فدفع الله تعالى ذلك عنه وبراه من ذلك وقال بعضهم انما بغى عليه بكثرة ماله وولده
وهذا يشبه ان يكون كانه افتخر بكثرة امواله واولاده في دفع عذاب الله ونقمته كقول اهل مكة نحن
اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وقال بعضهم انما بغى عليه لان الرسالة والنبوة جعلت في موسى
عليه السلام والحبورة في هرون وكان يقعد لتعليم التوراة واحكامها موسى عليه السلام الذي هو جامع
امور الدينية وامور الدنيوية وان كانت النبوة والرسالة والحبورة تشملهما ولم يجعل لقرون منه شيء وهو
من قرابتهما فاعتزل عن موسى واتبعه ناس كثير فاعتدى عليه وخرج من امره ونحو هذا كثير فما قاله
اهل التاويل والاشبه ان يكون بغيه الذي ذكر عليه كبغي فرعون وهامان عليه حيث قال ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وهامان وقرون فقالوا ساحر كذاب وكقوله وقرون وفرعون وهامان
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الاية فكان من قرون ما كان من فرعون وهامان
من التكذيب والرد لرسالته وتسميته ساحرا كذابا فذلك هو البغي عليه هذا هو الاشبه والاقرب
والاصح ان لا يفسر البغي عليه لانا لا نعلم ذكر البغي ولم يبين ماهية البغي فيكون الكف عنه اسلم
وقال بعضهم بغيه عليه هو ان زاد في ثيابه شبرا وهذا لا نعلمه ايضا فيجب الكف عنه حذرا من الكذب
والله اعلم وقوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة قال بعضهم مفاتحه
خزائنه وقال بعضهم مفاتحه جمع مفتاح وهو في الاصل مفاتيح وذكر اهل النقل ان كنوزه كان كذا
كذا الفا وان مفاتحه كان يحمل كذا كذا بغلا وانه من جلود كذا او ان قدر المفتاح كذا ولكن نحن
لا نفسر شيئا من ذلك ولا يشتغل بذلك العلم بذلك لتفاوت الاخبار ولا نذكر شيئا الا قدر ما ذكر الله
في الكتاب وذكر في الكتاب الكنوز والمفاتح من غير بيان كيفيتهما وكميتهما سوى ما ذكر ان العصبة
تنوء بها وذلك انما يذكر لكثرتها فلا نزيد على ما في الكتاب ثم قوله لتنوء بالعصبة اختلفوا فيه قال بعضهم
لتثقل العصبة تلك المفاتح وقال القتبي لتنوء اي تميل بها العصبة اذا حملتها من ثقلها وقال [illegible]
لتنوء بالعصبة اي يعجز العصبة عن حملها واما العصبة فقيل العصبة الجماعة وقال بعض اهل
التاويل العصبة من عشرة نفر الى خمسين وسبعين وقال بعضهم من عشرة الى اربعين وقال بعضهم من
عشرة الى خمسة عشر ولكن نحن لا نفسرها ولا نذكر عددها اذ ليس في الكتاب بيان ذلك لكن نقول
ان العصبة اسم جماعة بعضهم بعضا يرجعون جميعا الى امر واحد وهي كالشيعة اسم هي جماعة يتبع
بعضهم بعضا [illegible] يوسف عليه السلام لئن اكله الذئب ونحن
عصبة [illegible] والله اعلم
اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال بعضهم لا تبطر ولا تأشر [illegible]
لا تفرح [illegible] بما اتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم [illegible]
ان الله لا يحب من فعل ذلك وقوله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا كان
[illegible]
[illegible] وابتغ الدار الاخرة بما اتاك الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك من مالك
في الدنيا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واحسن كما احسن الله اليك [illegible]
الى الخلق كما احسن الله اليك [illegible]

الخلق كما احسن الله اليك وقوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض هذا يدل على ان قرون كان ينفق ماله الا انه كان
ينفق في الصد عن سبيل الله حيث قال ولا تبغ الفساد في الارض ولو كان في ترك الانفاق لم يكن فيه [illegible]
الفساد في الارض ثم في الاية دلالة على ان من حضر الملوك وشهد مجالستهم من اهل العلم ان يخوفوا الملوك ويعظوا
كما وعظ قوم موسى قرون وخوفوه وان يامروهم بالصلاح في انفسهم وفي رعيتهم كما امر اولئك قرون وان
ينهوهم كما نهى اولئك فان اجابوهم والا اعتزلوهم وكفوا من انفسهم من الاختلاط اليهم فان لم يفعلوا
فهم شركاؤهم في جميع ما يعملون والله اعلم وقوله تعالى قال انما اوتيته على علم عندي اختلف فيه قال بعضهم
قرون كان من قراء الناس للتوراة واعلمهم بها وسمي قرون لذلك وذكر ايضا انه كان يسمى منور لحسن صوته بالتوراة
وقال بعضهم على علم عندي هو علم الكيمياء اوتيته على علم عندي على خير علم عندي قال ذلك على ان قول اولئك
له ولا تنس نصيبك من الدنيا الى قوله ولا تبغ الفساد في الارض كانهم وعظوه بذلك المال عنه وهلاكه فقال
عند ذلك انما اوتيته على علم عندي [illegible] والله اعلم لكن لا نفسر العلم الذي ذكر انه اوتي به من الكنز ولما
كان يعمله كذا من العلم وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم بذلك وفي الاية دلالة انه كان عارفا
بالله تعالى لكن كانه والله اعلم نسي الاخرة بما اوتي من المال والكنوز وترك الانفاق في الخير وكان في صد الناس
عن سبيل الله حتى صار الى ما صار لاتباعه نفسه قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة وقالوا [illegible]
المفسدين فدل انه كان عارفا بالله تعالى والله اعلم وقوله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ذكر والله اعلم كان يفتخر ويستكبر على الناس بما اوتي من الاموال والكنوز والاتباع
ويحسب انه يدفع العذاب الموعود في هذه الدنيا بذلك عن نفسه او يظن انه كان لما اوتي ذلك لا يعذب
يظن اولئك الكفرة حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فخاف انه كان من قرون من الافتخار
بالكبر والجمع ما ذكر اولئك فقال عند ذلك اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة
واكثر جمعا ثم لم يغنهم ذلك دفع ما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك انت يا قرون والله اعلم وقوله ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم لا يسألون عن ذنوبهم لما يعرفون بسيماهم
كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام قال بعضهم اولا يسئل هذه الامة عن صنيع
مجرمي الامم الخالية ويحتمل انهم لا يسألون عن ذنوبهم لما انهم لا يرون ما يعملون من الاعمال ذنوبا بل اعتقدوا
طاعة بل انها الفاسدة وقوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال عامة اهل التاويل انه خرج مع غلمانه
كذا وكذا على بغلات ومعه كذا كذا جارية على بغال اشهب عليهن من الثياب كذا وقال بعضهم خرج على
براذين بيض مع كذا كذا غلمان وجواري ونحو ما ذكر ولكنا لا ندري على اي زينة خرج ولكن نعلم انه خرج
على زينته التي يخرج امثاله من الملوك ولا نفسر انه كذا وكذا ولا نفسر انهم كذا عددا وعلى ما ذا ركبوا
وقوله تعالى قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قرون انه لذو حظ عظيم وقال الذين
اوتوا العلم اي منافع العلم اذ قد يؤتى المرء العلم ولا يوتى من الانتفاع به مما اوتي هؤلاء حيث قالوا
لا ويلكم ثواب الله خير لمن امن الاية لم يكن اولئك الا التمني ان يؤتوا مثل ما اوتي قرون ثم هم الذين
اوتوا منافع العلم والانتفاع به عند ذلك التمني ويكون ذلك على ان التمني لا يسع فيما لا يسع الاستعمال به
والطلب حيث قالوا ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وقوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون
ذكر على التانيث ما يعقبهم ليذكر ثواب الله خير فهذا قال ولا يلقاه لكن اختلف فيه قال بعضهم وما يلقا
كانه عن تلك المقالة التي كانت من اولئك لقومهم الدنيا وقال العلم لاولئك الذين يريدون الحياة الدنيا
اي ما يلقاه تلك المقالة التي قالوها الا اولئك الا الصابرون وقال بعضهم الهاء كناية عن الاعمال التي وما يلقى
تلك الاعمال ولا يوافق لها الا الصابرون وقال بعضهم الهاء كناية عن الدار الاخرة تقول وما يلقى تلك الدار
الا الصابرون والله اعلم ثم قوله الا الصابرون يحتمل ان يريد بذلك المؤمنين انفسهم كقوله الا الذين
صبروا وعملوا الصالحات اي امنوا ويحتمل الصابرون الذين صبروا انفسهم وحبسوها على اداء ما فرض الله
عليهم ولم يتبعوا انفسهم شهواتها وهواها والله اعلم ثم كان في قوم موسى عليه السلام خصال لله لم يكن
مثلها لا امثالها في غيرهم من الامم احدها ما ذكر من صلاة الدنيا و[illegible] العلم في نفسهم وحماتهم فيما وعد الله في
الاخرة من الثواب بصبرهم على اداء ما افترض الله تعالى عليهم وحبسهم انفسهم عن مناها وشهواتها وقوم
كبير ما وعظوا قرون حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك الى قوله
ان الله لا يحب المفسدين وهو كان ملكا قويا منيعا ما قالوا واولئك الذين يريدون الحياة الدنيا ويلكم ثواب الله
خير لمن امن وعمل صالحا والثاني ما ذكر من تحريم فرعون حين اوعدهم بالقطع والصلب والقتل بسبب ايمانهم

الذين امنوا فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وقالوا فاقض ما انت قاض وامثال ذلك مما لم يبالوا بحلول ما اوعد
وخوفهم من انواع العذاب والثالث ما ذكر من قوله وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وقد ظهر ذلك الحين قال فرعون
ذروني اقتل موسى فلم يدع عنه كانه هم ان يقتله الا ترى ان ذلك كان يكتم ايمانه قال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله ولم ينال هلاك نفسه باظهار الايمان بعد ما امن بنبي الله موسى عليه السلام ودفع به
مما قال او استقبل فرعون وقومه استقبل بهذه الخصال لم يذكر عن قوم قط من الامم الماضية من نحو
موسى عليه السلام وكذلك وصفهم بنعوت يعمل بفضل الهداية وامثاله وهو مما قال ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وبه يعدلون وكذلك الواجب على كل مؤمن اذا اريد منه اخذ الايمان وخاف على دينه ان يذهب
به او ان يدخل فيه النقصان ان لا يبالي ذلك وان خاف على نفسه تلفها وهلاكها وتعذيبها باشد ما يكون
من العذاب الا ترى ان الله مدح اصحاب الاخدود بما احتملوا اشد العذاب واشد القتل ولم يتركوا الدين
ولم يعطوا عليه الكفرة ما ارادوا منهم فكذا الاحسن على كل مسلم ان يختار ما اختار اولئك والله اعلم
وهكذا الواجب على كل من ياتي الامراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء ان يعظوهم ويامروهم بكل
ما يؤتى وينهوهم عن كل محظور حرام ويدلوهم على كل خير وكل ما هو طاعة كما فعل مؤمن قوم موسى
وان لا يحضروهم ولا يأتوهم طائعين ان يخافوا انهم يكذبون شركاءهم والله اعلم وذكر عن بعض السلف
رحمهم الله انه قال ان عيسى عليه السلام وقارون عبرة لمن اعتبر اذ كان عيسى عليه السلام زهد في الدنيا زهدا
حتى لم يتخذ لنفسه مسكنا يسكن فيه ولا مقرا يقر فيه ولا اتخذ لنفسه ما يعيش به ولا استعمل شيئا
منها فرفعه الله تعالى الى السماء فجعل معيشته ومقره فيها في كرامة الله تعالى وجواره وكان قارون رغب
في الدنيا رغبة عظيمة وجهد في طلبها طاقته ووسعه وركن اليها وكون لخسف فخسف الله تعالى به الارض
مع كنوزه واتباعه فيكون فيها الى يوم القيامة ففي كل عبرة وانه لكل راغب وزاهد خير عبرة لمن زهد
فيها ورغب عن الرغبة فيها والله اعلم وقوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض اي ببغيه الذي بغي
اي على موسى واصحابه وقوله تعالى فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين كان يفتخر بالاتباع
والحواشي ويحسب انه يتقوى بذلك على دفع عذاب الله ونقمته لذلك قال الله تعالى وما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين اي لم يغن في دفع عذاب الله عنه اتباعه وحواشيه وهو
كظن اولئك حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وانما كان ظنهم ذلك لوجهين احدهما
انهم ظنوا ان اموالهم واتباعهم تدفع عنهم عذاب الله ونقمته كما يدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم
وذلك ان لهم ساوى الى جبل يعصمني من الماء والثاني ظنوا انهم انما اعطوا هذه الاموال والاتباع في هذه
الدنيا لكرامتهم عند الله ولانهم لا يعذبون ابدا لما زعموا انهم مكرمون عند الله والله اعلم وقوله تعالى واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس كانوا تمنوا بالامس حين خرج على قومه في زينته ان يعطوا مثل ما اعطي قارون
فلما راوا الخسف بما له من الاموال والكنوز راوا منة الله عليهم حيث لم يبسط عليهم مثل ما بسط
عليه فيشغلهم عن اداء ما وجب عليهم ويبغوا في الارض الفساد فيخسف في الارض بمثله كما اخبر الله تعالى
عنهم بقوله يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا
ويكانه لا يفلح الكافرون قال بعض اهل الادب ويحه نائبه وانما الاصل هو كانه وهو معناه كان
الله يبسط الرزق الآية وقال مقاتل وبلى انه او لكنه معناه لكن الله يبسط الرزق ولكنه لا يفلح الكافرون
وقال بعضهم ويكان الله اي اعلموا ان الله يبسط الرزق والرابع لا يفلح الكافرون وقال ابو عوسجة
اصل ويك انه ويلك مثل قولك ويلك ونحوه الكلف والنون وقال الزجاج وي مقطوع من كانه
وهو حرف يصيح به للتندم ثم ابتدأ بقوله كانه لا يفلح الكافرون ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة في
وجوب الاصلح على الله لانهم ذكروا منة الله تعالى في منعه اياهم ما تمنوا بالامس فيما اوتي قارون فلو كان
ما اوتي قارون اصلح له في دينه لم يكن له في منعه عن هؤلاء منة ذلك انما اعطى قارون لم يكن اصلح له بل الاصلح له
وان ليس على الله تعالى حفظ الاصلح للعباد والله اعلم وقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ظاهر الآية ان كل من لا يريد العلو في هذه الدنيا والفساد
فيها يكون من اهل الدار الآخرة وجعلهم من دار الآخرة نصا فكيف يكون لهذا الكفر قبل الآية يخرج على
وجهين احدهما كانها نزلت في رؤساء الكفرة فرعون وقومه الذين كانوا يريدون العلو في هذه الدنيا
بالتكبر والتجبر على الرسل والفساد فيها صرفا الناس عن دين الله تعالى واتباع الرسل عليهم السلام فقد

و يعلم

والله اعلم تلك الدار الآخرة اي الجنة ليست لهؤلاء ولكن لمن تواضع للرسل وخضع لهم والداعي الى دين الله تعالى
اتباع الرسل عليهم السلام والله اعلم لا ندري الآخرة على الاطلاق ويراد بها الجنة كالكتاب المطلق يراد به كتاب
الله والدين المطلق هو دين الله والله اعلم والثاني يحتمل قوله تلك الدار الآخرة اشارة الى الدار التي دعوا اليها
بقوله والله يدعو الى دار السلام فالدار الآخرة هي تلك الدار التي دعوا اليها وهي الجنة والله اعلم وقوله الآخرة تجعلها
للذين يأتون بالخيرات والطاعات من نحو صلة الارحام والصدقة على الفقراء والانفاق في ذلك فضلا لهم ولكن
يعملون بذلك الاعمال فانما يعملون للدنيا والعلو فيها لا للآخرة فلذلك الدار ليست لهم انما هي للذين يعملون
لها ويريدون بها الدار الآخرة والله اعلم وقيل نزلت في فرعون وقارون اي تلك الدار ليست لمن
علا في الارض من نحو ما ذكر عن فرعون علا في الارض ولكن لمن ابتغى الفساد فيها من قوله ولا تبغ الفساد في الارض
وانما هي للذين لا يريدون علوا في الارض كعلو فرعون ولا فسادا كفساد قارون والله اعلم وقوله والعاقبة
للمتقين اي تلك الدار الآخرة للمتقين وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها هذا يخرج على وجوه احدها
ما قال اهل التاويل على التقديم والتاخير اي فله منها خير ومعناه ما يكون له في الآخرة من الخير انما يكون
بتلك الحسنة التي جاء بها في الدنيا وهي التوحيد والله اعلم والثاني فله خير منها اي ما اعطي في الآخرة
من الخيرات والثواب بصبرهم وحبسهم انفسهم عن شهواتها وما تهوى خير مما يعطون في الدنيا والله اعلم
والثالث ان توفيقه اياهم وارشاده لهم خير على الخير مما عملوا والرابع احمد حين ما ذكره بقوله
وذكر الله اكبر والخامس له ثواب الله وهو نعيم الجنة خير مما عملوا في الدنيا من العبادات على تقدير طاقتهم
ومبادي انفسهم والله اعلم وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قال جميعا السيئة
هو الشرك لا يجزى الا مثلها التخليد في النار ابدا وهم لا يجزون بها بل ظلموا انفسهم وقوله تعالى ان الذي
فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اختلف فيه قيل فرض عليك القرآن قال بعضهم فرض عليك
القرآن اي انزل عليك القرآن وقال بعضهم فرض عليك العمل بالقرآن وقال بعضهم فرض عليك القرآن
بتبليغ الرسالة مما انزل عليك من القرآن الى الناس واختلف في قوله لرادك الى معاد قال بعضهم الى مكة
وقال بعضهم المعاد هو الجنة وقال بعضهم المعاد هو البعث وقال بعضهم الموت لكن هذه الاقاويل
الثلاث ترجع الى معنى واحد وهو البعث وهو نشأته ثم قوله فرض والمعاد الى مكة عن مجاهد لظاهر الآية
فانه جائز ان تسمى مكة معادا لما يعود الناس اليها من حج وعمرة كما سميت الكعبة مثابة للناس لما يثوبون
اليها من حج وعمرة وانما صرفوا المعاد الى مكة لما قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة الى المدينة
فهاجر اليها فاشتاق الى مكة وهي مولده ومولد آبائه فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية بشارة له بالعود
اليها ظاهرا عليهم قاهرا فاتحا لمكة والله اعلم وجائز ان يكون على غير هذا المعاد لكن تاويل المعاد
هو مكة وهو يخرج على وجهين احدهما كان يحزن على الفراق من اهل مكة اشفاقا على هلاكهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم وما ابوا اجابته ان يهلكوا او يعذبوا كقوله فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات فبشر بهذه الآية ان يرد اليها وستعود اليهم فيتبعونك ويؤمنون بك وهم
لا يهلكون بما هلك واستئصال وتعذيب كسائر الامم والثاني يذكر على طريق الامتنان عليه يقول ان الذي
انزل عليك القرآن والقاه عليك بعدما لم تكن ترجو القاءه عليك وانزاله اليك ولكن رحمة ومنه
القاه اليك وانزله عليك حيث قال وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فعلى ذلك
يردك الى مكة بعدما لم تكن ترجو ردك وعودك اليها والله اعلم وان كان المعاد هو البعث والآخرة فهو
يخرج على وجهين احدهما على البشارة كانه يقول ان الله فرض عليك ذلك ويبعثك من كذبك ومن
صدقك فينتقم ممن كذبك جزاء التكذيب ويجزي من صدقك جزاء التصديق والله اعلم والثاني انه
ذكره وخاطبه واراد به قومه اي ستبعثون وستعودون الى الآخرة فهي كما ذكرنا تخاطب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واراد به قومه فيكون لانه حاجة على الوعيد لهم والله اعلم الامتحان قال على ان
في الآية قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين اي ربي اعلم من جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى
ومن هو في ضلال مبين فيجزيه جزاء الضلالة والله اعلم ثم قوله قل ربي اعلم من جاء بالهدى يحتمل ان يخرج ذكر هذا
عند ادعاء اولئك الكفرة انهم على الحق وان اصحاب محمد عليه السلام على الضلال فانزل الله تعالى قل ربي
اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين نحن واياكم فهو على التحاكم الى الله تعالى اي يحكم بينهم فيجزي
بما جاء به والله اعلم وقوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك هو يخرج

على وجهين احدهما اي وما كنت ترجو ان كنت مطيعا خاضعا ان يلقى اليك الكتاب
وينزل عليك وتصير رسولا اي لم يكن تطمع ذلك ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولا
والثاني وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب في قومك وقبيلتك رسالة فضلا من ان ترجو اي تطمع
في نفسك لانهم لم يكونوا من بني اسرائيل ولا من اهل الكتاب وانما الرسالات لا تكون الا في بني اسرائيل
من رحل ولكن الله تعالى جعل الرسالة في العرب وفي نفسك برحمته وفضله والله اعلم وقوله تعالى فلا تكونن
ذلك الذي العصمة التي عصمه الله تعالى لان العصمة لا يمنع النهي والامر بل تكون منفعة العصمة انما تكون
عند الامر والنهي والثاني على تحقيق الامر والنهي اي لا تكن ظهيرا لهم كما نخاف لعله ان يكون
لهم في وقت من الاوقات فاخبر الله تعالى عن ذلك لانك لا تكون ظهيرا لهم والله اعلم
وفي قوله عز وجل ولا تحزن عليهم وقوله ولا تذهب نفسك عليهم حسرات على رفع الحزن والحسرة عن تكلم الامر
فعلى تلك الاوجه التي ذكرنا فان كان له في الظاهر فالمراد منه غيره وكذا هذا في قوله تعالى ولا يصدنك
عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ففي هذا ما في الاول من الوجوه التي
ذكرنا وكذلك هذا في قوله ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو والله اعلم وقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
قال بعضهم كل شيء ترجى منفعته وشفاعته من دون الله باطل الا ما ابتغي به وجهه وعمل له وقال بعضهم كل عمل
لغير وجه الله فهو باطل لا عاقبة له وقال بعضهم اي كل شيء هالك وزائل الا هو فانه حي دائم لا يزول ابدا
وقال بعضهم كل امر وجهة يميل ويتوجه اليها هالك الا وجهه الكلام التوحيد والعمل به وهو قريب من الاول والله اعلم

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم وقال قتادة عشر آيات من اولها مدنية وسائرها
مكية والله اعلم قوله عز وجل الم قد ذكرناه في غير موضع وقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم
لا يفتنون • هذا وان كان في الظاهر استفهاما فهو على التقرير والايجاب لانا قد ذكرنا ان كل استفهام
واستخبار وسؤال كان من الله تعالى فهو على التقرير والتحقيق لانه خبير عليم يتعالى عن الاستفهام والاستخبار
انما يكون ذلك ممن يجهل عواقب الامور فيستخبر ويستفهم ليعرف ذلك فيكون المراد منه التقرير والايجاب
وان خرج على صيغة الاستفهام والله الموفق ثم قوله احسب الناس يخرج على احد وجهين اي قد حسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون والثاني على النهي بطريق المعاتبة اي لا يحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون ثم قوله ان يقولوا آمنا ذكر الايمان ولم يذكر بمن آمنوا بالله تعالى او بغيره وما من احد من
الخلائق الا وهو يؤمن باحد ويكفر بغيره وليس في الآية بيان المؤمن به الا ان الله تعالى سمى الخلق على الفهم
من الايمان المطلق المرسل الايمان بالله تعالى ورسوله وسماهم حتى فهموا من الكتاب كتاب الله ومن الدار
الجنة ومن الدين المطلق دين الاسلام والله اعلم وقوله وهم لا يفتنون اي لا يبتلون والفتنة هي الابتلاء
في الشدة يمتحن الله عباده باختلاف الاحوال مرة بالضيق والشدة ومرة بالسعة والرخاء وبانواع العبادات
ليكون ذلك علما للخلق لصدق الايمان والكذب فيه ليعرف صدق كل مخبر عن نفسه الايمان بالله تعالى
وكذبه اذ قد يجوز ان يكون فيما يخبر ويقول آمنت كاذبا فيجعل الله العلم في صدقهم وكذبهم عما لا يظهر
بما عندهم صدقه ما لو كان الابتلاء بجهة واحدة لعله وهو ما اخبر عن المنافقين فقال ومن الناس
من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه هذا دليل على ان الفتنة
هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء وما قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فانما يظهر صدق الرجل في ايمانه
بما يصيبه من الشدة فاما السعة والرخاء فهو مما يوافق طبعه وهوى نفسه فلا يظهر صدقه بما يوافق
طبعه انما يظهر ذلك بما يخالف طبعه ويثقل عليه تحمل ذلك والله اعلم قال بعضهم نزلت الآية في قوم
آمنوا بالله ورسوله حقيقة ثم عذبوا بانواع العذاب فتركوا الايمان وكفروا به وفيهم نزل قوله تعالى فاذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وكيف ما كان ففيه ان من ابتلي بالايمان وقبله يمتحن بانواع المحن لما
الطبع والمخالفة ليظهر صدقه عند الناس فيعاملونه على ذلك والله اعلم وقوله تعالى ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين • قد ذكرنا معنى قوله فليعلمن الله الذين صدقوا في
ما تقدم اي ليعلم ظاهرا كائنا ما قد علمه غير كائن انه يكون اي ليعلم موجودا ما قد علمه غير موجود انه يوجد
والله اعلم وقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا • هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما

يحسب الذين ذكر على التحقيق والايجاب والثاني على النهي وقوله ان يسبقونا لاحد يظن ان يسبق الله تعالى
عذابه ونقمته ولكنهم اذا رأوا الكافر والمسلم في هذه الدنيا على السواء في نعيمها وسعتها ولو اذيقا
عند الموت انه يترك على الكافر عذاب كالمسلم ظنوا انه لا بعث فحملهم ذلك على انكار البعث وهو كما اخبر
عن الكفرة بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الآية صير خلقهما
ان لم يكن بعث باطلا وقد علموا انه خلقهما اياهما ليس بباطل ولكن صير خلقهما ان لم يكن بعث باطلا فاذا لم يكن
بعث ظنوا ان لا عذاب ولا جزاء والله الهادي وقوله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت
اضاف اللقاء الى نفسه وكذلك ما ذكر من قوله والى الله المصير بقوله الينا المصير وقوله اليه ترجعون
وقوله واليه يرجع الامر كله وقوله وبرزوا لله جميعا ونحو ذلك لانه خلق الدنيا وخلق العالم فيها لا لها
ولكن المقصود بخلقها وخلق العالم فيها الآخرة فاذا صار خلق هذه الاشياء منها حكمة بالآخرة
اذ لو لم يكن آخرة كان خلق ما ذكر في هذه الدنيا لعبا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون صير خلقهم لا للرجوع اليه عبثا وقوله عز وجل فان اجل الله لآت وهو السميع العليم
قيل السميع لما يقولون ويظهرون والعليم بما يضمرون ويسرون لان القصة قصة المنافقين ويحتمل
السميع المجيب العليم بحوائجهم وامورهم والله اعلم وقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه • وكذلك
قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وهذا
ان الله تعالى انما امتحن الخلائق لا لحاجة له في امتحانهم في دفع مضرة او جر نفع لكن امتحنهم لحاجة انفسهم
في دفع المضار وجر المنافع وكذلك انما انشأ الدنيا وهذا العالم فيها لا لحاجة له في انشاء ذلك ولكن
لحوائج انفسهم وكذلك ما انشأ من الخلائق سوى البشر انما انشأ للبشر ولهم سخر جميع ذلك وجعل البشر
بحيث يقدر على استعمال جميع ذلك بما يرجع الى انفسهم وحوائجهم وهو ما ذكر عز وجل في غير آية وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا منه ونحو ذلك فعلى ذلك امتحن هذا العالم لحاجة انفسهم في دفع مضار او
جر نفع لذلك قال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي لحاجة نفسه ومنفعة نفسه لا لمنفعة وحاجة لله
تعالى الى شيء من المنافع والمضار والحوائج وقوله تعالى ان الله لغني عن العالمين • هذا تفسير ما ذكرنا ثم المجاهدة
مرة تكون مع الشياطين والجن ومرة مع اعدائنا من الانس ومرة مع هوى النفس ومرة في ترك الدنيا كل ذلك
مجاهدة في الله تعالى قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم اي كل ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفر بها سيئاتهم وقوله تعالى ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون • هذا يحتمل وجوها احدها الجزاء الذين يجزون بتلك الاعمال الاحسن من الاعمال التي عملوها
عندهم لان قدر ذلك الجزاء اعظم واحسن من قدر [illegible]
[illegible]
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقوله تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم [illegible]
[illegible]
[illegible]

مالم يكن في طاعتهما معصية الرب ليعلم ان ليس تحت طاعتهما في كل شيء وفي كل ما كان عندهما احسان وكذا
فيما كان في ذلك طاعة الخالق جل جلاله والله اعلم وقوله تعالى الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون هذا ي
ليكونوا على حذر فيعلمهم لا يعملون بما فيه معصية الرب تعالى وقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين كانه قال والله اعلم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم تلك السيئات باعمالهم الصالحة
ثم لندخلنهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم وهم الانبياء اذ اكثر ما ذكر في الكتاب الصالحين انما اريد بهم الانبياء
عليهم السلام وهو كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون والله اعلم ويحتمل في قوله لندخلنهم في الصالحين اي لنجعلنهم من الصالحين فان قيل ما معنى قوله تعالى لندخلنهم
في الصالحين وهم قد عملوا الصالحات ومن عمل الصالحات فهو من الصالحين فما معنى ادخالهم في الصالحين على
الجزاء لاعمالهم قيل معناه ما ذكرنا والله اعلم انه على الاضمار اي والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولهم سيئات
لنكفرن سيئاتهم بما عملوا من الصالحات ثم لندخلنهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم او لنجعلنهم من الصالحين
الذين لا سيئة لهم اصلا والله اعلم وقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة
الناس كعذاب الله الاية قال بعض اهل التاويل نزلت في المنافقين اي بعض المنافقين يؤمنون في السلم
فاذا اصابهم بلاء من الله تعالى او مصيبة في اموالهم وانفسهم فتنوا فجعلوا ذلك البلاء في الدنيا كعذاب
الله في الاخرة او يعذبونهم عقوبة لا تمحيصا الا ترى انه قال على اثره ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم
الاية وذلك على المنافق ومنهم من يقول نزلت الاية فيمن حقق الايمان سرا وعلانية الا انه ضعف لاجل
ايمانه بالله تعالى ورسوله فترك الايمان وكفر به وعلى هذا التاويل جعل قوله ولئن جاء نصر من ربك الى آخر
ما ذكر على القطع من الاول على الابتداء منه وهو لسان جميع المنافقين حيث هم فيكون نهذه الاية في ...
وتلك في الذين كفروا بعد الايمان بسبب ما لحقهم من الشدة والعذاب بسبب الايمان والله اعلم ثم يحتمل قوله
جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل فتنة الناس وتعذيبهم اياه في اعطائه ما سالوه منه وهو الكفر كعذاب
الله تعالى في الدنيا ولعطاء ما سال الله من الكفر وهو الايمان لان الكفر اذا انزل فيهم عذاب الله واشتد بهم
خوف نزوله عليهم اعطى الله تعالى ما سالهم من الايمان والتوحيد اي ازال ذلك الخوف عادوا الى ما كانوا
عليه وهو كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فيحتمل
ذلك هذا ويحتمل وجها آخر وهو ان جعل فتنة الناس في ترك الايمان واختيار الكفر كعذاب الله
في ذلك اي جعل العذاب الذي من الناس كانه من الله جاء وترك الايمان كذلك والله اعلم وقوله تعالى او ليس الله باعلم
بما في صدور العالمين فان كانت الاية فيمن حقق الايمان بالله تعالى سرا وعلانية فيخرج هذا التعيير له في ترك
الايمان للمعذب لانه كان يعتقد ان يظهر الكفر باللسان ان يدفع العذاب عن نفسه ويكون في السر مؤمنا
على الحقيقة على ما ذكر الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان والله اعلم وان كانت في المنافقين فيقول كيف اسررتم
الكفر والخلاف في القلب وانتم تعلمون ان الله عالم بما في صدور العالمين فيخبر رسوله بما اضمرتم وما اسررتم من
الخلاف والله اعلم وقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقد ذكرنا تاويل هذا انه يعلم كائنا
ما قد علم انه سيكون ويعلم موجودا ظاهرا ما قد علم في الازل انه يوجد ويظهر وقد مرت كذا والله اعلم وقوله تعالى
وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم انما قال لهم الكفرة هذا والله اعلم بعدما انقطعوا
عن الظفر في الحجج والايات ما يوجب تنبيههم فيها عند الناس وبعدما انقطعوا عن الحجج فيها والاحتجاج عليها لما
عجزوا عن ذلك كله فعند ذلك اشتغلوا بما ذكر وقالوا للمؤمنين اتبعوا سبيلنا فانه صواب فان لم يكن صوابا او كان
خطا في الاتباع له فانا نحمل خطاياكم والله اعلم وقال بعضهم قالوا ذلك لما امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان بعثنا
وان كان عليكم شيء فهو علينا وهو قريب من الاول ويحتمل ان يقولوا لهم اتبعوا سبيلنا فان الله تعالى امرنا به
فان لم يكن اخطانا في ذلك فانا نحمل خطاياكم وتحتمل تلك والله اعلم ثم هذا القول لفاسد منهم من وجهين احدهما
ان فيما قالوا تناقضا لانهم يقولون اتبعوا سبيلنا فانه صواب ثم يقولون ولنحمل خطاياكم يسمون اتباعهم
اياهم في الدين خطا الا ان يريدوا بذلك ما ذكرنا انهم يقولون اتبعوا سبيلنا فانه صواب فان اصابكم خطا في
الاتباع له فانا نحمل خطاياكم اي ليس بخطا انهم كانوا يضمنون ان يحملوا خطاياهم لا باذن من له حق الطلب الى الخطا
وحق اقامة المؤاخذة وهو الله تعالى ولكن يضمنون باذن من عليهم ذلك وهم الذين يتبعونهم والضمان والكفالة
انما يصح باذن من له الحق لا باذن من عليه الحق والله اعلم وقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء اخبر انهم
لا يحملون شيئا من خطاياهم وقوله انهم لكاذبون يحتمل انهم لكاذبون فيما ذكروا من حمل خطاياهم اي
لا يصدقون على حملها ويحتمل انهم لكاذبون فيما يدعون ان الله تعالى امرهم بذلك والله اعلم وقوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا

مع اثقالهم

اثقالهم اي يحملون اوزارهم وضلالهم انفسهم واثقالا لاضلالهم غيرهم ودعائهم اياهم الى ذلك وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وذكر في خبر انه صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون [illegible]
[illegible] ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما [illegible]
[illegible]
[illegible] فاخذهم الطوفان وهم ظالمون [illegible]
[illegible] فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين [illegible]
[illegible]
[illegible] وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون [illegible]
[illegible] انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا [illegible]

دونه من تعبدون قال بعضهم اي جعلتم كذبا من الالهة لا حقا وهو قريب لما ذكرنا وقوله تعالى ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لهم رزقا بين سفههم في صرفهم العبادة الى الاصنام مع عجزها عن دفع الضر عمن يعبدها كما
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول والله اعلم ان في الشاهد لا يخدم واحد احدا الا لما
من النفع له بالخدمة او لسابقة احسان كان منه فالاصنام التي تعبدونها لا تملك ان ترزقكم ولا ينفعكم ولا
منها سابقة صنع فكيف تعبدونها وقوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق • اي اعبدوا الله الذي يرزقكم
وينفعكم ويملك ذلك لكم وقوله تعالى واعبدوه قد ذكرنا تاويله وقوله تعالى واشكروا له اي اشكروا له فيما انعم
تعالى اليه ترجعون ظاهر وقوله تعالى وان تكذبوا • هذا يحتمل وجهين احدهما وان تكذبوا فيما تخبرون به
ابرهيم عليه السلام فقد كذب امم من قبلكم رسلهم فيما اخبروا ولعل ابرهيم بعد انشاء كل فريق منهم الى ما دعا
خلقه فمذهبه والثاني وان تكذبوا فيما تبلغ اليهم من الرسالة فقد كذب امم من قبله رسلهم في تبليغ الرسالة
وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين • بين لهم انها رسالة بالحجج والايات والله اعلم وقوله تعالى اولم يروا كيف
يبدئ الله الخلق ثم يعيده • اي انهم قد رأوا كيف انشأ الله الخلق في الابتداء وان عجزوا عن الاسباب
الى خلقهم ولا احتمل وسعهم ذلك فعلى ذلك يعيدهم على ما ابداهم وان عجزوا وسعهم عن احتمال ذلك اذ ذكر
اذ الاعجوبة في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في البداية بل الاعجوبة في ابتداء الاشياء اكثر من الاعادة
الاعادة عندكم ايسر واهون من الابتداء فمن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر وقوله تعالى ان ذلك على الله
يسير • اي الابتداء والاعادة جميعا لا يعجزه شي انه قادر بذاته وقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ
الخلق • كان الامر بالسير في الارض ليس هو نفس الاقدام فيها ولكن امر بادراك الفكر فيما فيها من الخلائق
والنظر فيما فيها من الخلق متقنا محكما كالتدبير في العلم والحكمة بالاسباب التعليل ان التقدير في ابتداء
الاشياء والاعادة بالخارج عن احتمال وسعهم وتوهمهم خطأ فان الذي قدر على انشاء الخلق في ابتدائه بلا
ولا سبب ما لم يحتمل وسعهم وتوهمهم ذلك فعلى ذلك الاعادة والنشأة الاخرى وان كانت خارجة عن احتمال
وسعهم وتوهمهم فعلى ذلك الاعادة والنشأة الاخرى وان كانت خارجة عن احتمال وسعهم فهو قادر عليها وقوله
تعالى اي انظروا واعتبروا ان بدء الخلق وانشاءهم من الحكيم العليم الذي بلا اعادة ورجوع ليس بحكمة في
والحكمة جميعا اذ في الحكمة والعقل التفريق بين الولي والعدو والشاكر والكافر وبين المطيع والعاصي
وقد سوى بينهم في الدنيا واشركهم فيها حيث جعل للكافر والعدو كما للشاكر والولي والمطيع فلا بد
من الاعادة في دار تفرق بينهم ليخرج بدء انشائه وخلقه الخلق على الحكمة والتدبير والعلم لا على السفه والعبث
والله اعلم وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير • النشأة الاولى والاخرى جميعا لا يعجزه شي اذ هو قادر بذاته
يعذب من يشاء ويرحم من يشاء • [illegible] في الدنيا [illegible] بالشدة والضيق
الرحمة كناية عن السعة وهو كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فعلى ذلك قوله يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء والله اعلم ويحتمل التعذيب في الاخرة والرحمة فيها [illegible] واليه تقلبون
من يشاء في الاخرة من كان في الدنيا اهلا لها [illegible]
والله اعلم وقوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض [illegible] ولا في السماء
ويحتمل وما انتم بمعجزين الله في الارض باهل الارض ولا اهل السماء بمعجزين الله في السماء [illegible]
حجة على المعتزلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا نصير [illegible]
[illegible]
والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي • يحتمل آيات الله الآيات التي جعلها لوحدانيته والـ

الحسنى

الحسنى انا نرى آيات الله دين الله وكذلك يقول كل آية في القرآن هو الدين وقوله ولقائه اي كفروا بالبعث وبعدم
تسمية البعث لقاء وقوله عز وجل اولئك يئسوا من رحمتي اي من جنتي وجه هذا التاويل انهم قد كفروا بالبعث
اكفروا انهم زعموا ان لا ثواب ولا جزاء وكذلك سماهم آيسين من جنته والله اعلم ويحتمل قوله اولئك يئسوا من رحمتي
اي من رسلي وكتبي لان الله عز وجل سمى رسله وكتبه رحمة في غير آي من القرآن فهم آيسون منهم حيث كذبوهم
كفروا بهم وانكروا ان يرسل الرسل وينزل الكتب والله اعلم ويحتمل اولئك يئسوا من رحمتي في الاخرة
لما يئسوا من رحمتي بما كفروا بآياته ورسله واولئك لهم عذاب اليم والله اعلم وقوله تعالى فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه والاشكال انه ظاهر الاية يقتضي ان يكون نحو جواب قومه هذا الذي ذكر في الا
كلها وليس هكذا بالاجماع لكنا نقول ليس المراد بالاية ما كان جواب قومه الا ما ذكر في جميع الاوقات في جميع
لكن يحتمل ان يكون المراد به ما كان جواب قومه في مشهد الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه الاية انما في مشاهد
حين باخر اذ قد كانت منهم حجج باشياء ويحتمل ما كان اخر جواب قومه وحاصله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
الاية ونظير هذا ما ذكرنا في قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله لا يحتمل ان يكون منهم جواب
الا هذا ولكن تاويله ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فانجاه الله من النار اي انجينا القوم في النار النجاة لله
منها وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ذكر الايات ههنا واضافها الى المؤمنين يحتمل ان يكون
ما ذكر خاصة اسم المؤمنين في هذه السورة نحو قوله الى آخرها الايات للمؤمنين ويحتمل ان يكون فيما ذكر خاصة
للمؤمنين لكن ليس من شيء الا وفيه آيات من وجوه لوحدانيته وآية الالوهية وانه عليم وحكمته وتدبيره
ونعته وهي آيات على الاطلاق في حق الكل لكن انما اضاف الايات الى المؤمنين لوجهين احدهما يحتمل انه
اضاف الايات اليهم لانهم هم المنتفعون بها دون من كفر بها والثاني يحتمل ان في ذلك لاية للمؤمنين
على المكذبين بها في الكافرين اي حججا لهم عليهم كقوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه والله
اعلم ثم قوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه صلة قصة ابرهيم عليه السلام واليه يرجع
وهو ما انعم به من دعائه لهم من حيث قال ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه الاية والله اعلم وقوله تعالى
وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا • يقول والله اعلم ما اتخذتم من دون الله اوثانا معبودا وسميتموها
آلهة وهي ليست بالهة ولا معبود انما هي اوثان وقوله تعالى مودة بينكم في الحياة الدنيا • ثم يقول لكم
اتخاذكم هذه الاصنام معبودا واجتماعكم عليها انما هي مودة حياة الدنيا لا مودة لها في العاقبة اي يوم
ينقلب في العاقبة عداوة بعضا بعضا وهو ما ذكر يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وهو
كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال بعضهم تبرأ المتبوعون من الاتباع كقوله اذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ويلعن المتبوعون الاتباع كما اخبر عنهم بقوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا
ضعفا من النار وقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا واخبر انهم ان صاروا الكل الى النار
ويرجعون اليها وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله تعالى او يدفع عنهم العذاب بقوله ومأواكم النار وما لكم
من ناصرين يختلفون في تاويل قوله تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثانا وقال بعضهم هذا قال بعضهم
قال ابرهيم لقومه كقوله اتعبدون ما تنحتون وكقوله عز وجل هل ينصرونكم او ينتصرون وقال بعضهم هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه وجائز ان يكون هذا قول كل رسول لقومه في زمانه الذين عبدوا
الاصنام والله اعلم وقوله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي • اي اظهر له لوط الايمان من بين قومه
ليس انه احدث الايمان في ذلك الوقت اذ كان لوط عليه السلام مؤمنا من قبل الكفر على الانبياء عليهم السلام لا يجوز
ولكن المعنى ما ذكرنا انه اظهر الايمان من بين قومهم والثاني اي فآمن له فيما دعاه اليه من الهجرة او صدقه فيما اخبر
انه امر بالهجرة وانه مستصحبه فيها لو هاجر معه ثم قوله عز وجل اني مهاجر الى ربي قال اهل التاويل هذا قول
ابرهيم عليه السلام كقوله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ويحتمل ان يكون قوله اني مهاجر الى ربي قول
لوط ثم قوله اني مهاجر الى ربي كقوله اني ذاهب الى ربي لم يفهم من ذلك انتقال المكان والوسع مما
نسبه مما يفهم من الخلق فكيف يفهم من قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقوله وجاء
ربك وقوله الرحمن على العرش استوى وامثال ذلك ما يفهم من ربك من مجيء الخلق واتيانهم واستوائهم
لا فرق من مجيء احد اليه وبين مجيئه الى آخر هنا في الشاهد سواء وكيف فهمتم في الغائب احدهما لما لم تفهم
الآخر وهما سيان في الشاهد سواء فكيف فهمتم في الغائب احدهما ما لم تفهموا من الآخر وهما سيان
الشاهد فدل انه لا يجوز ان يفهم منه شيء من ذلك مما يفهم من الخلق اذ اخبر انه ليس كمثله شيء وقوله انه هو
العزيز الحكيم • قد تقدم تاويله وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب اي وهبنا لابرهيم اسحق ويعقوب

عليهم السلام في الآية دلالة ان الولد هبة الله حيث قال ووهبنا له اسحق ويعقوب ولكن السنة للولد لا
يعقوب كان ولد ولده كما قال في آية اخرى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقوله اسحق ويعقوب
نافلة وكل الولد هبة الله تعالى ذكورا واناثا كما قال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور الآية وقوله
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب لم يزل النبوة في آل ابرهيم عليه السلام من لدنه الى قيام الساعة فانه كان
جميع انبياء بني اسرائيل ولد اسحق ونبينا محمد كان من ولد اسمعيل صلوات الله عليهم اجمعين وقوله تعالى وآتيناه
اجره في الدنيا • لما اخبر انه اتى جميع المؤمنين ما اعطاهم وهو ما قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ومن
في ثواب الدنيا امانا من مؤمن الا وقد آتاه الله تعالى في الدنيا اجرا وثوابا وكذلك النعما في ابرهيم عليه السلام ولا
الاجر الذي ذكر انه آتاه لا حاجة لنا الى معرفته فالكف عنه اسلم وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين
هذا يخرج على وجهين احدهما انه لو لم يكرمه الله تعالى بالرسالة والنبوة لكان هو ايضا في الآخرة من الصالحين
على الاصل الذي تقدم ذكره ان الله تعالى عالم بما كان ويكون وبما لا يكون ان لو كان يكون والثاني ذكر الصلاح
له لحقيقة صلاحه المتناهي في الدنيا اي بكرمه ومن جوى صلاحه واتى بما هو الكامل في بابه وكذا ذكر موسى
وهرون عليهم السلام حيث قال انهما من عبادنا المؤمنين اي من عبادنا الذين حققوا الايمان منتهى على
ما هو نهاية من معانيه وحقوقه وغيرهم من اهل الايمان لم يقفوا ان يأتوا بموجبه على التمام قال الكشي ذكر الايمان
والصلاح كثير منقبة وفضل اذ يسمى بهذين كل مؤمن ومصلح والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه يحتمل ما يجزى به في الآخرة وقال قتادة آتاه الله العافية وعملا صالحا وثناء
حسنا وقال الكلبي ليس يلقى احد من اهل الملل الا يوصي بابرهيم عليه السلام ويتولاه وقد ذكر بالحق ان الاذى
انه ما اراد بالاجر الذي ذكر انه آتى ابرهيم عليه السلام والله اعلم بذلك وقوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه كأنه
يقول تعالى وهو اعلم واذكر لوطا اذ قال لقومه ثم الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بالذكر له يخرج على وجهين
احدهما اي اذكر نبأ لوط وخبره ليكون ذلك آية على رسالتك وشهادة اذ هم يعلمون انك لم تشاهده ولا
زمنه ولا علمت بمن له علم بذلك من اهل الكتاب ثم اخبرت على ما في كتبهم ثم عرفوا انك انما عرفت ذلك
بالله عز وجل والله اعلم والثاني اذكره اي كيف صبر على اذى قومه وكيف عامل قومه مع سوء صنيعهم من ذكر
الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم اياه فاصبر انت على اذى قومك وسوء معاملتهم بك والله اعلم وعلى هذا
يخرج قوله وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي اذكر ابرهيم ونبأه اي كيف عامل قومه وماذا قال لهم وكيف
صبر على اذاهم فعامل انت قومك مثله واصبر على اذاهم كما صبر هو والله اعلم وقوله تعالى انكم لتأتون الفاحشة
ما سبقكم بها من احد من العالمين • قال لهم ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم لم يبين لهم انه بماذا عرف
بقوله ما سبقكم بها من احد من العالمين فيقول وقد يستدل بذلك اي يعرف ذلك من وجهين احدهما ان
يكون ذلك آية رسالته وانه انما علم بالله تعالى انه لم يسبقهم بها احد ولم يمكنهم المعارضة والله
اعلم والثاني انهم يعبدون الاصنام ويرتكبون الفواحش ويقولون انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
وان الله تعالى امرهم بذلك ليعلموا انه كذبه في قولهم انا آباءهم على ذلك حيث اخبر لوط عم انه لم يسبقهم بها
من احد ولو كان آباؤهم على ذلك لذكروا وعارضوا اذ لم يفعلوا او لم يشتغلوا بشيء من ذلك ليعلم انهم
كذبة فيما يقولون والله اعلم وقوله تعالى انكم لتأتون الرجال • وهو ما ذكر في آية اخرى اتأتون الذكران
من العالمين وقوله وتقطعون السبيل اي يعترضون الطريق على من يمر بكم ويستعملونهم بعمل بهم العمل
الخبيث لانه ذكر انهم انما يعملون ذلك العمل بالغرباء فذلك قطع الطريق فان الطريق ينقطع لخوف المارة
من ذلك وقال بعضهم اي تقطعون الطريق على كل من يمر وتأخذون وتأتون لهم مع ما لحقهم من الفاحشة
وقوله تعالى وتأتون في ناديكم المنكر • اي تعملون في مجالسكم المنكر قال ابو عوسجة الندي والنادي
المجلس والاندية جماعة وكذلك قال القتبي وقال ابو معاذ الندي والنادي لغتان وجمع النادي اندية
وجمع الندي والندى والندا والنداقرأه بعضهم كنا من قوله واحسن نديا في سورة مريم اي مجالس وقوله
يحتمل نديا كما قال بكيا وبكيا وقراءة العامة نديا اي مجلسا والله اعلم ثم اختلف في تأويل المنكر قال
بعضهم اي تعملون في مجالسكم اللواطة ايضا وقال بعضهم المنكر هو الحذف بالحصى والرمي بالبندق ولما
روي عن ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله وتأتون في ناديكم المنكر كانوا يحذفون اهل الارض
ويسخرون منهم فان ثبت هذا كان تفسيرا له لا يحتاج الى غيره ولا حاجة الى معرفة حقيقته سوى ان في
هذا اخبار عن سوء صنيعهم في كل حال وفي كل وقت يقول انكم تعملون الفواحش والمناكير في حال الطريق
وفي المجلس وفي المنزل ما سبقكم بذلك كله من احد من العالمين والله اعلم وقوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا

ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين • وقال في موضع آخر وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
وقال في موضع آخر لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين في هذه الآيات [illegible] لانه يقول في موضع آخر
ما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله [illegible] وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم واخرجوا
آل لوط من قريتكم [illegible] تأويله على وجهين احدهما ان يكون قوله الا ان قالوا اخرجوا آل لوط [illegible]
من بعضهم لبعض [illegible] ائتنا بعذاب الله [illegible]
[illegible] فما كان جواب قومه [illegible] منهم اجوبة [illegible]
[illegible] والثاني يحتمل [illegible] فما كان جواب قومه [illegible] الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين [illegible] استهزاء وتكذيبا [illegible]
ثم دعا لوط عليه السلام فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجيب وقوله تعالى ولما جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى يحتمل البشرى البشارة بالولد [illegible]
[illegible] الوقت وهو ما ذكر في قوله فبشرناها باسحق في الآية ويحتمل غير ذلك والله اعلم وقوله تعالى قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين • وقال في آية اخرى انا ارسلنا الى قوم [illegible]
[illegible] قال ابرهيم ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين في الآية دلالة [illegible]
[illegible] اللفظ العام ليس على القطع [illegible] الاحتمال [illegible] انا مهلكوا اهل هذه القرية [illegible] يخرجه
مخرج العموم والمراد منه الخصوص فانهم استثنوا لوطا واهله [illegible] قال ابرهيم ان فيها لوطا [illegible]
حيث قال الخبر لنعلم بمن فيها لننجينه واهله في الثانية عنه فلجأ في تأخير البيان حيث لم يبينوا الا بعد سؤاله
ابرهيم عم وهذا من باب الاخبار وانه لا يحتمل النسخ ليحتمل البيان المتراخي على التراخي على النسخ فدل ان البيان
قد يكون بطريق البيان وقد يكون بطريق التراخي وقد يكون بطريق القرآن وفي الثالثة فيها بيان ان الملائكة يعرفون
بحقائق الاشياء فانهم لما امروا بالبشارة لابرهيم عليه السلام علموا باهلاك قوم لوط ليعلم انهم
يعرفون بمختلف الاحوال والاشياء بما لقوا البشر والله اعلم وقوله تعالى فلما ان جاءت رسلنا لوطا سيء
بهم وضاق بهم ذرعا اي سيء لوط عليه السلام بالفعل الواقع بهم وانما ظن انهم يفعلون بهم ما علم
من قومه من العمل الخبيث وقد ذهم فحسن المنظر كي يحضروهم كي لا يلحقهم من جهتهم سوء وضاق بهم ذرعا
هذه الكلمة يتكلم بها العرب عند انقطاع جميع الحيل فلوط عليه السلام ثم قال ذلك لما لم يجد بانفسه حيلة
يدفع بها شر قومه عما قصدوا بهم الا ترى انه قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وقال ابو عوسجة سيء
اي اغتم لذلك يقال سيئت به اذا ساءني انا مسيء وقوله تعالى لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك •
هذا يدل على انهم قصدوا لوطا عليه السلام بالاهلاك حتى قالوا انا منجوك واهلك وقال في آية اخرى لن يصلوا
اليك انهم قد قصدوه في حقه بالاهلاك فلذلك اراد الاخراج عما اخبر عنهم بقوله لتكونن من المخرجين وقوله اخرجوا
آل لوط من قريتكم وانما ارادوا بهذا الاخراج اخراج قتل اذ لو كان اخراجا من القرية لكان لا يكون له النجاة
منهم والامن وقوله تعالى الا امرأتك كانت من الغابرين • وفي موضع آخر الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين
فيه دلالة الاستدلال على خلق افعال العباد لان الغير فعلها ثم اخبر انه قدره دل ان افعال العباد مخلوقة لله عز
وجل مقدرة له والله اعلم وقوله تعالى انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء • اي عذابا والرجز اسم
كل عذاب فيه شدة الا ترى انه قال في آية اخرى هذا يوم عصيب اي شديد والله اعلم ذكر ان العذاب نزل
من السماء وقد روي ان جبريل عليه السلام ادخل احدى جناحيه تحت الارض فرفع بقريات قوم لوط عليه السلام
الى السماء حتى سمع اهل السماء اصياحهم ونبحتهم ثم ارسلها فان ثبت هذا الحديث فهو نزول العذاب
من السماء ويحتمل قوله حجارة من سجيل ان السجيل اسم لكل ما نزل من السماء تنزل منه الحجارة كذلك قال بعض
الناس فهو نزول العذاب من السماء وان كان السجيل هو الطين المطبوخ فيكون السجيل بيانا ان النوع من الحجارة
فهو اسم الحجر والحجر ينزل من السماء فيكون العذاب واقعا من السماء والله اعلم بذلك وقوله تعالى ولقد تركنا منها
آية بينة لقوم يعقلون • اي آية بينة لكل من عقل وعرف السبب الذي له اهلك قريات لوط عليه السلام وهو
قوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون لماذا اهلكوا اي يعقلون ثم هذه القصص
التي ذكرها الله في القرآن وكررها واعادها مرة بعد مرة لان القصص انما يذكر للحجاج على الكفرة
بعضهم يقرب منه وبعضهم يبعد منه ولعل لا يصل الكل فيجمع القرآن اذ لم ينزل القرآن جملة
كرر القصص واعادها اذ كان يصل اليهم مقدار ما يصل فلا يخلو عما يكون فيه الحجاج عليهم

الاحكام ولاهل الاسلام خاصة وهم يطلبون ما عليهم من الاحكام ولا تقع الحاجة الى التكرار والاعادة
وكانوا يكرر عليهم لئلا يقولوا نسينا ويكرر عليهم حتى حفظوا واتعظوا وانقطع عذرهم ان يتعظوا
فلم ثم الكفرة كانوا على اصناف ثلثة منها اهل العناد والمكابرة ومنها اهل الشك والحيرة ومنها اهل الاسترشاد
فمن كانت همته الاسترشاد فانه يؤمن بها اول ما وقع في سماعهم من ذلك فلا تقع الحاجة الى الاعادة والتكرار
واما اهل العناد والمكابرة فانها يكرر عليهم لعلها تنجع فيهم فيؤمنون بها وكذا اهل الشك والحيرة والارتياب
كانت ايات وحججا للتوحيد والبعث واثبات الرسالة وعلى ذلك جاءت الرسل عليهم السلام بالدعاء الى
والى الاقرار بالبعث والايمان به والى الايمان بالرسل عليهم السلام وشعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلاث
الثلاث في قوله اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين ودعاهم الى التوحيد بقوله اعبدوا
الله وفيه نهي عن عبادة من دونه وقد دعاهم الى الايمان بالبعث بقوله وارجوا اليوم الاخر اي خافوا عذاب ذلك اليوم
ونهى عن جميع المعاصي بقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
الى مدين اخاهم شعيبا واختلف في مدين قال بعضهم هو اسم رجل نسب اليه وقال بعضهم هو اسم موضع وقوله
وقوله تعالى وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم ان الرسل عليهم السلام قد خوفوا الكفرة بعذاب نزل بهم
في الاخرة بتكذيبهم اياهم وعنادهم فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه فلم ينتفعوا حتى وعدوهم
بنزول ما قد شاهدوا وعاينوا اثار من قد اهلكهم بتكذيب الرسل وردهم حججهم وهو ما قال عز وجل
وعادا وثمودا اي اهلكنا عادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم من مساكنهم انهم يعرفون انهم
انما اهلكوا بانباء ما هم عليه من التكذيب والرد باخبار يصدقونها او اثار يشاهدونها وهو كما قال وانكم
لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون والله اعلم وقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل اي زين لهم كما زين لكم وصدهم عن السبيل كما صدكم وقوله تعالى وكانوا مستبصرين
اي كانوا عالمين بان العذاب ينزل عليهم بما شاهدوا وعاينوا من اثار من تقدمهم وعلموا انهم بما اهلكوا
بالذي هم عليه لكنهم عاندوا وقال بعضهم وكانوا مستبصرين اي بصيرة علماء في انفسهم يعرفون الحق
من الباطل ليس لغيرهم من الامم الا ترى انهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والاية على ما يدعونهم حيث قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وقال قوم صالح فات باية ان كنت من الصادقين وقوله تعالى
وقارون وفرعون وهامان اي اهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم موسى فتهلكون انتم يا اهل مكة
بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولقد جاءهم موسى بالبينات اي كذبوه بعد ما جاءهم
موسى بالبينات على نبوته ورسالته كما جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فاستكبروا في الارض
جائز ان يكون استكبروا اي ابوا ان يخضعوا لموسى عليه السلام وقيل استكبروا اي سعوا في الارض
بالفساد تكبرا واستكبارا وقوله تعالى وما كانوا سابقين اي ما كانوا فائتين من عذاب الله والله اعلم
وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي الحجارة وهم قوم لوط عليه السلام وقوم هود
عليه السلام اهلكوا بالريح العاصف حيث قال وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه
الا جعلته كالرميم قال ابو معاذ الحاصب عند العرب الريح التي فيها الدقاق الصغار من الحصى وقوله
ومنهم من اخذته الصيحة هم قوم صالح وقوم شعيب وهؤلاء قوله ومنهم من خسفنا به الارض قارون
واصحابه وقوله ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون ذكر اهلاك هذه الامم والجبابرة لاهل مكة ولعلهم
من الكفرة وقد تواترت عليهم تلك الاخبار وظهرت لهم الاعلام والاثار ليتعظوا بما هم عليه ولا
يعملوا بعملهم كما عمل اولئك برسلهم فيعذبون كما عذب اولئك والله اعلم وقوله تعالى وما كان الله ليظلمهم
اي في تعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث كذبوا الرسل وكابروا ايات الله وجحدوا براهينه
وعاندوها وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يشبه
ان يكون ضرب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ببيت العنكبوت والذين هم الرؤساء منهم والسفلة
يقول والله اعلم مثل اتخاذكم اولياء من دون الله ما تاملون وتطمعون منهم كمثل بيت العنكبوت
لا ينفع ولا يغني ما يؤمل من البيت من دفع الحر والبرد وغير ذلك فعلى ذلك اتخاذكم اياها وكم هو كذلك
من دون الله مثل ما ذكر لا ينفع ولا يغني ولا يدفع عنكم ما ينزل بكم وهو ما قال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا والله اعلم ويحتمل
ان يكون المراد من الاولياء الاصنام التي اتخذوها الهة ضرب مثل عبادتهم الاصنام واتخاذها الهة
ببيت العنكبوت وذلك ان العنكبوت تتخذ البيت رجاء ان تنتفع به كما ينتفع بالبيوت من دفع الحر

والبرد والستر والحجاب فلما ان وقعت لها الحاجة لم تنتفع به ما كان يؤمل منه في شيء فما كانت تامل
فعلى ذلك هؤلاء الذين اتخذوا الاصنام الهة معبودة رجاء ان ينفعهم ذلك يوما فلما ان وقعت
لهم الحاجة لم يجدوا ما كانوا يأملون من عبادتهم اياها واتخاذهم اياها الهة بل في بيت العنكبوت شيء
من المنفعة وليس في تلك العبادة لتلك الاصنام شيء مما كانوا يأملون فهي دون بيت العنكبوت في المنفعة
والله اعلم ويحتمل ما ضرب مثل هؤلاء ببيت العنكبوت لما لا شيء اوهى ولا اضعف عند الخلق من بيتها وهو
كما شبه الله تعالى اعمال الكفرة برماد اشتدت به الريح في يوم عاصف وبسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء ليس شيء في الوجود ولا ابعد في القدرة عليه في الوهم مما ذكر فشبه اعمالهم بذلك فعلى ذلك يشبه
اتخاذ اولئك الاصنام الهة واولياء من دون الله ببيت العنكبوت والله اعلم قال ابو عوسجة العنكبوت
دويبة تنسج كثيرة القوائم والعناكب جماعة وقوله تعالى وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
اي اضعف وابعد في المنفعة بيت العنكبوت فعلى ذلك عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها معبودا اوهى
وابعد مما يأملون وقوله عز وجل لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون عجزها وضعفها وقوله تعالى ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء يقول ان الله تعالى لم يزل عالما بما يكون منهم من اتخاذهم الاصنام معبودا دونه
من علم انشائه لهم لذلك لا عن غفلة وسهو لكنه انشاهم لمنافع انفسهم ولحاجة لهم لا لحاجة او منفعة
له في انشائه اياهم وهو ما قال الله تعالى ان الله لغني عن العالمين وهو العزيز الحكيم العزيز هو المنيع
وقيل انه الذي يغلب على شيء دونه ولم يقهره شيء ويقال سلطانه وقدرته على جميع الاشياء ويقهرها دائما
الحكيم قيل النافذ الحكم وقيل هو المصيب وقيل هو الذي كل شيء من صنعه متقن والحكيم هو الذي لا يخطئ
الخطأ في التدبير والله اعلم وقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فان قيل
ذكر انه لا يعقلها الا العالمون والعقل يسبق العلم لانه اذ بالعقل يعلم ما يعلم فكيف ذكر انه لا يعقلها
الا العالمون ولم يقل وما يعلمها الا العاقلون قيل عن هذا من وجوه احدها ان الامثال انما تضرب
لتقريب ما بعد عن الاوهام وكشف ما استتر من الاشياء على الاوهام وتجليها عما خفيت ولا يعقل
الامثال انها لماذا ضربت وفيم ضربت الا العالم والله اعلم والثاني ان المعقول يعرف اسباب الاشياء
ودلائلها فاما ان يعرف حقائق الاشياء وانفسها من نحو المسائل التي ينظر فيها الى الدلالة فانه يتوصل
بها الى المدلول لا ان يعرف بها عين المدلول وكذلك المراقي التي يتوصل بها الى العلو لا ان يعرف بها عين
العلو فاما العلم هو تجلي حقائق الاشياء وانفسها وصورتها للعالم كذلك ما ذكر والله اعلم والثالث
وما يعقلها اي وما ينتفع بما ذكر الا العالمون وهو كقوله صم بكم عمي نفى منهم هذه الحواس وان كانت لهم
تلك الحواس لما لم يستعملوها فيما خلقت وانشئت فلم ينتفعوا نفى عنهم ذلك فعلى ذلك جائز ان يكون
قوله وما يعقلها الا العالمون اي ما ينتفع بما يعقل الا العالم فاما من لم ينتفع فلم يعقل والله اعلم
وقوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق يحتمل الحق اي العاقبة وهي البعث لانه لو خلقها لا لعاقبة
وكذلك لم تخلق الدنيا للدنيا ولكن انما خلقها للاخرة اذ بالاخرة يصير خلقها حكمة وحقا لانه لو لم
يخلقها لعاقبة كان خلقها عبثا باطلا وهو ما قال الله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا فلولا البعث كان خلقهما باطلا عبثا وانما صار خلقهما حكمة وحقا بالبعث فاذا انكروا البعث
صار خلقه اياهما حكمة وحقا فقد ظنوا خلقهما باطلا فنسال الله التوفيق والصواب وقوله عز وجل بالحق
اي خلقهما ليدل على الحق لانهما يدلان على وحدانية الله تعالى وربوبيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء ونحوها
الايات ويحتمل ان يكون بالحق اي بالحق لله عليهم وبالحق الذي لبعضهم على بعض والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك
لاية للمؤمنين اي بصيرة لمن قربها وقبل اذ هو المنتفع بها فاما من انكر وجحد وكذب بها فهو اية عليه لا له
وقوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة يحتمل ان يكون معناه اتل ما اوحي اليك من الكتاب
عليهم واقم لهم الصلاة والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لكل احد لما ذكرنا في سائر
الخطابات والله اعلم وقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر هذا يخرج على وجهين احدهما على الامتنان
والثاني على الالزام فاما وجه الامتنان فهو ان جعل لكم الصلاة وشرعها لتمنعكم فيمتن عليهم بجعل الصلاة لتمنعهم
عما ذكر والله اعلم واما وجه الالزام فانه يخرج على وجهين احدهما ان الصلاة لو كانت مما يتوهم منها
النطق والكلام لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر على ما اضاف التغرير والتزيين الى الحياة الدنيا اي
لكان هذا الذي من الدنيا كان من اهل التغرير ويتحقق منه كان ذلك تغريرا فعلى ذلك الصلاة لو كانت منها
حقيقة الامر والنهي لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر والثاني اضيف النهي الى الصلاة لما بها يعرف ذلك

الاشياء الى الاسباب وان لم يكن منها حقيقة اضيف اليها نحو ما يضاف الامر والنهي الى الكتاب والسنة ونحوهما يقال امر
الكتاب بكذا والسنة بكذا ونهانا عن كذا وان لم يكن منها امر ولا نهي حقيقة لما بهما عرف الامر والنهي وهما سببا
ذلك فعلى ذلك جاز اضافة النهي الى الصلاة ان يكون على هذا السبيل والله اعلم وقال بعضهم تنهى وتمنع ما دام المصلي
فيها فانه لا يعمل الفحشاء والمنكر وذكر في حرف ابن مسعود رض وابي وحفصة رض ان الصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء
وعن الحسن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله عز وجل
الا بعدا فلم يزدد بها عند الله الا مقتا وقوله تعالى ولذكر الله اكبر اختلف فيه قال بعضهم اي ذكر الله تعالى والعبادة
اكبر من انفس تلك العبادات ووجه هذا والله اعلم ان العبادات انما تكون بجوارح تفتر وتغلب بتستعمل ولا تفتر ذلك
انما لله تعالى الا بالنية فبلغ الاجتهاد فاما ذكر الله تعالى انما يكون باللسان والقلب وهما لا يعملان ولا يستعملان
فهو يعرف ان ذلك لله حقيقة فهو اكبر منها والله اعلم وقال بعضهم اي لذكر الله اكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر
من الصلاة وقال بعضهم ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه لانه ذكره اياكم رحمة ومغفرة وذلك مما لا يعد ولا
يوازنه شيء فاما العبد فانه يذكر باي شيء والله اعلم وقال بعضهم ولذكر الله اكبر اي ما وفق الله تعالى العبد من ذكره
اياه وطاعته له اكبر من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة والله اعلم وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه
قال لهذا وجهان احدهما يقول لذكر الله اكبر مما سواه من اعمال البر والاخر يقول ذكر الله اكبر من ذكركم اياه وقال
العبد بذكر الله تعالى عندما احله وحرم عليه فيأخذ بما احل ويجتنب عما حرم عليه وقال قتادة لا شيء اكبر من ذكر
الله تعالى واصله ما ذكرنا من الوجه الذي تقدم ذكره والله اعلم وقوله تعالى والله يعلم ما تصنعون هذا وعيد ليكونوا
ابدا على حذر ويقظة وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم قيل فيه
لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم لا بالتي هي احسن ولا بغيره اذ لم يقبلوا
الحجة ولا يؤمنون ان الزمتهم الحجة اذ هم اهل عناد ومكابرة والا كنتم ان يقبلوا الحجة ويؤمنون بها والله اعلم
والثاني ليس لا تجادلوا جميع اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان المجادلة معهم على وجه الاحسن ليكون ادعى الى قبول
الحق وقوله عز وجل الا الذين ظلموا منهم اي ليس للمستثنى حقيقة فاذا الاستثناء هو لخروج بعض ما تضمنه اول الكلام
فيكون الاستثناء من المجادلة على وجه الاحسن هو المجادلة لا على وجه الاحسن فهو المجادلة لا على وجه الاحسن
والمجادلة مع المعاندين لا تفيد كيف ما كان ولكن هذا على الابتداء كانه قال والله اعلم الا الذين ظلموا منهم فلا
تجادلوهم وانكم جادلتم اياهم فلا يؤمنون وقولوا لهم آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم الآية وهو كقوله تعالى
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني فاما الا الذين ظلموا فلا تخشوهم ليس على
من الاول ولكن ابتداء نهي اي لا تخشوهم واخشوني فعلى ذلك الاول يحتمل مثله والله اعلم والثالث ما قال
بعضهم ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن اي جادلوا الذين يصدقون منهم ولا يكتمون نعت محمد
الله صلى الله عليه وسلم وما في كتبهم من الحق فاما الذين يعلمون انهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم وهو كقوله
تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون في الاول وكقوله تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
والله اعلم وقال بعضهم معناه من لا عهد لكم معهم فجادلوهم بالسيوف ومن كان معه عهد وكتاب فجادلوهم
بالحجج والله اعلم وقال بعضهم هو منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية يريد بهم من
يقول من ادى منكم الجزية فلا تغلظوا لهم القول وقولوا لهم قولا حسنا ومن لم يؤد فاغلظوا لهم وجادلوهم بالسيف
والله اعلم ثم في الآية دلالة لزوم المناظرة والمجادلة مع الكفرة في الدين ليس كما يقول بعض الناس ان لا يلزم
ذلك لجهلهم بحجج الاسلام وبراهينه ما بين من المجادلة والمناظرة معهم وفيه دلالة وجوب تعلم علم الكلام
الذي به يتحقق المجادلة وقوله تعالى وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
يحتمل ان يكون هذا تفسير المجادلة الحسنة التي امروا بها لان هذا مما يقبلها العقل والطبع وبها جاء الكتب
والسنة وتوجبها العقل والله اعلم وقوله تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي كما اخبرنا في الكتاب فقل
لهم ما ذكر او جادلهم وقوله تعالى فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به يخرج على وجهين احدهما اي الذين آتيناهم
الكتاب ويتلونه حق تلاوته فهم يؤمنون به على ما ذكر في آية اخرى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
اولئك يؤمنون به فيكون هذه الآية تفسير الاولى واما من لم يتل حق تلاوته فلا يؤمنون به والثاني اي الذين
آتيناهم الكتاب انتفعوا به اي يؤمنون الذين اوتوا منافع الكتاب والله اعلم وقوله تعالى ومن هؤلاء من يؤمن
به يحتمل قوله ومن هؤلاء من لا يؤمن به اي من اهل مكة من يؤمن به وجدا من كتب منهم ويحتمل ان يكون اشار
الى قوم كانوا بحضرته فقال بعض هؤلاء من يؤمن به والله اعلم وقوله تعالى وما يجحد بآياتنا الا الكافرون قال
قتادة لا يكون الجحود الا بعد المعرفة اذ اليهود والنصارى عرفوه كما عرفوا ابناءهم لكنهم جحدوه ولكن كل من انكر

شيئا فقد جحده عرفه او لم يعرفه فلا نقول فيما قال [illegible] وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اي ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب اي القرآن من كتاب ولا تخطه بيمينك فلا تكتب بيدك [illegible]
[illegible] اذا لارتاب المبطلون [illegible]
كلام الحكمة انما تلقفت من تلك الكتب المتقدمة المترجمة بغير لسان [illegible] رسول الله صلى
الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] وما يجحد بآياتنا الا الظالمون [illegible]
[illegible] وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله [illegible]
[illegible] اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم [illegible]
[illegible] قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا [illegible]
والآيات فيقول كفى بالله شهيدا اي حاكما بيني وبينكم انا على الحق وانتم على الباطل والضلال ونحو ذلك
والثاني كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي عالما في تبليغ ما امرت بتبليغه اليكم والثاني ما اتيتكم من الآيات والحجج الذي
يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون وقوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون كان استعجالهم العذاب وسؤالهم
الاهلاك على علم منهم انه لا ينزل عليهم ولا يأتيهم يخرج مخرج الاستهزاء بالرسول عليه السلام والتوسل الى التلبيس
على الاتباع والسفلة والضعفاء لانهم يعلمون ان الله تعالى لا يعذب ولا يهلك هذه الامة تعذيب الاستئصال
كما اهلك الامم المتقدمة بالاستهزاء والعناد فجحدوا الرسل عليهم السلام اذ قدام هلكهم الى وقت فاذا اعلموا
ذلك عن الامهال والتاخير كانوا يسألون الرسول عليهم السلام العذاب لذلك وعدهم الآيات القاهرة وكعبيد
لا يمان لو جاءتهم بها واقسموا على ذلك بعقله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فعند ذلك تلبيسا
على ضعفائهم يرون نهم على حذف الآيات فيما بينهم الرسول لما نزل الى نحو آية يؤمنون بها ويتبعونه الله اعلم

وقال تعالى ردا عليهم ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فخاف قال لكنا لحد كيف يقولون
ان حيث خرجهم العذاب اذ يا مهلهم فلم منهم يستعجلون بذلك ولم يعلم فان خلتم على غير علم فقد انتم الجهل بالله
والجهل بما في الربوبية وان تقلتم على علم منه بذلك بكيفية ما لهم وقد علم منهم ما يكون من شتمهم والنسبة
اليه بما لا يليق بصفته واظهار العداوة وامهال الامثال لهم جيد قيل لما امهال العذاب والتاخير عنهم من
الاجل رحمة من الله تعالى واظهار فضله كانه قال لولا رحمته التي جعل لهم على نفسه لجاءهم العذاب كالامم الخالية
فقد نسئل الهم الرسل عليهم السلام العذاب والايات بطريق العناد والاستهزاء وانما خص هذه الامة بالرحمة والفضل تعظيما
لكرامة الرسول المبعوث اليهم كما اخبر الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين حيث استاصلهم كما استاصل
اولئك والله اعلم وقوله تعالى يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يحتمل قوله وان جهنم
اي عذاب جهنم محيط بالكافرين ويحتمل ان النار محيطة بالكافرين ويحتمل قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين
اي الاسباب التي توجب عذاب جهنم وهي اعمالهم القبيحة محيطة بهم وهو كقوله ما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم
على الاعمال او الاسباب التي توجب لهم النار بدل لا لاحد يصبر على النار فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله وان جهنم
لمحيطة بالكافرين اي فاسباب جهنم واعمالهم التي توجب النار في جهنم محيط بهم والله اعلم وقوله تعالى يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون • هذا اخبار عن شدة عذابهم على
اهل العذاب وما يلحقهم من التعذيب وهو كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقوله تعالى يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون في الاية بشارة ومنة اما البشارة فقوله ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون فانه وعد لهم السعة في المكان المستقبل والمحول اليه كما كانوا في مقامهم واما المنة فالذي
قال العذر بان ارضي واسعة ولا تقيموا في ارضكم التي لا تقدرون فيها على عبادتي ثم امر بالخروج والهجرة عن
ارضهم الى اخرى يخرج على وجهين احدهما يقدرون على اظهار دين الله تعالى على انفسهم من اولئك الكفرة
فامروا بالخروج عنها والهجرة الى ارض يقدرون على اظهار دين الله تعالى فيها على انفسهم من اولئك الكفرة وامروا
بالخروج عنها والهجرة الى ارض يقدرون على اظهاره والقيام به ولكن اذا كانوا يقدرون على اظهار دينهم
لكنهم لا يقدرون على القيام على تغيير المناكر عليهم والامر بالمعروف فامروا بالخروج منها الى ارض ليس بها
مناكير وان كانت بها فيقدرون على تغييرها والامر بالمعروف فيها ففي مثل هذا يؤمر سائر الناس بالتحول
من ارض الى ارض اخرى فاما ان يقدر على تغيير المناكير وفيه بخلاف الرسل فانه ليس لهم الخروج الا بامر
صريح لان سائر الناس اذا كثر سماعهم المنكر يخف ذلك على قلوبهم وتميل اليه القلوب وتسكن وتطمئن
فيؤمرون بالخروج عنها والتحول الى اخرى لئلا تميل ولا تسكن اليه قلوبهم فاما الرسل عليهم السلام واذا كثر
سماعهم المنكر فان قلوبهم لا تميل ولا تسكن اليه بل تزداد لهم شدة وصلابة في ذلك وبعدا عن
قلوبهم لذلك اختلف الامران والثاني انه لا يؤمر الرسل عليهم السلام بالخروج ولا يؤذن لهما لانهم بعثوا
الى اهل الكفر والمنكر ليدعوهم الى دين الله تعالى فلا يحتمل ان يؤذن لهم بالخروج والهجرة الى اخرى وهم انما بعثوا
ليدعوهم الى دين الله تعالى الا اذا جاء وقت عذابهم وتحقق اياسهم عن ايمانهم وتطهير مكان يؤمرون بالخروج
لنزول العذاب على الكفرة والله اعلم فاما في حق هذه الاصل هو الامر بصيانة دينهم وان كان يمكنهم الخروج
على موجب دينهم ولهم قدرة الدفع والمناكير فالجمع بين الامرين واجب فاما اذا كان بهم عجز دون ذلك
الهرب من بينهم اشفاقا على دينهم احق وقد روى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فر بدينه
من ارض الى ارض اخرى وان كانت شبرا وجبت له الجنة ويبعث مع ابيه ابراهيم ومحمد عليهما السلام ونحو ذلك
وعلى مثل هذا جاءت الاثار عن السلف وقال بعض اهل التاويل في تاويل الاية اذا دعيتم الى المعاصي فاهربوا
الى اخرى فان ارض الله واسعة وهو ما ذكر انه امروا بالهجرة لتسلم لهم دينهم ووعد لهم الحسنة في الدنيا
وفي الاخرة باعظم منها وهو ما قال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال في هذه الاية ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي ارضي واسعة اي ان منعتم
عن عبادتي في ارض فاخرجوا الى ارض اخرى فاعبدوني فيها ولا تعبدوا غيري ولا عذر لكم في الارض تمنعون
عن عبادتي واظهار ديني الا المستضعفين الذين استثناهم في اية اخرى حيث قال الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا جعل عذرهم لما انهم من الضعف لترك الخروج والمقام
بين اظهرهم وكان الاباء والعبادة سواء انهم لم يقدروا على اظهار ذلك واما من كانت له حيلة الخروج فلم يعذره
والله اعلم وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت • ذكر هذا والله اعلم على اثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة
خوف ضيق العيش يقول والله اعلم ان كل نفس تذوق الموت اذا استوفت رزقها لا محالة ولا تذوق

بل استيفائها رزقها ولا يمنعكم خوف ضيق العيش فانها تذوق ذلك لا محالة خرجت او لم تخرج اذا استوفت
رزقها وهو ما قال قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لو كان المكتوب هو القتل
لبرز لا محالة حتى يقتل فعلى ذلك المكتوب عليه الموت يموت لا محالة خرج او لم يخرج والله اعلم وقوله اينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقوله ثم الينا ترجعون ظاهر وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار • قرئ بالباء والثاء فمن قراه لنبوئنهم من الجنة الاية يقال بوأها انزل
ههنا ومن قرأ بالثاء من الثواء وهو الاقامة وقال القتبي لنثوينهم من ثويت بالمكان اذا اقمت به وبالباء لنبوئنهم اي لننزلنهم
وكذا قال ابو عوسجة وابو معاذ وقوله تعالى خالدين فيها نعم اجر العاملين • اي ثوابهم جزاؤهم وقوله تعالى الذين صبروا
اي خرجوا وهاجروا وصبروا على الهجرة وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون • اي في الخروج والرزق وبه يثقون واليه
امورهم يفوضون ويحتمل الذي يكون الصبر كناية عن الايمان وعبارة عنه اي الذين امنوا وهو كقوله ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن والله اعلم وعن محمد بن اسحق يقول نزلت الاية بمكة في ضعفاء مسلمي
يقول ان كنتم بمكة في ضيق من اظهار الايمان فان ارض المدينة واسعة فاياي فاعبدون فيها علانية ثم خوفهم الموت
ليهاجروا فقال كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون اي في الاخرة ثم نعتهم فقال الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
اي بالله يثقون بان في هجرتهم بعد ذلك ان احدهم كان يقول بمكة كيف اهاجر الى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة
فنسلط عليهم بما ذكر والله اعلم وقوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم من الناس من يحمل •
الاية صلة قوله يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة انهم امروا بالهجرة من بلدهم والخروج من مقامهم لسلامة
دينهم فاشتد عليهم ذلك وضاق بذلك ذرعهم لضيق العيش عليهم هنالك لما انهم بها لهم ولا يتأتى حمل
اموالهم والمكاسب لهم التي بها يتعيشون في بلادهم ويتسننون بها فاخبر ان الله خالق يرزقها لحيث ما توجهوا
وحيث ما توجهوا وحيث ما كانوا لا يحملون لانفسهم شيئا من الرزق فعلى ذلك هو يرزقكم حيث ما كنتم
حللتم مع انفسكم شيئا من الاموال اذ لم تحملوا او لم تصلوا اليها بعد تركتم الاموال في بلدكم والله اعلم ويحتمل
ان يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على الابتداء وفيه تذكير وتنبيه للبشر لئلا يتعلقوا قلوبهم باسباب الرزق
لان البشر فضل تعلق القلوب باسباب المعاش والرزق ما ليس ذلك لغيرهم فاخبر عز وجل ان الرزق ليس يتعلق
بالاسباب بل يرزق بسبب وبغير سبب ويقدر ويضيق ويبسط على من ليس له من الاسباب شيء نحو ما ذكر من
الطير والدواب وغيرهم من البشر الذين يرزقون بلا اسباب ومكاسب وهو كما قال تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب
واكثر الارزاق يكون للناس بلا اسباب ولا مكاسب وكذلك ذكر والله اعلم على اثر ذلك الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر لبيان انه يبسط لمن يشاء وان لم يكن معه سبب ويقدر على من يشاء وان كان معه سبب لئلا
يتعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب والمكاسب والله اعلم وعلى قول المعتزلة الله تعالى لا يقدر على ان يبسط
الرزق لمن يشاء لانهم لا يجعلون لله تعالى في الاسباب والمكاسب صنعا وانما يجعلون منه خلق اصول الاشياء
من الانبات والاخراج من الارض فاما غير ذلك فانه يكله الى الخلق على قولهم وفيما خلق الله تعالى من النبات والخلق
جميع الخلق شرع ليس لبعض اختصاص لشيء به دون بعض وانما اختصاصهم بفعلهم من مباشرة الاسباب
فاذا لم يكن لله تعالى في ذلك صنع لم يكن لهم فائدة ما ذكر من البسط والتوسيع والتقتير على قولهم بل على قولهم
يكون خلاف كتاب الله تعالى وقوله تعالى وهو السميع العليم على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها السميع هو
المجيب بكل ما يدعون ويسئلون العليم بحوائجهم حيث كانوا واين كانوا ويحتمل السميع لقولهم انا لا نجد
ما ننفق ونعيش العليم بما اضمروا ونحو ذلك وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس
والقمر ليقولن الله • اي انهم لينطقون جميعا بالسنتهم ويقرون باسرهم ان الذي خلق السموات والارض وما بينهما وسخر
لهم من الشمس والقمر وما انزل من السماء من الماء واحيى به الارض هو الله تعالى لا اله غيره وقوله تعالى فانى يؤفكون
يخرج هذا على وجهين على اثر قوله ولئن سألتهم الاية احدهما انى يصرفون عما اعطوا بالسنتهم ونطقوا
بالصرف الشكر والعبادة للاصنام التي يعبدون انها لم تخلق شيئا مما اعطوا بالسنتهم والثاني فانى يؤفكون
في تسميتكم الاصنام الهة على علم منهم انها ليست الهة والله اعلم وقيل فانى يؤفكون وانى تؤفكون
يحمقون وقيل يكذبون وقيل يعدلون وقوله تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد
موتها ليقولن الله • قد ذكرنا ان هذا اخبار على اجماع مشركي العرب على هذا وقوله تعالى قل الحمد لله ذكر هذا
على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها امر ان يحمد ربه عز وجل فيما لم يبتل كما ابتلى اولئك من التكذيب والعناد
والكفر برسلهم والثاني امره ان يحمد ربه لما في ذلك اظهار سفههم حيث اعطوا باللسان ان ذلك كله من الله
وانه خالق ذلك كله ثم صرفوا ذلك لغيره والثالث ما قال لذ بعضهم اي قل الحمد لله على اقرارهم بذلك كله

انه خلق الله تعالى وذلك كله منه والله اعلم وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعقلون ، يحتمل قوله لا يعقلون اي لا
يعقلون بعقولهم نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم السمع والبصر
لما لم ينتفعوا بتلك الحواس فعلى ذلك هذا والله اعلم والثاني لم يعقلوا لما تركوا النظر والتفكر في الاسباب
التي بها يعقل الاشياء والله اعلم وقوله تعالى وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، ولو كان الامر على
ما نطق به الكتاب دون معان تودع فيه وحكم يحتمل فيه ما يحمله بعض الناس لكان لاهل الالحاد في ذلك مطعن
لان الله تعالى يقول وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وهو خلقها فيقولون لم خلقها لهوا ولعبا وهي
لهو ولعب او هو خلقها لهوا وكانوا يدعون التناقض ههنا فقالوا انه اخبر في موضع وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين وههنا يخالف ما ذكر في هذه الاية وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب لانه ذكر في تلك الاية
انه ما خلقهما باطلا لعبا وذكر في هذه الاية ان الحياة الدنيا لعب ولهو وهو خلقها فيكون متناقضا في
الظاهر بما كتبت ولكن لا تناقض في الحقيقة بحمد الله تعالى وان منا ، وما الحياة الدنيا على ما تقدرون انتم
وعلى ما عندكم الا لهو ولعب فاما عند اهل التوحيد على تقديرهم فحكمة وحق ثم ما ذكر من اللهو واللعب
عندهم يخرج على وجهين احدهما انهم رأوا انه خلق الانسان فجعل بدؤه من نطفة ثم حولها الى علقة ثم الى مضغة
ثم الى الانسان الذي صور الى آخر ما حول ولا يحتمل ان يخلقه ويحوله من حال الى الاحوال التي ذكر ثم يفنيه
بلا ما فيه يحصل لهم ولا منفعة فيكون كما ذكر ولا يكون الا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تصير نقضها
الغزل من بعد احكامها اياه بلا انتفاع به لهوا ولعبا فعلى ذلك الخلق الحياة الدنيا وخلق ما فيها من العالم لحكمة
ويحوله حالا الى حال الى تحويل بعد تحويل واحكاما بعد احكام للفساد خاصة على ما يقدرونه لكان لهوا
وسفها وباطلا على ظنهم وكما قدروه فاما في تقدير اهل التوحيد فاهل الايمان يعرفون العاقبة لهم فهو حكمة
وحق والله اعلم والثاني قضى اللهو واللعب الذي ذكر على ما عندهم هو الجمع والتسوية بين العدو والولي
وبين المطيع والعاصي وبين المخالف والموافق سفه وباطل قد سوى بينهم في هذه الدنيا واشركهم جميعا
في نعيمها وسعتها وشدتها وخيرها وشرها يتمتع الولي فيها كما يتمتع العدو ويبتلى المطيع فيها كما يبتلى العاصي
بل يتمتع العدو اكثر فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق بين الولي والعدو وبين المطيع والعاصي لكان خلقه اياهم
في الحياة الدنيا سفها وباطلا اذ سوى بينهم واشركهم جميعا في هذه والله اعلم ويحتمل ان يكون الحياة
الدنيا عبثا بل الحياة الاخرة لهو ولعب لانها خلقت فانية منقطعة وخلقت حياة الاخرة باقية دائمة نحو ما
قال تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى اي متاع الدنيا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الدنيا
فان منقطع ومتاع الاخرة دائم باق والله اعلم ويحتمل ما هذه المجالس والاعمال التي تعملون بها تعدون في
مجالسكم وصالحكم في هذه الدنيا الا لعب ولهو لا يبقى ولا ينتفع بها الا ما ابتغي بها وجه الله تعالى والدار
الاخرة وهو ما قال ان الدار الاخرة لهي الحيوان اي هي كذا ثمة لو كانوا يعلمون وقوله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون ، اي هي دار الحياة لا موت فيها ولا انقطاع ولا فناء لو كانوا يعلمون ان دار الاخرة على هذا الوصف
والله اعلم وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، هذه الاية على المعتزلة في قولهم جميعا
ان على الله ما هو اصلح للخلق في الدين لانه اخبر تعالى انهم اخلصوا الدين لله تعالى فاذا ركبوا في الفلك ولا شك
ان ذلك اصلح لهم في الدين ثم لم يبقهم على تلك الحال ليكونوا على ذلك الاخلاص بل اخرجهم منها فعادوا
الى ما كانوا فدل انه لا اصلح لهم في الدين عنده واجب عليه في الحكمة وقوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ، اي انجاهم الى البر ليكونوا على ما علم منهم انهم يكونون وقد علم
انه يكون منهم الكفر وانجاهم الى البر ليكون ما منهم ما قد علم انه يكون ويختاره ونحو كان اخلاصهم الدعاء
في الفلك لم يكن اخلاص اختيار الا دفع البلاء لكانوا لا يتركون ذلك في الاحوال كلها ثم هذه الاية
وان كانت في اهل الكفر ففي ذلك ايضا توبيخ لاهل الاسلام انهم لا يقومون بالشكر لله تعالى والمخلصين
العبادة له في حال السعة والنعمة كما يكون في حال الضيق والشدة فينبههم ليكونوا في الاحوال كلها
مخلصين العمل لله تعالى شاكرين له لئلا يكون تعلقهم على حرف وجهة واحدة كعمل اهل النفاق وكعمل اولئك
الكفرة كما اخبر ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به الاية والله اعلم وقوله تعالى فسوف
تعلمون ، اي سوف يعلمون نصر صدق قوله واخباره عن الله تعالى انه انجاهم من الكفرة ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
كما عادوا الى ما كانوا عليه اذا انجاهم من الاهوال التي ابتلوا بها ويحتمل اي سوف يعلمون ما اوعدهم الرسل عليهم السلام
والله اعلم وقوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ، قد ذكرنا في غير موضع ان الاستفهام
من الله عز وجل يخرج مخرج الايجاب والالزام ويخرج مخرج الخبر انها لا يخرج على حقيقة الاستفهام لانه عالم [illegible]

يعلم ما في ظاهرهم وباطنهم وما يظهرون وما يضمرون بما كانوا يكونون ولا يحتمل ان يستفهم عبادة بشيء
لكنه يخرج على الخبر والالزام والايجاب كأنه يقول قد رأوا وعلموا ان الله تعالى جعل الحرم امنا لمن يأتي
فيه وكان الناس يتخطفون ويخافون واما الايجاب والالزام وهو ان يقول لهم اعلموا ان الله تعالى جعل
الحرم امنا تامنون فيه وكان الناس على خوف يسلبون ويسبون ويقتلون ثم يخرج بذكره اياهم على وجهين
احدهما ان الله تعالى اذ جعل لكم الحرم امنا تامنون فيه لتعظيمكم بيت الله وحرمه والناس حولكم على خوف انتم
تشاركون من حولكم في الدين الباطل فكيف تخافون الاختطاف والاستلاب اذا دنتم بدين الله واتبعتم
رسوله فاذا امنكم بكونكم في حرمه وتعظيمكم بيته واتبعتم امره بل الامن والسعة اذا دنتم بدينه واتبعتم
امره اكثر واحق وكانهم انما تركوا اتباعهم دينه خوفا من الاختطاف كما اخبر عنهم بقوله وقالوا ان نتبع الهدى
معك نتخطف من ارضنا فقال اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء ويحتمل انه ذكر هذا لهم انه
قد امنكم وصرف عنكم مع عبادتكم الاصنام وصرفكم الشكر عنه كل مكروه وسوء بكونكم في مجاورة بيته فاذا
صرفتم العبادة اليه وشكرتم نعمه احق ان يامنكم ويوسع عليكم نعمه ويدفع عنكم ما لم يدفع عن حولكم اذ انتم
شركاؤهم في عبادة الاصنام واتخاذهم اياها الهة على هذا يخرج والله اعلم وقوله تعالى افبالباطل يؤمنون
وهو ما اوحى اليهم الشيطان في قلوبهم انهم لا شفعاؤكم عند الله وعبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى
وهو كقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الاية وقوله تعالى وبنعمة الله يكفرون اي بما اوحى اليكم
محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى يكفرون والله اعلم وقيل افبالباطل يؤمنون اي بالشرك يصدقون
وبنعمة الله اي بتوحيد الله تكفرون ويحتمل النعمة ههنا القران ويحتمل ان يكون محمدا صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ، قد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الخبر وعلى
التقرير والايجاب لاخر والاكل ومعناه اعلموا انه ليس احد اظلم من المفترين ممن افترى على الله كذبا
واما على الخبر فقد علمتم انه ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله اذ قد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء
والكذب فيما بينكم ولا كذب ولا افتراء اوحش واقبح من الافتراء على الله تعالى فكيف افتريتم عليه
وقوله تعالى او كذب بالحق لما جاءه ، اي كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بالقران الذي عجزوا عن
اتيان مثله او بالتوحيد او كذب بالحق الذي لفظ به صدق لما جاءه وقوله تعالى اليس في جهنم مثوى للكافرين
كانه يقول الله تعالى وهو اعلم ان جهنم مثوى الكافرين يذكره الصبر على اذاهم والتسلي لما يضيق صدره
لما تركهم الايمان وبالاياس منهم والله اعلم وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، يشبه
ان يكون هذه صلة قوله وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو ليس من اجهد نفسه في طلب الدنيا لهوا
ولعبا فاما من اجهد نفسه لله تعالى وطلب مرضاته فهو حق وله دار الاخرة التي لا موت فيها ولا انقطاع
والله اعلم ويحتمل ان يكون على الابتداء لا على الصلة بالاول لكانه يقول والله اعلم والذين جاهدوا انفسهم
في هواها وشهواتها واماتوها بالحقيقة ابتغاء مرضات الله تعالى وطلب الهداية والدين وسبيله وقوله
لنهدينهم سبلنا ذكر السبل ههنا ما سبق ذكر الجملة بقوله جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي لنهدينهم
الكل سبلنا فاما في قوله ولا تتبعوا السبل المراد به هو سبيل الشيطان لان السبل على الاطلاق على غير ما
ذكر الهدى هو شيء من الاهتمام فهو سبيل الشيطان اذ سبيل الشيطان مختلفة فاما سبيل الحق فواحد والله اعلم
وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين ، يحتمل قوله وان الله لمع المحسنين في التوفيق لهم في الاحسان والاعمال الصالحة ويحتمل
اي مع المحسنين في النصر لهم والمعونة على اعدائهم ويحتمل مع المحسنين بحفظهم ويتولاهم والله اعلم ثم الاية
حجة على المجسمة فان الله تعالى قال لمع المحسنين وقال في غير موضع مع المتقين ثم لم يفهم احد من الخلق منه ما يفهم
فيما بين العباد من قولهم فلان مع فلان ولم يثبت به التجسيم فكذلك يجب ان لا يفهم من قوله الرحمن على العرش استوى
وقوله وجاء ربك وقوله ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام ما يفهم من استواء الخلق ومجيئهم واتيانهم فيبطل به مذهب المجسمة والله الموفق

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى
الارض وفي بعض القراءات غلبت بفتح الغين على المستقبل اما القراءة برفع الغين فعلى الماضي وذكر
اهل التأويل انما ذكر هذا لان المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم اهل الكتاب
قد غلبتهم المجوس والكتاب لكم وانتم تزعمون انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل على نبيكم فسنغلبكم

كما غلبت فارس الروم فانزل الله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ولكن ذكر في اخره ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ولا يحتمل يفرح المؤمنون بغلبة الروم على فارس وكذلك سمى نصر الله وهم كفار وغلبتهم عليهم معصية فلا توصف ذلك بالنصر والظفر وانما هو بنوع خذله ودوله واما النصر والظفر انما يطلق على غلبة المؤمنين اياهم والله اعلم الا ان يقال انما يكون فرحهم بغلبة الروم العجم لا لعينها ولكن لما في ذلك من اظهار الايمان بكتاب الله تعالى والتصديق لها والعمل بها وهم كانوا اهل كتب ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث مصدقا بكتاب الله وبرسله اجمع ففرحوا بذلك في كان لذلك الفرح به وتسميته نصر الله فاما على الوجه الذي يقولون فلا والله اعلم وعندنا ان في هذا في ذلك آية عظيمة في اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وصدقه حال الحجة الكفرة فيه مطعنا فلا يمكنهم نسبته الى الكذب والافتراء في ذلك على ما قالوا وطعنوا في سائر الايات والانباء حيث قالوا ان هذا الا اساطير الاولين وما هذا الا سحر مفترى وقولهم انما يعلمه بشر ونحو ذلك من الطاعنين الذين طعنوا في القرآن والانباء المتقدمة ومثلها لم يجدوا فيما اخبر من غلبة الروم على فارس لانه اخبر عن غلبة ستكون وستحدث لانه غلبة قد كانت ومثل هذا لا يدركه البشر ولا يستفاد ذا الغيب لا يجعله علم البشر ولا يبلغ العقل السابق من الاوهام فذلك كان دل انه علم ذلك بالله تعالى وبرحمته الذي عرف والله اعلم وعنه الان المشركين كانوا لهم وجوه استدلال بها على غلبة فارس على الروم منها انها ما شاغلت فارس على الروم ومنها ان يقولون اهل الروم اهل كتب وعبادة يكون ذلك مشاغيل النظر فيها والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون للقتال والحرب ومنها ان يقولوا ان اهل الروم نصارى وليس في سنة النصرانية قتال فهم لقتال الحرب فيدلون بمثل هذه الوجوه على ان لا غلبة يكون لهم وانما يكون للفرس فاما اهل الاسلام ليس لهم شيء من تلك الوجوه ولا تعبيرها وجه الاستدلال بغلبة ولذلك على هؤلاء فما قال ذلك الا وحيا من الله تعالى اليه واعلاما منه اياه فيعلمهم فكان في ذلك اعظم الصدق الرسول عليه السلام واكثرها ويرجع قوله يفرح المؤمنون ان المؤمنون يفرحون بظهور اية صدق رسولهم على دعوة الرسالة وذلك من الله نصرة لرسوله حيث اظهر صدقه رسالته والله اعلم واما القراءة بفتح الغين فهو على المستقبل لان يغلب الروم على فارس وهو كقوله تعالى قالوا ربنا باعد بين اسفارنا على الخبر عن الماضي فعلى ذلك الاول وقوله تعالى في ادنى الارض ادنى ارض الشام وقيل الارض التي تلي فارس وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون من نصب اللام وضمها من قرا غلبت برفع الغين قرا سيغلبون بفتح الياء اي ان اهل الروم بعد ما صاروا مغلوبين يصيرون غالبين في بضع سنين ومن قرا بفتح الغين قرا سيغلبون برفع الياء ان اهل الروم بعد ما صاروا غالبين يصيرون مغلوبين حين يظهر عليهم في اخر الزمان حين يفتح قسطنطينية وقوله تعالى في بضع سنين قيل البضع سبع وقيل ما دون العشر فهو بضع وقيل من ثلث الى تسعة وكذلك ذكر في الخبر ان ابا بكر رضي الله عنه لما خاطر المشركين وبايعهم على ان الروم تغلب فارس وهم يقولون ان فارس تغلب الروم بخطر في ستين ذكرها فمضت تلك المدة ولم تغلب الروم على فارس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر اما علمت ان ما دون العشر بضع كله فزد في الاجل وزد في الخطر ففعل ذلك فلم يمض تلك السنون حتى ظهرت الروم على فارس وفي بعض الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تكونوا احقاء ان تجعلوا دون العشر فان البضع ما بين الثلث الى العشر فراسلهم وما دوهم في الاجل ففعلوا حتى ظهرت الروم على فارس وذكر في الحديث والله اعلم وفي حرف حفصة وابن مسعود رضي الله عنهما في بضع سنين قرينا بهم في المخاطرة التي كانت بين ابي بكر وبين اولئك الكفرة يخرج على وجوه احدها ان مكة يومئذ كانت دار حرب دليله قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وذلك كان قبل الهجرة الى المدينة وقيل الامر بالهجرة وذلك كان قبل غلبة الروم على فارس واذا كانت يومئذ دار حرب جازت المخاطرة والجهالة في العقود بها لما في دار الحرب فيما بين المسلمين وبين اهل الحرب جاز كان مثلها في دار الاسلام غير جائز فهذا دليل لابي حنيفة رحمه الله والجارية عقد الربا في دار الحرب فيما يستقيم بين اهل الاسلام غير جائز والله اعلم والثاني جاز ذلك يومئذ وان كان فيه جهالة اسباب الاجل لكن الجهالة في العقود انما يبطل العقود لوقوع التنازع بينهم في الاخرة ولا تنازع فيما بينهم لا يتوهم وقوعه انهم كانوا اهل شرف وكرم وفضل وجود وانما يكون التنازع بينهم في الذين فاما في الاموال قل ما يقع وكذا يقع التنازع بينهم في طلب كتابه وما يرجع الى الافتخار بالجود والسخاوة فاذا كان التنازع بينهم مرتفعا جاز ذلك وفي زماننا لا يجوز فمثل هذا التفاوت الناس يتفاوت الازمان على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال الناس بينما يتصونون في الخلق والاخيار ومنهم من يقول كان القمار جائزا في الجاهلية واما اليوم فقد جاء النهي

نسخ الخاطرة التي هي من جملة القمار اذ نزلت الاية التي فيها تحريم الميسر والميسر هو القمار وقيل انه نزلت الآية ... لله الامر من قبل ومن بعد قال بعضهم لله الامر من قبل من قبل غلبة فارس الروم ومن بعد غلبتها ما ذكر وقيل لله الامر من قبل ان ظهرت فارس على الروم ومن بعد ما ظهرت الروم على فارس ويحتمل ان يكون قوله من قبل ومن بعد اي الامر له في غلبة هؤلاء على هؤلاء ... الخلق امره ولا تدبيرا الا لله تعالى وهو كقوله الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء اي يفرح المؤمنون بنصر الله حيث نصر رسوله باظهار الاية لهم على اثبات الرسالة والنبوة وصدقه في ذلك النصر [illegible] على ولكن قبل الهجرة كان فرحهم لاثبات اية عظيمة على رسالة نبيهم على ما ذكرناه اولا انهم كانوا اهل كتب تعالى وتراسلهم اياها احيوا غلبتهم عليهم وفرحوا بذلك ولا يحتمل ان يفرحوا بذلك ولا يأمرهم بذلك ولا اراده منهم وان كان في نفسه حرام ذكرنا انهم انما فرحوا بذلك لما ان ذلك لما كان سبب ظهور الحجة على اثبات الرسالة فيصير حسنا العاقبة حميدة فكذلك ارادة الكفر والمعاصي وان كانت قبيحة لعينها لكن صار حسنا العاقبة حميدة وهو ظهور ما علم على ما علم فتكون حجة في مسئلة الارادة وقوله تعالى ينصر من يشاء اذ لا نصر الا من الله تعالى في فعل العباد صنعا وقد بين حيث ذكر فعل بعضهم على بعضهم نصرا فهو دل ان له تدبيرا في ذلك حيث اضاف الى نفسه والله اعلم وقوله تعالى وهو العزيز الرحيم ذكر العزيز على اثر ما سبق لانه عزيز بذاته فهلاك من هلك من عصيه لا يوجب وهنا ونقصا في ملكه وسلطانه لشيء كما ذلك يعرض حينئذ ملوك الارض واتباعه وحشمه لان ملوك الارض اعزاء بذلك فاذا هلك ذلك ذهب عزهم فاما الله تعالى فعزيز بذاته والله الموفق وقوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده انما يكون خلف الوعد والميعاد لاحد معنيين اما لندامة تستقبله فيما وعد فتمنعه تلك الندامة عن انجاز ما وعد او حفظ الوفاء له واما لحاجة وقعت له فيما وعد فتمنعه تلك الحاجة عن وفاء ما وعد وانجاز ما طبع واما العجز يكون به لا يقدر على انجاز ما وعد فيحمله عجزه على خلف ما وعد وانجازه فاذا كان الله عز وجل يتعالى عن الوجوه التي ذكرنا كان ما وعد لا يحتمل الخلف منه والله الموفق وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل قوله لا يعلمون لما لم ينظروا ولم يتفكروا في الاسباب التي هي اسباب العلم بعدما اعطاهم اسباب العلم لكنهم اذ تركوا النظر في الاسباب والتفكر فيما لم يعلموا فلم يعذروا بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها والله اعلم ويحتمل لا يعلمون اي لا ينتفعون بما علموا فنفى عنهم العلم بما لم ينتفعوا بما علموا كما نفى عنهم السمع والبصر لما لم ينتفعوا بهذه الحواس وان كانت لهم هذه الحواس وقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون في قوله يعلمون ظاهرا ظاهر الاشياء في المنافع ولا يعلمون باطن المنافع نحو كيف نحو ما يعلمون ان الماء به حياة الاشياء ويعلمون ان الطعام قوام الابدان ولكن لا يعلمون قدر منفعته وكيفيته وما في سرية ذلك المنافع وكذلك السمع والبصر ما للناس العلم حقيقة ذلك وكيفيته وان كانوا يعلمون انهما بهما يسمع ويبصر ويتكلم عن منافع الاخرة غافلون وانما است منافع الدنيا لا لتكون بها ولكن ليعلموا بها منافع الاخرة وقيل ابن عباس واهل التأويل يقولون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا اي يعلمون تجاراتهم وحرفهم وجميع الاسباب والمكاسب والحيل التي يقوم بها امورهم وهم عن الاخرة غافلون لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق قد ذكرنا في غير موضع ان كل استفهام من الله تعالى وسنة الحج مخرج الايجاب والالزام على جزم الايجاب يخرج على وجوه احدها اي قد تفكروا ونظروا واعتبروا وعرفوا انه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق لكنهم عاندوا وكابروا ولم ينقادوا الحق ولم يقروا به والثاني يخرج على الامر اي تفكروا في انفسهم

واعتبروا لعلموا انه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق وكذا الثاني على الخبر اي انهم لم يتفكروا ولم
ولم يعتبروا فلو تفكروا واعتبروا لعلموا انه ما خلق السموات والارض الا بالحق لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا
بعدما اعطوا الاسباب فلم ينتفعوا بترك النظر والتفكر والاعتبار وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة المكذبين معناه والله اعلم اي قد ساروا في الارض فنظروا وعلموا ما حل بالمكذبين بسبب
التكذيب وما صار عاقبة امرهم على الايجاب والتقدير ويحتمل اي سيروا في الارض لتعرفوا ما اصاب اولئك
بالتكذيب ويحتمل على الخبر اي لم يسيروا في الارض ليعرفوا ما اصاب اولئك بالتكذيب ويحتمل على الخبر اي
لو ساروا في الارض على ما ذكرنا لكان يعلموا عاقبة امورنا اولئك تعالى ثم قوله الا بالحق قيل فيه وجوه احدها
اي ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي لله عليهم من الشكر فيما انعم عليهم والتعظيم
والتبجيل والثاني يحتمل الا بالحق اي فانما يحمد فعله في العاقبة ما لولا ذلك العاقبة لكان فلا يحمد اذ
في الحكمة التفريق بين الولي والعدو وقد اشركهم جميعا في هذه الدنيا بين الولي والعدو ولو لم يجعل دارا
اخرى يفرق بينهما لكان لا يحمد فيما اشركهم فيها والله اعلم والثالث الا بالحق اي بالبعث لانه لو لم يكن البعث
لكان خلق السموات والارض وما بينهما لعبا باطلا كقوله اعلم وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون سمى البعث لقاء الرب تعالى والمصير اليه والرجوع والبروز له والخروج ولو كانوا في الدنيا
كلها بارزين له خارجين اليه صائرين راجعين اليه لان خلقهم ايام انما صار بحكمة لذلك البعث والمقصود
بخلقهم ذلك البعث لذلك سمى البعث ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يخرج على وجوه التي قلنا في قوله اولم يتفكروا في انفسهم وقوله تعالى كانوا
اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها ذكر اهل مكة وكوبخهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسوء معاملتهم اياه بما ذكر من القرون المتقدمة انهم مع شدة بطشهم وكثرة اتباعهم وحواشيهم واموالهم
وطول اعمارهم وبنيانهم لم يستطيعوا الانتصار والامتناع من عذاب الله عز وجل اذ احل بهم بتكذيبهم الرسل
فانهم باهل مكة دونهم في القوة والبطش والحواشي والاتباع فكيف يستطيع لكم الانتصار والامتناع من عذابه
اذا كذبتم الرسول عليه السلام والله اعلم وقوله تعالى فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
قال ابو عوسجة اثاروا الارض استخرجوها وقال اثاروا اي قلبوها للزراعة ومنه البقرة المثيرة وقال بعضهم
اثاروا الارض اي عمروها اكثر مما عمروها وتملك بالجملة اي بقوا فيها اكثر مما بقي فيها وتملك وقال بعضهم
ما سوى يعمرون الارض اكثر مما عمروها اهل مكة وبعضه قريب من بعض وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله يحتمل ان يكون على التقديم والتاخير معناه ثم كان عاقبة الذين
اساؤا السوءى ان كذبوا بايات الله وما كان الله ليظلمهم يقول ما حل بهم من العذاب بعد في هذه الدنيا
بتكذيبهم لم يظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم بما اساؤا والله اعلم ويحتمل اي وما كان الله ليظلمهم بتعذيبه
في الدنيا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم قوله كان عاقبة الذين اساؤا السوءى في الاخرة يحتمل اساؤا الى
الرسل بالتكذيب وانواع الاذى ويحتمل اساؤا الى انفسهم حيث اهلكوها واوقعوها في النار والسوءى
اسم من اسماء النار كالعسرى والهاوية والبشرى والحسنى من اسماء الجنة وقوله ان كذبوا بايات الله ذكر
اهل مكة وخوفهم ان ما حل باولئك القرون الماضية من الاهلاك والاستئصال انما كان بتكذيبهم
الايات والاستهزاء بها في هذه الدنيا فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم بالايات والحجج واستهزأتم بها يصيبكم
ما اصاب اولئك بالتكذيب والايات يحتمل الحجج في باب التوحيد وحجج الرسل في اثبات الرسالة واثبات البعث
وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن يحتمل الايات التي ذكرنا ويحتمل بما اوعدهم الرسل من العذاب في الاهلاك
فاستهزؤا بذلك والله اعلم وهو كقوله تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين اي عاقبتهم النار بما كذبوا
بايات الله وقوله تعالى الله يبدؤا الخلق ثم يعيده هذا في الظاهر دعوى لكنه قد بين فيما تقدم من الايات ما
يلزمهم الاعادة والاحياء من بعد الموت حيث قال اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وقال اولم يسيروا في الارض وغيرها من الايات يعلم انهم انه لو لم يكن اعادة وبعث
كان خلقهم عبثا باطلا خارجا عن الحكمة والقدرة في ابتداء الاشياء انه لم تكن كان لا يكون لان الاعادة
للشيء اهون وايسر من ابتداء الاشياء على ما ذكر في قوله عز وجل وهو اهون عليه وقوله تعالى ثم اليه ترجعون
سمي الاعادة والاحياء بعد الموت الرجوع اليه لما ذكرنا ان المقصود من خلقهم في هذه الدنيا الاعادة
والاحياء لذلك سمى الاعادة والرجوع اليه والمصير اليه والبروز له وان كانوا في جميع ذلك صائرين
راجعين اليه بارزين خارجين والله اعلم وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال بعضـ

المبلس الايس الذي ايس يايسون في الاخرة عما كانوا يطمعون بعبادتهم الاصنام والاوثان في الدنيا حيث قالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول يايسون في الاخرة كما طمعوا بعبادتهم
في الدنيا حين شهدوا عليهم وكفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم ويتبرؤن منهم وقال بعضهم يايسون
كل خير وقيل المبلس كل منقطع رجاؤه ساكت كالمتحير في امره وقال بعضهم المبلس كل ايس حزين وقوله تعالى
ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء هؤلاء ما ذكرنا ان الاصنام التي عبدوها وسموها الهة لا يشفع لهم وكانوا
بشركائهم كافرين يحتمل هذا وجهين احدهما اي الاصنام بهم كافرون جاحدون والثاني هم يكفرون
بالاصنام اذا لم يشفعوا لهم وصاروا شهداء عليهم ويحتمل اي كل يكفر بصاحبه كقوله ويوم القيمة
يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا والله اعلم وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
والاشكال انه سمى ذلك اليوم يوم الجمع في اية بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وسمى في هذه الاية يوم الافتراق
فيقول هو يوم الجمع في اول ما يبعثون ويحشرون ثم يفرق بينهم تفريقا لا اجتماع بينهم ابدا وهو كقوله
فريق في الجنة وفريق في السعير فاذا هو الجمع في حال ووقت ويوم الافتراق في حال ووقت اخر والله اعلم
وبعض اهل التاويل يقولون في قوله يومئذ يتفرقون اي العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعد ما كانوا
مجتمعين في الدنيا وهو ما ذكر في اية اخرى ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا هذا
تفرقهم على قولهم والاول اصح فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات اي امنوا
بكل ما امروا به ان يؤمنوا وعملوا بكل ما امروا ان يعملوا به فهم في روضة يحبرون والروضة كانها اسم من اسماء
الجنان وقوله يحبرون قال بعضهم يكرمون وقيل يحبرون ويسرون والحبرة السرور ومنه يقال لكل حبرة
يتبعها عبرة وقال الزجاج يحبرون اي ينعمون والحبر النعمة الحسنة والله اعلم وقوله تعالى واما الذين كفروا
وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي جحدوا وحدانية الله وانكروا وكذبوا باياته اي ايات التوحيد وايات الرسالة
ولقاء الاخرة والبعث فاولئك في العذاب محضرون يحتمل قوله محضرون اي يحضر الاتباع والمتبوع جميعا
في النار ويجمع بينهم كقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقوله فبئس القرين وقوله انكم في العذاب
مشتركون وقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون قوله فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون ثم امر الامة باسرها من قوله فسبحان الله الصلاة اي صلوا الصلاة لله ولو كان افهامهم على انها
امر بما سماه هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور ثم يحتمل تسميته التسبيح الصلاة وفهمهم
الصلاة منه وجهين احدهما لما في الصلاة تسبيح فسموها بذلك لما فيها ذلك فهو من لوازم الصلاة
والثاني ان التسبيح تنزيه الرب تعالى وتعظيمه والصلاة من اولها الى اخرها تنزيه الرب لان فيها اظهار الخضوع
له والعجز والضعف وفيها تعظيم الرب جل جلاله ووصفه بالجلال والرفعة ففهموا منه الصلاة والله اعلم
ومنهم من قال ان الصلوات الخمس ذكرت في هذه الاية قوله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء الاخرة وحين
تصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون هي الظهر ومنهم من يقول ذكر فيها اربع صلوات
لانه حين تمسون صلاة المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون الظهر واما
العشاء الاخرة ففي قوله ومن بعد صلاة العشاء ثلث عورات لكم والله اعلم وقوله تعالى وله الحمد في السموات
والارض يحتمل بقوله فسبحان الله وله الحمد على التقديم يقول فسبحان الله وله الحمد فيكون الحمد
كاينة من الصلاة كالتسبيح لما فيها من التحميد ويحتمل انه يحمد له اهل السموات والارض حين تمسون
وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون والله اعلم وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يخبر
عن قدرته في انشاء الاشياء مبتدا لا من اصل لانه قال يخرج الحي من الميت والميت ليس فيه الحياة وكذلك
يخرج الميت من الحي وليس في الحي موت ولكن يخرج هذا من هذا على ابتداء خلق الحياة فيه وابتداء خلق الموت
فيه من غير ان كان فيه ما ذكر فدل انشاء الشيء لا من شيء غير مستحيل ثم اختلف في تاويله اهل التاويل
قال بعضهم يخرج الناس والدواب والطير من النطفة ويخرج الميت يعني النطفة من الحي اي من الناس والدواب
والطير وقال بعضهم يخرج الحي من الميت اي المسلم من الكافر والميت من الحي اي الكافر من المسلم ولكن يجيء
في هذا التاويل انه يخرج من المسلم ما يكون كافرا ومن الكافر ما يصير مسلما لانه انما يخرج في حال الخروج لا يوصف
بالاسلام ولا بالكفر ولا ينسب الى واحد منهما حتى يبلغ فيه فيكون فيه قبول الكفر وقبول الاسلام والله اعلم وقوله تعالى
وكذلك تخرجون اي كذلك تبعثون وتحيون كما اخرج الحي من غيره كان الحياة في الموت وقوله
تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب اي من اياته وحدانيته وربوبيته واياته ايضا الرسل وقوله
خلقكم من تراب يحتمل وجوها احدها ينسب خلقنا الى التراب لانه خلقنا من اصل خلق ذلك الاصل من تراب

وهو آدم عليه السلام وان لم يكن نفسنا مخلوقة من التراب حقيقة كما نسب خلقنا الى النطفة وانا لم نخلق
كما هي من النطفة لكن اضاف ذلك الى النطفة لما هي اصل ما خلقنا منها فهنا كذلك او انا خلقنا ونسبنا
الى التراب لما يحصل اغذيتنا فانه قوام انفسنا وابداننا ما هو الخارج من التراب مما يتخذ منه القوت والنبات
فيكون هذا اخبارا عما هو قوام انفسنا وابداننا وانه يخلق من التراب حقيقة من الاصل فنحن [illegible]
انكم لا تتصورون ولا تتوهمون خلق الجسم اذا لم تشاهدوا تلك الطينة التي تكون فيها الاجسام وتتوهم
وتتصورون اذا شاهدتم وعاينتم ما انكرتم القدرة على خلق هذه الانفس من اصل وان لم تشاهدوا ذلك
الاصل وان لم يدخل ذلك في اوهامكم وان لم يدخل في قلوبكم وكيف انكرتم القدرة على خلق الانسان اذ
وقد عاينتم الاصل وشاهدتم والله اعلم وكذلك نسب خلقنا الى التراب هو آدم عليه السلام فان قوله خلقكم
اي قدركم من ذلك الاصل والخلق هو التقدير في اللغة فانما قدرنا على تقدير ذلك الاصل والله اعلم
ويحتمل نسبنا واضافنا الى التراب اذ صح ما ذكر في بعض الاخبار ذكر ان ملكا ياتي بكف من تراب فيذره
في تلك النطفة التي في رحم المراة فيخلق منه حينئذ الولد فاذ صح هذا فيكون خلق جميع الناس واصلهم
من التراب والله اعلم وقوله تعالى ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ثم اذا انتم ذرية من بعد بشر وهو آدم عليه السلام
تنبسطون وتكثرون قال الله تعالى وينشر رحمته اي تنبسط ويحتمل تنتشرون اي تتفرقون وتذهبون في حوائجكم
في اسفاركم ومآربكم من قوام انفسكم والله اعلم وقوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من
اجناسكم واشكالكم لتسكنوا اليها وتالفوا لما ان الطبع يالف بعضهم بعضا لما لو جعل من غير جنسكم لم تسكنوا
وهو كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنسكم ونسلكم لا انه من نفسه فعلى ذلك يحتمل ان يكون
قوله خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم ما تسكنون اليهن وتستانسون بهن ما لو كان من غير جنسكم
لا يكون ذلك اذ انما يستانس كل ذي شكل بشكله وجنسه والله اعلم والثاني ما ذكرنا انه اراد آدم وحوا
اي خلق زوجته حوا من نفسه فجعلها له سكنا يسكن اليها ويستانس بها والله اعلم وقوله تعالى وجعل
بينكم مودة ورحمة اي جعل بينكم وبين الازواج مودة ورحمة ثم يحتمل قوله مودة ورحمة وجهين
احدهما مودة لما جعلها له موضعا لقضاء شهوته وقضاء حاجته وكذلك هي مودة له لذلك ورحمة
اي يرحم بعضهم بعضا ويحمل لما اذا نزل بواحد منهما ما يمنع من قضاء الشهوة والحاجة والمرض ونحوه
والثاني يود بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة ذي جنس يود طبعه شكله وجنسه اذا كان في حال
السعة والسرور ويرحم عليه اذا نزل به البلاء والشدة هذا معروف عند الناس انه يرحم بعضهم بعضا في
حال نزول البلاء والشدة ويود في حال السعة والسرور والله اعلم وقال الحسن جعل بينكم مودة
اي الجماع ورحمة اي الولد وكيف ما كان فهو يحتج على لطفه ومنته حيث جعل بين الزوجين والزوجة
المودة والرحمة على عدم القرابة والرحم وبعد ما بينهما فصار لما ذكرنا من المودة والرحمة كالقريبين
واقرب القريب ثم الآية تحتج على المعتزلة لانه اخبر تعالى انه جعل بينهم مودة ورحمة والمودة والرحمة فعل
الزوجين الظاهر ثم اضاف ذلك الى نفسه واخبر انه جعل ذلك فدل انه له صنعا في ذلك فبطل قولهم
انه ليس لله تعالى صنع في فعل العباد ويبطل اللطف الذي ذكر انه خلقه بينهم على زعمهم ما فعل ذلك بل
بانفسهم يفعلون ذلك والله اعلم ان في ذلك الآيات ما ذكرنا وقوله تعالى لعلكم تتفكرون اي يتدبرون و
فيعرفون فاما من لا يتفكر ولا يتدبر ولا ينتفع بها فهي ليست باياتهم بل تكون آيات عليهم وقوله تعالى
ومن آياته خلق السموات والارض الآيات ما ذكرنا وقوله في خلق السموات والارض اي في خلق السموات
ورفعها في الهواء واقرارها فيه للوجوه التي ذكرنا انه غير موهوم مثله من فعل الخلق وفي قدرتهم وكذلك
خلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح خارج من فعل الخلق ومن قدرتهم غير موهوم ذلك
في اوهامهم وعقولهم من غير الله تعالى وهم انما انكروا البعث لما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوه وهم
اذ لم يذكروا خلق السموات والارض فان كان غير موهوم ذلك في اوهامهم ولا شاهدوا خلقهما اذ كان
كذلك لا يستحيل في قدرة الله تعالى فكيف انكروا البعث وان كان غير موهوم ذلك في اوهامهم [illegible]
الحجة لله لما ذكر هذا والله اعلم وقوله تعالى واختلاف السنتكم والوانكم كانه تعالى يقول وفي اختلاف
السنتكم والوانكم آيات ايضا لان الالسن من غير خلقة الالسن غير مختلفة بل هي على هيئة واحدة ولكن
انما تختلف من حيث النطق والتكلم منها حتى لا يقع في التكلم بها والنطق والصوت بيانه بحال مع قدر
كذا على المتكلم والنطق فان كانت بحيث خلقتها واحدة غير مختلفة وهذا على المعتزلة فانهم يقولون ان افعال
العباد غير مخلوقة لله تعالى فلو لم يكن لله تعالى فيما يتكلمون وينطقون على اختلاف ذلك الصنع فدل انه في

لان الصنع

ان الصنع يدل على الصانع لا محالة على غيره فلا بد له انما صار ذا بدل لما ان له صنعا في ذلك فبطل قولهم في
مسئلة خلق افعال العباد وكذلك ما في اختلاف الالوان يفعل يكون من الخلق ويتغير عند الغضب
والسرور والفرح وعندكم المتولدات فعل الانسان لما فاذا كان اختلاف الالوان عند افعال العباد من الغضب والسرور
والحياء عندهم لو لم يكن خلق ذلك هو الله تعالى لم يكن آية فدل ذلك على خلق الافعال العباد من الله تعالى فبطل
مذهبهم به او يبطل مذهبهم في المتولدات والله الموفق وقال اهل التاويل اختلاف السنتكم عربي وعجمي وسرياني
وتركي ونحو ذلك والوانكم ابيض واحمر واسود واسمر ونحو ذلك فاصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ان في
ذلك لآيات للعالمين يحتمل ان يكون آيات لمن انتفع بها من العالمين ويحتمل ان يكون آيات لمن تفكر وتدبر فيها
من العالمين لانه اذا تفكر وتدبر عرف وجه الآية في ذلك وقوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وجه
ذلك ان النوم ياخذهم من غير ان يعرفوا انه من اين ما تاه وجاءهم ثم ياخذ منهم جميع منافع الاحياء من السمع والنطق
والفهم والرؤية وجميع ما ينتفع به قبل ذلك ثم يرد ذلك كله اليهم من غير ان يعرفوا فيعودون الى ما كانوا من
الانتفاع من الاكتساب ليعلم ان من قدر على مثل هذا يقدر على قبض الروح ونفسه ورده اليه فالنوم نظير الموت
قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم سمى النوم الوفاة وهو مثله لما ذكرنا ان جميع منافع
الاحياء تضيع وتزول بالنوم ثم يردها اليه من غير ان يشعر بذلك فمن قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت
والله اعلم وقوله تعالى وابتغاؤكم من فضله وجه الآية فيما يبتغون من فضله هو ان كتب فيهم من الحاجة
والفاقة الى الاغذية ما يحملهم ذلك على ابتغاء الفضل وابتغاؤها فعل الخلق والمكاسب والتجارات والحرف
التي يبتغون بها الرزق وقد احتج الله تعالى على العباد واخبر انه آية من آياته ومحال ان يكون حجته ما يخلقه
غيره والذي يخلقه بل يدل الخلق كل شيء على منشئه من طريق الخلقة والتدبير فيثبت ان الابتغاء مخلوق ومخلوق
الله تعالى وان كان فعلا للخلق فيكون فيه دلالة خلق افعال العباد من على المعتزلة في انكارهم ذلك والله اعلم
ويحتمل وجه الآية في ابتغائهم من فضله هو ما الهمهم ذلك من المكاسب والتجارات والحرف وعلمهم اياها والجاهم
اليها ليصلوا الى منافعهم والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون اي لقوم ينتفعون بسمعهم
ويحتمل اي لقوم يجيبون وان السمع يجوز ان يعبر به عن الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله والله اعلم
ويحتمل لقوم يسمعون لما يعقلون ويجوز انما تعقله وقيل لقوم يسمعون المواعظ فيقبلونها وينتفعون
بها وقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل فيه بوجهين احدهما يريكم البرق للخوف والطمع
يخافون سلطانه وقدرته ان يصيبكم ذلك البرق فيذهب بابصاركم وطمعا يرجون رحمته بصرفه عنكم
والثاني يريكم البرق خوفا وطمعا يخافون ويطمعون من البرق اي يخاف المسافر ان ينقطع على خوف سبيله
بسبب المطر ويفسد بالارتحال ويطمع المقيم في رحمته ما يكتب به انزاله ويقوم به معاشه والتجار
الصواعق ويطمعون المطر بما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره هو ما ذكرنا
انهما قاما على شيء غير موهوم من ذلك في اوهام الخلق ما هو شيء من جنسه على مثله وهو الهواء والماء والريح و
انكروا ذلك كما لعزته الله تعالى وسلطانه وامره فكيف حملهم خروج شيء من اوهامهم على انكاره وتكذيبه
وهو البعث والاحياء بعد الموت فمن قدر على احدهما يقدر على الآخر وقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون من الارض ثم الدعوة هي النفخة الاخيرة وقال بعضهم هو يجري على ظاهره اي يدعوهم من
من صخرة بيت المقدس من هناك يسمعون الدعوة ثم اختلف في الدعوة والصيحة والنفخة ونحو ما ذكر انهم
لا يقولون على حقيقة الدعوة والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر في الكتاب وقال بعضهم ليس على حقيقتها
لكن الاخبار عن سرعة نفاذ الامر وعبارة عن خفته ذلك عليه كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ليس ان كان منه كاف ونون لكنه ذكر احرفا تفهم منه الخفة على ذلك
ذكر النفخة والصيحة والدعوة والصور والله اعلم ثم في قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون دلالة
واخبار على انه قادر على الانشاء والاحياء بلا سبب لانه اخبر انه اذا دعاكم دعوة تخرجون عقيبها فالدعوة
ليست بسبب الاحياء والانشاء بل اخبر انه يخرجهم احياء فدل على كمال قدرته وسلطانه على كل شيء وقوله تعالى وله
من في السموات والارض خص من انما يتكلم به ويعبر عن له الملك والتدبير في التمييز [illegible]
تشبيها عن جميع ما لا تمييز له ولا تدبير وما هو مسخر لاهل التمييز فاخبر تعالى ان له الملك في الشيء والتدبير
السموات والارض فيه وله الاملاك وما جعل منفعته ومسخرا له الى ان يكون له والله اعلم فيخبر الله تعالى وهو
عباده وقدرته وسلطانه انه له ما ذكر في السموات والارض لا لحاجة له ويامرهم بانواع العبادات
لا لفاقة وحاجة نفسه اذ هو غني بذاته ولكن بما امتحنهم لمصالحهم ومنافع انفسهم وحوائجهم فاذا كان ما ذكر

من الملك لا يحتمل ان يخرج شئ والله الموفق وقوله تعالى كل له قانتون قال بعضهم القنوت القيام والقانت
فان كان هذا تأويله فكل له قانتون اي قائمون بتدبيره وامره في الوجود والعدم والاحياء والاماتة من
اوجده وجد وان اعدمه صار معدوما وان اماته مات وان احياه حيي ونحو ذلك كل ذلك يقوم بتدبيره
امره والله اعلم وقال بعضهم كل له قانتون اي مطيعون فان كان على هذا فهو محمول على طاعة الخلقة لم
له بالوحدانية والربوبية والتدبير والعلم والقدرة والحكمة لانه ما من شئ في خلقه من كل شئ احد وكل شئ
وهو في صورته ما يشهد له بالوحدانية والربوبية ويدل على تدبيره وعلمه وحكمته فكل له قانت مطيع بالخلقة
والصفة والله الموفق وقال بعضهم كل له قانتون اي خاضعون فان كان على هذا فهو يرجع الى حال دون حال
وهو حال الخوف والضرورة فانه يخضع له كل كافر ومشرك في تلك الحالة وهو ما اخبر عنهم من الخضوع له
كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين ونحو ذلك من الاحوال التي كانوا يخضعون له ويطيعون والله اعلم وقوله تعالى وهو الذي يبدؤ
الخلق ثم يعيده يخبر ان من ملك وقدر على ابداء الخلق واعادته لا يحتمل ان يخلقهم ثم يفنيهم لحاجة نفسه
او المصلحة لانه غني ولكنما يبتلي ويعيد لحاجة انفسهم والمنافع ترجع اليهم ويحتمل انه يخبر ان من قدر
على ابداء الشئ يملك اعادته وقوله تعالى وهو اهون عليه اختلف في تأويله قال بعضهم وهو هين عليه اي هو
عليه ابتداء والاعادة وهو كقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير وقوله هو علي هين الآية ونحو ذلك قوله وهو اهون
عليه اي هين عليه وهذا لانه ليس شئ اصعب على الله تعالى من شئ او شئ اهون عليه من شئ بل الاشياء كلها
محل واحد داخل تحت قدرته وانما يقال الاهون واليسير لمن كان فعله بسبب التعسير بسبب فيهون عليه
اذا كثرت الاسباب ويصعب عليه اذا قلت وضعفت فاما الله تعالى اذ هو الفاعل للاشياء وصانعها
او القادر عليها بسبب وتقدير بسبب فلا يجوز ان يقال في حقه شئ اهون عليه من شئ وكذلك في صفة
الله تعالى ما ورد بلفظة افعل فانه لا يراد بها الترجيح فان معنى قوله الله اكبر يعني الكبير ونحو ذلك من
استعمال لفظة افعل مكان الفعل فكذا هذا وقال بعضهم وهو اهون عليه في تقدير عقولكم وتدبيركم
وتصويركم واوهامكم الى اعادة الشئ في اوهامكم وتقدير عقولكم ايسر من ابدائه لان الخلق لا يملكون
ما يسبق المثال والتصوير ابتداء وقد يملكون تصوير ما لم يسبق له مثال فكيف اعادة الشئ في عقولكم
وتقديركم واوهامكم اهون من ابدائه وانشائه فهو على اعادته املك واقدر ولا قوة الا بالله وقال بعضهم هو
اهون عليه يعني على ذلك الشئ اعادته ذلك الشئ اهون وايسر على ذلك الشئ من ابدائه الى الاعادة
وجود اول ابتداء الاشياء في حق المعاد من الابتداء لان في الابتداء تنقله وتحوله من حال النطفة الى حال
العلقة ثم من حال العلقة الى حال المضغة الى حال الصورة والتسمية وفي الاعادة تيسير على هذا التعديد
والتحويل من حال الى حال ولكن كما ذكر وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر وقوله الا صيحة واحدة ونفخة ودعوة وما ذكر فالاعادة على ذلك الشئ ايسر واهون عليه من
الابتداء والله اعلم وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض اي الصفات العالية ثم هو يخرج
على وجوه احدها ان كل موصوف بالعلو والرفعة فهو دونه فهو الموصوف به في الحقيقة استفاد ذلك بجهته
وبخلقه وايجاده فيه وهو بما ذكرنا ان كل من حمد دونه فكذلك الحمد له في الحقيقة كراجع ذلك اليه في قوله
وله الحمد في السموات والارض والثاني وله الصفة العالية بما يخالف صفات الخلق وتشبيههم كقوله عز
وجل ليس كمثله شئ لا يشبه صفاته صفات الخلق فلا يشبه صفات الخلق صفاته وهو ما قال بعض
اهل التأويل الذي لا مثل له ولا شبيه لا اله الا هو واحد لا شريك له وكذا له الصفات العالية
مما يضاد بعضها بعضا عالم لا جهل فيه قادر لا عجز فيه عزيز لا ذل فيه ومثال ذلك مما لا يدخل في
نقصانا او عيبا بوجه من الوجوه وليس كالخلق فانهم يوصفون بالعلم بجهة ويسمى بالجهل بجهة
وشئ اخر وبالعز بجهة ويسمى بالذل بجهة اخرى وشئ اخر فاما الله تعالى فموصوف بصفة لا يضاد بعضها
بعضا ولا يدخل ذلك نقص بجهة من الجهات وفي حال من الاحوال لانه بذاته موصوف بذلك لا بغيره
فاما غيره فانما يوصفون بذلك بغيره اكتسابا واعطاء به لهم لذلك كان ما ذكر ولا قوة الا بالله والله اعلم
وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم العزيز الذي لا يلحقه الذل والضرر بمخالفة خلقه وعصيانهم اياه ليس كملوك
الارض اذا خالفهم اتباعهم وحاشيتهم وعصوهم يذلون ويلحقهم الضرر باعراضهم عنهم لان عزهم كان
بهم وبخدمهم ومخالفتهم اياهم يذلون فاما الله تعالى فعزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق
ويحتمل العزيز المنتقم ممن خالف امره ونهيه وعصيه واشرك غيره في الوهيته وعبادته والحكيم هو الذي

نظائر الذين يحبون والله اعلم ان خلقهم وانشاءهم على علم منه انهم يخالفونه ويعصونه ويعاندونه بكل انواع
المعاصي على علم منه بذلك منهم فان ذلك الفعل ليس بخارج عن الحكمة كما يكون في الشاهد ان من اعان عدوه بانواع
المعونة وهو يعلم ان معونته اياه تزيد له قوة في معاداته وعصيانه ومخالفته يوصف فعله بالسفه وهو خارج
عن الحكمة لانه يسعى في اهلاك نفسه وتعينه على ذلك بمعونته اياه ومن يسعى في اهلاك نفسه فهو غير
حكيم فاما الله تعالى لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم انه يكون منهم الخلاف والعصيان والعداوة فلا يكون خلقه
اياهم واعانتهم على ذلك سفها ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم قال بعضهم اي ضرب لكم
مثلا من مثل خلقكم في الصورة والهيئة وهو ... لكن يمكن اطلاق الآية على ظاهرها او تبين لكم من انفسكم
ما لو تدبرتم وتأملتم لظهر لكم سفهكم بعبادتكم الاصنام دون الله وتسويتكم الاصنام بالله تعالى ثم يخرج
ضرب المثل بما ذكر على وجهين احدهما قوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء اي كم
تسوون انفسكم بالذي ملكت ايمانكم فيما رزقتم حتى تكونوا انتم وهم شركاء في ذلك فكيف زعمتم ان الله تعالى
يسوي نفسه وما ملكت من خلقه في ملكه والوهيته وعبادته والله اعلم والثاني يقول هل ترضون انتم
ان يكون مما ملكت ايمانكم شركاؤكم فيما ملكتم من الاموال فاذا لم ترضوا به فكيف زعمتم ان الله يرضى ان يشرك
مماليكه في ملكه وسلطانه ويقول فاذا لم ترضوا لانفسكم اشراك ما ملكت ايمانكم في ملككم ولم تسووا
مماليكهم بانفسهم في الملك فكيف رضيتم ذلك لله تعالى وسويتم نفسه ومماليكه وعبيده به من دون
الله والله اعلم وقوله تعالى تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي هل تخافون مماليككم كما تخافون احراركم امثالكم
اي لا تخافون وقال بعضهم اي هل تخافون لائمتهم كما يخاف الرجل لائمة ابيه واخيه واقاربه وقال
بعضهم اي هل تخافون عبيدكم ان يرثوكم بعد الموت كما تخافون ان يرثكم الاحرار من اوليائكم وهو تأويل
مقاتل لكن القول الاول ليس من الآية بشئ والاول اشبه والله اعلم ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم
مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء دلالة ان العبيد لا يكون لهم حقيقة الملك في الاشياء
كالاحرار لانه اخبر انهم ليسوا بشركاء فيما رزقناكم ولا هم سواء في ذلك ولو كانوا يملكون من العلم باتفاق كانوا
جميعا في ذلك شركاء في ذلك لانهم يملكون حقائق الاملاك والله اعلم ويدل على ذلك قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شئ كان نفي الملك عنه والله اعلم وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اي يغنيهم الله بالمنافع لا بحقيقة ملك الاشياء والله اعلم وقوله تعالى
كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون اي نبينها لقوم ينتفعون بعقولهم والثاني نفصل الآيات اي نخرج
واحدة بعد واحدة على ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من قوله ومن آياته كذا ومن آياته كذا والتفصيل
على وجهين احدهما التبيين والثاني التفريق في الذكر فصلت آياته تبينت وفصلت فرقت واحدة بعد واحدة
والله اعلم فان قال قائل ما في هذه الآيات التي ذكرت على ايجاب البعث قيل في هذه الآيات التي تقدمت فيها
ما لو تأملت لهم ان لولا البعث ممتنعا حين انكروه في خلقهم وقيام السماء والارض بالذي ذكر وبين
ان البعث من الممكن الذي يدخل تحت القدرة لان جملة الممتنع المستحيل الذي لا يدخل تحت القدرة لكن
ليس كل ما هو ممكن الوجود داخل تحت القدرة يجب القول بثبوته ووجوبه فيجب البعث بالاخبار الصادقة
وهو اخبار الرسل الذين من الله تعالى على ان العقل يدل على وجوب البعث من وجوه احدها ما ذكرنا ان خلق الخلق
بلا عاقبة جعل لهم للفناء خاصة وهو خارج من الحكمة فان من بنى بناء في الشاهد للنقض والفناء خاصة
بلا منفعة يؤمل في العاقبة سفه خارج من الحكمة فعلى ذلك خلق الخلق للفناء خاصة بلا عاقبة يكون
خارجا من الحكمة والثالث في الحكمة ان يجزي المحسن على احسانه والمسيء في اساءته وقد يكون في هذه الدنيا
يخرجان منها لا يصيب المحسن جزاء احسانه ولا المسيء جزاء اساءته فلا بد من دار اخرى ليجزى فيها كلا
بما ذكرنا ايجاب البعث والله اعلم وقوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم يحتمل قوله الذين ظلموا
انفسهم حيث لم يستعملوها في ما امروا الاستعمال فيه بل صرفوها الى غير ما امروا الاستعمال فيها والله اعلم
ويحتمل وضعوها في غير حقها الذي لله واياته وبراهينه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وضعت والله اعلم
ويحتمل ظلموا انفسهم بعبادتهم الاصنام وصرفهم عن الله تعالى الى ما لا يستحق العبادة والشكر
لامور انهم لانه ليس معهم حجة ولا برهان وهو كقوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي
حجة وبرهانا والله اعلم وقوله تعالى فمن يهدي من اضل الله اي لا احد يهدي سوى الله تعالى من اضله الله
اي من تولى الضلال والخسارة اضله الله لا يهديه غيره وقوله تعالى وما لهم من ناصرين اي ليس لهم من ينصرهم
ويدفع عذاب الله عن انفسهم ويحتمل وما لهم من ناصرين يمنعون عنا عذاب الله والله اعلم وقوله تعالى

فاقم وجهك للدين حنيفا قال بعضهم هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ذكر الايات
فيما تقدم حيث قال لقوم يعقلون كذا وكذا ثم ذكر الذين ظلموا اهواءهم بغير علم ثم قال للرسول صلى الله عليه
وسلم فاقم وجهك للدين حنيفا والله اعلم ولكن عندنا ان الخطاب به ومثله لكل احد كقوله قل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد كانه يخاطب به كل من انتهى اليه هذا ان قل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون في
ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا هو لكل احد ثم الاقامة يحتمل وجهين احدهما اي دم واقم قصدك
والثاني فاقم قصدك وتوليك للدين حنيفا قال بعضهم الحنيف هو من حنف القوم ومثله معناه للدين
في كل حال وفي كل وقت وقال بعضهم هو من الاخلاص والاسلام والله اعلم وقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس
عليها قيل ذكر الفطرة تفسيرا لقوله واقم وجهك للدين حنيفا اي الدين الحنيف هو فطر الناس عليها
ثم يحتمل الفطرة وجهين احدهما فطرة الله التي معرفة الله التي تحتمل الناس عليها ان يكون الله عز وجل جعل في كل
طفل وصغير من المعرفة ما يعرف وحدانيته وربوبيته على ما جعل لهم والمعرفة ما فيه هداهم وقوامهم
من احدى عدا متابعتهم في حال صغرهم وطفوليتهم كذلك يخرج قوله كل مولود يولد على الفطرة وابواه
على ما يحتمل في الحال المعرفة التي يشتمل بها والتحميد لكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه والله اعلم
والثاني فطرهم وجعل لهم ما لو تركوا لكانوا على الخلقة وفطروا اذ فطر كلا منهم وجعل في خلقته دلالة
وحدانيته وربوبيته وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة اي الخلقة التي تدل
وتنبه على وحدانيته الله تعالى وربوبيته لو تركوا وحكى بينهم بين عقولهم والله اعلم
وكذلك فطرهم على ما يحتملون الامتحان والله اعلم وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله قال العامة اهل التاويل حجة
على المعتزلة فانهم يقولون ان فعل العبد ليس بمخلوق لله تعالى والدين اسم لما هو فعل العبد فجعل فعل
العبد خلق الله تعالى حيث قرن قوله لا تبديل لخلق الله اي لدين الله واجماعهم حجة عليهم ثم قال اهل
اهل التاويل هو فعل العبد وانما المراد هو لا تبديل لما يقع به الدين اي الذي وهل يجب ان يراد به كما نقول
هذا الكلام ... لان الدين هو ما يدين به المرء وهو فعله وكذا ما قال الوعري لا من حيث الكلام الاخر
الا تبديل والله الموفق ويحتمل قوله لا تبديل لخلق الله اصلا من حيث يشهد لله وحدانيته وشهادة
لان هذا لان لا له بتبديل يتبدل لخالق المخلوق في كل حال دليل على ما قلنا وهو كقوله ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت اي لا تفاوت فيما فيه دلائل الوحدانية والشهادة له والله اعلم وقوله تعالى ذلك الدين القيم
اي ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين ليس كدين اولئك الكفرة واتباع الهوى ويحتمل ذلك الدين القيم
اي المستقيم وقوله تعالى منيبين اليه واتقوه وهو صلة قوله فاقم وجهك للدين حنيفا كانه يقول
فاقم وجهك للدين حنيفا منيبين اليه وهذا يدل على ان الخطاب بقوله فاقم وجهك لكل لا للنبي عليه السلام
خاصة حيث قال منيبين اليه اي اقبلوا اليه وانيبوا له لانه عناه فاقم وجهك للدين حنيفا في حال
الانابة فيكون الامر باقامة الدين في حال الانابة امرا بالانابة وهو كانه قال فاقيموا الدين وانيبوا الى
الله كما يامركم واتقوا عما نهاكم عنه والتقوى من الانابة والبر كقوله ان تبروا وتتقوا اي تبروا بما يامركم
به وتتقوا عما نهاكم عنه والله اعلم وقال ابو عوسجة منيبين اليه اي تائبين وقوله تعالى واقيموا الصلاة
يحتمل وجهين احدهما اتموها اي الزموها وداوموا فعلها الى اخر عمركم ليس على ما يسع الامر بالامر وحكمه
والثاني اقيموها اي اتموها بركوعها وسجودها وقراءتها وغير ذلك والثالث اتموها وفوا فعلها باسبابها
التي جعلت لها والله اعلم وفي الصلاة تحتمل ثلاثا احدها الجواز والثانية التمام والكمال والثالثة
التزيين والتحسين من الاداب والله اعلم ثم الجواز نحو الاركان والتمام نحو السعود والتزيين والتحسين
نحو الخشوع والاتباع ويجب على كل مصل ثلث خصال الصدق النية وحق الاخلاص له والخشوع وقوله تعالى
ولا تكونوا من المشركين يحتمل وجهين ان لا تكونوا من المشركين في الله في الصلاة والعبادة اي لا تصلوا لغير الله
ولا تعبدوا احدا دون الله ويحتمل ولا تكونوا من المشركين من دونه في تسميته الالوهية والربوبية لانهم
كانوا يسمون الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة ويحتمل ان يكون صلة قوله منيبين اليه اي كونوا
منيبين اليه موحدين مقبلين على طاعته مخلصين ولا تكونوا من المشركين لغيره والله اعلم ويحتمل اي لا تكونوا
من المشركين في النعم حفظها تم يحليه وهو ما خلقه كل شهادة الوحدانية له والدلالة تقول ولا تكونوا من المشركين في
ذلك والله اعلم وقوله تعالى من الذين فرقوا دينهم وقرئ فارقوا دينهم وفارقوا يحتمل وجهين احدهما
اي خالفوا دينهم الذين جاء به الرسل عليهم السلام ويحتمل اي فارقوا دينهم الذي فطروا عليه وهو ما جعل فيهم
من شهادة التوحيد والربوبية والله اعلم واما من قراه فرقوا اي قطعوا دينهم وجعلوه قطعا وفرقا واديانا

من نحو

من نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغير هذا كل حزب بما لديهم فرحون والله اعلم وقوله تعالى وكانوا
شيعا اي يشيع ويتبع بعضهم بعضا لان الشيعة هم الذين يرجعون الى اصل واحد عام والاحد لله
اعلم وقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه قال القائلون منيبين اليه مخلصين له كقوله
كقوله دعوا الله مخلصين له الدين وقال بعضهم مطيعين موحدين واصل الانابة الرجوع اي راجعين اليه
عما كانوا فيه من الشرك والانابة هو التوحيد وان كان الانابة الاخلاص فهو يرجع عن الاشراك في العبادة
وان كان العصيان فهو الطاعة واصلها الرجوع عما كانوا فيه ثم في الاية وجوه من الاحتجاج على المشركين
وتنبيه وعظة للمؤمنين اما الاحتجاج عليهم احدها في اثبات الرسالة فانه معلوم انهم كانوا لا يتركون
السفر والتجارة مع المؤمنين ولو كانوا يركبون انفسهم ثم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما هم عنه الخلصوا
لله تعالى وما اتوا من الدعاء والتضرع له دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى فيكون في الاية دلالة رسالته والثاني فيها
دلالة على انهم قد عرفوا وحدانية الله تعالى والوهيته حيث فزعوا عند الشدائد والبلايا الى الله تعالى واخلصوا
له الدين ثبت انهم عرفوا حقا انهم فيما سفهوا انفسهم في عبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله تعالى فيكون
الاية دلالة مكابرتهم وعنادهم والله اعلم والثالث تصديق لقول الله تعالى خبرا عن حال الكفرة ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه كان بعض الملحدين يطعنون ويقولون كيف يعودون الى ما كانوا عليه وانهم رأوا العذاب معاينة وتعلموا
ان مصيرهم الى الله تعالى فالثاني فرضيتهم بهذه الاية واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الاية انكم ترون
في الدنيا ان الكفار عند معاينتهم العذاب يخلصون لله تعالى واذا نجوا من ذلك يعودون الى ما بالهم كانوا
لو ردوا الى دار الدنيا ليؤمنوا ثم يعودون الى ما كانوا كما عادوا اولئك اذا كشف الضر عنهم والله اعلم واما العظة
والتنبيه للمؤمنين فهو ان يكونوا في الاحوال كلها على حد واحد في حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين لانهم
في حال الشدة والبلاء الذين ذكر انابته في حال السعة والرخاء فيهم ليكونوا في كل حال ذاكرين اليه راجعين
والله اعلم وقوله تعالى ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون اي اذا اعطى لفريق منهم السعة
والرخاء اشركوا به فيما خبر عن شدة سفه اولئك الكفرة حيث انابوا اليه واخلصوا له الدين عندما يصيبهم الشدة
والبلاء ويعرضون عنه ويشركون في الوهيته عند السعة وفي طباع الخلق في الشاهد خلاف ذلك فان من ضيق
على اخر وشدد عليه فهو يعرض عنه ويبغضه ومن انعم عليه من ملوك الارض واحسن اليه اطاعه واحبه فهم
لسفههم عكس طباعهم خالفوا طباع الناس جميعا والله اعلم فان قيل ما فائدة ذكر هذه الايات وامثالها
وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها قيل هذا يخرج على وجهين لتاكيد الحجة عليهم وازاحة العلة والعذر
وان كان لا عذر لهم وهو كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والثاني ان كان البعض منهم يعلم الذين
على الكفر بالحيرة والجهل بالدليل فمن كان هذا حاله فهو ينظر في الدليل فيقر به اذا وضح له ذلك والله اعلم وقوله تعالى
ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا هذا في صيغة الامر ولكن المراد منه الوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقد ذكرنا في
اخرى فليتمتعوا فسوف يعلمون هو على ما ذكرنا ثم اختلف في تاويله قال المقاتل هو على التقديم والتاخير يقول
ثم اذا اذاقهم منه رحمة لئلا يكفروا ولكنهم كفروا الى هذا ذهب المعتزلة لانه عندهم ان الله تعالى مريد للكفر
فكل شيء لكن عندنا يجري على الظاهر ثم اذا اذاقهم منه رحمة ليكون منهم ما قد علم منهم انهم يختارون
منهم وهو الكفر فيخرج على ما علم فانه لا يجوز ان يذيقهم الرحمة لئلا يكفروا وقد علم منهم انهم يختارون
الكفر فيكون منهم ذلك فيكون ذنبا منهم خلاف ما علم وقد ذكرنا فساده والله الموفق ثم في الاية نقض
قول المعتزلة فانه الاصلح للعباد في الدين على الله تعالى وبطلان نحو هذا انه اذا علم من احد منهم الايمان
في وقت من الاوقات ليس له ان يخرجه ويميته بل عليه ان يبقيه الى ذلك الوقت لانه لو اخرجه قبل ذلك لكان فوت
المنافع ايمانهم لان اولئك الكفرة انما اخلصوا دينهم لله تعالى في حال الشدة وخوف الهلاك لم يهلكهم الله
عن ذلك الاخلاص والحال التي كانوا يخلصون له وسع عليهم وحولهم تلك الحال حتى عادوا الى ما كانوا
دل انه ليس على الله تعالى حفظ الاصلح للخلق في الدين تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتاله
الكفرة مطلقا ولعل بعضهم يسلمون في وقت دل انه الاصلح في الدين ليس بواجب في الحكمة والله اعلم
وقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي يبين لهم ويعلم ان الذي هم عليه حق
ليس بتوحيد لانهم كانوا يقولون انا على التوحيد وانما نعبد هذه الاصنام لتقربونا الى الله زلفى وقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول الله تعالى انا انزلنا عليهم ما يبين لهم ويعلم ان ذلك الشرك وليس بتوحيد
والله اعلم ويحتمل ام انزلنا عليهم سلطانا فانا امرهم بشركون او ياذن لهم بذلك اذ كانوا يدعون ان ذلك
امر الله تعالى كقولهم والله امرنا بها وهو كقوله تعالى ام للانسان ما تمنى على ذلك هذا والله اعلم وفي الاية

وجهان من الحجة على اولئك احدهما ما ذكرنا انهم كانوا يدعون بذلك الامر من الله تعالى فيخبر عز وجل انهم
كذبة في قولهم وانما امرنا بها وانهم لم يامرهم بذلك ولا انزل عليهم كتابا والسلطان والحجة في اباحة ذلك
والثاني يذكر سفههم في عبادتهم الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويسمونها الهة بلا سلطان
ولا حجة كانوا يطلبون على ذلك ثم كانوا يطلبون من الرسول عليهم السلام ايات بقهرهم ويضطرهم على رسالته
وما وعدهم به بعدما اتاهم من الايات ما اعجزهم وانباهم انه رسول الله وعبادة غيره تعالى من دون الرسالة فهم
لم يطلبوا لانفسهم الحجة القاهرة المضطرة التي يضطرهم في اباحة ما يعبدون من دون الله فكيف يطلبون من الرسل
الاية القاهرة في الرسالة الى الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم ام انزلنا عليهم سلطانا اي كتابا فيه حجة لهم فهو يشهد بما كانوا
به يشركون واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
والاشكال ان هذه الاية في الظاهر يخالف ما ذكر من قوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه لان الاية
ذكر في هذه الاية انه اذا اصابتهم السيئة والشر يقنطون وذكر في تلك انه اذا اصابهم الضر يرجعون الى الله تعالى
ويخلصون له الايمان ولكنا نقول لا تناقض ولا مخالفة بين الايتين بحمد الله تعالى وان كان يرى التناقض من حيث
الظاهر ووجه الجمع بينهما من وجوه احدهما ان قوله اذا هم يقنطون يحتمل ان اراد به انهم يقنطون من الاصنام التي
اتخذوها الهة بل يخلصون لله تعالى وهو كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله واذا مس الناس
ضر دعوا ربهم منيبين اليه تنصيص على انهم يدعون ربهم وليس في قوله اذا هم يقنطون بيان انهم من يقنطون
فامكن التوفيق بينهما والثاني يحتمل ان يكون قوله اذا هم يقنطون عندما اشتد بهم الضر والشدة فحينئذ
ييأسون على مجرى العرف انه يقع للناس من العفو الجاني اذا اشتد بصاحب الحق غاية الشدة والاول في ابتداء
ما اصابهم من الضر فزعوا اليه وتابوا على ما جرت العادة من الاستغفار والاعتذار في اول ما يطلب من المجني
عليه الغضب والشدة في حق الجاني والله اعلم والثالث يحتمل ان يكون احد الايتين في قوم والاخرى في قوم لانهم
كانوا فرقا واحزابا في الكفر والشرك منهم من كان يشرك في الاحوال كلها في حال الضيق والسعة ومنهم من كان يؤمن
في حال الضيق ويؤمن في حال السعة كقوله عز وجل ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني الاية وكقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ومنهم من كان يخلص الدين
في حال الضرورة والشدة ويعاند في حال السعة والرخاء كقوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ونحوه وان كانوا فرقا واحزابا فجائز ان يكون احدى الايتين في فرق
والاخرى في فرق ولا يؤدي الى التناقض والاختلاف ولا حول ولا قوة الا بالله وقوله تعالى اولم يروا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما انه ايات لقوم
يؤمنون على الكافرين والثاني ان يكون تنبيها وعظة للمؤمنين اما الاول فوجه الايات لهم على الكافرين
على انواع في اثبات الرسالة وفي اثبات البعث وفي اظهار سفههم في عبادة الاصنام واشراكهم اياها
في عبادة الله تعالى وتسميته الالوهية لانها ملكه كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة
غير الله تعالى فتكون الاية حجة عليهم على الوجوه التي ذكرنا اما الاحتجاج في اثبات الرسالة فهو من وجوه
ثلاثة احدها انهم كانوا ينكرون الرسالة لانه بشر وهم لا يرون البشر بعضهم على بعض فضلا كما اخبر
الله تعالى بقوله ما هذا الا بشر مثلكم فالله تعالى اراهم الفضل لبعض على بعض في الرزق موسعا على بعض
مقترا على بعض فاذا ثبت عندهم ظهور الفضل لبعض على بعض فيما ذكرنا جوزنا التفضيل لبعض في الرسالة
فبطل دعواهم خروج ذلك عن الامكان لوجود الفضل في بعض الاشياء ثم الامر اليه يعطيه من يشاء
والثاني انه ذكر مقابلا لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة
ربك فيخبر انه ليس الامر اليهم ثم ذلك الى الله تعالى يختار لما يشاء من الرسالة والنبوة وغيرهما كما يختار
التوسيع على من يشاء والتضييق على من يشاء وان كانوا جميعا يتمنون السعة ويحبون
ويهربون من الضيق ولكن الامر في ذلك كله الى الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والله اعلم والثالث
توسع على بعض وضيق على بعض والحكمة التي وسع على بعضها غير الحكمة التي ضيق على بعض من الشكر
والصبر ولا نعلم كيفيتها فلا بد من رسول يخبر عن ذلك ويعلم ما على هذا وما على هذا التفريق والتفضيل
في الرزق وهذا يقتضي بعث الرسول لذلك ليخبر بذلك عن الله تعالى اذ العقل ذلك لا يعرف الفضل اذا الفعل
ان كان يعرف حدث الشكر والصبر لكن لا يعرف كيفيتها فيدل ذلك على اثبات الرسالة والله الموفق واما
الاحتجاج عليهم في البعث فمن وجوه احدها انه جمع في هذه الدنيا بين الولي والعدو سوى بينهما في التوسيع

والتضييق اذ وسع على العدو والولي جميعا وضيق على الولي والعدو وسع على العدو في الحكمة والعدل التفريق
بينهما لا الجمع والتسوية فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما فيلزم القول بالبعث والله اعلم والثاني
انه وسع الرزق على من هو في نقص عقله وقصر تدبيره اوهامهم انه لا يجب التوسيع عليه وهو السفيه الجاهل
الذي في تقدير كل ذي عقل وتدبير انه يكون مضيقا عليه وضيق على من هو في تقدير كل احد وعقله ان يكون
موسعا عليه مرزوقا ويعطي العاقل العالم باسباب السعة والغنا وفي تقدير العقول يخالف هذا فلا بد من
دار اخرى يظهر فيها التفضيل بموجب العقول بين من هو من اهل التوسيع وبين من هو من اهل التضييق اذ قد اشكل
في هذه والله اعلم والثالث ان يعتبروا وينظروا انه يوجد على توسيع الرزق وبسطه وتضييق الرزق
وحرمانه بالاسباب الخارجة عن تقديرهم وتدبيرهم وبغير اسباب القادر على احيائه ان الاسباب الخارجة عن
تقديرهم وتدبيرهم والله اعلم واما الاحتجاج عليهم على فساد العقول لعبادة غير الله وان فيها قالوا تناقضا
وذلك لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فكانوا لا يشفع
لهم في الدنيا ولا تقربهم الزلفى في التوسيع والبسط ودفع الضيق وفي الاخرة لا يحتمل ان يشفع لهم لانهم
كانوا لا يؤمنون بها فانهم ينكرون البعث فهو تناقض وسفه وسرف في القول واما العظة والتنبيه للمؤمنين
فهو ان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي يكتسبونها ولكن يرون الرزق من الله تعالى انه يرزق باسباب
وبغير اسباب ويحتمل ان يذكر هذا ليمتنوا به في دفع الحاجة فلم يقضها ان يرى الحرمان في ذلك من قضاء الله تعالى
لا من ذلك الرجل وكذا من نال حاجته من غيره يرى النيل من الله تعالى لا من المعطي في الحقيقة وان كان منه سببا
الاسباب والله اعلم ثم قوله لايات لقوم يؤمنون لم يرد مطلق الاسم ولكن اراد بها ايات لقوم ينتفعون
بتلك الايات وهم المؤمنون المنتفعون بها وهم الذين يتفكرون ويتدبرون في الايات والله اعلم
فات ذا القربى حقه يحتمل حقه اي حاجته الا ان حق ابن ادم حتى كان لهم قبله كقوله ما لنا في بناتك
من حق اي من حاجة ومعلوم انه لم يكن لهم في بناته حق فكان المراد من الحق هو الحاجة فعلى ذلك الاول
وكذلك في قوله والمسكين وابن السبيل اي سد المسكين حاجته ومسكنته وكذلك ابن السبيل الحاجة
في ابن السبيل قال بعضهم هو المنقطع من ماله حتى يصل الى ماله وقيل الضيف ينزل فيحسن اليه الى ان
يرحل والله اعلم ويحتمل قوله فات ذا القربى حقه الحق الذي كان للقربى عليه في الحكم ثم يبين ذلك الحق
في هذه الاية وانما بين في اية اخرى بقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين
بالمعروف حقا على المتقين وكذلك ما ذكر من المواريث في قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين الاية ونحو ذلك من الحقوق وقوله والمسكين وابن السبيل حقهما ما ذكر من الصدقات والكفارات
والله اعلم وقوله تعالى ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل قوله ذلك خير اي الايتاء للاقربين واليتامى
والفقراء خير لا ايتاء للابعدين والاغنياء ويحتمل قوله ذلك خير اي ذلك الايتاء اذا اريد به وجه الله
مما لا يراد به وجه الله والله اعلم ويحتمل قوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي من ليست له عندك
نعمة فيكون ذلك مكافئا للنعمة ولكن على ارادة قربه ووجه الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى واولئك هم
المفلحون قد ذكرنا الفلاح فيما تقدم وقوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله
قال اهل التاويل هذا في العطايا والهدايا التي يعطي بعضهم بعضا ويهدون ليصيبوا اكثر مما اعطوا
واهدوا المجازاة والمكافاة كذلك كانه يقول وما اتيتم من عطية وهدية ليربوا في اموال الناس اي
لتزدادوا من اموال الناس ولتلتمسوا الفضل من اموالهم يقول اهل التاويل هذا في حلال لا وزر فيه و
لا يربو عند الله اي لا اجر عند الله فانه امر مباح وهذا في حق الناس عامة فاما في حق النبي صلى الله عليه وسلم
فلا لقوله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ولا تمنن تستكثر بقوله لا تعط لتعطى اكثر منه
ابتغاء الثواب في دار الدنيا ولكن اعط ابتغاء ثواب الاخرة ويستدلون باباحة ذلك في حق غيره عليه السلام
بقوله فلا يربو عند الله فيحق له لا يزداد ولا يتضاعف ذلك عند الله ولم يقل ما قال في الربا المحرم المحظور حيث
قال يمحق الله الربا ويربي الصدقات فاذ كان هنا الربا الحلال فذكر هاهنا فلا يربو عند الله اي لا يزداد ولا يتضاعف
والله اعلم لكن لو قيل انه في الربا المحظور كان جائزا محتملا ويكون فلا يربو عند الله كقوله فما ربحت تجارتهم
لانه اذا لم تربح خسرت الا ترى انه قال فاولئك هم الخاسرون انها اذا لم تربح خسرت فعلى ذلك قوله فلا يربو
عند الله ولكن يربو عنده محقه وخسرانه والله اعلم ولولا ان صرف اهل التاويل الى العطايا والهدايا التي يبتغى
بها الثواب في الدنيا والمكافاة اكثر مما اعطى والا لجاز صرفه الى الربا المعروف بين الناس في العقود وكذا
روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الهدية يبتغى بها وجه الرسول وقضاء الحاجة والصدقة

يبتغي بها وجه الله والدار الآخرة وقال ابو عوسجة الربا من اربا انما الذي يربو اموال فلكنا ذا كثر وقال القتبي ليربو
في اموال الناس اي ليزيد في اموال الناس وقوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله ٭ اي الذي يربو
عند الله وهو ثواب الزكاة ارادة لوجه الله ثم اختلف فيه قال بعضهم هو ما يزكون من زكاة الاموال يريدون
بها وجه الله فهو الذي يقبله ويضاعف عليها ومنهم من قال كل صدقة اريد بها وجه الله تعالى يزيدون الثواب في
الدنيا وهي التي يتضاعف وتزداد عند الله تعالى وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون ٭ قيل كان ذلك بلغة
فاولئك هم المضعفون بنصب العين لان الله تعالى يضاعف لهم ويضعف اياهم لكن الزجاج يقول
هو كما قال المقوي هو الذي له قوة والموسر هو الذي له يسار فكذلك المضعف هو الذي له الضعف فيجيء من هذا
البنا ومن الافعال اللازمة ومتعديا والله اعلم لكن عندنا هم المضعفون لانهم هم الذين جعلوا الاحاد
عشرات والاضعاف المضاعفة بتصرفهم باختيار وحد الله تعالى هم المضعفون لانفسهم لانه مباشرة
وجعنهم فاضاف اليهم والله اعلم ثم يجوز الاستدلال بقوله وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس
فلا يربوا عند الله على اباحة هذه المعاملات التي تجري فيما بين الناس على وجه الشرع لكن قصدهم لا
واخذ الزيادة لان الله تعالى اباح الهدية والعطية على قصد الفضل والزيادة وان كان على شرط الزيادة
وان كان على شرط الزيادة لا يجوز فلا يجوز فعلى ذلك المعاملة يجوز عن قصد الزيادة والفضل وان كان
على شرط الزيادة لا يجوز لابي حنيفة رحمه الله كره هذه المعاملة ولم يكره الهدية على قصد طلب الفضل لوجهين
احدهما ان الناس قد عرفوا ان الناس في الهدايا والعطايا اعطاء الفضل وان كان قصدوا ذلك الفضل
لا محالة بل يكافون عن الاكثر لا يكافون ثانيا ويكافون بعضا ويحرمون بعضا واذا لم يكن الامر الا كذلك
فلا يكره المعاملة لانه لا يكونا الا على قصد ذلك الفعل فلا يرضون منهم الا حفظا المقصود فيها واهل
العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر لهم واهل المعاملة لا وقد روي في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من اسدى اليه نعمة فليجازه او فليشكر وليثن عليه وكلام نحوه والثاني
ان اهل المعاملة يشترطون قبل المعاملة الزيادة وان كانوا لا يشترطون في عقد المعاملة ولا كذلك
اهل العطايا بل هو صون تربص عند الاهداء والله اعلم وقوله تعالى الله الذي خلقكم ٭ اي خلقكم ولم تكونوا
شيئا وانتم تعلمون ذلك بالاستدلال لقدرته كما انتم تعلمون بان لا رزق لكم غيره ثم يميتكم وانتم
تعلمون بان لا دافع لكم منه ثم يميتكم وانتم تعلمون ان الاصنام لا تقدر على ذلك يملك احياكم ولا
احد ممن تعبدون من الاصنام من ذلك فكيف تعبدون من دونه فهو كقوله هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شيء هذا يحتمل وجهين احدهما اذا لم يكن هؤلاء الذين تعبدون من شركائكم فيما ذكر من الخلق والرزق
فكيف تعبدون وتتخذون آلهة دونه والثاني اي هل من شركائكم الذين اشركتموهم في عبادة الله والوهيته
يملك ما ذكر من الرزق كانهم يقولون لا يملك شيئا على علم منهم بذلك فيقول كيف تشركونها في الوهيته
وهي لا تملك شيئا من الله تعالى والله اعلم ثم نزه نفسه وبراها عن جميع العيوب التي نسبها اليه الملحدون
ووصفوه بها فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون لان حرف سبحان تنزيه عن جميع العيوب وتعالى هو
وصف تنزيه عن ان يغلبه شيء او يقهره والله اعلم وقوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ٭ هو ما
يتعاطون من الامور من قطع الطريق والسرقة والقتل والظلم وانواع الاعمال القبيحة التي يتعاطونها وهي
شركهم وكفرهم كان ذلك يغطي قلوبهم حتى لا يتجلى الايمان وهو كقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وقوله عز وجل فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
فان كان هذا فهو على حقيقة تقديم الايدي والكسب لان هذه الافعال مما تباشرها الايدي والثاني
يحتمل ان يكون الفساد الذي ظهر في البر والبحر هو القحط وقلة الاموال والامطار والشدائد والضيق وقوله
بما كسبت ايدي الناس هو شركهم وكفرهم ذلك القحط والضيق وقلة الانزال بشركهم وكفرهم الذي
اختاروه ويكون كسب الايدي على المجاز لا على الحقيقة لما ان باليد يكتسب ويقدم وهو كقوله ذلك بما قدمت
يداك وان لم يقدم شيئا لكن اضيف الى اليد لما باليد يقدم ويكتسب في الجملة فهذا كذلك ثم اختلف
في تاويل قوله البر والبحر قال بعضهم البر هو المفاوز التي لا ماء فيها والبحر هو القرى والامصار التي هي بعد
الماء وقال بعضهم اما البر فاهل العمود والبحر هو القرى والامصار التي هي معدن الماء وقال بعضهم اهل البر
فاهل العمود والبحر اهل القرى وقال بعضهم اراد بظهور الفساد في البر هو قتل ابن آدم اخاه واراد بظهور
الفساد في البحر هو فعل ما كان ياخذ كل سفينة غصبا وجائز ان يكون لا على حقيقة ارادة البر والبحر ولكن اراد
شمول الفساد في المواضع كلها وهو ما ذكرنا من القحط وقلة الانزال والضيق بما كسبت ايدي الناس

من الش

من الشرك ليذيقهم بعض الذي عملوا وهو الشرك وهذا اشبه والله اعلم وعن الحسن انه قال افسدهم الله في بر الارض
وبحرها بالمظالم الخبيثة لعلهم يرجعون قال ليرجع من كان بعدهم ويتعظوا بهم قال قتادة لعل راجعا يرجع لعل
تائبا يتوب وحاصل ذلك عندنا اي لكي يلزمهم الرجوع والتوبة مما عملوا او الانتهاء عن ذلك كله والله اعلم وقال
بعضهم ظهر الفساد في البر والبحر الى ان حكمت الارض وانقطع مادة البحر بذنوب الناس وقوله تعالى قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ٭ قد ذكرنا في غير موضع انه ليس على حقيقة الامر بالسير في الارض
ولكن كانه يقول لو سرتم في الارض ونظرتم لرايتم آثار عاقبة من كان قبلكم من المشركين وهكذا الرسل وما حل
بهم فيهكم ويمنعكم عن تكذيب الرسل والشرك بالله ويحتمل ان يكون على الامر بالتفكر والنظر والاعتبار كانه
يقول تفكروا واعتبروا فيما سرتم في الارض وانظروا الى ما ذا صار عاقبة امرهم كان الرسل عنيتم اليكم التكذيب
ما نزل باولئك والله اعلم وقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم ٭ قد تقدم ذكره وقوله تعالى من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله ٭ قال بعض اهل التاويل اي لا يقدر احد على رد ذلك اليوم من الله تعالى ثم هو يخرج على وجهين
احدهما لا مرد له من الله اي لا يردون فيعودون الى الدنيا المحنة كقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات
ربنا وقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل الآية ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه فعلى ذلك يجيء ان يكون قوله لا مرد له من الله اي لا يردون الى ما يسالون من الرد الى الدنيا والله اعلم
والثاني لا مرد له اي لا يعمل عملا ولا العمل ولا عفو ولا توبة اذا اتاهم ذلك اليوم كقوله لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل والله اعلم وقوله تعالى يومئذ يصدعون ٭ اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون فهو كيوم الفرق ويوم الجمع ويوم الفصل على اختلاف الاحوال والاوقات والله اعلم وقوله تعالى من كفر
فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ٭ اي من كفر جزاء كفره ومن عمل صالحا فله ثواب عمله ومنفعته لانه
لان الله عز وجل انما امتحنهم بانواع المحن لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لحاجة او منفعة له وهو كقوله من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها انما جعلها لما ذكرنا ان
الامتحان لمنافع الخلق والله اعلم وقال ابو عوسجة والقتبي في قوله فلانفسهم يمهدون اي يعملون ويوطئون
وهو من مهاد فيها دفء الاصل الفراش وقوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ٭ هذا
يدل على ان الثواب والجزاء سبيله سبيل الفضل لا في الحكمة وجوبه لما سبق من الله تعالى اليهم مما لو ينتهيا في
لهم القيام بشكره واضعافها فضلا لانه يستوجبوا الكل فاذا كان كذلك فصار الثواب وجوبه الفضل لا على
الاستيجاب واما العفو فانه قوله يجيء بطريق الاستحقاق اذ في الحكمة وجوبه الذلال فرق ويحتمل
ان يكون قوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله فيجزيهم في الآخرة بالخيرات التي عملوها
في الدنيا وذلك من فضل الله تعالى اذ به نالوا تلك الخيرات بتوفيقه وقدروا على ادائها وبفضله وفقهم لها
والله اعلم وقوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات ٭ اي في الرياح ما يدل في انفسها وفيها اشارات لما الآيات
في آيات سلطانه وربوبيته من وجوه احدها انا نشاهد الرياح في الهواء وفي الارض وفي الجبال والسماء
فتصيب الخلائق وتنسم وتؤذيهم وتحيط بعضهم من غير ان يروها ويقع عليها البصر ومن غير ان يدركوها او
كيفيتها وما تبينا ليعلم ان للاجسام اجساما غير مدركة ولا يقع البصر عليها ويري منها طيبة لينة
وخشنة وشديدة كاسرة عاصفة يعذب بها قوم وينصر بها قوم على ما ذكر في الخبر انه قال نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واما البشارات فهي تبشر انها ما يلقح النخيل والاشجار وتنشر الارض وتنبت
النبات فيها وتجمع السحاب وتاتي بالمطر وتجري بها السفن والفلك في البحار بحيث لو ركدت في مثله
لا تجري السفن لولا الريح وذلك كله من البشارات وانواع المنافع التي جعلت فيها يعلم كلها بالآيات
والاعلام انها نافعة او ضارة مهلكة والله اعلم ثم تسميته الله تعالى الرياح مبشرات دليل على ان البشارة
قد تكون بدون النطق والكلام من نحو الكتابة والاشارة والرسالة اذ ليس للريح نطق ولا كلام ثم سماها
مبشرة والله اعلم وقوله تعالى وليذيقكم من رحمته ٭ هذا يدل على ان هذه البشارة والمنافع التي جعلت
في هذه الرياح كان برحمته منه وفضلا لا استحبابا واستحقاقا وسمى ذلك كله رحمة لانه برحمته
يكون والله اعلم وقوله تعالى ولتجري الفلك فيه بامره ٭ قوله بامره اي بتدبيره تجري الفلك السفن
في البحار على ما ذكرنا ويحتمل ان يريد بامره تكوينه كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى
ولتبتغوا من فضله ٭ هذا يدل على ان ما يصل اليهم بفضله وبرحمته تنسب ذلك الى فضله لكي لا يرون
ذلك من اكتسابهم بل من فضله ورحمته وقوله تعالى ولعلكم تشكرون ٭ اي لكي يلزمهم الشكر لله تعالى
في ذلك كله والله اعلم وقوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا

وفي هذا تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى الكفرة حيث قال ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاؤوهم بالبينات وفيه ايضا بشارة للمؤمنين ونذارة لاولئك الكفرة اما النذارة فلهم بقوله فانتقمنا من الذين
اجرموا اخبر ان اولئك لما كذبوا الرسل عاقبهم بما تعملون انتم يا اهل مكة فانتقمنا منهم جزاء مما عملتم فعلى
ذلك ينتقم منكم كما انتقم من اولئك واما البشارة للمؤمنين في قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخبر ان عاقبة
الامر يكون للمؤمنين وفيه دلالة ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر فكيف ينكرون محمدا صلى الله عليه
وسلم اذ كان هو من البشر وفيه ان محمدا عليه السلام قد اتاهم بالبينات كما اتى اولئك الرسل عليهم السلام قومهم
بالبينات وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين يخرج على وجهين احدهما اي كان حقا علينا جعل العاقبة
للمؤمنين الا ان يكون عليه حقا كقوله والعاقبة للمتقين والثاني وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي لهم النصر
والمعونة التي اعطاهم اي كان حقا علينا اعطاء الحجج وقال بعضهم نصرنا اياهم انا نجاهم مع الرسل
عليهم السلام واهلك اولئك وقوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف
يشاء ويجعله كسفا كناية تخبر عن قدرته وسلطانه حيث انشأ الرياح بحيث تجمع السحاب وتفرقه
وتبسطه وتجعله قطعا قطعا تمطر في مكان كذا ولا تمطر في مكان آخر يقول والله اعلم ان
من قدر تسليط الرياح في جميع السحاب وتفرقته يملك تسليط الرياح على تعذيبكم ثم يحتمل ان المعبود
المستحق للعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكرنا والامطار لا الاصنام التي تعبدونها اذ تعلمون انها
لا تملك شيئا ما ذكر او يذكر النعم التي ينسى ذكرها او يبطئهم ايمانهم بعض منهم بعدما كانوا
ييأسوا على ايمانهم كما اطمعهم المطر والسعة بعدما قحط عنهم وكانوا آيسين منهم لا مرية انه قال فاذا اصاب
به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين قال ابو عوسجة تثير
فتثير سحابا اي ترفعه وقال ابو عبيدة تجمعه كما يستثير الرجل العلم فيجمعه وقوله ويجعله كسفا
قال بعضهم قطعا قطعا وقال بعضهم يضم بعضه الى بعض ويحمل بعضه على بعض والله اعلم وقوله تعالى
فترى الودق يخرج من خلاله اي يخرج المطر من بين السحاب من فرج خلاله ومعناه من نفسه وقوله عز وجل لمبلسين
اي الايس والآيسين وقد تقدم وقوله تعالى فانظر الى اثر رحمت الله اي آثار المطر اراد بالرحمة سمى المطر رحمة
لانه يكون برحمته ويحتمل ان تكون الآثار هي المطر نفسه جعله آثار رحمته واعلامه ثم الامر بالنظر
والاعتبار بآثار رحمته يحتمل وجوها احدها امر بالنظر الى ذلك ليعلموا انه رحيم يرغبوا فيما يطمعهم ويرجوا
فيما اطمعهم ودعاهم له اذ قد ظهر آثار رحمته وكل رحيم يرغب فيما يرغب ويطمع والله اعلم والثاني
امر بالنظر الى آثار رحمته لان ذلك يرجع الى منافع ابدانهم وما به قوام انفسهم يستأدي بذلك شكره
وفي ذلك يقع الحاجة الى من يعرفهم كيفية شكر ذلك ومقداره اذ ذلك لا يعرف بمجرد العقل فاذا كان
وجوب اصل الشكر يعرف به فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة التي بها يتوصل الى العلم ذلك الخبر
عمن يخلق تلك النعم وهو الله تعالى وهو الموفق والثالث سمى المطر رحمة لما يرجع الى منافع انفسهم وقوام
انفسهم ليعرفوا الرحمة التي هي راجعة الى منافع دينهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سماه رحمة
في غير موضع بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم والرابع امر بالنظر الى ذلك المطر انه كيف يحيي
هذه الارض بعد موتها وينبت فيها من الوان النبات وان هذه الاشجار اليابسة كيف تخضر بعد يبسها
بهذه الامطار ليعرفوا ان من ملك هذا يقدر على ذلك فهو خارج عن وسعهم وتقديرهم فهو لقادر على احياء
الموتى وبعثهم بعد الممات وان كان خارجا عن تقديرهم ووسعهم انه لا يعجزه شيء وانه على كل شيء قدير
وبالله التوفيق وقوله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا يعني رأوا ذلك الزرع والنبات الذي خرج
من الارض بالمطر مصفرا وقال بعضهم اي رأوه يابسا اذا اصابته الريح الباردة وقوله تعالى لظلوا من بعده
يكفرون اي لا قاموا على كفرهم اذا اصابهم ما ذكر وقيل يكفرون هذه النعم وقيل لمالوا وقيل لصاروا
وهو كله يرجع الى معنى واحد وهو قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون فعلى ذلك قوله لظلوا من بعده يكفرون اي يقنطون من رحمته والله اعلم وقوله
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ويحتمل ان يكون قوله لا تسمع الموتى يريد به
الموتى انفسهم ولذا لا تسمع الصم الدعاء ويحتمل ان يكون قوله لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذا الصم
والعمي وقد سمى الله الكفار موتى وصما وعميا في غير موضع ومعناه لا تسمع الكفار والضلال اذا ولوا مدبرين
وفي حرف ابن مسعود فانك لا تسمع الموتى في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين حكمه وهو لا يقدر
ان تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ولكن تقدر ان تسمع الصم الدعاء اذا اقبلوا واما اذا ادبروا فلا يقدر ان تسمعه

وكذلك

وكذلك الحكمة في قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي لا تقدر ان تهدي العمي عن ضلالتهم هم الذين
يظنون انهم على الهدى وغيرهم على الضلال فاما من كان مقرا بالضلال فانه يقدر ان يهديه يخبر الله عز وجل
عن شدة سفههم وتعنتهم وعماهم في ضلالتهم والله اعلم وقوله تعالى ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون
هذا يدل على ان قوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
المواعظ لا نفس الهدى حيث قال ان تسمع الا من يؤمن باياتنا هو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينتفع بانذارك
من اتبع الهدى وان الذي يقبل النذارة من اتبع الهدى فاما من لا يتبع الهدى ولا ينتفع فعلى ذلك يحتمل قوله ان
تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما ينتفع ويحتمل اي لا تسمع المواعظ الا من يؤمن بذلك والله اعلم وقوله تعالى الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة هذا يحتمل وجهين
احدهما يحتمل قوله خلقكم من ضعف اي من النطفة وهو ما قال في اية اخرى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف
وقوله ثم جعل من بعد ضعف قوة اي شبابا يقوى على امور وعلى اشياء ثم جعل من بعد قوة ضعفا اي شيخا
فانيا وهو كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون قوله
خلقكم من ضعف اي اطفالا ضعفاء في الخلقة التي انتم عليها اليوم لا يقوون على شيء ولا يقوى شيء منكم على
شيء ثم جعلكم من بعد ذلك الضعف اقوياء يقوون على اشياء ولعود ثم جعلكم من بعد تلك القوة والقدرة
ضعفاء شيوخا لا يقوون على شيء كما يكونون من قبل والله اعلم ثم في ذلك وجهان من الدلالة احدهما على البعث
والثاني على القدرة على انشاء الخلق والاشياء لا من اصول اما الدلالة على البعث فانهم كانوا ينكرون البعث
لخروج ذلك عن فهمهم وعن تقديرهم فيخبر ان النطفة تصير علقة وليس فيها من العلقة ولا من آثارها
شيء وكذلك العلقة تصير مضغة وليس فيها من آثارها شيء وكذلك المضغة تصير انسانا فيه عظم
وجلد وشعر ولحم وليس شيء من ذلك فيها فمن قدر على ما ذكر لقادر على خلق الشيء لا من اصل وقادر على البعث
اذ كل ما ذكر اقروا به وهو خارج عن فهمهم وتقديرهم فلم ينكرون الاقرار بالبعث وانشاء الاشياء لا عن اصل
وان لا يعتقدوا قوتهم وقدرتهم بقدرة الله تعالى وقوته والثاني ان ما ذكر من تحويل النطفة الى العلقة والعلقة
الى المضغة والمضغة الى الصورة والانسان لم يحولهم ولم ينقلهم ليكون كما ذكر بلا عاقبة يكون لهم
ولا بعث ولو لم يكن بعث لكان ما ذكر من التحويل من حال الى حال يكون عبثا باطلا على ما ذكروا والله اعلم وكذلك
فيما احدث في الاطفال من القوة والقدرة بعدما كانوا ضعفاء لا يقدرون على شيء انه انما احدث ذلك فيهم ليمتحنهم
ويجعل لهم عاقبة سيأتون بها فيثابون اذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة لكان فعل ذلك عبثا باطلا وفيه القدرة
على انشاء الشيء واحداثه لا من اصل اذا كان التركيب موجودا على التمام ولا قوة لهم ثم حدث القوة ولا اصل لها
ولا اثر من آثارها دل انه يقدر بقوة الخالق وقدرته بقوى الله تعالى وقدرته تعالى والله الموفق وقوله تعالى يخلق
ما يشاء وهو العليم القدير اي العليم بجوهرها القدير على انشاء الاشياء على من الاشياء وعلى البعث بعد الموت
والله اعلم وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة قال بعض اهل التأويل يقسم المجرمون
انهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة وكذلك يقول لهم قائل كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم لكن الاشبه ان يكون قوله يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة في الدنيا في المحنة والتكليف لا في القبور
واستقصروا مقامهم في الدنيا تكذيبا لما ادعي عليهم من الزلل والمعاصي وانواع الكفر يقولون انا لبثنا في الدنيا
وقتا لا يكون منا في ذلك الوقت ومقدار تلك المدة مثل هذه الزلل والمعاصي الكثيرة الا ترى انهم كذبوا في
انكارهم طول المقام فيها حيث ذكر وكذلك كانوا يكذبون في الدنيا ويقولون لا بعث ولا احياء بعد الموت
ولا حساب فلعل هذا التكذيب يمنعهم الله تعالى اياهم على قوله ما لبثوا غير ساعة والا كان الظاهر انهم استقصروا
المقام في الدنيا لطول المقام في الآخرة وشدة العذاب في ذلك وهو له لكنه والله اعلم ما ذكروا انهم
يقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة في الدنيا انكارا وجحودا لما ادعي عليهم من الزلل والمعاصي يقول ما لبثنا في
الدنيا الا ساعة كيف عملنا فيها هذه الزلل والمعاصي وانواع الشرك والكفر فاخبر الله تعالى انهم كذلك كانوا
يؤفكون في الدنيا كذلك كانوا يؤفكون كذلك كانوا يكذبون ويقسمون حيث اخبر عنهم بقوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت فكذلك القسم منهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذب وانكار للمقام لما كذبوا
وهو كما انكروا الشرك في الآخرة واقسموا كما اخبر عنهم بقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله تعالى وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتأخير
كانه يقول وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله اي اوتوا العلم بكتاب الله والايمان به لقد لبثتم الى يوم البعث فهذا
يوم البعث قال بعضهم يحتمل قوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله اي في علمه في الدنيا

الى يوم البعث فهذا يوم البعث وقال بعضهم يحتمل قوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب
الله اي لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من الاجال الى انقضائه الى انقضاء اجالكم فيما بينها والله اعلم وقوله تعالى
فهذا يوم البعث اي هذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه وتكذبونه ولكنكم كنتم لا تعلمون هذا يخرج
على وجهين احدهما على حقيقة نفي العلم عنهم به لكنهم لا يعتقدون لجهلهم بذلك لما غطوا اسباب العلم ولم
يتاملوا العلم او كناية على نفي الانتفاع بعلمهم حيث كانت لما لم ينتفعوا بها فعلى ذلك هذا والله اعلم قوله تعالى
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ليس يخرج على هذا ان يكون لهم عذر ولا ينفعهم
ولا يقبل ولكن المراد انه لا عذر لهم ويحتمل ان يكون معذرتهم ما ذكرها لبثوا غير ساعة وذلك معذرتهم و
لا ينفعهم ذلك لانهم كذبة في ذلك وقوله ولا هم يستعتبون الاستعتاب الاسترجاع عما كانوا فيه فهم لا يطلب
منهم الرجوع عما كانوا عليه في ذلك الوقت والعتاب في الشاهد انما يستعتب ليرجع عما هو عليه ويرجع عما كان فيه فيما مضى
وذلك لا يكون للكفرة في ذلك والله اعلم وقوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل جائز ان يكون
ما ذكر من ضرب المثل للكفار خاصة لا للمؤمنين يقول تعالى قد بينا لهم ما يعظهم ويزجرهم عما هم فيه من الشرك
وانواع المعاصي ويدعوهم الى الايمان والتوحيد لكنهم استقبلوه بالعناد والمكابرة ولا يصدقونك ولا يتبعون الهدى
وقوله ولئن جئتهم باية التي سالوها ايضا فلا يصدقونك ولا يتبعونه الهدى ويقولون ما اخبر عنهم بقوله
ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ويشبه ان يكون ما ضرب المثل للفريقين جميعا للمؤمن والكافر على
التاويل والله اعلم ولقد ضربنا للناس اي بينا للناس لانفسهم ولاحوالهم من القبيح والحسن مثلا ويشبهها
يعرفون قبح كل قبيح وحسن كل حسن وما يبين لهم الحق والباطل والعدل والجور الا ان اولئك الكفرة
لم يعتبروا ولم يتاملوا ثم رجع الى وصف اولئك الكفار بعلمهم حيث يتهما باية اي بزيادة في البيان والوضوح
ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون والله اعلم وقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون يخرج
على وجهين احدهما لم يعلموا لما لم ينظروا في اسباب العلم فلم يعتبروا لما اعطوا من الاسباب فلم يستعملوها
فصاروا مضيعين لها والثاني نفي عنهم العلم على وجود العلم لهم وكونه فيهم لما لم ينتفعوا به ولم يستعملوها
فيما اسبغ وجعلت له فعلى ذلك العلم والله اعلم وقوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق في العذاب ما يعد
لهم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله فاصبر اي اصبر على اذاهم الذي يؤذونك اي وعد الله حق في النصر
لك والمعونة وقوله تعالى ولا يستخفنك الذين لا يوقنون كانه يقول لا تعجل لانهم اذا هم بالتحقيق يدعو
عليهم بالعذاب والهلاك وقال بعضهم لا يستخفنك اي لا يستفزنك وقيل لا يستجهلنك واصله ذكر
اي لا يحملنك اولئك الكفرة على الخفة والعجلة حتى تدعو عليهم باتيان العذاب والهلاك لهم بما الله اعلم
كانه من الاستخفاف اي طلب الخفة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب والحمد لله رب العالمين

سورة لقمان

كلها مكية الا ايتين منها نزلتا بالمدينة احداهما قوله عز وجل ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الاية والاخرى
قوله عز وجل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى الم قد ذكرنا تاويلها فيما تقدم وقوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم قال بعضهم تلك اشارة
الى البشارات التي بشر بها الرسل المتقدمة عليهم السلام يقول تلك البشارات هي ايات الكتاب الحكيم وهذا
القرآن وقال بعضهم اي تلك الايات التي نزلت متفرقة جمعت فصارت هذا الكتاب اي القرآن ثم سمى
الكتاب حكيما كما قد سماه كريما مجيدا ونحوه في موضع اخر ثم يحتمل تسميته حكيما وجوها احدها الاحكامه
واتقانه اي هو محكم متقن لا يتبدل ولا يتغير فهو كما وصفه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد والثاني سماه حكيما لما ان من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيما مجيدا كريما والثالث سماه
حكيما لانه منزل من عند حكيم كقوله تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى هدى ورحمة للمحسنين قوله هدى اي بيان
وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو رحمة لهم فيدفع العذاب عنهم وقال اهل التاويل هدى اي بيان
للمحسنين لكن هذا الكتاب بيان للكل ليس لبعض دون بعض وقد خص المحسنين بالذكر وهو بيان للمسيء
والمحسن والكافر والمسلم دل ان المراد من الهدى في هذا الموضع هو المعونة والتوفيق والعصمة التي تحقق
به هو المسلم والمحسن والله اعلم ثم قوله للمحسنين يحتمل ان يكون المحسنين ههنا هو المؤمن كقوله تعالى
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اراد بالصبار الشكور المؤمن ثم ذكر المؤمن صبارا مرة وشكورا مرة ومحسنا

مرة لانه يعتقد بالايمان كل ما ذكر من الصبر والشكر والاحسان والله اعلم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون قد ذكرنا تاويله فيما تقدم في غير موضع وقوله تعالى اولئك على هدى من ربهم
تاويل الهدى في هذا الموضع ما ذكرنا من التوفيق والمعونة والعصمة وقوله واولئك هم المفلحون قد تقدم تاويله
وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب
مهين اختلف في تاويله قال بعضهم ليس هذا على حقيقة الاشتراء نفسه ولكن على الاتيان والاختيار
لان حقيقة الاشتراء هو المبادلة التي هي اخذ واعطاء ولم يكن كذلك لانهم اشتروا واختاروا لهو الحديث
واللعب على الحق والحكمة وكذلك تاولوا في قوله اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا واتبعوا الضلالة
مع قبحه عندهم على الهدى مع حسنه فعلى ذلك الاثر ولهو الحديث واختاروا الفاني على الباقي فيكون معنى
الشراء لذلك سماه اشتروا والله اعلم وقال بعضهم هو على حقيقة الاشتراء لكنهم اختلفوا فيه فمنهم من يقول
انه على اشتراء المغنية والمغني كانوا يشترون ليلهوا ويلعبوا بهم وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهما يقولان في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث هو شراء المغنية والمغني وقد روي مرفوعا عن ابي امامة
عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبتاعوا المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير
في التجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثله نزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث الى اخر هذه
فهو نفسه لهو الحديث الذي ذكر في الاية وقال بعضهم نزلت الاية في رجل كان يشتري لهو الحديث يعني باطله
من حديث الاعاجم فيحدث به قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم باحاديث عاد وثمود وانا احدثكم باحاديث
فارس والروم فذلك اشتراؤه لهو الحديث ثم اضلالهم الناس عن سبيل الله منعهم اياهم بالاعراض عن
القرآن والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله ويتخذها هزوا اي كانوا اذا سمعوا شيئا من القرآن
اتخذوه هزوا وكان عادة الكفرة واهل النفاق كانوا يستهزءون بالقرآن وبرسول الله صلى الله عليه وسلم
وباصحابه رضي الله عنهم ثم اوعدهم الوعيد الشديد بقوله اولئك لهم عذاب مهين وقوله تعالى واذا تتلى
عليه اياتنا ولى مستكبرا اي اعرض معظما كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا يحتمل على القرب
في ترك الاستماع وان كان على حقيقة السمع فقد ذكر في كتير من الاي نحو ذلك لما لم ينتفعوا بها
الحق الحوائج كالاصم والله اعلم ثم اوعدهم بالعذاب الشديد بقوله فبشرهم بعذاب اليم وقوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات قوله امنوا يجمع ما امروا ان يؤمنوا به وقوله لهم جنات النعيم اضاف الجنات الى النعيم
فان النعيم ضد البؤس والجنات موضع التنعم يتنعمون فيها وقوله تعالى خالدين فيها وعد الله حقا اي ما وعد
الله المؤمنين من النعيم كائن لا محالة من الجنات وقوله وهو العزيز الحكيم قد تقدم تاويله وقوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها قال بعضهم خلق السموات والارض بغير عمد لا ترونها فان
تقدير الاية خلق السموات بغير عمد ترون تلك العمد فهذا يقتضي ان يكون ثم عمد لكن لا ترونها وقال
بعضهم معنى خلقها بلا عمد وقوله ترونها اي انها كما ترون السموات بلا عمد الاعجوبة في خلقها بلا عمد
لا ترونها لبنت بعد الاعجوبة في خلقها بلا عمد فان رفع مثلها بعمد لا ترى اعظم في اللطف والقدرة
بلا عمد اذ لو كان بعمد انا لرؤية او السعة في رفع السموات مع ثقلها وعظمها وغلظها على
عمد لا ترى هو اعظم في الاعجوبة واللطف من ذلك وانهما كان ففيه دلالة ان لا يجوز تقدير قوى
الخلق بقوى الله وقدرته ولا سلطان الخلق بسلطانه بل هو القادر على الاشياء كلها بما شاء كيف
شاء لا يعجزه شيء وقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال في اية اخرى وجعل فيها رواسي
والرواسي هي الثوابت اي اثبت الارض بالجبال وهو كقوله تعالى والجبال ارساها اي اثبتها ثم قوله
عز وجل ان تميد بكم اي لئلا تميد بكم والميد هو الميل والاضطراب وليس في طبع الارض الميل والاضطراب
وانما طبعها السفل والانحدار والترسب ولا ندري كيف جعلها في ابتداء الوجود الذي خلقها
وما في تربيتها ما يحملها على الاضطراب فاثبتها وارساها بالجبال والله اعلم بذلك وقوله تعالى وبث فيها
من كل دابة قال بعضهم بث اي خلق وبث فرق ففيه ان جعل الارض مكانا ومقرا للكل انواع الدواب
المحق وغير المحق والمميز وغير المميز والسماء لم يخلقها الا لنوع من الخلق اهل العبادة وقوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم اي انشا فيها من كل لون يتلذذ الناظر اليه كريم ينال منه
كل ما اراد وتمنى اذ الكريم هو ما يتطيع منه ينال كل خير وارتفاق وقال بعضهم الكريم الحسن اي انبتنا
فيها من كل حسن ما يستحسنه الناظر اليه ويتلذذ به على ما ذكر في اية اخرى من كل زوج بهيج ما يبهج ويسر
كل ناظر اليه والله اعلم وقوله تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اي ما ذكر من خلق السموات

في الأرض وما بث فيهما من الدواب وما أنبت من كل زوج كريم وقوله فأروني ماذا خلق الذين من دونه يقول إنكم تعلمون أن السموات والأرض وجميع ما فيها خلق الله وأنه خالق ذلك كله وأن الأصنام التي تعبدونها من دونه لم تخلق شيئاً من ذلك ولا تملك خلق شيء فكيف تعبدونها وتسمونها آلهة وصرفتم العبادة والألوهية عن الذي هو خالقكم وخالق السموات والأرض وما فيها وإنما استحقاق الألوهية والربوبية بخلق ما ذكر والأصنام لم يكن منها خلق وكيف سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله فإن كنتم تدعون أنها تخلق شيئاً فأروني ماذا خلقت فيكون تأويل قوله والله أعلم فأروني ماذا خلق أي ماذا تخلق فإن كان هذا إخبار من الله تعالى عن سفههم وقلة معرفتهم وسرفهم في القول والفعل والله أعلم وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين يحتمل قوله الظالمون وجوهاً أحدها ظلموا أنفسهم أي وضعوها في غير موضعها الذي أمرهم الله تعالى أن يضعوها وقيل وضعهم إياها في عبادة الأصنام ويحتمل أي ظلموا حيث عبدوا دون الله التي جعلها لهم الحفظ بل جاوزوها وتعدوها أو يحتمل سماهم ظلمة لما ظلموا نعم الله حيث كفروا بها ولم يشكروها والله أعلم وقوله تعالى في ضلال مبين أي في حيرة بينة ويحتمل في ضلال بين وقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قال بعضهم الحكمة أي الإصابة في القول والفعل وقال بعضهم الفهم والتبصر وقيل الفهم والفقه في الدين وقيل العلم والفلاسفة يقولون الحكمة مع المعرفة مع العلم والحكيم هو الكامل المعرفة والعلم كما قال إنما الفقه قيل هو معرفة الشيء بنظيره الدال على غيره وقيل معرفة ما غاب بما شاهد وقيل معرفة الخفي الباطن وكأنه يقول أعطينا لقمان العلم والفهم والفقه بالكتب المتقدمة والله أعلم وقوله تعالى أن اشكر لله كأنه قال ولقد آتينا لقمان الحكمة وقلنا له أن اشكر فيما أعطيناك من الحكمة وغير ذلك من النعم ثم في الآية دلالة أن لله تعالى فيما يكتسب المؤمن من الحكم والعلم صنعاً إذ لو لم يكن له صنع في ذلك لم يكن لقوله آتينا لقمان الحكمة معنى إذ هو فعل العبد وكسبه ولا يرى أنه أمره أن يشكر له على ذلك ولو لم يكن لله صنع في ذلك لكان أمره بالشكر على ما لم يفعل وقد نفعل أو لا يصنع في ذلك دل أنه فيه صنعاً وهو نقض على المعتزلة في قولهم أن ليس لله تعالى في فعل العبد صنع والله أعلم وقوله تعالى ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه هذا يدل على أن الله إنما يمتحنهم بما أمرهم وينهاهم لمنافع أنفسهم وحاجتهم لا لمنفعة نفسه أو لحاجة به تعالى عن ذلك حيث قال ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه حيث يتم تلك النعمة ويديمها عليه من يشكر ينفع نفسه ومن كفر فإنما ضرر كفره يلحقه دون الله تعالى ألا ترى أنه قال ومن كفر فإن الله غني حميد أي غني عن شكره حميد وإن لم يحمده أحد من خلقه لا يستغني بما يحمد بصنائعه فإن لم يحمده أحد ولم يشكر فذلك لا ينفعه شكر أحد ولا يضره كفر أحد لأنه لا يلحقه الشكر والحمد وبأنه القوة والحول وقوله تعالى وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم يحتمل قوله إن الشرك لظلم عظيم وجوهاً لما ذكرنا ظلموا أنفسهم حيث وضعوها في غير موضعها أو وجهوها في آلهة الأصنام التي تعبد بما صوروها أحسن تصوير ومثلها أحسن تمثيل والظلم من عمل في سعي في إهلاك نفسه والله أعلم ويحتمل الظلم عظيم أي ظلموا نعم الله تعالى حيث صرفوها إلى غير من صنعها ويحتمل ظلموا ظلماً عظيماً حيث لم يقبلوا شهادة وحدانية الله وألوهيته فيما خلقهم في خلقهم وإنشائهم إذ جعل في خلقة كل أحد الشهادة على وحدانيته وربوبيته وذلك أعظم الظلم والخيبة والله الموفق وقوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإحساناً والإحسان هو اسم ما حسن من الفعل في نفسه وهما في الحاصل واحد لأن إيصال الفعل الحسن نحوهما هو الإحسان والله أعلم وقوله تعالى حملته أمه وهناً على وهن أي ضعفاً على ضعف أي كلما مضى عليها وقت ازداد عليها ضعف على ضعف ووجع على وجع أمر بالإحسان إليهما وذكر ما حملت الأم من المشقة والشدة ولم يذكر من الأب شيئاً بل كان للأب وقت تحمل الأم من المشقة والشدة السرور والفرح لما كان يحمل الولد وقدم الإحسان إليهما على السواء فنقول جاز أن يقال إنه كان من الأب بإزاء تلك المشقة التي حملت الأم مع ما يؤمر أن يشكر له ويحسن إليه وهو ما يتحمل من الإنفاق عليها وعليه في حال الرضاع وهو ما ذكر وهو ما يتحمل من الإنفاق عليها وعليه في حال الرضاع وهو ما ذكر وقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ويحتمل ما يلحق فضلاً عند الناس بحيث لو لم يعرف له نسب ينسب إليه بل جعله معروف النسب غير مطعون فإنه فيما بين الخلق فإن المرء يعير بكونه مجهول النسب فهذا من أعظم الإحسان في حق الولد وهذا يقوم بالأب والله أعلم وقوله تعالى وفصاله في عامين ذكر الفصال العلم به كان الرضاع والمستقبل الرضاع لا في الفصال إلا أنه يقول بلفظ ذكر تمام الرضاع وكماله لأن الفصال يفيد ذكر كمال الإرضاع وتمامه ذكره لا محالة أما ليس في ذكر الرضاع نفسه ذكر الفصال والله أعلم وقوله تعالى أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير أمر بالشكر له ولوالديه وحاصل الشكر

راجع إليه دون من شكر له إذ كل من صنع إلى آخر ما يستوجب به الشكر والثناء فبالله صنع ذلك إليه وبنعمته كانت منه فكل من حمد دونه أو شكر فراجع إليه في الحقيقة ذلك ثم يخرج قوله أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير على وجهين أحدهما اشكر لي فيما تشكر والديك بإحسانهما إليك وأنهما ما أحسنا إليك إلا بفضلي وحمدي كقوله عز وجل واذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً اذكروا الله فيما تذكرون آباءكم لصنيعهم فإنهم إنما فعلوا ذلك بفضل الله فهذا مثله والله أعلم ويحتمل قوله أن اشكر لي ولوالديك أي اشكر لي فيما أنعمت عليك ولوالديك فيما أحسنا إليك وتمام قوله عز وجل إلي المصير وكذا أن المخصوص إليه المصير إليه وإن كان في جميع الأوقات مصائر إليه راجعين إليه بإذن لما أن المقصود من إنشائهم في هذه الدار تلك وصار إنشاؤهم في الدنيا حكمة بالآخرة ما لولا المصير إلى تلك الحال لكان خلق هذه عبثاً باطلاً على ما تقدم والله أعلم وقوله تعالى وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما أمر في الآية الأولى بالإحسان إليهما وما يليهما والطاعة ثم أمر في هذه الآية أن لا في كل أمر يطيعهما فيما يؤذن لهم ويباح لا فيما لا يؤذن ولا يباح بحال بل هو يؤمر بالخلاف لهما والاعتقاد المعاداة فضلاً أن يطيعهما وأن يجيبا إلى ما يدعوانه وهذا ليس لأحد أمرك به وكذلك يذكر في الخبر أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وكذلك قوله تعالى أمر بطاعتهما فيما ليس معصية حيث قال وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي لما اتبع سبيلي ودينه كقوله وجعل ذلك هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل على ذلك الجانب أن يكون تأويل هذا اتبع سبيلي ودين سبيل غيري ويحتمل أو اتبع سبيل من آيات قد رجع إلي ولا تتبع سبيل من لم ينب ولم يرجع ولم يتب إليه على الوعيد بحيث قال إلي مرجعكم الآية وهو كقوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً وقوله تعالى يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير لا يحتمل أن يكون مثل هذا الكلام من لقمان لابنه ابتداء من غير سؤال كان منه في ذلك فلا بد من أن يكون ذلك منه عن سؤال تقدم لكن لا نعلم ما كان ذلك السؤال وما كان فيحتمل أن يكون السؤال عن علم الله تعالى كأنه عما ذكر من حبة مستترة مكنونة في أخفى الأمكنة من الخلق بما لا يطلع عليها أحد منهم أن لا علم أحد من الخلائق ثم يأتي بها الله أي يعلمها فإن كان على هذا ذكر فيلزمهم أن يكونوا أبداً مراقبين لأعمالهم وأحوالهم في جميع أوقاتهم وفي جميع أمورهم لا يخفى عليه شيء ويحتمل أن يكون السؤال عن قدرة الله تعالى وسلطانه فأخبر أن الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ذكر وعجز من الخلق من استخراج مثلها من مثل تلك الحجب والأمكنة فيخافون قدرة الله تعالى وسلطانه في الانتقام منهم في مخالفة أمره ونهيه ويحتمل أن يكون السؤال عن الرزق فيخبر بهذا أنه شيء وإن كان في مكان لا تبلغه وسع البشر وحيلهم في استخراج ذلك الشيء والوصول إليه لكان الله تعالى بلطفه رزق الخلق بأشياء خارجة عن وسعهم وحيلهم مما لا يقع لهم الطمع في ذلك ليكونوا أبداً في حال الطمع منه لا آيسين بعجزهم ولا نفاذ حيلهم عن ذلك ولا تعلقوا قلوبهم في الرزق بالأسباب التي بها يكتسبون لكن بالله رزقه من حيث لا يحتسب ويحتمل أن يكون السؤال عن جزاء ما يعمل المرء من قليل وكثير وما عظم تخبر أنه يجزي بقليل العمل وكثيره وكذلك تقول أهل التأويل ذلك يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل من خير أو شر فتكن في صخرة أو في جبل أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله أي يجازي بها فيكون على هذا كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والله أعلم وأي شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله تعالى ودلالة علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه المقتدر والتوكل عليه والتفويض الأمر في كل ما خرج عن وسع الخلق والله أعلم وقوله تعالى إن الله لطيف خبير قال عامة أهل التأويل إنه لطيف في استخراج تلك الحبة مكانها ومعنى هذا الكلام أي استخرج تلك الحبة من الحجب التي ذكر والأسباب التي بها استخراجها لا يشعر بها أحد ولا يعلم كيفية الاستخراج منها وإلا ما ثمة اللطف يخرج على وجهين أحدهما اللطيف هو البار بما أرسل من الرسل وأنزل من الكتب ليهتدوا بما يستدلون وما به نجاتهم حيث يعو الخبير والثاني اللطيف في استخراج أمور لا يبلغها وسع الخلق ولا أفهامهم وحيلهم والله أعلم وقوله تعالى يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف يحتمل الأمر بإقامة الصلاة وجهين أحدهما الصلاة التي نعرفها القربة هي المسألة والدعاء والثناء على الله تعالى والتحميد له والتمجيد كقوله إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً والصلاة المذكورة في هذه الآية هي الدعاء والاستغفار والرحمة والمغفرة فعلى ذلك يشبه أن يكون الأمر بإقامة الصلاة هو الأمر بمسألة الرب جل وعز مغفرته ورحمته ليكون أبداً في كل الأحوال متضرعاً

مظهراً لحاجته اليه ومنبئاً قلبه عن وصف عظمته وجلاله وكبريائه والله اعلم والثاني اركانه الصلاة المعروفة
المعهودة على شرائطها التي جعلت وشرطت فان كان هذا فاطلاق الاسم الصلاة على هذا لما فيها من الدعاء
والثناء على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال لانها جعلت من اولها الى آخرها كذلك وفيه دلالة ايضاً
ان الصلاة التي شرعت لنا كانت للامم المتقدمة وعلى ذلك يخرج قول ابرهيم عليه السلام حيث قال رب اجعلني مقيم
الصلاة ومن ذريتي وقول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً والله اعلم وقوله تعالى وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر المعروف اسم كل خير وبر وكل مستحسن في العقل ثم يخرج قوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
على وجوه احدها المعروف الطاعات بالرسل عن الله تعالى والمنكر اسم كل شر وكل مستقبح في العقل والطبع و
للخلق ونهوا الخلق عنه والمنكر ايضاً هو الذي انكرته الرسالة ونهت الخلق عنه ويحتمل ان يكون المعروف هو الذي
يقبله كل عقل صحيح ويستحسنه كل طبع سليم والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ويستقبحه كل طبع سليم
تعرف بالبديهة قبحه وحسنه ويحتمل انه معروف فمنكر عند التأمل والتفكر وكله يرجع الى واحد وهو ما ذكرنا
لكنه يختلف فيما ذكرنا من السبب والله اعلم وقوله تعالى واصبر على ما اصابك من الاذى بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لانه انما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر اهل السفه منهم والفسق فلا بد من ان يصيب الاذى من تولى ذلك
وهذه الآية تدل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اللوازم التي لا يسع تركها فان اصابه الاذى في ذلك
حيث امر الله تعالى بالصبر على ما اصابه من الاذى وقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور قال بعضهم ان ذلك من حزم الامور
والحزم هو الاحكام للشيء واتقانه كانه يقول ان ذلك من محكم الامور ومتقنها لان الشيء اذا احزم وشد
يؤمن عن سقوطه وردها بحيث على ذلك ما ذكر والله اعلم وقال بعضهم العزم هو القطع والثبات على الشيء تقول عزم
على ذلك وعلى امر كذا اذا قطع رأيه واصطلح به وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه لامر من الامور فهو العزم
والله اعلم وقوله تعالى ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً وقرئ ولا تصاعر بالالف ولا تمش
في الارض مرحاً وهما لغتان قال اكثر اهل التأويل جوابه ولا تصعر خدك للناس اي لا تعرض وجهك عن
الناس تعظماً وتجبراً وتكبراً وكذلك في قوله ولا تمش في الارض مرحاً اي بطراً وفرحاً في العظمة والخيلاء
والعظمة متكبراً فعامة اهل التأويل يفسرونه بالاعراض والتجبر والتكبر وكذلك قال الحسن هو الاعراض
عن الناس من الكبر استحقاراً واستخفافاً بهم وقال الزجاج الصعر هو داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه فعلى ان
يكون قوله ولا تصعر خدك تلوي عنقك عن الناس وقال ابو عوسجة وربما من ذلك اي لا يموج وهو ان يلوي عنقه
فلا ينظر اليهم كبراً ويقول الصعر هو اعوجاج في العنق يقال رجل اصعر ويقرأ تصعر وتصاعر وتصعر الكلام
صعر خده اذا لوى رأسه عن الناس ولم ينظر اليهم كبراً منه واصله الاعراض على ما ذكر اهل التأويل من حقيقة
الاعراض تكبراً وتعظيماً لانفسهم استخفافاً بالناس واستحقاراً لهم ... مثلاً او اشباهاً
لانفسهم على ذلك يخرج قوله ولا تمش في الارض مرحاً على حقيقة المشي على التكبر والتجبر على ما ذكرنا او لنا
ليس على حقيقة الاعراض بالوجه عنهم ولا على حقيقة المشي بالاقدام ولكنه كناية عن الامتناع عن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر كذلك على التكبر والتجبر عليهم والاستخفاف بهم ولكن على الحذر والخوف منهم فان كان
على الامتناع والاعراض عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يعذر وان ترك ذلك بسبب الحذر والخوف منهم
فالله اعلم وقوله تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور المختال المتكبر البطر وقيل الخداع الغدار والفخور
يحتمل الذي يفتخر بكثرة المال ... اشكالاً والله اعلم وقيل انما خص صوت الحمير لانه
خلق الله تعالى اصوات الاودية لذة ومنفعة غير صوت الحمير فانه ليس فيه لذة ولا منفعة والله اعلم وقيل انما
خص ذلك لان صوت الحمار اوله زفير وآخره شهيق ولهذا والله اعلم شبه زفير اهل النار وشهيقهم
به والله اعلم وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم يخرج هذا على وجوه احدها
يحتمل انه يذكرهم نعمه والاءه عليهم ليستأدي به شكرها انعم عليه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض لتنتفعوا
بها وتقضوا حوائجكم وتصلوا الى اغراضكم كيف شئتم والله اعلم ويحتمل ان يذكرهم قدرته وسلطانه انه من
ملك تسخير ما ذكرنا وقدر على تدبير استعمال ما سخر لها والانتفاع به لقادر على البعث والاحياء بعد الموت
وانه لا يعجزه شيء ويحتمل انه يذكر حكمته وعلمه انه يجعل هذا التسخير لا يكون الا بحكمة ولو لم يكن هناك بعث
لكان خلق الخلق وتسخير ما ذكرنا عبثاً مرة والله اعلم ثم قوله ما في السموات وما في الارض يحتمل المطر والسحاب
والشمس والقمر ونحوها مما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض حتى لا تقوم منافع الارض الا بمنافع
السماء والله اعلم وكذا يحتمل الملائكة لانهم استغفروا لهم وبعضهم يقع به منافع البشر وسوق السحاب والرعد
ولا تبعة وغير ذلك والله اعلم وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما

انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما هذه النعم الباطنة والظاهرة قال اما الظاهرة فاهب
فالاسلام وما سوى من خلقك وما اسبغ عليكم من الرزق واما الباطنة فهي ما ستر من عملك فلم يفضحك ...
فان ثبت الخبر فلا يقع الحاجة الى غيره وهو تأويل الآية الى ذلك ذهب عامة اهل التأويل ثم يحتمل ان يكون النعمة
الظاهرة فهي ما ظهر من الحسن والطهارة والوضاءة والنعمة الباطنة ما ستر من الانجاس والاقذار ما لو ظهر ذلك لعرف
منها خبثه ونجاسته وقال بعضهم النعم الظاهرة اللسان والباطنة القلب وقال مجاهد الظاهرة
الاسلام والرزق والباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب وهي تصح فيما ذكر في الخبر المرفوع والله اعلم وقوله تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير المجادلة في الله يحتمل في توحيد الله وفي ارسال
انه ارسل او لم يرسل وفي البعث انه يبعث او لم يبعث ويحتمل ان يكون المجادلة في كتابه انه من عند الله ام لا ثم قوله
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما ذكر هذا لان اسباب العلم ثلاثة العقل والكتاب والسنة يتفكر وينظر
بالعقل فيعرف بالكتاب ما يعرف بالعقل ويعلم ما لا حظ العقل فيه وبالسنة يعرف ويبين ما احتمل في
الكتاب ويعلم ما لا ذكر له فيه وهو من هم الذين يجادل رسول الله والكتب فكانه يقول ومن الناس من يجادل
في الله وهم يعلمون انه ليس معهم معقول ولا بيان من الكتاب ولا السنة وقوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وفي الكناية اخرى انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قل او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم كانه تعالى يقول للرسول عليه السلام
قل لهم تتبعون آباءكم وتقلدونهم وان ظهر لكم وتبين ان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وانهم من اهل
السعير وتتبعون آباءكم مقتدين بهم وان ظهر لكم ان الله دعاكم الى ما جئتكم به اهدى مما عليه آباؤكم وتتبعون
آباءكم وان ظهر وتبين لكم ان آباءكم كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون حتى قالوا نعم نتبعهم وان كانوا
كما ذكرت فانه يظهر ويتبين عنادهم ومكابرتهم في اتباعهم حيث ظهر الحق لهم ولا يتبعوا بل اتبعوا اهواءهم
وبطرهم لكنهم في قولهم والله امرنا بها ... ما هم عليه من الكفر والشرك بل ...
من هو على خلاف ما هم عليه من الانبياء عليهم السلام واهل الايمان فانه قالوا لا نتبعهم اذ كانوا على ما ذكرت
فمنكر ذلك تعرف ويثبت عندهم بالحجج والبراهين والله اعلم وقال اهل التأويل او لو كان الشيطان يدعوهم
الآية اي بل كان الشيطان يدعوهم وفي الآية دلالة ان اهل الفترة يعذبون ويؤاخذون بتركهم الاسلام
وادخالهم الكفر لانهم كانوا في الدنيا حتى انهم من اصحاب السعير فهم اهل الفترة ما بين عيسى الى محمد صلى
الله عليه وسلم فيدل ان التكليف متوجه وعليهم الوقوف على دليل السمع لانهم لا يمكنون من الوصول الى الدليل السمع
وان كان العالم لا يخلو عن ذلك والله اعلم وذكر محمد بن اسحق في قوله ولا تصعر خدك للناس اي لا تعرض
بوجهك تكبراً عن فقراء الناس ولا تمش في الارض مرحاً اي فخراً بالخيلاء والعظمة ان الله لا يحب كل مختال فخور
اي بطر مرح فخور بنعم الله عز وجل لا يأخذ بالشكر واقصد في مشيك تواضعاً لا تختال في مشيتك
ولا تسرع حيث لا تجهل واغضض من صوتك اي اخفض من صوتك ... ما امر لقمان ابنه الاقتصاد
في المشي والنطق ثم ضرب للصوت الرفيع مثلاً فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير لشدة صوتهم وقوله
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وما في الارض والجبال
والانهار والبحار وما في البحر من السفن والاشجار والنبت والانعام والدواب وقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة ظاهرة بتسوية الخلق والرزق والاسلام وباطنة ما ستر من الذنوب من ابن آدم فلم
يعلم بها احد ولم يعاقب عليها فهذا كله من النعم والحمد لله على ذلك كما هو اهله وقال ومن الناس من يجادل في
الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اي يجادل وزعم ان لله بنات اي الملائكة بغير علم ولا هدى اي ولا
معه من الله تعالى بما تقول ولا كتاب منير فيه حجة واصله ما ذكرنا من تأويل المجادلة في الله بغير علم ولا
هدى ولا كتاب منير اي من حجة العقل والسنة والكتاب اسباب العلم هذا ولم يكن لهم شيء من
هذا وبالله العصمة وقال ابو عوسجة المرح النشاط وهذا لا يكون الا من الكبر وقوله واقصد في مشيك
اي امش مشياً رفيقاً واغضض من صوتك اي ارفق لا تصوت صوتاً شديداً وهذا ايضاً اي من التجبر
وقوله واسبغ اي اوسع والسابغ التام الواسع الطويل العريض وقوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله يحتمل
قوله وجهه اي نفسه كانه قال ومن يسلم نفسه الى الله عز وجل اي جعلها سالمة له لم يجعل لاحد فيها
وهو محسن اي جعله الى نفسه لا يستعملها الا في طاعة الله عز وجل وفيما امره به فاذا فعل ذلك فقد
استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ولا انقطاع ولا زوال لانها ثابتة بالحجج والبرهان الا ان الهوى
فكل شيء ثبت بالحجج والبرهان فهو ثابت ابداً لا زوال له ولا انقطاع وكل شيء ثبت بالهوى فهو زائل ينقطع عن

قريب بمقال الحكمة والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله يسلم وجهه الى الله اي يسلم امره الى الله فالوجه كناية وعبارة
عن الامر اي يسلم امره الى الله ويفوضه اليه وقال اهل التأويل يسلم وجهه اي دينه اي يخلص دينه لله كقوله
ولكل وجهة هو موليها لكل اهل دين ومذهب والله اعلم وقوله تعالى وهو محسن يحتمل وجوها احدها ما ذكر
هو محسن الى نفسه في جملة لا يستعملها الا في امر الاستعمال فيه وهو طاعة الله تعالى لا يوقعها في المهالك والثاني
اي هو محسن الى الناس بالبر والمعروف ويحتمل وهو محسن لما يعمل كما قال الاحسان او علم وقال بعض اهل التأويل
ومن يسلم وجهه الى الله اي يخلص دينه وعمله وهو محسن اي مؤمن وهو كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
وكان ابن عباس ومقاتل يقولان ومن يسلم وجهه اي يخلص دينه لله تعالى وهو محسن في عمله فقد استمسك
بالعروة الوثقى وهو ما ذكرنا انه استمسك باوثق امر وابينها لانه انما تمسك بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمني
والله اعلم وقوله تعالى والى الله عاقبة الامور * هذا يخرج على وجوه احدها اي والى الله تدبير عاقبة الامور وتقديرها
لا الى الخلق والثاني الى الله مرجع التدبير والتقدير يرجع عاقبة الامور اليه والثالث يحتمل انه المخصوص رجوع
عاقبة الامور اليه والمصير والبروز له والخروج وان كانوا في جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود من خلق
هذا العالم العالم الثاني والمقصود من خلق الدنيا الآخرة اذ به تصير حكمة وحقا فخص ذلك بالاضافة
اليه لهذا والله اعلم والرابع انما ذكر ذلك لان لا ينازع في ذلك اليوم وقد ينوزع في هذه كقوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره * هذا يحتمل وجوها احدها اي لا يحزنك
حزنا يتلف ويهلك نفسه كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فيخرج قوله فلا يحزنك كفره على التخفيف
عليه والتسلي اشفاقا على النبي وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التخفيف عليه والتسلي
ليسلى عن تلك الاشفاق والحزن عليهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كادت نفسه ان تهلك اشفاقا
عليهم وحزنا على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي والله اعلم والثاني قوله فلا يحزنك كفره اي فلا
يحزنك تكذيبه اياك لكن ذكر الكفر واراد به التكذيب لان بتكذيبه ما يصير كافرا فيكون سبب كفره والشيء
سبب حامل له على تكذيبه فيجوز ان يذكر الكفر ويراد به التكذيب وهو كقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويهتم بتكذيبهم اياه فيما تقول فيحزن الله تعالى
فيقول لا يحزنك تكذيبهم اياك فانهم الينا لا يرجعون فنخبرهم ونكافيهم جزاء التكذيب والله اعلم والثالث
لا يحزنك كفرهم فان ضرر ذلك عليهم لا عليك كقوله عز وجل ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء وقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحو ذلك من الآيات يخبر رسوله صلى الله عليه وسلم
اي لا تحزن على كفر من كفر فان ذلك يلحقهم دونك والله اعلم وقوله تعالى الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا
عنده واختاروا في الدنيا ليذكروا ما عملوا في الدنيا ويحتمل فننبئهم بما عملوا اي نجازيهم ونكافيهم جزاء اعمالهم
ان الله عليم بذات الصدور اي عالم بما كان منهم ومجازيهم والله اعلم وقوله تعالى نمتعهم قليلا * اي في الدنيا
لان متاع الدنيا قليل على ما قال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي يمتعون ويعمرون بذلك القليل ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ يذكر هذا مقابل ما ذكر لاهل الجنة حيث خالدين فيها لا يبغون عنها حولا لا يخرجون اي اهل النار
يضطرون في النار لا انهم يدخلونها اختيارا كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا يعني يدفعون وقوله
غليظ جائز ان يكون كناية عن اشتداده وطوله وجائز ان يكون كناية عن شدته وقال بعضهم كقوله عز وجل
تلفح وجوههم النار الآية والله اعلم وقيل يغلظ عليهم العذاب لونا بعد لون والله اعلم وقوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض * ليقولن ذلك ويجيبونك الله خلقهم ثم يخرج قوله قل الحمد لله على اثر
اقرارهم بالتوحيد الخلق على وجهين احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالحمد لله لا لاحتجاج الى اقامة
الحجة على وحدانية الله تعالى وربوبيته سوى اقرارهم اذ اقروا بالوحدانية فيما ذكر فعلى ذلك يلزمهم ذلك
في كل شيء دق او جل فيقع الامر بالحمد لله على ذلك والله اعلم والثاني يحتمل انه امر رسوله صلى الله عليه وسلم
لما نجاه وسلمه مما ابتلوا هم به من التكذيب وعبادة الاصنام بعد اقرارهم بالتوحيد له والالوهية
فامره ان يحمد الله تعالى على انعامه عليه ورحمته وعصمته له عن ذلك الكفر على هذين الوجهين يخرج
تأويل الحمد على اثر ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون * مقطوع مفصول من قوله قل الحمد لله ذلك
لم يحتمل مفصولا لا يخرج الامر بالحمد لله في الظاهر على ما لا يعلمون لكن وذلك لا يصلح فيحتمل قوله بل اكثرهم لا يعلمون
يخرج من وجوه احدها ما ذكرنا انه نفى عنهم حقيقة العلم لما انهم لم ينتفعوا بما علموا على ما نفى عنهم الحواس من السمع
والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بها في حقيقتها لما لم ينتفعوا بما في ذلك العلم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ههنا بل اكثرهم
لا يعلمون ان عبادتهم الاصنام لا تقربهم الى الله زلفى ولا يكونون لهم شفعاء عند الله كما اخبر عنهم [illegible]

عند الله وقيل ما يمسكهم [illegible] لا يعلمون [illegible]
الآخرة والله اعلم وقوله تعالى لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد [illegible]
ما يحتمل منه جميع انواع الحمد لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة ولا لدفع مضرة عن نفسه ولكن لحاجة انفسهم
المحتاجين وانتفاعهم [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى انه هو الغني الحميد قيل الغني بذاته لا يحتاج الى شيء [illegible]
[illegible]
[illegible] ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله * [illegible]
[illegible]
[illegible] ابن عباس [illegible] اليهود [illegible] رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الروح [illegible] قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا [illegible]
[illegible]
[illegible]
لانكسرت الاقلام ولنفد المداد لم ينفد علم الله تعالى فيما اعطاكم من العلم قليل فيما عنده من العلم كثير فيما
عندكم الوحي انه ذهب كثير من اهل التأويل لكن غرضنا كان ما نشبه بسبب نزوله وذكره وهو يخرج على وجهين
احدهما ما ذكرنا في قوله لله ما في السموات وما في الارض من بلغ ملكه وسلطانه ما لو صار ما ذكر من الاشجار كلها
اقلاما والبحار كلها مدادا فكتب بها اسماء خلقه وسلطانه وملكه لنفد ذلك كله ولم ينفد خلقه ولم يبلغوا
غايته والله اعلم ويحتمل انه ذكر هذا في وصف القرآن لقوله لكان من الكفرة في نفسه وصنع ما كتب فيه فكيف
يتسع فيها المقدار علم الكتب السالفة المتقدمة وهو وادي هجر فيخبر والله اعلم انه جمع في هذا من الخلق والعلم
والحكمة ما لو فسر ونشر ما اودع فيه وضمن لنفد ذلك كله ولم ينفد ما جمع فيه وضمنه والله اعلم وقوله تعالى
ان الله عزيز حكيم * قال بعضهم ذكر هذا لان نفرا من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة عظاما لحما ثم تزعم انا نبعث خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فقال
عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي ما خلقكم ولا بعثكم جميعا ايها الناس على الله تعالى في القدرة
الا كبعث نفس واحدة ان الله سميع عليم كقولهم لذلك قالوا ما نه لا نبعث بصير بامر الخلق والبعث ويحتمل انما قال
هذا لما قد اقروا ببعث نفس وكون لما انتهى اليهم الاخبار بما كان في الامم السالفة من الاحياء بعد الممات نحو
على ذلك عن ذلك قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
وكقوله قالوا ارنا الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فاماته الله
مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فاقروا ببعث هؤلاء لما تواترت الاخبار بذلك
فانكروا بعث سائرهم فقال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي اذا بعث واحد بعث الكل كذلك والله اعلم
ويحتمل ان يذكر هذا لان الاسباب انما يختلف في الامور على الخلق وتعسر لخصال ثلاث اما العجز او الجهل او يشغله
عن شيء فصار خلق الكل عليه وبعث الكل كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة ويحتمل ان يذكر هذا لان الله
والكل والقليل والكثير ما كان وما يكون تحت قوله كن فيكون وتحت رحمته وقدرته كانه كاف ونون على التكوين
والتخليق واما ذكر حرفين لانه اوجز حرف في كلام العرب واقصر كلام يترجم ويعبر والله اعلم وقوله تعالى ان الله سميع
بصير * كانه قد كان من اولئك من قول او كلام فذلك السميع قال السميع لذلك بصير بما لم يبلغ او بصير باحوال
الخلق وبامورهم والله اعلم وقوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر * يذكرهم قدرته وعلمه وتدبيره وفيه دلالة البعث لما قدر على ادخال الليل في النهار والنهار
في الليل ثم حفظهما على كل واحد ومعلوم من احد على غير تفاوت يقع في ذلك ولا تغير في ذلك على ان
لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء وكذلك ما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما يقطعان في يوم واحد مسيرة
سنين [illegible] لا يتصور ذلك في اوهام الخلق وفي تقديرهم فمن قطع ذلك المقدار من السير في تلك المدة
لا يعجز عن احيائهما [illegible] بعدما ذهب لا يخرج منه وكليته حتى لا يبقى منه شيء على انه قادر على الاحياء بعد الموت وبعد

ما ذهب اثره وفي هذا دلالة من وجوه احدها دلالة قدرته حيث ادخل احدهما في الآخر وحفظهما الثالث على حدود
وتقدير واحد على غير تغيير ولا تفاوت يقع في ذلك دل ذلك على قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وكل انشاء كل واحد منه
بعدما ذهب الآخر عن القدرة عن البعث كل يجري الى اجل مسمى الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتأخر وقوله تعالى وان الله
بما تعملون خبير اي خبير بما تعملون ظاهرا او باطنا هذا وعيد ليكونوا ابدا خائفين حذرين متيقظين والله اعلم
وقوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكر من خلق الخلق وانشاء ما ذكر وتسخير لما ذكر من صنيعه في
الليل والنهار والشمس والقمر وجميع ما ذكر من صنيع الآلهة دليل فانه هو الاله المستحق للعبادة واسم الالوهية
وان ما يدعون من دونه هو الباطل عن مبطلين غير مستحقين لتسميتهم الالوهية والعبادة ويحتمل قوله ذلك
بان الله هو الحق ان الاله الحق هو الذي يسوق هذه النعم والمنافع واما ما يدعون من دونه الباطل حيث لم ينفعهم
عبادتهم اياها وقوله تعالى ان الله هو العلي الكبير يتوجه الى وجهين احدهما العلو هو القهر والغلبة كقوله ان فرعون
علا في الارض اي غلب وقهر وقوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فعلى هذا
يكون قوله العلي اي القاهر الغالب والثاني ان يكون العلو هو الارتفاع فان كان الارتفاع فمعناه انه ارتفع وتعالى
عن ان يحتمل ما يحتمل الخلق من التغيير والزوال وغير ذلك وقوله الكبير من ان يلحقه شيء مما يلحق الخلق والله اعلم
وقوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله وقال في آية اخرى تجري الفلك بامره وقال [illegible] وجرين
بهم بريح طيبة وقوله بريح طيبة هي النعمة التي ذكر في هذه الآية وقوله تجري بنعمة الله يخرج على وجهين احدهما
لما جعل الفلك تجري على وجه الماء مع احمالها الثقيلة ومن طبع الثقيل الرسوب في الماء والانحدار فيه فجعله
بحيث يستمسك على وجه الماء ويجري ليصلوا الى حوائجهم ومنافعهم في امكنة متباعدة لولا السفن لم يصلوا
الى ذلك بحال فكان هذا من نعم الله عز وجل والثاني ما ذكر فيه من ريح طيبة التي بها تجري السفن في البحار وماء
راكد ساكن فتحمل تلك الريح الطيبة جريانها الماء في حال سكونه وكذلك من نعمه وقوله تعالى ليريكم
من آياته يحتمل آيات وحدانيته وآيات عزته وسلطانه وآيات نعمته ما ذكرنا اي ما آيات قدرته وسلطانه
ما ذكر انه من قدرته وسلطانه ان جعل الفلك في البحار والسفن بحيث تستمسك ولا ترسب ولا تنحدر
مع احمالها الثقيلة وفي طبع ذلك الترسيب والانحدار واما آيات وحدانيته ما ذكر ان من اجلها الريح الطيبة
لو اتت من عدد لكان يمنع من جريانها لانه تدبير واحد لا من عدد والله الموفق وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل
صبار شكور يحتمل ان يكون الصبار هو المؤمن والشكور كذلك وبعض ان يكون الصبر والشكر جملة كناية
وعبارة عن الايمان كقوله عز وجل الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وقال ان تكفروا فان الله غني عنكم و
لا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم اي وان تؤمنوا جعل الشكر كناية عن الايمان والله اعلم ويحتمل
صبار على بلائه وشكور على نعمائه ويحتمل ان جعل الآيات للمذكور لانه هو المنتفع بها دون غيره كما جعل
الكل ويحتمل صبار فيما اصابهم في البحر والشدائد لا اهل الشكر فيما دفع عنهم والنجاة من تلك الاهوال
والبلايا والله اعلم وقوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين قيل اي كالجبال وقال
بعضهم اي كالسود من كثرة الماء وعظمه وقيل اي يصير الموج كالظلة فوق السفينة ويحتمل ان يكون الظلل
التي ذكر على التمثيل لاهل التحقيق كناية عن حيرتهم في الدين كقوله موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها الآية وهو على التمثيل لاهل التحقيق يخبر عن حيرتهم في الدين وتيههم في
ذلك والله اعلم وقال اهل التأويل في الآية في اهل الكفر كانوا يخلصون له الدعاء والدين كانوا يرتبهم
الخوف على الاهلاك عند معاينتهم الاهوال والشدائد في البحار الا ان اهل الاسلام يخلصون له الدعاء والدين
في الاحوال كلها فتكون الآية في الكفرة وقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قال بعضهم فمنهم مقتصد
اي حسن القول بلسانه كافر بقلبه وقال بعضهم فمنهم مقتصد اي عدل يفي على الايمان والاخلاص الذي
كان منه في تلك الاهوال لم يعد الى الكفر وقال بعضهم فمنهم مقتصد اي الوسط وهو العدل الذي ذكرنا
وقوله تعالى وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قيل الختار هو الغدار وقال بعضهم الختار هو الذي بلغ
في الغدر نهايته والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم في الحق الذي عليكم واوفوا بذلك ويحتمل
اي اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته ويحتمل اي اتقوا نقمة ربكم وعذابه لكنها تقع مختلفة الاخرى في الاتقاء
في الكافر والمؤمن يكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله وفي المؤمن اتقوا المخالفة له في جميع ما امركم
ونهاكم واتقوا عبادة غير الله والشرك في حادث الوقت لان الايمان حكم التجدد في كل وقت وقوله تعالى واخشوا
يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا الآية ذكر هذا على الاياس وقطع الطمع لبعضهم
عن بعض بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كانت تنفع بعضهم بعضا في الدنيا ليخبر ان ذلك كله

منقطع في الآخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل بنفسه حتى لا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من الولد
للوالد والوالد للولد لما لا يحتمل قلب واحد منهما ان يلحق المكروه بالآخر ولا يصبر ان يدفع ذلك عنه بكل ما
وسعه وطاقته للشفقة والمحبة التي جعلت فيهم ثم اخبر انه لا ينفع احدهما صاحبه لاشتغاله بنفسه و
على ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل سبب ونسب فهو منقطع الا سببي ونسبي ونسبه الذي
دعا الناس اليه وسببه شفاعته يوم القيامة واخبر ان ذلك كله منقطع الا هاذين فانه من تمسك بدينه فانه
يشفع له يوم القيامة فيما فرط وقصر واما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس لاحد منهم قول في
من الانساب والاسباب منقطع وهو كقوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب وقال بعضهم هذه الآية في الكفار
فاما المؤمنون فيشفع الوالد لولده والولد لوالده في الآخرة للاتباع الى انه يفضل ذلك الولد الى ابيه
كقوله عز وجل آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا والله اعلم وقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وقد روي في الاحاديث الشفاعة للاخيار وقيل بان يشفع للاحباب دون الاقارب والله اعلم
وقوله تعالى ان وعد الله حق اي ما ذكر من الاياس وقطع طمع بعض من بعض ويحتمل ما ذكر من قيام الساعة وكونها
لا محالة ويحتمل في وعد الجزاء والثواب والعقاب والله اعلم وقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا هذا يحتمل
وجهين على التحقيق والتمثيل اما التحقيق اي لا يشغلنكم الحياة الدنيا ولذاتها ولا تلهكم عن ذكر الله وعن الآخرة
ولا تغتروا بها فانها لهو ولعب على ما قال انما الحياة الدنيا لهو ولعب اي انها لعب ولهو على ما هي عندكم لانها
عندكم انما انشئت وخلقت لها لا الآخرة فيكون على ما هي عندهم لعب ولهو واما على ما هي عندنا فهي حق ليست
بباطل لانها انشئت للآخرة وبلغة اليها والله اعلم واما التمثيل فما اضاف التغرير اليها لان ما كان منها
من التحسين والتزيين في الظاهر وباطنها بهجتها وسرورها فلذلك انها لو كان لها التمييز والعقل والفهم كان
تغرير فعلى ذلك ما كان منها على الظاهر فهو تغرير على التمثيل ويحتمل اي يكون بمعنى النهي اي لا تغتروا
بالحياة الدنيا وما فيها من لذاتها والله اعلم وقوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور قيل الغرور الشيطان لانه
يقول ان الله كريم جواد او يقول انه غني قادر لا يأمركم بامر ولا ينهاكم عن شيء اذ انما يأمر ذو الشاهد وينهى من كان
محتاجا فاما الغني فلا يأمر ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام الآية ذكر في بعض الاخبار عن عبد الله بن عمر رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح
الغيب خمس لا يعلمها الا الله ثم قرأ الخمسة التي ذكرت في الآية وكذلك روى ابو هريرة رض انه قال
خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا ان الله عنده علم الساعة الى آخر الآية فان ثبت هذا فهو ما ذكر ان لا وقوف
لاحد على حقيقة ما ذكر والاخبار انه قال اشياء بعض هذه الاشياء من نحو المطر انه متى يمطر او ما في الارحام
فانه ولد ذكر ام انثى نحو ما تعلمه المنجم ذلك بالحساب والاعلام يخرج ذلك على الصدق مما اخبر الله تعالى
ان ابراهيم عليه السلام قال اني سقيم لما نظر في النجوم اي ساسقم وروي ان ابا بكر رضي الله عنه قال اني
القي الكلام ذا بطن خارجة جارية وكان كما ذكر لا يحتمل ان يكون ابو بكر رض يعلم ذلك الا بالتعليم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك الا في حق الساعة فانه لا يطلع عليها احد الا انه قال بان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يؤذن له بالتكلم ولا القول فيه شيء الا من جهة الوحي من السماء فاما الاشتغال بمثل ما ذكر
فلا لان في الاشتغال بمثله تضييع لكثير مما امتحن به وترك لبعض ما نهي عنه ويخرج ذلك مخرج
التطير والتفاؤل وما [illegible] على غير الحد الذي جعل له وذلك بدعة باهل الجاهلية فيما [illegible]
الغيب والله اعلم وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة اي علم وقت الساعة كقوله يسألونك عن الساعة
قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من
ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها اخبر انه لا يجليها لوقتها الا هو وذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انت منذر من يخشاها فاما سوى ذلك فليس له ويحتمل ان يكون علم ان
عنده علم الساعة اي عنده علم ماهية الساعة اذ ذكر الساعة وما هو لهول لم يذكر ماهيتها وحدها و
قدرها والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي يعلم ذلك لا غير والله اعلم وقوله وينزل الغيث سمى المطر غيثا فيشبه
ان يكون سماه غيثا لما به يكون للناس غياث فيما يكون به قوام انفسهم ودوابهم وقد سماه في موضع رحمة
وفي موضع مباركا وفي تسميته رحمة لما به نجاة انفسهم ودوابهم وذلك صورة الرحمة وسماه مباركا
لما به ينمو ويزداد كل شيء اذ البركة هو اسم كل نماء ينمو ويزداد [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل ويعلم
ما في الارحام اي من انتقال النطفة الى العلقة وانتقال العلقة الى المضغة وتحوله من حال الى حال اخرى
وقد ذكرنا ما فيه في كل وقت وكل ساعة ونحو ذلك لا يعلمه الا الله تعالى اما العلم بانه ذكر او انثى وهل ذكر

او انثى فجائز ان نعلم ذلك غيره ايضا بالاعلام وضعت وقوله تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت جائز ان يكون كتم ذلك واخفاه عن العباد ليكونوا في كل حال على حذر وخوف ويقظه
اذ لو كان اطلعهم على ذلك لصاروا آمنين الى ذلك الوقت فيعملون بكل ما يريدون ويشتهون ثم يتوبون
فيكون في ذلك ارتفاع المحنة فكتم ذلك عليهم ليكونوا ابدا في كل وقت وكل حال على حذر وخوف ويقظه
والله اعلم وقوله تعالى ان الله عليم خبير ذكر بعض اهل التاويل ان رجلا من اهل البادية يقال له الوارث
عمرو بن حارثة المحاربي اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ارضنا اجدبت فمتى الغيث وتركت امراتي حبلى فما
ذا تلد وقد علمت اين ولدت فباي ارض اموت وقد علمت ما عملت اليوم فماذا اعمل غدا ومتى الساعة فانزل
الله تعالى في مسالة المحاربي ان الله عنده علم الساعة لا يعلمها غيره وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى
وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت في سهل او جبل او بر
او بحر ان الله عليم خبير فهذا الذي ذكر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين السائل عن الساعة فقال المحاربي
هاهنا فقرا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الاية * تمت السورة الشريفة المباركة والحمد لله وحده *

سورة السجدة

نزلت بمكة الا ثلث آيات فانها نزلت بالمدينة وهو قوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
الى قوله اعيدوا فيها الاية بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى الم قد ذكرنا
تاويله في صدر البقرة وقوله تعالى تنزيل الكتاب الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله والرسول
المطلق والطريق المطلق سبيل الله فطرحوا قيده وقوله تعالى لا ريب فيه اي لا شك فيه انه منزل من الله تعالى لانه
على ايدي الامناء البررة لم يغيروه ولم يبدلوه ولا حرفوه ويحتمل لا ريب فيه انه ليس بمخلوق ولا مختلق ولا مفترى
من عند الرسول بل منزل من عند رب العالمين ويحتمل لا شك فيه على ما يقول الناس محكم مبين لكل شيء والله اعلم
وقوله تعالى من رب العالمين العالم هو اسم جنس من الخلق وجوهره والعالمين جمعه يدخل تحت الاولين
والآخرين الذين يكونون الى آخر ما يكون فيخبر انه رب جميع جملة وعلى انه رب لكل ما كان وما يكون كقوله عز وجل
ملك يوم الدين اخبر انه مالك يوم الدين وهو يعلم بكون وقوله تعالى ام يقولون افتراه قوله لم يقولون استفهام
وشك في الظاهر لكنه من الله تعالى يخرج على تحقيق الالزام والايجاب وتحقيق نفي ما لو كان من مستفهم او
مسترشد كيف يجاز له ويقال فيه فانما يقال المستقيم لا او بلى فعلى ذلك هو من الله تعالى على تحقيق اثبات
تحقيق نفاذ لا يحتمل الاستفهام والشك الكفرة كما امر الانسان ما تمنى فعلى ذلك لكانه قال هاهنا
بل يقولون افتراه ثم رد ما قالوا انه افتراه فقال بل هو الحق من ربك يحتمل قوله هو الحق من ربك اي ليس بمخترع
ولا مختلق ولا مفترى من محمد صلى الله عليه وسلم بل هو منزل من عند الله على ما ذكرنا في قوله لا ريب فيه
ويحتمل بل هو الحق من ربك فليس بكلام البشر ولا في وسعهم اتيان مثله فهو الحق منه لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الاية وقوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الكتاب
الذي كان الا الله وقوله قوما ما اتاهم من نذير يحتمل وجهين احدهما على الجحد اي لتنذر قوما لم ياتهم نذير
وهم اهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم والثاني لتنذر قوما الذي اتاهم
نذير من قبلك وهم اباؤهم واجدادهم الذين كانوا من قبلهم وعيدا تاهم النذير بقي في اولادهم ذلك ورثوه
والله اعلم وقوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام قد ذكرنا هذا فيما تقدم
ثم استوى على العرش قد ذكرنا في هذا ايضا تاويلات كثيرة لكنا نذكر فيه جملا لم نذكره فيما تقدم
وكان اقرب الى الحق والصواب والله اعلم وهو ان ذكر العرش في كلام العرب يحتمل معنى العقول فهو ما لا فهم
الى الانسان المعرفة بدلالة قوله ثم استوى على العرش لانه عز وجل ذكر ذلك الحرف في موضع آخر وعلم بان الانسان
جهل حيث قال ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا ولو كان ذلك الحرف مما تعقله عقول البشر وادراكه
سبيل الوصول الى معرفته وادراكه لادركه بعقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهمه من غير ان يسال
بالخبير فكان ذلك هو الله تعالى او جبريل صلوات الله عليه والله اعلم وذكر التسمية من الله تعالى فلم يذكر نبي
صلى الله عليه وسلم انه فسر ذلك اذ قال فيه فاسالنا احتجنا اليه والله اعلم وقوله تعالى ما لكم من دونه من ولي
او لا تتذكرون يقول اهل التاويل ما لكم من دونه من ولي ينفعكم في الآخرة ولا شفيع يشفع عنكم عذابه
وما لكم من دونه من قطاع يدفع عنكم ولا له ولي امركم سواه ولا شفيع ولا تجعل لكم الاصنام التي تعبدونها شفعا

وانتم تعلمون ذلك فكيف تعبدونها دونه ويحتمل انه ذكر على الوعيد لهم اذ ليس لاولئك ولي ولا نصير
ولا شفيع لا هو ولا غيره واما المؤمنون فان وليهم الله كقوله ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين
لا مولى لهم وقوله افلا تتذكرون اي فلا تتفكرون وتتاملون فيما ذكر من صنعه فتوحدونه والله اعلم وقوله تعالى
يدبر الامر من السماء الى الارض قال اهل التاويل يدبر الامر اي هو يقضي القضاء ويخرج في السماء والارض عن
انه يخرج على وجهين احدهما يدبر الامر اي يتولى تدبير امر كل شيء في السماء والارض بنفسه وهو ان يكون امر كل
شيء وتقديره على الحكمة والعدل بحيث لا يخرج الا على الاستقامة ان يجعل الخلق بحيث يقبلون الامر والنهي
ويحمل المحنة ونحو ذلك والثاني يدبر الامر اي هو الذي يدبر الامر من السماء والارض نحو ما ولى ملك الموت قبض
ارواح الخلق ونحو ما ولى بعض ملائكته امرها بين السماء الى الارض فان كان التاويل هذا الاول فليس ذكر السماء
والارض حد ولا تقدير تدبير ذلك ولا يدبر ما سوى ذلك اذ هو المدبر لكل الخلق وانما ذكر هذا لان الخلق
ينتهي تدبيره وعلمه وافهامه الى ذلك وان كان التاويل هو الثاني فهو على التحديد لانه انما ولى ملائكته امر
ما بين السماء والارض لايصال النفع الى البشر تماما ولجميع امور مملكته وخلقه ملائكة وخلقه ملك
والله اعلم وقال ابو عوسجة والقتبي يعرج اليه يصعد اليه وقيل يصير اليه ذلك كقوله والى الله المصير
واليه يرجع الامر كله وقيل اليه يحتبس والاشكال انه ذكر هاهنا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون
وفي موضع مقداره خمسين الف سنة كيف يكون هذا فيقول بعض اهل التاويل ثم يعرج يقول يصعد
الملك اليه في يوم واحد من ايام الدنيا كان مقدار ذلك اليوم الف سنة مما تعدون لانه ما بين السماء
والارض مسيرة خمسمائة عام ويصعد مسيرة خمسمائة عام فذلك مقدار مسيرة الف سنة في يوم
واحد من ايام الدنيا والله اعلم وما ذكر في موضع آخر خمسين الف سنة فذلك يصف يوم القيمة يجاب
الامرين جميعا ولا يؤدي الى التناقض والاختلاف انه ذكر في وصف يوم القيمة ويخرج ذلك لا على التحديد
والتقدير لكن على التعظيم لذلك اليوم والوصف له بما يعظم في قلوب الخلق وهو ما وصفه الله عز وجل
بالعظيم كقوله ليوم عظيم وفي الشاهد من يعظم الشيء فيستكثره قد يذكر على التقارب في الاستعظام
على التقدير اللازم فيقول لمن يغضب الامير على فلان ذهب بالف سوط ومرة يقول مائة ومرة يقول خمسين
على الاستعظام لا على التقدير والله اعلم ويحتمل ان يكون على التحديد والتقدير على طريق الحقيقة لكن
يخرج هذا على اختلاف الاحوال والاوقات واختلاف الامور في ذلك اليوم فيكون الف سنة
ذكر في الوقت الامر وخمسين الف سنة في حال اخرى ووقت آخر لامور اخر على ما يسمى ذلك اليوم مرة
يوم الجمع ومرة يوم التفريق ويوم الفصل ويوم الحساب ويوم البعث ونحوه ومعلوم ان ذلك اليوم من اوله
الى آخره ليس بيوم الجمع ولا يوم الافتراق ولا يوم البعث ولكن يسمى بذلك كله على اختلاف الاحوال
والاوقات لامور مختلفة فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول كذلك ومنهم من يقول في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة اي منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره وقوله في يوم كان مقداره
الف سنة ذلك نزول الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد ذلك مقداره الف
سنة لكن قوله من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره فوق السموات فاسد فانه لا يجوز ان يكون
لامره نهاية او حد الا ان يريد يقول منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره فوق السموات اي منتهى
العالم من الاسفل الى المنتهى من العلو مقداره كذلك فهذا جائز لكن لا نعرف ذلك الا بالوحي والسماع
من له حق عليه السلام ولو ثبت ما يدفع ما ثابا من الاختلاف ولوجب عنه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى
ذلك عالم الغيب والشهادة اي هذا الذي صنع ما ذكر من هذه الاشياء عالم الغيب والشهادة ثم
يحتمل قوله عالم الغيب والشهادة وجوها احدها عالم ما غاب عن الخلق وعالم ما يسرون وما يعلنون
ويحتمل عالم الغيب اي عالم ما يكون ويحدث لانه غيب والشهادة اي عالم ما صار كائنا ويحتمل عالم
الغيب اي عالم ما يغيب عن الخلق كيفية المنافع من الاشياء الظاهرة وما بينهما نحو ما غاب عنكم
القوى المضمر الموضوع في الطعام والشراب والاغذية جميعا الذي به حياة انفسهم وقوامهم وكذلك السمع
والبصر والفهم والعقل لا يدرك المعنى الذي به يتحقق هذه الاشياء الا الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى
العزيز الرحيم العزيز في هذا الموضع المنتقم من اعداء الله الرحيم على اوليائه او العزيز الذي لا يعجزه شيء والرحيم الذي
لم يضر سعة الخلائق في رحمته او العزيز الذي تعز من عز والرحيم الذي برحمته يرحم من رحم والله اعلم وقوله تعالى
الذي احسن كل شيء خلقه بالحكم والتعريف كلاهما اختاره ثم قيل له احسن كل شيء خلقه وجهين كل
وجه ونحو الاول احسن كل شيء اي علم كل شيء كيف يخلق من غير ان يتعلمه لم يعلمه احد عليه اخلق

لا يقدر احد ولا يمكن ان يصنع شيئا الا بعلم تعلمه ذلك او بمعين يعينه على ذلك يخبر عن جهلهم وسفههم
بتقديرهم قدرة الله تعالى وقواه بقوى انفسهم وقدرتهم في انكارهم البعث لخروج البعث عن قدرة الخلق
وامتناعه عن وسعهم يقول لا تقدروا قدرة الله تعالى بقدرة انفسكم ولا تقيسوا قواه بقواكم كما لم تقدر
خلقه معكم اذ هو يعلم بذاته لا بمعلم وانتم لا تعلمون الا بمعلم فعلى ذلك يجب ان لا تقدروا قدرته بقدرتكم
اذ هو قادر بذاته لا يعجزه شيء ولا يحتاج الى عون وسبب وانتم لا تقدرون الا بعون وسبب والوجه الثاني
من القسم الاول احسن كل شيء خلقه اي علم كل شيء من خلقه ما به مصالحهم وحاجاتهم وما يؤتى وما يتقى
ويستعمل ملازما او متعديا يقال الحاصل من تعلم فان المراد منه العلم المكتسب الذي يحصل بالاسباب لا
تكون تحصيلا ذا العلم بنفسه وغيره فنستعمل في الامرين جميعا والله اعلم والثاني احسن كل شيء خلقه اي احكم
كل شيء خلقه واتقنه ثم هو يخرج على وجهين احدهما اتقن واحكم فيما به من المصالح والمنافع في كل شيء
من التسوية والتفرقة وفي الجمع والتصوير ونحو ذلك والله اعلم احسن اي اتقن واحكم كل شيء خلقه في الشهادة
على وحدانية الله تعالى وربوبيته اذ جعل في كل شيء خلقه وحدانية تشهد كلها وقال بعضهم احسن كل شيء
خلقه اي لم يخلق الانسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الانسان وقال قتادة احسن كل شيء خلقه اي خلق كل شيء
حسنا على نحو ما خلق وعلم كيف يخلقه وهو قريب مما ذكرنا اولا والله اعلم ثم المعتزلة لا يرى تعلق الاية
يقولون ان الله تعالى احسن كل شيء خلقه والكفر وشتم رب العالمين ونحو ذلك قبيح وسفه فدل انه لم يخلقه
وانه ليس بخالق لذلك فيقول لهم ان اخوانكم الزنادقة يعارضونكم فيقولون ان الخنزير والانجاس وجميع
الخبائث كلها قبيحة والله تعالى ليس بخالق لها فيما يدعون قولهم وسوء الهمم في ذلك فان زعمتم ان الكفر
والشتم وجميع افعال الشرور انه ليس بخالق الله تعالى لانه قبيح يلزمكم مذهب الزنادقة فيما يقولون
ويذكرون في اثبات خالق سواه لانه قبيح وهو رديء الا فلا خروج لكم سوى الاعتقاد بالحق ثم يقول لهم
ان الله تعالى سمى ابليس باطلا بقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية فيلزمكم ان تقولوا انه لم يخلقه لانه
اخبر تعالى انه لم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ثم نقول لهم ان نقول انه خلق فعل الكفر
من الكافر قبيحا وخلق فعل الشر والشتم من الشرير والشاتم قبيحا خلق فعله على ما هو وعلى ما عرفه
وعلمه ولا عيب في جعل ما هو قبيح قبيحا لمن يعلم الكفر بعلمه قبيحا على ما هو قبيح في نفسه وكذلك
جميع الشرور فعلى ذلك ليس في خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحا وكما لم يكن في تكليف معرفة القبيح
بمعرفة قبيحا على ما هو حقيقة عيب والله اعلم وقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين قال اهل التاويل
آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه اي آدم عليه السلام
وقال بعضهم هذا نعت ولده وذريته لان الاعجوبة في خلق ولده في الارحام في ثلث ظلمات من النطفة
انه لم يكن اكثر من خلق آدم من طين لا يكون الا لان صنع الاشياء الظاهرة الباطنة وتسويتها اشد
ايسر وادون من صنعها وتسويتها في الشاهد ايسر وادق من صنعها وتسويتها اذا كانت غائبة
مستكنة لكنا نقول ان الظاهر ان يكون قوله وبدا خلق الانسان من طين يراد به آدم وقوله ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين اي ذريته لان النسل هو الولد والذرية وقوله من سلالة قال بعضهم
السلالة هي الصفوة من الماء والخالص من كل شيء وقال بعضهم السلالة من السل يقال سل السيف
اي اخرجه من غمده فعلى ذلك قوله من سلالة من ماء مهين اي ما يخرج من الظهر فاستل منه ونزع والمهين
والمهين هو الضعيف يقال مهين بمعنى مهانة من مهين وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقوله تعالى ثم سواه
اي جعله بحيث يحتمل المحنة والامر والنهي والله اعلم وقوله ونفخ فيه من روحه اي جعل فيه من روحه
ويحتمل حقيقة النفخ اذ هو من الريح وبالنفخ يتفرق في جميع الجسد لذلك ذكر النفخ والله اعلم
وقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ذكر الله تعالى جميع ما يتوصل به الى العلوم
الغائبة والحاضرة جميعا وبذلك يوجد السبيل اليها وهو السمع والبصر والقلب لكن
ذكر في الانسان لانه بالسمع يوصل الى ما غاب عنهم من العلم يسمعون مما غاب عنهم وكذلك
بالبصر يرى فيبصر ما حضر وبالقلب يحفظ ويفهم ويميز بين ما يؤتى ويتقى ويبين انه افضل ما
به يتذكرون ذلك ويصلون الى ما غاب عنهم ويفهمون ثم قال قليلا ما تشكرون قال اهل التاويل
اي لا يشكرونه قط لانهم يقولون ان الاية في كفار مكة وهم لا يشكرون اصلا لا كثيرا ولا قليلا
ويحتمل ان يقال انهم يشكرون قليلا لكنهم يفسدون وينقضون ما يشكرون بكفرانهم من
وان اهل الاسلام وان كان شكرهم لما ذكر من هذه النعم قليلا فانهم قد اعتقدوا في اصل العقد

الشكر له في جميع نعمه وان الكافر اعتقد الكفران لترك الايمان يكون قوله عز وجل قليلا ما تشكرون في المؤمنين
ولهم يقال ذلك لا للكفرة والله اعلم وقوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد هذا القول
منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال انا نبعث ونخلق خلقا جديدا ويحتمل على الايجاب
والتحقيق انا نبعث لا محالة ولا يلحقهم بذلك لائمة ولا يعتب لو كان على ظاهر ما يخرج منهم لكنهم انما قالوا
ذلك استهزاء وانكارا للبعث دليله قوله تعالى ما قال على اثره بل هم بلقاء ربهم كافرون فحمل الظاهر مردود
القول منهم على احد الوجهين اللذين ذكرناهما استفهاما او ايجابا فهو كما اخبر الله تعالى عن المنافقين
قالوا نشهد انك لرسول الله هذا القول منهم حق وصدق لانهم لما اضمروا خلاف ذلك لم ينفع ذلك
لهم حيث قال والله يشهد انهم لكاذبون فعلى ذلك هذا القول منهم في الظاهر ما ذكرنا لكنهم انما قالوا
ذلك استهزاء وانكارا للبعث وجحودا والله اعلم وقال القتبي ضللنا في الارض اي بطلنا وصرنا ترابا وقيل
هلكنا وقال ابو عوسجة ضللنا اذا صرنا في القبور وتلفنا فيها وضللنا بالكسر من الضلال يقول ضللت
كذا اي لم تبدل له وقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم هذا الحرف في الظاهر ليس بصلة
الاول ولا هو بناء عليه لكن مثل هذا الكلام انما يقال عن سؤال سابق في توفي الخلق وقبض ارواحهم
فيقال عند ذلك يتوفاكم ملك الموت والله اعلم ويحتمل ان يكون على صلة الاول لانهم كانوا انكروا البعث
واحياءهم بعد الموت من التراب لما لا يرون لله تعالى القدرة على ذلك فذكر انه مكن ولقد عبدا من عبيده على قبض
ارواح جميع الخلائق من المشرق الى المغرب من غير ان يعلم احد انه كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك فيخبر ان
من قدر على هذا لا يعجز عن احياء الخلق بعدما صاروا ترابا وماذا بل قادر على من يشاء كيف يشاء متى يشاء
لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم قوله يتوفاكم يحتمل توفي العدد اي يجعلهم وفاء العدد ما لا يعجل عليهم
انما نعد لهم عدا ويحتمل ان يكون التوفي من الاستيفاء وفاء التمام اي يستوفي الروح كله حتى لا يبقى منه
شيء في الجسد ثم في الاية دلالة خلق افعال العباد لانه اخبر ان ملك الموت يتوفاهم ويميتهم واخبر ايضا
انه خلق الموت والحياة بقوله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم الاية فدل انه خالق فعل ملك الموت وهو
استيفاء الحياة هو الله تعالى فتكون الاية حجة عليهم لان القتل عندهم ازالة الحياة عن المحل وهو فعل القاتل
بطريق الكسب فاما عندنا الحياة والاماتة ليس من صنع العبد فتكون الاية حجة عليهم والله اعلم وقوله تعالى
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم يقول والله اعلم لو ترى يا محمد ما نزل بالمجرمين يومئذ من العذاب
وما هم فيه من الحال الشديدة والاهوال بالتكذيب الذي كان منهم واساءتهم الذي لرحمتهم ولم يكلف كافة
اساءتهم وتكذيبهم لعظم ما نزل من العذاب والشدائد ناكسوا رءوسهم عند ربهم ندامة وحسرة وحزنا
على ما كان منهم على مثل هذا يخرج التاويل والا ليس في ظاهر الاية جواب كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم
عند ربهم وجوابه ما ذكرنا ونحوه والله اعلم وقوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا الاية
يخرج على وجهين احدهما اي ابصرنا بالحجج والبراهين عيانا بعدما كنا ابصرناها في الدنيا بالدلالة وقوله سمعنا
اي قبلنا واجبنا فارجعنا الى الدنيا او الى المحنة والتكليف نعمل صالحا انا موقنون والثاني ربنا ابصرنا
صدق الرسل لما عاينا ما اوعدونا ووعدونا في الدنيا وسمعنا سماع ايقان او عيان فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون والله اعلم وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اي لو شئنا لآتينا كل نفس ما اهتدت من اللطف
الذي لو كان منهم الاحسان كذلك لاهتدوا لكن لم يعطهم ذلك اللطف لما علمنا اختيار الكفر وايثاره على
الايمان واختياره والاية حجة على المعتزلة فان عندهم شاء الله تعالى ان يعطي كل نفس ما به اهتدت فقد اعطاها
لكنها لم تهتد وقولهم مخالف للاية لانهم يقولون شاء ان تهتدي كل نفس واعطى كل نفس ما به تهتدي لكنها لم
تهتد فتكون الاية حجة عليهم لكنهم يقولون ان المراد بالاية مشية الجبر والقسر ونحن نقول هذا التاويل باطل
وانكم زعمتم انه قد شاء ان تهتدي واعطاهم ما به تهتدون فلم تهتدوا فلم تنفذ مشيته فانه يقدر بذلك
ان ينفذ مشيته بقهرهم وجبرهم حتى يهتدوا وكيف يوصف على ذلك فذلك عجيبة على قولكم وتقال لا يصل الى
الايمان والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون ايمانا لان القهر والجبر يرفع الفعل عن فاعله ويسلبه عنه فكيف
يصح تاويلكم على هذا والله اعلم وقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم اي لكن وجب القول
مني بما علمت انه يكون منهم ويحدث ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب
والله اعلم ثم في قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين دلالة انه قد خص ملائكته من عمل يستوجب
جهنم خص الانس والجن فيما يملا بهما جهنم بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فان قيل
ليس انه قال في اية اخرى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة فكيف اصحاب النار في تعذيب غيرهم وليسوا باصحاب

فيما بينهم ليهم لعنا والله يمتحن ويجعل من يشاء من عباده على تعذيب من يشاء والله اعلم وقوله تعالى
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فالاشكال علينا ان النسيان معفو معفو بدعاء صاحب الشرع صلى
الله عليه وسلم كما احتج تعالى بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فكيف يؤاخذهم بذلك فيقول هذا
النسيان الذي فيهم ليس نسيان غفلة وسهو لانه لا كلفة تلزم في حال النسيان السهو والغفلة ثم هو يخرج
على وجهين احدهما نسيان تضييع وتركه تصديق الرسل بما اوعدهم به وتكذيبهم وترك ما في الحجج والايات
كذلك والله اعلم والثاني نسيتم اي جعلتم ذلك كالمنسي لم يكترثوا بالله ولا عبأوا كذلك يخرج قوله انا نسيناكم
على وجهين احدهما اي نجعلكم كالمنسي من رحمته وفضله لا يكترث اليكم ولا يعبأ بكم كما جعلتم انتم اياته
وحججه وما دعوهم اليه كالمنسي للمتروك الذي لا يكترث اليه والثاني انا نسيناكم اي نجزيكم جزاء نسيانكم
وتضييعكم ويجوز تسمية الجزاء باسم اصله تعاوله وان لم يكن النسيان في الحقيقة ما ذكر من التسمية مثل
ما سمي جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن في الحقيقة اعتداء ولا سيئة فمثل ذلك
والله اعلم وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون في معتقد
المذهب الخلود والابد اي كل دين ومذهب بما تعتقدون وتختارونه للابد فعلى ذلك جعل تعذيبهم وعليهم
في النار للابد فعلى ذلك جعل تعذيبهم وجعل في النار للابد واما من ارتكب المأثم والزلات من المؤمنين
فانما ارتكب عند شدة الحاجة وغلبة شهوة لا لاعتقاد ركابه لا للابد فلذلك افترقا والله اعلم وقوله تعالى انما
يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون قوله عز وجل انما
يؤمن باياتنا انما يحقق الايمان بالله تعالى وباياته الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا ثم قوله خروا سجدا يحتمل
وجهين احدهما حقيقة السجود عند تلاوة الايات التي فيها ذكر السجود والثاني يحتمل ان يكون ذكر الخرور
والسجود كناية عن الخضوع له والانقياد والاستسلام والقبول له كما يجعل حقيقة السجود عند تذكر
الايات لهم وتلاوته عليهم اذا القبول لها والاستسلام لتحقق حقيقة الايمان والاستكبار عن ذلك
من اهل الكفر من عنده الاوثان تعزهم الا وهو يدعي الايمان بالله تعالى واياته ويزعم ان الذي هو عليه هو الايمان
به وان المؤمن بالحرم الامر انه كيف اخبر عنهم بقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا
بها كانوا يدعون في جميع ما يفعلون ان الله تعالى امرهم بذلك على انهم مؤمنون به مؤتمرون بامره فاخبر تعالى
امرهم بذلك وانهم مؤمنون به مؤتمرون بامره فاخبر تعالى انما يحقق الايمان بالله تعالى وباياته الذين
اذا ذكروا بها خروا سجدا الآية اولئك الذين يدعون ذلك ليسوا هم كذلك وقوله وسبحوا بحمد ربهم التسبيح
هو تنزيه الرب جل جلاله عن جميع ما قالت الملحدة فيه ونسبوا اليه ما لا يليق به وقوله سبحوا بحمد ربهم
اي ذكروا محاسنه ومحامده ونزهوه وبرأوه عن جميع ما وصفه اولئك ونسبوا اليه هذا والله اعلم
هو التسبيح بحمده قوله عز وجل وهم لا يستكبرون على رسله لما كان الاتراف فيهم اهل الرسالة كانوا
مستكبرين على من يدعوهم الى الله تعالى ولا يحسبونهم كذلك والله اعلم وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الآية نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم ثم اختلفت الروايات عنه ذكر في بعضها انها نزلت في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يعملون بالنهار واذا جن عليهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء فناموا فلما نزلت هذه الآية صلوا بين
من ذلك وذكر عنهم في بعض الروايات ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون ما بين المغرب
والعشاء في النوافل فنزلت الآية فيهم فان كانت الرواية هي الاولى يكون نزول الآية على النهي والتوبيخ
لذلك الفعل وان كانت الرواية هي الثانية يخرج نزول الآية مخرج المدح لهم والثناء الحسن والله اعلم بذلك
ثم اختلف اهل التأويل في تأويلها قال بعضهم هو التيقظ والصلاة فيما بين المغرب والعشاء الآخرة
وقال بعضهم هو التجافي عن المضاجع لصلاة العشاء والفجر يصليهما ومنهم من يقول تتجافى جنوبهم ذكر
كلما استيقظوا ذكروا الله تعالى اما في صلاة واما قياما واما قعودا لا يزالون يذكرون الله تعالى ومنهم
من يقول تتجافى جنوبهم عن المضاجع قيام الليل والصلاة فيه وبه قال الحسن وهو اشبه التأويلات
لانه قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وانما يكون ذا لوقت الذي يضطجع فيه وبه يقع الاستراحة والبناء
لانه وقت الغفلة والنوم فيما سائر الاوقات ليس كذلك والذي يدل هذا ما روي عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله
اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه
تعبد الله تعالى ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال

الا ادلك

الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم
عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله
ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فاخذ بلسانه قال تكف عليك هذا
قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به قال ثكلتك امك وهل يكب الناس على وجوههم في النار
الا حصائد السنتهم وقال ابو عوسجة تتجافى جنوبهم [illegible] الارض يقال تجافى جنبه [illegible]
[illegible] وقال القتبي تتجافى [illegible] وقوله تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا [illegible]
[illegible]
والتجاوز وهكذا اعمال المؤمن بين الخوف والطمع [illegible]
[illegible] وقد ذكر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] فاذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة واذا امنني في الدنيا اخفته يوم
القيامة [illegible] وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون [illegible]
ويحتمل [illegible] وقوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال [illegible]
تتجافى جنوبهم عن المضاجع [illegible] ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الآية وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال ربكم اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا عمل النفس انها لا تعمل الا امثال ما احست
وعاينت وشاهدت فاما العقل فانه ليس جائزا ان تعلم وتخطر ما لم تعاين ولم يروا مثلا الا والله اعلم الآية على
المعتزلة لانهم يدعون ربهم امنا واياسا الا على الخوف والطمع على ما ذكر الله تعالى لانهم لا يخلو اما ان يكونوا
اصحاب الصغائر او اصحاب الكبائر فان كانوا اصحاب الصغائر فكانهم امنون على قولهم لانه لا يسع له ان
يعذب على الصغائر وان لا يغفرها الا ثما واجب المغفرة عندهم بحيث لو لم يغفر ظالما وان كانوا اصحاب
الكبائر فهم ايسوا من رحمة الله اذ لا يسعه ان يغفر لهم على قولهم بل يجب عليه في الحكمة ان يخلده في النار
فيكون قولهم هذا مخالفا لظاهر الآية وانما الموعود وقوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
قال اهل التأويل نزلت في شأن علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط كان بينهما سب
على كلام وتنازع حتى قال الوليد لعلي رضي الله عنه انه فاسق وانا مؤمن فنزلت هذه الآية في ذلك لكن الآية
عندنا في جميع المؤمنين والفاسقين يخبر الله تعالى انه ليس بين المؤمنين والفاسقين استواء ويحتمل انه
نزل هذا القول لهم جدالا كانهم اولئك الكفرة الفسقة للمؤمنين ان منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا وقدركم
في الآخرة عند الله سواء فنزلت هذه الآية لذلك انهما ليسوا استواء وبين منزلة المؤمن عند الله وقدره وما ذكر
من الثواب والكرامة ومنزلة الفاسق وما ذكر من الخلود في النار ابدا والله اعلم وهو كقوله عز وجل ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون
ويحتمل انه ذكر على الابتداء يخبر انكم تزعمون في عقولكم ان ليس المؤمن المصدق في الشاهد في المنزلة
والقدر عنده كالخارج من امره وكالمكذب له كيف تطمعون الاستواء عند الله تعالى وانتم الكفرة
الخارجون عن امر الله تعالى واولئك الصادقون له والله اعلم واحتج الخوارج والمعتزلة بهذه الآية وقالوا
ان لو كان الفاسق مؤمنا على ما تقولون لم يكن لما ذكر معنى فانه ذكر انهما لا يستويان على الاطلاق
وان المؤمن مأواه الجنة خالدا فيها والفاسق مأواه النار خالدا فيها والفاسق مقامه في
النار خالدا فيها على ما ذكر ولكنا نقول لا اختلاف بيننا وبينكم ان الفاسق المذكور في الآية ليس بمؤمن
وانه لا يستوي المؤمن لانه ذكر الفسق مقابل الايمان ولانه قال في آخر الآية ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون ذكر التكذيب والتكذيب مقابل الايمان والتصديق وكل فسق كان مذكورا مقابل
الايمان يراد به الكفر والتكذيب وبه نقول ان هذا الفاسق لا يساوي المؤمن لكن المراد به الكافر
لكن ما قلتم فسقا ذكر مقابل الايمان لكن مقابل خير من بعض ما المساوي يكون هذا الوعيد المطلق
الذي ذكر في هذه الآية الا ترى ان الفسق المذكور مقابل الايمان كفر وقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات
الآية وكقوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء الآية فعلى ذلك الفسق

المذكور مقابل الايمان تعالى ان يقع بينهما استواء وهو ان يغفر له ذنبه ويكفر عنه سيئاته ويدخله جنته
قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال اولئك الذين يتقبل عنهم
احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم هو في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء تجاوز عنه والله الموفق
للصواب واحتج اصحاب الحديث بهذه الاية على ان جميع الطاعات من الايمان لانه قال افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون ثم ذلك ثم فسر المؤمن فقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
نزلا بما كانوا يعملون وعدلهم الجنات بالايمان والعمل الصالح فقال لهم انا لو وعدنا المطلق لمن آمن وعمل الصالحات
فاما من آمن ولم يعمل الصالحات لا نقول بان له هذا الوعد المطلق ولكن له الوعد الذي ذكرنا على ان في هذه
الاية دلالة على ان المؤمن قد يعمل غير الصالحات فانه قال فاما الذين فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
وكذلك في اية اخرى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ولو لم يكن من المؤمن غير العمل الصالح لم يكن لشرط
العمل الصالح له معنى فدل ان العمل الصالح ليس من نفس الايمان وهذا الفصل حجة على المعتزلة والخوارج
ايضا وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اختلف في العذاب الادنى قال
بعضهم هو القتل يوم بدر ومنهم من يقول هو الجوع في السنين التي كانت طرفيها والضيق والشدة
ومنهم من يقول هي المصائب التي تصيبهم وامثال ذلك كثير ولكنا نقول ان العذاب الاكبر هو عذاب
الكفر يكون في الاخرة دائما ابدا لا زوال له ولا انقطاع واما عذاب الدنيا هو عذاب عنادهم وعنادهم
وما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم يعذبون في الدنيا بها ليذكرهم ذلك العذاب الدائم في الاخرة
فيمنعهم هذا العذاب عن مباشرة ما به يستحق العذاب في الاخرة وكذلك ما اعطى لهم من كل ما له من اللذات والنعم
في الدنيا وان منقطعا ليذكرهم ذلك النعيم وتلك اللذات وهي دائمة وكذلك رغب الله تعالى خلقه في طلب
الاخرة واخبر ما لهم فيها من اللذات كما في غير اي من القران بحيث قال لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
ونحوه كثير والعذاب الاكبر هو عذاب الاخرة فهو عذاب التكذيب والكفر وقوله تعالى لعلهم يرجعون
لكي يلزمهم حجة الرجوع عما هم فيه من التكذيب لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والله اعلم وقوله تعالى
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بعد ما عرفها وعلمها اي لا احد اظلم من ذلك التذكير بما ذكرنا
انهم يذكرون ليقع لهم بها آياته ثم آياته يحتمل آيات وحدانيته وآيات الرسالة او آيات البعث او آيات
القران والله اعلم وقوله تعالى انا من المجرمين منتقمون من هم هاهنا مجرم كفر ينتقم منهم اجرام الكفر
والتكذيب وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه اختلف فيه قال بعضهم
فلا تكن في مرية من لقائه اي فلا تك في شك من ان تلقى موسى عليه السلام يوم القيمة وقال بعضهم
فلا تك في مرية من لقائه اي من لقاء موسى عليه السلام التورية قال الله تعالى الكتاب عليه اي
التورية عليه حقا فتلقيها عيانا وقال بعضهم فلا تك في مرية من لقائه ليلة اسري به وعرج به الى السماء
فقال له موسى كذا وكذا في امر الصلاة وغيرها فلا يدري ان ثبت ذلك ام لا وان ثبت فكيف كان ذلك
ام لا وان ثبت فكيف كان ذلك انه اخا موسى عليه السلام فقال انه ماذا كره او ذلك في المنام وقد يرى
الانبياء حق وكيف كان الامر والله اعلم بذلك وقوله تعالى وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال بعضهم جعلنا
موسى عليه السلام هدى لبني اسرائيل جعل الها كناية عن موسى وقال بعضهم وجعلناه الهاء راجعة الى الكتاب
الذي اتى به موسى عليه السلام هدى لبني اسرائيل وقوله هدى لبني اسرائيل يخرج على وجهين احدهما البيان
اي جعلناه بيانا لهم يبين ما لهم وما عليهم من الحقوق وما لله عليهم ايضا والله اعلم والثاني هدى يكون
اسرائيل يدعون الخلق به الى توحيد الله تعالى والوهيته والهدى اذا اضيف الى الخلق يخرج على هذين الوجهين
على البيان والدعاء واما الهدى الذي الى الله يخرج على وجوه اربعة على البيان وعلى الدعاء على ما ذكرنا ويخرج ايضا
على وجهين اخرين احدهما التوفيق والمعونة والثاني على خلق فعل الاهتداء منهم والله اعلم فان قيل
كيف خص موسى عليه السلام انه جعله هدى لبني اسرائيل وكذلك قد يكون في غيره من الانبياء عليهم
السلام وكذلك جعل في خلقة كل احد شهادة وحدانيته والوهيته فيكون كل شيء دليلا وهكذا
قيل نعم في خلقة كل احد دلالة الوحدانية وشهادة الربوبية لكن بما يدرك بالنظر والتامل واما الذي
من الرسل عليهم السلام بناء على اقامة المعجزة ابلغ في المعرفة واقرب الى الوصول الى الحق فكان تسمية
موسى عليه السلام هدى لهذا المعنى ولم يذكر هدى لتخصيصه من بين سائر الانبياء عليهم السلام لكن
لسلطان خاصيته الرسالة او الرسول هو الداعي الى الحق ويجوز ذكر الخاصية وان كان يدون الذكر يسلم كقوله
ولا طائر يطير بجناحيه يعلم انه يطير بجناحيه لما قلنا هذا مثله والله اعلم وقوله تعالى وجعلنا منهم

ائمة يهدون

ائمة يهدون بامرنا اي يهتدون بامرنا الذي امرنا اي يدعون الناس بامرنا وهو التوحيد ويحتمل يهدون اي
يبينون لهم الدعاء امرنا بما لهم وما عليهم والله اعلم وقال بعضهم لما صبروا على البلاء وعلى تعذيب فرعون
اياهم واذاه لهم ويحتمل صبروا لما امنوا ودعوا غيرهم الى ذلك على الخوف كقوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه
على خوف من فرعون وملائهم الاية وقيل بما صبروا على الطاعات وقرئ لما صبروا بالتشديد ومعناه والله
اعلم انما يهدون لما كان منهم الصبر على ذلك اي بالصبر الذي كان منهم هدى اولئك وكانوا باياتنا يوقنون
اي يعرفون حقيقتها انها من الله وانها اياته قال بعضهم لما صبروا اي لما لم يركنوا الى الدنيا ولا اشتغلوا
بها ولكن صبروا على ما امروا وكلفوا والله اعلم وقوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون
ان اهل الاديان جميعا على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم اتفقوا ان الذين الدعاء الى الله تعالى ان يدينوا
ولكن كلا منهم ادعى ان الدين الذي هو عليه دين الله تعالى وان الامر به من الله تعالى مع ما يبرهونه
وغيره على باطل من دين الله تعالى الدعاء امرنا بالديانة به وكذلك قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها فاخبر عز وجل انه يفصل بينهم يوم القيمة ان يبين الذي امرهم ان يدينوا
في الدنيا بيان الاحتجاج عليهم ولا يفقهوا ابانتهم واظهر الدين الذي امرهم ان يدينوا به بالحجج والايات
ويعرضوا ذلك لكنهم كابروا وعاندوا وكتموا ذلك ولبسوا على الاتباع فتبين ما كتموا في الدنيا ولبسوا
في الاخرة ليظهر عنادهم ومكابرتهم احتجاجا عليهم وان كان الحق قد بان لهم وظهر في الدنيا هذا
والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون الى
يمشون ويمرون في مساكنهم يقول للذين لاهل مكة ولم يكفهم من الهداية ما اهلكنا من قبلهم من القرون
يمشون في مساكنهم ويخبرونهم بما حل بهم ومن اهلك ومن نجا منهم يقع الاعتبار لهم بذكر وجهين
احدهما ما عن اباءهم على ما هم عليه وانهم يقلدون في ذلك وانهم امروا بذلك فيخبر الله تعالى اهلهم ولا من
اهلكوا الا انهم استوصلوا فلا يحتمل ان يكونوا الا وقد استوصلوا فدل انهم ولا دين نجا منهم نجا بما كان منهم
المصدق لا المكذب فيخبر هلكا اتبعتم اباكم الذين نجوا منكم هم المصدقون دون الذين اهلكوا بالتكذيب
ولعنادنا الله والله اعلم والثاني ان يعتبروا ويعلموا ان هلاكهم واستيصالهم كان للتكذيب وللعناد على الرسل
والخلاف فيمنعهم ما حل بهم بسبب التكذيب والخلاف للرسل عليهم السلام من تكذيبه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومخالفتهم اياه والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لايات افلا يسمعون قال بعضهم افلا يبصرون
ذلك حيث يمشون في مساكن اولئك يمرون فيها على جعل السمع عبارة عن الابصار لمناسبة بينهما وقال
بعضهم افلا يسمعون ما يحدث لهم عن اولئك ما حل بهم لم يترك ذلك بهم على حقيقة السماع وقال بعضهم
افلا يسمعون اي افلا يعقلون لماذا اهلكوا واستوصلوا فيمتنعون عن ذلك كناية السمع عن العقل وقال
بعضهم افلا يسمعون الوعيد الذي اوعد لهم وقيل افلا يسمعون التوحيد والله اعلم وقوله تعالى اولم يروا
انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون هذه الاية ذكرت
في الاحتجاج عليهم لانكار البعث والاية الاولى ذكرت لانكارهم نزول العذاب لهم بالتكذيب والخلاف
للرسل عليهم السلام فيخبر ان من قدر على سوق الماء الى الارض اليابسة الميتة واحيائها القادر على احيائكم
بعد الموت اذ لا يحتمل المقت في احياء الارض الميتة اليابسة اذ لم يكن اكبر فلا يكون دون ما انكروا
من احياء الموتى فكيف انكرتم القدرة على الاحياء بعد الموت وقد عاينتم ما هو اكبر او مثله قال ابو عوسجة
الارض الجرز هي الارض التي لا تنبت فيها وارضون اجراز وارض جرز وكذلك قال القتبي الارض الجرز
اليابسة التي لا ينبت فيها وارض اجرز جماعة ويقال سنون اجراز اذا كانت سنين جدب وقال بعضهم الارض
الجرز هي التي تاكل نباتها اي تحرق ولشدة يبوستها يقال امراة جرز اذا كانت اكولا وقوله تاكل منه انعامهم وانفسهم
اي ياكل من الرزق الذي ذكره يخرج من الارض اليابسة بالماء انعامهم وانفسهم وقوله افلا يبصرون
قدرته على اخراج ما ذكر مما فيه غذاءكم وغذاء ما سخر لكم من الانعام ويحتمل ان يكون نعمه يقول افلا يبصرون
نعمه فكيف يكفرونه وتعبدون غيره وتصرفون الشكر الى غيره والله اعلم وذكر عن عمر رضي الله عنه انه قال الارض
الجرز التي لا نبات فيها وقوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال بعضهم ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون ويحدثون ان لنا يوما اوشك ان نستريح فيه ونتنعم فيه يعنون يوم
القيمة فقال الكفار مكة متى هذا الفتح وهو القضاء ان كنتم صادقين فان كان هو البعث والقيامة حقا
صدقنا يومئذ وآمنا فانزل الله تعالى ان قل لهم يا محمد يوم الفتح يوم القضاء لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
بالبعث كقوله لو كان البعث يقولون حقا صدقناه يومئذ وقوله ولا هم ينظرون يقول لا يتاخرهم العذاب.

حتى يعبد بعد والله أعلم وقال بعضهم إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتذاكرون وهم بمكة فتح مكة لهم وكان الآيسون من أهل مكة إذا سمعوا ذلك منهم هزؤا بهم وسخروا ويقولون لهم متى الذي تزعمون فنزل قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين إنما يفتح عليكم لكن هذا بعيد لأنه يقول على أثره قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ولو كان المراد فتح مكة لكان ينفعهم إيمانهم ولهم نظرة وانتظار وكان لبعضهم إلى فتح مكة والأول أشبه لما ذكر من ترك قبول الإيمان والانتظار في الدنيا بعد ذلك كله فظهر أن الأول أشبه كان السؤال عن الساعة أو المحاكمة إلا أن يثبت ما ذكر في الخبر أنه لما فتح الله مكة أقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ثلاثا وانهزم المشركون فخرجوا من مكة فأقام من قام بها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد تلك الليلة رجلا في سبع مائة رجل ومعه أبو قتادة الأنصاري فأسرهم فاشتغل بمكة حتى سقطوا من وراء الحرم فجمعوا الذين كانوا يهزؤن بأصحاب النبي صلى الله عليه ويقولون متى فتحكم هذا فوق جبل قد تحصنوا فيه فلما رأوا خالد بن الوليد وكان أخاه وقد كان بينه وبينهم أخوة في الجاهلية فقال لهم خالد ما لكم قالوا قد أسلمنا قال إن كنتم قد أسلمتم فانزلوا فنظر بعضهم إلى بعض فقال رجل منهم أطيعوني ولا تنزلوا إليه فوالله لئن نزلتم إليه ليقتلنكم أسلحة الله خالد قالوا والله ما علينا من سبيل ثم نزلوا ووضع خالد عليهم السلاح وأعان أبو قتادة فقال أبو قتادة إن الله أمننا على شيء مما فعلنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالدية من قبل حنين فوداهم الدية حتى بعث إليهم بدية الخيل حتى فداهم وميلغة الكلاب كانوا أكثروها فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء فذلك قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون كأنه والله أعلم أنه يوم فتح مكة أولئك الذين هزؤا بإيمانهم حقيقة عن حقيقة القتل حتى وضع خالد فيهم السيف ينظروه يوم فأعرض عنهم إلى ذلك اليوم وانتظر فتح مكة إنهم منتظرون الهلاك ويحتمل قوله فأعرض عنهم أي لا تكافئهم لأذاهم بالسيف وانتظر مكافأتهم بنبإ أيامهم إنهم منتظرون ذلك والله أعلم بالصواب وإليه المرجع

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين جائز أن يكون ظاهر الخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو للناس عاما ألا ترى أنه قال على أثره واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا خاطب بالجماعة وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير آي من القرآن والمراد غيره فعلى ذلك يحتمل أن يكون هذا كذلك والله أعلم ويحتمل أن يكون المراد هو خاصة لكن إن كان ما خاطب به لا ابتغاء في الشرك وطاعة الكفرة وأهل النفاق وقيل أي يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين في أن تشرك به غيره ولا تطع الكافرين في أن تشرك به غيره ولا تطع الكافرين والمنافقين ونحو ذلك يدخل في ذلك الخطاب غيره من الناس وفي ذلك النهي لأن هذا الحكم يحتمل العموم وإن كان الأمر وقع الخطاب به بالنبي صلى الله عليه وسلم من نحو تبليغ الرسالة وما يضمنه الرسالة وإن خاف على نفسه القتل والهلاك في التبليغ وتفصيل ما يضمن الرسالة فإن كان ذلك عليه خاصة لا يدخل غيره في الخطاب والنهي كأنه خاطبه اتق الله في تبليغ الرسالة وإن خفت على نفسك الهلاك والقتل ولا تطع الكافرين فيما يأمرونك ويطلبون منك جهلا منهم وهو كقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس الآية وقد اختلف أهل التأويل في سبب نزول الآية في نفر من أهل مكة أبي سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبي جهل وأبي الأعور السلمي وغيرهم قدموا على عبد الله بن أبي ابن المنافق بعد ما قبل أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يكلموه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر اللات والعزى ومناة وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين وفيهم ودع أذاهم وتوكل على الله وفي بعض الروايات قال ذلك وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني قد أعطيتهم الأمان فخان كأنه على هذا فالنهي عن نقض العهد والأمان أي اتق الله في نقض العهد وإن كان على الرواية المعروفة فالنهي بقوله اتق الله ولا تطع الكافرين أي لا تتبع ما طلبوا منه من رفض الحق والعبادة لها وقال بعضهم إن أهل مكة نحو شيبة بن ربيعة وغيرهم قالوا إنا نعطيك يا محمد كذا وكذا من المال وتزوجك فلانة كذا كثيرة

المكر فارفضنا آلهتنا ولا نقتلك [illegible] فلان وفلان وفلان وعدد ما فيهم أمر فأنزل الله هذه الآية بالنهي عن اتباع ما طلبوا منه ودعوه إليه والأمر بالتوكل على الله في تبليغ الرسالة والله أعلم بذلك وأصله ما ذكرنا أن النهي كان له خاصة في تبليغ الرسالة لما أنهم ما طلبوا منه ودعوه إليه فهو وإن كان معصوما فإن ذلك لا يمنع عن النهي والأمر [illegible] وقوله إن الله كان عليما حكيما أي عليما بما كان يكون منهم [illegible]

[illegible]

عنك وهو كقوله بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس والله أعلم وقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال بعض أهل التأويل إنها نزلت في رجل يقال له ابن معمر وكان أحفظ الناس وأوعاهم فقالوا إن له قلبين قلب يسمع وقلب يحفظ فنزل قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ردا لقولهم وقال بعضهم كذلك نزلت في أبي معمر وكان يسمى ذا القلبين يحفظ الحديث حتى إذا كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم أبو معمر فلقيه أبو سفيان بن حرب وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما فعل الناس قال هزموا قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك قال ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقد قيل هذا ولكن لا ندري أهو ثابت أم لا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوما فخطر خطرة أو وقع في قلبه فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترى أن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فنزلت هذه الآية ويحتمل أن يكون سبب نزولها قول المنافقين ذلك لما ذكر أنهم كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم ويرونه الموافقة لهم من أنفسهم ويقولون نشهد إنك لرسول الله ثم يرجعون إلى أوليائهم الكفرة فيقولون إنا معكم إنما نحن مستهزئون ونحو ذلك فنزل هذا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الإيمان والنفاق وقلبين في جوفه الإيمان قلبا للهدى وقلبا للأخرى ويحتمل نزلت في المشركين الذين يقرون بالوحدانية لله تعالى هو الخالق كقوله ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وكانوا يعبدون الأصنام معه فكأنه يقول والله أعلم لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه قلبا للشرك وقلبا للإيمان والتوحيد لكن جعل له قلبا واحدا لأحدهما دين والله أعلم قال الحسن وكان الرجل يقول إن نفسا تأمرني بكذا ونفسا تأمرني بكذا فنزلت الآية ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ويحتمل أن يكون سببه ذلك ما ذكر من ادعاء مسيلمة الكذاب الرسالة بعده وتواطئ أصحابه على ذلك يقول الله تعالى وهو أعلم ما جعل الله أن يرسل رسولين إلى خلقه مختلفي الدين متضادين في الشرائع يدعو كل إلى دين غير دين الآخر وإلى شريعة تضاد بعضها بعضا محمد ومسيلمة الكذاب والله أعلم وروي عن مجاهد أن رجلا من بني فهر قال إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية ردا عليه وحكي عن الشافعي أنه حكى عن بعض أهل التأويل أنه يريد ما جعل الله لرجل من أبوين في الإسلام يحتج علينا في إثبات النسب من أبوين ورجلين ادعياه فيقال مشترك لكن هذا استدلال غير محتمل له لغة لأن القلب لا يعبر به عن الأب لا مجازا ولا حقيقة ولا ذلك اسم له في الشرع فصرف اللفظ إليه لا يكون تأويلا والله أعلم وقال بعضهم هذا على التمثيل أنه كما لم يجعل لرجل واحد قلبان فكذلك لا يكون للمرأة المظاهر منها أما للمظاهر في الحرمة ولا يكون دعي الرجل ابنه ذلك قوله وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم الآية هذا ذهب عامة أهل التأويل أن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة كان النبي صلى الله عليه وسلم تبناه وكان يسمونه زيد بن محمد فجاء النهي عن ذلك وقال بعض أهل التأويل في قوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم أي الرجل الواحد أيعني ينسب إليهما حقيقة وأصله عندنا أن قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما ذكرنا وقوله

وما جعل أزواجكم اللائي تظهرون منهن أمهاتكم أي لم يجعل أزواجكم اللاتي تستمتعون بهن بالتشبيه بالأمهات
كالأمهات أي لم يجعل لكم ذلك ولم يبح ولم يشرع وما جعل أدعياءكم أبناءكم أي لم يجعل بسبب ذلك ولم يشرع
وإن كان قد يكون في النسب الفاسد نحو جارية بين اثنين إذا ولدت ولدًا فادعياه جميعًا ونحو النكاح الفاسد
فإن ذلك الفاسد لم يجعل كذا أي لم يجعل ولم يشرع وهو كقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة أي لم يشرع ولم يجعل
ذلك وإن كان يكون لو فعلوا فعلى ذلك لأن الأمر الحسي لا مرد له لكن موصوف بالفساد والقبح فعلى ذلك قوله
وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم أي لم يشرع ذلك النسب ولم يجعل
ذلك في الإسلام ما كان في الجاهلية لأنه لا يكون في ذلك إلا الشرع في الفاسد من النسب والله أعلم فإن قيل ما
الحكمة في أنه لم يجعل للواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين قيل لأن الإدراك بالسمع والبصر بطريق المشاهدة
والعيان فيخرج كل واحد منهما على المعاونة لصاحبه وأما الإدراك بالقلب يكون بالاجتهاد وقد يختلف القلبان
فيما يجتهدان فيدخل في شيء فيناقض أحدهما صاحبه ويجوز أن يرى أحدهما ما لا يرى الآخر بخلاف السمعين والبصرين
والله أعلم ثم قوله وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم يحتمل هذا وجهين أحدهما على النهي الذي
ذكرنا أي لا تشبهوا أزواجكم بظهور الأمهات ولا تحرموهن على أنفسكم كتحريم الأمهات لأنه تعالى قال وإنهم ليقولون
منكرًا من القول وزورًا والثاني أنه لم يجعل أزواجكم حرامًا أبدًا كالأمهات وإن جعلتموهن أنتم ولكن جعلهن لكم
بحيث يصلون هم بالاستمتاع على ما يصلون إليهن وتستمتعون بهن بعد هذا القول بكفارة على ما تقدم (?)
يتأدى بشكر ما أبقى لهم الاستمتاع بهن بعد هذا ولم يجعلهن كالأمهات على ما ذكرنا والله أعلم قوله تعالى
وما جعل أدعياءكم أبناءكم أي ما جعل أدعياءكم أبناءكم في حقوق النسب إلى الآباء وهم ما ذكر في بعض القصة أنهم
كانوا إذا ادعى الرجل منهم رجلًا كوّنه مع أولاده فهو شيء كانوا يفعلونه في الجاهلية دعي إليه ونسب يعولون (?)
ما جعل يدعون الأبناء في الجاهلية للعون والنصر أبناءكم في الإسلام فيما جعلوا والله أعلم والثاني ما جعل أدعياءكم
أبناءكم في حق النسب أنهم كانوا يسمون زيد بن حارثة زيد بن محمد والله أعلم قال أبو عوسجة الدعي هو
الذي يدعى ابنًا وليس بابن والادعاء أن يكون الرجل نفى ولده ولم يقبله ثم ادعاه من بعد ذلك هذا كلام … (?)
أنه قال تعالى ولهم فيها ما يدعون أي ما يتمنون ويشتهون … فيما ادعينا أي وجدنا كل ما اشتهينا
وقال القتبي أدعياءكم من تتبنونه واتخذتموه ولدًا تقولون ما جعلهم بمنزلة ولد الصلب كانوا يورثون من ادعوا
ولدًا والله أعلم قوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم أي إنما هو قول تقولونه بألسنتكم فيما بينكم قوله تعالى والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل فالله يقول الحق أنهم ليسوا بأبنائكم وقال القتبي أي قولكم على التشبيه والمجاز
ليس على التحقيق والله يقول الحق ويحتمل أن تأويل قوله والله يقول الحق ما قال ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله
أي أعدل عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وقال بعض أهل التأويل فانسبوهم إلى أبيهم من
أسماء مواليكم وإخوانكم وبني عمكم مثل عبد الله وعبد الرحمن وأشباه هذه الأسماء أي قولوا فلان بن عبد الله
وفلان ويحتمل أن يكون قوله فإخوانكم في الدين أي سموهم إخواننا ومواليكم أبناء العم وذلك تعظيم في الحق (?)
وأخذ من الأنا الآباء وذلك أن الحاجة إلى معرفة الآباء والنسبة إليهم مما يكون عند الكتابة والشهادة عند
الغيبة فأما عند الحضرة فلا وهو كقوله إنما المؤمنون إخوة وقيل في قوله عز وجل ومواليكم نزلت في شأن
زيد بن حارثة وهو ما كان من مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمونه زيد بن محمد فنهوا عن ذلك فيقول الله
فإن لم تعلموا آباءهم فانسبوهم إلى مواليهم ويحتمل أن يكون قوله ومواليكم من الولاية كقوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم أولياء بعض قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول والله أعلم ليس عليكم جناح بالنسبة
إلى غير الآباء إذا كنتم مخطئين وإلغاء الجناح والحرج عليكم إذا كنتم عامدين لذلك قاصدين بهم ما كان من الإباحة
التبني والتآخي فيما بينهم ولم يبح النسبة إلى غير الآباء وإبقاء الحقوق فيما بينهم والله أعلم وكذلك روي في
بعض الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته
وأهله وكان الزبير أخا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فمكثوا في ذلك ما شاء الله أن يمكثوا حتى نزلت الآية
وقال بعضهم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول إذا دعوتم الرجل لغير أبيه وأنتم ترون أنه كذلك ولكن ما
تعمدت قلوبكم أن لا يدعوه لغير أبيه متعمدًا فأما الخطأ فإن الله يقول لا يؤاخذكم به وهو منه الأول وذكر
عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلًا يقول اللهم اغفر لي خطاياي فقال له عمر استغفر للعمد فأما الخطأ فيتجاوز لك
وكان يقول ما أخاف عليكم الخطأ ولكن أخاف عليكم العمد وما أخاف عليكم أن تزدروا أعمالكم ولكن أخاف
عليكم أن تكثروها وذكر أن ثلاثًا لا يملك عليها أبدًا الخطأ والنسيان والاستكراه وكذلك ذكر عن ابن
مسعود رضي الله عنه أنه قال ذلك والله أعلم وقال بعضهم الخطأ ههنا هو ما جرى على اللسان من غير قصد والعمد

ماتريدي

ما جرى على قصد وهو ما ذكرنا قوله تعالى وكان الله غفورًا رحيمًا أي غفورًا لما فعلوا قوله تعالى النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم قال بعضهم النبي أولى بهم من بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم أي لا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل
بعضكم بعضًا ليس أنه يقتل الرجل نفسه فعلى ذلك قوله النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي بعضهم من بعض
ثم يحتمل قوله أولى بهم من أنفسهم وجهين في الطاعة والاحترام والتعظيم أي هو أولى أن يعظم ويحترم ويطاع من غيره
ويحتمل أن يكون أولى بهم في الشفقة والرحمة أي أرحم بهم وأشفق من أنفسهم وهو على ما وصفه الله تعالى بالرحمة
والرأفة حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وليس أحد من الناس يعز عليه ما يفعله
من المآثم ويحتمل أولى بهم أي أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم محبة الاختيار لأن الإنسان ليس يحب إلا بالقلب
والطبع وقد ذكر في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بمؤمن حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله
أو كلام نحو هذا ويحتمل أن يكون أولى بهم في الآخرة بالشفاعة لهم فينجون من النار لا بأعمالهم والله أعلم وذكر في بعض
الحروف النبي أولى بالمؤمنين وهو أب لهم في الرحمة والشفقة لو فيما يلزم من الطاعة والتعظيم والاحترام ونحوه
والله أعلم قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم قال أهل التأويل وأزواجه أمهاتهم في الحرمة أي لا يحل لهم أن يتزوجوهن
أبدًا كالأمهات ولكن يجب أن يكون ذلك كذلك بعد وفاته عليه السلام فأما في حال حياته إذا طلقهن يجب أن يحللن
لغيره لأنه قال يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلًا
ولو لم يحل لغيره لم يكن لما ذكر من التسريح معنى وفائدة إذ بقيت حرامًا على غيره فدل أن المراد هذه الحرمة بعد الموت
وهو ما قال تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا إنما شرط هذه بعده لكن أزواجه في الآخرة ويحتمل أن
قوله وأزواجه أمهاتهم في حرمة أزواجه وفي منزلتهن كحرمة أمهاتهم ليستوجبن ذلك بحرمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومنزلته قبلهم والبطانة تقول لو كان في قوله وأزواجه أمهاتهم أراد به دلالة فإذ لا دلالة لا تكون حقيقة
أن أزواجه لا يرى أنه يحل للناس نكاح أولادهن ولو كن أمهات لم يحل لأنهن يصرن أخوات فإذا دل ذلك دل
أن المراد ما ذكرنا لكن الجواب ما ذكرنا أنه جائز أن يشار إليهن في منزلتهن وحرمتهن ومنزلة الأمهات الحرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنزلته وهو كما ذكر الشهداء أحياء عنده وإن كانوا في الحقيقة موتى لفضل الكرامة لهم
والمنزلة عند الله تعالى فعلى ذلك ذكر الأمهات لأزواجه والله أعلم قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض
في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين قوله في كتاب الله قال بعضهم في حكم الله كقوله كتاب الله عليكم
أي حكم الله عليكم وقال بعضهم في كتاب الله أي فيما أنزل من كتاب الله وهو الذي ذكر على أثره وهو كقوله كتب
عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين الآية والله أعلم ثم اختلف في تأويل قوله وأولوا الأرحام
بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين قال بعضهم إن المواريث في بدء الإسلام لم تكن تجري
إلا فيما بين المؤمنين المهاجرين في القرابات والأرحام فإن كان مؤمنًا لم يهاجر لم يرث ابنه ولا أباه ولا أخاه
المهاجر ولا سائر قرابته إذا مات أحدهما إلا أن يكونا مؤمنين مهاجرين فعند ذلك يتوارثون وعلى هذا التأويل
يكون قوله إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا وذلك أولياءكم الذين لم يهاجروا من المؤمنين أن تصلوا إليهم بوصية (?)
قالوا هذا أن هذا نسخ بالآية التي ذكر في الأنفال وهو قوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
الله ولم يذكر فيه الهجرة فصار الشرط هو الإسلام دون الهجرة فورث المسلم من المسلم فأما الكافر فإنه لا يرث المسلم
على ذلك روي في الخبر أنه قال لا يرث المسلم الكافر المسلم وقال لا يتوارث أهل ملتين وقال بعضهم وأولوا الأرحام
بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين في الأقربين منهما أي أولوا الأرحام من المؤمنين
والمهاجرين الأقرب فالأقرب منهم بعضهم أولى ببعض من الأبعدين في الميراث وعلى هذا التأويل قوله إلا
أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا أراد بالأولياء الأبعدين أجاز الوصية والمعروف إلى الأبعدين خصاصة للحوق (?)
القرابات الأدنى فالأدنى من المؤمنين دون الأبعدين فتكون الآية في الأنفال وهذه سواء على هذا التأويل
قال بعضهم الآية نزلت ناسخة لما كان بينهم من التوارث بالمؤاخاة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي
بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته حتى نسخ بالآية التي ذكر والله أعلم وعلى هذا
قوله إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا هو أن يضيفوا إلى الذين آخى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم معروفًا
والله أعلم ثم اختلفوا في أولي الأرحام المذكورين في الآية قال بعضهم هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله عز وجل
يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين إلى آخر ما ذكر والله أعلم وقال بعضهم ليسوا هم إنما الذين
ذكروا في تلك الآية هم الذين بين لهم حدود مواريثهم ومقاديرها فأما غيرهم فإنما هي في قوله وأولوا الأرحام
بعضهم أولى ببعض فيما يرث الأقرب فالأقرب منهم وكذلك قال أبو حنيفة رحمه الله إن أولي الأرحام يرث
الأقرب فالأقرب منهم وليس كالعصبات إلا البنت لأنها أقرب من العم ثم تكون النصف للبنت والبقية

لابن العم وقوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا • قال بعضهم اي في اللوح المحفوظ ان المؤمنين بعضهم اولى ببعض
في الوارثين من الذين كانوا يتوارثون وقال بعضهم اي في التوراة كان مكتوبا ان يصنع بنو اسرائيل الى بني لاوي بن
يعقوب معروفا وليعود الغني على الفقير والله اعلم وقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم • والاشكال انه لم خص هؤلاء بالذكر مع انهم تدخلوا تحت عموم قوله من النبيين
فنقول لان اهل الشرع من الرسل هؤلاء يعني بذلك انهم اصحاب الشريعة كقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
الاية لكنه ذكر في اية اخرى ما يدل على انه كان غير هؤلاء شرع ايضا كقوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده الاية الا ان يقال اراد بهذا ان هؤلاء اصحاب الشريعة بحيث لم يكونوا اتباعا لغيرهم
فاما غيرهم يتبعون نبيهم في الشرائع وقد يزيد في حقهم بعض الشرائع وقد يزيد في حقهم بعض الشرائع وقد ينسخ البعض
والله اعلم ويحتمل ان يكون خص هؤلاء باخذ الميثاق لانهم اولوا العزم من الرسل حيث قال فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل ويحتمل ان يكون ذكر هؤلاء لا على التخصيص ولكن على التاكيد تفسيرا للجملة كقوله في اهل
قرية كذا فلان وفلان والمراد بالكل وكذا هذا وقوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا • اختلف في اخذ
الميثاق قال بعضهم اخذ ميثاقهم على ان يبشر بعضهم ببعض بشر نوح بابرهيم وابرهيم بموسى وموسى بعيسى وعيسى
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم اخذ ميثاقهم ان يصدق بعضهم بعضا وان يدعوا الى عبادة الله كما
وان ينصحوا لقومهم ويحتمل ان يكون ما ذكر من اخذ الميثاق منهم ما ذكر على اثره ليسأل الصادقين عن صدقهم
اخذ منهم الميثاق في تبليغ الرسالة الى قومهم ليسألهم عن صدقهم انهم قد بلغوا ثم انه وصف
الميثاق بالتغليظ بقوله واخذنا منهم ميثاقا غليظا لان تبليغ الرسالة الى الفراعنة منهم واعداء الله
صعب شديد لما فيه مخاطرة هلاك النفس وفوات الروح وهو كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم • الصدق انما يقع في الاخبار وقد
كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وهو ما اخبرهم وانباهم من القرآن وغيره وقال في اية اخرى وتمت
كلمات ربك صدقا وعدلا اي صدقا في ما اخبر وعدلا في ما حكم ثم الصدق في الخبر مثل العدل في الحكم يسمى القرآن
مرة صدقا ومرة عدلا ومرة حقا فالحق يجمع الامرين الخبر والحكم جميعا والصدق يكون في الخبر خاصة
والعدل في الحكم ثم يحتمل سؤاله الصادقين وهم الرسل عليهم السلام عن صدقهم وجهين احدهما يسألهم
عن تبليغ ما امرهم بالتبليغ الى قومهم وعن انبائه او الامم من الانبياء هل انبأتم اولئك فهل بلغتم والثاني
يسألهم عن اجابة اولئك لهم هل اجابوكم الى ما دعوتم اليه لان منهم من اجابهم وصدقهم ومنهم من كذب
على التنبيه والتوبيخ وهو سؤال الفريقين جميعا الرسل عن التبليغ والمرسل اليهم عن الاجابة كقوله تعالى
فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها • كانه يقول والله اعلم اشكروا نعمة الله عليكم واحسنوا
صحبة نعمه في النصر لكم والدفع عنكم ثم الامر بذكر ما انعم عليهم يخرج على وجوه من الحكمة والدلالة احدها انه
تذكير لنا مواساة اولئك السلف والصحابة في الدين وعظيم ما امتحنوا به حتى بلغوا الدين الينا لكي لا يضيع
نحن بل يلزمنا ان نحفظه ونتمسك به ونعمل بما فيه مثل اولئك والثاني فيه دلالة على اثبات رسالته
وذلك انهم كانوا جميعا هم واعداؤهم في مكان واحد فجاءت الريح والملائكة فاهلكتهم دون المؤمنين فثبت انه
على الحق وانه رسول رب العالمين وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
والثالث يذكرهم ما اتاهم من العدو عند يأسهم من انفسهم واشرافهم على الهلاك وخروج انفسهم من
ايديهم لان العدو قد احاطوا بهم حيث قال اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم وبلغ الامر وحالهم ما ذكر حيث
قال واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ويحتمل ان يذكر لما كان نقضهم من العهد والميثاق وانه لا
الادبار ولا ينهزمون كقوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يذكر نعمه التي كانت
عليهم في النصر لهم على عدوهم والدفع عنهم بما هم ما ذكر في الاية وذلك انه كان يوم الخندق تحزبوا
على المسلمين في ثلثة امكنة يقاتلونهم من كل وجه سنة فبعث الله عليهم ريحا باردة وبعث الملائكة
فغلبتهم والله اعلم وقوله تعالى وكان الله بما تعملون بصيرا • يذكر انه لا عن غفلة وسهو ترككم هنالك حتى احاط
بكم العدو ولكن اراد ان يمتحنهم بمحنة عظيمة ويحتمل انه بصير بما عملتم فيجزيكم جزاء اعمالكم وصبركم
على ذلك والله اعلم وقوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم قال بعضهم من فوق الوادي ومن اسفل
منه وقيل اي احاطوا بهم من النواحي جميعا وجائز ان يكون ذلك كناية عن الخوف لما احاط بهم حتى خافوا
على انفسهم الهلاك وعلى ذلك يخرج قوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وروي عن ابن عباس

رضي عنهما

رضي الله عنهما انه قال هذا وصف الجبناء فقيل زاغت الابصار اي شخصت وبلغت القلوب الحناجر لشدة خوفهم
نحو اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك الاية وامثال هذه قد وصفه الله تعالى في غير اي من القرآن
بما وصف ها هنا وهذا يشبه ان يكون والله اعلم وقال بعضهم هذا وصف حال المؤمنين شخصت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر بما استبد بهم الخوف لما احاطوا بهم من فوق ومن سفل وقال ابو عوسجة والقتبي
زاغت عدلت ومالت وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ الحلقوم من الخوف والحناجر جمع حنجرة
وهو المذبح ثم يحتمل ان يكون ذلك على التمثيل لما كادت اي زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وجائز ان يكون على التحقيق وهو ان يبلغ في مكمنه الحقيقة وبلغت ما ذكر لشدة الخوف والله اعلم
وقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا • قال بعضهم ظن ناس من الجبناء فقيل ظنونا مختلفة يقولون هلك
محمد صلى الله عليه وسلم والظنون الفاسدة وكقوله عز وجل خبرا عنهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
ويحتمل ان يكون ذلك الظن من المؤمنين ظنوا ما يظنونا المقصر ولقرب ما كانت منهم نحو قوله اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقوله ان الذين تولوا منكم الى قوله ولقد
عفا الله عنهم الاية ثم قال عز وجل هنالك ابتلي المؤمنون اي بالقتال وانواع الشدائد وقوله وزلزلوا زلزالا
شديدا يقول جهدوا جهدا شديدا وقيل حركوا تحريكا شديدا وقال ابو عوسجة والقتبي وزلزلوا اي شدد عليهم
الزلزال الشدائد واصلها من التحريك وقوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض • هما واحد وهم
المنافقون ويحتمل ان يكون في المنافقين من الذين لم يصر في الخلاف واعتقدوا الكفر حقيقة واظهروا الوفاق على
الحق لهم وظهوره لوضوح الايات عن عناد ومكابرة والذين في قلوبهم مرض الذين كانوا مرتابين في ذلك لم يتبين
لهم بين الشغل فلم يعتقدوا الحق ولا الكفر قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قالها هؤلاء اهل التاويل
يعد لهم فتوح البلدان فلما احاط الكفار بالمؤمنين وضاق الامر عليهم قال المنافقون والمرتابون ما وعدنا الله
ورسوله من الفتوح الا غرورا وقوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب • الاية قيل يثرب المدينة
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال المدينة يثرب فليستغفر الله بل انما هي طابة هي طابة
قال ابو عبيدة وابو عوسجة لا مقام لكم بفتح الميم من قام اي ليس مقام تقومون فيه ولا مقام بالرفع
من الاقامة اي لا اقامة لكم قال ابو عوسجة لا مقام لكم بفتح الميم من القيام اي ليس مقام يقومون فيه
ولا مقام بالرفع من الاقامة اي لا اقامة لكم قال ابو عوسجة المقامة المجلس والمقامات جمع والمقام موضع
القدمين والمقام الموضع الذي يقام فيه ثم اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان هذا القول كان
من اهل النفاق قال بعضهم لا مقام لكم فارجعوا ثم يحتمل قوله لا مقام لكم وجهين احدهما قالوا ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا والثاني انما قالوا لا مقام لكم فارجعوا لما تحقق عندهم انهم لا يصلون الى ما كانوا
يطمعون ويأملون لانهم كانوا يخرجون رغبة في الاموال وطمعا فيها وهو ما وصفهم الله تعالى بقوله
ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وجائز ان يكون هذا القول من المؤمنين لاهل النفاق وان كان
من المؤمنين لاولئك فالوجه في ذلك ان المؤمنين بهذا القول ارادوا ان يطردوهم لعلمهم بجبنهم
لكيلا ينهزموا ويجترئ الكفار بسبب انهزامهم فيهم ثم هم همتهم الانهزام فاذا انهزموا عرفوا الغنا اذا كان ذلك من قوم
غير الغنا اذا كان ذلك من اهل النفاق بعضهم لبعض والله اعلم وقوله تعالى ويستأذن فريق منهم النبي • اي
يطلبون الاذن من النبي صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى المدينة كقوله انما يستأذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم وقوله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة • اي ان الفريق الذين استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتلوا للاستئذان فقالوا ان بيوتنا عورة قال بعض اهل التاويل
ان بيوتنا عورة اي خالية من الناس ليس فيها احد فنخاف السرقة عليها والاخذ والمكابرة ويحتمل ان
يكونوا ارادوا دخول العدو عليها اذا كانوا هم في الخندق يحتمل ان يدخل علينا لتكون بحرزنا وبيوتنا
نحو هذا فاكذبهم عز وجل بقوله وما هي بعورة بل الله يحفظها على ما وعد حتى لا يدخل عليهم ولا يخاف
ولا يصيبهم وقوله تعالى ان يريدون الا فرارا • اي ما يريدون الا فرارا من القتال وقال القتبي قولهم ان
بيوتنا عورة اي خالية واصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ فكان الرجال ستر وحفظ
للبيوت فاذا ذهبوا اعورت البيوت تقول العرب اعور منزلك اي ذهب ستره وسقط جداره واعور
الفارس اذا بدا فيه موضع للضرب بالسيف والله اعلم وقال ابو عوسجة ان بيوتنا عورة من لحقها العدو
العورة الذي كان منه وقوله تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها • اي من نواحيها والواحد قطر وقوله تعالى
ثم سئلوا الفتنة لاتوها • اي الكفر وقوله لاتوها اي لاعطوها ومن قرأ لاتوها من غير مد اراد صاروا اليها

وقوله تعالى وما تلبثوا بها الا يسيرا ، اي بالمدينة وقوله عز وجل ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا
الفتنة لاتوها هذا يحتمل وجهين احدهما اي لو دخلوا هذا يحتمل وجهين احدهما اي لو دخل الكفار على
هؤلاء المنافقين من اطراف المدينة ونواحيها ثم دعوا الى الشرك لاجابوهم وما تلبثوا بها الا يسيرا اي لم يمتنعوا
عن اجابتهم بل اجابوهم كما دعوا والله اعلم وقال بعضهم اي انهم لو كانوا في بيوتهم ويدخلوا عليهم من نواحيها ثم سئلوا
الاموال عما تحويه ايديهم لاتوها اي لاعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يخبر انه تعالى عن نفاقهم وخلافهم
في السر انهم يعطون لاوليائهم الكفرة ما يريدون من الاموال والنبي يخالفونه ولا يوافقونكم البتة
والله اعلم وقوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، الاية قال بعضهم كان ناس غابوا
عن وقعة بدر وعلموا ما اعطى الله تعالى اصحاب بدر من الفضيلة والكرامة فقالوا لان شهدنا قتالا لنقاتلن
فساق الله تعالى ذلك اليهم حتى كان ذلك في ناحية المدينة والله اعلم وقال بعضهم هذا كان من قوم عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمنى واشترط عليهم لربه ولنفسه اما لربه تعالى ان يعبدوه
ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسه ان يعزروه ويوقروه ويمنعوه وان يمنعوه مما يمنعون به انفسهم ونساءهم
واولادهم فقالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا
ذلك فذلك قوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي ليلة العقبة حتى شرط النبي صلى الله عليه وسلم
البيعة ان لا يولوا الادبار منهزمين وقوله تعالى وكان عهد الله مسئولا ، اي يسأل عن من نقض العهد
في الاخرة يعني وفي ويحتمل ان يكون قوله وكان عهد الله مسئولا اي مجزيا نقضا كان او وفي يجزى
وفاء العهد ونقضه والله اعلم وقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ، قال اهل التاويل
اذا قضي عليكم الموت او القتل فلن ينفعكم الفرار ان فررتم وقال بعضهم لن يحمل نقضا اجالكم الموت او القتل
لن ينفعكم الفرار بل ينقضي واصله انه كان المكتوب عليكم الموت او القتل لن ينفعكم الفرار عنه بل تاتونه
كقوله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لا تحاد المكتوب عليهم القتل
وان كانوا في بيوتهم لبرزوا فقتلوا وقوله تعالى واذا لا تمتعون الا قليلا ، قال بعضهم انما الدنيا قليل كلها
ويحتمل ان يكون معناه ولن ينفعكم الفرار عنه لا تمتعون الا قليلا كقوله افرايت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون الاية وقوله تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ذكر
هذا على اثر قوله لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يقول والله اعلم وان فررتم من الموت او القتل
فان الله تعالى ان اراد بكم سوءا واهلاككم لا يملك احد دفعه عنكم وان اراد بكم رحمة نجاة وحياة لا يملك
احد منعه عنكم وقد تعلمون انكم لا تجدون من دون الله وليا ينفعكم ولا نصيرا ينصركم ويمنعكم من حلول ذلك
عليكم والله اعلم وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ، قيل المعوقون المثبطون قال
ابو عوسجة المعوق المحتبس المعوق والذي يعوق غيره فيحبس واختلف اهل التاويل في المعوقين من هم
قال بعضهم هم اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بايدي ابي سفيان ومن معه
من اصحابه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة ما استبقوا منكم احدا فانا نشفق عليكم فانما انتم اخواننا
ونحن جيرانكم هلموا الينا وقال بعضهم هم المنافقون يخوف بعضهم بعضا ويمنع عن الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى قتال العدو والله اعلم وفي الاية امران احدهما دلالة على اثبات الرسالة لانهم كانوا يسرون
هذا ويخفون فيما بينهم ثم اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله عز وجل والثاني تكون
على حذر مما يضمرون من الخلاف له كقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
والله اعلم وقوله تعالى ولا ياتون الباس الا قليلا ، اي ياتون الحرب والقتال الا رياء وسمعة هذا والله اعلم
يشبه ان يريد بالقتال انهم لا ياتونه اتيان من يريد القتال والقيام معهم ولكن رياء وسمعة واظهارا
الوفاق لهم والله اعلم وقوله تعالى اشحة عليكم ، قال عامة اهل التاويل بخلاء عليكم اي لا ينفقون عليكم
او على سبيل الخير ان الشح البخل قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال ابو عوسجة
الشح الحرص والشحيح الحريص والاشحة الحراص قال اشحة عليكم اي حراصا عليكم اي حراصا على اموالكم
من الشر وقال بعضهم اشحة عليكم اي حراصا على قسمة الغنائم معكم يخبر عن حرصهم في الدنيا وركونهم
اليها ثم اخبر تعالى عن جبنهم وفشلهم وشدة خوفهم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت وقوله فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير قال القتبي سلقوكم
بالسنة حداد اي اذوكم بالكلام لما الخطيب مسلق وسلاق وفيه لغة اخرى صلقوكم بالصاد وهو الضرب
وقال ابو عوسجة قريبا منه سلقوكم اي كلموكم وضربوكم بالسنة حداد اي طوال اللسنة طول اللسان الجري في الكلام

بخيرها على شدة حرصهم في قسمة الغنيمة ورغبتهم فيها انهم اشح قوم واسواهم مقاسمة يقولون اعطونا
انا قد شهدنا معكم كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله الم نكن معكم ونحو ذلك وقوله اشحة على الخير قال بعضهم هذا
قولهم انا اشح منكم وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى دينه واحفظ منكم على الخير اي نحن احرص عليه
والله اعلم وقال بعضهم اشحة على الخير اي حراصا على الغنيمة والنيل منها ثم اخبر وعن خلافهم له فقال اولئك
لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم التي عملوها في الظاهر وكان ذلك على الله يسيرا اي احباط ذلك العمل يسير
عليه لا يضيع ذلك وقال بعضهم اي حبط اعمالهم وتعذيبه اياهم مع كثرة اتباعهم واعوانهم على الله يسير
لا يشتد عليه ولا يصعب والله اعلم وقوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ، اي يحسب هؤلاء المنافقون
ان الاحزاب لم يذهبوا من الفرق والجبن والفشل الذي اصابهم يوم الخندق وقوله تعالى وان يات الاحزاب يودوا
لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ، قال ابو عوسجة والقتبي والاحزاب الفرق واحدها حزب يقال
حزبت القوم اي جمعتهم وحزبتهم اي فرقتهم وتحزب القوم اذا اجتمعوا وصاروا احزابا ويقول هؤلاء حزبي اي
اصحابي وشيعتي ويقال الحارب بني محاربة اي صالحني مصالحة وقوله بادون في الاعراب يقال رجل باد قد
نزل البادية وقال بعضهم بادون في الاعراب اي خارجون في الاعراب يخبر تعالى عن شدة خوفهم يتمنون
ان يكونوا من اهل البادية وانهم تركوا اوطانهم وديارهم وقوله تعالى يسئلون عن انبائكم ، يقول يسئلون
عن خبر المؤمنين ساعة فساعة جزعا ورهبة وكانت التخلف والفرار من القتال وطلب اخبار المؤمنين
انما فعل بهم نحو ما قال تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون
ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون هكذا كانت عادتهم ثم ابتلاهم الله تعالى بما كانوا يظهرون
الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف والعداوة وتفصيل وقتل وحين ما لم تكن في ذلك تغيرهم وفي الاية
زجر وتحذير للمؤمنين عن مثل هذا الصنيع ومثل هذه المعاملة لئلا يبتلوا او ليكونوا فيها انه تعالى امرنا
بعضا على الظاهر الذي ظهر دون تحقيقه ما يكون وعلى ذلك يجري الحكم على ما عامل رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه باهل النفاق على ما اظهروا في التحية والصلاة وغير ذلك من الاحكام والله اعلم وقوله تعالى
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ، قال بعضهم ما قاتلوا الا قليلا انما يدفعون عن انفسهم لو قصدوا فاما الدفع
عن المؤمنين ودينهم فلا ويحتمل ان يكون المراد بالقليل انه لا يقاتلون لله حقيقة القتال وما ذكرهم
حيث قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي فسادا في امركم والله اعلم وقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة ، قال بعضهم اراد به كنا في القتال اذ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يباشر القتال بنفسه
فباشروا معه فمن باشر معه القتال فله اسوة حسنة ومن لم يفعل فلم يواسه وعن عبد الله بن عباس
انه قال اسوة حسنة اي سنة صالحة او نحوه قال الشيخ رحمه الله ويحتمل هذا الكلام انما ذكر عن ان يكون
اماما للمنافقين او من المؤمنين فيقول لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقتدى به اسوة حسنة
ثم يخرج على وجوه حملها لقد كان لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ان بعث رسولا وقيل ان بعث
الله فيما عرفتم من حسن خلقه وكرمه وشرفه واما انه اسوة حسنة فكيف تركتم اتباعه اذ بعث رسولا لقد
لقد كان لكم اي صار لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بعث رسولا اسوة حسنة فيما انزل عليه
واوحي اليه وفيما شاهدتموه من حسن خلقه وكرمه وجميل معاملته فالواجب عليكم ان تتاسوا به وكذلك لقد
كان لكم يا مؤمنين اسوة اي اسوة بهم لو استقمتم فيما شرع لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسوة تعني
عن الاسوة هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ، قال
يكون في رسول الله اسوة لمن خاف الله وامن باليوم الاخر ويخبر ان اعمال المنافق والذي لا يؤمن بالبعث
فلا يكون فيه اسوة له ويحتمل ان يكون قوله لمن كان يرجو الله اليوم الاخر اي لقد كان اسوة حسنة فيمن
كان يرجو الله واليوم الاخر والله اعلم وقوله تعالى وذكر الله كثيرا ، يحتمل ان يذكر الله في نعمه واحسانه بالشكر
وحسن الثناء ويحتمل ان يذكر سلطانه وملكه او جلاله وعظمته وكبريائه والله اعلم وقوله تعالى ولما
راى المؤمنون الاحزاب ، قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله لما اخبرهم انكم ستلقون كذا في قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء لما عاينوا ما
لهم وما اخبرهم هذا لما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فيما اخبرنا من الوحي قبل ان يكون وقيل
ان تلقاه وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين له وما زادهم لما عاينوا فيما وعدوا الا
ايمانا وتسليما وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده وخبره والله اعلم وقال قائلون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد وعدهم واخبرهم يوم الخندق بكون بني الاحزاب كذا والجنود كذا وانكم ستلقون يوم كذا

فلما راوا ذلك وعاينوه قالوا عند ذلك هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا
وتسليما وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان ذلك انه حجة لرسالته فهو يزيد لهم تصديقا له و
تسليما اي تسليما لامر الله وتفويضا له والله اعلم ويقال وما زادهم مما اصابهم يوم الخندق الا ايمانا اي تصديقا
اي تصديقهم الاول ونعتهم الاول وتسليما لامر الله عز وجل لان ذلك الامر كان نقضا وعليهم نصيبة
فسلموا لله امرهم وصبروا على ما اصابهم ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه قوله من المومنين رجال يخرج على وجهين احدهما من المومنين الذين عندهم مومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ورجال لم يصدقوا وهم المنافقون لان ظاهر هذا الكلام يدل على ان المومنين الذين هم صدقوا عهده
والله اعلم والثاني ذكر من المومنين وهي كلمة تبعيض خص بعض المومنين بصدق ما عاهدوا فهم الذين خرجوا
ولم يكن لهم عذر فوفوا ذلك العهد وتخلف بعض المومنين لعذر فلم يتهيا لهم الوفا بذلك العهد له وصدق ذلك
قوله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر اي وفاء العهد ومنهم من ينتظر الوفا اي لم ترتفع عنه العذر ذلك
والله اعلم ثم قوله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قيل فيه وجهين احدهما في نذره وعهده كان في بدر عهد
الله عز وجل على ما جعل على نفسه ومنهم من ينتظر وفاه والنحب هو النذر والعهد وقال بعضهم من قضى
نحبه اي مات وهلك والنحب هو الموت وبه قال الحسن ومنهم من ينتظر في الطاعة على شرف الهلاك و
قال بعضهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر كان رجال من اصحاب
رسول الله لم يشهدوا بدرا يقولون لئن حضرنا قتالا لنفعلن ولنفعلن فلما كان يوم الاحزاب وهو يوم
الخندق قاتلوا فذلك قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه اي مات على ما عاهد
عليه وسلم وقوله تعالى وما بدلوا تبديلا هذا نعت على المنافقين الذي ذكرنا اخبر في قوم من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الذين خلفهم لعذر ولم يكن في ذلك تبديل وفي حرف ابي رضي الله عنه
ومنهم من بدل فيرجع ذلك الى المنافقين الذين ذكرناهم [illegible] وقوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم على ما
صدقوا ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم هذا يدل على ان المنافقين من قد يتوب بحيث قال ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اي يعذب الذي مات على نفاقه ويتوب على من اراد منه الاخلاص
معلوم ليطهر ما علم على ما علم وقوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما اي لم يزل غفورا رحيما حين
وقت ما ... ولكن امهلهم والله اعلم وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا اي كفار مكة يوم الخندق ولم ينالوا خيرا قال بعضهم اي غنيمة اي ردهم بغيظهم لم يصيبوا من غزوهم
شيئا من غنيمة فان كان المراد من الخير الغنيمة فجائز ان يستدل بالاية على تملك اهل الحرب اموال المسلمين
اذا احرزوها بدارهم حيث قال لم ينالوا خيرا ولم يكن يصيبوا اموالهم الا بالاستيلاء والاحراز ثم يكن غنيمة
ويحتمل ان يكون قوله لم ينالوا خيرا اي سرورا مما كانوا يأملون ويطمعون هلاك المومنين على
ايديهم لما احاطوا بهم وضيقوا الامر عليهم حتى احتاجوا الى الخندق فكانهم في ايديهم يقول
انهم لم ينالوا ذلك السرور الذي كانوا يأملونه ويرجونه والله اعلم وقوله تعالى وكفى الله المومنين القتال
حيث بعث الله عليهم ريحا وسلط عليهم الملئكة حتى هزموهم فكفوا القتال والحرب معهم وقوله
وكان الله قويا عزيزا لانه قوي بذاته لانه قوي بذاته لا يلحقه ذل كما لحق اوليائه الذل والضعف ليس
كملوك الارض اذا ذهب اصحابه او دخل فيهم ذل هلكهم لانه عز بجنده وحشمه واما الله تعالى فهو قوي
بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل ولا ضعف بذهاب اوليائه وقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم الاية ذكر في القصة ان اليهود يهود بني قريظة ظاهروا ابا سفيان واعانوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فلما انهزم المشركون تحصن
بنو قريظة في حصونهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل فقال له يا محمد ان الله ما وضع اهل
السماء اسلحتهم وقد وضعتم اسلحتكم اخرج الى بني قريظة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصنع
بهم وهم في حصونهم قال اخرج اليهم والله لادقنهم بالخيل كما تدق البيضة على الصفا ولاخرجنهم من
حصنهم فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وامرهم بالخروج الى بني قريظة فحاصروهم كذا
كذا ليلة حتى صالحهم على حكم سعد بن معاذ ونزلوا على حكمه فحكم سعد ان يقتل مقاتلهم وسبي
ذراريهم ونساؤهم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله
فاخرجت المقاتلة فقتلوا وسبوا ذراريهم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيهم بين المهاجرين
فقال القوم والانصار لقد اثرت المهاجرين بالعقار دوننا فقال انكم ذوو عقار وان القوم لا عقار لهم

او كلام نحو هذا فنزل قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم يعني الذين ظاهروا ابا
سفيان والمشركين جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياصيهم اي من حصونهم وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا اي تقتلون المقاتلة وتأسرون النساء والذراري واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها اي لم تملكوها وقال بعضهم هي ارض مكة وقال بعضهم هي ارض فارس
والروم وقال بعضهم هي ارض خيبر وقال الحسن ارض فارس والروم وهذا اشبه اي سيورثكم الله تعالى اياها
كما اورثكم ارض بني قريظة وديارهم فان ارض مكة قد فتحها وتركها في ايدي اهلها وكذلك بلاد
وقراها فاما خيبر فقد فتحها وقسم ارضها من الغانمين وجعلها فيئا فهذا القول اشبه من غيره وقال بعضهم
وارضا لم تطؤها هي ما ظهر عليها المسلمون الى يوم القيامة قال القتبي وابو عوسجة صياصيهم حصونهم واصل
الصياصي قرون البقر لانها تمتنع بها وتدفع عن نفسها فقيل للحصون صياصي لامتناع الناس بها قال والواحد
صيصية وصيصية الديك شوكها الذي تمتنع به وكذلك الصيصة حف صغير يحول بها الحائك وقال الحسن كذا
من اهل الكتاب الذين ظاهروهم هم المشركون وهو بنو النضير فلان سائر الرواة على انهم بنو قريظة وظاهر الاية
يدل عليه فانه قال فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ولم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير ولا اسرهم وانما
اجلاهم عن بلادهم والله اعلم وفي الاية دلالة على ان من تخلف في ملك غيره وصف ملكه له واستعمل اليه سمي وارثا
بموت او غيره فانه قال تعالى واورثكم ارضهم وكذا قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نبقى فيها وقوله يرثون الفردوس
اي يبقون فيه وقوله ولله ميراث السموات والارض اي يبقى ملك السموات والارض له لا يبقى لاحد غيره والله اعلم
فان قيل ما الفائدة في ذكر القصة وامثالها وقد شاهدوها وعاينوها قيل يخرج على وجهين احدهما ترغيبا
لاخر هذه الامة اذا نالهم ما قاسوا وما تحملوا من الشدايد والبلايا في امر هذا الدين حتى بلغ هذا المبلغ فيجتهد
في كما اجتهد اولئك في حفظ هذا الدين والقيام به والثاني امرهم الله تعالى بالتاهب مع العدو حتى امروا
بالخندق والتحصن ثم جاءهم الخوف من الله تعالى بعد الذي امروا ليكونوا ابدا متاهبين مستعدين لذلك
لا يرجون النصر والظفر من ذلك التاهب ولكن بفضل الله ونصره على ما اخبرهم ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا الاية والثالث لا يونسهم خروج انفسهم من ايديهم واحاطة العدو بهم وكونهم
في ايديهم من روح الله ورحمته وعونه اياهم لان الخوف قد بلغ بهم المبلغ الذي ذكر قال اذ زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر الحمولة وزلزلوا زلزالا شديدا وفي الاية دلالة اثبات الرسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه وعد لهم النصر فكان كما وعد لهم فوافق وعده فكل ما يخبر به يصدق والله اعلم وقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها قال بعض اهل التاويل انهن جلسن فجعلن يخترن الازواج في حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية بتحذير وتعييرا على ذلك لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون
ازواجه يخترن الازواج وهو بين اظهرهن وذلك سوء الظن بهن وقيل انهن يطلبن شيئا من الدنيا
ورزقا ليستغنين لما ذكر عتابا لهن وتعييرا ونحو ذلك قد قالوا فيحتمل ان يكون عز وجل يمتحن رسوله
عليه السلام وازواجه رضي الله عنهن بالتخيير واختيار الفراق منه ابتداء امتحانا من غير ان يكون منهن
شيء مما ذكروا ولا سبب للامتحان والتكليف قد يكون على سبب وقد يكون ابتداء وعلى ذلك روي
عن عائشة رضي الله عنها قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا لي فقال يا عائشة
اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري ابويك قالت وقد علم الله ان ابواي لم يكونا ليأمراني بفراقه
قالت فقرأ يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين الى قوله منكن اجرا
عظيما فقلت افي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل سائر ازواجه مثل
ما فعلت وفي بعض الاخبار انها قالت بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة فبلغوا لما امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه على ان ذلك من الله عز وجل ابتداء امتحان وتكليف من غير ان كان
منهم ما ذكروا من الركون الى الدنيا والتحدث بما ذكر والله اعلم ثم اختلف الناس في معنى التخيير في الاية
وكيفيته فقال قوم منهم الحسن وقتادة انما خيرهن بين الدنيا والاخرة لا في اختيار الفراق والنكاح وقال
قوم بل التخيير الطلاق على شرائطه انهن اذا اخترن الدنيا وزينتها كن مختارات للطلاق فالاولون يحتجون
بظاهر الاية ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الخ وقوله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة
خيرهن بين الامرين لا بين الطلاق والبقاء على النكاح يوضح ما قلنا انه قال وان كنتن تردن الحياة الدنيا
وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا امرنه صلى الله عليه وسلم ان يطلقهن
اذا اخترن الدنيا ولم يوجب ذلك وقوع الطلاق باختيارهن كما يقول الرجل لامرأته اذا اخترت كذا

اطلقت لم يكن لها ان تختار نفسها اذا اختارت ذلك فعلى هذا والله اعلم واحتج الفريق الثاني بقوله
ان كنتن تردن الحياة الدنيا فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا فجعل اختيارهن الدنيا اختيارا للطلاق
والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما نزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان تعجلي حتى تستأمري ابويك الحديث وفي هذا الخبر دليل من وجوه على انه خيرهن
بين الدنيا والآخرة وبين اختيارهن الطلاق والبقاء على النكاح لانه قال فلا عليك ان تعجلي حتى تستأمري
ابويك ومعلوم ان الاستئمار لا يقع في اختيار الدنيا على الآخرة فثبت ان الاستئمار انما يكون في الفرقة او النكاح
وكذلك قولها لم يكن ابواي ليأمراني بفراقه وكذا قولها فاني اريد الله ورسوله دليل على ان الآية قد اقتضت التخيير
بين الطلاق والنكاح وهذا القول اشبه لانه قال وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة دل على انه
اختيار من فراق النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فكان تخييرا لهن
ان يخترن الدنيا وزينتها مع اختيار فراق النبي عم وهو ان يخترن الله ورسوله والدار الآخرة فقد دل انهن
كن يخترن الطلاق عند اختيار الدنيا لقوله فتعالين امتعكن والمتعة انما تكون عند اختيار من الطلاق
واما قوله واسرحكن انما اراد به اخراجهن من بيوتهن بعد الاختيار منهن للطلاق كما قال تعالى اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا فذكر
المتعة بعد الطلاق واراد بالسراح اخراجهن من بيته فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم اختلفت الصحابة رضي الله
عنهم فيمن خير امرأته فاختارت فقال بعضهم اذا اختارت زوجها فهي تطليقة رجعية وان اختارت
نفسها فهي واحدة بائنة وهو المروي عن علي رض في رواية زاذان عنه وفي رواية ابي جعفر عن علي رض انها ان اختارت
زوجها فلا شيء لها وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وقال بعضهم في الخيار وامرك بيدك ان اختارت
نفسها فواحدة رجعية وان اختارت زوجها فلا شيء وهو قول عمر وعبد الله وقال زيد بن ثابت في الخيار
ان اختارت زوجها فلا شيء لها وان اختارت نفسها فواحدة رجعية وقد اختلف فقهاء الامصار
وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي في الخيار اذا اختارت زوجها فلا شيء وان اختارت نفسها فواحدة
يملك الرجعة وقال مالك في الخيار انه ثلاث اذا اختارت نفسها فواحدة يملك الرجعة ولا تصدق
في الخيار انه اراد واحدة ولو قال اختاري تطليقة فطلقت نفسها فهي واحدة رجعية وقال الشافعي
وامرك بيدك انه ليس بطلاق فقولنا ما عندنا ان التخيير بنفسه لا يكون طلاقا فاما لم يحكم فان اختارت
زوجها فلا شيء وان اختارت نفسها فواحدة يملك الرجعة اذا اراد الزوج الطلاق فلا يكون ثلاثا وان نوى
كذلك يقول في امرك بيدك الا في خصلة وهو انه ينوي ثلاثا فيكون ثلاثا والدليل على ان نفس التخيير لا
يكون طلاقا وانه لا يقع شيء اذا اختارت زوجها ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عن الرجل يخير امرأته
طلاقا فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا ولان التخيير
نفسه ليس بطلاق لا صريحا ولا كناية ولا دلالة واقتضاء لان الخيار لا يختص بالطلاق دون غيره
حتى يثبت ضرورة الاختيار ويدل عليه بخلاف قوله اعتدي انه يكون طلاقا اذا نوى لان العدة من حكم
الطلاق ولوازمه فثبت مقتضى الامر بالعدة وانما عرفنا الخيار طلاقا اذا اختارت نفسها عملا
بموجب الآية لان النبي صلى الله عليه وسلم خير نساءه بين الفراق والبقاء على النكاح حتى اذا اخترن
انفسهن يقع الطلاق لولا ذلك لم يكن للتخيير معنى ويكون بائنا لانه خير المرأة بين ان تختار نفسها
لنفسها وبين ان تختار نفسها لزوجها فاذا اختارت نفسها لنفسها تكون بائنة ولا يكون رجعية لانها لو كانت رجعية
لم يكن اختيارها نفسها ولكن لزوجها والزوج يراجعها شاء او ابت فبطل بما قلنا قول من قال
ان نفس التخيير طلاق وقول من قال بانه اذا اختارت نفسها طلاقا رجعيا وكذا قول من قال يكون
ثلاثا لانه ليس من الفاظ الطلاق وانما جعل طلاقا ضرورة تصحيح التخيير وذلك يتحقق بالبينونة
بالواحدة وكذلك قلنا اذا نوى الثلاث في الخيار لا يكون طلاقا الا اذا ذكر الثلاث في التخيير
فيقع وكذلك اذا صرح بالتطليقة في الاختيار يكون رجعيا والله اعلم وفي الآية وجوه من الفوائد
والدلالات احدها اباحة طلب الدنيا وزينتها على الحل والتجمل حيث قال فتعالين امتعكن واسرحكن
سراحا جميلا لانه لو لم يحل ذلك لهن وكن ممنوعات عن ذلك لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينفك عنهن حتى يخبر بالنهي عن الامر وقد كان يملك حبسهن في ملكه حتى لا يخترن ما ذكر من الزينة بل
على ان طلب الدنيا على وجه الحل لا على وجه التجمل مما لا يتضمن شيئا وشيئا غير ما جاء الربوا ونحوه مطلقا

مباح شرعا والله اعلم والثاني في الآية دلالة على ان عنده لم يكن ما ذكر من الدنيا والزينة وما يتمتع بها اذ لو كان
عنده ذلك لم يحتمل ان يخبرهن بالفراق منه لما ذكر اذ عنده ذلك ولا انهن يخترن الفراق منه وعنده ذلك
دل انه لم يكن عنده ما ذكر ويبطل قول من يقول انه كان عنده الدنيا وتفضيل الغني على الفقير كذلك والله اعلم
والثالث في الآية دلالة على انه لا يجوز ان يحللن في حياته لغيره اذا فارقهن لانهن اذا لم يحللن لغيره لم يكن
لقوله عز وجل فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا معنى لانهن اذا لم يحللن لغيره وقد خيرهن بين ان
يخترن الفراق اذا اردن الدنيا وزينتها وبين ان يخترن المقام معه عند ارادة الدار الآخرة فاذا اخترن
الفراق فليس لهن التزويج باحد لتنشئة الدنيا وزينتها بل تعين تعلقا لم يكن للتخيير معنى والله اعلم فدل
انهن يحللن لغيره في حياته اذا فارقهن وانما لم يحل لغيره اذا ما قبضه لانه حكم الحياة كانه حي فحل ازواجه
ويخرج على هذا قوله عز وجل خالصة لك من دون المؤمنين اي في الآخرة لا يحل لغيره فيكن زوجته
في الجنة والله اعلم بذلك وما قلنا انه قال فتعالين امتعكن ذكر انه يمتعهن ولم يكن عنده ما يمتعهن ومعلوم
انهن لا يكتسبن بانفسهن حتى يتمتعن بذلك بعد دل انه انما يمتعهن باموال الذين يخترن من الازواج بما يتطرقهن الى
ذلك الفراق وهذا يقتضي حلهن لغيره في حياته اذا فارقهن والله اعلم وقوله تعالى وان كنتن تردن الله
ورسوله والدار الآخرة الارادة هاهنا ارادة الاختيار لا الايثار وهو ما يراد ويختار فعلا لا ميل
القلب والرضا به لانه لا يمكن نفي الشهوة مجعول فيه هذا الحاجة ميل قلبه وركونه الى ما يتمتع بحياة الدنيا
ولذتها ويرضاه فيجعله الارادة ارادة العقل والاختيار لا ارادة القلب ورضاه والله اعلم و
الاشكال انه قال وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ما معنى ذكر ارادة الله تعالى وانهن اذا
لم يردن الحياة الدنيا وزينتها لا يحتمل ان لا يردن الله تعالى فيقول هو متعلق بارادة الله تعالى ورسوله
والدار الآخرة فالمراد هو اختيار بين المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ترك اختيار الدنيا لكن
لاجل الله تعالى وابتغاء مرضاته وكذلك ما اضيف الى الله ورسوله كان المراد به رسوله عليه السلام كما
قال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ولكن ليس له فيه وقوله ويسألونك عن الانفال قل الانفال
لله والرسول وامثال ذلك مما قلنا والله اعلم ثم الزهد في الدنيا يكون على وجهين احدهما ترك التكاثر
التي بها تتسع الدنيا ويكون بها السعة في الدنيا وان يؤثرها الغير على نفسه واختيار حال الضيق
من غير تحريم ما احل وطيبه والثاني بذل ما عنده لغيره وايثاره له على نفسه وجعله اولى به من نفسه لا في
الحلال والطيبات والله اعلم وقوله تعالى فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يحتمل قوله اعد للمحسنات
اي اذا اخترن المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرن محسنات بذلك وما اعد لهن ما ذكر فيكون
ذلك الاختيار منهن احسانا فاستوجبن ما ذكر ويحتمل ان قوله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة وثبتن على
ذلك واكتسبن الاحسان والاعمال الصالحة حتى جئن على ذلك فاعد لكم ما ذكر لا بنفس الاختيار بين
المقام معه والله اعلم وقوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين قال بعضهم الفاحشة المبينة هي الزنا الظاهر ويقال الزنا المبين بشهادة اربعة عدول
ويكون مبينة بالكتاب بينة ظاهرة وعليه يضاعف لها العذاب ضعفين قبل الجلد والرجم في الدنيا
لكن هذا لا يصح لان ضعف الشيء مثليه فيقتضي المجانسة والجلد والجلد ليس من جنس الرجم وقال
بعضهم اي يضاعف لها العذاب ضعفين في الآخرة وفيه ضعف ايضا فانه قال بفاحشة مبينة ولو
لعند الله ظاهر بين فدل ان المراد هو العذاب في الدنيا حيث شرط ظهور الفاحشة في حق الناس والله اعلم
وقال بعضهم يضاعف لها العذاب ضعفين في الدنيا والآخرة فضعف ما يعذب به سائر النساء في
غير نوع ضعف ايضا لانه لا يتصور مثلي حدود النساء على الجميع فانه ان كان يتصور ذلك في الجلد ونحوه
لا يتصور في الرجم والاشبه ان يكون ما ذكر من ضعف في الآخرة على ما قال بعض اهل التأويل الآخرين
ذكروا الآخرة كقوله ومعلوم ان ذلك في الآخرة فعلى ذلك العذاب بما قوله بفاحشة مبينة اراد بها
بينة ظاهرة عند الخلق وان كان عند الله تعالى ظاهرة بينة ويجوز ان يكون ذلك شرطا لاقامة الحد
لله تعالى ليغلظ الفاحشة او لمعنى آخر ويحتمل ان يكون هذه الآية صلة قوله عز وجل ان كنتن تردن الحياة الدنيا
وزينتها اي اذا اخترتن الحياة الدنيا وزينتها فاتين بفاحشة ضوعف لهن من العذاب ما ذكر واذا اخترن
المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة ثم اتين بفاحشة ضوعف لهن ما ذكر من العذاب
لكنه يحتمل ان اذا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة لا يأتين بما ان يكون من معصية بل هذا الخبر
لهن لهن واذا اخترن الدار الآخرة ثم ارتكبن ما عوقبن بضعف ما عوقب به غيرهن لذلك اذا اطعن الله ورسوله

ضوعف لهن الاجر مرتين والله اعلم ثم قيل يضعف عذابهن وجهين احدهما انه لو كان نعم الله عليهن اكثر من
غيرهن كان كفرانها منهن اعظم واشد لعظم النعم اذ كان استحقاق العذاب على حسب كفران النعم الا ترى
ان من لطم اباه فانه يستحق العقوبة اكثر من لطم الاجنبي لعظم نعم استحقه عليه من جهة الاب وكفرانها
بلطمه ويدل عليه قوله تعالى في نسق التلاوة واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فذلك ان يضعف العذاب
عليهن بالمعصية للفعل عظيم النعمة عليهن بتلاوة آيات الله في بيوتهن ومن اجل ذلك عظمت طاعتهن ايضا
كما اخبر بقوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين والوجه الاخر في ذلك انهن يؤذين
النبي صلى الله عليه وسلم وهو اعظم في الاذى عنده قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في
الدنيا والاخرة ثم قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا
واثما مبينا والله اعلم وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا هذا يحتمل وجهين احدهما اي وكان
عذابهن على الله يسيرا هذا يحتمل وجهين احدهما اي وكان تعذيبهن على الله هينا سهلا لا يثقل عليه
ولا يشتد لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عليه يسير هين والله اعلم والثاني ان لا يكون الظلم
ومعصيتكن على الله شيئا اي لا يلحقه ضرر ولا تبعة ليس كمعصية خواص الملوك في الدنيا في حقه
فانه يلحقه الضرر والذل اذا لعصوه ولو عصوا لعنه لاذهب عزه ومنعتهم واجتماعهم معه على سبيل الطاعة
له فاما الله تعالى عزيز بذاته غني لا يتغير بعصيان عبيده بل ضروا انفسهم والله اعلم وقوله تعالى ومن يقنت
منكن لله ورسوله اي ومن يطع منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين في الاية فضيلة
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم قدره حيث
خاطبهن عز وجل بما بين غيرهن من النساء كما خاطب رسوله عليه السلام بقوله يا ايها النبي في الاية ثم في الاية
دليل على ان عمل العالم في الثواب اكبر من عمل الجاهل لانهن اعلم من بين سائر النساء ثم احتج الشافعي بقوله
نؤتها اجرها مرتين على ان قوله في قوله الطلاق مرتان فكان يستدل عليه بتلك الاية على ان الطلاق مشروع
بصفة التفريق فان المراد عنده بالمعية لغة فكان قوله الطلاق مرتان اي دفعتان متفرقتان لانك
المراد بقوله الطلاق مرتان اي تطليقتان في دفعة واحدة من غير احداث التطليق والفصل فيما بينهما
وهو مستعمل في اللغة الا ترى ان الله تعالى قال نؤتها اجرها مرتين اي اجرين من غير احداث فصل ما بينهما
وهو كقوله يؤتكم كفلين اي اجرين لكن عندنا يحتمل انه لا يثاب على الايجاب لاستحقاق ربهم عز وجل
فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء ان اتقيتن قال بعض اهل الادب احد اجمع في كلام العرب من واحد لان الواحد يرجع الى
الفرد خاصة اما احد يرجع الى الواحد والى الجماعة والله اعلم ثم قوله ان اتقيتن يحتمل هذا ان يكون صلة
قوله ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها اي ان تعلقن اختيار الدنيا وزينتها وان اتقيتن ترك اختيار
رسول الله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة ويحتمل ان يكون على الابتداء اي اتقين مخالفة الله تعالى
ومخالفة رسوله ثم معنى قوله لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فانكن معشر ازواج النبي تنظرن الى الوحي
وتصحبن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار وترين افعاله وتسمعن كلامه احق الناس بالتقوى
وترك الميل الى الدنيا والركون اليها ممن لا ينظر الى الوحي ولا يصحبه في احوال الاوقات ساعة فلا يكون قوله لستن
كاحد من النساء في الفضيلة على غيرهن من النساء لانكن ازواج رسول الله في الاخرة وترتفعن الى درجة
رسوله وتكن معه فانكن لستن كغيركن من النساء في الفضيلة والدرجة اذا اتقيتن ما ذكرنا من مخالفة
رسول الله واختيار الحياة الدنيا وزينتها والميل اليها والركون فيها والله اعلم وقوله تعالى فلا تخضعن
بالقول قيل فلا تلين في القول فيطمع الذي في قلبه مرض قال بعضهم اي فجور وقلن قولا معروفا
حسنا شديدا وقال بعضهم فيطمع الذي في قلبه مرض اي نفاق وهذا اولى لان اصحاب رسول الله لا يحتمل
ان يكون احد منهم يطمع في ازواج رسول الله نكاحا بعد الا ورغبة فيهن بعد ما علمنا منهم ذا امل من رسول الله
رغبة في ازواجه مطلقا فيهن ليتزوجهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحتمل بعد ما عرف منهم هذا ان يطمع
احد منهم ويرغب في ازواجه نكاحا فضلا ان يذهب نحو ذلك ولكن ان كان ذلك فهو من اهل النفاق وجائز
ان يرغبوا فيهن نكاحا لانهن اعظم الناس نسبا وحسبا واكرمهم جمالا وحسنا فجائز وقوع الرغبة فيهن
من اهل النفاق لما ذكرنا واما من اهل الايمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا ويدل على ذلك قوله واسرحكن سراحا جميلا
دل هذا انهن بحيث يرغب فيهن ويطمع وقال بعضهم فلا تخضعن بالقول يقول فلا ترمين بقول يقارب
الفاحشة فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا يقول قولا حسنا يعرف لا يقارب الفاحشة لكن هذا بعيد لكن

اصله فلا تخضعن بالقول اي لا تقلن قولا يرغب فيه الرغبة في الرجال لكن اما الميل الى الدنيا والركون فيها وقلن قولا معروفا في
ما يكون فيه تغيير المنكر والامر بالمعروف والله اعلم وقوله تعالى وقرن في بيوتكن قد قرئ بكسر القاف ونصبها فمن قرأ
بالكسر فهو من الوقار ومن قرأ بالفتح وقرن يجعله من القرار وان تكون فيها وقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى قبل ان يبعث رسول الله كانت تخرج نساؤهم متبرجات بزينة متظاهرات فامر الله ازواج رسوله بالستر
والحجاب عليهن وان يدنين الجلابيب عليهن وهو ما قال يدنين عليهن من جلابيبهن وقال بعضهم ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى قال الجاهلية التي ولد فيها ابراهيم عطوا امور الكتب وكن يتبرجن في ذلك الزمان تبرجا شديدا
وامرن بالحجاب والعفة وان تترك تلك لذلك كلنستا نبذية ما اراد بالجاهلية الاولى ومن اراد بذلك الذين كانوا قرب
خروج رسول الله وبعثته والذين كانوا من قبل في الامم السالفة والتبرج كانه هو الخروج بالزينة على اظهارها
اعني اظهار الزينة قال القتبي فلا تخضعن بالقول لا تلين به وقوله وقلن قولا معروفا اي صحيحا وقوله وقرن
في بيوتكن بالكسر من الوقار يقال وقر في منزله يقر وقورا وقرن بفتح القاف من القرار وكانه من قر يقر اراد
اقررن في بيوتكن فحذف الراء الاولى وحول فتحها الى القاف كما قيل ظلتم في موضع كما ان ظللتم قال الله تعالى
فظلتم تفكهون ولم يسمع قررن الا في موضع قرة العين فاما في الاستقرار فانما هو قررن وقوله تعالى واقمن
الصلوة واتين الزكوة يحتمل ان يكون الامر لهن بايتاء الزكوة من حليهن لانهن كن لا يملكن شيئا سوى
ذلك مما يجب فيه الزكوة الا يرى انه وعدهن التمتع والسراح الجميل اذا اردن الحيوة الدنيا وزينتها فلو
عندهن شيء من فضول الاموال لكن ينفقن ويتمتعن وانه لم يكن عند رسول الله ما يمتعهن ولا يطلبن ذلك
الا من عنده فدل ذلك انهن لا يملكن شيئا من ذلك فيجوز ان يستدل بظاهر هذه الاية في ايجاب الزكوة في الحلي
وكذلك روي عن ابن عباس رضي وقوله تعالى واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله امرهن باقامة الصلوة
وايتاء الزكوة وطاعة الله ورسوله لئلا يغترن باختيار المقام مع رسول الله وايثارهن اياه على زينة الدنيا
لهن في الاخرة ولا شيء عليهن سوى ذلك من العبادات بل الخيار انكن وان اخترتن المقام معه واثرتنه اياه على الدنيا
وزينتها لا ينجيكن ذلك مما ذكر والله اعلم وقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا قال بعضهم ان هذه الاية مقطوعة عن الاولى في ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه
في اهل بيته وهو قول الروافض يستدلون بقطعها عن الاولى بوجوه احدها ما روي عن ام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم انها قالت عني بذلك عليا وفاطمة والحسن والحسين وقالت لما نزلت هذه الاية اخذ
النبي ثوبا فجعله على هؤلاء ثم تلا الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقالت ام سلمة من جانب البيت
يا رسول الله من اهل البيت قال بلى ان شاء الله وعن الحسن بن علي انه خطب الناس بالكوفة وهو يقول يا اهل
الكوفة اتقوا الله فينا فانا امراؤكم وانا ضيفانكم ونحن اهل البيت الذي قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويقولون ايضا ان الاية الاولى ذكرها بالتانيث حيث قال واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله
ورسوله وهذه ذكرها بالتذكير دل انها مقطوعة عن الاولى ويقولون ايضا انه وعد ان يذهب عنهم الرجس
ويطهرهم تطهيرا وعدا مطلقا غير مقيد وذلك الرجس الذي ذكر ما يحتمل ان ازواجه ممكن ذلك فيهن غير ممكن في اهل
بيته ومن ذكر ويقولون ايضا ما روي عنه انه قال تركت فيكم بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان
تمسكتم بهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وكلام نحو هذا فسر العترة باهل البيت ونحو ذلك من الوجوه واما عندنا انها غير
مقطوعة من الاولى انما ان يكون على الاشتراك بينهن وبين من ذكر وانه اذا اسم اهل البيت يجمع ذلك كله
في العرف ويكون للابتداء لا لازواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة فاما ان تخرج ازواجه عن النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة فاما ان يخرج ازواجه عن اهل بيته مع ان اسم اهل البيت يجمع الكل فلا وجه له والله اعلم وحديث
ام سلمة الست من اهل البيت قال بلى ان شاء الله تعالى واما قولهم انه ذكر هذه بالتذكير وفي الاولى بالتانيث
فليس لان عند الاختلاط يذكر بلفظ التذكير على اجماع اهل اللغة واما قولهم بالتطهير لهم مطلقا فيقول
بلى ولكن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بان منهن ما يجوز ان ينسب الى الرجس او الى القذر الا فيما عوتبن
على ازاء بين وتدبيرهن بالحيل بحض ثيابها الخروج واما الحديث وهو قوله تركت فيكم بعدي الثقلين كتاب الله
وعترتي فيقول المراد قوله وعترتي وسنتي والعترة تستعمل مكان السنة وقوله انه فسر العترة باهل
البيت بقوله وعترتي اهل بيتي فيقول يحتمل ان هذا الكلام لم يخرج بطريق التفسير ولكن خرج على طريق
النداء كانه قال تركت الثقلين كتاب الله وسنتي اي اهل بيتي كقوله يا اهل بيتي وذلك يجوز ان يستعمل
في اللغة فيقول القائل يا زيد يا اخرج من البيت وقوله اي زيد يا اخرج من البيت وقوله اي زيد يا اخرج سوا فلا يكون
حجة مع الاحتمال والله اعلم وفي هذه دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه احدها يقولون ان الله تعالى لا يريد

ان يطهر الخلق كلهم الكافر والمسلم واراد ان يذهب الرجس عنهم جميعا لكن اراد الكافر ان لا يطهر نفسه واختار الرجس لنفسه بسوء اختياره لم يطهره ولو كان على ما تقولون لم يكن لتخصيص هؤلاء بالتطهير عن الرجس واذهابه عنهم فائدة ولا منة لاستواء الكل اياهم في ذلك والدليل انه انما يطهر من علم منه اختيار الطهر وترك الرجس واما من علم منه اختيار الرجس فلا يذهب عنه الرجس او يريد منه غير ما يعلم انه يختار فبطل مذهبهم في الارادة ولانه اخبرنا انه يطهرهم وانما يكون تحقيق قوله ويطهركم تطهيرا على ما قال المعتزلة ان كل انسان هو الذي يطهر نفسه باختياره ويخلق في نفسه الطهارة فيكون الاية حجة عليهم في خلق الافعال وانه اضاف التطهير اليه فهذا يدل على انه يملك تطهير من يشاء وعلى قولهم لا يملك هو تطهير من يشاء منهم اذ لم يبق عنده ما يطهرهم ويكون اصلح لهم بل جميع ما به صلاح الدين قد اعطاهم فينتقض هذا مذهبهم في الاصلح واللطف والله اعلم وقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله اي تلون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة استعارة الذكر عن التلاوة والثاني واذكرن على حقيقة الذكر اي اذكرن نعمة الله عليكن وجعلكن من اهل بيت يتلى آيات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي فيها وخصكن بذلك ما لم يجعل في بيت احد لكي تذكرن عظيم ما انعم عليكن … بسبب شكره لتعرفن نعم الله تعالى ومننه عليكن والله اعلم وقوله آيات الله يحتمل آيات القرآن ويحتمل حججه وبراهينه وقوله والحكمة قالت الفلاسفة الحكيم هو الذي يجمع العلم والعمل جميعا وقال بعضهم الحكيم المصيب والحكمة هي الاصابة وقيل هي وضع كل شيء موضعه وهو نقيض السفه وقال بعضهم الحكمة ههنا هي السنة واصل الحكمة في الحقيقة كانه هو الاصابة في كل شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه في الحكم التعنت ولا الغلط والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان لطيفا خبيرا اللطيف هو البار يقال فلان لطيف اذا كان بارا والثاني اللطيف هو الذي يستخرج الاشياء الخفية الكامنة التي لا يتوهمها العقول استخراج اشياء مثلها والله اعلم وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاية ذكر ان ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وامراة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالتا يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في القرآن بالخير ولا يذكر النساء في شيء فنزلت الاية ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاية والاشكال انه عطف المؤمنين والمؤمنات على المسلمين والمسلمات والمعطوف غير المعطوف عليه فيقتضي ان يكون الاسلام والايمان غيرين في الحقيقة ولهذا نقول انهما في حقيقة المعنى واحد وان كانا مختلفين بالاسم لان الاسلام هو ان يجعل كل شيء لله تعالى خالصا سالما لا يجعل لغيره فيه شركا ولا حقا والايمان هو التصديق لله تعالى بشهادة كل شيء له بالوحدانية والربوبية والالوهية وجعل الاشياء كلها لله تعالى سالمة ومن صدق الله تعالى سالمة ومن صدق الله تعالى بشهادة كلية الاشياء له بالوحدانية والربوبية واحد لان المخلص هو الذي يرى كل شيء لله خالصا والموحد هو الذي يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء منهما في حقيقة المعنى واحد والله اعلم ويجوز عطف الشيء على نفسه عند اختلاف الالفاظ على ما تقدم امثال ذلك سواء والله اعلم وقوله تعالى والقانتين والقانتات القنوت هو القيام في اللغة يدعى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الصلاة فقال طول القنوت وفي بعضه طول القيام ففسر القنوت بالقيام فثبت ان القنوت هو القيام فيكون تاويله والقائمين والقائمات بجميع اوامر الله تعالى ومناهيه وعلى هذا يخرج تاويل اهل التاويل والقانتين والقانتات المطيعين والمطيعات لان كل قائم بامر الله تعالى فهو مطيع له كما في الشاهد ان كل من ائتمر آخر فهو مطيع له ولكن هذا كانه يكون في الاعتقاد لا في نفس الفعل والله اعلم وقوله تعالى والصادقين والصادقات الصدق في الحقيقة هو الاخبار عن الخبر على ما هو به وهو القول وكان المراد منه صدق ما وجب عليهم للاعتقاد من حيث القول ويحتمل ان يكون في المعاملة تصديق ما اعتقدوا وقبلوا اي صدقوا ويروون بالاعمال انهم اعتقدوا وقبلوا والله اعلم وقوله تعالى والصابرين والصابرات الصبر هو كف النفس وحبسها عن المعاصي وجميع المحظورات وعلى ذلك يخرج قول اهل التاويل اي الصابرين على اوامر الله تعالى وطاعته وعلى المرازي والمصائب يكفون عن جميع ما لا يحل عنه ويكون ذلك عن تقدير والله اعلم والخاشعين والخاشعات قال بعضهم الخاشعين المصلين وقال بعضهم الخاشع المتواضع واصل الخشوع هو الخوف اللازم في القلب وهو قول الحسن يخافون الله تعالى ويرجون رحمة الله تعالى ولا يرجون من غيره هكذا فالمؤمن يكون في حقيقة خوفه ورجائه من الله تعالى واما الكافر فانه لا يخاف الله ولا يرجوه لانه لا يعرفه فلا يخضع له وعلى ذلك المعتزلة انما خوفهم من اعمالهم السيئة ورجاؤهم من اعمالهم الحسنة لا من الله

حقيقة وكذلك قولهم لا يكون لاحد رجاء في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يحالوه من عمل له لقولهم انه ليس لله تعالى في افعال العباد شيء من تدبير ولا تقدير والله اعلم وقوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات اي المنفقين في طاعة الله تعالى وقوله تعالى والصائمين والصائمات قد ذكرنا ان هذا راجع الى حقيقة الفعل في الصيام والصدق في الفعل والمعاملة والخشوع منه وجائز ان يكون في القبول والاعتقاد على ما ذكرنا وقوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات اي عما لا يحل لان هذا يكون حفظا في الحقيقة فاما فيما يحل فيسمى منعا وحظلا فلا يستحق به المدح وهو كقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم والله اعلم وقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قال بعضهم هم المصلون لله تعالى الصلوات الخمس وقال بعضهم الذكر حقيقة الذكر باللسان على كل حال لكن على ما ذكرنا في الحاسنة اي الذاكرين حق الله تعالى الذي عليهم كثيرا والذاكرات وقوله تعالى اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما ظاهر وقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم واستدل جعفر بن حرب والمعتزلة بهذه الاية على ان الكفر ليس مما قضى الله به وانما يفعله الكافر باختيار نفسه لان الله تعالى اخبر انه اذا قضى امرا لم يكن للعبد الخيرة اي الاختيار في ذلك ولا شك ان للكافر اختيارا في الكفر فثبت ان الشرك غير الحاصل ليس بمقضي فيه ولو كان مما قضاه لم يكن فيه الاختيار لكنا نقول بان القضاء ههنا يراد به الامر والحكم والقضاء اسم مشترك يستعمل في اشياء قال الله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اي حكمت واذا كان كذلك لم يصح به الاستدلال باللفظ المشترك على احد وجوهه الا بدليل ان يتعين اللفظ على ان المحمل على الامر والحكم فيكون كانه قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله اي امر الله ورسوله او اذا حكم الله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وبه نقول والذي بين ان القضاء ههنا ليس القضاء الذي فهم المعتزلة فانه اضاف ذلك القضاء الى رسوله حيث قال اذا قضى الله ورسوله امرا ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يملك القضاء الذي يعرفه من الخلق ذلك ان المعتزلة اخطات وغلطت في فهم ذلك وقصرت عقولهم عن درك ذلك فان التاويل ما ذكرنا ويحتمل ثم اجمع اهل التاويل على انه نزل في ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم انها نزلت في زينب بنت جحش ذكروا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اعتق زيد بن حارثة وتبناه وكان مولى له فخطب له زينب بنت جحش فقالت اني لا ارضاه لنفسي واني من اتم نساء قريش وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيته لك فزوجي نفسك منه فابت ذلك فنزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية لكن ان كان هذا على ما يذكرون من الخطبة فلا يحتمل ان يجبرها على النكاح مع قوله عليه السلام ليس للولي مع الثيب امر وقوله البكر تستامر في نفسها والثيب تشاور ثم يجيء الاية فيجبرها على النكاح ممن لا ترضاه الا ان يكون لها الامر بتزويج نفسها منه من الله تعالى ومن رسوله عليه السلام فعند ذلك يكون لها التخيير في ذلك لان الله تعالى له ان يامر بالنكاح ممن يشاء وله الحكم بالنكاح لمن يشاء على من يشاء وليس لهم التخيير في ذلك والله اعلم فاما الخطبة نفسها دون الامر والحكم من الله تعالى لا يصح في ذلك الا ترى انه ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب ام سلمة فقالت انا ولي لي غيب فقال الرسول ما من اوليائك لا يرضاني او كلام نحو ذلك … خطبها ولم يجبرها فعلى ذلك … امر زينب الا ان يكون على الامر والحكم على ما ذكرنا والله اعلم ويحتمل ان يكون سبب نزول هذه الاية غير ذكر اهل التاويل في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ويكون الوعيد الذي ذكره فيه وفي غيره هذه الحادثة فيما فيها امر من الله تعالى او حكم ويكون فيلحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى الفجر فراى رجلين جالسين فقال لهما ما لكما لم تصليا معنا فقالا انا قد صلينا في رحالنا فقال اذا صليتما ثم اتيتما المسجد فصلوا معهم فيكون لكما سبحة وقوله فصلوا معهم نافلة لم يرد به في صلاة الفجر لما ورد فيها الحديث ولكن في الصلاة التي يتطوع بعدها على طريق التعليم فلذلك هذا والله اعلم وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فان كان هذا في المؤمنين فيكون المراد من الضلال هو الخطاء كانه قال فقد اخطا خطا بينا وقد يجوز هذا في اللغة نحو قول اخوة يوسف لابيهم عليه السلام ان ابانا لفي ضلال مبين اي في خطا بين حيث يفضل علينا من لا منفعة له منه منفعة لنا على ذلك هذا والله اعلم وان كان في المنافقين فهو على بين فالضلال من المؤمن لا ينعم ما يفهم من الكافر والمنافق الا ترى ان آدم وحواء لما قربا تلك الشجرة قالا ربنا ظلمنا انفسنا لم يرد ظلم كفر وعلى ذلك قوله وجل فتكونا من الظالمين فعلى ذلك المفهوم من ضلال المنافق

والكافر والله أعلم وقوله تعالى وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه ٥ قال أهل التأويل أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالإعتاق وحيث أعتقه لأنه ذكر أن زيدا كان عربيا من أهل الكتاب أصابه النبي صلى الله عليه وسلم من سبي أهل الجاهلية وتبناه فأنعم عليه حيث أعطاه الإسلام ووفقه للهدى وأنعم عليه الرسول عليه السلام حيث أعتقه ويحتمل أيضا إنعام الله تعالى عليه في الإعتاق حيث وفق رسوله في الإعتاق وإن خلق فعل الإعتاق من رسوله وأجرى ذلك على لسانه والله أعلم ثم الآية حجة على المعتزلة حيث أخبر تعالى أنه أنعم على زيد بالإسلام وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى على زيد ولا على جميع الناس نعمة في الإسلام وذلك من وجوه أحدها أنهم يقولون إنه قد أعطى كلا ما يلزمهم الإسلام وهو القوة فيه إنما يسلمون لا بصنع من الله تعالى في ذلك بل يصنعون الإسلام بأنفسهم باختيارهم لا صنع لله تعالى في الإسلام نفسه وإنما كان من الله تعالى سبب لينفع الإسلام لا ضر وإذا كان كذلك فلا منة تكون منه عليهم ولا إنعام والثاني يقولون إن ليس لله تعالى أن يفعل بالخلق إلا ما هو أصلح لهم في الدين وإن الإسلام لهم أصلح فعليه أن يفعل ذلك بهم فهو فعل ما عليه أن يفعل ولا يجوز له أن يفعل غيره ومن أدى حقا عليه لا يكون فعله منعما ولا متفضلا إنما هو مؤدي حق عليه والثالث يقولون إنه ليس من الله تعالى إلى الأنبياء والمؤمنين جميعا شيء إلا وكان من ذلك في إبليس وأتباعه والجميع كفرا عنه فإذا كان قولهم ومذهبهم ما ذكرنا لم يكن لله عز وجل على أحد من أهل الإسلام في إسلامه نعمة ولا أفضال ولله تعالى امتنان عليهم في ذلك نعمة ومنة لأنه قال يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان الآية وقوله تعالى أمسك عليك زوجك واتق الله ٥ ذكر أهل التأويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر امرأة زيد فأعجبته وودها فعلم زيد ذلك فقال يا رسول الله إني أريد أن أطلق امرأتي فإن فيها كبر أتعاظم وتؤذيني بلسانها فعند ذلك قال له عليه السلام أمسك عليك زوجك واتق الله في طلاقها أي لا تطلقها لكن نحن لا نقول شيئا من ذلك إلا بخبر يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق التواتر أنه كان ذلك ثم يحتمل أن يكون زيد استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلاقها على ما يطلق الرجل امرأته لما يمل منها بلا سبب يكون فقال له عند ذلك أمسك عليك زوجك واتق الله في طلاقها أي لا تطلق زوجك بلا سبب مستوجب تحمله على الطلاق من تضييع حدود الله وترك إقامتها أو معنى نحوه فأما بلا سبب يكون منه في ذلك فلا يباح ولا يسع والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله أمسك عليك زوجك حتى تزوجها فيكون نحو ما هو مستنكحها كانت هي مأمورة بتزويجها نفسها منه اتق الله في ترك أمر رسالته وأمرت به والله أعلم وقوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال عامة أهل التأويل وتخفي في نفسك حبها وإعجابها ما الله مبديه ما الله مظهره في القرآن أي حبها وتزوجها وقال قائلون وتخفي في نفسك يا محمد لتبين طلاقها ما الله مظهر أي مظهر عليك حين نزلت لكن هذا بعيد محال لا يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال أمسك عليك زوجك واتق الله ثم يخفي هو في نفسه تمنيا أن يطلقها حتى يتزوجها هو لكن يحتمل أن يكون قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه أي هذا القول لنفسه هو لا بد أحببت حجة ما الله تعالى من القرآن تتلى ويقرأ إلى يوم القيامة بعد ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا في نفسه ما لولا ذكر الله تعالى إياه ذلك بقوله وتخفي في نفسك لم يعلم الخلق أنه أخفى شيئا ولا يدري ما الذي أخفى في نفسه ولا نقول إن الذي أخفى كذا وكذا إلا بخبر عنه على التواتر فيقول إني أخفيت في نفسي كذا فنقول ذلك يسع القول به فأما على التوهم فلا نقول به والله أعلم بذلك وقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ٥ قال بعضهم وتخشى الناس أي تتقي قالة الناس وتستحيي منهم في أمر زينب فيما أعجبه من حسنها والله أحق أن تخشاه ذلك والله أعلم وقال بعضهم يحتمل وتخشى الناس أن تستحيي قالة الناس لم تزوج امرأة ابنه وأمر بترك نكاحها والله أحق أن تستحيي منه في ترك ما أمرنا بالسعي في نكاحها وتزوجها والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه على الابتداء على غير الإلحاق بالأول ويكون صلة لما يضمر أحق أن تخشاه في كل أمر وكل شيء وعلى كل حال وهو كقوله فلا تخشوهم واخشون والله أعلم وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ٥ قال أهل التأويل حاجته فلما قضى زيد منها وطرا أي حاجة أي جماعا فإن الوطر هو الجماع فإن كان الأمر على ما قال أهل التأويل ففي ذكر الجماع فيه ليعلم أن حليلة ابن المتبنى تحل للزوج وإن وجد منه النكاح والجماع جميعا وأن كل واحد منهما سبب الحظر والمنع في نكاح حليلة ابن الصلب والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله عز وجل فلما قضى زيد منها

وطرا الآية أي قضى همة نفسه منها وبلغ غاية ما همت نفسه منها فعند ذلك زوجناكها وذكر أن زينب بنت جحش كانت تفتخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فيقول زوجكن آباؤكن والله تعالى زوجني من فوق سبع سموات ثم في الآية دلالة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان أخفى في نفسه ما كان يخشى قالة الناس في ذلك واستحيى منه وفي المعروف أن من أخفى شيئا يستحيي من الناس أن يظهر عندهم أن يكتم ذلك من الناس ولا يظهره فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أظهر ما كان يخشى قالة الناس ولم يكتمه منهم دل أنه رسول الله يفعل ما يفعل عن أمره إذ لو كان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتمه وأخفاه ولم يظهره بنفسه لما ذكر من المعهود في الناس من كتمان ما يستحيون منه لو ظهر والله أعلم وكذلك روي عن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الآية وقوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ففي الآية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يصنع ويأمر به في كل فعل يفعله في نفسه إلا فيما ظهرت الخصوصية له فأما فيما لم تظهر فعلى الناس اتباعه فيما يصنع ويفعل فإنه كان تزوج امرأة دعيه ثم قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ولو كان يخبرهم بذلك نصا أنه يحل لهم ذلك فعلى ذلك إذا فعل هو ذلك أخبر ذلك لكيلا يكون على المؤمنين حرج في مثله والله أعلم ثم قوله إذا قضوا منهن وطرا في ذلك الوطر منهن فائدة لأن من النساء من لا يحرم على بعض هؤلاء بالعقد وإنما يحرمن بقضاء الوطر ومنهن ما يحرمن بالعقد نفسه دون قضاء الوطر فأخبر أن أزواج الأدعياء إذا قضوا منهن الوطر فإنهن لا يحرمن عليهم والله أعلم وكان أمر الله مفعولا أي وما كان بأمر الله يكون مفعولا وهو كما قيل الصلاة أمر الله أي بأمر الله وإلا الصلاة هي فعل العبد فلن يكون أمر الله وإنما بأمر الله فعلى ذلك هذا أو على ذلك قوله حتى إذا جاء أمرنا أي جاء ما يكون بأمر الله وهو العذاب الذي أوعد وإلا أمر الله تعالى لا يجيء فهذا مثله ثم قوله وكان أمر الله مفعولا لا يشكل لأنه أخبر كل أمره يكون مفعولا وقدرا كتبي أي وأمره لا يتصل به الفعل ولا يجوز الخلف في خبره والجواب عن هذا القول يحتمل ذلك وجهين أحدهما التكوين بتكوينه كان مكونا وما يكون بتكوينه يكون مكونا وهو كقوله إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فيكون الأمر كناية عن التكوين والثاني في الإلزام والإيجاب أي ما يكون بأمر الله يكون واجبا لازما إذا أريد به الإيجاب والإلزام والله أعلم وقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي بين الله له كقوله سورة أنزلناها وفرضناها أي بيناها ويحتمل فيما فرض الله له أي أوجب الله عليه يقال فرض عليه أي حرم وفرض له أي أحل وكذلك قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله أعلم وقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل قال بعضهم أي هكذا كان سنة الله فيمن كان قبله من الرسل مثل داود وسليمان وغيرهما عليهم السلام كثرة النساء ليس ذلك ببدع في محمد صلى الله عليه وسلم وفي كثرة النساء للرسل آية عظيمة لهم لأنهم آثروا الفقر والضيق على السعة وكفوا أنفسهم عن جميع لذاتها وحملوا على أنفسهم الشدائد وأتعبوها إذا تبعها الأمور الثقيلة وهذه كلها أسباب تقطع الشهوات والحاجة في النساء فإذا لم تقطع تلك الأسباب عليهم ذلك دل أنهم بالله قووا عليها والله أعلم وقال بعضهم أي كذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد يعني داود النبي عليه السلام هوى المرأة التي فتن بها فجمع الله تعالى بين داود وبين تلك المرأة وكذلك جمع بين محمد وبين امرأة زيد إذ هويها ثم فضل داود عليه السلام لكن هذا بعيد وسنذكر هذا في موضعه إن شاء الله تعالى وقيل سنة الله في الذين خلوا من قبل أي سنة الله تعالى مضى أنه لا حرج على أحد فيما لم يحرم عليه ويحتمل أن يكون سنة الله في الذين خلوا من قبله حل نكاح أزواج الأدعياء كل يحل لهم ذلك كرسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم وقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا هو ما ذكرناه في قوله وكان أمر الله مفعولا أي ما كان بأمر الله وقدره مقدورا والله أعلم وقوله تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله قال أهل التأويل المراد محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه والله أعلم إن كان المراد فيما تزوج حليلة دعيه زيد فبلغ رسالات ربه حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وتبليغ الرسالة يكون مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل ويلزم الناس اتباعه في فعله كما يلزم في خبره وأمره إلا فيما ظهرت له الخصوصية في فعل ما والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله الذين يبلغون رسالات الله هم الأنبياء عليهم السلام الذين قال سنة الله في الذين خلوا من قبل بعثهم فقال الذين يبلغون رسالات الله فسنته في محمد عليه السلام كسنته في أولئك الذين كانوا من قبل فيما ذكر من التجاوز لهم الأنبياء والله أعلم وقوله تعالى ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله يقول والله أعلم يخشون الله في ترك تبليغ الرسالة ولا يخشون أحدا سواه في التبليغ ويكون فيه

الا الله يعني سوى الله على المبالغة في الامر والا لو قال ولا يخشون احدا كان كافيا اي لا يخشون احدا
فيما يبلغون لكن يحتمل ما ذكرنا لك لا يخشون احدا الا الله فيما يصيبهم من الاذى والبلاء بالتبليغ يقول
يتقون لا يرهبون ذلك منهم ولكن يتقون الله تعالى اياه والا كانوا يخافون منهم ولكن حقيقة الذي
انا الله تعالى اخبر عنهما انهم قالوا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وحيث قال موسى عليه السلام رب
ان يقتلون ولخاف ان يكذبون وخوف ان يكونوا خافوهم في الابتداء ثم امنهم الله تعالى فلم يخافوا حيث قال
لا تخافا انني معكما اسمع وارى والله اعلم وقوله تعالى وكفى بالله حسيبا قيل شهيدا على تبليغ الرسالة
والله اعلم وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم معناه والله اعلم ما كان محمد ابا احد ابوة يحرم بها حلائل
الابناء والا هو اب لجميع المؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اذا كانت
ازواجه امهاتنا هو ابونا والله اعلم لكن تاويله ما ذكرنا اي ما كان محمد ابا احد من رجالكم ابوة يحرم بها
حلائل الابناء ولكن ابوة التعظيم له والتبجيل وابوة الشفقة والرحمة وهو ما قال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الاية وكذلك قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
يحتمل وجهين ايضا اي اولى ان يعظم ويكرم ويشرف من انفسكم كقوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بكرة واصيلا
والثاني اولى بالمؤمنين اي اشفق عليهم وارحم من انفسكم وهو ما وصفه بقوله وجعل من رحمته ورافته
حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وقوله تعالى ولكن رسول الله اخبر انه
ليس ابا احد من رجالكم على ما ذكرنا ولكن رسول الله لذلك يعاملون رسوله معاملة ابائهم ولا ينقصوا
حرمته وحقه في تعظيمه له والتبجيل على الاكرام لانه ابو وشفقته دينية وشفقة الاباء شفقة
الدنيوية لان الرجل قد يتبسط مع والده ما لا يستطيع مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك
ولذلك قال وخاتم النبيين اي ختم به الرسالة لا نبي بعده الا ذكا في بيان عظمته وحرمته حتى يعظم
وغاية التعظيم والله اعلم ثم قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يخرج على وجهين احدهما في حق الانتساب
اليه اي ليس هو ابا لاحدكم ينسب اليه قد بعانه لانه ذكر في القصة انهم كانوا يقولون زيد بن محمد
بن عبد الله يدعونه وينسبونه اليه فبين بهذا انه ليس بابو النبي ولا يجوز النسبة اليه ولا التسمية
به وهو كقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله وكذا ان في حق الحرمة كانه قال ليس هو بابو احدكم حرم
حلائل الابناء عليه ابناء النبي ولا في حق النسبة وان كان هو ابا لكم في الشفقة والرحمة على ما ذكرنا
والله اعلم ولكنه رسول الله ما ذكرنا في التعظيم له والتبجيل في المعاملة والمصاحبة او في الدعوة
به والتسمية والله اعلم وقوله تعالى وخاتم النبيين يحتمل ان يكون ذكره ولهذا انه خاتم النبيين لما علم
عز وجل انه يسمى غيره بعده نبيا على ما يقوله الباطنية ان خاتم الزمان هو نبي فلهذا بهذا ان من ادعى النبوة
بعده لا يطالب بالحجة والدلالة ولكن يكذب على التنبيه ولذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا نبي بعدي اخبر انه ختم به النبوة والله الموفق وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
قال اهل التاويل يعملون اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت ذكرا كثيرا باللسان ويحتمل ان يكون بل
امرهم بالذكر له كثيرا اي اذكروا نعمته ليشكروا له واذكروا اوامره ليتبعوها ومناهيه لينتهوا عنها ووعيده ليخافوا
ووعده ليرغبوا واذكروا عظمته وجلاله وكبريائه ليهابوا ذكرا كثيرا اي دائما تذكرون ما ذكرنا لتكونوا
ما ذكرنا لتكون ما ذكرنا دائما يكون ذلك بالذكر والله اعلم وقوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا البكرة
حين ختم الليل وابتداء النهار والاصيل هو ختم النهار وابتداء الليل فكانه امرنا بالذكر له والحمد في ابتداء
كل ليلة وختمه وابتداء كل نهار وانقضائه ليتجاوز عنهم ويغفر ما يكون منهم من الاسباب خلال ذلك
وعلى ذلك روي في الخبر من صلى العشاء الاخرة بالجماعة والفجر بالجماعة فكانما احيا ليلته والله اعلم ويحتمل
ان يكون ذلك ليس على ارادة البكرة والاصيل ولكن على ارادة كل وقت وكل حال ليس من وقت ولا حال
الا ولله تعالى عادة صبر او شكر لنعمائه فالصبر على مصائبه وقال بعضهم الامر بالذكر له بالبكرة
والاصيل في الصلوات الخمس من الظهر الى اخر الليل اصيل فيدخل فيه صلاة الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وفي البكرة صلاة الفجر والله اعلم وقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته اما صلاة الله تعالى
هي الرحمة والمغفرة عن الحسن انه قال كان بنو اسرائيل سالوا موسى عليه السلام هل يصلي ربك فكان
ذلك يخبر في صدره فساله فاوحى الله تعالى اليه اذا خبرهم اني اصلي وان صلاتي ان رحمتي سبقت غضبي
وانما الصلاة من الملائكة الاستغفار وطلب العصمة والنجاة كقوله عز وجل ويستغفرون للذين
امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وما قال في

السيئات الاية وقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الاية وما قال ويستغفرون لمن في الارض
ثم جائز ان يكون المراد المؤمنين خاصة بهذا الاستغفار وجائز ان يكون المراد المؤمنين خاصة بهذا
الاستغفار وجائز ان يكون المراد الكافر والمؤمن فان كان الكل مرادا بالاستغفار فيكون استغفار
طلب الاسباب التي بها يستوجبون المغفرة وهو الهدى والايمان وهو كقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا
لا يحتمل ان يستغفر لهم وهم كفار ولكن يطلبون منه التوبة عن الكفر ليستوجبوا به المغفرة وكذلك
استغفار ابرهيم عليه السلام لابيه لا يحتمل ان يستغفر له وهو كافر ولكن يطلب له من الله تعالى ان يجعله
بحيث يستوجب المغفرة والرحمة وهو الهدى والله اعلم وقوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور وقال بعضهم
رحمهم حيث اخرجهم من اصلاب ابائهم قرنا فقرنا الى ان بلغوا ما بلغوا ويحتمل اخراجهم اياهم من ظلمات
الكفر الى نور الهدى بدعاء الملائكة واستغفارهم لهم وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما لان الله تعالى
بالمؤمنين رحيما وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام يحتمل ان يكون تحية الملائكة عليهم السلام لهم التسليم
كقوله سلام عليكم بما صبرتم الاية ويحتمل ان يكون تحية بعض على بعض في الجنة والسلام ليس تحيتهم
في الدنيا اطال البقاء وكيف حالك ونحوها في الدنيا تقول ليس تحية اهل الجنة ذلك بل انه سلام كقوله لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ويحتمل تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صواب وسداد لا عنف
كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون قولا صوابا وسدادا
لا يقابلونهم بمثل ما خاطبوهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صواب وسداد من
الكلام والله اعلم وقوله تعالى واعد لهم اجرا كريما اي حسنا وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا يحتمل قوله شاهدا على تبليغ الرسالة يشهد لهم بالاجابة لهم اذا اجابوه ويشهد عليهم
بالرد ان ردوا وخالفوه وقوله ومبشرا ونذيرا اي يبلغ اليهم ما يكون به البشارة ان اطاعوه ويبلغ اليهم ما يكون
به النذارة اذا خالفوه والبشارة هي الاخبار عن الخيرات التي تكون في عواقب الامور الصالحة والنذارة الاخبار
التي تكون في عواقب الامور السيئة ونحوه من كلام وقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه يحتمل داعيا الى توحيد الله
الى طاعته او الى دار السلام كقوله عز وجل والله يدعو الى دار السلام او الى ما يدعو الله له وقوله باذنه
اي بامره وقوله وسراجا منيرا اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وجعلناك سراجا منيرا فالسراج المنير هو الرسول عليه السلام على هذا التاويل وقال بعضهم السراج المنير
هو القران يقول انا ارسلناك داعيا الى الله والى السراج المنير وهو القران يقول ارسلناك داعيا والى
السراج المنير وهو هذا القران والله اعلم وقوله تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فيه دلالة
ان البشارة انما تكون بفضل من الله تعالى لانهم يستوجبون من الله تعالى باعمالهم من ذلك وقوله تعالى
ودع اذاهم هذا يحتمل اعرض عنهم ولا تكافيهم بما يؤذونك ويحتمل ودع اذاهم اي اصبر على اذاهم وقوله
وتوكل على الله اي اعتمد بالله وكفى بالله وكيلا كفى بالله معتمدا ويحتمل وكفى بالله وكيلا اي حافظا
وناصرا والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ذكر انه جاء
رجل الى عبد الله بن عباس رضي فقال انه كان بيني وبين ابن عمي كلام فقلت يوم تزوج ابنتك فهي طالق ثلاثا
فقال تزوجها فانها لك حلال اما تقرا قوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فجعل الطلاق
بعد النكاح وبه اخذ الشافعي واحتج بها وعندنا اذا حلف فقال ان تزوجها فهي طالق فتطلق ويكون
طلاقا بعد النكاح وليس في الاية منع وقوع الطلاق اذا اضافه الى ما بعد النكاح وقوله من قبل ان تمسوهن
يحتمل من قبل ان تجامعوهن ويحتمل من قبل ان تخلوا بهن المكان التي تماسوهن والاكثر يخلو بها المكان
الذي بما تمسها ثم طلقها يجب كمال المهر واذا لم يجامعها ولم يدخل المكان الذي يمسها حتى طلقها فله
نصف الصداق يدل عليه قوله تعالى وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض والافضاء المس هو الجماع
نفسه ولكن الدخول معها ما المس باليد او شبهه والله اعلم وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
هذا يدل على ان العدة من حق الزوج حيث اضاف الى الازواج فقال فما لكم من عدة ويظهر بهذا انه لا يجوز
يجمع بين الاختين في العدة من حقه وهو العدة كما لا يجوز الجمع بين الاختين في ملك النكاح والله اعلم وقال بعضهم
المتعة منسوخة بالاية التي ذكرت في سورة البقرة حيث قال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال بعضهم هي التي وهبت نفسها بغير صداق فان لم يكن وجب الصداق
وجبت المتعة وعندنا ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف من الصداق ولا يجب عليه المتعة ولكن
ان فعل ومتعها فهو فضل واحسن وان كان لم يفرض لها صداقا حتى طلقها قبل الدخول بها فهي واجبة

فلي قدر عشرتهن وسيرتهن والله أعلم وقوله تعالى وسرحوهن سراحا جميلا قال بعضهم السراح الجميل هو أن يبذل
لهن الصدقات عند التسريح وقال بعضهم الجميل هو أن يطلقها طاهرا من غير جماع في ذلك ويحتمل أن يكون
السراح الجميل هو أن يقال لا يؤذون باللسان إذا سرحتموهن والله أعلم وقوله تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا
لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن يحتمل وجهين أحدهما أي إن ضمنت أجورهن وحلت فيكون الإيتاء
عبارة عن القبول لعن الضمان وذلك جائز نحو قوله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم
هو على القبول لعن الضمان ليس على فعل الإيتاء نفسه إذ لا يجب الإيتاء إلا بعد حولان الحول وقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله حتى يعطوا الجزية ليس على نفس الإعطاء ولكن على القبول أي حتى
يقبلوا الجزية إذ الإعطاء إنما يجب إذا حال الحول فهذا مثله والله أعلم والثاني أي أحللنا لك أزواجك
اللاتي هن لك إذا آتيت أجورهن معناه أي أحللنا لك إياهن إذا آتيتهن أجورهن
ففيه دلالة أن المهر قد يسمى أجرا فيكون قوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن أي مهورهن فيكون الاستمتاع
هو الاستمتاع في النكاح والله أعلم وقوله تعالى ذلك يجوز أن يكون قوله وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين فيكون له بالأجر لا بلفظ الهبة لأنه ذكر على
إثر ذلك حل أزواجه له بالأجر كأنه قال إنا أحللنا لك اللاتي آتيت أجورهن وأحللنا لك امرأة مؤمنة
إن وهبت نفسها بلا أجر خالصة لك من دون المؤمنين بغير أجر لأن الخلوص لشيء إنما يكون لما حصل به
بلا ولا سوية وأما أن يكون الخلوص بلفظة دون لفظة فلا ويؤيد ما ذكر في آخر الآية لما يدل على ما ذكرنا
وهو قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم دل أن خلوص تلك المرأة له لا فرض فيه ويعبر بأنه هو
خرج مخرج الامتنان عليه والامتنان عليه في لفظ الهبة ليست تلك في لفظة التزويج بقوله كان
قوله وهبت زوجت لكان المنة عليه فيما صار له بلا مهر في لفظ الهبة ويحتمل أن يكون خالصة
لك من دون المؤمنين في الأجر أي لا يحل لأحد سواك أن يتزوجها وصارت من أزواجك فأما أن يكون
من قوله خالصة لك من دون المؤمنين بلفظ الهبة فلا يبقى بما ذكرنا ذكر من الصحابة وأهل التأويل
نحو عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهما لم يفهموا من قوله خالصة لفظة الهبة حتى روي
عن ابن عباس أنه قال إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن إن الموهوبات شعا بأن الشافعي رحمه الله فهم ذلك ما ذكر
وبعد فإنه ليس من عقد الإماء وهو يحتمل الابتياع بلفظ الهبة من التمليكات والإجارات وغيرها فعلى ذلك
النكاح وقوله تعالى وما ملكت يمينك أي وأحللنا لك ما ملكت يمينك وأحللنا لك أيضا بنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك ويحتمل أن يكون بنات من ذكر من الأعمام والأخوال الناس هذه لأن
العمات والخالات حرمن في سورة النساء فيحتمل أن يحل ههنا في الحرمة بمنزلة بنات الإخوة إلا أنه ذكر حلهن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر للناس كافة كما كان ذكر حل نكاح حليلة زيد بن حارثة حل الناس
في أزواج حلائل أبناء المتبنى حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فعلى ذلك الأول
والله أعلم ويحتمل أن يكون معرفة حل نكاح بنات الأعمام والعمات ومن ذكر بقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم
إذ ذكر المحرمات في الآية على الإبلاغ ما كان بنسب وما كان بسبب وهو الرضاع قال عز وجل وأحل لكم ما وراء
ذلكم فيكون ما وراء المذكورات محللات بظاهر الآية والله أعلم وقوله تعالى اللاتي هاجرن معك لم يفهم
هذا من قوله هاجرن معك المهاجرة معه حتى لا يتقدمن ولا يتأخرن بل دخلن في قوله معه من هاجر في زمن
من قبل ومن بعد فهذا يدل على أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه والله أعلم وقد اختلف في
المرأة التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام عن ابن عباس في رواية عكرمة أنها ميمونة بنت الحارث وعن
علي بن الحسين هي أم شريك الدوسية وعن الشعبي أنها امرأة من الأنصار وقيل زينب بنت خزيمة أم المساكين
والله أعلم أيتهن كانت وقوله عز وجل قد علمنا ما فرضنا على الناس وهي أربع نسوة لا يحل الزيادة على الأربع
وما ملكت أيمانهن وهي الجواري والخدم يجوز الزيادة على ذلك وإن كثرن وقال بعضهم كان مما فرض
الله تعالى أن لا يتزوج الرجل المرأة إلا بولي ومهر وشهود إلا النبي عليه السلام خاصة فإنه يجوز أن تهب المرأة
نفسها منه بغير مهر وبغير ولي والله أعلم وقال بعضهم ما فرضنا أي ما بينا ما يجوز وما لا يجوز
أي بين ذلك كله في الأزواج وقيل ما فرضنا أي ما أوجبنا عليهم في أزواجهم من الحقوق والأحكام
ونحوها والله أعلم وقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء اختلف فيه عن الحسن قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها النبي صلى الله عليه وسلم
تلك خطبتها كان لغيره أن يخطبها ثم إذا خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لأحد أن يخطبها بعد

أو يترك خطبتها أو كلام نحوه وفي ذلك نزل قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء وكذلك
قال قتادة الآية في الخطبة وقال بعضهم هذا في قسمة الأيام بينهن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوي بينهن
في قسمتهن حتى نسخ الله عنه ذلك وأحل له فقال ترجي من تشاء منهن وتؤوي أي من شاء فلا تأتيها وتؤوي إليك من تشاء
فتأتيها ومن ابتغيت ممن عزلت يقول لمن اعتزلت من النساء أن تأتيها فعلت فقال ذلك أدنى أن تقر أعينهن يقول
أجدر أن تقر أعينهن ولا يحزن على ترك القسمة إذا علمن أن الله تعالى جعل ذلك حلالا وأنزل فيه الآية
ويرضين بما آتيتهن كلهن بها إذا علمن أنه رخصة كانت من الله تعالى كان أطيب لأنفسهن من أن لو لم يخبر
من ترك ذلك والله أعلم وقال بعضهم أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي كن تحته خشين أن يطلقهن
فقلن يا رسول الله اقسم لنا من نفسك ومالك ما شئت ولا تطلقنا فنزل ترجي من تشاء منهن أي تعتزل من تشاء
منهن بأن تعتزل لهن بغير طلاق وتؤوي إليك من تشاء منهن أي تمسك فلا جناح عليك وقال بعضهم لا
في ترك نكاح ما أبيح له من القرابات منهن وفي الإقدام على نكاح من شاء منهن لأنه على إثر ذلك ذكر بقوله
ترجي من تشاء منهن من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تتزوجها وتؤوي أي تضم إليك من تشاء
منهن أخبر الله تعالى رسوله عليه السلام في نكاح القرابة وذلك قوله ومن ابتغيت ممن عزلت منهن فلا جناح
عليك أي لا حرج عليك وفي ذلك ذلك أدنى يقول أجدر وأحق وأقرب أن تقر أعينهن أي النساء اللاتي
اخترنه ولا يحزن إذا علمن أنك لا تتزوج عليهن ويرضين كلهن من النفقة وكان في نفقتهن ضيق
ويحتمل أن يكون معنى قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك حين خيرهن رسول الله
فاخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن على قلة النفقة والحلي ويرضين من النفقة
وغيره والله أعلم ما في قلوبكم من الحب والرضا وكان الله عليما حكيما وقال القتبي ترجي أي تؤخر من تشاء
ولا تقربها وكذلك قالوا في قوله أرجه وأخاه وقال بعضهم تحبسه وقال بعضهم تؤخره وقوله تؤوي أي تضم والله أعلم
وقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد اختلف في قوله من بعد قال القائلون من بعد اختيارهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والدار الآخرة فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره الله عليهن فقال لا يحل لك
النساء من بعد اختيارهن المقام معك ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك
فإن كان على هذا فيخرج الحظر والمنع مخرج الجزاء لهن والمكافأة لما اخترنه على الدنيا وما فيها ثم اختلف
منهن في قسمهن منه روي عن عائشة رضي الله عنها قالت اشترطن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخترن
والدار الآخرة أن لا يتزوج علينا ولا يتبدل بنا من أزواج ثم استثنى ما ملكت يمينه لأنه لا حظ لهن في نفسهن
لقسمهن والله أعلم وقال بعضهم لا يحل لك النساء من بعد أي لا يحل لك من بعد المسلمات الكتابيات لا يهوديات
ولا نصرانيات أي لا تتزوج يهودية ولا نصرانية فتكون من أمهات المؤمنين كقوله وأزواجه أمهاتهم وقوله
إلا ما ملكت يمينك أي لا بأس أن تشتري اليهودية والنصرانية فإن كان على هذا ففيه حظر الكتابيات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم خاصة لما ذكرنا أن يختص بأمهات المؤمنين فأما المؤمنون فإنهم أبيح لهم نكاح
الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فيكون حل الكتابيات للمؤمنين دون النبي صلى الله
عليه وسلم إيثار الزيادة والفضل الذي لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم وقال بعضهم لا يحل لك
النساء من بعد المذكورات المحللات لك في الآية من قبل هذه الآية من بنات العم والعمات وبنات الخال والخالات
يقول لا يحل لك النساء سوى ما ذكرنا أن تتزوجهن عليهن ولا أن تبدل بهن ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت
يمينك والله أعلم ثم يحتمل لا يحل لك النساء من بعد أي لا يحل لك من حيث المروءة والخلق أن تتزوج عليهن
بعد اختيارهن إياك والدار الآخرة على الدنيا وما فيها من الزينة ويحتمل أن يكون على التحريم نفسه في الحكم
وليس لنا أن نفسر أنه تحريم أراد تحريم الحظر والمنع في الخلق أو تحريم الحكم لأن ذلك أمر كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عرف ذلك فنعرفه أنه ما أراد به ذلك علم يتعلق بمعرفة حقيق ذلك شيء فحفظنا حكم ما يكون
الاشتغال به فضلا وهذا التأويل أحسن احتمال الكذب والغلط والله أعلم به وقوله تعالى ولا أن تبدل
بهن من أزواج أي التبديل بهن يحتمل في التطليق أي إذا طلقتهن لا يحل لك أن تتزوج غيرهن
ويحتمل بالموت أيضا أي إذا متن لا يحل لك أن تنكح غيرهن والله أعلم وقوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا
أي حفيظا وقيل شاهدا وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام
غير ناظرين إناه يحتمل النهي عن دخول بيوت النبي وجهين أحدهما لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم
بغير إذن كما يدخل الرجل على من كان من محارمه بغير إذن فيكون النهي عن الدخول في بيته بغير إذن
في بيته نهيا عن الدخول بغير إذن كقوله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها والله أعلم

ويحتمل لا تدخلوا بيوتا غير بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
اناه اي الا ان يدعوا الى الطعام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا هيئ له شيئا من الطعام دعا
اصحابه فياكلون وكان لا يمسك ولا يدخر فضل الطعام لوقت آخر فاذا نزل به ضيف فلم يكن عنده
ما يقدم اليه استحيى ويشق عليه ذلك فنهى عن ذلك الدخول عليه والنزول به ضيفا لما ذكرنا فلم يؤذن الا
الى ان يدعوا الى الطعام فعند ذلك يدخلون عليه ويضيفونه فان كان التاويل هو الاول ففيه الاخبار
والنهي عن الدخول بلا استيذان وان كان هو الثاني ففيه النهي عن النزول به ضيفا قبل ان يدعو لما ذكرنا
والله اعلم ويكون الاية في الحجاب قوله عز وجل واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب الاية
والله اعلم وقوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث قال بعضهم
ذكر هذا لان ناسا من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغداءه فاذا حضر ذلك
دخلوا عليه بغير اذن وجلسوا في بيته ينتظرون نضج الطعام وادراكه فنهى عن ذلك وكانوا اذا اكلوا
وفرغوا منه جلسوا في بيته يتحدثون ويستانسون فنهوا عن ذلك وامروا بالانتشار والخروج من عنده
وعند نسائه ولم يحتج بما قبل ذلك منهم فيشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم ويحتمل
ان يكون الامر بالانتشار والخروج من عنده لما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عبادة يحتاج
الى القيام بها فيما بينه وبين الله تعالى او بينه وبين غيرهم من الناس وكانوا يشغلونه عن ذلك فنهوا عن ذلك
والله اعلم ويحتمل ايضا ما ذكره بعض اهل التاويل من الحاجة الى نسائه وازواجه والخلوة بهن في وقت القيلولة
والله اعلم وقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي الدخول عليه بغير اذن والانتظار نضج
الطعام او الجلوس بعد فراغهم من الطعام والحديث بما كان من قولهم فيستحيي منكم والله لا يستحيي من
الحق والاشكال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستحيي من الحق ايضا والتنصيص على قوله
ان الله لا يستحيي من الحق لا ينبغي ان يكون الرسول عليه السلام لا يستحيي بل هذا كناية ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يستحيي من الحق ايضا وقوله فيستحيي منكم اي يستحيي ان يقول لهم اخرجوا من منزلي
ولا يتحملوا على نحو ما تقتضي ذلك في الخلق ان يقول الرجل الآخر لا يدخل منزلي واخرج من منزلي لما
لما يرجع ذلك الى دناءة الاخلاق والبخل فلما انزل الله تعالى الاية امر ان يقول لهم ما ذكر فقال لهم واخبرهم
بذلك فلم يستحي عند ذلك لما صار ذلك من حق الدين فرضا عليهم لازما ان يعلمهم ويخبرهم بما يلزمهم
من حق الدين وكان قبل ذلك يستحيي لما كان ذلك من حق الملك وحق النفس فلما انزل عليه الاية صار ذلك
صار من حق الدين لذلك كان لما ذكر والله اعلم ثم قوله لا يستحيي من الحق اي لا يدع ولا يترك ان يعلمهم الحق
والادب وقد ذكرنا معناه في قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والله اعلم وقوله تعالى واذا سالتموهن
متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن الاية يحتمل ان يكون المعنى الذي هو اطهر لقلوب
الرجال غير المعنى الذي هو اطهر لقلوبهن ذلك الذي يكون اطهر لقلوبكم من الخواطر والميل لقضاء الشهوة وما يدعو
النفس اليه واطهر لقلوبهن من العداوة والبغضاء لا الميل لقضاء الشهوة وذلك انهن قد نهين
لا يحل لغيره نكاحهن لما اخترنه والدار الآخرة على الدنيا وزينتها فقد وعدن بان تكاتب الفاحشة
العذاب ضعفين على ما ذكر وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ان تكاتبه ذلك فاذا كان كذلك فاذا عرف
الداخلين عليهن والناظرين اليهن نظر شهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة فكانه يقول السؤال
من وراء الحجاب اطهر لقلوبكم من الخواطر والريبة واطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة والله اعلم ويحتمل
ان يكون المعنى واحدا وهو الريبة والفجور لما كان فيهن من الشهوة وركب فيهن من فضل الدواعي الى ذلك
والله اعلم وقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال بعض
اهل التاويل ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن لما احتجبن بعد نزول الحجاب
ونهوا عن الدخول عليهن والنظر اليهن قال رجل يشتهي ان ندخل على بنات عمنا وبنات
خالنا وبنات خالاتنا اما والله لئن مات لاتزوجن فلانة ذكر امراة من نسائه فنزل وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا بل لا يحل لكم ما ذكر لكن هذا قبيح لا يحتمل
ان يكون احد من الصحابة رض يقول ذلك ويخطر بباله الا ان يكون منافقا والله اعلم ويحتمل ان يكون
قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فيما تقدم من الجلوس والانتظار وترك الامانة للحديث والحجاب
بينهن وبين نسائه ونحوه وقوله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ابتداء النهي عن نسائه بسبب
ويحتمل ايضا ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ازواجه من بعده ولو كان لا يحل

ازواجه على الناس من بعده لانهن امهاتهم كما ذكر بعض اهل التاويل لم يحتج الى النهي عن نكاحهن بعده الا ان
يقصد نكاح الام وكان يحل لهم نكاحهن لو فارقهن وانما سماهن امهات لما ذكرنا انهن يستحققن من التعظيم
والاكرام استحقاق الامهات فهن كالامهات في حق استحقاق الاحترام ولهذا نهي عن نكاح ازواجه
من بعده وجعلهن حرما على غيره بعد وفاته كانه حي وحال قيام حياة احد الزوجين لا تحل المراة لغيره في حق
سائر الناس ولهذا جعل ذلك في حق ماله وملكه فمنع الميراث وراثته كانه حي لم يرث ماله ورثته تابيا على
ملكه ابدا وكذلك ازواجه وكذلك جعل في حق الرسالة والنبوة كانه حي لم تنسخ شريعته بعد وفاته بشريعة
اخرى كما نسخت شرائع الانبياء الذين كانوا من قبله اذا ماتوا بشريعة اخرى بل جعلت كانه حي في ابقاء شريعته
الى يوم القيامة فعلى ذلك جعل في حق ازواجه كانه حي في التحريم على الناس فكان ازواجه في الاخرة على ذلك
يخرج تاويل قوله خالصة لك من دون المؤمنين اي هن خالصة لك لا تحل لاحد بعدك فيكون زوجتك
في الجنة والله اعلم وعلى ذلك روي عن حذيفة رض انه قال لامراته ان سرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمع الله
بيننا فيها فلا تتزوجي بعدي فان المراة لآخر ازواجها ولذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ان يتزوجن بعده وقوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما يحتمل ان اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونكاح ازواجه عند الله عظيما ويحتمل ان يكون عظيما في العقوبة عند الله تعالى وقوله تعالى ان تبدوا شيئا
او تخفوه اي ان تبدوا شيئا للعباد او تخفوه عنهم فان الله كان بكل شيء عليما اي بما ابديتم واخفيتم
ويحتمل قوله بكل شيء عليما اي لا يخفى عليه شيء ذكر هذا ليكونوا ابدا على حذر وخوف والله اعلم وقوله تعالى
لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن اي لا حرج ولا اثم على النساء في دخول من ذكر عليهن بلا اذن
ولا حجاب في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ذكر هؤلاء ولم يذكر الاعمام والاخوال
فقال بعضهم انما لم يذكرهم لانه لم يبح لهم الدخول عليهن لانهن يحللن بالنكاح لاولاد الاعمام ولاولاد الاخوال
واذا دخلوا عليهن فراوهن متجردات متزينات فيصفونهن لاولادهم فيصف الرجل لولده حسن المراة
وقبحها فيحمل وصفهم اياهن لاولادهم على ان يرغبوا فيهن فيزيد لهم رغبة فيهن لو ذهبت عنهن والله اعلم
وقال بعضهم انما لم يذكر الاعمام والاخوال لما ذكر الذكور من بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال
لانهم جميعا من جنس واحد ومن نوع واحد في معنى واحد وقد يذكر في الجنس ما كان في معنى المذكور بحكمه
ما ذكر من اجناس المحرمات على الآباء ويترك من كل جنس شيئا لم يذكره لان الذي لم يذكره هو في معنى المذكور فيكون
في ذكر من ذكر غنى عمن لم يذكر فعلى ذلك حيث ذكر بني الاخوة وبني الاخوات يغني عن ذكر الاعمام والاخوال
اذ هم في معناهم والله اعلم ويحتمل انه لما لم يبح الدخول عليهن للاعمام والاخوال لانهم اذا دخلوا عليهن فراوهن
متجردات فلعل بصرهم يقع على فروجهن فينظروا اليهن بشهوة فيحرمن على اولادهم اذا لم يعلموا انهن محرمات
فيمنع دخول الاعمام والاخوال عليهن لهذا والله اعلم وقوله تعالى ولا نسائهن قال بعضهم اي نساء المسلمات اضاف
اليهن لقيام المجانسة في الاسلام اي من جنسكن ابيح لهن الدخول عليهن بلا اذن وان رأينهن متبرجات
متزينات ولم يبح ذلك لليهوديات والنصرانيات وانما نهى مخافة ان يصفن ذلك لاهل دينهن فيكون ذلك
لاهل دينهن فيكون ذلك سبب فتنتهم ورغبتهم فيهن والله اعلم وقال بعضهم ولا نسائهن من قراباتهن
خص هؤلاء لان غيرهن من الاجنبيات بعد ذلك يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا من خوف وصفهن الاجنبيات لازواجهن
والمتصلين بهن من حسنهن وزينتهن اذا رأينهن متجردات متزينات ولا يخاف مثل ذلك من قراباتهن هذا
هو الظاهر والله اعلم والثاني خص القرابات لما انهن ذات رحم وصلة الرحم معهن وفي المنع عن الدخول قطع الوصلة
والرحم ولا كذلك في الاجنبيات فقد يخف الحكم بما فيه الاسلام واقامة الواجب وتغلظ فيما هو اخف منه
اذا لم يكن فيه ابتداء والله اعلم وقال بعضهم ولا نسائهن المسلمات وقوله تعالى ولا ما ملكت ايمانهن يحتمل
الاماء خاصة دون العبيد فيباح دخول الاماء على مولاتهن دون العبيد وهو كقوله والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم لم يفهم منه شيء الا الاماء فعلى ذلك جاز ان يكون المفهوم من قوله ولا ما ملكت
ايمانهن الاماء ملكت ايمانهن الاماء وان كان مطلق الكلام يحتملهما والله اعلم ويحتمل الاماء والعبيد جميعا فاباح
على الاماء والعبيد جميعا فكذلك والله اعلم انما اباح دخول العبيد على مولاتهم بلا اذن لانهم انما يدخلون
عليهن من قبل حاجاتهن اليهن في اوقات معلومة وهي في تلك الاوقات يكن متاهبات لدخولهم عليهن محتجبات
منهم وعلى ذلك يخرج ما روي ان مكاتبا لعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل عليها فلما ادى وعتق
منعته عن الدخول عليها وهو ما ذكرنا انه كان يدخل عليها لوقت حاجتها اليه وهي كانت متاهبة لدخوله
عليها فاما لا يحتمل ان يكون يدخل عليها ويراها متجردة او متزينة بعد ما امرت بالاحتجاب والله اعلم وقوله تعالى

العبيد لا يحل لهم النظر الى مولاتهن ولا يكون لهن محرما لهن والله اعلم وان احتمل الاية بالعبيد بالاذن بدخول
لا بغير اذن ويكون الاذن مضمرا فيها ثم قال واتقين الله اي اتقين الله فيما ذكر من اباحة دخول من لم يبح دخوله عليهن
والنظر اليهن ان الله كان على كل شيء شهيدا هذا تحذير ووعيد لهن والله اعلم وقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما* ذكر في بعض الحديث انه لما نزلت هذه الاية قيل يا رسول الله
هذا لك فما لنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الاية فبين الله تعالى ما صلى
عليهم وصلاة الملائكة وهو ما ذكر من اخراجهم من الظلمات الى النور وهو دعاؤهم الى الهدى والرشد وعن
عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قلنا
انه فعلمنا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل
ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والاشكال منه ان الاية الامر للمؤمنين ان يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال لما سئل هو عن كيفية الصلاة عليه وما بينها بان قال ان يقولوا اللهم صل على محمد فهذا سؤال من الله
تعالى ان يتولى بنفسه الصلاة على محمد عليه السلام وفي ظاهر الاية هم المامورون بان يتولوا الصلاة بانفسهم
عليه فكيف يخرجون عن الامر بالصلاة عليه بالدعاء والسؤال من الله تعالى الصلاة عليه فيقول هو امرنا
بالصلاة وهي الغاية من الثناء عليه لكنه لما ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس في وسعهم وطاقتهم القيام
بما امروا به من الثناء عليه امرهم ان يكلوا ذلك الى الله تعالى ويفوضوا اليه وان يسالوه ليتولى ذلك هو دونهم
لما ليس في وسعهم القيام بغاية الثناء عليه والا ليس في ظاهر الاية سؤال الرب تعالى ان يصلي هو
عليه ولكن فيها الامر للذين آمنوا بان يصلوا عليه والله اعلم ثم قيل قوله كما صليت وباركت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم ما التخصيص لابرهيم من بين غيرهم من الرسل فما معناه فيقول يحتمل ما ذكر بعض اهل
التاويل انه ليس من اهل دين ومذهب الا وهم يدعون ويرجعون على دينه ومذهبه وانه تاسى به فلذلك خصه
بالصلاة عليه والبركة من غيره من الانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون معنى كان منه في شريعته لانه دعى
بذلك من بين غيرهم من الانبياء والله اعلم ثم قوله وبارك على محمد البركة كانها اسم كل خير يكون ابدا على النماء
والزيادة في كل وقت وقد ذكرنا فيما تقدم ما قيل في الصلاة من الله تعالى عليهم وصلاة الملائكة وصلاة
المؤمنين وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا
اختلف في نزول هذه الاية قال بعضهم نزلت الاية في اليهود حين قالوا يد الله مغلولة وقالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء وفي النصارى حين قالوا المسيح ابن الله وانه ثالث ثلثة وفي مشركي العرب حين قالوا الملائكة
بنات الله والاصنام آلهة ونحو ذلك [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
وقالوا انه مجنون وانه ساحر وامثال ذلك فقال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
[illegible]

فقد اذى الله اي من عصاه فقد عصى الله وفي الاية بيان وقوع الاذى على الاختيار والتفاوت من لفظ
واحد لانه ذكر ههنا اذى الله وعقبه الوعيد الشديد من اللعن والعذاب في الدنيا والاخرة وذكر في الاية قبلها
حيث قال ان ذلكم كان يؤذي النبي وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله وما ذكر من الاذى ثم لا شك ان المفهوم
من هذا الاذى المذكور في هذه الاية غير المفهوم من الاذى المذكور في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والاخرة وان احدهما في المؤمنين والاخر في الكفار وان كان ظاهر اللفظ في الجميع واحد وكذلك
المفهوم من الظلم الذي ذكر في قوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا غير المفهوم من الظلم الذي قال آدم عليه السلام
ربنا ظلمنا انفسنا وكذلك الضلال الذي قال موسى عليه السلام فعلتها اذا وانا من الضالين غير المفهوم من ضلال
فرعون وسائر الكفرة وكذلك الفسق ومثل هذا كثير لا يجب ان يفهم منه معنى واحد وان كان
اللفظ عندنا واحد لكن يفهم على الموقع والمراد كل الاعتبار للجمع بعدنا التامل في المعنى في حق وجوب الاعتقاد
والله اعلم وفي الاية دلالة العصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا يكون منه ما يستحق الاذى
ويستوجبه لانه قد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون به الاذى ويستحقونه حيث ذكر
الاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مطلقا مرسلا غير مقيد بشيء حيث قال ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله وذكر اذى المؤمنين والمؤمنات مقيدا بشرط اتخاذ كسب يستحقون به الاذى حيث قال والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الاية فذلك شرط المكتسب على انهم يكتسبون ما يستحقون
به الاذى وفي حق النبي صلى الله عليه وسلم من غير شرط عدم الكسب الموجب للاذى على ان ذلك غير متصور منه
والله اعلم ثم اللعن هو الطرد في اللغة طردهم عن رحمته وتبعيدهم عنها والبهتان هو ان يقال ما ليس فيه
وقيل بهت وتحير وانقطع حجة وقال بعضهم والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الاية
نزلت في قوم همتهم الزناة بالاماء وكانت الحرائر يومئذ يخرجن بالليل على زي الاماء فيتبعونهن يطلبون
منهن ما كانوا يطلبون من الاماء وكان ذلك يؤذيهن ويتاذين بذلك فشكون ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزل قوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية والله اعلم ثم امرهن عند ذلك بادناء الجلابيب
وارخائها عليهن ليعرفن انهن حرائر فيمتنعن من ان يتشبهن بالاماء فلا يؤذين بقوله يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين الاية وقال بعضهم
نزلت هذه الاية بالمدينة في نساء المسلمين وذلك ان المهاجرين قدموا المدينة وهي ضيقة ومعهم نساؤهم
ونزلوا مع الانصار في ديارهم فضاقت الدور عليهن وكانت النساء يخرجن بالليل الى النخل يقضين حوائجهن
هنالك فكان المريب يرصد النساء بالليل فياتيها فيعرض عليها وان كانوا يطلبون الولائد الاماء
ولم يكن تعرف الامة من الحرة بالليل لانهن كن يومئذ في زي [illegible] فذكر نساء المؤمنين الى ازواجهن ما يلقين
بالليل من اهل الريبة والفجور فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الاية امر الحرائر بارخاء الجلباب وتستره
عليهن ليكون ذلك فصلا بين الحرائر والاماء وقد امر الحرائر في سورة النور بضرب الخمر على الجيوب بقوله
عز وجل وليضربن بخمرهن على جيوبهن لئلا تنظر الريبة فيها وامرهن في هذه الاية بارخاء الجلباب ليسدله
عليهن ليعرفن انهن حرائر فلا يؤذين لما ذكرنا وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه رأى جارية متقنعة فضربها
بالدرة وقال اكشفي قناعك ولا تتشبهي بالحرائر امر الاماء بكشف ما ذكر والحرائر بستر ذلك والله اعلم
ثم اختلف في الجلباب ما هو قال بعضهم هو الرداء والجلابيب الاردية وهو قول القتبي [illegible]
الاردية وقال ابو عوسجة الجلابيب المقانع والواحد جلباب يقال تجلببت به تقنعت وهو الذي ذكر
فوق الخمار وفي الاية دلالة رخصة خروج الحرائر للحوائج لانه لو لم يحل لهن الخروج لم يؤمرن بارخاء الجلباب
على انفسهن ولكن ينهين عن الخروج فدل انه يجوز لهن الخروج للحاجة والله اعلم وقوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض* صلة ما سبق ذكره للتعرض للنساء وبالزنا والفجور من
هم العاملون لذلك بهن واما المسلمون فلا يحتمل ان يتعرضوا لهن في ذلك الوقت فقال لئن لم ينته
المنافقون عن ذلك بفعل بهن ما ذكر والله اعلم وقال بعضهم ان اهل النفاق كانوا يرجعون اخبار العدو
ويرجفون اي يقولون للمسلمين قد اتاكم العدو والعدة من العدو وهو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخشونهم ويضعفونهم لئلا يعرفوا اولئك الكفرة يسرون النفاق في
خلاف لهم ويظهرون الوفاق ويسرون فيما بينهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
ونهوا عن ذلك حيث قال فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وقال ههنا لئن لم ينته المنافقون

والذين في قلوبهم مرض عن صنيعهم ذلك لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا قال بعضهم لنغرينك بهم أي لنسلطنك عليهم وقال بعضهم لنحملنك عليهم وقال بعضهم لنولعنك بهم وكان الأمر في تخلية بينه وبينهم حتى يقاتلهم بالسيف ثم قال بعضهم المنافقون هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض هم الزناة والمرجفون ليسوا المنافقين ولكنهم قوم كانوا يحبون أن يفشوا الأخبار ويقال الإرجاف هو تشنيع الخبر ويحتمل أن يكون المنافق هو الذي كان مع الكفرة في السر حقيقة والذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه ريب واضطراب لم يكن مع الكفرة لا سرا ولا ظاهرا والذي بين الكافر والمنافق والله أعلم وقوله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا أخبر أنهم أينما ثقفوا يكونون ملعونين … أو وجدوا لأن اللعن هو الطرد وأنهم يقتلون تقتيلا وأنهم لا يجاورونك فيها إلا قليلا فيما لا يعلم لهم وقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي فعل بمن خلا من الأمم قتلوا والله أعلم وقوله تعالى يسألك الناس عن الساعة أيان مرساها أي وقت قيامها فقال إنما علمها عند الله فيه دلالة إثبات رسالته عليه السلام لأنه حين سئل عنها فوض أمرها وعلمها إلى الله تعالى على ما أمره الله تعالى به … لكن عند الله حقا لكان ذلك علما وقد علم ما يفعل أهل الرياسة في الدنيا إذا سئلوا عن شيء قالوا شيئا وإن لم يعلموا لئلا … فإذا لم يفعل صلى الله عليه وسلم كما يفعل أصحاب الرياسة بل قال إنما علمها عند الله دل أنه رسول يبلغ إليهم ما أمر بالتبليغ إليهم ويقف فيما لم يؤمر بالتبليغ بل أمر بالتفويض إلى الله والله أعلم وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا هذا يخرج على التحذير والتوعيد والله أعلم ثم يخرج على هذا على وجهين أحدهما كأنه يقول لعل الساعة تكون قريبا على الإيجاب لأن لعل من الله واجب وكل ما هو آت فهو كائن والثاني على التراخي أعلموا أنه قريب كائن إتيانه لا محالة فلا تشكوا في ذلك والله أعلم وقوله تعالى إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا لعنهم أي طردهم عن رحمته لما علم أنهم يختارون الكفر على الإيمان ويحيون عليه وأعد لهم السعير خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ثم قوله خالدين فيها أبدا ينقض على الجهمية قولهم … على الجهمية فلأنهم يزعمون أن الجنة والنار يفنيان … لهما إنما يخرجان عن علم الله تعالى لأن الشيء المتناهي خارج عن علمه لكن هذا بعيد جهل منهم لأنه يعلم الشيء على ما هو عليه إن كان متناهيا يعلمه متناهيا وإن كان غير متناه يعلمه غير متناه … علمه متناهيا كان أو غير متناه … الجنة … لو أراد الله تعالى أن يزيد لأحدهم لذة أو نعمة … وكلام نحوه نعوذ بالله من … في القول على الله تعالى هذه الآية تدل على خلود النعيم … والله الموفق وقوله تعالى لا يجدون وليا ولا نصيرا أي لم يطمعوا في الدنيا … الأصنام … وعبادة … ويحيون أنه ينفعهم ذلك وينصرهم في الآخرة بل ضل عنهم ذلك … والله أعلم وقوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار وقال في آية أخرى يوم يحشرون في النار على وجوههم وأصله ما ذكرنا في قوله أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم نفعل بهم في الآخرة كما كانوا عليه في الدنيا والله أعلم وقوله تعالى يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا لا يزال الكفرة يتمنون هذا القول ويرددون في الآخرة لما رأوا من العذاب حين يحل بهم يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول الذي الرسول المطلق رسول الله ثم السبيل المطلق هو سبيل الله والدين المطلق هو دين الله … في القرآن والله أعلم وقوله تعالى وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا قال بعضهم الملوك والكبراء العلماء ويحتمل أن يكون السادة القادة والكبراء دونهم ثم الرسولا والسبيلا أثبت فيه الألف عند الوقف فإذا لفظنا الوصل فلا وذلك من عادة العرب أن لا يقف على الحركة ولكن تزيد لها الألف إذا كانت فتحة وإذا كانت كسرة ياء وقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب طلبوا أن يكون لهم بعض التسلي والتفرج إذا كان أولئك الذين أضلوهم في زيادة من العذاب على ما يكون للرجل بعض التسلي إذا رأى عدوه في بلاء وشدة في الدنيا فلم يكن لهم في ذلك التسلي بل كان زيادة عذاب وشدة … يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين الآية وقوله تعالى والعنهم لعنا كبيرا طويلا وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا قال عامة أهل التأويل إن موسى عليه السلام لا يغتسل فيما تراه العين فقال بنو إسرائيل إن موسى آدر … وروي في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن بني إسرائيل طعنوا في نبي الله موسى بالأدرة فذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر بثوبه فحمل موسى عليه السلام يتبعه على أثره ويقول حجر ثوبي حتى مر على ملأ من بني إسرائيل فعلموا أنه ليس به شيء من ذلك

قوله فبرأه الله مما قالوا … زيد بن محمد فأمروا أن يدعوه لأبيه بقوله ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله زيد بن حارثة لكن هذا التأويل بعيد لأن موسى عليه السلام كان يدعوهم إلى ستر العورة ولا يحتمل أن يطيعوا منه الاغتسال معهم وأن يكشف عورته لهم فينظروا إلى عورته هذا وحش من القول ولأنه لا يحتمل أن يسلط الله تعالى حجرا فيذهب بثيابه حتى يراه الناس متجردا والله أعلم وقال بعضهم أرادوا هم موسى عليه السلام أنه كان خرج بهرون إلى بعض الجبال لأمر فمات هرون هنالك فرجع موسى عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى أنت قتلته حسدا فقال لموسى ويلكم أفأقتل الرجل أخاه ففي ذلك نزل قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى فأحيا الملائكة بهرون عليه السلام فوضعوه بين أيديهم فقال لم يقتلني إنما جاء أجلي ففي ذلك قوله فبرأه الله مما قالوا هذا يشبه أن يكون والله أعلم ولكن كان يحتمل أشبه … كل رسول نسبوا رسولهم إلى الجنون مرة وإلى السحر مرة وقالوا إنه كذاب مفتري ونحوه على ما علم منهم نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك لأنهم كانوا يؤذون نبيهم حتى وكذلك قال لموسى يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم لا يحتمل أن يكون هذا على التأويل الأول لأنهم لو كانوا علموا ما ذكر من الأدرة لم يرعوه ولكان أذاهم إياه فيما ذكرنا وفي أمثال ذلك وكذلك ما نهى قوم رسول الله عن الأذى له لما نسبوه مرة إلى الجنون وإلى السحر ثانيا وإلى افتراء الكذب على الله ثالثا إلا فيما ذكر أولئك والله أعلم وقوله تعالى وكان عند الله وجيها أي مليا في القدر والمنزلة والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يحتمل أن يكون قوله اتقوا الشرك في حادث الوقت لأنه إنما خاطب به المؤمنين يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم أي بالتوحيد لأنه بالتوحيد تصلح الأعمال وتكون به تغفر ما كان من الذنوب سوى … العظيم بالله التوحيد ويحتمل أن اتقوا الله في الحياة فيما بينكم وبين الخلق أي لا تخونوا الخلق وقوله قولا سديدا أي صدقا وصوابا ولا تكذبوا ولا … ولا تتقولوا الخنا ونحوه والله أعلم ويحتمل اتقوا الله في تضييع أعمالكم بالمعروف … عن المنكر وقوله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم إلى آخره كذا قال أبو عوسجة السداد الاستقامة يقال سدد الله وأن يسددك وقال أبو عبيد السداد القصد وكذلك قال القتبي القصد كأنه العدل والله أعلم وقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الآية وقد اختلف أهل التأويل في تفسير هذه الأمانة المذكورة فقال بعضهم هي كلمة التوحيد والشهادة ومنهم من قال هي جميع الفرائض من الصلاة والصيام والحج وأمثالها وجميع ما أمروا به ونهوا عنه والله أعلم لكن التكليف … في ماهية هذه الأمانة إنما كانت الأمانة مطلقة لا يعلم ما هي إلا بالسمع الوارد بعينها ولا من الأمة وجد اتفاق ذلك فيجب أن يحمل ذلك على المكتوم الذي لا يشتغل فيه بالتفسير والله أعلم ثم اختلف في عرض ما ذكر من الأمانة على السموات والأرض والجبال وما ذكر من إبائها وحملها والإشفاق منها في قوله فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان وقال بعضهم قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال أي خلقناها وركبنا في السموات والأرض والجبال أي خلقنا ما ذكر في السموات والأرض والجبال على خلقة لا يحتمل حمل الأمانة فأبين أن يحملنها أنها خلقت … خلقها بحيث يحتمل ذلك قوله وحملها الإنسان أي خلقنا خلقة يحتمل ذلك إلى هذا ذهب بعضهم والله أعلم وقال بعضهم قوله إنا عرضنا الأمانة محمول على حقيقة العرض لكن أنه خيرهن بين أن تقبل وتحمل هذه الأمانة وفي ذلك فيكون لها الثواب في الآخرة ويكون لها العقاب في الآخرة وبين أن لا تحمل ولا تقبل فيكون كسائر الموات تفنى في الدنيا لا ثواب لها في الآخرة ولا عقاب ويحتمل أن يعرض عليهن ما ذكر عرض لزوم وإيجاب ثم هن تأبين ذلك وتشفقن منها … وصفهما الله تعالى بالطاعة والخضوع في غير آي من القرآن حيث قال لهما وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال في آية أخرى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال في آية أخرى يسبحن بالعشي … فدل أنه إن كان في حقيقة العرض فهو الذي ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى وحملها الإنسان فكان له الثواب إن قام بها وعليه العقاب إن لم يف بها وقال بعضهم إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال أي عرضنا على أهل السموات وأهل الجبال فلم يحملوها إلا الإنسان منهم فإنه حملها وقوله تعالى إنه كان ظلوما جهولا قال الحسن ظلوما لنفسه جهولا لأمر ربه والله أعلم وقال بعضهم قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها أي أبين أن يعصين الله تعالى وأشفقن منها أن يعصوا الله تعالى قط وحملها الإنسان أي عصى الإنسان فجعل الحمل كناية عن العصيان والوزر يقول لما ذكر في القرآن الحمل إلا في الوزر والخطايا كقوله

تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ونحوه كثير والله اعلم وعن ابن عباس رضي
قال الامانة الفرايض وقال الله تعالى للسموات والارض والجبال اتاخذن الامانة بما فيها قالوا وما فيها قال ان احسنتن
جزيتن وان اسأتن عوقبتن فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن وعرضت على الانسان فقبلها وقوله
تعالى لبني آدم لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون ما خيانتهم الله والرسول معصيتهما و
اما خيانتهم الامانة تركهم ما افترض الله عليهم من العبادة وقال قتادة واسماء بن معصية وكلمة [illegible]
لهن اتحملنها وتؤدين حقها قالت نعم انه كان ظلوما جهولا عن حقها والله اعلم وفي حرف ابي ابن مسعود
رضي الله عنهم فابين فلم يصفها ابو معاذ الآية في كلام العرب على وجهين احدهما هذا وهو التحري والاخر اباه
خبر عن ابليس بعقلها الا ابليس عصى فترك الامر وقال الحسن عرضت الامانة على السموات يعني ذكره
لهن يا اخذن الامانة بما فيها قلن يا رب وما فيها قيل لهن ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن قلن لا
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا لنفسه في ركوب المعصية جهولا بالعاقبة ما تحمل
فيه ما ذكرنا بدءا انه لا تفسر الامانة انها ما هي وكيف كان ذلك العرض على ما ذكر من السموات والارض والجبال
وما اباؤهن وما اشفاقهن اذ لا حاجة الى معرفة بيانها وكيفيتها في حق العمل اذ لم يتصل بذلك شيء من الاحكام
وانما معرفة هذه من باب الاعتقاد الا بعد حصول العلم بطريق التيقن وهذه معان سمعية وليس معنا
دليل سمعي متواتر وكان الكف عن تفسيرها وصرفنا المراد منها الى الله تعالى مع اعتقاد ما اراد الله تعالى
منها حق هو الواجب على العاقل المدبر والله اعلم وقوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات الآية
اي ليعذب من علم انه لا يقوم بوفائها ويضيعها اعني الامانة التي حملها بما ضيعها من ذكر من المنافقين و
المشركين ويتوب على من لم يضيعها ووفاها وهم المؤمنون وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما اي للمؤمنين
في الآخرة لا محالة ومظهرهم الجنة وان ماتوا من غير توبة كالكفرة مع التوبة والله الموفق والحمد لله رب العالمين

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله قال اهل التأويل حمد نفسه
بان صنع الخلقة قال الشيخ رح انما اضاف الحمد الى نفسه وتولى حمد نفسه بنفسه لوجهين احدهما على المعلم
لخلقه لتشتغلوا بالحمد لله تعالى والثناء عليه لا لانه الحمد والثناء عليه لولا تعليمه اياهم الحمد لله والثناء عليه
لم تعرفوا ذلك والله اعلم والثاني انه لما في وسع الخلق القيام بغاية الحمد له والثناء عليه على الآية وابلاغه تولى
حمد نفسه بنفسه ليسد عن اوليائه كان نعمه وهذا كما قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لما
نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فقال ان تقولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد الخبر امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بتفويض الصلاة الى الله تعالى والتسوية عنه بان يصلوا هو
ولا نعلم البتة فامرهم ان يفوضوا الى الله تعالى ليكون هو المتولي لذلك عن فضله وبرحمته فعلى ذلك
تولى الحمد لنفسه بنفسه والله اعلم واصل الحمد لله هو الثناء عليه بجميع محامده واحسانه باسمائه الحسنى
والشكر له على جميع الآية ونعمائه وقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض كانه قال والله اعلم الحمد لله الذي
ملك السموات والارض وهو المستحق لذلك لا الاصنام التي عبدتموها وسميتموها آلهة وقوله تعالى
وله الحمد في الآخرة قال بعضهم اي يحمده اهل الجنة اذا دخلوا الجنة كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الآية وقوله الحمد لله الذي صدقنا وعده
وقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ونحو ذلك فهو المحمود في الاولى والآخرة والله اعلم ويحتمل وله الحمد
في الآخرة اي وله الحمد في انشاء الآخرة لان انشاء الدنيا وما فيها انما كان حكمة بانشاء الآخرة اذ خلق الخلق
للفناء خاصة عبث تعالى الله عن ذلك لو لم يكن انشاء الآخرة لكان خلق ذلك كله عبثا باطلا فاخبر ان له
الحمد على انشاء الدنيا والخلق كلهم حكمة والله اعلم وقوله تعالى وهو الحكيم الخبير وقد تقدم تفسيره في غير موضع
ذكره وقيل هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير وهو الواضع كل شيء موضعه والفلاسفة يقولون الحكيم
هو الذي يجمع العلم والعمل فهو ما ذكرنا وقيل وهو الحكيم لما احكم كل شيء واتقنه حتى سهل كل شيء واتقنه
حتى سهل كل شيء على وحدانيته ودل على الوهيته وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور يخبر جل وعلا ان الارض مع كبرها وغلظها لا يحجب عنه

ما يدخل فيها وما يخرج منها وكذلك السماء مع صلابتها وشدتها لا يحجب عنه كما يحجب عن الخلائق ويحتمل
يخبر ان كثرة ما يدخل في الارض ويخرج منها وازدحامه وكثرة ما ينزل من السماء من الامطار وما يعرج
فيها من الدعوات والملائكة لا تشغله عن العلم بكليته هذه الاشياء شيء عن شيء كما يشغل الخلائق بل يعلم ذلك
كله لانه ظاهر بذاته له واحد ادني على الكمال لا بسبب والخلائق ما لم يكن بسبب يشغلهم من سبب وقد يستفاد العلم
من غير يعتقد ما بعد فهم فاما الله سبحانه وتعالى عن ان يشغله شيء عن شيء او يحجب عنه شيء وقوله وهو الغفور الرحيم
ظاهر وقوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم فيهم من قال انهم اقسموا باللات
والعزى ان لا بعث ولا حياة بعد الموت فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقسم بالله الواحد ان يأتيهم بعث
وقيامة بقوله قل بلى وربي لتاتينكم ويحتمل ان يكون على ما قال في آية اخرى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت بل وعدا عليه حقا اخبر انهم اقسموا بالله انه لا يبعث الله من يموت فامر رسوله عليه السلام في هذه
الآية ان يقسم بالله الذي اقسموا به انه يبعث من يموت وتكون الساعة بقوله قل بلى وربي لتاتينكم وكان
عليه السلام صدوقا عندهم لما انهم لم يأخذوا عليه كذبا قط ولا اتهموه في شيء يدل على ذلك ما اخبر جل وعلا
عنهم فقال قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
اخبر انهم لا يكذبونه في مقالته لكن هم يجحدون الآيات فيكون قسمه مقابل قسمهم ولذلك في انكارهم
البعث ليعلموا كذب انفسهم في قسمهم بقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عالم الغيب
قرئ بخفض الميم ورفعها وقرئ علام الغيب فمن خفضه جعله نعتا لما تقدم من قوله وربي لتاتينكم
عالم الغيب ومن رفعه جعله على الابتداء او يجعل الكلام تاما بقوله بل وربي لتاتينكم ثم استأنف
فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة الآية وقرئ يعزب برفع الزاي وخفضه وهما لغتان والعازب في كلام
العرب هو الغائب وقيل لا يعزب لا يبعد وهو قريب من الاول لان من بعد عن الشيء فقد غاب عنه ثم قال في
هذه الآية لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
وقال في الآية الاولى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها فجائز ان تكون الآية الاولى في جواهر الاشياء
واجناسها الخلقية لانه اخبر عن علمه بما يلج ويخرج وبما يصعد وما ينزل وهذه صفة الجواهر والاعيان فكان
بيان العلم بجواهر الاشياء وفي هذه الآية بيان العلم بالافعال التي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الافعال التي لا
كلية بشيء ولا يغيب عنه شيء من افعالهم واعمالهم ليكونوا ابدا على حذر يدل على ذلك الجزاء في اثر ما ذكر حيث قال ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ويحتمل ان يرجع معنى الآيتين الى واحد اي يعلم جميع ما في السموات
وما في الارض الا انه ذكر في الآية الاولى الداخل في الارض والخارج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
ولم يذكر الساكن فيهما وذكر في قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة الساكن فيهما لانه اذا كان لا يعزب عنه مثقال ذرة
لا يعزب عنه الساكن والله اعلم وقوله تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
المغفرة هي التغطية والستر ثم الستر من الله تعالى يكون بوجهين مرة بترك ذكرها في الآخرة كي لا يستحيي المذنب
منها ومرة بترك الجزاء عليها وهكذا المؤمن اما الكافر اذا اجترى على سيئة فقد اظهرها الله تعالى في الدنيا
ولم يسترها عليه ويحتمل المغفرة ايضا اذا دخل المؤمنون الجنة ستر عليهم ذلك انهم … نساهم كيلا يذكروا
ابدا انهم ما اذكروا ذلك لانهم ينغص عليهم نعمتهم والله اعلم وقوله ورزق كريم اي رزق حسن وجائز
ان سماه كريما لانه ينال كرم وشرف كقوله اولئك في جنات مكرمون وقوله تعالى والذين سعوا في آياتنا
معاجزين يحتمل حقيقة سعيهم في آيته بالمعاجزة والاعراض وهو كقوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون اي ذكرهم ويمرون عليها والاعراض عنها ويحتمل ان يكون على التمثيل اي يعملون عمل من يعجز
الآيات لما وجد منهم من الجحود لها والرد والعناد والعجز هو … وما انتم بمعجزين اي سابقين
فائتين اي لا يعجز ونحوه لا يفوتونني وقال ابو عوسجة المعاجز المعاند … والله اعلم وقوله تعالى
اولئك لهم عذاب من رجز اليم الرجز هو العذاب … الاليم هو المؤلم وقوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي
انزل اليك من ربك هو الحق قيل الذين اوتوا العلم مؤمنو اهل الكتاب اي الذين اوتوا علم التوراة والانجيل
وغيرهما يقول والله اعلم ويعلم الذين اوتوا منافع ذلك الكتاب انما انزل اليك من ربك هو الحق والرؤية قد تجيء
في العلم ويحتمل ويعلم جميع الذين اوتوا العلم بتلك الكتب الذين يجدون نعته فيها يعلمون انه الحق
من ربك لكن بعضهم عاندوا فلم يؤمنوا وبعضهم اسلموا ومنهم من قال المراد باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم اي ويعلم الذين اوتوا منافع ما انزل اليك هو الحق من ربك فاما من لم يؤت منافع العلم فلا يعلم
ذلك وفي حرف ابن مسعود رض ويعلم الذين اوتوا الحكمة من قبل الله انما انزل اليك من ربك هو الحق يعني القرآن وقوله تعالى

ويهدي الى صراط العزيز الحميد • يحتمل يرى يعني ويحتمل ويبين لهم صراط العزيز الحميد وقوله تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم • كان بعض الكفرة يقول لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد • يحتمل ان ارادوا بقولهم اذا مزقتم كل ممزق اذا تفرقت اعضاؤكم تكونون خلقا جديدا او على هذا التاويل يكون القايل بهذا المذهب لانهم يقولون بقدم العالم دون فنائه واهل مكة كانوا فرقتين فرقة يذهب مذهب الدهرية كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر وفرقة يقولون بحدث العالم وينكرون الاحياء بعد الفناء وان كان ذلك القول من هذا الطريق الثاني فيكون قوله اذا مزقتم كل ممزق اي اذا اجسادكم وفنيت اللحوم والعظام وكنتم رمادا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اي يكونون خلقا جديدا وتجدد ذلك منهم على احد وجهين اما على استبعاد ذلك وهاهم وعقولهم او على التعجب والاستهزا وكيف يكون ذلك وانه لا يكون نفعا لو اعتد ذلك كما اخبر عنهم بقوله افترى على الله كذبا ام به جنة اي جنون نعوذ بالله قال عليهم تعالى بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد اي بل الذين لا يؤمنون بالبعث هم المفترون على الله وهم في العذاب والضلال البعيد فيكون العذاب لهم جزاء لقولهم انه افترى على الله والضلال البعيد جواب لقولهم ام به جنة بل هم في ضلال بعيد كان الذي في الضلال البعيد هو الذي لا يرجع الى الهدى ابدا فيكون الآية في قوم علم الله انهم يموتون على الضلال فيكون فيه اثبات رسالته لما اخبر عنهم انهم يموتون على الكفر وكانوا كما وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض قوله لم يروا يخرج على وجهين اما على الرؤية والتحقيق عليه فتدبروا واما على الامر اي انظروا الى المخلوقة واعتبروا في العاقبة قال قتادة لينظروا كيف احاطت بهم السموات والارض وقيل لهم حيث ما قدم الانسان رأى بين يديه من السماء مثل الذي خلفه وكذلك الارض محيط به السماء والارض وبين بهما امامه وخلفه وهو مثل قول قتادة وقوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض • قري بالنون وبالياء فمن قرا بالياء جعله نسقا على ما تقدم من ذكر اسم الله تعالى قوله افترى على الله كذبا وتاويله ان نشا نخسف بهم الارض كما خسفنا بمن كان قبلهم او نسقط عليهم كسفا من السماء قيل كسفا من السماء اي نسقط عذابا من السماء كما انزلنا على من كان قبلهم بالتكذيب بعاد وقيل نسقط كسفا من السماء اي قطعة من السماء يذكر الله هذا على اثر قولهم افترى على الله كذبا ام به جنة اي لو نظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لعرفوا انه رسول وانه صادق وانما يقول في البعث صدق لا يمزحون بقوله لكن من علم وعقل لان من قدر على انشاء السماء في سعتها وغلظها على ما انشاه وكذلك الارض لقادر على البعث وخسف من يشاء خسفه واسقاط السماء على من يشاء ان يسقطها عليه او لعرفوا انه لم ينشئهما عبثا باطلا وانما يكون ما انشاء وهما على الحكمة بالبعث بعد الموت والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لآية لكل عبد منيب • قيل المنيب هو المطيع له تعالى وقيل هو المقبل على امره تعالى وقيل المنيب هو المؤمن لانه هو المصدق بآيات الله تعالى واذا كان هو المصدق بآيات الله تعالى فهو المنتفع بها فتكون الآية له ولا تكون آية للمكذب بها لانه لا ينتفع بها ولكن يكون له عليه حجة قاطعة لعنده والله الموفق وقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا • يحتمل قوله فضلا كله علما كقوله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقيل فضلا اي نبوة وقيل هو الملك الذي آتاه ويحتمل ان يكون الفضل الذي آتاه وهو ما ذكر على اثره من تسخير الجبال والطير والانة الحديد ونحو ذلك وقوله تعالى يا جبال اوبي معه • قيل سبحي وقوله والطير قرئ بالنصب والرفع فمن نصب الطير جعله معطوفا على قوله مسخر له معناه ولقد آتينا داود منا فضلا وسخرنا له الطير وقيل نصب قوله والطير لانه معطوف على موضع الجبال لان الاصل فان كان منادى فموضعه النصب وان كان في الرفع مرفوعا كانه قال ادعوا الجبال والطير وهذا يستحسن في كل معطوف على المنادى المعرف بالالف واللام ومن رفعه جعله على النداء كانه قال يا طير اوبي معه اي سبحي معه ثم اختلف في تسبيح الطير والجبال منهم من قال هو تسبيح خلقة فان الله تعالى جعل في خلقة كل شيء شهادة وحدانيته والوهيته ولكن لا يستقيم هذا التاويل في هذا الموضع لانه قال فيها يا جبال اوبي معه اي مع داود عليه السلام ولو كان تسبيح خلقه لم يكن لذكر التسبيح معه فايدة اذ يكون تسبيح الخلقة من الجبال امرا قايما في زمن داود وغيره لكن جايز ان يجعل الله تعالى في سر الجبال من التسبيح ما يفهم منها داود عليه السلام ولم يفهم ذلك غيره وذلك الجبال التي هي شرط الكلام فيها كما قلنا في النملة في قوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده انه تعالى القى ذلك في مسامع سليمن عليه السلام ففهم منها ما لم يكن في مسامع جنوده وكذلك تسبيح الجبال والطير والله اعلم وقوله تعالى والنا له الحديد • جعل ذلك آية لنبوته انه لم يجعل لاحد من الخلائق سوى استعمال الحديد الا بالنار واسباب اخر فيكون الآية له من غير التقرب الى النار بعض

معجزة لرسالته وقوله تعالى ان اعمل سابغات • قيل السابغات هي الدروع وقيل الواسعات وقيل هي الطوال فكان امر عليه السلام ان يتخذ من الدروع ما يأخذ من الراس الى القدم وما يصلح للحرب العنق وقوله تعالى وقدر في السرد • قيل كانت الدروع قبل ذلك صفايح مضروبة فسرد داود النبي حلقها بعضها في بعض والسرد المسامير فيقصم ويكسر وعلى هذا يستوي ما على المعدا فيكون احكم وقال ابو عوسجة والقتبي وقدر في السرد اي في النسج لا يجعل المسامير دقاقا فتكسر الحلق ولا دقاقا فتقلق منه وقيل لصانع الدروع سراد وزراد كما يقال لسراط زراط وصراط والسرد الخرز وقوله تعالى واعملوا صالحا • فيما ذكر من عمل الدروع ويحتمل في غيره من الاعمال وقوله تعالى اني بما تعملون بصير • على الوعيد وقوله تعالى ولسليمن الريح قري برفع الحاء من الريح ونصبها وكلا القراءتين على اضمار التسخير اما تقدير النصب وسخرنا لسليمن الريح ونصبها وكلا القراءتين على اضمار التسخير اما تقدير النصب سخرنا لسليمن الريح كقوله ولسليمن الريح عاصفة منصوبة على التقدير واما تقدير الرفع ولسليمن الريح مسخر بالدر الريح مسخرة وقوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر • اي تجري به الريح في غدوها مسيرة شهر وفي رواحها كذلك وذلك آية لنبوته ومثلها الآية كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث اسرى به في ليلة واحدة مسيرة شهرين من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما كان لسليمن عليه السلام من الملك بالاعوان من الجن والانس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حيث قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين فان لم يكن الرعب مسيرة شهرين اعظم مما كان لسليمن عليه السلام مما كان لسليمن يوم لا تكون دونه وما كان لابيه داود عليه السلام من لانة الحديد كان لمحمد عليه السلام من لين العود من الحجر كان لمحمد صلى الله عليه وسلم من اصابعه حتى ذكر انهم كانوا الفا واربعمائة نفر شربوا منه جميعا ورووا وما كان لعيسى عليه السلام من احياء الموتى على يديه كان لمحمد صلى الله عليه وسلم كلام الشاة المسمومة المصلية قالت لا تمرنه اني مسمومة فلا يتناول فعيني لما اراد التناول منها فآياته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يذكر لاحد من الانبياء عليهم السلام آية الا ويمكن ان يذكر لمحمد صلى الله عليه وسلم مقابل ذلك مثلها او اعظم منها والله اعلم ثم يحتمل ملك داود داود وسليمن عليهما السلام لئلا يحسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اعطاه الله تعالى من الملك والشرف ليعرفوا انه ليس بمخصوص بالملك ولكن له شركاء واخوان اعطاهم الله تعالى مثله والله اعلم وقوله تعالى واسلنا له عين القطر • قيل القطر النحاس وقيل الصفر وقال القتبي وابو عوسجة اسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس وقيل اسلنا له ليعمل بها ما يحب كما الين له الحديد السرد ولا شبه وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه • قيل بامر ربه اي سخر الله الجن وامرهم بطاعته في جميع ما يامرهم به احدهما على التسخير ليرونا ان امرهم ربهم بان يطيعوه في جميع ما يامرهم به اياهم ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير واما ان فعلوا لمرهم الى نفسه لان الله تعالى امرهم بان يعملوا له اذا استعملهم فيما استعملهم كما قال ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه وقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل • قيل المحاريب المساجد وقيل هي القصور وقيل المحاريب اشرف المواضع وقيل وتماثيل كانوا يصورون تماثيل كانوا يصورون تماثيل كهيئة الرجال العباد والملائكة والنبيين عليهم السلام لكي اذا راهم الناس صوروا عبدوا عبادتهم وتشبهوا بهم ويكون تماثيل لا ارواح لها نحو الاواني والكيزان ويكون تصوير التماثيل غير منهي عنه في شرعهم وانما اليوم نهى عنه لعمل بها مخافة ان يدعوا ذلك الى عبادة غير الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة وقال من صور صورة كلف يوم القيامة ان يحييها والا فالنار وقال لعن الله المصورين وقوله وجفان كالجواب • قيل اي قصاع كالجوابي في هيئة حياض الابل واحدها جابية وقيل يجلس على القصعة الواحدة الف رجل يأكلون منها ومنهم من قال كالجوابي اي كالجوبة من الارض التي يحفظ الماء الصف عظم ذلك وفيه دليل انهم يجتمعون الاكل ولا ينفردون له وقوله تعالى وقدور راسيات اي كانوا يتخذون له قدورا عظاما كالجبال التي لا تتحرك عن مكانها راسيات اي ثابتات كما قيل الرواسي الثوابت ومنهم من العقود وراسيات قيل القدور العظام التي ادنيت فيها فاو كفيت لعظمها وهما واحد وقوله تعالى اعملوا آل داود شكرا • قيل فيه قولان اعملوا هذا خطاب للكل اي اعملوا هذا كله لآل داود شكرا لهم امروا بالشكر لانه ذكر انه ليس من ليل ولا نهار الا ويكون فيه من آل داود صايما بالنهار ومصليا بالليل وكلام نحو ذلك على هذا التاويل يكون الشكر ترجع الى آل داود وقيل اعملوا يا آل داود شكرا لما اعطيتكم من الملك والفضل التفضيل على هذا التاويل الثاني فما روي عن عطاء بن يسار قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنين اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ثم قال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي داود العدل في الغضب والرضا والقصد في الغنا والفقر وخشية الله في السر والعلانية وقوله تعالى

وقليل من عبادي الشكور • قيل من عبادي المؤمنين والشكور كناية عن المؤمنين كما ذكرنا في قوله عز وجل
ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور المعقول والمعقول والفعال هما اللذان يكتنفان العمل كان الشكور
هو الذي يعتقد الشكر له ويشكر مع الاعتقاد فيكون منه الاعتقاد والعمل جميعا وقوله تعالى فلما قضينا
عليه الموت • ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته ذكر بعض اهل التأويل انه صلوات الله عليه سأل
ربه تعالى ان يعمي عن الجن موته حتى تعلم الانس انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وبعضهم
يقول سأل ربه ان يعمي على الجن موته حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس فداموا يعملون فلما فرغوا من بنائه
خر سليمن عليه السلم ميتا من عصاه يقولون فلما حضره الموت وكان على فراشه في البيت لم يكن على عصاه
فقال لاهله لا تخبروا الجن بموته حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس وكان قد بقي عام او سنة فلما فرغوا من بنائه
جز جسده البنا فعند ذلك علم الجن بموته والله اعلم وقوله عز وجل الا دابة الارض تأكل منسأته وهي العصا
مفعلة من نسأت البعير اذا سقته بالعصا وقيل النسأ وهو التأخير لانه كان بها يؤخر ما اراد تأخيره
وبها يدفع ما اراد دفعه وقيل المنساة المخصرة التي تكون بيد الرجل يضرب بها يقال انسأته اذا ضربت بها
وذكر ان سليمن عليه السلم توفي وهو متوكئ على عصاه فلم تعلم الجن بموته حتى اكلت الارضة العصا فخر
فتبين الجن بموته ثم في امساكه العصا احد وجهين لما الضعف في نفسه وكان يتقوى بها في امور دينه او
لخضوعه لربه يرى انه من الضعفاء وفي قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض على انهم كانوا لا يدنون
منه وذلك لاحد وجهين اما لهيبته وسلطانه عليهم ولذلك اطاع له كل شيء وخضع له الجن والانس
والطير والوحش ولما كان يكثر العبادة لله تعالى ويتوحد بنفسه فلم يجترؤا ان يدنوا منه كالا
لا يدنوا منه لما اثار الموتى الا انه ليس ما ذكر في بعض القصة انه قال لاهله لا تخبروا احدا بموتي فكتموه
والله اعلم وقوله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين • وفي ظاهره
اشكال لان ظاهر الآية لما خر سليمن عليه السلم علمت الجن بموته انهم لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا مسخرين
لسليمن عليه السلم وهو ميت ويظنون انه حي يقف على عملهم والجن قد علمت من انفسهم انهم لا يعلمون
الغيب ومثل هذا لا يشكل عليهم حتى ينظر بموت سليمن ولكن في الآية اضمار او في علما تبينت الانس
ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لان بعض الانس يزعمون انهم يعلمون الغيب ويقولون
ذلك ويخطر ببالهم شيء من ذلك فاراد الله تعالى ان ينفي عنهم بهذه الحادثة او هم يدعون ذلك حتى افتضحوا
ويرجعوا من ذلك يدل على ذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلما قضينا عليه الموت مكث يلبثون له
حولا ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين وقد قوله ما لبثوا في العذاب المهين انه كان يستعملهم في امور شاقة تحت
سماه عذابا مهينا وفي الآية دلالة على ان الانبياء عليهم السلم كان لا يشغلهم الملك وفضل الدنيا
ولا الحاجة والفقر عن القيام بامر الله تعالى وتبليغ الرسالة الى الناس وهما شاغلان غيرهم فهم كانوا
عليهم السلام من بين فريق وسع عليهم الدنيا مثل ابرهيم وداود وسليمن وغيرهم ومن قوي اشتد
الحاجة والفقر وهما مانعان عن القيام باموره الله تعالى ظاهرا ليعلم انهم لم يأخذوا امر دينهم بالاخذ
ولكن اخذوا بالخلق ولم يشغلهم ذلك عن القيام بما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى لقد كان لسبأ في
مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال • قرأ بعضهم على الجمع في مساكنهم وقرأ بعضهم على التوحيد
لكن اختلفوا فبعضهم قرأ بنصب الكاف في مسكنهم وقرأ بعضهم بكسر الكاف وهما لغتان مثل
مطلع ومطلع امتحن الله تعالى لاهل سبأ في مساكنهم آية وسئل تلك الآية وقال الحسن عن يمين وشمال
قيل يمين الملك وعن شماله وقيل عن يمين الوادي وشماله ويحتمل عن يمين الطريق وشماله فيكون عن
يمينهم وشمالهم كيف ما كان ثم قوله جنتان عن يمين وشمال يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انه
كان لهم في مساكنهم جنتان احداهما على اليمين والاخرى عن اليسار ليكون لهم فيها آية وعبرة يحملهم
على الشكر لربهم عليها وبالحمد والثنا عليه في تلك النعم خوفا من زوالها عنهم بسبب الكفران ويحتمل
ليكون الجنتان ان يذكرهم قدرته وقهره وسلطانه وهيبته فيحملهم ذلك على الخوف في العواقب
من العقوبة على خلافه وعلى رجاء الثواب على طاعته ويحتمل ان يكون الآية التي ذكرها في تبديل الجنتين
اللتين كان له فيهما كل نعمة وخصب وانواع الفواكه على غير مؤنة وتعب لحقهم الجنتين اللتين ذكرنا
وصفهما بعقب ذلك هذه الآية لانه قال في غير آي من القرآن قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين واخبر ههنا انهم تبديل جنتيهم انه لو اعتبروا واتعظوا ولا يقع لهم الحاجة الى النظر في آ

من بعده يعني بها العبرة في ذلك ابلغ والعظة اشد اذ هم عاينوا فيهما ما فيهما من انواع النعم ثم غير ذلك
ويدل عليه ما بات ما تعقبهم مما يعرفونها من جهة الخبر يبلغهم بان اهلها قد هلكوا فلذلك كان ما كان
آية وعبرة لهم وقوله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له • كانه قالت لهم الرسل عليهم السلم كلوا من رزق ربكم
ذكر انه بعث اليهم ثلاثة عشر رسولا وقوله تعالى بلدة طيبة • وصف الله تعالى بلدة سبأ بانها طيبة ويحتمل انها
من طيبها هو سعتها وكثرة انزالها ومياهها وثمارها فقد ذكر في القصة ان المرأة منهم كانت تحمل المكتل
على رأسها وتغزل بيدها وتدخل البستان فيمتلئ مكتلها من انواع الفواكه من غير ان تمس شيئا بيدها لكثرة
نعمها والله اعلم وقوله تعالى ورب غفور • كان الرسل عليهم السلم قالوا لهم ان شكرتم فيما رزقكم وانعم عليكم فيغفر
لذنوبكم فان ربكم غفور اي ستور يستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم ثم ذكر الله تعالى سبب تبديل الجنتين
اللتين كانتا لهم وتغير ما كانوا فيه وهو ما قال فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم قال بعضهم كان اهل
اذا مطروا يأتيهم السيل من مسيرة ايام كثيرة فعمدوا فسدوا العرم وهو ما بين الواديين بالصخر والقير وجعلوا له ابوابا
فلما عصوا ربهم واعرضوا عن طاعته وكفروا انعمه سلط عليهم ذلك السد الذي بنوا الفارة فنقبت الردم
فبقي الماء اراضيهم وغمر اشجارهم واهلك انعامهم ودق ما اذا بهم وهتك جنانهم والله اعلم وقال بعضهم العرم
هو المسناة تحدها غرمة فذهب السيل الذي ارسل عليهم بالحساب فسحتها وابدلهم مكان جنتيهم
جنتين ومكان ما لهم من الثمار فيهما وانواع النعم ما ذكر من الخمط والاثل والسدر وهو قوله وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل فمنهم من قرأ بالتثقيل والتنوين ومنهم من قرأ بالتثقيل
على اضافة الاكل الى الخمط ومنهم من قرأ بالتخفيف وهو جزم الكاف مع التنوين واختلف في تأويل هذه الاشياء
قيل الاكل هو الثمر والخمط هو شجر الاراك وقيل شجر العضاه وهي شجر ذات شوك فمن جعل الاكل مضافا
الى الخمط فالمراد من الخمط الشجر والاكل ثمره والمعنى ذواتي خمط والاثل هو شبيه بالطرفا الا انه اعظم منه
والسدر هو معروف عندهم وقال ابو عوسجة الاكل الحمل والخمط عندي السدر وحمله وقيل الخمط الريح
الطيبة يقول هذا شجر له خمط اي ريح طيبة وقيل الخمط ان يأخذ شيئا من اهناء من يختلطهما وقيل
الاثل شجر لا حمل له وقال الزجاج الخمط كل نبت فيه مرارة لا يؤكل المرارة وتذهب تلك المرارة بطبعها
وكلام نحوه وقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا • اخبر تعالى انه جزاهم ذلك بما كفروا نعمه ولم يشكروا ربهم
عليها وقوله تعالى وهل نجازي الا الكفور • اختلف في قوله ذكر بالتشديد عن الحسن انه قرأها يجازى الا
الكفور مضمومة الراء وذكر مغيرة عن ابرهيم انه قرأها وهل نجازي الا الكفور بالنون ونصب الكفور
نونه هذه القراءة ذلك جزيناهم بكفرهم لم يقل جزى فمن قرأ بالنون فهو جعله لله تعالى وهل يجازي فجعل لا
لنحوي من قرأ بالياء يجازى فهو على ما لم يسم فاعله والمعنى وهل يجازي الله الا الكفور لنعمه وقوله تعالى وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة • قيل متواصلة بعضها ببعض من ارضهم الى الشام على مثال
قرية وتسع في كل شيء فيها وقيل على مواضع معروفة بحيث ينظر من بعد يحتمل ان يكون ظاهرة بعينها بينه
وقوله تعالى وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين • قيل جعلنا ما بين قرية وبين منها مقدارا
واحدا ثم يحتمل قوله وقدرنا فيها السير سيروا فيها اي سيروا فيها او اي الاخرى وقدرنا فيها السير سيروا
فيها فيما انعم الله عليكم وتقلبوا فيها ليالي واياما آمنين من الجوع والعطش والعدو والسباع وكل آفة
وكل ما يخاف منه ثم ما ذكر من القرى الظاهرة يحتمل ان يكون ما الاول اي هذه القرى كانت لهم مع الجنات التي
ذكرناها فيكون هذا موصولا بالاول لعلها لم يشكروا وذهب في ذلك كله اي الهمهم لكل بما ذكر ويحتمل
ان لا يكون على الصلة الاولى ولكن ما ذكر بعض اهل التأويل انهم لما عبر عليهم ابدل منافعهم لامر خشوا الى
رسلهم عليهم السلم فقالوا المراد عوا الله تعالى لئن رد علينا ما ذهب عنا لنعطيكم شيئا قال ان نعبد الله
ولا نشرك به شيئا فدعوا فرد الله ذلك عليهم وجعل لهم ما ذكر من قرى ظاهرة وذكرهم الرسل ما وعدوا
فابوا فعند ذلك نزل بهم ما نزل والله اعلم وقد ذكر اختلاف القراءة والتأويل في سبأ في سورة النمل
ثم في قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا ليالي لا
خلق الافعال لان القرى الظاهرة اتخذها اهلها ثم بنوها وكذلك السير هو فعل العباد فاخبار
ثم اضاف ذلك الى نفسه بانه هو الذي جعل والجعل منه الخلق وانه هو الذي قدره والتقدير منه الخلق فدل
على انه خالق افعال العباد والله الموفق وقوله تعالى فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا • فيه قراءة من خمسة اوجه
منها باعد وكذا تعيده على الدعاء والسؤال والثالث بعّد على الخبر والرابع بعُد والخامس بعد على الخبر
ضا وقال ابو معاذ لولا تعبد الكتابة لكان يجوز ربنا بعد بين على الشكاية وهو يحتمل وجهين احدهما

عن الشكاية من بعد من اهلهم في اسفارهم وتمنوا ان تكون متقاربة تكبرا منهم لما به تنعمهم ويحتمل على
الجدب بهم جل جلاله لما اذهب عنهم من السعة والخصب واصابهم الجهد والمؤنة ومن قرأ باعد وبعد على السؤال
والدعاء فمعناه انا فعلنا لانهم سألوا وملوا الكثرة مما انعم الله تعالى عليهم ورفع عنهم المؤنة وطالب مقامهم
فيها فسألوا ان يحول ذلك عنهم سفها منه وجهلا كقوم موسى عليه السلام حين انزل الله تعالى عليهم
المن والسلوى ورفع عنهم المؤنة قالوا لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها
قال بعضهم بان العمارة كانت متصلة ببلادهم فارادوا ان تتباعد اسفارهم بالمفاوز ليتيسر وليفتهم على رواحلهم
ومراكبهم شرب فدعوا وسألوا والله اعلم ومن قرأ باعد ونبعد على الخبر وهو يحتمل وجهين احدهما ان لا يكون بعد
متقاربا لكي يخبر بعضهم بعضا ويلتقي لاصحابه باعد على الطريق لكثرة النعم ويحتمل الخبر بعد
زوال النعم عن غزة التباعد بين اسفارهم عقوبة عليهم والله اعلم ثم يحتمل ان يكون ذلك كله قد كان
فيهم فحكي بالقراءات كلها فيجيء بمنزلة ايات دورة تحكي بكل قراءة دالة على حالة عن بعضهم من سؤال التحويل
ومنهم من شكى لذلك ولبعضهم من لحق به وأله وعلى هذا يخرج القراءتين في قوله لموسى لفرعون لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بالرفع والنصب فقوله لقد علمت في قراءة بالنصب يكون خطابا لفرعون
انك لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض ومن قرأ بالرفع لخبار من موسى عليه السلام عن
عن نفسه انه علم ذلك كانه كان من موسى عليه السلام جميعا فقال في الابتداء لقد علمت بما تحقق
عند فرعون عليه اللعنة وعرف انه من الله تعالى قال لقد علمت فعرضا الاية بقراءتين على اعتبار حالين لتجعل
بمنزلة ايتين فهذا مثله والله اعلم وقوله تعالى فجعلناهم احاديث اي اهلكناهم كل اهلاك حتى صاروا عظة
وعبرة لمن بعدهم كذلك قاله ومزقناهم كل ممزق اي اهلكناهم كل اهلاك قيل فجعلناهم احاديث اي جعلناهم
احاديث للناس حقيقة على حقيقة الحديث يتحدثون بامرهم وكتابتهم وقوله تعالى ومزقناهم كل ممزق اي
فرقناهم كل التفريق اي لتفريقهم في كل وجه حتى وقع بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وبعضهم بالشام والبحرين
وعمان ونحوه وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يحتمل ان يكون الصبار والشكور هو كناية عن المؤمن
كانه قال ان في ذلك لعبرة لكل مؤمن ويحتمل ان في ذلك لآيات لكل صبار على طاعة الله وامره شكور للنعمة ويحتمل
ان في ذلك لآيات لكل صبار على البلايا والمحن شكور للآلاء والنعم ثم الصبر والشكر يخرج على وجهين
احدهما من حيث الاعتقاد والثاني من حيث المعاملة فحقيقة الصبر له على جميع اوامره ونواهيه والشكر على جميع نعمه
واما المعاملة ان يصبر على ذلك ويشكر له في النعم وقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرئ مشددة
ومخففة من قرأ مخففة يعني صدق عليهم ابليس ظنه ومن قرأ مشددة ذهب الى ما روى ابو الجوزاء عن ابن
عباس رضي الله عنه قرأها مشددة وقال ظن ظنا فصدق ظنه ثم اختلف في ظنه منهم من قال هو ظنه ما قال لاحتنكن
الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا من عصمت منه وما قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم
ولامنينهم ولآمرنهم الاية وما قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فلما تابعه اهل الكفر ابليس
صدق ظنه وسماه ظنا لانه قال ذلك ظنا منه لا علما وقد صدق ما ظن فيهم ومنهم من قال صدق عليهم
ابليس ظنه وذلك ان ابليس خلق من نار السموم وخلق آدم عليه السلام من طين فظن ابليس ان النار تستغلب
الطين ولذلك قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقوله تعالى فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
قيل من ههنا للجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي جنس الاوثان فكذلك معنى قوله الا فريقا من
المؤمنين اي لكن فريق الا فريقا من المؤمنين اي الا فريق من المؤمنين كلهم وهو كقوله تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وكذلك قال ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وهم المؤمنون المخلصون من الشرك والكفر ويحتمل ان يكون من للتبعيض ومعناه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الذين هم على الايمان بحقيقة فاما ما كان عندهم من المؤمنين في الظاهر فقد اتبعوه لانه لا كل مؤمن في الظاهر
هو في الحقيقة مؤمن اذ التصديق لا يعرفه الا الله ويحتمل قوله فاتبعوه اصحاب الكبائر وهم من المؤمنين
الا فريقا منهم وهم الذين عصمهم الله تعالى عن الكبائر فاما اصحاب الكبائر فقد اتبعوه وقوله تعالى وما كان له
عليهم من سلطان قال الحسن والله ما ضربهم بالسيف ولا طعنهم بالرمح ولا اكرههم على شيء وما كان
منه الا غرورا واماني ووسوسة قد دعاهم اليها فاجابوه وقال بعضهم وما كان له عليهم من سلطان
اي ليس له عليهم حجة فانه لا حجة له عليهم لكن يقدر على الوساوس والتمويهات وايقاع الشبهات في قلوب الناس
فانه يمكن من ذلك ثم جعل الله تعالى للمؤمنين مقابل شبهاته حججا وبراهين يدفعون بها شبهه وتمويهاته
وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك يخرج هذا على وجوه احدها اي لنعلم كائنا ما قد علمه

يكون

انه يكون والثاني ليعلم من حضر من الخلق موجودا ما قد علمه غائبا عنهم فالى حال الوجود علم وجود ذلك منهم وحاله
الوجود علمه موجودا والتغيير يقع على المعلوم لا على العلم بل هو عالم في الاحوال كلها والثالث ذكر العلم واراد به المعلوم
والعلم ازلي فاما المعلوم يحدث في وقته فمعناه ليكون المعلوم في وقت الذي علم وجوده فيه وقد ذلك جائز في اللغة
كقوله تعالى حتى يأتيك اليقين اي الموقن به فهذا مثله وقوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ اي وربك بكل شيء من الخير
والشر وغيرهما في الاعمال عالم والحفيظ العالم ومعنى قوله وربك على كل شيء حفيظ اي وربك بكل شيء ويجوز اطلاق
على مكان الباء ويجوز اطلاق حرف على يراد به الباء كقوله بعت هذا العبد على الف درهم وبالف درهم اقلنا
وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض خاطب الله تعالى
نبيه عليه السلام ان قل للكفار ادعوا الذين زعمتم من دون انهم الهة من الملائكة والاصنام ومن عبدوهم من دونه
واطلبوا منهم دفع ضر او جر نفع وانظروا هل يملكون لكم شيئا من دفع ضر او جر نفع حتى انكم ان تقولوا
لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فاذا قالوا كذلك قيل اذا كانوا
لا يملكون شيئا من ذلك فكيف سميتموهم الهة ويحتمل ان تقول لهم ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا
عنكم الضر الذي نزل بكم من الجوع وغيره كقوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته فلا بد لهم ان يقولوا لا يملكون ذلك فان تسعوا عن الجواب فقل انت يا محمد لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض واذا كانوا لا يملكون ذلك فكيف تعبدونهم وتسمونهم الهة يذكر الله تعالى تسفيههم
وسفههم في عبادتهم من يعلمون انه لا ينفعهم ولا يضرهم واعتقادهم الهية وتسميتهم الهة والله اعلم وقوله تعالى
وما لهم فيهما من شرك يعني في خلق السموات اي من يعبدون من دونه وقوله وما له منهم من ظهير اي من عون في
ذلك فكيف سميتموها الهة وشركاء في العبادة ويحتمل لا يملكون مثقال الذرة في السموات والارض مما في انشاء
ما فيهما مع الله تعالى من شركة مما هم من عون في انشاء ذلك والله اعلم وقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن
اذن له يقول الله تعالى لا يملك احد من ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن بها الشفاعة الا لمن اذن الله تعالى
له بالشفاعة فيه والله تعالى لم يأذن لاحد من اوليائه بالشفاعة لاحد من اعدائه بالشفاعة لاحد من الكفرة فيذكر
هذا والله اعلم على سبيل التعلق الكفرة هؤلاء شفعاؤنا عند الله كقولهم ليقربونا الى الله زلفى ويحتمل
انه ذكر هذا والله اعلم ليرد طمع الكفرة في شفاعة من يعبدون من الملائكة فقال ان من ترجون شفاعتهم من الخوف
والفزع يوم القيمة بالمحل الذي لا علم لهم عن حال انفسهم فكيف يرجون شفاعتهم ويتوسلون بهم في دفع
الخوف والفزع عن انفسكم كما وصفهم الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم لا يملكون مثقال ذرة اي انهم اذا كانوا
لا يملكون مثقال الذرة ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فكيف يملكون الشفاعة لكم والله اعلم وقوله تعالى حتى
اذا فزع عن قلوبهم قرأ الحسن بالغين والراء وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقرأ الباقون بالعين والزاي الا
ان بعضهم قرأ بفتح الفاء والزاي وبعضهم بضم الفاء وكسر الزاي ومن قرأ بالغين والراء فمعناه خرج الفزع عن قلوبهم
وفرغ قلوبهم من الخوف والشغل وكامل الغين والراء قال ابو عوسجة فرغ اي ذهب وقال القتبي خفف وقيل فزع
عن قلوبهم اي خلي وكشف الفزع عنها فان كان بضم الفاء فهو فعل لما لم يسم فاعله واذا كان بالفتح فزع
اي الله تعالى كشف الفزع عن قلوبهم قال الكسائي حتى اذا فزع مشتق من الفزع يقول اخرج ما فيها من الفزع
كالهيئة عن قلبه فزع وفزع فلا يحتمل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم مثل هذا الكلام لابتدائه ولا يستقيم
الابتداء به ولم يتقدم ما يعطف عليه وليس له صلة يوصل به فاما معنى ذلك قيل فيه على وجوه احدها
ما قال بعض اهل التأويل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما فترة من الزمان طويلا لا يجيء فيها الرسل عليهم السلام
فلما بعث الله تعالى محمدا عليه السلام وكلم جبريل صلوات الله عليه وسلم بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم
سمع الملائكة ذلك اي كلام الله تعالى ظنوا انها الساعة وانها قد قامت فصعقوا مما سمعوا كقوله فصعق
من في السموات ومن في الارض فلما انحدر جبريل عليه السلام فجعل كلما مر بكل منهم جلى عنهم وكشف
فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم فقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق اي الوحي وقال بعضهم كان اذا نزل
الوحي سمعت الملائكة صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفا فيفزعون لذلك ويخرون سجدا حتى اذا
فزع عن قلوبهم اي تجلى عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقال بعضهم يحتمل ان الملائكة الذين
يسمعون كلام الله وهم الرسل منهم اذا سمعوا الوحي دهشوا حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف عنهم قال غيرهم
من الملائكة ماذا قال ربكم قالوا الحق يخبرون به الامر الذي جاؤوا به ولا يقولون الا الحق ولا يزيدون ولا ينقصون
ويحتمل ايضا ان يكون ذلك القول منهم بعد ذلك الفزع في يوم القيمة والله اعلم وقوله تعالى قل من يرزقكم من
السموات والارض قل الله هذا في الظاهر وان كان استفهاما فهو على التحقيق والايجاب كما وصفنا في غير موضع

ثم لو كان ذلك بمن يستقيم منه الاستفهام لكان نحو قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع
والابصار الى قوله فسيقولون الله فاذا قالوا فقل لهم فذلكم الله ربكم فكيف صرفتم عبادتكم الى
من تعلمون انه لا يملك شيئا من رزقكم كقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه واشكروا له الاية وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وحفصة رض قل من يرزقكم من السماء الى ان
قالوا الله وقيل من يرزقكم من السماء المطر ومن الارض فان قالوا الله والا فقل الله يفعل ذلك قوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل مكة انا لعلى هدى او اياكم وانا
او اياكم لفي ضلال مبين وقال بعضهم معناه وانا لعلى هدى واياكم لفي ضلال مبين وذكر كل في نصيب من
فرد من هذه الجملة الى ما يليق به من الفرد في الجملة ولكن هذا لما لا عظام الكلام لا نحو ضاء وللابهام لكن جائز
ان يكون هذا على تعريض لتشبيه لهم الى الضلال والكناية عن ذلك فانه مستعمل في متعارف اللسان
يقول للاخر في حديث وخبر يجري بينهما ان احدنا لكاذب او انت كاذب لكن على جهة التعريض والكناية
دون التصريح فهذا مثله وقال قتادة هذا قول محمد واصحابه عليهم السلام ورضي عنهم لاهل الشرك والله ما نحن
وانتم على امر واحد ان احد الفريقين لمهتد والاخر في ضلال مبين وانتم تعلمون انا على هدى بما معنا من
الدلائل والحجج وانتم ما اتيتم من حجة قوله تعالى قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قال امر الله
نبيه عليه السلام بان يقول للكفرة هذا كقوله قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون لانهم كانوا
يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ويوبخونهم في طعنهم الاصنام التي يعبدون
وذكرهم اياها بالسوء وما يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم الافتراء على الله تعالى بانه رسوله فامر بان يقول لهم
لا تسألون عما اجرمنا نحن ولا نسأل نحن عما تعملون انتم وهو كقوله ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ويحتمل ان يكون قوله لا تسألون عما اجرمنا اي عما دنا من الدين وعملنا
من الاعمال ولا نسأل عما تدينون وتعملون كقوله لكم دينكم ولي دين ولي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل
وانا بريء مما تعملون وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وامثالها ليس في هذا نفي نظر وتعنت في الكلام
فاما عند الابتداء فلا بل يشتغل بالدعوة الى الايمان او لانهم عند طمعهم في المكابرة يقال لهم مثل هذا او هذا
وامثال ذلك قبل نزول ايات القتال لان هذه السورة مكية والقتال نزل بالمدينة والله اعلم قوله تعالى قل
يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم هذا والله اعلم صلة قوله قل من يرزقكم من السماء
والارض قل الله واصله قوله قل لا تسألون عما اجرمنا وكانهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
حين قال لهم انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين على سبيل التعريض انكم على الضلال لا بدا انا على هدى
وانتم بخلافه فامر الله تعالى رسوله عليه السلام بجلاء ذلك بان يرد عليهم قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا
ربنا اي يقضي بالحق من كان منا على الهدى ومن كان منا على الضلال وهو الفتاح العليم اي هو الحاكم العليم
بما ظهر وما بطن حقيقة والفتاحة هي الحاكمة تقول العرب هلم حتى افاتحك الى فلان اي حاكمك ويحتمل
قوله يفتح بيننا اي يكشف كل خفي منا وكل شيء باطن فيجعله ظاهرا بينا فيظهر الحق من الباطل والهدى
من الضلال وهو الفتاح العليم اي الكاشف المظهر العليم بعلم الظاهر والباطن قوله تعالى قل اروني
الذين الحقتم به شركاء اي اروني الذين الحقتم بالله شركاء في تسميتكم الاصنام الهة او في العبادة ويحتمل
انه قال ذلك للذين عبدوا الملائكة واشركوهم فيما كان فيه اضمار والله اعلم اي اروني الذين الحقتم به شركاء هل
خلقوا شيئا ام هل يرزقونكم شيئا ام هل احيوا او اماتوا فاذا عرفتم انهم لا يقدرون على شيء من هذا وعلمتم
ان الله هو الخالق لهذا كله فكيف اشركتم من لا يملك ذلك في الوهيته قوله تعالى كلا بل هو الله العزيز
الحكيم يحتمل قوله كلا بل هو الله ردا على قوله الحقتم به شركاء وبناء عليه وصلة لكانه قال ليس
بشركاء بل هو المنفرد بذاته ومنهم من رده على قوله هل خلقوا شيئا ام هل يرزقون احدا كلا لم يفعلوا ذلك
بل هو الله العزيز الحكيم قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اي ما ارسلناك يا محمد
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا بشيرا بالجنة لمن اتبعك ونذيرا بالنار لمن خالفك وعصى الله وقوله الا كافة
للناس اي جامعا للناس الى الهدى وداعيا الى الله وقيل الى الناس جميعا الى العرب والعجم والانس والجن
ليس كسائر الانبياء عليهم السلام لان كل واحد منهم انما ارسل الى قوم دون قوم وبلدة دون بلدة وفي
ذلك الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت اربعا لم يعطهن نبي قبلي بعثت الى الناس جميعا
الى الاحمر والاسود والعرب والعجم والثاني جعلت لي الارض مسجدا وطهورا والثالث احلت لي الغنائم وزاد في بعض الاخبار واوتيت جوامع الكلم قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون قيل لا يصدقون

ويحتمل لا يعلمون اي لا ينتفعون وكانهم لا يعلمون بحقيقته لما ليسوا ينظرون في الحجج والايات وقد يمكن لهم ذلك
لو نظروا في العلم قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا القول منهم على الاستهزاء والسخرية
اي انه لا يكون وانه كذب وهو كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها لم استعجالهم
لما لم يؤمنوا بها لكن الله تعالى لم يجبهم مثل ما يجاب المستهزئ لكن اجابهم بما يجاب المسترشد بلطفه وكرمه
حيث قال قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وهكذا الواجب على كل مسؤول
اذا سأله مستهزئ ان يجيب جواب مسترشد ولا يتبع فعله وجهله السفه وباتباع العصمة قوله تعالى
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فان كان على طلب التأخير وطلب التقديم ففيه تغيير وتقبيح
لهم كانه يقول ليس لكم من الحظ والقدر ما يؤخر لكم ما تستأخرون وان كان على تحقيق ترك التأخير وترك
التقديم كانه يقول ميعادكم يوم لا يتأخر ولا يتقدم اذا جاء وقته والله ولي التوفيق قوله تعالى وقال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه كان هذا القول منهم والله اعلم خرج على مخاصمة وحدث
بينهم وبين المؤمنين في شأن القرآن فتحاكموا الى الكتاب الذي اتفقوا عليه فلم يخرج ذلك على موافقة قول
المؤمنين ومخالفة قولهم فقالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه والا فلا يستقيم هذا على الابتداء
والله اعلم وعن ابن عباس رض وغيره من اهل التأويل ان رهطا بعثهم قريش الى المدينة الى رؤساء اليهود
يسألونهم عن محمد عليه السلام ونعته فاخبروهم انه مبعوث فلما رجعوا اليهم واخبروهم انهم قرؤوا
وهو عندهم في التوراة والانجيل قالوا عند ذلك لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ثم كانه استشهد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاه وصبره بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي محبوسون
عند ربهم على محاسبته لما كان منهم من العناد والمكابرة اذا رأيت ما بهم من الذل والهوان لرحمتهم ولاخذ
الرأفة بهم والله اعلم قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول اي يلزم بعضهم بعضا ويقولون بما ذكر
قوله تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين اي يقول الذين استضعفوا
وهم الاتباع للذين استكبروا اي الرؤساء والقادة لولا انتم فيما امرتمونا وعن دين الله تعالى لكنا مؤمنين
لانهم يصدرون عن رأيهم ويطيعونهم في اوامرهم ونواهيهم ويقبلون قولهم فيقولون لولا انتم
لكنا نتبع رأي انفسنا ونؤمن بالله ونصدق الرسول فيما جاء به من القرآن لكن قلتم لنا انه كذب افتراه
افتراه وانه سحر ونحن صدقناكم في ذلك قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم قوما مجرمين وقوله انحن صددناكم على التقرير اي لم نصدكم وانما هو على الاستفهام
يخبر الله تعالى ان الرؤساء يقولون للاتباع نحن لم نصدكم عن الهدى وقد جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم ولكن
انتم بانفسكم تركتم اتباعه ويحتجون عليهم ويقولون للاتباع ما فعلنا سوى ان قلنا لكم ما هذا الا بشر مثلكم
يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون واخبرناكم انه بشر مثلكم
وبينا لكم لو اطعتم بشرا مثلكم وبينا لكم انكم اذا لخاسرون ونحن بشر فكيف اتبعتمونا وتركتم اتباعه بل كنتم
قوما مجرمين في اتباعكم ما اتبعتموه واشتغالكم على اتباع ما امرتم باتباعه ويحتمل قوله لولا انتم لكنا مؤمنين
اي لولا تلبيسكم علينا ان الرسل كذبة سحرة لكنا مؤمنين به والله اعلم ويحتمل ان الاتباع يقولون للرؤساء
لولا منعكم ايانا عن النظر والتفكر في امور الرسل عليهم السلام والتأمل في الحجج والايات لكنا مؤمنين به ثم
اجابهم الرؤساء فقالوا انحن صددناكم عن الهدى الاية يقولون والله اعلم انحن صددناكم ومنعناكم عن
اتباعهم ظاهرا وعلانية فما منعكم سرا فهلا اتبعتموه سرا من غير ان نعلم به ثم اجابهم الاتباع كما اخبر الله تعالى
وهو قوله وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
ومكركم من الاخذ على البغتة والغفلة تركنا اتباعهم في السر مخافة ان يطهر عندكم والله اعلم هذه مناظرات
اهل الكفر فيما بينهم يوم القيامة ورد بعضهم على بعض ولعن بعضهم بعضا يذكرها الله تعالى في الدنيا ويخبر
بما يكون بينهم من الحجج ويزيل العلة لئلا يقولون يومئذ انا كنا عن هذا غافلين فان قيل انهم كانوا لا يؤمنون
بهذا القرآن ولا بالبعث فكيف لزمهم ذلك وهم لا يستمعون له قيل انهم يمكنون من الاستماع له والنظر فيه
فلزمهم الحجة وان لم يستمعوا فكذلك انما قال ببعضهم من حججهم ولا يعتذرون والله الموفق قوله تعالى واسروا
الندامة لما رأوا العذاب قيل الرؤساء اسروا الندامة بصرف الاتباع وصرف انفسهم عن دين الله تعالى واتباع
الرسل عليهم السلام لما رأوا العذاب واختلف في تأويل قوله واسروا الندامة قيل هو من الاسرار فهو الا
الاخفاء بعضهم عن بعض الندامة وقيل اخفى الكفرة الندامة عن المؤمنين هذا قول عامة اهل التأويل
لكن القتبي قال اسروا الندامة اي اظهروا وهو من الاضداد يقال اسررت الشيء اخفيته واظهرته قوله تعالى وجعلنا

الاظلال ﴿في اعناق الذين كفروا﴾ الاغلال جامعة الغل وهو ما يجعل في اليد ثم تشد اليد الى العنق ﴿هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ اي لا يجزون الاجزاء لما ظهر في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى ﴿وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون﴾ قيل المترف المتكبر فهو الذي يجمع صنوف المال مع العناد والتكبر وقيل هم الرؤساء منهم وفي هذه الاية ينقض على المعتزلة مذهبهم في الاصلح اذ هؤلاء المترفون انما قالوا ما قالوا وفعلوا ما فعلوا لسعتهم في المال وسلط الله تعالى الرزق عليهم فدل انه لم يفعل لهم ذلك اصلح لهم الا بسط والله اعلم وقوله تعالى ﴿وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين﴾ يخرج قولهم ذلك على وجهين احدهما كانهم يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم لو كنت رسولا على ما تزعم فنحن اولى بالرسالة منك لانا اكثر اموالا واولادا منك ويحتمل انا اذ اوتينا الاموال والاولاد لا نعذب في الاخرة فانما قالوا ذلك لما يرون في الحكمة ان يخص احدا الصدقة والسعة في الرزق من باب الاحسان في الدنيا لانفسهم فظنوا انهم اولياء الله تعالى وان الرسل عليهم السلام حيث ضيقت عليهم الدنيا انما ضيقت لانهم ليسوا باولياء الله تعالى لذلك قالوا نحن اكثر اموالا واولادا الاية وهذا القول منهم لانكارهم البعث ولو كانوا مقرين به لكانوا لا يقولون ذلك ويعلمون ان السعة والضيق في الدنيا لحق الامتحان وان الجزاء في دار اخرى ولذلك خرج الجواب لهم بقوله تعالى ﴿قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء﴾ لا لاعزاز وكرامة كانت منه اليهم ولكن لحق الامتحان والابتلاء الا يرى انه وسع على بعض المؤمنين وضيق على بعضهم ظهر ان التوسيع لاهل السعة ليس لفضل لهم وقدر عنده والتضييق لاهل التضييق ليس لجناية او اساءة كانت منهم اليه فيبطل هذا ظن الكفرة وزعمهم ويثبت ان التوسيع والتضييق بالامتحان والله اعلم ثم قوله ﴿قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ ينقض على المعتزلة قولهم يقولون ان الله تعالى لا يبسط الرزق على احد اذا لم يكن صلاحا له ولا يقتر الا والتقتير صلاح له وعندنا يبسط الرزق لمن يشاء وان لم يكن خيرا له ويقتر على من يشاء وان كان شرا له على ما نطق به ظاهر الاية وهو قوله ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ والله الموفق وقوله تعالى ﴿وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ اي قربة ومنزلة عندنا زلفى وقربى ومنزلة عند ما يقال الزلفى الدنو يقال ازلفت اليه اي دنوت اليه وازلفته اي ادنيته وقال القتبي عندنا زلفى اي قربة ومنزلة عندنا فان قال قائل في قوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ذكر الاموال والاولاد ثم نعتهم بالتانيث بقوله التي وفعل الادميين يجب غير فعل الجمادات فيجب ان يذكر لفعل المراة والرجل اذا ذكر ان يذكر على جهة التذكير فلما كان كذلك ههنا يجب ان يذكر بصفة التذكير قيل تقدير الكلام وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم واذا كان تقدير الكلام هذا فالفعل يكون المؤنث والمذكر معطوف على الاول لذلك انث وقال ابو معاذ يجوز ان يجمع الاموال والاولاد ثم يقول التي لانك تقول ذهبت الاموال وهلكت الاولاد وهو كقوله تعالى قالت الاعراب وقالت الرسل ويجوز ان يكون الفعل فعل الجماعة يؤنث ايضا كما قيل ذكر الجماعة والله اعلم يخبر الله تعالى ان هذه الاشياء لا يقربهم عندنا زلفى وقربة ومنزلة ﴿الا من امن وعمل صالحا﴾ اي تقرب بالايمان والعمل الصالح عندنا زلفى [illegible] ﴿فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ قال ابو عوسجة الضعف وجزاء المضاعف اي يجعل صفة مثله يقال اضعفته اي جعلته مثله ويقال الخيط مضاعفا اي قد ضم اليه خيط اخر وكذا قال القتبي رحمه الله لم يرد بقوله جزاء الضعف ما ذكر اهل النظر انهم يجازون على الواحد بمثله من التضعيف وكيف يكون هذا وقد قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ولكن اراد بهم جزاء الضعف وجزاء التضعيف مثل يضم الى مثل الى ما بلغ فان ضم الواحد الى الواحد تضعيف وضم مائة الى مائة تضعيف وكان الضعف الزيادة اي لهم جزاء الزيادة يجب القول بهذا حتى لا تخالف هذه قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولا يكون خلفا في الوعد ايضا والله الموفق ويحتمل ان يكون المراد من الضعف الجمع لانه عرفه بالالف واللام فينصرف الى الجنس اي لهم جزاء الاضعاف وهذا اكثر من العشرة وقوله تعالى ﴿وهم في الغرفات امنون﴾ وقرئ على الوحدان وهم في الغرفة اي امنون من العذاب او الموت او من الاخراج لان الخوف الاخراج وزوال النعمة ينغص على صاحبها النعمة وهذا رد على الجهمية في فناء نعيم الجنة ومن الناس من احتج بهذه على تفضيل الغني على الفقير وقال ان الله تعالى اخبر ان لهم جزاء اذا امنوا وعملوا الصالحات بالاموال التي اعطوها واما الفقير فليس عنده ما يضاعف له فدل ان الغني افضل واحتجوا ايضا وقالوا ان الله تعالى سمى الضيق بالاوشر او شدة في غير موضع وسمى السعة خيرا او نعمة وحسنة في غير موضع ولا شك ان الخير والحسنة افضل واجل من الشر والشدة ولو لم يكن هو شرا او شدة لم يسمه بذلك فمن يفضل الفقر

يقول ان الغني اذا اعطى وبذل انما استوجب ذلك بما يفعل بنفسه ويخرج فدل ان الفقر افضل وكذا نرد كل ان التكلم في فضل الفقر على الغنى والغنى على الفقر لا معنى له لانهما شيئان لا صنع لمخلوق فيهما يمتحن بهما عباده فيكلف الغني بالشكر والاجر بالصبر ممن وفى بما امتحنه هو في تلك الحال فهو افضل ممن لم يف بذلك وبه يستوجب الفضل ان استوجب فاما بنفس تلك الحال فلا وعندنا معنى قوله لهم جزاء الضعف بالصالحات والحسنات التي عملوا لا اختصاص لهم لذلك بالاموال الا ان الله تعالى وعد ان يجزي لكل من عمل حسنة عشر امثالها فذلك جزاء الضعف له والله اعلم وقوله تعالى ﴿والذين يسعون في اياتنا معاجزين﴾ وقد ذكرنا انه قيل يعملون والذين يسعون في اياتنا معجزين اي يسعون سعي من يكون له معاجزا كقوله تعالى ﴿يخادعون الله﴾ اي يعملون عمل من يخادع الله اذ لا احد يقصد قصد مخادعة الله تعالى ولا له قدرة لذلك فهذا مثله والله اعلم وقوله في اياتنا اي في ايات الوحدانية او الرسالة وقوله تعالى ﴿اولئك في العذاب محضرون﴾ ظاهر وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه فهو يخلفه في الدنيا والاخرة ولو اخلف الله تعالى كلما انفق لعبد في الدنيا لما احصى احدكم ما له ولا يجد مكانا يجعله فيه او كلام هذا معناه وقال اخر كل نفقة في طاعة الله تعالى فان الله تعالى يخلفها في الدنيا او يدخرها له في الاخرة وقال مجاهد اذا اصاب احدكم مالا فليقتصد في النفقة ولا يتاول ﴿وما انفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ فان الرزق مقسوم وقال بعضهم فهو يخلفه المراد منه اذا كانت بطريق العدل من غير اسراف ولا تقتير وفي هذه التاويلات كلها ضعف لما قال ابن عباس رض مؤول لان الاية كانها نزلت والله اعلم في قوم كانوا يمنعون من الانفاق مخافة الفقر وخشية الاملاق لانها نزلت في اثر قوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فقوله تعالى والله اعلم لنبيه عليه السلام ان قل ان الله هو الباسط لكم والموسع عليكم وعلى الخلق كلهم وهو المقتر ايضا على من شاء التقتير عليه فاذا كنتم تعلمون انه هو الفاعل كذلك فكيف تمتنعون من الانفاق وخشية الاملاق فهو القادر على ان يعطي الخلف لما انفقتم وهو القادر على التقتير من غير انفاق ويحتمل ان يذكر هذا ليقطعوا اطماعهم من الخلف على الناس في البذل فيما ينفقون على ما ينفق الرجل من النفقة فيطمع من الناس البركة والمعروف مكافاة لما انفق واعانه على ذلك فيقول اقطعوا الطمع من الناس فيما تنفقون فان الله هو المخلف لذلك وما قال ابن عباس يحتمل انه اراد به ان يخلف في الاخرة ولو اخلف كلما انفق في الدنيا لما احصى احدكم ما له اذا كان الخلف كله من نوع ما انفق واعطى فاما اذا كان ان يكون الخلف من نوعه ومن غير وهو ما يدفع الله تعالى عن المتصدق من انواع البلاء والشدائد ويعطيه من انواع النعم من السلامة له في نفسه ودينه والصحة وغير ذلك من النعم ما لا يحصى فذلك كله يكون خلفا على ما انفق ثم ما اعطى الله تعالى من الخلف من انواع النعم ودفع البلاء ونحوها يكون على ما علم في سابق علمه انه ينفق فلان يجعل ذلك في الاصل خلفا له عما انفق لان ذلك معلق بانفاقه على خطر الوجود مثل تعليق العباد اذ ذلك فعل من يجهل العواقب فاما الله تعالى لا يخفى عليه شيء فقد حكم بالخلف والبدل في حق من علم الانفاق وذلك يكون لا محالة وعلم انه لو لم ينفق لكان لا يعطيه الخلف وهذا كما ذكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صلة الرحم تزيد في العمر يحتمل والله اعلم انه بصلة الرحم زاد عمره في الاصل لانه حكم له بعمر بسبب صلة الرحم لما علم منه وكان عالما انه لو لم يصل الرحم لكان يجعل عمره دون ذلك والله تعالى اعلم وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق الرجل على نفسه واهله وما وقى به عرضه فهو له صدقة وكل نفقة انفقها مؤمن فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في معصية او نفقة في بنيان وقوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم﴾ في ظاهر الاية اشكال فان في ظاهرها اخبار من الله تعالى انه يحشر الملائكة ومن عبدهم ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون واخبار منه ايضا عن الملائكة ان يقولوا جوابا لما خاطبهم ربهم ان هؤلاء كانوا يعبدوننا بكم جواب انت ولينا من دونهم وهذا ليس جواب الملائكة فيما خوطبوا به بل جواب ذلك ان يقولوا بل كانوا يعبدون الجن او يقولوا لا والجواب مما يتضمن مراد السائل فان الاصل على وجهين يحتمل والله اعلم ان اولئك الكفرة ادعوا على الملائكة الالهية بالعبادة لهم من دون الله تعالى فخاطبهم الله تعالى بقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اي هؤلاء بامركم عبدوكم نعبد ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم اي ما امرناهم بعبادتنا وانت اعلم بنا بل كانوا يعبدون الجن اي بل اطاعوا امر الجن والشياطين في ذلك لو كان امرناهم بذلك اولئك ما كانوا ولينا من دونهم وهذا كقوله تعالى لعيسى عليه السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل لهم ذلك ولكن كان اولئك ادعوا عليهم الامر والقول فيسال ذلك عن عيسى فرده عليهم

يكون توبيخا لهم وتعييرا لجليهم على صنعهم واظهارا لكذبهم في دعواهم فعلى ذلك الاول قوله تعالى بل كانوا يعبدون
الجن اكثرهم بهم مؤمنون ۞ ثم الملك كانوا لا يقصدون عبادة الجن لكن بامرهم يعبدون ما يعبدون فنسب
العبادة اليهم وهو كقول ابرهيم عليه السلام يا ابت لا تعبد الشيطان وكقوله يا بني ادم لا تعبدوا الشيطان
وهم كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكن لما عبدوا بامره نسب العبادة اليه كانهم عبدوه فهذا
مثله وقوله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ۞ اي لا يملك احد نفع البعض ولا ضره
يوم القيمة انما ذلك بامر الله تعالى من يشفع غيره فباذنه كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى فهذا اياس للكفرة
الذين عبدوا الملئكة ليشفعوا لهم في الاخرة اي لا يحصل لهم ما طمعوا من عبادتهم اياهم وهو التقرب لهم
الى الله تعالى زلفى والشفاعة والله اعلم وقوله تعالى ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
الرسل بما اوعدكم بها لنار وقوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ۞ قد ذكرنا الايات والبينات في غير موضع
قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى ۞ ثم لا شك انه كان
يريد ان يصدهم عن ذلك وكذلك كان يريد كل رسول صد قومه عما كان يعبد آباؤهم من الاصنام والاوثان
وكان هذا منهم اخبارا لامر ثابت لكن ليس غرضهم الاخبار عن هذا لكن غرضهم التمويه على الضعفاء من القول
اغراء الاتباع والجهلة على الرسل عليهم السلام كانوا اما لو يرونها واحدا وقد خالف الاباء فذهبهم يريد ان يصدكم
عن دين آبائكم وما هذا الا افك مفترى اي ما يدعوكم اليه ليس الا افك مفترى وقوله تعالى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين ۞ يخبر الله تعالى انه اذا جاءهم من القرآن وما فيه من الامر بالتوحيد
ونحوه هو الحق فانه من عند الله جاء لا انه سحر مفترى على ما يدعون لكنهم يطعنون لكفرهم انه سحر وانه
مفترى يلبسون على اتباعهم ويشغلونهم لئلا يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما آتيناهم
من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ۞ هو والله اعلم صلة قوله ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وصلة قوله ان هذا الا سحر مبين يقول والله اعلم حجاجا
لقولهم وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيخبر ان فيها ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم افك مفترى وما ارسلنا
اليهم من قبله رسولا يخبرهم انما يقوله محمد كذب مفترى فعظيم كذبهم على الغيب في قولهم وتخرصهم انما يكون
باحد هذين الامرين بكتاب او نبي وهم لا يؤمنون بهما لانهم يدعون على الله الكذب فيما اخبر يخبر الله تعالى عن سفههم
وعنادهم تعبدا لخصمهم بعث الرسول من انفسهم وانزل الكتاب بلسانهم تعبدا فقسمهم لو جاءهم نذير
لاستعجلوا كما اخبر تعالى عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم
نذير لم يؤمنوا به ولم يعرفوا منة الله تعالى عليهم فيما خصهم والله اعلم وقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم ۞ يصبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب قومه اياه اي لست انت باول مكذب بل كذب اخوانك من قبل
والله اعلم وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي يقول والله اعلم لم يبلغ هؤلاء المكذبون لك عشر
اولئك في القوة والغنى ولا العلم والاتباع وغير ذلك ثم مع ذلك لم يقدروا على دفع العذاب الذي نزل بهم
بالتكذيب عن انفسهم فكيف يقوم هؤلاء ثم دونا اولئك وانهم في القوة والاتباع اذ لم يبلغوا عشر اولئك
فلم يكن اذاهم نظير اذى اولئك فحين اولئك الرسل ثم صبروا على ذلك حتى نصرتهم على ذلك فانهم يمضون
وكسرت شوكة اعدائهم وقهرتهم فهؤلاء الذين شوكتهم عشر اولئك اولى ان تصبر على اذاهم حتى انجاك منهم
وانصرك عليهم من قريب فكيف كان نكير يقول والله اعلم وجدوا اعداءه حقا وقال الزجاج هو في الاصل
نكيري لكن طرح لنا لانه ختم الاية نفيت الكسرة لها وقال ابو عوسجة نكيري عقوبتي وقال القتبي انكاري
والله اعلم وقوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ۞ اي بكلمة الاخلاص والتوحيد
وقيل في طاعة الله تعالى وقيل بواحدة اي بكلمة واحدة لكن الواحدة الذي وعظهم بها عندنا ما ذكر
على اثرها ما ذكر وهو ان تقوموا مثنى وفرادى ان تقوموا لله بها جميعا وفرادى وتتفكروا وتنظروا في انه
هل راى احد منكم به جنونا قط وقال بعضهم يريد بالمثنى ان يتناظر الرجلان في امر النبي صلى الله عليه وسلم
وفرادى اي يتفكر كل واحد فاذا فعل ذلك تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون ولا كذاب
على ما يزعمون وقال بعضهم معناه لا يتفكر الرجل وحده او مع صاحبه فينظر ان من خلق السموات
والارض وما بينهما ان الذي خلق هذه الاشياء وحده انه واحد لا شريك له وان محمدا الصادق في قوله
ان الله واحد لا شريك له وما به جنون انه لا يدريهم الذي حملهم على نسبته الى الجنون وجوه احدها
انهم رأوه خالف الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم على العصبية في ادنى شيء يخالف وله ولا ابدا
فقالوا لا يخاطر بهذا الامر الا مجنون والثاني قد رأوه خالف دينهم وكذب اباءهم وقالوا لا يحتمل ان يصيبه هذا

بعقله من بين الكل ولا يصيب احد ذلك ما يتهمون في عقله والله اعلم والثالث انه كان في حال صغره وصباه
لم يكن يشتغل بشيء من اللعب ولا خالط الصبيان في شيء من امورهم بل اعتزلهم فقالوا انه مجنون والا لم يعتزل
لهذا الاعتزال والله اعلم ثم اخبر انكم لو تفكرتم ونظرتم عرفتم انه ليس بصاحبكم من جنون ان هو الا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد في الاخرة وقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ۞ هذا يحتمل وجهين قال بعضهم
انه صلى الله عليه وسلم سألهم ان يردوا قرابته وان لا يؤذوهم كقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى وقال في آية اخرى وما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وههنا قال ما اسألكم
من اجر فهو لكم يقول ما سألتكم من اجر غير المودة في القربى واتخاذ السبيل الى ربه فهذا الذي سألتكم لكم
فان نفعها اليكم والثاني قوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اي ما سألتكم على تبليغ الرسالة اجرا منكم فيمنعكم
ثقل ذلك الاجر عن الاجابة وهو كقوله تعالى ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون وقوله تعالى ان اجري الا على الله
اي ما اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد اي ما يذر تعلمي ما جئت به من القرآن حق وما بي جنون وانه لا اسألكم عليه
اجرا وعلى كل شيء من صنعكم شهيدا فاصبر والله اعلم وقوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب ۞ اي يقضي
بالحق وقيل يتكلم بالحق ويلقيه وهل هو ما ذكر في آية اخرى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه الاية اي نقذف
الحق على الباطل ليثبت الحق ويزهق الباطل وهو كقوله في التمثيل بين الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء
واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقوله تعالى علام الغيوب قد ذكرنا تأويله في غير موضع وقوله تعالى قل جاء
الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ۞ اختلف في تأويل الكل قيل ما يبدئ الاصنام والاوثان لمن عبدها
وما تعبد الاصنام يقول انه لا تخلق الصنم شيئا ولا تحييه ولا تميته وهو كقوله لا يملكون موتا
ولا حياة ولا نشورا وقيل الباطل الشيطان انه ما يبدئ الشيطان الخلق اي لا يخلقهم وما يعيد اي
لا يعيد خلقهم في الاخرة فيبعثهم اي ليس منه ابتداء الخلق ولا الاعادة هو الاعادة تعبد العباد بل الله يلي
ذلك ويحتمل ان يكون قوله قل جاء الحق اي حجج الحق وما يبدئ الباطل وما يظهر بل ذهبت شبهه وتلاشت
وعلى ذلك جائز ان يكون قوله قل ان ربي يقذف بالحق اي بحجج الحق علام اي علام بحجج الحق من شبه الباطل
وقوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي ۞ بكسر اللام وفتحها لغتان قال الكسائي تقول العرب ضل
يضل بالخفض والنصب جميعا ثم تأويل الاية يخرج على وجهين احدهما ان ضللت فانما ضرر ضلالي على
نفسي لا يكون على الله شيء منه لا ضرر له من الكفر ولا نفع من ايمان المؤمنين تعالى الله جل جلاله عن النفع
والضر وهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقال من عمل صالحا فلنفسه والثاني
ان ضللت فانما يكون وبال الضلال على نفسي ولا يكون على انفسكم من ضلالي شيء ولا يرجع اليكم وهو
كقوله فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون وقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم
من شيء الاية وقوله تعالى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي ۞ هذا يخرج على وجهين احدهما وان اهتديت الى
طاعة الله تعالى وشرايع الدين فيما اوحى الي ربي حيث اهتديت ان ذلك لا يدرك بمجرد العقل دون
الوحي السمعي فاما اصل التوحيد فيما يدرك دون الوحي السمعي والثاني فان اهتديت الى دينه وهدايته
بتوفيقه اياي وعصمته وليس لاحد من المعتزلة ان يتعلق بهذه الاية في خلق الكفر والمعاصي انه
من العباد دون الله تعالى فان النبي صلى الله عليه وسلم اضاف الضلال الى نفسه دون الله تعالى وسوى
الامر والنهي لانا نقول الاية حجة عليكم لان عندكم لا يضاف الى الله تعالى سوى الطاعة والمعصية
جميعا من فعل العباد ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم اضاف الاهتداء الى الله تعالى والضلال الى نفسه
ولا يكون منه في الهداية الا كما كان منه في الضلال فاما عندنا الخلق من الله تعالى في الامرين جميعا
الا ان عندنا من الله تعالى في الهداية زيادة لطف لم يكن ذلك في الضلال فجاز ان يخص ذلك بالاضافة اليه
دون الثاني ولما عرف ان اضافة افراد الاشياء لا يكون الى الله الا لكرامة ذلك الشيء والحسن لذلك الشيء
فاما القبيح لا يضاف اليه وان كان هو الخالق لها كما لا يقال يا خالق القبيحة والاشياء المستقذرة لا
الى الله تعالى على الخصوص وان كان هو خالقها بلا خلاف والله الموفق وقوله تعالى انه سميع قريب ۞ قيل سميع
اي مجيب لمن دعاه كقوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وقيل
سميع لمقالتكم لمحمد حيث قلتم له لقد ضللت حين تركت دين آبائك قريب اي مجيب له وقيل
سميع الدعاء قريب الاجابة والله اعلم وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب ۞
اختلف في تأويل الاية قال بعضهم نزلت في الكفرة الذين قصدوا تخريب الكعبة فلما بلغوا الى الموضع
خسف باحدهما والاخر ينظر فانفلت ليخبرهما لقوا فمحول وجهه الى قفاه وآثارهم واخبرهم بذلك فذلك قوله

ولو ترى اذ فزعوا عن الخسف في الدنيا اخبر تعالى النبي صلى الله عليه وسلم عن حالهم وقوله فلا فوت اي لا مهرب
عن عذاب الله واخذوا من مكان قريب اي من تحت اقدامهم يخسف بهم الارض والله اعلم وعلى ذلك يخرج قوله وحيل
بينهم وبين ما يشتهون من تخريب الكعبة كما فعل باشياعهم من قبل وهم اصحاب الفيل والله اعلم وعلى
صحة هذا التاويل ما روي عن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يغزو اهل البيت جيش
حتى اذا كانوا بالبيداء اخسف باولهم واسفلهم لا يخبر عنهم [illegible] قالت يا رسول الله وان كان فيهم كره
قال عليه السلام يبعثون على نياتهم وقال بعضهم هذا عند الموت اي الكفار يفزعون عند الموت ولا فوت
لهم عنه واخذوا من مكان قريب اي اخذوا عند ذلك وهو المكان القريب وقال بعضهم هذا في القيامة
اي يفزعون عند ما يشاهدون العذاب واخذوا عند ذلك ولا يعفون وقالوا آمنا به وهو كقوله فلما رأوا بأسنا
قالوا آمنا بالله وحده وكقوله في فرعون حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل
وقوله تعالى وانى لهم التناوش من مكان بعيد قرئ التناوش بهمز وغير همز فمن لم يهمز التناوش كان
معناه التناول ومن همز كان معناه التبعد وقال ابو عوسجة التناوش التناول من موضع بعيد لا يكون الا
من موضع قريب فمعناه انى لهم التناول من مكان بعيد ثم اختلف في تاويل التناول من مكان بعيد منهم
من قال انهم لكفرهم سالوا في الآخرة الرجعة والرد الى الدنيا ليؤمنوا به ويطيعوا الله في اوامره ونواهيه فقال
ذلك رد عليهم اي فاني ينالوه من مكان بعيد اي من الدنيا ومنهم من قال على التمثيل لا سبيل لهم الى
في ذلك الوقت [illegible] مكان بعيد اي من حيث لا ينال كقوله اولئك ينادون
من مكان بعيد اي من حيث لا يكون [illegible] المكان [illegible] وقال قتادة هذا عند
عند الموت عند الموت [illegible] العذاب بهم [illegible] ذلك الوقت الا وهو مؤمن
ويتمنى الايمان لكن لا ينفعه كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل والله اعلم وقال القتبي وانى لهم
التناوش اي [illegible] ما ارادوا [illegible] من التوبة [illegible] وقال
ابو معاذ والزجاج التناوش في كلام العرب التطلب يقال [illegible] والله اعلم وقوله تعالى وقد
كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اختلف في تاويله قيل انهم كانوا يكذبون في الدنيا
بالآخرة ويكفرون بالغيب ويقولون لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار فذلك قذفهم بالغيب
من مكان بعيد [illegible] ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اي يرجمون بالظن
ومنهم من قال يقذفون بالغيب [illegible] الايمان من مكان [illegible] عنهم ولا يقبل منهم وقد غاب
عنهم ولا يقبل منهم [illegible] الايمان [illegible] العذاب وقوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
على هذا التاويل حيل بينهم وبين قبول التوبة والايمان عند معاينتهم العذاب كما فعل باشياعهم قيل
يقول كما فعل باوليائهم من قبل وحيل بينهم وبين قبول الايمان وبين التوبة فهذا على الحيلولة القبول
عن نفس الايمان والتوبة لوجود ذلك حقيقة وعلى التاويل الذي قلنا [illegible] على حقيقة الحيلولة ايضا
والله اعلم وقال ابو عوسجة باشياعهم اي بامثالهم واشياعهم [illegible] بامثالهم في التكذيب والجحد
وقيل هو من شيعة الرجل والله اعلم وقوله تعالى انهم كانوا في شك مريب اي كانوا في شك من العذاب
او البعث وانما كان شكهم [illegible] استبعدوا الاحياء بعد الهلاك [illegible] من هذه
الجهة انكروا [illegible] خلق الشيء للفناء خاصة حكمة [illegible] والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض
قال ما ذكر في القرآن الحمد لله الا ذكر على اثره التعظيم لله تعالى والجلال له وذكر ما انعم به على الخلق ليلزمهم
الشكر له والثناء عليه نحو ما ذكر الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة وقال
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وقال الحمد لله الذي خلق السموات
والارض الآية وقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الآية وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية
فذكر ما يوجب التعظيم والشكر والثناء له على اثر الحمد تعليما منه الخلق الثناء على الله والشكر له في [illegible]
المعونة والنصر وقوله تعالى فاطر السموات والارض عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما كنت ادري ما فاطر السموات
والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها انا ابتدأتها فعند ذلك عرفته وكذا

نحو هذا وقال القتبي الفاطر هو الخالق او المبتدئ ويحتمل ان يكون الفاطر هو الشاق اي شق السموات [illegible]
على ما قيل كانت السموات والارض رتقا ففتقناهما فذلك فطرها [illegible] معناه شق [illegible] السموات [illegible]
[illegible] التي عليه الشاق وكذلك قال الكسائي انا الفطر في كلام العرب هو الشق ومنه الحديث [illegible]
[illegible] جميع ما اضيف الى الله تعالى من الشق والفطر والجعل ونحو قوله جاعل الملائكة رسلا وقال
الحب والنوى ونحو ذلك اختلفت الالفاظ فهو عبارة عن الخلق اذ ذلك كله [illegible] الخلق من التقدير
اي قدرت والله اعلم وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فظاهر الآية انه جعل جميع الملائكة رسلا فان كان
على ذلك فكان معناه انه وكل كل احد منهم امرا من امور الخلق والعباد وامره بالقيام على ذلك [illegible]
على البعض ويكون تاويل جاعل من الملائكة رسلا وفي الملائكة رسلا على اضمار حرف من او في وكلا ذا محتمل
وهذا الثاني اقرب والله اعلم وقوله تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اخبر عن الملائكة انهم اولو اجنحة
مثنى وثلاث ورباع يطيرون بها ليس كالطيور التي تطير بجناحين [illegible] الجناح [illegible]
عن الطير كالاصبع الزائدة لبني آدم يمنعه عن بعض الاعمال ولا يزيد له نفعا لما ذكر من عدد الاجنحة
الملائكة لا يمنعهم عن الطيران بل يزيد لهم قوة وقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قيل يزيد في الملائكة على
اربعة اجنحة ما يشاء اذ انه على كل شيء قدير في خلق الاجنحة والزيادة وذكر ان لاسرافيل عليه السلام ستة
اجنحة ولجبريل عليه السلام ستة اجنحة وذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل
صلوات الله عليه له ستمائة جناح وقيل يزيد في الخلق ما يشاء اي في الصوت الحسن وقيل الشعر الحسن [illegible]
من الزيادة في الاجنحة ما ترى انه على كل شيء قدير من الزيادة والابتداء ولا يصعب عليه وقوله تعالى ما يفتح الله
للناس من رحمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من رحمة اي من عافية وقال قتادة من رحمة اي من خير وقال [illegible]
وغيره اي من رزق كقوله ابتغاء رحمة من ربك اي من رزق وكله واحد الخير يشتمل على العافية والرزق
وكذلك العافية تشتمل على الخير والرزق وقيل الرحمة الغيث والمطر كقوله فانظر الى آثار رحمة الله وقوله
ما يفتح الله للناس ثم قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
يخرج على وجهين احدهما على تسفيه احلام الكفرة في عبادتهم الاصنام من دون الله اي ليس لكم مما
من دون الله من نفع ولا كشف ضر فكيف تعبدونها وهو كقوله افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره الآية اي يعلمون انهم لا يملكون ذلك والله هو المالك فكيف تصرفون
العبادة عنه الى من لا يملك [illegible] ثلثه اما السابقة [illegible] نفع وكشف
ضر والطمع في العافية وليس لكم من هذه الاصنام من تعبدون شيء من ذلك ومن الله تعالى ذلك كله ودل
قوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له
اليه ترجعون هذا اذا كانت الآية راجعة الى تسفيه عقول الكفرة وان كانت الآية راجعة الى المؤمنين
فهو يحتمل وجهين احدهما القطع الطمع من الخلق والاياس عما في ايديهم وصرف الرجاء والخوف الى الله تعالى
كله والثاني طلب الرزق من المكاسب التي يكتسبونها والامر بها بل يجب ان يروا ارزاقهم من فضل الله ثم
الآية حجة على المعتزلة فان الله تعالى اخبر انه اذا فتح لاحد رحمة لا يقدر احد من العباد ان يمسكها واذا امسك
هو لا يقدر احد ان يرسل وهم يقولون ان الله تعالى اذا فتح لاحد رحمة يقدر العبد ان يمسكها واذا امسك
هو قدر العبد ان يرسل لانهم يزعمون ان الله تعالى اذا جعل لاحد اجلا وضمن له الحياة ووفاء الرزق الى منتهى
اجله فيجيء عدو من اعدائه فيقتله بغير ارادته قبل انقضاء اجله واستيفاء رزقه فذلك منع له ما فتح له
من الرزق وقضى له من الاجل وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما يفتح الله على الناس من رحمة وقد ذكرنا
تاويل قوله وهو العزيز الحكيم وقوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله قرئ بخفض
الراء بخفض خالق من حيث الظاهر ويرفع الراء لان لفظة خالق في محل الرفع لان معناه هل خالق غير الله
وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض كانه صلة ما تقدم من قوله هل من خالق غير الله ثم هو على الايجاب
والتحقيق وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر كانه يقول والله اعلم انكم تعلمون ان ليس خالق غير الله وتعلمون
انه هو رازقكم دون ما تعبدونه وتعلمون ان لا اله الا الله فاني تؤفكون اي فاني الذي حملكم على افككم انها
شركاؤه وانها آلهة او شفعاؤكم عند الله او تقربكم الى الله زلفى بكتاب او رسول وانتم لا تؤمنون بكتاب
ولا رسول فاني تؤفكون او تحملون على الافك والكذب والله اعلم وقوله تعالى فان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك والاشكال انهم كانوا لا يكذبونه في قوله هل من خالق غير الله ولا في فتح رحمة سواه ولا
امساك فما معنى قوله فاني تؤفكون وان يكذبوك لكن نقول والله اعلم انما يكون تكذيبهم فيما يخبر عليه السلام

ان رسول الله اليهم ويخبر عن البعث وانشاها وفيه نقض لما عليه السلام على تكذيبهم اياه والله اعلم وقوله
والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع تدبير الامور كلها كقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله والله
اعلم وقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق اى ان البعث كائن لا محالة وجائز ان يكون تاويله ان
وعد الله حق اى ان البعث كائن لا محالة وجائز ان يكون تاويله ان وعد الله حق فيما وعد من الثواب على الطاعة
وفيما اوعد من العقاب على السيئات والله اعلم وقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا معناه والله اعلم لا تشغلنكم
الحياة الدنيا عن ذكر الاخرة ويحتمل فلا تنسكم حياة الدنيا حياة الاخرة والا فالدنيا لا تغر احدا في الحقيقة
وليست هي بلهو ولا لعب وان سميت به كما قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو لانها خلقت زادا للاخرة
وبلغة اليها فاذا هي ليست بلعب ولهو ولا اغارة ولكن نعتها اهلها المغفلون عما خلقت هي له ونسبت
وهو ما ذكرنا انها جعلت زادا للاخرة فلم يتخذها للاخرة وتغيبها بل اتخذها لعينها والمقام بها صارت
لعبا ولهوا وغرورا وهو كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم
كافرون فاخبر ان السورة الواحدة كانت تزيد لاهل الايمان ايمانا ولاهل الكفر والنفاق رجسا وعمى وهي
لا تزيد رجسا ولا عمى في الحقيقة لا نجل وعلا وصف القرآن بانه نور وهدى ورحمة وشفاء لما في الصدور
لمن اعرض عنه وكذبه ورده فاما من تلقاه بالقبول واقبل اليه ونظر فيه بالتعظيم والاجلال فهو له نور
وهدى ورحمة فعلى ذلك الدنيا وما فيها من النعيم اذا جعلها في غير ما جعلت له صارت لهوا ولعبا وغرورا
ولو جعلها فيما جعلت هي له كانت عند استعمالها كذلك حقا وصدقا الا ان الله تعالى سمى نعيمها حسنة وخيرا
ولا يستقيم ذم الحسنة والخير بل الذم يلحق اهلها باستعمالها في غير موضعها وعلى ذلك لا يجوز ان يلحق
السعة والسلامة لان ذلك كله نعم والله تعالى انعم بها على الخلق فيجب ان ينظر الى العامل بهم فيما مكن لهم
فيودوه وكذلك العز والبنا الحسن لا يجب ان يذم شيء من ذلك بل يذم من لم يعرف ان العز فيهم انما العز في طاعة
الله والعبادة لان في المعصية فيهم سمي معصية الله تعالى عز الجملة بالعز وكذلك البناء الحسن يحيث يحمد
ربه ويشكر له فيما ستر عليه فصار يحمد حتى اثنوا عليه ما لو ظهر عليه بعض ما فيه لهربوا منه فضلا
من ان يثنوا عليه او يحمدوه وقوله تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور قال الغرور بفتح الغين هو الشيطان والغرور
بضم الغين مصدره معناه اي لا يغرنكم الشيطان بالله تعالى انه يحتمل الغرور بالله تعالى ونحوها احدهما
اي لا يغرنكم بكرمه وجوده فيقول هو كريم جواد يتجاوز عنكم ويعفو عن سيئاتكم ما لا يكلف لا يغرنكم
بغناه اي غني ما به حاجة الى عبادتكم وفيما امركم به ونهاكم عنه ولا في تعذيبكم على المعاصي وكذلك لا يغرنكم
عن طاعة الله تعالى وعبادته وقد يستعمل البناء مكان من كقوله عينا يشرب بها عباد الله اي عنها اي لا يغرنكم
بالمعنى والله اعلم وقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ثم يذكرهذا والله اعلم لان تعاليم عدو
الخلق اليه في الظاهر يخرج مخرج الشفقة لهم والنصيحة كما يدعو الاولياء لانه يدعوهم الى قضاء شهواتهم ولذاتهم
وما تهوى انفسهم وان كان يقصد هلاكهم ويقصد ذلك به الا ترى انه كيف اظهر لادم وحوا عليهما السلام
من الشفقة حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الى قوله اني لكما لمن الناصحين وكان يقصد ما ذكر الله تعالى
بقوله فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما فعلى ذلك فيما يدعو الناس الى قضاء
شهواتهم في الظاهر يقصد بذلك هلاكهم واتباع عوراتهم بخلاف ما هم الموالاة لله تعالى انه لكم عدو
فاتخذوه عدوا اي كونوا منه ودعائه على حذر كما يحذر المرء عن دعاء عدوه وقوله تعالى انما يدعو حزبه قيل اهل
طاعته وقال القتبي انما يدعو شيعته حزبه انصاره وقيل جنوده وقيل اولياؤه الذين يتولاهم ويتولونه وبعضه
قريب من قريب وانما خص حزبه بالدعاء لهم لانهم هم المجيبون له فيجيبونه والا فهو يدعو الخلق
جميعا وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الاية وكان عليه السلام ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع
الذكر لكن خص انذار من اتبع الذكر في الاية لما انه المنتفع به دون من لم يتبع وقوله تعالى ليكونوا من اصحاب السعير
اي انما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير والا فالظاهر انه لم يدعهم الى عذاب السعير ما اجابوه ولكن دعاهم
الى الاعمال يوجب لهم السعير فيكون دعا الى السعير معنى وقوله تعالى والذين كفروا لهم عذاب شديد
ظاهر والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وقوله مغفرة لذنوبهم السالفة بالايمان
واجر كبير لايمانهم واعمالهم الصالحات وقوله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ليس لهذا الحرف في هذا
الموضع جواب فجائز ان يكون جوابه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات على التقديم والتاخير كانه يقول والله
اعلم افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

ويحتمل ان يكون معناه افمن زين له سوء عمله فلزمه كمن فتح له فانتهى عنه ليس سواء كقوله تعالى او من كان
ميتا فاحييناه نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله كمن مثله في الظلمات نزلت في ابي جهل فعلى ذلك الاول وقوله
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء اي يضل من يشاء عن الهدى ويهدي من يشاء عن الضلال الى
الهدى يضل من علم منه الضلال باختياره ويهدي من علم انه يختار الهدى والله الموفق وقوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات قرئ بضم التاء تذهب النفس ونصب التاء ونصب النفس يحتمل وجهين احدهما
على النهي اي لا تقتل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اسفا على ما نزل بهم بتركهم الايمان لانه كان
صلى الله عليه وسلم كاد ان تهلك نفسه اسفا عليهم فنهاه عن ذلك وذلك على حقيقة الحزن عليه
وتسلية اياه لما اشتد به الحزن لتكذيبهم اياه كقوله تعالى ولا تحزن عليهم وقوله ان الله عليم بما يصنعون
يخرج على وجهين احدهما اي ان الله تعالى عن علم بصنيعهم انشاهم لا عن جهل بما يكون منهم والثاني عليم بما يصنعون
ولا يكافئهم ولكن يوخر ذلك الى الاخرة والله اعلم وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور اي احيينا بالمطر الارض الميتة فكذلك يحيي
الموتى بعد موتهم وقد سبق تاويل الاية وقوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اي القوة والمنعة
بعبادة الله فلله العزة جميعا اي فبعبادة الله وطاعته توجد العزة في الدنيا والاخرة ومن عنده تطلب
ذلك فهو كقوله من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة فليطلب من عنده يطلب ذلك في الدنيا والاخرة وقيل من كان
يريد العزة اي العز والتعزز فلله العزة جميعا طلب العز كقوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم
عزا استكبروا عن عبادته ثم طلب القوة والمنعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون فاخبر
تعالى ان ذلك انما يكون بالله وبطاعته فمن عنده اطلبوا لا من عند غيره والله اعلم وقوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه اختلف في تاويله قال قائلون اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وهو الوعد الحسن والعمل الصالح يرفعه وهو الوعد الحسن والعمل الصالح يرفعه اي انجاز ذلك
الوعد والوفاء يرفع ذلك لو قد وعد الكلم الطيب فيكون صعود ذلك برفع هذا ليعلم ان مجرد الوعد
دون الانجاز لا عبرة وقيل ان الكلم الطيب هو كلمة التوحيد والعمل الصالح يرفعه اي الاخلاص بذلك الكلم
الطيب يرفعه فعلى هذا التاويل لا يصعد كلمة التوحيد بتمام مخلصها انه يرفع العمل الصالح فهو كلمة
فعلى هذا التاويل يصعد الكلم الطيب اليه ويرفعه العمل الصالح وقال بعضهم يصعد الكلم الطيب وهو قول
الايمان يرفع هو ايضا العمل الصالح الى الله تعالى فان بالايمان يتقبل الاعمال الصالحة وهذا جائز في اللغة اي
والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فيتصل بالعبارة هو لها وتقديره ما قلنا فيه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح والله اعلم وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات قال عامة اهل التاويل الذين يعملون السيئات
وجائز ايضا ان يكون ما ذكر من مكرهم السيئات هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وايذائهم اياه
وقصدهم اهلاكه بغتة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله اي يمكر بهم في الدنيا باهلاكهم وفي الاخرة بالعذاب الشديد فهذا مثله اي لهم عذاب شديد
في الاخرة بسبب مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الدنيا الهلاك وذلك قوله ومكر اولئك هو
يبور اي يهلك وهو ما نزل بهم يوم بدر قتلهم يومئذ ولداتهم الكفرة والله اعلم وقوله تعالى والله خلقكم من تراب
اي قدركم اذ الخلق هو التقدير معناه قدركم مع كثرتكم من قلة امركم الى اخر ما ينتهون اليه من التراب الذي
خلق منه ادم عليه السلام كذلك قال والله خلقكم من تراب فان كان يخلق ادم من التراب من حيث الجنس
وقوله تعالى ثم من نطفة اي قدركم بصنائع كثرتكم وعظمكم من تلك النطفة يخبر جل وعلا من علمه
وتدبيره وتقديره ايانا مع كثرتنا من ذلك التراب الذي خلق منه ادم ومن تلك النطفة ولنا علم ولكن
نحن على ما نحن عليه من ذلك التراب والماء من حيث الظاهر ليعلم ان من قدر على تدبير كل من ذلك الماء والتراب
قادر على تدبير امثال ذلك ولا يعجزه شيء والله اعلم ويحتمل ان يكون اضافته ايانا الى ذلك التراب والماء
لانهما كانا اصلنا ومنهما انشانا فان خلقنا وان كان يرد علينا الانتقال من حال الى حال على ما ذكرنا
في غير موضع وقوله تعالى ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا وقيل ثم جعلكم من ذلك ذكرا وانثى يسكن
بعضهم الى بعض وقوله تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه تقول ان الله اعلم ما تحمل من انثى من اول ما تحمل الى
ما ينتهون اليه لا يعلمه الناس انها تحمل كذا في وقت كذا وكذا بما تضع كذا في وقت كذا فاخبر عن علمه
بما هو من اول منشاهم الى اخر ما ينتهون اليه بان كان ذلك كله بتقدير منه وعلم والله اعلم وقوله تعالى
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب والاشكال انه ذكر في اخره اذا جاء اجلهم لا يستاخرون

ساعة ولا يستقدمون وذكر ههنا انه ينقص من العمر وقد اختلف اهل التأويل في تأويل هذه الاية
وقال بعضهم قوله وما يعمر من معمر اي ما يطول من عمر وانطال وما ينقص من عمره اي ما نقص وقصر من ذلك
والمبطل الا في كتاب اي طول العمر في حق من علم في حقه انه يطول وقصوره في حق من علم في حقه القصور كل ذلك
كان مبينا في الكتاب الا ان المراد منه ان ينقص من عمره الذي قضى به وجعله مقصلة اي ينقص والله اعلم
وقيل وما يعمر من معمر اي من كثر عمره وطال وقل عمره فهو ينتهي الى الحاله لا مزيد عليه ولا نقصان ثم قال ولا ينقص
من عمره كل يوم وكل ساعة لكن في الاصل يجعل البعض طويل العمر والبعض قصير العمر حتى ينتهي الى اجله الذي
في كتاب اي مكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلق وقيل ايضا قريب من ذلك اي ولا ينقص من عمره بمرور
الليل والنهار والساعات الا في كتاب وذلك ان الله تعالى كتب لكل نسمة عمرا ينتهي اليه فاذا جرى عليه الليل
والنهار انقضيا عمرها حتى يبلغ اجلها فمن قضى له حتى يدرك الكبر ودون ذلك فهو بالغ ذلك الاجل
وقوله تعالى ان ذلك على الله يسير قيل اي كتابة الاجال حتى كتبه في اللوح المحفوظ على الله هين وقيل على
ان حفظ ذلك بغير كتاب يسير هين ويحتمل ان يكون قوله ان ذلك اي علم الذي ذكر وتقديره من اول الشيء
الى آخره يسير الله يسير عليه اي لا يخفى عليه شيء والله اعلم وقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب
فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج فيه وجوه من المعنى احدهما انه لا يستوي الخبيث من الرجال والطيب
منه كما لا يستوي الملح الاجاج والعذب وقد استوى الخبيث والطيب من الرجال في منافع الدنيا
وقد خرجا منها على الاستواء وفي الحكمة التفريق بينهما فدل ان هنالك دارا اخرى تفرق بينهما فيكون
الاية دليلا على اثبات البعث والثاني فيه ان المنشأ من الاشياء لم ينشئها الله تعالى لحاجة نفسه لكن
لحوائج الخلق وما يكون لهم من العبرة فذلك اذ من انشأ شيئا لحاجة نفسه انشأ الذي الاشياء اطيبها
لا امرا اجاجا وكذلك من جنس العقلاء يخلق موحدا مؤمنا به حامدا منزها له عن سمات الحدث لا كافرا عاصيا
جاحدا الوهيته واصفا اياه بما لا يليق به لانه ليعلم انه غني عن الخلق كلهم وانه لم ينشئهم لحاجة نفسه وفيه
على المعتزلة في قولهم انه لا يخلق ما لم ينتفع به العباد وانه لا يفعل الا ما هو الاصلح لهم اذ انشأ ما اجاجا
لا ينتفع به ليكون لهم العبرة في ذلك دل انه يخلق الاشياء بعضها المنافع العباد وبعضها لمحض الحكمة وبعضها
للاعتبار والاستدلال بذلك على كمال غناه وقدرته لان الكل يخلقها المنافع لهم والله الموفق والثالث فيه
تصبير النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الكافر الخبيث الى الايمان وقد قطع اياسه عن ايمانهم ورجوعهم
الى الله تعالى حيث اخبر وقال ومن كل تأكلون لحما طريا الخ يعني انكم تأكلون من الماء الملح الاجاج والعذب السائغ
اللحم الطري ما حق مثله اذا القى فيه اللحم الطري ان يفسد من ساعته فلما كان قادرا على اخراج اللحم الطري
ان يفسد من ساعته فلما كان قادرا على اخراج اللحم الطري من الملح الاجاج وجعله صالحا للغذاء ولا يفسد
جنسه السابق للاعتداء فكذا قادرا على ان يعطي الكافر الخبيث ايمانا يهتدي به ولا يضره الخبث السابق
للاهتداء والله الموفق والرابع يذكرهم عن كمال قدرته انه من قدر على حفظ اللحم الطري في الماء الذي لا يبقى
على ادنى منه والقريب من الحوض فيه والذوق منه فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء والخامس يذكرهم نعمه التي
انعمها عليهم بقوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون يذكر عظيم نعمه حيث جعل لهم مسخرة منه الله يقدرون على استخراج ما فيها
من الحلي وانواع الزينة وما خلق فيها للاكل والغذاء من اللحم الطري والوصول الى المنافع التي هي في البحر
بسفن انشاها واجراها في الماء الى كذا كسائر ما يرى نعمل مما جريان الماء بل الا مجوبة بالرياح في الماء الراكد
اكثر من جريانها على جريه الماء لان السفن في الماء الجاري لا تجري الا على الوجه الذي يجري الماء وفي الماء
تجري بريح واحد من الجانبين اغني على جريها الماء وعلى خلافه ما حيث شاء يذكرهم تعالى هذه الانواع من النعم
وغيرها ليقدموا على الشكر له تعالى والحمد له في ذلك قوله ولعلكم تشكرون ويكون هذا دلالة على قدرته
اذ من ملك عمل هذا لا يعجزه شيء والله اعلم ويحتمل المثل المضروب في البحرين يكون للعمل الصالح وهو التوحيد
والعمل السيء وهو الكفر اخبر انه كما لا يستوي الملح والعذب لا يستوي التوحيد والكفر لشيء والله اعلم
ثم قوله وترى الفلك فيه مواخر الفلك السفينة والمواخر جمع ماخرة وهي التي تشق الماء فتقطعه بسفينة
وتجري بجرها ومنهم من قال المواخر التي تجري ان احدهما مقبلة والاخرى مدبرة بريح واحدة وقوله تعالى لتبتغوا
من فضله ذلك انما يصلون للمكاسب من فضل الله اذ قد يكتسب المرء ولا يكون له منه نصيب والله اعلم
وقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
هذا لاهل مكة لانكارهم الصانع والبعث والرسل لانهم كانوا والله اعلم على فرق ثلثة منهم منكر للرسل

في الاية دلالة اثبات هذه الاشياء بجملة اما دلالة اثبات الصانع والوحدانية للانشاء والليل والنهار
والشمس والقمر وجريانها على سنن واحد من اول ما كان الى اخر ما ينتهي فيدل انه كذلك كله صانعا واحدا مدبرا
عالما انشأ كل شيء كما شاء وحفظ على ذلك انه لو كان ذلك بنفسه لكان يجري على ميزان واحد ولو كان ذلك فعل
عدد من الفاعلين لكان يتقدم ويتأخر ويذهب بعضها او يسأل على ما يكون من عادة فعل العدد من الملوك اذا ارى
اراد الاخر نقضه فدل انه انشأ ما ذكر على الصانع الواحد ودل ذهاب الليل ومجيء النهار حتى لا يبقى اثر احدهما بعد ذهابه
على اثباته على اثبات البعث لاحياء الموتى بعد ذهاب اثرها وكذا انه تدبير هذه الاشياء وخلقها بدون البعث
عبث باطل لما ذكرنا في غير موضع ولذا ثبت ما ذكرنا لا يحتمل ان يتركهم انه تعالى سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم
ولا بد من رسول يأمرهم وينهاهم على لسانه ويخبرهم عما لهم وعليهم من الاحكام فيكون فيه ايجاب الرسالة ثم
اخبر ان الذي فعل ذلك كله هو الله دون غيره كقوله ذلكم الله ربكم له الملك اي خالق ذلك كله هو الله تعالى
الذي له الملك والقدرة دون التي عبدتموها من الاصنام وسميتموها آلهة الذين لا يملكون شيئا ولا قدرة
لهم على احد كما اخبر بقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يصف الاصنام في عبادة من عبدوه
والقطمير هو القوقعة التي تكون فيها النواة وقال ابو عوسجة هو القشر الرقيق الذي يكون بين لحم التمرة ونواها
واحده وجمعه سواء ثم يخبر عن عجز من عبدوهم حيث قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم يحتمل هذا وجوها احدها على حقيقة الدعاء اي لا يسمعون دعاءهم حقيقة ولو سمعوا ما استجابوا لكم
او لو سمعوا دعاكم ما يملكون اجابتكم في ضرة او جر نفع والثاني يحتمل ان يدعوهم اي ان تعبدوهم لا يسمعوا
دعاكم اي لا يجيبوكم الى ما يقصدون بعبادتهم اياهم والثالث يحتمل ما قيل ذلك عنكم والله اعلم وقوله
ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي ينكرون هؤلاء الذين عبدوهم ويشركونا الله فيهم من حيث العبادة
او الربوبية ان يكون شركاهم حل عن ذلك او امروهم بذلك كقوله تعالى سيكفرون بعبادتهم وقوله تعالى
ولا ينبئك مثل خبير اي لا ينبئك احد مثل الذي انبأك والخبير في الصدق ما عمل بحق الصدق
ما قيل اليه ولا يقبل على بنا غيره والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد
في الاية وجوه من الدلالة احدها انه انما يأمرهم وينهاهم لحاجتهم اليه لا لحاجة له في ذلك فان يتموا فالى
انفسكم يرجع منفعته وان نقصتم فعليكم يلحق ضرر ذلك وهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم
الاية والثاني انكم تعلمون انه فقركم وحاجتكم الى الله عز وجل لا الى الاصنام التي تعبدون بها فكيف صرفتم
العبادة والشكر الى ما تعلمون انكم لا تفتقرون اليه والثالث فيه قطع اطماعهم من الخلق جملة لانه خاطب
الكل واخبر انكم جميعا فقراء الى الله تعالى المطامع والمطموع اي فاقطعوا طمعكم من الخلق واطمعوا ذلك
من الغني الحميد والله اعلم وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يخبر عن غناه وقدرته لو شاء الله
لاذهبكم ليعلموا انه لم ينشئكم ولا اموالكم فيها كم من شيء لمنفعة نفسه وقوله تعالى وما ذلك على الله
بعزيز يحتمل وجهين احدهما انه لا يصعب ولا يثقل عليه اذهابكم وفناءكم لما لم ينشئكم لحاجة نفسه وتعلق
قلبه بكم والثاني يحتمل انه لا يصعب عليه اذهابكم واخذ امثالكم ولا يعجزه شيء فيكون في ذلك بيان قدرته
وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء كان هذا اصله قوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم كان الكفرة يطمعون المؤمنين بان يحملوا خطاياهم ان اتبعوا
سبيلهم فاقسم الله تعالى على ذلك بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء
ولو كان ذا قربى ليقطعوا اطماعهم يومئذ عن تناصر بعضهم ببعض وحمل بعضهم مؤن بعض وشغله بعضهم
بعضا على ما كانوا يفعلون في الدنيا ينصر بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا كانوا يحتالون بمثل هذه الحيل
في الدنيا ليدفعوا عن المتصلين بهم لضربها اخبر الله تعالى ان ليس لهم ذلك في الآخرة وهو قوله ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقوله لا يجزي والد عن ولده الاية وقوله تعالى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة هذا يخرج على وجهين احدهما انما ينتفع بالانذار الذين يخشون
ربهم بالغيب من دون من لا يخشى ربه والا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينذر من يخشى ومن لم يخشى
وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب والثاني انه يقول والله اعلم انما تنذر عن الذي
خشي ربه وعن الذي اتبع الذكر ولكن انما يتبع انذارك ويقبله من خشي ربه واتبع ذكره والله اعلم وقوله تعالى
ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اي من عمل خيرا فانما يعمل لنفسه ويحتمل اي من جاء بالتوحيد فيصلح ذلك
له وعمله حتى يثاب عليه وقوله تعالى والى الله المصير ذكرناه في غير موضع وقوله تعالى وما يستوي الاعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ضرب هذا المثل

يخرج على وجوه احدها انه شبه الاصنام التي كانوا يعبدونها بالاعمى والظلمة والميت والحرور حقيقة
لانها كذلك عميان موتى لا نور فيها كانه يقول فانتم لما علمتم انه لا يستوي الاعمى والبصير ولا
النور ولا الظل ولا الحرور ولا الميت والحي فتعلمون ان الذين تعبدون من دون الله عميان لا بصر لها
ولا نور ولا حياة ولا شيء من ذلك وان الله تعالى هو البصير وهو خالق الحياة والنور ومنه كل خير فكيف
اخترتم عبادة هذه الاشياء على عبادة الله تعالى وانتم تعلمون والثاني شبه اولئك الكفرة بالعميان والموتى
وما ذكر والمؤمن بالبصير والنور والظل والحي على ارادة حقيقة البصر والحياة لان لهم بصرا يبصرون
ولهم حياة فيقولون نحن بصراء احياء وانتم العميان والاموات لكن شبههم بالعميان والموتى لما لا حجة لهم ولا برهان
على عبادتهم الاصنام من كتاب ولا رسول وهم يعلمون ذلك والمؤمنين في ذلك على حجة وبرهان فكان له
حجة وبرهان فيما يعمل من بصر حتى من يتعمى ليس معه ذلك فهو اعمى ميت في الظلمات والله اعلم والثالث فيه دلالة
البعث لانهم يعلمون ان الخلق كلهم على حد واحد بل منهم الاعمى والبصير والحي والميت وقد استووا جميعا
في منافع الدنيا وفي الحكم التفريق بينهم فلا بد من دار اخرى يفرق بينهم والله اعلم وقوله تعالى ان الله يسمع
من يشاء وما انت بمسمع من في القبور دل قوله ان الله يسمع من يشاء على ان قوله وما انت بمسمع من في القبور
انما اراد بالكافر لا الميت حقيقة في القبور ثم اخبر ان رسوله عليه السلام لا يسمع من في القبور ولا يقدر
على ذلك وليس عنده ذلك فلو كان الهدى هو البيان والدعاء نفسه كما قالت المعتزلة لكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع ويبين ويقدر على ذلك فوق ما في الخلق فخص الله تعالى ذلك فما سد
وظاهر الاية يقتضي انه لا يقدر الرسول عليه السلام على ذلك فدل ان ذلك عند الله لطفا وسالهم
ولو كان اعطاهم لا مثله واهتدوا اذا اعطى ذلك الكفرة كلهم ينبو منه ويستعمله كلهم حكاه المعتزلة
انه اعطاهم كل ذلك وجميع ما يصلح لهم من امر الدين فيكون الاية حجة عليهم وهو كقوله انك لا تهدي من احببت
ولو كان الهدى هو البيان لا هدى من احب فقد احب ثم علم شدة دل ان عند الله شيئا لو اعطى ذلك لاهتدى
ولم يكن ذلك عند غير الله وقوله تعالى ان انت الا نذير يحتمل وجهين احدهما ليس عليك الا الانذار
كقوله ان عليك الا البلاغ وقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين فانت لا تؤاخذ بتركهم قبول الانذار
كقوله ما عليك من حسابهم من شيء والثاني يحتمل الانذار بالسيف بالامر بالقتال معهم حتى يؤمنوا فان كان
المراد هو الانذار باللسان فهي لا يحتمل النسخ ابدا وان كان هو الامر بالقتال فهو يحتمل النسخ والتخصيص
بالقتال في وقت دون وقت ومكان دون مكان وشخص دون شخص وقوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا يحتمل قوله بالحق اي بالتوحيد اي ارسلناك لتدعو الناس الى توحيد الله تعالى والتصديق
له بجميع ما انزل ويحتمل ارسلناك بالحق اي بالحق الذي لله تعالى عليهم وما لبعض على بعض ويحتمل ارسلناك
بالحق اي للحق وهو البعث الذي هو كائن لا محالة اي لاجل البعث حكمة لما تقدم ذكره من انشائه
الخلق للفناء خاصة عبث ولذلك البعث بعد الافناء لغير عبث فانه يكون حكمة لتكون المجازاة
احسانا بالاحسان واساءة بالاساءة ولن يتحقق ذلك الا بعد بعث الرسل فيكشف لهم امرهم
فيستوجبوا الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية وبالله التوفيق وارسلناك لاجل البعث لانهم
كانوا ينكرون ذلك فالبعث وان كان يعرف بالعقل لكن لا بد من تكميل السمع ليتأكد الحجة وينقطع عذرهم
من كل وجه وذلك انما يتحقق ببعث الرسل عليهم السلام والله اعلم وقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا لمن اطاعه
وخالف امره وخالف احابيبه وهذه الاية تدل انه لم يرد بقوله بشيرا ونذيرا فان التخصيص لا ينسخ
بالتنصيص بالاسم والله وقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير قيل ليس من اصناف الخلق من على اختلاف
اجناسهم واصنافهم الا وقد خلا لهم نذير اي رسول بامر ونهي وهو كقوله وما من دابة في الارض
ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اخبر انهم على اختلاف اصنافهم امم امثال البشر وهذا قول
اهل البدعة وقال اخرون ذلك راجع الى الجن والانس خاصة ليس الى الكل لانهما المخصوصان بالخطاب
لاختصاصهم بالعقل والنطق وغيرهما وفيما ظهر بعث الرسل عليهم السلام وارسال النذر لم يظهر
ذلك في غيرهما فكانه قال وان من قرن من القرون الا خلا فيهم نذير وذكر الامة واراد بها القرن
والله اعلم وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير اي المنور ففيه تصبير وتعزية وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبر كما صبر اخوانه
من الرسل وفي قوله الكتاب المنير دليل على ان قوله الله نور السموات والارض فانه سمى الكتاب
عز اسمه من القرآن نورا هو نور بما ينور القلوب والصدور ويدل عليه تسميته القرآن والكتاب

بينة مبينا اي منورا والله اعلم وقوله تعالى ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي اخذت الذين كذبوا
يسلي بتكذيبهم اياك ايضا ذكر هذا ليزجر قومه عن تكذيبهم اياه بما ينزل بهم مثل ما نزل باولئك
يحتمل ان يصبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلي حزنه والله اعلم وقوله فكيف كان نكير قيل انكاري
قيل عذابي والله اعلم وقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها فيه وجوه
من الحكمة احدها انه جعل ما جعل طبع الماء على وجه يوافق طباع هذه الثمار على اختلاف جواهرها والوانها
حتى يكون حياة كل شيء وقوامه بهذا الماء وجعل طبع هذا الماء ايضا ملائما طبع جميع الخلائق من البشر
والدواب والطير وجميع الحيوان على اختلاف جواهرهم حتى صار به قوامهم وحياتهم ليعلم انه من مالك هذا
لا يعجزه انشاء شيء لا من شيء وانه لا يخفى عليه شيء وانه قادر على البعث والثاني انه انشأ من ذكر من مختلف الاشياء
بهذا الماء وجعله سبب الحياة الكل من غير ان يكون في ذلك الماء الذي انشأ بسببه هذه الاشياء مجانسة ليعلم
انه لم يكن انشأ هذه الاشياء بهذا الماء ولا جعله سببا لها لحاجة له الى الاستعانة اذ لو كان كذلك لكانت هذه
المنشأة من الماء مشاكلة له لكن جعل ذلك اعلاما للخلق واسبابا للطلب الغذاء والفضل من غير
ان يكون ذات ذاتهم من تلك الاسباب والمكاسب لكن من فضل الله تعالى توسع على من يشاء ويقتر
على من يشاء مع الاستواء في الاسباب والمكاسب والله اعلم والثالث انشأ هذه الفواكه مختلفة الالوان
والطعم لما علم من طبع البشر الملالة والسامة من نوع واحد ولون واحد ليتم نعمه عليهم ويستأدي بذلك
الشكر عليهما والله اعلم وقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك قال بعضهم انشأ الجبال مختلفة من بيض وحمر وغرابيب سود كما
الثمار والدواب والخلق مختلفة ومنهم من قال ذلك وصف الطرق التي انشأها في الجبال وقال القتبي الجدد
الخطوط والطرائق في الجبال والغرابيب جمع غربيب وهو شديد السواد يقال رجل غربيب اي اسود الشعر
ماخذه من الغراب لانه اسود وقال ابو عوسجة الجدة الخطة الجدد جمع الخط طلقيا الجدد اي خططت ونعا
ثوب مجدد كما يقال ثياب مجدد اي مخطط وكان معناه ومن الجبال جدد وبيض اي طرائق مختلفة الوانها ابيض واحمر
واسود غربيب يذكرهم الله تعالى قدرته وتدبيره ان الجبال سبلها وشدتها وارتفاعها بحيث يتطرق فيها
في صعودها وهبوطها وشدتها وارتفاعها جعلت بحيث يتطرق فيها في صعودها وهبوطها ليعلم ان من قدر
على ذلك لا يعجزه شيء يحتمل ان يذكرهم نعمه عليهم حيث جعل لهم من الجبال طرقا مع صلابتها وشدتها ليصلوا
فيها لحوائجهم ويتجاوزوا عنها الى مقصدهم وانبت لجميع ما يحتاج اليه المرء من الادوية في كل بلد لا يمكن
الوصول الى البلد الا بمضي جرفها اذا كان بينهما جبل لا يتطرق فيها واكثر الادوية تكون في الجبال فدل انه هذا
من عظيم النعم والله اعلم وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والاشكال انه خص العلماء بالخشية
من الله تعالى وكل مسلم يخشى الله فيخرج على وجوه احدها ان المراد بالعلم هو العالم بالله تعالى والعالم بالله يخشى
منه لما يعلم من سلطانه وقدرته وجلاله واما من لم يعلم بالله لا يعرف سلطانه وجلاله لا يتحقق منه الخوف والثاني
المراد منه ان العالم بالبعث والمؤمن به هو يخشى الله تعالى في مخالفة امره ونهيه لما يعلم من نقمته وعذابه في حق
من خالف امره ونهيه فاما من لم يؤمن بالبعث ولم يوقن به ولا يخافه والثالث فيه بيان ان جميع المؤمنين الذين
يعرفون الله تعالى يخشى منه وان المراد من العلماء ههنا هو المؤمن به وهذا ليس بتخصيص بل بيان وصف المسلمين هو
الخوف من الله تعالى اذ لا يتصور الايمان بدون الخوف فيجوز ان يذكر العلماء بالله تعالى والمؤمنون به كما قال
ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي انه آية لكل مؤمن كذلك هذا وهو كقوله تعالى والذين امنوا مشفقون منها
وقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون فذلك ان ذلك نعت ووصف المؤمنين والله اعلم وقال بعض اهل التأويل
انه على التقديم والتأخير اي اشد الناس لله خشية اعلمهم بالله ثم الخشية ما هي قال الحسن هي الخوف اللازم في
عن مفارقه له وقوله تعالى ان الله عزيز غفور منتقم من اعدائه غفور لذنوب المؤمنين وقيل عزيز في ملكه ومن دونه
ذليل غفور لذنوب المؤمنين والله اعلم وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة
التلاوة يحتمل وجهين ما ذكر في آية اخرى وهو قوله يتلونه حق تلاوته اي يقرؤونه حق قراءته ويعملون بما فيه من الامر
بالصلاة والامر بالزكاة ويحتمل يتلون كتاب الله بما فيه مما لهم وعليهم ويتبعون كله من الاقدام على الحلال والاجتناب
عن المحارم فعلى هذا التأويل يدخل تحت الاية من لم يقرأ الكتاب لانه لم يقرأ بلسانه وعلى الوجه الاول لا يدخل من لم يقرأ
يحتمل ان الذين يتلون كتاب الله اي يتبعون كتاب الله باتباع ما فيه من اقامة الصلاة والانفاق مما رزقوا ونحو
ذلك من العمل ينتفع بما فيه فكانه لم يتل وهو يعني الله تعالى الخارس من الكفرة بقوله صم بكم عمي فهم لا يرجعون مع وجود
حسن عقلهم لعدم الانتفاع بها فهذا مثله والله اعلم وقوله تعالى واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية

يحتمل وجهين احدهما الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله في كل حال وفي كل وقت وهو كقوله الذين
ينفقون في السراء والضراء اي في كل حال والثاني ما قلنا وكنا اخبر ويتصدقون ظاهرا وباطنا لما قصدوا به وجه
الله تعالى لا مراياة الخلق فمن كان قصده بالخيرات وجه الله تعالى فعلم الخلق به وجهلهم سواء لا يمتنع من ذلك
والله اعلم وقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور قال ابو عوسجة والقتبي لن تبور اي لن تفنى ثم يكسد يقال بارت التجارة
تبور بورا اذا كسدت سمى الله تعالى ما يبذل العبد له تجارة وان كان العبد مما يعوضه يرى في الحقيقة له لطفا
واحسانا وكذلك ما ذكر من ابقاء الاجر لهم على اعمالهم حيث قال ليوفيهم اجورهم وليس ذلك في الحقيقة اجرا لما ذكر
الاجر وله بذلك الاعمال لما عليهم من الشكر فيما انعم عليهم من انواع النعم ومتى يتفرغون عن شكر ما انعم عليهم حتى يكون
ذلك اجرا لهم لكنه جل وعلا بفضله وعد لهم الثواب على احسانهم وسمى ذلك تجارة واجرا ترغيبا للخلق وتحريضا
لهم […] ذلك ليكون ذلك ادعى لهم الى تحصيل ما يتعلق به الثواب والله اعلم وعلى هذا قوله ويزيدهم من فضله
ثم قوله ليوفيهم من الايفاء يقال اوفيته حقه اي اعطيته كله وقوله تعالى انه غفور شكور غفور تستر لمساويهم
شكور […] مظهر لحسناتهم بادخالهم الجنة ليعلم كل احد المحسن من المسيء ويحتمل غفور لما يتجاوز ويعفو مساويهم
شكور يقبل اليسير من العمل ويجزيهم على ذلك الكثير من الثواب والله اعلم وقوله تعالى والذي اوحينا اليك
من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه اي والذي اوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق اي انه
من عند الله مصدقا لما بين يديه ان يكون موافقا للكتب المتقدمة ثم يكون تصديقه اياها ان يكون
باحد سببين اما في الدنيا اي توافق الاخبار والانباء التي في القرآن انباء الكتب المتقدمة او يكون الوفاق
في الاحكام فليس المراد هو الموافقة من حيث الظاهر فان كثيرا من الاحكام كان منسوخا في كتابنا وكان حلالا
في كتابهم وصار حراما في كتابنا فكيف يكون بينهما موافقة من حيث ظاهر الاحكام ولكن اراد بذلك من حيث
المعنى لان الناسخ لا يكون مخالفا للمنسوخ من حيث المعنى لان الاحكام شرعت لمصالح العباد والمصالح تختلف
باختلاف الاوقات فقد يكون المصلحة في وقت في الحل وفي وقت في الحرمة فكانا من حيث المصلحة متحدا
وان كانا من حيث نفس الحل والحرمة مختلفا الا ترى انه قد قلنا ان الناسخ والمنسوخ خلاف في الحقيقة ثم اخبر
انه غير مختلف بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان الناسخ والمنسوخ خلافا في الحقيقة
لكان من عند غير الله على ما اخبر دل ان بينهما موافقة من حيث المعنى والله اعلم ويحتمل ان المراد الموافقة في اصل الدين
لان الكتب كلها داعية الى توحيد الله تعالى والطاعة له ولم يرد بذلك الوفاق في الفروع وقال بعضهم المراد منه
بان محمدا عليه السلام يصدق ما قبله من الكتب والرسل عليهم السلام وهو ما ذكرنا ان جميع الرسل والكتب انما يدعون
الى الحق الى توحيد الله والله اعلم وقوله تعالى ان الله بعباده لخبير بصير اي خبير بصير بما به صلاحهم ويحتمل
اي على علم وتبصير منه بتكذيب القوم رسلهم بعث الرسل اليهم ولا يخرجه ذلك عن الحكمة كما قال بعض
الملحدة من بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته فليس بحكيم فهكذا انه لو كان بعث الرسل لحاجة
المرسل فهو من بعث مع علم منه انه لا ينتفع به لحاجته ولا يحصل مقصوده لم يكن حكيما فاما الله تعالى فلم يرسل
لحاجة له تعالى الله عن الحاجات بل انما ارسلهم لحاجة المبعوث اليهم فلم يخرج عليه بردهم وتكذيبهم عن الحكمة
ويحتمل قوله خبير بصير على الوعيد اي انه عالم بافعالهم واحوالهم ليكونوا ابدا على حذر والله اعلم وقوله تعالى ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
اختلف في تأويله قال بعضهم ان قوله الذين اصطفينا من عبادنا اراد به جميع المؤمنين ثم قسمهم على انواع
ثلثة فقال فمنهم ظالم لنفسه […] اخبر انه اصطفاه المذكور من متبع محمد صلى الله عليه وسلم ثم اختلف
في ذلك فقال بعضهم هم اصحاب الكبائر وهو قول المعتزلة لان عندهم الصغائر مغفورة بالاجتناب عن الكبائر لا محالة
وعندهم بالكبيرة وان يخرج من الايمان لكنهم لم يخرجوا من الاسلام وهم من اهل القبلة والصلاة عليهم
ومنهم من قال هم اصحاب الصغائر وهو قول بعض الخوارج لانهم يقولون بارتكاب الكبائر يصير كافرا ولكن
بارتكاب الصغيرة لا يكفر ولا يخرج من الايمان ولكن عندنا على اصحاب الكبائر والصغائر جميعا لان المؤمن بارتكابهما
لا يخرج من الايمان ويكون ظالما ولا تحصيل لصغيرة مغفورة بالاجتناب عن الكبائر وقال بعضهم المراد من قوله
الذين اصطفينا من عبادنا هو الرسول عليه السلام اختاره من بين عباده واصطفاه وبعثه اليهم بالرسالة
ليدعوهم الى توحيده والطاعة وقوله فمنهم ظالم لنفسه يرجع الى قوله من عبادنا فيعم جميع الناس المتبعين
للرسول عليه السلام وغيرهم فقسم الناس اقساما ثلثة فقال فمنهم ظالم لنفسه اختلف فيه قال ابن عباس
الظالم لنفسه الكافر وعن الحسن قال هو المنافق واما السابق والمقتصد فقد يحتمل وقال بعضهم هم اليهود
والنصارى الذين قد امنوا به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقيل هم المشركون الذين قد اقسموا ان لو جاءهم

نذير ليكونن

نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وهؤلاء كلهم في النار والاشبه ان يكون قوله فمنهم ظالم لنفسه من متبع
الرسول وامن به لكنه ارتكب المعاصي وظلم نفسه بذلك وقد روي واختلف في ذلك على ما روي في الخبر
عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الاية فقال اما السابق بالخيرات فيدخل
الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه
لا ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وكذلك روي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم فان ثبت هذا الحديث فهو تاويل الاية
ويفسر الظالم هذا الذي يكون من اهل التوحيد والله اعلم واما المقتصد قيل هو يخلط العمل الصالح بالعمل السيء
وهو كقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وقال بعضهم
هو الذي يقوم باداء الفرائض فاما غيرها فلا واما السابق فيخرج على وجهين احدهما ان يكون سابقا بالخيرات
كلها فلا يقصر ولا ينقص والثاني يكون سابقا بالخيرات لكن مع تقصير ونقصان ثم قد ذكر هذه الفرق
الثلاث في غير موضع من القرآن فقال في موضع والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال
واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية وقال واخرون مرجون لامر الله الاية وقال في موضع اخر والسابقون السابقون اولئك المقربون
في جنات النعيم وقال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود فظاهر هذا ان اصحاب الشمال هم المكذبة
حيث ذكر في اخر هذه السورة ايضا الفرق الثلاث فقال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة
نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم الاية وفي ظاهر ما ذكر في سورة التوبة انهم من اهل التوحيد حيث قال واخرون
مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم الاية والله اعلم وروي عن عمر رضي الله عنه في قوله فمنهم ظالم لنفسه الاية
الا ان سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه قال
الا ان سابقنا اهل الجهاد وان مقتصدنا اهل حضرنا وان ظالمنا اهل بدونا وقوله تعالى باذن الله يحتمل
بعلم الله ويحتمل بمشيئة الله ويحتمل بامره والله اعلم وقوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير قيل والله اعلم
هذا الذي اورثناهم من الكتاب هو الفضل الكبير وهو كقوله وكان فضل الله عليك عظيما وقيل ادخالهم الجنة هو الفضل
الكبير منه الا ترى انه ذكر عقيبه جنات عدن الاية تفسيرا لقوله هو الفضل الكبير والله اعلم وقوله تعالى جنات عدن
يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا قرئ بالخفض والنصب وقد ذكرنا في سورة الحج وقوله تعالى
ولباسهم فيها حرير ذكر الله تعالى التحلي في الجنة بالذهب والفضة ولبس الحرير ومثل هذا انما يذكر للترغيب فيما
يتحقق الترغيب فيما لهم رغبة في الدنيا ليس يعرفون […] ما في الاخرة وليس للرجال رغبة في الدنيا بالتحلي
ولا في لبس الحرير فما معنى ذكر هذا فيقال ان في العرب عادة في التحلي بالذهب والفضة ولبس الحرير وذلك لان ملوكهم
[…] فخرج الوعيد لهم بذلك والترغيب فيه بعد ذلك كما ذكر في القرآن من الخيام والقباب لان العرب […]
مقصورات في الخيام وقال لهم في الغرفات امنون وهذه الاشياء انما يستعمل في الضرورة في الاسفار وعند عدم […]
[…] انما يتخذ عند ضيق المكان فاما في حال السعة فلا لكنه خرج ذلك على عادة العرب لما لهم من فضل
رغبة الا ترى انهم قالوا لولا القي عليه اساورة من ذهب ذكر ذلك لما ان ذلك عندهم فضل وقدر ومنزلة و
يحتمل انه يذكر هذا لما في الجنة شيء من الذهب والحرير ليس على انهما يشابهان ذلك في الجوهر سوى موافقة الاسم
على ما روي في الخبر ان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وما ذكر ايضا ان في الجنة لا يشبه ما
في الدنيا ولا يوافق الا في الاسم وكلام هذا معناه الا انه ذكر الاشياء التي هي اعز الاشياء في الدنيا وهذه اسماء
لعظم النعم فذكرها ليبين كمال النعمة في الجنة والله اعلم وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال
بعضهم انما يقول هذا القول هو الظالم لنفسه الذي ذكر في قوله فمنهم ظالم لنفسه انهم يحبسون على الصراط حبسا
طويلا ويحاسبون حسابا شديدا فيطول حزنهم لذلك ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة فعند ذلك يقولون الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن على اذهاب ذلك الحزن عنهم والله اعلم ومنهم من قال يقول هذا كل مسلم اذا دخل الجنة لما
كان مسلم في الدنيا في حزن بسببه لما لا يدري ما ذا يكون مصيره واين مقامه في الاخرة فلما دخل الجنة امن مما كان
يحزن في الدنيا حمد الله تعالى عند ذلك ومنهم من قال يحمدون ربهم لما امنوا الموت كما ذكر في الخبر انه يؤتى بالموت
على صورة كبش فيذبح فعند ذلك يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقال بعضهم ذلك الحمد لله منهم في الجنة
انما يكون لما يذهب عنهم من غم العيش والطلب للقوت الذي كان لهم في الدنيا اذ كل احد يهتم لعيشه في الدنيا
فلما دخل الجنة ذهب في ذلك […] فعند ذلك يحمد ربه والله اعلم وقوله تعالى ان ربنا لغفور شكور غفور
لمساويهم […] وان كان منهم ما يستوجبون به المغفرة شكور لحسناتهم يقبلها منهم ويعطيهم الثواب

وقيل غفور لذنوبهم شكور يعطيهم الجزاء الجليل بالعمل القليل والله اعلم قوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله
سمي الجنة دار المقامة لانها معدة للاقامة دون الانتقال وقيل لما لا يتمنى التحول منها فلا انتقال اذ هم
لا يبغون عنها حولا اي قوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ليس من صاحب نعمة وهو في لذة
وان خطت الا وهو يمل منها ويسام ويتمنى التحول منها والانتقال وكذلك ليس من احد وان تحلت له في هذه
الدنيا الا وهي تعقبها آفة فاخبر الله تعالى ان نعيم الاخرة ولذاتها لا يتمنى منها التحول ولا لذاتها تعقبها آفة وجائز
ان يكون قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب يرد ظاهره ما تضمنه اللفظ من نفي النصب واللغوب
والنصب الاذى وقال القتبي اللغوب التعب وقال القتبي النصب المشقة والتعب واللغوب الاعياء يقال لغب
نفسي الغب لغوبا فانا لاغب والغبت غيري او كلفته حتى اعيا فهو قول ابي عوسجة قوله تعالى والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يقضى عليهم الموت فيموتوا وفسره يحيون عذابها ولا يخفف عنهم
من عذابها وفي الاية نقض قول الجهمية وابي الهذيل العلاف فاما قول الجهم فانه يقول بانقطاع العذاب عن اهل
النار فاخبر عز وجل انه لا يخفف عنهم العذاب فلو كان يحتمل الانقطاع لاحتمل التخفيف بعد هذا ما اخبر انه
تعالى عنهم بقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون حين طلبوا ذلك من مالك وكذلك
قال الخزنة لخزنة جهنم الم ياتكم رسلكم بالبينات حين طلبوا منه التخفيف ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
وابو الهذيل يقول ان العذاب يذهب عن اهل النار ويصيرون بحال الموت بان الله سبحانه ان يخفف عنا يعم
ما مر عليه وظاهر الاية يكذبهما حيث قال لا يخفف عنهم من عذابها قوله تعالى كذلك نجزي كل كفور وقرئ
بالنون نجزي كل كفور بالنصب وقرئ بالياء المضمومة يجزى كل كفور رفعا والكفور هو الجاحد لوحدانيته ونعمه
والله اعلم قوله تعالى وهم يصطرخون فيها قيل يصيحون فيها وقيل الاصطراخ الاستغاثة اي يستغيثون
واصطراخهم ما ذكر عقيبه ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل قيل يفزعون اولا الى الكبراء والسادة
الذين اتبعوهم في الدنيا يطلبون منهم دفع بعض ما هم فيه من العذاب حيث قالوا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون
عنا من عذاب الله من شيء لشدة تحيرهم مع علمهم انه ليس في ايديهم شيء كالغريق الذي يتعلق بكل حشيش وقد تعلق
استهزءوا واستخفوا فاملوهم فلما ايسوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فقال الذين استكبروا
انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد فلما ايسوا وانقطع رجاؤهم بالفرج من عندهم يفزعون عند ذلك الى خزنة
جهنم فقالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا منهم
يفزعون الى مالك يطلبون منه ان يسال ربه ليقضي عليهم بالموت فنادوا يا مالك ليقض علينا ربك فالجم
قال انكم ماكثون فلما ايسوا منه سالوا ربهم الاخراج منها ليعملوا غير الذي كانوا عملوا قبله يقولون ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فاحتج الله تعالى عليهم بقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اي اولم نعمركم فهل النعم
مثل العمر الذي يتعظ فيه من اتعظ فهلا اتعظتم فيه قوله تعالى وجاءكم النذير قيل الاحكام والرسول جاء نذركم
هذا فكذبتموه وقيل وجاءكم النذير الشيب معناه والله اعلم قد رايتم وعاينتم تغير الحال في انفسكم
من حال الى حال من الصغر الى الكبر ومن الشباب الى الشيب ثم الرد الى ارذل العمر فهلا اتعظتم كما اتعظ به
المؤمنون فذوقوا ما انذركم به الرسل فما للظالمين من نصير قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض
هذا يخرج على وجهين احدهما على التخويف وهو انه عالم بما تخفون عنكم ما لم يمتحنكم به فلا امركم ولا نهاكم فكيف بالذي
امتحنكم وامركم ونهاكم بل هو حق ان يكون عالما بجازيهم بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة والله اعلم
والثاني ان على فعلهم انما يكون من اهل السماء ومن اهل الارض حلمهم وبعث الرسل اليهم من التكذيب لهم فلا يرد عليهم
وكان ذلك عنه حكمة وان كان في الشاهد في المخلوقين ليس بحكمة على ما ذكر غيره قوله تعالى انه عليم بذات
الصدور وكان ذات الصدور هو الشيء الخفي فيها من الحكمة انهم هم الممتحنون من بين غيرهم من البهائم
لتكونوا على حذر فان كان عالما بذات الصدور فعن ذات الصدور والله اعلم قوله تعالى هو الذي جعلكم
خلائف في الارض فان كان المخاطبون به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فيخبر انه جعلهم
خلائف من تقدمهم من القرون والامم الماضية بعد استئصاله اياهم وان كان الخطاب لبني ادم كلهم فيخبر
ان بني ادم خلف من تقدمهم من الجن والملائكة لانه ذكر ان الجن هم كانوا سكان الارض قبل بني ادم فجعلهم
خلائف الجن والله اعلم ثم وجه الحكمة في جعل البعض خلائف البعض وانشاء قرن بعد فناء آخر وانشاء
آخر ونحو ذلك لكي يعرفوا ان الانشاء لم يكن للفناء خاصة اذ الانشاء للفناء خاصة عبث
وذلك لا ينظر على ما حكم من كون الاهل الجنة كذلك بقوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
انا جاعلوها وفتحت ابوابها الاية ثم بعثها الا بانشاء قرن من بعد قرن حتى مدته والله اعلم والثاني ليعلموا

دار انتقال وارتحال الى دار قرار ليجعلوها كالمنازل المتخذة في الطرق ليتزودوا منها ولا يطمئنوا اليها الثالث
ليعرفوا ان اللذات التي جعلت فيها والالام ليست بدائمة بل هي على شرف الزوال والتحول اذ لم يبق عليهم لذة الحياة
لا شدة الموت والمه ولكي ينقضي بفنائهم ولا يركن الى اللذات ويصبر على مضض الالام والله اعلم والرابع
ان يعتبروا بمن تقدم من القرون انه يحصل لهم الثناء الحسن والذكر الجميل فيطلبوا ذلك كما حصل لذلك
لتبقى الرسل عليهم السلام ودعاء الخير ليبقى لهم من ذلك ثم انقطع ذكرهم فيجتنبوا عنه وانما انقطع ذكر الكفرة من القرون
وعنهم ولا يتبعهم والله اعلم قوله تعالى فمن كفر فعليه كفره اي ضرر كفره قوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند
ربهم الا مقتا اي لا يزيد كفرهم بالله ورسوله وعبادتهم الاصنام الا مقتا وذلك لانهم كانوا يعبدونها
رجاء التقرب الى الله تعالى والشفاعة فقال الله تعالى انه لا يزيدهم ذلك الا مقتا من ربهم اي بغضا ويحتمل اعمالهم
التي عملوها من صلة الرحم والتقرب التي رجوا منها النفع في الاخرة لا يزيدهم ذلك الا مقتا او خسارا قوله تعالى
قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ثم قوله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لكم يخرج على وجهين احدهما على الاحتجاج اي لا يقدر ما تعبدون من دونه على خلق السموات والارض ولا اشرك
نفسه اياه في خلقهما ولا انزل كتابا من السماء ليامرهم بل الله تعالى هو الخالق لذلك كله وهو القادر عليه
فكيف صرفتم العبادة عنه الى من هو عاجز عن ذلك كله والثاني على تنبيههم وتسفيههم احلامهم اي انكم تعلمون
ان الاصنام التي تعبدونها وتسمونها الهة لم تخلق شيئا مما ذكر ولا لهم شرك ولا كتاب يبيح لهم عبادتكم
اياهم وقد تعلمون ان الله هو الفاعل لذلك بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فتركتم
عبادته واشتغلتم بعبادة من ذكر من الاصنام والله اعلم وقوله تعالى ماذا خلقوا من الارض يحتمل حوائج
الارض بنفسها ويحتمل الخارج منها لما به معاشهم وعلى ذلك قوله ام لهم شرك في السموات نفسها او ما ينزل منها
مما به معاشهم قوله تعالى ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه اي على حجة منه وبيان قوله تعالى بل ان يعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي ما يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ويحتمل وعدهم ما قالت
القادة والرؤساء منهم كما اخبر الله تعالى عنهم بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وما لبسوا عليهم من امر الكتاب المنزل والرسول المبعوث المؤيد بالمعجزات بما قالوا للرسول انه ساحر
وللقران انه مفترى وامثال ذلك مما يكثر تعداده وكذلك كله يغرون الاتباع والله اعلم قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده يحتمل ان يكون صلة قوله اروني
ماذا خلقوا من الارض فان كان على هذا فكانه يقول والله اعلم انكم تعلمون من الدافع للسموات والارض والممسك
لهما عن ان تزولا وتعلمون انه لا يقدر احد ان يمسكهما ولئن زالتا لم يملك احد امساكهما فكيف تعبدون من لا يملك ذلك
ولا لهم فيهما شرك والله اعلم ويحتمل ان يكون صلة قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا اي كادت ان تزولا من مكانهما اذا قالوا اتخذ الله ولدا لعظم ما قالوا في الله سبحانه
وتعالى لكن امسكهما الله بحلمه وفضله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ويحتمل ان تكون الاية على الابتداء
دون الصلة فان كانت على الابتداء ففيها اخبار عن قدرته وسلطانه بامساك السماء من الهوى وعلوها
وعظمها بلا عمد من تحتها ولا تعلق من فوقها وليس في وسع احد من الخلائق امساك شيء في الهواء دون
الا باحد هذين الشيئين وكذلك انبسط الارض على الماء ومن طبع الارض التسفل في الماء لا القرار عليه حتى
لا يمكن لاحد ان يمسك مدرا على راس الماء وان صغر الا ان يكون له ما يمسكه والا يخرج منه الماء فدل انها على الله
قوله تعالى انه كان حليما غفورا حليما حين لم يرسل السموات عليهم لعظيم كفرهم على الله وحيث لم يعجل
عقوبتهم في الدنيا غفورا حين ستر عليهم ذلك ولم يفضحهم في الدنيا والله اعلم قوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم قيل جهد ايمانهم هو قسمهم بالله ومعناه والله اعلم ان العرب كانت من عادتهم
انهم يحلفون بالاباء والطواغيت ولا يحلفون بالله الا في امر عظيم قالوا تاكيدا لذلك فلذلك كان قسمهم بالله
جهد ايمانهم وقد تقدم ذكره وقوله تعالى لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم قيل يعنون باحدى
الامم اليهود والنصارى ويحتمل ان يكونوا ارادوا بذلك الامم جميعا لكن لم يروا الحق الا لواحدة فيها ثم هذا
قالوا لئن جاءنا رسول لنكونن اهدى من هذه الواحدة والله اعلم وفي الاية دلالة انهم قد مسهم الحاجة
الى رسول يبين لهم امر دينهم وما به صلاحهم حيث اقسموا لئن جاءهم نذير لاتبعوه ثم تركوا ذلك العهد لما
انهم ارادوا دونه شيئا من امر الدنيا وكذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم رغبة منهم
لذلك بقوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض قوله تعالى ومكر السيئ كان حمزة
رحمه الله من القراء يقف بالياء ويجزم الحرف ههنا ولا يفعل ذلك فيما بعده ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقال

ابو عبيدة انما ترك ذلك فيما يرى لكثرة الحركات فاستثقلها ولو نظر لكان قويا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله او الجار بالثقل لان فيه ضمة بين سكونين وقال ابو عبيد لكنا نرى التخفيف كالتعريب واشاعة فيهما وانه ثم يحتمل ان يكون مكرهم ما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم من المكر حتى هموا بقتله واخراجه كقوله كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ويحتمل ما ذكر في القصة انه لما خرج يدعو الناس الى توحيد الله تعالى اقعدوا على الطرق اناسا يقولون للناس لم صدقتم محمدا انه ساحر وانه كاهن وانه مجنون ويصدون بذلك الناس عنه وكان نفعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم من انواع الكيد والمكر ما لا يحصى قوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله يحتمل ما حق بهم في الدنيا من انواع العذاب والقتل الذي نزل بهم ويحتمل ان يكون ذلك في الاخرة والله اعلم وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين وهي الاستئصال عند القتال والمكابرة حيث لم يسلموا ولم يتركوا المعاندة والمكابرة فهذا استفهام على سبيل الانكار وقيل سنة الاولين انهم لا يؤمنون عند معاينتهم العذاب وان كان لا ينفعهم ذلك كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده اي لا ينتظرون الا ايمانهم حال المعاينة فلم يؤمنوا الا حتى يؤمنوا عند المعاينة كما هو السنة في الاولين ولا ينفعهم في تلك الحال بخبر عن سفههم ومكابرتهم والله اعلم وقوله تعالى فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا يحتمل وجوها احدها لن تجد لسنة الله في الاهلاك على الاستئصال عند العناد تحويلا وان اختلف جهة الهلاك فاسباب الاستئصال تكون كقوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا من قبل وقوله تشابهت قلوبهم ولا شك انه يفسر القول منهم بخلف كفرهم وتشابههم ثم اخبر انه قد يعمل لا ضاهى قول اولئك وشابهت قلوب بعضهم بعضا فعلى ذلك سنته لا تحول وهي الاستئصال وان كان جهة ذلك في سنته مخالفا والله اعلم والثاني فلن تجد لسنة الله التي سن فيهم وحكم مدفعا ولا مردا كقوله ولا يجدون عنها محيصا والثالث فلن تجد لسنة الله وهي ايمانهم الذين يؤمنون عند معاينتهم العذاب تحويلا ولا تبديلا اي يؤمنون لا محالة لكن لا ينفعهم ذلك والرابع ان كان سنة سن الله تعالى في كل قوم وان اختلفت لم تجد لتلك تحويلا ولا تبديلا اي لا يحول ذلك القوم الذي سن لنا يجوز ان لا يكون ذلك سنة في قوم اخر بل ينسخ في قوم اخر وهو تفسير نسخ الاحكام والله اعلم وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الاية وقد ذكرنا في موضع وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض الاعجاز في الشاهد ان يكون على وجهين احدهما الامتناع يقول لا يقدر احد ان يمتنع عنه وعن عذابه والثاني القهر والغلبة يقول لا يستولي احد بالقهر والغلبة بل هو الغالب القاهر على خلقه والله اعلم وقوله تعالى انه كان عليما قديرا وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اي لو يؤاخذ الله تعالى الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهر الارض من دابة والاشكال في الاية من وجهين احدهما انه قال ما ترك على ظهرها من دابة وانه ذكر الكناية من غير سابقة المكني والثاني قال من دابة وهي اسم الحيوان بين انه لو كان يؤاخذ الناس بمعاصيهم بما كسبوا لم يبق على وجه الارض حيوان ولم يوجد من جهتها الجناية لماذا يؤاخذون بذلك اما الاول فيقول انما لم يذكر الارض صريحا وكنى عنها لما سبق من ذكر الارض بقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقوله اولم يسيروا في الارض وقوله وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض ولما علم الناس من ذكر الظهر ظهر الارض لما على ظهر الارض يكتسب ما يكتسب فيجوز الاكتفاء بالكناية عن ذكر المكني في موضع لا يخفى كقوله انا انزلناه في ليلة القدر ولم يسبق ذكر القران لما انه لا يخفى ذلك فكذا هنا والله اعلم واما الثاني فاختلف اهل التاويل ان المراد من الدابة من هم قيل المراد بها المحنون المميزون وهم بنو ادم خاصة اذ قد ظهر هلاك بعضهم فيما سبق بما يكسبون ولانهم اهل اكتساب الاجرام دون غيرهم من الدواب فينصرف المطلق الى المقيد باعتبار العرف ومنهم من قال المراد بالاية كل دابة من البشر وغيرهم لان غيرهم من الدواب انما انشئت لحوائجهم لا لحاجة انفسها لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فاذا هلكوا هلك ما كان منشئا لحوائجهم ولمنافعهم ولا يكون اهلاك ما كان من الدواب بحق وخارجا من الحكمة كما قالت الثنوية انه ليس من فعل الحكيم الامر بذبح اسلم الحيوان والانتفاع بلحمها لكنه نقول هذا هكذا اذا كانت لا لمن منشاة لا لانفسها ولمنافعها فاما اذا كانت منشاة لمنافعها فجاز الانتفاع بعينها مرة وبلحمها اخرى ثم الحكمة في الفرق الاباحة الانتفاع بلحم سائر الدواب وحظر لحم الضار منها انه جعل حفظ ما ليس بضار لنا وعلينا حفظ مؤنتها والذي يضرها لو لم يبح لنا الانتفاع بها يمنع الاكبر عن حفظها فهلك الكل فابيح اهلاك البعض لبقاء

الجنس كالقصاص في بني ادم فاما الضار منها جعلها ممتنعة بانفسها متحملة مؤنتها فافترقا من وجه الانتفاع والله اعلم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي لو يؤاخذهم بما كسبوا على ظهرها لم يجعل من المدة احيانا يؤخر الاجل وقوله تعالى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اي بصيرا وعلم بمكرهم وصنيعهم المدة التي ينتهون اليها لكن لما كان يضرب يكون منهم رجعا اليهم انشا امهلهم الزاما للحجة وقطعا للعلة والله اعلم

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يس والقران الحكيم عن ابن عباس رضي الله عنهما يس يعني محمدا اقسم به ان هذا القران من عند الله نزل وهو اسم الرجل بلغة الحبشي وقيل هو بلسان طي وقال قتادة هنا قسم اقسم بالقران انك لمن المرسلين وقيل هو من فواتح السور وقيل هو من الفواتح التي يفتتح بها كلامه وقيل هو اسم من اسماء الرب تبارك وتعالى وعن معاذ بن جبل وكعب قالا يس قسم اقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انك لمن المرسلين على صراط مستقيم دل ان الخطاب له على ان قوله هو المراد كانه قال يا انسان انك لمن المرسلين لانه على سبق خطاب له فذكر اسمه والله اعلم وقال عكرمة من حروف الهجاء التي افتتح بها كما افتتاح السور بعد ذلك انه من عادة العرب القسم بكل معظم وجل قدره وكبر نفعه والهجاء المقطعة تدرك منافع الدنيا والاخرة اذ بها يؤلف الكلام الذي به تقوم منافع الدارين فان حمل على تاويل قتادة ان المراد بقوله يس والقران واقسم به فكيف اقسم بالقران وهم ينكرون ان القران انه من عند الله قيل عن هذا من وجوه احدها انهم وان كانوا ينكرونه فقد عظم قدره عندهم وجل خطره لما عجزوا عن اتيان مثله بالقرع اسماعهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله والثاني انهم وان انكروه فان قسم الله تعالى به يحملهم على السؤال عنه اذ كانوا لا يقسمون الا بالمعظم عندهم فيقولون ما هذا القران الذي اقسم ربنا به فيسمعونه ويروا اعجازه فيقروا برسالة محمد عليه السلام الا ترى انه قال تنزيل العزيز الرحيم وكانه قال على اثر سؤال خرج انه تنزيل العزيز الرحيم والثالث يحتمل ان يكون القسم بالقران وغيره من الاشياء التي عظم قدرها وجل خطرها عندهم على اضمار القسم من هذه الاشياء على قول من يقول بان القسم ليس بحقيقة لهذه الاشياء المعظمة ونحو قوله والفجر وليال عشر وقوله والشمس وضحاها وقوله والضحى والليل اذا سجى ونحو ذلك او المراد بالقران على هذا التاويل المنظوم الذي نظمه الله تعالى دون تفسير كلام فيكون القسم بالذي نظمه على الاضمار والله اعلم وقوله الحكيم اي المحكم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ما وصفه الله تعالى وقيل المحكم بالحلال والحرام والوعد والوعيد من غير ان يكون فيه اختلاف وقيل حكيم لانه من تمسك به وعلم ما فيه يصير حكيما اذ الحكمة في اللغة هو العلم والعمل وقوله تعالى انك لمن المرسلين قال انك لمن المرسلين ولم يقل انك لرسول وهما سواء في الاخبار عن كونه رسولا لكن في قوله انك لمن المرسلين زيادة ليست في قوله انك لرسول وهو انه لم يبدع امرا عجيبا تفرد به لم يسبقه احد بذلك ليبادروا على الانكار عليه دون طلب الحجة على الدعوى فاخبر انك واحد من المرسلين فلا معنى لتعجبهم بذلك وهو قوله قل ما كنت بدعا من الرسل والثاني فيه اشارة الى انه من المرسلين الذين من تقدمهم من ابائهم واسلافهم امنوا به وصدقوهم في دعوى الرسالة عند اقامتهم الحجج والمعجزات فما بالهم يعرضون عنه صفحا ولم يطلبوا منه الدليل على دعواه وقوله تعالى على صراط مستقيم قال المستقيم القائم من تاويله القائم بالحجج والبراهين لا بالهوى والشهوة كسائر الاديان لنا وقيل المستقيم المستوي على الحق لمن يسلكه يفضي به الى دار السلام وقيل المستقيم المستوي يقام بالحق والعدل لا زيغ فيه ولا جور ولا اعوجاج وقوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم وقد قرئ برفع اللام ونصبه ورفعه وخفضه فمن قراه بالرفع جعله على الابتداء او على اضمار هذا العزيز الرحيم ومن قراه بالنصب فهو على المصدر وقيل نصب على القطع والخروج من الكلام الاول وهو كقوله صنع الله الذي اتقن كل شيء ومن الخفض فهو على النعت بما سبق من القران تقديره يس والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم اي ذلك القران الذي اقسم به هو تنزيل العزيز الرحيم ثم سمى نفسه عزيزا رحيما عظيما لطيفا ظاهرا باطنا اولا اخرا وفي الشاهد من يوصف بالعز لا يوصف بالرحمة ومن يوصف بالعظمة لا يوصف باللطافة ومن وصف بالاول لا يوصف بالاخر ليعلم ان المعنى الذي وصف به الخلق غير المعنى الذي وصف به الرب تعالى اذ لا يستحق به احد من المخلوقين ذكر ما من الصفتين في وقت واحد والله الموفق وقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون يحتمل

وجهين أحدهما أن يكون حرف ما في قوله ما أنذر آباؤهم بمعنى الذي أي لتنذر قوماً الذي أنذر آباؤهم أو مثل الذي
أنذر آباؤهم أخبر أنه مبعوث للإنذار في حقهم كغيره من الرسل الذين في حق آبائهم ويحتمل أن يكون المراد ما النفي أي
لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم من قبل إذا قال بعض أهل التأويل وقال أبو بكر النذارة من قبل الأميين فإنما كان لأهل الكتاب
فكأنه يقول لتنذر قوماً أميين لم ينذر آباؤهم الأميون من قبل فكذلك قوله لتنذر هم نذير لتكون من أهل ... أمة
الأمم ويكون له لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك والأصل عندنا لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم أي لم ينجع النذارة
في آبائهم وإن وجدت النذارة حقيقة وكأنهم لم ينذروا لتعاميهم بل لا تنجع فيهم النذارة كما تنجع فيهم النذارة كما
لا تنجع في آبائهم بل هم غافلون ثم الإنذار يحتمل أن يكون بالنار في الآخرة ويحتمل أن يكون بالآيات التي أتاهم أو
ويحتمل أن يكون بالقتال والله أعلم وقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون قيل إنه خرج جواباً
لقول إبليس اللعين كما أخبر الله تعالى عنه بقوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين وقوله رب بما أغويتني لأقعدن
لهم صراطك المستقيم فقال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وقوله فالحق والحق أقول
لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كأنه تعالى يقول إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أن تغويهم
إلا من كان في علمي أنه يختار الغواية ويؤثر اتباعك فيكون لك عليهم سلطان إلا من آمن بي فكان في علمي أنه
يختار التوحيد والإيمان فلا سبيل لك عليهم ... جهنم وحق القول مني لأملأن
جهنم منك فعلى هذا يخرج قوله لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ثم الذين كان في علم الله تعالى أنهم يختارون
الغواية والكفر والله أعلم ويحتمل أن يكون في الآية في الذين ذكرهم بعض أهل التأويل قال الذين هموا من المشركين هموا
بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآذاه فأهلكهم الله تعالى يوم بدر إلا واحداً أو اثنين ويحتمل أن يكون
في جميع تكذيبه ومادي رسالته إذ معلوم أن أكثر من بعث إليهم لا يؤمنون ويحتمل أن يكون في قوم خاص علم
أنهم لا يؤمنون أبداً والله أعلم وقوله تعالى على إثر هذه الآية سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله تعالى
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون يحتمل أن يخرج على التمثيل ويحتمل أن يخرج على التحقيق
فأما على التمثيل فهو وصفهم إياهم بالبخل والكف عن الإنفاق على الفقراء والمساكين من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وإن كان على التحقيق فيحتمل ما قال أهل التأويل
إن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً ليدمغنه فأتاه أبو جهل وهو يصلي ومعه حجر فرفع الحجر ليدمغ به النبي صلى الله
عليه وسلم فيبست يده إلى عنقه والتزق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه قال رجل آخر أنا أقتله فأخذ الحجر فلما دنا
طمس الله بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قراءته فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فذلك قوله
وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون والله أعلم ويحتمل أن يكون ذلك
لهم في الآخرة إن كان على التحقيق وهو كقوله إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار
يسجرون وكقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل الآية ويكون قوله جعلنا
هنا التأويل أي سنجعل ذلك لهم في الآخرة ومثل ذلك جائز في الكلام كقوله تعالى لعيسى عليه السلام وإذ قال
الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله أي يقول له يوم القيامة وهو بعد
غير مقول له ثم قوله فهم مقمحون أي رافعو رؤوسهم إلى السماء لأنه كذلك يكون إذا أعنق المرء إلى الذقن لأن الغل
أحد طرفيه يكون في العنق والآخر يكون في اليد فيكون اليد مغلولة إلى العنق ويكون الغل دافع الرأس لا يستطيع
أن ينظر إلى الأرض ولذلك تقول للإبل إذا شربت الماء اقمح أي رافع رأسه وقال أبو عوسجة والقتبي المقمح الذي
يرفع رأسه ويغض بصره وقد ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أيمانهم أغلالاً وفي بعض الحروف في أيديهم
أغلالاً والله أعلم وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون
يحتمل أن يكون المراد منه التحقيق وفعل ذلك بهم في الدنيا من قصدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءاً
قصدوا حتى لم يجدوا السبيل إليه لا من بين أيديهم ولا من خلفهم ولا من جهة من الجهات والله أعلم ويحتمل
أن يكون على التمثيل وذلك يحتمل وجهين أيضاً يحتمل في الدنيا أي جعلنا بينهم وبين الحق سداً فأغشيناهم
فهم لا يبصرون الحق ونظير ذلك في القرآن كثير ويحتمل في الآخرة أن يجعل بينهم وبين الجنة سداً فلا يبصرون
طريق الجنة ويكون جعلنا بمعنى سنجعل والله أعلم ثم اختلف في قراءة قوله من بين أيديهم سداً قرأ الحسن وبعض
القراء بفتح السين وقال بعض أهل التأويل اللغة الرفع والنصب لغتان وقال بعض أهل اللغة ما كان ذلك
من فعل الله تعالى يرون كسب العبد فهو السد بضم السين وما كان يدخله صنع العبد فهو السد بفتح السين والله أعلم
وقوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون القراءة المعروفة بالغين وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ بالعين
وقد روي هذا الحرف مرفوعاً في حديث غير مسند عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن الأمة اتفقت على القراءة بالغين

إلا ما روي عن ابن عباس فكان الحديث المرفوع لم يصح ولو صح لم يسع الناس إلا اتباعه في قراءته بالعين من العشا
ومن قرأ بالعين فهو من قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية وقوله تعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
قد ذكرنا تأويله وقوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب معناه والله أعلم إنما ينتفع بالإنذار
من اتبع الذكر وإلا فإنه صلى الله عليه وسلم كان ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع وإنما ينتفع بإنذاره من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب فأما من لم ينتفع ولم يخش الرحمن فلا ينتفع أو أن يكون فيه إخبار بإنذاره من اتبع الذكر
وليس فيه نفي إنذاره عمن لم يتبع الذكر ثم الذكر يحتمل القرآن ويحتمل غيره وهو الذكرى أي الموعظة كقوله وذكر
فإن الذكرى تنفع المؤمنين ثم قوله وخشي الرحمن بالغيب أي بالآيات والأخبار التي أتت إليه من غير مشاهدة فهي
الخشية ويحتمل بالغيب لما رأوا آثار سلطانه وقدرته فخشوا عذابه والله أعلم وقوله تعالى فبشره بمغفرة وأجر كريم
يحتمل البشارة بالمغفرة عما سلف من الذنوب والأجرام إذا رجعوا عنها وعن تقصير كان منهم في الفعل الذي
خلا ذلك لما أن المعتقد في الجملة أن لا يخالف ربهم في فعل ما ولا قول إذ ذلك معتقد الإيمان فيعتقد ترك
مخالفة الرب في كل الأحوال فإن تخلل خلال ذلك في بعض الأحوال لغلبة شهوة وطمع في رحمته وعفوه والله أعلم
ذو الجلال والإكرام ثم قيل الأجر الحسن ويحتمل تسميته كريماً لما أنه يكرم صاحبه لذلك والله أعلم وقوله تعالى إنا نحن نحيي
الموتى كأنه والله أعلم ذكر هذا ليس على سبيل الاحتجاج عليهم ولكن على الإخبار أنه هو يحييهم إذا ماتوا
وقوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم قال عامة أهل التأويل يكتب ما قدموا من خير أو شر في حياتهم وعملوه ويكتب
أيضاً آثارهم وهو ما استنوا من سنة خير أو شر فاقتدي به بعد موتهم على ما ذكر في الخبر من سن سنة حسنة
الخبر وكقوله ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر وقيل آثارهم خطاهم التي تخطو ها في الخير والشر وقال قتادة
لو كان الله تعالى مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار والله أعلم وروي عن الخدري
وابن عباس رضي الله عنهما قالا إن الأنصار كانت منازلهم بعيدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قريباً من المسجد فنزل
إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال عليه السلام إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا فإن ثبت هذا فهو دليل
لمن يقول إن تأويل الآثار الخطى وقوله تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين أي كل شيء من أعمالهم من خير أو شر محصي
محفوظ في إمام مبين ثم قوله في إمام مبين يحتمل في الكتاب الذي تكتب فيه أعمالهم في الدنيا كقوله يوم ندعو
كل أناس بإمامهم أي بكتابهم الذي كتب أعمالهم فيه الآية إلى آخر ما قال فمن أوتي كتابه بيمينه الآية ويحتمل في إمام مبين
أي في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقوله تعالى واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون يحتمل أمر
من الله تعالى لرسوله عليه السلام بضرب مثل أصحاب القرية لقومه وجهين أحدهما أن خبر أصحاب القرية التي
بعث الرسل إليهم مما نزل بهم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وقد بلغ قومه إلا أنهم قد نسوا ذلك وغفلوا
عنه فأمرهم بأن يذكرهم ليحذروا عن مثل صنيعهم لكي لا يحل بهم ما حل بأولئك والله أعلم والثاني أن الخبر
لم يكن بلغهم ما نزل بهم لسوء معاملتهم الرسل فأمر أن يعلم قومه ذلك ليتبين لهم فيسألون عن ذلك
أهل الكتاب فيخبرونهم بما كان في كتبهم فيعرفون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم
فيكونوا على حذر عن مثل صنيعهم وكذلك جميع الأنباء والقصص المذكورة في هذا الكتاب يخرج على هذين
الوجهين والله أعلم وقوله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قرئ بتشديد الزاي وتخفيفه
قال أبو عبيدة والتشديد أحب إلي تأويل عززنا بالتشديد قوينا وعززنا بالتخفيف غلبنا ولكن عند ذوي
... هؤلاء الرسل قد أهلكوا فكيف يكون الغالب مغلوباً فأما يجوز أن يكون القوي بغيره مغلوباً والله أعلم
ثم اختلف في القصة قال ابن عباس رضي الله عنه إن عيسى بن مريم عليه السلام كان بعث إليهم رسولاً أو لا ...
فدعاهم إلى التوحيد وأقام على ذلك الحجج والبراهين فكذبوهم وقالوا ما نعرف ما تقولان ثم بعث من بعده إليهم رسولين
فقال لهما إذ لنا الرسول إنه سيكذبونكما كما كذبوني من قبلكما ويقولون لكما ادعونا إلى التوحيد إن كنتما
... فقولا نبرئ الأكمه والأبرص ونحيي الموتى ... إذا قلتما نشفي المريض قالا فمن يحيي ذلك
... إنما نحن نحيي الموتى والله أعلم ... فعززنا بثالث أي قوينا وشددنا فقال
الكفرة عند ذلك قد تواسيتم علينا بهذا الكلام وتواطأتم على كلام نحو هذا فاخرجوا أو عذبوا أو أهلكوا فيه قال
... ولا أرسولين ... فكذبوهما فبعث بثالث بعد ذلك فذلك قوله فعززنا بثالث والله أعلم وقوله تعالى فقالوا
إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون لم يزل قول الكفرة للرسل
عليهم السلام هذا أو كذلك قول أهل مكة لرسولنا صلى الله عليه وسلم إنه ساحر وإنه مجنون ونحوه من هذا
الكلام وقوله تعالى قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين لما أيسوا من إيمانهم فزعوا
إلى الله تبارك وتعالى وتضرعوا إليه وقوله تعالى قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم

دل هذا القول منهم على انه تداخلهم من العذاب والشدة حيث تشاءموا بهم اذ هو من عادة الكفرة التطير بالرسل عند نزول العذاب والبلاء بهم كقوله انا تطيرنا بك وبمن معك وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقوله تعالى قالوا طائركم معكم يقولوا والله اعلم شؤمكم معكم حيث ما كنتم ما دمتم مع هذا العناد والتكذيب وذكر اهل التاويل ان تلك القرية كانت انطاكية وان الذين بعث اليهم هؤلاء الرسل عليهم السلام عيسى عليه السلام ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقيل طائركم معكم ان ذكرتم اي اذكرتم فلم تقبلوا التذكير ويحتمل وجها آخر اي الذي اصابكم كان مكتوبا في اعناقكم بل انتم قوم مسرفون وقوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين قال عامة اهل التاويل ان هذا الرجل يسمى حبيب النجار وهو من بني اسرائيل كان نجارا يعبد الله فلما سمع بالرسل عليهم السلام نزل وجاء وقال لهم ما قال ولكن ما ندري ما كان ذلك الرجل وما اسمه وليس لنا الى معرفته حاجة ثم يحتمل قوله من اقصى المدينة يسعى رغبة في الرسل وفيما بينهم ودعاهم الى اتباع الرسل ويحتمل انه كان مؤمنا مختفيا فلما بلغه خبر اهلاك الرسل عليهم السلام جاء يسعى اشفاقا عليهم لئلا يهلكوا اعني الرسل عليهم السلام وقوله قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون اي اتبعوا الهدى انا الهدى مما يجب ان يتبع ولا يسألكم على اتباع الهدى اجرا حتى يمنعكم ذلك عن اتباع الهدى ويحتمل اي اتبعوا المرسلين واعلموا انهم مهتدون حيث لا يسألونكم الاجر والشرف في الدنيا اذ ذلك مما لا يبتغيه الا من ليس بمهتد وكل مهتد متبع وهذا يدل على ان طلب الاجر في ذلك مما يجعل صاحبه متعديا بترك الاتباع وكذلك قوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا اسألكم اجرا حتى يمنعكم ثقل ذلك الاجر من اجابتي وهذا ينقض قول من يبيح اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه لو كان له ان لا يعلم الا بالاجر كان له ان لا يعلم بكل اجر وفي ذلك تعطيل الدين والشرائع وقد يجعل لهم الرخصة في ترك تعليم الدين والشرائع وذلك قبيح والله اعلم وقوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون يحتمل وجهين احدهما ان قال ذلك الرجل هذا على طريق الاحتجاج عليهم لانهم كانوا في الرجوع الى العبادة من تعبد دونه من ترك عبادة الله تعالى فقال انكم تعبدون هذه الاصنام رجاء ان يقربكم ذلك الى الله فما لي لا اعبد الذي ترجعون انتم في القربة اليه منهم والثاني على التنبيه لهم اي انكم تعلمون ان الذي فطرنا وخلقنا هو المستحق للعبادة لا من لم يفطر ثم تعلموا ما لي لا اعبد الذي فطرني وانتم من لم يفطر والله اعلم وقوله تعالى أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون يقول لا اتخذ من دونه معبودا الا اذا كان الله يريد بي ضرا لم يملك ذلك المعبود دفع ذلك عني ولو لم يمنعني منه ما ينقذني منه ولو طلبت منه نفعا لم يقدر على جلبه الي فان المستحق للعبادة من علم ان ذلك كله منه وهو المالك لذلك كله من جر نفع ودفع ضر وفي الحكمة العبادة لمن يملك ذلك كله لا لمن لا يملك والله اعلم وقوله تعالى اني اذا لفي ضلال مبين اي لو فعلت ذلك فاني اذا لفي ضلال مبين وذكر انه لما قال لهم ذلك الرجل هذا امروا بقتله فعند ذلك قال اني آمنت بربكم فاسمعون يحتمل قوله فاسمعون اي فاشهدوا في قولي اتبعوا المرسلين الآية وقيل فاسمعوا مني فاشهدوا لي ويحتمل قوله فاسمعون حقيقة السماع اي اسمعوا قولي واعلموا اني لا يمنعني عنه ما تخوفوني والله اعلم وقوله تعالى قيل ادخل الجنة اوجبت له الجنة دار ثوابه فقال عند ذلك يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ويحتمل ادخل الجنة ما ذكر في الشهداء بقوله احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله الآية ويحتمل قوله قيل ادخل اي يقال له في الآخرة ادخل الجنة اي كقوله تعالى لعيسى عليه السلام واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اي واذ يقول الله يوم القيامة يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس الآية فهذا مثله وقوله تعالى يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين نصحهم حيا وميتا ثم لم يترك نصيحته اياهم لكان ما عاملوه ولكن تمنى ليت يعلمون قومي ما اعطيت بالايمان والتصديق ليفعلوا مثل ما فعلت فيعطوا مثل ما اعطيت وهكذا الواجب على كل مؤمن ان لا يترك النصيحة لجماعة المؤمنين وان لحقه منهم اذى وقال قتادة لا تلقاه المؤمن الا ناصحا ولا تلقاه غاشا لما عاين من كرامة الله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون تمنى والله اعلم ان يعلم قومه ذلك اعلموا ان اهل الايمان ليس باهل غش وقال الحسن قيل لروحه ادخلي الجنة فتمنى روحه ان يعلم الى ما صار هو ليؤمنوا بالرسل وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء قيل ذلك الرجل من جند من السماء من الملائكة اعلم انه لم ينزل على قومه في اهلاكهم بعد صنيعهم بعد صنيعهم بما صنعوا جندا من السماء ولكن اهلكوا بصيحة واحدة اي لم يفعل بهم ما يفعل ملوك الارض

اذا قيل رسلهم واهلك اولياءهم يبعثون بجنود لاستيصالهم فعل ذلك بهم ولكن اهلكهم بصيحة واحدة اظهارا لكمال القدرة انه لا حاجة له في اهلاكهم ثم يحتمل قوله ان كانت الا صيحة واحدة اي قد صيح في قريتها ويحتمل الاهلاك بحقيقة الصيحة والله اعلم وقوله تعالى فاذا هم خامدون قيل هو مثل النار اذا خمدت لا يسمع لهم صوت وقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون اي الحسرة على العباد في تركهم الايمان بالله وتكذيبهم الرسل ثم قيل الحسرة هي الندامة اذا انتهت غايتها وقيل الحسرة والحزن والتحزن والتندم واحد ثم قال بعضهم قوله يا حسرة اي يا حسرة الرسل وحسرة ذلك المقتول المؤمن على اولئك الكفرة وقيل يا حسرة اولئك الكفرة على انفسهم لما عاينوا العذاب على ما عاينوا على ما كان منهم من الاستهزاء على الرسل كقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله والله اعلم وقوله تعالى ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وفي الاشكال انه كيف احتج عليهم بالرجوع اليهم وهم كانوا منكرين البعث والرجوع فيقول يخرج هذا على وجوه احدها ان قوله ألم يروا ومعناه اي قد رأى اهل مكة هلاك من قبلهم في الدنيا وانهم لا يرجعون اليهم احياء فيخبرونهم انهم بماذا اهلكوا في هذه الدنيا وبما عذبوا فهلا يعتبرون وينظرون انهم انما اهلكوا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام وعنادهم والثاني معناه ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ابدا الى نعيم الدنيا ويحتمل ان يخرج لابطال قول اهل التناسخ حيث قالوا ان الارواح اذا خرجت من ابدان قوم دخلت في اخرى فيقول والله اعلم ردا عليهم ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون اي لم يروا انها الجثة تخرج من هذا الجسد وتدخل في الآخر والله اعلم ويحتمل ان يكون نحو ما تقول لقول قوم ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل فقيل ان ناسا يقولون ان عليا رضي الله عنه مبعوث قبل يوم القيامة قال بئس القوم نحن اذا ان نكحنا نساءهم وقسمنا ميراثهم ثم تلا ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ويحتمل ان يكون على ايجاب البعث لانه كذبت الرسل عليهم السلام ومن صدقهم ومن عمل بالمحمود عليه وعاينه وقد استووا جميعا في هذه الدنيا ولم يرجعوا ايضا فلا بد من دار اخرى يميز فيها بين الصدق والكذب والمحمود والمذموم يؤيد ذلك كله وان كل لما جميع لدينا محضرون ثم من قرأ لما بالتشديد جعل معنى الا ومن قرأ مخففة جعل حرف ما صلة ومعناه وان كل لجميع لدينا محضرون ثم قوله لدينا وعندنا وغير ذلك خص بهذه الاضافة وان كان له في جميع الاوقات كذلك فحق الله تعالى لما ذكرنا ان المقصود من انشاء هذا العالم الفاني العالم الباقي وهو دار ذلك والله اعلم وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا الآية اي آية البعث عندهم ما ترى الارض ميتة لا نبات فيها ثم ترى ها حية مخضرة منبتة بانواع النبات والوان الخارج منها فيخبر انه من قدر على هذا فهو قادر على احياء الموتى فهذه آية ظاهرة على البعث محسوسة وفيه آية انها ايضا المحتاج ان يستخرج منها بالحكمة وهو ما ذكر واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون انه اخرج من الارض حبا وجعل غذاءهم فيه من غير ان استوجبوا ذلك منه دلالة انما جعل ذلك لهم ليمتحنهم بانواع المحن علما انه منهم من يشكر ومنهم من يكفر وقد سوى بينهم في هذه الدار في النعيم فلا بد من دار اخرى يميز بينهم فيثيب الشاكر ويعاقب الكافر وعلى ذلك ما ذكر من قوله وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون اخبر من جعل الحب لهم والنخيل والاعناب وتفجير العيون وغيره وذكر في آخره افلا يشكرون اي افلا يشكرون ربهم في النعم كلها ويحتمل ان يكون وجه الدلالة فيه من وجه آخر وهو انه لما انشأهم وعلم ما يصلح لهم من الغذاء وما لا يصلح وما يكون لهم فيه غذاء وما لا يكون قبل ان ينشئهم دل انه عالم بذاته لا يخفى عليه شيء ثم قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا الى آخر ما ذكر من انواع الفواكه والثمار آية للوحدانية ودلالة الجود والكرم لما جعل فيه ودلالة السلطان لبيانه ودلالة البعث على ما ذكرنا ودلالة ان هذه النعم منه ليشكروه حيث قال في آخره افلا يشكرون وقوله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون من الناس من يقول ان الازواج هي التي لها مقابل من الاشكال والاضداد مما للخلق فيه فعل ومما لا صنع لهم فيه حيث قال مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ويستدل بذلك على خلق افعال العباد وهو ما قال خلق الازواج كلها من الازواج ما يكون فعلا لهم نحو الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ونحو ذلك وقد اخبر انه خلق كلها دل انه خالق افعالهم وقوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فيه آيات من وجوه فيه انه القدرة على البعث وآية وحدانية الله تعالى وقد ذكرناها في غير موضع وقوله نسلخ اي ننزع منه النهار وقوله تعالى فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلمة يقال اظلم فلان اذا دخل في الظلمة ثم سورة يس نزلت كلها بمكة في محاجة اهل مكة في انكارهم توحيد الله والبعث والرسالة وهم كانوا على هذه الطبقات منهم من انكر البعث ومنهم من انكر التوحيد ومنهم

من أنكر الرسالة فإن الله جل وعلا عليهم هذه السورة فما ذكر فيها من الآيات من ذلك قوله وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ففيه دلالة قدرة البعث على ما سبق ذكره وفي قوله فأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون دلالة الوحدانية إذ أخرج هذه الأشياء المذكورة بأسباب متصلة من السماء فدل اتصال منافع السماء بمنافع الأرض مع بعد ما بينهما أن منشئهما ومدبرهما واحد إذ لو كان فيه فعل عدد لكان فيه تمانع وتدافع وما ذكر من الليل والنهار مع تضادهما واختلافهما في رأي العين وسلخ أحدهما من الآخر ودلالة الوحدانية والبعث والعلم الذاتي الأولى وأما دلالة الوحدانية فهي ما جمع في الليل والنهار على تضادهما منافع الخلق وحوائجهم كأنهما اشتركا فدل أنهما فعل واحد ومصلحة واتساق تدبير فيكون فيه رد على الثنوية وفي ذهاب أحدهما وإتيان الآخر بعد ذهاب آثار كل واحد بكليته دلالة البعث وإحياء الموتى بعد ذهاب آثار كل واحد بكليته دلالة البعث وإحياء الموتى بعد ذهاب آثارهم وتلاشيهم تحت الأرض وفي جريهما مجرى واحد منذ أنشأهما إلى آخر ما ينتهي ذلك بتقدير منافعهم دليل علمه وتدبيره إذ ما يثبت عن ملتبس وعلى ذلك تسخير الشمس والقمر لمنافع هذا العالم وحوائجهم وقطعهما في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة خمسمائة سنة دل على وحدانيته وقدرته أنه لا يعجزه شيء وكذلك ما ذكر في قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون دلالة الوحدانية والقدرة والعلم حيث جعل أطراف الأرض كلها على تباعد ما بينهما متصلة بمنافع الخلق وحوائجهم بأسباب أنشأها لهم وعلمهم من اتخاذ السفن ونحو ذلك ليصلوا إلى تلك الحوائج فدل أنه فعل واحد إذ لو كان فعل عدد لكان في ذلك تمانع على ما ذكرنا وفيه أنه عالم بذاته قادر بذاته وقوله تعالى ذلك قال ذلك تقدير العزيز العليم والله الموفق وقوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها وفي بعض الحروف والشمس تجري لا مستقر لها أي لا نهاية ثم اختلف في تلك النهاية فمنهم من يقول نهايتها هو فناء هذا العالم وتبديلها إلى آخر كقوله إذا الشمس كورت وقوله وجمع الشمس والقمر بحسبان والله أعلم ومنهم من يقول مستقرها نزولها وفي كل يوم منزل لما ذكر أن لها منازل تنزل كل يوم منزلا ثم تطلع في مكان آخر ولذلك قال والقمر قدرناه منازل ومنهم من قال نهايتها ما ذكر في الخبر أنها إذا غربت ترتفع إلى السماء السابعة وتخر لله ساجدة تحت العرش ثم يؤذن لها بالطلوع وذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أذن لها بالطلوع يأتيها جبريل بحلة من ضوء العرش على مقدار ساعات النهار في طوله في الصيف وقصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثوبه وكذلك في القمر كذلك من النجوم الآية ذكر أن جبريل عليه السلام يأتيه بحلة من نور العرش وفي بعض الأخبار يكسف من ضوء الشمس ويكسف من عنده فيلبس تلك الحلة أو ذلك الضوء والنور كما يلبس أحدكم ثوبه فذلك قوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر للشمس الضياء وللقمر النور كما ذكر في الخبر والله أعلم ومنهم من يقول مستقرها أجرامها في البحر الذي خلقه دون السماء بحر مكفوف جارية تجري الشمس والقمر والجوار الآيتين ويحتمل تجري لمستقرها في مكان وكيس فيه والله أعلم وقد وصفنا قوله ذلك تقدير العزيز العليم وقيل العزيز الذي ظهر أثر الذل في خلقه من أن لا يرى أحد إلا وفيه أثر الذل وقوله تعالى والقمر قدرناه منازل قرئ برفع الراء ونصبه فمن قرأه بالرفع كأنه جعله نسقا على قوله وآية لهم الليل والنهار يرجعه إليه وتقديره وآية لهم القمر قدرناه منازل ومن نصب جعل الفعل الواقع عليه متقدما عليه في قوله نسلخ منه النهار وساجدا وهو فعله قدرناه منازل أي قدرنا القمر منازل وهو كقوله والسماء بنيناها بأيد ثم قوله والقمر قدرناه منازل أي منازل لم يكن يستوي ولا ينقص وكذا جعل الشمس منازل لم يزل يستوي وينقص وكذلك جعل الشمس منازل لكنه جعل منازل القمر في تعيين بنفسه وتعيين الشمس في الزيادة والنقصان والاستواء جعل هذه الأزمنة والأوقات في نفسها كالقمر فهو والله أعلم لما ذكر أنه جعل القمر سببا للوصول إلى معرفة الأوقات والحج وعلى ذلك جعل طلوعه وغروبه بساعات الليل والنهار لا في وقت واحد فأما الشمس فإنها في نفسها لا تتغير إلا في وقت الكسوف وكذلك طلوعها وغروبها في وقت واحد لا يتغير إلا في زمنها وأوقاتها إذ يدخل نقصان الليل في النهار أو نقصان النهار في الليل وقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم قيل العرجون عود الكباسة القديم الذي حال عليه الحول فاستقوس وقد قيل شبه القمر آخر ليلة يطلع وهو أول ليلة وقيل شبه القمر بالعرجون القديم وهو العذق اليابس المنحني القديم الذي حال عليه الحول وبعضه قريب من بعض وهو القضبان العرجون عرجون النخلة مثل العنقود من العنب العراجين حملته وقوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار يحتمل أن يكون ذكر الشمس ههنا كناية عن النهار نفسه والقمر عن الليل إلا أنه ذكر الليل والنهار على أثر ويحتمل أن يكون على بيان حقيقتهما أي لا يدرك ضوء هذا نور الآخر

ولا نور الآخر ضوء هذا فيغلبه ولكن هذا في وقت ولا يغلب أحدهما صاحبه وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون أي في دورانه واستدارته يجرون حتى لا يتبع هذا هذا ولا هذا هذا فعلى هذا التأويل الفلك هو الدوران الذي يدور عليه الشمس والقمر وقال بعضهم إن تحت السماء في الهواء بحر مكفوف فيه يطلع الشمس والقمر وفيه يغربان وعلى هذا التأويل يكون قوله كل في فلك يسبحون على حقيقة السباحة في البحر وقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اختلف في ذلك الفلك منهم من قال هي سفينة نوح عليه السلام ومنهم من قال أراد به السفن كلها التي تحمل وتبنى عليها ويقال الفلك اسم للواحد والجماعة فكان المراد بالفلك المذكور في الآية هو سفينة نوح عليه السلام لا غير وكان قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ينصرف إلى غيرها من السفن التي أحدث للركوب وتكون الآية على هذا التأويل حجة على المعتزلة في خلق الأفعال فإنه أخبر تعالى أنه خلق السفن وحملهم عليها وإنما تسمى سفنا بعد اتخاذها فأما قبل ذلك فهو تسمى خشبا من حيث الشاهد لا سفنا فلولا أن الله تعالى صنع وخلق أفعال العباد وإلا لما أضاف إلى نفسه خلق السفن وقد يرى الصنعة من الذي يتخذها فدل أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى حيث أضافها إليه والله أعلم وإن كان المراد بالسفينة المذكورة في الآية هو سفينة نوح وغيرها من السفن وكان قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يرجع إلى الأنعام التي يركبون عليها في المفاوز والبراري وهو كقوله وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ثم قوله ذريتهم يحتمل معنيين أحدهما أنا حملنا من أنتم ذريتهم في الفلك وهم الذين حملهم مع نوح عليه السلام في السفينة والثاني أو حملنا ذرية قومك خاصة لا آباءهم وأرحامهم في الفلك نسبهم إليهم لما أنهم أصل هؤلاء وهو كقوله من ذريات لكن الفائدة في التأويل غير الفائدة في الثاني فإن كان المراد هو التأويل الأول ففائدته أنكم من ذرية من حمل وهم الذين آمنوا برسلهم لا من كذبه فكيف لا اتبعتم آباءكم في الإيمان وتصديق الرسل وقلدتموهم في ذلك وأنتم لا تزالون تحتجون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون وإن كان المراد هو التأويل الثاني ففيه أن في آبائكم من قد صدق الرسل ومنهم من كذب فكيف قلدتم أنتم المكذبين دون المصدقين والله أعلم ثم جعله الآية في الفلك قد ذكرناه في غير موضع وفيه أيضا إخبار عن سفههم بعبادتهم الأصنام التي عبدوها حيث قال وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون يخبر أنا لو شئنا أغرقناهم ولا يملك الأصنام الإغاثة لهم بل الله هو المالك لإنقاذهم كقوله ضل من تدعون إلا إياه وكقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وقوله إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين يحتمل قوله إلا رحمة منا أي لو شئنا لأهلكناهم واستأصلناهم بالعناد وتكذيب الرسل كما فعل بأولئك الأوائل لكنه برحمته أخر عن هؤلاء وجعل لهم متاعا إلى حين فذلك منه رحمة والثاني يحتمل أنه رحمة حيث قبل منهم الإيمان عند رؤيتهم بأس الله تعالى ونزول العذاب وكان لا يقبل من أوائلهم الإيمان عند البأس كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية ثم أخبر أنه لم ينفعهم ذلك حيث قال فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ولكن رحم هؤلاء لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل إيمانهم عند رؤيتهم بأسه والله أعلم وفي قوله تعالى إن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا دلالة نقض قول المعتزلة في الأصلح لأنه لا يخلو إما أن يكون إغراقه إياهم أصلح لهم في الدين أو إبقاؤه إياهم فإن كان إغراقهم أصلح لهم في الدين فلم يغرقهم فقد فعل بهم ما ليس ذلك بأصلح لهم وإن كان الإبقاء أصلح لهم في الدين من إغراقهم فلا يكون ذلك رحمة لأن له أن يفعل ذلك ولا يفعل بهم غيره وقد امتن بإبقائه إياهم رحمة منه لهم فدل أنه ليس عليه حفظ الأصلح على عباده في الدين والله الموفق وقوله تعالى وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اختلف في قوله ما بين أيديكم وما خلفكم منهم من قال ما بين أيديهم وما نزل من العقوبات فيمن كان قبلكم لعنادهم في آيات الله أي احذروا أن ينزل مثلها عليكم وسمى بين أيديهم لما مضى في ذلك بين أيديهم وقوله وما خلفكم أي أمر الساعة وعذابها سماه خلفا لأنها لم تأت بعد والله أعلم ومنهم من قال ما بين أيديكم عقاب الآخرة سماه بين أيديهم لما أنها تأتيهم وقوله وما خلفكم ما مضى من العقوبات التي نزلت بمن قبلكم وقد صار ذلك وراء وخلفا والله أعلم ويحتمل أن يكون على غيرها دنيا أي احذروا ذنوبكم التي عملتم بأنفسكم وما أسلفتم أيضا من بعدكم كقوله علمت نفس ما قدمت وأخرت وقوله لعلكم ترحمون إذا فعلتم ذلك استوجبتم الرحمة بفضله والله أعلم وقوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين هذا والله أعلم في قوم أهل عناد والعناد والمكابرة فرد الآيات والإعراض عنها ثم الإعراض يكون بوجهين أحدهما ما لم يقع له العلم بسببه النظر والتأمل فيه أو يعرض عنها إعراض عناد بعد التحقيق والتيقن أنها آيات الله والله أعلم وقوله تعالى وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله يحتمل قوله أنفقوا لصلة الأرحام على حقيقة الإنفاق ويحتمل قبول الإنفاق من الزكاة وهو كقوله تعالى والذين لا يؤتون الزكاة أي لا يعتقدون وقوله يخبر عنهم حيث قال أنطعم من لو

انا طعمه ان المعتزلة يقولون كقول هؤلاء الكفرة فانهم يقولون ان الله تعالى لا يفعل بالعبد الا
الاصلح لهم والذين قيل لهم امروا بالانفاق لا يخلوا ان تكون السعة في الرزق اصلح لهم او يكون الضيق
اصلح لهم وترك الانفاق ويكون الامر بالانفاق والحرام مما ليس لهم اصلح فكيف كان تخفيف باب ان
قلّ انه حفظ الاصلح لهم في الدين ما عليه فعل ما يوجبه الحكمة ثم هم لا ينظر في ذلك الى ما توجبه الحكمة و
في الحكمة الامتحان بالشدة والرخاء ثم اوجب على من وسع عليه حقا لهذا الفقير وبين بذلك الحق ليستاديه
بذلك شكر ما انعم عليه وضيق على اخر وطلب منه الصبر اذ منع هذا حقه والام ليستيقن من وسع عليه ما
تلك النعمة ولا من ضيق عليه ما يستوجب الشدة لكن لم يمتحنهم بها امر احدهما بالشكر واداء ما عليه والاخر
بالصبر ومثله وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم
ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض لينظر كيف عطف الغني على الفقير وقوله ان
انتم الا في ضلال مبين منهم من قال هذا قول الكفرة للمؤمنين لم يكتفوا بما قالوا ولكنهم نسبوا المؤمنين
الى الضلال والجهل ومنهم من قال هذا القول جواب من الله تعالى لقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم
الا في ضلال مبين في هذا القول لاعتقادكم انا قلنا وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة اى ما ينظرون لايمانهم الا ذلك الوقت وعند ما عاينوا يؤمنون
لكن لا ينفعهم الايمان كقوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وقوله تأخذهم
وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون قرئ يخصمون بجزم الخاء مع تشديد الصاد
للجمع بين الساكنين وهي قراءة شاذة لكراهة الجمع بين الساكنين وقرئ بفتح الخاء مع التشديد لكن اصله يختصمون
تدغم التاء وينقل فتحتها الى الخاء وقرئ يخصمون بكسر الخاء وتشديد الصاد وقرئ يخصمون مخففا
يحتمل ما ذكرنا ان الساعة تقوم وهم على ما كانوا من التبايعات والخصومات ما يخبر عن سرعة قيام الساعة وغفلة
اهلها عنها كقوله لا تأتيكم الا بغتة وهم لا يشعرون وجاءت الاثار في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقوم الساعة والرجلان يتبايعان الثوب لا يطويانه حتى تقوم الساعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال في قوله
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون قال تقوم الساعة والناس في اسواقهم يحلبون اللقاح
ويذرعون الثياب ويتبايعون وهم في حوائجهم وعن ابن العوام رضي الله عنه ان الرجل ليتبايعان اذ نادى مناد
قد قامت الساعة او نحوه ويحتمل وهم يخصمون اى يختصمون في السلعة انها بعوض او لا بعوض فتاخذهم
الصيحة وهم في تلك الخصومة والله اعلم وقوله توصية اى وصية وكذلك ذكر في حرف ابي وحفصة رضي الله عنهما
فلا يستطيعون وصية والله اعلم ثم قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ان الاستطاعة
الفعل تكون مع الفعل لانها لو كانت تتقدم لكانوا يستطيعون التوصية والرجوع الى اهليهم اذا قامت بهم
الساعة وقوله تعالى ونفخ في الصور قد ذكرنا ماهية الصور وعدده في غير موضع وقوله تعالى فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون قال اهل التاويل هذا في النفخة الثانية فانها النفخة الثانية يخرجون من قبورهم وكانهم
يجتمعون عند ذلك كقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والاولى للصعق من في
السموات ومن في الارض وقوله ينسلون اى يسرعون والنسل هو سرعة الخروج وقال ابو عوسجة هو المشي
اى يمشون لكنه مشي مع السرعة وهما واحد في المعنى وقوله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا من
الناس من ينكر عذاب القبر بهذه الاية وقال المرقد هو موضع الراحة والمرقد هو الذي يكون فيه الراحة
فلو كان لهم عذاب في القبر لم يكونوا في الرقدة ولم يكن القبر مرقدا لكن هذا فاسد وقد اختلف اهل
التاويل في ذلك منهم من يقول يكون لهم العذاب الا انه يرفع عنهم ما بين النفختين فاذا بعثوا وعاينوا اهوال
يوم القيمة قالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ومنهم من يقول لما عاينوا عذاب الاخرة واهوالها
صار عذاب القبر لهم كالرقاد لعظم هول ذلك اليوم وشدة عذابه ومنهم من يقول ينامون نومة قبل
البعث ثم يبعثون ويحتمل ان يكون النفس التي هي الروح عند الموت تعذب تلك النفس في حال الموت فيجد
البدن ذلك كما يجد عند خروج النفس من الالم ما يصيب النفس وكذلك اللذة فاذا بعثوا قالوا عند ذلك
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والمرقد موضع الذي ينام فيه وعلى هذه الوجوه يقع لا ينقض والله اعلم وقوله
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون اختلف في تاويل هذا القول يوم القيمة منهم من قال هم الملائكة تقول
لهم عند قولهم الذي قالوا ويحتمل ان يكون ذلك من قول اولئك الكفرة يقرون بالبعث عند معاينتهم فيقولون
هذا الذي وعدنا المرسلون وقد صدقوا في ذلك وعن تكذيبهم لكن لا ينفعهم تصديقهم في ذلك وهو
كايمانهم عند معاينتهم باس الله تعالى وهو كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقوله تعالى ان كانت الا صيحة

بالنصب والرفع جميعا فالرفع كقولك ان قامت الا جاريتك واما النصب فلان الصيحة في قوله كانت ثم يحمل
الصيحة على ما وصفناه ويحتمل على قدر الصيحة كناية عن سرعتها كما قلنا في النفخة وقوله تعالى فاذا هم جميع لدينا
محضرون ذكر في قوله ان كانت الا صيحة واحدة في البعث فيكون عند ذلك احضارهم والله اعلم وقوله تعالى
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه كانه
يقول والله اعلم اليوم لا توضع شيء في غير موضعها بل توضع في موضعها ويحتمل ان يكون الظلم عبارة عن
النقصان كانه يقول والله اعلم فاليوم لا ينقص نفس عما استوجبت بل توفى كل نفس حقها الذي استوجب
كقوله ولم تظلم منه شيئا اى ولم ينقص ويحتمل نفس بذنب غيرها ولا يوضع وزر غيرها بل تجزى كل نفس جزاء
عملها والله اعلم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون يخبر والله اعلم عن شغل اهل الجنة انهم وان
كانوا مشغولين فان ذلك الشغل يحجبهم عن غيره من الاشياء فاما الله سبحانه وتعالى جل عن ان يشغله او يحجبه شيء عن شيء
ثم الاشتغال في الدنيا مما يضر اهلها ويحزنهم فاخبر ان شغل اهل الجنة مما لا يضرهم ولا يؤذيهم حيث قال في شغل فاكهون
ثم قيل فاكهون ناعمون وقيل معجبون في ذلك قال القتبي فاكهون متفكهون وقال ابو عوسجة فاكهون ويكون
من التفكه والمفاكهة الممازحة ثم قال بعضهم شغلهم في افتضاض الابكار وقيل في كل نعيم وكرامة على ما ذكرنا والله اعلم
وقرئ شغل بجزم الغين مخففا وبنصب الغين وهما لغتان بمعنى واحد وقرئ فاكهون وفكهون بالالف وبغير الالف
وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال يخبر تعالى ان اهل الجنة وان كانوا لا يحجبون عن شيء ولا يمنعون فانهم
اذا كانوا مع ازواجهم في ظلال لا يقع بصر غيرهم فينقض ذلك عليهم اذ الحجاب ليس بمانع حقيقة فان الرؤية
جارية على الستر وانما المانع ما يخلق في الابصار ضد الرؤية فلم يروا فهكذا اهل الجنة وان كانوا
لا يحجبون من شيء لكنهما يبصرون اشياء يخلق الله تعالى في اعينهم رؤيتها ويخلق في اعينهم ضده
والله الموفق وهو كما ذكر حور مقصورات في الخيام ثم قرئ ظلال وظلل والظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة
وقوله تعالى على الارائك متكئون فالاتكاء على الارائك انما هو للراحة فيخبر الله تعالى عن غاية راحتهم ونهاية
كرامتهم حتى لا يتمنوا التحول عنها كقوله لا يبغون عنها حولا قال القتبي الارائك السرر في الحجال واحدها
اريكة وقال ابو عوسجة الارائك الوسائد وقال ابو الحسن الاريكة الحجلة وهو لغة اهل اليمن وقوله تعالى
لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون قيل ما يتمنون وقيل ما يسالون ويحتمل ان يكون ما يدعون من الدعوى
او ما يعطون جميع ما يدعون لكي ينبسطوا كما في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم
يحتمل وجوها احدها ان يؤدي الملائكة سلام الله تبليغ بعض الى بعض في التأدية السلام كرامة لاوليائه
والثاني ان تسلم عليهم الملائكة بامر ربهم كقوله يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فاضيف الى
الله تعالى لما كان بامره والثالث ان يكون القول من الله تعالى وهو وعد السلامة لهم فيها عن كل افة وبلاء يكون
في الدنيا كقوله ادخلوها بسلام امنين ونحوه والرابع يحتمل القول بالسلام حقيقة يسمعون سلام
الله تعالى على ما سمع موسى عليه السلام كلامه في الدنيا والله اعلم وفي حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنهما سلاما
قولا بالنصب فمن رفع قوله سلام فكانه يجعل تمام الكلام في قوله ولهم ما يدعون سلام ثم قال قولا من رب
رحيم على معنى صدقنا حقا ونحو هذا من نصب والله اعلم كانهما يجعلان تمام الكلام في قوله ولهم ما يدعون
وقوله سلاما نصب على القطع ويسمى نصب على الحال عند بعضهم وتمييز والله اعلم ولهم ما يدعون
في حال السلامة وقوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون كان اهل الجنة والنار يكونون مختلطين بعضها
ثم يفرق هؤلاء من هؤلاء كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير وكذلك سمي يوم الجمع ويوم الحشر لجمعهم
في الابتداء ثم قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون ليس على حقيقة الامر ان يحل لهم فيتميزوا ولكن اخبار على انه
يفرق بينهم كما ذكر في اية اخرى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجعله في جهنم قال ابو عوسجة والقتبي الامتياز هو التفرق والتنحي وقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم
ان لا تعبدوا الشيطان ثم العهد يخرج على وجوه ويحتمل معانا احدها عهد خلقه وبنيته التي تحمل اثر خلقه
كل احد وبنيته على وحدانيته وصرف العبادة عن من دونه اليه فيقضي ذلك العهد وصرف الالوهية والعبادة
الى غيره والثاني ما اخذ عليهم من العهد على السنة الرسل عليهم السلام من الامر والنهي والثالث ما جعل فيهم
من الحاجات والشهوات التي تحملهم حقا فهما من عنده على صرف العبادة اليه وشكر ما انعم عليهم من النعم
في عقل كل عاقل حسن شكر المنعم وقبح كفرانه والاعتراف بكونه منعما عليه فاذا جعلوا الالوهية لغير حقيقته
وتسميته وصرفوا العبادة الى غيره نقضوا ذلك كله فان قيل كيف ذكر عبادة الشيطان ولا احد يقصد
عبادته بل كل ينفر عن عبادته قيل لهم ان هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل يريد من الشيطان المردة من الكفرة الائمة

الذين عرفهم أنه سموا شياطين لما بعدوا من رحمة الله تعالى يقال شيطان أي بعيد كقوله شياطين الإنس والجن
يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا والثاني نسبت العبادة إليهم لما أنه بأمرهم يعبدون الأصنام
أو بنيابة الأمر بعبادة الأصنام منه وإن كان من ذلك الآخر رؤساؤهم بأمرهم وقوله تعالى إنه لكم عدو مبين
عداوته لكم ظاهرة بينة في كل شيء حتى المأكل والمشرب والملبس كقوله ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما
ثم بين أيضا ذلك وقعا في المهالك وقوله تعالى وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم أي اعبدوني فإن عبادتي هي الصراط
المستقيم وقوله تعالى ولقد أضل منكم جبلا كثيرا وقرئ بضم الجيم والباء مع تخفيف اللام وبضم الجيم وجزم
الباء وبكسر الجيم مع تشديد اللام وكله واحد من لغى الهيثم أن الجبل والجبل الناس الكثير وقال القتبي جبلا
كثيرا أي قرونا كثيرة وقال قتادة جموعا كثيرة وقال مجاهد خلقا كثيرا وكله واحد وقوله أضل منكم أي
أهلك منكم والإضلال هو الإهلاك في اللغة ومعناه ما أهلك من القرون المتقدمة نحو عاد وثمود وغيرهما
ويحتمل الإضلال على الهدى وهو يخرج على وجهين أحدهما أن قد علمتم أن الله قد أضل كثيرا من الخلق بأمثاله
إبليس اللعين عليه اللعنة واستأصلهم فكونوا أنتم يا أهل مكة على حذر منه لئلا يضلكم كما أضلكم
بأولئك يخرج على التوبيخ لئن لهؤلاء النظر في أمر أولئك والله أعلم ويحتمل أن يكون على التنبيه والإخبار
لهم لما عسى لم يبلغهم ذلك لما أن أهل مكة ليسوا من أهل الكتاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون
يحتمل أن يكونوا لما رأوا جهنم قالوا ما هذا الذي نرى فعند ذلك قيل لهم هذه جهنم التي كنتم توعدون
في الدنيا ويحتمل على التوبيخ والتعيير لهم من غير سؤال سبق منهم أي هذه جهنم التي كنتم توعدون
وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون أي ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون وقوله تعالى اليوم نختم
على أفواههم أي نطبع على أفواههم فلا يتكلمون وقوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون
كأنهم والله أعلم لما أنكروا كفرهم وشركهم وعملهم الذي عملوها في الدنيا كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله والله
ربنا ما كنا مشركين وأمثاله فعند ذلك أذن الله تعالى لسائر جوارحهم وأركانهم بالنطق والشهادة عليهم
بما عملوا كقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وكقوله شهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم ثم ينطق ألسنتهم حتى يعاتبوا الجوارح في شهادتها عليهم كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله
لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وفي الآية دلالة على أن النطق الذي يكون من اللسان ليس
منه يكون ولكن للطف يجعل الله ذلك اللسان فينطق فيما يجعل ذلك في جارحة كانت تنطق
إذ لو كان النطق والكلام لنفس اللسان لكان ينطق كل ذي لسان فإن لم ينطق كل من له لسان كسائر الحيوان
وغير بني آدم من له لسان فدل أنه كما وصفنا وكذلك السمع والبصر وكل جارحة منه يجعل فيها معنى يسمع
به ويسمع ويبصر به ويأخذ ويبطش فإنما يجعل الله ذلك للطف يكون منه ما كان من السمع والبصر وكذلك
الأطعمة والأشربة ليس الغذاء في أعينها لكن بمعنى وضع الله ذلك فيها فصار به غذاء الخلق ألا ترى أن
الطعام والشراب يقع في المعدة فيمحى به وينتفع بما فيه من الغذاء ومن الناس من يتغذى ولا يتغذى به
فعلى ذلك هذا والله أعلم وقوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون الآية
قال بعض أهل التأويل لو نشاء لطمسنا أعين الضلالة فلم يبصروا طريقها فاستبقوا الصراط أي جاوزوا
عن طريق الطريق الهدى فأنى يبصرون طريقها وقد عمينا عنها فلم يقعوا في الضلالة ولكن نشاء فعمي
في الضلالة لما أبصروا أعين الضلالة طريقها ومعناه لو نشاء إيمانهم لأعمينا أبصارهم وتوقعهم في الضلالة
لإيثارهم ذلك وتعمقهم فيه وقال بعضهم لو نشاء لطمسنا على أعينهم أي لو نشاء لحولنا أبصارهم عن
أبصار الضلالة إلى أبصار الهدى فلو طمسنا أي حولنا الكفر عنهم لاستبقوا الصراط يقول لأبصروا طريق
الهدى ثم فأنى يبصرون يقول فمن أين يبصرون الهدى إذا لم أعم عليهم طريق الكفر ويشبه أن يكون الآية
على التمثيل والله أعلم ولو طمسنا أعينهم حقيقة وأعميناهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون أي لا يبصرون
الطريق فعلى ذلك إذا طمسنا أعين القلوب وأعميناها فأنى يبصرون الهدى أي لا يبصرون الطريق فعلى
ذلك إذا طمسنا أعين القلوب وأعميناها فأنى يبصرون الهدى بل لا يبصرون وكذلك قوله ولو نشاء
لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون على التمثيل أيضا أي لحولنا ظاهر خلقهم وخلقناهم
خنازير وقردة ذهبت منافع أنفسهم الظاهرة فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فعلى ذلك إذا مسخنا
قلوبهم وحولناها على مكانها لما انتفعوا بها كما لم ينتفعوا بظاهر جوارحهم وفي الآية دلالة على أن الله تعالى
[illegible] صنعا إذ لو لم يكن فيما يختارون من الأفعال والأعمال صنع لم يكن لتوعده إياهم على إذهاب ذلك وتحويله
من نكاية فائدة والله أعلم وقال الحسن وقتادة ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فتركناهم عميانا يترددون

ولو نشاء لمسخناهم لا يعد نام على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون أي ما استطاعوا أن يتقدموا ولا
يتأخروا ويحتمل أن يكون معناه أنا نقدر على المسخ والطمس وما ذكر من التنكيس بقوله ننكسه في الخلق ليجعل
شيء على البعث بل هو بعث الخلق لا محالة إذ خلق الإنسان للطمس والمسخ لا للعاقبة ليس بحكمة فيكون
فيه إثبات البعث ويذكر أنه لو نشاء لطمسناهم ومسخناهم لكنه لم نفعل بهم ذلك لتشكروا هذه النعم والله أعلم
وقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق يقول نرده في الخلق لا يعقل كعقله الأول كقوله ومنهم من يرد
إلى أرذل العمر وقوله تعالى أفلا يعقلون من فعل هذا لا يعجزه شيء وأنه يستأدي به شكره والله أعلم وقال
القتبي المطموس الذي لا يكون بين جفنيه شق فاستبقوا الصراط أي فجوزوا وقال أبو عوسجة طمسنا أعينهم
أي أعميناهم والمسخ تغيير الصورة والأبدان وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق نصيره ضعيفا بعد أن كان
قويا والله أعلم وقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له قيل لحنا والله أعلم عند قولهم إنه شاعر وإنه كذاب
فأخبر أنه لم نعلمه الشعر وما ينبغي له الشعر تكذيبا لهم وردا عليهم أنه شاعر وأن هذا القرآن شعر جعل الله له
معجز رسوله عن كتابة الكتاب فقال ووقاه لرسالته ليعلم الذين قذفوه بالشعر والافتراء والسحر أنه ما يخبر يخبر إلا
من وحي الله تعالى لا على ما يقولون وهم يعلمون أنه ليس كما ينسبونه إليه لما لم يروا اختلف إلى أحد منهم ممن يعلم
ذلك ولا كان عنده من كتبهم شيء ولا أخذ عليه كذب قط ولكن نسبوه إلى ما نسبوه من الشعر والسحر
والكذب تعنتا وتلبيسا على سفلتهم خوفا على ذهاب رياستهم وفي الآية دلالة نقض قول المعتزلة حيث
أخبر أنه لم نعلمه الشعر وقد أعطى لجميع أسباب الشعر وقال الرحمن علم القرآن دل أن الله عز وجل
لطف سوى الأسباب به يتعلم المخلوق ويقدر على تحصيل فعله إذ أخبر أنه لم نعلمه الشعر فلم يتعلم وأخبر أنه
قد علمه القرآن واللسان فتعلم وتقوى به ولو كان التعليم من الله تعالى هو إعطاء نفس الأسباب والآلات
وقد كان أعطاها إياه في الوجهين جميعا لكان متناقضا في الكلام تعالى الله عن ذلك والله أعلم وقوله
وما ينبغي له أن يشتغل بالشعر وهو مما يلهي به ويتلذذ ولذلك جبل بينه وبين طبيعته ما يشاء الشعر لكون
أبدا مشتغلا بما هو حكمة وعلم وبما هو أمر الله تعالى لا بما فيه الملهى والله أعلم وقوله تعالى إن هو إلا ذكر
وقرآن مبين أي ما هذا القرآن إلا ذكر لما أتى من الله تعالى ووعد ووعيد وما لهم وما عليهم وما يؤتى
وما يتقى أو يبين لهم أنه من الله جاء ومن عنده نزل لا من عند المخلوقين ويحتمل أنه ذكر لأهل الكتاب مما
كان في كتبهم من نعته وصفته وما عليهم القيام به وما لهم ومبين لمشركي العرب أنه رسول رب العالمين
وأن هذا القرآن من عنده نزل وكل كتاب الله تعالى ذكر مبين ورحمة ونور وشفاء على ما أخبر الله تعالى والله أعلم
وقوله تعالى لينذر من كان حيا قيل من كان عاقلا يقول لينذر القرآن من له عقل حي فيؤمن ويحق القول
على الكافرين يقول وتجب السخطة على الكافرين الذين في علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون وقال بعضهم لينذر
من كان حيا أي من كان مؤمنا لأن الله تعالى سمى المؤمن حيا في غير آية والكافر ميتا ثم يحتمل قوله لينذر
من كان حيا أي لينتفع به من كان حيا أي مؤمنا وإن كان ينذر الفريقين جميعا كقوله إنما تنذر من اتبع
الذكر ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع ولكن ينتفع به من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وهو كقوله وذكر
فإن الذكرى تنفع المؤمنين ويحتمل قوله من كان حيا أي من يطلب بحياته الفانية الحياة الدائمة ويحق
القول على الكافرين القول الذي قال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقوله تعالى أولم يروا أنا خلقنا لهم
مما عملت أيدينا أنعاما يخرج على وجهين أحدهما على الخبر أي قد رأوا ما خلق لهم من الأنعام وما ذكر على أن
بالنظر فيه يتبين وإن كان على الخبر فمعناه أنهم قد رأوا ما خلق لهم فهلا اعتبروا وتفكروا وعلموا أنهم
لم يخلق لهم هذه الأنعام وغيرها عبثا باطلا ولو لم يكن لهم بعث كما زعموا لكان خلق ذلك عبثا وأن من
قدر على تسخير هذه الأشياء لهم وأنشأها ما لو تركها كما تركت على وجه الأرض لامتلأت الأرض وضاقت
على الناس فهو قادر على البعث وأنه لا يعجزه شيء ويحتمل أنه يذكرهم أنه خلق كذا ليستأدي منهم الشكر لا لينتفع
شيئا وكذلك لو كان على الأمر بالنظر والله أعلم ثم قوله مما عملت أيدينا أنعاما يحتمل أي مما عملت أيدينا أي مما
خلقنا من الزراعة والغرس وغير ذلك لكن أضاف ذلك إلى نفسه ويحتمل عملنا أي قوتنا كقوله والسماء
بنيناها بأيد وهو كقوله لما خلقت بيدي أي بقوة وقوله فهم لها مالكون اختلف في تأويله قيل قادرون
على الانتفاع بها واستعمالها على ما يقول الرجل على حقيقته ملكا إنا ملك عليه إذا كان غير قادر على الانتفاع
وقيل مالكون أي ضابطون عليها يقال فلان ضابط على ملكه ودابته وهذا أقرب من الأول والله أعلم
وقوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون الآية تخبر أنواع ما حصل لهم من المنافع فكأن
النعم يستأدي بها عنهم الشكر وقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم

وهم لهم جند محضرون • يخبر عن سفههم وقلة نظرهم في اتخاذهم الاصنام وتصرفهم العبادة اليها رجاء
النصر لهم وتركهم عبادة الله تعالى في وجود النصر منه والمعونة وتسخير الخلائق لهم لما نفعهم ثم رجاؤهم
النصر منه والمعونة وتسخير الخلائق لهم لما نفعهم ثم رجاؤهم النصر منها يحتمل في الآخرة كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وذلك في الآخرة ويحتمل ان يكون في الدنيا وهو انهم رجوا
بعبادتهم الاصنام دفع ما نزل بهم من البلاء كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ثم
اخبر تعالى ان الذين رجوا منهم لا يستطيعون نصرهم واخبر ان ما عبدوا دونه تصير اعداء لهم حيث قال
وهم لهم جند محضرون في الآخرة وهو كقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والى هذا ذهب بعض اهل التأويل ان الاصنام تصير جندا محضرون
اي للمشركين جند للاصنام التي تعبدونها لانهم يغضبون لها ويقومون بدفع من يريد بها سوءا كقوله
تعالى حكاية عنهم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ثم اختلف في وقت ذلك النصر ويكون جندا لهم فمنهم من قال
في الآخرة ومنهم من قال في الدنيا كما ذكرنا وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
لما كانوا وكثرت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقوال مختلفة منها ما ذكر من قوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومنها قولهم انه شاعر وساحر ومنها قولهم لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة ونحو ذلك ولا يتدبرون على اقوالهم حزنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الله تعالى
ولا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اي لا يحزنك فانك لا تحول لهم ولا تحفظه فيكا فيهم على ذلك
انه يعلم ما يسرون وما يعلنون من المكر بك والقصد لك فيتصل عليهم بفعلك والله اعلم
ويحتمل ان يكون خبرا عليهم لحمله بنزول العذاب عليهم كما اهلك من تاب منهم ان لم يتبعوه بل عاندوه والله اعلم وقوله تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • هذا يخرج على وجهين احدهما على الخبر اي قد
اري الانسان انا قد خلقناه من نطفة فهلا ينكر ان من قدر على هذا قدر على اعادته والثاني على الامر بالنظر
الانسان ليرى ان من قدر على خلق الانسان ابتداء قدر على احيائه بعد موته اذ قد يصور الخلق ما لو وقع على بصره
ولا يقدر على تصور ما لو يقع عليه بصره ولم يره فلم يتبعه فاحتج الله تعالى بالشيء الظاهر عليهم الذي يعلم
كل انسان ذلك من غير تفكر ولا تأمل والاحتجاج عليهم بالاشياء التي لم يدركوا ابلغ واكثر نحو خلق الانسان
من نطفة ما لو اجتمع حكماء الخلق اجمع لم يعرفوا كيفية خلقه منها من تركيب العظام والسمع والحواس كلها والعقل
ولا عرفوا كيفية غذائهم بالاطعمة والاشربة التي بها يقومون على الحركة والسكون ولا كيفية قسمة ذلك حتى
تجري في الجوارح كلها على السواء والمياه التي بها يحيون ونحو ذلك من العجائب مما لا سبيل الى معرفته بعد
طول التفكر لكنه احتج عليهم بالشيء الظاهر لئلا يذكروا بابديهم والله اعلم وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين
اي جدل بين وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه • قال من يحيي العظام وهي رميم ونسي خلقهم ونسي
خلقه يحتمل وجوها احدها انه غفل عن القدرة في خلق نفسه ما لو نظر وتفكر لعرف انه قادر على الاعادة
على ما ذكرنا والثاني غفل عن الحكمة في الاعادة والبعث وقد ذكرنا وجوه الحكمة فيها والثالث لو غفل عن الحكمة
في خلق نفسه ابتداء ثم يخرج على هذا وجوه احدها انه لو نظر في خلق نفسه من النطفة وتحويله الى العلقة
الى آخر ما ذكر ثم في اخذها على النقصان بعد تمامها في ما شاهد من تمام الشيء وبنقصه بعد تمامه ولا بقاء
لا يوصف بالحكمة ثم ان الله تعالى هو احكم الحاكمين فهو هذا الخلق بعد اتقانه واحكامه ثم بنقصه بعد
تمامه فلو لم يعده ثانيا لكان خارجا عن الحكمة فلو لم يتبين الانسان خلقه يعرف انه يعيده والله اعلم والثاني
ان من قدر على تقديره في الظلمات الثلاث قادر على اعادته وهو كقوله وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده والثالث
ونسي خلقه الذي بدء خلقه انه كان من ماء وتراب فاذا افناه يصير ماء وترابا فيعيده من ذلك على ما انشأه
وكقوله تعالى قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم ثم في هذه الآية رد قول الباطنية فانهم
يقولون ان اعادة الخلق وانشاءه ليس هذه البنية التي انشأها ولكن ينشئ نفسا روحانية على خلاف
ما شاهدنا وهو فاسد فانه اخبر تعالى انه يحيي العظام التي انشأها اول مرة فانهم انكروا احياءها كما اخبر
منهم بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم ثم رد انكارهم بقوله قل يحييها الذي انشأها اول مرة وكذا
احتج عليهم بعلمهم النشأة الاولى فلولا تذكرون ولو كان على خلاف ذلك لم يكن الاحتجاج عليهم بذلك
معنى وفي الآية ايضا ابطال قول من زعم انه لا يوصل الى معرفة التوحيد والصفات ونحو ذلك الا بالتعليم من الرسل
ولا يوصل بالنظر والتفكر ولو كان الامر على ما يقولون لم يكن لقوله ونسي خلقه فائدة لان هذا الشيء
الى الاستدلال بابتداء الخلق على الاعادة ويبطل قولهم ما ذكر من قوله افلا تتفكرون وفي انفسكم افلا تبصرون وقوله

الى الابل كيف خلقت الآية وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون فدل ان الحجة تلزم بالنظر والاستدلال
كما يلزم بالنظر والاستدلال كما يلزم بقول الرسل عليهم السلام والدليل لا يقتصد على قوم واحد وقوله تعالى
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون • اختلف في هذا الشجر فمنهم من قال هو نوع من الشجر
يقال له المرخ كانوا يوقدون منها النار وقيل هو الزيتون الذي يسرج منه وتأويله ان خضرة الشجر انما يكون من الماء
والماء يطفئ النار فالنار تأكل الحطب فمن قدر على الجمع بين المتضادين وحفظ كل واحد منهما عن صاحبه لقادر
على البعث وقيل ايضا بان الذين شاهدوا من الشجر يتزهون بها ويتلذذون ما دام اخضر فاذا ادرك وبلغ
بثمارها ثم يابس يصير حطبا يوقدون منها النار فمن قدر على ذلك لا يعجزه شيء ولا يحتمل ان يفعل هذا
عبثا باطلا ولو كان كما قالت الكفرة ان لا بعث كان يخرج خلق هذه الاشياء عبثا باطلا والله اعلم وقوله تعالى
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم • يذكر هذا والله اعلم اوليس من قدر على خلق انشاء
السموات والارض مبتدأ لا من شيء ولا من اصل لقادر على اعادة الخلق وبعثهم او يخلق مثلهم ابتداء سواهم لانه
انما يخلق مثلهم بعد اهلاكهم ومع بقائهم فكيف ما كان يلزمهم الاقرار بالبعث والقدرة عليه والله اعلم
ثم اخبر عن قدرته فقال بلى وهو الخلاق العليم اي وهو خالق كل شيء من جواهر الاشياء وافعال العباد وهو الخلاق
في الدنيا والآخرة العليم ببعثهم وبمصالح الخلق في معايشهم وبالخلق وانفسهم وما ظهر منهم وما بطن
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون • قد ذكرنا معنى هذه الآية غير مرة من ايجاده بقوله كن غير
ان كان فيه كاف ونون ثم انما هو اخبار عن سرعة نفاذ امره ومشيئته وخفة ذلك عليه واذا لا تصعب عليه شيء
كانه يقول والله اعلم كما لا يثقل هو لكن حكمه لا يثقل عليه انشاء الخلق ولا اعادتهم ثم ذكر تعالى الكفرة الذين
ظنوا ان الكفرة في العبث بخلق شيء وبطلانه قال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون
اي تعالى عن ان يكون خلقه على ما ظنوا اولئك حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا فكان ظنهم ان لا بعث ولا نشور وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون صير الخلق لا للرجوع اليه عبثا والله الموفق تم هذه السورة الشريفة والحمد لله والمنة

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى والصافات صفا • فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا • ذكر ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بان هذا كله كناية عن الملائكة الا انه روي عنهما
انهما فسرا قوله والصافات صفا هي الملائكة الذين اصطفوا للعبادة لله تعالى وتسبيحه ولم يذكر عنهما في تفسير
الزاجرات والتاليات انها الملائكة ولكن ورد تفسيرها عن غيرهما من اهل التأويل فمنهم من قال الزاجرات زجرا
هم الملائكة الذين يزجرون السحاب والامطار والتاليات هم الملائكة الذين يتلون القرآن والوحي على الرسل عليهم السلام
وقال قتادة في قوله والصافات صفا اقسم الله عز وجل بخلق من خلقه ثم خلق قال والصافات صفا الملائكة
هم صفوف في السماء والزاجرات زجرا ما ذكر الله تعالى في القرآن من الزواجر عن المعاصي والتاليات ذكرا ما يتلى عليكم
في القرآن من اخبار الرسل وانباء الامم المتقدمة ومنهم من قال والصافات صفا هي الطيور التي اصطفت
باجنحتها في الهواء وجائز ان يكون الصافات هم الملائكة الذين يصلون صفوفا كما ذكر عن اصحاب نبينا ان
هم الملائكة الموكلون بارزاق الخلق فيسوقونها اليهم سوقا والتاليات هم الملائكة الموكلون بالتحميد والتسبيح
وجميع الاذكار وقال ابو عوسجة والصافات هي الطير التي صفت بين السماء والارض والزاجرات من الزجر
يقال زجرت الابل زجرا اذا صحت بها والزجر الصياح والتاليات كما تقول يتلو القرآن اي يقرأ ويتلو يتبع
والتالي التابع ثم وجه القسم بالملائكة الذين ذكرنا والله اعلم لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وقوله
لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وقوله فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقوله
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا ما وصفهم الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله
لا يستكبرون عن عبادته وقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون عظم الله تعالى امر الملائكة وشأنهم
عند اولئك فاقسم بهم على وحدانيته بقوله ان الهكم لواحد لكي يكون ابلغ في قلوبهم على هذا التوضيح
ثم اخبر عن صنيع الواحد الذي اقسم بما ذكر انه الههم واله الخلق جميعا لذكر نعته وصفته فقال رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق يخبر عن وحدانيته وتفرده حيث بين انه انشأ السموات والارض وما
بينهما وجعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء مع بعد ما بينهما وكذلك منافع المشارق بمنافع المغارب

ولو كان بعضها قد يمنع بعض اتصال المنافع بعض ببعض على ما يكون من ذوي عدد وعلية بعض على بعض فإذ
يمنع ذلك بل يتصل بعض ببعض دل أنه فعل واحد لا شريك له ثم تخصيصه ذكر السموات والأرض دون
غيرهما من الخلائق لما قد عظم عند الناس من علوهم لتنزل ولما يتولد منهما من الأمطار والبركات وغيرها والأرض
لما يخرج منها من الأشجار والأثمار والأرزاق وقال جعفر بن حرب فإن قال قائل إن المراد بقوله رب السموات
والأرض وما بينهما ورب المشارق أنه رب الناس إن الناس كما هو رب جميع ما بين السماء والأرض فهل يعلم
خالق أفعال الناس فيقول له إنا ندعوا أنه رب ما للناس فلم لا قلنا فإنه مالك أفعال الناس ثم قال تعالى
لنا أنه يقال لهم تقولون إنه خالق الكفر والمعاصي والسيئة تعالى في أفعال الخلق الكفر والسيئة وقلنا نحن نجيز
حرفا أنه لا يقال على الإطلاق إنه خالق الكفر والمعاصي وإن كان يقال في الجملة إنه خالق أفعال العباد كلها
وخالق كل شيء وهذا لأن ذكره على الجملة يخرج على وصف الرب بالعظمة والجلال وعلى الإشارة إلى شيء من ذلك
والتنصيص عليه على تعظيم ذلك الشيء خاصة لذلك افترقا كما افترق قول الرجل يا مالك ... ولست
بخالق فاسد لأنه لا يقال إلا هو وإنه مالك هذا الشيء لا على جهة أنه أنشأه وملكه من وجه من الوجوه
أن يقال إنا ... مالك أفعال العباد لأنه ملكها العباد إياها فثبت أنه مالكها إلا أنه خالقها ...
والله الموفق قوله تعالى ورب المشارق قال بعض أهل التأويل إن للشمس ثلاثمائة وستين مشرقا تطلع في كل يوم
من مشرق وكذلك يقولون في المغارب ويشبه أن يكون أراد بالمشارق والمغارب مشارق جميع ما له
شارق ومغارب من الشمس والقمر والنجوم وعلى ذلك في قوله رب المشرقين ورب المغربين فأهل التأويل يقولون
إن المشرقين مشرقا الشتاء والصيف وكذلك مغربهما قوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
قرئ بزينة الكواكب مضافة غير منونة وغير منونة وقرئ بزينة منونة غير مضافة فالحجة عليهم بالتنوين
عن عاصم كان ينصب الكواكب وحمزة يخفضها مع تنوينها وخفض الكواكب فقد جعلها بدلا من زينة
وإن كانت الكواكب معرفة وزينة نكرة لكن المعرفة يجوز أن يجعل بدلا عن النكرة كقوله إلى صراط مستقيم
صراط الله ومن نون ونصب الكواكب أوقع فعل الزينة عليها فيكون مفعولا ثم إنما سمى السماء المزينة
بالكواكب سماء الدنيا وإن كان غيرها من السموات ... وإنما سمى الآخرة لأن هذه السماء المزينة
بالكواكب أدنى وأقرب إلى أهل الأرض من غيرها وأهل الأرض هم الجن والإنس ولهم جعل المحنة والتكليف ثم
أعلم في ظاهر الآية أنه زينها بزينة الكواكب أضاف الزينة إلى الكواكب والمضاف غير المضاف إليه في الأصل
فيقتضي أن يكون زين السموات بما هو زينة الكواكب دونها وتزيينها بالكواكب لكن نقول المراد أنا زينا
السماء الدنيا بالكواكب وزينتها هي نفس الكواكب أضافها إلى نفسها وجاز إضافة الشيء إلى نفسه في الجملة
لغة ويحتمل أن تجري الآية على ظاهرها وهو أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي نورها وضياؤها
[illegible]
وقوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد [illegible]

بخطفه او على الحقيقة وهي الاستلاب [illegible]

[illegible]

من تلك النفس الواحدة ثم تخلقها من تراب من الخلق ما لو تركهم جميعا لم يفقهم ولم تمنهم لا مثال الشيء
ثم قدر على إنشاء هذا الخلق من نفس واحدة لقادر على إعادتهم والله أعلم ويحتمل أنه يقول إنا خلقناهم من
طين لازب منها نعيد فيه ولا يحتمل أن يكون المقصود من إنشائهم إفناؤهم دون عاقبة إذ لا يفعل ذلك إلا
السفيه وقد عرفتم عز وجل أنه أحكم الحاكمين فثبت أنه خلقهم لدار أخرى ويحتمل أنه يقول إذ قدرتم
أنه أنشأكم من تلك النفس التي أنشأها من طين لازب أو من تراب فما أنكرتم إعادتكم من مثل تلك الطين
يجوز أن يخرج تأويل هذه الآية على هذه الوجوه والله أعلم قوله تعالى بل عجبت ويسخرون قرئ برفع
التاء ونصبها جميعا عن شقيق وابن سلمة قال قرأت عند شريح فقال إن الله عز وجل لا يعجب من شيء إنما يعجب
من لا يعلم قال الأعمش فهو الذي رواه عن شقيق فذكرت ذلك لإبراهيم فقال إن شريحا كان يعجب بعلمه
عبد الله بن مسعود كان أعلم منه وكان يقرؤها بالرفع بل عجبت قال رحمه الله فإن ثبت ذلك وصح فإنه

العجب الى الله تعالى هو في الشاهد انما يكون لظهور عظيم ما كان خفيا عليهم مستتر عند ذلك يقع
العجب فهو جل الله تعالى اذ كان لا يحتمل ان يخفى عليه شيء فذلك لعظيم ما كان منهم من الانكار من قدر
على انشاء الخلق والجحود في ذلك فيكون ما ذكر من حرف التعجب منه كناية عن الانكار والردع كقوله
تذلك تمثل لما اضاف من الامتحان الى نفسه وانما كان في الشاهد لاستعمال في استظهار ما خفي عليه
واستتر منهم ثم هو من الله تعالى يخرج على الامر والنهي عن الامتحان فيطلق احد المعنيين الذين كانا له في الشاهد
فعلى هذا ذلك اضافة العجب الى الله تعالى اراد به الانكار منه عليهم والردع لقولهم والله اعلم ومن الناس من انكر
هذه القراءة قال ولا يجوز اضافة العجب والتعجب الى الله تعالى لما هو لم يزل عالما بما يكون وهو في الشاهد يكون
لظهور عظيم الامر الذي كان يجهله لكن هذا وان كان في الخلق ما ذكر فهو من الله تعالى على غير ذلك على ما
ذكرنا وقد ظهرت اضافته الى الله تعالى بقوله وان تعجب فعجب قولهم وقد روي في الخبر لقد عجب الله تعالى البارحة
من فلان وفلانة فقد يخرج على الانكار عليهم والرد لعظيم ما انكروا وقال الزجاج رحمه الله
ان حرف العجب انما يكون عند ظهور العجب من الامر وعند عظيمه فاما ما اضيف الى الله تعالى فهو على الانكار
والرد على من انكر عظيما من الامر ظاهرا او كلام نحو هذا والله اعلم ويحتمل معنى آخر وهو ان يقال الا هو بل عجبت
اي جعلت ما انزلت عليك من القرآن والوحي امرا عجيبا ويحتمل ان يقال كان في رسالتك من كذبهم بالآيات امرا
عجيبا وهم يسخرون ومن الناس من قال في قوله بل عجبت بنصب التاء فيما اضيف الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي عجبت من هذا القرآن حيث اعطاك الله تعالى اياه ويسخر منه اولئك الكفرة ويحتمل قوله بل عجبت
تعني كثرة قيام الآيات والحجج عليهم في ذلك وهم ينكرونها ويسخرون او يقول عجبت مما انذرهم لعظيم ما ينزل بهم
من العذاب وما يستقبلهم من الامور المهمة وهم يسخرون لعظيم ما ينزل بهم من العذاب وما يستقبلهم من الامور
المهمة وهم يسخرون وقوله تعالى واذا ذكروا لا يذكرون وعن ابن عباس رضي الله عنه قال واذا وعظوا لا يتعظون فالموعظة
والتذكير واحد وقال قتادة واذا ذكروا لا يذكرون اي لا ينتفعون بالموعظة على ما ذكرنا في قوله صم بكم عمي
فهم لا يرجعون اي لا ينتفعون بتلك الحواس وان كانت لهم تلك الحاسة لم يجعل ذلك فعلى ذلك هذا ويحتمل
ان يكون على حقيقة التذكر ما نسوا من الآيات والحجج يقول انهم واذا ذكروا ما نسوا وتركوا واغفلوا عنه لا يذكرون وقوله
تعالى واذا راوا آية يستسخرون اي واذا نزل عليهم آية على سؤال منهم يستسخرون ويستهزئون ويخبر عن
سفههم انهم وان سألوا الآيات فانهم لا يسألون سؤال المسترشد ولكن يسألون سؤال عناد وتعنت
كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا وهو كقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون
ثم في ذلك ما ذكر من عنادهم وسفههم وجعل ذلك مذكورا في آيات من القرآن يتلى ابدا وجهان من الحكمة احدهما
انه صير ذلك لرسالته عليه السلام لانه معلوم انهم كانوا على ما اخبر منهم من العناد والسفه وعلى ذلك الخصوم ونظيره
وانه اخبار عن الغيب ولم يطلع على الغيوب من الكائنات في المستقبل دل انه بالله عرف ذلك وبوحيه علمه ولنا
يصير لنا والله اعلم اذا سلفنا في سفه اولئك الكفرة وعنادهم وما قاسوا منهم وما لحقهم من الاذى والضرر
والسؤال لا يضيق صدورنا في سفه من سفه علينا من اهل الفساد والفسق وان لا نترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لسفه السفيه ولا اذى المؤذي ولا نسوء القال بل يجب علينا ان نتأسى بسلفنا ونقتدي بهم فان
اصابنا من الاذى والسفه [illegible] وكان [illegible] كل فسق وسوء على ما فعل اولئك [illegible]
وانكر هو بطباعهم لاقامة حدود الله فيحمل على سفههم اياه والله اعلم والاول يكون في ذكر ما ذكر من
هذه الحكمة ونحوها كان لا معنى لذكر سفه اولئك وعنادهم وجائز ان يكون في ذكر سفههم ابطالا في نفسه
حكمة ودليلا لنفي على ما قال بعض الناس ان الكذب يجوز ان يكون دليل الصدق وكلام السفه والباطل
الحكمة والله اعلم ثم قوله يستسخرون قال بعضهم يسخرون وقال بعضهم يستسخرون اي يطلبون من اتباعهم
السخرية اعني القادة على الاتباع وقوله تعالى وقالوا ان هذا الا سحر مبين كان هذا القول من الشيطان او من
الكفرة الرؤساء حتى يموهوا على اتباعهم عندما عظم وكبر من الآيات لما كانوا يعلمون انه لا كل احد يعرف السحر ويتهيأ
اتيانه وفعله يلبسون ذلك على اتباعهم ليقع ذلك عندهم انها سحر لا آية والله اعلم وان كان سحرا حقيقة لكان
آية من آيات الرسالة فكيف وكان آية وذلك لما كانوا يعلمون انه لم يختلف الى احد ممن له معرفة السحر ولا تعلم
ولا نظر في السحر فلو كان ذلك سحرا وقد ظهر منه من غير تعلم ومن غير مباشرة اسبابه وتحصيل الآلة يعرف
بالله عرف ذلك وقد ظهر ذلك فحقق على نقض العادة ونقضها عند دعواهم الرسالة وهو ما ذكر ان الآية
الاعجم اللسان ففي تحمل آية للرسالة نحو رسولنا عليه السلام لم يختلف الى احد ممن له المعرفة بذلك ثم اخبر

عن كتبهم دل انه عرف بالله تعالى فعلى ذلك السحر والله اعلم وقوله تعالى وقالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا
لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون امر الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام ان يجيبهم في جواب سؤالهم
هذا بقوله نعم وانتم داخرون ولم يذكر لهم شيئا من الحجاج سوى قوله نعم فلانهم قالوا ذلك على العناد والمكابرة
وقد علم منهم انهم لا يؤمنون وقد تقدم عليهم الادلة والبراهين على الاحياء بعد الموت والله اعلم وقوله وانتم
داخرون اي صاغرون كقوله ترهقهم ذلة والله اعلم وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة يحتمل وجهين احدهما
اي هو زجرة واحدة يخبر عن سرعة قيامها ولا يحمل على حقيقة ذلك لكن يخبر عن خفة ذلك على الله تعالى وهوانه
عليه فان ذلك هين عليه على تقدير عقولهم كزجر منكم زجرة واحدة وهو قوله كن فيكون سبحانه من تكوين
العالم وايجاده من غير ان كان منه كاف او نون او شيء من ذلك لانه اخف كلام على الالسن يؤدى به المعنى ثم
المراد فعلى ذلك هذا ان يكون قوله زجرة واحدة اخبارا عن سرعة ذلك وخفته عليه وهو انه عنده من غير ان
يحمل الزجرة سبب الاحياء او سببا من ذلك والله اعلم وقوله تعالى فاذا هم ينظرون يحتمل قوله فاذا هم ينظرون
الى ماذا يؤمرون وعماذا ينهون لانه الذي لصاحبهم في الآخرة انما كان لتركهم الامر في الدنيا فاذا كانوا عاينوا ما وعدوا
في الدنيا بتركهم الامر ينظرون عند ذلك الى ما يؤمرون وينهون والله اعلم ويحتمل فاذا هم ينظرون اي ينظرون
كالمتحيرين لانهم كانوا ينكرون البعث ويكذبونه فاذا عاينوا ذلك كانوا كالمتحيرين ومن يتحير فهو كذا الامر
المتعارف في الخلق ان من انكر شيئا او كذبه ثم يخبر به او عاين ذلك يتحير ويصير فهذا مثله والله اعلم وقوله تعالى
وقالوا يا ويلنا هذا كلام يقال عند الوقوع في الهلاك والعذاب وقوله هذا يوم الدين يحتمل يوم الدين اي
يوم الحساب ويوم الجزاء وهو كقوله لمن الملك اليوم الدين ويحتمل هذا يوم الدين اي هذا يوم ينفع من كان معه
الدين والدين المطلق هو دين الله تعالى وكذلك السبيل المطلق هو سبيل الله تعالى اي هذا يوم الدين اي يوم يدان
فيه بعضهم من بعض في المظالم والحقوق وقوله تعالى هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قوله يوم
الفصل يوم الفصل والحكم كقوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة اي يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون والله اعلم ويحتمل يوم الفصل لانه يفصل بينهم اي يفرق بين اهل الايمان واهل الكفر
وبين الخبيث والطيب كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله فريق
في الجنة وفريق في السعير وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشكالهم وقرناءهم من الجن ومن
الشياطين او من الملائكة اذ يجمع بين من كانوا يجتمعون في الدنيا ويستحبون الاجتماع معهم اي يجمعون
في العذاب في الآخرة على ذلك كما وعد اهل الايمان في الجنة الاجتماع بينهم والالحاق على الذريات والولد
الغلمان والولدان يطوف عليهم على ما كانوا يستحبون الاجتماع في الدنيا على ذلك كما اخبر الله تعالى هم وازواجهم في
ظلال على الارائك متكئون الآية فعلى ذلك يجمع بين اولئك وقرنائهم في جهنم وهو كقوله ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وكقوله في السلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون
ونحوه والله اعلم وقال ابو عوسجة وازواجهم اشكالهم تقول زوجا بلى اي قرنت احدا باخر ويزوج الشيء
نظائر الشكل فيقال الضد وهو اسم لهما على الاشتراك وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم اي ينعتوا
لهم طريقا الى النار وهو كقوله ونسوق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون يحتمل ان يكون
الوقف للحساب ومعنى قوله مسئولون اي محاسبون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان دون الحساب
يوم القيمة كذا وكذا موقفا في كل موقف مقدار كذا وكذا عاما ثم تلا هذه الآية ويحتمل الوقف للسؤال
عما عملوا لماذا اي يسألون ماذا عملوا ويحتمل الوقوف للسؤال والمخاصمة بعضهم بعضا فيما بينهم
والمراجعة في القول كقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول
الى آخر ما ذكر وكقوله تعالى وقالت اخراهم لاولاهم كذا على ما اخبر انه يجري فيما بينهم من الخصومة والمراجعة
في القول والملامة والله اعلم وقوله تعالى ما لكم لا تناصرون اي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كنصركم
في الدنيا ويحتمل قوله ما لكم لا تناصرون اي ما لكم لا ينصركم الاصنام التي عبدتموها في الدنيا رجاء
النصر والشفاعة كقوله تعالى هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يخبر من
من نصر لمن عبدوهم على رجاء النصر والشفاعة لهم وقوله تعالى بل هم اليوم مستسلمون اي خاضعون لله تعالى لما
علموا ان لا يكون النصر والعون لهم من غيره فعند ذلك مستسلمون في عذابه وقال ابو عوسجة مستسلمون اي قد
ذلوا واعطوا بايديهم يقال استسلم الرجل اذا اعطى بيده واستسلمته تركته لم اعنه ولم انصره وقوله تعالى واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون الآية قال بعضهم اقبلت الانس على الجن وقال بعضهم اقبلت الانس على
الشياطين قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال بعضهم اي تدعوننا من قبل الخير والطاعة وقال بعضهم من قبل

الدين والتوحيد يحضرون ذلك سائر الناس يحولون بيننا وبينه بالشبهات وقال بعضهم بالحق ثم يصورون الباطل بصورة من اغوينا ونحو ذلك فردا وكذبت عليهم كما اخبر الله تعالى بقوله وما كان لنا عليكم من سلطان من تسلط اي ما كان لنا عليكم من حجة وبرهان الزمناكم به ذلك بل اطعتمونا طوعا واستجبتم بما دعوناكم وهذه المناظرة والمجادلة فيما بينهم كمناظرة ابليس اللعين في موضع آخر مع الكفرة حيث قال تعالى خبرا عنه وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم الاية اي دعوتكم بلا حجة وبرهان فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم فعلى ذلك يقول هؤلاء بل لم تكونوا مؤمنين باختياركم تركتم الايمان بلا تسلط ان وحجة علينا وكمناظرة القادة مع الاتباع حيث اختصموا بعقولهم قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا الاية وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لنا عليكم من سلطان الاية ويحتمل قوله قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من جهة الدين قلتم انكم على الحق وانكم مؤمنون ونحو ذلك ويحتمل الاعلى حقيقة اليمين لكن المراد انكم كنتم تأتوننا من كل جهة كقول اللعين ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم لا على ارادة ما ذكر من الخلف واليمين والشمال الى القدام ولكن على ارادة الجهات كلها والله اعلم وقال ابو عوسجة كنتم تأتوننا عن اليمين اي تخدعوننا وتفتنوننا عن طاعة الله وقوله تعالى وما كان لنا عليكم من سلطان قد ذكرنا اي لم يكن ابتليتكم انا ناقهرناكم لنا بحجة وبرهان اقمناه عليكم حين دعوناكم اليه بل كنتم قوما طاغين اي بطغيانكم اتبعتمونا لا بحجة فلا تلومونا ولوموا انفسكم والله اعلم ثم اخبر تعالى انهم قالوا فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فيشبه ان يكون هذا قول الاكابر والمتبوعين منهم للاصاغر والاتباع اي حق علينا قول ربنا قال بعضهم اي وجب علينا وعليكم عذاب ربنا ويشبه ان يكون نعيد الذي اخبر انه حق عليهم وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقوله تعالى فاغويناكم انا كنا غاوين يحتمل ان يكون هذه المعاتبة التي كانت بين الاتباع والمتبوعين من الانس كقوله وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا الاية وكقوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا الاية ويشبه ان يكون بين الانس والشياطين ثم قوله اغويناكم يحتمل اغويناكم حتى اخترتم الغواية والضلالة ادعيتم انا استولينا على الهدى ولم نقم عليكم الحجة فاتبعتمونا لعلمكم منكم انا على الغواية فاغويناكم بجنسه ولا نعلم الضلالة كالغواية الضلالة وقوله تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يخبر انهم جميع الاتباع والمتبوعين في العذاب مشتركون ليس انهم يشتركون في نوع من العذاب ولكن يجمعون جميعا في النار ثم لهم العذاب على قدر جرمهم وقوله تعالى انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابو عوسجة الاجرام الجرم وهو الذنب في المعصية القادح فيها اي الحريص والله اعلم وقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون هو على الاضمار اي انهم اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون ويحتمل اي انهم كانوا اذا قيل لهم اتركوا عبادة الاصنام واصرفوا عبادتكم الى الله الذي هو في الحقيقة اله يملك النفع ودفع الضر يدلك عليه قولهم ائنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون لما دعوا الى ترك عبادة آلهتنا يقول شاعر مجنون ثم قوله يستكبرون يحتمل ان يكون الاستكبار لا على هذه الكلمة ولكن يستكبرون عن اتباع القائلين بها وقولهم لا اله الا الله وكقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقولهم لولا انزل عليه الذكر من بيننا كانوا يستكبرون وبعثوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عبادة العرب من العباد ولا تستكبروا الكلمة كذلك تعالى ما قالوا والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من استكبارهم الاستكبار على هذه الكلمة بحقيقته فيخرج استكبارهم عليها انكارا منهم لهذه الكلمة وجحودا لها كقولهم اجعل الآلهة الها واحدا وما ذكر على اثر ذلك وهو ما اخبر عنهم بقولهم ائنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون وذكر ان نفرا من قريش اتوا ابا طالب فقالوا له ما يريد ابن اخيك محمد فدعاه وقال ما تريد منهم يا ابن اخي فقال لهم يا عم انما اريد منكم كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم وفي بعض الروايات انما اريد منكم كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدي اليكم بها العجم الجزية فقالوا وما هي فقال لا اله الا الله واني رسول الله فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا وذكر انهم قالوا ائنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون فدلت القصة على الامرين ثم الاية فيمن يقر بالصانع ليس فيمن ينكر الصانع وانما يكون الدهرية حيث نفي الالوهية لمن دونه واثبتها لنفسه بقوله لا اله الا الله ولو كان نحو ذلك مع اهل الدهر لكان لا معنى لنفي الالوهية عن غيره بل اثبتها لنفسه فدل ان الاية فيمن يقر بالصانع لكن يشرك غيره فيه وهو مشركو العرب والله اعلم وقوله تعالى ويقولون ائنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون اي نترك عبادة الهتنا بقول شاعر مجنون جمعوا بين المتضادين لان الشاعر هو الذي يبلغ في المعرفة غايته وفي العلم نهايته ثم جمعوا بينهما في رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا قولهم انه ساحر وانه مجنون فالساحر هو الذي

بلغ السحر طبائع الاشياء غايته وفي الحذاقة والمهارة نهايته والمجنون في غاية الجهل والغفلة فدل انهم انما يقولون ذلك عن عناد وتعنت والله اعلم وقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين قال بعضهم بالحق الذي لله عليهم ولبعضهم على بعض واصل الحق ما يحمد على فعله وقوله وصدق المرسلين اي صدق اخوانه من المرسلين الذين كانوا قبله في الحق جاء بالحق وقوله تعالى انكم لذائقوا العذاب الاليم اي بالتكذيب والرد لذلك كله وقوله تعالى وما تجزون الا ما كنتم تعملون اخبر انهم لا يجزون الا بمثل جزاء عملهم ثم استثنى المؤمنين بقوله الا عباد الله المخلصين وعلى هذا الوجه يكون استثناء حقيقة ويحتمل ان يكون الاستثناء من قوله وما تجزون الا ما كنتم اي المؤمنين لا يجزون ما كانوا يعملون لكن يعطون النعم في الآخرة على الابد تفضلا من الله تعالى فان الثواب عندنا بطريق الفضل لا بمقابلة العمل استحقاقا اذ العباد ابتلوا بشكر ما انعم عليهم من النعم في الدنيا من قضاء حقها عليهم لا يستوجبون شيئا من جزاء الكرم بمقابلة العمل عقلا فيتقدر بقدره ولا يحتمل العفو ولا اسقاط الحكم على المعروف في موضعه وعلى قول بعض اصحاب الحديث الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق دخول الجنة والنار حتى ادخال الله تعالى الانبياء والاولياء في النار وادخال الابالسة والكفرة في الجنة على الابد جائز عقلا لكن ورد الوعد والوعيد فوجب بعينه لا بطريق الجواز فقالت المعتزلة كلاهما بطريق الاستحقاق فيكون ظاهر الاية من حيث ان الاستثناء على موافقة المستثنى منه حجة لهم لكن جوابه ما ذكرنا ان المراد به الابتداء وذلك جائز في اللغة سائغ في القرآن وفي الاستثناء كل والله اعلم وفي قوله الا عباد الله المخلصين بنصب اللام دلالة انه قد كان من الله تعالى لطف به استوجبوا الاخلاص والخصوصية حيث اضاف الى نفسه وسماهم مخلصين بما اعطاهم الاخلاص وهو نقض على المعتزلة قولهم ثم بين ما اعد للمخلصين فقال اولئك لهم رزق معلوم والاشكال انه كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله يرزقون فيها بغير حساب فيقول قال بعضهم عنى بالمعلوم اي يرزقون بالمعلوم المقدر بحيث يشتهونه وان كان جميع ما يرزقون فيها غير محدود ومقدر بلعته تتناهى الرزق في الجنة وما لا يتناهى في الجنة لا يدخل تحت الحساب والتحديد ويحتمل ان يكون المراد بقوله يرزقون فيها بغير حساب وصف لها بالكثرة وقد يوصف الشيء بالكثرة فيقال لا يحصى لا يحصى كما هو في نفسه معلوم محدود فيكون هذا وصفا الكل لما يرزقون فيها بالكثرة وان كان ذلك معلوما في نفسه والله اعلم ويحتمل بالمعلوم وهو ان يصير الموعود لهم في الدنيا من الرزق في الجنة بقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ان يكون ذلك معلوما في الجنة عند الوصول اليهم بطريق العيان كالمشاهدة والله اعلم وقوله تعالى فواكه وهم مكرمون اي معظمون مشرفون وقوله تعالى في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين يخبر ان لهم في الجنة ما يشتهون ويختارون في الدنيا من الجلوس على المواجهة والمقابلة مع الاحباب والشرب على ذلك قيل الكأس هو قدح فيه شراب قال الله تعالى وكأسا دهاقا اما بغير الشراب فيسمى قدحا لا كأسا وقوله من معين قال بعضهم هو الجاري كانه يخبر ان خمور اهل الجنة تجري في الانهار كقوله وانهار من خمر لذة للشاربين وقال ابو عوسجة المعين هو الماء الطاهر الذي يقع عليه البصر ولا يحول شيء وهو كقوله فمن يأتيكم بماء معين او ظاهر وقوله تعالى بيضاء لذة للشاربين وذكر ان خمور اهل الجنة بيضاء لان البياض يظهر ما فيه من الاذى والآفة ويروى ما في غيره من الالوان تحت ما يرى الا بجهد ويحتمل انما ذكرها بيضاء لان البياض احسن الالوان في الطبائع كلها فان الطبائع مع اختلافها اتفقت على استحسان البياض وقوله لذة للشاربين قال الزجاج في الخمر لذة النفس الروحانية لا الجسمانية الا ترى ان الخمر يشربها الناس ويظهر كراهة ذلك في وجوههم من العبوسة وغيرها ثم مع ذلك يعودون في شربها لما فيها من لذة لا لهذا النفس الجسمانية ولكن للنفس الروحانية او كلام نحو هذا وقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون قوله لا فيها غول اي لا وجع فيها ولا ضرر ولا اذى وقيل لا فيها غول اي لا غائلة لها اي الصداع الذي لا ينجع معها الرأس وقال ابو عوسجة اي لا تسكر ولا تضر ولا يكون لها عاقبة الا من الحدث والغيلة في الاولاد وهو ان ترضع المرأة ولدها وفي بطنها ولد آخر والغول التلون ولذلك سميت الغول غولا لانها تتلون والغول لا تجمع ومعنى الاية لا فيها غول اي لا تغتال عقولكم فتذهب بها كما في الخمر في الدنيا من الحرب وغول النفوس وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون قرئ بنصب الياء وكسر الزاي وبرفع الياء ونصب الزاي وبرفع الياء وكسر الزاي فمن قرأه برفع الياء ونصب الزاي فهو قراءة العامة اي لا تنزف الخمر عقولهم اي لا تذهب بها والعرب تقول نزف فلان حتى يرفع عقله اي فلم يعقل من سكره ويقال للسكران نزيف ومنزوف ومعنى هذا في الاية اي لا يسكرون من شرب خمر الجنة كما يسكرون من شرب خمور الدنيا ومن قرأ برفع الياء وكسر الزاي فله معنيان احدهما اي لا ينفد شرابهم كما يقال انزف القوم اذا نفد شرابهم ومعنى الاية اي هذه النعمة لهم دائمة لا تنفد كما لاهل الدنيا اذا الحذفوا في الشرب لا يتركون شرابهم الا الاحمق الحليس لما الذهاب بعقولهم وذلك عند سكرهم

والا السعادة شرابهم فاخبر ان اهل الجنة شرابهم لا يفسد ولا يذهب بالعقول والثاني لا ينزفون اي لا ينفد
ومنه قول الشاعر: لعمري لئن انزفتم او صحوتم ° لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ° ومن قرأ بنصب الزاي وكسر الزاي
الكسائي من قرأ كذلك فانه يأخذه من قولك نزفت البئر اذا استقيت ماءها كله فلم يترك فيها شيئا والله اعلم
وقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف ° اي لا ينظرن الى غير ازواجهن يقال قصرت طرفها على زوجها اي حبسته
ومنه قوله حور مقصورات في الخيام ومعناه ان الله تعالى جبل البشر على الغيرة لا يستحسن الرجال ان ينظر ازواجهم
الى غيرهم ولا النساء ان ينظر ازواجهن الى غيرهن فاخبر تعالى ان ازواجهم في الجنة لا ينظرن الى غير ازواجهن حفظا
لمرضاتهم فلا ينغص عليهم تلك النعمة كما في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى عين ° قال بعضهم اي واسعات العيون والحسان
لان السعة في العين من الحسن وحلول الحدق لا يكون فيها جمال بل فيه قبح وقال بعضهم عين اي حسان العيون
والعيون جملة الحسن وقوله تعالى كانهن بيض مكنون ° اي بيض مستور لا يصيبه مطر ولا ريح ولا غبار
ولا شمس ولا شيء مما يصيب في الدنيا كقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال بعضهم بيض مكنون اي بيض
قد حضن واكن من الحر والمطر فلم يتغير وهو مثل الاول وقال بعضهم بيض مكنون اي كبيض النعام الذي
تكنه الريش من الريح وغيره وهو ابيض الى الصفرة كانه يبرق فذلك المكنون فكان هذا تشبيها ببيض النعام
وقال بعضهم كل شيء مهين بالبياض الذي يكون بين القشر وبين المح وهو ابيض شيء والله اعلم لكن في الآية
وصفهن بالجمال والبهاء والحب لازواجهن وقال بعضهم البيض المكنون اي المصون وصفهن بالصون
والصيانة كقوله حور مقصورات في الخيام والله اعلم وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين الآية ما ذكر في بعض القصة ان رجلين شريكين كان
لهما ثمانية آلاف دينار وذكر ايضا انهما كانا اخوين ورثا ثمانية آلاف دينار فاقتسماها وقيل ان نحو الف
دينار وذكر ايضا انهما كانا فعمد احدهما الى ماله فاشترى به قصورا وبساتين وفرشا وجواري وتزوج نساء
فانفق ذلك في امر الدنيا ونعيمها وعمد الآخر الى ماله فانفقه في طاعة الله وابتغاء مرضاته وطلب النعمة
الدائمة في الآخرة هذا مؤمن مطيع والآخر كافر عاص ثم اصاب الذي انفق ماله في طاعة الله حاجة شديدة
فتعرض لصاحبه هذا الغني اذ النعمة معروف فاتاه فسأله ان يعطيه شيئا وقال له ما شأنك وما
ما فعلت بمالك فاخبره بما فعل به فقال ائنك لمن المصدقين ايها المؤمنين بالبعث ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمدينون يعني لمحاسبون نخرج عنه ثم تقضي بها [illegible] ذلك شأنهما هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم وهو المؤمن حين ادخله الله تعالى الجنة اني كان
لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث بعد الموت ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي محاسبون
والدين الحساب وقيل لمجزيون كما قال ابن عوسجة والقتبي والدين الجزاء وقوله تعالى قال هل انتم مطلعون
كان هذا الرجل المؤمن قال لاصحابه في الجنة هل انتم مطلعون في النار لتنظروا ما حال قريني ثم اخبر انه
اطلع في سواء الجحيم فلم يذكر اطلاع اصحابه انهم هل اطلعوا الى النار ورأوه كما رأى هو فيحتمل انهم كانوا نصبين
جميعا اليه ورأوه لكن اخبر هنا عن اطلاع كل واحد منهم في نفسه وهو كقوله يا ايها الانسان انك كادح
ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فان هذا خطاب لكل انسان في نفسه وان كان اللفظ واحدا من حيث
الصيغة لتعميمه بلام الجنس عموم الانفراد فيحكي ذلك هذا الخبر عن اطلاع كل واحد منهم قوله في سواء الجحيم
كقوله سواء السبيل يعني وسطه ثم في الآية شيئان عجيبان احدهما ما ذكر من اطلاع اهل الجنة على اهل النار
انما يكون قريبة من الجنة حتى ينظر بعضهم بعضا ويرون ويكون بعيدة منها الى ابصار اهل الجنة ويكون ابصار
وانفذ مما يكون في الدنيا فجائز ان يكون يجعل الله تعالى ابصار اهل الآخرة انفذ وابصر حتى لا يحجبها شيء ولا
بعد المسافة والمكان عن النظر والرؤية والله اعلم والثاني انه كيف تعرفه في النار وقد اسود جلده وتغير وجهه
ولونه وجميع اعلامه وسماته لكن جائز ان يكون الله تعالى يعرفه باعلام يجعل له فيعرفه بتلك الاعلام وذلك
على الله يسير والله اعلم وقال اهل التأويل يقولون ان الله تعالى يجعل لاهل الجنة كوى الى النار ينظر احدهما الى
النار فتح الله له كوة ينظر الى من يشاء من معتقد في النار يزداد بذلك شكرا وفرحا برؤيته عدوه في العقوبة
وقوله تعالى قال تالله ان كدت لتردين ° اي قال هذا المؤمن لقرينه الكافر حين اطلع ورآه في سواء الجحيم تالله
ان كدت لتردين اي همت لتغويني بقولك اترك دينك واتبعني لو اجبتك واتبعتك فيما دعوتني اليه لتردي
اي لتهلكني يقال ارديت فلانا اي اهلكته والردى الموت والهلاك وهو نقل ابن عوسجة وقوله تعالى ولولا
نعمة ربي لكنت من المحضرين ° ثم اخبر هذا الرجل المؤمن وقال لولا ان الله تعالى انعم علي بالهدى ولولا الله رحمني
كنت من المحضرين مع صاحبي في النار اخبر هذا الرجل انه بنعمته ورحمته اهتدى وانه لو لم يكن نعمه ورحمته على الحضور

الركن فيحق صاحبه لكان من المحضرين في النار معه وهو اخبر [illegible] وكذب من المعتزلة لانه [illegible]
هل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم وقال في موضع آخر [illegible]
جاءت رسل ربنا بالحق [illegible] في القرآن انهم جميعا [illegible] الهداية [illegible]
[illegible] والمعتزلة يقولون [illegible] على الله تعالى هداية كل احد [illegible]
هدى كل كافر ومشرك لكنهم لم يهتدوا [illegible]
[illegible] الرجل الذي هو من الجنة [illegible] لا شك [illegible] اهل الجنة قالوا
كما اخبر تعالى عنهم بقوله وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى [illegible]
[illegible] الا موتتنا الاولى [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] الاستفهام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقال بعض اهل الكفار ان محمدا يخوفنا بشجرة من النار والنار طبعها انها تحرق الشجر وتأكلها فكيف تكون
في النار الشجرة تكذيبا منهم له فانبأ الله عز وجل عن تلك الشجرة وجعل لها فقال انها شجرة تخرج في
اصل الجحيم اخبر ان تلك الشجرة خرجت من اصل الجحيم وانشأت منها والشجرة التي تنشأ من النار لا تأكلها
ولا تحرقها كما تأكل غيرها من الاشجار التي لم تنشأ منها ومثل هذا جائز ان يكون الشيء الذي نشوؤه وبدؤه
من شيء لا يهلكه كونه فيه وذلك نحو السمك الذي يكون اصل نشوئه في الماء لا يهلكه الماء وكذلك جميع دواب البحر
وان كانت دواب البر تهلك فيه وتتلف فعلى ذلك [illegible] فعلى ذلك الشجرة المنشأة في النار لا يهلكها
النار ولا تحرقها وان كانت تحرق غيرها من الاشجار والله اعلم والجحيم معظم النار وغلظها يقال الجحمة
النار اي عظمتها ويقال نار جاحمة اي عظيمة وقوله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين اختلف اهل التأويل
فيه قال بعضهم ان نوعا من الحيات تسمى شياطين لها اسود قباح ولها عرف كعرف الفرس يشبه طلع الشجرة بها
لقبحها او سوادها برؤوس تلك الحيات والله اعلم وقال بعضهم هو نوع من النبات بالبادية تستقبحه الناس
الاستقباح شبه طلع تلك الشجرة وثمرها بذلك النبات وقال بعضهم ان جبال الامكنة سود قباح يستقبحها
اهل مكة سموها شياطين شبه طلع تلك الشجرة وثمرها برؤوس تلك الجبال وقال بعضهم بل هذا على حقيقة
رؤوس الشياطين وقالت الملحدة في هذا التشبيه خلل لانهم لم يروا رؤوس الشياطين كما لم يروا طلع
تلك الشجرة وانما يمثل الشكل بالواضح لا بالمشكل اذ لا يتبين الا الاشكال لكنا نحن نقول بان التمثيل صحيح لان الله
عز وجل جعل الشياطين في قلوبنا وقلوب الكفرة فضل بغض وزيادة قبح وفساد في الطباع وانهم لم يروها
وبلغتهم امثالهم من الرسل والحكماء وانما الله تعالى جعل بغضها في قلوبهم ضرورة فشبه طلع تلك الشجرة
برؤوس الشياطين لفضل بغضهم اياها لحقيقة فيكون تشبيها صحيحا وليس طريق المعرفة مقصودا على العيان
والله الموفق ثم في هذه الآية دلالة عظيمة على اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم لم يروا ابصرهم الشياطين
ولا عرفوها فانما عرفوهم باخبار الرسل عليهم السلام وبها استنكروهم واستقبحوهم وهم قوم لا يؤمنون
بالرسل عليهم السلام فاذا قبلوا اخبار الرسل فيهم لزمهم ان يقبلوا قول رسولنا صلى الله عليه وسلم في جميع
ما اخبر من الرسالة والله اعلم وقوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين ° كنى بالهاء عن الشجرة اي جعلنا تلك
الشجرة التي تنشأ في اصل الجحيم وهي شجرة الزقوم فتنة للظالمين اي عذابا لهم والفتنة تذكر بمعنى العذاب
كقوله تعالى يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم ويحتمل انا جعلناها اي تلك الشجرة فتنة للظالمين في الدنيا
وجعلها الفتنة عليهم هو انكارهم اياها من الجهة التي ذكر ان النار تحرق وتأكل فكيف ينبتون فيها شجرة
تكذيبا وما ذكر بعضهم ان ابا جهل [illegible] الزقوم هو التمر والزبد فلذلك فتنة لما ذكرنا وسببا لعذابهم والله اعلم
فانهم لآكلون منها ° انها شجرة الزقوم التي تخرج في اصل الجحيم وقوله تعالى فمالئون منها البطون
[illegible] انه يشتد عليهم الجوع حتى يأكلوا منها ويملؤوا بطونهم ثم يشربون شرب الهيم وهي الابل العطاش

التي تملأ بطونها من الثمار لا يغني بطونهم ذلك بل يطوي بطونهم ذلك الشرب هو الحميم ولا يدفع عنهم العطش
الذي يكون بهم فعلى ذلك ما جعل الله من طعامهم من تلك الشجرة كقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم أنهم
وإن ملأوا بطونهم فإن ذلك لا يدفع عنهم الجوع كقوله لا يسمن ولا يغني من جوع وقوله تعالى ثم إن لهم عليها
لشوبا من حميم أي ثم إن لهم على تلك الشجرة التي جعلت طعامهم منها لخلطا من حميم ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم
أي ثم إن مردهم إلى الجحيم لأنهم مردودون إلى الجحيم لأنهم لا يرجعون بأنفسهم لكنهم يردون فيها بعد
ما ذاقوا من تلك الشجرة إذ النزل لما تقدم قبل العصو لما أعد لهم النزل كقوله أدخلوا آل فرعون أشد العذاب
وقوله يوم يدعون إلى نار جهنم دعا وما قال ادخلوا أبواب جهنم لا يدخلون ولكن يدفعون فيها لما ذكرت
وفي حرف ابن مسعود رضي ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم والجحيم هو معظم النار وعلى ما ذكرنا وقوله تعالى إنهم ألفوا آباءهم
ضالين أي وجدوا آباءهم ضالين فيما ذكر من العذاب للأتباع منهم لا للمتبوعين فإنه لم يذكر المتبوعين في الآية
حيث قال إنهم ألفوا آباءهم ضالين بل يكون عذاب المتبوعين أشد وقوله تعالى فهم على آثارهم يهرعون قال
بعضهم يسرعون وهو شبه الهرولة والإهراع الإسراع قال أبو عوسجة والقتبي وقال بعضهم يهرعون أي
يسعون وهما واحد وقوله تعالى ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين يقول والله أعلم لقد ضل قبل قومك أكثر الأمم
الخالية من زمن آدم إلى زمانك هذا وقوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين أي لقد أرسلنا في الذين ضلوا
قبل قومك منذرين ينذرونهم ما من قوم إلا بعث إليهم منذرين كما أرسلنا إلى قومك وقوله تعالى فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين يقول والله أعلم انظر كيف صنعنا بمن كذب بالعاقبة فلم يؤمن ولم يقبل ولم ينفعه
النذارة وقوله تعالى إلا عباد الله المخلصين استثنى المخلصين منهم وهم الذين نفعتهم النذارة وعملوا
فنجوا مما ذكر من عذابهم والله أعلم ويحتمل سماهم مخلصين لما اصطفاهم الله تعالى وأخلصهم لعبادته
وقوله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون قال بعضهم نادى نوح عليه السلام ربه وهو ما دعا به
فقال أني مغلوب فانتصر فكأنه إنما دعا ربه بالهلاك على قومه فأجاب الله تعالى دعاءه وهو ما قال ففتحنا
أبواب السماء بماء منهمر إلى آخر ما ذكر ثم خص الرسل عليهم السلام بأمرين من سائر الناس أحدهما أن لا يسأل
الدعاء على قومهم بالإهلاك إلا بعد الإذن لهم من الله تعالى بالدعاء عليهم فنوح دعا إنما دعا ربه بالإ
الهلاك عليهم بالإذن من الله تعالى والثاني لم يكن لهم الخروج من بين أظهرهم عند نزول العذاب بهم إلا بإذن
الله تعالى وكذلك جاء العتاب ليونس عليه السلام في التغيب لما خرج من بين قومه عند نزول العذاب بلا إذن
كان لهم من الله تعالى بالتنصيص على ذلك حيث قال وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فهاتان
الخصلتان لهم خاصة فأما الغير هم من أهل الإيمان أن يدعوا على الفسقة والمجرمين بالسوء والهلاك وأن
يفروا منهم وأن يخرجوا من بين أظهرهم لفسقهم وفجورهم [illegible] من صالح الأعمال هم والله أعلم وقوله تعالى
فلنعم المجيبون يحتمل أي الذي أجاب نوحا حيث نادى فلنعم المجيب من المجيبين ويقول تبارك وتعالى
وإنما قال فلنعم المجيبون لأن الأصل أن كل فعل يضاف إلى الله تعالى مما ينسب إلى الخير في الجملة فإنه يراد به شيء
يكون فاصلا بينه وبين غيره [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إنا أرسلنا [illegible]
[illegible] ونجيناه وأهله من الكرب العظيم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين [illegible]
[illegible] وقوله تعالى وتركنا
عليه في الآخرين [illegible]
[illegible]
[illegible] سلام على نوح في العالمين [illegible]

بقوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وعيسى عليه السلام كان أفضل من يحيى لأن عيسى
كان من أولي العزم فكيف سلم الله تعالى على يحيى دون عيسى ولكن قيل إن سلام عيسى كان في وقت الطفولية
والطفل لا اختيار له فيكون فعله بكليته منسوبا إلى الله تعالى فيكون ذلك سلام الله تعالى فهذا مثله
وقوله تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين أي إنا هكذا نجزي كل محسن أخبر أنه جزى لإحسانه الثناء الحسن في العالمين
وجائز أن يكون على الإحسان في الخلق إما إلى الخالق وإما إلى أنفسهم والله أعلم وقوله تعالى إنه من عبادنا المؤمنين
فإن قيل لا إشكال أنه كان من أولي العزم من الرسل فأي منقبة له في هذا الوصف أنه كان من المؤمنين وما معنى تخصيصه
بكونه من عباده المؤمنين فيقول بلى ليس في ذكره كثير منقبة أن لو كان المراد نفس الوصف له بكونه من المؤمنين
ولكن يحتمل وجوها أحدها أي أنه من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة لما لم يصر مؤمنا وقت الرسالة
ولكن لم يزل مؤمنا قبل الرسالة وكذا حال جميع الرسل عليهم السلام والثاني يحتمل أنه من عبادنا المؤمنين
لكن أمة محمد وكذا البشر برسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرح على ذلك فيكون فيه تعظيما وتفضيله صلى
الله عليه وسلم حيث يؤمنون به ولم يكن صلى الله عليه وسلم في الوجود بعد لكان الرسل جميعا يؤمن بعضهم ببعض
والثالث أي أنه من عبادنا المحققين الموقنين أي فيما اعتقدوا وأعطى بلسانه ما أضمره وهكذا كان الرسل
عليهم السلام كلهم موقنين ما اعتقدوا وأعطوا بلسانهم ما أضمروا وبقلوبهم وكذا يعتقد كل مؤمن في أصل
إيمانه واعتقاده أي لا يعصي الله تعالى ولا يخالفه في شيء من أموره ومناهيه لكن لا يفي بعضهم بما اعتقده فعلا
بل ربما يقع في معصية الله تعالى وفي مخالفة أمره ونهيه وإنما يقع في ذلك لوجوه ثلاثة أحدها الغلبة الشهوة
عليه إذ لو جاء قبول التوبة من الله تعالى إذا تاب ويعفو الله تعالى إما لا يقصد بقصده الذنب والله الموفق
وقوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم اختلف فيه قال بعضهم أي إبراهيم من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم
أي على دينه ومنهاجه لقرب دينهما وقال بعضهم أي إبراهيم من شيعة نوح عليه السلام لما تقدم من ذكر نوح
حيث قال ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ثم أخبر أن إبراهيم من شيعة نوح أي على دينه ومنهاجه وقيل على ملته
ثم الأصل أن الأنبياء عليهم السلام كلهم بعضهم على شيعة بعض وأصل الشيعة هو النصرة والمعونة
على اتباع ما ينتحلوا من الدين والمذهب والأنبياء عليهم السلام كانوا جميعا على دين واحد وعلى مذهب واحد بعضهم
عون بعض وأنصار لهم كقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى أن قال لتؤمنن به ولتنصرنه وكقوله وإذ
أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وكلهم على دين واحد كقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فدل
أن بعضهم أعوان وأنصار لبعض لذلك سماه شيعة نوح أو شيعة محمد عليه السلام وقوله تعالى إذ جاء ربه
بقلب سليم قال عامة أهل التأويل إذ جاء ربه بقلب سليم من الشرك خالص لله تعالى ويحتمل أي سليم
عن جميع الآفات والأشغال التي تمنع الإجابة لما دعي وكان صلوات الله عليه امتحن بمحن عظيمة وبلايا فما له
فأجاب ربه تعالى في ذلك كله فما دعي وصبر على ما ابتلي نحو ما امتحن بمحن عظيمتين فأجاب ربه في ذلك
ورأس ولده الصغير ونحو ما امتحن بالجبال التي لا ماء هنالك ولا طعام ولا شيء يدفع عنهم الحر والبرد فصبر على ذلك
ونحو ما امتحن بإلقائه في النار وكان يستغني بالحسبنا حتى ذكر في القصة أن جبريل عليه السلام قال أتستغني
علي وكلام نحو فقال أما إليك فلا فجعلها الله تعالى بردا وسلاما وجعلها كالجنان على نحو ما ذكر
في القصة ونحو ما امتحن بذبح الولد فهم أن يذبحه حتى فداه الله تعالى بالكبش وغير ذلك من المحن التي
لم يطول الكلام وتعديد ذكرها فجاء ربه بقلب سليم مما يمنع من الإجابة لربه فيما دعاه وأنصبه في ما امتحنه
وابتلاه والله أعلم وعلى ذلك سماه الله تعالى في كتابه وإبراهيم الذي وفى في جميع ما أمره وامتحنه والله أعلم ويحتمل
أن يكون ذلك في الآخرة فيقول جاء ربه بقلب سليم في الآخرة وهو كقوله ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه
في الآخرة لمن الصالحين فذلك سلامة قلبه والله أعلم وقوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا
آلهة دون الله تريدون قد اختلف سؤال إبراهيم عليه السلام لقومه مرة قال ما هذه التماثيل التي أنتم لها
عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ومرة قال ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ومرة
قال ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فذكر إجابتهم إياه في جميع المواضع ولم يذكر في هذه الآية ذكر
في غيرها من الآي والقصة قصة واحدة ثم معلوم أنه لا بهذا اللسان أجابوه ثم ذكر على الاختلاف الألفاظ والحروف
ليعلم أن تغيير الألفاظ والحروف ليعلم أن تغيير الألفاظ وتبديل الحروف لا يغير المعنى وكذلك جميع القصص
التي ذكرت في القرآن ذكرها مكررة معادة مختلفة الألفاظ والحروف والقصة واحدة ليدل أن المقصود
المطلوب من الكلام معناه لا لفظه وحروفه فيدل على جواز القراءة بالفارسية في الصلاة وعلى جواز نقل
الحديث بالمعنى ثم قوله ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون يقول والله أعلم أو كذبا تسميتكم الأصنام

التي تعبدونها من دون الله آلهة دون الله تريدون عبادته ويحتمل أئفكًا أي كذبًا الآلهة أي تتخذونه
آلهة تريدون أن تتخذوا آلهة وهو قريب من الأول وقوله تعالى فما ظنكم برب العالمين يقول والله أعلم فما ظنه
أن يفعل بكم اتخذتم دونه آلهة وصرفتم العبادة والشكر عنه إلى من دونه وقد تعلمون أنه هو المنعم عليكم هذه
النعمة وهو الذي يبتدئ إليكم كل هذا الإحسان وهو الذي دعا ولا هذا إليكم ويحتمل فما ظنكم برب العالمين أنه يترك
ويفعل بكم خيرًا في الآخرة بعد تسميتكم الأصنام آلهة وصرفكم العبادة والشكر إلى من دونه بعد نعمه عليكم هو
خالقكم وهو الذي سخر لكم جميع ما في الدنيا وأن ما خلا لكم فما تظنون أنه يرحمكم ويسوق إليكم خيرا
أي لا تظنوا به ذلك ولكن تظنوا به خيرًا بئس صنيعكم والله أعلم وقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم
أي سأسقم وذلك جائز في اللغة كقوله إنك ميت وإنهم ميتون أي إنك ستموت وإنهم سيموتون لا أنهم
ميتون للحال فعلى ذلك قول إبراهيم عليه السلام إني سقيم أي سأسقم ويحتمل قوله إني سقيم يجري على حقيقته
وهو صادق فيه إذ ليس أحد من الخلائق إلا به سقم ومرض وإن قل فعلى ذلك قول إبراهيم عليه السلام وقول
من قال إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات أحدها قوله إني سقيم وحش من القول شنيع لا يجوز أن ينسب الكذب
إلى رسول من رسل الله أو نبي من الأنبياء عليهم السلام فلطلبوا وجهه من الوجوه وذكر أهل التأويل أن قومه كانوا خرجوا
بإبراهيم عليه السلام إلى عيدهم فنظر إبراهيم نظرة في النجوم فقال إني سقيم ليخلفوه في البلد ليخلو بأصنامهم فيكسرها
على ما فعل بها من الكسر والنحت وقيل إنه إنما نظر في النجوم لأن قومه كانوا يعملون بالنجوم ويستعملون علم النجوم
فإن كان ذلك منه فالله أعلم أراد أن يرى الموافقة لهم في نفسه ليلزمهم الحجة عند ذلك وهو ما ذكر في قوله
هذا ربي هذا أكبر ونحوه قال ذلك على إظهار الموافقة لهم من نفسه ظاهرا ليكون ألزم للحجة عليهم وأقطع
عما هم عليه وأهون وأيسر إذ هكذا الأمر بالعرف في الخلق إذا أراد أن يصرف آخر عن مذهب أو شيء أظهر من
نفسه الموافقة له في ذلك ثم رام صرفه ومنعه عن ذلك كان على ذلك أقدر وأملك من أن يرى له المخالفة
والمعاداة إذ قول الموافق له فيه أنجع وأنفذ من قول المخالف الذي أظهر له الخلاف والله أعلم ثم قوله فنظر
نظرة في النجوم لا يدرى كيف هي أكان نظر فيه بعلم وحساب أخذه فلم ذلك فجاز أن يكون الله تعالى جعل كما
ينظرون فيه فيصلون إلى علم ذلك لكن يكره الاشتغال به والعمل على ذلك بما لا يحتاج إليه من أمر الدين إذ
بالرسل عليهم السلام قد أغنانا عنه وأما ما يحتاج إذا احتاج إليه من أمر الدنيوية من المعاش وغيره فقد أغنانا عنه
بالمكاسب في التجارات والحرف التي أنشأها الله تعالى لنا فيه إذ به لا يقع الحاجة إليه والأصل في علم النجوم سمع
وحي لا اختراع من البشر بالعقول والتدبير وكذلك هذه الحرف والمكاسب كلها سمعية وحي من أخبر الله
الخلق بها عن وحي السماء وعلمها إياهم من الله تبارك وتعالى فعلى ذلك علم النجوم أغنانا عنه بما ذكرنا من سنا
عن علمه لما يقوت به من أمور الآخرة في باب الدين والله أعلم وقوله تعالى فتولوا عنه مدبرين أي أعرضوا عنه ذاهبين
إلى حاجاتهم وحيث يريدون أن يذهبوا والله أعلم وقوله تعالى فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون
قال إبراهيم عليه السلام لها على السخرية والهزء بها لأن الطعام كان موضوعا عندها على ما ذكر في القصة أنهم كانوا يضعون
الطعام لها ويسجدون لها عند الخروج عن البلد وعند الحضور فيخلون عندها ويسجدون لها كذلك فقال
ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون نحو الحكم ويحتمل ما لكم لا تنطقون فإنه من فعل بكم ما فعل من الكسر والقرض قال
ذلك بعد ما فعل بها ما فعل كقولهم من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا
ينطقون فعلى ذلك جائز أن يكون قال ذلك للأصنام ما لكم لا تنطقون فتخبرون عن من فعل بكم هذا يسفه
قومه في عبادتهم من لا يأكل ولا ينطق ولا يملك دفع ضر ولا جر نفع وهو كقوله هل يسمعونكم إذ تدعون
أو ينفعونكم أو يضرون ثم قوله فراغ إلى آلهتهم أي إلى ما اتخذوهم وسموهم آلهة وقال أبو عوسجة فراغ أي رجع
يروغ روغًا وروغانًا ومنه روغان الثعلب هو إذا تبعه الكلب فخاف الثعلب أن يلحقه الكلب فيعدل عن
طريقه ويمضي الكلب ثم إنما سماهم آلهة وإن لم يكونوا آلهة ذكرها على ما كان عندهم على ما هم عليه فعرفهم على
هذا قول موسى عليه السلام وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي انظر إلى إلهك الذي هو عندك إله
وإلا لم يكن هو إلهًا له وقوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أي مال ورجع عليهم ضربا باليمين أي ضرب الأصنام
بسبب اليمين وفاء ليمينه التي كانت منه حيث قال وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين أي وفى
تلك اليمين التي حلف بأنه يكيدها بالضرب والكسر والله أعلم وقال بعضهم ضربا باليمين أي بالقوة أي
الأصنام ضربا شديدا وقد يعبر باليمين عن القوة والله أعلم وقال بعضهم ضربا باليمين أي ضربها باليد
اليمنى نفسها على ما يعمل المرء أكثر أعماله باليمين وقوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون ظاهر هذه الآية أنهم
إليه وقت ما كسرها وفعل بها ما فعل لكن في آية أخرى إذ أقبلوا إليه بعد ما خرج من عند الأصنام وغاب وكان

وكان بعد ذلك بزمان ألا ترى أنهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا وقوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم
الآية ولو كان إقبالهم عند ما كان حاضرا عند الأصنام لم يحتاجوا إلى أن يقولوا من فعل هذا بل يقولون
إبراهيم فعل ذلك بها فإذا كان يقول إبراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون
والله أعلم ثم قوله يزفون قال بعضهم يمشون إليه وقال بعضهم يسرعون وهو قول أبي عوسجة وأصل الزف
كأنه مشي فيه سرعة على ما يسرع المرء إذا أصابه شيء أو فعل به أمر والله تعالى قال أتعبدون ما تنحتون يسفههم
بعبادة ما ينحتون بأيديهم ويتخذونها بأنفسهم على علم منهم أنها لا تملك نفعا ولا ضرا والذي نحتها أولى
بالعبادة من المنحوت إذ هو يملك شيئا من الضر والنفع والمنحوت لا فإذا لم تعبدوا الناحت والنجار وأعماله
فكيف تعبدونه من دونه وقد تركتم عبادة الذي خلقكم وخلق أعمالكم ذلك قوله والله خلقكم وما تعملون
ثم إن أصحابنا من احتج على المعتزلة بهذه الآية في خلق أفعال العباد يقول إن إبراهيم عليه السلام أخبر عن خلق
أنفسهم وعن خلق أعمالهم حيث قال والله خلقكم وما تعملون لكن المعتزلة يقول ليس فيه دلالة خلق أفعالهم
ألا ترى أنه قال أتعبدون ما تنحتون وهم لا يعبدون النحت وإنما يعبدون ذلك المنحوت فعلى ذلك المخلوق
أفعالهم أعمالهم لكن خلق المعمول ذلك نفسه والله أعلم لكن يقول احتجاجنا عليهم بهذه من وجه آخر وهو كما
أن بجافة ولي وهو أن نصيب ذلك المعمول خلقا لنفسه حيث أضاف إلى نفسه بقوله خلقكم وما تعملون أي عملكم
لأنكم إنما تعبدون ذلك المعمول ثم إذا كان المعمول مخلوقا له علما لم يتحقق بدون العمل فلولا أن العمل الذي
صار به معمولا مخلوق لله تعالى وإلا لما كان للغير معمولا إذ لذلك على أن العمل الذي به صار المحل معمولا مخلوق
له وهو كقوله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين إنما كان التواب والمتطهر
محبوبا لله تعالى بالتوبة والتطهير فصار المبتدي غير محبوب لبعض الاعتداء فعلى ذلك المعمول صار مخلوقا له
بخلقه عمله والله أعلم وقوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم كأنه قال بعض الكفرة لبعض ابنوا له بنيانا
من الحطب وتعظم النار فيصير جحيما ألقوا إبراهيم في الجحيم وهو معظم النار وقوله تعالى فأرادوا به كيدا
فجعلناهم الأسفلين أي أرادوا به هلاكا إلا أن كان ما منهم كل كيد قبل ذلك ثم قال فجعلناهم الأسفلين وفي
وقال في موضع آخر فجعلناهم الأخسرين والأخسرين هو النهاية في الخسران والأسفل هو النهاية في السفل و
يحتمل أن يكون المراد فجعلناهم الأسفلين في النار وهو كقوله إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار
وكقوله وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين
والله أعلم وأما أهل التأويل فيقولون قوله فجعلناهم الأسفلين أي إنها الكتبي يقولون قوله فجعلناهم
الأسفلين أي إنها الكتبي يقولون إنا نظرتم بشعها حتى أهلكهم هذا الذي ذكروه محتمل لأنهم إنما أرادوا
هلاك إبراهيم عليه السلام فصاروا هم الهالكين والله أعلم وقوله تعالى وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين أي
ذاهب بقلبي وعملي وديني وعملي ونيتي إلى الآخرة ويحتمل ذاهب إلى حيث أمرني ربي أو لما أمرني
ربي أو لما أمرني به هو المهجر من بابل إلى الشام ويحتمل ذاهب إلى ما فيه رضا ربي وإلى ما فيه طاعة ربي ونحو ذلك
وقوله سيهدين قال بعضهم سيحبني الله تعالى بما أسير نحوه وقال بعضهم سيهدين الطريق وهو محتمل كما
هو قول موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل لما توجه إلى مدين فعلى ذلك جائز أن يكون
معنى قول إبراهيم عليه السلام ذاهب إلى ربي أي ذاهب إلى ما أمرني به ربي إذا توجها له سيهدين لذلك والله
أعلم وقال بعضهم سيهدين إلى دين وذلك أنه لما هاجر من الخلق ليسلم له دينه وقد ذكر في حفصة رضي الله
عنها أنه ذاهب إلى من سيهدين إلى دينه والله أعلم رب هب لي من الصالحين كأنه يقول رب هب لي غلاما
واجعله من الصالحين دليل ذلك ما ذكر من البشارة بالغلام على إثر ذلك دل أنه سأله كان يسأل الغلام
ثم في الآية دليل جواز سؤال الولد الذكر من الله تعالى لكن ينبغي أن يسأله بشرط الصلاح على ما سأل
الأنبياء صلوات الله عليهم سأل إبراهيم عليه السلام فقال رب هب لي من الصالحين وقال زكريا عليه السلام
هب لي من لدنك ذرية طيبة وما ذكر وحكى عنهم وأثنى عليهم بقوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما فيجب على من سأل ربه الولد أن يسأله بهذه الشرائط التي سأل
الأنبياء عليهم السلام فيكون سؤاله سؤال من يعينه في إقامة أمور الدين ويصلح في القيام بما
عبادة الله تعالى لا سؤال الولد للذة وسرور في الدنيا والله أعلم ثم قوله ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين يحتمل أي هب لنا أزواجا وذرية ما يقر به أعيننا ويحتمل أن هب لنا من أزواجنا الولد والذرية
ما يقر بها أعيننا وهب لنا من ذريتنا من الذرية ما يقر به أعيننا على ما سأل زكريا عليه السلام حيث قال ذرية
طيبة والله أعلم ثم في الآية دلالة على أن الولد هبة من الله تعالى وعطاء منه لهم ولذلك قال في رجل وهب

الذكور وقد ذكرنا فيما تقدم المعنى الذي به صار الولد هبة من الله تعالى وقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم
يحتمل ان يوصف الغلام بالحلم حين ما ولد ولكنه قال فبشرناه بغلام يصير حليما اذا بلغ مبلغ الخطاب
بالاعمال والامر والنهي اي بشرناه بغلام حليم يحلم فيما امتحن اذا بلغ مبلغا يمتحن فيه قال قتادة ان الله
عز وجل لم يذكر احدا او وصفه بالحلم سوى ابرهيم عليه السلام وولده الذي بشر به والله اعلم وقوله تعالى فلما
بلغ معه السعي قال بعضهم لما بلغ بحيث ان يقدر ان يسعى معه الى حيث ما امره وان يسعى ويمشي معه وقيل
لما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث يعمل ويمتحن وقوله تعالى قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وترى
بالنصب والرفع بضم التاء قراءة عبد الله والاسود ومن تابعهما وعن الحسن بنصب التاء وهي اللغة السائرة في
العرب لا يكاد يلفظ الا بها واما ما يقولون ترى بضم التاء فموضع رؤية العين والله اعلم وفي الاية دلالة ان رؤيا
الانبياء حق تخرج كالامر المصرح به الا ترى انه لما قال له اني ارى في المنام اني اذبحك قال يا ابت افعل ما تؤمر
ولو لم يكن امرا لم يقل له افعل ما تؤمر ولا قال لابرهيم عليه السلام اني ارى في المنام اني اذبحك وقد عرف
حرمة ذبح بني آدم وقتلهم ثم لذلك منهما انه يخرج على الامر المصرح الذي لا يسع تركه او كالنهي المصرح الذي
لا يسع الاقدام عليه والعمل وهو في حد الامكان ان ضيفه الامر ضيفه ذا له امر الله تعالى الذي هو كلامه
القائم به فيجوز ان يكون بشيء آخر وهو الفعل الذي في الرؤيا من الانبياء عليهم السلام علامة منه وامارة على امره وقوله
ثم ذكر صلة لما ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين دلالة على ان لا كل ما امر يأمر من الله تعالى
شاء الله تعالى ان يفعل لما امره به حيث اخبر وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين على مشيئة الله تعالى
وانما يعلق بما يحتمل الوجود والعدم وهذا لما ذكرنا ان ابرهيم عليه السلام كان مامورا بالذبح فاذا امره بالذبح
فاذا امر هو بالذبح ولده ان يصبر على الذبح وان لا يجزع ثم اخبر الولد انه يصبر ولا يجزع ان شاء الله تعالى دل ان
لا كل مامور به الله تعالى يامر بشاء منه ان يفعل ذلك الشيء لكن شاء ان يفعل من علم انه يختار ذلك الفعل ويفعله
ومن علم منه لا يفعل ذلك لا يجوز ان يشاء ذلك منه وعلى ذلك قول موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا وهذا على المعتزلة في قولهم ان الله تعالى اذا امر احدا بامر شاء منه ان يفعل ما امره
به لا محالة لكن المامور به يستوي اختياره بين كما ان لم يشا ان يفعل فتكون الآية حجة عليهم وقوله تعالى فلما
اسلما وتله للجبين اي اضجعه وكبه على وجهه وفي الاية دلالة انه لم يضجعه كما يضجع المرء اذا يريد ان يذبحه
من الشاة وغيرها لكنه اضجعه على وجهه من الله تعالى اعلم لما اراد ان ينفذ امر الله تعالى فلعله لو اضجعه على
ما يضجع غيره من الذبح نظر كل منهما الى وجه الاخر فيحزن هذا بترك ذبحه ويجزع الاخر من طاعته
على ما قاله اهل التاويل انه قال له ولده كذا افعل ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت
الرؤيا يجوز ان يحتج بهذه الاية على المعتزلة في قولهم ان الله تعالى اذا امر احدا بامر اراد منه كون ذلك الفعل
المامور به ونحن نقول يجوز ان يريد غير الذي امر به بل يريد ما يكون ما علم انه يكون ويختاره ولا يريد
ما علم انه لا يكون منه ولا يختاره فانه قال وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا اسماه مصدقا الرؤيا
والرؤيا هو الذبح ولم يكن منه حقيقة ذبح الولد لعله امره بذبحه فلو كان في الارادة كون ما امر به لكان
لا يصدقه في الوفاء به ولم يكن حقيقة لكنهم يقولون ان الامر بالذبح لم يكن الا بما كان منه من ذبح الكبش فذلك
اراد فكان ما اراد ان يكون مصدقا الرؤيا وهذا منهم احتيال لدفع ما ذكرنا ان الامر لا يقتضي وجود المامور
لا محالة لكنا نقول ان الامر بالذبح امر بذبح الولد حقيقة لا بذبح الكبش دليل ذلك وجوه احدها قول
ابرهيم عليه السلام حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك وقول ولده يا ابت افعل ما تؤمر ولو يحتمل الامر
من الله تعالى بالذبح امرا على ذبح الولد حقيقة لكنا نجعلهما في قولهما وما جرى من الخطاب بينهما اعتقدا ما في
من الله تعالى اياهما احدهما بالذبح والاخر بالصبر ولا يجوز لاحد ان يجهل الانبياء عليهم السلام في شيء ولكنا
ان ابرهيم وولده عليهما السلام قد مدحا واثنى عليهما بالصنيع الذي صنعا هذا بان صبر على ذبح ابنه والذبح و
بذله نفسه على الطاعة فلو كان الامر من الله تعالى اياه بالاضطجاع لا غير وقد علمنا بذلك لم يكن
لهما ذلك الصنيع فضل مدح ولا زيادة ثناء فمدحا واثنى عليهما في صنيعهما الذي صنعا وصار لهما
منقبة الى يوم القيمة حتى سمي بذلك ذبيح الله وهذا موقنا امر الله تعالى حيث قال وابرهيم الذي وفى دل
ان الامر بالذبح امر بذبح الولد حقيقة والله اعلم والثالث ما الفداء فداه بذبح حيث قال وفديناه بذبح
عظيم فلو كان الامر بالذبح امر بذبح الكبش لا ذبح الولد لم يكن فداء منه اذ لا يسمى الفداء الا بعد البدل
عن غيره وقيامه ومقامه والله اعلم لكنه انا اضجعه وتله للجبين على ما ذكرنا صار ممنوعين عن ذلك
الفعل غير تاركين امر الله تعالى على ما ذكر في القصة ان السفرة قد انقلبت عن وجهها فلم يقطع وبما امر

بامره ثم منع عما امر به وحيل بينه وبين ما امر به لم يصر تاركا للامر ولا كان موصوفا بالترك له كذلك
كان ما ذكرنا والله اعلم ثم يجوز ان يستدل بهذه الاية في مسائل لاصحابنا رحمهم الله احدها المرأة
اذا اسلمت نفسها الى زوجها فلم يكن هناك ما يمنع الزوج عن الاستمتاع بها والجماع صارت موفية ما
عليها الى زوجها فاستوجبت بذلك كمال الصداق ولزمها العدة اذ لا يملك سوى ما فعلت وان لم يجامعها
زوجها والله اعلم والثاني من كانت عنده امانة فخلى بينها وبين صاحبها على الحذو قبضها يصير مسلما اليه
مؤديا وان لم يقبض الاخر وعلى هذا البائع اذا سلم المبيع الى المشتري وخلى بينه وبين المبيع يصير مسلما
اليه خارجا من ضمانه ذلك عن عهدته وان لم يقبضه المشتري ونحوها من المسائل مما يكثر ذكرها اذ ليس في
الاذا الا لقد رمى الفعل والله اعلم وقوله وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا لو كان هذا القول بعد
ذبح الكبش ففيه حجة لقول ابي حنيفة رحمه الله حيث قال فيمن اوجب على نفسه ذبح ولده انه يجب ذبح الكبش لما اخبر انه
صدق الرؤيا بذبح الكبش فعلى هذا يصير الرجل موجبا على نفسه ذبح الكبش باضجاعه اياه واسلامه كما
فيه ما ذكرنا انه سلم نفسه لذلك بمنزلة ما اتى فيه لانه لم يمنع عن ذلك لانه ترك ذلك والله اعلم وقوله
ان هذا لهو البلاء المبين اي الامر بذبح الولد الذي امر به ابرهيم عليه السلام محنة عظيمة وقال بعض اهل التاويل
ان هذا لهو البلاء المبين يعني الفداء الذي فدى لابرهيم نعمة عظيمة وقوله عز وجل وفديناه بذبح عظيم
وهو الكبش وقال اهل التاويل سماه عظيما لانه كان يرعى في الجنة اربعين خريفا وقال بعضهم كان ذلك
الكبش في نفسه عظيما كبيرا وقوله بذبح قال ابو عوسجة والقتبي الذبح ما يذبح والذبح بنصب الذال
مصدر وقوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي بقينا في الاخرين الثناء الحسن لابرهيم عليه السلام ويحتمل
ان يكون ذلك السلام الذي ذكره على اثره هو الذي تركه في الاخرين وهو قوله سلام على ابرهيم ان ذلك
تسليم عليه وعلى جميع المرسلين كقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
وكقولنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم ويحتمل ان يكون ذلك السلام
من الله تعالى على ابرهيم وعلى جميع المرسلين اثباتا من لهم من كل خوف وسلامة من كل آفة وقوله تعالى وكذلك
نجزي المحسنين اي كذلك نجزي كل محسن اي نترك له السلام والثناء الحسن في الاخرين والله اعلم وقوله تعالى
انه من عبادنا المؤمنين يحتمل وجوها احدها انه كان من المؤمنين قبل ان يوحى اليه وقبل ان بعث
رسولا ويحتمل انه من عبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان في كل قول وفعل والانبياء عليهم السلام
يصدق بعضهم بعضا ويؤمن به والله اعلم وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين كان سأل الله
الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فاستجاب الله دعاءه بقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
يحتمل ان يكون البشارة بولادته الذي سأل ربه ويحتمل انه بشر بنبوته ويحتمل ان يبشره بهما جميعا
بالولادة والنبوة والله اعلم ثم قوله نبيا من الصالحين يحتمل ان نجعله نبيا من الانبياء كقوله تعالى
هذا نذير من النذر الاولى وقوله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق البركة اسم لكل خير ونماء والعلو والزيادة والنماء
وقيل البركة شيء من اعطاه كان لا تبعة عليه وقوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين يحتمل ومن
محسن اي مؤمن مصدق وظالم لنفسه اي كاذب مكذب وهو ما قال تعالى اني جاعلك للناس اماما قال
ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان من ذريته من لا ينال العهد كما ذكر ههنا ان في ذريته
محسنا وهو المؤمن وظالما لنفسه وهو الكافر ويحتمل قوله محسن اي محسن الى الناس وظالم لنفسه
اي ظالم على نفسه بتعديه على حدود الشرع وقد اختلف في الذبيح من هو من ولد ابرهيم فروي عن علي وعبد الله
بن مسعود وكعب والحسن وقتادة انه اسحاق عليه السلام وعن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وسعيد بن
المسيب ومحمد بن كعب القرظي انه كان اسمعيل عليه السلام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
سأله فقال يا رسول الله اي الناس اكرم حسبا قال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق
ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا ابن الذبيحين فان ثبت
احد الخبرين فلا حاجة لنا الى معرفة ذلك انه فلان وفلان ولو كان لنا الى بيان ذلك حاجة لبين ذلك
الاشكال والاختلاف الناس فيه ولا يحتمل ان يكون بالناس حاجة الى معرفة ذلك فترك الكلام فيه
نصدق ولا نتكلف والله اعلم وقوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون يحتمل ما ذكر من المنة عليهما بالنبوة
والرسالة ويحتمل الايات التي اعطاهما وخصهما بها او الذي ابقى لهما الثناء الحسن والذكر في الاخرين
قوله وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون ثم ادنا او جمع على الانبياء عليهم السلام ذكر المنن
نعم الذي خصهم بها وميزهم بها من بين غيرهم فاما ان يجب عليهم ذكر جميع ما من وانعم عليهم وشكر

جميع ما اعطاهم من المنن فلذا اذ ليس في وسع احد القيام بشكر اصغر نعمة في عمره وان تطاول الدهر
فليقم القيام بذكر ما خصوا به من الرسالة والنبوة والايات وان كان في الجملة احد فلعلهما ان يرو النعم
والمنن من الله تعالى فضلا منه وانعاما لا استحقاقا والله اعلم وقوله تعالى ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم قال عامة اهل التأويل من الكرب العظيم من الغرق لكن يحتمل ان يكون الكرب العظيم هو ما كان
من قتل الرجال واستحياء النساء كما قال يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
انجاهم الله تعالى من ذلك الذي كان من انواع البلايا كما اخبر عنهم بقوله قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا
وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون نجاهم الله تعالى من ذلك كله وهو الكرب العظيم وقوله
ونصرناهم فكانوا هم الغالبين يحتمل قوله ونصرناهم بالحجج والايات التي اعطاهم اياها فكانوا هم الغالبين
بالحجج والايات ويحتمل نصرناهم باهلاك اعدائهم فرعون وقومه والله اعلم وقوله تعالى وآتيناهما الكتاب
المستبين لكل من عقل ونظر انه من عند الله تبارك وتعالى نزل لانه لم يعد نزل تناظرهم في الالواح ليس
كالقرآن لا يعرف انه من عند الله الا بالتأمل والنظر لانه نزل في الاوقات الخالية التي لا يطلع عليه احد
شيئا من ظهر القلب والثاني انه استبان لكل من نظر فيها ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى والله اعلم وقوله
وهديناهما الصراط المستقيم يحتمل الصراط الذي كان من سلكه انتهاء الى مقصوده وبلغ منتهاه
ويحتمل الصراط المستقيم بالحجج والبراهين قائم لا بهوى الانفس وفي قوله وتركنا عليهما في الآخرين سلام
على موسى وهرون هو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي انا كذلك نبقي ونترك
لكل محسن الثناء الحسن في الآخرين كما تركنا لهؤلاء وذلك معروف في الناس ان كل محسن يذكر
بعد بالخير ويثنى الحسن والله اعلم وقوله تعالى وان الياس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية قولهم
لانهم يقولون الرسل ستة آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين وما سواهم
ائمة وفي الآية اخبار ان الياس كان من المرسلين وكذلك ما ذكر من بعده وان لوطا لمن المرسلين فبطل قولهم
وقوله تعالى اذ قال لقومه الا تتقون يحتمل قوله الا تتقون عبادة غير الله اي تخشون الله في ترككم عبادته
واشتغالكم بعبادة غيره ويحتمل الا تخافون نقمة الله في مخالفتكم امره ونهيه والله اعلم وقوله تعالى اتدعون
بعلا وتذرون احسن الخالقين قال اهل التأويل البعل الرب بلغة قوم وذكر عن ابن عباس انه سئل عن قوله
اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قال فقال له رجل من يعرف هذا الا ان فقال الاعرابي انا بعلها فقال ابن عباس
كفاني اعرابي جواب ما اي المراد منه الرب لكن لا يحتمل ان يكون المراد منه قوله اتدعون بعلا اي ربا لانه
غير مشهور عند اهل اللغة الا ان يكون ما ذكرنا انه رب بلسان قوم فيقول اتدعون ربا تعلمون انه لا يضر ولا ينفع
وتذرون عبادة من تعلمون انه يضر وينفع ويحتمل تختارون عبادة من تعلمون انه لا يملك الضر ولا النفع
عن عبادة من تعلمون انه يملك ذلك ويحتمل البعل السيد ههنا وكذا في قوله تعالى هذا بعلي شيخا اي سيدي
وقيل البعل هو اسم الصنم ههنا يقول اتعبدون صنما وتذرون احسن الخالقين واصل البعل هو الزوج
كانه يقول لهم اتدعون من ازواج واشكال وتذرون عبادة من لا ازواج له ولا اشكال والله اعلم وقوله قال ابن
عباس رضي الله عنه في هذه الآية اذا قرأ هذه الآية تماما في آخرها مضى الى قوله وتذرون احسن الخالقين
فهم يسمون كل صانع خالقا ويحتمل انه اضاف الخلق الى الكفار بطريق المجاز فان الخلق هو التقدير في اللغة
وحقيقة التقدير لله تعالى لكن اضاف اليهم على المجاز على ما كان عندهم لا حقيقة الخلق وقد ذكرنا تأويل قوله
احسن الخالقين في غير موضع وقوله تعالى الله ربكم ورب آبائكم الاولين يحتمل لما قالوا وتذرون احسن الخالقين
قالوا من احسن الخالقين فقال عند ذلك ربكم ورب آبائكم الاولين ثم اخبر انهم كذبوه مع ما ذكر لهم انه خلقهم
وخلق آباءهم الاولين وانه ربهم ورب الخلائق اجمعين وذلك قوله فكذبوه فانهم لمحضرون ثم لم يذكر
فيما ذكر في الآية بيان من حيث الدلالة انما يحضرون النار ولكنا نعلم انهم المحضرون وفي الذي ذكر انهم
يحضرون بانفسهم في العذاب يحضرون كرها لا بانفسهم كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقوله
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقوله يسحبون في النار على وجوههم وقوله ويصلى سعيرا
ونحو ذلك ثم استثنى عباد الله المخلصين منها انهم لا يحضرون النار وقد ذكرنا تأويل قوله وتركنا عليه
في الآخرين الى قوله انه من عبادنا المؤمنين وقوله سلام على ال ياسين قرأ بعض القراء سلام على آل ياسين
بهمزة مفتوحة ممدودة مكسورة اللام وقرأ الباقون الياسين بكسر الهمزة وسكون اللام فله وجهان احدهما
ان الياسين جمع الياس ومعناه سلام على الياس وامته المؤمنين كقوله رأيت المهدين يريد محمدا وامته وكذا
اذ كنوا المنابين والياسين كما يقال ميكائيل وميكال فيكون على هذا الوجه السلام على آل ياسين فيكون من

ما جاء في القرآن من السلام على الانبياء والرسل وآلهم وعلى القراءة الثانية يكون السلام على آل الياس وقومه
فكان هذه القراءة احق ومن قرأ آل ياسين جعل الآل اسما وياسين مضافا اليه وآل الرجل اتباعه وقومه
فيكون المراد منه آل الياس فيكون السلام على آل الياس وان لم يذكر فيما سبق من الانبياء عليهم السلام
على آلهم ويحتمل ان يكون المراد بالآل سائر الانبياء فالانبياء بعضهم من آل بعض فان الآل هو الشيعة واهل
التأويل السلام على جميع الانبياء وعن ابن عباس انه قرأ آل ياسين فقال اراد بالآل آل محمد عليه السلام ويس محمد
عليه السلام وعلى ذلك في قوله يس والقرآن الحكيم يا محمد والقرآن الحكيم فذكر سائر الانبياء فيما تقدم
بالسلام وذكر ههنا محمدا وآله والله اعلم وفي حرف ابن مسعود سلام على ادريس وفي بعض الحروف ادراسين
يقرؤون الياس هو ادريس النبي عليه السلام وله اسمان ادريس وادراسين كانهما لغتان في ادريس وعن ابن مسعود
انه قرأ وان ادريس لمن المرسلين مكان قوله وان الياس لمن المرسلين وقوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا
تعقلون يذكر اهل مكة ويعظهم بما نزل بالمكذبين من الامم الماضية من العذاب والهلاك ان من هلك
منهم انما اهلك بتكذيب الرسل والعناد في حقهم ومن نجا منهم بتصديقهم والاجابة لهم فاياكم
وتكذيب محمد عليه السلام ينزل بكم كما نزل باولئك قال وانكم لتمرون على من اهلك من مكذبي الرسل بالليل
والنهار وتعلمون انما اهلكوا بتكذيب الرسل افلا تعقلون وتعتبرون وتمتنعون عن ذلك والله اعلم
وقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية ايضا مذهبهم حيث قالوا ان الرسل ستة
ولا يعدون يونس ولا لوطا ولا الياس وغيرهم من الرسل فيخالفون الآية والله اعلم وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك
المشحون ذكر ههنا الاباق وفي سورة يونس ذكر الذهاب وهو قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه فمن الناس من جعل الاباق غير الذهاب لكن جائز ان يكون ذكر الاباق عن الذهاب راجعا
الى معنى واحد وان كانا مختلفين في المعنى لان القصة واحدة فيكون قوله اذ ابق اي فر من بين قومه لما وقع
الخوف على نفسه من قومه اذ ابق لما وعدهم نزول العذاب عليهم ان لم يؤمنوا به فكانوا الرسل عليهم السلام
يخرجون من بين اظهر قومهم اذا خوفت بنزول العذاب بهم الا ان يونس عليه السلام خرج من بينهم قبل ان يأتيه
الاذن من الله تعالى بالخروج من بينهم كذلك قال اهل التفسير الا انا لا نقول ما قال عامة اهل التأويل من الخرافات
التي يذكرون وينسبون اليه مما لا يجوز نسبة ذلك الى اجهل الناس ... فضلا من ان يكون
نسبة ذلك الى رسله وانبيائه عليهم السلام وقوله تعالى فساهم فكان من المدحضين ذكر في القصة
انه لما سبق الى سفينة فركبها اراد ان يعبر البحر فجعلت تقف وكادت تغرق فقال القوم بعضهم لبعض
ان فيكم رجلا مذنبا عظيم الذنب وكانوا يعرفون من عادتهم من قبل انه اذا ركبها مذنب ما ينفعل ذلك
ولم يعرفوا من هو فاستهموا ان يخرج بهم يونس عليه السلام في كل مرة فلما رأى ذلك يونس قال لهم انا هو
القوني في البحر حتى لا تغرقوا جميعا فابوا وقالوا لا نلقي نبيا من الانبياء في البحر فالقى هو نفسه فيه
فالتقمه الحوت على ما اخبر الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم وقوله فكان من المدحضين قال بعضهم اي فكان
من المغلوبين وقيل القرعة والاستهام اي خرجت القرعة عليه والمدحض هو الذي لا حجة له فيما يريد والله اعلم
وقوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم قال بعضهم مليم اي مذنب وقال بعضهم مليم من الملامة
اي كان يلوم نفسه فيما صنع من الخروج من بينهم بلا اذن من الله تعالى وقال بعضهم مليم اي مستحق اللائمة
وقوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون يحتمل قوله فلولا انه كان من المسبحين
قبل ذلك اي من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وكذلك قيل من عامل الله في حال الرخاء
نفعه ذلك في حال البلاء وكما قيل في الحكم ان العمل الصالح يرفع اذا عثر واذا صرع وجد متكأ والله اعلم
ويحتمل فلولا انه من المسبحين بكليته صار من المسبحين في بطن الحوت للبث في بطنه الى يوم يبعثون
وهو قوله فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب له ربه
ونجيناه من الغم والله اعلم وقوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم قيل العراء هو الارض الصحراء التي
لا شجر فيها ولا نبت ولكن وقال ابو عوسجة العراء الارض التي لا ظل فيها وقال القتبي العراء الارض
التي لا يتوارى فيها بشجر ولا غيره كانه من عري الشيء والله اعلم وقوله وهو سقيم ذكر ان الحوت لما نبذه
لم يكن به شعر ولا جلد ولا ظفر ولا شيء ويحتمل سقيم من السقم وهو المرض الذي مرض لما مسه بطن الحوت
والله اعلم وقوله تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين قال بعضهم هي شجرة القرع انبت عليه ليأكل منه
ويستظل بها وقيل كل شجرة تنبسط على وجه الارض مما ليس له ساق ... فهو يقطين من نحو

البطيخ والرجون وغيرهما والاشبه ان يكون شجرة القرع لانها اسرع الاشجار نبتا وامتدادا وارتفاعا
في السماء في وقت قريب ومنه لطيفة والوصول الى الانتفاع بها اكلا واستظلالا لانها ... ما يروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قيل له انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وهي تزيد في العقل فان ثبت هذا الخبر
دل انها كانت شجرة القرع ثم فيه لطف من الله تعالى حيث انبت عليه شجرة في وقت لطيف لا ينبت مثلها الا في
وقت مديد وابقاه عليه الضعف وقتا طويلا وهو في العرف نزول في وقت قليل ليذكره ما انعم عليه ليقوم بشكره
وهو بشكره وهو ما ذكر في قصة صاحب الحمار حيث قال فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك
الاية ابقى طعامه وشرابه وقتا طويلا لم يتغير وطبعه التغير في وقت يسير وغير حماره وطبعه الفساد وقتا طويلا
لطفا منه جل جلاله فعلى ذلك انبت على يونس ثم شجرة في وقت يسير لطفا منه ليذكره وابقى ذلك الضعف
الذي كان به ما سبيله الزوال لحاله لا يتغير في وقت يسير لطفا منه ليذكره ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون هذا يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا ان حرف الاستفهام متى اضيف الى الله تعالى فهو على
الايجاب ليس على حقيقة الاستفهام فعلى ذلك حرف الشك اذا اضيف اليه فهو على الايجاب والالزام تكون
قال وارسلناه الى مائة الف بل ويزيدون لما يتعالى عن الشك ويحتمل او يزيدون بمعنى ويزيدون وذلك جائز في اللغة
على معنى الواو ويحتمل او بمعنى حتى كانه قال لمائة الف حتى يزيدون وهو كقوله تعالى [illegible]
او يتوب عليهم حتى يسلموا فكانه وقت ما بعث اليهم مائة الف ثم ازدادوا بعد ذلك حتى زادوا على مائة والله اعلم
ويحتمل يكونون مائة الف وقوله او يزيدون عند الناس معناه من نظر اليهم لا يظنونهم دون مائة الف لكن يظن
مائة الف وزيادة والله اعلم وقوله تعالى فامنوا فمتعناهم الى حين قيل العقوبة فلم يهلكوا ولكن اخرهم الى تمام
انفسهم وقال في اية اخرى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
اخبر ههنا انه لم ينفع لقوم ايمانهم معاينتهم العذاب الا لقوم يونس وكذلك قال في اية اخرى فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ثم لا ندري انه انما قبل ايمان قوم يونس لانهم امنوا عند خروج يونس من بين اظهرهم
قبل ان ينزل العذاب عليهم لما علموا ان الرسول متى خرج من بينهم تغيظا او وعدهم العذاب ينزل بهم لا محالة فتابوا به
قبل ان يعاينوا العذاب وان يكون العذاب قد اظل عليهم وعاينوه فمن ذلك امنوا فان كان الاول فلا يشكل
قبول ايمانهم لانهم امنوا حال الغيب لا حال عيان العذاب وان كان الثاني فيجاز ان يكون قبل ايمانهم وان عاينوا العذاب
لما علم عز وجل انهم صادقون في ايمانهم محققون في ذلك لا انهم قصدوا بذلك دفع العذاب عن انفسهم دون
الحقيقة اما اولئك الذين اخبر انهم لم ينفعهم ايمانهم لما كان ايمانهم دفع العذاب عن انفسهم لا ايمان
حقيقة وصدق والله اعلم وقوله تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الاستفتاء والسؤال يخرج على
اوجه ان كان من عليم خبير لاهل الجهل يكون على التنبيه والتقرير اذ لم يكونوا اهل عناد وان كانوا اهل عناد
فيكون على التوبيخ والتسفيه لهم وان كان الاستفتاء والسؤال من جاهل طالب رشد لعليم خبير يكون
على الاسترشاد وطلب الصواب وان كان من معاند مكابر فهو يخرج على الاستهزاء والسخرية كقوله تعالى فامطر علينا
حجارة من السماء قالوا ذلك استهزاء به ثم ما ذكر من الاستفتاء لهؤلاء انما يكون تسفيها منه لهم في قولهم ان
الملائكة بنات الله ونحو من الفرية العظيمة التي لا فرية اعظم منها ولا اكبر لكن من درك لان درك الاشياء
معرفتها في الشاهد باحد وجوه ثلثة احدها المشاهدة والعيان والثاني الخبر والثالث الاستدلال بالشاهد
على الغائب ثم علم هؤلاء انهم لم يشاهدوا الله تعالى حتى عرفوا ان له الولد ولا كانوا يصدقون الرسل حتى يقع لهم
لم يمكنهم نسبة هذا الخبر اليهم وان لم يكن هذا من جنس ما يعرف بالاستدلال بالشاهد على الغائب حتى يصير
اليه بالاستدلال فيسفههم بما قالوا ما نسبوا اليه ذلك من غير حجة ودليل لانعدام اسباب العلم في ذلك وفي
قوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وذلك نسبتهم الى الكذب فقال الا انهم ليقولون ولد الله و
انهم لكاذبون وقال اصطفى البنات على البنين تعجل اختار لنفسه ما تانفون انتم ثم نسبهم في قولهم
ونسبتهم الى الله تعالى ما قالوا فيه ونسبوا اليه الى الحكم فذكر في قوله تعالى ما لكم كيف تحكمون او ما لكم تحكمون
بلا حجة وبرهان افلا تذكرون ثم افلا تعقلون ان هذا الحكم جور وظلم عظيم وهو كقوله تلك اذا قسمة
ضيزى وفي الاية ايضا تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتركهم الايمان به والاتباع له لانه
مع علمهم انه على الحق وكذبهم قالوا فيه ما قالوا ولم يؤمنوا به وقوله تعالى ام لكم سلطان مبين اي حجة
وبيان على ما تزعمون وتقولونه في الله فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي اتوا بكتاب من عند الله فيه تلك
من الولد وغيره وفي الاية دلالة ان اسباب العلم ثلثة الحس والمشاهدة والثاني الخبر والثالث الاستدلال
وقد نفى الكل عن هؤلاء الكفرة في اثبات البنات لله تعالى نفى المشاهدة ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون

كذا نفى الاستدلال بقوله اصطفى البنات على البنين فان طريق الاستدلال بالشاهد على الغائب لو كان
يرى في الشاهد ان الكل لا يرضون بالاولاد فقال انكم تانفون عن البنات فكيف ينسبون ذلك اليه ونفى الخبر
بقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين لان الخبر الصدق على الغيب يكون بالكتاب المنزل
على الرسل وباخبارهم وانتم تكذبون الرسل وتنكرون كتبهم فكيف تدعون ذلك فدل ان اسباب العلم
هي هذه الاقسام اذ لو كان غيرها لم يكن هذا الاحتجاج صحيحا عليهم والله اعلم وقوله تعالى وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا قال عامة اهل التاويل الجنة ههنا هي الملائكة لان هؤلاء الكفرة يقولون ان الملائكة
بنات دون الجنة وقال [illegible] ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت اولئك الملائكة والجاعلين بينه وبينه
نسبا او القائلين بمحضرون في العذاب هذا على مذهب عامة اهل التاويل ويحتمل ان يكون قوله وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا الجن انفسهم دون الملائكة وهم عبدوا الجن واتخذوهم اندادا لما ان اولئك الكفرة انهم ملائكة
[illegible] كقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اخبر عن الملائكة انهم عبدوا الجن وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اخبر ان من الجن من خرق له بنين وبنات بغير علم فيكون على هذا التاويل قوله
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجن الذين خرقوا له بنين وبنات بغير علم انهم لمحضرون في النار
وعذاب الله تعالى وهكذا يستجد على قول مجاهد وغيره ويحتمل الذين ابتدعوا اولئك الاتباع انهم ملائكة لله
سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين نزه نفسه عما وصفه الذين تقدم ذكرهم
من جميع ما قالوا فيه ثم استثنى عباد الله المخلصين ولسنا ندري ما موضع الاستثناء ههنا على ما ذكر
من التنزيه فالتنزيه لنفسه عما قالوا فيه يحتمل الاستثناء وجهين احدهما اي سبحان الله عما يصف اولئك
الكفرة من الولد وغيره الا عباد الله المخلصين فانهم لا يصفونه بما وصفوه اولئك انه بريء منزه عما وصفه
اولئك الكفرة فبريء مما وصفه عباده المخلصين عما كان تعالى سبحان الله عما يصفون الا من اخلص منهم
وامن به كانه بريء مما يصفه هؤلاء فان يحتمل ان يسلم منهم فيصفونه بما يليق به لان المؤمن لا يصفه به
الا بما يليق به وقال بعضهم الا عباد الله المخلصين استثناء من قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون يعني
علمت الجنة انهم محضرون النار الا عباد الله المخلصين فانهم لا يحضرون النار والعذاب لكنه على التقديم
والتاخير وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول
والله اعلم انكم وما تعبدون لا يملكون افتتان احد ولا اضلاله وما يضل به الناس الا من هو المغوي لا
حقيقة الاضلال ولا الافتتان وهو كما ذكر في اية اخرى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين وفي بعض الاخبار انه ليس له سلطان على من يتوكل على الله تعالى انما السلطان على من تولى الشيطان حيث قال انه
ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والله اعلم وقال بعضهم الا
من هو صال الجحيم الا من كتب له في اللوح المحفوظ انه يصلى الجحيم وقال بعضهم الا من قضى له ان يصلى الجحيم
وقال بعضهم ما انتم عليه بفاتنين اي ما انتم بمضلين احدا من عبادي بباطلكم وهو الصنم الذي تعبدونه الا
من قدر له عمل اهل النار وذكر عن عمر بن عبد العزيز والحسن انهما قالا ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال
الجحيم يقول ما انتم بمضلين بالحكم احدا الا من قدر له ان يصلى الجحيم وهو قريب مما ذكرنا وهو حجة
[illegible] وما تعبدون يحتمل الجن الذين عبدوه ويحتمل الملائكة ويحتمل الاصنام اذ قد نسب اليهن الا
ضلال بقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس والله اعلم وقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم يحتمل
هذا القول من الملائكة وجهين احدهما على التبري انفسهم عن دعوى الكفرة عليهم انهم مرضيون بالعبادة لهم
اي ما منا الا له مقام معلوم بعبادة مولانا وما لنا الا التعبد من عبادة تطرق فعن كيف نامر هؤلاء
بعبادتنا فهو كقوله سبحانك انت ولينا من دونهم اي نحن نتبرأ من طلب ذلك فكيف نتعرض لذلك
لذلك ويحتمل ان يقولوا ذلك وليس لنا اشتغال عن جميع ما ذكر لما انا علمنا ان له مقام معلوم في مكان معلوم
محدود لا يبرح منه ولا يفارق ويحتمل مقام معلوم اي عبادة معلومة يحقق ما ذكر عن حكيم بن حزام انه قال
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال هل تسمعون ما اسمع قلنا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السماء
وما تلام ان تئط ما فيها موضع شبر الا وعليه ملك راكع وساجد وقائم وعن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان السماء اطت وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجد
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجأرون الى الله تعالى والله لوددت اني كنت شجرة تعضد وقوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون

يحتمل صافون اي يصلون صفوفا كما يصلي بنو آدم بالجماعة صفوفا ويحتمل صافون اي قائمون صفوفا
راكعون صفوفا او ساجدون صفوفا والله اعلم وقوله وانا لنحن المسبحون يحتمل اي مصلون على ما
قال اهل التأويل ويحتمل حقيقة التسبيح اي ننزهه ونبرئه عما يقولون فيه الملحدة ويحتمل قوله
المسبحون اي عابدون خاضعا ابدا والله اعلم وقوله تعالى وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين اختلف فيه قال بعضهم ان اهل مكة كانوا يقولون قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم
قاتل الله اليهود والنصارى كذبوا انبياءهم لو اتانا ذكر او نبي من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فقد قالوا
كما قال فكذبوا القول فيه بالقسم بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اي نفورا عن ربهم والله اعلم وقال
بعضهم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم ان ينزل بهم العذاب بعبادتهم الاصنام على ما
بالاولين من العذاب بعبادتهم الاصنام وتكذيبهم الرسل عليهم السلام فيقولون عند ذلك لو ان عندنا ذكرا
من الاولين اي خبرا من الامم الماضية انهم على ماذا اهلكوا لو علمنا انهم اهلكوا بما يذكر محمد لكنا عباد الله
المخلصين وقص الله تعالى عليهم خبر الاولين اي العذاب بما نزل بهم بما ذكر محمد عليه السلام فلم يقبلوا
وكفروا به عنادا منهم ويحتمل ان يكون هذا منهم احتجاجا على ما قد عبدوا الاصنام ويقولوا انما نحن فاعلي
ثم لا ينزل بهم العذاب بفعلهم كان صنيعهم غير مرضي عند الله تعالى ولو كانوا على دين ما تركهم على ذلك وهو كقوله
قال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وقال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها ونحو ذلك من الاحتجاج الباطل فعلى ذلك يحتمل ان يكون قولهم الذي قالوا لو ان عندنا ذكرا
من الاولين لكنا عباد الله المخلصين اي لم يهلكوا بما يخبرنا محمد ذكرنا ولكن لشيء آخر وهو انقضاء الاجل ويحتمل
ان يكون مكتسب الكلام على ظاهره ما قالوا نحن نخلص التوحيد والعبادة لو كان عندنا ذكر من الاولين
لكن معنى المخلصين بنصب اللام اي لو كان كذا لخلصنا الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فكفروا به فسوف
يعلمون اي سوف يعلمون علم عيان ومشاهدة كما علموا علم خبر بالحجج والآيات وقوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون اختلف فيه قال بعضهم ان الرسل عليهم السلام كانوا منصورين
لم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وانما قتل الانبياء عليهم السلام وهم رسل المرسلين يبلغون رسالة
الرسل الى قومهم ويخبرون عنهم فاما الرسل الذين هم رسل الله فلم يصل اليهم احد عصمهم الله تعالى
عن ذلك وعن ما هموا به الاعداء والله اعلم وقال بعضهم انهم لهم المنصورون في الآخرة وانهم لم ينصروا في الدنيا
انه لم يكن رسول الا وقد كانت له العاقبة وان غلب في الابتداء والعقبى هي العاقبة ومنه قيل العقبى
حوله وقال بعضهم اي انهم لهم المنصورون بالحجج والآيات اي انهم يغلبون بالحجج وانما يغلبون عن
بالاسنة والسيوف وان كانوا قد يغلبون من حيث الغلبة في الحرب والله اعلم ثم قوله وانهم لهم المنصورون
ذكر حرفين انهم ولهم وهما للتاكيد ومثل هذا انه ذكر على سبيل التاكيد كقوله تعالى وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وقوله انا الله وان كان ذكر الواحد كافيا واستشهد لصاحب التأويل الاول بقوله وكأين من نبي
قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وفي بعض القراءات قتل معه ربيون
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اخبر انهم لم يهنوا لقتل انبيائهم لم يهنوا ولم يضعفوا ثم قال وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم
الله بقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فدل انهم لم يغلبوا وقتلوا انهم لم ينصروا
وقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون اي من سلطنا وفلجنا على ما ذكرنا في الحرف الاول وقوله
فتول عنهم حتى حين يحتمل اي لا تكافئهم باذاهم الى الحين ويحتمل اي لا تقاتلهم وكيف ما كان
ففيه توجيهه الحرب بسبب لهم يكونون على الكفر الحين الذي ذكر ويحتمل اي حفظه وصيانة
وعصمته مما كانوا يهمون من القصد والاهلاك يخبر نبيه عن مقاتلتهم ونهاه عن التعرض لهم الى وقت
ان كان من همهم قتله واهلاكه لو وجدوا اليه سبيلا وهو كقوله والله يعصمك من الناس وقوله
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله فابصرهم فسوف يبصرون اي ابصرهم بالحجج والخبر فسوف يبصرونه
عيانا ومشاهدة وقال اي ابصرهم بالعذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرونه وقوعا ويحتمل وابصرهم فسوف
يبصرون النصر عليهم ان العذاب واقع بهم فسوف يعلمون اذا نزل بهم وقال بعضهم اي انظرهم فسوف
ينظرون والاول الوجه فيه ما ذكرنا وقوله فاذا نزل بساحتهم دل هذا انهم كانوا يستعجلون نزول
بهم فانما استعجلون العذاب استهزاء بالرسول عليه السلام وتكذيبا له فيما يوعدهم ان العذاب نازل بهم

ثم قيل افبعذابنا يستعجلون هو حرف التعجب ان كيف يستعجلون عذابنا الرحمن في قدرته وسلطانه في
ان لا العذاب انما الاهلاك اذا اراد تعذيب قوم واهلاكهم وقد اهلكت ذلك من اهلكنا اذا نزل
العذاب بساحتهم فساء صباحهم فقال فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين فيحتمل المنذر نزول الساعة
به اذا نزل بهم ويحتمل ان لقولهم قالوا لو نزل عليهم وهو كقوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ثم قوله فساء صباح المنذرين
لانه لما نزل اهلكهم فيصبحوا في النار معذبين ابدا وقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين فهذه الاحرف الثلاث جميع ما لله تعالى من الحق على خلقه من التوحيد
والثناء الحسن والحمد للنعمة والثناء الحسن على جميع الرسل عليهم السلام اما التوحيد فهو في قوله سبحان ربك
رب العزة عما يصفون نزه نفسه عن جميع ما قالت الملحدة فيه من الولد والشريك والصاحبة ويرجى ان يثاب
قائل هذا ثواب كل من وصف الله تعالى بالولد والشريك ونحوه لانه كله ثم قوله رب العزة وصف له بالعزة والقوة
وتفويض الامر اليه ويرجى ان يثاب قائل هذا ثواب كل من وصف الله تعالى بالعزة والقوة واما الثناء الحسن
على الرسل فهو قوله عز وجل وسلام على المرسلين امر الله تعالى عباده ان يثنوا على المرسلين وعلى ذلك روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فسلموا على اخواني فانما انا رسول من المرسلين واما الثناء الحسن على
كل ما انعم عليهم واحسن اليهم هو قوله والحمد لله رب العالمين ويرجى ان يثاب قائل هذا على المعرفة
لله تعالى والاقرار به ثواب جميع العالمين له والله اعلم ذكر عن علي ابن ابي طالب عليه السلام انه قال من احب
ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
الى آخره ثم اختلف في تأويل قوله رب العزة قال بعضهم رب العزة والنعمة ويحتمل رب العزة اي الذي به يتعزز كل من تعزز
والذي يمتنع عن كل عيب وكذلك في قوله والحمد لله اي كل من حمد دونه على شيء فحقيقة ذلك الحمد والثناء راجع اليه والله الموفق

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ص والقرآن قال بعضهم هو اسم
هذه السورة التي فيها ص وكذلك قوله ق والقرآن وكذلك جميع الحروف المقطعات والله تعالى ان يسمي ما شاء
بما شاء والله اعلم وقال بعضهم ما هو من اسماء الرب تعالى وقال بعضهم هو من فواتح السورة ويفسر ما ذكر
على نحو ما ذكرنا في سائر الحروف المقطعة وقال بعضهم ص من المصاداة اي عارض الكفرة بالقرآن
وبما فيه من احكامه ومواعظه وهو قول ابي عبيدة وقال الزجاج صاد بالقرآن اي قابل وعارض بالقرآن اي جادل
الكفرة حتى يعقلوا القرآن واحكامه وقال بعضهم صاد اي نادي بالقرآن من المناداة وكذا وقيل اقبل القرآن
ونحو وقال الحسن ص حادث القرآن بمعناه اي حادث القرآن بقلبك وهو من قول العرب صادت الدابة اذا كانت
صعبة فلا يطيعها حتى ذللت ولان اوامر النبي صلى الله عليه وسلم المحادثة القرآن بقلبه والتفكر فيه والتأمل لما فيه
من الحكم ووجوه الاعتبار ونحو ذلك وهو كقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد
وطأ واقوم قيلا وقال ابن عباس اي صاد هو اسم كلام وهو شبه قسم والصاد في غير هذا الموضع
هو العطشان وجمع صاد وقال بعضهم هو قسم اقسم بالقرآن على ما تقدم نحو قوله يس والقرآن الحكيم
واختلف في قراءته على الجزم كان بعضهم بالخفض للدال وقرأ بعضهم بالنصب صاد وقاف ونون وقرأها
بالجزم وهي الصحيحة لانها من حروف الهجاء فتكون مبنية على الوقف وقوله تعالى ذي الذكر يحتمل ذي الشرف
سماه ذكرا لان كل شريف يذكر من كل ملأ من الخلق ويحتمل سماه ذكرا لما فيه ذكر ما الهمهم عليهم وما لهم وما
يتقون فيحتمل سماه ذكرا لما فيه من الذكر للامم الماضية وانبائهم وقيل ذي الذكر اي ذي البيان وقوله تعالى
بل الذين كفروا في عزة وشقاق ذكر ان ابا طالب كان مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده وعند
راسه مقعد رجل فقام ابو جهل فجلس فيه فقعد ملأ من قريش فشكوا الى ابي طالب من النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انه يقع في آلهتنا فقال يا ابن اخي ما تريد منهم فقال اريد منهم كلمة يدين بها العرب وتؤدي اليهم بها
العجم الجزية قالوا وما هي قال لا اله الا الله فقال ابو جهل اجعل الآلهة الها واحدا فذلك العزة الذي ذكر بل الذين
كفروا في عزة وشقاق ثم قوله في عزة وشقاق قال بعضهم في حمية واعزاز والحمية هي التي تحمل على الخلاف
والعصبية ثم اختلف في موضع القسم والحلف به قال بعضهم جواب القسم قوله بل الذين كفروا في عزة
وشقاق بل لنفي ما قبله واثبات ما بعده فان خرج بل بمعناه والله اعلم ليس للذين كفروا الا في عزة وشقاق

قال بعضهم موضع القسم وجوابه في قوله كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص قال بعضهم موضع
القسم في قوله إن ذلك لحق تخاصم أهل النار مع بعد ما بين هذا الكلام وبين القسم في أول السورة والله
وقال من القسم في القرآن ما هو ظاهر لا يختفي ومنه ما مضى من الظاهر قوله لا أقسم بالخنس الجوار الكنس
جوابه إنه لقول رسول كريم ومنه ما ص والقرآن ذي الذكر قال بعضهم موضع القسم قوله إن ذلك لحق تخاصم
أهل النار لأنه قد طال الكلام وجاء من القصص ما لا يكون ذلك قسم ولكن موضع القسم عندي والله
أعلم كم أهلكنا من قبلهم من قرن ومعناه لكم الآية لما اعترض بينه وبين القسم قوله بل الذين كفروا في عزة
وشقاق حذف لام القسم ويكون مردود القلبة وجوابا له وهو عن شطريه غامض والله أعلم

كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص قيل فيه نزل له بوجهين أحدهما أنه هذا في كل كافر
ومشرك ينادي عند موته وهلاكه ويسأل الرجعة العود والرجوع إلى الدنيا ليؤمن كقوله تعالى خبرا عنهم
قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت وقوله فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب ونحو ذلك لكن
لا ينفعهم ذكر النداء والغوث وسؤال التأخير والثاني هذا في الجملة في الأمم التي أهلكت من قبل [illegible]
بالتكذيب والعناد كانوا ينادون عند نزول العذاب بهم ووقوعه عليهم ونظرهم إلى أنفسهم الإيمان
كما أخبر تعالى بقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لكن لا ينفعهم ذلك كما أخبر تعالى بقوله فلم يك
ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا لأنه إيمان دفع العذاب عنهم لا إيمان حقيقة يخوف بها هو تعالى أهل مكة
أن ينزل بهم ما نزل بأولئك لو لم يتابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوه وتركوا
على صنيعهم كما نزل بأولئك والله أعلم ثم قوله ولات حين مناص اختلف فيه أهل الأدب في الوقوف
أنه يقف على قوله ولات ثم يبتدئ بقوله حين مناص فقال الكسائي يوقف على قوله ولات ويبتدئ
فيقول حين مناص كما يكتب في المصحف اليوم ولات في الأصل ولا كانت يعني مفصلة والله أعلم وإذا وصل
بحين زيدت فيه التاء فصارت ولات حين وقال بعضهم هو ولا ليس فيه تاء وإنما التاء في مثله من كلام
العرب قال أبو عبيدة وقال معاذ كره الكسائي حجة لو جهد حجر دها أحدهما أنا لم نجد شيئا من كلام العرب
ولات إنما المعروف ولا والثانية أن تفسير ابن عباس تشهد لها وذلك أنه قال في قوله ولات حين مناص
أي ليس بحين نزو ولا فرار فجعل ليس مكان لا وإنما أدخل التاء في ليس وإنما أدخل في حين فقال أي ليس
بحين فرار وقد يعلل بسلخت لا فيها الكتابة لأن التاء تكون في حين لا في ولا وقال أيضا إن هذا التاء يزيد
مع حين ومع الآن ومع أوان فيقال كان هذا تحين وكذلك تاوان وتقال اذهب تلان فاذهب
لا كما روي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأله عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال هذه تلان معك إلى أصحابك
الحديث بطوله يعني هذه التي تذهب بهذه المناقب الآن معك فتعطها إلى أصحابك وكذلك قول الشاعر
تولي قبل يوم بين جمانا ● وصلينا كما زعمت تلانا ● ثم مع هذا كله تعمدت النظر في ذلك الذي يقال
أنه مصحف الإمام مصحف عثمان رضي فوجدت التاء متصلة بقوله حين وكتبت تحين على خلاف
ما يكتب اليوم في المصاحف ولات حين ثم تكلموا في معناه قال بعضهم أي ولس بحين مناص أي ولا
ليس بحين جزع قال أبو عوسجة ولات حين مناص أي هرب من غير موضع الهرب والمناص الهرب من قوله
ناص ينوص نوصا أي هرب وقال القتبي لا حين هرب كقول أبي عوسجة وقال أبو عبيدة هو من النجاة والنوص
أي ليس وقت نجاة ومعوض النوص التأخر في كلام العرب والبوص التقدم أي ليس وقت التقدم والتأخر
وكل ذلك قريب وقوله تعالى وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ● يحتمل هذا بوجهين أحدهما وعجبوا أن جاءهم
منذر منهم أي من بشر مثلهم كقوله تعالى خبرا عنهم ما هذا إلا بشر مثلنا وقوله أبعث الله بشرا رسولا كانوا
ينكرون الرسالة في البشر ويقولون لولا أنزل علينا الملائكة ونحو ذلك والثاني يحتمل وعجبوا
أن جاءهم منذر منهم أي منذر من دونهم في أمر الدنيا المال والأنفس وقد فضلوا في أمر الدنيا دونه
فقالوا لولا أنزل عليه الذكر من بيننا وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لم يروا
من دونهم في أمر الدنيا أهلا للنبوة والوحي كذلك تعجبوا والله أعلم وقوله تعالى وقال الكافرون هذا
ساحر كذاب ● دل هذا القول منهم على أنه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية معجزة ناقضة
للعادة إذ أتاها علموا بها أنه رسول الله لكنهم عاندوا وعادوا بقولهم ساحر كذاب لئلا يتبعوا اتباعه
عليه كما أغرى فرعون قومه على موسى عليه السلام بقوله يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وهو لم يرد
يخرجهم إنما يريد منعهم الإسلام فعلى ذلك هؤلاء الرؤساء أرادوا أن يغروا قومهم عليه ويلبسوا الأمر
لئلا يتبعوه وقوله تعالى أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب يحتمل هذا القول الذي قاله

بهما القرآن الاتباع على محمد صلى الله عليه وسلم فيما اشتد تعجبهم وتمكن تعظيمها في قلوبهم وقوله عجاب قال
بعضهم عجيب وقال أبو عوسجة عجاب تكثير العجب كما يقال كبير وكبار وقال الكسائي في العجاب
العجب كلها لغات والمعنى واحد وقوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم اختلف
في تأويل قوله أن امشوا قال بعضهم إن الملأ منهم والأتباع أتوا أبا طالب يشكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم مما يذكر آلهتهم بسوء فلما كلموه في ذلك لم يلتئم أمرهم فيما طمعوا منه وليجيبهم إلى ما دعوه وسألوه
فقال الملأ وهم أشرافهم للأتباع أن امشوا من عنده واصبروا على آلهتكم ويحتمل إذ قال الملأ للأتباع
امشوا إلى أبي طالب وقولوا له كذا واصبروا على عبادة آلهتكم ويحتمل إذ امشوا إلى آلهتكم من عند محمد
إن لم تفعلوا كذا وقولوا إن هذا لشيء يراد تحقيقا أن يكون نادى بذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم دعا
إلى ترك عبادتكم الأصنام لا ليترككم كذا سدى ولكن يدعوكم إلى عبادة غيرها فيكون بالغرض والإرادة
سوى ما يدعوكم من ترك عبادتكم الأصنام ويحتمل أنه أراد بما دعاكم يجب ما دعاكم من عبادة الواحد
وترك عبادة الأصنام شيئا آخر من الأموال وغيرها فيكون غرضه هو التسلط والإمارة عليكم دون
الدعاء إلى عبادة الواحد ونحو ذلك والله أعلم بذلك وقيل إنما قالوا حين أسلم عمر رضي الله عنه إن هذا
لشيء عجاب إن هذا لأمر يراد فامشوا إلى أبي طالب وقولوا له كذا على ما ذكر في القصة وقوله تعالى ما سمعنا بهذا
في الملة الآخرة ● عنوا بهذا عبادة إله واحد وترك عبادة آلهة في الملة الآخرة قال عامة أهل التأويل الملة
الآخرة هي النصرانية لأنها آخر الملل وإنما قالوا ذلك لأن النصارى اختلفوا في عيسى عليه السلام منهم من
اتخذه إلها وقالوا ثالث ثلاثة عيسى ومريم وإله السموات والأرض ومنهم من اتخذه ولدا لله لكن
كيف يحتمل الشرك في العبادة عنوا بهذا أنه يتظاهر عبادة العدد في الملة الآخرة وما سمعنا فيها عبادة
الواحد الذي يدعونا إليه محمد فكيف يخالف عبادة العدد ويدعونا إلى عبادة الواحد وقيل الملة الآخرة
اليهودية والنصرانية وقيل عنوا بالملة الآخرة الملة التي هم وآباؤهم عليها يقولون ما سمعنا عبادة إله
واحد وترك عبادة آلهة في الملة التي نحن وآباؤنا عليها إن هذا إلا اختلاق من عند محمد كذب وقوله تعالى
أأنزل عليه الذكر من بيننا ● يعنون بالذكر النبوة والكتاب والوحي على محمد من بيننا وهو أصغر منا سنا
ونحن أكبر سنا وأعظم شرفا وأكثر مالا وأعز نفرا فرد الله تعالى عليهم فقال بل هم في شك من ذكري بل
لما يذوقوا عذاب فدل قوله هذا على أنهم لم يجحدوا ولم يردوا الرسالة لكنهم رأوا المنزل عليه الذكر
فضلا وخصوصية على غيره ورأوا الخصوصية لأنفسهم بزعمهم لما لهم فضل في أمر الدنيا ولم يروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكروا إنزال الذكر عليه دونهم ولذلك قالوا لولا أنزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم أخبر جل وعلا أنهم شاكون في ذكره بقوله بل هم في شك من ذكري
وتأويل هذا والله أعلم أن الشك هو الذي يوجب الوقف دون القطع على شيء فكيف قطعتم الرد والإنكار
دون أن تقفوا فيه وقوله تعالى بل لما يذوقوا عذاب ● يحتمل أن يكون هذا إخبارا عن الإياس من إيمانهم لا يؤمنون
حتى يذوقوا العذاب الأليم وقال الإمام رحمه الله كأنه قال بل هم في شك من ذكري وتأويل هذا والله أعلم ما يريدون
عند استفهامهم من حيث الذكر له وتكذيبهم إياه على الشك منهم والشك يوجب الوقف دون القطع
وفي الآية دلالة أن الحجة والدلائل تلزم على من جهلها ولم يتحقق عندها البديهة فهي حجة على المعتزلة
الذين قالوا إن العلم شرط الصحة للتكليف والله أعلم وقوله تعالى أم عندهم خزائن رحمة ربك
العزيز الوهاب ● قد ذكرنا فيما تقدم أن حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الإيجاب والإلزام فيكون
المراد منه ذلك التقدير أي ليس عندهم رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة والنبوة لأنفسهم كانت لهم
السعة في الدنيا وفضل المال كما أخبر عنهم بقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
فيكون عندهم خزائن رحمة ربك حتى يجعلوا الرسالة والنبوة فيمن شاؤوا واختاروا وهو كما قال أهم
يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الآية أخبر أنهم على ما لا يكون بتوسيع
المعيشة على من ضيق عليه ودفع من وضع فعلى ذلك ليس إليهم اختيار النبوة والرسالة لمن شاؤوا بل
ذلك إلى الله تعالى يضعها فيمن شاء عنده فضلا أو لم يكن ثم التأويل الآية لهم لما رأوا السعة وفضل
المال لهم على الله تعالى فقالوا إنا كنا أحق بها في الدنيا فنحن أيضا أحق بالرسالة والنبوة فلو عرفوا
أن ما نالوا من السعة في الدنيا نالوا برحمة الله وفضله لا لحق كان لهم على الله تعالى لا ينكروا من وضع الرسالة
فيمن اختار الله وضعها فيه ومثله قول المعتزلة إنهم لا يرون لله تعالى فضلا ورحمة وإحسانا على أحد
من عبيده بل يرون فعل الأصلح في الدين واجبا عليه حقا للعباد حتى لو لم يفعل ذلك كان جائرا ظالما كما ذكر

اولئك الكفرة اعطاء النبوة والامر لحقا على الله تعالى ولم يروا انه يفضل البعض على البعض وما اقصر
في ذلك حيث يروا لبعضهم فضلا على بعض في نعم الدنيا والملك والسلطنة فلم ينكروا ذلك ثم انكروا
ما راوا من تفضيل البعض في النبوة والرسالة فكذا المعتزلة ناقضوا في ايلام الصبيان وليس في ذلك
صلاح لهم فقالوا ليس لله تعالى ان يولمهم الا بعوض يجعل لهم بازاء ذلك الالم فيجيء على قولهم ان يجعل لهم
يجعل لهم بازاء ذلك عوضا يرضون به اذ جعلوا انفسهم لهم حقيقة حيث لم يجعل لله تعالى الايلام الا بالعوض
ومن اخذ حقا لغيره لا ياخذه الا ببدل وعوض يرضى به ذلك الغير فهذا تناقض مذهبهم ان الله تعالى يجب عليه
الاصلح في الدين لعباده ويكون ذلك حقا لهم عليه والله الموفق ثم في اطلاقهم اسم الوهاب على الله تعالى باتفاقهم
دليل على ما يناله من خير وسعة او فضل انما يناله برحمة منه وفضل لا يجب عليه لان من ادى حقا عليه لا يسمى
وهابا وانما الوهاب في الشاهد من يعطي ابتداء ا شيء تفضلا وتبرعا فدل اطلاقهم تسميتهم وهابا على انه
على انما اعطى تفضلا منه ورحمة لا حقا كان لهم عليه والله الموفق وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض
هو مثل قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب اي الهم هذا حتى يختاروا وضع الرسالة فيمن ارادوا
اي ليس لهم ملك السموات والارض حتى يختاروا التصرف فيها كما اخبر بقوله تعالى ام عندهم خزائن رحمة
ربك اي ليس مفاتيح الرحمة والنعمة بايديهم فيضعوها كيف شاؤا بل مفاتيح الرحمة بيد الله تعالى وهو مالك
السموات والارض فله ان يتصرف في اهلها كيف شاء ليس لاحد في ذلك شرك ولا نصيب ثم قال فليرتقوا
في الاسباب اي ان قالوا اليس لهم ملك السموات والارض وما بينهما ان لا يختاروا التصرف في وضع الرسالة
فيمن شاؤا بل يتركوا ذلك الى من بيده مفاتيح الرحمة والملك لهم على الحقيقة ليتصرف باختياره على ما يحكم وان
قالوا بل لنا ملك السموات والارض قيل لهم فليرتقوا في الاسباب اذا كان لكم ذلك او قادرا على ذلك ثم اختلف في
الاسباب قال بعضهم الاسباب ان كانوا صادقين بان محمدا كذاب وانه اختلقه من نفسه فيفتح لهم ابواب
السماء فيستمعوه الى الوحي حين يوحي الله تعالى الى محمد عليه السلام ليعلموا انه الصدق او اختلاق
وقيل الاسباب طرق السماء والارتقاء الصعود ومعناه فليصعدوا في طرقها فليستمعوا ليعلموا انه الذي
انزل عليه ام لم ينزل عليه والله اعلم ويحتمل انه قيل فليرتقوا في الاسباب فينزلوا ملكا يخبر ان محمدا فيما يدعي
انه صلى الله عليه وسلم يدعي الوحي كاذب لان المال لو كان لهم ملك السموات والارض لقدروا على
وقيل السبب ما بين السماء والارض وكذلك ما بين كل سماءين وهو المعراج او من الشعر او صليب من الحديد
يعرج به الملائكة ينظر المتاه اذا خرج روحه وقيل ليصعدوا في السبب الذي ارتقى محمد عليه السلام واتى
بمثل ما اتى به لو لم يكن هو رسولا صادقا فيما يدعي فعجزوا فاقروا انكم بالذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم
من الدين والاسباب حتى يختصوا بالنبوة والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى جند ما هنالك
مهزوم وقال بعضهم جائز ان يكون على تحقيق حرف ما على ما هو ظاهر القرآن من غير ان يجعل صلة زائدة
اي جند ما بهم هنالك من الاحزاب لا كل الاجناد ثم اختلف فيه قال عامة اهل التاويل المراد هو الجند
الذين خرجوا عليه للمباهلة وقالوا اللهم انصر انبيائنا او افضل رحما وانفع مالا واحسن الخلق فغلبوا وهزموا وقيل
جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب الاحزاب هم الذين تحزبوا عليه اي تفرقوا في طرقه وقال بعضهم انه ساحر
وقال بعضهم انه كذاب وانه مفتري وانه مجنون فوعد بالنصر والظفر عليهم والله اعلم ثم في الاية وجوه احدها
دلالة الامر له عن ان يصلوا الى قتله على الاحاد والافراد كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وفيها الامن
عن ان يصلوا اليه على الجمع والاجتماع كقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وفيها بشارة له انهم مهزومون
في حال ضعفه وقلة اعوانه وكثرة اولئك ثم في الوجوه كلها دلالة الرسالة حيث اخبر عن غيب ثم كان
كما كان اخبر دل انه بالله تعالى عرف والله اعلم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم
لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب اي الفرق ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يذكر هؤلاء الاحزاب
الذين كانوا من قبل من الامم السالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبر عن مواصلتهم وتعاملهم
ومعاملة الرسل معهم وفي ذلك وجهان احدهما اخبار عن كيفية معاملة الرسل ولئلا يكفروا
تكذيبهم اياهم وسوء معاملتهم معهم انكيف عاملوهم وصبروا على اذاهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم
على اذاهم وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني يذكر اهل مكة بهذا ويحذرهم
بالامم السالفة المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم ليحذروا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعاملوه
كما عامل اولئك فينزل بهم مثل ما نزل باولئك من العذاب والهلاك والله اعلم وقوله فرعون ذو الاوتاد
قيل لفرعون كان اذا غضب على احد من قومه مده باوتاد فيعاقبه بها ويعاقبه لذلك سمي ذو الاوتاد

قال بعضهم ذو الاوتاد اي ذو البناء المحكم وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب ويلاعب يلعبون بها والله
اعلم وقوله تعالى فحق عقاب قيل اي وجب عليهم عقاب لكن معناه اخبر انه لما نزل العذاب ووقع عليهم
الا كان العذاب واجبا على جميع الكفرة فلا معنى لتخصيصهم وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
ما لها من فواق يخبر الله تعالى رسوله ويؤيسه عن ايمانهم الا عند نزول العذاب بهم حين لا ينفعهم ذلك
قوم معاندين وهو كقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم
ثم قوله الا صيحة واحدة يحتمل ان يكون سمى نفس العذاب صيحة لما ان العذاب اذا نزل بهم يصيحون من ذلك
نسمي العذاب صيحة لكونه سبب صياحهم ويحتمل ان يكون العذاب كان نزل فيه صياح وصوت هائل
يفزع الناس منه لذلك سمي صيحة والله اعلم وقوله ما لها من راحة ولا افاقة كانه يذهب الى افاقة المريض
من علته ومرضه ومنهم من جعلها من فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين يريد ما لها انظار ومكث وقال ابو عوسجة
والقتبي ما لها من انقطاع يريد انها دائمة ابدا لا انقطاع لها وقال الكسائي الفواق بالنصب والرفع لغتان
وهي فواق الناقة ما بين الحلبتين والصعقتين وقال اهل التاويل ما لها من فواق اي مرد ومرجع ومنهم من
قال هو مد البصر يقول اقرب من ذلك كقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والله اعلم واصل
الفواق كانه من العود والرجوع كعود اللبن الى الضرع بعد ما حلب مرة وعود العقل الى المغمى عليه والله اعلم وقوله
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اختلف في تاويله قال بعضهم عجل لنا قطنا اي حظنا من
كتابنا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم بان يؤتوا يوم القيمة كتابا كتبت فيه اعمالهم التي عملوا
في الدنيا فقالوا عند ذلك عجل لنا الكتاب الذي وعدتنا به قبل يوم الحساب تكذيبا واستهزاء ولذلك
عزاه الله تعالى وصبره بقوله اصبر على ما يقولون والله اعلم وقال ابو عوسجة قطنا اي كتابنا يقال قططت
اي كتبت اقط قطا فانا قاطط والكتاب مقطوط والقط ايضا القطع قططت اظفاري والقط الذي
يعطي اي حسبي وقطاني حسبي وقال القتبي القط الصحيفة وهي الصك وقال بعضهم
عجل لنا قطنا الذي يصيبنا وحظنا من العذاب الذي توعدنا به وتحذرنا يوم الحساب قبله في الدنيا
قالوا ذلك استهزاء وتكذيبا فقال اصبر على ما يقولون على اثر ذلك فدل هذا التاويل وجائز ان يكون
قوله عجل لنا قطنا ليس هو سؤال العذاب لكن حمله عامة اهل التاويل ولكنه على سؤال السعة والنعم
في الدنيا انهم يعدهم في الاخرة من نعيم الجنة بالايمان يعدهم لانهم لا يؤمنون بيوم الحساب سالوا ما وعد
في الاخرة من النعيم قبل يوم الحساب وذلك اشبه لانهم سالوا ربهم ان يعجل ذلك لهم فلو كان على ما حمله
اهل التاويل من سؤال العذاب والكتاب على سبيل الاستهزاء والتكذيب لسالوا الرسول ذلك
ثم يسالوا ربهم اذ هم يقرون بالله تعالى فيكون قوله اصبر على ما يقولون على ما تقدم من قولهم انه ساحر
وانه كذاب وانه اختلق هذا القرآن من ذات نفسه ونحو ذلك يؤيد ذلك ما ذكر عن سعيد بن جبير
حيث قال ذكرت لهم الجنة فاشتهوا ما فيها قالوا ربنا عجل لنا قطنا يصيبنا من الجنة والله اعلم
وقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب يحتمل الامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوها
احدها اي اذكر نبا داود ونبا من ذكر في هذه السورة من الانبياء عليهم السلام من قوله واذكر عبدنا
ايوب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم اي اذكر نباهم الذي لم تكن تعرفها انت ولا قومك
من قبل هذا لعلهم يؤمنون بك ويصدقونك كقوله تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا الاية والثاني اي اذكر صبر عبدنا داود ومن ذكر معه في هذه السورة على اذى قومهم
لتصبر انت على اذى قومك كما صبروا وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثالث اي اذكر من
الامم السالفة وما يكون لهم من المكر مما كادوا رسلهم المكذبين منهم وما نزل بهم من العذاب فيعلم من نجا
منهم ونجى من هلك منهم بم هلك لعلهم يرجعون ويؤمنون والله اعلم والرابع ذكر جهد داود ومن
ذكر من هؤلاء في العبادة والدين وامثال ذلك يحتمل والله اعلم ثم قوله ذا الايد قال عامة اهل التاويل
اي ذو القوة في العبادة وجائز ان يكون قوله ذا الايد ذا الايدي فانه الين له الحديد حتى كان يتخذ
الدروع والاسلحة ونحوها فيستعملها في المحاربة مع الاعداء والدفع عن اهل الاسلام والدفع عنهم
وكذلك سخر له الجبال والطير حتى يسبح معه وقيل ذا الايد والاحسان والعمل الصالح وقال قتادة
اي ذا القوة في العبادة والفقه في الاسلام والنصرة في الدين والله اعلم وقوله تعالى انه اواب قال بعضهم
اواب مطيع لله تعالى مقبل على طاعة الله وقيل اي يسبح لله تعالى كثير التسبيح فلذلك انه كثير التسبيح وله
قال انا سخرنا الجبال معه يسبحن وقال يا جبال اوبي معه اي سبحي ويحتمل قوله اواب اي رجاع الى الله تعالى في كل امر

مظلم وباشه خديعة والله اعلم وقيل اي نبلي ثوابا بعد ثواب ونابعا تابعي واحد قوله تعالى انا سخرنا الجبال
معه يسبحن بالعشي والاشراق قيل هو على التقديم والتأخير كانه قال انا سخرنا الجبال يسبحن معه كقوله
يا جبال اوبي معه يسبحن الجبال والطير لداود عليه السلام كي تسبح معه وتطيعه وفي ذلك
بيان لطف الله تعالى وذكر الخصوصية لداود عليه السلام اما بيان اللطف بحيث صير الجبال والطير
تقف على وقت تسبيح داود عليه السلام وتسمع تسبيحه وتعرفه حتى تسبح معه على ما اخبر الله تعالى
لما جعل الجبال الشديدة وصلابتها بحيث تعرف وقت تسبيح داود وتعرف تسبيحه وتسمعه وبلين
له الحديد فما انه يجعل قلب الكافر بحيث يلين ويخضع له تعالى بلطفه اذ قلبه ليس اشد قسوة
وصلابة من الحديد والجبال فاذا جعل الله تعالى بلطفه فيها لانت وخضعت فعلى ذلك اذا جعل اللطف
في قلب الكافر فلا يحتمل ان لا يلين ولا يخضع للحق والله اعلم واما الخصوصية لداود عليه السلام هو ان
الله تعالى جعل لكل نبي من الرسل عليهم السلام خصوصية في شيء لم يجعل مثل ذلك الخصوصية لاحد في ذلك الشيء بلطفه
وخصوصية داود عليه السلام بما ذكر من تسخير ما ذكر له من الجبال والطير في تسبيح والانة الحديد وغير ذلك
وخصوصية سليمان عليه السلام ما ذكر من تسخير الرياح له وحملها اياه حيث شاء مسيرة شهر غدوة ومسيرة شهر
عشيا كما اخبر تعالى بقوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وما ذكر من نطق النمل والطير لهم وفهمه
وتسبيحها ونحو ذلك وعلى ذلك لجميع الانبياء والرسل عليهم السلام ثم اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم خصوصيات
لاشياء لم يعطها غيره وشاركه اياهم في جنس خصوصياتهم على ما روي انه لما هجر انسبح بيده حتى سمع ذلك
من بحضرته وما ذكر من تسبيح اصابعه وما ذكر من نبع الماء من بين اصابعه كما نبع الماء لموسى عليه السلام من
الحجر وغير ذلك والله اعلم وقوله يسبحن بالعشي والاشراق يحتمل ان يكون العشي والاشراق لا على اراده
حقيقة العشي والاشراق ولكن ذكر عبادة عن جميع الاوقات فيكون العشي والاشراق كناية عن الليل
والنهار ويحتمل ان يكون تسبيحهن في العشي والغداة خاصة كقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ثم تسبيح الجبال والطير يحتمل ان يكون قوله يسبحن
اي يصلين لله تعالى كقوله الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
اخبر ان كلا منهم علم صلاته وتسبيحه فكذا انه صلاته ويحتمل ان المراد منه حقيقة التسبيح من حيث
النطق باقدار الله تعالى اياها على ذلك بواسطة خلق الحياة فيها ومن الناس من قال التسبيح هذه الاشياء
التي ذكرهم تسبيح خلقة لا تسبيح نطق وكلام لكن لا يصلح ذلك في هذا الموضع لانه قال يسبحن معه ولو كان
المراد هو التسبيح بالخلقة لم يكن لذكر يسبحن مع داود عليه السلام معنى بل يكون تسبيحهن مع داود وغيره
في كل وقت لان خلقتها في كونها منزهة ذات صانعها وتعاليه عن سمات الحدث ولا يختص بوقت
دون وقت دل ان المراد هذا التسبيح بطريق النطق والله اعلم فان كان على الصلاة ففي الاية دلالة على
لا يجوز الصلاة لاحد حتى تشرق الشمس وترتفع اذ هو اشراق قال ابو عوسجة الاشراق هو طلوع الشمس
وتفرق عنها في كل ناحية بضوئها كقوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها والله اعلم ومن الناس من حمل قوله
والاشراق على صلاة الصبح وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ذكر عنه انه سأل وهو عن صلاة الضحى
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاها في بيته فاخبر انه نوفل قال ابن عباس هذه صلاة الاشراق
وهذه صلاة الاشراق يعني صلاة الضحى وعن ابن عباس قال لم يزل في نفسي من صلاة الضحى شيء حتى قرأت
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال اوصاني خليلي بثلاث
ونهاني عن ثلاث اوصاني بصلاة الضحى والوتر قبل النوم وصيام ثلاثة ايام من كل شهر ونهاني عن نقر
كنقر الديك والتفات كالتفات الثعلب واقعاء كاقعاء الكلب وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول انه لا يدعها ويدعها حتى نقول انه لا يصليها وعن عائشة
وام هانئ رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى وعن ابن عمر رضي الله عنه انه لم يصلها وقال
ابن عمر هي من احسن ما احدث الناس لي وعن ابن عباس انه سئل عن صلاة الضحى فقال انها لفي كتاب الله
تعالى وقرأ في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال والطير
محشورة كل له اواب اي مجموعة مسخرة اي سخرت له الطيور ايضا وقوله كل له اواب قال بعضهم كل له
مطيع وقال بعضهم كل له مسبح فان كان قوله كل له اواب اي مطيع فهو يحتمل مطيع لله تعالى ويحتمل مطيع
لداود عليه السلام اذا الطاعة تجوز لغير الله تعالى وان كان الاول فهو التسبيح فهو لا يحتمل لداود عليه السلام
ولكن لله تبارك وتعالى لان المحدث والمحل قد يوجد فيه موجودة ولا يليق به التنزيه المطلق الا لله

وشددنا ملكه قال عامة اهل التأويل ان تشديد ملكه انه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة
وثلاثون الفا من بني اسرائيل لكن هذا ضعيف لان الكلام خرج على سبيل الامتنان عليه بتشديد الملك
وبين بما ذكر كثير تشديد الملك بما وصف ضعف فيه حتى يحتاج الى حراسة هؤلاء والى استعانة بالاعداء وعن
تشديد الملك الا انه يريدنا بما ذكر وكثرة اعوانه وانصاره واشياعه فذلك ليس من باب الامتنان وعن باب
الملك وشدته واما نفس الحرس فليس فيه كثير منقبة فيحتمل ان يكون غير ما ذهب اليه اهل التأويل فهو وجهان احدهما
شد ملكه بما ذكر من الانة الحديد حتى كان يتخذ منه ما شاء من الدروع وغيرها من اسباب الحرب بما لم يعط
احد مثله فيقطع بذلك طمع المنازعين له في ذلك والرغبة في ملكه والثاني ان بذلك يذهب ملكه فهو شدة
والثاني شدة بما ذكر من تسخير الجبال والطير وتسبيحهم معه وخضوعهم له اياه وطاعتهم له حتى يبلغ من ملكه
هذا المبلغ مع عبادته بنفسه لله تعالى وطاعته له وكثرة تسبيحه لم يقصد احد من ملوك الارض
قصده ولا طمع في زوال ملكه لما يحال بهذا اشبه ان يكون تأويل شد ملكه على ما ذكرنا والله اعلم وقوله وآتيناه
الحكمة وفصل الخطاب قيل الحكمة النبوة وفصل الخطاب هو فصل الخصومة بين الخصوم بالبينة
على المدعي واليمين على من انكر كذا روي عن شريح وكعب لكن ليس في تأويلهم فصل الخطاب بما ذكروا من جعل
البينة على المدعي واليمين على المنكر كثير منقبة وخصوصية اذ قد اعطينا نحن مثله وقد ذكر هذا على
سبيل الخصوصية لداود عليه السلام وقال بعضهم فصل الخطاب هو قوله اما بعد وهو ايضا ليس في
يحتمل ما ذكر من الحكمة وجهين احدهما يحتمل ما ذكر من اتيان الحكمة احكام امره فيما بينه وبين ربه في العبادة
والطاعة لله تعالى على ما ذكر في قوله ذا الايد انه اواب والثاني يحتمل احكام امره فيما بينه وبين الناس
وقيل من معرفة السياسة لديهم وانزال كل منزلته وتأليف قلوبهم وجمعهم على دين واحد حتى لم يقع
تنازع ولا اختلاف في الدين والله اعلم وعلى ذلك يخرج قوله وفصل الخطاب اي قطع الخصومة فيما بينهم
على التأليف والتلطيف وايضا لكل الحكمة من حيث لا يقع بينهم خشونة او ضغينة وعن الحسن وقتادة
فصل الخطاب العلم بالقضاء وقال ابو بكر الخطاب مصدر خاطبت مخاطبة كما تقول
جادلته مجادلة والجدال والمجادلة وهما مستقلان بانه لكل فاعل له مصدران فعال ومفاعلة وقال ابو عوسجة فصل
القضاء والخطاب الخصومة يقال خاطبت الرجل اي خاصمته وقوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا
المحراب قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على وجهين احدهما على الايجاب والالزام
والثاني على التقرير والتنبيه فمعنى الايجاب فيه وقد اتاك نبأ الخصم فتفكر فيه ان كيف ابتلاه الله تعالى وفيه
بما ذكر ومعنى التنبيه هل اتاك الذي لم يأتك نبأ الخصم فانبئك نبأ الملك خبره ونبأه اي كيف ابتلاه
وابتلاه وعلى هذا يجوز ان يكون قوله عبدنا داود ذا الايد انه اواب ذكر نعماءه واذكر مغفرة الله تعالى اياه
واذكر خصومة الخصمين له اذ ذكر ما اعطي هو من الحكم والحكمة وفصل الخطاب وقوله اذ تسوروا المحراب
قيل صعدوا واصل التسور الدخول في علو لا نقص من اعلى السور وهو الحائط المشرف المرتفع
اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط وقيل انما فزع منهم لما خاف دخول الوهن في ملكه اذ دخلوا عليه
بلا اذن من غير الباب وخاف لخصوص مكان وكما عرف انهم ملكين كما قال بامر عظيم ونحوه
ولا تشطط قراءة العامة تشطط برفع التاء من اشطط يشطط اي جار معناه لا تجر علينا واهدنا
الى سواء الصراط قصده وعدله وقراءة بعضهم ولا تشطط بنصب التاء من شط يشط من قول العرب شطت الدار
اذا تباعدت وبانت كانه يقول ولا تشطط اي لا تجاوز الحق ولا تباعد واما المحراب قال ابو عبيدة
موضع المجلس ومنه سمي محراب المسجد وقيل المحراب الغرفة وقوله اذ تسوروا المحراب يدل على ذلك
وهذه الاية دلت على انه لم يكن مجالسا للقضاء حيث انهم لم يدخلوا من الباب فدل على ان القاضي لا يلزمه
ان يجلس للقضاء في كل ايامه وقال الحسن جزأ داود عليه السلام الدهر اربعة
اجزاء يوما للنساء ويوما للقضاء ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لبني اسرائيل يسألونه وينشدونه
فدل ذلك على ما قلنا وقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب قال بعضهم اعطنيها يقال اكفلنيها اي اعطنيها وهو قول ابي عوسجة وقال بعضهم
ضمها الي واجعلني كافلها وهو قول القتبي وقوله وعزني في الخطاب اي غلبني في الخصومة وقيل عزني
في الخطاب لغة لكلامه اي ابين مني كلاما وان تكلفت رجحني قال اهل التأويل ان داود عليه السلام كان له تسع
وتسعون امرأة فكان يكون عند امرأة يوما فاذا كان نوبة تفرغ للعبادة في ذلك اليوم

تاتيه طائر فوقع بين يديه قريبا منه فنظر اليه وصار متعجبا به فهم ان يأخذه فارتفع الى كوة المحراب
فصعد ليأخذه فوقع بصره على امرأة او ربما اعجبته فبعث زوجها الى القتال ليقاتل فيقتل فتزوج
بتلك المرأة فانزل الله تعالى عليه الملكين يختصمان بين يديه على ما ذكر في الآية لتنبيهه بذلك ويعلم ما فعل
من ضم امرأة اخرى الى نفسه مع ما له من تسعة وتسعين امرأة ومن الحسن ان تجري دموعه ويدعو لحل
لسانه ويوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما للعبادة ويوما للعبادة بنيه ويوما للعباد بني اسرائيل يذكر
ويذكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنب
فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادته اغلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد واكب
التوراة يقرؤها فابتلي بما ذكرنا قال وكذلك سماه الله اوابا قال الشيخ رحمه الله اما حديث الطائر
وصعوده الى الكوة المحراب ليأخذه ووقوع بصره على امرأة واعجابها اياه فهذا يحتمل ان يكون اما قولهم انه
اتبع النظر اليها اما هذا لا يحتمل ان يكون مثل داود عليه السلام او غيره من الانبياء عليهم السلام يدمن النظر الى
ما لا يحل له النظر اليه واما الاول من الذهاب لطلب ذلك الطائر والنظر اليه انه من تعالى لما دكان
يحتمل ثم يكون هو معذورا في الصعود الى الكوة والنظر الى الطائر لما كانت الطيور تحشر معه وتسبح
في التسبيح معه والطاعة له فجائز ان يكون له البحث عن حال ذلك الطائر لما اخبر الله تعالى عن سليمن
وتفقده الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين فاذا كان ما ذكر كان داود عليه السلام
الصعود الى الكوة والارتفاع اليه معذورا لكن وقع بصره عليها بلا قصد منه ولا علم بحالها
فالقلب اليها بالجمال لها فذلك مما يكون بلا صنع وتكلف منه ولا يملك دفعه نحو ما كان من ميل
قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرأة زيد حتى زوجه الله تعالى نكاحها بقوله فلما قضى زيد منها
وطرا زوجناكها واما ما ذكروا انه بعث زوجها الى القتال ليقتل فيتزوج بامرأته فبعيد غير محتمل
لكنه يحتمل انه بعثه ليجاهد اعداء الله تعالى وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه من غير ان يقصد
به قتله وهلاكه فيجب تبرئة الانبياء عليهم السلام عن مثل هذا والله اعلم فان قيل فكيف عوتب بمثل
هذا العتاب من بعث الملائكة اليه بالخصومة والتمثيل وتقريره ذلك عنده ثم اخبر انه قد غفر له بعد
طول الندم ان كان معذورا ولكنه في ذلك غير مواخذ به قيل ان الانبياء عليهم السلام كانوا يؤاخذون بادنى
شيء كان منهم مما لا يؤاخذ بذلك غيرهم من فعل الاعمال او اجلها نحو ما عوتب يونس عليه السلام بخروجه
من قومه ليسلم له دينه او نفسه انه خرج بلا اذن كان له من الله تعالى تخصيصا منه امر على الاجتهاد فلحقه
العتاب فعلى ذلك يجائز ان يكون داود عليه السلام لحقه ما لحقه من العتاب لما كان فعل ذلك بغير
اذن من الله تعالى بناء على الاجتهاد من غير انتظار الوحي والله اعلم ثم في دخول الملائكة عليه وجوه من الحكمة
والانواع من العلم انهم جاؤوا الى المحراب محراب الخلفاء والسلاطين والعصاة فانه عليه السلام كان في المحراب
حيث دخلوا عليه من غير الباب والثاني وجوب رفع الحجاب عن الخصوم والخلو بين القضاء في وقت حاجة
الخصوم لا في وقت خلوة نفسه حيث دخلوا عليه من غير الباب بالخصومة بلا اذن والثالث بيان ان التمثل
على تصوير انفسهم بصورة البشر مع كون النفس لطيفة ووجود الجسد كذلك يرد على الفلاسفة
مذهبهم ان النفس الروحانية خلقت منتشرة متحركة في كل حال لولا الجسد الكثيف يمنعه من ذلك
فاذا نام الجسد او مات ذهبت تلك النفس حيث شاءت الى خالقها الا ترى ان الملائكة تصوروا وتمثلوا
بصورة البشر لانه ليس على ما وصفوا والله اعلم فان قيل قوله نبأ الخصم هو حرف وحيد يعبر على الخصم
واحد وقوله اذ تسوروا المحراب حرف جمع وكذلك قوله اذ دخلوا على داود وقوله ففزع منهم وقولهم
لا تخف فيقتضي ان يكونوا جماعة ثم ذكر بحرف التثنية وهو قوله خصمان بغى بعضنا على بعض والقصة
قصة واحدة وقد ذكر بحرف الوحدان والتثنية والجمع فكيف يكون هذا قيل منهم من قال قوله الخصم
مصدر والمصدر يذكر ويراد به الفرد والوحدان والجمع كقولك للواحد ضيف وللاثنين ضيف
ضيف واما قوله اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا عليه انما ذكر بحرف الجمع وقد يقال للاثنين بحرف الجمع على
معنى الجمع على طريق الاستعارة كقوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ذكر بلفظة الجمع وذلك
للاثنين قيل ان قد ذكر خصمان بغى بعضنا على بعض بلفظة التثنية على طريق الحقيقة اذ هما خصمان
والجواب عندنا انه يحتمل ان يكون قوله تسوروا ودخلوا مع الخصمين ملائكة سواهما شهودا على دعواهم
فدخلوا معهما فلما فزع منهم قالوا لا تخف وانما كان الخصمان اثنين الا ترى ان داود عليه السلام قال للمدعي
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ولا يحتمل ان يقول

داود

وذوم لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فيصفه بالظلم وينسبه اليه الا شهود
يشهدون له الا ان يكون منه الاقرار على ما يدعي اليه والظاهر هو الانكار لا ان عندنا الاقرار
خلقة الخصوم الى باب الحاكم واذا كان كذلك فيشبه ان يكون ما ذكرنا انه كان مع الخصمين ملائكة اخر
شهود يشهدون له على ما يدعي اليه على ذلك دعا ان حاصل الخصومة من اثنين منهم فاضاف فعل التسور
والتحول والدخول الى الجماعة لما كانوا جماعة واضيف فعل الخصومة الى اثنين لتفردهما بالخصومة وذكر
لاثنين ايضا بلفظ الخصم بقوله نبأ الخصم لما ذكرنا ان المصدر لا يثنى ولا يجمع وان اقيم مقام الاسم
يجوز ان يذكر بلفظ الفرد والتثنية والله اعلم فان قيل في الآية اخبار ان احد الخصمين قال ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب وقال ايضا خصمان بغى بعضنا
على بعض وقد جرى من الكلام والقول بينهما كيف تحققا ذلك قطعا انهما خصمان ولم يكونا في الحقيقة
وان لهذا كذا كذا نعجة وانما نعجة واحدة ولم يكن كذلك في الحقيقة وهما من الملائكة والملائكة لا يحتمل
ان يكذب خاصة رسل الله تعالى ليكذب فما معنى ذلك قيل يخرج ذلك على طريق التمثيل والتقدير او نرى انه
لو كان اخوان لاحدهما كذا وكذا نعجة وللآخر نعجة واحدة فغلب صاحب النعاج الكثيرة على صاحب النعجة
الواحدة واخذ نعجته ايكون ظالما باغيا ليقدر ان يخبر الزلة ويبلانه من الخطيئة التي بدرت منه ان كان
القصة على ما يقوله اهل التأويل ليستقدر ما كان منه من الهفوة والزلة التي ابتلاه بها فيرجع الى الله تعالى
ويتوب من ذلك وقد ذكر الله تعالى اشياء كثيرة على التقدير والتمثيل حتى غفلوا عنها وسهوا لتقرب
ذلك عندهم ويتنبهوا في مواضع كثيرة من القرآن فهذا مثل الاول والله اعلم وقوله عز وجل لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ثم استثنى فقال الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اي الذين امنوا واعتقدوا في ايمانهم الاعمال الصالحات فانهم لا يبغي
بعضهم على بعض ثم اخبر ان الذين من كان اعتقادا بايمانه العمل الصالح وترك البغي قليل بعقد قليل ما هم
وهذه الآية شديدة صعبة حيث جعل المؤمنين الذين لا بغي معهم قليلا وهو اخبار من الله تعالى
انهم قليل في كل زمان ودهر هو كذلك وظن داود انما فتناه اي علم داود عليه السلام وايقن ان
خصومة الملكين عنده فيما اختصما منهما محنة وان الممتحن لهما هو لا هما فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
وقد فسر اهل التأويل الظن ههنا بالايقان لانه ايقن داود عليه السلام انه هو المراد بذكر هذه القصة على
طريق التمثيل لحصول العلم بهذا السبب والايقان علم يستفاد بالاسباب وكذلك لا يضاف الايقان
الى الله تعالى فلا يقال انه موقن لانه علم يستفاد بالاسباب والله تعالى اعلم بذاته لا بسبب فاما
العلم فقد يستفاد بسبب ومن غير سبب لذلك اضيف اليه وبالله التوفيق وقوله تعالى فغفرنا له ذلك
اي زلته التي كانت منه ومما يقوله اهل التأويل ان الله تعالى اوحى اليه اي قد غفرت لك فقال لابد ان تعلق
بي يوم القيامة فيقول يا رب دمي الذي عند داود فاستوهبه منه ومن وصية كذا وذلك مما لا يعقل فيه ولا نعلم ولا نستقيم
ذلك على ما ذكرنا انه يحتمل من داود عليه السلام يا ... بما يلحقه ما يذكرونا انما امر بمجاهدة العدو وكان
له ان يأمر بذلك يا لام لانه عوتب لما ذكرنا ان الانبياء عليهم السلام يعاتبون بادنى شيء كان منهم وقد عرفنا
انه ان كان منه شيء عوتب عليه ثم اعلمنا انه قد غفر له ذلك بقوله فغفرنا له ذلك فاما ما سوى ذلك الذي ذكر
من الانبياء عليهم السلام او نحمله على تاويل صحيح ان كان لا نستيقن ذلك عنهم فاما ما ثبت بطريق الاحاد
فالكف عنه في باب الاعتقاد اسلم والله الموفق وقوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يحتمل قوله
لزلفى في الذي عمل فيما سلف له في الدنيا ويبقى عندنا والله اعلم ويحتمل ان يكون له زلفى عنده في الاخرة من الكرامة
وحسن المنزلة وحسن مآب اي المرجع والله اعلم فان قيل ما الحكمة في ذكر زلات الرسل والاصفياء في الكتاب
وقد وصف نفسه انه غفور شكور وانه ستار وقد امرنا بالستر على من ارتكب شيئا من ذلك بالعفو
والغفران فكيف ذكر هذه الزلات لانبيائه واصفيائه حتى يقرأ في المساجد والمكاتب الى يوم القيامة
قيل يخرج ذلك على وجوه احدها ان يكون ذكرها انه رسالته صلى الله عليه وسلم لان يخلو الخلق لا يحتمل
ذكر مساوي الاباء والاجداد ولا ذكر مساوي انفسهم واذ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم دل على انه
من الله تعالى ذكره ذلك ليعلم الناس انه رسول رب العزة مأمور باداء ما اوحى اليه نقل عن طبعه او سهل وكما
ذكر لانهم امتحانا منه عباده انه كيف يحفظون رسلهم بعدما عرفوا منهم الزلات وكيف ينظرون اليهم
بعين الرحمة والتوقير بغيرها امتحنهم بالذكاء امتحنهم بسائر انواع المحن والثالث ليعلموا ان كيف
الرسل عليهم السلام ربهم عند وقوعهم في الزلات من البكاء والتضرع والفزع اليه والتوبة عن ذلك فيعلمون

معاملتهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذكرها ليعلم ان ارتكاب الصغاير لا ينيل الولاية ولا يخرج عن
الزلة التي تكون منهم وان كانت في نفسها تكون على حد الاباحة في حق الاغيار لكن تكون على حد
الخطر والنهي في حق الانبياء وكذلك الشي الخوارج بقولهم ان الصغيرة تخرج عن الايمان ويحتمل ذكرها ليعلم
ان الصغيرة ليست بمغفورة ولله تعالى ان يعذب عليها ردا على المعتزلة اذ هم يقولون ان ليس لله تعالى ان يعذب
لمرتكب الصغاير وزلات الانبياء من الصغاير في حقهم لقيام الحجة انها كانت مباحة في نفسها في حق غيرهم
وهي ترك الافضل مما خاف الانبياء عليهم السلام على ذلك لولا انهم عرفوا ان الله تعالى له ان يعذبهم عليها
لما خافوا منها على ما ذكر منهم والله اعلم وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يحتمل وجهين
احدهما اي جعلناك خليفة في الارض يحتمل وجهين احدهما او جعلناك الخليفة في الارض يحتمل وجهين
في جملة اهل الارض من الرسل والانبياء والملوك والاشراف وغيرهم من الاوساط والعامة ويحتمل قوله انا
جعلناك خليفة في الارض في خلفاء الرسل والانبياء عليهم السلام خاصة حتى يكون الرسل في زمانه اتباعا
فالوجهان الثاني يرجعان الى واحد الا ان احدهما يرجع الى الخاص من الناس والاخر الى العامة وقوله فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى نهاه عن اتباع الهوى في الحكم بغير حق لان النفس تهوى في الحكم بغير حق وانما
نهاه عن اتباع الهوى لما في ...ـه من هوى النفس لان النفس انشئت على الهوى والميل الى اللذات والشهوات
وعلى ذلك طبعت وبنيت فيكون المرء منه هواها الى ما يوجد من غير السعي لا يقاد يعلى بنفسه لذلك انه
عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها لانه قد يملك ترك اتباع هواها ويقدر على منعها الى اتباع الحق
لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى فيضلك عن سبيل الله ذكر انه لو اتبع هواها اضله عن سبيله
ليس كل هوى اتبعه انسان اضله عن سبيل الله لكنه اذا اتبعه في شيء بعد شيء يحمله على الاضلال عن سبيله
اذ كل من ضل عن سبيله انما ضل لاتباع هواه قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اخبر انه اتخذ الهوى
انما اتخذه بهواه لا بحجة والله اعلم وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب يحتمل وجهين احدهما اي بما تركوا الاعمال التي تعمل ليوم الحساب ويحتمل بما نسوا اي بما
تركوا الايمان والاقرار والله اعلم وقال قتادة في قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الى يوم بما نسوا
يوم الحساب انه وعظ نبيه عليه السلام والمؤمنين موعظة بليغة شافية لتعلم انه من ولي من هذا الحكم شيئا
انه ليس بين الله وبين العباد سبب يعطيهم به خيرا او يدفع عنهم شرا الا طاعة الله تعالى والعمل بما رضي الله
وقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا الباطل هو الفعل الذي يذم فاعله والحق
هو الذي يحمد فاعله يبين انه خلق السماوات والارض لحكمة بالغة وعاقبة حميدة لا انه خلق عبثا
حتى لا يكون باطلا عبثا وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وقوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وقوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا اي ظن من الكفرة ان الله تعالى خلق شيئا باطلا
لانه عندهم جميعا انه حكيم لكن انه وسطهم وحسابهم ان لا بعث بعد الموت ولا اجر وخلق السماوات
والارض وما بينهما لو لم يكن بعث ولا حساب ولا اجر يكون باطلا عبثا فيكون ظنهم مفضيا الى هذا
القول وكانهم ظنوا انه خلقهما وانه خلق السماوات والارض وما بينهما ولا بعث ولا نشور ولا اجر
عبث باطل من وجهين احدهما انه يكون خلق الخلق كلهم وانشاء هذا العالم العجيب المتقن المحكم للفناء
خاصة وانشاء الشيء المحكم وبناؤه للفناء والنقض عبث في الشاهد وانما يخرج عن كونه عبثا اذا كان
ذلك لغرض وعاقبة حميدة لو لم يكن عاقبة هذا الخلق كدار اخرى يكون فيها الثواب والعقاب والجزاء
والانتصاف للظالم من المظلوم لكان خلقهما للفناء خاصة وذلك سفه باطل عبث وهو قوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقنا اياهم اذا لم يكن لهم رجوع اليه عبثا لذلك كان
على ما ذكرنا والثاني انه لو لم يكن بعث ونشور لكان خلقهم عن حكمة في الدنيا لانه قد جمعهم جميعا في
نعيم الدنيا ولذاتها ولم يفرق بين العدو والولي فيها وفي الحكمة التفريق بين الولي والعدو في التسوية
فلو لم يكن دار اخرى يفرق فيها بين الولي والعدو وسوى بينهم في هذه الدار لكان باطلا الى الحكمة
التفرقة بينهما في تلك الدار وليتوسل الولي بتلك النعم الى السعادة بسبب الشكر وصرفها الى الاسباب التي
والعدو يتوصل بها الى العذاب بسبب الكفران وصرفها الى اسباب العقاب لكان في خلقهم غير حكمة
فصح ما ذكرنا وقوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
موصلة بقوله ذلك ظن الذين كفروا ان لا بعث ولا نشور كانه قال انه لو كان على ما ظنوا انه لا بعث ولا نشر
لكان فيه ذلك جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض وجعل المتقين كالفجار لانه

بينهم في هذه الدنيا في شمول نعماه وملذاتها وجمعهم في المحنة بالخير والشر وفي الحكمة التفريق والتمييز بينهما فان
لم تكن دار اخرى سوى بين من عاداه وبين من والاه في الشر والخير كان سفها غير حكيم فلا بد من دار اخرى يفرق فيها
بين الولي والعدو فيعطي الولي النعيم ويميز بين المسيء والمحسن في المجازاة على الاساءة والاحسان والله الموفق
من الناس من قال يجب ان يفرق بين الولي والعدو في الدار الدنيا في النعيم لان التسوية بينهما ليس بحكيم لانه
ما من الاحوال التي يفصل حيث يسمي هؤلاء كفارا وهؤلاء مؤمنين ويحمل الكفار ودونهم وفي
المؤمنين وامثالهم وهو قول المعتزلة ولكنا نقول لا يجب التفرقة بينهما في النعيم والدار في الدنيا لم يكن
ترك التسوية بينهما فيها سفها ولا ترجيح الكفرة على المؤمنين في نعيم الدنيا لان الدنيا دار محنة وابتلاء
يمتحن الفريقين جميعا بالخير مرة وبالشر مرة وبالحسنة تارة وبالسيئة اخرى على ما قال وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وكانت النعم
ليست لاعيانها ولكن للتوسل بها الى دار اخرى يعطي الولي بسبب الشكر النعم الفانية نعما باقية والكافر
بسببها لكفرانه عذابا دائما فيكون باعتبار العاقبة نعم الكفرة نقما وهذا يكون ولهم عقوبة ونعم المؤمنين
ومحنتهم جميعا نعما فلذلك التسوية بينهما في هذه الدنيا في النعم لا باس اذا كانت دار اخرى اذ الاخرى هي المحققة
الجزاء وهنالك يقع التفريق والتمييز فاما لو لم يكن دار اخرى فيكون هذه الدار الحاضرة نعيمها لاعيانها الى الكفار
والمحن عقوبات فكذا ما فيكون التسوية فيها بين الولي والعدو سفها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله
انه فرق بينهما في الدنيا حيث وفق المؤمن وخذل الكافر من هذا التيسير منهبهم فان عندهم انه وفق المؤمنين
والكافرين على الايمان والخيرات جميعا وما خذل الكفار لكن خذلوا انفسهم باختيارهم وتسميتهم هؤلاء
واولئك ضلالا وكفارا فيقول انما سماهم كذلك لوجود فعل الضلال من الكفرة باختيارهم وايثارهم
ذلك على الهدى فانما هو تسمية فعلهم لا تخليتهم خير ونبذ لك والله اعلم ثم قوله ذلك ظن الذين كفروا فويل
للذين كفروا من النار يدل دلالة انه لزوم الحجة والوعيد على الظن والجهل وانه لم يتحقق لهم العلم بذلك بعد ان يكون
ما جعل لهم سبب الوصول الى معرفة ذلك لانهم لو تاملوا العلم فلم يعذروا ولزمهم الوعيد والحجة
فيكون الاية حجة على المعتزلة لكنهم تركوا النظر وضيعوا سبب العلم فلم يعذروا فلزمهم الوعيد والحجة
فيكون حجة على المعتزلة في ان التكليف يعتمد حقيقة العلم لا سببه وقد الزمهم الوعيد بناء على
السلم ولا وقف بحصل التكليف عندنا ان التكليف قائم مع الجهل والظن وعلى ذلك نقول في القدرة ان
قدرة الاسباب ان نمنع عنده القدرة وحيل بينه وبينها كان غير مكلف بها ولا مخاطب ويكون معذورا
ومن لم يمنع عنه القدرة ومكن من تحصيلها الا انه ترك العمل بها كان مكلفا غير معذور لانه هو الذي ضيع القدرة
وترك العمل بها باختياره والاول غير مضيع ولا تارك فكفى القدرة من حيث الالة والسبب لصحة التكليف
ولم يشترط حقيقة القدرة ولم يضطر الى القول بسبق القدرة الحقيقية على الفعل لصحة التكليف كما اوجبه
ابتداء التكليف بالقدرة من حيث السبب بل شرط حقيقة القدرة فاضطر الى القول بسبق القدرة
على الفعل لصحة التكليف فيكون توجيه الله تعالى التكليف بناء على سبب العلم دون حقيقته دلالة على
صحة التكليف بناء على سبيل القدرة دون حقيقتها اذ لا فرق بين الامرين فيكون الاية حجة في مسالة ...
والله الموفق وقوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك انما سماه مباركا لان من اتبعه وتمسك به وعمل بما فيه يؤديه
الى خير ويصير شريفا مذكورا عند الناس عظيما في اعينهم خطيرا في قلوبهم وذلك اثر المبارك وهو ان
يكون فيه كل خير ويكون نابتا على الزيادة والنماء والله اعلم وقوله تعالى ليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب امر انه انزله
ليتدبروا اياته ليعرفوا ما لهم وما عليهم ومما يؤتى ومما يتقى اذ انما يعرف ذلك بالتدبر والتفكر والتامل
وليتذكر اولو الالباب ليتعظ اولوا الالباب بما فيه من المواعظ والتفكر ولينتفعوا بما فيه من المواعظ والعبر
والاداب والمحاسن والله اعلم وقوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اثنى الله تعالى على داود
وابنه سليمان عليهما السلام بالاوبة والرجوع اليه وهو ما قال في داود واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب
وقال في سليمان نعم العبد انه اواب ثم فسر ما الاواب فقال في سليمان اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد الى اخر الاية ولعله اذ عرض عليه على ما قاله انه اواب انما استحق هذا الوصف بما ذكر منه من مسح
السوق والاعناق لا ابتغاء وجه الله تعالى وطلب مرضاته تكفيرا لما وجد منه من تاخير العصر على ما ذكر
لا لمرض اذ لا يذكر الاعن شيء سبق فيسمى داود عليه السلام اوابا لما ذكر عقيبه من تسبيحه بالعشي والاشراق
ورجوعه الى الله تعالى في جميع اموره والفزع اليه فقال انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فكان
الاواب هو الراجع اليه في جميع اموره والفزع اليه مما ينوبه والله اعلم وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات

قال القتبي الصافنات الخيل وصفونها قيامها وبسطها على ثلاث قوائمها وانما الصافن في كلام العرب هو الواقف من الخيل وغيرها على ما روي في هذا الخبر من سره ان يقوم له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار وقال بعضهم الصافنات الخيل القائمة على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد او رجل وقوله الجياد قال ابو عوسجة الجياد من الخيل السراع والواحد جواد ورجل جواد اي سخي وجمعه اجواد وقوله تعالى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب • ذكر ما سبق من قوله اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد على ذلك حتى توارت بالحجاب انه اراد به الشمس اذ ليس شيء توارى بالحجاب في ذلك الوقت سوى الشمس ثم قوله اني احببت حب الخير يجوز بالخير عن الخيل نفسها لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة سمي الخيل خيرا لجعل الخير به وصفا لازما لها فيجوز ان يكنى باسم الخير عن الخيل والله اعلم ويحتمل ان يكنى بالخير عن المال الذي احببت حبا للمال ثم الاشكال انه يقال ما معنى قوله اني احببت حب الخير عن ذكر ربي وحب الخير كيف يحب وكيف يستقيم هذا الكلام اي احببت حب الخير عن ذكر ربي بظاهره فيقول عن هذا من وجهين احدهما ان لا بد من الحذف والاضمار ليصح الكلام فمعنى قوله اني احببت اي آثرت حب الخير وكثرته ويحتمل سبب الايثار فيجوز ان يكنى به عن الايثار ولا بد من اضمار قوله حتى شغلني فيكون تقدير الاية اني آثرت حب الخير حتى شغلني عن ذكر ربي والثاني فيه تقديم وتأخير مع الاضمار مخرج على حقيقة لفظة المحبة معناه اني احببت الخير حبا حتى شغلني عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب وفي حرف حفصة اني الهاني حب الخير عن ذكر ربي اي شغلني وقوله تعالى ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق • قال عامة اهل التأويل اي جعل يعقر سوق الخيل ويضرب اعناقها لما شغلته عن ذكر الله تعالى وهي صلاة العصر حتى غفل عنها فجعل يقطع سوقها وهي جمع الساق ويضرب اعناقها كفارة لما اشتغل عن ذكر ربه قال الحسن قال سليمان والله لا يشغلني عن ذكر ربي لهو عن عبادة ربي امر لها فعقله فكشف عراقيبها وضرب اعناقها وهو قوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق فابدله الله تعالى خيرا منها الريح تجري بامره رخاء وقال ابو معاذ يقول العرب مسح علاوته بالسيف مسحا اي ضربها ضربا وقال القتبي فطفق مسحا اي فاقبل يمسح سوقها واعناقها اي يضرب وقال ابو عوسجة فطفق اي اخذ وجعل يضرب مسحا اي يقطع كما يقال مسح عنقه اي قطعه ثم ان ثبت ما ذكر جميع اهل التأويل من عقر السوق والاعناق على الحقيقة فهو يخرج على وجهين احدهما انه كان ذلك في شريعته جائزا وان كان في شريعتنا لا يجوز نحو ما ذكر عنه في توعد الهدهد بالتعذيب والذبح حيث تفقده فلم يجده فقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه وتعذيب الطير في شريعتنا لا يحل ذلك الاول والثاني يحتمل ان يكون ذلك منه قبل النهي عن المثلة ثم جاء النهي عن المثلة بعد ذلك فحرم ذلك علينا وعليه والله اعلم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا يقوي ما قيل اهل التأويل ان سليمان عليه السلام كشف عراقيبها وضرب اعناقها وقال لا يشغلني احد بعدي عن ذكر الله تعالى فابدله الله تعالى منها الريح فان ثبت هذا عنه وصح ثبت ما قالوا والوجه في ذلك ما ذكرنا ثم جائز ان يخرج تأويل الاية على غير حقيقة عقر السوق وضرب الاعناق ولكن ما ذكر من مسح السوق والاعناق كناية عن الكف عن السوق والاعناق وجعلها في سبيل الله ليركبها اناس في محاربة الكفار ويسبلها الى الناس كفارة لما رأى من نفسه التقصير او شكر المكارم ما انعم الله تعالى من اعادة الوقت ووقف الشمس حتى لا يخرج الوقت فيصلي العصر في الوقت والله اعلم ويحتمل ما ذكر من المسح بالسوق والاعناق حقيقة مسح اليد عليها ورؤوسها بعد ما ردها عليه وارسلها الى الناس ليجاهدوا عليها في سبيل الله من غير ان كان هناك عقر او ذبح انما كفارة لما غفل عن ذكر الله او شكر المكارم من عود الوقت لانه انما فعل ذلك بعد الفراغ من الصلاة في وقتها ويحتمل ان يكون مسح السوق والاعناق كناية من الذبح على سبيل التقرب الى الله تعالى مثل ذبح الهدي ونحر البدن ويكون ذبح الخيل مشروعا في شريعته والله اعلم ثم اختلف في تلك الخيل التي عرضت عليه وشغلته عن ذكر الله تعالى قال بعضهم انها خيل اخرجتها الشياطين من مروج البحر لسليمان عليه السلام لها اجنحة تعدو وتطير وقال بعضهم لا ولكن كانت خيلا ورثها من ابيه داود عليه السلام وكان داود عليه السلام اصابها من العمالقة وهم العرب العاربة وقال ما بقي اليوم في يد الناس من الخيل فهو نسل بقية ذلك الخيل اذ قيل كانت الفا فعقر منها تسعمائة وبقيت مائة قال بعضهم لا ولكن جمع اهل دمشق من العرب واهل نصيبين حموا ما لسليمان عليه السلام فاقبلوا ليقاتلوه فهزمهم سليمان عليه السلام واصاب منها الف فرس فلما عرضت عليه الخيل حتى شغلته عن ذكر ربه فعل ما ذكر من قطع العراقيب وضرب الاعناق والله اعلم وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اختلف اهل التأويل في فتنة سليمان

عليه السلام

عليه السلام التي ذكر الله عز وجل انه فتنه وانه القى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا لم نذكر طرفا من ذلك قال بعضهم ان فتنته ان الله عز وجل امره ان لا يتزوج الا من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غير بني اسرائيل وجعل لها صنما يعبده في بيته اربعين يوما فابتلاه الله عز وجل بسلب ملكه اربعين يوما عقوبة له على قدر ما عبد من الصنم في بيته وقال بعضهم فتنة سليمان التي ذكرها الله في ناس من اهل الجرادة وكانت الجرادة امرأته وكانت من احب نسائه اليه كان اذا اراد ان يحدث ويدخل الخلاء اعطاها خاتمه وان ناسا جاؤوا يوما الى سليمان وكان هوى سليمان ان يكون الحق لاهل الجرادة ليقضي لهم فعوقب حيث لم يكن هوى سليمان وميله فيهم واحدا وهكذا روي عن ابن عباس وقد قيل غير هذا لا منتهى كان ذلك سبب افتتانه ثم لكن قلنا ان ذلك لم يكن سبب فتنته اذ كان فانما كان نوع احد او بعض من ذلك نعلم يقينا انه لا يكون من الانبياء عليهم السلام وبعض من ذلك لا يمتنع او على حقيقته كل لا نحمل على التأويل ولا ندري حقيقة ذلك الا بخبر في تعيينه فلذلك لم نقطع القول على شيء من ذلك وتركنا ذكر جملته لكنا نقول الى مخرج قوله ولقد فتنا سليمان عليه السلام على وجهين احدهما انه امتحن بامر وكان منه في ذلك زلة وغفلة من غير تعيين ما ذلك الامر فعوقب بما ذكر من نزع ملكه والثاني انه فتنه وامتحنه بنزع ملكه عقوبة لا لزلة كانت منه بل ذلك كان من الله تعالى في حقه ابتداء امتحان او افتتان نحو ما ان نزع ملكه منه بلا سبب كان منه او لا زلة فجعله لغيره ثم ان كان نزع الملك منه بادنى سبب وزلة كانت منه فعوقب بذلك لان الانبياء عليهم السلام كانوا يخصون بالعتاب والتعيير بادنى شيء يكون منهم ما يعد ذلك الشيء من افضل الاعمال لغيرهم تنبيها وايقاظا لهم على ما ذكرنا تقدم ثم ما كان منهم من التوبة والتضرع الى الله تعالى بالذي كان منهم بالزلة لما عرفوا لانفسهم من الخصوصية من الكرامات فضل تضرع وابتهال مما لا يكون ذلك لغيرهم في مثل ما كان منهم ولما ان يكثر الشكر لله تعالى فيما انعم عليهم من زيادة النعم والله اعلم وقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال اهل التأويل ان الجسد الشيطان الذي اخذ خاتم سليمان فجلس مجلسه فيقضي وينكح نساءه ولم يكن يسخر له الشياطين والريح وذلك لم يقبحه هذا يحسن من القول ثم يحتمل هذا وجهين احدهما الحمل ان يكون هذا كناية عن ازالة ملكه وقت الى غيره انابا وصار اذا لكن شيء يراد به الملك واقامه الغير على كرسي الغير انما يكون حال عدم ذلك خصوصا ان يحمل مستعارا واصل ذلك ملكه وكان معناه والقينا ملكه لشخص آخر وهذا لا يبعد والثاني يحتمل ان ما ذكر من القاء الجسد على كرسيه حقيقة لكن ليس الشيطان ما ذكروا ولكن القي عليه جسدا يشبه سليمان عليه السلام في الجسمية لا في العلم والمعرفة والبصر وما كان يختص به من الكرامات كقوله عز وجل عجلا جسدا له خوار اي عجلا مجسدا لا انه جسد العجل الذي اتخذه هو جسد العجل المعروف فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله ثم اناب يحتمل وجهين اي اناب الى الملك اي رجع الملك اليه بعد ما كان نزع منه والثاني ثم اناب الى الله تعالى اي رجع اليه بالتوبة لما كان منه زلة فتاب عليه والله اعلم وقوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب • يحتمل سؤاله المغفرة عند سؤاله الملك امرا فيما بينه وبين ربه لان الملك مما يتلذذ به ويعنيه هوى النفس وعلى ذلك خرج سؤال زكريا عليه السلام لما سأل عليه السلام لما سأل ربه الولد سأل امرا بينه وبين ربه في ذلك نحو ما قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وكذلك ما خرج سؤال الانبياء عليهم السلام فيما سألوا مما فيه اللذة وهوى النفس قرنوا به سؤال امر بينهم وبين ربهم فعلى ذلك سؤال سليمان عليه السلام بالملك والمغفرة والمغفرة نفسها عما يكون منه التقصير في ذلك ويحتمل ان يكون سؤال الاسباب التي يكون بها المغفرة لا نفس المغفرة كقول نوح عليه السلام استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول هود عليه السلام واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه لانه لا يحتمل ان يأمر قومهم بان يقولوا استغفر الله ولكن امروهم بان يأتوا بالاسباب التي بها يصيرون اهلا للمغفرة بها يستوجبون التجاوز فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم قوله وهب لي ملكا يحتمل سؤاله الملك والله اعلم بما اراد بذلك ان يستسلم له الخلق في الاجابة الى ما يدعوهم اليه من القول بوحدانية الله تعالى والاعتقاد لذلك وجعل العبادة له اذ كان اجابة الناس وانقيادهم الى من له السعة والغنى اسرع ولقولهم اقبل وعن غيرهم اكثر نفورا وهو متعارف فيما بينهم ان الملوك الى اجابة الناس لمن كان عنده السعة اسرع والطوع فكان في سؤاله الملك من الله تعالى نجاة الخلق كلهم لما يستسلمون له ويجيبونه الى ما يدعوهم اليه فينجون نجاة لا هلاك بعده والله اعلم ثم قوله لا ينبغي لاحد من بعدي يحتمل وجوها احدها انه سأله ملكا لا ينزع منه بعد ما نزع منه بعد اذ قد نزع منه مرة على ما قال اهل التأويل والله اعلم والثاني يحتمل ان سأل ربه ملكا لا يكون لاحد من الكفرة مثله ليكون ذلك امرا من آيات النبوة ثم لا يشبه ان يكون سأل ملكا لا يكون لاحد من الكفرة

مثله لتكون آية لنبوته اذ لو كان لاحد من الكفرة مثله لا يكون آية للنبوة ويحتمل انه سأل ملكا لا ينبغي لاحد
مثله ليبقى له الذكر والثناء الحسن في الخلق على ما جعل الانبياء والرسل عليهم السلام على السنة الخلق كقوله
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فرجى سليمان ان يكون مذكورا
بالملك الذي سأله المخرج به العادة في الخلق بتكرر ذكر الاعجوبات فيذكرونه بالثناء والسلام عند
ذكرهم عجائب مملكته والله اعلم ثم قوله عليه السلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقوله انك
انت الوهاب دليل على ان الملك الذي اعطاه اياه لم يكن حقا له عليه اذ لو كان حقا له لا استوهبه ولا
انك انت الوهاب ولكن يقول اعطني حقي ذلك طلب حق له دون هبة اذا اعطاه لا تصف المعطي اياه
بانه وهاب لكن يقول انه مؤدي حقا عليه او قاضي ما عليه وعند المعتزلة ان ما كان اصلح للخلق فاعطاء
ذلك كان حقا على الله تعالى والملك انه خير اعطاه لو كان دخل الاصلح في الدين واجبا على الله تعالى
وكان ذلك حقا لسليمان عليه السلام استوهب الملك منه بل يطالبه باداء حقه وما سماه وهابا اذ
استوهب وسماه وهابا فبحث استوهب وسماه وهابا دل ان الاصلح في الدين ليس بحق على الله تعالى
الآية حجة على المعتزلة لكن الملك تفضل ورحمة من الله تعالى يعطي من يشاء من حقه الفضل او يحرم من يشاء
والله الهادي فان قيل فيه تفضيل الغنى على الفقر والسعة على الضيق لان الله جعل الغنى والسعة من آيات النبوة
على انه افضل من الفقر فيقال لهم ان الغنى انما جعل آية للرسالة لنبي واحد عليه السلام واكثر الانبياء
عليهم السلام كانوا فقراء واهل حاجة ثم مع فقرهم وقلة اموالهم اتبع قولهم واجاب الناس الى ما دعوهم
اليه من التوحيد والاسلام مع وجود رغبة الناس في اتباع من عنده السعة والغنى وقلة رغبتهم
فيمن عنده الفقر والضيق فدل اختيار الانبياء الحال التي يرغب فيها مع حرصهم ورغبتهم في الدين
على ان الحال التي اختاروها افضل واحسن من الحال الاخرى ولذلك قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم نهاه ان يمد عينيه الى ما متعوا هم مع العلم منه انه تعالى
انه لو مد عينيه الى ذلك واختاره انما يختار السعة فيه واصحابه في ابواب البر والخير والله لا يختار
ولا يأخذ الا ما يحل له ويطيب فدل نهاه عما متعوا هم على العلم منه ما وصفنا على ان الفقر افضل من الغنى
والله اعلم وقوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب بين اعطاه من الملك بما ذكر من تسخير
الجن والشياطين والطير وغير ذلك ما لم يكن ذلك لاحد من الملوك سواه وهذا يدل على ان تسخير هذه
الاشياء لسليمان كانت بلطف من الله تعالى لا من الحال الاول اذ لا يملك احد من الخلائق تسخير ما ذكر من الخلق
لنفسه من الحيل لما زيد في ملكه وتزينه ملا احد اذا لم يكن ذلك لانه انما كان لسليمان عليه السلام من الله تعالى
لطفا ليكون آية من آيات النبوة لتجوله الخلق ثم قوله تجري بامره رخاء حيث اصاب والاشكال انه وصف
تلك الريح باللين والرخو في هذا الموضع وقال في موضع آخر ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره وصفها بالشدة
فكيف يوصف الشيء الواحد بوصفين متضادين فيتحقق لهن وجوه احدها يحتمل ان يكون في خلال الخلق
تشديدا لكنها صارت لسليمان عليه السلام لينة سهلة والثاني ما قال بعضهم شديدة وقت الحمل سهلة
عند السير فيكون موصوفة بوصفين مختلفين في وقتين والثالث انها شديدة في نفسها لكنها
تصير لينة سهلة لسليمان كما اخبر تعالى بقوله تجري بامره رخاء حيث او لينا وقوله حيث اصاب قصد
واراد والرابع يحتمل ان تكون عاصفة على اعداء الله تعالى لينة على اوليائه والله اعلم وقوله رخاء حيث اصاب
قال القتبي وقال ابو عوسجة رخاء اي رخوة لينة يقال رخو ورخي في جملة وقوم رخاء ويقال الرخاء
يقال استرخى له سكن وقوله حيث اصاب اي اراد قال الاصمعي العرب تقول اصاب الصواب واخطا الجواب
اي اراد الصواب ثم فيما ذكر من جريه الريح بامره حيث ما اصاب والدليل من الله تعالى لسليمان حيث جعله
بحيث يفهم مراده وامره ويفهم هو منها ما ارادت حيث كان يستعملها من حيث شاء وكذلك
نحو ما فهم من منطق الطير وكلامه وكلام النمل التي ذكر في القرآن ويفهم هي منه لطفا من الله تعالى ورحمة
وكذلك لا حول ولا قوة الا بالله وقوله تعالى والشياطين كل بناء وغواص اي سخرنا الشياطين يستخدمهم
يستعملونهم فيما شاء بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر لاستخراج ما فيه من الاموال لينتفع
الناس بعبادة الله تعالى وخدمته لا يكون لهم شغل البناء ولا في مؤنة انفسهم والله اعلم وقوله
وآخرين مقرنين في الاصفاد اي وآخرين لم يطيعوه فيما امرهم من الاعمال في البناء والغوص وغيره
جعلهم في الاصفاد اي في الاغلال التي تشد بها الايدي الى الاعناق ليندفع شرهم وضررهم عن الخلق
ليتفرغوا للعمل لله تعالى وهذه آية عظيمة لسليمان عليه السلام حيث مكن من استعمال ما ذكر من الجن والشياطين

والريح

الشياطين والريح وسخر له ذلك ليعلم انما قدر على ذلك بالله تعالى لا بالحيل والاسباب فيكون آية لرسالته
هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب قال اهل التأويل هذا في الشياطين التي ذكر انه سخرها
في العمل والآخرين الذين قرنهم في الاصفاد يخيره بين ان يمن على من يشاء منهم فيخلي سبيله او يحل وثاقه
وبين ان يمسك من يشاء منهم فلا يخلي سبيله وقال بعضهم ذلك في الشياطين وفي جميع ما اعطاه
من الملك والمال يقول ان شئت تمن فتعطيه من شئت وان شئت امسكت فلا تعطي احدا شيئا ولا تبعة
في ذلك لا في الاعطاء ولا في الامساك والله اعلم ويحتمل ان يكون لاهل اليمن لكن امتحن بامر الاعطاء
لقوم وبالمنع عن قوم فيقول هذا عطاؤنا فامنن اي اعطه لمن امر به ان يستحق او امسك عمن كان
اهلا له وامسك عن الذي ليس باهل لذلك علم يؤمر بدفعه اليه وهو كقوله عز وجل اما ان تعذب واما ان تتخذ
فيهم حسنا انه ليس على التخيير ولكن على تعذيب من هو اهل العذاب مستحق له والجزاء بالحسنى لمن كان
اهلا لذلك على ما بين ذلك فقال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى
فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقال الحسن هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب هذا ملكنا اعطيناه
فيه ما شئت وامنع منه ما شئت لا تبعة عليك في الآخرة وقال قتادة احبس منهم من شئت في وثاق وسرح
من شئت لا حساب عليك في ذلك وهذا التأويل احسن في بيان مما ذكرنا من التأويل وقوله فامنن اي اعط ومنه
قوله ولا تمنن تستكثر اي لا تعط لتأخذ من المكافاة اكثر مما اعطيته ومنه قال القرآن منا العطاء وقوله
بغير حساب يحتمل ما ذكرنا بلا تبعة عليك لما فعلت ويحتمل بغير حساب اي اعطاه من الملك ما لا يحتمل الحد
والله اعلم وقوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب لزلفى قربة وحسن مآب اي حسن مرجع دل هذا على ان
ما اعطاه من الملك لم يحط من مرتبته ولا ينقص من قدره عند الله تعالى لا كما سأله الملك الذي ذكرنا زينته في الحياة(?)
الخلق وكثرته الحاسبهم الله فيما بعد لا رغبة منه في الدنيا ولذاتها وطلب العز فيها والله اعلم ويحتمل فان له
عندنا لزلفى وحسن مآب التي تزلفه الى الله تعالى وتقربه من التوفيق والعصمة والمعونة على الطاعة
وذلك يكون في الدنيا والاول يكون في الآخرة وهو من اعظم المنن حيث امنه من جميع انواع التبعات
بقوله بغير حساب وبشره بان له عنده من حسن مآب والله اعلم وقوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه
اني مسني الشيطان بنصب وعذاب وقال في آية اخرى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين اضاف فيما مسه من الضر الى الضر واضافه هاهنا الى الشيطان ثم لا ندري ما الذي كان
من الله تعالى من تمكين الشيطان عليه حتى اضاف ذلك الى الشيطان وليس لنا ان نقول انه مكن الشيطان
من كذا وكذا ويفعل به كذا الا بما ثبت عن الله تعالى بيقين فاما ما ورد من الحديث فانه يحتمل الغلط
والتلبيس من اصحاب العمل به احتياطا فكان الكف عن ذلك اسلم من جهة الحكمة في تمكين الشيطان
على اوليائه فيما يمكن من امر الدين لتسليط جهة ولله ان يمتحن عباده بما شاء وكيف شاء من انواع الشدائد والبلاء
على ايدي من شاء بلا اسباب كانت منهم يستحقون بها ذلك بل له ان يمتحن الى من شاء بانواع الخير والنعم
ابتداء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك فعلى ذلك بلاء ايوب عليه السلام وما اصابه من الشيطان
جائز ان لا يكون لنصب نصيبه بل كان امتحانا منه اياه بذلك والله اعلم ثم قوله مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه اضافه الى الشيطان وهو في الحقيقة من الله تعالى لكن اضيف اليه لما انه لجرأه على يديه وهو كقوله
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم اضاف حقيقة العذاب منه وان كان يجري ذلك على ايديهم
وقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد يحال انه يصيب(?)
الانسان على انما يصيب الانسان من الضر على يدي احد يكون من الله تعالى وان لم يكن ذلك صنع وفعل
ليس على ما قال المعتزلة ان الاصنام لله تعالى في فعل العبد وانما اخبر انه لو كان باختيار او بفضله لا راد
لذا الفضل غيره لو مسه شيء لا كاشف له ولا دافع الا هو فهو على المعتزلة ايضا وقوله بنصب قال
القتبي نصب مثل النصب واحد مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال ابو عبيدة النصب الشر والنصب
الاعياء وقال بعضهم بان احدهما فيما يصيب ظاهر الجسد والآخر فيما يصيب باطنه وقوله تعالى اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ويحتمل انما قال مسني الشيطان بنصب وعذاب دعا عند ذلك ان
يكشف عنه البلاء الا ترى انه قال في آية اخرى اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين كانه قال اني مسني الضر وانت
ارحم الراحمين فاكشف ذلك عني وانت ارحم الراحمين ويدل على ذلك قوله فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر
دل انه قد كان منه دعاء وسؤال في كشف الضر عنه فاستجاب الله تعالى دعاءه فعند ذلك قال اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ثم هذا يحتمل وجهين احدهما يحتمل ان ضرب برجله الارض وركضها فنبع

منها عينان احدهما للاغتسال فيها والاخرى للشراب منها وكانت التي للشراب منها كان ماؤها باردا
على ما يوافق ويصلح للشرب ويحتاج له والتي للاغتسال على ما يوافقه من حر وسخونة دون البرودة ويحتمل ان
العين واحدة الا انه لما اغتسل منها كان ماؤها ما يوافق الاغتسال حارا واذا شرب منها كان ماؤها باردا
لموافق الشرب وقال بعض اهل التاويل كان البلاء بظاهره حتى وباطنه فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال
وما كان بباطنه ذهب بالشرب والله اعلم وقال ابو عوسجة اركض برجلك اي اضرب برجلك الارض وكذ
وكذلك يقال ركضت الدابة اذا ضربتها برجلك حتى تسرع وكذلك قال القتبي وقال المغتسل الماء وهو
الغسول ثم قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذكر عبدنا ايوب الاية اي اذكر صبره كيف صبر على ما ابتلاه
تعالى بانواع الشدائد والبلايا فاصبر انت اذا ابتليت بشيء من البلايا وعلى ذلك يخرج جميع ما ذكر في هذه السورة
وامره ان يذكرهم بما ابتلاهم من الشدائد وكيف صبروا له على ذلك ومن امتحنهم بالسعة والملك امره ان يذكر
ان كيف شكروا ربهم واطاعوه لتاتي بالصبر والشكر عند الامتحان بالنعمة والشدة والله اعلم وقوله تعالى
ووهبنا له اهله ومثلهم معهم • اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم وهب له اهله اي احيا من هلك
من اهله وماله وزاد على ذلك ضعفيهم في الدنيا رحمة منه وفضلا وقال الحسن كمثل ان احياهم باعيانهم
وزاد مثلهم معهم في المستقبل وقال بعضهم قيل يا ايوب ان اهلك في الجنة فان شئت اتيناك بهم وان
شئت تركناهم في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل تركهم في الجنة فتركوا في الجنة وعوضه
مثلهم في الدنيا وقيل اوتي اجرهم في الاخرة واعطي مثلهم في الدنيا والاول اشبه ان احياهم باعيانهم وزاد
مثلهم في الدنيا والله ان يحيي من شاء بعدما اماته ولا نزيد على ذلك ما شاء الا ترى انه قال على اثره رحمة
منا وذكرى لاولي الالباب لقوله رحمة منا على ان كشف الضر عن ايوب واعطاء ما اعطاه رحمة منه
وفضل ونعمة وكان لله تعالى ان لا يكشف عنه الضر وان لا يرد عليه اهله ولا يزيد له وهو على المعتزلة
انه لا يخلو اما ان كان ما اعطاه ورد عليه اصلح له او لا فان كان ذلك برحمته وفضل منه ولو كان على
الاصلح في الدين كان في تركه حائفا عندهم ظالما وان يكون منعه ذلك اصلح له فاعطاه وترك الاصلح
له فدل انه ليس على الله حفظ الاصلح لاحد فلين والله اعلم وقوله تعالى وذكرى لاولي الالباب اي عظة
وتنبيه لمن ينتفع بالالباب ليس التضييق لمقت منه ولا سخطه لمن ضيق عليه ولا التوسيع رضا منه
ولكن هما محنتان من شاء بالشدة ويبتلي من شاء بالسعة والرخاء والله اعلم وقوله تعالى وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث • فقوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به قال بعضهم الضغث ما يكون في قبضته من
امر ان يضرب بها لئلا يحنث وقال بعضهم عصا من عصا او نحوها وقال القتبي الضغث الحزمة
من الخلا والعيدان واضغاث جمع والتحنث من الحنث والحنث في الاصل الاثم ويستعمل في نقض اليمين
على مقابلة البر في اليمين يقال بر في يمينه اذا صدق فيها وحنث اذا نقض ثم اختلف في السبب الذي
كان من ايوب عليه السلام الحلف بضرب امرأته قال قتادة كانت امرأته عرضت له بامر فارادها الشيطان
على بعض الامر وقال لها قولي لزوجك كذا وكذا فقالت له كذا وكذا فاغضبه ذلك فحلف ان شفاه
الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة فامر باصل فيه تسعة وتسعون قضيبا والاصل تمام المائة فضرب بها
ضربة واحدة فبر في يمينه وخفف عن امرأته وعن ابن عباس ان امرأة ايوب عليه السلام قال لها ابليس
ان شفيته يقولين لي انت شفيته فاخبرت بذلك ايوب فقال لها ان شفاني الله لاجلدنك مائة
مائة سوط فاخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة وقال الزهري كانت امرأته تعمل كل يوم لقدر
قوته فجاءت ذات يوم باكثر من قوته فاسترابه لذلك فحلف وقال غير ذلك ولكن لسنا ندري ما السبب
الذي حمله على الحلف ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك السبب انما نعلم انه كان من المحلوف عليه معنى استوجب
لذلك الضرب حيث حلف بالضرب والله اعلم بالضرب ثم معلوم ان حلفه وغضبه عليه السلام
لا يحتمل ان يكون لمنفعة نفسه ولكن لله تعالى ثم الغضب لا يخرج الانبياء عليهم السلام عن حدود انفسهم
على من كان غضبه لنفسه والله اعلم ثم قال مجاهد ان ذلك لايوب عليه السلام خاصة لا لغيره وبه احتج
وغيره حتى ان من حلف ان يضرب عبده عشرة اسواط فجمعها فضربه ضربة واحدة انه لا يبر في يمينه والله
جميع الاسواط وقال عطاء هو لجميع الناس فيه قال اصحابنا في اليمين فاما في حد الزنا ونحو
ان كان عليلا لا يخاف الهلاك عليه لو افرد بالضرب يجوز ان يجمع الاسواط فيضرب به ضربة واحدة واصاب
كل واحد من الاسواط البحر في الحد واما في الصحيح فلا ثم الاصل عندنا ان ما حوى ايوب عليه السلام
انه ليس بامر بالضرب نفسه بل يكون امرا بعقد ما به الضرب لكنه سمي ضربا لان منهم بضرب ما حتى يكون

هيئة

بينة وانه يرى ان الضرب ينحذر للمضروب ويخاف من ذلك تغير قلبه فاكتفى بذلك في خلو امره
وترتب عليه السلام ثم علم في آية تعالى براءة المرأة من استحقاق العقوبة ويحتمل ان يكون المراد هو الضرب
نفسه لئلا يرى في يمينه تاديبا لتلك المرأة وان كان الافضل في شريعتنا ترك الضرب والكفارة في يمينه
ادبا لتلك المرأة وان كان الافضل في شريعتنا ترك الضرب والكفارة وكان في شريعته الافضل
هو البر في اليمين وهو العزم وقد خص الله تعالى هذه الامة تخفيفا والله اعلم وقوله تعالى انا وجدناه صابرا
نعم العبد • اثنى الله تعالى على ايوب عليه السلام بما صبر على ما ابتلاه تعالى في نفسه واهله وفي ماله وسماه
نعم العبد ووصفه بانه اواب وقوله تعالى انه اواب • اي رجاع الى الله تعالى في جميع احواله في حال الشدة والرخاء
والله اعلم وقوله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب • يحتمل من ذكر من الرسل ها هنا لتصبير
ذكرهم لما لقوا من اعدائهم ستصبر انت لما تلقى من اعدائك ويحتمل ذكر صبر هؤلاء على اذى قومهم
لتصبر انت على اذى قومك وهو قريب من الاول ويحتمل ذكر جهد هؤلاء في العبادة والدين ليحثك ذلك
ويحرضك على الجهد فيها ويحتمل ذكر الاسباب التي بها صار هؤلاء اهل صفوة الله وبمحل الحسنة ليحملك
ذلك على طلب تلك الاسباب التي صاروا بها اهل صفوة الله تعالى ويحتمل ذكر هؤلاء الصالحين ليسلي بذكرهم عن بعض
امورك وهمومك والله اعلم وقوله تعالى اولي الايدي والابصار • قيل اولوا القوة في العبادة والبصر في الدين
ثم معلوم ان هؤلاء لم يكونوا اهل قوة في انفسهم وانما كانوا اهل قوة في العبادة والدين لنعلم ان القوة في
النفس وقيل اولوا القوة في طاعة الله والبصر في الحق وقيل اولوا البصر في الفقه وقيل اولوا الفهم
في كتاب الله تعالى وهو واحد ثم قوله اولي الايدي والابصار رغبة منهم لانه معلوم ان الجارحة غير مرادة ههنا
بذكر الايدي والابصار لانهم ذلك بعينه كل احد فعلى ذلك يجب ان لا يفهم من قوله خلقت بيدي ونحوه
الجارحة على ما يفهم من الخلق لكن يفهم بالقوة وغيرها ونحوها لكنه كنى باليد عن القوة وبالبصر عن ادراك
الاشياء باليد يقوى في الشاهد وبالبصر يدرك الاشياء والله الموفق وقوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار • قيل الخالصة التي اخلصهم بها هي ما ذكر من ذكرى الدار فانه تفسير لها ثم اختلف فيه قال
قال بعضهم هو ما كانوا يدعون الناس الى الله تعالى والى الدار الاخرة وقال بعضهم اي جعلناهم يذكرون الناس
الدار الاخرة وقال بعضهم ذكرى الدار شرف الدار وذكرهم فيها اي صاروا مذكورين بحسن في الدار وقيل
اخلصناهم بالصفا اي بالنبوة والرسالة وذكرى الدار اي لا تذكر غير دار الاخرة واصله ان الله عز وجل
اخلصهم واصطفاهم واختارهم لاشياء وخصهم بها وجعل همتهم الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا
واختار ذلك الاخرة على ذكر الدنيا وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي هم عندنا اهل
الصفوة اصطفاهم الله تعالى واختارهم لنفسه ورسالته وقيل اي لمن المصطفين بالنبوة والرسالة
المختارين باختياره اياهم للنبوة والرسالة والله اعلم وقوله تعالى واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل
من الاخيار • ثم قوله واذكر حسن معاملة هؤلاء ربهم وحسن سيرتهم فيما بينهم وبين الخلق لتعامل
انت ربك بمثل معاملتهم والخلق بمثل سيرتهم ويحتمل ذكر هؤلاء اي اثن عليهم بحسن الثناء واذكرهم
بخير بما اثنى الله تعالى وامر الناس ان يثنوا عليهم ويذكروهم بما وصفهم الله تعالى بذلك وليحفظهم من بعد
لكي يذكروا بما ذكروا بحسن الثناء وللذكر ويحتمل ونحوها اخر ذكرناها فيما تقدم ثم اختلف في اليسع قال
بعضهم هو الياس عليه السلام وقال بعضهم هو غيره وكان ابن عم الياس والله اعلم واختلف في قوله
وذا الكفل قال بعضهم كان الياس في ابتدائه نبيا في زمن ملك فتكفل لذلك ثلثا تبعتهم وكفل رجل
الياس في مائة نبي وخباهم عنده يطعمهم ويسقيهم حتى خرجوا من عنده وكان الرجل الذي كفلهم وخباهم
عنده والله اعلم وقال بعضهم ان واحدا من الاخيار كفل لله تعالى فسماه الله ذا الكفل ومنهم من قال ان نبيا من
الانبياء عليهم السلام قال لقومه ايكم يتكفل يبلغ ما بعثت انا الى الناس من بعدي الامم له الجنة والدرجة
العليا فقام شاب فقال انا اكفل ذلك ووفى به فسماه الله ذا الكفل ويروى عن ابي موسى الاشعري
ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا يتكفل بعمل رجل صالح عند موته فكان يصلي لله كل يوم
مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء في كفالته والله اعلم وليس بنا حاجة الى معرفة ان اليسع من هو
وذا الكفل لماذا سمي به وانما علينا ان نعرفهم من الاخيار على ما ذكرهم الله تعالى لان هذه الاخبار احاد وانها
لا توجب علم اليقين والشهادة انما توجب علم العمل وليس ههنا سوى الشهادة على الله تعالى والترك اسلم
وقوله تعالى هذا ذكر • يحتمل قوله هذا ذكر اي هذا شرف وذكر للذين تقدم ذكرهم من الاخيار لكنهم يذكرون
الى الخير واحسن الثناء عليهم بما كان من حسن الثناء وهم اموات ويحتمل ان يكون هو لا نفطة لمن بعدهم

ويحتمل هذا ذكر اى موعظة لتعرف معاملة الرب ايهم بحسن عبادتهم ومعاملتهم مع الرب جل وعلا
ويحتمل هذا ذكر اى هذا القرآن ذكر وعظة لمن امر به والله اعلم وقوله (وان للمتقين لحسن مآب) حسن الا...
وهو انه نجى من المهالك وقوله لحسن مآب اى لحسن مرجع ثم بين ووصف حسن المرجع الذي يرجعون اليه
فقال (جنات عدن) قوله عدن مقام يقال لفلان في مكان كذا اى اقام به كانه يرجعهم جنات نعيم
لا يبغون عنها حولا وقيل عدن الشيء هو وسطه كانه ذكر انه جنة عدن وسط الجنان والله اعلم وقوله
(مفتحة لهم الابواب) اى ابواب الجنة مفتحة لهم يقال للكل واحد من اهلها ادخل من اى باب شئت من ابوابها
على ما قال بعضهم ويحتمل اى ابوابه لكل واحد منهم في الجنة مفتحة لان الاغلاق في الابواب انما يكون في الدنيا
لخوف السارق ونظر الناس الى اهله وحرمه وخوف نظر اهله الى الناس وليس في الجنة هذه المعاني لما اخبر
تعالى ان ازواجهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن والاشبه ان لا يكون فيها ابواب لما ذكرنا
والله اعلم وقوله (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) هذا والله اعلم اخبار عن اهل الجنة
على خلاف حالهم في الدنيا في التنعم لانهم يدعون في الجنة بالفواكه والشراب جميعا على حكم ما كان
عادتهم في الدنيا فانهم في حال اجتماعهم يدعون بالفواكه والشراب فاما في حال الانفراد فقلما يدعون بالشراب
وكذا عادتهم في الدنيا ان اهل الشراب قل ما يجمعون بين الفواكه والشراب انما لخوف الضرر بهم اذا جمعوا
او لما لا يوجد ذلك في الدنيا الا من تكلف فهذان المعنيان لا يكونان في الجنة يجمعون بينهما والله اعلم
وقوله بفاكهة كثيرة كان ذكر الكثيرة كناية عن انواع الفواكه المختلفة من كل نوع ليس بعادة على كثرة
من نوع واحد والله اعلم وقوله (وعندهم قاصرات الطرف) اى تقصر طرفهن عن النظر الى غير ازواجهن
ولا يردن غيرهم والله اعلم وقوله (اتراب) قيل مستويات في الاسنان لكل واحد سن الاخرى اى الازواج
والزوجات على سن واحد ويحتمل ان يكون فيه اخبار عن حالهم انهم يكونون على حال واحد لا يهرمون ولا ...
على خلاف حالهم في الدنيا وقوله (هذا ما توعدون ليوم الحساب) كانه يقول لهم الملائكة هذا ما توعدون
باهل الجنة في الدنيا في القرآن وعلى السن الانبياء عليهم السلام ثم اتبعهم البشارة من الله تعالى ببقاء تلك
النعم لهم ابدا وكذلك ما قال (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) اى انقطاع وذهاب وقوله (هذا وان للطاغين)
ذكر ما للمتقين وجزاؤهم ثم بين جزاء الطاغين حقا لكان للطاغين لشر مآب اى لبئس المرجع ثم بين
ذلك المرجع ما هو وما صفته فقال (جهنم يصلونها فبئس المهاد) اى بئس ما مهدوا لانفسهم وقوله
(هذا فليذوقوه) قوله هذا الذي ذكر جزاء الطاغين ثم الطاغي يرجع الى وجوه الا ان اصله هو الذي لا
يتقي المهالك ولا يتقي والمتقي هو الذي يتقي المهالك وقوله فليذوقوه حميم وغساق قيل كان الملائكة
يقولون اذا دخلوا جهنم والقوا فيها فليذوقوه حميم وغساق والحميم هو الشراب الذي قد انتهى
حره غايته واما الغساق اختلف فيه قال بعضهم ما يسيل من الصديد والقيح من الجلود واللحم
ذلك شرابا لهم في النار وقال بعضهم الغساق هو الزمهرير وهو البرد الذي بلغ غايته في نهايته يحرق بشدة
برده كما يحرق الحميم بشدة حره والله اعلم وقال القتبي الغساق ما يسيل من جلود اهل النار يقال غسقت
عينه اى سالت وقيل هو البارد المنتن وقوله (وآخر من شكله ازواج) وعلى الجمع روى عن ابن عباس ومجاهد
ثم اتفقت عامة اهل التاويل على ان المراد من قوله وآخر من شكله ازواج هو العذاب كانه قال وآخر من شكل
ما ذكر لهم من العذاب ازواج ثم اختلفوا في العذاب الذي قالوا انه من شكله عن عبد الله بن مسعود
هو الزمهرير وهذا يدل على صحة قول من قرأ وآخر على الوحدان روى عن الحسن وآخر من شكله ازواج على الجمع اى
الوان من العذاب وقيل زوج من العذاب ويشبه ان يكون قوله وآخر من شكله ازواج اى من شكل كل الذي
تقدم ذكره من الغساق والحميم طعام وشراب فيكون من جنس الاول ازواج طعام وشراب ويحتمل ايضا اى
قوم من شكل اولئك الذين ذكرهم يقربون الى اولئك فيجتمعون في العذاب كقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم والشكل المثل والشكل بنصب الشين الفتح يقال اشكلت المرأة اذا انفتحت
الشين الفتح معروف وقوله (هذا فوج مقتحم معكم) اى داخل معكم يقال اقتحمت الشيء واقتحمته اذا دخلته
وهو الدخول وقوله (لا مرحبا بهم انهم صالوا النار) اى داخلو النار قال اهل التاويل انه يقول الرؤساء
للاتباع لما دخلوا وراءهم لا مرحبا بهم اى لا سعة بهم وهو من الرحب في السعة والرحب الواسع وقالوا
الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار وقيل ان الخزنة تقول للذين في النار هذا فوج
معكم فيردون الخزنة لا مرحبا بهم انهم صالوا النار ويحتمل الفوج الذين يقتحمون النار ويرد الفوج الذين
النار يتبعهم وقالوا بل انتم لا مرحبا بكم واصل هذا ان بعضهم يلعن بعضهم بعضا كقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم

بعض

ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) هذا
قوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار فهذا هو قول الاتباع
يدعون على القادة عليهم كما اخبر الله تعالى فقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فعلى ذلك هذه
المجادلة التي ذكر هاهنا بينهم ثم قوله من قدم لنا هذا اى من شرع لنا هذا الدين الذي كنا عليه فزده عذابا
قوله انتم قدمتموه لنا اى انتم شرعتموه لنا في الدنيا وهو ما ذكر في سورة سبأ حيث قال اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا والله اعلم وقوله (وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا
ام زاغت عنهم الابصار) قال اهل التاويل ان الكفار ينظرون في النار فلا يرون من خالفهم في دينهم
وهم اصحاب محمد الذين كانوا يستهزءون بهم في الدنيا ويسخرون منهم فيقولون اين هم حتى نسخر منهم
كما نسخر منهم في الدنيا ما لنا لا نراهم ام زاغت ابصارنا عنهم اى حادت عنهم فلذلك لا نراهم لكن لا يحتمل
ان يقولوا على هذا الوجه الذي قاله اهل التاويل لانه قد ظهر عندهم ان اولئك على الحق اعني اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانهم على الباطل وعلموا انهم عذبوا والقوا في النار عرفوا انهم لا يكونون مثلهم
في النار لكن يحتمل ان يقولوا والله اعلم على سبيل التلهف والتندم على ما كان منهم في الدنيا من ترك اتباع
النبي عليه السلام ومباشرة السخرية باصحابه ويحتمل ايضا ان يقولوا ذلك على وجه الاستغاثة بهم يقولون
اين اولئك الذين اتخذناهم سخريا في الدنيا فلعلهم يرحمون علينا او يشفعون لنا ويحتمل ايضا ان يقولوا
اين اولئك حتى نتبعهم فينجونا يطمعون النجاة من النار بهم اذا اتبعوهم في ذلك الوقت ونحو ذلك والله
اعلم وهو كقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذا الوجه اشبه من قول اهل التاويل والله اعلم
ثم قوله تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الآية الى آخر ما ذكر انهم في الآخرة يقولون كذا
ويجاوبون كذا ويجاوبون كذا ليلزمهم الحجة لان هذه السورة مكية نزلت في محاجة اهل الشرك في اثبات
التوحيد واثبات الرسالة واثبات البعث لانهم كانوا على فرق ثلث منهم من ينكر التوحيد
ومنهم من ينكر الرسالة ومنهم من ينكر البعث فذكر الآية المتقدمة لاثبات الرسالة لما تقدم ذكرها وذكر
حجج البعث في هذه الآيات والتوحيد في آخرها ذكر ذلك كله ليلزمهم الحجة وان انكروا لئلا يقولوا انا كنا
عن هذا غافلين ثم في هذه الآية دلالة ان عقوبة الله قد تلزمهم وان لم يتحقق عندهم الحق ولم يعرفوا حقيقته
بما اخبر انهم يقولون في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار لانه معلوم لو علموا الحقيقة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا على حق ما تركوا اتباعه وما سخروا اتباعه وعلى ذلك
مباهلة ابي جهل بن هشام يوم بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم ايّنا اقطع رحما فانصره
ولو كان يعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق لكان لا يجترئ على المباهلة ولكن عرف بوادات
البلى ما امكن لهم من العلم والمعرفة لو تاملوا والله الموفق وقوله (ان ذلك لحق تخاصم اهل النار)
قال بعضهم القسم يقول ص والقرآن وقع على هذا اى ص والقرآن ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وجعل
بعضهم هذا على التقديم والتاخير يقول ان ذلك الذي تقدم ذكره من لعن بعضهم على بعض ودعاء بعضهم
على بعض حيث قال لا مرحبا بهم انهم صالوا النار وقالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار وقال
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقد ذكرنا في سورة الاعراف قالت اخراهم لاولاهم وقالت اولاهم
لاخراهم كما ذكر ذلك لحق التخاصم الذي ذكر لحق اى كائن فيما بينهم والله اعلم وقوله (قل انما انا منذر) امر الله تعالى
رسوله عليه السلام ان يقول انا منذر ليس علي سوى ما حملت انما ذلك عليكم انما علي الانذار فقط وقوله
(وما من اله الا الله الواحد القهار) يقول تعالى والله اعلم وما من المعبود دونه باله انما الاله الله الواحد القهار
الذي تفرد في توحيد ربوبيته والوهيته من الخلائق كلهم بقدرته وقوله (رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار) يخبر عن غناه وسلطانه يقول الله انتم تعلمون انه رب السموات والارض ومنشئهما ومنشئ ما
بينهما ولا يحتمل ان يأمركم به وينهاكم عنه لحاجة نفسه او لمنفعة له في ذلك لكن انما يأمركم وينهاكم
لمنفعتكم وحاجتكم والله اعلم ويحتمل ان يقول انكم تعلمون انه هو ربكم ورب من في السموات والارض
وما بينهما فكيف تعبدون من تعلمون انه ليس برب ولا اله ما ذكر وتتركون طاعته وعبادته وقوله
العزيز الغفار العزيز الذي لا يلحقه ذل بذلة اوليائه لانه عزيز بذاته لا باحد سواه ليس كملوك الارض
انما اولياؤهم يعزهم اتباعهم لا يعزهم باوليائهم يعتدلونه بذلهم وقوله (قل هو نبأ عظيم انتم عنه
معرضون) له تأويلان احدهما ان هذا القرآن الذي انزل على رسوله محمد عليه السلام نبأ عظيم انتم عن النظر
اليه والتفكر فيه معرضون وانما سماه نبأ عظيما لان فيه ذكر ما نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد وفيه ذكر

نبي نجا وفيه ذكر من نجا منهم ان بم نجا وما يوتى وما يتقى وما عليهم وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار وغير
ذلك وهم عن التفكر والنظر فيه معرضون ما لو تفكروا وتاملوا لادركوا كله ووصلوا الى معرفة كل ما فيه والله اعلم او
يحتمل هو نبا عظيم البعث والحشر نبا عظيم انتم عن السعي له والعمل لذلك اليوم معرضون اي تاركون فيخرج على
البعث يحمل الاعراض عن السعي لذلك اليوم والعمل له ومن حمل تاويله على القران يحمل الاعراض عن التفكر والنظر
والله اعلم وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الاية اختلف في تاويل الملا الاعلى
قال عامة اهل التاويل الملا الاعلى من الملائكة الذين يتكلمون في ادم حين قال لهم ربهم تعالى اني جاعل في الارض خليفة
قالوا عند ذلك اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وقال بعضهم اختصامهم في الكفارات
وفي الدرجات وفي المنجيات وفي الموبقات ما هي وذكروا ان الكفارات هي اسباغ الوضوء في المكاره وبذل الطعام
عند الضيق والشدائد ونحو ذلك مما يطول ذكره فما لي علم بذلك حتى علمني الله تبارك وتعالى ذلك بالوحي وقوله
اذ يختصمون ليس على حقيقة الخصومة ولكن على التكلم في ذلك على ما بينا التاويلين وهو كقوله يتنازعون فيها
كاسا ليس على التنازع المعروف فيما بين الناس ولكن على الاختلاف لا ندري فيما فعلى ذلك ما ذكر من اختصامهم الا
هو التكلم فيما بينهم فيما ذكرنا والخبر انه ما كان لي علم بذلك الا ان اوحي الي فعلمت بالوحي ويحتمل ان يكون المراد
بقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اي بالجمع الاعلى وهو جمع يوم القيمة سماه الجمع الاعلى لانه جمع الاولين والاخرين
من الفرق جميعا اي ما كان لي علم بذلك الجمع وان يقع في ذلك اليوم الخصومات حتى علمت بالوحي وقد يختصمون
على حقيقة الخصومة اذ قد يقع الخصومات في ذلك اليوم بين الناس كقوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
ويحتمل ان يكون الملا الاعلى هم الاشراف من اوليك الكفرة والقادة منهم الذين هلكوا بالتكذيب ومن نجا
منهم بالتصديق ما كان لي من علم بهم اذ يختصمون بالحجج ويتكلمون بالسوال عن ذلك حتى اوحى الي الله تعالى
فعلمت بالوحي كانهم سالوه فاخبر في كتبه لواحد منهم في ذلك حتى علمت ذلك بالوحي الا انما انا نذير مبين او
ربي او اوحى الي انا نذير لكم والله اعلم ويحتمل السوال عن ذلك عن العرضة على الملا الاعلى وعن اختصامهم ويحتمل
ان يكون ذلك قال لهم اهل السوال ولكن على الانبياء بخبر انه كان لو اخبر منهم حتى علمها الوحي فيكون في ذلك
بيان صدق دعواه الرسالة واقامة البرهان عليها والله اعلم وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
ظاهر الاية انه قال للملائكة قبل ان يخلقه انه يخلق كذا وجائز ان يكون لاهل العقول منه امر يكون على الخبر انه كان
ما ذكر والله اعلم ثم ذكر ما خلق منه ادم عليه السلام على اوصاف مختلفة في القران ذكر مرة انه خلقه من طين ومرة
من تراب ومرة من حما مسنون ومرة من صلصال كالفخار ومرة من طين لازب وغير محال ان يكون كل وصف
ذلك قد كان لكن كل وصف في حال كان ترابا ثم صار طينا ثم ما ذكر من الاوصاف على الاحوال فلا يؤدي الى الاشتباه
والاختلاف في القول لامكان الجمع في الاحوال والله اعلم وقوله تعالى ونفخت فيه من روحي اي جعلت فيه
من روحي واضاف الروح الى نفسه كاضافة خلق من خلائقه اليه اذ الروح خلق كسائر الخلائق وقوله تعالى
فقعوا له ساجدين لم يصرف اهل التاويل سجود الملائكة لادم عليه السلام الى حقيقة السجود والا كان يصرف
الامر بها الى الخضوع له والاستسلام لما احوج الملائكة الى معرفة هذه الاشياء باسمائها الى ادم عليه السلام وقد
عرفوها حيث قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم لانه لكن صرف اهل التاويل سجود الملائكة لادم
الى حقيقة السجود وذلك جائز لانهم يمتحنون بالامر والنهي وقد ذكرنا فيما تقدم ثم استثنى ابليس من الملائكة
واخبر انه استكبر وابى ان يسجد له بقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين
فعلى قول من يقول ان ابليس كان من الملائكة فلما ابى السجود خذله ووكله الى نفسه صار كافرا في العلم او كان
وان عظم وجلت منزلته يحتمل خلاف ما هو فيه وضد الامر عصمة الله تعالى فان الله تعالى امتحن ابليس بامر
وترك امره تكبرا واستخفافا فلحق لخصار كافرا مخذولا ليكون الاخيار الذين لا عصمة لهم ابدا على
حذر وقوع امر الله تعالى على ما اصير من عظيم قدر الملائكة عند الله تعالى ثم خذل ابليس ومنع التوفيق منه صار
كافرا والله اعلم ثم قوله وكان من الكافرين يحتمل اي صار من الكافرين باباء السجود لادم والاستكبار على
الله تعالى وهو قوله فتكونا من الظالمين اي تصيرا ويحتمل اي كان في علم الله انه يكفر وقت اباء السجود لادم عليه السلام
وقوله تعالى قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت قد ذكرنا في غير موضع ان تخصيص
اضافة الشي المفرد الى الله تعالى يخرج مخرج التعظيم لذلك الشي كقوله بيت الله ومسجد الله وناقة الله تخص
هذه الاشياء بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم لهذه الاشياء فعلى ذلك
يخرج اضافة خلق ادم عليه السلام الى نفسه مخرج تعظيم ادم حيث قال خلقت بيدي وان كان هو خالق جميع الخلق
فاما اضافة كلية الاشياء الى الله تعالى وكلية الحوادث اليه يخرج مخرج التعظيم لله تعالى والمدح له نحو خالق كل شي

كل شي

كل شي ومنشئ العالم ومبديها وهو على كل شي قدير ونحو ذلك والله اعلم ثم قوله بيدي قد تكلف اهل التاويل في
الكلام في تاويل اضافة اليد الى الله تعالى فمنهم من قال القوة ومنهم من قال النعمة ومنهم من قال كذا لكن
التكليف في ذلك فضل لان اليد قد تضاف الى من لا يوصف بالجارحة والعضو نحو ما قال الله تعالى لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم منه ذكر اليد لانه لا يد له كما يفهم من الخلق وكذلك لا يفهم ما ذكر
من مجي الحق ولا زهوق الباطل ما يفهم من مجي الخلق ولا ذهابهم بقوله جاء الحق وزهق الباطل وكذلك
ما ذكر من مجي البرهان بقوله قد جاءكم برهان من ربكم واشباه ذلك مما يكثر عدها واحصاؤها لم يفهم احد
من الخلائق من مجي هذه الاشياء ما يفهم من مجي الاجسام فكيف يفهم من ذكر اليد لله ما فهم من الخلق لولا
اعتقادهم ربهم والجهل بتعاليه عن معنى الغير والا لم يخطر ببالهم ذكر ذلك لله تعالى واضاف اليه ما يخطر
من الخلق ومعنى الخلق ويحتمل ان يخرج اضافة اليد الى نفسه لما ان اليد يكون العمل في الشاهد او يحتمل كون
ذلك من الخلق وقوله بما قدمت ايديكم وقوله بما قدمت يداك وقوله بما كسبت ايديهم ونحو ذلك ان تلك
في الحقيقة ان ذلك لم يكن كسب اليد حقيقة لانها اعني نحو الكفر الذي هو عمل القلب ونحو ذلك لكن
ذكر اليد لما ان اليد يكتسب في الشاهد اكثر الافعال والاعمال فاضاف ذلك اليها وان لم يكن منها حقيقة فعلى
ذلك اضافة اليد الى الله تعالى فيما اضاف على ما ذكر ان ذلك من الخلق انما يكون باليد ويكون على طريق الاستعارة
عما به يحصل المعمولات ويتعلق بها وهو القدرة وعلى ذلك يخرج قوله الرحمن على العرش استوى بعد ان يثبت له
ما يليق به وينفى عنه ما لا يليق به واصل ذلك انا قد عرفنا انه تعالى متعاليا عن جميع معاني الغير بائن عن كل صفات
يوصف بها الغير على ما ذكر في كتابه ليس كمثله شي فاذا كان كذلك لا حاجة لنا بعد الى تاويل اليد وقوله تعالى استكبرت
ام كنت من العالين قد ذكرنا ان حرف الاستفهام والشك من الله تعالى على الايجاب والقطع معناه والله اعلم
استكبرت لخالقك في اباءك السجود لادم ام كنت من العالين اي صرت من العالين اي من المتكبرين الذين
يطلبون العلو كقوله ان فرعون علا في الارض وهو كقوله وكان من الكافرين اي صار من الكافرين ويحتمل
استكبرت في الحال وكنت في علم الله من المستكبرين كقوله وكان من الكافرين فيما كان في علم الله انه يكفر ويصير
من الكافرين والله اعلم وقوله تعالى قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ظن ابليس اللعين ان النار
لما كان من طبعها العلو والارتفاع ومن طبع الطين التسفل ظن ان الذي طبعه الارتفاع والعلو خير من الذي
طبعه التسفل لذلك اختار وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والله اعلم ويحتمل انه لما راى صلاح
الاشياء كلها ونضجها بالنار فقال كذلك ولكن لو نظر اللعين حق النظر لعلم ان الطين خير من النار لان
من الارض والماء كان الاصل والقوام لغيره لان الاشياء الذي يكون صلاحها ونضجها بالنار يكون بدوها
وخروجها من الارض وكانت النار من الارض كالطين من الماء ولا احد يفضل الطين على الماء ثم انما كفر اللعين
من السجود لادم عليه السلام لا بترك امر به ولكن لاباءه السجود له لما لم ير امر الله بالسجود لادم
عليه السلام بما ظن انه خير منه واعلى الجوهر حقا فرد الامر من الله تعالى بالسجود من هو خير فلعله انه لو جود
حكمة فكفر بما زال ان يوضع الامر في غير موضعه وانه سفه واعتقاد السفه بالله تعالى كفر وقوله تعالى قال
فاخرج منها قال بعضهم اي اخرج من الجنة وقيل من السماء الى الارض وقيل من الارض الى جزائر البحر والله اعلم
وليس لنا الى ذلك حاجة ان نتكلف ذلك ونقطع القول فيه انه امر بالخروج وكذا وقد عرفنا اللعين انه من اين خرج فيه ثم
قد ذكر ذلك بالفاظ مختلفة قال لعزه فاخرج منها وقال فاهبط منها وقال في موضع اخر ما منعك الا تسجد
لما خلقت بيدي وقال في موضع اخر ما منعك الا تكون من الساجدين وكذلك ما ذكر من القصص على اختلاف
الالفاظ والحروف انما عليهم حفظ المعاني المودعة فيها واصابتها وان اختلفت الالفاظ فيكون حجة
في جواز نقل الاخبار بالمعنى وعلى جواز الصلاة بقراءة القران بالفارسية ونحو ذلك وقوله تعالى فانك رجيم
اي انك لعين على السنة الناس اذ ليس يذكره احد من اعدائه واوليائه من اتباعه في الكفر الا ويلعنه وقوله تعالى
وان عليك لعنتي الى يوم الدين كان لعنة الله تعالى عليه الى يوم القيمة هذا لانه طرده عن رحمته ودينه
لما علم في الازل انه لا يعود الى اختيار توحيده وطاعته ابدا وان عليه اللعنة في الدنيا والاخرة اما
في الدنيا ما ذكر في هذا لانه ترك طاعة الحي واما في الاخرة بحرمانه الجنة واستحقاقه الخلود في النار اذ اللعن هو الطرد
اللعنة والملعون هو المطرود من رحمة الله في الدنيا عن توفيقه وعصمته وفي الاخرة عن جنته وقوله تعالى قال
رب فانظرني الى يوم يبعثون فاجابه وانظره حيث قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم انما
نظره لما علم انه يختار الكفر والخلاف له ابدا ثم اختلف في تاويل الوقت المعلوم قيل هو يوم البعث لانه
سال النظر الى يوم البعث بقوله قال رب فانظرني الى يوم يبعثون فانظر الى يوم الوقت المعلوم

أى انك من المنظرين الى يوم يبعثون وقال بعضهم الوقت المعلوم هو النفخة الاولى وهو وان سأل الانظار الى
يوم يبعثون فقد انظره الى يوم الوقت المعلوم ولو كان المراد يوم البعث لكان يكون قوله فانك من المنظرين وقد
لم يبين ذلك الوقت المعلوم عند الله وكذلك خاف ابليس قبل البعث وهو ما اخبر الله تعالى عنه نكص على عقبيه
وقال انى برئ منكم انى اخاف الله رب العالمين ولو كان بين له الوقت المعلوم ويتيقن عنده انه منظر الى يوم البعث
وان الله تعالى لا يخلف في وعده لكان لا يخاف دون ذلك الوقت ولكنه يأمر في كل حين فعلى انه لم يبين له
ذلك الوقت وهو معلوم عند الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين وقال في موضع آخر ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين كانه يقول
والله اعلم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ان تغويهم الا من كان في علمى انه يختار الغواية وقد ثبت ذلك
لك عليهم سلطانا ان لا تغويه فاما من كان في علم الله تعالى انه يختار التوحيد والايمان فلا سبيل لك عليهم
ثم اختلف في تاويل المخلصين قال بعضهم المخلصين للتوحيد ومنهم من قال المخلصين من الهلاك فان كان
التاويل هو الاول وكان قوله لاغوينهم اى لادعونهم في الكفر وان كان الثانى فيكون قوله لاغوينهم اى لاهلكنهم
قيل المخلصين من كل ذنب معصية والوجهان الاولان اشبه وقوله تعالى قال فالحق والحق اقول قرئ بنصبهما
جميعا وقرئا ايضا برفع الاول ونصب الثانى فمن قرأ بالرفع فيكون معناه والله اعلم انا الحق والحق اقول وذكر
عن مجاهد انه يحتمل ان يكون الحق والحق اقول ومن قرأ على النصب هو على التأكيد لما ذكرنا على اثره وهو قوله
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقال ابو عبيد النصب في الاول يحتمل ان يكون على الاغراء
اى فاتبعوا الحق والحق اقول فاذا النصب في الثانى لا اختلاف فيه والله اعلم ثم قوله لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين حجة على المعتزلة في قولهم ان الله لا يريد الشر لانا نقول لانه تعالى اخبر انه يملأ جهنم
من ابليس واتباعه واوعدهم بذلك فلو كان ما اراد ان يخرج خبره على الصدق وان يحصل في وعيده ايدهم بذلك
قالوا لم يرد اعطي العقول فيه لانهم زعموا انه اراد ان يخلف فيما اوعد الكفر واراد ان يكون بخبره كذبا وقد
وصف الرب تعالى بالسفه من اراد ان يخلف في وعيده وان يكذب في خبره وهذا وصف الرب تعالى بالسفه
من اراد ان يخلف في وعده وان يكذب في خبره فهو سفيه تعالى الله ان اراد ان يحضر وعده وان يصدق في خبره
فيقال لهم اراد ان يؤمنوا ولا يتبعوا ابليس فان قالوا اراد ان يؤمنوا ولا يتبعوا ابليس فان
اراد ان لا ينجز وعده وان لا يكذب في خبره لانهم لم يكونوا على اتباعه فلا يكون املأ جهنم من اتباع ابليس ثم
يجوز وصف الظلم اذا اراد على قولكم الا ان يكون يحكم ظالما اذا اراد ان يملأ جهنم تعالى الله عن ذلك والله الموفق
ثم ذكر في جهنم عليهم لان في الضيق زيادة الالم والحرج ما بعده ولان في سعة الجنة حكمة لانه تطلب
بها التنزهة والانتشار في البساتين والتبسط في الفسحة والله اعلم قل ما اسألكم عليه من اجر يحتمل وجوها
احدها لا اسألكم على ما ادعوكم اليه من الحكمة وعلى ما ادعوكم الى الشرف في الدنيا والآخرة من اجر ولا احد يبذل
الاجر سرا في ذكر الا ويطلب عنه الاجر فكيف تتركون انتم اتباعى وانا لا اسألكم اجرا ويحتمل وما انا اسألكم
على ما ادعوكم اليه من اجر فيمنعكم ثقل ذلك الاجر على اتباعى واجابتى وهو كقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون وقوله تعالى وما انا من المتكلفين قال بعض اهل التأويل وما انا متكلف في ذلك من تلقاء نفسى ولا
امرتكم بامر الا بالوحى وما المتكلف عند الناس في الظاهر هو الذى يتعاطى ويتعمل بلا اذن قال ابو عوسجة المتكلف
هو الذى يتكلف ما لا يعنيه ويفعل ما لا يؤمر به وقيل وما انا من المتكلفين اى وما انا من المختلقين به على الله تعالى
خالقهم وفى والله اعلم وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين اى ما هذا القرآن وهذا النبأ الا عظة وذكر لمن
اتبعه وانتفع به وقوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين يحتمل نبأ القرآن ويحتمل البعث والحساب اى تعلمون ذلك انه حق بعد حين

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
يقول والله اعلم ان الكتاب الذى يتلو محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوكم اليه هو تنزيل من عند الله كقوله نزل
به الروح الامين على قلبك ثم ذكر العزيز الحكيم على اثر قوله تنزيل الكتاب من الله عز وجل والله اعلم يعنى به انه
محمد صلى الله عليه وسلم الى اتباع الكتاب والطاعة له ليس لذل بالله تعالى فيطلب بكم العز او الضعف الذى
فيطلب منكم الاستعانة بل هو عزيز بذاته غنى حكيم وقيل العزيز هو الذى لا يعجزه شىء والحكيم هو الذى لا يلحقه
الخطأ في التدبير وقيل هو العزيز لان كل عزيز دونه يصير ذليلا عنده والحكيم هو الذى يضع كل شىء في موضعه

وقيل

وقيل العزيز هو المنيع وتاويل المنيع عن جميع مكائد الخلق وعن جميع حيلهم بالضرر له والله اعلم وقوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق يحتمل قوله بالحق اى بالحق الذى لله عليكم والذى لبعضكم على بعض ويحتمل ما قال اهل التأويل
بالحق للحق الذى لم ينزله عبثا باطلا لغير شىء ولكن انزله لحقوق واحكام مختلفة واوامر ونواهى ووعد
ووعيد وقوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين جائز ان يكون ما ذكر من انزاله الكتاب بالحق ذلك الحق هو ما امر به عباده
بقوله فاعبد الله مخلصا امر بذلك الحق ثم يحتمل قوله فاعبد الله مخلصا وجهين احدهما في الاعتقاد
والاعتقاد جعل كل عبادة وطاعة لله تعالى لا يشرك احدا فيها والثانى في المعاملة ان لا يجعل كل العبادة لله
وقيل فاعبد الله اى وحد الله مخلصا له الدين اى اجعل الوحدانية والالوهية لله في كل شىء وقوله تعالى الا لله
الدين الخالص لانه دين قام بالحجج والبراهين فاما غيره من الاديان تقوم بهوى النفس وما فيها الا بالحجج والآيات
وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كان فيه اضمار ويقولون الذين
اتخذوا من دونه اولياء وعبدوها قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك في حرف ابن مسعود رضى
انه قال والذين اتخذوا من دونه اولياء قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهو كقوله تعالى هؤلاء شفعاؤنا
عند الله عرفوا انهم كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ليست بآلهة في الحقيقة ولا لها الالوهية فان
الالوهية لله تعالى لكنهم سموها آلهة لانهم كانوا يعبدونها وكل معبود عند العرب يسمى الها وعرفوا
انها ليست لهذه الاشياء الوهية وانها لله تعالى ثم ان الذى حملهم على عبادة ما عبدوا من دون الله تعالى وجهان احدهما
انهم رأوا انفسهم لا تصلح لعبادة الاله العظيم وقدره ولا يقدر على القيام بخدمته فعبدوا هذه الاشياء رجاء ان
تقربهم عبادة هؤلاء الى الله زلفى وان يكونوا لهم شفعاء عند الله تعالى لما رأوا في ملوك الدنيا انه
لا يكل احد يجد السبيل الى خدمتهم ويقدر على القيام بين ايديهم والخدمة لهم فيخدم من اتصل بالملك
ومن عظم قدره ومنزلته عنده ليقربه ذلك المخدوم له الى الملك اذا بعث له الحاجة او للشفاعة وعلى ذلك
ما ذكر في قصة فرعون انه كان اتخذ لقومه اصناما يعبدونها من دونه لما لم ير كل احد منهم صالحا لخدمته
ولهذا ما اغراه قوم موسى عليه السلام حيث قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ونحوه وهذا وجه والثانى عبدوها
لما ان آباءهم عبدوها وتركوهم على ذلك حتى ماتوا فاستدلوا بتركهم على ذلك ان الله تعالى قد رضى بعبادتهم
الاصنام وانه امرهم بذلك لقولهم واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها وكذلك قالوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ويقولون لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا استدلوا بتركهم
اياهم على ما عبدوه من الاصنام على ذلك وعدم معاقبتهم في الدنيا وكانوا لا يؤمنون بالآخرة حتى يتفكروا
عسى ان يؤخرهم الى الآخرة فيجازيهم فبنوا على ان الله تعالى قد رضى بذلك منهم وانه امرهم فعلوا ذلك
فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله ان الله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم من كان يعبد منهم
الملائكة لا يعبد عبادة الاصنام رأى ان انفسهم لا تصلح لعبادة الله ويرى نفسه اهلا لذلك
والله اعلم وقال بعضهم في قوله الا ليقربونا الى الله زلفى ان قوما من العرب عبدوا الملائكة فقالوا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى اى مرتبة يشفعون لنا الى الله تعالى ثم قوله فيما هم فيه يختلفون يحتمل الذى يختلفون
في محمد صلى الله عليه وسلم لانهم اختلفوا فيه فمنهم من قال انه ساحر ومنهم من قال انه مجنون وكاهن ومفترى
فيخبر ان الله تعالى انه يحكم بينهم ثم يبين لهم انهم ما ذكروا وانهم كذبوا فيما قالوا ويحتمل ايضا ان يحكم بينهم
فيما كانوا يختلفون فيه فيبين لهم ان الحق الذى عليه محمد صلى الله عليه وسلم ام الذى هم عليه ويحتمل اى يحكم بينهم
ان الاصنام التى عبدوها لا تشفع لهم وان عبادتهم اياها لا تقربهم الى الله زلفى ثم قد بين الله تعالى في الدنيا
ان محمدا ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب ولا كاهن بما اتى محمد صلى الله عليه وسلم بنصر الله اياه وتظهيره
له وكان يخبر لهم بما هم كذلك ما اتاهم بانباء من الاخبار لا يستفاد مثلها الا بالوحى لكنهم عاندوا وكابروا وكذلك
بين ان الذى عليه حق بقوله ان الدين عند الله الاسلام وبقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وقد اقام الدلائل والمعجزات على رسالته وصدقه وكذا بين لهم ايضا ليعرفوا ان الاصنام التى
عبدوها لا تملك لهم الشفاعة يوم القيمة حيث ابتلاهم بانواع البلاء من الجدب والتضييق عليهم بالقحط
والجدب حتى فزعوا الى الله تعالى وكشف ذلك عنهم ثم يفزعوا الى الاصنام وهو ما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين وقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ونحوه مما يبين لهم ان ما عبدوا مما
لا تملك ولا علم لها وقد دفعهم الله تعالى على ان الله هو المعبود بالحق دونها والله الموفق
وقوله تعالى ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار اى لا يهدى الضلال الذين اختاروا الكفر وقال الجبائى لا يهديه
طريق الجنة في الآخرة من كان كاذبا كفارا في الدنيا وقال جعفر بن حرب ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار

الى الزيادة انما الذي يهدي ويعطي من اختار الهدى لانه يقول لانه من اختار الهدى واهتدى كان عند الله لطف
يزيده كان اختاره كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم فهذه تاويل المعتزلة فاما عندنا فان
قوله ان الله لا يهدي في علمه انه يختار الكفر وقت اختياره الكفر او لا يوفقه الهدى او لا يعينه وقت اختيار
الكفر او لا يوفقه الهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذلك يقول في قوله والله لا يهدي
القوم الظالمين وكذا في اي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والثاني لا يهدي اي لا يخلق فعل من هو فعل كفر
ولكن يخلق فعل كفر وكذلك لا يخلق فعل من هو فعل هدى كفرا ولكن يخلق كل فعل على ما يختاره الفاعل اذا
اختار هدى يخلقه هدى وان اختار كفرا يخلقه كفرا والله الموفق وقال بعض اهل التاويل ان الله لا يهدي
من كان في علمه انه يختم بالكفر ويخرج من الدنيا ثم قوله من هو كاذب يحتمل وجهين احدهما من هو كاذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار لنعم الله تعالى ويحتمل كاذب في القول كفار في الفعل وقيل جائز ان
يكون قوله ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار كاذب في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي قوله هؤلاء
شفعاؤنا عند الله كفار لنعمه تصرف العبادة الى غير المنعم والله اعلم وقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
مما يخلق ما يشاء ظاهر هذه الاية يقتضي ان اتخاذ الولد لله من الممكن ليس من الممتنع وكذلك ظاهر قوله
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين الممكن المحتمل دون الممتنع المستحيل لكن قام دلالة الامتناع
والاحالة على انه بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار نزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه الله تعالى
لانه من المحتمل الممكن ولا من الواجب كان من الممتنع ضرورة وكذلك تعالى في موضع آخر تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فدلت هذه الاية على ان اتخاذ الولد لله من الممتنع
العظيم في العقول وفي العقول جميعا وكذلك في قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
هو الله الواحد القهار رد على ما ادعى الولد له فان معناه لو انه لو جاز او احتمل اتخاذ الولد على ما يظنون انتم
وتتوهمون لاصطفى واختار مما يخلق ما يشاء لا على ما تختارون انتم له وتشاؤون ان الملائكة بنات الله على
ما تزعمون ولكن المعروف عند الخلق انه انما يتخذ لنفسه شيئا انما يتخذ من ارفع الاشياء وانفعها واعظمها قدرا
عنده لا من اخس الاشياء وادونها اذا كان له قدرة على ذلك فعلى ما تدعون انه يتخذ ولدا ان يتخذ من بنات آدم
ليكون ولدا عظيما لقدره عند الناس فعلى ذلك لو اراد الله ما في ظنونكم وحسبانكم انه يتخذ الولد لاختار
مما ذكر دون ما تقولون لكنه نفى اتخاذ الولد بناء على زعمهم كقوله وانظر الى الهك الذي اتخذو
اولئك آلهة في الحقيقة ولكن سماها كالذي عندهم وكذلك قول موسى عليه السلام فانظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا اي انظر الى الذي اتخذته الها سماه على ما هو عنده وكذلك قوله لو اراد الله ان يتخذ
ولدا على ما يظنون لا انه متصور حقيقة والله الموفق ويتاول معنى الاتخاذ راجع الى الحسبي اذ الكفرة كانت
تنسب الملائكة الى انهم بنات الله عز وجل من كرامتهم على الله تعالى وقدرهم عنده وكذلك النصارى ادعوا
ان عيسى ابن الله لما راوا عظيم منزلته عند الله تعالى وانما اتخذ الاولاد حقيقة من باشر سبب وجود الولد
وانما هو ينبني لاجل وجوه اما الوحشة اصابته فيستانس به واما الحاجة يمسه فيدفع الولد
ذلك عنه واما الغلبة يتهوى فيقضيها فيتولد من ذلك الولد واما لوراثة ملكه بعد موته
لاستعانة به في النصر على الاعداء فاذا كان الله تعالى قادرا على الكمال غنيا بذاته قاهرا على اعدائه
دائما لا يزول ولا يحتمل ذلك وقد نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عن التبني ما نزه نفسه عن احتمال الكل
او خوف الغلبة بقوله سبحانه هو الواحد القهار نفى قوله الواحد القهار دفع ما قال الولد فيه والحاجة
فانه اخبر انه واحد الذات ولو كان له ما ذكر هو لانه من الولد يكون واحد الذات اذ كل محتمل الولد
هو من شكل الولد فالولد من شكله فاذ لو فهم انه واحد الذات لم يحتمل الولد وفي قوله القهار دلالة
احالة اتخاذ الولد واحالة التبني لانه اخبر انه قهار وان هذا الوصف مما ينفي خوف الغلبة والحاجة
الى الغير فدل على امتناع الولد اتخاذا وتبنيا والله الموفق وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق يحتمل
قوله بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وللبعض من الخلق على البعض ويحتمل قوله بالحق معناه للحق وهو
البعث ما لو لم يكن البعث كان خلقهما عبثا باطلا على ما ذكر في آية اخرى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا بين ان انشاء العالم للفناء
عبث فيكون لاجل البعث والمصير الى الاخرة فيكون الدنيا وسيلة ومطية الى الاخرة والله
ويحتمل بالحق اي بالحكمة وهو ان جعل في خلقه كل شيء اثر وحدانيته والوهيته ما يعرف كل احد انه
وانه لم يشاهد خلقه وفعله ما لا يكون ذلك في فعل احد من الخلائق ومشاركة الاخيار له في ذلك والله اعلم

يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال بعضهم اي يدخل احدهما على الاخر
وهو كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل احدهما في الاخر وقال بعضهم ياتي بنفس
احدهما بالاخر كقوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وقال بعضهم يكور الليل على النهار اي يلف هذا
بهذا وهو من كور العمامة وهو لفها وقوله تعالى اذا الشمس كورت اي جمعت ولفت واصل التكوير اللف والجمع
[illegible] حيث جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء و
منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع تباعد ما بينهما وجعل منافع الليل متصلة بمنافع النهار ومنافع
النهار متصلة بمنافع الليل مع اختلافهما وتضادهما ليعلم انه فعل واحد اذ لو كان من
[illegible]
وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
[illegible]
انعاما وهي ثمانية ازواج والثاني ان يكون اسم الانعام واقعا على الدواب كلها الا انه لا يحل لنا منها في
الانعام الا هذه الثمانية الازواج المذكورة فان كان على هذا فيكون من هنا الحرف للتبعيض وتخريجه وكان
ان اسم الانعام عام يقع على جميع الدواب لكن تخصيص هذه الثمانية الازواج بالذكر في موضع الامتنان
لما انه لا يحل لنا من جملة الانعام جميع انواع الانتفاع بها الا من هذه الاصناف الثمانية فانه يحل لنا الانتفاع
بلحومها والبانها واصوافها والانتفاع بظهورها من الحمل والركوب ونحوها فاما ما سوى هذه الاصناف
الثمانية لم يحل لنا الانتفاع بها الا من هذه الاصناف الثمانية لم يحل لنا الانتفاع بها من جميع الوجوه فانه
لا يحل لنا البانها ولا لحومها ونحوها وان كان يحل لنا الانتفاع بظهورها مثل الحمر والبغال والخيل
ونحوها فان قيل ثم ما الدليل على ان يكون هذه الثمانية المذكورة في الاية الثمانية التي ذكرها في سورة الانعام
ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى اخر الاية لان تخصيص هذه الثمانية من سائر الانعام بالانتفاع
بها من جميع الوجوه هذه الثمانية انعام احل لنا كلها في تلك السورة لانه ذكر هذه الثمانية الازواج الابل

والبقر والمعز والضأن على اثر ذلك الأكل بقوله كلوا مما رزقكم الله ثم قال ثمانية أزواج فدل على ما ذكرنا وهو
يدل على أن قوله قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه الآية أي لا أجد فيما أوحي إلي محرما من هذه الأصناف
الثمانية الأزواج الا ما ذكر من الدم ولحم الخنزير ثم يخرج استثناء لحم الخنزير مخرج استثناء عين الجنس المذكور على
كون ذلك الغير فيه وذلك جائز في اللغة كقوله أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وأنتم حرم كأنه قال أحلت لكم بهيمة الأنعام والاصطياد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم
لأن قوله غير محلي الصيد استثناء الاصطياد في حال الإحرام من قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام والا
ليس من جنس بهيمة الأنعام لأن هذا فعل وذلك عبارة عن الحيوان لكن انما جاز على اضمار الاصطياد
من بهيمة الأنعام لأن هذا فعل وذلك عبارة عن الحيوان لكن انما جاز على اضمار الاصطياد فعلى هذا أولا
كأنه أضمر فيه ما يكون استثناء لحم الخنزير منه لأنه استثني من خلاف الجنس في الظاهر كأنه قال قل لا
أجد فيما أوحي إلي محرما من هذه الأصناف الثمانية ومن كل ذي ظلف الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو
لحم خنزير والله أعلم قوله تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قيل أي يحوله من حال الى حال
من نطفة الى علقة الى أن يتم خلقا سويا قوله تعالى في ظلمات ثلاث يحتمل الرحم والبطن والمشيمة وقيل
الظهر يخبر الله تعالى عن قدرته وعلمه أنه حيث قدر على خلق الانسان وغيره من الحيوان في الظلمات الثلاث
وقدر على التسوية بين كل شيء من أعضائه من اليدين والرجلين والعينين وعلى التسوية بين كل جزء من السمعين
والبصرين وايصال الأغذية لا تتأذى احدى اليدين على الأخرى وكذلك احدى الرجلين واحدى العينين
واحدى السمعين وكذلك تقدير كل شيء منه من تلك النطفة من العينين والرجلين واليدين وكل الجوارح
ما لو اجتمع حكماء البشر لم يعرفوا ماهية كون ذلك الخلق منها وتقديرها وتصويرها من تلك النطفة فضلا
عن القدرة على تصوير مثلها أنه قادر على خلق الأشياء من شيء ولا شيء وبسبب وبغير سبب وما جعل
الأشياء من سبب لم يجعل لاستعانة منه به على انشائه وليعلم أنه من قدر على تقدير ما ذكر وتصويره في
الظلمات الثلاث كان لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء وفيما ذكرنا دلالة البعث وهو أن من فعل ما فعل من
تغييرهم من حال الى حال فتحويلهم من صورة الى صورة أخرى أنه لا يقع ذلك ليتركهم سدى لا أمرهم
ولا نهيهم ولا يمتحنهم ثم إذا امتحنهم لا يحتمل أن لا يبعثهم ليجزي المسيء والمحسن منهم جزاء الإساءة
والإحسان وتفرقة بين فعل الطاعة والعصيان إذ قد سوي بينهما في هذه الدنيا في الفعل التفريق
فلا بد من دار أخرى تفرق بينهما فيها يجب القول بالبعث والله الموفق قوله تعالى ذلكم الله ربكم له الملك
يحتمل أي ذلكم الذي صوركم في الظلمات الثلاث هو ربكم ويحتمل ذلكم الله ربكم له الملك أي ذلكم الذي
خلق السموات والأرض وما ذكر من تكوير الليل على النهار وتسخير الشمس والقمر وخلقنا جميعا من نفس واحدة
هو ربكم لا إله إلا هو فأنى تصرفون عن ألوهيته وربوبيته الى غيره وتجعلون له شركاء وأعدادا وقد تعلمون
أن الذي فعل ذلك كله هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا مثل أو يذكر ما ذكر من النعم التي أعطاكم
وأنشأ إليكم هو ربكم فكيف تصرفون شكرها الى غيره والله أعلم قوله تعالى إن تكفروا فإن الله غني عنكم
ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أي إن تكفروا دين الإسلام
فإنه لا يقبل منكم وإن تشكروا أي وإن تسلموا يرضه لكم أي يقبله منكم وهو كقوله ومن يبتغ غير الإسلام
دينا فلن يقبل منه وقال بعضهم إن تكفروا دينه فإن الله غني عن عبادتكم وإن توحدوه يرضه لكم ويحتمل وجها
من الأول وجائز أن يكون قوله إن تكفروا فإن الله غني عنكم أي إن تكفروا النعم التي عددها عليكم من
خلق السموات والأرض إلى آخر ما ذكر إنه غني عنكم وإن تشكروا يقبل ذلك منكم وأصله أن الله عز وجل
جعل بين سبيل الهدى وقد رغبهم فيه وبين سبيل الضلال ليحذرهم عنه ثم بين أن من سلك سبيل
الهدى فله كذا ومن سلك سبيل الضلال أفضاه إلى كذا أو أن يكون معناه أو من سلك سبيل الهدى يرضى
سعيه عاقبة ذلك السبيل كقوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ومن سلك سبيل الضلال لا يرضى
بل يغضب ذلك في العاقبة كقوله إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم أخبر أنهم يمقتون أنفسهم
إذا نفذوا وعرفوا أنهم ضلوا الطريق بالله العصمة وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه والله لا يرضى لعباده
الكفر وإن تشكروا يرضه منكم وكذلك حرف أبي وحفصة مثله وأصله أن في الآية إخبارا أنه لم يأمركم
به ولا نهاكم عما نهاكم عنه لحاجة نفسه أو لمنفعة نفسه ولكن امتحنكم لحاجة أنفسكم ولمنفعة
ولدفع الضرر عن أنفسكم وكذلك ما أنشأ من الأشياء لم ينشئها لحاجة نفسه ولا لمنفعة لكن
أنشأها لحاجتكم وجعلها نعمة لكم والله أعلم قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ذكر هذا والله أعلم بقوله

أمر لهم كما أخبر عنهم بقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أخبر بقوله ولا تزر وازرة
وزر أخرى بأن لا أحد يحمل وزر أخرى ولكن كل يحمل وزر نفسه يخبر أن أمر الآخرة على خلاف أمر الدنيا فإن
في الدنيا قد يحمل بعض أثقال بعض وأما في الآخرة فإنه لا يحمل أحد وزر غيره والله أعلم ثم قوله ثم إلى ربكم مرجعكم
الآية حض للبعث بالرجوع إليه والمصير إليه وإنما لم يذكر لأنه كان في جميع الأحوال صائرين إليه لما في
من إنشائهم في هذه الدنيا ثم لا يبعثهم كان يكون خلقه إياها للفناء خاصة فيكون عبثا تعالى الله عن ذلك
والله الموفق قوله تعالى إنه عليم بذات الصدور قال أهل التأويل أي عليم بذات الصدور وعندنا أنه عليم
بكل ما يصدر في الصدور من الخير والشر وذلك مثل ذات الصدور لأصحاب الصدور وهم الذين يكتمون في صدورهم
قوله تعالى وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل يحتمل وجهين
المؤمنين ما كان من عادة الكفرة فيما ذكر في القرآن أنهم كانوا مخلصين له الدين عند الشدائد ويفزعون إليه
إذا مسهم بلاء وشدة أو ركبوا البحر فكان لهم خوف الغرق كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين الآية ثم إذا كشف ذلك عنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من قبل وهو قوله ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان
يدعو إليه من قبل يحتمل قوله نسي أي لا يملك الأصنام التي عبدوها دون ذلك ويحتمل نسي ما كان يدعو
أي لا ينفع شفاعتهما إياهم ونحوه وهو كقوله وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه أي نسوا ما عبدوا
من دون الأصنام ونحوه وقوله تعالى وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله كأن الآية في الرؤساء منهم جعلوا
لله أندادا ليضلوا الناس عن سبيله وذلك أعظم في الفعل يدل على ذلك قوله تعالى قل تمتع بكفرك
قليلا في الدنيا فإنك من أصحاب النار لما علم أنه يختم على الكفر ثم الحكمة في ذكر هذا وأمثاله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يحتمل وجوها أحدها ليصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سوء معاملتهم إياه كما
حلم جل وعز عن سوء معاملتهم إياه ولئن يستأصلهم من لم يصنعهم أو يخبر الله تعالى من حكمه أن كيف حكم
عنهم فاحكم أيضا أنت عنهم وقوله ليضل فيه لغات ثلاث قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا
وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال بعضهم هذه الآية صلة ما تقدم من قوله وإذا مس الإنسان ضر دعا
ربه منيبا إليه ثم خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا يقول أمن الذي تضرع إلى الله عز وجل
وأخلص دينه له ثم نسي ذلك وترك إذا خوله نعمة وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله كالذي هو قانت مطيع
آناء الليل والنهار يحذر عذابه ويرجو رحمته ليسا بسواء عندكم فإذا كان الذي أطاع الله تعالى في جميع
أوقاته حاله نقيضه فذلك ترجو رحمته وطاعته والذي عصى ربه ولم يطعه ليسا بسواء ثم رأيتم
أنهما قد استويا في نعيم هذه الدار وسعتها وشدائدها وضيقها وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار
أخرى يفرق بينهما فأثاب المحسن والمطيع جزاء لإحسانه وطاعته ويعاقب الكافر والظالم جزاء كفره
وظلمه فيدل ذلك على البعث والله أعلم ومنهم من لم يجعل مقابل هذه الآية ما ذكرنا ولكن مقابل قوله
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إذ كما عرفتم أنهما لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم فكذلك
لا يستوي الذي أطاع ربه آناء الليل والنهار وأجهد نفسه في طاعته وعبادته مع الذي عصى ربه
وكفر نعمه وقد ظهر الاستواء بينهما في هذه الدنيا فلا بد من التفريق بينهما حتى لا يكون خلق هذه الأشياء
عبثا فيدل على الدار الآخرة وعلى البعث والله الموفق وقوله آناء الليل ساعاته وقانت أي مطيع وأصل القنوت
هو الطاعة وقيل القنوت هو القيام في الطاعة والله أعلم وقوله يحذر الآخرة أي يحذر
عذاب الآخرة وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أن يكون قوله
ويرجو رحمة ربه أي جنته على ما سمى الله تعالى الجنة رحمة في غير موضع بما برحمته تنال هي والله أعلم ثم دلت
على أن المؤمن يجب أن يكون بين الرجاء والحذر يرجو رحمته لإحسانه ويحذر عذابه لتقصيره في عمله ثم الرجاء
إذا جاوز حده يكون أمنا وقد قال الله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون والخوف إذا جاوز حده
يكون يأسا وقد قال الله تعالى فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فيجب أن يكون المؤمن أبدا كما ذكر الله
عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال رغبا ورهبا ولا يجاوز واحد منهما حده والله الموفق قوله تعالى
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي هل يستوي الذين يعلمون معرفة الله والقيام بشكره
والحذر من عصيانه وعذابه والذين لا يعلمون ذلك كله وهو ما قال إنما يخشى الله من عباده العلماء
قوله تعالى إنما يتذكر أولو الألباب أي إنما يتذكر مواعظ الله تعالى أولو العقول والبصر والمعرفة قوله تعالى
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم يحتمل وجوها اتقوا سخطه ونقمه أو اتقوا نعمة ربكم واتقوا مخالفة ربكم
ونحوه وأصله الاتقاء عما به الهلاك أي اتقوا ما يهلككم والله أعلم قوله تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة

قال العامة أهل التأويل للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة لهم في الآخرة ويحتمل أن تكون لهم الحسنة في الدنيا
والآخرة كقوله تعالى وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة
خير ولنعم دار المتقين وكقوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة
ثم يحتمل حسنة الدنيا وجهين أحدهما استغفار الملائكة والأنبياء عليهم السلام لهم لأن الله عز وجل أخبر
ملائكته على استغفار المؤمنين بقوله عز وجل ويستغفرون لمن في الأرض وأمر رسله عليهم السلام بالاستغفار
وكذلك المؤمنون يستغفر بعضهم لبعض والله أعلم وقوله تعالى وأرض الله واسعة ذكر هذا والله أعلم لأن
من آمن منهم بمكة كانوا يظهرون الموافقة لأعدائهم ويقيمون فيما بينهم لما كانت لهم أسباب التعيش ببلدهم
ولم يكن لهم تلك في بلد غيرهم فخافوا الضياع إن هم خرجوا من بلادهم فنزلت الآية على الترغيب والإطماع لهم بمثل
ذلك التعيش وأسبابه في غير ذلك البلد وهو كما ذكر في آية أخرى الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أوعدهم على تركهم
الهجرة وإظهارهم الموافقة للأعداء والتحويل من بلدهم إلى آخر ثم استثنى صاحب العذر بقوله إلا المستضعفين
من الرجال والنساء الآية وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يحتمل بغير حساب أي بغير تبعة
ولا مؤنة كما قيل من نوقش في الحساب عذب ويحتمل بغير حساب أي لا يحاسبون بما يعملون في تلك الدار كالذي
يحاسبون فيها أما المطيع فيها ليس كدار الدنيا يحاسبون على ما أوتوا فيها في الآخرة ويحتمل بغير حساب
ولكن أضعاف مضاعفة على ما أراد الله تعالى ويحتمل بغير حساب أي لا نهاية ولا غاية والله أعلم ثم الصبر
هو حبس النفس لما على إذا ما أمر الله تعالى به والانتهاء عما نهى عنه أو حبسها في احتمال ما حملت عليه من الشدائد
والمصائب والمؤن العظام فالصابرون هم الذين احتملوا تلك فلم يجزعوا وهم ما ذكر في غير آية من القرآن
ولنبلونكم وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة الآية وقوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت
لأن أكون أول المسلمين الآية يحتمل أن يكون قال هذا لما أن أهل مكة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى دينهم ودين آبائهم وكانوا يطمعون عوده إليهم فقال إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن
أكون أول المسلمين الآية ردا لدعائهم وقطعا لطمعهم حيث أخبر أنه مأمور بالإخلاص له في العبادة وتسليم
النفس إلى الله تعالى بالكلية الذي هو مناف الشرك الذي يدعونه إليه وهو كما قال إني نهيت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله الآية قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين أخبر أنه لو اتبع أهواءهم لضل إذا وما
هو من المهتدين ويحتمل أن الله تعالى أمره أيضا في نفسه أن أعبد مخلصا لست أنا كمن يأمر غيره بشيء ولا يأتمر
وهو غير مأمور بل أنا أول مأمور بذلك وهو ما قال وأمرت لأن أكون أول المسلمين والله أعلم ويحتمل أن يقول
لسنا كالملوك يأمرون أتباعهم بأشياء ويستعملونهم فيأمرونهم لا يستعملون بأنفسهم في ذلك وقوله تعالى
قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم والمعنى ههنا الإرادة بحقيقته لأن المراد من العصيان ههنا
هو ترك دين الإسلام والعود إلى دينهم وذلك يوجب العذاب بطريق اليقين والخوف مستعمل على محتمل الوجود
والعدم والعفو عن عذاب ذي الكفر غير محتمل لكنه كأنه من العلم كأنه قال إني أعلم إن عصيت ربي ووافقتكم بما
تدعونني إليه لأعذب بعذاب يوم عظيم ثم استشعر أنه عن اتباعهم والعود إلى دينهم كيف هجرته إلى المدينة
بقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فإنما داموا بمكة فإن الكفار كانوا طامعين في ذلك راجين وقوله تعالى
قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه كأنه خرج ذلك لهم مقولا قل الله أعبد مخلصا له ديني
فاعبدوا ما شئتم أنتم فإنه يجزيكم جزاء عبادتكم يخرج مخرج التوعد والتهدد وهو كقوله اعملوا ما شئتم وكذلك
المعروف في كلام الناس يقول الرجل لآخر اعمل ما شئت وقل ما شئت فإنك تجزى بما تعمل على الوعيد له يعني
ذلك القول ويحتمل وجها آخر لا على الوعيد لكن على الإخبار أو بعد ما وضحت لكم وبينت لكم السبيلين جميعا
بالآيات والحجج سبيل النجاة الذي إذا سلكتموه نجيتم وهو سبيل الله تعالى وسبيل الهلاك الذي إذا سلكتموه
هلكتم وهو سبيل الشيطان فإن أردتم النجاة فاسلكوا هذا وإن أردتم الهلاك فاسلكوا ذلك والله أعلم
وقوله تعالى قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة كأنه لما أمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم
النار بقوله قوا أنفسكم وأهليكم نارا ليكون لهم أنفسهم وأهلوهم ويسلم لهم ذلك وقد مكنوا من ذلك
فتركوها فلم يقوها ولا يقوا أهليهم النار فعند ذلك قال خسروا أنفسهم وأهليهم ألا ذلك هو الخسران
المبين لأنه عند ذلك يتبين لهم أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم ويحتمل أنهم أمروا بالسعي للآخرة وعمل ما
يقع لهم النجاة في الآخرة والحياة الدائمة إذا سعوا لها فإذا لم يعملوا لم ينالوا وعملوا [illegible]
وأهليهم الذين خسروا أنفسهم ألا ذلك هو الخسران المبين وعند ذلك يتبين لهم أنهم خسروا [illegible]

تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل يجب أن يوصف ما تحتهم من النار بالمهاد لهم لا بالظلل
كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش ذلك يخوف الله به عباده لكن يحتمل أن يكون قوله ومن تحتهم ظلل لمن هو ظلل لمن تحتهم
مهاد لمن فوقهم لأن النار دركات وأطباق فيكون طبقة لمن تحتها ظللا ولمن فوقها مهادا والله أعلم وقوله تعالى
ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون يحتمل ذلك الذي ذكر في جميع القرآن من المواعيد يخوف
به عباده ويتذكرون بأقوالهم فاتقون في غير موضع وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها اختلف
في الطاغوت قال بعضهم هو الشيطان واجتنبوا من أن يأتمروه ويطيعوه ومنهم من قال الطاغوت الكهنة كانوا
يأتون الكهنة فيخبرونهم بأمور فيعملون بقولهم ويصدقونهم فيقول الذين اجتنبوا أن يطيعوا الكهنة فيما
بينهم وقال بعضهم كل معبود دون الله تعالى فهو طاغوت وهو من الطغيان وهي المجاوزة من الحد والله أعلم
وقوله تعالى وأنابوا إلى الله لهم البشرى أي ما أمرهم الله تعالى من الطاعة والإنابة هي الرجوع إلى أمر الله وطاعته
وقوله لهم البشرى يحتمل أن لهم البشرى هو كقوله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحياة
الدنيا وفي الآخرة لأنهم أولياء الله تعالى وقوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قال بعضهم
يستمعون الناسخ منه ومنهم من قال يستمعون القرآن وكلام الناس وأحاديثهم فيتبعون أحسن ذلك يعني
القراءة ويتركون كلام الناس ويحتمل يستمعون القرآن وفيه ناسخ ومنسوخ فيتبعون أحسنه وهو الناسخ منه
يعملون به ويتركون العمل بالمنسوخ وقال بعضهم يستمعون القرآن وفيه الأمر والنهي فيتبعون أمره وينتهون
عما نهوا عنه فيتبعون أحسنه أي يتبعون الحسن منه وهو الائتمار والانتهاء عن ما نهى ويكون الأحسن
بمعنى الحسن والله أعلم وقال بعضهم يستمعون القرآن فيتبعون أحسن ما في القرآن فيتبعون ما فيه من طاعة
الله تعالى وهو كقوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها الآية والله أعلم ويحتمل أيضا ما فيه من الأمر فائتمروا به وما
من النهي فانتهوا عنه والله أعلم وقوله تعالى أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب أي أولئك هم
المنتفعون بلبهم وعقلهم حيث اختاروا أمره وأمدهم الله تعالى ونظروا إليها بعين التعظيم والإجلال
فاهتدوا وقوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ذكر الله جل وعلا في هذه الآية
أشياء لا نعرف حقيقتها إلا بالتأمل والاستدلال بغيرها من ذلك ما ذكر من قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب كأنه يقول
والله أعلم أفمن حق عليه كلمة العذاب كمن له البشرى في الآخرة حيث قال والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا
إلى الله لهم البشرى ليسا بسواء ويحتمل أفمن حق عليه كلمة العذاب أي من وجب عليه العذاب كالذي شرح الله صدره
للإسلام يحتمل أن يكون هذا لما أنه كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة أن يحرضهم على الإسلام ويحثهم
على ذلك فكان يحرص ويجهد بعثهم إلى الإسلام ومن حكم الله تعالى أنهم لا يؤمنون ويحتمل الكفر نزلت الآية
لإياسه عن إسلامهم يقول أفمن وجب عليه العذاب أفأنت تنقذه وتخلصه من النار أي لا تقدر أنت تنقذ و
تخلص من في النار من حيث وجبت عليه النار وهو كقوله إنك لا تهدي من أحببت وكقوله أفأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين وكان لا يقدر أن يكرههم على الإسلام لكن يحرضهم ويحثهم عليه ويحزن لتركهم ذلك وشدة
حرصه كقوله ولا تحزن عليهم وقوله ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله لعلك باخع نفسك ألا يكونوا
مؤمنين كان يحزن وكادت نفسه أن تتلف أسفا عليهم فيقول أفمن وجب عليه العذاب تقدر أن
تنقذه من النار أنه لا تقدر على ذلك ثم بين أن النجاة إنما تقع لمن اتقى النار بقوله لكن الذين
اتقوا ربهم لما اتقوا مخالفة ربهم واتقوا سخط ربهم ونقمته أو اتقوا المهالك ثم بين ما أعد لهم في الآخرة
فقال لهم غرف من فوقها غرف مبنية ذكر أن لهم في الجنة غرفا فوق غرف ليشرفوا على الغرف ويشاهدوا ما يكون
وتحت لصفتها [illegible] ذلك في الجنة إلا لذلك ولكن لما أن الله عز وجل لما علم من رغبة الناس
في الدنيا في الارتفاع من العلو وكراهتهم التسفل والانحدار في الأرض رغبهم في الآخرة لما رغبوا
وأحبوا في الدنيا ويعقبهم ذلك ليرغبوا في طلب تلك بما عملوا من الإيمان والعمل الصالح وكذلك ذكر لأهل
الجنة الدرجات ولأهل النار الدركات والله أعلم وقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار أخبر أن أمر الجنة على خلاف أمر
الدنيا لأن الدنيا كلما ارتفع وعلا من البنيان كان الماء منها أبعد والوصول إليه أصعب وإن كانت في
الغرف العالية فأبصارهم مما تقع على الماء والماء لا يبعد عنهم كما في الدنيا والله أعلم ثم ذكر في أمر
البناء بقوله غرف مبنية كما ذكر البناء في السماء بقوله والسماء وما بناها ثم لم يفهم على بناء ما نعلم من بناء الخلق
[illegible] عن بنائها لما [illegible] من بناء الخلق فكيف يفهم من مجيء الرب جل جلاله وعز ذلك ما [illegible] من مجيء الخلق
ذلك [illegible] الناس [illegible] من إضافة المجيء والإتيان إلى الله تعالى ما فهموا من إضافة ذلك إلى الخلق لولا فساد اعتقادهم

وسوف نحييها رحمه الله الموتى وقوله تعالى وعد الله لا يخلف الله الميعاد لأن من اخلف من الشاهد انما يخلف
اما لحاجة واما لما يبدو له فيرجع عما وعد ويخبر انه سبحانه يتعالى عن ذلك كله فلا يحتمل خلف الوعد منه
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض قوله الم تر ونحوه من الاستفهام يخرج
على وجهين احدهما على الخبر انه قد رايت والثاني على الأمر انه انظر وهذا في الظاهر وان كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو لكل احد ان ينظر ويتأمل في ذلك والروية في حكمته الموجهة فذكر ان الماء
ينزل منها وهي طهور على ما اخبر سبحانه انه انزل طهورا وان اختلف طعمه لاختلاف جواهر الأرض
شيء من جواهر الأرض في العذوبة والملوحة وغيرها من الالوان لا يخرج الماء ان يكون طهورا او بغيره
من الجوهر الذي نزل من السماء والله اعلم ثم جعل الله تعالى في سريته ذلك الماء لطفا ما في جميع
من الاشجار في كل خارج من الأرض وان اختلفت جواهرها والوانها وطعمها ان من قدر على جعل ما جعل في
من اللطف والمعنى لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والله الموفق ونحو لا من يتكلف منكم الزراعة ويحمل المؤن
العظام الى ان يبلغ المبلغ الذي ينتفع به فتركه حتى صار حطاما لا ينتفع به وصف ذلك بالسفه فعلى ذلك
الله تعالى لما انشاكم صغارا واطفالا ثم غذاكم بانواع الأغذية والأطعمة حتى كبرتم وبلغتم مبلغ الانتفاع
بكم ثم اهلككم بلا عاقبة يقصده فيكون فعله في حكمته وقد وصف نفسه بانه احكم الحاكمين فدل ان
لعاقبة حميدة وهو ان يمتحنهم ويكلفهم بالايمان والعبادة ليجازيهم بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة
وفيه اثبات البعث والاجر والله الموفق وقوله فسلكه اي ادخله في ينابيع وهي العيون التي تخرج
من الأرض واحدها ينبوع وقوله ثم يهيج فتراه مصفرا اي ييبس يقال هاجت الأرض اذا اخذت في اليبس
وقوله ثم يجعله حطاما اي متكسرا مثل الرفات ونحوه كذلك قال ابو عوسجة والقتبي وقوله ان في ذلك
لذكرى لاولي الالباب اي فيما ذكر من انزال الماء من السماء وادخاله في الأرض واخراجه منها من العيون
والاثمار عظة وتنبيه لاولي الالباب لمن ينتفع بلبه ويعمله لما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه قيل شرح الله اي وسع الله وقيل زين الله وقيل الين الله وكله يا
ثم يحتمل قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فيسلم فهو على نور منه تبين بجعل الله في صدره النور ذا
حتى يبصر الحق وحجته ويراهينه ويتصور الحق انه حق والباطل يتصوره الباطل انه باطل وانه تمويه فيبصر كل
شيء بذلك النور على ما هو حقيقته انه حق وباطل فياخذ ويعمل به ويترك الباطل ويجتنبه والله اعلم
والثاني يحتمل ان يكون افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يكون نوره وهو الاسلام لذ
هداه وقد شرح صدره لنور الاسلام حتى اسلم وهو على ما روي في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
هل ينشرح الصدر للاسلام وكيف ينشرح فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور انشرح لذ
لذلك الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة اذا دخل الصدر وينشرح لذلك الصدر وينفسح لرب الله النور
اعلم ويحتمل ان يكون افمن شرح الله صدره للاسلام في الدنيا فهو على نور من ربه في الآخرة وهو كقوله تعالى الذين
آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم الآية والذين كفروا طبع الله على قلوبهم فهم في ظلمة يخبطون ويتيهون في الظلمة
ابدا والله اعلم ومنهم من قال افمن شرح الله صدره للاسلام الاسلام نفسه اي انه اسلم فهو على نور منه
اي كتاب الله معناه ان هذا المؤمن ياخذ بكتاب الله تعالى والتنبيه ويما سنه النبي صلى الله عليه وسلم
هل لذلك اي علامة الانشراح الصدر علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزول الموت فهذا في التحقيق ليس في المعاملة ولكن في الاعتقاد اي يعتقد ان يتجافى عن دار
الغرور وينيب الى دار الخلود ويترك الدنيا للآخرة والله اعلم ثم قوله افمن شرح الله صدره للاسلام
يحتمل وجهين احدهما ان يكون على الاستفهام كما يكون هو في الظاهر والثاني يحتمل الا يكون على الاستفهام
ولكن على الايجاب فان كان على هذا فهو على اسقاط الالف كانه قال فمن شرح الله صدره للاسلام فيكون نحوا
لقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فعلى ذلك
يحتمل ان يكون هذه الآية والله اعلم فان كان على الاستفهام فلا بد من ان يكون له مقابل يعرف بدليل انزله
ومقابله ثم قال بعضهم جوابه في قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله كانه يقول ليس المنشرح صدره
للاسلام كالقاسي قلبه بالكفر والله اعلم وهو قول الكسائي وجائز ان يكون نحوا به ومقابله مقدم ذكره وهو
عز وجل افمن حق عليه كلمة العذاب الآية كانه يقول افمن حق عليه كلمة العذاب كمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث اي اصدقه خبرا واعدله حكما وهو كما ذكر في آية اخرى ووصفه
بالصدق والعدل حيث قال وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا اي صدقا في خبره وعدلا في حكمه فعلى ذلك

قوله احسن

قوله احسن الحديث اي اصدق الحديث خبرا واعدله حكما والله اعلم ويحتمل قوله احسن الحديث اي اتقنه واحكمه
هو متقن محكم على ما وصفه جل وعلا في آية اخرى حيث قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد اخبر انه لا ياتي القرآن الباطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لاتقانه واحكامه والله اعلم ويحتمل
احسن الحديث لان من تامله ونظر فيه وتفكر انار قلبه واضاء صدره وهداه سبيل الخير ودفع عنه الوساوس
والشبهات وكل شر واقضاه الى كل خير وبر لا حديث يعمل عمله هو فيما ذكرنا وغير ذلك فهو لذلك احسن الحديث والله اعلم
كتابا متشابها اي ليس بمختلف ولا متناقض ليس كحديث الناس وكتبهم فيها المختلف والمتناقض يخالف بعضه بعضا
ويناقض ويخالف بعضا على امتداد الزمان وبعد العهد وهو كما ذكر افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا اذ لكونه متشابها متسقا غير مختلف فطول نزوله وتفرقه في اوقاته وتباعد ايامه من وقت
نزوله منه حجة اذ لو لم يكن من عنده لخرج مختلفا متناقضا على ما يخرج حديث الناس وخبرهم والله اعلم وقوله
مثاني قال اهل التاويل سماه مثانيا لما ان الله تعالى اثنى فيه انباء وقصصه مرة بعد مرة والاصل انه سماه مثاني
لانه ذكر فيه المواعظ والذكرى وكررها في غير موضع لما لو لم يكررها اغفلوا عنها وسهوا عنها الا ان الحكيم اذا
وعظ احدا عظة وزجره عن شيء ثم تركه لم يعظه ولم يزجره ثانيا اغفل عما وعظه وزجره ونهي عن ذلك فكرر
جل وعلا عليهم المواعظ والزواجر ليكونوا ابدا متيقظين متذكرين لذلك والله اعلم وقوله تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله قال اهل التاويل اي تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم عند تلاوة آية الرحمة لكنه يحتمل ان يكون ذلك في جميع القرآن لا في آية الرحمة والرهبة لان
آية الرحمة ليست باحق بتليين القلوب من آية الرهبة بل آية الرهبة احق ثم يحتمل ان يكون هذا لخواص الانبياء
واولي العلم كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وجائز ان يراد به جميع المؤمنين وقراءة عبد الله بن مسعود
والذين يخشون ربهم تدل على ان المراد منه جميع المؤمنين فانهما يقرآن تقشعر منه جلود الذين يؤمنون بربهم ثم تطمئن جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وغيره ويخصه رضي الله عنه ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال قتادة تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم لما ذكر الله تعالى الايمان تقشعر بذلك جلودهم وتبكي عيونهم وتطمئن قلوبهم اليه ولم يذكر انه
يذهب عقولهم ويغشى عليهم كما يفعله اهل البدع يفعلون ذلك وهو من الشيطان نعلم بذلك انه كان من
الاشر احد اعلم بالله من نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده من اصحابه الذين تحبهم اقتدى بهم في الصحيح بينه عليه السلام
وقراءته ويستمعونه الناس ليعتبروا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب سعيد ثم ان هذا انما كان من اهل البدع قوله
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وقد بين الله تعالى سبيل الهدى والحق وحججه وبراهينه وبين سبيل الضلال
والباطل فمن سلك سبيل الهدى فمن حققه سلك وعمل به اهتدى ومن سلك طريق الكفر والباطل فحقق
ضل وهلك والله الموفق وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد اخبر ان من اضله الله فلا هادي له على ما قال في
المعيشة والرزق حيث قال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له وكما قال في
والخير حيث قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ذكر في الضلال
والهدى ما ذكر في الرزق والضر والخير فدل ان لله تعالى في فعلهم وصنيعهم تدبيرا ليس على ما يقول المعتزلة انه
لا تدبير له تعالى في ذلك فان اهتدى فانما اهتدى بنفسه وان من ضل وزاغ فانما ضل بنفسه لا تدبير له في
ذلك فالآية تنقض قولهم ومذهبهم وقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة لم يذكر مقابل هذا
في هذا الموضع فجائز ان يكون مقابله ما تقدم ذكره في قوله لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار
كانه يقول امن جعل له الغرف على الغرف تجري من تحتها الانهار كمن يتقي بوجهه سوء العذاب اي ليس هذا
كهذا ويحتمل ان يكون مقابله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن انعم في النعيم الدائم ليس هذا كذلك على ما ذكر
الاضمار والله اعلم وقيل ليس الضال الذي يتقي النار بوجهه كالمهتدي الذي لا تصل النار الى وجهه
ثم قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الاشكال ان لا احد يتقي بوجهه سوء العذاب بل يتقيه فيقول لهم
ذكرهنا على وجوه احدها كناية عن الشفعاء واهل النصر كانه يقول الا يكون لهم من شفيع ولا ناصر يدفع العذاب
عنهم والثاني يحتمل ان يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم فلا بد ان يتقي بها سوء العذاب عن وجهه لان في الدنيا
من اجاب شيئا من العذاب يتقي ذلك العذاب عن وجهه بيده فيخبر انه لا بد له في الآخرة يتقي العذاب بها لغلوتي
بل يصيب العذاب وجهه وكانه يتقي به والثالث يحتمل ان يكون ذكر الوجه كناية عن نفسه وهو ما ذكرنا لا
لمن يملك دفع العذاب الى غيره ولا يملك دفعه والله اعلم وقوله تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون
يحتمل قوله ذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزاء وقوله انما اخبرهم عن الكسب وهذا لما اخبرهم لان الله تعالى قد بين لهم
الكسبين جميعا وما يكون لكل كسب في العاقبة فلم يعتبروا جزاء الكسب الذي كانت عاقبته الذي اصابهم

وكانهم اخبار عن ذلك الذي حل بهم باختيارهم ذلك الكسب وانهم اكتسبوا فلذلك سمى العذاب الذي
كسبوا الهم ويحتمل ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون على الاضمار والله اعلم وقوله تعالى كذب الذين من قبلهم
فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون كانه عز وجل يخوفهم ويحذرهم بما نزل بالمتقدمين بتكذيب الرسل والعذاب بتكذيبهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من هلاك الامم السالفة بتكذيبهم الرسل فانه قد بلغهم ذلك الخبر بالتواتر
اخبار النبي صلى الله عليه وسلم حتى يحذروا صنيعهم والله اعلم وقوله من حيث لا يشعرون اي من حيث يأمنون
نزول العذاب بهم وقوله تعالى فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذي
نزل بهم في الدنيا ليس هو عذاب الكفر انما هو عذاب العناد والتعنت وافعال الخسة في الكفر من اذى الرسل
وغيرهم وان كان كفرا فاما عذاب الكفر فهو في الآخرة ابدا خالدا مخلدا وكذلك قال الله عز وجل ولعذاب الآخرة
اكبر لو كانوا يعلمون الذي نزل بهم في الدنيا ليس هو عذاب الكفر انما هو عذاب العناد والتعنت وافعال العمل بما
في الكفر من اذى الرسل وغيرهم وان كان كفرا فاما عذاب الكفر فهو في الآخرة ابدا خالدا مخلدا وكذلك قال الله عز
وجل ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي بينا
في هذا القرآن من كل ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم او بينا لهم فيه ما لهم وما عليهم وما لبعضهم على
بعض وما اشبهه والله اعلم وقوله تعالى لعلهم يتذكرون هذا يخرج على وجهين احدهما لكي يلزمهم التذكير والاتعاظ
والثاني لكي يبلغهم ما يتذكرون ويتعظون وقوله تعالى قرآنا عربيا اي انزلناه قرآنا عربيا
كقوله انا انزلناه قرآنا عربيا لكي يفقهوه ويعرفوه وذلك كقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم وقوله تعالى غير ذي عوج يحتمل وجهين احدهما اي انه لا يخالف الكتب السالفة بل يوافقها لان كتب الله عز
وجل جاءت كلها على الدعاء الى توحيد الله تعالى وربوبيته وكذلك القرآن فهو لا يخالف سائر الكتب والثاني لا
فيه لا يخالف بعضه بعضا ولا يناقض بل يخرج كله موافقا بعضه بعضا مستقيما على ما قد بين ذلك في الاوقات
واصله غير ذي عوج اي ليس بمائل ولا زائغ عن الحق والله الموفق وقوله تعالى لعلهم يتقون اي يتقون المهالك
او يتقون سخط الله ونقمه وقوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل
يستويان مثلا وقرئ سالما لرجل هل يستويان مثلا اي لا يستويان وعن ابن عباس انه قرأ سالما وكذا البصري لا احد
فيه شيء وعن ابي عمرو سالما خالصا وقال ابو عبيدة السالم الخالص هو ضد الشرك والسلم هو ضد المحارب ولا
للحرب ههنا وقال ابو عوسجة والقتبي ورجلا سلما اي خالصا ومن قرأ سلما لرجل اراد سلم اليه
وهو سلم له لم يشركه احد ثم ذكر مثل الرجلين هو مثل المشرك والمسلم والكافر الذي يحتمل الرجل
الذي فيه شركاء متشاكسون في نفسه يدعي كل شريك فيه متشاكسون في الملك فيه كل واحد في
في الملك قوم يدعي كل ان الملك له فيهم فلا يتشاكس واحد منهم الملك الذي يدعي فيه ليطلب منه النفقة
على ذي الملك من حقوق الملك فيبقى ضائعا متحيرا لكنه لا يتشاكس احدهم الملك لقيام التشاكس
فيبقون متحيرين ضائعين لعدم من لا يسويهم ويقوم بامورهم فاذا كان التشاكس احدكم الملك سالم له
يتصل الى كل ما هو حق له معروفا ويكون له في نفسه فيكون مثل الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون هو الذي
يعبد الاصنام او الشيطان وهوى النفس يدعو كل شيطان الى غير الذي يدعو الآخر وكذا الهوى يدعو
صاحبه مرة الى كذا ومرة الى غير ذلك فهو كالذي فيه شركاء متشاكسون يدعي هذا غير ما يدعي
غيره والذي يعبد الله يثبت الوهيته بالحجج والبراهين والآيات كالرجل السالم لواحد يكون مقبلا على
واحد مطيعا له ففي الصالح له يقول هل يستويان مثلا اي هل يستوي الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون
والذي يكون لرجل واحد فيما ذكرنا اي لا يستويان وقال اهل التأويل هل يستويا اي الذي يعبد اشياء مختلفة
والذي يعبد ربا واحدا وهو المؤمن اي لا يستويان وقد علموا انهم يستوون في هذه الدنيا وفي الحكمة التفرقة
بينهما على ما ذكرنا فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما على ما ذكرنا فلا بد من دار اخرى يفرق بينهما والا كان
العبث وكذلك ذكر في قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا اي لا يستويان
وقد استووا في هذه الدنيا دل انه لا بد من دار اخرى يفرق بينهما فيها اذ في العقل والحكمة التفريق بينهما
والله اعلم ثم قوله متشاكسون قال ابو عوسجة والقتبي الشركاء المتشاكسون اي المختلفون يتنازعون ويتشاحون
وقوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ذكر الحمد على اثر ذلك يخرج على وجهين احدهما امرهم ان يحمدوا ربهم
على ما خصهم بالتوحيد من بين الكفار بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم والثاني امرهم ان يحمدوا ربهم
ما جعلهم سالمين له لم يجعل فيهم شركاء متشاكسون والله اعلم وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
يوجب ذكر هذا على ما تقدم من قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل

هل يستويا

هل يستويان اي لا مساواة بين الرجل السالم نفسه لله تعالى والجاعل لله تعالى في نفسه شركاء فكانه يقول
لرسوله عليه السلام انك اخلصت نفسك ودينك لله تعالى وكلاهم جعلوا في انفسهم لله شركاء ثم لم يسلم لهم الخلوص وقد
استويتما انت وهم في نعيم الدنيا ثم هم ازدادوا فضيلة عليك فيها فيكون في ذلك تسوية بين من ذكرنا لو لم يكن دار اخرى
اعني بينك وبين كل المسلمين والكفرة فدل ذلك على ثبوت البعث والدار الآخرة ليتحقق الثواب والعقاب بعد تفرقة
بين الكافر والمؤمن نفيا للتسوية بينهما على ما تقتضيه الحكمة والله اعلم ويحتمل ان يذكر هذا لما كانوا يتمنون موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويتطيرون به فيما يصيبهم من المصائب حتى قال عز وجل افان مت فهم الخالدون اي لا يخلدون
يقول عز وجل انك ميت وانهم ميتون ولا يبقون خالدين بعد موتك ابدا ولكنهم يموتون كما تموت ويصيبهم ما يصيبك بعد
موتك نحو هذا التحكم والله اعلم ويحتمل انك ميت فتصل الى ما وعدت من الكرامة والثواب ويموتون فيصلون
الى ما اوعدوا من الهوان والعقوبات والله اعلم وقد جرى عن ابن مسعود رض انك ميت وانهم ميتون ويقول الرب مات
وبما نعوه مات لا نقير وقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وروي عن ابن عمر رض انه قال كنا لا نعلم ما
تفسير هذه الآية وكنا نقول من نخاصم فلما وقعت الفتنة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم حتى كفح
بعضنا وجوه بعض بالسيوف تعرفنا انها نزلت فينا وذكر عن الزبير رض لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله
عليه وسلم تكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا فقال نعم ان الامر اذا لشديد وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم
انه لما نزلت هذه الآية قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه ظلما قلنا علمنا انها لهم
والله اعلم تخصومتهم هذه يوم القيامة يحتمل وجهين احدهما في المظالم في الحقوق التي كانت لبعض على بعض
والثاني يحتمل في الدين في امر الدين والله اعلم ويحتمل ان يكون الملاحاة في الدين في الدنيا ولم يخرج
فيهم ولا تبلغوها اخبر عز وجل فقال انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون في ذلك
يوم القيامة في وقت لا ينفعهم ما تخاصموا لعلكم يظهر لهم الحق فينقادون لذلك في وقت لا ينفعهم ذلك والله اعلم
وقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه يقول لا اظلم اعظم ولا افحش من الكذب على
من يتقلب في احسانه ويتصرف في نعمائه وانتم تتقلبون في نعم الله وانواع احسانه فلا اظلم ولا افحش ولا اعظم
من الكذب عليه تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه اي لا اظلم ولا اعظم ولا افحش من كذب بخبره ورده
اذ لا خبر اصدق من خبره ولا حديث احق من حديثه وقوله تعالى اليس في جهنم مثوى للكافرين كانه يقول
اليس في جهنم كفاف الكافرين مثوى كقوله حسبهم جهنم اي حسبهم جهنم عقوبة لهم لكفرهم وتكذيبهم والله اعلم
وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اختلف اهل التأويل فيه فقال بعضهم الذي جاء بالصدق
جبريل عليه السلام وصدق به محمد عليه السلام وقال بعضهم الذي جاء بالصدق هو محمد عليه السلام وصدق به
ابو بكر رض وقال بعضهم الذي جاء بالصدق محمد وصدق به اصحابه جميعا فاهل التأويل على اختلافهم
اتفقوا ان الذي جاء به جبريل او محمد عليهما السلام هو التوحيد ومن صدق به صدق ذلك التوحيد على ذلك
قوله عز وجل اولئك المحسنين في الموحدين المؤمنين فان كان التأويل ما ذكر اهل التأويل ففيه نقض قول
الخوارج والمعتزلة ان صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وانه يخلد في النار لانه قال الذي جاء بالصدق وصدق
وكل مرتكب كبيرة مصدق للذي جاء به جبريل او محمد عليهما السلام ثم اخبر ايضا بانهم هم المتقون اي اتقوا الشرك
بالله ثم قال ايضا ليكفر عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ولا ان لهم ما شاء
ثم ان شاء عذب على تلك المساوي وقدرها ثم يعطي لهم ما وعد وان شاء عفا عنهم وتجاوز واعطى لهم ما ذكر
فكيف ما كان لهم ما ذكر ادلى التصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم قوله والذي جاء بالصدق وصدق به
يحتمل وجهين احدهما اي صدق نبيه ما جاء به لسانا وجاء بالقول وتصديق القلب والثاني وصدق به
في المعاملة واجتناب كل ما لا يصلح ولا يليق بالذي جاء به وعلى ذلك ذكر عن الحسن قال ان قدم
قلت لا اله الا الله فصدقها فان كان التأويل هذا فهو شديد كما نقول انه وان لم يعامل المعاملة التي
توافق الذي جاء به وهو التوحيد لم يجتنب ما ذكرنا فانه لما ذكر ما بعد التعذيب وما بعد العفو والله اعلم
وقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين دل هذا ان ذلك الوعد الجميل ليس لواحد ولا
لاثنين وهو لجميع المؤمنين وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون
ذكر وغيره من العمل السيء والحسن واخبر انه يكفر اسوأ الذي عملوا ويجزيهم باحسن الذي عملوا ويحتمل الاحسن بمعنى
حسن والاسوأ بمعنى السيء اي يجزيهم الحسنات كلها ويكفر السيئات ويحتمل ان يجري على ظاهره اي يكفر سيئاتهم
اسوءها واعظمها ويجزيهم على احسن الحسنات واعظمها والله اعلم وقوله تعالى اليس الله بكاف عبده وعباده
الجمع والفرد فمن جعل جمع يقول ويحتج بما كان من الذين من دونه ان المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قراءة الحسن

عن هذه الآية يحتج بها على اثبات الرسالة وكذلك قوله فان تولوا فقل حسبي الله وكذلك قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وامثالها لكثير لانه كيف يحتمل وعلى وحده لا اعوان معه ولا ناصر له من البشر رسولا الى الاعداء وكانت تفزع اسماعهم بهذه الآيات التي ذكرنا وغيرها من قوله ثم كيدون فلا تنظرون ثم لم يقدروا على اهلاكه بل عصمه من كيدهم ومكرهم على ما قال تعالى والله يعصمك من الناس وبلغ اليهم بتبليغه ان تدروا على ما قصدوا به وفي ذلك لطف من الله عز وجل عظيم ودلالة على اثبات الرسالة والله الموفق ثم قوله اليس الله بكاف عبده خرج مخرج الاستفهام في الظاهر وهو في الحقيقة على الايجاب والتقرير لانهم كانوا يعلمون ان الله عز وجل هو الكافي الخلقة من ذلك انهم اذا سئلوا عن خلق السموات والارض قالوا الله وكذا من سئل من يرزقكم قالوا الله من السماء ماء قالوا الله تعالى فعلى ذلك قوله اليس الله بكاف عبده اي قد تعلمون ان الله هو هو الكافي لجميع خلقه في الرفع والدفع عنهم والنصر لهم واذا عرفتم ذلك فكيف تخوفون رسولي بما لا يخوف والله اعلم وقوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اختلف فيه قال بعضهم اي يخوفونك باهل الارض جميعا تقولون لان العرب تفعل بك كذا او تعملون به كذا كانوا يخوفونه بهم من اهل مكة وقال بعضهم كانوا يخوفون بالاصنام التي كانوا يعبدونها انه يصيبه بشيء واذى من جهتها كقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وكان هذا اشبه بالآية لانه ذكر على اثر ذلك وعقبه الاصنام حيث قال افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته الآية هذا يدل على انما ذكر من تخويفهم اياه انما كان بالاصنام التي كانوا يعبدونها والله اعلم وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اخبر انه اذا اراد هداية احد لم يملك احد اضلاله واذا اراد اضلال احد لم يقدر احد على هدايته وذكر في الدين ان لا احد يملك دفع ما اراد من هدى او اضلال ولا منع من ذلك على ما ذكر في الرزق واسباب العيش على ما ذكر في حفظ الانفس وحفظها حيث قال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك الآية وقال في الانفس ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الآية وكذا جميع في ذلك اي في الرزق والعيش وضر الانفس وحفظها ان لا احد يملك غير ما اراد فهو على ذلك في الدين لان الذكر خرج في الكل على مخرج واحد فذلك على المعتزلة لقولهم ان الله تعالى قد اراد هداية كل احد لكن هم منعه عن ذلك فهو مخشي من القول سبحانه الله العصمة والنجاة وقوله تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام هو على الايجاب والتقرير ايضا لكن يعلمون انه عزيز ذو انتقام بعزيز لا يعجزه شيء ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قد علموا ان لا خالق سوى الله عز وجل ان لا يملك احد سواه كشف ما اراد من الضر جعلا لما سالهم عما اراد بهم من النعمة باجمعه لذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا الى ما عبدوه دونه من الاصنام ولا الى احد من الخلائق دل ذلك على انهم عرفوا ان ذلك لا ينال الا من جهته او غيره ولذلك احتج عليهم بما احتج ولو لم يكونوا على ذلك لم يكن ليحتج عليهم وهم منكرون فهذا هو الظاهر ان كانوا يجحدون اذا اقام البرهان على ما انكروا وتمموا وقوله تعالى قل حسبي الله ما ذكرنا من اللطف والدلالة على اثبات الرسالة والله اعلم وقوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون يخرج على وجهين احدهما على الاياس منهم انهم لا يؤمنون ولا يحسنون اليه بعد ما اقام عليهم الحجج والبراهين كما يقول لئن ابتغوا انتم على دينكم واعملوا له فاني ثابت على ديني واعمل له حتى تعلمون انما على الحق نحن او انتم وهو كقوله عز وجل لكم دينكم ولي دين لا ادين بدينكم ولا انتم تدينون بديني ولكن يلزم كل من دانه الذي عليه فعلى ذلك الاول والله اعلم والثاني على التوبيخ لهم والتعيير اعملوا على مكانتكم انتم ما تقدرون من الكيد والمكر وانا ما ليل جلكم مكانكم ثم كيدون فلا تنظرون وغير ذلك من الآيات التي فيها ذكر توبيخهم وتعييرهم والله اعلم ثم في هذه الآية وفيما تقدم ذكره من قوله اليس الله بكاف عبده الى هذا الموضع تقريع وتوبيخ ومنابذة واياس فاما الاياس فهو في قوله يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل واما المنابذة في قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون واما التقريع فهو قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وقل افرايتم ما تدعون من دون الله الى قوله قل حسبي الله واما التوبيخ في قوله اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه جائز ان يكون قوله ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل يخرج على الصلة لقوله اليس الله بكاف عبده ويخوفونك كانه يقول من اضله الله حتى لا يعلم ان الله هو كاف عبده وانما يخوفه بالاصنام مما لا يخوف ولا يحوجه ضر ولا هادي له ومن هداه الله فعرف ذلك فلا مضل له عن ذلك والله اعلم وقوله تعالى من ياتيه عذاب يخزيه جائز ان يكون ذلك العذاب العذاب الذي ياتيه هو عذاب في الدنيا من نحو القتل والتعذيب بالكلاء ها المهلكة الاولى لهم مما يدون

بالرسل عليهم السلام وقوله يخزيه اي يفضحه وقوله تعالى ويحل عليه عذاب مقيم اي في الآخرة وهو عذاب الكفر قال هذا ذهب بعض اهل التاويل والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك كله في الآخرة والله اعلم وقوله انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق هذا كانه يقول انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق لتحكم بين الناس بالعدل على ما ذكر في آية اخرى مفسرا انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله فعلى هذا والله اعلم ويكون بالحق اي بالعدل وقوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها الآية انشا الله تعالى البشر ممتحنا مميزا بين الخبيث والطيب بين الحسن والقبيح وبين ما لهم وما عليهم من السبيلين جميعا بالحجج والبراهين غاية التبيان واوضحها انه على سبيل انه من سلكه الى ما يفضي به ثم مكنهم في ذلك ومكن لهم من سلوك كل واحد من السبيلين بعد البيان من ان من سلك سبيل كذا افضى الى كذا امتحانا لهم ثم اخبر انه فيما امتحنهم لم يمتحنهم لمنفعة ترجع اليه او لمضرة يدفع عن نفسه ولكن انما امتحنهم لمنفعة ترجع اليهم اذا اختاروا سلوك سبيل الحق ومضرة يكسبون على انفسهم ان اختاروا خلافه حيث قال فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه الآية وقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم الآية وغير ذلك من الآيات التي بين فيها انه انما امتحنهم لمنفعة انفسهم واكتساب الخير الدائم ولا قوة الا بالله وقوله تعالى وما انت عليهم بوكيل يحتمل ليس عليك الا تبليغ ما ارسلت وامرت بتبليغه اليهم كقوله عز وجل وما عليك الا البلاغ وقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم الآية والوكيل هو الحفيظ والله اعلم وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الى آخره ما ذكر قال لكل نفس لها سبب يجري فيه فالتي قضى عليها الموت في منامها امسك فينقطع السبب ويرسل التي لم يقض الموت عليها فيجري في السبب حتى يجري في الجسد كله لكن لم نفهم ما ذكر عن ابن عباس تاويل الآية وعن سعيد بن جبير قال تجمع بين ارواح الاحياء وبين ارواح الاموات فيتعارف منها ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها وهذا ايضا لم نفهم شيئا من تاويل الآية وقال الكلبي ان الله يتوفى حين يكل الله تعالى اليه نفسه يا مالك يتوفى بعضهم بعضا فانه يقبض الروح والنفس ويرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغ اجلها المسمى فهو المستيقظ ثم يقبض الله تعالى من النائم النفس والروح في الجسد لم يفارقه فاذا اقبض الله الروح يميت النفس مع الروح وهذا الذي ذكره الكلبي اقرب الى تاويل الآية من الذي ذكر اولئك واصله ان الله جعل ومكنه جعل للاجساد انفسا يدرك بها تدرك الاجساد الاشياء فجعل الروح فيها على الهيئة التي كانت من قبل ليس بها اثر الموت لكنها لا تدرك شيئا ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا فدلنا هذا على انها في حال النوم تذهب منها وتخرج ما تدرك الاشياء وتبقى فيها ما به تحيى وهو الروح فاذا خرج الروح منها ماتت الا ترى انها عند ذلك تتغير وكانت قبل خروج الروح منها سليمة وان كانت لا تدرك شيئا فهي على الهيئة التي كانت قبل فدل ذلك على ان الذي يدرك به الاشياء غير الذي يحيى والله اعلم الا ترى انها في حال النوم تلك النفس التي كانت تالم وتتلذذ وتقضي الشهوات وهي في التصح كما شاهدنا تدل على ما ذكرنا ثم هذا جائز ان يكون ما ذكر من عذاب القبر انما يكون بتلك الانفس التي لا على الروح على ما ذكر من تالمها وتلذذها بعد خروجها من الاجساد ومفارقتها منها ثم في هذه الآية اضاف التوفي الى الله تعالى عز وجل وفي آية اخرى اضاف الى الرسل حيث قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الآية ثم يحتمل اضافة التوفي الى الرسل والى ملك الموت يخرج على وجهين احدهما ان حقيقة التوفي والموت بالله تعالى لما خلق فعل قبضهم الروح منها او نسب ذلك منهم وهو كما ذكر من البشرى لهم والطمانينة القلوب عند نزعه الى الملائكة بالاعانة والنصر حيث قال وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم الآية اخبر تعالى انه جعل مرسلة الملائكة بشارة بالنصر وان كان حقيقة النصر ليس الا من عند الله تعالى كما قال وما النصر الا من عند الله فعلى ذلك ما ذكر من اضافة التوفي الى الرسل لما خلق فعل قبضهم الروح وكان حقيقة ذلك لله تعالى والله اعلم والثاني يكون من الله تعالى في ذلك لطف ومعنى لا يكون ذلك منهم لكنه لم يبين ما ذلك اللطف وما ذلك المعنى الذي يكون منه والله اعلم ثم قوله يتوفى الانفس حين موتها حين خلق موتها يقبض الروح منها والتي لم تمت في منامها اي لم يقبض منها الروح يرسل اليها النفس التي تدرك الى الاجل المسمى الذي جعل لها وقوله يتوفى يحتمل ان يكون من القبض اي يقبض الانفس ويحتمل ان يكون من العد كقولهم وجعل يا مالك لهم عدا وقوله تعالى ان في ذلك لآيات قوله لآيات العبر والاعلام والحجج لقوم يتفكرون اي يعلمون انه من قدر على استخراج تلك الانفس التي تدرك من الاجساد وابقائها على الهيئة التي كانت الى وقت لا تدرك شيئا ثم ردها اليها واعادها على ما كانت عادت بانه لا يعجزه شيء وانه قادر على انشاء النفس التي تدرك في الاجساد

حتى يدرك بها لا يحتمل ان يعجز عن اعادة الاجساد بعد ما بليت وفنيت وذلك اللطف من هذا واكثر لانا
قد نكلف تصوير صور النفس الظاهرة ولا احد يتكلف تصوير النفس الدراكة او تصوير ما به يدرك
لان ذلك اللطف وهم اقدروا ابلغ من ذلك على ذلك تعلمهم الاول باليقين والله الموفق وقوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء
اي بل اتخذوا من دون الله شفعاء على ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان حرف الاستفهام والشك اذا اضيف
الى الله تعالى فهو على الايجاب او الالزام ثم قال بعض اهل التاويل في قوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء هم
الملائكة الذين عبدوهم لكنه بعيد لانه ذكر قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون والملائكة اهل العقل
والعلم وانهم يملكون ذلك اذ جعل لهم وملكوا لكن الاية في الاصنام التي يعبدونها من دون الله على
ان تشفع لهم ويقرب عبادتهم اياها الى الله زلفى كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ثم هو الاشبه بالاصنام التي كانوا يعبدونها ثم اتخاذهم شفعاء يحتمل وجهين
احدهما بعبادة من عبدوه من دون الله شفعاء لانفسهم فلا يكونون هم شفعاء لهم ولا يملكون ذلك
ولا يعقلون والثاني بل اتخذوا لانفسهم من دون الله شفعاء ولا يملك احد جعل الشفاعة لاحد
دون الله تعالى الا من جعل الله له الشفاعة ولا يجعل لاحد الشفاعة الا من كان له عهدا وفيمن ارتضى له الشفاعة
كقوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يدل على هذا
قوله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ثم قال قل لله الشفاعة جميعا هو المالك للشفاعة جميعا
لا يملك احد سواه وانما الشفاعة لنفسه ان يجعل الشفعاء لنفسه فلا والله الموفق وقوله تعالى ثم اليه
ترجعون في البعث اي يرجعون الى ما امنهم والله اعلم وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قال بعض اهل التاويل اذا ذكر المنعم ليبادر
توحيد الله تعالى في القرآن اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي نفرت كقوله واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا من دونه من الالهة
كقوله في سورة النجم افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فالقى الشيطان في امنيته تلك
الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ففرح الكفار حين سمعوا الهتنا شفاعة الهتنا نذهب فقال بعضهم
لكن غير هذا كان اولى به واقرب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر توحيد الله والوهيته او ذكر اهل التوحيد
ونفى الالوهية عمن عبدوا دونه اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي نفرت كقولهم اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب واذا ذكر الذين من دونه اي اذا ذكر اهل الكفر الذين عبدوا من دونه
عند عبادتهم اياها وحلفهم بها اذا هم يستبشرون ويفرحون وقوله تعالى اشمأزت قال بعضهم انقبضت
ونفرت وقال القتبي وابو عوسجة اشمأزت اي انكرت وذعرت ويقال للكلام ما الذي اشمأز اي
مذعورا ويقال اشمأز المكان اي بعد وقال بعضهم اشمأزت كفرت واستكبرت والله اعلم وقوله تعالى
قل اللهم فاطر السموات والارض يحتمل انه امر رسوله عليه السلام ان يدعو لهم هداية او هو كلام توحيد كقوله
قوله فاطر السموات والارض يحتمل مبدي ويحتمل مبتدع والله اعلم وقوله تعالى عالم الغيب والشهادة
يحتمل الغيب ما غاب الخلق بعضهم من بعض والشهادة ما اشهد كانهم بعضهم على بعض هو عالم بذلك كله ويحتمل
الغيب ما غاب عن الخلق كلهم والشهادة ما شهد الخلق ويحتمل عالم الغيب والشهادة اي عالم بما كان و
بما يكون انه يكون وما قد كان تقلبه كائنا وقوله تعالى انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيمة
كقوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة ويحتمل ان يكون قوله انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
في الدنيا وهو يخرج على وجهين احدهما ما جعل الله في خلقهم اثبات الصانع وشهادة الوحدانية والالوهية
له والثاني بما انزل من الكتب والرسل وبين لهم ما لهم وما عليهم ان كان في الاخرة يخبر ان لا يحكم بيننا فيه
وسع علينا الحكم في الاخرة في الدنيا يرتفع الحجب في الاخرة من نحو الاحكام التي تشتبه معرفتها الا حجة
لا يحكم بيننا بشيء من ذلك اذ اما كان غير موسع علينا في الدنيا ترك ذلك وكل ما لا يرتفع المحنة به فانا
جميعا من نحو التوحيد والدين فعلى ذلك يحكم بيننا في الاخرة والله اعلم وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة كانه والله اعلم يذكر هذا لرسوله عليه السلام
على اذاهم اياه بما ينزل به في الاخرة لانه اخبر عن عظيم ما ينزل بهم كي يحمله على صبره على اذاهم في الدنيا لـ
لهم في الارض من الاموال وضعف ذلك ايضا لافتدوا به انفسهم من سوء ما ينزل بهم من العذاب وعلى ذلك
واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
من سوء معاملتهم بهم ليصبر على اذاهم ولا يشق عليه ذلك والله اعلم وقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم

يكسبون قال اهل التاويل بدا لهم من الله من شهادة الجوارح عليهم ما لم يكونوا يحتسبون ذلك
لكن غير هذا كان اقرب بدا لهم من الله من الهوان والعذاب في الاخرة ما لم يكونوا يحتسبون ثم هو يخرج على
وجهين احدهما انهم كانوا [illegible]
[illegible]
منا اي اعطيناه نعمة او ملكناه نعمة وقوله تعالى قال انما اوتيته على علم قال بعضهم اي انما اعطيت ذلك لفضل
خيلة مني وقال قتادة اي اوتيته على خير علمه الله تعالى عندي وفي حرف ابن مسعود انما اتاه الله على علم عندي
فقال تعالى بل هي فتنة القول لما هي فتنة والفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلاء والمحنة من الله تعالى امر ونهي او فيما
نهي وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انما لم يعط لفضل وشرف له او لخيلة منه ولكن امر ونهي والله اعلم
وقوله تعالى قد قالها الذين من قبلهم اي قال المثل ما قال هذا الرجل من قبلهم نحو قارون حين قال انما اوتيته على
علم عندي وكذلك لم تزل القادة والكفرة والرؤساء واهل الثروة قالوا مثل هذا القول وهو ما اخبر تعالى
عن قوم فرعون حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وما
قال اهل مكة نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وامثال هؤلاء لم تزل الذين من قبلهم اخبر تعالى ان ذلك
لم يغنهم حيث قال فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون هذا يحتمل وجهين احدهما ما قالوا انما اوتيناه لكرامة وفضل
لنا عند الله تعالى والثاني ما قالوا انما اوتيته لفضل عند الله من كذبنا فكشف الله ذلك عنهم من ذلك
اذا نزل بهم وقوله تعالى فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا توعد
اهل مكة وخوفهم ان ينزل بهم ويصيبهم بكسبهم الذين يكتسبون كما نزل بالاولين
بكسبهم وصنيعهم وقوله تعالى وما هم بمعجزين اي وما هم بمعجزي الله تعالى عما يريد بهم من الانتقام منهم والتعذيب
وقوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا لكرامة وفضل عند الله ولا لخيلة وقبله
ويضيق على من يشاء لا لهوان له عنده ولا لخيانة منه اياه ولكن امتحانا منه لهم يختلف الاحوال يمتحن فهذا
بالسعة ليستأدي به منه الشكر ويضيق على هذا ليطلب منه الصبر على ذلك ويمتحن بعضهم بالسعة
بالشدة والتضييق ليعلموا ان ذلك كله في يد غيرهم لا في ايديهم وان يمتحنهم يختلف الاحوال ليكونوا ابدا فزعين
الى الله تعالى في كل وقت وكل ساعة ولو كانت النعمة والسعة لكرامة عند الله وفضل على ما ظنوا ولذلك كانت
لا يحتمل ذلك يختلف المذهب الذي يناقض بعضه بعضا ويضاد بعضه بعضا نحو المسلم والكافر
قد وسع على المسلم ووسع على الكافر وقد ضيق عليهما جميعا فدل ان التوسيع ليس للكرامة والمنزلة
عند الله والحق عليه ولا التضييق والتقتير للهوان عنده اذ لو كان كذلك لكان لا يجمع بين متضادي
المذاهب ومختلفيها فاذا جمع دل انه لمعنى الامتحان لا لما ظنوا والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم اي فيما ذكر
من التوسيع والبسط والتضييق والتقتير لآيات اي لعبرة وعظة لقوم يؤمنون انه لم يوسع على من وسع
لكرامة له عند الله تعالى ومنزلة وفضل ولا ضيق على من ضيق لهوان له عنده ولا خيانة والله اعلم
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال بعض اهل التاويل الاية نزلت في شان
وحشي وهو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب في الجاهلية فذكر ما كان منه من قتل حمزة رضي الله عنه فعلى
ان لا تقبل منه توبته لعظيم جنايته فنزلت الاية على رسول الله عليه السلام بسببه واخبر انه يقبل فاسلم بعد ذلك

والله اعلم وقال بعضهم لا فلكنا اذا اناسا قد اصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية من نحو القتل وغير ذلك فاشفقوا
ان لا يتاب عليهم فانزل الله هذه الاية يدعوهم الى التوبة والاسلام واطمع لهم القبول منهم والتجاوز عما كان
منهم والتجاوز عما كان منهم وهذا كانه اشبه واولى لانا لا نخشى من كان نحتي نزلت فيه الاية لكنا نعلم
والله اعلم ثم قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يحتمل وجهين احدهما
كانه يقول يا عبادي الذين جنوا على انفسهم واوبقوها المهالك بارتكابهم ما ارتكبوا من الاسراف والكبائر لا تقنطوا
من رحمة الله فان قنوطكم من رحمة الله وايآسكم منها انه لا يغفر لكم ولا يتجاوز عنكم اعظم واقطع من جنايتكم
واسرافكم على انفسكم وترادكم اياها باهلاككم المهالك لان اسرافكم على انفسكم خاصة وقنوطكم من رحمة الله
جناية على فضل الله ورحمته فهو اعظم واقطع اذ يرجع احدهما الى انفسكم والاخر الى رحمة الله وفضله والله اعلم
والثاني كانه يقول انكم وان اسرفتم فيما ارتكبتم من الكبائر والفواحش اعظم ما امر الله تعالى فلا تقنطوا من
من رحمة الله اذ تبتم عما كنتم فيه ورجعتم الى الله تعالى فانه يقبل ذلك منكم ويغفر لكم ويتجاوز عما كان
منكم والله اعلم فيذكر هذا انكم تبتم ورجعتم عما كان منكم في الوقت الذي كان انفسكم في ايديكم يقبل
ذلك منكم ويتجاوز فاما في الوقت الذي خرجت انفسكم من ايديكم لا يقبل ذلك منكم وهو وقت نزول
العذاب بهم واشرافه عليهم لان التوبة في ذلك الوقت توبة اضطرار وتوبة دفع العذاب عن انفسهم لما راوا
بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ثم اخبر انه لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت الذي خرجت
انفسهم من ايديهم حيث قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا الاية وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وفي حرف ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء الاية وذكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
اوسع اية في القرآن هذه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وذكروا في سورة الزمر كلها نزلت بمكة الا هذه الاية
فانها نزلت بالمدينة والله اعلم وقوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له الاية كانها صلة لما تقدم من قوله
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله كانه قال اذ قلتم لا تقنطوا ثم انيبوا اليه وارجعوا عما كان
منكم ثم تكلم اهل التأويل فيه قال بعضهم انيبوا اقبلوا بكم الى طاعة ربكم واسلموا له اي اخلصوا له تلك الطاعة
ولا تشركوا فيها غيره وقيل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا الى ما امركم ربكم واخلصوا له التوحيد وما امركم جل
وانزعوا عما كان منكم قبله الاشراك يقول فينبغي لنا ان نعقل الاية وقوله تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب ثم
لا تنصرون كان هذا والله اعلم على الصلة بالاول انيبوا اليه واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ولا يقبل منكم الانابة والتوبة اذا اقبل عليكم العذاب اتاكم ثم لا تنصرون اي لا تنصرون بعبادة غير الله
من الاوثان والاصنام على رجاء ان تشفع لكم وتدفع عنكم العذاب اي انيبوا الى عبادة الحق قبل نزول
العذاب فانكم ان كنتم على عبادة من تعبدون من دونه لا تنصرون والله اعلم وقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل
اليكم من ربكم يحتمل وجوها احدها كانه يقول اتبعوا ما امركم به ربكم وانتهوا عما نهاكم ربكم عنه والثاني
اي اتبعوا ما في القرآن فاحلوا حلاله وحرموا حرامه واجتنبوه يقول اعملوا بمحكمه من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة والثالث ان الله عز وجل قد بين السبيلين جميعا سبيل الخير وسبيل الشر على الابلاغ يقول
اتبعوا سبيل الخير منه ولا تتبعوا سبيل الشر فيكون تاويل هذا كانه يقول اتبعوا الحسن منه ولا تتبعوا
غير ذلك وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون هذا كانه
موصول بالاول يقول لا تؤخروا الانابة اليه والتوبة فان العذاب لعله ينزل بكم في وقت لا تشعرون
انتم ولا تقدرون ان ترجعوا اليه وتتوبوا والله اعلم وقوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
هذا وما بعده من الايات كانه موصول بقوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله الاية وقبل ان تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين وقبل ان تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون
من المحسنين هذا كله صلة ما تقدم من قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان تقول ما ذكر في وقت لا
ينفعه ذلك القول ولا يغنيه من عذاب الله ولا ينفعه والله اعلم ثم قوله على ما فرطت في جنب الله قال بعضهم في
كتاب الله وقال بعضهم ما فرطت ما ضيعت في امر الله واشباه ذلك ولكنا لسنا نحتاج الى تفسير
ذلك الجنب الذي قال ذلك انه ما اراد اذ معلوم انه ما كان من ذلك الرجل حيث قال ذلك هو تضييع
الله او تضييع حدود الله او كفران نعمه او ما كان منه من انكار البعث وتكذيبه تلهف على ما كان منه من ذلك
والله اعلم وفي حرف ابن مسعود وحفصة رضي الله عنهما على ما فرطت في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
بعضهم يقول من المستهزئين وقال بعضهم وان كنت لمن الساخرين من القرآن وقال بعضهم وان كنت لمن
من اهل الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر من اهل طاعته وقال قتادة رحمه الله هم

ضعيف

يخف عنهم والله اعلم وقوله تعالى او تقول حين ترى العذاب الى اخره قوله ضعيف منهم والله اعلم ولكن يجوز
ان قالوا لان كل قول ضعيف منهم ويجوز ان يكون ذلك من كل كافر والله اعلم ثم قوله تعالى لو ان الله هداني لكنت
من المتقين دلالة على ان ذلك الكافر الذي قال هذا القول لم يعرف هداية الله تعالى من نعمته وكذلك اولئك
الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله لهدايته واعطانا الهدى لدعوناكم
اليه ولكن حيث علم منا اختيار الضلال والغواية وترك الترغيب في الهدى والاستحقاق به اضلنا وهو
لو وفقنا للهداية يقولون بل هداهم واعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا ان قيل فاول الكفر ولا دلالة
فيما يذكرون قيل ان ذلك القول منهم عندما عاينوا العذاب وظهر الحق من الباطل لهم بطريق اليقين ولو كان
على خلاف ما ذكروا عندهم لكان الله تعالى يكذبهم في ذلك فقوله ليس الامر كما قال بل هديته لكن لم يهتد كما كذب
الشيطان حيث قالوا ارجعنا نعمل صالحا وقوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فقال الله عز وجل ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونحوه والاصل في الهداية ان عند الله تعالى لطفا من لطفه لو اعطى ذلك لاهتدى وهو التوفيق
والعصمة ومن حرم ذلك ولم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب فيما ذكرنا كما الرغبة في الضلال
بتضييعه واستعماله بصيرته فيما امكن من تحصيل ذلك على ما ذكرنا والله الموفق وقوله لكنت من المتقين
اي الشرك والمهالك قبله او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجوعا الى دار الدنيا فاكون من المحسنين
فيكون من الموحدين ويحتمل كل احسان وطاعة والله اعلم ثم كذبهم الله تعالى في قولهم لو ان الله هداني لكنت
من المتقين وفي قولهم لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بقوله بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين اذ حرف بلى لنفي ما قبله واثبات ما بعده فكانه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك
الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل والخير من الشر والكذب من الصدق ومكنتك من اختيار الهداية
على الغواية واختيار الحق على الباطل والصدق على الكذب لكن تركتم ذلك وضيعتم واستحققتم به ما تعلم
بضرورة فاما الا ان ذلك التضييع من قبلكم فلا عذر لكم ولا حجة لكم في ذلك والترك لهم وقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونحو ذلك ثم كذبهم الله على التكذيب في قوله بلى قد جاءتك آياتي الى اخره على اراده
الانسان الخطا معه ذكرها وقوله ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وهي مؤنثة وروي في
ذلك حرف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بالتانيث بلى قد جاءتك آياتي والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي
بلى قد جاءته آياتي من قبل فكذب بها واستكبر وكان من الكافرين وقوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة كذبهم على الله تعالى يحتمل وجوها في التوحيد حيث قالوا له بالولد والشركاء ويحتمل ما
اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وكان الله
لم يامرهم بذلك حيث اكذبهم بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون فكذبوا على الله
ان امرهم بذلك ويحتمل ما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وزعموا
امروا بذلك ويحتمل ان يكون كذبهم على الله تعالى انكارهم البعث وقولهم ان الله تعالى لا يقدر على البعث
والاحياء بعد الموت ونحو ذلك والله اعلم ثم قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
كانه يقول لو رايتهم يوم القيامة يا محمد لرحمتهم واشفقت عليهم بما هم فيه وما نزل بهم والله اعلم ثم الحكمة
في التصاق هذه الاية ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة في المعتزلة حيث كذبوا على الله
تعالى شيئا فان الله تعالى قال لا تدركه الابصار وقال لن تراني وهم يقولون نراه في الاخرة وكذلك الله تعالى
ذكر الوعيد بمقابلة الاعمال القبيحة من العباد بقوله جزاء بما كانوا يعملون وذكر وعد النعيم بمقابلة اعمالهم
الحسنة ثم هم يقولون انه لا افعال لهم فهذا كذب على الله تعالى ونحو ذلك ولكن يجب ان يكون المعتزلة اولى
بالدخول تحت هذه الاية من المجبرة لانهم يقولون ان الله تعالى لا يامر شيئا الا بعدما نعطيه جميع ما يحمل
فيستعمل به حتى لا يبقى عنده شيء من ذلك ثم يسال المعونة والعصمة فهو السؤال لكن لا يكون ذلك الا
كانه يكون تهاونا لانه يسال الله تعالى شيئا ليس عنده ما يسال لعلي قولهم ما ذكرنا من مذهبهم انه يعطيه
جميع ذلك فكل ما يسال احد شيئا يعلم انه ليس عنده ولا يملك ذلك فهو تهزؤ والله اعلم وقوله تعالى اليس في جهنم
مثوى للمتكبرين اي المتكبرين على توحيد الله ويحتمل المتكبرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتكبر
هو الذي لا يرى لنفسه نظيرا ولا شكلا ولذلك يوصف الله تعالى بالكبرياء لانه لا نظير له ولا شكل ولا
يجوز لغيره لان غيره ذو اشكال وامثال ولا قوة الا بالله وقوله المثوى المقام والثوي المقام قال الله تعالى وما كنت
ثاويا في اهل مدين اي مقيما وقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم يخرج على وجهين احدهما انه ينجيهم اي
بالاعمال والاسباب التي فازوا بها على اشكالهم والثاني بمفازتهم اي فازوا بها عن المهالك لا يمسهم السوء

ولا هم يحزنون أي لا يمسهم السوء بالمفازة والنجاة والأمن في ذلك قد يمسهم وهم يحزنون وهذه الآية حجة على الجهمية وعلى أبي الهذيل إمام المعتزلة إنما على الجهمية لأنهم يقولون إن الجنة تفنى وينقطع لذات أهلها فإن كان ما ذكروا فقد يمسهم السوء والحزن وعلى قول أبي الهذيل كذلك لأنه يقول إن أهل الجنة يصيرون بحال حتى إذا أرادوا أن يتحركوا أن يتناولوا لذة أو نعمة لم يملكوا ذلك فعلى ما ذكر هؤلاء فيمسهم السوء والحزن على أن قولهم السوء والحزن يمسهم قريبا لما أنهم حيث لا يقدرون على أن يتناولوا ما يشتهون من النعيم نعوذ بالله من مقالة يعقب كفرا فدل قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون على إبطال قول أولئك وقوله تعالى الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وفي هذه الآية حجة على المعتزلة في مسائل أحدها في قولهم إن الأشياء لم تزل كائنة إذ من قولهم إن المعدوم شيء فإذا كان المعدوم شيئا على قولهم كانت الأشياء لم تزل كائنة فيقولون إنه لم يكن من الله تعالى إلا إيجادها وإن كان ما ذكروا لم يكن هو خالق كل شيء فصار من أن يكون خالق كل شيء على ما ذكر ويتصف نفسه فيكون قولهم في التحقيق والتحصيل قول الدهرية والثنوية لأن الدهرية يقولون بقدم الطينة والهيولى ونحو ذلك فيكون تكوين الأشياء منها وكذلك الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة ثم كون كل جسم من جنسه ويكون كل شيء من أصله فعلى ذلك قول المعتزلة المعدوم شيء يرجع في التحقيق إلى ما ذكرنا من أقاويلهم … في الموضع ثم في هذه الآية دلالة خلق أفعال العباد من الله تعالى فإنه خالق كل شيء والآية خرجت على ذكر الربوبية والألوهية والوصف له بالمدح بكونه خالق كل شيء لما ذكرنا أن إضافة كلية الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج الوصف له بالتعظيم والإجلال وإضافة الأشياء المخصوصة إليه يخرج مخرج التعظيم لتلك الأشياء المخصوصة إليه يخرج مخرج التعظيم للأشياء المضافة إليه فإذا كان كذلك كان قوله خالق كل شيء يشمل جميع ما كان فعلا لعباده لم يكن مخصوصا على شيء دون شيء فهو أن يكون خالق كل فعل له لا لغيره ثم يخرج مخرج الوصف له بالربوبية والألوهية ولا يخرج مخرج المدح له والتعظيم إذ كل حيوان ذي … شارك في هذا الوصف أنه خالق كل فعل له لا فعل لغيره … الوصف لنفسه بالألوهية بهذا والله الموفق ولأنه لو لم يكن خالقا لأفعال الخلق كما هو خالق لنفسه لم يكن خالق كل شيء من هذه الأشياء لأن أفعال الخلق أكثرها أكثر من الأجسام والجواهر فلا أنه خالق الأشياء كلها لا الأفعال الأجسام والجواهر فإن قيل فإنكم لا تقولون يا خالق الأقذار والأنجاس والخنازير ونحوها فكذلك الأفعال قيل إنه لا يقال ولا يوصف بخلق هذه الأشياء على التقييد والتخصيص يا خالق الأنجاس والأقذار ونحو ذلك لأنه لا يخرج الوصف مخرج التعظيم لكن يوصف بذلك في الجملة ويدخل الأشياء كلها في ذلك لما ذكرنا أن قوله خالق كل شيء يخرج مخرج الامتداح والتعظيم له والوصف بالربوبية له والألوهية وذلك في إضافة كلية الأشياء إليه لا في الإضافة إليه بطريق التقييد فلم يكن للتقييد … خالق المجموع ألا ترى أنه لا يقال على التخصيص والإفراد وكيل فلان وإن كان في الجملة يقال على ما ذكر وهو على كل شيء وكيل لأنه في الجملة يخرج مخرج الوصف له بالربوبية والألوهية والوصف له بالمدح وفي التخصيص والإفراد على … والله أعلم وقوله تعالى له مقاليد السموات والأرض … لمقاليد خزائن السموات والأرض والمقاليد المفاتيح ويحتمل أن يكون قوله له مقاليد السموات والأرض عبارة عن المفاتيح أي له جميع مفاتيح الخزائن والبركات يفتح للناس البركات والخير من أهل السموات والأرض يخبر أن ذلك كله بيده ليس بيد أحد سواه معناه نطلب ذلك ومنه نستفيد … رضوا أنه بملك السموات والأرض فكان قوله له مقاليد السموات والأرض وقال الكسائي مقاليد فارسية معربة واحدها إقليد ثم يفهم ما يضاف إليه من الحق والإسناد إلى الأسباب وغير ذلك مما يضاف إلى الخلق والله الموفق وقوله تعالى والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون كان الله جعل هذه الدنيا وما فيها لأهلها رؤوس أموالهم فيها يتجرون بها ويشترون بها الآخرة ويترددون بها ولذلك قال الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فمن بذلها وجعلها بلغة إلى الآخرة سمي رابحا ومن لم يجعلها زادا وبلغة سمي خاسرا مغبونا وقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون دلت هذه الآية على تسفيه أولئك الكفرة قد بلغ غايته وجاوز حده حتى دعوا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العبادة من دون الله بعدما عرفوا فضله بالرسالة وأن الرسول له خصوصية في الرسالة في البشر وبعث البشر رسولا لولا ما دفع عنهم من الفضيلة للرسول والخصوصية لدى الأمم لاحتمال …

وصفها

وصفها فالبشر بعث البشر رسولا ثم قد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيان والحجج ما تكون عندهم ذلك دعوا إلى أن يعبد غير الله دونه فيكون لهم بهذا مناقضة في القول والتسفيه حيث صيروا المفضل المخصوص بالرسالة في العبادة من دون تمكين المفضل والمخصوص لما التعلم أنهم سفهوهم وبعضهم كانوا يدعون إلى عبادة من دون الله وقوله أيها الجاهلون سماهم بما أمروه ودعوه إلى العبادة غير الله تعالى جاهلين وكذلك قال موسى عليه السلام لقومه حين سألوه أن يجعل لهم إلها قال إنكم قوم تجهلون ثم يحتمل قوله أيها الجاهلون وجوها أحدها أي الجاهلون في التسوية بين المفضل المخصوص بالرسالة وبين من لم يخصص في عبادة غير الله وجاهلون عن هداية الله وخصوصيته أو جاهلون عن جميع نعم الله وإحسانه حيث لم يشكروها والله أعلم وقوله تعالى ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ذكر هذا ليعلم أن الشرك يحبط العمل وإن كان من جل قدره وعظم منزلته عند الله تعالى ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين يحتمل من الشاكرين وجوها أحدها أي كن من الشاكرين لنعم الله والشاكرين للخصوصية التي خصصت بها أو الشاكرين للهداية التي هديت والله أعلم وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ذكر أهل التأويل أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له إن ربك على كذا وكذا والأرضين على كذا منه والسموات على كذا منه ذكروا له ووصفوه له بما يوصف الخلق فنزل قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه وذكر أهل التأويل أن اليهود مشبهة وكذلك قالوا له بالولد حيث قال الله تعالى خبرا عنهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلو لم يكونوا عرفوه بمعنى الخلق لم يكونوا يقولوا له بالولد كما يقولون بالولد للخلق فدل أنهم عرفوه بمعنى الخلق وشبهوه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم قوله وما قدروا الله حق قدره قيل وما عظموه حق عظمته ما لا يحتمل وسع الخلق وكذلك لم يعرفوه حق معرفته التي تحتمله وسع الخلق فأما معرفة الله حق معرفته أو تعظيمه حق تعظيمه على ما لا يحتمله وسع الخلق فهو لا كلفهم أن يعرفوه حق معرفته أو يعظموه حق تعظيمه لأنه لا يحتمل وسع الخلق ذلك وإنما كلفهم بما احتمل وسعهم بالمشبهة حيث وصفوه بما يوصف الخلق ومنعهم تشبيههم عن معرفته المعرفة التي تحتمله وسع الخلق وتشبيههم والعظمة التي تحتمله وسع الخلق وتشبيههم أن الله تعالى سبب معرفته الاستدلال بآثار الأفعال إلا بالمحسوسات فلا يفهم معرفته الخلق فلا تقدره مما اتخذ جعل أنفسهم قسمين قسما مما يحاط به ويدرك حقيقته المحسوس منه والمدرك وقسما مما يعرف بآثار الأفعال والاستدلال بما هو غير محسوس من نحو العقل والروح والسمع والبصر ونحو ذلك فإنه لم يدرك من خلقه ولم يحط به مما يستدل معرفته الاستدلال بآثار الأفعال إلا بالحس فالله أنشأ ذلك وأبدعه أحق أن لا يدرك ولا يحاط بمعرفته بما يدرك بالحواس إذ الوصول إلى معرفته الاستدلال بآثار الأفعال إلا بالحواس والله أعلم وكذلك ما أضاف إليه من الأحرف لا يفهم منه ما أضيف من ذلك إلى الخلق من نحو الاستواء والمجيء والإتيان ونحو ذلك ولا يقدر منه ما يقدر من الخلق فعلى ذلك لا يفهم من قبضة الخلق وطيهم ويمينهم بل يفهم من ذلك كله ما ذكر من قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون كل ما ذكر من القبضة والطي واليمين داخل في ذلك لكن الذي ذكر لم يكن في جميع المكونات من غير أن كان منه كاف ونون أو شيء من ذلك لكنه ذكر لأنه أخف الكلام على الألسن وأوجز حرف تفهم منه المعنى ويتريد فيما بين الخلق والله أعلم وأصله أن الله تعالى خاطبهم بما تعارفوا فيما بينهم وإن كانت حقيقة ما تعارفوا فيما بينهم منفية عن الله جل وعلا نحو ما ذكر لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله بما قدمت يداك ونحوها بالقدر تقديم ونحو ذلك للشاهد لم يكن ما ذكر عمل اليد وذكر بين يدي لما في الشاهد لذلك فعلى ذلك ما أضاف إلى نفسه من الأحرف كانت تلك منفية عنه كما في الشاهد يكون وأصل ذلك أن ذلك التنزيل على ما ذكر من إضافة هذه الأحرف إلى الله تعالى وبتنزيل السمع أن ليس كمثله شيء وفي العقل مما لا يتعلق بالأشياء والشركاء لزم القول بوقوع تلك الآيات على ما لا تشابه يقع بينه وبين الخلق في الفعل ولا من جهة من جهات الخلق إذ هو متعال عن جميع جهات الخلق لما هم بجميع الجهات غير أحد لا أحد والخلق فلزم الإيمان بها على ما نطق به التنزيل والتنزيه على التشابه وتفويض المراد إلى ما جاء عنه ذلك مع ما يحتمل الإضافة إلى الله تعالى من نحو عند الله ونحو لا يحتمل فهو المضاف إلى الله فهم لما يضاف إلى غيره لما يحتمل تحقيق ذلك في غيره وما لا يحتمل التحقيق فيه على إسكان ونحوه مما ينفي معنى التشابه من الإدراج والتضمن وهو أن يضمن فيها … نحو قوله تعالى إن تنصروا الله وقال إلى الله المصير والمرجع وترك لقاء الله وردوا إلى الله والرسول … ما يضيف إلى الله تعالى ولا معنى لحقيقته في ذلك على … التشابه فيضمن في ذلك دينه وغيره ونحوه

وغير ذلك من الوجوه كأنه قال تلك حدود دين الله ان ينصروا دين الله والى الله المصير الى ما وعد وعيد فيشاء هذا
وكذا في اضافة الامور والشاهد الى الملوك وذكر التولي لهم لم يخرج مخرج تحقيق ظاهر ما جرى به الفكر
على الحكاية والعبارة عنه نحو ما يقال للبلدة كذا في يد فلان وفي قبضته وامر كذا في يد فلان انما يراد به تدبيره
وسلطانه فعلى ذلك ما ذكر من قبضته من يده ويمينه انما هو الوصف له بالقوة والسلطان والقدرة على
ابو القاسم الحكيم في تفسيره قال اللطف معان منها الاخفاء ومنها الاعراض ومنها الاثمار وذكر عن علي بن الحسين
علي بن الحسين الطبري يقول السموات مطويات بيمينه اي مفنيات لانه يقسم لانه اقسم ان يفنيهما ثم نفسه
سبحانه وتعالى وقيل في قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه هو على التقديم كأنه
كأنه قال الارض والسموات جميعا قبضته مطويات بيمينه والله اعلم وقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون
يحتمل تنزيه نفسه عما وصفه المشبهة وشبهوه بالخلق وعما يشركون من اشراك عبادة الاصنام في العبادة وتسمية
الاصنام آلهة والله اعلم وقوله تعالى ونفخ في الصور اختلف اهل التاويل في قوله تعالى ونفخ في الصور امر على
حقيقة النفخ ام لا قال بعضهم لم يكن هنالك نفخ انما ذكر النفخ عبارة عن حقيقة قيام الساعة وسرعة حصوله
وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله وهو اهون عليه لانه اخف على الخلق لا انه
على الخلق وقال بعضهم ليس ثم نفخ ولكن عبارة عن حدوث ما به وجود الاحياء والاماتة ليكونا تسمية لنحي
على قدر النفخة لان النفخة هي اسرع شيء في الدنيا نفاذا به وقال بعضهم هو على حقيقة النفخة من ان
كانت النفخة سببا للاحياء والاماتة ولكن على جعل النفخة علما وآية للاحياء والاماتة امتحن بذلك الملك
الموكل به على ما امتحن بذلك ملك الموت بقبض الارواح في اوقات جعل الموقف ذلك امر النفخة والله اعلم ثم اختلف في
الصور ايضا قال بعضهم هو صور الخلق فيها ينفخ والى ذلك ذهب جميع اهل الكلام وقال بعضهم ليس هو
صور الخلق ولكن المراد منه هو قرن ينفخ فيه لانه قال الصور بالتخفيف ولم يقل صور بالتثقيل قال تعالى
فاحسن صوركم ولسنا ندري حقيقة ذلك فان الصور والصور تستعملان في جميع الصورة او الكل
النقل بالتواتر ولا يقطع القول بواحد على التعيين وقوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض قال
عامة اهل التاويل الصعق هو الموت وقال بعضهم الصعق هو الغشيان وهو منه قوله تعالى وخر موسى صعقا اي
مغشيا عليه الا ترى انه قال فلما افاق وانما افاق من الغشيان ولا افاق من الموت والله اعلم وقوله تعالى الا من
شاء الله اختلف فيه قال بعضهم انما استثنى اهل الشهادة وهم الذين استشهدوا في الدنيا والله اعلم وقال
بعضهم الا من شاء الله هو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى ثم نفخ
فيه اخرى قال بعضهم ثلث نفخات للفزع كقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الاية ثم الاخرى يموتون بها والثالثة يحيون وعلى هذا روي في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينفخ
ثلثا وذلك كما ذكرنا وقال بعضهم نفختان كما ذكر في الاية احدهما يموتون بها والثانية يحيون بها والله اعلم
ولسنا نعلم ما عدد النفخة وكم هي اذ لا دليل يقوم على العدد بطريق القطع وليس هذا كما قال … الكلي
فيه بالدليل المحتمل وقوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون ماذا يؤمرون وماذا يعمل بهم ويحتمل قيام ينظرون اي
متحيرون باهتون لانهم كانوا ينكرون البعث وذلك اليوم اعظم على اهل الكفر والله اعلم وقوله تعالى واشرقت الارض
بنور ربها اشرقت الارض اي اضاءت وجائز ان يكون الله تعالى انشأ ارض الاخرة ارضا مضيئة مشرقة لما
انه يبدل ارضا غير هذه قال يوم تبدل الارض غير الارض كانت هذه الارض مظلمة وتلك مضيئة على ما ذكرنا
والله اعلم ويحتمل ان يكون اشراقها وارتفاعها سوادها وظهور الحق لهم وزوال الاشتباه والالتباس
وكانت امورهم في الدنيا ملتبسة مشتبهة ويفرقون بين شيئا انه يومئذ جميعا والالوهية والربوبية
ما ذكر من قوله وبرزوا لله وقوله الينا مرجعهم والينا المصير وقوله الملك يومئذ لله ونحو ذلك ذكر الرجوع له
والرجوع اليه والمصير وان كانوا في الاحوال كلها بارزين له راجعين اليه صائرين له والملك له في الدارين
جميعا ثم خص ذلك اليوم بالبروز له والرجوع اليه والملك له لما يومئذ يظهر لهم الحق من الباطل ويومئذ يعرف
جميعا بالتحقيق والملك فعلى ذلك يحتمل اشراق الارض واضاءتها لما ارتفع السواد يومئذ وزوال
الشبهة وظهور الحقائق والله اعلم ويحتمل ان يكون اشراقها ما ظهر لكل ما عمل في الدنيا من خير او شر
يعرف يومئذ وكان في الدنيا لم يظهر له ولم يعرف ما عمل من شر وهو كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا الاية ويحتمل ان يكون ارض الاخرة مضيئة مشرقة لما لا يعصى عليها الرب تبارك وتعالى
وذلك كما روي في الخبر ان الحجر الاسود كان من الجنة لكنه صار اسود لما مسته ايدي الخاطئين فالله
اعلم وقوله بنور ربها يقتضي ان يكون نورها … قال عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما

بالعدل والله اعلم ويحتمل بنور ربها ما اشرقت بنور ان يشاء الله تعالى او جعله فيما ليس ان يكون له نور
من يضيء فيكون قوله بنور ربها كقوله نعمة ربك فلحسن لك الاله بها يفهم منه سوى النعم المنشاة
المجعولة فعلى ذلك قوله بنور ربها لا يفهم منه نور الذات ولا شيء من ذلك انما يفهم منه المجعول لها النور مضيئة
والله اعلم وقوله تعالى ووضع الكتاب وقال في اية اخرى ووضع الميزان فجائز ان يكون الكتاب الذي ذكر في هذه
الاية انه وضعه هو ذلك الميزان فجائز ان يكون الكتاب الذي ذكر في هذه الاية انه وضعه هو ذلك الميزان
الذي ذكر في تلك الاية انه وضعه هو ذلك الميزان الذي ذكر في تلك الاية انه وضعه ويكون المراد منهما واحدا
ويحتمل ان يكون الكتاب غير الميزان ثم قال بعضهم الكتاب هو الحساب اي ما حفظ عليهم وعلم من خير او شر ويحاسب
من ذلك كأنه كتب في الكتاب لذلك ذكر الكتاب واراد به الحساب وقال بعضهم هو الكتاب الذي وضع فيه اعمالهم
… ما عملوا ثم يقرؤوه والله اعلم وقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء اختلف في الشهداء قال بعضهم
الشهداء هم الذين يشهدون … بالنبيين والمرسلين على … على امتهم كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال بعضهم الشهداء ههنا هم الملائكة والحفظة يشهدون على الخلق بما عملوا
والله اعلم وقال بعضهم هم الشهداء الذين استشهدوا في الدنيا وجائز ان يكون ما ذكر من الشهداء الجوارح التي تشهد
عليهم من نفسهم كقوله يشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية وقوله تعالى وقضي بينهم بالحق اي بالعدل
وهم لا يظلمون اي لا يحمل على احد ما لم يعمل ولكن يحمل عليه ما عمل والله اعلم وقوله تعالى ووفيت كل نفس
ما عملت من سوء فاما ما عملت من خير فلا وكذلك فكل نفس مسلمة ما عملت من خير ما ينقص منها شيء وما عملت
من سوء فجائز ان يتجاوز عنها ويبدل لها حسنات كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا اي جماعات كل واحدة زمرة ويقال زمر القوم اذا اجتمعوا وزمرتهم
جمعتهم كذا قال ابو عوسجة والقتبي وتاويله انهم يساقون الى جهنم جماعة جماعة كقوله كلما دخلت
امة لعنت اختها وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية واصله انه يساق كل فريق على ما اجتمعوا وكانوا في الدنيا
جماعة جماعة وعلى ما يجتمعون في الدنيا … واهل الكفر يساقون الى النار على ما يجتمعون في هذه الدنيا
على الشر … والله اعلم ثم قوله وسيق وان كان في الظاهر خبرا عن ما مضى لكنه يخرج على وجهين
احدهما على الاستقبال وذلك جائز في اللغة استعمال الحرف الماضي على ارادة الاستقبال كأنه قال الساعة
والثاني لانه حق لا محالة كان قد مضى فقال وكذلك ذكر السوق كان لما انه سيساق افواج الكفر وافواج اهل الجنة
الى الجنة والنار كان يجمع الاجساد يساقون والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا جاؤوها فتحت ابوابها جائز ان يكون
لها ابواب يدخلون فيها وجائز ان يكون الابواب المذكورة لا على حقيقة الابواب ولكن على الجهات والسبل التي
كانت اعمالها في الدنيا من … كل معصية باشرها بابا وسبيلا الى دخول النار كما يقال الفرج على كذا …
كذلك يراد به حقيقة النار لكن سبيلها … والله اعلم وقوله تعالى وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم
اي من انفسكم ومن جنسكم ممن تعرفونه يتلون عليكم ايات ربكم يحتمل ايات التوحيد والحجج ويحتمل ايات البعث
الذي انكروه قال بعض اهل التاويل يتلون عليكم ايات القرآن ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال
اهل التاويل ولكن حقت كلمة العذاب اي وجبت العذاب وهو ما وعد الله ان يملأ جهنم منهم كقوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين اي حق ووجب ذلك عليهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكروا من كلمة العذاب
كلمة الشرك والكفر اي حقت كلمة الشرك والكفر الذي عملنا … كلمة الكفر كلمة العذاب لما به …
والله اعلم وقوله تعالى قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين تاويله ظاهر والمتكبرين يحتمل
متكبرين على اياته وحججه ويحتمل على رسله وانبيائه عليهم السلام وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا
ربهم اتقوا سخط ربهم ونقمه ويحتمل اتقوا المهالك وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله زمرا قد ذكرناه وقوله
حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها فتح الابواب لهم يحتمل حقيقة الابواب ويحتمل الكناية عن الوجوه والسبل
التي يأتونها في الدنيا لا على حقيقة الابواب والله اعلم وقوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم اخبر ان الخزنة
بالسلام عليهم فجائز ان يكون الله تعالى امتحن الخزنة بالبداية بالسلام على المؤمنين كما امتحن رسوله عليه السلام
ببداية السلام على من لقي وهو قوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية ويحتمل
انه … سلام الخزنة عليهم اخبار منهم بامر بالسلامة والبراءة عن جميع العيوب والافات التي يكون في الدنيا
وذكر ابو القاسم الحكيم في تفسيره عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال اذا جاؤوا … باب الجنة
واذا … شجرة يخرج من تحتها عينان … من احدهما فتطهر من الغل والغش … ثم يغتسلون من الاخرى
فتطهر ابشارهم ونفوسهم فحينئذ تقول لهم الخزنة سلام عليكم طبتم قال قتادة اذا قطعوا … على قنطرة

وكذا نقص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا ونقوا قيل لهم سلام عليكم وقوله تعالى طبتم فادخلوها خالدين
يحتمل طبتم طيبين لا تخشون بالكفر والآفات والعيوب كلها ويحتمل ان طاب لكم العيش بما من
يأتيكم بالجنة وكذا قوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بصدق وعده وعلى عين هذا
لا يجوز غيره وانما يكون الثناء على الفضل الذي يجوز تركه لكن يكون معنى قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده
اي الحمد لله الذي جعلنا مستحقين لوعده كقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
او جعلنا في الذين وعدهم الجنة يحمدون لاختياره وجعله اياهم في الموعد الذي وعد لا انهم لا يحمدون على
وعده والله اعلم وقوله تعالى واورثنا الارض اي انزلنا الجنة وقوله نتبوأ منها حيث نشاء نظام الاختيار
منهما ان لهم ان يتبوأ حيث شاؤوا اما لهم وما لغيرهم وليس كذلك لكن يحتمل وجهين احدهما اي حيث نشاء
فيها وهم لا يرغبون النزول في منازل غيرهم وكانه يخرج مخرج الثناء اعطاهم الله تعالى لنا نتبوأ
لا كما في الدنيا لانه لا يقدر كل احد على ان ينزل في منازل لما يمنعها الموانع والثاني نتبوأ منها حيث
اخبار عن كون جميع منازل الجنة مختارا لشيء مما يختار هنالك مكانا على مكان كما يختار في الدنيا مكانا على مكان
لان جميع اماكنها ليست بمختارة فيقع فيها الاختيار فاما الجنة فجميع اماكنها مختارة ولا يقع فيها الاختيار
مكانا على مكان والله اعلم وقوله تعالى فنعم اجر العاملين ظاهر وقوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش
قيل محدقين حول العرش وقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قال بعض اهل التأويل يأمر ربهم لكن عندنا يسبح
بحمد ربهم هو ان يسبحوا بثناء ربهم وحمده اي يبرؤونه وينزهونه عن جميع معاني الخلق ويحمدونه ويثنون
عليه على ما ذكر في غير موضع والله اعلم وقوله تعالى وقضي بينهم بالحق قيل بين الامم والرسل وقيل بين الخلائق
كلهم ويجوز ان يكون قوله وقضي بينهم بالحق اي بين المؤمنين وبين اعدائهم والله اعلم وقوله تعالى وقيل الحمد لله
رب العالمين قال الحسن فتح الله جل وعلا امر خلقه في الدنيا بالحمد وهو قوله الحمد لله الذي خلق
السموات والارض الآية وقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الآية وغير ذلك من الآيات وختم امره
في الآخرة بالحمد لحيث قال وقيل الحمد لله رب العالمين روى ابو القاسم الحديث باسناده عن عباس انه قال بدأ الله
بالحمد وذلك حين عطس آدم فالهم الحمد وختم بالحمد وذلك كلام اهل الجنة والله الحمد والمنة وصلى الله على

سورة المؤمن

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى حم قال بعضهم هو مجال اسماء الرب جل
وعلا وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال بعضهم فواتح السور كلها وكذلك قال في سائر الحروف المقطعة وقال بعضهم
اصل حم اي قضي قال الشاعر الست ترى ان الدوح حم لحكان اي الذي قضي كان الا انه ذكر المجاز الكبر ذكر
زيد المجاز وقد قلنا نحن ان تفسير الحروف المقطعة مما ذكر على اثرها وقد ذكر اقاويل الناس واختلافهم
في غير موضع مما اغنانا عن ذكرها في هذا الموضع والله اعلم وقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قد ذكرنا
قوله تنزيل الكتاب في سورة الزمر انه ذكر العزيز الحكيم وقال ههنا العزيز العليم هما واحد وقوله تعالى غافر
الذنب يخرج على وجهين احدهما غافر الذنب اي متجاوز الذنب وهو في حق المؤمنين خاصة
والثاني غافر الذنب اي ساتر الذنب وهو يحتمل الكافر والمؤمن جميعا فانه يستر على المؤمن والكافر جميعا الذنب
في الدنيا فلم يفضحهما ويتجاوز عن المؤمن خاصة في الآخرة وقوله تعالى وقابل التوب يحتمل انه يقبل التوبة
وان عظمت المعصية وجلت الذنوب وكثرت والله اعلم قال ابو عوسجة التوب جماعة التوبة وقوله
شديد العقاب اي لمن لم يتب وقوله ذي الطول قال ابو عوسجة اي ذي القدرة وقال القتبي ذي التفضل
يقال طل علي برحمتك اي تفضل وقيل ذي السعة والغنى وقيل ذي النعم وكله قريب بعضه من بعض
وقوله تعالى لا اله الا هو اليه المصير وحد نفسه واخبر ان مصير الخلق اليه في الآخرة فيجزيهم باعمالهم
والله اعلم وقوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا اي ما يجادل في دفع آيات الله والطعن في
آيات الله الا الذين كفروا بالله وكفروا بآيات الله وكانت مجادلتهم لما ذكر حيث قال ليدحضوا به الحق اي
بالحق اهل الكفر وهم الذين كانوا يجادلون في دفع آيات الله والطعن فيها فاما اهل الايمان فانهم
يفرحون بنزولها ويزدادون بذلك ايمانا كما قال الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل
ومن الاحزاب من ينكر بعضه وكقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وغير ذلك من الآيات فانهم
لها يقبلون ويستقبلون لها بالتعظيم والتبجيل وبالله التوفيق وقوله تعالى فلا يغررك تقلبهم

يعلمهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يغره تقلبهم في البلاد لكنه ذكر الخطاب له واراد به غيره لما
يحتمل ان يظن من اراد اهل الكفر لما كانوا في التقلب في البلاد والسعة في عيشهم واذا اهل الايمان في ضيق
ان اولئك على الحق وهؤلاء على الباطل فجاز ان يظن ظان ما ذكر فاخبر انه جل وعلا ان العيش والسعة ليس بدليل
على ان يكون صاحبه على الحق ولا الضيق والشدة بدليل على ان يكون صاحبه على الباطل ولكن محنة امتحنهم مرة
بالسعة والامن ومرة بالضيق والخوف فيكون ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف مذاهبهم
وتاويلهم ويحتمل ان يكون المراد منه اهل مكة انه لا يغرهم تقلبهم في البلاد وامنهم وسعتهم بعد ما ابتلي اهل
الآفاق والنواحي بتهم على الحق والله ذلك انما يدفع عنهم لمكانهم وانما يدفع ذلك عنهم ويكونون على امن لمكان
كونهم بقربه من كعبته وحرمه وشرفه والله اعلم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ذكر هذا
ليصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب قومه اياه ومجادلتهم اياه بالباطل يقول كذبت الامم
بالرسل فصبروا على ذلك ولم يجادلهم قومهم بالباطل لم تزل الامم المتقدمة يكذبون رسلهم ويجادلونهم بالباطل فيصبر
ذلك خاصة انت على تكذيب قومك ومجادلتهم اياك بالباطل كما صبر اولو العزم من الرسل الآية وهي مما ذكر
في قوله عز وجل وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق همت كل امة برسولهم ما ذكر
لكن الله تعالى بفضله عصم رسله عما هموا اولئك بهم من القتل والمجادلة بالباطل وفي ذلك آية من آيات
لم حيث حفظهم عما هموا بهم وكانوا بلا اعوان وانصار وكل الرسل مع كثرة اولئك الكفرة والله اعلم وقوله تعالى فاخذتهم
فكيف كان عقاب اي كيف وجدوا عقابي الذي وعدوه حقا على ما وعدنا الرسل عليهم السلام انه نازل بهم لو يعودون
الى ما جحدوه وكذبوه والله اعلم وقوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار
يحتمل قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما ذكر في قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الآية وقوله وقد مضت
سنة الاولين ويحتمل ان يكون قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما قال لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين فذلك الذي حق عليهم من كلمة ربك والله اعلم وقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم قد ذكرنا في غير موضع ان التسبيح بحمد ربهم هو الثناء عليه والحمد له بالتبرئة والتنزيه عن جميع اوصاف
الخلق ومعانيهم عن جميع ما قال الملحدة فيه وقوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا هذه الآية للمؤمنين والآية
التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو قول نوح عليه السلام حيث قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم عليه السلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وما امر
رسوله عليه السلام ان يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات حيث قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
لانه لا يحتمل ان يأمرهم بالاستغفار لمن لا يجب فافهم ثم قال بعض المعتزلة انه عز وجل وملائكته استغفر للذين
للمؤمنين والمؤمنات انما هو في الذنوب التي ليس لهم ان يعذبهم عليها وهي الصغائر وليس له ان يغفر الكبائر
لذلك قوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك انما امرهم ان يستغفروا للذي تاب فاما من لم يأمرهم بالاستغفار
القول بما قلنا عامة بالآيتين لكن نقول نحن انه لو كان الاستغفار لمن كان خالصة لاصحاب الصغائر على ما قالوا لكان
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول استغفر لهم لا تحرج عليهم اذ هي مغفورة ذنوبهم فيجعل قولهم على ما ذكرنا و
كفر يخشى من القول والله اعلم ثم يحتج المعتزلة والخوارج في الظاهر ابعد الخلائق من المعاصي واقربهم الى الطاعات
ونحن اقرب الخلائق الى المعاصي وابعدهم عن الطاعات لانهم لا يرون النجاة الا باعمالهم لا يرجون رحمة الله ولا شفاعة
احد ولكن باعمالهم فيجب ان يكونوا ابدا مشتغلين ملازمين على الطاعات ابدا في كل وقت وساعة لا يعصون الله طرفة
عين ونحن حيث لم نر النجاة بالاعمال ولكن انما نرى ذلك برحمة الله وشفاعة من ترتضى بشفاعته فيجب ان يكونوا
معتمدين على رحمة الله وفضله غير مشتغلين بشيء من الطاعات ثم في الحقيقة يجب ان يكونوا هم اقرب الخلائق
الى المعاصي وابعدهم عن الطاعات ونحن الزم الخلائق للطاعات وابعدهم عن المعاصي لانا نرى عند الله لطائف
وفضائل باقية لو يعطينا لما اعطانا لم يصدر منا الا الخير والطاعات وسلمنا عن المعاصي وانواع الشرور
وعصمنا فيجب ان يكون متمسكين على الطاعات لنصل الى تلك اللطائف وهم لا يرون بقي عنده شيء من اللطائف
بل يقولون اعطانا كل شيء حتى لم يبق عنده شيء من المصالح الدين فيجب ان يكونوا ما ذكرنا والله اعلم ثم قولنا ان النبي
يرجى برحمته وشفاعته من جعل له الشفاعة لا باعمالنا وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي عليه السلام انه قال لن يدخل
احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته والمعتزلة يقولون لا بل ندخل
باعمالنا وكذلك قول الخوارج واصل قولنا ان الله عز وجل ان يعذب عباده على جميع ما عملوا على الصغائر والكبائر
جملة وله ان يغفر جميع المعاصي سوى الشرك والكفر على ما ذكرنا من دلائل الآيات وغيرها وقوله تعالى ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما قوله وسعت كل شيء رحمة فرحمة الدنيا تدخل الكافر والمؤمن جميعا وامارحمة الآخرة

نهي للمؤمنين خاصة وهو كما ذكر في قصة موسى عليه السلام حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة الى قوله
ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون الاية وكقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة كانه يقول لعل هي للذين امنوا والذين لم يؤمنوا
في الدنيا ثم هي خالصة للذين امنوا يوم القيمة فعلى ذلك قوله وسعت كل شيء رحمة فهي في الدنيا لجميع المؤمنين
والكافرين في ذلك فاما رحمة الاخرة ليست الا للذين امنوا والله اعلم وقوله علما اي علم ما فيهما من الخلق
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يحتمل وجوها احدها فاغفر للذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك اي
دينك وهو الاسلام والثاني يحتمل فاغفر للذين تابوا عن الكبائر والفواحش واتبعوا سبيلك اي طاعتك
والثالث فاغفر للذين تابوا عن جميع المعاصي صغائرها وكبائرها واتبعوا طاعتك والله اعلم وقوله وقهم عذاب الجحيم
ظاهر وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما لا يمكن ان يحمل على قول المعتزلة لان رحمة الله تعالى عندهم
لا تسع لذنب واحد فانه ليس له ان يعفو عنه فان عندهم من ارتكب كبيرة ليس له ان يرحمه ولكنه يعاقبه
على زعمهم خالدا مخلدا اذا كان قولهم ومذهبهم هذا فليست رحمته واسعة بزعمهم ثم يقولون ان
الله تعالى قد هدى كلا وقد اعطاه ما يهتدي به لكنه لم يهتد فانه لم يبق له عنده ما يستزيد به فعلى هذا القول
رحمته لا يسع لهذا الاية كافي فاذا رحمة الله تعالى بزعمهم على خلاف ما ذكر الله تعالى ووصفها بالسعة والله
الموفق ثم لقد غفلنا فيما ذكرنا من جمع الكل في ذلك لما ذكرنا ان تلك الرحمة هي الرحمة للنبوة او ما ذكرنا
من كونه اللطائف عنده من اعطاها اهتدى والله الموفق وقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
هذا يخرج على وجوه احدها ان الوعد كان بحلاوة المؤمنين فسالوا ان يدخل قوما على الاشارة والتعيين
جملة ذلك الوعد لا يحتمل الخصوص في الجملة والله اعلم والثاني سالوا تحقيقهم على الاشياء والاعمال التي
يستوجبون ذلك بها والله اعلم والثالث يحتمل ان يكون الوعد لهم بشرط الذي سالوه والله تعالى عالم اراد
انه يوجد ذلك الشرط وهو سؤالهم فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جائز قال الله تعالى كان على ربك
حتما مقضيا مسئولا انما يعدهم سؤال هؤلاء على ذلك كما يخبر بتقديره انه لا يعذبهم اذا سالوه على
انهم سالوه وعلى ذلك الحديث لو ان الصدقة ترد القدر [illegible] في الاول انه يوجد منها الصدقة
فيكون [illegible] على ما لو [illegible] انه لا يتصدق [illegible] التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون في
حق العباد اذ يوجب عند وجود الشرط ولا يوجب عند عدمه ولا فعلهم بما قيد ذلك [illegible]
على بشرط كان ذلك منه في الازل حكما على ان يوجد مع ذلك الشرط كيف كان والله الموفق ما ظاهر الاية
انا قصدها لهم لا ادخالهم لا محالة فيها [illegible] السؤال في ذلك لم يخرج السؤال لغوا [illegible] فيخرج
السؤال الى تصديق الوعد والامتناع عن الخلف لكن الاية تخرج على الوجوه التي ذكرنا وقوله ومن صلح
من اباءهم وازواجهم وذرياتهم الاية سالوا ايضا ادخال هؤلاء في ذلك الوعد ايضا على ما ذكرنا وقوله
وقهم السيئات هذا يحتمل انهم سالوا ان يقيهم في الاخرة امورا تسوءهم من الاهوال والافزاع وغير
ذلك من العذاب ويحتمل ذلك في الدنيا من الشرك وغيره يدل عليه قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
اي ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يومئذ وذلك الفوز العظيم وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الاية ذكر ان اهل النار مقتوا ما اتبعوا من البعث والعذاب فجعل كل انسان
منهم يمقت نفسه ويلومها فينادون لمقت الله اياكم فيما اوجب عليكم من التعذيب لا نعمه اكبر مما تمقتون
انفسكم وكشف هذا وجه ووجه اخر جائز ان يقال لهم الواجب عليكم ان تروا مقت الله اياكم وقت
ارتكابكم العصيان وتعنتكم ما تعاطيتم اكبر واشد من مقتكم انفسكم حين عاينتم العذاب ذلك
النار لانكم لو رايتم مقت الله اياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم انه نزل بكم لزجركم ومنعكم عن ارتكاب ذلك
وتعاطيه وحملكم على اتيان ما دعيتم اليه من التوحيد لله تعالى والايمان به والله اعلم وعلى هذين التاويلين
يرجع تاويل قوله تعالى ولذكر الله اكبر احدهما ان ذكر الله تعالى اياكم بالرحمة والمغفرة اكبر واعظم من ذكركم
اياه وصلاتكم وعباداتكم له والثاني ان ذكر نفس نهي الله تعالى اياكم عن المعاصي [illegible] اكبر في الزجر
عنها والمنع من الصلاة نفسها وان كانت الصلاة تنهى عن ذلك كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولذكر الله اكبر لما ان الصلاة فيها اعمال تشغلهم عن ذكر النهي والله اعلم ثم قوله عز وجل مقتكم انفسكم
يحتمل وجهين احدهما اي مقت بعضكم بعضا وهو كقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا ويحتمل مقت كل انسان نفسه لما كان منهما من العصيان والكفر وانما احتمل هذين الوجهين لان
المنع لهم من طاعة الله تعالى والتباع لهم ونهيه يكون بانفسهم ويكون من بعضهم بعضا فيكون محتملا كليهما

الوجهين

الوجهين وهو كقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله وقوله ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة ولا تهلكوا بعضكم بعضا ان الظاهر ان المرء لا يهلك نفسه ولا يلقيها الى التهلكة
وكذلك لا يسلم على نفسه ويحتمل الظاهر ايضا ان يسلم على نفسه ايضا اذا دخل البيت لم يكن معه غيره
وكذلك نهى عن اهلاك نفسه من شدة الغضب ونحو ذلك والله اعلم وقوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين قال بعض اهل التاويل كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم
الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما حياتان وموتتان وهو قول ابن عباس وابن مسعود
ويقولون هو كقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية وقال بعضهم قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين احدى الموتتين هي التي تنقضي بها اجالهم ثم يحييهم في القبر ثم يميتهم ثم يحييهم
للبعث يوم القيمة فهما موتتان وحياتان والى هذا يذهب [illegible] ويحتج بهذا على عذاب القبر وهو اشبه
واصوب لانه يكونون في اصلاب ابائهم لا يقال اماتنا وهم كانوا امواتا في الاصل والله اعلم وقوله تعالى فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل يحتمل اعترافهم بذنوبهم هو ما انكروا قدرة الله تعالى على البعث والاحياء
بعد الموت [illegible] ذلك وشاهدوا [illegible] وكانوا [illegible] ذنوبهم والله اعلم ويحتمل ان يكون
ذنوبهم التي اعترفوا بها ما ذكر في سورة تبارك حين قال لهم الخزنة الم ياتكم نذير قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فيكون اعترافهم بذنوبهم هذا والله اعلم وقوله تعالى ذلكم بانه
اذا دعي الله وحده كفرتم قوله ذلك باية اي ذلك المقت الذي ذكر او العذاب الذي نزل بكم انما كان بانه اذا دعي
الله وحده كفرتم اي كفرتم بتوحيده وان يشرك به اي توحيدا لله تعالى تؤمنوا به اي تصدقوا كقوله واذا ذكر الله
وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون [illegible]
والله اعلم وقوله تعالى فالحكم لله العلي الكبير قال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
من هؤلاء قيل المحكمون قال قالوا لا حكم الا لله [illegible] قال علي عليه السلام ليسوا بالقراء ولكنهم [illegible] الجبارون
قالوا انهم يقولون لا حكم الا لله قال علي رضي الله عنه كلمة حق اريد بها باطل [illegible] بها الباطل وقوله هو الذي
يريكم اياته اختلف في قوله يريكم اياته قال بعضهم هو ما اريهم [illegible] رسله [illegible] فيهم تصديق
اياهم ليحذروا [illegible] بكذبهم رسلهم وقال بعضهم انها ايات وحدانيته وربوبيته وقدرته وسلطانه
في السموات والارض بمعنى الاية [illegible] ايات في السموات وفي الارض ايات وحدانيته وربوبيته
وذكر انهم يمرون عليها وهم عنها معرضون [illegible] عنها والله اعلم وقال بعضهم في قوله هو الذي يريكم اياته
اذا سالتم يا اهل مكة رايتم اية للمتقدمين [illegible] بهم وهلاكهم وهو الاول بعينه وقوله تعالى وينزل لكم
من السماء رزقا يخبر عن ايات وحدانيته ايضا انه ينزل رزقهم من السماء ويجعل الخلق [illegible]
الرزق من السماء ليعلموا ان منشئ الارض والسماء واحد حيث تتصل منافع السماء بمنافع الارض على بعد
ما بينهما ويحتمل انه يذكرهم نعمه عليهم حيث يعلمون انه هو الذي انزل لهم رزقهم من السماء دون من يعبدون
من الاصنام فكيف تصرفون عبادتكم وشكركم الى غيره وقوله تعالى وما يتذكر الا من ينيب وما يتذكر بما
يذكر من الايات والانباء الا من ينيب اليه بطاعته او يقول لا يتذكر باياته ويتعظ بها الا من ينيب اليه
بالخضوع له وطاعته وقوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كان هذا اصله انما
تقدم من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية وصلة كقوله ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده كفرتم يقول فادعوا الله يا اصحاب محمد وانتم المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون ذلك ووحدوه ولا تشركوا به شيئا على ما اشرك به اهل مكة والله اعلم وقوله تعالى رفيع الدرجات
يحتمل وجهين احدهما رفيع السموات درجة على درجة وطبقا على طبق على ما رفعها واحدا على اخرى والثاني
قوله رفيع الدرجات اي درجات اهلها ومنازلهم التي جعلها لهم في الاخرة على تفضيل بعض على بعض
في الاخرة فجائز ان يكون ما ذكر من رفيع الدرجات هي رفع السموات درجة درجة فهو اخبار عن قدرته وسلطانه
انه قدر على رفع السموات في الهواء وقرارها فيه بلا سبب من الاسباب امساكها من التعليق بشيء مع ثقلها
وغلظها ولا شيء يقرها في الهواء بحيث لا ينحط ولا يتسفل ولا يرتفع عن اماكنها بلا سبب من الاسباب
وهذا لا يحتمل ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء او يمنعه عما يريد والله اعلم وان كان المراد بالدرجات التي جعلها
لاهلها في الاخرة انما يستوجبونها بالله تعالى باعمال يكون لهم والله اعلم وقوله تعالى ذو العرش يلقي الروح من امره
اختلف فيه قال بعضهم هو جبريل عليه السلام يلقي اي ينزل الوحي والنبوة على من يشاء من عباده كقوله نزل به الروح الامين
على قلبك اخبر انه امين ليعلم انه ليس في [illegible] انه غلط ولا شيء مما قاله بعض الروافض انه [illegible]

وقال بعضهم الروح هٰهنا هو الوحي لانه الذي يعول عليه يلقى ويثبت الروح على من يشاء من عباده وانه
لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون اختلفوا فيه فقال بعضهم يوم يلتقي اهل الارض واهل السماء
وقال بعضهم يوم يلتقي الآخرون والاولون ويحتمل ان يكون قوله يوم التلاق يوم يلتقي الانسان عمله والله تعالى اعلم
والله اعلم وقالت الحكماء يوم يلتقي الصور المتولدة من الاجساد باعمال البر والخير التي كانت لهم في الدنيا الصور
التي كانت لهم روحانية لكن من [illegible] منهم بحدث في تربية الاعمال التي كانت لهم [illegible] صور
يلتقي هذه الصور الحادثة المتولدة من الاجساد الصور الروحانية التي تحجب عن الاجساد بعد لكون ويكون
عندهم للارواح فيصير هذه الارواح نورانية بالنور الصرف فيستدلون بعقولهم باذن [illegible]
الصور الروحانية من الاجساد الخالية عليهم في جميع الاحوال والاوقات بادرة من ظاهر [illegible] يكون احد
مستورين عنه ولكن هذا اشد لانه لو كان الامر على ما يقوله الباطنية لكانت الانفس اذا ما استخرجت منها
الصور الروحانية رأت رؤيا كانت بينها مختلطة غير محققة وفي حالة اليقظة تريها محققة غير مختلطة
ان الادراك للاجساد بواسطة الصور الروحانية يجب ان يكون البعث للكل وان [illegible] لكل الروحة
فذلك ما ذكرنا واصله انه ما ذكرنا سمي يوم التلاق على ما سمي يوم الجمع ويوم التغابن ويوم الحشر وغير ذلك
سمي ذلك اليوم على اسماء مختلفة كل اسم من ذلك عن معنى الآخر وقوله تعالى يوم هم بارزون قال بعضهم
اي ظاهرون لا شيء هنالك يسترهم اي يرتفع يومئذ جميع الستور فهو كقوله فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا اي لا شيء يستتر منها يذكر هذا لان من الناس من يقول ستر الاشياء عن الله تعالى بالستور
رد لقولهم ويحتمل ان يكون قوله يوم هم بارزون سمي ذلك اليوم يوم البروز لما انهم يتفقون جميعا ويقرون
بالكلمة التي اختلفوا في الدنيا فيها فيبرزون جميعا متفقين مقرين على تلك الكلمة يومئذ وهي كلمة التوحيد
والله اعلم ويحتمل ان يكون سماه يوم البروز نحو يوم المصير والرجوع وما ذكر لان المقصود من انشاء الدنيا انما
من الخلائق ذلك اليوم ولذلك لو لم يكن ذلك لصار انشاء الدنيا وانشاء ما فيها حكمة لم تكن لا انشاء للافناء
خاصة ليس بحكمة فخص ذلك اليوم بما ذكرنا وان كانوا في جميع الاحوال بارزين له ظاهرين لديه والله اعلم
لا يخفى على الله منهم شيء ظاهر وهو [illegible] لا يخفى على الله شيء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال عامة اهل التأويل [illegible] لله تعالى [illegible] اهل الارض واهل
السماء فلم يجبه احد الا الله تعالى فعند ذلك يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول هو في نفسه مجيبا
نفسه لله الواحد القهار لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يقول لمن الملك اليوم ولا احد سواه ويجيب نفسه
لله الواحد القهار لما لا حكمة في ذلك ان يسأل نفسه ثم يجيبها لكن الوجه فيه والله اعلم انه انما يقول لهم
اذا بعثهم واحياهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فيقول الخلائق لما جمعهم لله الواحد القهار يقرون
له جميعا يومئذ بالملك والربوبية وان كان بعض الخلائق في الدنيا قد نازعوا في الملك فيها وادعوا لانفسهم
فيقرون يومئذ ان الملك في الدنيا والآخرة لله الواحد القهار والله اعلم وقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
اي من خير او شر لا ظلم اليوم اي لا تجزى غير ما كسبت ويحتمل لا ظلم اي لا ينقص من الحسنات
التي عملوها ولا يزاد على السيئات التي اكتسبوها وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى ان الله سريع الحساب
قد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم وقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة سمى ذلك اليوم يوم الآزفة لقربه ودنوه
منه وعلى ذلك سماه غدا تقريبا كقوله اقتربت الساعة وكقوله اقترب للناس حسابهم الآية ونحو ذلك
سماه آزفة لدنوه وقربه منهم فيقال ازف الرحيل اي قرب ودنا منه ومعناه اي انذرهم بما اليه يرجع
عاقبتهم ومصيرهم لان اهل العقل والتمييز انما يعملون ويسعون للعاقبة وما اليه يرجع امورهم وهو ذلك
اليوم والله اعلم وقوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر يخبر عن شدة ما اهمهم وفزعهم في ذلك اليوم ليس ان تزول
قلوبهم عن اماكنها وترتفع الى الحناجر حقيقة ولكنه وصف لشدة ما لهم في ذلك اليوم وكثرة خوفهم
وفزعهم وضيق صدورهم وهو كقوله تعالى وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت صدورهم ولو
بما حل بهم من الشدائد والا فلا [illegible] الارض في الحقيقة ضيقة لا يسعون فيها لكن
لضيق صدورهم صار كذلك ويحتمل ان يكون ما ذكر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم
لشدة ما لهم وعظيم ما حل بهم والله اعلم والحناجر هو مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الرقاب
حنجرة وقوله تعالى كاظمين قال بعضهم المغموم الذي يتردد غيظه في جوفه غيظا لما كان ممنوعا من النداء
الكاظم الذي لا يتكلم ويكظم من الحزن [illegible] الذي لا ينفتح فمه وهو قريب بعضه من بعض والله اعلم
ما للظالمين من حميم اي قريب وقيل الحميم هو الذي يهتم بامر صاحبه ويسعى في دفع ما نزل به من

ولا شفيع يطاع اي يجاب يذكر انه لا يكون لهم في الآخرة قريب يهتم لامرهم ولا شفيع يشفع لهم
يجاب كما يكون لهم في الدنيا وكذلك قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا يكون لهم شفعاء تنفعهم شفاعتهم
وهو ما قال عز وجل في آية اخرى لا خلة ولا شفاعة الآية وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين والخيانة واحدة وهي
ما قال الله عز وجل [illegible] على خائنة منهم قال بعضهم هو النظرة بعد النظرة اما الاولى فليس فيها
شيء واما الثانية فعليه مأثمها وقوله تعالى وما تخفي الصدور اي ما لم يتكلم به المرء ولم يعمل به كل ذلك يعلمه
الله وقال بعضهم خائنة الاعين النظرة فيما لا يحل والغمز بعينه وهو مثل الاول وقال بعضهم خائنة
الاعين هي التي ينظر بها غفلة الناس ان [illegible] ينظر الى ما نهاه وحرمه مما لا يحل وما تخفي الصدور هو
ما ذكر عز وجل يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يذكر هذا ليكونوا ابدا مراقبين انفسهم حافظين لها عما
لا يحل من السمع والبصر والفؤاد على ما ذكر في آية اخرى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا
ليكونوا ابدا على حذر من ذلك وخوف الله وقوله تعالى والله يقضي بالحق قال اهل التأويل اي يحكم بالعدل
اي الكتاب يخرج على وجوه احدها يقضي بامر كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ان لا تعبدوا
الا اياه او علم ان لا تعبدوا الا اياه ويكون اي قضى الله ويتسوى له امرا اي اذا امرا كقوله تعالى يقضي
بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء اي لا يملكون الحكم بالحق فكيف تعبدون دونه والثاني
القضاء الوحي والخبر كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وقضينا اليهم فكأنه يقول والله يوحي
بالحق ويخبر به والذين يدعون من دونه لا يملكون الوحي ولا الخبر فكيف اخترتم عبادتهم على عبادة من يوحي
بالحق ويخبر به والله اعلم والثالث القضاء هو الخلق والانشاء كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن
فيكون تأويله على هذا ان الله يقضي بالحق اي يخلق بالحق والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا ومن يعلم
استحقاق العبادة انما يكون بالخلق والانشاء وهو كقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله خلقوا كخلقه
فتشابه الخلق عليهم فقوله خلقوا من تدعون من دونه كخلق الله حتى تشابه ذلك عليهم فعبدتموهم اذ تعلمون
انه لم يخلق وليس كمثله يخلق وقد تعلمون ان الهكم لم يخلق شيئا فكيف تعبدونها والله اعلم ويقال اهل التأويل يقضي
بالحق اي يحكم بالحق يخرج على وجهين احدهما يحكم بالحق في الدنيا بالآيات والحجج يلزم كل احد بها حجج
وآيات وبراهين والحكم بما ذكرنا الحكم بالحق لسائر الخلق والثاني ان يحكم بالحق في الآخرة وهو الشفاعة اي
لا يجعل شفاعة لمن يستبد على رجاء الشفاعة كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله لكن انما يجعل لمن ارتضى
كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى والله اعلم وقوله تعالى ان الله هو السميع البصير روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال السميع للمؤمنين اي المجيب للمؤمنين والبصير بعقابنا وقيل السميع لاقوالهم البصير بافعالهم
ويحتمل ان يكون قوله ان الله هو السميع البصير صلة ما تقدم من قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
يقول السميع بما يكون منهم ظاهرا من قول او فعل البصير بما اخفوا في قلوبهم وتكن صدورهم يخبر
بهذا ليكونوا ابدا مراقبين حافظين ما ظهر منهم وما خفي والله اعلم وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هذا يخرج على وجهين احدهما ما قال الحسن انهم
لو ساروا فنظروا في آثار ما كان قبلهم من مكذبي الرسل لكان لهم في ذلك زجر ومنع عن كل صنيع ولكن
وقال بعضهم هو الخبر اي قد ساروا في الارض ونظروا في آثار من تقدمهم لكنهم لم ينظروا نظر اعتبار انه
لما اصابهم ما اصابهم والله اعلم ثم قال ما تلوه هو على الايجاب والالزام اي سيروا في الارض فانظروا
الى آثار اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كقوله قل سيروا في الارض فانظروا ولكن يقول ليس على حقيقة السير
في الارض بالاقدام ولا نظر العين والبصر ولكنه امرهم بالتفكر والاعتبار بآثار من كان قبلهم و
الى ما اصابهم بعاقبة امرهم من صنيع مكذبي الرسل ومصدقيهم لينزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم ويرغبوا
في مثل صنيع مصدقيهم والله اعلم وقوله تعالى وكانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض اي كانوا هم اشد
قوة في ابدانهم وانفسهم وآثارا في الارض [illegible] في الارض ويحتمل وآثارا في الارض اي عملا
في الارض اي اشد عملا في الارض [illegible] كما يقول بعض الحكماء انهم كانوا اشد منهم قوة في الخيرات
كان ما ذكر فذلك يكون اصلح لهم وهذا بعيد من القول والوجه فيه ما ذكرنا انهم كانوا اشد منهم قوة بابدانهم
وانفسهم وقوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم يخبر ان اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا اشد من هؤلاء قوة
واشد آثارا في الارض ثم لم يمنعهم شدة قواهم في ابدانهم وانفسهم وما ذكر من آثار الارض ولم تدفع
عن انفسهم ما نزل بهم من عذاب الله فانتم يا اهل مكة دونهم في البطش والقوة فكيف تمنعون عذاب الله
اذا نزل بكم والله اعلم وقوله تعالى وما كان لهم من الله من واق والله اعلم اذ اولئك قد عبدوا الاصنام

ان يشفع لهم في الآخرة وتقربهم الى الله زلفى كما تعبدونها انتم على رجاء الشفاعة لكم او التقرب بها لكم
ولو كانت عبادتهم باطلة في الشفاعة وسبب التقرب الى الخالق نفيهم من عذاب الله في الدنيا وهو كما
اليهود انهم ابناء الله واحباؤه فقال ردا عليهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي في الدنيا لو كنتم على ما
ادعيتم لما عذبكم وتعذيبه وتحبيبه في الدنيا فعلى ذلك الاول قوله تعالى ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات* وقوله ذلك يعني لذلك العذاب والاهلاك الذي نزل بهم لما كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا
وكذبوا الآيات والادلة التي اتتهم رسلهم بها من الله اليهم فاصابهم ما اصابهم لذلك فانتم يا اهل
مكة اذا كذبتم الرسول بعدما اتاكم بالآيات والادلة على رسالته ينزل بكم ما نزل باولئك بالتكذيب لهم
وردهم الآيات والادلة والله اعلم قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا* اي بحججنا وقد ذكرنا انه يحتمل
الآيات والسلطان واحدا ويحتمل ان يكون غيرا قوله تعالى الى فرعون وهامان وقارون* ليعلم انه كان مبعوثا
الى الكل لم يبعث الى بعض دون بعض وقوله تعالى فقالوا ساحر كذاب* دل قولهم ساحر كذاب على ان موسى
قد اتاهم من الآيات والحجج ما عجزوا عن اتيان مثلها والمقابلة لها فخافوا ان يتبعه الناس لذلك فموهوا انه
ساحر كذاب على سائر الناس لئلا يتبعوه فيما ادعى المعروف انهم انما السحر ليس يعرفه كل احد ولكن
الناس يخرجون نفس السحر وكانوا يعرفون ان السحر يكون كذبا فهو سلك العقول امر موسى عليهم على ليصرفهم
ويشبهوا الى الكذب مع علمهم انه لم يظهر من موسى كذب قط وقد كان لم يزل فرعون يموه ويلبس على
قومه امر موسى مخافة ان يتبعوه لما اتاهم من الحجج والادلة التي ظهرت عندهم فما حاج وادعاه من ربه
قوله عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وقوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر قال هذا بعدما اسلم
السحرة وآمنوا به ليموه بذلك امرهم على من لم يتبع موسى من الاتباع وقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
لتخرجوا منها اهلها وذلك من التمويهات التي كانت منه على ذلك هذا القول منهم يحتمل وقالوا ساحر
ويحتمل ان يكون قولهم انه كذاب لنهيه عن عبادتهم الاصنام دون الله تعالى فلما جاء موسى عليه السلام نهاهم
عن عبادة ما اعتادوا من العبادة ودعاهم الى عبادة الواحد قالوا انه كذاب وكذلك قال اهل مكة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انه ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا سموه كذابا لما دعاهم الى عبادة الواحد ونهاهم
عن عبادة ما اعتادوا من العبادة والله اعلم قوله تعالى فلما جاءهم بالحق من عندنا* قال بعضهم اي جاءهم
بالتوحيد وقيل اي جاءهم بالرسالة وكان مرجعهما واحدا اي فلما جاءهم بما ظهر عندهم من الحجج انها آيات
من عند الله والله اعلم قوله تعالى قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم* امر بذلك لكي يقتلوا
ابناء من آمن منهم لينزجروا بذلك عن متابعة موسى لما رأى من التمويهات والحيل لم تمنعهم من اتباعه فكانوا
يتبعونه فاوعدهم بقتل الابناء كما كان امر بقتل الابناء خشية ذهاب ملكه بولد يولد لكذا
قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال* لا شك ان كيدهم في الآخرة في ضلال ولكن [illegible] كيدهم في
[illegible] ظهر انه ضلال [illegible] من اتباع موسى [illegible] قوله تعالى وقال فرعون ذروني اقتل
موسى* قال اهل التاويل انه لم يمنعهم عن اتباع موسى ما ذكر من قتل الابناء قال عند ذلك ذروني اقتل موسى ثم
يحتمل قوله ذروني اقتل موسى وجوها احدها يحتمل انه هم فرعون ان يقتل موسى فمنعه قومه والملا
من قومه [illegible]
[illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] والله اعلم الثالث ذروني اقتل موسى [illegible]
لا تلوموني اذا انا قتلته والله اعلم قوله تعالى وليدع ربه [illegible]
[illegible]
[illegible] انما اخاف ان يبدل دينكم [illegible]
[illegible] في الارض الفساد [illegible]
[illegible]

الفساد قيل انما نهاهم ان يقتل موسى لان بناهم والله اعلم قوله تعالى وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب* يحتمل قوله من كل متكبر اي متكبر على التوحيد ويحتمل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يؤمن
الرسل به اي لا يؤمن بيوم الحساب والله اعلم قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون* هذا يحتمل وجهين احدهما
من آل فرعون في الظاهر لا انه يكون في الحقيقة من آله انما هو من آل موسى واتباعه حيث آمن به وترك اتباع
فرعون والله اعلم قوله تعالى يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه* ولا يظهر الموافقة لهم على ما هم فيه اذا قدر على الكتمان
دون الاظهار للموافقة لهم وعلى اظهار الكفر اذا قدر على ان لا يظهر ما اريد منهم من كلمة الكفر ولا يتسع الا
لا يتسع له اظهار ذلك فان لم يقدر حينئذ يسع وعلى ذلك ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله فيه اخبار انه كان يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه فلما خاف اهلاك رسول الله موسى ضد
ذلك اظهر ما كان يكتمه وان كان في اظهار ذلك اهلاك نفسه لما ان يرجو نجاة نبي من الانبياء وهذا
يخبر ان لا يسع كتم ذاما كان يكتمه وان كان نفسه مهلكة اذا اظهر اذا كان في اظهار ذلك نجاة رسول الله
من رسل الله عليهم السلام يجب ان يدفع بها الهلاك عن نفس ذلك الرسول وكذلك فعل ابو بكر الصديق رضي الله عنه
انه اهل مكة هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاكه القى ابو بكر رض نفسه عليه وقال لهم ما قال
ذلك الرجل الذي كان يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فعند ذلك نزلت هذه الآية على رسول الله
لم يكن نزل قبل ذلك والله اعلم قوله تعالى وقد جاءكم بالبينات من ربكم* اي جاءكم من البينات ما تبين انها آيات
من عند الله لا اخترعها من عند نفسه يبين انه صادق فيما يقول ويدعي قوله تعالى وان يك كاذبا فعليه كذبه
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم* اي وان كان كاذبا فيما يدعوكم اليه فعليه كذبه وان كان صادقا
فيما يقول ويدعي يصبكم بعض الذي يعدكم فهو يعلم انه صادق فيما يقول حقيقة ولكن لما كان عندهم
احتمال الامرين ذكر على ما عندهم دفعا للقتل عن موسى ثم الاشكال انه قال يصبكم بعض الذي يعدكم
ذكر انه يصيبهم بعض الذي يعدهم الرسل اذا وعدوا شيئا يصيبهم كله لا يجوز ان يكون خلاف ما قيل
ودون ما ذكر ولكن يخرج على وجوه احدها انه كان وعدهم انه يصيبهم العذاب في الدنيا والآخرة فقال
يصبكم بعض الذي يعدكم وهو ما وعد لهم ان يصيبهم في الدنيا وما وعد لهم في الآخرة فهو يصيبهم
في وقت آخر فهو في الآخرة فما اصابهم في الدنيا فهو بعض ما جرى الوعيد منه لهم لان الوعيد كان منه
في الدنيا والآخرة الثاني كان يحتمل انه عليه السلام وعدهم بانواع من العذاب فقد اصابهم بعد ذلك من الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم ونحو ذلك ونحو بعض ما وعدهم هو هلاكهم كانه يقول لهم انه قد
اصابكم كثير من ذلك فيصيبكم بعض ما يعدكم الذي فيه هلاككم مبالغة في الزجر لما قد اصابهم او وعدهم
من انواع العذاب ولم يكن وعدهم كذبا وبعض ما يعدكم وهو الهلاك كيف يكون كذبا والله الموفق الثالث
يريد بالبعض الكل لانه اراد بهذا البعض الهلاك وهو البعض الاقصى فيدخل الغائب فيه لانه اذا وعده
بانواع من العذاب تبعها الهلاك يكون الهلاك هو البعض الاقصى اذ لا عذاب في الدنيا بعد الهلاك فيكون
سائر انواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك فاذا اريد به هذا البعض يدخل فيه ما قبله ويكون
ذكره الكل اذ لا يوجد له بعد سائرها الهلاك قال يصبكم بعض الذي يعدكم اي يصبكم كل الذي يعدكم
والله اعلم قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب* هذا يخرج على وجهين احدهما انه لا يهدي من هو في علمه
انه يؤثر الاسراف والكذب والثاني لا يهدي من هو مختار للاسراف والكذب وقت اختياره الاسراف
والكذب والله اعلم قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا* يخرج
على وجهين احدهما يحتمل ان يقول ذلك بعدما سألوه ان يتبع دينهم وما هم فيه اي لو اتبعتكم ومعكم الملك
والحشمة والغلبة وليس مع ذلك واذ لكم بأس الله وعذابه من ينصرني انتم وتمنعون عنه بما معكم فمن ينصرنا من
عذاب الله كالملك [illegible] على اعتقادهم [illegible] عندهم كي لا يقدموا على قتله لما صار بذلك حماية
ومنه هذا الا بأس به والله اعلم والثاني يقول على الرفق بهم والاظهار الموافقة لهم في الظاهر يقول انه قد
جاءنا من الله من البينات ما اوضح الحق وبين السبيل فاذا رددنا ذلك وكذبناه جاءنا بأس من الله عذابا
فمن يمنعنا منه وينصرنا من عذابه اذا جاءنا لعنادنا امره واتباع دينه على هذين العقلين يخرج القول منه والله اعلم قوله
قال فرعون ما اريكم الا ما ارى* قال بعضهم اي ما اريكم الا ما ارى لنفسي وقال بعضهم ما اختار لكم الا ما اختار
لنفسه ذلك لكن ليس المعنى ان يختار لهم ما اختار لنفسه لانه ما اختار لنفسه باطلا فاسدا كذب اللعين ايضا
قال ما اختار لكم لنفسه لانه كان اختار لهم ان يعبدوه ولم يختر لنفسه عبادة او كذا ان يعبدهم فهو
كذب في القول قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد* كذب ايضا فانه لا يهديهم الا سبيل الرشاد بل كان يهديهم

سبيل الغواية. قوله تعالى يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم كان فيه اضمار القول اني اخاف عليكم يوما مثل يوم الاحزاب ويوما مثل يوم قوم نوح وعاد وثمود
صلة قوله فيما تقدم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا وعظهم وذكرهم واحتج
عليهم بما جاء موسى بالبينات حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وتتركون اتباعه
وتتبعون رجلا لم يأتكم بالبينات هذا منه احتجاج عليهم انكم كيف تقتلون رجلا وتتركون اتباعه بعد ما جاءكم
بالبينات من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان تسفيههم ايضا وغلطا الطغيان فيه ثم حيث قال يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يقول والله اعلم انكم ان قتلتم ذلك الرجل
بعد ما جاءكم بالبينات وتركتم اتباعه فجاءكم عذاب الله وبأسه فمن ينصركم من ذلك العذاب ويمنعكم عند (?)
بنيه بغير حق ثم وعظهم وعظا بما نزل بمكذبي من كان قبلهم من الرسل حيث قال اني اخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود يقول اني اخاف عليكم ان ينزل بكم ويقع عليكم من عذاب الله بتكذيبكم
الرسول موسى عليه السلام وترككم اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات انه رسول وانه صادق كما يقول ويدعي كما نزل
ووقع من العذاب بالاحزاب الذين كانوا من قبلكم بتكذيبهم الرسل واستقبالهم اياهم بما استقبلوا بعد ظهور
صدقهم عندهم بما تستقبلون انتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم بالبينات التي جاءكم والله اعلم
ثم ما ذكر من الاحزاب يحتمل ان يكون تفسير ما ذكر على اثره من قوم نوح وعاد وثمود ويحتمل سواهم من الامم
والله اعلم ثم قوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود قال بعضهم اي مثل صنيع قوم نوح ومن ذكر وفعلهم وقال
بعضهم اي مثل عذاب قوم نوح ومن ذكر والله اعلم وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد في هذه الآية للمعتزلة
نوع تعلق يقولون انكم تقولون ان الله تعالى قد اراد من العباد ما يفعلون من افعال الظلم والجور وقد اخبر
تعالى انه لا يريد ظلما للعباد لكن الآية تنفي التحقيق عليهم لانه قال في آية اخرى يريد الله ان لا يجعل لهم حظا
في الآخرة اخبر انه اراد ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولم يرد منهم ما استوجبوا به العذاب كان ذلك في تعذيبه
اياهم ظالما على زعمهم كانه اراد منهم ما استوجبوا به العذاب وهو فعل الظلم ثم تأويل الآية يخرج على وجهين احدهما
ان الارادة هي صفة كل فاعل يفعل عن اختياره فكأنه قال ان الله لا يظلم عباده كقوله وما ربك بظلام للعبيد
والثاني فيه اخبار انه لا يعاقب احدا بغير جرم ولا يأخذ بجرم غيره ولا يزيد على قدر ما يستحقون به العذاب
ولا ينقصهم من ثواب حسناتهم شيئا كقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وغير ذلك من الآيات ما فيها اخبار ان لا يجزيهم
باكثر مما يستوجبون ليس على الظن اولئك والله اعلم وقوله تعالى ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون
مدبرين وعظهم ايضا بعذاب الآخرة وما يكون منهم من الندامة بترك اتباع الرسل بعد ما وعظهم بعذاب الدنيا
وما نزل بالمكذبين منهم وهو ما قال اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين الآية ثم قوله يوم التناد فيه
لغات ثلثة احدها يوم التنادي بالياء والثانية بالتخفيف على حذف الياء والثالثة بالتشديد فمن قرأها بالتشديد
يقول هو من ندّ يندّ ندا اذا مضى هاربا على وجهه فارا من عذاب الله اذا عاينوا العذاب وهو من ندّ الابل (?)
والله اعلم ومن قرأ بالياء وهو التفاعل من النداء وهو على نداء بعضهم بعضا يوم القيمة كقوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقوله ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونحوه ومن قرأه بغير الياء فقد حذف الياء كقوله فاقض ما انت
قاض وحذفها للتنادي والله اعلم ثم قوله يوم تولون مدبرين قال بعضهم يوم تولون هاربين من النار مدبرين
عنها كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقوله تعالى ما لكم من الله من عاصم اي ما لكم من عذاب الله ذلك (?)
بكم من مانع يمنعكم من عذابه وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد قد ذكرناه وقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات اي جاءكم يوسف من قبل موسى عليهما السلام بالبينات اي بالآية والادلة على رسالته وصدقه حتى انه
هذا قول ذلك الرجل من قومه يخبرهم عن سفه اوائلهم من تكذيبهم يوسف ما حضر من قبل موسى وما كان منهم
من القول بعد ما ذهب من بينهم وعدد عليهم اياته ويحتج بها لئلا اتاهم بها وما اخبر انهم وان اوائلهم لم يزالوا في شك
وريب مما جاءتهم الرسل من الآيات والادلة وهو ما قال الله عز وجل فما زلتم في شك مما جاءكم به يعني لم يزل (?)
وعادة اوائلكم هذا وقوله تعالى حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اخبر ان تكونوا ان خاطبهم بقوله (?)
يوسف بالبينات وقوله فما زلتم في شك مما جاءكم به وقوله قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا انما اراد اباءهم (?)
لان يوسف عليه السلام لم يكن في زمن هؤلاء مبعوثا اليهم على ما عاتب الابناء بصنيع ابائهم في غير اي من القرآن كقوله
فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وهؤلاء لم يقتلوا الانبياء ولم يتخذوا العجل وانما فعل

اباؤهم واوائلهم ثم جاء العتاب لهم بسوء صنيع ابائهم واوائلهم فعلى ذلك هذا ويحتمل ان يكون وان خاطبهم بما ذكر
من سوء الصنيع والتكذيب بما يخبر عن صنيع ابائهم واوائلهم فيحذرهم من مثل صنيع اوائلهم من التكذيب لهم لكذب (?)
لاوائلهم والقول بعد ذهابه من بينهم والكذب على الله لن يبعث رسولا يقول اياكم ان تكذبوه وتردوا الآيات والحجج
ثم تقولوا اذا مات موسى لن يبعث من بعده رسولا كما قال اوائلكم اذ مات يوسف لن يبعث من بعده رسولا كقوله حتى اذا
هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ليشبه ان يخرج الآية على هذا والله اعلم وقوله تعالى كذلك يضل الله من هو
مسرف مرتاب وقد ذكرنا تأويله من وجهين فيما تقدم من قوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
يخرج على وجهين احدهما انكروا رسالة غيره بعده فقولهم لن يبعث الله من بعده رسولا والثاني انهم (?)
انكروا رسالته في حال حياته ولم يؤمنوا به فاذا هلك انكروا ان يكون هو مبعوثا اليهم رسولا فيجدد (?) لهم لا
صنيع اوائلهم انه لا يكذبونه كما (?) امنوا به وانكروا رسالة غيره من الرسل بعده او يقول لا يكذبونه (?)
كالمكذبين يكذبونه ما دام حيا فاذا هلك يكذبون رسالة من يجدد لهم سفهاء اوائلهم والله اعلم وقوله تعالى الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان اتاهم اي يجادلون على دفع آيات الله وردها بغير حجة وسلطان اتاهم من الله وبغير حجة
من الاحتجاج بها ولا كما كان اهل الايمان فيجادلون فيها حتى اذا ظهر انها آيات الله امنوا بها وقبلوها لكن لوجه
ما ذكر يجادلون في دفع آيات الله وردها بغير حجة اتاهم كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
والله اعلم وقوله تعالى كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا هكذا الواجب على اهل الايمان ان يمقتوا من الاعمال
ما يمقتها الله تعالى او يمقتوا من يمقته الله تعالى من اعدائه وعلى ذلك ذكر ان خير اعمالكم حب ما احبه الله وبغض ما
ابغضه الله او كلام نحو وشر اعمالكم حب ما ابغضه الله وبغض ما احبه الله وقوله تعالى كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار اي كذلك يطبع الله على قلب من جادل في دفع آيات الله وردها بغير حجة ويطبع
على كل قلب من تعود التكبر والتجبر على الآيات والرسل والله اعلم ثم قوله كذلك يطبع الله من هو كذا وكذلك يضل
ونحو كل حرف فيه الاضلال من الله تعالى الحكمة التي لها الا يهديهم ويضلهم وكذلك في قوله لا يهدي من
هو مسرف كذاب مسرف مرتاب ونحوه اي لا يهدي من كان طبعه وعادته الاسراف والكذب وكفران النعم ودفع
الآيات والحجج بلا حجة وبرهان انما من كان طبعه وعادته ما ذكر هذا الكبر يجهل بجهل ذلك او لما يحقق عنده
لطلبه وقلة التأمل والاشتغال بأمور الدنيا والمعنى من المعاني يكون انه يريد به تعالى … على هذا
تخرج هذه الآيات والله اعلم وعلى هذا ما كان من فرعون اللعين من التمويهات والتلبيسات على اتباعه في امر موسى
عليه السلام بعد معرفته انه رسول لتعنته في الآيات والحجج التي اتاها موسى وهو اراد ان يموه ويلبس ذلك
على قومه وكل من كانت عادته وطبعه ما ذكر من التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الآيات بالحجج والتكبر عليها
فلا يهديه الله تعالى ويطبع على قلبه والله اعلم وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى المشبهة بظاهر هذه الآية يقولون لولا ان موسى عليه السلام كان ذكر ان ربه في السماء لم يكن فرعون ليقول (?)
السماء وقال لما امر فرعون هامان ان يبني له صرحا يصعد به الى السماء فيطلع الى اله موسى على ما قال حجة لهم (?)
عن المعنى لكنا نقول لا حجة لهم فانه جائز ان يكون هذا من بعض التمويهات التي كانت منه على قومه في امر موسى
عليه السلام ومن بعض ما كان منه نحو قوله ساحر كذاب وقوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ونحو ذلك من التمويهات التي كانت منه فعلى ذلك قوله ابن لي صرحا فأطلع
الى اله موسى تمويه منه على قومه يقول ان موسى يزعم ان ما يدعوا الى اله في السماء نحو اله يكون في الارض ويموه
بذلك على الناس امر موسى انه غير ان كان فيما موسى ذكر او حتى ان الله في السماء على ما كان منه سائر التمويهات
وانه لم يكن من موسى ذكر تلك التمويهات والله اعلم ويحتمل ان فرعون قال ذلك لما رأى ان البركات والخيرات
تنزل من السماء فظن انه في السماء ثم اختلفوا في الاسباب قال بعضهم اسباب السموات ابوابها ويحتمل الاسباب
التي تصعد الى السماء وحقيقة الاسباب هي ما يوصل بها الى الشيء المقصود اليها وقد علم اللعين انه لا يصل
الى ذلك بما ذكر من بناء الصرح لكنه اراد بذلك ما ذكر من التمويه والتلبيس على قومه والله اعلم وقوله تعالى واني
لاظنه كاذبا قال بعضهم لاظنه كاذبا بمعنى القطع القول فيه بالكذب وانه كذاب يعلم انه كان على حق وانه
صادق لكن يموه بذلك على قومه وقوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله قال بعضهم اي زين الشيطان له
سوء عمله ويحتمل ان قوله زين له سوء عمله بالاتباع وكثرة الاموال والحشم الذي اعطي له زين له سوء عمله بالاسباب
التي اعطيت له فيكون الله تعالى زين له سوء عمله بما اعطاه من الاسباب ويحتمل زين له سوء عمله او خلق في طبعه
اي زين ذلك حسنا في نفسه فكان حسنا في نفسه على ما تقدم ذكره وقوله تعالى وصد عن السبيل وقرئ
وصد بالفتح ومن قرأ بالفتح فله معنيان احدهما صد هو بنفسه صدودا والثاني صد هو الناس عن سبيله

ضلالا ومن قرأ صدّ بالضم اي لم يوفق ويرشد لما علم منه اختيار الصد وقوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في
التباب الخسار يقال منه قوله تبت يدا ابي لهب اي خسرت ويقال للرجل تبا له وهلاكا له ويحتمل تبت يدا الرجل
اي خابت ثم اخبر عما ذكر بعد ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون وهو قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
اي ابين لكم سبيل الرشاد من خوفهم بما نزل بآبائهم بتكذيب الرسل وترك اتباعهم ومن بين سفههم
في انفسهم بسوء صنيعهم ومن تعظيمهم ونصحهم ودعاهم الى اتباعه ليبين لهم سبيل الرشاد ويهديهم اليه وان كان
على نفسه الهلاك بعد ما اظهر الايمان ولم يبال هلاك نفسه وقال الكلبي الرشاد والرشد لغتان ولا
يقرأ هاهنا الا الرشاد ثم قال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي بلاغ ومنفعة تبلغ الى منتهى آجالهم تبلغ به
العاصي والمطيع الى اجله بخلاف فانها على الانقضاء والذهاب عن سرعة وعبر الى دار الآخرة هي دار القرار لا يقر
باهلها انه كان اهلها اهل خير قرت بهم خيرا ابدا لا يزول وان كان اهلها اهل شر تقر بهم الشر ابدا لا بد
ثم اخبر عن عدل الله تعالى وثوابه وفضله في ذلك حيث قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اي لا يزيد
على مثل خطاياهم لان المثل هو العدل في جميع الاشياء يجزيه لا يزيد على عقوبة عملهم ولكن يجزيهم بمثله وكما
جزاء الحسنة فانه يزيد على قدرها ما يستوجبه فضلا منه واحسانا ثم فيه دلالة نقض قول المعتزلة
ان صاحب الكبيرة في النار ابدا لو كان على ما ذكروا لكان فيه تسوية بين صاحب الكبيرة وصاحب الشرك
واما ان يكون نقصانا لصاحب الشرك عن مثل عقوبته او زيادة لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه لا يجزى الا مثلها
فذلك خلاف ظاهر الآية وقوله تعالى ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة دل هذا
على ان العمل الصالح لا ينفع ولا يجزى به الا من كان مؤمنا يعمله وقوله تعالى يرزقون فيها بغير حساب يحتمل
بلا تبعة ويحتمل بغير تقدير ما يقدر وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار كانه قال يا قوم ما لي وما لكم ادعوكم الى ما به نجاتكم وانصح لكم وتدعونني انتم الى ما به هلاكي وهي
بيننا موالاة واجتماع اي لا يكون ان اعاندكم فيها وامثال هذه المواعظ اذا انتشر فاشتها وبلغت نهايتها قلعهم
فيهم وهو كقوله عز وجل لكم دينكم ولي دين وقوله لي عملي ولكم عملكم الآية ثم فسر ما الذي يدعوه اليه وما يدعونه
اليه من النجاة حيث قال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار اي عند
منه تفسير ما دعاهم الى النجاة وبيان ما يدعونه الى الهلاك ثم قوله واشرك به ما ليس لي به علم يحتمل
ما ليس لي به علم في نفي العلم اي ليس ذلك وذلك في اثبات العلم بخلافه وضده يقول اشرك به ما ليس
فليس كان من شركتهم وقدرة او يقول تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لكم به علم والله اعلم ثم بين عجز
ما تعبدون من الاصنام وغيرها وهو ما قال عز وجل لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة
لا جرم اي حقا يقول والله اعلم بالصواب حقا ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة اي لكم تدعوكم الى عبادة نفسها
اي الاصنام التي تعبدونها والاول اشبه لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء ان تشفع لهم واخبر
انها لا تشفع يقول ليس له دعوة اي شفاعة والله اعلم وقوله تعالى وان مردنا الى الله يقول وان علمنا انه مرجعنا
الى ما اعد لنا اعد لكم النار واعد لنا الجنة والله اعلم وقوله تعالى فستذكرون ما اقول لكم اي ستذكرون
اذا عاينتم ما اعد لكم وما اعد لنا ان ما كنتم عليه وتدعونني اليه دعاء الى الهلاك وما ادعوكم اليه هو
دعاء الى النجاة او يقول ستذكرون ما نصحت لكم ودعائي اياكم الى ما به نجاتكم وقوله تعالى وافوض امري الى الله
هذا يخرج على وجوه احدها كانه خوفوه وادعوه بانواع الوعيد والتخويف فقال عند ذلك وافوض
امري الى الله واتوكل عليه يحفظني ويدفع عني شركم وما تقصدون لي والله اعلم والثاني وافوض امري
الى الله اي عليه اتوكل واكل اليه في جميع الامور من الخيرات والشرور ونحو ذلك والثالث اظهار الحاجة
اليه والمؤمن ايضا يكون مظهر الحاجة الى الله تعالى في كل وقت وكل ساعة والله اعلم والرابع وافوض امري
الى الله تعالى اي لا استعمل شيئا في امري اصيره الى الله تعالى وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض الامر الى الله تعالى
لانهم يقولون ان على الله ان يعطيه جميع ما يحتاج اليه المكلف حتى لا يبقى عنده مزيد فاذا لم يبق عنده شيء فلم
لتفويض الامر اليه معنى والله الموفق وقوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا دل هذا على انهم قد قصدوا
قصدا المكروه حيث اخبر انه وقاه سيئات ما مكروا ولعلهم انهم هموا بقتله فيحتمل عزموا ثم يحتمل ما وقاه
من مكرهم بما وقى موسى عم لما اهلكهم وانجاه من شرهم ويحتمل بوجه آخر لا نعلم لانه لا حاجة لنا الى معرفته انما حاجتنا
الى ان نعلم ان كل من بذل نفسه لله تعالى وكل امره اليه وقاه الله تعالى وحفظه وقوله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا استدل بعض الناس على عذاب القبر بقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا
وانما تعرض ارواحهم على النار فتألم اجسادهم في القبور وكذلك تعرض ارواح اهل الجنة على الجنة

فتلتذ اجسادهم بتلذذ الارواح تعبا ان حدث فيها الحياة التي بها يتحقق الالم واللذة هذا في القبور ثم
اذا ادخلوا النار يكون لهم ما ذكر من اشد العذاب حسب ما قال يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ويحتمل
ويجاب بان يكون من العرض على النار قبل يوم القيمة قبل ان يدخلوا النار كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون ويكون عرضهم على النار في وقت توقيفهم
للسؤال وحبسهم لذلك ثم يدخلوا النار فيكون لهم عذاب اشد كذا هو قول الحسن ثم قوله غدوا وعشيا
يحتمل ان يخرج على وقت معين ان كان تأويل العذاب القبر يحتمل ما قال بعضهم انه يقال لهم كلما دام الدنيا
ويحتمل ان يذكر على ايراده الغدو والعشي حقيقة ذلك كل وقت لكي يتجدد الالم والوجع بتجدد كل عشي وغدو
ويذكر عن ابن مسعود رض قال جعلت ارواح آل فرعون في اجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال
يا آل فرعون هذا داركم قال رحمه الله فذلك عرضها فان ثبت هذا عن ابن مسعود فهو تفسير ما ذكر من الغدو والعشي
ان ثبت وهذا لعله هو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه باب لا يدرك بالتدبر ومما روي عن ابن عمر رض
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن
الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة فان ثبت هذا فصح
عنه فهو دليل الوجوب عذاب القبر والله اعلم وجائز ان يكون قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي
يعذبون في الاوقات كلها تعذيبا انما ذكر الغدو والعشي يخرج على سكون النار في وقت ثم تلتهب كقوله
كلما خبت زدناهم سعيرا والله اعلم فان قيل ما الحكمة فيما ذكر في ادخال آل فرعون اشد العذاب والخصوصية لهم في ذلك
من بين غيرهم من الكفرة قيل بوجهين احدهما ان غير موسى من الرسل عليهم السلام قد نسبوا الى السحر كما نسب اليه موسى لكن
لم يتبين ولم يتحقق لقومهم ما رماه رؤساؤهم مما قذفهم الرؤساء والقادة منهم بالسحر والكذب بما وجد منهم
التمويه على السفلة والاتباع وقد تحقق لآل فرعون وآله مما قذفه فرعون بالسحر والكذب وتبين
عندهم صدقه مما ادعى من الرسالة وذلك لما اجتمع سحرة فرعون ان ما جاء به موسى حق وعرفوا صدقه بما انهم
رأوا بيان الجهاد واختاروا القطع والصلب ولم يشتغلوا لما اتبعه وعادوا لما انقلاب العصا حية تسعى تلقف
ما صنعوا ويكون عنادهم اشد وتكابرهم اكبر فلذلك استحقوا اشد العذاب والله اعلم والثاني ان آيات موسى عم
اكثرها كانت حسية وآيات غيره عقلية ومعرفة ما كان سبيله الحس مما لا يتمكن فيه شبهة وقد يتمكن الشبهة
فيما كان سبيله العقل فيكون عنادهم اشد لما عرفوا انهم قد انتفوا لما ادعى لنفسه الالوهية بلا حجة وبرهان
طلبوا منه وتركوا اتباع موسى عم بما ادعى من الرسالة بعد ما اقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين فلذلك
كان لهم اشد العذاب والله اعلم وقوله تعالى واذ يتحاجون في النار يحاجهم في النار ما ذكرها هنا وفي غيره من القرآن
وهو ما ذكر فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار وقد علم
الضعفاء والاتباع ان المتبوعين لا يملكون دفع ما هم فيه لانهم لو كانوا يملكون دفع ذلك عن انفسهم حتى كيف قالوا
ذلك لهم لشدة ذلك الحسرة والندامة وهو كقوله تعالى في آية اخرى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء الى قوله
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ويحتمل انهم انما قالوا لهم ذلك لما قالوا لهم في الدنيا اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم فتحملوه الضعفاء في الاخرة فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء اي تحملون عنا بعض
الذي علينا من العذاب انا كنا لكم تبعا في الدنيا قالوا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد قال الذين
استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد هذا امر اولئك الذين استكبروا وجعلوا للضعفاء على التأويل
ولا يكون رجوعا للاخرة هو جواب لقولهم الذين قالوا في الدنيا ولنحمل خطاياكم فيقولون ان الله قد حكم بين العباد
اي لا يزيد العذاب على مثل السيئة وقد حكم الله على كل منا بالمثل فلا يزيد على ذلك والله اعلم وقال الذين
في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب كان فزع الكفرة ابدا الى الخلق اذا نزل بلاء في الدنيا
الا ان يضطروا فعند ذلك يفزعون الى الله تعالى فاما ما لم يشتد عليهم فلا يفزعون اليه فعلى ذلك يكون فزعهم
في الاخرة الى الخلق وهو ما سألوا اهل الجنة ان يخففوا عنهم بقوله تعالى ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا من ذلك فعند ذلك فزعوا الى مالك وهو
ما اخبر تعالى عنهم بقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون سألوا الموت فعند ذلك
فزعوا الى الخزنة وقالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا
منهم وعما سألوا من تخفيف العذاب عنهم عند ذلك فزعوا الى الله تعالى وهو قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل وقوله ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فزعوا الى الله تعالى الا بعد انقطاع
رجاءهم منهم وايسوا بالله العصمة والنجاة وقد استدلوا بقوله الم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى ان لا يرى

الحجة والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام حيث احتج عليهم الخزنة بتكذيبهم الرسل اذ اتينا وتركهم البينات التي اتتهم الرسل واستدل ايضا بقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا وغيرها من الايات التي فيها انه لا يعذبهم الا بعد ما قامت عليهم الحجة من جهة الرسل ولزمهم الحكم به فيعتقد انه يعذبون لكن تاويل الايات يخرج عندنا على وجهين احدهما ان يكون ذلك في قوم خاصة الذين لا يعرفون لزوم الحجة والحكم الا من جهة ويحتج عليهم بما كانوا يرون به ليكون ابلغ في الزام الحجة وان كان يجوز ان يحتج عليهم بما هو حجة وهم لا يرونها حجة والثاني ان ما ذكر ذلك على تبليغ الغاية بالنهاية في الحجة فان كانت الحجة قد تلزمهم والحكم قد ثبت بدون ذلك وهو العقل الا ان ارسال الرسل واقامة المعجزات اقرب الى الوصول الى الحق وقد اقام كل الحجتين فذكر اظهر الحجتين لتكون اقطع لاطماعهم عنادهم وهذا كما في تعذيب الكفرة في الدنيا انهم لم يعذبوا بنفس الكفر حتى كان يتنعمون مع الكفر الا ان استمروا والعناد لهم وغير ذلك وانما كانوا يستوجبون العذاب بنفس الكفر لكن ترك تعذيبهم حتى يبلغوا النهاية الابلاغ في التكذيب والعناد وهو كقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون فذكر منع النهاية والابلاغ في الجناية منهم وانهم كانوا يستوجبون العذاب بجحود الزكاة دون جحود البعث وجحود البعث دون جحود الزكاة فعلى ذلك الايات التي ذكرها هي على الابلاغ والنهاية وان كانت الحجة تلزمهم والحكم يثبت بدون الرسل والله الموفق وينبغي ان نذكر قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا ان الحجة والحكم تلزمهم بعد بعث الرسل لا انه لو لم يلزم لكان في التعذيب ظالما لانه لا يعذب قبل الحكم فيصير تعذيبه لانه قال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ولا يكون ظالما فيما عذب والظلم من الله تعالى محال مستحيل فتاويل الاية على هذا الوجه ان ارسال الرسل عدل وحكمة والله الموفق وينبغي ان نذكر قوله الم ياتكم رسل منكم بالبينات دلالة ان الحجة انما لزم لا بانفس الرسل والبينات فقد وجدت وسبب المعرفة وطريقها وهو العقل قائم وقوله تعالى وما دعاء دعاؤكما في الا في ضلال النبي عليه السلام بالدعاء ولكن معناه انكم وان دعوتم لا ينفعكم دعاؤكم كقوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي هلاكا كثيرا والله اعلم وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا يحتمل ما ذكر من النصر للرسل والمؤمنين وجوها احدها اي ينصرهم في الدنيا بالحجج والايات التي اعطاهم في الدين حتى يدفعون بها شبهات الشياطين وتمويهات السحرة ويغلبهم ويعلون على كل هذا في الدنيا وفي الاخرة ايضا ينصرهم بما يشهد عليهم الملائكة والجوارح بالتكذيب للرسل والمؤمنين وانهم دعوهم الى التوحيد والايمان لكنهم كذبوا وكفروا لهم فذلك نصره اياهم في الدنيا والاخرة والله اعلم والثاني ينصرهم لما يجعل لهم العاقبة واخر الامر وان كان لهم الابتلاء فتكون عليهم لانه لم يذكر عن احد من الرسل الا وقد كان عاقبة الامر له وهو كقوله تعالى والعاقبة للمتقين وهو النصر في الدنيا والاول هو نصر في الدين ولكن اذا كان هو نصر في الابتلاء فهو نصر يرجع الى الدين لما يقوم الدين برسله الابتلاء ويتخفف سعي المسلمين والله الموفق والثالث ذكر نصرهم لما اعطاهم من النعمة في النسل والسعة فيها ذكر للرسل والمؤمنين نصرا ونعمة ومعونة انما هي للكفرة فتنة ومحنة لهم لانه ذكر النصر والنعمة اذ هي في حق المسلمين وسيلة الى النعمة الابدية وفي حق الكفرة الى العذاب الابدي فتكون نعمة في حقهم حقيقة ولذلك قال الله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وقال بل هي فتنة وقوله نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقد اخبر انه انما اعطاهم من الاموال والسعة انما هي فتنة ومحنة لهم والله الموفق فان قيل ذكر انه ينصرهم وقد نرى مؤمنا قد ينقطع حجته ويعجز عن اقامتها مغلوبا والكافر هو الغالب قيل عن هذا جوابين احدهما ما ذكرنا من جعل العاقبة لهم الغلبة والنصر في اخر الامر والثاني جائز ان يكون وعد النصر لهم والظفر بالحجة بالشريطة وهي القيام بوفاء ما لله عليهم من الحق في ذلك والنصر والظفر بالحجة المناظرة اي يكون يبحث عمره في معرفة الحجج والدلائل ولا يكون عادة بطريق النظر فمتى كان هذا الشرط موجودا يكون النصر له لا محالة وشرط الظفر في المحاربة ان يكون قاصدا نصر دين الله تعالى دون ابتغاء الدنيا والغنيمة والحمية ونحوها فمتى كان المحاربة بشرائطها يكون الظفر لا محالة للمسلمين وذلك كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم والله اعلم وقوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد قال بعضهم الاشهاد هم الملائكة الذين يكتبون اعمال بني ادم يشهدون عليهم بما عملوا من الاعمال وبعضهم الاشهاد هم الرسل يشهدون بتبليغ الرسالة على الكفرة بالتكذيب والرد وقال بعضهم

الجوارح يومئذ بما كان منهم والله اعلم وقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وذكر في موضع اخر ولا يؤذن لهم فيعتذرون وبينهما اختلاف من حيث الظاهر لان القول لا ينفع معذرتهم يجد وجوها منهم وقد اخبر انه لا يؤذن لهم في المعذرة لكن يحتمل ان لم يؤذن لهم بالاعتذار لكنهم يعتذرون بلا اذن لهم فلا يقبل اعتذارهم ولا ينفعهم ذلك فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه ويحتمل لا ينفع الظالمين معذرتهم لو كان منهم الاعتذار ولا يقبل اعتذارهم لكن لم يؤذنوا بالاعتذار حتى يعتذروا وهو كقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة اي لو كان منهم ذلك لا يقبل وكذا قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لو كان لهم شفعاء يشفعون لهم لكان لا تنفعهم شفاعتهم لا ان كان شفعاء فعلى ذلك قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي لو كانوا يعتذرون لا تقبل اعتذارهم ولا ينفعهم معذرتهم والله اعلم وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الهدى يحتمل الهدى ههنا وجوها احدها اي اتينا التورية وفيها البيان والدعاء الى الرشد وجميع كتب الله فيها هدى ونور ورحمة والثاني اي اتاه التوحيد والدعاء الى الاسلام ويحتمل اتاه النبوة وكل ما اتاه كل ما لله عليه من حق الله وقوله تعالى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب يحتمل قوله الكتاب التورية خاصة ويحتمل التورية وسائر الكتب لان الكتب في بني اسرائيل كانت كثيرة كان فيها التورية والزبور والانجيل وغير ذلك فيحتمل ان يريد بالكتاب جميع الكتب التي كانت فيهم اذ ذكر الكتاب بالالف واللام فانه يحتمل الجنس والعهد فيجوز الصرف الى التورية لمكان العهد ويجوز الصرف الى الجميع لمكان الجنس والله اعلم وفي الاية دلالة ان جميع كتب الله التي انزلت فيهم غيرت وبدلت بل فيهم لم يغير ولم يبدل حيث قال واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب ثم قوله هدى هو ما ذكرنا ان جميع كتب الله تعالى هدى من الضلالة الى الرشد بيان لما عليهم وما لبعضهم على بعض وقوله وذكرى قال بعضهم موعظة وقال بعضهم تفكر لاهل اللب العقل وجائز ان يكون ذكرا لما نسوا اي يذكرهم ما نسوا وقوله لاولي الالباب فهو ذكرى لاولي الالباب لان اهل الكتب هم الذين يتفكرون ويتاملون فيه وان اهل الكتب هم المنتفعون بالذكرى وبما ذكر والله اعلم وقوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق يحتمل قوله فاصبر وجوها احدها اصبر على اذاهم اياك ولا تكافيهم ثم الاذى لم يحتمل وجوها احدها التكذيب كان يتاذى بتكذيبهم اياه والثاني كان يتاذى باستهزائهم به والثالث انواع ما يكيدون به من همهم قتله وضربه وغير ذلك والثاني يحتمل قوله فاصبر اي اصبر على تبليغ الرسالة اليهم ولا يضجرك تكذيبهم اياك ولا يمنعك ذلك عن تبليغها والله اعلم والثالث اصبر ولا تستعجل لهم العذاب قبل ميقاته وذلك ان الرسل عليهم السلام كانوا يستعجلون العذاب بما لم يؤذن لهم بذلك والله اعلم ثم قوله فاصبر ان وعد الله حق اذ كان المراد من وعد يعني ان وعد يكون ما وعد الله صدق لانه لا يخلف ولا يكون كذبا لان خلف الوعد في الشاهد انما يكون لاحد معنيين اما العجز عن الوفاء به واما الكذب وهما في الجهة منفيان عن الله تعالى بريء عن المعنيين جميعا متعال عن ذلك وان كان المراد من قوله ان وعد الله حق اي موعود الله حق فيكون تاويله ان موعود الله كائن حقا فوعد الله تعالى على الوجهين اللذين ذكرناهما وعلى هذا ان ذكر امر الله تعالى قد يراد به نفس الامر كقوله تعالى قد يراد به نفس الامر كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد وقد يراد به المفعول كقوله وكان امر الله مفعولا اي ما يكون من امره مفعولا فيكون موعود الله مفعولا والله اعلم وما ذكر الصلاة امر الله اي بامر الله والانبياء لا يكون امرا ثم لسنا ندري ما كان من وعده لرسوله حتى اخبر انه كائن يحتمل ان يكون ما قال بعض اهل التاويل انه وعد له ان يعذب كفار مكة يوم بدر بالقتل وغير ذلك فكذبوه وقالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال فاصبر ان وعد الله حق يحتمل غيره والله اعلم وقوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل ما ذكر من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر باستغفاره اياه وجائز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما يغفر لهم من امته بشفاعته كما ذكر في الخبر يغفر المؤذن مد صوته اي يجعل له الشفاعة حيث يبلغ صوته والله اعلم وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قد ذكر التسبيح بحمد ربه ثم جائز ان يريد بالتسبيح نفس التسبيح ويكون ذكر العشي والابكار ليس هو ذكر التوقيت له ولكن الاوقات كلها الليل والنهار كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ليس يريد نفس الغداة والعشي خاصة دون غيرهما ولكن بهما عبارة عن جميع الاوقات كانه يقول اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اناء الليل والنهار فعلى ذلك الاول يحتمل هذا والله اعلم وان كان المراد من التسبيح ههنا الصلاة فيقول وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار كناية عن صلاة النهار وان يكون الابكار كناية عن صلاة الغداة والعشي كناية عن صلاة العشاء على ما ذكره بعض الناس والله اعلم وقوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم قال بعضهم

أهل التأويل إن اليهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الدجال أنه منهم وأنه في الطول كذا
ونحوه وعلى ذلك نسق الآيات التي تتلوا هذه الآية ولكن لسنا ندري بماذا صرفوا مجادلتهم في آيات الله إلى المجادلة
في الدجال ولا يسع لنا أن نحمل ما ذكر من مجادلتهم في آيات الله على المجادلة في الدجال إلا بثبت خبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بطريق التواتر أن المجادلة المذكورة في الآية في الدجال فحينئذ يصرف إليه وإلا فالله أعلم ثم قوله إن
الذين يجادلون في آيات الله أي يجادلون في دفع آيات الله بغير حجة أتاهم من الله وكان المجادلة في دفع آيات الله
من رؤساء الكفرة وأكابرهم كانوا يموهون مجادلتهم في دفع آيات الله والطعن فيها على أتباعهم وسفلتهم ليبقى
لهم الرياسة والمأكلة التي كانت لهم وهو ما ذكر وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن الآية ونحو ذلك من الآيات لم تزل الأكابر منهم والرؤساء يطعنون
في آيات الله ويدفعونها بما يريدونها التمويه والتلبيس ويطفؤا نوره كقوله ليدحضوا به الحق وقوله يريدون أن يطفؤا
نور الله بأفواههم هذا كان مرادهم من مجادلتهم في آيات الله والطعن فيها ثم أخبر أنهم إنما يجادلون ويفعلون ذلك لكبر
منهم عن آيات الله والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال إن في صدورهم إلا كبر أي كبرهم هو الذي
حملهم على المجادلة في آيات الله ثم الذي حملهم على الكبر جهلهم بسبب العز والشرف ظنوا أن العز والشرف إنما يكون في الاتباع
الذين كانوا يصدون عن آياتهم ولو عرفوا أنهم يكونون العز والشرف لكانوا لا يفعلون ذلك إنما العز والشرف في طاعة الله
تعالى واتباع أمره لا في اتباع من اتبعهم ولا في اتباع أمره وكفى فيما ذكرنا والله أعلم ثم أخبر أنهم ليسوا ببالغي
ما قصدوا ولو أطفأوا نور الله تعالى الذي أعطى المؤمنين ولا إدحاض الحق وإبطال الحجة قال أبو عوسجة ما هم ببالغيه
وهو كقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره وقوله تعالى فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم قال عامة أهل التأويل أمر
أن يستعيذ بالله من فتنة الدجال لكنا نقول إنه أمر أن يتعوذ بالله من مكايد أولئك الكفرة والفراعنة الذين قد هموا
أن يمكروا به ويكيدوه وأمره أن يتعوذ من مكرهم وكيدهم كما أمر أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيث
قال وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين الآية وهذا أشبه وأولى والله أعلم وقوله تعالى لخلق السموات والأرض
أكبر من خلق الناس قال أهل التأويل لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الدجال لكن قد ذكرنا بعد
صرف الآية إلى الدجال ثم يحتمل قوله لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وجهين أحدهما الآية نزلت
في مقرين بخلق السموات والأرض منكرين للبعث يقول إن خلق السموات والأرض مبتدأ بلا احتذاء أكبر و
أعظم من إعادة الناس فإذا أقررتم أنه قدر على خلق السموات والأرض بلا احتذاء تعني كان قدرته على إعادة الخلق
أحق إذ إعادة الشيء في عقولكم أهون من البداية كقوله وهو أهون عليه فكيف أنكرتم قدرته على البعث وقد
أقررتم بقدرته على خلق ما ذكر والثاني أن تكون الآية في مقرين بخلق الناس منكرين لخلق السموات والأرض يقول
إن خلق السموات والأرض وإمساكهما في الهواء بلا تعلق من الأعلى ولا عماد من أسفل مع غلظهما وكثافتهما أكبر
وأعظم في الدلالة على الإله وحدانيته وخلقهما من خلق الناس لأن خلق الناس إنما يكون بالتغيير والتوالد من حال إلى حال
أخرى فيخيل أن يتوهم كون ذلك من الأصل وافتراقهم ثم اجتماعهم من بعد ظهور ذلك الشيء وأما السماء فهي
على حالة واحدة ولا يمكن توهم ذلك لما ذكرنا والله أعلم ويحتمل أن يكون الآية نزلت في سبب لسنا
نعرف ذلك والله أعلم وقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير قال بعضهم لا يستوي من عمي عن توحيد الله وكفر
نعمه ومن أبصر وحدانية الله وقام بشكر نعمه كما لم يستو عندكم من جهل حق آخر وكفر نعمه وإحسانه ومن عرف
حقه وقبل إحسانه وقام بشكره فإذا عرفتم أنه لا استواء بين هذين عندكم فاعرفوا أنه لا يستوي من عمي
عن وحدانية الله تعالى وشكر نعمه ومن أبصر وحدانيته وقام بشكره وكذلك ما ذكر من قوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيء يقول إذ قد عرفتم أنه لا يستوي من صدق آخر وأحسن إليه ومن كذبه وأساء إليه
فعلى ذلك لا يستوي من آمن بالله وصدقه وقابل إحسانه بالشكر له ومن كذبه وكفر نعمه وإحسانه وقال بعضهم
أراد بقوله وما يستوي الأعمى والبصير حقيقة الأعمى عمى البصر والبصير نفسه يقول تعرفون أنه لا يستوي
الأعمى أعمى البصر والبصير في الدنيا فعلى ذلك لا يستوي من عمي عن دينه ومن أبصر في الآخرة وقد يستوي فيها
فلو استوى في هذه الدنيا أعني المسيء والمحسن والصالح والمفسد والعاصي والمطيع في الحكمة التفريق بينهما
هنالك دارا أخرى يفرق بينهما فيها والله أعلم وقوله تعالى قليلا ما يتذكرون وقيل إلا ما تتذكرون أي لا
يتذكرون ما ذكر من المحسن والمسيء والصالح والمفسد والمطيع والعاصي والله أعلم وقوله تعالى إن الساعة لآتية
لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أخبر أنها آتية لا محالة لما قد ذكرنا أنه إنما صار خلق الدنيا للساعة
حكمة بالساعة ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها والله أعلم وقوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم
يحتمل أن يكون هذا لأهل التوحيد يقول ادعوني أستجب لكم ثم يخرج على الاستغفار لما كان منهم تضييع في حقوق

يحتمل ما أمرهم به ونهاهم عنه والتفريط في ذلك استغفروني أغفر لكم ويحتمل ادعوني أستجب لكم اطلبوا
التوبة من ذلك أتب عليكم والله أعلم وإن كانت الآية في أهل الكفر فيكون قوله ادعوني أستجب لكم أي وحدوني
أغفر لكم ويحتمل اعبدوني أغفر لكم وهو كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقد جاء في بعض الأخبار عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني أستجب لكم وفي بعض الأخبار الدعاء مخ العبادة
أصل هذا أنه ينظر كل أحد إلى عمله فإن كان شيئا يستوجب به العقوبة كان استغفاره القيام بقضاء ما
ضيعه والعزم على أن لا يعود إلى مثله وإن كان شيئا غير مفروض تركه يستغفر الله تعالى في ذلك ويطلب
منه التجاوز عنه والمغفرة والله أعلم وذلك ما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله تعالى فإني قريب أجيب دعوة الداع
إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ذكر الإجابة بالشريطة وهي أنهم إذا استجابوا وأطاعوه ثم في لهم ذلك
والله أعلم وقوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين استدل بعض الناس بهذه
الآية على أن قوله ادعوني أي اعبدوني لما ذكر العبادة على ما ذكرنا فإن قيل إن هذه السورة نزلت بمكة وأهل مكة كانوا
يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وفي ظاهر ذلك لا استكبار عن عبادته لكنهم لم يروا أنفسهم أهلا
لعبادة الله تعالى فعبدوا غيره دونه كمن يعظم ويخدم خادما من خدم ملك من الملوك لا يكون مستكبرا عن خدمة
الملك لكن تأويل الآية يخرج على وجهين أحدهما أن الله تعالى أمر عباده بطاعة رسوله والإجابة إلى ما يدعوهم
إليه فلم يطيعوه استكبارا منهم وتكبرا عليه فصار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته والله أعلم
والثاني أنهم وإن كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن يقربهم إلى الله زلفى ولم يقصدوا قصد الاستكبار
عن عبادته فهم حيث تركوا عبادته مع أنهم أمروا بها وتبلغ إليهم أمره على ألسن الرسل فكأنهم استكبروا عن
عبادته وفي الشاهد من يخدم لبعض خواص الملك ليقربه إليه لكن إذا أمره الملك الذي يخدمه ويقربه إلى مجلسه
فامتنع تقصيرا ذلك منه استكبارا أو يتبعض خدمته لذلك ما كان يقربه إلى الملك خشية منه فلم يتقرب
وفي الغائب كذلك لذلك فالاستكبار منهم والله أعلم وقوله سيدخلون جهنم داخرين قال القتبي
وأبو عوسجة داخرين صاغرين ذليلين وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ذكرهم
نعمته التي أنعم عليهم يستأدي بذلك شكرها حيث قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه راحة لأنفسكم
وأبدانكم وجعل النهار مبصرا تتصرفون فيه لمعايشكم وما تحتاجون إليه ثم قوله والنهار مبصرا أي تبصرون فيه
وقيل وقوله تعالى إن الله لذو فضل على الناس أخبر أن ذلك كله منه لهم تفضل ومنة ورحمة لا باستحقاق يستحقون
ذلك كله ولكن أكثر الناس لا يشكرون وقوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون
يقول ذلك الذي صنع بكم هو ربكم لا الأصنام التي تعبدونها من دونه خالق كل شيء هو خلقكم وخلق
كل شيء وحده لا شريك له فأنى تؤفكون أي إلى أين تصرفون وتعدلون عن عبادته والقيام بشكره والله أعلم
وقوله تعالى كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي يصرفون مثل ما صرف الذين كانوا بآيات الله
يجحدون من عبادته والقيام بشكره قبلكم وأصل الإفك الصرف كقوله أجئتنا لتأفكنا أي لتصرفنا والله أعلم
وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء يذكر عظم نعمته عليهم حيث جعل لهم الأرض
بحيث يقرون عليها ويعيشون فيها والسماء بناء عليهم حيث لا تسقط عليهم وجعل منافع بعضها
متصلا بمنافع البعض على بعد ما بينهما ليعلم أن ذلك صنع واحد وقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم يحتمل
وجهين أحدهما قوله فأحسن أي أحكم وأتقن في الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته على
ما ظهر في كل شيء من الدلالة على وحدانيته وربوبيته والثاني قوله فأحسن صوركم أي يحسن تركيبها
منتصبا قامتها غير منكبة كسائر الصور التي خلقها منكبة على وجوهها وقوله تعالى ورزقكم من الطيبات قال
بعض أهل التأويل أي رزقكم من الحلال ولكن الأشبه أي رزقكم من الطيبات أخرج من الأرض نباتا مختلفة
جعل الطيب منه رزق البشر وسائره رزق الدواب وقوله تعالى ذلكم الله ربكم ذلك الله الذي صنع بكم
هذا هو ربكم لا الأصنام التي تعبدونها فتبارك الله رب العالمين وقوله تعالى هو الحي لا إله إلا هو قال أهل التأويل
الحي هو الذي لا يموت أبدا لكن هذا مما يعرفه كل أحد وأصل الحي هو لنهايته في الثناء عليه والمدح
لأن كل شيء يبلغ في الانتفاع به غاية يسمى حيا كالأرض والأشجار وكل شيء يبلغ الانتفاع به دون ذلك والله أعلم
لا إله إلا هو المعبود في لسان العرب ويسمي العرب كل معبود إلها كأنه يقول لا يستحق العبادة
إلا هو وقوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين أي ادعوه بإخلاص الدين له ثم يحتمل قوله فادعوه مخلصين
وجهين أحدهما أي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا فيها غيره نحو ما كانوا يعبدون الأصنام
دونه رجاء الشفاعة لهم وتقربهم إليه يقول أخلصوا له العبادة والدين والإخلاص والتصفية له

فالذي ادعوه على حقيقة الدعاء او التسمية كانه يقول والله اعلم ادعوه وسموه لا تدعوا ولا تسموا
الها لانهم كانوا يسمون ويدعون الاصنام التي عبدوها آلهة وفي قوله تعالى الحمد لله رب العالمين
اي الحمد لله رب العالمين بما انعم عليهم وصنع اليهم والله اعلم وقوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي كان الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة ما عبدوا
من الاصنام فقال اني نهيت عن ذلك وهو كما ذكر في غيره من القرآن حيث قال قل افغير الله تامروني اعبد ايها
الجاهلون وقوله ولا تكونن من المشركين وعلى ذلك يخرج الآيات التي فيها وقوله لما جاءني البينات من ربي يحتمل وجهين
ان كان المراد من البينات القرآن فالآيات التي نزلت معجزة لما قال الا على ما اهل الاثبات [illegible] الاول
فان كان النهي عن عبادة غير الله تعالى والشرك به لازما قبل مجيء الرسل عليهم السلام مما تقدم فانه
والثاني يحتمل قوله لما جاءني البينات من ربي العقل ومما يعرف به ذلك فيكون قوله جاءني في ظهور كونه
حقا الحق اي ظهر الحق والله اعلم وقوله تعالى وامرت ان اسلم لرب العالمين اي امرت ان اجعل الخالص من
ما للخالص الذي لا اشرك فيها غيره والله الموفق وقوله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
يذكرهم الحجة التي بها يوصل الى معرفته وشكر ما انعم عليهم حيث قال هو الذي خلقكم من تراب اي خلق اصلكم
من تراب ثم من نطفة ليخلقكم من نطفة يذكر هو هذا النعمة لخلقه اياهم من تراب يعني خلق اصلهم ليس
باستعانة منه بذلك التراب لانه لو كان يخلق بالاستعانة منه لكان لا يخلق الخلق انفسهم من الماء على
التي خلق من تراب وعلى جنسه اذ ليس في الماء من آثار التراب شيء ولا في الماء والنطفة من آثار العلقة شيء ولا في
العلقة من آثار النطفة ولا شيء من اللحم والعظم والجلد والشعر وغير ذلك ليس في التراب معنى الماء ولا في
الماء معنى التراب فلو كان يخلق على الاستعانة بذلك لكان المخلوق من احدهما لا يكون مثل المخلوق من الآخر
في تركيبه وتصويره ومما يخلقان في انفسهما وكذلك ما ذكر من تقلبه من حال الى حال الى سن [illegible] من نوع
الى نوع وليس في كل حال تقلبه فيها من الحال التي كانت شيء ولا من شبهها ليعلم ان ذلك كله لو كان [illegible]
ذاتية وعلم ذاتي وتدبير ذاتي لا باستعانة شيء مما ذكر ولا باسبابه ونحو ذلك ولكن بجعل جاعل
ذلك له يوجد ذلك المعنى والله اعلم وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم اي تبلغوا حتى يشتد كل شيء منه
المنبت والعقل وغير ذلك وقوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل اي منكم من يتوفى من قبل
ان يبلغ شيخا وقوله تعالى ولتبلغوا اجلا مسمى اي تبلغوا الاجل الذي جعل لكم وقوله ولعلكم
تعقلون ما بين لكم وذكر لكم وقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت اي هو الذي يخلق حياة كل شيء ويخلق
موت كل شيء وعلى قول المعتزلة يجوز ان يسمى كل عبد محييا مميتا كقولهم ان القتيل انما مات باجله
ثم يسميه القاتل [illegible] ان المتولد من الفعل هو فعل ذلك الفاعل وعلى قولهم هذا يجوز تسمية كل احد
محييا مميتا والله اعلم وقوله تعالى فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون قوله والله اعلم واذا قضى امرا
فانما يترجم بقوله كن عن ان كان منه كان فيكون فكذلك تكوينه والله الموفق وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
على الابلاغ وقوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله قوله الم تر هو حضرة الرؤية والنظر ويحتمل
[illegible] الذين يجادلون في آيات الله [illegible]
[illegible]
الآيات لله والطعن فيها بالحجة على ما تقدم ذكره [illegible]
ذلك هذا وقوله تعالى انى يصرفون [illegible]
[illegible] الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا [illegible]
ان يكون قوله الذين كذبوا بالكتاب [illegible] ارسلنا به رسلنا [illegible]
[illegible]
الرسل [illegible]
[illegible]
[illegible] فسوف يعلمون [illegible]
[illegible] اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون
[illegible]
[illegible] في الحميم [illegible]
[illegible]
يسحبون [illegible] في الحميم ثم في النار يسجرون [illegible]

اي توقدون ذكر ما يسقون فيها وهو الحميم وذكر ما يحرقون به وقال ابو عوسجة اي يجرون وصرفه سحب يسحب سحبا
جر وقوله يسجرون ذلك يوقدون بهم يقال سجرت التنور اي اوقدت فيه وصرفه سجر يسجر سجرا وقوله تعالى ثم
قيل لهم اين ما كنتم تشركون ظاهر هذه الآية ان هذا القول لهم بعدما ادخلوا النار لانه قال اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فظاهرها ان قوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون
من دون الله بعدما دخلوا النار وظاهر قوله تعالى هذا متصلا به ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين على ان ذلك القول انما قيل لهم قبل ان يدخلوا النار وقوله تعالى قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو
من قبل شيئا هذا القول منهم يخرج على وجهين احدهما على انكارهم وجحودهم عبادة الاصنام التي عبدوها
في الدنيا واشركوا اياه في الالوهية وهو كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الآية وكقوله يحلفون له كما يحلفون
لكم انكروا ما كان منهم واقسموا على ذلك وهذا يدل على ان الآية لا يضطر اهلها الى قبول الآيات والتصديق
لها لانهم انكروا ان يكونوا مشركين بعدما عاينوا العذاب وظهر لهم خطاؤهم وكونهم على الباطل ثم لم يمنعهم
ما عاينوا من ذلك والثاني قوله بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي شيئا يصلح الاشراك والعبادة ولكن كان اوثانا
اصناما لم تنفعهم يومئذ ولم تغنهم عما نزل بهم نفعا لو احتاجوا ذلك بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي الذي
كنا نعبد في الدنيا كان باطلا لم يكن شيئا حيث لم ينفعنا ذلك في هذا اليوم فان كان تاويل الآية هذا
فهذا يدل على ان قوله اين ما كنتم تشركون من دون الله بعدما ادخلوا النار وان كان تاويله الاول على الانكار
والجحود فذلك يدل على ان ذلك القول قبل دخول النار حين تشهد عليهم الجوارح وذلك تعتذر قوله ادخلوا
ابواب جهنم والله اعلم وقوله تعالى كذلك يضل الله الكافرين اي هكذا يضل الله من علم منه اختيار الكفر والضلال
يضله وهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي اذا علم منهم اختيار الانصراف صرفهم ولذلك قوله فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم اي اذ علم منهم انهم يختارون الزيغ ازاغهم والله اعلم وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي ذلك جزاؤكم من النار بما كنتم تسرون في الدنيا بالباطل اذ هم كانوا كذلك
في الدنيا يفرحون ويسرون بكونهم على الباطل وقيل يفرحون اي يبطرون ذلك هو على الفرح والرضى بما اختاروا
لانفسهم وقوله وبما كنتم تمرحون اي بما كنتم تتكبرون كذلك كانوا يسرون ويرضون بكونهم على الباطل
ويتكبرون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين والمرح التكبر وهو كقوله ولا تمش في الارض
مرحا اي تكبرا وقوله ادخلوا ابواب جهنم الآية قد ذكرنا فيما تقدم وقوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق وقد ذكر
ايضا فيما تقدم وقوله تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون كانه كان يتوقع
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول ما وعد لهم ويخطر ذلك بباله ويطمع ذلك منهم على توقع نزول
العذاب الذي وعد الكفرة في الوقت الذي يطمع فيه ويخطر ذلك بالبال والتفكر وهلاكهم ولكن في الوقت
الذي يتوقع كانه يقول ان شئنا اريناك بعض الذي نعدهم وان شئنا توفيناك قبل ان نريك ذلك وهو كقوله
ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم وهذا ظاهر قوله فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك حرف
شك لا يحتمل ذلك في الله تعالى اذ هو عالم انه يفعل ذا او لا يفعل او يكون ذا او لا يكون لكنه على الوجه الذي ذكرنا
انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمع نزول ما وعدهم ويحدث نفسه بذلك فيقول له ليس ذلك
انما ذلك الينا على ما ذكرنا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال هذه الآية من المكتوم لا نظائرها سنة
ولا له الا في رسالته لانها لم تخرج لمعنى النبي صلى الله عليه وسلم والتوبيخ لهم اظهر ذلك على الناس والتنزيل
في مثله خرج على الكناية والاخفاء والاسرار [illegible] لانا انما اطلعنا عليهم الامر بالتبليغ وكذلك في قوله ليس لك
من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم اذ الامر لا يظهر مثل ذلك من قبله وتكليف من وجب عليه طاعته والله الموفق
وقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يقول لست انت باول رسول ارسلت اليهم فاستبعدوا ذلك وانكروا
وكذبوك بل قد ارسلنا الى الامم السالفة رسلا مثل ما ارسلت انت الى هؤلاء وقوله منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك في الآية دلالة انا لم نؤخذ بمعرفة اعيان الرسل واساميهم على التعيين انما الذي نؤخذ
بالايمان بالله تعالى بجميع ما جاء عنه على التفصيل والتعيين باسمائهم لكنه على الجملة وعلى هذا قلنا ان الايمان
ليس لاحد من الرسل ايمان بجميع الرسل انه لم يوجد عند الامتحان لعنتهم على الجملة والتعيين وكذلك الايمان
بالله تعالى بالرسل جميعا لان الايمان بامره ونهيه فيكون ايمانا بالامر والنهي على اثره والله الموفق
وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله تعقيب آية على اثر آية اخرى فقال الله تعالى لهم ذلك وما كان لرسول
ان ياتي باية الا باذن الله اي ليس لرسول ان ياتي بالآية على شهوته او على شهوة السائل وهذه الآيات تدل على
[illegible] فانهم يقولون له انفسهم ان [illegible] يأتون بها الآية حيث شاؤوا وكيف شاؤوا

فكان للبشر عندهم بسبب الجوهر الذي عاينت التي منهم قدرة اتيان الآيات كيف شاؤا من غير تدبر [illegible]
من غير سؤال منهم اياه فوقت الاتيان ولما كان الامر على ما قالوا لم يكن كذلك وما كان لرسول ان ياتي
بآية الا باذن الله فانه تعالى فانها ... لا يأتي الرسل بالآيات الا باذن الله تعالى والله اعلم
وقوله تعالى فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون اي اذا جاء الامر فحينئذ قال الله تعالى بهذا الامر
الموعود الذي ... وقد كان ... الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون ذكر في هذه الآية والآيات التي تقدم ذكرها ... احدهما ذكرهم نعمه التي انعمها عليهم حيث
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ثم قال هاهنا جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ذكرهم
اياها ... والثاني ذكر قدرته ... وحدانيته وقدرته على البعث
وقدرته ثم ذكر ... الاحرى ... ذكرهم ... الثاني ذكر
انه انشأ هذه الاشياء ... لعلمه ان ... يتفكر
تدابيرها الاشياء ... ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
وسائر ... الآية ... لا ... يتوالد
... الانعام والحرث ... يمكن
... الله تعالى ...
... هذه الاشياء ...
... ان يكون ...
فيها وكثير ... منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته
فاي آيات الله تنكرون ... تحتمل ... آياته ... وحدانيته ... والوهيته
تعقل ... قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم ... كانوا اكثر منهم واشد قوة ... اي ما كانوا اكثر منهم
عددا واشد ... وقوله تعالى وآثارا في الارض ... ما كانت ... الحسن
... فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ... يقول لم يغن عنهم كثرة العدد ...
... وقوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ...
... ما عندهم ...
... فرحوا بما عندهم من العلم ... في الحقيقة علم
لكن ... اليهود ...
... الذين ...
... الحقيقة علم ...
حقيقة العلم ... الكتاب ...
علم ... كثير ...
... وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ...
... يستهزئون ... وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ...
... العقل ... وقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ...
... هذا ... سنة الله ...
... لم ينفعهم ايمانهم ...
يؤمنون ... الاستئصال ... وقوله تعالى سنة الله التي قد خلت في عباده اي لا تقبل
... وخسر هنالك الكافرون

وخسر هنالك عند ذلك الكافرون والله اعلم الا انتفاع ... من المكذبين ارسالها في الدنيا واستئصال المكذبين ...
انزال الآيات ... وخسر هنالك الكافرون والله تعالى اعلم واحكم

سورة فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم ... قال
هذا ... حم ... تنزيل ... من الرحمن الرحيم وكذلك قوله
تنزيل الكتاب ... العزيز العليم ... والحروف المقطعة ...
... لانه ...
... الاستماع ...
... الحروف المقطعة ...
... الرحمن الرحيم ...
... العزيز ...
... قال الله تعالى كتاب فصلت آياته ... ما ... الحلال والحرام ...
... اي فرقت ...
... التنزيل ...
... قرآنا عربيا لقوم يعلمون ...
لقوم يعلمون ... يعلمون ... وقوله تعالى بشيرا ونذيرا ... البشارة والنذارة
... الحسنات ...
... وقوله تعالى فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ...
... اي لا يسمعون ... وقوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي آذاننا وقر ... ومن بيننا وبينك حجاب ...
... لا يسمعون ...
... وقوله تعالى ...
بيننا وبينك حجاب ... فاعمل اننا عاملون ...
... قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي ...
... انما الهكم اله واحد ...
... فاستقيموا اليه واستغفروه ...
... والله اعلم ... فاستقيموا اليه اي فاستقيموا اليه

بالطاعة وقيل أي استقيموا إلى ما دعاكم إليه من توحيده قوله تعالى واستغفروه أي انتهوا عما أنتم عليه
من الكفر والضلال ليغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر كقوله تعالى إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل
أي كونوا على حال بحيث يقبل استغفاركم وطلب تجاوزكم والله تعالى أعلم قوله تعالى وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون والإشكال أنه لماذا خص المشرك الذي لم يؤت الزكاة وذكر
بالويل وقد يلحق الويل المشرك إذا أدى الزكاة أو لم يؤت أو آمن بالآخرة أو كفر بها فنقول لما قال بعض أهل التأويل معناه ويل
للمشركين الذين لا يؤمنون بإيتاء الزكاة ولا يؤمنون بالآخرة وخصهم بذكر جحود الزكاة والآخرة لما كان سبب
كفرهم مختلفا منهم من كان سبب كفره بخله في المال وشحه حمله ذلك على إنكاره الزكاة والامتناع عن الإيتاء ومنهم
من كان كفره إنكاره جزاء الأعمال حمله ذلك على إنكار الآخرة ومنهم من كان سبب كفره الخضوع لمن دونه وشبه
في أمر الناس حمله ذلك على إنكار الرسالة والجحود لها وغير ذلك من الأسباب التي حملتهم على الكفر والضلال لكنه
وهي مختلفة ويحتمل قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة لا على زكاة الأموال لكن على زكاة الأنفس كأنه
يقول وويل للمشركين الذين لا يعملون ولا يسعون فيما يزكوا أنفسهم ويطهرها ذكرها ويصلح أعمالهم ولا
يجزون به في الآخرة وقيل لمن لا يعمل ذلك والله أعلم وفي هذا أن الجهال محجوجون بمخالفتهم لما يظهر من هذه الآية ويدل أن
الكفار مخاطبون بالشرائع حيث ألحق الوعيد بهم بترك إيتاء الزكاة من الشرائع والله أعلم قوله تعالى إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قال بعضهم غير ممنون أي غير مقطوع وذلك في الآخرة وقال بعضهم أي غير
محسوب وقال بعضهم أي غير ممنن عليهم وذلك في الآخرة أيضا ومعناه والله تعالى أعلم أنه يزاد لهم في الآخرة على قدر
أعمالهم ولا يمن عليهم في تلك الزيادة وقال بعضهم غير ممنون أي غير منقوص ولا ممنوع وذلك والله أعلم أن
من كان يعمل في شبابه وقوته الصالحات والطاعات ثم كبر وعجز عن إتيانها أنه لا يمنع ولا ينقص مما كان
كان يجري عليه ويكتب له في حال شبابه وقوته والله تعالى أعلم قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض
في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين تأويل هذه الآية كما ذكرنا في قوله تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم الآية وهو يخرج على وجوه أحدها كيف تكفرون وحدانيته وتكفرون نعمه
الذي أحياكم إلى الأصنام التي تعبدونها والثاني تنكرون قدرة الله في البعث وقد رأيتم قدرته في ابتداء
إنشائكم وتقلبكم من حال إلى حال والثالث كيف تكفرون برسول الله وقد خلقكم الله تعالى وامتحنكم بأنواع المحن
وكلفكم وأمركم بأوامر ونواهي ما لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكنكم القيام بأكثرها وكان
خلقكم إياكم عبثا فعلى هذه الوجوه يخرج قوله أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين الآية أي أئنكم
لتكفرون وتنكرون وحدانية الله تعالى وقد خلق الأرض في يومين وما ذكر والثاني أئنكم لتكفرون
قدرته على البعث وقد خلق الأرض في يومين على بعد أطرافها وسعتها فكيف تنكرون قدرته على البعث
وقد رأيتم قدرته على خلق ما ذكر والله تعالى أعلم والثالث أئنكم لتكفرون نعمه التي أنعمها عليكم من
ما ذكر من الأرض وغيرها وما أنعم عليكم من بعث الرسول عليه فكيف تصرفون شكرها إلى غير الذي أنعم
ذلك بكم وتنكرون رسالة رسوله ولا بد من رسول يرسل إليكم وذلك من أعظم النعم وأجلها
تأويل الآية على هذه الوجوه التي ذكرنا أحدها في إنكار وحدانية الله تعالى وألوهيته والثاني في إنكار قدرته
على البعث والثالث في إنكارهم رسالة الرسول وصرفهم شكر نعمه إلى غيره وعبادتهم غير الله والله تعالى
أعلم ثم الحكمة في خلق الأرض وجعله الجبال الذي ذكر في يومين وإن كان قادرا على خلق كل شيء بلا تحديد
فقال بعضهم فيه تعريف الخلق والتعليم لهم الأناة في الأمور وترك الاستعجال فيها والأصل في ذلك
عندنا أنه سبحانه وتعالى جعل أمر الدنيا وأمر هذا العالم على التحديد والتقليب من حال إلى حال نحو ما ذكر
من تقليبه وتغييره من حال النطفة إلى حال العلقة إلى حال المضغة إلى حال تركيب الجوارح ثم إلى حال الإنسان
ثم من تلك الحال إلى حال كبره تقلبه من حال إلى حال أخرى وكذلك الثمار الدنيا وما فيها من الفواكه والنبات
ينشئها ويحدثها في كل عام وإن كان قادرا على أن ينشئها في عام واحد وفي ساعة واحدة ويبقيها إلى الأبد
الأبد لكن لم يفعل ذلك لما بني أمر هذا العالم على الفناء والفساد فتتبدل لذلك هذه الأحوال عليها على
أصل الوضع وكذلك ركب فيهم المرض والسقم والسلامة والصحة وبنى أمر الآخرة على البقاء والدوام
فعلى ذلك التحديد والتوقيت في خلق الأرض والله أعلم ويحتمل أنه إنما جعل ذلك على التحديد
لأنها دار محنة وابتلاء والابتلاء إنما يقع على التوقيت والتحديد في أوقات متباينة وأشياء مختلفة
فلا محنة فيها ولا بلية فهي على النعم والبقاء لذلك كان ما ذكر والله أعلم قوله تعالى وجعل فيها رواسي
أو وجعل في الأرض جبالا رواسي بها الأرض وأثبتها لأنه ذكر أن الأرض كانت تميد على الماء وكانت تميد بأهلها

[illegible] أرساها الجبال وأوقفها وفيه نوع من [illegible] الجبال التي أثبت بها الأرض وأوقفها كانت
[illegible] ثقل الأرض فالتسفل [illegible] [illegible] والأحجار [illegible] جبال
[illegible] إثبات الأرض وأوتادها [illegible] الخلق [illegible] الأشياء بعضها ببعض وتعليقها بالأسباب
[illegible] والأسباب [illegible] والله تعالى أعلم قوله تعالى وبارك فيها يحتمل وبارك
[illegible] فيها الجبال [illegible] البركات الكثيرة منها الأشياء التي يخرج منها العيون والأودية
الفضة والذهب وغيرهما [illegible] والثمار ويحتمل [illegible]
التي يكثر عددها ولا يحصى ويحتمل قوله وبارك فيها أي في الأرض فقد جعل الله تعالى في الأرض البركات الكثيرة
من المياه التي يخرج منها وأنواع النبات والثمار وغير ذلك مما به قوام الخلق جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب
والله تعالى أعلم [illegible] ثم كل حين يكون أبدا على الزيادة والنماء والله تعالى أعلم قوله تعالى وقدر فيها أقواتها في أربعة
أيام سواء للسائلين أي قدر في الأرض قوت أهلها وأرزاقهم في أربعة أيام سواء للسائلين ثلاث لغات النصب
والرفع والخفض فمن خفضه سواء للسائلين صيره نعتا للأيام كأنه قال في أربعة أيام سواء أي مستوية
ليس بعضها أطول من بعض ومن قرأ بالنصب سواء نصبه على المصدر أي استوت استواء ومن قرأ بالرفع فعلى
الابتداء يقول والله تعالى أعلم أي ذلك الأقوات التي قدرها سواء للمحتاجين أي كفاية لهم على قدر حاجتهم ثم
اختلف في قوله سواء للسائلين عن ابن عباس رضي الله عنه قال لمن سأل عن ذلك وحده كما قال القتبي وقيل ابن عباس
رضي الله عنه والنافون للسائلين على قول ابن عباس رضي الله عنه ما ذكرنا أي كفاية للسائلين المحتاجين على السواء وقال
بعضهم عدلا للسائلين والعدل يخرج على وجهين أحدهما العدل الذي هو نقيض الجور أي عدل للسائلين
والثاني عدلا للسائلين أي سواء يقول لمن سأل الرزق من السائلين وقال الحسن في أربعة أيام سواء لمن
سأل عن خلقه في أربعة للسائلين وكلام نحو هذا وقال بعضهم هو من مقاديم الكلام يقول قدر فيها أقواتها سواء
في أربعة أيام للسائلين تلك الأقوات والأرزاق سواء والله تعالى أعلم ثم في هذا مسألتان أحدهما في تكوين الخلق
واحدا شيئا مما ذكر من تقدير الأقوات في الأوقات فنقول إن الله تعالى لم يزل مكونا محدثا وإنما كان يكون إلى
آخر الأبد إنما يكون بتكوين كان منه في الأزل لا أن يكون يحدث منه في كل وقت يحدث المكون والخلق هو الأصل
في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم أنه إذا أضيف الأوقات إلى فعله فتكوينا لتوقيت المخلوق على المفعول لا الفعل المذكور
أنه لا حاجة يقع له في المعونة بشيء مما ذكر من التوقيت وإنما ذكر ذلك لما ذكرنا هو حكم المفعول والخلق ليعلم
والله تعالى أعلم ومسألة أخرى في ذكر التحديد والتوقيت في خلق ما ذكر الحكمة في ذلك عن أنه يصعب عليه
خلق ذلك في ساعة وطرفة عين إذ المحتاج في خلق ما ذكر في أيام وأوقات ذلك في طرفة عين موجود على السواء وهو
أن الله تعالى عالم بذاته قادر بذاته لم بقدرة ذاتية وعلم ذاتي لا مستفاد فالأوقات إنما يحتاج إليها من كان
يعمل بقدرة مستفادة وعلم مستفاد استعانة له بذلك فأما الله سبحانه وتعالى ما يكون منه إنما يكون
بقدرة ذاتية وعلم ذاتي لا حاجة يقع إلى الاستعانة بشيء من ذلك لذلك كان ما ذكرنا والله تعالى أعلم
قوله تعالى وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام الأربعة الأيام التي ذكر هي مع خلق الأرض يومين لخلق الأرض
ويومين لتقدير الأقوات لأهلها والأرزاق فيكون أربعة ثم ذكر لخلق السماوات يومين فإذا جمع يكون ستة
أيام وهو ما ذكر في آية أخرى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وقد ذكر أنه مضى ستة أيام في [illegible]
قوله تعالى ثم استوى إلى السماء يخرج على وجهين أحدهما ثم استوى المنافع والأقوات التي قدرها في الأرض وجعلها
معايش أهلها بالسماء لأنه جعل منافع الأرض متصلة بمنافع السماء ما لولا السماء لم تستو منافع الأرض
وقدر لهم فيها فبالسماء استوى ذلك لهم والله تعالى أعلم والثاني قوله ثم استوى الهواء والجو الذي
بين الأرض والسماء إلى السماء ما لولا ذلك الهواء لم يستو ذلك لأن السماء لو كانت ملتزقة بالأرض لا هواء
بينهما كانت لا تخرج ما جعل في الأرض من الأقوات والمعايش فبالهواء استوى ذلك والله أعلم ومنهم
من صرف الاستواء إلى الله تعالى وجعل معنى ذلك استوى أمره وملكه بخلق السماء أو استوى المقصود بخلق
الأرض وأهلها وما فيها بخلق الأرض وأهلها وما فيها بخلق السماء وأما التأويل الذي ذكرنا استوى
الغير فذلك أحدهما يرجع إلى استواء الهواء والثاني إلى استواء ما جعل في الأرض والله أعلم وعلى هذا يخرج ما سأل
ابن عباس رضي الله عنهما عنده [illegible] أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنه فقال إن آيتين إحداهما يخالف الأخرى فقال
من قبل [illegible] آيتين ما هما فقال ذلك السائل قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين
إلى قوله ثم استوى إلى السماء وقوله تعالى والسماء بناها رفع سمكها فسواها إلى قوله والأرض بعد ذلك

دحاها فمراد السائل أن ظاهر الآية الأولى أنه خلق الأرض في يومين قبل خلق السماء، وفي ظاهر الآية الثانية
أنه خلق السماء ثم خلق الأرض، فقال ابن عباس رضي الله عنه: خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء، فدحا الأرض
بعد ما خلق السماء، والله تعالى أعلم، أراد به بسط الأرض بعد خلق السماء، فأما خلق أصل الأرض قبل خلق
السماء، والله تعالى أعلم، وعندنا أن ليس في ظاهر هاتين الآيتين مخالفة ولا فيه بيان أنه خلق الأرض قبل
السماء ولا هذا بعد هذا، لأنه ذكر هاهنا أنه خلق الأرض في يومين ثم قال ثم استوى إلى السماء، وذكر الاستواء إلى
السماء، وليس فيه أنه خلقها بعد خلق الأرض، بل فيه أنه استوى إليها بعد خلقها، وليس عليه فيه إثبات خلقها
قبل ذلك، والله تعالى أعلم. وقوله تعالى: وهي دخان، قال بعضهم: ذكر قوله وهي دخان على أنه كان هنالك نار حتى خرج
بخارها، لكن لا نعلم ذلك إلا بالسمع، ويحتمل أن يكون قوله وهي دخان أي شبه الدخان لا حقيقة الدخان وقت
خلق السماء، والله أعلم. وقوله تعالى: فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين، قال بعضهم: هو
ائتيا أعطيا ما جعل فيكما من المنافع والأقوات طوعا أو كرها، ثم اختلف فيه أنه على التكوين والتسخير أو ذكر
من الطوع والكره أو على حقيقة القول والأمر في ذلك، على التكوين والتسخير خلقهما أو أنشأهما وخلقهما
على إخراج ما فيهما من المنافع والأقوات والأرزاق ما ذكر من الطوع والكره لا دوام لزمته لهما أو على الحكمة طبعا
وأنشأهما كذلك، وقال بعضهم: ذلك على حقيقة القول والأمر فيه لهما بحيث ما ذكر لكل شيء من الجبال ومن غيرها
أنه يسبح لله تعالى على الوجهين، لكن بشرط خلق الجزء الذي لا تبينها النطق والسماع، فعلى ذلك هاهنا، والله
أعلم. وقال بعضهم في قوله ائتيا طوعا أو كرها أي ائتيا عبادتي ومعرفتي، وذلك أن الله تعالى حين خلقهما
عرض عليهما الطاعة والشهوات واللذات على الثواب والعقاب فأبين أن يحملنها الآية، فهذا الآية وإن
هو أفضل الخلقة والتكوين على ما ذكرنا، والله أعلم. وقوله تعالى: فقضاهن سبع سماوات في يومين، يحتمل موصولا
بقوله: قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، وكذلك قوله تعالى: وقدر فيها أقواتها في أربعة
أيام سواء للسائلين، وقد ذكرنا الوجوه في ذلك في الآية الأخرى في خلق السماوات ودحوها أعظم وأكبر من خلق
الأرض، وقد ذكر في خلق السماوات من الوقت مثل الوقت الذي ذكر في الأرض، وهو يوم ما لا نعلم أن الوقت
الذي ذكر في ذلك ليس مما يتعذر بعلته ذلك أو كانت الحكمة فيه ما ذكره، والله تعالى أعلم. وقوله تعالى: وأوحى
في كل سماء أمرها، وهم الملائكة الذين يجعلهم أهلها، أو قال القائلون: أي أمر كل أهل سماء ما أمرهم وامتحنهم بمحنة
بعضهم هو مما أمره وأراد وجوهما والخير، والله أعلم. وقوله تعالى: وزينا السماء الدنيا بمصابيح، أي بالكواكب، وقوله
وزينا السماء الدنيا أي زينا السماء التي دنت منكم، وهي مقابل القصوى في الدنو، ليس لذهن فيه سماء التي
تراها وتشاهدها مزينة بالكواكب هي سماء الدنيا فانية وغيرها من السماء الآخرة بل لا تفنى بل كلها لا تفنى
تفنى منه وغيرها بقوله تعالى: يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وقوله تعالى: والسماوات مطويات بيمينه، يعني
كلهن دنيويات فانيات، دل على قوله السماء الدنيا أي التي دنت منكم، وهي مقابل القصوى لا مقابل الآخرة،
والله أعلم. وقوله تعالى: وحفظا، يحتمل وجهين: أحدهما أي حفظناها وجعلناها محفوظة مما ذكر من أن تسترق
الشياطين والجن السمع إلى خبر السماء وما يتحدث به الملائكة فيما بينهم فيلقون ذلك على سماع أهل الأرض
على ما كانوا يفعلون من قبل، أي حفظناها بالكواكب التي جعل فيها الترجيم
وتعذيبهم لكيلا يكون سماع ذلك من جهة الوحي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم دون القائم من غيره
كما ذكر في آية أخرى حيث قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى
الملإ الأعلى، الآية. ويحتمل وجها آخر: وحفظا أي حفظناها على ما هي حتى لا تسقط على الخلق، كقوله: إن الله
يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وقوله تعالى: ويمسك السماء أن تقع على الأرض، ونحو، والله تعالى أعلم.
وقوله تعالى: ذلك تقدير العزيز العليم، يقول هذا الذي ذكر كله وصنع هو تقدير العزيز العليم القدير من لا يعجزه
شيء ولا يخفى عليه شيء، ويحتمل قوله ذلك تقدير العزيز العليم أي تقدير من له العز الذاتي والعلم الأزلي
لا أنه قدر ذلك وصنع ليستفيد بذلك العز والعلم، إذ هو عزيز بذاته وعليم بذاته، والله تعالى أعلم. وقوله
تعالى: فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كانت معروفة عندهم ظاهرة أنها نزلت
بهم، بل قوله تعالى أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أن صاعقة عاد كانت معروفة عندهم ظاهرة
أنها نزلت بهم لتكذيبهم الرسل وتركهم إجابتهم إلى ما دعوهم إليه حيث خرج فهو لا بذلك كأنه يقول
بتكذيبكم إياي وترككم إجابتي إلى ما دعوتكم إليه ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسول الذي أرسل إليهم
وتركهم الإجابة إلى ما دعا إليه، والله تعالى أعلم. وقوله تعالى: صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، لم يرد به عين
أولئك ومثله في رأي العين، ولكن مثله في الهلاك والاستئصال، ألا ترى أن عذاب عاد وثمود كان مختلفا

رأي العين، عذاب بعذاب عاد خلاف عذاب ثمود مما في الحس واحد، فعلى ذلك ثم أو بعد هؤلاء بمثل عذاب عاد وثمود
ومثله في رأي العين، ولكن في المعنى، وهو كما ذكر في قوله: تشابهت قلوبهم، وقوله تعالى: يضاهئون قول الذين كفروا من
قبل، لم يرد به التشابه والمضاهاة على أن نفس الفعل منهم ومن الكفار كان واحدا، بل كان سبب كفرهم مختلفا وهو
من لا خلاف فعلوا من فعل أولئك وما كان من هذا الفريق الآخر، لكن لما كان التكذيب والإنكار للرسل من هؤلاء
ومن أولئك، فإذا كان كفرا واحدا سواء من هذه الجهة وصف قلوبهم بالتشابه وأقوالهم بالمضاهاة، والله تعالى
أعلم، فهاهنا يدل على أن الاستواء من جهة واحدة يوجب التشابه والتماثل، والله أعلم. وقوله تعالى: إذ جاءتهم الرسل
من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله، هذا يحتمل وجوها: إذ جاءتهم الرسل بنبإ من كان قبلهم
أنهم جميعا قالوا لقومهم أن لا تعبدوا إلا الله، والثاني إذ جاءتهم الرسل بالوعيد والتخويف بعذاب ينزل
بهم من بين أيديهم أي من حيث يرونه ويعلمونه ومن خلفهم أي من حيث لا يرونه ولا يعلمونه، وهو كقوله عز وجل:
أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ونحوه،
وقيل: بعث الله تعالى الرسل قبلهم وبعدهم بالذي ذكر، يعني الدعاء إلى توحيد الله وجعل العبادة له، والله أعلم.
وقوله تعالى: قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون، هذا القول منهم يناقض قولهم وتكذيب
الرسل وإنكارهم رسالة البشر وطمعهم رسالة الملائكة، لأنهم ما عرفوا الملائكة ولا جالسوهم، فإنما عرفوا
الملائكة وعلموا إمكان أنهم يرسلوا البشر، فكيف أنكروا رسالتهم معما لو كان أرسل إليهم الملائكة لم يعرفوا إليهم الملائكة
لا يعرفونهم لما لم يتقدم لهم المعرفة بالملائكة، إلا بقول لهم لما لم يتقدم لهم المعرفة بالملائكة، فهذا يناقض
إنكارهم الرسل من البشر، والثاني ما قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون قد أقروا برسالتهم حيث قالوا إنا بما أرسلتم
به كافرون، لأنهم لم يقولوا إنا بما جئتم به إلينا كافرون، ولكن قالوا إنا بما أرسلتم، فذلك مما يناقض قولهم ويرد
تكذيبهم كافة، والله أعلم. وإنما قالوا ذلك على قولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة تعنتا منهم وعنادا أي لأنزل علينا
رسل الله فينا فصرتم بما قالوا على التعنت منهم والعناد، والله تعالى أعلم. وقوله تعالى: فأما عاد فاستكبروا
في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة، يحتمل أن يكون استكبارهم في الأرض بغير الحق على أهل الأرض
بما ذكروا من فضل القوة لهم وشدتها من بين غيرهم، لقوله تعالى: وإذا بطشتم بطشتم جبارين، ونحوه وكونه يحتمل
أن يكون استكبارهم على أهل الأرض بغير الحق لشدة بطشهم وقوتهم على غيرهم، والله تعالى أعلم، ويحتمله
أن يكون استكبارهم على الرسل واتباع الرسل، ولم يروا أنفسهم أن يجعلوها تحت تدبير الرسل وأمرهم
وأن يخضعوا لهم ويستسلموا لما دعوهم إليه، فقالوا من أشد منا قوة، ثم قال الله تعالى: أولم يروا أن الله الذي خلقهم
هو أشد منهم قوة، هذا استفهام على طريق التقرير، معناه قد رأوا وعلموا أن الله تعالى الذي خلقهم هو أشد منهم قوة،
والرسل عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا يخوفونهم بقوى أنفسهم ولا بما يكون منهم حتى قالوا من أشد منا
قوة، ولكن إنما كانوا يوعدونهم ويخوفونهم بعذاب ينزل من عند الله وبقوته وسلطانه يوعدونهم، وقد
عرفوا قوته وسلطانه، كذلك قال: أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة. وقوله تعالى: وكانوا بآياتنا يجحدون،
دل هذا على أنهم قد كلفهم هود عليه السلام وأنكروا آياته، وذلك قولهم: يا هود ما جئتنا ببينة، وإنا أتاهم
بآيات رسالته. وقوله تعالى: فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا، ذكر ما أهلكهم به من العذاب وهو الريح الصرصر أي الباردة،
كما قال ابن عباس رضي الله عنه. وقوله تعالى: في أيام نحسات، وهو ما ذكر في سورة الحاقة حيث قال: وأما عاد فأهلكوا بريح
صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، وقال في موضع آخر: في يوم نحس مستمر، ثم
اختلف في تأويلها، قال بعضهم: نحسات مشومات نكدات، وهذا قول القتبي، وقال بعضهم: نحسات أي شداد، وقيل:
نحسات من النحس العذاب في الأرض. وقوله تعالى: لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، أي عذابا يذلهم ويفضحهم
عند الخلق جميعا. وقوله تعالى: ولعذاب الآخرة أخزى، أخبر الله أن عذاب الآخرة عليهم أذل وأفضح وأشد من عذاب الدنيا.
وقوله تعالى: وهم لا ينصرون، ويحتمل لا ينصرون بقوتهم التي كانت لهم واعتمدت عليهم بقوتهم من أشد منا قوة،
ويحتمل لا ينصرون بالأصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم والشفاعة. وقوله تعالى: وأما ثمود فهديناهم،
يحتمل ما ذكرنا الهداية لهم حقيقة الهدى وهو التوفيق وحقيقة خلق الاهتداء فيهم، بعضا أو ما سألوا
وهو ما سألوا في الآية وهي الناقة، فلما آتاهم بالناقة على ما سألوا آمنوا به وصدق قوم، ثم كفروا به بعد ذلك
وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر في أنبائهم، ويحتمل قوله فهديناهم أي بينا ما يتبين الحق من الباطل بما يعرف كل ذي
لب وعقل أنها آية وأنها من الله تعالى، حيث جاءهم بالآية التي سألوها على الإشارة والتعيين وهي الناقة، والله
أعلم. وقوله تعالى: فاستحبوا العمى على الهدى، أي اختاروا ما يعمون عما يبين لهم، ثم أخبر عما نزل بهم من العذاب لاختيارهم العمى
على الهدى، وهو ما قال: فأخذتهم صاعقة العذاب الهون، أي عذاب الهوان، وهو من الهوان والإذلال، وكل عذاب الله

صاعقة وقوله تعالى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون اي انجينا الذين اختاروا الهدى على العمى وكانوا يتقون اختيار
العمى على الهدى ويوم يحشر اعداء الله الى النار اي يجمع والحشر الجمع فهم يوزعون اي يجعلون في النار وهو كقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الاية وقوله تعالى فهم يوزعون اختلف في تاويله قال بعضهم
اي يساقون كقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم يوزعون يوم يدعون الى نار جهنم
اي يدفعون فيها دفعا والوزع الدفع وقال بعضهم يوزعون اي يحبسون اولهم على آخرهم حتى اذا
جميعا فعند ذلك يجعلون في النار كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب الاية وقوله تعالى حتى اذا جاؤها شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون كانوا يتقون ويحبسون في مكان فيما بين الناس
يسالون عما كانوا يعملون وهو كقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون فينكرون ما كان منهم كقوله تعالى
والله ربنا ما كنا مشركين وقوله بل لم نكن ندعو من قبل شيئا فعند ذلك ينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم
بما عملوا وما كان منهم وهو قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقال بعضهم جلودهم
كناية عن الفروج وهو قول الحسن وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ينطق
شيء ينطق ذكر كل شيء واراد به الخاص لا العام والله تعالى اعلم ولكن نعرف هذا الحرف بقوله انطقنا الله
انطق كل شيء يعصون الله تعالى الاشياء التي بها عصوا ربهم وهي الاصنام التي عبدوها وغيرها مما عبدوا
دون الله تعالى كقوله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله الاية وقوله تعالى وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون وما ذكر من اخبار الارض وتحديثها بما عمل اهلها بقوله يومئذ تحدث اخبارها وغير ذلك من الايات
التي فيها بيان انه ينطق الله تعالى الاشياء التي عبدوها وعصوا بها ربهم فعلى ذلك ينطق الجوارح التي
بها عصوا ربهم فيشهد عليهم بجميع ما كان منهم والله اعلم وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اختلف فيه قال بعضهم اي ما كنتم تعلمون وتستيقنون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون الظن هاهنا على هذا التاويل
الظن او الجهل اي ولكن جهلتم ان الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون فلو كان تاويل الاية ما ذكر هؤلاء ففيه دلالة ان
قد يلزم ويجب وان جهل ذلك العلم يتحقق عند العلم بما كان بحيث امكان الوصول الى علم ذلك ومعرفته
والتامل والتفكر ويعذر بذلك من الاسباب لكنه ترك التامل فيه فلم يعلم ذلك فلم يعذر بجهله وهكذا
الحكم ان من يمكن له اسباب المعرفة فلم يتكلف معرفته لم يعذر في جهله وهذا قال ابو حنيفة في الاطفال الاولاد
قلم لم يعلم لما لا نعلم انهم قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الاشياء بالتامل والتفكر امر الله تعالى لهم بعد ذلك
بعضهم وما كنتم تستترون اي كنتم لا تقدرون ان تستتروا منه سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم واحد
لا يستطيع ان يستتر من نفسه اذا عمل شيئا فذلك خوفكم انكم ظننتم ان الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون وقوله
تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اي وذلكم جهلكم على ما صنعتم بان الله تعالى لا يعلم ذلك
وهو لا يخفى عليه خافية فظنكم ذلك ارداكم اي اغواكم واضلكم عن الهدى والله تعالى اعلم وقال قتادة
يا ابن آدم ان عليك لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله تعالى في سر امرك وعلانيتك فانه لا يخفى
عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية ومن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا
لا قوة الا بالله ثم قال الظن ظنان ظن منجي وظن مردي فاما المنجي فقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه
وما قال اني ظننت اني ملاق حسابيه واما الظن المردي فقوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقوله
ان نظن الا ظنا ونحوه والله تعالى اعلم وقد ذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويحدث ذلك
عن ربه جل جلاله عبدي انا عند ظنك بي وانا معك اذا دعوتني وقال الحسن انما عمل الناس على قدر ظنونهم
بربهم فاما المؤمن فاحسن بربه الظن فاحسن العمل واما الكافر والمنافق فاساءا به الظن فاساءا العمل
ثم قوله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم الاية وقال الجلود
كناية عن الفروج وفي حرف حفصة وما كنتم تختفون وفي حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنهم تكتمون
ان الله تعالى لا يعلم كذا وكذا في حرفهما فذلكم زعمكم الذي زعمتم والزعم في كلام العرب الكذب وقد
يستعمل وقوله تعالى ارداكم قال بعضهم اهلككم والردى الهلاك وقيل اوردكم المهالك ويحتمل ارداكم اي
اغواكم واضلكم على ما ذكرنا وقوله تعالى فان يصبروا فالنار مثوى لهم فهذا يخرج على وجهين احدهما اي فان يصبروا
على ما هم عليه من الاعمال التي استوجبوا بها النار مثوى لهم في الآخرة والثاني اي فان يصبروا في الآخرة فالنار
مثوى لهم فلا ينفعهم الصبر على ذلك ولا يكون الصبر سببا للفرج من ذلك وهو كقوله سبحانه حكاية
عنهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فيكون احد التاويلين في الدنيا والثاني في الآخرة

وان يستعتبوا

وان يستعتبوا فما هم من المعتبين معناه والله تعالى اعلم وان يستقيلوا ما كان منهم فما هم من المقالين اي لا تقال
منهم ولا يرضى عنهم وان استرضوا وقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا الاية ثم اختلف في قوله وقيضنا قال بعضهم هيأنا لهم في الدنيا قرناء من الشياطين بعدهم وقال بعضهم
مكنا الشياطين حتى يقذفوا في قلوبهم من الوساوس وغيرها او كلام نحوه وقال بعضهم اي خلينا بينهم وبين
الشياطين فضلوا بهم ثم ذكر وقوله تعالى فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اختلف في قوله ما بين ايديهم وما خلفهم
قال بعضهم زينوا لهم ما بين ايديهم اي حسنوا لهم التكذيب بالآخرة والحساب والثواب والعقاب اي ليس في ذلك
وما خلفهم اي حسنوا لهم امر الدنيا وانها دائمة باقية وقيل ما بين ايديهم ما عملوا وما خلفهم اي ما لم
يعملوا من بعد والثالث ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم وما خلفهم ما استنوا لغيرهم من بعدهم كقوله تعالى علمت
نفس ما قدمت واخرت والله تعالى اعلم وقوله تعالى وحق عليهم القول يحتمل وجب عليهم القول بالعذاب بالسخط وقوله تعالى
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس اي مع امم قد كانت وقوله قد خلت من قبلهم اي من قبل هؤلاء ان كانوا
والجن والامم الخالية انهم كانوا خاسرين وقوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه اي
لا تسمعوا انتم بانفسكم والغوا فيه لئلا يسمع منه قراءته ولا صوته دل هذا القول على انهم قد عرفوا انه حجة
وانه من عند الله جاء وان من سمع ذلك اذعن له واطاع اذا لم يكابر عقله وهذا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لكي لا يذعن ولا يطاع لعلكم تغلبونه وقال بعضهم قوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه بالمكاء والتصدية
وكانوا يفعلون ذلك ليخلطوا عليه صلاته وقراءته كقوله بالمكاء والتصدية لقوله وما كان صلاتهم عند
البيت الا مكاء وتصدية وقوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون
اي فلنذيقن الذين كفروا وداموا على الكفر حتى ماتوا على ذلك فاما من تاب منهم وترك ذلك واسلم فليس له ذلك
ثم من الناس من يقول ان قوله فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا اراد به في الدنيا وقوله ولنجزينهم اسوأ الذي
كانوا يعملون في الآخرة يجعل احد العذابين في الدنيا والآخر في الآخرة ثم دل قوله ويحتمل ان يكون ذلك كله في
الآخرة ثم دل قوله ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون ان لهم محاسن في الدنيا لكن تلك المحاسن تبطل ولا
يجزون بها شيئا وانما يجزون على مساويهم التي عملوها في الدنيا لان المحاسن انما تثبت وتبقى ويستوجب بها
الجزاء اذا قارنها الايمان والتوحيد فاما اذا لم يقارنها لم ينتفعوا بتلك المحاسن ولم يجزوا بها وقد ذكر للمؤمنين
مقابل ذلك ان نكفر عنهم سيئاتهم ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون وهو قوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون
وعد للمؤمنين تكفير المساوي التي عملوا في الدنيا والجزاء لهم بالمحاسن التي عملوها ووعد للكافرين اسقاط محاسنهم
والجزاء على مساويهم لما لم يقارنوا بالايمان والله اعلم وقوله تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار هذا يدل على ان ذلك
في الآخرة وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا يعملون قوله دار الخلد اي دار البقاء يبقون فيها ابدا ويكون اسما
للجنة ويحتمل ان يكون في الجنة مكانا وموضع يسمى دار الخلد فيكون اسم موضع خاص والله اعلم وقوله تعالى
وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين
قال بعضهم الذي اضلهم من الجن هو ابليس لانه اول من عصى الله تعالى وسن لهم ذلك ومن الانس ابن آدم
الذي قتل اخاه لانه اول من سن القتل ولكن عندنا انهم سالوا ان يريهما الذين اضلاهم كل جني يوسوس
ويتكلف فيلقي اليهم الوساوس والمساوي وكل انسي يدعوهم ظاهرا الى الضلال وهكذا كل ضال يكون اماما
في الضلال والكفر لوساوس من جني او تلقين من انسي بلسانه سالوا الله تعالى ان يجعلهم تحت اقدامهم
تحت اقدامهم لما يكون العذاب في كل ما كان اسفل اشد لذلك سالوا ذلك وفيه ما سالوا ربهم زيادة
العذاب لهم في آية اخرى حيث قالوا اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار
وقوله فزده عذابا ضعفا من النار فعلى ذلك سالوا لهؤلاء والله اعلم وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال ان
اليهود قالوا ربنا الله ثم قالوا عزير ابن الله وان النصارى قالوا ربنا الله ثم قالوا المسيح ابن الله وان الذين قالوا
ربنا الله ولم يشركوا به احدا وكذلك روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا فان ثبت ذلك عن رسول الله وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فهو تفسير الاستقامة
التي ذكر الله تعالى وقال بعضهم اي قالوا ربنا الله ثم استقاموا في اخلاص العمل له والقيام بذلك وقال بعضهم
ثم استقاموا على اداء الفرائض والشرائع والحدود وقيل ثم استقاموا في الطاعة والاستقامة يحتمل وجوها
ثلاثة احدها في الاعتقاد ان يعتقدوا ان لا يعصوه ويجتنبوا جميع ما يخالف امره ونهيه والثاني استقاموا

في اجتناب جميع ما يخالف ما اعطوا بالسنتهم ان ربنا الله وقاموا بوفاء ما اعطوا بلسانهم قولا وفعلا وقال بعضهم
في جميع الاعمال مخلصين لله تعالى عز وجل لم يشركوا فيها احدا ولا اعطوا لاحد فيها نصيبا من مراياة وغيرها ونحو
ذلك مما سالنا والله تعالى اعلم بما اراد بذلك قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا اختلف فيه
قال بعضهم ذلك عند قبض ارواحهم في الدنيا يبشرونهم بما ذكر وقال بعضهم تقول لهم الملائكة ذلك يوم القيمة
عند معاينتهم الاهوال والافزاع ليسكن بذلك قلوبهم عند تلك الاهوال التي اشتد بغيرهم والله تعالى اعلم لكن
في قوله لا تخافوا ولا تحزنوا دليل انه لا تخافوا لما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والاولاد وقيل لا تخافوا ما تقدمون
عليه من امر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل واولاد وقال بعضهم لا تخافوا من العذاب ولا تحزنوا
على فوت ما وعدتم من النعيم فانها دائمة لا يفوت ولا ينقطع ابدا قوله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
انما بشروا بالجنة التي كنتم توعدون على السن الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام فمن قال ان البشارة
التي ذكر هي في الدنيا عند قبض الارواح فلما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر فاذا المؤمن يرى له الجنة ويبشر بها في ذلك الوقت فيصير الدنيا له سجنا لما يرى من النعيم ما اعد له وجعل له
من الثواب والكافر لما يرى له في النار ويبشر به صار له الدنيا جنة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلوة والسلام
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والله اعلم قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة هذا يخرج على وجهين احدهما يشبه ان يكون هذا القول من الذين بشروهم بما
بشروا يقولون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وجائز ان يكون ذلك من الله تعالى كما قال
الملكوت على اثر البشارة الملائكة وذلك كقوله تعالى الكافرين لا انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا في الحيوة الدنيا ثم ان كان ذلك من الله سبحانه وتعالى فيكون تأويله نحن اولياؤكم في نصرتكم في الدنيا
واولياؤكم في الآخرة في المعونة ونقول نحن اولياؤكم في النصر في الدنيا والجزاء والثواب في الآخرة والله
وان كان من اوليائنا الذين بشروهم يقولون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالصحبة فلذلك يكونون في الآخرة
والله اعلم وقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم هذا يحتمل وجهين احدهما ما تشتهي انفسكم اي لكم ما تلذ
به انفسكم وبلوغها اليه ولكم فيها ما تتلذذ به انفسكم وتتنعم بها وقوله تعالى ولكم فيها ما تدعون قيل ما تتمنون
وتسالون او يقول ما تدعون من الدعوى والله اعلم وقوله تعالى نزلا من غفور رحيم قال بعضهم نزلا
اي رزقا من غفور رحيم وهو من الانزال وقال بعضهم نزلا اي انزالا منزلا من غفور رحيم وقوله
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا كانه يقول ومن احسن مذهبا وسيرة ممن دعا الى الله الى
توحيد الله تعالى ودينه او دعا الى المعروف ونهى عن المنكر اي دعا غيره الى ذلك وعمل بنفسه وهذا
بجميع جميع الخيرات والطاعات فان كان قوله ومن احسن قولا على ذكر ما من المذاهب والسير فكانه
يقول ومن احكم واتقن مذهبا وسيرة ممن ذكر وان كان على حقيقة القول فيكون قوله ومن احسن
اي من اصدق قولا ممن قال ما ذكر والله تعالى اعلم وقوله تعالى وقال انني من المسلمين اي اختار الانتساب
الى الاسلام من بين غيره من الاديان والمذاهب وقد انتسب اهل الفرق الى الاسلام سوى اهل الحق
والثاني انتسب الى ما اختص الله سبحانه وتعالى تسميتهم به وهو الاسلام كقوله تعالى هو سماكم المسلمين
وقوله تعالى امة مسلمة لك وقال مخبرا عن ابرهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويكون
اسم المؤمن خاصا لاهل الحق فان اليهود والنصارى يسمون انفسهم مؤمنين ولا يمتنعون من
اطلاق اسم المؤمن ويمتنعون عن اطلاق اسم المسلم ولهذا يقال دار الاسلام ولا يقال دار الايمان
وان كان الاسلام والايمان واحد الاختصاص هذا الاسم بهم لا والله اعلم او يقال انه اختار النسبة الى الاسلام
وغيرهم من الناس ينسبون الى ما لهم من العز والشرف في الدنيا فيها او غير ذلك من الاسباب التي كانت تطرق في الدنيا
ثم اختلف فيه قال بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم هم المؤذنون وعلى ذلك روي
الاخبار انها نزلت في المؤذنين وقال بعضهم ذلك في كل مؤمن دعا الخلق الى طاعة الله تعالى اعلم وعن
انه تلا قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا قال هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا احب
الارض الى الله تعالى اجاب في دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته
وقال انني من المسلمين ان هذا خليفة الله تعالى والله اعلم قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
لا الاخيرة هنا زائدة كانه قال لا تستوي الحسنة والسيئة وقد يزاد حرف لا في الكلام وقد تبين
ذلك هنا ثم جائز ان يكون قوله لا تستوي الحسنة ولا السيئة وقوله ادفع بالتي هي احسن كل واحد
منهما موصولا بالآخر يقول لا تستوي الحسنة وجائز ان يكون كل واحد منهما مقطوعا عن الآخر

ان كان احدهما موصولا بالآخر يقول لا تستوي الحسنة والسيئة في جلب حب القلوب فما اليها والعطف عليها
الحسنة تجلب حب القلوب وتعطف الميل اليها لا السيئة ادفع بالتي هي احسن اي ادفع بالحسنة دون السيئة
هو كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الآية فعلى ذلك يقول
ههنا ان لا تستوي الحسنة والسيئة في الطاعة والميل وجلب حب القلوب بل هما مختلفان مفترقان فادفع
سيئتهم بالحسنة والله تعالى اعلم وجائز ان يكونا جميعا على الابتداء لا لاتصال لاحدهما بالآخر فان كان على الابتداء
فمعناه والله اعلم انكم تعلمون بعقولكم ان لا استواء بين الحسنة والسيئة ولا بين المحسن والمسيء وكذا الاستواء
بينهما في الحكمة وقد رايتم انهم قد استويا في هذه الدنيا في جميع ما فيها ولذا لابد من جمع بينهما في الجزاء والثواب
بما والله تعالى اعلم وهو ما ذكر في آية اخرى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقوله تعالى ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار افلا نجعل هذا كهذا وقد جعل هذا
كهذا في هذه الدنيا فدل ذلك على ان هنالك دارا اخرى فيها يقع ذلك التمييز والتفريق فعلى ذلك هذا والله
اعلم قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم صرف عامة اهل التأويل ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي جهل لعنه الله انه امر رسوله عليه السلام ان يدفع سيئة ابي جهل
بالحسنة لكن هذا لا يحتمل لانه لم يكن ابو جهل صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر حيث قال
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم بل دام مستمدا تماديه الى ان خرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر وقتل الناس عليه ذلك الاخبار التي فعل ذلك اللعين فدل انه لا وجه لصرف الآية اليه هذه
ثم يخرج قوله ادفع بالتي هي احسن على وجهين احدهما ادفع سيئتهم في حادثات الوقت بحسنة يكون
منك اليهم التي اذا احسنت اليهم كفوا عن الاساءة اليك في حادثات الوقت والله تعالى اعلم فيكون
في القصاص وكان امرها ادفع سيئتهم بالعفو والصفح عنهم اي لا تكافئهم بمساويهم
ولكن تجاوز عنهم واصفح فاذا فعلت ذلك يصير الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الاعتقاد
والله تعالى اعلم وقوله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا لامر الله تعالى والقيام بجميع اموره ونهيه وقيل
ولا يرزق الخصال التي ذكر ولا يوفق لذلك الا من عزم على الصبر على ما امر الله تعالى او الصبر على ذلك قوله
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم يقول لا يعطى هذه المعاملة التي ذكر من الدفع بالحسنة والصفح عن الجهل
الا من كان له حظ ونصيب عظيم عند الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله هذا يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون الاستعاذة التي ذكر هي مباشرة الاسباب
التي بها يدفع نزغ الشيطان ووساوسه مثل ان يأتي بالاسباب التي بها يتهيأ له ان يدفع بها نزغاته وهمزاته
وهذا كالاستغفار الذي امر به ليس هو امرا بان يقولوا نستغفر الله بالسنتهم ولكن امر بمباشرة اسباب
يقع ويجب لهم المغفرة بها فعلى ذلك الاستعاذة والثاني جائز ان يكون امر بالاستعاذة اياه
اياه امر له بسؤال اللطف من عند الله ليدفع به نزغاته وهمزاته والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يصح الاستعاذة
منه لانهم يقولون انه قد اعطى كل ما به يدفع نزغاته وهمزاته حتى لم يبق عنده شيء يملك اعطاءه اياه من
اللطف وغيره والله اعلم قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون كانه يقول والله تعالى اعلم ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الوهيته تعالى ووحدانيته كالليل والنهار انهما آيتان من آيات الله فاذا لم تعبدوا الليل والنهار
فكيف عبدتم الشمس والقمر والله تعالى اعلم او نقول ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى سخرهما لمنافع
الخلق كالليل والنهار مسخرات للخلق ولمنافع التي جعل فيها للخلق اذ لم يكن اكثر لم يكن دون منافع
الشمس والقمر فاذا لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتموهما ثم يذكر هذا لان منهم من كان يعبد الشمس
ومنهم من كان يعبد القمر ونحو ذلك سفههم بعبادتهم غير الله تعالى قوله تعالى واسجدوا لله الذي خلقهن
اي اسجدوا لله الذي انشأ هذه الاشياء انشاء هذه الاشياء وسخرها لكم ان كنتم اياه تعبدون اي
ان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء تقصدون القربة عند الله تعالى وان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء اياه تريدون
لانهم كانوا يعبدون هذه الاشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده وان تلك ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى يقول ان كنتم اياه تقصدون بعبادة هذه الاشياء فاسجدوا له واعبدوه لا امركم بالسجود
والعبادة والله الموفق قوله تعالى فان استكبروا قد ذكرنا فيما تقدم ان الاحد لا يقصد قصد الاستكبار على
ثم يخرج هذا على وجهين احدهما بطاعة الرسل عليهم السلام فان استكبروا عن اتباع الرسل الذين هم
استكبارهم عليهم كالاستكبار على الله تعالى والثاني ان عبادة الله تعالى وقد جعل في

بلا له العبادة له فاذا ترك الايمان بامره ولم يعتقد الايمان لذلك الامر فيكون استكبارا عليه ولذا
قوله تعالى فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون * يقول تعالى فان استكبروا عن
عبادة الله تعالى فان وحشاك ذلك فاذكر عبادة من عنده من الملئكة بالليل والنهار حتى تستأنس بذ
والله اعلم وهو كقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك ان تستوحش باستهزائهم به فذكر له استهزاء اولئك
ليقل في نفسه فكانه ليس باول من استهزئ به فهذا مثله والثاني فان استكبر هؤلاء عن عبادة الله وعن
عبدوا الملئكة والاصنام وغيرهم فالذين عند ربك ممن عبدهم هؤلاء لم يستكبروا بل يسبحون له بال
الليل والنهار وهم لا يسأمون وهو كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الآية
وكقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون يقول لن يستنكف هؤلاء
عن ان يكونوا عبيدا لله في المسيح ومن ذكر لن يستنكف عن ذلك وقوله وهم لا يسأمون يخبر انه لا يسأمو
يخبر انه لا يسأمون عن عبادته كما يسأم البشر احيانا عن عبادته والله اعلم قوله تعالى ومن آياته انك ترى الارض
خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقال فيما تقدم من آياته الليل والنهار والشمس والقمر
فيما ذكر من الآيات آيات وحدانيته وآيات قدرته وعلمه وتدبيره وآيات حكمته اما وحدانيته فالليل والنهار
والشمس والقمر وانه اذا كان سلطان احدهما ليلا او نهارا او شمسا او قمرا يمنع عن كون الآخر لو كان
ذلك فعل عدد لكان منع الآخر من اتيانه اذا ذهب سلطانه واذا لم يكن دل انه فعل واحد ودل جريانهما كذ
من الليل والنهار والشمس والقمر على سنن واحد وسنن ولحد منذ كانا الى آخر ما يكونان على انه
عليم مدبر بعلم ذاتي وتدبير ذاتي ليس بمستفاد ولا مكتسب عدد لسيرهما وجريانهما في يوم واحد
واحد وعشية كذا وكذا فاما على نعتهما قادر له قدرة ذاتية لا يعجزه شيء اذ القدرة المستفادة
والمكتسبة لا تبلغ ذلك وكذلك ما ذكر من احياء الارض بعد موتها واخراج النبات منها كذلك دلالة في الكلي
كله من دلالة الوحدانية ودلالة العلم الذاتي والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير لان احياءها
بعد موتها واماتتها بعد احيائها اما هاد دل على انه فعل واحد لا عدد لانه لو كان عدد لكان اذا احيا منع
الاماتة وكذلك اذا اماتت هذا منع الآخر الاحياء على ما يكون من فعل ذي ملك الارض فاذا لم يمنع
ذلك دل انه فعل واحد لا عدد لجريان ذلك كله في كل عام على مجرى واحد وسنن واحد وعلى مقدار واحد
من النبات وغيره على انه انما كان بعلم ذاتي وحكمة ذاتية ودلت القدرة على احيائها بعد موتها واماتتها
بعد حياتها ان له قدرة ذاتية لا يعجزه شيء من البعث وغيره ثم جعل جل وعلا في مقدوره فوق ذلك من
جميع النبات الخارج من الارض على اختلاف اجناسها وجواهرها حتى يكون حياة كل شيء من ذلك به
ان ذلك كان بكون لطف منه لا يبلغه فهم البشر ولا علمهم ثم ذلك النبات مع لينه وضعفه ورقته
يشق تلك الارض مع شدتها وصلابتها ويخرج منها لما لا يتوهم خروج شيء من الاشياء منها لا يفعل احد
سواه دل ذلك على قدرته ولطفه والله اعلم ثم قوله تعالى ترى الارض خاشعة اي متخشعة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت اي تحركت بنباتها وربت اي صارت حية او ربت وزينت بما عليها من النبات وقال القتبي
اهتزت بالنبات وربت علت وانتفخت وقال ابو عوسجة اهتزت اي تحركت وربت من الزيادة
ان الذي احياها لمحيي الموتى ظهر كما ذكرنا انه الذي ملك ذلك وقدر على احيائها القادر على احياء الموتى بعد
موتهم انه على كل شيء قدير اي لا يعجزه شيء قوله تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا قال بعضهم يلحدون برفع
الياء وقرأ بعضهم بنصبها فمن قرأ بالرفع فتأويله ان الذين يميلون عن قبول آياتنا قال ابو عوسجة الالحاد
الميل والحد ولحد من هذا ومن قرأه بالنصب يقول يعدلون يقول يعملون في آياتنا اي الذين يعملون
في دفع آياتنا وابطالها لا يخفون علينا هذا الوعيد ووعيد يقول لا يخفون هم وما يعملون علينا نجزيهم
بذلك والله اعلم قوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة * يشبه ان يكون هذا صلة
لآيتين تقدم ذكرهما احدهما قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة الآية
هذه في المؤمنين وقال في الكافرين فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الآية والآية الثانية وهو قوله
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يقول افمن يلقى في النار بما له من الشر خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة
عن ذلك باعماله الحسنة اي تقولوا ان من يلقى في الآخرة في النار ليس كالذي يأتي آمنا من ذلك كله والله اعلم
قوله تعالى اعملوا ما شئتم يحتمل هذا وجهين احدهما على التخيير لانه جل وعلا بين السبيلين جميعا
بيانا شافيا واضحا وبين عاقبة كل سبيل من سلكه الى ماذا يفضي به اليه ثم قال اعملوا ما شئتم اي اسلكوا اي سبيل
ما شئتما فان سلكتم طريق كذا فلكم كذا وان سلكتم طريق كذا فلكم كذا والله اعلم والثاني على الوعيد كقوله

بصير

بصير على الوعيد قوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم * سمى القرآن ذكرا ويحتمل وجوها احدها سماه ذكرا لما
ذكر من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا او سماه ذكرا لما ذكرهم ما نسوا من احكام الله تعالى او ذكرهم ما عليهم
ان يتقوا وما لبعضهم على بعض [illegible] قوله تعالى وانه لكتاب عزيز يحتمل قوله لكتاب عزيز لانه لا يجحده الجاحدون ولا يكذبه
[illegible] عزيز عند الله كريم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] قوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * قال بعض اهل التأويل لا يأتيه الكتاب
من بين يديه [illegible] يبطله ولا يأتيه كتاب بعده يبطله بل يصحح ما قبله من الكتب والله اعلم ويحتمل
ان يكون [illegible] لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [illegible] لا يستطيع ان يبطل منه حقا او يحق منه باطلا
او ينقص منه حقا او يزيد فيه باطلا بل هو على ما ذكرنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال بعضهم
لا يكذبه الكتب التي كانت من قبله ولا من خلفه اي لا يجيء من بعده كتاب يكذبه [illegible]
[illegible] تنزيل من حكيم حميد [illegible] لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه [illegible] من الشيطان فلا يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا [illegible] انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون [illegible] لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
الخلف [illegible] من بين يديه [illegible] يوم الدين [illegible]
[illegible] والله اعلم قوله تعالى تنزيل من حكيم حميد * اي هذا القرآن هو تنزيل من حكيم حميد الحكيم هو الذي
لا يلحقه الخطأ في تدبيره [illegible] والحميد هو الذي [illegible] وقوله ان الذين
كفروا بالذكر لما جاءهم [illegible] كتاب عزيز لم يخرج الجواب [illegible] في هذا الموضع ثم قال بعضهم جوابه ما ذكر
في آية اخرى بعد هذا وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعضهم بل جوابه ما ذكر في حم المؤمن حيث
قال تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعزي النبي صلى الله عليه وسلم ويصبره ليصبر على ما كانوا يقولون
له انه كذاب وانه ساحر وانه مجنون وانه انما يعلمه بشر وانه مفتري وغير ذلك من انواع الاذى كانوا يؤذونه وقد كان
يشتد عليه ذلك ويثقل لانه كان يدعوهم الى ما به نجاتهم وهم كانوا يستقبلونه بما ذكر فقال تعالى عند ذلك
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والنسبة الى السحر والجنون وغير ذلك يصبره على ذلك
وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الآية ويحتمل انه انما ذكر ذلك ليسلي به في بعض ما يلحقه من
الضجر والوحشة [illegible] ليس باول مكذب من الرسل [illegible] قوله تعالى
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم * يقول والله اعلم على اثر ذلك ان ربك لذو مغفرة لو تابوا
ورجعوا عن ذلك وذو عقاب اليم لو ثبتوا وداموا على ذلك ويقول والله اعلم على الصلة كقوله قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ان الله لذو مغفرة يغفر لهم ما كان منهم من التكذيب لك والتكذيب القرآن لو تابوا
ورجعوا وصدقوا وذو عقاب اليم ان لم يتوبوا ويثبتوا على ذلك والله اعلم او يذكر هذا ليسلي النبي كانهم
ومجازاتهم بما كان منهم اي ذلك الي ان شئت غفرت لهم اذا رجعوا عنه وان شئت عاقبتهم وهو كقوله
ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم الآية قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي
وقال في آية اخرى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال في موضع اخر ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يذكر في هذه الآيات كلها سفه
اهل مكة وشدة تعنتهم يقول لو انزلنا عليك الكتاب جملة في قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينونه
قالوا ما هذا الا سحر مبين ويقول ايضا والله اعلم ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الاعجمين بلسانه فقرأه عليهم
اي على اهل مكة بلسان العرب بحيث يفهمون ما كانوا به مؤمنين لان قراءة الاعجمي اياه بلسان العرب اكثر في الآية
واعظم في الاعجوبة من قراءة العربي بلسان العربية اذ قراءة كل احد انما يعرف باللسان الذي هو لسانه اكثر في الآية
وفي الاعجوبة من القراءة بلسان هو لسانه يقول لو نزلناه على من لسانه لسان العجم والقرآن عربي فقرأه الاعجمي بلسان العرب
على اهل مكة بلسان العرب فهو اكثر اعجوبة واعظم في الآية لكانوا لا يؤمنون به فعلى ذلك يقول والله اعلم لو جعلناه
قرآنا اعجميا وما بينوا نزول ذلك على محمد بعينه واداه وقرأه عليهم بلسان العرب لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي
يعنون القرآن وعربي اي محمد عليه السلام يقولون القرآن اعجمي ومحمد عربي فكيف يكون هذا اي لا يكون هذا
ويكذبونه ولا يؤمنون به مع ذلك ما ذكرنا ان اداه بلسان ليس ذلك لسانه وقراءته بغير ذلك اللسان اكبر في الآية
واعظم في الاعجوبة اذا امكن الاختلاف من نفسه باللسان الذي هو لسانه ومن هو ذلك وغيره وهو ذلك
اذا لم يكن ذلك لسانه يخبر عن سفههم وشدة عنادهم في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به والله تعالى اعلم

وقال بعض اهل التأويل كان النبي عليه السلام بان احيانا يدخل على رجل اعجمي يقال له ابو فكيهة فقالوا انما يعلمه بشر فقال
تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا بلسان اعجمي لقال كفار مكة لولا فصلت آياته كالعربية اي بينت حتى نفقهه ونعلم
ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقالوا اعجمي انزل عليه القرآن ومحمد عربي فانى له عربيا لنفقهه ولا يكون له
الا ضلالة الاحتجاج وقال بعضهم لولا فصلت آياته حتى يفهمها العجمي القرآن والكل عربي وقال ابو معاذ يكون
معنى هذا ان الله تعالى يستفهم قرآنا اعجميا على رجل عربي ولا يفهمونه فتكون الحجة لهم بذلك وهو مثل الاول وقال
بعضهم اعجمي وعربي استفهام من قريش يكون معناه لو انزلناه قرآنا اعجميا على رجل عربي لقالوا اعجمي وعربي كيف
يفهم هذا وكيف نعقله لكنا قد ذكرنا ان هذا في الدلالة اكبر وفي الاعجوبة اعظم والوجه فيه ما ذكرنا وقال القتبي
لولا فصلت آياته اي انزلت عربية مفصلة بالاي فان التفصيل بلسان العرب لكنا لسنا ندري ما يريد بهذا الكلام
ان التفصيل بلسان العرب وقال بعضهم لولا فصلت آياته اي هلا فرقت آياته حتى جعل من كل لسان من لسان العجم ولسان
العرب حتى يفهمها اهل كل لسان والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على انه لو انزل بلسان العجم لكان قرآنا وان اختلف
اللسان لا يتغير ولا يجوز ان يكون قرآنا والله اعلم فيكون دليلا لقول ابي حنيفة انه اذا قرأ بالفارسية في صلاته
يجوز صلاته والله اعلم وقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى
وصف الله تعالى هذا القرآن بالشفاء والرحمة والهدى وسماه مرة عزيزا كريما مجيدا حكيما وهو دون ذكر لصلة (?)
والحيرة والشك وكل شبهة وشفاء لكل داء وسقم يكون في الدين والانفس جميعا وهو شفاء لذلك كله وهو هدى
ثم يحتمل الهدى وجهين في هذا الموضع احدهما هو هدى لكل ضلالة اي دعا الى الدين ضد الضلال او كان هدى
اي جعل بيانا لكل حيرة وشك وشبهة من اتبعه وقبله ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل دعاه الى سبيله ودينه
ويخرجه من الضلال ويكشف بيانا لكل من فيه الحيرة والشك والشبهة ويجلي له الطريق ويوضح له السبيل ويخرجه
من الشبهة فهو للمؤمنين ما ذكر من الهدى والشفاء لانهم قبلوه واتبعوه ويكلفوا العمل بما فيه واما الكفرة فهو عليهم
عمى وحيرة وشك لانهم لم يقبلوه ولم يتبعوه ونظروا اليه بعين الاستخفاف والهوان ونبذوه وراء ظهورهم
فلم يبصروا ما فيه فصار لهم عمى وما ذكر والله اعلم وكذلك قوله تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد سماهم غيبا
ان كانوا بانفسهم حضورا شهودا وسماهم موتى وان كانوا في الحقيقة احياء وسماهم صما وبكما وعميا وان كانت لهم
هذه الجوارح لما انه نفيت منافعها عنهم ليعلم ان المقصود بانشاء هذه الجوارح والانفس لا نفس هذه الجوارح والانفس
ولكن طلب ما غاب عنها وخفي ذا انفسهم في الحقيقة كانت شهودا وحضورا سماهم غيبا واحياء وبصراء وسماهم
موتى وعميا فما ذكر ليعلم انها انما جعلت ليكتسبوا بها الحياة الدائمة والنصال (?) فما ذكر من كل شيء من السمع وغيره
وكذلك هذه النعم التي جعلت في الدنيا جعلت ليكتسبوا بها النعمة الدائمة فاذا لم يستعملوها فيما جعلت صار
كما ذكر والله اعلم فقال بعضهم وهو عليهم عمى اي عموا عنه وقال بعضهم وهو عليهم عمى لهم في الاخرة جزاء ما عموا
في الدنيا كقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقيل
قوله اولئك ينادون من مكان بعيد بعيد ما فهم قوله اي انهم بمنزلة المرسل الذي لا يفهم ما ينادي من مكان بعيد
وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كانه يقول والله اعلم انا قد آتينا موسى الكتاب فعلموا انه انزل
من عند الله حيث شاهدوا نزوله جملة ومع انهم عرفوا ذلك جملة انهم عرفوا ذلك اختلفوا فيه حتى كذبه بعضهم فعلى
ذلك نقول والله اعلم لو انزلنا القرآن عليك اعجميا كما دعتهم اليه بلسان العرب لكذبوك ولا يصدقوك وان كان
ذلك من الدلالة اكبر وفي الاعجوبة اعظم على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذي انزل عليهم يذكر تسفيههم وتعنتهم
والله اعلم وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ظاهر هذه الاية على ما ذكر
من المنة والرحمة في تاخير العذاب بما هو لقوم موسى وهو قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لكن اهل التأويل اجمعوا
على صرف هذه المنة والرحمة في تاخير العذاب لهذه الامة وكذا فيهم ظهرت المنة في العفو عن الاهلاك في الدنيا
ودفع سائر الامم والله اعلم ثم لظاهر قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم استدلال واحتجاج لاهل الاعتزال
لان مثل هذا في الشاهد انما يقال لاحد معنيين اما الجهل بالعواقب او العجز وعلمنا وجدنا ان الله تعالى عن الوصف
بعواقب الامور وبالوصف عن العجز عن شيء بما اقام من الايات والبراهين على العلم والقدرة ثم قوله ولولا كلمة
سبقت من ربك يحتمل الكلمة والحجة كقوله ويحق الله الحق بكلماته وقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ويحتمل
ان يكون الكلمة من الدين كقوله وكلمة الله هي العليا ويحتمل الكلمة هي الساعة اخر عذاب هذه الامة اليها فقال بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر والله اعلم ومن الجائز ان يكون الكلمة هي هنا ما سبق من المنة لهذه الامة ان لا يعذبهم
وقت استحقاقهم العذاب وسبق منه المنة والرحمة بتاخير الهلاك عن وقت اكتسابهم اسباب الهلاك وعلى هذا
الخوارج كقولهم ان ليس لله ان يعفو ويؤخر العذاب عن من وجب عليه واستحقه او كلام نحو هذا من وجوه هذه الاية

تاخير

تاخير العذاب عنهم الى وقت وان لم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة في ذلك معنى وهو كما قال وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر جل وعز انه انما امتحنهم فيما امتحنهم
لمنافع ترجع الى انفسهم ولمضار تدفع عن انفسهم وكذا انما امتحنهم وامرهم ونهاهم لمنافع يكتسبون لانفسهم
ولمضار يدفعون بذلك عن انفسهم ليس كملوك الارض انهم يمتحنون الخلق ويامرون وينهون ويستعملونهم لمنافع انفسهم
ولمضار يدفعون بها بذلك عن انفسهم فاما الله تعالى فانه انما يمتحن الخلائق لمنافع يجرون الى انفسهم ولهم حصول تمام
ذلك الامتحان والامر والنهي وعليهم حصول الضرر بذلك لانفسهم بما يعملون ما يعملون من الخير والطاعة وعليهم
ما يعملون من الشر وكذلك قال وما ربك بظلام للعبيد وقد بين السبيلين جميعا بيانا شافيا واقام لكل ذلك حججا
وبراهين وبين ان من سلك سبيل كذا افضاه الى كذا في العاقبة الى نعيم دائم وسرور دائم ومن سلك سبيل كذا فعذاب دائم وترح
وشرور دائم ومن سلك السبيل الذي عاقبته النار والخزي فقد ظلم نفسه اي هلك هو الذي وضع نفسه في ذلك
ومن سلك السبيل الذي عاقبته الجنة والنعيم الدائم فهو باختياره وصل ذلك فهو تفسير قوله تعالى وما ربك
بظلام للعبيد والله اعلم وقوله تعالى اليه يرد علم الساعة يحتمل من الله تعالى وصدق رسله عليهم السلام من اهل السماء
واهل الارض انه ليس عندهم وقت الساعة فان ذلك يخفى عليهم لا يعلمونه وان علم ذلك عند الله تعالى وهو كما قال
عز وجل يسألونك عن الساعة ايان مرساها الباطنية والروافض ان علم ذلك عندهم على ما ذهبوا وفي زعمهم
اما الروافض فانهم يدعون الائمة ويقولون ان الساعة في ايام كذا وفي زمان كذا واما الباطنية يقولون ان اسم الساعة
والقيامة ونحو ذلك انما هو اسم قائم الزمان وانه فلان فعلى قولهم نظيرهم قيامها وهو خلاف ما ذكر في الكتاب
وما اجمع عليه اهل السماء والارض والله اعلم وقوله تعالى وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
جاز ان يكون ما ذكر من اخراج الثمرة من الاكمام وما ذكر من حمل الانثى ووضعها وهو موصول بقوله اليه يرد علم الساعة
فان كان ذلك فمعناه لا يعلم ذلك الا هو ولا يعلم وقت خروجها ولا وقت خروجها ولا احد يعلم انه كيف
يخرج الكل وكذلك الولد لا يعلم كيفية خلقته ولا اقتداره ولا مقداره وانما يتعلق علم ذلك الى الله تعالى كعلم الساعة
والله اعلم ويجوز ان يكون قوله وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى الا بعلمه على الابتداء ليس
على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن آياته انك
ترى الارض خاشعة الى آخر ما ذكر فعلى ذلك نقول والله اعلم ومن آياته الوحدانية ووحدانيته وانه يعلمه
ومن آياته ان يخرج الثمر من اكمامها ومن آياته ان يحمل الانثى وتضعه وهو الله تعالى انشأ تلك الثمرة في الاكمام
والولد في البطن في حجب ستر وزيادة في تلك الحجب السواتر وغذاءها غذاه ودفع منه جميع الاذى من البرد والحر وجميع
ما يؤذيه لضعفه ولطافته لطف انشائه وجهه وصورته في تلك الحجب والسواتر باحسن صورة ليعلم انه حسن وحد
وان له علما وقدرة ذاتية ازلية لا مكتسبا ولا مستفادا اذ العلم المستفاد والقدرة المستفادة لا تبلغ ذلك وبالله
ثم قوله من اكمامها والموضع الذي كانت فيها مستترة وعلى كل شيء كمه وانما سمي كم القميص من هذا قال ابو عوسجة
اكمامها طلعها التي يكون فيها الحمل ونبق عنها والشقق الشقق يقال تفتقت الاكمام عن الثمرة اي وقوله تعالى
ويوم يناديهم اين شركائي يذكر هذا يخبر عما يسألون يوم القيامة وما يكون من جوابهم لذلك السؤال لعلهم يمتنعون
عن ما يجدون ونحوه يقول ايناديهم اين شركائي اي اين الذين تزعمون انهم شركائي في الدنيا اين الذين تعبدون في الدنيا
وتدعون انها آلهة وانهم شفعاؤكم عندي وقال لا يحتمل ان يقول لهم الرب جل وعلا اين شركائي وعلا شريك له
ولكنهم غيره ولكن ما ذكرنا وقوله تعالى قالوا آذناك ما منا من شهيد قال بعضهم آذناك اسمعناك قيل معناه السؤال
ان يكون معنى آذناك اخبرناك اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم لا يتحقق انما الاخبار العالم على الذي يحقق
بما علم به والله اعلم ثم اختلف في ذلك انه قول من قال بعضهم قول اولئك الكفرة الذين نودوا او يحتمل يقولون اخبرنا
انه لم يكن احد منا اليوم يشهد بذلك او يقولون بالشريك او بلاء شرك يخرج على الانكار والجحود والكذب لهم
لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا وهو كما ذكر عنهم في آية اخرى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين انكروا ما كان منهم من الاشراك فعلى ذلك قولهم آذناك ما منا من شهيد اي لم نشرك بك
احدا ولم نتخذ من دونك آلهة والله اعلم وقال بعضهم قوله آذناك ما منا من شهيد هذا من قول الاصنام والذين
عبدوهم من دون الله في الدنيا يقولون ما منا من شهيد على عبادتهم وتلك ايانا ولا امرناهم بذلك وهو كقوله وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وقولهم لم نكن ندعوا من قبل شيئا اخبر انهم كانوا غافلين عن عبادتهم اياهم وانهم
لم يامروهم بها ولم يعلموا بذلك فقولهم آذناك ما منا من شهيد اي اعلمناك قوله آذناك على هذا التأويل هو ما ذكر وان كنا
عن عبادتكم لغافلين والله اعلم ثم اذا الكفرة في يوم القيامة مرة انكروا عبادتهم غير الله واحيانا اقروا بها وتبرءوا
او منهم سالوا الرجوع الى المحنة والرد الى الدنيا على اختلاف الاحوال والاوقات فذلك اليوم اذ لا يكون [illegible]

المختلفة في وقت والله اعلم وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل هو ما ذكر في آية اخرى حيث قيل لهم اين
شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام في الدنيا رجاء ان تشفع
لهم في الآخرة وتقربهم الى الله زلفى فلما ايسوا رجاءهم وطمعهم قالوا ضلوا عنا فعلى ذلك قوله وضل عنهم ما كانوا
يدعون من قبل في الدنيا وقوله تعالى وظنوا ما لهم من محيص اي ايقنوا وعلموا ان لا محيص لهم ولا نجاة وقال ابو عوسجة ما لهم
من محيص اي مهرب وقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤوس قنوط وقال في آية اخرى واذا
انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هاتان الآيتان في ظاهر المخرج احداهما تخالف
الاخرى لانه ذكر في احداهما الاياس والقنوط اذا مسه الشر وفي الاخرى كثرة الدعاء اذا مسه الشدة والبلاء
ومن طباع الخلق والعرف فيما بينهم اذا ايسوا وقنطوا لا يدعون ولا يسألون بل يتركون سؤالهم واذا طمعوا ورجوا
ذلك سألوا ودعوا هذا هو العرف فيهم فدل ان بينهما مخالفة من حيث الظاهر لكن نقول ان الآية تخرج على وجوه
يحتمل ان كل واحد من الآيتين في انسان بعينه كشاد اليه سوى الآخر كان عادة احدهما على الاياس والقنوط من
الخير وترك الدعاء والسؤال وكان عادة الآخر الدعاء والتضرع اليه والسؤال في كشف ذلك عنه فاخبر جل وعلا
رسوله عليه السلام ما اضمر كل واحد منهما في نفسه احدهما الاياس والقنوط والآخر الدعاء والسؤال ليكون ذلك
في الخبر ليكون له عليهم دلالة الرسالة وآية النبوة اذ انباه عن ضمير كل واحد منهما ما في نفسه ليعلم انه
رسول انما علم ذلك بالله جل وعلا والله اعلم والثاني ان الكفرة كانوا على مذاهب شتى مختلفة فرقة كانت تعبد
في حال الرخاء والسعة وتتقلب في حال البلاء والشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن
به الآية وفرقة كانت تتضرع الى الله تعالى وتقبل اليه عند اصابة الشدة والبلاء وتعرض عنه عند كشف ذلك عنهم
وتوسيع النعم عليهم نحو قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الآية ونحو كثير في القرآن وفرقة كانت تكون في الحالين
جميعا على الاعراض عنه وترك الاقبال اليه والطاعة له لا يفزعون اليه ولا يقبلون لا في حال الرخاء والسعة
ولا في حال البلاء والشدة كقوله تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وفرقة كانت
ترى الحسنة والخير من انفسهم واذا اصابت سيئة وشدة تطيروا بالرسل عليهم السلام كقوله تعالى فاذا
جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى عليه السلام ومن معه وقوله تعالى قالوا
اطيرنا بك وبمن معك واذا كانت الكفرة على هذه المذاهب المختلفة وكانت اجناسا شتى فيكون كل آية منها
في جنس غير جنس الآخر وفي اهل مذهب غير اهل مذهب آخر فالمسلمون فيكونون في الحالين جميعا على التوكل
والاقبال الى الله تعالى في حال الرخاء والسعة وفي حال البلاء والشدة وهو على ما استثناهم الله تعالى عند ذكر الكفرة
حيث قال انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الآية وانما
ذلك يعني الآية وصفهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم في الاحوال كلها والله اعلم والثالث جائز ان يكون
ما ذكر من الآيتين على ما ذكر اخبار عما طبع عليه البشر وانشئ البشر وطبع على الرغبة في الخير والسعة والنفار
عن الشدة والبلاء والكراهة له فهذا اخبار عما طبع عليه وانشئ البشر على حقيقة اظهار ذلك منهم لا
وفعلا على ما طبع كل انسان ان يتكلم اصلا في السعة والرخاء فانه ما ذكر لا يسأم من دعاء الخير كان ذهابا الى البلاء
والشدة والله اعلم وقوله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وقال بعضهم هذا لي
اي اعطانيه من خير علمه مني ويحتمل ان يكون ما ذكرنا انهم كانوا يتطيرون بالرسل عليهم السلام عند البلاء والشدة
والسعة يرون من انفسهم حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الآية وقوله تعالى وما اظن الساعة
قائمة كانوا ينكرون البعث والجزاء لما علموا في الدنيا ثم يقولون ولئن كان ما ذكر محمد من البعث والجزاء
والجنة ان ذلك لنا دونهم وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ان رجعنا الى ربي على ما يقوله
محمد ان لي عنده للحسنى وهو على ما في الدنيا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لما اتى السعة لانفسهم في الدنيا دون
المؤمنين فعلى ذلك في الآخرة قالوا لنا دونهم والله اعلم ثم اخبر تعالى عما ينزل بهم في الآخرة وقوله
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وكيف يخبرهم بما عملوا اي ذلك كان منهم تمنيا وتشهيا
بل يذيقهم العذاب الغليظ والله اعلم وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض هو ما ذكرنا من دعائهم وسؤالهم الخير وطمعهم ذلك وقوله فذو دعاء عريض قال ابو عوسجة
ونأى بجانبه اي تباعد عما امره فذو دعاء عريض اي كثير الدعاء لا يمل ولا يسأم وكذا قال القتبي وقوله تعالى
قل ارأيتم ان كان من عند الله يقول ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به وجائز ان يكون على الابتداء
بجواب لقوله ارأيتم انه كان من عند الله كفرتم به ويكون لم يذكر جوابا ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
انه ما اتى به محمد كان من عند الله ثم تريدون فما ظنكم برب العالمين لم يذكر له جواب لما عرفوا انه من يردون عبده

بعد معرفتهم انه آفك وانه كذب وباطل بالله ماذا يفعل بهم فلم يذكر هنا حال بعد معرفتهم بما يفعل بهم فعلى ذلك
قوله قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به يجوز ان لم يذكر الجواب لما عرفوا انه ما يفعل بهم وما يستوجبون منه
بما ابدوا وعادوه بعد معرفتهم انه من عند الله جاء ثم كفروا به والله تعالى اعلم بما كان موصولا بما ذكر من قوله من اضل
ممن هو في شقاق بعيد فيكون كانه يقول والله اعلم ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فاذا كفرتم ضللتم فمن اضل
ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف بعيد فيكون جوابه كانه قال لا احد اضل ممن عرف انه من عند الله ثم خالفه
وتباعد عنه على ما ذكرنا في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اختلف فيه قال بعضهم سنريهم
آياتنا اي نريهم عذابنا الذي نزل بالامم المتقدمة في بلاد عاد وثمود وقوم لوط كانوا يمرون عليها ويعرفون
بما انزل بهم ذلك وهو تكذيبهم الرسل وعنادهم ونريهم عذابنا ايضا في انفسهم ببدر حيث قتل
رؤساؤهم يومئذ حتى يتبين لهم انه الحق يقول ان القرآن هو الحق من الله تعالى لا ذكر هذه الاخبار عن الذين كذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم سنريهم آياتنا في الآفاق هو ظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد
والقرى النائية وفتحها عليه وفي انفسهم فتح مكة تطلعون عليهم على ما وعدهم به جل وعلا من النصر له
وفتح البلاد والقرى فيكون هذا التأويل آية له ودلالة لرسالته ونبوته والله اعلم ويحتمل قوله سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم آيات وحدانيته والوهيته اما في الآفاق فبما جعل منافع البلاد النائية والقرى البعيدة
متصلة بمنافع البلاد القريبة ومنافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم انه تدبير واحد
وهل حزم لا عدد ان يكون ابتداء الآفاق ورفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها بلا سبب ولا تعليق
من اعلاها ولا عماد من اسفلها وفي انفسهم من احوالهم وتقلبهم في الارحام من حال النطفة الى حال العلقة
ومن حال العلقة الى حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال الانشاء والتصوير والتركيب الى آخر ما ينتهي
اليه امره ليعلم انه صنع واحد وتدبير فرد لا تدبير لاحد سواه في ذلك فهذا التأويل في آية الالوهية
والوحدانية والاول في آيات الرسالة والله اعلم وقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد كانه يقول
اولم يكفك ربك شاهدا انه من عنده على ما يقولون انت وتقول اولم يكفك ربك ناصرا ومعينا ويكون قوله اولم يكف
اي يكفيهم ما جاء من عند الله من البينات والقرآن كقوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم لانه فعلى
يحتمل هذا ويحتمل اولم يكفهم آية على رسالتك او آية على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله والله اعلم وقوله تعالى الا انهم
في مرية من لقاء ربهم اي انكرتهم في مريتهم في البعث الا انه هو الذي يحاسبهم على كل شيء ما جاء من عند الله والله اعلم

سورة حم عسق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم عسق قال بعضهم حم هو اسم
من اسماء الله تعالى وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقال بعضهم حم اي قضي ما هو كائن وقد ضعف هذا القول
ابن عباس رضي الله عنه والصحيح من الاقوال ان حم خبر لمبتدأ محذوف وتنزيل الكتاب خبره من صفة الكتاب
والتقدير هذا حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال بعضهم حم عسق عين عبارة عن الشيخ والقاف كناية
عن القدر فيقول لصاحب هذا القول يخرج عين من الارض فيها لعنة او يبنح رجل من هذه الامة بالمبادة فقد
الناس بالتجارة والله تعالى اعلم وقال بعضهم وهو قول ابن عباس حم سق على اسقاط حرف العين ثم يقول السين
كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون ونودي كانه كان يحمل على ابن ابي طالب كرم الله وجهه حسا العين وكذلك
ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه حم سق على طرح العين وقال بعضهم العين عبارة عن العذاب والسين سيكون والقاف
عبارة عن الوقوع اي قضى ما سيكون ذلك والله تعالى اعلم وذكر عن جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنه قال العين عبارة
عن العذاب والسين عبارة عن سيكون وقيل يعني القاف وقال العجب من كلام نحو والله تعالى اعلم وقال بعضهم العين
عبارة عن علمه والسين السلام والقاف عبارة عن القدرة وهذا محتمل وجائز ان يكون حرف من هذه
الحروف المقطعة عبارة عن صفة من صفاته او اسم من اسمائه على عادة العرب بالاكتفاء بحرف عبارة عن
الكلمة فالحاء عبارة عن حلمه وحكمته والميم عبارة عن ملكه ومجده والعين عبارة عن علمه والسين عبارة
عن سنائه وسؤدده والقاف عبارة عن قدرته وقوته فيكون كل حرف من هذه الحروف عبارة عن اسم من اسماء
الله او صفة من صفاته او عبارة عن حكم من احكامه وهذا الذي ذكرنا كله على الامكان والاحتمال لا يقطع على تحقيق
تفسير لما ذكرنا وان ما ذكرنا انه من المتشابه وانه من السر الذي لم يطلع الله تعالى عليه احدا الا رسله عليهم السلام

وقوله تعالى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك أي كما أوحي إليك فقد أوحي إلى الذين من قبلك مثله
في قوله كذلك قال بعضهم أي كما أوحينا إليك بسورة حم عسق أوحينا بها إلى الذين من قبلك وقال بعضهم
أي كما أوحينا إليك بهذه الحروف يعني حم عسق بعينها فقد أوحينا بعين هذه الحروف إلى الذين من قبلك وقوم
وقال بعضهم كما أوحينا الكتاب حم عسق أوحينا إلى الذين من قبلك غير [illegible] والله أعلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال ليس من نبي إلا وقد أوحي إليه حم عسق كما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ما ذكر
وقوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض يخرج ذكرها في هذا الموضع على وجوه أحدها أي له ما في السموات وما
في الأرض شهود على ألوهيته ووحدانيته والثاني أنه ما في السموات والأرض وما فيهما له دلالات على
ربوبيته والثالث له ما في السموات وما في الأرض أي كلهم عبيده وملكه فلا يحتمل أن يتخذ من ملكه
وعبيده ما ذكروا من الولد والشريك والصاحبة وما قالوا ولا أحد يتخذ من عبيده وملكه ما ذكروا من الولد
والشريك والصاحبة فتعالى ذلك تعالى الله من أن يكون له في ملكه ما ذكروا والله تعالى أعلم وقوله تعالى وهو العلي
العلي العظيم في الشاهد يكون من وجوه ثلاثة أحدها العلو عبارة عن القهر والغلبة يقال فلان علا
على فلان أي غالب قاهر والعظمة عبارة عن القدرة والمنزلة والثاني يكون العلو عبارة عن الكبرياء
والسؤدد ويكون العظمة والثالث العلو يكون عبارة عن الارتفاع في المكان والعظمة عظمة في البدن
والنفس وهذا مما لا يكون فيه كبير وقدر والأشياء من ذلك ولا يتزيد الشخص صاحبه برفعة ولا مرتبة
والله تعالى عن الوصف بهذا فإنما يرجع الوصف له بالعلو والعظمة إلى الوجهين الأولين السلطان والقدرة
ونفاذ الأمر والمشيئة أو الكبرياء والغلبة فأما ما يرجع إلى الارتفاع في الأمكنة أو في البدن فهو وصف الخلق
وهم الموصوفون بذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
يحتمل هذا وجهين أحدهما تكاد يتفطرن لذنوب أهل الأرض ونفسا (؟) ذهو وعظيما قالت الملحدة في الله
من الولد والشريك والصاحبة كادت تنشق لذلك وتتفطر كقوله تعالى في آية أخرى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا بين في هذه الآية أنها كادت تتفطر وتنشق
لما ادعوه على الرحمن ولدا فعلى ذلك يحتمل ههنا هذا المعنى والله أعلم والثاني كادت تنشق لكثرة أهلها
عليها واستغفارهم (؟) [illegible] على أهل الأرض ويحتمل تكاد تنشق لعظمة الرب وجلاله وعظم سلطانه
كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أخبر أنه لو جعل في الجبل
والأرض والسماء من الحياة والتمييز ما جعل في البشر لكانت هذه الأشياء أبلغ في الخضوع لربها الذي
ذكر من الخضوع لربها هي كما ذكر في آية أخرى وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج
منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله أخبر عن شدة خضوع هذه الأشياء وخشوعها لربها دون أولي
التمييز والكفرة واستكبارهم وقلة خضوعهم وخشوعهم لربهم والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن لكثرة أهلها وازدحامهم فيها وعبادتهم لربهم على ما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
أطت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع قدم منها إلا وملك فيها ساجد أو راكع أو قائم يسبح الله تعالى
ويصلي له والله أعلم وقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم هذا يدل على أن ما ذكر من تفطر السماء لعظيم
ما يقول الملحدة فيه من الشريك والولد والصاحبة حيث قال على إثره والملائكة يسبحون بحمد ربهم أي
ينزهونه ويبرئونه عما يقولون فيه ويثنون عليه بالثناء الذي يليق به ويصفونه بما هو أهله والله أعلم
وقوله تعالى ويستغفرون لمن في الأرض فيخرج على الأمر بالتسبيح لهم والثناء له والاستغفار لأهل الأرض
على ما ذكر ثم قال بعضهم إن قوله ويستغفرون لمن في الأرض منسوخ بقوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا
عام لجميع أهل الأرض والثاني خاص لكن هذا بعيد محال أن يستغفر الملائكة ويطلبوا التجاوز من ربهم
لمن يقول له بالشريك والولد والصاحبة وإذا كان كذلك كان استغفارهم يرجع إلى المؤمنين خاصة على ما قال في
آية أخرى ويستغفرون للذين آمنوا ويقولون فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فكان المراد من العام الخاص
لأن المراد منه العموم ثم صار منسوخا وبه يعرف الخاص منسوخا والله أعلم ثم كان استغفارهم لجملة أهل الأرض
على ما يقولونه هو عبارة عن طلب السبب الذي به يقع لهم المغفرة وهو التوبة عن الشرك والتوحيد
هذا السؤال التوحيد والهداية لهم التي يقع المغفرة لهم بذلك والتجاوز وتقصيرهم ذلك لأهل الأرض وعلى
يخرج استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه سؤال وطلب السبب الذي يقع به المغفرة له وإن يجب
أهل الدنيا وكذلك أمر الرسل عليهم السلام قومهم بالاستغفار لهم وهو كما قال هود عليه السلام ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا إليه وقول نوح استغفروا ربكم إنه كان غفارا لا يحتمل أن يقولوا اللهم استغفر الله ولكن يطلبوا

اطلبوا

اطلبوا فأما الولي بكم السبب الذي به يقع المغفرة لكم وهو التوبة عما هم فيه واختيار الهداية والرشد لأنفسهم
[illegible] هذا ونحو ذلك يخرج استغفار الملائكة إن كان لجملة أهل الأرض على ما يقول بعض أهل التأويل
على هذا لا على ما يحتمله [illegible] والله أعلم وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء يحتمل قوله أولياء
ههنا الذين عبدوهم [illegible] كقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقوله تعالى لا تتخذوا
عدوي وعدوكم أولياء وقوله اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله والله أعلم وقوله الله حفيظ عليهم يحتمل
لا يعزب عنه [illegible] ما يعملون وأنه حفيظ عليهم وعلى أعمالهم لكنه يؤخر ذلك عليهم لحكمة عليم
وقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل أي لا تؤخذ أنت بما كانوا كقوله فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثاني
أنت عليهم بوكيل أي بمسلط عليهم ولا حفيظا إنما [illegible] البلاغ كقوله إن عليك إلا البلاغ
وقوله ما على الرسول إلا البلاغ والله أعلم وقوله تعالى وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا أي جعلناه قرآنا عربيا
ليكون أقرب إلى الفهم وأوطأ ليكون حجة عليهم وأبلغ في الحجاج لأنه ذكر فيه أنباء الأمم السالفة والأخبار المتقدمة
بلسان العرب [illegible] الأنبياء [illegible] يختلف إلى أحد من ذلك اللسان ليتوهم أنه علم منه بلسانه ثم نقل
بلسان نفسه فدل أنه إنما عرف بالله تعالى وقوله تعالى لتنذر أم القرى ومن حولها أو لينذر أهل أم القرى ومن حولها
من القرى ثم يحتمل تسميته أم القرى وجوها ثلاثة أحدها سماها أم القرى لما منها دحيت سائر الأرضين والقرى و
الثاني سماها أم القرى لأنها أول بيت وضع للناس وأول بناء بني في الأرض سماها لذلك أم القرى والله أعلم
والثالث سماها أم القرى لما أن الناس يؤمونها يقصدونها من الآفاق ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أول ما بعث رسولا بعث فيها [illegible] ثم من بعد ذلك البعث
إلى سائر القرى والبلدان [illegible] سماها أم القرى والله أعلم وقوله تعالى
وتنذر يوم الجمع ويحتمل أن يكون [illegible] تنذر يوم الجمع أي تنذر بما في القرآن يوم الجمع لا ريب فيه وقوله فريق
في الجنة وفريق في السعير [illegible] السبيلين جميعا على الإبلاغ وبين عاقبة كل سبيل [illegible]
من سلكهما والله أعلم وقوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة يخبر أن من عنده من اللطائف والقدرة
ما لو شاء الله لجعلهم جميعا أمة واحدة كقوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة [illegible]
ذلك لأهل التوحيد والإيمان لكانوا جميعا على دين الإسلام على ما قال [illegible] أهل الكفر لكانوا
جميعا أهل الكفر [illegible] ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة لا يحتمل [illegible] على ما يقوله المعتزلة الوجوه
أحدها أنه لا يكون الإيمان في حال الجبر والقهر لأنه لا صنع لهم في ذلك ولا الاختيار لهم والثاني أن كل أحد
[illegible]
[illegible] يكونوا مختارين في الإيمان [illegible] والثالث أن
[illegible] اسم الإيمان [illegible] وجعل الدين واحدا
[illegible] على طوع واختيار لا الجبر والقهر [illegible]
[illegible] الكلام والله الموفق وعندنا [illegible] من الاختيار [illegible] عنده
من اللطائف ما لو أعطى لكل [illegible] لآمنوا جميعا عن اختيار [illegible] علم أنهم لا يرغبون
[illegible] وقوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته
[illegible]
ثم إن الله سمى الإيمان مرة رحمة بقوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته ومرة سماه منة بقوله ولكن الله يمن
على من يشاء وقوله بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان [illegible]
[illegible] على ما يقوله المعتزلة [illegible]
[illegible]
[illegible]

الانذار لما عندهم وفي زعمهم ان المراد بذلك غيرهم لما لهم من زيادة سبب الرسالة معهم والله اعلم وقوله
ينذرهم لانهم من ذكر شفاها ولم يغب منهم خبر او خص هولا لانه يحتج البداية ثم بالاقرب فالاقرب على ذلك
يخرج قوله وانذر عشيرتك الاقربين على الوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى والظالمون ما لهم من ولي
اي ما لهم من ولي يسمع ولا نصير ينصر ويمنعهم من عذاب الله وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء ام هو
على الايجاب معناه بل اتخذوا من دونه اولياء اي اربابا فالله هو الولي اي هو الرب وهو يحيي الموتى وهو
ان الاحياء انما يكون بالله تعالى لا بالاصنام التي عبدوها فان كان ينكرون البعث والاحياء بعد الموت لو
عرفوا انه لو كان انما يكون بالله تعالى لا بالاصنام التي عبدوا دونه وهو على كل شيء قدير ظاهر وقد تقدم ذكره
وقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله يحتمل قوله فما اختلفتم فيه وجوها احدها في القرآن وان كان
في رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان اختلافهم في القرآن فوقت لهم حكمه الى الله فيما اقام من الحجج والبراهين انه من الله
من عند الله حاجتهم عجزوا عن اتيان مثله او مقابلته شيء يوازنه وان كان اختلافهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه رسول او ليس برسول فقد اقام الدلائل والبراهين ما يدل على رسالته ونبوته سمعا وعقلا ان لم
يتعرض لردها الا من كابر عقله وعانده وكذلك لو كان اختلافهم في الدين فقد اقام ما علم كل ذي عقل انه
هو الحق وانه هو الصواب وان غيره من الاديان ليس بحق وقال بعض اهل التاويل في قوله وما اختلفتم فيه من شيء
فحكمه الى الله اي الى كتاب الله كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله لكن هذا
يصح في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول انما هو فيما بين المؤمنين اذا وقع بينهم الاختلاف في شيء
من الاحكام يرد ذلك الى كتاب الله والى سنة رسوله عليه السلام فاما قوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله
انما هو في محاجة الكفرة فهو في غير ذلك المعنى اذ هم لا يعتقدون كونه حجة وانما يرجع الى دليل آخر وقوله تعالى
ذلكم الله ربي اي ذلك الذي يفعل هذا هو ربي عليه توكلت في كل امري واليه انيب بالطاعة ويحتمل
ان يكون اختلافهم الذي ذكر هو اختلافهم في الله فاخبر تعالى كقوله والذين يحاجون في الله ذلكم الله ربي
اي ذلكم الله الذي اختلفتم فيه هو ربي عليه توكلت اي عليه اعتمد واليه انيب اي اليه ارجع ثم وصف نفسه فقال
فاطر السموات والارض وفي موضع آخر خلق السموات والارض وقال في موضع آخر بديع السموات والارض
بعض الباطنية المبتدع هو الذي ينشئ الاشياء من لا شيء والخالق هو الذي ينشئ الشيء من الشيء ومن لا شيء
هو الذي ينشئ من شيء او نحوه من الكلام وعندنا ان هذه الاسماء وان اختلفت الفاظها وافترقت اشتقاقها
ومأخذها فهي في المعنى واحد الابداع هو الاشياء بلا حد سبق والخلق هو الاشياء والتقدير لكن عند
لا يجوز ان يسمى خالقا لانه لا يقدر على تقدير شيء الا على مشاهدة تقدير ما يشاهده ودله والفاطر كانه ماخوذ من الشق
يشق الشيء ويخرج منه اشياء وكله مخلوق وفاعله خالق في الحقيقة وهو الله تعالى وبالله القوة والتوفيق
جعل لكم من انفسكم ازواجا اي جعل من نفس آدم وحواء عليهما السلام ازواجا انسا جميعا اليهما لانهما الاصل فانما
انما كان من ذلك الاصل وهو كنسبته اياهم الى التراب بقوله خلقكم من تراب فانما خلق اصلهم من التراب لكنه
نسبهم اليه فكانه جميعا فعلى ذلك جائز ان يكون قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا من نفس آدم وحواء ونسبه
اليهما لانهما كانا جميعا والله اعلم والثاني يقول جعل بعضكم من بعض ازواجا اي جعل الذي خلق الاناث على
من الاناث ونحوه ما ذكر في آية اخرى جعل لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها الاية والثالث اي جعل لكم من
خلقكم ازواجا او اصنافا واشكالا جعل الخلق كله ذا اشكال لعامتنا لهذا الازواج وكذلك تخرج قوله ومن الانعام
ازواجا على وجهين ايضا كما يقول والله اعلم انه جعل الانعام اصنافا ذات ازواج واشكال كالبشر والثاني جعل منها
الذكور والاناث ايضا كما جعل من البشر والله اعلم وقوله تعالى يذرؤكم فيه اختلف في تأويل قوله يذرؤكم وفي
المراد بقوله فيه فاما ذلك كانه عند ذا قال بعضهم يذرؤكم اي يكثركم وقيل يعيشكم فيه وقيل يذرؤكم فيه وبه وكم
يخلقكم وانما روي عنه قال بعضهم يحتمل ان يكون قوله فيه اي فيها كما تعيش الانعام وكذلك في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه يذرؤكم فيه اي في الانعام لما جعل للبشر فيها من انواع المنافع واما من قرأ يذرؤكم فيه فيعني في
بطنه كتاب الله لكانه بقوله يذرؤكم فيه اي يخلقكم في العالم ويكثركم فيه ويعيشكم ويمنعكم وقال بعضهم
فيه اي يكثركم في هذا التزويج الذي جعل بينكم اي يكثركم بسبب هذا التزويج ولولا هذا التزويج لم يكن
وجائز ان يكون قوله فيه كناية عن النسل بقوله يذرؤكم فيه اي يخلقكم فيه نسلا بعد نسل كقوله اذ ذرأكم
وهو قول القتبي وابو عوسجة وقوله تعالى ليس كمثله شيء يستدل بعض اهل التشبيه بان له مثلا بقوله
ليس كمثله شيء يقول لو لم يكن له مثل لم يذكر الكاف التشبيه فحسب وقال ليس مثله شيء لكن نفى المثل
عن مثله فيكون فيه اثبات مثل له لا التشبيه سائر الاشياء او كان الله نحو هذا وعندنا ان قوله ليس كمثله

ليس مثله شيء والكاف قد تزاد في الكلام وقال بعضهم اي ليس كهو شيء والعرب قد يقيم المثل مقام النفس
اصله ان الخلق ذوو اضداد وكل ذي عدد واشكال ذو امثال من حيث العدد والاصل في ذلك ان الخلق وان كانوا
امثالا واشكالا واشباها فليس بعضهم بعضا من جميع الوجوه وكل الجهات ولكن انما يشبه بعضهم بعضا
بجهة او بوجهين او بصفة او بنفس ثم صار بعضهم امثالا لبعض واشباها بتلك الجهة وبتلك الوصف فذكر
ان الله تعالى ليس يشبه الخلق ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه ولا له شبيه منهم لا ما يرجع الى الصفة ولا ما يرجع
الى النفس نفى عن نفسه تعالى من جميع معاني الخلق وصفاتهم ودل قوله ليس كمثله شيء انه لا شيء لانه نفى عن نفسه المثل
لكن هو التشبيه لكن يقال الشيء لا كالاشياء يقع عنه شبه الاشياء ولكن اثبات توحيد ولو لم يكن شيئا
لكان يفعل ليس هو شيء لانه قد ذكر قوله وهو السميع البصير في غير موضع والله الموفق وقوله تعالى له مقاليد السموات
والارض وقال في آية اخرى وعنده مفاتح الغيب وقوله ولله خزائن السموات والارض وقوله بيده ملكوت
كل شيء ونحو ذلك من الآيات جعلها ذكر المفاتح والمقاليد والخزائن التي اضافها الى نفسه ثم لم يفهم الخلق من المفاتح
المضافة والمقاليد والخزائن لم يفهموا ما يفهم لو اضيف الى الخلق بل فهموا من المفاتح المضافة الى الخلق والمقاليد
المنسوبة اليهم معنى لم يفهموا ذلك المعنى من المفاتح والمقاليد المضافة الى الله تعالى فما ينبغي ان يفهم من قوله
بيده ملكوت كل شيء وقوله بل يداه مبسوطتان وقوله لما خلقت بيدي استكبرت ونحو ذلك مما يفهم من اليد
المضافة الى الخلق لكنه ذكر المفاتح والمقاليد واضافتها الى نفسه لان كل محجوب ومستور عن الخلق
فيما بينهم انما يوصلهم الى ذلك المحجوب والمستور عنهم بالمفاتح والمقاليد فذكر فعلى ذلك ما اضاف الى
نفسه من اليد وغيرها لما ان كان يبسط في الشاهد بها ويمنع وبها يكتسب ويفعل ما يفعل فاضاف الى نفسه
فانه يكون من الشاهد من الفعل والبسط والمنع كناية عن هذه الافعال والله الموفق وقوله تعالى يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر دلالة نقض قول المعتزلة لان الرزق المذكور يحتمل وجوها احدها ما ذكر في قوله
وفي السماء رزقكم وما توعدون وهو المطر والثاني الاملاك التي تكتسبونها والثالث المنافع التي جعل لهم
ثم الاشكال الاملاك التي تكون لهم والمنافع التي ينتفعون بها وجعلت لهم انما يكون باسباب واكتساب منهم
ثم اضاف ذلك الى نفسه في البسط والتقتير حيث قال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر دل انه لله تعالى في ذلك
صنع وتدبير وهو ان خلق اكتسابهم واسبابهم التي بها يوصل اليهم الرزق والله اعلم وقوله تعالى انه بكل شيء
عليم قد تقدم وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الدين يذكر ويراد به الجزاء وهو قوله مالك يوم الدين
اي يوم الجزاء او يذكر ويراد به الحكم كقوله تعالى خبرا عن يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي
في حكم الملك ويذكر ويراد به المذهب والمعتقد كقوله لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
فكان المعنى من قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا هو المذهب وما يعتقد وقد يذكر الدين معرفا بالالف
والجنس فيكون كانه قال شرع لكم من الاديان جملة الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر من الانبياء عليهم السلام وهو
التوحيد لله تعالى والعبادة له والانبياء والرسل جميعا انما بعثوا للدعاء الى توحيد الله تعالى وجعل العبادة
له وان اختلفت شرائعهم واحكامهم وذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والله اعلم ومن الناس من يقول اي شرع لكم
من الدين وشرع لكم الدين يحتمل من صلة زائدة فيه اي شرع لكم الدين الذي وصى به نوحا ومن ذكر معه على
ما ذكرنا فان قيل ما معنى تخصيص نوح ومن ذكر من الانبياء عليهم السلام والكل بعثوا للدعاء الى هذا الدين
وقد وصى الكل فهذا الذي يقول قال بعضهم انما خص نوحا ومن ذكر به لان التحليل والتحريم لم يكن
قبل نوح عليه السلام وانما جاء ذلك في زمن نوح ثم ولذلك خص نوحا بما ذكر ويحتمل ان يكون ذكرهم
لا على التخصيص بذلك من بين غيرهم من الانبياء ولكن ذكر بعضهم ههنا وترك ذكر البعض ليس انه شرع له ما لم
نوحا ومن ذكر من الانبياء ولم يشرع له ما وصى به غيرهم بل شرع له ما وصى به هؤلاء وغيرهم من النبيين كقوله فبهداهم
اقتده ذكر بعض هؤلاء وغيرهم ثم امر ان يقتدي بما هم عليه دل ان ذكر البعض في موضع ليس لتخصيص الذكر
في موضع ليس للتخصيص اذ ذكر البعض في موضع آخر والكل في موضع آخر والله اعلم ويحتمل ان يكون التخصيص
هؤلاء بالذكر لمعنى لم يطلعنا الله تعالى على ذلك المعنى كما خص ابراهيم عليه السلام بالصلاة عليه مما امر به النبي
صلى الله عليه وسلم كقوله كما صليت على ابراهيم لمعنى لم يطلعنا على ذلك المعنى والله اعلم وقوله تعالى ولا تتفرقوا
فيه اي في عبادة الله تعالى اي اعبدوه جميعا والثاني لا تتفرقوا في الدين الذي ذكره وهو التوحيد
والله اعلم وقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي عظم عليهم دعاؤكم الى التوحيد وعبادة الله وحده
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب هذا نقض على المعتزلة لانه اخبر انه يجتبي اليه من يشاء
ولو على ما يقوله المعتزلة انه قد اعطى الكافر جميع ما اعطى المؤمن فالمؤمن حيث صار مجتبى مصطفى مختارا

انما كان منه بفضله لا امر الله تعالى وقد اجتبى انه يجتبي من يشاء وهو يهدي يبطل قولهم وقوله ويهدي اليه من
اي هو يهدي من تطلب منه ما به يكون الهدى وهو التوفيق اي ما لم يطلب منه ذلك ولم يسأل فانه لا يهديه ولا
وقال بعضهم ويهدي اليه من ينيب نفسه وقوله الله يجتبي اليه من يشاء اي يجتبي للهداية من ينيب اليه فاما من لم
اليه فلا يجتبيه للهداية لكن المراد من الهداية ههنا ليس هدى البيان لان هدى البيان قد كان لمن
من ناب اليه ومن لم ينب اليه ولكن الهدى ههنا هدى الرحمة او هدى النعمة والمنة يسمى التوحيد والايمان
رحمة كقوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته ويسميه نعمة كقوله صراط الذين انعمت عليهم ويسميه منة كقوله
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ويسميه نورا كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فلذلك
قلنا ان الهدى المذكور ههنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه والله اعلم قوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم
العلم هذا يخرج على وجوه احدها اي انهم تفرقوا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما جاءهم العلم في كتبهم
انه رسول لما كانوا يجدونه نعته وصفته في كتبهم لكنهم اختلفوا فيه وتفرقوا فامن بعضهم به على ما وجد
في كتبهم وكفر بعض وحرفوا ما في كتبهم من نعته وصفته والله اعلم والثاني اي وما تفرقوا فيما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم من الدين الا من بعد ما جاءهم العلم ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي
وصى به نوحا وما ذكر من الانبياء عليهم السلام ويحتمل اي وما تفرقوا في الايمان بالرسل والكفر بهم الا من
بعد ما جاءهم العلم انهم على الحق انهم رسل الله مبعوثين اليهم وتفرقوا فامنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا
بينهم ويحتمل اي وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم ان الفرقة ضلال وهلاك اي يعلم ان الفرقة انها ضلال
وهلاك تفرقوا والله اعلم قوله بغيا بينهم يحتمل حسدا بينهم لما قيل ان يبعث لما وجدوا نعته وصفته
في كتبهم ظنا منهم انه يبعث منهم فلما بعث من غيرهم حسدوه وكفروا به والله اعلم ويحتمل قوله بغيا بينهم اي
عدوانا وظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم
اي لولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم الى وقت وان لم تكن تلك الكلمة منه في تعجيل العذاب لهم
والله اعلم قوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اي ان الذين اعطوا الكتاب من بعد الرسل الذين
ذكر لفي شك منه مريب اخبر انهم كانوا في شك مما جاءت به الرسل لكنه لم يعذرهم في شكهم لما تركوا النظر
والتفكر في ذلك ولو نظروا في ذلك وتفكروا فيه لوقع ذلك لهم بان الحق فلم يعذروا في ذلك لانهم
كان ذلك الشك والريب ولو تفكروا ونظروا لانجلى لهم قوله تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت اختلف
في قوله فلذلك فادع واستقم قال ابن عباس رضي الله عنه اي بهذا القران الذي انزلنا عليك فادع وكذا قال قتادة
بهذا القران فادع وقيل فلذلك وبما انزل عليك فادع وقال بعضهم وكذلك الكتاب فادع وقيل
قال التوحيد الذي بعث الرسل الى الدعاء اليه فادع واستقم قال بعضهم فلذلك اي فلاجل ذلك الذي بعث
الرسل فادع اي ادع الى التوحيد الذي لاجله بعث الرسل والله اعلم ثم في قوله واستقم كما امرت دليل على انه
كان قد سبق له الامر بالاستقامة ثم يحتمل ما ذكر من الاستقامة لما امر به هو تبليغ الرسالة اليهم
للعبادة له والطاعة ويحتمل الاستقامة في التوحيد له ودعاء الخلق اليه والله اعلم قوله تعالى ولا تتبع
معك على هذين الوجهين الاخرين يخرج الامر بالاستقامة لمن تابع معه والله اعلم قوله تعالى ولا تتبع
اهواءهم اي في ترك الدعاء الى التوحيد اذ هو هوى الكفرة انهم لم يشتهوا الدعاء الى التوحيد ويحتمل نهي
من اجابته اياهم فيما دعوه اليه اذ هوى الكفرة ان يجيبهم بما دعوه اليه من الشرك والله اعلم وقوله وقل امنت
بما انزل الله من كتاب اي امنت بجميع الكتب التي انزل الله على رسوله ليوفق بين الايمان بجميع
الكتب لانه اولئك الكفرة كانوا يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون بالبعض قوله تعالى وامرت لاعدل
بينكم يحتمل وجوها احدها اي امرت لاعدل بينكم في الحكم اي احكم فيما بينكم بالعدل كقوله ولا يجرمنكم
شنئان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا ويحتمل قوله وامرت لاعدل بينكم في الدعاء الى توحيد الله
والعدل في الدعاء انه دعاهم الى دينه الذي امر ان يدعوهم اليه ويحتمل ان يكون قوله وامرت لاعدل
اي امرت ان اكون عدلا فيما بيني وبينهم ثم كيف الذي كان يدعوهم الى توحيده وهو قوله الله ربنا
وربكم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم هذا يخرج على وجهين احدهما على المنابذة كقوله لكم دينكم ولي دين
وانما يقال هذا بعد ما انتهت الحجج وتم الحجاج فيما بينهما فلم ينجع ذلك فيهم وايس منهم والثاني
انا لا نؤاخذ باعمالكم ولا انتم تؤاخذون باعمالنا كقوله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه قوله
لا حجة بيننا وبينكم يحتمل قوله لا حجة بيننا وبينكم اي قد انقطعت الحجة بيننا وبينكم بما قد ثبتت وقد عرفتم الحق فلا حجة
عليكم اي لم يبق حجة في ذلك والاوقات تحتمل لا تكون لا حجة بيننا وبينكم اي لا محاجة ولا خصومة

بيننا

الله يجمع بيننا ثم قال الامر ما بلغ ثم قال يجمع بيننا في الاخرة واليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله من بعد
ما استجيب له قال بعضهم ان اهل الكفر قالوا للمؤمنين ان دينكم الاسلام انما كان دينا كان قبل دينكم كذا
فاذا مات فصرتم ونحن ومن تبع الاسلام الى دينا وكذلك يخرج قول بعضهم والذين يحاجون في الله من بعد
ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم قال بعضهم ان اليهود قد زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
ان ديننا اقدم دينا وافضل من دينكم لان دينا دين الاسلام عليه السلام فنزلت الاية فيهم يقولون هذا ان ديننا افضل
لانه دين الانبياء فقال حجتهم داحضة اي هكذا كان اولى بدين الانبياء وهل الاسلام ولما ان تركوا دين الاسلام
وتمسكوا باليهودية واختاروها فليس بافضل ولا شيء دونها وقال بعضهم ان قريشا قالوا كيف يعبد من لم ير وقالوا
ثم هو كيف هما وكلام نحوه فنزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم لان
التوحيد ومعرفة الله تعالى انما يكون بالدلائل والايات فالذين يحاجون يسلكون بالمعاينة والمشاهدة ويزول الامتحان
ثم يحتمل ان يكون نزول الاية لمعنى كان من اولئك على ما ذكر اهل التاويل ويحتمل ان يكون على غير ذلك ومعناه
الذين يحاجون في دفع ايات الله وردها ويحتمل اي في دفع توحيد الله والوهيته من بعد ما استجيب له اي من بعد
ما استجيب لهم في الخلقة انه واحد وان في كل شيء ويحتمل قوله من بعد ما استجيب له بما في كتبهم من الاخبار بما فيها من
نعوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته ثم اخبر حجتهم داحضة يوم القيمة اي باطلة غير معتبرة ويحتمل اي
حجتهم داحضة في الدنيا بما اقام الله تعالى من حجج التوحيد فابطل حجتهم وقوله وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
بيان الجزاء لهم في الاخرة وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان يحتمل قوله بالحق الذي لله عليهم وبالحق الذي
لبعضهم على بعض والميزان اي العدل فيما بينهم اعني الخلق ويحتمل ان يكون قوله بالحق اي بالصدق بما فيه من الانباء والاخبار
والميزان اي العدل في الاحكام جعل الميزان كناية عن العدل اي هو طريق العدل وسببه وهو كقوله ان الله يامر بالعدل
والاحسان وقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقوله ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا وقوله وتمت
كلمة ربك صدقا وعدلا اي صدقا فيما فيه من الانباء والخبر وعدلا في الحكم فيما بينهم والله اعلم وقوله والميزان يحتمل
ان يكون معطوفا على الكتاب وهو الظاهر والمراد منه العدل فيصير تقدير الاية والله اعلم الله الذي انزل الكتاب
بالحق وانزل الكتاب بالحق وانزل العدل فيما بين الخلق كما انزل العدل في الاحكام ويحتمل ان يكون معطوفا
على الحق فيصير تقديره انزل الكتاب بالحق وبالعدل في الاحكام وفيما بينهم والله اعلم قوله تعالى وما يدريك
لعل الساعة قريب لم يطلع الله جل وعلا احدا على علم وقت الساعة على ما ذكرنا في غير موضع وقوله يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها كان استعجالهم بها استهزاء منهم وتكذيبا لهم بها كانه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يذكرهم بها ويخبرهم انها كائنة وكانوا يستعجلون استعجال المكذب لها وقوله والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون
انها الحق لان اهل الايمان والتوحيد لا يستعجلون لهم التجاوز عنها فالمؤمنون مشفقون خائفون مشفقون
لتلك الدلالات والمساقات بما يكون فيها من الاهوال لعا الافزاع واما اهل الكفر فهم لا يؤمنون بها ولا يصدقون بها فلا يخافون
بها وما فيها من الاهوال قوله تعالى الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد قوله يمارون يحتمل يجادلون
ويخاصمون فيها انها ليست بكائنة ويحتمل يمارون في الله وهو يرتاب الشك اي يشكون فيها وذلك قوله
لفي ضلال بعيد انهم لا يؤمنون بها قوله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء من الناس فمن قال ان الاية في
مما كانا في خاصة المؤمنين هو لطيف بالمؤمنين ومنهم من يقول ان الاية في الفريقين جميعا الكافر
والمؤمن بادهما اللطيف بهما بما يرزقهم جميعا الكافر والمؤمن فاما في الاخرة فهو رحيم بالمؤمنين خاصة
ويحتمل ان يكون بالفريقين انما رحمة المؤمنين لانه بار رحيم واما الكفرة بان رزقهم بحسب احسن
منهم في الدنيا ثم رحمة المحسن يجوز ان يوصف بالرحمة في الفريقين جميعا على ما ذكرنا فان قيل انه وصف الحليم
والرحمة واخبر انه يعذبهم في الاخرة قيل انه وان عذبهم فان ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة لانه لو لم يعذبهم
يكون سفها لانهم قد استحقوا بالكفر التعذيب ابدا وليس في التعذيب خروج عن الرحمة والحلم وترك
التعذيب سفه وخروج عن الحكمة لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق وقوله يرزق من يشاء قد ذكرنا في قوله
يبسط الرزق لمن يشاء ما قيل ومعناه والله اعلم قوله تعالى وهو القوي العزيز هذا يخرج على وجهين
احدهما انه لا يتقوى بشيء مما امرهم به وامتحنهم ولا ينفع بذلك لانه قوي بذاته عزيز بنفسه والثاني القوي
في الانتقام والانتصار من اعدائه لاوليائه العزيز الذي لا يعجزه شيء ولا يلحقه الذل لما في قدرته وسلطانه قوله
لا اله الا هو قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها حبل الله
والكسب زرع لاهلها انه يدعو فيها حصد ذلك في الاخرة ان زرع خيرا حصد خيرا ونعمتها
في الاخرة وان زرع فيها شرا حصد في الاخرة شرا وعذابا دائما وقد لا الحصر يمنحا يخرج فان الحرث

خير وحسنات يجوا في الآخرة وان يجزوا شرّا وسوا وخسروا في الآخرة ولذلك جعلهما مسلكا الى الآخرة وانتهى
غايته كلها فان سلكوا سبيل الخير وما امروا به افضى بهم ذلك بهم الى الخير والنعيم الدائم والسرور وان سلكوا سبيل
الشر وما نهوا عنه افضى بهم الى اللعنة الدائم والحزن الدائم وهو ما ذكر في غير موضع من القرآن من قوله ان الله اشترى من
المؤمنين الاية وقوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى الاية وقوله اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة وقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية ونحو
ذلك كثير على هذا يخرج امر الدنيا والآخرة والله اعلم ثم قوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه يخرج على وجهين احدهما
اي من كان يريد بمحاسنه في الدنيا وحسناته ثواب الآخرة وخيراته نزد له في الدنيا والآخرة اما في الدنيا هو التوفيق
على الطاعات والزيادة له في الثناء واما في الآخرة فنعيم الدائم والسرور الدائم والثاني اي من كان يعمل للآخرة ويسعى
لها نزد له ما ذكر من المحاسن ويكون الارادة ههنا صفة لكل فاعل كقوله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
وهي لا تكون ببدونا الفعل فكان ذكرها ذكر للفعل ضرورة فكان المراد منها الارادة مع الفعل فالله اعلم
وقوله ومن كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها يحتمل وجهين احدهما من كان يريد بمحاسنه الدنيا وسعيه نؤته منها
عليه والثاني من كان يريدها اي من عمل لكسبها نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقوله ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله قال بعض اهل التأويل ام لهم آلهة وقد شرعوا لهم اي يسنوا لهم من الدين
ما لم يأذن به الله يعنون بالشركاء الاصنام التي عبدوها لكن الاصنام لم يشرعوا لهم من الدين شيئا الا
ان يقال بان اضافة ذلك الى الاصنام لما هم شرعوا لانفسهم عبادتها فاضيف اليها لذلك وهو كقوله
رب انهن اضللن كثيرا من الناس وانهن لم يضللن احدا لكنه اضافها لبعض الاضلال لما هم ضلوا فاضاف اليهن
على التسبيب فعلى ذلك الاول ويحتمل ذلك الشركاء ان يكون غيرهم اولى بذلك وهو الرؤساء فهم الذين
سنوا الاتباع وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله اي ما لم يأمرهم الله وهم كانوا كذلك يفعلون يشرعون
للاتباع دينا من دون انفسهم بلا حجة ولا برهان فيتبعونهم والرسل جاؤوا بالدين بالحجج والبراهين من الله
فلم يتبعوهم فيفعلون انهم يتبعون بشرا بلا حجة ولا برهان تيوك سفههم وما ذكر كان المراد بالشركاء
هاهنا الرؤساء والقادة والله اعلم قال ابو عوسجة في القتبي من كان يريد حرث الآخرة اي عمل الآخرة حرثا لذلك
حرث الدنيا اي عمل لها ويجمع المال والعمر وقال ابن عمر لحرث للدنيا كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك
تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا شرعوا لهم اي ابتدعوا وسنوا وكذلك في قوله شرع لكم اي ابتدع وسن
قوله تعالى ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم يحتمل وجهين احدهما الحلم كانه
يقول لولا ان الله تعالى حكم في هذه الاية تاخير العذاب الى يوم القيامة وهو ما ذكر انه بعثه رسول الله صلى الله عليه
رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والثاني الفصل والبيان تاويله لولا ما وعد في الدنيا انه يفصل
بينهم في الآخرة بما ذكر هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ونحوه وقيل لولا كلمة الفصل اي القضاء السابق
ان الجزاء يوم القيامة لقضي بينهم في الدنيا والله اعلم قوله تعالى ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم
ذكر اشفاق الكفرة والظلمة وخوفهم في الآخرة واشفاق المؤمنين وخوفهم في الدنيا لما خافوا عقوبتهم
امنهم الله تعالى عن خوف الآخرة ومن استهزأ بهم بان امنهم في الدنيا خوفهم الله في الآخرة وعلى ذلك يخرج قوله عليه السلام
لا يجمع الله على احد خوفين خوف الدنيا وخوف الآخرة من خاف في الدنيا امن في الآخرة ومن لم يخف في الدنيا خاف
في الآخرة ثم اخبر ما للمؤمنين في الآخرة وهو قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن
عند ربهم ذكر ما لكل فريق بما كسبوا في الدنيا والآخرة قال القتبي وابو عوسجة الروضة البستان والكلا
الكثير في الروضة المستحق العمر قوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير اخبر ان ما يعطي لهم من الآخرة فضل
لا انهم يستوجبون ذلك وسماه كبيرا لانه دائم لا ينقطع ابدا قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
آمنوا وعملوا الصالحات قوله ذلك الذي يبشر الله اي الذي ذكر من الفضل الكبير وعذابه يعطيهم يبشر به
تعالى من ذكر من عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات والله اعلم وقوله قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى
قال اهل التأويل قالت الانصار انا فعلنا كذا وفعلنا كذا فكانهم افتخروا وقالوا لنا الفضل عليكم فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال
الم تكونوا فقراء فاغناكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال الا فلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال
الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك ولم يكذبوك فصدقناك وخذلوك فنصرناك قال فما زال
يقول حتى جثوا الركب بين يديه وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله وقالوا الفضل لله ولرسوله فنزلت قوله
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى لكن ذكر في الخبر ما يليق ذلك بالانصار ربما يظنوا ذلك

ذلك ما ذكر من فخرهم وقولهم لنا الفضل عليكم هذا لا يحتمل منهم فدل ان الحديث غير صحيح او انه ان كان لا
يحتمل والله اعلم وفي بعض الاخبار ان الانصار قالوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوبه النوائب والغرامة
وعزيمهم فيما لو انه حتى يجمع له بينها من اموالنا فنعينه به على ما ينوبه من الحقوق ففعلوا ثم اتوه به فقالوا انك قد
تنوبك نوائب من الغرم فخذه منا قالوا لنا لتبين لنا فنزل قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى على وجوه
احدها يقول لا اسئلكم على ما ابلغكم من رسالة الله ما ادعوكم الى الايمان بالله تعالى وفي اجرا الا صلة ارحامكم وقرابتكم
اي لا اسئلكم على تبليغ الرسالة اليكم وما ادعوكم اليه اجرا الا ان تصلوا قرابتكم وارحامكم فدل الاية على وجوب
صلة الارحام ويحتمل ان يكون ذكر هذا رد القول اولئك الكفرة حيث قالوا ان محمدا جاء بقطع الارحام وتغيير
القرابات حتى فرق بين من اجابه الى دعائه اليه وبين من لم يجبه من الوالدين والولد والزوج والزوجة ونحو ذلك فقال
عند ذلك لا اسئلكم عليه اجرا ولا ادعوكم الى قطع الارحام والقرابات بل انما اطلب منكم صلة الارحام بما
دعوتكم اليه ويحتمل ان يقول لا اسئلكم على ما ادعوكم اليه اجرا الا اجرا منكم اذا اعطيتموني الا ان تصلوني لحق
القرابة والرحم التي بيني وبينكم فانه ليس منكم قبيلة الا بينه وبينهم قرابة ورحم ويحتمل ما قال الحسن فقال الا ما كان
من الله تعالى فسأل على هذا القرآن اجرا لكنه امرهم يتقربوا الى الله تعالى بطاعته وحبه فكان معنى الاية الا المودة
في القربى اي الا التقرب الى الله تعالى والتودد بالعمل الصالح وقال بعضهم الا المودة في القربى الا ان تودوني لاجل
القرابة كما تودون لقرابتكم وتواصلون بها ليس هذا الذي حيث يقطع به ذلك يعني فلست اسعى على الذي
حث به اجرا الا منكم على ذلك وقال قتادة ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان لا يسأل على هذا القرآن
والتبليغ اجرا الا المودة في القربى الا ان يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة وكل بطون قريش بينه وبينهم قرابة وقال
الا ان تودوا قرابته وقال بعضهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تسعوا الى ما ادعوكم اليه فاني اكرم بحفظوني
في قرابتي واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا هو كقوله تعالى من كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه والله اعلم قال ابو عوسجة الاقتراف الاكتساب وهو المقارفة المباشرة وقرن
فلان بامرأته وقوله تعالى انه يتشبه في قوله تعالى ان الله غفور شكور قوله غفور اي يغفر لهم وان لم يحققوا التوبة
والرجوع سرا وعلانية ولم يستوجبوا المغفرة والعفو وقوله شكور اي يشكر ويقبل منهم الشكر وان لم يحققوا
الشكر ولم يستحقوا بقوله فضلا منه ونعمة والله اعلم قال اهل التأويل غفور للذنوب شكور للحسنات يضاعفها
والله اعلم قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك اختلف فيه قال بعضهم فان يشأ
يختم على قلبك بالصبر لا تجد مشقة استهزائهم بك ولا غصة تكذيبهم اياك وقال بعضهم فان يشأ الله
ولا تبلغوا اليهم فلا يستهزؤن بك ولا يكذبونك وكلامهم نحوه وعندنا انه يخرج على وجهين احدهما ما ذكرناه
ان يشأ الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد مشقة الاستهزاء والاغصة التكذيب والثاني يحتمل فان يشأ
يختم على قلبك ما ختم على قلوب اولئك الكفرة حتى لا يفهم ولا تعقل الحق من الباطل كما فعل باولئك يذكر لطفه
اليه وفضله بما اكرمه بانواع الكرامات التي بها التشكر ربه على ذلك ويحمل على ذلك بما ختم على قلوبهم ما نزل
بهم من انواع العذاب على ذلك يبلغ امره صلى الله عليه وسلم من الرحمة والشفقة عليهم ما ذكر فلعلك باخع نفسك
على آثارهم الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك اشفاقا عليهم ورحمة لهم
ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته هذا يخرج على وجهين احدهما اي يظهر ويظفر اهل الحق على اهل
الباطل حتى يصير اهل الحق ظاهرين قاهرين على اهل الباطل فلذلك يمحو الباطل واحقاق الحق والله اعلم
والثاني يحق الحق بالحجج والبراهين ويمحو الباطل بالحجج والبراهين حتى يعرف كل احد الحق من الباطل بالحجج التي اقامها
اذا تامل فيها حق التامل وهو كقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون والله اعلم وقوله بكلماته اي بحججه وبراهينه وقوله انه عليم بذات الصدور قال اهل التأويل اي عليم
بما في الصدور ولكن قوله عليم بذات الصدور عبارة عن نفس الصدور وعن الراي والتدبير وهم اليسر والله اعلم
قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات قد ذكرنا انه لا احد يحق التوبة لان تحقيق التوبة
هو ان يهرب ويفر عما استوجب به النار هربه من النار لو كان فيها وفراره منها لو وجد فيها ولا احد يهرب من الذنب
ويفر منه هربه وفراره من النار لو كان فيها لكن الله تعالى بفضله وكرمه يقبل ذلك عنه وان لم يحق التوبة منه على
الذي ذكرنا ثم قوله يقبل التوبة عن عباده اي يقبل حسناتهم وحسنهم ويعفو عن السيئات اي يكفر عن سيئاتهم كقوله
يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم والله اعلم وقوله تعالى ويعلم ما تفعلون هذا يحتمل بحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يعلم ما تفعلون سرا وعلانية وانه عن علم بما يكون منهم امتحنهم امرهم ونهاهم
والله اعلم قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يجيب الذين آمنوا بما يدعون ويسألون ربهم

وهو كقوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فاني مجيبهم على الذي ذكر في الاية
قوله تعالى ويزيدهم من فضله اي يزيدهم من فضله ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في
الجنة وذلك زيادة من فضله والله اعلم وقال اصحوا الكفرة والكافرون لهم عذاب شديد قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض قال بعض اهل التأويل ان الاية نزلت في اهل الصفة تمنوا ان يكون لهم الدنيا فان كانت
فكانه طيب عليهم الضيق والفقر وقال بعضهم لبغوا في الارض اي يتقلبون من لباس الى لباس ومن مركب الى مركب و
ليس في ذلك كثير بغي فلا يصح صرف التأويل اليه ثم عندنا يخرج قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
مخرج الامتنان والافضال وان يبسط عليهم وان علم منهم البغي الا ترى انه لو لم يوسع على فرعون لكان لا يدعي
الالوهية لكنه من على بعض المؤمنين فضيق عليهم حتى لا يبغوا فيذهبهم بذلك القيام بشكر ما انعم عليهم انعم
بالتضييق حتى لا يبغوا وكذلك يخرج ما ذكر من العطاء في ذكر الجواب عن من تعلق بظاهر الاية على ان الاصلح
واجب حيث قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فيجب انه اصلح لهم ان لا يبسط لانه لو فعل لقد كسبه
كثير من الفرق الكفرة فبغوا لكنا في ذكر هذا البيان المنة والانعام بالسعة والتضييق في حق البعض حتى لا يبغوا
ثم البغي هو التعدي عن حد الله تعالى الذي حد لهم والمجاوزة عنه ولكن لا نعرف الحد الذي يبغي التعدي عنه من حدا لا نعلم
ما هو والله اعلم ويحتمل ان يكون معنى قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض اي لو بسط عليهم ووسع عليهم
الشكر لو بسط كثرة المال لشغلهم ولمنعهم عن القيام بشكره وما اوجب عليهم من الفرائض والاحكام ولكن
ينزل بقدر ما يشاء مما لا يشغلهم ولا يمنعهم عن القيام بالذي يلزمهم والله اعلم قوله تعالى انه بعباده خبير بصير
قد تقدم تأويله ثم حاصل تأويل الاية يرجع الى وجوه احدها الى اهل الكفر انه لو وسع عليهم وبسط لبغوا
في الارض اي صاروا كلهم اهل كفر وضلالة كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية
والثاني يتوجه الى خاص من المؤمنين لما علم منهم انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا في الارض فضيق عليهم رحمة
منا منه وفضلا عليهم لئلا يبغوا وهو كما ذكرنا في احد تأويل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انه
ان كان ذلك حقيقة لم خلقهم وهو في الذين علم منهم انهم يعبدون لا محالة يعبدونه على ما ذكر واما الذين علم منهم
لا يعبدونه لا يحتمل ان يخلقهم لعبادته لكن يخلقهم لما انه يكون منهم والله اعلم على ذلك عمله ولو بسط
الرزق لعباده لبغوا في الارض يرجع الى قوم خاص بما علم الله تعالى منهم انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا في الارض
فضيق عليهم فضلا منه ومنة فيلزمهم القيام بشكر ذلك له والله اعلم او ان يرجع ذلك الى جماعة الخلق
وكان انه لو وسع وبسط على الكل لصاروا جميعا ملوكا ومن عادة الملوك وطباعهم البغي والغلبة على من
نازعهم في ملكهم ومملكتهم وفي ذلك الفساد والفساد فوسع على بعضهم وبسط وضيق على بعض لئلا يسعى بعض
على بعض او في ذلك تعالى والله اعلم بذلك قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر
رحمته يحتمل قوله من بعد ما قنطوا اي من رحمته او من بعد ما قنطوا من الاصنام التي عبدوها رجاء القرب
والشفاعة لهم والذي عندنا انه قنطوا لما رجعوا منها كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
ثم سمى المطر رحمة وغيثا لان الغيث ليعلم انه لما يغيث عنهم ويمسكهم على الحال الاولى في القحط والضيق
كانوا عليه ارساله ولم يكن لما مساكا لم يسميه رحمة ولا غوثا لانه عليه فعل شيء لم يوصف بالفضل وهو
على المعتزلة في الاصلح والله الموفق وقوله تعالى وهو الولي الحميد يحتمل الولي اي هو الرب الحميد المستحق للحمد
او الولي هو الحافظ لهم وولي كل نعمة اعطاها الحميد لما ذكر من التضييق عليهم لئلا يبغوا في الارض والله اعلم
ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة قوله ومن اياته ربوبيته ووحدانيته خلق السموات والارض
وما ذكر او آيات حكمته وعلمه وتدبيره خلق ما ذكر او آيات قدرته وسلطانه او آيات احسانه ونعمه وما ذكره
ما ذكر فيهما وجه كل ذلك بعد لانه مر وقد فهمنا منه مما تقدم ثم اختلفوا في قوله وما بث فيهما من دابة
قال بعضهم قوله وما بث فيهما اي في الارض خاصة لا في السماء لانه قال من دابة ويحتمل ان يدب اهل السماء
ولهم الطيران دون الدبيب وهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وقال بعضهم
فيهما اي في السماء الملائكة وفي الارض الدواب لكنه سمى اهل السماء باسم ما في الارض من الدواب وذلك
في اللغة ذكر شيئين باسم احدهما كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة والكناية ترجع الى الصلوة
لفظا والمراد بهما سبق من الصبر والصلوة وكذا قوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها كني عن
كلاهما فعلى ذلك فعلى هذا قوله وما بث فيهما قال او اي يسير وقوله تعالى وهو على جمعهم اذا يشاء قدير
ما ذكر من جمعهم بعثهم واحيائهم قدير على ذلك كما هو قدير على ما ذكر من خلق السموات والارض وما ذكر والله اعلم
وقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ويحتمل ما ذكر من المصيبة لـ

بهم الخلق جميعا ممن كان منهم البلغة وما ذكر من كسب الايدي ومن لم يكن منهم كسب اليد من اهل العصمة من نحو
ذنب كان المحفوظ وعليه الانبياء وغير ذلك من الاشياء التي بهم الخلائق ممن كان منهم الجناية ومن لم يكن من الصغار
والذين ادركوا الاختبار فيكون ما اصاب من كان ذلك منه واستوجب بينها الجزاء موعظة او كفارة لما كان منهم
كسب الايدي ما اصاب ذلك من لم يكن منهم ذلك من الصغار والاخيار فذلك في الحكمة وهو الجزاء على وجهين
احدهما انه يصيب ذلك ابتداء بلا شيء سبق منهم ليعلم ان ما اعطاهم من السلامة والصحة والحسنات والخيرات كان
فضلا منه وهم عبيده والملوك وملكه ان شاء اهلكهم وفعل بهم ما شاء وان شاء انعم عليهم وان تفضل بهم ما ذكر
انه لم يسبق منهم ما ذكر من كسب الايدي لم يعوض بعضهم في الاخرة وكيف ما كان فهو غير خارج عن الحكمة والاية
التعويض بما يحكى لكل شيء يوجب لا محالة التعويض خلافا للمعتزلة فان عندهم ولهم وحجته الله العصمة وحالهم
انكروا ما ذكر من المصيبة الى تعذيبهم بكسب الايدي ان يذكر كل ذي نفسه نصيبه مما يستوجبه من شيء ارتكبه وكسبه
ان السبيل عنه ان ينظر كل ذي نفسه ما الذي سبق منه حتى اصابه ما اصابه فيمنع نفسه عن ذلك ويتوب الى الله
تعالى ثم يخرج ذلك لهم لما تنبيها وزجرا على المعاودة الى مثله وما تكفيرا وتمحيصا لما كان منهم ويلزمهم الشكر على
ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن ادم خدش عود ولا غم ولا هم ولا اختلاج
عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى ان يولم احدا ولا يصيبه شيئا من الشدة
الا بعوض يعوض لهم فان كان على ما يقولون لم يكن له تعالى فاعطائهم الخيرات والحسنات والسعة محسنا متفضلا
منعما الا من احد من آخر شيئا بعوض لا يوصف بالافضال والانعام وقد سمى نفسه بذلك محسنا
متفضلا منعما فيكون ما قالوا خلاف ذلك ثم الثاني انه كان يعوض على ما يقولون يجب ان يعوضهم عوضا من
بذلك العوض ويكون ذلك العوض مثل ما اخذ منهم وهم لا يشترطون ذلك لان له ان يفعل بهم ما ذكرنا
وامثاله مما ذكرنا ان الخلق كلهم عبيده واماؤه ولكل ذي ملك ان يفعل في ملكه ما شاء لا لائمة عليه هم
اذا كان لا حقيقة الملك فعلى ذلك لله سبحانه وتعالى اذ له حقيقة ملك الاشياء فله ان يفعل ما شاء بلا عوض
ولا حيل والله الموفق وقوله تعالى ويعفو عن كثير ليس احد تصيبه شيئا من الشدة والبلاء ويكون في ذلك حقوق منه
جل جلاله لا يشاء الله الا وسعهم زيادة الا خلف ذلك فيكون مع تلك الزيادة عنه عفوا منه وفضلا ولولا ذلك
هذا في هلاك كل شيء من حقوقه مما يفعل ويكثر ويحتمل ان يكون قوله ويعفو عن كثير انه لا يجعل زيادة سيئاتهم
لو اخذهم بها فان يأخذهم ببعض ويتجاوز عنهم في بعض والله اعلم وقوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض بقوله
لا يعجزونه الهرب مما يريد ان يصيبكم ولا تمتنعون مما يريد ان يفعل بكم وما لكم من ملجأ وقوله وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير ينصركم ويمنعكم من عذابه اذا اتى والله اعلم وقوله تعالى ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام
يحتمل آياته ما ذكرنا من آيات توحيده ووحدانيته وربوبيته وآيات قدرته وسلطانه وآيات علمه وتدبيره وحكمته
وآيات نعمه واحسانه فهو ما جعل الله جل وعز في شجر الخشب في السفن تحمل الاحمال الثقال ليعرف بذلك
المعنى اللطف الذي جعله في الخشب ما قدر على ادراكه وذلك المعنى اللطف المجعول فيها وما جعل من
طبعها الثقل على وجه الماء والقرار عليه مع ثقلها وغلظها فان كان يدون ذلك الثقل والعظم يكون
غير هو من الخشب مما يتسرب في الارض ويتحلل ولذلك ما يحمل في السفن من الاحمال العظيمة الثقيلة مما
لو حمل ذلك الحمل بعضه يغرق ويتحدر في الماء لو لم يكن السفن وما ذكر من الخشب والله اعلم ثم قوله كالاعلام
قال عامة اهل التأويل اي كالجبال التي في البحار وقال القتبي وابو عوسجة الاعلام الجبال واحدها علم ومعنى
هذا الكلام هو ما ذكر من تسببه الارض لاهلها والشرب في الماء ثم ارساها واثبتها بالجبال وطبع الجبال
الشرب والانحدار في الماء ويحتمل ان تذهبا للشرب والانحدار في الماء الا ان يثبتها ونعرها على وجه الماء
لكن بلطفه ومنه يثبتها الارض واثبتها ومنع بها عن الشرب والانحدار عن الميد باهلها فعلى ذلك السفن
في البحار تستقر على الماء ولا تنحدر كالجبال مع الارض في القرار على الماء والله اعلم ويحتمل قوله كالاعلام معنى
آخر وهو الاعلام نفسها وهو ان جعل السفن سببا وطريقا للوصول الى منافع بعدت عنهم وصعبت عليهم
فاذا حمل فيها الاحمال من بلد الى بلد آخر ومن مكان الى مكان تيسر اهل الحمل اليهم بتلك الاحمال والسفن
اذا ابرعا في البحار ويحمل عليهم لسعة يرجون بها ومنافع يتصل بهم كذلك يسير اهل البلد المحمول لهم ذلك اليها
راجعة اليهم سالمة لما يحصل لهم من الاثمان والاعراض بها فتكون السفن اعلاما ودالة لهم على الوصول الى
الاعراض والمنافع والله اعلم وقوله تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره بذكر فضله ومنته
ما اجرى هذه السفن في البحار التي ذكر فانه لو شاء لامسكها وسكنها عن الجري وان يخص الريح من نوعين
الغداة طيبة يجري بها السفن والاخرى عاصفة شديدة تهلك بها السفن فهو ما ذكر في آية اخرى وقوله

حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية ثم في ذلك دلالة
يدل على أن الريح ليست تجري السفن وتسيرها بطبعها ونفسها ولكن الله تعالى أجراها إذ جعل
منها طيبة تجري السفن والأخرى عاصفة تهلك السفن وتهيج الأمواج وكذلك ما ذكر في هذه الآية إن يشأ
يسكن الريح أخبر أنه لو شاء لأسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره فدل أنه هو المجري فذلك أنه هو المجري لها
كان هو المسكن لها ليس ذلك فعل الطبعي على سنن واحد كالحرارة في النار والبرودة في الثلج وأمثال ذلك
جريان الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لا تسكن في حال ولا يكون مرة طيبة سالمة ومرة
عاصفة مهلكة دل أن ذلك كان بالله تعالى لا بالطبع وهو الموفق وقوله تعالى إن في ذلك لآيات لكل صبار
شكور هذا يحتمل وجهين أحدهما سمى المؤمن صبورا شكورا والثاني يسمى من صبر على ما أصابه من الشدائد
والمصائب التي صبروا ومن شكر ما ذكر من النعم في السفن وغيرها شكورا والله أعلم ثم قوله تعالى ... على
قال أبو عوسجة والقتبي أي رواقف وصفوف ركد يركد ركدا أو ركودا وقوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير
جائز أن يكون هذا صلة ما ذكر من السفن الجواري في البحر حيث قال إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد
على ظهره يقول إن يشأ يسكن الريح التي بها يجري السفن في البحار فيبقين رواكد في الماء وإن شاء أرسل
ريحا عاصفا فأعصفه شديدة فتهلكن يعني السفن ... أهل ما كان فيهن يخبر أنه إن يفعل ما ذكر ما لا
في البحر إلا بقاء فيه لكنه بفضله ينجي من النجاة ويخرج منه سالما والله أعلم ... قال أبو عوسجة يوبقهن أي يهلك
أهل السفن ويحتمل أن يكون ذلك صلة ما تقدم من قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فيكون
ما يصيبهم من المصيبة ما تلفت النفس ... ما لم يبلغ النفس فيكون كل ذلك من كسب أيديهم على ما ذكر
ويعف عن كثير مما كسبت أيديهم مما يستوجبون الإهلاك فيعفو عنهم والله أعلم وقوله تعالى ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص المجادلة في آيات الله يخرج على وجهين أحدهما أن يجادلوا في نفي أحكامه
ونفي ما ضمن فيها وذلك مما يمنع محمود وهو كقوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن
ولا تمانعهم الأمر ظاهرا ومن المجادلة ... المذكور في هذا المحمود والمجادلة الثانية هي المجادلة في دفع
أحكام آيات الله والحيلولة عنهم ما ضمن فيها وهي المذمومة وما ذكر ههنا من قوله ويعلم الذين يجادلون
في آياتنا هي المجادلة في دفع أحكام آياته ثم أخبر أنه لا محيص لهم ولا ملجأ في عذابه إذا جادلوا في دفع آياته
ومنع غيرهم ما فيها والله أعلم وقوله تعالى فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى
هذا يخرج على وجهين أحدهما أنه سمى ما أعطي من أعطى هذه النعم واللذات في هذه الدنيا ليكتسبوا بها
نعمة دائمة ولذة باقية وكذلك ما أعطاهم من السمع والبصر وغير ذلك الحواس ليكتسبوا بها ما يدوم ويبقى
فمن استعمل ما أعطاه من الأموال واللذات في غير ما جعل سمي جاحدا لها وكذلك من استعمل ما أعطي
من الحواس في غير ما جعلت وأمر أن يستعملها سمي أصم أبكم أعمى ولذات النفس إذا لم يكتسب بها حياة دائمة
سمي ميتا والله أعلم والثاني أن ما أعطي في هذه الدنيا من اللذات والنعمة لاختيار ما عند الله ووعده
في الآخرة وكذلك ما امتحن ... بالمصائب ... ترهيبا لهم أو ... تخويفا في الآخرة
ما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا أي تمتعون به ... وما عند الله خير وأبقى ... هو الباقي الدائم
ثم تبين أن ما عند الله لمن بقوله للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ... الآخرة ... الخلق
والأمر ... جميع معاني الخلق وعلى ربهم يتوكلون أي يتوكلون ... هو ... ويعتمدونه
لا يفزعون إلى أحد سواه ولا يعتمدون غيره في جميع أحوالهم ثم نعتهم أيضا بما ذكر من الاجتناب عن الكبائر والفواحش
فقال الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش جائز أن يكون ما ذكر من كبائر الإثم هي الفواحش وجائز أن يكون
ما ذكر من كبائر الإثم هي الفواحش والفواحش هي كبائر الإثم كل واحد منهما في معنى الآخر والله أعلم وقال بعضهم
الإثم أنواع ما يها يصير المرء مشركا وهي كبائر الشرك والفواحش هي التي توجب الحدود في الدنيا وقيل الكبيرة
ما يكبر ويعظم من الذنب والفاحشة ما يفحش من العمل وقد ذكرنا وجوها في ذلك فيما تقدم في سورة النساء
والله أعلم وقوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي إذا ما غضبوا فيما يرجع إلى الأموال والأنفس ... هم
يغفرون ويتجاوزون عن ذلك إنما يرجع ذلك الغضب إلى أمر الدين فإنه لا يسع المغفرة عن ذلك لكن يجب
الرجوع عن ذلك والتوبة إلى الله تعالى والله أعلم وقوله تعالى والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة أي
لبوا لما دعاهم ربهم وقد دعاهم إلى دار السلام بقوله والله يدعو إلى دار السلام ثم جعل لإجابتهم شرائط
تمنعهم عن ما استوجب الوعود وهو كقوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم الآية وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة
وآتيتم الزكاة إلى آخر ما ذكر فعلى ذلك علم إجابتهم لربهم وشرائطها ما ذكر من قوله وأقاموا الصلاة إلى آخر ما ذكر

والله أعلم

والله أعلم وقوله وأمرهم شورى بينهم ذكر بعضهم أن الأنصار كانوا يتشاورون فيما بينهم قبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ... فأثنى الله تعالى عليهم بذلك وعن الحسن أنه قال في هذه الآية وقوله وأمرهم شورى بينهم قال والله ما يتشاور قوم قط
إلا هداهم الله تعالى لأفضل ما يحضرهم وأصله أنه سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يشاور الصحابة حيث قال وشاورهم في الأمر
وعن الحسن ما تشاور قوم قط إلا هداهم الله تعالى لأفضل ما يحضرهم وأصله أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يشاور
صحابته لأن في المشاورة اجتماع العقول والأذهان فإذا اجتمعت كانت إلى استدراك الحق والصواب أقرب من الذي
انفرد كل عقل بنفسه وقال القتبي وأمرهم شورى بينهم أي يتشاورون فيه وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ظاهر
وقوله والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون في صفة المنتصرين من البغي والظلم المطلق من ظلمه جميعا في الذين استجابوا
لربهم إلى ما دعاهم إليه والمنتصر منتصف حتى جعل له ... بأن الحق لكن إذ جعله الانتصاف لم يدخل فيما ذكر من استحق
الله تعالى لكن بين أن الفضل في مستوفي الحق وعلى ذلك حث الله تعالى رسوله بالعفو عن الظلمة وترك الانتصار بقوله
والجزاء من عزم الأمور حيث قال ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ويحتمل أن يكون قوله وإذا ما غضبوا هم يغفرون
راجع إلى الأذى باللسان في الشتيمة والسب وذلك لأنه ترفق النفس أن حثهم على الصفح والعفو ومدحهم على ذلك
وقوله والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون راجع إلى ما يؤثر في الأنفس والأبدان من الجراحات وغيرها وحثهم
على العفو فيما يرجع إلى الأذى باللسان وإن لم يكافئهم على ذلك فيما يرجع إلى الأنفس والأبدان جعل لهم الاستيفاء ولا
وإن كان ترك الاستيفاء والانتصاف ... ترك الاستيفاء والعفو عنه أفضل على ما قال وأن تعفوا أقرب
للتقوى والله أعلم وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها سمى الثانية سيئة وإن لم يكن في الحقيقة سيئة لأنها
جزاء السيئة فسماها باسم الأولى وسماها سيئة لأنه لو لم يكن الأولى كانت الثانية سيئة أيضا فسماها
على ما هو في نفسه ... بالأضرار ... سيئة في نفسه وإن كان ... حسنا لغيره والله أعلم ويشبه
أن يكون سماها بما ذكر لاختلاف الأحوال يعني عند الذي يقتص منه ويجازى بها سيئة وتلك الحال عنده
حال سيئة وهو كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات سمى حال الضيق والشدة سيئة لأنها عندهم سيئة
وحال السعة والرخاء حسنة لأنها عندهم حسنة وإن لم يكن تلك الحال في الحقيقة سيئة لكنه سماها
على ما عندهم فعلى ذلك يحتمل أن يسمي الثانية سيئة لما هي عند المفعول به سيئة والله أعلم وقوله فمن عفا وأصلح
فأجره على الله هو ما ذكرنا أنه وإن جعل لهم حق الاستيفاء والانتصار فالعفو عن ذلك أفضل ثم فيه دلالة
أن لا يجمع بين العفو وأخذ البدل إذا لم يكن من الآخر الرضا بذلك لأنه قال فمن عفا وأصلح فأجره على الله أخبر أنه
إذا عفا عنه يكون أجره على الله فليس له أن يأخذ من المعفو عنه شيئا والله أعلم وهو ينقض على من يقول يأخذ البدل
من الجاني شيئا أو أحب أن يعفو عنه ويأخذ البدل والله أعلم وقوله تعالى إنه لا يحب الظالمين لأنه لا يحب الظلم
والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ... لأخذ من ظالم وقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل أي أولئك ما عليهم من حجة أو ما عليهم من تبعة وقوله تعالى إنما السبيل على الذين يظلمون
الناس أي إنما الحجة والتبعة على الذين يظلمون الناس ابتداء وقوله تعالى ويبغون في الأرض بغير الحق أي يأخذون
من الناس ما ليس لهم أن يأخذوا فيبغوا والحجة عليهم وأما من أخذ حقا وجبه فاستوفاه فلا يتبعه ولا
تبعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويفسدون في الأرض وقوله تعالى
ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور أي لمن صبر على الأذى والمظلمة وعفى عنها وتجاوز فإن ذلك لمن
عزم الأمور أي ذلك من تحقيق الأمور وإحكامه وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده أي من أضله الله
لما أنه ... الشيطان لا وليه ... أولى ولي ينفعه من بعده وهو كما قال إنما سلطانه على الذين
يتولونه أخبر أن سلطان الشيطان على من يتولاه وقوله تعالى وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد
من سبيل قال أهل التأويل أي هل إلى رجوع إلى الدنيا من سبيل يقولون ليتنا نرد ... الرجوع إلى الدنيا والآية
أن يكون يسألون الرجوع إلى المحنة التي امتحنوا في الدنيا قبل موتهم أي سألوا أن يكلفهم ويمتحنهم في الآخرة
الطاعة لله تعالى ... والله أعلم وقوله تعالى وتراهم يعرضون عليها قال أهل التأويل يعرضون على
النار قبل أن يدخلوها كقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وكقوله وجيء يومئذ بجهنم
يومئذ يتذكر الإنسان الآية وقوله تعالى خاشعين من الذل لأن الله تعالى أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا
من سوء صنيعهم وما أعطوا أنفسهم من شهواتهم ومناهم وقوله تعالى ينظرون من طرف خفي يحتمل ما ذكر من نظرهم
من طرف خفي ما ذكر في آية أخرى مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء لشدة هول ذلك
في ذلك اليوم لا يرفعون رؤوسهم ولا ينظرون إلى موضع والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله ينظرون من طرف خفي
أي لا ... إلى الناس ... لا يصلون ... إليهم ... ما ... منهم ...

في النار لأن من صنيع الخاسر أن لا يتهيأ له رفع الطرف إليه وينظرون إليه مقبلاً إلا على التلصص منه والتعفف
فعلى ذلك أولئك والله أعلم وقال بعض أهل التأويل إنهم يحشرون عمياً فلا يرون بأعينهم إنما يرون بقلوبهم
الطرف الخفي وقال القتبي ينظرون من طرف خفي أي قد غضوا أبصارهم من الذل قال أبو عوسجة أي ينظرون ونظر
مستقيماً والله أعلم قوله تعالى وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم على وجوه أحدها
ما ذكر بقوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم ناراً أمروا بأن يقوا أنفسهم وأهليهم النار فهم حيث لم يقوا لما ذكر
والأهل خسروا والله أعلم والثاني قد خسروا أنفسهم وأهليهم أي خسروا بسبب أنفسهم وبسبب أهليهم لقوله
إنما أموالكم وأولادكم فتنة لما يتعاطون أموراً بسبب الأموال والأولاد والأزواج هي فتنة لهم ولقوله إن من
أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فيحتمل أن يخسر الرجل ويصير من أجل السبب هؤلاء والله أعلم والثالث يحتمل أن يكون
خسرانهم أنفسهم وأهليهم ما قالوا ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً وقوله ولئن رجعت إلى ربي
إن لي عنده للحسنى خسروا ما كان رجاء وطمعاً أن له عنده في الآخرة الحسنى على هذه الثلاثة يخرج تأويل الآية والله أعلم
وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ليس من أحد من كافر ومسلم إلا وله أهل ومنزل في الجنة فإن أطاع الله تعالى أتى منزله
وأهله وإن عصا خسر نفسه وأهله ومنزله في الجنة وورثها المؤمنون عنه لكن لا يحتمل أن يكون الله عز وجل
مع علمه أن يموت كافراً أن يجعل له أهلاً ومنزلاً في الجنة اللهم إلا أن يجعل ذلك لكي يكون لهم حسرة على ذلك
والله أعلم وقوله تعالى وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله يخرج على وجهين أحدهما أي ما كان للأصنام
التي عبدوها من دون الله تعالى ولاية النصر وقدرة دفع العذاب عنهم لأنهم كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء
أن تشفع لهم في الآخرة وأن تقربهم عنده فأخبر الله تعالى أن ليس لها ولاية النصر لهم على ما رجوا وطمعوا من
عبادتهم الشفاعة لهم ولا دفع عنهم والله أعلم والثاني وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله أي
ما كان الرؤساء الذين اتخذوهم أرباباً ولاية النصر لأنهم لا يملكون دفع ذلك عن أنفسهم فكيف يملكون
دفع ذلك عن أنفسهم فكيف يملكون دفع ما نزل بأتباعهم يخبر أن ليس لهم ولاية دفع العذاب عنهم والله أعلم
وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من سبيل يحتمل قوله فما له من سبيل أي من حجة أي من أضله الله فلا حجة له
أن يقول إنك أضللتني لأنه إنما يضله لما يختار هو الضلال ويؤثره فعل بينه وبين ما يختار ويؤثر
والأصل في هذا أن ليس لأحد على الله تعالى حجة فيما يفعله من المعاصي ويختاره بأمره وقضائه ذلك وإرادته
ومشيئته لأنه لا أحد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعله لأن الله تعالى قضى له ذلك وأراده وقدره ولأنه
أضله هذا وقت فعله لا يفعله لأن الله أراد ذلك وشاءه وقدره وقضاه إنما يفعله لغرضه وهواه
لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك والله المعصوم والثاني أن ليس له حجة عليه بذلك لأنه يعلم أنه لو خير بين ما يريد
أن يختاره ويؤثره وبين ضد ذلك لكان يختار ذلك على ضده ويختار تحصيله ويؤثره على ترك ذلك
فكيف يكون له حجة بذلك والله الموفق ويحتمل قوله فما له من سبيل أي من أضله الله تعالى فما له إلى هدى من سبيل
أي لا يملك أحد أن يهديه ويحتمل من أضله الله فما له من سبيل أي ليس له سبيل ولكن على السبيل ...
قوله تعالى استجيبوا لربكم أي أجيبوا له وقد ذكرنا وقوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله هذا يخرج
على وجهين أحدهما أجيبوا له من قبل أن يأتي يوم لا يملك أحد رد ذلك اليوم إذا أتاهم لأنه هو اليوم الذي
يجري فيه الخلائق وهذا هو الوقوع بقوله لا أحد يملك رد ذلك اليوم ولا رفعه والله أعلم والثاني
أو أجيبوا من قبل أن يأتي يوم لا مرد له لما نزل بهم من العذاب والعقاب قوله تعالى ما لكم من ملجأ يومئذ
هذا أيضاً يخرج على وجهين أحدهما أنهم كانوا يعبدون الأصنام في الدنيا ليكون لهم شفعاء وملجأ
يلجئون إليها ويكون لهم كما ذكر في آية أخرى وضل عنهم ما كانوا يفترون وقوله بل ضلوا عنهم الآية
والله أعلم والثاني ما لكم من ملجأ يومئذ أي ما لهم من حيل يحتالونه بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما كانوا
في الدنيا من حيل يحتالونه دفع ما نزل بهم من البلايا والشدائد وبأس النجاة وقوله تعالى وما لكم من نكير هذا
أيضاً يخرج على وجهين أحدهما أي لا تملكون أن تنكروا على الله تعالى ما يفعل بهم لأنه إنما يفعل بهم ذلك
بما كسبت أيديهم وما قدمت أيديهم فلا يقدرون على إنكار ذلك على الله تعالى والثاني وما لكم من نكير أي
ما لكم تملكون دفع ذلك عن أنفسهم ولا منفعة وتغيير من قبل لا تملكون أن تمنعوا الله تعالى عما يريد أن يفعل
بكم وهو ما ذكرنا والله أعلم قوله تعالى فإن أعرضوا أي إن تولوا عن إجابتك إلى ما تدعوهم إليه فما أرسلناك عليهم
حفيظاً هذا يخرج على وجهين أحدهما يحتمل أي ما أرسلناك أن تحفظ عليهم أفعالهم وأعمالهم إن عليك إلا
البلاغ أي ما عليك إلا التبليغ ثم حفظ أعمالهم وأفعالهم على الملائكة الذين جعلوا حفظة عليهم وهم الكرام
الكاتبون والثاني ما أرسلناك أن تمنعهم عما يفعلون حساً إنما عليك البلاغ فحسب وبالله الحول ...

يفعلون وهو كقوله فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحو ذلك قوله تعالى وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة
فرح بها إن كان هذا في المسلم فيكون قوله فرح بها أي رضي بها أو بشر بها وإن كان في الكافر فيكون قوله فرح بها
أي بطر بها وأشر بها قوله تعالى وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور وهذا أيضاً إن كان
في المسلم فإنه إذا أصابه الحقيقة أي بلاء سماه كفوراً لنعمه من النعمة فيحمل شكرها ما أصابه فهو كفور للنعم
التي من قبل ذلك وإن كان في الكافر فهو ظاهر أنه كفور لنعمه وإحسانه أجمع والله أعلم قوله تعالى لله ملك
السماوات والأرض يخبر أنه بما يأمرهم وينهاهم وبما يمتحنهم بأنواع المحن ليس يأمر ولا ينهى ولا يمتحن لحاجة
نفسه في جر منفعة أو استفادة خير أو دفع مضرة وبلاء إذ له ملك السماوات والأرض ولكن إنما يأمرهم وينهاهم
ويمتحنهم لحاجة أنفسهم لإصلاحها وتكاملها وتجارتهم لما لهم ذلك فهو كقوله ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر
فإن الله غني حميد يخبر ما ذكر أنه غني لا ينفعه إيمان مؤمن ولا يزيد في ملكه ولا يضره كفر كافر ولا ينقص من
ملكه ويحتمل أن يكون قوله لله ملك السماوات والأرض أي له ملك ملوك السماوات والأرض كقوله قل اللهم
مالك الملك الآية ويحتمل أن يقول له ملك السماوات والأرض أي تؤتي الملك من تشاء في الدنيا وتنزع
عمن تشاء على ما ذكر في آية أخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية وفيه نقض قول المعتزلة في
خلق أفعال العباد منهم وإنكارهم أن يكون فعل الله تعالى مخافة وقوع الشركة في ذلك بينهم وبين الله
تعالى فيكون ذلك فعل الله تعالى وفعل العبد إذ هو تفسير الشركة وكذا هو في القرآن الله تعالى قال
الذي له ملك السماوات والأرض وقال في آية أخرى ولم يكن له شريك في الملك فأخبر أن ليس له شريك في الملك
وقد أثبت الملوك في الدنيا ثم لم يوجب ذلك الشركة في ملكه لاختلاف المعنى والجهة إذ حقيقة الملك لله تعالى
ليست حقيقة الملك لهم إنما الذي لهم ... فعلى ذلك أفعال العباد يكون فعلاً لله تعالى خلقاً
وكسباً لهم ولا يوجب ذلك الشركة فيه على ما لم يوجب ما ذكرنا من الملك لهم شركاً بينهم وبين الله تعالى قوله تعالى
يخلق ما يشاء هذا أيضاً على المعتزلة لأنه أخبر أنه يخلق ما يشاء وهم يقولون إن جميع الخيرات مما شاء
الله تعالى إلا أنهم لا يجعلون ما فعل العباد من الخيرات خلقاً لله تعالى فيكون على قولهم غير خالق لأكثر الأشياء مما شاء
وهذا لا يحتمل قوله ويخلق ما يشاء إنما يخرج على الوصف بالربوبية لله تعالى والألوهية أو على وجه الوعد للخير
يخلق ما يشاء فإن على الوصف له بالربوبية إنما يكون في ذلك الوصف بالربوبية إذ لا يكون خالقاً لكثير من
الأشياء ... لم يوجب أنه يخلقها وإن كان الوعد بالخير فيخرج الخبر كذباً على قولهم تعالى الله
عن الشرك في القول والله الموفق قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور يخبر أنه يهب الأولاد
جميعاً من الذكور والإناث هبة لله تعالى وهدايا منه فيجب أن يقبلوها منه بقبول الهدايا والمبتغى للشكر له
والمنة ثم بالذكر ... لأن في الناس من يعد الإناث بعد مصيبة ويثقل ذلك عليه
وعلى ذلك ما أخبر من الكفرة أنهم إذا بشروا بالأنثى ظلت وجوههم مسودة بقوله وإذا بشر أحدهم بالأنثى
ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يخبر عن ثقل ذلك عليهم وغيظهم على ذلك فيذكر هذا لئلا يعد أهل
الإسلام أولاد الإناث مصيبة وبلاء على ما عدها الكفرة والله أعلم قوله تعالى أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً
التزويج هو الجمع بين الشكلين والمثلين في الحقيقة وقد يسمى التزويج بين المتضادين مجازاً والله أعلم يكون
قوله أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً أن يجمع بين الإناث والذكور يهب له من النوعين جميعاً في حالة
واحدة وقال القتبي أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً أي يجعل بعضهم بنين وبنات تقول العرب زوجت إبلي إذا
قرنت بعضها ببعض وزوجت الكبار بالصغار إذا قرنت كبيراً بصغير وقوله تعالى ويجعل من يشاء عقيماً
والعقيم من النساء التي لا تلد وهي لا يوصف بالبركة ويقال إنها ليست بمباركة لا يرغب فيها والله أعلم قوله تعالى
إنه عليم قدير عليم بإنشاء الأولاد من الذكور والإناث في الرحم قدير على ذلك وعليم بمصالح الخلق قدير على كل
شيء قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء كان
هذا إنما ذكر جواب عن مسألة أو سؤال كان عن كيفية الرسالة وهل الرسل عليهم السلام يرون ربهم ويشاهدونه
ويشافهونه فأجاب أنه ليس من البشر من يكلمه إلا بالطرق الثلاثة التي ذكرها فالسؤال وقع عن الرؤية في الدنيا
فيكون الجواب مبنياً على السؤال والله أعلم ثم قوله إلا وحياً قال بعضهم الوحي ما يرى في المنام ودون الأنبياء
عليهم السلام حقيقة وقوله أو من وراء حجاب نحو ما كلم موسى عليه السلام ألقى في مسامعه صوتاً مخلوقاً على
ما يشاء وكيف ما يشاء من غير ... قوله أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء أي يرسل ملكاً يخبر عن الله
تعالى طرقاً للوصول إلى معرفة ذلك في الدنيا الوجوه التي ذكرنا أما الإلهام والإلقاء في الأوهام وأما الإلقاء
في المسامع وإما أن يرسل رسولاً فيخبر عن الله وكلامه فأما أن يحتمل وسع أحد رؤيته أو يشافهه ويعاينه في الدنيا فلا

والله الموفق ثم اختلف في قوله او من وراء حجاب قال بعضهم الحجب نفسها هي حقيقة الحجب وقال بعضهم الحجاب
عجز موسى عن احتمال دونه لان الله تعالى انشاهم على هيئة وخلقة لا يقوم انفسهم القيام لذلك على ما اخبر عز وجل
حيث قال لموسى ثم ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني اي فان احتمل ذلك فاحتمل انا والله اعلم ويقال
ان الله تعالى يكون مكلما للبشر بالرسول وان رسل فيفهم المرسل وكان ذلك تسمية بطريق المجاز اذ المرئي في الحقيقة كلام الرسول
كلام المرسل عليه السلام فكذلك في قوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله لا يكون انما يسمع من الرسول عليه السلام لا من
الله تعالى حقيقة وكذا ما يقال سمعت من فلان قول فلان او سمعت فلانا فكله على المجاز ليس على التحقيق والله اعلم ويحتمل ان
سبب نزول قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية قول اولئك الكفرة حيث اخبر الله تعالى عنهم بقوله وقال
الذين لا يرجون لقاءنا لولا يكلمنا الله او تاتينا اية وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا سالوا الرؤية ان يروه جهارا وقد
حجبوا عن رؤية الله تعالى في الدنيا والاخرة حيث قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وسالوا ان يكلمهم سفاها فاخبر
لا يكلم احدا سفاها ولكن يكلم بما ذكر من الاوجه الثلثة حيث قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا اذ عليهم فاخبر الله تعالى ان طريق تكليمه الخلق في الدنيا هذه الوجوه التي ذكر وقد كلم البشر من غير الرسل
والطريق التي ذكره حيث قال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اخبر انه انزل اليهم كما انزل الى الرسل وحيث قال وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله الاية وغير ذلك يعني لا انما يكون كلام فيكلمهم كلاما وقد كلمهم ذكر كلام
الرسل عليهم السلام من الوجوه التي ذكر والله اعلم وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا كانه يقول هكذا اوحينا
الى الرسل الذين من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكر كما اوحينا الى الذين من قبلك والله اعلم وقوله روحا من امرنا
قال بعضهم روحا اي جبريل بامرنا وقال بعضهم اي رحمة الكتاب امرنا وقال بعضهم روحا من امرنا اي الكتاب الذي
انزلنا عليه واحد لنه سماه روحا لانه يحيي به الدين ويكون به حياة الدين ويحيي به الابدان وهو حياة الذكر والشرف
وهو كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم حياة الذكر والشرف كما هو والله اعلم
وقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الكتاب فانه كان لا يدريه ولا يعلمه حتى انزل عليه واما الايمان
حيث لم يخبر انه لا يدريه فهو يحتمل وجوها احدها ما كنت تدري ما الايمان في حق الانسان او ما كنت تدري ما الايمان
في حق الايمان او ما كنت تدري ما الايمان في حق قدره ومحله ومنزلته عند الله فان كان المراد في حق الانسان
انه كان لا يدريه في حق ابتداء الامر لان الايمان هو التصديق والتوحيد وما هو وهو معروف انه كان لا يدريه في حق
الانسان حتى ادراه فاعلمه انه ما هو وكذلك جميع اهل الدنيا لا يعلمون ذلك حتى علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل وسال النبي صلى الله عليه وسلم ما الايمان وما الاسلام على صورة اعرابي حتى قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا كان جبريل عليه السلام نزل ليعلمكم معالم دينكم والله اعلم او كان في حق فعل الايمان وعباراته
وكنهه فهو ان كان غير قادر على فعله واتيانه على حده وكان لا يدري لكن هو ان كان لا يدريه فانه لا يوصف بالجهل به
الا ترى ان الصغار لا يدرون ولا يقال انهم جهلة وانما يوصف بالجهل من ملك التفكر والنظر واستنباط العلم
ثم ذلك نيل فعند ذلك يوصف بالجهل فاما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فانه لا يوصف بالجهل الا
[illegible]
ولا يوصف ولا يقال انه كان جاهلا به والله اعلم [illegible]
[illegible] السمع والبصر [illegible]
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا [illegible]
[illegible]
[illegible] ما الكتاب ولا الايمان [illegible]
[illegible] والله اعلم وقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا [illegible]
وهو كما ذكر في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه [illegible]
[illegible]
[illegible] صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض [illegible]
[illegible] الا الى الله تصير الامور [illegible]

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم والكتاب المبين قال قتادة هو اسم
للسورة وقال غيره حم قضي ما هو كائن وقد ذكرنا وقوله الكتاب المبين قال قتادة مبين بركته وهداه ورشده
وقال بعضهم مبين بين الحلال والحرام ما يؤتى وما يتقى وقال بعضهم مبين بين الحق والباطل وهو عندنا مبين انه
من الله تعالى ليس هو من تاليف البشر ولا من توليدهم ولكنه من الله تعالى حيث عجزوا عن اتيان مثله والله الموفق قوله تعالى انا
جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون كانه يقول جعلنا ذلك الكتاب عربيا لعلكم تعقلوه وقيل جعلناه اي انزلناه
انا اي سميناه قرانا ليس ان جعله قرانا ولكن معناه جعلناه عربيا اي نظمناه بالعربية لتعقلوا وسميناه قرانا
ثم قوله لعلكم تعقلون يخرج على وجوه احدها اي انزلناه عربيا على رجاء ان تعقلوه والثاني انزلناه عربيا
لتعقلوا وذلك يرجع الى قوم مخصوصين قد عقلوه وفهموه اذ لم يعقلوه جميعا ولا يتصور ان ينزله ليعقلوه
ثم لا يكون ذلك لانه تعالى يكون لا محالة وما فعل يفعل قال الله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وتعالى
انزلناه عربيا لكي يلزمهم ان يعقلوه ويتبعوه ليبطل اعذارهم والاحتجاج على الله تعالى انه كان غير لسانهم والله تعالى
وعلى هذا يخرج تاويل اهل البدع في جميع القران انه للتحقيق اذا كان من الله تعالى فانه يقال فعلى التاويل الاخير كيف يخرج
قوله لعلكم تفلحون لا يستقيم ان يقال لكي يلزمكم ان تفلحوا وقيل معناه لكي يلزمكم السبب الذي به تفلحون وهو
مباشرة الاسباب والطاعات والله اعلم وقوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم قوله وانه في ام الكتاب يخرج
الى وجهين احدهما اي القران في اصل الكتاب يعني اول وهو اللوح المحفوظ وام الشيء اصله ويسمى ام القرى مكة
لهذا وكتابا في القران في الكتب المتقدمة فان الامهات لتقدمها على الولد وهو كقوله وانه لفي زبر الاولين وقوله
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ونحو قوله لعلي حكيم قال ابن عباس رضي الله عنه على الكتب واحكم ولهذا
وقال بعضهم وصف كتابه بالعظمة والمنزلة والشرف عنده وقوله حكيم يحتمل وجهين احدهما حكيم بمعنى محكم
كقوله كتاب احكمت اياته اي بالحجج والبراهين وكذا في سماه حكيما لما يصل به من الحكمة والله اعلم وقوله تعالى افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين اختلف في الذكر قال بعضهم القران وقال بعضهم الرسول وقال بعضهم
العذاب والعقوبة واختلف في قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا قال بعضهم فنترك انزال الذكر لان كنتم
مسرفين لاجل انكم كذا ولاجل انكم كذا وقال بعضهم فنترك الوحي لا نامركم بشيء ولا ننهاكم عن شيء ونرسل اليكم
رسولا وقال بعضهم افنضرب ونذهب عنكم هذا القران سدى لا تسالون ولا تعاقبون على تكذيبكم اياه
وقال بعضهم افنضرب عنكم اي نمسك عنكم فلا نذكركم صفحا اي اعراضا وهو قول القتبي يقول صفحت عن فلان
اي اعرضت عنه واصل ذلك انك توليه صفحة عنقك اي ضربت واضربت عن فلان اي امسكت عنه وقال ابو عوسجة
افنضرب افنسكت من ضربت واضربت اي سكت وقوله صفحا اي ردا يقال سالني فلان حاجة فصفحته اي صفحت له
رددته والله اعلم وبعضه قريب من بعض ثم الاصل عندنا ان الذكر يحتمل الا في من الثلاثة القران والرسل
والكتاب لكن لا يحتمل قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان يخرج على الابتداء على غير تقدم النوازل لانه لا يبتدا
بمثله ثم انه يحتمل انه كان منهم قول يقولونه يا محمد لو كان ما تقول لنا من عند الله تعالى فانك رسوله كيف انزل
الكتاب وارسل الرسول الينا على علمه منا انا نكذبه ونرده ولا نقبله وكان حكيما في الملوك في الشاهد انه يكذب رسوله
ولا يقبل لا يبعث الرسول فكيف بعث الله رسولا الينا او انزل كتابا علينا وبعثت رسولا لا اعلم انا نكذبه ونكذب الكتاب
ونرده ونرد ذلك لا ينفعه ولا يضره ذو نترك فينا افيقول الله تبارك وتعالى جوابا لهم وردا لقولهم افنضرب
عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين تعقلوا انا لا نترككم سدى وان علمنا منكم التكذيب والرد للرسول والوحي
ولا يمنعنا ذلك عن انزاله اليكم وتركه فيكم ولا تحملنا ذلك على رفعه من بينكم بل نامركم وننهاكم وان كنتم تكذبونه
ولا تقبلونه وهذا الذي ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله تعالى يخرج على الايجاب والتحقيق وقوله تعالى افنضرب
اي لا نترك انزاله والرسالة وان علمنا منكم التكذيب والرد وهو كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله
عز وجل ايحسب الانسان ان يترك سدى اي لا يترك سدى ولا تحسبوا انما خلقناكم عبثا فعلى ذلك قوله
عز وجل افنضرب عنكم الذكر صفحا فان كان الذكر هو القران او الرسول فالتاويل انه وان نعلم منكم الرد
لا يمنعه ذلك عن انزاله عليكم وبعثه رسولا اليكم او انكم وان كذبتموه ورددتموه فلا نجعل ذلك سبب
رفعه من بينكم بل نتركه فيكم وهو كما ذكر في قوله وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا
به يستهزئون عليه انا قد علمنا من الامم التكذيب للرسل والكتاب لا يمنعنا ذلك عن انزاله عليهم وبعثه
اليهم فعلى ذلك انتم وان علمنا منكم تكذيب الرسول وكتابه لا يمنعنا ذلك عن رسالته انا الله لنلزمكم
حجته ولعل فيكم من يصدقه ويؤمن به او يخرج من اصلابكم من يؤمن به ويصدقه وان كذبتموه انتم هذا ان كان تاويل الذكر
الرسول او الكتاب وان كان تاويل الذكر العذاب فيقول كانه يقول افنترك تعذيبكم ونمسك عنه لانا اتيناكم

وانتم قوم مسرفون اي مشركون على ما ذكر على ان العذاب حيث قال فاهلكنا اشد منهم بطشا وقيل معناه
عذبناهم بالتكذيب مع شدة بطشهم وقوتهم فانتم دونهم لا يعذبون بل يعذبون والله اعلم وعن قتادة يقول
لو ان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا لكن الله تعالى بفضله ورحمته كرره عليهم ودعاهم اليه
كذا سنة وما شاء الله تعالى وعن الحسن قال لم يبعث الله تعالى نبيا الا انزل عليه كتابا فان قبله قومه والا رفع فذلك
قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين لا يقبلونه فيلقيه قلوب بقية فقالوا قد سمعناه ربنا
قبلناه ولو لم يفعلوا ذلك لرفع ولم يترك على ظهر الارض منه شيء ثم القراءة العامة ان كنتم مفتوحة الالف
بمعنى اذ كنتم وقرئ ايضا ان كنتم مكسورة على الشرط ومعناه لا نترككم ولا نمسك عنكم الذكر ان كنتم مسرفين
مشركين والله اعلم وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون فيه دعاء
الرسول صلى الله عليه وسلم الى الصبر على ما يعامله قومه حيث ذكر انه ما ارسل من الرسل الذين كانوا قبله الا عاملهم
من الاستهزاء بهم والاذى فلهم مثل معاملته قومه اياك فصبروا على ذلك فاصبر انت على اذى قومك اياك كما
عاملتهم والله اعلم وفيها ان يرسل الرسول وان نعلم منهم انهم يكذبونه وكذا ينزل الكتاب وان علم منهم انهم
يردونه ولا يقبلونه لانه ليس في رسول الرسل وانزال الكتب لمنفعة نفسه ولا لدفع المضرة عن نفسه ولكن
انما يرسل وينزل لمنفعتهم ولدفع المضرة عن انفسهم سواء علينا ان قبلوه او ردوه وليس كملوك الارض اذا ارسلوا
رسولا او كتابا الى من يعلمون انهم يكذبون رسلهم ويردون كتابهم يكونون سفهاء لانهم انما يرسلون لحاجة
انفسهم ولدفع المضرة حيث لم يحصل غرضهم بل يلحقهم بذلك ضرورة زيادة مذلة واستخفاف لم يكن
ذلك حكمة بل يكون سفها فاما الله تعالى اذا لم يرسل لعلم نيل نفع ودفع ضرر بل لالزام الحجة وان الله عدل
ونحو ذلك كان حكمة والله الموفق وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين فيحتمل اولئك
الكفرة انزل بهم بكذبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم والله اعلم ثم قوله فاهلكنا اشد منهم بطشا يحتمل
وجهين احدهما اي اهلكنا من كان اشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم يستطيعوا الامتناع لشدة قوتهم
وبطشهم عما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك الذين لم يهولاء لم يستطيعوا الامتناع عنه مع ضعفهم والثاني ان يكون
قوله اشد منهم بطشا فلا يمنع عمله لبطشهم وقوتهم انما اذا كان شدة العذاب وبطشه دون بطشه
ربما لا يعمل ولا يؤثر فيهم لذلك وصف العذاب بكونه اشد منهم بطشا وهو كقوله ان عذابي لشديد والله اعلم
وقوله ومضى مثل الاولين اي صار عذاب الاولين عبرة وعظة ومثلا للمتاخرين كقوله فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين والثاني مضى مثل الاولين اي مضى عذاب الاولين وهو عذاب
الاستئصال فلا يعذب هذه الامة بمثل هذا بفضل محمد صلى الله عليه وسلم وبركته ورحمته وهو ما قال
عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بفضله ورحمته ابقى هذه الامة الى يوم القيمة والله اعلم وقوله تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فقوله وجوابهم ان الله خلق السموات
والارض دلالة انهم قد عرفوا انه رسول لكن كذبوه عنادا ومكابرة لان اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى
يزعمون انا لم نعرف ان الله خلق السموات والارض بقولهم وينكرون رسالته مناقضة بل ينكرون الرسل جميعا
ثم هم لم يعرفوا ان الله هو خلق السموات والارض الا بالرسل اذ هم ليسوا من الذين جاءتهم الاستدلال
والنظر في الدلائل ليعرفوا الله تعالى بالدلائل العقلية والظاهر في القوم جملة المعرفة بالدلائل السمعية
فكان الظاهر هذا انهم عرفوا ان الله خلق السموات والارض بقول الرسل عليهم السلام لكنهم كذبوهم ولم يصدقوهم
عنادا منهم ومكابرة وما يعرفوا سائر الرسل من المعجزات موجود معاين لهم حتى يعرفوا رسولنا فعلمهم انه
رسول لكنهم كذبوه عنادا منهم فدل ان قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته والله اعلم ثم تمام الاحتجاج
هنا ان يقال لهم قد عرفتم ان الله هو خلق السموات والارض فهلا عرفتم انه لم يخلقهما عبثا باطلا اذ لو كان
على ما تزعمون ان لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب يكون خلقهما عبثا باطلا فكان اقراركم
بخلقه اياهما اقرارا بخلقه على وجه الحكمة وان يخرج خلقه على الحكمة الا بالاقرار بالرسل والبعث والتوحيد
على ما عرفتم ثم ان يقال لهم اذا عرفتم ان الله تعالى خلق السموات والارض وما ذكر الى آخره فكيف انكرتم قدرته
على البعث والاعادة بعد الموت والاعجوبة في خلق السموات والارض اعظم واكبر من الاعجوبة في بعثكم
واعادتكم فكيف انكرتم ما هو دونه في القدرة والاعجوبة والله اعلم وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون جائز ان يكون ذكر هذا على سبيل النعت والوصف لله عز وجل
صلة لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي وصفه انه جعل الارض
كذا وانه كذا ويحتمل ان يكون ابتداء وقيل ولئن سألتهم عن الارض وما ذكر من جعلها مهدا ومن جعل لهم فيها

فقالوا الله جعل ذلك على ما قالوا في السموات والارض وفيه وجوه من الدلالة احدها يذكرهم نعمه عليهم حيث
جعل هذه الارض بحيث يستقرون فيها وينتفعون بها بانواع المنافع وبحيث يمكنهم الوصول الى حوائجهم التي فرقها
في الامكنة المتباعدة بما جعل لهم فيها سبلا وطرقا يسلكونها فيها ليصلوا الى الحوائج التي فرقت في البلدان المتباعدة
ما لو لم يجعل فيها السبل والطرق لما قدروا على السلوك فيها ولا عرفوا انهم في اي جهة يصلون الى حوائجهم التي
فرقت فيذكرهم بما ذكر ليستأدي شكره على تلك النعم وفيه دلالة حكمته لئلا يقدر انما فعل لهم ما ذكر لم يجعلها
عبثا باطلا بحيث فرق حوائجهم في امكنة متباعدة ثم مكنهم الوصول اليها ليعلم ان الذي ملك انفسهم هو مالك
اطراف الارض اذ لو كان هناك غير مالك ذا التمكنهم من الوصول الى حوائجهم فيه دلالة قدرته حيث جعل لهم
في الارض ما ذكر من التسخير لهم حتى طرقوها ونقبوها وسلكوا فيها السبل التي جعل لها ليعلم
وتصنعوها وتمكن لهم ذلك ليعلم ان من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وقوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر
فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون فيما ذكر من انزال الماء من السماء ونشر ما في الارض وانبات النبات فيها
بذلك الماء دلالة من الوجوه التي ذكرنا في جعل الارض مهدا لانه انزل الماء من السماء ليكون في الارض نفع
النعم التي ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على ما بعد ما بينهما ليعلموا عظيم نعمه عليهم وليعلموا انما
ما لكم اله واحد وما جعل في الماء من المعنى واللطف ما يلقح جميع النبات والثمار على اختلاف النبات والثمار واختلاف
اجناسها وجواهرها ليعلم ان من قدر على احياء الارض بذلك المعنى الذي في الماء وموافقته جميع النبات والثمار على
اختلاف جواهرها واجناسها لا يحتمل ان يعجزه شيء من بعث وعن هذا الاعجوبة فيما ذكر من احياء الارض بذلك
الماء وموافقة المعنى المجعول في الماء جميع ما ذكر اعظم واكبر من البعث لانه اعادة وذلك ابتداء فمن ملك وقدر
على ما ذكر من الاشياء فهو على البعث اقدر واملك ولذلك قال الله تعالى كذلك تخرجون اي تبعثون والله الموفق
وقوله تعالى والذي خلق الازواج كلها جائز ان يدخل فيما ذكر من خلق الازواج كلها جميع ما يكون لها ازواج من
من مقابله واشكالا اذ الازواج قد يقع ويستعمل في الاضداد والاشكال من الاعمال والجواهر من الكفر
والايمان والطاعة والمعصية فيكون في ذلك دلالة لانه خلق افعال العباد اذا اخبر انه خلق الازواج كلها
وبين هذه الافعال ازدواج وان كانت متضادة متقابلة والله اعلم وقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون فيه ما ذكرنا من الوجوه انه فرق حوائج الخلق في امكنة بعيدة من بينهم وبين امكنة حوائجهم مفاوز وبراري
وبحار فجعل لهم في المفاوز انعاما تركبونها ليصلوا الى حوائجهم وفي البحار سفنا ليركبوها ليصلوا الى حوائجهم
التي في البحار يذكرهم نعمه ليستأدي بذلك شكرها ويذكرهم قدرته ان من ملك هذا وقدر لا يعجزه شيء وقوله تعالى
لتستووا على ظهوره جعل ظهوره بحيث تستوون عليها وتقرون وكان له ان يجعل ظهورها بحيث لا تستوون
عليها ولا تقرون هذا من نعمة الله تعالى عليهم وقوله تعالى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ثم نعمته يخرج على
وجوه احدها ما ذلك لهم من الانعام وسخرها لهم بقوتها وشدتها وجعل لهم ان يستعملوا الدواب
وهي سائمة ويذبحونها بالموت وبالحفظ ثم جعلها منفعة لهم لا ان يجعلوا لها او يكون نعمة التمام عليهم
ان يذكروها الاسلام والتوحيد وقالوا الحمد لله الذي هدانا بالاسلام ويقولون سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين اي يتامرهم ان يذكروا ما شاء لهم من النعم العظيمة وقوله تعالى وما كنا له مقرنين قال بعضهم مطيعين
يقال انا لك مقرن اي مطيق ويقال انا مقرن لهذا العمل اي قوي عليه واصل هذا التاويل ان الدواب والانعام
في انفسها اشد واكثر قوة واعظم من البشر لكن الله تعالى بفضله ومنه علم الانسان الحيل حتى قدر على استعمال
الدواب والانعام مع قوتها وشدتها حيث شاء وفيما شاء وسخرها لهم ويحتمل ان يكون قوله وما كنا له مقرنين
اي لم يجعلنا من قرناء الدواب وعن قرنها بحيث نستعمل الدواب وتركها على الظهور وان لم يجعلنا من قرناء
الدواب ومن اشكالها والله اعلم وقوله تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون هذا يحتمل وجوها احدها يحتمل البعث
على ما قال اهل التاويل ويحتمل وانا الى ما جعل لنا من الوصول الى حوائجنا لمنقلبون بها ولاحقون والله اعلم
ويحتمل وانا الى اوطاننا وما كان لنا لحقوه بها وما لولاها لم يتهيا لنا الرجوع الى ذلك ولا الوصول الى ما جعل
من الحوائج التي فرقت في الامكنة المتباعدة والله اعلم وقوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا قال عامة اهل التاويل
اي الكفرة جعلوا لله تعالى من عباده نصيبا وقال الزجاج جزءا اي بنات [illegible] بعض العرب
البيت لان الكفرة قد اختلفوا في انواع كفرهم وهم مختلفون في كفرهم بقول الثنوية الاثنين يقولون ان الله تعالى
هو خالق الخيرات وخالق الشرور غيره ثم اختلفوا في ذلك الغير اهو [illegible] ثم الثنوية جعلوا لله تعالى
من عباده جزءا وهو الخيرات وجعل له الجزء الاخر ومشركو العرب جعلوا لله ما رزقهم جزءا [illegible]
حيث قالوا وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا [illegible]

مما تدعونهم وهو الظاهر وفريق آخر جعلوا له جزءا من عباده وهو الإناث ولم يجعلوا لله البنين كقوله تعالى
ويجعلون لله البنات فجعل الجزء له على ما ذكرنا الظهر مما ذكره أهل التأويل لبعض فلله والله أعلم وقوله تعالى إن الإنسان
لكفور مبين أي كفور لنعمه مبين له بين كفرانه وقوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين هو
على الإضمار كأنه يقول أو يقولون اتخذ مما يخلق بنات لنفسه وأصفيكم بالبنين وهو ما ذكر في آية أخرى ويجعلون
لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ثم قوله أم اتخذ أي قالوا بل اتخذ مما يخلق بنات ذكر في هذه الآيات
سفه أهل مكة وشدة تعنتهم لأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل وما ذكروا من اتخاذ الولد وما ادعوا بأن الملائكة
بنات الله ومما أقروا حتى سئلوا من خلق السموات والأرض فأنه هو خالق ذلك كله مما لا سبيل إلى معرفة
ما قالوا وادعوا إلا بالرسل وهم ينكرون الرسل فكيف ادعوا ما ادعوا وهم ينكرون خبرهم لأن معرفة الولد
الغائب لا يعلم إلا بخبر صادق وكذلك معرفة الملائكة إنما هو بخبرها بينهم ثم هم ينكرون الأخبار والرسل
فتناقض دعوتهم ويحتمل على ما ذكرنا أن أخبر عنهم ما يظهر ولمن الخبر ففيه ما توالدهم من الإناث وما بهم
من الكراهية في ذلك فقوله وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا أي شبها بالخلق وأنه يخرج على وجهين أحدهما
بما جعلوا لله ولا الولد يشبه الوالد فكأن إثباتا الولد له إثباتا المشابهة بينه وبين جميع الخلق لأن الخلق لا
إما أن يكون مولود أو يلد آخر مثله وإما أن يكون له شريك فيما ملكه ويكون هو شريك غيره فيكون البعض
شبيها بالبعض فمن أثبت لله شريكا وولدا فقد جعله شبيها بالخلق ولهذا نفى الله تعالى عن الولد والشريك
بينا واحدا بقوله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك نفى الولد والشريك عن نفسه نفيا واحدا لما ذكرناه
واحده فافهم ثم قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين يحتمل أن يكون تفسيرا لقوله وجعلوا
له من عباده جزءا على ذلك قول أهل التأويل أنهم جعلوا هذه تفسير الأولى ويجوز أن يكون لا على تفسير الأولى
ولكن على الابتداء في قوم آخرين سواهم على ما ذكرنا الخبر من التأويل وقوله تعالى أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير
مبين اختلف فيه قال بعضهم هي الأصنام التي عبدوها حلوها وزينوها بأنواع الزينة والحلي يقول والله أعلم
ومن يحلى بالحلي وزين بالزينة فهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يتكلم ولا الخصومة ولا شيء من ذلك ولا ينفع
البتة ولا يكترث له لولا تلك الحلي والزينة التي بها جعل العبادة لم يكن منه خلق ما ذكر من السموات والأرض
وما فيهما من المنافع التي ليس هذا بشيء لذلك يذكر سفههم في اختيارهم الأصنام التي هذا وصفها في العبادة
على عبادة الله تعالى الذي منه كل شيء ونصره رسوله عليه السلام على أعدائهم وكذبهم إياه وشيء مما عليهم يعبده
والله أعلم أن الأنثى ضعيف قليل الحيلة وهي عند الخصومة والمحاورة عن حجتها تضعف عن ضعفهن ونقصهن
يقول والله أعلم كيف تنسبون إلى الله عز وجل ما هما ضعف وعجز ونقص فيما ذكر فقد ابتعلهم [illegible] واختاروا
لأنفسهم ما هو أكمل وأقوى وهم الذكور وهو صلة قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين إلى آخره وكل
حرف مما تقدم ذكره من قوله وجعلوا له من عباده جزءا وقوله أم اتخذ وقوله أو من ينشأ في الحلية يحتمل أن
يرجع إلى غير المعنى فيما ذكر من الإناث وكل حرف من هذه الحروف يرجع إلى غير الآخر لأنهم كانوا فرقا
مختلفين متفرقين وجاز أن يرجع الكل إلى معنى واحد والله أعلم وفي هذه الآيات ما ذكرنا من الوجوه في تصبير
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى القوم ومن بيان سفههم وكيف من العذر بما كان منهم والله أعلم
وقال القتبي أو من ينشأ في الحلية أي يربى في الحلي وهي البنات يريد جعلتم لله البنات وهم إذا كان
لأحدهم بنت ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهو في الخصام جمع خصيم غير مبين أي غير مبين للحجة
وقال أبو عوسجة أو من ينشأ في الحلية أي ينشأ كما يقال نشأ الصبي ينشأ أي يشب ويرتفع والخصام والخصومة
وقال أبو معاذ نشأت وينشأ بالتشديد ينشأ بالتخفيف وهما لغتان وقرأ بعضهم تنشأ في الحلية
والله أعلم وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون يحتمل
كيف سفههم في جعلهم عباد الرحمن إناثا أو قد جعل الله من عباده إناثا المراد إنما تبيهم على الجعل عن هذا وجهين
أحدهما إنما سفههم في جعلهم عباد الرحمن إناثا وقد جعل الله من عباده إناثا المراد إنما تبيهم على ذلك [illegible]
والوجه الآخر إنما سفههم وعاتبهم لشهادتهم على الله تعالى أنه جعل الملائكة إناثا وهم لم يشاهدوها ولا
بالرسل عليهم السلام حتى يقع لهم العلم والخبر بذلك بقول الرسل والله أعلم وعندنا أن الله تعالى وصف الملائكة
بأنهم لا يفترون عن عبادته وأنهم مطيعون لله تعالى على الدوام بحيث لا يرد منهم عصيان طرفة عين على ما نطق
بذلك الكتاب فهل إذا قالوا إنهم إناث وصفوهم بالضعف والعجز فلا يستأهل القيام بما ذكر والله أعلم ثم قوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقوله ويجعلون لله البنات وقوله ويجعلون لله ما يكرهون ليس على
التحقيق ولكن على الوصف له والقول أي قالوا إن الملائكة بنات الله ووصفوا لهم بما ذكر والله أعلم وقوله تعالى

قالوا

وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم تعلق المعتزلة بظاهر هذه الآية في أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر ولا شاء
الإيمان فإن الكفار ادعوا أن الله تعالى شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الأصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم أي لو شاء منا أن نترك عبادة الأصنام لتركناها ولكن شاء منا عبادة الأصنام فالله تعالى رد عليهم
قولهم واعتقادهم وقال ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أو ما هم إلا يكذبون وعندنا الآية يخرج على وجهين
أحدهما أنهم في قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم صدقة فإن معناه أنه لو شاء منهم تركهم عبادة الأصنام ما
عبدوها ولكن شاء أن يعبدوها فعبدوها فيكون هذا منهم إخبارا عن الحقيقة على ما هو فيكون صدقا
ثم قوله ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون يحتمل أنما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة أنهم ادعوا وأخبروا
أن الكفر بمشيئة الله تعالى وأنه شاء منهم الكفر دون الإيمان والله تعالى شاء منهم الإيمان دون الكفر فقد
أخبروا على خلاف الخبر فيكون كذبا ويحتمل أنهم ما أرادوا الذي في قلوبهم بخلاف ما أخبروا هو أن الكفر
ليس بما شاء الله تعالى وإنما شاء الإيمان كما تقول المعتزلة ولكن يقولون ذلك ردا على المسلمين الذين يدعون
إلى الإيمان والرجوع عن الكفر أنه إن كان شاء منا الكفر دون الإيمان كيف نرجع من الكفر والإخبار
عما هو به وإن كان صدقا ولكن إذا كان في قلب المخبر واعتقاده خلاف ذلك فيكون ذلك الإخبار في نفسه
صدقا ولكن من حيث أنه إخبار عما في الضمير يكون كذبا وهذا كقوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فهم في قولهم نشهد إنك
لرسول الله صدقة لكن في إخبارهم عما في ضميرهم كذبة لما لا يوافق ظاهر كلامهم حقيقة ما في قلوبهم فجمع
تكذيب الله تعالى إياهم لكذب قلوبهم وإن كانوا في نفس قولهم نشهد إنك لرسول الله صدقة وإذا احتمل وجهين فلا
يكون الآية حجة لهم مع الاحتمال وعلى الوجهين جميعا يكونون كاذبين لذلك قال إن هم إلا يخرصون والله أعلم
والثاني أنهم وإن كانوا صادقين في حد ذاته بعضهم مما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية لأهل الحق فيكون
قصده تلبيس الصدق على الناس وقصده تعالى كقوله عز وجل ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا وهذا القول
من هذا الإنسان حق وصدق لكنه لما قال ذلك استهزاء منه وإنكار البعث الآخرة أن الله تعالى وعظه على
ذلك وكفر حيث قال أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فعلى ذلك قول أولئك وإن كان
في الظاهر صدقا فهم إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية على سبيل الإنكار والتكذيب الحق فيكون إخبارهم
من هذا الوجه لهذا الغرض خرصا وكذبا والله أعلم وكان الغرض لهم بذلك الاحتجاج على المسلمين في
ترك عندهم بالعذاب بسبب الكفر أي كيف يعذب وإنا إنما باشرنا الكفر بمشيئته ولو شاء أن نترك
العبادة للأصنام تركنا فإذا كان شاء منا الكفر حتى كفرنا لماذا عاقبنا فأبطل احتجاجهم بقوله ما لهم بذلك
من علم إن هم إلا يخرصون أي فيما علموا فإن الاحتجاج بهذا كاذبون فإنهم باشروا الكفر بسبب مشيئة الله تعالى
إياهم الكفر ولكن لميل اختيارهم وأسباب حاملة لهم على ذلك كما أن لا أحد من العصاة من الفسقة
والكفرة يفعل وعنده أن الله تعالى شاء ذلك منهم فإذا كان في حقه لا يفعل ما يفعل لأن الله تعالى شاء ذلك
منه لم يكن له هذا الاحتجاج والقول بما قالوا والله أعلم والرابع يحتمل أنهم بقولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم
وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا أن الله تعالى يقبل عبادتنا ملك الأصنام ما عبدناهم لكن أمرنا بعبادتهم
كانوا يدعون لما يتعبدونه الأمر من الله تعالى لقوله وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها أو
أرادوا بالمشيئة الرضا يقولون لولا أن الله تعالى قد رضي بذلك منا وعنا بإشراكنا وإلا ما تركنا وهو على ذلك قادر
بتركهم على ما اختاروا على أن الله تعالى قد رضي بذلك منهم فرد الله تعالى بقوله إن هم إلا يخرصون وبقوله قل إن الله
لا يأمر بالفحشاء الآية وقد ذكرنا على الاستقصاء في قوله وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا الآية والله أعلم
وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون أي لم نؤتهم كتابا فيكون لهم العلم بذلك يسفههم في قولهم
بأنهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وذلك أسباب العلم وليس لهم تلك الأسباب لا يؤمنون بها ولا يصدقون
وقوله تعالى بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون أي ثم هم قوم ينكرون الرسل ويكذبونهم
بعلة أنهم بشر ثم اتبعوا آباءهم واتبعوهم وهم بشر أيضا وهذا تناقض في القول يذكر سفههم وتناقضهم
في القول وقوله تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا
على آثارهم مقتدون يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ما قال هؤلاء إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم
مقتدون أنه ليس ببديع من هؤلاء بل قال الذين من قبلهم لرسلهم على ما قال هؤلاء لك من خصومه وتعزيه وتكذيبهم
في اتباعهم واقتدائهم بهم وهم بشر فيقولون إذا كنتم لا محالة تتبعون البشر فاتبعوا أمر من أبائكم وهم الرسل
هو ما قال عز وجل قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم فقالوا إنا بما أرسلتم به كافرون [illegible]

ونصيبًا منهم وقال بعضهم أن قل يا محمد أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الدين الذي أنتم متبعون فيه أحسن
في دينه وقالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين هذا وعيد
ثم قال بعضهم فانتقمنا منهم يقول لهذا رجوع الذكر إلى الأمم الخالية فقال فانتقمنا منهم بالعذاب الذي عذبوا ويحتمل
أن يكون قوله فانتقمنا منهم أي ننتقم منهم وذلك جائز وقوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين يحتمل مكذبي الرسل
ويحتمل مكذبي العذاب والله أعلم وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وذلك
أنه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون واستثنى عبادة الذي فطره وهو الله تعالى وهم لا يعبدون الذي فطره
فكيف يستثنى من جملة عبادة من يعبدون من الاستثناء من جنس المستثنى منه فقول قال بعضهم إنه بريء من
من عبدتهم واستثنى عبادة من فطره لأن فيهم من عبد الذي فطره الله تعالى فلو تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون على الإطلاق
لصار متبرئًا عن عبادة الله تعالى لذلك استثنى عبادة الله تعالى والله أعلم لكن لا إشكال أنه لم يظهر أن فيهم
من يعبد الله تعالى وهو الذي فطره وخلقه فلا معنى للاستثناء فيقال إن لم يكن فيهم من يعبد الذي فطره فكان
في آبائهم وأوائلهم من يعبد الذي فطرهم فيرجع استثناؤه إلى ذلك والله أعلم ويحتمل أنه إنما استثنى الذي فطره
على طريق الاحتياط لاحتمال أن يكون فيهم من يعبد الله تعالى ولا وقوف له على ذلك فيصير متبرئًا من ذلك الذي
مما يعبدونه جميعًا والله أعلم ويحتمل أن يكون استثناء الذي فطره لأنهم يعبدون الأصنام والأوثان
دون الله تعالى رجاء أن يشفع لهم ويقربهم إلى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيرجع استثناؤه إلى حقيقة الذين قصدوا بالعبادة وهو الذي فطرهم
والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا استثناء منقطعًا وهو الاستثناء من خلاف الجنس لكن معناه إني بريء
مما تعبدون ولكن أعبد الذي فطرني وذلك جائز في اللغة كقوله لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا أي ولكن
سلامًا وقوله إلا أن تكون تجارة عن تراض أي ولكن تجارة عن تراض لأنه لا يكون أن يستثنى التجارة عن
تراض من الباطل وإلا السلم من اللغو ونحو ذلك كثير والله أعلم وقوله إني بريء مما تعبدون ذكر أن هذه
الحرف براء يأخذ في الوحدان والتثنية والجمع وقوله فإنه سيهدين هذا يخرج على وجهين أحدهما أي سيثبتني
على الهدى والثاني أي فإنه سيهديني في حادث الوقت لأنه كان مهتديًا في ذلك الوقت والهدى مما يحدث في
الإرادة حقيقة الهدى فعلى هذين الوجهين يخرج ويحتمل أنه يخرج على التوفيق على الهدى والعصمة عن ضده
في المستقبل ولا يحتمل أن يريد بالهدى البيان لما ذكر فإنه سيبين لي لأنه قد تبين له جميع ما يقع له الحاجة
إليه فلا يحتمل أن يسأل البيان ولا يحتمل الأمر أيضًا لأنه قد تقدم الأمر به ويرجع إلى حقيقة الهدى أو إلى
التوفيق والعصمة ويكون في الآية دلالة على أن من الله تعالى لطفًا وهو ما ذكرنا من أعطى ذلك حصل مهتديًا
وأنه لم يعط الكفرة ذلك ولو أعطاهم لآمنوا والله الموفق وقوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
هو يحتمل وجهين أحدهما الكلمة الباقية هي كلمة الهداية والتوحيد فإنه سأل أن يجعل ما وجد منه من التبري
من غير الله تعالى وتحقيق عبادة الله فيقول إنني بريء مما تعبدون إلا الذي فطرني كلمة باقية وأنه كلمة التوحيد فإن
قوله لا إله نفي غير الله وقوله إلا الله إثبات الألوهية لله تعالى وذلك معنى قوله إنني بريء مما تعبدون إلا الذي
فطرني وهو كقوله تعالى إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية فأجاب الله تعالى سؤاله ودعاءه فلم يزل في ذرية إبراهيم
وعقبه من يقولها وذلك ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون
الآية والثاني الكلمة الباقية هي كلمة الدعوة إلى الهدى والتوحيد وهي عبارة عن بقاء النبوة والخلافة في ذريته
إلى يوم القيامة وهو ما قال إني جاعلك للناس إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين أخبر أن الظالم
من ذريته لا ينال العهد فأما من لم يكن ظالمًا فإنه ينال العهد وقد استجاب الله دعاءه فلم يزل الدعوة في ذريته
والنبوة والخلافة فيهم إلى يوم القيامة قال الله تعالى ولكل قوم هاد والله أعلم وقوله تعالى بل متعت هؤلاء وآباءهم
حتى جاءهم الحق ورسول مبين أخبر أنه متعهم وآباءهم في مكان لا نبات فيه ولا زرع ولا نماء ولا شجر إلا من حملهم
على أن يحملوا إليهم الطعام والأغذية وأنواع الفواكه من الأمكنة البعيدة ويجلبون إليهم ما ذكرنا فذلك
ما ذكر من تمتيعهم وآباءهم وقوله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين أي محمد عليه السلام بين أنه من عند الله جاء
وقوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة والأشراف منهم التكلم بهذه
الكلمة عند نزول الآيات والمعجزات يريدون التمويه على أتباعهم والتلبيس وعلى ذلك قوله هؤلاء هذا سحر وإنا به
كافرون وقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ظن هؤلاء أنه لما وسع عليهم الدنيا
وأنعم عليهم ما أعطى من الأموال إنما أعطوا ذلك ووسع عليهم لكرامتهم عند الله وفضل ومنزلة له ومن ضيق
الدنيا لم يعط ذلك إنما ضيق عليهم من هوانه عند الله فقالوا لعنادهم محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة [illegible]

عليه من الله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ظنوا أن من عظم قدره ومنزلته عند الخلق
[illegible]
أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا [illegible]
[illegible]
ورحمة ربك خير مما يجمعون [illegible]
[illegible]
ولولا أن يكون الناس أمة واحدة [illegible]
[illegible]
أهل الكفر حتى يصير جميعًا أهل الإيمان إذ لا يحتمل أنه إذا أعطى ما ذكر لأهل الكفر فيكونون جميعًا أهل
إذا أعطى ما ذكر لأهل الكفر فيكونوا جميعًا أهل كفر وإذا أعطى جميع ذلك لأهل الإيمان لا يكونون جميعًا أهل
الإيمان وهو الأصلح في الدين ومع ذلك لم يفعل ذلك لأنه ليس على الله تعالى حفظ الأصلح لهم في الدين ولا حفظ
الأصلح والله الموفق وقال الأصل في قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الآية أنه خير
في الدنيا بين أن يختاروا النعم الدائمة واللذة الباقية وبين أن يختاروا اللذة الفانية والنعمة الزائلة المنقطعة
من اختاروا التنعيم الدائمة واللذة الباقية على النعمة الزائلة واللذة الفانية ضيق عليه النعم الزائلة و
اللذة الفانية في الدنيا ومن آثر الفانية على الباقية الدائمة وسع عليه الفانية [illegible]
ثم هو ما ذكر من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا

مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الآية بين كل ما اختار كل واثر من النعيم لغاية والدنيا
والله اعلم وذكر الفضة والذهب وان كانت اشياء اخر قد يكون ارفع واعظم قدرا منهما لانهما من جملة
الاشياء عندهم وبهما يوصل الى كل رفيع وخطير فاعلم ثم ما ذكر من جعل السقف والمعارج من الفضة وما ذكر
من الزخرف هو دون ما قال فرعون في حق موسى عليه السلام لولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين
اي خساسة الدنيا وهوانها انه لم يعطها الاولياءه واحبائه والاخيار من عباده لولا ما يكون من ترك اهل الايمان
الايمان فحق كل كافر مثل ما فضل في حق فرعون وامثاله والله اعلم (قوله تعالى) وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا
والآخرة عند ربك للمتقين * اي كل ما ذكر ليس الا متاع الحياة الدنيا اعطى من اثره على نعيم الآخرة والعاقبة الحسنة
كما اختاروها على غيرها والله المستعان قال القتبي المعارج الدرج يقال عرج اي صعد ومنه المعارج لانه سبب
الى السماء او طريقه عليها يظهرون اي يعلون يقال ظهرت على البيت اذا علوت سطحه والزخرف الذهب وكذا
قول ابي عوسجة المعارج المصاعد المعراج الصعود والزخرف كل شيء حسن والزخرفة التحسين والتزيين وهذا
الاسم فانه قال في آية اخرى حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها وحسنها والسقف جمع السقف وهو سمك
(قوله تعالى) ومن يعش عن ذكر الرحمن قال بعضهم يعش اي يعمى بصره ويضعف عن ذكر الرحمن او يعمى عليه [illegible]
وقال بعضهم عشا يعشو من عمي البصر وضعفه وعشي يعشى من الاعراض وقال ابو عبيدة ومن يعش عن ذكر الرحمن
اي يظلم بصره وقال الفراء ومن يعش اي يعرض عنه ومن يعش يضعف بصره او يعمى عنه وقال ابو عوسجة يعشى
اي يتجاوز وان شئت جعلته من العشي وهو ظلمة البصر وان شئت جعلته من العمى وهو التعامي والله اعلم ثم
عن ذكر الرحمن القرآن ويحتمل التوحيد والايمان ويحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله تعالى) نقيض له شيطانا
فهو له قرين * قال بعضهم نقيض نقدر والقيض التقدير يقال قيض الله له حينا اي قدره وهو قول ابي عوسجة
وقال بعضهم نقيض اي نجعل له شيطانا ونضم اليه فهو له قرين والاصل في ذلك انه من يعصي الله واختار
على طاعته كانت لذته وشهوته في ذلك فالشيطان حين اختار معصية الله على طاعته صار من لذته
في ذلك وعلى ذلك من استتبعهما دعاه واجاب الى ما دعاه اليه صارت لذته في ذلك فادعى [illegible] عن ذلك يكونا
جميعا في ذلك في الدنيا والآخرة على ما ذكر في آية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم الآية (قوله تعالى) وانهم
ليصدونهم عن السبيل * السبيل المطلق هو سبيل الله والدين المطلق هو دين الله والكتاب المطلق هو كتاب الله
(قوله تعالى) ويحسبون انهم مهتدون * وان كانوا يحسبون انهم مهتدون لان الشياطين كانوا يزينون لهم ويعدونهم
ان الذي انتم عليه هو دين آبائكم واجدادكم ولو كانوا على باطل لا على حق ما تركوا على ذلك ولكن اهلكوا واستؤصلوا
فاذا لم يهلكوا وتركوا على ذلك دل انهم كانوا على الحق والهدى [illegible]
[illegible] والله الهادي (قوله تعالى) حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
[illegible] بعد المشرقين [illegible] المشرق والمغرب [illegible]
[illegible]
قال بعضهم [illegible] مشرق الشتاء ومشرق الصيف [illegible]
[illegible] فبئس القرين [illegible]
[illegible] ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون [illegible]
[illegible] افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون * [illegible]

صلى الله عليه وسلم من سؤال الآيات [illegible] عليهم ثم النهي يخرج على وجهين احدهما النهي عن سؤال آيات
الوعيد [illegible] عليهم والثاني النهي عن استعجال العذاب كقوله ولا تستعجل لهم كانه يقول
[illegible] ان شئنا [illegible] وان شئنا [illegible] ذلك [illegible]
ليس لك من الامر شيء الاية وقال قتادة في ذلك ان الله تعالى ذهب بنبيه عليه السلام وابقى النقمة بعد علم من
قاتله الا الذي يقر بعينه وليس نبي ولا رسول الا وقد رأى في امته العقوبة غير نبيكم فان الله تعالى
لم يره الا ما تقر به عينه قال وقد ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى الذي يكون في امته من بعده فما رئي
مستبشرا ضاحكا حتى لقي الله تعالى وقال الحسن قريب من قول قتادة في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون
قال اكرم الله تعالى نبيه عليه السلام اذ لم يره في امته ما يكره وقبضه الله وبقيت النقمة (قوله تعالى) فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم * الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على ثلاث احدها القرآن الذي
يتلى والثاني وحي بين للناس لهم [illegible] حجة البعض على البعض على لسان الملك
جبريل وغيره على ما اراد الله تعالى والثالث وحي الالهام والافهام لقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله
[illegible] وانه امره عز وجل بالتمسك على انواع ما اوحي اليه ما هو قرآن وما هو بيان وما هو الهام والله
[illegible] او يدل او يهدي الى الصواب في ذلك كله ويشرع في ذلك كله انك اذا تمسكت بجميع ما اوحي
اليك كنت على صراط مستقيم حيث قال فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم (قوله تعالى) وانه لذكر
لك ولقومك * ويحتمل ان يكون المراد بالذكر جميع انواع ما اوحي اليه فان قوله وانه كناية عن قوله بالذي
اوحي اليك اي جميع ما اوحي اليك شرف لك ولقومك لما خصصته واخترته بذلك من بين غيرهم والله اعلم ويحتمل
ان يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر اي ما اوحي اليه ذكر لقومك تذكرهم ما لهم وما عليهم وما
لبعضهم على البعض والله اعلم (قوله تعالى) وسوف تسألون * يحتمل فسوف تسألون عن شكر ما اوحي اليك ان تصير
ما اوحي اليك ذكرا لك ولقومك وعن القيام بشكر ذلك ويحتمل قوله وسوف تسألون القيام باداء جميع
ما في القرآن وفيما اوحي اليه ويحتمل فسوف تسألون من كذب به على ما يقول بعض اهل التأويل او فسوف تسألونه
من كذب به على ما يقول بعض اهل التأويل وسوف تسألون فاشكرتم تلك النعم ام لا ويحتمل فسوف تسألون
يوم القيمة عن القرآن هل عملتم بما فيه والله اعلم (قوله تعالى) واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون * والاشكال انه كان يعتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياتيه ليصدقه
اطمع في تصديقه من امره ان يسأله من اهل الكتاب اي بان يصدقه معجزات [illegible] الكفرة على بيان مثلها ليس
مع من امر بالسؤال له وذلك انه آيات معجزات [illegible] السؤال له عن اهل الكتاب عن ذلك فيعقل امره تعالى
اياه بالسؤال منهم يخرج على وجهين احدهما السؤال تنبيه وتعيين والسؤال تقدير وتنبيه هل
اتى رسول من الرسل الذين ارسل من قبلك بما تكلفنا بالامر بعبادة غير الله ويقرون جميعا انه لم يأته رسول بامر
ذلك فلا امر احد منهم بذلك والثاني ان هذا امر يعني ان يسألهم وان كان ظاهر الامر فان كان ظاهر الامر في الخطاب
لكم [illegible] صدقه [illegible] لانه صدق اولئك وهو كقوله [illegible] ولا تقل لهما
اف ولا تنهرهما وكقوله فلا تكونن من الممترين ولا من المشركين اذ معلوم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يشك ولا يمتري في شيء من ذلك فرجع الخطاب الى غيره ما ذكر ويحتمل ان يكون قوله واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الاية الى ان سألهم هل [illegible] جميعا ارسل يأمر بعبادة غير الله تعالى والله اعلم
وحكاية على هذا [illegible] في نسخة الاصل [illegible] العقول [illegible] هذه الاية ليلة المعراج ورسول الله صلى الله
[illegible] بعث [illegible] من الرسل والانبياء اجمعين ثم تقدم وصلى بهم ركعتين فقال جبريل صلى الله عليه
من الصف فقال يا محمد واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا (قوله تعالى) ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون
وملائه * قد ذكرنا الايات موسى عليه السلام انها في غير موضع وفيه الامر بتبليغ الرسالة (قوله تعالى) فقال اني رسول
رب العالمين * وفيه ان الهيبة لا تسقط تبليغ الرسالة وان خاف على نفسه من الملوك (قوله تعالى)
فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون * هكذا عادة الفراعنة والرؤساء من الكفرة انهم اذا اتاهم الرسل
بالايات ضحكوا منهم واستهزؤوا بهم كقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الاية (قوله تعالى)
وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها * قال بعضهم كل آية تأخرت فهي اعظم واكبر من الذي تقدمت
نحو ما كان منهم من الاستعانة حيث قالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم
ما اراهم من الايات بعد ذلك اعظم وقال بعضهم الا هي اكبر من اختها كانت اليد اعظم واكبر من العصا لان العصا
[illegible] الشجرة [illegible] من جنس العصا [illegible] الجواهر [illegible] اليد [illegible]

ولو كان ذلك لموسى دلالة آية اليد أكبر وأعظم من آية العصا والله أعلم وقال بعضهم هذا ليس على تحقيق
جعل آية أكبر من آية أخرى ولكن وصف الكل بالعظم والكبر كقول الناس إنهم أبناؤكم وأما فلان فلا تدرون أيهم أقرب لكم
نفعا ليس على آيات القرآن في أحدهما منهما من الآخر على التسوية وكما يقال في العرف إذا قرأت فلا تدري كل واحد
أهدى من الآخر كأن أصحابي فلان أصحاب بعلم أن كل واحد أفضل من الآخر عنه لا يراد بذلك التخيير ولكن إثبات
الخبر على التسوية على التساوي وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وصف الجميع بالكبر والله أعلم ثم ذكر
قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا إذا هم منها يضحكون وخبر ذلك على ما ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لتصبره على أذى قومه وأنواع ما كانوا يستقبلونه من الاستهزاء به والتكذيب له كما أتاهم من الآيات والحجج
على رسالته وعلى ما قال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك أخبر أنه إنما نقص علينا أنباء
الرسل المتقدمة لتسلية فؤاده والله أعلم وقوله تعالى وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك
الآية وفي الإشكال أنهم كيف سموه ساحرا وكانوا يطلبون منه أن يطلبون منه أن يدعو ربه وكشف
عنهم العذاب فقوله روي عن ابن عباس أنه سموه ساحرا لأن الساحر عندهم هو العالم المعظم الذي يبلغ في علمه
غايته وفي نهايته فلذلك قالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك قال ولا يحتمل أن يكونوا استهزؤوا به وقد طلبوا منه
أن يدعو به ليكشف عنهم العذاب ثم سموه ساحرا ويعنون به سحر الكذب لهذا الحال والله أعلم وقال بعض أهل التأويل إنهم
قالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك قال لهم موسى أؤمنون لتكشف عنكم ما نزل بكم وقد سموه ساحرا قبل رجوعهم عن
ذلك فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك على ما ذكر في سورة الأعراف والله أعلم ويحتمل أن يكون قولهم
يا أيها الساحر ادع لنا ربك يسمونه ساحرا على ما كان عندهم أنه ساحر فيقولون إنك إن تدعو ربك فيكشف عنا
الرجز فعند ذلك نعلم أنك لست بساحر وأنك رسول حتى نؤمن بك ويحتمل أن يكون عندهم أن اليد البيضاء والعصا
وما أوتي به موسى مما لم يأت بذلك غيره وتستعاذ بالسحر مثله لكن سألوا منه أن يسأل ربه ما لم يكن يكون
أن إجابة الدعاء فيما دعا لا يكون لساحر ولا يجاب إلا رسول الذي كان على الحق فإذا أجابك إلى ما سألت آمنا بك والله أعلم
ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك على حقيقة إرادة السحر على ما نص أهل التوراة لهم على التناقض كما يموه على الأتباع
كقوله مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فالآية لا يسحر بها لأن الآية هي التي لها حقيقة ودوام والسحر هو الذي
لا حقيقة له ولا دوام فإذا كانت الآية لا يسحر بها ولا يكون سحر وإذا كان سحر لا يكون آية فكلامهم ما ذكرنا
على التناقض على ما ذكرنا في أول القرآن فعلى ذلك يحتمل هذا والله أعلم وقوله تعالى بما عهد عندك قد كان
الله تعالى عاهد إلى موسى عليه السلام لئن آمنوا كشف عنهم العذاب فلما دعا وكشف عنهم العذاب لم يؤمنوا وكذلك قد علم
أنه يحتمل أن يكون بما عهد إليه بما جعله نبيا واختصه لرسالته ويحتمل قوله بما عهد عندك على الأقسام
قالوا ادع لنا ربك بما عهد كل واحد منا عندك لئن كشفت عنا العذاب إنا لمهتدون وهو قوله في آية
أخرى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل قال فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون أي ينقضون
ما عاهدوا ووعدهم ما ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه
الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون يقول اللعين هذا مقابلة ما ادعى موسى عليه السلام من الرسالة يموه
على قومه وأتباعه أفليس كان الله يرسل رسولا فأنا الحق وأولى بأن يرسله من موسى على ذلك قال أم أنا
خير من هذا الذي هو مهين أي ضعيف لا مال له ولا حشم ولا تبع ولا يكاد يبين حجته فلولا ألقي
عليه أسورة من ذهب كما ألقي علي وكما أعطي لي من المال والذهب ويقول إن من كان رسولا يلزمه
بأنواع الكرامات ويتبدل له أنواع الأفضال المرئية فيستغني عن ذلك فليس برسول ويقول إنه لو كان رسولا لكان معه
هؤلاء الملائكة الله عليه من الأسورة ما ألقيتها على أتباعي وحشمي ونحوه وكان فرعون اللعين لا يزال
يموه أمر موسى عليه السلام على قومه من ذلك قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وقوله إنه لكبيركم الذي
علمكم السحر ونحو ذلك كثير مما في ذلك هذا منه تمويه على قومه والله أعلم وقوله تعالى ولا يكاد يبين وقال بعضهم
أي لا يكاد يبين حجته لما في لسانه عقدة وقد يقول أهل التأويل وقال بعضهم إن اللعين لا يعني ذلك لأن الله
قد أذهب تلك العقدة ولم يترك في لسانه حتى دعا وسأله ربه بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
وقد أجاب الله تعالى دعاءه حيث قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولكن أراد والله أعلم أي لا يكاد يبين حجته أي
بل حجته بأخذ القلوب وقال القتبي في قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال أنا خير منه وقال أهل
التأويل أنا خير منه وجائز أن يكون نعتا لما أم أنا خير منه وقال أهل التأويل أنا خير منه وجائز أن يكون قوله أم أنا
خير منه من هذا الذي هو مهين موصولا بقوله أفلا تبصرون حيث قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي
أفلا تبصرون أنا خير منه بأن لي ملك مصر وليس لموسى عليه السلام ذلك على ما ذكرنا وقوله فلولا ألقي عليه أسورة

من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين هذا القول منه يخرج على وجهين أحدهما يقول إنه كان موسى ممن يحب الملك
في الدنيا ويطلبه فهلا ألقي عليه أساورة من ذهب كما يلقى على الملوك من الأساور والتاج وغيره إن كان يدعي
الرسالة لنفسه فهلا كان معه الملائكة مقترنين على ما يزال الكفرة يطلبون من الرسل الآيات على وجه ما يتمنون ويشتهون
فلم يروا أن الآيات ليست تأتي على ما يتمنون ويشتهون ولكن على ما أراد الله ذلك الثاني بجميع الأمرين جميعا فيقول إنه
يدعي الرسالة والرسول معظم عند المرسل فيقول إن كان ما يقول حقا فهلا ألقي عليه الأساور تعظيما له وهلا
كان معه الملائكة مقترنين تعظيما له وإجلالا والله أعلم وقال بعضهم في قوله فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب
أي هلا سود لأن الرجل منهم إذا ارتفع فيهم سوروه وجاء معه الملائكة مصدقين له بالرسالة وقال القتبي
أبو عوسجة أساورة أسورة جمع السوار يقال سوار أو سوار وقوم أساورة وإنما سمي الرامي سوار لأنه إذا اتخذ
الرمح حمل في يده سوارا من ذهب وقوله تعالى فاستخف قومه فأطاعوه قال بعضهم أي فاستخف بقومه فاستزلهم
فأطاعوه وقال بعضهم فاستخف قومه فأطاعوه أي استزلهم واستفزهم بالخروج على اتباع موسى وطلبه
فأطاعوه وذلك أنه أمرهم بالخروج معه في طلب موسى لما خرج من عندهم نحو البحر فأطاعوه فخرجوا معه
في طلبه حتى أصابهم ما أصابهم وكان هذا أشبه وأقرب والله أعلم وقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم هذا
يخرج على وجهين أحدهما أي فعلوا أعلى الأعمال التي استوجبوا لها الغضب انتقمنا منهم على ذلك لا على ظاهر قوله
آسفونا أي أغضبونا وصف الغضب على الحدوث لله تعالى لا يجوز فكان المراد منه ظهور أثر الغضب من تحل
العذاب والله أعلم والثاني فلما آسفونا أي أغضبوا أولياءنا انتقمنا منهم أي سلطنا عليهم بدعاء أولياء الأولياء
أو ينتقم منهم بسبب إغضابهم أولياءنا وهو كقوله يخادعون الله أي يخادعون أولياء الله فعلى ذلك هذا
فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين وهو يخرج على وجهين أحدهما جعلناهم في العقوبة سلفا للمتأخرين ومثلا
للمؤمنين أي عبرة لهم وهو كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين والثاني جعلناهم
سلفا ومثلا للآخرين في العظة والاعتبار لهم ليمتنعوا عن مثل ما فعلوا خوفا عن الوقوع فيما وقعوا والله أعلم
وقال القتبي وجعلناهم سلفا بالرفع والنصب وهو من التقدم أي جعلناهم قدما تقدموا مثل حشد وحشد
وثمر وثمر وكذلك يقول أبو عوسجة وقال السلف الخزائن والجميع سلوف وقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا
إذا قومك منه يصدون اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى بن مريم قال بعضهم لما نزل قوله إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال أولئك الكفرة الذين كانوا يعبدون الأصنام إن عيسى عبد
دونه وعزير والملائكة يعبدون دونه فهؤلاء كلهم في النار إذا لأنهم عبدوا دونه فإن كان هؤلاء في النار
فقد رضينا أن نكون معهم وكذا معنا وهو ما ذكروا على أثر الهتنا خير أم هو يعنون بقولهم هو عيسى
عليه السلام فذلك منهم يخرج على وجهين لئن جاز أن يعذب عيسى ومن عبد من هؤلاء دون الله في النار
فرضينا أن تعذب آلهتنا في النار لأنهم ليسوا بخير من عيسى ومن هؤلاء الذين عبدوا دون الله من الملائكة وغيرهم
والثاني يقولون إن كان عيسى يعذب في النار لما عبدوا دونه فالهتنا التي تعبدها دونه خير منهم فلا تعذب
لأنها خير فأهل التأويلين يرجع إلى أنهم يقولون لو جاز أن يصلح أن يعذب كل معبود دونه جاز أن تعذب أصنام
التي نعبدها نحن وكذا في يقولون لئن كان يعذب عيسى وعزير الذي عبد دونه فالأصنام التي نعبدها
نحن لا تعذب لأنها خير من أولئك والله أعلم فيقول إنما يكون لهم هذا الاحتجاج بالآية لو كانت الأصنام إنما تحرق
في النار تعذيبا لها على الأصنام فأما إذا في الأصنام إنما تحرق في النار تعذيبا لمن عبدها وعقوبة لمن اتخذها
أربابا دون الله فلا فإنما تحرق الأصنام التي اتخذ وهي من الحجارة والحديد والصفر الزيادة تعذيبا لعبدتها كقوله
وقودها الناس والحجارة مع أنه لا حياة في الأصنام ولا ضرر لها في الإحراق فكيف يحرق عيسى ومن عبد دونه
من الملائكة وفي إحراقهم تعذيبهم إذ هم يتضررون بها ولا حياة منهم فإذا كان إدخال الأصنام التي عبدوها
وإحراقها في النار لتعذيب أولئك الذين عبدوها فلا معنى لتلك الخصومة والمجادلة كانت منهم والله أعلم
ويتبين أن في الآية بيانا على أن الذي ذكر من جعل المعبود حطب النار راجع إلى عبادة الأصنام والأوثان خاصة دون
غيرها لأنه خاطب أهل مكة بقوله إنكم وما تعبدون من دون الله الآية وأهل مكة كانوا لا يعبدون إلا الأصنام
والأوثان لا عيسى ولا غيره من البشر والملائكة فذلك الكلام ولكل ما أنزل الأصنام دون غيرهم من المعبودين لسبب لأن
والله أعلم على أنه في الآية بيانا أيضا أنه لم يرجع إلى ما ذكر من أمر عيسى وغيره فإنه قال وما تعبدون من دون الله وكلمة ما تستعمل
في غير العقلاء من الجماد وغيرها الأخرى ذوات العقلاء وعلى أن في الآية بيانا على وجه آخر أيضا على أنهم غير داخلين فيها
لأنه استثنى وخص بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا حيث أخبر من سبقت منه الحسنى يكون
مبعدا عنها ولا شك أن عيسى والملائكة عليهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى فلا يحتمل صرف تلك الآية إليهم

والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله الآية الى كل من عبد الامر بالعبادة لهم والدعا الى ذ
وهم الشياطين لان من عبد دون الله احدا انما تعبدوه بامر الشياطين والدعا اليهم فاما من كان منهم ليس الا
امر بذلك وعبادتهم لم يكن لكلا يحتمل وذلك نحو قوله ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله وقال ابراهيم لابيه يا ابت
لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد بعبادته الشيطان لكن من عبد شيئا دون الله انما يعبد بامر الشيطان
عبدوه بامره فكانه عبده وهذا مما ذكرنا يبطل مجادلة الكفار فيه لخاصمهم لما انه علم عالم بعضهم ضرب المثل
بعيسى عليه السلام هو ان الله تعالى لما ذكر عيسى عليه السلام في القرآن قال مشركوا العرب من قريش محمد صلى الله عليه
وسلم ما اراد بذكر عيسى قالوا انما يريد محمد ان نحبه ونعبده كما احبت النصارى عيسى وعبدته فقالوا الهتنا
خير ام هو فلا نصنع محمد ذلك بالهتنا فانها خير من عيسى وما قالوا وقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا
الا ليجادلوا بالباطل وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون ما ذكر من ضرب المثل بابن مريم عليه السلام من قومه اعني
عيسى لا من قوم محمد عليه السلام وذلك ان قومه قد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه اله وانه رب ومنهم من قال انه
ابن الاله ومنهم من قال انه ثالث الالهة ونحو ذلك من الاختلاف الذي كان بينهم فيه
فيكون قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا في القوم على ما ذكروا فيه ثم قال اذا قومك منه يصدون واي قوم صدوا من عيسى
او يضجون على ما ذكر والله اعلم او يكفيه يمسك بشيء بان ذكر المثل الذي ذكر في الآية لما الاحتجاج الذي يوجب
ذكره اولئك الكفرة والله اعلم ثم قوله اذ قومك منه يصدون ذكر اولئك الكفرة والله اعلم ثم قوله اذا قومك منه
يصدون قرئ برفع الصاد وكسرها قال القتبي وابو عوسجة يصدون بالكسر يضجون والضجة منه في
الصفيق ومن قرأ بالرفع فيقول يعدلون ويعرضون وقوله ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
هو يخرج على الوجهين الذي ذكرناهما والله اعلم وقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
اخبر تعالى ان عيسى عبد وليس باله ولا ما ذكروه اولئك انعم عليه بالنبوة والعلم والحكمة وغير ذلك وقوله
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل له عبرة وآية لبني اسرائيل لما كان هو مولود من غير والد وما كان يحيي الموتى ويبرئ
الاكمه والابرص وما كان منه وما كان من تكلمه للناس وهو في المهد وغير ذلك من الآيات التي كانت تسرى خصه
والله اعلم وقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة على وجهين احدهما اي لو نشاء لجعلنا من جوهركم
وجنسكم ملائكة ليعلم ان انشاء الملائكة من النور على ما ذكر ليس في ذلك منه استعانة بشيء لانه لانشاء
الملائكة منه لانه قادر بذاته لا يعجزه شيء ينشئ ما يشاء ممن شاء كيف شاء والثاني انه لو نشاء لجعلنا الملائكة
بدلا منكم يهلككم ويبدل مكانكم لا يعصون ولا يخالفونه ولا يفترون على العبادة ولا يستحسرون لكن
لم يفعل ذلك لما ليس في عصيان من عصاه ولا مخالفة من خالفه بضرر ولا بطاعة من اطاعه واتبع امره
نفع ولا انشأ هذا العالم والخلق لحاجة نفسه ولا امتحنهم بانواع المحن لمنفعة نفسه ولا لمضرة يدفع بذلك
عن نفسه ولكن انشأهم وامتحنهم لحاجة انفسهم ولمنفعة انفسهم واذا كان ما ذكرنا كان انشاء من يعلم انه يعصيه
ولا يطيع حكمة وفعل من يعلم في الشاهد انه يضره ولا ينفعه سفها لانه انما يفعل لما يفعل لحاجة نفسه فيصير
فعله مع علمه ما ذكرنا منه يكون سفها فافترقا لافتراق والله الموفق ثم قوله ملائكة في الارض يخلفون يحتمل
احدهما يخلف يحتمل وجهين احدهما يخلف الملائكة بعضهم بعضا فيما عمر به التناسل وليس لهم التناسل
بعض بعضا فيما يحدث ان بالتناسل ولكن الالداذ ليس في الملائكة ما بحق الذي التناسل والله اعلم والثاني يخلفونكم اي
يكونون خلفا وبدلا عنكم بعد هلاككم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى وانه لعلم للساعة هو علم الساعة
كلاهما قد قرئ ثم اختلف في ذلك فمنهم من يقول لهو عيسى عليه السلام يكون نزوله من اشراط الساعة وانه
فيكون على ما ذكرنا فجعلناه ايضا علما للساعة والله اعلم وقال بعضهم قوله وانه لعلم للساعة اي محمد صلى الله
عليه وسلم وما انزل عليه من القرآن علما للساعة لانه ختم النبوة والرسالة وقال انا والساعة كهاتين واشار
الى اصبعين من يده وانما بعثه الله تعالى عند قرب الساعة فهو علم لها ثم من قرأه علم للساعة بالتثقيل فمعناه العلامة
لها والدليل عليها ومن قرأ علم للساعة بالجزم فمعناه يعلم به قرب الساعة والله اعلم وقوله تعالى فلا تمترن بها
اي لا تشكن بالساعة فانها كائنة لا محالة وعلى ذلك يعولون في بعض التاويلات وفي بعض التاويل وفي
فقد جاء اشراطها اي اعلامها اي محمد صلى الله عليه وسلم وقوله واتبعون هذا صراط مستقيم ان كان قوله
لعلم للساعة هو محمد صلى الله عليه وسلم فكانه قال عليه السلام انا علم الساعة وقرب منها فاتبعوني وان كان
عيسى عليه السلام فكانه يقول انه علم للساعة وانه لها فاتبعوني قبل ان يخرج وينزل والله اعلم وقوله تعالى ولا يصدنكم
الشيطان انه لكم عدو مبين يحتمل قوله ولا يصدنكم الشيطان عن الايمان بالساعة وكونها فانه لكم عدو
ويحتمل لا يصدنكم عن محمد وعن الصراط المستقيم الذي ذكر فانه عدو مبين بين عداوته اياكم والله اعلم

ولما جاء عيسى بالبينات قال اهل التاويل بينات هي ما كان ياتي به من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانبائه
بما كانوا ياكلون وما يدخرون ونحو ذلك من الآيات والاصل في الآيات التي اتت بها الرسل عليهم السلام انها كانت من وجوه ثلاثة
يلزمهم التصديق بهم احدها ما ياتون في كل شيء صغير او عظيم لا يدله على ذلك ما تقبله كل ذي لب وعقل على ان ذلك حكمة
وحق عليهم اتباعهم في ذلك وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به والله اعلم والثاني ما كانت في انفسهم من الحجج
التي كانوا عليها بينات يلزمهم تصديقهم وهو انهم نشوا بين اظهرهم وكانوا فيهم طول اعمارهم فلم يوجد عليهم كذب
قط ولا ظهر منهم ما يرجع الى دناءة الاخلاق ولا شيء من ذلك والله اعلم والثالث ما كانوا ياتون به من الافعال المعجزة
الخارجة عن وسع البشر والمعتاد من فعلهم ما يلزم كل منصف قبولها في هذه الوجوه التي ذكرنا كانت آيات الرسل
عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى قال قد جئتكم بالحكمة قال بعضهم الحكمة هنا الانجيل وقد ذكر في آية
اخرى الكتاب والحكمة حيث قال واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ثم جاز ان يكون الكل واحدا
وجاز ان يكون الكتاب ما يكتب ويتلى والحكمة ما اودع في المتلو والمكتوب من المعنى والله اعلم ويحتمل ان يكون
الحكمة والاصابة في الكل ما يوجب العقل به ويقبله وقد ذكرنا فيما تقدم والله تعالى اعلم وقوله تعالى ولابين لكم بعض
الذي تختلفون فيه قال بعضهم اي ابين لكم كل الذي تختلفون فيه اذ لا يجوز ان يبين بعضا ويترك البيان
لبعض وقد يذكر البعض ويراد به الكل نحو ما قيل في كثير من المواضع الخطا الرسول عليه السلام والمراد من البعض
هو بعض نفسه لا الكل هو يخرج على وجوه ثلاثة احدها اي ابين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم ياتيكم رسول
بعدي فيبين لكم باقي ذلك او كلام نحوه لانه لم يقل ابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ظاهر على الاستقبال
والثاني قوله يتبين لكم الاصول بما تعبدون على استخراج الفروع من تلك الاصول والله اعلم الثالث يقول
ابين لكم بعض الذي تختلفون فيه هو ما يرجع الى امر الدين دون الذي يرجع الى امر المعاش والله اعلم وقوله تعالى فاتقوا الله
واطيعون فيما امركم به وادعوكم اليه وانهاكم عنه ويحتمل ان يقول اتقوا مهالككم والزموا مناجاتكم وطيعوني
في ذلك وقوله تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ذكر هذا لهم ليعلموا انه وان عظم قدره عند الله وجلت منزلته
عنده فانه لم يخرج من العبودة وانه عبد الله ليس باله ولا ابن له على ما زعم اولئك الكفرة والله اعلم وقوله تعالى
فاختلف الاحزاب من بينهم هذا يحتمل وجهين ان يكون حرف من صلة زائدة ومعناه فاختلف الاحزاب
من بينهم والاختلاف فيما بينهم فيما على امر ظاهر بين والثاني فاختلف الاحزاب من بينهم اي اختلف الاحزاب
من اجتماع كان بينهم فيما بينهم او كلام نحوه وكذلك كان الاختلاف الواقع بينهم لما كان بالاجتماع من ذات انفسهم
لا ان كان ذلك سماعا من الرسل عليهم السلام ولذلك نهى هذه الامة عن الاختلاف والتفرق حيث قال ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وقد اختلفت هذه الامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى قاتلهم ابو بكر رض على ذلك وتابعه سائر الصحابة على ذلك حتى قاتل الرجال والنساء والذراري
ظهرت ايضا الخوارج في زمن علي بن ابي طالب رض فقاتلهم علي رض على ذلك حتى اجتمعوا على الوفاق وغير ذلك من
الاختلاف والتفرق الذي كان ظهر ووقع فيما بينهم وكان في ذلك دلالة الرسالة لرسول الله لانه ذكر عز وجل
في كتابه انهم يختلفون بعد وفاته وانهم ينقلبون على اعقابهم حيث قال افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
الآية وقال في ارتدادهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هذا
في ابي بكر رض وقال في علي رض انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقاتل هذا بالتاويل كما يقاتل نحن على التنزيل يعني علي رض وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والفرق والتنازع في الدين
من الانقلاب على الاعقاب والارتداد والامتناع عن ايتاء الزكاة واتيان ما ذكر من قوم يحبهم ويحبونه اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين وعلى محاربتهم واهل توحيد علي ولذلك ففي ذلك كله دلالة اثبات الرسالة اذ خرج
على ما اخبر وذكر في المستقبل والله اعلم ثم ان الله عز وجل بفضله ورحمته رفع ذلك الاختلاف والتفرق والتنازع
من بينهم وجمعهم على الفة وجمع علم يرفع من بين اولئك ففيما اختلف الاحزاب من بينهم والاحزاب الفرق الذين
تحزبوا اي تفرقوا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله تعالى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هو ظاهر وقوله تعالى
هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون هذا اخبار عن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون
بقوله ما ينظرون الا الساعة وياتيهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون باتيانها وقيامها والله اعلم وقوله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين يحتمل قوله الا المتقين الموحدين فيكون نحلة اهل الكفر فيما بينهم في الدنيا
عداوة في الآخرة لقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وما ذكر في غيره من تبرؤ البعض
بعضهم على بعض وتبرئ بعضا عن بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية والخلة المحمودة الموحدين
فيما بينهم مرحلة في الدين جميعا هذا يحتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو

الا المتقين فانه استثنى خلة من يتقي النار بنفسه وفي صاحبه ايضا بما امره بالطاعات لله تعالى والقيام بالخير وزجره
عن معاصيه ومخالفة امره لقوله يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا امرهم بوقاية انفسهم واهليهم وانما
يقولون ذلك النار بالقيام بالاسباب التي امروا على القيام بها والامتناع والانتهاء عما نهوا عنها وزجروا منها فكل
خلة فيما هو المؤمنين على هذا الوجه فهي خلة ومودة في الدارين جميعا لا يصير عدوا لانها لله تعالى وطلب رضاه
اما الخلة التي تكون فيما بينهم للدنيا فهي تصير عداوة ايضا على ما ذكرنا والله اعلم وقد روي في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الاخلاء اربعة مؤمنان وكافران فمات احد المؤمنين فيسأل عن خليله فقال اللهم ان خليلي كان يأمرني
بمعروف وينهاني عن منكر اللهم اهده كما هديتني وامته على ما امتني فانه كان يأمرني بالمعروف والخيرات والطاعة وينهاني
عن المنكر والشر والمعصية وما احد الكافرين فيسأل عن خليله فقال اللهم ان خليلي كان يأمرني بمنكر وينهاني
عن معروف اللهم اضله كما اضلني وامته على ما امتني عليه قال ثم يبعثون يوم القيامة فقال ليثن كل منكم على صاحبه
فاما المؤمنان فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء حسنا واما الكافران فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء
قبيحا وعلى هذا السبيل روي من الحديث عن علي رضي الله عنه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحب في الله والبغض
في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله انما تنال ولاية الله في ذلك لا ينال الولاية الله في ذلك لا ينال العبد الا
بذلك وقال لن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه وصدقته حتى يكون كذلك وقد صارت
عامة مواخاة الناس اليوم على الدنيا ولكن لا يجزي عن اهله شيئا ثم قرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وقرأ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية فقال ابن عباس رضي الله عنه كل خلة ومواخاة فيما
بين المؤمنين للدنيا فهي تصير عداوة في الآخرة والله اعلم وقوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
اي لا خوف عليكم خوف الاحوال له لا تحزنون لهم في حال كونهم فيها ولا لهم فيها خوف غير ذلك ولا زوال
لا نخوف الزوال انما يبغض على صاحب النعمة التي هو فيها لم يخبر ان ذلك دائم باق لا يزول الدنيا لا فناء والله اعلم
الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين والاشكال انه سماهم مؤمنين مسلمين بالآيات والايمان والاسلام يكون
بالله تعالى فيقول لان الايمان بالآيات يكون ايمانا بالله حقيقة لان الايمان هو التصديق في اللغة بآياته الآيات
بوحدانيته الله تعالى والوهيته لان تحت السبيل معرفة الله تعالى وطريق العلم به انما هو بالآيات والتصديق بها تصديق
بالله حقيقة والايمان به والله اعلم وقوله تعالى وكانوا مسلمين ظاهر هذا ان يوهم ان الايمان والاسلام ان غيران
لكن هذا من حيث ظاهر العبارة فاما في الحقيقة فهما يرجعان الى معنى واحد لان الاسلام هو جعل كل شيء لله
سالما لا يشرك فيه غيره كقوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا سالما لا حق لاحد فيه سواه والايمان
والايمان هو الوصف له بالربوبية في كل شيء ومعناهما في الحاصل والحقيقة يرجع الى معنى واحد لانه لا بد
لا بد اذا وصفته بالالوهية والربوبية في كل شيء جعلت كل شيء له سالما واذا جعلت كل شيء لله تعالى سالما
وصفته بالالوهية والربوبية في كل شيء فلذا نحا صل الايمان والاسلام واحد وان كانا من حيث ظاهر العبارة
مختلفين والله الموفق وقوله تعالى ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يحتمل الازواج وجهين احدهما الازواج
المعروف ويحتمل الاهل الذين هم في الدنيا على الاسباب التي بها يستوجبون الجنة كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا
ويحتمل الادنى ولعل التي ذكر او الاشكال التي اعانوهم على الاعمال الصالحة التي بها نالوا الجنة كقوله احشروا الذين
ظلموا وازواجهم [illegible]
[illegible] وقوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب [illegible]
من الذهب والاكواب [illegible]
في الدنيا [illegible]
[illegible] الذهب والفضة [illegible]
[illegible]
جمع الصحفة [illegible]
[illegible] وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين [illegible]
فتلك الجنة ليس كنعيم الدنيا لان في الدنيا [illegible]

ذلك

ذلك انا لا يمنعوا ويحرموا في الدنيا انما اشتهينا نفسهم الانتفاع به وقد يحتمل ايضا وبكل انما العذاب نفسهم في الدنيا
عن الانتفاع بذلك واعطاء الانفس وحرموا وسعوا وحيل بينهم وبين ذلك والله اعلم لا مين بالمفضل الغضا
في الدنيا عما لا يحل والله اعلم وقوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون انا لله عز وجل بفضله
عن دعائه لما كان منه من الاحسان والانعام وكان ذلك كله منه اليه تفضلا ومن حيث نسب الجنة التي منحهم
الى اعمالهم التي عملوها وان كانوا لا يستوجبون الجنة وما فيها بالاعمال حقيقة لذلك ولذلك ما ذكر في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته اخبر ان لا احد يدخل الجنة الا برحمته لكن نسب الجنة التي يعطيهم وما ذكر من الثواب
الى اعمالهم فضلا منه وانعاما وكذلك ما ذكر من قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
ذكر انه اشترى انفسهم واموالهم بالجنة التي يعطيهم وانفسهم واموالهم في الحقيقة له ولا احد اشترى ملكه
وماله لنفسه وملكه لكنه ذكر ذلك شرا وافضالا منه لان له في ذلك ولا حق وكذلك ما ذكر من القرض في
قوله تعالى فاقرضوا الله قرضا حسنا ولا احد يستقرض ماله وملكه من غيره لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له في
اموالهم وانفسهم بما جعل لهم من الثواب والعوض ثم على ذلك نسب الجنة والثواب الذي ذكر لهم الى اعمالهم فضلا
منه وانعاما وان لم يستوجبوا ما ذكر بالاعمال والله اعلم وقوله تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون مثل
هذا الوعد كانه انما خاطب اهل مكة فكان لا فواكه لهم ولا ثمار يخبر ان لكم في الجنة من الفواكه كثيرة ما لا منع في
لا ينقطع منها تأكلون ما شئتم ولا يؤذيكم ولا ينقصكم ما كثرتم والله اعلم ويحتمل انما ذكر الفواكه رغبة لنا
الى الفواكه كما انها في الدنيا رغبهم بها في الآخرة وحثهم على دفع ذلك لهم والله اعلم وقوله تعالى ان المجرمين في
عذاب جهنم خالدون الاجرام هو الكسب في اللغة والمجرم الكاسب يرجع ذلك الى كل كاسب جل او دق
الا ان الآية شرعت في العذاب المذكور للمجرم الخاص وهو الكافر المشرك فلا يجوز صرفه الى كل كاسب والله اعلم
وقوله تعالى لا يفتر عنهم تذكر هذا لئلا يظن ان الكافر اذا نضجت جلودهم لم يفتر عنهم لا يفتر عنهم سمع الخلود والتوجع
والالم كلما نضجت جلودهم واحرقتهم على ما كان قبل النضج والله اعلم وقال وهم فيه مبلسون قال بعضهم المبلس
الآيس وقال بعضهم المبلس الذليل الخاضع وقال الزجاج المبلس الساكت من الكلام فلا يرجى الفرج من
نطقه لان من يتكلم انما يتكلم لفرج يرجى من نطقه او كلام نحوه وقوله تعالى وما ظلمناهم اي ما ظلمناهم في التعذيب
الذي يعذبون ولكن كانوا هم الظالمين لكنهم الذين ظلموا انفسهم حيث عبدوا من لا يملك دفع العذاب عنهم
وتركوا عبادة من يملك دفع ذلك عنهم والله اعلم ويحتمل وما ظلمناهم في ترك انباء عليهم اي لم نترك انباء عليهم
وما الهم بل بينا لهم عاقبة السبيلين جميعا اعلم الذي يقتضي عاقبة هذا الامر وعاقبة هذا السبيل ولكنهم
ظلموا انفسهم حيث اختاروا السبيل الذي افضاهم الى ذلك والله اعلم وقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك قال انكم ماكثون كانهم يقولون يا مالك سل ربك ليقض علينا بالموت يفزعون اولا الى المؤمنين وهو قولهم
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا من ذلك يفزعون الى الله تعالى
يسألون الرجوع الى المحنة ليعملوا غير الذي عملوا بقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فلما ايسوا من ذلك
عند ذلك يفزعون الى مالك يسألونه ليقض عليهم بالموت قال انكم ماكثون وهو ما قال عز وجل لا يقضى عليهم
فيموتوا ولا يخفف عنهم الآية والله اعلم وقوله لقد جئناكم بالحق هذا على اثر ما ذكر كقوله انا لننصر رسلنا على اثر قوله
او لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات الآية يحتمل ان يكون القول لان جميعا من الله كما في قوله لقد جئناكم بالحق
وقوله انا لننصر رسلنا والله اعلم ويحتمل ان يكون الخطاب جميعا من الملائكة اذ جاز اضافة الرسل الى الملائكة
اذ هم رسل كقول الناس رسولنا فعل كذا وقال كذا والله اعلم ثم قوله لقد جئناكم بالحق الحق كل ما يحمد عليه ويحمد
مر عاقبته وذلك الفعل والباطل كل فعل يذم عليه فاعله ويذم عاقبته والله اعلم ثم الحق المذكور يحتمل القرآن
ويحتمل الرسول ويحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه ويقولون الحق هو الذي عليه
آباؤنا وانا على ما يعتقدون ثم قال قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم وقال هنا لقد جئناكم بالحق الذي
هو اهدى واحق مما عليه آباؤكم وقوله تعالى ولكن اكثركم للحق كارهون فان قيل كيف قال ولكن اكثركم للحق كارهون
وانما خاطب به اهل النار وكانوا جميعا كارهين فيقول انه يخرج على وجهين احدهما ان اكثرهم قد عرفوا انه الحق لكنهم
كرهوا اتباعه والانقياد له عنادا منهم ومكابرة بعد ظهور الحق عندهم وتبين لهم مخافة ذهاب الرياسة
عنهم وزوال المأكلة ولم يظهر لاتباعهم ولم يعرفوا والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من كراهة اكثرهم الحق على الطباع
من طبع اكثرهم كراهة ذلك الحق والله اعلم وقوله تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من
ابرامهم امرا ما ذكر في آية اخرى وهو قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ابرموا امرا هو مكرهم الذي مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم

فيما ذكر والله أعلم ويحتمل أن يكون أبرموا الذي ذكر غير ذلك وكيفما كان ففيه وجهان من الدلالة أحدهما
أن الله تعالى عالم سميع بما يبرمون فيما بينهم من أمر رسول الله في ظنهم أن الله لا يعلم ولا يسمع ما هم مبرمون من الأمر
أسرارا كذلك قال أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم والثاني فيه دلالة الرسالة لأنهم أبرموا ذلك الأمر
فيما بينهم سرا ثم أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أبرموا وأحكموا من الأمر ليعرفوا أنه إنما علم ذلك بالله
وقوله تعالى فإنا مبرمون يحتمل فإنا لجادون بجزائهم ويحتمل فإنا مبرمون أي إلينا ترجع تدبير ما أبرموا من الأمر
جميعا وعلى ذلك قوله فلله الأمر جميعا على هذين الوجهين الذين ذكرناهما وقوله تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم
ونجواهم أي بل يحسبون على ما ذكرنا أن حرف الاستفهام منه يخرج على الإيجاب كأنه قال بل يحسبون ذلك ثم أخبر أنه
قال بلى ورسلنا وقوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون هذا وعيد وتنبيه منه لهم ليخبر أن رسله يكتبون ما يسرون
ويخفون من المكر وغيره ليكونوا أبدا على حذر وخشية مما عملوا وقوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين
يخرج على وجهين أحدهما أي ما كان للرحمن ولد وليس للرحمن ولد ثم يخرج قوله فأنا أول العابدين على هذا التأويل على
وجهين أحدهما ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله تعالى والمنزهين عن الولد وأنا أول من صدق أن الرحمن لا ولد له
والمصدق بأنه ليس له ولد وهذا العبد أقرب والثاني ما كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين أي من عبد يعبد
أي أنف يأنف ويكون هذا تنزيها بالتصريح على الوجه الأول تنزيها بالكناية هذا إذا كان يعني قوله قل إن كان للرحمن
ولد ما كان للرحمن ولد ثم قوله فأنا أول العابدين يخرج على التأويل أيضا على وجهين أحدهما أي لو كان للرحمن ولد
على زعمكم وعلى ما تصفونه فأنا أول من أبرأ عن أن يكون له ولد وأدعوكم إلى الرحمن الذي لا ولد له وهو كقوله أين شركائي الذين
كنتم تزعمون أي أين شركائي الذين تزعمون أنتم أنهم شركائي وقوله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي شركائي
الذين كنتم تزعمون أنهم لي شركاء فالذين تزعمون أنتم أنهم شركائي وقوله وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا
أي انظر إلى إلهك الذي هو في زعمك إله والثاني يحتمل أن يقول له قل لو كان يكون ويحتمل أن يكون له ولد فأنا
أول من عبده على ذلك وأول من أطاع لأنه لا يحتمل ولا يجوز
له أن يكون له ولد وهو كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء أي لو كان يكون أن يتخذ
ولدا لاصطفى من عنده وممن يشاء لكن لا يحتمل ولا يجوز أن يتخذ ولدا وكان
بعضهم يقول قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين يقول كما أني لست أول من عبده ليس للرحمن
ولد وهو كقول الرجل إن كان ما تقول حقا فأنا ليس الذي يقول حقا كما أني لست والله أعلم ثم نزه نفسه
عن الولد أنه لا يجوز أن يكون له ولد فقال سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون أي رب السماوات
ورب الأرض ورب ما فيهن ورب العرش قال أهل التأويل أي رب السرير لكن لا يحتمل أن يكون تأويل العرش
ههنا السرير فينسب إلى السرير فيقال رب السرير ويجوز أيضا أن يقال رب السرير فيسبب المشاركة
في النسبة بينه وبين الخلق إلا أن يقال إن لذلك السرير عند الخلائق موقعا وقدرا عظيما للمقسم به أنه
من أعظم المخلوقات وأجلها وكان نسبته إلى الله تعالى من باب التعظيم والإجلال على نسبة كل العالم
إليه فيكون جائزا والله أعلم ويحتمل أن يكون تأويل العرش ههنا هو الملك يقول سبحان رب السماوات والأرض
ورب الملك عما يصفون ثم ذكر السماوات والأرض على أثر ذكر الولد في غير موضع وقوله فذرهم يخوضوا
ويلعبوا هذا في الظاهر أمر بتركهم على ما هم عليه من الخوض واللعب وغيره ومثل هذا مما لا يليق بالحكمة إذ هو
حرام في العقل لكن يخرج على الوعيد كأن صيغته صيغة الأمر كقوله اعملوا ما شئتم وهو في الظاهر وإن كان أمرا
فهو في الحقيقة وعيد على هذا يخرج على الوعيد ويحتمل أن يخرج على ترك المكافأة على ما يصفون من الأسماء
والأنواع من الأذى إلى اليوم الذي يلاقون ويعاينون العذاب حتى لا ينفعهم الندامة والرجوع في ذلك اليوم
وأصل ذلك أن الله تعالى قد أوعدهم بمواعيد شديدة ووعظهم بمواعظ بليغة فلم ينجع تلك المواعيد فيهم و
لا ينفعهم شيء من ذلك والثاني وتبيين ما يزيل عنهم الشبه وما يوجب التعلق به ووضح لهم طريق الحق والهدى
فلم يسلكوا مسلك طريق الحق فأوعدهم بما ذكر في ذلك اليوم ما لا ينفعهم لأنهم في ذلك الوقت والله أعلم
وقوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله الإله في اللغة هو المعبود كأنه يقول والله أعلم لكنه يقول إن الله
هو المعبود في السماء وهو المعبود في الأرض والأصنام التي تعبدونها أنتم لا تعبد إلا الأتم فكيف تركتم عبادة
المعبود الذي هو معبود في السماء والأرض ولعبتم عبادة من ليس يعبد حالا إلا عبادتكم ويحتمل أن يقول يعلمونه
أن الله تعالى هو إله السماء والأرض وإله من فيهما وما فيهما وأنه خالق الكل ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن
الله والأصنام التي تعبدونها لم يفعل ذلك ولا يملكون شيئا من ذلك فكيف اتخذتموها آلهة دونه والله أعلم
وهو الحكيم العليم ذكر الحكيم والعليم على أثر ذلك يخرج على وجوه أحدها السؤال التنزيه أن الله عز وجل لا يجوز

لرزق

أو رزق وتوسيع الدنيا على من يعلم أنه يعاديه ويسبه ويعادي أولياءه ويشتمهم لأن في الشاهد من يصنع
إلى من يعلم أنه يعاديه معروفا فليس بحكيم فعلى ذلك يقولون إن ذلك ليس من الله تعالى ولكنه من آخر غيره
لأنه وصف نفسه بالحكمة وأنه ليس بالحكمة وكقول البراهمة في إنكارهم الرسالة أصلا يقولون ليس من الحكمة
بعث الرسل إلى من يعلم أنه يكذبه ويكذب رسله ولا يقبل رسالته بل يقتله ويعاديه لذلك منكرون رسالة
الرسل فأخبر الله عز وجل بقوله وهو الحكيم العليم أن إعطائي إياهم ما أعطيتهم وبعثي الرسل إليهم مع علمي بما يكون
منهم من التكذيب والعداوة لا يخرج عن الحكمة ويخرج ذلك في الشاهد عن الحكمة لأن الملوك في الأرض إنما يبعثون
الرسل ويبعثون الهدايا لمنافع أنفسهم ولحاجاتهم فإذا علموا من المبعوث إليهم الرسل والمصنوع إليهم
ما ذكر يخرج من الحكمة فأما الله تعالى إنما بعث لحاجة المبعوث إليهم لمنافع أنفسهم فلذلك ما يعطيهم من الدنيا
لمنافع أنفسهم فلم يخرج ذلك عن الحكمة لأنه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه موالاة من والاه بل كل ذلك
راجع إليهم بل صنعه ما يصنع من المعروف في الحلم إنما يكون وصفا له بصفاته الكرم والجود لذلك ما ذكرنا
ويبطل قول الثنوية والبراهمة والله الموفق وقوله تعالى وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما
وقوله تبارك قال أهل التأويل أي تعالى وتعاظم معناه تعالى وتعاظم عما قالت الملحدة فيه من الشريك والولد والصاحبة
وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز ويكون تنزيها عن جميع ما قالوا فيه وهو حرف يجيء الذي يكون تنزيها عما قالوا فيه والله أعلم
وقال بعض أهل الأدب تبارك الذي هو من البركة لكن بعض العلماء قالوا إن هذا التأويل لا يصح لأن قوله تبارك
هو من موقع البركة بنفسه وهو اسم ملازم ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بموقع البركة عليه لكن عندنا تبارك هو تفاعل
والتفاعل هو فعل اثنين فلا يتحقق البركة إليهما على حقيقته وقوعهما بأحدهما وهو الخلق الاتصال على ما هو الأصل
في مثل هذا وله نظائر كثيرة وأصل ما قيل تبارك ما قاله أهل التأويل تعالى وتعاظم عن جميع ما قالت الملحدة
فيه مما لا يليق به من الولد والشريك وغير ذلك لكن هو على التأويل لا على تحقيق الاسم فنظيره ما فسر في قوله
تعالى جدك أي عظمتك والجد في الحقيقة ليس هو اسم العظمة ولكنه خرج الأمر على ما يريد وتسمية
المتعارف فيما بينهم بالفارسية العظمة العظيم ويخرج الأمر على ما يريده ويشاء
فعلى ذلك تفسيرهم تبارك بما قالوا تعالى وتعاظم على التأويل لا على تحقيق الاسم إذ هو من البركة لكن كل من
فيه تبارك يعني تعالى لا يعني حقيقة الاسم والله أعلم ثم قوله وتبارك الذي له ملك السماوات
والأرض وما بينهما بيان منه وتعليم للخلق ما يجوز النسبة إليه فقال له ملك السماوات والأرض وقال له
ما في السماوات وما في الأرض ونحو ذلك ولا ينسبوا إليه الولد والشريك والصاحبة ونحو
ذلك لأن نسبة الأشياء بكليتها يخرج مخرج الوصف له بالعظمة والجلال نحو ما ذكرنا من قوله له ملك السماوات
والأرض وقوله وهو بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وقوله كل شيء ونسبة خاصية الأشياء إليه يخرج مخرج
التعظيم والتبجيل لتلك الأشياء فإن كانت تلك الأشياء الخاصية مما يكون تعظيمها نسبت إليه
وأضيفت نحو قوله بيت الله وناقة الله ورسوله وغير ذلك من الأشياء التي يعظمها ورفع قدرها ومنزلتها
عنده وإن كانت الأشياء مما يستقذر أو يستقبح ويسترذل لم يجز النسبة إليه والإضافة لما ذكرنا أن
النسبة والإضافة يخرج مخرج التعظيم لها فهي ليست بعظمة ولكنها مسترذلة مستقذرة تكون وضع الشيء في غير موضعه
وإنه خلاف الحكمة والله الموفق وقوله تعالى وعنده علم الساعة يخرج على وجوه أحدها أي علم ساعة الصعقة كقوله
ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الآية ويحتمل وعنده علم الساعة الزلزلة لقوله إن زلزلة
الساعة شيء عظيم ويحتمل وعنده علم الساعة الفزع والهول لقوله ففزع من في السماوات الآية ويحتمل علم ساعة القيامة
كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحو ذلك والله أعلم لم يطلع الله عز وجل علم حقيقته ما ذكر أحدا من خلقه
وإليه ترجعون قد ذكرنا في غير موضع أن تخصيص ذلك بالرجوع إليه يخرج على وجوه وإن كانوا في جميع الأحوال
راجعين إلى الله تعالى لأن المقصود من إنشائهم ذلك يعني البعث لا يكون خلقهم عبثا على
ما ذكر ويحتمل أن يخص ذلك اليوم بالرجوع إليه والمصير والخروج لأنه يومئذ يخلص جميعهم برجوعهم
إليه وانقيادهم له والله أعلم وقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إذ قوم كانوا يعبدون الملائكة رجاء أن
يكونوا لهم شفعاء لما عرفوا من خصوصيتهم وفضلهم عند الله تعالى وذلك معروف في الناس أنهم يخدمون ويكرمون
خواص ملوكهم رجاء أن يشفعوا لهم أولئك الخواص عند الملوك إذا نزلت بهم بلية أو وقعت لهم حاجة فعلى ذلك
هؤلاء الكفرة كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله ثم أخبر عز وجل عن الملائكة
أنهم لا يملكون الشفاعة بقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهو قوله إلا من شهد بالحق وهم يعلمون إلا لمن شهد
بوحدانية الله تعالى والرهبنة لا يشفعون لأولئك إنما يشفعون كانت لهم خصوصية عند الله لأن الله

نهي اولئك ان يعبدوا الملائكة ويعظموهم من جهة العبادة لذلك لا يملكون الشفاعة لهم فيكون مثل هذا مثل
من نهى عنه ان يتخذوا او يعطوا احدا شيئا من خواصه فاذا فعلوا ذلك وحدهم وتركوا نهيه لا يملك اولئك لهم
ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة عند الملك لاهل ذلك الذين نهاهم الملك ان يتخذوهم او يعظموهم دونه فعلى ذلك
الملائكة لم يجعل لهم شفاعة لاولئك الذين يعبدونهم دونه الا لمن ذكر وهو قوله الا من شهد بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى
تعالى وقد اذن الله لهم بالشفاعة لاولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة اي
لو كانت لهم الشفاعة لكانت لا تنفعهم لقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لو كانت لهم شفعاء لكانت لا تنفعهم
شفاعتهم ليس ان يكون لهم شفاعة او شفعاء وهو كقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه الاية وكقوله
لا يقبل منها عدل الاية فعلى ذلك يحتمل قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة اي لا تنفعهم والله اعلم
وقوله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون يخرج قوله وهم يعلمون على وجهين احدهما يرجع الى الملائكة فيكون كانه
يقول ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون انهم يشهدون بالحق والشهادة بالحق
ما ذكرنا يحتمل يشهدون على وحدانية الله تعالى والوهيته وانه هو المستحق للعبادة دون من عبدوهم والله اعلم وقوله
عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال في اول السورة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم نعته فقال الذي جعل لكم الارض الى آخره اذ كيف افكوا وجهتهم ان الله الذي خلق السموات
والارض هو خلقهم ثم لا يحاجون اليه هو الله تعالى ثم علمهم وعرفانهم بذلك يحتمل وجوها يحتمل علم حقيقة
على التسخير والاضطرار بما سالهم الله تعالى علما في قلوبهم على انهم ابدلك حقيقة ان الله خالق ذلك كله ويحتمل
علم الاستدلال بالتامل والنظر اذ من عادة العرب النظر والتامل في الاشياء فنظروا وتاملوا فعرفوا الا
العقلي من كذلك والله اعلم وقوله تعالى فانى يؤفكون يقول اي شيء صرفهم وحملهم عن القيام بما اعطوا من
وتحقيق ما اقروا ونطقوا ان الله خالق ذلك وان ذلك كله فيهم يحمل ذلك الى جهلهم انه ليس بشيء من ذلك
وتعجب منهم بذلك يعني الاصنام التي تعبدونها كانوا كما ادعى قال اهل التاويل اي فانى يكذبون بتوحيد علمهم
ذلك في تسميتهم معبودهم الها او تشريكهم غيره الذي صنع ذلك بهم بالعبادة له دون الله تعالى وقوله وقيله يا رب
قرئ بالنصب للام وكسرها ومن قراه بالنصب جعله معطوفا على قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع
قيله اي قوله الذي اعلنوه او بل نسمع ذلك كله ومن قرا بالكسر عطفه على قوله وعنده علم الساعة اي عنده علم الساعة
وعلم قيله وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كانه على الاضمار اي فعل لهم قل ان هؤلاء قوم لا يصدقون وفيه
دلالة اثبات رسالته لانه اخبر انهم لا يؤمنون فكان كما اخبر لم يؤمنوا دل انه بالله عرف ذلك وقوله
فاصفح عنهم اي اعرض عنهم ودعهم وقل سلام او قل الصواب والحق فسوف يعلمون يوما من عنده نفسه ويحتمل
ان يكون قوله وقل سلام اي سلام عليكم كتبه على المؤمنين ليس على اولئك الكفرة فسوف يعلمون ما يكون لهم من
المؤمنين وهو كقوله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم فهو كانه قال فسوف يعلمون انما المؤمنون ما ينزل اولئك والله اعلم

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم والكتاب المبين وقد ذكرنا تاويله
فيما تقدم وقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة قال اهل التاويل انا انزلنا الكتاب اي القرآن في ليلة القدر من اللوح
المحفوظ الى السماء الدنيا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاريق ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى قوله حم
اي قضى ما هو كائن فيها ما قال بعض اهل التاويل او ما قضى في كل سنة من الموت والحياة والرزق ونحو ذلك
نزل في ليلة القدر نسبتها الى الملائكة الذين وكلوا على ذلك فهذا يحتمل ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى
ضمير في قوله حم على ما اراد به والله اعلم ويحتمل ان يكون انه اراد بهذا انزال الشيء وامره في ليلة القدر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فيخبر انه انزل ذلك علم يبسط لنا ذلك لما لا حاجة لنا الى معرفته وقالت الروافض
في قوله انا انزلناه اي انا قعدنا شيئا على رسوله يكون ذلك الشيء على راسه وعلى رؤوس الائمة الذين يكونون بعده
بحيث يعد لهم دون غيرهم اذا استقبلهم امر او بدا لهم شيء نظر في ذلك الشيء فعرفوا ما اصلحوا وما يكون لهم
من الصلاح وكلام نحو هذا والله اعلم واما عند اهل التاويل هو ما ذكرنا انه راجع الى الكتاب المنزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا من تضمين ما ضمن في قوله حم وكذلك قالوا ايضا في قوله انا انزلناه في ليلة القدر
نقول في ليلة مباركة وهي ليلة القدر سماها مباركة وقد سمى المطر والماء المنزل من السماء مباركا لقوله
وانزلنا من السماء ماء مباركا وكذلك الارزاق المنزلة من السماء والمستخرجة من الارض مباركة لقوله بركات

من السماء والارض والمبارك هو الذي عنده ... كل الخيرات والبركة هو اسم كل خير يكون ابدا في الزيادة والنماء
فسمى تلك الليلة مباركة لما يحمل فيها من الخيرات والبركات والله اعلم وقوله تعالى انا كنا منذرين
اي لنبلغ المبلغ الذي تستحق جزاءه الانذار ويحتمل انا كنا منذرين الخلق بالرسل ... ان هذا القرآن
... وقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم يحتمل اي يفصل ويبين
هو كائن في تلك ليلة القدر ويحتمل اي يبين في ليلة القدر كل ما يكون في تلك السنة ثم قوله كل امر حكيم يحتمل
اي كل امر محكم ويحتمل كل امر حكيم متقن ... ويحتمل انا كنا مرسلين ...
بقوله كل امر حكيم امرا من عندنا والله اعلم وقوله تعالى رحمة من ربك يحتمل قوله رحمة اي انا انزلنا رحمة
من ربك ويحتمل ليلة القدر اي جعلها رحمة منه ويحتمل ما ذكر من امر حكيم يكون رحمة منه ويحتمل الرسل المبعوث
اليهم رحمة منه لهم وهو كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله تعالى انه هو السميع العليم يحتمل
قوله السميع باقوالهم ... العليم بما اضمروا ... ويحتمل السميع المجيب لدعاء
السائلين بما يرجع الى مصالحهم ... وقوله رب السموات والارض وما بينهما قال
بعضهم ... مالك السموات والارض وما بينهما وحافظ ذلك كله وقال بعضهم رب السموات
والارض ... رب السموات والارض وخالقهما وما بينهما ونحو ذلك
كله والله اعلم ان كنتم موقنين قال بعضهم ...
هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ان كنتم موقنين على ... رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم ... فكيف تصرفون العبادة واسم الالوهية الى من ليس ... لا اله الا
هو ... لا يستحق العبادة ... لا اله الا
هو المعبود وهو الاله لانه هو المحيي فهذا اقرب لقوله لا تستحق الاشياء التي تعبدون العبادة بما المحيي
لها هو لذلك لا اله غيره ويحتمل ان يقول لا يستحق اسم الالوهية الا هو لا الاشياء التي تسمونها الهة ثم نعته
فقال يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين اي هو يحيي ويميتكم وهو ربكم ورب آبائكم الاولين اي من عادة العرب انهم
كانوا يعبدون ويتخذون شيئا دون الله تعالى ان يسفههم ربهم ذلك العبادة فيقول ان الذين تعبدون
دونه لا يقع لهم العلم بعبادتكم اياها فاصرفوا العبادة الى الذي يعلم بعبادتكم على كل حال واخلصوا الله ذلك ولا تشركوا
غيره وقوله تعالى بل هم في شك يلعبون يحتمل قوله بل هم في شك اي في القرآن ويحتمل بل هم في شك من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحوه والله اعلم وقوله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم
ليس هو على حقيقة الدخان ولكنه التمثيل والمجاز ثم اختلفوا في كيفية ذلك بعد اتفاقهما انه قد مضى ذلك
وقد كان قال بعضهم دخانا او يحدث وقحط جعل الدخان كناية عن الحدث والجوع احدهما ما يقال ان الجائع
في القحط كان يرى بينه وبين السماء وما للناس دخانا من شدة الجوع كالذي يشتد به العطش يرى السراب ماء وذلك
لانه لما اشتد الجوع ضعفت ابصارهم وغطاها الجوع فيكون الجوع سببا لرؤية الدخان فاستعير له ولانه سبب
الجدب يبس الارض وينقطع النبات فيرتفع الغبار ويصعد الريح لشبهها فيشبه ذلك الغبار الذي يرتفع
من يبس الارض بالدخان فيسمى باسمه وقيل ذلك على سببه المجاعة جوع او قيل جوع على ان العرب تسمي ما وضعت الدخان
موضع الشيء ناملا فيقولون لو كان بيننا امر لارتفع له دخان فقالوا ان هذا القحط الذي جعل الدخان كناية عنه
تلك اذا اشتد بهم القحط وقلة الامطار ويبست الارض وارتفع الغبار وصعد الريح كالدخان وضعفت
ابصارهم لشدة الجوع حتى كانوا يرون السماء كالدخان على ما روي عن ابن مسعود رض كان احدهم ينظر الى السماء فيرى
كهيئة الدخان من شدة الجوع وقال بعضهم ما مس الارض يومئذ كل نبت وقد ليس فيه خصاصة ومنهم
انه قال قد مضى دخان وهو سنون كسني يوسف يجهد الناس والله اعلم ومنهم من يقول هو على حقيقة الدخان ولم
يمض بعد وكذلك روي عن علي رض انه قال الدخان لم يمض بعد لاحد المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفذ
وكذلك روي عن ابي سعيد الخدري والحسن وغيرهم لكن صرف الدخان المذكور في الآية على التمثيل اشبه لان الامر اذا
اشتد وبلغ نهايته شبه بالسواد والدخان كقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وليس هناك نار لكن
وصف شدة الحرب فعلى ذلك الدخان تشبيه ما اشتد بهم من الجوع والجدب والقحط بالدخان الذي ذكر وكذلك
يصف الناس الامر اذا اشتد فيقولون هاج الدخان والله اعلم وقوله تعالى يغشى الناس هذا عذاب اليم
يحتمل قوله يغشى الناس اي يغشى الناس ما ذكر وهو عذاب اليم على تاويل من قال انه ماض كائن ويحتمل ان يكون قوله
يغشى الناس هذا عذاب اليم لهم فيقولون للناس هذا عذاب اليم وهو على قول من يقول انه لم يمض بعد والله اعلم
وقوله ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي انا نؤمن بك فيما يدعونا اليه لو كشفت عنا العذاب في ...

والجزاء وهو كقول موسى حيث قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك [illegible]
ويحتمل أن يكون قوله إنا لمهتدون على الحال كأنهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون على الحال كأنهم قالوا
ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون على الحال كأنهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون على الحال [illegible]
أنفسهم لا يؤمنون وأنهم كذبة فيما قالوا حيث قال أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين [illegible]
[illegible]
وقوله ثم تولوا عنه [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وقالوا معلم
مجنون [illegible]
[illegible]

يقولون والله أعلم يا ربنا إنا قد مكنا هم المعاملة التي أمرتنا أن نعاملهم واحتلنا الحيل التي علمتنا أن نحتال
معهم فلم ينجع ذلك فيهم فلم يتبعونا ولا أجابونا إلى ذلك فهل من حيلة سوى ذلك أو معاملة غير ذلك نعاملهم
بما أعملهم يتبعون أو يجيبون هذا الدعاء وهذا القول منهم يكون بعد ما يكون بعد ما بذلوا الجهد وأنفسهم ودعاهم
إلى الحق زمانا طويلا إذ ليس يحتمل في ابتداء الأمر والله أعلم وقوله تعالى فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون كأنه أخرج
موسى عليه السلام بني إسرائيل من بين أظهرهم لما أنهم لو لم يكن غير أن يسر وعلم [illegible] العدد الذي
ذكر في القصة أنهم كانوا ستمائة ألف [illegible] عظيمة عجيبة لموسى عليه السلام على رسالته إذ خروج عدد ستمائة ألف من بين أظهرهم
من غير علم منهم فكيف خروج العدد الذي ذكر والله أعلم ثم قوله إنكم متبعون هذا يخرج على وجهين أحدهما أي
يتبعونهم ليردوهم إلى الأمر الذي كانوا يستعملونهم من قتل الأبناء والاستخدام والاستعباد والله أعلم
أو يتبعونهم للقتال والحرب لأنه ذكر في القصة أنهم أخذوا أموالهم من الحلي واللباس وخرجوا بها فخافوا أن يكونوا
اتبعوهم إياهم ليقاتلوهم كما يقاتل الأعداء والله أعلم وقوله تعالى واترك البحر رهوا يحتمل [illegible] أن يترك البحر موسى
عليه السلام على ما ضرب البحر بعصاه لينفلق الماء بعضه ببعض لئلا يغرق فرعون وقومه فقال له اتركه كما هو فإنهم
جند مغرقون ثم اختلف في قوله رهوا قال بعضهم هي فارسية عربيتها أي اترك البحر ساكنا وقال بعض أهل اللسان هو
أي ساكنا وقال بعضهم هي فارسية معربها أي اترك البحر [illegible] وقال بعضهم أهل اللسان رهوا أي ساكنا وقال بعضهم رهوا
أي متصلا [illegible] وقال بعض أهل التأويل رهوا يابسا وهو كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا
وقوله إنهم جند مغرقون قد وعدهم [illegible] فيفعل وقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين أي ناعمين وقيل معجبين [illegible] مخالفة الآية
أخرى في ظاهر المخرج وهو قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الآية ثم قال تعالى قد أجيبت دعوتكما
فإذا كانت قد أجيبت دعوتهما في طمس أموالهم فطمست لا محالة فكيف ذكر كم تركوا من جنات وعيون الآية وما
قوله كذلك وأورثناها قوما آخرين وهو كذلك في آية أخرى حيث قال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الأرض ومغاربها [illegible] بني إسرائيل قد عادوا إلى مصر وتركوا أوطانهم ومنازلهم ونسائهم والله أعلم
وقوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض قال بعضهم أو ما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض بل سروا بذلك
واستبشروا بهلاكهم فيكون ذكر نفي البكاء إثبات ضده وهو السرور [illegible]
في اللغة أنه يذكر نفي الشيء ويراد به إثبات ضده لا نفي الشيء لقوله فما ربحت تجارتهم ليس المراد إثبات نفي الربح أي
لم تربح فحسب بل المراد إثبات الخسران والضيعة أي خسرت وضيعت فعلى ذلك قوله فما بكت عليهم السماء والأرض بل
ضحكت وسرت واستبشرت بهلاكهم لأنهم جميعا أعصوهم وعادوهم لادعائهم ما ادعوا من الألوهية لفرعون
والله أعلم وقال بعضهم فما بكت عليهم السماء والأرض يحتمل أن المراد به ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال ما من مؤمن إلا وله باب من السماء يصعد إليه عمله الصالح وفي الأرض مصلى منه فإذا مات بكى عليه كذا
وليس لهم ذلك فلا تبكي عليهم [illegible] أيضا قوله فما بكت عليهم السماء والأرض أي لم يبق لهم أحد يبكي
عليهم من الأولاد وغيرهم فلم يبك عليهم أحد لما أنه [illegible] من يبكي عليهم لذلك كان ما ذكر والله أعلم
ويحتمل أن يذكر بكاء السماء إذا عظم الأمر على التمثيل من نحو موت الملوك والقادة ومن عظم قدره عندهم فيخبر أنه
لما أن موت فرعون وآله لم يعظم على أهل السماء والأرض لما لا قدر له عندهم والله أعلم وقوله تعالى ولقد
نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين قال بعضهم نجينا بني إسرائيل من العذاب الذي [illegible] بفرعون وقومه وهو الغرق
في البحر [illegible] ويحتمل أن يكون المراد أنه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذبون من نحو القتل
والاستخدام والاستعباد وأنواع العذاب التي كانوا يعذبونهم ما داموا بين أظهرهم وفي أيديهم فنجاهم من ذلك
حيث أخرجهم من بين أيديهم والله أعلم وهو يشبه ما قال ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون
إنه كان عاليا من المسرفين قوله عاليا أو عاليا عليهم قاهرا لهم بأنواع القهر الذي كان يقهرهم والله أعلم
وقوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين أو اخترنا بني إسرائيل وقوله على علم يخرج على وجهين أحدهما أي
على علم أي بسبب علم آتيناهم ذلك لم يؤت ذلك غيرهم [illegible] على العالمين [illegible] والله أعلم والثاني
يحتمل اخترناهم على علم منا بأسباب فيهم وأشياء لم تعلم تلك الأسباب في غيرهم بها استوجبوا الاختيار
على العالمين وكذا الناس اخترناهم على علم أي بسبب علم [illegible] متصلين بسبب تعليمهم
إياهم ما احتاجوا إليه فيكون لهم فضل الإسناد على التلميذ كما يقال إن العرب أفضل من الموالي لأن الموالي
يحتاج إلى العرب في معرفة لسانهم ومعرفة أشياء احتاجوا إليها فاستوجبوا الفضيلة لحاجتهم إليهم وكذلك فضل
قريش على سائر العرب لما احتاج سائر العرب إلى قريش في معرفة أشياء لا يصلون إلى ذلك إلا أنهم فضلوا على غيرهم لذلك

فعلى ذلك يحتمل ان يخرج الى بنى اسرائيل عن هو في معرفة اشيآء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم
والله اعلم وقوله تعالى وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين قوله بلاء مبين يخرج على وجهين احدهما اي محنة بينة وهي انواع محنة
من البلايا والشدائد والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون قوله بلاء مبين اي نعم عظيمة وهو ما آتاهم من انواع النعم
من المن والسلوى وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ونجاتهم من البحر واهلاك عدوهم وغير ذلك من النعم
التي اتاهم مما لا يحصى وهو ما ذكر في سورة البقرة وهو قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي نعمة من ربكم عظيمة والله
اعلم وقوله تعالى ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين يقول الله تعالى والله اعلم ان الذي يحمل اولئك على
الانكار والكفر بالبعث ترك الانبياء بل انكارهم البعث والاحياء بعد الموت كفعل الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرون
بسبيل انه من يؤمن بهم من آمن بالآخرة فاما من لم يؤمن بالآخرة يؤمن به والله اعلم واصله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث لدعاء الخلق الى الهدى فهذا الدنيا والرغبة في الآخرة والقطع عن جميع شهواتهم وما هم في الدنيا والتحول
الى الآخرة فمن آمن بالآخرة سهل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قطع نفسه عن قضاء ذلك كله ومن انكر الآخرة وجحدها
اشتد ذلك عليه وصعب حمله ذلك على انكارها والجحود لها والله اعلم وقوله فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فهذا
منهم احتجاج عليه يقولون لو كنتم صادقين فيما تقولون انه يبعث فاحيوا آباءنا حتى نذكر لكن هذا الاحتجاج باطل
لان الآيات والحجج ليست بترك ويأتي على ما يشتهي الانفس ذلك ولكن ينزل على ما يوجب الحكمة وعلى ما فيه الحجة
لا على ما يريد مقام عليهم الحجة كما في الشاهد انا نوجب على المدعي اقامة ما هو حجة في نفسها لا اقامة ما يريدها المدعى
عليه والنبي صلى الله عليه وسلم قد اقام من البيان والحجة ما يوجب البعث والاحياء بعد الموت لو تاملوا ولم يكابروا
عقولهم فيكون سؤالهم آية اخرى تحكما عليهم والله اعلم ومع ما ان الله تعالى قد ادعى البقاء لهذه الامة الى يوم القيمة
ولو اعطاهم ما سألوا من الآيات ثم انكروها اهلكوا واستؤصلوا الا من سنته ان كل آية اتت قوما على سؤال
كان منهم ثم انكروا كان منه ذلك فلذلك لم يعطهم ما سألوا والله اعلم وقوله تعالى اهم خير ام قوم تبع
والذين من قبلهم اهلكناهم ليس في هذا جواب لقولهم فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ولم يجب بذلك لما
كان لانهم لم يستحقوا الجواب لهذا السؤال لانهم سألوا ذلك تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون فيه جواب
لقولهم وسؤالهم الآية المخترعة وفيه دلالة على البعث ايضا بيان الاول انه لخبر عن قوم تبع وذكر من الامم الخالية
كانوا ينكرون رسالة رسلهم فيكذبونهم ويوعدونهم الرسل العذاب والهلاك فيكذبونهم ايضا فيما يوعدون
من العذاب فجآءهم الهلاك فيقول اهم خير ام قوم تبع وقد ذكرنا انهم كانوا اشد قوة او هم لانعامهم اكثر وكانوا اشد
قوة وبطشا ثم لم تمنعهم الامتناع من عذاب الله اذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وانكارهم البعث فانتم دون اولئك
فكيف يتهيأ لكم الامتناع من العذاب الذي نزل بكم وهو كقوله اكفاركم خير من اولئكم اذا لم يتهيأ لهم الدفع
سنة الاستيصال بالتكذيب للآيات المخترعة وقد وعد ابقاء هذه الامة الى يوم القيمة وكونه رحمة للخلق لم يعطهم
الآيات التي سألوها والله اعلم واما الثاني وهو انه كما احل العذاب باولئك بتكذيب الرسل وانكار البعث فلا بد
البعث حق حتى تستحق منكره العذاب والله اعلم وذكر ان تبعا كان رجلا صالحا وفيما يروى عن عائشة رضي الله عنها ان
تبعا كان رجلا صالحا وذكر انه كان رسولا وقد ذكرنا قصته والله اعلم وقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين فقال في آية اخرى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
ان الكفرة كانوا لا يطلقون القول ولا يقولون ان الله تعالى خلقهما وخلق ما بينهما باطلا ولعبا لكن خلق ذلك
كله على قياس ظنهم وعلى ما عندهم يصير عندهم عبثا باطلا لانهم ينكرون البعث ويقولون لا بعث ولا
ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان قياس ظنهم انه لا بعث ولا نشور يكون خلقهم وخلق السماء والارض
وما ذكر باطلا لعبا لان المقصود بخلق ما ذكر على زعمهم لم يكن الا الافناء والاهلاك وله يقصد ببنائه الا
النقض خاصة فيه الافناء في العاقبة كان بنيانه وقصده سفيها غير حكيم وعلى ذلك ان الله سبحانه
في خلقه اياهم وما شاء لهم ويحق انه من حال الى حال اخرى من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال
المضغة الى حال التصوير الانشاء ثم حال الكبر لو لم يكن ما ذكرنا المقصود سوى الافناء والاهلاك على ما زعموا
كان سفيها باطلا على غير حكمة لما ذكرنا ان قصد من قصد في الشاهد في بنائه الافناء خاصة لا غير كان في فعله وقصده
لا حكمة فيها سفيها فلذلك لا يسفه الله تعالى تلك المرة الحكم لم يكن قصدها في غيرها الا العاقبة في العاقبة حتى ان
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا فعلى ذلك خلق الخلق اذا لم يكن بعث ولا نشور على ما قال
اولئك الكفرة وظنوا كان ذلك سفها غير حكمة ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
جعل خلقه اياهم لا للرجوع اليه عبثا والله الموفق وقوله ما خلقناهما الا بالحق قال بعضهم الا لامر الحق وقال الاخر
الآخر كاين واصل الحق هو ان محمدا عليه السلام في العاقبة والباطل هو ما لا تحمد عاقبته واما الحق ما يحمد عاقبة

ما ذكر يحمد على فعله الا الندم ولو لم يكن القصد في خلقهم الا الافناء والاهلاك لا يحمد عليه ويكن يندم على ما ذكرنا
وقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انهما لا يخلقا باطلا وعبثا وهو ما ذكر من ظنهم والله اعلم وقوله تعالى ان يوم
الفصل ميقاتهم اجمعين سمى يوم القيمة مرة يوم الجمع ومرة يوم التفريق ومرة يوم الفصل فهو يوم الجمع لانه يجمع
فيه من الخلائق جميعا وكذلك يوم الجزاء ويوم الفصل يحتمل وجهين احدهما انه يفصل بين اوليائه واعدائه
فينزل الاولياء في دار الكرامة والمنزلة وهي الجنة والاعداء في دار الهوان والعقاب وهي كما ذكر وهو ما قال فريق
في الجنة وفريق في السعير ويحتمل ان يكون قوله يوم الفصل يوم القضاء والحكم اي يقضي ويحكم بين
المؤمنين والكافرين فيما تنازعوا واختلفوا في الدنيا يقول انه يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون ويحتمل ما ذكرنا من الفصل بين الاولياء والاعداء ما لو لم يكن ذلك في الآخرة بينهم كان نحيا معا
لسوى بين الاولياء والاعداء وهم استووا واجتمعوا في الدنيا في ظاهر احوالهم ومن سوى بين عدوه ووليه كان
سفيها غير حكيم دل ان هنا الدار الآخرة يفصل بينهما اي بينهم والله اعلم وقوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا
ولا هم ينصرون هذا في الكفار خاصة يخبر انه لا ولي ينفعهم في الآخرة ولا يغني بعضهم بعضا كما لما نفع
في الدنيا او ان لبعض منهم بلاء وشدة وهو ما ذكر في آية اخرى يوم يفر المرء من اخيه الآية وقوله واخشوا يوما الآية
وقوله لا يقبل منها عدل ولا هم ينصرون والله الموفق ثم لا يغني مولى عن مولى شيئا يحتمل مولى الاعلى ومولى
الاسفل على ما يغني بعضهم بعضا في الدنيا ويحتمل كل ولي وقريب يخبر انه لا قريب عمل ينفع من ... والاولى
ولا عمل ينفع من معونته لانه لا نسبهم يومئذ بينهم لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
استثنى المتقين وعلى ذلك استثنى في هذه الآية ايضا حيث قال الا من رحم الله ومن عليه بهداه الايمان ودرقه
التوحيد فانه يكون بعضهم لبعض شفعاء واولياء يشفع بعضهم بعضا ويشفع بعضهم لبعض والله اعلم وقوله تعالى
وهو العزيز الحكيم في نقمته من اعدائه لا اوليائه الرحيم للمؤمنين الذين استثنى في الآية حيث قال الا من رحم
وقوله ان شجرت الزقوم طعام الاثيم ظاهر الآية انه طعام كل اثيم لكنها ليست بطعام كل اثيم بل هو طعام اثيم
دون اثيم هو الكافر لان الاثيم المطلق من لا يتم من كل وجه وهو الكافر فاما المؤمن المسلم لا يكون اثيما مطلقا
مع قيام ايمانه وكثير طاعاته فلا يكون صاحبها لكثير داخل تحت الآية قال بعض اهل التاويل انه نزل في ابي جهل ان شجرت
الزقوم طعام الاثيم اي بغض الكذاب بالعسل والزبد وقال لاصحابه تعالوا اتزقموا فان محمدا اوعدنا ان ذلك
الزقوم هو الزبد والتمر او العسل بلغة قوم من العرب فنزل عند ذلك قوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس
الشياطين لحين انها شجرة تنبت من النار شجرة تخرج في اصل الجحيم الآية ليس كسائر الاشجار ثم شبهها بالمهل كالمهل
كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم والمهل هو دردي الزيت يحتمل تشبيهها بالمهل بوجهين احدهما الاتصال
بالبدن لانه قيل انه الصق الاشياء بالبدن ويحتمل انه شبهها بذلك لكثرة تلونها وتغيرها من حال الى حال ثم
الآية تحتمل انه ليس في اكل الدردي الذي يتفضل ... وكثير فيما معنى التشبيه لكن يقول انه يغلي في ذلك المهل
والدردي من النار حتى صار كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ثم الاشكال ان شجرة الزقوم كيف تكون طعام
الاثيم فيحتمل ذلك وجهين احدهما انه يخرج منها شيء ويسيل فيسقى ذلك الكافر ويحتمل انه يأكل ما هي ويلتهب في
بطنه فيغلي كما ذكر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه اي قطرة تقاذفت في الدنيا لهذا المهل ... على هذا
كل شيء يذاب ويحترق فهو المهل والحميم هو الشيء الحار الذي قد انتهى حره غايته والله اعلم وقوله خذوه فاعتلوه
الى سواء الجحيم ظاهر هذا ان يكون ذلك بعد ما ادخلوا في النار لكن يحتمل ايضا ان يكون ذلك في اول ما يراد
في ان يدخل النار كقوله خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فعلى ذلك خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم قوله فاعتلوه
قال بعضهم اي ادفعوه الى سواء الجحيم اي الى وسط الجحيم وقال بعضهم فاعتلوه اي قودوه وردوه الى سواء الجحيم بعنف
حتى تبلغه ... السلطان اي يجره وقال بعضهم هو السوق الذي فيه شدة وتعسف سوقا شديدا
عنيفا وبعضه قريب من بعض والجحيم هو معظم النار والله اعلم وقوله تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
اي من شراب الحميم جعل الله عز وجل لاهل النار الوانا من الشراب الحميم والصديد ونحوهما كما انه جعل لاهل
الجنة من انواع الشراب حيث قال فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وفي الآية ان الفريقين جميعا لا يتناولونه شرابا بانفسهم لكنهم يسقونه على ما ذكر في اهل الجنة وغيرها حيث
قال يسقون من رحيق وقوله ويسقون فيها كأسا ونحو ذلك كثير فقال لاهل النار ثم صبوا فوق رأسه من عذاب
الحميم وقوله تسقى من عين آنية وقال في آية اخرى من غسلين وغير ذلك وقوله ذق انك انت العزيز الحكيم قال اهل التأويل
انما قال هذا لابي جهل اللعين ولذلك لعنا الذي ذكرنا الآية وهو مراد بالاثيم كان في الدنيا يفتخر ويقول انا
العزيز الكريم وليس ما بين جبليها اكرم مني وانا المتعزز المتكبر فيقال له في الآخرة ذق هذا الذي ذكرنا انك انت

العزيز الكريم في الدنيا تصغرونه وتهينونه ويحتمل ان يكون هذا في كل كافر تعزز في الدنيا وتكرم وكل رئيس منهم والله
اعلم وقال بعضهم نزل في صلح ذق انك انت العزيز الكريم اي ذق فانك لست بعزيز ولا كريم فقال ذلك له على سبيل
التهدي به اي لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار والله اعلم وقوله تعالى ان المتقين في مقام امين • فيه لغتان مقام بالرفع
ومقام بنصب الميم من قرا بالنصب فهو موضع المقام وهو المنزل والمسكن معناه في مسكن امين وآمنون فيه
من الآفات كالاوصاب والاسقام ومن قراه برفع الميم فهو مصدر بمعنى الاقامة اي مقيمون فيها آمنون عن الخروج
منها والنقل الى غيرها والله اعلم وقوله تعالى في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين • يكون ما ذكر من الفرش
المارق منه فاما ما غلظ منه فانه يبسط وان كان ذكر اللبس فيهما لان الظاهر فيما ذكر ما رق منه وما غلظ ولكن يراد
من ذكر اللبس يرجع اليهما اللبس وهو لكل يرق بعينه ويرق وجائز في اللغة ان يذكر الشيئان باسم احدهما اذا كان
ازدواج في الجملة عادة او حقيقة والله اعلم ويحتمل انه انما ذكرهما جميعا لما يكون من رغبة الناس اليهما جميعا في الدنيا
ورغبتهم في الآخرة وعدلهم ان يكون ذلك لهم والله اعلم وقوله متقابلين يحتمل ان مجلسهم في الجنة نحو مجالسهم
في الدنيا مقابل بعضهم بعضا حيث قال كذلك على انه اشد لذلك يكونون في الجنة لما كانوا في الدنيا يقابل بعضهم
بعضا في حلقهم في مجالسهم في الشراب وغيرهم والله اعلم وقوله تعالى وزوجناهم بحور عين • قال بعضهم بحور اي
بيض الوجوه وعين اي حسان الاعين وقال بعضهم اهل الادب الحور في العين هو شدة سواد سوادها وشدة
بياضها يقال امراة حوراء ونسوة حور ورجل احور وقوم حور والعيناء الحسنة العينين يقال رجل اعين ورجل
عين وامراة عيناء ونسوة عين والجماعة على هيئة واحدة في هذا الباب المذكر والمؤنث والله اعلم وقوله تعالى يدعون فيها
بكل فاكهة آمنين • تاويله والله اعلم في ثمار الجنة وفواكهها ليس لها فناء ولا انقطاع ولا انقصان ولا ذلك
يدعون يسالون ان احضروها لا يسالون في الدنيا هل بقي شيء او هل عندكم شيء من الفواكه ونحو ذلك
لما ذكرنا ان ثمار الدنيا انقطاع وفناء وليس لثمار الجنة وفواكهها ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله آمنين يحتمل
وجهين احدهما آمنين من انقطاع فواكهها وثمارها وما ذكر ويحتمل آمنين فيها في الجنة ليس لهم خوف الخروج
منها والزوال آمنين عن جميع الآفات التي تكون في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى • وللاشكال انه بقي الموت في الجنة واستثنى الموتة الاولى وليس في الجنة موت اصلا كيف استثنى الموتة
الاولى والنظر الاستثناء ان يكون من جنس المستثنى منه فيوهم ان يكون في الجنة موت قال بعضهم الا ها هنا بمعنى
غير وسوى ومنهما ضمار كانه قال لا يذوقون فيها اي في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوا في الدنيا لان
الموتة التي ذاقوا هي الموتة الاولى لا يتصور ذوقها ثانيا لو كان يكون مثلها ولان الجنة ليس بمحل الموت وكان المراد
ما قلنا اي لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوا في الدنيا وهو كقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم الا ما
قد سلف اي سوى ما قد سلف انه كان فاحشة فذلك الموت على اهل النار وقيل والله اعلم وعندنا يخرج تاويله على وجهين
احدهما لا يذوقون فيها الموت الا ما ذاقوا من الموتة الاولى لما ذكر في الخبر انه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة
كبش املح ويذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت هنالك والله اعلم والثاني لا يذوقون فيها الموت لانهم
فيها الموت ولا يرونه الا الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا التي يعرفونها ويذكرونها واما ما سواها فلا يعرفون
سببا المعرفة فاستثنى المعرفة مجازا والله اعلم وقوله تعالى ووقاهم عذاب الجحيم • ليس فيه تخصيص وقاية
عذاب الجحيم خاصة بل المراد نفي العذاب كله لكن الجحيم معظم ما يعذب فذكره كناية عن الكل والله اعلم وقوله تعالى
فضلا من ربك • يخبر انه وقاهم عذاب الجحيم فضلا منه ليس باستحقاق منهم بالاعمال على ما تقدم ذكره
في غير موضع وقوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم • الفوز بالشيء الظفر بما امل ورجي فاذا ظفر به
يقال الفائز والنجاة ما لحذر يخاف احد امرا ويخاف فيخلص من ذلك فيقال فاز بما كان فيه فوزا والله اعلم وقوله
العظيم جميع امور الآخرة وحال الناس عظيما من العذاب والنعيم في ذلك اليوم عظيم وعذاب عظيم ونور عظيم
وقوله فانما يسرناه بلسانك هذا يخرج على وجهين احدهما كانه يقول فانما انزلناه القرآن بلسانك هذا يخرج
على وجهين احدهما كانه يقول انما انزلناه القرآن بلسانك ويسرناه للذكر ليلزمهم الذكر لانه انزل بلسانه ويسر
لقومه لانه لو كان غير لا بغير لسانه لم يكن متيسرا لهم الذكر وهو ما ذكر في آية اخرى ولقد يسرنا القرآن للذكر يخبر
انه يسره للذكر لانه يسره باللسان ولكن معناه ما ذكرنا انه انزله بلسانه ويسره للذكر والله اعلم والثاني فانما
يسرناه بلسانك على لسانك لتذكره وتحفظه بلا كتابة ولا نظر في كتاب لانه ذكر انه كان عليه السلام
يحفظ سورة طويلة اذا تلاها عليه جبريل صلوات الله عليه وقد امنه الله تعالى عن النسيان بقوله سنقرئك
فلا تنسى وقوله لعلهم يتذكرون • يخرج على وجهين احدهما لكي يلزمهم ان يتذكروا ويحتمل لكي يتذكروا ما لله
من حق الله عليهم اي ليتعظوا بمواعظه والله اعلم وقوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون • على وجهين احدهما

ارتقب

ارتقب ما وعد الله تعالى ان ينزل بهم من العذاب فانهم مرتقبون هلاكك وانقطاعك ونحوه او يقول ارتقب
ولا تكافيهم ولا تدع عليهم بالهلاك فانهم مرتقبون بما لقي الشيطان في امنيتهم بان هلاكك يرون ولذلك يعودون
اليهم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فارتقبهم انهم مرتقبون والارتقاب الانتظار والله اعلم واحكم

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب • وقد ذكرنا في غير موضع
قوله تعالى من الله العزيز الحكيم • وقد ذكرنا ايضا تاويل العزيز الحكيم ايضا في غير موضع ايضا ثم انما ذكر قوله العزيز
الحكيم على اثر ذكر الكتاب ليعلم انه ما انزل الكتاب بما امرهم ونهاهم وامتحنهم بانواع المحن لتعزز من ذلك
او يريد له عزا وسلطانا وانما وقع في شيء اذا ائتمروه واطاعوه ولا اذا خالفوه ولم يطيعوه فيما امرهم وان يكون انما
نهاهم يلحقه ذلك نقصا او نقصان في ملكه وسلطانه بل انما فعل ذلك من الامر والنهي انواع المحن لمنفعة انفس الممتحنين
ليتقربوا اذا استعملوا امره واطاعوه ويلحقهم ذل ونقصان اذا تركوا اتباعه بخلاف ملوك الارض فانه يريد لهم
اتباع من اتبعهم عزا وسلطانا وقوة في ملكهم وترك اتباعهم اياهم ولا يكاد بما نهاهم عنهم يوجب لهم ذلا
ونقصانا في ملكهم لان المخلوق كان عزيزا بغيره فاذا زال ذلك زال العز وصار ذليلا فاما الله تعالى عزيز بذاته
فلا يلحقه النقصان بمخالفة من خالفه ولا يزداد عزا باتباع من يتبعه والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير
ويكون هذا التعليم اذ انشا من الخلائق على علمه انهم يكفرون به ويعصونه لم يزل عنه الحكمة ولا اخرجه
منها ما ذكرنا انه لم يمسه الحاجة لنفسه او لمنفعة ترجع اليه ولكن الحاجة لهم والمنفعة ترجع الى انفسهم ومثله
في الشاهد يزيل الحكمة ويدخل في حد السفه مما ذكرنا انهم انما يفعلون لحوائجهم كالفعل مع العلم
بانه لا منفعة له فيه بل يضره لا يكون حكمة منهم فذلك افترق الشاهد والغائب والله اعلم وقوله ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين ثم قال آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون ويحتمل ان يخرج ذكر الآيات لهؤلاء وهو
[illegible] ما ذكر من الآيات لهؤلاء لان الآيات على هذا انهم يحتجون بها عليهم فيكون هي آياتهم على اعدائهم
والثاني انه منفعة هذه الآيات يحصل لهؤلاء لانهم المنتفعون بها دون من ترك اتباعها والثالث هي آيات
لمن انتفع بتلك الآيات كالايقان بها وهم المؤمنون فاما من اعتقد الآيات وترك الاتباع لها فليست هي آيات
لهم والله اعلم وقد ذكرنا في غير موضع جهة الآيات [illegible]
[illegible]
[illegible] تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق [illegible]
[illegible]
[illegible] ويل لكل افاك اثيم • الافاك [illegible]
[illegible]

ولا يغني عنهم ما كسبوا اي ما عملوا من القربات التي عملوها رجاء ان ينفعهم ذلك في الاخرة وما عبدوا من الاصنام
التي عبدوها رجاء ان يشفع لهم في الاخرة او يقربهم ذلك الى الله زلفى يخبر انه ذلك ايضا لا يغنيهم ولا ينفعهم
في الاخرة وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم • يحتمل ان يكون ذكر العذاب الاليم والعذاب العظيم والعذاب المهين لاختلاف ما كان منهم
في الحال لما عبدوا الاصنام دونه واتخذوها اربابا العذاب العظيم وذكر لهم باستهزائهم بايات الله العذاب المهين
عذابا بايمانهم بما يؤمنون ذلك ... وذكر لهم باصرارهم على ما هم عليه واستكبارهم على ايات الله وعلى رسوله العذاب
الاليم حتى يكون مقابلا لكل ما كان منهم نوعا من العذاب غير نوع الاخر وصفة غير صفة الاخرى والله اعلم وقوله تعالى هذا
هدى اي بيان لما لهم وعليهم والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم اي عذاب من عذاب اليم والرجز هو العذاب
كانه فسر ذلك العذاب بوصفه بالالم والله اعلم وقوله تعالى الله الذي سخر لكم البحر ذكرهم عظيم نعمه في تسخير البحر لهم
مع اهوالها وكثرة امواجها وامتناعها عن منافع الخلق حتى صيرها بلطفه ورحمته لهم كالارض البلاغ في الوصول
الى ما فيها من الجواهر وما لا يدفع الغوص فيها والخوض والاصطياد بما فيه من انواع الصيد من الاشياء وجعل
عليهم واسباب جعل لهم حتى يصلوا بها الى ما فيها من انواع الجواهر والاموال النفيسة والله اعلم وسخر لهم ايضا
ظهور البحر وعرضها لعليه يسع اقطارهم وجعل عليهم ما يحمل عليهم حتى قدروا على عبوره مرة بعد مرة وليصلوا الى
حوائجهم التي تكون لهم في البلدان النائية وهو ما قال لتجري الفلك فيه بامره ثم قال بامره يحتمل ان يكون عبارة
عن تكوينه اي بما كونه وانشاه كن لا كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ويحتمل الامر في الاكثر
له الفعل وسائر خلائقه ويحتمل بامره اي باذنه وقوله تعالى ولعلكم تشكرون • اي لكي يلزمكم الشكر بذلك او امر لنا
فيه من النجوم والله اعلم وقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه • اي سخر لهم ما في السموات
من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها وما في الارض من الاشجار والنبات والبحار والدواب حتى يستعملوها
كلها في منافعهم وحوائجهم استعمال املاكهم التي يجريها الله بتسخيره تعالى اياهم ذلك لهم والله اعلم وقوله تعالى
اي جميع ذلك من الله تعالى فضله بتسخير جميع ما ذكر من في السموات والارض ثم لعلهم يتخذون ذلك الايات لعلهم يتفكرون
وقد ذكرنا وجهه لاية في ذلك في غير موضع والله اعلم وقوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
امر عز وجل المؤمنين بالعفو والصفح عمن اساء اليهم وظلمهم حتى امرهم بالعفو والمغفرة عمن ظلمهم واساء اليهم
من الكفرة ليعلم عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والاساءة عند الله وما يكون لذلك من الثواب الجزيل
فان قيل ان نزول الاية انما نزلت بمكة ومن اسلم من اهل مكة بمكة كان مستضعفين مقهورين في ايدي الكفرة لم يكن
لهم الانتصار عن مساويهم فامر الله بالعفو عن مظلمة من ظلمه فاساء اليه عند مقدرة الانتقام منه الا
فاما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للامر له بذلك اذ هو عاجز عن ذلك فلا يصح الامر بالعفو والصفح عنهم
اذ كان اهل الاسلام منهم مقهورين معذبين في ايديهم ولكن الامر على ما ذكرتم لكن يحتمل الامر بهما انهم امرهم بذلك
ليتقربوا بذلك الى الله تعالى ويجعلون ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم وان لم يكن لهم قدرة الانتقام
والانتصار منهم يكون العفو منهم بحق القربة لا بحق التذلل والخضوع اذ يعفو كل عفو اختيار وطوع وتصبر
على ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى وبين الجزع في نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام وهو ما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالهجرة الى المدينة بعد ما اخبر انهم يريدون ان يقتلوه او يخرجوه حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك الاية ليكون الهجرة الى الله تعالى بحق القربة لا بحق التذلل باخراجهم اياه والله اعلم والثاني يرجع الامر
بالعفو الى كل واحد منهم في خاصة نفسه وقد كان من المسلمين منهم من يقدر على الانتقام والانتصار في الافراد
والاحاد منهم وان لم يكن لهم المقدرة على الانتقام من جملتهم والله اعلم ثم قوله لا يرجون ايام الله يخرج
على وجوه احدها ايام الله نعم الله الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع التي وعدها في الاخرة لاهل الايمان وهو ما
جاء في قصة موسى عليه السلام حيث قال وذكرهم بايام الله بالنعمة حيث قال على اثر واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون الاية والثاني لا يرجون ايام الله على حقيقة الايام لانهم كانوا يرون هذه النعمة
والسعة في الدنيا لجهد انفسهم وكدهم لا انما اجراها الله تعالى النعم اليهم في الايام والله اعلم والثالث لا يرجون
ايام الله في الاخرة لانهم ينكرون نعما الله في تلك وقوله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون • اي ليجزي كل قوم بما كسبوا من خير
او شر ليجزي من عفا عنهم جزاء العفو ويجزي المحسنين جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة والله اعلم وقوله تعالى
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها • يخبر ان من عمل من خير فانما يعمل لنفسه ومن عمل من سوء فانما يعمل على نفسه
يخبر ان من عمل من خير او صالح فلنفسه سعى في الاخرة ومن عمل من شر فعلى نفسه سعى في الاخرة كمن عمل في الدنيا
من الاكل والشرب فلنفسه يعمل ومن جنا جناية فعلى نفسه ضرر في الدنيا والاخرة حيث يهلك به نفسه ويرجع
المنفعة او الضرر اليه في الدنيا والاخرة فعلى ذلك ما قلنا والله اعلم وقوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون • اي ثم الى ما وعد

ربكم

ربكم من الثواب والعقاب ترجعون وقوله تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب • قال اهل التاويل والتوراة ولكن لا
ارى ان بني اسرائيل جملة كتبنا كتبا اما التوراة والانجيل والزبور هي كتب معروفة وقد يعرف غيرها وقد يجوز ان يكون
لهم كتب غيرها فيما مضى ذلك الكتاب بعد ما منعنا حملهم على التوراة الا انا نقول يجوز ان يريد به الكتاب الكتب
لانه ادخل الالف واللام فيكون لاستغراق الجنس ويحتمل ان اراد به التوراة كما قال اهل التاويل انه يجوز ان يذكر اسم
العام ويراد به الخاص وهو الواحد منهم ان يكون التوراة هو الكتاب الذي فيه عامة الاحكام وانه قيل ان الزبور ليس فيه
الحكم انما فيه التسبيح والتحميد وكذا الانجيل ليس فيه الاحكام قليل فيجوز ان يكون المراد به التوراة لهذا والله اعلم
وقوله تعالى والحكم • قال بعضهم والحكم اي فهم والفقه وقال بعضهم الحكم فيه ما في الكتاب اذ الحكم الظاهر يكون
تحت قوله الكتاب بين قوله والحكم انه لفظ له الحكم الظاهر فيه والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد
والله اعلم ويحتمل ان يراد بالكتاب هو ما يتلى فيما بينهم ويبين بينهم والحكم هو ما امرهم فيه ان يحكم فيما بين العباد
والله اعلم وقوله تعالى والنبوة • انما ذكر النبوة كان ظاهرا في بني اسرائيل فلقد ذكر ان في بني اسرائيل كذا كذا نبي
ونبيا والله اعلم وقوله تعالى ورزقناهم من الطيبات • قد كان رزقهم الطيبات خلاف غيرهم وقوله تعالى وفضلناهم
على العالمين • قد ذكر تفضيلهم على العالمين في موضعه وقوله تعالى واتيناهم بينات من الامر • قال بعضهم بينات
من الامر اي ايات من الامر وقيل بينات من الامر اي ما بين لهم من الحلال والحرام والشبهة وبيان ما كان قبلهم والله اعلم
ويحتمل بينات من الامر اي بينات ما يقع به الحاجة اليه من الامر وهذا يتكلم به الامر يخرج على وجهين احدهما
واتيناهم بينات من الامر اي ببينات لتكون دلالة لما يجعل الله لهم في نفس كل احد منهم دلالة وحدانيته
والوهيته او ما اقام من الايات في العالم التي تكون دلالة على جعل الالوهية والربوبية ومن ذلك فما اختلفوا الا من بعد
ما جاءهم العلم على ما ذكرنا من امر التكوين اي ما اختلفوا في حق الالوهية والوحدانية عز الله تعالى الا من بعد ما جاءهم
العلم اي الامر بعدما بين لهم ان الالوهية والربوبية بالدلالة الواضحة والحجج النيرة وان الخلق والامر لانه
ذكر العلم واراد به اسباب العلم ودلائله والله اعلم والثاني يحتمل قوله واتيناهم بينات من الامر والنهي والتحليل
والتحريم وبيان ما يتقى وما يسعى وما لهم وما عليهم ثم قوله فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم واختلافهم فيما
امتحنوا به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجابة له الى ما يدعوهم اليه والطاعة له ويحتمل اختلافهم
التي ذكر الاختلاف في القران اي فيما امتحنوا من التحليل والتحريم ثم يحتمل ويقال انهم ما اختلفوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بالحق في ذلك البيان انه من الله وان ما هم عليه باطل مضمحل ثم اخبر ان اختلافهم انما هو
بغيا بينهم وحسد حملهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم اخبر انه يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم
قوله يقضي بينهم يوم القيمة يحتمل وجهين احدهما الصحيح يعني في الاخر يجعل اختلافهم في الدنيا او يقضي
يفصل بينهم يوم القيمة الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم وقوله تعالى ثم جعلناك على شريعة
من الامر فاتبعها • يحتمل ان يكون نعت صلة قوله واتيناهم بينات من الامر كانه يقول اتيناهم بينات من الامر
وجعلنا ذلك شريعة لك فاتبعها انت وان لم يتبعوها والشريعة هو المذهب والملة وقيل ما شرع فيه
ومن ذهب اليه كذلك قال القتبي وقال شرع فلان في كذا اذا احدثه ومنه مشارع الماء الموضع الذي يشرع فيها
الناس في الوارده وقال ابو عوسجة الشريعة هو السنة والله اعلم ثم اخبر ان الذين هم عليه انما هو هوى النفس فقال
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يحتمل قوله لا يعلمون لما لم ينتفعوا بما علموا ولم يتفكروا فيه لعلموا لانه قد ذكر في اول الاية انهم
انما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم وجاءهم من دلائل العلم ما لو تاملوا ونظروا فيها لعلموا لكن لما نفى عنهم
العلم لما لم ينتفعوا بما علموا ولم يجعل لهم من العلم والله اعلم وقوله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا •
لو اتبعت اهواءهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لم يغنوا او لن يمنعوك عن دفع ما ينزل بك من عذاب الله شيئا
وهو ما قال في اية اخرى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الى قوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية ثم اخبر ان الظالمين بعضهم اولياء بعض يحتمل اولياء الذين في المذهب
اي بعضهم يوالي بعضا في الدين ويحتمل في نصره اي يلي بعضهم بعضا في الاغاثة والنصرة والله اعلم والله ولي
المتقين يحتمل ايضا المتقين ويحتمل ولي المتقين اي ناصرهم ومعينهم وقوله تعالى هذا بصائر للناس يحتمل
هذا القران من بصائرهم وهو ما تبصره وعرفه هدى وبيانا ورحمة ونورا ونحوه وهو هكذا اسكن ويا
ونورا وتبصره لمن اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل وقبله ويحتمل بصائر بيانا بين لهم ان من الله وفيه
لهم الحق من الباطل ويبين لهم ما لهم وما عليهم لمن ذكر لقوم يوقنون وقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون • قال بعض اهل التاويل
عن ابن الكفرة قالوا لعلنا نعطي من الثواب والنعيم في الجنة ما نعطى اولئك منهم كما كنا في نعيم الدنيا

ولذا نما اولى منهم او لنعطيت افضل مما يعطون ولنفضلن عليهم كما فضلنا في الدنيا فانزل الله تعالى قوله
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية لكن هذا التاويل
لانها هذا لا يصلح ان يكون جوابا للنا ولعله الذي ذكرها اهل التاويل الا ان اولئك قالوا نحن اولى بما يكون في الاخرة
من النعيم والثواب منهم كما كنا في الدنيا اولى كما فضلنا في الدنيا نفضل في الاخرة فلا يكون قوله ان نجعلهم سوآء
جوابا لما قالوه انما قالوا نحن اولى بذلك ونحن نفضل فيها كما فضلنا في الدنيا اذ كانوا يحسبون انهم مفضلون
على المؤمنين في الاخرة دون المساواة كيف يخرج منهم انهم حسبوا التساوي والله اعلم ويحتمل قوله تعالى والله اعلم
لكن الاية عندنا انما كانت في منكري البعث وجاحديه يقول والله اعلم ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سوآء الاية اذ لو كان الامر على ما ظن اولئك بان لا بعث ولا نشور كان
في ذلك جعل الذين اجترحوا السيئات او اشركوا كالذين امنوا وعملوا الصالحات سوآء محياهم ومماتهم لانهم
جميعا قد استووا في هذه الدنيا في لذاتها ونعيمها وشدائدها والامها وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز
بينهما فان لكل واحد منهما منزلة وما يستحقه المسيء من العقوبة وجزاء الاساءة والمحسن الاحسان
وجزاء احسانه اذ لم يجمع بينهما في هذه الدنيا على ما ذكرنا فلا بد من دار اخرى يميز ويفرق ويتبين بينهما في
حق الثواب والعقاب والله اعلم وهو كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا لو كان كما ظن اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما باطلا
فذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق السموات والارض ان لم يكن هنالك
رجوع اليه عبثا باطلا والله اعلم فهذا اولى واحرى ان يصرف اليه الاية وعلى ذلك ما ذكر في قوله قل هل يستوي
الاعمى والبصير والسميع الاية وقوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا
اي لا يستويان فلو كان الامر على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا نشور ولا حياة كان في ذلك استواء بين
من ذكر وقد سوى بينهم في الدنيا وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز اذ لا يجوز التسوية بين الولي
والعدو وقد سوى بينهما في الدنيا فيعلم ان هنالك نفي الاستواء بينهما في دار اخرى والله الموفق ثم اختلف
اهل الكلام فيما يعطى للولي والعدو في هذه الدنيا من الصحة والسلامة على قول المعتزلة ان الله تعالى
لا يعطي احدا في الدنيا شيئا من شيء الا وهو اصلح له في الدين ثم على قولهم لا … فضل الله تعالى …
لانهم يقولون انما يستوجبون الثواب والجنة باعمالهم لا برحمة الله فاذا لعفا عن المسيء فلا فضل اذا كان مستحقا
لذلك ويعفو منه فضلا وعندنا انما اعطاهم انما يعطيهم فضلا منه ورحمة فيعرفهم فضله واحسانه
وعفوه واكثر الصحابة ان جميع ما اعطى الكافر في الدنيا هو شر له كقوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي
لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون ونحو ذلك في الخبر ان ما يعطي … يكون ذلك شرا لهم وما اعطي يكون خيرا لهم ولكن عندنا
هذا ليس على الاطلاق ولا ان … ما كان نقصا منه له في الخيرات في نفسها هو خير له وما كان
خذلانا هو شر له وليس على الله حفظ الاصلح لهم على ما تقوله المعتزلة ولكن يفعل بهم ما هو حكمة عنده
كما يفعل ما هو احسان وفضل والله الموفق قال القتبي اجترحوا السيئات اي اكتسبوها ومنه قيل الكلاب الصيد
جوارح وقوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون كان موصوله
افلم خلق السموات والارض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت اي انما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت
فلو لم يكن جزاء المكتسب في الدنيا في الاخرة على ما قال اولئك الكفرة انه لا اخر لهم الثواب والعقاب لانكارهم
البعث لم يكن خلقهما بالحق على ما ذكرنا … انما صار خلقهما حقا اذا كان هنا للاخرة وهذا يدل على ان الاية
الاولى في منكري البعث ليست على ما ذكره اهل التاويل والله اعلم وقوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه هذا
يخرج على وجهين احدهما على التحقيق على ما قاله عامة اهل التاويل انهم عبدوا كل شيء استحسنوا كانوا اذا استحسنوا
شيئا هووه واذا هووه عبدوه ثم اذا راوا شيئا احسن منه تركوا عبادة الاول وعبدوا الثاني فذلك
كانت عادتهم كذلك اتخاذ الالهة بهواهم اذ الاله هو المعبود عندهم وهو التحقيق الذي ذكرنا والثاني
على التمثيل وهو ما قال قتادة انهم ما هووا شيئا الا ركبوه لا يمنعهم مخافة الله عما هووه ولا يردعهم عنه حسب (?)
عما اشتهوا فصار هواهم متبعا لهم كالاله لهم لا يتبعون امر الله ولا يكترثون له او كلام نحو هذا والله اعلم
واضله الله على علم هذا يخرج على وجوه احدها اي اضله الله على علم منه ذلك الانسان طريق الهدى والحق لا
اضله على خفاء من ذلك الانسان طريق الهدى والحق لانه اضله على خفاء من ذلك الانسان من طريق الحق
اي قد بين له السبيل والطريق الحق ولكنه باختياره ضل والثاني قوله اضله الله على علم اي اضله الله على علم

منه باختياره

منه باختياره الضلال اضله لما علم منه انه يختار الضلال والكفر لكونه كما علم انه يكون ويختار والله اعلم والثالث
اضله الله على علم اي انشأ منه فعل الضلال على علم منه بذلك والله اعلم وقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة هذا يخرج على وجهين احدهما لما اعطى قلبه ما هواه وجعل فيه ظلمة وتلك الظلمة وذلك
الغطاء اوجب غطاء السمع والبصر وحال بينه وبين سماع الحجج والبراهين وصار ظلمة البصر وغطاءه مانعا له
عن التدبر والتفكر ويحتمل ان يكون هواه مانعا لهم عن اكتساب الحياة الدائمة لما لم يستعملوا امر الله تعالى وما دعاهم
اليه كانت لهم تلك الحياة كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم لقوله او من كان ميتا فاحييناه
هواه اتبعوهم عن اكتساب الحياة الدائمة المدعو اليها والله اعلم وقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله هذا يحتمل
ايضا وجهين احدهما حقيقة الهداية وهو التوفيق والعصمة فكانه يقول والله اعلم فمن يهديه دون الله هداية
وتوفيقه بعد اختيار الضلال والثاني الهدى والبيان فكانه يقول والله اعلم من يهدي ان يأتي ببيان اكثر وابين
من بيان الله تعالى الذي بين لهم اي لا احد يقدر ذلك وقوله افلا تذكرون … افلا تتذكرون بيان الله تعالى وتمامه
لهم والله اعلم ثم الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا لئلا يشتغل بهم ولا يهتم لهم ولكن يشتغل بغيرهم ويقطع
عن ايمانهم والله اعلم وقوله تعالى ما هي الا حياتنا الدنيا او قالوا ما الحياة الا حياة الدنيا ويحتمل انهم يقولون
ما هي الا الحياة الا الحياة التي في دنيانا وقوله تعالى نموت ونحيا يخرج على وجهين احدهما اي يموت ونحن ونحيى
ابناؤنا واولادنا والثاني نموت اي كنا ميتين فحيينا ثم نموت يعني كنا امواتا فاحيانا اي نصير احياء ثم لا حياة بعد تلك
الحياة والله اعلم وقوله تعالى وما يهلكنا الا الدهر هذا يخرج على وجهين احدهما اي ما يهلكنا الا مرور الازمنة
والاوقات وسببه مرور الاوقات ينتهي احوالنا ويبلغ الى الهلاك وكذلك قال القتبي وما يهلكنا الا الدهر اي
الامور المستمرة (?) والايام والثاني يكون الدهر عندهم عبارة عن الابد كانهم يقولون في قوله ما يهلكنا الا الدهر
وما يهلك الا لانا نفسنا لم يجعل للابد لا للبقاء الابد جعلت للانقضاء والفناء والله اعلم وقوله تعالى
وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون اي ما هم الا على ظن يظنون والثاني وما لهم من ذلك وما لهم ما قالوا
ما يهلكنا الا الدهر من علم انهم الا يظنون اي ما هم الا على ظن يظنون اي على ظن يقولون ذلك لا عن علم والله اعلم
وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا تتلى عليهم اياتنا في البعث والحياة بعد الموت بينات اي ما يدفع
ويبين لهم البعث والحياة بعد الموت وقوله تعالى ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين ذلك
الذكر ما كان حجتهم والحجة هي انه اذا … الانسان واخذ بما عذر في ذلك ما قالوا لم يكن حجة اذا لم يعذروا ويحتمل
معنى قوله ما كان حجتهم اي ما كان احتجاجهم الا ان قالوا كذا ويقول لما كان في احتجاجهم الا ان قالوا كذا ثم قوله ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين فيه دلالة ان لا يلزم المسؤول ان ياتي بحجة وانه يختارها السائل ويتمنيها ولكن يلزمه
ان ياتي بما هو حجة في نفسه ويلزم الاتباع لو كان ما ان يلزم على اختيار السائل او يتمناه والله وقد اتاهم الله تعالى
من الايات والحجج ما الزمهم القول بالبعث والاقرار به ثم اخبر ان الله تعالى هو يحييكم ثم يميتكم الا الذي … كما
وهو قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة يحتمل قوله قل الله يحييكم اي يحييكم في بطون امهاتكم
ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم الى يوم القيامة او يقول الله يحييكم في ابتداء امركم ثم يميتكم في الدنيا عند انقضاء اجالكم
ثم يجمعكم الى يوم القيامة وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ولكن اكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون
او يقول ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما تركوا النظر والتامل في اسباب العلم وقوله تعالى ولله ملك السموات
والارض هذا يخرج على وجوه احدها الملك ولله ملك كل ملك السموات والارض ولله ملك السموات والارض في
اي خزائن السموات والارض وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويقول ولله ملك حقيقة السموات
والارض فان كان التاويل هو الاول فانه لم يملك كل ملك في السموات والارض فيعتبروا … بمنع تبلغ الملك
الملوك والتعظيم والاجلال والخدمة لهم لما في ايديهم من الملك والسلطان وفضل الاموال فيه الامر بصرف
ذلك كله الى الله تعالى والقيام له بالشكر لا اولئك لان الذي في ايديهم لله تعالى وهو الجاعل ذلك في ايديهم
والواضع عندهم واليه يلزمهم صرف الشكر والعبادة والله اعلم وان تاويل الملك الخزائن ففيه قطع الاطماع عما في ايدي
الناس والامر بصرف ذلك الى الله تعالى والرجاء منه دون من سواه والله اعلم وان كان الثالث هو ان حقيقة الملك
لله تعالى ففيه انه فيما امتحنهم في الدنيا بانواع المحن لم يمتحنهم لمنفعة ترجع الى نفسه او لمضرة تدفع عنها وكذلك
ما يثيبهم في الاخرة ويعاقبهم ليس يفعل ذلك لمنفعة كانت له في الدنيا او دفع مضرة عنه ولكن بحكمة وجبت
ذلك لهم وعليهم والله اعلم وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة سمي القيام ساعة فجائز ان يكون سماها ساعة لسرعة
قيامها ونفاذها كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب او ان يكون سماها بذلك لما يكون حسابهم
يوم القيامة انما يكون في ساعة والله اعلم وقوله تعالى يومئذ يخسر المبطلون يحتمل اي يومئذ يخسر المبطلون

أي يومئذ تبين خسران المبطلين في الدنيا وعلى تبيين خسران كل مشركين في تجارة الدنيا إذ يحصل عند القيمة تبيان
خسران عملهم وتجارتهم وتفصيله أن الله تعالى جعل الدنيا وما أنشأ فيها من الأموال والأملاك رزقا
لأهلها يتجرون ويكتسبون بها الربح في الآخرة لأنه أنشأها لأنفسها ولذلك قال إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم ونحو هذه الآية وقال ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ونحوه والله أعلم وقوله وترى
كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها يحتمل أن يكون ما ذكر من الجثو على الركب في الآخرة تعريفا لهم وإنباء أنهم
يختصمون يوم القيمة جاثين على الركب كما يختصمون في الدنيا عند الحكام والأمراء جاثين على الركب والله أعلم ويحتمل أن
جثوهم لما لا تقوم لهم الأقدام ولا تحملهم لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكونون جاثين على الركب ولا يقومون
والله أعلم وقوله تعالى كل أمة تدعى إلى كتابها يحتمل كتاب كل في نفسه وهو كقوله وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه
وقوله فأما من أوتي كتابه بيمينه وأوتي كتابه بشماله ونحوه ويحتمل أن يكون قوله كل أمة تدعى إلى كتابها أي كتابها
التي دعيت كل أمة إليه في الدنيا من نحو القرآن ونحوه فيقال يا أهل الإنجيل يا أهل التوراة ونحو ذلك والله أعلم
ويحتمل أن يكون كل أمة تدعى إلى كتابها أي إلى حسابها التي عملت في الدنيا تفسير ذلك ما ذكر اليوم تجزون ما
كنتم تعملون في الدنيا وقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يحتمل الكتاب الذي أضاف إلى نفسه هو
القرآن الذي كان ينطق لهم بالحق أي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض أي بالحق أو بالصدق ... والله أعلم
ويحتمل أن يكون ذلك الكتاب هو الكتاب الذي يكون لكل بالانفراد الذي كتبه الملائكة مما عملوا من خير أو شر وهو
كقوله اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والله أعلم وقوله تعالى إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اختلف
في تأويله قال بعضهم إن الحفظة يكتبون أعمال بني آدم ثم يعارضون ذلك بما في اللوح المحفوظ المكتوب فيه
تعمل كذا وكذا ولا يزيد شيئا ولا ينقص وعن ابن عباس رضي الله عنه يقول قريب من هذا أن في السماء كتابا عليه ملائكة
والملائكة الذين مع بني آدم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون ثم قال فهل يكون النسخة إلا من كتاب أو نحو
والله أعلم وقال بعضهم ملكان موكلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما ما يعمله فإذا أراد أن يصعد إلى السماء
فيعارض كل واحد منهما كتابه الذي كتبه مع كتاب الآخر فلا يخطئ حرفا مما كتب هذا ما كتب الآخر والله أعلم
وقال بعضهم عرض كتاب الناس الذي عملوها كل يوم أو كل خميس فينسخ منه الخير والشر مما يثاب عليه وما يعاقب
ويلقى ما سوى ذلك مما لا ثواب له ولا عقاب ويحتمل أن يراد من الاستنساخ ابتداء الكتابة من غير أحد من كتاب
أو غيره نحو ما يقول الرجل انتسخه أو كتبه فيكون كأنه قال إنا كنا نستنسخ أي نكتب ما كنتم تعملون في الدنيا علم
من خير أو شر فيخرج لهم كتبهم التي فيها أعمالهم فكانت عليهم حجة وهي التي كتبت عليهم الحفظة وقال أبو عبيد
الجاثية التي تجثو واجتمعت وقيل الجاثية أي باركة على ركبها للخصومة وقال القتبي جاثية على الركب أي
أنها غير مطمئنة وقوله تدعى إلى كتابها إلى حسابها وقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يريد أنهم يقرؤونه
فيذكرهم فكأنه ينطق عليهم وقوله إنا كنا نستنسخ أي نكتب على ما ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بما كان تعلقه الإيمان به والتصديق وقوله وعملوا الصالحات أي آمنوا
ما كان تعلقه الإيمان به والتصديق وقوله وعملوا الصالحات أي عملوا بما فيه صلاحهم وما يجب أن يحكم
من العمل فيدخلهم ربهم في رحمته أي في جنته سمى الجنة رحمة لأنها إنما تنال برحمته ويدخل فيها أو سماها
رحمة لأنها هي النهاية والغاية التي تطلب بالرحمة ويراد بها والله أعلم وقوله تعالى ذلك هو الفوز المبين الفوز
هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل وقيل الفوز هو الفلاح الذي لا خوف بعده والله أعلم وأما الذين كفروا
أفلم تكن آياتي تتلى عليكم كأن هنا إضمارا لأن قوله وأما الذين كفروا إنما هو إخبار عن المعاينة وقوله أفلم تكن آياتي تتلى
عليكم خطاب ومشافهة فليس هو من جواب الأول ولكن في موضع كأنه قال والله أعلم وأما الذين كفروا فحالهما
فيقال لهم في الآخرة إذا طلبوا الرجوع والإقالة أو التخفيف ونحو ذلك أفلم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا
ثم يحتمل آياته آيات وحدانيته وألوهيته وآيات قدرته وسلطانه على البعث وآيات قدرته على البعث أو آيات
رسالة رسله والله أعلم وقوله فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين لا أحد يقصد قصد الاستكبار على آيات
لكنهم لما كذبوها وردوا آياته ولم يعملوا بها فكأنهم استكبروا عليها وهو كما قال لا تعبدوا الشيطان ولا أحد
قصد عبادة الشيطان لكنهم لما عبدوا الأصنام بأمر الشيطان فكأنهم عبدوه ويحتمل أن يكون الاستكبار
على رسله فيكون استكبارهم على رسله كأنهم استكبروا عليه واستكبروا على آياته والله أعلم وقوله وكنتم قوما
مجرمين قيل مجرمين كمن ارتكب المعصية والله أعلم وقوله تعالى وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها
قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين كان عندهم فيها ريب لكنهم لو تأملوا ونظروا
فيما أقام من آياته زال عنهم الريب الذي كان لهم فيها ويحتمل أن يقال هذا على الإنكار إذا كان الكافر موقنا لكن

الذي يقال له شاكا في ذلك والأول أقرب وأشبه ثم الناس رجلان في الساعة موقن بها متحقق وكافر بها جاحد
بها لاستعداد لها كالظان والثاني ظان فيها جاحد لها مكذب كالموقن بلا يكون في الإيقان بالشيء مع العلم
بأسباب الظاهرة وتدبر حالها في تلك الأسباب أدنى شبهة وشك لذلك وصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف
بالإيقان ولا يقال له موقن لما ذكرنا أن أحدهما يكون بأسباب والآخر لا والله أعلم ويكون في الإيقان أدنى شبهة
وشك وقد يحمل هذا لنا لأسباب على حقيقة الأعمال التي الحكمة على الشيء يعلمها أو هذه تغالب الأسباب لا تبين
عمل الحقيقة والله أعلم وقوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا هذا يخرج على وجهين أحدهما أن المراد الأعمال التي
عملوها في الدنيا أنها سيئات في الآخرة لأنهم عملوها في الدنيا وعندهم أنها حسنات فظهر لهم في الآخرة أنها سيئات
والثاني بدا لهم سيئات ما عملوا أو ظهر لهم في الآخرة ويذكر سيئات ما عملوها في الدنيا أو يتذكرون
تلك السيئات التي عملوها في الدنيا في الآخرة والله أعلم وقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون أي نزل بهم جزاء
ما كانوا يستعجلون من الرسل وهو العذاب الذي كانوا يوعدون بهم لأنهم ما كانوا يستعجلون ذلك استهزاء
منهم بهم بأنه غير كائن ولا نازل بهم ما كانوا يوعدون به والله أعلم وقوله تعالى وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم
هذا في الأشكال أنهم كيف ينسون يومئذ لأنهم لو كانوا ينسون لسلوا عن العذاب لكن ما ذكرنا النسيان يخرج
على وجهين أحدهما كأن بالنسيان نحو الترك فيقول اليوم نترككم في النار وقيل كما تركتم أنتم العمل لذلك
اليوم والنظر فيه والثاني على التمثيل أي اليوم يصير كونكم في النار كالشيء المنسي لا يكترث بكم لا يلتفت ولا يرحم
كما صرتم أنتم ذلك اليوم كالشيء المنسي لم يكونوا إليه حال يعملون به والله أعلم وقوله تعالى ومأواكم النار ومأواكم
جعل الله تعالى النار لهم مأوى نار كلما افتخروا في الدنيا على رسول الله باتباعهم من منازل عالية ومراكب بهية
وغير ذلك وأخبر أنه لا ناصر لهم يملك إخراجهم من تلك النار والمأوى التي جعل لهم ولا يقدر دفع ذلك
والله أعلم ثم أخبر أن بعض ذلك الذي أصابهم ونزل بهم إنما كان بما ذكر من اتخاذهم آيات الله هزوا في الدنيا هزؤا
بها وسخروا بالرسل ثم آيات الله يحتمل ما ذكرنا من آيات وحدانيته وألوهيته وآيات قدرته وسلطانه على البعث أو آيات
رسالة الرسول وقوله تعالى وغرتكم الحياة الدنيا قد ذكرنا فيما تقدم معنى نسبة التغرير إلى الحياة الدنيا
وإضافته إليها وإن لم يكن منها على التحقيق تغرير وخداع وهو أنهم إنما اغتروا بها فنسب فعل التغرير إليها
كأنها هي غرتهم وتنسب الفعل إلى السبب الذي به صار كذلك وإن لم يكن منه حقيقة ذلك نحو قوله ... النهار
مبصرا أي يبصر به وذلك كثير في اللغة أن يقال إنما كان منها لو كان ذلك فيها يحتمل التغرير فيما ذكر كان
تغريرا والله أعلم وقوله تعالى فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون اختلف في قوله ولا يستعتبون وقال بعضهم
إنهم يعاتبون إلى أن يدخلوا النار إنكم فعلتم كذا وتركتم كذا ولم فعلتم كذا فإذا دخلوا النار ترك العتاب
ويجعل كالشيء المنسي فيها والله أعلم وقال بعضهم ولا هم يستعتبون أي لا يسترجعون إلى ما يطلبون
من العود والرجوع إلى العمل الصالح كقولهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا فطلبوا الآية وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا
ربهم دلالة أنه لا يجب أن يحمل على ظاهر ما خرج الخطاب لأنه ذكر الظن في المؤمنين والمراد به الإيقان لا ظاهر
الظن وذكر في الكافر الظن وأريد به الحقيقة ولا يجوز أن يفهم من الظن في الفريقين معنى واحد إلى أنهم ... عند
غير الذي فهم من الآخر والله أعلم وقوله تعالى رب السموات ورب الأرض رب العالمين أي جميع ما ذكر في القرآن من الحمد لله فإن
ما ذكر لأحد شيئين إما لما يستحق من الثناء عليه عن جميع ما في الخلق من أوصافهم والثاني بما يستحق من الثناء عليهم بالنعم
والإحسان الذي كان منه إليهم وهو ما قال الحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي خلق السموات والأرض ونحو ذلك والله أعلم
وأصل هذا أنه إذا أضيف كلية الأشياء إلى الله تعالى ففيه وصفه بالعظمة والجلال وإذا أضيف جزء من الأشياء إليه ففيه
إنما فيه تعظيم تلك الخاصية المضافة إليه وفي قوله فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين إضافة كلية الأشياء إليه
والخاصية والجزئية ففيه الأمران جميعا فإن قوله فلله الحمد رب السموات ورب الأرض إضافة جزء من الأشياء إليه وخاصيته
ورب العالمين إضافة كلية الأشياء إليه والله أعلم وقد تقدم تأويل الرب في غير موضع وقوله وله الكبرياء في السموات والأرض هذا
على وجهين أحدهما أي وله الوصف بالكبرياء والعظمة على أهل السموات وأهل الأرض أو من حقه على أهل السموات وأهل الأرض أن يصفوه بالكبرياء
والعظمة والجلال والله أعلم وقوله وهو العزيز الحكيم أي هو العزيز الذي لا يلحقه الذل لغناه عن الخلق ولا يصيبه
أو هو العزيز الحكيم بما يعز من يعز دونه ومن وصف بعز دونه فذلك راجع في الحقيقة إليه الحكيم الذي وضع كل شيء موضعه
أو الحكيم الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير والله الموفق تم هذه السورة الشريفة اللطيفة بحمد الله ومنه

سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
قد ذكرنا فيما تقدم تأويله وقوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق قوله الا بالحق يحتمل
السموات والارض وما بينهما الا بالحق لذي صار انشاء ذلك وخلقه حكمة لانه لو كان الامر على ما ظنوا وقالت الكفرة
وتوهموا بان لا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب كان انشاء ما ذكر من السموات والارض وما بينهما وخلق
كله عبثا باطلا على ما تقدم ذكره في غير موضع والله اعلم وقوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون يحتمل
انذروا معرضون وجهين احدهما اي عما انذرهم من النظر والتفكر فيما ذكر من خلق السموات والارض وما انشاء
من المنافع وجعل في ذلك من اثر لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن لعاقبة تقصد ولامر يراد اذ عرف بعقولهم
انه لا يجوز تخليق الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يمتحنهم فاعرضوا عما انذرهم من النظر
والتفكر في ذلك فهم معرضون عما عرض ترك النظر والتفكر والله اعلم والثاني عما انذروا اي عما انذر لهم من مكذبه
الرسل عليهم السلام والثاني بما اوعد لهم من العذاب في الاخرة فهم معرضون عن ذلك كله والله اعلم وقوله تعالى
قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا
او اثارة من علم ان كنتم صادقين يحتمل ان يكون ما ذكر كله موصولا بعضه ببعض ويحتمل ان يكون مفصولا بعضه عن بعض
فان كان على الوصل فكانه يقول ارايتم ما تعبدون من دون الله من الاصنام وتدعونها المعبود اخلقوا ما لكم من رزقكم
وما به حياتكم وقوامكم ومعاشكم مما يخرج من الارض وهل يملكون لكم من المنافع التي جعل لكم في السماء من المطر
وغيرها ام هل اتاكم كتاب من عند الله فيه انه امركم بعبادة من تعبدونه او اثر من علم من يخرج على وجهين احدهما من
الاولين المتقدمين كتاب او قول فيه الامر بذلك واستخرجتم من العلوم ذلك فعلمتم به يقول والله اعلم ان الاسباب
التي تحمل الناس على العبادة والخدمة في الخلق اما منافع تصل بهم منهم مما به قوامهم ومعاشهم وحياتهم
واما كتاب من الله تعالى فيه حجة لهم وامر لهم في ذلك او كتاب من الحكماء والرسل يامرون بذلك وهم قوم لا يؤمنون
بالرسل ولا بالكتاب وليست لهم علوم يستخرجونه من العلوم فيقول ليس لكم مما ذكر من الاسباب والعلوم ما تعبدونها
فكيف اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم انما به قوام انفسكم وحياتكم منه والله اعلم وان كان بعضه مفصولا عن
بعض فيكون كانه يقول اروني ماذا خلقوا من الارض من المنافع وغيرها ام لهم شرك فيما ذكر فان قالوا قد
خلقوا ما ذكر او لهم شرك فيما ذكر فقل لهم ائتوني بكتاب من عندنا من كتاب الحكماء او العلوم المستخرجة من العلم ان كنتم
صادقين انهم خلقوا ما ذكرتم او لهم شرك فيما ذكر والله اعلم وقد علموا انهم لا يقدرون على ان يرونه ما ذكر لم يكن لهم
من هذه الاسباب شيء اذ هي اسباب العلم فقد عجزوا عن ذلك كله ثم قوله او اثارة من علم قال بعضهم او خاصة من علم
وقال بعضهم بقية من علم ياثرونه وهو قول القتبي اي بقية من علم من شيء من الاولين وتقرأ اثرة واثارة واصله
ما ذكرنا من الوجهين احدهما كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام والثاني العلوم المستخرجة من سائر العلوم وعن ابن عباس
او اثارة من علم هو الخط قال ابو عبيدة روى ابن عباس مرفوعا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبياء يخط فمن
صادف مثل خطه وقال ابو عوسجة اثارة من علم اي قديم من علم وقال الاثارة البحث القديم وقيل اثارة من علم اي
رواية من الانبياء عليهم السلام ثم ذكر سفههم وبين غاية تعنتهم وهو قوله ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيمة ثم يحتمل قوله من لا يستجيب له الى يوم القيمة لانه لا يملك اجابته ولا يحتمل ذلك
والثاني لا يستجيب له الى يوم القيمة ثم اذا جاء يوم القيمة اجابه بالكفر والتبري كقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم انتم وشركاؤكم وغير ذلك من الايات التي ذكر فيها تبرئ بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا والله اعلم
وقوله وهم عن دعائهم غافلون لم يكن منهم امر بذلك ولا دعاء ولا شيء من ذلك كقوله ان كنا عن عبادتكم
لغافلين وقوله تعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين هو ما ذكرنا انه يتبرأ بعضهم من بعض
ويلعن بعضهم بعضا ويكونون اعداء لهم ويكفرون بعبادتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي بينات
انها من الله تعالى اي بينات واضحات تبين عليهم ما عليهم مما لهم وما للبعض على بعض وما لله عليهم وقوله
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين يحتمل ان يكون الحق الذي قالوا انه سحر هو تلك الايات البينات
التي ذكر انها تتلى عليهم قالوا انها سحر ويدل قولهم انها سحر على انها كانت معجزات خارجة عن وسعهم حيث
نسبوها الى السحر وقوله تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هذا يخرج منا به
يقول ان افتريته فلا تملكون انتم دفع عقوبة ذلك الافتراء عن نفسي وهو كقوله ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي يقول على اثم ذلك وجرمه وانما يقال هذا عند انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا يطمع منه القبول
والنجع فيهم ويوئس منهم فعند ذلك يقال ذلك والله اعلم وقوله تعالى هو اعلم بما تفيضون فيه اي بما تخوضون

فيه نقول

فيه يقول هذا وقد ذكر لئلا يقولوا ولا يدعوا غفلة عن ذلك بل يذكرهم انه كان عالما بما يسرون ويعلنون وقيل
تفيضون من قولهم افاضوا اذا عملوا وعرفوا وهو قول القتبي وقوله كفى به شهيدا بيني وبينكم يخرج على وجهين
احدهما اي يشهد في الاخرة انه قد بلغ رسالته والثاني اي كفى به شهيدا بيني وبينكم في الدنيا بما علم ما كان
منهم من الشرك والتكذيب ومني من التبليغ فهو شاهد بما كان مني ومنكم في الدنيا من سر وعلانية والله اعلم
وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم ذكر هذا في هذا الموضع على اثر ما ذكر من غاية سفههم وتعنتهم والله اعلم كانه يقول
انكم وان بلغتم في السفه ما بلغتم فانكم اذا رجعتم عن ذلك وتبتم يغفر لكم ما كان منكم والله اعلم ثم قوله
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله ان كان على حقيقة العبادة فهو صلة قوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني
ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات لانه يقول والله اعلم ومن اضل ممن يعبد من لا يملك ما ذكر
من خلق الارض ولا له شرك في السموات وما ذكر وترك عبادة من خلق السموات وخلق الارض ومن يشهد كل شيء له بذلك
والحجج والبراهين على ذلك اي لا احد اضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة الى الذي لا يملك شيئا
من ذلك والله اعلم وان كان في الدعاء نفسه فهو صلة ما ذكر من قوله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون
يقول لا احد اضل ممن يدعو من دون الله من لا يملك اجابته ولا يسمع دعاءه وترك دعاء من يملك اجابته ويسمع دعاءه ويعلم خفيا
ما يدعون ويسالونه اي لا احد اضل من اختار دعاء من لا يملك شيئا من ذلك على دعاء من يملك ذلك كله ليتبعهم
في سفههم واختيارهم على ما اختاروا والله اعلم وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل كان هذا انما ذكر والله اعلم لانكار
اهل مكة الرسل من البشر واستعظامهم وضع الرسالة فيهم فقال عند ذلك ما كنت بدعا من الرسل اي لست باول
رسول من البشر بل قد ارسل الرسل من قبل كانت من البشر في افاق الارض وعلى اطرافها فما بالكم تنكرون رسالتي وان كنت
من البشر وتستعظمونها وسائر الرسل الذين من قبلي كانوا من البشر والله اعلم قال ابو عوسجة ما كنت بدعا من الرسل
اي ما انا باولهم قد ارسل قبلي وقال القتبي وما كنت باولهم ولا اولا وقوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم هذا
يخرج على وجوه احدها اي ما كنت ادري قبل ذلك ما يفعل بي ولا بكم ان ارسل واختص بالرسالة واختار لها وابعث
اليكم وتبليتم بالابتلاء والاجابة الى ما ادعوكم اليه والله اعلم والثاني وما ادري ما يفعل بي ولا بكم من اخراجي من بين اظهركم
واهلاككم كما فعل بالرسل الذين كانوا من قبل واقوامهم امروا بالخروج من بين اظهرهم ثم يعقب ذلك استيصال العذاب عليهم او ما
ادري ما يفعل بي وبكم مما ذكرنا كما فعل بمن تقدم من الرسل وقومهم والله اعلم والثالث ما ادري ما يفعل بي ولا بكم
مخافة التغيير عليه وتبديل الحال لعلم ان الرسل عليهم السلام يخافون تغير الاحوال عليهم وتبديل ما انعم عليهم و
ذهاب ما خصوا هم به كقول ابرهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقال شعيب عليه السلام الا ان يشاء الله
ربنا وسع كل شيء علما الاية وما ذكر في سورة يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية
وقول يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقول يعقوب عليه السلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك دل انه كانت الرسل عليهم السلام على خوف
من تغير الاحوال التي كانوا عليها في حالتهم فجائز ان يكون قوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اسرع بي وعليكم الاحوال
التي هم عليها اليوم ام يزيل عن ذلك وحقيقة هذا الكلام على الاستقصاء قد مر والله اعلم وذكر بعض اهل التاويل
ان اهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بانواع الاذية فسالوا الى رسول الله ما كان بلغوا
منهم فقال ادعلم اومر بشيء فيهم من القتال والعزم فاصبروا على ذلك ولكني رايت في المنام اني اهاجر الى ارض نخل وذات
كذا فاستبشروا وانتظروا فمكث بعد ذلك سنتين لا يرى شيئا مما ذكر فشكوا اليه ما يلقون منهم وقالوا ما نرى تلك
الخروج عنهم فقال انما رايت ذلك في المنام ولم ياتيه وحي من السماء ايكون ذلك ام لا يكون او نحو هذا من الكلام
لا يحتمل ان يكون فانه لا يظن باصحابه رضي الله عنهم ان يقولوا له ما نرى الذي قلت لنا من الخروج عنهم وفي ذلك نسبة له الى
ترك تعظيمه ولا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انا رايت ذلك في المنام ولم ياته وحي من السماء جوابا
لقولهم ورؤيا الانبياء عليهم السلام كالوحي من السماء دل ان هذا لا يحتمل ان يصح ويتشبه والله اعلم لما حامت بعض
ما ذكر في القصة من الشكاية منهم من الاذى والوعد لهم بالخروج من بينهم والله اعلم والوجه الذي ذكرنا اشبه واقرب
الى العقل والله اعلم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين ظاهر وقوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم الاية قال بعضهم ان عبد الله بن سلام امن برسول الله صلى الله
عليه وسلم وصدقه وشهد انه رسول الله ثم شهد بمثل ذلك ابن يامين وقال بعضهم شهد ابن يامين ولا اراه رسول الله
وصدقه ثم شهد بمثله ابن سلام والله اعلم والاشبه من هذا ان يكون قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل التوراة او موسى
عليه السلام على ذلك كقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا يشهد كتاب موسى
على مثل ما شهد به كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم لا خص عبد الله بن سلام انما اسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين وهذه السورة مكية

لكنهم يقولون هذه السورة مكية الا هذه الايات الثلاث والله اعلم وقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه • ويحتمل ان يكون هذا القول من الاجلة والرؤساء منهم صلة الارحام وانواع الخيرات والاعمال الصالحة فقالوا
ان قد سبقناهم في الخيرات كلها سوى ذلك ولو كان الذي يدعونا اليه خيرا ما سبقونا اليه كما لم يسبقونا
الى سائر الخيرات وقوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم • اي واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا القرآن
افك قديم اي كذب قديم وكان قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه احتجاجا وقولهم فسيقولون هذا افك قديم
تكذيب منهم وذلك لانهم قالوا انا قد علمنا انه لم يزل من ادعى الرسالة يدعي على الله ما يدعي محمد من
ان الكتب عليهم كيف ما يامر رسلا الى الناس يطلبوا الرسالة لهم عليهم وقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة
اي اماما يقتدى به ورحمة لمن اتبعه وقوله هذا كتاب مصدق • ذكر ههنا مصدق ولم يذكر انه
مصدق لماذا لكن قد ذكر في غيره من القرآن مصدقا لما بين يديه ثم قوله مصدق لما بين يديه
يحتمل له موافقا لما لم يحرف ولم يغير من تلك الكتب لان تلك الكتب قد حرفوها وغيروها ولم يغير المحرف منها لانه
وتحفظ من التبديل والتغيير فهو مصدق وموافق لما لم يغير ولم يحرف من تلك الكتب والله اعلم وقوله تعالى لسانا
عربيا • اي انزله بلسان العرب ليعلم انه لم ياخذ محمد صلى الله عليه وسلم من تلك الكتب لان تلك الكتب كانت بغير
لسان العرب ولسانه عربي ولكن جاء من الله تعالى بلسانه وقوله تعالى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين • من قرأ
لتنذر بالتاء فهو على المخاطبة اي لتنذر يا محمد الذين ظلموا ومن قرأ بالياء لينذر اي لينذرهم القرآن وقد ذكرنا معنى
تفسير النذارة والبشارة والله اعلم وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاستقامة تحتمل وجهين
احدهما اي قالوا ربنا الله ثم استقاموا على القول الذي قالوا وثبتوا على ذلك ولم يغيروا ولم يتبدل حالهم تلك والوجه
والثاني قالوا ربنا الله ثم استقاموا بحق الله بالعمل بما اعطوا بالسنتهم وقلوبهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها وقد ذكرنا في غير موضع وقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون • جعل ذلك لهم جزاء اعمالهم
بفضله ورحمته لا انهم يستوجبون ذلك بنفس عملهم لكن بالفضل والرحمة وذكر جزاء ثم هو فضل
ووصينا الانسان بوالديه احسانا وحسنا • كانه قال امر الانسان ان يحسن الى والديه احسانا والحسن هو اسم
ما يقع به من البر هو المفعول له والاحسان هو اسم فعله الذي يفعل بهم وقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها
وقال في آية اخرى حملته وهنا على وهن وقال في آية اخرى حملت حملا خفيفا اي نهاية اول الحمل حملته حملا خفيفا
فلما كبر ثقلت وهو وصف الولد وقوله وهنا على وهن قد يكون في الامر انها لا تزال الضعيف في ولد
ما حملته الى آخره ووضعت وقوله وحملته امه كرها ووضعته كرها في اول ما تحمل كراهة في نفسها الى وقت وضعها
والثاني يشبه ان يكون على الجمع في الاحوال على اختلاف الاحوال يحمل على الابتداء يخف عليها الحمل ويثقل ذلك
عليها اذا دنا وقت وضعها فيما ذكرنا انها لا تزال تزداد ضعفا فهو ضعف على ضعف لحملها
وضعها وما ذكر من الكراهة فهو ما دام حملها يشتد عليها وكذلك الوضع لا شك انه يشق عليها والتاويل الذي
على التفريق في حال يرجع الوصف الى الولد وفي حال الى الوالدة والثاني يرجع ذلك كله الى وصف الام وهو التاويل الذي
حصل التوفيق بين الآيات لرجوعها الى اختلاف الاحوال فامكن الجمع بين الكل في الاحوال والاختلاف انما يكون
في حال واحد والله اعلم وقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا • اختلف فيه قال بعضهم هذه الآية نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حملته امه كرها اي بمشقة ووضعته بمشقة ثم وضعته على تمام ستة اشهر وقال بعضهم الآية نزلت في الحسن
والحسين رضي الله عنهما وضعته على ما ذكر في المدة ثم منهم من يقول الآية وان نزلت في ذلك ففيها الحكم ما ذكر في الحكم
فيه لكل نساء وهو ان يكون الولد باسناد النسب من الاب بهذه المدة فانه روي عن عمر رضي الله عنه انه اتي بامراة
وضعت لستة اشهر فاراد ان يرجمها فقال ابن عباس رضي يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد جعل لها في كتابه مخرجا قال الله تعالى
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ستة اشهر حملها وحولان رضاعها سنتين
بقول ابن عباس بعد ما لهم ان الحد الرجم وكذلك روي عن عثمان رضي الله عنه انه اتي بامراة وضعت لستة اشهر فهم برجمها
فقال ابن عباس لها انها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم ثم تلا هذه الآية وكذلك ذكر عن علي رضي الله عنه
فقال له ما صنعت خيرا الا ... تحمل لستة اشهر قال نعم ثم تلا عليه هذه الآية فهؤلاء الصحابة
رضي الله عنهم قد دلوا الآية في كل امراة وضعت لتلك المدة في حق ذلك الحكم الذي ذكر والله اعلم ثم روي عن ابن
عباس رضي الله عنه قال اذا وضعت المراة لستة اشهر ارضعته حولين كاملين لان الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا
واذا وضعت لسبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا واذا وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا على
هذا القياس وجاز انها اذا وضعته لسنتين ان يكون رضاع ستة اشهر يزاد وينقص على ذلك القدر الا
انه روي ان المراة التي حملت سنتين وقد نبت له سنان فقيل هذا الولد لا يحتاج من الرضاع

ولد لستة اشهر لذلك كان ما ذكر تمام الحمل والفصال من الحولين لما ذكر ان الزيادة على الحولين على ما قال ابو حنيفة
رحمه الله لان ما ذكر من الحولين انما هو رضاع اقل الحمل وهو ستة اشهر لان الذي ولد لستة اشهر كان الى الاغتذاء
بالطعام ابعد من الذي ولد لتسعة اشهر لضعفه في نفسه والذي ولد لتسعة فهو الى الاغتذاء بالطعام اقرب منه
والذي ولد لسنتين هو اقرب الى الاغتذاء بالطعام من المولود لتسعة اشهر لقوته وقلة حاجته الى الغذاء باللبن
فاذا كان الحولين كاملين هو اقل رضاع يكون لانه ذكر للمولود لاقل الحمل حيث قال وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا ثم قال وفصاله في عامين فاذا كان اقل احتمال الزيادة والذي ذكر ابو حنيفة وهو ستة اشهر على السنتين
كانه يصير رضاع اكثر الحمل لستة اشهر واعتبر في الزيادة في حق الولد لضعفه واحتمال الغذاء بالطعام وعدم
الاحتمال والله اعلم وقوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة • الى آخر ما ذكر دلت هذه الآية على ان الآية التي
ذكرنا انها نزلت في ابي بكر حيث اخبر انه اذا بلغ ذلك المبلغ قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي الآية ثم قوله
حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ذكر اول ما اشتد عقله ويدخل في القوة الى الوقت الذي يكون محلا للزيادة
فاذا جاوز ذلك الوقت يأخذ في الانتقاص وهو اربعون سنة وقال اهل التاويل بلوغ الاشد هو ثماني عشرة
سنة الى اربعين سنة فهو ما ذكرنا انه اذا انتهت قوته في الزيادة والقوة الى الوقت الذي يبلغ ذلك ياخذ
في النقصان والله اعلم وقوله قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ذكر هذا وعلى والدي
على انه على الرجل شكر ما انعم على والديه واحسن اليهما كما يلزمه شكر ما انعم عليه لما يكون يدعو لهما لاولاد
الصغار بالوالدين عما انعم من النعم يصل نفعها اليهم ايضا فيلزمهم شكر ما انعم عليهم بالايمان والنعم وقوله
وان اعمل صالحا ترضاه هذا هو كل مسلم ان يدعو بمثل هذا الدعاء يسأل ربه التوفيق على عمل صالح ترضاه وقوله
واصلح لي في ذريتي هذا يحتمل وجهين احدهما اي اصلح ذريتي على طريق في منه كقوله هب لي من لدنك ذرية
طيبة وقوله هب لي من لدنك وليا يرثني والله اعلم ثم قوله اوزعني الهمني وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه
سأل ربه ان يوزعه شكر ما انعم عليه ومن قولهم انه ليس على الله شيء لا يعطيه الجميع ما به يشكرون حتى لا يبقى
عنده شيء فيكون مثل ذلك الدعاء منهم على قولهم لانهم يسألون فيما يعلمون ان ليس عنده ذلك فانه
لا يملك وكذلك استغاثتهم الله من قولهم ليس عنده ما يغنيهم فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم
وبالله التوفيق وقوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم كان لهم اعمال
حسنة وسيئات فاخبر انه يتقبل منهم حسناتهم ويجزيهم جزاءها ويتجاوز عن سيئاتهم ولكنه
ولا يجزيهم جزاءها فضلا منه ورحمة والمراد من الاحسن الحسن ونحو ذلك في اللغة وقوله تعالى وعد الصدق
الذي كانوا يوعدون • اي ذلك الذي اخبر انه يفعل لهم هو وعد الصدق يفي ذلك لهم وهو قادر على
وفاء ما وعد ومن يكون منه الخلف في الوعد في الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلاثة اما لعجز يمنعه عن وفاء ما وعد
او لجهل يحدث ويبدو له فيرجع عن ذلك او حاجة والله سبحانه متعال عن ذلك كله من القدرة الذاتية والغنى
الذاتي والعلم الازلي والله الموفق وقوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج الى آخره ذكر بعض اهل
التاويل هذه الآية في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وفي والديه وهو قوله ووصينا الانسان بوالديه فيقولون
ان ابا بكر رضي الله عنه اطاع والديه وامر بالاحسان اليهما والشكر لهما وسأل التوفيق في الشكر له على ما انعم
عليه وانعم على والديه وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه في خلافهما فيما يدعوانه اليه وقال لهما اف لكما
اتعدانني ان اخرج من القبر وقد خلت القرون من قبلي فلان وفلان ونحو ذلك من
الكلام الا ان هذا لا يصح لان عبد الرحمن بن ابي بكر من اجلة الصحابة فالظاهر انه لم يكن منه مثل هذه المجادلة
ولان اهل التاويل قالوا انه كان يقول للوالدين ان كان ما يقولون حقا فاخرجوا فلانا وفلانا ذكر نفرا من اجداده
وقال اولئك الذين حق عليهم القول الآية لا يحتمل ان يكون هذا في عبد الرحمن لان الله تعالى في وجوب ما ذكر
من استحقاق العذاب عليهم منع العود والاحياء في الدنيا ولانهم لو كانوا يعادون لا يسقط ذلك الذي
حق عليهم اذ هم لا يؤمنون الا ترى ان الله تعالى قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لكن لجائز ان يكون الآية
في جملة من كان ذم عليه السلام مع والدين الا صالح احدهما او الدين ولجاجهما الى ما دعوهما اليه والى الآخر لجاجا بوالديه
الى ما دعواه اليه وخالفهما في امرهما فاستغاثا بالله من عصيانهما وخالفهما في امرهما وقال ما ذكر في الآية فيه
من لجاجه ما ذكر في الآية وقال من اجابهما لما ذكر وهو كما ذكرنا في قوله حملت حملا خفيفا صرف اهل التاويل
هذه الآية الى آدم وحواء وجعلوا علمهم وقلنا الجائز ان يكون في الآية هذه في كل ولد ووالده يقولان ما ذكر
ويدعو لهما ما ذكر ويدعو الى ما ذكر فلما اتيتهما ما ذكر من الصالح كان ما ذكر في ذلك الجائز ان يكون الآية
الشان ذكرنا انها يكون في كل ولد مع والديه من لجاج والديه من عصيانهما والله اعلم فلا يحصي الآية الى ما ذكرنا

الإنسان من الله تعالى على لسانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها في كذا وكذا وفي فلان وفلان على طريق الخبر
فعند ذلك يقال بما قالوا فأما إذا لم يثبت بالنصوص والإشارة إليهم بالتواتر فالكف عن ذلك أسلم وبه
ودل قوله كما استيقنا أن الله وعد أن نوعد الله تعالى لطفا لو أعطى ذلك لأمن لذلك ليستيقنا أن الله
وأمرا به بالإيمان يقول لهما آمنوا والله أعلم وقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا من خير أو شر وليوفيهم أعمالهم وهم
لا يظلمون أي ليوفيهم أجر ما عملوا وجزاء أعمالهم من خير أو شر وهم لا يظلمون أي لا ينقصون من خير ولا
يزاد لهم في سيئاتهم وقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قال قتادة ويساق الذين
كفروا إلى جهنم زمرا ونحوها فعلى هذا يذكرهم بهذه الآية فلما لهم السير في ما كان منهم وما استوجبوا
من العقوبات بما استوجبوا بما كان منهم من التكذيب والاستهزاء بآياته لينزجروا عن ذلك ثم قوله
أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يخرج على وجهين أحدهما أذهبتم طيباتكم أعطيتموها في الدنيا في
منافعكم ولذاتكم ولم تؤدوا شكرها ولم تقوموا بوفائها والله أعلم والثاني أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا أي بالغتموها ولم تكتسبوا الطيبات الموعدة في الآخرة والنعيم الدائمة فكل ما أعطوا في هذه الدنيا إنما
إنما أعطي ليستعينوا بها على عمل الآخرة وليتزودوا بها ويجعلوها زادا للآخرة فأما إذا جعلوها لغير ذلك
ما جعل كذلك وبال عليهم وحسرة وهو ما قال تعالى وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وكذا ذكر مثل ما
في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح وكل نفقة كانت على غير ما ذكر من الاستعانة على زاد الآخرة والتزود لها من
الحياة الدنيا وهو لعب ولهو وهو ما ذكر من الريح فيها صر والله أعلم وقوله تعالى فاليوم تجزون عذاب الهون
أي عذابا به تهانون فيه ويهينكم ذلك العذاب وقوله بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق يحتمل استكبارهم
الذي ذكر على الرسل استكبروا على الرسل فتركوا اتباعهم واستكبروا على آياته وقوله وبما كنتم تفسقون
والفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى وقوله تعالى واذكر أخا عاد هذا يحتمل وجهين أحدهما أي اذكر لنا أخا عاد وهو
هود عليه السلام مما عامله قومه من سوء المعاملة وما قاسى هو منهم ليتسلى به لا ليعظهم ما عامل بك قومك
معك والله أعلم والثاني اذكر ما عاد بما نزل بهم من العذاب والاستئصال لتكذيبهم الرسل والاستكبار
عليهم والاستهزاء بهم ليحذر به قومك في تكذيبك والاستهزاء بك والله أعلم وقوله تعالى إذ أنذر قومه بالأحقاف
أي خوف قومه بالأحقاف وقد اختلف في تأويل الأحقاف قال بعضهم الأحقاف هو اسم أرض خوفهم بنزول
العذاب هنالك وقال بعضهم هي جبال الرمل مستطيلة من بعضه وقال القتبي الأحقاف واحد حقف وهو
الرمل ما استوى عليه لسانه كثيبا واستطال ولم يبلغ أن يكون جبلا وقال أبو عوسجة الأحقاف رمل بالشحر وهي منازل
عاد فيما زعموا أي الشحر بلاده وقيل الحقف رمل معوج وقال بعضهم الأحقاف الجبل حتى يصب الماء زمان الغرق
بنضيق المكان من الجبل ويبقى أثره ويبقى من مكان أسفل من ذلك ويبقى أثره دون ذلك فذلك الأحقاف
وقيل أيضا الأحقاف جبل بالشام وقيل هو المكان الذي كان فيه عاد ومعايشهم والله أعلم وقوله تعالى وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله أي خلت الرسل من قبل هود ومن بعده وقوله ألا تعبدوا
إلا الله كان الخطاب بهذا وقع للكل إذ لم يزل الرسل ينذرون قومهم بأنواع العذاب عند تكذيبهم إياهم
ولم يزل الرسل من قبل ومن بعد دعوا الناس إلى عبادة الله تعالى ونهوهم عن عبادة غيره وقوله تعالى إني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم يحتمل قوله أخاف عليكم حقيقة الخوف لما لم ييأس من إيمانهم وإجابتهم إياه كالذي ثبت
منهم لقوله بنزول العذاب بهم والله أعلم ويحتمل أن يكون الخوف هو العلم حقيقة أي أعلم أن ينزل بكم
عذاب يوم عظيم إن حييتم على ما أنتم عليه وقد يذكر الخوف في موضع العلم وقوله تعالى قالوا أجئتنا لتأفكنا
عن آلهتنا وقال بعضهم لتردنا عن عبادة آلهتنا وقال بعضهم لتصدنا وقال بعضهم لتكذبنا في الرسالة
الكذب كله وأخذ أصل الأفك الصرف كأنهم قالوا أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا والله أعلم
فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين كانوا يقولون ذلك استهزاء منهم ثم لم يزل الكفرة يسألون تعجيل
العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاء بهم وتكذيبا لما يوعدون والله أعلم وقوله تعالى قال إنما العلم عند الله
الآية أجابهم هود عليه السلام إنما العلم بنزول العذاب يقع وقت نزوله عند الله وأبلغكم ما أرسلت به من الدعاء إلى
توحيد الله تعالى والنهي عن عبادة غيره ويقول أبلغكم ما أمرت من التبليغ بنزول العذاب بكم وليس أبلغكم
متى ينزل بكم لكم الأمر به وقوله تعالى ولكني أراكم قوما تجهلون أي تجهلون دين الله أي تجهلون آياته
ويقال تجهلون نعم الله وإحسانه أي تجهلون أمر الله تعالى وقوله تعالى فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم
قالوا هذا عارض ممطرنا قال بعضهم العارض السحاب ممطرا وكان حقيقة العارض هو الذي يعرض
عذابا لهم فنشأ سحابا ولم يكن سحابا بل كانت ريحا لكن كانت تشبه السحاب

المطر

المطر قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به كأن هودا عليه السلام قال لهم هو ما
مطر ولكن هو ما استعجلتم به من العذاب حيث قلتم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وهو ريح فيها عذاب أليم
ثم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شيء بأمر ربها [illegible]

[illegible]

فيما لا يمكن لكم باهل مكة لو تحقق إذا أتاهم العذاب بتكذيبهم الرسل لم يملكوا دفع العذاب عن أنفسهم
لم يمكن لكم ذلك أحرى أن لا يملكوا دفع ذلك إذا نزل بكم بتكذيبكم الرسول عليه السلام وقال بعضهم إن نحن
أن صلة زائدة مكناهم فيما مكناكم فيه والتقدير الأول كأنه يقول ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد ثم
لم يملكوا دفع العذاب عن أنفسهم فأنتم لا تملكون أيضا دفعه عن أنفسكم كأنه ما لكم مما ذكر من السمع والبصر
والفؤاد وقوله وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء
على التأويل الأول حيث ذكرنا أنهم مكنوا لم يمكن هؤلاء مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد به أعيانها
حقيقة لكن السمع يكنى عن العقل كقوله أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ذكر السمع ثم فسره بالعقل
ويكون قوله أبصارا يريد بالبصائر يذكر ويراد بالبصيرة إذ وصفهم الله تعالى بذلك كقوله في عاد وثمود وكانوا
مستبصرين ويكون قوله أفئدة كناية عن القوى والفؤاد يكنى به عن القوة يخرج أنهم مكنوا من العقل ومن
القوة ما لم يمكن أنتم يا أهل مكة ثم لم يقدروا على دفع عذاب الله إذا نزل بهم العذاب فأنتم كيف تملكون دفعه
وليس لكم تلك الأسباب وعلى التأويل الثاني كان مراده هو حقيقة ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد فيكون
معناه ما ذكرنا أنكم هذه الأسباب مثل ما لهم ثم هم لم يقدروا على دفع ما حل بهم من العذاب فأنتم لم تقدروا
أيضا والله أعلم ثم بين الله تعالى الذي به نزل بهم العذاب حيث قال إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون وكانوا يستهزئون بما وعد لهم الرسل عليهم السلام بالعذاب فحرم كانوا يستهزئون
بالرسل لما يدعوهم إلى ما دعوا والله أعلم ثم عذاب عاد بالريح التي وصفها الله تعالى في سورة الحاقة وذكر فيها
حيث قال وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية أي شديدة عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما
الآية وقال في آية أخرى وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم والله الموفق وقوله تعالى ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى خلق الله تعالى البشر على طبع وبنية وحال يحذرون ما ينزل بأشكالهم وأمثالهم من بلاء ويكرهونها

وتتعظون بغيرهم فكأنه يقول احذروا صنيع الذين اهلكوا من اخوانكم ويقربكم لئلا ينزل بكم ما نزل بأولئك
الذين اهلكوا حتى لهم ليصيبوا من ذلك ان لا تعاملوا رسوله كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل
بأولئك بتكذيبهم الرسل وعنادهم واستهزائهم بحدودهم ما نزل بأولئك الذين اهلكوا حولهم اى يدعوهم
من ذلك وان لا تعاملوا رسوله كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك والله اعلم وقوله
وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون قوله صرفنا الآيات يخرج على وجهين احدهما اى جعلنا الرسل عليهم السلام
الآيات قاموا بها على قومهم ما يعلمهم ذلك ليخبرهم على صدقهم ويردوها ويكذبوهم بها فعند ذلك اهلكناهم فيكون
ذلك جعلنا المحن علينا السائكم من الآيات ما يعلمكم بأهل مكة ويخبركم عن صدقه ويدلكم على رسالته ما لا يردوها
حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم والثاني وصرفنا الآيات اى بينا في الآفاق والاطراف الخاصة ما حل
بأولئك ومن اهلكهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من العناد والرد ما يلزم من بلغ ذلك الخبر واتصل به ما نزل
بأولئك الرجوع عن مثل صنيعهم ومثل معاملتهم احد التأويلين يرجع الى انتشار ما نزل بأولئك في الآفاق
ليرجعوا عن ذلك فيصير ذلك آية لمن تحملهم على الرجوع عن صنيع اولئك والثاني اخبار انه جعل لكل رسول
آية على صدقه ودلالة على رسالته اولم يسلكهم الا تعلمهم التصديق له فهما الله اعلم وقوله فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة هذا يخرج على وجهين احدهما يرجع الى الله تعالى والآخر يرجع الى الاصنام التي
عبدوها واتخذوها آلهة فاما الذي يرجع الى الله تعالى يقول لولا نصرهم الله اى هلا نصرهم الله تعالى عند نزول
العذاب بهم وهلاكهم لو كان عبادتهم الاصنام مما يقربهم الى الله زلفى ويكونون شفعاء عنده يقول ان الله
لو كان يعلم لهم حقا اتخذ ذلك مما يقربكم الى الله زلفى هلا نصركم الله عند نزول ذلك بكم فاذا لم ينصركم تعالى او
بل اهلكهم فاعلموا انه ليس الامر كما توهمتم وظننتم والله اعلم والثاني يقول والله اعلم لو كان الاصنام التي تعبدون
شفاعة عند الله تعالى على ما زعمتم هلا نصروا اولئك ودفعوا الهلاك عنهم بشفاعتهم فاذا لم يفعلوا
ذلك ولم ينصروهم ولم يدفعوا عنهم دل ذلك انهم لا يملكون دفع ذلك عنكم اذا نزل بكم ما نزل بأولئك والله اعلم
وتفسير لولا ههنا هلا وهلا تستعمل في الماضي فيكون معناه لم يفعل اى لم ينصرهم والله اعلم وقوله
بل ضلوا عنهم اى ضل هؤلاء عنها او ضل الاصنام عنهم فلم يكن لهم منهم ما طمعوا ورجوا بسبب عبادتهم
اياها والله اعلم وقوله وذلك افكهم وما كانوا يفترون يحتمل ان يكون افكهم واصرارهم هو قولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويحتمل والله اعلم وقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا
انصتوا فلما قضي اى فرغ من قراءته ولوا الى قومهم منذرين قال بعضهم لم يكن منذرو الجن كالرسل والنذر من الانس
فان كان ما كان ما ذكر فحال ان على هذا ان يكون النفر الذين ذكر انه صرفهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستمعوا القرآن منه هم النذر يدل على ذلك قوله ولوا الى قومهم منذرين ونحو ظاهر قوله تعالى يا معشر الجن
والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ان يكون [illegible] من الجن رسل
كما يكون من البشر [illegible] وذلك جائز [illegible] يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما [illegible] هذا ان الله اعلم ثم يحتمل صرفنا اليك نفرا من
[illegible] حتى جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] يستمعون القرآن
منه ويحتمل [illegible] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه [illegible]
على انهم قد عرفوا الكتب التى قبل هذا الكتاب حيث قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
هذا يدل على انهم قد عرفوا الكتب التى قبل هذا الكتاب حيث قالوا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يحتمل ان يكون امروا [illegible] استماع هذا الكتاب [illegible] ويحتمل ان يكون امروا بذلك [illegible]
السمع الى السماء يستمعون اخبار السماء ثم منعوا [illegible] فى الارض [illegible]
من الوجوه الثلاثة التى ذكرناها والله اعلم وقوله يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به فى دلالة [illegible]
بخبر الواحد لانهم انذروا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن يسمعوا القرآن منه [illegible]
قليل العدد [illegible] وقد يحتمل الاجتماع والتواطؤ على ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فليس بمعجز في الارض اى ليس بسابق ولا هارب من عذابه يقول والله اعلم انه ليس يجد احد التخلص من عذابه
بهرب منه والفرار عنه كما يقدرون الفرار والهرب بعضهم من بعض في الدنيا وربما ولذلك ما قال وليس لهم
من دونه اولياء اى ليس لهم من دونه اولياء ينفعونه ويدفعون العذاب عنهم كما يقوم بعضهم عن بعض في دفع ما يحقهم
من البلايا والشدائد في الدنيا اذ ليس قوله وليس لهم من دونه اولياء ان لا اولياء لهم اذ قال في موضع آخر
بعضهم اولياء بعض ولكن لا ينفع ولا يشفع يومئذ كما ينفع في الدنيا والله اعلم وقوله اولئك في ضلال مبين
اى من لم يجب داعي الله فهم في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
ما معنى قوله اولم يروا وهم لم يشاهدوا خلقهما ولم يروا لكن قال بعضهم اولم يخبروا وقال بعضهم اولم يعلموا
اى قد اخبروا وعلموا دون هذا لانهم كانوا مقرين جميعا ان الله هو الذي خلق السموات والارض فقوله ولم يعي
بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى يقول والله اعلم اى ما علموا ان الله تعالى هو خلق السموات والارض ولم يضعف
خلق ما ذكر ولم يعجزه ذلك من تدبير ما يحتاج ذلك اليه من الاسباب والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلائق
واصلاح حوائجهم فاذا لم يعجزه ما ذكر لا يحتمل ان يكون عاجزا عن احياء الموتى او عن شيء البتة ويقول لحيث يعجز
ويظهر فيه الضعف بخلق ما ذكر لذلك على انه انما لم يضعف لان قدرته ذاتية ومن كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء
فاما غيره انما يعمل بالاسباب فيقدر على العمل على تعدد الاسباب ويعجز بنقصانها عنه والله اعلم ويقول اذ قد عرفتم ان الله
تعالى هو خلق السموات والارض ثم لا يحتمل ان يخلقهما عبثا باطلا اذ لم يكن بعث كان خلقهما باطلا
عبثا واصله ما ذكرنا انه بان انه من قدر على انشاء ما ذكر من السموات والارض وما فيهما بلا احتذاء تقدمهما لا استعانة
تقديم الاسباب والقيام على التدبير الذي ذكر الى آخر الدهر لا يحتمل ان يعجزه شيء وقوله بلى انه على كل شيء قدير
لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة قال ابو عوسجة والقتبي ولم يعي بخلقهن بكلال يقال عييت بهذا الامر
اى لم احسنه ولم اهتد له وقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
مرة قيل لهم ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم قالوا بلى ومرة قيل لهم أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
بعض هذا عليهم يومئذ ليعترفوا بالله [illegible] في الدنيا لانهم كانوا ينكرون في الدنيا الرسل والآيات
وكانوا ينكرون ذلك البعث فهذا يعرضون على النار فقال لهم هذا الذي وعدتم في الدنيا أليس هو حق
يعترفون ويقولون بلى وربنا فقال لهم ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل يلزم الرسل الصبر من وجوه ستة ثلاثة مما خصوا لهم بها لا يشركهم غيرهم
فيها وثلاثة مما يشترك غيرهم فيها فاما الثلاثة التي خصوا بها احدها بعثوا لتبليغ الرسالة الى الفراعنة والاكاسرة
والجبابرة الذين كانت عادتهم وهمتهم القتل والاهلاك من خالفهم وعصى امرهم ومن فوقهم فلم يعذروا في ترك
تبليغ الرسالة اليهم مع ما ذكرنا من خوف الهلاك والقتل فاما غيرهم من الناس قد ابيح لهم كتمان الدين الحق منهم
حتى لا يهلكوا والثاني انهم امروا بالصبر على المقام بين اظهر قومهم واحتمال ما كان يلحقهم منهم من الاستهزاء بهم والافتراء
عليهم والتكذيب لهم وانواع الاذى الذي كان منهم الى الرسل لم يؤذن لهم مفارقتهم لذلك ولذلك قال فاصبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وصاحب الحوت لم يكن منه سوى الخروج من بين قومه لسلامة دينه ولم
اولئك ثم اصابه ما اصابه بذلك الخروج لما لم يؤذن له بالخروج والله اعلم والثالث لم يجعل لهم الدعاء على قومهم
بالهلاك والعذاب لما كان منهم من التمرد والتعنت ما كان فهذه البلايا من المعاملة مما خص الرسل عليهم
السلام بها من بين سائر الناس واما الثلاثة التي يشترك فيها غيرهم احدها امروا بالصبر على ما يصيبهم ويحل
بهم من البلايا والشدائد والثاني امروا بالمحافظة على العبادات التي جعلت عليهم ومحافظة حدودها
والصبر على القيام بها والثالث امروا بالصبر على ترك قضاء الشهوات وترك اعطاء النفس هواها ومناها
فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين ربهم ومما يشترك فيها غيرهم والثلاثة لهم فيما بينهم وبين الخلق
وهم قد خصوا بتلك الثلاثة دون غيرهم والله اعلم وقوله اولوا العزم من الرسل قال بعضهم اولوا العزم من الرسل
هو نوح وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وهؤلاء لعدة نفر منهم وقال بعضهم هم الرسل جميعا وجائز
ان يكون اولوا العزم من الرسل هم الذين كان منهم الصبر على ما ذكرنا من المعاملة مع قومهم وقيل اولوا العزم هم
الذين كانوا ابدا مستيقظين القائمين بامر الله الحافظين لحدوده [illegible]
والله اعلم وقوله تعالى ولا تستعجل لهم اى لا تستعجل عليهم بالهلاك والنقمة وقوله كأنهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك لا تؤخرهم بالعذاب الا ساعة
من النهار وعذاب ساعة من النهار لا يحملهم على ترك قضاء شهواتهم ومنع ما هم فيه من الاحوال كما كانوا
لا يأمنوا عذاب الآخرة ويشاهدوه واستقصروا المقام في الدنيا كأنهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله كأنهم لستم

فليس

قال لم يلبثوا إلا ساعة او بعض يوم وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة استقصروا
في الدنيا اذا عاينوا يوم القيمة واهوالها والله اعلم قوله بلاغ قال بعضهم من الابلاغ وقيل البلاغ ما يبلغه
اى زاد يبلغ به السفر حيث يريد والله اعلم وقوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون كانه يقول لا يهلك الهلاك
الدائم المؤبد الا القوم الفاسقون والا الهلاك الذى ليس هو الهلاك الدائم المؤبد مما يهلك الفاسق
والفاسق اذ الموت حتم على الكل ويقول لا يهلك هلاك العذاب الا الفاسق فاما الهلاك الذى هو هلاك
النجاة والفوز من شدائد الدنيا فيما يهلك به المصالح والله اعلم تم تفسير السورة الشريفة والحمد لله وحده

سورة محمد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال
عامة اهل التاويل هم اهل مكة والاشبه ان يكون الاية فى كفار المدينة وهم اهل الكتاب لان السورة مدنية
على ما قال بعض اهل التاويل لكن جائز ان يكون كما قال اهل التاويل انها نزلت فى كفار مكة لان هذه السورة ذكرت
على اثر خبرهم وحسب بانهم فى سورة الاحقاف ثم ان كانت الاية فى كفار المدينة واهل الكتاب فيكون قوله الذين كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم بما انزل عليه اضل اعمالهم اى ابطل ايمانهم الذى كان لهم بسائر الانبياء وبمحمد عليه السلام لانهم
كانوا مؤمنين به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم قد ابطل ايمانهم الذى كان منهم قبل ذلك بما كفروا
به اذ بعث وان كانت الاية فى كفار مكة على ما قال اكثرهم فيكون الذين كفروا بوحدانية الله تعالى او كفروا بالبعث
اضل اعمالهم اى ابطل حسناتهم التى كانت لهم فى حال الكفر نحو الصدقات وصلة الارحام وفك الرقاب ونحو ذلك
من الاعمال التى كانوا يتقربون بها والله اعلم قد ابطل اعمالهم التى كانوا يتقربون بها ويرونها قربة عند الله او يقول
قد ابطل عبادتهم التى كانوا يعبدون من دون الاصنام وهو ما كانوا يعبدونها ليتقربوا بها الى الله تعالى كقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول قد ابطل ذلك ولم يكن على ما رجوا وطمعوا والله اعلم
وقوله تعالى وصدوا عن سبيل الله يحتمل وصدوا بانفسهم اى اعرضوا عن سبيل ما ذكر فيهم ويحتمل وصدوا
عن سبيل الله وصدوا الناس عن سبيل الله وقد كان منهم الامران جميعا اضل اعمالهم اى ابطلها او ابقاها
المانى للين اى اغلب فلم يتبين والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد يقول والذين امنوا بالله
وبمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا بما نزل عليه وتبعا على ذلك لم تضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذى كان منهم بل كفر
سيئاتهم التى كانت منهم من الكفر وغيره من السيئات ويقول اى والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل
على محمد كفر عنهم سيئاتهم وهو الكفر والمساوى التى كانت لهم من الكفر كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
ان كانت الاية فى مؤمنى مشركى العرب واهل مكة فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم الشرك والمساوى التى كانت
لهم فى حال الكفر وان كان فى مؤمنى اهل الكتاب فيكون قوله كفر عنهم سيئاتهم التى كانت لهم فى حال ايمانهم
والله اعلم وقوله تعالى وهو الحق من ربهم هذا يخرج على وجهين احدهما امنوا بما نزل على محمد وهو الحق اى من ربهم
نزل وكل شىء من الله فهو الحق والثانى وهو الحق من ربهم وقوله تعالى واصلح بالهم اى اصلح امورهم سيئاتهم فيما كان
من قبل وفيما بعد ثم اخبر ان الذى ابطل اعمالهم لاولئك الكفرة فما ذكر وستر الذين امنوا ولم يبطل اعمالهم
وما ذكر من اصلاح حالهم هو ما قال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يحتمل الباطل الشيطان او هو
لكل باطل ويكون الذى يكون عليه فاعله ومتبعه وقوله ان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يقول هو لاجل
لاتباعهم الباطل فعل لاجل ما ذكر لاتباعهم الحق وقوله تعالى كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى مثل الله
بين ما هو لاء فبين ما لكل متبع للباطل ومتبع للحق وضرب المثل هو ان يبين لهم ما خفى واشتبه عليهم بالذى
ظهر عندهم وتقيد ويجلى لهم ليتبين الذى خفى عليهم واشتبه ظاهرا متجليا والله اعلم بالذى ذكر لهم من
امثاله ومشابهه والله اعلم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقال في اية اخرى فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان جائز ان يكون قوله فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فى القتال والحرب على ذلك
قوله واضربوا منهم كل بنان فى الحرب والقتال ايضا يضربونه ويقتلونه على ما يظفرون ويقدرون منهم من المفاصل
وغير المفاصل وفى كل موضع يكون وقوله فاضربوا فوق الاعناق فى المفاصل التى ليس فيها كبير عظم ولا شىء
ذلك ولكن انا تر من المفصل والله اعلم ما روى فى الخبر اذا قتلتم فاحسنوا القتل هو حسن القتل هو ان يضرب
من المفصل والله اعلم فعلى هذا جائز ان يخرج تاويل قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان
وقوله فضرب الرقاب وجائز ان يكون لا على التقديم والتاخير والاضمار ولكن كل اية على نظم ما ذكر والله اعلم ثم ذكر

على ما ذكر من التقديم والتاخير والاضمار فيكون كانه قال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم
واسرتموهم فاضربوا فوق الاعناق لان الامام بالخيار عندنا اذا اخذهم وظفر بهم ان شاء قتلهم وان شاء من عليهم وتركهم
بالجزية كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد ويكون قوله فشدوا الوثاق على هذا فى الموثقين تسوقهم بالمواثيق وان شاء فاداهم
لكنهم اختلفوا فى المفاداة قال بعضهم يفادون بالاموال وباسرى المسلمين منهم وقال بعضهم يفادون بالاسرى منهم
ولكن لا يجوز ان يفادوا بالاموال وهذا اصلنا وقال بعضهم لا يفادون باسرى المسلمين ولا بالاموال وهو قول
ابى حنيفة رض واختلفوا فى قتل الاسرى منهم قال بعضهم لا يقتلون ولكن يمن عليهم او يفادون وقال بعضهم الامام
بالخيار ان شاء قتلهم وان شاء من عليهم وان شاء فاداهم بالاسارى من المسلمين او قتلهم لما ذكر ان الاستدلال
بقوله فاضربوا فوق الاعناق وكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه استشار ابا بكر وعمر وسائر الصحابة
رضى الله عنهم فى اسارى بدر فاشار بعضهم الى المن عليهم والفداء واشار عمر الى القتل فيهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند ذلك لو جاء من السماء بلاء ما نجا منكم الا عمر وكلام نحو ذلك ان الحكم فيهم القتل الذى فى هؤلاء الذين
حكم فيهم عمر رضى الله عنه بالقتل لذلك قال عليه السلام ما نجا الا عمر فدل هذا الخبر ان للامام ان يقتل اسارى
اهل الشرك وله ان يمن عليهم بالجزية فى حق اهل الكتاب والعجم فانه لما جاز لنا فى الابتداء ان ناخذ منهم الجزية ولا ندعوهم
الى الاسلام ونتركهم على ما هم عليه فكذلك بعد ما ظفرنا بهم والقدرة عليهم ثم قال بعضهم الاية وهو قوله
فاما منا بعد واما فداء مخالف من حيث الظاهر لقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ونحو ذلك ولكن
امكن التوفيق بين الايتين هذه فى قوم والاخرى فى قوم اخرين وهذه فى وقت والاخرى فى وقت اخر والله اعلم
قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها وقال بعضهم حتى يخرج عيسى بن مريم فعند ذلك يذهب الحرب والقتال لانه
اسلمهم وما فعلوا بهم ما ذكر الى وقت خروج عيسى بن مريم عليه السلام وقال بعضهم حتى تضع الحرب اوزارها اى حتى
يضعوا السلاح وتركوا القتال وقال بعضهم حتى يذهب الكفر والشرك ولا يكون الدين الا دين الاسلام وهو قوله
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك والله اعلم قيل الاثخان هو الغلبة والقهر بالقتل والخروج وقال ابو عوسجة
اثخنتموهم اكثرتم فيهم القتل والجراحة ويقال فى الكلام ضربته حتى اثخنته حتى لا يقدر ان يتحرك والوثاق ما اوثقتم
به كل شىء من الحبل او غيره يقال اوثقته واستوثقته والوزر الوزر بلغتين واوزارها اى اثقالها واحدها وزر ومعنى الثقل ههنا
انتهى حتى تضع الحرب اوزارها اى يضع اهل الحرب السلاح واهل العدو اثقالهم فيسمى السلاح وزرا لانه يحمل
والله اعلم قوله تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم قوله ذلك اى فعل ذلك الذى امرهم به من قتلهم ما ذكر من قوله
فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى قوله حتى تضع الحرب اوزارها والله اعلم وقوله ولو يشاء الله لانتصر منهم
والله اعلم ولو يشاء لانتصر لاوليائه من اعدائه بلا قتال ولا نصب الحروب فيما بينهم ثم انتصاره منهم يكون
مرة بان يهلكهم اهلاكا ويقهرهم ومرة بان يسلط عليهم اضعف خلقه واخسهم فيقهرهم باضعف
خلقه واخسهم فيقهرهم خلقه قوله تعالى ولكن ليبلوا بعضكم ببعض اى يمتحن بعضكم بقتال البعض وبانواع
المحن ان شاء الله تعالى هذا البيت فى ظاهر الاحوال بعضهم مشابها لبعض يمتحن بعضهم بعضا فانما يظهر
الاختلاف بالامتحان بانواع المحن على اختلاف الاحوال فعند ذلك يظهر المصدق من المكذب والمحق من المبطل
والموافق من المخالف والمحقق من المضطرب والموقن من الشاك على ما ذكر تعالى ونبلوكم بالحسنات والسيئات
ونبلوكم بالشر والخير فتنة وخلق الموت ليبلوكم ايكم احسن عملا وغير ذلك من الايات التى ذكر من التصديق والتكذيب
والتحقيق وغيره ثم لو كان جل وعلا انتصر لاوليائه من اعدائه مما ذكرنا بان نصرهم على اعدائهم نصرا بلا امتحان وكلفهم
ميلا لاوليائه مكان التوحيد له والتصديق لرسوله يحق الاضطرار لا بحق الاختيار لانهم اذا راوا انهم يستاصلون
ويهلكون هلاكا بخلافهم اياه لكانوا لا يخالفونهم بل يوافقونهم مخالفة الهلاك والاستئصال فيه نفع الا
والامتحان عنهم فلا يظهر المختار من غيره لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى والذين قاتلوا فى سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والذين قاتلوا فى سبيل الله قتلوا او غلبوا فى ما
فرض وقت او قتال فلن يضل اعمالهم اى لن يضل اعمالهم التى كانت منهم من الجهاد مع الاعداء وغير ذلك من الاعمال
التى كانت لهم سيهديهم اى يوفقهم باتمام اجرى القتال والنصر لهم على اعدائهم فى الدنيا ويدخلهم فى الاخرة
الجنة والثانى والذين قاتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم فى الاخرة سيهديهم فى الاخرة الجنة
ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال بعضهم اى يدخلهم الجنة التى بينها لهم فى الدنيا ووصفها وقال بعضهم
عرفها لهم فى الاخرة حتى يعرف كل منزله واهله من غير ان يعلم وادلة الجنات لهم كما يعرف كل احد فى الدنيا منزله
واهله وخدمه والله اعلم وقال بعضهم عرفها لهم اى طيبها لهم يقال فلان معرف اى مطيب وطعام معرف
وهو قول القتبى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اى ان تنصروا دين الله ينصركم وان تنصروا

اولياء الله سينصركم على اعدائكم ثم نصرنا دين الله واوليائه يكون مرة بالانفس والاموال ببذلها في سبيله لاعزاز
دينه والثاني يكون نصرا بالحجج والبراهين باقامتها عليهم مما امر باقامة الحجج والايات ثم يكون نصر الله تعالى اياكم من
احدهما ينصرنا على اعدائه بما يغلبهم ويقهرهم لكن ان كانت لهذا فيكون نفع حال … في
الاحوال والثاني يكون نصره اياهم بما يجعل العاقبة لنا ان كنا قد غلبنا وقهرنا في بعض الحروب في العاقبة كانوا هم الذين
مكنا قاهرين لنا والله اعلم وقوله تعالى ويثبت اقدامكم يحتمل في الحروب والقتال او يثبت اقدامهم في الاخرة
كيف لا يزول والله اعلم وقوله تعالى والذين كفروا فتعسا لهم اي اهلاكا لهم وقيل التعس عند الهزيمة والقتل …
ان يكون دعاء بالاهلاك والتعس اصل التعس العثور والسقوط وهو الاهلاك فيرجع الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم ان ذلك الذي ذكر لهم من التعس والهلاك واحباط الاعمال بانهم
لم يتركوا اتباع ما انزل الله على رسوله اذ كل من ترك اتباع شيء اعتقادا فقد كرهه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي كرهوا ما انزل الله على غير بني اسرائيل فان كان هذا فالاية في اهل الكتاب لانهم
من غير بني اسرائيل ولا انزل الكتب على احد من غير بني اسرائيل والله اعلم وقوله فاحبط اعمالهم
وقوله والله اعلم وقوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم قد ذكرنا فيما تقدم
على وجوه احدها انه لو ساروا في الارض لعرفوا ما نزل بالاولين بما اذا بلغهم خبر تكذيبهم الرسل وكفرهم بهم
ان من نجا منهم انما نجا وهو المصدقون لهم والامناء بهم … سيروا في الارض فانظروا ما الذي نزل بمكذبي
الرسل ومستهزئيهم الرسل ليكون ذلك منجزا لهم عن مثل ما حل بهم الرسل عليهم السلام … والثالث او قد ساروا
في الارض لكن لم ينظروا فلم يعتبروا فيما نزل باولئك بما نزل بهم لو تاملوا فيهم لكان ذلك زاجرا لهم عن مثل ما …
الى مثل ذلك والله اعلم وقوله تعالى دمر الله عليهم وللكافرين امثالها هذا يخرج على وجوه احدها اي دمر الله عليهم
وللكافرين من بعد هؤلاء الكفار الذين دمر الله عليهم امثال ما نزل بهم من الاهلاك بتكذيبهم الرسل والثاني اي
دمر الله عليهم وللكافرين امثالها اي للكافرين من قومك امثالها وهذا وعيد لقومه والثالث … لقومه
كان امثال الخلال والله اعلم وقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم … وذلك
الذي ذكرهم لاجل ان الله ناصر الذين اتبعوا امره وامنوا به وصدقوه فدفع العذاب عنهم باتباعهم امره وان الكافرين
ذلك ليس بمولى لهم لتركهم اتباع امره وتصديقهم اياه فلم يدفع العذاب عنهم وكذلك قال اي دفع العذاب عن
الذين امنوا لما انه تعالى يتولى امورهم وعصمهم لانه لم يتول امور الكفرة اذ لم يعصمهم ويخذلهم وتركهم
ما اختاروا لعلمه باختيارهم ما يختارون من التكذيب فتولى المؤمنين وعصمهم لعلمه بما يختارون من التصديق
والاتباع له والله اعلم ثم ذكر عاقبة المؤمنين بما اختاروا من الاتباع لامره والتصديق لرسله عليهم السلام وهو قوله تعالى
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ثم بين ما لاولئك الذين اختاروا من الكفر
والتكذيب لرسله في العاقبة حيث قال والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم عاجلا
والله اعلم وذلك ان اهل الايمان والتوحيد نظروا في جميع احوالهم وامورهم الى عاقبة امر الله تعالى وما …
لم ينظروا الى ما فيه قضاء شهواتهم ومناهم بل اختاروا امر الله على جميع ما ذكرنا واولئك الكفرة لم ينظروا الى العاقبة
امر الله ولا ما يوجب لهم في العاقبة من النفع بل اختاروا شهواتهم وما فيه هواهم على ما فيه امر الله ونهيه
فجعل للمؤمنين في الاخرة قضاء شهواتهم التي تركوا قضاءها في الدنيا وكفوا انفسهم عنها من المكان …
في الجنة والبساتين التي وعد لهم في الاخرة وجعل لاولئك الكفرة في الاخرة مكان ما قضوا في الدنيا من شهواتهم
واعطاء انفسهم مناها النار وما نقصوا ما اعطوا انفسهم في الدنيا ثم قوله تعالى والذين كفروا يتمتعون وياكلون
كما تاكل الانعام يحتمل تشبيه اولئك الكفرة بالانعام في الاكل وجهين احدهما يخبر انهم ياكلون وهمتهم في الاكل
ليس الا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة ولا ينظرون الى ما امرهم الله به وما نهاهم عنه كالانعام التي ذكرها
في الاكل الا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة والله اعلم والثاني يخبر عنهم انهم لا ينظرون في اكلهم
الى العاقبة ولا الى وقت ثان بل نظرهم الى الحال التي فيها كالانعام التي ذكر انها تاكل ولا تنظر ولا تدخر شيئا
لوقت ثان فلا ينظرون لشيء ما دامت تشتهي فهي على ذلك اولئك الكفرة والله اعلم وقوله وكاين من قرية هي اشد قوة
من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم ان سنة الله تعالى في الذين كانوا من قبل انه اذا اخرج الرسل
من بين اظهرهم … اهل مكة فقد استوجبوا العذاب اذا اخرجت من بين اظهرهم كما استوجب اولئك الكفرة لكن الله
بفضله ورحمته اخر ذلك عنهم لانه بعثك اليهم رحمة كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولوجه اخر
لما جعل انه خاتم الانبياء عليهم السلام ليبقى شريعته ورسالته الى يوم القيمة ولو اهلكهم واستاصلهم على ما اصل
لانقطعت رسالته وشريعته … رحمة لهم وانه لا يخلف الميعاد ثم اخبر ان اولئك كانوا اهل

واشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم يغن عنهم دفع ما نزل بهم بقوتهم في انفسهم وبطشهم ولا كان لهم ناصر ينصرهم من
عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه فانتم يا اهل مكة اولى ان لا يمنعوا من انفسكم العذاب اذا نزل بكم والله اعلم
ثم قوله اخرجتك اضاف الاخراج الى قومه وهم لم يتولوا اخراجه بانفسهم بل اضطر حتى خرج هو بنفسه لكنه
اضاف الاخراج اليهم لان سبب خروجه من بينهم كان منهم فكان قد اخرجه وهو كما ذكر من اخراج الشيطان ادم
وحواء عليهما السلام من الجنة بقوله فاخرجهما مما كانا فيه والشيطان لم يتول اخراجهما حقيقة لكن لما كان منه
من اشياء حملهم ذلك على الخروج فكانه وجد الاخراج منه واصله ان الاشياء والافعال ربما تنسب الى اسبابها
وان لم يكن لذلك الاسباب حقيقة الافعال والله اعلم وقوله تعالى فلا ناصر لهم هو الله تعالى اي لا يكون لهم من
وهو يحتمل وجهين احدهما الا يكون لهم ناصر في الاخرة والثاني على اضمار ان لم يكن لهم ناصر وقت ما عذبوا في
الدنيا والله اعلم وقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم لم يخرج لهذا الحرف جواب
للمعروف بالبديهة اذ ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبع هواه نعم في ذلك بالبديهة كما يقول
ليس المحسن كالمسيء وليس من يحسن كمن يسيء ونحو ذلك مما يعرفه كل احد لا يحتاج الى بيان … ذلك
عندنا ثم في ذلك وجهان احدهما ما ذكر تسفيههم باختيارهم اتباع هواهم وما زين لهم من سوء عملهم على اتباع من
على بينة منه وبيانا … والله اعلم والثاني فيه ذكر … البعث كقوله تعالى … افمن
كان على بينة من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه وفي العقول لا يسوى بينهما فلا تستويان في هذه الدار على …
دار اخرى يفرق بينهما ويميز والله اعلم وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون هذا يخرج على وجوه احدها
ان قوله مثل الجنة التي وعد المتقون على حقيقة المثل كانه يقول مثل الجنة التي وعد المتقون من جناتكم هذه
ولو كانت جنانكم في الدنيا على المثل الذي وصف في الاية التي كانت تشتهي كل احد ويرغب فيها ويحرص في طلبها
لكن ذلك الجنة لما بالكم لا ترغبون في تلك الجنة التي وعد المتقون في الاخرة لا ترغبون فيها ولا تحرصون
في طلبها والله اعلم ويخرج على هذا التاويل … افمن كان خالدا في جنة من جناتكم
التي ذكر وصفها كمن هو خالد في النار … والثاني يحتمل ان مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة
التي وعد المتقون ما ذكر فيخرج على الصلة لما تقدم من قوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
من تحتها الانهار ثم وصف ونعت الجنة التي اضافها اليهم فقال مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة
صفتها فيها انهار من كذا وكذا الاية وعلى هذا ما ذكر في اخره من قوله كمن هو خالد في النار يحتمل ان يكون صلة قوله
والنار مثوى لهم ثم وصف تلك النار التي اضافها اليهم … فقال وسقوا ماء حميما الاية والثالث
يذكر على ان من وعد له المتقين من الجنة وما فيها من النعيم ليس كمن وعد له النار … على ذكر في
ما ذكر من صفة الجنة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اي ليس هذا كهذا ولا سوى بينهما
اي لا مساواة وهو كقوله فيما تقدم حيث قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم
اي ليس هذا كهذا فعلى ذلك يحتمل ما ذكر من وصف الجنة ووصف النار اي ليس من وعد له الجنة التي وصفها
ونعتها كمن وعد له النار التي وصفها ما ذكر والله اعلم ثم قال فيها انهار من ماء غير اسن الاية يخبر ان ما يكون
في الجنة من المياه والخمور والالبان وما ذكر ليس كالتي في الدنيا لان المياه في الدنيا تتغير باحد وجهين اما
لنجاسة واذى يصيبها او لطول الزمان والمكث فيخبر ان ليس في الجنة شيء يغيرها … وكذلك اللبن
في الدنيا يتغير ويفسد عن قريب اذا ترك لما ذكر فيخبر ان البان الجنة لا يفسد بالترك لا يصيبها شيء يفسدها
ويخرجها عن طعم اللبن والله اعلم وقوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين يخبر ان الخمر في الجنة مما يتلذذ بها اهلها
عند الشرب ليس كخمر الدنيا يسكر اهلها عند شربها ويعبسون وجوههم عند التناول منها والله اعلم
وقوله تعالى وانهار من عسل مصفى اي انهار من عسل حلو … ومصفى من كدورة منه لا انه كان كدرا فصفي
او كان خلق بعضه كدرا وبعضه مصفى ولكن خلق كله مصفى من الابتداء وهو كقوله رفع السموات
اي خلقها في الابتداء مرفوعة لا انها كانت موضوعة ثم رفعها والله اعلم وقوله ولهم فيها من كل الثمرات
يحتمل اي من كل الثمرات التي عرفوها في الدنيا وعلموها … لهم من كل الثمرات التي يريدون فيها والله اعلم
وقوله تعالى ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اي ليس من وعد له ما ذكر
من الجنة وهو خالد فيها متنعم بما ذكر … بما ذكر من المياه والخمور والالبان كمن هو خالد في النار
وسقوا ماء … والله اعلم وقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم
ماذا قال انفا جعل الله عز وجل هذه الاية اية رسالة رسوله وحجة على المنافقين بما اسروا في انفسهم من
الخلاف له والعداوة فاطلع الله رسوله على ما اسروا في انفسهم واضمروه ليكون ذلك اية رسالته وحجة نبوته

اذ علموا انه لا احد يطلع على ما في القلوب الا الله تعالى فاذا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اسروا واضمروا
علموا انه انما عرف ذلك باعلام الله تعالى لقوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقوله واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم ونحو ذلك ثم الناس في الاستماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على ثلث فرق
كانوا يستمعون اليه للاسترشاد والاستزادة اهله كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى الآية والكفرة كانوا
يستمعون اليه ليقولوا لاتباعهم انه افترى بنفسه وانه كذب وانه سحر لا يقع في قلوب اتباعهم انه اخبار بحق
حتى يسمعوا منه ويبقوا على ما بلغهم وهو كقوله سماعون للكذب الآية والمنافقون كانوا يستمعون
اليه لاظهار الموافقة له لئلا يتعرض لهم فيما اضمروه واسروا منهم من العداوة والخلاف والله اعلم ثم قوله قالوا للذين
اوتوا العلم ماذا قال آنفا القول منهم في الظاهر يشبه قول المستفهم حيث قالوا لمن خفي عليه واشكل
او ذهب عنه ما سمعه فالواجب عليه ان يسأل من حفظ ذلك وضبطه ليحفظ ولكنهم انما قالوا لهم ليعلموا انهم
على تنبههم وان يستمعون اليه ويحفظونه وكان في الحقيقة يستهزءون بهم لذلك دعوا بذلك القول
ثم اخبر تعالى انه طبع على قلوبهم بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم لما كان استماعهم لما
ذكرنا من اظهار الموافقة لهم وقصد اظهار الخلاف له والعداوة والاستهزاء وقوله قال آنفا قال بعضهم اي حينا
من الايتناف وقال بعضهم الساعة وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى لانهم كانوا يستمعون اليه للاسترشاد
والاستزادة لهدى وهو كقوله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الآية واما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا الآية
واما الذين في قلوبهم مرض الآية وقوله وآتاهم تقواهم يحتمل وجهين احدهما تقواهم اي وفقهم ما يتقون في كل فعل
امر من تعديه المستانف وقال بعضهم اي اعطاهم الله ثواب اعمالهم في الاخرة بقوله اخبارهم من الله لهم
فاذكرها الله تعالى هدى وآتاهم تقواهم اي اجرهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واعطاهم تقواهم اي اعطاهم وهي لغة معروفة
انطى اي اعطى وكذلك قرأ انا انطيناك الكوثر وقوله فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة كان بعضها لانه
نزلت في قوم علم الله انهم لا يؤمنون الا عند قيام الساعة كانه يقول ما ينتظرون لايمانهم الا الساعة ان تأتيهم
بغتة لكن لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وقوله فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا كانه والله اعلم يؤنس رسوله عليه السلام كيلا يطمع في ايمانهم قبل ذلك الوقت وقوله فقد
جاء اشراطها هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ما ذكر من مجيء اشراطها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خاتم
الانبياء وبه ختمت النبوة وروي انه قال بعثت والساعة كهاتين واشار الى اصبعين جمع بينهما فاذا كان التاويل
هذا فهو على التحقيق مجيء اشراط الساعة اي قد جاء اشراط الساعة حقيقة وتحققت والثاني يحتمل ان
ما ذكر من مجيء اشراطها هي الاعلام التي جعلت لها قبل قيامها من خروج عيسى ودابة الارض وخروج
الدجال وغير ذلك فعند مضي بعض تلك الاعلام فيكون قوله فقد جاء اشراطها اذ كل ما هو آت جاء كانه قد جاء
كقوله تعالى اتى امر الله وقوله فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يحتمل وجهين احدهما اي انى ينتفعون بايمانهم
في ذلك الوقت وكيف لهم منفعة الذكرى اذا جاءت والتوبة لا يقبل حينئذ والثاني اي انى لهم الايمان والتوبة
اذا جاءتهم الذكرى اي ما تذكرهم في الدنيا قبل ذلك لم يؤمنوا ولم يتذكروا والله اعلم وقوله فاعلم انه
لا اله الا الله هذا يخرج على وجهين احدهما اعلم في حادثات الوقت انه لا اله الا الله كقوله اهدنا الصراط
المستقيم وقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ونحو ذلك والثاني يقول فاعلم انه لا اله المستحق للعبادة
والمعبود الحق هو الاله الذي لا اله غيره اذ الاله عند العرب هو المعبود يقول ان المعبود الذي يستحق
هو الله لا الاصنام التي يعبدونها من دونه فيزعمون ان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى والثالث امره ان
يشغل قلبه في كل وقت وكل حال بكلمة الاخلاص والتوحيد له والقول به والله اعلم وقوله واستغفر لذنبك
انما هو لافتتاح الكلام وابتدائه على ما يؤمر المرء ان يبتدئ بالدعاء لنفسه عند امره بالدعاء لغيره وكان حقيقة
الامر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه وكان امره بالدعاء لنفسه استحسانا والله اعلم وجائز ان
يكون له ذنب فامره بالاستغفار له لكن ليس علينا ان نتكلف حفظ ذنوب الانبياء عليهم السلام
وذكرها كل ما هو من الذنب نحو ان يؤمر بالاستغفار كقول ابراهيم عليه السلام حيث قال والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين لكن ذنب الانبياء وخطاياهم ليست كذنب غيرهم من ارتكاب القبائح
والكبائر ذنبهم ترك الافضل دون مباشرة القبيح في نفسه والله الموفق ثم ارجى آية للمؤمنين هذه الآية
لانه عز وجل امر رسوله عليه السلام ان يستغفر لهم فلا يحتمل ان لا يستغفر وقد امره مولاه بالاستغفار ثم
ايضا انه اذا استغفر لهم على امره فلا يجيبه وكذلك دعاء سائر الانبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح رب اغفر
لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك دعاء سائر الانبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح رب اغفر لي ولوالدي

ولمن دخل

ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ونحو ذلك
وكذا استغفار الملائكة لهم ايضا بقوله ويستغفرون لمن في الارض وقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك الآية هذه الآيات ارجى آيات للمؤمنين ودعوات الانبياء عليهم السلام افضل وسائل يكون الى الله تعالى واعظم
قربة عنده والله الموفق ثم قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون
ان الصغائر مغفورة لا يجوز ان يعذب الله تعالى عباده عليها والكبائر مما لا يحل له ان يعفو عنها الا بالاستغفار
منهم والتوبة فهذه الآية ينقض قولهم ومذهبهم لانه امر رسوله عليه السلام ان يستغفر لهم فلا يخلو اما ان
كانت صغائر او كبائر ولا يحل له المغفرة منها فيكون قوله اللهم اغفر لهم كانه قال اللهم جر لان مغفرته اياهم عن الكبائر لا
يكون جورا ووضع الشيء في غير موضعه فكيف ما كان ففيها نقض قولهم وحجة لقولنا ان له ان يعذبهم عليها
وان كانت صغائر وله ان يعفو عنها وان كانت كبائر اذ المغفرة عن الذنب تكون والله الموفق وقوله والله يعلم
متقلبكم ومثواكم قال بعضهم والله يعلم متقلبكم في النهار ومثواكم في الليل وقيل يعلم ما تتقلبون
بالنهار وما تسكنون بالليل وغير ذلك وقال بعضهم والله يعلم متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة
اي مقامكم فيها وهو يخرج عند تاملي وجوه احدها يحتمل ما ذكرنا لظن قوم وتوهمهم ان الله تعالى يجعل
ثواب الاعمال حيثما نشا هذا العالم ويجحدوه ويجحدوا منه فلا يحتمل ان ينشئهم ويجعل لهم النعم ولم
يجحدونه ويكفرون نعمه لان من فعل هذا في الشاهد فهو عابث غير حكيم فعلى ذلك هذا على زعمهم فقال تعالى
جوابا لهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي على علم منا بما يكون منهم انشاهم وخلقهم لا عن جهل على ما ظنوا لكن
ما ينبغي لهم ان ينسبوا الجهل اليه ما جعلهم ينفي الحكمة في فعله لانه اذا تشعل وعقل لم ينشئ هذا العالم لحاجة له
او لمنافع لنفسه انما انشاه لمنافع انفسهم ولحاجتهم فاليهم يرجع منفعة الاجابة والطاعة وعليهم يكون
ضرر الجحود والرد فاما في الشاهد فمن امر احدا او نهاه عن امر او ارسل اليه رسولا على علم منه بالرد والجحود يسميه
غير عليم لانه انما يفعل لحاجة نفسه ومنفعة له فاذا علم منه الرد والانكار فهو غير حكيم فافترق الشاهد والغائب
لافتراق وجه الحكمة والله الموفق والثاني يحتمل ان الله تعالى يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم جميع احوالكم من حركاتكم
وسكونكم وجميع تقلبكم لتكونوا ابدا على حذر وحفظ والله اعلم والثالث يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم
في الدنيا ويعلم الى ماذا يكون مرجعكم في الآخرة اي انشاكم على ما علم انه يكون منهم كقوله ولقد ذرأنا لجهنم وقال
في آية اخرى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون انه انشا من علم انه يختار الكفر فقد ذرأه لجهنم وانشا
من علم انه يختار التوحيد فخلقه للعبادة والله الموفق وقوله ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال ان الذين آمنوا كانوا يتمنون نزول السورة ويقولون هلا نزلت سورة لوجوه احدها
لتكون السورة حجة لهم وانه على الحق في الرسالة والبعث والتوحيد والثاني كانوا يستبعدون بانزال السورة
انشاء ويزداد لهم نفسا وعقلا في الدين كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة الى قوله فاما الذين آمنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون واما المنافقون فزادتهم رجسا الى رجسهم على ما ذكر والثالث يتمنون نزول السورة
ليبين لهم المصدق من المكذب والمحقق من المرتاب فهذه الوجوه التي ذكرنا تكون لاهل الايمان لذلك يتمنون
والله اعلم وقوله فاذا انزلت سورة محكمة اي محدثة والمحدثة ليست بتفسير المحكمة الا ان يعنوا بالمحدثة
الناسخ والناسخ هو المحدث والمتاخر نزولا وهو محكم لانه يلزم العمل به والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
لولا نزلت سورة محدثة والوجه ما ذكرنا والمحكمة عندنا على وجهين احدهما اي محكمة بالحجج والبراهين ولكنها
لما انزلت على النبي يوم وتداولت فيما بينهم فلم يغيروه ولا بدلوه بل حفظوه ليعلم انه من عند الله جاء ومنه نزل
والله اعلم وقوله وذكر فيها القتال يحتمل تعيين ذكر القتال خصالا احدها كثرة اهل الاسلام وكثرة
الاموال وكان في ظاهر القتال افناء الانفس والاموال لانه قتل ولو فرض القتال لكان يدخل في الاسلام واحد
واحد فلما فرض القتال يدخل فيه فوج فوج على ما اخبر يدخلون في دين الله افواجا والثاني ليتبين المصدق منهم من الكاذب
لهم والمحقق من المرتاب لانه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره الى ذلك الوقت فلما فرض القتال عند ذلك
ظهر وتبين لهم اهل النفاق واهل الارتياب من اهل الايمان والتصديق والثالث فيه اثبات الرسالة والبعث لانه آية
الرسالة فلذلك ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عددا قليلا لا عدة لهم ولا قوة امروا ان يقاتلوا
مع عدد لا يحصون ولهم عدة وقوة ليعلم انهم لا بانفسهم يقاتلون ولكن بالله تعالى اذ لا يحتمل قيام امثالهم
لامثال اولئك مع كثرتهم وقوتهم والله اعلم واما البعث فلانهم امروا بقتال اقاربهم وارحامهم ومن يتصلون
بهم وبذلك قطع ارحامهم وقطع صلة قراباتهم ليعلم انهم انما يفعلون هذا بالامر لعاقبة يؤمل ويقصد
اذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة يقصد بل لشيء يعتقد والله اعلم وقوله رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون

إليك نظر المغشي عليه من الموت ۞ كان أهل النفاق يكرهون نزول ما ينبئهم عما في ضميرهم من النفاق ألا ترى
لقوله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وإذا أنزلت السورة يزداد لهم مما كرهوا
قال وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم ۞ وقوله فأولى لهم طاعة وقول معروف
قال أهل التأويل هذا وعيد كقوله أولى لك فأولى الآية لكن ظاهره ليس بوعيد ولا تهديد بل إنما ظاهره
أحرى لكم وأولى أن تطيعوه وأن تقولوا معروفا فإذا تركوا ذلك فعند ذلك يكون وعيدا والله أعلم وقوله
فإذا عزم الأمر اختلف في تأويله قال بعضهم هو صلة قوله فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وعزم الأمر
فعند ذلك كان ما ذكر من المنافقين حيث قال رأيت الذين في قلوبهم مرض وليس في نفس ذكر القتال ما ذكر
من نظر المغشي عليه من الموت ثم ذكر أنا الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال ولزومه وتأكيد عليهم وقد
في قوله فإذا عزم الأمر أي وجب وفرض فعند ذلك يكون حالهم ما ذكر فإنما ذكر بئس القتال خاصة والله أعلم وقال
بعضهم فإذا عزم الأمر هو في الآخرة إذا تحقق وظهر ما كان توعدهم الرسول عليه السلام من نزول العذاب بهم
في الآخرة فلو صدقوا الله في الدنيا لكان خيرا لهم في الآخرة حيث كان لا ينزل العذاب بهم في الآخرة لو
صدقوا قوله رسول الله فيما توعدهم من العذاب أنه ينزل بهم في الآخرة والله أعلم وقوله فهل عسيتم إن توليتم
أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ۞ اختلف في تأويل هذه الآية قال بعضهم فهل عسيتم
إن توليتم أمر هذه الأمة أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم الآية قال ابن عباس رضي الله عنه كان هذا وهم بنو
أمية فلو أمر هذه الأمة فيفعلوا ما ذكر من الفساد في الأرض وقطع الأرحام وكان لهم نصب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان منهم ما ذكر والله أعلم وقال بعضهم الآية في المنافقين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويسمعون منه ما قال ثم إذا تولوا عنه كانوا يسعون في الأرض بالفساد وما ذكر قوله ومن الناس من يعجبك
قوله في الحياة الدنيا إلى قوله وإذا تولى سعى في الأرض إلى قوله والله لا يحب الفساد وقال بعضهم ما أراد
الآية نزلت الآية في الحرورية وهم الخوارج وجائز أن يكون هذا ما ذكر في آية أخرى حيث قال أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم وقد انقلبوا على أعقابهم وهو في أهل الردة والله أعلم وقال قتادة فإذا عزم الأمر أي صدقوا الله
لكان خيرا لهم أي أطاعوا الله ورسوله وقول المعروف عند حقائق الأمور خير لهم فهل عسيتم إن توليتم
يقول إن توليتم عن كتابي وطاعتي أن تفسدوا في الأرض يقول كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى
ألم يسفكوا الدماء الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن وأكلوا المال الحرام ويحتمل أن يكون الآية في الذين
آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به والله أعلم وقوله أولئك الذين لعنهم
الله اللعن هو الطرد عن الرحمة وهو كقوله لإبليس وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين أي أنت مطرود عن رحمتي وقوله لعنهم
أي طردهم الله عن رحمته وقوله فأصمهم وأعمى أبصارهم أي أصمهم حتى لم يسمعوا أسماع الاعتبار والتفكر
وأعمى أبصارهم حتى لم ينظروا فيما عاينوا نظر اعتبار وتفكر ما لو تفكروا وتأملوا ونظروا نظر معتبر لأدركوا
والله أعلم وقوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الآية فيه أنهم لو تدبروا وتأملوا فيه لأدركوا ما فيه
وفيه أيضا أنهم لو تدبروا القرآن لفتح تلك الأقفال التي ذكر أنها عليها وذهب بها والله أعلم وقوله أم على
قلوب أقفالها أي قلوب أقفالها ثم يحتمل أقفالها الظلمة التي فيها وهي ظلمة الكفر لأن الظلمة تغطي نور
البصر ونور السمع وجائز أن يكون ما ذكر من الأقفال هي كناية عن الطبع والله أعلم وقوله إن الذين ارتدوا
على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ۞ قوله سول أضاف مرة التزيين
إلى الشيطان ومرة إلى نفسه فيما يفهم من تزيين الشيطان غير الذي يفهم من الله تعالى كالضلال كان مضافا
إلى الله تعالى وإلى الشيطان فالمفهوم من إضلال الله تعالى غير المفهوم من إضلال الشيطان فعلى ذلك
التزيين وقوله وأملى لهم أي أخرهم وأمهلهم إلى أجل ووقت كقوله ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير
لأنفسهم الآية أي إن نؤخرهم ليكون ما ذكر والله أعلم وقوله تعالى إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين
لهم الهدى الآية جائز أن يكون الآية في اليهود لما ذكرنا أنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث لقوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الآية ارتدوا على أدبارهم من بعد ما آمنوا به وجائز أن يكون
في المنافقين ارتدوا على أدبارهم وأظهروا الخلاف لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أظهروا
الموافقة لهم في حياته والله أعلم وقوله ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر
ذلك بأنهم كان راجعا إلى قوله إن الذين ارتدوا على أدبارهم فإن كان المراد به اليهود فالمعنى فيهم المعنى
لكان في المنافقين وإن كان قوله ذلك بأنهم راجعا إلى قوله الشيطان سول لهم فإذا احتمل ذلك الرجوع
إلى أنفسهم إلى ما إذا يرجع ثم قال بعضهم الذين كرهوا ما نزل الله هم المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في تكذيب

صلى الله عليه وسلم والمنافقين [illegible] وقال بعضهم هم اليهود ظاهر [illegible] سائر الكفرة على محمد صلى الله عليه وسلم
وأصحابه بأنهم كرهوا ما أنزل الله [illegible] ما يود الذين كفروا من أهل
الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله أعلم وقوله والله يعلم إسرارهم [illegible]
[illegible]
[illegible] فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول [illegible]
[illegible]
[illegible]
في القول لتعرفنهم ولكن لم يجعل لهم ولكن جعل معرفتهم بأعمال يعملون فيظهر نفاقهم بذلك والله أعلم كقوله ومن
الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا فقال في آية أخرى وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم
الآية وقوله رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت الآية وقوله ولا يأتون الصلاة
إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون وقوله إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم
ونحو ذلك من الآيات مما كان يظهر نفاقهم ويعرفهم بالأعمال التي كانوا يعملون فيكون هذه الآية على أنه كان لا يعرفهم
بالصلاح والنطق في القول والأجسام إنما عرفهم بأفعال كانوا يفعلونها والله أعلم وقال بعضهم ولتعرفنهم
في لحن القول أي نحو الكلام وكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلموا فيخرج على هذا التأويل يعرفهم
على أنه يعرفهم في حادثات الوقت والله أعلم قال أبو عوسجة يقال رجل لحن بحجته ويقال لحن يلحن إذا أخطأ لحنا
ولحن لحنا كأنه من العدول والميل عن الحق وقال القتبي في لحن القول أي في نحوه وكلامهم وقوله والله يعلم أعمالكم
يحتمل هذا وجهين أحدهما والله يعلم ما يسرون من الأعمال فيخفونها والثاني على الجملة أي يعلم جميع أعمالهم ما أسروا
وأعلنوا فيخرج على الوعيد كقوله إنه بما تعملون بصير والله أعلم وقوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
من غير المجاهدين وغير الصابرين فيكون المراد من إضافة العلم إلى نفسه علم أوليائه كقوله إن تنصروا الله ينصركم
وقوله يخادعون الله وهو خادعهم ونحوه فالمراد منه أولياؤه على إحلال الأشياء والله أعلم والثاني أن يكون
المراد بالعلم المعلوم وذلك جائز في اللسان واللغة كقول الناس الصلاة أمر الله تعالى أي مأمور الله وكقوله حتى
يأتيك اليقين أي الموقن وقوله ومن يكفر بالإيمان أي بالمؤمن به ونحو ذلك كثير في اللسان ويعلم كائنا ما قد علم
أنه سيكون إذ لا يجوز أن يوصف بعلم ما سيكون بعلمه كائنا أو يعلم ما قد كان بعلم أنه يكون كائنا لو كان يوصف
بما قد علمه كائنا أنه علمه كائنا فيعلم ما علم أنه سيكون أنه يكون لأنه يوجب الجهل ويكون التبديل في العلوم
لا في غيره والله أعلم وقوله ونبلو أخباركم أي ونبلو في أخباركم التي أخبرتم عن أنفسكم كقوله يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكقوله ومنهم من عاهد الله إلى آخر ما ذكر أي نبلو في تلك الأخبار التي أخبروا عن أنفسهم والله
أعلم ويحتمل أن يكون ونبلو أخبارهم الذي قالوا وأعطوا بألسنتهم حيث قالوا آمنا كقوله أحسب الناس
أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون حيث إنما قالوا أحسنوا إلا ابتلوا في الفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء وعند
والله أعلم وقال الحسن ونبلو أخباركم أي نظهر نفاقكم للمسلمين إن كان الله تعالى قال لو نشاء ولم يبلوهم والله أعلم وقوله
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قوله كفروا أي كفروا بنعم الله من الكفران أو كفروا بتوحيد الله وقوله وصدوا
عن سبيل الله يحتمل قوله صدوا أي أعرضوا بأنفسهم عن دين الله ويحتمل صدوا أي صرفوا الناس عن دين الله والله
أعلم وقوله وشاقوا الرسول أي عادوه وعاندوه من بعد ما تبين لهم الهدى وقوله لن يضروا الله شيئا يحتمل لن
يضروا الله بكفرهم أنعمه أو كفرهم بوحدانية الله ومعناه ولكنما يضرون أنفسهم لأنه ليس يأمرهم بما يأمر وينهاهم عما ينهى لدفع
مضرة عن نفسه أو لجر منفعة إلى نفسه ولكن يأمر وينهى لحاجة أنفسهم وكذلك لمنافعهم فهم بتركهم اتباع أمره
وانتهاء عن نهيه يضرون أنفسهم والله أعلم وجائز أن يكون المراد من قوله لن يضروا الله شيئا أي لن يضروا أولياء
الله بكفرهم وصدهم عن سبيله بل يضروا أنفسهم كقوله إن تنصروا الله ينصركم أي إن تنصروا أولياء الله ينصركم

وسيحبط أعمالهم • يحتمل حبط الأعمال بالارتداد بعد الإيمان وإحداث الكفر بعد الإيمان والإسلام ويحتمل ويحبط أعمالهم التي كانت لهم بالإيمان قبل بعثه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم • قال بعضهم أي أطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا حسناتكم بالرياء والسمعة وفي حرف ابن مسعود يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الرسول ويحتمل ولا تبطلوا أعمالكم بالارتداد والكفر بعد الإيمان ويحتمل أو ولا أعمالكم بالارتداد والكفر بعد الإيمان ويحتمل المن لا تبطلوا أعمالكم بالمن على الله وعلى الرسول في الإسلام أي يمنون على الله أو على رسوله كقوله يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي الآية وقال قتادة ولا تبطلوا أعمالكم بالمعاودة في أنه من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا بعمل سيء فليفعل إذ السكر يصلح الخير وإنما ملاك الأعمال خواتيمها فمن استطاع أن يختم بخير فليفعل ولا قوة إلا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى شيئا يبطل أعمالنا حتى نزلت هذه الآية فقلنا ما الذي يبطل أعمالنا الموجبات والفواحش فكنا على ذلك حتى أنزل الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية فلما نزلت هذه الآية كففنا عن هذا القول وجائز أن يكون قوله ولا تبطلوا أعمالكم قال لهم لا تكونوا أبدا على الخشية والحذر أعمالهم من حيث لا يشعرون كقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وتوفيقه ... لا تبطلوا أعمالكم قوله تعالى إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم • قال أهل التأويل وقوله فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم أي لا تضعفوا وتدعوا إلى الصلح كذلك قال القتبي وقال أبو عوسجة السلم بكسر السين الصلح والأعرف بفتح السين ههنا لمعنى وقوله وأنتم الأعلون أي وأنتم الغالبون فيه النهي عن الدعاء إلى الصلح إذا كانوا هم الأعلون أي غالبي أهل الإسلام ثم قوله وأنتم الأعلون يحتمل وجوها يحتمل الأعلون بالحجج والبراهين في كل وقت ويحتمل وأنتم الأعلون بالقهر والغلبة في العاقبة لمن آخر الأمر بكم ويحتمل وأنتم الأعلون في الدنيا والآخرة لأنهم وإن غلبوا في الدنيا وقتلوا كانت لهم الآخرة وإن ظفروا لهم كان لهم كتب في الآجال وقال بعضهم وأنتم الأعلون ... وأنتم أولى بالله منهم وهو ما ذكر ... وقوله والله معكم يحتمل معكم في النصرة والغلبة ويحتمل معكم في الوعد الذي أي يحقق ما وعد لكم في الدنيا ونحو ذلك وقوله ولن يتركم أعمالكم اختلف فيه قال بعضهم فلن يجعل الله للكافرين عليكم مظلمة ولا وهو صحيح في الدنيا والآخرة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال بعضهم لن يتركم أعمالكم أي لن ينقصكم أعمالكم وكذا قال أبو عوسجة يقال وترته أي نقصته وقال بعضهم لن يبطل أعمالكم ويرى حقوقه بحسنه لذلك قال القتبي ولكن كلاهما واحد في المعنى أي لا ينقص من أعمالهم ولا يظلمون فيها ولا يبخسون والله أعلم قوله تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو • أي حياة الدنيا على ما عندهم وعلى ما يعمل لعب ولهو لأنهم كانوا يقولون لا بعث ولا حياة بعدها فعلى ما عندهم تكون حياة الدنيا على ما ذكر من اللهو واللعب ويحتمل أن سماها لهوا ولعبا لأنهم على ما يرجون أن شأنها للانقطاع والفناء لا لكسب بها الحياة الدائمة في الآخرة وإنشاء الشيء للانقطاع والفناء خاصة بلا عاقبة يقصد يكون لعبا ولهوا ثم اللعب واللهو يكون أن يكون ناشئا ولهوا ويجوز أن يكون أحدهما ما يستمتع بظاهر الأشياء والآخر ما يستمتع بباطن الأشياء اللعب هو ما يستمتع بظاهر الأشياء واللهو هو ما يستمتع بباطنها والله أعلم قوله تعالى وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم • أي إن تؤمنوا بما أمرتم بالإيمان به وتتقوا ما نهيتم عنه يؤتكم أجوركم ... الله عز وجل بفضله ورحمته لأعمالهم التي يعملون لأنفسهم أجرا إذ لأحد يعمل لنفسه ... لأنهم بالأعمال يسقطون عن أنفسهم بالشكر لنعم الله تعالى حيث ابتدأ عليهم النعم ابتداء لكنه جعل لأعمالهم أجرا كأنهم يعملون له ابتداء فإن كان عاملين لأنفسهم في الحقيقة لله تعالى فكيف يستحقون الأجر من لا هم بأعمالهم فهذا كما ذكرنا من الأمر كمن له ولم يشترهم كان الأملاك له في ذلك فإن ليس له ذلك وإن كان حقيقة أملاكهم وأنفسهم لله تعالى تفضلا منه وكرما منه فعلى ذلك ههنا والله أعلم قوله تعالى ولا يسألكم أموالكم • هذا يخرج على وجهين أحدهما أي ليس يسألكم الإنفاق من أموالكم وإنما يسألكم من مال لي بما لعبيم لأنفسكم ويجعلون ذخرا لأنفسكم فإن يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي لو يسألكم من أموالكم لتخلص تركتم الإنفاق منها والثاني ولا يسألكم أموالكم أي لا يسألكم الإنفاق من جميع أموالكم لكن إنما يسألكم الإنفاق من طائفة من أموالكم إن يسألكموها فيحفكم أي لو يسألكم جميع أموالكم ذلك على البخل والترك والإنفاق فإذا يسألكم الإنفاق من جزء من أموالكم فلماذا تبخلون وتركتم وقوله فيحفكم تبخلوا يخرج على وجهين أحدهما أي يحملكم على البخل لو يسألكم جميع الأموال ويحتمل فيحفكم حفاه لا شيء يبقى عندكم الإحفاء أن يأخذ كل شيء عنده وهو من الاستئصال ومنه إحفاء الشوارب ...

أبو عوسجة الإحفاء شدة المسألة سلطان بكم عليكم فيما يوجبه في أموالكم تبخلوا يقال الإحفاء في المسألة والحفي والملح واحد والله أعلم قوله تعالى ويخرج أضغانكم • أي لو أمرنا بالإنفاق من جميع أموالكم أو من أموالكم حقيقة يظهر ذلك من أضغانكم التي في قلوبكم لأن ذلك الأمر إنما يجري على ألسن الرسل فيوجب ذلك إظهار ما في قلوبكم من الضغائن للرسل فإن كان التأويل هذا فهو في المنافقين فيكون الأمر بالإنفاق سبب إظهار نفاقهم إذ كانوا في المسلمين ويحتمل أن يكون ذلك تحريضا لهم على الإنفاق والتصدق وبيانا أنه سبب لإخراج الضغائن والعداوة لما فيه من التحبب والتودد باتصال ما هو محبوب إليه والله أعلم قوله تعالى ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله • أي ها أنتم يا هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله أي في إظهار دين الله أو في طاعة أو في الجهاد لأن الإنفاق في ذلك كله في سبيل الله والله أعلم قوله تعالى فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه • جعل الله عز وجل الإنفاق لهم حقيقة إذا أنفقوا فيما أمرهم الله تعالى بالإنفاق في طاعته عند ذلك تصير تلك الأموال لهم لأنهم إذا أنفقوا فيما أمرهم الله تعالى انتفعوا بها في الدنيا بما استمتعت أنفسهم بذلك وتلذذت وانتفعوا بها أيضا في الآخرة وقت حاجتهم وفقرهم بذلك يحصل لهم تلك الأموال فأما عند تركهم الإنفاق فيما أمروا بالإنفاق والبخل فلا يتحقق لهم تلك الأموال المحمولة في أيديهم لأنه لما أن يحصل لورثتهم ويلحقهم أسهم بلا سبب من غير أن يحصل لهم بذلك نفع والله أعلم في ذلك تأويل قوله ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله أعلم لما أهلك نفسه بترك الإنفاق منها ولم يستمتع ولم ينتفع به وقت حاجتهم إليه في الآخرة وقال بعضهم فمنكم من يبخل عن الصدقة والإنفاق في طاعة الله ومن يبخل بالصدقة في طاعة الله فإنما يبخل عن نفسه بالجزاء في الآخرة والله أعلم قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء • أي والله الغني عن إنفاقكم وعما أمركم بالإنفاق وأنتم الفقراء إلى ما تنفقون أي أنتم المنتفعون بذلك الإنفاق الذي يأمركم به لأنه يرجع منفعته ذلك إليكم أو يأمركم بذلك لحاجتكم إليه يوما والله أعلم ويحتمل أن يقول والله غني عنكم وعما في أيديكم وأنتم الفقراء إليه في كل وقت وكل ساعة في جميع أحوالكم وما قال كقوله يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ويحتمل والله الغني عن أموالكم وأنتم الفقراء إلى مغفرته ورزقه وجنته ورحمته قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم • قال بعضهم إن تتولوا وهم أهل مكة فإن يستبدل قوما غيرهم وهم أهل المدينة لكن هذا بعيد لأن السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به أهل مكة لقوله إلا أن يتولوا ومنهم من يقول إن الله عز وجل أخبر ووعد أهل المدينة أن تولوا استبدل قوما أطوع منهم لله تعالى فلا يتولى ولا استبدل لغيرهم وقال بعضهم هو على وجهين أحدهما تولوا وإن تولوا قوما غيركم إذ لم يتولوا لم يستبدل قوما غيركم والوجه الآخر قد تولوا فاستبدل بهم العجم وحمير وناس من كندة والذين قولوا احنظلة وأسد وغطفان وبنو فلان وقوله ثم لا يكونوا أمثالكم أي لا يكونوا أمثالكم أي لا يكونوا تولوا عن طاعة الله تعالى بل أطوع له وأخضع والله أعلم وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم فضرب يده على فخذ سلمان الفارسي وقال والذي نفسي بيده لو كان الدين بالثريا لناله رجال من فارس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت غنما سودا ردفها غنم بيض ما خلطت بها أنعقب من جميعها قالوا أولها يا رسول الله قال أولت قال إن العجم يشركونكم في دينكم وأنسابكم قالوا العجم يا رسول الله قال نعم لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم وأسعدهم به أهل فارس فإن ثبت هذا الخبر يحتمل أن يستدل به على جعل العجم أكفاء العرب لأنه قال يشركونكم في أنسابكم فإذا شركوهم في أنسابهم صاروا أكفاء ويحتمل أن يكون قوله يشركونكم في أنسابكم لأنهم ينسبون قبله منهم وإلا ذكر كما ذكرنا والله أعلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقومه وقال في حديث آخر والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال بعضهم هو فتح مكة وقال بعضهم هو صلح الحديبية الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة حتى صدوهم عن دخولهم مكة وصالحوا بينه وبين زيارة البيت وكان ... قصة الحديبية لمرائي وآيات ظاهرات ظهرت إحداهما أنه أصابه ومعه من أصحابه عطش فأتانا ... من ذلك الإناء من الماء مقدار ما شرب ... هذا

الف وخمسمائة حين رجعوا جميعا فذلك آية عظيمة حسنة على رسالة الله والثاني اخبر بجملة الوقائع الغائبة ودل
علم غيب وكان كما ذكر وما اخبر فدل انه انما علم ذلك بالله تعالى وقضية الحديبية روي عن مجمع بن جارية قال
شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يرجفون الاباعر فقال بعضهم
لبعض ما للناس قالوا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف مع الناس حتى وجدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم اسم موضع فلما اجتمع اليه بعض ما يريد من الناس قرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا
قال فقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او فتح هو يا رسول الله قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح قال ثم قسمت
الحديبية على ثمانية عشر سهما وكان الجيش الفا وخمسمائة وفي بعض الاخبار ان الصلح الذي كان بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولقد ... لما ... قال انزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عمر رضي فاقبل ما تأنيه فقال يا رسول الله او فتح هو قال نعم وعن عاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية
فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل او فتح هو قال نعم وعن جابر انه قال ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية
فكذلك روي عن عبد الله بن مسعود رضي انه قال نزلت هذه الآية انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية ...
لم يكن في الاسلام فتح اعظم من صلح الحديبية وضعت الحرب اوزارها وامن الناس كلهم ودخل في الاسلام
في السنتين اكثر مما كان دخل قبل ذلك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الحديبية وقد
طال ما تركنا ذكره والله اعلم قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا يخرج على وجوه احدها اي قضينا لك بالحجج والبراهين
على رسالتك ونبوتك لتعلم انك محق على ما تدعي صادق في قولك ... اكرمك وعظم امر الرسالة
والنبوة اي اعطاك ذلك والثاني ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر والثاني انا فتحنا لك فتحا مبينا ...
احد من الخلائق انه يفتح عليك مثل ذلك الفتوح ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والثالث اي فتحنا لك
جميع ابواب الحكمة والعلوم وجميع ابواب الخيرات والحسنات ليغفر لك الله ما الزمك من ابواب الحكمة والخيرات
يخرج على هذه الوجوه الثلاثة والله اعلم ثم قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر يخرج على وجهين احدهما
يرجع الى دينه اخبر انه يغفر له ثم لا يجوز لنا ان نبحث عن ذنبه بتكلف انه ما كان ذنبه وانه كان ذكر لان البحث عن
زلته مما يوجب التنقيص فنهى عن تكلف البحث عن ذلك بما لحقه من الكراهة بينه وذنب سائر الانبياء عليهم السلام
ليس بظاهر بينا اذ ذنبهم ... تعالى ... والله اعلم وجائز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر اي يغفر ذنبه ابتداء غفرانا هو عصمة عن ذلك وذلك جائز في اللغة والله اعلم والوجه الثاني
يرجع الى ذنوب امته اي ليغفر لك الله ذنوب امتك وهو ما يشفع لامته فيغفر لهم اي بشفاعته وهو كما روي
في الخبر يغفر للمؤذن مد صوته اي يجعل له الشفاعة فعلى ذلك جائز ان يكون قوله ليغفر لك الله اي يغفر لامته
بشفاعته والله اعلم وقوله تعالى ويتم نعمته عليك اتمام نعمته عليه هو ما ذكر من امر الرسالة والنبوة وفتح
ما ذكر من ابواب الخيرات والحكمة في الدنيا والاخرة والشفاعة له في الاخرة واظهار دينه على الاديان
كلها وما ايأس اولئك الكفرة عن عوده الى دينهم كقوله اليوم اكملت لكم دينكم الاية والله اعلم وقوله تعالى وينصرك
الله نصرا عزيزا يحتمل ان ينصرك نصرا عزيزا لغلبة عليهم والقهر والظفر لا هم الجهاد ولا موادعة ...
يخرج قول اهل التأويل نصرا عزيزا لا يستذل ولا يستر ... ليس على ذلك الا انه قال على اثره ليغفر لك
الله لان الخيرات والحسنات تكون سببا للمغفرة فجائز ان يكون ما ذكر من الفتح والمغفرة هذا الذي ذكره الا
انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستبشر من الفتح لما قدم على اسباب الفتح وهو الجهاد مع الكفرة
ونحو ذلك وذكر من الخيرات التي يكون سبب المغفرة الا ان الله تعالى اضاف الفتح الى نفسه بقوله انا فتحنا لك
لما انه هو الخالق لتلك الاسباب ومعنى فعل الجهاد ... منهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من الفتح المغفرة له
هو ان الله جعل رسوله لا يخط بيده خطا ولا يكتب كتابا ولا يتفهم كتابه وهو ما وصفه بقوله وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فمنه على ما ذكر ثم مع انه جعله هكذا احوج
حكماء الخلق اليه واحوج ايضا جميع اهل الكتب السالفة في معرفة ما ضمن من كتابه المنزل عليه وجعله رسولا
اليهم فيكون كانه قال انا فتحنا لك فتحا النبوة والحكمة وانواع العلوم والخيرات والحسنات ليغفر لك اي
فتح لك ما ذكرنا ليغفر لك ويتم نعمته عليك من النبوة والحكمة واظهار دينه على الاديان كلها ويهديك صراطا
مستقيما وينصرك نصرا عزيزا اعطاه ما ذكرنا وذلك كله النصر العزيز والله اعلم وجائز ان يكون قوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك اي من ذنب امتك وما تأخر من ذنبهم على ما قاله اهل التأويل ويتم نعمته عليهم من
الخيرات والانعام لهم والاجابة ولاولئك الكفرة عنهم ويهديهم صراطا مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا اي فتح
ما ذكر ليكون الاسباب ما ذكر من المغفرة لهم واتمام النعمة والهداية لهم الصراط المستقيم والنصر لهم ...

من نصرا يعزون به في حياتهم وبعد مماتهم في الدنيا والآخرة والله اعلم ومن الناس من يقول انا نحتمل ان كان
يمتحن رسوله صلى الله عليه وسلم في الابتداء بالخوف حتى قال وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وجد النبي
صلى الله عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الى آخره قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ذلك فما نزلت علي آية احب الي مما على الارض ثم قرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
هنيئا مريئا لك يا نبي الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فعلم ليبين ماذا يفعل بنا فنزل قوله ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات الآية والله اعلم قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين قال بعضهم السكينة هي كهيئة
الريح لها جناحان ولها رأس كرأس الهر لكن هذا ليس بشيء فانه قال انزل السكينة في قلوب المؤمنين فكيف تكون
هي تفسير العلم وهذا يدل على ان خالق العلم الاستدلالي ومنزله ومنشئه هو الله تعالى وهم يقولون ان خالقه
هو المستدل فيكون حجة عليهم قال بعض المعتزلة اضاف انزال السكينة الى نفسه على سبيل المجاز لا على
التحقيق كما يقال فلان انزل فلانا في منزله او مسكنه وان لم يكن منه حقيقة انزاله اياه في المنزل لكن اضيف
اليه ذلك لانه وجد منه امر بسببه يتصل ذلك الى نزوله في منزله ومسكنه فعلى ذلك انزال السكينة في قلوب
المؤمنين ليزدادوا ايمانا فانما يقال انه مثله لا من كان منه او سبب جعل له ذلك وهو كقوله انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله وانما يقال ذلك لتحقيق ان الذي ذلك ليكون ما ذكر على ما اخبر انه فتح ليغفر له ما ذكر
والله اعلم ثم قوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يخرج على وجوه احدها ما قال ابو حنيفة ليزدادوا ايمانا بالتفسير
على ايمانهم بالجملة والثاني ليزدادوا ايمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه مع ايمانهم بسائر الرسل والكتب التي
كانوا آمنوا بها وصدقوها وهذا في اهل الكتاب خاصة والثالث ليزدادوا ايمانا في حادث الوقت مع ايمانهم
فيما مضى من الاوقات فاذا وصل هذا بالاول فيكون بحكم الزيادة وان سبب جعله بحكم الابتداء اذ الايمان
حق التجدد والحدوث في كل وقت والله اعلم وقوله ولله جنود السموات والارض فان كان نزوله على اثر
نزول المنافق على ما ذكر بعض اهل التأويل حيث قال الاصحاب بن عم محمدا ان الله قد غفر له فما انك على عدوه ظفر
ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هيهات هيهات العدو بين لهم العدد والكثرة اغنى اهل
فارس والروم هم اكثر عددا فعند ذلك نزل ولله جنود السموات والارض معناه اي لله تدبير جنود السموات
والارض ينصر من يشاء وعلى من يشاء ويجعل الامر لمن يشاء على من يشاء ليس لهم الذي شرعوا بعدد الامر على
من يشاء ولكن ذلك الى الله تعالى وهو كقوله ولله المكر جميعا اي لله تدبير مكرهم لا بعده مكرهم الا باذن الله
تعالى ذلك ههنا والله اعلم وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما اي عليما بما يكون منهم من ابنائهم عداوة الله على وليه
واختيار الخلافة انشاءهم لا عن جهل بعلم منه لم يعنتهم ولم يأمرهم بما امرهم وامتحنهم لحاجة نفسه او لمنافع
ترجع اليه ولكن لحاجة اولئك ولمنافعهم ولذلك قال الحكيم لان الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير
فاذا كان انشاؤه اياهم وما امرهم به ونهاهم عنه لا لحاجة له في ذلك ولا منفعة ولكن لحاجتهم ومنفعتهم كان
حكيما في انشائه اياهم على علم بما يكون منهم من ابناء العداوة له على ولايته واختيار الخلافة والعصبية انه
الموفق قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الاية كان هذا
صلة قوله هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ليدخل المؤمنين والمؤمنات
ثم انزل السكينة في قلوبهم اي انزل ما يسكن بها قلوبهم ليزدادوا بذلك ايمانا وانزل السكينة ايضا لتدخلهم
فيما ذكر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله فتح له ليغفر له على ذلك انزل
السكينة في قلوبهم ليزدادوا لهم الايمان وليدخلهم جنات ثم وصف تلك الجنات انها لهم حسنا تمتعون
عظيما لا هلاك بعده ولا انقطاع والله اعلم وقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ذكر للمنافقين والمشركين من العذاب بمقابلة ما ذكر للمؤمنين من انزال السكينة عليهم وادخالهم الجنة حرم
هؤلاء السكينة التي ذكر انها في قلوب المؤمنين بها يسكن لما علم انهم يختارون عداوته ويؤثرون عداوة
اوليائه على ولايته وولاية اوليائه وعلم من المؤمنين انهم يؤثرون ولايته على عداوته وولاية اوليائه على عداوتهم
فانزل السكينة في قلوبهم ولم ينزل على اولئك هذا لتعلم ان من يكرم في الايمان الحد الذي يبلغ ذلك
بالله تعالى وبفضله ورحمته ولا تقع الا بالله وقوله تعالى الظانين بالله ظن السوء جائز ان يكون قوله الظانين
بالله ظن السوء هم المنافقون الذين ذكرهم في آية اخرى حيث قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى
اهله وكذلك المؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا ثم اخبر ان ذلك الظن منهم ظن السوء فيحتمل ما ذكر ههنا الظانين
بالله ظن السوء وهو ما ذكر والله اعلم وجائز ان يكون قوله الظانين بالله ظن السوء هم المشركون ثم ان كانوا من ...

فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يرجع هو وأصحابه إلى أهليهم أبدا فإن كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم
فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يلزم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعظمه بالنبوة ولا يختاره ولا يؤثره
على غيره من الناس الذين يختارون هم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فيكون ظنهم بالله ظن
السوء على هذا أن لا يلزم الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ويختاره لرسالته ولا نبوته والله أعلم وإن كانوا
من منكري البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن السوء أن لا يقدر على البعث والإحياء بعد الموت ثم أخبر أن عليهم
السوء الذين ظنوا فإن كانوا من المنافقين ظنوا أن لا يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار عليهم ما ظنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث تفرقوا من أوطانهم وهتك أستارهم ونحو ذلك وإن كانوا من مكذبي الرسل عليهم السلام
أنه لا يرسله فظنهم كانوا ما ظنوا لأنه بعث هو رسولا لم يبعث من اختاروا وأحبوا وإن كانوا من منكري البعث فعليهم
كان عذاب اليوم وخبر إهلاكهم والله أعلم وقوله تعالى وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا
أخبر عز وجل أنهم استوجبوا غضب الله ولعنته بالذي كان منهم من سوء ظنهم بالله ورسوله وأعد لهم جهنم بذلك
وساءت مصيرا لهم وقوله تعالى ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما ذكر على إثر ما ذكر عزيزا حكيما
ليعلم أنه غير لبس بما ذكر من الجنود الذي ذكر لحاجة السموات والأرض ولكنه عزيز أبدا لم يزل العز له الذاتي لا لطلبه
أعلم وقوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قوله شاهدا كأنه لله تعالى على عباده وقال بعضهم على بعض
فعلى هذا التأويل يكون قوله شاهدا أي مبينا أي ليتبين ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وهو قول أبي بكر الأصم
وقال بعضهم أي شاهدا للرسل عليهم السلام بالتبليغ بالإجابة لمن أجابهم وشاهدا على من أبى الإجابة بالإباء
والرد فعلى هذا التأويل يكون قوله شاهدا على حقيقة الشهادة على ما ذكرنا والله أعلم وقال بعضهم أرسلناك
شاهدا على أمتك وعلى الأنبياء عليهم السلام بالتبليغ ومن ذكرنا والله أعلم ومبشرا ونذيرا البشارة هو ذكر عواقب
الخيرات والحسنات والإخبار عن أحوالها أنها إلى ما ذا يفضي أربابها وما لها لترغيبهم فيها والنذارة هو ذكر
عواقب الشرور والسيئات والإخبار عن أحوالها أنها إلى ما ذا يفضي أربابها ومرتكبها لتزجرهم عنها والله أعلم
وقوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله خاطب بهذا البشر كله وفي الأول خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول
على الجمع بينهما في الخطاب أرسلناك رسولا شاهدا لتؤمنوا أنتم بالله ورسوله ويحتمل أن يكون على الإضمار
أي إنا أرسلناك مبشرا ونذيرا وقل لهم إنا أرسلت لتؤمنوا بالله ورسوله وهو كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن معناه يا أيها النبي قل لهم إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن على ذلك على ما ذكرنا والله
أعلم وقرئ بالياء وهي ظاهرة ثم الإيمان بالله تعالى هو أن يشهد له بالوحدانية والألوهية وأن له الخلق والأمر
في كل شيء وكل أمر والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم هو أن يشهد له بالصدق في كل أمر وأن ما جاء به من الله
وتقضي وتصديقه في كل ما يقوله وتجيبه في كل ما يدعوك إليه وتطيعه في كل أمر يأمر به وينهى عنه والله أعلم
وقوله تعالى وتعزروه وتوقروه اختلف فيه قال بعضهم أي تنصروه وتعينوه وقال بعضهم أي تطيعوه وقال بعضهم تعظموه وتوقروه
أي تعظموه وتبجلوه ويكون وتعزروه لنصره على النصر والإعانة ويكون على التعظيم والطاعة استدل بما قال في آية أخرى ويعزروه
وينصروه ذكر التعزير بعطف النصر عليه والمعطوف غير المعطوف عليه فدل أنه غير النصر ولكن جائز أن يكون التسمية
بلفظين مختلفين ومعناهما واحد على التأكيد كذلك من يقول بالتعظيم يقول الأمر بتعظيمه في الحرفين أعني قوله وتعزروه
وتوقروه وذلك جائز في الكلام ويحتمل أن يكون التعزير هو الطاعة والتوقير هو التعظيم وفي الطاعة له تعظيمه
والله أعلم ومن قال النصر والمعونة في التبليغ تبليغ الرسالة إلى الخلق والنفع عنه وكذب بعضهم عليه في جميع حوائجه
والله أعلم وقوله تعالى وتسبحوه بكرة وأصيلا أجمع أهل التأويل أن قوله وتسبحوه راجع إلى الله تعالى وكذلك ذكر
في بعض القراءة ويسبحون الله بكرة وأصيلا والتسبيح هو التبرئة من العيوب والآفات وإن كان المراد بالتسبيح هو
التنزيه في الأفعال والأقوال فجائز أن نسبته ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان بري العيوب في أفعاله
وأقواله لا يدخل في أفعاله وأقواله عيب وإن كان هو الذي يعاض الحكمة والعفاف يحل في نفسه وذلك
لا يجوز إضافته ونسبته إلا إلى الله عز وجل وأما غيره فإنه لا يجوز إضافة ذلك إليه وأصله ما ذكر أهل التأويل من أنه
إلى الله تعالى وقوله بكرة وأصيلا قال أهل التأويل البكرة هي صلاة الفجر والأصيل هي صلاة المغرب والعشاء ويحتمل
أن يكون البكرة كناية عن النهار والأصيل كناية عن الليل كأنه يقول يسبحون بالليل والنهار كله وقت
والله أعلم وقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله أجمع أهل التأويل وعامتهم على أن المتابعة المذكورة في
هذه الآية هي البيعة التي كانت بالحديبية بايعوه على أن لا يفروا قال الفراء كما قال معقل بن يسار لقد رأيتني يوم
الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة أي ألف وأربعمائة
نفر وقال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر وجائز أن يكون المبايعة على أن لا يفروا وذكر في آية أخرى ولقد كانوا

عاهدوا الله ورسوله من قبل لا يولون الأدبار والمتابعة هي المعاهدة لأنه قال في آية أخرى ومنهم من عاهد
عليه الله ذكر في أول الآية المبايعة وفي آخرها المعاهدة ليعلم أن المتابعة والمعاهدة سواء والله أعلم ثم إضافة
متابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسه يحتمل وجهين أحدهما لما أمر بمبايعته وذكر ما ينسب إلى نفسه تعظيم
قدره وجليل منزلته عنده والله أعلم وقوله تعالى يد الله فوق أيديهم قال بعضهم يد الله في حق المتابعة فوق أيديهم
في المتابعة أو كلام نحوه وجائز أن يكون قوله فوق أيديهم أي يد الله في الجزاء إذا وفوا بالعهد فوق أيديهم عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأنهم لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم يد فأخبر أن جزاء الله الذي يجزيهم يكون
ذلك المتابعة فوق أيديهم التي لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم ويحتمل أن يكون ما ذكر من يده
وإضافته اليد إليه يريد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول يد رسول الله عندكم فيما بايعكم فوق أيديكم عنده
ثم يحتمل أن يقع عندهم أن يكون لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يد بما بايعوه وكقوله تعالى يمنون عليك
أن أسلموا فأخبر أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم فوق أيديكم عنده بالمتابعة التي بايعتم والله أعلم
ويحتمل أن يكون يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدد والبسط بالمبالغة فوق أيديهم والله أعلم ويحتمل قوله
يد الله فوق أيديهم أي توفيق الله إياكم ومعونته على مبايعتكم رسوله فوق أيديهم كقوله وما النصر إلا من عند الله
العزيز الحكيم حقيقة النصر إنما يكون بالله ولا قوة إلا بالله وقوله تعالى ومن نكث فإنما ينكث على نفسه هذا
يخرج على وجهين أحدهما كقوله جل جلاله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فعلى ذلك من نكث فإنما جزاء
نكثه وهي النار ومن أوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء والثاني ومن نكث فإنما ينكث على نفسه أي من نكث فعليه
ضرر نكثه وإليه يرجع ذلك الضرر لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لأن الله عز وجل قد وعد
النصر له والظفر ولذلك من نكث فإنما يرجع ضرر نكثه إليه لأن الله تعالى لرسوله ما وعد من النصر له والله أعلم
وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من الأعراب قوله المخلفون سماهم مخلفين وإن لم يخلفهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أصحابه ولكن الله جل جلاله خلفهم عن ذلك بأن أحدث فيهم فعل التخلف لما علم فيهم ما كان من
اختيارهم التخلف وهو كقوله ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم أي منعهم فعلى ذلك ما ذكر من المخلفين أن الله
هو خلفهم ذلك بعد ما اكتسبوا فعل التخلف في أنفسهم دل أن خالق أفعال العباد هو الله تعالى والله الموفق
وقوله تعالى شغلتنا أموالنا وأهلونا هذا القول منهم قول اعتذار وطلب العذر من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقولهم فاستغفر لنا طلبوا منه الاستغفار مع إظهارهم العذر في التخلف بقولهم
شغلتنا أموالنا وأهلونا يقولون إن حبسنا أموالنا وأهلونا لم يكن لنا التخلف عنك فاستغفر لنا ولكن
مع هذا لم يقبل عذرهم لأنهم كانوا لا يحققون في طلبهم الاستغفار منه لأنهم أهل نفاق لا يؤمنون برسالته
ولا بالبعث حتى ينفعهم المغفرة في الآخرة لأنه قال في آية أخرى وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤوسهم الآية دل هذا القول منهم على أنهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منه بقولهم فاستغفر لنا حيث قال
يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك ولا جائز أن ينصرف قوله يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم
إلى قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنه كانوا كاذبين في العذر ولكن طلبوا الاستغفار حقيقة لأنهما لا يحتمل هذا لأن
كانوا صادقين في أن أموالهم وأهلوهم شغلتهم عن ذلك فلا يكون صرف الآية إلى ذلك والله الموفق وقوله قل فمن
يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا فقد ذكرنا أن الاستفهام من الله تعالى يكون على الإيجاب
فيبطل أن لو كان ذلك السؤال عن مستفهم كيف يجاب لم يكن من الله تعالى على الإيجاب لقد يملك لكم نفعا
إن كان الله أراد بكم ضرا أو كان أحد يملك لكم ضرا إن كان الله أراد بكم نفعا حين ظننتم أن يحفظ أموالكم
وأهليكم فإن الله تعالى لو أراد بكم شيئا لا يملكون دفعه عن أنفسكم وإن تخلفتم ولكن خرجتم مع رسوله يملك أحد
الضر لكم من أين لا أحد له في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عذر لهم فقال بل كان الله بما تعملون
خبيرا وجعل الله تعالى أنفس المنافقين وصنيعهم آية ودلالة على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما
حين كان يطلع رسوله على جميع ما أسروا في أنفسهم وأضمروا في قلوبهم ليعلموا أنه عرف ذلك بالله جل وعلا وجعل
الآية في حق غيرهم والله أعلم الكفرة من صنيعهم وأنفسهم حتى علموا بذلك أنه بالله عرف ذلك والله أعلم
وقال أهل التأويل إن أراد بكم ضرا الهزيمة وإن أراد بكم نفعا ظهورا على عدوكم وغنيمة ويحتمل أن يكون الخطاب
بهذا لأهل الإيمان والوعظ لهم بذلك لأن أهل النفاق كانوا لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يقبلون ما يقول إنما المخاطب غيرهم وقوله عز وجل بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا
فإن قيل ما الذي حملهم على الظن بالله أن ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لا يرجعون إلى أهليهم أبدا
إن كان ذلك في خروجهم إلى الحديبية على ما قال أهل التأويل إنه إن كان في خروجهم إلى الحديبية كان خروجهم

الحج وقضاء المناسك لا للقتال والحرب معهم حتى نفع عندهم انهم لا يرجعون بل يهلكون في ذلك فاهل مكة
لم يكونوا يمنعون احدا من اهل النفاق كانوا قد كتبوا الى اهل مكة فاعلموهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى البيت للحج وزيارة البيت فقالوا انا لا ندعهم يدخلون مكة بل نقاتلهم ونحاربهم ولابد لهم يدخلون
فاذا كان منهم ما ذكرنا فجائز ان يكون ظنوا ما ذكرنا من ظنهم تعلقا على غير ذلك فلا يحتمل مع اجماع اهل التاويل على ان
كان عام الحديبية والله اعلم وقوله وظننتم ظن السوء وظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم
ظن السوء انهم لا يرجعون الى اهليهم ويحتمل بالله ظن السوء انه لا يمضي رسوله ولا يعينه والله اعلم وقوله وكنتم
قوما بورا قال بعضهم بورا اي هلكى اي يصيرون قوما هلكى فيه دليل انهم يموتون على نفاقهم قال الحسن كنتم
قوما بورا اي فاسدين لا خير فيهم وكذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما البور هو الفاسد وقال بعضهم البور
في كلام العرب لا شيء وقال القتبي البور الهلكى وقوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
فهو ظاهر وقوله ولله ملك السموات والارض قيل فيه بوجوه احدها ولله خزائن السموات والارض وكذلك
ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرأ ولله خزائن السموات والارض والثاني ولله ملك كل
ملك في السموات والارض والثالث ذلك لله ولان اهل السموات والارض سلطانا اولو الامر والسلطان
له على اهل السموات والارض ثم يحتمل ذكره هذا وجهين احدهما يخبر انه فيما امرهم ونهاهم وامتحنهم بانواع
المحن بما امر ونهى وامتحن لا لحاجة نفسه ولا لمنفعة له اذ له ملك السموات والارض لا يحتمل من له ملك
ما ذكر ان يقع له الحاجة الى ما ذكر او المنفعة لانه غني بذاته ولكن امرهم ونهاهم وامتحنهم بما امتحن لحاجتهم و
منفعتهم والله اعلم والثاني يذكر هذا لينقطع الرجاء عمن دونه من الخلق وتصير في الطمع والرجاء الى الله تعالى
وعنه يكون كل نفع وخير يحصل اليهم وعنه يخافون في كل امر فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون من
وهو مما احسن لا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وقوله يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء يقول والله اعلم هو يغفر لمن يشاء وهو يعذب من يشاء اي ليس يملك احد منعه من ذنوب احد سواه
ولا تعذيبه انما ذلك منه وله ملك ذلك وله الفضل دون خلقه ليصير من طمعهم ورجائهم في كل امر الى الله تعالى
وعنه يخافون في كل امر فيه خوف والله اعلم وقوله وكان الله غفورا رحيما اي وكان الله لم يزل رحيما لا انه حدث
ذلك له بخلقه والله الموفق وقوله سيقول المخلفون اي المخلفون من الحديبية خلفهم الله لما علم منهم
من اختيار التخلف فقال اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم ذكر اهل التاويل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما صالح اهل مكة عام الحديبية ورجع اشتد ذلك على اصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول
مكة وزيارة البيت فبشره ربه بفتح خيبر وغنائمه لهم عند ذلك لما انتهى الى المنافقين المخلفين عن الحديبية
تلك البشارة بفتح خيبر قالوا ذرونا نتبعكم لنصيب معكم الغنائم وهموا بما وعدوا فابى الله عليهم معهم
لما علم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصير بما يخبر به من البشارة بالفتح والغنيمة بلا حرب وقتال وكان
يتبع هنالك وقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله لان البشارة بفتح خيبر وجعل غنيمته لمن شهد الحديبية و
اما من تخلف عنها فليس لهم في ذلك نصيب فاخبر انهم يريدون ان يبدلوا ما وعد الله المؤمنين الذين شهدوا الحديبية
فتح خيبر خاصة بان يشركوهم فيها وفي ذلك تبديل ما وعد الله والله اعلم وقال بعضهم تبديل كلام الله
ما قال له في سورة براءة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن
تقاتلوا معي عدوا فلما سالوا الخروج الى خيبر والاتباع لهم وعرفنا انه عن الخروج معهم اراد ان يبدلوا
ذلك النهي الذي في سورة براءة ويحتمل الامرين جميعا كذا ذكر الشيخ رحمة الله عليه وعامة اهل التاويل
على ان قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا انه نزل في غزوة
تبوك وانها بعد خيبر فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر تبديل النهي الذي نهوا عن الخروج
معه لكن كانهم يستحسنون نزول الاية من غزوة تبوك او دفع الخطا من الذين تخلفوا منه ولكنه والله اعلم
وقوله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يحتمل قوله كذلكم قال الله من قبل في البشارة التي ذكرنا لمن شهد
الحديبية قال ان مغانم خيبر لمن شهد الحديبية واما من لم يشهد فلا ويحتمل قوله من قبل ما ذكر في سورة براءة
فقل لن تخرجوا معي ابدا والله اعلم وقوله فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا كانوا نسبوا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسهم لانهم اذا اصابوا شيئا اصحاب المنافقين كانوا يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان لا يكون لهم في ذلك نصيب ولا حظ حسدا منهم لهم فلما منعهم
المؤمنون من الخروج الى خيبر قالوا ان الله نهاكم ان تخرجوا معنا وقد بشروا بالفتح قالوا عند ذلك بل تحسدون
في اصحابه تلك الغنائم ثم تبين الله تعالى الخروج معكم فانسبوا المؤمنين بانفسهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا

الفقه

الفقه والاستدلال لا بما عرفوه وشهدوه [illegible]
[illegible]
من الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد [illegible]
[illegible]
[illegible] تقاتلونهم او يسلمون [illegible]
[illegible]
[illegible] لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة [illegible]
[illegible] فعلم ما في قلوبهم [illegible]
[illegible]
[illegible] فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا [illegible]
[illegible]

وأثابهم فتحا قريبا الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته ولذلك قوله ومغانم
كثيرة يأخذونها وقوله فعجل لكم هذه على هذا التأويل الذي عجل لكم هذه الفتوح والمغانم في الدنيا ثم
في الاخرة ثوابا عظيما والله اعلم ومنهم من قال فعجل لكم هذه ايضا غنائم خيبر ثم قوله وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها بعد ذلك الى يوم القيامة والله اعلم وجائز ان يكون قوله وأثابهم فتحا قريبا هو فتح الروم
لانه ذكر انهم بشروا يوم الحديبية بفتح الروم وفارس وفيه نزل قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله والله
اعلم قوله تعالى وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويحتمل هذا وجوها احدها ما كف ايدي اهل
مكة عنهم عام الحديبية وهم كانوا مستعدين للحرب والقتال والمؤمنون لم يكونوا مستعدين للحرب ولا
معهم سلاح وانما خرجوا للحج وزيارة البيت فما كان ذلك الا لان الله تعالى القى الرعب في قلوب اهل مكة حتى
صالحوهم وكان ذلك آية للمؤمنين وقال بعضهم اي كف ايدي اهل غطفان وبني اسد منهم لان غطفان وبني اسد
كانوا مع اهل خيبر يظاهرونهم على ذلك وكانوا حلفاء لاهل خيبر فلما ارادوا ذلك ... سألوا الصلح منهم ...
على ان يخرجوا عنه فلما ... اهل خيبر ففعل ذلك فخرجوا عنه فلم يقاتلوه ... فكف ايدي الناس
عنكم فلم يقاتلوهم مع انهم حلفاء اهل خيبر ... ولتكون آية للمؤمنين ... لهم خيبر
انه لهم اي حجة لهم على الكفرة ويقال آية للمؤمنين فيزدادون بالاسلام تصديقا ويقينا وفي هذا تحقيق لقوله
ويزداد الذين آمنوا ايمانا ... محمد صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من القرآن والله اعلم وجائز ان يكون قوله وكف ايدي
الناس عنكم ... اهل الاسلام والايمان في دينهم وانقطاع طمعهم عن رجوعهم
ولذلك قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي هذا ...
لما ذكر من كف ايدي الناس عنهم والله اعلم قوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها على التأويل
الذي ذكرنا في قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ان ذلك غنائم خيبر فيكون قوله واخرى لم تقدروا
عليها غير ذلك من الغنائم التي لم يغنموها وعدا لهم سيغنمونها بعد ذلك ويجعلها لهم وجائز ان يكون
قوله واخرى لم تقدروا عليها اي سوى قرية خيبر التي فتحها ... واخرى من القرى لم تفتحوها ...
لم تفتحوها قد احاط الله بها اي قد جعلها لكم ... لم تقدروا على ... قد احاط بها وجعلها لهم
ليعلم ان القدرة انما يعطيهم حين وقوع الفعل منهم ... وكان الله على كل شيء قديرا قوله تعالى
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار يحتمل قوله ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة لولوا الادبار منهزمين
مع كثرة عددهم وقلة عددكم وضعفكم ليكون آية للمؤمنين على احد التأويلات التي
ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله ولو قاتلكم الذين كفروا حلفاء اهل خيبر اسد وغطفان ومن ذكروا اي لو قاتلكم
لولوا الادبار هاربين منهزمين ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ... ذلك
بقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ... لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا ...
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنهم لما كان فيهم من المؤمنين لو تزيلوا ... من الكفار ...
لعذبهم ... لاجل ذلك ... اهل البغي ... النبي صلى الله عليه وسلم
اهل الطائف ... بالمنجنيق ... قتل النساء ... وقد علم انه ... ان يكون المسلمين
فيهم لا يمتنع من الرمي اذا لم يقصد المسلمين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اهل الديار
يبيتون فيصاب من ذراريهم ونسائهم فقال عليه السلام هم منهم ...
... انهم اذا سمعوا الاذان امسكوا عنهم وان لم يسمعوا الاذان اغاروا عليهم ولا يخلو من ان يصيب ذراريهم
ونسائهم وكذلك لا يخلو من ان يكون فيهم من المسلمين من التجار وغيرهم انه لا بأس بذلك فاما الآية لا حجة
لهم فيها لان فيها بيان ان المندوب هو الكف عن ذلك اما الحظر فلا ... الا بظاهر الآية على ...
الاتباع انه قال لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم لولا الحظر ... لان
الناس قد اختلفوا في تأويلها والصحيح ما ذكرنا من الوجهين ... والاثم بسبب اصابته
وذلك يكون من ... ويحتمل ان يكون ذلك كان خاصا في اهل مكة لحرمة الحرم ... القتل
... عندنا ولذلك الكافر الحربي اذا دخله ... الحرم والله اعلم قوله تعالى ليدخل الله في رحمته
من يشاء كأنه قال ... ليدخل الله في رحمته من يشاء وجائز ان يكون هذا ايضا لجهة الاحسان في كف ايديكم
عنهم فكف ايديكم عنهم ليدخل في دينه من يشاء والله اعلم وقوله لو تزيلوا اي لو تميزوا ... الكفر ...
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ... ولكن ... عنهم والله اعلم قال ابو عبيد
فتصيبكم منهم معرة ... قال ابو عبيدة المعرة الشر ...

[illegible]

ولزيادة لم يفد ذلك عن المسجد الحرام كصدهم عن المسجد الحرام لما كان الذي ... هو في المسجد الحرام ...
صدوهم عن المسجد الحرام صدوهم عما فيه والله اعلم قوله تعالى والهدي معكوفا ان يبلغ محله وقوله
اي محبوسا والمعكوف في الحبس ومنه سمي المعتكف معتكفا قوله والهدي معكوفا ان يبلغ محله محل دم
... المتعة هو مكة او منى فاما الحرم نفسه فليس هو محله مكانه قال وصدوا الهدي عن ان يبلغ محله الذي
جعل الهدي للمتعة وهو منى او مكة لانه ذكر في الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم معتمرا وذكر انه كان متمتعا ففيه
ان دم المتعة اذا منع من محله سقط وخرج من حكم المتعة ويعود الى ... فلا ينصرف الى ... الذي
صلى الله عليه وسلم نحر تلك البدنة التي ساقها في الاحصار في الحرم لانه ... المتعة اذا منع عن المحل سقط
وخرج عن حكم المتعة وفيه ان دم الاحصار لا يجوز ذبحه الا في الحرم اذ الحديبية يجمع الحرم والحل جميعا عندنا
وانما كان نحرها في الحرم والله اعلم قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم

يقتلونهم ويهلكونهم فيصيبكم منهم معرة بغير علم اولو لا ما فيها اعني في مكة من الرجال المؤمنين ونساء مؤمنات
لم لكم الظفر وقد خلتم عليهم لكن منعكم عن دخولكم مكة لما ذكرتم اختلف في قوله فيصيبكم منهم معرة قال بعضهم
اي فيلزمكم الدية بقتلهم وكذا روي عن محمد بن اسحق وقال بعضهم الكفارة وقال بعضهم الاثم والذنب اي يصيبكم
منهم الاثم بقتلكم اياهم وهذا لا يحتمل لانهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الاثم والذنب لان الله تعالى
وضع الاثم عنا فيما لا نعلمه ولم يضع لنا طريق العلم به قال الله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم وعندنا يخرج على وجهين احدهما اي فيصيبكم من الكفرة واهل النفاق ما يسركم بقتلكم من الائمة والتعيير
وغير ذلك من القتل والقتال ليقولوا انهم قتلوا اصحابهم ومن كان على دينهم من اهل الاسلام فيجدون
بذلك سبيلا الى ما ذكرنا فيبلغكم ذلك والله اعلم والثاني يصيبكم الاسف والحزن والندامة الدائمة بقتلكم
اهل الايمان واهل الاسلام اذا علمتم انكم قتلتم اصحابكم واهل دينكم والله اعلم ثم المخالف لنا تعلق
بهذه الآية في المسلمين اذا اقاما فيهم ولم يهاجرا الينا انه يجب الدية في قتله بقوله فيصيبكم منهم معرة
بغير علم وهو غرم الدية والثانية هل يباح الرمي الى حصون المشركين اذا كان فيها اسارى المسلمين واطفالهم
او احراق الحصون والرمي الى الكفار والذين تترسوا باطفال المسلمين قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد رحمهم الله
والثوري لا باس برمي حصون المشركين وان كان فيها اسارى المسلمين واطفالهم لا باس ان يحرق الحصون ويغرق
بالمشركين وكذلك احراق سفينة الكفار اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال مالك لا يحرق سفينة الكفار
اذا كان فيها اسارى المسلمين وقال الاوزاعي اذا تترس الكفار باطفال المسلمين لم يرموا ولا يحرق الحصون
لا باس بان يرمى الحصن بالمنجنيق ونحو ذلك وقال الشافعي لا باس بان يرمى الحصن وفيه اسارى واطفال المسلمين
ولو تترسوا بهم فله قولان واحتج هؤلاء فيما ذهبوا انهم كانوا يعبدون ما يعبد وفي زمان البعثة لانفسهم من
الاصنام والاوثان وغيرها ويضعون عندها ويعتقدون عنهم فيدفعون عنها فجاز ان يكون ذلك الذي حملهم
على ذلك هو بعضهم وافعلت الاصنام وعبادتها والذب عنهم حمية منهم حمية الجاهلية والله اعلم
وانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين جائز ان يكون ما ذكر من السكينة التي انزلها الله على رسوله ومن
ذكر هو شيء انزله من السماء لطفا منه عليهم حتى سكنت بذلك قلوبهم وجائز ان يكون لا ندري حقيقة انزاله
من مكان نحو لكن انشاء وكونهم ما يسكن به قلوبهم كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي انشأ لكم
من الانعام ما ذكر وخلقها لهم ليس انه انزلها عليهم من مكان الى مكان وذلك على الانشاء والخلق فعلى ذلك
الاول والله اعلم ثم السكينة يحتمل اسباب الدنيا فسكن قلوبهم والاسباب يختلف ويحتمل شيئا
آخر سوى ذلك وهو اللطف الذي جعل لهم فسكن قلوبهم بذلك اللطف والله اعلم وقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها يحتمل هذا وجهين احدهما الزمهم كلمة بها يتقون النار ثم يحتمل كلمة التقوى كلمة
الاخلاص وغيرها ما الهمهم الله تعالى والله اعلم ويحتمل قوله والزمهم اظهار كلمة التقوى حتى تصير ظاهرة في الخلق
ابدا الى يوم القيامة والله اعلم وقال بعضهم كلمة التقوى هو بسم الله الرحمن الرحيم وذلك انه لما كتب
كتاب الصلح فيما بين اهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بسم الله الرحمن الرحيم وقال اولئك
الكفار اكتب كما لا نعرف ما الرحمن الرحيم فتلك كلمة التقوى والله اعلم والوجه فيه ما ذكرنا وقوله وكانوا احق بها واهلها
اي بتلك الكلمة وكانوا اهلا لها وكان الله بكل شيء عليما وقال بعضهم كلمة التقوى هي كلمة الاخلاص
وكانوا احق بها من الامم السالفة واهلها والله اعلم وكانوا احق بها اي باظهارها في الخلق والقيام بها وكانوا احق
بها فانه لتراها في انفسكم والله اعلم وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قال اهل التاويل صدق الله
رسوله اي حقق الله لرسوله الرؤيا التي اراها اياه بالحق ويحتمل يصير النبي صادقا عندهم فيما اخبرهم
انه راى وجعله صادقا في ذلك والاول اشبه وقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين هذا يخرج على
وجهين احدهما على الامر اي ادخلوا المسجد الحرام وان كان في الظاهر خبرا كرؤيا ابراهيم عليه السلام حيث قال
اني ارى في المنام اني اذبحك ثم قال افعل ما تؤمر دل هذا على ان ما راى ابراهيم عليه السلام من الذبح هو امر به
فان كان التاويل هذا يخرج الثنيا المذكور فيه على انه كانه قيل ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين ان شاء الله
ان يامنوا في دخولكم واداءكم بامور لم يشأ ان يدخلوه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لتدخلن المسجد
على الوعد فيخرج الثنيا المذكور على وجهين احدهما على التبرك واليمن كما يتبرك بذكر اسمه في كل ما يفعل
والثاني على الامر لكل في نفسه اذا اخبر عزمه ان يفعل ان يقول ان شاء الله كما امر المسلمين حين اخبر
يفعله كقوله عز وجل ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يذكر الثنيا لان الوعد
الظاهر وان كان الجملة لقوله لتدخلن فجائز ان يكون المراد منه بعضهم لا الجملة لاحتمال ان يموت بعضهم

ذلا يكون هو مرادا من الجملة فذكر الثنيا الذي يكون تحلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم ما ذكر عن رؤيا
النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم ما ذكر عن الرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انه حققها يحتمل ما ذكر من نحو التحقيق
على الامر فان ذلك فيكون قوله لتدخلن المسجد الحرام هو تفسير لتلك الرؤيا وجائز ان يكون الرؤيا غير ذلك
وقوله لتدخلن المسجد الحرام ابتداء وعد من الله تعالى وكذلك ما ذكر من قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس يحتمل ما ذكر في هذه الآية لتدخلن المسجد الحرام الى آخر ما ذكر ويحتمل غير هذا وعدا خبر انه حققها
والله اعلم ثم قوله محلقين رؤوسكم ومقصرين يخبر انهم يدخلون المسجد الحرام محلقين ومقصرين ثم يخرج على وجهين
احدهما في ابتداء الاحرام يخرج على التزين على ما يتزين المحرم في ابتداء احرامه من نحو الطيب واللباس والحلق والقصر ونحو
ذلك فعل انهم يدخلون على التزين في المسجد الحرام آمنين من الكفار فان كان على ذلك فهو على الثياب والطيب وغير
ذلك وانه كان معتمرا فسمى تلك العمرة القضاء حيث منع في عام الحديبية وكان معتمرا وان كان حاجا فيكون قوله لتدخلن
المسجد الحرام بعد رجوعهم من منى الى طواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون محلقين ومقصرين والله اعلم ويحتمل
ما الحكمة في امر رسوله عليه السلام بالخروج للحج عام الحديبية على علم منه انه لا يصل الى مكة وانه يحال بينه
وبين دخول مكة وقضاء النسك فلا يحتمل الى ذلك الا امر من الله تعالى ليس هو كغيره من الناس انهم يفعلون
بلا امر ثم يمنعون او ينهون عن ذلك واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يفعل شيئا الا عن امر منه لذلك
يحتمل انما امر بذلك مع علم بانهم يمنعون نحو ذلك ليعلمهم سنة ما فيه حكم الاحصار وكان فيما احصر عن الحج ومنع
من دخول مكة لقضاء النسك ماذا يلزمه ولم يخرج منه والله تعالى اعلم حلة حكم من بعثه مرة بالعلم بكذا
يخبرهم ومرة يفعل النبي صلى الله عليه وسلم فيختبرهم بما شاء الله الحكيم في الامر في الخلق والله اعلم وقوله تعالى لا تخافون
اي يدخلونه مكة آمنين لا يخافون عدوكم ولا منعهم اياكم وقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا هذا يخرج على وجوه احدها
اي علم ما وعد لكم من فتح خيبر وغنائمه ما لم تعلموا ويحتمل اي علم ما اراه رسوله عليه السلام من رؤياه وتحقيقها
ما لم تعلموا ويحتمل اي علم في رجوعكم عن الحديبية اسبابا لم تعلموها انتم من اظهار ما اظهر من نفاق اهل النفاق
منهم واهل الاضطراب من المحققين والمصدقين وغير ذلك والله اعلم ويحتمل ان يعلم ما شيء هو احق انه منه في
تعلم ما لم تعلموا ان فعل ان ذلك الدخول الى سنة ولم تعلموا انتم والله اعلم وقوله تعالى فجعل من دون ذلك
فتحا قريبا قال بعضهم فجعل من قبل ان يدخلوا مكة فتحا قريبا اي عاجلا فتح خيبر وقال بعضهم فجعل من دون
نحر الحديبية والحل فتحا قريبا وهو فتح خيبر والله اعلم وقال اهل التاويل انه اشتد على الناس رجوعهم
من الحديبية وصد المشركين عما قصدوا وتحيرهم لما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى في النوم انهم يدخلون
على ما وقع عندهم ان رؤيا الانبياء عليهم السلام كالوحي لكن هذا لا يحتمل من المسلمين لما يحتمل من المنافقين على
ما ذكر انهم قالوا حين نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية اين الرؤيا او كلام نحو هذا لانه لا يحتمل من
المنافقين فاما من المسلمين فلا يحتمل عن المنافقين فاما من المسلمين فلا يحتمل ان يقع في قلوبهم شيء من ذلك لما
لم يكن في الآية بيان ولا توقيت انهم متى يدخلونه بل فيها الوعد بالدخول لا نبي فيها انه متى الامر فان يوسف عليه السلام
راى الرؤيا وخرجت تلك بعد اربعين سنة او اقل او اكثر فعلى ذلك لا يحتمل ان يخفى عليهم اذا لم يكن في الرؤيا
توقيت ان يتاخر ان يتقدم والله اعلم ثم فيما ذكرنا من امر الحديبية وصد المشركين اياهم عن دخول مكة
والحيلولة بينهم وبين ما قصدوا انه لا يحتمل ان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد الحج
مع اصحابه بلا امر منه بذلك لما ذكرنا ثم انه يشتد الامر بذلك فعلمه الله تعالى انه لا يصل الى ما يحصل المامور
به وما قصدوا من دخول مكة لا بعد ما يكون من المشركين من المنع والصد عن ذلك ليتبين انه اراد ما علم انه يكون
من الامتناع عن مقصوده فهو الصد عن ذلك فما اراد تحصيل ما امرهم بذلك فهذا دليل على ان الله تعالى قد
يريد عن الذي امر به وانه يريد ما علم انه يكون منهم دون الذي امر به وهو كما امر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده
ثم كان حقيقته المراد بالامر بذبح الولد ذبح الشاة والكبش دل ان الامر بالشيء لا يدل على انه اراد الذي امر به بل يريد
ما علم انه اراد الذي امر به بل يريد ما علم انه يكون منهم من خلافه وضده والله اعلم وقوله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى اي ارسله بالهدى من كل ضلال وحيرة وارسله بالبيان من كل عمى وشبهة وهو هذا القرآن
الذي سماه مرة بيانا ومرة هدى ورحمة ونورا ونحو ذلك لعظم ما وصفه انه من تمسك به يكون له ما ذكر
هدى من كل ضلال وحيرة ونورا من كل ظلمة وبيانا من كل عمى وشبهة ولا قوة الا بالله وقوله ودين
الحق يحتمل ان يكون الحق يكون هو النعت الذي هو الاسلام وهو الدين الحق وسائر الاديان باطلة ويحتمل
ان يكون قوله ودين الحق اي دين الاله الذي هو الاله الحق وهو الاله المستحق الالوهية وغيره من الاديان
دين الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله ليظهره على الدين كله لاظهار وهو الغلبة ثم يخرج غلبته على الدين كله على وجوه

احدهما ليظهره على هذا الدين على الأديان كلها بالحجج والبراهين انه حق وانه من عند الله جاء وقد كان بحمد الله
حتى عرف اهل الأديان كلها بالحجج والبراهين انه حق الامر كانوا يعقلونه ويعاندون الحق ويقلدون آلهة ولا تقوم الاباء
والثاني يغلب على الأديان كلها اي يغلب على اهل الأديان كلهم حتى يصير اهل الاسلام ظاهرين غالبين على
غيرهم وهو ان جميع اهل الأديان يخضعون لكم ذلك وقت دون وقت وهو الوقت الذي ذكر بعض اهل التأويل
وهو في وقت خروج عيسى عليه السلام يصير اهل الأديان كلهم اهل دين واحد وهو الاسلام وجائز ان يكون قوله ليظهره
على الدين كله اي ينظر ما يحتاج اهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من الحاجة من الأديان كلها مما ضمن في القرآن
معاني يقع الكفاية بها في الحوادث كلها والله اعلم وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا هذا يحتمل وجهين احدهما وكفى
بالله شهيدا بانه جاء به محمد صلى الله عليه وسلم انه الحق جاء به من عند الله فان كان التأويل هذا فانما يكون هذه الشهادة
في الآخرة والله اعلم والثاني يحتمل قوله وكفى بالله شهيدا بما انشأ له من الآيات والحجج والبراهين وجعلها آيات رسالته
ونبوته اي كفى بما انشأ له من الآيات والحجج شهادة منه على رسالته ونبوته او كفى بما انشأ له من الآيات والحجج شهادة منه
على رسالته ونبوته في الدنيا والله اعلم وقوله تعالى محمد رسول الله من الناس من احتج على تفضيل محمد
على غيره من الانبياء عليهم السلام بهذه الآية وبغيرها من الآيات لان الله تعالى لم يذكر محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن
الا وخاطبه باسم الرسالة والنبوة كقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقوله محمد رسول الله ونحو ذلك
وسائر الانبياء عليهم السلام انما خاطبهم باسمائهم التي جعلت لهم في خلقتهم دون ضمن الرسالة والنبوة كقوله يا نوح اهبط
بسلام منا ويا لوط ويا موسى ويا مريم ويا هود ويا صالح جميع من ذكرهم سواه انما ذكرهم باسمائهم الموضوعة
في اصل الخلقة ولم يخل محمدا لم يسمه باسماء الرسالة والنبوة ولذلك الفضل جعل له من بين غيره ولذلك يحتج
لفضل امته واصحابه على سائر الامم حيث خاطب هذه الامة باحسن الاسماء فقال يا ايها الذين آمنوا وقوله يا ايها
المؤمنون وقال في سائر الامم يا بني اسرائيل ويا ايها الذين هادوا ونحو ذلك مما يدل على فضله ثم قوله كنتم خير امة
الامة او كنتم خير امة في الكتب المتقدمة بما ذكر والله اعلم وقوله تعالى والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم
يحتمل ما وصفهم ونعتهم يرجع الى الصحابة على الاجتماع اي الكل موصوفون بهذه الصفات التي ذكر في الآية
فانما كلها فيهم وهو كقوله فضعفتهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي اشداء على الكفار رحماء على المؤمنين
وصفهم بذلك جملة فعلى ذلك هاهنا يحتمل ان يكون وصف بعضهم دون بعض او وصف عامتهم فاما الكل
فلا وذلك نحو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال لولا قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ما كنا
نعرف ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا فانما يكون ذلك الوصف لبعض فقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ثم قد جعل الله الرحمة والرأفة بين المؤمنين يتراحم بعضهم بعضا ولذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا كلنا رحيم قال ليس ذلك برحمة انما الرحمة ان يحب لاخيه
ما يحب لنفسه ولولده او كلاما نحوه وروي عن نعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون
كلهم كرجل واحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى وليس فيما وصفهم بالشدة على الكفار
على ان ليس لهم شفقة عليهم فان النبي صلى الله عليه وسلم له شفقة عظيمة وحرصهم حتى كادت تهلك نفسه
كذلك قال الله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين فعلى
ذلك لاصحابه ثم القتال الموضوع فيما بينهم رحمة في الحقيقة وان كان في الظاهر ليس برحمة لانه يضطرهم
ذلك الى قبول الاسلام والتوحيد وفي قبولهم ذلك نجاتهم وما وصفهم بالرحمة على المؤمنين ليس فيه انهم ليسوا
باشد عليهم اذا اتوا منهم المناكير والفواحش حتى يتركوا التعدي عليهم بل من الشفقة لهم عليهم ان ينكروا
عليهم المنكر اذ في ذلك نجاتهم وذلك لا ينافي الرحمة التي وصفهم بها بل ذلك من الشفقة لهم والرحمة
والله اعلم ثم نعتهم وقال تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود
قوله تراهم ركعا سجدا يحتمل وجهين احدهما وصف لهم بالمداومة في اقامة الصلاة بالجماعة واراد بالركوع
والسجود هو الصلاة على طريق الكناية والثاني عبارة عن الخضوع لربهم والتواضع للمؤمنين والله اعلم
وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا يحتمل قوله يبتغون فضلا من الله الجنة اي يبتغون كل ما ذكر
من الرحمة والشدة والركوع والسجود الجنة والفضل يذكر عبارة عن الجنة في القرآن في غير موضع ويجوز
ان يكون ما ذكر ابتغاءهم الفضل من الله تعالى ما يعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون
ما يعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون معيشة ينفقون بها على طاعة الله وقوله ورضوانا
اي رضا ربهم وهو معنى الفضل ايضا على التكرار التأكيد لقوله وابتغوا من فضل الله لكنه اخبر انهم يبتغون
ذلك الفضل والرضوان من الله تعالى والله اعلم وقوله سيماهم في وجوههم من اثر السجود واختلف فيه قال الحسن

وجوههم

يعني السيما اثر الخشوع والصلاة في وجوههم وقال بعضهم ان الرجل اذا قام من الليل واطال القيام والسهر
يتبين سهر الليل في وجهه اذا اصبح من الصفرة وتغير اللون وذلك كله في الدنيا ولذلك روي عن الحسن انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قوما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة
قال قتادة اثر الصلاة في وجوههم وهو اثر التراب لكثرة ذلك السجود وقال بعضهم سيماهم في وجوههم من اثر
السجود يوم القيامة وهو بياض وجوههم من اثر السجود والوضوء ولذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اني اعرف امتي من بين غيرها من الامم قيل وكيف تعرف يا رسول الله امتك من بين الامم فقال ان امتي يحشرون يوم القيامة
من اثر السجود ولا يكون لاحد من الامم غيرهم والله اعلم ويجوز ان يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى في وجوههم
من آثار العبادة لهم ويجعل فيها من النور والحلاوة والحسن ما يعرفون انهم اهل عبادة الله تعالى وطاعته وقوله تعالى
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل يحتمل وجوها احدها ان شبههم في التوراة والانجيل كشبه
الاجلة من اهل التوراة والانجيل الاحاد والافراد منهم المحادون من بين غيرهم الذين يعظمونهم الاتباع والملوك
ويجلونهم فما بالكم لا تعظمون هؤلاء ولا تتبعونهم كاولئك والله اعلم والثاني يحتمل ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل انه ذلك نعتهم ووصفهم في التوراة والانجيل على ذلك نعتوا ووصفوا في التوراة والانجيل
وتقدم فيهم ذلك فهلا تبعتموهم اذا استووا ووصفوا في القرآن والله اعلم وقال بعضهم قوله ذلك مثلهم في التوراة
مقطوع مقصود وهو ما تقدم من قوله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله من اثر السجود ثم ابتدأ فقال
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه الآية وهذا يحتمل وهو وجه حسن وعلى التأويلين الأولين ما ذكر من نعتهم
كان في التوراة والانجيل جميعا ثم نعتهم ايضا بقوله كزرع اخرج شطأه والله اعلم ثم ذكر نعت اصحابه بهذه
في هذه الآية ولم يذكر نعت رسوله عليه السلام وانما ذكر نعته في آية اخرى وهو قوله النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة الآية ذكر نعته وصفته في الآية ونعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه السورة والله اعلم
ثم قوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية دلالة الرسالة اخبر ان نعتهم في الكتب المتقدمة كما ذكر
في القرآن ثم لم ينقل احد من اهل الكتب المتقدمة ان ذلك ليس نعتهم وشبههم في تلك الكتب ثبت انه بالله عرف ولا
قوة الا بالله وقوله كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه شبههم بالزرع ذكروا الله اعلم لانهم احيوا
سنة الدين وشرائعه التي كانت من قبل نبيهم قد درست وانقطع اثرها لانه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
رسول فكان انقرض ذلك واندرس ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم فعمر المدروس ذلك والمنقرض كالزرع الذي يخرج
رخوا وهو النبت الواحد في اول ما يخرج فكان اصحابه وازروه كالزرع التي تنبت حول الساق من اصل الحلفة ثبت
واما شطأه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج اول النبت واما الولد التي تنبت حول الشطأه
فاجتمعت معهم المؤمنون كانوا في قلة كما كان اول الزرع دقيقا ثم زاد نبت الزرع فغلظ فآزره فاستغلظ كما ازر المؤمنون
بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستووا على امرهم كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سوقه ثم اختلفوا في
الشطأه قال ابو عوسجة هو قصب الزرع عصافيره واسطأ الزرع اي صار له ورق فآزره اي قواه سوقه جمع ساق
وقال ابو عبيدة الشطأه الزرع فراخه وصغاره يقال قد اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا افرخ وقال الفراء الشطأ ان ينبت
الحبة عشرا او سبعا او ثمانية واو رها اي اعانه قواه فاستغلظ اي غلظ فاستوى على سوقه جمع ساق يعني
تم التام كما على سوقه انما يراد به ساقه مبلغ الغاية يقول والله اعلم كما ان الزرع على السوق قد استحكم فهذا
مثل ضربه الله لنبيه عليه السلام اذ اخرج وحده فايده باصحابه واشتد كما قوى الطاقة من الزرع بما ينبت منها
حتى غلظ وعظم واستحكمت وقوله تعالى يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار قال بعضهم الزراع هو محمد صلى الله
عليه وسلم يعجبه ما يرى من اصحابه والمؤمنون يغيظ الكفار ذلك من الغيظ وهو لقوله من كان يظن ان لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة الى قوله هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال بعضهم الزراع هو صاحب الزرع اذا اكتمل ونبته واستوى ليغيظ بهم
الكفار ليغيظ بذلك سائر الزراعين وقال بعضهم كما يعجب الزراع حسن زرعه حتى استوى قائما على ساقه فكذلك يغيظ
الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم وقال بعضهم هم الزراع سموا كفارا لانهم يكفرون اي يسترون البذر في الارض
والله اعلم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما وذلك كثير في القرآن وقال بعضهم
من ليس بصلة بل الدليل بها لما وصفتم وهو التبعيض من جملة سائر البشر كانه يقول وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من بين غيرهم منهم
مغفرة واجرا عظيما والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله لقولهم انهم جحدوا وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفروا وارتدوا عن الاسلام جميعا او كلاما نحوه وفي الآية رد لقولهم لانه وعد لهم المغفرة والاجر
العظيم فلا يحتمل ان يكونوا على ما ذكروا ولئلا يكون لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم فدل ما ذكر من الوعد لهم
بالمغفرة والاجر العظيم انهم على ما كانوا من قبل في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حياته والله اعلم

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله • قال بعضهم ان ابا بكر وعمر اختلفا في شيء بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فارتفعت
اصواتهما فنزل قوله يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى آخر ما ذكر من قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي وذكر عن الحسن في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تذبحوا قبل ذبح النبي صلى الله عليه وسلم
يوم النحر وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا
كانوا يقولون لو انزل كذا وكذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وامرهم ان لا يسبقوا نبيه عليه السلام بقول ولا
حتى يبين لهم بيانه فاما الذي يعتمد قالوا والله اعلم بتاويل ذلك ان قوله يا ايها الذين آمنوا الآية اي يا ايها الذين
آمنوا اعلموا ان لله الخلق والامر لا تقدموا امرا ولا قولا ولا فعلا ولا حكما ولا تنسبوا الى ما امر الله ورسوله وعن
ما نهى عنه بل اتبعوا امره ونهيه واصبروا على ما انتم به واقروا له بالخلق والامر فلتحفظوا امره ونهيه ولا تخالفوه ولا
في شيء من الامر والنهي فهذا يدخل فيه كل شيء وكل امر من القول والفعل والقضاء والحكم والذبح وغير ذلك
على ما ذكرنا من اعمالهم بان له الخلق والامر في الخلق اذ مثل هذا الخطاب لو كان لواحد خاص لكان حكمه يلزم الكل
ولذلك لو كان في امر واحد وفعل واحد كان يدخل في ذلك جميع الامور فكيف والخطاب عام مطلق فهو
للكل وفي كل الامور والله الموفق وعلى ذلك ما روي عن مسروق انه دخل على عائشة رضي الله عنها في اليوم الذي
يشك فيه فقال لا انا صائم وهو اليوم الذي يشك فيه فقالت له قد نهي عن هذا ونزلت يا ايها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله في صيام ولا غيره اعتبرت عائشة رضي الله عنها عموم الآية في النهي عن التقدم بين يدي الله
ورسوله ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم في قول او فعل وكذلك روي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى قال في قوله
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تعجلوا بالامر والنهي دونه وقوله تعالى واتقوا الله ان الله سميع عليم اي اتقوا
مخالفة امر الله ونهيه قولا وفعلا واتقوا مخالفة رسوله في امركم بامر وفي نهيه وفي كل ما دعاكم اليه ان الله
سميع لاقوالكم عليم بافعالكم ولا عالم بكم ولا فرع الا بالله ثم لم تفهموا ما ذكر في قوله بين يدي الله ورسوله الجوارح
ولا العدد في اليد كما تفهمون من ذلك في الخلق فما بالهم يفهمون ذلك من قوله خلقت بيدي ولم يجعلون من قوله خلقت
بيدي اي خلقته على علم مني بما كان منه خلافا او معصية لم اخلقه عن جهل بما يكون منه وهو ما ذكر في قوله الا
بما يعملون بصير وخبير اي على علم بالخواطر وبما يكون منهم انشأهم لا عن جهل بذلك فعلى ذلك هذا كما تفهمون من
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله امر الله ونهيه دون الجوارح والعدد والله الموفق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم الى قوله لبعض قال بعضهم ان الآية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لما اختلفا في شيء
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما وقال بعضهم انها نزلت في قوم كانوا اذا سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن شيء قالوا فيه قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم في شيء وقالوا فيه قبل قول النبي صلى الله عليه
وسلم وعندنا يحتمل ان يكون ما ذكر رفع الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
ان يكون ما ذكر رفع الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهر بالقول له وما ذكر من التقدم
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهر بالقول له وما ذكر من التقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الامر والنهي ان يكون الخطاب لاولئك الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعظيم امره ونهيه ذلك
منهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوته ويجهروا له بالقول ويتقدموا بين يديه في امره ونهيه لا عن سهو وغفلة او اذن
منه لهم بالمناظرة والمحاورة في العلم فعند ذلك يرتفع اصواتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اجل في قلوبهم واعظم قدرا من ان يتجاسروا التقدم بين يديه بامر او قول او رفع صوت او جهر القول
له فتكون الآية في اهل الشرك وفي اهل النفاق والله اعلم ثم ان كان الخطاب بذلك الذين آمنوا فهو على وجهين
احدهما ان ذلك منه ابتداء محنة امتحنهم بذلك وامرهم بعد ان كان منهم شيء من ذلك من التقدم بين يديه
ورفع الصوت والجهر له بالقول وله سبحانه ان يمتحن ويامر وينهى من شاء بما شاء من الابتداء امتحانا منه لهم
وهو ما ذكرنا من نهي الرسل عليهم السلام عن الشرك والمعاصي وان كانوا معصومين عن ذلك لان العصمة لا تمنع
النهي لان العصمة انما تكون عصمة اذا كان هناك امر ونهي فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من النهي عن التقدم
والرفع بالصوت والجهر بالقول وان لم يكن منهم شيء مما ذكر ابتداء محنة منه لهم والله اعلم ويحتمل ان يخاطب به
الصحابة رضي الله عنهم بذلك ليتعظ بذلك من يشهد مجلسه من المنافقين وغيرهم من الكافرين اذ كان يشهد

مجلسه اهل النفاق وسائر الكفرة لئلا يعاملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معاملة بعضهم بعضا
والله اعلم وقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ذكر هذا لكون ناس مستيقظين بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم حذرين معظمين في كل وقت لئلا يكون منهم في وقت ما يخرج مخرج الاستخفاف به والتهاون في
والغفلة فيحبط ذلك اعمالهم لان بهذا الصنيع برسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر صاحبه ولا يكون معذورا
وان حمله على السهو والغفلة لانه لم يقدر الاحتراز ويمكنه التحذر وان كانوا يعفون فيما بينهم عن التعمد
ولا يؤاخذ بعضهم بعضا رفع عنهم المؤاخذة فيما بينهم فلم يرفع في حق النبي صلى الله عليه وسلم ان الكل في حد
المؤاخذة والله اعلم وذكر الكرابيسي قال في حكم الآية نفي حبوط الاعمال بالكبائر على ما يقول الحسن قال الا ما
يشعر هؤلاء الناس ان عملا يحبط اعمالا يقول يا ايها الذين آمنوا الآية وقيل المراد بالآية ان يبادي سوء وتلك المعصية
الى ان يؤدي عليه ارتكاب الكبيرة يستحقرها حتى يخف عليه الكفر فيكفر فيصير المعصية الاولى وان تخلت سببا
لحبوط ثواب اعماله فانا نسلم كل خطيئة بحقيقه ونحن نقول ان المعصية لا تحبط الطاعة لكن هو استحقار بالنبي صلى الله
عليه وسلم وذلك الكفر قوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى ذكر هذه الآية ان الآيتين اللتين تقدم ذكرهما من قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
وقوله ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض في اهل الشرك او في اهل النفاق فاما اصحابه الذين صحبوه وآمنوا به وعرفوا انه رسول رب العالمين فلا يحتمل
ان يكون منهم ما ذكر من رفع الصوت عنده والجهر له بالقول والنداء باسمه من وراء الحجرات فدل انه فيمن ذكرنا
من اهل النفاق والشرك فاما الذين آمنوا به وصدقوه وعرفوا انه رسول فلا يحتمل منهم سوى التعظيم له
والتوقير والتشريف لما عرفوا ان نجاتهم في الدنيا والآخرة بتعظيمه وتوقيره وكيف يحتمل
منهم ذلك بل كانوا لا يتجاسرون التكلم بين يديه فضلا من ان يرفعوا اصواتهم ويتقدموا بين يديه والنداء
من خلفه والله الموفق وقوله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى هذا وصف المؤمنين انه امتحن قلوبهم
للتقوى وجعلها صافية خالصة لذلك والامتحان ههنا هو التصفية والاخلاص يقال امتحن الذهب
اذا اخلصه وصفاه الصائغ منه والخالص من غيره وقوله لهم مغفرة واجر عظيم ظاهر وقوله ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون هذا وصف ما ذكرنا من اهل الشرك والنفاق وقال بعضهم نفر من الاعراب
جاؤوا فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم فان يك رسولا فنحن اسعد الناس به وان يك
ملكا نعيش في جناحه فاتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد فنزلت هذه الآية
وقال بعضهم كان النبي صلى الله عليه وسلم سبى ذراري بني تميم ونساءهم فاتوا يطلبون منه تخلية سبيل الذراري
واعتاقهم فرددهم اليهم فنادوه من وراء الحجرات فاعتق بعضهم وفدى بعضهم فنزل الآية وقوله اكثرهم لا يعقلون
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم لان ذلك اعظم لقدره واجل لمنزلته واعرف لحقه واحفظ لحرمته
ثم قوله واكثرهم لا يعقلون يحتمل وجهين احدهما اكثرهم لا يعرفون قدره ومنزلته وان كان قليل منهم يعرفون
ذلك وهم المؤمنون والثاني اكثرهم لا ينتفعون بما يعقلون ولكن اكثرهم لا يعقلون انه رسول وهو لاشتغالهم
والشغلة من الكفر وانما يعرف القليل منهم وهم الرؤساء المعاندون وفي هذه الآية وفي قوله ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون دلالة انه قد يلحق الى حكم الكفر ويحبط العمل اذا خرج مخرج الاستخفاف وان لم يعلم ولم يقصد
والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا • اجمع اهل التاويل وعامتهم على ان الآية
نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق والى قوم سواهم لجباية
الصدقات وكان بينه وبين اولئك القوم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما له فظن ذلك فرجع وقال انهم
قد منعوا الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بعد ذلك خالد بن الوليد لجباية الصدقات فوجدهم
يصلون ويعملون بالطاعات فاجمعوا وجمعوا له الصدقات ودفعوها وسلموها اليه فرجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بها فنزلت قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فان كان ما ذكر وعلم بحق
في ذلك الخبر التثبت لان الآية نزلت بعد ما نبا ذلك الرجل في الآية الامر بالتثبت في نبإ الفاسق فيما يحكم
من الامور بعد ذلك لان الآية نزلت لبيان الحكم في نبإ الفاسق ابتداء والله اعلم ولان الآية تحتمل ان يكون
ذلك الرجل منافقا فعلم بامر الله تعالى بالتثبت في خبر المنافق ولم يشرع ذلك لان النفاق يكون في الضمير
لا يظهر ذلك واما الفسق فانه يظهر فامر لذلك التثبت فيه فدلالة الآية لم يتبين لهم ان ذلك الرجل اذ لا يحتمل
المنافق ان يدعي على المسلمين مثل ما ذكر منه دل ان ما قاله اهل التاويل غيره وهم والله اعلم ثم في الآية دلالة قبول خبر
الواحد اذا كان عدلا لان الآية تقبل خبره اذا كان عدلا اذ لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى التثبت والتثبيت ولا يكون

أن يوصف الله تعالى به فدل ذكر الفسق على أن هذا الحكم ومورد الشهادة مختص باسم الفسق وأن العدل لا
فيه حتى لا يكون ذكر الفسق منها لما تعلق به باب حكم شرعي يختص بالفاسق ولا نعرف ذلك ذكره فأما
متى كان الحكم عاما في الفاسق والعدل عند الانفراد فكان ذكر الفاسق يبقى سفها وإنه لا يليق بالحكيم
فدل على ما ذكرنا والله أعلم وقوله تعالى أن تصيبوا قوما بجهالة فالظاهر يقتضي تهمة الفسق ولعل في الحقيقة
فإنه يجوز أن يصيب ذلك بخبر العدل لكن الأحكام وقبول الأخبار فيما بين الخلق لم يوضع على الحقائق وإنما
وضعت على الظواهر ولذلك قبول الشهادات والحكم بها وجميع الشرائع التي جعلت في الناس إنما هي على الظاهر
من الأحوال والأمور فأما على إصابة حقيقة ذلك فلا إذ قد يجوز أن يحكم الحاكم ويقضي بقتل إنسان ويقطع
يده بشهادة شهود عدول الظاهر تقبل عنه النفس ولم يكن في الحقيقة كذلك وعلى ذلك يخرج قول يعقوب عليه السلام
لبنيه قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل لأنا أمرنا عليهم بما لم يظهر لنا منهم زلة وخيانة حتى طلبوا منه أن
يرسل يوسف عليه السلام معهم قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وإنما اتسعت عليهم
بأكل الذئب ولم يتهمهم فيهما لم يظهر له منهم زلة وخيانة فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم وأخبر أنه لا يأمن عليهم
بما ظهر له من تهمتهم وذلك أن التهمة بسبب الرد يجب التثبت في الجهالة من حيث الظاهر لا الحقيقة والله أعلم
وقوله تعالى فتصبحوا على ما فعلتم نادمين أي نادمين بما فعلوا على خلاف ما كان في الظاهر لما تركوا التثبت
في الخبر والله أعلم وقوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم أي لأثمتم من الناس
من احتج بهذه الآية على أن الإجماع ليس بحجة وقالوا لو كان في إجماعهم لكانوا لا يأمنون لو أطاعهم في كثير من الأمر
لأن الحق والصواب لا يوجب الإثم لصاحبه فمن يستحق ذلك الصواب والحق كان لا يوجب الإثم بل
ولأنه ليس بحجة يجب اتباعه ولكن هذا استدلال بالحجج والبراهين لم يكن بهذه [illegible] على
والإجماع الذي هو إجماع حجة عندنا ويجب اتباعه ولا انعقاد له هو إجماع من استوفى الحجج والبراهين وأتى على
ما أتيناه وعلى الجمع وكان الوقت وقت نزول الوحي وإنما استقر الأحكام بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انقطع الوحي مستندا إلى أسبابها بالحجج ونزول جميع ما يحتاج الناس إليه من حيث الابتداع في النصوص حتى
يجمعوا على ذلك تكون حجة ولأن الإجماع يتحقق دون النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجد رأيه استغنى
عن رأي غيره لما كان ينطق عن الوحي فإذا لم يكن وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم بما [illegible] انعقاد الإجماع صحيح
فبطل الاستدلال لأنهم بالآية ثم قوله واعلموا أن فيكم رسول الله يرسل إليكم لتزيل عنكم شكاكم
فلا تهدركم في الكفر واعتراض الشبهة لكم لما تعودون أن تسألوه ما أشكل عليكم واشتبه فيحكم بذلك
فيزيل الشبه عنكم والثاني يحتمل وأعلموا أن فيكم رسول الله يطلع الله تعالى إياه على ما تضمرون في أنفسكم
وما تولدون من الأخبار التي لا أصل لها ولا إثم ما لو أظهر ذلك لافتضحتم فهو صلة ما ذكر من قوله أن تحاكم
ما أشكل بينا فتبينوا والله أعلم ويحتمل أن فيكم رسول الله تسألونه ما أشكل عليكم فيحكم بالحجة لأمر
على حقيقة كي لا تصيبوا قوما بجهالة والله أعلم ويحتمل أن يكون قوله واعلموا أن فيكم رسول الله فاتبعوا الرأي
والتدبير في الأمور ودعوا عن رأيه وتدبيره يجب أن تصدروا الأمور على أنفسكم وتدبيركم وعلى ذلك يخرج قوله كيف
تكفرون بالله وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله على الوجوه التي ذكرناه والله أعلم ثم قوله لو يطيعكم
في كثير من الأمر لعنتم أي لو يطيعكم فيما يدعونه إليه أنفسكم من التمويه والشبهة وهو هذا أو فيما تحبونه في
الصدور من رأيكم وتدبيركم في الأمور لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر
والفسوق والعصيان هذا في الظاهر كأنه غير موصول بقوله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم لأنه لا يليق ذلك
إلا على الإضمار كأنه يقول لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم فإذا الله قد دلكم الإيمان به وزينه في قلوبكم
حتى صار هو في قلوبكم أحب من أنفسكم ومن كل شيء فالواجب عليكم أن تصرفوا الأمر إلى رأيه وتدبيره وأن
تصدروا على رأيه ولا تعتمدوا على رأي أنفسكم وتدبيركم والله أعلم ويحتمل أن لا تدعوه إلى أن يطيعكم فيما تهوى
به أنفسكم وأشتهت بعد ما حبب الإيمان به إليكم وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر وما ذكر والله أعلم
بحقيقة حقه ووصل هذا بالأول ثم يحتمل وجهين أيضا أحدهما لو يطيعكم الرسول في كثير من الأمر لعنتم ولو
ألزمكم طاعته في كل أمر بالوجوب ولا تطلبوا منه طاعته إياكم في الأمور ولكن أطيعوا أنتم في الأمور كلها وقد
حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والخروج عن أمره والعصيان والثاني يشبه أن يكون
بقوله تعالى إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى حبب إليهم
الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ثم قال عز وجل أولئك هم الراشدون
كأنه يقول أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى حبب إليهم وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق

والعصيان

والعصيان أولئك هم الراشدون أخبر وشهد لهم بالرشاد وأخبر أن ذلك فضل منه إليهم ونعمة لأنه لا شيء كان
منهم استحقوا بذلك فذلك قوله فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ثم قالت المعتزلة في قوله حبب إليكم الإيمان
وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر وما ذكر يقولون لم يحبب الإيمان إلا هو لا إلا وقد حبب مثله إلى الجميع الكفار
وكذلك لم يكره الكفر عليه هو إلا وقد كره على جميع الناس لكن المراد منه تخصيص هؤلاء بما ذكر من التحبيب إليهم
الإيمان وكرهه الكفر من اختصاصهم بما وعد من الثواب والجزاء الجزيل على الإيمان والمواعيد الشديدة على
الكفر فحببه وزينه في قلوبهم بما وعد لهم من الثواب وكره الكفر والعصيان إليهم بما أوعد على ذلك من العذاب
العظيم لكن هذا فاسد لأنه لا يستحق من يصير حب الإيمان في قلبه لما ذكر من الثواب والجزاء ولا كان من أسلم يجعل
ثواب الإيمان في قلبه حتى يكون إسلامه لذلك بل كان يخلقه فضل الإيمان نفس الإسلام فإذا أسلم جد حبه
في قلبه وكراهة الكفر ليعلم أن ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان يعينا إنا أعطاه صار بما ذكر والله أعلم وقوله تعالى
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما قال بعضهم كان بين رجلين مداراة أي منازعة في شيء فغضب
قوم كل رجل حتى كان بينهم ضرب بالنعال والأيدي فنزلت الآية وقال بعضهم كان بين الأوس والخزرج
قتال بالعصي فنزلت هذه الآية بالأمر بالصلح بينهم وقال بعضهم قتالهم بالعصي والنساء ونحوها وقال الحسن
إن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي فأنزل الله تعالى هذه الآية وفي ذلك
قال قتادة كان بين رجلين حق تدارءا فيه فقال أحدهما لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الآخر بيني وبينك
رسول الله وتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي وجائز أن يكون في الآية فيما كان بين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وبين الحروبية وأهل نهروان ذكر أن عليا رضي الله عنه لما قاتلهم فقال الناس هم مشركون فقال علي عليه السلام
من الشرك فروا فقال المنافقون هم قال علي رضي الله عنه المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قالوا فما هم قال هم
ناس بغوا علينا فقاتلناهم ويحتمل أنه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه وبين معاوية يوم الجمل
ويوم صفين ذكر عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عليا رضي سمع رجلا يقول يوم الجمل هم كفروا فقال لا تقل ذلك
ولكن هو لأن قوم بغوا علينا وزعموا أنا بغينا عليهم فقاتلناهم على ذلك لكن في الآية الأمر بالصلح أو لا
بينهم لقوله اقتتلوا فما كان في شيء كان يقوله فأصلحوا بينهما وكذلك أمر في غيرها بالصلح والإصلاح وقال
فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أي بين المؤمنين وفي هذه الآية حجة على المعتزلة والخوارج فإنه أبقى اسم الإيمان بعدما كان
منهم الاقتتال أما البغي والقتال أو البغي من أهل الإسلام من الكبائر دلنا أن الكبيرة لا تخرج عن الإيمان ولا توجب الكفر
بالله الموفق وقوله تعالى فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي فإن ظلمت إحدى
الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي وتطلع بغيره حتى تفيء إلى أمر الله حتى ترجع إلى أمر الله
الخوارج دون الطائفة التي لم تبغ والصلح بينهما من الباغية وهو ما ذكر في الآية أحد من عاقب بمثل ما عوقب
به ثم بغي عليه لينصرنه الله وعلى جعل المماثلة النص ثم يحتمل أن يكون ذلك النص الموجود في الدنيا ويحتمل
في الآخرة وفي الآية الأمر بقتال أهل البغي من غير قيد بيان السيف وغيره لقوله فإن بغت إحداهما على الأخرى
فقاتلوا التي تبغي يحتمل أن يكون دفع البغي وكسر منعهم بغير السلاح فهو الحق وهو الواجب وإذا لم يمكن
من البغي إلا بالقتال مع السيف فلا بأس به فإن عليا رضي قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبار الصحابة
وأهل بدر وكانوا محقين في قتالهم دل أنه لا بأس بقتالهم بالسيف وبعضهم قالوا إن قتال
البغاة ولا يجوز بالسيف وقالوا إن سبب نزول الآية في القتال بالعصي والنعال ولكن لا حجة لهم فيها
لأن القتال بين الفئتين لو كان بالنعال والعصا فلكن لم يعتبرها إنما في تلك الحال وهو القتال الذي
أمر الله تعالى فيه أن نصلح بينهم وإنما نصير إلى قتالهم إن لم يجيبوا إلى الصلح ولم يقبل أحد من الطائفتين الصلح
وحينئذ أمر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد والله أعلم وقوله تعالى فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا
ذكر أنها لو كان فاءت ورجعت إلى ما أمر الله تعالى به لا يتركوهما كذلك بغير صلح ولكن أصلحوا بينهما والغرض
بالبغي لأن أهل الإسلام ينبغي أن يكون التآلف بينهم والجمع وشرط فيه الصلح بالعدل فهو والله أعلم بقوله لكم
وإنه إنما يتم صلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه عدل ولكن أصلحوا بينهما بالعدل
ولا تجاوزوا الحد الذي جعل لكم والذي ذكر في قوله تعالى وأقسطوا أي اعدلوا في الصلح إن الله يحب المقسطين وقوله تعالى
إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم أمر الله عز وجل بما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم
أمر الله عز وجل بإصلاح ذات البين بين المؤمنين بقوله فأصلحوا ذات بينكم وأمر بإصلاح الطائفتين بغيره
إذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وأمر بالإصلاح بين الإخوة
أيضا بقوله فأصلحوا بين أخويكم لأن الإيمان يوجب التآلف وبالتآلف يدعو وإليه دعوا به من الله تعالى

علينا حيث قال لما الفتم بين قلوبكم ولكن الله الف بينهم وقال في اية اخرى ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا امرنا الله بالالفة والاجتماع ونهيهم عن التفرق وامر الاخوة
وامر المؤمنين جملة ان يصلحوا ذات بينهم اذا وقع بينهم تنازع واختلاف او قتال على ما ذكره الله تعالى ثم من الناس
من استدل بقوله فاصلحوا بين اخويكم على ان اسم الطائفة يقع على الواحد فصاعدا فقال لانه ذكر في الاية وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ثم قال في اخره فاصلحوا بين اخويكم فدل ان اسم الطائفة يقع على الواحد فصاعدا
فيستدل بهذا على ان في قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين يراد بها الواحد فيدل
على لزوم خبر الواحد العدل لكن عندنا ما ذكرنا انه امر باصلاح ذات البين بين جملتهم وامرنا باصلاح بين فريقين
وامر بذلك من الاخاذ(?) في الافراد وليس في قوله فاصلحوا بين اخويكم دلالة انه اراد به الاخوين والذكرين واراد به
الاثنين كان الاقتتال بينهما وفيهما اهاج القتال بينهما فاما ان يكون اسم الطائفة يقع على الواحد فلا بل هو في اللغة
وعرف اللسان على الجماعة والله اعلم قوله تعالى واتقوا الله لعلكم ترحمون اي اتقوا مخالفة امر الله لكي يقع
بكم الرحمة او لكي يلي بكم الرحمة وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم ظاهر الاية نهي الجماعة عن سخرية
جماعة لان السخرية انما يقع ويكون في الاغلب بين قوم وقوم وعلى ما يقع من الافراد والاحاد وعلى ذلك
النهي ولكن يكون ذلك النهي للجماعة والافراد والاحاد جميعا والله اعلم ثم يحتمل السخرية المذكورة
في الاية على وجهين احدهما في الافعال يقول لا يسخر قوم من قوم في الافعال عسى ان يكونوا خيرا منهم في
في تلك الافعال او خيرا منهم اي افعالهم اخلص عند الله من افعال اولئك واقرب الى القبول والثاني
سخرية في الخلقة وذلك راجع الى [illegible] الا اليهم وهم يعيرون بالخلقة التي انشا عليها وعسى ان يكونوا
هم على تلك الخلقة عندهم خيرا منهم ثم قوله عز وجل عسى ان يكونوا خيرا منهم يحتمل وجهين احدهما عسى
ان يصيروا من بعد خيرا منهم في تلك الاحوال والافعال التي هم عليها اليوم والثاني عسى ان يكونوا عنده
خيرا منهم في الحال لقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم اخبر ان الاكرم منهم عند الله هو اتقاهم لا ما
افتخر وانما هو اسباب الفخار عندهم والله اعلم قوله تعالى ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ذكر سخرية
نساء من نساء لان النساء ليس لهن اختلاط مع الرجال حتى يجري السخرية بينهم واما الاختلاط في العادة
بين الجنس يكون فعلى ذلك يجري النهي بالسخرية والله اعلم ويحتمل ان خص هؤلاء كما خص القصاص في قوله
كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ثم جمع بين الاحرار والعبيد والذكور والاناث
بالمعنى الذي جمعهم فيه وهو ما ذكر ولكم في القصاص حياة لان في المعنى الذي به وجب القصاص فيما بينهم
فاشتركوا جميعا في ذلك الاحرار والعبيد والذكور والاناث فعلى ذلك ذكر المعنى الذي به نهيهم عن السخرية
وهو ما ذكر عسى ان يكونوا خيرا منهم فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء وسخرية النساء من الرجال والله اعلم
قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم واللمز هو الطعن ثم منهم من يقول هو الطعن باللسان ومنهم من يقول باليد(?)
والسفه ومنهم من يقول بالعين وحاصله هو الطعن فيه وقال القتبي اللمز هو العيب ولا تعيبوا وقال [illegible]
هو الشبه(?) العيب ثم قوله انفسكم يحتمل وجهين احدهما لا يلمز في انفسكم اي بعضكم بعضا وفي انفسكم [illegible]
وفيه بالامر بالستر على انفسهم وان لا يهتكوا ستورهم والله اعلم قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تداعوا
بالالقاب في النبز اللقب يقال نبزت فلانا اي لقبته وفي الحديث [illegible] ولو قال لا تنابزوا
لكان كافيا لكنه فكانه قال تعالى لا يلقبوا القابهم فتسوؤهم [illegible] من القبيح والله اعلم بعض اهل التاويل
انما نهوا عن ذلك لانهم سموهم بعد اسلامهم بالافعال التي كانوا يفعلون في حال جاهليتهم من الكفر
ويلقبونهم بذلك ويقولون يا كافر يا فاسق ونحو ذلك ودل على ذلك قوله بئس الفسوق بعد الايمان وجائز
ان يلقبوا بذلك وبغيره من الالقاب فهو اهون ان يسموهم بغير اسمائهم التي كانت لهم او يعرفوا باسمائهم
التي لهم اذا كان التعريف بذلك يسؤهم ويغيظهم والله اعلم ثم قال تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
اي ما وضعوا الشيء في غير موضعه والله اعلم ثم قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل وجهين احدهما ذكر
اي بئس النسبة الى الفسوق التي كانت في التسمية بها بعد الايمان والثاني الاسم في الفعل الذي كان لهم منه
قبل الايمان كانه قال لا يسمونهم بذلك بعد الايمان والله اعلم والثاني بئس الاسم الفسوق بعد الايمان الذي
ما اختاروا من امر الفسق بعد ما كان اختار اسم الايمان وفعله فهذا يرجع الى اختيار الفسق بعد الايمان
والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ههنا اشياء ثلاثة يجب
ان يتعرف محلها وما فعلها وكيفية اسبابها احدها الظن والثاني الشك والثالث العلم واليقين
فعند ظاهر اسبابه اوليه استوا الاسباب ومقابلة بعضها بعضا فهو المتردد بين الحالين لا يقع قلبه شيء

عن الذي له الاسباب الظاهرة التي تميل بها الى احد الحالين والانتقال والله اعلم ثم قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
[illegible]

ولكنهم استسلموا وخضعوا للمؤمنين ظاهراً خوفاً من معرة السيف وطمعاً فيما عند المسلمين من الخير فنهاهم ان يقولوا
آمنا اذ لم يكن في قلوبهم ذلك وامرهم ان يقولوا آمنا اذ لم يكن في قلوبهم ذلك وامرهم ان يقولوا اسلمنا ومعناه
ما ذكرنا اي خضعنا واستسلمنا لئلا يقع عليهم السيف فلا يصح الاستدلال بالآية على ان الاسلام والايمان
غيران فخالف ما بينهما حيث نهاهم ان يقولوا آمنا وامرهم ان يقولوا اسلمنا فلو كانا واحداً لم يصح هذه الآية لانه
لم يرد بهذا الاسلام هو الاسلام الذي هو الايمان لكن اراد به الاستسلام والانقياد الظاهر وهو كما يسمى اسلاماً
يسمى ايماناً ايضاً من حيث الظاهر فاما حقيقة الايمان والاسلام يرجع الى واحد لان الايمان ان يصدق كل شيء
شهادة على الربوبية والوحدانية لله تعالى والاسلام ان يجعل كل شيء سالماً لا شركة لاحد فيه فمن صدق ان كل شيء
في العالم لله تعالى وهو الخالق له وكل مصنوع شاهد على صانعه فقد صدق في شهادته على ما نعم والله الموفق
ولما يدخل الايمان في قلوبكم الايمان ليس هو بمحسوس مركب يدخل في القلب لا ولكن معناه على فعل القلب وهو التصديق
كانه قال لم يؤمن قلوبهم على ما ذكر في آية اخرى قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ثم هذا الايمان يقتضي ان على
الكل متبعضيهم فان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان والقول لان اهل النفاق قد قالوا ذلك بالسنتهم
ثم اخبر انهم لم يؤمنوا وهم يقولون بل قد آمنا فقال الا انتم اعلم ام الله قل الله اذن لكم ام على الله تفترون
الآية آية عظيمة تدل على رسالته حيث قال له قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فعدلوا عما ذلك ولم ينههم
انكارا ذلك القول فعرفوا انه بالله عرف ذلك ولم يظهروا ما في ضميرهم خوفا من السيف لم تعرفها النبي صلى الله عليه وسلم
والله الموفق. قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً جائز ان تكون الآية صلة ما ذكر في
الفتح المنافقين بعد تخليفهم عام الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون الى قوم اولي بأس شديد وما ذكر
من امرهم في غير آي من القرآن يقول ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً جائز ان تكون الآية صلة ما
في سورة الفتح المنافقين بعد تخلفهم عام الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون الى قوم اولي بأس شديد
وما ذكر من امرهم في غير آي من القرآن يقول ان تطيعوا الله ورسوله فيما يدعوكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الخروج الى الجهاد والقتال بعد تخلفهم عن الحديبية لا ينقصكم من اعمالكم التي كانت لكم شيئاً والله
ويحتمل وان تطيعوا الله ورسوله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتكم من اعمالكم شيئاً اي لا ينقصكم
من اعمالكم التي عملتم من قبل فلم يبطلوا اعمالكم التي عملتم من بعد فان عصيتموه وتخلفتم في حياته لانه قال فان
رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابداً ولن تقاتلوا معي عدواً فقد كان نهاهم
عن الخروج معه للعدو ابداً فيقول ان تطيعوه بعد وفاته وتجاهدوا في سبيل الله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً لعل
ذلك منكم والله اعلم ويحتمل ان يكون في المنافقين وذلك انهم اذا تابوا عن الكفر بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف في
ذلك هذا وهو كقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم الآية
وقال بعضهم هذا في جميع المؤمنين ان من اطاع الله ورسوله لا ينقصكم من اعمالكم شيئاً اي لا يضيع اعمالكم
بينكم كقوله يرجون تجارة لن تبور او من عمل لله لا يضيع ومن عمل لغيره فيضيع بلا نظر على ثوابه ويحتمل
ان يكون الآية في المؤمنين الذين اسلموا يقول اذا اسلمتم لم ينقصكم من ثواب اعمالكم ما صنعتم من الكفر وهو
كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم وقوله ان الله غفور رحيم ظاهر. قوله تعالى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون. كان هذا
ذكر مقابل ما تقدم من قول المنافقين حيث قالت الاعراب آمنا فقال لهم قل لم تؤمنوا انتم انما المؤمنون
هؤلاء ثم بعثهم فقال لهم قل لم تؤمنوا انتم انما المؤمنون هؤلاء ثم نعتهم فقال الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون في ايمانهم وانتم يا اهل النفاق وكنتم
لم تجاهدوا معه فلستم بصادقين في ايمانكم فجعل الجهاد دليل ظهور الصدق في الايمان لان من ترك
الله لا يختار الا ما هو دونه ويحتمل انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله اي صدقوا الله ورسوله سراً وعلانية
على الحقيقة لا الذين اظهروا ولم تكن قلوبهم مصدقة لذلك كالمنافقين الاترى انه قال ثم لم يرتابوا وجاهدوا
اي لم يشكوا في حوادث او محنة بل جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لاظهار تحقيق الايمان وصدقه
ليس كالمنافقين الذين ارتابوا وشكوا في ايمانهم وتخلفوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
اعلم. ثم قال عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم كانه صلة قوله قالت الاعراب آمنا حيث قالوا ذلك بالسنتهم
وليس ذلك في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما في قلوبهم من الايمان والشك والخلاف كانهم قالوا للرسول عليه السلام
لم تؤمنوا فلحوا في ذلك وقالوا بل آمنا فظنوا انه انما قال ذلك من عند نفسه فقال عند ذلك قل اتعلمون الله
يعني ان الله عالم بنياتي واحنين بذلك هو الذي يعلم غيب ما في السموات وما في الارض وهو بكل شيء عليم

ان الصدق وغيره عليم فكيف تعلمون الله بانكم مؤمنون وهو يعلم انكم كاذبون. قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا
الذي حملهم وبعثهم على الامتنان تعليقه بالايمان الزيادة لانهم قوم لا يؤمنون بالآخرة فظنون انهم اذا اظهروا
الموافقة لدار الحق فهم يشتبهون الخروج الى القتال الا من اظهر الايمان يصيبه المسلمون غنائم ونحو ذلك
هذا الذي ذكرنا هو بعثهم وحملهم على الامتنان عليه فلو كانوا يؤمنون بالآخرة لعرفوا ان ايمانهم لانفسهم
ثوابهم وليتهم يقع نفعه ليس من الايمان لله تعالى نفع ولا في تركه ضرر حتى يقع النفع ويكون الامتنان
عليهم كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم في قوله بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان ان كنتم صادقين نقض قول المعتزلة انه يجب على الله ان يهديهم لعلمه بالاصلح لانه قال بل الله يمن عليكم ولو كان
هدايتهم واجبة عليه لا يكون له عليهم منة لانه يؤدي ما عليه لهم من الحق ومن ادى حقا
عليه الى الآخر لا يكون له الامتنان على صاحب الحق وانما المنة فيما يفضل من الله ونعمة لو كان الهداية عليه لا يكون
في فعله متفضلا ولا منعما بل يكون له عليهم الامتنان ومنهم الافضال والانعام لما اعطوه ويحلوه
شيئاً كان عليه فعله حقا واجبا لهم فدل على فساد مذهبهم وفيه دلالة ان الهداية ليست هي كما تقول
المعتزلة ان الحق هما الا هداية البيان لما قد كان بحق الكافر والمسلم جميعا فلذكر منة بخصيص المسلمين هذه
المنة وتلك الهداية موجود في حق غيرهم والثاني ان الكافر والمؤمن قد اخبر الله تعالى بان لا منة
كانوا صادقين فيما نعمتهم فلو كان الهداية هي البيان لما كان لا يشترط فيه شرط صدقهم لانه من الله الى
الصادقين وغير الصادقين لان الكذب من الهداية الاسلام حتى يتحقق له المنة على الخصوص في حق المسلمين
والله الموفق ثم الهداية الذي نعطيها تحتمل ويحتمل خلق فعل الاهتداء فيهم وهو التوفيق والعصمة
كانه يقول بل الله يمن عليكم ان خلق منكم الاهتداء او فعل الايمان وعصمكم ولذلك يخرج قوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم على هذين الوجهين وفعل له وعصمكم عن ضده وخلق حبه في قلوبكم
وزينه والله اعلم. قوله تعالى والله بصير بما تعملون هذا يخرج على الوعيد اي هو بصير بما اسروا واعلنوا
لتكونوا ابدا حذرين بعطيه وحذر من الا منة تم هذه السورة والحمد لله وصلى الله على محمد وآله اجمعين

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم. قوله تعالى ق والقرآن المجيد يحتمل ان يكون
ق اسم هذه السورة ولله تعالى ان يسمي السور بما شاء كما سمى كتبه توراة وانجيلا واقسم ب
السور والقرآن جملة ويحتمل ان يكون كناية عن جميع الحروف المقطعة والقرآن هو اسم الحروف المجموعة المقطعة
اقسم بالحروف المقطعة والمجموعة جميعا ومن الناس من يقول انه اسم الجبل المحيط بالارض وهي من ياقوتة
خضراء ياقوتة حمراء تخضر السماء من ذلك اقسم الله تعالى به وبالقرآن والاول اشبه واقرب لان العرب
كان لا يعرف عظمته والقسم في الاصل لتأكيد الخبر فانما يتحقق بما يعرف من اراد القسم حقيقة واما اذا
لم يعرف ولم يعظم ذلك فيعرف يخرج القسم مخرج العبث تعالى الله عن ذلك الا ان يقال ان يكون هذا القسم
جرى في الكتاب فانه كان كتابا يعرفون ذلك وكانت لهم سبيل علمهم ذلك ولكن الظاهر ان القسم في
حق العرب فدل انه الاول اشبه ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر في الاخبار تفسيرها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بطريق التواتر والاستفاضة ولم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فسبيله الوقف فيها لانه معلوم انه لا يقف احد على المراد بالحروف المقطعة الا من جهة السمع فلما
لم يظهر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك انهم تركوا ذلك وانما تركوا الوجوه اما لان هذه الحروف
المقطعة كانت بيانا احكاما عرفوا لم يحتاجوا وتركوا سؤالها الملحوظ لذلك الاحكام عند النزول واما ان تركوا ذلك
لما كان ذلك من المتشابه الذي لم يطلع الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذي يجب الايمان به ولا يطلب التفسير
وكان ذلك مما اختص الرسول عليه السلام بمعرفته بقوله الا من ارتضى من رسول فلم يسألوه بيان ذلك
لكان ذلك عندهم اسماء السور لتعريف السور واسماء الاعلام لا يطلب منها المعاني فلذلك لم يسألوه
وترك التعليم من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كما ان اصحاب رسول الله تركوا سؤال التفسير عن الآيات التي تضمنت
فوائد انما لان في وسعهم الوصول الى معرفة ما تضمنها الآيات فعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا مواقع النوازل
فيها المراد فلم يحتاجوا الى السؤال واما ان تركوا لما تضمنت احكاما عرفوها السؤال فعلى ذلك هذا والله اعلم
ثم ذكر القسم ولم يذكر موضع القسم واختلف فيه قال بعضهم موضع القسم في آخر السورة ولقد خلقنا الانسان

وقيلهما يوسوس به نفسه الآية وقال بعضهم وقوله ولقد خلقنا السموات والارض الآية وقال بعضهم
موضع القسم قوله فهم في امر مريج اقسم بقوله ق والقرآن المجيد بان الكفرة في امر مريج ويحتمل ان يكون
موضع القسم هو ما يجيء كما قال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ائذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بعيد كانه قال عجبوا منه من شيئين احدهما ما ذكر ان جاءهم منذر منهم اي من البشر فقال الكافرون هذا
شيء عجيب وهو كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ما انتم الا بشر مثلنا لا يحاولون ينكرون الرسالة في البشر
من الاحياء ثم بعد الموت كقولهم ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقد كان عجبهم من القرآن تعجبهم انكارهم
البعث بعد الموت فجاز ان يكون موضع القسم ما عجبوا وانكروا وهو ان يكون البشر رسولا والمبعوث بعد الموت
مما كان من وعد ق والقرآن المجيد انه يكون ذلك ردا لانكارهم وتعجبهم والله اعلم ثم انكار الكفرة وتعجبهم
بعث من البشر رسولا وكيف لا انصار بعث الرسل ممن عندهم الملائكة وانا انما يبعث الرسل ممن كان عند
المرسل لا ممن كان عند المبعوث اليهم ليشاهد لا يعنيه فيما ينبغي لهم وان يكون بعث الرسول ممن هو عند
المبعوث اليهم وان يجيء من ذلك لان بعث الرسول من جنس المرسل اليهم والمبعوث اليهم في معرفة صدقه في
دعواه اقرب من ان يكون من خلاف جنسهم لانهم انما يعرفون صدق تلك الآيات بحضرتها اذا كان من غير
جنسهم بالعمل ان ما اتاهم به وزعم انها آيات ليست بآيات ما اتى به لعلهم اتيان مثلها في طريق وسعهم ذلك
لما ان القوى يختلف عند اختلاف الجنس فكان بعث الرسول من جنس المرسل اليهم احق واقرب الى معرفة صدق
الآيات والمعجزات والله الموفق ولان لكل ذي نوع ضربا ونوعه وكل ذي شكل من شكله امثل وانس من خلاف
جنسه ونوعه فكان الغرض يقع في التنفع والاجتماع فهذا اقرب الى الحصول له والله اعلم ثم قولهم هلا بعث
الينا الرسل من هو عنده فاسد لان الخلائق جميعا من حيث العبد لله تعالى واحد لا يوصف احد من الخلائق
انه عنده لا من حيث القرب به بالطاعة له والايتمار بامره وترك الخلاف له فاما على ما يوصف المخلوق من شدة
مخلوق او ذاك وصف المتمكن في المكان تعالى الله عن ذلك فاذا كان المراد من عنده من حيث القرب بالطاعة
والقيام بامره مما يثبت لخلته الرسالة وصلحتها وذلك مما لا يوجب الفضل بني البشر على الملائكة بل من
جهة البشر احق لما هم يفعلون عن شهوة دلائل احج دون الاعيان والله اعلم بحجتهم انه لو ارسل الينا ملكا
اما تنا ولا الحدث الشاهد بيني وبينهم ومن بيني مثل يعني شيء لانه لو لم تكن آيته ما حاجة الكافر الى الآية
تكون بمصرع الافعال فقد لك نوجب تكونه ايمانهم ايمان اضطرار لا ايمان اختيار ولشانه لانه كان
انه يدخل ويمكث فيها ابدا الابدين لا يعمل خيرا الا العمل الذي وعد به بل يتركه وكنا من طائعي از لام به تعالى
وعمل طاعة وعبادة يدخل الجنة ويلزم ابد الابدين لا يعمل غير ذلك العمل فمن يقع الحجة ويكون الايمان حقا
الاضطرار يعاحد ذلك ليكون الايمان يحق بحسن اختياره بكونه له قيمة ثم قوله والقرآن المجيد وصف القرآن
مرة بانه كريم ومرة ثانية بانه حكيم ومرة ثانيها بانه مجيد يحتمل انما سماه مجيدا لان الانسان على
معنى انه من تمسك به يصير مجيدا كريما حكيما او منزل كريم حكيم يحتمل ان يكون ذلك من صفة القرآن
راجعة الى نفسه كما يقال كلام محكم وكلام سحر ولغات ادبي عينه فعلى هذا يحتمل ان تكون تعالى الحق
المجيد الماجد العظيم والمجيد الدابة من العشب اذا كثرت ذلك في المجد القوم اذا كثر لهم من الطعام
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب قد ذكرنا تاويله وقوله ائذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد اي لا يكون لنا البعث مما لا يكون عندهم كذلك قال القتبي وقال ابو عوسجة رجع بعيد اي رد
يقال رجع رجعا اذا رد ورجع رجوعا اذا انصرف وقوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم ظاهر هذا
ان يكون هذا صلة وكذلك الكفرة قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لما انكروا من البعث على البعث اي قد علمنا
ما تنقص الارض من لحومنا ويأكل من انفسنا فاني يحيي بعد ذلك وهو كقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويمكن
لكن اهل التاويل باجمعهم صرفوا هذا القول الى الله تعالى انه قال ذلك جوابا لقولهم ائذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد وقال الحد علمنا ما تنقص الارض منهم اي عن علمهم ما يأكل منكم وينقص قلنا انكم تبعثون ويحيد
ويحي علم ما ابدل لنا حين كم الرسل بالاحياء والبعث بعد الموت والله اعلم وقوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ
اي عندنا كتاب يحفظ آجالهم وافعالهم وجميع ما يكون منهم وقال بعضهم اي مع علمي فيهم هم عندنا في كتاب
حفيظ قال قتادة ما اكلت الارض منهم وكانوا ترابا ونحن عالمون بهم مع علمنا في كتاب حفيظ وهو اللوح
قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج يحتمل بل كذبوا بالحق لما جاءهم اي بالقرآن ويحتمل او بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقد كذبوا بهما جميعا قوله مريج قال القتبي وابو عوسجة في امر مريج اي مختلط يقال مرج امر الناس ومرج
الدين واصل المرج ان يقلق الشيء فلا يستقر يقال مرج الخاتم في يده مرجا اذا قلق لهزاله انه يحرك ويقلق فيصير

مختلف

مختلفة وهكذا كان قولهم مختلفا مضطربا مختلطا في القرآن والرسول جميعا قالوا في الرسول عليه السلام انه
مضطرب مختلف مرة مسحور ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة الافتراء على الله
[illegible]
بالرقد والوقف على الوقت فيكون ذلك وضع الرسالة فيمن شاء وكان من جنس شاء لانه حكيم عليم لا يكون منه الخطأ
في التدبير والجهل بالاصلح والاوفق بالحكمة فدل ذلك على اثبات الرسالة والبعث بعد الموت والله اعلم ثم قوله
انه ينظر يخرج على وجهين احدهما اي انظروا الى ما ذكر والثاني فتنظروا بابصارهم لكن لم ينظروا نظر معتبر
بنظر القلب والله اعلم وقوله تعالى وما لها من فروج قيل ليس فيها من صدوع وشقوق وقال الحسن وهو الموضع بين الشيئين
والفرجة من الفرج ومعناه يقال فرجت هذا الشيء اي كشفته وهو كقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور اخبر انكم
لم تروا في السماء شقوقا وفطورا في السماء بل تشاهدونها منتظمة والحكم لا يخلو من نقصان وشقوق يرد بذلك اذا
لم تروا فيها ذلكم ذلك على ان خالقه قادر على الكمال لا يعجزه شيء وقوله تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي
قد ذكرنا فيما تقدم وقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اسم الزوج يقع على الشكل والضد وكل ذي شكل هو ذو ضد
والبهيج هو البهيج نبته اي انبتنا فيها من كل زوج ما يبتهج به اهله ويسرون بذلك من الالوان المختلفة وجواهرها
القتبي من كل زوج بهيج اي من كل جنس يقال بهج يبهج بهجا وهو بهيج اي حسن يعني انه سرور ويقال بهج بهجا وهو بهج
اي مسرور وقوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب اي تبصرة ذلك لكل عبد منيب اي متفكر ذلك يكون له ذكرى
وهو العبد المنيب الى الله تعالى والمقبل الى طاعته فاما من اعتقد الخلاف له فلا وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء
مباركا لانه يستعمل في امر الدين والدنيا ويطهر به كل شيء ويزين ويحيا به كل شيء ونماؤه والمبارك اسم
كل خير يكون على النماء والزيادة في كل وقت والله اعلم وقوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد يقول انبتنا
بذلك الماء المبارك المنزل من السماء جنات وبساتين والمكان الذي يجمع فيه كل انواع الشجر يسمى بستانا وجنة
ومنه الحصيد وانبت بذلك الماء كل حب حصيد فدخل تحت قوله وحب الحصيد الشجر والنبات والوسم وقوله
وحب الحصيد الحب هو الحصيد وهو الحب نفسه لكن اضاف الحب الى الحصيد ويجوز مثل هذا كما قال الصلاة
الاولى ومسجد الجامع وقال بعضهم اضاف الى الحب ما يخرج منه والحصيد هو الحصيد من القصب الذي يصير نبتا
لان الحب لا يحصد وانما يحصد الساق منه لذلك اضاف الحب الى الحصيد وهو مخرجه وقوامه به ولذلك اضافه
اليه كما يقال ثمر الشجر ونحو ذلك وقوله تعالى والنخل باسقات لها طلع نضيد قوله والنخل باسقات اي طوال يقال
بسق الشيء بسوقا اذا طال وقال ابو عوسجة باسقات وحوامل الحمل فيه معنى من بركته الماء انه بلطفه جعل الماء
بحيث يظهر بركته ونماؤه وثمره على رأس النخل وانتظار السقي لا اصل الماء في سرمته من البركة والغنى ما يظهر ذلك
ولا ينال حقيقة ذلك الغنى وقوله لها طلع نضيد اي منضود والطلع اول ما يخرج من النخل من الحمل والنضيد
هو الذي انفق التركيب ويولف بعضه الى بعض وبركته ويسمى ذلك القمر فاذا تفتح واستوجب الطلع وتفرق
وصار رطبا وقال ابو عوسجة نضيد اي متراكم بعضه على بعض والمتراكم يقال له منضود والنضيد بعضه
فوق بعض ونضدا الشيء بعضه فوق بعض وقيل النضيد اي كثير وقوله تعالى رزقا للعباد اخبر ان ذلك
كله انما انبته واخرجه رزقا للعباد وقوله فاحيينا به بلدة ميتا اي بالماء بلدة ميتا اي احيينا الماء كل بلدة ميتة وكل

بنعمة تميت وكل عرض فصار بحياته كل حي فيحيا كل شي ثم قال كذلك الخروج اي كما قدر على احيا ما ذكر من الارض
بعد موتها واحيا ما ذكر من الارض بعد موتها واحيا النبات والفرش وكل شي بعد موته بذلك الماء فعلى ذلك
قادر على احيائكم بعد موتكم وبعد ما صرتم ترابا والاعجوبة في احيا ما ذكر كله من الارض والنبات والفرش اكبر لكن
اكبر لكن دون ما في احياء الناس من بعد موتهم فاذا قد عرفوا قدرته في احيا ما ذكر فما قدرته لذلك لزمهم ان
يقروا به في احيا كل شي والله الموفق قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان
لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ذكر هذا الانبا لوجهين احدهما يصبر رسوله عليه السلام
على اذى قومه وتكذيبهم اياه كما صبر اولئك يقول انك لست باول رسول كذبه قومه بل كان قبلك رسل كذبهم
فصبروا على ذلك فاصبر انت ايضا وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني يحذر قومه ان ينزل
بتكذيبهم اياه وسوء معاملتهم كما نزل بمن ذكر من الاقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم اياهم وعلى هذين الوجهين جميع
ما في القران من الانبا والله اعلم ثم اصحاب الرس اختلف في الرس قال بعضهم هو بئر دون اليمامة كان اهل
القرى كذبوا رسلهم فاهلكهم الله وقيل الرس هو البئر وقال بعضهم الرس هو خد خدوه وجعلوا فيه النار
واحرقوا نبيهم عليه السلام وقال بعضهم سموا بذلك لانهم رسوا نبيهم عليه السلام في البئر وقال بعضهم
هم الرسل الذين ذكرهم في سورة يس فارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وعن الاصم انه قال الرس
كل موضع محفور […] قوله واخوان لوط وقوله وقوم تبع قيل انه كان
مسلما صالحا مدحه الله تعالى وذم قومه سمي تبعا لكثرة اتباعه ولا حاجة بنا الى تفسير انه من كان وما اسمه
ذكر بعض اهل التاويل ما لم يذكر في القران الا ذلك القدر […] ولا يزيد على ذلك القدر لعل […]
والله اعلم وقوله كل كذب الرسل فحق وعيد يخوف اهل مكة ان اولئك الذين ذكرهم جميعا قد اهلكوا بتكذيبهم
الرسل عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك فعلى ذلك يحق عليكم ذلك الوعيد بذلك يحق عليكم ذلك الوعيد
بتكذيبكم الرسول والله اعلم قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول هو يخرج على وجهين احدهما افعيينا اي اعجزنا عن خلق
اي حيث لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعيا الى الخلق الثاني والثاني افعيينا اي اجهلنا وخفي علينا تدبير
الخلق الاول اي لم نجهل ولم يخف علينا ذلك فكيف نجهل ويخفى علينا تدبير خلق الثاني والابتداء وتدبير خلق
الاول والابتداء اشد عندكم من الاعادة والاعادة عندكم اهون فاذا لم نعجز عن الابتداء […]
علينا الابتداء فانا نعجز عن الاعادة ثم قال بعضهم الخلق الاول هو ادم عليه السلام وقال بعضهم هو ابتداء
خلقهم والله اعلم قوله بل هم في لبس من خلق جديد اي هم في شك […] من خلق جديد لتركهم
النظر في سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك قوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
هو يخرج على وجهين احدهما يعلم ما يحدث به نفسه وما يوسوس به من انواع الحديث والوسوسة في
جهل ونحوها عن ذلك فان هو لم […] بما تدعو اليه نفسه وهواه ويصرفه الى ما يدعو عقله
[…] ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي الماوى […] فهو ما هكذا قال الله تعالى فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان
الجحيم هي الماوى وقال في اية اخرى ارايت من اتخذ الهه هواه ونحوه كثير في القران والذي يذكر قوله ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي نحن مطلعون على ذلك الا الله تعالى هو العالم بذلك وهو المطلع
عليه دون الملائكة ما يلفظ ويفعل بالجوارح بقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال في اية
اخرى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون […] الحفظة انما يعلمون ما يفعلون وما يظهرون
ما يسرون في قلوبهم فالله هو المطلع على ذلك العالم به ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر والله اعلم
قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يفهم من قرب الرب تعالى الى العبد ما يفهم من قرب العبد الى الله تعالى
وقرب العبد الى الله تعالى بالطاعة له والقيام بامره والانقياد والخضوع له هذا هو المفهوم من قرب العبد الى
الرب لا شي اخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى الى العبد الاجابة والنصر والمعونة والتوفيق على الطاعة
على ذلك ما يقال فلان قريب الى فلان لا يعنون تقريب نفسه في المكان ولكن يعنون نصره له ومعونته
اياه واجابته ويحتمل ان يكون ذكر القرب منه كناية عن العلم بالخلق ظاهرا وباطنا والله اعلم واصله ان […]
فيما ذكر من القرب فان كان في السؤال فالمراد به قربه منه بالاجابة له كقوله تعالى واذا سالك عبادي
عني فاني قريب فان كان فيما يرون ويبصرون […] من القرب في تلك الحالة العلم كقوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم الاية فعلى ذلك قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فيه النصر والمعونة او العلم فيكون قوله ونحن اقرب اليه اي اعلم به واحق من غيره في النصر والمعونة والحفظ

والله اعلم وعلى ذلك يخرج ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من يقرب الى شبرا تقربت منه شبرا على ما ذكرنا من قرب
الطاعة له وقرب الرب اليه بالنصر والمعونة لا قرب المكان ولا قوة الا بالله ثم قوله حبل الوريد قال بعضهم هو العرق
والوريد العنق وقال بعضهم هو عرق بين الحلقوم والعلباوين وقال بعضهم هو عرق في القلب يتعلق به فاذا قطع ذلك
العرق يموت الانسان والله اعلم قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد اي اذكر يتلقى المتلقيين والحفظ يتلقى المتلقيين والاخذ يتلقى المتلقيين وهما الملكان يتلقطان
عن العمال اعمالهم اذ يتلقيان ويسلان اعمالك اذ يتلقيان اقوالك ويحفظان عليك ويكتبان ثم ذكر هذا
ويخبرهم ان عليهم حافظا ورقيبا وان كان هو تعالى حافظا لجميع احوالهم وافعالهم واقوالهم لما به يحفظ
الملائكة وكتابتهم وعدم ذلك يمن ليس في حق الله تعالى لكن يخرج الامر للمالك يحفظ اعمالهم وكتابة ذلك على وجوه
من الحكمة احدها ليكونوا ابدا على حذر بما يقولونه ويفعلونه على ما يكون في الشاهد من علم ان عليه حافظا
ورقيبا فانه يكون ابدا على حذر وتحفظ من ذلك الامر وذلك ما ذكر لما دعى الى الانتهاء عن ذلك فعلى ذلك ما ذكر
المتلقين عليه حفظا ويكتب ذلك عليه فانه يتكلف الكف لاكره ذلك المكتوب عن بني ادم ويستحي من ذلك اشد
الاستحيا يكون ذلك ادعى له وابلغ في المنع والله اعلم وكذلك الحصاد ذلك على ان الله تعالى مع الكتاب بعض الكتاب ليعا
ذهو ما لم يذاته بالاشيا هو اقل لقوله لا يضل ربي ولا ينسى والله اعلم والثاني من الحكمة امتحان الملائكة بحفظ
اعمال بني ادم واقوالهم وكتابة ذلك فيمتحنهم بذلك وامرهم وتعالى يمتحن الملائكة بما شاء منهم بالتسبيح والتعظيم
من شاء منهم بالركوع ومن شاء بالسجود ومن شاء بحمل العرش والكرسي ومن شاء بحفظ ادم ومن شاء منهم بسوق
السحاب وانزال المطر فيها في ذلك منافع بني ادم ويكون ذلك كله بحق العبادة ليعلم ان من قد امتحن منهم بالركوع
والسجود والتسبيح والتكبير والتهليل يمتحنهم بتلك المنافع يرجع اليهم في ذلك ولكن يمتحنهم بما شاء
بما شاء ويكون ذلك كله عبادة وان اختلف انواعه فعلى ذلك امرهم بحفظ اعمال بني ادم واقوالهم
والله اعلم والمحنة بحفظ تلك الاعمال والاقوال وكتابتها اشد من محنة غيرهم من الملائكة بالركوع والسجود
والقيام والتكبير والتهليل ونحو ذلك من محنة بني ادم من اقامة العبادات والامتناع من المحرمات ونحوها اذ
اجمع الخلائق على تعظيم كيفية عمل واحد منا […] التاويل يحتمل والثالث وهو ان الله تعالى
اخبرهم بكتابة الملكين اعمالهم وقعودهما عن اليمين والشمال من غير ان يراه احد من البشر باعينهم ولا ادراكا
ولا سمع صوت كما […] على ذنبنا ولم نقف على ذنبهم ونحن […]
قدرته […] على ما شاء من الفعل وانه لا يقدر […] كل خلق […] نفسه ولا روية غيرهم وان […]
الرؤية يختلف باختلاف الاوقات والاستحسان […] الملائكة […]
[…]

الاقوال والافعال الا في الضماير لكنه غير مستنكر في العقول ان يكون الله تعالى اقدرهم على العلم بما في ضمايرهم
فيعرفون ذلك ويكتبون ولكن ظاهر الاية يشير الى ما قلنا والله اعلم ثم قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد اي
المتلقيان ارادا قعيد لكل جانب منهما الا انه اكتفى بذكر الواحد اذ كان دليلا على الاخر وقعيد يعني قاعد
كما يقال قدير بمعنى قادر ويكون بمعنى اكيل وشريب بمعنى مواكل ومشارب قعيد ومقاعد وقال ابو عوسجة
قعيد من القاعدين كما يقال قعيدي وجليسي والله اعلم وقوله رقيب عتيد اي رقيب حفيظ والعتيد الحاضر
الذي ليس بغائب حتى يغيب عنه شيء والله اعلم وقوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قال ابو عوسجة سكرة الموت
اي شدته يحتمل انها تنزل باليقين عند الموت شدة ومشقة ثم الاية تخرج على وجهين احدهما انه يخرج على
ظاهر ما ذكر على لفظ جاءت يجاء بسكرة الموت على الذين كانوا من قبلكم فرحمتهم عن مناهيهم وتمنعهم
عنها والله اعلم والثاني ان يكون قوله وجاءت بمعنى يجيء وكذلك وجاءت كل نفس معها سايق وذلك جائز في اللغة
وقوله بالحق اي من اهل الشقاوة او من اهل السعادة فيقول عند ذلك يا ليتني لم يظهر انه من اهل السعادة
او من اهل الشقاوة او من اهل الجنة او من اهل النار واصله عندنا ان الحق هو ما وعد كل نفس من خير ووعيد
وقد كل نفس من الشر ان كان مؤمنا وقد وعد له الجنة فيتحقق له ذلك وان كان كافرا وعد وعد له النار
فيتحقق له ذلك ويحتمل ما ذكر من الحق ههنا هو الموت نفسه اخبر انه لا بد من الموت اذ كان لا محالة وهو كقوله
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى لهم تخلق الخلق الخلود في الدنيا ولكن في الاخرة فلا بد من الموت والله اعلم
وقوله تعالى ذلك ما كنت منه تحيد يحتمل على وجهين اي ما كنت تكره وتحيد وتنكر وتفر منه وهو البعث
ويوم القيمة الذي تنكرونه وتكرهونه والثاني يحتمل الموت نفسه اي ذلك ما كنت تكره وتفر منه اذ هم
كانوا يكرهون الموت ويفرون كقوله قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي يأتيكم من حيث لا تفرون
منه والحيد هو الميل والكراهة وقال ابو عوسجة الحيد الفرار يقال حاد يحيد حيدا فهو حايد وقوله تعالى
ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد يحتمل ان يكون ذلك النفخة الاولى وهي النفخة التي يفزع عندها اهل السموات
والارض فيموتون ويحتمل ان يكون ذلك النفخة الثانية التي عندها البعث وادخال الارواح في الاجساد
ويحتمل ان يريد عندها الوضع كل ذي حمل في القبر ومن اتيان الملك ما جاء الاخبار من سؤال منكر ونكير
وذلك ايضا هو يوم الوعيد في حق الرجل وهذا الكلام خاصة وقوله ذلك يوم الوعيد يعني ذلك
يوم وقوع الوعيد اذ يوم الوعيد الدنيا فاما القيمة فهو يوم وقوع الوعيد وتحققه والله اعلم وقوله تعالى
وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد قال بعضهم السايق الذي يقبض روحه والشهيد الذي يحفظ عمله
وقال بعضهم السايق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته والشهيد هو الذي يكتب حسناته وقيل السايق
هو الكتاب الذي يأتي فيسوق الكفرة الى المحشر والشهيد هو علمه الذي عمله في الدنيا وقيل السايق
الكاتب والشهيد جوارحه يقول يوم تشهد عليهم السنتهم الاية واصله ما ذكر في قوله وسيق الذين
كفروا وسيق الذين اتقوا ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة احشروا الذين ظلموا وازواجهم الى قوله
فاهدوهم الى صراط الجحيم فالسايق هو الملك يسوق اما الى الجنة واما الى النار والشهيد هو الملائكة الذين
يكتبون علينا الاعمال فيشهد ويتبين في الاخرة فان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر والله اعلم بحقيقته
ما اراد وان كان ما ذكر محتمل والله اعلم وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد يقول لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذي يعاين ههنا الى غفلته عما اعتدنا له
والشدة التي عاينتها فكشفنا عنك غطاءك اي كشفنا عنك الشبه الذي يمنع وقوع العلم به والتجلي
له فبصرك اليوم حديد اي ماض نافذ كقوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا وقيل حديد من الحدة اي لا
يخفى عليه شيء فكأنه اراد والله اعلم انك كنت في الدنيا جاهلا عن هذا اليوم وعرفت الحال الا انه
قد فاتت ما كنت عنه في غفلة وايقنت به وهو كقوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وقوله تعالى وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد اي يقول الملك الذي كان عليه رقيبا ان كل ما عمل فهو عتيد حاضر من كتاب فعل
السوء فيشبه ان يكون شهادة الحفظة عليه هذا القول ويحتمل ان يكون ذلك على لسان الملائكة عما عمل
وحفظ يقول لكل ملك هذا الذي عندي اي هذا الذي عمل هذا عندي حاضر محفوظ اذ الكتاب الذي كتب
فيه اعماله ثم حاضر ان الذي يكتب الاعمال لكل واحد واحد على هذا حيث قال قرينه ولم يقل قريناه ولو
كان قال اذ يتلقى المتلقيان على ما ذكرنا انهما ملكان لكن يجوز ان ينزل الكتابة وجمعا الاخر شاهد وجائز
ان يكونا يكتبان جميعا بقوله كراما كاتبين لكنه ذكر ههنا بحرف التوحيد فقال وقال قرينه كما يقول لكل واحد
منهما اذ الفعل لهما وهو ما ذكرنا في قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد اي كل واحد منهما قعيد والله اعلم

القيا

القيا في جهنم كل كفار عنيد يحتمل ان يكون الخطاب بقوله القيا الاثنين على ما هو ظاهر الصيغة التي ذكر لك
ليشهد عليه بحيث قال وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد كان الامر بذلك لهما ويحتمل ان يكون المراد بالخطاب
هو القرين الذي سبق ذكره وقال قرينه هذا ما لدي عتيد لكن قال القيا لوجهين احدهما ما قيل ان العرب قد
تذكر حرف التثنية على ارادة الواحد والجماعة والثاني ما قال بعضهم ان المراد من قوله القيا القي القي على التاكيد
كقوله هيهات هيهات على الوصية في العرب ويقال في المدح بخ بخ ويخرج ذلك على التاكيد والله اعلم وقوله كل كفار
عنيد يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى حيث صرف شكرها الى غيره او كل كفار لتوحيد الله وتسميته غيره الها والعنيد
وقال بعضهم هو الذي يبلغ في الخلاف غايته والجا الفاسد الخلاف من عند يعند عنودا فهو عاند وعنيد يعني
عاند وقيل هو الذي لا ينصف من نفسه وقيل هو الذي يكابر ويعاند بعد ظهور الحق له والله اعلم وقوله تعالى
مناع للخير يحتمل وجهين احدهما مناع عن الخير وهو من منع غيره عن التوحيد وقبول الحق والثاني مناع
للخير له منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في امواله وفي نفسه وقال بعضهم في التاويل وادنه الوليد
المغيرة الخير ومنع الخير هذا عادة كل كافر كقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا فلا معنى للتخصيص لاحد به وقوله تعالى معتد مريب المعتدي من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود
الله تعالى والريب من الريبة وهو الشك والفساد فكان المريب هو الذي جمع الشك والفساد جميعا ثم نعت
ذلك الانسان فقال الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد وصف وذكر مع الله الها
اخر هو كقوله ويجعلون لله البنات وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي وصفوا
انهم اناث والا لا يملكون جعل ذلك حقيقة وقوله فالقياه في العذاب الشديد وصف العذاب بالشدة لما ان الله
تعالى وكل عذاب يرجى انقطاعه في بعض الاوقات تخفيه بعض الراحة والله اعلم وقوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن
كان في ضلال بعيد اي قال الشيطان الذي اضله ودعاه الى ما دعاه فصار قرينه في الاخرة كقوله ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين او يحتمل قرينه او رفيقه الذي كان معه يتبعه ويصده عن رأيه ثم
هذا القرين من قرينه انما كان يصده ان كان يختار الكفر واختار ما كان منه من الكفر والشرك من اختيار وقال هذا الذي اضلني
واطغاني وهو الذي وحملني عليه كقوله هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا وكذا ضعف له فيقول ربنا ما اطغيته
ولكن كان في ضلال بعيد كانت الكفرة لحيرتهم وقلة حيلهم احيانا ما ينكرون الشرك كقوله والله ربنا ما كنا
مشركين وقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم قال الا انهم هم الكاذبون واحيانا يقولون
هؤلاء اضلونا واحيانا يلعن بعضهم بعضا ثم قوله ربنا ما اطغيته اي ما امرته في الضلال ولا الجأته في ذلك
ولكنه سعى على ما كنت اناديه واطاعني من غير ان يكون مني اكراه او الجأ له على ذلك وهو ما ذكر ولكن كان في ضلال
بعيد اي كان في ضلال لا يرجى الرجوع عنها والانقطاع وقال بعض اهل التاويل ان ذلك الكفرة يكذب
الحفظة بانهم كتبوا ما لم نعمل عليهم كانوا يكذبون في ذلك اليوم لحيرتهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال
قرينه وهو الذي يكتب اعماله ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد لكن هذا فاسد وهذا القول في
الشيطان لا في الملائكة اذ هم لا يدعون على الملائكة الاطغاء والاغواء الا ترى انه قال لا تختصموا لدي وقد
قدمت اليكم بالوعيد والخصام منهم مع الشيطان انما جرى في غير اي من القران قال الله تعالى واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وقوله وقال الشيطان لما قضي الامر
الى قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الاية فهذه الخصومة بينهم وبين قرنائهم
الشياطين وعن هذا الشيطان لا رفيقنا فسا اقرينا والله اعلم وقوله تعالى لا تختصموا لدي حضور منهم ما ذكرنا
قالت الاتباع ربنا هؤلاء اضلونا وما ذكر من لعن بعضهم على بعض ومن سرى بعضهم على بعض فقال الله تعالى لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد اي وعدت اليكم من الوعيد في الدنيا فانقطع خصومتكم هذه في الدنيا
ما يلحق من ضل بنفسه ومن ضل بغيره كان هؤلاء الكفرة يطلبون وجه الاحتجاج به لهم بذلك قال الله تعالى
لهم لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد اي ارسلت اليكم الرسل ومعهم الكتب وفيها الوعيد فلم يقبلوا
ذلك كله فان قيل قال ههنا لا تختصموا لدي وقال في موضع اخر ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبين
الايتين مخالفة من حيث الظاهر فما وجه التوفيق بينهما قيل من وجوه ثلثة احدها ما قال بعضهم لا تختصموا لدي
في اهل الكفر خاصة وقوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون في اهل القبلة وهو في المظالم التي كانت بينهم
في الدنيا والثاني ما قال بعضهم بان احدى الايتين في موضع والاخرى في موضع فيؤذن لهم بالكلام في حين
يكون جمعا بين الايتين وهو كقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقال في اية اخرى ولا يتساءلون
وقال في اية اخرى فيسألون عن المجرمين ما سلككم في سقر فعلى ذلك هذا والثالث جائز ان يكون قوله ثم انكم

لدىّ في الذين فيما بينهم وبين قرنائهم في دفع عذاب الله عن انفسهم وذلك لا يملكون ولا ينفعون بنزولها
قوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فيما بين انفسهم في المظالم والغرامات والله اعلم وقوله تعالى ما يبدل
القول لدىّ • هذا يحتمل وجوهًا احدها ما يبدل ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب بما سبق منه من الشر
والخير في الدنيا بان اجعل جزاء الكافر الجنة وجزاء المؤمن النار اذ قد سبق مني وعدي ووعيدي بان اجعل الجنة
مثوى للمؤمنين والنار مثوى للكافرين فلا يبدل عندي ذلك الوعد والوعيد والثاني ما يبدل القول الذي تكلم
انا اذا بدا قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي لا يبدل مني هذا القول بل املأها من الجنة والناس
جميعًا والثالث لا يبدل اليوم ما يستوجب به الجنة والخلود فيها وهو الايمان عن غيب كما اخبر تعالى من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب الاية فاما الايمان بدل العيان لا ينفع كما اخبر فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا الاية
وقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد • اي في العقل والحكمة تعذيب من اوفى بالكفر والشرك فيكون تركه تعذيبه سفهًا
وقوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد • هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القول
من الله تعالى لجهنم هل امتلأت وعلى تحقيق القول من جهنم الاجابة له هل من مزيد وذلك جائز ان ينطق
الله تعالى جهنم حتى يجيب له بما ذكر هل من مزيد على ما ذكر من شهادة الجوارح عليهم والهم تعالى الكلام حتى اجابت
الجوارح لهم لما قالوا لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وعلى ما ذكر من تسبيح الجبال والرعد
معه والطير ونحو ذلك ومثل هذا غير مستنكر في العقول على تقدير احداث الحياة فيها التي هي شرط النطق
من قبل والله اعلم والثاني يخرج على التمثيل لا على تحقيق القول لها هل امتلأت ولا على تحقيق الاجابة فيها هل من مزيد
ولكن على التمثيل لوجهين احدهما ان جهنم لو كانت بحيث تنطق وتسمع وتعقل لو قلت لها هل امتلأت فتقول
هل من مزيد تخبر عن انقياد الخلق طاعته والطاعة والاجابة وهو ما ذكر من قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا ليس
من الدنيا حقيقة التغرير قولا ولا فعلا ولكن معناه انها بحال لو كان التزيين وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز
وعقل لغرتهم والله اعلم والثاني ان وصف لها بالعظم والسعة واخبار عن انها تحتمل المزيد وان جميع فيها من كفر
ما لا يحصى على التمثيل وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ولذلك
قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وصف لها بالتزيين والحسن الظاهر لها لو تأمل الناظر فيها العاقبة لعرفها
من حسنها وسيرتها فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم قوله هل من مزيد يخرج على وجهين احدهما اهل في من احد يراد في
فاني قد امتلأت وليس في سعة تحتمل غيرها والثاني هل من مزيد اي في سعة تحتمل فهل من زيادة فملؤها الا
لانه تعالى وعدها ان يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين فسأل المزيد من ربها ليحملها على ما الله وعد
بذلك وقال بعض اهل التأويل فيها انها تسأل الزيادة حتى يضع الرحمن قدمه فيها فتضيق باهلها حتى لا يبقى
فيها مدخل رجل واحد وروي خبرًا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ولو ثبت فاسد في التشبيه
وقد قام الدلائل على ابطال التشبيه وكل خبر يرد مخالفا للدلائل العقلية يجب رده ويخالف كتاب التنزيل
وهو كقوله ليس كمثله شيء ثم هذا الخبر على قول المشبهة على ما توهموا مخالف الكتاب لانه تعالى قال لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين وعندهم لا يمتلئ بهم ما لم يضع الرحمن قدمه فيها ثم ذكر الحكي انه ما ذكر ولم يخلق
على حماد بن سلمة وكان حديثا معيبا في ذلك الوقت لم يحدث به [illegible] وروي حديث انس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم [illegible] وقوله تعالى وازلفت
الجنة للمتقين • اي قربت وذكر في آية اخرى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة [illegible] الى
اهلها وكيف سيق اهل الجنة اليها [illegible] احدهما ان اهل
الجنة [illegible]
البعد [illegible]
فالجنة التقريب [illegible]
[illegible]

وقوله حفيظ اي يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرًا وعلانية والحافظ لحدود الله في اوامره ونواهيه وهو كقوله
للمتقين والمحسنين اذ التقوى هو الائتمار بما امر والامتناع عما نهى وحظر والاحسان هو العمل بجميع ما يحسن في
العقول وقوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب • اي خاف وخشي مما وعد ثم يخرج على وجهين احدهما اي من خشي الرحمن
بالغيب اي قبل ان يرى ما ظاهرًا ما ذكر والثاني اي من خشي الرحمن في الدنيا في حال غيبة الدلائل بالبلوى عيانًا ووعد
وحذر عنها قبل ان يعاينها اذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدقه فيما اوعد فخافه وهو كقوله ويحذركم الله نفسه
اي عقوبته والله اعلم وقوله تعالى وجاء بقلب منيب • والمنيب هو المقبل على الله تعالى بجميع اوامره ونواهيه
المطيع له في ذلك كله وقوله تعالى ادخلوها بسلام • كان يعلى الاصحاب اي يقال لهم ادخلوها بسلام الملائكة اي
تسلم الملائكة عليهم وقت دخولهم الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والثاني السلام هو
من اسماء الله تعالى فيقال لهم ادخلوها باسم الله على ما هو الاصل في كل حيوانه يحكي باسم لفي امثال الحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو ابتر وقال بعضهم ادخلوها بسلام اي سالمين عن
الخوف والحزن والاذى يمسكم فيها وهو قوله ادخلوها بسلام آمنين ويحتمل اي ادخلوها ولا كلفة عليكم الا
ولا محنة سوى الثناء على الله تعالى والحمد له وتسليم بعضكم على بعض بل سقط منكم جميع المحن الا ما لزمكم
في الدنيا وذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكانه لا شيء اللذ في الدنيا على اهل الايمان من الثناء
على الله تعالى وتسليم بعضهم على بعض فلذلك ما ابقى في الجنة واسقط ما وراء ذلك وقوله تعالى ذلك يوم الخلود
او ذلك يوم الخلود لاهل الجنة بالسرور والراحة ولاهل النار في العقود والعناء ويحتمل اي يوم لا انقطاع له
الذي وعدوا وهي الجنة والله اعلم وقوله تعالى لهم ما يشاءون فيها • اعلمهم انهم مختارون فيها لا مجبرون ولا مكرهون
فيها على شيء اذ المشيئة هي صفة كل فاعل مختار وان كانت المشيئة تعني التمني والتشهي فكانه قال لهم ما يتمنون
ويتخيرون لقوله لكم فيها ما تشتهي انفسكم وقوله ولكم فيها ما تشتهون والله اعلم وقوله ولدينا مزيد قال بعض اهل
التأويل انه يأتيهم سحابة فيمطرهم كل ما يشاؤون وذلك هو المزيد لهم في الجنة وقال بعضهم انه يبعث لهم سحابة
فيمطرهم كل ما يشاؤون فذلك هو المزيد لكن يحتمل وجهين احدهما النظر الى رؤية الرب جل وعلا وهو كقوله للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قيل الزيادة هي رؤية الله تعالى والجنة وكسلي الذي يزيد من نعمتها ما لا يبلغ تمنيهم و
شهواتهم كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان الاماني و
الشهوات انما يكون سبق جنسه مثل الذي يقع له الرؤية والنظر والخبر فاما ما لم يعرفه لم يتمنى ولا يشتهي والله اعلم
وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص • هذا يخرج على وجهين احدهما
يقول كم اهلكنا قبلهم من قرن كم ملك دفع ذلك عن انفسهم ولا الانتصار بغيره ذلك فكيف يملك قومك دفع
ما ينزل بهم لو اصروا على التكذيب والثاني يقول قد اهلك الذين كانوا من قبل قومك الذين كذبوا رسلهم اهلكوا
اهلاك عقوبة وتعذيب والذين صدقوا اهلكوا بالآجال لهم لا اهلاك عقوبة وقد كانوا جميعا المصدقين والمكذبين
سواء في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما دل ان هناك دارا اخرى يفرق بينهما فيها والله اعلم وقوله فنقبوا في البلاد
قال ابو عوسجة فنقبوا في البلاد هل من محيص اي صاروا في البلاد هل من مفر وقال القتبي فنقبوا في البلاد اي
طافوا وتباعدوا هل من محيص اي هل يجدون من الموت محيصا اي مفرا ويحتمل ان تقلبوا في البلاد وتجاراتهم
فلا يجدون ملجأ دون هلاكهم فهو بعد ما ذكر اهل مكة انهم لم يجدوا محيصا فكيف تجدون انتم وقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب • يحتمل وجوها احدها ان في ذلك لذكرى اي عظة لمن كان له قلب والثاني
ما ذكر من اهلاك الامم الخالية وذهاب آثارهم وتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر والثالث اي فيما ذكر من شأن
المحسن والمسيء في هذه الدنيا والصالح والطالح لذكرى لمن كان له قلب ان هنالك دارًا يفترقان بينهما فيه
لمن كان له قلب وعقل وفهم ولمن كان له قلب ينتفع به في التأمل والنظر وانما كني بالقلب عن العقل لان الناس
اختلفوا بعضهم قالوا ان القلب محل العقل وقال بعضهم محله الرأس لكن نوره يتصل الى القلب فيبصر القلب
الاشياء الغائبة بواسطة العقل فلذلك كني بالقلب عن العقل للمجاورة بينهما وهو شائع في اللغة وقوله تعالى
او القى السمع وهو شهيد • اي يستمع وهو شاهد سمعه وقلبه واصله ان القلب محل الوعي والحفظ والوعي
الحفظ عند الادراك والاصابة ثم اصل ما يقع به العلم والفهم شيئان التأمل والنظر في الحجج وما
يلقى اليه الخبر وهو يستمع له بكليته فيقول والله اعلم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يطلب الدين والصواب
بالتأمل وينظر بنفسه ويحفظ او القى السمع ويستمع بما القي اليه وهو شاهد السمع والقلب فيكون الذكرى لمن
حضر عنده ينتفع هذان الصنفان التأمل فيتدبر بالعقل محاسن الاشياء ومساويها والمستمع حقيقة
الى السمع فيذكروا والله اعلم وقوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا

من لغوب قد ذكرنا تأويل خلق السماوات والأرض في ستة أيام وقوله وما مسنا من لغوب أي من إعياء
ونصب وفيه نقض قول اليهود لعنهم الله رجاء ما بقي أنها المشبهة في قوله ثم استوى على العرش وتبين المراد
من قوله ثم استوى على العرش أما نقض قول اليهود فإنهم يقولون إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام
ثم استراح في يوم السبت وهم يتركون يوم السبت لهذا فإن الله تعالى أخبر أنه لم يعيه بخلق ما ذكر إعياء ولا لغوب
ما زعمت اليهود فيكون ردا لقولهم صريحا وأما ما بقي أيهام المشبهة فإنهم توهموا أن قوله ثم استوى على العرش على أثر
خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام في آية أخرى أن ذلك للراحة فقالوا بالاستواء على العرش فنفى
الله تعالى بقي التعب عن نفسه في خلق السماوات والأرض على أن استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما
قال الشافعي بين الخلق وبين تعاليه عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق ويتبين بذكر الاستواء على العرش
بعد ذكر خلق السماوات والأرض على أن المراد منه التمام أي ثم ملكه بعد خلق السماوات والأرض وما بينهما على
العرش ويذكر الاستواء ويراد به التمام والله أعلم قال أبو عوسجة اللغوب الإعياء يقال لغب يلغب لغوبا فهو لاغب
وأصله ما ذكرنا أن خلق الله تعالى الأشياء لا لمنفعة له ولا لحاجة تقع له بالآلات والأسباب التي بها يقع
والإعياء في الشاهد لأن الإعياء إنما يلحق من فعلت الحركة والاستقبال والسكون فأما الله تعالى إنما يخلق الأشياء
بقوله كن ولا يلحقه شيء من ذلك وهو قادر بذاته فاعل لا بآلة وسبب فإن فيه جحد الأحياء والبعث كما يقول
الظالمون علوا كبيرا وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون قيل إنك شاعر وساحر ومجنون ونحوه فأمره بالصبر
على ذلك وأن لا يدعو عليهم بالهلاك ويحتمل أي اصبر على ما يقولون فإن الله من وراء الخلق فلا تكافئهم ولا
تعاملهم ولا تدعو عليهم بالهلاك ولكن اصبر فإنا سننتقم منهم لك وإنما أمره بالصبر لأنه
صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله فيما يرى من المناكير ويسمع وكذلك جميع الأنبياء والرسل فلهم
لذلك أمرهم بالصبر فيما يقولون ونحن في الله وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
قيل بحمد ربك أي بالثناء على ربك فإن تعليه بما هو أهله وما يليق به وأهل التأويل يقصدون التسبيح في هذا
الموضع وفي غيره من المواضع بالصلاة يعني قوله وسبح بحمد ربك أي صل بأمر ربك وإنما صرف التسبيح إلى
الصلاة لأن الصلاة من أولها إلى آخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والكبرياء والتبرئة من كل عيب
وفعلا ولأنه لما قام إلى الصلاة فقد فارق جميع الخلائق بما هم فيه وكذلك إذا أخذ الركوع والسجود فارق جميع
الخلق فيما هم فيه من الأمور وأعرض عنهم واشتغل بمناجاة ربه جل وعلا لذلك جاز أن يكون تسمية التسبيح صلاة
لهذا ويحتمل أن يسموه صلاة لما أن الصلاة تسبيح وقوله قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قيل هو
وقال بعضهم صلاة العصر والظهر لأنهما جميعا قبل غروب الشمس وقوله ومن الليل فسبحه وأدبار السجود قال عامة
أهل التأويل هما ركعتان بعد المغرب بعد العشاء ويحتمل أن يكون أدبار السجود ما ذكر في آية أخرى حيث
قال أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله فيكون الظلال إنما تكون بالنهار
وهو تسبيح الظلال لغناه وسبحه وقت أدبار سجود ذلك الظلال والذي أخبر أنه يتفيأ ادهنه هو
وهو ما ذكر في قوله فسبحه وإدبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله وأدبار السجود أي سبحه بعد ذهاب
سجود الظلال وذلك إنما يكون بعد ذهاب الشمس وغيبوبتها والله أعلم وقوله تعالى واستمع يوم يناد المناد
من مكان قريب كأن هذا صلة قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون وانتظر يوم ينادي المنادي من مكان قريب كأنه
ولا تنتقم منهم ولكن اصبروا انتظر ذلك اليوم فإن المنادي يخرج على وجهين أحدهما كقوله يوم يدع
الداع إلى شيء نكر يوم يناد المنادي يوم يدعوهم الداعي إلى شيء نكر والثاني ما ذكر من نداء بعض لبعض كقوله
ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الآية وقوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة يقول تعالى انتظر يوم ينادي
ويدعون إلى ما أنكروا ويوم ينادي بعضهم بعضا وقوله من مكان قريب أي من مكان يسمعون ما ينادون ويدعون
ويعرفون ما يراد بالنداء ومنادى به أي ينتهي ذلك النداء إلى الكل ويعرفون ما يراد بالدعاء وما يراد بالنداء
وما يراد به أي ينتهي ذلك الدعاء والنداء إلى الكل في نفسه حتى يعرفونه وذكر أهل التأويل أن المنادي هو جبريل
ينادي فيقف على بيت المقدس ينادي يسمعه كل أحد وبيت المقدس أرفع مكان في الأرض وهو أقرب من السماء
بكذا كذا ذراعا فهو المكان القريب ما هنا إلا أنه يسمع جميع الخلائق كأنه لم يقم في ذلك المكان
المراد من القريب ما ذكر ولكن على الإسماع فإن في موضع كان ومن يسمع شيئا في ذلك فهو قريب والله أعلم
يوم يسمعون الصيحة بالحق الصيحة النفخة والنداء الذي ذكر ثم قوله بالحق يحتمل وجهين أحدهما أي يسمعون
الصيحة بما وعدهم الرسل من العذاب فيحقق لهم ذلك في ذلك اليوم ويحتمل الحق أي يحقق ذلك البعث
الرسل عليهم السلام قد أخبروهم بذلك اليوم وهم أنكروه أن الحق الذي لبعضهم على بعض لا ينسون في بعض من

ما الموت من الحي في ذلك اليوم وأمروا بأداء الحق وقيل ذلك اليوم والله أعلم وقوله تعالى ذلك يوم الخروج قيل
يوم الخروج من قبورهم وقيل يوم الخروج والبعث إلى الله تعالى وقوله عز وجل إنا نحن نحيي ونميت أي نحيي الموتى
ونميت الأحياء أي نحن نملك ذلك لا يملك أحد ذلك غيرنا وقوله وإلينا المصير خص ذلك اليوم بالمصير
إليه وإن كان في الأحوال كلها صائرا إليه لما ذكرنا
من النحو في غير موضع والله أعلم وقوله تعالى يوم تشقق الأرض عنهم سراعا يحتمل أن يكون ما ذكر من الإسراع هو
صفة تشقق الأرض كأنه يقول يوم تشقق الأرض سراعا لا ينتظر طرفة عين ولكن ينشق أسرع من لمح البصر
ويحتمل أن يكون وصف سرعة خروجهم من الأرض يقول يوم يسرعون الخروج من الأرض وقوله تعالى ذلك
حشر علينا يسير وغير الحشر يسير على الله تعالى أيضا لكن شيء أيسر عليه من شيء ولا أصعب من شيء لكن خص الذكر
لأن أولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا فخص ذلك اليوم باليسير لهذا أو يجوز الأشياء
كلها بالتلوين لأن الجود جرى في الشجر فإن معرفة العباد لا أن التلوين الذهب وجود الملون خصها بوصف الحرف
وفي ذلك يستوي ابتداء الخلق وإعادته والحشر وكل شيء ولا يتوقع إلا بأنه وهو كقوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر
والله الموفق وقوله عز وجل نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار يقول والله أعلم اصبر على ما
يقولونه فنحن أعلم بما يقولون قيل لأنهم يقولون بذلك يتركهم على ذلك فيعاملهم ليصبر رسوله عليه السلام
على ذلك ليتسلى به بعض ما يحزنه عليه وقوله وما أنت عليهم بجبار قال بعضهم من الجبر والقهر أي ما أنت تقاهر
عليهم ومجبر يجبرهم على التوحيد وقال بعضهم من التجبر أي المتكبر والجبار هو الذي يقتل بلا ذنب ولا حق
وقيل أي وما أنت بمسلط عليهم وهو كقوله وما جعلناك عليهم حفيظا أي مسلطا عليهم وقوله فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد أي بلغ ما أنزل إليك فعليك التبليغ وإنما الحساب علينا وإنما نعاقبهم بما يعملون ثم بين
خص بالذكر من يخاف وعيد لكن لأمر بعد ذلك لأن منفعة الذكرى تكون لمن يخاف الوعيد إلا لمن لا يخاف الوعيد لذلك
خصه بالذكر لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا بالحكم ونفيا لغيره فبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك والله أعلم

سورة الذاريات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والذاريات ذروا سئل علي بن
أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال والذاريات هي الرياح فالحاملات وقرا هي السحاب والجاريات يسرا
هي السفن فالمقسمات أمرا هي الملائكة وعلى هذا خرج تأويلها عامة أهل التأويل إلا ابن مسعود رضي الله عنه قال الذاريات
ذروا هي الملائكة ثم يحتمل أن يصرف هذه الأحرف كلها من الذاريات وغيرها إلى الرياح خاصة فالذاريات
هي تذري الأشياء ذروا فالحاملات وقرا هي تحمل السحاب وغيرها في الآفاق والجاريات أي تمر في كل جهة
ذلك النوع وجنسه على ما حمله أهل التأويل وصرفوه إليه قال القتبي ذرت الريح تذرو ذروا ومنه قوله فأصبح هشيما
تذروه الرياح ومنه ذريت الملائكة التذرية لا يكون إلا بالريح ويذرونها أي تنسفه من الدوق ودري الزرع إذا
أرى كونها أيام شط وساد دنيا إذا كان في ذنبها بياض فالجاريات يسرا أي سهلا أو يجري السفن جريا
سهلا وقال أبو عوسجة فالمقسمات أمرا هي الملائكة واختلف في التقسيم قال بعضهم بعث أملاك
يقسمون الأمور جبريل عليه السلام بين في إنزال العذاب والشدائد وميكائيل في إنزال النعمة
والرزق والرحمة وإسرافيل في نفخ الصور وملك الموت في قبض الأرواح فكل واحد من هؤلاء قائم على
حدة وقال بعضهم هم الملائكة الذين ينزلون بالوحي يأخذون من هذا إذ الله تعالى أن يرسل الوحي على يدي من
يشاء من ملائكته والله أعلم ثم اختلف في ذكر هذه الأشياء من الرياح والسفن والسحاب والملائكة
لماذا قال عامة أهل التأويل إنما ذكرها على القسم بها وقال بعضهم ما ذكرها على سبيل تعديد النعم والمنافع
التي جعلها الله تعالى لهم وأخبر في هؤلاء وقال لو أن القسم بها ليس بغيره فكيف يقسم بغيره فيكون
ذكر هذه الأشياء على الامتنان لا على القسم إلا الملوك بالقسم اختلفوا فمنهم من يقول القسم بأعيان هذه
الأشياء لعظم منافع هذه الأشياء عند الخلق ومنهم من يقول إن القسم بالله تعالى لا بغير هذه الأشياء
على الإضمار كأنه قال ورب الذي ذرا الذاريات ذروا ورب الذي خلق الحاملات وقرا والجاريات يسرا والمقسمات
أمرا وهو كقوله فورب السماء والأرض فيكون القسم بخالق هذه الأشياء لا بأنفسها وكل واحد من
الوجهين محتمل إلا أن القسم خرج لدفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعدما أقام عليهم الحجج البعث
براهينه على إمكان لا محالة بحيث لو تأملوا ونظروا فيها لزال ذلك الارتياب والشبهة عنهم والقسم تأكيد

لما وقع قلبه مما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة عندهم ذلك على تأكيد الخبر المقرون بالقسم فالقسم
الله تعالى بأنه خالق هذه الأشياء المذكورة مما يجل ويعظم عند الكفرة لما كانوا يقسمون بالله تعالى عند
عظم الأمور كما أخبر تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم تصلح لتأكيد ما وقع عليه القسم وكذلك القسم
هذه الأشياء يصلح مؤكدا لتعظيم خطر هذه الأشياء عندهم لجليل منافع هذه الأشياء والمعروف
أنهم إنما يقسمون بالذي عظيم خطره وجل قدره عندنا فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء المعروف عظيم خطرها
وجليل قدرها لفيدهم منافع الرياح مما يكون عددها قد أهلك بها أقواما فيها استئصالهم وبها تلقح [illegible]
المثمرة وغيرها وبها انسياق السحاب في الآفاق الأمطار وبها تجري السفن في البحار وغيرها من المنافع
سبب حياة الحيوانات بالتنفس وتحول الريح فيهم وتحركها في بدنه لطفا بحيث لولاها لخرج [illegible]
البدنة وفيها آيات فإن الريح جسم لطيف ولا يدرك ليعلم أن الرؤية لا توجب الإحاطة والإدراك
وغير ذلك من جهة الآيات على ما تقدم ولذلك أقسم بالحاملات وقرا وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق
من حمل الأمطار والتظليل في الحر ونحو ذلك مما فيه من الآيات إذ هو ممسك في الهواء حيث لا يقع بسوق الريح
مع ما فيه من الحمل الثقيل إلى الوقت ثم يرسل المطر حيث أمر [illegible] ولا مطر [illegible] ثم يرسل بعضه
[illegible] ويرسل وهو في نفسه مسخر لأبدله من مسخر إذ لو كان فعله بالطبع لم يختلف باختلاف الأحوال
وفيه أيضا التعب إذ خلق مثله لا يكون إلا لعاقبة ولذلك أقسم بالجاريات يسرا وهي السفن بما فيها
من منافع الخلق إذ لولاها لانقطع بعض المنافع عن الخلق إنما يحتاج المؤمن منافع لا توجد في مكان واحد
بل خلقها متفرقة في أماكن [illegible] لتحصيل هذه المنافع وحوائج أشياء الحمل على ظهور الدواب في البر
والسفن في البحار مع ما فيها من الآية العظيمة مما حبكها بحيث لا يستقل في الماء مع ثقل الأحمال بل يجري بها
الريح وحيث ما شاء والأمر الله تعالى والملائكة منافعهم عظيمة ظاهرة وعظم قدرهم وجلال خطرهم
عندهم واضح وإذا كان كذلك كان القسم بهذه الأشياء لتأكيد الخبر المقسم عليه مما يعقل وهو متعارف
ولا معنى ليقول [illegible] عبادة غير الله لغيره فكيف يقسم بغيره إذ يجوز أن يقسم [illegible]
عن القسم بأن القسم بالشيء يجعل بتلك الأشياء وتعظيمها فإنها لا يستحق التعظيم بنفسها بل
تعالى إذ هو المستحق للتعظيم في الحقيقة إذ هو خالق الأشياء كلها فأما القسم من الله تعالى بشيء ليس لتعظيم
ذلك الشيء في نفسه بل ليبان عنه قدر منافعه التي فيه للخلق فيها التي عظمت وجلت عندهم فيكون لكونها
خطرها عندهم والله أعلم ثم ذكر أفعالا لهذه الأشياء التي أقسم بها ولم يذكر أنفسها والقسم بما يكون لا لأنفس
لا بالأفعال فأما أن [illegible] ولكيلا يكفر أنفس هذه الأشياء [illegible] ذكر هذه الأفعال [illegible]
أو [illegible] قوله تعالى إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع هذا
موضع القسم بهذه الأشياء لتأكيد الصدق فيما وقع عليه القسم والصدق إنما يستعمل في الخبر
فكأنه قال إنما أخبركم الرسول بالبعث لوعدكم به لصادق في خبره ووعده إذ الرسول خبر الجملة [illegible]
صدقا وكذبا فأكد هذا الوعد من الرسول بالقسم أنه لصادق فيما وعد من البعث [illegible] وكذلك تعالى وإن
الدين لواقع موضع القسم والخبر الواقع كائن وقيل أن المراد من الدين الحساب أي أن الحساب لكائن لا محالة
والله أعلم قوله تعالى والسماء ذات الحبك روي عن ابن عباس رضي الله عنه ذات الحبك يعني الحسن والاستواء
وقال بعضهم ذات الحبك أي ذات بنيان متقنة محكمة وكلا التأويلين يرجع إلى الحسن فإن حسن خلق
السماء بالإتقان والإحكام يقال للحائك إذا أحسن النسج فأحكمه حبك الثوب وقال الحسن حبكت
بالنجوم وحبكت بحسن الخلق وقال بعضهم ذات الشدة والاستواء يقال حبكت الحبل إذا اشتددت
فتله كذلك قال أبو عبيدة وقال القتبي ذات الحبك أي ذات الطرائق وكذلك قال أبو عوسجة ثم هي ما ذكرنا
من الوجهين إذ القسم يقع بالسماء أو برب السماء والله أعلم ثم قوله إنكم لفي قول مختلف يخرج على وجوه أحدها
إنكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القرآن مما لو كان ذلك القول منكم عن علم
ومعرفة ثم يخرج مختلفا متناقضا لأنهم قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه مجنون وإنه ساحر
وإنه مفتر وهذا مختلف متناقض لأن الساحر هو الذي يبلغ في معرفة الأشياء غايتها وكذا الشاعر
لا يحتمل أن يبلغ المجنون ذلك المبلغ فكان يكون [illegible] الجملة في حال واحد مخرج على التناقض وكذا
قولهم في القرآن أنه أحاديث الأولين وأنه مفترى [illegible] أساطير مع أنهم عجزوا عن إتيان مثله
فيكون هذا متناقض القول لهذا اختلافهم في القول فيهما على أنهم قالوا ذلك على جهل لا عن علم إذ لو كان
من علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض ووصف الخطأ على هذا التأويل بكونه الكفرة والثاني أنما قال ذلك

فالدلالة

فالدلالة على البعث إنكم لفي قول مختلف [illegible] في عقولكم الاختلاف [illegible] فلا فراق بين المصلح والمفسد والمحسن
والمسيء وقد عرفتم لا استواء بينهما في هذه الدنيا دل أنه [illegible] الدار الأخرى فيها يفرق بينهما وغير هذا التأويل
لا يختص به الكافر بل يعم الكل والله أعلم والثالث إنكم لفي قول مختلف أي قول متفرق ومذهب متناقض لأنهم كانوا
يعبدون أشياء على ما هو [illegible] ثم يختارون شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره وكذلك يقولون قولا بلا حجة ثم
يرجعون إلى قول آخر لا ثبات لهم على شيء وهو كقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
العلم والرابع إنكم لفي قول مختلف في أمر الآخرة لأن منهم من يدعي أن الآخرة لهم لو كانت ومنهم من يدعي التسوية
مع المسلمين فرد الله تعالى عليهم بقوله يؤفك عنه من أفك وهو كقوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف
تحكمون وقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
ساء ما يحكمون والخامس يحتمل أن [illegible] وهم مختلفة في الآخرة والله أعلم وذكر بعض أهل التأويل
أن الناس يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحص عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وليسمعوا كلامه وكان
كفار مكة يصدونهم عنه ويقول بعضهم إنه مجنون وبعضهم إنه كذاب وبعضهم شاعر فذلك قوله إنكم لفي
قول مختلف قوله تعالى يؤفك عنه من أفك يحتمل وجوها أحدها أن يصرف عن الحق من صرف عن النظر والتفكر
في العاقبة [illegible] في الآخرة [illegible] الدنيا لأنهم كانوا يعبدون الأصنام
[illegible] إلى الله [illegible] في الآخرة
عن [illegible] الدنيا والآخرة والله أعلم والثالث [illegible] في الآخرة الشركة مع المسلمين وادعى الخلاص عما [illegible]
في الدنيا عن الإيمان به ينال الآخرة والرابع يؤفك عنه [illegible] عن الحق من صرف [illegible]
صرف الله قلوبهم [illegible] زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقوله تعالى قتل الخراصون قال أبو بكر الأصم الخراص الذي يكذب
على [illegible] الذي يكذب ويقطع على الظن [illegible] يقال للذي [illegible] الشيء [illegible] بالظن خرص [illegible]
يحتمل قوله قتل الخراصون [illegible] حقيقة القتل [illegible] يرجع إلى قوم خاص [illegible] والثاني قتل أي لعن
واللعن [illegible] فطردوا عن رحمة الله [illegible] من منافع الحياة وبالقتل [illegible]
[illegible] من أن يكون [illegible] عن الطرد عن رحمة الله تعالى التي بها تحقق ونفع المنافع في
الآخرة والله أعلم وقال أهل [illegible] قتل الخراصون [illegible] كما قال أهل الأدب [illegible] الذين هم في غمرة ساهون
المختلف في تأويله قال بعضهم أي في غفلة وقال بعضهم [illegible] وجعلنا على قلوبهم أكنة وقوله وقالوا قلوبنا في
أكنة [illegible] وقوله بل قلوبهم في غمرة من هذا [illegible] وقال بعضهم [illegible] أمر الآخرة وكل ذلك يرجع إلى معنى واحد
وقوله ساهون أي عن الحق [illegible] وقيل لاهون عن التوحيد والإيمان وقيل ساهون
أي تاركون الإيمان وأصل السهو هو الترك [illegible] كقوله نسوا الله فنسيهم أي تركوا والله أعلم وقوله تعالى يسألون أيان
يوم الدين كانوا يسألون عن القيامة سؤال الاستهزاء [illegible] لا سؤال استرشاد لذلك قال تعالى يوم هم على النار
يفتنون ولو كانوا [illegible] سؤال الاسترشاد لكان [illegible] ذلك الوعيد [illegible] جبريل عليه السلام أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الإيمان والإسلام في حديث طويل وسأله عن الساعة فلم يأته الوعيد
[illegible] سؤال استرشاد وقوم موسى عليه السلام لما سألوا الرؤية [illegible]
[illegible] سألوا سؤال استهزاء [illegible] سؤال استرشاد وأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم سألوا الرؤية فبشروا [illegible] في الآخرة لما أنهم سألوا سؤال استرشاد لا سؤال استهزاء فعلى
ذلك [illegible] الكفرة سألوا عن القيامة سؤال استهزاء [illegible] من كون الساعة [illegible] وقت العذاب الذي يعدهم
[illegible] يوم هم على النار يفتنون والله أعلم وفي الآية دلالة على أن الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج فإنه
[illegible] بين سؤال الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة وبين سؤال جبريل إياه عن الساعة ثم أجاب
جبريل عليه السلام ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثم [illegible] الكفرة يوم هم على النار يفتنون [illegible]
من النار ليبين أن أحد السؤالين يخرج على الاستهزاء والآخر على الاسترشاد [illegible] على الحال
دل أن الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج ولكن يجب النظر فيه ليعرف المراد [illegible]
[illegible] والله أعلم ثم قوله يوم هم على النار يفتنون [illegible] عن اليوم الذي سألوا عنه استهزاء وهم منكرون في الحقيقة
[illegible] هو اليوم الذي يفتنون فيه [illegible] بوجهين أحدهما يفتنون أي يبتلون ويمتحنون بالشدة والعذاب [illegible]
المحنة فيها الشدة والبلاء [illegible] سمي العذاب فتنة لما فيه من الشدة وقال بعضهم يفتنون أي يحرقون وقوله ذوقوا فتنتكم
أي ذوقوا العذاب الذي فيه الشدة وقوله هذا الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا [illegible]
لا يكون في الآخرة قوله تعالى إن المتقين في جنات وعيون [illegible] إن المتقين في جنات وعيون [illegible]

في جنات خالدا في العيون ولا يحتمل لكن معناه انهم يكونون في جنات ويكونون في العيون بحيث يرونها او يقع
ابصارهم وينتفعون بها وهو كقوله يلبسون من سندس واستبرق فانهم لا يلبسون السندس من اعلاه الى
اسفله وتميز ذلك من الاستغراق بفضل ذلك لما ذكر من كون المتقين في جنات وعيون يكونون في الجنة ويتنعمون
بالعيون والله اعلم ثم قوله اي المتقين اي الذين اتقوا الشرك والكفر ويحتمل الذين اتقوا المحارم التي اتقى الله
عملا وقولا واعتقادا ويحتمل اي الذين اتقوا المهالك وقوله اخذين ما اتاهم ربهم يحتمل وجهين احدهما ما
اتاهم ربهم في الدنيا من القدرة والقوة والمال لحق الله تعالى والقيام بشكره والعبادة له والاستعمال في
طاعته لذلك قال انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبلوا ذلك بحق الاحسان فاستعملوها في حق الله والقيام
بطاعته وعلى هذا التاويل كانه على التقديم والتاخير ان المتقين في جنات وعيون لانهم كانوا قبل ذلك محسنين
اخذين ما اتاهم ربهم اي اعطاهم قالوا الجنة لما انهم كانوا في الدنيا كذلك والثاني ما قال اهل التاويل اخذين ما اتاهم
ربهم في الاخرة اي راضين بما اعطاهم الله من النعيم في الجنة وهو كقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وعلى هذا يخرج
تاويلهم وقوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين في الدنيا ثم بعث احسانهم فقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون قال اهل التاويل جميعا اي يصلون وانما حملوا عليه لان الاستغفار طلب المغفرة
وذلك مرة بالصلوة ومرة بالتسبيح ومرة بدفع المال ويحتمل حقيقة الاستغفار اي انهم واعمالهم [illegible] لذلك لانه
ارجى وقت الاستغفار وقت السحر لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال [illegible] اذا كان وقت السحر [illegible] على ربه
فكان يصلي الى وقت السحر ثم يدعو او يستغفر في ذلك الوقت وقوله وفي اموالهم حق للسائل والمحروم قال
بعضهم الاية في الزكاة لكن هذا لا يحتمل لان السورة مكية ولم يكن بمكة الصدقة المفروضة الا ان يقال
ان السورة مكية الا هذه الاية انها مدنية فان يكون ذلك الحق هو المفروض ولكن حق سوى المفروض ويقال
ان الاية نزلت في قوم خاص جعلوا على انفسهم ان لا يردوا سائلا ولا محروما ولا يمنعوا اموالهم من [illegible]
بتلك الاية انه ذكر الحق للسائل والمحروم وقد بين مصارف الزكاة الاصناف الثمانية بقوله انما الصدقات
للفقراء الى قوله فريضة من الله ثم اختلف في تاويل المحروم والسائل قال عامة اهل التاويل المحروم هو الذي
لا سهم له في الغنيمة والفيء لانه لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها ويحرم عن ذلك وقال بعضهم المحروم
الذي هلك زرعه وكرمه بما اصابه يحرم عن ذلك كما وصفهم في سورة الواقعة انا لمغرمون بل نحن محرومون فلما
حرموا زرعهم وصفهم بذلك وقيل المحروم الذي لا يعرف بحرفة وهو كاسد وهو محارف ايضا وقيل المحروم المتعفف
الذي به فقر لكنه لا يسأل الناس شيئا والسائل الطواف وعندنا الفقير المسكين والسائل الذي يطوف ويسأل
الناس والمتعفف الذي يعتبر الناس فيحفظهم حاجته للناس ويتعرض للسؤال ولا يسأل صريحا والمحروم هو الذي
يستر فقره وحاجته عن الناس فلا يسألهم ولا يعرف له ذلك ثم جائز ان يكون سماه محروما او حرم المكاسب في اسباب
العيش من التجارة والحرفة وغيرهما وجائز ان يكون له المكاسب في الاسباب لكنه محروم معنى ان المكاسب في الزراع
في التجارة يكتسب ويعمل بيده الاسباب لكنه محارف لا يرزق منها شيء والله اعلم وقوله وفي الارض ايات للموقنين
هذا يخرج على وجهين احدهما الى في الارض ايات ينتفع بها الموقنون وهم المؤمنون الذين عملوا الايات بطريق
الايقان ويحتمل في الارض ايات يعلم الموقنون حقيقة انها ايات لما عرفوهم فلا عرفوا الله تعالى ثم يحتمل ايات
الارض ايات التوحيد وايات البعث وايات القدرة وغير ذلك على ما ذكرنا انه خلق وجه الارض مع اللين
والاستخراج النبات وتعلق انواع الثمار من غير ان يعرف الخلق كيفيته وخروجها ونباتها وان لم يخلق شيئا للفنا
فاستحيكون ايات لما ذكرنا وقيل في خلق الارض ايات وهو ان خلقها وكانت تميد باهلها ثم ارساها بالجبال
حتى استقرت والله اعلم وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وصلة قوله وفي الارض ايات للموقنين اي في انفسكم ايضا
ايات فلا تبصرون في ايات الوحدانية والربوبية وايات البعث وايات وجوب الشكر والعبادة والامتحان
اما الايات لربوبيته وكونه انه انشأ هذا البشر من نطفة ثم قلب تلك النطفة علقة ثم قلب العلقة مضغة ثم
المضغة عظاما ولحما ثم ركب فيها الجوارح في ظلمات ثلث بما ادى المصالح في الاستمساك والصحة سليمة عن الافات
غير متفاوتة فدل انه فعل واحد لا عدد وان له القدرة الذاتية والعلم الذاتي لا المستفاد واما ايات البعث من حال
الحال مما ركب فيهم الجوارح التي بها يبصرون وبها يأخذون وبها يدفعون ويسلون فبها يبصرون وبها يسمعون
وبها يميزون لم يفعل بهم لنتركهم سدى بل لامتحان [illegible] لا يأمرهم ولا ينهاهم وانه خلق جميع الخلائق
من السماء والارض وما بينهما ما سخرها الا لامتحانهم ويستأديهم شكر ذلك كله وفيه انه العبث لانه لا يحكم
ان يكون منه ما ذكرنا ثم لا يبعثهم لثواب المحسن منهم ويعاقب المسيء وعادوا كان ما يقدر على اعادة اذا لم يكن لكان خلق
اياهم عبثا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقيل في انفسكم اي في خلق انفسكم افلا تبصرون انه كيف سوى انفسـ

على احسن

على احسن الصور واحسن التقويم بعدما ذكان اصلها وجوهرها من ماء وكذلك اصل جوهر الانعام والبهائم من نطفة
ثم ركبهم على صور صالحة لمنافعكم وركبكم على احسن الصور ثم جعل فيكم من العقل والبصر ما يدرك به الحقائق
الاشياء المحسوسة والمعاني الحكمية ليتاملوا في ذلك كله فيكون اية الوحدانية وانه الزام الشكر والعبادة
له والله الموفق وقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون قال ابو بكر الاصم وفي السماء رزقكم وما توعدون
من الخير والشر في الحسنى وغيره وفي السماء رزقكم اي المطر الذي ينزل منها في الارض فينبت فيها من
المطر من انواع الارزاق من الحبوب والثمار والفواكه وغيرها كل ذلك سببه من السماء لذلك اضاف اليها
وجائز ان يكون لما ذكر من ارزاقنا في السماء المطر وجميع ما سخر لنا منها من الشمس والقمر والملائكة حيث
جعل صلاح ما في الارض جميعا من الارزاق والاغذية بتلك الاسباب التي في السماء من الامطار
والشمس والقمر وحفظ الارزاق والامطار بالملائكة فانهم جعلوا موكلين مسخرين لذلك حتى قال
بعضهم فالمقسمات امرا الملائكة والله اعلم وقوله فورب السماء والارض انه لحق يحتمل قوله انه
لحق الساعة وقيامها ويحتمل قوله انه لحق اي جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل ما انكم تنطقون
يحتمل ان يقول والله اعلم كما انكم لا تشكون فيما تنطقون فعلى ذلك لا تشكون في امر الساعة وقيامها و
كونها كما تقول العرب لغيره هذا ظاهر بين كالشمس وقال الزجاج انه لحق انه لحق مثل حضوركم ونطقكم ومثل
التهليل وكلام نحوه ويحتمل ان يقول انه قد يعقل نطق هذا الانس وكلامها حتى تفهم منها حاجتهم في
نطقهم وليس فيها شيء من اثار النطق والكلام اذ يكون مثل الليلها ثم لا تفهم منه ذلك ولا يكون منه
النطق فدل على البعث والاعادة اذ هذا في الاعجوبة اكثر واعظم من ذلك والله اعلم وقوله هل اتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله على الايجاب و
الالزام وقوله هل اتاك يخرج على وجهين احدهما او قد اتاك حديث ضيف ابراهيم فاذا اتاك به فاخبرهم على اليات
الحكمة به والله اعلم ثم قوله حديث ضيف ابراهيم ذكر ان اسم الضيف يقع على من يطعم ويتناول وعلى من لا يطعم
ولا يتناول لانه سمى الملائكة ضيف ابراهيم وانهم لم يطعموا ولم يكن فيهم الطعام ويقال ان الضيف اسم يقع
على العدد والجماعة وقوله المكرمين سماه مكرمين لان ابراهيم عليه السلام كان يخدمهم ويقوم بين ايديهم ومن ذلك
هو الاكرام الذي وصل اليهم مكرمين ويحتمل ان سماهم مكرمين لانهم كانوا اهل كرم وشرف عند الله تعالى اعلم
وقوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في اية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال انا منكم وجلون ذكر ههنا سلام الملائكة عليهم ولم يذكر سلام ابراهيم انما ذكر وجله منهم وذكر في الاولى
سلام الملائكة عليهم السلام وسلام ابراهيم عليهم وذكر انهم قوم منكرون وقال في اية اخرى فلما راى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قال بعضهم انما اوجس منهم الخيفة لما خشي ان يكون بشرا ولانه كان
نبي ابراهيم ونبي الذين امنوا به بعض بيت من المباح الطعام فاذا امتنعوا عنه خاف ان يكون بشرا
اذ الاتبع عن التناول الا ان الطارق نكرهذا ليس بشيء لانه قد كان منهم السلام والسلام احد علامة الايمان
لكن يكون يخوفهم بعدما عرف انهم ملائكة لما علم ان الملائكة عليهم السلام لا ينزلون الا بامر عظيم لاهلاك
قوم او لتعذيبهم فخاف ان يكون نزولهم لما نزل الملائكة الا بالحق وقالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هذا يحتمل
والله اعلم ثم قوله قوم منكرون جائز ان يكون هذا الخبر من الله تعالى انهم قوم منكرون او غير معروفين
عندنا لم يعرفهم وقد ذكر هذا فيما تقدم وقوله فراغ الى اهله قيل راغ اي مال الكرم وقيل راغ اي مال
الى اهله على خفاء من اضيافه وستر منهم ولذلك سمى الطريق المختفي روغا وهو من روغان الثعلب وقيل
راغ اي ال اليه وقيل راغ اي رجع وذكر محمد في بعض كتبه في رابية مستطيلة وقيل رابية والله اعلم
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون وقال في موضع اخر فجاء بعجل حنيذ والحنيذ هو
المشوي وقيل هو الذي شوي في الارض بغير تنور والله اعلم وقال بعضهم الحنيذ الذي نضج بالحجارة
وقيل الحنيذ الصغير الذي كان يغذى باللبن لا غير والله اعلم وما ذكر اهل التاويل بقصة ابراهيم عليه السلام
انه لما قرب اليهم العجل قالوا لا ناكلها الا بثمن قال فكلوا وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال تسموا الله تعالى اذا اكلتم
وتحمدونه اذا اتممتم فنظر بعضهم الى بعض فقالوا لهذا اتخذه الله خليلا وغير ذلك من الكلام وغير ذلك
من الكلام ولعل الاية لم يذكر في الكتاب مخافة ان يدخل الزيادة والنقصان فيما ذكر في كتبهم بعض اهل
الكتاب في ذلك بعقالا وهذه الانباء انما ذكر حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اثبات الرسالة
اذ اتى بها على ذلك ما يخاف ان يكون في ذلك زيادة او نقصان عما في كتبهم كانه يلتمس الكف عنه اولى
فاوجس منهم خيفة اي احس ووجد منهم خيفة لما ذكرنا وقوله قالوا لا تخف انا ارسلنا

وَاللّٰه اعلم {وبشروه بغلام عليم} يحتمل قوله عليم وجهين احدهما اي بشروه بغلام يصير
اي عليما اذا كبر والثاني بشروه بغلام من علمه ان يوتيه الله تعالى علما في بطن امه اذا ولد في صغره وبداء
يوتيه العلم من يشاء في حال الصغر والكبر لا امتحانه قال في عيسى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا فعلى
يحتمل هذا والله اعلم ثم ذلك الغلام هو اسحق عليه السلام لا نبين في آية اخرى فيمن كانت البشارة حيث قال
فبشرناها باسحق ان البشارة انما كانت باسحق ثم ذكر في سورة هود حكاية السلام البشارة لامرأته حيث قال
وبشرناها باسحق وذكر في هذه السورة البشارة لابرهيم عليه السلام بقوله وبشروه بغلام عليم لكن جائز
انه لما بشرها بالولد منه واذا بشر ابرهيم عليه السلام بالولد انما بشره بالولد منها فاذا بشر احدهما بالولد فانما
بشره بالولد منهما فاذا بشر به الاخر فيكون البشارة لهما جميعا والله اعلم قال ابو بكر الاصم في قوله فبشرناها
باسحق الى ان قال وهذا بعلي شيخا ان اسحق كان اكبر من اسمعيل لانها لما بشرت بالولد اخبرت انها عجوز و
عقيم وان بعلها شيخ ولو كان اسمعيل هو الاول وكان الاخر على قرب منه لم يكن بينهما زمان مديد لم يكن يلحق
ابرهيم عليه السلام في ذلك المقدار من الوقت ما يخبر من اياس الولد منه دل ان اسحق هو المتقدم وانه كان اكبر
من اسمعيل الا ان هذا خلاف ما عليه الناس ان اسمعيل عليه السلام كان اكبر {فأقبلت امرأته في صرة
فصكت وجهها} ذكر ههنا الاقبال وقال في آية اخرى في سورة هود وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها
باسحق فجائز ان لا يكون على حقيقة الاقبال المذكور فعلها وهي الصرة فصل الوجهين كي الاقبال من غير
ان كان منها الاقبال من المكان فاقبلت فصكت وجهها في صرة كما قال عز وجل الم تر الى ربك كيف مد
الظل امر بالرؤية والنظر الى الفعل الذي يكون منه الظل واذا ذكر النفس دون الفعل فالمراد منه النظر
الى نفسه لا غير والله اعلم فعلى ذلك هذا ثم قوله في صرة اي في صيحة وقوله فصكت وجهها اي ضربت
وجهها بيدها تعجبا منها بتلك البشارة التي بشرت بالولادة وقولها قالت عجوز عقيم وكانت كالمقر
عجوزا عقيما وقوله كذلك قال ربك وعلى قولها الى الاخر انت بشرت بذلك لا عن جهل انه هو الحكيم العليم
اي حكيم في وضع الولد في موضعه العليم بمصالح الامور وعواقبها والله اعلم {قال فما خطبكم ايها
المرسلون} اي ما شانكم ولاي امر ارسلتم بالبشارة خاصة ولامر آخر ولهما جميعا فاجابوا فقالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين وقال في آية اخرى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين كان الامر
ههنا لم يكن مذكورا في خبر الملائكة وانما ذكر في الخبر الذي قال ابرهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوطا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فدل انه ذكر النساء منهم بعد سؤال ابرهيم عليه السلام حيث اجابوا انا
لوطا ان اختصر البيان في الكلام جائز والله اعلم {لنرسل عليهم حجارة من طين} ذكر ههنا حجارة من طين
وذكر ما ذكر في آية اخرى حجارة من سجيل ان السجيل ليس هو اسم المكان على ما ذكر بعض اهل التاويل ولكن السجيل
اسم الطين على ما ذكر ههنا من طين مطبوخ كالاجر لانه لا يقال طين حمل من مكان يسمى سجيل والله اعلم
{مسومة} اي معلمة {عند ربك للمسرفين} ثم الاعلام يحتمل وجهين احدهما معلمة مخصوصة باسم من يقع عليه
ويهلك بها او مكتوب عليها اسمه والثاني معلمة في نفسها حتى تعلم كل احد انها للهلاك جاءت او انها
ارسلت لذلك مخالفة لسائر الاحجار والله اعلم {فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين} هو منزل لوط عليه السلام دل تسميته المؤمنين مرة باسم مؤمن ومسلم على ان
الاسلام والايمان واحد حيث جمع بينهما في موضع {وتركنا فيها آية} اي تركنا في قرية
لوط عليه السلام التي اهلكنا آية وعبرة لمن بعدهم وهو ما ذكر في آية اخرى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
افلا تعقلون او انكم لتمرون على اولئك الذين هلكوا وعذبوا بالليل والنهار فتعلموا انهم هلكوا وعذبوا
بالتكذيب والعناد والذين نجوا انما نجوا بالتصديق والاسلام وذلك آية لمن بعدهم ثم قال للذين يخافون
العذاب الاليم اي يكون ذلك آية للذين يخافون العذاب الاليم وهم المؤمنون او هم المنتفعون بها والله اعلم {و
في موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين} فيما ذكر من قصة موسى ولوط وقصة ابرهيم وقصة هود
وثمود وهذه الاشياء تفسير لقوله وفي الارض آيات للموقنين ثم الآيات في الارض يحتمل وجهين احدهما
فيما خلق في الارض من الخلائق والثاني فيما في الارض من انباء السلف واخبارهم من مكذب الرسل ومصدق
اي في الهلاك من هلك من مكذبيهم ونجاة من نجا من مصدقيهم والمراد في هذه الانباء والقصص التي ذكرت
ههنا تفسير لقوله وفي الارض آيات للموقنين {فتولى بركنه} هذا يخرج على وجهين احدهما اي فتولى عن
ركنه وهم جنوده وقومه من اتباع موسى عليه السلام وما يدعوهم اليه والثاني اي فتولى هو بقومه وركنه وهم قومه
اي تولى عن الحق وان اتباع موسى عليه السلام بقومه وقومه وبعونه والله اعلم {وقال ساحر او مجنون}

سماه ساحرا لما اتى من الآيات المعجزة ويقول انما يعرف وصف السحر على هذا الوجه فسماه بذلك فان يقع هو
هو ان مثل ذلك الفعل لا يكون سحرا تمويها على قومه وسماه مجنونا بالمخاطرة نفسه مخالفته مع علمه ان همته
السلطان ما خالفه في دينه وملكه {فأخذناه وجنوده} هذا يدل على ان تاويل قوله فتولى بركنه اي
تولى هو وتولى قومه وجنوده وقوله {فنبذناهم في اليم وهو مليم} قال بعضهم مليم اي يلام عليه وقال بعضهم
مليم اي هو مذموم وقال القتبي هو من غم دل قوله فنبذناهم على ان لله تعالى في افعال العباد صنعا حيث اضاف
ذلك الى نفسه وهم الذين دخلوا في اليم {وفي عاد اذ ارسلنا} اي في هلاك عاد بنيه واية وعبرة للمؤمنين
كقوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وقوله اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم واهلكوا بالريح وقد بلغ من عتوهم
ان قالوا من اشد منا قوة فاذلهم الله تعالى حتى خضعوا لاضعف شيء لما فيهم من عبادة الاصنام والتعبد وها
حتى حرفوا وقالوا ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك غاية التعدي الهوان ان من اضعف شيء بعجزه
بعد ما بلغ من عتوهم وتمردهم ان قالوا من اشد منا قوة ثم قوله الريح العقيم قال ابو عوسجة تفسيرها ما ذكر
في الآية ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم والفرع العقيم هو الذي لا خير فيه ولا بركة اي
عن الخيرات ولذلك يقال المرأة التي لا تلد والرجل الذي لا يولد له العقيم لانه ليس منهما منفعة الولد
ولا بركة فحصل في تلك الريح العقيم ولا منفعة فيها ولا بركة فاما المؤمنون فهي ناصحة حيث اهلكت اعداءهم
ثم يهلكهم وفي ذلك تطهير الارض من نجاسة الكفر وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور فجعل الريح العقيم هي الدبور وهي التي لا تلقح الاشجار والنخيل والنبات
وقوله عز وجل ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وما تذر من شيء اتت عليه وامرت هي باهلاكه
وافنائه الا جعلته كالرميم الاترى انها اتت على اشياء لم تهلكها وقد سلم هود عليه السلام وقومه من المؤمنين
والانعام لما رأوها من بعد قالوا هذا عارض ممطرنا فقال هود عليه السلام هو ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب اليم ثم ما ذكر فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اخبر انها ما اتت مساكنهم وهو ما ذكر في آية اخرى تدمر كل شيء
بامر ربها اي تدمر كل شيء امرت واذن لها بالتدمير تعلم انها كانت تعلم بالامر والله اعلم وقوله عز وجل و
في ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يحتمل انه قال لهم هود او اهلكهم بها آية وعبرة للمؤمنين ثم ذكر عتوهم وتمردهم انه قيل
لهم تمتعوا حتى حين وهو الآية ايام التي ذكر في آية اخرى فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير
مكذوب فجائز ان كان قد بلغ من عتوهم انهم اجلوا ثلثة ايام لنزول العذاب بهم فلم يمنعهم ذلك عن عتوهم
[illegible]
{فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون} [illegible]
[illegible] {فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين} [illegible]
[illegible]
{وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين} [illegible]
[illegible]
{والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون} [illegible]
[illegible]
{والارض فرشناها فنعم الماهدون} [illegible]
[illegible]
{ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون} [illegible]
[illegible]
{ففروا الى الله} [illegible]

مع الله الهاً آخر فهو قول لما ذكر الاصم يحتمل ففروا الى ما دعاكم الله تعالى اليه عما نهاكم عنه كقوله والله يدعو الى دار السلام ويحتمل ففروا الى الاعمال الصالحة من الاعمال القبيحة ويحتمل ففروا الى ما وعدكم من الثواب عما اوعدكم من العقاب اي فروا الى ثواب الله من نقمته ومن عقابه ويحتمل ففروا الى الله في جميع حوائجكم لا تطلبون من ذلك من غيره فانه هو القادر عليها حقيقة فيكون في الآية ترغيب في الرجوع اليه في الحوائج وقطع الطمع عن غيره والله اعلم وقوله اني لكم منه نذير مبين يحتمل وجوهاً يحتمل اي نذير لمن عبد دونه او سمّى دونه الهاً فتبين له الوهيته ووحدانيته ويحتمل اني لكم منه نذير مبين لما تنفع لكم به النذارة والبشارة وقال ابو بكر الاصم اني لكم منه نذير مبين بما نزل بمكذبي الرسل بتكذيبهم وقوله ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر اي لا تسموا بالالوهية لاحد دون الله الوهية ولا تسموا دون الله الهاً او يحتمل لا تعبدوا دون الله الهاً آخر او معبوداً آخر فانه لا يستحق دون الله احد للعبادة والله اعلم وقوله اني لكم منه نذير مبين فتذكروا وقوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون لم نذكر في هذا الموضع لعل منهم نعم قالوا للرسل عليهم السلام انك ساحر او مجنون ولكن اذ لم يكن منكوراً في ظاهره لكن ما ذكرنا فانهم كانوا يقولون لرسلهم لا اله الا الله فقالوا انه ساحر او انه مجنون حيث قال كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون وفيه تسلية لرسوله عليه السلام على اذاهم بنسبتهم اياه الى السحر والجنون كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وغيره من الآيات التي فيها الامر بالصبر على اذاهم والله اعلم ثم قوله ساحر او مجنون قال ابو بكر الاصم انما هو ساحر ومجنون لان السحر والجنون عندهم واحد كقول فرعون لموسى عليه السلام لما اتى به من الآيات اني لاظنك يا موسى مسحوراً فلذلك بالغوا بالآخرة ساحر ومجنون مرة ولكن هذا فاسد فانه لا يحتمل ان يكون الجنون والسحر عندهم واحداً لان الساحر هو الذي يبلغ في العلم في كل شيء غايته والمجنون هو الذي يبلغ في الجهل غايته فنسبوه الى السحر لما اتى لهم من الآيات فاعجز الناس عن ان يأتوا بمثلها وقصر فهمهم انها آيات لغيره وساداتهم وائمتهم لكي قالوا انما سحر على ارادة التلبيس على الاتباع والعامة لما اعتقد الناس انه لا يكل احد يقدر على اتيان السحر فقالوا انه سحر للرسل لهذا او انما نسبوهم الى الجنون لما انهم خالفوا الفراعنة والاكابر الذين كانت همتهم لقتل من خالفهم في المذهب والامر والله اعلم وقوله اتواصوا به بل هم قوم طاغون اي وقعوا اذ اتفقوا بآخرهم في تسميتهم الرسل عليهم السلام سحرة ومجانين فاذ اوصى بعضهم بعضاً في نسبتهم الرسل الى السحر والجنون اي لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم ذلك ويحتمل ان يكون ذلك على التمثيل على حقيقة القول منهم لكثرة اجتماعهم لكل هذا القول في كل وقت فصار ذلك لاجتماع منهم كالتواصي من بعضهم لبعض والله اعلم بل هم قوم طاغون يخبر انهم لا عن جهل وشبهة قالوا انهم سحرة ولكن من طغيانه وتعدي حد الله تعالى تجاوزه لان الطاغي هو المجاوز عن الحد الذي جعل له المتعدي عنه وقوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم قال اهل التأويل لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم انه ينزل بهم العذاب حتى نزل قوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين لكن عندنا يخرج قوله فتول عنهم فما انت بملوم على وجهين احدهما اي تول عنهم واعرض ولا تكافيهم باساءتهم اليك بقولهم انه ساحر وانه مجنون فان الله يكفيهم عنك تكافئهم مجازاة اساءتهم والثاني يأمره بالاعراض والتولي عنهم عن قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون تولية عن ايمانهم ويقول لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون لك ولا يصدقونك ولكن اشتغل بمن يرجو لهم الايمان والله اعلم ويجوز ان يكون لا على حقيقة الامر ولكن على التخيير له ان تولى عنهم بعد ما قد بلغت اعذرت في التبليغ واعذرت في التبليغ والدعاء غايته والله اعلم وقوله وما انت بملوم يجوز ان يكون المراد به نفي الشيء اثبات مقابل ذلك الشيء وضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم المراد اثبات الخسران كأنه قال خسرت تجارتهم بل خسرت فيكون قوله فما انت بملوم بل محمود والله اعلم وقال ابو بكر الاصم فما انت بملوم لانه قد بلّغ الرسالة امر بتبليغه الى الخلق فقام بامره ونصح لخلقه وحفظ ما جاء لهم فكيف يلام اي ما انت بملوم بلائم على صنيعك على فعلك وانكار لبعض الناس يلومك وهم الكفار وفيه دلالة الحفظ والعصمة لعن الزيغ قال لا جائز لو كان ذلك يحتمل الزيغ والزلة لكان يحتمل الملامة فدل انه لا يحتمل الزيغ والعدول عن الحق وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين جائز ان يكون الامر بالتذكير للكل ثم اخبر ان الذكرى تنفع المؤمنين وجائز ان يكون فذكر المؤمنين فان منفعة الذكرى لهم ولمن اتعظ دون الكافرين المعاندين والله اعلم

قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية ان كان المراد من ذكر العبادة حقيقة العبادة يخرج على وجهين احدهما ما قال بعض اهل الكلام ان الجن والانس يعرفونه بالعبادة ويعرفون بها فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ما خلقتهم على معرفة المحاسن والمساوي والتمييز بين ما يؤتى وما يتقى بما ركب فيهم من اسباب

والمعرفة لاتركهم سدى مهملين بل لامتحنهم بالعبادة والقيام بشكر ما انعمت عليهم من انواع النعم ان الحكمة يوجب ذلك ولا يدع تركهم سدى مهملاً والله اعلم والثاني يخرج على قول من يرى العبادة دونه جائزاً لغيره ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لم اخلقهم لعبادة غيري ولا امرهم بعبادة غيري كما قال بعض الكفرة بقولهم والله امرنا بها يريد الفاحشة ردّاً لهم ونقضاً لاعتقادهم والله اعلم ثم قوله الا ليعبدون على حقيقة العبادة يخرج على احد وجهين احدهما على حقيقة فعل العبادة وعلى هذا الوجه لم يكن الآية معمولاً بها في العموم بل على الخصوص وهم المؤمنون من الجن والانس دون الكفرة منهم فانه لا يجوز ان يخلق الكفرة الذي علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة اذ خلقه من اختيار الارادة فاذا خلقهم واراد منهم العبادة لا بد ان يوجد منهم وقد علم منهم انه لا يوجد فيصير كانه اراد تجهيل نفسه وهذا محال فدل ان المراد منه الخصوص وتخص منه البعض بلا اختلاف فانا نرى الصغار والمجانين قد تخصصوا فانه لا يتحقق منهم العبادة فجاز ان يخص منه الكفرة الذين علم منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم ويحتمل ان المراد منه الامر بالعبادة او ما خلقهم الا لآمرهم بالعبادة والتوحيد والتأويل اقرب الى الحمل بالعموم فانه يدخل فيه العقلاء من الجن والانس دون الصغار والمجانين ويجوز ان يأمر بشيء ولا يريد تحصيل المأمور به فيصير المأمور مطيعاً لم يرد تحصيله عاصياً فيدخل النار بخلاف ما انا خلقته للعبادة واراد منه لا يجوز ان لا يوجد وتحقيقه هذا مر في كتاب التوحيد انه خلق الايمان والعبادة من علم منه انه يعبد ويختار العبادة من علم منه انه يعبد ويختار العبادة له فلما من علم منه اختيار الضلال والغواية وصرف العبادة الى غيره فانه خلقه على ما علم منه اختياره ويفعل لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس الآية وقال قائلون لم يرد بقوله ليعبدون حقيقة العبادة التي هي فعل العبد على وجه الاختيار ولكن معناه وما خلقت الجن والانس الا وقد جعلت في خلقه كل احد منهم دلالة وحكمة تسبح ويدل لا صرف العبادة اليّ والقيام بالشكر فيما انعمت عليهم من انواع النعم ما لو تأملوا فيها ونظروا لدلهم على ما ذكرنا من العلم بالوحدانية لي والقيام بالعبادة والشكر والله اعلم وعلى هذا التأويل تكون الآية عامة لا خصوص فيها لان خلقه كل احد منهم على الذي وصف كان دالاً له ما ذكرنا والله الموفق ويحتمل ايضاً وما خلقت الجن والانس الا على خلقه تصلح المحنة بالامر والنهي والوعد والوعيد وتحقق فعل ذلك بما ركب فيهم العقل وجعل مفاصلهم انه قابلة لافعال تصلح للخدمة من الركوع والسجود والقيام والقعود ونحوها على خلاف غير ذلك من المخلوقات فانها خلقت على خلقة تصلح المنافع المختلفة لا على وجه تصلح المحنة والله اعلم ثم خص ما وخصوصيته معنى ليس في ذلك الطاعة والخدمة وغير ذلك من الافعال حيث لم يجز العبادة لغيره واجاز الطاعة والخدمة والتعظيم وغير ذلك من الافعال كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ودل ان في العبادة معنى ليس ذلك المعنى في غيره والذات وقعت الخصوصية له ولذلك خص نفسه بتسمية الاله لم يجز التسمية به لغيره لان الاله عندهم معبود فكل معبود عندهم يسمونه الهاً وذلك لما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل ذلك لغيره واجاز تسمية غيره رحيماً لما ان اسم الرحمن زيادة معنى ليس في الرحيم وكذا خص نفسه بتسمية خالق ولم يجز هذا الاسم لغيره لما ان في الخلق معنى ليس ذلك المعنى في الفاعل وغيره فلذلك جاز والله اعلم

ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون قال عامة اهل التأويل انما اريد منهم ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموا احداً من خلقي انما على رزقهم واطعامهم كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويحتمل ما اريد منهما ان يرزقوا من لا يعمر بانفسنا الرزق وان يطعموهم اذ ذلك علي وانما اريد منهم العبادة او الامر بالعبادة على الوجه الذي ذكرنا لانهم لم ينسوا الا اولئك الذين لم يجعل لهم المكاسب واسباب الرزق من الدواب بل هي تثبت لاجلهم نفعاً ومنعة والله اعلم ويحتمل ان يكون على الاضمار على ما قال بعضهم قيل يا محمد ما اريد منكم فيما ادعوكم اليه من اجر وما اريد ان يطعموا في اخبار انه لم يخلقهم لحاجة له في خلقهم من الرزق والاطعام منهم لما انه مرد لالات تنزيه عن الحوائج وعن الرزق والطعام وانما خلقهم للامر والنهي والامتحان فيخرج منافع ذلك اليهم والله اعلم وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين هذا يخرج على وجهين احدهما ان الاسباب والمكاسب التي بها يرزقون ويصلون الى الانتفاع بها هي فعل الله تعالى وله فيها صنع فاد بذلك وانه لولا ذلك لم يصلوا الى ذلك وان كان الخلق هم الذين يكتسبون ويتولون تلك الاسباب والمكاسب منهم والله اعلم فيكون هذا دليلاً على ان الله تعالى صنعاً في افعال العبد وهو الخلق والانشاء حيث سمى نفسه رزاقاً وهم يرزقون بتلك المكاسب والاسباب واكتسابها او قيامهم بافعالهم دل ان له فيها صنعاً حتى يصح اضافة ذلك اليه وتسميته رزاقاً ولا يجوز هذا الاسم لغيره والله اعلم والثاني يحتمل اضافة الرزق اليهم لانه يرزقهم بما جعل في تلك الاسباب من اللطف لا بانفس الاسباب لانهم يزرعون ويطرحون البذر فيها فيهلك ذلك فيها ولذلك يسقون الارض

و يهلك ذلك الماء فيها ثم ان الله تعالى جعل بلطفه ورحمته في ذلك من اللطف ما يصير ذلك رزقا لهم يغذ
ذها بنفسه والقوة التي جعل فيه ولذلك ما جعل في ذلك من الصلاح من النضج والطبخ ما يرجع الى
لذلك والاكل والمضغ والابتلاع ونحو ذلك ليس في ذلك الا امتلاء البطن ثم في ذلك فساد يجعل فيه من اللطف
ما يستحيل في البدن والاطراف نحوه فيقوى بتلك القوة فيها الحياة والبقاء لا بنفس الرزق وهو ما وصف الله عز
وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين بتلك القوة يحيون وبها يتقوون ثم قوله المتين قيل المتين هو وصف
لتلك القوة فيجوز وصف تلك القوة بالمتانة فاما الله تعالى لا يوصف بها ولا يقال انه متين وهو كقوله عز
ذو العرش المجيد وصف العرش بالمجيد والعرش غيره تعالى ذلك القوة التي جعل فيها ما ذكرنا غيره ويحتمل ان
بما ذكرنا من المتانة وهي القوة التي لا يملكها الخلق ولا يدركون ذلك اللطف الذي جعل في ذلك والله اعلم
وقال بعضهم ذو القوة المتين اي ذو البطش الشديد فيما اهلك الامم الخالية والله اعلم وقوله تعالى فان للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون* كانهم يستعجلون العذاب فنزلت هذه الاية
على ان سؤال العذاب كقوله سال سائل بعذاب واقع وقوله فامطر علينا حجارة من السماء ثم قال هذه الاية
فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي لهم نصيبا من ذلك العذاب مثل نصيب اولئك من العذاب
فيكون على التمثيل كما يقال احذوا النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة يقال الصاع بالصاع وكيل بكيل اي بكل
مكيله مثل ما كيل لغيره والله اعلم ولذلك ذكر عن الاصم قال الذنوب هو الدلو العظيم الذي كانوا
يقتسمون بها المياه وكان من عادة العرب انهم يجتمعون فيرسلون دلاءهم في البئر فكان لكل واحد منهم بحد
حظه ونصيبه من الماء يقول لاهل مكة لا تستعجلوا فان لكم نصيبا من ذلك العذاب كما كان لاولئك
كالدلاء التي تكون في البئر فلاخذ كل منهم نصيبه ولذلك قال القتبي وابو عوسجة الذنوب الحظ والنصيب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سمي ذلك العذاب ذنوبا لما يتبع بعضهم بعضا فيقول يتبع العذاب قوما ما يتبع
بعضهم بعضا فيقول يتبع العذاب هؤلاء كما تبع اولئك كالدلاء تتبع بعضها بعضا والله اعلم وقوله فلا
يستعجلون العذاب وهو الوقت الذي يسالون الرجوع كما اخبر تعالى عنهم رب ارجعون وقوله تعالى فويل للذين
كفروا من يومهم الذي يوعدون* قال اهل التاويل يومهم الذي يوعدون يوم القيامة ولكن لم يتبين ذلك اليوم ما هو
يحتمل لما قالوا ويحتمل غيره والويل قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وانه قيل كيف خوف الله جل وعلا هذه الامة بما انزل
على الامم الخالية من الاستيصال والهلاك وقد رفع عن هذه الامة هذا وامنهم منه قيل ما خوفهم بما ذكر لانه
المعنى الذي استوجب اولئك الاستيصال والهلاك به يحتمل ان يتحقق ذلك في هؤلاء وقد يحتمل ان يكون
والتخويف صحيح لهؤلاء وانما يكون مثل هذا التخويف في الامر ثم ان الله تعالى بفضله ورحمته رفعه عنهم
بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته كقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويحتمل ان يكون العقوبة عن ذلك
بالتاخير عنهم الى وقت وهو وقت قبض ارواحهم وخروجهم من الدنيا وفي ذلك الوقت يعاينون انواع العذاب
وتنزل بهم ما نزل باولئك لانهم يعاينون ذلك اصلا ويحتمل ان يكون ينزل بهم ذلك في الاخرة وذلك كله بفضل منه ورحمته والله اعلم

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في رق منشور
الاية ثم اختلف في القسم بالطور ونحو ما ذكر قال القائلون القسم انما هو برب هذه الاشياء التي ذكر لا بهذه الاشياء
انفسها لان الله تعالى نهى الخلق ان يقسموا بغيره فكيف يقسم بنفسه وقال القائلون يجوز ان يقسم جل وعلا بما شاء و
بمن شاء بالذي عظم قدره عندهم وقد ذكرنا ان الاقسام انما يكون بالاشياء التي عظمت اقدارها ومحلها عند
الخلق فيقسم بها لدفع الشبه التي تمنع وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بما اشتبه عليهم والتلبيس ليعرفوا ان ذلك
كائن لا محالة وانه حق بما لو تفكروا في ذلك الاشياء وانعموا النظر فيها على غير قسم لوقع لهم العلم بذلك وتحقق
اعلم ثم ان الله تعالى اقسم بما شاء سواه وليس للخلق ذلك لان قسم الخلق يخرج مخرج التعظيم والتصريح ولا يجوز
التعظيم الا لمن سواه والاستعانة به فاما القسم من الله تعالى حقيقة فهو على التذكر والتنبيه للخلق وتاكيده واوعده
من الجزاء فيجوز له القسم بكل ما يكون له التذكر والتنبيه والتاكيد وان كان لغيره وسواه مما له ذلك خطر ومحل عند
وعند الله تعالى والله اعلم ولان القسم المذكور في القران لاثبات صدق اخبار الرسل اليهم وانهم رسله وانهم ان ما تعلق
ينزل عليهم من العذاب كذا الا ان اولئك الكفرة لم يكذبوا الله تعالى في خبره حتى يكون قسمه لاثبات صدق خبره وانما يحقق
صدق خبرهم بما اقاموا من المعجزات والبراهين ليكن ياتي به القسم فيحصل ذلك بذكر ما له خطر ومحل عندهم والله اعلم

الخلق

الخلق لاثبات اصل الصدق فيجب ان يقسموا بذكر ما هو النهاية في العظمة والقدر في القلوب وهو اسماء الله تعالى و
صفاته والله اعلم ويحتمل ان يكون القسم بهذه الاشياء من الرسل عليهم السلام فان كان كذلك فهو على الاضمار
كانهم قالوا نقسم بالطور وكتاب مسطور ونحو ما ذكر الى اخره ان القسم من البشر يكون بالله تعالى وصفاته والله اعلم ثم
قوله والطور جائز ان يكون القسم واقعا بالجبال كلها لما ان الله تعالى انشا الارض خلقا تميد باهلها فارسى فيها
هذه الجبال ووتدها حتى استقرت وسكنت حتى وصل الخلائق الى الانتفاع بهذه الارض والقرار عليها فصار
مهادا لهم وقرارا لهم على ما ذكر يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاءوا وانى ارادوا ويحيون ثم اذكرهم ذلك لانهم
انتفعوا بها فعليهم شكر ما انعم عليهم فاذا تركوا ذلك لزمهم عقوبة الكفر وجزاؤه فاوعدهم ذلك فقال بما ذكر من القسم
ان وقع ما ذكر من العذاب بحيث قال ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبل خاص من
الجبال التي اوحي فيها الى رسله عليهم السلام على ما روي في الخبر اوحي الله تعالى الى موسى في طور والى عيسى عليه السلام
في جبل ساعور والى محمد صلى الله عليه وسلم في جبل فاران فاقسم بها انه ما وعد من العذاب واقع بهم والله اعلم
وفي الاية دلالة اثبات الرسالة فانه اخبر عليه السلام عن امكنة الوحي وتفضل تلك الجبال ومعرفة ذلك انما هي من الكتب
المتقدمة وهم قد احاطوا العلم بانه لم يكن اختلف الى احد ممن له معرفة بتلك الكتب حتى يعلم منه فدل انه بالله
عز وجل عرف امكنة الوحي وفضل تلك الجبال والله اعلم وقوله عز وجل وكتاب مسطور يحتمل القسم بجميع الكتب
المنزلة على الانبياء عليهم السلام اذ بها يتوصل الى معرفة اتيان الرسل عليهم السلام والى معرفة ما يؤتى ويتقى والى
اخبار السماء ومعرفة الاحكام والحدود وغير ذلك من وجوه الحكمة اقسم بها ان العذاب واقع بهم والله
اعلم ويحتمل ان القسم يرجع الى عدد من الكتب التوراة والانجيل والزبور والمعروفة التي عرف اهل الايمان
بها حقيقتها ونزولها من السماء ويحتمل ان يرجع الى خاص من الكتب وهو القران بما عظم قدره عندهم وعجز
البشر عن اتيان مثله على ما ذكرنا في الطور والله اعلم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل انها الكتب التي تكتب فيها
اعمال بني آدم ولم يذكر جهة القسم بها ما ليست اعرف له وجها وقوله في رق منشور او غير مطوي وقال ابو عوسجة
الرق الورق وقال ابو عوسجة الرق الكتاب وقوله تعالى والبيت المعمور يحتمل البيوت كلها وهي البيوت التي
جعل الله تعالى للخلق يسكنون فيها ويتقون بها من الحر والبرد ويامنون فيها وهو ما قال الله عز وجل والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية ما ذكر فكل منافعها وعظم نعمة الله تعالى
عليهم في ذلك يستادي بذلك شكرا فاقسم بما ذكر ان لم يقم به فاستوجب العذاب والعقوبة والله
اعلم ويحتمل ان يكون القسم بالبيت المعمور هي الكعبة وهو معمور قد عظم الله شانه وامره في قلوب الناس
كافة وفي قلوب الكفار والمؤمنين جميعا حتى ترى سائر العرب يحجونه ويزورونه ويعظمونه فاقسم بها على ما
ذكر والله اعلم وقال ابو عوسجة البيت المعمور الكثير الاهل واهل التاويل يقولون البيت المعمور وهو في السماء
تحته اهل السماء ويطوفونه لكن القسم به مشكل اذ ليس لهم المعرفة والمشاهدة به فكيف اقسم بشيء لم يعرفوه
ولا وقع لهم العلم بالمشاهدة الا ان يقال ان القسم به لاهل الكتاب وذلك في كتبهم يعرفونه ولنا حرام بشوق
الخبر والمعرفة بذلك مشاهدة فيصح والله اعلم وقوله تعالى والسقف المرفوع هو السماء التي رفعها بلا عمد
ترونه من اسفل ولا تعليق من الاعلى على بعدها من الارض وسعتها وعرضها وشدتها وغلظها ليعلم ان من فعل
هذا لا يعجزه شيء بل يصح بعثهم واحياؤهم ويستادي شكره في خلق هذه وزينته وكفر نعمه وابتهل بحاجته
استوجب ما ذكر والله اعلم وليعلم انه مقتدر على ما ذكرنا قادر على كل شيء لا يعجزه كل شيء يذكر سلطانه وقدرته
وعظمته والله اعلم وقوله تعالى والبحر المسجور* قال اهل الادب هو البحر المملوء اي المحل الاعمق كالاحبار انشاه
جار مسلسلا عميقا لم ينقص في وقت من الاوقات ولا في حال من الاحوال بل كان على حالة واحدة جار مالح
مسلسلا عميقا عريضا ليس كسائر الانهار التي تتغير عن جهتها من قلة الماء وسكونها وغورها في الارض
وامتلائها من الطين وحاجتها الى الحفر وغير ذلك من التغير التي يكون بها فاما البحر فهو على حالة واحدة ابدا
كلها فاقسم به ان عذاب ربك لواقع والله اعلم وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا* بين الوقت
الذي نزل بهم العذاب الموعود حين قال ان عذاب ربك لواقع وقد لا يحتمل تعذيب هذه الامة يوم القيامة وهو
ما قال الله عز وجل والساعة ادهى وامر والله اعلم وفيه وصف ذلك اليوم بالاهوال والشدائد اذ ذكر ان السماء تمور
مورا يستدير استدارته ويتحرك كما تسير الجبال وما ذكر فهذه الاشياء من اشد الخلائق واصلبها فهو
لذلك اليوم وشدته عمل فيها ما ذكر من التحرك والسير والتغير وغير ذلك وفيه ان العالم كله انشاه بحيث نعشه
ويسادها الى اخر لانه ذكر فيه التغير من حال الى حال لانه ذكر من سيرها وتحركها نجيئها ويوم تسير الجبال ذكر
التحرك بها ومورها وذكر للارض اشتقاقها حيث قال ويوم تشقق الارض وقال في اية اخرى ويكون الجبال كالعهن

المنفوش وقال ينسفها ربي نسفا وقال ههنا وتسير الجبال سيرا فلذلك قال في السماء والارض اختلاف
الاحوال فقال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب بعد اثبات التغير في هذه الاشياء على هلاك كما كان
انواع الاعراض والتغير من حال الى حال لمن اخلها على هلاكها فالله اعلم قوله فويل يومئذ للمكذبين اي المكذبين
الرسل عليهم السلام ويحتمل التوحيد والحجة او البعث قوله تعالى الذين هم في خوض يلعبون نعتهم ووصف
امرهم حيث قال الذين هم في خوض يلعبون والخوض هو الخوض في الشيء الا ان الخوض المطلق ذكر [illegible] استعمل
في الباطل خاصة قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون في النار على وجوههم وقال ابو عبيدة يدعون
دفعا في اعناقهم خاصة وتقول هذه النار التي كنتم بها تكذبون هو على الاضمار كانه يقال لهم هذه النار
التي كنتم بها تكذبون في الدنيا فالله اعلم قوله تعالى افسحر هذا ام انتم لا تبصرون يقال لهم في الاخرة لما القوا
في النار افسحر هذا مقابل لما قالوا للحجج والبراهين في الدنيا انها سحر وقوله ام انتم لا تبصرون وههنا يخرج على وجهين
احدهما يقال لهم لما ادخلوا النار لعل ما انتم فيه ليس بعذاب وانها ليست بنار وانتم لا تبصرون كذلك
كما اخبر عنهم في الدنيا انهم يقولون للحجة حيث قال ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما
سكرت ابصارنا الاية فقال مقابل ذلك افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اي لعلكم لا تبصرونه والثاني يقول
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون في الدنيا انما هذا يتبين لكم في الاخرة والله اعلم قوله تعالى اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
سواء عليكم هذا كما قال ابليس سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فعلى ذلك يقول لهم اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا سواء عليكم اي سواء عليكم اصبرتم او جزعتم فلا ينفعكم ذلك ويقول انما تجزون ما كنتم
تعملون اي ذلك استوجبتم بافعالكم لا انه وجب عليكم شيئا لم تستوجبوه قوله تعالى ان المتقين في جنات
ونعيم فيحتمل في جنات وفي نعيم ويحتمل في جنات فيها نعيم فيكون الواو بمعنى اي في جنات مع نعيم
قوله تعالى فاكهين بما اتاهم ربهم قال بعضهم اي ناعمين متنعمين وقال بعضهم معجبين وهما واحد المعجب به
والناعم سواء لانه اذا كان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا وقال بعضهم فاكهين بما اتاهم ربهم وذكر في بعض
الروايات لاحقين بما اتاهم ربهم في الفاكهة ما ذكرنا وفي الحديث بما اتاهم ربهم بالشكر [illegible] والحمد لله
وقوله تعالى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا يخرج على وجهين احدهما وقاهم اي عصمهم في الدنيا عن الاعمال التي
يوبقهم ويهلكهم لو لم يعملوها فاذا عصموهم عن ذلك وقاهم عن عذاب الجحيم والله اعلم والثاني وقاهم
اي عفا عنهم في الاخرة وصفح عما عملوا من الاعمال الموبقات في الدنيا ما لولا عفوه اياهم لكانوا يستوجبونه
ويستوجبون ذلك والله اعلم وقوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون كانه على الاضمار اي يقال
لهم اذا دخلوا الجنة حين نزلوا منازلهم كلوا واشربوا وقوله هنيئا اي ليس لهم في ذلك خوف التنغص ولا خوف
حدوث مكروه في انفسهم لافة لان ذلك يتنغص عليهم ذلك ليس كما يوكل في الدنيا فيه خوف التبعة
وخوف حدوث المكروه والافات في انفسهم والضرر فاخبر ان لا يكون لهم في الجنة ذلك [illegible]
تنغص عليهم نعمها والله اعلم قوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ذكر لهم في الجنة
جميع ما يرغب الناس انفسهم في الدنيا ويتمنون بها كقوله ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون
وقوله تعالى وكواعب اترابا وكاسا دهاقا وقوله فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة واشباه ذلك مما ذكر عندها وما يحدث به انفسهم في الدنيا ويرغبهم فيه لمن رغب في
طلبها او كتب لو طلب ما في الدنيا من ذلك ليصفو لهم ذلك في الاخرة وهذه الاحوال التي ذكر واخبر انه
يكون لهم في الاخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة من المجلس وغير ذلك من الاشياء التي ذكرها في الكتاب
ثم قوله وزوجناهم بحور عين الباء في الحور زايدة معناه وزوجناهم الحور العين كما يقال زوجت فلانا
فلانة [illegible] قوله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قيل فيه وجوه
احدها ما قال ابو بكر الكيساني ان يلحق الاولاد بايمانهم [illegible] درجة الاباء والامهات وان قصرت اعمال الذرية
عن اعمال الاباء والامهات لان الدرجات انما تكون بالاعمال وان لم يبلغوا في الاعمال فيبلغوا اباءهم فانهم
[illegible] فانهم يلحقون بهم في الدرجات والله اعلم وقال بعضهم ان الذرية الحقوا الايمان من ابائهم علمنا انهم اخذوا
منهم ولم يبحثوا عن حجته وبرهانه حتى يكون احذهم وقولهم من البحث عن الحجة والبرهان فيهم اذ كانوا
اتباعا في الايمان مقلدين منهم فانهم يلحقون باباءهم وان كان الايمان عن الحجة افضل من الايمان بالتقليد
الايمان وقال بعضهم ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان فانهم يلحقون باباءهم وامهاتهم
ايمانهم وان لم يكن منهم الايمان [illegible] ثوابه والله اعلم وقوله تعالى وما التناهم من عملهم من شيء على ما قيل اي
وما نقصناهم من اعمال الذرية او ما نقصنا الاباء من اعمالهم [illegible] وان قصرت اعمال [illegible]

بل يلحقون

بل يلحقون درجات ابائهم ويوفرون كما يوفر على ابائهم وتاويله احد هذه التاويلات التي ذكرنا فعلى تاويل قوله
اي ما نقصنا من اعمال ابائهم شيئا اي انهم فان بلغوا مبلغ الاباء فان الاباء لا ينقصون من اعمالهم شيئا وكذلك
هذا احق لا يظن انه ينقص من ثواب ابائهم ويعطى لهم ذلك والله اعلم قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين
قال بعضهم هذا صلة قوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم
تعملون كل نفس بما كسبت رهينة فهو يرجع الى من يقول لما ان الرهن لصاحبه له ان يحبسه وان يركبه وان ينتفع به
ثم يرد الى الحاكم [illegible] كانه هنا لا يكون رهنا انما احبسه رهين اي محبوس في الرهن هو كذا يحبس في كل وقت
والله اعلم قوله تعالى وامددناهم بفاكهة اي وامددناهم فاكهة والباء في الفاكهة زايدة كما ذكرنا في قوله
بحور عين ثم يحتمل ان يكون قوله وامددناهم اخبارا عن دوامها وكثرتها اي لا ينقطع ولا يقل وليست كفواكه
الدنيا انها لا توجد في كل وقت وقوله ولحم طير مما يشتهون اخبر انهم ياكلون جميع ما يشتهون ويجدون
ما يشتهون ليس كالدنيا انما يشتهي شيئا لا يجده ويجد ما لا يشتهيه وهو كقوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
وقوله عز وجل يتنازعون فيها كاسا اي يتعاطون فيها كاسا وياخذ بعضهم من بعض كما يكون في الدنيا يكون
لكل احد كاس على حدة وهو كما روي في الخبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل مع بعض ازواجه وربما
يتنازع ايديهما وقال ابو بكر الكيساني الكاس هو الخمر وقال بعضهم هو الاناء المملوء من الخمر واما الذي لا شراب فيها
فهو الاناء وقوله تعالى لا لغو فيها ولا تاثيم وقرئ فيها لا لغو فيها ولا تاثيم بالرفع والتنوين قال ابو عبيدة
اخبر انه ليس فيها اللغو ولا اثم قال لا غول فيها ولا هم عنها ينزفون وقرئ بالنصب فيهما على التبرية وهو جيد
غير ممنوع وتاويل الاية انه لا يكون منهم اللغو والماثم من الغول كما يكون في شراب الدنيا من اللغو و
الاثم ويحتمل لا لغو فيها ولا تاثيم لانها احلت لهم والله اعلم قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ
مكنون يرغبهم فيما رغب اليهم انفسهم في الدنيا من الخدم والفواكه والبسط ليطلبوها والله اعلم وقوله
وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال ابو بكر الكيساني يتساءلون عن الحال التي كانت منهم فاستدل
بقوله على اثر هذه الاية انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقيل يتساءلون عن الدنيا ويشبه ان يكون يتساءلهم
عما كان عليهم في الدنيا [illegible] قوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين يحتمل قوله في اهلنا مشفقين وجهين احدهما
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا والثاني اي انا كنا في انفسنا واهلنا مشفقين اي
خايفين على ما كان منا من الخطايا والمعاصي وقوله انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم اي والله اعلم انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين على انفسنا الخطايا [illegible] برحمته كقوله انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وصف الله تعالى في غير اي من
القران بالاشفاق والخشية والطمع والرجاء كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا
ونحو ذلك ثم قوله انه هو البر الرحيم فرق انه هو البر بنصف الالف وخفضه من كسره جعله على الابتدا اي ربنا
كذلك على كل حال ومن نصب الحاد ندعوه ثانيا ولانه هو البر الرحيم اي ندعوه لاجل انه كذلك والله اعلم قوله تعالى
فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ذكر الفعل فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ان الله نجاهم عن هذا السموم لكنه
بمنه وفضله [illegible] ولو كان بذلك كما قالت المعتزلة لم يكن لذكر المنة معنى وقوله تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون [illegible] النعم عليك من النبوة والقران لست بكاهن ولا مجنون ثم هذا يخرج على وجهين احدهما
اي انك لا تقابل بنعمة ربك التي انعم بها عليك ان تبتلى بجنون او كهانة او ما ذكر والثاني فما انت بنعمة ربك عوقبت
وعصمت عما ذكروا من الجنون والسحر وغير ذلك والله اعلم دل هذه الاية على انهم قالوا انه كاهن ومجنون وكذا
كانت عادة اولئك انهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها الى السحر والانباء المتقدمة الى الكهانة وخلاف
الرسل عليهم السلام لعاداتهم وفراقهم الى الجنون والكلام المستحسن والمستلذ الى الشعر تلبيسا الامر على اتباعهم
هذه كانت عادتهم مع العلم منهم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك لما لم يختلف الى احد من الكهنة
ولا السحرة ولما كان القران [illegible] نظم الشعر [illegible] عن الشعر [illegible] ثم لما عجزوا عن مقابلة ما اتاهم
من الحجج قالوا نتربص به ريب المنون [illegible] وكانوا يقولون ضعفاء اصحابه
صلى الله عليه وسلم ان محمدا يموت ويصير الامر لنا او يرجعون الينا فقال الله تعالى قل تربصوا فاني معكم من المتربصين
اي تربصوا ذلك فاني متربص لذلك بكم [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم انه
شاعر نتربص به ريب المنون اهلكهما قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل بهما ما طمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اعلم وقال القتبي ريب المنون حوادث الدهر واوجاعه ومصايبه والمنون الدهر وقال ابو عوسجة ريب المنون
اي المنية وريبها ما ياتي به وقوله تعالى ام تامرهم احلامهم بهذا قد ذكرنا في غير موضع اخر [illegible]
بهذا [illegible] على تسفيه احلامهم اي عقولهم بعبادة الاصنام ونهيهم عن عبادة الله تعالى اي

لا اهتمل بامره وقوله بل هم قوم طاغون اي طاغون في ذلك والطغيان هو المجاوزة عن الحد في العداوة وقوله
ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون اي يقولون انك لست بمقول ولكن تنسبه الى المقول لتكذبهم بايات
الله وهم ما ذكر في اية اخرى فانهم لا يكذبونك بالتحقيق بالتشديد ولكن الظالمين بايات الله يجحدون يقولون
لا يقولون انك كاذب فيما تقول لهم لا ينسبونك الى الكذب ولكنما يكذبون الايات ويعتقدون كذبها فعلى
ذلك يقولون تقوله على علمهم منهم انك لم تقوله ولكن اعتقدوا تكذيب الايات والجحود لها فيقولون انك تقوله
ثم قوله فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين اي لو كانوا صادقين بان محمدا عليه السلام يتقول على الله فليأتوا ب
ما اتى به محمد عليه السلام ثم قوله فليأتوا بحديث مثله فانه خرج مخرج الامر في الظاهر وهو في الحقيقة ليس
لانه لا يحتمل ان يأمرهم ان يأتوا بالكذب على الافتراء ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم
والثاني على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الافتراء والتقول والله اعلم
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون قال عامة اهل التاويل ام خلقوا من غير رب ولكن ليس فيما ذكر كثير فائدة
لو خلقوا من غير رب الا ان ينبههم بذلك حتى لم يكن فيما من خلقهم وهم خلقوا لكان يستعظم ان يعبدوهم وعلمهم بانهم خالقهم
وانهم مخلوقون وليسوا بخالقين وكلام يخرج فكيف يتكلمون بما هو سفه وكيف يصرفون العبادة عن ... ثم يخرج على
وجهين احدهما ام خلقوا من غير شيء اي يعلمون انهم لم يخلقوا العبث شيئا الا انهم لم يخلقوا لغير شيء ... حكمة
لكان خلقهم عبثا باطلا وهم يعلمون انهم لم يخلقوا عبثا وباطلا والثاني لا يحتمل اما ان يكونوا خلقوا من غير
شيء او خلقوا من تركيب وما تكيف ما كان فذلك نعدده ثانية للاستفادة فلا يحتمل ان يخرج شيء ويقول لهم ام هم الخالقون
اي ليسوا هم الخالقين وقوله تعالى ام خلقوا السموات والارض اي يعلمون انهم لم يخلقوهما وقوله بل لا يوقنون يخرج
على وجهين احدهما ان يكون كان لما يقولون انما يقولون على الظن لا على اليقين والثاني بل لا يوقنون اي لا يصدقون
وذلك في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وان كان التاويل هذا ففيه دلالة اثبات رسالة المحتجين عن الغيب
وان كان التاويل هو الاول ففيه ان جميع ما يقولون انما يقولون على الظن والجهل لا على اليقين والله اعلم
ام عندهم خزائن ربك اي ليس عندهم خزائن ربك على ما ذكرنا في قوله ام خلقوا السموات والارض او خلقوا
فعلى ذلك هذا ليس عندهم خزائن ربك ولا هم المسيطرون ثم الاية تحتمل وجوها ايضا تحتمل ام عندهم
خزائن ربك اي الذين يمنعون عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكونوا هم الذين احق بالرسالة اي ليس
باحق ويحتمل قوله ام عندهم خزائن ربك او علم الغيب اطلعوا على ذلك فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقوله على الله تعالى اي ليس لهم علم الغيب ويحتمل ام عندهم خزائن ربك او علم الغيب ليس ذلك عندهم بل عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل هو عنده بما يوحي له ربه جل وعلا ليس عندهم شيء من ذلك وقوله ام هم المسيطرون
اي ليسوا هم المسلطين على رزقهم ولا رزق غيرهم وعن بعضهم المسيطر الرب تعالى فقال المسيطر ... اي
صار ربا وهو قول القتبي وقال الزجاج المسيطر المسلط وقال ابو بكر المسيطر القاهر الغالب لكن
الغلبة والقهر بالحجة عليهم وهذا يخرج على المقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا ويحتمل على غير
المقابلة والله اعلم وقوله ام لهم سلم يستمعون فيه هذا يخرج على وجهين احدهما ام لهم سبب يرتقون به الى
السماء فيستمعون من اخبارها فعلموا بذلك ان محمدا عليه السلام يتقول على الله تعالى والثاني ام لهم سلم اي حجة
وبرهان يستمعون فيه انه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر ... ذلك تعالى ام عندك
فليأت مستمعهم بسلطان مبين اي الحجة بينة وليس لهم ذلك والله اعلم وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون
هذا ليس من نوع ما سبق ذكره لان ما تقدم من الايات بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم على المقابلة
وهذا راجع الى الله تعالى في الظاهر على ما سبق منهم القول ان الملائكة بنات الله تعالى وهو ما قال واذا بشر
احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يذكر سفههم في نسبتهم البنات الى الله عز وجل وهم يأنفون من
نسبتها اليهم فيسكن بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم فانهم يقولون فيما ...
فاصبر على ما يقولون قيل والله اعلم ويحتمل ان يخرج على ما ذكرنا من المقابلة برسول الله صلى الله عليه وسلم
معناه ام لرسول الله البنات ولكم البنون فتتركوا اتباعه لذلك والله اعلم وقوله تعالى ام تسألهم اجرا فهم من
مغرم مثقلون اي ليست تسألهم اجرا على اتباعك فيمنعهم ذلك عن اتباعك ثم ذكر ان ليس لهم اسباب المنع
اسباب المنع انما امتنعوا من الاتباع تعنتا ومكابرة وقوله ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام عندهم الغيب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوله بل ليس عندهم ذلك وقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم ...
اي يريدون كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم لكن هم المكيدون اي اليهم يرجع ذلك الكيد ...
صلى الله عليه وسلم ثم يحتمل ذلك الكيد الذي رجع الله عليهم في الدنيا على ما قال اهل التاويل انهم قتلوا يوم بدر

ويحتمل

ويحتمل ذلك في الاخرة وقوله تعالى ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون اي ليس لهم ويحتمل
ام لهم اله غير الله يأمرهم بالذي يتعوذون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقول على الله تعالى او يطلعهم على
ذلك او ليس لهم اله يطلعهم على ذلك او يدفع عنهم ما نزل من العذاب بهم كما قال ان عذاب ربك لواقع ما له من
دافع ثم نزه نفسه عما اشركوا فيه من الاوثان في تسميتهم الالوهية واستحقاق العبادة فقال سبحان الله عما
يشركون وقوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم يخبر عن عناد اولئك الرؤساء وكان
بانما قالوا لما قالوا على التعنت لا على الاسترشاد وان هذه الايات من قوله ام يأمرهم احلامهم بهذا الى قوله ام لهم
اله غير الله كلها محاجة مع اولئك الرؤساء المعاندين يبين ذلك قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم يقول انهم وان يروا ما توعدهم من عذاب ينزل بهم يقولون لتعنتهم ومكابرتهم انه سحاب ليس بعذاب
وهو كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا يخبر عن
عنادهم وكقوله او لم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء لا يؤمنون ويقولون ما ذكر انه سحاب مركوم تعنتا ومكابرة ثم امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يعرض عنهم وان لا يشتغل بهم لما علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وهو ما قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى
يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يؤيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم ويأمره بالصبر على اذاهم وترك
المكافاة لهم ويخبر انهم لا يؤمنون الا في اليوم الذي فيه يصعقون اي يموتون ثم روي في قوله يصعقون بنصب
الياء وضمها فمن قرأ بالنصب احتج بقوله فصعق من في السموات ومن في الارض ولم يقل فصعق ثم يحتمل الصعقة
التي ما ذكرنا اي يموتون ويحتمل اي ينزل بهم شيء بما الاوجاع ولكن لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت لانه
ايمان دفع العذاب عن انفسهم وقوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اي لا يغنيهم لا ينفعهم
كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ... على كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحتمل لا يغنيهم من عذاب الله تعالى الاصنام التي عبدوها رجاء ان تشفع لهم وتقربهم الى الله زلفى كما اخبر
والله الموفق وقوله تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك قال اهل التاويل ان للمشركين اهل مكة عذابا دون
عذاب الاخرة وهو القتل بالسيف يوم بدر ويحتمل ان يكون قوله ان للذين ظلموا اي الكفرة عذابا في الدنيا دون
العذاب الذي ذكر في يوم القيمة حيث قال حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ثم قال لهم عذابا دون ذلك وهم
ما داموا كفارا احياء فهم في عذاب يكونون في خوف وذل وخزي فذلك كله عذاب الله والله اعلم وقوله ولكن اكثرهم
لا يعلمون اي لا ينتفعون بعلمهم اي لا يعلمون حقيقته لما لم ينظروا في اسباب العلم ولم يتفكروا فيما ...
ويخرجهم من ضلالتهم وقوله تعالى واصبر لحكم ربك دل هذا الحرف انه صلى الله عليه وسلم قد كلف امرا شديدا
شاقا عليه حتى قال له واصبر اذ الامر بالصبر لا يكون الا في امور شاقة شديدة ولذلك قال له فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل امره بالصبر على ما كلفه كما صبر اخوانه على ما لحقهم من الوان المشقة وما قال فاصبر وما
... انما يصبر بتوفيق الله تعالى اياه او معناه اذا صبر يكون صبره لله تعالى حتى يسهل عليه احتمال
ذلك والله اعلم ثم قوله لحكم ربك يحتمل وجوها احدها امره بتبليغ الرسالة الى الفراعنة الذين كانت همتهم
القتل فخاف منهم فذلك امر شديد فامره بالصبر على ذلك يعني التبليغ الى اولئك والثاني امره بالصبر على اذاهم
واستهزائهم به وترك المكافاة لهم ويحتمل ان يكون الامر بالصبر على الامور التي كانت عليه في خاص نفسه من
احتمال عظيم التكذيب وحزنه على تركهم التوحيد لانه اياه وانما ذلك كله حكم الله تعالى وقوله تعالى فانك باعيننا
اي بمنظر منا وعلم منا فان كان الامر بالصبر على القيام بتبليغ الرسالة الى ما ذكرنا فيخرج قوله فانك باعيننا مخرج
النصرة له والمعونة لقوله والله يعصمك من الناس وان كان الامر بالصبر على ترك مكافاتهم وعلى القيام بالامور
التي فيما بينه وبين ربه تعالى فيصبر كانه قال على علم منا بما يكون منهم من التكذيب والاستهزاء او الاذى وكلفناك
لا على جهل منا بذلك والله اعلم وقوله تعالى وسبح بحمد ربك اي نزهه عن معاني الخلق وعما لا يليق واذكر الثناء
عليه بما هو اهله وقوله حين تقوم يحتمل حين تقوم من مجلسك او من منامك وحين تقوم للتعيش والانتشار
فان كان المراد حين تقوم من مجلسك فيكون التسبيح ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من جلس مجلسا كثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك وعلى تذكر الاية وان كان المراد حين تقوم من منامك فجائز ان يكون
المراد منه الصلاة وان كان حين تقوم للانتشار والتعيش فيصير كانه امر بالتسبيح بالنهار في وقت الانتشار
روي عن الضحاك عن عمر رضي الله عنه فسبح بحمد ربك حين تقوم في الصلاة المفروضة قبل التكبير سبحانك اللهم وبحمدك الى اخره
وروي عن الضحاك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلاة قال ذلك وروي في قوله فسبح بحمد ربك حين ...

وما يشبه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا افتتح الصلاة قال وقال الحسن عن مجاهد انه قال حين يقوم من كل مجلس
قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم قال اهل التأويل هو ركعتي الفجر يروى عن جماعة من الصحابة وعن التابعين وعن
ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا انه ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود ركعتين بعد المغرب فان ثبت ذلك
فان كان على هذا فهذا يدل على تأخير صلاة الفجر لان ادبار النجوم ما يكون عند ذهابها وانقضائها وذلك لا يكون
باول وقت طلوع الفجر وانما يكون في وقت الاسفار فيكون حجة لنا تم هذه السورة الشريفة اللطيفة بحمد الله ومنه

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنجم اذا هوى قيل المراد هو النجم
نفسها فاقسم بها على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قال الكفرة وبه يقول الاصم وقيل اراد
بقوله والنجم نجوم القرآن نجما فنجما على التفاريق اقسم بالقرآن انه لم يضل ولم يغو وقال مجاهد اقسم بالثريا
اذا غابت والعرب تسمي الثريا نجما وهي ستة انجم ظاهرة وقال ابو عبيدة اقسم بالنجم اذا سقط في الغور لكن لم يخص
الثريا دون غيرها فان كان التأويل هو الاول فهو لما جعل الله تعالى النجوم محلا في قلوب الخلق واعلاما يهتدون
بها جميع ما بين الخلق مما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الامطار والسعة والضيق وما ينزل بهم من
المصائب والشدائد وما يكون من تقلب الاحوال وما جعل فيها من المنافع من معرفة القبلة وطرق الامكنة
الثابتة ومعرفة الاوقات وغيرها يكثر عددها فاقسم بنفسها او بالذي انشأ النجوم وما جعل فيها من المنافع ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى وان كان النجم هو النجوم كما انزل القرآن فيها نجوما على تفاريق والقسم
بالذي انزل القرآن متفاريق وقوله اذا هوى اي سقط كقوله فلا اقسم بمواقع النجوم لا يحتمل قطعها والا
ان يكون قوله اذا هوى اي اذا سار شيئا اذ انما في سيرها لانها انما يكون في السير وفي سيرها مصالح الخلق من الاهتداء
للطريق وغيرها فاما الذي في تساقط النجوم [illegible] باكثر حكمة حتى يقسم بذلك والله اعلم قوله تعالى ما ضل صاحبكم
وما غوى يخرج على وجهين احدهما اي ما ضل عما انزل به القرآن وعما امر به لانهم كانوا يضربون عليه الضلالة
اذ خالف دينهم ودين ابائهم فقال ما ضل عما امر به وما غوى وكذا ما ضل صاحبكم وما غوى في ذلك ليس بساحر
ولا شاعر لانهم كانوا يقولون انه شاعر وانه ساحر فقال الغي هو لذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال
والشعراء يتبعهم الغاوون بل رشد واهتدى وهو ما قال تعالى وما ينطق عن الهوى اي لا ينطق عما تهوى به نفسه
بل انما ينطق عن الوحي بقوله ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى والاخبار ان نعم في قوله علمه
شديد القوى الى الله تعالى اذ الله تعالى هو اضاف تعليمه الى نفسه بقوله الرحمن علم القرآن لكنا لا نحقق ذو مرة فاستوى
ان المراد غيره اذ هو لا يوصف بانه ذو مرة فاستوى وهو جبريل عليه السلام كما قال اهل التأويل ثم اضاف التعليم
مرة الى جبريل ومرة الى نفسه والاضافة الى جبريل صلوات الله عليه لما انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه
والاضافة الى الله تعالى تخرج على وجهين احدهما اضافه الى نفسه لما انه من الباعث لجبريل اليه والامر له بالتعليم
والخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام والثاني يكون من الله تعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم
ولهذا اختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم لاختلافهم في آثار اللطف والله الموفق
قوله تعالى ذو مرة فاستوى قال اهل التأويل ذو مرة اي ذو قوة وقيل ذو مرة اي ذو احكام واصله من قول الحبل
وهي طاقة والوحي قوة واصل المرة الفتل وقوله فاستوى يحتمل استوى محمد صلى الله عليه وسلم لتحمل
الوحي اليه وقيل استوى اي جبريل على صورته لما ذكر انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى ان يريه جبريل على صورته
فراه لذلك قوله تعالى وهو بالافق اي جبريل بالافق الاعلى ثم يحتمل الافق الاعلى اي افق السماء ويحتمل ان
يكون الافق الاعلى مكان الملائكة ومسكنهم فلو انه راى على صورته في مكانه جائز ان يكون الافق ما ذكر في الخبر
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يرى جبريل عليه السلام في صورته فسأله ان يريه فقال ان الارض لا تسع
ولكن انظر الى الافق الاعلى فنظر فراه وفي بعض الاخبار انك لا تقدر ان ترى صورتي ولكن انظر الى الافق
ثم جائز ان يكون ما ذكر من النظر الى الافق الاعلى لما ان البصر كان لا يحتمل النظر اليه من قرب فيحتمل ذلك من البعد
وذلك معروف فيما بين الخلق ان الشيء اذا كان له شعاع او نور او بياض شديد فان البصر لا يحتمل النظر اليه من القرب
[illegible] ويحتمل اذا كان بعيدا منه وعلى هذا قوله ثم دنى فتدلى اي جبريل عليه السلام [illegible]
وقرب منه [illegible] الابصار على طبيعة يحتمل الاشياء اذا انتهى اليها [illegible] بدفعة واحدة
واحد لما احتملها الا [illegible] بعد شدة الحر شيئا فشيئا

يستدعما الرؤية بدفعة واحدة فهي ذلك جائز ان لا يحتمل البصر رؤية شيء بدفعة واحدة ان كان قريبا منه
ويحتمل من البعد ثم يقرب قليلا قليلا [illegible]
على التقدم والتأخير [illegible] ثم دنى [illegible]
[illegible] قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اختلف فيه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فقال النبي جبريل عليه السلام ولقد رآه
ايضا مرة اخرى عند سدرة المنتهى على صورته قال انه راه على [illegible] ستمائة جناح وما ثبت من وجه
الرؤية في الاخرة بالكتاب والسنة المتواترة ولانه لو كان ثبت على ما قالوا لكان لا يحتاج الى ذكر ما يأتي به
الكبرى لانه رؤيته الايات انما يحتاج اليها ليعرف بها الشيء بالاجتهاد فاما عند المشاهدة والعيان فلا
لا حاجة يقع اليها الا ان يقال انه يحتمل على ما ذكر في الخبر انه سئل عن ذلك فقيل هل رأيت ربك فقال
رأيته مرتين بقلبي وفي بعض الاخبار اما بعيني فلا واما بفؤادي فقد رأيته مرتين وتفسير رؤية القلب
بالعلم ولكن الاشكال عليه ما ذكر ان ثبت الحديث فهو على ما كان [illegible] لقوله
في قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انه دنى في معرفته [illegible] انما المكان والتشبيه تعالى
عن ذلك علوا كبيرا لكن المراد ما ذكرنا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على ما ذكرنا قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى الى اخره ذكر خصوص رسول الله
صلى الله عليه وسلم برؤيته غيره من الخلائق فيها رؤية جبريل عليه السلام على صورته ورؤية الرب تعالى
بقلبه ان ثبت الحديث فيه وبلوغه الى سدرة المنتهى ذلك لم يذكر لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه بلغ هذا المبلغ سواه وقوله عز وجل افتمارونه على ما يرى قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما
انهما قرأ مفتوحة التاء بغير الف ومعناه افتجحدونه ومن الحسن بالالف مضمومة التاء وقال بعضهم
فتجادلونه ومن شريح مثله قال ابو عبيدة بالاولى انه نقل بمعنى الجحود وكذلك المشركين انما شأنهم الجحود فيما
ندل ان المشركين انما شأنهم الجحود فيما يأتيهم من الخبر السماوي وهو اكثر من المماراة والمجادلة وقيل افتمرونه
اي تشككونه على ما يرى وقال ابو بكر الاصم القراءة بغير الف لا تأويله افا القراءة بالالف فمعناه افتجادلونه
والخبر يبطل بان تاويل ما ذكر من الجحود والقراءة صحيحة وما قيل من قال افتجادلونه على ما يرى لا يحتمل الا ان يجادلهم
لا يكون فيما يرى لكن يجادلونه على ما يخبر به حتى ادى الخبر يقع للتكذيب وبه قال يجادلونه والله اعلم قوله تعالى
ولقد رآه نزلة اخرى فهو على ما ذكرنا من اختلاف التأويل ان ما راى انه هو والله اعلم قوله عز وجل عند سدرة
المنتهى قيل يسمى ذلك الموضع سدرة المنتهى لما انتهى اليه علم الخلق فلا يجاوزه لما انتهى اليه كل ما الخلق لا يجاوز

كما انتهى علمها وقيل السدرة الشجرة ويروى في ذلك خبر مرفوع عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح وقيل سميت سدرة المنتهى لما ينتهي اليها أرواح الشهداء ثم جائز أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام إلا عند سدرة المنتهى من الأرض لما رفع الحجب عنه وإما بزيادة قوة وضعف في بصره ثم رآه مرة أخرى هنالك أيضا بعد ما رجع صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى والله أعلم وقوله تعالى عندها جنة المأوى قرئ بنصب الجيم وخفضه روي أن رجلا قرأ عند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن فلانا يقرأ بالخفض عندها جنة المأوى فقال سعد ما له أجنه الله وقرأ بالفتح وعن الأعمش قال قالت عائشة رضي الله عنها من قرأ جنة المأوى فأجنه الله وعن أبي العالية قال سئل عنها ابن عباس رضي الله عنهما فقال لي كيف تقرأها يا أبا العالية فقلت جنة المأوى بفتح الجيم فقال صدقت وهي مثل الأخرى لهم جنات المأوى وعن الحسن أنه قرأ جنة المأوى وقال إنها من الجنان وتصديقها حديث الذي أنه رأى الجنة فدخلها فالعل تلك الآية أن الجنة التي ما وا اليها المؤمنون في السماء وقوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى قال عامة أهل التأويل يغشاها فراش من ذهب وكذا ذكر في خبر مرفوع أنه قال رأيت عليها فراشا من ذهب ولكن لا نفسر الذي يغشى السدرة بل نبهم كما أبهم لأنه لا يجب عن تأويله فلعلكم وقال بعضهم في قوله إذ يغشى السدرة أي ما يغشى من أمر الله تعالى ويعتمد في ذلك خبرا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت إلى السدرة إذا ورقها أمثال آذان الفيلة وإذا نبقها أمثال القلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت فذكر الياقوت إن ثبت هذا الخبر ففيه دليل أن السدرة شجرة إذ ذكر ورقها ونبقها وفيه إذ الذي يغشاها أمر الله تعالى وعن ابن عباس إذ يغشى السدرة ما يغشى الملائكة والله أعلم وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال أبو بكر ما قصر البصر عن حد ما أمر وجعل له وما طغى وما جاوز عنه وكلام نحوه ويحتمل ما زاغ أي ما قال وما عدل يمينا وشمالا وما طغى وما جاوز عنه وقال أبو عوسجة ما زاغ أي ما مال وما طغى من الطغيان تقول طغى الماء إذا ارتفع طغى الماء إذا ارتفع يطغى طغيانا وقوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى جائز أن يكون الآية ما تلي ذكر أنه رأى هو جبريل عليه السلام في صورته وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود أنه رآه بصورته من غير تأويل الآية ويحتمل غيره من الآيات ولكن لا نفسرها والله أعلم وقوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الآية يخرج تأويل هذه على وجوه وإلا ليس في هذا الموضع لظاهر قوله ومناة الثالثة الأخرى جواب لقوله ألكم الذكر وله الأنثى أحدها يقول هؤلاء الذين تعبدون من اللات والعزى ومناة أخبروكم وقالوا لكم إن الله اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين فإن الملائكة بنات الله تعالى عما يقولون فإن لم يخبروكم ذلك فإنكم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وقد عرفتم أنها لا تكلم فمن أين لكم ذلك ويحتمل أن يقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى التي سميتموها آلهة وعبدتموها دون الله ونسبتم البنات إليه والبنين إلى أنفسكم ثم لم تذكروا بما أنزل الله بها من سلطان ولا حجة أخبر أن ذلك منكم افتراء إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان والله أعلم أنكم إنما سميتموها آلهة واخترتم لأنفسكم البنين وله البنات بلا سلطان ولا حجة لكم إنما هي أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم بلا حجة ولا سلطان إنما هو هوى النفس والظن ويحتمل أن يقول أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أمركم تصرف شكر ما أنعم الله تعالى عليكم وما وهب لكم من البنات على ما أخبر أنه يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ويردون مواهبه ودفعها إلى هذه الأصنام في العبادة وقسمة البنين لأنفسكم والبنات له ثم أخبر فقال تلك إذا قسمة ضيزى أي تلك قسمة جور وظلم أي صرف شكر النعم إلى غير منعمها وتوجيه العبادة إلى من لا يستحقها ويرد مواهبه على هذا الوجه يشبه أن يخرج الآية والله أعلم والأجوبة في هذه الحروف والله أعلم ثم قوله اللات قرئ بالتشديد والتخفيف فمن قرأ بالتشديد قال هو رجل كان يقوم على آلهتهم يلت لهم السويق بالدسم فيطعمه الناس وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان يلت السويق للحاج ومن قرأ بالتخفيف جعلوا اسم الصنم مثل العزى ومناة وهي آلهة كانوا يعبدونها ذكر قتادة في تفسيره كانت اللات بالطائف والعزى ببطن نخلة ومناة بقديد وقوله تعالى تلك إذا قسمة ضيزى قال القتبي هي في الأصل ضيزى على وزن فعلى بكسر الضاد للبناء لأنه ليس في النعوت فعلى قسمة جائرة وقال أبو عوسجة ضيزى أي غير منصفة والضيز في كلامهم الجور وقال أبو عبيدة ناقصة وقال بعض الناس إن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى ومثلهن لا ينسى

بعضهم

بعضهم الغرانيق العلى الملائكة وقال بعضهم الأصنام التي يعبدون فعلى رجاء الشفاعة لهم بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله لكن لا يحتمل أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم أو يجري على لسانه ما ذكر لأن الله تعالى قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ولو جاز أن يجري على لسانه ما توهم منه القول وذلك بعيد في آية أخرى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ولو جاز ذلك لجاز أن يجري الله الكذب على لسانه فلا يكون فيمن وجد من الحرج في قضايا نه ما ذكر وهو الكفر دل أن ما ذكروا فاسد فإن ثبت ما ذكر أنه جرى على لسانه تلك الكلمات وألقى الشيطان فيخرجه أن يقول تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى عندكم وفي زعمكم وهو كقول موسى عليه السلام انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي إلهك الذي هو عندك إله إلا أنه لا يحتمل أن يكون موسى عليه السلام يسمي العجل إلها وكقوله فراغ إلى آلهتهم أي إلى آلهة عندهم وقوله شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي فعند ذكرنا هذا على التمام في سورة الحج وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية والله أعلم وقوله تعالى وما أنزل الله بها من سلطان أي ما أنزل الله على تسميتكم الأصنام آلهة وعبادتكم إياها ونسبتكم البنين لأنفسكم والبنات إلى الله تعالى من حجة وبرهان إنما هو من هوى النفس والظن وذلك قوله تعالى إن يتبعون إلا الظن في قولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو تسميتهم الأصنام آلهة وظنوا أنهم كانوا على الحق واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه من الدين حيث تركهم وما كانوا اختاروا ولم يهلكهم ولم يعاقبهم على باطل ما تركهم على ذلك واستدلوا بذلك أيضا على رضاه منهم بذلك وأمرهم إياهم كما أخبر عنهم بقوله وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها هذا ظنهم بالله تعالى وقوله تعالى وما تهوى الأنفس أي يتبعون هوى النفس والنفس إنما ترغب المنافع الحاضرة والمضار الحاضرة فأما ما غاب عنها فلا ترغب وإنما ترغب ذلك بالتفكر والنظر وهي لا ترغب لما يكره النظر والتفكر ولا ترغب في الشدائد ولا تعرف عاقبتها والله أعلم وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي جاءهم من ربهم ما لو تفكروا واهتدوا ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوا وقوله تعالى أم للإنسان ما تمنى ثم يحتمل تمنيهم شفاعة ما عبدوه أو ما اختاروا من البنين لأنفسهم والبنات لله تعالى أو ما سموا وما تخذوا الأصنام آلهة وما طمعوا في اتخاذ عبادتهم ورجوا في فعلهم ويعرف ذلك بما كانوا يتمنون بقوله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس له ما تمنى أن يكون له إنما يكون ذلك لمن يجعل الله الدنيا والآخرة وذلك قوله فلله الآخرة والأولى وقوله عز وجل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى يخرج هذا على وجهين أحدهما أي كم من ملك له شفاعة لا ينفع شفاعته إلا أن يشفع الأمر ذكر والثاني أي من ملك في السموات لا شفاعة لهم ولا يشفعون إلا لمن شاء الله ورضي أن يشفع وهو كقوله عز وجل فما تنفعهم شفاعة الشافعين أي ليست لهم شفاعة يشفع لهم وقال أبو بكر الأصم إنما يشفعون في الآخرة لمن يستغفرون له في الدنيا واستغفروا لهم لقوله ويستغفرون لمن في الأرض وقوله ويستغفرون لمن في الأرض كقوله ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه في ذلك وقوله تعالى إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى وإنما تسمي ذلك قوم دون قوم وقد أضاف ذلك إلى الكل في الظاهر لأن الذين يسمون الملائكة تسمية الأنثى والله أعلم ويجوز أن يذكر الكل ويريد به البعض في اللغة ومثله في القرآن كثير والله أعلم وقوله تعالى وما لهم به من علم أي ما لهم بما يسمون الملائكة تسمية الأنثى من علم لأن العلم بمعرفة الأنثى من الذكر بطريقين أحدهما المشاهدة مشاهدة تمام ميز الأنثى من الذكر وهم لم يشاهدوا الملائكة فكيف يعرفون ذلك والثاني خبر الرسول المؤيد بالحجج وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا يعرفون بالأسانيد لا لأنه وطرق العلم الثلاثة التي ذكرناه فإذا كان تحصل قولهم بلا علم يكون على الظن وذلك قوله إن يتبعون إلا الظن أي ما يتبعون في قولهم الذي قالوا إلا الظن وحجة ظنهم ما ذكرنا ثم أخبر أن حليتهم لا يغنيهم من الحق شيئا فهو يخرج على وجهين أحدهما أن الظن الذي ظنوا لا يدفع ما عليهم من اتباع الحق شيئا والثاني أن ظنهم الذي ظنوا في الدنيا لا يدفع عنهم ما نزل بهم من العذاب وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا هذا يخرج على وجهين أحدهما على ترك مكافأتهم لا تكافهم بصنيعهم وأذاهم والثاني يخرج على الآياس له من إيمانهم أو لا تشتغل بهم فإنهم لا يؤمنون بك فهو في قوم خاص علم الله أنهم لا يؤمنون وقوله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا يحتمل أنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة فلم يريدوا بما عملوا إلا الحياة الدنيا لأنهم كانوا يتصدقون ويصلون الأرحام ولكن لم يريدوا بذلك إلا ما ذكر في الحياة الدنيا وجائز أن يكون الإرادة ههنا كناية عن العمل يقول لم يرد إلا الحياة الدنيا أي لم يعمل للآخرة لأن ما أخبر عنهم

انهم يعلمون الدنيا لا الاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم قوله ومن اراد
الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الاية ونحو ذلك وقوله ذلك مبلغهم من العلم اي المذكور من ايثارهم الدنيا او
يشفع لهم وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى مثل هذا الكلام انما يخرج على اثر
خصومات كانت من اولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كان اولئك الكفرة قالوا نحن
على الهدى وانتم على الضلالة فقال لهم عند ذلك فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء الضلال في الاخرة وهو اعلم بمن اهتدى اي هو
اعلم بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء الهدى والله اعلم وقوله ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا
بما عملوا ويجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى هذا يخرج على وجهين احدهما يقول الله ما في السموات
وما في الارض وهو غني عن عبادتكم وانما يامركم وينهاكم ليجزيكم باعمالكم لا لمنافع ترجع اليه والثاني لله
ما في السموات وما في الارض اي انما انشا اهل السموات والارض ليمتحنهم بالامر والنهي ثم ليجزي الذين
اساؤا فاجر الاساءة والذين احسنوا جزاء الاحسان ولو كان على ما قال اولئك الكفرة انه لا بعث ولا جزاء
لكان خلقهم وخلق ما ذكر عبثا باطلا وفي الجملة التفريق بين المسيء والمحسن وفي الدنيا تحققت التسوية
بينهما فدل ذلك على دار اخرى يفرق فيها ثم يحتمل جزاء اساءة اولئك في الدنيا والاخرة في الدنيا القهر والذلة
والهزيمة وفي الاخرة النار وجزاء المحسن في الدنيا النصر والظفر وفي الاخرة الجنة ثم نعت الذين احسنوا
بالحسنى وهو التوحيد وقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم يحتمل ان يكون الكبائر ما يعرفها
كل احد انها كبيرة والفاحشة ما يعرفها كل احد انها فاحشة واللمم على هذا يجيء ان يكون من تلك الكبائر
الفواحش لانه استثناها منها فيجب ان يكون من جنسها لكنه استثناها وعفا عنها لما يفعلون فيها
عن غفلة وسهو او عن غلبة شهوة ونحو هذا وهو الاشبه بتاويل الاية وقال اهل التاويل الكبائر والفواحش
هي التي ذكر فيها الحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة واللمم الذي لم يذكر لها حد في الدنيا ولا عقوبة في الاخرة
وعن ابن مسعود رضه انه قال زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين
المشي ويصدق ذلك ويكذبه الفرج فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم ونحوه رواية ان تقدم كان زانيا وان تاخر
كان لمما وعن ابن عباس رضه ما رايت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على
ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي
والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه وعن ابي هريرة اللمم القبلة والمباشرة وعنه ان اللمم هو النكاح
وعن ابن عباس ان اللمم لمم الجاهلية لقوله ان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وعن ابن عباس هو ان يلم الرجل
وقيل اللمم الهم بالخطيئة من حديث النفس بشيء من غير عزم وقيل انه الاستغفار من الشيء من غير حوك
فيه وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما
وقيل اللمم الصغير من الذنوب لقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية وقال القتبي الصغار من الذنوب
وهو من الم بالشيء اذا لم يتعمق فيه فلم يلزمه وقال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا وحد الاخرة وهو
قول ابن عباس رضي الله عنهما وبعد ذلك يحتمل والاول لا قرب قال ابو بكر الاصم اللمم التي يتوب عنها ويتجاوز
عنهم ونجعل اللمم من تلك الكبائر والفواحش لكنه انما استثنى لما يتوب عنها او لما يفعلون ضمنا في السهو
والغفلة او لغلبة شهوة على حسن الظن به فيغفر له او يتوب عليه فيعفو عنها وعلى تاويل اهل التاويل
اللمم ما دون الكبائر والفواحش وجائز ان يكون الكبائر والفواحش الذي ذكر كبائر الشرك وفواحشه
كقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقوله وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا
اباؤنا ولا حرمنا فيكون اللمم على هذا ما دون الشرك فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنها وان شاء عذب
عليها كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة هو اعلم
بكم اذ انشاكم من الارض اي هو اعلم بكم وبلحوقكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة فعفا عنكم اي عن اللمم
وعلى قول ابي بكر ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها والله اعلم بكم انكم تتوبون عنها وعندنا ما ذكر هو واسع المغفرة
لمن شاء تاب عنها او لم يتب ثم ان كان المغفرة هي المستحقة فهي للمؤمن والكافر في الدنيا وان كانت التجاوز فهي للمؤمن
خاصة والله الموفق وقوله هو اعلم بكم عندنا هو اعلم بانكم تعملون وتقعون فيها على السهو والغفلة او اعلم باحوالكم
واعمالكم وما يكون منكم ويحتمل هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم ما لو جمع
البشر ما ادركوا معنى الانسان فذلك لما ادركوا معنى تصوير البدن والعين وغيرهما من الجوارح وقت ما
اجنة في بطون امهاتكم ثم نسبنا الى الارض بقوله اذ انشاكم من الارض يحتمل وجهين احدهما خلق اصلنا من الارض

كلهم

كقوله خلقكم من تراب ونحوه او يجعل اقواتنا الغذاء وعقدتها اقواتنا اذ لا قوام لنا الا بذلك الغذاء او الغذاء الذي
يخرج من الارض وقوله فلا تزكوا انفسكم فظاهر الاية نهي عن التزكية وامر في آية اخرى بالتزكية ورغب فيها حيث قال
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة لكن فيها امر بالتزكية امر بصلاح انفسهم في انفسهم وتزكيتها فعلا وفيما نهى
عن التزكية نهي عن ان يصفوا انفسهم بالتزكية امر بصلاح انفسهم في انفسهم وتزكيتها فعلا وفيما نهى عن التزكية
نهي عن ان يصفوا انفسهم بالتزكية والصلاح والنقاء والبراءة لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة او يكون فيهم من
الفساد ما لا يستحق التزكية والوصف بالبراءة والله اعلم فان قيل ان الله تعالى لما نهانا عن التزكية فكيف جاز لنا
ان نقول لانفسنا انا مؤمنون ومسلمون اذ ذلك مدح وتزكية قيل انا امرنا بقول الايمان والاسلام ابتداء حيث
قال قولوا آمنا بالله الاية وقوله واسلموا ونحو ذلك ولم نؤمر بمثله ابتداء في الصلاح ونحوه بان نقول نحن صلحاء
اتقياء اخيار ان لا يمتنع الايمان عن يمتنع في غيره من الطلقا والثاني ان ليس في نفس الايمان تزكية لان كل اهل الاديان
مؤمنون بشيء وكافرون بشيء كقوله ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقوله اولئك يؤمن ببعض ونكفر ببعض و
تراهم يؤمنون بالجبت والطاغوت وفي نفس النقي والصلاح تزكية وقيل ولا تزكوا انفسكم اي ولا تزكوا اهل دينكم
ومذهبكم وذلك معتاد في الناس انهم يزكون اهل مذهبهم وان كانوا لا يعرفون صلاحهم ويعيبون ويذمون
اهل خلاف مذهبهم وان لم يعرفوا منهم السوء وما به يعيب الجنة وذلك محتمل ويحتمل ما ذكرنا انه نهي كل نفسه
ان تزكى والله اعلم وقوله تعالى هو اعلم بمن اتقى اي اتقى كلام الله تعالى ومناهيه ويحتمل اتقى بالله والشرك به
وقوله تعالى افرايت الذي تولى من كفرة وعظمائهم واعطى قليلا واكدى لما ضعفه اهل الايمان ان يرجعوا
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتصديق قوله وتكذيبوا عليه وقوله واكدى اي قطع عنهم وقت انفاق كذا
قال القتبي اكدى اي قطع وهو من كدية الركية وهي الصلابة فيها اذا بلغها الحافر حفرها فقطع الحفر وقيل
لكل من طلب شيئا فلم يبلغ او اعطى فلم يتم اكدى وقال ابو عوسجة اكدى بخل ورجل مكدي بخيل وقوله اعنده
علم الغيب فهو يرى والله اعلم اعنده علم الغيب قيام بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وتاذن له بالتولي عنه
والعطاء القليل على التكذيب له اي ليس عنده علم الغيب لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب واسباب العلم
هنا وقوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى كانه هذا معطوف على الاول كان اولئك الكفرة يدعون
لاتباعهم انا نحمل عنكم الظلم والوزر فلا تاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا تصدقوه كقوله تعالى حكاية عنهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم فقال عند ذلك ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر
اخرى وقيل انما سمي وفيا لانه بلغ ما امر بتبليغه وقيل لانه كان يصلي اربع ركعات في الضحى وعلى ذلك يروون
خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما وفى قالوا الله ورسوله اعلم قال وفى باربع ركعات
ان ثبت هذا الكتعي عن تاويل اخر واصله انه سماه وفيا لما قام بوفاء ما امر به وقوله ان لا تزر وازرة وزر
اخرى قيل ان هذا في الكتب كلها في صحف ابرهيم وموسى وغيرهما من الكتب انه لا يحمل احد وزر اخرى انما يحمل وزر
نفسه وعن ابن عباس رضه لا يحمل الرجل بذنب غيره وعن عمرو بن اوس قال كان الرجل يوخذ في الجاهلية بذنب غيره
حتى نزلت الاية وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى لانه جل وعلا يثبت ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله
وكرمه لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ونحو الضعاف التي لا ينبغي لهم فيعطيهم الثواب بفضله وانما
جزاء الشر فانه لا يكون الا بالمثل كقوله فلا يجزى الا مثلها وجائز ان يكون تاويله بمعنى عليه في اللغة لقوله ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها او فعليها ويحتمل ان يكون الاية في اولئك الكفار من الذين لهم فيه قوله ان
لا تزر وازرة وزر اخرى فيقول ليس لذلك الانسان الا ما سعى وقوله تعالى وان سعيه سوف يرى وحرف سوف
من الله تعالى على التحقيق والايجاب كحرف لعل وعسى فيكون قوله سوف يرى جزاء اعماله لا محالة ثم قوله تعالى ثم يجزيه
الجزاء الاوفى وجزاؤه الاخرة على الوفاء لا نقصان فيه خيرا كان او شرا ويحتمل ان يكون ذلك الكافر يجزى جزاء الشر
بجميع ما يعمل من السوء فاما المؤمن فانه يكفر سيئاته ويجزى جزاء الخير لقوله تعالى اولئك الذين يتقبل
عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله عز وجل وان الى ربك المنتهى سمى الاخرة المنتهى ومصيرا ورجوعا
ويحتمل او المجزاه ربك المنتهى وقوله وانه هو اضحك وابكى بين الله جل وعلا قدرته وسلطانه في انشاء انفسهم
واحوالهم وافعالهم اما بيان قدرته في انفسهم حيث قال هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم واما بيان قدرته في احوالهم ما ذكر من قوله وانه هو اغنى واقنى وانه هو امات واحيى واما في افعالهم قوله
وانه هو اضحك وابكى يذكر قدرته وسلطانه عباده ليعلموا انه لا يعجزه شيء ثم قوله وانه اضحك وابكى يخرج على
وجهين احدهما على الكناية والاستعارة جعل الضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن وكذا العرف
في الناس انه اذا اشتد بهم السرور ضحكوا واذا اشتد بهم الحزن بكوا والثاني على حقيقة الضحك والبكاء فهو على

وجعلنا احدهما اى انشاهم بحيث يضحكون ويبكون والثاني يخلق منهم فعل الضحك والبكاء وهو اشبه
وقوله وانه هو امات واحيا قوله اماتا يحتمل وجهين احدهما اى جعله بحيث يموتون بحيث يحيون والثاني اماتهم
باخراج روحهم واحياهم بادخال الروح فيهم وهو كقوله خالق الموت والحياة وقوله خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ويحتمل
اماتتهم واحياءهم في الآخرة فاصل ذلك انه يفعل بهم كل ما ذكرها قوله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
الزوج يحتمل الشكل المقابلة اى يجعل احدهما شكلا للآخر وان كانا ضدين نحو الذكر والانثى ويحتمل زوجين نوعا
ضدين نحو لجعلهم يتزاوجون ويتشاكلون ويتضادون ويتقابلون والله اعلم قوله تعالى من نطفة اذا تمنى اى
يقذف قال الاصم ذلك قوله من نطفة اذا تمنى انما الذي يقذف يصير مذنبا وانما يقذف الذي يخرج على شهوة فاما الذي
يخرج لا على شهوة فانه يكون مذيا ولا يوجب الاغتسال والله اعلم قوله تعالى وان عليه النشأة الاخرى اى في الحكمة
عليه النشأة الاخرى لانه لو لم يكن النشأة الاخرى لانه لو لم يكن النشأة الاخرى كانت النشأة الاولى باطلا
عبثا عن حكمة او يقول انه عليه النشأة الاخرى ليعلم انه قدر عليها كما قدر على الاولى لان اولئك الكفرة
كانوا يابون التوحيد قوله وانه هو اغنى واقنى يحتمل قوله اغنى اى وسع عليهم واقنى اى صير لهم ما يقتنونه من الخدم
وغيرها فيكونون اغنياء بهما التوسع بانواع الاموال او اغناهم اعطاهم الغنية من الخادم وما يحتاج اليه الجملة فيكون
في جعل الخدم لفضل حاجة لا غنيا وذلك دليل على صحة مذهبنا في استحبابنا دفع الزكاة الى من له الخدم وقيل
اغنى اى اعطى ما يغنيهم ويستغنى به واقنى اى اقنعه وارضاه وقيل على العكس اغنى اى ارضى واقنى اخدم وقال ابن
عباس اغنى واقنى اى اكثر وقال عطاء يا ابن آدم هو اغناك الا واعطاك الخدم على ما ذكرنا وقال القتبي هو من
القنية والنسب قال اقتنيته كذا وقال ابو عبيدة هو من القنوة اعطاه وما لا يفنى قوله تعالى وانه هو رب
الشعرى قيل ان الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب وكانهم ظنوا انما قدر ذلك الكوكب من الحسن والجمال القدر
عند الله ومنزلة وان تدبيرهم يرجع اليه فعبدوه لذلك ويحتمل انهم عبدوه لما يرون لا نفسهم اهلية
عبادة الرب تعالى فعبدوا من دونه رجاء التقرب اليه على ما يخدم اهل المتصلين بملوك الارض ونحن هذا ما اشد
لان من خدم المتصلين بملوك الارض انما يخدمهم لما يسبق لهم اليهم من خدمة متصلة ولا الاحد بعبادة نفسه
وحده منهم فاما الله تعالى قد امرهم بعبادة نفسه ونهيهم عن عبادة غيره لم يبق لهم بعد الامر بعبادته والنهي عن
عبادة غيره عبادة من دونه ذكر سفههم في عبادتهم الشعرى وامثالها اى احد ورب الشعرى انما فيه من الحسن
والجمال هو الله فعل ذلك الباطل في العبادة قوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى قرئ عادا الاولى بظاهر التنوين والهمزة
وبغير الهمزة ولا اظهار التنوين حتى يصير كلمة لام مثقلة ثم هذا الذي نعم ما ذكر من قبل انما ذكر هذا لهم لسبر جزاء
من صنيعهم اى اذا اهلك عادا وهم اشد منكم قوة واكثر جمعا وامور الاكثر جزوا بما غضب الرب اهلكهم على ذلك
يفعل بكم يا اهل مكة ان لم يتعظوا وانه اهلك عادا فلم يتعظوا لهم القيام بدفع عذاب الله عمن قبلهم فكيف انتم
يا اهل مكة ثم اختلف في قوله عادا الاولى منهم من قال كان عادين احدهما قوم هود وهم الذين اهلكوا بالريح وكان
اخرى زمن فارس الاول ومنهم من قال لعادا الاولى الذين اهلكوا من قبل عن الاصم اى اهل مكة وهو لا عاد اخرى
قوله تعالى وثمودا فما ابقى اى اهلك ثمودا وقوله فما ابقى قال بعضهم اى استأصلهم ولم يبق منهم احد
ما ابقى لهم لئلا يتذكرون هيئة هلاكهم كما ابقى للانبياء والرسل عليهم السلام من النسل وما ابقى لهم من آثار الخير
نشأ كما ابقى للرسل عليهم السلام واتباعهم الى آخر الآية والله اعلم قوله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى
اى كانوا اغشم ظلما واكثر طغيانا لان نوحا عليه السلام دعاهم الى توحيد الله الف سنة الا خمسين عاما فلم يزدادوا
الا نفورا واستكبارا على ما اخبر فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا قوله تعالى والمؤتفكة اهوى قيل قريات لوط
اى اهلكها ايضا وقوله اهوى قيل اى اهوى الى النار وقيل اى اهوى من السماء الى الارض على ما ذكر ان جبريل عليه
السلام رفعها الى السماء والقاها الى الارض قوله تعالى فغشاها ما غشى قيل غشاها الحجارة بعد ذلك
فسواها بالارض وقيل حصى الحجارة مساويهم ومن غاب منهم وقيل المؤتفكة المكذبة من الاول وهي
وقيل المنقلبة انقلبت انها نقلبت فغشاها اهلك قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى او كيت التي ذكر
من قبل من عاد ومن قوم نوح وهو قول القتبي وقال ابو عبيدة المؤتفكة المخسوفة قوله تعالى فباي آلاء ربك تتمارى
فظاهر هذا فظاهر قوله فباي آلاء ربك تتكذب انه مشكل لانه ذكر الاهلاك ولو فرضنا ان الآية تكذيبا لا تكذبه
على وجوه على التقديم والتأخير والاضمار كانه يقول فباي الامر الآلاء ربكم شاهد يوم وما تنمونه تتمارون
فباي آلاء ربك تكذب يا ذا المفاخرة بم تكذبون ويقول فباي الآية ولحسانه تتمارى وكيف انكرتم اخبار
محمد صلى الله عليه وسلم وكيف صرتم تشكون بعد الحجة لو تكون الآلاء هو هلاك الحجج وحجة من حجج
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتتمارى فيها اى لا حجة لك في تكذيبك اياه وانكارك رسالته قوله

نذير من النذر الاولى اى الذي يدعوكم وينبئكم محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى التي انباها الرسل الاولون
وادعوا قومهم فيكون صلة قوله وانه اهلك عادا الاولى الى آخره وقيل هذا نذير من النذر الاولى اى محمد صلى الله
عليه وسلم من النذر الاولى اى الرسل الاولى وتمام هذا التأويل في هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل
وقيل هذا الذي ينذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النذر التي في اللوح المحفوظ اى مما ينذر به والله اعلم قوله تعالى
ازفت الآزفة اى قربت القيامة سمى الله تعالى القيامة باسماء مختلفة مرة الآزفة ومرة الساعة ومرة الغاشية وسماها
آزفة لقربها الى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة قوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة دلت الآية
على ان الله تعالى لم يطلع احدا على قيام الساعة ووقوعها احدا وهو كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وكانها خفية
اى تعلمون في هاتين الآيتين لانهم قالوا ان الآخرة للحال كائنة لكنها مخفية مستترة تظهر وتكشف عند
قيام هذه الاجسام وذهاب هذه الابدان ويستدلون بقوله لا يجليها لوقتها الا هو وبقوله ليس لها من دون
كاشفة ويقولون ان لفظ التجلي والكشف مما يستعمل فيما هو كائن ثابت لكن يطلع عند ارتفاع الحواجز بما
يخفيها لا في الانشاء ابتداء ولكن عندنا ان حرف الكشف والتجلي يستعمل في ابتداء الاحداث والانشاء كما في
الاظهار ما كان خفيا فاذا كان كذلك بطل استدلالهم بذلك وهو كقوله وهو عالم الغيب والشهادة
هو عالم بما كان خفيا من الخلق وهو شاهد ظاهر هو عالم بما يكون وبما هو كائن في الحال والله الموفق قوله تعالى
افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون كانه يعجبون من ان بعث منهم من بعث الرسل من البشر كقوله بل عجبوا ان
جاءهم منذر منهم ومن البعث بعد ما يموتون ويكون كقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا
الآية وقوله تعالى تضحكون الضحك ههنا كناية عن الاستهزاء ليس على حقيقة الضحك ويكون الضحك
كناية عن السرور اى يسرون على ما انتم عليه وقوله ولا تبكون ايضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن
اى لا تحزنون على ما فرطتم من الاعمال الفسق الصنيع والمعاملة وقوله تعالى وانتم سامدون لاهون معرضون
وعن الحسن وسعيد بن جبير سامدون غافلون وقيل سامدون خرجون على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ويغضبون عليها انزل الله عليه وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وانتم سامدون قال هو الغنا بلغة
اليمن يقول اسمد لنا اى تغن لنا فانهم كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا
اى اخضعوا لله واستسلموا له لانه الامر بالسجود ههنا التلاوة بالاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
والتابعين روى الاسود عن ابن مسعود رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ سورة النجم فسجد فيها فلم يبق
معه احد الا سجد الا شيخ من قريش فانه اخذ كفا من حصى فرفعه الى جبهته وروى ابو هريرة والمطلب بن ابي
وداعة ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروي عن عمر وعثمان انهما سجدا فيها وعن علي رضه انه قال العزائم
السجود اربع تنزيل السجدة وحم السجدة والنجم واقرأ باسم ربك وما روي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قرأها فلم يسجد يحتمل ان يكون في التلاوة واتفق في وقت يكره السجود فيه والحديث حكاية فعل لا عموم له والله اعلم

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
قال بعضهم اقتربت الساعة واقتربت انشقاق القمر وقيل على التقديم والتأخير اقتربت الساعة وان
يروا آية يعرضوا وان كان على انشقاق القمر فعلى هذين التأويلين لم يكن انشقاق بعد ولكن يكون في المستقبل
وعند قيام الساعة وهو قول ابي بكر الاصم ويقول معنى قوله انشق القمر اى سينشق القمر عند الساعة اذ لو
كان انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على اهل الآفاق ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به
اذ هو امر عجيب والطباع جبلت على نشر العجائب وعامة اهل التأويل على ان القمر قد انشق وكان ذلك
من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى
فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وروي عن غيره ايضا عن عبد الله
بن عمر وعبد الله بن عباس وعن انس بن مالك وحذيفة وجبير بن مطعم في جماعة من الصحابة انهم رأوا انشقاق
القمر وقول ابي بكر لو كان لم يخف وظهر فيقال له قد ظهر فانه روي عن غير واحد من الصحابة ويزداد عن الكافة
لتسلم ويشاء الامر بينهم حتى قيل من يخفي عليه سماع هذا الحديث على انه قد نطق به ظاهر الكتاب وانما يخفى
حفظ ما لم ينطق به الكتاب او العمل بحقيقة اللفظ واجب وقال بعضهم يجوز ان يستره الله تعالى عن اهل
الآفاق عنهم ويشغلهم عن رؤيته ببعض الامور بضرب تدبير ولطف منه لئلا يدعيه بعض الامور بعض

تذبيه لطف منه لئلا يدعي بعض المكتسبين في الآفاق لنفسه ويدعي الرسالة كاذبا على دعواه انه
فعل ذلك فيحتمل انه اخفى عن اهل الآفاق الاخر حتى يظهر المعجز عليهم من الخاصين والكفرة يكتمونه
والصحابة الذين قد رأوا قد بلغوه والله اعلم وقوله اقتربت الساعة كانه يقول اقتربت الساعة الذين
يجزون فيها او الساعة التي يشرعون فيها او الساعة التي يحاسبون فيها فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى وقد قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم تقم الساعة بعد قيل يحتمل ان مراده عليه السلام انه يختم النبوة والرسالة ويبقى احكامه وشريعته
الى وقت قيام الساعة وبقاء شريعته كبقائه فصار كانه قال شريعتي والساعة كهاتين ويحتمل انه لما كان به ختم
النبوة والشريعة صار كعصره ومحنته عليه السلام علامة الساعة وانه لها وهو كقوله تعالى وانه لعلم للساعة
فلا تمترن بها على تاويل من جعل بعث الرسول عليه علما وانه للساعة والله اعلم وقوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ذكر تعنتهم وعنادهم انهم وان يروا آية سألوها يعرضوا فلم يرهم بكذا في سنته ان كل آية جاءت على اثر السؤال
فلم يقبلوا اهلكوا فادكان سنته هذا وقد وعد باخير عذاب هذه الامة الى الساعة وعفى عنهم التعجيل لم يرهم
تلك الآيات المقترحة والله اعلم ويحتمل وان يروا آية حسية يعرضوا عن آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم
عامتها او اكثرها كانت عقلية وسمعية يخبر عن سفههم وتعنتهم انهم وان يروا آية حسية يعرضوا عنها
وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الآية وقوله تعالى ويقولوا سحر
مستمر اختلف فيه منهم من قال سحر مستمر اي ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا يأتون بمثله من السحر ومنهم
من قال مستمر اي قوي مأخوذ من المرة وهي القوة واصل المرة الفتل ومنهم من قال مستمر اي ذاهب يذهب
ويتلاشى ولا يبقى وقوله تعالى وكذبوا واتبعوا اهواءهم يحتمل كذبوا الرسول عليه السلام فيما اتى به من الآية
على الرسالة ويحتمل كذبوا التوحيد واتبعوا اهواءهم يخبر انهم انما كذبوا لما ذكر من اتباع اهوائهم لا لحجة لهم
وقوله تعالى وكل امر مستقر اي كل امر مستقر باهله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر ويحتمل كل امر لهم
ما يعقر باهله وقال بعضهم لكل امر فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فيظهر وما كان منه في الآخرة
فيعرف وقوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة يحتمل ولقد جاءهم من الانباء ما فيه
مزدجر وجاءتهم ايضا حكمة بالغة وهو القرآن ويحتمل ان يكون معناه ولقد جاءهم من الانباء ما فيه
مزدجر وفي تلك الانباء حكمة بالغة ثم الانباء التي فيها مزدجر حكمة بالغة وهي ما ذكر في هذه السورة
من انباء عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح وموسى فقد جاءهم انباء هؤلاء وما نزل بهم من العذاب
والاهلاك وبأي شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل ليرتدعوا عن مثل صنيعهم كيلا يلحقهم مثل ما لحق اولئك
وفي ذلك حكمة بالغة هي النهاية في الامر فقال العلامة بالغ في العلم اذا انتهى في ذلك النهاية وقال القتبي
مزدجر اي متعظ وقال ابو عوسجة مزدجر اي ذو زجر وقوله تعالى فما تغن النذر يقول والله اعلم فقد جاءهم
ما ذكر من الانباء التي فيها مزدجر وانذار علم يزجرهم ذلك ولم ينفعهم فاي شيء تغني النذر لهم ومن اين تنفعهم
اي لا تغنيهم ثم النذر يحتمل وجهين احدهما الرسل عليهم السلام جمع نذير والثاني ما تقع به النذارة وهو
الانباء التي انذر الرسل بها وحذروا بذلك يقول فما تغنيهم عول الرسل ولا خوف ما بلغهم من القصص
التي انذر الرسل بها وحذروا بذلك يقول فما تغنيهم عول الرسل ولا خوف ما بلغهم من القصص التي فيها
تعذيب الكفرة بتكذيب الرسل وترك اتباعهم والله اعلم وقوله تعالى فتول عنهم يحتمل وجوها احدها
تول فتول عنهم واعرض عنهم ولا تكافئهم باساءتهم والثاني فتول عنهم اي لا تقاتلهم ولا تجاهدهم
فان كان التاويل هذا فهو يحتمل النسخ على ما قال اهل التاويل وان كان الاول فهو لا يحتمل النسخ والثاني
يحتمل النسخ والثالث يحتمل فتول عنهم اي لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون وذلك في قوم علم الله تعالى
انهم لا يؤمنون يؤيس رسوله عليه السلام عن الطمع في ايمانهم وقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر اي الى
شيء منكر فظيع هائل ويحتمل الى شيء نكر في الدنيا وهو الساعة فيقر ونكر في الآخرة وقوله تعالى خشعا ابصارهم
وقرئ خاشعا بالالف روي عن ابن عباس وكذلك في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خاشعة
ابصارهم وصفهم بالخضوع في الآخرة فكان استكبارهم في الدنيا بالاعراض عن التصديق بالساعة فكان
انكارهم في الدنيا بالاجابة الداعي مكان ردهم له في الدنيا حيث قال مهطعين الى الداع وقوله تعالى يخرجون
من الاجداث كانهم جراد منتشر هذا يخرج على وجهين احدهما تشبيه بخروجهم كالجراد لا يدرون من اين يأتون والى
اين يصيرون كالجراد الذي لا يدري من اين يأتي والى اين يذهب وهو كقوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن

الثاني شبههم بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يحشر الكل بدفعة واحدة والله اعلم وقوله تعالى مهطعين
الى الداع قال عامة اهل التاويل مهطعين اي مسرعين وقال قتادة اي عامدين وقال مجاهد الاهطاع
وهو النظر شبيه برفق وقال بعضهم مهطعين ناظرين لا تغض عيونهم وهو قول الكلبي وقال ابو عوسجة
اي مسرعين مادين اعناقهم وقيل الاهطاع ادامة النظر الى الداعي وقوله تعالى يقول الكافرون هذا يوم عسر
وهو ما قال في آية اخرى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح يقول
والله اعلم كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام واذوه ضروبا من التكذيب وانواع الاذى فلم يدع
عليهم بالهلاك لما لم يرد الاذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى فاصبر انت على تكذيب القوم وانواع
الاذى وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فان قيل ما الحكمة في تكرار هذه الانباء في القرآن و
لم تكرر ما فيه من الاحكام قيل ان هذه الانباء والقصص لما جاءت للمحاجة لاهل مكة ولامثالهم من الكفرة في اثبات
الرسالة والتوحيد والتعبد لهم المنكرين لهذه الاشياء وهم كانوا اهل عناد ومكابرة وفيهم ايضا مسترشد
ومنهج المحاجة مع مثلهم وامثالهم ان تعاد الحجة مرة بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت ان ردوها في وقت وينجع
في قلوبهم في وقت ومنهج الموعظة للمسترشد ايضا ان يكرر ليتعظ ان يختلف ذلك باختلاف الاحوال
وقد ذكرنا الحكمة في تكرارها واقتصار الاحكام فيما تقدم والله اعلم فان قيل ان نوحا عليه السلام قد دعا على قومه
بالهلاك قيل انما دعا بالهلاك على قومه بعدما ايس من ايمانهم حيث قيل له لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
اما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤيسه عن ايمان قومه جملة انما يؤيسه عن بعض على طريق التعنت هم قوم
علم الله تعالى انهم لا يؤمنون لا عن الكل فلذلك لم يؤذن عليهم بالدعاء عليهم والله اعلم وقوله تعالى
فكذبوا عبدنا يحتمل كذبوه فيما ادعى لنفسه الرسالة او كذبوه فيما دعاهم اليه بالتوحيد وتوجيه الشكر
الى الواحد القهار وقوله تعالى وقالوا مجنون اي قالوا لاتباعهم انه مجنون وقوله تعالى وازدجر اي نوح
عليه السلام حيث قالوا لقومهم لا تتبعوه وزجروهم عنه بقولهم انه مجنون فهذا منهم زجر لاتباعهم
عن اتباعه فصار لذلك نوح عليه السلام مزدجرا عنه وقال بعضهم زجروا نوحا فلذلك لئلا اي منعوه
عن اظهار ما اتاهم من الآيات على رسالته والله اعلم وقوله تعالى فدعا ربه اني مغلوب فانتصر اي مغلوب
بالسفه والمكابرة وانواع الاذى اذ لا يحتمل ان يكون مغلوبا بالحجج فانتصر هذا عليهم وقوله تعالى ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر يحتمل قوله ابواب السماء اي من فوق لان ما كان من فوق فهو سماء ويحتمل ان ذلك
من البحر المكفوف الذي ذكر انه من السماء والارض وفجرنا الارض عيونا اي انبعنا الماء من الارض كانه
قال انزلنا الماء من فوق وانبعنا من اسفل ويحتمل ان يكون قوله ففتحنا ابواب السماء هو حقيقة فتح
السماء وانزال الماء منها وهو تعالى يرسل الماء من شاء وكيف شاء والله اعلم وقوله تعالى بماء منهمر قيل
منصب وقال ابو عبيدة منهمر اي كثير سريع الانصباب يقال انهمر الرجل اذا اكثر في الكلام فاسرع وقال ابو عوسجة
انهمرت السماء وهمرت اي امطرت فاكثرت وقوله تعالى فالتقى الماء على امر قد قدر يقال التقى الماء مما ارسل من
الفوق وما اخرج من التحت على تقدير وتدبير لا جزافا وهو كقوله ثم جئت على قدر يا موسى اي على تقدير وتدبير
من الله تعالى لك وذلك لا على غير تقدير منه وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه التقى الماء ان على امر قد قدر وقال
بعضهم على امر قد قدر او قد قدر لهم ان يغرقوا بالماء اذ كفروا وقال بعضهم قد قدر اي استوى الماء بصفة من عيون
الارض وعيون السماء واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر وذكر في حرف
حفصة رضي الله عنها وحملناه وذريته على ذات الالواح ودسر ذكر هاهنا ذات الالواح وذكر في آية اخرى
السفينة بقوله انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ونحوه فيكون ذات الالواح تفسير السفينة ولو لم يذكر
ذكر السفينة لم يفهم من ذات الالواح وقد يرجع الى الاعماد وغيرها لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا والله اعلم
ثم اختلف في قوله ودسر قال عامة اهل التاويل الدسر المسامير التي يشد بها السفينة وقيل الدسر اضلاع
السفينة وقيل صدرها وقال الحسن هي السفينة لانها تدسر الماء بجؤجؤها قال ابن معاذ ولعل الدسر
وجماع الحروف الحاجة وهي الضلع ثم في قوله وحملناه وتسميته هذا الموضع سفينة دليل على ان افعال العباد
لله تعالى لانهم هم الذين عملوا السفينة ثم اخبر انه هو الذي حملهم وكذا الخشبة المجتمعة لا تسمى السفينة
انما تسمى بهذا الاسم الخاص بعد الايجاد والصنعة الموجود من العباد دل انه تعالى في فعل العباد صنعا والله
الموفق وقوله تعالى تجري باعيننا اي بتقديرنا وبحفظنا وقوله جزاء لمن كان كفر وحمل نوح عليه السلام واتباعه
في السفينة ونجاتهم من الغرق جزاء لما كفر به قومه كذا قال عامة اهل التاويل انه جزاء لنوح عليه السلام حين كفر
قومه ولم يؤمن به قومه وقال مجاهد جزاء لمن كان كفر الله تعالى اي الغرق جزاؤهم بما كفروا بالله تعالى وقال ابو معاذ

وقوله جزاء لمن كان كفر ولما انتقمنا او بنوح عليه السلام قوله تعالى ولقد تركناها آية يحتمل وجهين احدهما تركنا سفينة نوح عليه السلام بعينه مدة طويلة حتى صار آية لاولهم وآخرهم ولمن بعدهم ثم يقول قتادة قال ابقى الله تعالى سفينة نوح بنيه امروي من ارض جزيرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا والثاني تركناها آية آثار تلك السفينة وانباؤها انه لمن بعدهم لان انباءها قد بقيت في المتأخرين حتى عرفوا ان من نجا من هلك بم هلك والله اعلم وقوله تعالى فهل من مدكر عن الاسود قال قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فهل من مذكر او مدكر قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكر بالدال قال ابو عبيدة اصله في العربية مذتكر فانه من باب الافتعال وزن مفتعل فثقل الاجتماع التاء والذال فادغمت الحرف الاول في الدال فالتاء فانقلبت دالا وهو كقوله ادخر اصلها ادتخر من الذخر كما قلنا والله اعلم ثم قوله فهل من مدكر اي فهل متعظ يتعظ بما نزل باولئك فينزجر عن مثل صنيعهم وقال قتادة فهل من طالب خير فيعان عليه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر يخرج على وجهين احدهما اي ليس ما وعد لهم رسل من العذاب بالتكذيب صدقا حقا وانه بقوله ونذر اي رسلي والثاني ليس وجدوا عذابي شديدا ونذري ما وقعت به النذارة وهو العذاب كذا انذرتهم به والنذر على هذا التأويل المنذر به كقوله وكان وعد الله مفعولا انه موجودا فالاول يكون مفعولا انه صفته انه ليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر هذا يحتمل وجوها احدها يسرنا القرآن للذكر اي للحفظ اي صيرناه بحيث يحفظه كل احد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل احد يتكلف حفظه فيحفظ والثاني ولقد يسرنا القرآن للذكر اي للذكر ما نسوا من نعم الله تعالى ولتذكر ما نسوا من حق الله تعالى عليهم ولتذكر ما اسلم فيه من اخبار الاوائل وتصديقهم ومكذبيهم والثالث جائز ان يكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اي يسرناه وحفظناه حتى حفظه كله عن ظهر قلبه حتى اذا اراد ان يذكر شيئا منه يذكر في كل وقت وكل ساعة اراد كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله امتنع عن ان ينساه ومن عليه بالتيسير وقوله فهل من مدكر على تأويل الاول والله اعلم انه وان تيسر القرآن للحفظ ولكن لم ينزله للحفظ ولكن انما انزله للتذكر ما فيه والاتعاظ به او فهل من متعظ يتعظ به فعلى تأويل الآخر فهل من مدكر خرج مخرج الامر اي اذكروا واتعظوا بما فيه من الانباء والله اعلم قوله تعالى كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ذكر انباء الاوائل وما نزل بهم بالتكذيب في العناد وسوء معاملتهم الرسل عليهم السلام تسلية صلة قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ثم تأويل الآية يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما قوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا قيل باردة وقيل شديدة وقوله تعالى في يوم نحس مستمر اي استمر بهم العذاب كما قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقيل مستمر هذا ذهب على الصغير والكبير على بقي منهم احد الا اهلكه وقوله تعالى تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر من الناس من قال اشتد بهم الريح فبادروا فيما بينهم لبيوت البيوت فدخلوها فدخلت الريح عليهم فاخرجتهم من بيوتهم فالقتهم في فنائهم فذلك النزع ومنهم من قال تنزع مفاصلهم فبقيهم كاعجاز نخل منقعر لانهم كانوا اطول الخلق فذكر ان كل رجل منهم طوله ستون ذراعا والنخل لا يبلغ ذلك المقدار الا بعد قطع المفاصل وجاءت التسمية باعجاز كل منقعر بعد انتزاع مفاصلهم والانقعار هو الانقلاع قال ابو عوسجة منقعر اي منقطع ساقط ومنهم من قال شبههم باعجاز نخل لعظم اجسادهم وقال بعضهم شبههم بالنخل لطولهم ولكن ذلك بعد نزع المفاصل لما ذكرنا وفيه تخصيصه انه ينزع الناس على اعقابهم وصرعه فكيف كان عذابي ونذر فهو يخرج على ما ذكرنا من الوجهين وكذا قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما احدهما بالنذر اي الرسل التي دعوتهم الى الايمان بالله والثاني كذبت بما وقعت به النذارة التي خبرتهم الرسل انها نازلة واقعة بهم والله اعلم وقوله تعالى فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه لم تزل الاكابر من الكفرة والرؤساء منهم يلبسون على اتباعهم بهذا الحرف ابشرا منا واحدا نتبعه وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم ونحو ذلك وذلك تمويه في العقول لانهم كانوا يمنعون اتباعهم عن اتباع البشر مثلهم ويدعونهم الى اتباع آبائهم والاقتداء بهم وهم بشر وليس مع ابائهم حجج وبراهين ومع الرسل حجج وآيات فيكون تناقضا في العقل ومعارضة فاسدة والله اعلم وقوله تعالى انا اذا لفي ضلال وسعر قال بعضهم السعر الجنون اي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون وهو من سعر الناقة اذا التهبت يقال ناقة مسعورة اي كانها مجنونة من النشاط وقيل الضلال والسعر واحد اي انا لفي ضلال في الدنيا وسعر في الآخرة والسعر السعير وهو كناية والله اعلم وقوله تعالى أألقي الذكر عليه من بيننا وجائز ان يكون هذا القول من اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى حكاية عنهم أأنزل عليه الذكر من بيننا فالذكر هو القرآن على هذا التأويل وجائز ان يكون ذلك من ثمود لصالح عليه السلام في

قصة صالح هو الاشبه بالتأويل لم يزل الكفرة ينكرون تفضيل الرسل عليهم السلام على غيرهم من البشر بالرسالة وانزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لانفسهم الفضل على اولئك الرسل عليهم السلام انما تفضل او تفضيل نسب او رياسة وتقلد قول بلا سابقة كانت منهم ولا يعرف لهم صنع ومما ينبغي لهم ان ينكروا تفضيل الرسل بالرسالة والنبوة بلا سابقة كانت منهم ولا بقية صنع اذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء والله اعلم قوله تعالى بل هو كذاب اشر عن مجاهد انه قرأه بفتح الشين وقرأ العامة الاشر بكسر الشين قال بعضهم الاشر بفتح الشين الذي يبسط في السرق قال ابو عوسجة وقيل الاشر والاشر هو البطر كما يقال حذر وحذر وهو المرح المتكبر وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقرئ بالياء والتاء جميعا فمن قرأه بالياء احتج بقوله فستعلمون ويعلم كم ومن قرأه بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة وستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم من الكذاب الاشر انا او انتم وهذا وعيد منه لهم وقوله تعالى انا مرسلو الناقة فتنة لهم نفتنهم بها ونمتحنهم ليطيعوا بحا جزاؤه كقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله تعالى فارتقبهم واصطبر اي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعقر لها ويحتمل ان يكون قوله فارتقبهم هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حق اهل مكة لقوله فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين وقوله واصطبر اي على اذاهم ولا تكافئهم واصبر على تبليغ الرسالة وقوله عز وجل ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وقال في آية اخرى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكثير من اهل التأويل الدلائل احدها ان تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف سائر النوق حتى احتاجت هي الى الماء مثل الذي احتاج اليه سائر النوق واهلها حتى قسم الماء وذكر في الآية الاخرى شرب يوم او هو قسمة بالايام وقوله كل شرب محتضر اي كل شرب يحضره من له شربه ذلك لا يحضره غيره وصف ذلك الناقة وان كانت آية معجزة لم تكن تعتلف ولم تشرب كسائر النوق التي ليست هي باية وان كانت تخالف سائر النوق في عظمها وعند علفها وشربها ثم جعل الماء بينهما او بين ولدها لقوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينهما بالقسمة لاشتراكهم جميعا في الماء اعني البهائم والبشر وحاجة كل منهما الى الماء فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين سائر البهائم لانه في ذلك كثرة فلا حاجة الى القسمة فاما في الماء ففي ذلك الموضع عز الماء يسقون من الآبار ولذلك جعل الماء بالقسمة والله اعلم وفيه ان الماء اذا اضافت قسمتها لا حرج بانفسهم بلا ان جعل لها شرب يوم معلوم ولهم شرب يوم معلوم وعينا من الماء ولذلك نهينا عن كالمنفعة في حق قسمتها بالايام فقوله بينهم اي الماء قسمة بينهم جائز ان يكون الخطاب لصالح عليه السلام امره ان يخبر قومه ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة وجائز ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان يخبر قومه ان الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة والله اعلم وقوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر اضاف العقر هاهنا الى واحد وفي آية اخرى اضافها الى الجماعة وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقال في موضع آخر فعقروها فاصبحوا نادمين فيكون ظاهر هذه الآيات على التناقض من حيث ذكر الفرد والجماعة وفيها تناقض من وجه آخر فانه ذكر في آية اخرى وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وقال بعضهم في موضع فاصبحوا نادمين ذكر الندامة وهو خلاف العتو لكنا نقول لا تناقض ولا اختلاف عند اختلاف الاحوال والاوقات قوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قبل ان ينزل بهم العذاب وقوله فاصبحوا نادمين اذا نزل بهم العذاب ولا تناقض في وقت واحد في حال واحد وكذلك العقر من واحد على الحقيقة ولكن لما اضافها الى الجماعة لانهم عقروا او تهيأوا له من كل طرفها لما اجتمعوا فعقروا جميعا ونحو ذلك فيثبت انه لا تناقض وقال بعضهم فتعاطى تناول العقر اي صرعه عقرها اي سايفها بعمل العقر فيكون صريحا او بتكونه قوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يحتمل اي ارسلنا عليهم العذاب بصيحة واحدة يخبر عن سرعة نزول العذاب ووقوعه عليهم ويحتمل ان يكون ارسل عليهم الصيحة فاهلكتهم فصاروا كما ذكر من هشيم المحتظر وهو كقوله فكانوا كهشيم المحتظر قيل الهشيم اطعمة النبات وقيل كالشيء المتناثر من الحائط واصل الهشيم اليابس ما داروا صاروا كالشيء المنكسر المجتمع في موضع وقوله المحتظر قرئ بكسر الظاء ونصبه روي عن الحسن قال ابو عبيد بالكسر يقرأ على تأويل الانسان المحتظر وقال ابو عوسجة الهشيم اليابس من الشجر والمحتظر الذي يحتظر وقال القتبي الهشيم يابس النبات الذي يتهشم اي ينكسر والمحتظر بكسر الظاء صاحب الحظيرة يتخذ لغنمه وبفتح الظاء اراد الحظار وهو الحظيرة وقوله عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر اي يسرنا القرآن لتذكر ما نسوا من نعم الله وما غفلوا عنها او يسرنا القرآن لتذكر ما غفلوا من الحجج والآيات ونسوها او يسرنا القرآن لتذكر ما نسوا من الانباء وما نزل بمكذبي الرسل بالتكذيب والعناد ذكره فهل من مدكر قد تقدم ذكره وقوله فكيف كان عذابي ونذر وقال اهل التأويل النذر الذي انذر وانبه وعده حقا وقال بعضهم النذر جمع اعذابي رسلي حقا وقد ذكرنا قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر

أي الرسل عليهم السلام أو بما يقع به النذارة قوله تعالى إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط على تأويل من
يقول بأن تلك القريات قلبت بمن فيها طولها البطن على ما ذكر في آية أخرى فجعلنا عاليها سافلها أن يرسل الله
على من غاب عنها في التكرار فأهلكهم بها يخرج على الإضمار كأنه قال جعلنا عاليها سافلها وأرسلنا على من غاب عنها حاصبا
إلا آل لوط حتى يستقيم الثنيا الذي استثنى ويكون قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي
الصيد كأنه قال أحلت لكم بهيمة الأنعام والصيد إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد والله أعلم وعلى تأويل من يقول
بأنها قلبت ثم أرسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم فيكون أهلكناهم بأمرين إلا أنه استثنى آل لوط عليه السلام
بالنجاة من أحدهما استثناها بالنجاة منهما جميعا والله أعلم قوله تعالى نجيناهم بسحر نعمة من عندنا أي منعت
منهم العذاب عند السحر فيكون فيه دلالة أنه يكون بمنع العذاب عنهم منجيا لهم وإلا لم يكن نجاتهم عند السحر وقوله
كذلك نجزي من شكر هذا يخرج على وجهين أحدهما يكون هلاك أولئك على لوط وآله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون
عليه شكره فهو جزاء شكرهم وهو كقوله تعالى جزاء لمن كان كفر يحتمل أن يكون هلاك أولئك وإغراقهم جزاء لما كفر
بنوح وذلك نعمة على نوح عليه السلام والثاني أن يكون النجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم ذلك أن إهلاك الكل
كفروا ومنهم لم يكفر لأنه تعالى يهلك الدواب والصغار وإن يكن لهم إثم فإذا كان كذلك كان إبقاء من منهم فضلا
منه ونعمة عليهم وإلا كل كفر استوجب النجاة والله أعلم قوله تعالى ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر
يخرج على وجهين الذي ذكرنا أما أحدهما تماروا بالواقع من النذارة والثاني بالنذارة أي بالرسل والله أعلم
قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه أو طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه وقوله فطمسنا أعينهم ذكر أن جبريل
عليه السلام مسح جناحه على أعينهم فعموا ثم قيل لهم فذوقوا عذابي ونذر وكقوله عز وجل ولقد صبحهم بكرة عذاب
مستقر العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام عليهم وأهلكهم وأما الطمس للأعين فقد انقضى وقوله
عذابي ونذر والنذر ههنا ما يقع به النذارة وقوله ولقد جاء آل فرعون النذر يحتمل أما آل النذر الذين جاءوا
آل فرعون موسى وهارون عليهما السلام سماهما باسم الجمع وهو النذر ويحتمل أن يكون المراد من النذر الآيات التي جاء بهم
هي ما أنذرهم من أنواع العذاب فيكون المراد بالنذر ما وقع به النذارة قوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها يحتمل أنهم
كذبوا بآياتنا كلها يحتمل ثم كذبوا جميع الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام من آيات الألوهية والوحدانية
وآيات الرسالة والحجاب أن يكون هي جميع ما يدل على وحدانية الرب والألوهية من الخلائق لأن ذلك الفرعون
قد ادعى الألوهية لنفسه وجميع ما في العالم يدل على ألوهية الله تعالى من حيث ادعاها لنفسه وصدقه قومه
كذبوا بذلك جميع الآيات التي تشهد على ألوهية الله تعالى ووحدانيته وقوله فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر
أي أخذ عزيز ذليلا وأخذ غالب مغلوبا وأخذ قادر عاجزا وأخذناهم مقهورا والله أعلم قوله تعالى أكفاركم
خير من أولئكم يقول تعالى والله أعلم الكفار كم يأمل من يرى في دفع العذاب عن أنفسهم والانتصار ممن أنزل
بهم العذاب من أولئك الذين كانوا من قبلكم وليس كما ذكر أقدر منهم بل أولئك أكثر وأقوى ثم لم يقدروا
بدفع العذاب عن أنفسهم ولا الانتصار منهم إذا نزل بهم فأنتم يا أهل مكة أضعف وأقل عددا أحرى أن لا تقدروا
على دفع العذاب عنكم إذا نزل بكم أو يقول ليس لكم براءة في الكتب أنكم تقدرون على العذاب أو دفع العذاب
عن أنفسكم إذا نزل بكم أو يقول ليس لكم براءة في الكتب من العذاب لن يصيبكم إذا نزل وقوله تعالى أم يقولون نحن جميع
منتصر أي بل يقولون نحن جميع منتصر أي لا ينصرون بجمعهم هذه الآيات تنزل على النفي فالدفع والنصر
لهم ما يدفعون العذاب عن أنفسهم وليس لهم ما ينصرون به وأكفارهم خير من كفار أولئك في دفع العذاب والقوة
على الانتصار والله أعلم ثم قال على الابتداء سيهزم الجمع ويولون الدبر فيه دليل لأن لكلهما أحسن لهم جمعا
يهزم ويولون الدبر وقد كان ما ذكر وقال أهل التأويل يهزم الجمع ويولون الدبر هو جمع يوم بدر أخبر أنهم
يهزمون ويولون الدبر وقد كان على ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أنه علم بالله تعالى أنه علم
تعالى والثاني أخبر أن الساعة موعدا هلاكهم واستئصالهم في الدنيا بقوله بل الساعة موعدهم والساعة أدهى
وأمر وكان كما أخبر فيكون أيضا دلالة إثبات الرسالة والله أعلم ثم قوله أدهى وأمر أي أعظم وأشد
إن المجرمين في ضلال وسعر جاز أن يكون قوله في ضلال في الدنيا وفي سعر في الآخرة ويحتمل أن يكون
في هلاك وسعر فخير وجنون ومنه كقولهم إنا إذا لفي ضلال وسعر قوله تعالى يوم يسحبون في النار على
وجوههم كأنه يقول لهم يوم يسحبون في النار على وجوههم إن احتجوا على ما هم عليه وقوله مس سقر
يقال لهم ذوقوا مس سقر أي ذوقوا عذاب سقر والسقر هو اسم النار وفيه كأنه على الإضمار أي يقال
عذاب النار والله أعلم قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر يحتمل وجهين أحدهما على التقديم والتأخير
إنا خلقنا كل شيء بقدر فإن كان على هذا فيكون كقوله خالق كل شيء وفيه إثبات خلق كل شيء وفيه إثبات

كلية

كلية الأشياء ويكون فيه إثبات ما خلقه بقدر وعلى هذا التأويل يذهب المعتزلة والتأويل عندنا هو الأول
إنا خلقنا كل شيء بقدر كقوله خالق كل شيء ويحتمل إنا كل شيء خلقناه بقدر يوجد بتقديره وبذلك يبلغ
حده ليس كالمخلوق ولا يقدر أحد تقدير فعله ولا أحد الذي ينتهي إليه لا يخرج فعل أحد من المخلوق على ما يقدر
فأخبر أن فعله يخرج على ما يقدره خلافا لفعل غيره فيدل على أنه هو الخالق والله أعلم قوله تعالى وما أمرنا
إلا واحدة الأمر فيما بين الخلق على وجهين أحدهما أمر شأن وفعل والآخر أمر تكليف لغيره ثم قوله وما أمرنا إلا واحدة
إنما هو أمر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه أي شأنه وفعله يسير عليه لا يعجزه شيء ولا يشغله فعل ذلك
أمر الله وخلقه عليه كالواحد ليس هما اسم العدد ولا مكان للحساب نبيذ إنما هو اسم التوحيد والتفرد كما
نلكن والحدة فإنه لا يريدون من جهة العدد إذ لا أعداد ولا مثال من جهة العدد ولكن إنما أرادوا به المتوحد
في شأنه وفعله لا يطيع له فعلى ذلك تسميته إياه واحدا التفرد وتوحده في الألوهية والربوبية وتسميته أمره
واحدا أن فعله وشأنه لا يشبه أفعال غيره وأنه لا ينظر إلى ذلك وأنه يسير عليه لا حاجة له إلى الوقت لا
وغيره في ذاته الأمر كأنه قال كلمح البصر يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته من حيث لا يثقل عليه أحد دون البصر
ولا أهله فخبره الثاني فيه إخبار أنه لا يشغله شيء عن شيء كالناس يشغلهم بعض أمورهم عن بعض وأهل التأويل
يصرفون الأمر إلى الساعة كقوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وهو يحتمل فيجعله أمر الآخرة سوى
على تقدير أمر الدنيا على ما تلي بعض بعضا وعلى الابتداء في ما على التكوين بمرة واحدة قوله تعالى ولقد أهلكنا
أشياعكم قال أي ومن هو مثلكم فهل من مدكر يحتمل قوله أشياعكم على وجهين أحدهما أخدانكم وأهل دينكم
بتكذيبهم الرسل عليهم السلام فاذكروا أنتم يا أهل دينكم بتكذيبهم الرسل فاذكروا أنتم يا أهل مكة لأن لا تهلكوا
بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم والثاني أي ولقد أهلكنا أشياعكم قال وهم فهل من مدكر يتذكر
فيتعظ ويعتبر ويحتمل أن يكون شيعناه ولقد أهلكنا جنسكم والحلم للخلق الخالق النعم والهلاك الحامل
أنه أنشأكم لعاقبة وغاية إنها البعث لكنه لا يدركها فيها ما الكثرة وقصور لهم والله أعلم قوله تعالى وكل شيء فعلوه
في الزبر يخرج هذا أيضا على وجهين أحدهما كل شيء فعلوه من التكذيب في العباد كان في الكتب المتقدمة
أي من علمهم بصنعهم بفعلهم إنشاؤهم وبعث إليهم الرسل وهو رد على من يقول إنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يكون
فيشهد ذلك لأنه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل أن يبعث الرسل إليهم يأمرهم وينهاهم وهو يعلم أنهم يكذبون
رسله ويخالفون أمره وقرع عليهم بينا أنه أرسلها إلى ما كان ويكون وقد قبل هذا أنه تعالى بعث الرسل
إليهم وأنه يعلم منهم التكذيب والخلاف منهم وذلك لأن المنافع والمضار راجعة إليهم دونه والله أعلم
أن يكون معناه وكل شيء فعلوه في الزبر أي الكتب التي يكتب عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة
كقوله اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر هذا أيضا
يخرج على هذين الوجهين أحدهما مسطور في الكتب التي قبلها وفي الذي تتلو على الحفظة كقوله ما يلفظ
من قول إلا لديه رقيب عتيد وكقوله تعالى إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون ثم اختلف في تأويل قوله
ونهر قيل هو من النهار أي هم في ضياء وقيل في سرور وهو قول الأصم وقال القتبي أراد الأنهار يقال نهر
والعرب تسميها أي في سعة وقال القتبي يعني أنها قيل الأنهار قوله تعالى في مقعد صدق [illegible] هي موضع صدق
كأنه كناية عن راحة وسرور لهم كقوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا أخبر أنهم [illegible] فيها ويسكنون
لا يريدون التحول منها وهو مقابل ما ذكر للكفار يوم يسحبون في النار على وجوههم [illegible] سعودا
وقوله [illegible] الخروج منها يطلبون الخروج منها [illegible] عناء وشر [illegible] لا يبغون [illegible] مكان
فهذا يخرج [illegible] صدق عند ربهم [illegible] موضع صدق عند ربهم [illegible] فيكون
هو كناية عن الثبات قوله تعالى عند مليك مقتدر إن الرجل إذا كان [illegible] فضل وخير [illegible] الله تعالى
في سبيل التقرب إلى الله وقرب [illegible] الأمكنة التي هي أمكنة الفضل والخير [illegible] إلى الله تعالى بيت الله ومساجد
الله لأنها أمكنة القربة والفضل فعلى ذلك قوله في مقعد صدق عند مليك مقتدر أضاف [illegible]
الفضل والخير والمنزلة عند الله تعالى لأنه لا يوصف بمكان أو مقام بل هو ممسك الأمكنة ومنشئ الأزمنة [illegible]

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الرحمن علم القرآن قيل هو بلسان العرب
بلسان الرحمن على ميزان فعلان مشتق من الرحمة لكن أحد من الخلائق لا يبلغ في الرحمة مبلغا يستحق التسمية

به رحمانا لذلك خص الله تعالى نفسه بتسميته رحمانا وان كان مشتقا من الرحمة كالرحيم وجاز تسمية غيره رحيما
والله اعلم وقوله عز وجل علم القرآن ذكر ان الرحمن علم القرآن ولم يذكر لمن فجاز ان يكون المراد منه انه تبارك وتعالى
علم القرآن رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ذلك على وجوه احدها انه امر جبريل عليه السلام حتى علمه لقوله
علمه شديد القوى ذو مرة لكن خرج الاضافة الى الله تعالى انه علمه بامره والثاني اضاف التعليم الى نفسه
لما انه هو الذي ثبته في قلبه حتى لا ينساه كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى وقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به
ان علينا جمعه وقرآنه وقوله كذلك لنثبت به فؤادك والثالث اضاف الى نفسه وان علمه جبريل لانه هو الخالق
لفعل التعليم من جبريل عليه السلام وقوله تعالى خلق الانسان علمه البيان قال بعضهم خلق الانسان اي آدم عليه السلام
وعلمه البيان اي الاسماء التي ذكر في آية اخرى وعلم آدم الاسماء كلها اذ لا سبيل الى معرفة الاسماء الا بالتلقين
ليس كالاشياء التي يرشد بها الاستدلال او يحتمل ان يكون المراد بقوله خلق الانسان خلق كل انسان
وعلمه البيان بعقله بيان ما يحتاج من الامر والنهي ليعلم انه لم يخلق الانسان ليتركه سدى ويحتمل علم كل انسان
ما غاب عنهم حتى عرفوا ما شاهدوا من الطعم واللون واللذة علم ما غاب عنهم من جنسه ولونه ولذته استدلالا
بما شاهدوه ويحتمل الاستدلال بالشاهد على معرفة الله تعالى وهو انهم لما شاهدوا انفسهم محتاجا مضطرا
محاطا بالحوائج والحوادث دلهم ان لهم خالقا قادرا انشاهم لذلك ويحتمل ما ذكر من تعليم البيان بيان القرآن
الذي احتاج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه علمه القرآن وعلمه البيان هو بيان القرآن حتى بين للناس كل ما يحتاجون
اليه مما لهم وما عليهم وجائز ان يخرج بعضه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله الرحمن علم القرآن وبعضه الى آدم
وهو قوله خلق الانسان علمه البيان وتفسير ما ذكرنا وقال بعضهم خلق الانسان آدم عليه السلام وعلمه البيان
بيان الدنيا والآخرة وجائز ان يكون خلق الانسان كل انسان علمه القرآن وعلمه البيان اي علمه بيان
القرآن من الاحكام والشرائع ونحو ذلك وقال القتبي علمه البيان اي الكلام والله اعلم وقوله تعالى الشمس والقمر
بحسبان قال اهل التاويل يخرج على وجهين احدهما انه يحسب بهما عدد الاوقات والازمنة ويعرف بهما حساب ذلك
والثاني يحسب لهما حسابا بمنازل لهما التي يجريان ومعناه يجريان بحساب منازل التي يجريان فيها لا يعدوانها
انهما في شتاء ولا صيف قال ابو عوسجة بحسبان جمع حساب وقال القتبي بحسبان بحساب ومنازل لا يعدوانها
ويفيد زيادة معنى ان الله تعالى جعلهما بحيث يعرف بهما حقيقة هذه الاشياء المحتمل فيهما من اللون والضياء الذي
بها يتجلى للخلق الاشياء ما المشهور فيقال للملحدين ان الرسالة تنفصل بعض البشر عن بعض لما شاهدتم من تخصيص
بفضل ضياء وتجلي لم يكن ذلك لغيرهما فلم انكرتم تفضيل بعض البشر بفضل بيان وعلم رسالة والله اعلم
والنجم والشجر يسجدان النجم يحتمل وجهين احدهما الكواكب فان كان هذا فكانه يقول يسجد له بيانه زينة
السماء وبيانه زينة الارض وهي الكواكب وهي الاشجار ويحتمل النجم كل نبت ينبت في الارض لا ساق له والشجر
الذي له ساق فكانه يقول يسجد له كل ما ينبت من الارض ويخرج مما ارتفع وعلا وما لم يرتفع ثم سجودهما يحتمل
احدهما سجود خلقه فيجعل الله تعالى في خلقه كل شيء دلالة السجود له والشهادة له بالوحدانية والثاني يكون
هذه الاشياء الموات طاقتها لمن اضطرار وتسخير نحو قوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
سجود حقيقة يجعل الله تعالى في سرية هذه الاشياء معنى يسجدون به لله تعالى نعلمه نحن ولا نعلمه غيره كقوله
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال بعضهم سجودهما هو ميل ظلالهما كقوله يتفيؤا ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه الآية ولسائرها مما فيه ذكر سجود الموات وظلالها لان
الموات ليست باهل السجود وانما سجودها سجود اضطرار وكل مخلوق في معناه في الدلالة على السجود وانما يلزم
السجود بتلاوة آيات ذكر فيها سجود من هو من اهل السجود والله اعلم وقوله تعالى والسماء رفعها هذا يخرج
على وجهين احدهما ارادة حقيقة الرفع رفعها بلا عمد من الاسفل ولا تعليق من الاعلى او انشاها كذلك مرفوعة
لا انه كانت موضوعة فرفعها او مسكها كذلك ليعلم ان قدرته خلاف قدرة الخلق وقوتهم والثاني رفعها
رفع قدر ومنزلة لما في قلوب الخلق حتى يرفعوا ايديهم وابصارهم اليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الارزاق
والبركات التي تنزل من السماء والله اعلم وقوله تعالى ووضع الميزان يحتمل حقيقة الميزان الذي بين الناس
وبه يتحقق الايفاء والاستيفاء امتحنهم بذلك ليعرفوا التقصير فيما امروا به والمجاوزة عما نهوا وذلك يحتمل في
الاحكام والشرائع والتوحيد معرفة الالوهية ومعرفة العبادة الذي يستحقه ليعلم التقصير في ذلك والله اعلم
ويحتمل المراد بالميزان الاحكام التي وضعت بين الخلق والشرائع التي جعلت عليهم لئلا يجاوزوا فيها ويتعدوا
فيها ويتعدى من حدودها وقيل الميزان العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم قد كان الموازين ثلاثة احدها العقل
التي تعرف بها محاسن الاشياء ومساويها وقبح الاشياء وحسنها والثاني الميزان الذي جعل بين الخلق لايفاء الحقوق

والاستيفاء

والاستيفاء والثالث الذي جعل في الآخرة ليوفى به ثواب الاعمال وجزاؤها والله اعلم وقوله تعالى الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان امر باقامة الوزن ونهى عن الطغيان في الوزن وامر بالاتمام ونهى عن النقصان
والامر بالشيء نهي عن ضده وههنا جمع بينهما صريحا تاكيدا لشان الوزن والميزان وانه يحتمل الوجوه الثلاثة التي ذكرنا
وعن قتادة كان ابن عباس رضي الله عنه يقول يا معشر الموالي انكم قد وليتم امرين بهما هلك الناس قبلكم هو المكيال والميزان
وقال مجاهد في قوله واقيموا الوزن بالقسط اي الميزان بالعدل وقيل اي لسان الميزان وقيل لابن عمر رضي الله عنهما ان اهل
المدينة لا يوفون الكيل وقال وما يمنعهم وقد قال الله تعالى ويل للمطففين وقوله تعالى والارض وضعها للانام
وقال بعضهم الانام هو كل ذي روح وقال بعضهم الانام هو جميع الخلق ولكن عندنا الانام كان البشر فههنا الانحصر ان
الارض انشاها للبشر ووضعها لهم وهو ما ذكر في مواضع خلق لكم ما في السموات وما في الارض وسخر لكم ما في السموات
والارض وقوله تعالى فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام يذكرهم نعمه التي انشاها لهم في الارض من الفواكه وانواع
الثمار والحبوب التي جعلها رزقا لهم وقوله ذات الاكمام اي ذات الكلف والاغطية وقوله تعالى والحب ذو العصف
والريحان قرئ الريحان برفع وكسر فمن كسرها ذهب الى ان الريحان هو الرزق الذي يرتفق من الحبوب والثمار
مثل العصف الورق فيكون المعنى والحب ذو الورق ومن رفعها فعلى الابتداء عطفا على الحب واختلف في تفسير
العصف والريحان منهم من قال العصف ورق الزرع من الحنطة والشعير وغيرهما وقيل هو التبن او ما ينبت من
الزرع وقيل العصف هو الزرع نفسه ولكن اضاف العصف الى الحب لما منه ينبت الحب ومنه يخرج واما الريحان
قال هو خضرة الزرع وقيل هو الذي يشم وقيل هو الرزق الريحان الذي يرتفق من الحبوب والثمار كذلك روي
عن ابن عباس الريحان الحب وقال القتبي الريحان الورق يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه والله اعلم وقوله تعالى فباي
آلاء ربكما تكذبان هذا خطاب الجن والانس وفيه دلالة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الانس والجن
جميعا الا ترى انه قال في آية اخرى يا معشر الجن والانس ليس ان يخاطبهما جملة لكن يخاطب كل انسي وجني
في نفسه كقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا ليس انه قال للفريقين جميعا كونوا هودا تهتدوا ولكن
قال اليهود كونوا هودا تهتدوا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك هذا ثم قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان
يخرج على وجهين احدهما اي لاي آلاء ربكما تكذبان التي ذكر من وضع الارض لكم وجعل الفاكهة والنخل والحب
ونحو ذلك والثاني انها ليست من الله تعالى فاذا عرفتم انها من الله تعالى فكيف تصرفون الشكر الى غيره والثاني فباي نعمه والاكل
التوحيد والرسالة والعبادة اي لا نعمه تكذبان وعن جابر بن عبد الله قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن فكانوا احسن ردا
منكم كلما اتيت على قوله فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ثم فيما ذكر من قوله والارض
وضعها للانام فيها فاكهة الى آخره يذكر نعمه وقدرته وتدبيره وعلمه ووحدانيته اما النعم فانه بسط الارض
لهم بما فيها من انواع الحبوب والفواكه التي بها قوامهم والعصف وانواع النبات التي بها قوام دوابهم
واما بيان قدرته وسلطانه انشاء هذه الفواكه والحبوب في اكمامها مما يعجز الخلق عن احداث شيء وفعله في الغلف
الاغطية ليعلم ان صنعه وفعله خارج عن المعالجات والملامسات التي لا يتحقق مع الاغطية وان قدرته وفعله غير
متشبهين بافعال الخلق وقدرتهم وكذلك الاولاد في البطون والفراخ في البيض وانما ادق لطفه ليعلم انه
لا يخفى عليه شيء ثم انشأ هذه الثمار والحبوب في الوقت الذي لا يحتمل البرد والحر في الاكمام من ورد الحر اسا
فيها في حال ضعفها فاذا اشتدت وقويت اخرجها من الغلف ففي ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه وفيه اثبات
البعث من وجهين احدهما ان من قدر على انشاء هذه الاشياء يقدر على اعادة الخلق والثاني انه لما انشأ لهم
ما ذكر ثم منهم من شكر هذه النعم ومنهم من كفر ثم استويا في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد
من دار اخرى فيها يفرق بينهما وفيه لزوم الامتحان اذ لا يحتمل ان ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا يستادي
شكر ما انعم عليهم ثم معرفة الشاكر منهم والكافر لا يعرف الا بعلم يعرفهم لان معرفة الشكر وكيفيته لا تعرف
بمجرد العقل فيضطرهم الى رسول يخبرهم عن الله تعالى ذلك فيكون فيه اثبات الرسالة ثم في اخراج هذه الحبوب
والفواكه كلها في وقت واحد من المشرق والمغرب على شيء واحد في زمان واحد من غير تفاوت دليل على ان فعله
وتدبيره انه لو كان ذا اثنين لمنع بعضهم شيء عن شيء ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر من منافع الارض بمنافع السماء
من بعد ما بينهما دليل على وحدانيته اذ لو كان ذلك فعل عدد لما جرى ذلك على سنن واحد على ما هو لتدافع
ولتنازع في الامر القائم بين اثنين عند الاختلاف والله الموفق وقوله تعالى خلق الانسان من صلصال
كالفخار ذكر في خلق ذلك الانسان احوالا مختلفة مرة قال خلقه من تراب وقال لتراب هو الذي اذا اصابه الماء
ومرة قال خلقه من طين والطين هو الذي اصابه الماء واعجن ومرة قال من طين لازب واللازب هو الذي يلتصق

بالبدء يليقه وهو الخزف الخالص وقال الغرة من حمإ مسنون وهو الذي اسود وتغير لطول المكث ومرة قال من صلصال
كالفخار والصلصال هو الذي له صوت اذا حرك وهو من صلصلة الحديد ويحتمل صلصالا اي منتنا
صلّ اللحم اذا انتن والفخار هو الذي يكسر اذا يبس وقال ابو عوسجة الفخار الذي طبخ فخار ان يكون هذه الاحوال
التي ذكر في انشاء ذلك الانسان كان في الابتداء ترابا ثم صار طينا ثم صار لازبا لاتصال من حيث الطين ثم
صار حمأ مسنونا اي منتنا اسود لطول المكث ثم صلصالا لكثرة تربيته او لانه كان يدخره كالفخار او لطول المكث
وكثرة التربية او طينا ادخلت الفخار لذلك هذه الصفات والله اعلم وقوله تعالى خلق الجان من مارج من نار الجان ذكر
انه ابو الجن وانه لفظ الوحدان والجنة جماعة كذا قال ابو عوسجة الجان الجن وقوله مارج من نار قال بعضهم
المارج هو لهب النار صافي لا دخان فيه يقال لهب النار اذا التهب المارج على هذا هو النار التي فارقت
الحطب والتهب وارتفعت منه وكذا قال ابو عوسجة المارج هاهنا اللهب من قوله مرج كشيء اذا اضطرب
ولم تستقر وعلى ما قال بعضهم في قوله مرج البحرين اي خلطه وجمع بينهما يحتمل ان يكون خلق الجان من نار غير
منقطعة من الحطب لاخالية من الدخان وكذا قال ابو عبيدة مارج من نار اي من خلط من النار وعلى ما ذكر
من قال في قوله مرج البحرين اي ارسل احدهما في الاخر فهو يكون من نار منقطعة من الحطب او لاخالية من الدخان
وكذا قال ابو عبيدة من مارج من نار اي من خلط من النار وعلى تاويل من قال في قوله مرج البحرين اي ارسل احدهما في الاخر
فهو يكون من نار منقطعة من الحطب فليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع من الحكمة فيما ذكر
من خلق آدم عليه السلام من التراب وخلق الجان من النار والفائدة في ذلك والله اعلم يخبر عن قدرته بيان من قدر
على خلق الانسان من ذلك التراب واخراج جميع ما في الدنيا من الناس من نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء ولكن
ما ذكر من خلق الجان من النار واخراج ما اخرج منه من النسل ليخبر انه اخذ الدنيا باسرها لا يعجزه شيء ولا ما ذكر
خلقا الشر والجن ذكر المعنى الذي به انشاء الانسان بعينه واخرج هذا الخلق منه وفي ذلك وجهان من الحكمة
احدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث والثاني ان كل ما ذكر من الثقل والتغير من حال الى حال واخراج ما اخرج
منه لا يحتمل ان يفعل ذلك عبثا باطلا ولا قوم الا بالله وقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان اي بنعمه والله اعلم
اذ لم يتركوا شيئا من الآيات ان ليس منها لكم تكذبون وتقديمه في البعث وغيره وقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين
وقال في موضع آخر برب المشارق والمغارب وقد ذكرنا فيما تقدم ثم قوله رب المشرقين ورب المغربين ورب
المشارق والمغارب وذكر الحد لهما لان الشمس لها في المشرق والمغرب على انها طلعت حيث طلعت
وغربت حيث غربت بامر لو كان ذلك الا بامر لكن بانفسهما لكان يطلعان ويغربان في جميع الآفاق الاطراف ولا تزال
ابدا بمكان ولا يزدادان ولا ينتقصان في وقت من الاوقات ثم هذا كله مما سبق البشر المسخر لهم فيقول
والله اعلم ان المجعول لكم اطوع لله تعالى منكم حيث لا يطيعون الحد الذي جعل لهم ولا يتعدون ولم
وانتم تجاورون امره ونهيه وتتعدون حدوده وفي الآية دليل على ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي
ما عداه لانه خص ها هنا رب المشرقين ورب المغربين ولم يدل على انه ليس رب ما بينهما او ليس رب المشارق
والمغارب والله اعلم وقوله تعالى مرج البحرين قيل جمع بينهما وخلط وقيل ارسل احدهما في الاخر
وقوله يلتقيان قيل تماس احدهما الاخر احدهما العذب والاخر الملح وقيل يلتقيان اي يتقابلان
بينهما برزخ لا يبغيان اي بين البحرين حاجز وحاجز لا يبغيان قيل لا يختلطان ولا يمتزجان ولم يتغير
طعم كل واحد منهما يخبر عن لطفه في منعهما عن الامتزاج وفي طبع الماء الامتزاج والاختلاط وقدرته على هذا
شيء وقيل لا يبغيان انه لا يجاوزان ما حد الله تعالى الذي حد لهما ثم اختلف في البحرين قال بعضهم احدهما بحر
والاخر بحر هند وبينهما برزخ اي مكان لا يبغيان اي لا يختلطان وهو قول الاصم ومنهم من قال احدهما
بحر روم والاخر بحر فارس بينهما برزخ او جزيرة العرب وقيل احدهما بحر السماء والاخر بحر الارض كقوله ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وبينهما برزخ وهو الهواء والارض
وسكانا الارض وهذا ايضا لطف منه تعالى وقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان منهم من قال يخرج من العذب
والملح جميعا كما هو ظاهر الآية ومنهم من قال يخرج من الملح خاصة دون العذب وان كانت الاضافة
اليهما وذلك جائز في اللغة كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ولم يات من الجن رسول وذلك
كثير في القرآن ثم قرئ يخرج بنصب الياء ورفع الراء او برفع الياء ونصب الراء فالاول لتحقيق الفعل لهما والثاني
على جعل الفعل لغيرهما كقوله تستخرجون منه حلية تلبسونها ولم يقل يخرج منه حليته ثم اختلف في اللؤلؤ
منهم من قال اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ ومنهم من قال على العكس واكثرهم على الاول كذلك
عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وكذا قال ابو عوسجة المرجان الصغار اللؤلؤ والواحد مرجانة وقيل ان

المختلط

المختلط من الجواهر وقوله مرجانا اى خلطت وقيل انه جوهر خاص من الجوهر يخرج من البحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال اذا امطرت السماء انفتحت الاصداف افواهها فكان من ذلك اللؤلؤ [illegible]
[illegible]
للعباد فانه اضاف السفن الى نفسه بقوله وله الجوار وان كانوا قد اتخذها بنو آدم باعمالهم لما الهم
صنعها لما كانت السفن لهم لا له والله اعلم وقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان اذا لم يكذبوا بشيء من آلاء ربكما انه
من الله تعالى ولم يكذبوا بما اتاكم من الاخبار في منافع الدنيا فكيف تكذبون باخبار الرسل عليهم السلام بمواعيدها في
الآيات والحجج وقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام يحتمل وجهين احدهما اي
كل من في الارض فان ويبقى ملك ربك ابدا دائما والثاني يحتمل سلطان كل من عليها او قوم كل من عليها وقدرته
فان ويبقى سلطانه ربك وقدرته وربوبيته ليعلم ان ملكه وسلطانه وقدرته بذاته لا بالخلق حتى يكون
فناؤهم وذهابهم يدخل نقصا او وهنا في ملكه خلاف ملوك الارض وسلطانهم وجائز ان يكون
قال هذا على الاياس الكفرة وقطع الرجاء عن عبادة من يعبدون دونه من الاصنام والملوك والرؤساء وما اتخذوا
مكانه يقول كل من تعبدون دونه او تخدمون فان لا وجه الله فانفقوا فان الله الموفق والباطنية يقولون كل من عليها
فان اي النفس الجسدانية ويبقى النفس الروحانية ابدا لانهم يقولون اذا فنيت هذه الاجساد يبقى الله تعالى
من اعمالهم الصالحات انفسا روحانية تبقى ابدا ويحتمل وجه ربك اي كل ما يطلب من العمل يعني رضاء الله
قلما بالوجه عن الرضا وقوله ذو الجلال والاكرام يخرج على وجهين احدهما على الخلق جلال الخلق الله تعالى
وتعظيمه لك والثاني اي يجل الله تعالى من يشاء من خلقه اي منه اجلال من حل له في الدنيا واكرام من اكرم في الاخرة
والله اعلم وقوله تعالى يسأله من في السماوات والارض يخبر الله عز وجل عن فزع اهل السماء واهل الارض اليه
عند الاياس عن الخلق وانقطاع الرجاء عنهم يذكر ان المفزع في الاحوال كلها والخلائق كلهم ومنه يسألون
الرزق والنجاة وهو ما ذكر قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآية وقوله قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب
وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله واذا مسكم الضر هذا اصله قوله كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك يقول والله اعلم شانه وامره باق دائم ابدا او ذهاب الخلق لا يدخل نقصا في شانه وامره ولا وهنا
في سلطانه وملكه بل هو شانه وامره عند فنائهم كهو في حال بقائهم وجائز ان يكون ما قال بعض اهل
التاويل ان اليهود قالت ان الله تعالى استراح يوم السبت لا يقضي بشيء ولا يحكم ولا يامر ولا يفعل فعلا فنزلت
هذه الآية عند كل يوم هو في شان من احداث وافناء واحياء واماتة واصله ان الله تعالى اذا وصف
بشيء لا يحتمل نقال لم يزل عالما لم يزل قادرا لم يزل خالقا رازقا بذاته لم يزل واذا ذكر بامر وتدبير مضاف الى الخلق
يوصف على ذكر الوقت فيكون الوقت للخلق لا له فلا يقال ان الله تعالى لم يزل عالما بجلوسك ها هنا
او في هذا الوقت ولم يزل عالما ان يجلس الآن او يجيء الآن او في هذا الوقت فاذا وصفته بالماضي علمت ثم
عالما بما كان وبالمستقبل لم يزل عالما بما يكون بانه يكون في وقت كذا وفي الحال لم يزل بكونه كائنا الحال وكذلك
لئلا يتوهم الخلق ان الخلق كيف يكون في الازل فعلى ذلك قوله كل يوم هو في شان ذكر اليوم والوقت
لئلا يتوهم يكون الخلق قديما والله الموفق وقوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان قرئ سنفرغ بالنون
وكذلك يفرغ الكل في الحالين قال ابو عبيدة بالياء يقرؤها كقوله تبارك الذي في السماوات والارض ذكر
بذلك هذا الذي في قلبه قال الزجاج قوله سنفرغ لكم هو ليس هو الفراغ عن الشغل لكن كما يقول الرجل

لاخر سافرغ لكم كذا اي اجعل الخ وكلام نحوه ومنهم من يقول هذا على الوعد وقال ابو بكر الكيساني ان الفراغ
ليس يستعمل عن الفراغ عن الشغل خاصة لكن يستعمل له ولغيره من نحو النجا نما او عدلوا وعدكما نه قال
يستحق لكم ما اوعدتكم ايها الثقلان وعندنا ان الفراغ هو اسم لانقضاء الفعل وتمامه لا للفراغ
من الشغل يقال للخلاف فرغ من شغله اذا فرغ من داره اذا اتمه وانقضى في الا الامر فانه فرغ من شغل الذي
وذلك العمل فهو مشغول لغيره دل انه ليس باسم للفراغ من الشغل اذ لو كان اسما للفراغ من الشغل لا يوصف
وهو مشغول بغيره دل انه اسم للتمام والانقضاء لكن عرف الخلق بعضهم من بعض الفراغ من الشغل لما ان بهم
لا لتمام لان الشغل في ذلك فهذ الذي نخلهم فاما الله سبحانه وتعالى حيث لا يشغله فعل عن فعل ولا
عن شي لم يكن ان يفهم من فراغه الفراغ من الشغل وبالله العصمة والتوفيق وقوله تعالى يا معشر الجن والانس ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان • له تاويلان احدهما
كانه يقول لو مكن لكم النفاذ من اقطار السموات والارض ونواحيها فتنفذون فتجدوا هنالك ويرى
من اياتي من كذب بالرسل عليهم السلام وما حل بهم بالتكذيب ثم قال لا تنفذون الا بسلطان اي لا يتمكن
لو مكن لكم من النفاذ الا تجدون … من اهلاك منهم ظاهر … اهلكهم وهو كقوله تعالى قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين امرهم بالسير في الارض والتدبر … فانهم هلاك بماذا اهلك من اهلك
منهم وبماذا نجا من نجا منهم والله اعلم والثاني على الاعجاز اي لا يستطيعون ان يخرجوا اي ينفذوا من اقطار
السموات والارض ولو مكن لكم من النفاذ والخروج منها لو جئتم بسلطاني وحجتي وملكي هنالك فانما
اي لا يقدرون الخروج من سلطاني وملكي حيث ما كنتم بل حيث ما سرتم وكنتم كنتم في سلطاني وملكي
فلا يتخلصون من الموت والهلاك وهو كقوله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء الاية وقال
الضحاك وهو في حرف ابن مسعود رض يا معشر الجن والانس ان جاءكم … فانفذوا من اقطارها لا تنفذون الا بسلطان
يقول انه لا يجيئكم احد من الموت وانتم ميتون فلا يأتونكم قطرات اقطار السموات والارض الا وجدوا هنالك
سلطان الله وملائكته يقول لا تستطيعون فرارا من الموت ولا محيصا فان تقدمتم من اقطار السموات
والارض فلم تخرجوا من سلطاني وانا اخذكم بالموت حيث كنتم وهو كقوله يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة وقال بعضهم الله تعالى يبعث ملائكة عند الحشر فيحيطون بالدنيا فيكونون في اقطارها لئلا
يستطيع شيطان ولا انسي ولا جان ان يخرج من اقطارها ولو خرجوا كانوا في سلطان الله وقيل الا بسلطان
اي الحجة وقال قتادة الا بملك وقال بعضهم الا بقدرة والله اعلم ثم اوعدهم فقال يرسل عليكما شواظ من
نار ونحاس فلا تنتصران ويقرى شواظ بضم الشين وكسرها ونحاس بالكسر وكذا عن مجاهد عطفا على قوله من
ثم اختلف في تاويل الشواظ والنحاس عن ابن عباس رضي الله عنه النحاس الدخان وقيل الشواظ هو اللهب
الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان وعن الكلبي الشواظ لهب النار والنحاس الصفر الذي يذاب فيعذبون
به وقيل الشواظ هو الذي فيه الدخان والنحاس هو النحاس المعروف يذاب فيصب على روسهم وقال القتبي
الشواظ الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب والنحاس الصفر فمن قراه بالخفض يقول لهب
من نار ومن دخان ومن قراه بالرفع اراد به الصفر يقول يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ذا يسيل في النار وقيل
النحاس في القرآن يحتمل الدخان ويحتمل الصفر والله اعلم وقوله تعالى فلا تنتصران • يقول لا تمتنعان
من ذلك ويحتمل لا تناصر لكما كما يكون في الدنيا فان قيل انه قد ذكر في كل الايات الالاء والنعم ثم بعدها
فباي الاء ربكما تكذبان وقد انقطع ذكر الالاء ههنا وذكر الوعيد في هذه الايات فما فائدة ذكر قوله فباي
الاء ربكما تكذبان بالحرمان قيل ان في الوعد ترغيبا وفي الوعيد ترهيبا فيرغب في الوعد ويخاف ويرهب
من الوعيد فيرتدع ويمتنع عما يوعد فيكون في ذلك نعمة وعظيمة اذ بالوعد والوعيد يتم المحنة والمحنة
يتم النعمة لذلك ذكر على اثر الوعيد فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان يذكر تغير هذا العالم يومئذ لهول ذلك اليوم وهو كما ذكر من تبديل السماء والارض حيث قال
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ونحو ذلك من الا…
وكذلك ما ذكر من تغيير الجبال العين فقال هباء منثورا وقوله كثيبا مهيلا وقوله كالعهن المنفوش ونحو ذلك ثم
قوله فكانت وردة كالدهان منهم من قال السماء لكثرة تلونها بعرس من الورد يكون في الربيع يكون تصير
الى لون اخر ثم الى اخر فعلى ذلك ما ذكر من تغيير السماء وتلونها ومنهم من قال شبهها بالدهان وهو الدهن
للينها وضعفها وهو كما ذكر في اية اخرى يوم تكون السماء كالمهل والمهل هو دردي الزيت لكن التشبيه بالمهل
انما يكون لكثرة التلون لا للين فيكون في هذا التاويل نوع وهاء والله اعلم وقيل انما الحمرة يذوب كالدهن

ويروى

ويروى ان سماء الدنيا من حديد فاذا كان يوم القيامة صارت من الخضرة الى الاحمار من حر جهنم كالحديد اذا احمي
بالنار بها قال بعضهم الدهان جمع الدهن ويقال الدهان الاديم الاحمر والله اعلم وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان • اختلف في تاويله قال بعضهم اي لا يسأل انسي ولا جني عن ذنب غيره انما
يسأل عن ذنب نفسه يخبر انه لا يسأل احد عن ما ضل غيره عن ضلاله ذلك الغير انما يسأل الذي اضله عن اضلاله ويسأل
الضال عن ضلاله كقوله ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا الاية ومنهم من قال لا يسأل
بعض من بعض اي لا يسأل الجني عن ذنب الانسي ولا الانسي عن ذنب الجني ومنهم من قال لا يسأل سؤال الاستخبار
والاستفهام اي لماذا فعلتم ما فعلتم ولكن يسألون لم فعلتم يطالبون عن الحجة لا عن نفس الفعل لان كل ذي مذهب
ودين انما يفعل بحجة تكون له ومنهم من قال لا يسألون عن ذنوبهم لما تكون في وجوههم من الاعلام من الاسوداد
العبوس وغير ذلك مما ذكر في الكتاب انها تكون للكفار كقوله وجوه يومئذ عليها غبرة وقوله فاما الذين اسودت
وجوههم الاية ومما ذكر من اعلام المؤمنين من قوله وجوه يومئذ ناضرة وقوله اما ابيضت وجوههم وقال بعضهم لا يسأل
الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم • ذكر الله تعالى في كتابه المجرمين اعلاما
يعرفون في الاخرة بها مما ذكرنا من اسوداد الوجوه وقال يومئذ خاشعة ابصارها خاشعة وقوله نطمس وجوها فنردها
على ادبارها وغير ذلك من الاعلام هو والله اعلم يكون وجوههم في اول الاحوال خاشعة ثم غبرة ثم مسودة ثم تطمس نظرة
ذلك فنعوذ بالله من هذه الاحوال وقوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام • قيل يكسر اصلابهم ويطوى ظهورهم فيجمع اقدامهم
الى نواصيهم فيرمى بهم في النار وقال بعضهم تغل ايديهم الى اعناقهم ثم يجمع بين نواصيهم واقدامهم ثم يقذفون في
وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون • اي اذا دنوا على الوصف الذي ذكر عند ذلك يقال لهم هذه جهنم التي
كنتم تكذبون بها في الدنيا وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن • اي يطوفون بين جهنم وبين حميم فيجوز ان يكون
بين جهنم … وهي النار والحميم … يقول الله فلم يطوفون بين ما يأكلون وبين ما يشربون
لا يشبعون مما يأكلون ولا يروون مما يشربون كلما اكلوا ازداد لهم جوعا وكلما شربوا ازدادوا عطشا والحميم هو الشراب
الذي جعل لهم والآن هو الذي قد انتهى حره ما ينتهي في نهايته وقوله فباي الاء ربكما تكذبان من الناس من قال في قوله
فباي الاء ربكما تكذبان على اثر الوعيد انما تقول النعم في الاخرة اي باي الاء ربكما تكذبان في الدنيا كقوله عز وجل وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا الى قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الاية وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان • ذكر الخوف عن المقام بين يدي ربه ولم يبين خوفه من ماذا ولا انه … ان يكون ما ذكر
من الخوف عن المقام بين يدي ربه مما بين في اية اخرى وهو قوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يحمل
احدهما نهى النفس عما تهواه والثاني منع النفس عن ان تهوى مما يسخطه والله اعلم وجائز ان يكون في هذه الاية بيان
ما ذكر في تلك الاية من الخوف عن المقام بين يدي ربه … لما هم من المعصية وما هويت نفسه ثم لسنا نعرف … فانه
ذكر الجنتين لم بين ذلك … فقال اهل التاويل انما ذكر جنتين لان الجنان اربعة جنة عدن وجنة … وجنة
المأوى وجنة النعيم فجنة العدن وجنة النعيم للمقربين والشهداء والصديقين والجنتان الاخريان لمن دونهم
من المؤمنين الذين هم اصحاب اليمين وجائز ان يخرج على وجهين احدهما ان يكون بصره اذا نظر يمينا وشمالا لا يقع الا
على جنة لا يقع على جنة غيره وكذلك اذا نظر من الاعلى او من الاسفل يقع بصره على ملكه لا يقع على ملك غيره فليس ذلك
بحقيقة اخبار عن عدد الجنتين ولكن اخبار ان البصر حيث نظر لا يقع الا على ملكه وجنته والله اعلم والثاني يكون
جنتان احدى الجنتين لترك المساوي والاخرى لاتيان المحاسن وذكر القتبي عن الفراء في قوله ولمن خاف مقام
ربه جنتان قد تسمي العرب الشي الواحد باسم الاثنين اذا كان رؤس الاية ومقاطعها تحقيق الموافقة … قال
فعلى ذلك جائز ان يكون ذكر جنتان لموافقة مقاطع الاية والمراد منه جنة واحدة لكن القتبي انكر عليه ذلك
وقال انما يقال ذلك اذا انقطع الكلام فاما اذا كان الكلام غير منقطع فانه لا يقال ذلك والله اعلم ثم سمى البعث
مقاما بين يدي ربه وسماه مرجعا اليه ومصيرا وبروزا وهو يخرج على وجهين احدهما انه سماه بما ذكر لان البعث هو
هذا العالم والثاني سماه بذلك لان كل احد يظهر في ذلك اليوم ان الامر لله تعالى وان التدبير له في الدنيا والاخرة
وان لا تدبير لاحد سواه لقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم جائز ان يكون ما ذكر من الجنتين السابقين
والشهداء على ما ذكره بعض اهل التاويل وما ذكر من قوله ومن دونهما جنتان لاصحاب اليمين ثم نعت ووصف لجعل
لكل فريق فانما يجب ان يجعل للسابقين والصديقين والشهداء ما ذكر حيث قال ذواتا افنان قال عامة اهل التاويل
ذواتا اغصان ولكن الذي في هذا … لكن يحتمل ان قوله ذواتا افنان من الفنون اي فيهما من كل فن وكل نوع وقال بعضهم
ذلك في الجنتين اللتين جعلهما لاصحاب اليمين مدهامتان والمدهم هو الذي يضرب بخضرته لشدتها الى السواد وهو دون
الاول في الوصف اذ الوصف بها الا … وصف مثل الجنتين بالفنون وقال في … فيهما عينان تجريان

وقال في اصحاب اليمين فيهما عينان نضاختان والنضاخ هو الذي لا يبين جريانه ووصف بسل الجريان والنضخ دون الجري
وقال القتبي نضاختان تفوران بالماء والنضخ دون النضح وهو المرتبة فقال في جنتي السابقين فيهما من كل
فاكهة زوجان اي صنفان او لونان او نوعان وقال في اصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان فذكر اشيا معدودة
وعم الاشيا في سل حيث قال من كل فاكهة زوجان لفضل اولئك على هؤلاء وجائز ان ذكر في كل واحد منهما اجرا
على حدة قوله تعالى ذواتا افنان ما ذكرنا ان فيهما من كل فن وكل نوع واحد العينين هي العين المعروفة الموعودة
والاخرى التي لا يعرفون ولا يعهدون قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ولونان على غير تغير الطعم
ولا فساد يدخل في ذلك لان تغير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه الا بعد دخول فساد فيها فيخبر ان تغير لونه
لا للفساد يدخل في ذلك والله اعلم وقال بعضهم انما ذكر الزوجين من الفواكه بما ان قلوب البشر تخطر باحد
الزوجين وتميل انفسهم الى الزوج الاخر هو لطف اعطيه على عباده فضلا منه غير ان يخطر على قلب احد او وقعت
عليه ابصارهم ولا اشتهت انفسهم اكلها لما الهمها وامتنانا وقال بعضهم ليس المراد في هذه الاية تبيين ما لاهل الجنة
ولكن فيه بيان فضل السابقين على اصحاب اليمين ان اولئك يعطون من الفضل ضعفي ما اعطي هؤلاء والله اعلم
قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق قال الفراء يجوز ان تكون البطانة والظهارة جميعا من شي واحد
ومن جهة واحدة لكن يسمى الجهة التي تلي اجسادهم بطانة والاخرى ظهارة ومثل السماء التي تلي الملائكة
هي بطانتهم وظهارتنا وما يلينا ظهارتهم وبطانتنا ولذلك كل شي يلي انسانا فهو بطانته الحيابة التي تليه
ظهارة يقال هذا ظهر السماء للجانب الذي تراه وللاخر بطن السماء والله اعلم وقال القتبي لم يذكر البطانة من
استبرق لم يذكر الظهارة والعرف في الناس ان الظهارة ارفع وانفس من البطانة والبطانة دون الظهارة فكان
من ذكر البطانة دون ضعفها بانها من استبرق دلالة ان الظهارة فيها ارفع وانفس من البطانة لكن ما قاله الفرا
صحيح وما ذكره القتبي هو من صنيع الناس في الدنيا من ايجاد الظهارة فوق البطانة بما لا يحتمل املاكهم التسوية
بين ما بطن وما ظهر في النفاسة والرفعة فاما سبحانه فلا يعاد لحكمته يفعل بما يشا كيف شا وعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال قد اخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر ثم الاستبرق واختلف فيه قيل هو ما غلظ من الديباج وقال
بعضهم هو ما دق ورق والله اعلم ولا تفسير فيه نحن لا نعلم ما هو وكيف هو ولكن نعلم انه شي وعدهم ربهم وهو شي
فيه انفسهم والله اعلم وقوله تعالى وجنى الجنتين دان جائز ان يكون ذكر هذا لانه لو كان السابقين كانوا في الدنيا رغبوا في الخير
واستبقوا اليه وعملهم بما رزق الطاعتهم لهم وتعليمهم في التقصير في العمل لله تعالى الواجب عليه ونواهيه
ونواهيه فقال وجنى الجنتين الذي وعد لكم دان وقال اهل التاويل اي الثمر دان منهم قريب حين شا ولها الرجل
كيف لكن يذكر هذا والله اعلم في الجنتين وان بعدتا فانهما دانية قال ابو عوسجة الجنا الحمل وجنيت الثمر يجني
اذا احلت وادركت حملها قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف اي قصرن طرفهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم وقال
وقال في اية اخرى حور مقصورات في الخيام ذكر هذا لان اهل الدين يكونون اهل غيرة لا يريدون ان ينظر الى ازواجهم
الى غيرهم ولا غيرهم ينظرون الى النسا فاخبر بالاسمين انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا غيرهم اليهن حتى وصفهن
بانهن قاصرات مقصورات في الخيام قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقرئ لم يطمثهن بضم الميم وكسرها
قال الفراء لم يطمثهن لم يقبضهن والطمث النكاح بالدمية وقال اهل التاويل لم يجامعهن انس قبلهم ولا جان
وقال ابو عوسجة لم يطمثهن انس في التربية كما يربى الاولاد ولا الجان على ما يزعم ان الاولاد بنفوسهم ولكنهن
كما وصف انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين وقوله عز وجل كانهن الياقوت والمرجان قال
اهل التاويل شبههن بالياقوت لصفائهن وبالمرجان لبياضهن وهو كما قالوا والله اعلم قوله تعالى هل جزا الاحسان
الا الاحسان قيل هل جزا الانسان في الدنيا الا الاحسان له في الاخرة اي هل جزا فعل الحسنى في الدنيا الا
اعطا الحسنى في الاخرة وهي الجنة ويكون غيره كانه يقول اي هل جزا الاحسان لله تعالى بما انعم عليهم في الدنيا الا الاحسان
له بالشكر والقبول اي الاتيان بمثل الحسن وهو الشكر وحسن القول لانه ليس يستوجب احد على الله تعالى باحسانه
في الدنيا جزا في الاخرة انما الجزا له يجري الفضل والانعام من لا يجري الاستحقاق ويحتمل ان يكون قوله هل جزا
الاحسان الا الاحسان الاول في الاخرة والله اعلم واستدل ابو يوسف ومحمد بهذه الايات على ان للجن ثوابا كما للانس فانه جرى
الخطاب من اول السورة الى اخرها للجن والانس من قوله يا معشر الجن والانس وقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فدل انهم
يشتركون في الوعد والوعيد لكن ابو حنيفة يقول لا ثواب للجن وذهب الى ان ما ذكر من النعم بما ذكر لكن ها للانس
لا حظ للجن في ذلك من نحو الفواكه والسرر والحور فضلا ذلك بما ذكر من الثواب لهم يجري الثواب والجن يجري العبيد الله
وقد ذكرناه في غير هذا الموضع قوله تعالى ومن دونهما جنتان فان كانت الجنتان اللتان سبق ذكرهما للسابقين
الصديقين فهاتان اللتان ذكرهما ههنا لاصحاب اليمين على ما ذكره بعض اهل التاويل فجائز ان يكون قوله ومن دونهما

جنتان يليه في الفضل وفي القدر وفي المنزلة تفضل اولئك على اصحاب اليمين وان كانت الجنتان جميعا لكل فريق منهم فجائز
ان يكون قوله ومن دونهما جنتان في المكان يعني الموضع لا في الفضل والقدر وكانه قال من الجهة ومن صورهم يعني جنتا
من فوق ومن تحت وعن يمين وشمال لئلا يكون وسط الجنان لا يحتاجون الى التحول من مكان الى مكان كلما يشتهون ولا يريدون
التحول لا عليهم من ذلك حرج قوله تعالى مدهامتان على ما ذكرنا ان المدهم هو شديد الخضرة الذي يضرب الى السواد وصف هاتين
دون ما وصف تلك الجنتين يقول ذواتا افنان على ما ذكرنا فيل الاول وكذلك قوله فيهما عينان نضاختان على ما ذكرنا انهما دون
الجاريتين ولذلك روي عن الفراء قال العينان تجريان افضل من النضاختين وقيل النضاختان لانهما ينضحان الخير والبركة
لاهل الجنة وقيل ينضخان بالماء وانواع الفواكه وروي عن انس رضي الله عنه انه قال ينضخان بالمسك والعنبر كما ينضح
طين الماء على بيوت اهل الدنيا قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان من الناس من احتج لابي حنيفة رحمه الله فيمن حلف لا يا
فاكهة فاكل رمانا لا يحنث في يمينه لانه بهذه الاية فان الرمان والرطب ليسا من الفاكهة لانه عطفهما على الفاكهة والشي
لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره هذا هو ظاهر الكلام الا ان يقوم الدلالة على انفراده بالذكر فانه ان يخبر به
التعظيم وغيره كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال ونحوه والله اعلم قوله تعالى فيهن
خيرات حسان قيل خيرات الخلق وحسان الوجوه يقال امراة خيرة وخير ونسوة خيرات يقرا بالتثقيل والتخفيف
جميعا وعن ابن مسعود انه قال لكل زوج خيرة ولكل خيرة خيمة قوله تعالى حور مقصورات في الخيام قيل اي محبوسات
في الخيام لا يخرجن من الخيام واصله ما ذكرنا انهن محبوسات في الخيام لا ينظرن الى غير ازواجهن وقاصرات الطرف على
لا يرفعن بصرهن الى غير ازواجهن ولا يتمنين غيرهم والله اعلم قوله تعالى متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان
هو قراءة العامة بغير الف وعن عاصم الجحدري رفارف وعباقري وقيل الرفرف المجالس وقيل الوسائد وقيل الرياض
الخضر ويقال الخيام وقيل هو فضول الفرش والبسط واما العبقري فقيل هو الزرابي وهو بالفارسية النسخ
وقال ابو عبيدة العبقري الطنافس الثخان وقيل كل شي من البسط عبقري وقال القتبي وابو عوسجة العبقري
في غير القرآن يقال يحمل بعبقر وهي بلدة ينسب اليها قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قال
ابو بكر الاصم تعظم اسم ربك من ان يستحق غيره اسمه وقوله ذو الجلال اي يستحق على الخلق ان يجلوه ويعظموه
من ان يسموا غيره باسمه والاكرام هو ان يكرموه ان يصفوه بما لا يليق به من الولد والشريك ونحوه ثم قيل في فائدة تكرار
قوله فباي آلاء ربكما تكذبان في آلاء الله في السموات والارض تكذبان في الدلالة على وحدانية الله تعالى و
انشائها دلالة بانه خالقهم ومرسل رسله اليهم لتسالكم ما جاءتكم عنه وذلك ان جميع ما فيهما من النعم والطعام
والشراب على ما ذكرنا وذلك كما يقول الرجل لاخر على وجه الذكر حاليا فاطعمتك افتنكر هذا ام كسي
ضمانا فسقيتك فتنكر هذا ام عريانا فكسوتك فتنكر هذا ونحو ذلك وجائز ان يكون فائدة التكرار غير هذا وهو انه
خرج مخرج العظة والتذكير ومن شان الموعظة ان يكرر فيها التكرار والاعادة ليكون ابلغ واحل في القلوب واقرب الى القبول

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا وقعت الواقعة هذا مما لا يستقل
به الخطاب وانما هو جواب سؤال وخطاب لم يذكر فيحتمل ان يكون المؤمنون ذكروا كلاما التي وحكوا عن الاخرة فقال
لهم اولياء الكفرة متى يكون ذلك الذي تحكم فقالوا اذا وقعت الواقعة كما يسال الرجل متى يكون امر كذا فيقول اذا كان
كذا او هو حرف جواب لسؤاله وعلى هذا يخرج جميع ما ذكر في القرآن من هذا النوع من نحو قوله اذا زلزلت الارض زلزالها
ونحو ذلك فقوله الواقعة يحتمل ان يكون ما قبله اذا وقعت الموتة والعقوبة فتكون الواقعة كناية عنها ويحتمل
ان تكون الواقعة اسما من اسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك والله اعلم قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة
قال بعضهم اي ليس لوقعتها مثنوية ولا ارتداد يعني لا تحمل عليه فما كذب لها فيها رجع وقال بعضهم اي حتى ليست
وقال بعضهم اي لا يكذب بها احد اذا وقعت ليست كالايات التي ما يشوها في الدنيا وعرفوا انها ايات كذبوها
كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ونحو
ذلك يكذبونها مع العلم بانها ايات توحي حتى اذا عاينوا القيامة يقرون بها ويصدقون بها ولا يكذبونها كقوله فلما
راوه الحاضر الذي كانوا يعلمون تحمل ان يكون قوله ليس لوقعتها كاذبة اي ليست الانبيا والاخبار التي جاءت
عن وقوعها وقيامها كاذبة بل هي صادقة قوله تعالى خافضة رافعة قال بعضهم خافضة تسمع القريب رافعة
تسمع البعيد وقال صاحب هذا التاويل ان تفسير الواقعة هو الصيحة وتلك خافضة رافعة وقال بعضهم
خافضة اناسا في النار رافعة اناسا في الجنة ويحتمل خافضة اهل الكبر والتعظيم من الخلق ورافعة للمتواضع

الحق وما يقاد له وقبله وقيل خافضة لاهل النار في النار كقوله يوم يسحبون في النار ورافعة لاهل الجنة كقوله في مقعد صدق وقوله لهم قدم صدق عند ربهم وقوله عز وجل اذا رجت الارض رجا يخرج على التشبيه كانهم لما سمعوا وصف القيامة والواقعة من المؤمنين فقالوا عند ذلك متى يكون الواقعة فعند ذلك قال اذا رجت الارض رجا وهو كقوله اذا زلزلت الارض زلزالها فزلزلت حتى تلقي ما في بطنها وقوله تعالى وبست الجبال بسا قيل فتتت حتى يصير كالدقيق ومنه يقال السويق الملتوت والبسيسة سويق تلت بالزيت ويخلط به وقال بست الجبال اي سيرت تسييرا وقوله تعالى فكانت هباء منبثا قيل الهباء الذي يكون في وقت النار اذا اخمدت لا يكون غيره منبثا او منتشرا وقيل هباء منبثا اي ترابا منتشرا وقيل الهباء المنبث هو ما يطير من سنابك الخيل وقيل الهباء الغبار الذي تراه في الشمس اذا دخلت من الكوة فيخبر عن شدة ذلك اليوم وهوله انه يفعل بالجبال لو اعطي وطاعتها الله تعالى فكيف يفعل بكم يا بني آدم مع ضعفكم وكثرة معصيتكم والله اعلم وقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة اي اصنافا ثلثة والاصناف الثلثة ما فسر في سياقه فقال فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون الاية وقيل الاصناف الثلثة المكذبون والمحسنون والمؤمنون وقوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة يحتمل وجهين احدهما اصحاب الميمنة من اليمن واصحاب المشئمة من الشوم والثاني سمي اصحاب الميمنة لانهم اصحاب الطيبات واليمين هي التي تستعمل في الطيبات والكفرة اصحاب الشمال لانهم اصحاب الخبائث والشمال التي تستعمل في الخبائث وعلى ذلك قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه لان في كتبهم الطيبات والخيرات وفي كتب الكفرة الخبائث حيث يؤتى بشمالهم وقيل سموا اصحاب الميمنة والمشامة لما ذكر الله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقوله فاما من اوتي كتابه وراء ظهره فكذا فكل من اوتي كتابه بيمينه فهو من اصحاب اليمين ومن اوتي كتابه بشماله فهو من اصحاب المشامة وكذا قوله والسابقون السابقون يحتمل وجهين ايضا احدهما السابقون في الخيرات يسبقون الناس في كل خير والثاني السابقون في الاجابة لله ورسوله الى ما دعاهم اليه ويجوز ان يكون الخطاب به للناس كافة الاولين والاخرين فيكون الناس كلهم اصنافا ثلثة السابقون السابقون واصحاب اليمين واصحاب الشمال ويجوز ان يكون الخطاب بهذه الاية لهذه الامة خاصة ففيهم السابقون وفيهم اصحاب اليمين وهم اصحاب النظر في الحجج والايات والتامل فيها واصحاب الشمال وهم الكفرة ثم قوله فاصحاب الميمنة على التعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لهم وعلى التعظيم لاولئك لعظيم ما اعطيهم وكذلك قوله واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة يخرج على هذين الوجهين على التعجب والتعظيم بما يحل بهم وكذلك قوله والسابقون السابقون يخرج على هذا ايضا فلان يقال العرب فلان يقال فلان فلان على تعظيم امره وشانه فعلى هذا يخرج تاويله وكنتم ازواجا ثلثة يقول الصحابة في جملتهم الكفرة كانهم ملة واحدة لانه جعل اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم وادينهم زوجا واحدا واهل الاسلام زوجين حيث جعل لكل زوج ثلثة والله اعلم اولئك المقربون يحتمل ان يكون وصف التقرب لهم لسابقتهم في الخيرات في الدنيا ويحتمل انهم مقربون في الاخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات او في الاجابة والسبق فعلهم والتقرب لطف من الله تعالى وفضل منه والله اعلم وقوله تعالى في جنات النعيم جميع الجنان نعيم لانها فيها نعيم وله ان تسمى واحدة منها نعيما والاخرى عدنا والفردوس والماوى لما كان له ان يسمي ما شاء بما شاء وكيف شاء وقوله ثلة من الاولين وقليل من الاخرين اختلف في ذلك قال بعضهم اي ثلة من الاولين ثم شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منه وقليل من الاخرين ممن بعد من هذه الامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ومن ادرك زمانه وقلتهم من المقربين من الاخرين وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وعلى ذلك قوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل على ما يذكر والله اعلم منهم من قال ثلة من الاولين اي جماعة من المؤمنين الذين كانوا في الامم الماضية وقليل من الاخرين اي من هذه الامة وهكذا يكون لو اجتمع اهل الايمان من هذه الامة مع الامم الماضية يكون هؤلاء اقل منهم ويحتمل ايضا ان من المقربين من الامم الماضية اكثر من السابقين المقربين من هذه الامة لان الانبياء كلهم من الامم السالفة وقال اهل التاويل فلما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وجد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا وقالوا لن يدخل الجنة منا الا قليل فنزل قوله تعالى ثلة من الاخرين لكن هذا لا يحتمل لانه خبر في الاخبار نسخ وما قالوه من نسخ فالوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل قوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين اي جماعة من الاولين والاخرين جميعا اي جماعة كثيرة من الاولين وجماعة كثيرة من الاخرين ثم يحتمل ان يكون الاولين من هذه الامة ويحتمل ان يكون الاولون من الامم الماضية والاخرون من هذه الامة وهم المؤمنون وقوله

قليل

وقليل من الاخرين في المقربين خاصة والله اعلم وقوله تعالى على سرر موضونة وقال في اية اخرى على سرر مصفوفة والسرر قد يكون في الدنيا مصفوفة ولكن لا يكون موضونة اي منسوجة والوضن هو النسج يخبر انه لا يكون بينها في الاخرة انفصال ولا فرج كما يكون في الدنيا لكن موضون بعضها ببعض وقوله تعالى متكئين عليها اي على سرر التي ذكر انها مصفوفة موضونة وقوله تعالى متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا فلا يعرضون ولا ينظر بعضهم الى بعض ابصعا كما يفعل اهل المجالس في الدنيا يعرض بعضهم عن بعض ويحول بعضهم بعضا يخبر انهم يكونون في الاخرة خلاف ملوك الدنيا بحيث لا يتادى بعضهم من بعض بوجه وقوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون يخبر انهم يعطون في الجنة على ما يستحسن في الدنيا من الشرف وطواف الولدان ولذلك ما ذكر في السرر والفرش وغير ذلك من انواع ما يرغب انفسهم في الدنيا ثم ذكر انهم ولدان وان لم يكن في الجنة ولاد فيخرج على وجهين احدهما انه يكون على هيئة الولدان كان لم يولدوا او سمي ولدانا لاولادهم في الدنيا وان لم يولد في الجنة لانا لو ابقيناهم لحاجة البقاء واهل الجنة باقون وقوله مخلدون قال بعضهم اي المقرطون والخلد القرط وجمعه الخلدة وقال بعضهم هو من الخلود لقوله تعالى خالدين فيها اي باقون وقيل المسورون بالسوار وقوله تعالى باكواب واباريق قيل الاكواب هي الكيزان المدورة الرؤوس التي لا عرى لها والاباريق التي لها عرى وخراطيم ويجوز ان يكون الاكواب الاقداح التي يشربون بها لان في الدنيا يكون لاهل الشراب الاباريق والاقداح يصبون من الاباريق في القدح ويشربون منه لا يشربون من الاباريق فعلى ذلك وعد في الجنة وقوله تعالى وكاس من معين الكاس هو القدح المملوء من الشراب واما المعين قال بعضهم هو الظاهر من الماء الذي يقع عليه البصر لان اهل الدنيا يستحبون شرب الشراب الذي يقع عليه البصر وعد لاهل الجنة ذلك والله اعلم وقوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون قرئ بكسر الزاء ونصبها ولا يصدع خمورهم في الجنة ولا يسكرهم كما يصدع خمور الدنيا اهلها ويسكرهم ولا ينزفون قيل بكسر الزاء لا ينفد شرابهم وبالفتح لا يسكرون فانه يصح خمورهم من الافات التي تكون في خمور هذه الاثمة التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل او الصداع والنفاد وقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون جميع فواكه الجنة مختلفة لكن يخرج على وجهين احدهما ان جميع فواكهها مما يتخير والثاني اذا العرف في الفواكه ان يقدم من اجناس مختلفة الوان لا من لون واحد ونوع واحد فيتخيرون من اي لون اشتهوا وشاؤوا وقوله ولحم طير مما يشتهون اي اهل الجنة انما يتناولون على الشهوة لا على الحاجة لان ما يؤكل على الشهوة يكون اكله على اللذة وما يتناول للحاجة يكون لدفع الحاجة وسد الجوع وهو ما ذكر وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون يحتمل تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين احدهما انه شبههن بما هو اصفى من اللؤلؤ والياقوت فضرب مثلهن لذلك لصفائه وبياضه والا ما خطر اللؤلؤ حتى يشبه الموعود في الجنة من الحور وان كان اللؤلؤ والياقوت فضل قدر ومنزلة عند العرب ليس لذلك الخطر لغيره من الاشياء فيشبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس ذلك لغيره وهو كقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء ضرب مثل من يشرك بالله بالذي خر من السماء والشرك بالله اعظم مما ذكر لكن ليس شيء اعظم وابعد عندهم مما ذكر من الخرور من السماء فشبه به وان كان الشرك اعظم وابعد من الخرور من السماء فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون ان الله تعالى ذكر الاعمال للعباد حتى كانهم عملوا له فضلا منه وكرما في جعل ما ذكر وان كانوا في الحقيقة عاملين لانفسهم كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية ولذلك ما ذكر شراء انفسهم واموالهم منهم وما ذكر من الاقراض بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا وان كانت انفسهم واموالهم له ولكن عامل معاملة في انفسهم واموالهم كانها ليست له فضلا وكرما على ذلك ذكر الاعمال لهم حتى كانهم الى الله تعالى صنع واحسانا وان كانوا عاملين لانفسهم ومنافع اعمالهم ترجع اليهم بفضله وكرمه والله اعلم وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما فهذا يرجع الى وصف خمور اهل الجنة انه ليس فيها الاوصاف التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل وقول اللغو والهذيان على اهل الدنيا حين يشربون الخمر وما يأثمون به وذكر لهم الخمور في الجنة لان قوما يرغبون في الخمر في الدنيا عد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها بالامتناع عن شربها في الدنيا من الخمور المحرمة والله اعلم وقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما يخرج هذا على وجهين احدهما الا كلاما فيه سلامة عن جميع الافات التي ذكر والثاني الا قيلا سلاما سلاما اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام كقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود الاية اصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا ثم اختلف في ذكر السدر لهم وما ذكر من الطلح وغير ذلك فمنهم من قال انما ذكر لهم تفضيل المقربين على اصحاب اليمين لانه قال في المقربين السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم الى اخر ما ذكر من عظيم الكرامات التي ذكر لهم ثم ذكر لاصحاب اليمين دون ذلك

ليعلم تفضيل المقربين على اصحاب اليمين ومنهم من قال ان قوما من العرب سيقعون بذلك لان ثمرة كثير لسدر
ثمرته وطلحها شوك فاخبر تعالى انه في الجنة ذلك بلا شوك ولا اذى بل يرغب فيه وهو كما وعدهم من الحور
ثم نفى عن حورها الآفات فعلى هذا الجانب انه كون سدر يسدرنها بمنزلة والله اعلم وقوله تعالى وطلح منضود
منهم من قال هو طلح منضود متراكم كما ذكر في آية اخرى مفعول وذلك حجارة في العقبة وقيل طلح الحادر هو الموز
ان عليا رضي الله عنه سمع قارئا وطلح منضود فقال ما شأن الطلح انما هو طلع نضيد فقيل له ان في المصحف وطلح قال
الا تعرفها الآن المصحف لا يغير اليوم وهذا يايد تأويل الاول وقال ابو معاذ الطلح في كلام العرب شجر عظام
كثير الاغصان واحدها طلحة وقوله مخضود اي مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك ومعنى
مثل المسالكم في سدر الحرم لا تعضد شوكها ولا يعضد شجرها وقوله وظل ممدود تصف انه ليس فيها شمس تؤذي
حرها ولا برد تؤذي بل ظل لان الظل شيء لطيف لا اذى فيه ولا شيء يثقل على الابدان بل هو شيء يوافق البدن ويخف
قلبه وقيل ممدود دائم لا شمس فيها فتنسخه والشمس تنسخ الظل ههنا وظل الآخرة ممدود ابدا وقوله تعالى وماء
مسكوب قيل جار غير منقطع وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة اي مصبوب والاول كانه اقرب في صار الى القرب
الدنيا الان يراد بالعضا وصبغ الاعلى الى الاسفل في ذلك ما يرغب الناس في الدنيا ثم قوله وماء مسكوب يحتمل
ان يكون ذكر هذا لاصحاب اليمين وما ذكر من قوله عينا يشرب بها عباد الله ومزاجه من تسنيم يكون للمقربين
قوله عينا يشرب بها عباد الله قوله لاصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم ولذلك ما ذكر من جنات تجري من تحتها
الانهار للمقربين يكونون في العليين فيكون الانهار تحتهم وماء ينسكب وينصب من الاعلى لاصحاب اليمين
لانهم يكونون دونهم في الدرجة والله اعلم وقوله وفاكهة كثيرة لا مقطوعة كما ينقطع فواكه الدنيا في
انها لا ينقطع في الجنة في وقت من الاوقات وانها كلما قطعت خرجت اخرى مكانها تهيأ للاكل من غير ان يخرج
الى وقت النضج كما في الدنيا ينقطع من وقت خروجها الى وقت نضجها وبعد النضج لا ادراك ينقطع الى وقت
وجود حمل اخر وقوله تعالى ولا ممنوعة اي لا آفة بها تحضرها ممنوعة كما في الدنيا اذ هي ربما تمنع بآفة وتصيبها
وقال القتبي وابو عوسجة لا مقطوعة اي لا يخرج ينقطع ولا ممنوعة كما يمنع في الدنيا بعضهم من بعض وقوله وفرش
مرفوعة اي مرفوعة القدر والمنزلة او مرفوعة نفسها في العلية وهو ما ذكرنا في قوله والسماء رفعها وقيل فرش
مرفوعة النساء كما قال امرأة فرش ونساء فرش وقوله تعالى انا انشأناهن انشاء قال الاصم وغيره ان هذه صلة
قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون كانه قال الحور انشأناهن وقال القتبي انه لما ذكر على اثر قوله وفرش مرفوعة انا انشأناهن
دل على ان الفرش كنا به عن الازواج اذ هن اللواتي يفرشن ويحتمل الفرش فرش وقيل استفرش ما شاء الله ذا
الفعل فالاشبه ان يكون هذا صلة قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون اذ ذكر في قوله وحور عين على
اثر المجالس والدرجات لا معنى لذكرهن في هذا الموضع ثم قوله انا انشأناهن انشاء اي انشأناهن في الابتداء
على جهة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا وهو كما ذكرنا في قوله وصفنا الفاكهة انها غير مقطوعة ولا ممنوعة اي انها
يخرج اولها يخرج على جهة الاكل لا كثمار الدنيا وقوله تعالى فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قيل اي خلقنا
هن لذلك تكون ابكارا لذلك كلما ذهبت عذرتهن عادت فيكون ابدا على تلك الحالة لا انهن كن هكذا والله اعلم
وقال العامة اهل التأويل في قوله انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا او خلقنا نساء الدنيا من البنات
والاذكار خلقا جديدا سوى الخلق الذي كان في الدنيا فجعلناهن ابكارا وكن في الدنيا عجائز والنساء
وروي على ذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في قوله انا انشأناهن انشاء الثيب والبكر
وفي بعض الاخبار ان العجوز لا يدخل الجنة ثم تلا قوله انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا ومن قال هذا
صلة قوله وحور عين هو ليس بنساء الدنيا والله اعلم وقوله تعالى عربا اترابا بجزم الراء مخففة ومضمومة
قال ابو عبيد هما لغتان جميعا احدهما التخفيم والثاني انها اقيس في العربية لان واحدها عروب وهي
مثل صبور وصبر وشكور وشكر واما الوجه الاخر التخفيف وقيل في تأويله عربا عاشقا لازواجهن
وقال ابو عوسجة العروب المحبة قال القتبي هي المحبة الى زوجها وقيل الغنجة لازواجهن وقيل ان اهل
مكة تسميها العربة واهل المدينة الغنجة واهل العراق الشكلة وقال سعيد بن جبير يكل يشتعين
هي التي تعرض للزوج من الشهوة ويقال للناقة اذا اشتهت الضراب ضبعة وقوله اترابا اي مستويات الاسنان
وقال القتبي الترب واللدة واحدة وهي بالفارسية همزاد واصله انهن نشبن الاولاد يتقدم تاخر كما
في الدنيا يتفاضلن في الاسنان فصرن في الاخرة اترابا ثم قال ثلة من الاولين قد ذكرنا تأويله انه يخرج على
الوجهين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هما جميعا من امتي وذلك
قوله ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وقوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وذكر في اصحاب اليمين

من التعجب واصحاب اليمين عما لهم بما يعطيهم من انواع النعم وذكر على اثر ما اوعدهم من العذاب والهوان بقوله
في سموم وحميم الآية ثم ذكر في اول السورة ما اصحاب الميمنة والمشأمة ولم يذكر لهم الثواب ولا العذاب وذلك
والله اعلم لان في ذكر الميمنة المشأمة دلالة ما لهم لان الميمنة من اليمن والمشأمة من الشؤم فيعني ذكره ان ما للمؤمن
الكرامة وما للاولئك من العقوبات فلم يبين في ذكر اليمين والشمال بيانا العقاب فذكر على اثر ذلك ليعرف ما لكل
فريق من الجزاء والله اعلم وقوله تعالى في سموم وحميم قيل السموم هو ريح حمئة والحميم هو الذي قد انتهى حره غايته
وقيل السموم هو اشد الريح وقيل هو ريح باردة وقيل ريح حارة واصله انه لما اصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند
ذلك يشربون الحميم رجاء ان يسكن عطشهم ويذهب ذلك عنهم ولا يزداد لهم بذلك الا شدة عطش
على ما كان والله اعلم وقوله تعالى وظل من يحموم قيل هو دخان اسود وقال بعضهم اليحموم وقال ابو بكر الظل من
قبل اليحموم بجانب ان الظل الذي ذكر ههنا يحتمل ان يكون هو الظل الذي ذكر في قوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
لا ظليل ولا يغني من اللهب اي يحتمل ان لهم ظلال من النار وقيل هو السرادق من النار وقوله تعالى لا بارد ولا كريم لا انه من النار ولا كريم
لانه يلوثهم ليس بالكريم وقال الحسن وقتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين
او هذا الخبر لهم لانهم كانوا يتقلبون في الدنيا في اكثر الاموال والنعم الغن بعضهم وانما قال ذلك للمترفين دون
السفلة لان الاتباع لقوله تعالى الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم
اختلف فيه قال بعضهم كانوا يصرون على الحنث وعلى الاثم العظيم وهو الشرك وقال الحسن الحنث العظيم الكبائر والاصرار
على الادامة عليها وقال بعضهم يصرون على انفسهم ويقسمون ويحنثون فيه كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت اقسموا انهم لا يبعثون ثم حنثوا في ذلك لانه تعالى اخبر انهم يبعثون بخبث قال الله وقيل كلما بيحنثوا ويحتمل
ان يكون تسميتهم ما ذكر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وترى لو جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم لئن يعلم يكونوا اهدى ثم لما جاءهم الآية فلم يؤمنوا بها لحنثوا فيها فان كان تسميتهم بانهم لا يبعثون يحنثوا حنث
وانهم من اليمين لانهم لا يستوون في ذلك ففيه دلالة مقصة مذهب اصحابنا ان من حلف ليمس السماء انه يحنث عند فراقه من
اليمين وقوله تعالى وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قال هذا القول على الاستهزاء
او الاستبعاد للبعث الا ترى انه اجابهم فقال قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم قوله
ان الاولين والآخرين في التخليق صحيح بين الاولين والآخرين في التخليق بحيث خلق الآخرين على اثر الاولين والآ
يجمعون بعثه كما قال المجموعون اذ لا اخرة لم يكون مخلوق الا بعد ان اذ يجمعون في الارض اليه في القبور الى ميقات يوم
معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي الضالون المكذبون بآيات الله الدالة على توحيده ورسله والبعث
وقوله لآكلون من شجر من زقوم اخبر ان المكذبين يكونون لآكلين من شجر الزقوم فيكون كما اخبر شجرة الزقوم وهي التي ذكر
انها تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين وقد ذكرنا تأويلها في موضعه وقوله تعالى فمالئون منها
البطون يخبر انه ليس لهم مما يأكلون ويشربون الا امتلاء البطون لا ينفعهم ما يأكلون من زقوم ومن الجوع
ولا ما يشربون من الحميم العطش يعني انه لا يكاد يدفع عنهم بذلك جوعا وعطشا والله اعلم وقوله تعالى فشاربون
عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم قيل الهيم هو الابل يأخذه الداء فيشرب حتى يملأ البطن فلا يروى ابدا الذي
به فعلى ذلك اهل النار كانوا يأكلون حتى يملأ بطونهم فلا يروى ولا يشبعون والله اعلم وقيل الهيم الابل
يهيم في الارض على لا يراد الكلام اي ما لم يرد فيشرب فيملأ بطنه حتى يملأ الامساك البطن وهو قول الاصم وقوله تعالى
هذا نزلهم يوم الدين اي الذي ذكرنا وهم ورزقهم يوم الدين وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون هذا
يخرج على وجهين احدهما يقول لهم الله فلم لا تصدقون في قوله فانا خلقناكم في الابتداء فهلا صدقتمونا ورسلنا
بانا نعيدكم تارة اخرى اذ لا عجوبة في ابتداء الانشاء اكثر منها في الاعادة وهو ما قال وهو اهون عليه وكما
انكم صدقتمونا ورسلي انا انشأناكم في بطون امهاتكم في ظلمات الثلاث وتحويلكم من حال الى حال الا يحتمل ان يترككم
سدى بلا عاقبة فكيف في اثبات البعث اذ لولا ذلك لكان خلقهم وتحويلهم من حال الى حال عبثا كما قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا والله اعلم وقوله تعالى افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون قد علموا انهم
لم يخلقوا ما تمنون ولا خلقوا انفسهم فيقول لهم الله اهل عدلوا بتم انكم لم تخلقوا ما امنيتم ولا انفسكم ولا تملكون
ذلك فعرفتم ان الله تعالى هو خالقكم وخالق ذلك كله وهو المالك لذلك فلم عبدتم دونه وانتم اهل تمييز وكل
شيء الا من عبد غير فاذا لم يملكوا خلق انفسكم فالذين هم دونكم احرى ان لا يملكون خلق انفسكم وخلق ما ذكر بعدما
تعالى هو خالق ذلك كله فكيف عبدتم غيره وصرفتم الالوهية الى غيره وقوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت
يحتمل وجهين احدهما انما كان هو الذي خلقكم وما ذكرتم قدر بينكم الموت فيكم الولي والعدو وقد سوى
في ذلك بين الولي والعدو وفي الحكمة التفريق بينهما دل انه هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والثاني نحن قدرنا

بينكم الموت اي الاجل والوقت اي لم نجعل موت جميعكم في وقت واحد بل نجعل متفاوتا ثم جعل لكل الاصل ان يزيد
ان يكون مدة اجل هذا اكثر من مدة اجل الاخر وقيل نحن قدرنا بينكم الموت اي سوينا بينكم في الموت بين عزيزكم
وذليلكم وقويكم وضعيفكم وشريفكم ووضيعكم لانكم احد منه وتحتمل وجها اخر هو اولى به وهو انه لما قدر بينكم الموت
وكل واحد منكم يكره الموت ثم لم تملكوه دفع الموت عن انفسكم دل انه قادر على ما اراد وانه يجب القول له
والانقياد لاوامره ونواهيه وقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي وما نحن بمغلوبين على تبديل
امثالكم او يقول لهم ما نحن بعاجزين على ان نبدل امثالكم وقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون قال ابو بكر الاصم و
ننشئكم فيما لا تعلمون من تبديلكم الى صورة ذميمة قبيحة كصورة القردة والخنازير ونحوها وقيل ننشئكم
فيما لا تعلمون بان اخلق نشأة وهو قريب من الاول ويحتمل ان يكون معناه وننشئكم فيما لا تعلمون وقتها
تلك النشأة التي لا يبلغ علم البشر ولا تدبير الحكماء الى ان يبلغوا ما بلغوا من ذلك خلق لا يحتمل ان يخرج عن …
والله اعلم وقوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فهو على ما ذكرنا انكم لما عرفتم انه هو الذي انشأكم النشأة الاولى
لا عن اصل سبق لا يحتمل ان يعجز عن النشأة الاخرة لانها اسهل من الاولى بل هي وهكذا اسهل … وقوله تعالى
فلولا تذكرون يخرج على ما ذكرنا هلا تذكرون توحيده وربوبيته او هلا تذكرون انه قادر على البعث او انه
انه هو المستوجب بشكر ما انعم عليكم او هلا تذكرون نعمه واحسانه … وقال النشأة الاولى
هو نشأة ادم عليه السلام وخلقه او علمتم نشأته لا من اصل ولا احتذاء بغير شيء فقدر على ذلك فهو لنشأتكم
لقادر على تقديره هكذا قد بيناه والله الموفق وقوله تعالى افرأيتم ما تحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون يحتمل
ان يكون هذه الاية مما تقدم من قوله افرأيتم ما تمنون كانه يقول افرأيتم ما تحرثون أانتم تخلقون الزرع ام نحن
الخالقون ثم فيكون فيه الذي ذكرنا في ذلك والله اعلم وقال اهل التاويل افرأيتم ما تحرثون أانتم جعلتم الحرث بحيث ينبت
ام نحن الجاعلوه بحيث ينبت ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما اي يابسا وقال ابو عوسجة اي متكسرا يذكر نعمه
التي انعمها عليهم يقول ان الذي جعله بحيث ينتفع ويبقى لو نشاء لجعله بحيث لا ينتفع به او يخبر عن
قدرته انه قادر على الانبات وعلى الاهلاك يخبر ان ذلك قادر على الانشاء والاعادة وقال اهل التاويل يقول
افرأيتم ما تحرثون أانتم تزرعونه ام نحن الزارعون اي انتم تنبتونه ام نحن المنبتون فاصله ما ذكرنا وقوله
فظلتم تفكهون قيل تعجبون وقيل تندمون وهي لغة … وقال ابو بكر الاصم يقول ثم تشتغلون
كما يقول الرجل للاخر لو احدث مالك او سلب … او استعتب ولكن الذي … كان الامر
كان يقال ذلك بحضرته بعدما كان يتلذذ بكثرته فتذكر في كل وقت لان الرجل اذا ذهب ماله يذكره كالتلذذ
به والتنعم وعن ابن عباس رضي الله عنهما فظلتم تفكهون اي تلاومون وفي حرف ابن مسعود فظلتم تفكهون …
تستعمل … في زمان النهار دون الليل وقوله تعالى انا لمغرمون بل نحن محرومون اي فظلتم تقولون انا لمغرمون
ثم اختلف فيه قيل انا لمعذبون يقول انه ذهب بها كان غراما وقيل انا لمدينون الملقون بالشر ونحن …
من الغرم الظاهر لان من يحصل خسر نفقة ماله وهلاك … الغرامة لما يحتاج الى غرم واصله كانه يقول والله اعلم
لو جعله حطاما يابسا لا ينتفعون به ظللتم تقولون انا لمغرمون وقوله بل نحن محرومون قيل المحروم هو الذي
يمنع منه المال وما ينتفع به وقال بعضهم مجدودون وقيل مجارفون لكن المحروم ظاهره لا يحتاج الى التفسير
والله اعلم وقوله عز وجل افرأيتم الماء الذي تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون يذكر نعمه عليهم ان انزل
لهم من الماء العذب فيشربون منه فاخبر انه لو شاء جعله اجاجا ما يملك … الا نفسه ولا يقومه ولذلك قوله لو نشاء
لجعلناه اجاجا حتى يخرج من ان يكون عذبا … ولكن بفضله ورحمته انعم عليهم …
قال في اخر فلولا تشكرون اي هلا تشكرون ما انعم عليكم ثم هذه الايات دلالة نقض قول المعتزلة
في افعال العباد حيث قال افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وانما هو فعل العبد اذ هو في
المني ثم اخبر انه هو خالق ذلك حيث قال أانتم تخلقونه وكذلك الحراثة والزراعة فعل العباد واخبر انه خالق
وفي قوله لو نشاء لجعلناه حطاما او اجاجا نقض قولهم في الاصلح فانه يقال لهم ان قوله لو نشاء لجعلناه
حطاما او اجاجا لا يخلو اما ان يكون الاصلح لهم تركه فاذا كان لو شاء الجعل كان ما لم يفعل …
ترك الاصلح لهم ويكون الاصلح لهم في انفاذ ذلك … قال لو نشاء الجعل لما هو حق وعدل وجود …
ان يقال الا انه تعالى لو نشاء ان يجوز … فعل … الوجهين جميعا … ذلك نقض مذهبهم وفي قوله نحن قدرنا
بينكم الموت نقض قولهم ان المقتول لم يمت باجله لانه تعالى اخبر انه قدر الموت بينهم وعندهم ان من قتل
لم يمت بما قدر الله تعالى ولم يمت باجله وقد اخبر انه هو قدر ذلك فدل انه لا يستقيم … لقولهم …
ولو كان على ما يقول المعتزلة ان المقتول يموت قبل اجله حقيقة لكان انه لم يقدر الموت وكان القاتل قد …

ومنهم

ومنهم من يعطى ما جعل له من الاجل والبلوغ الى ذلك الاجل الذي جعل له وكذا في خبره انه يبلغ الى ذلك الاجل
والله الموفق ثم قوله أانتم انزلتموه من المزن اختلف في تاويل المزن قال بعض اهل التاويل واهل الادب المزن هو السحاب
وقال ابو بكر الاصم المزن هو الماء العذب فعلى قوله يكون حرف من صلة كانه قال أانتم انزلتم المزن والماء
الظاهر مما ذهب اليه اولئك انه ينزل من السحاب والله اعلم وقوله تعالى افرأيتم النار التي تورون وقال بعضهم يقدحون
يقال قدحت النار واوريتها اي اخرجتها يقال اوريت النار وريت بها وريا وقوله تعالى أانتم انشأتم شجرتها
ام نحن المنشئون قيل هي الشجرة التي تجعل حطبا يوقد بها النار ويحرق وقيل هي الشجرة التي منها النار وهي
التي يتخذ منها الزنود والله اعلم بها وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة قال بعض اهل التاويل
جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهي نار الاخرة ويحتمل ان يكون قوله نحن جعلناها اي هذه النعم الحاضرة
تذكرة للنعم الموعودة وجعلنا هذه الشدائد … في الدنيا تذكرة لما اوعدنا في الاخرة والله اعلم وقوله تعالى
ومتاعا للمقوين قال اهل التاويل متاعا للمسافرين يخص المسافرين لنزولهم القوى وهو القفر وهو قول
وقيل المقوي المستمتع وقال ابو عوسجة المقوي الذي لا زاد له وقيل الذي يقع في ارض قواء والقواء الخالية
من الناس وقال ابو عبيدة كان الذي لا زاد معه اولى بالنار … لا يحتاج الظاهر الذي معه الزاد بل صاحب الزاد اليها
احوج ويقال الرجل مقوي اذا كانت معه ظهرة مقوية وقوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم حكي عن الحسن
انه قرأها بموقع على الجمع وبه اخذ ابو عبيد وقال بعض اهل التاويل … على منازل القرآن وبعضهم
مغايبها الكواكب ومساقطها قال ابو عوسجة … ثم اختلف في قوله فلا اقسم منهم
من قال لا حرف هاهنا صلة كانه قال اقسم بمواقع النجوم وذلك جائز في اللغة كقوله ما منعك ان لا تسجد ويحتمل
ان يكون على الصلة والزيادة على التوكيد ومنهم من قال على اثبات حرف لا لكنه جعل ذكر رد … كان من اولئك الكفرة
ولذا … كانت منهم … ذلك كانت معروفة بينهم فرد ذلك بقوله لا ثم ابتدا القسم فقال
اقسم كانه قال لا ثم ابتدا … بمواقع النجوم ثم اختلف في تاويل قوله بمواقع النجوم على الوجهين اللذين ذكرناهما
قال بعضهم بمواقع النجوم اي بمواقع نزول القرآن نجوما ودليله ما ذكر على اثره انه لقرآن كريم في كتاب مكنون وكانه
بمواقع النجوم المعروفة على ما قال بعضهم … فالقسم بها يقع على وجوه احدها … تعظيم موقع
النجوم ومحلها في القلوب وجليل قدرها عند الناس حتى يجعلها … مدبرة العالم او كثرة منافع
الخلق بها من معرفة الطرق بها في السبل … من الابنية … ومعرفة الاوقات … وغيرها مما يكثر
ذكرها او بمواقع النجوم او مساقطها … اخبار … النجوم … الخلق بحيث
يمكن قطع مسيرة خمسمائة عام في ساعة واحدة او اقل … ما لا … قطع ذلك … الارواح
والاجنحة التي هي اسرع لقطع المسافات والوصول الى مقاصدها والله اعلم ثم قال اهل التاويل باجمعهم
بان القسم بها من الله تعالى وجائز ان يكون القسم بذلك من الرسول لكن اضاف الى نفسه تعليما منه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقسم برب هذه الاشياء ولذلك تعليم لغيره من الرسل القسم بهذه الاشياء
لئلا يقع التنازع بينهم وبين الله تعالى في القسم انما وضع القسم لتاكيد الخبر عند الانكار والتنازع ولكن
التنازع فيما بينهم وبين الرسل عليهم السلام ولذلك ما ذكر في قوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب يخرج
ولكن من الرسول اذ لا يحتمل ان يكون الرب جل وعز هو المقسم فيقول برب المشارق فظاهره ان يكون الرسول
هو المقسم بها فعلى ذلك الاول والله اعلم ومن الناس من قال ان الاقسام التي جرى ذكرها في القرآن بالاشياء
التي ذكرها لم يكن القسم لان الاقسام فيما جرى اكثرها في ايجاب البعث والتوحيد واثبات الرسالة
ونحوها وما جرى ذكرها لم يكن القسم بها كان يوجب ما يوجب القسم لان في هذه الاشياء دلالات
على البعث والتوحيد والرسالة والله الموفق وقوله تعالى انه لقرآن كريم على قول من يجعل القسم بالقرآن فهو
ظاهر يقول انه لقرآن كريم … اقسم به وان … هو كريم وعلى التاويل الذي يجعل القسم بالنجوم المعروفة
يجعل قوله انه لقرآن كريم ابتداء وفيه تسمية القرآن كريما يخرج على وجوه احدها وصفه بالكرم بما هو محل
لقضاء الحوائج الدنيوية والاخروية وفي المرجا كريم من يقضي … والثاني … قضاء حوائج الخلق والقيام
لاصلاحها او وصفه بالكريم لان من تبعه كرم وشرف وكريم عند الله عظيم لذلك وصفه بالكريم والله اعلم
وقوله تعالى في كتاب مكنون قال اهل التاويل في اللوح المحفوظ سماه مكنونا لانه مستور عن خلقه
عند الله وقال لا يمسه الا المطهرون يقول لا يمس ذلك الا المطهرون وقال بعضهم هم الملائكة الذين يجري
ذلك على ايديهم كقوله تعالى بايدي سفرة كرام بررة طهروا من الذنوب والاثام وكان يذكر هذا …
هذا الكتاب وتبديله هو ما قال على اثره تنزيل من رب العالمين انه مكنون عن تحريفه وتبديله وانه لا يمسه

الا المطهرون من الذنوب والتحريف ثم وصف سبحانه تنزيل من رب العالمين وهو ما ذكر في آية اخرى نزل به الروح الامين
على قلبك وقال علمه شديد القوى اخبر ان الذي نزل به من السما امين لا يكون منه التحريف ولا التبديل وانه من
لا يقدر احد من جن او انس احدثه من يديه ولا تحريفه بما تمام الامر بقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وكل حفظه الى نفسه لا الى احد من خلقه فصار محفوظا عن التبديل والتحريف والله اعلم قوله تعالى افبهذا الحديث
انتم مدهنون قال بعضهم افبهذا القرآن انتم كافرون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والله تعالى جعل هذا القرآن حياة
الدين وقواما والرزق حياة الابدان والانفس وبيانه قوامهما وله في الاخرين جميعا اما بحياة الدين او الابدان جميعا
ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه احدها ما ذكر اهل التاويل انهم كانوا يقولون رزقنا بنوء كذا كانوا ينسبون
الرزق الى ذلك النوء فهذا يخرج على قول المنجمة ان النجوم هي مدبرة العالم واراد انهم لا يجعلون نوء ذلك تدبيرا فاما
من ينسب الرزق الى الله تعالى ويقول رزقنا الله بنوء كذا فليس في ذلك تكذيبا ثم يخرج ذكر النوء ذكر سبب من الاسباب
التي يرزقنا الله تعالى بها فلذلك من راى الرزق من الاسباب خاصة واما من يقول رزقنا الله تعالى بسبب كذا فذلك
القول به وقال بعضهم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي تجعلون شكر الرزق التكذيب وبه قال ابو عبيد
ان يكون تكذيبهم الرزق صرف تسمية الالوهية الى غير الذي رزقهم وكعبادة لغيره حيث كفاه والله اعلم وقال
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون بئسما اخذ القوم لانفسهم حتى لم يرزقوا من كتاب الله تعالى الا التكذيب فقوله
حظكم من القرآن التكذيب فيجعل هذه الآية مع الآية الاولى افبهذا الحديث انتم مدهنون وقال ابو بكر الاصم
في هذه الآية وتجعلون رزقكم وهو هذا القرآن الذي خصكم به دونها اياكم ورزقتم به ما لم يرزق اباؤكم فشرتم
حظكم بكذبون ان ذلك الرزق الذي خصصتم به ورزقتم وكان ذلك نحو وهو كقوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
وقال في قوله افبهذا الحديث انتم مدهنون عن الذي تخالفونه وتحتالون في دفع حجته ما يلين صوره عليه
او كلام نحوه يشبه معناه هذا والله اعلم وقال ابو معاذ مدهن ومداهن لغتان ثم اصل المداهنة والمداراة
كان المداهنة لطمع له فيه يخادعه حتى يصل الى ما يطمع والمداراة للشفقة يداريه اشفاقا عليه ليحقق عنده الحق ليسلم
له دينه والاول فاهما في الظاهر واحد وهو الملاينة وخفض الجناح لكن الفرق بينهما ما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام ثم يشبه ان يكون
صلته ما قال الذين كفروا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فقال الله تعالى لهم وكانوا لو صدقكم لم يموتوا فيم تقبلون
على ما زعمتم فهلا اذا كانوا عندكم فبلغت الارواح الحلقوم فترجعوها ويردوها الى الاجساد التي كانت لو كنتم صادقين
في قولكم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا الاية على هذا الحال انه يخرج تاويل الاية والله اعلم وانتم حينئذ تنظرون
يخرج على وجهين احدهما ينظرون اي ينتظرون خروج الروح انها متى تخرج لا يملكون ردها الى الجسد كانت ولكن
ينظرون وتحيرون متى تخرج والثاني وانتم حينئذ تنظرون على حقيقة النظر اي تنظرون الى سلطاني وقيد
وقيل هو من الانتظار اي تنتظرون ان يحل بكم الموت وهو ما ذكرنا وجائز ان يكون قوله وانتم حينئذ تنظرون
لانهم كانوا يعبدون هذه الاصنام رجاء ان تشفع لهم في ضيق الحال لكانما يضيق عليهم الامر عند حلول الموت
بهم ان لا تغيث عندهم فيقول فلولا اذا بلغت الارواح الحلقوم فتشفع لهم الاصنام التي يعبدونها وترد الارواح
الى المكان الذي كانت فيه فاذا لم يملك ذلك فكيف تعبدونها والله اعلم قوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون وقال بعض اهل التاويل ونحن اقرب اليه منكم اي ملائكتي ورسلي في ذلك الوقت اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرونها الملائكة لكن اضاف الى نفسه لما ان الملائكة بامره وتسليطه يعملون فقيل نحن اقرب اليه منكم
اي اولى به منكم في ذلك الوقت لما يعلم من حاله ويتبين له الحق في ذلك الوقت عن الباطل ولكن لا تبصرون انتم
لا تعلمون ذلك والله اعلم قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين قال بعضهم غير مدينين
اي لو كنتم غير مملوكين لله تعالى على ما زعمتم ترجعون الارواح وتبعثونها الى الاجساد التي كانت فيها ان كنتم صادقين
مملوكين فاذ كنتم عندكم غير مملوكين تكونون مالكين اذ ليس الا المملوك والمالك فاذا لم يكونوا مملوكين يكونون
مالكين فليكون ردها الى ما فيها فاذا لم يملكوا كنتم مملوكين والله اعلم وقال بعضهم غير مدينين اي غير محاسبين
ولا مجزيين ولا مبعوثين من قولك كما تدين تدان ثم لذلك الذين يتقلبون في الحشر وانه يخرج على التسعينهم لقوله
تحقيق سفههم من وجهين احدهما يقول والله اعلم ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين وانشاة الاولى لكم فاعيدوا
بانفسكم حتى يكون النشاة الاولى حكمة اذ لم علمكم ردوا هذه الارواح الى الانفس ولجعلوا النشاة لا لعلة لغيره
يكون النشاة الاخرى حتى يكون النشاة الاولى حكمة والله اعلم قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم الى اخره اختلف في وقت ما ذكر من ذلك قال بعضهم ان ذلك يقال لهم عند الموت نساوه لهم ما يكون
لهم في الجنة ومنهم من يقول انما يقال لهم ذلك اذا دخل هو لكذا الجنة ولولك النار اعني الكافرين وهو ما ذكرنا ان كان

من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وجائز ان يكون يقال لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
محلهم عنده في الجنة ومكانهم لديه عما كانوا عنده في الدنيا السابقون كانوا في الدنيا المقربون عنده ومكانهم لديه
اقرب من مكان غيرهم من المؤمنين فعلى ذلك يخبر السابقين في الاجابة يكونون في الاخرة عنده اقرب ويكون لهم روح
وريحان اي سيتانس هو بهم ويستانسون به لا يفارقونه ولا يفارقهم على ما كانوا في الدنيا وسائر المؤمنين يسلمون
عليه في الاخرة بعضهم على ما ذكر فسلام لك من اصحاب اليمين على ما كانوا يفعلون في الدنيا وهو اوجه من الوجهين اللذين ذكرناهما
ويحتمل ما ذكرنا من البشارة عند الموت على المؤمنين والكافرين تخصيص المؤمنين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
واما ان كان من اصحاب اليمين كذا وفي حق الكفرة واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم الاية ويحتمل ما ذكر
بعضهم ان ذلك يقال لهم بعدما دخل اهل الجنة الجنة واصحاب النار النار والله اعلم وقوله فروح وريحان وجنة نعيم
اختلف في تلاوته اما تلاوته روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الحرف
فروح وريحان يعني بضم الراء وعن الحسن انه قرأها بالضم ايضا وعن اصحاب الفتح لكنه وعليه جميع القراء فقال ابو عبيدة
كراهتنا لمخالفة الائمة والا ما قراتها الا بالضم ولكن لا احد احد عليها اذا استوحش من مفارقة الناس ولا يجمع الله تعالى امة
محمد عليه السلام على الضلالة واما تاويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال الروح الرحمة والريحان [illegible] وعن ابي
قال بالرفع من الحياة والبقاء وعن الضحاك بالفتح الروح الاستراحة والريحان الرزق وقال بعضهم الروح كناية
عن دوام النعمة وكسعة تقال الخلق فيخرج فروح ذكان في سعة ونعمة والريحان كناية عن السرور الحسن له يقال فلان ريحاني
وذلك لسروره به وتحببه عنده ومنهم من قال الروح الراحة والريحان الرزق في الجنة وقال بعضهم الروح بالرفع من الرحمة
وبالنصب من الراحة ونحن نقول جائز ان يكون كلاهما جميعا بالنصب والرفع من الرحمة لقوله لا تياسوا من روح الله الا القوم الكافرون
اي من رحمته وقال في موضع اخر وايدهم بروح منه اي برحمة منه ثم ان المقربين يكونون في الجنة في رحمة الله تعالى ونعمته
والله اعلم قوله تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين يحتمل ما وصفنا ان اصحاب اليمين
يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم ويحيي بعضهم بعضا بالسلام ويحتمل فسلام لك اي سلامة لك منهم من جميع
الاذى وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فسلام لك انك من اصحاب اليمين فهذا انه يخرج على البشارة له عند الموت والله اعلم
وقيل تسلم عليه ثم الملائكة والله اعلم قوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين يقول هذا الذي ذكرنا للمقربين ولاصحاب
اليمين وللمكذبين هو حق اليقين انه كائن لا محالة لا شك فيه ومثل هذا يقال على التاكيد وتحقيق لما سبق ذكره وقوله
قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم يقول والله اعلم فسبح ربك باسم لا يسمى به غيره اي نزهه عن جميع ما قالت
الملحدة فيه من الملك والشريك وتسميته بربوبية الهة وغير ذلك والله الموفق تم سورة الواقعة بحمد الله ومنه

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات والارض
يجوز ان يقال سبح لله وسبح الله كما يقال في الكلام شكر الله وشكر له ونصح الله ونصح له ويجوز ان يكون
معناهما في الظاهر مختلفا ويتفق في الحقيقة والباطن لان التسبيح هو التخليص والتنزيه فمتى اضيف الفعل الى
الله تعالى وقع عليه فقال سبح الله معناه نزهه وبراه عن جميع معاني الخلق وخلصه عن شبه المخلوقين واذا قال سبح
لله فقد وقع الفعل على الاشياء المخلوقة اي خلص الاشياء كلها له وبراها عن غيره واذا اضيف بكل الاشياء
له وهو المالك لها [illegible] اذ لا يقدر ووصف بالعنا ونفي الحاجة عنه وانه متبري عن الشبه باكثر
ومخلوقاته فهما جميعا من هذا الوجه سواء معنى واحد وان كانا في الظاهر مختلفان وفي الباطن متفقان ثم ان
الاسلام هو ان يجعل كل شي من الخلق لله تعالى خالصا سالما له والايمان هو التصديق بالربوبية له في كل شي فمتى
شهد بالربوبية في الخلق له الامر فقد جعل الخلق سالما ومتى جعل سالما له فقد صدقه في الربوبية فقد اتفقا من حيث
المعنى وان اختلفا من حيث الظاهر فعلى ذلك هذا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح هو تسبيح الخلقة يشهد خلقة كل
شي بالوحدانية والالوهية هذا في خلقة الكافر والمؤمن جميعا وغيرهما من المخلوقات ويحتمل ان يكون المراد المعنى
الذي في السموات تحت الارض يرجع الى التسبيح خاص وهو تسبيح النطق والاستسلام اختيارا وجائز ان يرجع الى كل ذي
روح يجعل الله تعالى ذريته هذا هذه الاشياء من التسبيح لما يفعله هو [illegible] الا بافهام الله تعالى اياه ذلك
والله اعلم قوله تعالى وهو العزيز الحكيم يخرج على وجهين احدهما العزيز هو الذي قهر الخلق والوجه الثاني الحكيم هو
المحكم للاشياء المتقن لها او العزيز القاهر الغالب الحكيم هو العالم بالاشياء على حقيقتها او العزيز هو المالك كل
شي لم لا المالك الحكيم الواضع كل شي موضعه قوله تعالى له ملك السموات والارض جائز ان يكون له ملك السموات

تفسير لقوله العزيز الحكيم قوله تعالى يحيي ويميت اي يملك ان يحيي هذا ويميت غيره او يحيي من يشاء ويملك احياء
من يشاء واماتة من يشاء وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن
قالت الباطنية الاول معناه المبدع الاول والاخر هو المبدع الثاني والظاهر هو الناطق وهو الرسول عليه السلام
والباطن هو صاحب التاويل ويقولون ان المبدع الاول ثم المبدع الثاني المعونة فيستعين بها المبدع الثاني على خلق
العالم وانشائه لانهم يقولون ان المبدع الثاني هو الذي دبر هذا العالم وانشاهم بقوة المبدع الاول والباطن هو
ذو التاويل ... هو صاحب التاويل هو الذي يبين الشرائع التي دبرها الباطن وهو الرسول فلا يصفون الا الله
هو الاول والاخر والظاهر والباطن ويقولون لا يجوز ان يوصف بهذه الاشياء لان الاولية تنفي الاخرية وكذا
ينفي الباطن كل حرف من هذه الحروف يبطل الاخر في الشاهد فيخبرنا انه ما قلتم من المبدع الاول والثاني والناطق و
الباطن ليس بشيء لم يتعين على ما ذكرنا لما من صنعه ولكنا نقول انا نصف الله هو الاول والاخر والظاهر والباطن هو جل وعز
هو الاول بذاته والاخر بذاته والظاهر بذاته والباطن بذاته ... ولا يفهم ... وليس غيره ولا يفهم
من اخريته اخرية غيره فلذلك لا يفهم من ظاهريته ظاهرية غيره ولا من باطنيته باطنية غيره لان في الشاهد من كان له اولية
لا يكون له اخرية ومن كان له اخرية لا يكون له اولية وكذلك من كان له ظاهرية لا يكون له باطنية ومن كان له ظاهرية لا يكون له
باطنية لا يكون له ظاهرية وكل حرف من هذه الحروف مما ينقض الحرف الاخر وينفيه في الشاهد فاما ما ذكر من هذه الاحرف فصفة
ليعلم انه لا يفهم من اوليته اولية الاشياء ولا يفهم من اخريته ما يفهم من اخرية الاشياء وكذلك ما ذكر من ظاهريته
باطنيته وهذا كما ذكر انه عظيم لطيف وكل واحد منهما في الشاهد مما ينقض الاخر وينفيه ما عظيم منه لم يلطف وما لطف
لم يعظم ثم لا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة غيره ولا من لطافته من لطافة غيره والله الموفق وقال بعضهم هو الاول الذي
لا ابتداء له والاخر الذي لا انتهاء له والظاهر هو الغالب القاهر الذي لا يغلبه شيء والباطن الذي لا يدركه الاوهام وقال
بعضهم هو الاول العالم باولية الاشياء والاخر العالم باخرية الاشياء والظاهر بالحجج والايات والباطن الذي لا تدركه
الاوهام والله الموفق قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فان كان
ما ذكر من السموات والارض وما بينهما في ستة ايام الستة الاول التي بعد جعلها ايام الدنيا وهي ايام الجمعة ...
في هذه الايام كان الاشياء واصولها الا انه خلق كلية الاشياء فيها وما يكون ابدا ... على هذا التاويل يكون
قوله ثم استوى على العرش اي استوى امره بخلق ... وهو المقصود بخلق هذه الاشياء كلها ...
اشياء هذه الاشياء وان كان المراد من قوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ايام الدنيا الذي كل يوم
مقداره الف سنة على ما ذكر في اية اخرى فيكون ما ذكر من خلق السموات والارض وما بينهما خلق اصل الاشياء
وكيانها ... ذلك على الكل فيكون على هذا التاويل قوله ثم استوى على العرش للبعث اي استوى خلق الخلق
وانشاء ما انشاء من العالم للبعث ولولا البعث لم يكن انشاء هذا العالم الاول حكمة فالمقصود من انشاء هذا
العالم البعث وبه يصير انشاؤه حكمة فيكون استواء الامر ثم تاويل العرش يحتمل الملك اي استوى ملكه ويحتمل
او بالبعث لما ذكرنا او لا نفسر انه ما اراد بقوله استوى على العرش لانه لا يعلم ما اراد به وقد قيل في ذلك ...
... ابي حنيفة ... انه يشكل ... فلا يمنع ... والله اعلم قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها الى كثرة ذلك ... لا يشغله ... ولا يشغله شيء عن شيء والثاني ... السماء والارض
مع بعدهما وكثافتهما لا يستتر ... عليه الوالج فيهما والخارج منهما ... ولا الاحاطة ... ليعلم
ان الشيء يحجب عنه وانه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء والله اعلم قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم هذا الحرف يخرج
على وجهين احدهما هو معكم اي عالم بكم وباعمالكم ومحيط بكم حافظ عليكم والثاني هو معكم بوجه المعنى في
الاختلاف الاحوال ان كنتم محسنين لله خاضعين مطيعين فهو معكم بالنصر لكم والمعونة على اعدائكم وان كنتم
معرضين عنه معاندين فهو معكم بالسلطان عليكم والانتقام منكم والله اعلم قوله تعالى والله بما تعملون بصير
وقال بعض اهل التاويل اي علمه وسلطانه وقدرته معكم اينما كنتم واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا ذكر
جل وعلا بلا ذكر الخلق معه ولا ضم احدا اليه سواه يوصف بالازل فيما لم يزل لما كان قادرا عالما بلا ذكر وقت
ولا احد ولا شيء من المكان وغيره واذا ذكر معه شيء من الخلق يذكر على ما عليه احوال الخلق من الوقت والمكان ونحو ذلك
ويكون ذكر الوقت والمكان لاحوال الخلق دون الله تعالى فيقال لم يزل عالما بالخلق وقت كونهم لم يزل خالق
العالم وقت كونه حتى لا يوهم قدم الخلق وعلى ذلك قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الاية وقوله
الله من يخافه بالغيب وقوله ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
وقوله وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين ونحوه مما يكثر ذكره لذلك على ما عليه احوال الخلق فعلى هذا
قوله وهو معكم اينما كنتم ولا قوة الا بالله قوله تعالى له ملك السموات والارض الملك ... يحتمل

والامر والولاية ويحتمل ان يكون قوله ملك السموات والارض اي له نفاذ المشيئة وله الولاية في السموات والارض
وعلى اهلها وله السلطان عليهم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ملك السموات والارض اي له خزائن السموات
والارض يعطي من يشاء ويحرم من يشاء والله اعلم قوله تعالى والى الله ترجع الامور اي الى الله ترجع تدبير الامور
من الخلق من تكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله والى الله
ترجع الامور اي الى الله ترجع تدبير الامور من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان فليس تدبير ذلك الى الخلق
والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله والى الله ترجع الامور اي الى الله يرجع المحسنين في الاخرة من الحساب والثواب والعقاب
وغير ذلك والله اعلم قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي ايلاج الشيء في الشيء انما هو
... على بقاء المدخل فيه فهذا هو المعروف لكن ما ذكر ههنا من الايلاج ... هذا وهذا ... يحتمل ان كان
في حال الاستواء فيجعل الليل نهارا ويحتمل ما كان ... حال الاستواء فيجعل نهارا ... على ... كل واحد
بالاخر ... من الدلالة له احدها ... ذلك ... من الدلالة ... على انه فعل فاعل
عليم له تدبير لا فعل ... ولا تدبير له لانه لو كان ... لكان لا يجري على سنن واحد ... فكان
... لا يبين ... فذلك ... كل ... غيره ... وغلبته ...
من عادة ... على ... الا الله ... كل ... خلق ... بعضهم على
والله الموفق ... دلالة البعث ... ان الليل ... بعد ذهابها ... النهار ... بعد ذهابه ... الليل
ونحو ذلك على ما تقدم ذكره قوله تعالى وهو عليم بذات الصدور قال اهل التاويل عليم بما في الصدور
ويجوز ان يكون تاويله هو عليم بما في صدور ارباب الصدور ... الذين لهم الصدور والتدبير لان
الصدور ... الذين ... بين البشر والله اعلم قوله تعالى امنوا بالله ورسوله الايمان بالله
هو ان يجعله رب كل شيء واله الخلق والايمان برسوله هو ان يصدقه في كل ما يخبر عن الله ... وكل
قول وفعل ... صادق فانه محق ... امر الله تعالى ... بامره ... لانه في ذات نفسه هذا هو
الايمان بالله تعالى ورسوله عليه السلام قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يحتمل والله اعلم وانفقوا
من اموال الرزق جعلكم فيه خلفاء من تقدمكم لان الناس يخلف بعضهم بعضا في هذه الاموال ... انفقوا
من المال الذي جعلكم خلفاء من تقدمكم من قبل ان يخلفكم من بعدكم كما ترك الانفاق من تقدمكم ...
الانفاق والانتفاع بها الا للترك كما هي ... قوله تعالى فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير
[illegible]

اذا لم الايمان لم يحل الهي ايضا كما كان مال ان رحاهم وقوله تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات الآيات
الحقيقة هي الاعلام لكن ضمنت الآيات بالحجج لان الآيات حجج من عند الله جلت لا انها مفتعلات من الخلق وقوله
بينات اي واضحات انها من الله جاءت لا من عند الخلق ... وبينه ... وقوله تعالى
ليخرجكم من الظلمات الى النور ثم اضاف الى نفسه الاخراج فهو على وجهين احدهما على حقيقة الاخراج
وهو ان يوفق لهم ... ويعطيهم المعونة والعصمة فيخرجون مما كان من الكفر الى الايمان والثاني ليخرج على الامر به والدعاء
الى الايمان ليس على حقيقة الاخراج وهو كقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور في هذه الآية وتحقيق حقيقة الاخراج
وقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وعلى هذا يخرج اضافة الهداية الى نفسه على التوفيق
وانشاء فعل الخير ... على الدعاء والبيان والله اعلم وقوله تعالى وان الله بكم لرؤوف رحيم
جائز ان يكون معناه ... ليخرج من الظلمات الى النور لرؤوف رحيم وهو يرجع الى المؤمنين خاصة ويجوز
ايضا ان يوصف بالرحمة والرأفة على الكل انه بكم لرؤوف رحيم بما ارسل اليكم الرسول وانزل عليكم الكتاب
وان كان في انفسكم وعقولكم كفاية على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته بدون ان انزل الكتب وارسال
الرسول لكن بفضله ورحمته ارسل الرسل وانزل الكتب ليكون ذلك ادعى لهم واوصل الى ادراك
الحق واقرب الى دفع الشبهة والله تعالى اعلم وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث
السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما ما قال اهل التأويل ان الخلق يفنون كلهم ويبقى
الله تعالى كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها فعلى ذلك يقول ما لكم الا تنفقوا في سبيل الله اي ما لكم لا تنفقوا
في سبيل الله قبل ... الارض ... بعضهم من بعض ... انهم عبيده واماؤه ... العبد
يكون ... كانه يقول ما لكم الا تنفقوا وما ترجع اليه منافعكم قبل ان ... ذلك ... الغير
والله اعلم وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الآية قال بعضهم
لا يستوي منكم من انفق ... لا يستوي منكم من آمن قبل الفتح لان قبل الفتح كان على من آمن خوف الهلاك
والوان العقوبات لان الغلبة في ذلك الوقت كان لاهل الكفر كذلك لا يستوي من انفق قبل الفتح ومن انفق
بعد الفتح وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض
لرجح لان ايمانه في وقت الخوف على متبعي الاسلام ... وكذلك
الانفاق في ذلك الوقت افضل واعظم ... الانفاق في ذلك الوقت معونة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولمن تابعه وكان الانفاق من بعد الفتح يقع ... الى المنافع والاموال من الصدقات والمغانم وقبل
الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو كله خالص بلا بدل ولا طمع ... والله اعلم وقيل لا يستوي من هاجر قبل الفتح
ولا هجرة بعد فتح مكة فلذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد اليوم ولكن جهاد ونية
وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله لكلا الفريقين من انفق قبل الفتح ومن بعد الجنة والثواب الحسنى قال
بعض اهل التأويل هذه الآية ان الفتح فتح الحديبية فقال رسول الله ... هو فتح عظيم ...
هو فتح مكة والله اعلم وقوله تعالى والله بما تعملون خبير فيه ترغيب وترهيب فيما يرغب ويرهب عنه
وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم قد ذكرنا فيما تقدم انه جل وعلا
عامل عباده بكرمه وجوده معاملة من لا حق له ولا ملك في انفسهم ... معاملة من حقيقة ...
اموالهم وانفسهم له من نحو ما ذكر من الاقراض لذي ما ذكر من شراء انفسهم واموالهم منهم بان لهم الجنة وما ذكر
لاعمالهم من الاجر وهم عبيده واعمالهم التي يعملون لانفسهم كانهم يعاملون له وما يمسكون لانفسهم ...
في وقت الحاجة لهم سماه قرضا وما يكتسبون به الحياة الدائمة والنعم الباقية فهم المنتفعون بها ولا احد في الشاهد
يستقرض مال نفسه من آخر ثم يعطي له الاجر على ذلك هذا كله خارج عن عادة الخلق وطبعهم وصنيعهم
بعضهم مع بعض لكن عاملهم بما يليق بكرمه وجوده ووعد لهم بما امسكوه لانفسهم اضعافا مضاعفة ثم يجوز
تسميته ما يمسكون لوقت حاجتهم قرضا لما يحملون على النفس وافضل الحاجة بما اعطوهم ...
من طبعهم الامتنان عليهم ... عنهم ... حفظ ذلك ... والغضب
ذلك من انواع ما يخاف التلف منها والله عليم وقوله عز وجل وله اجر كريم قال اهل التأويل اجر حسن ...
ويجوز تسميته كريما لما ادعى ماله يصير كريما ... او يرجي ان يكون ... ذلك الكريم ...
... والله اعلم وقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
جائز ان يكون قوله يسعى نورهم اي كتبهم التي يعطون في الآخرة فانه يعطى كتاب المقربين والسابقين من
قدامهم وكتاب سائر المؤمنين من ايمانهم وكتاب اهل الشرك من وراء ظهورهم ... حفظته ...

يسعى بين ايديهم وفي ايمانهم كقوله واما من اوتي كتابه بيمينه الآية وجائز ان يكون نور ايمانهم وديانتهم الذي كان
قلبه في الدنيا وجائز ان يكون نورهم الذي ذكر كناية عن الطريق الذي يسلكون فيه السابقون يرون ما امامهم وسائر
المؤمنين عن ايمانهم على ما سلكوا في الدنيا واهل الشرك بشمائلهم واهل النفاق عن ورائهم وجائز ان يكون قوله وبايمانهم
كناية عن اليمن والبركة فانه بالايمان ينال اليمن والبركات فسماها بذلك ويحتمل ما قال اهل التأويل انه يرفع لهم نور
يمشون به بذلك وقوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها انما يقال ذلك قبل دخول اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم لانه لا هلاك بعده ولا تبعة ولا انقطاع لذلك ثم قوله
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ليس انه يراه هو خاصة لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك جميع المؤمنين والمؤمنات
ليس انه يراه هو خاصة لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك لجميع المؤمنين مثل به ... حمل التخصيص على الشيء لا
على التخصيص وبقي غير ... وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة
الى عدن ... فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه والمؤمنين سائر ... وروي في بعض
الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نورهم يسعى بين ايديهم ما ... وقوله تعالى يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم منهم من قرأ للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم
منهم من قرأ للذين آمنوا انظرونا نقتبس موصولة من نوركم ومنهم من قرأه بقطع انظرونا قال ابو عبيد الاختيار
... لان تأويلها والله اعلم انتظرونا يقال منه نظرت فلانا انظره واما القراءة الاخرى فانها من التأخير
يقال منه نظرت فلانا انظره اذا اخرته ولا اعرف التأخير ههنا موضعا وقال ابو عوسجة انظرونا ونظرته اي انتظرته
يقال منه نظرته ثم الآية دلت على ان اهل النفاق يكونون بعد مع المؤمنين وان لا ينتفعوا بنور المؤمنين لكن يرون
ذلك النور من بعد حيث قالوا انظرونا نقتبس من نوركم ولو كانوا بقرب منهم لينتفعون بنورهم لكانوا لا يطلبون
منهم الانتظار لهم والاقتباس من نورهم والله اعلم وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا من الناس
من يقول ان هذا هو الاستهزاء الذي ذكر في آية اخرى الله يستهزئ بهم حيث قال الله يستهزئ بهم بقوله ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا هو ذلك الاستهزاء ... في قوله الله يستهزئ بهم اي يجزيهم جزاء استهزائهم الذي
استهزؤوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وجائز ان يكون قوله ارجعوا وراءكم ليس على الامر بالرجوع
من ورائهم والتماس النور ولكن على التوبيخ والتعيير اي النور انما تطلب ... هذا اليوم ... قبل هذا اليوم لا يطلب في هذا
والله اعلم وقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب جائز ان يكون
السور الذي ذكر انه ضرب بينهم ما ذكر في سورة الاعراف حيث قال وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال السور هو الاعراف
الذي ذكر انها تكون حجابا بين اهل النار واهل الجنة يرفع ذلك السور بينهم لئلا ينتفعوا بنور المؤمنين وقوله
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب جائز ان يكون قوله باب ليس على حقيقة الباب ولكن كناية
عن الطريق والسبيل يقول هو طريق وسبيل من اخذ ذلك السبيل افضاه الى الرحمة ومن سلك ظاهره افضاه الى
العذاب وجائز ان يفتح من النار الى الجنة باب فينظرون ما حل بهم من العذاب ويرى اهل النار اهل الجنة وما هم
عليه من النعيم ليزداد لهم حسرة وندامة ويكون اطلاعا ... من السور والاعراف الذي ذكر وهو ما قال فاطلع
فرآه في سواء الجحيم والاطلاع في الظاهر انما يكون من مكان عال مرتفع الى موضع منخفض والله اعلم وقوله تعالى ينادونهم
الم نكن معكم اي ينادي اهل النفاق المؤمنين الم نكن معكم قالوا بلى جائز ان هذا القول منهم الم نكن معكم تقرب
منهم للمسلمين يومئذ كما كانوا يتقربون في الدنيا وهو ما اخبر عنهم انهم يكذبون في الآخرة كما كانوا في الدنيا حيث
قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم اخبر انهم هم الكاذبون في حلفهم فعلى ذلك جائز
ان يكون قولهم الم نكن معكم يخرج على تقريبهم بانفسهم ثم الاشكال في الكلام قول المؤمنين بلى وقد علموا انهم لم يكونوا
معهم فكيف قالوا بلى فيقول لجائز ان يكون تجوزا بهم خرج لاولئك على ما عرض من خطابهم ومرادهم فاجابوهم على ذلك
او ان يكون قولهم بلى اي كنتم تقولون بانا معكم ولكن لم تكونوا معنا لو يخرج جوابهم على ظاهر ما يروون من انفسهم
الموافقة دون الحقيقة وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم يخرج على وجوه احدها امتحنتم انفسكم في الرجوع الى
من جعل لكم المنافع اي امتحنتم انفسكم فجعلتموها حيث كانت المنافع او حيث كانت العاقبة كقوله ومن الناس
من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اي شك وقال القتبي فتنتم انفسكم
اي اثمتموها وقوله تعالى وتربصتم يخرج على وجهين يحتمل تربصتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ان يموت من
قريب او ان يرجع عن الاسلام الى دينكم اولئك الكفرة وقوله تعالى وارتبتم اي شككتم وان قام لكم ما يدفع الريب
والشك عنكم والشبه وقوله تعالى وغرتكم الاماني يحتمل الاماني وجهين احدهما ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي
كانوا يتوقعونها فكيف ما كانوا يتبعون حرصهم في ذلك والثاني بما تمنوا انفسهم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

والمصدقات قرئ بتشديد الصاد والدال وبتخفيف الصاد فمن شدد جعله من التصدق اى المتصدقين والمتصدقات
فادغم التاء في الصاد فصار مصدقين [illegible] ما ذكر في حرف ابي كعب رضي الله عنه ان
المتصدقين والمتصدقات ومن خفف جعله من التصديق [illegible] واقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعف لهم ولهم اجر كريم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
سمى المؤمن صديقا [illegible]

[illegible]

الجحيم [illegible] قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد

[illegible]

فانيتا ويقول انما الحياة الدنيا خاصية لعب ولهو فمن جعل الحياة الدنيا خاصة يكون لعبا ولهوا ومن جعل الحياة
الدنيا زادا للاخرة وبلغة اليها فهي ليست بلعب ولهو وقال تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها
صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم لجعلهم الانفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر وما الانفاق التي تكون في الدنيا للاخرة
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل الاية والله اعلم قوله تعالى كمثل غيث
اعجب الكفار نباته والاشكال انه كيف خص الكفار باعجابهم النبات وقد يعجب النبات لاهل الايمان فنقول لان
الكفار يعجبهم ظاهر هذه الدنيا نعيمها وزينتها لانهم لا يرون الا ما ظهر من ذلك النبات وجعل همه من المنفعة في العاجلة
لكونه نظرهم الى الظاهر واما المؤمنون انما يعجبهم ما في ذلك النبات من المنفعة في العاقبة ولذلك يكون نظرهم الى

وهلاكه اوعوده الى دينهم قوله تعالى حتى جاء امر الله اى الامر بالهلاك او يوم القيمة قوله تعالى وغركم بالله الغرور
اى غركم عن دين الله الشيطان قوله تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا قرئ بالياء والتاء ولكن
على التاء ومعناهما واحد اى لا يكون لهم فدية يومئذ ليس ان يكون لهم فدية ولا يؤخذ او ان يقول على التمثيل اى لو كان
لهم فدية لكان لا يقبل منهم بخيلا ام الاخرة على خلاف ما يكون في الدنيا اذ في الدنيا ربما يحتال لدفع البلاء بالعذر
وبالشفعاء ثالث قوله تعالى مأواكم النار اى ما وعدنا لهم او قوله هي مولاكم اى اولى بكم واحق بعقوله وبئس المصير اى
بئس ما يصيرون اليها ثم في الاية دلالة نقض قول المعتزلة في تخليد اصحاب الكبائر في النار لانه تعالى جعل الناس
على ثلاث فرق وانزلهم منازل ثلثة المنافقين والكافرين كفر بصريح والمؤمنين وجعل النار لاهل الكفر واهل
النفاق ولم يجعلها لغيرهما وصاحب الكبيرة ليس هو بمنافق ولا كافر عندهم وكذلك ما قسم الله تعالى الناس في
ثلثة السابقين واصحاب اليمين واصحاب الشمال هم المكذبون واصحاب الكبائر ليسوا بمكذبين عندهم وهو ما جعل
النار الا للمكذبين الا ترى انه قال في اخره واما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم جعل الجنة للمقربين واصحاب اليمين والنار للمكذبين خاصة لم
يغيرهم فمن جعلها لغيرهم فهو مخالف لظاهر هذه الايات التي ذكرنا والله اعلم قوله تعالى الم يأن للذين امنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وما نزل قرئ مخففا ومثقلا قرئ مشددة شكرا لما سبق من ذكر الله تعالى من خوف
جعل الفعل للحق ثم الاية تحتمل وجوها احدها ما قال بعض اهل التاويل نطق كرت في المنافقين الذين اظهروا
الايمان واضمروا الكفر المرائين اوعداق للذين امنوا ظاهرا واظهروا الموافقة للمؤمنين ان تخشع قلوبهم لذكر الله اى
اى اذا ذكر الله وما نزل من الحق وهو القرآن اذا تلى عليهم اى تحقق قلوبهم ويؤمن به لانهم كانوا يتربصون برسول الله
صلى الله عليه وسلم الدوائر ويطمعون هلاكه امر الله تعالى بالمؤمنين من ذلك الخوف وليس اولئك عما يتربصون به
من نزول الدوائر فقال المرائين للذين امنوا ظاهرا ان تخشع قلوبهم لذكر الله والقرآن ويرون لك البعض من بعد الله علم
ثم قوله ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم على بعض التاويل اى لا يكونوا
كاولئك الذين تمادوا في الضلال وقساوة القلوب لما طال عليهم الوقت وتركوا النظر في الكتب ويحتمل ان يكون
الاية في اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله قبل ان بعث فقول المرائين للذين امنوا به من قبل ان يبعث ان
تخشع قلوبهم لذكر الله اى كتابهم وما نزل من الحق وهو القرآن ان يؤمنوا به كما كانوا امنوا به لما وجدوا نعته في كتابهم
ثم قوله ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية اى لا تكونوا كالذين كانوا من قبلكم من اهل الكتاب فطال
عليهم الامد فطال عليهم ان ينظروا في كتبهم فقست قلوبهم بطول ترك النظر فيها والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية
في المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله ورسوله وهو يخرج على وجهين احدهما المرائين للذين اى قد ان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اى اهل صفة
المؤمنين ان توجل قلوبهم عند ذكر الله ويزداد لهم الايمان واليقين بالنظر فيه والتفكر وفهم ما فيه والله اعلم والثاني
المرائين اى قد ان للذين امنوا ان ينقطع شهواتهم واماناتهم في الدنيا وتخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب الا لا يغفلوا عن كتاب الله وذكره ولا يتركوا النظر فيه والتفكر فيغفلوا عما فيه فقست قلوبهم فلا
تكونوا انتم لم تعش قلوبكم كما قست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اى كثير من اولئك الذين اوتوا الكتاب فاسقون
لتركهم النظر في الكتاب وكثير منهم فاسقون اى معاندون والقليل منهم المقلدون وهو كقوله اكثرهم
كارهون اى معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كانوا يعلمون رسل الله فعاندوهم الا قليل منهم اتبعوهم وقلدوهم
قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ذكر هذا ليس على انهم لم يكونوا اعلموا ان الله هو يحيي الارض بعد
موتها بل كانوا عالمين بذلك لكن ذكر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فاعلم انه لا اله الا الله اى استمر
قليل في كل وقت ساعة الربوبية لله تعالى والوحدانية له فعلى ذلك يحتمل قوله اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها
اى اشعروا قلوبكم في كل وقت جلال الالوهية والربوبية لله تعالى واصرفوا العبادة اليه والتنزيه له عما لا يليق به مما في
من الخلق اذا علمتم انه يحيي الارض بعد موتها او يقول اذ علمتم انه يحيي الارض بعد موتها فاعلموا انه يحييكم بانواع النعم
اذ لا يحتمل الحياة ذكر بغير فائدة وتركهم سدى او يقول لقد علمتم ان الله تعالى هو يحيي الارض بعد موتها وانتم ترغبون
فيما احياه وتصيبون منه وتجتهدون في نيل ذلك واصابته فاجتهدوا في اصابة البركات الدائمة في الحياة الباقية
او يقول لما علمتم انه قادر على احياء الارض بعد موتها فاعلم انه قادر على البعث والله اعلم قوله تعالى قد بينا لكم الايات
لعلكم تعقلون قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف لعل من الله تعالى يخرج على الايجاب لكن يخرج ههنا على الترجي وامثاله
للايات وافهم لها اذا نظر فيها وتأملوا انها ايات من الله تعالى او ان يرجع ذلك الخاص من الناس لو يخرج
لعل للايجاب دون الترجي وهم الذين علم الله تعالى انهم يعقلون انها ايات فيؤمنون بها والله اعلم قوله تعالى ان

وهو كما شبه انفاق الكفرة بالريح التي فيها صر تصيب حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وتبطل نفقاتهم سوى نفس الانفاق
وشبه نفقة اهل الايمان بالحبة التي تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لما كانت قصدهم في الانفاق
ابتغاء مرضاة الله ويحتمل ان يكون المراد من الكفار الزراع وبه فسر بعض اهل الادب وهو كقوله يعجب الزراع فعلى هذا
التاويل يرجع الى الكل والله اعلم وقوله تعالى وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كان الذي اتخذ الدنيا لعبا ولهوا
وصرفوها تفاخرا وتكاثرا دون ان تتخذوها زادا وبلغة الى الاخرة وقوله تعالى ومغفرة من الله ورضوان
لمن المؤمنين الذين اتخذوا الحياة الدنيا للاخرة وعملوا الاعمال التي بينها لهم للنظر فيها والتفكر فيها
فما ملوا ووضعوها مواضعها والله اعلم وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور هو يخرج على
الوجوه التي ذكرنا في قوله اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وقال ابو بكر الوراق رضي الله عنه في قوله
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور الحياة الدنيا وحبها لنفسه على ما انست الدنيا وجعلت له حكم الحق
وسوء دليس له غرور واما الحياة لها وحبها لغيره واستعمالها في الذي انشئ فجعلت غرورا ولعبا ولهوا
لان من احب شيئا استكثر منه وحبسه لنفسه وحفظه عن تلفه وضياعه واستبقاه لوقت حاجته يوم فقره
فعلى ذلك من جمع الدنيا لنفسه واحبها واستعملها فيما اذن له وامر وهو ان يجعلها زادا للاخرة وبلغة اليها فاذا فعل
ذلك استكثر منها عند الله ليوم فاقته وحاجته فاختارها لهذا فهو ليس بغرور ولا لعب ولا لهو وطلبها
لغيره واستعملها في غيره ما انشئ كان غرورا ولعبا على ما ذكر فخرج قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور على ما
يختارون ويحبونها وذلك لان الله تعالى انشا لنا هذه النعم حيث قال خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا منه فيجب ان ننظر الى ذلك بالتعظيم له والاجلال له لانه لا يستحق الا ذلك
الا ترى ان ملكا من ملوك الارض لو اكرم احدا بكرامة او اهدى اليه بهدية ثم علم منه الاستخفاق بهديته يسلب منه
هديته ويستحقره فعلى ذلك يجب ان نتلقى نعم الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقبول الحسن لا على الاستخفاف بها
والاهانة ثم الناس بعد هذا ثلاثة رجل تعب في نعمة الدنيا وجمعها وجعلها عند الله زادا وذخرا ليوم فقره
وفاقته ورجل زهد فيها خوفا للتقصير في عبادة الله تعالى وفي حقوقه ان يستعمل بها وفي جمعها ثلاث فاذا
لا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امر ولم ينته حسنة بنبيه صلى الله عليه وسلم وما في ترك
الدنيا وما انشا الله تعالى فيها من النعم استحقاقا بها وهو ما هي الجاهل المستخف بنعم الله تعالى العاقل عما انشئ
الدنيا وما فيها فهذا في طلب الدنيا مذموم وان كان الذي طلبها لنفسه زادا للاخرة والذي زهد فيها
محمودان والله اعلم وعلى ذلك يخرج ما ذكر ان حب الدنيا مذموم وان الذي طلبها لنفسه زادا للاخرة والذي
زهد فيها محمودان والله اعلم وعلى ذلك يخرج ما ذكر ان حب الدنيا راس كل خطيئة اي من احبها للغرور والفخر لا لزاد
لان يكون راس كل خطيئة ومن احبها لنفسه وتحذها زادا للاخرة فهي راس كل حسنة وطاعة والله اعلم
وسابقوا الى مغفرة من ربكم يقول اجعلوا المسابقة فيما يكسبكم مغفرة ربكم والجنة لا الى جمع الاموال
والاولاد وكان اهل الكفر جعلوا المسابقة في الدنيا في جمع الاموال والتفاخر والتكاثر بها فيقول لاهل الايمان
اجعلوا انتم المسابقة في طلب مغفرة الله وجنته والله اعلم ويحتمل سابقوا الى اعمالكم بالاعمال التي توجب لكم
المغفرة والله اعلم وقوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض ذكر سعة الجنة لان المرء مما ان تكون سعة
يكون للشيء وقد ذكر سعتها حيث قال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ونحو ذلك ذكر ما فيها من سعة وسعتها والله اعلم ثم ذكر عرضها كعرض السماء
والارض ليس يخرج على التحديد والتقدير ان عرضها مثل عرض السموات والارض لكن لما لا شيء اوسع في اوهام
الخلق مما ذكر وهو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض ذكر دوامها لما لا شيء ابقى وادوم منهما في اوهام
الخلق انهما باقيتان ويحتمل ان يقول عرضها كعرض السموات والارض اي نظير السماء والارض جميعا جنة
ثم وصف الجنة بالسعة ووصف النار بالضيق حيث قال واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا
وذلك انه ليس في فضل النار على قدر المجعول فيها الى المعذب بها فائدة فضيقت ولفضل الجنة
على قدر الحاجة لذة وسرور ونعمة ومنفعة فوسعت لذلك والله اعلم ثم اخبر انها اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
والايمان بالله تعالى هو ان يصدق في كل شيء يشهد على وحدانيته والوهيته والايمان برسله هو ان يصدقهم
فيما اخبروا عن الله تعالى وكل صاحب كبيرة مصدق بالله ذكرنا فهو في ذلك على المعتزلة وقوله ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء ذكر في الاية ان ما يعطي من الثواب لعبده فضل منه وان سماه جزاء واجرا لما سبق منه اليه
الاحسان والنعم ما يصير تلك الاعمال وان كثرت شكرا لادنى نعمه وان طال العمر فاني يستوجب الجزاء والثواب
على تلك الاعمال ولكن بفضله ورحمته يجعل لتلك الاعمال الثواب وجزاء والله الموفق وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة

في الارض

في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير كان ذلك الكتاب قبل ان تبرا تلك
المصائب لمصلحتها اذ لا تحتمل كون انفس تلك المصائب في الكتاب قبل خلقها فدل انه كان ذكرها كون
ذكرها وهو كقوله والشجر المعلقة في القرآن ليس هي تلك الشجرة والقرآن ولكن ذكرها فيه وعلى ذلك ما روي في
الخبر انه كتب في الكتاب الاكرم العدد وهذا نظير بيان الذي كتب في القرآن والاسم الذي هو في القرآن
ذلك المصحف فهذا الذي ذكرنا انما هو ان لا يجوز على الظاهر دون حقيقته والله اعلم ثم اختلف في قوله
من قبل ان نبراها قيل الانفس والارض والانفس الظاهر والله اعلم وقوله ان ذلك على الله يسير يخرج على وجهين اي كتابة ما يبين
الخلق في انفسهم وما يحل بهم من الشر والخير على الله يسير وعليه لا يثقل ذلك لان الانفس الارض لا ما يصيب في حق هؤلاء من هو يسير
وغيرهم لكنه كان ما ينال المصائب من منهم الخلق وان الله تعالى جعل هذا الانفس في ذوق الخلق منفعة ولا
اثر فيهم وقد كان ذلك ما يكون غير ذلك ما يكون والله اعلم وقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
ان الله تعالى ليس ممن يعجزه امر ولا يثقل عليه امر لانه لا يخفى عليه شيء مما كان ويكون لا يشتد على الله ما اهل
الخلق ويحتمل ظهور ما كان يكون من الخلق ويعطيهم ذلك والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الاصل اعمال العباد
مخلوقة لله تعالى اذ ما يكون الا في كتاب وما كتبه الله وقضاه ان لا يعلمه ويمنعه الا بخلقه
وما قال نصيبهم به مخلوقة لله تعالى ما اصاب ان الله تعالى سمى ما يصيب بالخلق
مصيبة في الارض وما تصيب في النفس وما نصيبهم به مخلوقة لله تعالى وقال ويقول ما اصابكم من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك والاخرى قال قل كل من عند الله والله اعلم وقالت المعتزلة قال الصلاح ليس ما يصيب الخلق في
الارض فانما نصيب الخلق بالمصائب وبين في المصائب ما يصيب النفس وما كان من اعمالهم لا يصيبه على احد وما اصابه
اصابتك لا يراد بالمصائب الا ما فيها من مصيبة وذلك قوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
ولا تفرحوا بما آتاكم هل يستطيع الانسان ان لا يحزن على ما فاته من النعمة ولا يفرح بما آتاه من السعة والفرح
والسرور في الحزن والسرور والحزن هذا والله اعلم ما يذهب بالشكر والصبر عند الحزن والفرح
والحزن والفرح يعرض للمرء الفرح بالامر الكبير فيخرج من الانسان لكنه يبين ذلك والله اعلم
من الاسى والحزن فانما نهانا عن الحزن الذي يمنع الشكر والصبر ولا تفرحوا بما آتاكم فرحا يمنع الشكر والفرح
والسرور ذلك الحزن والفرح نهى عنهما والله اعلم ويقول لا تكونوا فرحين بالدنيا وان الله لا يحب الفرحين
والحزن والفرح يعرض كل ذلك للنفس على ما فاتكم والحزن والفرح من الشكر والصبر
من التراب فالصبر والشكر قد جعل الله تعالى من الخوف والحزن والرجاء في الصالحين قال الله تعالى
من الحزن والسرور والفرح والحزن ولا يشتد على الخلق ما يصيبهم وما يصيبهم في المصيبة لعظم المصيبة ويقول الصابرين بالشكر والحزن
في الحزن والسرور والفرح وذلك ان الله تعالى لا يحب كل مختال فخور والله اعلم
شكر نعمه والصبر على ما اصابهم من المصائب ولا يحزنوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم
من الحزن حتى ان الحزن كما لا تاسوا على ما فاتكم من المصيبة وما كتب عليكم لكيلا تاسوا
لكنه لما تخافون في اختيار ذلك ونظير ذلك قوله لا تحزن ان الله معنا والله اعلم ولكن انظروا الى ما ناله
الذي كان لكم والله اعلم ويحتمل ان يقول لا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم من المصائب والنعم
حتى الحزن كان والله اعلم بما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ويقول الذي ادى بهم ان يكون الحزن عليكم
اذا الحزن على ما فاتكم والله اعلم والحزن من الاخرة فيحمله الا يكون الحزن على ما في الاخرة بما آتاكم وان لكم
بحزن ان يكون الحزن على ما فاتكم والله اعلم وقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم في الدنيا وما هي الا متاع
والله تعالى وقوله والحزن والفرح على ذلك الشكر قال قد على ما آتاكم ويكون الفضل فيما كسبتم والله
لا يحب كل مختال فخور ولكن يجب الرضا والصبر والحزن فيما في الصابرين فهو الذي يشكر
بما انعم الله تعالى عليهم على الناس ويحب الشكر الذي ينكر على نعمه بالتوسيع على عباده وليس ان يكون هذا
كله وصف الكفار كانه يقول لا يحب كل كافر لهم يحب كل مختال شكور ويحب المؤمن لان المؤمن
يكون صابرا على المصائب شكورا للنعم والله تعالى يحب الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وما ذكر
من اصله قوله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكون ذلك بالبخل
وما ذكر على الذين كفروا الحبهم النار الذين يبخلون بالمرتبة ومن يتول كما في قوله الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
من قبل ذلك في هذا النهي انهم يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله في التوراة
انفق مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ويحتمل ان يكون الذي يبخلون

بالانفاق على اتباعهم ليبقى الكرم والرياسة عليهم وجاز ان يكون ما ذكر بعض اهل التأويل ان ذلك
في رؤساء من اهل الكتاب بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في كتبهم وامروا اتباعهم
وامثالهم بكتمانه [illegible] ومن يتول فان الله هو الغني الحميد اي ومن يعرض عن ذلك فان الله
الحميد الغني عن عباداتكم وعما دعاكم اليه اذ لم يدعكم الى ما دعاكم لحاجة نفسه اذ هو الغني بذاته الحميد بفعاله
اي بما علمكم من الرد لرسالته لا يخرج فعله ان يكون محمودا ولا يصير بفعله الى [illegible]
والله اعلم ثم في قوله كيلا تأسوا على ما فاتكم وجوه ايضا احدها ان المصائب بما يجري على ايدي الناس بعضهم
منهم فقال كيلا تأسوا على ما فاتكم مما يجري ذلك على ايدي الناس لان لا يروا ذلك منهم فيحملهم ذلك على الحقد
والبغضاء ولكن يروا ذلك مكتوبا عليهم من قبل وكذلك ما ذكر فيما يؤتيهم من النعم على ايدي الخلق فلا يرون
ذلك منهم فيشغلهم عن القيام بشكر الله جل جلاله ولكن يرون من فضل الله ومننه فيشكرونه والثاني يحتمل
ان يكون النهي عن الحزن امرا بالفرح [illegible]
عن القيام بحقوق الله تعالى واداء ما عليهم من الفرائض والله اعلم [illegible]
[illegible] وينبغي ان يتلقى نعم الله تعالى [illegible]
بحسن القبول لها والتعظيم والشكر للمنعم [illegible] في ايدي الناس ودفع الحاجة اليهم [illegible]
[illegible]
[illegible] وما اصابك من سيئة فمن نفسك [illegible]
[illegible] وقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات يحتمل وجهين
[illegible]
[illegible] وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [illegible]
[illegible]
[illegible] وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس [illegible]

الحديد نصا ومخصوصا في حق الجنة وغيرها من المنافع حتى لا يكاد امر من امور المعاش الا به فلذلك خص والله
اعلم وقال اهل التأويل انزل من السماء [illegible] والكلبتين وعندنا ليس على حقيقة الانزال من السماء
لذلك ومعناه قوله وانزلنا الحديد اي خلقنا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي خلقنا وقوله
انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومعلوم انه لم ينزل اللباس على ما هو ولكن معناه خلق لباسا لهم لذلك
هذا وقوله وليعلم الله من ينصره ورسله يحتمل من ينصره اي دينه او اراد باضافة النصر الى نفسه نصر رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل عليهم السلام ثم نصر الرسل يكون بتبليغ ما امروا الى قومهم ينصرونهم
وينسبونهم على ذلك [illegible] لطهارته في الخلق والذب عن اهله والمعونة لهم هذا يحتمل وعلى هذا
يخرج قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله اعلم وجائز ان يكون المراد من اضافة النصر اليه نصر انفسهم ودينهم
اذ هم المستغنون بذلك [illegible] ذلك النفع وتلك المعونة لكنه بفضله وكرمه سمى ذلك نصرا لنفسه
الى نفسه [illegible] الاعمال التي يعملونها لانفسهم ثوابا فذكرها على ذلك الاخرى كانهم عاملوه له وهم المستغنون بها
المحتاجون اليها فكذلك جائز ان يكون ما عملوا لانفسهم سماه نصرا له وان كان ذلك النصر لهم وانه ناصرهم
وناصر الكل حيث قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبر انه ينصرهم لا غالب لهم وان اذا خذلهم لا ناصر لهم دونه
والله اعلم ثم قوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله يخرج على وجهين احدهما ليعلم من قد علم انه ينصر ناصرا وليعلم
من قد علم بالغيب انه يكون كائنا شاهدا لانه عالم الغيب والشهادة علمه بالغيب انه يكون واذا كان علمه شاهدا
والثاني على المعلوم لا على العلم والثاني يريد بالعلم المعلوم وذلك جائز في اللغة ذكر العلم والفعل على ارادة
المعلوم والمفعول نحو ما يقال الصلاة امر الله اي بامر الله لان الصلاة لا يكون امرا وقوله تعالى ان الله قوي عزيز
ذكر هذا ليعلم انه لم يأمرهم بما امرهم من القتال لما ينصر لحاجة نفسه ولا استعانهم فيما استعمل من النصر والمعونة
لنفسه ولا اراد ان يكتسب بذلك العز لنفسه [illegible] انه قوي بنفسه عزيز بذاته [illegible] بما امرهم استعملهم
فيما استعمل النصر لانفسهم ولقومهم والله اعلم وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب وانما ذكر نوحا وابرهيم والله اعلم لما اخبر انه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب الا ان ذكر الرسل
بجملتهم في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات فدخل نوح وابرهيم عليهما السلام في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
ثم ذكر ان منهم من اهتدى [illegible] وكثير منهم فاسقون [illegible] منهم مهتد وكثير منهم فاسقون يحتمل من الجملة
انه كان في قومهم من اتبعهم فصاروا مهتدين ومنهم من ترك اتباعهم وخرجوا من امر الله فصاروا فاسقين [illegible]
[illegible] كان في قوم من تقدم من الرسل [illegible] لرسله [illegible] الاجابة لقومك ولست باول
من كذبت ورد قوله تعنتا وعنادا واما الهادي [illegible] ثم قفينا على آثارهم برسلنا اخبر انه جعل في ذريتهما
النبوة والكتاب [illegible] في الآية الاولى انه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ولم يذكر الرسالة
بذكر في هذه الآية الرسالة فيهم وفي ذريتهما اي ارسلنا رسولا على اثر رسول اتبعنا بعضهم بعضا وقفينا بعيسى
ثم ذكر انه [illegible] عيسى بن مريم لانه عيسى عليه السلام من اولاد اسحق فبعث محمدا عليه السلام من بعده وهو من ولد اسمعيل
عليه السلام وقال بعض اهل التأويل وقفينا اي اتبعنا ويقال قفيت فلانا اي جئت في [illegible] وقفوته اقفوه
وقفيتا واقتفيت به اي اتبعته وقوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وصف الله تعالى الذين اتبعوا الرسل
وآمنوا بهم بالرحمة والرأفة فيما بينهم وهو كما ذكر في آية اخرى اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
وقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقال في آية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين [illegible] لان السبب الذي جمعهم واحد وهو التوحيد [illegible]
ان [illegible] بينهم من العداوة والبغضاء ما وقع وسبب الجمع قائم حتى استحل بعضهم قتل بعض من نحو
الخوارج والمعتزلة قيل انما وقع ذلك فيما بينهم وان كان سبب الجمع قائما لما كانت تلك الالفة والرأفة بلطف
من الله تعالى وقيل لذلك اللطف فارتفع وحدث بينهم ما حدث او يقول ان الخوارج قد احدثوا من انفسهم اشياء
حتى سموا المسلمين كفرة بما ارتكبوا من الكبائر حتى استحلوا القتال والحرب معهم وكذلك المعتزلة سموا اصحاب الكبائر
فسقة وخرجوا [illegible] بين الكفر والايمان ومن سمى آخر كافرا او فاسقا فلا شك انه تحدث بينهما العداوة [illegible]
فلما حدث بيننا وبينهم من العداوة بتسميتهم ايانا فسقة وخرجوا [illegible] كان السبب الذي
جمعهم قائما عندنا والله الموفق وقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ذكر في القصة ان في الفترة
التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان [illegible] بني اسرائيل [illegible] التوراة والانجيل فبقي منهم ناس مؤمنون
بعيسى عليه السلام ويعملون بما في الكتب [illegible] الملوك ان [illegible] ففروا منهم فخرجوا
من بينهم [illegible] ان يتخلصوا منهم فذلك قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم [illegible]

تلك الرهبانية ولم نأمرهم بها ولكن فرض عليهم وكتب في الجملة ابتغاء رضوان الله فابتدعوا تلك الرهبانية رجاء أن يكون فيها رضوان الله والله أعلم قال فما رعوها حق رعايتها أخبر أنهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ذكر أنهم لم يرعوا حق رعايته ذمهم لترك الرعاية لما ابتدعوها وفيه دلالة أن من افتتح قربة لم يفترض عليه من أن يصوموا ويحجوا ثم لم يتم يلحقه الذم كالحج فهو لازم وقوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون أخبر أن الذين آمنوا ووفوا على الإيمان أنه يؤتيهم أجرهم أي يوجب لهم أجرهم وكثير منهم فاسقون أي كافرون ولذلك ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه كثير منهم كافرون ونحو ذكر أن بعضا منهم بعدما رجعوا عليهم الترهب فعادوا ورجعوا ودخلوا في دين أولئك الملوك والله أعلم قال القتبي هذه رهبانية أي عبادة من الخوف وابتدعوها الا ابتغاء ... أن يفعل شيئا لم يفعل فتلك فعال منهم بدعة ابتدعوها أيضا وقيل الرهبانية اسم شيء من الرهبة لما أوطنوه وهو مما نهى الله عنه بقوله لا تغلوا في دينكم يقال الدين بين المقصر والغالي وقوله ما كتبناها عليهم أي ما أمرناهم بها والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يقول بعض أهل التأويل يا أيها الذين آمنوا بعيسى بن مريم آمنوا بمحمد عليه السلام ولكن هذا ضعيف إذ الإيمان برسول من الرسل إيمان بجميع الرسل عليهم السلام وتأويل الآية يا أيها الذين آمنوا بالرسل جملة على غير الإشارة والتعيين آمنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على الإشارة ثم لأن الإيمان بالرسل على غير الإشارة والتعيين سهل جائز وإنما يصعب الإيمان به ويشتد بالإشارة إليه والتعيين لأنه لما آمن به والتزم اتباع أمره ونهيه ويلزمه مع الأمر ... معاداة من عاداه وخالفه في أمره ونهيه وإن كان له ابنا أو أبا وكان يجب أن يكون أحب الناس إليه وأقربه ومن يحب صحابة الرسول الكريم على الإشارة إليه وإنها تشتد وتصعب عند الإجمال في الإرسال فأخبر بهل ... كل صادق وكذب الكاذب فعلى ... في الإجمال والإرسال لأن ذلك وأما عند التعيين يوجب الامتحان ويظهر نفاق المنافقين وتحقق المؤمنين المحققين وذلك قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولا ... كفوا عن ... أمروا بالجهاد والخروج معه على الإشارة إليه وكفوا ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ... في الجملة أنه لو أعطاهم كذا من فضله لنصدقن فلما ... أمروا بإخراجه ... ذلك عند الإشارة إليه فعلى ذلك يجوز أن يكون قوله يا أيها الذين آمنوا بالرسل جملة آمنوا بهذا الرسول المشار إليه لما يصعب الأمر ... في خلاف ... وترك ... فكان أقرب ... الذين ... أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وآبائهم وأولادهم ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... آية عظيمة ... فضل إيمان من ... إلا بالله وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته قوله ... يوجب لكم كفلين من رحمته ... الإيمان بالرسل كلهم على الإجمال والآخر الإيمان ... على الإشارة والتفصيل ذكر ههنا كفلين من رحمته وقال ... أجرهم مرتين بما صبروا ... كفلين ... في الآخرة ... حسنة وفي الآخرة حسنة ... قال أهل التأويل ... كفلان ... هذا يخرج على وجهين ... ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم

... لئلا يعلم أهل الكتاب ... كل إنسان ما ... في الوصول إلى جميع فضل الله ... ولحسابه فقال ... ليعلموا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله والمعتزلة يقولون بل يقدرون ونحن نقول ... لظاهر الآية والله أعلم وفي قوله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء أيضا دلالة نقض قول المعتزلة من جهة أخرى وهو أنه ذكر المشيئة فيما هو جهة فضل وما هو جهة عدل حيث قال وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولم يذكر المشيئة فيما هو جهة عدل وما هو ظلم وجور بل أطلق النفي في ذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعباد وقال لا يظلم مثقال ذرة وقال لا يظلم الناس شيئا ونحو ذلك من الآيات نفى أن يلحق أحدا منه الظلم والجور ليعلم أن فضل الهدى قصد إلى ما هداه ... وكذلك قال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ... ولكن إنما ناله بفضله ورحمته ... والله الهادي

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله. قال الجماعة أهل التفسير إنها نزلت في أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وامرأته غير أنهم اختلفوا في اسم امرأته قال ابن عباس رضي الله عنهما كان اسمها خولة وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت حكيمة وقال بعضهم بأنها كانت تسمى خويلة على تصغير خولة وروي في بعض الروايات أنه كان سبب هذا القول ... لما دعاها ليلة إلى فراشه وكانت امرأة بحيث لا يحل له التمتع بها فأبت عليه وأرادت أن تخرج من البيت فقال لها إن خرجت من البيت فأنت علي كظهر أمي فخرجت فلما أصبحت قال ... لا وقد حرمت علي قالت والله ما ذكرت طلاقا قال فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ... فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته فنزلت فيهما هذه الآية وقد روي في بعض الأخبار أنه ... فقال له بعض صحابته ذلك ... هذا رواية محمد بن كعب القرظي لكنه لا يحتمل أن يكون ... باللمم الجنون لأن المجنون لو طلق امرأته لا يقع الطلاق فضلا أن يكون ظهاره ظهارا وقد قيل ... كان به لمم ... غضب ... ما اختلفا ... في شأنها وشأن زوجها منهم ... محمد بن كعب أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن أوسا أبا ولدي وابن عمي ... والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا قال أنت علي كظهر أمي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ... فقال عليه السلام ما أراك إلا وقد حرمت عليه فكررت المرأة ذلك وردد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم قالت اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي وما يشق علي من فرقته اللهم أنزل على لسان نبيك فأنزل الله قد سمع الله ... وفي بعض الأخبار ... أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال ... حتى إذا كبرت سني وذهب أهلي ... وضعفت جعلني عليه كظهر أمه ثم ... وقد ندم ... فهل من شيء يجمعني وإياه ... رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ما أراك إلا قد حرمت عليه ... من شيء فأنزل الله في شأنك ...

اسئلك فرفعت يديها الى السماء تدعو وتتضرع الى الله ان ينزل الله بيانا في امرها ثم خرجت من عنده فانزل الله
فنزلت جبرئيل صلوات الله عليه بهذه الاية وقد روي في بعض الاخبار انها اتت رسول الله صلى الله عليه و
فقالت ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي
وكبرت سني ودق عظمي وباد اهلي جعلني عليه كظهر امه ولي منه صبية ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم
الى نفسي جاعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا نبي الله فارحمه انه
لظالم لي فقال اذهبي فانه يلي الضعيف والعجز فجعلت تجادله فلما رأت انه لم يرفع بها رأسا ولا تجد
عنده مخرجا خرجت فرفعت طرفها الى السماء فشكت الى الله صنع زوجها فقالت اللهم اني اشكو اليك
فاقتي فلم يرد عليها شيئا فقول النبي حاجتي وارحم ضعفي وقلة حيلتي فلم يتصل الحديث بها حتى هبط جبرئيل
صلوات الله عليه بالوحي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله فدعا اوسا زوجها
فقال له ما الذي حملك على ما صنعت فحلف له وقد انزل الله فيهما ما انزل فعتب اليها وحسنها فقال لها
انه عمل الشيطان فهل من امر يجمعني الله واياها قال نعم ثم تلا عليه اية الكفارة الى اخرها ثم بين هذه الروايات
اختلاف وكذا في رواية القرطبي انه قال الحكيم ليس لكم ما اريد الا قد حرمت عليه وفي رواية انه قال لها ما امرت
في شأنك من شيء لكنه يمكن التوفيق بين الخبرين وهو انه قال ما اريك الا قد حرمت عليه على ما كان اهل
الجاهلية يرونه محرما وقال لها ما اريك الا قد حرمت عليه من هذا الوجه لكنه لم ينزل علي شيء في بيان هذا بان
ينزل شيء في بيان هذا بين ذلك والثلاثاء ليس في قوله ما اريك الا قد حرمت بل هو قول على الظن بما قد كان
الناس يعرفون بينهم ذلك حرمة فيجوز ان يزاد لسبق بغير علم او يرد بهذه الحادثة الحرمة بالوحي فينبغي في
الجواب مع الاشارة لها بالامتناع من الزوج احتياطا لباب الحرمة والله اعلم ثم انه بعض الفقهاء ذكر لا
بين السلف في حكم الظهار قبل نزول الاية عن عكرمة انه قال كانت النساء يحرمن بالظهار حتى انزل الله تعالى
هذه الاية وكان طلاقا قبل نزول الاية فجعله الله تعالى بهذه الاية ظهارا وعن ابي قلابة وغيره كان طلاقا
في الجاهلية الايلاء والظهار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما كان طلاق اهل الجاهلية الظهار ثم جعل
لهذه الامة حرمة ترتفع ثم يعود بالكفارة التي اوجب وعن الحسن انه قال على الظهار اشد الطلاق وحرام الحرام
اذا ظاهر من امرأته لم ترجع اليه ابدا والاشبه انه لا يكون طلاقا في الاسلام لو كان يكون في الجاهلية لا تحرم
موجبا حرمة لا ترتفع ابدا كما قال الحسن فانه ذكر في حديث خولة ان زوجها لما قال لها ما اريك الا وقد حرمت
علي قالت والله ما ذكر طلاقا ولو كان الظهار طلاقا لعرضته كذلك لما اخبرته رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لها انت علي كظهر امي فقال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله
ذلك ما ذكر طلاقا ولم تجعلها اعتقادها ان الظهار طلاق ولذلك ما روي في رواية اخرى في حديث
طويل جعلني عليه كظهر امه ثم رجع الى عن شيء يجمعني واياه رسول الله فقال عليه السلام اطلقك
لا قال ما امرت في شأنك من شيء ولو كان الظهار طلاقا بعد الاسلام قبل نزول هذه الاية لما قال اطلقك
بعدما قالت جعلني عليه كظهر امه ولما قال ما امرت في شأنك من شيء وحكم شريعته ان طلاق الملك كل الملك
الاشبه هذا ابقى بما قلنا انه ذكر في حديث خولة اوس اول من ظاهر في الاسلام فكيف يكون
طلاقا فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ما اراك الا وقد حرمت عليه والحرمة التي لا ترتفع النكاح
بالظهار انما يثبت بعد نزول الاية والاية نزلت بعد هذا القول في اوس بن الصامت فدل انه لم يكن
الطلاق فهذا يدل على ان هذا الحكم كان ثابتا في شريعته قبل نزول اية الظهار توجب حرمة وان كان يجعل
ذلك في حكم الجاهلية فلذلك ذلك الزوج قال للمرأة ايضا ما اراك الا وقد حرمت علي قيل انه كان طلاقا قبل
الاية قيل هذا حجة عليكم فانه لو كان ذلك يقوله عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه اثبات الحرمة في
بالظهار لكونه طلاقا فكيف يحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك القول بعينه
في شخص بعينه وقد صح في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اوسا وامرأته بالكفارة وابقى النكاح
بينهما لو كان ذلك طلاقا واثبت حكمه انما ينسخ بالاية حكما الحكم آخر فظهر ذلك في المستقبل
الماضي فدل ان هذا حجة عليه ولكن انما قال ما اراك الا وقد حرمت عليه للوجهين اللذين ذكرنا
فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالطلاق في حقها مع ان الظهار كان طلاقا بطريق القطع
ما اراك الا وقد حرمت عليه على طريق الظن لانه جائز ان يكون الله تعالى قد اعلمه انه سينسخ حكم ذلك
وينقله من الطلاق الى التحريم المتعة فلم يقطع القول فيه حتى نزلت الاية قيل لو كان ذلك حكما ثابتا
في شريعته لم يسع النبي عليه السلام ترك العمل به والحكم بذلك ما لم يبين له عليه الناسخ وان علم انه سينسخ لا يجب

فعليه العمل بما انزل عليه بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله بلغ ما انزل اليك واذا ورد الناسخ
بخلافه يكون عمله في المستقبل لا فيما مضى وانما يستقيم هذا على ما قلنا ان الظهار قبل نزول الاية لا حكم
له في الاسلام وكان تحريما في الجاهلية فمتى وجد هذا السبب وقعت هذه الحادثة امرهما بالاجتناب
على الزوج احتياطا حتى نزلت الاية فيظهر حكمه ما هو من جنس وجوده اذ يجوز ان يريد الله تعالى بهذا
هذا الحكم وان كان لا يعلم المباشرة اذ كان يجب تمكنه الوصول الى العلم به عند الحاجة الى العمل به والحكم
التعبد محتاج في ايجاب حكمه ورود البيان متأخرا والنص العام الذي يتأخر بيانه على خلاف ظاهره فعلى
ذلك هذا والله اعلم ثم قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي سمع قولها ومجادلتها في زوجها
ومجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سؤالها اياه ما اسكنت بعد زوجها لها انت علي كظهر امي
المجادلة المخاصمة وهي المحاورة وكانت تجادلها في زوجها انه قالت ما ذكرت طلاقا حين قال لها يا
لما اوخرجت مني لذا قالت انت علي كظهر امي وخرجت ما اراك الا قد حرمت علي وانما تجادلها مع النبي صلى الله
عليه وسلم ومجادلتها هي قولها لا يفعل ذلك بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت
عليه فهذه مجادلتهما ومن الناس من يقول المحاورة هي المراجعة في الكلام وهما يترددان الكلام بين
وبين زوجها كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم تكرر قوله ما اراك الا قد حرمت عليه وهي تردد
قولها لا يفعل ذلك يا رسول الله فانه ما ذكر طلاقا ولكن هذا قريب من الاول وقال بعض اهل اللغة تحاور
كما اي كلامكما والتحاور الكلام بين اثنين وقوله وتشتكي الى الله كانه يقول تجادل كما قال ضعيفي
ان تشتكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى اضاف الى نفسه لان مرادها كان ان ينزل اية
من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بالفرج عنها والثاني انها تشكوا الى الله تعالى وتضرعها وذكا نحت
لم تجد الفرج والمخرج فيما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه فاشتكت الى
الله تعالى وتضرعت حتى انزل الله تعالى على رسوله الاية فيها دلالة الرخصة لها بالاجتماع بعد
التكفير على ما ذكر في الخبر والله اعلم ثم قوله والله يسمع تحاوركما اي يسمع لها ما انجلى عنها الفرج والمخرج
عما اشتكت اليه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ابان ما ظهر له من الحكم في الحادثة التي اشتبهت عليه
واشكل وجه الحكم في ذلك ثم اختلف الاخبار في امرهما ايضا حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بالاية التي نزلت في امرهما ذكر في حديث القرطبي لما نزلت الاية دعا زوجها اوسا فقال له اعتق
رقبة قال ما عندي رقبة اعتقها قال فصم شهرين متتابعين قال ما استطيع يا رسول الله ولا اصوم
يوما واحدا فيشق علي فكيف اصوم شهرين متتابعين قال فاطعم ستين مسكينا قال اما هذا فنعم قال فاطعم
ستين مسكينا فاطعمهما وفي رواية اخرى ذكرها الكلبي لما نزلت نحصيهما ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى زوجها اوس بن الصامت فاتاه فقال ما حملك على ما صنعت وقلت قال الشيطان
يا رسول الله فهل من رخصة تجمعني واياها قال نعم وقرأ عليه هذه الايات الاربع وقال الرجل يستطيع
عتق رقبة قال لا والله يا رسول الله الا المال القليل وانا الفقير الكبير ان الرقاب لغالية قال فهل يستطيع
ان تصوم شهرين متتابعين قال لا والله يا رسول الله لولا اني اكل في اليوم مرة او مرتين لكل بصري لظننت
ثم قال هل يستطيع ان يطعم ستين مسكينا قال لا والله يا رسول الله الا ان تعينني بصدقة فاعانه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده خمسة عشر صاعا فتصدق به على
ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين اهله وذكر في خبر اخر ان رجلا كان ظاهر من امرأته وكان هو يصوم
عنه فواقع امرأته في وقت الصوم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فعاتبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فعله ثم امره بان يكفر بما وصفنا من الكفارات فقال الكل واحد منها لا استطيع قال امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي موضع كذا الى رزيق فيأخذ منها وسقا من التمر فيعطي ستين
مسكينا كل مسكين صاعا والثاني ينفقه على عياله ذكر في الاطعام في خبر لا استطيع وفي خبر انه قال انما
انا افتقر في حديث اخر الا ان تعينني بصدقة فيشبه ان يكون هذا القول منه ما هذا فيعمد بما اعان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعانة او اعطاه الكل فيخرج الاخبار على الوفاق والله اعلم
وفي هذه الاخبار دليل على ان الكفارة اذا لزم فيها اطعام من الحنطة بنصف صاع وفيه دليل ان نصف
صاع من الحنطة طعام مسكين وانه يجوز صرف بعض الفطر والله اعلم وقوله تعالى ان الله سميع بصير
اي سميع لمقالتكما بصير في امركما وفي الحكم فيكما وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم قرئ
يظهرون مشددة الظاء بغير الف وهو في الاصل يتظهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرئ

أيضا تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء بالألف من ظاهر يظاهر مظاهرة والمعنى فيما اختلف من قراءاتهم واحد ظاهر الرجل من امرأته وتظاهر منها وتظهر ويظهر ويطهر منها بمعنى واحد وهو أن يقول لها أنت علي كظهر أمي وقال القتبي يظاهرون أي يحرمون تحريم ظهور الأمهات وقال أبو عبيدة يظاهرون من نسائهم أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي وأما يظاهرون من الظاهر وهو التعاون فيقال تظاهر القوم أي تعاونوا وليس هو خلاف ما تضمنته الآية والله أعلم ثم الظهار كان مستعملا في القوم ظاهرا وهو ما روينا في الأخبار أن المرأة إذا همت أن تخرج من الدار يقال لها إن خرجت من الدار فأنت علي كظهر أمي ولذلك هذه الدلالة في حق يظاهرون من الظاهر لأن اسمه من الظهر لذلك في عرف المسلمين فيما بينهم هذا اللفظ وهو قوله أنت علي كظهر أمي أما ظاهر الآية يوجب أن يكون الظهار فيما يقول أنت علي كأمي وهو كقوله ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ولم يذكر الأمهات ولم يذكر ظهر الأم فصار ظاهر الآية يوجب هذا وبهذا احتج محمد بن الحسن لمذهبه في قوله إن قال لامرأته أنت علي كأمي يكون ظهارا إن نوى به التحريم وأما أبو حنيفة فإنه قال لا يكون مظاهرا إلا أن ينوي بذلك التحريم فإن نوى بر كان وذهب في ذلك إلى ما روي في الأخبار في ذلك الحرف أعني قوله أنت علي كظهر أمي فأما نزلت الآية فيمن ذلك القول فلا يحل له أن يصرفه إلى غيره إلا بدليل ثم قوله تعالى والذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم أي ما هن لهم كأمهاتهم لأنه تعالى قال ما هن أمهاتهم على سبيل الرد لما أخبر عنهم بقوله والذين يظاهرون من نسائهم أي قالوا لنسائهم أنتن علينا كظهر أمهاتنا فقال ما هن أمهاتهم فالظاهر يكون ردا للقول عن قالوا لنسائهم أنتن أمهاتنا الأكمل قالوا أنتن كأمهاتنا أو كظهور أمهاتنا فيحتمل بذلك القول أن يريد الله تعالى بقوله ما هن أمهاتهم أي كأمهاتهم ولكن الإشكال أنه إذا صار تقدير الآية ما هن كأمهاتهم فما معنى قوله إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم كانوا يدعون التشبيه بالأمهات والله تعالى نفى ما ادعوا من التشبيه فما معنى نفي حقيقة الأمومة وهي اللائي ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون في نسائهم أنهن أمهاتهم حقيقة حتى يرد عليه دعواهم بقوله إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم فهذا إشكال آخر أنه قال وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا فظاهر هذا القول منهم ليس بقول الزور ولا المنكر إذ ليس في قولهم أنت علي كظهر أمي كذب على كون أمي إلا التشبيه وهي تعلم أن ذلك في ظهرها كظهر أمها في الحرمة والتشبيه لا يقتضي العموم فما معنى تسميتهم تشبيه المرأة بالأم منكرا وزورا فإشكال آخر أنه قد سمى الله تعالى غير الأمهات اللائي ولدنهم أمهاتهم فإنه قال في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وأزواجه أمهاتهم وقال في النساء اللاتي أرضعن وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وإن لم يكن ذلك بحقيقة ولكن بالله التوفيق أنهم كانوا لا يريدون أن نساءهم حقيقة أمهاتهم فأمهاتهم لم يكن لهم الحجاب بذلك لأنهم كانوا يشبهون النساء بالأمهات ولم يريدوا بذلك التشبيه من حيث الصورة والخلقة ولكن من حيث التشبيه في الحرمة وحرمة النساء في الأصل غير حرمة النساء الأمهات فإن الأم حرام الاستمتاع بها على التأبيد لكن يباح للرجل أن يدخل على أمه ويخلو بها ويسافر بها ويباح النظر إلى المحرم في الأركان والاختلاء والخلوة بها والمقام معها والمرأة محرمة بالطلاق الثلاث أو بالبينونة لا يثبت شيء من هذه الحقوق والمشابهة بين الشيئين إذا كان لا يقتضي التساوي بينهما من كل وجه ولكن يقتضي المساواة بينهما في وجه من الوجوه على الكمال ألا ترى أن في الشاهد إذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل بين العلمين والتساوي من كل وجه ولم يجد نساءهم كذلك بأمهاتهم ولا أن يجعلوا حرمة نسائهم كحرمة أمهاتهم ويوجبوا فيهن حقوقا وأحكاما من الحقوق حتى يباح لهم المعاملة مع نسائهم ما يباح مع أمهاتهم ويحرم ما يحرم معهن ويكون لهن والله تعالى لم يجعل ذلك في نسائهم فأخبر أن ما هن أمهاتهم كأمهاتهم في هذه الحرمة التي يريدون إيقاعها لم يجعل لنسائهم حرمة أمهاتهم ثم قال إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم أي في هذه الحرمة التي يريدون إثباتها إنما جعلنا الأمهات اللائي ولدنهم فإنما هم يخترعون من أنفسهم شيئا لم أجعله ولم أشرعه ثم تأويل قوله تعالى وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا إنما كذبهم بما قالوا من إيجاد تلك الحقوق والأحكام على أنفسهم في نسائهم من غير أن جعل الله تعالى ذلك وإنهم ليقولون منكرا وزورا في إيجاب الحقوق فيهن وتشبيههم إياهن بالأمهات في الأحكام والحقوق والحرمة وإن كان كلامهم في قولهم من حيث الظاهر التشبيه منكرا ولا زورا وهذا كقوله تعالى في وصف المنافقين إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وهؤلاء المنافقون فيما قالوا في الظاهر كانوا صادقين لما كان في قلوبهم خلاف ما أظهروا سماهم كذبة لذلك هو كذلك المظاهرون إيجاب حكم لم يجعل لهم ذلك سمى قولهم منكرا وزورا والمنكر هو الذي لا يعرف في الشريعة والزور هو الكذب

تعالى من ذلك حاما قولهم إن الله تعالى قد سمى غير التي تلد بعضا أمهات من نساء النبي صلى الله عليه وسلم والمرضعات منهم من قال جاز أن يكون هذه الآية متقدمة على قوله وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ومن قوله وأزواجه أمهاتهم فلم يكن في ذلك الوقت أمهات من رضاع ثم كانت من بعد فيكون الإخبار بهذا مقيدا بذلك الوقت وهو قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه الآية يجد فيه ذلك الوقت ثم وجد من بعد ذلك غير محرما على ذلك هذا وقيل يحتمل أن يكون قال ذلك في قوم خاص وقضية خاصة لم يكن لهم أمهات من رضاع فيكون الإخبار بأن أمهاتهم ليست إلا اللائي ولدنهم صدقا ولكن هذا تكلف لأن قوله إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم لا ينفي أن هذه الحقوق والأحكام التي يوجبون لهن ليست إلا في الأمهات التي ولدتهم ومن كانت في معناهن وصرن أمثالهن شرعا بجعل الله تعالى كأزواج النبي صلى الله عليه والأمهات بسبب الرضاع والله تعالى أثبت لهن تلك الحقوق ولا الحقهن بالأمهات فيكون تشبيههن بهن في هذه الحقوق منكرا من القول وزورا والله أعلم وقوله إن الله لعفو غفور وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا اختلف في حكم الظهار ما هو وفي تأويل العود فقال طاوس وعطاء قوله ثم يعودون لما قالوا الوطء فإذا حنث فعليه الكفارة وهذا تأويل بعيد مخالف للنص لأن الله تعالى يقول من قبل أن يتماسا وإنما الذي ذهب إليه حكم الإيلاء لأنه إذا وطئ يجب الكفارة فأما في الظهار يجب الكفارة قبل الوطء وعن قال إذا تكلم بالظهار يجب عليه الكفارة ولم يشترط معنى آخر وعن مالك أنه إذا ظاهر من امرأته ثم أجمع وعزم على إمساكها وإصابتها وجبت عليه الكفارة حتى إذا طلقها أو ماتت المرأة بعد العزم على الإمساك أو الإصابة أو بعد الإصابة في وجوب الكفارة عليه وإن لم يجمع على إمساكها حتى ماتت يسقط الكفارة وكذلك إذا طلق لكنه إذا تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر فيكون العود هو إمساكها بعد الظهار وعن الحسن أن العود هو العزم على الجماع حتى إذا عزم على جماعها يجب الكفارة وإن أراد تركها بعد ذلك وقال عثمان البتي إذا ظاهر من امرأته ثم طلقها قبل أن يطأها قال عليه الكفارة راجعها أو لم يراجعها أو ماتت لم يرتفع الظهار والكفارة ولا يقربها حتى يكفر وقال الشافعي العود هو الإمساك والكفارة يجب به وحكم الظهار هو تحريم المتعة حتى إذا أمكنه أن يطلقها بعد الظهار فلم يطلق وأمسكها ساعة بعد ظهارها فقد وجبت عليه الكفارة عاش أو ماتت وإذا استطلقها أو لم يطلقها راجعها أو لا وإذا طلقها عقيب الظهار بلا فصل يبطل الظهار ولا يجب الكفارة بحرمة إمساك المرأة وقال بعض المتأخرين في تأويل قوله ثم يعودون لما قالوا أنه لم يعودوا إلى القول الأول فيكرروا ذلك القول وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا حتى يقول أنت علي كظهر أمي مرتين وأما عندنا فحكم الظهار هو تحريم موقت بالكفارة ولا يرفعها إلا الكفارة وهكذا روي عن ابن عباس أنه قال إذا قال أنت علي كظهر أمي لم تحل له حتى يكفر وعندنا لا يجب الكفارة بنفس الظهار وإنما الظهار يوجب الحرمة لا غير وإنما يجب بالعود حتى أنها إذا ماتت لا يجب عليه الكفارة وإذا ارتفع المعنى الذي يجب هو استباحة الوطء وعلى ذلك إن طلقها ثلاثا أو ثانيا لا يجب الكفارة لهذا إذا عادت إليه بالتزوج وأقدم على استباحة الوطء يجب الكفارة وهو عند بعض أصحابنا أن يجعل المرأة على الحالة الأولى ويحلها على نفسه على ما كانت عليه ويستبيح وطأها فإذا أراد أن يحلها على نفسه ويستبيحها ويقدم عليه يجب عليه أن يكفر ولا تندفع تلك الحرمة عندنا إلا بالكفارة والتكفير سبب الحل كذا ذكر الحيري في تأويل قوله ثم يعودون لما قالوا أي يعودون لنقض ما قالوا ونقض ذلك واستدل بما ذكر عن الأصمعي أن أعرابيا تكلم بكلمة بأنه كان عليه حكم يعود إليه قال الأصمعي ما أدرى به قال الإبطال نقضه والأصح عندنا يدل على أن المراد من قوله ثم يعودون أي يعودون إلى استحلال ما حرموا وينقضون ذلك ويريدون الحل إلى الحالة الأولى لأن ظاهر العود إلى القول بقوله ثم يعودون لما قالوا ولكن أراد به القول به والثابت به وهو الحرمة كأنه قال ثم يعودون لما حرموا بالقول فيستبيحونه ويجوز أن يذكر الفعل ويراد به المفعول كقوله عليه السلام العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه وإنما هو عائد في الموهوب وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين أي الموقن به والله أعلم فإن قيل العود الذي يجب به الكفارة هو العزم على استباحة الوطء والقصد على تحليلها على نفسه من إعادة الحل إلى الحالة الأولى أم الإقدام على الوطء ومباشرة نفس الوطء فإن كان المراد هو الأول يجب أن يقولوا بوجوب الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحليل كما قال مالك والحسن وإن كان المراد إيقاع الوطء يجب أن يقولوا إنه لا يجب الكفارة إلا بعد الوطء كما قاله طاوس وهو خلاف الآية وخلاف قولكم قيل يعني بذلك هو الإقدام على استباحة الوطء والاشتغال بإقامته وتقديم التكفير ثم يفعله إما لا يجب بمجرد العزم ولا بعد تحقق الفعل وهذا لأنه إذا ظاهر حرمت وكان عليه بسبب فعله يجب عليه أن يوفي حقها في الجماع إن كانت بكرا في الحكم حتى يجبر عليه وإن كان ثيبا وقد وطئها مرة يجب عليه فيما بينه وبين الله تعالى أيضا ذلك إليها وعند بعض أصحابنا يجبر في الحكم أيضا على ذلك فإذا أقدم على ذلك يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوصل إلى إقامة ذلك الواجب عليه من الجماع إذ لا يحل ذلك بدون الكفارة وهذا كالوضوء

في باب الصلاة ليس بفرض مقصود بنفسه لكن لا يجب لاقامة الصلاة اذ لا يجوز الصلاة بدون الطهارة
فاذا اقدم على الصلاة يجب عليه تحصيل الوضوء ليتمكن من اداء ما عليه ولا يجب بنفس الارادة ولا يجب بنفس
الحدث حتى لا يجب الوضوء ما لم يدخل وقت الصلاة ويتوجه الخطاب اليها ولذلك المرأة اذا حاضت بعد الوقت سقطت
عنها الصلاة تسقط الوضوء فعلى ذلك هذا يجب عند الاختيار على اقامة هذا الواجب وهو الوطء والطهارة
شرطه ولهذا اذا ماتت المرأة تسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود بالاقامة وهو الوطء ولذلك اذا طلقها
ثلثا او بائنا لكن اذا عادت اليه يلزمه الكفارة اذا اقدم على الوطء لم يبطل الظهار لاحتمال حصول الحرمة
والله اعلم ويحتمل وجها اخر عودوا قوله والذين يظاهرون من نسائهم هذا خبر عن ظهار القوم الذين كانوا
يظاهرون في جاهليتهم اي ظاهروا في ذلك الوقت ثم يعودون لما قالوا اي لذلك القول بعد اسلامهم فعليهم ما ذكر
ان الظهار كان ظاهرا في الجاهلية من عاد الى ذلك القول بعد ما جاء الاسلام فعليه ما ذكره وهو كقوله ومن عاد
فينتقم الله منه فهذا يرجع الى فعل ذلك مرة فلما استحل ذلك ما حرم الله ثانيا فاذا عاد الى الفعل الاول يوجد الاستحلال
فينتقم الله منه بالعقوبة عليه وعاد الى الاستحلال [illegible] فلذلك مثل هذا في اية الربا
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد الى ما كان يفعله قبل الاسلام فلذلك
هذا القول الى الظهار على هذا المعنى يخرج تاويل الاية عندنا هو قوله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه وكانوا يتناجون في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن العود الى ما كانوا عليه فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم
لكن على هذا التاويل الاقدام على الوطء سببا لوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص انما فيه ان الظهار يوجب تحريما
موقتا بالكفارة ولذلك الاحاديث تدل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اوسا بالكفارة حين ظاهر من زوجته
وانما نعرف من حيث الدلالة فانه لما كان التحريم موقتا بالكفارة ويكون رافعا لها لم تجب الا حين الاقدام عليه
لا بسبب سابق موجب للتحريم لانه رافع الحرمة لا يجب بما يوجب الحرمة كما ذكرنا في الوضوء انه لا يجب بالحدث الذي
هو رافع للطهارة ولكن لما وجب على المكلف الصلاة بالطهارة وجب عليه الوضوء بالاقدام على الصلاة التي
لا يجوز بدونه فلذلك هذا والله اعلم قول من جعل العود هو العزم على امساك النكاح والبقاء عليه فاستدل بان النبي
صلى الله عليه وسلم اوجب الكفارة على اوس بن الصامت حين ظاهر من زوجها ولم يسأله الا امساكها والبقاء
على النكاح ولان تفسير العود بالامساك لا يستقيم لانه لم يعرف في الاصل ان امساك المرأة عودا عليها ولا امساك
شيء من الاشياء يتكلم فيه بالعود الذي حكي عنه خلاف اللغة ولما ذكرنا ان العود الى الشيء هو الرجوع الى ما كان
عليه فيقتضي انعدامه وزواله حتى يتحقق العود اذ العود دليل وجود داعي وهذا انما يتحقق فيما قلنا من الحل الذي
وتبدل بالحرمة فاما العقد قائم لم يبطل بالظهار فكيف يعود الى العقد فلا يكون البقاء على العقد وامساك المرأة
بالنكاح عودا ولان الله تعالى قال ثم يعودون وثم يقتضي التراخي ومن جعل العود هو الامساك والبقاء
على النكاح فقد جعله ما بدا عقيب القول بلا تراخ وذلك خلاف ظاهر الاية وقول من جعل العود هو العزيمة
على الوطء لا معنى له لان موجب الظهار هو تحريم الوطء لا تحريم العزم على الوطء واذا كانت العزيمة على المحظور محظورا
لكنه وسيلة الى المحظور فيكون العود هو الرجوع الى ما يفوت به مقصود [illegible] من حيث الاول ولانه
لاحظ للعزيمة في حق تعلق الاحكام في سائر الاصول الا ترى ان سائر العقود والتحريم لا يتعلق بالعزيمة ولا
اعتبار بها وقد قال عليه السلام ان الله تعالى عفا عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم يتكلموا به او يعملوا ومن جعل
الى القول الاول لا يخلو من خلاف الاجماع او خلاف اصول الشرع اما خلاف الاجماع فان السلف والخلف جعلوا ان
هذا ليس بمراد من الاية فيكون قائله خارجا عن الاجماع واما مخالفة الاصول فلان الحل والحرمة انما تتعلق
بابتداء القول لا بتكراره في جميع الاصول من المناكحات والنكاح والطلاق والعتاق والاخبار كما كان الاصل
هذا في سائر الاشياء والظاهر موجب الحرمة بقوله ذلك ان الموجب هو القول الاول دون الثاني فيكون تعليق
الحرمة بتكرار السبب الموجب للحرمة بقوله دل ان الموجب هو القول الاول دون الثاني فيكون تعليق الحرمة
بتكرار السبب الموجب مخالفة لسائر الاصول وبهذا يبطل قول الشافعي في انه تعلق الحرمة بتكرار لفظه
لا بصيغة واحدة والله اعلم ولان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالكفارة في حق اوس ولم يسأله عن تكرار القول
ولما لم يسأله دل ان الحكم غير متعلق بالتكرار ومما قال الشافعي انه اذا طلقها بعد الظهار بلا فصل فلا كفارة
عليه وان كنت ساعة ثم طلقها كفر راجعها او لم يراجعها او ماتت قول يفرح به لا نظير له [illegible]
طلقها او امسكها وسائر التابعين قالوا ان ماتت او طلقها فلم يراجعها فلا كفارة عليه [illegible]
بطلقها على اثر الظهار بلا فصل او بعد ذلك بساعة فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف
ثم قوله فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ظاهر يقتضي ان يكون الوطء محظورا قبل الكفارة لانه جعل الحرمة

الكفارة

بالكفارة ثم اذا وطئ يسقط الظهار والكفارة لان كلما تعلق بشرط او بوقت موقت متى فات الوقت او عدم
الشرط لا يجب لذلك النص واحتيج الى دلالة اخرى في ايجاب مثله في الوقت الثاني الا انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان رجلا ظاهر من امرأته ثم وطئها ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له استغفر الله ولا تعد حتى تكفر فصار
التحريم الذي بعد الوطء عرفناه بالسنة والله اعلم ثم قوله فتحرير رقبة فان رجع الى وجهين من حيث اسم الرقبة ومن
حيث ما يستحق حكم الرقبة فان كان المراد من ذكر الرقبة اسم الرقبة نفسها فيجيء ان يجوز كل ما يقع عليه اسم الرقبة صغيرا
كان او كبيرا كافرا او مسلما مقطوع اليدين كان او مقطوع الرجلين او اعمى وكيفما كان وبشر المريسي يذهب
الى هذا ويجيز كيفما كانت الرقبة وان كان المراد من ذكر الرقبة ما يستحق حكم الرقبة فيجيء ان لا يجوز اعتاق
رقبة فيها ادنى نقصان اذ الاصل في العبيد والاماء ان النقصان فيما دون النفس يوجب نقصانا في كل النفس
فيجيء ان لا يجوز لانه يصير معتقا بعض الرقبة لا كلها ثم الدليل على ان النقصان الحاصل فيما دون النفس في الرقاب
يجعل كالنقصان الحاصل في النفس ان العبد اذا قطعت يده او فقئت عينه يشترى بنصف ما كان يشترى في
الصحة فصار النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد وان لم يكن ذلك من نفسه النصف فيجيء
على هذا ان لا يجوز اذا كان فيه ادنى النقصان اذ الحكم فيما دون النفس في العبد حكم الانفس وحكم الحيوان
عليه يحمل على حكم كل النفس لكن هذان التاويلان في الاية لا يصحان واما الجواب عن الفصل الثاني ان النقصان
الحاصل كلها اي ذلك النقصان يرتفع بالعتق اذا صار هو منتفعا بالعتق اذ العتق حيث النقصان الذي كان به
فيسلم له الرقبة كاملة من حيث المعنى فيجوز كما اذا اعتق الرقبة السليمة والدليل عليه انه لو جنى عليه بعد ما جنى عليه
بعد ما عتق لم ينتقص من ديته شيء وان كان ذلك النقصان في نفسه موقتا بالعبودية والرق وهو بسببه هذا انه في حق
نفسه كامل النفس وانما كان ذلك النقص فيما يرجع الى المولى في قيمته وقت العبودية اذ هو لو كان منقوصا في حق نفسه
لا يرتفع عند ذلك النقصان ابدا فلما ارتفع النقصان في حكم الرقبة دل ان عتاقه جائز والاصل فيما اوجب الله
تعالى من هذه الكفارة انما وجب ليكفر بها ما ارتكب من المآثم ولما ارتكب من الشهوات التي حظر عليه ارتكابها ليتألم
بها الكفارة ليكون زجرا عن العود اليها فينبغي في هذه الكفارة ان يكفر بشيء يتألم به نفسه ولا يتمتع
عنده ما فلا يجوز ذلك عن الكفارة وان كان بالذي يلحقه مؤنة يجوز بما يصل اليه من الالم في اعتاقه وجهان
احدهما انه اذا تأمل في هذا ما نفع ذلك المملوك منفعته بما كان هو يصلح لخدمته يتألم بذلك ويفجع والثاني اذا تأمل
ضرر النفع في العاقبة ان لم يكن في الحال ينتفع به شيئا لم ايضا بذهاب تلك المنفعة المؤملة فكل من كان بسبيل من
هذين الوجهين جاز عتقه عن الكفارة والا فلا لكن الله علم ثم لا يجوز اعتاق الاعمى والمقعد ومقطوع اليدين
ويجوز ذلك عن الكفارة ويخرج على الكلامين اما على الاول انه وان ارتفع النقص الحاصل في نفسه بسبب العبودية
عند وجود الاعتاق فانما لا يجوز لا للنقصان ولكن لانه يصير معتقا بدلا لا اعتاق بدل لا يجوز عن الكفارة
وان كانت الرقبة بصفة الكمال في نفسه ولكنا انه يصير معتقا بدلا انه ما دام في ملكه على تلك الحال كان مؤنته
يلحقه بالاعتاق يسقط مؤنته عن نفسه ويلحق تلك المؤنة المسلمين فلم يجز عن الكفارة لهذا او انه على الثاني
لا يلزم على الوجهين جميعا اما على الاول فلانه لا يتفجع ولا يتألم نفسه باعتاق مثله لما ليس له منفعة الخدمة
ليتألم بفوتها وعلى الثاني ان ليس له منفعة يؤمل في المال فيتألم بذلك ايضا ولا يلزم الصغير على هذا العدد لانه ليس
له منفعة الخدمة ونفقته عليه ايضا ومع ذلك يجوز اعتاقه عن التكفير لانا نقول انه انما ينفق على الصغير لما له
منفعة في العاقبة ولهذا انما يشترون الصغار لانهم اي ينفقون عليهم لينتفعوا بايمانهم واعيانهم في العواقب
فلم يصر عتقه من هذا الوجه بدلا لان الذي منفعته موجود حسبما كان في الكبير او اكثر والاعور ومقطوع احدى
اليدين واحدى الرجلين يجوز عن الكفارة فانه قد يمكنه الاكتساب فيتألم مولاه باعتاقه لما فيه ذهاب منفعته
فيصلح ان يكون كفارة لما ارتكب من الشهوة وكما وصفنا من جنس ذلك النقصان وارتفاعه بالعتق والله اعلم
وذكر عن الشافعي انه لا يجزئ عتق الرقبة الكافرة عن الكفارة واحتج بما ذكر الله تعالى في كفارة القتل
ولكنا نحن نقول هذا على اصل مذهبه خطأ لان مذهبه العموم يعم كل رقبة وهذا ان الدليل والاصل في ذلك
عندنا ان الله تعالى لم يذكر في كفارة الظهار الرقبة المؤمنة فلا يجوز ان يوجب ما ذكر في كفارة القتل فيها
لان الدليل عليه انه ذكر في تلك الاية الاشياء وهو قوله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة
الى اهله فذكر الدية ثم ذكر الدية في اية القتل لم يوجب على الظاهر اذا لم يذكر هاهنا في الظهار فلذلك لا يذكر
الايمان واشتراطه في كفارة القتل لا يكون كالمذكور في اية الظهار ومثله في القرآن كثير وايضا ان احتج بجواز
في كفارة القتل اعتاق الرقبة الكافرة وذلك ان المسلم يتألم باعتاق الرقبة الكافرة ما لا يتألم باعتاق
المسلمة لما ان طبع الانسان الى الكافر ولا يأتي بمثله الى المسلم وكذلك وصفنا ان الكفارة للتألم بالايلام ما لم يحرم

عن ملكه سمعا في القرآن دليل على جواز اصطناع المعروف اليهم وهو قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ثم قال ايضا بعده
وما تنفقوا من خير يوف اليكم وقد ذكر في القصة ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد امتنعوا على الانفاق
على اقربائهم لما ابوا الاسلام فنزلت فيهم هذه الآية فهذا يبنى في ذلك الاصطناع اليهم واعتاقهم يكون
تكفيرا ثم قوله فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فتأويله عند ابي حنيفة في عتق الامة [illegible] لانه عنده الاعتاق يحتمل التجزي
فيحتمل ان يعتق نصفه ثم النصف الآخر فيشترط ان يعتق النصفين جميعا قبل المسيس حتى لو مسها فيما بين ذلك
يلزمه استيناف العتق وعلى هذا تأويل قوله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا أي صوم شهرين
لا مسيس فيه حتى انه لو وطئها في وقت لم يتم صوم شهرين بعد يلزمه الاستيناف وكان معناه لا مسيس في خلال
الكفارة فمتى وجد المسيس في وقت لم يتم الكفارة بعد يلزمه الاستيناف حتما وقيل قوله من قبل ان يتماسا عند
ابي يوسف أي يعتق قبل وقت المسيس ويصوم كذلك ونقول بان الآية خرجت لبيان وقت التكفير فيمن
جامع امرأته في صوم الظهار انه لا يستأنف الصوم بل يصوم كما اذا فات عن وقته صار قضاء [illegible]
وليس بعد الجماع وقت لذلك الصوم بل يكون ذلك على القضاء فيكون متفرقا وصار بمعنى الصوم [illegible]
ما تعين له وقت ثم فات الوقت لا يجب متتابعا بل يجوز متفرقا كذا [illegible] المسألة في الاعتاق عنده
لانه لا يتجزى عنده ولا خلاف انه اذا جامع قبل الكفارة لا يلزمه شيء سوى التوبة والاستغفار [illegible]
وعند بعضهم يلزمه كفارتان لابي يوسف على ما ذكرنا ولانه تأدى بعضها في الوقت وبعضها في غير الوقت [illegible]
الكل بعد الوقت ولهذا المعنى في الطعام [illegible] ابي حنيفة ان الظهار ليس يوجب الكفارة ولكن يوجب
حرمة لا يرتفع الا بالكفارة ولا يؤمر هو بالكفارة مقصودة لكن اذا اراد الاستمتاع بها يقال له لن تصل اليه الا
بالكفارة فاذا كان كذلك فاذا ادى بعضها ثم ماسها ثم ادى البقية لم يصر ما ادى بعد المماسة قضاء عن
الوقت الذي قبل المماسة فاذا لم يصر قضاء من ذلك جعل كالنص [illegible] ان يحرر رقبة قبل
ان يتماسا ويصوم شهرين متتابعين اذا اراد العود اليها ولذلك قال عليه السلام للمظاهر الذي جامع امرأته
استغفر الله ولا تعد حتى تكفر ويدخل على هذا الاطعام انه اذا اطعم بعض الطعام ثم ماسها [illegible]
وان العبارة التي ذكرنا انما توجب الاستيناف لكن يستحسن في الطعام لان الطعام [illegible] في الاصل [illegible]
اذ لو اطعم بعضه في الحال وبعضه بعد سنة فانه جائز [illegible] الجهة لكن يدخل عليه الاعتاق عند ابي حنيفة
اذا اعتق بعضه في الحال وبعضه بعد سنة يجوز ايضا ومع ذلك اذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الا
وما ذهب اليه ابو يوسف من حمل الآية على بيان الوقت لا يصح لانا لو حملنا تأويل الآية على الوقت نفسه
لكان لا فائدة تقع في الآية لانه معروف وقت ذلك [illegible] لان الفعل بعد ذلك [illegible] علمنا ان [illegible] الحرمة
وعلمنا ان تلك الحرمة لا يرتفع الا بالكفارة [illegible] الحل بعد الحرمة معلوما ولذلك [illegible] جميع الحرمة
من الطلاق [illegible] انه لا يرتفع الا بسبب رفعه فلو حمل تأويل الآية على بيان الوقت لم يفد شيئا ولو حمل
على بيان خلو الكفارة عن المسيس وعلى نفي المسيس في خلال الكفارة يفيد فائدة جديدة فيكون هذا
التأويل احق واولى ثم في الآية دلالة ان [illegible] على بيان الوقت وهو قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام
ستين مسكينا ذكر في العتق والصوم ترك المماسة ولم يذكر ذلك في الاطعام ولو كان ذكر الشيء على حمل
الوقت لم يكن يذكر فيه المماسة ان الكفارة اذا كانت عن شيء واحد لا يختلف [illegible] بل يكون
واحدا [illegible] الاطعام [illegible] ذكره في العتق والصوم [illegible]
[illegible] الكفارة [illegible] فاذا ادى بعضه في الوقت وبعضه في [illegible]
كان [illegible] العتق والصوم [illegible]
لان الكتاب [illegible] بيان [illegible] وبيان كفارته [illegible]
[illegible] بالاجتهاد [illegible]
الاجتهاد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لبيان الوقت [illegible] الصوم [illegible] الطعام [illegible]

اخلاء الصوم والعتق عن المسيس حكم عرفناه بالنص غير معقول المعنى فلا يتعدى عنه الى غيره ويكون مثاله
مثال ما ذكرنا في ختم التيمم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الآية على ما عرف في موضعه والحاصل
في المسألة طريقتان احدهما بحق القياس والاخر بحق الاحتياط اما القياس ما ذكرنا انه تعالى نص على
اخلاء الصوم عن المسيس ونفي المسيس عن خلال الكفارة لكنا لما ذكرنا في الاعتاق والصوم دون الاطعام فدلنا
ذلك على انه بيان تفصيل يحكم دليلا على قصر الحكم على المنصوص ومنع التعدية الى غيره لما هو ان المعقول يقتضي
على ان ذلك الحكم فجعلنا نفي المسيس من خلال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارة بدونه
ولم يجعل في باب الاطعام شرطا واما طريق الاحتياط فهو انه لما احتمل ان يكون ذلك لبيان الوقت او نفي
المسيس عن خلال الصوم فاخذنا بالاحتياط وفي الاطعام اخذ بالقياس لما انه لم يذكر نفي المسيس وذكره في
الصوم والعتق لم يكن بيانه كفاية حتى يكون ذكره في الاطعام بل هو بيان تفصيل وانه حكمة الفصل في نصوص
دون التعدي والله اعلم وفي الآية دلالة لصحة مذهب ابي حنيفة في ان العتق يحتمل التجزية وهو ان يعتق بعضه
ويسعى المملوك في باقي قيمته [illegible] اذ قال فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فتحرير رقبة لا مماسة في تكفير
وكان بعض العتق يوجب عتق الكل لكان لا يفيد قوله من قبل ان يتماسا اذ لا يقع العتق الا قبل المماسة فلما
قال ذلك دل انه [illegible] والله اعلم بان لا يمسها من عندنا اعتق بعضه فلم يعتق الكل حتى تم عتقه فيه الاعتاق
ولهذا قال بانه يلزمه الاستيناف في العتق كما في الصوم فدل انه الاعتاق يتجزى والله اعلم ثم جعل الكفارة فيه
التوبة والاستغفار فقط [illegible] احدهما انه لم يجعل [illegible] لكان لا يظهر ذلك وانما هو بينه وبين المرأة
[illegible] انه تاب ولم يتب [illegible] يظهر التوبة بالفعل وانه لم يتحقق بقلبه فيتهمه المرأة فجعل التوبة
فيه اظهار الحرمة فيه دفعا للتهمة عنه وتسكينا لقلب المرأة والله اعلم والثاني ان استحل الاستمتاع
في النكاح نعمة عظيمة فتنبيهها بالحرم [illegible] فلم يجعل له الخروج منه حتى لا يستحل
ثانيا [illegible] عليه بل جعل عليه ما [illegible] ليشتد عليه [illegible] مثله في المستقبل
[illegible] في الزنا [illegible] من الاحرام [illegible] لانه لم يجعل ملك اليمين الا للاستمتاع
خاصة [illegible] ذلك ولا جعل [illegible] حتى لا يستمتع فلم يصر تشبيهه بمن ذكر كفران
نعمة عظيمة [illegible] ابطالا لحق [illegible] فقيل ان الظهار كان طلاقا في قوم فان
التحريم المتعة فلم يكن الا [illegible] وعلى الطلاق لم يكن [illegible] انتقال اليه ولكن ذلك
هنا كان [illegible] فموجب حرمة لا يرتفع [illegible] فيوجب حرمة يرتفع بالنكاح [illegible] وان الحرمة لم يكن
[illegible] هذا التحريم [illegible] ملك النكاح مع ملك اليمين فاما [illegible] من الحرمة الموبدة بالحرمية فان كان
تلك الحرمة [illegible] ملك اليمين [illegible] كما انتقل اليه من الحرمة الموقتة كذلك [illegible]
ما قلنا والله اعلم وفي الآية دلالة [illegible] تأخير البيان لان [illegible] الرجل لما ظاهر من امرأته استدعى الحاجة
لمعرفة ما يجب عليه من الاحكام ثم تأخر [illegible] بيان ما يجب فيه [illegible] من عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيان الحكم [illegible] وهو اولى [illegible] الخطاب [illegible]
واشتد [illegible] العام [illegible] الخصوص [illegible]
زوجته بعد [illegible] والله اعلم ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق في كفارة
الظهار والقتل وكفارة الافطار في شهر رمضان وجعل في كفارة اليمين صوم ثلاثة ايام بدلا عن العتق
وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم والله اعلم وقوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ذكر صاحب [illegible]
قوله ذلك لتؤمنوا بالله هو صلة قوله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية يقول اخبركم بما كان
ذلك منكم في الشر وليطلعكم على ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله او لتصدقوا وتعلموا انه لا يخفى على الله من اعمالكم
شيء ومنهم من قال ذلك يرجع الى قوله وان الله لعفو غفور [illegible] الفرج والمخرج عما امتحنتم به من الحرمة وما اشتد
عليكم لتؤمنوا بالله ورسوله لما فرج عنكم بالخروج بما ذكر والله اعلم ومنهم من قال ذلك العفو [illegible]
[illegible] عليكم [illegible] ليؤمنوا بالله ورسوله [illegible] الشكر لما انعم عليهم وجعل لهم من الفرج
والمخرج عما امتحنوا [illegible] وهكذا العبادات التي امر بها [illegible] الشكر لما انعم
عليهم وتسليم الامر له والخضوع [illegible] الاستغفار والتكفير عما سبق من التفريط والتقصير والله اعلم
ويحتمل ان يكون قوله لتؤمنوا بالله [illegible] الايمان بالله تعالى ورسوله
في كل وقت وكل ساعة [illegible] احداث الايمان وتجديده [illegible]
وقوله تعالى وتلك حدود الله [illegible] قيل ان الحدود [illegible] من الاحكام وقال الزجاج حدود الله [illegible]

الله ورحمته ولذلك سمي الحاجب حدادا لانه يمنع الناس منه وعندنا قوله تلك حدود الله اي اوامر الله ونواهيه
على معنى انه يمنع هذا من الدخول في حق الآخر ويمنع الباطل من الدخول في حد الحق او الحق لاختلاطه وفي الاية
دلالة انه خلق افعال العباد لانه اضاف الحدود وهي الطاعات الى نفسه بقوله وتلك حدود الله وانها افعال
العباد دل ان افعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى وانما خص الطاعات بالاضافة الى نفسه مع ان جميع الافعال
بخلقه اياها تبجيلا وتعظيما لها وعلى هذا يخرج تاويل من قال في قوله ان الساعة آتية اكاد اخفيها من
نفسي فكيف اظهرها لكم انه اراد بهذه الاضافة تبجيلا وتعظيما لامر الساعة وكانه يقول انما لم اظهرها لكم
لان الخلق الذي هو بهذه المنزلة فكيف اعلمها لكم او لا افعل ذلك وقوله تعالى وللكافرين عذاب اليم
اي وللكافرين بالله وبحدوده عذاب اليم في الآخرة لان عذاب الكفر انما يكون في الآخرة عذابا دائما لا انقطاع
ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله قال بعض اهل الادب المحاد هو الذي يجعل نفسه
في حد غير الحد الذي امره الله تعالى ورسوله ان يكون في ذلك الحد فيكون في حد غير الحد الذي عينه رسوله وكذلك
قوله يشاقون الله اي يكونون في شق غير الشق الذي عليه رسوله اتباعا وكلامهم نحو ومنهم من قال المحاد هو من
اعدل الله عنه وبعضه قريب من بعض واصله ما ذكر يحادون الله ورسوله اي يعادون اولياء الله ويخونهم
من الطرق فلذلك يا محمد صلى الله عليه وسلم ويشعون وقوله تعالى كبتوا كما كبت الذين من قبلهم قيل غلبوا ورد
يعني حاجتهم كما غلب عدو الذين كانوا من قبلهم وقيل اهلكوا كما اهلك الذين من قبلهم وقيل اخزوا كما اخزي
الذين كانوا من قبلهم وكله قريب بعضه من بعض ثم يخرج تاويله على وجهين احدهما اي كبت هؤلاء الذين
منعوا الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كما كبت الذين من قبلهم او كبت هؤلاء الذين
منعوا الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كبت الذين منعوهم عنه بمكة لان هذه السورة
مدنية والله اعلم وقوله تعالى وقد انزلنا آيات بينات اي آيات تبين حدود الله من غير حدوده وما تبين الحق
من الباطل والرسول من غيره والمحاد من غير المحاد وقوله تعالى وللكافرين عذاب مهين اي للكافرين بذلك كله
يهينهم كما اهانوا المؤمنين وقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا اي الاولين والآخرين والمحادين والموافقين
وقوله فينبئهم بما عملوا اي ما تطلا لذلك او كره وسواهم تلك الاعمال خرج هذا على الوعيد وفيه دلالة رسالته
اذ اخبر ان الله تعالى يحصي ذلك عليهم وانهم نسوا فلم يتهيأ لهم ان ينكروا وعليه انهم لم يتسود دل انه بالله علم
وقوله والله على كل شيء شهيد اي على كل شيء من الاحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد وقوله
الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فان كان هذا الخطاب لرسول
صلى الله عليه وسلم فيكون فيه دلالة رسالته اذ اطلعه على ما اسروا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه ويناجوه بينهم من الكيد والخداع اطلع الله رسوله على ذلك ليعلم انه بالله علم ذلك وكان
بشارة له بالنصر والمعونة وهو كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما اسمع وارى
ما يقول لكما وما يجيبا او اذ اقصد بكما وادفع عنكما ما قصد بكما على ذلك العباد كذا الم تر ان الله يعلم ما في
وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فيطلعك على ما هو بك واسروا اليك فيصير ليدفع عنك
كيدهم ويحتمل ان يكون الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ولكن لكل في نفسه كتفسير كانه قال
الم تر الى ما يتبين ان الذي في السموات والارض واهلها وعلمت ذلك فاعلم انه بما يكون من نجواهم فيما تكن والنجوى
على التبييت والجهر على الاسرار في النجوى ثم قوله رابعهم وسادسهم معهم ونحو ذلك يجب ان ينظر الى المقدم من الكلام
فيصرف قوله وهو معهم الى ذلك نحو قوله ان الله مع الذين اتقوا وان الله لمع المحسنين ونحو ذلك معهم في النصر
والمعونة لهم والنصر فعلى ذلك ما ذكر من قوله هو معهم في النجوى عما اسروا فيما بينهم اي شاهد معهم حافظ
عليهم يدفع عنهم كيدهم ومكرهم ويصير مكرهم والله اعلم وقوله ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم اي
ينبئهم بما تناجوا واسروا الى كيدهم يوم القيمة وقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ان الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه لانه فيه
دلالة اثبات الرسالة لانه اخبر انهم عادوا الى ما نهوا عنه وهو النجوى وعلموا انهم لا يعودون الى ما نهوا عنه
بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عند غيبة منهم دل انه بالله تعالى علم ثم اختلف في سبب
النجوى قال بعضهم انه كان بين اليهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فاذا رجل من المسلمين وحده
يتناجون بقتله بينهم فيظن المسلم انهم يتناجون بقتله او بما يكره فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى فنزل لما ذكر ومنهم من قال ان اصحاب رسول
صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قام اناس من اليهود واناس من المنافقين

فهم يتناجون بينهم دون المؤمنين وينظرون نحو واحد منهم فاذا رآهم ينظرون نحوه قال ما اظن هؤلاء الا قد
بلغهم خبر او ما الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرايا من قتل او موت فيقع في قلبه من ذلك ما يحزنه
فلا يزال كذلك حتى يقدم حميمه من تلك السرية لكن الاولى عندنا السكوت عن ذكر هذا وامثاله لانه يخرج مخرج الاحكام
فجعلها نرى عليهم يجب ان يكون على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب في الخبر والافهام سبيله عندنا حق وقوله تعالى واذا جاؤك
حيوك بما لم يحيك به الله ذكر انهم كانوا اذا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون السام عليك يا محمد
فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم ويقول عليكم وفيه دلالة رسالته لانهم حيوه سرا منه فاطلعه الله
تعالى على ما اسروه ولذلك ما قال ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله اي هلا يعذبنا الله بما نقول ففيه
دلالة الرسالة لانه علم ما في انفسهم قالوا ذلك سرا في انفسهم فاطلع الله تعالى رسوله على ما في انفسهم فعلم انه بالله
تعالى عرف ذلك ثم قوله تعالى خبرا عنهم لولا يعذبنا الله بما نقول لجائز ان يكون منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعنون التعذيب لاجل التناجي الذي كان نهيهم فلما تاخر ذلك عنهم قالوا عند ذلك انه لو كان رسولا على ما يقول
لعذبنا على ما قالوا وعملوا لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان توعدهم العذاب لم يبين متى يعذبون فقد
ما ذكر حيث قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول
انما قالوا ذلك عند رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بما حيوه قال وعليكم يقولون انه دعا علينا بقوله
وعليكم فان كان رسولا لاجيب ما دعاه الذي دعا علينا لكن رسول الله لم يدع عليهم انما رد قولهم عليهم والله اعلم
وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
اذا اهل التاويل صرفوا الآية الى المنافقين وعندنا يحتمل صرف النهي الى المؤمنين عن التناجي بمثل ما تناجوا
اولئك اي لا تتناجوا انتم يا اهل الايمان فيما بينكم بالاثم والعدوان كما تناجوا منكم بقول الايجاد دم بالذي
لم ولكن تناجوا فيها بالبر والتقوى وهو كقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
نهى المؤمنين ان يجاوزوا حد الاعتداء الذي كان منهم من صدهم عن المسجد الحرام بل امرهم بالتعاون على البر والتقوى
حيث قال وتعاونوا على البر والتقوى فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم وجائز ان يكون في المؤمنين حقيقة على
الابتداء ابتداء منه لهم يقول اذا تناجيتم فلا تتناجوا فيما بينكم ويحملكم على العدوان على المجاوزة عن الحد
ومعصية الرسول فيما يأمركم وينهاكم وتناجوا بالبر والتقوى البر يحتمل كل انواع الخير وانما التقوى هو كل ما تقوا به
انفسهم عن النار وقد تقدم ذكره وقوله تعالى واتقوا الله الذي اليه تحشرون جائز ان يكون هذا الخطاب
لهم اعني المؤمنين والكافرين الذين يقرون بالحشر لان اهل الكتاب وبعض المشركين يقرون بالبعث وبعض
المشركين ينكرونه مع الدهرية وقوله تعالى انما النجوى من الشيطان اي النجوى الذين كانوا يتناجون بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول ليس كل نجوى على ظاهره ما خرج الخطاب عاما ولكن يرجع الى النجوى الذي ذكر وهو
الذي نهوا عنه ثم قوله انما النجوى من الشيطان جائز ان يكون معناه ان ابتداء النجوى في الشر من الشيطان وهو
ما ذكر في بعض القصة ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام قال ابليس للملائكة ارايتم ان فضل هو عليكم ما تصنعون
قالوا نطيعه بما امر … ان فضلت عليه لاهلكنه وان فضل هو علي لا اطيعه فعند ذلك ما جاءهم في امر آدم عليه السلام
بالسر فكان اول النجوى في السر من الشيطان وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا لولا ان الشيطان في حال الحزن يكون
املك على افسادهم واخراجهم من امر الله تعالى وادخالهم في نهيه والا لم يكن لقوله انما النجوى من الشيطان ليحزن
الذين آمنوا معنى لانه لعنه الله في حال الحزن والغضب املك وقد يعمل في حال السرور والسعة لكنه والسعة
لكنه بما يدعوه الى اللذات ويمنيه اشياء كان قصده من ذلك ان يوقعه في الضيق والشدة ما هو عليه وقد وقع
تلك الحال وكذلك قال لآدم وحوا عليهما السلام هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى ليقاسمهما بالغرور
بالذي ذكر ومناهم ما ذكر وكان قصده من ذلك ابداء عورتهما وايقاعهما في الضيق والبلاء حيث قال فلما ذاقا
بدت لهما سوآتهما الآية مكر الله تعالى ابليس من السر الذي ذكرنا ولم يمكنه من افساد الطعام واللباس
وعوذ الشيطان هو ادون الاول في ذلك لكن هذا في الصلاد الدنيا واكثر فلم يمكنه من افساد هذه الاشياء
منه واخبرنا عليهم والله اعلم وليس بضارهم شيئا الا باذن الله اي ليس بضارهم فيما يتناجون من الكيد
لهم والمكر والله اعلم ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي في دفع من قصدهم من الكيد بهم والمكر والهلاك
وعليه يتوكلون في النصر لهم والمعونة على اعدائهم والتوفيق لهم في كل خير وكل هذا وصف المؤمنين واما المعتزلة فهم
يخرجون من هذه الآية وذلك المؤمنون على قولهم غير متوكلين على الله لانهم يقولون ان الله تعالى قد اعطى كلا من النصر
والمعونة ما يستحق على اعدائه حتى ينتقم منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء فعلى قولهم لا يبقى عنده
مزيد ما ينصرهم ويعينهم على شيء فعلى قولهم لا يقع للمؤمن في التوكل على الله تعالى في شيء لانه ليس عنده ما ينصرهم ولا ما

نعلى بما اذا يتوكلون عليه فعلى من هو اذا لم يملك ما ذكرنا ومن فوقهم ان على الله تعالى ان يعطي من المعونة والتوفيق ما لكل عنده مريد حتى لو منع شيئا من ذلك لم يعطهم يكون جائزا ثم اذا اعطاهم ما ذكرنا فلا يهتدون ولا ينصرون كما انه تعالى قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وقال ومن يهد الله فهو المهتد فدل ان ما قالوا مخالف الكتاب ثم اختلف في اشتقاق النجوى منهم من قال هو من النجوة وهو المكان المرتفع وذلك انهم كانوا يقومون في مكان مرتفع يتحدثون فيه لم يبعد من قصدهم ضيق صدر وكلام هذا معناه ومنهم من قال التناجي التحالي بما ذكر ولا يعلم بحقيقته اذا تناجيتم اذا تصاكيتم فلا تتحالوا بما ذكر وقال القتبي التناجي التسارر والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الاية يخرج على وجهين احدهما اذا قيل لكم تفسحوا او يقال قيل لكم تأخروا في المجلس فتأخروا واذا قيل انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا وتقدموا فيكون قوله تفسحوا اذا كان الحضور اولادهم الذين همتهم الاستماع والعمل به دون اخذه والنفقة فيه فقيل لهم تأخروا حتى يقرب من بصيرة ما للناس وتعمقها لهم واذا كان الحضور لهم الذين همتهم النفقة وهم الائمة ثم حكاه بعد ذلك من كان همته الاستماع والعمل به قيل للذين تقدموا وكلا ارتفعوا او تقدموا حتى يسمع من خص بعدكم قول النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم والثاني انه اذا كان في المجلس ذو سعة فسحة ما يمكن تمكين غيره بالحركة والتفسح دون القيام يقال لهم تفسحوا فاما لو لم يكن ذلك الا بالقيام قيل لهم قوموا وارتفعوا او تقدموا وقوله تعالى يفسح الله لكم في الاخرة في الجنة او يفسح الله لكم في المجلس وهو فسحة القلب وتوسعة للعلم والحكمة والله اعلم وقال الحسن اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس او في القتال [illegible] واذا قيل انشزوا [illegible] الى العدو وقوله ما دعيتم اذا دعيتم الى حرب وصلاة فاجيبوا وقال غيره الى كل خير من قتال عدو او امر بمعروف او نهي عن منكر او نحو كائنا ما كان والله اعلم وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات احتمله يرفع الله الذين آمنوا والحق الان يرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات لفضل العلم على سائر العبادات من الجهاد وغيره الا ترى انه قال في آية الجهاد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وقال الذين اوتوا العلم على الذين لم يؤتوا درجات لتعلم فضيلة العلم على غيره ولذلك قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس قوما عند نفسه ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سرايا حتى اذا رجع السرايا انذرهم الذين تفقهوا في الدين وتحملوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان التاويل هذا ففيه دلالة فضيلة العلم على الجهاد حتى اخرج اولئك المتفقهين قال بعضهم كان ينفر من كل قوم طائفة ليتفقهوا في الدين فاذا رجعوا اليهم انذروا قومهم وقال قتادة ان بالعلم لاهله فضلا وان له على اهله حقا ولعمري للحق عليك ايها العالم افضل والله يعطي كل ذي فضل فضله وقال قتادة في قوله واذا قيل لكم تفسحوا انهم كانوا اذا راوا الحاضر مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل اقبل نفر من الانصار ممن شهد بدرا يسلمون على النبي عليه السلام ومن حوله فردوا السلام وصونوا مجالسهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوسعوا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يوسعوا لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا فلان ويا فلان لنفر منهم من الذين لم يشهدوا بدرا فشق ذلك عليهم فتكلم في ذلك المنافقون فنزلت هذه الاية والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يشبه ان يكون قوله ما ذكر من مناجاة الرسول عليه السلام على وجوه وكان الناس في مناجاته طبقات احدهم يناجيه مسترشدا في امر الدين وما ينزل به من النوازل والاخر يناجيه افتخارا على غيره من الناس ومباهاة منه ليعلم ان له خصوصية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضيلة له عنده وهو صنيع المنافقين والفريق الثالث يناجوه ليسمعوا الناس الكذب ويسمعون منهم [illegible] كقوله تعالى سماعون للكذب لقوم آخرين وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر فجائز ان يخرج المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي ذكرنا ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجاة يخرج على وجوه احدها امر بتقديم الصدقة لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم والخصوصية له ليطهر بتلك الصدقة ويصير اهلا للمناجاة بها فهو كالطهارة التي جعلت سببا للوصول الى مناجاة الرب سبحانه وتعالى والثاني لما خصهم بمناجاة الرسول عليه السلام وجعلهم اهلا لذلك امرهم بتقديم الصدقة امتحانا لما امتن لهم لينظر حقيقة امرهم وطوعهم كما جعل الامر بالحج سببا لظهور [illegible] وان بيان ما يمحى الامر وكذلك الاخلاص والله اعلم وجائز ان يكون الامر بالصدقة لاهل المناجاة على الذين كانت لهم حوائج عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمنعوه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجاة فالزمهم بالصدقة لاولئك تطييبا لقلوبهم والله اعلم وقوله تعالى ذلكم خير لكم واطهر اي ان تقديم الصدقة اطهر لقلوبكم الصدقة وقوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم جائز ان يكون هذا الامر لاهل العناد وغاية

حتى قال فان لم تجدوا اي ما تصدقون فان الله غفور رحيم وقوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات قال اهل التاويل لما نزلت الحكم بها باهل الميسرة ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وقوله تعالى فان لم تجدوا وتاب الله عليكم اي تجاوز عنكم اذ لم تفعلوا فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة معناه اذا لم تتصدقوا تلك الصدقة فادوا زكاة اموالكم قال اهل التاويل نسخ ما امروا به من الصدقة عند المناجاة بما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وقوله تعالى واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون هذا وعيد ثم في قوله اذا ناجيتم الرسول دلالة قبول خبر الواحد لانه يناجيه ولا يعلم بخبره ثم انه يقبل اذا اخبر خبره ويصدق ولانه كل مناجاة يكون من الشيطان لان النبي صلى الله عليه وسلم يناجي ثم لذلك نقول انما النجوى من الشيطان مصروف الى ما سبق ذكره وفيه ان لا يفهم من ذكر اليد الجارحة لا محالة فانه قال بين يدي نجواكم وليس للنجوى يد ولا من قبل الشيطان الا باتيه الباطل من بين يديه ولم يشكل على احد انه لم يرد تاويل الجارحة ههنا فكيف خيفهم فيما اضيف الى الله تعالى في قوله بل يداه مبسوطتان وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تقع في يد الرحمن الجارحة لولا فساد اعتقادهم فالله تعالى عن تشبيههم اياه بالخلق وقال قتادة اكثروا النجوى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعهم الله تعالى منه فقال اذا ناجيتم فقدموا بين يدي نجواكم صدقة الاية وعن علي رضي الله عنه انه قال انا اول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة وقوله تعالى ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم يذكر سفه المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقولهم قوما غضب الله عليهم على علم منهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لكنهم يتولونهم طمعا منهم في اموالهم وفيما كان عندهم من السعة وفضل الدنيا ثم اخبر انهم ليسوا منكم اي ليسوا على دينكم ولا انتم منهم اي على دينهم اي دين اليهود لكنهم يتولون طمعا فيما عندهم من فضل الدنيا ويحلفون على الكذب وهم يعلمون كانه قيل لهم لم توليتم قوما غضب الله عليهم يحلفون انهم لم يتولوهم واخبر انهم كاذبون في حلفهم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم من نوع الوحشة سرا من المؤمنين وحلفوا كذبا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليعلموا كذبهم في الحلف وانه عليه السلام يتولاهم وكذبهم في الحلف دل انه عليه السلام عرف ذلك بالوحي ثم اخبر ما اعد لهم في الاخرة بتوليهم اولئك وحلفهم بالكذب فقال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون او يرد اساءتهم الى انفسهم بعملهم لله تعالى في الدنيا وقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة اي حلفهم الذين حلفوا انهم لم يتولوا اولئك اليهود جنة فصدوا عن سبيل الله يحتمل صدوا انفسهم عن سبيل الله وصدوا الناس عن سبيله بما ذكر فلهم عذاب مهين يهانون في ذلك العذاب وقوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا يخبر ان الذي حملهم على التولي اليهود وعداوة المؤمنين لا ينفعهم تلك الاموال لن يغني بل يدفع شيئا اذا نزل بهم اخبر عن شدة سفههم انهم يحلفون في الاخرة كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم [illegible] الاية لاضطرارهم الى الايمان [illegible] لان الاية اعظم من تمام [illegible] ثم لم ينفعهم ذلك لكن [illegible] ولا اضطرهم الى الايمان به وكذلك قولهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين في الدنيا [illegible] ما ذكرنا [illegible] ان تأتيهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين [illegible] ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله انهم يؤمنون الا ان يشاء الله ولا يؤمنون وان نزلت عليهم الايات التي ذكر الاية اعظم مما ذكر من انزال الملائكة واحياء الموتى وتكليمهم انهم على الباطل وان الحق هو الذي دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه دل هذا كله ان الاية لا تضطر اهلها الى الايمان والله اعلم وقوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان قال ابن عباس رضي الله عنه استحوذ اي غلب عليهم وقال مقاتل اي احاط بهم وقال الزجاج والقتبي اي استولى عليهم وذلك كله يرجع الى معنى واحد وفيه ان الشيطان قد تسلط عليهم حتى غلب عليهم باجابتهم ما دعاهم اليه من معاداة الله ورسوله والمؤمنين ولكن سلطانه على ما ذكر وهو قوله انما سلطانه على الذين يتولونه فغلبهم اذا عملوا بما اراد واجابوه الى ما دعا وقوله فانساهم ذكر الله يحتمل اي انساهم عظمة الله او نعم الله واحسانه او شكر نعمه وقوله تعالى اولئك حزب الشيطان الحزب هو جماعة الفرق [illegible] هو جند كما قال اهل التاويل الا انهم نصروا وفرقوا ثم يجتمعون فيكونون حزبا [illegible] هم الذين يستمع لهم فيما شاء [illegible] وتصديق [illegible] فعلى ذلك اولئك الكفرة هم حزبه وقوله الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم ساموا في الدنيا امورا واملهم سرورا [illegible] فلم يصلوا الى شيء من ذلك وفي الاخرة يقولوا انه لا بعث ولا جنة ولا نار وهم فيها فقد خسروا الدارين جميعا وقوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قيل في الاسفلين وقيل في الهالكين وقيل الاخرين وقيل في الاخرة كقوله تعالى [illegible] فيهم يوم القيامة واما في الدنيا فذلك

يكونون هم الغالبين والغالبين ومنهم من يفعل ذلك في الدارين جميعا والله أعلم وقوله تعالى كتب الله
لأغلبن أنا ورسلي ليحضنا الله لأغلبن ثم قال بعضهم ليغلبن محمد صلى الله عليه وسلم عليهم كقوله هو الذي
أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويحتمل ذلك وجهان أن يكون المراد منه حملة رسله كقوله
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقوله إنا لننصر رسلنا والذين
آمنوا ثم الغلبة قد يكون من وجهين أحدهما بالحجج والبراهين وما من رسول إلا وقد غلب على خصمائه بالحجة وكانا
بالقتال والحرب وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام كما لم يكن من قبل رسول الله والثاني فلم يضاف الغلبة
على إرادة الرسل وأوليائه على ما ذكرنا في غير موضع وقوله تعالى إن الله قوي عزيز قوي بذاته لأنه يكون قوة من دونه
ولذلك كل من دونه تبلوته أو يكون فيه بشارة لأوليائه أنه قوي عزيز بذاته أنه ينصرهم على أعدائهم وينصرهم
وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله الآية قال عامة أهل التأويل نزلت
في حاطب بن بلتعة لأنه كان كتب إلى أهل مكة أن رسول الله يقصدكم فخذوا حذركم وكان له بمكة أهل
فأراد أن يكون له عندهم يد فشعر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب على ما فعلت فاعتذر إليه
فنزلت الآية فإن كان نزولها فيه على ما ذكروا ففيها براءة من وجهين أحدهما أنه لم يرجع عن الإيمان والتصديق
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا يعود إلى مثله بعد ذلك أبدا والثاني أنه لم يقصد بكتابه مودتهم
ولكن قصد إلقاء المودة إليهم لينفع عندهم أنه وأذهب وهو في الحقيقة إلى المودة وقد يكون ذلك لقوله تلقون
إليهم بالمودة والله أعلم فإن كانت الآية في غير حاطب ففيه أن المؤمنين الذين حققوا الإيمان بالله ويسلمون
عليه لأن أهل الإيمان كانوا أصنافا ثلثة صنف منهم يحققون الإيمان ظاهرا وباطنا مع عداوتهم
وصنف منهم لا يعتقدون على إظهار الدعاء المباطنة ولكن يسعون الأوقات منهم والصنف الثالث مترددون
يوادون الكفرة في السر ويظهرون الموافقة للمؤمنين في الظاهر فيكون قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله أي الذين
يحققون الإيمان بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ولكن إنما يوادهم من لم يحقق الإيمان ويكون فيه دلالة
على ثبات الإيمان في قلوبهم كقوله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان أي أثبت في قلوبهم الإيمان فلا يرجعون
عنه وقيل إن الإيمان موضعه القلب وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم
الآخر أن يوادوا من حاد الله وقوله تعالى وأيدهم بروح منه قيل أيدهم بنور الإيمان الذي أثبت في قلوبهم وأخبر تعالى
أنه يثبت المؤمنين على الإيمان فقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقال كلمة طيبة كشجرة طيبة وقيل
وأيدهم بروح منه أو برحمة منه ثم وصف حالهم وثوابهم في الآخرة فقال ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله أي جند الله على ما ذكرنا أنهم يا[illegible]
ويقاتلون أعداءه ويوالون أولياءه فهم جند الله وقوله تعالى ألا إن حزب الله هم المفلحون قيل هم الناجون
وقيل الباقون في نعم الله والله أعلم تم هذه السورة المجادلة بحمد الله اللطيف الكريم والمنة

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الأرض
وهو العزيز الحكيم قد سبق تأويل التسبيح وبيان وجوهه وقوله وهو العزيز الحكيم العزيز هو
القاهر وقيل هو العزيز بحيث جعل في كل شيء من خلقه آثار الذل والحاجة وهو الحكيم له معنيين يعني الإحكام
ومعنى الحكمة فأما معنى الإحكام فهو أنه أحكم الأشياء على اختلافها وتضادها حيث يشهد له بالوحدانية
وحكيم حيث وضع الأشياء مواضعها أو خلق الأشياء مواضع ثم الأصول التي تتولد منها هذه الأشياء
والأفعال ثلثة الكتابات والطبائع والعقول أما الكتابات نحو النطفة أنها تصلح أن يكون منها
البشر إذا اتصلت بها موادها ونحو الماء أنه تحيا به كل شيء وبحيث تصلح به كل الطبائع حيث
خلق في البشر وهي ما يوصلها إلى الحواس من المنافع ويحيدونها إلى المضار والعقول التي يدرك
العواقب أنه فطر فيهم الوجوه التي تتولد منها الأشياء فهو حكيم حيث خلق الأصول التي وصفنا وعلم
الأسباب التي بها تولد هي والله أعلم وقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم
لأول الحشر بنو قريظة وقال بعضهم من المفسرين هم بنو النضير وهو أقرب ثم الحكمة في إضافة الإخراج إلى نفسه
يحتمل وجهين أحدهما أنه اضطرهم إلى الخروج فنسب الإخراج إليه كما قال تعالى إذ أخرجه الذين كفروا الآية والثاني
خلق الخروج من ديارهم منهم فأضيف إليه لحكم الخلق ثم الأصل في إضافة الفعل إلى الله تعالى أنه يجوز أن يضاف

إليه على التحقيق وعلى التسبيب وأما الخلق فإنما يضاف الفعل إليهم على جهة التسبيب لا على التمكين والله
أعلم وقوله تعالى لأول الحشر اختلفوا فيه قال بعضهم الحشر الجلاء إلى الشام والحشر الثاني حشر القيامة وقال بعضهم
أول الحشر هو حشر أهل الكتاب وجلاؤهم من جزيرة العرب والحشر الثاني حين أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى الشام
وقوله تعالى ما ظننتم أن يخرجوا أي ما ظننتم أيها المؤمنون وأنتم تبصرون منعتهم وفضلا من أن يخرجوا من ديارهم
ولكن ذلك من لطف الله ومنه ولكن ذلك من لطف الله ومنته عليكم وقوله تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم ولا يحتمل
أن يكون هم أحدهما والمعنى في ذلك عندنا وجهان والله أعلم أحدهما أنهم ظنوا أن الله تعالى حيث آتاهم القوة والحصون
لا يبلغ بهم حكمه المبلغ الذي يخرجهم من ديارهم لأنهم كانوا أهل كتاب وكانوا يزعمون أنهم أولى به من غيرهم كقوله نحن
أبناء الله وأحباؤه ويكون قوله من الله أي بالله وبأمره كقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله
أي بأمر الله أي بأمره فتخلى ذلك الأول والثاني وظنوا أن حصونهم وقوتهم يمنعهم من قتلنا ما اتسان ينظر وأعلم
قوله من الله أي من لطفهم فيهم والله أعلم وقوله تعالى فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا يعني أنه قد دخل في قلوبهم الرعب
من حيث لم يحتسب المؤمنون ولا الكافرون لأن المسلمين ما ظنوا أن يقهروهم ويغلبوهم مع قلة عددهم وكثرة عدد أولئك
وكذا لم يحتسب الكفرة أنهم مع قوتهم وتحصنهم بحصونهم يقهرون ويغلبون فتح من الله تعالى على المؤمنين بأن قذف
الرعب في قلوب الكفرة وذلك لطف من الله تعالى إلى المؤمنين والله أعلم ثم الأصل فيما خرج هذا المخرج من نحو
قوله فأتى الله بنيانهم من القواعد ومن نحو قوله وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو قوله إلا أن يأتيهم الله
في ظلل من الغمام وما أشبه كله أن نحمله على إحدى معاني ثلث أحدها أن يقول المراد إتيان آثار فعل الله ويجوز أن
يضاف إليه سبيل إضافة حقيقة الفعل كما يقال الصلاة أمر الله ونحن نعلم أنها ليست بعين أمر الله لكنها أثر أمر الله
تعالى والملك يقال المطر رحمة الله تعالى يعني أثر رحمته فكذلك إذا نزل بهم آثار حكم الله وتدبيره وفضله وعدله
جاز أن يضاف إليه أيضا في حقيقة الفعل والله أعلم والثاني أن يقال إنه كان في هذه الأفعال الموصولة
فإنه يجوز أن يراد منها الصلة وإنما يتكلم بإضافة هذا الفعل إليه مجازا على ما اعتاد الناس من إضافة إليهم
إذا أرادوها أن يأتوها بأنفسهم وشرح ذلك وبيانه أنه قال فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم فكان المقصود من هذا تلك الصلة وهو قوله فخر عليهم السقف من فوقهم وكذلك قوله
فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب المقصود قوله وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك
ما أشبهه من نحو قوله وجاء ربك والملك صفا صفا ومن قوله ثم استوى على السماء أو لو استوى [illegible] من حيث
يصل منافع الأرض بمنافع السماء وكذلك ما أشبه هذا والله أعلم والثالث أن يقول بأن هذه أسماء مشتركة
المعنى وما كان سبيله هذا السبيل جاز أن يضاف إلى الله تعالى على معنى ليس يقع فيه الاشتراك بالمخلوقين لأنه
يقال جاء الليل وذهب النهار ونحو ذلك على معنى الظهور ونحوه وقوله تعالى يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي
المؤمنين هذا يدل على أن الملك للمسلمين في أموال أهل الحرب ليس يقع بمجرد الغلبة لما لم يحكم أم لا أنه أضاف
المؤمنين كما يخربون بيوتهم أضاف الملك إلى الكفرة مع أن الغلبة للمسلمين فدل ذلك على ما وصفنا والله أعلم
وقوله تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار يحتمل تأويلين أحدهما أن يصرفه إلى المسلمين أي اعتبروا يا أولي الأبصار
من المسلمين فإنكم إذا اعتبرتم أن الله تعالى من عليكم حيث أخرج الكفار من ديارهم فإنه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل
أن يكون المخاطبين فاعتبروا يا أولي الأبصار من أهل الكفار فإن ذلك بنبيكم وبعزكم إن يقاتكم على النصر وعلى النبي
صلى الله عليه وسلم لا بأنفسكم كما لم يغن عن هؤلاء الذين أخرجوا الحكمة وانفقوا مع المشركين ثم لم يغنيهم والله أعلم
وقوله تعالى ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا يعني لولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا
يعني لولا أن كتبنا عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل وقوله تعالى ولهم في الآخرة عذاب
النار قال ههنا في قوم علم أنهم يموتون على الكفر وما روي أن أحدا منهم مات على الإسلام فيكون فيه دلالة
أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبر ذلك بالوحي والتنزيل لا من تلقاء نفسه والله أعلم وقوله تعالى
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله يحتمل وجوها ثلثة أحدها أن يقول ذلك يعني ذلك العذاب في الآخرة
بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله ثم المشاقة والمعاداة والمحادة والمضادة بمنزلة واحدة وذلك كله بمعنى المعاداة
وقوله تعالى ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب يحتمل أن يكون على التقديم والتأخير وجهه أن يقول
إن الله شديد العقاب لمن يشاق الله ورسوله ويكون فيه إضمار كله يقول إنه معاقبه لمن يشاق الله ورسوله
شديد وقوله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله قال روي أن اليهود نادوا
المسلمين إنكم تزعمون أن الله لا يحب الفساد وأنتم تفسدون بقطع النخيل فيحتمل هذا قال تعالى [illegible] يخربون
بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فإذا كانت أنفسهم تسخى بتخريب البيوت فأبى لهم لا تسخى بقطع الأشجار

ويعلم بانه لا ينتفع في البيوت منفعة بعد تخريبها ويعلم ان في النخيل منافع بعد قطعها ويمكن ان كان غرضهم
الحرب فنا قيل بعد ما ان الله يجمعنا ان يكون المسلمون حزنهم بالقتل فيفعل الواحد اثر ذلك انكم اذا اصبتموا لما صار هذه
النخيل ملكا لكم فكيف يستحقون املاككم ثم في اذن الله بقطع النخل وجها من التاويل احدها ان يكون فيه
بيان ان معاملة المسلمين اياهم لم يكن لرغبة في اموالهم بل ليسلموا لله ولرسوله ويخضعوا لدينه وان الرجال حرمة
هذه الاموال انما هي لحرمة اربابها فاذا سقطت حرمة اربابها وابيح قتلهم وانكم فهم شملتك باموالهم والوجه
الثالث ان الله كتب عليهم الجلاء ومعلوم ان انفسهم بالجلاء اذا اخربت بيوتهم وقطعت اشجارهم اسخى منه اذ ينقطع
لينقطع طمعهم من اجل هذه العقار فاذن الله تعالى في قطع النخيل اتماما لما كتب عليهم من الجلاء والله اعلم والرابع انه هو كذا له
امتحان اليهود في تحريفهم التبديل للتوراة انما وقع منهم رغبة في الدنيا وسعتها فاذن الله تعالى في قطع النخيل
لهم وجعل ذلك من الوجه الذي وقع له التبديل منهم والله اعلم وقوله فباذن الله ان كان المراد منه الحكم من جهة
ان الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان فسادا فيه لنهاهم عن ذلك وان كان المراد منه الامر فهو ان الله تعالى امر بالقطع
والترك جميعا وان كان المراد منه المشيئة فهو ان الله تعالى قد شاء الامرين جميعا والله اعلم قال السلف اللون من النخيل
كل نخل دون العجوة وقوله وليخزي الفاسقين اي ليكون كبتا وغيظا للفاسقين والله اعلم قوله تعالى وما
افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب قال الشيخ هذه الآية لا تكون منسوخة وان يكون
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى متقدمة لوجهين احدهما انه ذكر فيه الواو والواو لا يبتدأ بها الا في القسم
والثاني قوله وما افاء الله على رسوله منهم حرف كناية والكناية لا بد لها من معرفة تعطف عليها فيرجع اليها
فلذلك قلنا انه حق التاخير وحق الثانية التقديم ويحكى ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وان
كان لذلك عنه وجه ان الذي وجب صرفه الى الاصناف التي ذكرنا انما هو الخمس والذي وجب خمسا من كل غنيمة فاما
بقوله وما افاء الله على رسوله منهم انه انما يصرف هذه الاربعة الاخماس الى النبي صلى الله عليه وسلم دونهم
لهذا المعنى انهم لم يوجفوا عليه من خيل ولا ركاب اشار الى انهم استحقوا منه الاربعة الاخماس بالخيل والركاب
والله اعلم وان كانت القراءة على ما يتلى في الجالسين على التقديم والتاخير فانه يحتمل ان يكون قوله وما افاء الله
على رسوله منهم صلة قوله يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم
عليه من خيل ولا ركاب وان كان سياق على ذلك استقام ان يكون بحرف الواو وحرف الكناية قال رضي الله عنه
ان المنافقين واهل الضعف من المؤمنين الذين آمنوا بالتقليد يظنون في هذا الموضع انه كيف خص هذه
قرابته والمهاجرين الذين هاجروا اليه وكفاهم بها نفسه والجواب عن هذا ان هؤلاء الاصناف قوم على عامة
المسلمين يحمل من نفقتهم لولا هذه الغنيمة ومعلوم ان نفس كل مسلمين ببذل ما عليهم من مال الامامة اسخى منه لو
لكل واحد منهم على الاشارة التي من مال الخاص وعلى هذه العبادة يخرج ما نقل لنا اهل ما روي عن عمر
رضي الله عنه انه جعل العقل على اهل الديوان لان ذلك يخرج مخرج المعونة ومعلوم ان المعونة على عاقلتهم فيه
ما رجع من هذا الحق الى مال العامة اسهل عليهم لو صرف الى خاصتهم وكذلك قوله فاتكم شيء من ازواجكم
فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ومعلوم ان منع تلك الزوجة عن ان يذهب الى دار الحرب
بشيء من مال الدفع جهلا كان واجبا على العامة وكذلك المسلمون اذا اصابوا غنيمة وفيها مال المسلم فتغلب عليها المشركون
انما كان من المال للعامة ولم يقسم يرد عليه من غير بدل فاذا اقتسموا وحصل كل واحد منهم ملكه لم ياخذ الا بالبدل
فلذلك الا بدل والله اعلم قال الفقيه رحمه الله والذي يجب من جهة العرف والشريعة ان يكون يحمل مؤنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته اما من جهة العرف فهو انه من عمل لغيره كان مؤنته على ذلك المعمول
له واما من جهة الشريعة فمعلوم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بامور امته في امور دنياهم
واخرتهم واذا كان الامر على ما ذكرنا كان اولى ما يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مال العامة وذلك هو الذي
هذا ولا خصه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه وكيف وقد قسمه بين الفقراء واهل الحاجة ولم يوثر نفسه
ووجه اخر في هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي
وقال نصرت بالرعب مسيرة شهرين فلما اختص ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه بحاله بما قال الله
تعالى جعل الفيء له بين من كان يحمل مؤنتهم على المسلمين لولا هذا الفيء ليكون المنة له على امته ولان لا يكون
لاحد من امته منة عليه السلام ولا صنيعة والله اعلم ووجه اخر انه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه
في كسب شيء من الدنيا وفضولها حتى يصطنع فضولها بالمعروف فجعل الله له الذي يكتسب به الفضل
والمعروف والله اعلم وفي قوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين دلالة ان ما افاء الله على رسوله واعطى
لخاصة يصنع به ما شاء ويفرق فيمن شاء والقول عند اصحابنا في الاحكام اذا اعطاه اهل الحرب شيئا

فيه

غير قوته لان هيبة الائمة انما هي لعز قومهم وكانت هيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نصر بالرعب فجاز ان يختص بنفسه
والله اعلم ثم قوله وما افاء الله على رسوله من اموال الكفرة اي ما اعطى الله رسوله من مال الكفرة قوله تعالى من اهل
القرى يجوز ان يكون قرى ممتنعة (?) ويكون هذه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح القرى
ولذي القربى يجوز ان يقال ان الظاهر من هذه الآية ان يكون المراد منها قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقرابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما يدخل في هذه الآية بالتاويل بعد ذلك ان المفهوم من ذكر القرابة انما هو قرابة المخاطبين ولا
ومعلوم ان الخطاب في القسمة انما هو للغانمين وفي قوله ما افاء الله على رسوله انما يفهم منه قرابة الرسول
عليه السلام واما سهمهم دون العربي (?) فان اصحابنا يسلكون في ذلك مذهبين منهم من يقول ان الحق في الاصل
للمحتاجين منهم فقوله تعالى واليتامى والمساكين وابن السبيل وكان المراد منه صرفه الى المحتاجين منهم دون الاغنياء من القرابة
ومنهم من قال ان الخمس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم متصلا بقرابته فلما قبض عليه السلام انقطع ذلك
للمحتاجين لان حقهما ... عليه السلام انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة ... انهم انما كانوا يستحقون
برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق عن اصحابها عند
وفاتهم ثم الفائدة في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوراثة وجهان احدهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان لا يستعمل نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان قائما لله تعالى خالصا فاذا كان
لذلك جاز ان يكون الذي في يده بمنزلة ما يكون عندنا ان يكون في حقيقة الملك فيه ولاه وان كان
في الظاهر له والله اعلم فاذا نسبت الاملاك اليها فانه الله تعالى قيل لهم بمنزلة الاضافة وقد يكون خصوصية
لقوله ناقة الله وبيت الله ووجه اخر انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوسين عليه الى يوم القيامة لا
ان يكون محبوسا عليه لا يحل لاحد نكاح ... عليه لم يحل لغيره الخيرة جاز ايضا ان يوقف عليه ملكه
عليه السلام ومعلوم انه كان ... التصدق والله اعلم قوله تعالى كي لا يكون دولة بين الاغنياء
منكم يعني الاغنياء انه لم يبين هذه المواضع كان ذلك الخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عامة فيه الخلفاء من بعده صيدا ولا الاغنياء بينهم ومعنى اخر لعله فرق هذا بين الفقير والغني لكان الغني
يقع هنا فيه كان يكتسب به فضول الدنيا واما الفقير فانما يقع في يده ليستمتع به في منافع نفسه فلذلك
نصرف في الفقراء والله اعلم وقال بعضهم الدولة اسم للذي يتداول بين الناس والدولة واحدة وهي فعلة
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا يعني ما اعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذه الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا يعني ما اعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغنيمة
فخذوه ولا تطلبوا به طلبا مكروها وما نهاكم عنه فانتهوا النهي نهي زجر وشريعة ولكن نهي منع يعني وما منع
منكم من هذا الفيء فانتهوا عنه وعلى قراءة ابن مسعود رضي وما آتاكم الرسول فخذوه ويحتمل معنى الامر يعني لا
اي ما آتاكم من النيل فخذوه وما نهاكم عنه يعني زجركم عنه فانتهوا عنه قال رحمه الله ويرى عامة الفقهاء
يحتجون بهذه الآية في موضع آخر مع لفظ الاتيان وليس يحتج ظاهر هذا لانه اذا الاتيان وليس يحتج ظاهره
هنا اذ الاتيان هو الاعطاء والتمليك كقوله واتوا الزكاة ولكن وجه الاحتجاج به ان الله تعالى لما امر بالاخذ
بمعرفة عليه السلام وان كان في احد المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم حان (?) فلان يلزمنا الاخذ
بامره والاتباع له احرى واولى والله اعلم واتقوا الله ان الله شديد العقاب فيه انه كما ذكر
من اتباع امره والله اعلم للفقراء المهاجرين الآية وما سبق عليهم قوله والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم وقوله والذين جاءوا من بعدهم الآيات ظاهر هذا يقتضي تخصيصهم لانه اذا قيل الفلاني لم يكن من
انتقال الكل الينا واذا كان كذلك لم يكن بد من تخصيص كلهم ولا يحتمل ايضا ان يخفى لله تعالى علم ذلك الحق الذي
وجب لهذه الاصناف عن خلقه فالسبيل في ذلك من جهة التاويل عندنا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن حاجة الفقراء المهاجرين ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه
سأل ربه جل وعلا عن حاجة الفقراء المهاجرين ثم انه يجوز ان يكون ذلك الحق ماخوذا من الخراج
على اهل القرية اذا فتحت وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لعلي وابن مسعود رضي الله عنهما حين فتح
سواد الكوفة اني كنت استشيركم في امر فقد اغنانا الله تعالى عن مشورتكم حين تلوت هذه الآية ثم تلا قوله للفقراء
المهاجرين ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله حتى تلا هذه الآية ثم تلا قوله للفقراء المهاجرين ثم قال ليس
لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين
جاءوا من بعدهم وروي انه قال لولا اخر الناس ... كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين اهل العسكر

فقال اللهم اكفني بلالا واصحابه ثم قال عمر رضي الله عنه لو قسمتها بينكم لم يكن آخر عصابة في الاسلام لم يصب من هذا
فاخبر الله تعالى رسوله ان الذين جاؤا من بعدهم انهم شركاء هو لان فجاز ان يكون عمر رضي الله عنه حين تلا هذه
الايات يذكر خبرا اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ان الحق الذي اوجبه الله تعالى هو كما ذكر ذلك ويجوز
ان يكون الله تعالى بلطفه الهمه وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم هذه الايات ودعى انهما اشارا عليه بذلك ولذلك
قال اصحابنا ان الامام اذا افتتح قرية من قرى اهل الحرب بعنوة فهو بالخيار ان شاء قسمها بين اهلها ووظف عليهم
عليهم الخراج وان شاء قسمها بين اهل العسكر وانما كان كذلك لان المقصود من المقابلة احد معنيين اما توسيع
امكنة الاسلام ان يضيق او تضيق المكان بهم ليستقبلوا الدين او ينقادوا للامر وينظروا الى حجته وليس
معاملتهم عقوبة كفرهم بل لما وصفنا من المعنى وهذا المعنى قد يستفاد اذا وظف عليهم الخراج فكذلك كان له
الخيار والله اعلم ولو خفف بذلك وهي انه معنى الخفا الذي لاجله قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بينهم
لم يقسم سواد الكوفة عليهم مع المعنى من قسمته عليه السلام خيبر بينهم عندنا والله اعلم هو ان المسلمين لما صدوا
عن البيت بالحديبية بشرهم الله تعالى بفتح قريب عوضا لهم لما اصابهم اما سواد الكوفة فلم يكن فيها
شيء من هذا المعنى فلم يجز ان يكون ذا امر مقيسا عليه والله اعلم ثم قوله تعالى للفقراء المهاجرين يحتمل ان يكون المراد
منه المجاهدين المقاطعين لاسباب عيشهم من الاموال والديار او هم هذا الحق الذي سبق وصفه وقوله الذين
اخرجوا من ديارهم لم يخرجهم من ديارهم في الحقيقة ولكنهم ضيق عليهم حتى خرجوا فاضيف الاخراج اليهم لانهم كانوا
اسبابا للخروج كقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه وابليس عليه اللعنة لم يتول اخراجهما وهذا كقوله تعالى فاخرجهما
مما كانا فيه وابليس عليه اللعنة لم يتول اخراجهما من الجنة ولكنه حرضهما على سبب اثباته ولم يستقر لهما ذلك
المكان فاضيف الفعل اليه وقد وصفنا ان هذه الافعال كلها اضيفت الى العباد وانما المعنى ذلك اسبابا لكونها
منهم لا حقيقة تلك الافعال وانما اضيف الى الله تعالى من ذلك فهو يحتمل الامرين جميعا الحقيقة والسبب
ذلك لاجل ان العبد لا يمكنه ان يقدر احدا على فعل الخير ويحتمل الاصل السبب فاما من كان مالك الخير فهو قادر على
اقدار العبد على فعله فلذلك قلنا انه يجوز ان يراد حقيقة الفعل فيما يضاف الى الله تعالى وقوله تعالى من ديارهم
واموالهم يدل على انها كانت لهم بمكة ديارا واموالا ثم مع هذا لم يرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شيء
من ديارهم عليهم بعد فتح مكة فلا نصيبا وكذلك شيئا من اموالهم فعلم ان اهل الحرب اذا غلبوا على اموال المسلمين
ملكوها والله اعلم وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله يعني انهم هاجروا الى دينهم وانقطعوا عن اسباب دنياهم
من الاموال ليبتغوا الرزق من الله تعالى وقوله وينصرون الله ورسوله دل ان هذا الحق للمجاهدين منهم ثم قوله
وينصرون الله يحتمل وجهين احدهما ينصرون رسول الله وذكر الله تعالى صلة والثاني ينصرون دين الله ويطيعون
رسوله وقوله اولئك هم الصادقون يعني الذين اظهروا بصحة الايمان من قلوبهم بهجرتهم اوطانهم وسعيهم
الى ما يقربهم الى الله تعالى ويقربهم الى الله وقوله تعالى والذين تبوؤا الدار يعني الذين اتخذوا ديارا واوطانا شعيهم
والمهاجرين وهم الانصار وقوله تعالى والايمان له انهم آمنوا قبل هجرة هولاء لكي يامن هولاء المهاجرين في اوطانهم ولا
يخافوا اسرهم وقوله تعالى من قبلهم يعني قبل الهجرة وقوله تعالى يحبون من هاجر اليهم يعني ان الله تعالى القى
محبته حتى انزلوا المهاجرين ديارهم وانفقوا عليهم اموالهم وقوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما
اوتوا يعني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم خيبر بين المهاجرين وترك الانصار لم يقسم بينهم
لم يجد الانصار في قلوبهم حاجة مما اعطي المهاجرين يعني الله تعالى اعنى قلوبهم حتى لا يتفكروا عن حاجة
ولا فقر البتة ويحتمل ان يكون المعنى من الحاجة ههنا الغل والحسد يعني ان الله تعالى طهر قلوبهم حتى لا يجد
في صدورهم حاجة وقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ايعود ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة اي يؤثرون على انفسهم في امور كثيرة انهم لا يجدون فيما يملكون ويؤثرون المهاجرين على انفسهم
ولو كان بهم حاجة وقوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان الله تعالى خلق في طبع البشر محبة
المنافع والطلب لها وبغض المساوي والمضار والهرب عنها ثم انه امتحنهم بالانفاق مما يحبون ويحمل النفس
على ما يكرهون طلبا لنجاتهم وتوصلا الى ثوابهم ثم يكون وجاء الانفس من الشح يكون بوجهين احدهما
على عبده ليتصير بما هو غايب عنه من الثواب في الآجل كالشاهد فيخف عليه الانفاق ما احب ويصير ذلك
له والثاني ان يوفقه الله تعالى ويعصمه ويلهمه تعظيم امره ونهيه حتى يعظم ويحملها على الايتمار بامر الله
والانتهاء عما نهي عنه وان كان طبعها على خلاف ذلك ثم اضافة الوقاية الى نفسه يدل على انه قد بقي في جراحه
لم يره عنده حتى يصف نفسه بانه بقي عنه شح نفسه لولا ذلك لو عنه فانه نفسه عن شح المعنى والله
فاولئك هم المفلحون يعني الباقون في النعيم الدائم والفلاح في الحقيقة هو البقاء في النعيم

والذين جاؤا

والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الاية قد علم الله تعالى انه قد يكون في امة محمد صلى الله عليه
وسلم من يلعن سلفه فامرهم بالاستغفار لهم وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة
لان الروافض من قولهم ان القوم لما ولوا الخلافة ابا بكر رضي الله عنه كفروا ومن قول الخوارج ان عليا كفر بقتال
معاوية واصحابه وقالت المعتزلة بانه من عدل عن الحق في القتال خرج عن الايمان ولو كان ما ارتكبوا من الزلات يكفرهم
ويخرجهم عن الايمان لم يكن للاستغفار لهم معنى لان الله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين فاذ ندبنا بالاستغفار
لهم تبين بهذا ان ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الايمان ولانه اثبت الاخوة فيما بينهم مع علمنا انه لم يكن بين الاخرين والاولين
الاولين اخوة الا في الدين فلولا انهم كانوا مؤمنين لم يكن لاثبات الاخوة معنى والله اعلم ولانه قال ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ولو كان يخرجهم من الايمان لم يكن لهذا النفي معنى لان الواجب ان يكون في قلوب المؤمنين عداوة
الكفار ومقتهم فلما ان بطل ذلك في هذه الاية الى نفي الغل والحسد عن قلوبهم بتلك الذنوب ثبت انهم كانوا مؤمنين
والله اعلم ثم الاحسن في الاستغفار لهم ذلك انه قد كانت منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لولا فضل الله ومغفرته
وان كانوا فيما يتعاطونه مجتهدين لتعلم انه ليس كل مجتهد مصيب ثم قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
يعني عداوة يحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين الذين سبقوهم ويحتمل ان يكون هذا في كل المؤمنين وقوله تعالى ربنا
انك رؤوف رحيم الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده واحسان اليهم الا ترى الى قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فاخبر ان رحمته هبة منه واحسان اليه منه والله اعلم
ثم الاستغفار في حال الحياة لم يعلم انه منهما طلب السبب الذي اذا جاء استوجب المغفرة والثاني حقيقة
المغفرة وفي حال الوفاة ليس الا طلب المغفرة فلما ان جعل ههنا الى الاستغفار لهم بعد وفاتهم وحال الاستغفار
بعد الوفاة على ما وصفنا لا يتوجه الا الى حقيقة المغفرة ثبت ان ذنوبهم لم يخرجهم من الايمان لانه لو كان من
حكمه يخرجهم وان لا يحل ان يغفر لهم اذا ارتكبوا الكبيرة لم يكن في الامر بالاستغفار لهم حكمة والله اعلم وقال
جعفر بن حرب بن ميسرة في قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا كما يدل على انه يجعل في قلوبهم ولا يجعل في قلوبنا فلا دلالة
على انه يجعل في قلوبهم لانه اذا قيل لا تفعل فالانسان لم ينفهم اذا اجيب لكي يجاب عن هذا انه ذكر الله تعالى نصا
في آية اخرى ما يدل على جعل العداوة الا ترى انه قال فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فاذا كان
ثابتا له ان يلقي بينهم وبينها لا لانه جعلها فلنا ان نحتمل ان يخلق الله العداوة في قلوبهم من غير فعل يكون منهم
سواء كان كذلك ثبت انه يخلق هذه الاشياء ويحتمل العبد لها والله اعلم وقوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب هذه الاية تدل على ان الله تعالى جعل حجة رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم على الكتابيين في انفسهم لانهم قالوا هذا القول سرا منهم الى اهل الكتاب لانه لا يحتمل ان
يظهروا مثل هذا القول بين يدي المؤمنين ولو كان الكفار يخبرون بهذا احدا من المؤمنين فلما اخبر بما قال الكفار
ثبت انه من عند الله بالوحي لانه لم يكن ذلك علم بنبوته عليه السلام والله اعلم وقوله تعالى لئن اخرجتم لنخرجن معكم يحتمل
وجهين احدهما انه يجوز ان يكون لما قالوا لهم هذا على ان يكونوا اتباعهم في القتال والثاني انهم قالوا ذلك لاهل
الكتاب على حسبان منهم ان الرسول اذا اهلكهم لا يقاتل لولا لم يخرجهم من المدينة فخافوا ان يقاتل الاخرين اصحابه
واذا لم يخرج اولياءهم اهل الكتاب ولم يقاتلوا وقوله تعالى ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني لا نبصر احدا منكم ابدا
وان قوتلتم لننصرنكم يحتمل ان يكونوا وعدوا نصرهم هذا من مخصمة كما قال في آية اخرى لا يقاتلونكم
جميعا الا في قرى محصنة ثم اخبر انهم وان نصروهم ثم انهزموا وبعدوا وتولوا ولم ينصروهم بعد ذلك وهم بعد ذلك
ابدا وقوله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون فلقائل ان يقول كيف يشهد عليهم بالكذب في الكذب انما يدخل في
الاخبار بعد قولهم الذي قالوا انما هو وعد منهم فحقه ان يقال انهم يخلفون الوعد فمثل هذه الاية يحتج الخوارج
في تكفيرهم اذنب ذنبا وذلك انهم يقولون انه من آمن بالله تعالى فقد اعتقد ان لا يعصيه فاذا عصاه تبين بعصيانه
كذبه في اعتقاده فيكفر بهذا المعنى ومن جوابنا عن هذا ان قول المنافقين لاهل الكتاب اخبار منهم عن موالاتهم
اياهم فاخبر الله تعالى انهم كاذبون في اخبارهم عن الموالاة والله اعلم وقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وفي هذه الاية حجة رسالته على الفريقين جميعا
وذلك ان هذا خبر عن الغايب وذلك لا يوصل اليه الا بالتعليم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف الى
احد يتعلم ولا يكتب شيئا من احد من البشر فاذا اخبر عما يحدث وعما هو غائب بعينه ثم كان كما اخبر ثبت انه رسول
والله اعلم قال ويجوز ان يكون الله تعالى ذكر المؤمنين بهذه الآيات ما لهم الرسول عليه السلام من كان الوحي على ما
كان عادتهم لاحساسه وذلك انه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن قاربهم في النسب او القبيلة ولكنا
علمنا ثم ان الله تعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين اظهرهم من قريش فاظهروا معه من العداوة ما ظهر

هم ابغضه وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين ارسله حجة يظهر لليهود والنصارى وجميع اهل ما ذكر في كتابه
من نعته وصفته فعاملوه بذلك ما قابلوه من سوء الصنيع واظهار العداوة وكان هذا كله والله اعلم حجة وعلامة
يعلم بها ان رسالته عليه السلام لما يظهر بمعاداة احد بل من الله وفضله وتاييده والله المستعان. قوله تعالى لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله. يحتمل ان يكون رهبة هؤلاء في صدورهم على التحقيق ويجوز ان يكون على التمثيل
فاما وجه التمثيل فهو ما قال ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون فاخبر انهم يعتذرون
اليهم بالحلف فيجوز ان يكون معاملتهم هذه في التمثيل معاملة من يرهبهم فسمى بذلك رهبة في قلوبهم وقد
يحقق له تعالى جميع ما لا يمكنه بحسبان ماله الحلاف يعني جمع له جميع من يحسب ان ماله الحلاف فلذلك الاول
ويجوز ان يكون على التحقيق ولذلك وجوه من التاويل احدها انهم كانوا يظهرون المولاة لكل فريق
منهم ان الله تعالى وكل واحد الفريقين لا محالة فاذا نجا احد الفريقين نجوا هم ايضا فكانهم على هذا التاويل
كانوا يرهبون الخلق جميعا لا يخص به المؤمنون وكانوا لا يرهبون الله لانهم امنوا نجاتهم من الوجه الذي
وصفنا ويجوز ان يكون رهبتهم من المؤمنين خاصة وذلك ان اهل النفاق انما كانوا من احد الصنفين
اما ان كانوا دهرية فنافقوا او كانوا اهل كتاب فنافقوا فان كانوا دهرية فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا
غير مقرين بالصانع وان كانوا اهل كتاب فانهم قد امنوا ايضا لما كانوا يصفون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه
فاذا سقطت الرهبة من كلا الجانبين من الله تعالى حصلت الرهبة من المؤمنين خاصة والله اعلم ويجوز ان يكون
تفسير قوله لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله في قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون وذلك يحتمل وجهين
احدهما انهم لا يفقهون ان البلايا التي في الدنيا ونعيمها يذكر ببلايا الاخرة ونعيمها وكانوا يرون انها
جعلت لانفسها اذا كان هذا وهمهم وحسبانهم لم يرهبوا من الله تعالى والثاني انهم قوم لا يفقهون معنى
الرهبة بل كانت رهبتهم ممن كانوا يأملون منهم المنافع ويجدون مضارهم فلا يرهبون من الله تعالى ولعاينا ان ليس
لاحد من اهل الاسلام الا وهو رهبة من الناس اشد رهبة من الله تعالى لانك ترى الرجل يمتنع من الزلة
عند اطلاع الناس عليه ما لا يمتنع عن كثير من الزلات فيما بينه وبين الله تعالى والجواب عن هذا وجهان احدهما
انه ليس بازاء الخوف من الانسان رجاء يرجوه وبازاء رهبته من الله رجاء يرجو من رحمته وفضله واحسانه
يجوز ان يكون الرجاء من رحمة الله وفضله يغلب عليه خوف الذنب وركوبه فالوجه الثاني اذا كان لا يرى فيما
يركبه من التشبه كما فليس منها هم واما خوفه من عتو بتهم فيما الصالحين وامارة النصح لهم الله تعالى واذا كان
كذلك ثبت ان رهبته في الحقيقة من الله تعالى ليس من نفس المخلوقين والله اعلم. قوله تعالى لا يقاتلونكم
جميعا الا في قرى محصنة. قوله جميعا اي لا يقاتلكم اهل النفاق واهل الكتاب جميعا معا وانهم
ليسوا يتعاونون على ما وعدوا لاهل الكتاب من النصر والقتال وقوله الا في قرى محصنة يحتمل ان يكون منه
استثناء عن القتال ويحتمل ان يكون استثناء عن الوعد الذي وعدوا لاهل الكتاب فان كان من القتال
فهو يحتمل وجهين احدهما انهم لا يقاتلون الا ان يكونوا في قرى وحصون او من وراء الجدر لا يعلم بهم اهل
الاسلام والله اعلم وان كان على الوجه الثاني فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما انهم لا يوفون بما وعدوا
من النصرة والقتال لاهل الكتاب ولكنهم يلتجئون الى قرى محصنة لا يبرحون الى ما اخبر تعالى منهم في ناحية
المسلمين وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم فاخبر انهم قد اظهروا الولاء
للمسلمين كما اظهروا لاهل الكتاب اذا جاء القتال فاذا جاء القتال لحقوا الى مكان يستمعون عن اخبارهم
فعلى ذلك يجوز ان يكون في اهل الكتاب والوجه الثاني انهم لا يقاتلون لكنهم يدخلون في قرى محصنة
يتربصون لمن يكون الظفر والعاقبة كما اخبر عنهم في آية اخرى وقوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان
لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم فاخبر تعالى انهم يتربصون
العاقبة فالتجاؤهم الى قرى محصنة يجوز ان يكون من هذا التاويل والله اعلم. قوله تعالى باسهم بينهم شديد
يحتمل وجهين احدهما ان يقول باسهم شديد يحتمل وجهين احدهما ان يقول باسهم يخفى عليهم بينهم
ما لم يلقوا اعداءهم ظاهرا او يقول باسهم بينهم شديد ما دام القتال بينهم لانه ليس عندهم من الرعب
شيء فاذا اكربالرعب هذا المقدار من الشدة فلا يحرم من ذلك في اهل قرينة واذا كان لذلك يثبت ان
ما وصفنا والله اعلم. قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لان همة المنافقين سلامة الانفس
والابدان وهمة اهل الكتاب الذب عن المذهب والسعي في اقامته فاذا اختلف هممهم ومقاصدهم
وذلك يعني قوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعني في الهمم والقلوب. قوله تعالى ذلك بانهم
قوم لا يعقلون يحتمل ثلاثة اوجه احدها انهم لا يعقلون حق الوعد والوعيد والثاني انهم لا ينتفعون

بما يعقلون والثالث انهم [illegible]
[illegible]
قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم. الاية يجوز ان يكون هذا اضمار مثل [illegible]
[illegible]
قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك [illegible]
[illegible]
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد [illegible]
[illegible]
والله اعلم. قوله تعالى والله خبير بما تعملون. فيه تحريض على المراقبة والتيقظ في فعله لان من علم وقت
فعله ان الله تعالى يطلع على ما يكتسب من الذنوب ويتقي به من الشرور تاتيه عنها وازدجر وقال ابو بكر قوله يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله والثاني في قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
والثالث في قوله واتقوا الله والرابع في قوله ان الله خبير بما تعملون ثم ذكر هذا الوعيد خرج بعد مخاطبة
المؤمنين كقوله يا ايها الذين امنوا فكان الوعيد في المؤمنين اكثر من الوعيد في الكفرة لكن المؤمنين يزدجرهم
عن المعاصي للكافرين لئلا يعملوا اعمالا يستوجبوا بذلك ما اعد للكافرين وهو كقوله واتقوا النار التي اعدت
للكافرين ثم ان الله تعالى سمى الاخرة باسم الغد لسرعة مجيئه كما سمى الدنيا باسم الامس لسرعة فنائها وهو كقوله فجعلناها

فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس فيذكرهم ويعظهم فهذه الآية ليتفكر كل أحد في نفسه عند عمله
لماذا يعمل للآخرة أم للدنيا وليتذكر كل أحد في نفسه ما به خلق للبعث وخلق لأمر عظيم على ما ذكره الله تعالى
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم قال بعض المفسرين نسوا الله أي نسوا العمل لله
والنسيان هو الترك أي تركوا العمل الواجب لله تعالى فأنساهم أنفسهم أي خذلهم الله تعالى بما نسوا أمره
عندنا في الآية إذ ليس أحد من البشر يعمل عملاً إلا وهو يأمل بذلك نفعاً لنفسه أو دفع ضرر عنها أو لا يعمل لنفع فيها سوى الله
في ذلك العمل هؤلاء الكفرة لما لم يأتمروا بأمر الله تعالى ولم يطيعوه وتركوا العمل له صار تركهم العمل لله كالعمل
عملاً لأنفسهم فصاروا تاركين العمل لأنفسهم فكأنه قال نسوا أنفسهم فصاروا مستترين وقوله فأنساهم
أنفسهم أي خلق فعل النسيان والترك فيهم أضاف اختيار النسيان إليهم ثم أضاف الإنسان إلى نفسه وأثبت
فعله وليس هذا على أن يعزم منهم فعل النسيان ثم أنساهم بعد ذلك لكن على خلق ذلك فيهم وقت ما اختاروا ذلك
الفعل وهو كقوله هداه الله تعالى فاهتدى واهتدى فهداه الله فذلك كله في وقت واحد وكذلك هذا في
الخذلان والنسيان لما اختار هو فعل النسيان خلق الله تعالى ذلك النسيان منه كما خلق الهداية والكفر عند
اختياره ولا يجوز أن يحمل ذلك على تقدم بعض على بعض وقوله فأنساهم أنفسهم كقوله نسوا الله فنسيهم
فقوله نسوا الله إذ العمل لله هو العمل لأنفسهم والعمل لأنفسهم هو العمل الذي عاد بنفعه إليهم قيل لذلك قلنا
بأن كل واحد منهما ما في الآخر ويحتمل وجهاً آخر وهو أنهم لما تركوا طاعة الله فجزاهم الله تعالى بتركهم أمر الله
تركهم أنفسهم فلم يوفقهم للخيرات والطاعات وهذا من أشد العقوبات ويحتمل أن يكون معناه أي يجازيهم
في الآخرة جزاء بأن تركهم في الآخرة في العذاب كالنائم ويكون ذلك جزاء لهم بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من أمر
الله تعالى وهذان التأويلان يرجعان إلى ما ذكر من تحمل الأذى فيما فعلوا والله أعلم قوله تعالى أولئك هم
الفاسقون فالفسوق هو الخروج عن أمر الله تعالى قوله تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون
أي الناجون والفوز هو الظفر بالحاجة ثم قوله لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة يحتمل وجهين أحدهما
أي لا يستوون في الدنيا ولا يستوون في الآخرة فإن كان على الأول فمعناه لا يستوي عمل أهل الجنة في الدنيا
في العقول عمل أهل النار وعمل أهل النار باطل واستقبحته العقول وأما أفعال أهل الجنة الراجعة إليها
بلى تستحسنها العقول لأن عمل هؤلاء بالله ظهر بالبراهين والحجج وليس لعمل أولئك براهين وما أقيم
بالبراهين والحجج فهو في العقول أحسن من الذي لا برهان عليه ولذلك كل عمل يستحق صاحبه عليه الثواب
فهو على العقول مستقبح فلم يستويا وأما الوجه الثاني أي لا يستوي جزاء أهل النار وجزاء أهل الجنة في الجنة
النعيم الدائم وفي النار الشدة والنقمة فلم يستويا ذكرهم الله هذا لينتهوا عن فعلهم ويعملوا لله تعالى حتى يستوجبوا
بها الثواب في الآخرة قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله اختلف
الناس في تأويل هذه الآية قال بعضهم خرجت هذه الآية على التمثيل وعلى التنبيه والتذكير وذهبوا في ذلك
إلى أن العرب إذا استقبلهم أمر وأرادوا أن يصفوه بالعظم والشدة كانوا يضربون الأمثال بما يعظم ذلك
عندهم وصنعه ولم يكن يريدون بالحقيقة في ذلك نحو قولهم عند شدة الأمر أظلم علي ما بين السماء والأرض
وكقولهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وكما وصف الله تعالى من أمر لوط عليه السلام فضاق بهم ذرعاً فهذا
القول من العرب إنما كان على التمثيل فيما يريدون أن يصفوا الشيء بغايته لا على الحقيقة لأنه معلوم أن الدنيا
عليه كما كانت لم تتغير وكذلك لم تظلم عليه في ذلك لكنهم يتكلمون على التمثيل عن شدة ما نزل بهم من الأمر وكذا
قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله يقول لو كان هذا الجبل على
مع صلابته وشدته يخضع لله تعالى ويتصدع من خشيته على وجه التمثيل لكن قلوب هؤلاء أقسى من حيث
يخضع ولم يخشع وهو كقوله كالحجارة أو أشد قسوة إذ الحجارة قد يكون فيها منافع نحو خروج الماء وغيره
فأما قلوب هؤلاء الكفرة فليس فيها شيء من المنافع بل هي قاسية لا تخشع ولا تتصدع وعلى ذلك يحمل
تأويل قوله تكاد السموات يتفطرن منه على التمثيل ليس على حقيقة ذلك وقال القائلون لو أنزلنا هذا
القرآن على جبل أنه على حقيقته إذ الفعل منه هو الانصداع والخشوع ولذلك تأويل قوله تكاد السموات
يتفطرن منه فمعناه لو كان نزول هذا القرآن وما فيه من الأحكام والأمانات التي أوجب على البشر على
الجبل وكان هو يجب تحمل قبول ذلك باختيار والقيام بشرائطه لكان هو يتفرع ويتصدع من خشية الله
تعالى وكان لا يقبل مخافة أن لا يمكنه أداء ما لزمه بنزوله وهو كقوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض
والجبال الآية فيقول معناه لو أنزلنا هذه الأمانات التي في هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً
إذ الأمانات مما قبلها لم تلزم ولا يمكنه أداؤها كلها لأن الأمانات مما يكثر عددها فيصعب أن يكون أداء

فعل

فعلى هذا التأويل يخرج على حقيقة التصديع أن لو أنزل عليه مع عظمه وصلابته لا يتصدع ففي هذه تنبيه للخلق وتذكير
لهم وقال بعضهم إن في هذه الآية تذكير الرسول عليه السلام منته عليهم وعلى جميع الرسل بأنه لولا فضل الله ومنته على الرسل
لكان لا يطيق أحد من الرسل حمل ما في الكتاب ولا أداء ما افترض عليهم من أداء الرسالة ولكنه من عليهم بأن سهل عليهم
ذلك حتى قاموا بذلك كله وهو كقوله تعالى إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً وقال في موضع آخر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر يسر عليهم فعل العمل بما فيه فيقول كذلك قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً
من خشية الله لثقل ما فيها لكنه من عليك ويسر ذكره عليك ووفقك بتبليغ ما فيه إلى أهله فقال لما يلوح بأنه
لما أراد أن ينزل التوراة على موسى عليه السلام وبجانبه في ألواح من زبرجد أخضر أمر الملائكة أن يحملوها فلم يطيقوا حملها
ثم أمرهم أن يحملوا كل حرف منها فلم يطيقوا ثم خفف ذلك على الأنبياء فكأنه يقول لرسوله عليه السلام لو أنزلنا هذا
القرآن على جبل لرأيته كذا لكنه خفف ذلك عليك كما خفف على الأنبياء من قبلك والله أعلم بما كان إن كان
صح هذا الخبر فإن ذلك الثقل لم يكن في نفس الكتابة التي في الألواح لكن في الذي عليهم من العمل بذلك من أداء الأمانات
الأمانات وغير ذلك لأن الله تعالى أخبر أنه لو كان أنزل هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وقال في
موضع آخر إنا عرضنا الأمانة الآية ثم كانت تلك الألواح قد حملتها الأرض وأمكن لموسى عليه السلام حملها فلذلك
هذا القرآن كله والتوراة والإنجيل والزبور تحملها ولا يحتمل ذلك بحقيقة ويحكى كتابته في قليل الألواح تكتب أيضاً
مؤدّى ليس هذا هو الحروف غير أن لو كان على ما فيه من الأمر والنهي أداء وأداء لا يستحق بقائه لا على نفس تلك الألواح
وهذا الذي قد ذكرنا هو تأويل الغير في نزول هذه الآية وأما الذي لا نعلم بحقيقة تأويل هذه الآية ولو أن في الآية
تذكيراً وتنبيهاً لكنا نقول هي من المتشابه المكتوم الذي لا نفسر لكنه لما خرج مخرج التذكير واستشكل لما شهد
علينا أنه احتجنا إلى تأويله قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون قوله تعالى
هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم قيل إن الناس من يقول إن قوله هو من أسماء
الله تعالى وذكر عن بعض أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بقوله يا هو يا من لا هو إلا هو
وتأويل هذا الكلام أن كل شيء سواه كالعدم قوله تعالى عالم الغيب والشهادة قيل فيه وجوه ثلاثة أحدها أنه
عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه والثاني بما قد كان وبما يكون والثالث أنه عالم بما قد كان ولم يكن أنه لو كان
يكون إذا كان وقوله هو الرحمن الرحيم فهما اسمان مشتقان من الرحمة وفي هذه الآية بيان وجوه أربعة أحدها
في بيان التوحيد وهو قوله هو الله الذي لا إله إلا هو إذ الإله هو اسم المعبود أن كل معبود دونه باطل والثاني
[illegible]
عالم الغيب والشهادة [illegible]
[illegible] الرحمن الرحيم [illegible]
[illegible] هو الملك القدوس [illegible]
[illegible]
المؤمن [illegible]
[illegible]
المهيمن [illegible]
[illegible]
العزيز [illegible]
الجبار [illegible]

لاحد ان يسمى بذلك الاسم الا هو والله تعالى يجل عن ان يكون له امثال واشكال فهو المتكبر عن الكبر
والعظمة هذا الاسم لا يليق بغيره لان الخلق بعضهم لبعض امثال في الخلقة ولا فضل لاحد على آخر فلما استووا
لم يجز لاحد على آخر التكبر فصار التكبر في ذلك لله تعالى والتكبر على الآخر هو الترفع والاصل فيه واحد فهو
ان لا يرى لنفسه شكلا وانما هو تعالى انما سمى نفسه متكبرا اذ هو المتكبر لذاته لم يكن تكبره بغيره فلذلك قلنا ان
لا يستحق احد من الخلائق التكبر الا الله تعالى اذ لم يكن احد شكلا ولا ضدا ولا ندا وانما غيره من الخلائق فكل واحد
منهم بالتعادل شكل وقوله تعالى سبحان الله عما يشركون فيه تنزيه الله تعالى عما قالت فيه الملحدة فهذا الاسم سمى
نفسه وامر الملائكة والانبياء والمؤمنين ان يقولوا ذلك ومعنى قوله سبحان الله اي معاذ الله ان يكون ذلك
على ما قالت الكفرة وسمى نفسه جبارا لما انه يجبر الاشياء فيجعلها على ما يشاء وهو كقوله يصوركم في الارحام
كيف يشاء فيخلق الاشياء على ما يريده لا على ما يريد غيره قال رحمه الله ان شجعل جلاله يتعالى الخالق ان يعبر احد
تعالى من الظلم والجور وجميع ما لا يليق به والثاني تعالى على الاشياء كلها يقهرها ويصرفها على ما شاء
اي ليس احد يقهره بل هو يقهر الخلائق والثالث تعالى البارئ بمسه الحاجة وكل موجود دونه لا يخلو من ذلك والرابع
تعالى عما قال الظالمون فيه من الولد والاضداد والاشكال والانداد وتعالى عن جميع السوء الذي يصيب الخلق
والله المستعان هو الله الخالق البارئ فالخالق والبارئ واحد يقال برأ الله الخلق والبرية هي الخلق
ويقال سميت البرية هو الخلق ويقال سميت البرية برية لانه خلق من التراب والبرى هو التراب المصور
والمصور هو الذي يعطي كل شيء صورته فيصوره على ما هو فالتصوير هو بيان الحدود وهو قول الناس صورت
عندي فلانا اي بينته له الاسماء الحسنى اي الامثال العلى وهي الصفات فان الصفة يرجع الحكم فيه
الى الصفة مرة والى التشبيه ثانيا فاذا رجع الى الصفة فانه يرجع الى الحقيقة فذلك يحتمل ان يرجع الى التشبيه فانه
لا يرجع الى الحقيقة ذلك ثم قوله له الاسماء الحسنى اي الصفات العلى لا يسمى بذلك الا هو اذ لا يقال العبد
الرب ولا الرحمن ولا الاله الا بالاضافة الى شيء آخر واما التصريح فلا يطلق ذلك الا له عز وجل ويحتمل
وجها اخر اي لا تشبيه اسماؤه واسماء غيره كما يحدث بتلك الاسماء بل هي خاصة والله المستعان تم

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة هذه الآية وما اشبهها من نحو قوله يا ايها الذين آمنوا قوا
انفسكم وفي كل ما ذكر يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا واضحة ان الايمان عند وجود نفسه وانه ليس كما قالت الحشوية
والمعتزلة واصحاب الحديث ان الطاعات كلها ايمان ووجه ذلك ان كل ما في نفسه فذكرهم من هذه الآية المحتمل
لهذا الخطاب انه لازم له فيثبت انه وجود في نفسه وهي التصديق بالقلب وغيره من الطاعات شرائعه والله اعلم
وفيما ذكر من قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم وما اشبهها من الآية دلالة على ان الانسان ما يشاهد وليس كما قال
النظام ان الانسان انما هو جسم آخر لطيف في هذا الانسان ولا كما قال الفلاسفة ان الانسان انما هو جوهر بسيط
في هذا الانسان ووجه ذلك انه ليس كل احد يعلم انه في نفسه جوهر بسيطا او جسما آخر فيه لطيف وقد
الكل من هذه الآيات يحتمل الخطاب بها فثبت بما وصفنا ان الانسان هو ما يشاهد والله اعلم وفيه دلالة ان
ما يفهم من هذه الآيات من عموم او خصوص ليس يفهم بنظام الخطاب ولكن بما توجبه الحكمة فان وجب
اجريها على عمومها واذا وجب تخصيصها اجريها على ذلك والذي يدل على ما وصفنا انه قال يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وهذا مخرجه في الظاهر على العموم ولكنه لما قال تلقون اليهم بالمودة
ومعلوم ان الذي كان يلقى بالمودة خاص لا كل المؤمنين فكان يجب ان يكون مخرجها على الخصوص لما ابتنى في
هذه الآية ولكن الحكمة توجب تعميم هذه الآية لانه لم يقل المؤمن لا تتخذ عدوي وعدوك اولياء وكان هذا
الخطاب ما للكل بما توجبه الحكمة من انه اذا علم من اعتقاده انه لا يتخذ وليا وكذلك قوله وقد كفروا بما
جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم خرج مخرج العموم في الظاهر ولكن الذين اخرجوه انما كانوا اهل مكة
خاصة دون سائر الكفرة فهذا يبين انه اجري مجرى العموم لم يكن لظاهر اللفظ ولكن لما توجبه الحكمة
وكذلك قوله اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله الآية ليس ان السعي انما فرض يوم الجمعة لتخصيصه
بالذكر ولكن لما ان النداء في يوم الجمعة الذي ذكر به مخصوص من الايام الذي ذكر واختلفوا لاجل ان النداء المختص في السنة
هو النداء الاول فخص من الايام هو النداء الثاني فاذا جاز ان يكون فرض السعي في يوم الجمعة انما هو كمهذون بسبب

بينا ان التخصيص ليس بظاهر اللفظ والله اعلم وفي هذه الآية دلالة رسالته عليه السلام وذلك ان قوله
تسرون اليهم بالمودة يدل ان ذلك الرجل لم يطلع على سره احدا وقد اطلع الله تعالى نبيه عليه السلام حتى اخرجه
بالكتاب فثبت انه انما علمه بالوحي والله اعلم ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقال الحسن انها نزلت في اهل النفاق
وقال غيره من عامة المفسرين انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وهذا اشبه لما ويلي بالصواب واقرب الى الحق وذلك
ان الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم فقد اخبر ان الكفرة عدو لهم ولو كانت الآية في اهل
النفاق لم تكن الكفرة عدوا لهم بل كانوا اولياء فثبت ان المراد فيها المؤمنون والله اعلم وفي هذه الآية دلالة ان ذلك
الذنب النفاق بكبره ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لانه قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم ولو كان ذلك الذنب يكفره
ويخرجه من الايمان لم يكن ذلك الا كافرا عدوا لم يكن وليا لم يقل وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولاجل انه
قال يا ايها الذين آمنوا سماه مؤمنا والدليل على ان ذلك الذنب كان كبيرة انه اخبرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهز هم للقتال وفيما اخبرهم بانه يستعد لقتالهم ان النبي صلى الله عليه وسلم وحده ولا يشكل ان من عزم قتال
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان مرتكب كبيرة واذا كان كذلك وقد ادخله الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وبما وصفناه من الدليل ثبت ان الكبيرة لا يكفره ولا يعزله اسم الايمان
عنه والله الموفق ثم في نهيهما ان يتخذ عدوه وعدوهم اولياء دلالة ان ليس في الحكمة ايجاد الولاية مع الاعداء
ثم من قال المعتزلة لان الله تعالى اراد من جميع عباده ان يؤمنوا واذا اراد ان يؤمنوا فقد اراد ان يوالي اليهم مع علمه انهم
يختارون عداوته تكانهم وصفوا الله تعالى بما يخرجه من الحكمة ويدخله في السفه والجهل بالعواقب وذلك
كله منفي عن الله تعالى والمعتزلة بما وصفوه في نسبة سفه فنخشى ان يكون كفرا والله المستعان وقوله يلقون
اليهم بالمودة انما كتب في الكتاب وقوله وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم
وقوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي يحتمل ان يكون ذلك للذين هاجروا من مكة الى المدينة
وهو اقرب التاويلين لان الخطاب انما كان لمن هاجر من مكة الى المدينة وحين نزلت الآية ويحتمل ان يكون ذلك حين اراد
الجهاد الى مكة والله اعلم في ذلك وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم
اي هو اعلم بما اخفيتم من كتبة الكتاب الى اهل مكة وما اعلنتم بما اظهرتم من العذر وقوله ومن يفعله منكم
اي من اتخاذ الولاية مع اعدائه فقد ضل سواء السبيل في الاعتقاد ان من اعتقد ذلك في الفعل انه لم يعتقد في
الاعلم ثم قوله تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم لان مراقبة الله تعالى في السر والعلانية وتحذيره
ان يجمل بين السر والعلانية وتخويف لهم عن ان يطلع رسوله على سرائرهم كما اطلعه على امر كتاب الى اهل مكة
ثم في هذه الآية اعظم شيء في زجرهم ونهيهم عن المعاصي وذلك انه لما اطلعه على جميع ما يتعاطونه من الذنوب
سرا وعلانية فاذا علموا ان الرسول عليه السلام يعلم من سرهم ما يعلم من علانيتهم بما يطلعه الله عليه يحملهم ذلك
على الانتهاء عن المعاصي في السر والعلانية وعلى الاجابة الى ما يدعوهم اليه والله اعلم وقوله تعالى ان يثقفوكم يكونوا
لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم فوجه ذلك ما قيل عندنا والله اعلم انه لما راهم رغبوا فيما في ايديهم مودتهم
رغبة منهم في الكفرة ان يحفظوا اولادهم واموالهم اخبرهم كيف يحفظون ذلك وهم لو قدروا
عليكم وظفروا بكم قتلوكم واولادكم واستهم فكانه يقول كيف توالونهم من حيث تسرون اليهم بالمودة وهم
لو ظفروا بكم وقتلوكم كانوا لكم اعداء وقوله تعالى وودوا لو تكفرون يعني انهم يودون ان يكفر بي او بما يودون
ان يكفروا لو قدروا عليكم قتلوكم فمن كانت حاله معكم مثل هذا فكيف تطمعون ان يحفظوا اولادكم واموالكم
وقوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم له وجهان احدهما انه يكفر لو ان الكفرة
لمكان الاولاد كفار ارحامكم وهم لا ينفعونكم يوم القيمة والثاني ان ارحامكم لا ينفعكم ولا يشفع لكم يوم القيمة
وقوله يفصل بينكم اي بينكم وبين ارحامكم كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه والثاني اي يفصل
بينكم وبين ارحامكم لاختلاف اعمالكم فينزل كل واحد منكم منزل عمله قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة
في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية الاصل في انباء المتقدمين
بما غيره لهذه الامة مما ذكر من هلاك المؤمنين منهم من نذكر المؤمنين من هذه الامة وتعلم همتهم بما لهم
بنبائهم على مثل ما فعل الموصوف منهم بكفرهم من سائر الامم وتحذير من هلاك الكفرة من الامم الماضية فهي
تخويف الكفرة هذه الامة لئلا يصنعوا مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجبوا ولذلك ما كان من
هلاك الرسل عليهم السلام ففي التسلي لرسولنا صلى الله عليه وسلم عن بعض ما مسه والحمل الى الحالة
تدلهم المخاطبين بما يخاطب في نفسه فيرتقي بما فيه من الاقتداء به اذ كان ذلك الغير لم يفعل ما فعله الا
عن امرهم فان الله تعالى امر المؤمنين من هذه الامة الاقتداء بابراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين ولحبهم

عن معاملتهم ايام وترك موالاتهم فكانه قال اتركوا موالاة الكفرة ولا تسروا اليهم بالمودة ما داموا على كفرهم
كما فعله ابرهيم عليه السلام والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم فتبرؤا منهم ولا تتولوهم فاصلوا كفعلهم
الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فكانه قال اقتدوا به الا ما قال ابرهيم لابيه لاستغفرن لك ثم
لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر ابرهيم عليه السلام لابيه ثم اختلفوا في المعنى الذي له استغفر ابرهيم لابيه
فقال ابو بكر انه كان وعده ان يستغفر لابيه ورأى ان الوفاء بالوعد لازم عليه فاستغفر له لذلك المعنى
وقال الحسن انه انما استغفر له لوقت تعلقه الا في حال الشرك لانه لا يتوهم انه لم يعلم انه لا يحل له ان يستغفر
للمشرك فمن علمه يحل له لم يكن شيئا ممتنعا فثبت انه انما استغفر لوقت تقدم وعندنا الاستغفار طلب
المغفرة والمغفرة من الله تعالى وجهين احدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم والثاني ان يوفقه للسبب الذي اذا
جاء غفر له الا ترى الى قوله استغفروا ربكم انه كان غفارا الى ان طلب منه السبب الذي اذا جئتم به غفر لكم وكذا
كان يكون كذلك جاز ان يكون استغفار ابرهيم على هذا الوجه ان يكون طلب من الله تعالى التوفيق له بالسبب الذي
اذا جاء به غفر له وذلك مستقيم ولكنه لما تبين له انه لا يوفقه لذلك السبب تبرأ منه والله اعلم وقوله تعالى
وما املك لك من الله من شيء اي لا املك ان ادفع عنك عذاب الله من شيء ولا املك ان اهديك دون ان
يهديك الله الا ترى الى قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فكانه قال لا املك ان ادفع لك
بالتوفيق للهداية لا املك لك من عذاب الله من شيء وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا يجوز
ان يكون هذا عند المنابذة واظهار العداوة مع الكفرة يعني عليك معتمدنا في النصر على اعدائنا عند قلة
عددنا وكثرة عددهم واليك رجعنا ومفزعنا واليك المصير اذا قبضنا وقوله تعالى ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا ذكر اهل التفسير في تأويل هذه الاية يخرج على ثلثة اوجه احدها اي لا تسلط
علينا اعدائنا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل والثاني لا تنزل علينا العذاب دونهم فيظنوا انهم على حق ونحن على
او لا توسع عليهم الدنيا وتضيق علينا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل ولو كان التأويل هذا لكان
يجيء على هذا ان يكون لو اجب على العدو لعن هذه الامة لا كما قال الله تعالى العافية لئلا تسوهم انفسهم انهم
على الحق ولكن الجواب عن هذا ان الفساق من هذه الامة قد علموا ان الذي هم فيه من الفسق محظور وكذا الكفرة
فان عندهم انما يدينون به من الكفر حق فاذا اسلطوا على المؤمنين توهموا ان الذي هم عليه حق لحق ما الفسقة
من هذه الامة اذ علموا ان الفسق محظور فلا يقع لهم على الحسبان والله اعلم ويحتمل ان يكون المعنى من قوله
لا تجعلنا فتنة يعني عذابا اي سببا لعذابهم اي لكفرهم كما قال ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك فكذلك الاول
والله اعلم وقوله تعالى واغفر لنا ربنا اي اغفر الذنوب التي تستوجب بها نصر اعدائنا علينا وقوله تعالى
انك انت العزيز الحكيم العزيز يعني المنتقم من اعدائه وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الاخر يعني لقد كانت لكم في ابرهيم والذين معه قدوة حسنة تقتدون بها اذا اقتديتم
بهم واطعتموهم وقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر يحتمل معنيين احدهما ان لمن يرجوا ثواب الله
تعالى والثاني لمن يؤمن بالبعث وذلك ان الله تعالى وصف امر البعث في كتابه بصفات مختلفة مرة اضافه
الى نفسه بقوله من كان يرجوا لقاء ربه وكان المعنى منه البعث مرة ووصفه بصفة اخرى وان كان المراد منه
الثواب فيفيد ان الراجي في الحقيقة هو الطالب لما يرجو بالاسباب التي يرجوا الوصول بها الى ما يدعي
وان الخائف في الحقيقة هو الذي عما حذر والمنتهي عما نهي عنه وخطر فان من اعتقد على مجرد الرجاء والخوف
دون ان يتمسك بسببهما فهو متمني على الله تعالى والدليل على ما يؤيد ما يقوله قوله تعالى الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فلا تراه كيف حقق الرجاء بالمجاهدة في سبيل الله والعمل بطاعته
والله اعلم وان كان على البعث فذلك ايضا لانه اذا امر بما نهي عنه وطلب لما امر به فقد تبين انه تعالى هو
من الاية الى ثواب الله ورحمته وانه تعالى ذي يقضي عاقبة من لا ينته الى نعمة الله وعذابه كما علم انه لا ينفعه
الا من يؤمن بالبعث كان من لم يؤمن بالبعث فانما تولى من رجاء منه منفعة الدنيا وهو يعمى بعضهم عن هذا الله
والله اعلم وقوله ومن يتول يعني من يتول عن طاعة الله فيما امره من الاقتداء بهم فان الله غني حميد يعني عن طاعة
الخلق ليعلم انه ما امرهم به لم يأمرهم لحاجة له في طاعتهم والمنفعة ترجع اليه بل هو غني عن كل ذلك وانما امر
لحاجتهم اليه ولا يعلم انه منافع طاعتهم ترجع اليهم خاصة وقوله حميد له معنيان معنى الحامد ومعنى المحمود
فان كان المراد منه المحمود فمعناه ان الله تعالى يستحق الحمد من خلقه بما انعم عليهم وان كان المراد منه الحامد فمعناه انه
يحمد الخلق ويشكرهم حتى يجزيهم بالكثير من الثواب عن القليل من الاعمال اذ سمى كثيرها عمالهم من حميد به
المعنيين وقوله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم

انا نقام المؤمن بمعاداة الكفرة ومنابذتهم وترك موالاتهم ما داموا كفارا ثم وعد ان يحصل بكشف
بينهم مودة واذا اسلموا فكانه في هذا امن اعظم الدليل على ان الخالق عنده تعالى كالذي لا يعلم وله والقلوب
وليس كما قال المعتزلة انه يؤمن ويتوب في الاوقات التي هو عند الله تعالى كفر وهذا خلاف الوصف
الله تعالى في هذه الاية قال انما يتعلق هو لما المعتزلة فمن خالف هذه الايات وقالوا يعلم على وقت قبل ذلك بلا شك
قال الاية نعت ولعدو كما كانوا اولياء من قبلهم ثم لما كانوا هذا مذهبهم صنعوا لهم ولامنا بهم والموت
بيضا في موضع اخر ونهى انه تعالى عن هذا يظهر الدليل على الخلافين فلا شك ان الله تعالى وعد ان يحصل بيننا وبينهم مودة
ومن حق الخلق لا يقدرون على شيء من افعال الخلق فكان الله تعالى هو خالقهم وعدم لا يقدرون عليه وهذا الدليل بانهم
خلق الله فكيف يكون الذين ينسبون اليه الخالق والاختيار لله الايات والله يحمد من اضلال احدا تعالى وصف نفسه
بالقدرة بقوله والله قدير في قول فلم يتم لا يقدر على شيء من افعال العباد فالحاصل ان هذا من تفسير هذا الظاهر
والله الموفق وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا
اليهم لا يحتمل ان يكون النهي وجه التهى في الاقساط لان الاقساط هو العدل لا يحتمل ان ينهى عن العدل الا كما
ولكن ان هذا الاية لا يحتمل ان ينهاهم عن العدل ولا يعتمد على الاقساط الدين وان نهى عنه والعبادة لا يحل له البر
لكنه ان العداوة وان كان كذلك ثبت ان المراد من هذا النهي غير هو قوله ان تبروهم الذي امر عنه ذلك
ما في حق الظاهر وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
ان تولوهم وقد علموا قد يحتمل ان يراد به لا ينهاكم عن ان تبروهم ان كان من اهل الاسلام وصحبهم في الدنيا معروفا فانهم
بهم في حق وما الجوار وبقوله لا يحتمل ما هو معروف كما اولئك ولكنه لما جاز ان يجتمع فعل المرء
وترك اتبعه تعالى ان يامر بالبر الذي هو في الموضع والله اعلم ثم قوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين يحتمل ان يكون المراد منه لا ينهاكم بل يامركم ويحتمل ان يكون معناه رخصكم لقوله فلا جناح عليكم
ومعناه بل رخصكم كان قد يجوز ان يكون التجارة اذا الربح لا يحصى وكذلك قوله لا ينهاكم الله عن الذين
لم يقاتلوكم في الدين بل يامركم ان تبروهم ويحتمل ان يكون المراد بل يرخص ان تبروهم والله اعلم ثم اختلفوا فيمن امر
بترك قتالهم فقال بعضهم هم المستضعفون من اهل مكة الذين سبقوا في السر وحبسوا الظهار من المشركين
فامر الله تعالى المؤمنين بالمدينة ان يبروهم بالكتاب اليهم ليحتالوا في بعاد انفسهم لان المشركين فامر الله تعالى
المؤمنين بالمدينة ان يبروهم بالكتاب اليهم ليحتالوا في انفاد انفسهم لان المشركين من اهل مكة اذا علموا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظهر لقتالهم كانوا يخوفون ان يخشى على اولئك المؤمنين المستضعفين فامر هؤلاء ان
يبروهم بالكتاب اليهم ليحتالوا في انفسهم ويحتالوا ما يخشى عليهم من المشركين والله اعلم وقال بعضهم
هذا في الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذمة فامر المؤمنين ان يبروا وليكف
في تمام عهودهم الى مدتهم وذلك ظاهر من ان يتولوا من قاتلهم او نقض عهودهم وقال بعضهم في النساء والولدان
من المشركين من الرجال بل يقاتلونهم ثم قال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون يعني من تولاهم في الافعال
فاولئك هم الظالمون في حق الافعال كما وصفنا في قوله فقد ضل سواء السبيل وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات المعنى عندنا والله اعلم اذا جاءكم المؤمنات يعني واللاتي
اتين مؤمنات فامتحنوهن لانه لو كان في حقيقة الايمان لم يكن لقوله فامتحنوهن معنى فلما امر بالامتحان
ثبت ان تأويل قوله اذا جاءكم المؤمنات ما وصفنا انها وقال لهذا كما قال من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان وكان المعنى منه من تكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان فلذلك يجوز ان يكون المعنى
من الاول ما سبق ذكره والله اعلم ثم ان المفسرين ذكروا في صفة امتحانهن ان يحلفهن بالله ما خرجن
من دار هن بغض ازواجهن او يحلفن انهن ما اردن لخروجهن انفسا من ارض الى ارض وانما اردن بذلك الاسلام
وهذا تأويل فاسد وذلك انها اذا اسلمت كان الحق عليها في دينها ان تبغض زوجها الكافر كقوله
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وكيف يجوز ان يكون صفة امتحانها
ما ذكروا وحكم الشريعة والذي يوجب ما كن يفعلنه فلذلك قلنا ان هذا التأويل الذي ذكره بعض المفسرين
في وصف الامتحان غير مستقيم ويجوز ان يكون تأويل امتحانهن على وجهين احدهما ان يستوصفن من الايمان
ما هو فاذا اخبرن عن حقيقة الايمان علم انهن مؤمنات والثاني ان يعرض عليهن ما على المؤمنات كما قال تعالى
لا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن فاذا اقررن بذلك كله كان ذلك امتحانهن والله اعلم
وقوله تعالى الله اعلم بايمانهن هذا يدل على ان الذي كلفنا به المؤمنون من امتحانهن انما هو ما نعلق من
ايمانهن في الظاهر ولكن الحقيقة انما يعلمها رب العالمين وهذا يبين ان العلم علمان علم العمل وعلم الشهادة

ما يجوز ان يشهد على الله به فذلك انما يوصل اليه بما يطلعهم الله عليه نصا اما بكتاب او سنة ميسورة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم العمل هو الذي يسوغ فيه الاجتهاد بخبر الآحاد وجهة القياس
وغير ذلك قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار • ذكر في القصة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صالح عام الحديبية مشركي اهل مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده عليهم ومن اتى مكة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم وغير ذلك وكتب بينهم كتابا وهو بالحديبية فلما فرغ من الكتاب اتت سبيعة
مسلمة فجاء زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ذلك وهذه
طينة لم تجف بعد فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار يعني لا تردوهن الى ازواجهن الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن يقول لا يحل نكاح مؤمنة لكافر ولا نكاح كافر لمؤمنة وقوله واتوهم ما انفقوا يقول اعطوا زوجها الكافر
ما انفق عليها على ما كان جرى من الصلح بينهم وبين المسلمين ان من خرج من نساء اهل مكة الى المدينة مؤمنات
لم يرجعن الى الكفار واعطوا ازواجهن ما انفقوا ثم معلوم انه كان يوجد باعطاء الصداق [illegible] انفق عين
الذي اخذ الصداق ولكن كان يوجد به من كان من جنسه على ما ذكرنا نظائره فيما تقدم وكذلك قال اصحابنا
ان اهل الاسلام يأخذون من تجار اهل الحرب مجازاة لما يأخذ اهل الحرب من تجار المسلمين وانما يوجد ذلك
ممن كان من جنسهم اذ كان ذلك غير الذي اخذ منه وعلى ذلك يقول ان المحنة قد يجوز ان تستوي على البر والفاجر
وان ما نزل بالادمي من المحن يجوز ان لا يكون جزاء لما تعاطى من الذنوب والسيئات لان لله تعالى ان يمتحن عبده
في هذه الدنيا ابتداء واما في الاخرة فلا يؤخذ فيها احد بذنب اخر بل يجزى كل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر
والله اعلم وقوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن يعني لا اثم عليكم يعني المسلمين ان تزوجوهن
اذا اتيتموهن اجورهن قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان زينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسلمت قبل زوجها ثم اسلم بعد ذلك زوجها فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول
قبل ان ينزل ولا تمسكوا بعصم الكوافر فهذا انه كان اذا اسلم الزوج وخرج الى دار الاسلام انقطعت العصمة
بينه وبين امرأته وكذلك المرأة اذا خرجت وبقي الزوج ثم قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال بعضهم وبعض الكوافر
من كانت له امرأة بمكة كافرة فلا يعتدن بالمرأة الكافرة فانها ليست امرأة له وقد انقطعت العصمة بينهما
بعضهم ولا تمسكوا بعصم الكوافر حظر علينا الاستمتاع بالكافرة والامساك من نكاح المهاجرة لاجل نكاح
الحربي بعصمته والعصمة المنع والكوافر يجوز ان يتناول الرجال [illegible] ظاهر من هذا الموضع للرجال لانه في ذكر
المهاجرات والله اعلم قوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا يقول اذا لحقت امرأة المسلم بكفار
مكة فاسألوا مهرها من اهل مكة وردوا الى زوجها وليسألوا ما انفقوا يقول ان جاءت امرأة من اهل مكة مهاجرة
اليكم فردوا على زوجها المشرك ما اعطاها من المهر وكان ذلك من اجل العهد الذي كان بين اهل مكة وبين النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله بين المسلمين والكفار من اهل العهد
من اهل مكة فان يرد بعضهم على بعض النفقة اي المهر وقوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم
يقول ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار مكة من اهل الحرب ممن ليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج عندكم مسلم فعاقبتم
اي اعقبكم مال الغنيمة فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من المهر مما اصبتم من الغنيمة قبل ان تخمس
واتقوا الله فيما فرض عليكم من هذا الذي انتم به مؤمنون اي مصدقون فلا تعصوه والله اعلم وهكذا نقل
عن مسروق وغيره عن الزهري انه قال من حكم الله تعالى ان يسأل المسلمون من الكفار مهر المرأة المسلمة اذا صارت اليهم
ويسأل الكفار من المسلمين مهر من صارت اليهم من نسائهم مسلمة فاقر المؤمنون بحكم الله وابى المشركون
ان يقروا بذلك فانزل الله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا فامر الله تعالى المسلمين اذا ذهبت امرأة مسلمة ولها زوج الى الكفار لم يردوا الى زوجها ما اعطاها
من المهر من صداق كان في ايديهم مما يريدون ان يردوا الى المشركين بمهاجرة امرأة منهم مسلمة الى النساء لم يكن لهن
صداق وجب رده على اهل الحرب فرضهم من غنيمة اصبتموها واصل هذا والله اعلم وان فاتكم شيء مما انفقتم
على ازواجكم ثم ظفرتم على اعدائكم وغنمتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم ما فات عنهم مما انفقوا فكان يقول في [illegible]
اولئك الذين ذهبت نساؤكم اليهم ما انفقتم فان سألتم ولم يعطوكم شيئا فاتكم ذلك من [illegible] الوجوه ثم
فاتكموهم وغنمتم فاعطوا الذين فات عنهم ازواجهم ما انفقوا قال ابو بكر رحمه الله اعلم بان هذه الاية ينتظم احكاما منها
جواز الاجتهاد والعمل بالعلم الظاهر لانه قال فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات واراد به
الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار فهذا الحكم مبني على العلم الظاهر لان العمل به جائز ولكنا في ان احد [illegible]

اذا اسلم احدهما في دار واحدة اما دار الاسلام او دار الحرب هل يقع الفرقة بنفس الاسلام او بانضمام شيء اخر اليه فقال
بشر المريسي ان الفرقة يقع بالحال من غير انضمام شيء اخر اليه وقال الشافعي ان كانت المرأة مدخولا بها لم يقع
الفرقة حتى ينقضي ثلاث حيض واذا كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بالحال وقال اصحابنا اذا كانا في دار الحرب
فاسلم احدهما لم يقع الفرقة حتى يعرض السلطان الاسلام على الاخر فاذا عرض عليه الاسلام واتى فرق بينهما فلما
بشر فاحتج بظاهر قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
فعقل اخبر انه لا يحل واحد منهما لصاحبه ولم يذكر شيئا اخر فلا يعتبر به شيء اخر واما اصحابنا فانهم يحتجون في
ان الفرقة لا يقع بنفس الاسلام بقوله اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فلو كانت الفرقة واقعة بمجرد الاسلام
لم يكن للامتحان معنى فلما ذكر الحرمة الا بالامتحان ثبت ان الفرقة لا يقع بمجرد الايمان ويحتج لما ذكره مثال
ممنا ويحتج بقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وحرم ذلك على المؤمنين ثم قال واتوا الذين ذهبت ازواجهم
لا يوجب الحرمة لم يكن موجبا للمهر وحيث اذا قال لها انت بسبيكا فانه لم يكن بيني وبينك نكاح فلما ثبتت مجرى
الزوجات يعقوبه واتوا الذين ذهبت ازواجهم ثبت ان الزنا لا يوجب حرمتها عليه ولذلك الايمان بمجرده لو كان يحرمها على الازواج
لم يكن للامر بالامتحان معنى فلما امر بالامتحان على ايمانها بعد ان ظهرت في نفسها الايمان ثبت ان الحرمة لا يقع بنفس
الايمان حتى ينضم اليه شيء اخر وتبين ان العمل بظاهر الاية غير ممكن اذ لا يجري على اطلاقها والله اعلم وقد دليل بان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لما اسلم نساؤهم من بعدهم لم يرو عن احد منهم انه جدد النكاح
ولو كانت الفرقة تقع بنفس الاسلام من احد الزوجين لكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يجدد
النكاح ثبت ان الفرقة لا يقع بمجرد الاسلام والله اعلم والوجه الثالث ما روي عن الصحابة رضي الله عنهم على
الامتنان باختلاف الدارين وانحو ما روي عن ابن عباس انهما على النكاح حتى تحيض المرأة ثلاث حيض اذا كانا في دار
الحرب وعن علي انهما على النكاح ما دامت في الهجرة وعن عمر رضي الله عنه انهما في دار الحرب وعن علي انهما على النكاح ما دامت في الهجرة
وعن عمر رضي الله عنه انهما اذا كانا في دار الاسلام فاسلم احدهما فهما على النكاح حتى يعرض السلطان الاسلام على الاخر
فهذا لا ينفع عنهم ان الفرقة لا يقع بنفس الاسلام الا انضمام شيء اخر ولم يثبت عن غيرهم خلاف ذلك
فيكون كلهما فاذن ذلك هو اصحابنا باتفاقهم والله اعلم والثالث ان احد الزوجين اذا خرج الى دار الاسلام
مهاجرا وبقي الاخر في دار الحرب يقع الفرقة بينهما عندنا وعند الشافعي لا يقع الفرقة بتباين الدارين وقال
لان المسلم اذا دخل بامان لم يتصل بنكاح امرأته وكذلك لو دخل حربي الينا بامان لم يقع الفرقة بينه وبين زوجته
ولذلك لو اسلم الزوجان في دار الحرب [illegible] لم يقع الفرقة [illegible] اختلاف
الدارين ايجاب الفرقة [illegible] السبي [illegible]
[illegible]
[illegible]
قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار [illegible]
[illegible] لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن [illegible]
[illegible]
[illegible]
وكذلك قوله واتوهم ما انفقوا [illegible]
[illegible]
اذا اتيتموهن اجورهن [illegible]
[illegible] ولا تمسكوا بعصم الكوافر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عن ابن عباس [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] النكاح

الاول بعد سنين وقد كانت زينب هاجرت الى المدينة وبقي زوجها مشركا بمكة ثم ردها عليه بالنكاح
الاول فدل ان اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة فيقال له لا يصح الاحتجاج به من وجوه احدها انه قال ردها بعد
ست سنين بالنكاح الاول ولا خلاف بين الفقهاء انها لا ترد الى الزوج بالعقد الاول بعد انقضاء ثلث حيض
ومعلوم انه ليس في العادة ان لا يكون ثلث حيض في ست سنين فسقط الاحتجاج به والثاني انه روي عن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في اليهودية تسلم قبل زوجها انها املك بنفسها فكان من مذهبه ان الفرقة
وقعت باسلامها وانه لا يحتمل خلاف ما رواه فدل ان ذلك منسوخ اذ لا يظن به انه خالف رسول الله صلى الله
عليه وسلم والثالث ان عمرو بن شعيب روى عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب رضي الله عنها
على ابي العاص بنكاح ثان فوقع التعارض بين الحديثين فبطل الاحتجاج بالحديث ثم الترجيح لما روينا لان فيها
زيادة اخبار حكم لم يكن في حديثه لانه يعني انه لم يعلم حدوث عقد ثان وفي حديث عمرو بن شعيب حدوث
عقد ثان بعد اسلامه فيكون اولى من الاول لان الاول اخبار عن حدوث عقد ثان بعد الاسلام والثاني اخبار
عن نفي حادث بعلمه وهذا كما رجحنا حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم على
حديث يزيد بن الاصم انه تزوجها وهو حلال لان في حديث ابن عباس اخبار عن حال حادثة وحكم الاحرام عن
ظاهر الامر الاول وكحديث بريرة انه كان زوجها حرا حتى اعتقت وقد روي انه كان عبدا ايكون الخبر
اولى الاخبار عن حال حادثة وقوله الثاني اخبار عن ظاهر الحال بحالة الاول وعلى قلت هذا دليل على ان
المهاجرة لا عدة عليها عند ابي حنيفة وعلى قولهما عليها العدة وفي هذه الاية دليل ابي حنيفة من وجوه فانه قال
فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار نهى عن ردها الى الزوج ولو كانت عليها العدة لكان للزوج
ان يردها الى مسكنه لتعتد لان الله تعالى قال اسكنوهن من حيث سكنتم كيف امر الازواج باسكانهن في بيوت
ازواجهن في عدتهن ثم لما قال ها هنا فلا ترجعوهن الى الكفار دل على انه لا عدة عليها وكذا قال ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن فاباح نكاحها مطلقا من غير ذكر العدة وكذا قال ولا تمسكوا بعصم الكوافر ولو كانت العدة
عليها واجبة لكانت العصمة باقية فحق له فما لكم عليهن من عدة تعتدونها الا ترى كيف جعل العدة حقا
فاذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر يوجب قطع العصمة فلما كان
في ايجاب العدة ابقاء العصمة بينهما ونهى الله تعالى عن ذلك قطعنا انها اسقطنا العدة عنها والله اعلم
ولانهم اجمعوا انها اذا سبيت وقعت الفرقة وسقطت العدة والملك ليس بسبب لاسقاط العدة
ولكنه سبب لنقض العدة فلما سقطت العدة عند السبي في المهاجرة والسبي لا يوجب لا سقاط دل ان سقوط
العدة لاختلاف الدارين والله اعلم والخامس فيه دليل على ان الكتاب يجوز ان ينسخ حكمه بترك الناس
العمل فانه قال وآتوهم ما انفقوا وقوله واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا الحكم متروك من
غير ان يكون في تركه كتاب او سنة ولكن الناس لما اجمعوا على تركه وهذا مما لا حكم فيه
على الخصوص ليعني ثم نعدم المعنى فاما الا بعد العمل بمعناه يجب العمل بالكتاب ولا ينزل بترك الناس ولا يكون
لهم الاجماع على تركه ولا يتحقق الاجماع على الشيء بعض الصحابة قالوا انه صار منسوخا بقوله تعالى لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وبقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا
عن طيب من نفسه والله اعلم والسادس في قوله واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا دلالة على انه
سوى في الحكم بين اموالنا واموالهم ثم الاجماع جرى على انا اذا غلبنا على اموال اهل الحرب ملكناها وكذلك
اذا غلبوا على اموالنا يجب ان يملكوها وفيما وجب من الحرمة اذا جاءت النسوة المؤمنات مهاجرات دلالة
على ان الاحكام في الانفس مختلفة فعلى هذا ما خلف كل واحد منهما من المال في الدار التي هاجر منها الى
اخرى انه يصير فيئا لما لم يرد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فتمسكه اي يكون تخصيص شيء من
الاموال التي كانت مخلفة حين هاجروا الى المدينة ولا بد ان يكون ذلك للتوارث او لما دونه لانهما يكونوا قام اهل
ومعلوم ان التوارث بين اهل الاسلام واهل الكفر منقطع واذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه الاخر وفيه
والثاني يعني قوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم لان الفصل وجوب العدل بين الاعداء وهو كقوله ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
وقال ها هنا واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا سوى بين اموالنا واموالهم هو العدل فكانه يقول
ذلك امر في العدل بينكم وبين اعدائكم حكم الله يحكم بينكم لكي اذا علموا ان العدل لا يحكم عليكم
ترك العدل حملهم ذلك على التآلف والتعطف وعلموا انكم اذا تركتم متهم لكم والنعمة العدل والتسوية فليس ذلك
من عندكم ولكن من عند الله تعالى فرغبهم ذلك في الاسلام فكانه قال ذلك الذي امر بالعدل وجعله سببا لغيظ

اعداكم في الاسلام ويحملهم على التآلف حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم يعني عليم بما امر من العدل والتسوية
حكيم لا يلحقه الخطأ في التدبير فلذلك امر بالعدل واوجب بينهم والله الموفق والثامن في الآية دلالة على ان النساء اذا
ارتددن ولحقن لا يقتلن فانه قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فثبت انهن اذا لم تعلموهن مؤمنات جاز رجوعهن
الى الكفار بعدما اظهرن الايمان فانه تعالى ولو كانت المرتدة تقتل لكان اذا اظهرن ذلك عند هم حللهم وما لم يرجعوها الى
الكفار فلما ثبت بما وصفنا انهم كانوا يصيرون النساء اليهم مع علمهم بهن ثبت ان المرتدة لا تقتل والله اعلم
وقوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الآية المبايعة والهجرة كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم ونسخنا اليوم وايجاب ايضا وذلك ان الهجرة انما كانت من مكة الى المدينة لما كان احدهم اذا اسلم
يخاف على نفسه من فساد الدين بالكفرة لو اقام بين اظهرهم وكان ايضا يحتاج الى تعلم الشرايع والاحكام وانما
ارتفعت الهجرة اليوم من مكة الى المدينة فاما واحد من اهل الحرب اذا اسلم وخشي على نفسه فساد الدين بالكفرة
لو اقام بين اظهرهم فالواجب عليه ان يهاجر منها الى دار الاسلام لئلا يفسد دينه وليحصل على تعلم الشرايع
واما المتابعة فان شرطها في النساء ترغيب الكفرة في الاسلام وتحاذرا عن الحمل للكفرة الى الاسلام وذلك
ان الذي امر به النساء من المتابعة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال والكفرة اذا علموا ان هذا دين يامر
فيه بمحاسن الامور رغبهم ذلك في الاسلام وذلك ان الذي امر به النساء من المتابعة من مكارم الاخلاق
ومحاسن الافعال والكفرة اذا علموا ان هذا دينا يامر فيه بمحاسن الامور رغبهم ذلك في الاسلام والذي
للرجال انما هو من جهة النصرة والمجاهدة مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك نظير الاسلام وحمي وهذا ان كان
على كل احد في نفسه في زماننا والله اعلم وقوله يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا يتوجه الى الاعتقاد والعمل
جميعا وقوله ولا يسرقن يتضمن النهي عن الخيانة في الاموال كافة والنقصان من العبادة جملة لانه يقال اسرق
الناس من سرق صلاته وقوله تعالى ولا يزنين يحتمل ان يكون على حقيقته ان لا تاتي على ذلك ويحتمل ما روي عنه
عليه السلام اليدان يزنيان والعينان يزنيان والرجلان يزنيان والفرج يصدق ذلك او يكذبه وقوله تعالى
ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يحتمل ان يكون هذا نهيا عن النميمة اي نم احدهما على صاحبه
فيورث القطيعة او يجوز ان يكون نهيا عن الحاق الولد بالزوج وهو نهيا له من الزناة هكذا روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقوله تعالى ولا يعصينك في معروف يجوز ان يكون هذا كناية عن الامر لانه بين الواجب
والمناكير ثم قال ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وكذا يقتضي لزوم الامر
الى قوله يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى فبايعهن واستغفر لهن الله ولم يقل ههنا امتحنوهن
كما قال في المهاجرات ومعنى ذلك عندنا وجهان احدهما انه فرق بين ههنا وجعل الامتحان بقوله ولا يشركن
بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين فاستغنى عن ذكر الامتحان والوجه الثاني ان المهاجرات كن ياتين من دار
الحرب ولم يكن علمن الشرايع فاحتجن الى الامتحان واما هؤلاء فكن في دار الاسلام وقد علمن الشرايع فلم يكن
الامتحان لذلك والله اعلم وقوله واستغفر لهن الله دليل على ان الكبائر لا تخرج عن الايمان لانه لو لم يكن
الاستغفار لما يحق منهن من تضييع هذه الحدود لو خرجن بتضييعها من الايمان لم يامر النبي صلى الله عليه وسلم
بالاستغفار لهن لان الاستغفار طلب المغفرة ويستحيل ان يطلب منه مغفرة من ليس له غفران فدل
على ما وصفنا ان ارتكاب الكبائر لا يخرج صاحبه من الايمان والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فكانه امرنا ان نغضب على من غضب هو عليه وان نعادي من عاداه ونتولى
من والاه وقوله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور لتأويله احدهما ان اليهود عرفوا
نعت محمد عليه السلام وحرفوه من التوراة وكان في التوراة ان الله تعالى اياسهم من ثوابه في الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور ان يبعثوا ويجوز ان يكون معناها يئس هؤلاء من رحمة الله كما يئس الكفار الذين هم في القبور من رحمة الله تعالى

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض
قال ههنا سبح وقال في موضع آخر يسبح ليعلم ان تسبيح من ذكر تسبيح غير منقطع وانه قد سبح من كان
يسبح الآن يكون منه تسبيح فليتنا الكفرة المتمردة وذلك ان التسبيح والتسبيح الشاهد لما ارجعا به
الى المسبح والمسبح انه لا ينبغي لاحد من يستحق الثناء ولا يسبح الا من يستحقه فاما التسبيح السجود فانه خضوع
وتقرب الى الله وذلك يريده شرعا او يسلا فكان الله تعالى اخبر انه قد خضع لله تعالى واستسلم وكذلك انه

ودين وقيد بالحدية الا الكفرة فانهم تركوا التسبيح لله تعالى معاندة من سلمهم في شرعهم ودينهم والله الموفق ويجوز ان
ذكر تسبيحهما ايضا من وجه آخر وهو انه لو كان لله تعالى بتسبيح شيء من الخلائق حاجة لكان في تسبيح من ذكرنا
وعامر من تسبيح الكفرة ولكنهم تركوا التسبيح والله تعالى غني عنهم وعن تسبيحهم فما تركوا الا لسفههم والله اعلم
وقوله تعالى وهو العزيز يدل على انه عن تحذاته وان نزل التسبيح من الكفرة اياه لا يذله هو عز منيع وقوله الحكيم
يعني حكيم حيث جعل في الاشياء المتضادة علم ربوبيته ووحدانيته وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون
قال بعضهم هذه الآية في اهل النفاق في القتال لانهم تمنوا القتال فلما امرهم الله تعالى به قالوا لم كتبت
علينا القتال فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تعدون ما لا تفولوه به ومنهم من
قال انها في بعض المؤمنين في القتال ايضا فانهزموا على التقديم والتاخير ووجه ذلك انهم احبوا ان يعلموا
اباحة الاعمال الى الله تعالى فانزل الله يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الآية وقوله ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا فلم يفوا بما وعدوا فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون
ويجوز ان تكون هذه الآية في كل مؤمن لانه قد اعتقد كل من آمن بالله الوفاء بما وعد من الطاعة لله تعالى والاستسلام
له والخضوع فاذا لم يف بما وعد خيف عليه في كل ذلة ان يدخل في هذه الآية وليس احد من المؤمنين قد وفى
بما وعد كله والواجب عليه ان يتوب عن ذلك توبة بليغة وقوله تعالى كبر مقتا عند الله المقت البغض من اشد
مقتا فهو لمنه العقاب لا محالة ولكنه يحتمل ان يكون هذا فيمن اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحلاله انما
الله تعالى فيستوجب مقت الله تعالى ونقمته لا محالة وان كان فيمن يثبت على اعتقاده وترك في افعال الواجب ان يستتم
الذنوب فلزمه الخوف فيها على مراتبها ودرجاتها والله اعلم وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا كانهم بنيان مرصوص ليس فيه ان الله تعالى لا يحب المبارز لان الجهاد والقتال على المبارز اشد لانه
اذا كان اعانه على القتال غيره فكان امنه على نفسه في الصف اكثر واما المبارز فانه وحده ليس له معين فلا يظهر على
صاحبه والاهلاك والخوف عليه في ذلك اشد فيجب ان يكون المحبة فيه اكثر ولكنه يجوز ان يكون الله تعالى علمهم
بهذه الآية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض وليكون كلمتهم واحدة لانهم اذا تفرقوا اختلفت اراؤهم
فيخشى عليهم الهزيمة والادبار واذا كانوا يدا وهم متفقة وكلمتهم واحدة ويسكون فهم واحدة وذلك قوة في امر
وزيادة نصرة والله اعلم ثم قوله كانهم بنيان مرصوص قال بعضهم ضرب هذا المثل البنيان كما اذا اصطفوا
كالبنيان المرصوص الذي يكون ثابتة مستقرة لا ينتقض بادنى شيء من القصر هذا المثل لان يكون كلمتهم واحدة
ويعين بعضهم بعضا ويشبه ان يكون للامرين جميعا لانهم اذا اتفقوا اعان بعضهم بعضا وكان كلمتهم واحدة
واذا كانت كلمتهم واحدة كان ذلك ادعى الى البنيان [illegible] فلذلك قلنا انه يجوز ان يكون للامرين جميعا والله اعلم
ثم المحبة يحتمل وجهين احدهما الرضاء عن الخلق والثاني الثناء عليهم بما يفعلون وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يحتمل وجهين احدهما تنبيه لهم واعلام عن معاملة
اقتدوها فيما بينهم من غير ان يعلموا فيها اذى لموسى عليه السلام نحو انه قال في حق رسولنا عليه السلام [illegible]
له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ويجوز ان يكونوا لا يعرفون ذلك اذى للنبي
عليه السلام ولا يعلمون انها فاخبرهم انها تؤذيه لينتهوا عن ذلك والثاني انه يجوز ان يكونوا علموا ان ذلك يؤذي
ولكنهم كانوا يؤذونه وكانوا [illegible] كيف تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقد علمتم [illegible]
الملوك العظيم [illegible] فكيف برسول رب العالمين فاخبرهم انهم يؤذونه [illegible]
الاذى فقال بعضهم ان موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فاذوه [illegible]
وقال بعضهم ان موسى عليه السلام ذهب هو وهرون عليهما السلام الى الجبل فقبض هرون في ذلك الجبل فاذوه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

انه يضله وهو يهدي قلنا انه فعل هو بعينه علينا قبلنا بانه لا نقول لانا لا نا معنى تعالى يضله لوقت اختيار الضلال ويزيغه
لوقت اختياره الزيغ واذا كان كذلك لم يلزم ما قالت المعتزلة مع انهم يقولون ان الله تعالى يضله بعد ضلاله
بنفسه عقوبة له ويثيبه هدى بعد اهتدائه ثوابا له ولا يستقيم ذلك لانا قد نراه في الشاهد يكفر بعد ايمانه
ويؤمن بعد كفره واذا كفر بعد ما كان مؤمنا وذلك عقيب هدى الله تعالى هدى ثوابا للايمان المتقدم فاذا كفر كان
هداية الله تعالى سببا لكفره او اذا آمن بعد ما كان كافرا وذلك عقيب عقوبته بالكفر كان عقوبة الله تعالى بالكفر
على الكفر المتقدم كان سببا للايمان فهذا كلام مستشنع وقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الذين
علم الله منهم انهم يختارون الظلم والكفر فلا يتوبون منه ولا يتعلمون ولا يهديهم اولئك وللعالم عن منهم انه
يتوب ويسلم فانه يهديه والله اعلم وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة وقوله مصدقا يحتمل وجوها احدها ان يقول جئتكم بالصفات التي وصفت في التوراة
او مصدقا بالتوراة وبكتب الله تعالى ليعلم ان الرسل كان يلزمهم التصديق بالكتب المتقدمة والرسل جميعا
كما يلزم ذلك اممهم او يقول مصدقا يعني امركم بعبادة الله وتوحيده كما امركم به في التوراة ليعلم ان الرسل
كان دينهم واحدا فان كلهم يدعوا الى التوحيد وعبادة الرحمن واما الشرائع فقد يجوز اختلافها ولا يدل ذلك
على اختلاف في الدين لان الشرائع قد يختلف في رسول واحد ولا يختلف دينه فلذلك الرسل جميعا والله الموفق
وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني مبشرا برسول مصدق بالتوراة على مثل تصديقي وكانه
قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد وقوله تعالى فلما جاءهم بالبينات قال بعضهم الذي جاءهم عيسى وقال بعضهم محمد عليه
السلام وقد جاء جميعا بقوله بالبينات واوا البينات التي يتبين انا الذي جاء به انما جاء من عند الله وقوله تعالى هذا
سحر مبين او ساحر مبين واختلفوا فيمن قيل له هذا قال بعضهم هو عيسى وقال بعضهم هو محمد عليهما السلام وقد
قالوا لهما جميعا ويحتمل ان يكون هذا من الكفرة للضعفاء منهم وذلك انهم لم يجدوا سببا التمويه سوى
ان نسبوه الى السحر وهذا دليل انه جاءهم بالآيات المعجزة حيث نسبوها الى السحر وقالوا هذا سحر وانا لا نعلم السحر
فلو كان الذي جاءهم به سحرا كانت حجة عليهم لانهم قد علموا ان الرسل لم يختلفوا الى السحرة ولم يتعلموا منهم وكانوا
[illegible] لانفسهم فلو كان سحرا كان حجة عليهم لانهم قد علموا ما ذكرنا ولكن الله تعالى [illegible] ونزههم عن
السحر والله الموفق وقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره نور الله يعني دين الله او كتاب الله
او رسول الله وقوله بافواههم اي ليست عنده حجة ولا معنى يكتفون به هذا النور سوى ان يقولوا بالسنتهم هذا
سحر وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي من افحش ظلما واقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه المبلغ الذي افترى
على الله تعالى الكذب لانهم قد علموا انما نالوا من نعمة وكرامة فانما نالوه بالله ثم كفروا به وكذبوا على الله وعلى
رسوله او يقول لا احد اظلم ممن يفتري على الله الكذب وذلك الى قوله من اظلم كلام استفهام ومعلوم ان الله تعالى
لا يستفهم احدا فاذا كان كذلك كان حق كل ما اخرج مخرج الاستفهام ان ينظر الى الجواب لو كان من مستفهم ففهمه
من قوله رب العالمين وانما المفهوم من جواب من يستفهم من مثل هذا ان يقول لا احد اظلم ممن افترى على الكذب
وهو يدعى الى الاسلام وهو ان يجعل الاشياء كلها سالمة لربه اذ علم ان ما نال من نعمة فانما نال بالله تعالى وعلم
الاشياء كلها لله تعالى فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم فاذا علم هذا فلا احد اظلم منه حتى افترى على الله
الكذب والله الموفق وقوله والله متم نوره له وجهان احدهما بالحجج والبراهين والثاني بنصر اهله وغلبته والثالث
باظهاره في الاماكن كلها فان كان على النصر والغلبة فقد كان نجى المشركون في خوف والمسلمون في امن الاحرى الى قوله
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله والى ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وان كان بالحجج فقد كان ايضا لانهم عجزوا عن ان يأتوا بما يشبه ان يكون
مثله فضلا عن ان يأتوا بمثله فكان انه قد اتم نوره بالنصر والغلبة والبراهين والحجج وان كان المراد منه اظهاره فانه
يجوز ان يظهره على ما روي انه [illegible] عليه لم يبق على وجه الارض دين الا الاسلام ثم قوله والله متم نوره
ليس فيه انه كان به شيء من الكدر فصفاه ولكن على ما ذكرناه من التاويل فلذلك لا يحتمل بينهم وقوله اليوم اكملت لكم
دينكم انه كان ناقصا فاكمله بالشرائع ولكن على هذه الوجوه يعني اظهر الدين بالشرائع التي وصفناها في قوله متم نوره
والله اعلم وقوله تعالى ولو كره الكافرون وقال في ذكر الاظهار ولو كره المشركون لان هؤلاء كفروا بالحق
الكتاب وذلك نعم الله تعالى فقال ولو كره الكافرون وهؤلاء اشركوا في التوحيد فقال ولو كره المشركون
والله اعلم وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني بما لو اتبعوه اهتدوا به وقوله تعالى ودين الحق له اوجه
ثلاثة احدها ان يجعل الحق كناية عن الله تعالى كانه قال الدين لله تعالى والثاني ان يجعل الحق نعتا للدين فكانه قال
الدين الذي هو الحق من بين سائر الاديان والثالث ان يعمل ما يستحق على كل احد قبوله والانقياد له والله اعلم بالحكم

قوله تعالى ليظهره على الدين كله، له وجهان احدهما ان يقول ليظهر يعني ليظهر رسوله عليه السلام على كل ما يحتاج
في هذا الدين من الشرائع حتى لا يحتاج الى ما جاء عنه عليه السلام في هذا الدين الا ما هو بالوحي مما اظهره الله
تعالى عليه، ويحتمل اظهار هذا الدين في الاماكن كلها حال والدين هو الخضوع والاستسلام لله تعالى وحقيقته ان
يجعل الاشياء كلها سالمة له قوله تعالى ولو كره المشركون، قال الشيخ رحمه الله يقتضي هذا ولو كره الكفر
لان اتمام نوره ان كان بالحجج والنصرة والغلبة او باظهاره في الاماكن كلها فانما يكون ذلك باعمال العباد مما
الله تعالى المختص فيثبت ان الله تعالى خلق افعال العباد صنعا وتدبيرا وان اعمالهم كلها مخلوقة لا يخرج عن تدبيره
ومشيته والله المستعان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
الايمان بالله ان يؤمن بالله الواحد الاحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ويؤمن بانه
الخالق والامر وانه قادر لا يعجزه شيء وعليم لا يخفى عليه شيء وحكيم لا يخرج خلقه الاشياء بالمخلوقة من الشر والقبح
والظلمة والنور والمرض والصحة عن حكمته وانه ليس كما قالت الثنوية انه خالق الظلمة والشر والقبيح عن خالق النور
بل يعلم انه خالق كل شيء سواء من ظلمة ونور وعسر ويسر وشقم وصحة لا على شبيهه ما قالت المجوس ان الله تعالى
عقل عقله فتولد منه الشيطان بل هو لا يعقل من شيء ولا يخفى عليه شيء ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق
حتى استحال ان يكون له ولد لا على ما قالت المعتزلة انه لا يقدر بشيء من الشرية لا الترفيع لا الوجع ولا
على ما قالت المعتزلة انه ليس له في افعال العباد صنع وتدبير بل يعلم عليها بكل شيء وقدير على كل شيء متعاليه عن كل معنى
من معاني الخلق متنزها عن كل آفة وحاجة وعيب فهذا هو الايمان بالله تعالى عندنا والله اعلم والايمان بالرسول
ان يؤمن بان ما جاء به صلى الله عليه وسلم حق وصدق قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله هذا على وجهين
احدهما ان يقاتلوا اعداء الله تعالى والثاني ان يجاهد في طاعة الله وفيما ندبه اليه من عبادته والجهاد نصر على انواع
اربعة جهاد في سبيل الله مقاتلة الاعداء والاستقصاء في طاعته وجهاد فيما بينه وبين نفسه ان يجاهدها في
منعها عن لذاتها وشهواتها وعما يعلم انه مهلكها ويردها فيما بينه وبين الخلق وهو ان يدع الطمع فيهم وان
يشفق عليهم ويرحمهم وان لا يرجوهم ولا يخافهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذها زادا لمعاده
او عرضة لمحاسنه ولا يأخذ منها الا ما ضره وعقباه وكل هذه الانواع يستقيم ان يسميها جهادا في سبيل الله
ثم ان هذه الآية ينتظم مسائل ثلاث احدها ان كيف امرهم بالايمان بعد قوله يا ايها الذين آمنوا والثاني كيف قرن
النجاة اذا آمن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله فتعلق بالكل والثالث ان كيف يخاف عليه العذاب اذا آمن
بالله ورسوله وجاهد في سبيل الله واتى بالكبيرة مع قوله ينجيكم من عذاب اليم اما الجواب عن المسألة الاولى
انه يحتمل ان يكون المراد من هذه الآية اهل النفاق ويكون الخبر من قوله يا ايها الذين آمنوا يعني الذين آمنوا
في الظاهر هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله اي تصدقون بقلوبكم ويجوز ان يكون
في اهل الكتاب ايضا فكانه قال يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة آمنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل
الكتاب هذا اذا كان في الكفار فاما اذا كان في الكفار فاما اذا كان هذا في المؤمنين يجوز ان يكون الامر
بالايمان من بعد ما آمنوا بمعنى الثبات عليه او الزيادة بمعنى التجدد لان الايمان في حادث الاوقات لما سماه يكون
الزيادة والثبات والتجدد ذلك ان الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ومرة باسم الثبات بقوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ومرة باسم الايمان
بقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله فان كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله وذلك لان الزيادة اسما
مطلقا على فعل دائم وفعل الايمان مقتضى ولكنه يجوز ان يكون الله تعالى بلطفه جعل المقتضى كالدائم
فيخرج هذا الفعل مخرج الزيادة والثبات والله اعلم وان كان على التجدد في الاوقات الحادثة فذلك مستقيم
وذلك لان المؤمن منهي عن الكفر في كل وقت يأتي عليه فهو اذا آتى بالايمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر فصار الامر
حكم التجدد والله اعلم ويجوز ان يكون المراد بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الحث
واذا كان المراد منه ذلك وانه امر بالاعتقاد بهذه الامور ولكنه امر بالفعل فهو في الجهاد في الجهاد
والله اعلم قوله تعالى ذلكم خير لكم يعني ذلك الذي امركم به من الايمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله
خير لكم من ان تتبعوا اهواءكم ان كنتم تعلمون يعني ان كنتم تعلمون نفعا ان تعلمهم ان ذلك خير لكم قوله تعالى يغفر لكم
ذنوبكم يعني يغفر الله لكم بتلك التجارة قوله تعالى ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة
يجوز ان يكون رغبهم في هذه الآية لما امرهم بتركها وذلك انه امرهم بمفارقة مساكنهم وانفاق اموالهم
وانفسهم ثم اخبر انهم اذا فعلوا ذلك آتاهم مكان كل ما فات عنهم خيرا منها فكان ما فارقوا من المساكن يؤتيهم
مساكن طيبة ومكان ما انفقوا من اموالهم يؤتيهم النعم الدائم ومكان ما افنوا من حياتهم وانفسهم يؤتيهم

دائمة باقية والله اعلم قوله تعالى ذلك الفوز العظيم يعني ذلك الثواب الدائم هو الفوز العظيم قوله تعالى
واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب فكانه يقول يعطيكم الله بتلك التجارة التي دلكم عليها ما ذكر من الثواب
في الآجل واخرى في تلك التجارة تحبونها نصر من الله على اعدائكم في الدنيا وفتح البلاد وبشر المؤمنين
بها وعد فعل الله ذلك بهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله هذا كلام يورث شبهة في القلب
ان كيف قال كونوا انصار الله والله تعالى لا يحتاج من يستنصر عليه غيره ولكن السبيل في كشف هذه الغمة من القلوب هو
ان المقصود هذا في فعلهم فضلا الله قرضا حسنا وقد وصفنا في ذلك ان الله تعالى جعل ما يصلون به ارحامهم و
يتصدقون به على فقرائهم كانهم قرضوه لله كرما منه وفضلا وكذلك يحتمل ان يكون يجعل ما ينصرون
به دينه او رسوله نصرا له تعالى وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم والمعنى في هذا ان تنصروا دين الله ينصركم وذلك
رسول الله او ينصر الحق والله اعلم بذلك كان ويحتمل ان يكون المراد من ذلك كله اي تجعلوا ما تنصرون
دينكم لله تعالى ولوجهه وكذلك قوله وما قرضوا الله تعالى اي جعلوا ذلك لله ولوجهه ولا بد من ان يكون في هذه
الآية اضمار اما في الابتداء او في الانتهاء حتى يستقيم عليه قوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين فكانه
يقول قل للذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله ويكون معناه و
اضماره في حق الاجابة اي اجيبوا الله ورسوله وكونوا انصارا له كما اجاب قوم عيسى بقولهم نحن انصار الله
والحواريين المستصفين دينهم عن الشبهة وهم قوم كانوا خواص عيسى عليه السلام وخاصته حيث دعاهم الى دينه
فاجابوه وآمنوا به ونفوا دينهم عن كل شبهة وآفة وعيب قوله تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
هذا يحتمل ان يكون في حياة عيسى عليه السلام حتى تبعه الحواريون ثم دعا بعد ذلك قومه الى دينه فآمنت طائفة
وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا بالبراهين والحجج على الطائفة الذين كفروا فاصبحوا ظاهرين على اعدائهم
بالحجج والبراهين ويحتمل ان يكون ذلك بعد وفاة عيسى عليه السلام حتى اختلفوا فيما بينهم فمنهم من قال هو
الله ومنهم من قال هذا ابن الله فكفرت به هذه الطائفة وآمنت به طائفة اخرى فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم حين وقع بينهم قتال فنصرهم عليهم وظفروا والله اعلم ثم هذه السورة الشريفة بحمد الله

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض
قال يسبح لله ولم يقل يسبح وقد جرت العادة في الناس التسبيح بالالف كقولهم سبحان الله وسبحان ربي العظيم
القول على ما جرت به العادة في اللسان ان يقول يسبح لله ما في السموات وما في الارض ولكن يجوز ان يكون هذا
من نوع ما يجري في اللفظان جميعا كما يقال شكرته وشكرت له ونصحته ونصحت له والتسبيح يحتمل وجها ثلاثة
احدها تسبيح الخلقة انك اذا نظرت الى كل شيء على الاشارة والتعيين ذلك الجوهر وخلقته على وحدانية الله
وعلى تعاليه عن الاشياء وبراءته عن العيوب فيجاء الامانة في المنزلة كل تسبيحة والثاني تسبيح المعرفة ووجه ذلك
ان يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة المعرفة ليعرفها الله تعالى وينزهه وان كان لا يبلغه عقولنا الا ترى الى قوله
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن عندنا بواسطة ما جعل من نوع حياة فيه المعرفة
بلا نوع الحياة لا يتحقق والوجه الثالث هو ان يكون التسبيح تسبيح ضرورة وتلقين ووجه ذلك ان الله تعالى يجري
التسبيح على ذلك الجوهر من غير ان يكون له حقيقة المعرفة كما يظهر في آياته واعلامه على عصا موسى وكما اجرى
على حجر الماء وان لم يكن لها المعرفة حقيقة وذلك تسبيح كل شيء والله اعلم قوله تعالى الملك يعني الملك
الذي به ملك الملوك الذي له الملك في الحقيقة قوله تعالى القدوس له تأويلان احدهما الطاهر من كل عيب
وآفة وحاجة او الطاهر عما يحتمله غيره والثاني المبارك يعني به نال كل بركة وخير ويجوز ان يجمع في القدوس
معنى التنزيه عن العيوب ومعنى البركة لانك اذا وصفته بالبركة فقد وصفته بالبراءة من كل عيب وصفته انه
كل بركة ويمن كما روي في الخبر ان من قال سبحان الله يملأ نصف الميزان والحمد لله يملأ الميزان وكان معناه عندنا
ان قوله سبحان الله مختص ببراءته من العيوب والحمد لله فيه ينتظم معنى التنزيه من العيوب ومعنى اضافة النعم
كلها اليه فاذا كان فيه هذان المعنيان جميعا جاز ان يمتلئ به الميزان ولما اختص سبحان الله بتطهيره من العيوب
ولم يتعد الى غيره اخذ نصف الميزان والله اعلم ولذلك هذا الاختلاف في تأويل قوله في الارض المقدسة
قوله تعالى العزيز الحكيم العزيز يعني الغالب القاهر او الذي لا يعجزه شيء اذ يجوز ان يكون العزيز مقابل الذليل
الذليل ينتظم كل قهر وحاجة وضعف والوجه ان ينتظم العزيز اذا كان ضدا له ومقابلا لكل شيء من حكمة

ومعناه وقع والله الموفق. والحكيم قالوا هو الذي يضع الأشياء مواضعها فالله تعالى حكيم حيث وضع الأشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها او الحكيم هو الذي لا يلحقه خطأ في التدبير وهو معنى المصيب والله اعلم. وقوله تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾ احتج اهل الكتاب علينا ان الله تعالى انما بعث محمدا رسولا الى الأميين خاصة بهذه الآية وفهموا منها التخصيص للأميين بارسال الرسول فيقتضي نفيه من غيرهم ولكن نقول لا يجب ان يفهم من الآية نفي ما ذكر ظاهرها بل يفهم منها ظاهرها ودونا النفي بالكل لا يحتمل النفي لانه اذ لحمل التخصيص بالذكر على نفي غيره اذا الى ما لا يستقيم ولا يحل بيمينه ان كان خط بشماله ولا من قوله ﴿وما كنت تتلو﴾ انه كان يتلى عليه ولكن المعنى من ذلك كله والله اعلم ان الله تعالى بعثه رسولا اميا في قوم اميين لا يعلمون الجهلة ومما انها يحمل الدلالة لرسالته الحجة لنبوته لانه اذا كان اميا لا يكتب ولا يقرأ الكتب ثم اتاهم الكتاب المؤلف المنظوم يوافق كتب اهل الكتاب دل انه انما علم ذلك بالوحي وانه لم يختلقه من عند نفسه والله اعلم. ثم الدليل على انه كان رسولا اليهم جميعا قوله كافة للناس بشيرا ونذيرا وما روي عنه عليه السلام انه قال بعثت الى الاحمر والاسود يعني الانس والجن ولاجل انه لما بعث لمطالبتهم ليدعوهم الى طاعة الله تعالى في عبادته علم انه رسول الجميع اذا لم يكن لهم رسول آخر لان الطائفة اذا لم يكن لهم رسول آخر حتى جاء الى معرفة الأمر والنهي والطاعة الرحمن حاجة الطائفة التي بعث اليهم دل انه رسول اليهم جميعا والله اعلم. وقوله ﴿بعث في الأميين رسولا منهم﴾ معناه انه بعث صلى الله عليه وسلم في قوم اميين لا يعرفون عبادة الله كما لا يعرفون الكتاب بل كانت عادتهم عبادة الاصنام وقيل في تأويل الاميين هم الذين لم يؤمنوا بالكتب ولكن هذا فاسد لان الله تعالى سمى نبيه اميا بقوله ﴿النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل﴾ وقيل سماهم اميين لانهم لا يقرؤون الكتاب ولا يكتبون على الاعم الاغلب كان فيهم القليل ممن يقرأ ويكتب ومن هذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم اميا لانه كان لا يكتب ولا يقرأ ولم يتعلم ذلك قال الله تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشهر هكذا واشار باصبعه وقال انا امة امية لا نحسب ولا نكتب قال الزجاج الامي هو الذي لا يحسن القراءة والكتابة فلم يتعلمها فكونه على ما سقط من امه لان ذلك انما يكون بالتعليم دون الحال التي يجري عليها المولود ثم وجه الحكمة في جعل النبوة في الامي ان يكون ذلك سبب معرفة نبوته وعلامة رسالته حيث يعلم انه ما اخترع من ذات نفسه اذ لم يعرف الكتابة والقراءة ولا اختلف الى احد ليتعلم منه ثم تخرج جميع الحكماء الى الحكمة جميع اهل الكتب الى معرفة كتابه الحسن نظمه وتاليفه ليعلم انه انما نال بالوحي والرسالة والله اعلم. وقوله تعالى ﴿يتلو عليهم آياته﴾ الآيات الاعلام فكأنه يقول يتلو عليهم في كتابه اعلاما آيتي رسالته ونبوته ويجوز ان يكون الآيات الحلال والحرام وما اشبههما او الآيات الحجج التي تستظهر بها الحق والله اعلم. وقوله ﴿ويزكيهم﴾ قال بعضهم يصلحهم يعني يدعوهم الى اتباع ما يصيرون به ازكياء اتقياء ويحتمل ان يكون يعني قوله يزكيهم اي يطهرهم من خبث الشرك وخبث الاخلاق وخبث الاقوال والافعال والله اعلم. وقوله ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ اختلفوا فيه قال الحسن هذا كلام اسمين الكتاب والحكمة واحد وقال ابو بكر الكتاب ما يتلى من الآيات والحكمة هي الفرائض وقال بعضهم الحكمة هي السنة لانه كان يتلو عليهم آياته ويعلمهم سننه مما الطف الله والهمه اياه او بالوحي ومنهم من قال الحكمة قول صواب وعمل به ومنهم من قال الكتاب ما يتلى من الآيات نصا والحكمة ما اودع فيها من المعاني اي ذلك كان وقوله ﴿وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ انهم كانوا قبل الكتاب والحكمة لفي ضلال مبين بين ظاهر لانهم مشركو عبدة الاصنام ليس عندهم كتاب ولا يعرفون الحكمة ويحتمل ان يكون معنى قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني الشرك وعبادة الاصنام فنقاهم الرسول عليه السلام الى التوحيد وترك ما هم فيه من عبادة الاصنام قال الفقيه رحمه الله في قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ان الله تعالى اذ جعلهم اتقياء ازكياء علماء بعدما كانوا اميين جهلاء سفهاء آية ودلالة على حقيقة رسالته عليه السلام على سائر الاديان حيث لم تكن اهلها كذلك ويكون فيه ترغيب للآخرين ليصيروا امثاله حكماء وقوله يعلمهم يحتمل ان يكون هذا فعله من الله تعالى اذ جعلهم علماء بعدما كانوا جهلاء وحكماء بعدما كانوا سفهاء وازكياء بعدما كانوا انجاسا واقذار عبدة الاوثان اذ ذلك من لطف الله تعالى ثم الاصل ان ما اضيف من هذه الافعال الى الله تعالى فهو على حقيقته وما اضيف الى الرسول عليه السلام فهو على الاسباب وذلك انه لا يجوز ان يعلم تعالى احدا فلا يصير عالما لان تعليمه خلق العلم في المحل الذي اراد وما اراد خلقه يكون لا محالة فاما يجوز ان يعلم البشر فلا يتعلم لان تعليمه تسبب لانه ليس له قدرة الخلق والايجاد فثبت انه على جهة التسبب والله الموفق. وقوله تعالى ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ فان كان معناه الخفض فهو منسوق على قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وفي الآخرين لم يلحقوا

فيكون

فيكون فيه اخبار ان رسالته تبقى الى آخر الدهر وان كان معناه النصب فهو منسوق على قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فيكون فيه بشارة انه يكون في الآخرين علماء اتقياء حكماء كما كان في هؤلاء وقال بعضهم يحتمل ان يكون هذا في اهل النفاق فيكون معناه هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وجعلهم حكماء مؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن والآخرين من هؤلاء الاميين في الظاهر لما يلحقوا بهم في الباطن والتأويل الاول اصح. وقوله ﴿وهو العزيز﴾ حيث جعل في كل احد من البشر آثار الذلة والعقل اليه ﴿الحكيم﴾ في امره حيث امرهم بالحكمة او الحكيم في تدبيره حيث جعل في كل مخلوق ما يشهد بوحدانيته وتدبيره او هو الحكيم في تقديره حيث خلق الاشياء المتضادة من نحو النور والظلمة والليل والنهار لانه وضع كل شيء في موضعه لم يخلط ظلمة بنور ولا نورا بظلمة ولا ليلا بنهار ولا نهارا بليل. وقوله تعالى ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ يعني ذلك الفضل النبوة والرسالة يؤتيه من يشاء يعني يختص من البشر من يصلح للنبوة والرسالة او ذلك الفضل من تعليم الكتاب والحكمة فضل الله يؤتيه من يشاء. وفيه دلالة على كذب بعض المعتزلة لانهم قالوا انه لا يؤتي احدا شيئا بفضله بل جعله له ان يفعل ذلك لانه اذا كان على الله فعله كان ذلك حقا بعينه ومن يستحقه فلا يوصف بالفضل فثبت بهذا كذب قولهم والله الموفق. وقوله تعالى ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ في الدنيا حيث تفضل عليهم بالكتاب والحكمة بعدما كانوا جهالا او يجوز ان يكون يعني في الآخرة اذ انه يجزيهم من اعمالهم الجنة فضلا منه عليهم والعظيم هو الذي لا قدر عليهم والله اعلم. وقوله تعالى ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها﴾ له وجه من التأويل احدهما يحتمل ان يكون كما ذكر اهل التفسير يعني حملوا العمل بما في التوراة فلم يعملوا بها والثاني ان يقول لم يحملوها الى من امروا بحملها اليهم على ما امروا لانهم حرفوا وكتموا ويجوز ان يكون تاويله والله انهم كذبوا بالتوراة وتلقوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها فمثلهم كمثل الحمار يحمل كتبا لا يعلم قدرها وخطرها ثم قال كمثل الحمار يحمل اسفارا لانهم ما عرفوا التوراة حين لم يعظموها حق تعظيمها وكذبوا بما فيها فكانوا كانهم لا يعرفون قدرها وخطرها ايضا فمثلهم كمثل الحمار كتبا لا يعلم قدرها وخطرها وهذا التأويل اقرب لانه قال في سياق هذه الآية ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ فثبت ان المعنى من الاول التكذيب والتحريف انما كان في حمل كتبهم ورؤسائهم فاخبر انهم كذبوا وكتموا فقد هلكوا كذبوا ليزيح ضعفتهم عن اتباعهم فبين انه من شاء منهم يستحق الاتباع وغيرهم انما حرم المسلمين ان يحجوا كتاب الله والعمل بما فيه والله اعلم. ثم قوله ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ يحتمل وجهين احدهما ان يقول بئس النعت والصفة الذين بلغ كذبهم مبلغا كذبوا على الله لان الكاذب في الميعاد موصوف بالشر واذا بلغ مبلغا يكذب على الله تعالى فعلم انه في النهاية في الشر وكأنه يقول صفة الذين كذبوا على الله في الغاية من الشر والقبح ويقول بئس المثل مثل الذين كذبوا بآيات الله لان الله تعالى ضرب امثال المشركين بكل ما يستخبث ويستقبح وضرب امثال المؤمنين بكل حسن وطيب فقال المثل يعني الشبه لهم سنة الله المكذبين بآياته سنة قبيح ثم في هذه الآية دلالة على ان الله تعالى يخلق القبيح والحسن والخبيث والطيب جميعا لان قوله بئس مثل القوم وذلك المثل الذين شبههم هم خلقه وقد سماه بئسا فثبت ان الله تعالى قد خلق الخبيث والطيب والقبيح والحسن وعند المعتزلة لم يخلق الا الحسن فيكون الآية ردا عليهم. وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ له تأويلان احدهما انه لا يهدي القوم الظالمين لوقت اختيارهم الظلم والفسق ولا يهديهم لظلمهم الآيات ويمكنوا من عنادهم اياها فهو لا يهدي هؤلاء واما من ظلم عن جهل وفسق عن جهل ثم استرشد فانه يهديه ويرشده والله اعلم. وقوله تعالى ﴿قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾ وقال في موضع آخر ﴿قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾ فكان هذا بيانا انهم كانوا يدعون اولياء الله فالدار الآخرة عندنا لنا خالصة ومن كانت له الدار الآخرة عند الله خالصة فهو من اولياء الله ويجوز ان يكون ذا لهما جميعا والله اعلم. ثم المباهلة في الخطاب انما هي المحاجة في بلوغ العناد والتمرد غايته فكانه لما ارعتهم جميع الحجج فلم يقبلوها امر بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى لانه يجوز ان يقع تكافؤا بهم هنا ان المباهلة من غاية المحاجة وانهم باهلوا لنزل عليهم العذاب واللعنة ان لم يكن محقا فكذلك امتنعوا من المباهلة من غاية المحاجة وانهم باهلوا لنزل عليهم العذاب او اللعنة ان لم يكن محقا فلذلك امتنعوا من المباهلة واما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فاما هو وذلك انه روي ان ابا جهل كان يقول اللهم حينا الملك واقرانا للضيف واوصلنا للرحم فيصل الله تعالى بينه وبين النبي عليه السلام فابو جهل باهله لانه لم يكن كتاب يعلم تباهله اليهود والنصارى لما كانت لهم كتب عرفوا فيها حكم المباهلة والله اعلم. وقوله تعالى ﴿ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم﴾ هذه الآية تدل على رسالته

صلى الله عليه وسلم لانه لو كان يقوله من نفسه لكانوا يبادرون بتمني الموت في الحال ليظهر كذبه فيه فلما احجموا عنه لانهم لن يتمنوه
ابدا ولم يتمنوا استيقنا انه قال عن الوحي وانهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمني خوفا من الهلاك على انفسهم لعلمهم انه
تمني المانع والله اعلم قوله تعالى بما قدمت ايديهم اي من تحريف التوراة والانجيل لان قول النصارى نحن
ابناء الله واحباؤه لم يكن في الانجيل وقول اليهود وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا لم يكن في التوراة وكما
غيروا وبدلوا فلا يتمنون الموت بما قدمت ايديهم من تحريف هذه الايات او تبديلها وتغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى والله عليم بالظالمين يعني بظلمهم الايات وعنادهم لها ومكابرتهم اياها قوله ان الموت الذي تفرون
منه اي الموت الذي لا محالة كان فرارهم منه فيكون فيه تذكيرهم ان يرجعوا عما تفرون نفسه عن الموت قوله
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يعني الى عالم ما شهدتم الخلق من التوراة والانجيل وعالم ما غيبتم من الخلق
من نعت النبي وغير ذلك او الى عالم ما غيبتم في انفسكم والحرق ثم تكذيبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما شهد
عليه صنعكم واتباعكم من بينكم اياهم عن اتباعه قوله تعالى فينبئكم بما كنتم تعملون اي انما نبا بقوله
في كتابكم يوم القيامة او ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر والله المستعان قوله
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله هذا السعي يحتمل وجهين احدهما
اي اقبلوا على العمل الذي امرتم به وامضوا فيه والثاني واسعوا في المشي واسرعوا لان السعي في الكتب هو المشي
والسعي في الاعمال هو الاقبال عليها والمبادرة اليها فان كان المراد من السعي في المشي فخرج الاية مخرج
الترهيب والتضييق لانه قال الحق لن تدركوا البيع كيف تركت البيع وقد يكون البيع في حال المشي ولكن
قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض كيف امر بالانتشار في الارض بعد الفراغ من الفريضة دكانه
منها الانتشار في ابتدائها ولو كان المراد منه الترغيب لكان يامرهم بالسعي اليها فدلت هذه الاية ان مخرج
هذه الاية مخرج الترهيب والتضييق وان كان السعي في سائر الصلوات المفروضة غير مندوب اليه على ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اتيتم الصلوة فاتوها وانتم تمشون ولا تاتوها وانتم تسعون وعليكم
بالسكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا فاختص الجمعة بما ذكرنا من التضييق والتوسيع في سائر
ولكن الاشبه ان المراد من السعي هو الاقبال على ادائها والتاهب لها والمبادرة اليها والسعي يستعمل في هذا
قال الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
وانما اراد العمل ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه وعن ابن مسعود وابي وابن الزبير انهم قرءوا فامضوا الى ذكر الله
حتى قال بعضهم لو كانت القراءة فاسعوا لسعيت ولو سقط ردائي فلما لم يلتفت اليه خوفا من تضييع حقها
فذلك يدل على ان التاويل الاول عندهم على الاقبال والمبادرة واتيانها دون السرعة والمشي ولان هذا في معنى
سائر الصلوات ثم ان السعي غير مستحب والحديث الوارد في السكينة والوقار مطلق ليس فيه فصل بين الجمعة
وغيرها وعليه الاجماع من الفقهاء انه يمشي الى الجمعة على تبشيشه والله اعلم قوله تعالى وذروا البيع قال
بعض الناس انه اذا باع في وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الاية وعندنا ان البيع جائز لكنه مكروه والدليل
على جوازه ان النهي عن البيع في هذه الاية ليس لمكان البيع ولكن لمكان الجمعة فالفساد اذا وقع انما يرجع الى الجمعة
لا الى البيع لانه اذا باع في الصلوة فالبيع يفسد الصلاة لا ان الصلاة يفسد البيع ولان الاصل عندنا ان كل
نهي لاجل غيره فالنقصان انما يرد من النهي فانما يتخذ ذلك الغير لا الى العقد على غير ما روي عنه عليه السلام
انه قال المحرم لا ينكح ولا ينكح ان النهي عن النكاح انما هو لمكان الاحرام لا لمكان النكاح وكذلك نهي يعني يبيع
المحرم ويفسد الحج اذ الجماع مع بذلك النكاح لان النهي اذا لم يكن لنفس العقد لم يقتضي افساد العقد فالنهي ليس
من اجله والله اعلم ثم قال فاسعوا الى ذكر الله ولم يقل الى الجمعة ولانها دل ان دخل الجمعة ذكر يجب الاستماع
اليه والسعي له فدل هذا على فرضية الخطبة ولما ثبت ان المعنى من قوله الى ذكر الله ان المراد من الذكر الخطبة ثم امر
بترك البيع للسعي الى هذا الذكر والاستماع له ثبت ان الكلام في وقت الخطبة مكروه وفي وقت خروج الامام
الخطبة ايضا لان البيع في ذلك الوقت مكروه والكلام والبيع كلام فيدل على كراهة كل كلام فيكون الكلام
مذهب ابي حنيفة في انه يلزم السكوت اذا خرج الامام حتى يفرغ من الصلوة وعلى ذلك ورد الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اتى الجمعة ثم صلى ما شاء ان يصلي ثم اذا خرج الامام سكت الى ان يفرغ من
كان ذلك كفارة له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام بعده فلما الزم السكوت من حيث يخرج الامام الى ان يفرغ
من الصلاة ثبت ان الكلام في ذلك الوقت مكروه والله اعلم قال وفي هذه الاية دلالة على كذب من قال الذي
انما يفترض في اخر الوقت وان من ادى فرضا في اول الوقت فانما يؤدي تطوعا لانه امرهم بالسعي وفرض عليه اذا نودي
ومعلوم انه يتهيا للامام تاخير الصلاة في ذلك الوقت وقد فرض عليه مع ذلك فدل هذا على كذب مقالتهم

دله

والله اعلم وافتح من هذا انهم قالوا ان الصلوات مفروضات على الكفرة في حال كفرهم وعلى المسلمين تطوع
مع انه يجب ثم في قولهم انه ليس احد من الامة ادى فرضا البتة لانه لم يذكر عن احد منهم فرط في اداء الصلوة حتى
خروج وقتها فهذا قول قبيح يجب ان يستتاب صاحبه منه ونعوذ بالله والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الجمعة لا تجب
على من تخلف عن الامام غير بعيدين لانه امرهم بالسعي بعد النداء ومعلوم انه لا يمكنه ان يسعى بعد النداء من بعيد وقد
يخرج وقت الجمعة ولا يدركها فثبت انه على ما دونه وهو ان يكون في حد الامصار والله اعلم ثم الوقت الذي نهي عن
البيع فيه يوم الجمعة عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال الى ان يفرغ الامام من الجمعة وعن مجاهد والزهري انه نهى
عن البيع بعد النداء ومعلوم انه لا يمكنه ان يسعى بعد النداء من بعيد وقد يخرج وقت الجمعة ولا يدركها فثبت انه على
على ما دونها فهو ان يكون في حد الامصار والله اعلم ثم الوقت الذي نهي عن البيع فيه يوم الجمعة عن مسروق وجماعة
وهو وقت الزوال الى ان يفرغ الامام عن الجمعة وعن مجاهد والزهري انه ينهى عن البيع بعد النداء لما انه لظاهر الاية
اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة والاول اشبه لانه انما يجب الحضور الى الجمعة عند دخول الوقت وهو زوال
الشمس وان تاخر النداء ولان النداء قبل الزوال غير معتبر فكانه وجوده وعدمه سواء قوله تعالى فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله قال رحمه الله مخرج هذا في الظاهر مخرج الامر ولكنه في حكم
الاباحة عندنا لان هذا امر خرج على اثر الحظر والاصل المجمع عليه عندهم ان كل امر خرج على اثر الحظر وهو في حكم الاباحة
وانما خرج مخرج الاباحة لان الحكمة منصرف على تصرفه وان كانت الحالة توجب فرضية كان فرضا وان كانت توجبه
واجبا فواجب وان ادبا فادب والدليل على ان كل امر خرج على اثر الحظر فهو في حد الاباحة قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا
وقوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ولم يكن ذلك بحمول على الامر الحتم الذي لا يجوز تركه ولكن على الا
الاصطياد اي اصطادوا ان شئتم واتوهن ان شئتم فكذلك يجوز ان يكون المعنى من قوله فاذا قضيت الصلاة
فانتشروا فذلك على الوجه فان كان الامر على هذا السبيل فكانه قال فاذا قضيت الصلاة التي تؤدونها
فانتشروا في الارض ان شئتم وان شئتم والله المستعان قوله وابتغوا من فضل الله يعني التجارة والكسب فان البيع
كان نهيتهم ابتغاء فضل الله لكن قال فيما خرج الاذن والاطلاق وابتغوا من فضل الله وقال فيما نهى عن ذلك
وذروا البيع وانكان المراد منهما جميعا البيع لانه كان يفتح ان يقول وذروا ابتغاء فضل الله ولان ابتغاء
الفضل يتضمن البيع وغيره فلا يستقيم ان يقال لعذروا ابتغاء فضل الله فقال ههنا وذروا البيع للحكمة التي
خاصة واما الاطلاق والاذن فانه يستقيم في البيع وغيره فقال وابتغوا من فضل الله والله المستعان
واذكروا الله كثيرا يحتمل وجهين احدهما اذكروا الله كثيرا باللسان [illegible]
[illegible]

اليها ذهب عنهم فاما خرجوا من المسجد جهلا منهم بحق الخطبة والخاطب وتعبد فانهم لم يكونوا من اجلة الصحابة
ولا صحبوا اجلتهم ليعرفوا حق الخطبة والخاطب فلذلك تغلبت منهم هذه الزلة ومن مثلهم لا يبعد مثل هذه فاما الذين
كانوا من اجلة الصحابة ومن علمائهم فلم ينفر منهم احد وكذلك امر الضحك ايضا يحتمل ان يكون من ضحك من اتباع
القوم وسفلتهم ولم يكونوا من الاجلة والعلماء ولا يستنكر من مثل اولئك هذا الصنيع والله اعلم قال [illegible] ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهيهم عن الخروج وجهان احدهما ان الكلام كان محرما وقت الخطبة فلم ينههم النهي عن الكلام
في ذلك الوقت والثاني يحتمل ان يكون قد اسرعوا الخروج فلم يبلغهم نهيه او لم ينههم لما علم انهم لم يسمعوا والله اعلم
وفي الخبر انه عد الذين بقوا معه بعد ما فرغ من الصلاة فوجدهم اثني عشر رجلا فقال لو لحق اخركم باولكم لاضطرم
الوادي نارا على المدينة فيه دليل على ان الجمعة تقام ببعض الاربعين لانه عليه السلام جمع باثني عشر رجلا والله اعلم
وقوله وتركوك قائما هذا يدل على ان الخطبة انما تكون قائما وقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة قال ابو
الهدى رض ولولا هذا فقد كان يعلم ان ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولكن المعنى فيه والله اعلم ان الدنيا
كلها متجر وان اهلها فيها تجار الدنيا او تجارة الاخرة لان الطاعة والعبادة للاخرة اعتبار كانها التجارة الاخرة يكتسب
بها منافع الاخرة وتجارة الدنيا يكتسب بها منافع الدنيا من اللهو ومن التجارة التي يكتسب بها منافع الدنيا
والله اعلم ويجوز ان يكون معناه قال اتقوا الله فانكم اذا اتقيتموه واكتسبتم بها المنافع في الرزق وغيره والتجارة
الدنيوية لا يكتسب بها الا منافع الدنيا الا ترى الى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقال في موضع اخر يكفر عنه سيئاته فاذا كان التقوى يستفاد بها الرزق والسعة في الامور وكفارة الذنوب
لا يكتسب بها الا منافع الدنيا وجميعها فيه جملة المنافع وهو التقوى ليمكثوا عند النبي صلى الله عليه وسلم ويقول
رغبتكم فيما يكسبكم جملة المنافع اذا اتقيتم ومكثتم عند النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة التي
يكسبكم منفعة واحدة والله اعلم وقوله تعالى والله خير الرازقين ليس يقتضي ذكر هذا ان هناك رازقا اخر
ليكون هو خيرهم ولكن المعنى منه ما في قوله واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لو كان من جملة الرازقين
واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه لا يحكم لاحد ولا يخلق الا ما فيه حكمة فكذلك قوله والله خير الرازقين
وجائز ان يضاف الرزق والحكم والخلق الى العبيد مجازا فقال والله خير الرازقين ممن يرزقكم لان غيره من الخلق انما
يرزق غيره من نعمه ويعطيه بحكمه ويفعل بتوفيقه وتيسيره فقال والله خير الرازقين الذين يرزقون من رزقه والله اعلم

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله اختلف في تأويل قوله نشهد قال بعضهم نشهد بمعنى نقسم ونحلف فعلى ذلك قال بعضهم نشهد
على ابتداء الشهادة فمن حمله على القسم قال اتخذوا ايمانهم يعني حلفهم ومن حمله على الشهادة ابتداء قال اتخذوا
ايمانهم يعني تصديقهم برسالته في قراءة واحدة فقرئت بلفظين ولكنهما كانا جميعا وقرئت بالمعنيين جميعا
والله اعلم وقوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والاشكال انه كيف قال الله تعالى ان المنافقين
لكاذبون وهم انما قالوا نشهد انك لرسول الله ومعلوم ان هذا القول منهم صدق ولكن المعنى من هذا والله اعلم
انهم طعنوا فيما اظهروا من الخلاف والتكذيب عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون نشهد
انك لرسول الله وانما بلغك عنا من القول لكذب ما قلناه فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا انهم ما قالوا
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ويحتمل ان يكون معناه انا نشهد في قلوبنا انك لرسول الله كما
نظهره بالسنتنا فاخبر تعالى ان المنافقين لكاذبون فيما يشهدون بالايمان في قلوبهم ويحتمل ان يكون نحو قوله
نشهد اي نعلم برسالتك في قلوبنا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فيما اخبروا انهم يعلمون رسالته في قلوبهم
وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الايات والحجج ولكن من ذلك العلم استخفوا فاستهم وتعنتا فصار ذلك
العلم كالجهل الحقيقي ثم اخبروا عن انفسهم وضمائرهم انهم يعلمون فاخبر الله تعالى انهم كاذبون انهم يعلمون رسالته
والله اعلم ثم الواجب ان نعلم ما الذي احوجهم الى ان قالوا نشهد انك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يلقون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافق ذلك فمعناه عندنا والله اعلم انهم حسبوا
اعتادوا مخادعة الله ورسوله فامتحنهم الله تعالى بهذه المقالة ويحتمل ان يكون جرى على عادتهم وكان من عادتهم
انهم اذا لقوا المسلمين قالوا آمنا بمثل ما امنتم واذا لقوا المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فاذا لقوا رسول الله صلى

قالوا نشهد

قالوا نشهد انك لرسول الله على عادتهم في كل جنس ما يليق به وبمذهبه والله اعلم او يجوز ان يكونوا يخافون ان قد علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا انما يقولون قالوا نشهد انك لرسول الله اعتذارا من ذلك الخلاف
الا ترى الى قوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فكانوا يحسبون من سوء ما يضمرونه في قلوبهم من النفاق ان كل
من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يكلمه بسببهم فلذلك الاول والله اعلم ثم قال بعضهم نشهد كلام يقيل نشهد
بالله لان المعنى من هذا الحلف والحلف في المتعارف انما يكون بالله تعالى فلذلك اجرى بقوله نشهد عن قوله
بالله فيكون هذا دليلا لقول اصحابنا ان قوله نشهد يكون يمينا حيث ذكرها هنا بطريق القسم والمعنى ما اشار اليه والله
اعلم وقوله تعالى فصدوا عن السبيل له تاويلان احدهما صدوا اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله والايمان به
والثاني ان صدوا الضعفة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وقوله انهم ساء ما كانوا يعملون
اي بئس ما كانوا يعملون من الاعراض عن الايات والحجج وحيث اثروا الكفر على الايمان ويحتمل بئس ما كانوا يصنعون من صد
الضعفة والاتباع عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا له تاويلان
احدهما ذلك بانهم امنوا بالسنتهم ثم كفروا بقلوبهم والثاني على حقيقة الايمان والكفر وذلك بانهم لما رأوا
قلة المسلمين وضعفهم في انفسهم يوم بدر ثم رأوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم
امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا انهم لا يغلبون ابدا ثم ان المسلمين لما غلبوا يوم احد واصابهم ما اصابهم
اضطربوا في ايمانهم وشكوا وكفروا وذلك مثل قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه فكذلك تاويل قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا وقوله ذلك اشارة الى
ان السبب الذي تولد عنه نفاقهم وحلفهم وقولهم نشهد انك لرسول الله بانهم امنوا ثم كفروا ثم امنوا
ثم كفروا وجائز انه لم يكن منهم حقيقة ايمان ولا كفر ولكنهم كانوا اقواما همتهم الدنيا وسعتها وكانوا
يميلون مع من يكون سعة الدنيا ان كانت الدائرة للكفار اظهروا انهم كفار لا ان يكون منهم حقيقة ايمان ولا كفر
والله المستعان وقوله تعالى وطبع على قلوبهم الطبع يجوز ان يكون كناية عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون
الحق والحجج ويجوز ان يجعل الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج والايات ويجوز ان يجعل
الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون بها الحجج والايات ويجوز ان يجعل الكفر هنا له علة التضييق فيرى
التضييق فلا يرى من يعتقد الكفر منافعه من مضاره الا انه من ذلك الوجه فيكفر كما كان يجد الا تضييق الطبع
لاشتغالهم بالكفر وكسبهم اياه طبع على قلوبهم وستر فلا يبصرون الحق وحججه والله اعلم قال الفقيه
رضي الله عنه في قوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله انما المنافقون لم يأتوا بجمعهم الى رسول الله
وانما جاءه بعضهم وكذلك في قوله نشهد لان المعنى من قوله نشهد في بعض التاويلات نقسم والقسم ليس من فعل
الاتباع والسفلة وانما ذلك من فعل الاجلة والرؤساء فثبت انه انما تعاطى هذا الفعل بعض المنافقين ثم ذكر
الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل ليعلم انه ليس كل ما خرج في الظاهر مخرج العموم يتناول كل من دخل تحت ذلك
الاسم ولكنه ينظر الى معنى اللفظ وحقيقته فاذا كان الدليل يوجب تعميمه اجري على عمومه واذا كان يوجب تخصيصه
اجري على خصوصه والله اعلم وقوله تعالى فهم لا يفقهون يحتمل ان يكون معناه اي لا يفقهون لان طبع
على قلوبهم والا لم يعرضوا عن الحجج ولا يكون ذلك انهم كانوا يظنون انهم على الحق ولكن انهم لا يفقهون لان طبع
على قلوبهم حتى ظنوا انهم على الحق وجعلوا جميع همتهم في المنافع واللذات الدنيوية ولا لو فقهوا ان الله تعالى
دار الاخرة لما كانوا يؤثرون لقاء الدنيا على الاخرة لانه لا يبعد من ذي لب انه يؤثر [illegible] فيهم مصادرهم والله المستعان
ويحتمل ان لا يفقهون انهم يعتقدون ان الله تعالى اسدى اليهم النعم الاخرى فسالهم شكرها وجازيهم على جميع ذلك ثم قال
لا يفقهون ولم يقل لا يعلمون لان الفقه انما هو الذي يعرف به الشيء بالشيء فاخبر انهم لا يعرفون الاخرة بالدنيا
وقال ابن شريح الفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وعندنا ان الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على غيره
كان ذلك نظيرا او لم يكن لان من عرف الخلق بمعناه دله ذلك على معرفة الصانع ومن عرف الدنيا دله ذلك على
معرفة الاخرة وليسا بنظيرين ثم بين الفقه والعلم فصل وهو وان كانا جميعا في الحقيقة يرجعان الى معنى واحد
لان العلم انما هو التجلي للشيء كما هو بظهوره بنفسه والفقه يعرف بغيره يستدل به ولذلك جاز ان يقال
ان الله تعالى عالم بالاشياء ولم يجز ان يقال ان الله فقيه لانه لا يعرف الاشياء بالاشياء بل الله العالم الموفق الحكيم
يضع الاشياء مواضعها واليقين انما هو ما يستدل به من الاسباب ولذلك جاز ان يقال ان الله تعالى حكيم ولم يجز ان
يقال انه موقن والله المستعان وقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب ففي هذا
ان الله تعالى قد كان اتاهم حسن الصورة وحسن البيان وانه قد اتاهم العقل لان حسن البيان لا يكاد يكون الا عن عقل
فان الله تعالى ذكر نعمه التي اتاهم وانهم لم يشكروا نعمه واساؤوا صنعتها فكانه يقول كيف ترجوا منهم حسن الصنيع

لك وانهم لم يحسبوا اصحبة نعم رب العالمين فيكون فيه بعض التسلي لما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سوء صنيعهم واعراضهم عن اتباعه وطاعته وقوله تعالى وان يقولوا تسمع لقولهم يعني وان يقولوا تحسب لهم
حقا فتسمع لقولهم لتقبله ويحتمل اي تسمع لقولهم لما يعجبك قولهم او تسمع كقولهم على ما كانت عادته عليه السلام
في كل من كلمة انه لا يغير عليه كلامه حتى يفرغ منه ثم يقبله ان كان مما يجب قبوله ويرد على صاحبه ورده ان كان
مستحقا للتغيير عليه والله اعلم وقوله تعالى كانهم خشب مسندة يقول انهم فيما يكون من جانبهم من حسن
الصورة والبيان بحيث يعجبك وفيما يلقى اليهم من الحق والدين والحكمة كانهم خشب مسندة لا ينجع فيهم
الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا من الخشب من حيث ان الخشب المسندة في الظاهر
هي الخشب اليابسة التي لا اجواف لها فيوضع فيها شي فكذلك المنافقون كانهم خشب لا اجواف لها فيوضع
الحكمة والدين الحق والله اعلم وجائز ان يكون معناه كانهم خشب مسندة من حيث ان الخشب المسندة لا اسماع
لها ولا ابصار ولا قلوب فكذلك المنافقون كانهم صم بكم عمي في ناحية الحق وقبوله والله المستعان وقوله تعالى
يحسبون كل صيحة عليهم ويحتمل يحسبون كل صيحة سمعوها كلمة يهتك عليهم سترهم ويفضحهم فيما يجري
الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فاخبر انهم كانوا يحسبون تفضيحهم وهتك
استارهم والاطلاع على ما في قلوبهم فلذلك كانوا يحسبون ان من كلم رسول الله فانما كلمه بما يهتك عليهم
استارهم ويفضحهم والله المستعان والثاني يحتمل ان يكون ذلك في الحرب انهم كلما سمعوا صيحة في الحرب
خافوا ان يكون فيه هلاكهم وذلك انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حدة واذا وقع هذا الفريق
صاروا حربا للفريق الاخر واذا وافق الاخر صاروا حربا لهؤلاء فاخبر الله تعالى انهم يحسبون كل صيحة
سمعوها ان يكون ذلك سببا لهلاكهم ويحتمل ان يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدائم لما اسلمهم الامر وجه
لم يؤذن لهم فيه وذلك لما وصفنا انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق جاءهم وكان جميع همهم
في ذلك تحصيل منافع الدنيا دون العليا متذبذبين من الاديان وعند ذلك يعيرهم فيما ارادوا ذلك ولخافوا
من غير ان يؤذن لهم فعاقبهم بالخوف الدائم اما عن الافتضاح والاطلاع على ما في قلوبهم او عن الهلاك والله اعلم
وقوله تعالى هم العدو فاحذرهم له وجه من التاويل احدهما ان يقول هم العدو يعني انه ادنى عدوكم فاحذرهم
قاتلهم الله في جميع احوالهم في المطعم والمشرب وغيره لان الحذر من غيره يعني الاعداء كم نار او حب من كيد فيها
اي او حذرهم ان تطلعهم على سرك فيما يقع فيه وتضمر من امر الجهاد والحرب فيخبر العدو بذلك فيهلك او يطلعون الكفار
على سرك او احذرهم ان يقبل منهم قولا يقولونه عن اصحابك لانهم يعيرون اصحابك على ما حذرهم ان يقبل قولهم
على اصحابك وقوله قاتلهم الله يعني لعنهم الله وقوله انى يؤفكون له تاويلان احدهما ان يقول اي سبب يمنعهم عن
الايمان بك وطاعتك واتباعك وقد اثبتهم بالايات والحجج اطلاعك على اسرارهم وذلك لا يكون الا عن الله
او يقول انى يؤفكون يعني انى يكذبون تعليلا بالقول بانك الكاهن من غير ان يظهر لهم في ذلك اثر وحجة و
لا يقبلون البرهان والحجة فيتبعونك والله اعلم وقوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم ظاهر هذه الاية ان هذا القول منهم انما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله ليخرجن الاعز منها الاذل
في الخبر ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله بن ابي بن سلول في ناحية المسجد وقال هذا رسول الله فوقروه وعظموه حتى نزلت
هذه السورة فقال مثل مقالته فقال له عمر رضي الله عنه اجلس يا كافر فان الله قد فضحك تعالى فخرج من المسجد
قبل ان يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسالوه عن خروجه من المسجد قبل اداء الجمعة فلما اخبرهم عن القصة
فقالوا ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واساله ان يستغفر لك فلوى راسه وقال ما لي الى استغفاره
حاجة وروي انه لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اراد دخول المدينة منعه ابنه عبد
الله في نفسه عن دخول المدينة وقال لا ادعك تدخل ما لم تقر انك الاذل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامره ان يخلي عن ابيه ثم قال له انك اولى ان تسمى عبد الله من ابيك فسمي من عبد خالد عبد الله وكان يسمى
فهذان الخبران يدلان على ان هذه الاية انما نزلت في واحد منهم فظاهرها يدل على ان ذلك كان في جملة المنافقين
وذلك الوجه في ذلك عندنا والله اعلم انه يجوز ان يكون اعتقاد جملتهم على ذلك فذكرهم الله تعالى جملة لاتفاق
عليه لانهم كانوا اقواما لا يؤمنون بالاخرة والاستغفار انما هو طلب المغفرة وذلك انما يتحقق في الاخرة
فاذا كانوا على هذا اصل اعتقادهم جملة ذكرهم الله تعالى على ذلك وذلك قوله ليخرجن الاعز منها الاذل كان
عندهم ان الله تعالى انما اتاهم العز والغنى والشرف لفضيلة لهم على محمد عليه السلام فكانوا ينكرون تعليله
الوجه ثم ان الله تعالى بما ذكر في هذه الاية ابتلاهم قد كان اتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بجحود

هذه النعم

هذه النعم وتعظيمها وشكرها وانهم بلغوا في ذلك غاية ما عليه عمال الكفر في سوء الصحبة بالنعم وذلك انه
لما قال واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم دل انه كان اتاهم حسن الصورة وحسن البيان ولما
قال هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا دل انه قد كان اتاهم الغنى ولما قال ليخرجن الاعز منها
الاذل انه قد كان اتاهم العز والشرف فجعلوا ان هذه الاسباب التي وصفنا هي اسباب العز والشرف في الظاهر
ثم اخبر انهم تركوا شكر ما انعم عليهم به في تعظيم الحق واداء شكره وانهم بلغوا في الباطل في كل شيء من ذلك
غاية في سوء الصنيع لانه دل بقوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على غاية البخل حيث استخفوا الانفاق بنفسه وامر
غيره ان لا ينفقوا ايضا وذلك في غاية البخل ولما قال كانهم خشب مسندة دل انهم كانوا في غاية الغفلة عن ذكر الله
تعالى وقبول الموعظة غاية ولما قال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم دل انهم
في الاستخفاف به بحيث تركوا الانصاف واخذوا سبيل الاعتساف في الاستكبار عليه غايته ولما قال
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم دل انهم كانوا بلغوا في سوء السريرة غايته قال الشيخ
رحمه الله ثم في ذلك لهم وجهين احدهما انهم لو تاملوا ذلك حقا لهم على الله تعالى اذ لم يروا ان الله تعالى اتاهم ذلك تفضيله
لهم على غيرهم فكانوا يتكبرون ويستعلون على غيرهم ويستخفون برسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك
الوجه ولو تاملوا او شكروا لتبين لهم ان الله تعالى اتاهم جميع ذلك النعم محنة عليهم تعبدا دائما بشكرها
وتعظيم حقها وذلك معنى لا يفقهون لانهم لا يتاملون النظر في هذه النعم وذلك انه لو لم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يلزمهم ان يتاملوا فيما اوتوا من النعم وينظروا فاذا تفكروا في ذلك لعلموا انهم ما عند الله صنعا
استوجبوا بها مكافاة ولا لهم فضل تفضيلهم الله بها على غيرهم فكان يتبين لهم ان الله تعالى انما اعطاهم
هذه النعم محنة ليستعبدهم باداء شكرها ولذلك وقع الفضل فيما بين العلم والفقه فكان ما جعل
والنظر في اللفظ عنه انه يقال يفقهون ولا يفقهون ومما كان لعلم بالسماع والخبر اطلق عنه لفظ العلم
ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر لا يعلمون لانهم لم يكونوا ينالون النصرة والغلبة لو لم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله اعلم وقوله تعالى ورايتهم يصدون وهم مستكبرون له وجهان احدهما رايتهم يصدون
عن طاعتك واتباعك والثاني انهم يصدون ضعفتهم عن اتباعك وقوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام
لم تستغفر لهم لانهم لا يعدون ذلك خلة وذنبا لانه كان عندهم انهم على الحق والثاني ما قلنا انهم كانوا
لا يؤمنون بالاخرة والمغفرة انما تطلب من الله تعالى ويتحقق ذلك في الاخرة وقوله تعالى لن يغفر الله لهم
على ذلك ايضا لانه لا يغفر استغفرت ام لم تستغفر قال الشيخ رحمه الله فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
لا يستغفر للمنافقين بعدما ظهر عنده نفاقهم ولكنه يجوز ان يكون هذا قبل ظهور نفاقهم والله
اعلم ثم قوله لن يغفر الله لهم يحتمل وجهين احدهما يقول لن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق ولم يتوبوا
منه والثاني انه يقول لن يغفر لهم في وقت علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا فقال انه لن يغفر الله
لهم وكذلك هذا في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم
الفاسقين فاذا الله تعالى يملك هدايته وراء هداية البيان لانه من ملك شيئا لم يستقم ان يوصف بالتعظيم
انه لا يفعل لانه يعلم انه لو لم يقدر عليه يملك لا يفعل وانما يوصف بهذا من يملك ذلك ولكن لا يفعل فلو لم يملك
ولم يقدر على خلق فعل الاهتداء فيمن اراد لم يوصف بانه لا يهدي القوم الفاسقين فدل انه يملك هدايته وراء هداية
البيان وهو خلق الاهتداء فيمن علم منه ذلك والله الموفق وقال ابو بكر معنى قوله لا يهدي القوم الفاسقين
اي لا يهديهم لفسقهم وقالت المعتزلة لا يسميهم مهتدين اذا فسقوا وضلوا او انهم كانوا غير مختارين
لان من هداه الى الضلالة فهو سفيه وكانه يقول لا يسفه من يسمي الضال مهتديا فهو كاذب قال
وهما جميعا غير مستقيم لانا نعلم انه لا يسفه ولا يكذب فيخبر ان في ملكه هداية يهدي من يشاء من
عباده سوى هداية البيان واذا ثبت ما وصفنا ان في ملكه هداية سوى هداية البيان ثبت ان له
فيها مشية لان من ملك شيئا لم يجز ان ينقطع عنه مشيته فلذلك قلنا ان الله تعالى يضل من يشاء فيما
لم علم انه يؤثر الكفر ويختاره على الهدى ويهدي من يشاء من علم انه يؤثر الهدى على الضلالة فيهديه لذلك
ويعصمه ويسدده والله المستعان وقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
قد وصفنا انه من غاية بخلهم وقوله حتى ينفضوا الاذلة انهم ارادوا اطفاء هذا النور واخفاء ما اتى
الا اطفاءه وقوله ولله خزائن السموات والارض يسلطهم على المنافقين ليمتحنهم بالانفاق على المؤمنين
ولله خزائن السموات والارض يصبها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق ويجوز ان يكون
هذا بشارة المؤمنين بان الله تعالى يوسع عليهم الدنيا ابدا بما اضاقت وقد جعل حيث فتح لهم الفتوح

وإنا هم النصر والغلبة على أعدائهم والله أعلم وقوله تعالى لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل
الأعز قد يحتمل معاني أحدها الأغلب والأقهر على مثال قوله وعزني في الخطاب أي غلبني في الخصومة
والثاني الأقوى والأشد على مثال قوله تعالى أعزة على الكافرين أي أقوياء وأشداء والثالث الأجل والأجل
وكذلك قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وإن كان الأجل والأجل عند الناس المؤمنين على [illegible]
ابتغوا الحكمة بالحجج والكفار ابتغوا أهواءهم وإن كان على الأغلب والأقهر فذلك للمؤمنين بالغلبة
والنصرة على أعدائهم وإن كان على القوة والشدة فقد كان ذلك للمؤمنين لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين
لم يكن أهل النفاق يظهرون الوفاق للمؤمنين ولكنهم لما رأوا القوة والشدة للمؤمنين مرة وللكفار أخرى
أظهروا الموافقة للفريقين جميعا ولذلك قال الذي للنافق ليخرجن الأعز منها الأذل لأنه لما رأوا العزة
والشدة للكافرين يوم أحد توهموا أنهم يغلبونهم أبدا فأظهروا النفاق وقالوا عند ذلك ليخرجن الأعز منها
الأذل والله أعلم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله اختلف فيه
فمنهم من قال هذه الآية في المنافقين ومنهم من قال في المؤمنين فإن كانت في المنافقين فكأنه يقول
يا أيها الذين أظهروا بلسانهم الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وإن كان في المؤمنين
فكأنه قال يا أيها الذين حققوا الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ثم اختلفوا في معنى الذكر
من قال معناه القرآن على مثال قوله قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله يعني ذكرا رسولا
يعني قرآنا ورسولا ومنهم من قال معناه الذكر التوحيد فإن كان تأويله القرآن فهو متوجه إلى المنافقين
والمؤمنين جميعا فإن كان في المنافقين قال لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر والتأمل في القرآن
لأن الله تعالى بين في القرآن أمورا يظهر سرائرهم وما يظهرون عندهم أن الرسول لا يختلقه من تلقاء نفسه وإنه
إنما يتلقاه بالوحي فكأنه يقول إذا تأملتم النظر في القرآن حملكم ذلك على التحقيق في الإيمان فلا يحملكم حب
المال والولد على ترك التأمل في القرآن لأنكم إذا نظرتم فيه وتأملتم حصلتم منه على التحقيق الإيمان
وإن كان في المؤمنين فمعناه أن لا يلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر في القرآن فإنكم إذا نظرتم فيه [illegible] من أهله
وحل [illegible] وإن كان المراد من الذكر التوحيد فهو راجع إلى الفريقين كافة فأما المؤمنين فكأنه يحذرهم عن
حب المال أن يحملهم على أن ينسوا وحدانية الله تعالى والإيمان بالرسل والبعث فكأنه يقول
لا يلهكم أموالكم ولا أولادكم إلى الكفر فيجلبكم ذلك أن تقعوا في الهلاك من جهته كما قال اتقوا النار التي
أعدت للكافرين يعني اتقوا السبب الذي يفضي بكم إلى النار المعدة للكافرين فلذلك الأول [illegible] وإن كان
في المنافقين فكأنه قال لا يحملكم حب المال والولد على أن تتركوا حقيقة الإيمان به والتوحيد له وطاعة
لرسوله عليه السلام وقوله تعالى ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وعلى ما ذكرنا من التأويل في
إنكار البعث والتوحيد ظاهر وإن كان في المؤمنين فمعنى الخسار هو الحرمان عن أن ينتفع به [illegible] وقوله وأنفقوا
مما رزقناكم يجوز أن يكون صلة قوله لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله فيمنعكم ذلك عن الإنفاق فكأنكم
إذا امتنعتم عن الإنفاق إذا دعيتم فتشتبهون [illegible] بوحدانية الله تعالى وطاعة رسوله عليه السلام وقوله تعالى
لولا أخرتني إلى أجل قريب قال بعضهم تمنى الرجعة لما رأى من الهلاك والعذاب حيث ترك الحقوق وروي عن ابن
عباس رضي الله عنه أنه قال لو كان خيرا لما تمنى الكرة ولكن المعنى في ذلك والله أعلم أنه يتمنى الرجوع ليتصدق
ليس الإنفاق خاصة ولكن ليتصدق وليكون من الصالحين أي من الموحدين وذلك مستقيم أن [illegible] الموت
فنزل به الموت أنه يتمنى الرجوع لما رأى من الهلاك والعقوبة ويجوز أن يكون المعنى في هذا إن كانت الآية في المؤمنين
الموحدين أنهم يتمنون الرجوع حياء من ربهم لما ارتكبوا من الزلات وتركوا ما يستوجبون به الحسنات وقصروا
فيما افترض الله تعالى عليهم من العبادات وحق على كل مؤمن أن يستحي من ربه إذا لقيه بما ترك من حقوقه التي [illegible]
والأسباب الموجبة وقوله ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها [illegible] إذا جاء لأنه لو أخره لكان [illegible] في أجله ومن [illegible]
فلم [illegible] دليل [illegible] ولا يوصف أنها [illegible] والله خبير بما تعملون أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم [illegible]

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الأرض
والتسبيح يحتمل وجوها ثلاثة وقد ذكرناه وقوله له الملك وله الحمد يحتمل وجهين أحدهما الملك الولاية
والسلطان والثاني قوله له الملك يعني ملك كل الملوك كما قال في آية أخرى قل اللهم مالك الملك الآية

إن ملك الملوك كلها له من استفاد الملك إنما يستفيده بالله تعالى وبامتنانه عليه والله أعلم وقوله له الحمد يحتمل وجوها
ثلاثة من التأويل أحدها أن يقول له الحمد يعني الثناء الحسن بصفاته العلى وأسمائه الحسنى والوجه الثاني أن يقول له الحمد
يعني حمد كل من يحمد فحقيقته له الحمد بما أحسن إلى عباده وأنعم عليهم وذلك معنى قوله الحمد لله أي الحمد والثناء
الحسن لله على إحسانه إلينا وإنعامه علينا والثالث أن يجعل معنى الحمد معنى الشكر لأن الحمد قد يستعمل في موضع
الشكر وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير وهو على المعتزلة لأن الله لا يمدح نفسه بأنه بصير عليم وإنه على كل
شيء قدير وأقرت المعتزلة بأنه بصير عليم وأنه من الإقرار بأنه قدير على أفعال العباد وعلى إصلاح أحد من العباد
هذا خلاف ما مدح الله نفسه والله الموفق وقوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يحتمل أن يكون تأويله
فمنكم من يدين بدين الكفر ومنكم من يدين بدين الإسلام ودل هذا على أن المعصية والطاعة يجتمعان في بدن واحد
وأن المعصية لا يخرج من دينه لأن المعصية لم يرتكبها لدينها ولكن لغلبة شهوة أو غضب عليه وأما الكفر والإيمان
فإنه يأتي بهما المرء اختيارا ويدين بالكفر والإيمان لما عنده أنه حق وفي هذه الآية دليل أنه ليس بين الكفر والإيمان
منزلة ثالثة كما قالت المعتزلة أن صاحب الكبيرة بين منزلتين بين الكفر والإيمان والله تعالى قسم الناس قسمين فجعلهم
من خلقه كافرا ومنهم مؤمنا ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة فلا يجب أن يجعل والله أعلم وفيه أيضا وجه لطيف
سوى ما ذكرنا وهو أن كل أحد في الدنيا مؤمن وكافر في الحقيقة لأن من كان مؤمنا بالله فهو كافر بالطاغوت وإذا كان
كذلك وجب أن يحمل على معنى قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومعناه عندنا أن الحقيقة وإن كان كذلك فالإيمان
إذا ذكر مطلقا لم يفهم منه إلا الإيمان بالله تعالى والكفر إذا أطلق أيضا لم يفهم منه إلا الكفر بالله تعالى وإذا كان
كذلك وجب أن يكون لفظ الكتاب خارجا على ما عليه المعهود من المتعارف المعتاد والله أعلم وقوله والله بما تعملون
بصير في الأول بما تعمله العباد وأنه ليس كما قال بعض الناس أنه لا يعلم فعل العبد إلا وقت فعله واحتجوا في ذلك
أنا لو قلنا إن الله تعالى بصير في الأول بما يفعله لكان ممن لا يستقيم في المعقول الأمر كالأمر ومن في الشاهد من
يبيع ما يعلم أنه يقضي أو يشتري عبدا يعلم أنه يعاديه فكذا لا يستقيم أن الله تعالى يخلق عبدا قد كان يعلم
من قبل أنه إذا خلقه عاداه والجواب عن هذا أن هذا الذي وصفه غير مستقيم في الشاهد لأن منافع ما يفعله
العباد ومضاره يرجع إلى أنفسهم وليس من العقل أن يفعل المرء فعلا يعلم أنه يضره ورب العالمين فإنه لا يرجع
شيء من المنافع والمضار إليه فجاز أن يخلق خلقا يعلم أنه يعاديه أو ترتب من الخلق أنه لا يرجع شيء من
المنافع والمضار إليه تعالى أن يكون في الحكمة كذلك والله أعلم ثم في قوله والله بما تعملون بصير وعليم ووكيل
وحفيظ إلزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وفيها الترغيب والترهيب لأنه إذا علم المرء أنه عليه في كل ما يفعله
رقيب يتيقظ ولم يفعل إلا ما يرضى به ربه والله المستعان وقوله خلق السموات والأرض بالحق وصفنا أن الحق
إذا خرج ذكره يصدق في كل شيء إلى ما هو أليق به فإذا ذكر في الأخبار أريد به الصدق وإذا ذكر في الأحكام أريد به
العدل وإذا ذكر في الأفعال أريد به الإصابة فكأنه قال بالحق ههنا أي بالحكمة كأنه يقول خلق السموات والأرض بالحكمة
وقال بعضهم بالحق يعني للحق وهذا البعث فكأنهم ذهبوا إلى أن الله تعالى لم يخلقها عبثا بل خلق للعباد وصوركم
فأحسن صوركم وإليه المصير يحتمل وجهين أحدهما أحسن أي أتقن وأحكم ومعنى ذلك أن الله تعالى خص بني
آدم بالاستدلال بوحدانيته وربوبيته وأن يجعل في أنفسهم حقيقة المعرفة والاستدلال بأنفسهم على وحدانية
الله تعالى وأما غيرهم من الصور فإنما يقع الاستدلال بغيرها بما ليس في نفس تلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلال
بوحدانية الله تعالى ولذلك كان خلق صور بني آدم أتقن وأحكم والله أعلم والثاني أن يصرف إلى حسن المنظر ومعنى
ذلك أن الله تعالى خلق بني آدم على صورة لا يبتغى أن يكون صورتهم مثل صور غيرهم من الخلائق فضلا أن صورهم في المنظر
أحسن صورة فذلك معنى قوله وصوركم فأحسن صوركم والله أعلم وقوله وإليه المصير يعني البعث وإنما أضاف ذلك إلى
نفسه لأنه هو النهاية والمقصود من خلقهم ولما لم يفهم أحد من قوله وإليه المصير معنى الانتقال من مكان إلى مكان
من حيث أنه يضاف إلى الله تعالى لأن هذا فعل يكونه فإن عرض أنه إلى شيء صار ذلك إليه مثل الملاقاة والإيمان به
ونحو ذلك فلما لم يفهم منه الانتقال لم ينبغي أن يفهم من قوله وجاء ربك والملك صفا صفا معنى الانتقال والله أعلم
وقوله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون في إخباره عن علمه بذلك كله إيجاب
المراقبة والتيقظ والتبصر والمحافظة على ما أمر الله تعالى ونهاه وفي هذا الخبر وأن الله تعالى مطلع على ما يضمرون
يحصي عليكم جميع ما تظهرون فاحذروا أن ترتكبوا ما فيه سخطه في الحالين جميعا والله المستعان وقوله بذات
الصدور وقال أهل التفسير أي بما في الصدور ويحتمل أن يكون المراد منه بالأنفس التي في الصدور وكل مكان
ذا فكرة وتدبير فإنه يسمى ذات الصدور ومعناه أن التدبير إنما يصدر من ذلك الموضع ويرجع إليه كما بنوا آدم خص
بذلك المعنى فكذلك ذكر هذا المعنى والله أعلم وقوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فما قبله عندنا والله أعلم أي قد

الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل [illegible] حتى كفروا بما كانوا [illegible] فذاقوا [illegible] ما كانوا في الآخرة
[illegible] ولو انا اهلكنا [illegible] بالبعث [illegible] منهم ذلك [illegible] عقوبات [illegible] اليهم انه
[illegible] عما هم فيه من الطغيان فذاقوا وبال امرهم اي شدة امرهم وعقوبات [illegible] ان لهم
من العذاب في الدنيا [illegible] ولهم عذاب اليم [illegible]
في الآخرة عذاب [illegible] والله اعلم وقوله ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر
يهدوننا [illegible] ذلك [illegible] الرسل [illegible]
تأتيهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا [illegible]
[illegible] طاعته [illegible]
[illegible] منكم [illegible]
الحق [illegible] انا وجدنا اباءنا [illegible]
[illegible]
[illegible] فكفروا وتولوا [illegible]
[illegible] واستغنى الله [illegible]
[illegible] استغنى [illegible] والله غني حميد [illegible]
[illegible] فلو ان الله مستغن [illegible]
[illegible] والمعصية [illegible]
[illegible] غني حميد [illegible]
كله المستحق [illegible] وقوله تعالى والله غني حميد [illegible]
احدهما معنى المحمود اي المستحق للحمد بذاته اذ يستحق من كل احد الحمد على ما احسن اليه او يحمد معنى الحمد
على معنى الحامد ووجه ذلك ان الله تعالى يحمد محاسن الخلق وآثار افعالهم وان حقيقة تلك الافعال من
جهة التوفيق والتيسير بما كانت به * وقوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى
وربي لتبعثن * قوله قل بلى وربي لتبعثن يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكون هذا تعليما للرسول صلى الله
عليه وسلم ان يحلف بالقسم تاكيدا لما كان يخبر عن البعث وكذلك جميع ما ذكر من القسم في القرآن يجوز ان يكون
على هذا المعنى لان القسم انما هو لنفي تهمة تمكنت والله تعالى لا يتهم في خبره والرسول هو كذلك كانوا يتهمونه
فيما يخبر لما لم يثبت عندهم رسالته لعدم تاملهم في دلائله فعلمه القسم تاكيدا لما يخبر ونفيا للتهمة
عما يقوله والله اعلم ويجوز ان يكون هذا قسما مقابلا لما اقسم به الكفرة من امر البعث الا ترى الى قوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا وقوله تعالى وذلك على الله يسير يحتمل وجهين
احدهما ان امر البعث على الله يسير لانهم انكروا البعث بعد ما صاروا ترابا فاخبر ان بعثهم بعد ما صاروا ترابا
اهون في عقولهم من انشائهم ولم يكونوا شيئا فكيف انكروا قدرته على اعادتهم بعد ما صاروا ترابا فاخبر
جل وعلا ان ذلك على الله يسير والوجه الثاني من التاويل ان يذكر ما عملوا من خير او شر احصاه الله عليهم
سرا او علانية وكل صغير وكبير لما نسوا ذلك في كتبهم وتعليمه ذلك تحقيقا انه على الله يسير
فآمنوا بالله ورسوله * يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم وذلك ان الله تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم
الماضية وانما ذلك انما نزل بهم لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم الرسل فآمنوا بالله ورسوله انتم لئلا ينزل بكم
ما نزل بهم من البأس والعقوبة والله اعلم وقوله والنور الذي انزلنا النور هو القرآن ويجوز ان يكون
سماه نورا لانه يبصر به حقيقة المذاهب في الطاعة والمعصية والاحسان والاساءة والايمان والكفر
بما يبصر النهار حقيقة الاشياء فحسنها وردها لذلك يبصر بها منافع الطاعة ومضار المعصية فسمي نورا
من هذا الوجه والله اعلم وقوله والله بما تعملون خبير بما تسرون وبما تعلنون فراقبوه ولا تخالفوه في الكل
جميعا وفي هذا بيان ان الله تعالى علم بما يعمل العباد في الازل وما يكون منهم وانه ليس كما وصفه بعض الجهال الذي

وقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن * ذلك اليوم في الحقيقة يوم تغابن وتراجع وانه كي
لقدم ما دليل ذلك بما ذكر في غيرها من الآيات الا ارتقاء الى قوله فريق في الجنة وفريق في السعير والى ما ذكر
في غيرها من الآيات الا ارتقاء الى قوله فريق في الجنة وفريق في السعير والى ما ذكر في عقبيه قوله ذلك يوم التغابن
وقوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار فهذا هو
معنى التراجع ولكنه جل ثناؤه يجوز ان يكون ذكر احدهما على الآخر ثم البيان يدل على الحال الذي [illegible] والاصل في ذلك
ان كل سليم طبيعة لا يخلو عن عمل وعمله لا يخلو من احدى ثلثة اوجه اما ان يكون في مباح له او امر او نهي ومعلوم
انه من استعمل المباح فهو مستعين به في اقامة الامر اذ لا بد من البقاء لاقامة الامر فذلك باستعمال المباح
والاشتغال باسبابه فكانه في اقامة ذلك الامر بحقيقته يرجع الى ان الاعمال بالحقيقة تنصرف الى نوعين
الى امر ونهي ومعلوم ان من كان في امر فهو تارك لما نهي عنه ومن كان في نهي فهو تارك لما امر به والتجارة
في الحقيقة هو ان ياخذ شيئا بترك شيئا آخر فاذا تحقق معنى التجارة في اعمال بني آدم اطلق لها لفظ
التجارة قال في الدنيا لما انها اسماء المتجر والمربح والملك فقد تحقق معنى التجارة واما معنى المربح فلا
ان كل من يعمل في الدنيا فانما يعمل لعاقبة ولا بد ان يكون عاقبته خيرا او شرا فكل من كان عاقبته الخير فهو
ذو ربح الخير ومن كانت عاقبته الشر فهو ذو ربح الشر والله اعلم واما معنى الملك فالاحكام بين احدهما الثواب والثاني
العقاب فكل من عمل عملا يقتضي به الى الثواب والجنة فكانه يسلك طريق الجنة ومن عمل عملا يقتضيه الى النار
فانه يسلك طريق النار فلذلك سماه مسلكا وطريقا والله اعلم ثم التغابن عندنا يجوز ان يكون معناه ان اهل
ان اهل الكفر يغبنون في اهليهم واموالهم في الدار الآخرة لانهم كانوا يتمتعون بهم في الدنيا فيتمنون انهم
يكونون كذلك في الآخرة فاذا لم يجدوا وصار يلعن بعضهم بعضا عكس ما كانوا يأملونه منهم وقال بعضهم
ان لكل كافر في الجنة قصرا او بيتا واهلا فاذا صاروا الى النار ورثها المؤمنون باهله وقصره الذي كان له في الجنة
فهو التغابن وهذا غير صحيح عندنا لانه لا يحتمل ان يبني الله تعالى للكافر بيتا في الجنة مع علمه انه لا يبيع ان
هذا يحتمل عن لا يعلم العواقب ومن هو صاحب البداء فلا يحتمل تسمية مثل هذا الوصف الا ان يحمل على الوجدان
شيء الجنة للمسلم الكافر كان يعد له البيت في الجنة وان رجع الى الاسلام كان له ذلك المنزل وكنا ذ
وهو مما لم يرد في الحقيقة يومئذ اذا الكفار في الاسلام وانما واه النار او الجنة وحكمه عليهم وان لم يكن [illegible]
عالم بما كان وما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون فاخبر على ذلك والامر يصح كما ذكرنا من المعنى
الموفق ويحتمل انه انما سماه يوم التغابن لان الدنيا جعلت سوقا والاحوال تكون لهم رؤوس الاموال
والاعمال التي يعملون فيها تكتسب تجارة قال الله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ثم قال تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الآية وقال في آية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
وقال اشتروا الضلالة بالهدى وقال اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فاذا كانت الدنيا متجرا والآخرة
هي التي تقسم فيها الارباح وفي ذلك يقع الربح والخسران ويقع الغبن والفضل والنقصان والزيادة والله اعلم سماه
يوم التغابن لما يظهر لهم في ذلك انهم خسروا او ربحوا فلا يظهر لهم ذلك في الدنيا ثم بين العمل الذي يربح عليه
والعمل الذي يخسر به والتجارة التي يوصل بها الى الارباح والتي يلحق بها الخسران وهو ما قال ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار الآية وقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا
الآية ثم قوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يعني ومن يؤمن بالله على ما جاءت به الرسل عليهم وان له الخلق
والامر ويؤمن بالرسل والبعث فذلك هو الايمان بالله تعالى وقوله ويعمل صالحا اي يعمل في ايمانه صالحا
الى ان يموت وقوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني كفروا وكذبوا باياتنا يعني كفروا بوحدانية الله تعالى
وربوبيته وكذبوا باياته او جحدوا وكذبوا بالبعث ولذلك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير وقوله تعالى
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله * قال بعضهم باذن الله يعني امر الله وهو قول الحسن وقال بعضهم باذن الله
يعني بعلم الله وقال بعضهم يعني بمشيئة الله وكل من ذلك صحيح اما من قال بامر الله فمعناه وجهان احدهما
المصائب كلها عقوبات الآثام الى قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وان جزاء ما كسبتم به عقوبة
والتعذيب انما يكون بامر الله فلذلك قال [illegible] ويحتمل ان الله امر [illegible] هنا ان يجعل لهم
من بني الخلق كقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله هل تربصون بنا الى قوله ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده او بايدينا ونحو ذلك وهذه المصائب من عنده او بايدينا ونحو ذلك وهذه المصائب لا يحتمل اول
الامر من الله تعالى ومن قال بعلم الله فوجه ذلك ان هذه المصائب ينفيها اهل الالحاد والشاهد انه
يجب لحكم ان يعمل بما فيه هلاك العبيد وحده فاخبر تعالى ان هذه المصائب وان كان فيها هلاك العبيد

فانما يكون ذلك بعلمه وان هلاكهم لا يضره ولا ينقص من ملكه لان الله تعالى انشاهما من الخلائق لحاجة
لهم ولمنفعة ترجع اليهم وغرض يلحقهم فخلق ما يحل بهم من المصائب لا يضره ولا ينفعه لكن الشان
ما ذكرنا ومن قال بمشيئة الله تعالى وارادته فوجه ذلك ان الله تعالى وعد وعدا وعلم لا محالة انه يريد من عباده ما يكون
بوعده فعاد لا ان يضع وعده موضعه وقد كان لذلك بيان انه يريد من كل احد ما علم انه يكون منه لانه
اذا خلق النار وعد عليها فلو اراد من كل منهم الطاعة لكان اذا احرق بالنار احرق من اراد منه الطاعة فيدخل
في حد الجور ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان ما دخله كذلك ثبت انه اراد من كل ما علم انه يختار كونه
منه ليخرج فعله على الحكمة والله الموفق ونحن نقول لم ذكر الله تعالى الاذن في موضع وكل من ذلك يوجه على
وجه خاصة فالواجب ان يصرف وجه كل موضع الى ما يليق به والله اعلم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه
قال الكوفيون ان من آمن بما شاهد من التدبير يهد الله تعالى قلبه ليعلم ان من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه
بهذه المصيبة ويجوز ان يكون تاويله على وجه آخر وهو ان يقول من يؤمن بالله ان له الخلق والامر يهد
قلبه للشكر ويعلم ان الله وليه فيسترجع عند ذلك كما قيل ومن لم يهد قلبه ان يشكى عن
الهدى وهو الشكوى والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذه الهداية وان خرجت على لفظ الاحداث فليس
على الاحداث ولكن معناه ان ايمانه بالله تعالى انما كان بهدايته منه لانه لا يجوز ان يكون الايمان متقدما
والهداية متاخرة ولكن حين هداه امن بما هداه وهذا ما قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور فهذا خرج في الظاهر على لفظ الاحداث ولكنه في الحقيقة ليس كذلك بل يكون
انهم لما آمنوا اخرجهم بالايمان من الظلمات الى النور وبعد الايمان فكذلك الاول والله اعلم ويجوز ان يكون
تاويله ان الله يهدي قلبه اي يوفق قلبه من ان لا يعتقد الكفر كما قال الله تعالى ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات وقيل فيه لغات اربع يهد قلبه بنصب الباء والياء جميعا ويهد قلبه برفع الياء والباء جميعا
ويهد قلبه بفتح الياء وضم الباء اي يهتدي ويسكن قلبه من السكون وقوله تعالى والله بكل شيء عليم الاصل
في الاسماء المشتركة اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى في التخصيص في الاضافة اليه اذا اضاف الى الخلق
ليكون فرقا بينه وبين العباد فقال والله بكل شيء عليم ويقال في الخلق فلان عليم بكذا او عليم بحرف
ويتعلم انما نعتد بما يعلمون بعلمه وكذا هذا في قوله والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون
ان الله عز وجل ليس بقدير على كثير من الاشياء فكانهم اشركوا في اسم القدرة غيره لانه لا احد من الخلق
الا وكان من القدرة فلو قلنا ان الله يقدر على بعض لسوينا بينه وبين خلقه وشبهناه بهم وجل الله
عن ذلك وبالله المستعان وقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني اطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا
الرسول فيما اخبر عنه او اطيعوا الله فيما امركم واطيعوا الرسول فيما دعاكم اليه وهذا كله واحد الا
انه لا يجوز ان يضاف الى الرسول عليه السلام من الالفاظ ما يضاف الى الله تعالى والاخبار فهو جائز ان يضاف
الى الله تعالى والى الرسول عليه السلام وقوله تعالى يعني اجابة الرسول الى ما دعاكم اليه فمن طاعته وقوله
فانما على رسولنا البلاغ المبين فيه بيان ان تولّيهم عن اجابته وكفرهم به لا يوجب نقصا في التبليغ
وقوله تعالى لا اله الا هو يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم من الايات من قوله له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير وعليم ويعلم ما يسرون وما يعلنون ثم قال الله لا اله الا هو على اثر الاوصاف التي تقدمت هو الذي
لا اله الا هو اي لا معبود الا هو وان معبودهم ليس يجوز ان يكون معبودا لتعريه عن هذه الاوصاف التي تقدم
ذكرها والله اعلم وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه بيان ان يعتمد المؤمنون على الله تعالى
وان قلت اعوانهم وانصارهم وانهم ليسوا كالمنافقين والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما راوا
قلة الاتباع والاعوان لهم واخبر ان المؤمنين بخلاف تلك الصفة وان نصرهم واعتمادهم على الله تعالى
ليس على كثرة الانصار والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم يحتمل ان يكون على تحقيق العداوة ويحتمل ان يكون على فعل العداوة فان كان على تحقيق العداوة
فهو يحتمل وجهين احدهما اعداء ظاهرا وهو عداوة الكفر والشرك وذلك انه كان في ذلك الزمان
يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر فعلمهم الله تعالى صحبة الاولاد انهم اذا دعوكم الى الكفر
فاحذروهم ان تطيعوهم وان تعفوا عن عقوبتهم على ما دعوكم اليه وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ثم
حل تناوله في صحبة الاولاد والزوجات اذا كانوا كفارا بالعفو والصفح كما بين ذلك في الوالدين المشركين ولكن
امر بمصاحبتهما في الدنيا معروفا بقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا فخرج ذلك عندنا والله اعلم ان تحريمه
وصلته وتقوم على زوجته وولده فامرهم ههنا بالعفو والصفح فاما في الوالدين فليس يجري عليهما السلطة

في القهر والغلبة فلا معنى للصفح والعفو عنهما ولكنه امر ان يصاحبهما في الدنيا معروفا وان لا يطيعهما فيما
امراه من المنكر والله اعلم ويحتمل ان يكون هذه العداوة عداوة مستورة وهي عداوة النفاق فكانه قال ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وانتم لا تشعرون بذلك فقد يحتمل هذا والله اعلم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا
فان الله غفور رحيم الى ما ترى الى ما حذر الله المؤمنين عن اهل النفاق مع انهم من الضعف والفشل كما اخبر
عنهم بقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وكذلك الازواج والاولاد وان كانت تحت
قهره وغلبته امره بالحذر عنهم والله اعلم ويحتمل ان يكون على فعل العداوة ليس انهم اعداء في الحقيقة
وذلك انهم في المتعارف والمعتاد يدعون الاباء الى البخل والمنع من الانفاق على غيرهم ويشتد عليهم صنيع
ابيهم من الاحسان والبر الى الناس ويكرهون ذلك وهذا في الظاهر فعل العدو فيجوز ان يكون الله تعالى على تحقيقه
هو لان ان من ازواجكم واولادكم عدوا من يظهر فعل العداوة فاحذروهم ان تمتنعوا عن وجوه الاحسان التي تدعو
لهم وان تعفوا عن صنيعهم بكم وتعفوا فان الله غفور رحيم وقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة المفتون
المولع بالشيء العاشق له فكانه قال انما اموالكم واولادكم معشوقة لكم فلا يحملكم حبهم على ان تتركوا ابتغاء الاجر
العظيم عند الله تعالى ويحتمل ان يكون معناه ان الله تعالى لم يخلق الازواج والاولاد مجازاة انما خلقهم ليبتليكم ويمتحنكم
ان كيف تعاملوه الله تعالى فيما امركم ونهاكم عن حبهم ثم اخبر انه عنده اجر عظيم لتتحملوا المؤنة العظيمة في اوامره
ونواهيه عند حبهم الاولاد والاموال وهذا معنى ما قال بعضهم ان الازواج والاولاد كانوا يتعلقون
بهم فيقولون ننشدك بالله ان تدعنا ولا تضيعنا اذا اراد الرجل ان يهاجر الى المدينة والاشبه ان لا يكون هذا
لان هذه الاية نزلت بالمدينة واما الهجرة انما كانت بمكة الا ان يكون قد كتبوا اليهم بها والله اعلم وقوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم قال بعضهم نسخت هذه الاية قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته حيث امرهما بالاتقاء
على قدر الاستطاعة ثم بخلافه ولكن هذا لا يستقيم لان قوله اتقوا الله حق تقاته لا يراد به الاتقاء فيما لا
لا فوق الطاقة والاستطاعة لكنه ان كان يوجه ان اتقوا الله حق تقاته وان هلكت في طاقتكم لانهم امروا بشيء
يهلك به طاقتهم على ما قال الله لو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ولو كتب عليهم ان يقتلوا
انفسهم جاز ولكنه يهلك طاقتهم ثم نفى ذلك الامر ثم قال فاتقوا الله ما استطعتم تخفيفا عليهم وتيسيرا
والله اعلم ولكنا الكلام فان كيف قال فاتقوا الله ما استطعتم ولم يكن يبقى لولا هذه الاية الا ما استطعنا
ولكن معناه والله اعلم على جهة البشارة انكم اذا قصدتم قصدا للتقوى اتاكم الله تعالى الاستطاعة في التقوى
نحو قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وهذه الاية على المعتزلة لانهم يقولون ان الاستطاعة تتقدم الفعل وهي بعد الفاعل وتعدم عند الفعل
ولو كان كذلك كان يجعل قوله فاتقوا الله ما استطعتم استطاعة زالت عنهم وكذلك قوله خذوا ما اتيناكم بقوة
وكذلك قوله خذوا ما اتيناكم بقوة زالت عنهم هذا مستحيل والذي يقولونه قولا اتحمل جلدا في يوم يستطيع
للطعام شيئين شيئا والحاجة الى هذه الاستطاعة يقع عندنا دائما البدل عن الاصل فاما قبل ذلك فلا كان
مستطيعا او غير مستطيع فهو سواء وقوله فاسمعوا واطيعوا اي اسمعوا الى ما امركم الله به ورسوله ويكون قوله
اسمعوا يعني اجيبوا لما امركم الله به والى ما دعاكم الله ورسوله كقوله سمع الله لمن حمده اي اجابه وقوله تعالى وانفقوا
خيرا لانفسكم اي وان تنفقوا مما رزقتم خيرا لكم من ان تدعوا الاجابة لما امركم في الانفاق مما رزقكم وقوله تعالى
ومن يوق شح قال سفيان بن عيينة ومن يوق ظلم نفسه والشح الظلم وقال بعضهم الشح البخل الذي فيه الحرص
قال ومن يوق شح نفسه اضاف الوقاية الى نفسه ليعلم ان من تعاطاه فانما اتقاه بما وقاه الله تعالى بلطفه وكرمه
الا ترى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا كيف علمهم فلا التقوى بقوله وقنا عذاب النار ان تعلموا ان وقاية
النار لتعلم ان جميع افعال العباد انما يقوم ويصح بتيسير الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وتقديره والله اعلم ثم قوله
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فيه اوجه من الدلالة احدها انه قوله ومن يوق شح نفسه لم يسم فاعله
فبين انه الذي يسلطنا الله وملكه ما يوقيه شح نفسه وانه لو وقاه شح نفسه فلولا ذلك في قوله ان ينصركم الله
فلا غالب لكم اخبر ان الذي ينصره الله فلا يغلب وقد ترى في الشاهد من لا يوقى شح نفسه البتة ومن يوقى
شح نفسه ولا يفلح وقد ترى من يجاهد لعدائه فيحالهم ويغلبونه اخبر انه هو الغالب ثم لا يغلب فلا يبقى ذلك
الا على احد وجهين اما انه لم يكن لله تعالى النصر في ملكه وسلطانه كما ادعى فهو كاذب فيما ادعى ولما انه اتاه
من القوة ما يتقي به شح نفسه فلم يفلح فصار كاذبا في خبره فاما المعتزلة فانهم زعموا ان الله تعالى قد اتى عبده
ما يتقي به شح نفسه حتى لم يبق في خزائنه شيء يؤتيه ليتقي شح نفسه كذب واذا لم يكن بد من نسبة الكذب الى الله تعالى
او الى المعتزلة كانت المعتزلة اولى ان ينسبوا الى الكذب من الله فيما اخبر وان الله تعالى صادق فيما اخبر

وان في ملكه وسلطانه ما لو ثبت عبده لبقي شح نفسه والله المستعان وعنده لا اله الا هو على ابطال قول من قال
ان على الكفار اداء هذه العبادات والحقوق واجبة وحلت لنا اتقنعا وعلى هذه الآية ان من وقي شح نفسه وادى
ما وجب عليه من هذه الحقوق فقد افلح وقد يرى الكافر في الشاهد بحيث وقي شح نفسه ويؤدي زكاة ماله ولكنه
بما لزمه النار ولا يفلح ولو كان عليه هذه الحقوق واجبة لكان يحصل له الفلاح فثبت انه ليس عليه اداؤها وانما
عليه قبولها والله اعلم وقيل ان صاحب الكبيرة قد وقي شح نفسه وقد وعد عز وجل فمن يوق شح نفسه فهو من
المفلحين فاذا كان صاحب الكبيرة قد وقي شح نفسه فقد ثبت انه يرجى له الفلاح والله اعلم قوله تعالى ان تقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ويقول من هذه الآية انطق من ذا سر احدها ظن اليهود حيث قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء وذلك انهم لما سمعوا ان الله تعالى يقول اقرضوا الله قرضا حسنا والاستقراض في الشاهد
هذا يدل على الحاجة الى ما يستقرض وذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم يدل على حاجة
المشتري وحيث استعمل عبده في الاعمال ثم قال لكم اجر عظيم ورأوا ان من استعمل آخر فانما يستعمله في عمل يعود
منفعته عليه ويحتاج الى عمله ظنوا بذلك ان الله فقير وانه محتاج وظنت المعتزلة ان ليس للعبيد ملك لكنهم
ملاك لهم حقيقة ليس لله تعالى في شيء من ذلك ملك ولا بد من قال لو فعل ذلك ان الله تعالى استقرض من عبيده والمستقرض
في الشاهد لا يستقرض مال نفسه فلما استقرض واستباع دل ان هذه الاشياء كانت املاكا لهم حقيقة لانه
يدل على ان ما قال المعتزلة على ما وصفنا انهم قالوا ان ليس لله تعالى ان يمرض احدا ولا ان يميته الا بعوض او بدل
تبين انه لا يملك فيثبت على انفسهم انه لا يملك فيثبت على انفسهم انه لا يملك حقيقة وان حقيقة الملك في
للعبيد ويشبه ان يكون ظن المعتزلة واليهود جميعا انما تولد من قولهم ان ليس لله تعالى ان يفعل بعبيده الا ما هو
اصلح لهم في دينهم فذهبت اليهود الى ان هذا لما كان حقا على الله تعالى ان يفعله لا محالة حتى اذا لم يفعل يكون
جائرا ومن كان مأخوذا بحق في شيء يفعله فيه بيان ان حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى اخذ به لا محالة الى ذلك
قلنا ان ظنونهم تولدت عن القول بالاصلح والله المستعان واما الحكماء واهل العقل فمن استقرض بفضله
حمد هذه الآيات من الله تعالى على نهاية الكرم وغاية الغنى لانه تعالى اعطاء عبده ثم استقرض منه ذلك
الذي يصير ذلك العطاء دائما يبذلها الدائم وهو النعيم في الآخرة ومعلوم ان من رد الدوام عطاء من يعطاه في غاية
الكرم وكذا اشترى انفسهم حياة فانية ليعطيهم حياة دائمة وهذا امر غاية ومن استعمل عبده في عمل يوصف بانه جواد
سخي وكثرمه وكريم ثم وعد له على ما فيه من فرح اجرا لعمله دل على غناه فثبت انه اراد بهذه الآيات ان يعلمنا غاية
كرمه وغاية جوده ونهاية غناه وان جوده وكرمه لا يتعدد كما هو لنا والله المستعان والذي يدل على غاية
كرمه وجوده ان جعل ما يتصدق به على فقرائنا وما نصل به ارحامنا قرضا على نفسه وعقد الاجر بعمل يعمله
لنفسه وعمل على العبد فعله لا محالة اجرا ولا شك ان ذلك غاية الجود والكرم والله المستعان
ثم قوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا قال بعضهم القرض هو القطع كانه قال اقطعوا شيئا من اموالكم شيئا
حسنا وقال بعضهم اقرضوا اي اجعلوا ما تتصدقون به مما فضل من حاجاتكم على فقرائكم قرضا على الله كي يكون
اجره عند حاجتكم اليه وقوله يضاعفه لكم يعني يضاعف ما يعطيكم في الآخرة من الثواب الذي يكون به
مما سررتم به وتزينتم في الدنيا بالتصدق وقوله والله شكور حليم يعني شكور بحيث يشكركم على ما اعطيتموه
شيئا هو اعطاكم اياه وقوله حليم وصف نفسه بالحلم وعلى قول المعتزلة لا يتحقق هذا الوصف لانهم يقولون
ان اذا وجبت العقوبة فليس لله تعالى ان يؤخرها كما امنه وان فيما اخرها كان ذلك حقا عليه بحيث راى الاصلح
في تأخيرها ومعلوم ان من ادى حقا عليه لم يوصف بالحلم ولكن يقال انه سخي الجود والحليم من يحكم من عقوبة
لزمت فيؤخرها ويتركها ويعفو عن صاحبها فيوصف بالحلم عند ذلك واما ان يكون عليه تأخيرها فلا يوصف
بالحلم في هذا الموضع والله اعلم قوله تعالى عالم الغيب والشهادة يعني عالم بما غاب عن الخلق من الملائكة
وعالم بما شهدوا من افعالهم وما لم يغب عن العباد وقوله العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء والحكيم الذي
لا يلحقه الخطأ في تدبيره ثم المعتاد في القرآن انه يذكر العزيز الحكيم بعد ذكر خلق الكفرة ليعلم ان فسادهم
لا يوجب وهنا في حكمته وتدبيره ولا يبطل عزه وسلطانه لان من صنع الى آخر شيئا يعلم انه يفسد دل ذلك
على جهله بالتدبير واذا استعمل عبده بما يملكه دل على ذله فاخبر بعد خلق الكفرة انه عزيز ليعلم ان كفرهم
لا يوجب نقصا في عزه ولا يدخل ذلا عليه وان فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والتدبير والله المستعان

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن فانه يخرج على الاضمار والله اعلم كانه يقول يا ايها النبي قل لامتك اذا اردتم ان تطلقوا
نساءكم فطلقوهن لعدتهن والدليل على انه هكذا انه يخرج الخطاب بعده كله للجماعة حيث قال اذا طلقتم
النساء فطلقوهن لعدتهن وخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وذلك كثير في القرآن ثم
قوله فطلقوهن لعدتهن امر بالطلاق للعدة ولم يبين ان الطلاق في العدة كيف يكون وذكر في بعض القراءات
فطلقوهن لقبل عدتهن ثم ترك بيان ذلك لا يخلو اما ان يكون الرسول عليه السلام قد بين ذلك لهم فيما علم
يبين لهم ذلك في الآية او يجعل معرفة بيان ذلك اليهم ليعرفوا بالاجتهاد ثم جعله لقبل عدتهن يحتمل اول
عدتهن ويحتمل ما يقابل عدتهن وهو الحيض من المقابلة ومن يقول بالاعتداد بالاطهار يحمل القبل على اول
اول التطهير ومن يقول بالحيض يحمل القبل على ما يقابل العدة وهو الحيض ثم بيان ذلك ما في الثاني لان اولئ
وقد اجمعوا ان له ان يطلقها في آخر الطهر اذا لم يجامعها فيه دل ان تأويل القبل ما يقابل العدة احق وهو الحيض في
الاعتداد به اولى والله اعلم وقوله واحصوا العدة يخرج على وجهين احدهما احفظوا الحقوق والاحكام التي
تجب في العدة فانوها والثاني احفظوا نفس ما تصير به وهو عدد الحيض الذي بها تنقضي ولا تزاد
ولا ينقص ثم جعل الاحصاء الى الازواج يحتمل وجهين احدهما انهم هم الذين تلزمهم الحقوق في المؤن والثاني
انهم يقع لحصانة الاولاد في العدة والله اعلم قوله تعالى واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن
الا ان يأتين بفاحشة مبينة دل قوله من بيوتهن على صحة مسئلة لاصحابنا في من حلف لا يدخل بيت فلان
فدخل بيتا هو فيه بعارية او اجارة انه يحنث ووجه ذلك ان الله تعالى اضاف البيوت اليهن وان كان حقيقة
الملك للازواج فيها الا ترى الى قوله اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ثم قال لا تخرجوهن من بيوتهن فدل
قوله من بيوتهن انه اراد البيوت التي السكنى لها والازواج فيها فاذا صحت هذه الاضافة دل على صحة المذهب وقال
الشافعي فيمن حلف لا يدخل مسكن فلان فدخل مسكنا هو فيه بعارية انه يحنث وقال فيمن حلف انه لا يدخل
بيت فلان انه يحنث واحتج في المسكن انه انما يحنث لانه وجد حقيقة السكنى من الحالف وقال فان كان هذا
هو الدليل على الحنث فالواجب عليه ان يحنثه في البيت لوجود البيعة على ما حنثه في المسكن لوجود السكنى ويعد
فان الحنث اوجب في البيت لان الله تعالى اضاف البيوت اليهن في كتابه وان لم يكن فيها بالملك ولم توجد
لهن السكنى ذلك والله اعلم قوله تعالى الا ان يأتين بفاحشة مبينة ومنهم من اجمعوا انهم في محل الاستثناء
على قوله لا تخرجوهن من بيوتهن وصرفها اليه ومنهم من صرفه الى قوله ولا يخرجن وكل من ذلك وجهان فاما من
على قوله لا تخرجوهن من بيوتهن وصرفها اليه ومنهم من صرفه الى قوله ولا يخرجن وكل من ذلك وجهان فاما
على قوله لا تخرجوهن فانه جعل الاستثناء والاستثناء وجهان احدهما لا تخرجوهن الا ان يأتين بفاحشة
مبينة او بزنا بين فيخرجوهن لاقامة الحد عليهن ولا تخرجوهن الا ان تظهر منهن بذاءة اللسان على اهل ازواجهن
فيخرجوهن لمكان البذاءة التي في لسانهن ومن حمله على قوله لا يخرجن قال لا يحتمل هذا على قوله الاول معنى لكن
كما قيل في قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما انهم لا يسمعون فيها لغوا ولكن سلاما ان لا يحتمل
السلام من اللغو المستثنى من جملة اللغو بكلام فيستثنى منه فلذلك قوله لا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة وكانه
قال لا يخرجن ولكن اذا خرجن تخرج خروجهن فاحشة ويدل هذا على ان النهي لنفس الخروج لا للانتقال ووقع النهي في
نكولها لا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة فانهن اذا خرجن يخشى عليهن ان يأتين بفاحشة مبينة كما روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امرأة تزوجت بغير اذن مولاها فهي عاهرة وكان المعنى من ذلك اذا تزوجت فهي
ممن عاهر ولكن نهى عن النكاح لانه يخشى عليه في النكاح ان يطأها فيصير عاهرا الا ان يكون نفس التزويج منه
زنا وكذلك لا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة فيكون النهي لا عن نفس الخروج ولكن لكونه سببا للفاحشة
في الجملة وطريقا اليه ثم قوله مبينة بالخفض معناه ان نفس الفاحشة اذا تفكر فيها المرء وظهر بين له
انها فاحشة ومن قرأ مبينة بالفتح يعني انها مبينة بالبراهين والحجج وقوله وتلك حدود الله الحدود والموانع
والنواهي لا يحل مجاوزتها ومن ذلك سمي الحداد حدادا لانه يمنع الحديد كل نوع امتعته ان يجاوز حدودها التي
جعل لها والحد في الحقيقة هو النهاية التي ينتهي اليها فلا يجاوز واذا كان كذلك كان الحد الى صاحب البيان
ان في شأن حمله على الحد بين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام حيث ذكر في هذه الآية انواعا من النهي فسمي ذلك
كله حدودا قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه ويجوز ان يكون المعنى منه اي جاوز
هذا الحد الذي جعل الله تعالى فقد وضع نفسه مكانا لم يضعه فيه ربه والظلم في الحقيقة وضع الشيء في غير
موضعه والتأويل لان الخرك من جاوز موانع الله ومناهيه فقد ظلم نفسه دل هذا على ان مانع هذه النواهي

ومعنا بعد الا يرجع الى انه بل يرجع الى نفس المحتج وقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اى لا تطلق فانه اذ
طلق لا يدرى لعل الله يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله او رغبة فيها فيكون فيه دلالة النهى عن
نفس الطلاق وعدم بيانها كراهة نفس الطلاق في الحكمة فانه ليس من نوع ما يتقرب به فيكون فيه زيادة في القربة ولا
يستمتع به فيكون فيه زيادة في الاستمتاع الا المقصود منه التاديب والخلاص وفي الواحدة كفاية فيما زاد وقليلها اكثر
فهذه الاية دلالة النهى عن نفس الطلاق وعن الزيادة على الواحدة والله اعلم لانه كان التاويل قوله لا تدرى
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اى الرغبة فيها او الندامة على ما سبق منه فانه دلالة على ابطال قول المعتزلة
لان الرغبة والندامة جميعا من فعل العباد وانه تعالى اضاف ذلك الى نفسه بقوله لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا فاذا كان كذلك ثبت ان الله تعالى خالق افعال العباد صنعا وتدبيرا والله اعلم وقال اصحاب الشافعي رحمه الله
فطلقوهن يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد يعنى ان طلقوها في الوقت وعددا لا يستقيم ذلك
لان الثلاث في الاوقات يستقيم على العدد وتجمع اما مع حرمة تباعهم في العادة بين الحيضتين ولما على ما جابة الكلام مع
الحكمة فليس يفهم من قوله فطلقوهن لعدتهن الثلاث على واحد من الوجهين اللذين وصفناهما الا ترى انه لو
قال لا تطلق امراتى لم يجز له ان يطلقها ثلاثا الا ان يكون نوى ثلاثا فقلنا لا يفهم من عادة اللفظ الثلث
واما وجه الحكمة فلما ذكرنا ان الطلاق ليس مما يتقرب به فيرغب في الاستكثار منه زيادة في القربة وكما يستمتع
فيستكثر منه زيادة في الاستمتاع وانما المراد منه التاديب والخلاص ممن كان يجرحه هذا المخرج كان نوعا من الرخصة
وما خرج مخرج الرخص لم يتسع به فاذا ثبت ما وصفنا ثبت ان لا يجوز الفهم من قوله فطلقوهن
لعدتهن الثلاث والتعليم في العدد انه من الوقت لانه لا يتحقق كل مدة من الوقت المجعول له فيه
الطلاق ولا شك انه يلحقه الضرر بقعوده في العدة لكن الله اعلم ومما يدل على ان المراد من قوله
فطلقوهن ليس عدد الثلاث قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ولا شك انه اذا وقع عليها ثلاث
لم يملك امساكها فتعليمه ان قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف الطلاق المفهوم من قوله فطلقوهن
ولو كان المراد عدد الثلاث لم يكن لقوله فامسكوهن بمعروف معنى والله اعلم وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف او فارقوهن بمعروف فيه فوائد شتى ودلالة متفرقة في الفقه والاحكام احدها ان الله تعالى قال
فامسكوهن بمعروف والمعروف ما اليه المتعارف من نوع الفعل ليس من نوع القول لانه يقال للحسنى ليبينها
استمتاعا وتنفعا ويخص ذلك من ذلك فيقتضى نوع الفعل فيقتضى حقيقة الامساك بالمعروف في الافعال فذلك
قلنا ان الامساك يحصل بالفعل يكون مراجعا فان قيل اليس قال الله تعالى فاشهدوا ذوى عدل منكم ولا استشهاد
على الفعل غير صحيح قيل له ان يقال لان الله تعالى قال واشهدوا ومعلوم انه لو كان بحضرة الشهود لم يكن
للاشهاد معنى بل كان الشهود كانوا شهودا اشهدهم او لم يشهدهم واذا كان كذلك ثبت ان المعنى من هذا الكلام
على الامساك المستديم وذلك في الافعال مستقيم والله اعلم ووجه اخر وهو ان كل عقد استفاد بغير شهود
جرى فيه الامر بالاشهاد نحو قوله واشهدوا اذا تبايعتم وكل ما جعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد جرى ذكر
فيه لا بالاشهاد نحو قوله لا نكاح الا بشهود فلما جرى الذكر في هذه الاية بالامر بالاشهاد بقوله واشهدوا
ذوى عدل منكم ثبت انه يستقيم من غير شهود والله اعلم ثم قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف دليل
على ان المراد من الاقراء هو الحيض فانه ذكر نوع هذا في كتابه في مواضع قال الله تعالى في موضع فاذا بلغن
اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وقال في اية اخرى فاذا بلغن اجلهن فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن وقال في هذا الموضع فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف فمعانى هذه الالفاظ مختلفة
فاذا اتفقت مخارجها واختلافها ان يكون المراد ببلوغ الاجل في احد الوجهين على التمام وانقضاء الاجل
على الاشراف عليه واحق ما يكون في الاشراف على البلوغ هو ما يرجع الى الازواج لانه قد كان لهم حق
قبل انقضاء الاجل وهم احق بهن ما لم يتم العدة لا بعده فاذا ثبت ان المعنى من قوله فاذا بلغن اجلهن في هذا الموضع
هو الاشراف على البلوغ والقرب من انقضاء الاجل دون التمام ثبت ان الاقراء هي الحيض لانه لو كان المراد به
الاطهار لم يتعرض لاشراف الاجل على البلوغ لان الاطهار ليس لاكثرها غاية واما الحيض فان له غاية معلومة لان الايام
لا يخلو اما ان يكون عشرا او دون العشر فيعرف بالعدد ان كان دون العشر فان دمها اذا انقطع راجعها قبل ان
وذلك وقت اشراف اجلها على البلوغ والاطهار ليس يتحقق فيها المعنى الذى وصفنا والله اعلم ثم قال
فامسكوهن بمعروف وفيه دلالة الامر بالامساك في الظاهر انها ما دامت في العدة فهى على ملكه وقال في
اية وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ما عند الله انه قد بقى شئ من النكاح حتى لم يرده
حجة الشافعي فان الطلاق الرجعى يحرم الوطئ لكن المعنى عندنا في هذا والله اعلم انا قد عرفنا بقوله او فارقوهن

بمعروف

بعد وجود الطلاق المتقدم انه لم يرد به الفرقة للحال ولكن معناه اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ثم فارقوهن وفيه
انه قد وقع شئ من شبه الفرقة بالطلاق وهو نقصان الفراق مستحقا لان ما كان انقضاء العدة فيكون
لم يعوض الموجود للحال فقال امسكوهن على بقائهن على اصل الملك وقال وبعولتهن احق بردهن في ذلك
لدفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق وهذا على سبيل ما قال الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة
اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم وكان الفئ هو الرجوع ومعلوم انه لم يقع
بالايلاء شئ من الفرقة ولكن لما كان الايلاء موجبا البينونة في العقبى وجب في الحال شبه الفرقة وهو استحقاق
الزوال فذكر الفئ لدفع تلك الشبهة وكان تركها منه لا فئ اليها فكذلك الاول والله اعلم والمعروف اذا اضيف
الى النساء نقيض عزمهن واستحسانها هو معروف وما دفعته ونكرته فليس بمعروف وهو الذى عرفنا الله تعالى
من المراجعة والمفارقة ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن اليه القلوب وتسكن عنده الانفس وقوله تعالى واشهدوا
ذوى عدل منكم دل قوله ذوى عدل منكم ان من يكون منا فساقا فان الفسق لا يخرجه عن الايمان وكذلك قوله ممن
ترضون من الشهداء ثبت ان قد يكون منا من لا نرضى فانه يخرج ممن نرضى لا يخرجه من الايمان وقوله تعالى واقيموا
الشهادة لله حيث اضافها الى نفسه هو ان لا يبتغى الشهادة من نفع يقع لاحد الخصمين ومضرة ترجع الى الاخر
فكانه قال لا تنظروا بعضهم الى رضا من ينفعه بالشهادة والى سخط من تضره ولكن اجعلوها لله تعالى وقوله تعالى
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر الموعظة وان كانت لمن يؤمن بالله ولمن لا يؤمن فالمعنى في
هذا فكيف يتعظ بما يوعظ من كان يؤمن بالله واليوم الاخر كما كان المعنى من قوله انما تنذر من اتبع الذكر انما ينفع
بالانذار من يتبع الذكر وكما كان في قوله يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به اى ينتفعون بتلاوته فكذلك
الاول والله اعلم وقوله يوعظ به فيما امر فيما تقدم من الايات من الطلاق للعدة والنهى عن اخراجهن من البيوت
والانفاق عليهن ونحو ذلك انما يتعظ بذلك ويأخذ بامره وينتهى عنه في هذه الايات من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
والله اعلم وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قد بينا ان التقوى اذا ذكر مفردا انتظم
الاوامر والنواهي واذا ذكر معه البر كان احدهما صرفا للتقوى الى معنى والبر الى معنى وذكر في هذا الموضع مفردا
فكان انتظام الاوامر والنواهي ثم جاز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله فيما بين له من الحدود فلم يضيعها يجعل له
مخرجا فيما لم يبين له فيما اشتبه من الحدود ويجوز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله تعالى يجاهد فيما امره ونهاه
يجعل له مخرجا فانه ييسره ويبين له السبيل الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويجوز
ان يقال من يلزم التقوى في امر الدنيا والاخرة لان الله تعالى ذكر التقوى وما يليه بالفاظ مختلفة فقال في موضع
ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال في موضع اخر يكفر عنه سيئاته وفي موضع اخر ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون فبين ان الله مع الذين اتقوا في النصرة والمعونة او التوفيق والعصمة ومن نصره الله تعالى فلا يغلبه
احد ومن عصمه الله تعالى فلا يضره احد واذا نال هاتين الخصلتين فقد نال هاتين الخصلتين فقد نال خير
الدنيا والاخرة او يجوز ان يكون من كان يتق الله تعالى يعنى يتقى معاصيه يجعل له مخرجا في سعة من شبهة
الدنيا من الشدة في الدنيا ومن سكرات الموت وغمراته ومن شدائد الاخرة واهوالها ويجوز ان يكون قوله ومن
يتق الله فيما بين له من الحدود في هذه الايات المتقدمة فحفظها من حقوق النساء على ما امر به يجعل له مخرجا
مما ضاق عليهن ويرزقه من حيث لا يحتسب فيجوز ان يكون هذا فيما بين له من الحدود اذا حفظها ان يرزقه
من حيث لا يحتسب من المرأة والمال ويجوز ان يكون هذا في جميع الامور في المكاسب والتجارات لان التجار يظنون
انهم انما ينفعهم الفضل والربح لما يتخلون فيها من الشبه والمحرمات وانها اذا ابعدت عن تجاراتهم لا يرون
مثل ذلك فاخبر جل ثناؤه انهم اذا ابعدوا تجاراتهم تلك الشبهات والمحرمات رزقهم من حيث لا يحتسبوا ويجوز
ان يكون هذا خطابا للكفرة وذلك انهم كانوا يخافون انهم اذا امنوا بالرسول عليه السلام حرموا من الرزق
وابتلوا بالضيق الا ترى الى قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا الاية فكان الله تعالى اخبر انه
بسبب الاسلام واجابتهم اذا وحدوا الله تعالى وامنوا برسوله رزقهم من حيث لا يحتسبون ووسع عليهم الرزق
ومن يتوكل على الله فهو حسبه يجوز ان يكون معناه اى من يعتمد في كل امره ويفوض اليه كل بلائه
والوكيل هو الموكول اليه الامور وقيل الوكيل هو الحافظ فكانه قال من يعتمد على الله فيما نابه كفى به وكيلا
من كان الله امره وكفى حافظا وناصرا ومعينا وقوله ان الله بالغ امره اى فيما اخبر من حكمه وقدر وقد وعده
او بلاغهم ويجوز ان يكون بالغ امره ليبلغ ما امر رسوله الى خصمائه يكون مراغمة في تضجرهم ليبلغ
كان الرسول بلغهم كقوله قد جعل الله لكل شئ قدرا قال الحسن لكل شئ مما كان ويكون الى يوم القيمة في
في الحكمة وتقدير الاشياء الى افعال العباد انها كيف تخرج على تقديرهم من زمان الى زمان ومكان الى مكان

ويعد ذلك ليعلم ان الله تعالى هو الذي قدر ذلك المكان ولولا انما الفعل يخرج فيعلي هذا العبد من تدبيره
والذي قدره والله اعلم وفي قوله يرزقه من حيث لا يحتسب وجه آخر وهو ان يجعل جميع الرزق من حيث لا يحتسب
لان الرزق في الحقيقة هو الذي يتغذى به الانسان ويتقوى به وليس ذلك في عزم الآكل والشارب لكن فيما
يتفرق من قوة الطعام والشراب في الاعضاء وذلك باللطف من الله تعالى فمن ادعى ان الاكل والشرب انما يصل
الى الاعضاء من حيث لا يحتسب الانسان والله اعلم ثم ليس في قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا تخصيص لان من
لا يتقيه لا يرزقه من حيث لا يحتسب لانا قد نرى في المشاهد من يرزق من حيث لا يحتسب اتقاه او لم يتقه الا ان
فائدة التخصيص ليس نفي غير المذكور ولكن غايته تخصيص المتقي بالذكر هو انه يرزقه من حيث يطيب له ولا يثقله
حمله وليس ذلك لغير المتقي والله المستعان ثم ليس في قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ما يدل على ترك الاسباب
ولكن لما رأى الناس يفزع بعضهم الى بعض ويستعين بعضهم ببعض امرهم ان يجعلوا المقصد والمفزع
الى الله تعالى وان تصيروا هذه الاسباب كلها الجنة عليهم لان يبوار زاقهم بعضها متعلقة بها الا ترى
قوله وابتغوا من فضل الله كيف امر بابتغاء الفضل من تلك التجارة فثبت ان هذه المكاسب كلها اسباب
للخلق بها يتوسلون الى فضل الله تعالى وان المقصد والمفزع فيها الى الله تعالى والله اعلم ثم اختلفوا في العدة
فمنهم من قال هي استبراء الرحم ومنهم من قال هي عبادة يتبع النكاح اذا استوفي فيه المقصود بالنكاح
هذا القول عندنا اصوب لاوجه احدها ان الاستبراء واجب في حق السنة والادب قبل الطلاق
الطلاق فان من اراد ان يطلق امرأته فالواجب عليه ان يستبرئها بحيضة ثم يطلقها فاما العدة فانما
لا تجب الا بعد الطلاق فثبت انها على ما ذكرنا من العبادة التي يتبع بها النكاح اذا استوفي فيه المقصود
والله اعلم ومعنى آخر وهو ان العدة لو كانت استبراء لكانت تكتفي بالحيضة الواحدة فلما امرت بالعدد
وفي الواحدة مندوحة عما سواها في حق الاستبراء فثبت انها على الوجه الاول والله اعلم وقوله تعالى واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم هذا يدل على ان المذكور الاول الحيض وذلك لان الاصل عندنا في الاصول
متى ذكر باسم خاص دل على ان المراد من الاسم المشترك هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل الا ترى الى قوله
فاغسلوا وجوهكم وكان اسم الغسل مشتركا بين الماء وكل مائع فلما قال عند البدل فلم تجدوا ماء فتيمموا
سوا ان المراد من ذلك الاسم المشترك هذا هو الاسم الخاص المذكور عند البدل الاول والله اعلم وقوله تعالى
ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر اختلفوا في قوله ان ارتبتم قال بعضهم ان ارتبتم في حيضهن وقال بعضهم في عدتهن وعندنا
الارتياب في عدتهن لانه لو كان المراد منه الارتياب في حيضهن لكان في حق الكلام ان ارتبتن او يقول واللائي
ارتبن لتكون مستقيما على قوله واللائي يئسن فلما قال ان ارتبتم دل ان المراد ان ارتبتم في عدة الآيسة والصغار هي
فهي ثلاثة اشهر والله اعلم ولان المرتابة اذا كانت الحيض ارتفع عنها وصار عدتها بالحيض وجب ان
العدة بالشهور واما الآيسة والصغيرة فانه لا يتوهم عليهما الارتفاع الاياس والصغر فيكون عدتهما الا
فكذلك قلنا ان هذا الارتياب في عدة الآيسات والصغار ثم في قول اصحابنا ان الرجل اذا طلق امرأته
الآيسة او الصغيرة او الحامل للسنة يطلقها متى شاء وليس له وقت معين في طلاقها السنة بطلاق
السنة وانما كان كذلك لانا قد وصفنا في قوله فطلقوهن لعدتهن ان المراد منه في قبل عدتهن ومعلوم ان
عدة التي ترى الحيض حيض ثلاث ولم تعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل قبلها
بالاطهار لم تعتبر ما يقابلها وهو الحيض من العدة واذا كان كذلك لم يكن بد من ان يكون فيهما شيء ثبت
فيه معنى قبل عدتها فيجعل ذلك الطهر واما الآيسة والصغيرة والحامل فجميع ايامها مدة لها وهي ثلاثة
اشهر وليس في ايامها شيء يقابل عدتها فكذلك قلنا ان له ان يطلقها في اي وقت شاء وكذا الذي يطلق
الحامل لانه يؤمن فيه الاحبال وذلك لانه انما يجتنب الطلاق على اثر الجماع في التي تحيض لتوهم ان
يكون الجماع احبلها فاذا طلقها واراد نفي الحبل في العدة لم يمكنه ذلك واما الآيسة والصغيرة والحامل
فليس فيهن هذا التوهم والله اعلم في هذه العدة وانه ذكرت في هذه السورة على اثر الطلاق الواحد وكذا
في التطليقات الثلاث لان هذه العدة هي العدة التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة من قوله والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولان ذكرها هاهنا والحصول العدة على الاجماع ويكون حاكما على النفس فانا الحق
النفس بالحمل لمصير في المعنى والحكم كسورة واحدة ومعلوم ان ثلاث في الواحدة والثلاث الا ترى الى قوله
مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقوله او تسريح باحسان هي التطليقة الثالثة واذا كان الامر
على ما وصفنا ثبت ان المراد تطلق امرأته الحامل للسنة ثلاثا والله اعلم وقال محمد رحمه الله ثم قوله ولا تخرجوهن
من بيوتهن فيه وجه من الفقه احدهما انه لما قال من بيوتهن دل انه اراد بيوتهن التي كن يسكن

قيام النكاح فيكون دليلا لقول اصحابنا انه ليس للزوج ان يسكنها في بيته الذي هو فيه بل يتركها في ذلك
المسكن ويستقل هو بنفسه ان كان يريد الانتقال يصح هذا قوله اسكنوهن من حيث سكنتم فلما دخل حرف
من في هذه الآية دل ان الواجب على الزوج ان يسكنها في بيت من بيوته ولا يدخل عليها في ذلك البيت الى ان تنقضي
عدتها والله اعلم ثم المعنى عندنا في قوله لا تخرجوهن من بيوتهن لتحصين مائكم ولا يخرجن حتى لا يوطي غير الزوج
واشتباه النسب او لوجه آخر واذا كان النهي عن اخراجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بد من ايجاب النفقة عليه لانها
انما تكتسب نفقتها بالخروج فاذا منعت عن الخروج لتحصين مائه لم يحتمل ان تكون النفقة على غيره والله اعلم
ثم قوله واولات الاحمال اجلهن روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شاء باهلته ان قوله واولات الاحمال اجلهن نزلت
بعد قوله في سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
او جعل عدة الحامل بوضع الحمل ولا يعتبر ابعد الاجلين لكن ان كان ابن مسعود رضي الله عنه قال على وجه
لا يباهل ويقول بان قوله والذين يتوفون منكم لا يجوز ان يدخل في قوله واولات الاحمال اجلهن وذلك
لان قوله واولات الاحمال اجلهن انما ذكر في عدة الطلاق وعدة الطلاق لا يتضمن عدة الوفاة اذ كانت
بالحيض لم يدخل عدة الطلاق في عدة الوفاة الا ترى ان من طلق امرأته وهي حامل ممن تحيض ثم مات
عنها وجعلها قبل انقضاء عدتها لم يدخل عدة الوفاة في الحيض الثلاث بل الحيض هو الذي يدخل في عدة
الوفاة في الحيض وتؤمر ان تعتد بابعد الاجلين فكذلك امر الحامل واذا اشتبه الحال امر فيه بالاحتياط
ان تعتد بابعد الاجلين وان عدة الوفاة لم تلزم لوطء متقدم الا ترى انها قد تلزم من لم يكن وجها
من اهل الوطء واما عدة الحبل والحيض انما لزمت لوطء متقدم واذا لم تكن هذه الوفاة من جنس العدة بالحمل
لم تدخل في عدة الحبل فلهذا يوجب فيه الاحتياط وذلك في الاعتداد بابعد الاجلين ثم التخصيص بذكر
الانفاق على الحوامل يحتمل ان يكون تخصيصا لها في الحقيقة لا انه تخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها
انما ثبت لتحصين ماء الزوج واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت عن التحصين فكان الواجب ان يسقط
بعد التسعة لكن الله تعالى حث على الانفاق في جميع المدة لانها لا محالة انها بقيت في مدة الوطء
المتقدم فلذلك حث الله تعالى على الانفاق على الحامل فيما يقع عندنا والله اعلم وقال ابن مسعود فانه يجوز
ان يكون قوله واولات الاحمال اجلهن عنده مبتدأ خطاب ليس بمعطوف على قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم لانا نعلم انه لا يجوز ان يقع الارتياب في حمل القروء وذلك لان الاشهر
انما اقيمت مقام الاقراء في ذوات الحيض واذا كانت الحامل ممن يحمل القروء لم يجز ان يقع لهم شك في عدة
لتشابه الولادة بعدتها واذا كان كذلك ثبت انه خطاب مبتدأ واذا كان خطابا مبتدأ تناول العدد كلها ومما
يدل على انه مبتدأ خطاب ما روي في خبر سبيعة بنت الحارث الاسلمية انها وضعت بعد وفاة زوجها
بخمس عشرة ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فدل ان اباحة النكاح قبل مضي اربعة اشهر
وعشر على ان عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل في جميع الاحوال الا ترى ان الحامل اذا وضعت احد الولدين
انقضت عدتها واحتج بقوله ان يضعن حملهن ولم يقل احمالهن ولكن لا يستقيم ما قال لوجهين
احدهما انه روي في بعض القراءات ان يضعن احمالهن والثاني انه قال اجلهن ان يضعن ولم يقل
بالولد بل علق بوضع حملهن والحمل اسم لجميع ما في بطونهن ولو كان كما قال لكان تنقضي بوضع بعض
حملهن وانقضت جعل اجلهن ان يضعن حملهن والله اعلم وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من
امره يسرا قد وصفنا ان التقوى اذا ذكر مطلقا مفردا تناول الاوامر والنواهي فكأنه قال ومن
يتق الله في اوامره ان يضيعها او في نواهيه ان يرتكبها يجعل له من امره يسرا في نفسه لتقواه ان يسر
عليه كما قال في قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه وفي قوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى يعني ييسر عليه فعل التقوى والطاعة فكذلك الاول ويحتمل ان يكون في جميع الامور كما
في التجارات وغيرها انه من اتقى من الحرام يسر الله عليه الحلال ومن اتقى من الشبهة يسر الله عليه المباح
ومن يتق الله في تجارته يدفع ما يحول من الربح ويأمله وكذلك جميع الامور على هذا السبيل والله اعلم
وقوله ذلك امر الله انزله اليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون معنى قوله ذلك امر الله اي ذلك التقوى
امر الله انزله اليكم ويحتمل ان يكون المراد بقوله ذلك ما تقدم من الآيات في الرجعة والاشهاد والطلاق
والعدة وغير ذلك فانها وان خرجت في الظاهر مخرج الخبر فانها كلها امر الله تعالى انزله اليكم فاستعملوها
وحدوا بامره فيها والله اعلم وقوله تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا هذا يدل على
ان التقوى اذا ذكر مفردا انتظم الامر والنهي جميعا الا ترى الى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات وقال هاهنا

ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته فجعل التقوى مكفرا للسيئات فعلم ان التقوى اعظم الحسنات لكن لقوله
يكفر عنه سيئاته معنى والله اعلم قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم وفي قراءة ابن مسعود رض
اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم ويجوز ان يكون قراءة عمر رض ايضا الا ترى الى قوله لا ندع
كتاب الله وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت فالكتاب هذا والسنة يجوز ان يكون سمعها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ويجوز ان يكون عند عمر رض في هذا تلاوة قد رفع عنها وبقي حكمها الذي
او يجوز ان يكون عند عمر رضي الله عنه في هذا تلاوة قد رفع عنها وبقي حكمها الذي قال لا ندع كتاب ربنا الا ترى
ما قال عمر رض فانه لو ان ناسا ياتي على الناس زمان لا نجد الرجم في كتاب الله وانا كنا نتلوا من قبل في سورة
الاحزاب ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فقد رفعت التلاوة
وبقي حكمها فكذلك ما في امر النفقة يجوز ان تكون التلاوة مرفوعة وحكمها باق والله اعلم وقوله لا ندع
كتاب ربنا في الخبر دلالة ان الكتاب قد ينسخ بالسنة لان عمر رض انما احتج في امتناعه من ترك كتابه بقول
امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت ولولا ان الكتاب ينسخ بالسنة والا لم يكن احتجاجه بقولها لا ندع كتاب ربنا
بقول امرأة بل كان يقول لا ندع كتاب ربنا بالسنة والا لم يكن احتجاجه بقوله لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة
بل كان يقول لا ندع كتاب ربنا بالسنة فلما قال لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت دل
ان السنة قد تنسخ الكتاب والله اعلم وروى ابو بكر الاصم ان فاطمة بنت قيس لما انكر عليها عمر رض حديثها
تركت روايتها الى زمن مروان فلما استخلف مروان حملت اليه حديثها فاخبر بذلك مروان فدعاها فروت
هذا الحديث فقال الهاشمي انما كان يقول الفاطمي عمر رض فقالت الله بيني وبين كتاب ربنا قال الله تعالى اسكنوهن من
حيث سكنتم من وجدكم فقالت كيف يحتمل ان يكون هذا في المطلقة ثلاثا والله يقول في هذه اسكنوهن
او فارقوهن بمعروف معنى الامساك في المطلقة ثلاثا ما معنى فاتهم مروان قولهم وانما هم عنه لم تحكم
وذلك ان هذه العدة المذكورة في هذه الايات انما هي مكان قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء
ولا فرق هناك بين مطلقة الواحدة والثلاث فاذا كان المذكور في هذه العدة مكان ذلك فالمذكور في النفقة
في هذه المذكور في تلك والشبهة في تلك الاية التفريق بين الثلاث والواحدة فلذلك قلنا في كتاب الله دلالة
النفقة للمبتوتة والمطلقة ثلاثا والله اعلم فيكون حجة على الشافعي ومما يدل عليه وهو انه لما استدل بذكر الانفاق
في قوله وانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن على وجوب الاسكان بالنهي عن الاخراج لتوهم الانفاق دون الاسكان
فلان يستدل بذكر الاسكان على الانفاق ولا ايجاد الاسكان الا بالانفاق لا يتصل لذلك احرى فصار قوله
اسكنوهن دليلا على وجوب الانفاق متصل بالاسكان لانه اذا نهى عن اخراجها الى بيته وامر باسكانها فلا
ان يؤمر بالانفاق بالانفاق لانه في ذلك تضييع عليها وتعسير الا ترى انها انما تكتسب النفقة بالخروج
فاذا نهي الزوج عن اخراجها ونهيت هي عن الخروج لم تصل الى نفقتها الا بالزوج ضرورة والله اعلم ولاجل
ولاجل ان نظرنا الى النفقة للحامل في الحمل او للعدة فوجدنا انها لو كانت واجبة للحمل لم يجب اذا كان
حملها بحيث لو وضعته لم يلزم النفقة عليه وقد وجدنا هذا الحكم نحو حر تزوج امة وحبلت ادت تسيدها
فولدت ولدا ان نفقة الولد على السيد وكان يجب عليه ما دام في بطن امه فلما استقام وجوب النفقة
على الزوج ما دامت حاملا وان كان الحمل بحيث لو وضعته لم يلزمه نفقته ثبت ان النفقة في الحامل لكان
العدة لا للحمل في الحامل والحائل واحدة فلذلك كان حكمهما واحدا والله اعلم ثم الاصل عندنا اصحابنا
ان النفقة انما تجب لاستيفاء المنفعة فاذا كانت محبوسة لاستيفاء النسب وجبت النفقة عليه
فاذا كانت محبوسة لا بهذا الحق لم يكن عليه النفقة والله اعلم ولانه في قوله اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
اضمار النفقة كانه يقول اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم لانه لولا هذا الاضمار
لم يكن لقوله من وجدكم على الظاهر معنى لانه لما قال اسكنوهن علم انه جعل الاسكان عليهن وعلى كان عليه الاسكان
فانما يكون من وجده فلم يكن في قوله من وجدكم الا اعلام ما قد علمناه فاذا كان كذلك ثبت ان في قوله من وجدكم
اضمارا يستقيم عليه المعنى في قوله من وجدكم وليس بين القرائتين اختلاف ولكن احداهما خرجت على التاويل على
على ما في قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما فاقطعوا ايمانهما فلم يحمل ذلك على اختلاف بل حمل
احداهما على الاجمال والثانية على التفسير فكذلك الاول والله اعلم مما لم يثبت في قراءة ابن مسعود رض حيث
عليه الدلالة الا ترى الى ما روى عن ابن عباس رض انه سأل اصحابه اي القراءتين تعدون آخر القراءة
قالوا قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال كلا كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام مرة
عليه في العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وقد شهدهما جميعا ابن مسعود فاذا كان ابن مسعود

قراءة

قراءة اخر القرآن وهو الذي شهد قراءة القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر مرة لم ينبغي ان يعرض على قراءته
ونحوه والله اعلم وفي قوله اسكنوهن من حيث سكنتم دلالة انه انما يسكنها في حجرة من احد مسكنه لان الموضع الذي
يسكنه هو لان حرف من حرف التبعيض وقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن يحتمل وجهين من التاويل احدهما
ولا تضاروهن في الانفاق فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن ولا تضيقوا عليهن في المسكن فتدخلوا عليهن من غير
استيذان فتضيقوا عليهن المسكن فيخرجن والله اعلم وقوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن دل الامر بالانفاق على النهي عن الاخراج كما دل النهي عن الاخراج على وجوب الانفاق ثم التخصيص بذكر
الانفاق على الحوامل يحتمل ان يكون معنى انها في الحقيقة لم تدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما تثبت
لتحصين ماء الزوج واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت عن التحصين فكان الواجب ان تسقط النفقة وذكرنا هذا
المعنى فيما تقدم ويحتمل ان يكون الفائدة في التخصيص للحوامل بالانفاق عندنا والله اعلم ان يكون الفائدة لولا هذه
الاية لكانت الحوامل يخرجن عن قوله لا تخرجوهن من بيوتهن ومن قوله ولا يخرجن لان الازواج لهم ان حرمة النكاح
قد فات الاحمال ليس بحق الازواج ولكن بحق ما في بطنها من الولد الا ترى انه يحرم عليها النكاح وان كان الولد
من غيره وكذا النفقة انما وجبت في غير الحامل لانهن يحبسن عن نكاح الاجانب بحق الازواج فاذا كان الحبس في الحوامل
لا بحق الازواج جاز ان يكون هذا حجة لهم في اسقاط النفقة عنهم واذا لم يكن كذلك بحث الله لهن في الانفاق على الحامل
ما لم يضعن حملهن فان ذلك الحمل من استمتاعهم المتقدم ففائدة تخصيص ذكر الحوامل هذا والله اعلم وقوله
فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن هذا يتضمن وجهين من الادلة احدهما انه قال فآتوهن اجورهن ثبت ان
الارضاع كان بالاجارة وانه اذا استأجرها لترضع ولدها منها بعد الفراق جازت الاجارة وحل لها اخذ الاجر
وانه اذا استأجر امرأته في صلب النكاح على ارضاع ولده منها لم تجز ولم يكن لها اخذ الاجر لان الله تعالى ذكر
بدل الارضاع في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاذا سمى ما ذكر
الله تعالى رزقا اجرا لم يكن اجرا وكان بحق الرزق والكسوة ولذلك لم تجز الاجارة في صلب النكاح والله اعلم
ثم قوله فآتوهن اجورهن دليل على ان اللبن في الخلقة كان لو كان ملكا لها ولولا ذلك لم يكن لها ان تاخذ
الاجر على لبن ليس لها فيه ملك وفيه دليل على ان حق الارضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد وحق
والحضانة والكفالة على الزوجات على الاولاد ان تكون لها نفس الاجرة دون الكل فلما امر بايتاء كل الاجر ثبت
ان حق الارضاع على الازواج وعلى الزوجات الكفالة والله اعلم ولاجل انا لو جعلنا اللبن ملكا للولد مخلوقا له
وجعلنا النفقة على الام من مال نفسها لكانت تنفقها بنفسها ولا يتهيأ لها كسب النفقة لاشتغالها بالرضاع
فتجوع وتهلك ويذهب لبنها فيبطل الرضاع فاذا كان ايجاب الرضاع عليها يسقط من حيث يراد جعل النفقة
فانصرافها عنها وجعلنا ملك اللبن لها فلا الاجنبية والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على ان الاجر انما يجب بعد
استيفاء المنافع فانه قال فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن انما اوجب الله الايتاء بعد الارضاع وفي قوله اجورهن
دلالة على ان الارضاع انما هو اجارة ثبتت لذلك قال اصحابنا ان الاجرة انما تجب عند استيفاء العمل
وقوله وأتمروا بينكم بمعروف له وجهان احدهما ان يقول لياتمر الاب بما اشار وامر في ارضاعه اذا تعاسر
والثاني ياتمر والي الامر من جعل الله تعالى اليه الامر بالمعروف وهو الحاكم اذا امركم فاتمروا بالمعروف
قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى يعني اذا تنازعتم في الرضاع وابت الام ان ترضعه فاطلبوا اخرى ترضعه
عندها وقوله لينفق ذو سعة من سعته اي من وسع عليه في الرزق فلينفق نفقة واسعة ومن قدر عليه رزقه
وقدر ههنا بمعنى ضيق وهو كما قال فظن ان لن نقدر عليه يعني فظن ان لن نضيق عليه ولذلك قوله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يعني ويضيق عليه اي من ضيق عليه فلينفق نفقة تضييق فذلك قوله فلينفق مما آتاه الله والله اعلم وقوله لا يكلف
الله نفسا الا ما آتاها فيه دليل على ان العباد ما اكتسبوا من الاموال كلها مما آتاه الله تعالى وان لهم في افعال العباد
وما يكتسبونه من الاموال صنعا وتدبيرا لانه لولا ذلك لكان يجوز ان يكلف الله تعالى وان لم يوتهما لهم اذا كان في قدرته
ان يكتسب ما لم يوته الله تعالى وقوله سيجعل الله بعد عسر يسرا هذا دليل على انه اذا عجز عن نفقة امرأته لم يفرق بينها
وبينه لانا اذا فرقنا بينهما لم تصل نفقة عليها الحال بل تحتاج الى انقضاء العدة وقد يسوء هو في خلال ذلك ان
يوسر الزوج لانه تطاول وعدا الله تعالى في السياق بعد العسر يسرا فتعتد لتنتقل الى زوج ينفق عليها وليس هذا كالامة
لانه اذا بيع الامة دخلت في ملك الاخر ينفق عليها والله اعلم ثم يجوز ان يكون قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا وعدا
لجميع الامة انه انما يبتلى بالعسر يتبعه اليسر ويجوز ان يكون خطابا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
كانوا في عسر وضيق عيش فوعدهم الله تعالى بعد ذلك العسر الذي كانوا فيه يسرا وقد انجز ذلك الوعد حيث فتح
لهم الفتوح وبسط عليهم الدنيا فغنموا اموالهم والله اعلم وكاين من قرية عتت عن امر ربها صرف الله تعالى

القرية بالعتو ومعلوم انها لا تعتو ولكن المراد منها اي عتا اهلها عن امر ربهم وقد يجوز ان يكنى بالمكان عن الاهل كما قال تعالى واسال القرية التي كنا فيها وفيه دلالة ان الخارج مخرج الكناية في الحقيقة لم يكن كذبا وانكان في الظاهر يرى انه كذب لانه قال في الحقيقة ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ومعلوم انه لم يكن هناك نعجة ولكن حكاية عن نساء مخرج على التصديق في الحقيقة كانه قال ان هذا اخي كان له تسع وتسعون امرأة فكذلك الاول والله اعلم والعتو النهاية في الاستكبار الا ترى الى قوله لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقوله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا له وجهان من التاويل احدهما يقول لحاسبناها اي بلغوا في الكفر والعتو والاستكبار مبلغا صاروا من اهل الحساب الشديد والعذاب المنكر او يحتمل ما ذكر الله تعالى من نزول النقمة بالامم الماضية بعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا لهذه الامة ليتذكروا ويتعظوا او يكون معناه فحاسبناها اي سنحاسبها حسابا شديدا في الاخرة كما في قوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس يعني يقول لعل ذلك الاول والله اعلم ويحتمل وجها آخر وهو ان الاية ان يكون له معنيان احدهما التخويف لامة محمد صلى الله عليه وسلم كالكفرة من اهل مكة بما نزل بالامم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والايمان بهم واستكبروا في انفسهم وعتوا لكي ينتهي اهل قريته عليه السلام عما هم فيه من الكفر والعتو ويحذروا الوقوع فيه في حادث الاوقات ويحتمل ان يكون فيه تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا عليه ما يلقاه من كفر قومه وعصيانهم وعتوهم ليعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من اممهم حتى بلغ كفرهم واستكبارهم المبلغ الذي وقع الياس منهم عن ايمانهم حتى نزل الله تعالى بهم ما انزل من النقم والعقوبة فيجوز ان يكون هذا تحذيرا بان ليعلم شفقته على امته في ترك الدعاء عليهم بالاهلاك والله اعلم قوله تعالى فذاقت وبال امرها اي شدة امرها وعقوبة كفرها قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا اي عاقبة عتوها خسارا في الاخرة قوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوا الله يا من يعقلون [illegible] فاتقوا من ان تكفروا برسوله وفيه دلالة ان الخطاب بالتقوى انما يتناول العقلاء منهم وان من لا عقل له لا خطاب عليه قوله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا له وجهان احدهما ان يجعل الذكر والرسول كلمة واحدة كانه يقول انزل الله اليكم ذكرا وهو الرسول وانما سماه ذكرا لوجهين احدهما بعثه شرف وصار مذكورا او سماه ذكرا لانه يذكرهم المصالح والمنافع التي اليهم من امر دينهم ومعاشهم ويجوز ان يكون فيه اضمارا وهو ان يقول انزل الله تعالى اليكم ذكرا وارسل اليكم رسولا قوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات بالخفض والنصب الا ان الاعلام بالحجج فمن قرا مبينات بالخفض فمعناه انها تبين الحلال والحرام والامر والنهي ومن قرا بالنصب فكانه يقول ان الله تعالى وضح اياته وبينها حتى يعرف من تفكر فيها وتدبرها انها من عند الله قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور كان آمن فقد خرج من الظلمات الى النور واذا كان هذا هكذا فمعنى هذا الكلام ان يقول ليخرج الذين كفروا من الظلمات الى النور ولكن يحتمل ان يكون معناه ليخرج الذين يؤمنون على ما جاز ان يراد من الماضي المستقبل قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم جاز ان يراد من المستقبل الماضي وهذا شايع في اللغة ويحتمل ان يقول ليخرج الذين آمنوا من الظلمات التي حدثت لهم بعد ايمانهم الى النور والله اعلم وقيل قوله الذين آمنوا يعني الذين وحدوا الله ونزهوه من معاني الشبه ووصفوه بالتعالي عن العيوب والآفات وعملوا في ايمانهم صالحا اذ جاءوا بايمانهم الكسب ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء والخوف في نفس الايمان والله اعلم ويجوز ان يكون معنى قوله وعملوا الصالحات في اداء الفرائض التي افترض عليهم قوله تعالى قد احسن الله له رزقا اي طاقة في الدنيا وثوابا في الآخرة وذلك معنى قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي هذه الآية دلالة ان ما نال الايمان فانما نال بفضل الله ورحمته لانه لولا ذلك لم يكن ليمن الله عليه بذلك قوله تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن اختلفوا في قوله ومن الارض مثلهن منهم من قال مثلهن عددا وطباقا اي مثل السماوات بعضها طباقا فوق بعض ومنهم من قال مثلهن يعني سبع جزائر على مثل ما قال السبعة الابحر فكذلك خلق سبع جزائر ومنهم من قال خلق هذه الارض التي يشاهدونها على حد السماء ومقدارها [illegible] هذه السماء والله اعلم وليس لنا ان نعرف ما بينها وكيفيتها وعددها لانه ليس في معرفتها حكم يتعلق به والله اعلم قوله تعالى يتنزل الامر بينهن له تاويلان احدهما ينزل الوحي بينهن وما نزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن ومعناه ان الله تعالى ذكر امر محمد عليه السلام انهم لم يخصوا بمحنة الرسل والكتب والوحي بل كان من في السماوات والارض ممتحن بذلك والله يتنزل الامر بينهن يعني التكوين ووجه ذلك انه لا يخلو مكان في السماوات والارض في كل وقت عن مكون يكون تعالى او محدث يحدثه ويدل عليه قوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيجوز ان يكون المراد بالامر في الاية الامر من التكوين ومعناه ما وصفنا والله اعلم قوله تعالى لتعلموا ان الله على كل شيء قدير لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السماء والارض وما جرى فيهما من التدبير بينهما ان من بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية لا يعجزه

عما اراده

عما اراده او يدل هذا التدبير انه خرج عن عالم لا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير يحتمل وجهين احدهما ان الله خالق فعل كل فاعل خلافيه ووجه ذلك ان الله تعالى ذكر انه علمهم خلق السماوات والارض بقوله الله الذي خلق سبع سماوات فلما قال لتعلموا ان الله على كل شيء قدير لم يكن بد من ان يكون هذا في غير خلق السماوات والارضين فثبت ان فيه دلالة قدرته على خلق فعل كل مخلوق ولانه لما بلغ دقته وتدبيره في السماوات والارضين مع عظم امرهما وشانهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما فلان يبلغ قدرته وتدبيره فيما يقع فيه تدبير البشر وهو افعالهم اولى المستغنات ووجه آخر انه يقول لتعلموا ان الله على كل شيء قدير عما وعد او وعيدا وعلى كل شيء من انواع العبادة وعلى قول المعتزلة ان الله تعالى لا يقدر على فعل بعوضة فما فوقها ولا يقدر على اصلاح احد من خلقه وان انفذ جميع خزائنه وانه من صلح فانما يصلح بنفسه ومن فسد فانما يفسد بنفسه وهذا خلاف ما وصف الله به نفسه من انه على كل شيء قدير قوله تعالى ان الله قد احاط بكل شيء علما يعني انه لا يشذ عن شيء ولا يخفى عليه من الفعل والامر [illegible]

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك هذا ظاهر في الظاهر فيطمع بان يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله لم يمن قال بانه حرم ما احل الله فقد قال قولا منكرا ولو اعتقد ذلك لكان كفرا منه لان من حرم ما احل الله كان كافرا ومن كان اعتقاد في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كافر وقال ابو بكر الاصم دلت هذه الآية على ان ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله تعالى منع رسوله عن ذلك لان الامر عندنا ان النبي ما ظنه ابو بكر [illegible] الا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم شيئا لما احل الله عليه ومن توهم هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر وقائله عندنا والله اعلم على وجهين احدهما ان تحريم ما احل الله تعالى ان يعتقد تحريم الحلال وتحليل الحرام فما حرم الله تعالى مطلقا فمن اعتقد ذلك حراما حكم عليه بالكفر ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما احل الله لانه لو رجع عما اعتقد محرما بل المنع عن الانتفاع بها باليمين والحرمة التي ثبتت بسبب اليمين لم تكن من فعل وان ثبت عند مباشرة السبب منه كالتحريم بالطلاق وغيره من الاسباب وانما يثبت من الله تعالى عقيب مباشرة الاسباب من العباد وسائر الاحكام كيف وانه باليمين لا يثبت حرمة نفس الفعل وانما الحرمة ترك تعظيم فيه الواجب بسبب اليمين وهذا لا يعد تحريم حلال وتحليل حرام او يقال ان التحريم منع النفس عن ذلك مع اعتقاده بكونه حلالا الا ان يكون قصد به قصد تحريم عينه وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لعرض [illegible] ذلك وهو كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ولم يرد به تحريم عينه ولا التحريم الشرعي لان الصبي ليس من اهله وانما اريد به امتناعه من الارتضاع الا من ثدي امه فكذا هاهنا والله اعلم والثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوا الى حسن العشرة مع ازواجه وعلى الشفقة عليهن والرحمة بهن حتى بلغ في حسن الصحبة والعشرة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما احل الله له وابيح له التلذذ به تبتغي به حسن عشرتهن وطلب به مرضاتهن فقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك اي لا يبلغن بك الشفقة عليهن وحسن العشرة معهن مبلغا تمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك فيخرج هذا مخرج التخفيف للمؤنة على رسوله صلى الله عليه وسلم وحسن العشرة معهن لا مخرج النهي والعتاب عن الزلة وهو كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات رسول الله كان بلغ من شفقته على اولئك الذين [illegible] بايمانهم مبلغا كانت نفسه تهلك فيها كما ذكر في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات تخفيفا عليه ولذلك قال ولا تبسطها كل البسط [illegible] على الحقيقة [illegible] على النهاية لكي تخفيف الامر عليه انه ليس عليك الاسراف في [illegible] النهاية فذلك [illegible] وعيالك شيئا [illegible] لم تحرم ما احل الله لك خارج مخرج التخفيف للمؤنة عليه وحسن العشرة لا مخرج النهي والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في سبب التحريم فمنهم من ذكر ان حفصة زارت اهلها والنبي عليه السلام في بيت حفصة فجاءت ام ابراهيم مارية القبطية حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فجاءت حفصة [illegible] البيت [illegible] الليلة [illegible] وقالت حفصة في هذا الخبر [illegible] فقال لها النبي عليه السلام اكتمي علي وهي علي حرام فنزلت هذه الآية وقال عكرمة نزلت الآية في امرأة يقال لها ام شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فطلب رضا ازواجه فنزلت الآية ومنهم من يذكر ان ذلك اليوم كان يوم عائشة فاطلعت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاريته مارية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكتم عليه فاخبرت حفصة عائشة [illegible] عائشة فلم تزل بنبي الله حتى حرمها فانزل الله تعالى هذه الآية ومنهم من قال ان الذي حرم النبي صلى الله عليه وسلم كان عسلا فان رسول الله شربه عند بعض نسائه فقالت امرأة من نسائه لصاحبتها اذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقولي له

ما يبتغي العافية منك فقالت النبي تحرمها النبي عليه السلام فنزلت هذه الآية وليس لنا الى ان نعرف السبب الذي وقع التحريم به ولا الى
تعيين الشيء المحرم النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ولكنا نعلم ان الامر الذي كان فيه حرجا بينه وبين زوجاته
والله غفور رحيم اي غفور لما تقدم من ذنبك وما تأخر لو كان ان يكون رحيم حيث لم يعاقب بما اجترات على الاقدام
على اليمين لا باذن سبق من الله تعالى الينا وهو غفور رحيم
ما خفف عليك من مؤونة العشرة ولم يحمل عليك ما احللت على نفسك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فمنهم من
يحمل هذا على ابتداء الخطاب ويعرف ان ذلك الجرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تقدم
غفر له ذنوبه بالحكم وعند الله تعالى فلم يكن يحتاج الى التكفير لازالة المأثم ولكن نقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كان هذا محله فهو ممتثل احكام الشرائع مؤاخذ به ويكون على هذا مغفرة ذلك انه ما تقدم وما تأخر مباشرة اسباب
من التوبة والكفارة ونحو ذلك فيكون قوله وقد فرض الله لكم تحلة ايمانكم منصرفا الى النبي عليه السلام وامته ثم يجوز ان يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد الى التحريم يعني منع نفسه من الانتفاع بها مع اعتقاد الحل لا الى اليمين فجعل الله تعالى
ذلك منه يمينا فيكون حينئذ لا الذي قول ان التحريم يمين ولهذا قال اصحابنا اذا قال لامرأته انت علي حرام ولا نية له فهو يمين
وجائز ان يكون ما فعل بالحلف فيكون هذا اليمين ثم قوله قد فرض الله تحلة ايمانكم على العبارة الظاهرة وفي بعض الروايات قد فرض
الله لكم كفارة ايمانكم ووجه الفرض فيه ان الامر من قبل لم يكن به يؤذن في الحنث في اليمين ولا ان يحلو منهما الا الكفارة
الا ترى الى قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث علم بان لم يبح له الحنث وابيح له الضرب ثم ابيح لهذه الامة حل اليمين
بالحنث والكفارة فتسهل الحل الى الكفارة وحرم ان يعدل الى ما يسقطه من وجوه الحنث ثم قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي
وسع عليكم واحل لكم تحلة اليمين فمن هذا ان كل ما ذكر فيه كتب لكم او فرض لكم فهو في موضع الاباحة والتوسيع وما ذكر
فيه عليكم فهو على الايجاب والالزام قال الله تعالى كتب عليكم الصيام وقال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت وذلك
كلها في موضع الوجوب وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم معناه اباح لكم الدخول فيها
والله مولاكم اي وليكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها اي والله مولاكم الحافظ لكم في نصركم والرفع
عنكم وهو العليم الحكيم بمصالحكم او بمعادكم او بما تسرون وما تعلنون فيما كان ويكون الحكيم هو الذي
لا يلحقه الخطأ في التدبير او محكم بما حكم عليكم من تحلة الايمان والله اعلم ثم قوله العليم لزم المراقبة والمحافظة
ودعا الى التصحيح والتيقظ في كل ما يتعاطاه المرء من الافعال وفي قوله الحكيم دعا الى التسليم لحكم الله تعالى الحكم
لا يحكم على احد الا بما فيه حكمة وفائدة يلزمه تسليم التصحيح بحكمه على وجه الحكمة فيه وجهل غير الاحكام بعد هذا
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيح له نكاح التسع وامر بان يحسن صحبتهن والمرء يعسر عليه صحبة الاربع بحسن العشرة
وتعديل القسم في العبارة وبرضاهن جميعا فكيف اذا امتحن بصحبة التسع فكانت المحنة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امر النساء اعسر منه على غيره وامر مع هذا معاملة الخلق مع اختلاف هممهم واطوارهم واحسن الحال
وكان الله تعالى لما امتحنه ما ذكرنا اياه من الاخلاق الحميدة والشمائل الرضية ما خصه بها من هذه المحبة وسهل
المعاملة مع الجملة وآتاه من القوة ما ملك بها حفظ حقوقهن وارضاهن حتى يبلغ حسن العشرة واتباع
المرضاة ملقوت عليه وبلغ من جهده في الاسلام انه تحيل عنه ولو لم يبلغ في التفرقة والرحمة على الامة الى ان
كان لا يذهب نفسه عليهم حسرات وقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وكان من عظم خلقه ما جاوز خلقه قوة نفسه فكانت
نفسه تهلك عليهم في قيامه صلى الله عليه وسلم بما يوفي حقوق التسع ويرضيهن ولا له نبوته وقد سلم لا
انما يقوون على الجماع بما يصيبون من فضل الاطعمة والاغذية ثم هم مع اصابتهم فضول الاطعمة والاشياء
اللذيذة يعجزون عن ايفاء حقوق الاربع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر الزهد في الدنيا وقلة التبسط
في مطاعمها ومشاربها وكان مع ذلك يوفي حقوقهن فنعلم بهذا انه وصل الى ما ذكرنا بما قواه الله تعالى عليه واقدره
لا بالحيل والاسباب ثم ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امتحن بالقيام بحق رسول الله ان ينظرن
اليه بعين التبجيل والتعظيم فكانت المحنة عليهن اشد من المحنة على غيرهن من النساء مع ازواجهن لان المرأة قد
ترفع صوتها على صوت زوجها اذا لم يكن امرأة سواها فكيف اذا كانت معها اخرى ثم هن لو رفعن اصواتهن على صوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب ذلك احباط عملهن على ما قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان
تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فلا يجوز ان يمتحن بهذه الكلفة الشديدة والمحنة العظيمة الا من شرح الله تعالى
صدورهن وفسح قلوبهن لاحتمال ذلك ثم المحنة علينا بعد هذا اشد من المحنتين اللتين ذكرناهما لانا امتحنا
بما تضمنته هذه الآية والاعتقاد لذلك وهي قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فالذي علينا من المحنة تنزيه
الامر الجاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسلم من المؤاخذة تحاشيا ان نصرف الذكر الى تحقيق التبعة
على رسول الله فيكون الآية في موضع تعنيفه لانه عليه السلام في موضع النهي في الظاهر وجائز ان يكون السائل

مارية اذ كانت قصة التحريم من اجلها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذن باستيلاد مارية فلم يندب
الى تزويجها ليتصل الى قضاء شهوتها من قبل الازواج فانما تتوصل الى قضاء شهوتها برسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم هو بتحريمها على نفسه لم يمنع منها الحق اذ الامة لا حظ لها في القسم فيلحقه العتاب من هذه الجهة ولكن لما كان
فيه قطع رجائها ويئسها لم يقطع طمعها قيل لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمنع نفسك من قضاء شهوتها اذ ما يحصل
لها فيكون العتاب دعا الى العمل باحد وجهين احدهما وهو ان يوصلها الى ما طمعت منه وان لم يكن لها فيه
حق والله اعلم والمحنة الثانية علينا ان لا ننسب الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكره انفسنا نسبته
مثله الى الامهات لكن لازواجه علينا حق الامهات فان امكنا ان نخرج من امرهن وجها سلم عن نقصهن جعلنا
والا امسكنا عن ذكرهن خشية النقص وترك التبجيل والتعظيم الا ترى الى قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات بانفسهم خيرا وهذا الواجب على كل مؤمن ان لا يظن بازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهن الا خيرا وان لا ينظر اليهن الا بعين التعظيم وقال ايضا سبحانك هذا بهتان عظيم فاذا كان هذا احق من
الا يجب ان تذكر ولهن كانت كيت وكيت لما يتوهم انه يكون فيه لهن دون التخطي على بالنافين بعد تعظيمنا
ويرى هينا وهو عند الله عظيم كما قال لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم و
لقائل ان يقول لم قال تعالى هذا بهتان عظيم من اي وجه صار بهتانا عظيما وشان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكن مخصوصا بل كان من الصنيع الذي يشبه ان يفعل بالحمل الذين اذا ابتلين به لستر اجمعين اطلع
الله ذلك النبيه صلى الله عليه وسلم الا تراه لحفاظهن لما افشت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاخرى اطلع الله نبيه على ذلك فاذا كان لا يستر عليهن هذا القدر من الزلة فكيف يستر عليهن فعل الزنا لو
منهن وقد وجد بعض … الى ما كان تسبق احدا من النساء رسوله عليه السلام قبل ان يجري
بالغار على السن الخلق فاذا الرسول يجد لذلك المعنى براءة ساحتهن كما يجب وصار الرمي لهن تأكيد
بالبهتان والنذر في هذه الآية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا باذن سبق من
الله تعالى اذ لو كان الاذن سابقا لما عوتب عليه لما ذكرنا انه لم يعاتب لئلا ان تكبها حتى يكون ننهيه عن العمل لا
وانما عوتب لكان ما حمل على نفسه من فضل المؤنة في العشرة ثم الاصل ان الامة لا حظ لها في القسم وليس لهن
من الايام ما يكون مثله في الحرائر حتى كان نفسها لها شقوق في حقها وقد اذن لرسول الله ان لم يوفها وان لا يزوجها
ذلك كيف ان لا يقوم بتبني وبعصامها حتى لا يمكن سهوتها … بما يتصل الى قضاء وطرها وتسكين شهوتها
في يوم ذلك اليوم تتحجر من نغماتها فهابت ان يكون لله تعالى اكثر ان يسكن شهوتها وثائرتها من حيث لا تعلمه
ازواجه بذلك ثم اطلع بعض نسائه على فعله ليعلمن ان المحنة عليهن بحيث العلم وقبل العلم واحد … ان
عليهن ان يعظمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يحملهن الغيرة على الاستقبال له بالمكروه والنظر
اليه بالتنقص اذ لم يكن عليهن مما اتى في تلك الامة تاركا بامر تقصير في حقهن اذ كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعطي من القوة في الجماع ما انطوى على جميع نسائه في ليلة واحدة واما ما ذكر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان كف نفسه عن شرب العسل فذلك يحتمل ايضا وكل ما ذكر من تحريم مارية لم يكرهها لا يحتمل
ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة ما يدخل على نسائه المكروه لاجله وجائز
ان يلحقهن في استماعه بامته مكروه فحلف في ذلك على ما ذكر فقد صغت قلوبكما واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به … كل قوله فلما نبأت به طلب منها اسر ذلك الحديث الذي اسر
اليها وليس بنا حاجة الى ان نعرف الحديث الذي اسر اليها وغير دلالة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر فلم
تف بما امرها الى صاحبتها ما اخبرها وهو قوله واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فمن قرأه
عرف بالتخفيف فالتشديد يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفها بعض ما ابانت من القصة التي اسر
اليها ولم يعرفها البعض لانه لم يكن القصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرها بذلك الكتاب الذي
وانما كان المقصود منه تنبيهها بما اظهرت من السر فانتهت لصاحبتها الى التحرز الى المعاودة الى مثله وللبعض
من ذلك يعلمها ما يعلم الكل فلم يكن الى اظهار الكل حاجة وذكر في بعض الاخبار ان رسول الله قال لها الم
اقل لك اكتمي عليه ففي هذه الآية رسالة النبي وعتبهن في افشاء السر فانما مثله ابنا الرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفعلن ذلك اطلعه الله ليليه ذلك فيعلم ما يسرون وقد قرئ عرف بالتخفيف فمعناه على الجزاء فمعنا عرف بعضه
له جوز عن بعض اي استحيته ما افشاه السر واعرض عن بعض الجزاء يقول الرجل لاخر عرف حقي عرفت لك حقه
فيما عرفت حقك فانا اقوم بجزاء ذلك وذكر في الاخبار انه رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة ثم
نزل جبريل ثم فقال له راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجك في الجنة فيا نرى ان يكون طلاقها لاجل البعض

صنيعها ثم من الناس من يختار احدا لقراءتين على الاخرى فيقرأ احدهما ويرغب عن الاخرى وذلك مما لا يحل لان الآية
جميعا قد وجبعها من الجزء فالتعريف جمع الله الامرين جميعا في آية واحدة ففصل بين الامرين الاعراب فليس لاحد ان
يوثر احدى القراءتين على الاخرى كما قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض وقد علم موسى عليه السلام وعلم فرعون اللعين جحده كان الامران جميعا فجمع الله بين الامرين جميعا
في آية واحدة فلا يحل لاحد ان يقرأ باحداهما ويجحد الاخرى ويمتنع عن الاخر فكذلك هذا في قوله ربنا باعد بين اسفارنا
وربنا بعّد بين اسفارنا في قوله باعد بين اسفارنا حمله على الدعاء ومن قرأ بعّد حمله على الاخبار فقد كان
الامران جميعا الدعاء والاخبار فليس لاحد ان يوثر احدهما على الاخر في ذلك الحكم فتم عرف بعضه
من بعض والله اعلم وقد صنفنا تاويل الكلم الجنس فيما يجوز لاية الى المراقبة والسقط
ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما * ان الحديث الذي افشى كان بين زوجتين لان قوله ان تتوبا الى الله
فقد صغت قلوبكما يدل على ذلك فان كان النبي صلى الله عليه وسلم اسر الى احدهما ومنعها ان تفشي الى الاخرى
فافشت لكنا لا نعلم ان ذلك الحديث كان ماذا لكنه كان منهما ما يجوز ان يحتاجان ويرجعان الى التوبة لقوله
ان تتوبا الى الله وان يخفى ذلك علينا ثم اعرضنا ان الله تعالى جعل العفو بتهديد تاديبهن اشد من العفو عن
عنهن لقوله من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فيجوز ان يسد بكلام التوبة باب ذنبه له
حقها التجاوز عن جزائهن ثم قوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ويوقف عليه ثم يبتدأ بقوله وان تظاهرا عليه
ويجاز ان يكون تحقيق الاثبات فلذلك يكون حرف ان زيادة فيكون معناه ان تتوبا الى الله فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المومنين فيكون الجزاء فيه مضمرا فيجاز ان يكون نحو امهات ان تطلقهن كما قال ان تتوبا الى الله والا
طلقكن فيكون نحو هذا ان تجنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهن حتى اشتد عليهن الطلاق ويجمع الله
مخرج العقوبة لهن على صنيعهن والله اعلم وقوله فقد صغت قلوبكما اي مالت عن الحق الذي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عليكما وحق الرسول عليه السلام حق عظيم يردونه العتاب اذ في تقصير ... وان تظاهرا عليه
هذا في الظاهر معاتبة فينبغي ان يذكر على المخاطبة فيقال وان تظاهرا عليه كما قال ان تتوبا الى الله فيجوز
ان يكون فيه قوله ان تتوبا الى الله تائبا ورجعا على ارادة المعاتبة كان اللفظ المخاطبة ولكن
الصحيح انه قوله وان تظاهرا عليه على المخاطبة معناه وان تظاهرا عليه والله اعلم وقوله فان الله هو مولاه وجبريل
ان يقف عليه ثم يقول جبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير حتى لا يتوهم ان خبر الله ... مولاه ثم
هذا اللازم في النهي بل هو للازواج من هؤلاء المذكورين ... لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
اذا وجد منهن الخلاف لقوله يضاعف لها العذاب ضعفين والاصل ان المبالغة في حد العقوبة ...
في تاديب النفس حتى يملك حفظ نفسه تمام ... الى نفسه وقوله وصالح المومنين قيل صالح المومنين ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق حفصة دخل عليها عمر رض فقال لها لو علم
الله في ال عمر خيرا لما طلقك رسول الله فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يامره ان يراجعها وذكر
انها صوامة قوامة فيجوز ان يكون حفصة رض تصوم النهار وتقوم الليل من غير ان يعلم بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلعه جبريل عليه السلام على ذلك وروي عن ابي امامة الباهلي رض ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان صالح المومنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل هم الانبياء والرسل عليهم السلام وذكر عن الحسن
انه قال صالح المومنين من لم يسر نفاقا ولا اظهر فسقا ثم خص الصالحين منهم ... المومنين ...
لانه لو ذكر المومنين على الاجمال لدخلت فيه الزوجتان اللتان تظاهرتا لانها اصغا القلب ... يخرجهما عن ان يكونا
من جملة المومنين ولا يذكر هنا في موضع المعونة فامر الذين هم صالح المومنين هم الذين يعرفون بالمعونة ... قوله
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن * فعلى قول المعتزلة لا يملك ان يبدله خيرا منهن اذ لا يقدر
على ان يجعل لهن احدا خيرا على قولهم لا يملك ان يبدله ازواجا لانه لا يقدر على زعمهم ان يجعل احدا
من النسوان زوجة لاحد من الرجال لما السنة والاختيار الى المتزوج والمتزوجة والفعل منهما وعلى قولنا
يملك ان يجعل الخير لمن يشاء فيما شاء وله ان يجعل من النسوان زوجات لمن يشاء من الرجال ففي هذه الاية تشهد بصحة
مقالتنا وترد على المعتزلة قولهم لانه جعل الابدال الى نفسه بقوله يبدله وعلى قولهم لا يملك ذلك ثم في هذه
الاية اباحة الابدال واباحة الطلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله لا يحل لك النساء من بعد
نهي عن ذلك وحظر الابدال فيجوز ان يكون قوله لا يحل لك النساء من بعد مقدما وقوله عسى ربه ان طلقكن
ما تقدم منسوخا بهذه الاية والذي يدل على صحة هذا ما روي عن عائشة رض انها قالت ما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الدنيا حتى احلت له النساء فيثبت ان الحظر كان متقدما ثم وردت الاباحة من بعد فيحل الابتياع

على التناسخ ليرتفع التناقض من بينهما ويجاز ان يكون حظر عليه الابدال اذا قصد الابدال بما اعجبه من الحسن
كما قال ولو اعجبك حسنهن الاية فاذا كان قصده من الطلاق الابدال كان ذلك محظورا عليه واذا لم يقصد بالطلاق
قصد الابدال ولكن قصد به قصد المجانبة لخلاف الذي ظهر منه نحو له بالطلاق ثم قوله عسى ربه ان طلقكن
قصد الابدال واذا كان كذلك سلمت الآيتان عن التناقض وذكر عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه سئل اكان
يحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابدال امراة فقال بل لا يسئل عن قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال ان ذلك
من نكاح فقال هذا انصرف ما عنهن من وراء المسميات وهو كقوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك الى قوله وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي فذكر بنات العم وبنات الخال والاجنبيات وحظر عليه من
سواهن من المحارم فيكون فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان حظر عليه تزوج محارمه من ذوي الرحم
كما حظر على غيره اذ هو موضع الاشكال انه لما احل له زيادة على الاربع يحل له ذوات الارحام من المحارم فازال
الاشكال به وقوله خيرا منكن * فيجوز ان يكون خيرا منهن للرسول عليه السلام لا يكن خيرا من انفسهن
لانه قال مسلمات مومنات قانتات تائبات وقد كانت ازواجه على هذا الوجه مسلمات مومنات قانتات
الا انهن ما دمن ... فيهن قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع حفصة فانها قوامة صوامة والذي
يدل على هذا ايضا قوله في اخر هذه الاية ثيبات وابكارا وقد وجدت هاتان الصفتان في ازواجه فثبت
ان معناه ما ذكرنا ويجاز ان يكون خيرا منهن ايضا في انفسهن من حيث الجمال والنسب ونحو ذلك ويكن
خيرا منهن لما يتركن بالخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يظاهرن عليه ويكن هؤلاء دون هؤلاء
الذين من الخلاف ... على التظاهر فاما اذا امسكن على الخلاف فهذا على ما سبق من الخلاف فهن ...
بمحل واحد وقوله مسلمات مومنات لا نريد ان كل مسلم مومن في التحصيل لان معنى الايمان والاسلام واحد
وهو ان يجعل الاشياء كلها لله خالصة مسلمة لا يشرك فيها غيره والايمان التصديق وهو ان يصدق ان الله
رب كل شيء واذا صدقه انه رب كل شيء فقد جعلت كلها سالمة له ويصدق كل ما شهد له بالربوبية يجد
هذه فتثبت ان كل واحد منهما يقتضي ما يقتضيه الاخر من المعنى فاذا ذكر احدهما بالانفراد في ذكره ذكر الاخر
واذا جمع في الذكر فصرف هذا الى وجه وذلك الى وجه وهذا كما ذكرنا في التقوى انه يقتضي معنى الاحسان
اذا ذكر مفردا لان التقوى هو ان يتقي من المهالك والاتقاء عن المهالك يقع باكتساب المحاسن واذا ذكر
معا صرف التقوى الى اتقاء الكفر والاحسان الى فعل الخيرات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يؤمن من لم يامن جاره بوائقه وقال المسلم من سلم الناس من لسانه ويده فصرف هذا الى وجه وهذا الى وجه
وهما في التحصيل واحد لانهم اذا امنوا بوائقه فقد سلموا من يده ولسانه وقوله تعالى قانتات قيل مطيعات
وقيل القائمات بالليل للصلاة وهذا اشبه لانه ذكر السائحات بعد هذا والسائحات الصائمات
ذكر الصيام بالنهار فيكون تاويل القانتات راجعا الى القيام بالليل فيكون تعاهد الليل والنهار
بالعبادة وكذلك قال جبريل عليه السلام في وصف حفصة رض انها صوامة قوامة صوامة بالنهار قوامة بالليل
وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الاعمال فقال طول القنوت وهو القيام بالليل
وقوله تائبات هذا اللائي لا يصررن على الذنب بل يفزعن الى الله تعالى بالتوبة والتضرع اذا ابتلين
بالخطيئة وقوله عابدات ذكر ابو بكر ان العابد لا يسمى متطوعا فاذا كان هذا فقد ... باداء الفرائض
ويشتمل على جميع ذلك وعن ابن عباس انه قال كل عبادة في القرآن فهي توحيد فالعابدات الموحدات والموحد
هو الذي يصف الله تعالى بانه خالق الخلق كله وواحد لا شريك له فجائز ان يكون العابد موحدا لانه يجعل لله
خالصا لا يشرك في عبادة الله تعالى احدا فيكون فيها معنى التوحيد لكن من جهة الفعل فيكون احد
التوحيدين بالقول والثاني بالمعاملة والفعل وقيل العابد هو الذي يؤدي الفرائض وقوله
سائحات هو الذي يسيح في الارض فيعتبر ... الصائم سائحا لما كف نفسه عن الشهوات ...
قوله سائحات اي صائمات وقوله ثيبات وابكارا لم يرد بهذا انه ينشي سوى ابكار وثيبات ولكن
معناه انه يبدله من كن بهذا الوصف ثم جمع من الثيبات والابكار لان الثيبات مما يقدر عنه الخلق
منهن وتنفر عنهن الطبع فجمع بينهما في موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لانه لا تنفر
كل الرغبة الى الابكار بل ترغب الى الثيبات كما ترغب الى الابكار والله اعلم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
قوا انفسكم واهليكم نارا * يحتمل ان يكون معناه قوا انفسكم فيما يدعو انفسكم اليه لان النفس امارة
بالسوء وتدعوهم اليه كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ...
ان يكون قوله قوا انفسكم اي قوها عن طريق الله اذا سلكتموه افضاكم الى النار وقوا اهليكم ...

الطريق وذلك يكون بالعمل لان العمل على ضربين عمل يفضي بصاحبه الى الجنة وعمل يفضي بصاحبه الى النار فكون
التقوى في هذا الوجه راجع الى الاعمال وفي الوجه الاول الى الانفس ويحتمل قوا انفسكم باكتساب الاسباب
التي هي اسباب النجاة من التعذيب والهلاك واهليكم فانكم تعلمونهم الاسباب التي هي اسباب الخلاص من النار وقد
يجاهد تاويله قوا انفسكم ولتقوا اهلوكم النار فيهم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار قال ابو الحسن التضرع اليه والفزع لديه ليكون بفضله نوقينا النار ثم اعلم انها لا يصل
بقوى انفسنا وحيلنا قوله تعالى وقودها الناس والحجارة نبها على المعنى في وصف شدة النار ولحرارة
شدتها ينتهي الى هذا فان نصيب الناس وقودا وكذلك الحجارة والناس لا ينفذان في النار لان النار اذا نفذت
في الانسان نحرقته ولم يسعه فلا يصير وقودا وكذلك اذا اصابت الحجارة ربضتها ولا تبينها فيكون فيه تبيين
شدتها بالاعتاد الحجة وجائز ان يكون اريد بالحجارة التي يعبدونها اصنامهم يعبدونها من دون الله تعالى
يعينونها لتنصرهم وتدفع عنهم العذاب كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون وقال واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اي يصيرون عذابا عليهم ما
رجوا ان يكون سببا لخلاصهم فصارت عليهم ضدا قوله تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد قيل انما يكونون
وصفهم انهم خلقوا غلاظا شدادا وجائز ان يكونوا اشداء على الكفار كما قال الله تعالى رحماء على اوليائه
الا ترى الى قوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون فبين ان اشتدادهم لمكان الامر وهو كقوله تعالى والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة على الكفرة وبالرحمة على المؤمنين فجائز ان يكون الملائكة كذلك
في الاخرة وفي هذا دلالة ان الملائكة امتحنوا بالامر والنهي في الاخرة لان ملائكة الرحمة امتحنوا بايصال
التحف والكرامات الى اهل الجنة وملائكة اهل النار امتحنوا بتعذيب اهل النار بالغلاظة عليهم والشدة
واذا امر كل واحد من الفريقين بما ذكرنا فعند ذلك قال ابو بكر الاصم في قوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وفي قوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الزام الوعيد باهل الصلوة لانهم امروا
بالاتقاء من النار بالرجوع الى التوبة لتكفير سيئاتهم ولو لم يكن الوعيد لازما عليهم لم يكونوا مخاطبين
الى الاتقاء وهذا منه ومن حمله اهل الاعتزال لتحريف الكلام عن مواضعه لان الله تعالى ذكر هذا الوعيد
في اهل الايمان بقوله يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا ولم يذكر الله اهل الصلوة ولا الحق بهم الوعيد حتم يقطعون بالوعيد على الحق الله تعالى بهم الوعيد
وهم الموحدون ويلزمونه على من لم يجر ذكره في القرآن من اهل الصلوة ولا الحق به الوعيد فهذا تحريف الكتاب
وقلب لقصته ولا نص ادمن اهل الصلوة بايمانه اذ لو كان ايمانه لكان تعلق الحقوق باهل الايمان فلم يسو بينهما
وبينهم لانه سوى الحلق والايمان معنى لقلبه عن اهل الايمان الحاقه باهل الصلوة واهل الصلاة هم اهل الايمان
ثم الوعيد عن قولهم انما يلزم اهل الايمان في وقت خروجهم من الايمان ويحتمل ان لحق الوعيد المذكور في اهل
الايمان يجوز ان يلحقهم في حال ايمانهم ويعذبهم الله تعالى باجرامهم ويحتمل ان لا يقع لهم الوعيد اذ خرجوا من الايمان
وهم يقطعون الوعيد من احد الوجهين فيحملونه على الوجه الاخر حتى يلزمهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان
فلم يبق الوعيد حين لم يخرج بقدمي ايمانه حين بالحق اشد استعماله لا لما يقتضيه ظاهر الايات منهم فضلا العموم
حجة عليهم لا لهم والله اعلم وقوله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ليس في هذا نفي قبول العذر
لو كان لهم عذر لكن يخبر ان اعتذارهم هو للندم عما كان منهم والانابة الى الله تعالى والتوبة اليه وليس ذلك وقت
لها وقت خروج التوبة لان وقت خروج ملك انفسهم عن انفسهم فلا يقبل في ذلك الوقت ايمان ولا اعمال وقوله
انما تجزون ما كنتم تعملون اي جزاء كم السوء هو الذي الزمكم العذاب في الحكمة فيجزيهم بعملهم واستحقاقهم
يرجع الينا او بما حملتم من اوزار الغير ولكن بما كان كسبكم الذي في الحكمة التعذيب عليها وفي هذه الاية دلالة
نفي العذاب عن اطفال المشركين لانه لم يوجد منهم عمل فيجزون بعملهم ولا يجوز ان يعذبوا بعمل ابائهم لانه
اخبر ان كلا يجزى بعمله لا بعمل غيره والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ففي هذه الاية
الزام التوبة على بقاء اسم الايمان لانه الزمهم التوبة بعد ان سماهم مؤمنين واخبر انه يكفر عنهم سيئاتهم
بالتوبة ومن مذهب المعتزلة ان الصغائر مكفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكبائر ولا يحتاجون الى التوبة
واذا كان كذلك فالاية في الكبائر عندهم والكبائر يخرج اهلها على قولهم من الايمان والله تعالى قد ابقى لهم اسم
الايمان فثبت ان قولهم الاثم تعدى الى نقض القرآن وان زعموا ان الاية في الصغائر ففيه دلالة على ان الله
يعذب على الصغائر اذ لو كانت مغفورة لما جعلت لهم الحاجة الى التوبة وطلب المغفرة وقال الاصم في قوله
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون فاما ان يكون امروا بالتوبة عن الصغائر ففيه دلالة

انما

انها ليست بمغفورة اذ احتاجوا من التوبة عن الصغائر وهي الكبائر فيكون فيه دلالة بقائهم على الايمان
وكذلك قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولو كان استغفاره هذا من الصغائر ففيه دلالة
انها غير مغفورة بحاجته الى طلب المغفرة لكان يسئل له المغفرة مخرج مخرج الاستهزاء بقوله ربنا ... لانه
يطلب منه ما لا يملك وذا التشابه هزوا واستخفاف بالمسئول وان كان في الكبائر ففيه دلالة بقائهم
وبقائهم على الايمان لانه قال للمؤمنين والمؤمنات ثم قال توبة نصوحا قرئ بنصب النون وضمها فالنصح يخرج
مخرج المصدر والنصوح بالفتح يخرج مخرج النعت للتوبة والفعول من الافعال يخرج على المبالغة فالامر وكانه
يقول توبوا توبة بالغة في نصحها بالمبالغة في النصح ان يكون صادقا في توبته وعلامة الصدق ان يكون نادما على
ما فعل عازما ان لا يرجع ليترك ان يتعلق بشيء مما كان فيه من المعاصي وان يستغفر بلسانه ويستعمل الجهد
في الندم والاقلاع عما استعمل من جوارحه في التلذذ بالمآثم فذلك هو المبالغة في النصح قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم بالتوبة وفي هذا ما ان من السيئات سيئات لا تكفر الا بالتوبة ومنها ما تكفر باجتناب الكبائر
بقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم لا ان تكفر كلها بالاجتناب عن الكبائر كما زعمت
المعتزلة قوله تعالى ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقد مر بيان هذا قوله تعالى يوم لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا معه نورهم قال المعتزلة تعلق بهذه الاية ومن قال بان الله تعالى اخبر انه لا يخزي النبي
والمؤمنين والاخزاء يقع بالعذاب فقد وعد ان لا يعذب الذين امنوا ولو كان اصحاب الكبائر مؤمنين يخاف
عليهم العذاب اذ قد وعد ان لا يخزي المؤمنين من قولهم ثم يحق عليهم العقاب فثبت انهم ليسوا بمؤمنين ولكن
نقول بان هذا التسليك يلزمهم من الرحمة الذي ولدوا الرحمة منهم لان في الاية وعدا بان لا يخزي الذين
وهم معترفون بان اهل الكبائر ممن قد امنوا ولكنهم بعد ارتكابهم الكبائر ليسوا بمؤمنين والاية تنطق بنفي الخزي
عن المؤمنين لانه لم يقل يوم لا يخزي الله النبي والمؤمنين والذين امنوا وهم يقطعون القول بان من قد امن فصار
هم المخصوصين بهذه الاية ثم خص هذه الاية عندنا انه لا يقتصر على قول النبي انه لا يخزي الله تعالى في اذ يرد شفاعة
وقوله والذين امنوا ابتداء كلام وخبره يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهو كقوله والراسخون في العلم
يقولون آمنا به او لا يخزي الذين آمنوا بعد شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان الاخزاء هو الفضيحة اي
لا يفضحهم يوم القيمة بين يدي الكفار ويجوز ان يعذبهم ولكن لا يفضحهم بين يدي الكفرة والخزي هو الفضيحة
وهتك الستر ولا يفعل ذلك بالمؤمنين بفضله قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي بين
ايديهم اذا مشوا وبايمانهم عند الحساب لانهم يعطون الكتاب بايمانهم ويجعل نورا وحيث يسعى النور بين
ايديهم في موضع وضع الاقدام وبايمانهم يمكن نوره يسعى نوره بين يديهم لان ذلك طريقهم وشمالهم
طريق الكفرة قوله تعالى يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يجوز ان يقولوا هذا عند اطفاء نور المنافقين فيخافوا
انطفاء مثل ذلك النور عنهم فيسالونه او يقولون هذا عند ضعف النور فيسالونه الاتمام والله اعلم قوله تعالى يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين قيل جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باقامة الحدود عليهم
وذلك هو الذي كانوا يرتكبون المآثم التي اوجبت فيها الحدود فعليهم تلك الحدود وكان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم معصومين عن المآثم التي فيها الحدود وقال الباطنية في قوله جاهد الكفار
والمنافقين بالقتال وكانوا مامورين بالقتال مع الفريقين جميعا ولكنه يشتغل بقتال اهل الكفر ولم
يتفرغ لقتال اهل النفاق حتى قاتلهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه حينه او عليا رضي الله عنه يخصف نعله انه خاصف نعله يقاتل على التاويل كما قاتلنا
نحن على التنزيل وقاتل على التاويل فقاتل اهل النفاق فان كان الامر على ما ذكروا ان القتال يوجب
هو الذي تولى قتال اهل النفاق لا علي رض لانه ذكر ان العرب ارتدت بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقاتلهم ابو بكر رض وارتدادهم على انهم لم يكونوا محققين في ايمانهم كذلك لم يرجعوا بل كانوا منافقين
فاما الذين قاتلهم علي رضي الله عنه فلم يكونوا منافقين بل كانوا يرون علي رض الى ان يحكم بكتاب الله
والمنافق هو الذي يظهر في نفسه انه يجل بحكم الله تعالى وهذه العمة التي طرحت في الدين قاتلهم ابو بكر
الذين قاتلهم علي رض ثم جاهد صلى الله عليه وسلم في تقرير الحجة في قلوب الكفرة والمنافقين والزامهم
عليهم وذلك يكون مرة بالزامها باللسان ووجه الزام الحجة بالسيف ما ذكر ان غلبته على الاعداء مع كثرتهم
وشدة شوكتهم وقلة انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم تظهر لهم ظهور آياته وكونه على الحق فيحملهم
ذلك على الايمان به تعالى فاذا كان كذلك فقوله جاهد الكفار والمنافقين في الزام الحجة عليهم من جهة القول
وان كانوا في موضع المحاربة والقتال فجاهدهم في قتالهم وقد كان من المنافقين من قد لحق بالكفرة ودخل

لا يزول قوله جاهد الكفار والمنافقين فتبين من يحق بهم قاتلهم مع الكفرة ومن لم يلحق بهم الزمهم الحجة والله اعلم وقوله
واغلظ عليهم اي شدد عليهم والتشديد بقلبك يحتمل اخلاصهم وترك استكبارهم وقهرهم بين لهم ما هم عليه من العناد
وقوله ومأواهم جهنم وبئس المصير قد تقدم ذكر هذا فقوله يا ايها النبي جاهد الكفار دلالة تفضيل نبينا
صلى الله عليه وسلم على من تقدمه من الانبياء والرسل عليهم السلام لانه ذكر موسى عليه السلام في التوراة باسمه يا موسى ويا نوح
يا عيسى وفي خطابات آدم يا آدم فسمى كل نبي باسمه سوى نبينا فانه ذكره وخاطبه بقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول
وبالنبوة والرسالة استحق الفضيلة فذكره باسم فضيلة وخاطبه به وذكر غيره من الانبياء عليهم السلام باسمائهم
وهو قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فقد
المثل لما كان الكفرة الذين لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال الى حرمة القرابة فكانوا يطمعون منه بالشفاعة
في الآخرة ان كان الامر على ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لهم لانهم عرفوا بالشفقة والرحمة على الخلق حملة كنف
بنوع شفقته ورحمته على قرابته وهو راهم برد ذلك عليهم فبين لهم شأن امرأة نوح وامرأة لوط وما كان
بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام من الاتصال لكيلا يغتروا باتصالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجائز ان يكون ذكرهما
في بقاء الاسلاف في الوقت الذي يعرف الآباء بالاسلام دون الابناء والابناء دون الآباء فيكون المثل لمن ادرك
الدنيا من الزمرة او داموا عليه ولم يتبعوا آباءهم وابناءهم فيقول لا ينفع على الكفر اسلام من اسلم منهم وان كان بينهما
قرب من جهة الاخوة والبنوة لان رحم الانسان وشفقته على زوجته اكثر من شفقته على ما ذكرنا ولذلك الاتصال
فاذا لم ينفعهما اسلام زوجيهما فكذلك لا ينفع اولئك الذين داموا على الكفر اسلام من اسلم من آبائهم او ابنائهم
وجائز ان يكون هذا المثل لمكان اهل النفاق فيما اظهروا من موافقة المؤمنين واسروا الخلاف له انه لا ينفعهم اظهار
في الدين اذا كانوا على خلافه في التحقيق كما لم ينفع زوجتي نوح ولوط عليهما السلام اظهار الموافقة من الزوجية
اذ كانتا على خلافهما في السر والله اعلم قال ابو بكر الاصم في هذه الآية دلالة ان صلاح الصالح لا ينفع الطالح
كما لا ينفع صلاح نوح ولوط عليهما السلام لزوجتيهما الكافرتين كانتا في انفسهما فاسدتين وزاد بهذا نفي الشفاعة
لاهل الكبائر وليس كما ذكر لان هذا المثل ضرب للكافرين لا للعصاة اذ لم يقل ضرب الله مثلا للذين عصوا فليس
لمتعلق في هذه الآية ثم يجب صلاح الصالح في الشاهد ينفع الطالح ولذلك لم ينفع للكافر لان المرء يكون
لزوجة طالحة يمتنع في كثير من الشرور لمكان زوجها اذا كان زوجها من اهل الصلاح من السنة
وكذلك الولد ينفعه صلاح والديه في الدنيا اذ يحسبهما ينتهي عن كثير من المناهي بصلاحهما فقد ينفعه
بصلاح ابويه وينفعها صلاح زوجها فجائز ان ينفع الطالح ايضا في الآخرة صلاح الصالحين واما الكافر فهو
لم يمتنع عن الخلاف لمكان ابويه ولا لمكان ما عليه الخلق فلم ينفعه اسلام ابويه ولا اصلاحهما في الدنيا فكذلك
لا ينفعه في الآخرة والله اعلم وقوله فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
خانتاهما في الدين ومنهم من يذكر ان خيانة امرأة نوح هو ان اخبرت قومه بجنون زوجها وكانت خيانة امرأة
لوط هو ان اخبرت قوم لوط بشأن اضيافه ولكن ان كان هذا صحيحا فهو يرجع الى الاول لان الذي حمل كل واحدة
منهما على الاخبار بما اخبرت قومها لاولئك القوم خلافها لزوجها في الدين ولا يحتمل ان يشهد بهذا الاسم
السوء ان خطأه وذكر بعضهم ان خيانتهما نمامتهما وهذا عندنا لا يحتمل لان الانبياء عليهم السلام عصموا عما
يوجب عليهم العار والشنار والزوج يعير بان زوجته تقترفه وتكسب فيه التهمة في اولادهم فنقول ان هذا
التأويل غير صحيح وحاجتنا الى وجوه الخيانة منهما اذ ليس في التعيين علينا فنشهد بهذا الا بنوع حجة
في يده الجنة قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون وجه ضرب المثل بها هو ان يعلم المؤمنون
تحت ايدي الكفرة انه لا عذر لهم في التخلف عن الايمان بالله تعالى اذ كانت امرأة فرعون مؤمنة تحت يديه
وكانت بين ظهراني الظلمة ولم يمنعها ذلك عن الايمان بالله وعن التصديق بموسى عليه السلام والثاني
انهما لم يسؤهما الكفر بالله تعالى ثم ان الله تعالى بلطفه الهمها الايمان به فآمنت وكانت امرأة نوح عليه السلام تحت
نوح ولم تشاهد منه سوى الطاعة لربه جل جلاله ثم لم ينفعها ايمانه وعبادته لانه لا ينفع ابدا اسلام
احد كفر غيره وانما يصير مؤمنا بفعل نفسه كافرا بفعل نفسه قوله تعالى اذ قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة وهو لم يرد بقولها ابن لي عندك بيتا الوجه الذي عرفت بينا بزوجها وعرفت من
وانما ارادت بقولها ابن لي اي اخلق لي بيتا في الجنة ولذلك لم يفهم احد من قوله فنفخنا فيه من روحنا فهم
في النفخ في الاجساد وانما فهموا به الخلق والانشاء فما بال المشبهة فهموا من قوله تعالى ثم استوى الى السماء
ومن قوله استوى على العرش ما فهموا من الاستواء المضاف الى الخلق لولا ضعف اعتقادهم وجهلهم بصانع
في التحقيق ثم الاصل ان ينظر في الاسماء التي هي اسماء الافعال المشتركة فيما بين الخلق اذا اضيف شيء

الى الله تعالى فيفهم منها ما فهم من الاسماء التي هي اسماء الافعال المحضة [illegible]
من ذلك المعنى والمراد بالاسم المشترك [illegible]
فيفهم بقوله ابن لي عندك بيتا في الجنة اي اخلق لي [illegible]
والذي يبين ان الاسماء المشتركة يجب صرفها الى الاسماء المخصوصة [illegible]
هو الذي يسيركم في البر والبحر [illegible]
[illegible]
ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها [illegible]
[illegible]
فنفخنا فيه من روحنا [illegible]
[illegible]
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين [illegible] والله اعلم

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك
تبارك تعالى وتعاظم وتبارك تفاعل من البركة والبركة كناية عن نفي كل عيب قال الله تعالى تبارك اسم ربك

اي بما لا كدورة فيه ولا قذر بل يعطيهما مطهرين من كل آفة عز شانه قوله تبارك اي تعظم ان يكون له شريك في
وتعالى علم عما قالت فيه الملحدون وعن ان يلحقه المعايب والآفات قوله بيده الملك اي الذي له ملك الملك
لانه قال في موضع آخر قل اللهم مالك الملك فذكر اليد ههنا مكان المالك هنا اتساع ممدح جل جلاله
بملك الملك وكونه مالكا له والمعتزلة يقولون ان الله لم يملك الكفرة لرسوله وانه لا يولي الملك للكافر
ويقولون في قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان اتاه الله الملك اي اتى ابراهيم الملك هو ابراهيم
قلنا السلام والملك فيصرف الله الى الذي حاجه وانهم يجعلون ملك الملك الكافر في يده لم يصر ممدحا
بما ذكرنا لانه يكون في يده بعض الملك لا كله وقال في آية اخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وعلى هذا يقتضي الملك في يد من لا يشاء الملك الكافر ومع ذلك يوجد منهم الملك ثم ما ينبغي لهم ان يقطعوا
القول لما انه تعالى لا يؤتي الملك الكافر بل عليهم ان يقولوا انه لما كان اتاه الملك اصلح لهم اتاهم اياه ولكنه
شق لهم لم يتم اذ من مذهبهم ان الله لا يفعل بعبده الا ما هو اصلح في الدين والدنيا في حقه فهذا جملة
اعتقادهم ثم هم لا يعرفون الوجه الذي صار اصلح في كل شيء على الاشارة اليه لانهم يقولون في ابقاء ابليس
اللعين الى اليوم صلاح وانهم لا يعرفون الوجه الذي لاجله صار اصلح وابقاء الانبياء والرسل ان كان
اصلح فانهم لم يعرفوا الوجه الذي صار اصلح لهم لم يكن الا ان لا يبقيهم ولعله كان يترك مثلته ان لا يبقيهم لئلا
يحملوا الامر على النفي ثم الملك اسم عام وهو عبارة عن نفاذ التدبير والسلطان والولاية والملك هو ان يكون
الملك خاصة في الشيء لا يبتنا ولعمر ذلك الشيء لا يبادئه فيكون مالكا وليس كل مالك يكون ملكا
ليس بالكل واحد من الوجهين تقتضي معنى غير ما تقتضيه الاخر ويحتمل ان يكون في قوله بيده الملك اي ملك
كل ملك من اهل الارض هذه لانه تشارك بنظر الملك وان يعلموا من ملك في دار الدنيا الا في ملكه
والحقيقة لله تعالى قوله تعالى وهو على كل شيء قدير فامتدح نفسه تعالى بانه على كل شيء قدير لان ما يصلح
للربوبية ايضا وقول المعتزلة انه على اكثر الاشياء غير قدير لانهم يجعلون المقدور من الاشياء الاشياء
كانت بانفسها الا بانشاء الله تعالى ويجعلون تخلقهم مما باثبه تعالى فعطلوا اذ كان كذلك جعلوه عز وجل دانيا
على تشبيه الاشياء ولذلك سموا الخلق والقدرة من افعال العباد ومن قولهم ايضا ان اقدار العبد
بيد الله تعالى واذا اقدر عبدا من عبيده على الهدى تخرج القدرة من يده فيصير هذه القدرة مستفادة
لا ذاتية واذا كان كذلك فقد نفوا عنه القدرة عن اكثر الاشياء فلا يصير هو قادرا على كل شيء
وانما هو قادر على البعض تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ابو بكر الاصم الذي خلقكم امواتا نطفة وعلقة ومضغة ثم احياكم
ليبلوكم وقال غيره الذي خلق الموت بعد الحياة ليبلوكم بهما واستدل بقوله انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فمعناه اي الحالة ابتلاكم على وجه الارض وفي
حالة الحياة ثم اخبر بما يصير اليهم بعد تحصيلا لحرف هذا الابتلاء بقوله وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا يعني بانه خلقهما جميعا للابتلاء لان الله تعالى خلق الموت على غاية ما تكره الانفس
وتنفر عنه وخلق الحياة على غاية ما تتلذذ به الانفس وترغب فيها فالمحنة في الترغيب والترهيب ثبت
ان خلق الموت محنة فيكون تقول لخلق الموت والحياة كانه يقول لخلق الموت مرهبا وخلق الحياة مرغبا
ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليبلوكم ايكم ارهب عن الشر وارغب في الخير ثم الموت مما لا مهرب منه لاحد
ولا مخلص لمخلوق وكذلك الحياة فان كانت محل رهب الاشياء الى الانفس فليست هي بحيث يتقيهما
لكم ان تريد منها بالطلب ولاجلها يوجد البخل والسعي فصارت هي مرغبة في الحياة الدائمة وهي نعيم الآخرة
وصار الموت مرهبا عن الموت الدائم والموت الدائم هو العذاب الدائم الذي لا ينقطع كما قال ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت اي لا ينقضي عنه الالم والاوجاع بل يبقى فيها ابدا فاذا شاء ان الموت
صار مرهبا عن العذاب الدائم والحياة صارت مرغبة في مثلها فيقوم بطلبه فوجب القول بالبعث
ايضا اذ الراغب انما يصل الى ما يرغب فيه بالبعث والراهب انما يصل الى العذاب الدائم بالبعث ففيه
ايجاب القول بالرسالة لان ما ذات الرغبة في الموعود من الثواب والرهبة عن العذاب وهما جميعا
غائبان فاحتيج الى من يظهرهما وينعتهما ويخبر عنهما فلم يكن بد من رسول يخبرهم ويحضهم عليه
لهم ثم الاصل في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ان الحسن عمله يحسن رغبته ورهبته ويسوء عمله بسوء
رغبته لخلق الحياة والموت ليتفكر فيهما المرء ويعتبر بهما اساء عمله فالموت والحياة اس ترغيب
وترهيب وكذلك الدنيا وما فيها دلالة على طريق الآخرة فالسمع يدل على السمع والبصر على البصر

على الامم الآخرة ونعيمها دليل على نعيم الآخرة والله اعلم قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا على مقابلة الذي
الا انه اكتفى بذكر احد المقابلين على الآخر والله اعلم فان قال قائل كيف اضاف الابتلاء الى نفسه بقوله
ليبلوكم ايكم والابتلاء في الشاهد لاستظهار ما خفي لاستحصان ما والله تعالى لا يعزب عنه شيء ولا
يخفى عليه امر فكيف اضيف اليه الابتلاء قيل انه يقولنا ان الابتلاء في الحقيقة كناية عما به ظهور الشيء ورؤيته
فاستعمل الابتلاء في كل ما فيه ظهور الامر واذ كان الابتلاء كناية عما به ظهور الشيء ووقوعه فاستعمل الابتلاء في كل ما
فيه ظهور الامر وان كان الذي ظهر من الامر عند المبتلي ظاهرا وهذا كما اضيف المكر والاستهزاء الى الله تعالى لوجود
معنى المكر والاستدراج فيه وان لم المقصود من ذلك المكر والاستدراج وفي الشاهد المكر ان يحسن الى
عدو ليقع عنده انك تركت عداوته فيغتر باحسانك اليه ثم تاخذه من حيث امنه ومن حيث لا يشعر به هذا
هو معنى المكر في الشاهد وقد وجد الاحسان من الله تعالى الى اعدائه ووجد منهم الاغترار بالنعم
ووقع عندهم انهم من جملة اوليائه ثم اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فوجد معنى المكر وان لم يقع باحسانه
انهم المكر بهم والثاني ان من امر في الشاهد انما يامر لمصلحة او لمنفعة تعود اليه وان نهاه عن شيء انما
ينهى لئلا مضرة تصل اليه والله تعالى امر الخلق ولم ينههم لمنفعة يجلبها الى نفسه او لمضرة يدفعها عن
نفسه وانما امرهم ونهاهم لمنافع ترجع اليهم ومضار تلحقهم ثم اضيف اليه الامر والنهي وان كان لا منفعة
له ولا مضرة عليه فكذلك الابتلاء يخلقه لنظهر البلاء عبادته وولايته لنظهر له وانما اضاف الابتلاء الى نفسه وان كان
هو مستغنيا عن الابتلاء والله اعلم قوله تعالى وهو العزيز الغفور فيفيد بانه لم يبتليهم لمنفعة او لغرض
يرجع اليه او لذل يدفع عنه ولكن امر بحق معنى المحنة اذا احسن العمل وكذب يغفر له ويستر عليه وهو من بدايته
تحالف ان يكون فيه عيب فيقال هو العزيز اي القوي على الانتقام ممن ساء عمله واختار عداوته الغفور الستور
على من يحسن عمله يستر عليه ذنبه ويجزي بحسن عمله والله اعلم قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ففي
ذكر السموات السبع ايجاب القول بتصديق ما ياتي به الرسل لان كون السموات سبعا لا تعرف الا من طريق
الخبر فالجملة الاولى اثبات القول بالرسالة وهذه الآية تصديق ما ياتي به الرسل عن الخبر وقد ثبت وجود هذا
القول بالرسالة وهذه الآية اثبتت تصديق ما ياتي به الرسل فلمنا القول بان السموات سبع لما اخبرت
الرسل بها ويحتمل قوله الذي خلق سبع سموات طباقا ليبلو اهلها ايهم احسن عملا لانه يقول انه لم يخلق
السموات والارض باطلا لان السموات بانفسها لا يمتحن وانما يمتحن اهلها لكنه اقتصر بذكر السموات
اهلها فاقتضى ذكر الارض ذكر اهلها والله اعلم قوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي انظر
في خلق الرحمن هل ترى من تفاوت وفطور وذلك انه ليس فطور ان طبقات في مدة عدد او في ان فيه
تفاوتا وان طبقات في نسقه سقفها فاثبات الآيات غير فطور او شقوق فاذا ثبت فيه بانما وبينا فعلا وفحص
التمانع والتدافع حصول العدد لان التمانع والتمانع انما يقع عند العدد لان ما يبني هذا يهدم الآخر وما
يهدمه الآخر ويقصده يبني الآخر فعند ذلك يقع التمانع واذا لم تر فيه فطورا وشقوقا بل تراه متسقا
محكما دل على وحدانيته وقدرته وسلطانه ولذلك التفاوت يدل على السفه ونفي الحكمة وارتفاع التفاوت
يدل على حكمته وعجيب تدبيره فيكون في ارتفاع التفاوت والفطور بالوحدانية وايجاب القول بالبعث من حيث
ثبت حكمه وفي نفي القول بالبعث زوال الحكمة وفيه ايجاب المحنة والابتلاء لان العدد اثبت كان المتحن ان
لا يتمكن من ان الغالب من المغلوب فلا يضيع عمله او يستعمل كل باقامة سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ
للامر بالمحنة الا بقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ولو كان منهما الجزء الذي
خلقه فيظهر عنده الفطور والشقوق لاختلاف ما خلق هذا بما بني الذي خلقه الآخر فارتفاع الفطور يدل
على وحدانية الصانع جل جلاله وقيل في قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من حيث الدلالة على وحدانيته
الرب تعالى او من حيث الحكمة والمصلحة بالخلائق هي كلها في المعاني التي ذكرناها متفاوتة لان تكون الاشياء
المحدثة غير متفاوتة في انفسها لان بين السموات والارضين تفاوت وكذلك الحياة والموت تفاوت
ولكن منافع السماء متصلة بمنافع الارض ومنافع اهل الارض متصلة بالارض وتولهم تعالى منهم بما اخرج
منها وكل ذلك يدل على وحدانيته وعلى حكمته ولطائف تدبيره قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين يحتمل ان يكون هذا على رجوع بصر الوجه وصار ان يكون على رجوع بصر القلب ويكون الاول
على بصر الوجه والثاني على بصر العقل لانه قد يستوي منه النظر الى السموات والارضين ببصر الوجه ويستوي
العلم من حيث النظر انه لا ارتفاق فيها ولا فطور بعد ما اذا نظر ببصر القلب انه ذلك على المعاني التي
ذكرناها وهو كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقوله ام لم يسيروا في الارض

و لم يرد بالسير بالاقدام اذ قد يسبق منهم السير فيها و لكن معناه او لم يتفكروا في عواقب من تقدمهم من
المكذبين للرسل انهم باي سبب هلكوا و لاي معنى عوقبوا و استؤصلوا ثم قوله فارجع البصر هل ترى من
فطور ثم ارجع البصر كرتين الآية منهم من قال ان المكذبين ههنا كناية عن مرة بعد مرة ليس على تثنية العدد
امره ان يكون ابدا معتبرا ناظرا في خلق الرحمن و الى هذا يذهب الحسن و الاصم و جائز ان يكون قوله كرتين مرتين لكي
على معنى في الوقتين فيكون فاعلا للنظر في الليل و الآخر بالنهار لان في الليل آيات و بالنهار آيات سواها و تبين
ذلك تدل على وحدانيته و عجيب حكمته و نفاد قدرته و سلطانه او يكون النظرة الاولى يبصر الوجه و الثانية
يبصر القلب لانه اذا نظر النظرة الاولى يبصر وجهه فيرى ما فيه من العجائب ثم قلبه ما رأى فينظر فيه مرة اخرى
يبصر لبيا كذلك عسى يعني و يجوز ان يكون النظر بان جميعا يبصر الوجه لانه لا يستوعب النظر بالجملة في المرة
الاولى فينظر في المرة الاخرى ليدرك ما غاب عنه في المرة الاولى و قوله تعالى خاسئا اي صاغرا لم يستحكم
بالعضو عن درك سلطانه و الاحاطة بعظمته و جلاله و هو حسير اي منقطع عن درك بلوغ حكمته و نفاذ
امره ثم الاشبه ان يكون المراد بهذا الخطاب المكذبين بالبعث لان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان الخطاب
متوجها اليه في الظاهر انه انما اراد بالنظر في خلق الله تعالى ليعرف بذلك عظمته تعالى و سلطانه و عجيب حكمته
و نفاد تدبيره و رسول الله صلى الله عليه و سلم قد كان يقرر عنده علم ذلك كله فلم يكن يحتاج الى النظر فيما ذكر
ليتقرر عندهم سلطانه و نفاد تدبيره و انه ليس بالذي يعجزه امر و ان قدرته ليست بمقدرة كقوى البشر
و هم كانوا ينكرون البعث و الاحياء على تقرير الامور بقوى انفسهم فاذا نظروا في هذه الاشياء و ما فيها
فيها من اللطائف و حكمها لا يدركها افهامهم و قوة لا تبلغها احلامهم ادى ذلك الى دفع الاشكال عنهم في امر
الدنيا التي هي امر البعث فيحملهم على الايمان به قوله و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح سماها سماء
الدنيا لدنوها الى المخاطبين الممتحنين لانه يكون للسماء الثانية سماء الاخرى فانه يدل على صحة ما ذكرنا
ان مقابل الدنيا ليست هي الآخرة مقابلها الاولى و مقابل الدنيا القصوى [illegible]
السماء الثانية هي سماء الآخرة و المصابيح هي النجوم فذكر عباده بعظيم ما اودع من النعم في النجوم عليهم
فجعل فيها ثلثا فجعل احدها انه جعلها زينة للناظرين كما قال و زيناها للناظرين ثم هذه الزينة انما تظهر
منها بحيث على الناظرين زينة الارض و ذلك في ظلم الليالي فانه الله تعالى جعل زينة في السماء كما زينة
التي انشاها في الارض و فضل هذه الزينة على سائر ما احسانها لا نظر الا بالبلوغ اليها و القرب منها
ثم جعل هذه الزينة بحيث يظهر فيرى من البعد [illegible] تفضلا و شرفا على زينة الارض و النعمة الثانية
ما ذكر في قوله و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر فجعلها هداة من ظلمات احوال
يقع فيسلم بها المريض لو قوع في المهالك و النعمة الثالثة ما ذكر في قوله و جعلناها رجوما للشياطين
و في جعلها رجوما للشياطين رفع الاشتباه عن الخلق و اخراجهم من ظلمات الاشتباه الى النور و ذلك
ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيستمعون الى الاخبار التي تحدث بها اهل السماء فيما بينهم
مما يراد باهل الارض فيسترقون السمع منهم فيأتون بها اهل الارض و يلقون بها على اهل الارض بعد ما
ما كانت من عند انفسهم فيشبهون على الخلائق و يضلونهم بذلك عن سبيل الله تعالى فمنع الله تعالى
من السماء بالحرس و الشهب فمنعوا الشياطين عن استراق السمع ليكون تبليغ الاخبار الى اهل الارض
ممن يؤمن عليه الكذب و هو الرسول عليه السلام فيسلم تلك الاخبار عن التخاليط و الاشتباه فيسلم الناس عن
الرجوع في الظلمات ثم يكون في جعل النجوم زينة للسماء ان اهل السماء الدنيا ابتلوا بها من حيث الاولى
كما ابتلي به اهل الارض الا ترى الى ما ذكر في اهل الارض من قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا فاخبر انا الزينة للامتحان و قوله تعالى و اعتدنا لهم عذاب السعير فقيل انهم قد عذبوا
بالنيران التي جعلت في النجوم الرجوم لا تدفع عنهم ما استوجبوا من العذاب الدائم بل قد اعد لهم
عذاب السعير كما اعد لغيرهم من الشياطين و اهل الكفر فيقول انه بئس المصير هو الطريق اي فبئس الطريق
من سلكه ما افضى به عذاب السعير و قوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا الشهيق هو الصوت المنكر
من الناس من يقول سمعوا لها اي لجهنم و منهم من جعل الشهيق من اهلها و قد يجوز ان يذكر المكان و المراد
به الاهل كما قال و كأين من قرية عتت عن امر ربها و كلا الامرين محتمل ممكن و لا يحتاج الى معرفة ذلك
الصوت المنكر من اظهر لمن لا يعقل الصوت كمن يعقل جليس [illegible] يعقل الصوت فجائز ان يجعل
لمن الذي لا يعقل و قوله تعالى و هي تفور تكاد تميز من الغيظ اي تغلي من النار بنفسها لا تغلي و انما تغلي
بما يجعل فيها اي نطفائهم و شرابهم في النار و قوله تكاد تميز من الغيظ فجائز ان يكون كناية على [illegible]

وجاز

وجائز ان يكون هذا وصف النار بعد الله تعالى ان يجعل في جهنم و فيما شاء من الاموات ما يعرف به عظمته و
جلاله فيغضب على اعدائه غضبا يكاد ان ينقطع في نفسه و يسلم لاوليائه ثم يذكر غضبها تذكيرا منا
من الله تعالى على اوليائه ان يغضبوا له على اعدائه غضب جهنم عليهم بل جهنم ابعد من ان يعنى بذلك اعضائه في
بلغت من الغضب على اعداء الله تعالى مبلغا كادت تنقطع بنفسها فالاولياء احرى ان يوجد منهم هذا الوصف
و قد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله عليه و سلم لما فيهم من الشدة على الاعداء و ذلك قوله محمد
رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم و قال اذلة على المؤمنين و هذا الحق على كل من
ان يكون على هذا الوصف [illegible] خصلة الخزي و هوانه ذكر شدة النار على اهلها لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين و قوله تعالى كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير و هذا هو خطاب
عن خزنتها لهم و توبيخا لهم و ذلك انهم يفزعون في الآخرة الى التمني كقولهم و الله ربنا ما كنا مشركين رجاء
ان ينفعهم ذلك في الآخرة كما كانت تنفعهم ذلك في الآخرة كما كانت تنفعهم في الدنيا فلما القوا فيها
ايقنوا انما انهم لا يدفع عنهم العذاب بفزعهم الى الاعتراف و التضرع رجاء ان يتخلصوا من العذاب
فقالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا [illegible] لقاء هذا اليوم و كذبنا بالذي كان ينذرنا و قلنا ما نزل الله من شيء
مما تقدم [illegible] و قوله ان انتم الا في ضلال كبير [illegible] ان يقول القائل لهم [illegible] هم الخزنة و هو خطاب
لهم في الدنيا ان انتم الا في ضلال كبير و قوله تعالى و قالوا لو كنا نسمع او نعقل ففي قوله بلى قد جاءنا
نذير اقرار منهم بانهم قد سمعوا و عقلوا [illegible] و قوله لو كنا نسمع او نعقل ليس هو على نفي السمع و العقل
اذ قد اقروا انهم سمعوا و عقلوا و انما هو على نفي الانتفاع بما سمعوا و عقلوا لان الانتفاع بالمسموع
هو الاجابة بما سمع و الانتفاع بالعقل ان يتبعه توفيقا بما عقل و هم لم يجيبوا لما سمعوا و لم يعملوا بوفاء
ما عقلوا و قال بعضهم لو كنا نسمع في الدنيا كما نسمع الآن و كنا نعقل الآن ما كنا في اصحاب السعير و هذا
غير مستقيم لان تلك الدار ليست دار استماع و افهام و انما المعنى ما ذكرنا و الله اعلم و قوله تعالى فسحقا لاصحاب
السعير اي بعدا على معنى الدعاء عليهم و يحتمل السحق ما في جهنم و قوله ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم
مغفرة يحتمل ان الذين يخشون عذاب ربهم و العذاب غائب عنهم [illegible] يخشون عذاب الله و هو
غائب عنهم [illegible] و يحتمل ان يكون قوله يخشون ربهم بالغيب [illegible]
[illegible]
[illegible] الرجاء و الخوف ليس كالامن و الاياس الذي [illegible]
[illegible] فاذا كانت الخشية تقتضي ما ذكرنا [illegible]
[illegible]
[illegible] خوفا و رجاء [illegible]
هاجروا و جاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله [illegible]
و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون [illegible]
[illegible]
[illegible] الرجاء و الخوف لا يكمل واحد منهما

ليس هو على نفسه شفيقا الا عمله بما ينجيه به من هلاك فاذا لم يبالغ في الطلب من جهة العمل علم انه بالغ في
من الخوف من العمل ظهارة ليس براجي ولكنه متمني ويتبين انه غير خائف في الحقيقة ثم المعتزلة لا يخافون
الله تعالى ولا يرجون رحمته في الحقيقة لانهم يزعمون ان العبد اذا ارتكب الكبيرة فليس لله تعالى ان لا يعذبه
عليها وان لا يغفرها واذا اجتنب الكبيرة المغفرة واذا ارتكب الصغائر فليس لله تعالى ان يعذبه عليها واذا
هذا غير راجي رحمة الله تعالى ولا خائف من عذابه وانما يقع الخوف والرجاء من عند نفسه لان الزلة التي استوجب
بها العذاب بفعله لذا كتبها ولو لم يفعلها لم يعذب وفاز بالنجاة بتصابره خائفا وخلاصه بعمله لا برحمة
الله وفضله فلا بذلك خص الله تعالى المؤمنين في كتابه ولا اثنى على الذين يدعونه خوفا
وطمعا ورغبا ورهبا وعلى قول اهل الاعتزال لا يدعوا احد ربه على الرغبة والرهبة والخوف والطمع لان
الداعي ان كان صاحب كبيرة فانه يدعو الله تعالى ليغفر له انما يدعو بالمحو وعليه لا ان لا يسعه ان يغفر له ولا ان لا يعذب عليه
ويخافه بالمغفرة معناه يقتضي انه جري على ذلك العظيم وان كان صاحب صغيرة فهو بما يطلب المغفرة منه
يقال له سأله ان لا يجور عليه لان ليس له ان يعذب على الصغائر على مذهبه ولو عذب صار به جائرا فاذا
خاف عذابه حتى اذا دعا الى الله تعالى فقد خاف جوره فمن لم يأمن به الجور بل خاف ذلك منه فهو لم يعرفه
به حقيقة المعرفة وكذلك من خاف الله تعالى ان يجور عليه فقد دعاه الى ان يسفه والسفه لا يصلح ان يكون الها
فثبت ان الداعي على الرغبة والرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو من يستحق الثناء عليه قوله تعالى لهم مغفرة
واجر كبير اي من يرجو الله تعالى ويخافه فله مغفرة لذنوبه واجر كبير هو الجنة قوله تعالى واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور هذه الآية كانها لنا ما لزم الوعيد فيقول انه عالم بالانفس التي فيها
بما تضمرون فيها وبما تعدون وبما تكتمون وبما تخبرون فيها او تدعون اليها وتظهرون في الصدور وهو
ساحة القلب يشهد ذلك لانه لا يتصدر عنها فكأنه عالم بالانفس التي لها الصدور بما تصدر عن
انفسهم وعالم بما يخفيها من الاسرار وقوله الا يعلم من خلق تأويله عند اهل الاسلام الا يعلم من خلق
ما اسروا وجهروا او من يرجع الى الله تعالى دون الخلق لانه يقول الا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير
وفيه اثبات خلق الافعال والاحوال وخلق الشيء يكون لنفسه المعتزلة في خلق افعال العباد ذكر
جعفر بن حرب وابو بكر الاصم انه خوف من لا يرجع الى الله تعالى وانما يرجع الى الخلق كانه يقول الا يعلم من
على اضمار انهم الله تعالى ما لعله الا هو الحيلة لنفي الخلق عن الافعال لا يخرج من يرجع الى الانفس
الافعال والاحوال لم لان ذلك غافلا لان الآية في موضع الوعيد ولو كان تأويله من خلق راجعا الى الانفس
لزال الموضع الوعيد اذ ليس في خلق الانفس وما لله بها اثبات العلم بالافعال والعقد فيهم لا
الانفس ايجاب الوعيد بالافعال ولانه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يجهر به العبد وما يحسبه لم يكن
الله تعالى خالقا لما يجهر به العبد وما يخفيه لم يكن ليحتج به على علمه اذ قد يجوز جواز الجهل من غير
بفعله ولا يجوز ان يحتج عليهم بفعل غيره ولانه ليس في اثبات العلم بما اسروا او جهروا كلام يكون
عند المعتزلة في ايجاب الخلق لنفس الانسان ايجاب الخلق لافعالهم ومعلوم ان الامر في تحقيق العلم
بما اسروا او جهروا لان قوله الا يعلم من خلق مذكور بعقب قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم
بذات الصدور اي يعلم بما تسرون وما تجهرون فثبت ان الخلق راجع الى ما اسروا او جهروا ثم انا
على اختلافنا نتفق ان كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق لله تعالى وانما الخلاف في الفعل الواقع بكسب
العبد فمنهم من نفى عنه الخلق وهو قول اهل الهدى ومنهم من اجاز القول بخلقه ثم الذي لا يتهيأ له استعماله الا
الا في العمل الذي جعل في طبع الذي احتمال ذلك العمل ولا يتهيأ له ان يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها
احتمال ذلك لانه لو اراد ان يرى بيديه او يسمع بهما لم يملك ذلك فثبت انه ملك استعمالها في القبض والبسط
والاخذ والتسليم بما جعل في طبعها احتمال ذلك المعتاد اذا كان كذلك فقد ثبت الخلق فيما يعمل بيديه وفيما يرى بعينيه
ويسمع باذنيه والله الموفق وقوله وهو اللطيف الخبير في تدبيره اذ دبر لسان الانسان على ما اذا استعمله خرج
منه الكلام واذا اراد ان يعرف المعنى الذي به صلح النطق لم يقف عليه ودبر قلبه ان يصور ما يقع عند الخيال
فيقدره بلسانه ودبر على وجه يصلح ان يودع الاسرار والودائع من وجه لو اراد الخلائق ان يعرفوا الوجه الذي
صلح القلب فيكون مصورا وحافظا او معدنا للاسرار لم يقفوا عليه وقيل اللطيف هو الذي يعرف
ما جل ودق وقيل اللطيف بعباده في احسانه اليهم والانعام عليهم الخبير بما فيه مصالحهم
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه الآية وقد ذلل لكم الارض لتمشوا فيها
وتأكلوا من رزقه فلا يجوز ان يكون خلقها عبثا باطلا فلا بد من الرجوع اليه ليسألكم عما به خلق او قسم

خلق

خلق لذلك لم يفعل ذلك لانكم في الشاهد اذا اعطى انسانا مالا استعمله في جهة من الجهات فلا بد من ان يرجع
اليه حتى يسأله هل استعمله في الذي كان دفعه اليه لاجله ام لا فاذا ثبت انه لم يخلقهما عبثا باطلا وانما خلقهما للمحنة فلا بد
من ان يشيروا اليه ليخبر بهما بلا هموا مصيبهم ثم يحتمل ان يكون هذا صلة قوله هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
وقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ما خلق ذلك كلها ليمتحن اهلها فعلى ذلك خلق الارض ذلولا ليبلوكم
بها ويحتمل ان يكون هذا صلة قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فامر هنا بالنظر في تدبيرهم هل ترى
فيه تفاوتا او فطورا ليتبين عنده اذا لم يجد فيه تفاوتا ولا فطورا وحدانية الرب وقدرته وسلطانه وحكمته
فامرهم ايضا بالمشي في الارض والسير في مناكبها وهي اطرافها هل يرون فيها فطورا او تفاوتا واذا لم يروا
فيها شيئا من ذلك تقرر عندهم بجميع ما ذكرنا من الحكمة هنا السعة وقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا وجد
ولانه ذكر من لطيف خلقه وتدبيره في خلق الارض وما له على الخلق من عظيم النعمة في حقهم هو انه قدر لهم منها
انواع الحيث يمشون فيها وفيها لهم النفع هنا لانه لا يحتمل ان ينال الفهم الارض ينتصر بون فيها حيث شاؤا
ويستخرجون منها اقواتهم انما يصرفوا عبثا باطلا بل لا بد ان يستاديكم شكر ما انعم عليكم به وقوله أأمنتم من
في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور هذه الآية في موضع الحاجة على شكري والبعث كانه يقول لو لا
لو انكرتم البعث فاجتمعتم فتم الفرق بين العدو والولي بين المطيع والعاصي فكيف أمنتم عذابه في الدنيا
ان ينزل بكم من فوق رؤوسكم او من تحت ارجلكم وقد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واختياركم عبادة
غيره فكيف امنتم نزول عذابه عليكم فحالتكم هذه وانتم لا تقرون بالآخرة تستعجلون العذاب ثم قوله أأمنتم
اي قد امنتم والثاني انكم كيف امنتم عذاب الله تعالى وانتم تنكرون البعث ليكون المحنة في الدنيا للجزاء في الآخرة
ولم يعرف المحنة في الدنيا الجزاء في الدنيا لانهم كانوا يزعمون انا نحن موسع علينا في رزقه والتنعيم في الدنيا فانما
وسع علينا جزاء لعملنا من رضي جملة العيش فاما ضيق عقوبة له بما اساء من عمله كما قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه
فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فكانوا يعتبرون الضيق والتوسيع في الدنيا الجزاء لصنيعهم وكانوا لا يفرقون
بالمحنة في الدنيا والمحنة يكون بين الرجاء والخوف فقد خوفتم انزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم ان يخرج لكم
من الارض ما تعيشون به وترتزقون منه فكيف لا تحذرون نزول العذاب عليكم من السماء او اتيانه من الارض
كما رجوتم النفع منهما جميعا والثالث انكم اذا انكرتم الرسول فجحدتموه وقد انتهى اليكم خبر من سبقكم من مكذبي
الرسل كيف عذبوا واستؤصلوا ان منهم من هلك بامطار الحجارة ومنهم من اهلك بالارض فكيف امنتم انتم
ان ينزل عليكم ما نزل بهم وقد وجدتم انتم وقد تعاطيتم ما تعاطاه الذين هلكوا من التكذيب ثم في السماء ذكر
نفسه تعالى اخبر انه في السماء لا على ما يشبهها ان في الارض شيئا وعلى النفي ان يكون هو الاله في الارض بل هو في السماء
الا وفي الارض اله كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ليس فيه اخبار المكان اذا كان شيئا فهو لا يكون الا بتم
وجائز ان يكون قوله أأمنتم من في السماء ملكه وسلطانه فلم يروا احدا انتهى ملكه الى السماء فكيف تأمنون من
بلغ ملكه السماء وكيف يأمنون مكره وتعاديه وانتم لا تجترون على ملك من الملوك الذي لا يجاوز ملكهم الارض
بنفسه مستحوذا وسلطانه فكيف تأمنون عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا وقوله تعالى فاذا هي تمور قيل تمور في
الارض ايابا الى اسفل السافلين وقيل تمور باهلها وقعرها على ما كانت من قبل تمور باهلها على ظهرها قبل
ان يرجمهم الجبال او الحاصب الحجارة وقوله تعالى فستعلمون كيف نذير اي ستعلمون حال النذير الذي انذرهم
بالعذاب انهم كانوا محقين فيما علم يكونوا كاذبين كما زعمتم او ستعلمون ما انذركم اذا وقع العذاب وقوله
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير يذكرهم حال من تقدمهم من المكذبين وما حل بهم من النكير ليرتدعوا
من التكذيب فلا يحل بهم ما حل باولئك ثم قوله فكيف كان نكير اي كيف كان انكاري عليهم النبي وجحوده
وجحقا وقوله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن قيل صافات باجنحتها
لا يتحرك منها شيء ويقبضن ما يمسكهن الا الله تعالى في الحالين جميعا اعني القبض والبسط قال في آية اخرى
الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون في الحجر وانه
قوله لآيات لقوم يؤمنون اي الآيات للمؤمنين على الكفرة وهكذا شأن الآيات انما جعلت آيات المؤمنين والاولياء
والاعداء لان الكفرة تصل اليهم الآيات على السنة الرسل والانبياء فجعلت الآيات آيات المؤمنين ليحتجوا بها
على اهل الكفر ثم الهواء يمسك ما عليه من الاشياء مثل السماء والارض فيما انشئتا على حد يمسكها الاشياء
ويعلقهما الخلائق واذا كان كذلك شيء الله تعالى بلطفه امسك الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهواء
ومن قدر على امساك الطير مع ثقله وتعريه في مكانه لا يعجزه الاشياء القادر على ما يشاء ثم في هذه الآية
ان الله تعالى في افعاله لطيف صنعا وتدبيرا على ما يشاء لانا نعقل الذي من جنس الطائر الطائر اذا طار ولم يرفق

اذا اقبض ثم اضاف فعل الامساك في كل ذلك الى نفسه وذكر عن جعفر بن حرب في قوله ما يمسكهن الا الله ان الا
كان بمعنى التعليم وعبارة عنه لانه قد يعبر عن التعليم بقول الرجل للاخر فيما يعلمه الرماية تمسك على يدي حتى يرمي
فيريد به اي تولى تعليمه الرماية فقوله ما يمسكهن الا الله اي ما يعلم امساكهن في الطيران الا الله وكذلك
وقت القبض والجولان من هذا ان القائل يقول امسك على يدي حتى رمى انما يستجيز اطلاق هذا اللفظ من نفسه
اذا وجد منه فعل الامساك في وقت ما يهم الرامي بالرمي واما اذا لم يوجد منه في ذلك الوقت فعل الامساك
لم يستقم ان يقال امسكت على يده وان كان هو الذي علمه الرمي الا ترى ان من علم اخر الخياطة حتى احسن الخياطة
اذا خاط ثوبا لم يستجز استاذه ان يقول انا الذي خطته وان جاز هو الذي علمه الخياطة وكذلك من يعلم غيره
من استاذه ان يضيف فعل البناء الى نفسه فيقول انا الذي بنيته ويريد بانا الذي علمته واذا لم يستقم هذا
بطل ان يضاف فعل الامساك الى الله تعالى ولا فعل له في ذلك شيء الا التعليم فلو كانت الاضافة اليه من حيث
التعليم لجاز ان ينسب اليه فعل الخياطة وفعل البناء والحياكة فيقال انه خاط وبنى وحاك لانه هو الذي
علمها واذا بطل ان ينسب اليه ما ذكرنا من الافعال وان كان هو الذي علم الخلق بطل ان ينسب اليه فعل الامساك
من حيث التعليم والله الموفق واحتج جعفر بن حرب ايضا في نفي الفعل عن الله تعالى ان قدرته لم يفعل ما خلق طيرا
الا الله ولا خلق القبض الا الله وانما قال ما يمسكهن الا الله فثبت انه لا صنع له في الامساك فيقال ان الذي
اضيف اليه من الامساك هو على الوجه الذي ذكرنا فالجواب عن هذا انا لا نسلم فيما في قوله ما يمسكهن الا الرحمن
من قوله ما خلق طيرا بل ويقبضهن الا الله اذ هو يقتضي ما يقتضيه ذكر الخلق واذا كان كذلك غلا في يبني ان يضيف
الى الخلق الى نفسه ويبني ان يضيف فعل الامساك ثم لو ذكر الخلق مكان الامساك امكن ان يتاول جعفر في الخلق
ما تاول في الامساك فيقول لم يعن بقوله خلق طيرا بل يعني علم طيرانهن وقواهن على الاشياء التي تمكن بها من الطيران تنبيها
على قولنا ان تثبت خلقه وتقيد عندهم خلق كل شيء من الاشياء ثم الاصل ان الايات المذكورة في القرآن انما ذكرت
لاثبات اوجه خمسة احدها في تثبيت القدرة على البعث وهو لا يثبت القدرة ولا يوجد القول البعث على قول
المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال اولم ير الانسان انا
خلقناه من نطفة وقال وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فاحتج بالابتداء على تثبيت القدرة
على الاعادة وليس منه ما يثبت القدرة على الاعادة عندهم لانهم يعتزلون خلق الافعال من الله تعالى مع اقرارهم
ان الله تعالى هو الذي يبدا الخلق وهو الذي انشاهم ولم يكن فيه اثبات القدرة على خلق الافعال واثبات قدرة
منه على خلق الافعال ان كان خلق الافعال الذي في خلق الانفس فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة
على الاعادة وان كان امر الاعادة ايسر من الابتداء مع ان اثار الخلق في افعال العباد واثبات التدبير فيها اوجد
منه في امر البعث وذلك انك تجد من الافعال ما هي موزونة لاحكامها متقنة من لطيف وعلوم ان صنائعها
ان يتلذذ بها ويتمتعوا بها فيثبت ان لغيرهم فيها تدبيرا وصنعا حيث صارت كذلك ولانه لو جعل افعالهم
لا تبلغها اوهامهم ولا تقدرها عقولهم لان الفعل لا يخلو من الخفي فلما كان في الوسع لا تعتريه الاوهام ولا يبلغها
العقول فثبت ان لغيره فيه صنعا وتدبيرا وان فعله يخرج على صحيح وحسن لا يتصور فاعله انه يبلغ في الحسن والقبح
ذلك المبلغ ونيتهم في الحسن مبلغا لو اراد ان يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية لم يقدر فكل ما ذكرنا بيان ان
جميع افعالهم على ما هي عليها ليست لهم اثر مع ذلك انكروا ان يكون الافعال من جهة الخلق لله تعالى ومن انكر
شيئا من اثار البعث ولا وجه يجيز التدبير تحصيل الكفر في انكارهم امر البعث ومن المعتزلة في انكار
خلق الافعال لو لم يوجب القول بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة على استناد البعث والاعادة بعد
الافناء فثبت ان ليس في الايات التي جعلها الله تعالى دلالة على اثبات البعث على قولهم والوجه الثاني في تثبيت
الوحدانية وجعل دليل وحدانيته تفرده بخلق الاشياء وتفرده بانشائها الا ترى الى قوله ام جعلوا لله
شركاء خلقوا كخلقه وقال وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق وعلى قول المعتزلة هو غير متوحد بخلق
الاشياء بل كل يخلق الاشياء كان باطل العبادة لا بالله تعالى واذا لم يوجد منه التوحيد والتفرد بخلق الاشياء
ارتفع وجه الاستدلال من هذا الوجه على معرفة الصانع ووحدانيته واذا كان كذلك لم يستقم ما ذكر الله
تعالى على قولهم من الوجه الذي جعله دليل الاثبات والوجه الثالث وهو الاثبات ذكر تعالى اثبات حكمة
تعالى وجعل دليل حكمته خلق السموات والارض وغيرهما من الاشياء فلكن بما عرفنا خلق السموات والارض
بما شاهدنا انهما مجتمعين والاجتماع حادث فهو لا ينفك من الحادث فهو حادث والحادث لا بد له من محدث
ولولا ذلك لم نعرفه ولا يثبت انه خلقهما وعلى قول المعتزلة الجمع والتفريق لا يدل على الخلق لان كل من له القدرة
على جمع الاشياء وتفريقها الاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرق لقولهم بالتولد فمن استحكم

امكنه جميع الاشياء اما القوية ومن ضعفت قوته جمع على ما قدر ما ينتهي اليه قوته واذا كان كذلك لم يتبين عند
الحلاذق على قولهم ان الله تعالى هو خالق السموات والارض خلقهما الا ترى الا من يوجه الذكر ذكرنا وذلك مما
لا يعرف بحقيقته الا بالله تعالى وجاز ان يكونا لله تعالى اقدر ملكا من ملائكته فقوله على خلق السموات كالذي
واذا كان كذلك لم يظهر لنا ان الله تعالى هو الخالق لهما فبطل ان يكون في خلق السموات والارض واذا كان
كذلك لم يظهر بما ذكرنا ان الله تعالى هو الخالق لهما فبطل ان يكون في خلق السموات والارضين وفي خلق السموات
والارض وفي خلق سائر الاشياء دلالة حكمته وقدرته ووحدانيته وقد جعل الله تعالى خلقهما دلالة
لهذه الاوجه التي ذكرناها والثاني انه جعل اتقان الاشياء واحكامها علما بحكمته وقد يقع الاتقان والاحكام
للاشياء لانه لم يجعل الله تعالى اسمها ما اتقن واحكم علما يتميز من بين ما اتقنه غيره مما اتقنه واحكمه
فصار الاتقان والاحكام عند القول حكمة بل صار دليلا على عجزه وضعفه حيث لم يتبينا له ممن اصابه
سفها وما يعين صار سفها وما يعين صار لذلك ولان الحكمة هي وضع الشيء في موضعه فتبين ما له مما
ليس له نحو قوله ان الله تعالى اعطى الكافر قوة الايمان فلم يتوصل بحركته ما جعل سببا يتوصل بها الى الايمان الا وقد
اعطاه لان المراد اقام كمن سقى الارض وعمارتها بالكرابة والبستان والقى البذر فيها فاما انها لا ثبت شيئا
عند ذلك منه سفها وجهلا والسفه لا يصلح ان يكون الها حكيما وقال تعالى هو الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم ايكم احسن عملا وعلى قول المعتزلة قد خلق غيره الحياة والموت جميعا لان القتل سبب الاتقان ثم لا يجعل
اهل الاصنام ان الله تعالى في موته صنعا ويزعمون انه مات بغير اجله فاذا قد صرح على الاماتة وقد زعموا ايضا
على الاحياء بالاسباب لانه يسقي الارض والزرع ويكون في سقيه احياؤها فلم ينفرد هو بخلق الموت ولا
بالحياة على قولهم بل يشركه غيره في خلق الاشياء فبطل استدلاله على قولهم نفسه وانه خالق الاشياء
والوجه الرابع انه احتج بعلمه بافعال الخلق بخلقه تلك الافعال وذلك قوله الا يعلم من خلق وقولهم قد نفى الخلق
عن الافعال فاذا انتفى لم يقع له بها علم فصارت الاية التي فيها اثبات العلم لا يثبت علما على قولهم ويكون فيه كذبا
والخبر تعالى الله عن ذلك والوجه الخامس انه سمى نفسه محسنا منعما واثبت لخلقه اسبابا احتج بها على خلقه
بما من نعمة انعم بها على العباد وقد كانوا اولى ان يحتجوا على الله تعالى فيقولوا ان الله تعالى باعطائه ذلك قاضيا
ما عليه من الحق بالنعمة وهو قضى حقا كان عليه لم يضره منعا متفضلا فما صار قاضي الحق فصارت الايات
التي فيها اثبات النعمة غير مثبتة على قولهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله تعالى انه بكل شيء بصير
اي بكل شيء لطيفا وجليلا واشياء وخلطها واختلاط بعضه او غير ذلك بصير بما يصلحه الى اجله الذي ضربه له وما يتسع
بالرزق الذي قدر له او بصير بافعال الخلق ما كان منها وما يكون لانه ذكر على اثر ذلك الافعال وهو قوله او برا
قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق ثم قال انه بكل شيء بصير يتسع به ويتبعه والزام
المراقبة والتيقظ والتبصر وكذلك قوله انه على كل شيء حفيظ وبكل شيء عليم الا من علم ان عليه حافظا
ورقيبا يعلم بكل شيء منه بعثه على ان لا يتعاطى الا المحمود من الفعال والمرضي منها قوله تعالى امن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فهذا صلة قوله امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض وقوله ام امنتم
من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ثم قال امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان خسف بكم
الارض وارسل عليكم حاصبا من السماء وجاز ان يكون على التقديم والتاخير فيكون معناه امن هذا الذي هو جند لكم
من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله ان حل بكم او يكون قوله امن هذا الذي هو جند لكم يرفع عنكم العذاب من دون الرحمن
اذا حل بكم وجائز ان يكون يريد بالجند الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فكانوا يعبدونها لينصرهم ويعزوا
بها قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون وقال
وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ثم قد علموا انها لا تقدر تنصرهم ولا ترفع الذل عنهم فعيرهم
بها لانهم كانوا يفزعون الى الله تعالى عندما يحل بهم من الذل والشدائد قال الله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا
ربه منيبا اليه ويتركون الفزع الى الهتهم لعلمهم انها لا تعزهم ولا تنصرهم فذكرهم في حال الامن ما عرفوا في
حال الخوف ليقلعوا عن عبادة الاصنام ويقبلوا على عبادة رب الانام ليدفع عنهم ما لشدائد والاهوال
والالام اذا احلت بهم او نعم ويقوم بزعمهم الحقهم الذل قوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اي اغترت في
عبادتهم الهتهم ليقوم بنصرهم وعزهم مع علموا انها لا تدفع عنهم شيئا ولا تحصل لهم عزا وقوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك
عليه رزقهم كانوا يرجون رزقهم من السماء والارض فيقولون من الذي يرزقكم ان لم يرسل عليكم من السماء
مدرارا ولا ذلك لكم الارض بالنبات وقد علموا ايضا ان الاوثان لا ترزقهم بل هو تعالى لانهم كانوا يفزعون اليه بالسؤال
الرزق عندما يبتلون بالقحط والجدوبة فذكرهم في حال السعة ما له عليهم من عظيم النعمة في توسيع الرزق عليهم

ليشكروه ولا يكفروه ثم قوله بل لجوا في عتو ونفور فالعاتي هو المادي في الشديد السفه فكأنه يقول لجوا
وعتوا في قبول الحق وتمادوا في طغيانهم ولم يتذكروا لعلمهم لو ارتقبا الله تعالى لم يشكروا له بل بعدوا عن قبول
ذلك كله فقوله امن هذا الذي هو جند لكم وقوله امن هذا الذي يرزقكم يخرج على اوجه ثلاثة احدها على
التخويف والتهويل والثاني على التنبيه والتذكير وتسفيه احلامهم والثالث على البشارة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بالنصرة والاجابة لدعوته على اهل الكفر فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الاحلام ما ذكرنا انهم
قوم كانوا يعبدون الاصنام لتنصرهم وتعزهم في الدنيا وليتبعوا ابا الرزق من عندها اذ هم كانوا لا يؤمنون
بالبعث ليطلبوا بعبادتهم الآخرة والنصر فيها وانما كانوا يطمعون ذلك منها في الدنيا ثم هم في الدنيا كانوا اذا
نزلت بهم الشدة والفزع تضرعوا الى الله تعالى كما قال واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ولم يكونوا
يفزعون الى اصنامهم فكيف اتخذوها آلهة تنصرهم عند النوائب وقد احاط علمهم انها لا تنصرهم ولا تغني
عنهم من عذاب الله شيئا فيكون فيه تسفيه احلامهم وتنبيه من عذاب الله ليمنعهم ذلك عن عبادة من
ويدعوهم الى عبادة من يملك دفع الشدائد عنهم اذا حلت بهم واما وجه التخويف فانه يجوز ان يكون
قيل لهم هذا عندما ابتلوا بالشدائد وضيق العيش فقيل استنصروا من آلهتكم واسألوا الرزق من عندها
هل يملكون لكم رزقا او يدفعون عنكم ذلا وهل يقدرون على نصركم وجاء ان يكون فيه بشارة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بالنصر له والاجابة لدعوته وقد وجد النصر له لانه غلب عليهم يوم فتح مكة ولم يتهيأ لهم
ان ينتصروا بل غلبوا وقهروا وخاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقهر ومن كان منهم حيا استكانوا
ولانوا وتضرعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حتى دعا لهم فابتلوا بالقحط والسنين
بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم
فيحتمل هذه الآية تذكيرا وتنبيها وتخويفا وتهويلا وتعريفهم خلاف ما هم عليه في الحال ثم ذكر الصراط
في الذي يمشي سويا ولم يذكر الصراط في الذي يمشي مكبا فهو على الاضمار كأنه يقول افمن يمشي مكبا على غير
الصراط اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فيكون هذا تذكيرا وتنبيها لاحلامهم لان الذين اثروا
الايمان وسلكوا طريقه فانما سلكوا بالحجج والبراهين والذين آثروا الكفر آثروه من غير حجة بل حب رؤسائهم
هم الذين دعوهم الى التزام الكفر والذين به فمن آثر الحيرة والعمى على الهدى على الرشاد فهو سفيه وجائز
ان يكون قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى او اهدى طريقا ام الذي يمشي سويا على صراط مستقيم وتوجيه
الكلام ان يقال بل الذي يمشي على صراط مستقيم هو اهدى من الذي يختار الطريق المعوج الذي يعرف
فيكون هذه الوجه الاول معنى التخويف والتنبيه والتذكير جميعا وفي الوجه الثاني تذكير وتنبيه وقولنا بان
تعريفهم خلاف الحال التي هم عليها ان كل واحد من الفريقين اعني به اهل الاسلام واهل الكفر يزعم
انهم على الهدى وللفريق الآخر على الضلال واذا اتفقت الدعاوى على تضليل احد الفريقين ثم لا يتبين
الضال من المهتدي وجب الوقوف من جهة الفريقين في الدنيا ثم على الفريقين على جهة واحدة فلا بد من بيت
اخرى وللقول بها الجزاء فيكون فيما ذكرنا ايجاب القول بالبعث والآخرة ثم يعرفنا الذي ذكرنا هو حرجهم
خلاف الحالة التي هم عليها ولان الذي يمشي مكبا على غير الطريق هو الاعمى الذي لا يبصر المقصد الذي لا يهتدي
على المشي والذي يمشي سويا على صراط مستقيم هو الذي لم يشتبه عليه مراشده ولا به ما يمنعه عن الصراط فيكون
قوله يمشي مكبا على وجهه هو الاعمى والذي يمشي سويا على صراط مستقيم هو السميع البصير فيكون معناه
ما قال في سورة هود مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير فيكون معناه ما قال في سورة
هود مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا وقوله تعالى قل هو الذي انشأكم
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ۞ فهذه الآية صلة قوله هو الذي خلق الموت
والحياة وصلة قوله الذي خلق سبع سموات طباقا وقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ثم في ذكر
الاشياء وجعل لكم السمع والبصر والافئدة تذكير قوته وسلطانه وحكمته وتعاليه عن الاشباه و
وجه تذكير القوة والسلطان والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا وتذكر في سورة المرسلات وفي سورة
والطارق وسنذكر طرفا من ذلك ههنا بعون الله وتوفيقه فنقول بان الله تعالى انشأنا في اظلم
واضيق موضع بحيث لا ينتهي اليه تدبير البشر ولا علومهم وحكمتهم ثم ان الله تعالى انشأنا في ذلك الظلم
كيف شاء واجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشيء ليعلم بان علمه في الخفيات من الامور كعلمه بما ظهر
ويعرف الخلائق انه لا يخفى عليه شيء فيدعوهم ذلك الى المراقبة في كل ما يسرون وما يعلنون ويوجب
في تقدير قوته وعلمه وسلطانه تفوق البشر وعلومهم وسلطانهم فيكون فيه انفتاح عن الشبه التي اعترت

منكري

منكري البعث تحملهم على الايمان او امتنعوا النظر فيه وليعلموا ان من بلغت حكمته ما ذكرنا لا يجوز ان يخلقهم سدى
لا يخاطبهم ولا يفنيهم بل يتركون هملا واما وجه تعاليه عن الاشباه والاشكال هو اذا انشأ الخلق في
اظلم مكان واضيقه فيه كان دليلا بانه لا يوصف بالكون في ذلك المكان الذي ظهر فيه اثار فعله لانه وقت
ما خلق عمرا في بطن امه فقد خلق زيدا في ذلك الوقت في بطن امه وخلق خلائق في بطون الانعام والسباع
وبطون بنات آدم وانشأ النبات في الارضين في ذلك الوقت فلو كان يوصف بالكون في مكان بالفعل لكان
اذا خلق في هذا لا يخلق في ذلك الوقت في اقطار الارض امثاله من الخلائق فدل ان الفعل ليس يحصل
بشهوده المكان الذي ظهر فيه فعله وانما يكون مما ظهر لنا بمقتضى قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
واما سائر الفعلة فهم لا يتمكنون من الفعل الا بشهودهم مكان الفعل فهذا الذي ذكرنا يقتضي بان الله تعالى
بالخلق ويوجب تعاليه عن الاشكال وفيه تذكير نعمه ومننه على خلقه الاثرة الجعولة على ان هذا قليلا ما تشكرون
ولو لم يكن منعما متفضلا لم يكن يستأدي منهم الشكر ووجه النعمة وهو انه قدره في الظلمات وصانه عن الآفات
ومن كل انواع الاذى وغذاه في ذلك الموضع بما شاء من الاغذية وصيره على نصاب الناظر بحيث عن اعينهم لانه
في ذلك الحال بالمحل الذي يستقذره ويستنفر منه ولا يمكن ان يدفع عنه المحل الذي وقعت به الاستقذار
والاستقذار بالتطهير وانشأ له السمع والبصر والفؤاد ليصل بها الى انواع العلوم والمصالح بل ليلزمهم
ان يقوموا بشكره الله تعالى وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لانهم يقولون انه تعالى يشكر ذلك لم يخلقهم على الوجه
الذي ذكر لكان يخالف الا من مذهبهم فلا يفعل بهم الا ما هو اصلح لهم واذا كان خلقهم هو الاصلح من
شرطه فعل الاصلح فاذا هو ما دقاضي حق وليس بقاضي حق على المقتضي منه الا بمكانه والانعام
يلزم شكرها ثم قوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي جعل لكم السمع لتسمعوا ما غاب عنكم
وتأتي خبر غيره بالسمع وانشأ لكم الابصار لتبصروا المقصود من الاشياء وتعرفوا بها ما ينفعكم وما يضركم وما
تشتهون فيما طاب وانشأ لكم افئدة تتذكرون بها حقائق الاشياء التي هي الذكر لها انما يتوصل الى العلوم ومعرفة
الاشياء قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وانشأ لكم السمع والابصار والافئدة
لعلكم تشكرون ومعناه انما انشأ لكم هذه الاعضاء لتستمتعوا بها وتصلوا بها الى انواع العلوم فثبت ان هذه
الاسباب هي التي يتوصل بها الى العلم والحكمة والى طلب المصلحة والمنفعة فلذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا فلو لم يقع بها الوصول الى علم الاشياء لكان لا يختص السؤال عنها وقوله عز وجل
وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون فجمع في هذه الآية بين خبرين احدهما قد نوزع فيه وهو قوله
واليه تحشرون فان بعض الكفرة ينكرون الحشر والخبر الثاني لم يقع فيه التنازع وهو قوله هو الذي
ذرأكم في الارض ثم ان الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الاعادة بقوله قل من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه واذا جعل
الابتداء دليل الاعادة لزمهم ان يتمسكوا بالخبر ولنذكر على نحو الجمع لا على نحو الاحتجاج فيه موضع الاحتجاج
وقوله في الارض فيه احتمال انه خلقهم في الارض انشأ هو بعضهم خلق بعض في الابتداء ثم لو انهم
لم يكونوا على الحالة التي هي عليها في الحال بل كانوا نطفا وعلقا واطفالا الى ان انتهوا الى الحالة التي هم عليها
فاذا تفكروا في ابتداء خلقهم اوجب لهم ذلك علما بالقدرة على الاعادة ويكون قوله في الارض اي انشأكم
وجعل لكم مساكن في الارض وبسطها لكم لتنتفعوا وجعلها لكم كفاتا فيكون فيه النعمة والقدرة ثم قوله
ذرأكم اي كثركم من اصل واحد كما قال تعالى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء ومعلوم ان الخلائق على كثرتهم لم يكونوا في نفس واحدة ومن قدر على خلق الانفس من نفس واحدة
لقادر على اعادة ما قد سبق كونه وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقولهم
هذا خرج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى نبيه عليه السلام
ان يجيبهم بالجواب الذي يليق من الحكماء ولم يأذن له ان يجازيهم باستخفافهم اياه استخفافا فقال
انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين يبين لهم انه لا ينذرهم الا بالذي امره به ولا يبلغ اليهم الا ما قد
امره الله وامر بتبليغه وفي هذه الآية دلالة نبوته واثبات رسالته لانه لو لم يكن رسولا لكان يدعوا وكان يختلق
من تلقاء نفسه لكان يمكنه ان يحيل ذلك الى وقت لا يظهر غلطه فيه ولا كذبه لديهم وهو ان يحيله
الى وقت لا يعيش الى مثل ذلك الوقت فاذا لم يفعل بل قال انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين دلهم ذلك
على رسالته وانه اذا كان رسولا لم يكن له ان يزيد في الرسالة ولا ان يختلق من عنده فيها زيادة كما ذكر في قوله
عبس وتولى ان فيه ما يقرب رسالته ليعيدهم من الوحشة التي تذكر في تلك السورة ان شاء الله تعالى وقوله انما انا

نذير مبين اي لا اريد في الانذار على القدر الذي امرت به وقوله تعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا يجوز ان يكون قوله راوه الذي وعد او وعد له زلفة اي قريبة ثم انث الزلفة لما اريد بها الاحوال التي
يكون في ذلك اليوم من الاهوال والشدائد ويكون قوله راوه كناية عن ذلك اليوم فذكر لان الاهوال مذكور
جعل الزلفة بلفظة التانيث لانها كناية عن الاهوال التي تكون في ذلك اليوم ويجوز ان يكون قوله زلفة
اي ذوات تلك الاهوال والشدائد قربة من الاوقات التي وعدوا فيها تعلى انها كانت قريبة منهم وقد كانوا
يستبعدونها في هذا اليوم وهو كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال ولو ترى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا ولذلك اذا راوا ذلك اليوم والله اعلم ان الوقت الذي
كان يوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبا منهم وقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا اي صيرت
من شانات اي ساءت وجوههم فنحت وجوههم بتغير الوانها وقوله تعالى وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
قال ابو بكر الاصم معناه يمنعون وتدفعون كقوله فذلك الذي يدع اليتيم وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي دفعا
وليس الامر كما ذكره لانه لو كان من الدفع والمنع لكان نحقا ان يشدد العين لا الدال كما شدد في قوله يدع اليتيم
واذا شدد في قوله الدال دون العين ثبت انه اشتقاقه ليس من الدع ولكنه من الدعاء اذ الدال هي المشددة
فتاويله والله اعلم هذا الذي كنتم به توعدون اي هذا الوقت الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتدعون عليه انه كاذب في الاخبار وجاز ان يكون قوله يدعون اي تدعون وقد يستعمل الدعاء مكان
الدعوى كما يقال ذكر وذكرى وخبر وخبر وقوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين
من عذاب اليم ففي هذه الاية دلالة ان في حكمة الله مشيئة المغفرة والعقاب لمرتكب غير الكفر من الذنوب
وايجاب العقاب على من اعتقد الكفر والمرء وانه ليس في الحكمة عفو مثله لانه قال ارايتم ان اهلكني الله ومن معي
او رحمنا فاثبت فيه خيار الاهلاك والمشية الرحمة المغفرة ومعلوم انه يهلك من معه او يرحم فيدل ما يلي
بان لا حكمة له قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجعل المشية في مشية المغفرة
لمن دون الكفر وحكم بايجاب العقاب على من اشرك به والذي يدل على ان الحكمة توجب ما ذكرنا ان الكفر
قبيح لا يحتمل الاطلاق ولا رفع الحرمة لما فيه من السفه لان من رضي بشتم نفسه فهو سفيه فعلى ذلك العفو
لا يحتمل في الحكمة رفعها والعفو عنها واذا كان الكفر لا يحتمل الاباحة ورفع العفو ترك الانتصار المغفرة
ويخرج مخرج الاباحة لذلك لم يحتمل القول فيه بالمغفرة والعقوبة والعفو وسائر المآثم جاز ان ترفع الحرمة عنها
لان الكافر اختار عداوة الله تعالى وكفر بنعمه والذي اعتقد الاسلام اختار ولايته والحكمة توجب التفرقة
بين العدو والولي فعد ذلك تضييع للحكمة ولان الكافر يعتقد نفسه انه على الحق والصواب غير على الباطل و
الضلال وانه غير مستوجب للعذاب بل التعلي في التحكم على اهل الكفر والمحق كمن امن الاول لا كما
يحق بمعنيين فالله تعالى اذا انعم عليه بالعفو وتطول عليه بالاحسان لم يقع ذلك عنده موقع التجاوز والعفو
بل يقع عنده انما احسن اليه لاستحقاقه الاحسان وعفو عنه لما لم يسبق منه ما يوجب العقاب واذا كان
كذلك ادى ذلك الى تضييع الاحسان وتضييع العفو وابطال النعمة فثبت ان الحكمة لا توجب العفو عن الكافر
ان يحصل بذلك العفو في غير موضعه واما اهل الاسلام الذين سبقت منهم الاجرام فقد علموا ان الذين سبقت
منهم زلات وجرائم وان العذاب قد لزمهم وانهم مستوجبون العقاب فاذا عفي عنهم علموا انهم انما نالوا العفو
بفضل الله تعالى فيقع الاحسان موقعه ولان من احسن الى عدوه في الشاهد فلم يقصد بالاحسان اليه قصد
استدراجه والمكر به فهو انما يحسن اليه لما يخاف ملحسه ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له فلو لم يحتمل الله
بما تعالى عن الكفر بل احسن اليه من غير تبعة عليه خرج عفوه واحسانه عليه مخرج الخوف واظهار التذلل والله تعالى
عن هذين الوصفين فثبت ان الحكمة توجب القول بالتخلية ويمنع العدل بالعفو والله اعلم وقوله قل ارايتم ان اهلكني الله
ومن معي او رحمنا دلالة ان له ان يعذب على الصغائر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الانبياء عليهم السلام
معصومون عن ارتكاب الكبائر فلا يجوز ان يكتبوا الكبائر فيهلكوا لاجلها فثبت انهم لو اهلكوا لاهلكوا بالصغائر
فلو لم يكن لله تعالى ان يعذب باهل الصغائر لصار هو باهلاكه اياه ومن معه جائرا ظالما وجل الله تعالى عن الوصف
بالجور وقال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ولو لم يكن لله تعالى ان يعذب على الصغائر لما احسن
ان يمن على رسوله صلى الله عليه وسلم في موضع الامتنان بما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ثم الحق ان يقول الذي
الخوارج والمعتزلة لا يجوز ان يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم الكبائر وانما هذا الرجاء الذي ذكرنا لغيرهم من اهل
الاسلام لانهم يقولون لا يجوز ان يغفر الله لاهل الكبائر ولا ان يتطول عليهم بالعفو بل جعلوا لهم التخلد
في النار ابدا الآبدين واذا كان هذا هو الحكم فيهم جاز ان يغفر لهم ويتطول عليهم بالعفو ووقع عندهم انه انما عفي عنهم لان

الذي

الذي ذكروا من المآثم لم يكن كبائر بل كانت صغائر لانه لا يجوز المغفرة عن الكبائر فحصل العفو في غير موضعه
والاحسان في غير موقعه واما غيرهم من محلي الاسلام فهم يرجون عفوه وسعة رحمته في كل [illegible]
عليهم بالمغفرة وقع العفو عندهم موقعه فلا يكون فيه تضييع الاحسان [illegible]
[illegible]

سورة ن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ن والقلم اختلف في قوله
نون فمنهم من يقول هو الحوت كقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى النون وهو الحوت الا ترى انه قال
فالتقمه الحوت وهو مليم ومنهم من يقول هو الدواة [illegible]
[illegible]

قوله ما انت بنعمة ربك بمجنون [illegible] كما يقال ما انت بحمد الله بمجنون يراد به نفي الجنون والثاني انك لست
ممن جحد النعمة واعرض عنها حتى شغلته على العمل بما لزمه وما عليه والمجنون في النعمة هو كذلك عن النعم والمحنة عن التردد
لمعاداته كما انت بغافل عن نعمة السيد فهو الذي يحل حاله بل تذكرها وتشكر الله تعالى والمجنون من غفل عن النعمة
واعرض عن شكرها والكفرة كانوا ينسبونه الى الجنون لما كان يغشى لثقل الوحي وكانوا ينسبونه لهذا واما لانه
انه خاطر بنفسه وبروحه حيث خالف اهل الارض وفيها الجبابرة والفراعنة وانتصب لمعاداتهم وهو مقام محلا
من لا طاقة له معهم وانتصب لمعاداته فذلك منه في الشاهد جنون فاجاب الله تعالى عن الفريقين جميعا اما
الاول فقوله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة اي كيف ينسبونه
الى الجنون وعند الافاقة ياتيكم بحكمة وموعظة تعجز عنها حكماء الجن ولا يستطيعوا ان ياتوا بمثله وليس ذلك من علم
المجانين ولا مما يمكن تحصيله في حال الجنون لان المجنون اذا افاق من جنته تكلم بكلام الاغبياء مثله ولا تكرت
لو جاز ان كانوا ينسبونه الى الجنون لما خاطر بروحه ونفسه وقال ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد لطفي

ان الذي حمله على المخاطرة بروحه وجسده هو انه مأمور بالتبليغ والانذار فهو يقوم بما امر وان اداه ذلك الى تلف
النفس ثم بحمد الله لم يتهيأ للقوم عند ان يقتلوه ولا يمكنوا من المكر به بل اظفره الله تعالى عليهم حتى تبكيهم وتذكيه من
يجيء دهرهم فصار الوجه الذي استدلوا به على جنونه انه رسالته ودلالة نبوته وان الله اهداك وقوله تعالى وان لك لاجرا
غير ممنون قال الحسن لك لا يمن عليك الذي تؤذيك فكأنه يمن عليك منه رحمة وكرامة والمن المؤذي كما ذكر جل وعلا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فليس لاحد عليك منة يؤذيك وقال بعضهم غير ممنون اي غير مقطوع اي اجرا
غير مقدر بالاعمال حتى يجري بقدر الاعمال فاذا انقطعت الاعمال انقطع الاجر بل يتتابع عليك ويدر وقال بعض اهل
الكلام ممنون الحبل اذا قطعته وقال بعضهم غير ممنون اي غير محسوب اي لا يحسب عليك النعم منا منا الحسنا وقوله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم ومعناه ما ادبه القرآن وذلك كقوله خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وكقوله
ادفع بالتي هي احسن السيئة وكقوله واخفض جناحك للمؤمنين فاخذ بالعفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين
ودفع السيئة بالتي هي احسن وخفض الجناح للمؤمنين من اعظم الخلق فتخلق بهذا كله ما ادبه القرآن فانه قد قال
بعضهم الخلق العظيم هو الاسلام والاسلام هو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى فقد استسلم لذلك الشر [illegible]
الناس من لسانه ويده ومن كل انواع الاذى فذلك من اعظم الخلق والاصل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلف
معاملة اعداء الله تعالى ومعاملة اعدائه ومعاملة اولياء الله وانصاره وكلف ان يرضى كل من سواهم وعدا منهم وكلف
معاملة الصغير والكبير والجاهل والعالم والجن والانس وكلف معاملة نسائه ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لا يتم
بها الا بخلق عظيم ورزقه الله خلقا عظيما وقام معهم بحسن العشرة على من يثبت على عظيم خلقه بقوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم وبقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقال فلعلك باخع
نفسك على آثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والذي حمله على هذه المشقة والكلفة العظيمة حسن خلقه
وفضل شفقته ورحمته صلى الله عليه وسلم فعظم خلقه ان خلقه جاد وتقوى نفسه حتى ضعفت نفسه عن احتماله
وكادت تهلك فيه وغيره من الخلائق تقصر اخلاقهم عن تقوى انفسهم وانفسهم تحتمل اضعاف ما هم عليه من الخلق
وتضيق اخلاقهم عن ذلك فهذا الذي ذكرنا هو النهاية في العظم والله الموفق وقوله تعالى فستبصر ويبصرون
بأييكم المفتون قال جعفر بن حرب المفتون في هذا الموضع هو المفتون بمضا كلته المجيء خطابه المشعوف بجهله
وقال الحسن المفتون هو الذي معه الشيطان وقيل المفتون من به الفتنة كما يقال فلان لا معقول له اي ليس له عقل
وقيل المفتون المعذب كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون فكأنه يقول ستعلمون ايكم المعذب ايكم
الضال فحمل على ما ذكر الحسن وايكم المفتر ان كان المعنى على ما ذكروا ان المفتون من الفتنة وجائز ان يكون ذلك
فيما كان يدعي من الرسالة ويزعمون انه مفتر بها ويفترى بها عليهم كما قال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
ونحو هذا عندنا ان لا يتكلف تفسيره لانه قال فستبصر ويبصرون بأييكم المفتون فذكر هذا جوابا عما وقعت بينهم
الخصومة فكانوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
انهم هم المفتونون فخرج هذا جوابا لتلك الخصومة انهم عاينه ستبصرون فان وقعت الخصومة في اي وجه
فمن كانوا يدعون انه ساحر ومرة يدعون انه مجنون ومرة انه ضال العمرة انه مفتر وغيرها من الوجوه فاذا انتهى
ان الا انزلت في حق الجواب فيما لم يعلم بان الخصومة فيما كانت لم تعلم الجواد انصرف الجواب والله اعلم وقوله
ان لا يكون الخصومة الواقعة في الضلال والهدى فكانوا يدعون على الحق انهم اتبعوا اسم الهدى [illegible]
صلى الله عليه وسلم والمسلمين يدعي انهم هم الضلال وانهم على الحق [illegible]
فعند ذكر المفتون وهو قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فهذه الآيات [illegible]
[illegible] الجواب [illegible]
الاعراض عن المكافاة في الجواب بقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
[illegible] وقال تعالى فلا تطع المكذبين [illegible] موضع آخر ولا تطع منهم آثما او كفورا [illegible] قوله
فلا تطع المكذبين [illegible] امره بان لا يطيع المكذبين لان [illegible] لا يجوز لهم ان يتقدم بين
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
فيما يدعوه اليه [illegible] الطاعة [illegible] لان الدعاء [illegible]
[illegible] المصدق دون ان يتضمن [illegible] ولا تطع المكذبين امر بطاعة المصدق وهو قوله تعالى ولا
[illegible] ولكنه خص [illegible] ذلك الخالق لان
هي التي كانت تحملهم على القتل [illegible] هذا دلالة انه
[illegible] تخصيص الشيء [illegible] على ان الحكم [illegible] وقوله المكذبين هم المكذبون

ودوا لو

او يجدنا نتبعها ويبتليه او بالبعث ثم يجيئنا ان يكون هذا الامر منهم الى اول وكانوا يطمعون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاجابة لهم فيما يدعونه اليه اذ كانوا يرجون منه الموافقة لهم بما يبديه من الملاطفة فكان النهي
راجعا الى ذلك فاما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لامر الله تعالى فلا يحتمل ان يطمعوا بما
منهم ذلك فيما علمنه وجائز ان يكون دعاؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من قوله ودوا لو تدهن
فيدهنون والمداهنة هي الملاينة والملاطفة في القول ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر
آلهتهم بالسوء ويسفههم بعبادتهم اياها ويسفه احلامهم ويجهلهم وهم لم يكونوا يجدون ويتخذون رسول الله
صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه الى الكذب مرة والى الجنون ثانيا والى السحر بالنشاد وكانوا
يتخذونه هزوا اذا رأوه وكانوا يطعنون فيه من هذه الاوجه بما رأوا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسفههم وينكر آلهتهم بسوء طمعهم منه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن الا انه الى هو الحق تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك فاخبر تعالى انهم ليسوا يكذبونك لانهم لا يعلمون عليك الكذب بل
قد عرفوه بالامانة والصدق وقد لم يكونوا وقفوا منه على كذب قط فعلا ما الذي حملهم على التكذيب بعد اتخاذهم
اياه هزوا وذكر آلهتهم بسوء كذلك قال واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم فكانت
معاملتهم هذه مجازاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ودوا لو تدهن فيدهنون يخرج هذا ان شاء الله تعالى
هو انك لو تركت ذكر آلهتهم بسوء ولم تسفه احلامهم لامتنعوا هم ايضا عما هم عليه من نسبتهم اياك الى الجنون
والسحر والكذب بعضهم ذلك فعلك كان ينكر عليهم بما ذكرهم وهو قد فعلهم كانوا ينكرون بما قالوا
بل انه الباطل والزور فيكون قوله ولا تطع المكذبين فيما يدعونك الى المداهنة ثم انهم لو داهنتك لوافق
مداهنتهم حقيقة فاذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لو داهنهم لم يكن في مداهنتهم محقا فلذلك نهى عن المداهنة وقال بعض اهل التفسير ودوا لو ترخص لهم
او لو ترفض بما انت عليه من الدين فيرفضون ما هم عليه من الدين فيرفضون ما هم عليه من الدين وهذا الوجه
لانه ان رفض ما هو عليه كفر واذا تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين فيقع الاختلاف بينهم الاختلاف في الذي
لاجله دعوا الى المداهنة وقد وهاهنا تعالى ولا تطع كل حلاف مهين قيل نزلت هذه الآيات في شأن احد
نشأ ابنه وهو الوليد بن المغيرة المخزومي وقيل ما نشأ الى واحد لا يطلق فيه لفظ الكل فيقال لا تطع كل حلاف
مهين والحلاف المهين ليس الا واحد ولكن معناه ولا تطع هذا ولا كل من يوجد فيه هذه الصفة ثم ذكر
الذي بقوله حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم الشاهد لان
لان ذكر الذي ما هو عليه من ارتكاب الفواحش والمساوي المخزي فيشتم ويجعل الله ورسوله ان يشتموا انسانا
او يغضبوه اذ ذلك فالآية ليست في شتمه [illegible] في موضع التوبيخ والزجر على تابع مثله ودن
انه كان من اهل الكفر ومن بسطت عليه الدنيا فكان القوم يتبعونه وينقادون له فيما يدعوهم الى الصد
عن سبيل الله فذكر الله تعالى هذه الاشياء فاظهرها للخلق ليزهدهم في اتباعه اذ كل من كانت فيه هذه
الاحوال لم يسخ نفس عاقل باتباعه ولا احتمل طبعه طاعة مثله ولا يمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى
فكان في ذكره بالعيوب التي فيه زجر الناس عن طاعته فذكرها لاثبات هذا الوجه لا ان يكون قاصدا
تحصيل الشتم والهجاء ولذلك ذكر ابا لهب بالتب والخسار وما هو عليه من الفواحش لينزجر الناس عن اتباعه
وفي هذه الآيات دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي نذكره في سورة تبت ان شاء الله تعالى
ثم قيل المهين من المهانة وهي المهنة ومنه الدهن وهو الضعف ثم قوله هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم
جائز ان يكونوا استوجبوا المهانة لكونهم هماز مشاء بالنميم ويمنع الخير والاعتداء فيكون هذا كله تفسير
المهين فان كان هكذا فقوله المهين من المهانة هاهنا ثم لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي
عن طاعته من هذا وصفه وان يميل قلبه اليه ولكن النهي لكان عنه وان كان في المشار اليه بالذكر جائز ان يكون كل
حلاف مهين تمام الكلام ويكون قوله هماز مشاء بنميم على الابتداء فكأنه يقول لا تطع كل حلاف مهين وكل
هماز مشاء بنميم وكل معتد اثيم وكل عتل زنيم وتفسير الهماز نذكره في سورة الهمزة ان شاء الله تعالى والمشاء بالنميم
هو الذي يسعى في الفرقة بين الاخلاء ويغري قوم فيما بينهم بالقطيعة والمناع للخير قال بعضهم انه كان يمنع اهل
الآفاق من كان يحضره عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه صابئ مضل فقيل مناع للخير لهذا
ومنهم من ذكر انه كان يمنع ولده عن الاختلاف الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجائز ان يكون
سمى للخير لما منعهم عن ادراك الحق وعن الاسلام تعالى الواجبة في ماله وقوله معتد اثيم اي معتد حدود الله
او ما اليه نفسه وقوله اثيم هو المرتكب لما ياثم به وقوله عتل بعد ذلك زنيم العتل الغليظ الشديد الظلم

وقيل هو الفاحش اللئيم الضريبة وقال مجاهد العتل الشديد الاشر الى الخلق ويقتدى في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم قال رجل من المسلمين يا رسول الله
وما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الجواظ فالذي جمع ومنع
ويدعوه لظى نزاعة للشوى واما الجعظري فالفظ الغليظ قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما العتل الزنيم فهو الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول
الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس واما الزنيم هو الدعي الملحق بالقوم الملصق في النسب
واستدلوا على ذلك بقول الشاعر زنيم ليس يعرف من ابوه * بغي الام ذو حسب لئيم * ويقول الاخر
زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد في عرض الاديم الاكارع * ومنهم من قال انه كانت به زنمة في اصل اذنه
يعرف بها ومنه من يقول الزنيم هو المعلم في الشر ولقائل ان يقول اذا كان تاويل ما ذكر في الخبر ومعنى الزنيم
الدعي وما ذكر من العلامة فكيف عير بهذه الاشياء ولم يكن له في ذلك صنع والمرء انما يعير بما له صنع في
العيوب فليس لمكان المذكور بنفسه ولكن لاجل الناس من اتباعه لان من استعمل على العيوب التي ذكرها
وكان مع ذلك عتلا زنيما فانفس الخلق تابى عن اتباعه ففائدة تعييره بما ليس عليه ما ذكرنا من الحكمة
لا تعييره والثاني انه ذكر اصله كناية عن سوء فعله ليعلم انه خبيث الاصل لدعوى الانسان الى المعاصي الا اعمال
الذميمة وصحة الاصل وحسنه وتعاديه تدعو صاحبه الى محاسن الاخلاق والى الاعمال المرضية
وقوله تعالى وان كان ذا مال وبنين * فيجب ان من يتبعه يتبعه لكثرة امواله وبنيه فهذا الشان كثرة الاموال
للانسان من احسن ما يستدعي قلوب الخلق الى تعظيمه فذكر ما فيه من العيوب والمساوي لئلا يستميل قلوب
الضعفة الى نفسه بماله فيقول كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى ثم اخبر عن
معاملته رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وان كان نظاما
نظام لكن لم يرد به العموم لان ان هذا الا اساطير الاولين ليس في كل الايات وانما هو في الايات التي
هي في حق الاخبار عن الامم السالفة واما اذا تليت عليه الايات التي فيها دلالة اثبات الرسالة ودلالة
التوحيد ودلالة البعث يقول فيها ما قال في سورة المدثر ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر وهذا
دليل على انه لا يجب اعتقاد ظاهر العموم ما لم يتعاقب والله اعلم وقوله تعالى سنسمه على الخرطوم قيل
شيئا لا يفارقه فجائز ان يكون جعل هذا في الدنيا كي يعلمه فيذكره من يراه فيجتنب صحبته ومن يصيب
شيئا من هذا الوجه فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم اذاه
له وجائز ان يكون هذا في الاخرة ويجعل الله له في انفه علما يتبين به ويتميز عن غيره يوم القيامة زيادة
له في العقوبة كما جعل للاكلي الربا يوم القيامة علما يعرفون به وكذلك قوله الذين ياكلون الربا لا يقومون الا
كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وجائز ان يكون نسم خرطومه مخصوصا له من بين الكفرة فيعيبه
ولا انف له لانه ذكر ان سائر الكفرة يحشرون يوم القيامة بكما وعميا وصما ولم يذكر في انه فيهم شيئا فجائز
ان يحشر ولا انف له وذلك هو النهاية في القبح والله اعلم وقوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فهو
يحتمل على وجهين احدهما ان يكون اهل مكة ابتلوا بالاحسان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابتلى
اصحاب الجنة بالاحسان الى المساكين ثم اخبر ان اولئك امتنعوا عن الاحسان الى المساكين فحل بهم من
البلاء ما ذكر لامتناعهم على الايتمار فيذكر اهل مكة انهم ان امتنعوا عن الاحسان الى اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم حل بهم ما حل باولئك فقد وجد منهم الامتناع فابتلوا بسنين كسني يوسف حتى اضطروا
الى اكل الجيف والاقذار ثم ان اصحاب الجنة لما مستهم العذاب وايقنوا به انابوا الى الله تعالى وانقلبوا من
فتاب الله عليهم ورفع البلاء عنهم فاهل مكة تمادوا في غيهم ولم يتوبوا فانتقم الله منهم بالقتل يوم
بدر في الدنيا وسيرهم الى العذاب في الاخرة وجائز ان يكون الله تعالى لما اعزهم ونزههم وصرفهم عن
الخلق امتحنهم في الدنيا بتبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فلما اساؤا صحبته عاقبهم بما ذكر
وان وسع على اصحاب الجنة فامتحنهم بما وسع عليهم بان يوسعوا على غيرهم فلما امتنعوا على ذلك نزع منهم
النعمة عنهم ومن شكر لئن شكرتم لازيدنكم والغرض منهم واذاقهم الله تعالى لباس الجوع والخوف والله اعلم
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين * فقوله مصبحين اي في الوقت الذي ينسب الى الصباح وذلك يكون في آخر
الليل كما يقال يمسي لاول وقت ينسب الى المساء واذا كان كذلك فالاصرام يقع بالليل الا ترى الى
[illegible]
ولا يستثنون * [illegible]

ان التسبيح كان مستعملا في موضع الاستثناء وقد يجوز ان يؤدي معنى الاستثناء لان في التسبيح تنزيه
الرب سبحانه وفي الاستثناء معنى التنزيه لان فيه اقرارا ان الله تعالى هو المعين للاشياء والمبدل لها
ثم اصحاب الجنة بقسمهم قصدوا قصدا يلحقهم العصيان فيه وكان نهيهم للذي قاهر ولعله معصية
وهو تبوابين كهم الاستثناء ففيه دلالة ان الله تعالى يوصف بالمشية لفعل المعاصي ممن يعلم انه يختار
لانه لو لم يوصف به لم يكن لمعاتبته اياهم بتركهم الاستثناء معنى اذ لا يجوز ان يستعمل الاستثناء فيما لا يجوز
ان يوصف ايضا بالاضلال لمن يعلم منه انه يؤثر الضلال لم يجز ان يلاموا على ترك الاستثناء ولا مدخل الا
فيه والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم فيبتني
انه يشاء اضلال من ذكرنا وفيه دلالة ان تخلق المشية غير ذلك الشيء مستقيم ان يوصف الله تعالى بالاضلال او لا
يوصف بالضلال فان كان الاضلال خلقا له فيوصف بانه المحيي والمميت لا يستقيم ان يقال ان شاء
يحيي وان شاء امات وان كان هو الذي خلقهما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الى الاستثناء لا ان الاستثناء المنبت لا يلزمهم الحنث في اليمين فلو كان هذا كان مسقطا لليمين ومزيله
الحنث لا يستثنون على الاستثناء اذ الحقهم الائمة بتركهم الاستثناء وكان فيه
من الاستثناء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يحبون ان يكون بساتينهم كما يشتهون الاسراع في المشي لئلا يشعر بهم احد من المساكين فيتعجلوا في الخروج
والمشي قبل الوقت الذي يحضر فيه المساكين وقوله وغدوا على حرد قادرين فيهم من ذكر ان اسم جنتهم كان حرد
وقيل قد غدوا على امر قد استتروه فيما بينهم وقال الزجاج الحرد له اوجه ثلثة احدها القصد واستدل
عليه بقول الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله * يحرد حرد الجنة المغلة * اي يقصد قصدها والثاني هو المنع
يقال احرد في الجنة اذ لحقت فمنعت بركتها والثالث الغضب فمعناه على حرد قادرين اي على غضب
على الفقراء قادرين وقوله قادرين اي قادرين عليها في انفسهم ولقائل ان يقول ان في هذه الاية دلالة نقد
القدرة على الفعل لانه اثبت لهم القدرة ليست هي قدرة الافعال وانما هي قدرة الاسباب والاحوال
وقوله تعالى فلما رأوها قالوا انا لضالون اي قد ضللنا الطريق فكان عندهم انهم ضلوا الطريق لذلك
لم يتوصلوا الى ثمارها ثم ظهر لهم انهم لم يضلوا الطريق بل حرموا بركة الثمار بجنايتهم التي جنوها فتدبروا
صنيعهم وندموا على ذلك فاقبلوا بالاستكانة والتضرع الى الله تعالى فتاب عليهم فلعل الذي قال انا بلوناهم
كما بلونا اصحاب الجنة يخرج على هذا وهو انا بلونا اصحاب الجنة فتذكروا فرفع عنهم العنا ولم يتذكر اهل
مكة فحل بهم العذاب يوم بدر كما قال فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وقوله قال اوسطهم الم اقل
وقوله الم اقل لكم لولا تسبحون فجائز ان يكون معناه لولا يصلون العجز يخرجون وجائز ان يكون معناه
لولا تستثنون وقد ذكرنا ان في الاستثناء معنى التسبيح لان فيه اقرارا بان الامور كلها سبحانه الله
وانه هو المعين والمبدل دون احد سواه وقوله تعالى قالوا سبحان ربنا فهذا منهم توحيد وتنزيه في
قوله انا كنا ظالمين اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب وانابة الى الله تعالى وتمام التوبة منهم في قوله فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون اي اقبل بعضهم بالوم يقولون انت امرتنا ان نصرمها ليلا وقال هذا بل هو عملك

انت وهذا لا معنى له لان هذا يوجب تبرئة كل واحد منهم عن ارتكاب الذنوب وقد سبق منهم الاقرار
بالذنب بقوله قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وبقولهم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فكيف يبرئون انفسهم
من الذنوب وقد اعترفوا بها وهذا تاويل لا معنى له بل معناه والله اعلم فاقبل بعضهم على بعض
يتلاومون على دخال الكل منهم نفسه في ذلك العزم او اقبل كل واحد منهم بالملامة على نفسه حتى يكون
موافقا كقوله انا كنا ظالمين وقولهم يا ويلنا انا كنا طاغين ففي هذا اتمام التوبة ففيه انهم اظهروا الندامة
على ما سبق منهم من وجه ثلثة مرة بما وصفوا انفسهم بالظلم ومرة بما لاموا انفسهم بالطغيان وقوله عسى
ربنا ان يبدلنا خيرا منها اي يبدلنا خيرا منها في الدنيا والاخرة لانه لا يجوز ان يتوقعوا خيرا منها وهم
مصرون على ذنوبهم اذ عرفوا انهم حرموا ثمرة الثمار بما ارتكبوا من الذنوب فثبت ان معناه ما ذكرنا ويحتمل
ان يكون هذا في الاخرة بقولهم عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها في الاخرة اذا شاء الله والله اعلم وقوله تعالى
انا الى ربنا راغبون اي الى ما عند ربنا من العطايا فانا المنا لراغبون او الى ما وعد ربنا للتائبين من الثواب
لراغبون وقوله تعالى كذلك العذاب كانه يخاطب اهل مكة ان كذلك العذاب في الدنيا ان ياخذ اهل مكة
امر ما كانوا لو اعقل ما كانوا كما اخذ اصحاب الجنة عند الانزال اذا كان عندهم انهم يقدرون على صرم الثمار
ولا ياخذهم وقوله ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ففي هذا العذاب يعلي لو لم يعلم بالعذاب ونحن
به لا انهم لم يؤمنوا بعذاب الاخرة وان لم يعلم العلم يعذروا بالجهل لانهم قد وقفوا على السبب الذي
لو تفكروا فيه لعلموا ان العذاب ولا يتقوا به وفي هذا الحجة ان الاحد ولمن يختلف عن التوحيد والايمان بالله تعالى وان
جهل الا ان يكون جهله جهل خلقه لان الذي قد افضى الى الجهل هو التقصير في الطلب والا لم يقصر في الطلب
وقوله ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وفيه ترغيب لمن لزم التقوى وهي الاسلام افنجعل المسلمين
كالمجرمين اي فنجعل من جعل كل شيء لله تعالى سالما لا يشرك فيه احدا كالذي اجرم فجعل في كل شيء
شركاء في العبادة والتسمية وبين الله تعالى انه ولي المؤمنين وعدو المجرمين فلو لا انه عم اهل ان
اسوى بينهم وبين الاحباب والجمع بينهم لا يتقدم عن ذلك لان فيه تضييع الحكمة لان الحكمة توجب التفرقة
بين العدو والولي وفي الجمع بينهما تضييعها وقوله ما لكم كيف تحكمون فان اجعل عدوي عنى له ولي او ولي
بمنزلة عدوي او اي شيء حملكم على حكمكم هذا فلم تركم بهذا الحكم كتابة ولا معقول توجيه ذلك فكيف تطوف
بين ذلك وكيف تحكمون بالجور على ربكم لان من الجور ان يجمع بين عدوه وبين وليه في دار الكرامة ثم قوله افنجعل المسلمين
كالمجرمين يستقيم ان يجعل هذا حجاجا للفريقين لمن ينكر البعث ولم يزعم انه شريك اهل الاسلام في الدار الاخرة
فيما يكرمون من النعيم فمن انكر فالاحتجاج عليه بهذه الاية هو ان العقل يوجب التفرقة بين الولي وبين الشكور
فالكفور وان البعث فقد زعمتم على ان الله لا يجعل المسلمين كالمجرمين والكفور كالشكور والعدو كالولي فمن فعل
هذا فهو سفيه لا يصلح ان يكون حكيما ففي انكار البعث تحقيق السفه واثبات الجور لان من الجور ان يجمع بين الولي
وبين العدو في الجزاء ومن ادعاء الوجه الاخر وهو التسوية بين الفريقين لما تساويا في منافع الدنيا ومضارها
وفي لذاتها ومشاقها وبلاياها فعلى ذلك يكون امرهم في الاخرة فنجيبهم ان الدار الدنيا هي دار يظهر فيها العدو
من الولي والشكور من الكفور والاخرة دار الجزاء العداوة والولاية فجائز ان يقع فيما يظهر الاية والعلاقة
انما وقع ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما هو الجزاء لان الجزاء العداوة والولاية سبقت والحكم توجب التفرقة بين
الجزائين فلا يجوز ان يجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة وليس قبل المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في
فجاز ان يقع بينهما الاتفاق في ذلك الحالة لو كان يفرق بينهما في الدنيا لكانت المحنة يخرج على حدها والدار
هي دار المحنة وانما قلنا ان فيه اخراج المحنة عن ان يكون على الرجاء والخوف والرغبة والرهبة فلو فرق بين العدو
والولي في الدنيا لوسع على الاولياء وضيق على الاعداء لوقع اختيار وجهة الولاية على الضرورة لان من علم
انه يضيق عليه اذا اختار وجه العداوة ويجعل عليه العذاب ان ترك ذلك الوجه ومال الى الولاية فيرتفع
المحنة فلذلك جاز ان يجمع بين العدو والولي في المحنة ليبقى وجه المحنة بحاله ولم يجمع بينهما في الاخرة لانها دار
جزاء والعقل يوجب تفرقة جزائهما والله الموفق وقوله تعالى ما لكم كيف تحكمون اي احكم الحاكمين واعدل العادلين
بالجور اذ تزعمون انه يجمع بين الفريقين في دار الكرامة ومن الجور ان يجمع بينهما وهم كانوا يقرون ان الله تعالى
احكم الحاكمين وقوله تعالى ام لكم كتاب فيه تدرسون فخلصهم الا ما يوجب الحكمة وهو انكم تعلمون ان الحكمة
توجب التفرقة بينهما فان كنتم تدعون ذلك من كتاب الله تعالى فاي كتاب من عند الله جاءكم فيه يوجب التسوية
بينكم وبين الاولياء واي رسول امركم بانكم تساوون الاولياء في نعيم الاخرة ثم وجه المحاجة بالكتاب هو
مشركي العرب لم يكونوا يؤمنون بالكتاب ولا بالرسل ولو كانوا يؤمنون بها لكانوا يقدرون ان يقولوا ان لنا

كتابا درسناه ووجدنا فيه ما يذكر في يدعي في رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبرنا بذلك وكتبهم اذ كانوا
لا يؤمنون بها ما صار هذا الوجه الذي ذكرنا الله تعالى حجة لازمة عليهم والله وقوله تعالى ان لكم فيه لما تخيرون
وقوله ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون وهذا ايضا صلة الاول كالاول الذي هل اعطيتم عهدا
ام حلف اقسم لكم انه هكذا كما تحكمون وهذا كقوله ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت وقوله اذ وصاكم الله بهذا
فاخذهم بالمعاينة اولا وهو من العقل اذ ذكر من حرم ام الانثيين فلما لم يثبت لهم ثبت ذلك بالقياس والمعقول
احتج بقوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا وقد عرفوا انهم لم يشهدوا وما ادعوه لا تثبت الا من الوجه
الذي ذكرنا فاذا لم يثبت شيء من ذلك تبين عندهم فساد دعواهم فهذا ايضا مثله وهو انه سالم عن ايراد
الحجة اما من جهة الحكمة او من جهة الكتاب او من جهة الشهادة واذا لم يثبت لهم واحد من هذه الاوجه فباي وجه
يشهدون على الله تعالى انه يفعل ذلك وقوله بالغة اي مؤكدة او بلغت اليكم من الله تعالى وقوله سلهم ايهم بذلك
زعيم يقول ان ناظرهم فسلهم مع هذا كله فان يدعوا على دعواهم من حجة يشهد لهم فسلهم واطلبهم بالزعيم اي
من يتكفل لهم ان الامر كما يزعمون وقوله تعالى ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اي شركاء يشفعوا
لهم يوم القيامة فقال بعضهم ام لهم شهداء من عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون وقوله تعالى يوم يكشف
عن ساق قيل يكشف عن موضع الوعيد بالشدائد والاهوال والساق الشدة وسمي الساق ساقا لهذا لان الغاية
شدة تنهض سوقهم ايبا ما يحملون من الاحمال فكني الساق عن الشدة وقيل ايضا بانهم كانوا اذا ابتلوا بشدة وبلاء
كشفوا عن سوقهم فكني بذكره عن الشدة لان يراد بذكر الساق والله اعلم وقوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
يحتمل ان يكون هذا على دعاء الحال ويحتمل ان يكون على دعاء الامر فاما دعاء الحال فهو انه من عادة الخلق انه
اذا اشتد بهم الامر فزعوا الى السجود فجائز ان يكون ما حل بهم من الاهوال الشدائد يدعوهم الى السجود فهم
بذلك فلا يستطيعون ان يسجدوا فعلا ويدعون الى السجود اي يدعوهم الحالة الى السجود فهذا دعاء الحال
وجائز ان يؤمروا بالسجود ويحتمل بهم ادركا قالتاويل قبل الامر ويحتمل ان ذلك السجود الشفقة وجائز ان يكون في
الموت وان كان على دعاء الحال فعند ذلك يكون عند الموت ثم الامر بالسجود يحتمل وجهين احدهما ان يكون على
حقيقة الفعل ويحتمل ان يكون على الاستسلام والخضوع اذ السجود في الحقيقة هو الخضوع والاستسلام وكل سجود
ذكر في القران فان يبنيه عين السجود فليس يحب بتلاوة السجود وكما اريد به الاستسلام والخضوع فانه يلزم بتلاوة
السجود [illegible]
منهم الاستسلام بالاعتقاد [illegible] من جهة الفعل فجائز ان يكون هذا [illegible]
الاستسلام [illegible] لان تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة [illegible]
[illegible]
[illegible]
كما قال عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فقيل يا رسول الله
[illegible]
[illegible] ويدعون الى السجود [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والله اعلم [illegible]
[illegible]

حتى يهلك وقيل سنستدرجهم اي نتم عليهم ونمنعهم شكرها بالاملاء وننزل بهم العذاب والهلاك
امرما كانوا فقوله تعالى واملى لهم ان كيدى متين فالاصل ان المكر والكيد كالاستدراج تقتضي معنى
والجيد هو ان يأخذ من وجه امنه ويراقب وجوه هلاكه فهو يستعمل في الخلق على وجه يذم فاعله
فهو يضاف الى الله تعالى ليس على حيال ذلك لما سماه اذ لا يجوز ذكرا كما ينا مستدرجا وانما يضاف اليه في حق
الجزاء وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد لكن قد يجوز ان يسمى الجزاء باسم ما له الجزاء كما يسمى جزاء السيئة
سيئة وان لم يكن بسيئة وكما يسمى جزاء الاعتداء اعتداء فلذلك سمي جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى لان لم يكن
ذلك منه كيدا في الحقيقة او نقول فاذا لم انما يلحق الماكر والكائد اذا استعمله في ولده وصفيه فاما اذا مكر
بعدوه وكاد به فذلك مما لا باس به ولا يذم عليه فاعله وما اضيف من الكيد الى نفسه تعالى انما كان لانه ليس
باوليائه فلم يكن فيه الحاق معنى مكروه بالله تعالى ثم الاصل ان ينظر في الفعل لما ان اضيف الى الله تعالى بحقيقته ام
بمجاز فان كانت الاضافة بحكم المجاز فلا يحمل ذلك على اسماله لانه لا يجوز ان يقال هو كاتب دخ ولا
ولا ماكر اذ لا يتحقق ذلك منه وما كانت اضافته لاجل التحقيق كان يستقيم ان يسمى به لانه يستقيم ان يسمى
منعما مفضلا خالقا رحمانا فان الانعام والافضال والخلق موجود منه وقوله متين اي قوي وثابت يعني
ان كيدي متين اي كيدي لاوليائي وعلى اعدائي بابلس كيده لاعدائه لان كيد الاعداء كيد الشيطان وكيد الشيطان
ضعيف كما قال جل وعز ان كيد الشيطان كان ضعيفا والاصل ان الكيد اذا اضيف الى الله تعالى حق والحق
قوي ثابت لا مدفع له وكيد الشيطان باطل وليس للباطل قرار وهو ما قال تعالى اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار قوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون الاصل ان الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق الى
ما يستثقله عقل وطبع بل كانوا يدعونهم الى ما يخف ويشهد على الطبع والعقل ليكون اقرب الى الاجابة
له الاجابة لانهم كانوا يدعونهم الى التوحيد وهم كانوا يعبدون عددا من الالهة وعبادة الواحد ايسر
من عبادة عدد وكانوا يدعونهم الى الصدق والى مكارم الاخلاق لكن الاجابة تيسر فيثقل
عليهم اجر فيثقله عليهم ذلك فيحق تركوا الاجابة لذلك مع تيسره عليهم فيخرج ذكر هذا مخرج تسفيه احلامهم
قوله تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون فهذا يحتمل وجهين احدهما ان عندهم علم الغيب فهم يكتبون كيدا
بالذي ادعوا انا نجعل المسلمين كالمجرمين وذلك مكتوب عندهم او عند سلفهم علم الغيب فهم يكتبونه
ويعلم به خلفهم فيخاصمونك به ثم هم قوم لم يكونوا بالكتب ولا بالرسل فكيف يخاصمونك ويكذبونك
فيما يخبرهم وما عانوا وصل الى التكذيب بما ثبت من العلم بخلافه وما بوا احدا يحتج بالذي ذكرنا او يكون
هذا في موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا انما نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء فما الذي
حملهم على هذا الدعوى ام عندهم علم الغيب فهم يكتبون او يكون الغوث كذا لزعموا انفسهم الذين ترتيب الله
تعالى واقروا له بالالوهية وذلك بان منهم العمل بما فيه تبجيل الله تعالى وما به يشكر الخلائق وذلك لا يعرف الا
بالرسل عليهم السلام فتقدم هو لا جاهة ان يتبعوا الرسل يحملهم علم الغيب بما امتنعوا من الاجابة لرسول الله عليه السلام مع
حاجتهم اليه ان ما عندهم علم الغيب عن الرسول عليه السلام وقوله فاصبر لحكم ربك ان يحكم بكم قوله تعالى
قال الرسل تلك احدها ان يدعوا على قومهم بالهلاك والثاني ان يستبدلوا من لحقهم حتى يؤذن لهم والثالث ان لا
يتضايقوا فوقهم واذا سيدتهم البلايا الا باذن الله تعالى والثالث ان لا يقصروا في التبليغ وان خافوا على
انفسهم ثم من قد اهلك عليهم امران احدهما انهم امروا ان لا يغضبوا الا لله تعالى والثاني لا يجزعوا لمكان ايذاء
اذا اذاهم قومهم بل يجزعوا لمكان اولئك القوم اشفاقا عليهم منه ورحمة بما يحل عليهم من العذاب بتكذيب
الرسل فهذا الحكم هو تبيه ويحتمل ان يكون قوله فاصبر لحكم ربك اي لا تجازهم بصنيعهم ولا تستعجل عليهم
بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب بعد قوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم قيل دعا
على قومه بالدعاء بالهلاك لكنه لم يظهر دعاه على قومه عندنا وانما ظهرت منه المفارقة والمغاضبة بقوله
وذا النون اذ ذهب مغاضبا ولم يكن له ان يفارقهم فقيل اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك
ولا تكن كصاحب الحوت الذي فارق قومه قبل مجيء الاذن من الله تعالى والثاني ان يونس عليه السلام لم يصبر على
اذى قومه بل فارقهم حتى ابتلي ببطن الحوت ثم فزع بالدعاء الى الله تعالى لخلصه من بطنه فقيل لا عليك بالصبر مع
قومك ولا تكن كصاحب الحوت حيث لم يصبر مع قومه فابتلي بما ذكر حتى احتاج الى ان ينادي في الظلمات ان لا اله
الا انت اني كنت من الظالمين فيبتلى انت ايضا بمثل ما ابتلي هو به ثم لا يجوز ان يلحقه ويعاتب على ما دعا في بطن
الحوت لان ذلك عتاب بما ابتلي به ولا ينبغي لمن ابتلي الصبر على العذاب بل عليه ان يبتهل الى الله تعالى ليكشف
عنه وانما لحقه اللائمة بمفارقة قومه وتركه الصبر معهم وقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو

مذموم

مذموم نعمة من ربه هو ما وفقه للتوبة والانابة وما قبل منه توبته وكان له ان لا يقبلها اذ هو انما اناب بالتوبة
تعلقا لما وصل الى تلك المضايق وابتلي بالشدائد وجاءه باس الله تعالى ومن حكمه ان لا يقبل التوبة بعد نزول
العذاب والشدة الا ترى الى قوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما
راوا باسنا فاذ قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى وقوله لنبذ بالعراء وهو المكان الخالي ولم يتب الله عليه وجعله
لكان ان يلبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ينبذ بعد ذلك بالعراء وهو مذموم لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول
توبته فنبذ بالعراء وهو سقيم محمود فقوله لنبذ بالعراء وهو مذموم لو عاقبه بالنبذ لكن انما نبذ بالعراء بعد
قبول التوبة فلم يصر مذموما وقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه فنعمته عليه كانت من ثلاثة اوجه احدها
في تذكيره المنزلة وذلك كان بالتقام الحوت اياه وكان نعتده ان مفارقته قومه لم يكن زلة لانه انما فارقهم لان
قومه كانوا له اعداء فالذين تعارضهم ليتخلص منهم ويسلم له دينه ولا يسمع المكروه منهم في الله تعالى ولكن
ابيح مفارقتهم اياهم يخوف منهم لهم ويستدل ان القوم كان لا يغادرهم بنفسه من بين اظهرهم الا عند
ما يئسوا من ايمانهم فكان نسبا بعد ذلك مما يحملهم على الاقدام على ما هم فيه ويدعوهم الى الفزع الى الله تعالى ومن خوف
العذاب ولم يكن فيه دعاؤهم الى الهدى كان فيه محمودا مصيبا ولان مفارقته اياهم هي التي دعتهم الى الاسلام
فاسلموا لقوله فامنوا فمتعناهم الى حين ومن كانت مفارقته بهذه الاوجه التي ذكرنا لم يعد مفارقته زلة
بل هذه من افضل شمائله ولكن لحقته اللائمة مع هذا كله لما ذكرنا ان الرسل لا يسعهم ان يفارقوا قومهم
وان اشتد عليهم الاذى من جهتهم الا بعد وجود الاذن من الله تعالى وكانت مفارقته بلا خبر اذن له في
القلم ثم كان نعمته لنسخ تلك المفارقة لم الاخرى الجعلة فظن ان لن نقدر عليه قيل في التاويل ان لن نضيق
عليه وقيل ان لن نعاقبه فلولا ان عنده ان تلك المفارقة زلة الا بتحليله والا لا يظن هذا فتبين عند التقام
الحوت اياه وما افضي اليه من الشدائد ان تلك زلة منه وترك ما ازله من احكام النعم النعمة الثانية والثالثة ما ذكر
من توفيق الله تعالى اياه بالتوبة واكرامه عليه بقبولها ومن حكمه ان لا يقبل التوبة عند مجيء باس الله واحاطة
العذاب وهو انما فزع الى التوبة بعد ما عاين العذاب وجاءه باس الله تعالى وجاز ان يكون حكمه هذا في الكفر ليس
في المؤمنين لانه قال في اية اخرى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا فقيد اشارة الى ان من سبق منه الايمان قبل ان ياتيه ايات ربه او ما سبق منه كسب الخير من بعد
الايمان فان ايمانه في ذلك الوقت ينفعه وقال في اهل الكفر فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم فهذا حكمه في اهل الشرك وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار وقال في المؤمنين انما التوبة على الذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فتبين ان ما ذكر من الحكم هو حكمه في اهل الكفر ليس في اهل الايمان
والعقل يدل على هذا وذلك ان المؤمنين قد علموا ان الذي قد سبق منه زلة وان ذلك معصية فهو ليس يحتاج
الى اثبات ما يحتسبه على ان الذي فعله زلة فجاز ان يقبل منه التوبة في ذلك الوقت كما يقبل منه قبل تلك الحالة
واما الكافر فعنده ان ما سبق منه لم يكن زلة ومعصية فيحتاج الى ايات تنبهه من غفلته وتذكره ان الذي
فعله معصية فاذا لم يتنبه الا عند الشدة فذلك يمنعه عن النظر والتدبر فلا يكون ايمانه عن تحقيق وبصر
ما كان يقرعه والثاني انه يفزع الى التوبة والايمان ليدفع عن نفسه الباس لا لانه ينفع عليه لو كشف عنه العذاب
كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فلهذا لا ينفعه ايمانه فان قيل ان قوم يونس قد نفعهم ايمانهم
قد ايقنوا بالعذاب قيل يحتمل وجهين احدهما انهم لم يعاينوا فيكون عذابهم موعودا ولم يكن مشاهدا وربما
وجائز ان يكون الله تعالى علم صدقهم في ايمانهم ولو كشف عنهم العذاب كانوا محققين في عزمهم وكان
يفزع الى الايمان ليكشف عنه العذاب ثم يعود الى كفره فلم يقبل منه وجاز ان يكون من حكم الله تعالى ان لا يقبل
من احد التوبة اذا حل بالعذاب لكنه يقبلها من المؤمنين افضالا وانعاما ولا يتفضل على الكافرين الذين
اثروا الدنيا على الاخرة وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى عليه نعمة ولا على احد من اهل الاسلام لان من قولهم
ان الله تعالى اذا علم من كافر انه يسلم يوما من الدهر وان كان بعد الف سنة فليس له ان يميته قبل ان يسلم
وعليه ان يوفقه للتوبة وعليه ان يقبل منه التوبة فاذا كان هذا كله حقا عليه للعبد لم يكن له موضع نعمة
عليه في قبول التوبة لانه من قضاء حقا عليه واوصله الى مستحقه ولو يعد ذلك صنيعا انعاما فلا يكون كقوله لولا ان
تداركه نعمة من ربه معنى وقد قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ولو كانت الهداية واجبة عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان وقوله تعالى فاجتباه ربه اي اختاره واصطفاه
للرسالة الا ترى الى قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله فجعله من الصالحين فهذا وصف كل نبي مرسل

في الآخرة وقوله تعالى وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم فمنهم من يقول هذا على التحقيق وصرف ذلك إلى قوم يبلغيانهم قد يعرفون بتحسب الأعين وحلول الآفات ثم يعيبون من أهل الشرف والفضل ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك إذ ما كان يحسبونه تكاثر لحقيقة رسالته وآية نبوته عند أولئك الكفرة فإن قال قائل إنهم كانوا يعتقدونه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجانين ويقولون إنه لمجنون والمجنون لا يعان وإنما يعان أهل الشرف والحجا وذوو الأحلام والنهى مما أنكرتنا نسلم من الآفة بقصد إليه بالعين فكيف بأنهم وإن كانوا يعدونه من جملة المجانين فإنهم سمعوا منه ذكر الحجج وهو القرآن ومن أعطي مثل ذلك الذكر والشرف فهو مما يقصد إليه والحسد فكانوا يعينونه لذلك المعنى ثم لم يضرهم كيدهم ولا تعرف ضرر حيلهم فأوجب ذلك تنبيههم أنه رسول من الله تعالى ومنهم من حمله على التحقيق فقوله وإن يكاد الذين كفروا لشدة بغضهم وعداوتهم إياك ليزلقونك بأبصارهم كما يقال نظر إلي فلان نظرا كاد أن يقتلني فيقوله على التمثيل ثم ليزلقونك أي يسقطونك ويصرعونك وقوله لما سمعوا الذكر وهو القرآن وقوله ويقولون إنه لمجنون قد وصفنا أنهم لأي معنى كانوا ينسبونه إلى الجنون وذكرنا ما يرد عليهم مقالتهم ويسبغ عليهم الريب والإشكال ثم قوله وما هو إلا ذكر للعالمين يحتمل أن يكون الذكر هو القرآن ويحتمل أن يكون ما يدين به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ من تعبد به ذكرهما جميعا إذ كل واحد منهما ذكر بما ذكر ما للخلق وما على الخلق وما ينتهي إليه عواقبهم ويذكر ما يؤتى وما يتقى والله أعلم

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحاقة ما الحاقة قد ذكرنا أن يوم القيمة سمي بأسماء النوازل التي تكون فيه بالأهوال والشدائد ليقع به التخويف على التهويل والتي تبين فيه ولا ذكر فيه ترهيب ولا ترغيب فذكر ذلك اليوم بالأسباب التي هي أسباب الرجاء بقوله الحاقة لأنه يحقق لكل عامل عمله ويحق لكل ذي حق حقه فإن كان من أهل النار استوجبها وإن كان من الجنة استوجبها وقال بعضهم الحاقة النازلة التي لا ترتفع أبدا وهو ما نزل بالخلق من الجزاء وأنواع العذاب بيوم القيمة وقيل هي الواجبة مثل قوله وحق عليهم أي وجب ونزل بهم والأصل أن القيمة سميت بالأحوال التي تبلى الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة والتنادي والطامة والصاخة ونحو ذلك مما جاء في القرآن أخذت أسماؤها من أحوال ما تبلى الخلق بها والله أعلم وقوله ما الحاقة وهو تعظيم ذلك اليوم كما يقال فلان ما فلان إذا وصف بالنهاية في القوة والسخاوة ونحو قوله تعالى وما أدريك ما الحاقة فهو تعظيم أمر ذلك اليوم أيضا أو ما أدريك ما الحاقة لم تكن تدري ما ذلك اليوم فادرينا به لأنه لم يكن خبر القيامة عندك بعلم ولم تكن أنت اطلعت عليه لأن قومك كانوا منكري البعث ولم يكن عندهم من خبره شيء وذلك أن تستدل وتعرف ما ذكرنا من دلائل البعث من جهة تدركها العقول والحكمة من حالة التسوية بين البر والفاجر والمطيع والعاصي وأنه لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا والدلائل الأخر التي لا يأتي عليها الإحصاء فلما لم ينفعهم ذلك ولم يتفكروا في خلق السموات والأرض ولا اعتبروا بالآيات احتج عليهم بما لقي من سلفهم من مكذبي البعث ومنكري الرسل حين استأصلهم فلم يبق لهم سلف ولا خلف عنهم خلف ليكون ذلك أبلغ في الإنذار وذلك قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة ذكرهم ما حل بثمود وعاد وما أصابهم بتكذيبهم الرسل يقول سيصيبهم بتكذيبهم محمدا فيما يخبرهم من الأنباء عن الله تعالى كما يصيبهم ما أصاب ثمود أو عادا بتكذيبهم رسلهم لينتهوا عن تكذيبه أو يخبرهم أن ثمودا وعادا كذبوا رسلهم حتى صاروا إلى الهلاك على ما استوجبوا من تكذيبهم فستندمون أيضا إن دمتم على تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما يأتيكم من الأنباء نعذبكم ثم ذكرهم بالهلاك عاد وثمود وإن كانوا مكذبين بتلك الأنباء لأنه لا يبقى لهم يوم القيمة حجة فيقولوا إنا كنا عن هذا غافلين لأنهم لو بحثوا من علم ذلك لكانت هذه الآيات موضع الحجاج لولا إغفالهم وإعراضهم عنها فانقطع عذرهم ولزمتهم الحجة وإن تركوا الإيمان بها ثم قوله الحاقة ما الحاقة وما أدريك ما الحاقة وقوله القارعة ما القارعة وما أدريك ما القارعة يحتمل أن يكون هذه المخاطبة لكل مكذب بالبعث لا لمخاطبة الرسول كقوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم خاطب من يغتر بالدنيا لا الرسول عليه السلام ويجوز أن يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الخطاب إلى الرسول عليه السلام اقتضى معنى غير ما تقتضيه لو أريد بالخطاب المكذبون

والأصل أن قول القائل فلان ما فلان يوجب اجتذابا بالأسماع ويستدعي السامع إلى البحث في الشاهد لأنه إنما يذكر ذلك لأن بهذه الأعجوبة فيه أو لعظم أمره فيبحث عن ذلك ليوقف على تلك الأعجوبة التي فيه فإذا كان الخطاب للمكذبين دعاهم ذلك إلى بحث ما فيه الأعجوبة والتعظيم وفي قوله وما أدريك ما الحاقة مبالغة في التعجب وإذا نظروا فيه وتفهموه دعاهم ذلك إلى الإيمان به [illegible] موضع الاغترار والاجتذاب بالأسماع وإن كان الخطاب فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتأويله أن المكذبين يؤذونه ويمكرون به فيتأذى بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما نزل بهم من العذاب ويحل عليهم فيكون فيه بعض التسلي مما أصابه من الأذى من ناحيتهم أو ذكر أن العذاب يحل عليهم فلم يحزن بصنيعهم بل يحمله ذلك على الشفقة عليهم فيكون فيه تخفيض ما أصابه من الأذى من ناحيتهم وقيل إن الخطاب في المكذبين خصه تخويفا لأهل مكة وتهويلا بهم إن كذبوا رسولهم فيما يخبرهم من أمر البعث نزل بهم من العذاب ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل وقد عرفنا أهل مكة ما نزل بأولئك وإن كان الخطاب في رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي ذكر ما بعاد وثمود ما يدعوه إلى الصبر على أذاهم ويكون له بعض التسلي لأنه يخبره أنك لست بأول رسول كذب بل قد كذبت الرسل من قبل وابتلوا بالتكذيب ثم بين ما نزل بعاد وثمود بالتكذيب بالطاغية بالقارعة وهو قوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية والطاغية يحتمل أن يجعل هذا كله صفة للعذاب الذي نزل بهم ويحتمل أن يكون صفة لأحوالهم التي سبقت منهم مما كانوا عليه فإن كان هذا صفة العذاب والطغيان عبارة عن الشدة والطاغي هو المائل الشديد لا يراقب ولا يبقي ووصف العذاب الذي أرسله عليهم أنه لم يبق منهم أحدا بل استأصلهم وأهلكهم بجماعتهم قيل ذلك العذاب هو الصاعقة وقيل الصيحة وسمي طاغية ولم يقل طاغي لهذا وقيل اشتق هذا الاسم العذاب من فعل الطغيان عنه أنها طاغية ولم يقل طاغي لهذا وقيل اشتق هذا الاسم للعذاب من فعل من نزل به لتسميتها طاغية كما أخذ اسمه من فعل العفو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وإنما ذلك كله جزاء سيئاتهم واعتدائهم وقيل بالطاغية أي بطغيانهم وذنوبهم التي سلفت منهم كقوله تعالى كذبت ثمود بطغواها ويحتمل أن يكون هذا صفة لأحوالهم التي كانوا عليها من شدة التمرد والعتو وهو طغيانهم بالتكذيب بالحاقة والقارعة ففيه تخويف لأهل مكة أن يهلكهم الله تعالى إن لم ينتهوا عن التكذيب كما أهلك أولئك

قوله تعالى وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية قال الحسن الريح الصرصر هي الصيحة وهي التي لها الصوت وقال بعضهم هي الباردة الشديدة البرد كقوله ريح فيها صر أصابت الآية والصر البارد والصرصر أكثر منه ووصفها الله تعالى وقوله عاتية فتأويلها على ما ذكرنا في الطاغية وذكر الكلبي وغيره أنها سميت عاتية لأنها عتت عن الخزان ولم يطيعوها وهذا لا يستقيم لأنه لا يجوز أن يوكل الخزان على حفظها ثم لا يمكنهم من الحفظ حتى يعتوا عليهم إلا أن يقال إنهم لم يوكلوا بحفظها في ذلك الوقت فأما إذا وكلوا بحفظها ثم لا يجعل لهم الحفظ عليها سبيل فهذا مستحيل والله الموفق

وقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما قوله سخرها عليهم أي أرسلها وقيل ذللها لإهلاكهم وقيل التسخير التذليل أي ذللها تصرفها بحيث لا يمتنع عن المرور عليهم في الوجه الذي جعلها الله عليهم في الوجه الذي أرسلها فإنما أرسل الريح على أبدانهم خاصة لم تهلك شيئا من مساكنهم كقوله تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم والريح إذا عملت على الأبدان والله تعالى أعلم وقوله سبع ليال وثمانية أيام حسوما فيه تبيين أن الأيام لم تكن على حد الليالي ولو كانا على حد واحد لكان في ذكر أحد العددين ذكر العدد الآخر لأن تسمية الليالي تسمية الأيام وتسمية الأيام تسمية الليالي على قوله في قصة زكريا آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا وقال في موضع آخر ثلاث ليال سويا والله أعلم وقوله حسوما قيل متتابعة دائمة وقيل قطعا من الحسم يقال قطعه وحسمه الريح كل شيء مرت به حسمته أي قطعته

قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى لما أن أدركتهم وشهدتهم لرأيتهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقال بعضهم ألا ترى الأعضاء المتفرقة كل قطعة منها كأنها عجز نخلة إذ كانوا أعظم في تقسيم من أعجاز النخل فصرف تأويله إلى الأعضاء المتباينة ثم ذكر النخل هاهنا بالتأنيث حيث قال أعجاز نخل خاوية ووصف في سورة اقتربت بصفة التذكير فقال كأنهم أعجاز نخل منقعر لأن النخل يذكر ويؤنث كذا قال الزجاج والنخل يذكر على كلتا لكن قوله خاوية صفة الأعجاز لا صفة النخل لأن الأعجاز جماعة والجماعة مؤنثة والنخل واحد فيذكر فليس كذلك لأن الخاوية صفة النخل ألا ترى عند الوصل بالخفض لا بالرفع ولأن النخل اسم جمع يقال نخلة ونخل كما يقال نجم ونجوم وشجرة وشجر وتمرة وتمر ونحو ذلك وقوله خاوية قال بعضهم أي بالية وقيل خاوية أي ساقطة كقوله وهي خاوية على عروشها أي ساقطة على قوائمها وقيل خالية يوصفها بالخلاء لأنها انقلعت عن أصلها حتى خلا ذلك المكان عنها والأعجاز النخل أصوله قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية فيه أنه لم يبق لم يرسل يذكرونهم

بل اهلكوا باجمعهم وانقطع نسلهم وانقطع عنهم الذكر الا بالسوء والا لكان يرى لهم باقية فعيلة بمعنى
وهم العرب الكبير والصغير يخوف اهل مكة بما يخبرهم عما فعلوا باولئك ويخبر بانهم عذبوا العذاب
الذي لا رحمة فيه وهكذا سنة الله تعالى في مكذبي الرسل من قبل ويحتمل تعذيب هذه الامة ان يجاهدوا ويقاتلوا
فتعذيب هذه الامة تعذيب فيها رحمة لان الصغار منهم لا يقاتلون بل يستبقون رجاء ان يسلموا وعلى هذا يخرج
قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم ويشبه ان يكون هذا احتجاجا لهم ان محمدا صنبور اي
ابتر لا يبقى نسله وذكره فاخبر الله تعالى ان كثرة الاولاد لا يغني من الله شيئا اذ قد كانت لهؤلاء
ما قلنا فهلكوا من آخرهم وانقطع التناسل منهم ليعلموا ان الذكر الباقي لمن اطاع الله تعالى وتفضله كان له
اولاد او لم يكن والله اعلم وقوله وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بنصب القاف وجزم الباء
فتاويل القراءة الاولى وجاء فرعون ومن معه من جنده واتباعه ومن قبله من كان من اهل القرى التي نهرب
المختفي وقد روي بالشاذ في بعض الحروف وجاء فرعون ومن عنده ومن معه وجائز ان يكون من اتباع
فرعون وجائز ان لا يكونوا وتاويل القراءة الثانية وجاء فرعون ومن كان سبقه من الامم الماضية وقوله
والمؤتفكات قيل قريات لوط انقلبت على اهلها انقلبت عليهم بما عصت رسلها وقيل المؤتفكات التي
ائتفكت من الصدق الى الكذب ومن الحق الى الباطل ومن العدل الى الجور ففي قراءة ومن قبله بخفض القاف كانه
قوله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم وانما كانه على بعضنا ان لموسى عليه السلام والمراد من المؤتفكات
كل من ائتفك من الحق الى الباطل دون اهل بلدة لانهم كانوا قبل زمان موسى بكسر ومن قبله بنصب القاف
كان قوله فعصوا رسول ربهم وانما جاء الى رسول ربهم كانه قال عصى كل امة رسولها وعلى هذا يجوز ان يكون
بالمؤتفكات قوم لوط عليه السلام ثم قوله بالخاطئة اي الخطايا والشرك وذكر ابو معاذ عن مجاهد في تفسير
الخاطئة الشرك والكفر وانكر ذلك واحتج بان الله تعالى لم يذكر من قوم لوط عليه السلام كفرا وشركا في كتابه انما ذكر
ركوبهم الى الفاحشة وبما اهلكوا اذ لم ينزعوا ولم يتوبوا قال ولو كانوا مشركين لم يقل لهم لوط هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم اراد بذلك بالانكاح وكان لا يصح فيه نكاح المسلمة فليس كما زعم بل انهم كانوا اهل شرك وكفر بالله تعالى
الا ترى الى قوله فيما حكى عن قوم لوط من قولهم لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فلاخراج الرسل من اماكنهم صنيع
اهل الكفر وقال في موضع آخر اخرجوا آل لوط من قريتكم وما تاتي انفسهم باخراج لوط عليه السلام من قراهم
ومن حمل ذلك لم يشك انه كفر وقال في قصة لوط ايضا فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين فثبت انهم كانوا كفارا ثم لقائل ان يقول في قوله وجاء فرعون ومن قبله فعصوا رسول
ربهم اخبر انه جاء فرعون الى موسى وعصاه كيف ذكر مجيء فرعون الى موسى ولم يوجد منه المجيء الى الرسول بل كان
هو الذي جاءه فعصاه فرعون لان فرعون دعاه فاستقبله بالعصيان فبل كل من اتاه وجاءه فقد اتاه لانه
يمن قرب الى الحاله لان المجيء فعل يشترك فيه اسم الاتيان وانما يقع الاتيان بهما جميعا ليس باحدهما دون الاخر
استقام المجيء من فرعون وعلى هذا تاويل قوله تعالى واذ لفت الجنة للمتقين اي قربت للمتقين واهلها هم الذين يقربون
اليها في الحقيقة ولكنهم اذا قربوا اليها قربت هي اليهم فاضيف اليها التقريب لهذا فهذا العبادة تحكي
انه يتاتى لقوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة فالحق
لا ان يكون هو الذي ياتيهم لانه قال يوم يرجعون اليه وقال الى الله المصير والى الله ترجع الامور فاخبر
ان الخلق هم الذين ياتونه ويرجعون اليه لكن نسب المجيء والاتيان الى الله تعالى لانهم اذا اتوه فقد اتاهم
من اوجه الذي ذكرنا دون ان يكون فيه اتيان الانتقال الى الله تعالى ولئن اتى اسم المجيء فاطلق واستعمل في
اسم المجيء من مكان الى مكان فقد يستعمل ايضا في الموضع الذي ليس فيه حركة ولا انتقال قال الله تعالى وقد
جاء الحق ومعناه ظهر الحق ليس ان المراد ان الحق كان في موضع فانتقل عنه الى غيره فامكن ان يكون قوله وجاء
فرعون اي كذب بما اتى الى موسى عليه السلام وجائز ان يكون قوله وجاء فرعون اي جاء بالخاطئة فيكون
المجيء مضموما الى الخطايا وهذا التاويل اشبه بظاهر الاية لانه قال وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة
اي جاؤوا بالخطايا وقوله فاخذهم الله اخذة رابية اي عالية غالبة على ابدانهم وجائز ان يكون المراد منه
ان عقوبتهم ربت على الاخذ اي زادت على الاخذ لانها احرقت ابدانهم واهلكتها ثم ردت ارواحهم الى جهنم
فتعرض عليها غدوا وعشيا فكذلك هو الزيادة على الاخذ والله اعلم وقوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية قال بعضهم اي طغى على الخزان لان الخزان يحفظون القطر بالكيل والوزن والقدر المعلوم ثم ذكر في
موضع آخر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اي منصب فيكون تاويله ان الله تعالى لم يمكنهم من حفظ القطر في ذلك
الوقت فطغى عليهم بهذا المعنى والاول من حفظه في ذلك الوقت كان الماء لا يطغى عليهم على ما ذكرنا انه لا

ان يتمكنوا حفظه ولا يملكون حفظه وجائز ان يكون قوله طغى اي طغى على الذين اهلكوا من مكذبي نوح عليه السلام
فتبين طغيانا تاويل الطاغي والله اعلم وقوله تعالى حملناكم في الجارية فقد ذكر انه حملنا ولم يكن من يومئذ يحمل في الجارية
للذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك لانه لما اهلك المحمولين كانت ذريتهم هلكى
اولئك فقال ان ذريتهم في حملهم حمل اولئك فحصل لهم النجاة بحملهم واضاف اليهم لانهم قد كانوا من ابنائهم
وكانوا حملوا بتقدير او هو كقوله يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومعناه انزلنا عليكم ما قدر ان
يكون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر فقد كان اللباس منه فكانه انزل اللباس وقال خلق الانسان من تراب
ومعلوم انه لم يخلق من التراب ولكن انما قد خلقنا من الذين هم اصلنا منه فكانه خلقنا منه فعلى ذلك هذا الحمل يكون
محمولين في السفينة فقد حمل اصلنا فيكون ذلك للاصل فكانا قد حملنا فيه اذ كنا في اولاده تعالى من الحكمة في
والله اعلم اذ كر ذلك منة منه على الابناء تصيير الابناء الشاكرين على الابناء شكرها احسن الى ابائهم واجدادهم
والله اعلم وقوله تعالى لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فوجه التذكرة فيها ان اهل مكة لما بلغتهم الرسل
فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فذكرهم انهم اولاد من حملوا مع نوح عليه السلام في السفينة
وهم انما استوجبوا النجاة وشرف الدارين جميعا باتباعهم الرسل فما لكم لا تتبعونهم في تصديق الرسل دون
ان يتبعوا المكذبين للرسل او يذكرهم كذبهم في قولهم انا وجدنا اباءنا على امة بل قد وجدتم اباكم من حملوا مع نوح
عليه وقد تعلمون ان اباءكم هم الذين اتبعوا نوحا وهم المؤمنون دون الكفرة ووجه اخر ان ذكر احوال المكذبين الى ما
الذي امرهم من الغرق والهلاك فيكون فيه تخويف من كذب من اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت تلك
الجارية وهي السفينة موعظة وتذكرة يذكرهم عواقب المصدقين للرسل والمكذبين بهم وذكرهم عظيم نعمة على
الذين حملوا في السفينة ليستأدي منهم شكر ذلك وقال بعضهم كم من سفينة قد هلكت بعد ذلك الوقت وهي
قائمة في موضع كذا منه ونذكره ثم انه ذكر يخرج على وجهين احدهما انه اريد بها الاية والعبرة اي جعلنا لكم تلك
لتتبعوا ويكون آية لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين والثاني
جعلنا تلك الانباء تذكرة لكم وجعلنا ما قص فيها وتذكرونها الى آخر الابد فيشكرون الله تعالى على ما صنع اليكم
والله اعلم وقوله وتعيها اذن واعية الوعي هو الحفظ والوعاء اذا حفظه [illegible] وصحفها اذن
واعية بمعنى حافظة فاضاف الوعي والحفظ الى الاذن [illegible] لا تعي بل تسمع ثم يعيه القلب ولكن نسب الوعي

[illegible]

من انزال الامطار وتسيير السحاب فجعلهم الموكلين على اعمال الدنيا ... قوله تعالى وحملت الارض والجبال
فدكتا دكة واحدة كسرتا كسرة واحدة وقيل هدتا هدة واحدة وقال بعضهم زلزلتا زلزلة واحدة كما
يقول اذا زلزلت الارض زلزالها فلم تزل الارض فيقذف ما في بطنها من الفضول ويخرج ما فيها من الجواهر التي ليست منها
بتلك الدكة ويخرج اصول الجبال منها ثم يجعله الله تعالى كثيبا مهيلا مثل الرمل ثم يعمل عليه الريح فيجعله هباء
منثورا ويسير من لينه كالعهن المنفوش ثم يسير مثل السحاب فيقع في سعاب الارض الاودية والاماكن الخلقة فيصير
الارض كلها كما قال الله تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهكذا الريح اذا حملت على شيء
ويقع عليه تفرقه في البوادي ويسوي بها السقوف ويبسطه على وجه الارض وقوله وحملت الارض ليس فيها ان الحمل متى كان
يكون فيحتمل هذه في هذه ويعضد بعضها على هذه بالذكر فصير كانها حملتا لذلك واذا كان كذلك ... وقت الوقوع
ويستند هذا الى اختلاف الاوقات فيكون بعض الاوقات التي جاءت في الجبال والله اعلم وقيل ان الارض ...
بتقديم في الجبال قبل الارض بقوله ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا ... الارض قاعا صفصفا وغيرها من الايات
جاء يدل على التقديم في الجبال قبلها فاما ان يكون معنى تبديل الارض تغيرها من الحالة التي هي عليها اليوم من
انهدام البنيان واستواء الاودية وازالة الجبال على ما جاء في الاخبار فيستقيم ان التبديل كما يقال لمن يغير
من الحالة الحسنة الى غيرها بدل ... تغيرت حالته فعلى ذلك معنى الاية ليكسر الجبال او تغير حالة
الارض في دفعة واحدة او يكون في اخبار عن شدة الفزع في ذلك اليوم ان دكه دكة ينفى الجبال الى الارض
فاذا كان فنا الجبال قبل افناء الارض ليس انهما يفنيان جميعا بدفعة واحدة لكن بالدكة الواحدة ... الجبال
والارض فيكون فيه بيان شدة اليوم وقوله لا بيان فساد البعض على البعض والله اعلم قوله تعالى فيومئذ
وقعت الواقعة وهو الحساب في الجزاء كقوله فاذا ... كما جاءت الحاقة في اسماء القيمة تعظيما لشأنها
وقوله وانشقت السماء فهي يومئذ واهية قال بعضهم تفرقت وهكذا الشيء اذا انشق تفرق وتباين ...
ليظهر الشق ويحتمل ان يكون الشق كناية عن اللين ... يومئذ واهية اي
ضعيفة ... كانت ... الى الصلابة فيدل على ذلك قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وانما
يطوى الشيء في الشاهد بعد ما يلين في نفسه ويجوز ان تنشق السماء لينزل اهلها فلا يبقى فيها الا الملائكة
الذين على ارجائها ... والله اعلم وجائز ان يكون ذكر انفطارها وانشقاقها لانفساحها ...
الخلق من الوجه الذي ذكرنا فيما قبل وجائز ان يكون السموات ابوابا فتفتح انشقاقها وانفطارها فتحها لها
وجائز ان يكون الشق ليس فتح الابواب لانه ذكر هذا في موضع الهول وليس في فتح ابوابها كثير هول وقوله فهي يومئذ
واهية اي ضعيفة مسترخية وقيل الوهي ... انخرقت وقوله تعالى والملك على ارجائها
والارجاء النواحي والاطراف وهي اطراف السموات ونواحيها وواحد الارجاء رجا مقصور وقال الملك ...
اخبر انهم على اطراف السموات ... الارض ونواحيها فيحتمل انهم ... لئلا تسقط على اهل الارض
وجائز ان يجعل اطرافها وجانبها البعض للملائكة فتفتح ابواب السماء فتنزل الملائكة كما ...
الى الارض كما قال تعالى ونزل الملائكة تنزيلا ... الملائكة الذين كان مسكنهم ...
ثم الملك ليس يحتاج الى مكان يقر فيه وان جعلت السماء مسكنا لهم لان الملائكة ينزلون من السماء الى الارض
ويقرون على الهواء من غير ان يكون الهواء مقرا ... كل ... ولكن ...
والباقي بحاله فيحمل الملك على ارجائها على ما ... في السماء والله اعلم قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية فيحتمل ان يكون الملائكة في النفخة تصعق الا الثمانية الذين يحملون العرش كما قال ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فيكون هؤلاء الثمانية من الذين استثنوا فلا يصعقون
فهم يحملون العرش فيكونون ... على ارجاء السموات ... وقوله والملك على ارجائها وقوله ثمانية جائز
ان يكون اراد ثمانية املاك وجائز ان يكون اراد ثمانية اصناف من الملائكة كما ذكر في التفسير وجائز ان يكون
من كان ثمانية يملكون ثم يحيون قبل ان يحيى سائر الخلق فيحملون عرش ربنا على اكتافهم ...
الحملة ... العرش على اكتافهم فهو سرير الملك وجائز ان يكون ذلك من نور كما ذكر ان ... الشمس اذا ارادت
ان تطلع فان جبريل عليه السلام يأتي العرش فيأخذ كفا من ضياء ثم يلبس الشمس كما يلبس احدكم قميصه واذا اراد
القمر ان يطلع اخذ جبريل كفا من نور العرش فيلبس القمر كما يلبس احدكم قميصه فجائز ان يكون العرش من الضياء
والنور ... الاسباب ... الخلق الضياء والنور ... فيكون في ذلك العرش ...
عظيم عرش الرب ... جل جلاله ثم ان كل ملك في الشاهد يتخذ لنفسه سريرا يتفاوت ذلك على قدر
ملكهم وسلطانهم لا يجعل ذلك مسكنا لنفسه ... من الخلق انهم يتخذون ذلك المقاعد

وتخالسهم قليلا يتوهم ذلك من الله تعالى قوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية اي يظهر لكم في ذلك
اليوم ويصير بارزا في ذلك اليوم كما قال يوم تبلى السرائر اي تظهر لهم سرائرهم حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شيء
منها وجائز ان يقول لا يخفى منكم خافية على الله تعالى ولكن على من ادعى ان اخفى شيء من امره على الله تعالى وظن
ان الله تعالى لا يطلع عليه فيعلم في ذلك اليوم انه لا يخفى عليه خافية وهو كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وليس فيه ان الملك كان ... لغيره ... لكن بعض الناس كانوا يدعون الاشراك في الملك في الدنيا فيتركون
ذلك اليوم دعواهم ويتيقنون انه هو المنفرد بالملك وعلى ذلك قوله وبرزوا لله جميعا ولم يكونوا مختفين عنه
قبل ذلك وكانوا ... في كل وقت بارزين ولكن من انكر ... الاخفاء في الدنيا يدع في ذلك اليوم ويقر بالبروز لله
المستعان ثم روي في الخبر ان العرضات ثلاث عرضات ... خصوما ... يختصمون ويتنازعون ...
ذلك ... العفو والصفح عن ذنوبهم وخصومهم والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف
ومعنى قوله يعرضون اي يعرض الخلق بعضهم على بعض حتى لا يخفى على احد خصمه ويعرض اعمالهم حتى يذكر كل احد صنيعه
وكل خصم خصومته وكانهم قد نسوا ذلك من كثرة الفزع وشدة الاهوال فالله تعالى يطلعهم على ذلك حتى يذكروا
ذلك قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه ظاهر ما جرى به الخطاب في القرآن يوجب ان يرحم المؤمنون جميعا فلا يعذبون
في الاخرة ويعذب الكافرون ولا يرحمون لانه قسم الخلق يوم القيمة صنفين فجعل صنفا منهم من اهل اليمين
وصنفا اهل الشمال ثم وصف كل واحد من الصنفين باعلام ثلاثة فذكر انه ... موازينهم بقوله ومن خفت
موازينه وذكر ان وجوههم تسود وذكر انهم يعطون ... ذكرها في احد الصنفين
وذكر في الصنف الثاني وصفهم باعلام ثلثة ببياض الوجوه وثقل الميزان واعطاء الكتاب بايمانهم ثم فيما
فيه سواد الوجوه ذكر فيه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
ولذلك حين ذكر خفة الميزان ذكر في اخرها ما تبين ان الذين خفت موازينهم هم الكفرة لانه قال الم تكن اياتي تتلى
عليكم فكنتم بها تكذبون وذكر في اعطاء الكتاب بشماله وذكر فيه ما تبين انه من اهل الكفر لانه قال انه كان
لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فثبت ان الوعيد المطلق ذكر في اهل الكفر ولذلك قال
فاتقوا النار التي اعدت للكافرين ولم يقل اعدت للخلق وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
ثبت ان اهل النار هم الكفرة ثم المؤمنون قد يتعرض منهم زلات ... في هذه الدنيا ...
فيها ولكن اهل الكفر يصيرون جزاء حسناتهم في دنياهم لانهم لا يؤمنون بالاخرة واذا لم يؤمنوا بها ...
لها ولا امكن ان يكون يجعل لهم العقاب بسيئاتهم في الدنيا فتخلص لهم الحسنات في الاخرة يجزى بها وجائز
ان يكون سيئاته بالحسنات التي يوجد منه لان ... قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيئات واذا كفرت سيئاته في الدنيا لم يعذب بها في الاخرة وجائز ان يكون الله تعالى يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يعفو
عنهم بحسناتهم بما سبق منهم من الايمان وعند ذلك يكون ... الحقيقة ... في الجنة ويثقل ميزانه ويبيض وجهه
ويعطى كتابه بيمينه ثم يجوز ان يكون الذي يعاقب بذنبه من اهل الايمان ... ان يعطى كتابه بيمينه
وقيل ان يبيض وجهه ويثقل ميزانه وقيل ان يبيض وجهه لم يكن مسود الوجه ... عليه السلام متى عفي
عنه وفي الخبر ان الناس يعرضون يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان ففيهما خصومات ومعاذير واما
العرضة الثالثة فتطاير الصحف في الايدي فيجوز ان يكون تعذيبه قبل العرضة الثالثة ثم يعطى كتابه في العرضة
الثالثة ثم يعطى كتابه بيمينه فيعرض له اعلام السعادة اذ ذلك فثبت ان الوعيد المطلق انما جاء في اهل الكفر
ولم يلحق اهل الكبائر من اهل الايمان ثم يجب الوقف في احوالهم كما قال اصحابنا والله الموفق قوله تعالى
هاؤم اقرؤا كتابيه قال بعضهم هاؤم ... تعالوا اقرؤا وقال بعضهم هو بمعنى هاكم اي خذوا فابدلت الهمزة
مكان الكاف فظاهر الاية ان المعطى له الكتاب يقول هذا يدعو الخلق الى ... الكتاب استبشارا
وحبورا ... بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه ولكن اهل التأويل صرفوا التأويل الى المعطي فقالوا ان المعطي
هو الذي يقول هذا فكان الذي كتب الكتاب في الدنيا من الملك هو الذي يعطي الكتاب الى المكتوب عليه
ويقول هاؤم اقرؤا كتابيه ... وعليكم والله اعلم ... اني ظننت في الدنيا ... حسابيه في
التشديد فيما سبق من سيئاتي او اخذ بها او ... عليها ... هذا اليوم ...
سيئاتي ... فيكون قوله هذا شكرا لله تعالى واظهارا للمنة ...
في دار الدنيا اذا ... الخلود ... الله تعالى بها فامسكت منها واخرجت
من ... فيكون اخبارا ... ذلك ... وظننت ان ...
... الى اليقين ... الرسل ... الى اليقين

فانا لعلم فقال الضحى قوله ظننت اي تيقنت وعلمت والاصل ان كل يقين حدث في الامور المستترة والعلوم الخفية
فانما يتقدم ذلك علم يسبق فيحمله ذلك الظن على النظر فيه والبحث عن المعنى يفضي به الى الوقف على ما استتر منه
وتخلص الخفي لتجليته فيكون سبب لوصول الى اليقين والاحاطة الذي يسبق منه فجاز ان يسمى ذلك اليقين في
الحقيقة وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله وتعيها اذن واعية ان الاذن لا تعي شيئا بل السمع وكذلك انما يوصل
الى الوعي بالاذن فصارت الاذن سببا للايصال الى الوعي فاضيف الوعي اليها فعلى ذلك الظن منهم في الابتداء ادى بهم
الى اليقين والعلم سمي بسببهم علمهم ظنا مرة ويقينا ثانيا الا انا نقول قال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال
في موضع آخر وبالآخرة هم يوقنون فجعلهم مرة ظانين ومرة موقنين فيما كان طريقها البحث واعمال الفكر ولهذا
لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالظن لانه لا تخفى عليه الامور لان الاشياء له بادية ظاهرة اذ هو منشئها وخالقها فلا
يخفى عليه شيء منها فيحتاج الى البحث عنها والنظر فيها والله اعلم او نقول بان الامور التي سبيل دركها الاجتهاد
ولا يخلو شيئا منها من اعتراض وسواس ونوع خواطر فيها لخيالات الوساوس والخواطر بعض ما يصلحها الى الظن
فاستجازوا اطلاق الظن فيها لما يخالطهن واستجازوا اطلاق اليقين لان التي اليقين والاحاطة لا امر في
ان من يهدد بالوعيد الشديد ابتداء بالقتل على ان يكفر بالله تعالى ابيح له ان يجري كلمة الكفر على لسانه ويحمل كل المؤمن
باحتمال العذاب عن المكره ولو امتنع من الاجابة الى ما دعاه ولم يستيقن بانه يفعل به لا محالة او يكرهه لانه يجوز
ان لا يمكن من ذلك فيجوز ان لا يبقى الى ذلك الوقت فيسع له فعل ذلك باكبر الرأي وغلبة الظن وحل
ذلك محل الاحاطة واليقين فعلى ذلك ههنا الغالب دلالاته اليقين والصدق جاز اطلاق لفظة اليقين
عليه فاما الاشياء التي تدرك بالحس او بالمشاهدة فلا سبيل الى مثله ظنا لما لا يحتمل اعتراض النسيان فيها
وانه الموفق وقوله فهو في عيشة راضية اي في حياة راضية قال ويحيى بن وحمد في قوله راضية يعني مرضية
معناه ان نفسه في حياة رضي بها كقوله من ماء دافق اي مدفوق ومثله في الكلام كثير ويجوز ان يكون المراد
نفس الجنة قد رضيت باهلها واظهرت رضاها بهم كما وصفت الجحيم بالسخط والتغيظ على اهلها فخبرت به
في الجنة رضا واستبشارا ادخلوا الجنة فظهر لهم من انواع الكرامة والخيرات ما لو كان ذلك عند ذي العقل لكان
ذلك بحكم الرضا كما يضاف الغرور الى الدنيا وهي لا تغر بنفسها لما لو كان ذلك ممن له عقل التغرير لكون
ذلك غرورا منه بنفسها وقوله تعالى في جنة عالية قال بعضهم مرتفعة على ما يستحب في الدنيا من الجنان
في ربوة من الارض مرتفعة وقال بعضهم الجنة اسم لموضع الاشجار وكانه يصف اشجارها بالارتفاع والعلو
والمنظر وذلك اشهى الى اربابها ولهذا قال قطوفها دانية من غير ذكر الاشجار لان ذكر الجنة اقتضى ذكر الاشجار او
يكون معنى عالية اي عظيمة القدر والخطر مرتفعة وقد يوصف الشيء الرفيع بالعلو والله اعلم ثم قوله قطوفها
دانية اي القطوف متدانية من اهلها لمن يريد قطعها نعم من لا يريد قطعها وقيل دانية ينالها القاعد
كما ينالها القائم وقيل ثمارها دانية لا ترد ايديهم بعد ولا شوك وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية تاويله ان يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية ما جعلتم ايامكم الخالية سلفا في ايام
الآخرة وسلف الرجل الآخر ان يعطيه قرضا ليأخذ منه وقت الحاجة اليه اذ يسلم الرجل راس ماله في الاشياء التي
يأمل منها الربح فكانه بما اشترى نفسه يجعلها سلفا ودين مال ليأخذ ربح ما يأمل به في الآخرة وكذلك هو الاسلاف في
يجعل عمله للآخرة ثمنا له وما رزق من الاموال ينفقها في سبيل الله ويجعل كل امرئ ما يعود كرضي وكيع انه قال
بلغنا ان الذين اسلفوا الصوم اي صاموا في الدنيا وتركوا الطعام والشراب فاثابهم الله تعالى في الآخرة فقال لهم كلوا واشربوا
هنيئا وقوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه فالايتاء بالشمال احد اعلام الشقاء فتمنى ان
لا يؤتى بما فيه علم شقائه وقوله ولم ادر ما حسابيه يقول هذا في الوقت الذي قرأ واوثق فيه اخلاقه مما كان يظن في الدنيا
ويحسب لانه كان يحسب انه في الدنيا صنعا من الذين آمنوا واقرب منزلة الى الله كما قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
وظهر له بقراءة الكتاب انه لم يكن على ما حسب بل قد ساء صنعه فزدهم ذلك ان لا يعرف ما حسابه لئلا يظهر مساويه ويحمل
انه تمنى انه لم يبعث ولم يحيى حتى لا يدري ما حسابه ولا يعرفه وقوله يا ليتها كانت القاضية اي يا ليت الميتة الاولى كانت
دائمة علي وقال بعضهم يا ليت النفخة الآخرة كانت تقضي بالموت على اهل الكتاب ولكن يحييه بلغته والله اعلم قال قتادة
الموت لم يكن شيء في الدنيا اكره اليهم منه ثم تمنى الموت عليهم يقضي وليس بقاض فجهته ان نقول يا ليتها كانت مقضية
ولكن هذه اللفظة يتكلمها الناس في كل مكروه من الامور الا ترى ان الناس يدعون الله تعالى بان يصرف عنهم
قضاء السوء وليس ذلك بقضاء الله تعالى بل هو مقضيه فخرج القول على ما تعارفوا وهذا كما يقال الصلوة امر الله
وليست هي بامره ولكن تاويله انها بامره وما يقام تسمى قضاء الله وهو في الحقيقة مقضيه والله اعلم وقوله
ما اغنى عني ماليه قال الاصل ان الكفرة كانوا يفتخرون بكثرة اموالهم فيقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين

في زعمون انا نقصنا بما انا هم من الاموال يرضون عن انفسهم العذاب بامواله انه لم ينحل بهم يقينين لم يغن ذلك الوقت انهما لا يغنيهم
شيئا فيقول كل واحد منهم ما اغنى عني ماليه وقوله تعالى هلك عني سلطانيه ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كل سلطان في القرآن
فهو حجة والاصل ان الكافر كان يحتج في الدنيا لنفسه بحجج باطلة فمرة يقول ما انت الا بشر مثلنا ومرة يقول هذا سحر ومرة يقول هو مجنون
وغير ذلك فخبر بقوله هلك عني سلطانيه اي هلكت تلك الحجج التي كان يتشبث بها واضمحلت وظننا انها حجج ومنهم من يقول
السلطان هو القدرة والشرف فيه دهنه ذلك الكافر وقيل اي هلك عني تكبري وتسلطي على الانبياء في الدنيا وترك
الاكثرون اليهم جاز ان يكون اراد به ان السلطان الذي كان له على نفسي في الدنيا قد انقطع لانه كان يملك استعمالها
في معاصي الله فيقول قد انقطع ذلك السلطان فلا املك استعمالها فيما استوجبه مرضاة الله لانه قد سلم ولا يسأل
استعماله ثم يجوز ان تكون الهاءات في هذه الخطاب على معنى الاشارة الى الانفس وعلى تاكيد الامر والمبالغة كالنساء اذا كن
ينادون انفسهن بذلك وقد تدخل الهاء في النداء كقوله يا ابتاه ويا سيداه وجاز ان تكون للوقف على تمام الكلام فيلحق
نقول ها الاستراحة في موضع آخر وقوله خذوه فغلوه وقال في موضع آخر خذوه فاعتلوه وهو السوق على العنف
وقال في موضع آخر ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم والله اعلم يغلون ويدفعون بالامر به الاهلاك لان الناس في الدنيا
يجتهدون كل الجهد في دفع العذاب بايديهم فاخبر ان ايديهم تغل في الآخرة فلا يتهيأ لهم دفع ما يحل بهم من العذاب فكذ
ذلك اشد عليهم ويكون حالهم كما قال الله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة فيغل يداه كيلا يتقي النار الا بوجهه
ثم يدخلون في السلاسل فيجرون ويسحبون ويساقون على وجوههم على اختلاف احوال القيامة وقوله ثم الجحيم صلوه
اي ادخلوه فقال جعل مصلى اي يحشر فيجار فيؤمر بان يساق في الجحيم ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
فاسلكوه فذكروا انهم يغلون ثم يصلون الجحيم ثم يسلكون فاذ السلوك مثله ان يسلك الاثم في الجحيم ولكنه
يشبه ان يكون ذا اول ما يحشرون ثم يساقون الى نار جهنم بقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا وردوها القوا
ان يعززوا اسمها فيسلكوا اذ ذاك لعلهم يصحون حرها النار حينئذ فلا ينفعهم الهرب وقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم
ضمنه بيان السبب الذي لاجله استوجب هذا العقاب فقال انهم كانوا لا يؤمنون بالله العظيم ثم قوله لا يؤمن بالله
جائز ان يكون لا يؤمن بوحدانية الله او لا يؤمن بارسال الرسل او كان لا يؤمن بالبعث والا فانهم يؤمنون بالله ولكن
من لم يؤمن بالرسل والبعث فهو غير مؤمن في الحقيقة لان الاله الحق هو الذي ارسل الرسل ويقدر على البعث و
الكافر لا يثبت له قدرة البعث ولا ارسال الرسل فصار لا يؤمن بالله العظيم في الحقيقة وقوله ولا يحض على طعام
المسكين في قوله ولا يحض لطافة انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس ليس يطلبون من المساكين الجزاء لما يطعمونهم
وانما يطعمونهم لوجه الله تعالى ورجاء الثواب في الآخرة والكافر غير مؤمن بالجزاء فيحمله ذلك على الاطعام وليس
هو يكتسب به ربحا منهم كما ليس في الدنيا فكانه يقول ان الذي افضى به الى النار تركه الايمان بالله او
بالبعث ثم يجوز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين اثبات الشح الذي ترك الحض على اهله بالاطعام
كقوله انطعم من لو يشاء الله اطعمه يقول كيف اطعمه من بيده خزائن السموات والارض لا نطعمه فلو كانوا اهلا
للاطعام لكان اولى من يطعمه هو الله تعالى وقوله فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يرجو منه وهو كقوله فلا
انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فليس له قريب يرجو او يشفعه ذلك الحميم وقد كان له في الدنيا حميم ينتفع
ويرجو منه وقوله ولا طعام الا من غسلين وقال في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في موضع
آخر ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فالزقوم غير الضريع فهذا والله اعلم ان جهنم
دركات فاهل دركة منها لا يطعمون غير الغسلين واهل دركة منها يطعمون شجرة الزقوم واهل دركة منها طعامهم
الذي هو مما ليس يغنيهم والا لو لم يحمل الامر على هذا الوجه اوجب ما ذكرنا اختلافا فيخرج من ان يكون من عند الله
بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ثم يجوز ان يكون قد يكل اهل دركة ما يوجب الحكمة
ان يكون طعامهم ذلك فصل ما كانوا يفتخرون في هذه الدنيا بالاطعمة على ما يودونهم ويسوغونه فلم عند ذلك
الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك الوجه طعاما في الجحيم بما نعتوا به وقال الحسن ان القرآن كله كسورة واحدة
والسورة كآية واحدة فقال ليس لهم طعام الا من غسلين ومن ضريع ومن زقوم فاذا حمل على ما ذكرنا يرفع توهم التناقض
والله اعلم وقوله من غسلين يجوز ان يكون هذا اسما لشيء من الاشياء التي تعذب بها اهل النار ولم يطلع الله تعالى
الخلق على علم ذلك ومعرفته وقد ذكرنا ان في الآخرة اشياء لم يطلع الخلق على علمها في الدنيا واسم الزقوم ليس باسم لشيء يستقبح
ويستفظع في الدنيا ثم جعلها الله تعالى اسم المستبشع الكريه في الآخرة وقال بعضهم انه يسمى سلسبيلا والسلسبيل
غير معروف فيما بين اهل اللسان وقال بعضهم الغسلين ما يسيل من جلود اهل النار اذا عذبوا وذلك هو الصديد
والقيح ويجوز ان يكون اذا استحرهم استغاثوا الى الله وطلبوا منه ماء رجاء ان يرفع عنهم ذلك الحر فصب
عليهم ما يزيد ضعفا بهم شيئا يزول عنهم فسمينا والله اعلم وقوله لا ياكله الا الخاطئون وهم الذين

قال انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ثم قوله في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا لا يجوز ان يكون السلسلة تفضل عن ابدانهم فتأخذ فضل مكان من جهنم لانه تعالى وعد ان يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين فلو كانت تلك السلسلة اخذة فضل مكان من جهنم كان لا يقع الامتلاء بالجنة والناس اجمعين فقط فيؤدي ذلك الى خلف الوعد والله تعالى لا يخلف الميعاد ولكن اذا كانت تلك السلسلة اطول من ابدانهم فهي تدار على على اهلها فيقع لهم بها فضل تضييق وعلم بانها لا تفضل ابدانهم فلا يحتمل قد ذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه اهون او قال ايسر عليكم وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وعن الحسن رحمه الله انه قال ان المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله تعالى وانما خف الحساب يوم القيمة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ان المؤمن يفجؤه الشيء فيقول والله اني لاشتهيك وانك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة اليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا مالي ولهذا والله ما اعذر بهذا والله لا اعود بهذا ان شاء الله تعالى ان المؤمنين قوم اوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ان المؤمن اسير في الدنيا يسعى في فكاك نفسه لا يأمن شيئا حتى يلقى الله تعالى انه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها والمحاسبة للنفس ان ينظر في كل عمل يريد ان يقدم عليه الى عاقبته فان كان رشدا امضاه واقدم وان كان غيا انتهى عنه كما قال عليه السلام اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال في خبر ان المؤمن وقاف وزان ووزنه ما ذكر في الخبر الاول من النظر في العواقب اذا نظر في العاقبة فرأى الرشد في اقدامه فتقدم فيه واذا رأى خلاف الرشد انتهى عنه ولم يقدم عليه فذلك وقفه فهذا الذي ذكر بالمحاسبة للمرء نفسه فيما يروم من الامور ومحاسبة نفسه في الافعال التي ارتكبها وامضاها ان ينظر فان كان ارتكب محرما تاب عنه وليستغفر الله تعالى لعله يتفضل بمن عليه بالمغفرة وان كان ذلك فعلا مرضيا حمد الله تعالى وسأل التوفيق مثله فهذه هي محاسبة النفس فيما ارتكب من الافعال وقوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقد ذكر ان تأويل قوله فلا اقسم اي فلا اقسم بما تبصرون من خلق السموات والارض وانفسكم وما لا تبصرون من انفسكم من الارواح والاسماع والقلوب والعقول او بما تبصرون من الخلائق ممن حضركم وما لا تبصرون من الخلائق ممن غاب عنكم فيكون القسم بما يبصر وما لا يبصرون قسما بالخلائق اجمع لان جملة الخلائق على صنفين صنف منهم يرى وصنف منهم لا يرى فكان القسم من الله تعالى لتأكيد ما قصد اليه مما يرغب بالتدبر والتأمل وقوله تعالى انه لقول رسول كريم اي الذي تسمعونه منه تسمعونه من رسول كريم وذكر ههنا انه لقول رسول كريم فقال في موضع آخر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فذكر هناك الله وذكر في الآية الاولى انه لقول رسول كريم فاما ما اضيف الى الرسول فهو من حيث بلوغه اليه من جهة الرسول لا ان منه بدأ وصلنا اليه واضيف الى الله تعالى لان بداه من عنده واضيف الى الرسول لانا نطقه وحفظ كان به وهذا كما اضيف وعاه القلب الى الاذن بقوله وتعيها اذن واعية لانما وصل الى الوعي الاذن فقال في ذلك اضيف القول الى الرسول من حيث كان اسماع الخلق من جهة الرسول ثم الاصل ان الكلام انما الكلام والعقل لا يسمعان وانما المسموع منهما الصوت الذي يعرف الكلام من القول ويدل عليه لا ان يكون كلام في الحقيقة صوته فنسب ايضا هذا القرآن الى كلام الله لما يدل على كلامه لا ان يكون المسموع في الحقيقة كلامه وجائز ان يكون تأويل قوله انه لقول رسول كريم اي ان الذي تسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم لقول تلقاه من عند الله تعالى والرسول الكريم فيكذبهم هذا اليوم منهم من تخليط يقع فيه الشياطين وغيرهم من الاعداء من الاهواء ثم جائز ان يكون الرسول الكريم هو جبريل عليه السلام كما قال تعالى في سورة اذا الشمس كورت انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ويحتمل ان يكون الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم والاشبه ان يكون هو المراد لانهم كانوا يكذبون رسالته ويقولون يعلمه بشر ولا يقولون في جبريل شيئا وقوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون اي ان هذا القرآن لقول رسول كريم ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون يحتمل ان يكون تأويله فقليلا ما تؤمنون وبقليل ما تذكرون مما جاءكم به الرسول فالقليل الذي آمنتم به وتذكرتم به واذا كان تأويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لانتزاع حرف الخافض وفي الحقيقة انتصابه لكونه مصدرا وهو المفعول المطلق وجائز ان يكون اضاف القليل الى قول الشاعر والكاهن وتأويله ان الامر كما على ما تزعمون بانه قول شاعر وقول كاهن فما بالكم لا تصدقون بالقليل منه وقد تعلمون ان الشاعر وان كان الغالب عليه الكذب فيما يأتي فقد يصدق في القليل منه وكذلك الكاهن فما بالكم لا تصدقون القليل منه وانتم تعلمون انه صدق فان كان على هذا فهو في موضع ايجاب الحجة عليهم ان يصدقوه وان كان على التأويل الاول ففيه

إخبار انهم لا يؤمنون الا بالقليل منه والله اعلم وقوله تعالى تنزيل من رب العالمين فالتنزيل في الحقيقة لا يحتمل ان يسمع لانه اخبار عن فعله واما الذي يسمع منه هو المنزل على رسول الله ثم اضاف الى الفعل التنزيل ليعلم ان هذه الاخبار وهي قوله انه لقول رسول كريم وقوله تنزيل خرجت على المجاز ليس على التحقيق لان التنزيل هو انزاله فسمي تنزيلا لانه سمي تنزيلا لانه هو الذي كله الانزال لان ان يكون هو الذي نزل الانزال وان كان هو خلافه وقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل فهذا عطف على ما تقدم من قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر وعليه وقوع القسم وهو موضعه فكانه يقول ان الذي تلقاه من عند رسول كريم وما هو بقول تلقاه من كاهن او شاعر ولا يقول تقول علينا ولو تقول لاخذنا منه باليمين ويحتمل وجها آخر وهو ان الذي يسمعون منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا مفتر لانهم كانوا ينسبونه مرة الى الكهانة ومرة الى السحر ومرة انه تقوله على الله تعالى ولو تقول لاخذنا منه باليمين تبين انه لو فعل ما ظنوا لكان اسرع وقوعا اذا اهم خالف ونزع عنه من افعاله الا ترى الى قوله لاخذنا منه باليمين ثم بين انه لو وجد منه شيء مما لو وجد لاخذ على المكان الا ترى الى آدم وما حل به عند ما ابتلي بالزلة والخلاف وكذلك يونس فما عوتب على اثر الزلة وهذا لان عتاب الانبياء خرج مخرج التنبيه والتذكير والاستدعاء الى ما كانوا عليه من الطاعة والانقياد قبل ان يكابهم الزلة ولكن ليس عتاب الاعداء ولكن عتابهم الى اليوم الذي يقع عليهم فيه العذاب وفيه وجه آخر وهو ان الذي سمعتم منه لو كان سحرا او شعرا او كهانة او تقولا لكان لا يمهله الله تعالى بل يأخذه على المكان من غير ان يمهل له كما قال فما منكم من احد عنه حاجزين فلما امهله دل ان الامر ليس على ما قالوا وهو تنزيل من رب العالمين وقوله لاخذنا منه باليمين فاخذ الله تعالى عذابه وعقوبته كقوله فاخذهم الباساء والضراء وكقوله فاخذناهم بغتة وقوله باليمين قيل بالقوة او لا يعجزنا عنه شيء ولا يفوتنا عذابه كقوله وما هم بمعجزين وقوله وما نحن بمسبوقين فيحتمل لا يعجزنا ما عنه من الشرف على القوة من اذى خوف فيبين اهلية النعمة وجائز ان يكون اليمين صلة القول لاهل التحقيق لئلا يذكر اليمين لان التأديب في الشاهد باليد لاهل الاخذ يقع بها او نحو قوله ذلك بما قدمت يداك فاضاف التقديم الى اليد لاهل التحقيق لئلا يجوز ان لا يكون لليد به بما قدمت صنع لكن لما كان التقدم في الشاهد يقع بالايدي فذكرت اليد على ذلك الاصل لتحقيق الفعل لهما فكذلك يجوز ان يكون اليمين ذكرت لما يقع الاخذ والتأديب في الشاهد بها ان لم يكن هناك يمين ويحتمل انه ذكر اليمين القوة وسميت اليمين يمينا لان قوة العمل تكون فيها وتسمى ملك الرقاب ملك يمين لان الملك انما يكتسب بالقهر والغلبة وانما يتوصل الى القهر والغلبة بالقوة فسمي ملك يمين الا انه يريد بذكر اليمين حقيقة اليمين اذ الله لا يملك شيئا حتى يضاف اليها فكذلك فيما اضيف من اليمين الى الله تعالى فالمراد منه القوة وقوله تعالى ثم لقطعنا منه الوتين قيل الوتين عرق في القلب وقيل حبل في القلب وقيل هو العرق الذي اذا قطع مات صاحبه وهو عرق متصل بالظهر فكانه قال العذاب عذابا لا ابقاء له مع ذلك العذاب وهذا من آيات الرسالة في انهم متى ما لو اخذ اولى المكان ويكون فيه امان الخلق عن احداث التغيير والتبديل من الرسل لانهم لو غيروا لعذبوا ثم قوله منه باليمين فجائز ان يكون قوله منه زيادة في الكلام وحقه الاسقاط فيكون معناه لاخذناه باليمين وجائز ان يكون معناه لاخذنا من قوله وسحره وكهانته باليمين فان كان على هذا فحقه الاثبات وليس بصلة زائدة وقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين فهذا ايضا منه دل على الكفرة لانهم كانوا يطلبون من رسول الله اتباعهم وموافقتهم على ما حيرانه لو اجابهم لقطع وتينه فما حاجزنا لا يملكون منع ذلك عنه ولا دفعه لم يكن احد ينصره منه ذلك والحجة عليهم وهو كقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا وقوله تعالى وانه لتذكرة للمتقين والمتقون هو الموصوف في غيرة اسم متقين ومن صبا الى شاكرين كقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهو تذكرة لانهم تذكروا الوعد والوعيد ما يتقون مما يجوز عن ذلك فهو تذكرة يعني القرآن وقوله تعالى وانا لنعلم ان منكم مكذبين اي بآياتي وتسلي ثم يهلكهم نهلكم فهو صلة قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل فبين انه مع كذبهم بآياته ونسلي نهلكهم ولا نعجل عليهم بالعقوبة ولو وجد التقول من الرسول لكان نستأصله ونقطع وتينه فهو على ما ذكرنا ان عذابه على خواص عباده اسرع وقوعا اذ انما هو امر بالعادة وجائز ان يكون قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين هم المنافقون لانهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنتهم ويخالفونه ويكذبونه بقلوبهم فيكون هذا التأويل راجعا الى اهل النفاق والتأويل الاول الى اهل الكفر الذين اظهروا التكذيب وقوله تعالى وانه لحسرة على الكافرين اي القرآن حسرة عليهم يوم القيمة لانه شافع مشفع

لمن اتبعه وعمل بما فيه وما جاء مصدقا لمن بعده وركب ضلهم فلم يعمل به فهو حسرة عليهم لانه يخاصمهم فيخصمهم
ويشهد عليهم فيصدق في شهادته او يذكرون يوم القيمة معاملتهم بالقران فيندمون عليه ويزيدهم
حسرة لانهم كانوا اذا تلي عليهم القران في الدنيا ازدادوا عند تلاوته ضلالا وكفرا وازدادوا به رجسا
الى رجسهم كما قال تعالى اما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فهو ليس بسبب الازدياد لكن
ولكنهم كانوا يحدثون زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة فاضيفت الزيادة الى القران اذ كان القران هو الذي
يحملهم على زيادة التكذيب فهذه المعاملة تزيدهم حسرة يوم القيمة فاضيفت الى القران اذ كان القران هو الذي
عنده وقعوا فيه كما اضيف الرجس اليه والله اعلم وقوله تعالى وانه لحق اليقين • والاصل ان الحق اسم لما يحمد عليه
فحقه ان ينظر فيما يستعمل هذه اللفظة فيصرفها الى احمد الوجوه فاذا استعملت في الاخبار اريد بها الصدق
نحو ان يقال هذا خبر حق اي صدق واذا استعملت في الحكم اريد بها العدل واذا استعملت في الافعال
اريد بها الاصابة وقوله وانه لحق اي صدق يقين انه من رب العالمين فهو صلة قوله تنزيل من رب العالمين
وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم • قيل صل وقيل اذكره بالاسم الذي سميت كان تسبيحا له اي نزهه
عن كل ما قال فيه الملحدة وما لا يليق به مما لا يليق به والله الهادي الى الرشاد والعاصم عن الفساد

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سأل سائل بعذاب واقع • قرئ
بتليين الالف ومعناه سال واد بعذاب واقع يجري وادعى بعضهم جاحة والقراءة العامة بالهمز من السؤال
على سؤال القوم العذاب بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم ربنا عجل
لنا قطنا وقيل هو النضر بن الحارث سال الذي العقيل يوم بدر صبرا هكذا قال بعض اهل التاويل ولكن
عندنا ان هذا وان كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هنا لينزل به العذاب في الحقيقة
وانما هو منهم على جهة الاستبعاد للعذاب والاستهزاء برسول الله والذي حملهم على الاستبعاد والانكار هو
انه كان عند اهل مكة انه لو كان فيهم نبي لكانوا هم احق بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا
وسعت لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبسط له الدنيا ولا
لكلامه فيما بينهم نفاذ فظنوا لظنهم انهم اقرب منزلة عند الله من النبي لانه لا يستقيم في العقل ان يصل الولي
الى عدوه ويحرم وليه ويحرمه فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي ذكرنا هو الذي حملهم على تكذيب
رسول الله فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء فكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد
والانكار للعذاب لا ان كانوا مقرين به ثم استعجلوه وقد كان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر (?) اوصلنا
رحما واقرانا للضيف فكان يدعي بهذا لما اعتقد انه اشرف حالا واعلى منزلة عند الله من محمد عليه السلام ومن كان
هذا شانه فهو اولى ان ينصر من عنده قال الله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء ولو لم يكن عندهم انهم اقرب منزلة واحق ان يكونوا اولياء والا لم يكونوا يحسبون ان نبيا
رسول الله هنا فهذه الشبهة التي ذكرنا هي التي اورثت لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا انهم احق بالرسالة
وظنهم هذا متولد من ظن ابليس وذلك ان ابليس لعنه الله قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فظن
ان امر الفاضل للمفضول بالسجود والخضوع له خارج عن حد الحكمة فصار الى ما صار اليه من الجحود والعتو وكذلك
هؤلاء لما راوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم وظنوا انهم اقرب الى الله تعالى اذا لم تسع عندهم لا لة الولاية وتعزز (?)
ثم سعتهم هي التي حملتهم على التكبر على رسول الله وترك الخضوع والا لو اعطوا النصفة من انفسهم لكان
يجب ان يكونوا اطوع خلق الله لانا لو لحقنا على ما كثر عليه النعم من احق ان يكون للمنعم واطوع له فيما اتى
من الله تعالى نعمه عليه فاذا كانوا مقرين ان نعم الله عليهم اكثر واحسانه اليهم اوفر لوجب ما ذكرنا ان يكونوا الزم
لطاعته واخذ بما امرهم به وكذلك ابليس اللعين اذا راى لنفسه فضلا كما استوجب ذلك بما انعم الله
كان الحق عليه ان يتسارع الى طاعته وينقاد لامره لا ان ينظر الى الخلاف من نفسه ويترك الائتمار بامره
وقوله تعالى بعذاب واقع • اي هو واقع بهم لا محالة في علم الله او واقع فان كان قوله للكافرين صلة قوله
بعذاب واقع فحقه ان يقول على الكافرين ولكن اللام من حروف الاضافة والخفض وحروف الاضافة
مما يستبدل بعضها ببعض فجعل اللام بدلا عن على وان كان قوله للكافرين صلة قوله ليس له دافع فمعناه
ان ليس عن الكافرين دافع لعذاب الله بل واقع بهم لا محالة فلذلك ثبتت اللام مكان عن لانهما جميعا من حروف

الخفض وقد يدفع العذاب عن المسلمين من وجوه اما برحمة الله او بشفاعة الرسل والاخيار او لما لهم من حسنات سبقت
منهم توجب تكفير لسيئاتهم فاما الكافر فلا ينال له رحمته ولا شفاعة احد من الخلائق وليست له حسنات
يكفر سيئاته فليس له ما يدفع عنه العذاب وجائز ان يكون معناه ان الذي ظنوا انه ينصرهم عند النوائب وحلول
الشدائد لا يقوم بنصرهم فلا يشفع لهم لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الملائكة على رجاء ان يشفعوا
لهم ويقربوا الى الله • وقوله تعالى من الله ذي المعارج • اي ذلك العذاب بهم من الله تعالى ذي المعارج اي ذي المعارج
كقوله ذو العرش المجيد اي الذي له العرش واختلفوا في المعارج قال بعضهم هي المصاعد وهي السماوات لانهن
مصاعد لان بعضها اصعد من بعض وارفع ولو قال ذي المنازل كان مستقيما واقصى ما يقتضي قوله ذي المعارج
لان بعضها اذا كان اصعد فالتي تحتها اهبط واسفل ولكن ذكر المصاعد لان هذا املا في الوصف ثم في ذكر
هذا ذكر عظيم نعمه واحسانه الى خلقه حيث خلق السموات مسكنا لاهلها وبسط الارض مسكنا لاهلها
حتى اذا عرفوا هذا عرفوا ان لله ان يفضل بعضا على بعض وكان ان يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختص بها وذكر
ايضا حكمته وعلمه وقدرته وسلطانه حيث وضع سماء على سماء وخلقهن طباقا من غير عمد تحتها تمسكها او
علائق من فوقها تربطها فتبين انه تمسكها بحكمته وقدرته وسلطانه فيكون في ذكر كل وجه مما ذكرنا ازالة الشبهة
التي اعترضت لهم في امر البعث والرسالة ويتضح بان من قدر على ما ذكرنا لقادر على الاعادة بعد الافناء
وقيل المعارج الفضائل التي لله العلو والرفعة كما قلنا في قوله الحمد لله اي لا احد يستحق الحمد في الحقيقة وما حمد
احد الا وذلك في الحقيقة لله تعالى لانه باستفادة فعلى ذلك العلو والرفعة اي ليس لاحد يستفيد العلو
والكرامة الا وحقيقة ذلك لله لانه استفادته والثاني هو الموصوف بالعلو والجلال لما يقع عليه اوهام الخلق
وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه يحتمل ان يكون في معنى قوله تعرج اي تهبط وتصعد وتعرج لكن انشاهم
كذلك يقرن حين كقوله وان لكم في الانعام اي انشاهم كذلك وقوله والسماء بنيناها بايد كان ذلك في موضع
سحطر (?) رفعها لكن كذلك خلقها مرفوعة فعلى ذلك قوله تعرج الملائكة اي انشاهم كذلك استعملهم في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة ووجه اخر هو اشبه بالاية وهو ما قالوا ان الملائكة تعرج اليه اي الى الموضع الذي
ارسلهم الى تدابير الامور في يوم لو قدر ذلك العروج بعروج البشر وسيرهم لكان مقدار خمسين الف سنة منه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة • وقال في موضع اخر في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فيحتمل
ان يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة وصعودهم وهذا للبعض من بعضهم ثم يعرج في يوم واحد
مقدار ذلك المسير الف عام والبعض منهم ينزل فيعرج في يوم واحد مسيرة خمسين الف سنة فيكون في هذا
ابانة ان ليس اهل سماء احق من يدبر عليهم تدبير اهل الارض من اهل سماء بل ينزل اهل سماء الى الارض ويعرج لما يراد
من التدبير وينزل اهل سماء اخرى بتدبير اخر بهم او في سماء بينهما فهي تصعد الى تلك السماء بيوم واحد ان ينزل
من السماء السابعة او السادسة او الاخرى فهي تصعد اليها في ذلك اليوم ويكون في هذا تبيين قوة بعض الملائكة
على بعض ان بعضهم يسير مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد وبعضهم يسير مسيرة الف سنة ومن قدر على
ان يخلق من خلقه من الخفة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل ان يعجزه شيء فيكون في ذكر
تحقيق كون ما به هولك (?) من القيمة والبعث وجائز ان يكون قوله وان يوما عند ربك كالف سنة وذكر هنا ان
مقداره خمسين الف سنة راجعا الى يوم القيمة فذكر في موضع ان مقداره الف سنة وذكر هنا ان مقداره
خمسين الف سنة والاصل ان ذلك اليوم ليس بمحدود ولا له غاية تنتهي اليه فما اخبر من الحد فيه فهو مخرج
مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع بالتهويل والتفزيع فباي شيء عظم ذكره في القلوب يذكره فمرة ذكره بالخلود وهو قوله
ذلك يوم الخلود ومرة قال لابثين فيها احقابا ومرة قال خمسين الف سنة ومرة قال كالف سنة اذ هذه الاشياء
مما يعظم في القلوب وكذلك لان هي عظيمة في القلوب واذا كانت هذه الاشياء تعظم ذكرها في القلوب فذكر
الشيء الواحد من الجملة او ذكر الاشياء يقتضي معنى واحدا ومنهم من صرفها الى الفصل بين عروج الخلائق الى السماء
في ذلك اليوم ويصير قوله خمسين الف سنة الى تقدير المقام للحساب قبل ان يدخلوا النار وجائز ان يكون تاويله
ما ذكره بعض اهل التفسير وهو ان الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ الى الخلق فتكلفوا ان يفرغوا من حسابهم
لم يفرغوا منه الا في مقدار خمسين الف سنة لكن الله تعالى بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في ادنى وقت حتى يصير
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار على ما جاء في الاخبار وذلك قوله والله سريع الحساب فان قيل في قوله الف
سنة مما تعدون فكيف قدر ذلك الصعود ونحن لم نتمكن من الصعود ولم نقف على ما في طبعنا ان الصعود
يبطل به الف سنة او اقل او اكثر قيل جوابه ان نقول ان تاويله والله اعلم انه لو تسلطنا بين السماء والارض وصار
يمكن السير عليه لم يقطع ذلك السير الا احتجنا الى قطعه الا بالف سنة مما تعدون وجائز ان يكون تاويله ان

لو جعل لنا الى السماء بابا وفتح فظللنا يعرج اليها لم نتوصل اليها الا في العظام والله اعلم وقوله تعالى فاصبر صبرا
جميلا قيل الصبر الجميل هو صبر لا جزع فيه والصبر الذي لا جزع فيه هو ان تصبر صبرا لا يرى عليه اثر الصبر
بان لا يظهر في وجهه كراهة ولا قهوان لا ينظر الى من اذاه الا بعين الرضا والشفقة ليس بعين السخط و
الكراهة او الصبر الجميل ان يكافيهم ولا يدع شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان صلى الله عليه وسلم
كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان صلى الله عليه وسلم حزينه
على كفار قومه مبلغا كادت نفسه تهلك فيها كما قال الله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال فلعلك
باخع نفسك على آثارهم فالرسل عليهم السلام كانوا اذا اوذوا لم يكونوا يحزنون لمكان انفسهم مما اوذوا بل كانوا
يحزنون لمكان من يؤذيهم حرصا من ان يحل بهم الهلاك والبوار بايذائهم رسل الله واشفاقهم على قومهم هو
كان يحزنهم لسوء صنيعهم ومعاملتهم معهم وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا اي بعيدا ان يكون فيكون على النفي
الايجاد وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول الرجل في المناظرة لصاحبه هذا بعيد في العقول اذا
بشيء لا اثبات له ولا صحة فيريد بقوله هذا بعيد اي ليس كما تقول لو قال تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد معناه
على نفي النداء له لا ينادون ويكون قوله بعيدا اي مستبعدا كونه فيعده عن اوهامهم حتى انكروه وفيه
قريبا اي كونه ان كان معنى قوله بعيدا اي بعيدا كونه او نراه قريبا اي كائنا وقد قرب وقوع ذلك
وكل ما هو كائن فهو قريب وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل لانهم سألوا رسول الله عن الوقت الذي وعد
ان يقع بهم العذاب فيه وقته فنزلت هذه الآية يوم تكون السماء كالمهل كمهل الزيت وهو دردية فجاز ان يكون
هذا على التحقيق فهي بما تعيين في ذلك اليوم من لون الى لون فتحمر مرة وتصفر اخرى لشدة هول ذلك اليوم
فتكون كدردي الزيت لينا فلونا فتعيين امن حال الى حال في الخفاء الا يحل بها التغير ولكن شدة ما يحل
بالمرء من الهول والفزع يتضعف بصره حتى يرى السماء على خلاف اللون الذي هي عليه وهي كما يرى المريض هول
والفزع اذا حل به الضعف والمرض في الشاهد يتصور الاشياء على خلاف ما هي عليها فيكون في ذكر هذا
تهويل وتفزيع وخلاف على ما ذكرنا انه يصير شبيها بالمهل في لينها ورخاوتها وهي تهايلين وبرخوجين من هول ذلك
اليوم حتى تصير اليه كالمهل والجبال كالعهن فيكون بذهذا ايضا تهويل ليرجعوا عما هم فيه ويقبلوا على عبادة
الله تعالى وينيبوا الى الطاعة وتاويل العهن يحتمل تشبيه الجبال بما تذكر بعد هذا من سورة الله تعالى
في قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله تعالى ولا يسأل حميم حميما قرئ برفع الياء ونصبها فمن قرأ
برفع الياء فتاويله لا تطلب من حميم حميم ولا يؤخذ بمكاره كما يفعل مثله في الدنيا لان ذلك اليوم هو يوم العدل
وليس من العدل ان يؤخذ الغير بذنب الغير ومن قرأ بالنصب فتاويله ان لا يسأل عن حاله بما حل به من الشغل
وقوله تعالى يبصرونهم يحتمل ان يعرف بعضهم بعضا ان هذا ابوك واين حميمك اذ لا يعرفه الا بالتعريف
لما حل به من شدة الهول والفزع ثم اذا عرفه لا يسأله بل يفر بعضهم عن بعض كما قال تعالى يوم يفر المرء من اخيه
الاية او ان يكون معناه ان يبصرهم ما سبق منهم من الذنوب والاجرام فيعرفوا ويبصر لهم حاضرة وقوله تعالى يود
المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا
فمعناه انه يستقبلهم في ذلك هول وفزع لم يكن لهم بمثله عهد في الدنيا ولا كان يخطر ببالهم ذلك لان
المرء لا يبلغ به الهول في الدنيا مبلغا يود ان يفتدي ببنيه وصاحبته واخيه واقربائه وجميع من في الارض
فيكون فيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الانابة الى الله تعالى والانتهاء عما هم عليه ثم بدا بذكر
البنين والاقربين وانهاه بالابعدين وحق هذا ان يبدأ بالابعدين والاقربين ثم يختم بذكر الاقربين
لان المرء قد يسخى نفسه بفداء الابعدين وتضن بفداء الاقربين فاذا اسخت انفسهم في ذلك اليوم بفداء
البنين والاقربين فلان تسخى بفداء الابعدين احق فاذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع ان يبدا بذكر
الاباعد ويختم بذكر الاقارب فكيف ابتدأ بذكر الاقربين فجوابه من وجهين احدهما انه انما يتوصل الى فداء اهل
الارض اذا كان له عليهم ملك وكانوا باجمعهم له واذا كانوا جميعا له ملكا كان شفقته على ملكه دون اولاده
واكثر فكما يضن ببذل اولاده وان يكونوا عنه فداء فكذلك يضن بالاباعد اذا كانوا جميعا له فكذلك استقام
ان يبدا بذكر الاقربين قبل الابعدين اذ كل ذلك يستوي في التهويل والتفزيع والله اعلم وجائز ان يكون ذكر
وذكر اهل الارض ليس على جهة الاولى ولكنه ذكر الاحاد اولا ثم ذكر الجماعة ثم ذكر جماعة الجماعة ليعلموا ان لا
فداء في ذلك اليوم وان الذين ودوا الفداء ليتخلصوا من عذاب الله لا يستد عليهم ما فيق اوان ذلك ملء
الارض والله اعلم وقوله تعالى ثم ينجيه كلا ردع وتنبيه انه لا ينجيه ذلك اليوم وقوله تعالى انها لظى نزاعة للشوى
فاللظى اسم من اسماء النار والشوى قيل مكارم خلقه وقيل هي اطراف اليدين والرجلين وقيل هي الجلود والاصل

نار جهنم تحمل على اصحابها [illegible] وكل مستتبع مستعظم [illegible]
الى الخلود [illegible] وهو كقوله لهم فيها ازواج مطهرة وقيل
تاويل المطهرة من وجوه احدها [illegible]
[illegible]
[illegible] اهل النار موجود وقوله تعالى تدعو من ادبر وتولى يحتمل ان يكون الدعاء منها على التحقيق وهو
ان يجعل الله تعالى لها [illegible] الكلام [illegible]
هذا على التمثيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى ان الانسان
خلق هلوعا [illegible]
والطالب لها والكاره لما [illegible] وخلق هلوعا على حب ما يلتذ به والقيام بطلبه وبغض
ما يتالم به وتاخر بغضه ومنهم من يحمل الهلوع الضجور وهذا موافق التاويل الاول لان الذي يحمل على الضجر هو
ما يصيبه من الالم فيضجر لذلك ويضجر عن حق الله تعالى ومنهم من يقول تفسيره ما ذكر من قوله على انه اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وهذا التاويل يرجع الى الاول لانه الى ان حمله على المنع سد محبة اياه وكذلك حمله على
الجزع ما مسه من الضر والشر جزعت نفسه كذلك لانه بالنسبات نادم على الضجر ويبغضه له وقال وكان
الانسان عجولا وقال في موضع آخر وكان الانسان قتورا اي لا تسخو نفسه على اخراج ما في يده فبهذه
انبأ ان الانسان خلق على هذه الاحوال لتقوى على الهلوع اذا اتسا على حب ما ينفعه وبغض ما يكرهه
ويتالم به وخلق على هذه الاحوال المحنة لمن تركه بها وعدا منعم النعيم الذي حام بوفاء امر به حمله ذلك على التسارع
في الخيرات وترك ما يحبه في الدنيا لنيل الموعود في الآخرة اذ هو في الاصل انشاء محبا لما يتلذذ به وعن تذكر
بما اوعد من العقاب بما يعطي نفسه من الشهوات في معاصي الله وبما يمنع من حقوق الواجبة فيما له سهل عليه
ترك الشهوات وخف عليه بذل ما طلبته الله تعالى به مما يبغض نفسه من الالام والمكاره فالاصل انه اذا
وان كان مطبوعا على هذه الاخلاق الذميمة من البخل والاشارة والعجلة وجبل عليها فقد مكنه رياضة نفسه
وتمكنه ان يستخرجها من تلك الطبائع الذميمة الى اضدادها من الاخلاق الحميدة والشمائل المرضية فلزمه
القيام بذلك الا ترى انا نرى قياما مكن انفعه برياضة الدواب السباع فنخرجها بالرياضة عن طباعها الى
عليها من النفار بغير الحلول الى الامتناع عن الانقياد حتى تصير منقادة للخلق ذليلة لهم فيتهيأ لهم الاستعمال في الوجوه
التي يريدونها فكذلك الانسان اذا قام برياضة نفسه امكنه ان يستخرجها من خلقها فيصير مطيعه له ويخف عليه
بذل ما يطالب منها ويسهل عليها تحمل ما كانت تشتد عليها ثم الاصل ان المرء انما يحمل على حب ما يلتذ به وبغض
ما يتالم ويتوجع فقد جبل ايضا على ترك ما هو فيه من اللذة التي هي اعظم منها وعلى الصبر لاحتمال الاذى ليكف
ليتخلص عما هو اعظم من ذلك المكروه والالم واذا كان كذلك فهو اذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة وقرب الذي
يا بعدهما وان اللذة الاخرة اعظمها هو خف عليه ترك اقربهما لابعدهما وايسرهما لاكثرهما واذا قابل مكروه الدنيا
بمكروه الاخرة وعقابها بعذاب الاخرة وان عذاب الاخرة اشد هو خف عليه تحمل المكاره في الدنيا فهذا السبب
الذي ذكرنا مما يتوصل بالجملة رياضة النفس والتعديل على ان المرء قد يخف عليه تحمل الشدائد وترك اللذات لكي
لما يامل من اللذات الاجلة الا ترى ان المرء قد يهون عليه الضرب في الارض وقطع الاسفار ويحمل المؤن وركوب الاهوال
في العظائم والانقطاع عن اللذات كالذي يخرج بالتجارة من بلده الى البلدانية لما يرجو من النفع والربح فذلك فيحتمل ما
عيشه من المكاره والمؤن لما يطمع من نيل اللذات التي اعظم من اللذات التي يتركها فعلى ذلك اذا تفكر في نعيم الاخرة
وتفكر في نعيمها سهل عليه ترك اللذات الحاضرة وخف عليه تحمل المكاره في الدنيا ووجه آخر انه للجبل على حب
اللذات وبغض المكاره امر ان يحمل ما يحب من العاجل الجلاء فيكون شغله ابتغاء ما يوصله الى النعيم الاجل وامر ان يحمل
مرة من الالام الاجلة فيجتهد فيما فيه التخلص والنجاة من تلك الالام والله اعلم وقوله تعالى الا المصلين الذين هم

دائمون معناه والله اعلم لان المصلين يقومون برياضة انفسهم حتى يصيروها من خلقتها الى اثبات عليها ثم بين ان الذين يقومون برياضة انفسهم هم الذين يدومون على صلاتهم دون الذين يقومون الى الصلوة كسالى لا يرعون حقها ولا يتفقدون من امرها الا عن كراهة ثم قوله على صلاتهم دائمون دوامهم عليها ان لا ما عزموا لها وهو ان يقيموها في اوقاتها ويحافظوا عليها دون ان يكون دوامهم ان يكونوا فيها ابدا الامر على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل ان كان يعمله ادومها لزومها في الوقت الذي اوجبه على ذلك على انفسهم لا ان يكونوا ابدا فيها لانهم اذا … فيها ابدا لم يبق لهم … فلا يكون لقوله وان قل معنى فثبت ان معنى الدوام ما وصفنا والله اعلم ويجوز ان يكون المراد من الدوام هو ان يدوموا على الاحوال التي يكونون بالصلوة عند كونه فيها من الاقبال على الله تعالى وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الاشتغال بالعالم … وقال بعضهم على صلاتهم دائمون هو التطوع وعلى صلاتهم يحافظون الفريضة قال ابو بكر الصديق انا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا صلوا صلوة داوموا عليها وكان يقال خير الاعمال ادومها وان قل واصله انما قال واقاموا الصلوة والاقامة على الشيء هو الدوام كقوله لا يزال فعل الشيء مرة ثم تركه لا يوصف بالاقامة عليه فقوله دائمون ومقيمون يقتضي معنى واحدا … ان الصلوة يلزم فعلها من بعد مرة وليست كالفرائض التي اذا اديت مرة سقطت من نحو الحج وقوله تعالى والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم قيل هو الزكوة وعن كذا الشعبي وقتادة وغيرهم قال ابو بكر هذا غير محتمل لان هذه الاية مكية وانما فرضت عليهم بعد هجرتهم الى المدينة ولكن ليس فيما ذكر دفع هذا التاويل لانه يجوز ان تكون الزكوة لم تفرض عليهم لم يكن لاصحاب الاموال الا ان الزكوة لم تكن مفروضة في الجملة فيبقى الوجوب اذا استفادوا الاموال الا ترى ان الفقير … الزكوة من المال … لم يكن … اذا صار من اهلها فعليه حق معلوم انما قلنا … في اموالهم … يخرجونه مما … من حق … في اموالهم … الى السائل والمحروم ويحتمل ان يكون ذلك الحق المعلوم هو حق القرابة وغيره ويحتمل ان هذا الحق غير الزكوة … كانوا في اموالهم حقا يجعلون طائفة منها للسائل وطائفة للمحروم … ما يعطى السائل عندما ياتيه … للمحروم لذلك يسماه حقا معلوما ويحتمل ان يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في اموالهم ثم نسخ الله ولم يكن لنا ذلك العدد حاجة الى معرفته ثم السائل معروف وهو الذي يسأل فاما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن المحروم فقال المحروم هو الذي لا يتيسر له … الناس … زرع الناس ولا يلبن شاته وتلبن شاة الناس … بالمحروم … وفي هذا الخبر دليل على ان المحروم لا يصيب غنيا … الارض ويجوز ان يكون المحروم هو … كان حقا علينا ان نتعاهد ونقوم بكفايته وقال الحسن المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال … والله اعلم وقوله تعالى والذين يصدقون بيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب فكل من صدق بالجزاء … لم يجزع بما يصيبه ولا يمنع الحق الذي طلب منه ولم يوصف بانه هلوع واما الهلوع هو الذي يكذب بيوم … كما قال ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فهو الذي لا يؤمن بالاخرة وقوله تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون وجلون وهم الذين قال في اية اخرى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اهم الذين يسرقون ويزنون ويعملون بالمعاصي فقال لا بل هم الذين يصلون ويصومون ويؤتون الزكوة … وجلهم هو انهم يخافون ان لا يتقبل منهم حسناتهم او يخافون ان يكونوا غفلوا عن شكر … وغفلوا عن شكر كثير منها وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مامون … ان لا يامن احد من عذابه وان … عبادته واجتهد في طاعته لما لا يدري على ما ذا يختم امره … ان لا يقبل منه ويرد عليه او يخاف ان يكون قد قصر عن شكر كثير من النعم وغفل عنها والاصل انه لا يامن احد … امره … الا وهو على … من الله تعالى نعما لو اجهد نفسه ليقوم بشكر واحد منها … ولم … فاذا كان هذا وصفه فانى يعقله الامن … التي يؤمن بها الا ان يكون من الخاسرين كما قال تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون ذكر حفظ الفرج ولم يذكر … وحفظه يكون بخصال احدها ان يذكر في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد والثاني بما جعل الله سببا للتعفف من النكاح وملك اليمين فيمنعه ذلك عن الزنا … حفظ الفرج والثالث … بطنه بالصيام كما قال عليه السلام من لم يقدر على الباه فليصم فان الصوم له وجاء والرابع … النظر الى النساء ولا … مجالس …

دونها

وقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ولو لم يقل غير ملومين لكنا نعلم بقوله الا على ازواجهم وما ملكت ايمانهم انهم لا يلامون لانه قد اباح لهم الاستمتاع بمن ملكت ومن كان تحتهم بملك النكاح ولا يجوز ان يلحق الائمة استعمال المباح المطلق ولكن فيه وجهان احدهما ان من الناس من يحرم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين فيخبر انهم عنده على معتقد الايمان بالرسل غير ملومين وانما يلومهم من ينكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة ويجوز ان يكون معناه انهم وان منعوا النساء عن الجماع بما هو خير لهم من الصيام وانواع القرب لم يلحقهم اللائمة كما يلام من منع … كلفه الله تعالى او اذا استمتعوا بملك النكاح وملك اليمين بدل الزنا لم يلحقهم اللائمة وقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون العادي هو الظالم في الحقيقة يقال عدى فلان على فلان اذا ظلمه فهم عادون من حيث ظلموا انفسهم فوضعوها في موضع لم يؤذن لهم بالوضع فيها وقال الحسن هم العادون من حيث تعدوا من الحلال الى الحرام وفي هذه الاية دلالة تحريم المتعة لانه اخبر ان من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو من العادين والمستمتع بالمتعة مستمتع بغير ملك اليمين وملك النكاح فهو من العادين وقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فاما الامانات فوجهان احدهما ما ائتمن الله تعالى عباده على ما له من الحقوق عليهم والثاني ما ائتمن بعضهم بعضا من الحقوق والعهود التي تجري بين الخلق من النذور وغير ذلك فيدخل فيه كل امانة بين العبد وبين ربه وبينهم وبين الخلق وكل عهد اخذ عليهم من نحو قوله اوفوا بالعقود وقيل في التاويل العهود ثم بين ذلك فقال … الصلوة الاية والعهد الذي اعطينا المعاهدين … ذلك … الاية وقد يدخل معنى الامانة في العهد … العهد في الامانة وقد يجوز ان يقع بينهما فرق والله اعلم وقوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقومون بها لله تعالى كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله او قائمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة فيقومون بها … وقوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون محافظة الصلاة اقامتها في اوقاتها بشرائطها والذي يحملهم على المحافظة … الله تعالى … تكفير السيئات … في اقامتها تكفير عنهم سيئاتهم وقوله تعالى اولئك في جنات مكرمون … الاية ابان ان من يكرم بالجنات هؤلاء … ذكر عن ابي بكر الاصم انه قال في هذه الاية دلالة ان من وقف بهذه الاشياء التي ذكرها … من الادامة على الصلوة وايتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين … ما ذكر فهو الذي يكرم بالجنة فاما الخاطئ الذي يرجع عن خطيئته ويتوب عنها فاما من هذا فهو لا يستوجب الاكرام بالجنة فذكر من الاكرام بالجنة للصنفين اللذين ذكرهما … كما ذكرنا الصنف الثالث فهم الذين يلمون بالخطيئات من اهل الايمان ولم يتوبوا عنها فقد بين حالهم هذه الكرامة بفضله تعالى وكرمه وجوده واحسانه لانهم عرفوا الله تعالى جوادا كريما … ومن كان هذا وصفه فهو لم يوئس من احسانه بل كان العفو منه مامولا والاحسان منه موجودا وقوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين اختلفوا في تاويل الاهطاع فمنهم من يقول هو الاسراع في المشي ومنهم من يقول هو ادامة النظر فحمله على الاسراع فمعناه ان ائمة الكفر كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القران منه ثم يسرعون الى اتباعهم ويجلسون حلقا حلقا ويحرفون ما يستمعون منه … ويلبسون على ضعفائهم واتباعهم ليصدوهم بذلك عن الايمان بايات الله تعالى ورسوله وان كان الامر على هذا فتاويله ما لهم يسرعون اليك ليستمعوا كلامك ثم يتفرقون عن اليمين وعن الشمال … بعضهم ان هذا الا سحر مبين ان هذا الا اساطير الاولين … المنفعة لهم في طعنهم عليك … والهلاك … بعد ما بانوا الايات … على النظر فمعناه انهم كانوا يجلسون … رسول الله … ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وانه من اساطير الاولين … نحن نقتدي برسول الله ويقولون … الكفر فان كان على هذا فتاويله كانه يقول لهم ما لهم يجلسون عن البعد ناظرين اليك ولا يدنون منك ليستمعوا ما انزل اليك فينتفعوا به لكنهم متفرقون على اليمين وعن الشمال ليصدوا الناس عن مجلسك وقد علموا انهم الى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة اذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالانباء المتقدمة ليعلموا انك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة فان كان على هذا الوجه فالعتاب لهم في ترك الاستماع وان كان على الاول فالعتاب لمكان التحريف والتبديل والله اعلم وقوله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قوله ايطمع حرف استفهام وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله تعالى ايجاب ثم اختلف في وجه الايجاب فمنهم من يقول معنى قوله ايطمع اي لا يطمع كل امرئ منهم بعبادتهم الاصنام والاوثان ان يدخلوا جنة نعيم اذ هم منكرون للبعث والجنة …

ثم مع هذا ينصرون الاصنام ويعبدونها ويخضعون لها وان كان لا طمع لهم في نصرها الى شيء في العاقبة
ولا يرجون منها العواقب فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانهم يطمعون نيل الجنة والكرامة من الله تعالى والنجاة من النار بنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبادة
الله كانه يقول انهم لا يطمعون نيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة ثم يعظمون نصر الاصنام فانتم احق
بنصر رسول الله اذ تطمعون دخول الجنة بنصركم اياه والله اعلم غيرهم حمله على ايجاب الطمع في انهم كانوا
يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها اذا رجعوا الى ربهم ظنا منهم ان ساووا المسلمين في نعيم الدنيا وسعتها
فكذلك يساوونهم في نعيم الاخرة كما قال تعالى خبرا عنهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الاية هكذا ظن الكفرة انهم
ان رجعوا الى ربهم فيجدون عنده خيرا منقلبا قال الله تعالى كلا انا خلقناهم مما يعلمون فقوله كلا اي لا يدخلون
قط ثم استانف الكلام فقال انا خلقناهم مما يعلمون وعلى التاويل الاول كلا بمعنى حقا انهم لا يطمعون
ثم استانف بقوله انا خلقناهم ويحتمل على الوصل بقوله كلا معناه كلا انا خلقناهم مما يعلمون اي من
نهلك النطف فتذكرهم بهذا عظيم نعمه واحسانه اليهم بما اخرجهم منها ونقلهم من حال الى حال حتى صاروا
بشرا سويا ليعلموا انه لا يتركهم سدى بل يمتحنهم ويستادي منهم شكر ما انعم عليهم فيوجب ذلك
تصديق الرسل وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان ضعف بنيتهم ليعلموا ان من قدر على انشائهم لقادر
على ان يحييهم بعدما افناهم والله الموفق قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب ذكر المشارق
والمغارب ذكر المشارق والمغارب بذكر السموات والارضين وفي ذكرهما ذكر اهل السموات والارضين فكان
معناه فلا اقسم برب الخلائق جميعا ويكون حرف لا زائدة في الكلام تاكيدا للقسم على ما ذكرنا ويكون
معناه فلا اقسم بمن حق هذا القسم يقول لمكان قوله برب المشارق والمغارب فلا اقسم باحد لان
القسم من الله تعالى هذا هو ظاهر الكلام في متعارف اللسان ولكن يحتمل هذا وجوها احدها ان يكون
هذا القسم من النبي كانه علمه ان يقسم به فيقول له قل يا محمد فلا اقسم برب المشارق والمغارب وان كان
قسما من الله تعالى فهو مستقيم ايضا من وجهين احدهما على الاضمار كانه قال قل فلا اقسم حقا انا رب المشارق
والمغارب والثاني ان كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الحاضر لانه
الخلق كله لله تعالى شهود وليس هو بمشاهد الخلق فاخرج الكلام بينهم مرة على ما خاطب الغائب ومرة
على الوجه الذي يخاطب به الشاهد ومثل هذا مستعمل جدا في اللسان والله اعلم وفي الاية دلالة
على ان ملك السموات والارضين ومدبرهما واحد اذ لم يكن كذلك لكان ملك السماء ان يمنع الشمس والقمر
والكواكب من السماء من ايصال النفع الى اهل الارض ويكون ملك الارض ان يمنع ملك السماء عن الاعراب
في الارض ثم الذي يشرق ويغرب منذ خلق يجري على ما جرى عليه التدبير جميعا واحدا لم يقع فيه تغيير و
لا تبديل ولو كان لله تعالى فيه شريك لكان لا ينتظم ويقع التغيير فيها حتى اذ تدبير السموات والارضين
وتدبير سلطانهما راجع الى الواحد قوله تعالى انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم هذا موضع القسم
فجائز ان يكون تاويله اي نبدل الخير منهم فيجعل مكان مما كان من الشر خيرا كقوله تعالى ولو نشاء لاريناك
لامن من في الارض كلهم جميعا وقد فعل ذلك لانهم اسلموا ويحتمل ان يكون تاويله انا نبدل قوما خيرا
منهم ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القدرة والثاني ان يكون بمعنى القدرة ارادة الفعل فاما الذي
على وجهين احدهما على معنى تخويفا اهل مكة انهم ان لم ينتهوا عن ذلك ابدل الله تعالى مكانهم من هو خير لرسوله
والقبول لا يكون الا بعد المبدل عنه وقد فعل الله تعالى ذلك بهم اهلك المعاندين منهم وابدل لرسوله
الاذهم والمهاجرين منهم والانصار الذين آووا رسول الله ونصروه والثاني انه كان قادرا على ان
يجعل المرسل اليهم خيرا منهم ذكر عملوا من قدرة الله وانه هو الذي خلقهم وانشاهم لكن انما ارسل اليهم
نامرهم بالحاجات انفسهم لا لنفع يرجع اليه ليس على ما عليه ملوك الدنيا انما امتحنهم لا لمن يسعى في
نجاة انفسهم بنا هم لتفكوا رقابهم عن النار فيكون فيه تسكين قلب النبي عن وجد عليهم حين لم يؤمنوا
واما الوجه الثاني ان يكون بمعنى القدرة ارادة الفعل خاصة اذ قد يكنى بالقدرة عن الفعل اذ هي بسبب الفعل
كالامر المعتاد بين الخلق بامر رجل آخر بفعل فيقول لا استطيع ولا اقدر اي لا افعل وعلى هذا تاويل قوله هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اي هل يفعل ذلك فعلى هذا تاويل قوله انا لقادرون اي لفاعلون من
هو خير لرسول الله بلا خير هؤلاء فان كان على هذا فيكون فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه
يجعل له اصحابا يرضاهم ويكون فيه اياس لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يسعد هؤلاء بل هم حتى يجتهد

فيكون فيه اعلام له انه ينتقم منهم لما يريد بهم وقد فعل ذلك ببدر قوله تعالى وما نحن
بمسبوقين والمسبوق المغلوب فكانه قال لا يسبقنا احد ولا يعجزنا احد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريد
قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا قال ابو بكر الاصم الخائض المتحير واللاعب الخاطي فقوله فذرهم اي دعهم
بما هم فيه من خطاياهم ويتحيرهم في دينهم فكل من احتج بما لا يحتمل فهو خائض لا محصل له وكل امر لا عاقبة
له يحمد عليه فهو عبث لا محصول له كقوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو اي من يعمل في الحياة الدنيا الذي
للاخرة فهو لاعب لاه وكان هذه الاية صلة قوله فما للذين كفروا قبلك مهطعين الاية امره بان لا يشتغل
ويقبل على من يرجى منهم الايمان او امره بان لا يشتغل بمكافاتهم بسوء صنيعهم فان الله تعالى سينتصر عليهم في
يكافيهم عنهم وقوله تعالى حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فلا قوا ذلك اليوم وهو يوم بدر وشدائد هول اليوم
وهو يوم الاخرة والله اعلم قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا يخبر انهم يخرجون من الاجداث وهي القبور سراعا الى
الداعي والذي يحملهم على الاسراع هو ان نفسهم بما اجابة الداعي في الدنيا فنزل بهم الهلاك بتركهم الاجابة
فيتسارعون في ذلك اليوم الى اجابة الداعي رجاء ان يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الاجابة
وذلك لا ينفعهم وان وجد منهم التوبة والرجوع عن ترك الاجابة لان ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة
والتوبة وانما هو يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت وهذا كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده و
كفرنا بما كنا به مشركين فاخبر انهم يفزعون الى الايمان بالله لما ايقنوا انهم انما حل بهم البأس باعراضهم عن
الايمان ففزعوا عند ايقانهم بالعذاب الى الايمان رجاء ان يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم ينجهم
ذلك ولم تغنهم من عذاب الله شيء اذ ذلك الوقت ليس بوقت قبول التوبة فيكون هذا تحريضا بالاسراع
الى اجابة الداعي والايمان بما يدعوا اليه قبل ان يؤمنوا ايمانا لا ينفعهم والله اعلم قوله تعالى كانهم الى نصب
يوفضون قرئ بفتح النون وجزم الصاد وهو اسم العلامة نحو الغرض واشباهه وقرئ بضم النون
والصاد فهو اسم الصنم فان كان على العلامة فمعناه انهم يسارعون في ذلك الوقت الى اجابة الداعي
مسارعة من يسرع في هذه الدنيا الى الغرض والعلامة المنصوبة كذا قال اهل التاويل ذكر عن الكلبي الى نصب
يوفضون اي علم يسعون وقال قتادة الى علم يستبقون وعن مجاهد الى علم ينطلقون وان كان على البناء
فمعناه انهم يسرعون الى اجابة الداعي في ذلك كسرعتهم الى عبادة النصب عند خروجهم من عادتهم في عيد
اجتماع عبادها عندها او يبتدرون الى نصبهم حتى يستلموها ومنهم من ذكر ان النصب بفتح النون وضم
هي الاغراض التي يستبقون اليها ومن تاول هذا التاويل فهو يجعل النصب هاهنا جمع النصب قوله
يوفضون اي يسرعون وقال الحسن اي يولون وهما واحد لان الاسراع في الرمل موجود قوله تعالى خاشعة
ابصارهم فيحتمل ان يكون هذا على نصر الخضوع وصفة خشوعها ما قال في آية اخرى لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء فيخشع خشوعا لا يرى مهطعين عن الداعي ففيه الذلة قد خالطتهم حتى ترى
في الاعين والوجوه وفي كل عضو وجائز ان يكون هذا على نصر القلق وهو ان تعلوهم يشتغل باجابة
الداعي عن ان يتبصر لنفسه حيلة يتخلص من هول ذلك اليوم وشدائده قوله تعالى ترهقهم ذلة اي
تعلوهم والذلة الحالة التي في النفس بعد ظهورها من الانصار قوله تعالى ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
وحقه ان يقول هذا اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا ولكن معناه كانوا يوعدون بذلك اليوم الذي
بذلك اليوم في الوقت الذي كانوا يوعدون غير موجود فيعبر به عما يعبر الغائب والله اعلم بالصواب

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فذكر نبأ نوح عليه السلام دلالة رسالته وآية نبوته لما ذكر فان
هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه ولم يختلف النبي الى من عنده علمه فيتعلمه منه فعلم انه بالله علمه لا باحد من
خلقه فيكون فيه الزام الحجة عليهم وفيه اعلام رسول الله ما لقي نوح من قومه ليصبره بذلك على اذى
قومه اذ السورة مكية ثم امره بالانذار ولم يذكر معه البشارة وكذلك قال نوح اني لكم نذير مبين ولم يقل
بشير وقد كان هو بشيرا ونذيرا فانه يكون اقتصر على ذكر النذارة لا انه ترك ذكر البشارة وذلك
انهم اذا استوجبوا العذاب اذا داموا على ما هم فيه من الضلالة وعبادة غير الله فهم اذا انتهوا عن ذلك
استوجبوا العفو واستيجاب العفو وقوع البشارة فاذا كان ذكر احد الوجهين يقتضي ذكر الوجه الاخر اكتفى

بذكر احدهما عن ذكر الآخر وجاز ان يكون خص النذارة بالذكر لان الحال كانت حال الانذار لانهم كانوا مستوجبين
للنذارة ولم يكونوا من اهل البشارة [illegible]

[illegible]

[illegible]

وضربوا هم على ما ذكرنا في الأخبار، وأما الأتباع منهم والمقلدون لهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم ويغطون
وجوههم ورؤوسهم كيلا يسمعوا كلامه فيقع شيء منه في قلوبهم لما حذرهم رؤساؤهم عن ذلك ويكون هذا
في طائفة منهم وهذا في طائفة إذا كان ناس من قومه قابل على الآخرين واختلف تعاملهم معه على ما كان من أمرهم ثم
هذا يحتمل وجهين أحدهما على التحقيق على ما ذكرنا في الحديث من الإجابة والثاني جائز أن يكون على التمثيل
فضرب مثلهم في تركهم الإجابة مثل من جعل أصبعيه في أذنيه واستغشى ثيابه لئلا يسمع ولا يجيب وهو
كقوله فنبذوه وراء ظهورهم ولم يوجد منهم نبذ ولكنهم أعرضوا عنه إعراض من ينبذه وراء ظهره وكذلك
في قوله فردوا أيديهم في أفواههم على التمثيل معناه أنهم تركوا الإجابة إلى ما دعوا إليه كترك الإجابة من الذي يرد يده
في فيه لئلا يتكلم والله أعلم. قوله تعالى: وأصروا أي داموا على ما هم عليه وثبتوا على كفرهم وقال قتادة وأصروا أي
طلبوا في وجوه الأنبياء ردا عليهم أو مغالبة في الدعاء كقوله والغوا فيه لعلكم تغلبون وهو كقوله فأقبلت
امرأته في صرة أي صيحة والله أعلم. قوله تعالى: واستكبروا استكبارا أي استكبروا وامتنعوا عن الله كما امتنعوا
عن الإجابة لرسول الله. قوله تعالى: ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا. ففي هذا إخبار
أنه دعاهم في كل وقت تهيأ له من ليل أو نهار ولم يقصر فيها ودعاهم في كل وقت رجا ارتداع
منهم ويحتمل أن دعوتهم جهارا أي إذا تجمعوا عنده وازدحموا كثروا فأفهمهم جهارا ليسمعهم الدعوة وقوله
وأسررت لهم إسرارا إذا فرقوا منه وقلوا فلما أدخلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم أعلن في الذي
ثم جاز أن يكون الجهر والإسرار منصرفا إلى الدعوة ويكون الإعلان إعلانا بالحجج والإظهار والسنن والحجج
بينهما أبو بكر الأصم. قوله تعالى: فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. فالاستغفار طلب المغفرة بما ذكر في قوله
اعبدوا الله واتقوه وأطيعون فيكون هذا أمرا لهم بإتيان الإيمان الذي هو سبب المغفرة لا أمرا بسؤال
المغفرة نفسه من الله تعالى إذ استغفار كل قوم يرجع إلى أحوالهم فإذا كانوا كفرة فهو الإيمان بالله تعالى إذ الاستغفار
كل قوم يرجع إلى الله تعالى وإن كانوا مخلصين فيما سلف من ذنوبهم مما لا يعلمونها ونحو ذلك. قوله تعالى: يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا. فيحتمل أنما قال هذا لأنهم كانوا
في شدة عيش وضيق حال فوعدهم أنهم إن انتهوا عن الكفر وأجابوه إلى ما يدعوهم إليه غفر الله لهم ذنوبهم وأرسل
السماء عليهم مدرارا فيوسع به عليهم على ما قال بعض أهل التأويل إن الله تعالى قد حبس عنهم المطر وعقم أرحام
نسائهم وهلكت مواشيهم وجناتهم لتمام أربعين سنة ثم أهلكوا بعد ذلك وكانوا كلهم كفارا إذ كان
ليس فيهم صغير فلذلك كان نوح يعدهم بما ذكرنا والله أعلم، ويحتمل أن يكون خافوا انقطاع النعمة عنهم
بالإجابة وزوال السعة عنهم ومن الناس من ترك الإيمان مخافة فأخبرهم الله تعالى أن الذي هم فيه من
العيش لا ينقطع عنهم بالإسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدرارا متتابعا ويمددهم بأموال وبنين
مع ما يجعل لهم من الجنات والأنهار لكن أولي الألباب والعقلاء ينظرون إلى حسن العاقبة وما إليه يؤدي
الحال عند ذلك الذي يرغب فيه ولذلك اختلف دعوة النبي لأمته فمنهم من بشره بكثرة أمواله وبنيه ومنهم
من رغب في الآخرة كقوله فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند
ربهم الآية ونظير الأول كقوله ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
والأصل أن الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين ومنذرين داعين زاجرين محتجين مخلصين فأنزلوا
عليهم من أنباء الأولين دخل فيهم جميع الأوجه الثلاثة الإنذار والبشارة مرة يقع بالابتداء ومرة
بذكر ما نزل بالمتقدمين المصدقين منهم والمكذبين أنه كيف كان عواقب هؤلاء وهؤلاء وكذلك
الدعاء والزجر مرة يكون بابتداء الدعاء والزجر ومرة بذكر الأمم السالفة وأن الرسل كيف كانوا يدعون
أناسا والله أعلم. قوله تعالى: ما لكم لا ترجون لله وقارا. قال أبو بكر الأصم تأويله كيف لا ترجون شيئا
تعبدونه فيثيبكم بها وقد علمتم أن الخير كله في يده وأن الذي تعبدونه من دون الله لا يملك لكم نفعا ولا
يدفع عنكم ضرا فجعل قوله وقارا مكان عبادة والله أعلم. وقال بعضهم ما لكم لا ترجون لله وقارا أي ما لكم
لا ترجون لأنفسكم عند الله منزلة وشرفا وقدرا وقال بعضهم لا تخافون عظمة الله وقدرته عليكم فتنتهوا
عما نهاكم وتأتون ما أمركم به وحمل الرجاء على الخوف لما ذكرنا أن الرجاء المطلق يقتضي الخوف والرجاء جميعا
وكذلك الخوف المطلق يقتضي الرجاء والله أعلم والأشبه بالتأويل عندنا أن الرجاء يستعمل في الغضب
لله والحب لله والبغض لله وما الكلمة ما لكم لا تسعون سعي من يرجو ما عند الله على الوقار والحسنة
بعد أن شاهدتم من نعم الله وإحسانه إليكم من خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر
منه في الآيات التي يتلوها وذلك أن المرء إذا سعى لآخر على غير رجاء أو لم يرج أحدا استخف به فالرجاء هم ...

فعزهم وحاجتهم إلى ربهم ثم ما نبههم على ترك السعي لله سعي من يرجو على التوقير والهيبة على ما عليه في الشاهد
أن الساعي للملوك والكبراء على الرجاء كيف يكون منهم توقيرهم إياهم وهيبتهم عنهم والله أعلم. قوله تعالى:
وقد خلقكم أطوارا. من جعل قوله لا ترجون لله وقارا على حقيقة الرجاء فتأويله كيف لا ترجون أن تعظم قدركم
عند الله إذا أجبتم إلى ما دعاكم إليه وفيما ذكر من خلقه إياهم أطوارا تذكير لهم حسن صنيعه إليهم فيما قلبهم من حال
إلى حال في أحوال إنشائهم إلى الحال التي هم فيها فكيف لا ترجون إحسانه في حادث الأوقات إذا أقبلوا على طاعته
واشتغلوا بعبادته وإن كان قوله لا ترجون لله وقارا على الخوف ففيما ذكر من قوله وقد خلقكم أطوارا تذكير العظمة
والسلطان والقدرة وهو أنه دبركم في تلك الظلمات الثلاث ولم يخف عليه أحوالكم فيها بل قلبكم من حال إلى
حال شيئا فكيف يخفى عليه أفعالكم في حال بعثكم وظهوركم فيكون في ذكر هذا تنبيه أن الله لا يخفى عليه
شيء من أفعال الخلق فيدعوهم ذلك إلى المراقبة وبلوغ التيقظ والتبصر في كل أحوالهم لئلا يتعدى حدود الله
ولا يضيع حقوقه فيحل بهم البوار والهلاك فإذا حملت التأويل على الرجاء فهو يخرج على غير الوجه الذي
حملته على الخوف لأنك إذا حملته على الرجاء كان فيه تذكير عظيم نعمه عليهم من أول ما أنشأهم إلى الوقت الذي
انتهوا إليه فيحملهم ذلك على طلب ما يشرف قدرهم عند الله ويجمل عاقبتهم وإن حملته على الخوف كان فيه تذكير
القدرة والسلطان فيحملهم على المراقبة والاتقاء في حادث الأوقات ومن حمل قوله وقارا على العبادة
فهو يخرج على غير الوجهين اللذين ذكرناهما في الخوف والرجاء إذا صرفنا التأويل كأنه يقول إن الذي
خلقكم أطوارا قد تعلمون أنه حكيم ومن حكمته لا تسعه تركتكم سدى لا يأمركم ولا ينهاكم ولا يستعبد
منكم شكر النعم فيكون في ذكر هذا ترغيب في العبادة والإخلاص في الطاعة ويكون في ذكر هذا إثبات
الربوبية وإلزام القول بالوحدانية لأنه أنشأهم في أول ما أنشأهم نطفة ثم علقة ثم مضغة
إلى أن خلقهم بشرا سويا فلو لم يكن المدبر والمنشئ واحدا لكان يعجز عن تقليبه من حال إلى حال لأنه إذا أراد
أن ينشئ من النطفة علقة ومن العلقة مضغة كان للآخر أن يمنعه عن تدبيره فلا يتهيأ له إنشاء علقة ولا
مضغة وإن ارتفاع الموانع دليل على أن الأمر مستوٍ للخالق عز وجل وإذا ثبت انفراده بما ذكرنا ثبت أنه
هو المستحق للعبادة من الخلائق وقال بعضهم معنى قوله وقد خلقكم أطوارا أي مختلف الأخلاق والصور
والألوان والأصوات والنغمات لا ترى واحدا يشبه آخر بجميع خلقته وهذا من عظيم ما يستدل به على قدرته
وحكمته والله الموفق. قوله تعالى: ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا. وعند كثير أن قوله ألم تر يقتضي
تذكير ما مر فأغفلوا عنه وقد يقتضي تذكير التعجب لم يسبق من الخلائق العلم به فقوله
فتدبروا أنه خلق سبع سماوات طباقا بعضها فوق بعض ولا عمد تحتها أو من قدر على خلق مثله لقادر
على خلق كل ما يريده فيكون فيه إيجاب القول بالبعث إذ إعادتهم ليس بأعجب من خلق السماوات في تقدير عقولكم
ثم من خلقهن لقادر على البعث والله الموفق. قوله تعالى: وجعل القمر فيهن نورا. منهم من ذكر أنه جعل
نورا في سماء الدنيا وأضافه إلى جملة السماوات وقد يجوز أيضا أن يضاف الشيء إلى العدد وإن لم يوجد
ذلك إلا في البعض كما يقال لفلان في سبع قبائل مسجد واحد في المسجد إذا كان واحدا ولا يكون في سبع قبائل
وإنما يكون في قبيلة واحدة ويقال فلان توارى في دور بني فلان ولا يكون متواريا في دور جملتهم وإنما
يكون متواريا في واحد منها ثم أضيف التواري إلى الجملة فكذلك أضاف نور القمر إلى السماوات السبع وإن
كان القمر في سماء واحدة ومنهم من يذكر أن نور القمر قد أحاط بجميع السماوات وزعم أن وجهه إلى السماوات وظهره
إلى أهل الأرض ولهذا ما يعلو عليه السواد من السحاب وغيره فأما نور وجهه فإنه لا يستره شيء من السواد
لكن هذا إنما يعرف بالخبر فإن صح عن رسول الله خبر في ذلك فهو وإلا فالإمساك عن مثله أحق. قوله تعالى:
وجعل الشمس سراجا. فذكر السراج ههنا مكان الضوء في موضع آخر وهو قوله هو الذي جعل الشمس ضياء
فذكر في القمر النور وفي الشمس الضياء لأن القمر يكون في وقت الحاجة إلى النور وذلك في ظلمة الليل ثم إنه
تعالى أنشأ الليل ليسكن فيه لكن قد يبدو للخلائق في الليل حوائج يحتاجون إلى قضائها فمن الله تعالى عليهم
بنور القمر ليتوصلوا بنوره إلى قضاء حوائجهم وجعل الشمس ضياء لتختطف ضوءها نور الليل ويهلك
ولا يختطف نور الليل نور الشمس والله أعلم. قوله تعالى: والله أنبتكم من الأرض نباتا. فجائز أن يكون إضافة
الإنبات إلى الأرض ويرد ذلك إلى الأصل الذي خلق من التراب وهو آدم عليه السلام فنسب الفرع إلى
الذي منه خلق الأصل لحدوثه منه لا أن يكون خلق الجملة من التراب وهو كقوله وفي السماء رزقكم والذي
لنا في السماء هو المطر لا الذي نرتزق به ولكن الذي نرتزق به أصله المطر فنسب إلى المطر لأنه هو الأصل الذي
يتوصل به إلى الأرزاق فكذلك الخلائق لما كانوا من نسل آدم وكان هو أصلا لهم أضيف النسل إلى الذي

حدث منه الاصل ويحتمل ان يكون يرجع هذا الى كل في نفسه وذلك لان خروج الانبات وقوامها بالذي يخرج
من الارض وينبت منها من انواع الاغذية فاذا كان قوامها بما ينبت منها فكأنما انبتنا منها فاستقام ان
يضاف الانبات اليها كما تستقيم ان يضاف خروج الثمار الى الارضين وان كان حدوثها من الاشجار
اذ قوام الاشجار وبقاؤها بها فنسب ما يخرج منها الى الارض على التقدير الذي ذكرنا وفي قوله والله
انبتكم من الارض نباتا على التاويل الاول اثبات القدرة على البعث والزام الحجة على من جحد كونه لانه بدأ كونهم
وقدر ثم انشاهم من الارض ولم يكونوا شيئا فمن قدر على انشائهم من الارض بعد ان كانوا ترابا لقادر على
ان يعيدهم الى الحالة التي كانوا عليها من كونهم بشرا سويا وان صاروا عظاما ورفاتا لانهم كانوا يزعمون
ان كيف يعادون خلقا جديدا بعد ان صاروا ترابا فاحتج عليهم بامر الابتداء من الوجه الذي ذكرنا وان
كان على التاويل الثاني ففيه تذكير نعمه انه قد اخرج لهم من الارض ما يعيشون به ويقيمون به ابدانهم ليستأدي
منهم الشكر وفيه تذكير قوته ليخوفهم عقابه فيتقوا سخطه ويتطلبوا مرضاته (قوله تعالى) ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم اخراجا فجمع بين الاعادة والاخراج بحرف الجمع وجعل قوله ويخرجكم في موضع ثم لان هذا الاخراج
يكون بعد الاعادة الى الارض فيكون في هذا دليل ان احد الحرفين وهو الواو قد يستعمل مكان ثم وفي
حمل الواو في موضع ثم (قوله تعالى) والله جعل لكم الارض بساطا اي جعلها كالشيء المبسوط الذي يتهيأ
بسطه ولو لم يجعلها كذلك لم يتوصلوا الى حوائجهم ولا الانتفاع بها ففي هذا تذكير ما لله عليهم
من عظيم المنة (قوله تعالى) لتسلكوا منها سبلا فجاجا قيل الفجاج هي الطرق الواسعة وقيل السبل هي السهل
والفجاج الطرق في الجبال وهذا ايضا من عظيم نعم الله تعالى على عباده لان الله تعالى قد درأ الخلق في البلاد
فلو لم يجعل لهم في الارض سبلا لم يجدوا طريقا يسلكونه فيتوصلون الى ما به قوام ابدانهم فخص السبل
المتفرقة لما نسلك فيها فنتصل الى حوائجنا والى معايشنا كالنعاب التي سخرت لنا فنتوصل بها الى حوائجنا
وهذا يبين لك ان ملك اقطار الارض وتدبيرها يرجع الى الواحد القهار لانه اخرج الخلق الى الانتشار الى
البلاد لاقامة اودهم وجعل لهم سببا يتوصلون الى ذلك فثبت انه الله المختار الواحد (قوله تعالى) قال
نوح رب انهم عصوني اي عصوني فيما امرتهم به وفيما دعوتهم اليه (قوله تعالى) واتبعوا من لم يزده ماله وولده
الا خسارا فيشبه ان يكون المتبوعون هم الكفرة الذين كثرت اموالهم وحواشيهم استتبعوا من دونهم
فتبعوهم ولم يتبعوا نوحا وقد كان نوح يدعوهم الى اتباعه فاخبر انهم لم يتبعوه وانما اتبعوا من كثرت امواله
واولاده وحواشيه فيكون هذه الاية في الاتباع انهم اتبعوا اجلتهم ورؤساءهم ليس في رؤسائهم وقد تقدم
من الايات فاجلتهم من دعاء نوح اياهم الى التوحيد وغيره ويحتمل ان يكون هذه الاية في الاجلة والضعفة جميعا فيكون
قوله واتبعوا اي اتبعوا من تقدمهم من اهل الثروة والغنى والذين وسعت عليهم الدنيا وبسطت لهم ظنا
منهم انهم احق بالله تعالى واقرب اليه في المنزلة والذي حملهم على هذا وهو انهم لا يرون احدا في الشاهد ينال
صلة وليه ويحصل هديته وتوسعته اذا تسخط على رؤسائهم الدنيا ووسع الله عليهم وضيق على هؤلاء ادى
ذلك الى … افضل منزلة واعلى حالا وانهم هم الاولياء وهم قوم لا يوقنون بالاخرة وثوابها فكان من عبرهم انه يوفي الجزاء
على الاولياء والمحسنين في الدنيا فرجوا ان من وسع عليه الدنيا فهو اولى ان يكون ولي الله تعالى حيث وصل الله
الجزاء فيها فهذا الظن هو الذي حملهم على الاتباع وقوله الا خسارا اي نعاديهم الكل الذي المتبوع كما سبك
النعم التي ظنوا انهم اكرموا بها وصنيعهم سبب لخسارهم ثم قوله واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
كقوله فلا يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ثم قد بينا تاويل شكايته
الى الله تعالى من قومه في هذه الاية وتلك الايات في معنى تاويل الشكاية الى الله تعالى والحمد (قوله تعالى) ومكروا مكرا
كبارا قال بعضهم انهم كانوا يمكرون بما يمكرون بالسنتهم حيث كانوا يدعونهم الى الكفر والصد عن سبيل الله
فكنى بالمكر عما قالوا بالسنتهم فكان ذلك مكرا كبارا لله قولا عظيما ويجوز ان يكون على حقيقة المكر وهو
ان رؤساءهم مكروا باتباعهم حيث قالوا ان هؤلاء لو كانوا احق بالله منا لكان الله الذي يوسع عليهم ويضيق
علينا فاذ وسع علينا وضيق عليهم ثبت انا نحن الاولياء والاصفياء دون غيرنا وهذا منهم مكر وخطة لانه بالخديعة
قلوب العوام ليصدهم عن سبيل الله ويجوز ان يكون مكرهم ما ذكر انهم كانوا ياتون باولادهم الصغار الى نوح ويقولون
لهم اياكم واتباع هذا فانه ضال مضل فكان هذا مكرهم بصغارهم (قوله تعالى) وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا الاية فهذه المقالة منهم كانت بعد ان انقاد لهم الاتباع وتبعتهم الى ما دعوهم اليه من عبادة الاصنام
فقالوا بعد ذلك لا تذرن الهتكم اي لا تذرن عبادتها وقوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا هي اسماء الاصنام التي كانوا يعبدونها ثم يحتمل ان يكون الذي بعثهم على عبادة الاصنام ما ذكره اهل التفسير

ان قوم نوح اتخذوا هذه الاصنام اول ما اتخذوها على صورة رجال عباد كانت هذه الاسماء اسماءهم فسموها
باسماء العباد ليعتبروا بها ويجتهدوا في العبادة اذا نظروا اليها فلما مضى ذلك القرن الذي اتخذوها من خلفهم
قرن بعدهم فقال لهم الشيطان ان الذين من قبلكم كانوا يعبدون هذه الاصنام فعبدوها ومنهم من ذكر
ان جسد آدم عليه السلام كان عند نوح فكان نوح يترك كل مؤمن في زمانه ان يدخل فينظر الى جسد آدم ومن لم يكن
مؤمنا لم يدعه ان ينظر اليه فجاء ابليس الى الكفار فقال ان نوحا ومن آمن به يطلعكم بجسد آدم وانتم كلكم ولده
فصنع لكل قوم صنما على صورة آدم فكانوا يعبدون تلك الصورة ويحتمل ان يكون الذي بعثهم على ذلك
هو انهم لم يروا انفسهم تصلح لعبادة رب العالمين كما ترى هؤلاء الذين بحضرة الاجلة في الشاهد لا يطمع كل
واحد منهم في خدمة الملوك ولا يرى نفسه اهلا لخدمتهم بل يشتغل بخدمة من دونه وعلى رجاء ان يقربه الى الملك
فكذلك هؤلاء حسبوا انهم لا يصلحون لخدمة رب العالمين فكانوا اذا راوا شيئا حسنا كانوا يظنون ان حسنه
لمنزلة لهم عند الله لاحين فكانوا يقبلون على عبادته رجاء ان يقربهم الى الله تعالى فجعلوا الاصنام على احسن ما قدروا
عليه ثم اشتغلوا بخدمتها وعبادتها رجاء ان يقربهم الى الله كما قال حكاية عنهم والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فجاز ان يكون حسن
الحسن هو الذي حملهم على عبادتها وتعظيم شانها والله اعلم بذلك كان (قوله تعالى) وقد اضلوا كثيرا فجاز
ان يكون اريد به الكبراء انهم اضلوا كثيرا لانهم دعوا الى الضلال او زينوه في قلوبهم واضلوا سفهاءهم وجائز
ان يكون اريد به الاصنام ولكن حققه ان كان على الاصنام ان يعقل وقد اضللن كثيرا كما قال ابراهيم رب انهن
اضللن كثيرا من الناس وكان الاضلال عن فعل الممتحنين والاصنام ليست لها افعال فلما انسب اليها
نسبة من فيه الفعل اخرج الخطاب على الوجه الذي يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل وهو كقوله وكاين من قرية
عتت عن امر ربها فاضاف الى القرية فعل اهلها والفعل اذا اضيف الى الاهل اضيف بلفظ التذكير
ثم ثبت ههنا الاضافة فعل الاهل الى القرية ولو كانت القرية بحيث يكون منها الفعل لكان الخطاب
يخرج عليها بلفظ التانيث لا بلفظ التذكير حيث اضيف اليها فعل اهلها انث كما يوجب الفعل محققا
منها ثم الاصنام لا يتحقق منها الاضلال ولكن جعل الاضافة ههنا على انها انسان على هيئة لو كانت تلك
الهيئة ممن يضل الاضلال فهو كما قلنا في تاويل قوله وغرتهم الحياة الدنيا (قوله تعالى) ولا تزد الظالمين الا ضلالا
فهذا يشبه ان يكون بعد ما بين له انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاذ علم انهم لا يؤمنون لم يدع لهم
بالهدى ولكن دعا الله ان يزيد في اضلالهم ويكون الاضلال عبارة عن الاهلاك والضلال عبارة عن الهلاك قال
تعالى وقالوا اذا ضللنا في الارض اي هلكنا (قوله تعالى) مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فرجع ههنا صلة في الكلام
ومعناه بخطيئاتهم او من خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا في الآخرة او اغرقت ابدانهم واجسادهم وردت ارواحهم
الى النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجدوا لانفسهم بعبادتهم من عبدوا من دون الله انصارا من
المعبودين لانهم كانوا يعبدونها من دون الله ليقربهم الى الله ويكونوا لهم شفعاء وعونا فلم يجدوا الا
على ما قدروا في انفسهم (قوله تعالى) وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قيل تاويله لا تذر على الارض
من الكافرين ساكن دار واذا لم يبق منهم احدا (قوله تعالى) انك ان تذرهم يضلوا عبادك هذا كلام شنيع في الظاهر
من نوح لانه خارج مخرج الامتنان على الله لو تركهم ولو يهلكهم وهذا شبيه بقول من قال اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء وهو ايضا خارج مخرج التشكي انه لو ابقاهم ادى ذلك الى اضلال العباد وفيه تقدم
بين يدي الله وذلك عظيم ولا نشك في شرط الالوهية اهلاك من عمله الاضلال الا ترى ان ابليس اللعين و
اتباعه جل سعيهم في اضلال بني آدم ثم لم يتباشوا ولم يهلكوا بل ابقوا الى الوقت المعلوم ولكنه يجوز ان يكون
دعاء عليهم بعد ما اذن له بالدعاء عليهم بالبوار والهلاك فيكون الدعاء بالهلاك على تقديم الاذن والاصل ان
الرسل بعثوا لدعاء الخلق الى الاسلام وكانوا في دعائهم راجين الاسلام منهم خائفين عليهم بدوامهم على الكفر
فلما قيل لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقع له الاياس عن اسلام من تخلف عن الايمان فارتفع معنى الدعاء
الى الاسلام فجاز ان يرد له الاذن بعد ذلك بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعو اذ ذاك ثم يكون قوله انك ان
تذرهم يضلوا عبادك خارج مخرج الاشفاق والرحمة على من معه من المؤمنين وهو ان الذين داموا على الكفر لما
خيف منهم ان يضلوا المؤمنين ويسوقوهم الى طريقهم فيكون شفقته على المسلمين داعية له الى الدعاء بالاهلاك على
انهم لا يتوصلوا الى الاضلال (قوله تعالى) ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقت بلوغهم المحنة والامتحان لم يوجد منهم الفجور
لان تلك الحالة كفارا اذ لا صنع لهم في ذلك الوقت وهو كقوله انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فنبتليه
لوقت بلوغه المحنة والابتلاء لا ان يبتلى وقت ما ينشأ وفي هذه الاية دلالة على ان الكفر قد يقع عليه اسم الفجور لانه اخرج

قوله كفارا مخرج التفسير لقوله فاجعلك لذلك استغفار انه كان غفارا ولن يجيبهم الى الكفر وقوله رب اغفر لي
ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا هكذا الواجب المرتب في الدعاء والاستغفار ان يبتدئ بنفسه ثم بوالديه ثم بالمؤمنين
ثم قوله بيتي قال بعضهم سفينتي وقال بعضهم ديني ويكون البيت كناية عن الدين والملة وقال بعضهم ما دخل منه الانبياء
فيه دلالة انه كان امر من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر وان اخبار الامور في المؤمنين في الآخرة ودعاء الانبياء
عليهم السلام في الدنيا لانهم بما يعدون الى ما دعاهم اليه لا محالة ولا يحتاج ان يزاد في ذلك ان الله تعالى ... الانبياء والملائكة
وذكر ... ان نوحا كان طلب الهلاك لا سلكه دعاء ... اهلها المؤمنين بالاستغفار ... والثانية
على الكفار ... ولا تزد الظالمين الا تبارا قد كسرا ... الكفر ...
اكثر ... الظالمين ... فلما ... ما لهم الى ... بالنار ...
الهلاك ... ما يوجد لهم بالنار ...
حالة الاولة ... ولا يجوز القول بها ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف
في تاويل السبب الذي كان به مجيء الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر انه ابليس لما صعد الى السماء منع من اخبارها فوجد ملئت حرسا
شديدا وشهبا فتيقن ان قد حدث في الارض من حادث عظيم من حوادثه ليعلم علم ذلك فمنهم من يقول بان الاصنام
تتحرك لمجيء جهة حين بعث رسول الله فعلم بذلك ابليس انه حدث في الارض حادث حتى جرى له الاصنام حقير حدوده
ليصل الى علم ذلك ثم من الناس من زعم فحصته هذه السورة وقصته قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن ولحن وقال بعضهم هؤلاء النفر الذين ذكر في هذه السورة كانوا من مشركي الجن والذين ذكروا في سورة الاحقاف
كانوا من يهود الجن وكيلة انه قال في هذه السورة فيما حكى من الجن وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا
والنهود يعرفون بالبعث ولا ينكرونه فثبت انهم كانوا من جنس المشركين وقال في سورة الاحقاف قالوا يا قومنا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فثبت انهم كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول الله
عليه وكانوا به مقرين فهم اليهود هم الذين يؤمنون بكتاب موسى لا غيرهم فما حكى الله تعالى عن الجن من قصد تتبعهم هذا الكلام
واستماعهم وما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوائد احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن
والانس حيث حضر الجن الى الاستماع اليه وفيه انهم لما احضروا القرآن من لسانه قالوا فيما بين القوم بانذارهم
والدعاء في التبليغ على ما اخبر تعالى انهما قضي ولوا الى قومهم منذرين وفيه ان اولئك النفر يسارعوا الى الاجابة لرسول
الله فيكون فيه تسفيه قوم رسول الله الذين نشأ بين اظهرهم لانهم عرفوا رسول الله فيما بينهم بالصيانة والعدل
ولم يقفوا منه على كذب قط حتى من يعرف بالصدق والصدق وان لا يسارع الى تكذيبه فيما ياتي من الانباء بل يوقف
في حاله الى ان يتبين منهما يظهر كذبه وقوم استقبلوه بالتكذيب ولم يعاملوا معه معاملة من كان معروفا بالصدق
والصيانة والجن الذين صدقوه لم يكونوا عارفين بحاله فيما قبل انه صدق او كذب فحين لم يسارعوا الى تصديقه
بما لاح لهم الحجج وثبت عندهم بيان الرسالة وعاملوا معه معاملة من عرف بالصدق فدل انهم كانوا في غاية من
السفه وفيه ايضا دلالة رسالته لانه قولهم انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد الى آخر ما كانوا فيما بينهم لحق
من علم الغيب وهذا لا يعرف الا من جهة علم الغيب فثبت انه بالله تعالى علم ثم يحتمل ان يكون الذي حملهم على الايمان
بما عرفوا انه اتى بالمعجز الذي يعجز الخلق عن اتيان مثله وبما وقفوا على احكام معانيه وحسن توفيقه ونظم خبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بمجيئهم حتى اوحي اليه انه قد اتاه نفر من الجن فاستمعوا اليه ما اوحي اليه فيكون
فيه دلالة على فساد قول الباطنية حيث زعموا ان النبي قبل الوحي بالجسد الروحاني لانه لو كان كما وصفوا الزائف
عند ما حضروا اليه اذ الجسد الروحاني مما يبصر الجن ولم يوح اليه خبرها وقد حضر نفر من الجن وكذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل ان يريه على صورته فقال جبريل انك لا تطيقه لان الارض لا يسعني لكن انظر
الى افق السماء فلو كان يلحقنا الحي بالجسد الروحاني لكان يعتدا وجبريل على صورته فيتصل فائدة هذا السؤال
ان الامر ليس كما يقول بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وانه كما وصفه الله تعالى بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية
فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا قال اهل العربية انما استعظموا ذلك منه لانهم سمعوا من بلح من الكتب
ولا يقرا الكتب منهم من قال ان حسن تاليفه ونظمه ووصفه هو الذي حملهم على التعجب ومنهم من قال انما تعجبوا من ايات به

وحجة لانه جاء في تثبيت التوحيد واثبات الرسالة واثبات البعث ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا اهل الشرك
ولم يكونوا اهل معرفة بالبعث ولا بالرسالة فكانت الايات عجيبة بحيث عزت عندهم هذه الاوجه والله اعلم ثم في هذه السورة
دفع قول ما ذهب اليه نفر من الجن اخبارا انه رسول الله لم يكن يشعر بمجيئهم وروي في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه
انه لما تلا على اصحابه سورة الرحمن قال لاصحابه ان الجن كانوا احسن اجابة منكم فانه كلما تلوت عليهم هذه السورة كانوا يقولون
ما بشيء من الائك يكذب ربنا ولك الحمد ففي هذا الخبر دلالة انه قد قرا عليهم وشعر بمجيئهم فيكون فيه اثبات الوجهين
ان قد شعر مرة ولم يشعر اخرى ثم يجوز ان يكون راهم بما قوى الله تعالى بصره حتى احتمل ادراك الجن وضعفت ابصارهم
عن ذلك وفيهم الامتحان اهل الجنة يرون الملائكة عند ما ياتيهم التحف عند ربهم فقوى الله تعالى بصرهم حتى يعاينوا
الملائكة بصورهم وانه ضعفت ابصارهم عن الرؤية في الدنيا فعلى ذلك يجوز ان يكون الله تعالى قوى بصره حتى
راى الجن على صورتهم عيانا فيكون الله تعالى صور الجن على صورة الانس حتى راهم وشعر بمجيئهم والله اعلم ثم
ما ذكرنا من السببين في امر مجيء الجن الى رسول الله في اول السورة من قول اهل التاويل لا نقطع القول بذلك وان
كان في حد الامكان والجواز لانهم كلفوا استخراج ذلك بالتدبر والاجتهاد وما كان سبيل معرفته الاجتهاد
لم يجز ان يقطع القول فيه بالشهادة وقد يجوز ان يكون الذي حملهم على المجيء عند ذلك الوحي وهو ان يكون
النفر من منذري الجن لانذرا ذكر في الجن نذرا فان الرسل من الانس دون الجن فيفرقوا في الارض على رجاء ان يظفروا
برسول فيتلقفوا منه ما يقومون به بالنذارة فيما بين قومهم وكانوا يصعدون الى السماء فيستمعون الاخبار عند ذو
قومهم فيها تم انقطع علم ذلك عنهم حيث لم يجدوا مسلكا الى الصعود لانها قد ملئت حرسا وقد علموا ان السماء
لا يسقيهم حياري وينقطع عنهم وجه المعرفة فيفرقوا في الارض رجاء ان يظفروا بمن يزيل عنهم الشبهة ويوضح الحجج
والبراهين فيصلوا الى مقصودهم من جهة نبينا او يحتمل ان يكون عندهم انه لا احد في الارض من جن او انس
يكذب على الله كما حكى الله تعالى عنهم بقوله انا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلما تحقق عندهم
الكذب بما اقلى نفسهم من تنالوهم فاكثر شبهة عليهم الصراط السوي فتفرقوا في الارض على رجاء ان يظفروا
بمن يدلهم على الطريق المثلى حتى وجدوا رسول الله ويحتمل ان يكونوا لما صعدوا الى السماء فراوها مملوءة من
الحرس كالشهب ايقنوا ان ذلك الحادث حدث وخافوا نزول نقمة باهل الارض فتفرقوا الى ان يلحقوا لعلهم يصلون
الى علم ذلك الذي يحقق كون هذا الخبر وهو ذا السماء قد ملئت حرسا شديدا وشهبا في حق الكهنة انقطاع
الكهنة بعد ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا الكائن لا ينقطعون لان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء
فيا كون الكهنة مما يسمعون من الاخبار ويلقونها اليهم فيضلون بها الخلق فلو لم يمنعوا من السماء لكانوا لا
ينقطعون وبما ذهب الكهانة اليوم فلا تجد عينا عن حادث مما تلقفوه من السماء لرسول الله وكان امر الشهاب
امارة لهم لمعرفة الكهنة فيما بينهم كانت بشرى حجة سماوية لرسول الله فتقر بعد الكهنة رسالته اذ لم يدع احد
منهم بكون الشهاب قبل ان بعث النبي فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدقه في رسالته وانا سمعنا قرآنا
يهدي الى الرشد فامنا به اي الى الحق على ما ذكرنا بيانه في سورة الاحقاف في قوله يهدي الى الحق والى طريق
مستقيم ولن نشرك بربنا احدا قال ابو بكر الاصم انهم كانوا من مشركي العرب فتبرؤوا من الشرك كما
استمعوا وسمعوا الحق فصدقوا به ولن نشرك بربنا احدا وقد يحتمل هذا الذي قاله ويحتمل هذا الذي
ويحتمل انه لم يسبق منهم الاشراك بل كانوا من جملة المؤمنين ولكنهم احدثوا ايمانا بما سمعوا من القرآن اخبر
بتبيان امر الشرك وقد يتبين المؤمن الشرك عند ما يجدد ما يزيده ايمانا وان لم يسبق منه الاشراك كما قال موسى
سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقوله وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اختلف في تاويل الجد
فمنهم من يقول بان هذه الكلمة يتكلم بها فيمن يظفر بكل ما يريد فيوصف بانه ذو جد وجائز ان يكون ارادوا
بهذا انه تعالى هو الظافر بكل ما يريد لا يستقبله خلاف ولا يمسه حاجة وعلى هذا التاويل قوله ولا ينفع
ذا الجد منك الجد اي من له الجد في الدنيا فاذا كان في تقدير الله خلاف ذلك لم يغنه ذلك من عذاب الله شيئا
فاذا كان هذا هو المراد فمعناه انه تعالى وصف بعلى ان يكون له شريك او يحتاج الى صاحبة او اتخاذ ولد
لمرادات الحاجة ومن ظفر بكل ما يريد لم يقع له حاجة وجائز ان يكون الجد صلة ومعناه تعالى ربنا وجائز ان يكون
الجد عبارة عن العظمة والرفعة يقال فلان جد في قومه اذا عظم وشرف فيهم وقال الحسن تعالى جد ربنا اي غنى ربنا
الاحسان انه كيف دعوا استحق هذا عند ما نزه نفسه عن اتخاذ الولد بقوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني
وقد ذكر اتخاذ الولد ههنا على اثر قوله جد ربنا ومنهم من يقول تاويله ملك ربنا وجائز ان يكون اراد به جوده ربنا
تعالى تعلو كلما لو نسب اليه كان فيه نسبته الى فعل الرذالة والسفه ثم الجواب لا يتكلف في تفسير قوله
جد ربنا ههنا لانه حكاية من مقالة الجن فلا نذهب الكلمة بما نعرف باخبار الجن ثم الشرك فيما جرى به الكتاب

فلما نفيتها وجه شريك في العبادة بقوله ولا نشرك بعبادة ربنا احدا وشريك في الخلق بقوله ام جعلوا لله شركاء خلقوا
كخلقه وشريك في الحكم بقوله ولا يشرك في حكمه احدا وشريك في الملك بقوله ولم يكن له شريك في الملك
فثبت ان الشرك يقع مرة في العبادة ومرة في الخلق ومرة في الحكم ومرة في الملك فهم بقولهم ولن نشرك بربنا احدا تبرؤا
عن الشرك من هذه الاوجه الاربعة ثم اذا كان الجن عما نفى الذي نطق بكل ما يريد ففيه نقض على المعتزلة في قولهم يعنون انه
تعالى اراد من كل كافر الايمان فاذا لم يؤمنوا فمن غير ظالم بما يريد على قولهم ويدخل عليهم النقص من وجه اخر وهو انا قد بينا
ان الشرك قد يقع مرة في الخلق وهم ينفون خلق الافعال عن الله تعالى واذا نفوا ذلك فقد جعلوا له في الخلق
شركاء وقد اخبر الله تعالى انه هو المتفرد بخلق الخلائق فثبت ان الافعال من حيث الخلق والانشاء لله تعالى
ومن جهة الكسب الفعل للخلق فمن الوجه الذي يضاف الى الله لا يجوز ان يضاف من ذلك الوجه الى الخلق
عندنا فلا يقع في الخلق تشابه لانه لا يتحقق من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق من الله تعالى واذا نفوا
ذلك فقد جعلوا له في الخلق شركاء وقد اخبر الله تعالى انه هو المتفرد بخلق الخلائق فثبت ان الافعال من حيث
الخلق والانشاء لله تعالى ومن جهة الكسب الفعل للخلق فمن الوجه الذي يضاف الى الله لا يجوز ان يضاف
من ذلك الوجه الى الخلق عندنا فلا يقع في الخلق تشابه لانه لا يتحقق من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق
من الله تعالى الا ترى انه يضاف الملك الى الله والى الخلق ثم لا يقع في ذلك اشتراك لانه من الوجه الذي يضاف
الى الله لا يتحقق ذلك الوجه في الخلق لان الاضافة الى الخلق على جهة المجاز والاضافة الى الله على حقيقة التحقيق
فكذلك اضافة الافعال الى الله والى الخلق لا يوجب اشتراكا لاختلاف الجهتين والله الموفق. قوله تعالى ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا. لان اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة ومنتهى الشهوات فلا يحتمل ان يغلبه
ما هو خلقه فتمنعه ذلك على اتخاذ الصاحبة وبهذا يرد على من زعم ان الملائكة بنات الله وان له نسبا من
الصاحبة وهو تعالى ما اتخذ صاحبة فانى يكون له البنات. قوله تعالى ولا ولدا فالاصل ان الاولاد
منهم لمن لا يحتاج من خصال اما لانه لا من الوحشة فيطلب الولد ليستانس به او يرتفع بهم للحاجة
من الضعف فيريد ان يستنصر بهم او لما يخاف زوال الملك فيطلب الولد ليقوم مقامه والله تعالى
عن ان يلحقه وحشة او تصيبه ضعف او يخاف زوال الملك فاذا كانت الطرق التي بها يرغب في اكتساب
الاولاد منقطعة في حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الاولاد ولهذا ما ذكرنا نسبته المحتاج الى اتخاذ الاولاد
غنا ويقول سبحانه هو الغني اي غني عن كل الوجوه التي يحتاج الى اتخاذ الاولاد والله التوفيق. قوله تعالى
وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا. فمنهم من ذكر ان سفيههم هو ابليس وليس هذا براجع الى الواحد
على الاشارة اليه بل هو راجع الى كل من يوجد منه فعل السفه الا ترى انه اذا قيل كان يقول حسنا كذا وكذا
يقول فاسقنا كذا لم يعن به شيئا ولا فاسق واحد على الاشارة بل المراد به كل معروف بالاساءة والفسق
فعلى ذلك قوله وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا ليس يقتصر على الواحد بل هو راجع الى كل من يوجد منه
ذلك ثم في هذه الاية دلالة ان النفر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا من اهل الكفر لانهم لو كانوا اهل
الشرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه الى غيرهم ويخرجون انفسهم منه وقد وجد فعل السفه منهم ولو كانوا
مشركين ايضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة وانا كنا نقول على الله شططا لتكون ذلك منهم توبة وتبريا
عما كانوا فيه من الشرك والكفر وشكرا لما انعم الله عليهم من عظيم النعمة بان هداهم للايمان لا ان يضيفوا ذلك
الى سفهائهم فثبت انهم كانوا مؤمنين والشطط الجور وقال بعضهم الكذب وقال بعضهم الظلم والشطط
ههنا الجور والجور ما اتوا به من القول الفاحش وهو الشرك بالله تعالى وهذا يبين ان الجور قبيح في كل الاديان
وفيما بين اهل الاديان الا ترى كيف سفهوا من يقول على الله الجور. قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا ذكر ابو بكر الاصم انهم كانوا اعتقدوا ان لله صاحبة وولدا بما سمعوا الانس والجن
يقولون ذلك وكان عندهم انهم في ذلك صادقون وذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بان له
صاحبة فلما ظهر عندهم كذب من يدعي اتخاذ الولد والصاحبة تبرؤا عن القول بذلك فثبت بهذا انهم
كانوا اهل شرك الى ذلك الوقت فلما استمعوا القراءة الرسول ولاحت لهم الحجج وارتفعت عنهم الشبه امنوا
وتبرؤا من مقالتهم المتقدمة وقد يحتمل غير ما ذكره ابو بكر من التاويل وهو ان القوم كانوا انشؤا على الهدى
والايمان فكانوا يظنون ان الجن والانس على الهدى وانهم كانوا لا يكذبون على الله حتى ظهر عندهم
كذب الجن والانس بقولهم ان لله ولدا وصاحبة ويجوز ان يكون معناه انا كنا نظن ان لا يستحيي نفس احد
من الممتحنين بالكذب على الله بما الزمهم الله قبح الكذب وقررهم عندهم بالحجج والادلة تنزيهه عن اتخاذ الاولاد
والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما اظهروه بالسنتهم ثم الذي يدل على ان التاويل الذي ذكره ابو بكر ليس

بحكيم انه قد كان في الانس والجن مصدق بصفة الله تعالى بالتنزيه وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة
الا ترى الى قوله حكاية عنهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وقال وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فلا يحتمل ان يقع عندهم ان الفريقين جميعا على الصواب لكن كانوا يظنون ان الفريقين
جميعا على الحق على ما هم عليه فاذا تبين عندهم الكذب بغي ولكنه قالوا هذا القول والله اعلم. قوله تعالى
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا. ذكر ان الانس وهم قوم من العرب كانوا
اذا انزلوا واديا استجاروا بسيد الوادي وقالت نستجير بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم اختلف بعد
هذا فمنهم من ذكر انهم كانوا يجيرونهم ومنهم من زعم انهم كانوا لا يجيرونهم وكان ذلك يزيد فرح
الانس من الجن وقالوا الرهق الخوف والفرق كذلك روي عن ابي رغبة ومنهم من يقول هو الذلة والضعف
وكانوا يزدادون الضعف والذلة والخوف والفرق بامتناعهم عن الاعاذة ومنهم من يقول انهم كانوا
يجيرونهم من استجارهم ولكن مع هذا كانوا يفزعونهم ومن كيدهم في الاماكن التي لم يستجيروا فيها بهم
ويحيرونهم في المفاوز ويعتريهم الاخافة وعلى اختلافهم اتفقوا ان الجن هي التي كانت تزيد الانس رهقا
وقيل بان هذا الفعل من الانس وهو الاستجارة منهم شرك لان الله هو المجير وكان الحق عليهم ان يستعيذوا
بالله ليدفع عنهم مكايد الجن وان لا يبغوا لانفسهم ناصرا غير الله فاذا فزعوا في الاستجارة الى الجن فقد دعوا غير الله
لعوذ منهم بالذب والنصر فكان ذلك منهم شركا ولان الجن اضعف من الانس الا ترى انه يختفي من الانس بتصور
بغير صورته فرقا منه لا يستعر بها الانس ويبلغ من ضعفهم انها لا تقدر على اتلاف واحد من البشر ولا تقدر
على سلبه من الحرز ولا افساد طعامه وشرابه واستنصار القوي بالضعيف زيادة الذلة فيخرج تاويل
من قال بان الرهق هو الذلة والضعف على هذا ومنهم من يقول بان الانس هم الذين كانت تزيد الجن رهقا
وقالوا الرهق العجب والتكبر وفعل السفه والجهل وقيل هو المأثم وقال القتبي هو الغشي والظلم يقال فلان
مرهق في دينه اذا كان يغشي المأثم فوجه زيادة الرهق وهو ان الرؤساء من الجن كانوا يرون لانفسهم الفضل
على اتباعهم من الجن وعلى الانس جميعا بما ذلوا من اعتقاد الانس انهم جعلوا ضعف الانس الى الاستعاذة بهم فكانوا يزدادون
الكبر بذلك ويزدادون سفها وتعاظما فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل كذلك الجبابرة
الكفرة من الانس كانوا يمتنعون عن الاجابة للرسل لما يروا لانفسهم من الفضل على من سواهم الا ترى الى قوله
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها الاية فمن زعم ان الرهق هو المأثم او السفه والجحود
او الظلم او العنت يرجع كله الى هذا المعنى الذي ذكرنا لان سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر
لانه كان لا يستعيذ بهم الا الجاهل السفيه وليس في اعاذة الجاهل السفيه ما يكتسب الاجلال وهم يكبرون
ازدادوا اثما وتعديا من جهة انه تعالى اعلم. قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا يحتمل
ان يكون نفوا القدرة عن الله بالبعث لما لم يشاهدوا البعث وهو امر خارج عن طوقهم وتوهموا وظنوا
ان القدرة لا تنتهي الى حد الاول ويحتمل انهم نفوا خروج البعث عن حد الحكمة لانهم لو ارادوا نفي البعث لكانوا
يقتصرون على قولهم لا يبعث الله فلما وصلوا به الكلام الذي يتكلم به التاكيد وهو قوله احدا دل على انهم
نفوا القدرة وظنوا ان يكون ان لا يبعث لانه امر خارج عن الحكمة اذ ليس في الحكمة ان يهلك ثم يعاد
بل اذا اريد الافناء لم يبق شيء لا يحتاج الى الاعادة ثم هذا الكلام ليس بحكاية عن الجن بل الله تعالى اخبرنا
الجن ظنوا ان لا يبعث كما ظننتم انتم ويحتمل ظننتم في الظاهر اشارة الى الانس جملة مسلمهم وكافرهم
ومعلوم بان المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك بل قد ايقنوا بالبعث ولكن معناه ان الكفرة من الجن
ظنوا ان لا يبعث كما ظنت الكفرة منكم ايها الانس ثم في هذه الاية ابانة انهم كانوا يقولون
لا بعث بالظن ليس بالعلم واكثر حملهم على الظن اعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث ولو انه
يطيعوا ان يلزم الظنون فيه دعاء وترغيبا الى النظر في حجج البعث وترك الاعتماد على الظنون ثم ذكر
النحويون ان ما كان في ابتدائه بالكسر في هذه السورة من انا فهو حكاية عن الجن نحو قوله انا سمعنا
قرانا عجبا وما كان فيه من الحكاية لا عن الجن فحمل ان يقال بالنصب فاختاروا النصب في قوله وانهم ظنوا
كما ظننتم انه ليس هو بحكاية من قول الجن والله اعلم. قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
حرسا شديدا وشهبا. فجائز ان يكون لمسهم السماء ليعرفوا ابوابها فيدخلوا فيها للاستماع اذ اختارها
ليست فيحالة انا فاق السماء ولا ابوابها محيطة بحالة السماء فكانوا يلمسونها ليظفروا بابوابها فيدخلوا
فيها وجائز ان يكون ارادوا لمس السماء لمس ابوابها فكانوا يلمسون ابوابها المفتحة فيدخلون فيها فيستمعون
الى الاخبار. قوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. فجائز ان يكون بعض الابواب ملئت من الحرس

وبعضها من الشهب فانا لو الى الابواب ملئت من الحرس فمنعهم الحرس من خطرتهم وانا لو الى الابواب التي
فيها الشهب يتبعهم الشهب كما قال ويقذفون من كل جانب دحورا وجائز ان يكون الابواب كلها مملوءة من الحرس
والشهب جميعا لان الحرس لم يتحقق بالحراسة خلقته بل يتحقق ببعض من الاعمال فجائز ان يكون استعمالهم
بتلك الاعمال يمنعهم عن الحرس فاذا داموا استراق السمع وقت شغلهم تبعهم الشهاب الثاقب وقد يفهم من لم
وجائز ان يصعد الجن الى المكان الذي لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم لان الجن قد يتكلم بكلام من يبتغي صفة
الحيث لا يراه البصر فيكون الشهب بحيث الحرس فيقذفون منها بالشهب والله اعلم قوله تعالى وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قيل الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة
الاصل في ذلك ان الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون
السمع قبل ذلك حتى انقطع امر الكهنة اذ لا يجدون ياتوا بخبر السماء وقت مبعث النبي حتى كان لا يختلط
امر الكهنة باخر فيحبس اهل الصعود الى السماء وايات الجن عنها حتى انقطع امر الكهنة فجاءهم الرسول بعد
بعد ذلك ليعلموا ان ذلك ليس بكهانة وانما هو وحي ياتيه من السماء اذ لو كان كهانة كان غيره لا يمنع عن مثله
كما في سالف الزمان فهذه الاية كانها حكاية عن قول الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين قال اهل هذا كله لقوم
والله اعلم قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فهو يحتمل وجهين
احدهما لا ندري بما قطعت الحرس والشهب اخبار السماء عن اهل الارض كحسب الذين يستمعون
السماء عن اخبار السماء ويقذفون من كل جانب اريد باهل الارض الشر وهو نزول العذاب عليهم واريد بهم
ان يرسل اليهم رسول يرشدهم وجائز ان يكونوا ايقنوا ان اخبار السماء انما انقطعت عن اهل الارض بما
يرسل اليهم من الرسول فيكون الرسول هو الذي يخبرهم بما لهم اليه من حاجة ولكنهم لم يتقدموا انه اريد
بهم الرشد بارسال الرسول او الشر لانهم كانوا قد عرفوا ان من امن بالرسول المبعوث ونظر الى حججه
الاستهواء والارشاد فقد رشد ومن نظر اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء استوحش فلم يكذبوا
يكذبون الرسل فلم يحل بهم العذاب في العاقبة او تصدقوه فيرشدوا فهو هذا تبيين ان العواقب
الاشياء هي المقصودة وان الحكيم انما يفعل من الامر بحكمه للعواقب وفي هذا ابطال الجن من المسلمين
لم يكونوا معتزلة اذ من قول المعتزلة ان الله لا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين والجن قد كانوا
ان الله تعالى قد يريد بالبشر من يعلم انه يؤثر فعل الشر على فعل الخير ويريد الخير بمن يعلم انه يؤثر فعل الخير
على فعل الشر قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك قال بعضهم الصالحون هم المؤمنون ومن دونه
الكافرون ولكن يشتبه ان يكون الصالحون من دون ذلك الذي على الايمان والكفر لانهم قد ذكروا فيما تقدم
من الايات بقوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فلو كان التاويل على ما ذكروا لكان يقع موقع التكرار
ولكن تاويله عندنا وانا منا الصالحون اي منا من قد عرف بالصلاح والستر ومنا دون ذلك وهم الفسقة يكون
فيبان انا في كل اهل دين فيهم الصالح المرضي وفيهم الفاسق المفسد في دينه قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم ولو لم يكن منا من الصالحين لم يكن لاشتراط الصالحين معنى وكقوله واشهدوا ذوي عدل
منكم فلو لم يكن منا اهل فسق لم يقل هذا قوله تعالى كنا طرائق قددا اي اهواء متفرقة لا يصح كلا الا دون
وذكروا ذلك عند الفاسق والصالح لان اهل الاهواء كل يرى في نفسه انه هو المحق وخصمه على الباطل
واما الفاسق فهو يعرف انه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له ويرتكب ما نهي عنه فكذلك كل من يتعاطى الفسق
يعرف انه على الباطل واذا كان كذلك لظهر الدون منه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في كل اعتقاد المذاهب
فلم يتكلموا بالدون والصالح اما الطرائق هي المذاهب والاهواء والقدد القطع يقال قد اي قطعه
فمعناه انا كنا على مذاهب مختلفة واهواء متشتتة في الاية ان في الجن اهواء متفرقة كما ذلك في الانس
والاصل فيه ان طريق معرفة المذهب والدين الفكر والاجتهاد ليوصل به الى الحق والمجتهد قد يصيب الطريق
مرة ويزيغ عنه اخرى فلهذا ما اصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيم ومنهم من زاغ عنه ويعلم بهذا
ان سبيل الحق والتوحيد وسبيل الانس واحد وهو الفكر والاجتهاد وان فيهم ايات متشابهة كما في الانس
اذ عن المتشابه يتولد الزيغ لذلك يعرفوا على اهواء مختلفة واما اسباب الفسق فمجتمعة فيعرف الفسق العام
فظهر الدون فلذلك يعم في الذين قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ذكر ابو بكر
الاصم انهم على كفرهم ظنوا ان لا يعجزون الله ولكن اكثر اهل التاويل ذكروا ان الظن هاهنا في موضع العلم
ويؤيد تاويلهم قراءة حفصة رضي وانها كانت تقرأ وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض جدة ولن نسبقه
هربا فقوله لن نعجز الله في الارض اي لن نعجزه ولا نسبقه لنا ان يعجز الله باهل الارض عن بعض النعمة وعذابه

الينا ولن نعجزه قوله فروا على ذلك اي لو فررنا من عذابه لن نعجزه ان لا يهدينا والفرار يكون بدون الطلب
قال الله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولم يرد به الفرار من الطلب واما الهرب فانه لا يكون الا عن طلب
فكانهم قالوا لا يسعنا لنا الفرار من عذاب الله تعالى لا عن التحصن بالامصار ولا يعجزه هربا عن طلب اذ يكون
قوله لن نعجز الله في الارض وان دخلنا تحت تخوم الارض ولن نعجزه بالهرب على وجه الارض فيكون فيه
اقرار بانا لا نعتد بالحيل والاسباب ان نحترز من عذاب الله كما يسعنا الاحتراز عن ملوك الارض بالحيل
والاسباب ثم مثل هذا الكلام يصدر من اهل الاسلام لان مثل هذا الكلام انما تكلم به من يخاف حلول
نقمة الله عليه والذي يتقي بالبعث ويذكر مقامه بين يديه واما اهل الكفر فهم لم يؤمنوا بالبعث حتى
يحملهم خوف العاقبة على النظر في مثل هذا فثبت ان هذه المقالة صدرت من اهل الاسلام ليس من اهل الكفر
كما ذكر ابو بكر الاصم والله اعلم قوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى امنا به فالهدى الدعاء الى الحق فيحتمل ان يكون
لما دعينا الى الحق وهو القران امنا به لا ترى الى قوله يهدي الى الحق اي يدعو اليه وقال في اول السورة يهدي
الى الرشد ويجوز ان يكون الهدى هو الاهتداء اي لما سمعنا ما به الهدى اهتدينا وظن ابو بكر الاصم انهم كانوا
كفروا الى ان سمعوا الهدى فامنوا به لانهم لو كانوا على الهدى من قبل لكان الايمان منهم سابقا فلا يكون لقوله امنا به
وقد امنوا من قبل معنى وليس يثبت بما ذكر كفرهم لانه قد يجوز ان يكونوا على الايمان فلما سمعوا الهدى احدثوا
ايمانا بهذا الهدى على ما سبق منهم من الايمان بالجملة الا ترى الى قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وقوله هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فازدادوا ايمانا بالتفسير على ما سبق منهم من الايمان
بالجملة لا انهم لم يكونوا من قبل مؤمنين واحتج من يحمله على ذلك قال اهدنا الصراط المستقيم وقد هدوا
الصراط المستقيم ولكنهم يريدون هذا الدعاء اي اهدنا بالاشارة اليه والتبيين الصراط المستقيم على ما هدينا
في الجملة فكذلك احداثهم الايمان بما سمعوا من الهدى لا ينفي عنهم الايمان فيما سبق من الاوقات بل يجوز ان
يكونوا مؤمنين من قبل ثم يحدثون الايمان بكل امر يجيئهم من عند الله تعالى ولا يدل ايمانهم به على انهم لم يكونوا
من قبل مسلمين والله اعلم وقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال رحمه الله انه لا احد من اهل الايمان
من يسمي ولا احد يخاف البخس والرهق من ربه الا المعتزلة فانهم يخافون ذلك لانهم ليس يخرجون مرتكب
الكبائر من الايمان ثم يطلقون القول فيهم انهم يخلدون في النار وفي التخليد تحقيق البخس والرهق بل
فيه ما يربي على البخس لان البخس هو النقصان وفي التخليد منهم ذهاب منفعة الايمان ومنفعة الخيرات التي
منهم قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا والمعتزلة تزعم انه لو اخذهم بالخطاء والنسيان كان
جائرا وقال ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهم يزعمون انه لو ازاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك منه جورا
وظلما فهم ابدا على خوف من جوره وهم ونحن نقول بانه لو اخذهم به كان يكون ذلك منه عدلا واذا عفى عنهم
كان ذلك منه انعاما وافضالا فنحن ندعو الله تعالى ونتضرع اليه ان لا يعاملنا بعدله فيهلك بل يعاملنا
بالافضال والانعام وعلى قول المعتزلة من ارتكب كبيرة ردت عليه حسناته وصار عدوا لله تعالى وخلد
في النار ابدا والله تعالى يقول ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما واولى الحسنات التي تستوجب عليها المضاعفة هو الايمان بالله تعالى فلا يجوز ان يخلد ولا
ويذهب عنه منفعة الايمان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قوله بخسا ولا رهقا يحتمل وجهين
احدهما البخس النقصان الذي لا ينقص من حسناته والرهق الظلم بان يحمل عليه من سيئات غيره والثاني
لا يخاف بخسا اي لا يقبل حسناته اذا تاب ولا رهقا اي يظلم فلا يحسب له من حسناته سيئات قوله
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والقاسط الجائر والمقسط العادل ثم في العدل ثلاث لغات يقال
عدل عنه اذا مال وجار وعدل به اذا جعل له عديلا وعدل فيه اذا حكم بالعدل وقوله فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا التحري والتوخي هو القصد فكانه يقول قصدوا قصد الرشد بالاسلام قوله تعالى واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قال ابو بكر الاصم لا نعلم ان الجن لحما ودما كما للانس لانه قال في
الانس فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا ولكن
هذا لا يدل لان اللحم من شانه ان يحترق وينضج ولا يصلح ان يكون وقودا ولكن الله تعالى باللطف صيره
الانسان وقودا ليس لنا حطبا لما حما فليس في الاية دلالة على ما ذكر بل فيه ان الجن قد يمتحنون العبادة
كما يمتحن بها الانس وانهم اذا عصوا ربهم استوجبوا العقاب كما استوجبه الانس ثم ذكر عن ابي حنيفة
رحمه الله انه قال ليس للجن ثواب وعليهم العقاب اذا عصوا ومعنى قوله ليس لهم ثواب عندنا الشيء يريد به
ان الله تعالى لا يرضى لهم اذا عبدوه ولا يعظم منزلتهم عنده ولكنه يريد به ان الذي وعد الانس من الكرامة

والمشرب والانواع الحسان والحور في الجنة على الخلود لسبيل لهم لانا لو كنى من الله تعالى بهاجر الانس والجن الوعد الحسن ولذلك في ذلك ان ضمير القرآن والذكر وعلمه الانس طريقتها الاخص لا الانعام لان يكون ذلك حقا الاذيتين قبله فاذا الذكر الوعيد بسبيل لم يجب اتفق لهم بالوعد وذا الفرقان فان الحكمة ان التعذيب لمن كفر به فلا يجب ان يكون في الحكمة يجب تعذيب الكفرة ثم لا تعذب الجن اذا كفروا في اهل ذلك ونجيب العقول بعباداتهم والحجة العقول الثابتة انها الموفق قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ☉ اختلف فيه فمنهم من قال الطريقة الهدى ومنهم من قال الطريقة الكفر فمن قال المراد طريقة الهدى قال ان الطريقة المعروفة المعهودة هي طريقة الهدى عند الاطلاق يتصرف كالدين في ذكر مطلقا ينصرف الى دين الحق وكذلك السبيل الاخلاق قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو الاسلام ثم يخرج هذا على وجوه احدها ان يصرف الى الكفرة يعني لو استقام هؤلاء الكفرة على الطريقة الحسنى التي هي الهدى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم العيش وكثرنا اموالهم وكنى بذكر الماء هنا لان الماء اصل العيش كلها تتصل بالماء والماء اصلها قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فاخبر ان رزق الخلق من السماء والذي ينزل من السماء الماء وهو المطر وجعل الله كونه الماء نازلا من السماء والمراد هنا ان الشيء من الخير لانهم كذا فادى كان نعدا على عهد كلهم جميعا لو وسعنا عليهم الدنيا وكثرنا اموالهم واولادهم حتى تفسقوا فيها وتمحق تمحيقا شديدا يحمل منتهم فيتقون المؤمنين ولا يحل البغض فيتبعوا او يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقع الخلف في وعدنا فان الله تعالى وعد ان يملا جهنم من الجنة والناس اجمعين ولا يجوز ان يقع في وعيده خلف وهم لو استقاموا على الطريقة ولم يبغوا ويكره الحكمة في تعذيبهم ان يعرف الخلق ان الله تعالى لم يخلقهم لمنافع تحصل له ولكن خلقهم لانفسهم بان احسنوا احسنوا لانفسهم واذا ساؤا فعليها ولو ابقاهم على الطريقة المستقيمة وطهورهم الى الآخر والجملة لكان نسبوا الى الاوهام انه انما خلقهم لمنافع نفسه وهذا من شيء بان نعلمه بما لا يكون انه لو كان كيف يكون اذ بين تعالى علم الايمان من البعض والكفر من البعض للحكمة التي ذكرنا او غيرها مما تقف على بعضها الخلق دون بعض وحكم كذلك ثم اخبر انه لو حكم بان يستقيم الكل على طريق الحق ويوسع الحكيم على طريق الابغض حق الكل بل حكم ان يستقيم عليها البعض لمدة ثم يترك ويبدل الحق بالباطل ويكون السعي عليها تحقيقا لما ذكرنا من الحكمة وهو كقوله لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ولو لم يعرض عليهم الجهاد والخروج الى القتال لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم فيقتلوا بما من حكمة الله التي احكم انه لو حكم كيف كما ذكرنا هنا واما من قال معناه طريقة الكفر فانه يكون المراد من الاستقامة ههنا الاقامة ولفظ الاستقامة يعبر بها عن الاقامة على الكفر والاسلام جميعا ويكون الطريقة ههنا اشارة الى الطريقة التي كانوا عليها قبل الاسلام وهي الكفر واذ كانت الطريقة اذا اطلق ذكرها اريد بها طريقة الهدى لان طريقة الكفر هي التي كانت معروفة فيما بينهم وكذلك ذكرها اهل التاويل انا نطريقة ههنا طريقة الكفر وقوله لاسقيناهم ماء غدقا اي وسعنا عليهم الدنيا وكثرنا اموالهم واولادهم حيث بسط عليهم الرزق مع اختيارهم كما بسط الرزق على اوليائه وليعلم الحكمة حيث لم يؤاخذهم بذنوبهم ولم يعجل ازالة النعم عليهم والله اعلم لنفتنهم فيه والفتنة المحنة التي فيها الشدة فان كان خطابا لاهل الكفر ففي بسط الرزق عليهم محنة شديدة لان ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله للاستكبار واتباع الفضل على من دونهم فالمال والسعة اقرب الى التغلب وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون وقال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وكان التاويل منصرفا الى اهل الاسلام ففي التوسع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتحنه فيه شدة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فامتحان لم يعرض الانسان الا وله فيها شدة قوله تعالى ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه عذابا صعدا ☉ ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته او يعرض عن توحيده او يعرض عن القران اذ هو ذكر

والاعراض

والاعراض ههنا عبارة عن الاباء والاجتناب واي من يختار ذكر غير الله على ذكره او طاعة غيره على طاعته وقوله نسلكه عذابا صعدا ☉ وقال في موضع آخر سارهقه صعودا قيل ان يكون الصعد والصعود على التحقيق كما ذكره اهل التفسير انهم يكلفون الصعود على جبل من نار لا ينقدون وتشق عظيما اذا بلغوا اعلاها يهوون فيها فذلك دابهم ويجوز ان يكون على التمثيل وذلك لان الصعود اشد من الهبوط فيكون عبارة عن المشقة فمعناه انه يستقبله ما يشق عليه وقيل المشقة التي تعلو حتى يحيل به من العذاب ما تعب عذابا بعد عذاب وقال القتبي الصعود المشقة يقال تصعدني هذا الامر اي شق علي وروي عن عمر رض انه قال ما تصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا ☉ اي ما يسجد فيه وما يسجد به فما يسجد فيه هو البقاع وما يسجد به هو الجوارح فكانه يقول بان البقاع التي تسجد فيها والاعضاء التي تسجد بها الله تعالى لانه هو الذي انشاها وخلقها والمساجد التي بنيت فانما تبنى لعبادة الله وليعبد فيها فلا يشركوا غيره في العبادة وقال بعضهم اراد المساجد المسجد الحرام روي ذلك عن الضحاك وغيره فكانه انما صرف التاويل الى المسجد الحرام لان هذه السورة مكية لم تكن غيرها من البقاع مساجد وقال بعضهم المساجد ههنا البيع والكنائس لان البيع والكنائس بنيت ليعبد الله فيها فيها هم ان يعبد فيها غير الله تعالى فخرج هذا مخرج الاحتجاج عليهم وان المساجد بنيت ليعبد الله فيها فلا يعبد فيها غيره واذا كان الله تعالى انشاها فجعل العباد ووجه فكيف تشركون معه غيره في العبادة والدعا وليس هو بمستحق لها وقوله فلا تدعوا مع الله احدا الها لان الاله اسم المعبود كان القوم اذا عبدوا شيئا سموه الها فيقول لا تدعوا معه احدا الها فانه هو الاله وهو المستحق العبودية من كل احد ويجوز ان يكون اريد بالدعا العبادة قال عليه السلام الدعاء مخ العبادة وقال تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فجعل دعاءهم اياه عبادة منهم له فيكون قوله لا تدعوا مع الله احدا اي فلا تشركوا معه غيره في العبادة والله اعلم وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ☉ فمنهم من يقول انهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة فيه وقيل لانهم لو قولكادوا يكونون عليه لبدا كادوا يلتصق بعضهم على بعض لتميل رسول الله او كادوا يكونون عليه اي على رسول الله كادوا يلتصقون به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم او حرصا على حفظ ما سمعوا او تعجبا مما سمعوا فكانوا يحرصون على حفظ ما سمعوا لانهم كانوا من الجن يحرصون على حفظ ما سمعوا لانهم سمعوه من مكان قراءة الكتب سمعوه من الامي الذي لم يقرأ كتابا قط ولا عرف المكتوب فيتعجبون منه اشد التعجب واللبد التصاق الشيء بالشيء التصاقا لا ينفصل بعضه من بعض وسمي اللبد لبدا من هذا لان الصوف يلتصق بعضه ببعض حتى لا يميز ومنهم من زعم انهم فعلوا هذا لشدة معاداتهم رسول الله فيكون هذا منصرفا الى الكفرة الانس منهم والجن جميعا فيجتمعون اجمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله فابى الله تعالى الا ان يتم نوره فان كان منصرفا الى الكفرة فقوله لما قام عبد الله معناه لما قام محمد يوحد الله ويدعو الخلق الى عبادته وطاعته جعل المشركون من الجن والانس يتلبدون على هذا الامر ان يطفئوه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويمضيه وان كان هذا من اهل الاسلام من الجن فالتكاد لم الى العبادة فكانه يقول لما قام بعبادة الله وهي الصلوة كادوا يكونون عليه لبدا لشدة حرصهم في حفظ ما سمعوا او شدة حبهم لرسول الله لما سمعوا وقوله تعالى قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فقيل اخبار عن ان دينه التوحيد لا الاشراك بالله تعالى واخبار عما يدعو الخلق اليه وذلك توحيد الله والقيام بطاعته ويجوز ان يكون هذا في ارسالهم لانفسهم منهم ودعوتهم الى عبادة الاصنام على ما ذكر في الاخبار انهم قالوا لا نعبد الهك يوما وتعبد الهتنا يوما وهو كقوله ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله الاية ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ يؤيسهم ويقنطهم ويقطع طمعهم عن عوده الى ما هم عليه والله اعلم وقوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ☉ اي ضرا في الدين ورشدا في الدين والاصل في هذه الاسماء ان ينظر الى مقابلها فيظهر مرادها بما يقابلها قال الله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والقاسط الجائر وقد يكون غير الكافر وجائز ان يصرف الجور الى الكفر ظهر مراده بمقابلة وهو قوله وانا منا المسلمون والضر قد يكون في الدين وفي المال والنفس ولكنه لما ذكر قوله رشدا والرشد يتكلم به في الدين وفي المال علم ان قوله ضرا راجع اليه ايضا فكانه يقول لا املك اضلالكم ولا ارشادكم انما ذلك الى الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمعتزلة يزعم ان الله لا يملك رشد احد ولا غيه بل رسول الله اكثر ملكا لانه يملك ان يدعو الخلق الى الهدى بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك الا برسوله وقال عز وجل ليس لك من الامر شيء يهدي من يشاء وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ولو كان المراد من الهداية الدعوة والبيان لكان رسول الله يهديهم لانه داع ومبين فثبت ان هذه الهداية من سلطة لا يبلغه تدبير البشر

وقوله تعالى قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا فكأنهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة أو
كتمان شيء مما أمر بإظهاره أو محاباة أحد من الأجلة فأمر أن يخبرهم أنه لا يجيره أحد من الله ولا يجد لنفسه ملجأ
إن فعل ذلك شيء وإن لم يبلغ رسالات ربه فيجيره من عذابه ويكون له عنده ملتحدا وقوله تعالى إلا بلاغا من الله
ورسالاته فمنهم من جعل قوله إلا بلاغا من الله ورسالاته استثناء من قوله قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا
إلا بلاغا من الله فإني لا أملك هدايتكم ولا إضلالكم إلا ما كلفت لأجلكم من تبليغ الرسالة ومنهم من جعله
هذا استثناء من قوله قل إني لن يجيرني من الله أحد إن عدلت عن أمره ولم أبلغ الرسالة فلا يجيرني من عذابه
إلا أن أبلغ الرسالة قال الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
وقال فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم لأنه لا يجوز أن يقع الحاجة إلى الإجارة من عذاب الله في كل
منه تقصير ولا تضييع تستوجب به العقاب فلا بد من أن يكون فيه ما ذكرنا من التقصير في التبليغ والعدول
عما كلف حتى تستقيم ذكر الإجارة فيه وذكر أبو معاذ صاحب أن الاستثناء راجع إلى قوله قل إني لا أملك لكم
ضرا ولا رشدا لتسهل قوله قل إني لن يجيرني من الله أحد وإنما استدل على ذلك بقراءة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه أنه كان يقول قل إني لا أملك لكم غيا ولا رشدا إلا بلاغا من الله وليس فيما ذكر ما يوجب القطع
بالاستثناء من قوله قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا للوجه الذي ذكرنا وإلا كان أولى الأقاويل أن يحمل
على صرف الاستثناء إلى قوله قل إني لن يجيرني من الله أحد فلا يجوز أن يحمل قوله على الخطأ مما ذكره أبو
ولما ذهبوا إليه وجه الصحة والسداد وجائز أن يكون البلاغ والرسالة واحدا فيكون الذي يبلغ بلاغا
من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار وهو كقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة قيل إنهما واحد وجائز
أن يكون الرسالة نفس ما أنزل من الكتاب والبلاغ ما أودع فيه من الحكمة والمعاني وكذلك قيل في قوله
ويعلمهم الكتاب والحكمة أن الكتاب هو المنزل نفسه والحكمة أن الكتاب ما تضمن فيه من المعاني وجائز
أن يكون البلاغ من الله منصرفا إلى الحكمة ورسالاته إلى الوحي ولو يكون رسالاته حكمه والبلاغ خبره وهو
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا في أخباره وعدلا في أحكامه وبلاغا من الله حق الله عليهم ورسالاته
ما به مصالحهم والله أعلم وقوله تعالى ملتحدا قال الملتجأ ومما أخليه موضعا يميل إليه والإلحاد الإمالة ومنه سمي الملحد
ملحدا من هذا لأنه يميل عن سننه وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا وقال
في موضع آخر إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقال ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا وكل من ارتكب المأثم فقد دخل في جملة العصاة وإيذاء الرسول ولكن المراد ههنا
من يعتقد عصيان الرسول وأذاه لأن الله تعالى أضاف الأذى والعصيان إلى نفسه ولا أحد يقصد قصد
أذى الله والله تعالى لا يؤذى ولكن أضاف أذى الرسول وعصيانه إلى نفسه وقد كانوا يعتقدون عصيانه
وأذاه فجعل عصيانهم وأذاهم الرسول إذا عصيانه تعالى فثبت أن هذا في الاعتقاد وقال تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان
رسوله عصيانا له ولأنه ذكر العصيان على أثر تبليغ الرسالة فثبت أن العصيان هنا في ترك القبول لما أنزل
على الرسول وفي اعتقاد العصيان لم يروى عن أبي حنيفة رحمه الله قال المرء آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن
لأن جهله بالله هو الذي حمله على تكذيب الرسول لأن الرسول ليس يدعو إلا إلى ما يقربه إلى الله وإلى ما يحبه
من هذا به فلو كان يحب الله ويؤمن به لكان يدعو ذلك إلى حب الرسول وإلى طاعته فثبت أن المكذب للرسول
جاهل بربه والمطيع له مطيع لله تعالى وقوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل
عددا وقال في موضع آخر فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا فيحتمل أن يكون هذا في الدنيا والآخرة
جميعا ويكون تذكار ذلك لمحا إلى يوم بدر كما ذكره أهل التأويل إذ قد ظهر في ذلك اليوم أنهم شر مكانا وأضعف جندا
وأضعف ناصرا ويشبه أن يكون هذا في الآخرة لأنهم يعلمون أنهم أقل عددا في الآخرة لأن كل واحد منهم يتبرأ
عنه صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا فيصير عددهم فيه قليلا فأما في يوم بدر فقد كانوا أكثر عددا
من المسلمين فلم يتبين لهم أنهم أقل عددا ويجوز أن يكون يوم بدر يكون المسلمون أكثر عددا لأن الله تعالى
أمد المسلمين بالملائكة فصار عددهم أكثر في التحقيق وإن كانت الكفرة في رأي العين أكثر منهم عددا ثم يشبه
أن يكون هذه الآية نزلت على أثر تخويف الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وقوتهم في
أنفسهم وقلة عدد المسلمين فوعد الله تعالى نبيه بالنصر مع كثرة العدد عند وقوع الحاجة إليها والله الموفق
وقوله تعالى قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا فهذا ذكر عند ذكر الوعيد وهو قوله فسيعلمون
من أضعف ناصرا وأقل عددا فكأنهم سألوه متى وقت هذا الوعيد فأمر أن يقول قل إن أدري أقريب ما توعدون

يجعل

أم يجعل له ربي أمدا قد ذكرنا فيما تقدم من الآيات أن النبي في بيان وقت الوعيد فضل يقع في الوعيد بل إذا لم يبين
وقت الوعيد كان فيه فضل تخويف وتحذير لا يوجد ذلك فيما يبين لأنه إذا بين فإن عطف تقسيمه أمد سوف التوبة
وأخر التوبة لما أمن حلول النقمة بهم إلى مجيء ذلك اليوم وإذا لم يبين لهم كانوا صائرين إلى الإياس فيقع الخوف في كل
وقت فيه ارتفاع المحنة لأن المحنة في الأصل إنما يحمل على الرجاء والخوف فلأنه إذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف فيحملهم ذلك
على التسارع في الخيرات والانقلاع من المساوي فأمر أن يقول هذا والله الداعي أمره بأن يقول لهذا إنه لا يعلم الوقت الذي
يقع فيه الوعيد وقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول الأصل فيما غيب الله تعالى
عن الخلق أنه على منازل ثلاثة أحدها ما تقصر الخلق عن إحاطة الوقوف عليه بالخلقة نحو الكيفيات التي هي أصول
الأشياء لو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي به يصلح أن يكون كيانا لم يقف عليه ونحو المكان الجعل حق
لكل شيء ولو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي به صلح أن يجعل حيوانا لم يقف عليه وكذلك هذا في كل ما جعل كائنا
موجودا والثاني ما مكن الخلق معرفته وبلوغه إليه بالتأمل والنظر بدون معرفة وحدانيته والثالث هو ما
لم يجعل لهم عونا إدراكه ولا مكنهم من الوقوف عليه دون خبر فقوله فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
في هذا وهو الذي يكون فيه لكنهم لا يبلغونه إلا بمعونة الخبر فذلك نحو الأشياء التي ترجع إلى مصالح الخلق
والذي يوصل إلى مصالح الاعتداد بما طوي بين الخلق ولكنها لا يعرف إلا بالسماع ممن لم يعلم من الخلق أن شأنه
وهو بحيث لا يحتمل إدراكه بالنظر نحو بيان ذلك بالرسول وصحة وحد ذلك من يخص شأنا [illegible] الذي دل ذلك على
الاختصاص له بالرسالة ثم ذكر بعضهم أن في الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك لأن منهم من يصدق
خبره ويعرف المطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يستدل الخلق والتي يقع عندها التغير
والتبدل قد ذكر علما لا يوقف على علمه بالتأمل والتدبر وكذلك المتطببة منهم من يعرف طبائع النبات أنه يصلح
لكذا وهذا يصلح لكذا فيقع فيه مصالح الخلق ومعلوم أن هذا كله من نوع ما لا يدرك بالتأمل والنظر فعلم أنهم
وقعوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه في الخلق والله أعلم وقوله إلا من ارتضى من رسول إلا اختاره
واصطفاه والأصل أن الرسالة يلزم الخلق الشهادة له بالصدق في كل خبر وبالعدل في كل حكم بعقله فلا بد
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وبالاصطفاء في كل أمر فيما لم تبلغ عقولهم لو جب الأمر فهو لا يختص بالرسالة
وفي الاختصاص بها معظمة على الخلق إذ بها يصل الخلق إلى جميع ما يبلغهم إليه الحاجة في أمر معاشهم ومعادهم
ودينهم ودنياهم والله أعلم وقوله تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا من بين يدي الرسول ومن
خلفه من الملائكة ليمنع الأنس عن الرسول [illegible] الرسول في تبليغ الرسالة التي يحمل وكذلك قال في قوله
إن ربك أحاط بالناس فإحاطته هي عصمته من الناس أن يصل إليه منع الناس إياه من تبليغ الرسالة التي يحمل
أن يكون الملائكة يجعلون رصدا عن الجن أن يسترقوا ما أوحي إلى الرسول قبل تلقيه حتى يكون الرسول هو الذي يبلغ
إلى الخلق ويستمد ذلك فيما بين الخلق إذ الرسول هو الذي قام بتبليغه إلى الخلق لأنهم إذا لم يجعلوا رصدا أمكن
الجن أن يسترقوه ويبلغوه الكهنة فيستشهدهم على ذلك من جهة الرسول فيقع ذلك من عند الجن قبل أن
يبلغهم الرسول فإذا بلغ الرسول من بعد اشتبه الأمر على الذين نظر فيهم العلم من جهة الجن فجعل عليهم رصدا
حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول فيرتفع الشبهة ويكون الرصد يمنع الجن الذين سمعوا من رسول الله أن يبلغوا
قومهم من الجن حتى ينتهي الخبر إليهم من جهة الرسول وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا أن الملائكة
كانوا يحدثون النبي فإذا جاءه الملك قالوا هذا وحي من الله وإذا جاءه الشيطان أخبروه به ولكن هذا بعيد لا يحتمل
أن يخفى عليه وحي الشيطان من وحي جبريل وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا الملائكة يحفظون تبليغ
الرسالة إلى الرسول وهو الملك الذي ينزل بالوحي جعل من بين يديه ومن خلفه ملائكة يرصدونه كيلا
يستلب الشيطان بعضه أو يحدث فيه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله أنه إنما يبلغ إليه رسالة
ربه وهذا بعيد أيضا لأن بالمبلغ من القوة ما يدفع أذى الجن عن نفسه وهو أمين لا يخاف منه التغيير والتبديل
حتى يجعل عليه الرصد يمنع من تبديله ألا ترى إلى قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فوصفه
بالقوة والأمانة جميعا لكنه يحتمل أن يكون المبلغ ممتحنا بالتبليغ والذين معه من الرصد ممتحنون بأمور أخر
لا أن جعلوا رصدا من الجن ويجوز أن يكون الرسل معه ليكون تعظيم الوحي وتشريف الرسالة والله أعلم
وقوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم قال القائلون ليعلم محمد بالرصد أن قد بلغ رسالات الرسل رسالات
ربه على الوجه الذي أمر وكما بلغ هو والثاني أن يعلم كل في نفسه أن قد بلغ رسالات ربه أو ليعلم الأعداء
أن قد بلغ محمد رسالات ربه على الوجه الذي أمر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جني ولا عدو وقوله تعالى وأحاط
بما لديهم أي بما عند الرسل وبما عند الملائكة أو بما عند الخلق وقوله تعالى وأحصى كل شيء عددا أي أحاط العلم

بالله هو معدود لا بالعد وهو كقوله وانبتنا فيها من كل شيء موزون اي بما يوزن عند الخلق او بما يعلم
بما الذي الكرم لا بالرصد وانه نصب الرصد محنة وتكليفا على الرصد لا ان يقع بهم الحفظ وهو كقوله
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم فبين ان النصر من عنده وان الملائكة انما ارسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين
وتركنا لبها طلبا افهم واحصى كل شيء عددا لان كل شيء عنده معدود ومحصى لا يغفل جل جلاله عن معرفة
عدده ولا يعتريه احوال تعزب عنه فيها فعلم ذلك كله فالمقلد امر الخلق والله الموفق والله المستعان

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المزمل والمزمل والمدثر
نقيضتان معنا واحدا على ما يذكر في سورة المدثر قوله جل جلاله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا
او زد عليه فجائز ان يكون هذا الامر كله منصرفا الى وقت واحد اذا اضيف الى وقت واحد فاما ان يكون قوله
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه منصرفا الى قوله قم الليل او الى قوله الا قليلا فان صرف النقصان
الى قوله الا قليلا ردت الى الامر بالقيام وان صرفت النقصان الى قوله قم الليل فقد ردت في قوله نصفه او
انقص منه قليلا فالى ايهما صرف اقتضى الزيادة في احدهما والنقصان في الاخر فيتفق معناهما وهذا نظير
قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة فمنهم من جعل الكلالة اسما للميت الموروث عنه ومنهم
من اوقع هذا الاسم على الحي الذي يرث الميت فاما ان ذهب يقتضي معنى واحدا لا فرق له الحي موروثه ومنزلة
الموروث من الحي واحدة لا يختلف وجائز ان يكون هذا على اختلاف الاوقات على ما ذكره اهل التفسير فيكون
قوله قم الليل الا قليلا امرا باحياء اكثر الليل ثم يكون في قوله نصفه او انقص منه قليلا تخفيف الامر
عليه فيكون تخييرا له ان ينقص عن الاكثر فحوله وقد جعله على النصف ما الذي يجوز له الانتقاص وقد ارتفع
النقص عاد الامر الى ما كان مامورا به في الابتداء ثم القليل اسم لا يعني الا شيئا ولكنه من الاسماء
المضافة فاذا قيل قليل اقتضى ذكره تثبيت ما هو اكثر منه حتى يصير هذا قليلا اذا قوبل بما هو اكثر منه حتى
يصير هذا قليلا اذا قوبل بما هو اكثر منه فلذلك قال او بان قوله قم الليل الا قليلا يقتضي امرا بقيام اكثر
الليل ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله فيمن قال لفلان علي الف الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف
لانه استثنى القليل فلا بد من ان يكون المستثنى منه اكثر من المستثنى حتى يكون ذا قليلا ثم قوله ورتل هو التبيين في اللغة
اي بينه تبيينا وقيل اقرأ على تؤدة على التقطيع لما ذكر ان رسول الله كان يقطع القراءة ولكن جائز
ان يكون قرائته على التقطيع لان التبيين كان في تقطيعه وانما امر بالتبيين لان القرآن لم ينزل لحرف
قراءته فقط لكن لمعان بلا انه لحرها ان يقرأ للحفظ والبقاء الى يوم القيمة لئلا يذهب ولا ينسى وكذا
ان يقرأ ليتذكر ما فيه ويفهم ما اودع من الاحكام وما لله عليهم من الحقوق وما لبعضهم على بعض وكذا
يقرأ ليعمل بما فيه ويتعظ بمواعظه ويحملوا امانا يتبعون اوامره وينتهون عما نهى عنه ويعتبر بما في القصص
بل بما فيه كله ولا يدرك ذلك الا بالتامل وذلك لا يكون الا بالتامل وذلك عند قراءته على الترتيل وهذا الذي
ذكرناه يوجب اختيار التعلم من مراعاة الوقوف في القرآن لان ذلك ادل على المعنى واكره الى الادغام وقصر الكلام
انما المستحب فيه ترك الادغام وترك الاتمام فاحسن لان ذلك ابلغ في التبيين والاصل ان الناس امروا بالقراءة
مامورون بالاستماع له واذا لزمه الاستماع ودخل الاستماع الوقوف على حسن نظمه وعجيب حكمته والوقوف
على معانيه ويقف على حسن نظمه وعجيب ابتغيته وذلك يكون اقرب الى افهام السامع والقارئ والمفسر
من لطائف المعاني ثم التنزيل منصرفا الى القراءة وسمى القراءة قرانا على جهة المصدر اذ ما هو كلام الله
لا يوصف بالترتيل والله الموفق قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ولم يقل ثقيلا على من فجائز
ان يكون الثقيل راجعا الى الكفرة والمنافقين ويكون الثقيل الامر بالجهاد لانه اشتد على الفريقين
جميعا وايس الكفار عن ان يعودوا الى ملتهم قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
وتخلف المنافقون عن القتال مع رسول الله فثقل ذلك عليهم فجائز ان يكون قوله ثقيلا اي على
الكفرة والمنافقين ويكون الثقيل الامر بالجهاد لانه اشتد على الفريقين جميعا وايس الكفار عن المسلمين ان يعودوا
الى ملتهم قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وتخلف المنافقون على القتال مع رسول الله وثقل ذلك
عليهم فجائز ان يكون قوله ثقيلا على الكفرة والمنافقين كما على اهل الكتاب ثقيل ايضا لانهم تمنوا ان

ينزل

ينزل عليهم الكتاب فاما على المسلمين فليس بثقيل بل هو كما قال ولقد يسرنا القرآن للذكر وجائز ان يصرف
ذلك الى رسول الله لانه امر بتبليغ الرسالة الى الفراعنة والى الخلق كافة وفي القيام بالتبليغ الى الفراعنة مخاطرة
بالروح والجسد والقيام بما فيه مخاطرة بالروح والجسد ثقيل صعب جدا او يكون ذلك منه منصرفا الى قيام
الليل فيكون معناه قم لا تنقل لكي تطيق ما امرته وجائز ان يكون هذا منصرفا الى تبليغ رسول الله
وانصاره فيكون قوله من الوحي الذي كلفوا القيام بفرائضه وحفظ حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه
وزعمت الباطنية ان القول الثقيل هو ان تكلف الناطق وهو الرسول تفويض الامر الى الاساس وهو الباب ذلك
الاساس والكتابة علي بن ابي طالب عندهم وهم يسمون الرسل نطقاء ويقولون بان رسول الله كان مامورا بتبليغ التنزيل
الى الخلق فلما بلغ التنزيل اليهم واستغنوا عنه احتاجوا الى من يعلمهم التاويل للخلق فلما بلغ التنزيل اليهم واستغنوا
عنه احتاجوا الى من يعلمهم التاويل فامر رسول الله بان يسند امر التاويل الى علي بن ابي طالب لتكون هو الذي يتولى
تعليم الخلق تاويله فذلك هو القول الثقيل اذا اراد ان يسند الامر الى غيره فاشتد عليه اذ صار غيره ولي الامر وهو
مؤسسا كان لا ينطق بيننا الطيران في الامر باسناد الامر الى غيره كيف تخفيف الامر على رسول الله بعظيم الا ترى انهم
انما اذا اوضع الامر على قبضهم وفوض الى النص عنده كان من الصورة الروحانية النورانية من الصورة الجسمانية التي
محتجبة في الصورة الجسمانية ثم تلفى الصورة الجسمانية يتعرض الصورة الروحانية الى دار الكرامة والجود والخلد
من الحسي لم يشتد ذلك عليه ولم يثقل بل كان فيه ما يرغبه الى التفويض ويدعوه اليه ثم من مذهب الباطنية انهم
لا يقبلون احدا من مذهبهم الا بعد ان يحلفوه بالايمان المغلظة بان لا يخبر احدا اشفاقا على انفسهم ولو كان الامر على
ما قدروا ان النفس ترد على الصورة الجسمانية التي بسببها تحتبس الصورة الروحانية وان النفس ترد الى الروحانية
الى دار فيها كل انواع من السرور التي يحن اليها الا استحال الامر ان يعاقبوا بالهم يستعفون على انفسهم وليس في تلاوته
انفسهم الى الخلاص من الحبس والوصول الى الكرامة ومن هذا وصفه تمنوا عليه الموت ليتخلص فهي لم يعلموا الخلق على
خلاف ما يوجبه اعتقادهم ولو كان ما يعتقدون حقا لما استجازوا اخفاء العقول لكنهم دعاهم الى ما ذكرنا تسويل
الشيطان وتزيينه في قلوبهم وما مثلهم الا مثل اليهود الذين ادعوا ان الدار الاخرة خالصة من دون الناس فقيل
تمنوا الموت ان كنتم صادقين لانكم لا تصلون الى الاخرة الا بالموت ان كنتم محقين في دعواكم فتمنوه لتصلوا اليها
فكان في امتناعهم عن التمني ما يظهر كذبهم ويبطل مقالتهم ويبين تمويههم فكذلك في اشفاقهم لا على
انفسهم من الهلاك اظهار ان انبائهم فضلكم التمويه على الضعفة ليصلوا الى الماكلة ولتوسعوا به في امر دنياهم من غير
حجة لهم في ذلك وهذا الفصل الذي ذكرنا يحتج على الثنوية لان من مذهبهم تحريم القتل والذبح واحق من يرى القتل
والذبح مباحين هم لان من مذهبهم ان العالم اعراض باجتماع النور والظلمة وما من جزء من اجزاء النور الا وهو مشوب
بجزء من اجزاء الظلمة وكانا متباينين فخلصت الظلمة اجزاء النور فاضطر جنس بعض صارت الظلمة مجانسة للنور ومعلوم
بان في القتل تخليصا لجزء النور الذي في جسد الظلمة لان في القتل ابانة السمع والبصر والعقل ومعلوم بان النور في البصر
فهذه الاشياء ان ادبها روية الانوار فاذا بان القتل هذه الاشياء عن الجسد وبقي الجسد الظلماني لا يبصر شيئا فقد
وصل جوهر النور الى معدنه ومقصودهم بالقتل ايصال النور الى مقره فاذا كان القتل يوصله الى معدنه ويخلصه من ظلمة
ونجيته فقد احسن القاتل اليه بالقتل والذبح فلا يجب ان يحرم القتل على مذهبهم بل يجب ان يمدح المرء على ذلك الفعل
ويستصوب ذلك منه وقال القتبي القول الثقيل كلام الله تعالى هو بجلاله وتعظيم حرمته ليس ككلام السفهاء
الذي لا يكترث به ولا يعبأ له وقال الزجاج الثقيل الوزين الذي له وزن وجحد به في القلوب الذي يجب ان يعظم ويوقر
ليس بالقول الذي يستصغر وجائز ان يكون القول الثقيل الحق على ما روي في بعض الاخبار ان الحق ثقيل
مر وان الباطل خفيف وبي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال حق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل
وحق لميزان لا يوزن فيه الا الباطل ان يخف فجائز ان يكون ثقله لما تعمل بما فيه وجائز ان يكون القول الفصل هو تكليف قيام
الليل قوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا قرئ وطئا من قرا وطاء بالمد فتاويله من المواطأة
وهي الموافقة اي موافقة السمع والبصر والفؤاد لان القلب يكون فارغا بالليل عن الاشغال التي تحول المرء عن
الحقيقة دون التعلق للاشياء وكذلك السمع والبصر فيكون احفظ للقرآن واشد استعدادا للمعاينة ومن
قرا وطئا فهو من الوطء بالاقدام وتاويله انه اشد على النفس واصعب لان الله تعالى لم يجعل العادة التقلب والانتشار في الارض
بالنهار وقد تعودوا بالليل القرار والدعة فيه فاذا كلف القيام والانتصاب بجملته في الوقت الذي تعود فيه
بالقيام كان ذلك اشد عليه واصعب على بدنه ولان المرء بالنهار ليس بمنتصب قائما في مكان واحد فيمكنه كذلك
لم ينتقل من موضع الى موضع ولو كلف الانتصاب في مكان لاشتد عليه وحقيقة الكلام في ذلك ثم امر رسول الله ان ينتصب
وانما يصلي الى نصف الليل او اكثر فكان في ذلك محنة شديدة وكلفة شاقة والله اعلم ثم الاصل ان لم يتبين بالنهار الطلب

ما يعيش به وليتصل الى ما يتمتع به في امر دنياه وقيام الليل طلبا للراحة وايثارا للتخفيف وكان رسول الله ممنوعا
عن اكتساب الاشياء التي يتوصل بها الى شهوات الدنيا الا القدر الذي يقيم به مهجته وكذلك منع من الراحة بالليل وامر
باحياء الليل الا القدر الذي لا بد له منه والله اعلم ويجاب انه يكون في الامر بقيام الليل نوع من الراحة والتخفيف وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بتبليغ الرسالة الى الناس كافة فتحمل تبليغها اليهم بالنهار ورفع عنه الكلفة
بالليل وامر بان يتفرغ لعبادة ربه وكان الامر بالتفرغ للعبادة ايسر من الامر بتبليغ الرسالة لان في الامر بتبليغ الرسالة
امرا بما فيه المخاطرة بالروح والجسد فعلى هذا الامر بالانتصاب بما اكثر الليل ذلك الدعاء انما فيه ايصال الروح الى
انتصابه فيكون فيه نقص للتخفيف فادخل على التاويل الاول كونه خص رسول الله في باب النكاح حيث ابيح له فضل
العدد ولم يبح لامته وفي ذلك زيادة تمتع بشهوات الدنيا ويجاب بان فيه ايضا المعنى الذي يحظر على غيره الزيادة على
الاربع وقصر الامر على الاربع هو خوف الجور الا ترى الى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان
خفتم ان لا تعدلوا فواحدة فاذا كان المحرم للزوجة لما ذكرنا ارتفع الخطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى
عصمه من الجور ومكنه من العدل بين نسائه ثم ليس في اباحة زيادة العدد سوى فضل المحنة وكلفة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه اذا امر ان يعمهن فيما يسعهن بالعدل وان يتبع رضاهن ويحسن العشرة معهن وانما يتصل المرء الى الارضاء
بالاموال لعلهم يتمتع هو من الدنيا معتادا بما يتصل الى ارضائهن بالاحوال المرتهنة له ان يرضين الا بضيق العيش
وان يليق بهن لتقى احصن ولا تحرض فيما بينه ليس في اباحة العدد فضل تمتع بل فيه زيادة محنة ولعله بحق فيه
ايضا ما يحقق رسالته ونبوته لان المرء انما يتصل الى توفير الحقوق الواجبة عليه بالنكاح اذا تناول من فضول
الدنيا وطعم من لذاتها واعطى النفس شهواتها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا من اعطاء النفس شهواتها
ومع ذلك قام بها حقوق الازواج فيثبت انه باللطف من الله وصل الى ايفاء حقوقهن ليس بالاسباب البشرية
وفي هذه الاية دلالة ان الصلوة تشتمل على الذكر والفعل جميعا لانه قال اشد وطئا او اشد على الليل فيه
يكون بالفعل ثم قال اقوم قيلا وذلك يرجع الى الذكر ثم يحتمل ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلف
تبليغ الرسالة بالنهار لان اعداءه من الفراعنة وغيرهم كانت همتهم ان يقتلوه ويمكروا به فلم يكن يتهيأ له ايصال
الاذى لكان نساقه وكان النهار هي اوقات غفلة الاتباع فلو كلف التبليغ فيها لتمكنوا من ايصال المكروه فوضع عنه التبليغ
وامر بالقيام لعبادة ربه وقوله تعالى ان ناشئة الليل لمضاعفة الكيل وقيل هي من نشأ ينشأ اذا قام فسميت
ناشئة لان الاوقات تحدث وتترادف ويجاب ان يكون المراد من ناشئة الليل اي ما يوجد من الاحوال في الليل من القيام
للصلوة والاشتغال بعبادة الرب هي اشد وطئا واقوم قيلا او اصوب كلاما والاقوم هو المبالغة في الوصف بالسديد
بالقيام فاذا نسب الكلام فحقها ان ينصرف الى الصدق اذ الاقوم من الاخبار اصدقها وان اريد به القيام بوفاء
ما يقتضيه ذلك الكلام يعني يعمل اقوم وابلغ وفاء بما يوجبه القول وان اريد به القراءة نفسها فهو الكمال
اقوم قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا قال ابو بكر في الجراح السبح السعة كانه قال ان لك في النهار سعة
طويلة في تبليغ الرسالة والقيام بما يتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل ان لك في النهار سبحا طويلا اي فراغا
وتقلبا ومنقلبا والسبح يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به المشي والتقلب فهذا الذي قاله محتمل ولكن لا يحتمل
ان يصرف تاويل الاية الى الفراغ والتقلب في حوائج نفسه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتناول من الدنيا
الا قدر ما يقيم به مهجته فلا يحتاج الى فضل تقلب ولا الى كثير فراغ ليتوسع في امر دنياه ولكن حاجته تعرض في تقلبه
الى تبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى توحيد الله والى الحق عليهم فيكون معنى قوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي امر
رسول الله ان ينتصب بالليل للقيام بين يدي ربه واخبر انه منه بتبليغ الرسالة بالنهار وقوله تعالى واذكر اسم ربك
اي اذكر ربك دليله قوله على اثره وتبتل اليه تبتيلا والتبتل يقع اليه لا الى اسمه ثم ذكر الرب هو ان ينظر الى ما
الى الحق بنفسه ما الذي يلزم من العبادة في تلك الحال فيكون ذكر ربه باقامة تلك العبادة لا بان يذكر الله
بلسانه فقط وهو كقوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا واستغفارهم ان ياتمروا بما امروا وينتهوا عما
نهوا لا ان يقولوا بالسنتهم نستغفر الله لانهم ان قالوا نستغفر الله لم يقبل ذلك منهم اذ كانوا كفرة فثبت
ان استغفارهم ان يجيبوا الى ما دعاهم اليه نوح النبي عليه السلام وكذلك ذكر الله تعالى يقع بوفاء ما يلزمهم الحالة
القيام به وذلك يكون بالافعال مرة وبالاقوال ثانيا ومنهم من صرف الامر الى الاسم على ما تؤديه ظاهر اللفظ ثم
يذكر اسم الرب لما يحصل له من الفوائد بذكرها لان من اسمائه اسماء يرغب في اكتساب الخيرات والاقبال على عبادة ربه
ومنها ما يدعو الذاكر الى الخوف والرهبة ومنها ما يوقفه على عجائب حكمته ولطيف تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته
في قلبه ومنها ما يحدث له زيادة علم وبصيرة وهي الاسماء المشتقة من الافعال اذا تامل عرف الوجه الذي منه
اشتق تلك الاسماء فذكر اسمائه يحدث لما ذكرنا من الفوائد العلوم وقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا قال التبتيل

هو الانقطاع

هو الانقطاع الى الله وحقيقة الكلام ان يقول وتبتل اليه تبتيلا لكنه امر بالانقطاع الى الله وان يقطع نفسه
عن شهواتها ولذاتها ويخلص فيها من لذاتها فكانه قال وتبتل اليه وبتل نفسك تبتيلا من الشهوات واللذات ولذلك سميت
مريم البتول لانها قطعت نفسها عن منافع الدنيا واقبلت الى الاخرة وانقطعت اليه وقوله تعالى رب المشرق والمغرب
قال ابو بكر الاصم يا فيلعلك المشرق والمغرب يحتمل ان يقال رب المالك المشرق والمغرب ويحتمل ان يقال رب المالك للمشرق
والمغرب لانه هو المالك على التحقيق وقال بعضهم الرب هو المصلح ثم خص المشرق والمغرب بالذكر وان كان هو مالكهما
ومالك الخلق لوجهين لان ذكر المشرق يقتضي ذكر السموات والارضين ويحذو ذكر السموات والارض ذكر اعلى العليين
واسفل السافلين لانه اذا نظر الى المشرق وراى ما يطلع في المشرق من عين الشمس ثم يجري في اقطار السماء في
كل يوم مسيرة الف عام ثم يغرب في ظلماته حتى تسفل السافلين فتجري كذلك حتى تصل الى مطلعها ثم
تطلع هنالك فدل ذلك على ان مدبر السموات والارضين ومنشئهما واحد وان سلطانه في الارض كسلطانه
في السموات ويعلم ان من تكلفت فيه هذا المبلغ وان ينشئ من الشمس في يوم واحد مسيرة الف عام يشهد على الخلق
يقطع هذه المسافة في مدد كثيرة لا يجوز ان يعجزه شيء وكل الخلق يقطع هذه المسافة في مدد كثيرة لا يجوز
ان يعجزه شيء ودل على ان الخلق يقطع هذه المسافة ودل على ان حكمه دائم لا ينقطع لان عين الشمس تجري في كل يوم على
ما سخرت لا يتبدل ولا يتغير باختلاف الازمنة والاوقات وجعل منافع اهل الارض متصلة بمنافع السماء ولو لم يكن
مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء عن اهل الارض فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالة
وحدانيته واظهار قوته وسلطانه والوقوف على عجائب حكمته ولطائف تدبيره ثم تخصيص ذكر المشرق والمغرب
دون السماء والارض هو والله اعلم لان هذا اوصل الى معرفة التوحيد واشرع الى الادراك من ذكر السماء والارض
وان كان في ذلك التدبير في امر السماء والارض تحقيق ذلك وفي قوله رب المشرق والمغرب اعلام الله تعالى ان يذكره
هو رب المشرق والمغرب وان النبي امر بذكره هو رب المشرق والمغرب وفيه تعريف الوجه الذي يوصل الى معرفة
ربوبيته وقوله تعالى لا اله الا هو اي لا معبود يستحق العبادة الا هو لان الذي يحمل الانسان على عبادة
المعبود هو الخوف والرجاء فاذا فهم بذكر المشرق والمغرب اي تدبير الخلائق كلها راجع الى الله وانه هو القاهر
عليهم والقادر بتعبيد الخزائن والمنافع جمع على انه هو الاله الحق والرب القاهر وان من سواه مربوب مقهور
لا يملك نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة وقوله تعالى فاتخذه وكيلا يحتمل ان يكون اراد به ان كل
امورك كلها الى الله حتى يكون هو الذي يدبر ويحكم ولا تدع لنفسك فيها تدبيرا والوكيل في الشاهد هو الذي
يتكل في امره على جهة التبرع لينصره ويعينه فيكون قوله فاتخذه وكيلا اي اطلب منه النصر والمعونة
والمرء في الشاهد انما يفزع الى الوكيل ليريح عنه كلاله ويقضي حوائجه ويقوم عنه في النوائب فكانه يقول
افزع الى الله في نوائبك ليكون هو الذي يريحك من العناء ويقضي لك الحوائج ويكون معتمدك في نوائبك والله
اعلم وقوله تعالى واصبر على ما يقولون قال اهل التاويل امر بالصبر على تكذيبهم اياه لانه كان يلحقه اذى
وحزن في تكذيبهم اياه فامر بالصبر فكانه دعي الى الصبر على التكذيب وجائز ان يكون منصرفا الى هذا والى
غيره لانهم كانوا لا يقتصرون على تكذيبه بل كانوا ينسبونه الى الكذب مرة والى السحر ثانيا والى الجنون ثالثا
والى انه يتيم رابعا وكانوا يؤذونه بانواع الاذى فجائز ان يكون قوله واصبر على ما يقولون منصرفا الى كل ذلك
ثم الامر بالصبر يقع بخصلتين احدهما ان لا يجازيهم على تكذيبهم بان يكذبهم اياهم او لا يجزع عليه وحتى
يعرض للتلهف والتاسف ولا تدع عليه بالتباه والهلاك بل اصبر لذلك ولقائل ان يقول كيف كان يشتد
عليه تكذيبهم اياه حتى كاد يحزن بذلك والذين نسبوه الى الكذب كانوا اعداءه ولم يستثقل
التكذيب من العدو ولا يستنكر منه لانه مما يعاديه ويعتقد ان يسعى لنيل جميع ما يمكنه وسعه وانما يستثقل الكذب
من اهل الصفوة والمودة فكيف استثقله وكيف بلغ بالتكذيب مبلغا يحزنه حتى نهى الى الصبر بقوله ولقد نعلم
انه ليحزنك الذي يقولون الاية وبقوله واصبر على ما يقولون فالجواب عن هذا ان الكذب والجهل مما يستثقلهما
العقل والطبع جميعا وكذلك التكذيب والتجهيل امر ثقيل على الطبع والعقل جميعا حتى ان الكذاب اذا نسب
الى الكذب استثقل عليه ذلك ولم يتحمله وكذلك الجهول اذا عرف بالجهل ثقل عليه ذلك فاذا كان التكذيب
مستقبحا في عقول الخلق وطبائعهم وان كانت طبائعهم مشوبة بالآفات وفي عقولهم نقص فرسول الله مع
صفاء عقله وسلامة طبعه من الآفات احق ان يثقل عليه فيحزن بذلك ثم لما انسان ينسب الى الكذب فانما يحزن
عن نفسه وعن سواه من الخلائق من غلبة ... او الخطاء الا وهو يجد لذلك ثقلا وكيف ذا الضرر من
كذب بغير الشيء هذا الجواب يثقل على القلب ويحزن له ويحتمل ان يكون الذي حملهم على الحزن شدة اشفاقه على
لان تكذيبهم يقضي بهم الى العطب والهلاك فاشفق عليهم واشتغل الهم بما انه هلاكهم وحزن لذلك او يكون حزنه

غضبا لله اذ الرسل كانوا يغضبون لله ويشتد غضبهم على اعدائه والجواب عن قوله ان المكذبين كانوا من اعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم وذلك امر غير مستبدع من الاعداء فيقول ان رسول الله كان يحب ايمانهم بالاهتداء لانه كان يدعوهم الى ما فيه نجاتهم ويرفعهم في امر دنياهم واخرتهم وكان على امل من ايمانهم منه كان الحق عليهم ان يطاوعوه ثم في قوله واصبر على ما يقولون وفي قوله ولا تستعجل لهم بطلان قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعبده الا ما هو الاصلح له لانا نعلم انه اذا اذن لنبي من الانبياء بالدعاء على استيصال الهلاك واستجيب دعاؤه كان فيه ما يحمل القوم على الايمان ويردعهم عن التكذيب لانهم يخافون نزول النقمة عليهم فيتركون التكذيب ويقبلون على الاجابة فيكون فيه نجاتهم عن الهلاك وترفههم في امر دنياهم واخرتهم فاذ لم يؤذن دل انه ليس من حكمة الله تعالى ان يفعل بعباده ما هو الاصلح لهم لا محالة فان قيل كيف لم يؤذن بالدعاء عليهم ليحملهم ذلك على الاسلام ويمنعهم عن التكذيب قيل له لان فيما ذكرت رفع المحنة والابتلاء لان الحجة اذ ذاك تقع من جهة الضرورة لانهم اذا علموا انهم يستأصلون بالتكذيب امتنعوا عنه والجأوا الى الاسلام كرها فيصير الحجاج اضطرارية لا تمييز به ولا اختيار فيه وحجج الرسل اختيارية لا ضرورية لما ذكرنا انها لو جعلت اضطرارية لارتفعت المحنة فجعلت حججهم من وجه يقع به التشبه ليتوصل الى معرفتها بالفكر والتدبر لتقع المحنة فان قال القائل ان الحنفية رحمهم الله ذكروا في كتاب العالم والمتعلم ان ايماننا مثل ايمان الملائكة وايمان الرسل وايماننا واحد ثم قالوا اذا استوينا نحن والرسل في الايمان فكيف صار الثواب لهم اكمل وخوفهم من الله اشد فاجاب عن هذا السؤال باجوبة فقال في الجملة ما جاء انهم لو ارتكبوا الزلة لحل بهم العقوبة حسبا انزل فيما نحوهم بالله تعالى من جهة ولسائل ان يسأل على هذا فيقول فاذا ايمانهم بالله تعالى عن المعاصي ضروري لا اختياري فيجاب عنه بان يقال بان الانبياء لم يتيقنوا لهم العصمة بل كانوا على خوف منها في المال الا ترى الى ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولو كانت العصمة له ظاهرة لكان يستغني عن السؤال وقال شعيب وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما فثبت انه لم يتيقن لهم العصمة ونحن انما شهدنا لهم بالعصمة بالوجود لان الحكمة توجب العصمة والرسل امروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالنظر في امر من تقدمهم من الرسل ليظهر لهم العصمة بالتدبر فلذلك ثبت انهم كانوا على خوف والرجاء في كل انفسهم ولخوفهم في المال والثاني انهم بالله تعالى كانوا اعرف ولما وصلوا الى معرفة بالتبين لذلك عظمت درجاتهم والثاني ان الانبياء قد كان يعرض لهم هيبة وعظمة بتلك المعرفة هي التي دعتهم الى الاقرار لا خوف حلول العقوبة بهم لو ارتكبوا الزلات واما الكفرة فلم يعرفوا عظمة الله ولا قدرته ولا سلطانه حتى يحملهم ذلك على الايمان به فلو حلت العقوبة بهم بالتكذيب لكان الخوف هو الذي يحملهم على الايمان لا غير فيصير الايمان بهم ضروريا فلهذا انما لم يعاقبوا بالتكذيب لئلا ترتفع المحنة ويخرج الفرق بينهم وبين غيرهم وهذا كما نقول بان ايات من تقدم من الرسل لحجة لم تكن ايات نبوة وان كانت ايات الانبياء قد عرفها اهل الكتاب واخبروا بها لان اهل الكتاب عرفوا تلك الانباء بالتعلم والتلقين ولم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من علم تلك الانباء فعلم انه بالله علمها لا بتعليم احد فصارت الانباء له حجة ولم تصر لغيره حجة والله اعلم وقوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا يجوز ان يكون تاويله اهجرهم وقت سمعهم اياك الى ما يليق بك ولا تغتاب ولا تكترث اليهم والى ما يقولون عليك لان ذلك بعض ما تزجر المستقل عما هو فيه وهو كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ويحتمل ان يكون تاويله اي تقطع منهم بقطع الطمع والا انقطاع الجميل ولا تترك شفقتك عليهم ولا تدعو عليهم بالهلاك ولا تمتنع عن دعائهم الى ما فيه رشدهم وصلاحهم وكذلك قال عليه السلام وقد اذوه اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ويحتمل ان يكون هجرا جميلا هو ان لا يكافئهم بالسيئة السيئة بل يدفع السيئة بالحسنة كقوله ادفع بالتي هي احسن اذ ذلك ادعى للخلق الى الاجابة من يفعل ذلك بهم عند المعاملة والله اعلم ثم من الناس من يقول بان هذه نسختها اية السيف ومنهم من قال بانها لم تنسخ ويصرف تاويل الاية الى جهة لا يعمل عليها النسخ وذلك في قوله واهجرهم هجرا جميلا منع المكافاة لاجل ما اذوه ولم يعرض عليه القتال لكافتهم باذاهم وينتقم منهم بذلك بل رجع قتاله الى نصرة الدين ولتكون كلمة الله هي العليا ولذلك لم يكن في اية السيف ما يوجب نسخ هذا ولا نسخ العمل بقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره والثاني انه ليس في قتالهم انتقام منهم بل فيه ما يدعو الى الايمان بالله ورسوله فاذا امنوا بذلك نجوا من العذاب وفازوا بعظيم الثواب فيصير القتال رحمة لهم لا عقوبة ووجه جعله رحمة هو انهم اذا راوا غلبة المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعف الذي حل بابدانهم لاشتغالهم بعبادة ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة ابدانهم ايقنوا انهم لم ينالوا الغلبة بالحيل

والاسباب

والاسباب بل الله تعالى هو الذي اقامهم عليهم واقام بنصرهم فيتقرر عندهم كون اهل الاسلام على الحق واذ ايقنوا بالحق التزموه فيحرزون به جزيل الثواب وكريم المآب فصار القتال رحمة لهم لا ان يكون عقوبة عليهم بشؤم صنيعهم واذا كان كذلك لم ينتف العمل بقوله واهجرهم هجرا جميلا ثابتا باقيا وهذا الجواب من سال القتال الا الله تعالى بقوله لنبيه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي القتال ترك الرحمة فكيف وضع عليه فيقال انه ليس في القتال ترك الرحمة بل هو من ابلغ الرحمة وتمامها اذ يحملهم على الايمان ويترك التكذيب فيعلمون شرفهم ويسعدهم في الدنيا والاخرة والله اعلم وجواب اخر انه قال ان المحنة في القتال ليس في القتل لانهم اذا خافوا القتال تركوا التكذيب واقبلوا على الاجابة الا ترى انه ذكر ان القوم قبل ان يفرض عليهم القتال كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد فهذا الذي فلو شرع القتال لجعلوا يدخلون فيه افواجا افواجا وقبيلة قبيلة ثم باحد القتل يكون بالضرورة لانهم اذا قتلوا انهم لا يقتلون ولم يقع لهم الخوف بالقتال واذا خافوا تركوا الاجابة فشرع القتل فيه لتحقق الخوف فلم يكن فيه ترك الرحمة وهو كقوله ولكم في القصاص حياة وليس في تلف النفس حياة ولكن وجه الاحياء فيه هو ان القاتل اذا تفكر في قتل نفسه بقتل صاحبه ارتدع بذلك عن القتل فيكون فيه احياء النفسين جميعا فيصير ايجاب القصاص سببا للاحياء في الحقيقة وان كان في الظاهر سببا للاتلاف فكذلك هو لانهم اذا ايقنوا بالقتل باصنافهم تركوا الامتناع واقبلوا على الاجابة فيكون موضوع القتل الرحمة في الحقيقة وان كان في الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة والله اعلم وقوله تعالى وذرني والمكذبين اولي النعمة فقيل ان اهل الخصب والترفه هم الذين شغلوا بالتكذيب وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الهدى كما قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وقال وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون فخص اولي النعمة بالذكر لهذا ثم في قوله وذرني والمكذبين بيان بان رسول الله شق عليه المنع ولم يوجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منع ولكن مثل هذا الخطاب موجود في كتاب الله تعالى في غير موضع من كتابه فهو يخرج مخرج التوهم وهنا مقدمة وان لم يكن فيها مقدمة في التحقيق قال الله تعالى والسماء رفعها ولم يكن فيه تحقيق الوضع وانما يستعمل في الشيء الموضوع وكان تاويله انه خلقها مرفوعة وقال في الارض وضعها للانام لم تكن مرفوعة فوضعها وكان معناه انه خلقها موضوعة وقال يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يسبق منه دخول في دين اولئك فيكون تاركا له بعد ما دخل فيه وقال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يقتض قوله يخرجهم من الظلمات الى النور كونهم في الظلمة ولا اقتضى قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات كونهم في النور فيخرجهم منه وانما خرج الخطاب يؤدي ذلك فعلى ذلك قوله وذرني والمكذبين وان كان في الظاهر يقتضي حيلولة ومنعا فليس في الحقيقة اثبات منع ويذكر غير هذا في سورة المدثر قوله ذرني والمكذبين معناه لا ايجاز هم بصنيعهم ولا تستعجل عليهم بالدعاء بل امهلهم قليلا فسيكفيكهم الله تعالى وقيل في الفرق بين النعمة والنعمة النعمة ما يعطي العبد ارادة الاستمتاع فيها وهذا كقوله ونعمة كانوا فيها فاكهين والنعمة هي منة الله تعالى على عباده تفضلا عليهم انعم واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة والله اعلم وقوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما قال ابن عباس رضي الله عنهما الانكال السلاسل والقيود وقال ابو بكر الاصم الانكال ما ينكل ويعتبر به غيره قال الله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين تاويله ما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى ايضا فان كان على ما ذكره ابو بكر فيكون في الدنيا ويكون منصرفا الى يوم يبعث والله اعلم وكان الاول اشبه والجحيم هو معظم النار ثم في هذه الاية دلالة نبوة نبينا واية رسالته لان قوله ان لدينا انكالا وجحيما راجع الى قوله وذرني والمكذبين اولي النعمة فان لهم لدينا انكالا وجحيما وانما ينكلونه ويعذبون بالجحيم اذا ماتوا على الكفر فعلى انهم يموتون وهم كفار وعلى ذلك ماتوا وختم امرهم ولم يسلم منهم احد فيخرج ما اخبر عن غيب كما اخبر وذلك لا يعلم الا بالله فثبت انه لم يخترعه من تلقاء نفسه بل علم بالله وعلم الغيب من عظيم ايات رسالته وقوله وطعاما ذا غصة وعذابا اليما الذي يغص ولا يقدر على بلاعه بسهولة في الحقيقة وقال القتبي عذاب اليم والحميم ليس بشراب في التحقيق ولكن سمي الاول طعاما لانه يوضع موضع الطعام والصديد والحميم يستلذ بمثل الشراب فذكر الاول طعاما وفي الثاني شرابا لهذا ولان الطعام اسم لما يطعم ويكون مطعوما وان كان كريها والحميم مشروب وان كان في نفسه مكروها ثم الاصل ان الكفرة بكفرهم تركوا شكر نعم الله وقابلوها بالكفر فجازاهم الله تعالى لهم في الاخرة مكان كل نعمة الاخرى الى قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فابدلهم مكان البصر عميا ومكان السمع لتركهم شكر ما انعم من البصر والسمع واللسان وابدلهم مكان الثياب قطرانا ومكان المراكب السحب الى النار على وجوههم

ووجوههم فكذلك ابدلهم مكان الطعام والشراب زقوما وحميما لتركهم شكر نعم الله عليهم قوله
يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا • فقد ذكرنا الرجفة في موضع وقوله كثيبا
مهيلا مثله رملا سائلا فيفيد اخبارا ان شدة هول ذلك اليوم لان الجبال هي اصلب الاشياء واشدها
في انفسها ثم تبلغ هول ذلك اليوم مبلغا لا تحتمله الجبال مع شدتها وصلابتها فالانسان الضعيف المهين
اني يقوم لشدته وهوله فذكرهم حال ذلك اليوم ليرتدعوا وينتهوا عما هم عليه من التكذيب والضلالة قوله
انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا • قوله شاهدا عليكم قال ابو بكر الاصم
تأويله مبينا لكم ما جاء الله تعالى عليكم من الحق وجائز ان يكون شاهدا لكم وعليكم جميعا فيكون على الكفار شاهدا
لتبليغه وتحقيقا لك شهيدا على هؤلاء [illegible]

[illegible]

وانتم تنفعون لنا وكيف تنتفعون بايمانكم في الاخرة ولم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه والاهوال
الاخرة ليست بدار استحداث الاسباب وانما هي بعد وقوع المسببات لهم اذا لم يستحدثوا الاسباب
التي جعلت لدفع العذاب في الدنيا لم يكن لهم استحداثها في الاخرة فينتفعون بها ولم يكونوا اهلا لوقوع
المسببات لما لم يستحدثوا الاسباب في الدنيا وانما قلنا انها ليست بدار محنة وابتلاء لان المحنة لا
تستقيم الا بالخفيات والشواهد العقلية قد شوهدت فاذا قيل اذا فعلت كذا دخلت النار وهو
يعاين النار ويراها فهو يمتنع من الاقدام على ذلك الفعل واذا قيل له اذا فعلت ما امرك الله تعالى اكرمت بالجنة وهو
يشاهد الجنة ويراها فهو يؤمن لا محالة ولا وجه للابتلاء في الاخرة بل هي دار وقوع المسببات يعني الثواب
والعقاب والذي يدل على هذا قوله يوما يجعل الولدان شيبا فاخبر انهم يشيبون لا باسباب المشيب
والمسبب في الدنيا لا يوجد الا بعد وجود سببه وهو الكبر لتعلم ان الدار الاخرة ليست بدار استحداث
الاسباب فما استحدثوا من الايمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك ولا يغنيهم من عذاب الله
وقوله يوما يجعل الولدان شيبا فاخبر انهم يشيبون لا باسباب المشيب والمسبب في الدنيا لا يوجد
الا بعد وجود سببه وهو الكبر لتعلم ان الدار الاخرة ليست بدار استحداث الاسباب فما استحدثوه
من الايمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم ولا يغنيهم من عذاب الله • قوله يوما يجعل الولدان شيبا
فيجوز ان يكون هذا على التحقيق فيشيب الولدان لهول ذلك اليوم ويصير الشيب سكارى ولشدة هول ذلك

اليوم كما قال تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وجائز ان يكون على التمثيل لا على
التحقيق الشيب فتمثيله لعظيم ذلك اليوم وشدة هوله وقد يجوز ان يمثل الشيء بما يبعد عن الاوهام حقيقته
على تعظيم ذلك الشيء كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
فذكر هذا على التمثيل لعظم ما قيل فيه لا على التحقيق للانفطار والانشقاق وجائز ان يكون معناه كان الله تعالى
يبعثهم بلا ابقاء ولا تغيير ولا اسقام ولا امراض الا كان من هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يشيب الولدان • قوله السماء
منفطر به اي بما يجعل الولدان شيبا وهو هول ذلك اليوم وشدته فزعا ومنفطر بالغمام وقيل منفطر بالله اي
بقضائه وحكمه والله اعلم ثم قال منفطر ولم يقل منفطرة والسماء مؤنث ذكر الزجاج انه مفعوله منفطر له ذات انفطار
فعبر بها كما يعبر عن الذكور كما يقال المراة مرضع وذات رضاع • قوله كان وعده مفعولا اي الذي وقع به الوعد
مفعولا لا ان يكون الوعد هو المفعول وكذا قوله انه كان وعده ماتيا فالوعد لا يؤتى بل الموعود هو الذي يؤتى
ولكن نسب الموعود الى الوعد لانه من آثاره وهذا كما قالوا المطر رحمة الله في رحمة الله ما امطر والا ان يكون المطر
رحمة ويقال للصلوة امر الله اي بامره قضينا بها الا ان يكون امره الذي نوصف به وكذا الموعود ينسب الى الوعد لما
بالوعد ما استوجبه الا ان يكون الوعد هو المفعول وهو الماتي • قوله ان هذه تذكرة • فجائز ان يكون قوله
هذه منصرفا الى الاهوال التي ذكرها مكتوبة ذكرها ويحتمل ان تنصرف الى الرسالة التي تلا لنا محمد تذكرة ويحتمل
انه في السورة والايات كلها تذكرة • قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي الذي ما دعاكم اليه وذلك يكون بالاجابة فيما
دعاه اليه فمن شاء اتخذ الى ما وعد له ربه في الاخرة سبيلا بان يقبل على طاعته ويشغل نفسه بعبادته • قوله
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه قال ابو عبيد الصواب ان يقرأ ونصفه وثلثه بالخفض
على معنى اضافة ادنى اليهما وكانه يقول ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وادنى من نصفه وادنى من ثلثه ولا
يكون في الزيادة والنقصان جميعا لان الفصل ما بين الثلث الى النصف هو السدس فاذا زاد على الثلث قل من نصف السدس
صار الى الثلث ادنى وكذلك اذا نقص عن الثلث شيئا قليلا لانه صار الى القليل قريب فيكون ان يزاد في وكذلك الفصل
بين النصف الى الثلثين هو السدس فاذا زاد على النصف اكثر من نصف السدس صار الى الثلثين ادنى واذا نقص نصف
السدس صار الى النصف ادنى فما ترجح عندهم من اختيار الخفض فيهما فالوجهان جميعا محتملان لان قوله ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل يشبه ان يكون حكم مبتدأ فيما اخبر عن القيام الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجائز ان يكون وجد منه ذلك كله وهو ان يكون قريبا من الثلثين وقريبا من النصف وادنى من الثلث على ما ذكره اهل
الادب ويكون قد قام ادنى من ثلثي الليل وقام نصفه وثلثه وادنى من نصفه وادنى من ثلثه فذكر في الثلثين الادنى
لما وجد منه الادنى من جهة الزيادة والنقصان ولم يوجد منه موافقة الثلثين واخبر بالنصف والثلث بالامرين جميعا
لوجود الموافقة وهو ان يكون قام نصف الليل وقام ثلثه وقام ادنى من النصف وادنى من الثلث واذا كان هذا كله محتمله
لم يجز ان يرفع احد الوجهين ويتمسك بالوجه الاخر وهذا كقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء وقرئ برفع التاء وبنصبه
جميعا لما يحتمله الامران جميعا وهو ان يكون موسى قبل التكلم وفرعون علما بها اي بالايات جميعا وكذلك قال تعالى
سبحانه ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا لوجود الامرين جميعا وهو الدعاء والاجابة وهو قوله ربنا
باعد دعاء وقوله ربنا باعد على الاجابة ففرق بينهما في الاعراب وكذلك هاهنا لما استقام وجود الوجهين من رسول الله
استقام ان يقرأ بالنصب والخفض جميعا ويفرق بينهما بالاعراب وانه قال ثم ظن ان يكون الفرض على
قدر ثلث الليل ويكون الزيادة بحكم النافلة ويجوز ان يكون مفروضا وان بطل العذر على الثلث والنصف
الثلثين فان كان يجوز الاقتصار على ثلث الليل لانه كان يؤدي فرض الركوع والسجود بقضاء ادنى الجزء منه وكذلك
فرض القيام بالجزء منه ثم اذا ركع وانطال [illegible] فخار اول الركوع ثم زمن ادنى
ويشاركه التي في آخر ركوعه حتى يخرج [illegible] منهم مدركا الفرض الركوع وان كان في الامام لو اقتصر
على جزء منه كفاه ذلك عن فرضه فكذلك الفرض لما ابيح له القيام الليل خصا وجميع ما يوجد من القيام في الليل وان
طال فرضا وان كان قد يجوز الاختصار • قوله وطائفة من الذين معك ففي هذه الاية وفي قوله فتاب عليكم
على ان فرض القيام كان على النبي وعلى من اتبعه من المؤمنين وان كان رسول الله هو المخصوص بالخطاب بقوله يا ايها المزمل
لانه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله فتاب عليكم معنى لانه اذا لم يفرض علينا قيام الليل في نوعنا لم يحتج
القيام الى ان يتوب الله تعالى علينا ثم ان الله تعالى ذكر التوبة وفيها الفسخ خطابا بالجمع بقوله فتاب عليكم
وبقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وذكر في اول الامر خطابا بمقتضى الاحاد وهو قوله قم الليل الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا فهو يحتمل ان يكون خاطب النبي على ادخال غيره فيه بتعاله ولا يجوز ان يخاطب غير النبي
بما شاء النبي في ذلك الخطاب لان النبي هو المتبوع فجاز الحاق غيره به وغيره لا يكون متبوعا حتى يلحق به رسول الله

والله يقدر الليل والنهار فغير ان الليل والنهار ليسا غيضيا انما لحل الجزا عنده لكن يتقدر بسبق من امساكه ذلك الظلام
لانهما يجريان من خلقهما على تقدير على حد لا يتقدمها ولم يتاخر ولا يستقصا ولم يزدادا فكيف يجرا بان مدبرهما واحد
وان الذي قدرهما هكذا ممن لا يبيد ملكه ولا ينفد سلطانه **وقوله تعالى** علم ان لن تحصوه قال بعضهم علم ان لن تطيقوه
قال ابو بكر الاصم هذا لا يستقيم لانه لا يجوز ان يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه الا ترى الى قوله لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وليس فيما ذكرناه ما يدفع هذا التاويل لانه تعالى للامر اذا استدعى نفس لا نطاق هذا الامر لكن
ذلك خارج من الوسع الا ترى الى قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وتاويله لا تحملنا امرا يشتد علينا تحمله ليس نعم
ما امر ان نحملهم حرا لا يحتمله وسعهم فيكون قوله علم ان لن تحصوه انكاد تاويله ان لن تطيقوه على ذلك والله اعلم وجائز
ان يكون قوله ما لا طاقة لنا به ولا تحملنا امرا يهلك فيه طاقتنا ان لا تحملوا امرا لا نطيقه الا ترى ان الانسان
يحتمل القتل ويمكن قتله يهلك طاقته وجائز ان يكون قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعصمنا عن الشهوات
واللذات لئلا نوثرها فنكون مضيعين تاركين بها طرق الفعل التي تعبدنا به فلا نصل الى فعله وهذه هي القوة
التي تزايل الفعل بل تطابقه واما الفعل الذي هو خارج عن احتمال الوسع والطاقة فذلك مثله التكليف
وجائز ان يكون تاويل قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا حدا مما امركم به لو حد عليكم في الامر بتعديل الثلث
وحمل الحكم الامكان دون ان يتبعوا عليه تحبط الحكم بعلم ان الثلث ولو كان على حد ولطف لم يمكن حفظه الا
بشدة وجهد وفي ذلك كلفة عسيرة فيكون هذا تاويل من قال علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه ويكون الطاقة
عبارة عن التعسير فاستدل الامر ثم في هذه الاية دلالة على اباحة تعليق الحكم بالاستحسان كانه فرض
عليهم قيام ثلث الليل ولا يمكنهم تدارك ذلك الا تقدير بالاحاطة وانما يمكنهم بالتقدير كالذي يغلب على
القلب فثبت انه قد يجوز ان يكون الحكم معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون ولا الاستحسان
لشي الا تعليق الحكم بما يغلب على القلوب في البعض الذي يدل على ان الحكم لازم بما ذكرنا ان الله تعالى الزم الحد
على القاذف وعلى الزاني ولم يبين مبلغ نوع الضرب بعد ولا ما يضرب به فعقد ذلك بما يقع في القلوب
ان مثل هذا الضرب يصلح لمثل هذه الجناية وكذلك التقويم للاشياء والاروش والنفقات وتقويم المكاييل
والموازين يعتبر ذلك كله بغالب الظن من ان الشي من هذا الاصل يقدر المتوارث به ويتبرع به فيثبت بذلك
ان الحكم بالذي يغلب على القلوب وان المجتهد يرجع الى وجهين مرة ينظر في غيره فيمثل بنظيره فيسمى ذلك
قياسا ومرة يحكم فيها بما يغلب في الظنون فيسمى ذلك استحسانا وفي هذه الاية دلالة ان سقوط [illegible]
المخففة رحمة لانها لو كان لها مشابه بالفرض لكان لا يختلف في عدده سقوط العرض مستقلة [illegible] قد
فرض على القوم ان يقوموا ثلث الليل وقد اخبر تعالى انهم لا يحصوه حد ما امرهم به فاذا لم يحصوا فلا بد
من ان يقع هناك زيادة او نقصان فكذلك لو تعالى كان يحد عدده فيهم وفيهم لا يخرج من حكم الفرض
والله اعلم ثم في قوله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم هو ان الله تعالى قد علم ما فرض عليهم علم انهم لا يحصون
ولكن بنى هذا التعليل ان الله تعالى ان يكلفهم اقامة العبادة الى وقت لا يمكنهم الاحاطة بمبلغ ذلك الكل
الا بعد جهد بعرضها منه الله عليهم اذ اسقط عنهم ذلك التكليف وهو كقوله الآن خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا وهو حين فرض عليهم ان يصبر الواحد للعشرة علم ان فيهم ضعفا ولكن كرهه
ليعلموا انهم يكلفون القيام للعشرة وان كان فيهم ضعفا ما خفف عنهم تعبدا لله عليهم من عظيم المنة
وقوله تعالى فتاب عليكم يحتمل ان يكون طائفة منهم اشتغلوا عن القيام فيكون التوبة راجعة اليهم الا ترى
الى قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك هذا يبين
انهم جميعا لم يقوموا معه وانما قامت معه طائفة فتكون التوبة راجعة الى التي اشتغلت عن القيام و
جائز ان يكون راجعة اليهم والى الذين قاموا معه فيكون الذين قاموا معه قصروا في القيام عن الحد الذي
شرط عليهم فاستحقوا التوبة ايضا كما استحقها الذين تخلفوا عن القيام فتاب الله عليهم جميعا والله اعلم
وقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرآن فمنهم من قال ان قيام الليل صار منسوخا بهذه الاية ومنهم من يقول
بان النسخ وقع بقوله واقيموا الصلوة وهي الصلوة المفروضة وليس بينهما فرق عندنا لانهما يشتملان
جميعا على وجه النسخ به وهو ان فرض القيام لو كان باقيا لكان لا يجوز لهم ان يكتفوا من القراءة بما تيسر
عليهم لانهم اذا قاموا الى ثلث الليل لزمهم تبليغ القراءة الى حد يتعسر عليهم ويشتد فاذا ادى الاقتصار
على القدر الذي يتيسر عليهم ان يسقط فرضهم ان يقوموا ثلثي الليل ثم هو اذا اقام صلوة المغرب والعشاء
فقد قرأ من القرآن ما تيسر عليه حتى [illegible] كما اقتضاه قوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن فمن هذا الوجه
استدلوا بهذه الاية على نسخ حكم القيام بالليل ثم هذه القراءة نعمها في الصلوة فيكون النسخ [illegible]

جملة

جميعا ثم من الناس من زعم ان فرض القيام سقط عن رسول الله وعن امته واستدل بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة
لك فلو كان الفرض باقيا لما قال نافلة فانما ذكر التهجد به نافلة ومنهم من زعم انه لم يسقط عنه فرض القيام بل دام عليه الى ان
قبض واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كتب علي قيام الليل ولم يكتب عليكم ومعناه انه فرض علي
ورفع عنكم اذ قد كنا انه تعالى في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا وقد قال بعض الناس ان صلوة الليل
لم تكن فرضا على امته بهذا الحديث وما ذكرناه حجة عليهم ثم اختلف في الصلوة بقوله فتهجد به نافلة لك فعنا
فيه لك لا ان القيام منه تطوعا ومخصوص لك العتمة وهي العبادة من رسول الله تخرج مخرج الشكر لله
فيصير بها مكتسبا للفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير للسيئات لانه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فلم يكن يحتاج الى نيات الحسنات لتكفير السيئات فعلمنا ان الفعل منه يقع موقع كسب الفضيلة فيدعا
تلك الفضيلة ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من اعظم العنايات من الثقيل على ان نفعل يخرج مخرج الشكر ما يعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله اليس قد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما غيره فان الحسنات منهم مكفرة للسيئات
ومطهرة لزلاتهم قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فهم محتاجون لان تتضمن واكتسبين لنيل الفضيلة
في مستانف الاوقات فيصيرون بها معتبرين بل يرغبوا بها ان لا تهم وطهروا انفسهم من الماثم فلم يضر [illegible]
منهم نافلة والله اعلم فلهذا انما سمي هجرة نافلة له لا ان يكون قيامه نفلا **وقوله تعالى** علم ان سيكون
منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون
في سبيل الله فمنهم من يعلل ان هذه السورة كلها مكية ومنهم من يزعم ان اولها مكية وآخرها مدنية ويحتج
هؤلاء بقوله تعالى وآخرون يضربون في الارض فقوله وآخرون يقاتلون في سبيل الله
وذلك ان الجهاد فرض على المسلمين بعد الهجرة الى المدينة ولم يوجد منهم الضرب في الارض في حال كونهم
بمكة وفي هذا اخبار عن جهاد طائفة وعن ضرب بعض في الارض فثبت ان نزول هذه الايات كان بالمدينة
واحتجوا ايضا بقوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقالوا ان الزكوة انما فرضت عليهم بعد ما هاجروا
الى المدينة ففي هذا امر بايتاء الزكوة فثبت ان نزولها كان بالمدينة واما اول السورة ففيه موضع الحاجة
على اهل الشرك ولم يكن بالمدينة مشرك بل كانوا اهل كتاب ومن قال انها كلها مكية فهو يحمل قوله وآخرون
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله على الوعد والبشارة ليس على
الوجود الا ترى الى قوله علم ان سيكون منكم مرضى فاخبر ان سيكون منهم مرضى لا انهم كانوا مرضى في ذلك الوقت
فلم يكن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **وقوله تعالى** واقرضوا الله قرضا حسنا
فالقرض في لغة العرب القطع [illegible]

من ماله فيدفعه الى غيره وكذلك هو بالتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله الله تعالى خالصا فسمى اقراضا
لهذا ويجوز ان يكون اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق عليه اذ الاقراض يحصل فيما بينه وبين
فيصير الفقير معاوضا له في تلك القربة وقطاملا له فلا يبقى له وجه المنة عليه بل يكون موضع المنة للفقير عليه
حيث عاونه في تلك القربة ولان المرء انما يتصدق بما يفضل من حاجته فيدفعه الى من يحتاج اليه ليسترد
منه عند حاجته اليه فكذلك الصدقة اوجبت في المال الذي يفضل عن حاجات الارباب فيقرضها الله تعالى فيدفعها
مرة عند ما تمسه الحاجة ثم المال الذي يدفع الى الفقير على جهة التصدق هو ما لله تعالى ثم جعل الله ذلك منه
اقراضا له واضافه الى نفسه فيكون الفائدة في الاضافة الى نفسه هي تفضيل عماله ليرغبه في مثل ذلك الفعل على
جهة التكرم منه وهو كما سمى الثواب الذي يتفضل به على عباده اجرا بقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن عمل لنفسه
لو يستوجب الاجر على غيره وسمى الذي يقتل شهيدا تابعا نفسه على تفضيل وترغيب العباد في مثله بقوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة (قوله تعالى) وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله
معناه تجدوه حاصلا لكم ولا يكون شئ تقدمونه من خير او شر تجدونه حاضرا في ذلك اليوم ويكون الشئ
يكون عليهم قال الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا وقال لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (قوله تعالى) هو خيرا واعظم اجرا ومن حق الكلام ان يقول
هو خير لان هو يرفع ما بعده ولكن هو كالفصل ههنا وحقه الحذف ولذا حذف انتصب الكلام لان معناه
ان الذي تجدونه عند الله خيرا لكم مما خلفتم فيكون خيرا مفعولا ثانيا وقوله هو خيرا واعظم اجرا يحتمل وجوها
احدها انه خير لكم واعظم اجرا مما خلفتم لورثتكم فيكون فيه ان الذي تخلفه لورثته لم يكن خيرا ولكن ما تقدم
لاجر به خير له والذي يدل على انه فيما تخلفه لورثته خير قوله انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم
فقراء يتكففون الناس [illegible] ان المرء في السلف قد يسخو بنفسه ببذل المال لاجله لما يامل منهم من الثواب الجزيل
فيكون معنى قوله هو خيرا واعظم اجرا ترغيب العباد في تقديم الاموال لوجه الله تعالى لانه [illegible] انفسهم في
الاموال للاجلة طمعا للنافع التي يتفضل لهم فكان بذل المال لوجه الله تعالى اعظم في الاجر فهو احق ان يقع ويرغب
ولان النفس قد يحتمل المكروه في مشاهدة المنافع تاملها في تلك الحال فاذا طمعت فيما تبذل لوجه الله الثواب
الجزيل والاجر العظيم خف عليها تحمل المكروه الذي ينالها بالبذل وتحمد ان يكون قوله واعظم اجرا في عظيم
اذ قد يستعمل حرفا افعل في موضع فعيل كما يقال الله اكبر يعني كبيرا انتهى كلامه (قوله تعالى) واستغفروا الله
ان الله غفور رحيم فالاستغفار هو طلب المغفرة وذلك يكون باللسان مرة وبالافعال التي لها تطلب
المغفرة من جهة الفعل ان ينتهي عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب ويجيبا الى ما دعي اليه قال الله تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فجعل انتهاءهم عن الكفر ودخولهم في الاسلام سبب مغفرته
وقال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا وليس الاستغفار هو ان يقولوا باللسان اللهم اغفر لنا ولكن معناه
ان انتهوا عما انتم فيه من الكفر واجيبوا ربكم فيما دعاكم اليه فهذا هو الاستغفار من جهة الافعال واما الذي
باللسان من طلب المغفرة يكون على وجهين احدهما ان يسأل ربه التجاوز عن سيئاته والثاني ان يسأل
حتى يوفقه السبب الذي اذا جاء به استوجب المغفرة وعلى هذا التأويل يخرج استغفار ابراهيم لابيه وهو
انه طلب من ربه ان يوفقه لما فيه نجاته وهو الاسلام لا ان يسأله ربه ان يغفر له مع دوامه على الكفر لان
استغفار الاستغفار [illegible] عند [illegible] لله تعالى ثم اذا لم يوف السبب الذي كسب به المغفرة
قال الله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فتبرأ منه لو طلب منه المغفرة مع دوامه على الكفر ولكن الوجه الذي

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم (قوله تعالى) يا ايها المدثر قيل ان الذي حمل رسول الله
على التدثر انه كان في بعض طرق مكة او سمع صوتا من السماء والارض فنظر عن يمينه وعن شماله وامامه
وخلفه فلم ير شيئا فرفع رأسه فرأى شيئا ففزع منه فاتى بيته وقال لهم زملوني دثروني فان صح ما قالوا
والا فلم يسعهم ان يشهدوا على رسول الله ان الذي حمله على التدثر ما ذكروا من الفزع لان التدثر يكتسب به
الروع الذي يحل بصاحبه من الصياح وذكروا ان اول ما نزل من الوحي قوله يا ايها المدثر فان صح ما ذكروا
فان اول ما اوحي اليه هو الصياح الذي سمعه اذ كان ذلك متقدما على قوله يا ايها المدثر قم فانذر وقيل ان
كفار مكة قذفوه بالسحر واجمعوا آراءهم على ان ينسبوه اليه وفشا هذا القول فيهم [illegible] ذلك فدخل

بيته وتدثر بثيابه [illegible]

[illegible]

يقال انه دنس الثياب وقال الحسن خلقك فحسنه وقال بعضهم قصر ثيابك ولا تطولها فينجر طرفها على الارض
فيصيبها النجاسات والله اعلم قوله تعالى والرجز فاهجر والرجز اسم للمأثم واسم لما يعذب به فيكون مخصوصا
لما يتأذى به النفس وبيان ضرر النفس كالنشية فانها اسم لما يتأذى به ولكن الرجز عليه النفس قال الله تعالى اولئك
لهم عذاب من رجز اليم فالمأثم اسم لما يتأذى به والعذاب مما يتأذى به النفس فهو اسم الامرين جميعا ووجه اهل التأويل
الرجز الى المأثم هاهنا فذكر قتادة انه كان بمكة صنمان اساف ونائلة فكان من اتى عليهما من المشركين مسح وجوههما فامر الله
تعالى نبيه ان يتبرأ لهما بقوله والرجز فاهجر وقيل ايضا ان المشركين قالوا للنبي لو مسحت وجوههما لكان احرى ان
نؤمن بك ونتبعك فانزل الله تعالى والرجز فاهجر اي فاهجر عبادة الاوثان وقيل الرجز العذاب فجملته ترجع الى ما ذكرنا
انه اسم للعذاب وما يعذب عليه والله اعلم قوله تعالى ولا تمنن تستكثر قال مجاهد والحسن [illegible]
يستكثر عملك فيمن به على ربك على التقديم والتأخير فان كان التأويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله لكن
هو المذكور في الخطاب اذ لا يتوهم ان يكون رسول الله يمن على ربه ولا ان يستكثر عمله لله لان هذا النوع
من الصنيع لا يفعله واحد من العوام الذي خص بأدنى حنيفة فكيف يتوهم على رسول الله ولان الامتنان على الله
من فعل المنافقين قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم ويجوز ان يكون الخطاب له وان كان
هو معصوما عن ذلك كقوله ولا تدع مع الله الها اخر ونحوه وهذا لما ذكرنا ان العصمة لا تمنع ورود النهي لان العصمة
تنتفع بها مع ثبات النهي فاذا لم يكن في الخطاب فائدة في العصمة وقال بعضهم ولا تمنن تستكثر اي لا تعط عطية
تلتمس بها افضل منها في الدنيا من الثواب فان كان على هذا فقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكتساب
الاسباب التي يتوصل بها الى استكثار الدنيا من التجارة وغيرها الا القدر الذي لا بد له منه ويقطع به
الحاجة الى التمني الى غيره ولا يمدن عينيه الى ما متعنا به ازواجا منهم فكان نهى عن ذلك [illegible] الى ما منعوا من اكتساب
اسباب المال الذي ثبت ان الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجعله وجعل رزقه من الوجه الذي لا ينبغي حيل البشر من
الفيء والغنيمة ثم نهاه عن امساكه وادخاره لنفسه بل امره ان يفرقه في امته لقوله عليه السلام ما لي من هذا المال الا
الخمس والخمس مردود فيكم وقال تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الاية وذكر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان لا يتخذ لغد وقال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل فثبت انه كان
منهيا عن اكتساب الاسباب التي يتوصل بها الى اكتساب الاموال والى الجمع فنهى عن العطايا التي يلتمس بها افضل
منها في الدنيا والله اعلم قوله تعالى ولربك فاصبر فهو هذا يدعوه الى اخلاص الصبر لله كما قال فاصدع بما تؤمر وقوله
واصبر لحكم ربك دعاه الى تقوى الصبر وجائز ان يكون هذا ايضا على الامر بالصبر فيكون على التقديم والتأخير
كانه يقول فاصبر لربك اي اصبر على ما تؤذى ولا تجازهم بصنيعهم فان الله تعالى يكفيكهم فيكون في هذا البيان انه
انه رسول الله فقد امتحن بالامور التي يكرهها نفسه ويشتد تحملها فدعاه الله تعالى الى الصبر على تحمل المكاره
والله اعلم قوله تعالى فاذا نقر في الناقور نقر اي نفخ والناقور الصور وهو كلمة من كتب الاولين فهما افاد
نقر فهنا نقر وقال في موضع اخر فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وقال في موضع اخر ان كانت الا صيحة واحدة
فجائز ان يحمل هذا كله على التحقيق فيحقق الصيحة والزجرة والنقر ثم يعقبها الساعة وجائز ان يكون هذا
على التمثيل فيكون فيه اخبار عن سهولة ذلك الامر وهونه على الله تعالى لان الصيحة والنفخة والزجرة والنقرة
لا يشتد على احد ان يكون على التقصير الوقت على الذين ينفخ فيهم الروح اي الارواح ترد عليهم قدر
النفخة والزجرة والصيحة خلافا لامر النشأة الاولى لانه في النشأة الاولى انما نفخ فيه الروح بعد كونه نطفة
في بطن امه اربعين يوما ثم علقة ثم مضغة بذلك القدر من المدة ثم نفخ فيه الروح بعد مكثه [illegible] وفي النشأة
الاخرى ينفخ الروح بالقصير من المدة وذلك بقدر النفخة والزجرة والصيحة [illegible] والله اعلم [illegible]
[illegible]

ذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير [illegible]

بعض هؤلاء الى الموت وتبيين الفرق كلها كما قال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى اي المؤمنين
يفزع منهم الاهوال بما يأتيهم من البشارات والكرامات من الله تعالى وسبق عسره على اصحاب النار قوله تعالى
ذرني ومن خلقت وحيدا ذكر ان هذه الاية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة وجائز ان الاية نزلت في كل
عن الانبياء والمتقدمة في المخاطبات التي جرت بينهم وبين الفراعنة [illegible] انها جرت بينهم وبين الجبابرة
وذلك ان فرعون كان [illegible] احدا وكان من سواه يصدر عن رايه وينتهي الى تدبيره فكان يستغني عن مخالطة من
وقد كثرت فراعنة بيننا فكان كل واحد منهم يدعي الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره والصدور عن رايه والانقياد
له منهم ابو جهل ومنهم الوليد بن المغيرة ومنهم ابو لهب وغيرهم فكان رسول الله يحتاج الى مخاطبة كل ذي نفسه ومن يحتاج
الى مخاطبة اقوام واجابة كل واحد بجواب فكان الامر عليه اصعب من الذي احتاج الى مخاطبته واحد ففي هذا ان المحنة عليه
كانت اكثر مما امتحن بها من تقدمه من الرسل ثم قوله ذرني ومن خلقت وحيدا ليس فيه ان رسول الله كان يمنعه
عن شيء حتى يقول له ذرني ولكن هذا الكلام مما يتكلم به على الابتداء على جهة اظهار القوة يقول الرجل
لاخر خل بيني وبين فلان ودعني واياه من غير ان يكون سبق منه المنع فيريد به اظهار القوة من نفسه انه
كافيه وقادر على دفع شره عن نفسه فيكون في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا كذا من الله اياه الى ان لا
له ولا يجازيه بصنيعه فان الله تعالى يكفيكه ويدفع عنك شره او ان يكون فيه نهي ان يدعو عليه بالهلاك
والثبور ويصبر الى ان يأتيه امر الله فيكون في هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
ان المتنازعين اذا تنازعا في شيء وحدث بينهما شر فانتصب بينهما ثالث ونصر احدهما خف الامر على المنصور
ويفرح لذلك ويتسلى فاذا كان الله تعالى هو الذي يقوم بنصر المصطفى ويكفيه من عدوه كان ذلك
اكثر في التسلي والتفرج ويكون في هذا تمكين من الصبر الذي دعا اليه بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وبقوله واصبر لحكم ربك الاية ثم قوله ومن خلقت وحيدا يحتمل وجهين احدهما خلقته وحيدا
ولم يكن له في الخلق ناصر ومعين ولا شيء وجائز ان يكون معناه خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد
فيكون في هذا التخويف لذلك اللعين كيف لا يخاف ان يعاد الى الحالة التي كان عليها يوم خلق بلا مال
ولا ناصر كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا قيل الممدود
اي الذي لا ينقطع بل يكون له متددا وذكر عن مجاهد انه قال كان له الف دينار وقال السدي مالا ممدودا اثني
عشر الفا وقيل ارادته ما يحصل له من الضياع بالطائف يثمر في السنة مرتين ولكن عندنا المال الممدود هو
المتتابع الذي لا ينقطع مدده ولكن لا ينقطع مدده لا يقع تحت الاحصاء قوله تعالى وبنين شهودا اي
حضورا لا يغيبون ويكون فيه وجهان من الحكمة احدهما انهما لذلك حتى لم يحتج الى التفرق والذهاب لطلب
والاكتساب بل كان يأتيه سعة لا يحتاج الى تكلف اسباب الجمع والثاني ان غاية ما يلد ويتمنى ويلتمس من
البنين هو ان يستأنس بالنظر اليهم ويستعان بهم ويستنصر اذا احتاج الى ذلك فخبر انه قد نال المنى
ووصل الى غاية ما ترغب اليه النفوس من كثرة الاموال والاولاد قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اي بسطت
له الدنيا بسطا وقيل التمهيد هو التمكين قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد كلا فجائز ان يكون طمعه منصرفا الى الزيادة
في الاخرة كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات فحسبوا انهم
اذا ساووا اهل الايمان في الدنيا ان يساووهم في الاخرة لو كانت الاخرة حقا فكذلك اللعين حسب انه
يبسط عليه نعيم الاخرة كما بسط عليه نعيم الدنيا فكان قوله كلا ردا عليه فان كان على هذا ففيه اعظم
الدلالة على اثبات رسالة محمد لانه اخبر ان ليس له نصيب في الاخرة وانما حرم النصيب اذا ختم على الكفر وقد
ختم على الكفر كما قال فكان في هذا اخبار منه عن الغيب فصدق خبره وخرج الامر حقا كما قال فثبت انه
بالله تعالى علمه وجائز ان يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع عليه طمعه بقوله كلا وذكر انه بعد نزول
هذه الاية اخذ في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا فيكون في هذا ايضا ما في الاول من
اثبات الرسالة قوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا في هذا تصبير لرسول الله لان الله اكثر نعمه عليه واحسانه
اليه فعاند اياته ولم يطعه في اوامره فكيف ترجو ان يعاملك بخلاف ما عامل ربه فتكون فيه ما يدعو
الى الصبر على العناد وهو مخالفة الحق عن علم لظهور الحق فيكون قوله انه كان لاياتنا عنيدا اي انه عن عناد
ويعلم منه بكونها ايات خالف فعله وفرض واستكبر والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما به يشهد له عقله
اذ لا فعال [illegible] قوله ثم يطمع ان ازيد كلا ابطال لقول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعباده الا ما هو الاصلح
لهم لانه لو كان ان يزيد لا يخلو اما ان يكون الزيادة اصلح كان يطمعها فحينئذ [illegible] الله تعالى عنده ان يزيده
وفي قوله كلا قطع طمعه للزيادة فيصير بحرمان الزيادة مقهورا فكيف جعل انه سأله من الوجه الذي

هو جوابه عندكم وان كان تحريما فالزيادة خير له واصلح فكيف جعل الحرمان انصبا عليه السنة وكان عكسه
وكان يعلم انه يحرمه على زعمكم وفي قراءة عبد الله بن مسعود رض ثم يطمع ان ازيده (وقوله تعالى) سارهقه صعودا يحتمل
ان يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة التي يشتد الصعود عليه كما ذكره بعض اهل التاويل فيكلف الصعود
عليه ويحتمل ان يكون على التمثيل وذلك ان الصعود والهبوط مما يستعمل على اثر الاخبار بحسنه فان كان نحل حضا في
ان نصيبه في الاخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمله الاسم يقال المعتزلة في هذه الاية وفي قوله سأصليه
سقر انه نعته هذا وعيد من الله بان يصليه سقر وسيرهقه صعودا فاراد الله تعالى ان يصدق وعده وينجز
وعده اذا اراد ان يكون خبره حقا لخالف وعده فانتم بالثاني فقد نسبتموه الى الكذب والى خلف الوعد ومن هذه
وصفه فهو سفيه جاهل لا يصلح ان يكون الها وان قلتم انه اراد ان يصدق خبره وينجز وعده قلنا لكم اراد ان يجحد
وعده مع دوامهم على الكفر او عندما نقلا منه فان زعمتم انه انما اراد ان يصليهم سقر بشيء لا ذنب له فيه أي
سلمتم انه اراد اصلاءهم سقر اذا داموا على الكفر واستقروا عليه فقد لزمكم ان تقولوا ان الله تعالى اراد من كل
احد ما علم انه يختاره ويكون منه ويقال لهم ان الله تعالى يقول ولم يكن له ولي من الذل ولو كان الامر على ما زعمتم
انه يريد من كل كافر ان يسلم ويؤمن به ويريد الكافر ان يكفر به ويعاديه فاذا اراد ان يكون له ولي من الذل لانه
يريد ان يحول اليه مع اختيار الكافر معاداته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (وقوله تعالى) انه فكر وقدر
قال الفقيه رض ان قوله منه رسول الله الا معتقد ومعاند الحق واعتقدي اضلال الناس عن سبيل الله
وان يطفئوا نوره فاراد ان يجمعوا على امر ينسبونه الى رسول الله على وجه ينفون به عن انفسهم سمة الجهل
وتهمة الكذب فتحزن ذلك على ما ذكر انه لو ليب جمع اصحابه فقال ان هذه ايام الموسم واذا الناس سائلوكم عن هذا
الرجل فماذا تقولون فقال بعضهم نقول هو شاعر فقال انهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول شعر وقال بعضهم
نقول هو كاهن فقال ان الكهانة معروفة عند العرب وانا سمعوا قوله عرفوا انه ليس بكاهن فيكذبونكم وقال
بعضهم نقول هو كذاب فقال انا قد اختبرناه فما اخذنا عليه كذبة قط وقال بعضهم نقول هو مجنون
فقال اذا نظروا اليه علموا انه ليس بمجنون فاعيا عليهم فتفكر في نفسه وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر
ما هذا الذي اتى به الا سحر يأثره عن غيره اي يرويه فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا وقالوا الساحر يفرق
بين اثنين وقد وجدناه يفرق بين الاباء والاولاد وبين ذوي الارحام رجاء ان يصلوا الى مرادهم
من صد الناس عن سبيل الله واطفاء نوره مكر منهم وهو كما قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ووجه رجوع المكر الى انفسهم ان الله تعالى
اظهر سوء صنيعهم لرسول الله وجعله اية تتلى الى يوم القيامة فيكون فيه ظهور كذبهم ولحاق العار
بهم الى يوم التناد ومع تواتر اللعن والثاني انه اذا اجتمعوا على مكان للتدبير اتصل بهم وبما
واختلط بهم ضعفاؤهم فيقع لهم العلم بانهم تواضعوا عليه بينهم واتفقت عليه الكلمة واذا وقع
على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الافاق فيقف الناس على كذبهم وانهم لم يتحقق عندهم ذلك في
لحال رسول الله ويصير كذبهم شائعا في الخلق ظاهرا من اوجه لا يعادون انفسهم سمة الجهل عن انفسهم
ويتحقق عند الناس كذبهم فلا يركنون الى قولهم ولا يلتفتون الى اخبارهم عن حال الرسول فيظهر لهم جهلهم
بحاله فيكون ذلك سببا لترغيبهم الناس الى الاسلام بعد ما ابهم ليس لا ان يكون سببا للصد عن رسول الله
فصار المكر راجعا اليهم ثم قوله انه فكر اي فكر في الامر الذي اراد احكامه وقدر في الكلام الذي القوها فيما
بينهم ان هذا الذي برسول الله فيتسالمونه وقدر له وقد يخرج على هذا ايضا وقوله فقتل كيف قدر قيل لعن
واللعن هو الابعاد من رحمته وقد طرده الابعاد لان مادة ماله قد انقطعت في الدنيا واخذ ما كان اجتمع
عنده في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ثم ساقه الى النار في الثاني منها وقوله كيف قدر اي كيف استجاز
تقدير الذي قدر من تسميته رسول الله ساحرا وقد علم انه في تسميته ذلك اثم كاذب او كيف اجترى على
ذلك وقد علم انه رسول الله فعاداه وقدر واجترأ على ذلك فلم يخف نقمة الله تعالى (وقوله تعالى) ثم قتل كيف قدر
لعنه مرتين فقد طرده ذلك اللعن في الدنيا والاخرة جميعا لان الله فضحه بما اظهر كذبه وبخلده في الخلود
النار الى اخر الابد وابعده عن رحمته حيث اخذ ماله في الانتقاص وانقطعت مادة ماله فهذا اثر لعنه في الدنيا
ووعد ان يصليه سقر وان يرهقه صعودا وذلك خزيه ولعنه في الاخرة فظهر بذلك اللعنتين في الدنيا
ويلحقه الثانية في الاخرة (وقوله تعالى) ثم نظر يحتمل ان يكون نظر في كلمات القوم التي القوها فيما بينهم
(وقوله تعالى) ثم عبس وبسر يحتمل ان يكون الكل محمله على العبوس والبسور هو ما العلامة المختلف من الكلام
فعبس وجهه عليه لما اختلف انفسهم ظهور كذبهم ويكونوا الذي قد حل عليه من شدة الغيظ لما امر رسول الله

اهمه ما جره حتى اثر ذلك في وجهه فعبس لذلك وجهه (وقوله تعالى) ثم ادبر واستكبر يحتمل ان يكون ادبر عن
اولئك القوم الذين اجتمعوا للتدبير واستكبر عليهم او ادبر عن طاعة الله واستكبر على رسوله حيث اعرض
عنه ولم يجبه الى ما دعاه اليه (وقوله تعالى) فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي هذا الذي اتى به محمد سحر يؤثر من اعمال
السحر وهذا الذي يخبرنا انه اتى به من عند الله هو سحر يؤثر عن غيره ولكن هذا على علم منه انه ليس بسحر ولو كان الذي
اتى به محمد سحرا كما قذفوه به فهو لا يخرج من ان يكون حجة لرسالته وصدق مقالته واثبات رسالته لانه لا وجه لمعرفة
السحر من طريق الرأي والتدبير وانما سبيل الوصول اليه الاتقان والتلقف من الغير وقد علموا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يلتقفه احدا ولا وجد منه الاختلاف الى من يحسن فعلم ذلك وقع لهم الايقان انه بالله
علمه لا باحد من الخلق ثم في نفس اخبار قومه من اعظم الحجة ولكن الله تعالى يأتي ظاهر عن السحر وفهمهم عن ذلك ولم يعاد
السحر حتى قال رسول الله صلى الله عليه اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال توبة الساحر ضربه بالسيف ثم الاصل
ان الساحر يفرق بين اثنين ويحمل سحره التفريق على وجه لا يوقف على سبب التفريق وكان سبب تفريق رسول الله
ظاهرا لانه كان يدعوهم بالحجج فعلم من امعن النظر فيها صدقه فيما ادعى من الرسالة فيؤمن به ومن ترك النظر فيها
ولم يعط من نفسه النصفة ترك الايمان به فبطل ان يكون تفريقه من عمل السحر ولان كلا منهم لو تفكر فيما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وامعن النظر فيه حمله ذلك على الايمان به والتصديق برسالته فيصير الذي جاء به محمد
سببا للاجتماع والالفة لا ان يكون سببا لتفريق بين الاحبة ثم الاصل ان الساحر بغيته وقصده من سحره
نيل الجاه عند العظماء والرؤساء واستفادة السعة في الدنيا ثم رسول الله لم يكن يطلب ما اتى به الجاه عند
الرؤساء بل قادهم وما طلب الجاه وحملهم ودعا الخلق الى الزهادة في الدنيا لا الى الاستكثار منها فكيف يجوز
ان ينسب الى السحر وقد اتى بما يضاد فعل السحرة وقوله ان هذا الا قول البشر وقد علم انه ليس بقول البشر فتحدى
البشر عن اتيان مثله وقد علم انه كان ذلك الايات عنادا فبينا انه على العلم منه بانه اياه عاند وقوله ساصليه سقر
ذا السقر لون من العذاب وقيل السقر هي الدركة الخامسة وقيل السقر باب من ابواب جهنم فمعناه ساد خله
جهنم من باب السقر والله اعلم (وقوله تعالى) لا تبقي ولا تذر يحتمل الى لا تبقي لحوما يتلذذ بها ولا تذر من هلك
فيستريح بل يبقى ابدا في الهلاك كما قال تعالى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ويحتمل
لا تبقي له جلدا ولا لحما ولا عظما بل ينضج جلده وتأكل لحمه وتكسر عظمه ولا تذره على تلك الحال الكسر العظم واكل
اللحم نضج الجلد بل تعاد جلده ولحمه وعظمه فيحرقها كذلك ابدا ولا يبقى له روحا ولا تذره فهو يمضي بما يتخلص
من عذابها (وقوله تعالى) لواحة للبشر قيل فيه بوجوه قيل لواحة للبشر اي محرقة للجلد والبشر الجلد فجائز انه خص الجلد
بالتلويح لان الجلد من الانسان هو الظاهر ويكون ظاهر الاحراق عليه فخصه بالذكر لهذا كما سمي الانسان
انسانا للظهور لكل من هو من اهل الرؤية وسمي الجن جنا لاستتاره عمن ليس من جنسه وهو كقوله تعالى
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ويحتمل لواحة اي ظاهرة للبشر كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقوله
وبرزت الجحيم لمن يرى اي تظهر لهم وتلوح فينظرون اليها ويتيقنون بالعذاب ويحتمل ان يكون قوله لواحة
للبشر لان النار تاكل جلودهم ولحومهم فتظهر عظامهم وتلوح لان الله تعالى خلق العظام وكساها اللحم ثم كسا
اللحم بالجلد فيحرق النار جلده وتأكل لحمه فيظهر عظمه وتلوح عند ذلك ثم تبدل جلودا ولحوما اي على هذا
مدار امرهم (وقوله تعالى) عليها تسعة عشر روي عن ابن عباس رض انهم خزنة جهنم مع كل واحد منهم من الاعوان
ما لا يحصى وذكر ان تسعة منهم يعدون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع
الحديد والثاني والاخر هو الخازن الاكبر وهو مالك وسائرهم ما ابهم فيه ويحتمل ان يكون في السقر تسعة عشر
دركا وقد سلط على كل درك ملك وذلك لان جهنم ذات حدود في نفسها لان الله تعالى وعدها ان يملأها من الجنة والناس
ولو لم يرجع الحد لكان لا يتحقق امتلاؤها فيجوز ان يكون امتلاؤها بالقدر الذي ذكرنا ويحتمل ان يعد فيها تسعة عشر
لونا من العذاب وقد وكل كل واحد منهم ان يعذب بنوع من ذلك والاصل ان الله تعالى حكيم عليم لا يعجل من اوجاد
حكمة يجيبه ولكن لا كل حكمة يتوصل اليها بالعقل وينتهي الى معرفتها بالتدبر الا ترى ان الله تعالى جعل في الماء
حيا يحيى به كل شيء ولو اراد احد ان يتكلف استخراج المعنى الذي به صلح ان يكون بطبعه موافقا لاحياء كل شيء لم يمكنه ذلك
وجعل في الطعام ما يغذي وينمي ولو اراد احد ان يتعرف المعنى الذي يقع به الاغتذاء والانماء لم يتدارك وكذلك
جعل في العدد الذي سماه حكمة وكان لا يتصل الى معرفتها بعقولنا او بتدبيرنا لو زعمت الباطنية او قوم ذكره
التي عليها تركيب العالم تعريف الاعداد المجعولة في الروحانيات فقال لهم من جعل الاعداد التي عليها تركيب العالم
اولى بان يعرف بها الاعداد المجعولة في الروحانيات من ان يجعل الاعداد التي في الروحانيات اعلاما لاستدراك
الاعداد المجعولة في الجسدانيات ثم يستدلون على الاعداد المجعولة في الروحانيات ببعض جعلت واية حكمة فيها فليس

بعد هذا الا انه لا يجوز الاعتراف بالجهل فليقر بالجهل في الابتداء من غير ان يتكلفوا استخراج ما يوجب عن حقيقة
كان نفيه ظهور عجزهم والله اعلم والاصل عندنا ما ذكرنا انا اهل التوحيد اعتقدوا ان الله تعالى حكيم وانه
لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لان الذي يحمل الانسان على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد احد معان
ثلاثة اما الجهل واما العجز واما الحاجة والله تعالى عالم لا يجهل وقوي لا يلحقه عجز غني لا يدعوه الى شيء
حاجة فانتفت عنه الاسباب التي لديها يقع الخروج عن حد الحكمة فثبت انه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة وكذلك
اهل الكفر واهل الاهواء اقروا انه حكيم وانه لا يجوز خروج فعله من حد الحكمة لكنهم اذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم
ولم يتداركوها بتدبيرهم ظنوا انه لا حكمة فيه وانكروا ايضا فذلك الى الله تعالى فاهل الدهر انكروا البعث
وانكروا الصانع لما راوا اشياء في الشاهد هي في الظاهر خارجة مخرج العبث وفعل الحكيم لا يخرج مخرج
العبث فقالوا بهذا ان تكون الاشياء صانع ومن بنى بناء ثم نقضه ثم اعاده الى الحالة التي كان عليها قبل النقض
لم يكن حكيما بل يكون جاهلا سفيها فقاسوا امر البعث على ذلك فظنوا انه خارج مخرج العبث اذ ليس فيه الا الاعادة
الى الحالة التي كان عليها قبل الموت وما ذكرنا من الاعتبار هو الذي حمل الثنوية على القول باثنين لانهم راوا في العالم
خيرا وشرا وصلاحا وفسادا ونورا وظلمة ولا يجوز ان يكون جوهر الظلمة والنور واحدا ولا يجوز ايضا ان يكون
فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض فتبين انهما اثنان خالق الشر والخير مختلف ومن هذا انكرت المعتزلة خلق
افعال العباد لان الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا ومرة صلاحا ومرة فسادا ولا يجوز ان يكون الشر مضافا الى الله تعالى
ولا ان يكون الفساد منسوبا اليه فانكروا ان يكون لله تعالى في فعل العباد صنع واهل التوحيد سلموا الامر الى الله تعالى
العالم به في كل ما جاء عنه عز وجل وان لم يتداركوا ما فيه من الحكمة بعقولهم لوجودهم اشياء هي خارجة عن تدبير
بعقولهم وتقصر عليها عقولهم كما ذكرنا من امر المآكل انه قد جعل فيه معنى به يحيى الاشياء ولو ارادوا
ان يعرفوا ذلك المعنى بالعقول الادلة لم يمكنهم ذلك وكذلك في الطعام وفي الاشياء المشروبة موجود
ثم لم يجب بهذا الانكار هذا الذي سماه الله تعالى من الملائكة ولا انكار البعث ولا انكار كل شيء لا يقفون على حكمة
بعقولهم والله اعلم قوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة فلقائل ان يقول في هذا اذ لم يجعل اصحاب
النار الا ملائكة لم يوجد فيها انسي ولا جني فكيف قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهو لم يجعل
اصحاب النار الا ملائكة وجوابه ان معنى قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلنا على اصحاب النار
الا ملائكة يعني بهم اهلها انها لا يكون الملائكة تمسهم النار ويتأذون بها وفي هذا دلالة على ان في
قوله اولئك اصحاب الجنة ولئلا اصحاب النار فيصلونها لا يفسد صلاته لانه ليس في تسمية اصحاب الجنة
اصحاب النار ايجاب عذاب عليهم كما لم يكن في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ايجاب عذاب على الملائكة
واستحقاقهم لها والله اعلم وانما خصهم بذلك والله اعلم لانهم خلق لا يسخطون ولا يغضبون
لله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لم يميلوا الى العدو [illegible] من العذاب
في معصية الله وخلافه ليس على طباع الجن والانس فتلين قلوبهم ربما تميل فترحم من لا يستحق الرحمة وذكر اهل
التاويل ان قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وعلى ولكنا الكفرة الذين قالوا انا نكفي هؤلاء
العدد حين سمعوا عليها تسعة عشر فنغلب عليهم ونخرج من النار واحدا منهم ليسوا بمثال امثالكم انما هم
ملائكة ووصف الملائكة قد روي في بعض الاخبار من هول خلقهم وعظمهم وشدة باسهم وبطشهم
وان لهب النار يخرج من افواههم وان بينهم لا تحتمل الجوف والاوهام لست على ما عليه بنية البشر والله اعلم
قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الفتنة قد يتكلم بها على وجوه فيذكر الفتنة وقد
تتكلم بها على وجوه فيذكر الفتنة ويراد بها العذاب ويذكر ويراد بها المحنة التي فيها الشدة وقد
يراد بها الغدا فمعنا انه جعل العدد الذي ذكرهم فتنة عليهم او عذابا عليهم اذ هم قد تسلطوا على تعذيب
الكفرة وهو كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وان كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه احدها
او ما جعلنا ذكر عددهم الا افتتانا للذين كفروا او من علم الله تعالى منهم انه يكفر بايات الله جعل ذلك سببا
لفتنة اذ كان في علم الله تعالى انه من يبتغي الفتنة فاما من علم انه ينظر في ايات الله مسترشدا فلم يزده ذلك
الا ايمانا وتصديقا اذ علموا ان الله تعالى ان يمتحنهم بانواع المحن فآمنوا به وسلموا ذلك لله تعالى ويكون في جعل
عدتهم تسعة عشر شدة على الكفرة اذ كانوا بسبب كفرهم فلذلك سمى المحنة على هذا الوجه فتنة وقوله للذين
بمعنى على الذين كفروا ثم جائز ان يكون ذلك على حدوث الكفر وهو في قوم قد آمنوا فلما سمعوا هذا زعموا ان لا
في هذا العدد وليس هذا العدد باولى ان يجعلوا اصحاب النار من العشرين او من ثمانية عشر وكفروا به وهو كقوله
موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وذلك على حدوث اضلال لم يكن من المسلم موجود

الا ان كان الاضلال مستقبحا بعينها وجائز ان يكون فتنتهم هو انهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا الى كفرهم لانهم
نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا اليه بعين التبجيل والتعظيم فازدادوا بذلك كفرا والله اعلم
قوله تعالى ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا فالاستيقان والزيادة واحد لان في الاستيقان
زيادة ايمان وفي الزيادة استيقان ومعناه ليستيقن الذين اوتوا الكتاب الذين آمنوا ووجه استيقانهم انهم يجدون
هذا العدد موافقا للعدد المذكور في كتابهم فيحملهم ذلك على الاستيقان انه من عند الله تعالى ويحتمل ان يراد به اهل
الكتاب الذين لم يؤمنوا اذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم فيستيقنوا انه انما يخبر عن الله ولم تقع عنهم الارتياب فيكون
دعاهم الى الايمان فيزداد كذا منهم الايمان وقربا الى الحجة عليهم ان لم يزد منهم الايمان والله اعلم وقوله ويزداد الذين
آمنوا ايمانا او تصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة وكذلك يقول ابو حنيفة رحمه الله في قوله فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في الايمان فمعنى الزيادة فيها انهم زادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم
بالجملة لانهم اذا وحدوا الله تعالى وآمنوا به فقد اقروا بان الله الخالق والامر كله وفي الاقرار بانه الخالق والامر ايمان بالرسل
وتصديق منهم بجميع ما انزل عليهم من الكتب فاستحضار بانه معتقد التصديق بكل رسول على الاشارة اليه
فاذا آمنوا بالرسول المبعوث والكتاب المنزل فقد اتى بزيادة تصديق على ما وجد منهم من التصديق بالجملة وجائز ان يكون
الزيادة منصرفة الى الثبات والاستقامة لان الايمان له حكم التجدد في كل وقت اذ المؤمن في كل وقت مأمور باجتناب
الكفر واذا اجتنب الكفر فقد اتى بضده وهو الايمان فاذا ثبت ان الايمان له حكم التجدد في كل وقت فاذا كان كذلك
استقام صرف الزيادة الى الثبات والقرار عليه فان ثبت في المداومة على الايمان زيادة فسمي ايمانا ولئن ثبت تسميته ايمانا في
في الكتاب ما يطلق جواز هذا كله قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فدعاهم الى الايمان بعد ما آمنوا وما
الا الثبات على ما هم عليه وقال يثبت الله الذين آمنوا وما ذلك الا الثبات على ما هم عليه وقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وقوله الايمان وقال في اية اخرى ليجزي الذين آمنوا فجعل دوامهم على الايمان واستقامتهم عليه ايمانا وقال
آمنوا فزادتهم ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فلما وجد اسم الزيادة واسم الثبات واسم الايمان فاذا كانت الزيادة منصرفة
الى الايمان فنحن نحمله على ان الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا على الزيادة في نفسه لان الشيء اذا استحق الزيادة بغيره
فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي هذا افضل
الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ومعلوم انه لم يرد به التفاضل من جهة العدد اذ هو ياتي بامثال الافعال
التي يأتي بها في غيره فكانت الزيادة منصرفة الى الكمال والفضل لا الى الزيادة من جهة العدد وكذلك قوله
صلوة في جماعة تفضل على صلوة المرء وحده بخمس وعشرين ولم يرد الزيادة من جهة العدد وانما اريد بالزيادة من
الفضل والكمال فكذلك الزيادة التي يقع للايمان من الاعمال الصالحة انما هي من جهة الفضيلة والشرف اذ الاعمال
ليست من جنس الايمان اذ الايمان هو التصديق وذلك غير موجود في الاعمال ليثبت زيادة في الوجه الذي ذكرناه
قوله تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد
الله بهذا مثلا وفي هذا الفصل كلام بيننا وبين المعتزلة فهم يزعمون ان ذلك العدد وهو عدد الملائكة جعلت محنة لاهل
الاسلام واهل الكتاب واهل الكفر والذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا به ولو تسلموا اليها لا ليكفروا بها ثم كفروا
ماذا اراد الله بهذا مثلا ولكن اذا وجد منهم ذلك القول نسب الجعل اليه لا انه خلقه لذلك الوجه وهو كقوله فالتقطه
آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فنسب اليهما الالتقاط وان كان الالتقاط لغير ذلك الوجه وكذلك
قال الله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومعلوم ان الاملاء لم يكن لازدياد
الاثم ولكن هو لما ادى اليه انما نسب الاملاء اليه وان لم يكن الاملاء لذلك الوجه وكذلك يقال في الكلام السائر
لدوا للموت وابنوا للخراب ولا احد يبني البناء للخراب ولكن مصيره لما كان الى الخراب نسب البناء اليه وان لم يكن
لذلك الوجه ويقال البس السارق ليقطع يده ومعلوم انه ليس يسرق للقطع ولكن بسرقته اذا لزمته القطع [illegible]
ما قطع نسب الفعل اليه وان كانت السرقة لغير ذلك الوجه فكذلك العدة التي ذكرت في الاية جعلت فتنة لجهة
واحدة وهي التي ذكرناها لكنه لما وجد من الكفرة ما ذكرنا نسب الخلق الى ذلك الوجه لا ان كان الجعل لذلك
ولكنا نقول لو كان الامر على زعمهم ادى ذلك الى اسقاط ربوبيته او في الحكمة ان من عمل عملا يريد غير الذي يكون
اوجب ذلك الجهل بالعواقب وجعل جاهلا في فعله ومن هذا وصفه لم يصلح ان يكون الها بل يكون جاهلا سفيها الا
انه من بني شيئا يعلم انه لا يكون كان ذلك منه عبثا واذا كان فعل الضد كان جاهلا حكيم فاذا ثبت هذا نقول الارادة من الله
من الكافر فعل الكفر كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطأ او العبث فثبت ان الله تعالى شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم
فاذا علم من حيث ان يؤثر الضلال على الهدى فخلقه شاء له الضلال واذا علم انه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه له
وهذا والله [illegible] فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فاخبر انه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا الا انه كان

الالتقاط منهم لتلك الوجبل لو علموا انه يصيبهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي اليه العاقبة فالتقطوه
رجاء ان ينتفعوا به ولا يجوز ان يخفى على الله تعالى عاقبة الاشياء فيكون فعلا في الابتداء لغير ذلك الوجه وتوهم
فانبو الحوار بعينها يتكلم به في موضع التذكير والكناية لئلا يحرص المرء في بنا الاجنبية بل يعرض عنه ولا يجوز ان يخفى على الله
امر فيخرج الامر مخرج موضع التذكير فيتناسا على التحقيق والله الموفق ثم قوله وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا اراد الله بهذا مثلا فالمثل ثم يعني البيان كقول القائل امثل للشيء كذا ثم بين ذلك ثم قوله
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء * فهذا كله تفسير قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية
اي يضل به من كان في علمه انه يختار الضلال او يختار الضلال وهو ان ينظر في آيات الله تعالى بعين الاستهزاء و
الاستخفاف ومن كان ينظر في آيات الله ما ذكرنا اضله الله تعالى دونا دعوة عنايته ومن نظر في آياته بعين الاسترشاد والاستبصار
واستقبلها بالتبجيل والتعظيم لها وفعل الله تعالى من علمه بالهداية وهو كقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ويجوز ان ذلك تعالى الموفق وقالت المعتزلة قوله كذلك يضل الله من يشاء
اي تسميته ضالا او يحكم عليه بالضلال اذا ضل لا ان يكون الله تعالى يضله ويشاء ضلاله فيقال لهم ذلك الله تعالى
يريد ان يؤمن به وذلك اراد به في كل احد عندكم فتسميته اياه ضالا وحكمه عليه بالضلال وهو يريد ان يهتدي
منه وفيه تحقيق كذب من حمل الله تعالى عن الحقيقة ووصف الجوهر بفعل الا ان ينسب الى الكذب وقال ابو بكر الاصم يا ويله ذاته
نصب علم يتعالى من سلكه قضى به الهداية ومن زاغ عنه ضاد الى الضلال ولا يتهيأ لاحد من الخلق ان ينصب مثله فيقول
لو كان التاويل على ما زعم لكان حقه ان يقال كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء قلنا ان شاء ومن يعتمد به
على الاستحاص العقلا لا يعني الظريف لا يعقل شيئا الذي قال المجيب بشيء يعتمد عليه ثم الاصل ان قوله يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء من صفات الربوبية وبما استحق الرب الفعل الحميد يتعالى لم يكن فانهم ما قد كان ولم يرد
كونه ما علم انه يكون سقط الامتداح وخرج من ان يكون من صفات الربوبية فثبت ان الله تعالى شأنه لكل من توهم ذلك
انه يكون منهم ثم قوله وما يعلم جنود ربك الا هو فالجند هو اسم للجماعة ينتقم بها وينتصر بها وجائز ان يكون
قوله وما يعلم جنود ربك منصرفا الى الملائكة الذين هم اصحاب النار بعينها لا يعلم جنود ربك اي لا يعلم جنود ربك ولا يعلم
هؤلاء الجنود وبطشهم وهيبتهم الا هو ثم لا يجوز ان يكونوا سلطوا على تعذيب اهل النار على جهة الامتحان كما
امتحن بعضهم بايصال التحف والكرامات الى اهل الجنة كما امتحن بعضهم في الدنيا بعضا بالاوجاع وبعضهم
باستنزال الامطار وغير ذلك وجائز ان يكون تسليطهم على اهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم لانهم يلتذون
بما يعذبونه اهل النار وينتقمون من اعداء الله لان المؤمن يتسلى الى وصول الحد الانتقام من عدوه وعدو الله ويحتمل
ان يكون قوله وما يعلم جنود ربك اي وما يعلم كثرة جنود ربك الا هو ويحتمل وما يعلم السبب الذي به يجعل الجنود
تصلح للاستعمال الا هو اذ هو القادر على ان يجعل اضعف شيء من خلقه جندا ينتقم من اعدائه كما في قصة البعوض
في نمرود وفي ذلك بارسال الطير الى اصحاب الفيل وتمطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك ثم يحتمل
ان يكون قوله وما يعلم جنود ربك الا هو اي لا يعلم الذي يتخذه الله تعالى جندا للانتقام من الاعداء الا هو لانه
انتقم من بعض الاعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح واهلك بعضا منهم بالريح والحر هما جنود الله عليهم
واهلك بعضهم منهم بالخسف فيكون في هذا الجانب من حلول النقمة والسخطة ثم قوله وما هي الا ذكرى
للبشر فجائز ان يكون منصرفا الى السقر انها ذكرى للبشر موعظة وتذكير لهم ما اليه مرجع من يعصي ربه وجائز
ان يكون منصرفا الى العدة الملائكة ثم قوله كلا قيل حقا وقيل هو على الردع والتنبيه ثم قوله والقمر والليل اذا
ادبر والصبح اذا اسفر فهذا في موضع القسم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد ما اقسم عليه بالذكر وادبار الليل
مجيء النهار فجائز ان يكون ذكر آخر الليل يقتضي ذكر اوله لما آخر الليل يقتضي ذكر اوله وذكر اول النهار يقتضي
ذكر النهار كله فيكون القسم بهما قسما بالليل كله وبالنهار كله ثم الليل اذا اقبل عملت ظلمته في ستر الاشياء
كلها بساعة لطيفة وكذلك النهار اذا اقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلق في جملة بساعة لطيفة ما لو اجتهد الخلق
في جميع عمره وانظار الحيل في ذلك الاشياء لم يمكنه ان يجليها لم يتمكن منه واذا كان لليل من السلطان ما ذكرنا
ولاقبال النهار من الاثر ما ذكرنا وكان الله تعالى ذكرنا امرهما شاهدا عيانا ولو اديم معرفة ما فيهما من الحكمة انه
متى ما صلح ان يكون الليل ساترا عن ذلك عن الاشياء واستقام ان يكون النهار مزيلا للستر لم يتعذر عليه ان يكون
فيما بانه انه لم يجب انكار كل ما لا يوصل الى درك الحكمة منه بالعقول والآراء فيكون فيه ايجاب التصديق بالآيات
التي جاء بها الرسل وان كان فيها ما لا يوقف على الحكمة المجعولة فيها بالآراء وفي ان منشئ النهار والليل واحد لانه لا
يجعلهما تحت سلطانه ويدبره ويحكم فيهم بما يشاء ويفعل ما يريد وجائز ان يكون القسم منصرفا الى الوصف الذي
وقع عليهما الذكر وهما ادبار الليل واسفار الصبح فيكون فيهما ما في الاول وقوله اسفر اي اضاء وانتشر وقوله اذا ادبر

ادبر

او ذهب وحكي عن الكسائي انه قال ان دبر لغة قريشية يقولون ذهب كامس الدابر ويقولون دبر في الايام و
الشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك لا يقولون دبر الرجل ودبر الامر ولكن يقال ادبر وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه اذا ادبر وفي بعض الحروف اذا ادبر وفي حرف اذا ادبر ثم قوله انها لاحدى الكبر قيل يعني السقر
منازل لاهل النار دركات وفي جهنم دركات والسقر احدى دركاتها وهي لون من الوان العذاب تضاد تسمى من احدى
الكبر ثم قوله نذيرا للبشر فمنهم من صرف النذارة الى السقر ومنهم من صرفها الى الرسول وهو كقوله وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا ومنهم من قرا لينذر باليا وصرف النذارة الى النبي ومنهم
من قرا بالتاء وصرفها الى القرآن ثم الاصل ان ما اخرج مخرج الافعال مضافا الى الاشياء التي ليست لها افعال
فهو يقتضي من احد وجهين اما ان كانت الاحوال التي يقع لهم لما لم يكن تلك الاشياء لم تحدث تلك الاحوال او معنى
ان يكون علة لها فنسب اليها اذ صارت سببا لحدوث تلك الاحوال وهو كقوله وغرتهم الحياة الدنيا لانه
احد ولكنهم اغتروا بزينتها فنسب اليها الغرور لما كانت سببا لتغريرهم والناس انما انساق على هيئته
لو كان لتغير اهل التغرير كانت نسبت اليها الغرور لذلك وقال في قصة ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا
من الناس والاصنام ليست ممن ينسب اليها الاضلال لانها لا تضل احدا ولكن عبادها ضلوا بها فنسب الاضلال
اليها وهي نصبت على صورة لو كانت لها افعال لكان يقع منها الاضلال فنسب اليها الاضلال على الوجه الذي
ذكرناهما فكذلك النذارة اضيفت الى النار وهي لا تنذر ولكنها يقع الانذار بها ثم انها خلقت على هيئة لو كانت
من اهل النذارة لكانت نذيرا والله اعلم ثم قوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قيل هو على التهديد كقوله
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فذلك مما يكون على اثر المبالغة في العظات والتذكير على احسن الامور وقد بالغ
ذلك في هذه السورة ثم بين عواقب الامور للعباد ثم قوله ان يتقدم او يتاخر قيل ان يتقدم الى طاعته او يتاخر عنه
الى معصيته ثم الاصل ان المرء جبل على حب المنافع لنفسه والخيرات وعلى بغض الشرور والمضار ومن حب شيئا
طلبه ومن ابغض شيئا اجتنبه وهرب عنه واذا طلبه تقدم اليه واذا هرب عن شيء تاخر عنه فكنى عن الطلب بالتقدم
وعن الهرب بالتاخر فيتناول ذلك ان من شاء منكم ان يتقدم الى طاعة الله لان طاعته تجره الى المنافع في الآخرة وتجلب
اليه المحاسن او يتاخر عن طاعته اذ في الآخرة يتخلف عن طاعته انقطاع النفع عنه اليها وانواع الشرور وجائز ان يكون
قوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر معناه ان يتقدم او يتاخر بتخليق الله فعل التقدم والتاخر منه فيكون فعلا
له مكتسبا لوجوده في حيز قدرته وخلقا لله فيكون مثل قولنا الا حجة علينا في اضافة التقدم والتاخر الينا
والله الموفق ثم قوله كل نفس بما كسبت رهينة تاويله والله اعلم كل نفس في الآخرة رهينة بما كسبت
في الدنيا قد رهنته اي خلقه وفي هذا دليل على ان الرهن يحبس عند المرتهن على الدوام ويغلق ولا يكون
لصاحبه ان ينتفع به ومن قبل قبض الحبس لانه محض الدين وغيره دلالة ان الرهن اذا هلك هلك بما فيه
لان الانفس تهلك فيما حل بها من العذاب كذلك الرهن حبس لاجل الدين واقيم مقامه فيكون هلاكه بالدين
والله اعلم ثم قوله الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون اصحاب اليمين هم الذين وصفهم الله تعالى
في موضع آخر من اوتي كتابه بيمينه فاستثنى اصحاب اليمين من جملة المرتهنين لانه ذكر الرهون بلفظه بغير تعريف الجنس
وهو قوله كل نفس فاستقام استثناء الجماعة من تلك الجملة ثم اصحاب اليمين قد سبقت منهم الاعمال التي
يستوجبون بها الاطلاق من الحبس لان المجرمين صاروا مرهونين بجرائمهم واصحاب اليمين قد اكتسبوا الجنة
بعملهم الصالحات الاعمال الصالحة جعلها الله تعالى مكفرة للمساوئ والاجرام لقوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ثم قوله في جنات يتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر اي اهل السقر لم يتساءلوا بل يسأل عنهم غيرهم الا على جهة الامتحان فالى المجرمين
يتساءلون المجرمون فثبت ان الظاهر يقتضي ان يكون المخاطبون غير المجرمين لذلك قلنا انه حق مثله
ان يقال ما سلككم في سقر لكنه يحتمل ان يكون قوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والاسقاط فيرتفع
ترتفع الريب والاشكال كانه قال في جنات يتساءلون المجرمين فيكون فيه تثبيت اذ اهل السقر هم
الذين خوطبوا بالسؤال وجائز ان يكون اهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن مكان المجرمين من مكانهم واين هم
فيطلعون عليهم فيسألونهم ما سلككم في سقر فيقولون ما ذاك لم نك من المصلين الى آخر الآية الا ترى
الى قوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم فثبت انهم يطلعون على اماكنهم واذا رأوا سألوهم عن ذلك يعني جرمهم
في سقر فاجابوا بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين
وكنا نكذب بيوم الدين والاصل ان الافعال التي يتعلق جوازها بالايمان اذا اضيفت الى من ليس من اهل
الايمان لم يرد بها القبول واذا اضيفت الى اهل الايمان اريد بها اعين تلك الافعال التي تدل على هذا

هو الكافر فيسأل عن سبب إدخاله سقر إذا كان مكذبا بيوم الدين وإن أقام الصلوة وأطعم المسكين وأتى الزكوة ولو أتى
الزكوة وأقام الصلوة وأطعم المسكين لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الإيمان فثبت بذلك أن ذكر هذه الأفعال
إنما أتى بها على سبيل التبع والإخبار بها تدل على صحة ما ذكرنا قوله وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله
قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين فثبت أنهم جحدوا أن يكون
عليهم إطعام فدل أنه أريد بذكر الإقامة قبولها لا وجود عينها وعليهم أن يقبلوا إقامة الصلوة ويقروا
بإيتاء الزكوة وقد يجوز أن يذكر إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة ويراد بهما القبول قال الله تعالى وإن تابوا وأقاموا
الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ولم يكن إيجاد الإقامة وإيجاد الإيتاء من شرائط التخلية بل كان معناه
على القبول فإذا أقروا بالصلوة وقبلوا إقامتها وأقروا بالزكوة لزم تخلية سبيلهم وإن لم يوجد منهم الفعل
بعد فلذلك صلح حمل التأويل على القبول ولم يحمل على وجوب تحقيق الفعل لما ذكرنا فإذا ثبت
أن تأويل قولهم لم نك من المصلين منصرفا إلى الصلوة المفروضة فكيف يحتمل أن يكونوا من المصلين المحمودين
ههنا إلا أن أهل الصلوة هم المسلمون يقال الجمع أهل الصلوة هم المسلمون يقال الجمع أهل الصلوة على هذا
ويعني به المسلمون ثم إنه تعالى جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلوة وترك الإطعام مع
والله أعلم تحتمل وجهين أحدهما أن الذي يقر بالصلوة والإطعام وإيتاء الزكوة هو الذي يقر بيوم الدين
لأن المرء إنما يرغب في فعل هذه الأشياء لما يطمع من المنافع في العواقب ويتقي تركها مخافة التبعة
في العواقب فإذا لم يقر بيوم الدين لم يرج المنافع ولا خاف المضار فيحمله ذلك على ترك الإطعام وتضييع الصلوة
وعلى ترك إيتاء الزكوات وعلى جحودها كلها وعدم قبولها وهو كقوله أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي
يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين لعدم رجاء العوض فإذا لم يرج لفعله عاقبة لم يهمه الاستصلاح
لليتيم ولا اهتم بإحسان المسكين بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجفاء على اليتيم وترك الإحسان إلى المسكين
فلذلك جمع في الذكر بين يوم الدين وبين ترك الصلوة إلى المسكين فلذلك جمع في الذكر بين يوم الدين
وبين ترك الصلوة وإيتاء الزكوة وترك الإطعام ويجوز أن يكون الذي حملهم على التكذيب بيوم الدين
هذه الوظائف التي وظفت عليهم بالإسلام لأنهم إذا آمنوا بيوم الدين لزمهم تحمل هذه الأعمال والأعمال
من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة وإطعام المساكين وصيام شهر رمضان وغير ذلك من العبادات واشتد عليهم
وتركوا الإيمان بها لئلا يلزمهم تحمل هذه الأعمال التي حملها أهل الإيمان. قوله تعالى وكنا نخوض مع
الخائضين فالخائض هو الذي يخوض في الباطل وقوله حتى أتانا اليقين أي حتى أيقنا أنا كنا على باطل
فيما كنا نخوض فيه. قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه أن لا شفيع لهم والأصل أن الشفاعة
إذا أضيفت إلى أهل الكفر فقيل ليس لهم شفعاء أو لا ينفعهم شفاعة الشافعين اقتضى نفي أن لا شفيع
لهم وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان اقتضى نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء ولم يقتض نفي الشفاعة كما
ذكرنا أن الأفعال التي يكون قبولها بالإيمان إذا أضيفت إلى الكفار فهي تقتضي نفي القبول وإذا أضيفت
إلى أهل فهي تقتضي نفي الفعل كقولنا بأنه إذا قيل لا شفيع لفلان يريد أهل الإسلام فهي تقتضي نفي
الانتفاع ولا تقتضي نفي الشفاعة فذلك ينصرف عندنا إلى أهل الاعتزال والخوارج لأنا نرى أصحاب
الكبائر من أهل الإسلام مستوجبين الشفاعة وهم يقولون لا يجوز في حكمة الله تعالى أن يعفو عن أصحاب
الكبائر بل يخلدهم في النار لأن الله تعالى أوعد النار لمن يرتكب الكبائر وأخبر أنهم يخلدون فيها فلو
أن يقع في وعده خلف ويتحقق في خبره كذب فلم يستوجبوا الشفاعة ولولا أنها المغفرة من ربهم
لصار وعده مخلفا وخبره كذبا فمن قال هكذا إذا ارتكبوا الكبائر لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة
أبدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار فيرتفع ما يثبت الكذب وينفي ما يوجب خلف الوعيد لأنهم اعتقدوا
التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب أن يكون نفيهم بزعمهم على ذلك إلا أن الله تعالى كما بدأكم تعودون
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فلا يجوز أن يحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب إذا بعثوا
احتج فريق منهم بنفي الشفاعة في الآخرة بقوله فما لنا من شافعين وبقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا
مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وبقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة وزعموا أن شفيع كل امرئ منهم عمله يومئذ فمن حسن
عمله نجاه ومن ساء عمله حق عليه العذاب ولم يكن له شافع ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الآيات
الظاهرة لوجب تحقيقها بقوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وبقوله يومئذ
لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا إذ في هاتين الآيتين إثبات الله تعالى مرادنا بالشفاعة يومئذ

للبعض فثبت أن ما ذكر من نفي الشفاعة لم يقتض نفيها على الإطلاق بل النفي انصرف إلى بعض الخلائق
ووجب القول بثبوتها للبعض ثم جاءت الأخبار مفسرة على إيجاب القول بالشفاعة لأهل الكبائر فثبت
أن ما ذكر من قوله فما لنا من شافعين وقوله ولا خلة ولا شفاعة منصرف إلى أهل الكفر وبه نقول لو لم نعتبر
من تحقيق الشفاعة ولكنه يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة في الدنيا وهم الذين ذكرهم الله في
كتابه ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فأما
أصحاب الكبائر فإنه لكي لا يرى لهم شفاعة لأحد بل يخلدون في النار فيقال لهم فأية منفعة تحصل للذين تابوا
واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد الجنان فالمنفعة بها
أنه يعظم قدرهم عند الله ويستوجبون بها فضل الله في الدرجات كما يرى المرء الشاهد يذكر أخاه عند الملك
بحسن الثناء ويذكره بما فيه من المناقب والمحاسن ويبتغي بذلك إعلاء منزلته وإعظام قدره عندهم
ليعظموه ويجلوه وكذلك الشفعاء في الآخرة يشفعون عند الله تعالى في أوليائه حين الترفع في درجاتهم
وتعظم منزلتهم عند الله تعالى والجواب أن هذه الزيادة في الدرجات ليست إلا الوصول إلى فضول الشهوات
وفضول الشهوات والزيادة في اللذات لا تذكر في المنافع إذ لا حاجة لهم إليها هو في حق الفضل من
الشهوات فيكون نفعا لهم ما دفع الحاجة والوصول إلى المنفعة ومعلوم أنهم إنما طمعوا في الشفاعة لما
يحصل لهم بها من منفعة وإنما تحصل لهم بها المنفعة إذا وقعت لهم الحاجة وأهل الكبائر هم الذين
تمسهم الحاجة إليها فأما الذين تابوا فإنهم قد استغنوا عن الشفاعة لذلك وجب القول بتحقيق
الشفاعة في أهل الكبائر ولأنا استدللنا بما ذكرنا من الشاهد فليس يحكم من القول إلا أن المرء إنما يذكر
أخاه بالجميل وينظر بما اشتمل عليه من خلال الخير عند الملوك لجهل الملوك بحاله ولا يجوز أن يكون الله تعالى
يخفى عليه حال العبد وما هو عليه من خير وشر ولا باطنه حتى يحتاج أن يعرف بعرفه حاله فبطل أن يكون الشفاعة
للوجه الذي ذكروه وثبت أنها للوجه الذي ذكرناه ثم العفو والصفح عن أجلاء العقوبة فمن همنا أن معاصيهم التي
استحقت منهم في الشفاعة فيما بين الخلق أمر معهود أنها يكون عن زلات يستوجب بها العقوبة والمقت
فيعفى عن ذلك بها بشفاعة الأخيار وأهل الرضى وأتباع الموفق. قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين فجائز
أن يكون تأويله ما لهم معرضين عن ذكر ما هم عليه وعما أنعم الله عليهم ومنعهم عن ذلك يكون ذكرهم
ونحو القرآن لأن كل واحد منهما يذكر المرء ما له وما عليه والله أعلم ويحتمل أن يكون تأويله فما لهم عما يرفعهم
ويذكرهم ويصيرون به متذكرين في أمور الآخرة معرضين وذلك يكون في طاقته والإقبال عليه والعباد
وهو كقوله لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم معناه أنكم تصيرون به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه
ولم تضيعوا حرمته. قوله تعالى كأنهم حمر مستنفرة بنصب الفاء وخفضها فمن قرأه بخفض الفاء
صرف الفعل إليها كأنه يقول حمر نافرة ونفر واستنفر واحد كما يقال استسخر القوم أي سخروا
ومن قرأ بنصب الفاء فتأويله أنه تفعل بها ما يحملها على النفار ثم ذلك يكون بالرمي وبالقانص وبالأسد
كما ذكر أهل التفسير. قوله تعالى فرت من قسورة هي الأسد أو الرماة أو الصياد وقيل هي النفوس كأن هذا
تشبيه بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار. قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة
قال بعض أهل التأويل إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل في بني إسرائيل كان إذا أذنب ذنبا أصبح ذنبه في
صحيفة معلقة على باب داره أو مكتوبا على جبهته إنك أذنبت كذا وزاد بعضهم إنك أذنبت كذا وتب
كذا فسألوا النبي أن يجعلهم كذلك فأخبر الله تعالى ذلك عنهم ثم يئسهم عن ذلك فقال كلا أي لا ينالون
ما تأملون وقال قتادة قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فأت كل واحد منا بصحيفة خاصة إلى فلان بن فلان
تأمرنا فيها باتباعك وقيل سألوا أن يؤتوا ببراءة يعني من العمل ولكن لا يجب قطع الأمر إلى واحد من هذه التأويلات
بل يقال بها على جهة الإمكان والاحتمال لأن هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا أولئك القوم الذين صدرت
منهم هذه الإرادة ليخبروهم ماذا أرادوا به حتى يستند ما ذكروا من القصة والأخبار إلى ما تواترت أخبار
نوعيها الحجة أن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم سألوه ذلك لذلك لا يستقيم قطع الأمر على ما ذكروا وجائز أن يكون
هذه الإرادة تحققت في بعض الكفرة وهم رؤساؤهم منهم والأكابر لا أن أراد كل في ذاته نفسه أن يؤتى
صحفا منشرة والإرادة ههنا عبارة عن الطلب ثم طلبهم ما ذكر يتوجه إلى أوجه ثلاثة أحدها أن يكون
كل واحد منهم عظماؤهم دون أن يكون هو المخصوص بإنزال الكتاب عليه كما قال في آية أخرى وإذا جاءتهم آية
قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله فيكون ذلك في هذا إظهار استكبارهم على رسول الله وجائز
أن يكون في طلبهم هذا من رسول الله على جهة التعنت والعناد ليصير ذلك آية لهم في تحقيق رسالة النبي

كما قال تعالى حكاية عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه ففي هذه الاية ابانة انهم كانوا يطلبون ان ينزل الكتاب عليهم ليتعرفوا به رسالة محمد وكان ذلك
على جهة التعنت والعناد والا لو تفكروا في حال الداعي لهم ذلك الى العلم برسالته من غير ان يحتاجوا الى
رسالة تجيئهم بنزول عليهم والله اعلم وجائز ان يكونوا رأوا اكابرهم احق بالرسالة من رسول الله وبان ينزل
الكتاب عليهم والله اعلم وجائز ان يكونوا رأوا اكابرهم احق بالرسالة من رسول الله وفي ان ينزل الكتاب
عليهم اذ رأوهم افضل من رسول الله الا ترى الى قوله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
وقال في اية اخرى ان يطلبوا لذكر من بيننا فارادوا ان يؤتوا صحفا منشرة لهذا المعنى اذ هم رأوا انهم احق
بهذه الفضيلة وانما ذكرنا هذه التاويلات في هذه الاية لان هذه المعاني التي ذكرنا مما قد ظهر منهم
بمتلو القران والتاويلات التي ذكرها اهل التفسير لا يستقيم تثبيتها من جهة الكتاب ولا من جهة الاخبار
عن رسول الله فصارت هذه التاويلات امثل وامكن بالاية من غيرها والله اعلم وقوله تعالى كلا بل لا يخافون
الاخرة ففي هذا ان الذي حملهم على الطلب بان يؤتى كل واحد منهم صحفا منشرة اعراضهم عن الايمان
بالاخرة والا لو امنوا بها لكان ايمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت وعلى قبول الحجج
على رسول الله ويدعوهم الى الاذعان للحق وقوله تعالى كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره سنذكر معنى
الاية في سورة عبس وتولى وسنذكر معنى قوله وما يذكرون الا ان يشاء الله في سورة اذا الشمس كورت وقوله تعالى
هو اهل التقوى واهل المغفرة فاهل التاويل صرفوا قوله تعالى هو اهل التقوى الى الله وجائز ان
يصرف الى البشر فان كان المراد من قوله هو اهل التقوى البشر فيكون معنى قوله هو اهل التقوى اي الذي نعوم
بالذكر الا ترى الى قوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فجعل الذين الزمهم كلمة التقوى من اهل
التقوى وان كان المراد من قوله هو اهل التقوى هو الله سبحانه وتعالى فتاويله ان الله تعالى اهل ان يتقى العقوبة
وال له في حقوق له والوجه فيه ان المرء في الشاهد انما يتقي الى الغير الى آخر لاحد خصال الثلاث احدها
لما يرى من افتقاره وحاجته اليه فيتقي العترة اليه اجلالا وتعظيما او يتقي ذلك لما يرى من كثرته وسلطانه
على الانتقام منه او يتقي له لكثرة نعمه واياديه استحياء منه وقد كانت هذه الاشياء هي الداعية الى الاتقاء
ثم الخلائق باجمعهم مفتقرون محتاجون الى الله تعالى وله القدرة والسلطان عليهم وهو المنعم المفضل على
كل احد فهو اهل ان يعظم ويوقر وان يخاف نقمته ويستحيى منه ومن ان يعصى فصار اهلا لان يتقى وجائز ان يكون
معنى قوله هو اهل التقوى اي هو اهل بان يتقى لعنه ما يتقى النار وعما يدفع به كيد الشيطان لان الله تعالى امرنا
بالاتقاء من النار بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين وبقوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم
نارا ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فبين ان الاتقاء
ان يفزع الى الله تعالى ويتضرع اليه ليقي بفضله ورحمته وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فامرنا
بالمناصبة مع الشيطان والمحاربة واخبر ان محاربته ان يفزع الى الله تعالى بالاستعاذة بقوله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال في اية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية فهو اهل
ان يطلب منه ما يتقى به واهل ان يستعاذ به ليدفع كيد العدو واهل المغفرة اي اهل ان يطلب منه المغفرة جعلنا
الله تعالى عز وجل من اهل التقوى والذين من عليهم بالمغفرة والله المستعان واليه ترجع الامور

سورة القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة
اختلف فيه اهل التفسير منهم من ذكر انه اقسم الله تعالى بيوم القيمة ولم يقسم بالنفس اللوامة ذكر ذلك عن الحسن ويكون
معناه لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة لكن ذكر عنه انه يقول في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد وعلى الوالد وهو ادم وما ولد جملة اولاده فاذا كان القسم
جائزا بالوالد وبالمولود جميعا كانت النفس اللوامة داخلة في جملة المولود فقد اقسم بالنفس اللوامة عنده
فلا معنى للرد ههنا ثم موقع القسم في قوله لا اقسم وتاويله نذكر في قوله لا اقسم بهذا البلد في سورة نذكر
فيها الكبد ومنهم من ذكر ان القسم وقع بهما جميعا ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ثم صرف بعض اهل التاويل
معنى القسم الى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وجعله موضع القسم فان كان على هذا فالاشكال عليه
ان يقول قائل كيف اكد امر البعث وجمع العظام بالقسم بيوم القيمة وقد جرى بين القوم الذين احتج عليهم بهذه الاية

الاية

الانكار بيوم القيمة وكذلك القسم في شيء [illegible]
الحكمة التي توجب البعث والبعث [illegible] خلق هذا العالم مخرج الحكمة ولكان
البعث كان خلقه عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون [illegible]
الداعية الحكمة الى القيمة [illegible] بالدلائل والبراهين التي من تفكر في
النظر فيها [illegible] بالبعث واذا كان هذا احتمل ان صح القسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة لان التفكر
في النفس اللوامة والاعتبار بها يدعو الى القول بالبعث [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لمن الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة عليها استوجب بعمله فضلا منه وانعاما فكيف يلوم نفسه بتقصير ما
في العمل وهو يعلم انه لم يصل الى ما ينال من الكرامات بعمله بل بفضل الله وكرمه وقوله تعالى
ايحسب الانسان الن نجمع عظامه فقوله ايحسب الانسان وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر فليس هو
باستفهام ولكنه تحقيق حسبان من الانسان ثم الذي حمله على الحسبان هو ان العظام لا تنتهي
الى هذا فاذ جمع العظام وتولف بعد تفرقها وتلاشيها فيبني حسبانه هذا بعقله قل يحييها الذي انشاها
اول مرة في تفكر في النشأة الاولى علم ان القدرة تنتهي الى جمع العظام بعد ان صارت رميما فان الذي
قدر على انشائها القادر على جمعها بعد تفرقها وجائز ان يكون حسبان العظام لا تجمع بعد تفرقها لانها لو
بعد التفرق لم تكن تفرق بعدان وحيث مجموعة الا ترى ان المرء في الشاهد لا يقصد الى نقض ما يبني ليعيد مرة
اخرى الى الجهة المتقدمة ومن فعل ذلك كان عابثا في فعله ولم يكن حكيما فان كان هذا المعنى هو الذي حمله على الحسبان
فجوابه ان يقال بان الجمع الاول وقع لمكان المحنة والابتلاء والجمع بعد التفريق لمكان الجزاء فاذا كان الجمع الثاني
لنيل الوجه الذي لم يقع الجمع الاول له كان صحيحا مستقيما وانما يخرج عن حد الحكمة اذا لم يكن الاعادة الا
التي كان له وقع الابتداء الا ترى ان الذي نقض بناه اذا اعاده لا للوجه الذي كان بناه ولا لم يكن عليه فيما ذكرنا
رد قول الباطنية لانهم يزعمون ان هذه الانفس لا تبقى وتتلف فلا تبعث وان البعث يقع على الانفس التي
فلو كان كما زعموا لم يكن كقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه معنى لان العظام لا تجمع على قولهم
بعد ما صارت رميما فيكون الاجزاء على ما وقع حسبان هذا الانسان ولا معنى للرد عليه بقوله بلى قادرين
على ان نسوي بنانه الا ترى ان الذي حمله على الانكار لجمع العظام بعد تفريقها هو انه لم ير هذا موجودا في الشاهد
ولو كان الامر على ما زعمت الباطنية لكان الانكار متوجها اذ وجد النفس الروحانية مبعوثة في الشاهد
بعد توفيها وقال تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاخبر ان الانفس التي انشاها اول مرة هي التي يحيى
لا غير وقوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه فمنهم من حمل هذه الاية على الابتداء وزعم انه ليس بجواب لما
يقتضيه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ومنهم من جعل قوله بلى جوابا لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
فاكتفى بقوله بما استوفي منه من الدلالات والحجج على القول بالبعث فنص على قوله بلى على الوصل بما تقدم من الكلام
ومنهم من جعل جوابه في قوله قادرين على ان نسوي بنانه فمعنى تسوية البنان هو الجمع من عظم واحد مجموعا غير
متفرق مثل خف البعير وحافر الدواب ووجه الاستدلال لانهم اقروا بان الله تعالى قادر على تسوية البنان
لما رأوا التسوية موجودة في الدواب ثم الجمع بعد التفريق لم يروه موجودا وليس فعله من تسوية البنان الا ترى ان
في الشاهد قد يقدر على الجمع والتاليف بين اشياء متفرقة ويعجز عن تسوية البنان واذا كانت التسوية

اعسر وجودا من الجمع بعد التفريق وصفوا الله تعالى بالقدرة على تسوية البنان فكيف انكروا القدرة على جمع العظام بعد تفريقها تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من يقول بان تسوى البنان تسوى بنان الانسان وتسوى بين بنان الدواب ليصل الى الاخذ والاعطاء والى التقديم والتاخير والقبض والبسط وانواع المنافع التي خص بها من يحق ما يكون بالبنان تسمى الدواب والانعام علم بالتفريق بين الدواب وبينهم على ان البشر هم المقصودون بالمحنة وان لا يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يستاديهم شكر ما انعم الله عليهم وقد تمن البعض ويعصي البعض لا بد من دار اخرى للمجازاة والنظر في هذا يحملهم على القول بالبعث والجزاء لان الاستواء يقع في الابتداء والجمع بعد التفريق يكون عند الاعادة والعقول تستهدي على ان امر الاعادة ايسر من امر الابتداء فاذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فانى يتعسر عليه اعادة الجمع مع قدرته على الجمع في الابتداء ولانهم لما لم يخلقوا مستوى البنان ليعلموا ان في ترك الاستواء حكمة فلو كان الامر على ما قدروا ان لا بعث لكان ذلك يخرج عن حد الحكمة فيكون فيما ذكر تثبيت البعث والقول بالقدرة على جمع العظام بعد تفريقها وتسويتها والله اعلم

قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه قال اهل التفسير يوخر التوبة ويقدم المعصية ويقول سوف اتوب فياتيه الموت على شر حاله وعندنا يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون ذكر الارادة لا على تحقيقها ولكن من فعل شيئا فعله على الارادة والاختيار يكنى بالارادة عن الفعل لانها تقترن بالفعل فتكون في ذكرها ذكر الفعل وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فلم يظن احد من الكفرة ان السماء والارض خلقتا باطلا ولكن خلقهما لا يخرج على الحكمة الا بالبعث والجزاء ففي ترك القول بالبعث وصف بان خلقهما العبث والباطل وهو يؤدي الى هذا فيصير كانهم قالوا ذلك وظنوا كذلك فحمل هذا لحال الامر على الظن لا انه وجد منهم الظن في الحقيقة فكذلك الارادة لما فعل الفجور كان فعلهم على الارادة والاختيار فكانهم ارادوا ان يفجروا امامهم لان كانت الارادة منهم محققة لذلك مقصودا ويجوز ان يكون ذلك على تحقيق الارادة وذلك ان للشر والفجور سبلا من سلكها افضته الى ان يستحق اسم الفجور وللخير سبلا من سلكها افضته الى ان يستحق اسم البر والتقوى فلما صار الى الفجور والى انواع الشر وسلوكه تلك السبيل فصار من هذه الجهة ثم قوله امامه يحتمل وجهين احدهما فيما يقع من عمره لانه يترك الخير ابدا والاسترشاد ويمضي على العادة التي عود نفسه على ذلك من الشر وترك الصلاح ويحتمل ان يكون الامام هو يوم القيمة ثم قال في موضع ويذرون وراءهم يوما ثقيلا فسمى ذلك اليوم بالامام والوراء جميعا فيكون قوله وراءهم اي وراء الاوقات التي خلفوا ومضت فعلى اعتبار الاضافة الى الاوقات الماضية يكون يوم القيمة وراءها وعلى اعتبار الاضافة الى ذات الفاجر يكون امامه لانه يكون امام هذا الفاجر فلذلك استقام بالوصف بالامام والوراء جميعا ثم ذكر الفجور ولم يذكر الكفر فان كان الانسان الذي يريد ان يفجر امامه كافرا لان في ذكر الفجور فلم يذكر الكفر فان كان الانسان الذي يريد ان يفجر امامه كافرا فذكر الفجور تعييرا وتشنيعا اذ هو اسم للتعيير خاصة وليس في نفس الكفر تعيير اذ كل احد مؤمنا كان او كافرا مومن بشيء كافر بشيء فالكفر من حيث الاسم لم يصر تعييرا بل بمعناه ما قبح فكان الفجور ابلغ في التعيير من الكفر فسمي به والله اعلم وقال ابو بكر معنى قوله بل يريد الانسان ليفجر امامه اي يريد ان يفجر بان يوم القيمة ويعلم بان صحت تفسيره على ترك قوله يسأل ايان يوم القيمة اي يريد ان يعلمه يسأل متى هو فاجابه بما يقع اذا برق البصر وخسف القمر والله اعلم

قوله تعالى يسأل ايان يوم القيمة سؤاله هذا سؤال التعنت والاستهزاء لما ذكرنا انه ليس في تعرف وقت كونه مرجو ولا مرهوب وانما يقع الزجر والرغبة بتذكير الاحوال التي تكون في ذلك اليوم فلذلك ذكر الاحوال التي تكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم على ذلك الوقت فيكون ذلك في معرفة وقت كونه حكمة في تجنيبهم رسول الله جواب مسئلتهم

قوله تعالى فاذا برق البصر قيل دهش وتحير ثم اختلف بعد هذا فمنهم من صرف هذا الى حالة الموت ومنهم من ذكر ان هذه الاحوال تكون يوم القيامة والى اي الحالين صرف التاويل فهو مستقيم لان المنكر للبعث اذا جاءه باس الله تعالى ورأى ما حل به من الاهوال ايقن بالبعث وعلمه ثم ان كان المراد به حال الموت فقوله فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يخرج على التمثيل ليس على التحقيق لانه يصير اذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصره وحوله ولا يبصر قلبه لانه يصير القمر في عينه كالمنخسف وتصير الشمس والقمر كالمجموعين فلا يرى ضوء الشمس ولا يجد القمر فيصير النهار عليه كالليل لما اشتد بما حل به من البلايا والاهوال وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المومن وجنة الكافر والاخرة جنة المومن وسجن الكافر وقال عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فصيرنا تاويل هذين الخبرين الى حال الموت وذلك ان الكافر يعاين في ذلك الوقت ما وعد من الاهوال الشديدة

فكره مفارقة روحه من جسده لئلا يقع في تلك الاهوال والشدائد وتصير الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة لا يحب مفارقتها والمومن اذا عاين ما وعد له من البشارات وانواع الكرامات والخروج من الدنيا اتصل الى ما اعد له فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذي ذكرنا وان كان ذلك على يوم القيمة فهو على التحقيق الخسف وجمع الشمس والقمر ثم قوله فاذا برق البصر قال بعضهم بان شخص البصر بحال الداعي يوم القيمة وهو كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ويشخص بصره الى الداعي ابتدارا منه الى اجابة الداعي وقوله وخسف القمر اي ذهب ضوءه ونوره فقيل ان العالم في ذلك اليوم يغير ويبدل كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقوله فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا

قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فقيل ان سلطانهما يذهب فلا يعمل عملهما بعد ذلك ثم من الناس من زعم انهما يجمعان يوم القيمة كالبعيرين القرينين او كالثورين القرينين فيلقيان في النار و يعذبان بها وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه انكر هذا وقال انهما خلقان لله تعالى مطيعان له الا ترى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فيا بانت طاعة الله ومن كان هذا وصفه فلا يحل ان يعذب وعندنا ان القاهما ان ثبت فهما يلقيان في النار لا ليعذبهما فيها ولكن ليعذب الذين عبدوهما من دون الله كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومعلوم ان الاصنام التي عبدت من دون الله لا تعذب في النار ولكنها تجعل حصبا فيها ليعذب بها من عبدها وقال تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة الا ملائكة ولا يجوز ان تكون الملائكة يستعمون عذاب النار بل هم الذين يعذبون فعلى ذلك الشمس والقمر ان ثبت انهما يلقيان في النار فهما يلقيان ليعذب بهما من عبدهما لا ان يعذبا بانفسهما والله اعلم

قوله تعالى يقول الانسان يومئذ اين المفر يجوز ان يكون قوله اين المفر على طلب الحيلة اي كيف احتال الى ان افر الى مكان النجاة لاتخلص من باس الله وعذابه ويحتمل ان يكون قوله اين المفر اي ليس في موضع فرار وغاية الامر انه يقول ذلك لاياسه انه ليس له مفر وجائز ان يكون هذا كله عند الموت على ما ذكرنا والله اعلم

قوله تعالى كلا لا وزر ذكر اهل التاويل ان الوزر هو الجبل بلغة حمير وذكر عن الحسن قال كانت العرب يخيف بعضها بعضا ويغير بعضها على بعض فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يشعران بشيء حتى يريا نواصي الخيل فيقول احدهما لصاحبه الوزر الوزر يعني الجبل فكانه يقول ليس لهم ذلك اليوم ولا ملجأ من الاحراز كما يلجأ من يأوي الى الجبل في الدنيا عن بعض ما يحل به من الافزاع وقيل الوزر الملجأ

قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر اي مستقرهم الى ما كانوا يوعدون في الدنيا كقوله لما يتكل القول لمعادهم الا ما شاء ربك يومئذ مستقرهم والله اعلم

قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر قيل فيه انه ينبأ من اول عمله الى اخر ما انتهى اليه عمله كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال بعض اهل التاويل بما قدم من الطاعة وبما اخر من الوظائف التي كانت عليه وقال بعضهم بما اعلن واسر وقال بعضهم بما قدم في حياته من اعمال وما اخر اي ما سن من سنة فاستن به بعد موته وقد ذكرنا انه باللطف من الله تعالى بما علم انه قدم من الاعمال واخرها فيتذكر بذلك حتى يصير ما كتب في الكتاب حجة عليه والا فالمرء في هذه الدنيا اذا كتب كتابا ثم اتت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتب فيه ولا وقف على ما في ذلك

قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره هذا يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون اراد به في الدنيا ان الانسان بصير بعمل نفسه وان جادل عنها انه لم يفعل ذلك واشد ذلك هو الكافر والذي يلقي معاذيره اي يرخي الستور بما كسبت نفسه والمعذار هو الستر والوجه الثاني ان يكون في الاخرة وهو يحتمل وجهين احدهما ان الانسان وان كان يجحد يوم القيمة بقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فهو عن الحلف اعتذارا منهم على العلم منهم انهم مبطلون في جدالهم والثاني ان يكون معنى البصيرة الشاهد اي ان الانسان على نفسه شاهد يوم القيمة بسوء فعاله وان القى معاذيره اي وان ستر على نفسه تشهد عليه جوارحه وذلك نحو قوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فان قيل ان الانسان مذكر كيف وصفه بالبصر بلفظة التانيث فقوله بل الانسان على نفسه بصيرة ولم يقل بصير فجوابه من وجهين احدهما ما قيل ان الانسان اسم جنس فجاز ان يكون تسمية للشخص الواحد فقط مرة وللجماعة والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا استثنى الذين امنوا من قوله ان الانسان لفي خسر ولا يستثنى الجماعة من الواحد وكذلك قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا فاستثنى الذين امنوا من الانسان فثبت ان الانسان اسم جنس والجنس جماعة فيكون بالجماعة مضمرا فيه كانه قال ان جماعة الناس على انفسهم بصيرة فيكون قوله بصيرة راجعا الى الجماعة والله اعلم

وجوابنا ان قوله بصيرة انه وصف للانسان بالغاية من البصر بكل ما عمل حتى لا يعزب عنه شيء والهاء قد تدخل في خطاب
المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك علامة ونسابة وراوية للشعر وباقعة في الحي والثالث ان المراد بالانسان
تسمية تماثله بجوارحه كلها من الايدي والارجل والسمع والبصر والراس وغير ذلك فيما تفعل تارة بالسوء
جوارحه كلها بصيرة على شاهدة عليه بما قدم واخر وجاز ان يكون هذا على الاضمار فيكون قوله بل الانسان على نفسه
بصيرة على نفس الانسان بصيرة بما عملت ثم من الناس من زعم بثبوت تلك الجوارح بما كسبت نفسه حتى يصير
شاهدة عليه يوم القيمة بقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولعله يكون لها
العلم بما قدمت نفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم وليس للاحد عندنا على ما زعموا لانها لو علمت بذلك
لكانت بما حجبها يتصل الى العلم من جهتها الا ترى ان القلب لما ثبت له المعرفة دفع لصاحبه العلم من جهته على
المسموع به ولما كان بعينه تبصر الاشياء كان يعلم البصر بما فيها من جهتها فلما لم يقع له العلم بيديه ولا برجليه
ولا بشيء من جوارحه سوى القلب علمنا انه لا حظ لها في المعرفة ولكن جعلت هي شاهدة وحجة يوم القيمة تشهد
على صاحبها بما يحدث الله تعالى فيها علم ضرورة بذلك لا ان كان لها علم بما تشهد قبل ذلك كما جعلت نطوقة في ذلك
الوقت لا ان كان النطق فيها موجودا من قبل والله اعلم قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا كلام مبتدأ منفصل
من الاول لوجود كما قال اهل التأويل ان جبريل عليه السلام كان اذا اتى نبينا صلى الله عليه وسلم بالوحي فكان لا يفرغ من آخره
حتى يعود نبي الله في اوله لمخافة النسيان على ما عليه عرف الخلق انهم اذا ارادوا تحفظ الكلام وحفظه كرروه
بالسنتهم كي يضطبط ولا ينسوه فكان النبي يفعل كذلك لخشية النسيان فنهى عن ذلك بقوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به وهو كقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا عندنا مما
لا يجوز ان يشهد على رسول الله انه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الاية وتشديد مخافة النسيان الا
باخبار متواترة لان هذا في حق الشهادة على رسول الله ليس في حق العمل ولا يسوغ لاحد الشهادة على رسول الله
انه كان يفعل كذلك لا بتواتر الاخبار فاما ان يثبت بخبر الاحاد فلا ولا يقال انه لو لم يتقدم منه التحريك
لكان لا معنى للنهي فانه ليس فيه ما يثبت سبق النهي ويصح تاويلهم ويسوغ لهم الشهادة لانه يستقيم
في الابتداء النهي فيقال لا تحرك به لسانك لا تفعل كذا وان لم يسبق ذلك الفعل
ولا تقدم منه تحريك لسان فثبت انه ليس في ضمن هذه الاية بيان ما ادعوا هذا اذا ثبت ان قوله لا تحرك به
لسانك وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه على النهي فكيف وهو يحتمل معنى آخر غير النهي
وهو ان يكون هذا على البشارة له بالكفاية واذا كفيت بشيء لا تشتغل بالتحفظ وهذا من عظيم آيات
الرسالة ان السورة تلقى عليه فيحفظها كما هي ومما يشتد على الناس حفظه وقراءته الا ان يتكلفوا حفظه بتكرار
في ذلك فيعلم بهذا ان الله تعالى هو الذي وفقه على ذلك وجعله آية من آيات الله ثم الاصل ان [illegible]
الى آخر كلامه انما ننظر في ذلك الكلام فان كان القصد منه تحفظ عين الكلام فان المخاطب به
لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام بل يستعد بالتفاهم ويحفظه ساعة ما يلقى اليه كما ينشد بيتا من
آخر شعر واراد الآخر ان يحفظ ذلك الشعر بعينه فهو لا ينتظر فراغ المنشد من شعره بل هو ياخذ بالتعاهد
من اول ما يسمع منشدا لغرضه في الاشعار حفظ عينها دون معانيها الا ترى ان الالفاظ اذا اختلفت معانيها
خرج من ان يكون شعرا واما اذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه وانما اريد التفهم لما اودع
فيه من المعنى فالعادة في مثله الاصغاء الى آخر الكلام ليفهم معناه وما اريد به الا ترى ان من كتب الى آخر كتابا
فان المكتوب اليه يتامل الكتاب من اوله الى آخره ليعرف مراد الكاتب لا ان يشتغل بضبط ما اودع فيه من الالفاظ
اذ ليس يقصد بالكتابة الى حفظ الالفاظ اذا كان المراد منه من الكلام الى ما ذكرنا ثم القرآن يقصد
به الوجهان جميعا ضبط حروفه ونظمه وتعرف ما اودع فيه من المعاني انه ما حجة بنظمه ولفظه وبالمعاني
المودعة فيه فقيل له لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل من يريد التعاهد بالكلام كي ينتهي اليه فانك وان كنت
الى حفظ نظمه وحروفه فقد كفيت حفظه بدون تحريك اللسان وجائز ان يكون فيه نهي عن تحريك اللسان
والمبادرة الى حفظه قبل ان يقضى اليه الوحي لما فيه من ترك التعظيم لمن يأتيه بالوحي فامر بان يصغي اليه
سمعه ويستمع الى آخره تعظيما للذي اتاه بالوحي وتوقيرا له ثم هذه الاية تنقض على الباطنية قولهم لانه
من قولهم ان القرآن لم ينزل على رسول الله مؤلفا منظوما بل انزل على قلبه كالخيال المصور فيقلبه والفه
بلسانه فاتى بتأليف معجز الاخرون عن ان يؤلفوا مثله ونحن نعتقد بل ان هذا القرآن مؤلفا منظوما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن التأليف من فعله والذي يدل على صحة مقالتنا قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به لانه
التأليف لو كان من فعله لكان لا يوجد منه تحريك اللسان وقت ما ان يتلوه لانه اذا كان كالخيال فهو يحتاج الى ان يصور

[illegible]
[illegible]
يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين [illegible]
الكفرة الذين زعموا ان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه [illegible]
[illegible]
[illegible]
وقوله فاتبع قرآنه انه يكون باوجه في ان تبلغه الى الخلق وتعلم امته وتتبع حلاله وتجتنب حرامه
وغير ذلك قوله تعالى ثم ان علينا بيانه جائز ان يكون قوله ان علينا بيانه اي بيان ما انزلناه الكتاب
محمد فيكون بيانه في تعريف ما هو في حق الائتمام وما في حق الجائز وما هو في حق التزيين والتحسين لان
لان الفرائض لها شعب واركان وحدود وتفصيلها في ان تضع ولوازم وآداب فان كان في هذا فيه
منع وتعلق الحكم بظاهر المخرج لانه لو كان متعلقا به لكان البيان منفصلا بنفس التنزيل ولا يحتاج
الى ان يبين وقته ودلالة تاخير البيان عن وقت قرع الخطاب السمع ويحتمل ان يكون قوله ان علينا بيانه
اي بيان ما هو في حق الاصول والفروع وما هو في حق المقصود فتبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاصول في الكتابات
لتعرف به فروعها ونتائجها ويكون لمن يفرع من جاهد في الله حق جهاده ويهديه لذلك قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويحتمل قوله ثم ان علينا بيانه في ان نحفظك ونعصمك من
الناس لتتمكن من تبليغ ما انزل اليك الى الخلق وتبين لهم والله اعلم ويحتمل ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث الى كل من كان شاهدا في الحادثة ومن كان منهم غائبا من الانس والجن الى كل من يحدث من الخلق
الى يوم التناد ثم لم يمكن تبليغ الرسالة الى كل احد بما ذكرنا بنفسه فكانه ضمن عن رسوله التبليغ الى الخلق
كافة بما شاء اما بتسخير الرواة والحفاظ على العلماء ليبلغوا عن رسوله ما ادى اليهم ويكون قوله ثم ان
علينا بيانه اي بيان الحق من الباطل والولي من العدو وذلك يكون يوم القيامة فيعرف الاولياء بما يحوزون
من الكرامات ويتبين الاعداء والمبطلون بما يحل بهم من الحساب وانواع العذاب قوله تعالى كلا بل تحبون
العاجلة فقوله كلا ردع ومنع عما سبق منهم وفي قوله تحبون العاجلة ابانة ان الذي حملهم على انكارهم
من الحساب ان المعاد لا يجمع ولا ان البعث ليس بشيء حبهم للعاجلة وحبهم الحياة انساهم عن الايمان بالآخرة
او عن النظر في الحجج والبراهين التي لو امعنوا النظر فيها لاداهم الى القول بالبعث وحتى صاروا الى ان لا يرجون
الآخرة كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الآية قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة ففيه بيان ما ينتهي اليه عواقب من لزم طاعة الله تعالى ولم يكذب بالبعث والحساب وبيان ما ينتهي اليه
عواقب من تخلى عن طاعته فقوله وجوه يومئذ ناضرة جائز ان يكون اريد بها انفس الوجوه وجائز ان يكون
اريد بها الانفس ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس لا عينها قوله ووجوه
يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والوجوه لا تظن ذلك ولا تعلم به فثبت ان ذكر الوجوه على الكناية
لا ان اريد بها عينها فهذا التاويل الملك وكذا التاويل الاول وفق ما يقتضيه ظاهر اللفظ فاصلح ان يكون
الوجوه كناية عن الانفس وذلك ان النفس اذا تلذذت بامر من الاشياء تظهر سرور ذلك في الوجه
واذا تالمت بامر واغتمها الحزن ظهر اثر الحزن في وجهه فيكون في قوله وجوه يومئذ ناضرة وصف لهم بما
عليه من نهاية السرور بالكرامات التي اكرموا بها حتى تضرب وجوههم بذلك واذا ثبت انهم قد نالوا الكرامة
ووصلوا الى انواع اللذات ثم تبين لقوله الى ربها ناظرة موضع الى ان نصرف الحقيقة لنظر فيكون في هذا
اثبات القول بالرؤية وكذا ان الملوك الذين من عادتهم الاحتجاب عن الخلق اذا قربوا انسانا لم يحتجبوا

ويكون تلك الاحتجاب اشارة الى ذلك لما لذكر بالتقريب من سائر ما يكرمهم به فجائز ان يكون الله تعالى يكرم اوليائه
بالنظر اليه ويتفضل عليهم بذلك وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى انتظار الثواب كما قال ومن
ينتظر ما ياتيها من التحف والكرامات من عند ربها لانهم وان لقطوا الكرامات حين خصصوا بنضارة الوجوه فجائز ان تكون
بعد تلك الكرامات كرامات وتحف اخر ثم لم تاتهم بعد الاتية والحق له ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة
والبسرة مراد في احوال التغير وغاية التغير ان تسود الوجوه وتكلح فاذا لم يحل بهم لانه بعد غاية ما اوعدوا من
العذاب فجائز ان يكون الذين وعد لهم الكرامات بعد لم ينتهي الى اقصاها ولم ينالوا ابعدها وانما اكرموا
بعد لم ينتهوا الى اقصاها ولم ينالوا ابعدها وانما اكرموا ببعضها وهم منتظرون لما ياتيهم من بعد وجائز
ان يكون قوله الى ربها ناظرة اي يجعل نظرها فيما اكرمها الى الله تعالى ولا يرى ذلك التفضل مستحقا من جهتها
كما ترى [illegible] في الشاهد بعض ما حصل من المال بحيلته وسعيه والله اعلم وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة
اي ليس كل الكرامات في نفسه خاصة والى ما ينتهي اليه نظره بل يكون وراء ذلك كرامات اخر فينصرف قوله الى ربها
ناظرة الى ذلك فيحتمل [illegible] الى ربها ناظرة واذا كان قوله الى ربها ناظرة محتملا لان يصرف الى حقيقة النظر وان
يصرف الى الكرامات من الوجوه التي بيناها لم يكن لاحد ان يحمل الامر على الكرامات وينفي عنه حقيقة الرؤية الا بدليل
ظاهر يحيل القول بالرؤية فيدفع هذا التاويل بتلك الدلائل فاما اذا لم يمكنه اقامة الدلائل على احالة الرؤية
فليس له قطع هذا التاويل وصرفها لتاويل الى انتظار الكرامات فيكون لا به حجة في جواز الرؤية اذ لم يكن حجة
في الوجوب والخلاف فيهما واحد واحتج من نحو صرف التاويل الى حقيقة الرؤية ان قوله وجوه يومئذ باسرة
هو مقابل قوله وجوه يومئذ ناضرة وقوله تظن ان يفعل بها فاقرة مقابل قوله الى ربها ناظرة ثم لم يكن قوله تظن ان
يفعل بها فاقرة على نفي الرؤية ولكن على العقاب نفسه فكذلك قوله الى ربها ناظرة ليس هو على حقيقة الرؤية
ووجودها ولكن واقع على الثواب نفسه وجواب هذا الفصل من وجهين احدهما ان اهل العقاب بعد لم ينزل
بهم جميع ما اوعدوا في هذه الدنيا من العقاب لما ذكرنا ان نهاية العذاب في تسود الوجوه وتكلحها لم تحل بهم بعد
فلذلك استقام ان يكون قوله تظن ان يفعل بها فاقرة على نفس العذاب واهل الجنة قد وصلوا الى بعض الدرجات من
عظيم الكرامات بما وصفوا بنضارة الوجوه فاستقام ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى حقيقة النظر الى
غيرها من الكرامات ولا فالرؤية من اجل الكرامات وارفعها واهل العقاب لم ينالوا ادنى الكرامات فكيف يتوقعون ارفعها
واما اهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجائز ان يكرموا بالرؤية ايضا والاصل ان القول بالرؤية
واجب عندنا والنظر اليه ثابت كما قال العلماء فمن خص النظر الى الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته واهل التوحيد لم يختلفوا في صحة
الاخبار المتحدثات في اثبات الرؤية ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف الاخبار الى العلم وذلك غير مستقيم
لوجهين احدهما ان البشارة بالرؤية تخص بها اهل الجنة فلو كان المراد من الرؤية العلم لارتفع الاختصاص
لان العلم به مما يقع به الاشتراك بين الفريقين ولان كلا يحتج على العلم بالله تعالى في الاخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس
ولا الريب والعلم الذي لا يعتريه الوسواس والريب هو علم العيان والمشاهدة لان الايات لا يضطر اهلها الى العلم
الحقيقي الا بما الحق له ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء
فاذا ثبت ما ذكرنا فقد صاروا مثبتين للرؤية من الوجه الذي ارادوا ونفيها [illegible] على نفي جميع معاني
التشبيه عن الله تعالى ولا نصف الرؤية بالكيفية اذ الكيفية تكون لذي صورة وهو يرى بلا كيف والله الموفق
وقوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة فجائز ان يكون في موضع العلم ههنا وجائز ان يكون على حقيقة الظن وقد
ان الظن يتولد من ظواهر الاسباب والاسباب اذا كثرت وانحسم وقع بها العلم واذا قلت وخفيت لم يقع بها العلم
فجائز واذا قلت وخفيت لم يقع بها علم فجائز ان تكون اسباب الشر احاطت به من كل جانب حتى قطع الناس من
النجاة وايقن انه يفعل به الشر وجائز ان يكون الامر بعد لم يبلغ مبلغ الاياس فيتوقع النجاة ولا يتيقن ان يفعل
بها فاقرة بل يكون منه على ظن والله اعلم والفاقرة قيل الشيء المنكر والداهية وقيل الفقر هو كسر الظهر
الفقر الكسر والفقار عظم في الظهر يكسرها كما نعظم الظهر يكسرها في الاخرة ويسحب في النار على وجهه قال
رحمه الله كان هذه السورة من اولها الى آخرها الا ايات منها وهي قوله كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة نزلت في تبيين معاملة واحد من الكفرة على الاشارة اليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكم من شاركه في معاملته فخاطبه [illegible] ان يعامله ويستقبله بالذي يحق على الحكماء معاملة السفهاء فلم يامره
بان يقابل معاملة مثله من السفهاء وبين معاملته في هذه السورة ليعلم امته ما لقي رسول الله من الجهد والبلاء في ابلاغ

دونه [illegible] ويتفضل عليه [illegible] بما كانوا سمحا سهلا [illegible] معاملة من يرجع
الى المنعة [illegible] اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى [illegible] وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي فقوله
كلا يحتمل وجهين احدهما [illegible] ان يكون على الردع والزجر [illegible]
يستندم [illegible] اذا بلغت التراقي كانهم سالوا رسول الله [illegible] عن وقت ندمهم [illegible] بقوله اذا
اذا بلغت التراقي والتراقي [illegible] النفس [illegible] الى التراقي وقوله
وقيل من راق فجائز ان يكون الملائكة هم الذين يقولون من [illegible] ملائكة الرحمة ام ملائكة
العذاب [illegible]
والشدة [illegible] وقوله تعالى
وظن انه الفراق فجائز ان يكون الظن على الايقان ههنا [illegible] وكذا روي في قراءة ابن عباس
رضي الله عنهما وايقن انه الفراق وجائز ان يكون على حقيقة الظن [illegible]
وقوله تعالى والتفت الساق بالساق [illegible]
[illegible]
ليقي [illegible] نفسه عادة العرب وكان مخففا فيه فهو وفي فترك ما هو اولى به من تنقص
والله اعلم وقوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى فجائز ان يكون هذا الانسان دهريا في المذهب فيكون
قوله ايحسب الانسان على حقيقة الحسبان لانه يحسب ان لا يبعث ولا يحاسب وقد كانت اهل مكة من هذا
المذهب وان كان الخطاب في غيره فقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس على تحقيق الحسبان ولكن معناه
ايفعل فعل من يحكم على امره كان فعله موافقا لفعل من يحسب انه يترك كما ذكرنا في قوله بل يريد الانسان ليفجر
امامه وهو لا يريد ان يكون فاجرا في الحقيقة ولكن يفعل فعل من يعقب فعله الفجور وهو كقوله وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وليس هو على حقيقة الظن ولكن لما لم يقل
بالبعث ولم يؤمن به فقد وصفهما بخلقهما اياه على باطل اذ ذلك الفعل الذي يكون في ترك الايمان
بالبعث وفي جحد الرسالة لان المحاسن لا يكون لها [illegible] ثم [illegible] الدار على المحسن

مرة واحدا فلا بد من ان يكون بعدها دار اخرى فيها يتبين مرتبة المحسن ومرتبة المسيء فمن لم يؤمن
بالبعث فهو لا يجعل المحاسن والمساوي عواقب ويسوي بين مرتبة المسيء ومرتبة المحسن وذلك عبث وكذا
ان من عرف انه لم يخلق عبثا ولا يترك سدى فلا بد له من ان يرغب ويرهب ويؤمر وينهى حتى لا يعرف ذلك
الا بالرسول فالضرورة احوجت الى رسول يبين لهم ما يأتون وما يتقون وما يرغبون فيه وما يحذرون
فمن انكر الرسالة فقد اهمل نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الامر والنهي وذلك حال من خلق سدى ثم قوله
الم يك نطفة من مني يمنى فالوجه فيه ان كل واحد يعلم ان نشوءه كان من نطفة وتلك النطفة لو وضعت
على طبق ثم اجتمع حكماء البشر على ان يجعلوها بشرا سويا كما قدره الله تعالى في تلك النطفة لم يصلوا اليه ابدا
وان استفرغوا مجهودهم وانفدوا حيلهم وقواهم ولو ارادوا ان يعرفوا المعنى الذي بذلك صلحت النطفة
من ان ينشأ منها العلقة والمضغة الى ان نشأ منها بشر سوي لم يقفوا عليه فيعلم بذلك ان من بلغت قدرته
هذا هو احكم الحاكمين ولو كان الامر على ما زعموا ان لا بعث لم يكن هو احكم الحاكمين بل كان واحدا من الادنين
ويتبين بما ذكرنا ان الذي بلغت قدرته هذا لا يوصف بالعجز الا عن غبي ويتبين بما ذكرنا ان الذي بلغت
قدرته ومن زعم ان قدرته لا تسعى الى البعث فقد وصف ربه بالعجز تعالى الله عما يشركون ثم قوله اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فقوله اليس في موضع التحقيق والتقرير فان كان خارجا مخرج الاستفهام فمعلوم
ان ما خرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقه ان يصرف الى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب لكونه من
مستفهم عن قال الاخفش الشاهد اليس الله بقادر على احياء الموتى فحقه ان يقول بلى هو قادر على ذلك وكذلك
ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حين ينتهي الى هذه الآية سبحانك فبلى فقوله اليس ذلك بقادر اي هو قادر على احياء الموتى والله اعلم

سورة الدهر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيئا مذكورا فهل هو من الله تعالى واجب وحقه ان ينظر انه لو كان مثل هذا الكلام من مستفهم ما
الذي كان يقتضي من الجواب فاذا قال الانسان لآخر من اظلم ممن افترى على الله كذبا فجوابه ان يقول لا احد اظلم
منه واذا قال لآخر هل اتاك حديث فلان فحق المجيب ان يقول اذا كان قد اتاه حديث فلان بلى قد اتاني وان كان
لم ياته فحقه ان يسأل كيف كان حديثه ليعرفه فان كان رسول الله قد اتاه خبر الانسان فمعنى هل اتى على الانسان
اي قد اتى على الانسان وان لم يكن اتاه فحقه ان يسأل حتى يبين له فقيل الانسان آدم ثم لقائل ان يقول
كيف قال قد اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وهو ان لم يكن شيئا مذكورا اي في ذلك الذي
لم يكن انسانا واذا لم يكن انسانا لم يأت عليه حين من الدهر وهو انسان وان كان في ذلك الوقت مخلوقا
فقد صار مذكورا واذا صار مذكورا فقد اتى عليه حين من الدهر وهو مذكور فما معناه فقيل فيه من وجوه احدها
ان يكون قوله هل اتى على الانسان او على ما منه الانسان وهو الاصل الذي خلق منه آدم وهو التراب فلم يكن
شيئا مذكورا على الاستصغار والاستضعاف لذلك الاصل اذ التراب لا يذكر في الاشياء المذكورة
والى هذا ذهب ابو بكر الاصم والوجه الثاني قيل قد اتى على الخلق حين من الدهر لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا
في تلك الخلائق والوجه الثالث قد اتى عليه حين من الدهر ولم يكن مذكورا في الممتحنين فانه انما خلق الخلائق
ليعبدوه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فقوله ليعبدون اذا صاروا من اهل المحنة فاتى الانسان
قد اتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا في جملة من خلقوا للعبادة والله اعلم وقوله تعالى انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج والانسان لم يكن انسانا في النطفة ولا في العلقة ولا في المضغة ولكن المقصود من انشاء
النطفة والعلقة هذا الانسان والعواقب في الافعال هي الاوائل في القصد فاستقام اضافته الى ما ذكر
في الكل اذ يرجع اليه القصد من انشائها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا
فامضه وان كان غيا فانته فالزم النظر في العواقب فثبت ان المقصود من فعل اهل التمييز العاقبة واذا كانت
العاقبة مقصودة اليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجودة في الابتداء لذلك استقام اضافة الانسان الى
النطفة والعلقة والمضغة ثم قوله انا خلقنا الانسان من نطفة منصرف الى اولاد آدم فيكون معنى من الانسان
اولاده ثم ذكر لهم ابتداء احوالهم وما ينتهي اليه عاقبتهم وهو لكي يتعظوا به ويتذكروا ووجه الاتعاظ هو
انهم اذا علموا ابتداء احوالهم وعلموا ما ينتهي اليه عاقبتهم علموا ان الحالة التي هم فيها ان انفسهم في ايديهم
بالعارية في ايديهم اذ لم يكن منهم صنع في الابتداء او امانة والحق على الامين ان يقوم بحفظ الامانة ورعايتها

[illegible]

وتركه وكان الخلق ثم يمتحنون ويبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم فيكون الابتلاء منصرفا الى المبتلى
والممتحن لا الى الذات المبتلى لما كان لا يستطعها ما خفي من الامور وذلك كقوله بالامر والنهي لاهل التحقيق بمعنى
الابتلاء نسبة الامر من الله تعالى والنهي لعباده ابتلاء لما كان الامر والنهي لاهل التحقيق بمعنى الابتلاء منه وقال الحق
لما صلح ان يضاف الابتلاء الى الله تعالى وان كان هو حقيقة ما يستحق ان يضاف اليه الابتلاء ايضا
وان كان هو بالذي ابتلاه فالما بصيرا ولا انه يظهر من العبد بعد الابتلاء ايضا وان كان هو بالذي
فالما بصيرا ولا انه الذي يظهر من العبيد بعد الابتلاء من الفعل كان غائبا والله تعالى يعرفه شاهدا واما قوله
تعالى فجعلناه سميعا بصيرا ليجعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدي اليه سمعه وجعلنا له بصرا يبصر
ما ادى اليه بصره ووجه ليضع كل شيء موضعه وذلك هو بصر القلب وسمع القلب فقد حصل البشر
لمكان البصر الباطن والسمع الباطن لا الاتقاء بالبهائم لهما البصر الظاهر وكذلك السمع
الظاهر ويحتمل انه جعلناه سميعا بصيرا بصرا له ما عليه وما ينفعه وما يضره ثم انشأ فيه السمع
والبصر ولا يعرف كيفية السمع والبصر ولا يعرف كيفية السمع والبصر كيف جعل فيه ولا ماهيته ولا ما هو
لطفا منه لنعلم انه منشئ الكيفيات والماهيات وانه متعال عن الوصف بالكيفية والماهية ثم قال اما
السبيل اما شاكرا واما كفورا يحتمل قوله انا هديناه السبيل وجوها ثلاثة احدها هديناه السبيل
لاصلاح بدنه ومعاشه او هديناه السبيل الذي يصلون به الى استبقاء النسل والتوالد الى يوم التناد
او هديناه السبيل الذي يرجع الى اصلاح دينهم وامر آخرتهم باكتساب المحامد والمحاسن ثم قوله اما
شاكرا واما كفورا احتمل انه قد بين لهم السبل وهداهم اليه ثم منهم من يختار الشكر له ومنهم
من يختار الكفر له ثم بين ما اعد للكفور منهم وما اعد للشكور وهو ما قال انا اعتدنا للكافرين سلاسل
واغلالا وسعيرا ثم قوله انا هديناه السبيل ان كان المراد منه الطريق فكانه قال انا بينا كلا الطريق
سالك طريق كذا واختاره يكون شكورا وان سلك طريق كذا واختاره يكون كفورا ثم بين لكل طريق
الذي سلكه جزاء وثوابا ثم قوله انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا فقيل انما في ايديهم يغل
ويشدون بالسلاسل فلا يمكنهم ان يتقوا العذاب بوجوههم بايديهم ثم فرق سلاسل لا انها
منصرفة وفرق سلاسلا وصرح بنائه على ان الاسماء كلها منصرفة الا توفقا واحدا وقيل لانه جمله رأس
الآية والله اعلم وقوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا فمنهم من ذكر ان الكافور
اعده الله لاهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر ان الكافور يجري ذكره في
الكتب المتقدمة فذكر كذلك في القرآن ومنهم من قال انه عين من عيون الجنة ومنهم من صرفه الى الكافور

المزعوم لكنه فقيل انه كناية عن طيب الشراب وقيل انه كناية عن برودة الشراب لانه ذكر ان ذلك الشراب
في طبعه كالكافور لان الذ الشراب عند الناس البارد ومعنى لا ان يكون في نفسه باردا او ذكروا ان الكافور
لا يسمى كافورا حتى يكون فيها جمر وقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ومعناه منها
لان ينقع شربهم بها وسميت العين عينا لوقوع العين عليها وقوله يفجرونها تفجيرا فيه اخبار انها العين
جارية يفجرونها حيث شاؤا ثم المراد من ذكر العباد هاهنا هم الذين اطاعوا الله تعالى ان وجاد ما عليهم
وهم الذين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقوله تعالى يوفون بالنذر
فالنذر هو العهد فجائز ان يكون المراد به الوفاء بكل ما اوجب الله تعالى عليهم من الفرائض والحقوق فيكون في
عهده كقوله واوفوا بعهدي وجائز ان يكون المراد النذر بما اوجبوا على انفسهم من القرب سوى ما اوجب الله عليهم
فيكون فيه اخبار انهم قاموا باداء الفرائض يتقربون الى الله تعالى مع ذلك بنوافل فاستوجبوا المدح لوفائهم
لما اوجبوا على انفسهم وقال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها
فلحقهم الذم لما لم يرعوها بعدما تحملوا بايجابهم على انفسهم ما لم يوجبها الله وقوله تعالى ويخافون يوما
كان شره مستطيرا قيل استطار شر ذلك اليوم فملأ السموات والارضين وكل شيء حتى انشقت السماء و
تناثرت النجوم ونسفت الجبال معنا لا انه هو لذلك اليوم في عموم وفشى في اهل السموات والارض حتى
على انفسهم وقيل سمي مستطيرا او طولا لانه يقال استطار الرجل اذا اشتد غضبه واستطار الامر اذا اشتد
فسمي مستطيرا اي شديدا وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فالحب ينصرف
الى معان يتوجه الى الايثار مرة والى ميل النفس ومرة الى العقل اخرى ومن يعتريه عن الشهوة
فالمراد من الحب هاهنا الشهوة فيكون قوله على حبه اي على شهوتهم وحاجتهم اليه وقيل ويطعمون في حال
عزة الطعام وقيل يطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم عليها ليس ان يطعموه عند الاياس من الحياة
على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة ان تتصدق وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله قيل انهم لم يتكلموا بهذا اللفظ اعني انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا ولكن علم الله تعالى في قلوبهم فاثنى عليهم بذلك لم يرغبوا في ذلك الا لغيرهم الاسرى
انهم كانوا يطعمونه الاسرى ولا يطمع من الاسرى المجازاة والشكر ليعلم انهم لم يفعلوا الا ابتغاء وجه الله
الله والمجازاة هي المكافاة لما اسدى اليه والشكر هو الثناء عليه والنشر منه وقوله تعالى انا نخاف من ربنا
يوما عبوسا قمطريرا فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم فيكون معناه ان هذا اليوم وهو يوم القيمة
من بين سائر الايام كالانسان العبوس من بين غيره ومنهم من صرفه الى الخلايق فيكون معنى قوله يوما عبوسا
اي يوما يعبس فيه وجوه الخلايق لا ان يكون اليوم بنفسه عبوسا وهو كقوله والنهار مبصرا اي يبصر فيه
ويقول العرب نهار الطريق يريد اليوم على معنى ما للناس فيه فيرجع هذا الى الوصف بما يكون عنده
ذلك اليوم على ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر اليوم بالاحوال التي يكون عليها اهل ذلك اليوم فقال يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث وقال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وغير ذلك من الايات وقوله
قمطريرا قيل شديدا وقيل القمطرير الذي يقبض الوجه بالبسور والعبوسة ويزوي ما بين العينين
وقيل القمطرير هو كلمة من كتب الاولين وقوله تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم فجائز ان يكون منصرفه
الى الموعود في ذلك اليوم من العقوبة والنكال لا ان يكونوا وقوا من هول ذلك اليوم فلا يعرفون الجحيم
ولا اهوالها وجائز ان يكون وقاهم عما كانوا يخافون من المشقة لدى الحساب كقوله اني ظننت اني ملاق
حسابيه فكانوا يخافون على انفسهم المناقشة في الحساب فاذا راوا سيئاتهم مغفورة وحسناتهم
متقبلة سروا بذلك وفرحوا وجائز ان يكونوا امنوا من هول القيمة وافزاعها حين بشروا ولقيتهم
وبلغتهم الملائكة بالبشارة كما قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقوله تعالى ولقاهم
نضرة وسرورا فالسرور عبارة عن انتفاء الحزن عنهم والنضرة اثر كل نعيم وقيل نضرة في وجوههم وسرورا
في قلوبهم وقوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فذكر الحرير لان الجنان انما تذكر في موضع التطرب والتنعم
بالماكل والمشارب دون التنعم بالملابس فعرفهم اللباس من الحرير مع ما جزاهم الجنة وقوله تعالى متكئين فيها
على الارائك الاريكة تفسيرها بعد هذا وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيها
ولا زمهرير بل يكون ظلها دائما ممدودا فجائز ان يكون المراد منه نضيئا الجنة ليس بالشمس ولكن خلقت
مضيئة لان الشمس في الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس وذكر انهم لا يرون فيها الزمهرير
ليعلم ان لذاذة شراب الجنة وبرودته بالخلقة لا ان يكون برودتها بتغير الاحوال على ما يكون عليه شراب

اهل الدنيا او يكون ذكر هذا ليعلموا انهم لا يؤذون بحر ولا برد وقوله تعالى ودانية عليهم ظلالها فجائز
ان يراد به انها دانية من هؤلاء الذين سبق نعتهم وهم الابرار كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وذكر
ان ظلالها دانية لانها لو لم تكن دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع وقيل هي ظلال اغصان الاشجار قريب منهم
لان الجنة نور لا تحتاج الى ظلال بالاشجار ظلال على ما جاء في الخبر انه لو القي سوار من الجنة في الدنيا لاضاءت
الدنيا ولغلب ضوء الشمس وبعد ذلك فيقع الاشجار فيها ظلال كما تشتهونه في الدنيا ليس في ذلك على شمس
او قمر وقوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا فجائز ان يكون المراد بالتذليل التليين لئلا يرد ايديهم عنها شوك
وقيل ان اشجارها ليست بطوال لا ينال ثمارها الا بعد عناء بل قريبة منهم ينالها القائم والقاعد
اذا لم يكن عاليا في السماء وقيل ذللت اي سويت الاشجار لا يبقى بعضها بعضا يقال للدنيا
اذا استوت عذوق النخلة تدلت النخلة وقيل ذللت اي سخرت والتذليل التسخير فيتناولونها
كيف شاؤا ان شاؤا تناولوها وهم قيام وان شاؤا تناولوها وهم جلوس او نيام على الفرش وجائز ان يكون
تسخيرها على ما ذكر عن بعض المتقدمين ان شجر الجنة عروقها من فوق وفروعها من اسفل والثمار من
ذلك وقوله تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب فتاويل الاكواب نذكر في سورة هل اتيك
حديث الغاشية ثم اخبر ان تلك الاكواب قواريرا من فضة قيل هي من فضة ولها صفاء القوارير
يرى ما فيها من الشراب وخارجها الصفا ثم الانية من الفضة فاعني اهلها ارفع واشرف من الانية
المتخذ من التراب فكذلك الصفا الذي يقع بالقوارير فيحمل نصفها صفا القوارير ان كانت من فضة
وقرئ قوارير من فضة على الاصل المعهود انه لا ينصرف وقرئ قواريرا على الوقف عليه موافق لاخر
الايات وقرئ قواريرا بالتنوين عند الوصل ايضا لانه راس الاية وقوله تعالى قدروها تقديرا
من المحتمل على قدر ريهم وقيل يسقون على القدر الذي قدروه في انفسهم وحدثت انفسهم فلا
يفقدون في قلوبهم مقدارا الا اوتوا بها على ذلك وقوله تعالى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها
زنجبيلا من زعم ان العرب كانوا اذا اعجبهم شراب نعتوه وكان الزنجبيل فخرجت على لسان من
الوجه الذي يرغب فيه الانفس ومنهم من ذكر ان الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين قال
بعضهم هو السلسبيل لان سلسبيلا في ذلك المعنى وقال قتادة اي سلسلة لسبيل مستعذب ماؤها وقيل
سلسبيلا شديد الجرية وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون ذكر الولدان لا ان يكون فيها ولاد
ولكنهم انشاؤا ولدانا فيخلدون كذلك لا يكبرون ولا يموتون وجائز ان يكون الولدان ولدان الكفار
الذين كانوا في الدنيا صغارا فلا يكون لهم في الجنة انالة نعيم الدرجة الاباء فيجعلهم الله تعالى
خدما لاهل الجنة وقوله تعالى اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا فمنهم من يقول ان الله تعالى شبه
حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور اذ احسن ما يكون اللؤلؤ اذا كان منثورا فجائز ان يكون هؤلاء الولدان
فضلوا في الحسن على سائر الجواهر التي يكون في الجنة كما فضل الدر في الدنيا على سائر الجواهر ومنهم
من يقول انهم ما لم يطوفوا فاذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا طافوا وتحركوا حينئذ تعلموا انهم
ولدان وقوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا قيل هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف وقيل
الملك استئذان الملائكة عليهم وملوك الدنيا قد تغلب رعيتهم لم يملكوا الا احتجاب من دخول
الملائكة عليهم بغير استئذان والملك هو النفاذ نفاذ الامور وجائز ان يكون ذكر النعيم والملك
الكبير على معنى انه لا ينقطع عنهم بل اذا رايتهم ابدا رايتهم في نعيم وملك كبير وقوله تعالى
عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق فجائز ان يكون المراد بالعالي ما علا من المكان الذي هم فيه
فيخبر ان ما علاه اماكنهم ثياب خضر من سندس كما هو في المكان الذي مثل موضع جلوسهم لانهم
يكونون على الارائك والاحجال فيكون ما تحت الاحجال والارائك من الاماكن زرابي مبثوثة
ونمارق مصفوفة ويكون فيها لها كذلك فان كان على هذا فلا فرق بين ان يكون فرش ذلك المكان
من حرير ودبياج غليظ اذا اريد بالاستبرق الديباج الغليظ وبين ان يكون من ديباج رقيق اذ كل
ذلك مما يرغب في مثله والله اعلم وقيل عاليهم اي على ثيابهم سندس خضر واستبرق وقال بعضهم
على انفسهم ثياب سندس ومنهم من صرف السندس الى اللباس والاستبرق الى ما يبسط لان الديباج
الغليظ مما لا يرغب الانفس الى لبس مثله فجمع بين ما يلبس وبين ما يفرش وبين الفعل في احدهما
ولم يذكر في الاخر ومنهم من قال عاليهم هم الولدان يطوفون من اعاليهم والله اعلم وقوله تعالى وحلوا اساور
من فضة فبشرهم بالاساور من الفضة لان الفضة مستحسنة لنفسها لبياضها والذهب استحسانه

لقدرته وعزته ليس لنفسه لانه اصفر والاعين لا تستحسن هذا اللون مجرد البشارة بالفضة لا بالذهب
وقال بعضهم يحلى الرجال باسورة من فضة على ما ابيح لهم التحلي بخاتم الفضة في الدنيا ويحلى النساء
باساور الذهب على ما ابيح لهن التحلي بها في الدنيا وقوله تعالى وسقيهم ربهم شرابا طهورا
قيل هو الخمر يطهرهم من الآفات وعن كل مكروه وتطهر قلوبهم من الغل فيعمل ذلك الشراب في تطهير
الظاهر والباطن وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن وباطن البدن يخبث الشراب به روي عن النبي صلى الله
عليه انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع فقال يهودي انه
يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة احدهم عرق يفيض من جلده
فيضمر له بطنه والاصل ان تقدير الطعام الذي يطعمه الانسان في الدنيا يبقى قوته في البدن
حتى يظهر ذلك في كل جارحة من جوارحه وكذلك شهوته تبقى فيها ثم يخرج الثفل منها والفضل فجائز
ان يرفع الله تعالى عن ذلك الطعام الفضل الذي يزايل البدن ويكون طعامهم ذلك اللطيف الذي يبقى
في النفس وقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء يحتمل ان يكون هذه البشارة خرجت لاهلها في الدنيا ويحتمل
ان يكون يقال لهم هنا في الآخرة ان هذا الذي اكرمتم به من الكرامة جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا وقوله تعالى
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا قيل فرقنا عليك القرآن تفريقا والحكمة في التفريق ما ذكر في آية اخرى
وهي قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك فاخبر ان في التفريق تثبيتا
ويكون للناس الوقوف والمعرفة بمواقع النوازل ما ليس اذا انزل جملة واحدة ثم اضاف التنزيل ههنا الى نفسه واضاف
الى جبريل في قوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله انه لقول رسول كريم وقال في آية اخرى وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فاضافه الى نفسه وقال في لوح محفوظ فهذا كله على مجاز
الكلام ليس على الحقيقة فيحتمل ان يكون اضافه الى ما اليه اوجه والى ما تستحسن الناس من التعامل
فيما بينهم بذلك الكلام وان قيل هذا في اللوح المحفوظ فهم به وان يعنيه انه مكتوب فيه وقوله حتى يسمع
كلام الله معناه حتى يسمع كلاما يدل على كلام الله لان يكون ذلك كلامه واضافه الى جبريل لانه من قبله
تلقاه لان يكون ذلك كلام جبريل ثم نذكر الحكمة في انزال القرآن مفرقا ثم جائز ان يكون اكثر توجه
اتباع رسول الله ليس كما ان لان الله تعالى يسر على نبيه حفظ القرآن حتى كان يعي جميع ما ينزل اليه جبريل بما
يقرأ عليه مرة واحدة وقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به الآية فضمن الحفظ فامن النسيان واما غيره
فانه يشتد عليه ان لو كلف حفظه بدفعة واحدة فانزل مفرقا ليكون اقدر على حفظه ولهذا ما كثر حفاظ
القرآن في هذه الامة وكثر قراؤها وكثر فقهاؤها هذه الامة لان القرآن انزل مفرقا على اثر النوازل فعرفوا مواقع
النوازل فوقفوا على معرفة ما اودع في الآيات لمعرفتهم مواقع النوازل وعرفهم الناسخ والمنسوخ اذ
قد اودع في هذا القرآن الناسخ والمنسوخ فلو نزل جملة واحدة لاشتبه عليهم الناسخ من المنسوخ فانزل الله
مفرقا ليكونوا يعلمون الناسخ والمنسوخ اعلم ولانه اذا انزل مفرقا كانوا اليه اشوق واكثر رغبة منه اذا انزل جملة
الا ترى الى قوله ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة الآية فاخبر انهم يرغبون
الى ان تنزل عليهم سورة فاذا انزلت اليهم سورة من قبل وقيل ايضا تحقيقا لهم فقيل كما قال تعالى يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فكان في انزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوائد والمنافع للمؤمنين
وقوله تعالى فاصبر لحكم ربك فيه انه ابتلاه بما يكره نفسه ويشتد عليها حتى دعاه الى الصبر لانه
لا يدعى الى الصبر على النعم واللذات وانما يدعى اليه اذا ابتلي بالمكاره وقد صبر عليه السلام على المكاره
لانه امر بمنابذة الجن والانس فانتصب لهم حتى اوذي كل الاذى وهموا بقتله وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما
او كفورا كانه قال لا تطع من دعاك الى ما تأثم فيه او تكون كفورا او لا تجب الاثم او الكفور الى ما يدعوك
اليه وقوله تعالى واذكر اسم ربك يحتمل واذكر باسم ربك او صل باسم ربك كقوله وذكر اسم ربه فصلى او
يقول اذكر اسم ربك اي كن ذاكرا له في كل وقت وقوله تعالى بكرة واصيلا البكرة يحتمل صلاة الصبح والاصيل
يحتمل صلوة الظهر والعصر وقوله تعالى ومن الليل فاسجد له اي في صلوات الفرائض وان لم يكن في ذلك
كانه قال واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار او يقول فليكن اسم ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة
من هذه الساعات الا وهو مذكور فيها والله اعلم وقوله تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا حب العاجلة مما طبع به الخلائق لان كل طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء فلا يلحقهم الذم
بحب ما طبعوا عليه وانشاؤا ولكن الذم انما يلحق من احب الدنيا واختارها وآثرها على ما لاجله جعلت له الدنيا
وانشاء الدنيا انما انشأت وجعلت ليكتسب بها نعيم الآخرة والحيوة الدائمة اللذيذة فمن احبها لهذا ازدلا

بحب

يحب بذلك ذم ولا تعيير وعن احبها وآثرها واكتسبها لها فهو المذموم وفي ذلك كان المختلفين
في ذلك لم يكونوا على انكار وحدانية الله والوهيته ومنهم من حمل حبه اياها على تكذيب الرسل والمعاداة
لهم ومكابرة الحق ومنهم من حمل حبه اياها على انكار البعث والجزاء لما عملوا ومنهم من حمل حبه الدنيا على
التفريق بين الرسل فآمن بعضا وكفر ببعض الحمل حبهم بما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك وكذلك ما ذكر
من الانفاق في الدنيا حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر الآية ومن انفق
في هذه الدنيا لها فتكون نفقته ما ذكر لانه انفق لغير ما جعلت له النفقة فكذلك ما ذكر فعلى ذلك من احبها
واختارها للدنيا لا للاكتساب بما ذكرنا من النعم اللذيذة الدائمة والحيوة الباقية التي لا انقطاع لها كما على ما
ذكرتم انا ذكرنا الدنيا ذكرت الآخرة وراءها واذا ذكرت الآخرة على ان ذكر الآخرة قبل امامه لان الانسان
يقبل اليها فيكون ذلك امامه وقدامه واما عند ذكر الدنيا فيقع وراءها لانه يخلفها وكل من خلف آخر
يكون بعده ووراءه لا يكون عند فوت الآخر فلذلك كان ما ذكر وقوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم
يرجع الى الاحتجاج عليهم لما انكروا البعث يقول ليعلموا انا خلقناهم بدءا ونحن شددنا اسرهم اي قوتهم ونحن شددنا
خلقهم ونحن وصلنا جوارحهم المتفرقة ومفاصلهم المشتتة بعضا الى بعض ونحن نبدل امثالهم ان شئنا
مما بالهم فقدرنا على البعث والاعادة بعد الموت فعلى من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وهو على البعث اقدر
وقوله تعالى واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا يذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى وقوله تعالى ان هذه تذكرة
يحتمل هذا على هذه السورة لانه ذكر فيها وفي اولها ابتداء انشائهم وخلقهم وفي آخرها اعادتهم وفيها
جزاء صنيعهم الذي صنعوا فيكون في ذلك تذكرة لهم ويحتمل ان هذه تذكرة اي الانباء التي ذكرت في القرآن
وهذه المواعظ تذكرهم وما عليهم وتذكرة لما يشتغلهم وما لبعضهم على بعض وقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول قد مكن كل ان يتخذ سبيلا الى ربه اي لا شيء يمنعه عن اتخاذ
السبيل الى ربه اذا شاء لكن من يتخذ ما لم يتخذ لانه لم يشأ ان يتخذ سبيلا وقد مكن له ذلك والثاني
يقول من شاء اتخذ السبيل فليتخذ السبيل الى ربه على الذكر على الاستقصاء بعد هذا ان شاء الله ثم
قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله يقول والله علم من شاء اتخاذ السبيل الى ربه لا يتخذ الا ان يشاء الله ان
يتخذ السبيل الى ربه فعند ذلك يتخذ وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء لجميع الخلائق ان
يتخذوا الى ربهم سبيلا لكنهم شاؤا ان لا يتخذوا فلم يتخذوا وقد اخبر انهم لا يشاؤن اتخاذ السبيل
اليه ولا يتخذون الا ان يشاء الله لهم اتخاذ السبيل فعند ذلك يتخذون ما ذكر وقوله تعالى وما تشاؤن
ان الله كان عليما حكيما ان الله تعالى لم يزل عليما بما يصنع خلقه من التكذيب والتصديق ومن الطاعة والمعصية
اي على علم منه بصنيعهم انشأهم لمنافع انفسهم وخلقهم اياهم وبعثه الرسل اليهم على علم بما يكون منهم
من التكذيب والرد لا يخرج فعله عن الحكمة والحق بل يكون حكيما في ذلك ولما من بعث الرسول الى الناس
الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته وهديته ويستخف به ليس بحكمة لانه انما يرسل الرسول ويبعث
هديته لمنافع يكون للمرسل فعلمه بما يكون منه سفه ليس بحكمة لذلك افترقا وقوله تعالى يدخل من يشاء
في رحمته على المعتزلة ايضا لان ذكر انه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون قد شاء ان يدخل كلا في
رحمته لانه شاء الايمان كل منهم والله تعالى اخبر انه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على انه لم يشأ ان يدخل
في رحمته من علم منه انه يختار الضلال ويحتمل يمن يشاء ان يدخل في رحمته من علم منه انه يختار الهدى فاما
من علم منه انه يختار غيره فلا يحتمل ان يشاء ذلك له والله اعلم وقوله تعالى والظالمين اعد لهم عذابا اليما
اي فيشاء ايضا من علم منه الضلال ان يعذبه عذابا اليما وفي حرف ابن مسعود وابي حفصة رضي يختص برحمته
من يشاء وهذا الحرف يفسر تأويل الآية وان يكون رحمته ههنا هي الهدى وسبيل الله ويحتمل ان يكون
رحمته جنته سميت رحمة لانه برحمته ما يدخلها اهل الايمان والله تعالى اعلم واحكم

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اختلفوا في تأويلها فمنهم من حمل
تأويل هذا كله على الملائكة ومنهم من صرفها الى الرياح ومنهم من صرف البعض الى الرياح والبعض الى الملائكة
وجائز ان يحمل هذا كله في الرياح ويستقيم ان يصرف كله الى الملائكة ويستقيم ان يحمل البعض

في الملائكة والبعض في الرياح فان كان في الرياح استقام القسم بها لان من الرياح ما هي مبشرات
لرحمته سايقات للنعم الى العباد كقوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
ومن الرياح رياح هي منجيات قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فجعل الله تعالى الريح سببا لتسيير السفن في البحار كما جعل الماء
سببا لذلك وجعل منها مهلكات مذكرات لقوته وسلطانه كما قال تعالى فيرسل عليكم قاصفا
من الريح فيغرقكم بما كفرتم الاية فهي عقيم وتهلككم من عزاء يدركها انصار ... اول ما يقع بها دون
الاشياء ولو اراد احد ان يفهم الوجه الذي له صارت المنجيات منجيات ولم يعرف الوجه الذي له صارت الرياح
مهلكات ومبشرات لم يقف عليه فصارت الرياح مذكرات للنعم وتذكير النعم ايجاب القول بالرسالة
لما تقدم وتذكير القوة والسلطان ايجاب للقول بالبعث بكل ما يخبر به الرسل لانهم كانوا ينكرون
البعث لخروجه عن قواهم وحكمتهم فنبهوا اذا تدبروا في امر الرياح وراوا ما فيها من لطايف الحكمة وعجايب القدرة
ما لا تبلغه تدبيرهم وحكمتهم فعلموا ان الامر خرج عن قدر قواهم ولا حكمتهم ... نحو ذكر ما ذكرنا
ان القسم جعل للتاكيد لما يقصد اليه بالنبي فرجعنا الى قوله والمرسلات عرفا قيل هي الرياح المثيرات
سميت عرفا لما ياتي به من النعم معروفة وقيل العرف المتتابع ويسمى عرف الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على
البعض فجاز ان يكون منصرفا الى الرياح المنتشرة وكذلك قوله والناشرات نشرا جاز ان يحمل على الرياح
المبشرات وهي الرياح السهلة الخفيفة لانها تبشر بمجيء رياح الرحمة بقوله وهو الذي يرسل الرياح
نشرا بين يدي رحمته في بعض القراءات وقوله فالعاصفات عصفا هي الرياح الشديدة التي تكسر الاشياء
وبعضها رياح التي يرسل للاهلاك كقوله فيرسل عليكم قاصفا من الريح وجايز ان يكون قوله والمرسلات
عرفا هي اسم الرياح التي لم يظهر انها ارسلت للهلاك او للتبشير لان الرياح التي لم يرسل الا للرحمة يظهر اثر الرحمة
من ساعتها من ارسال السحاب بحيث يحمل انها تتتابع وكذلك الرياح التي هي رياح اهلاك يظهر علم
الاهلاك من ساعتها وهي ان يكون قاصفة شديدة تحمل ان تتابع وقوله فالفارقات فرقا فيحمل ان يكون هي الرياح ايضا
ولذا سميت فارقات لانها يفرق السحاب فيصير البعض في افق والبعض في افق آخر وقوله تعالى فالملقيات ذكرا
يجوز ان ينصرف الى الرياح والقاء ذكرها لما ذكرنا انه يظهر بها النعم فتذكر ويتبين بها النجاة ويقع
ببعضها الاهلاك فذلك القاء ذكرها والله اعلم ويحتمل ان يصرف الكل الى الملائكة فيحتمل ايضا فيكون قوله والمرسلات
عرفا اي الملائكة الذين ارسلوا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله فالعاصفات عصفا اي الملائكة
الذين يعصفون ارواح الكفار اي ياخذونها على شدة وعصف وقوله والناشرات نشرا يجوز ان يكون
اريد بها السفرة من الملائكة سموا ناشرات لانهم ينشرون الصحف ويقرؤنها ويجوز ان يراد بها الملائكة
الذين يلحدون ارواح الشهداء والمؤمنين على ما نذكر وقوله فالفارقات فرقا يجوز ان يراد بها
الملائكة وسميت فارقات لانهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله فالملقيات ذكرا هم الملائكة الذين يلقون الذكر
الى الرسل ويصرف البعض الى الملائكة والبعض الى الرياح فيستقيم ايضا فيكون المرسلات الملائكة
الذين ارسلوا بالمعروف والخير والعاصفات الريح الشديدة والناشرات الرياح الخفيفة السهلة والفارقات
والملقيات هم الملائكة ويحتمل وجها آخر وهو ان يراد بقوله والمرسلات عرفا هم الرسل من البشر الذين بعثوا الى الخلق
فما من رسول بعث الا وهو مرسل للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك يجوز ان يراد بقوله فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا هم الرسل لانهم يفرقون بين الحق والباطل ويلقون الذكر في مسامع الخلق ويجوز
ان يكون قوله والمرسلات عرفا الكتب المنزلة من السماء لانها ارسلت بالمعروف وكل انواع الخير وكذا قوله
والناشرات نشرا لانها ناشرات الحق والهدى وكذا قوله فالفارقات فرقا لانها تفرق بين الحق والباطل
وكذلك فالملقيات ذكرا فانها سبب لذلك والله اعلم وقوله تعالى عذرا او نذرا اي عذرا من الله تعالى
ان الله ارسل الرسل وانزل الكتب وبين الحجج حتى لا يبقى لاحد على الله حجة بعد ذلك فهذا هو الاعذار
او نذرا اليهم انذرهم ولم تحل بهم هلاكهم بل بين لهم ما يتقى ويجتنب ولما يندب اليه ويؤتى فهذا
هو الانذار وعلى ما قيل الرياح ما ذكرنا انها مذكرات نعم الله ونقمه فيكون فيه ايجاب ذكر النعم والنقم
فيكون في ذلك اعذار وانذار والله اعلم وقوله تعالى انما توعدون لواقع فهذا موضع القسم بما ذكر
من المرسلات الى آخرها ثم انكار ما وعدوا هو البعث فاعلمنا ان الذي توعدون به من البعث كاين واقع
على الجزاء والعقاب حقا وقيل انما توعدون به من العذاب لكاين فيكون الاية في قوم علم الله تعالى انهم
لا يؤمنون وقوله تعالى فاذا النجوم طمست مكانه والله اعلم لما نزل قوله انما توعدون لواقع سالوا رسول الله

عن وقت وقوعه متى يكون فنزل فاذا النجوم طمست فاشار الى الاحوال التي تكون يومئذ لا الى نفس الوقت
فيكون قوله طمست اي ذهب ضوؤها ونورها ثم تتاثرت وقوله تعالى واذا السماء فرجت اي انشقت
واذا الجبال نسفت اي قلعت من اصلها فسويت بالارض وقال الزجاج نسفت الشيء اذا اخذته على
سرعة وقوله تعالى واذا الرسل اقتت وقرئ وقتت وكذلك اصله لكن الهمزة ابدلت مكان الواو طلبا
للتخفيف وهو من التوقيت اي جمعت لوقت وقيل احضرت بالرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين بعث اليهم
كما قال تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقيل اقتت اي
وعدلهم بيان تحقيق ما اليه دعوا من وقوع ما اوعدوا قومهم الذين تركوا اجابتهم من العذاب ووعد لهم
الوصول الى من آمن بالله واجاب الرسل فيما دعوهم من الثواب وقوله تعالى لاي يوم اجلت فاجلت واقتت
واحد لان في التاجيل توقيتا وفي التوقيت تاجيلا ثم وقت حلول الاجل اجل العذاب بقوله ليوم الفصل
او ليوم الحكم والقضاء قال الله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وقال ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم فجاز ان يكون الكلمة التي سبقت منه هي تاخير الجزاء الى يوم البعث فجعل
ذلك يوم الجزاء وذلك يكون بالمباينة ويجعل هذه الدار دار محنة وابتلاء وتلك يكون دار الجزاء والمثابة
فالمعنى لولا ما سبق من كلمة الله من تاخير الجزاء من العذاب والا لكان العذاب ينزل بهم في هذه الدنيا بالتكذيب
ويحتمل وجها آخر وهو ان الله تعالى اخر الجزاء والعقاب الى اليوم الذي يجمع فيه الاولين والآخرين وقد قدر
هذه الدنيا لخلق هذا البشر على التتابع بعضهم على اثر بعض فلم يقدر خلقهم جملة فتاخر العذاب الى
ذلك اليوم اذ ذلك هو اليوم الذي يتحقق فيه الجمع والله اعلم وسمي يوم الفصل لهذا انه يوم القضاء والحكم
ولانه اليوم الذي يظهر فيه منزلة اهل الشقاء واهل السعادة ويفصل بين الاولياء والاعداء او يفصل بين
الخصماء والله اعلم وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الفصل اي لم تكن تدري حتى ادراك الله تعالى ذكر هذا على
التعظيم والتهويل لذلك اليوم او على الامتنان على رسوله باطلاعه عليه والله اعلم وقوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين ففي هذا دليل على ان الوعيد المذكور على الاطلاق منصرف الى اهل التكذيب ثم لم يذكر ما للمصدقين
وجعل الطوبى للمصدقين لان حرف الويل يتكلم به عند الوقوع في المهلكة وحرف طوبى يتكلم به في
موضع السرور والغبطة فاذا ذكر فاهل التكذيب صرفا للهلاك كانوا في حالهم مستوجبا
السرور فكانه اذا لم يذكر هاهنا فقد ذكر في موضع آخر بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا فقال ومن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وقوله تعالى الم نهلك الاولين وهم قوم نوح وعاد
وثمود ثم نتبعهم الآخرين قوم فرعون اللعين وقوم لوط وغيرهم كذلك نفعل بالمجرمين قيل اي بمجرمي
هذه الامة اختلف في وقت فعله فمنهم من يقول بان هذا الاهلاك في الآخرة لقوله بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر ومنهم من ذكر انه فعل بهم يوم بدر ومنهم من ذكر ان فعله بمجرمي امة محمد ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر يلقي الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى تركوا
الاتيان الى رسول الله واصحابه للمحاربة مع كثرة شوكتهم وقلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا فعله بالمجرمين وفي القاء الرعب لطف آية رسالته وابين حجة عليها اذ كان غيرهم ما ينبههم عن
النهي فقعدهم عن القتال فقذف في قلوبهم الرعب لهم ولا غيره والله اعلم وقوله تعالى الم نخلقكم من ماء
مهين فجاز ان يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الاشكال والريب الذي اعترض في امر البعث لان الاعجوبة
في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في الانشاء والابتداء فذكر ابتداء خلقهم من الماء المهين وهو المستبعد
المستقذر ليدفع تكبرهم وتجبرهم على رسوله وينقادوا لله ويجيبوا الى ما دعاهم اليه واحتمل ان خلقهم
في الظلمات التي لا ينتهي اليها تدبير البشر ليعلموا انه قادر على ما يشاء وليعرفوا انه لا يخفى عليه شيء فيحملهم
ذلك على المراقبة والمحافظة حتى لا يتسقطوا السقطة وقوله تعالى فجعلناه في قرار مكين فالقرار المكين
هو الرحم جعله الله تعالى قرارا مكينا يتمكن فيه الماء المهين فيخلق منه علقة ومضغة ويبقى الى الوقت
الذي قدر الله تعالى الخروج منه وقوله تعالى فقدرنا وقرئ فقدرنا فقدرنا اي خلقنا كل شيء منه
بقدره فقدرنا اي سويناه على ما يوجبه الحكمة على الوجوه التي ذكر في قوله الذي قدر فهدى وقوله
فنعم القادرون اي انعم به من قادر فيخرج ذكر الاية والنعم على ان الذي فعل بكم هذا هو الله تعالى
لم يعجزه ان يفعل بكم هذا الفعل وقوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فجاز ان يكون هذا صلة
قوله الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فيكون في ذكر هذا كله تذكير
الالاء والنعم وتذكير القدرة والسلطان والحكمة ووجه تذكير النعم ان الله تعالى في اول ما انشاء نطفة قدرة وجعلها

مكانا يغيب عن أبصار الخلق ولم يفوض تدبيرها إلى البشر وكذلك في الوقت الذي أنشأه علقة ومضغة لم يفوض
تدبيره إلى أحد من خلائقه لأنه في ذلك الوقت لم يكن مستعدا ويستقذر ولا يخرج عنه المخاط الذي به وقعت الاستعانة
والاستقذار بالتطهير فجعل له قرارا مكينا يستتر به عن أبصار الخلق ثم لما أنشأه نسمة وسوى خلقه أخرجه من بطن
أمه وألقى في قلب أبويه الرقة والعطف ليقوموا بتربيته فأمسكه إلى أن يبلغ مبلغا يقوم بتدبير نفسه ومصالحها
ثم جعل له بعد مماته أرضا تكفته وتضمه إلى نفسها فيستتر بها عن أبصار الناظرين إذ رجع بعد موته إلى حال الاستقذار
ويستقذر ولا يقبل التطهير فجمع في ذكرها قبل أحواله وإلى ما انتهى إليه تذكير النعم ليقبل على أداء شكر ما جعل
الرحم قرارا له في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة ولم يعرض الخلائق لما إذا انفصل حتى يمنعوا بزيد ويرفع عنهم
مؤنة التربية في ذلك الوقت ثم إذا صار بحيث يعرف وجه غنائه عن الخلق المعنى الذي يحمل إلى دفع حاجته أخرجه
من بطن وفوض تدبيره إلى أبويه فهذا وجه تذكير النعمة في ذكر القوة والسلطان والحكمة فهو إذا لله تعالى جعل
النطفة التي منها النسمة بحيث تصلح أن ينشأ منها علقة ومضغة ولو أراد الخلق أن يعرفوا المعنى الذي له صلحت
النطفة بأن ينشأ منها العلقة والمضغة والعظام واللحم ثم يكون منها نسمة سوية لم يصلوا إلى معرفته وإذا تفكروا
في هذا علموا أن الحكمة ليست على ما ينتهي إليه علم البشر ولا قوته تقصر على الحد الذي ينتهي إليه قوى البشر والذي
كان يحملهم على إنكار البعث والإحياء بعد الإماتة تقديرهم الأمور على قوى أنفسهم وتصويرها بعقولهم فإذا تدبروا
في ابتداء أحوالهم رأوا من لطائف التدبير وعجائب الحكمة علموا أن الأمر ليس كما قالوا واعتقدوا فيدعوهم ذلك إلى
التصديق بكل ما يأتي به الرسل ويخبرهم من أمر البعث وغيره وجائز أن يكون ذكرهم ابتداء أحوالهم ونشوئهم لئلا
يصيرون إليه ليتقوا التكبر على دين الله ويتقادوا للرسل بالإجابة ولا يستكبروا على أحد من خلائقه لأنهم في ابتداء
أحوالهم كانوا نطفة يستقذرها الخلائق ثم علقة ثم مضغة ويصيرون في منتهى الأمر جيفة قذرة ومن كان
هذا وصفه فلا يليق به التكبر على أحد ثم قوله ألم نجعل الأرض كفاتا تكفتهم أي تضمهم وتجمعهم في حياتهم وبعد
مماتهم فالانضمام إليها في حياتهم ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت وجعل لهم بعد مماتهم قبورا يدفنون
فيها أو جعل متقلبهم ومثواهم في ظهورها في حياتهم وجعل بطنها مأوى بعد وفاتهم وجعل ظهرها بساطا لهم
ليسلكوا فيها سبلا فجاجا وقدر لهم فيها أقواتهم فذكرهم النعم في خلقه الأرض ليستأدي منهم الشكر فإنه لم
وقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات فالرواسي هي الجبال الثابتات في الأرض تثبتها لئلا تميد بأهلها
إذ لو مادت لا يتصل أهلها إلى ما قدر لهم بها من المنافع فذكرهم تذكير الجبال لذكر عظيم نعمه عليهم ليستأدي
منهم الشكر والشامخات هي الطوال وقوله تعالى وأسقيناكم ماء فراتا أي أنزلنا لكم من السماء ماء فراتا ولولا
إنزاله عليكم لم تكونوا تصلون إليه بقواكم وحيلكم ثم أنزله من السماء إلى الأرض ليخرج من صفة العذوبة ولا يحل
به التغير بما مسته الأرض واختلطت به وهذا منصرف إلى الشرب خاصة ثم لعمر العذب من المنافع ما للعذب لأن
الشرب خاصة وقوله تعالى انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون معناه والله أعلم إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله
وهم كانوا يكذبون بالبعث والعذاب لكن يقال لهم هذا بعد البعث فهو منصرف إلى ما ذكرنا من العذاب وقوله تعالى
انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ذكر أن ذلك الظل دخان يخرج من جهنم فيظنون أنه ظل فينطلقون إليه رجاء أن
ينتفعوا به وقوله ذي ثلاث شعب يحتمل وجهين أحدهما أن يكون أصله واحدا ثم يتشعب منه شعب ثلاث والثاني
أن يكون في الأصل ذا شعب ثلاث ثم يشتبك كل شعبة من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا وقوله تعالى لا ظليل
ولا يغني من اللهب لا ينتفعون به كما ينتفعون بالظل في الدنيا لأن الظل في الدنيا يهرب إليه لدفع الحر أو ليسكن
فيه لأن الظل البيت ما يسكن فيه وظل الشجر والحيطان يؤوى إليه للروح وذلك الظل لا يغني عنهم في الآخرة في دفع
الحرارة ولا في غيرها وقوله تعالى ولا يغني من اللهب يجوز أن يكون أمرين أحدهما أن الظل من اللهب يخبر أن ذلك
الظل لا يدفع عنهم أذى اللهب ويجوز أن يكون في ذلك الظل ويكون كأنه الظل ساتر عما فيها من اللهب فيخبر أن
سترها لا يمنع اللهب عن أن يمسهم إذا انضموا إلى اللهب وقوله تعالى إنها ترمي بشرر كالقصر وقرئ كالقصر بفتح
الصاد فالقراءة المعروفة قيل يراد بالقصر المعروف المبني باللبن والخشب وقيل يراد به قصور أهل البادية وهي
الخيام ومن قرأ بالفتح اختلفوا في تأويله عن ابن عباس رضي الله عنهما كالقصر قصر النخل الواحدة قصرة وذلك أن النخل
يقطع قدر ثلاثة أذرع وأقصر وأطول ليستوقدوا بها في الشتاء وقال بعضهم هو أصل النخل المقطوع المنقعر
في الأرض وقيل هو أعناق النخل وقيل القصر اسم الخشبة التي تكون للقصابين يقطع عليها اللحوم ويكسر العظام
وعن الحسن أنه قرئ مخففة كالقصر غير أنه فسرها أي الجذل من الخشب الواحدة قصرة كقولك تمرة وتمر وقد أخبر
عن عظم شررها وقدرها حالا فحالا ما عليه الشرر في الدنيا لأن الشرر في الدنيا لا يأخذ مكانا بل يتبين ثم ينطفئ ثم جائز
أن يكون بعض شررها في العظم كالخيام وبعضها كالقصر وبعضها كأصول الأشجار وقوله تعالى كأنه جمالات صفر

وقرئ جمالة صفر جماعة الجمل وقرئ جمالات جمع جمالة والصفر قيل السود وإنما سمي السود صفرا لأن السود يعلوها
الصفرة في الإبل فيسمى بها يدل ذلك قول القائل شعر تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب
شبه الشرر بالقصر والعظم بالجمالة وهي الإبل السود وقرئ جمالات بقاف جمع هي حبال السفن فيؤمر إذا
ضمت تكون كأوساط الرجال فشبه الشرر بالحبال الممدودة ثم الصفر هنا لامتداد وعند الانضمام كأوساط
الرجال فيكون كالقصر وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون فجائز أن يكون معناه أنهم لا ينطقون نطقا ينتفعون
به كما لم يكونوا ينطقون في الدنيا كلاما يقربهم إلى الله فيما أملهم في الآخرة حسب معاملتهم في الدنيا وهو كقوله
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وقوله قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا الآية ومنهم من
يقول لا ينطقون في بعض المواضع وينطقون في بعضها ويحتمل لا ينطقون بحجة بل يكذبون كقوله والله ربنا
ما كنا مشركين وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ليس أنه لا يقبل العذر منهم إذا أتوا به ولكن معناه أنه لا عذر
لهم ليقبل منهم فهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين معناه أي لا شفيع لهم لا أنهم إذا أتوا بشفعاء لا يشفع لهم
وإذا لم يكن لهم عذر فهم لا يعتذرون ويعتذر وقوله هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فيه إخبار أنه لا يحصل
بالبعث فيعادون ويحيون بل يجمع الخلائق كلهم ثم يفصل بينهم فينزل كل إنسان المنزل الذي استحقه فريق في الجنة وفريق
في السعير وقيل هو يوم الحكم فجائز أن يكون تسميته لما يختصم فيه أهل المذاهب فيحكم فيه بين المحق وبين الذي كان
على الباطل والله أعلم وقوله تعالى فإن كان لكم كيد فكيدون فجائز أن يكون يقال لهم هذا في الآخرة إن كنتم تحتالون
لأنفسكم بما تزيلكم به أن كان لكم حيلة فاحتالوا وذلك بما فعلوا وهو حرف التقريع والتوبيخ على نفاذ المكر والحيلة لما
كانوا عليه أمر الدنيا أنهم يحتالون ويمكرون بأنواع الخداع والتمويهات ويحتمل أن يقال لهم هذا في الدنيا أمر رسوله
أن يقول لهم هذا فيقول لهم إن كان لكم كيد فكيدون في قتلي أو إخراجي من بين أظهركم كما قال هود فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون فيعجزهم عن ذلك فيظهر بذلك آية رسالته وحجة نبوته إذ هو حرف الأمر من قريش بأنه كان أولاد وأحمد
محنة بل كان فريدا وحيدا بين ظهرانيهم وهم مشركين ليست معهم الأطعمة هذا النوع وقوله تعالى في ظلال وعيون
فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله قال الله تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وقال في آية أخرى يا أيها الذين آمنوا
قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقال ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فهذا أهل السعي
ثم أهل التوحيد اتقوا بالعذاب فلحقهم حظ في اتقائه قيل لهم انطلقوا إلى ظلال وعيون وأهل النار كانوا مكذبين
بالعذاب فقيل لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ثم أخبرنا بالوجه الذي يقع به الاتقاء فقال إن الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فأمرنا بالانتصاف بمحاربته ثم علمنا وجه المحاربة بقوله وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين الآية وقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فأخبر الفزع إليه وبين أنه لا يقوى على محاربته إلا بالابتهال إليه
والفزع ثم يحتمل أن يكون الاتقاء ههنا منصرفا إلى التصديق خاصة لأنه ذكر الاتقاء ههنا بمقابلة التكذيب
في الأولى وجائز أن يكون منصرفا إلى المصدقين بالأقوال الموفين بالأعمال فالمتقي هو الذي اتقى مساخط
ربه الله فوعده الله يوم القيامة مجازاة لمن وهو كما أحسن صحبته نعم الله فأحسن الله منقلبه وجعله دار
كرامته في ظلال وعيون وفواكه والمتقي هو الذي نفى نفسه عن الدنيا يوم القيامة والمحسن هو الذي
أحسن إلى نفسه وهو الذي استعملها في طاعة الله فأحسن إليه بما أنعم عليه من الظلال والعيون ثم ذكر ثم
ظلالا لأن الظلال مما يرغب إليه الأنفس في الدنيا لأنها تدفع عنهم أذى الحر والبرد وأذى المطر والرياح وغير
ذلك وظلال الأشجار والحيطان يدفع عنهم أذى الحر والبرد وأذى المطر والرياح وغير ذلك فظلال الأشجار
والحيطان تدفع أذى الحر وظلال البنيان يدفع أذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول أيضا بين المرء والأشياء
عن أن يدرك حقائقها فعظمت النعمة في الظلال لو دعت إليها الرغبة في الدنيا فقال إن المتقين في ظلال
وعيون وقال تعالى وظل ممدود وماء مسكوب ثم الأنفس إذا دنت إلى الظلال اشتهت ما يتمتع به الأبصار و
أعظم ما يتلذذ به الأبصار أن يكون نظرها إلى المياه الجارية فأخبر أنهم في ظلال وعيون وقوله وفواكه
مما يشتهون لتصير فواكه أيضا فأخبر أن لهم فيها ما يتلذذ به الأبصار ويتمتع به وفيها ما تشتهي الأنفس
وفيها ما يدفع عن أنفسهم به الأذى وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون لا تبعة لكم من جهة الحلال
ولا تنغيص لا يؤذيهم ما يأكلون ويشربون فالهنيء الذي لا تبعة على صاحبه ولا تنغيص فيه وقوله تعالى
إنا كذلك نجزي المحسنين فسمى المتقي محسنا لأنه ابتدأ بذكر المتقين وذكر ما أعد لهم ثم أخبر أنهم جزوا
ذلك بإحسانهم فيكون فيه دلالة أن الاتقاء متى ذكر على الانفراد يقتضي إتيان المحاسن وقوله تعالى
ثم رجع إلى المكذبين فقال كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون فهذا في الظاهر أمر بالأكل والشرب وهو في الحقيقة وعيد

وهو ان تمنعكم الاكل والشرب وغيره الذي يمتعكم من النظر في الايات قليل في يسير يعارفونه وتصيرون الى عذاب الله
وقوله تعالى انكم مجرمون قد ذكرنا ان المجرم هو التابع للمعاصي وقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قال لهم
الرسول اركعوا واخضعوا واستسلموا لله منعهم من ذلك استكبارهم على الرسل واعراضهم عن النظر في حجج الله
وقوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون اي فباي حديث يصدقون بعد حديث الله تعالى الذي لا احد اصدق منه
واقوم فيه الدلالة وجائز ان يكون هذا على تسفيه عقولهم واحلامهم وهو انهم يمتنعون عن التصديق بحديث الله
اذ لا حديث اصدق منه ثم يصدقون الاحاديث الكاذبة والاباطيل المزخرفة والله تعالى اعلم واحكم

سورة النبا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم
اختلف في التساؤل فمنهم من ذكر ان التساؤل كان من امر النبي صلى الله عليه وسلم اهو نبي او ليس بنبي ومنهم من ذكر ان
التساؤل كان عن القرآن انه من الله او ليس فيتساءلون فيما بينهم هل يقدرون على اتيان مثله ام لا وجائز
ان يكون التساؤل عن امر البعث او عن التوحيد كما قال حكاية عنهم اجعل الالهة الها واحدا ثم جائز ان يكون
هذا التساؤل من اهل الكفر سال بعضهم بعضا فاختلفوا فيه ولم يحصلوا من اختلافهم على اصابة الحق الا ترى الى قوله
تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ولو كان فيهم مصدق لكان يقع له العلم في ذلك الوقت ولا يحتاج
الى ان يعلم بعد علمه وان كان التساؤل عن امر الرسول ففيه اختلافهم ان بعضهم زعم انه شاعر
وقال بعضهم هو ساحر وقال بعضهم مفتر كذاب وادعى بعضهم انه مجنون وجائز ان يكون التساؤل
من الكفرة والمؤمنين وان كان على هذا فما ذكره اهل التفسير فمنهم مصدق ومنهم مكذب ويراد بالمكذب ما لله
صد منهم السؤال ويراد بالمصدق اهل الاسلام الذي سلم لا يجوز لاحد ان يحصل السؤال على حقيقة
واحدة والقطع عليه الا بالتوقيف الموجب للعلم ثم في قوله الم نجعل الارض مهادا جواب عما سبق من التساؤل
فان كان التساؤل عن امر الرسالة تحقق ان يحمل على جهة من الجهة التي يحمل عليها اذا صرف التساؤل الى امر البعث
او الى امر التوحيد او القرآن والاصل فيه ان الله تعالى لما ذكر من مهاد الارض وخلق الازواج ذكر عباده عظيم نعمه
وكثرة احسانه اليهم ليستادي منهم الشكر فاذا وقعت لهم الحاجة الى الشكر احتاجوا الى من يعرفهم بما
يشكر الله تعالى وكيف يؤدي شكره اولا يعرف في كل نعمه وجه شكرها الا بالتوقيف فيضطرهم ذلك الى رسول
واحتاجوا الى من يعرفهم محل الشكور ومحل الكفور ومحل الموالي ومحل المعادي اذ وجد اهل الدنيا
تمر على الاولياء وعلى الاعداء على حالة واحدة واحتاجوا الى من يعرفهم الوعد والوعيد واوجب ما ذكرنا القول
بالبعث ليظهر به منزلة الشكور والكفور وفي ذكر هذه النعم ايضا دلالة الوحدانية لان الله تعالى مهد الارض
فجعلها متمتعا للخلق ومتقلبا لهم واخرج منها ما يعيشون به وجعل سبب الاخراج ما ينزل من السماء
من القطر فجعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء فلو لم يكن مدبرهما واحدا لانقطع الاتصال ثم لو لم يكن
احكاما يعرف المعنى الذي له تقع احياء الاشياء بالماء لم يصل اليه ولو ارادوا ان يتداركوا الوجه الذي به صلح
الطعام لان يكون سببا لدفع الحاجات وقطع الشهوات لم يقفوا عليه فيكون فيما ذكرنا ان الذي انشاه والسكون
لما تعترض لهم من الامور الخارجة عن تدبيرهم وقواهم وقوله تعالى كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون فمنهم من ذكر
ان هذا وعيد على وعيد وقد ذكرنا ان حرف الوعيد اذا تكرر فيما بينهم للتاكيد كما يقال هيهات هيهات واولى لك
فاولى وجائز ان يكون قوله كلا سيعلمون على علم دلالة وقوله ثم كلا سيعلمون علم المشاهدة والعيان
الم نجعل الارض مهادا اي بساطا والجبال اوتادا وذكر ان الارض لما خلقت مادت باهلها فارساها الله تعالى
بالجبال لطفا منه لانه جعلها اوتادا لا لافتقار الى الجبال في تسكينها ولو شاء لسكنها
فاما صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فقد جعلها في ذلك الوقت متمسكة ثابتة مستقرة بدون الجبال
فثبت انها ليست بسبب الارساء في التحقيق ويكون فيه تعريف الخلق بوجوه الحيل في الامور اذا تعذر
عليهم الوصول اليها وقوله تعالى وخلقناكم ازواجا قيل الوانا فيكون في هذا ابطال الحكم بقول القائلة
يستدلون بالتشابه في الالوان والحكم به فلو كان الامر على ما قدروا الارتفع الاختلاف في الالوان
ويكون الخلق كلهم على لون واحد وقيل ازواجا اي اشكالا يعرف كل منهم بمنظره ومنتهى صله وقيل زوجا
اي جعل لكل واحد شكلا من جنسه فجعل الذكر انثى يزوجها من جنسه وقوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا قيل
السبات التمدد وقيل السبات النوم الذي يقطع حركته وهذا يدل الذي شبه بالميت مسبوت وقيل السبات الراحة

وكذلك سمي السبت لانه يوم راحة وترك العمل في بني اسرائيل ثم انه تعالى انشا النوم وكمل سلطانه ودخول الخلق
تحت تدبيره اذ لا يستطيع احد الاحتراز من النوم حتى لا يغلبه بل يقهر الجبابرة فيذلهم ولا يمكنهم الاحتراز عنه
بالحيل والاسباب والنوم كان من اثقل الاحمال [illegible] فعاد امر الحال الى اليقظة وجد
في نفسه خفة وراحة ومن شان هذا [illegible]
ساعة ما يضع الحمل عن نفسه [illegible] وتحقق عظيم شانه وحكمة
تدبيره وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فهذا اللباس لباس الاخفى لا [illegible]
عن العين [illegible] ولا يحمل اللباس الليل على اللباس المعروف [illegible]
اللباس السكن كما قال تعالى هن لباس لكم [illegible] هذا التاويل هو السكن
والنهار [illegible] قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي يتعيش فيه [illegible] لا يكون نفسه معاشا
كما سمي منسيا للابصار لانه فيه يبصر وقوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا [illegible]
هذا البنيان على قدرته وسلطانه [illegible] قادر وعلى [illegible] وجعلنا سراجا وهاجا
وكان السراج هي الشمس [illegible] وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا
[illegible]
[illegible]
الرياح [illegible]
القطر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وجنات الفافا [illegible] ان يوم الفصل كان ميقاتا [illegible]
فقطع الحجج عنهم [illegible]
قطالحجج صنعهم وكسبهم وسمي يوم الفصل لما انفصل فيه بين الاولياء وبين الاعداء وبين فيه
سوء الفريقين جميعا فاليوم ليس بيوم فصل هذه الطاهر لان الدنيا تمر على الفريقين على حالة واحدة
وان كان يقع تفصل بينهما بالتوفيق والخذلان وقيل يوم الفصل يوم الحكم وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور
قد ذكرناه فيما تقدم وقوله تعالى فتاتون افواجا قيل امة فامة تاتي امة كل رسول بحياله وقيل يقرن كل احد
بشيعته على ما ذكر في قوله واذا النفوس زوجت وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا فمنهم من ذكر
انها تفتح لانزال من شاء الله تعالى من ملائكته وتنشق وتنفطر لشدة هول القيامة ومنهم من قال الانشقاق
والفتح والانفطار كله واحد فذكر الفتح لشدة هول ذلك اليوم وجائز ان يكون الكل يقتضي معنى واحد
لانه فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذكر فيه نزول الملائكة كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا فجائز ان يكون شبهها بالسراب لما انها اذا سيرت لم توجد
في المكان الذي عهدها فيه الناظر كالسراب الذي يرى من بعد اذا راه الناظر فاتاه لم يجده شيئا لا ان يكون الجبال

في الحقيقة سرابا لان السراب هو الذي يرى من البعد انه شيء ولا شيء في الحقيقة واما الجبال لو ان سيرت
فهي في نفسها باقية. قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا. منهم من ذكر انها كانت في علم الله انها ترصد من حقت
عليه كلمة العذاب فيقعد به ولا يمكنه الفرار عنها وقيل ترصد من يستحقها وترقب من استوجب العذاب ويعذبه
ويعذبه الى دركها بطول عتبها له وسخطها على من سخط الله عليه وقيل معنى المرصاد ان يكون ممر كل كافر
ومؤمن عليها لكن الكافر يقع فيها والمؤمن ينجو عنها. قوله للطاغين مآبا. اي مرجعا والطاغي هو الذي
تعدى حد الله وضيع حقوقه وكفر بانعمه. قوله تعالى لابثين فيها احقابا. ذكر الاحقاب ولم يبين منتهى
العدد ولو كان للبث فيها منتهى يجمع الحامدين في الكفرة لكان يأتي عليه البيان كما اتى عليه البيان على منتهى
يوم القيمة بقوله تعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقال تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فلما لم يبين ثبت انه لا يرجع الى حد والى هذا ذهب الحسن ومنهم من ذكر
ان معناه انهم يلبثون ثلاثة احقاب والحقب ثمانون سنة يعذبون بكون من العذاب ثم يعذبون
بكون اخرى من العذاب بعد ذلك لا انه ينقطع عنهم العذاب بعد مضي الاحقاب والاحقاب هي النهاية
في الاوقات فذكر النهاية في الاوقات ذكر النهاية في الاوقات وما يكون منها التعلق انهم لا يزالون فيها كما قال خالدين
فيها ما دامت السموات والارض فذكر السموات والارض لانهما اثبت الاشياء عرفنا بالدوام واقتضى ذلك
معنى الدوام كذلك ذكر ما هو النهاية في الاوقات ليعرفنا انهم ابدا فيها مقيمون. قوله تعالى لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا. فذكر بعضهم ان البرد هو النوم ومنهم من ذكر ان معناه الروح والراحة وقال بعضهم لا
يذوقون فيها بردا ينقطع عنهم الحر ولا شرابا ينقطع بقطع عطشهم الا حميما وغساقا قال الحميم هو الماء الذي قد
انتهى في الحر نهايته والغساق الزمهرير وقال قتادة هو ما يسيل من ابدانهم من الصديد وقيل هو مدة
وهي الودك ومعناه والله اعلم ان الذي يستطعم به اهل النار لا يغذيهم ولا يجدون به متعا بل يصير
ذلك سببا لهلاكهم واذا اشتد عليهم الحر فاستغاثوا ان تقطع عليهم حرارتهم من البرد عذبوا بالزمهرير
فيصير البرد ايضا سببا لاهلاكهم لا انه يقع لهم بذلك البرد راحة وسعاوهم كما وصفهم الله تعالى
فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فيبقون ابدا في الهلاك لا يقضى عليهم فيستريحوا ولا ينقطع عنهم
العذاب فيتلذذوا بالحيوة وقيل الغساق لون من العذاب لم يطلع الله تعالى عليه عباده. قوله تعالى جزاء
وفاقا. اي وفاقا جزاء اعمالهم لا ينقصون ولا يزادون على قدر ما استوجبوا بل يجزون بقدر اعمالهم
وجائز ان يكون معناه انه جزاهم وفاق اعمالهم في الخبث. قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا منهم من ذكر
انهم لا يخافونه ومنهم من حمله على حقيقة الرجاء فلم يكونوا يرجون الثواب ووجه ذلك انهم كانوا قوما
لا يؤمنون بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخافوا العقاب ويرجوا الثواب فان حملته على الخوف فهو لا يخاف
لما لم يؤمنوا به وكذلك ان حملته على حقيقة الرجاء فهم لم يكونوا يرجون لما كذبوا به. قوله تعالى وكذبوا بآياتنا
كذابا. فالكذاب والتكذيب في لغة العرب واحد والآيات يحتمل ان يراد بها آيات الوحدانية وآيات الرسالة [illegible]
قوله تعالى وكل شيء احصيناه كتابا. [illegible]
[illegible] قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا
عذابا. فالزيادة في العذاب هي دوامه وبقاؤه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى ان للمتقين مفازا. [illegible]
في الطاغين. قوله تعالى حدائق واعنابا [illegible]
[illegible]

ابدا انهم يجابوا على شيء ولهذا لا يتغيرون عن تلك الحال الا بهم. قوله تعالى وكأسا دهاقا. قيل الدهاق الملأى وقيل
متتابعا ووصفه بالملأى ليعلم ان ذلك الشراب لا ينتقص ما داموا يشربون خلافا لما عليه شراب الدنيا ومن حمله على
الصفاء فمعناه انه صاف من الآفات المكروه التي تكون في شراب اهل الدنيا من التصديع واذهاب العقل
وغير ذلك ومن حمله على التتابع فمعناه ان ذلك الشراب لا ينقطع ولا ينفد ما داموا في سرهم بل يتتابع عليهم
ولا يحدث فيهم حال تمنعهم عن الشرب من السكر وغيره فيستغني عن شربه خلافا لشراب اهل الدنيا وروي عن العباس
بن عبد المطلب انه قال كنا اذا استجبنا الساقي في الجاهلية قلنا اذهق لنا اي تابع لنا. قوله تعالى لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا. اي لا يسمعون فيها ما يجري في لغو بل يسمعون فيها كل حسن الذي يحق ان يتمنى ما ذكر من
الخلف والطلاق والكذب فلا يسمعون شيئا من ذلك كما يسمع من اهلها في الدنيا اذا شربوها وقوله كذابا
اي قرئ بالتخفيف فهو من الكذب اي لا يكذبون ما يجري وقرئ بالتشديد فهو من التكذيب اي لا يكذب بعضهم بعضا
وكان معناه ان ذلك الشراب لا يعمل فيهم هذا العمل حتى يحملهم على الكذب والتكذيب كما يوجد في شراب الدنيا
ثم قد قرأ بعضهم بالتخفيف في الموضعين هاهنا وفي قوله وكذبوا بآياتنا كذابا وقرأ بعضهم بالتشديد
في الموضعين وقرأ بعضهم بالتشديد في الاول وبالتخفيف في الثاني وعن الكسائي انه قال بالتخفيف
لغة مضرية وبالتشديد لغة يمانية يقولون كذبته تكذيبا وكذابا وخرقته تخريقا وخراقا ونحو ذلك. قوله تعالى
جزاء من ربك عطاء حسابا. وقوله جزاء اي جعل جزاءهم وعطاء اعطاهم وحسابا لحسابهم وقال الحسن
جزاهم باعمالهم فزادهم على العدد الذي استوجبوا وقال بعضهم اعطاهم عطاء كثيرا حتى قال كل واحد منهم حسبي
حسبي والذي يبين هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ جزاء من ربك عطاء حسانا
وقال بعضهم جزاء باعمالهم التي كتبت الحفظة واحصاها عليهم واعطى عطاء حسابا بفتح الحاء والسين اي كثيرا
جزاهم لما اخفوا من اعمالهم التي لم يطلع عليها الحفظة فاعطاهم عطاء بغير ما ظاهر معرفة الناس وجائز ان يكون
الجزاء عطاء من ربه لانه مستوجب الجزاء لما ذكرنا انه لا احد من هذا البشر الا وقد سبقت له من الله تعالى نعم لو اجهد
جميع عمره في اداء شكر منها لم يصل الى كنه ما عليه من الشكر اذ من قام بالشكر يزيده ايضا في النعم لمكان الشكر
فاذا لو وصل الى الجزاء عمله في الدنيا لم يستوجب المزيد فثبت ان الجزاء في الآخرة يجري الافضال من الله تعالى والانعام
لا يجري الاستحقاق الى تعالى الجزاء ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
الآية فسمى الكرامة انعاما وقال في آية اخرى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فجعل ما آتاهم من النعم فضلا منه فثبت ان الذي جزاهم به عطاء من ربه حسابا اي
كثيرا. قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما. فالرب المالك فذكر انه مالك السموات والارض وما بينهما
ليعلموا ان الله لم يمتحن احدا بعبادته لحاجة تقع له او لمنفعة تصل اليه بل هو الغني وله ما في السموات والارض وانما
منفعة ما امتحن به من العبادة راجعة الى انفسهم اذا وفوا بها واذا لم يقوموا بادائها كان الضرر راجعا اليهم.
قوله تعالى الرحمن. بين انه الرحمن ليرغبوا في رحمته ويتسارعوا الى المغفرة. قوله تعالى لا يملكون منه خطابا. هيبة
من الله تعالى وتعظيما لحقه فلا يملكون من هيبته الخطاب بالشفاعة او بالخصومة او باي شيء ما كان. قوله تعالى
يوم يقوم الروح والملائكة صفا. اختلف في الروح فمنهم من قال جبريل ومنهم من صرفه الى ارواح المسلمين ومنهم
من ذكر انهم الحفظة على الملائكة يعني الملائكة ولا يراهم الملائكة وجائز ان يكون الروح الكتب المنزلة من السماء
كما قال ينزل الملائكة بالروح من امره فيكون الكتب مخاصم من ضيع حقها او نبذها وراء ظهره وشافعا لمن ادى
حقها وعمل بما فيها ومنهم من ذكر انه من الامر المكتوم الذي لا يفسر قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من
امر ربي. قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا. جائز ان يكون هذا منصرفا الى الشافع اي الشافع لا
يقول فيما يشفع غير الصواب وما حمل به الرهبة والخوف من هيبة الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق بل الله يثبته
على الحق ويجري على لسانه الصواب وقال بعضهم معناه لا يشفع لامرئ قال في الدنيا الصواب وهو الحق ويحتمل معناه
انه لا ينال من الشفاعة حظا الا من قال في الدنيا الصواب وهو ان يكون مقيما فيما اداه من التوحيد وذكر عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه لم يجوز ان يدعو فيقول اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد وقال انما يقول اللهم اجعلني
من رفقاء محمد في الجنة فان شفاعته لاهل الكبائر من امته وبهذا الفصل تعلق المعتزلة فيقول اذا قلتم اللهم
اجعلنا من شفاعته نصيبا فقد قلتم اللهم اجعلنا ممن يرتكب الكبائر اذ شفاعته في زعمكم لاهل الكبائر والجواب
عن هذا ان الدعاء بتلي بارتكاب الكبائر حتى تنال الشفاعة بما سبق منه من الخيرات من التوحيد وتعظيمه
ربه ومحاسنه التي سبقت منه هي التي تجعله محلا للشفاعة ولولاها لما نالها واذا قال اللهم اجعل لي من شفاعة
نبيك نصيبا فهو يقول اللهم وفقني على فعل الخيرات واجعلني ممن يعظمك ويتقرب اليك بالطاعة حتى انال بها الشفاعة

لان يقصد بنهم جعله من اهل الكبائر والذي يدل على صحة ما ذكرنا من قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون واخبر انه بتسبيحه انقذه من بطن الحوت ولو لم يكن مسبحا لم يستوجب الخلاص فكذلك
صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة ويرجى له الخلاص بما سبق له من الحسنات وان يستوجبها الا بكبائر الكبيرة
ثم من قول المعتزلة انهم يرون الصغائر مغفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكبائر فيقال لهم ان من دعا الله وسأل
المغفرة فكانه يدعو فيقول اللهم ابتلني بالصغائر حتى تغفرها لي فان قلتم بان دعاءه بالمغفرة لا يقتضي ما عرضتم
نقول لو كذلك نعني يقول اللهم اجعلني من شفاعة محمد نصيبا انه لا يقتضي ان يجعله من اهل الكبائر وقوله تعالى ذلك
اليوم الحق قيل معناه ان لا ايقاع بعد ذلك اليوم غير الحق وجاز ان يكون منصرفا الى اليوم نفسه فيكون معناه
انه كون لا محالة وقوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا ثم قيل انا الله بين للخلق سبيل الضلالة
والهدى ولم يضطر احدا من سبيل الهدى وبين ان من سلك سبيل الضلال فمآبه الى النار ومن سلك سبيل الرشد والهدى
فمآبه الى الجنة وذلك مآبه الى الله يجازيه لسبيل اليه وقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا اي العذاب الذي اوعدتم
قريب آت فاذا استبعد بموضع هوايكم قال الله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه
فجائز ان يكون هذا منصرفا الى الخلائق اجمع مؤمنهم وكافرهم ثم تخصيص الايدي بالذكر هو ان النقد ثم في الكاتبين
في الشاهد يقع بالايدي فاضيف اليها وان احتمل ان لا يكون للايدي صنع فيما ارتكب من الاوزار او نحوه فعل ما شرى
وهو كالمطر يسمى رحمة الله وان لم يكن ذلك من اوصافه لانه برحمة الله انما نزل من السماء وسمي الكلام لسانا وان
لم يكن هو لسانا لانه باللسان ما تكلم فكذلك النقد اضيف الى الايدي لما يقع النقد في الشاهد وان لم يكن
للايدي صنع وقوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ذكر هذا التمني في الكافر دون المؤمن لان المؤمن يرى
حسنات متقبلة وسيئات مغفورة فيأمن عذاب الله والكافر يرى نفسه مؤاخذة بالسيئات ولا يرى لها
حسنات متقبلة ويتمنى ان يكون ترابا ليتخلص من عذاب الله وعقابه وقال بعضهم ان الوحوش تحشر والطيور
كلها ثم يقول الله تعالى كوني ترابا فيتمنى الكافر في ذلك الوقت ان يكون ترابا والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى والنازعات غرقا اختلف في تأويله
فمنهم من حمل ذلك كله على الملائكة فقال في النازعات غرقا هم الملائكة ينزعون ارواح الكفرة ويغرقون اغراقا
اي يشددون في النزع كما يغرق النازع في القوس ويستعمل فيه شدة الامر على الغريق او ينزع ارواح الكفرة
فيغرقونها في النار وقوله تعالى والناشطات نشطا قيل انه تنشط ارواح الكفرة نشطا عنيفا اي ينزع ملائكة الله
ارواح الكفرة من اجوافهم نزعا شديدا وقيل هذا في حق المؤمنين ان الملائكة تنشط ارواح المسلمين او يحلها حلا
رفيقا كما تنشط من العقال فيخبر بهذا خفة ذلك على المؤمن ويخبر بالاول شدته على الكافر وقوله تعالى والسابحات
سبحا قيل ان الملائكة يسلون ارواح الصالحين سلا رفيقا وقيل الملائكة تسبح بين السماء والارض وقوله تعالى
فالسابقات سبقا اي تسبق الملائكة الى ارواح المؤمنين وقيل في السابقات سبقا الملائكة الذين يسبقون
بالوحي الى الانبياء وقيل هم الكروبيون الذين لا يفترون عن تسبيح رب العالمين وقوله تعالى فالمدبرات امرا هم
الملائكة الموكلون بامور الخلق وارزاقهم ومنهم من صرف تاويل الآيات الى النجوم انهن النجوم اللاتي يطلعن
مطالعهن لحوائج الخلق والامور جعلت نشطا ويغربن في مغاربهن ثم تنشط الى مطالعهن فتطلع منها الطلاع
كرها بل نشاطا لامر الله الى ما سخرن له والسابحات سبحا النجوم ايضا تسبح دورانها في الافق لامور
ذلك على الخلق كقوله كل في فلك يسبحون وتسبحهن وقوله فالسابقات سبقا اي يسبق بعضها بعضا او
الشياطين بالرجوم للطرد لا تمنعهن يقربن الى السماء وبه قال الحسن ومنهم من صرف تاويل الآيات الى مختلف الآلات
فقال بعضهم والنازعات غرقا هي القسي ينزعها الانسان فيغرق في نزعها والناشطات نشطا هي الاوهاق يبسط
الدابة يكون بعينه فيجعله والسابحات سبحا هي السفن فالسابقات سبقا هي الخيل فالمدبرات امرا هي الملائكة ثم
قال قتادة ومنهم من صرفها الى انفس المؤمنين ولحدوثها فقال في النازعات هي الانفس التي يغرق في الصدور
والناشطات تنشط حين تنشط من العقد وقيل ان انفس المؤمنين تنشط الى الخروج من الدنيا اذا عاينت
ما اعد لهم في الجنة والسابحات سبحا هي ارواح المؤمنين سميت سابحات لسهولة الامر عليها كما تسهل الخروج
من الماء لمن يعلم السباحة وقيل في السابقات هي ارواح المؤمنين ايضا سميت سابقات لانها تكاد تسبق فتخرج قبل
وقتها لما يعاين من كرامة الله تعالى لها بشر من الخير فيها روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن

المؤمن

المؤمن وجنة الكافر وقيل ذلك عند موته المؤمن اذا حضره الموت صار في ذلك الوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة
والخلاص منه لانه يرى ما اعد له من الثواب فتتوق نفسه تود لو خرجت حتى يصل الى ما اعد لها من الكرامة
والكافر اذا راى عند ما حضر جعل يتبلع نفسه كراهة ان يخرج فيصير الدنيا في ذلك الوقت كالجنة له فيحب
مفارقتها من شدة ما يرى من عذاب الله وعلى هذا قيل في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله
تعالى لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله تعالى لقاءه ان ذلك عند الموت ان المؤمن اذا حضره الموت وعاين ثوابه من الجنة
ود ان يخرج نفسه فيحب لقاء الله والله يحب لقاءه والكافر يكره في ذلك الوقت ان يخرج نفسه فذلك حين كره لقاء
الله وكره الله لقاءه والله اعلم وقوله تعالى فالمدبرات امرا قال الجميع المراد منها الملائكة الموكلون بامور الخلق
وارزاقهم ويجوز ذلك والله اعلم ثم اختلف في الذي قصد اليه باليمين في القسم فمنهم من ذكر ان الذي وقع عليه القسم
قوله ائنا لمردودون في الحافرة على معنى انكم مبعوثون وان القسم حق فكانه اقسم بهذه الاشياء انهم لمبعوثون
واضمر الجواب هاهنا لما دل عليه المعنى وكثير ومنهم من ذكر ان القصد في اليمين قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
فاقسم بما ذكر ان النفختين كائنتان فالنفخة الاولى يموت بها الخلق والنفخة الثانية لاحياء الاموات والرجفة هي النفخة
فيكون النفخة علامة الموت والحياة لا ان تكون علة الاماتة والاحياء ثم اختلفوا بعد هذا فمنهم من حمله على النفختين
فيزعم ان النفخة الاولى يهلك بها الخلق والنفخة الثانية يحيى بها الخلق ومنهم من ذكر ان النفخات ثلاث
والنفخة الاولى للتفزيع والتهويل كقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
الآية والنفخة الثانية يهلك بها الخلق لقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله والنفخة الثالثة يحيى بها الخلق لقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ومنهم من
ذكر ان هذا ليس على تحقيق النفخ بل على التمثيل فمثل به ان لحوق البعث والاحياء على الله تعالى في السهولة كخفة النفخ
على النافخ ومثل به لسرعته كما قال تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقالوا الرجفة هي الزلزلة والحركة
تتبعها الرادفة وهي الزلزلة الاخرى ثم ان كان القسم على اثبات البعث فهذا كله اشارة الى احوال البعث
وايضا لما ذكر ان موعدهم على قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فكانهم سألوا كيف يكون القلوب في ذلك اليوم
فقال تكون واجفة والواجفة الخائفة الوجلة وقوله تعالى ابصارها خاشعة اي ذليلة ووجه تخصيص
الابصار والقلوب والله اعلم هو انه لا يخفى لاحد استعمال القلب وتضييعه بل يحدث للقلب فكر وتدبر
لا يمكن ان يكون منها الفكر وكذلك هذا في البصر فيخبر انه ما نزل بهم من الخوف والهيبة يمنع القلوب والابصار
عن عملها فلا تنظر الا الى الداعي ولا تحدث للقلوب فكر بل يكون الافئدة هواء لا تقر لشدة ما حل بها من الخوف
والثاني ان المأخوذ بامر فظيع يحمل انواع الفكر ويوقع بصره على شيء فيتحير ولا يستدرك ما فيه هلاكه و
سلامته من ذلك الامر ثم يقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فيكون القلوب هواء لا تقر في موضع ولا يقع
تدبير لشدة ما حل بهم وتكون الابصار خاشعة ذليلة الى ما يدعو اليه الداعي يقولون ائنا لمردودون في
الحافرة يقولون ائنا لنرد الى ما كنا عليه في ابتداء الامر خلقا جديدا يقال اتى فلان فلانا فرجع على حافرته
يقول على حاله الاولى وقيل البعث عند الحافرة لمن قصد او لم السمع او الكلام فقالوا هذا على جهة الانكار
بالبعث والاستهزاء به وقال ابو بكر هذا ماخوذ من حافر الدابة وهو ان الفارس يمكنه ان يصرفها بحافرها الى
الموضع الذي ابتدأ السير منه وردها وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة وناخرة فالناخرة هي البالية
التي نخرت فبقي النخرة هي التي صارت رفاتا او درست حتى ينسفها الريح وقوله تعالى قالوا تلك اذا كرة خاسرة
قال الحسن وابو بكر هذا منهم تكذيب للبعث اي لا تكون ابدا وقال غيرهما معناه ان لو كانت كرة كما زعمها المسلمون
فهي كرة خاسرة على المسلمين لانهم ظنوا انهم اذا كانوا في الدنيا انعم حالا واوسع عيشا وكان المسلمون في ضيق
من العيش وشدة من الحال ان يكونوا كذلك في الآخرة الا ترى الى قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا يظنون انهم بما انعم الله تعالى عليهم بما انعم لانهم
اقرب منزلة واعظم درجة من المؤمنين اذ لو لم يكونوا كذلك لم يوسع على اعدائه فاذا وسع عليهم
ظنوا انهم هم المفضلون في الدنيا والآخرة وان خالفهم هم الاخسرون ومنهم من قطع هذا الكلام عن مقالة
الكفرة وزعم ان هذا الوصف راجع الى الكفرة فقيل خاسرة للخسران انفسهم واموالهم واهليهم وخاسرة
اي مخسرة وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة ففيه اخبار عن سرعة كونه في ذلك الوقت وسهولته على الله وقوله
فاذا هم بالساهرة قيل الساهرة هي وجه الارض وجائز ان يكون اريد بها ان العيون لا تنام في ذلك
اليوم ولا يغتر بها النوم بل تكون شاخصة الى الداعي لما به وقوله تعالى هل اتاك حديث موسى فمنهم من يقول
قد اتاك فحدثهم به وقال الحسن لم يكن اتاه فاتاه بهذا كما يقول الرجل الآخر هل اتاك ما فعل فلان وهو يريد

ان يذكره بعد ما فعله مع علمه انه لم يكن عالمه من قبل وقد ذكرنا ما فيه وكذا الانباء من الفوائد من تثبيت الرسالة
والتخويف لمن اساء صحبة الرسل الذين لهم ما نزل بفرعون واتباعه حين اساء صاحبه الرسول
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قيل طوى اسم ذلك الوادي وقيل سمي طوى لانه بورك فيه مرتين مرة حين اتاه ثم
ومرة باتيان موسى وذكر الزجاج طوى بكسر الطاء الذي بورك مرتين ثم اضاف الحديث عن موسى وجه
الى نفسه فقال اذ ناداه فظاهره انه تعالى هو المكلم فاضيف الى الله تعالى لا ان اصله من الله كما ذكرنا في قوله
حتى يسمع كلام الله وفي قوله لعله قول كريم وقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اي عتا وتكبر وطغى
في نعم الله واستعملها في كفرانه نعمه فلم يشكر الله تعالى بها وقوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك في اجابة
من اذا اجبت تزكيا وهل لك رغبة الى ما تزكى به نفسك وفي هذه الآية دلالة ان من اراد ان يدعو
الى ما فيه رشده وصلاحه فالواجب ان يدعو اولا بالرفق واللين كما امر به موسى وهارون بقوله فقولا له قولا
لينا وبقوله هل لك الى ان تزكى ثم اذا ترك الاجابة ختم كلامه بالعنف كما فعل موسى عليه السلام بقوله واني
لاظنك يا فرعون مثبورا بعد قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله تعالى
واهديك الى ربك فتخشى اي اهديك الى ربك فتهتدي ثم تخشاه اذا اهتديت وعرفت عظمته وجلاله
فتخشى عقوبته فتكون ذا العلم ثم الخشية الا ترى الى قوله انما يخشى الله من عباده العلماء او اهديك الى طاعة
ربك وانذرك عقابه اذا عصيته فتخشاه فلا تعصيه وقوله تعالى فاراه الآية الكبرى فمنهم من ذكر ان الآية
الكبرى هي اليد سميت كبرى لان سحرهم فسميت كبرى لهذا المعنى ومنهم من ذكر ان الآية الكبرى هي العصا
لان غلبة موسى على السحرة كانت بالعصا حين تلقف ما القوا من السحر ولكل آية كانت كبرى كما قال في
آية اخرى وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها فكانت احداهما اكبر من الاخرى لمن تامل فيها وتفكر وتدبر
والله الموفق وقوله تعالى فكذب وعصى اي كذب بآيات الله وعصى موسى فلم يطعه وقوله تعالى ثم ادبر يسعى
قال الحسن كان خفيفا طياشا والا فالملوك اذا دعوا الى امر يتدبروا فيه وتفكروا واما الخبيث الذي دعاهم
اليه او لم يرد او لعله فاما الاخر نادوا والسعي ليس الا من الخفة او الطيش وقال بعضهم ادبر عن طاعة الله وتولى
عنه وسعى في جمع السحرة او سعى في جمع من قال لموسى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وقوله تعالى
فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذلك اللعين يعلم انه ليس برب السماء والارض ولكن قد اتخذ لقومه
اصناما فامر العوام منهم ان يعبدوها ليقربهم ذلك الى الله ولكن اذا صاروا من خاصته اذن لهم ان يعبدوه
وامر الخواص منهم بعبادته فسمى نفسه اعلى الارباب لهذا وقوله تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى
فمنهم من يقول اخذه بعقوبة الكلمتين جميعا فالكلمة الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري والكلمة الثانية
قوله انا ربكم الاعلى ومنهم من يقول اخذه بعقوبة ما تقدم من الاجرام وما تاخر الى ان غرق ومنهم من يقول
اخذه بالعقوبة في الدنيا والآخرة فغرقه في الدنيا ويعذبه بعد مماته بقوله النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا ويدخله النار مع اتباعه بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فاصيب عقوبة
الدنيا بعقوبة الآخرة وقوله تعالى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ففي ذلك النكال عبرة لكل الذي يخشى
العواقب ويخاف عقوبة الله تعالى وقوله تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء فجائز ان يكون هذا موصولا بقوله يوم ترجف
الراجفة فيكون في قوله يوم ترجف الراجفة اثبات البعث وفي قوله أأنتم اشد خلقا تقرير لاثباته ثم قوله
أأنتم اشد خلقا ام السماء يحتمل وجوها احدها ان اعادتهم خلقا جديدا او بعثهم ايسر في عقولهم من
البعث من خلق السماء وقد اقروا انه خالق السماء فاذا لم يتعذر عليه خلق السماء وان كان خلقها اشق من
من خلق امثالهم فانى لهم ينكرون بعثهم واعادتهم الى ما كانوا عليه وذلك هو في عقولهم ويحتمل
وجها آخر وهو ان السماء مع شدة خلقها اشفقت على نفسها فابت عن ان تحمل ما عرض عليها من الامانة وخافت
نقمة الله تعالى فما بال هذا الانسان مع ضعفه يمتنع عن الاجابة الى ما دعي اليه فلا يشفق على نفسه ولا يخاف نقمته
وما خلقت الناس والجن الا لاجل الانس فيذكرهم بهذا النحو فهم فمن تدعوا عماهم عليه وضنه من الطغيان بحسب
الى ما دعاهم اليه الرسول ويجوز ان يكون هذا صلة قوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فيخبر ان السماء
مع شدتها وطاعتها لا تقوم لذلك اليوم فكيف يقوم الانسان لهول ذلك مع ضعفه فيرجع هذا ايضا
الى التخويف وقوله تعالى بناها رفع سمكها فسواها بناها اي خلقها رفع سمكها اي سقفها فسواها اي
خلقها مستوية لا ترى فيها تفاوتا ولا فطورا او سواها على ما يوجبه الحكمة على الوجه الذي ثم لم يفهم
احد من قوله بناها ما يفهم من البناء المضاف الى الخلق ولا فهم من الرفع ما يفهم من الرفع المضاف اليهم لا فهم
من قوله والارض بعد ذلك دحاها ما يفهم من البسط المعروف المنسوب الى الخلق فما بال بعض الناس فهموا من المجيء

الذي

الذي اضيف الى الله ما فهموا من المجيء الذي يضاف الى الخلق فلولا آفة حلت بهم حملتهم على ان يفهموا منه المعنى
المكروه والا لم يتضرروا وقادهم الى مثل ذلك وقوله تعالى واغطش ليلها واخرج ضحاها ففي اظلام الليل
واخراج الضحى ما ينفي عن منكري البعث الشبه التي تعترض لهم وذلك ان يغطش في ساعة لطيفة يعني
ظلمتها كل شيء ثم يتلفها في ادنى مهلة ويفنيها كانها لم تكن ثم يعقبها بعينها النهار حتى لو اراد احد ان
يميز بين الاولى والثانية لم يقدر عليه بل يقع عنده ان الاولى هي الثانية والثانية هي الاولى وهذا بعد
ما تلفت الظلمة الاولى وذهبت كلها حتى لم يبق منها اثر فلان يكون قادرا على اعادتهم خلقا جديدا
بعد ما افناهم وقد بقي من آثار الخلق الاول بعضه اولى ثم اضاف ذلك كله الى السماء ثم بناها بظهوره من عنده
وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فالدحو بسطها فمنهم من يقول خلقها اولا مجتمعة ثم بسطها
بعد ما خلق السموات لان عليه قال دحاها ولم يقل خلقها ومنهم من ذكر انه خلق سماء الدنيا اولا ثم خلق
الارضين بعد ذلك ثم خلق السموات الست بعد ذلك ومنهم من ذكر انها قبل ان بسطت تحت البيت
المقدس ثم بسطت بعد ذلك قال ابو بكر وهذا لا يحتمل ايضا لانه لا يجوز ان يكون بجملتها وسعتها تحت البيت
المقدس ولكن معناه عندنا ان كان على قال مصيرها الى الجوهر او الجوهر الذي خلق منه الارض كان هنالك
لا ان كانت بجملتها تحته كما خلق هذا الانسان من النطفة وان لم يكن بجملته في النطفة وخلق من التراب وان
لم يكن بكليته على ما هو عليه في التراب وكان معناه انه خلق من ذلك الجوهر فعلى ذلك الحكم فيما ذكره ومنهم من يقول
ان خلقهما كان معا وذكر الحسن ان الارضين خلقت قبل السماء بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقال في موضع آخر ثم استوى الى السماء وهي دخان وقال اسم
السماء ما ارتفع من الشيء كما يقال للسقف سماء لارتفاعه عن الانسان وقوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها
فذكر ما انشاء لنا للحرث وما اخرج منها للانعام لتذكير النعم ايضا لنشكره ونحمده عليه اذ المرعى خلقت لنا
فما يرجع الى منافعها فهي راجعة الينا اذ بها ما نتصل به الى الانتفاع بالدواب وقوله تعالى والجبال ارساها
اثبتها لانه لا تميد باهلها وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم فقيل انما جعله متاعا لنا اذ جعل شيئا من
ذلك للدواب ايضا لانه جعله للانعام لم يجعل لنا فيه شركا وذلك لان الذي انشاء لمتاع البشر منه
ما يستقذره ويستخبث ومنه ما يستطاب ويرغب فيه فجعل منه ما طاب منه للبشر وما خبث منه لمنافع
الدواب وكذا انشاه لمنافع الدواب مما يستخبثه الطباع ويستقذره ففضل اغذيتنا من فضل ما لهم
ففيما ذكرنا دلالة اباحة التناول من الطيبات اذ امتن علينا بها وجعل اغذيتهم مما طاب من الاشياء
وفضلهم على الانعام بذلك فمن كره ذلك فقد كره الانتفاع بما انشئ للانتفاع والله اعلم وقوله تعالى فاذا جاءت
الطامة الكبرى قيل الطامة هي الصيحة سميت طامة لانها تطم الاشياء وتعمها وسميت كبرى لانها
ان كانت بالعذاب فهو يدوم ولا ينقطع وان احاطت بالثواب والكرامة فهو يدوم ولا ينقطع فسميت
كبرى لدوامها وقوله تعالى يوم يتذكر الانسان ما سعى ما عمل فتذكره يكون بوجهين احدهما بقراءة كتابه
قال الله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والتذكر الثاني يكون بالجزاء فالتذكر الاول
يكون باللطف من الله والانعام وقد يكتب اشياء ثم ينساها اذا طالت المدة ولا يتذكرها بالقراءة فيما
لم يعد كتابته اخوف ان لا يتذكر لكن الله تعالى بلطفه يذكره بالقراءة فيعرف به صدق ما كتبته الملائكة و
يعرف انه اذا عوقب يعاقب جزاء بما اكتسبت يداه ويكون الجزاء ابلغ في التذكير فيتذكر وقوله تعالى وبرزت
الجحيم لمن يرى وقرئ لمن ترى فيصير نعتا للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقوله لمن يرى جائز ان يكون الرؤية كناية عن الحضور والدخول فيكون قوله لمن يرى
اي لمن يحضرها ويدخلها وهو كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ومعناه ان رحمة الله قريب للمحسنين
وقال تعالى ولا تقربا هذه الشجرة واريد بالقرب التناول وكنى عنه بالقرب فجائز ان يكون الرؤية ههنا
كناية عن الحضور ويجوز ان الدخول فيكون فيه اخبار عن احاطة العذاب بجميع ابدانهم وجائز ان يكون اهل الرؤية
هم اهل الجنة فيرونها لتزداد ... فيتلذذون بذلك لما نجوا منها وفازوا بالنعيم كما تاولوا بذكر ما عنده
ما كانت غائبة لا يرونها قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا الآية وقوله تعالى فاما من طغى اي عصى وتمرد وطغى
بانعم الله فاستعملها في معاصيه او جاوز حدود الله وقوله تعالى وآثر الحياة الدنيا فجائز ان يكون
ايثاره ان يتبع بمحاسنه الحياة الدنيا حتى انساه ذلك عن الآخرة وابتغى بها الحيوة الدنيا لم يبق له
في الآخرة نصيب لانه قد وفي له عمله الا ترى الى قوله من كان يريد الحياة الدنيا ونوفي اليهم اعمالهم

فيها وهم فيها لا يبخسون. قوله تعالى فان الجحيم هي المأوى. اي مأواه ومرجعه اليها. قوله تعالى واما من خاف مقام ربه
يحتمل ان يكون اريد بالمقام حسابه بين يديه او مقامه عند ربه فاضيف الى الله تعالى لان البعث مضاف اليه فكل
لحق له اضيف اليه ايضا وجائز ان يكون المحسن متدرجا الى الحالة التي هو فيها فيخاف ان يكون مقامه في وضع
نهى الله تعالى عن المقام فيه. قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى. فليس هنا في لغة انما نهيه اياها ان يكفها عن هواها
ولذاتها فكفها ان يشعرها لذات الاخرة ويخوفها بالآثام وعقابها فاذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات
الحاضرة وسهل عليها العمل للاخرة فالناس في نهي النفس عن هواها على ضربين فمنهم من يقهرها فلا يعطيها
شهواتها ولذاتها فيجهدها عناء ومنهم من يذكرها العواقب ويريها ما اعد لاهل الطاعة ويعلمها ما يحل
بالظلمة فيصير ذلك لها كالعيان فتختاره لذات الاخرة على لذات الدنيا اذ ذلك ادوم والذي يسهل عليه العمل
للاخرة والهوى هو ميل النفس الى شهواتها ولذاتها فمن ذلك ان الانفس جبلت على حب الشهوات والميل اليها
فلا تنتهي عن ذلك الا بما ذكرنا. قوله تعالى يسئلونك عن الساعة. وهي القيامة سميت ساعة اما لانها تخفى
على من اليه تدبيرها او سميت ساعة لسرعة كونها اذا اتى وقتها او سميت لقربها الى الحال التي كانوا عليها كقوله
الى امر الله ثم ان كان هذا السؤال عن المؤمنين فهو سؤال الاسترشاد كانه لما قيل لهم اذا السماء انفطرت واذا السماء
انشقت قالوا متى يكون الساعة فنزلت هذه الآية وجائز ان يكون هذا السؤال من الكفرة لما ذكرنا انه ليس في
تبيين وقتها كثير منفعة حتى يقع الحاجة للمسلمين الى تبيينه بالسؤال عنها او السؤال الاستهزاء والتعنت
برسول الله وبنبوته استعجالها في قوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وكانوا يسألون عن شيء يعلمون انهم
متعنتون في السؤال الحصد منهم التمويه بوقت مجيء الساعة فاذا طلبوا الاستعجال علموا انه لا يتهيأ لهم
ان يتهيأ في ذلك الوقت اذ ذلك يخرج مخرج خلاف الوعد فيحتجون على الضعفة انه لو كان صادقا في مقالته
ان الساعة تكون لكانوا يطلبون مجيئها بتاريخ تيقنهم بها. قوله تعالى ايان مرسيها. اي وقت مجيئها اي وقت ثبوتها
وظهورها. قوله تعالى فيم انت من ذكريها. اي لست انت من علمها في شيء هذا ان شأن رسول الله صلى الله
عليه لم يطلع عليها ولست انت من اخبارها في شيء. قوله تعالى الى ربك منتهيها. اي ينتهي اليه علمها فانكم
في هذا نهي للسائلين عن العود الى السؤال. قوله تعالى انما انت منذر من يخشيها. فهو كان نذير للعالمين جملة
بقوله ليكون للعالمين نذيرا لكنه ينتفع بانذاره من يخشى الانذار. قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحيها. قال اهل التاويل في هذه الآية انهم اذا رأوا الساعة استقصروا امد الايام فقلت الدنيا في
قلوبهم حين عاينوا الاخرة وجائز ان يكون تاويله انهم لو راوا الساعة للحالة التي هم فيها لم يلبثوا الا عشية
او ضحيها فلا يقع ذلك موقع التهويل والتخويف والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب.

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم. قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى
ذكر الحسن ان تعبيس الوجه والتولي كان بنفس النبي على ظاهر الآية فانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان عنده من عظماء المشركين يعظهم ويدعوهم الى الاسلام فلما جاءه ابن ام مكتوم مسألة اعرض عنه
عنه لمكان اولئك القوم وعبس وجهه رجاء اسلامهم وذكر غيره من اهل التفسير انه عبس وجهه
وتولى لما سأله ابن ام مكتوم عما فيه رشده وهداه فعبس وجهه بقطعه الحديث عليه ثم هذا التعبيس من كان
امر ابن ام مكتوم قبل ذلك يحتمل ان اهل الارض لم يرجح على خيراتهم ومحاسنهم لانه ذكر انه كان مقبلا على رؤساء
الكفرة يعظهم ويحرضهم على الاسلام رجاء ان يسلموا فيكون في اسلامهم رجاء اسلام كثير من القوم كانهم
كانوا من علية القوم وعظمائهم وكان في اسلامهم رجاء اسلام من تبعهم من قومهم مستوجب باسلامهم من جزيل
الثواب وعظيم المنزلة ما لا يبلغه احد بجميع محاسنه وكان في سؤال ابن ام مكتوم ما قصد اليه من احراز جزيل الثواب
وكريم الخصال فاذا كان هكذا فتعبيس الوجه في مثل هذه الحال امر سهل لا يستبعد ولا يستنكر والثاني
ان تعبيس الوجه على الاعمى والاعراض عنه لا يظهر للاعمى لانه لا يراه فلا يتبين جفاء وكان في اقباله على اولئك
القوم وحسن صحبته اياهم رجاء الاسلام منهم اذ اقباله وحسن صحبته يظهر لهم وفي الاعراض عنهم ذهاب ذلك
الرجاء وابداء الجفاء اياهم ومن آثر الوجه الذي فيه ترك الجفاء والبقاء الى ما فيه الهدى والصلاح على الوجه الذي
ليس فيه الا الجفاء فهو محمود ليس بمذموم ولان اقباله على اولئك كان لمكان دعائهم الى الاسلام وقد لما
بدعاء الكفرة الى الاسلام وان كان في دعائهم تلاحق انفسنا واموالنا فلان يسوغ الادهان وجه ليس فيه

الانبياء

الا تعبيس الوجه على واحد من المسلمين ولي كان الى النبي صلى الله عليه وسلم وجه منه هذا النوع من الايثار اجتهادا
[illegible] وجاء اهل العلم من الله [illegible] امور الدين [illegible] الاذن في ذلك وان كان ذلك
تعاطوه من الامور امور محمودة في تدبير الخلق نحو ما اخبر عن يونس [illegible] مفارقة قومه بغير اذن [illegible]
مثل تلك المفارقة او وجد منا واحد من اهل الارض استوجب الحمد وحسن الثناء لان تلك المفارقة كانت على
من احد امور ثلاثة احدها [illegible] كانوا اهل كفر [illegible] فمفارقتهم [illegible] وسلم دينه
[illegible]
[illegible] القوم متى [illegible]
[illegible] العذاب [illegible] مفارقتهم [illegible]
عليهم [illegible] الضلال [illegible]
الصحيح واستقام على الطريقة والثالث [illegible]
[illegible] في الاسلام [illegible] كانت مفارقته من قومه على هذه النية [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تخفيف الامر عليه لا ان يكون ضده نهي عن الحزن وعن الحسرة وكذلك قال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات
ازواجك معناه والله اعلم لا تحمل نفسك كل هذا الحمل حتى تمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك لا ان تعلق
به علينا المرضاة لان ينهاه عن ابتغاء مرضاتهن بل تندب الى ابتغاء مرضاتهن بقوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن الآية فجائز ان يكون رسول الله استقبل الاعراض لاولئك القوم حتى
الايمان وكبر ذلك عليه حتى تغير لون وجهه فظهر عبوسه في وجهه فمن ذلك قوله عبس وتولى ليبين شدة
ما اعتراه من الهم حتى اثر في وجهه لا ان يكون فيه ذمة ومنقصته ثم في هذه الآية دلالة جواز العمل
بالاجتهاد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا النوع من الفعل اجتهادا لا نصا اذ لو كان الاذن
بالتولي وبالتعبيس سابقا لم يكن يعاتب فعل ما قد امر به فان قيل كيف لا يدل المعاتبة على النهي على اقدامه
مثله فيحرم عليه الاجتهاد قيل له لو كان هذا نهيا لم يكن يعود الى العمل بالاجتهاد بعد ذلك وقد عاد
العود بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وبقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فثبت انه ليس فيه
نهي وفيه ان الكافر وان كان مبجلا معظما في قومه فليس على المؤمنين ان يعظموه ويبجلوه بل يستر ذلك ويخفي
وان المسلم ينبغي ان يعظم ويكرم وان كان حقيرا في اعين الخلق وفيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
ودلالة نبوته وانه لم يختلق هذا القرآن من عند نفسه لانه من تعاطى فعلا يحقه الستر فهو يستره على نفسه
ولا يبث عليها الستر لئلا ينبذ عليه فلو لم يكن مامورا بتبليغ الرسالة لكان يجتهد في الستر على نفسه
ولا يبديه للخلائق ولكنه كان رسولا لم يجد من تبليغه الى الخلق بدا فبلغه الى الخلق كما امر. قوله تعالى وما يدريك
لعله يزكى. ولعل من الله واجب وقوله يزكى ان يتزكى بعمله وبنيته ووفق له وفيها ابطال قول من زعم
ان جميع ما في القرآن وما يدريك فهو مما لم يدره يروى ذلك عن سفيان بن عيينة وغيره لانه قد ادراه
ههنا بقوله لعله يزكى ولعل من الله واجب واذا جعلته واجبا فقد ادراه واذا ادراه فقد علمه لكني
قوله تعالى او يذكر فتنفعه الذكرى. يحتمل وجهين احدهما ان يكون يتذكر بتذكيرك اياه فينتفع بتذكيرك
اياه والثاني ان يتذكر بما ذكرته من العواقب ما يحق عليه في حالة فينتفع به فيكون المنفعة في التاويل الاول
بالتذكير بنفس تذكير الرسول وفي التاويل الثاني بتذكره بما ذكره النبي. قوله تعالى اما من استغنى بما اختاره
مما حبست به من الدنيا ويكون على الغنى المعروف لان الذين اقبل عليهم بوجهه كانوا اهل ثروة وغنى فاقبل عليهم
رجاء ان يسلموا فيتبعهم اتباعهم في الاسلام اذ كانوا من رؤسائهم واجلتهم. قوله تعالى فانت له تصدى
اي تقبل عليه بوجهه. قوله تعالى وما عليك الا يزكى. اي ليس عليك غير التذكير فان ترك التذكى فاثمه
ووكلته عليه لا عليك لان عليك البلاغ واذا اعرض عنك وعاداك لم يمكن من الحاق ضرر بك بل الله يعصمك ويدفع
عنك ويدفع عنك شره. قوله تعالى واما من جاءك يسعى وهو يخشى. اي يخاف الله ويخشاه وجائز ان يكون

الحسنة صلة السعي فيكون معناه ان حسنته هي التي حملته الى السعي وقد يجوز ان يخرج الكلام مخرج العطف
على جعل احدهما صلة للاخر دليلا له قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم فكان الاحياء الاول دليلا للاحياء الثاني في موضع العطف والتي ينبني على الكلام الاول ويكون
ابتداء كقولك جاءك يسعى وهو يخشى الله بطلب التبعة وتحصيل الثقة وقوله تعالى فانت عنه تلهى اي تعرض
عنه وتشتغل بغيره فلم تجد امرأتك تقول لمن يأتيك من المؤمنين سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله تعالى كلا
قال الحسن معناه ان الذي فعلته من التولي عن المؤمنين والاقبال على الكفرة ليس من خلقي وذكر ابو بكر الاصم
انه قال لما نزلت عبس وتولى الى قوله فانت عنه تلهى تغير وجه رسول الله وخاف نزول الرسالة وان يمحا
اسمه منها فلما انزل قوله كلا علم انه لم يودعه ربه وتجنبه ها عن العود الى المسئلة فقال المفسرون كلا اي لا تعد
الى مثل هذا وقوله تعالى انها تذكرة فجائز ان يكون هذا منصرفا الى السورة كلها وجائز ان يكون منصرفا الى هذه
السورة لان فيها اثبات التوحيد واثبات الرسالة من الوجه الذي ذكرنا ودلالة البعث وبانه ان خلق
البشر ليس على العبث فهي تذكرة لمن تذكر بها وجائز ان يكون منصرفا الى الآيات التي قبل هذا وهذه
السورة وهو ان فيما تقدم في هذه السورة من الآيات تثبت رسالته بما تقدم ذكرناه وجائز ان يقال انها
تذكرة له هذه المعاتبة تذكرة للنبي ولجميع المؤمنين ليعرفوا من يستوجب التبجيل والتعظيم ومن يستوجب
الاهانة والاستخفاف وقوله تعالى فمن شاء ذكره جائز ان يكون معناه فمن شاء الله تعالى ان يذكره ذكره ويحتمل
كل من التذكر وانه ليس احد بممنوع ولا محجور على الفعل من ترك ان يتذكر من الذي ضيع ذلك بحيث ان اختار
ضده واشتغل بغيره واعرض عن ذكره وجائز ان يكون على تحقيق الفعل ان يذكره فكني بالمشية عن الفعل لما
ذكرنا انها تقترن بالفعل ولانها آلة فتكون في ذكرها ذكر الفعل او يكون على ارادة الفعل قبل وجوده وقوله تعالى
في صحف مكرمة قيل الصحف المتقدمة كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقوله في صحف
في ايدي الملائكة وقوله مكرمة سبك مكرمة بما يكرمها اهل الكرامة وهم السفرة البررة او مكرمة على الله وقوله
مرفوعة مطهرة مرفوعة القدر مطهرة من التناقض والاختلاف ومطهرة من ان تنالها ايدي العصاة او مطهرة
من الاقذار والادناس وقوله بايدي سفرة والسفرة الكتبة وقوله كرام بررة اي كرام على الله بررة من
اعمالهم كما وصفهم الله بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
قالوا تأويله لعن الانسان وذكر الحسن والمعنى له ان هذا من الله على الشتم والتسمية لان الكلام يستجاز في
الشتم منه والاصل ان ليس في الشتم الا هو سفه الشاتم وتسببه اذ لا ضرر يلحق بالمشتوم من جهة الشتم
وانما ضرر ذلك الشتم على الشاتم خاصة وانما المشتوم يصير مشتوما بفعله لا بشتم الشاتم والله
تعالى من ان ينسب اليه فعل السفه فلذلك قلنا انه لا يتحقق معنى الشتم في الكلمة التي عرفت شتما فيما
بين الخلق اذا جاءت من الله تعالى كما لا يتحقق في الكلمة التي عرفت للغيبة فيما بين الخلق اذا جاءت من الله تعالى
معنى الاغتياب بل يحمل ذلك على الردع والتنبيه فيكون في ذكرها التخويف لمن خوطب بها او تذكير الخلق بسفهه
وجهله الا ترى ان المرء الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك الستر على المخاطب لا يعد ذلك منه اغتيابا
اذا قصد به وعظه وزجره عما هو فيه وارشده الى ما هو فيه صلاح آخرته واولاه فكذلك الله تعالى اذا جاء
منه ما يحتمل تسميته من شتم واغتياب لم يلحقه وصف الشتم والغيبة اذ ذلك منه على التذكير والتنبيه للخلق
وعلى التخويف والتهويل لم ينسب لله ذلك وقوله ما اكفره اي ما اقبح كفره وجحده وتشنيعه لانه علم انه جحد
ما انعم به من النعم من الله تعالى ثم هو لم يشكر نعمه ولا اطاعه فيما ادعاه اليه بل وجه شكر نعمه الى من لا ينفعه
ولا يضره وعبد من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا اما هذا الا غاية الفحش ونهاية القبح وما اوحش
كفره واقبحه بما سوى بين الشكور والكفور وبين المصلح والمفسد وبين الولي والعدو والفعل يوجب
التفرقة بينهما فهو بالجزاء والبعث كان يحتمل من عاند فما اشد كفر من هذا وصفه ثم قيل ما اكفره اي
اكفره فيكون في ذكره تعجيب لغيره من الخلائق وتذكيرهم عن سوء هذا صنيعه وصنعه ما ملتوح ربه وقوله تعالى
من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فكانه قال الا ان الذي كفر قد علم انه خلق من نطفة وتلك النطفة موات لا سمع
فيها ولا بصر ولا عقل ولا شيء من الجوارح ثم ان الله تعالى بلطفه وعجيب حكمته دبر فيها البصر ليرى نفعه واجزاءه
ادنى وجعله مستويا خمسة اعوام وتدبر فيها عقلا يرى ملكوت السموات والارض وقدر فيها السمع والبصر
وغيرهما من الجوارح امر بانه من لطف قدرته وهذا يعجز عن احكام من اماته عن بعثه او يكون قوله من نطفة خلقه
تعريفا منه انه خلقه من نطفة ويكون في ذكره ما ذكرنا من الفوائد وقوله تعالى فقدره اي سواه على وجه يكون
فيه دلالة ربوبيته وشهادة وحدانيته او قدره على ما فيه صلاحه ومنفعته او قدره على ما يشاء من الطول

والقو

والقصر والدمامة والملاحة وغير ذلك وقوله تعالى ثم السبيل يسره يحتمل ان يكون المراد من السبيل الذي ذكر
يقول تيسر له سبيل دينه سبيل الله على ما ذكرنا ان الدين اذا اطلق يراد به دين الله وكذلك الكتاب المطلق يراد به
كتاب الله فعلى ذلك السبيل اذا ذكر مطلقا كان منصرفا الى سبيل الله تعالى او يسر له السبيل سبيل الهدى وسبيل الضلال
والسبيل الذي لو سلكه نفعه والسبيل الذي لو سلكه ضره او يسر له السبيل الذي علم الله تعالى انه يختاره كقوله
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى او يسر
عليه سبيل الخروج من بطن امه على ضيق ذلك الموضع وكبر جثته ليعلموا ان من بلغت قوته هذا فهو قادر على ما اراد لا
يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر وقوله تعالى ثم اماته فاقبره ففي ذكر هذا ذكر النعم وهو ان الله تعالى جعل له ملحدا يغيب فيه كي
يستره عن الخلق لئلا يعافوه ويستقذروه لم يجعل ذلك لغيرهم وجعل لانفسهم اذا اتموا الموتى وصار بحيث
يستخبث ويستقذر وكان يستر فيه ليغيب عن الخلق فاحيا دعا بما فذكرهم هذا ليشكروه وقوله تعالى ثم اذا شاء انشره
معناه والله اعلم كذلك اذا شاء انشره لان هذا كله اخبار في موضع الاحتجاج فكانه قال الا ان الذي خلقه من نطفة وقدره
ثم اماته فاقبره هو كذلك ينشره اذا شاء وكذلك هذا في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
اي ان الذي احياكم ثم اماتكم هو كذلك هو الذي يحييكم وقوله تعالى كلا لما يقض ما امره فمنهم من ذكر ان هذا الخطاب كل
احد لانه لا ترى انسانا قضى جميع ما عليه من الامر على حد ما امره حتى لا يغفل عنه ولا يقصر فيه من الله تعالى على كل احد في
كل طرفة عين نعم لا تنتهي لا احد ان يقوم بكنه شكرها حتى لا يقع منه في ذلك جفاء ولا تقصير ومنهم من يقول هذا
في الكافر خاصة لا يقضون ما امروا به من التوحيد وان كان على هذا فهو منصرف الى ابتداء الامر وان كان على الاول
فهو منصرف الى كنه ذلك الامر ويستقيم توجيهه الى الكافر وعلى ما ذكرنا لان الايمان للمؤمن حكم التجدد في كل وقت
لزمه في كل وقت ما امر باجتناب الكفر فهو مجتنبه وخالف يكون بالايمان فاذا كان كذلك ثبت انه في كل وقت مؤتمر
لما امر به مجتنب عما نهي عنه فهو بايمانه راجع عن الزلات في كل حال معتقد الوفاء بما امر به كذلك كان صرفه الى الكافر اولى وقوله تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه كيف قدرنا بحيث لم يستعمل فيه السموات والارضين والهواء والشمس والقمر والليل
والنهار فاستعمل السماء في انزال المطر منها واستعمل الهواء والشمس والقمر فجعل مسكنا للمطر واستعمل
الارض في جعلها قرارا للمطر واخرج منها ما فيه قوام معاشهم فيكون في ذكر هذا فوائد احدها في موضع التعريف
بحال الذي انشأ السموات والارضين ومنشئ الخلق والشمس والقمر واحد لاتصال المنافع بعضها ببعض اذ لو لم يكن
كذلك لكان منشئ السماء ان يمنع منافع السماء عن خلق منشئ الارض وفيه تذكير قوته وعجيب حكمته ليعلم انه قادر
على كل ما يريد فعله لا يضعف عن ذلك ولا يعجزه شيء لا تجمع بين منافع ما ذكر مع تناقضها واختلاف جواهرها ونفسها
فجعلها من حيث المنافع متسقة وجعل كل واحدة منهن كالمتصلة بالاخرى والمقترنة بها مع بعد ما بينها اذ قدر على
الاتساق بين الاشياء المختلفة وقدر على الوصل بين الاشياء المتباعدة بعضها من بعض لقادر على احياء الموتى
والبعث وذكر هذا ليتبين حكمته وفضله ليعلم ان الله لم يخلق الخلق عبثا او ليتركهم سدى لا يستأدي منهم الشكر ولا
بل ليستعبدهم ويمتحنهم فيخرج فعله على ما فيه خروج من الحكمة ولانه خلق البشر على وجه تمسه الحاجات وتعتريه الشهوات
وقد جعل العظام على وجه اذا اتبعوا لمصروف حاجته وسكن شهوته ولو اراد احد ان يتدارك المعنى الذي يعمل في دفع الحاجة
وتسكين الشهوة اهو لم يصل الى غرض فيؤدي بفكره الى دفع الشبهة والاعتراضات التي تعترى في امر البعث وغيره
اذ كانوا يعدون الامور على قدر قواهم ويسوونها على ما ينتهي اليه تدبيرهم فاذا وجدوا في الطعام معاني هي خارجة
من خارجة من تدبيرهم وقواهم علموا ان ليس الامر على ما قدروا فيرتفع عنهم الريب والاشكال وكذلك لو ارادوا ان
يستخرجوا الماء الذي به صلاحها لتكون بحيث الاشياء كلها مع اختلاف الاشياء وتفاوتها واختلاف طعومها
والوانها لم يمكنهم ذلك فيعلمون ان الذي صنع حكمته هذا المبلغ قادر على ما يشاء فعال لما يريد ويكون في النظر بيان
حاجته وافتقاره الى غيره ويتبين ان الله تعالى لم ينشئ الخلق لحاجة نفسه وانما خلق لحاجة البشر اليه وقوله تعالى
انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ليقرأ المرضي شققنا فحصل الخلق الى الانتفاع به وشققنا فانبتنا
فانبتنا فيها حبا وعنبا فذكر الحب والعنب واضافهما الى الارض وهما في الحقيقة غير نابتين ولكن اخرجهما
من اصل هو نابت في الارض واضافهما اليها لما يرجع الابتداء اليها وهو كقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون والسماء
المطر لكن الذي هو رزقنا من الطعام وغيره انما نبت في الارض ويخرج منها بالمطر من السماء فاضيف اليها اذ يرجع
ابتداؤه اليها اذ يرجع ابتداؤه اليها وكذلك قال هو الذي خلقكم من تراب وكنا لم يخلق من التراب ولكن الاصل يرجع
الى ذلك فاضيف اليه فعلى ذلك ما اضيف الحب والعنب الى ما ذكرنا بالمعنى الذي وصفنا وقوله تعالى وقضبا وزيتونا
القضب الرطبة سميت قضبا لانها تقضب ثم تقطع مرة بعد مرة وزيتونا وفي ذكر الزيتون ما ذكرنا من الفائدة وهو
ان الزيتون واللبن الاشياء انبت اصله في الجبال التي هي اصلب الارض فيخرج على اخراج اللين الاشياء عن اصلب الاشياء

لقادر على الاشياء والنبات ومن قدر على اخراج النبات من الارض عن صلب الاشياء لقادر على ان يلين القلوب القاسية
حتى تلين لذكر الله قوله تعالى وحدائق غلبا والحدائق هي البساتين التي احدقت بالاشجار واحاطت بها والغلب
الغلاظ يقال للرجل اغلب اذا كان غليظ الرقبة وقوم غلب الرقاب اي غلاظ وقالوا ايضا الغلب الاشجار الكثيفة
الطويلة قوله تعالى وفاكهة وابا الاب الكلاء فيخبر انا نشاهد هذه الاشياء لكي تكون متاعا للخلق وللانعام لاصلاح
نفسه قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة قال الحسن هي اسم القيامة تصخ لها كل شيء ای تصيخ قال ابو بكر انه تصخ بجنبها كل
شيء اي تخشع لها وتطرق مطرق رأسه للداعي كما قال تعالى مهطعين الى الداعي وقال القتبي الصاخة هي الداهية فذكر القيمة
بالاحوال التي يكون فيها او بالافعال التي توجد فيها على ما ذكرنا وقال الزجاج الصاخة المصمة لها الاسماع عن كل
شيء الا الى ما يدعا اليه قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه فجائز ان يكون هذا على تحقيق الفرار وجائز ان يكون على تحقيق
الفرار لكن وصف بالفرار لما يوجد منهم التخلي الذي يوجد من الفار قال الله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال في اية اخرى ثم لا شك انهم اذا اجتمعوا استبشر بعضهم ببعض وانسوا بالاجتماع
واذا غابوا يسألوا عن احوالهم واهتموا لذلك لما هم فيه فذلك اليوم يدعو السوال عند الغيبة والاستبشار عند الحضور
حتى كانه لا انساب بينهم لا ان يكون بينهم في الحقيقة نسب فكذلك ما يخلي كل واحد منهم من الاهتمام بشغله
عن السوال المجالسة والاستبشار برؤيته صيره كالفار لوقوع المعنى الذي يوجد من الفار لا على تحقيق الفرار ثم
قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فالحكم من الشأن يمنعه عن الفرار عن نفسه ويحقق بانه لا يكون على
الفرار معنى ذلك ان الاقرباء لا يوجد منهم القيام بوفاء حمله ما عليهم من الحقوق وحتى لا يوجد منهم التقصير
فيتخوفون في ذلك اليوم ان يواخذوا بذلك فيحملهم على الفرار وتفر كل منهم عن تحمل الاقرباء كما قال وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقد كانوا يتبعون ويتحملون في الدنيا ويحتمل الاثقال فيخبر انهم لا يتبعون
في ذلك اليوم بل يفرون ثم جائز ان يكون هذا في الكفرة فاما اهل الاسلام فانه يجوز ان يبقى بينهم حقوق القرابة
كما ابقيت المودة فيما بين الاخلاء بقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وان كان في الاسلام
والكفرة جميعا فجائز ان يكون الفرار في بعض الاحوال وذلك في الوقت الذي يفرغ عن شغل نفسه فاما الى
امن ونجاة البشارة فهو يقوم بشفاعته وقضاء حوائجه ولا يفر منه قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن
يغنيه قال اقتضى لكل انسان ما يشغله عن غيره قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة او ناعمة
ناعمة مشرقة فتكون فيه اخبار عما هم فيه من النعيم حتى يظهر ذلك في وجوههم قوله تعالى ضاحكة مستبشرة
او مسرورة بنعيم الله لما انعم عليهم مستبشرة برضاء الله عنها قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة
قالوا هذا اول تغير يظهر في وجوههم كانما علاها الغبار ثم تسود ثم تطمس وترد على ادبارها كما قال تعالى
امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها قوله تعالى ترهقها قترة قال
ابو بكر اي تغشيها الذلة او تعلوها ثم تسود بعد ذلك فيكون ما علاها الغبار ثم تسود على ما ذكرنا قوله تعالى
اولئك هم الكفرة الفجرة اي الكفرة بنعم الله الفجرة المائلة عن الحقوق والله الموفق والبر الرحيم

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا الشمس كورت هذه السورة ليس له
خطاب ولكنه خرج عن سؤال تقدم فيشبه ان يكون ذا السؤال عن وقت لقاء الانفس الاعمال الذي ...
اذا الشمس كورت ... قوله علمت نفس ما احضرت ثم في قوله اذا الشمس كورت اشارة الى الاحوال التي
تأثيرها على ما نذكر المعنى الذي له وقع بتبيين الاحوال وذكر الوقت في سورة اذا السماء انفطرت ثم اختلف في قوله
كورت قال بعضهم هي فارسية معربة وهي بالعربية عورت فقال بعضهم كورت اي ذهب ضوءها يقال كور الليل
على النهار اي اذهب نوره وضياءه فالتكوير تغطي كون الشيء بعد الانتشار بالطمس فيكون فيه اشارة انه يطمس ضياؤها
ثم رد التغيير في نفسها فتلف ... قوله تعالى واذا النجوم انكدرت
قالوا تناثرت وتساقطت نحو قوله واذا الكواكب انتثرت وقيل ذهب ضوءها كما ذهب ضوء الشمس ...
شأنه بعد ذلك قوله تعالى واذا الجبال سيرت اي قلعت من اماكنها وسيرت كما قال في اية اخرى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فهي اذا قلعت تكثرت حتى لا يتبين للناظر سيرها لكثرتها فتحسبها جامدة
وهي تسير هذا اول تغير يظهر فيها ثم تصير كثيبا مهيلا ثم كالعهن المنفوش ثم هباء منبثا الى ان تتلاشى وتذهب
كلها قوله تعالى واذا العشار عطلت فالعشار قيل هي النوق الحوامل التي قد اتى على حملها عشرة اشهر وهي من نفيس

من الاموال عندنا اهلها فيخبر ان اربابها يعطلونها في ذلك اليوم ولا يلتفتون اليها لشغلهم بانفسهم في
ذلك وهو كما قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قوله تعالى واذا الوحوش حشرت قيل جمعت وهو يحتمل وجهين
احدهما ان يجمع كلها فتبلغ بهلاك والثاني ان يحشرها ان يحيي بعد موتها فيصنع الله تعالى فيها ما شاء فيكون
في هذا اخبار من عظم هول ذلك اليوم حتى يؤثر الهول في الوحوش والسموات والشمس والقمر والنجوم قوله تعالى
واذا البحار سجرت قيل فجرت بعضها في بعض وقيل التسجير فيما بعد قوله تعالى واذا النفوس زوجت قيل ...
اختلف في معنى القران قال بعضهم قرن زوجها اليها وقال بعضهم يقرن كل باهل شيعته فيقرن الكفرة بالكفرة
واهل الشراب باهل الشراب واهل الزنا باهل الزنا وقال من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى
قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ففي هذا اخبار ان المعذب يتمنى ان لو فدى يعذب
عذابه ويكون في العذاب الذي هو فيه ثم يتسلى بذلك شيئا فلم يتسل ... كان ذلك في الدنيا اذا ادرك عقوبة
يعذب عذابه يتسلى بذلك قوله تعالى واذا الموءودة سئلت قرأ بعضهم واذا المودة سالت فهذا لو ظاهر
ان يكون هي السائلة التي تسأل اباءهم باي ذنب قتلت ويقول باي ذنب قتلتموني وكانت العرب يدفن
بناتهم احياء ... ثم القراءة المعروفة سئلت فهي يحتمل وجوها ثلاثة احدها ذكره ابو عبيد فقال
ان قتلتها تسأل باي ذنب قتلت ويحتمل ان يسأل الموءودة عند حضرة الذين وادوها باي ذنب قتلت
يراد بالسؤال التخويف وتهويل الذين وادوها لا السؤال استخبار او استفهام وهو كقوله واذ قال الله
يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وليس يسأل عن هذا السؤال استخبار
واستفهام ولكن يسأل السؤال التخويف لمن ادعى ان عيسى عليه السلام هو الذي امرهم ان يتخذوه وامه
الهين من دون الله وجائز ان يسأل الموءودة ابتداء او لا تدعي وتسأل الذي تدعي عليه فيبدأ بها بالسؤال
كما ترى المدعي في الشاهد هو الذي يبدأ بالسؤال عنها لما يدعي على هذا فيقول له باي ذنب قتلت كان
اذا سئلت عن الدعوى ادعت وقالت باي ذنب قتلت قوله تعالى واذا الصحف نشرت اي الكتب التي
الحساب وهي التي فيها اعمال بني ادم قوله تعالى واذا السماء كشطت قيل عريت وذلك ان تتناثر النجوم
تطمس الشمس فيطوى طي السجل للكتب وقيل كشطت تكشف السماء كما تكشف الغطاء عن الشيء وقيل الكشط
اي قلعت كما يقلع السقف قوله تعالى واذا الجحيم سعرت يحتمل وجهين احدهما ان يحدث تسعيرها لكون
فيه ... وكذلك في قوله واذا البحار سجرت يحتمل ان يبتدأ تسجيرها ولم يسجرها من قبل وجائز ان يزاد
في التسجير والتسعير على ما كان من قبل لقوله وقودها الناس والحجارة وقد كان وقودها بغير هذين ثم يزاد
في وقودها بالناس والحجارة قوله تعالى واذا الجنة ازلفت قيل قربت من اهلها قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
اي ما احضرت من خير او شر كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية او تعلم ما احضرتها الملائكة
الذين كتبوا عليها قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الاشياء التي وقع بها القسم تقتضي الحكمة
تدل اثارها من شيء خلقه الله وقسمه بها لدلالته على ربوبيته اذا امعن النظر فيه من تثبت علمه وحكمته وتدل
على قدرته وسلطانه ففي تثبيت القدرة والسلطان ايجاب القول بالبعث وفي تثبيت الحكمة والعلم ايجاب
التصديق بكل ما يخبر الرسول عن الله وفي تثبيت الحكمة تثبيت البعث ايضا وايجاب القول بالرسل ونفي
عن عباده غير الله فلو امعنوا النظر فيها وتفكروا في خلقها لادى ذلك الى القول بالبعث ودعاهم الى وحدانية
الرب والاقرار بالرسل ولا يتفقون ان معه الهة اخرى وقد فهموا وحدانية الرب والاقرار بالرسل بل لا يتخذون
ان معه الهة اخرى ولا كانوا ينكرون البعث ولا كانوا يكذبون الرسل فاقسم بهذه الاشياء على التأكيد
الحجة ليعلموا انه رسول من عنده اي خلق الاشياء من عنده وان القرآن من عنده وان الاعلام من عنده الى الرسول
من عنده او يكون القسم تلقينا من الله رسوله بان يقسم لهم بهذه الاشياء ليزيل عنهم الشبهة والشكوك
التي اعترضت الكفرة في امره صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الى النظر في حججه واياته ثم القسم باللطيف من الاشياء
ودقيقها وبما كثف وغلظ وبما كبر وصغر وبما ظهر وخفي يتفق كلها في ازالة الشبهة واثبات التوحيد والرسالة
والبعث بل الاعجوبة فيما لطف من الاشياء اعظم منها فيما كثف وغلظ واقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل
بالضحى بما شاء من خلقه اذ الخلائق كلها شاهدة على الله وعلى وحدانيته واثبات ربوبيته واثبات علمه
وحكمته وقدرته وسلطانه ... ما لطف من الاشياء وخفي منها يتصل بما ظهر منها فيصير كل
ما خفي منها واستتر كما ظهر منها ... فيكون القسم في الحقيقة بالله تعالى ثم اختلف
في الخنس والكنس قال ابو بكر ان الخنس والكنس هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال الخنس هي النجوم

التي تطلع في مطالعها ثم تغيب في مغاربها، والكنس هي النجوم التي تطلع من مطالعها ثم تكنس وتختفي إلى أن
تعود إلى مطالعها من مطلعها، وقيل الخنس الجواري الكنس هي خمسة كواكب تجري في مجاريها في السماء ويظهرن بالليل
ويستترن بالنهار، وسائر الكواكب ثابتة، ثم قيل الخنوس والكنوس واحد وهو الاختفاء، والفرق في
معناهما أن الدخول فيها، وقيل الكنوس الاختفاء والخنوس التأخر، وكذا قال الفراء هي النجوم الخمسة تخنس تتأخر و
ترجع، وفي حديث كعب فتخنس بهم النار كما تخنس النجوم الخنس بهم ويتلظى والله أعلم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه
أنه قال هي الوحوش التي تخنس من الإنس ويكنسن في مكانهن ما كانت فهي كلها دالة على الرجوع إلى ما ذكرنا
وقوله تعالى: والليل إذا عسعس، قيل إذا أقبل، وقيل إذا أدبر. وقوله تعالى: والصبح إذا تنفس، إذا انفجر
وإذا ارتفع، وفي إقبال الليل وإقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان، وذلك أن ظلمة الليل إذا غشيت
سترت عن وجوه الأشياء حتى لا يجد أحد عن الستر ملجأ، وذلك يكون بأدنى وهلة، ثم النهار إذا أقبل
نزع عن الأشياء كلها ذلك الأشياء وكشف عنها الستر، ولو أراد أحد أن يغطي الأشياء كلها بالحيل و
الأسباب لم يتمكن منها، ولو أراد رفع الغطاء عنهم لم يملك، فذكرهم هذا ليعلموا أن من بلغ قدرته هذا لا يعجزه شيء
ولا يتعذر عليه البعث، بل هو قادر على إحيائهم وبعثهم. وقوله تعالى: إنه لقول رسول كريم، موضع القسم على هذا
وعلى قوله: وما صاحبكم بمجنون، ثم تأويل قوله إنه لقول رسول كريم، أي هذا الذي أتاكم به محمد تلقاه من رسول
كريم على ربه وهو جبريل، ثم نسب هنا إلى الرسول لما منه سمع ولم يكن من قبله، وقال في آية أخرى حتى يسمع
كلام الله، فسماه كلام الله على الموافقة، أو لما أن ابتداءه يرجع إليه لا أن يكون المسموع كلامه، كما قيل هذا قول
أبي حنيفة رحمه الله، وهذا قول فلان إذا أنشأه، وليس الذي سمعته من أبي حنيفة إليه، ولكن نسب إليه لأن
ابتداءه يرجع إليه، فكذلك سمي كلام الله لأنه يدل على كلامه، أو لما يرجع إليه ابتداؤه، لا أن يكون هو نفس كلامه
وقوله تعالى: ذي قوة عند ذي العرش مكين، فمن وصفه بالقوة فمعناه والله أعلم أحدهما أنا ذكرنا أن فيه بيان الأمن في
تغيير يقع من الأعداء من الجن والشياطين والإنس، يحتجز عنهم بقوته، ولا يتمكنون منه حتى يغيروه ويبدلوه
ووصفه بالأمانة في نفسه ليؤمن الخلق تلبيسه، ووصفه بالقوة على النجي يفيد التحذير لكل من عادى محمداً
عليه السلام فيخبرهم أن معه من يدفع عنه شرهم وكيدهم إن هموا ذلك به، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل إن الله تعالى وصفك بالقوة فما أقوتك؟ فقال لما أمرني الله بإهلاك قوم لوط فقلعت قرياتهم
ورفعتها بجناحي واحداً إلى السماء ثم قلبتها، وليس بنا إلى تعرف قوته حاجة، وإنما الحاجة إلى أن يعرف ما المعنى
والحكمة في ذكر قوته. وقوله: عند ذي العرش مكين، فإن كان المراد من العرش الملك فمعناه عند ذي الملك
مكين، له ذو رتبة ومنزلة، وقيل العرش السرير، فإن كان كذلك فتأويله أنه مكين عند من له سرير الملك.
وقوله تعالى: مطاع ثم أمين، قيل إن جبريل عليه السلام رسول إلى الملائكة كما هو رسول إلى الإنس، فإن كان
كذلك ففيه إخبار أن الملائكة الذين تعبدهم بعض الكفرة يطيعون جبريل فيما يأمرهم وينهاهم، فما بالهم
يتركون طاعته والائتمار بأمره. وقوله تعالى: ثم أمين، أي هم يأتمنونه ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به إليهم، فكيف
هؤلاء فيما يأتي إلى الرسول من الوحي. وقوله تعالى: وما صاحبكم بمجنون، فمنهم من يقول إن الكفرة نسبوه
إلى الجنون حين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته فغشي عليه، وكان يتغير في كل مرة
يأتي به جبريل الوحي لون وجهه فينسبونه إلى الجنون لهذا، ومنهم من يقول إنما نسبوه إلى الجنون لأنه
أظهر المخالفة لأهل الأرض، وكان في أهل الأرض الجبابرة والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيب
لمن أظهر الخلاف لهم، فكان ذلك منه مخاطرة بنفسه وروحه حيث انتصب لمعاداة من لا طاقة له بهم، ومن
قام بخلاف من لا طاقة له به وانتصب لمعاداته فذلك عندهم جنون في الشاهد فنسبوه إلى الجنون لهذا.
ومنهم من ذكر أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لما ذكرنا، ولكن شدة سفههم هي التي حملتهم على هذا أن نسبوه إلى
الجنون مرة وإلى أنه ساحر أخرى، ومرة قالوا إنما يعلمه بشر، ومرة قالوا إن هذا إلا اختلاق، فكانوا ينسبونه إلى كل
ذلك لا عن بحث منهم في حاله ولكن على السفه والعناد، ألا ترى أنهم نسبوه إلى الجنون مرة وإلى السحر ثانياً
وهما أمران متناقضان لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم غايته، والجنون هو النهاية في الجهل، ولو كانوا تكلموا
عن بحث وتدبر لكانوا لا يأتون بالمختلف من القول، فظهر جهلهم لمن يريد قصد منع أتباع النبي عليه السلام
بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيصدون عنه حتى يقع التلبيس منهم موقعه فيضلون بكل حرد منهم صد
الناس عن اتباع النبي، فكذلك فيما زعموا أنه يعلمه بشر، إنما افتراه إذا أتوا بالمختلف من القول لأن اختلاقه
وافتراءه يثبت أنه عالم بنفسه مستغن عن تعليم غيره، وحاجته إلى أن يتعلم من غيره يثبت عجزه وجهله عن اختلاقه
بنفسه، فهذا كله يدل على أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لأعلام ظهرت لهم منه، ولكنهم قد خوفوا بكل ما حصرهم

سفها

سفهاء منهم وعناداً، ثم إن كانوا نسبوه إلى الجنون لما غشي عليه عندما رأى جبريل على صورته فقد أتاهم
بما لو تفكروا فيه لعلموا أنه ليس بصاحبهم جنة، كما قال تعالى: قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة، وذلك أنه أتاهم بحكمة تعجز حكماء الإنس والجن أن يأتوا بمثلها، وأتاهم بكتاب
عجز أهل الكتاب عن إتيان مثله، فلو تفكروا فيه لعلموا أنه ليس من فعل المجانين ولا من علومهم، ولكنه من عند الله
أكرمه به، وإن كانوا إنما نسبوه إلى الجنون لما خاطر بروحه فهو بحمد الله لم يتهيأ لهم أن يمكروا به ولا أن يقتلوه بل
أظفره الله عليهم وأظهره على الدين كله، فصار ذلك الوجه الذي نسبوه إلى الجنون دلالة رسالته وعلم نبوته.
وقوله تعالى: ولقد رآه بالأفق المبين، قال الحسن إنه عليه السلام رآه بقلبه وعظمته وسلطانه من وجه لا يبلغ
بر تشابه، وخص الأفق لأنه من الأفق ينزل البركات وينزل الملائكة وأنواع الخير كلها، ويراد من ذلك الأماكن
كلها، وغيره من أهل التفسير صرفوا الرؤية إلى جبريل، ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أن يريه
على صورته فقال له جبريل إن الأرض لا تسعني ولكن إذا أصليت الفجر فانظر إلى أفق السماء، ففعل
فكشف عن صورته ثم تأمله فكان قاب قوسين أو أدنى، فذكر الأفق لأن الشيء من بعيد لا يتهيأ أن يرى من أقطار
الأرض، فلذلك خص الأفق، إذ كذلك تقع رؤيته ما بعد والله أعلم. وقوله تعالى: وما هو على الغيب بضنين، و
قرئ بظنين، قال أبو عبيدة الظنين أولى لأن الظنين هو المتهم، والضنين البخيل، ولم ينسبه أحد من قومه
إلى البخل حتى ينفي عنه البخل بهذه الآية، وقد كانوا يتهمونه على الغيب في القرآن فكانوا يقولون تعلمه بشر وليس من
عند الله، ويقولون أيضاً إن هذا إلا إفك افتراه، فبرأه الله تعالى مما قالوا بقوله: وما هو على الغيب بضنين. ومن
قرأه بالضاد فهو يحتمل وجهين، أحدهما ما ذكره أبو بكر الأصم، وهو أن رسول الله لم يكن يضن بشيء علمه الله
تعالى عن أحد من أصحابه كما يفعله غيره من العلماء، لأن العلماء لا يريدون أن يعلموا من اختلف إليهم كل ما عندهم
من العلوم حتى يستغني عنهم، ورسول الله كان يود أن يعلم جميع ما علم من العلوم أصحابه، فكان يعلم على تعلم
كل منهم بقدر طاقته، ولم يكن يمتنع عن التعليم منافسة وبخلاً، وجائز أن يكون براه الله تعالى من هذا لما علم
أنه يكون في أمة محمد من يزعم أن رسول الله خص بعض أصحابه بتعليم أشياء لم يطلع عليها غيرهم، فخصص
بعضاً دون بعض بتعليم ما عنده، فبطل ذلك الشاهد بما في قوله: وما هو على الغيب بضنين تكذيب أولئك
الذين يدعون هذا، وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم يوم الرؤية وأفطروا لرؤيته، فكأنه قال
لما علم أنه يكون في أمته من يتقدم الشهر بالصيام على الخطأ، والجهالة كي على إصابة الحق في ذلك الحكم فيما
ذكرنا، ثم صرف تأويل الغيب إلى القرآن، وهو عندنا في القرآن وفي غيره من الأشياء التي أطلع الله نبيه عليها،
وجائز أن يكون الضن منصرفاً إلى الشفاعة التي أكرم الله نبيه بها ألا يخص بعضاً منهم دون بعض بالشفاعة
بل يعمهم جميعاً، فيكون في هذا التحريض على الاتباع له والانقياد لطاعته، ويحتمل وجهاً آخر وهو أنه ليس بضنين
في أداء شكر ما أنعم الله عليه حيث غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بل اجتهد في أداء شكره حتى ذكر أنه
تورمت قدماه من طول القيام، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً
شكوراً. وقوله تعالى: وما هو بقول شيطان رجيم، يحتمل وجهين، أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس
من شياطين الإنس ولا بمجنون كما ذكرتم بل هو رسول كريم، والذي يأتيكم به من القرآن لم يتلقه من الشياطين
ولا هو من قبلهم كما تلقته الكهنة والسحرة من أوليائهم، بل هو ذكر من الله تعالى للعالمين أنزله إليه الروح الأمين
القوي الذي لا يتصل إليه الشيطان فيغيره ويبدله. وقوله تعالى: فأين تذهبون، أي فأين تذهبون عن طاعته
واتباعه والانقياد له وقد أتاكم بما يلزمهم طاعته واتباعه. وقوله تعالى: إن هو إلا ذكر للعالمين، يذكرهم
ما يحق عليهم في حالهم ويبين لهم ما يؤتى وما يتقى وما يصير إليه عواقبهم، وأن يكون تأويل إن هو
إلا ذكر للعالمين أي شرف لهم يشرف قدرهم ويصيرون أئمة يقتدى بهم من يختلف إليهم ليتعلم منهم،
والله أعلم. وقوله تعالى: فأين تذهبون، يحتمل وجهاً غير ما ذكرنا، أحدها أن هذا القرآن الذي جاء به محمد تلقاه
من رسول كريم على الله، فإذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه فما ذهبتم إلا إلى قول الشيطان، ويحتمل: فأين تذهبون
وإلى من تفزعون إذا أتاكم بأس الله ونقمته إذا لم تؤمنوا بالله وأنكرتم البعث، ألا تصدقوا الرسول فيما أخبركم
به فإذا أحل بكم ما أنذركم به فإلى من تلجؤون، وهو كقوله: قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير
الكافرين من عذاب أليم. وإذا لم تؤمنوا بالله تعالى ولم تتبعوا ما أتاكم به محمد، وقد تقرر عندكم صدقه، إنما أتاكم
من الآيات المعجزة، فبأي حديث تصدقونه بعد ذلك أين تذهبون، الله وهو كقوله: فبأي حديث بعده يؤمنون.
وقوله تعالى: إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم، معناه والله أعلم أن هذا القرآن ذكر لمن شاء
أن يستقيم من العالمين، فهو في نفسه ذكر وآيات وعظات، ولكن ينتفع بهذا الذكر من شاء الاستقامة و

به من طلب الهداية قال الله تعالى هدى للمتقين وهو في نفسه هدى ولكن تمسك بهداه المتقون ومن لم يتق
فهو عليه عمى وحسير وقال انما تنذر من اتبع الذكر وهو كان ينذر من اتبع ومن لم يتبع ولكن معناه انه ينتفع
بالذي ينذر به من اتبع الذكر وقال ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وهي في نفسها ايات ولكن ينتفع
بها اولوا الابصار والله اعلم وقوله لمن شاء منكم ان يستقيم فهو يحتمل وجهين احدهما ان يحمل على تحقيق
المشية فيكون تاويله لمن اراد الاستقامة على امر الله تعالى او على الحق فهذا الذكر وهو القران نعمة على الخلق
وعلى الامر وينبه الى ذلك او ان يكون هذا على تحقيق الفعل فيكون معناه لمن استقام منكم على الحق والامر
فهو كله والاصل ان المشية متى وصف بها كل مختار واذا كان هكذا صار المشية مقترنة بالفعل فاذا فعل فقد
شاء فكان اثبات الفعل اثبات المشية لذلك استقام حمله على ما ذكرنا وهو ان يحمل احدهما على الاخر وقوله
تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين فان كان قوله لمن شاء منكم على تحقيق المشية فمعناه ما منكم لا تشاؤون
الاستقامة على ما ذكرنا الا ان يشاء الله وان كان على تحقيق الفعل فتاويله انكم ما استقمتم على الطريقة الا بمشيته
وقال بعضهم تاويل قوله وما تشاؤون ان لهذا الكتاب فائدة انزل الله تعالى على رسوله بغير مشيتكم وهذا فيه محتمل عندنا
لانه قد سبق من القوم الارادة والسؤال بارسال الرسول اليهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم فثبت انه قد سبق منهم السؤال بارسال الرسول وانزال الكتاب عليه ولكن تاويله
ثم في هذه الاية دلالة ان كل من شاء الله منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة ولا يجوز ان يشاء من احد استقامته فلا يستقيم
كما قالت المعتزلة لان الله شاء من كل من استقام بمشية استقامته فلو لم توجد الاستقامة ممن شاء منه الاستقامة
لم يكن للانسان فعل لان الاستقامة وغير الاستقامة يكون بالله تعالى والله المستعان وبه التوفيق

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السماء انفطرت قد ذكرنا ان هذا حرف سؤال
تقدم ليبين السؤال عند ذكر الجواب لان اذا اجل حين سؤال متى يجاب اذ يكون سؤالهم ما ذكر في تمام الجواب
وهو قوله علمت نفس ما قدمت واخرت فكانه سئل رسول الله ﷺ متى تعلم النفس ما قدمت واخرت فنزل قوله اذا السماء
انفطرت الاية الى آخرها ثم ذكر الانفطار ههنا وهو الشق وذكر الفتح في موضع اخر وهو قوله وفتحت السماء فكانت
ابوابا وقال في موضع اخر واذا السماء فرجت واذا السماء انشقت فمنهم من ذكر ان شقها وانفطارها الذي يقع بها
ومنهم من حمله على الشق الذي هو خرق من شق الاشياء وهذا اقرب لان الاية في موضع التخويف والتهويل وليس في
فتح ابوابها تخويف وانما التخويف في انشقاقها بنفسها ثم السؤال عن ملاقاة الاعمال وعن علم الانفس بها سؤال
عن الساعة وفي ذكر انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وتسيير الجبال وجعل الارض قاعا صفصفا وصف
لاحوال الساعة واثارها وليس فيه اشارة الى وقت كونها لانه ليس فيه التوقيف على حقيقة وقتها والتخويف فهو في ذكر
اثارها تخويف وهو انه يعظم هول ذلك اليوم واشتد حتى لا تقوم له الاشياء القوية الصلبة في انفسها من الجبال
والسماء والارض بل يؤثر فيها هذا التاثير حتى يصير الجبال كالعهن المنفوش وتصير كثيبا مهيلا وتنشق السماء
وتصير الارض قاعا صفصفا فكيف يقوم لها الانسان الضعيف المهين اذا كانت السموات والارض والجبال
مع طول امتدادها لا يقوم لهولها وافزاعها بل تتقطع فكيف يقوم لها الادمي الضعيف مع خبث عمله وكثرة ميله
مع دبره فيذكرهم هذه الاحوال المخوفة ويهددهم فيستعدوا لذلك اليوم فان الله علم ذكرته الاهوال التي يحل فيها في ذلك
اليوم ولم يبين متى وقته وهذا لما لم يبين منتهى عمر الانسان ليكون ابدا على خوف ووجل من حلول الموت به فياخذ
اهبته ويتشمر له ولو بين له لكان يقع له الامن بذلك فيترك التزود الى ان يدخل الوقت ثم يتاهب له اذا دنا انقضاء
عمره ثم ان الله تعالى ذكر احوال القيامة في غير موضع وجعل ذلك مترادفا متتابعا في القران فيكون في ذلك معنيان
احدهما ان القلوب تتغير وتتقلب في اوقات فرب قلب لا يلين بحادثة اول مرة حتى لا يعاد عليه ذكرها مرة بعد مرة وحالا
بعد حال ثم يلين فيكون في تتابع ذكر البعث والقيامة مرة بعد مرة ابلاغ في التذكرة وقطع عذر المعتذر في يوم القيامة
والله اعلم والثاني ان القوم كانوا حديثي العهد بالاسلام ولم يقع الاسلام في قلوبهم موقعا فيكون في تكرار
المواعظ تلقيح لعقولهم وتليين لقلوبهم على ما اكرمهم الله به من الايمان وقضى رسول رب العالمين كقوله
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قوله تعالى واذا الكواكب انتثرت فاما ان يكون انتثارها لانها مجعولة
لمنافع الخلق فاذا استغنى عنها اهلها فلا معنى لبقائها او لما جعلت زينة السماء فاذا انفطرت السماء لم يحتج
للزينة بعدها والله اعلم قوله تعالى واذا البحار فجرت قال القاتلون اي فجر بعضها في بعض وحلتهم تعود كلها ذلك البحر

الذي اجتمعت فيه المياه اما ان تبتلعها الارض او يجعل في بطن الحوت الذي ذكر ان الارضين قرارها على ظهره او في
بطن الثور ثم يسوي الله الارض كلها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت ويكبس البحار بما شاء اما بالجبال او بغيرها وقال بعضهم
بل يعود ماء كل بحر في مكانه لان يجمع المياه كلها في مكان واحد فيصير بحرا واحدا وقال بعضهم بل يمزج بعضها ببعض فيصير ما
يتلعب بها اهلها عند ذلك كقوله واذا البحار سجرت وقوله والبحر المسجور والله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى واذا القبور بعثرت
اي بعث من فيها فتفتح القبور من فيها قوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت اي تعلم الانفس ما عملت من اول
ما عملت الى اخر ما انتهى اليه عملها ولا يخفى عليه شيء من امرها ومنهم من يقول ما قدمت من خير واخرت من شر فسيعرفه ذلك
اليوم ومنهم من يقول علمت ما قدمت من العمل في حياتها بنفسها او اخرت اي سنت من السنة فعمل بها بعدها وهذا
الذي ذكروه داخل في تفسير الجملة التي ذكرنا انها تعلم من اول ما عملت الى اخر ما انتهى اليه عملها قوله تعالى يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم يحتمل هذا وجهين احدهما تاويله اي شيء غرك حتى تركت الكريم حتى اعرضت به واعراض
عن ربه الاعراض عن طاعته وعبادته وقد يستعمل الباء في موضع عن قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ومعناه
يشرب منها الا ان يشربوا فيها كرما او يجعل العين آنية لهم ثم وجه الخطاب للمغتر بالله في قوله ما غرك بربك الكريم
وهو ان كرمه هو الذي دعا الانسان المذكور الى المعاصي لانه لم ياخذه بالعقوبة وقت جريمته فتجاوزه او تاخيره
العقوبة حمله على الاغترار اذ ظن انه يعفو عنه ابدا كذلك فاقدم عليها والا لو عجلت به العقوبة وقت ارتكابه
المعصية لكان لا يتعاطى المعاصي ولا يرتكبها فقدره ان يقول الذي حملني على الاغترار كرمك او يجي
كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تلا هذه الاية الحمق يا رب ويكون قوله ما غرك بربك الكريم اي اي شيء غرك
حتى اجترأت على الله انه امرك بان تتبع اباءك او تمتثل عليها فاذا ارتكبت الفحشاء قلت ان الله امرك بها على ما قال واذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الم ابعث اليك الرسول الم انزل الكتب ليتبين لك ما امرت به وما نهيت
عنه وقيل نزلت الاية في شان كلدة حيث ضرب النبي عليه السلام فلم يعاقبه الله تعالى فاسلم حمزة حمية لقومه فهم كلدة ان ياخذه
ثانيا فنزلت الاية يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث لم يهلك عند تناوله رسول الله لكن لو كانت الاية
فيه فكل الناس في معنى الخطاب على السواء والله اعلم قوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك ففي ذكر هذا تعريف المنة
ليستادي شكره وفيه ذكر قدرته حيث قدر على تسويته في تلك الظلمات الثلاث التي لا تنتهي اليها تدبير البشر
ولا يجري عليها سلطانهم ليهابوه ويحذروا مخالفته وفيه ذكر حكمته وعلمه ليعلموا انهم لم يخلقوا عبثا ولا سدى لان الذي
بلغت حكمته ما ذكر من انشائه في تلك الظلمات الثلاث من وجه لا يعرفها الخلق لا يجوز ان يخرج خلقه عبثا
باطلا بل خلقهم ليامرهم وينهاهم ويرسل اليهم الرسل وينزل عليهم الكتب فيلزمهم تلقيها ويعاقبهم اذا اعرضوا
عنها وتركوا اتباعها ويستذكروا وجه التسوية وقوله الذي خلقك فسواك ان سواه على ما توجبه الحكمة او سواه على ما به
مصلحته او سواه من وجه الدلالة على معرفة الصانع فسواه فيما خلق له من اليدين والرجلين والسمع والبصر
قوله تعالى فعدلك اي سوى الوجه والبصر ان جعل بنيته مستويين ولم يجعل احدهما اطول من الاخر وكذلك
سوى بين رجليه وقرئ بالتخفيف والتشديد قال ابو عبيدة معنى قوله فعدلك بالتخفيف اي اما لك الى اي شبه كان
كثير حكمه واختار التشديد يعني جاز كما ذكرنا لان ذكر هذا من الاعجوبة ما في ذكر الاخر حق وقوله فعدلك اي صرفك
من حال الى حال ومن وجه الى وجه والله اعلم لانه كان في الاصل ماء مهينا وصلبا لا بعض فيه ثم اخرجه الى الرحم ثم انشاه
نطفة ثم صرفها الى العلقة ثم الى المضغة الى ان انشاه خلقا سويا او صرفه على ما هو عليه من الحال من الصحة الى السقم
ومن السقم الى البرء فيكون في ذكر هذا تعريف المنة والقدرة والحكمة كما في الاول قوله تعالى في اي
صورة ما شاء ركبك منهم من جعل ما ههنا صلة زائدة ومعناه في اي صورة شاء ركبك ومنهم من جعل ما ههنا
بمعنى النعيم قوله شاء ركبك يحتمل ان يكون هذا عبارة عما تقدم من الاوقات وهو انه قد شاء تركيبك على الصورة
التي انت عليها لا على صورة البهائم وغيرها فيكون في ذكره تذكير المنن والنعم ليستاديهم الشكر ووجه التذكير انه
انشاه على صورة يعرفها ولا يتمنى ان يكون بغير هذه الصورة من الجواهر وانشاه على صورة يعرف المحاسن والمساوي
ويعرف الحكمة والسفه ويميز بينهما ويميز بين المضار والمنافع وانشاه على صورة سخر له السموات والارض وما فيها
كما قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقال ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر الاية
ولم يسخره لغيره فثبت ان فيه تذكير النعم ليشكروه ويعرفوا مجده ويحتمل ان يكون هذا على الاستئناف في ان ركبه
على ما هو عليه على اي صورة شاء من الصور التي يستقذرها ويستقبحها او كان قادرا ان يركبك بما يتعلى من المعاصي
فيكون في ذكره تذكير القدرة والقوة ليراقب الله تعالى ويهابه فيترك معاصيه ويسارع الى طاعته
كلا بل تكذبون بالدين فان حملت قوله كلا على التنبيه والردع تمكنا ان تعطف على ما قبله وعلى ما بعده وكذلك
اذا حملته على القسم بمعنى حقا فانه يستقيم عطفه على الامرين جميعا وقوله بالدين يحتمل ان يكون اريد به دين الا

والاصل ان الدين اذا اطلق اريد به الدين الحق وهو دين الاسلام كذلك الكتاب المطلق كتاب الله فمعنى الحق وان يكون
اريد به البعث والجزاء وسمي يوم الدين لما ذكرنا ان الناس يكونون بالطاعة والحكمة صنعا لله اعلم انهم عقلا وقروا بانه
احكم الحاكمين وتكذيبهم بيوم الدين يوجب ان يكون السفه السفهاء لا ان يكون احكم الحاكمين لان الدنيا على ما هي
والهلاك منهم اذا كذبوا بالبعث فقد زعموا انهم ما انشأوا الا للهلاك لا الفناء ومن بنى بناء فلم يقصد ببنائه
سوى ان ينقضه بعد مدة فهو سفيه عابث في الفعل فلم يحصلوا من تكذيبهم الا على نفي الحكمة عن الصانع وتثبيت السفه
له تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا وهم لم يكونوا يدعون انهما خلقتا باطلا ولكن انهم يظنون ذلك انكارهم بالبعث بل عنهم القول بانه احكم
الحاكمين وتثبيت ما ذكرنا من السفه سبحانه وتعالى عما يصفون. وقوله وان عليكم لحافظين. وهم لم يكونوا
يعرفون ان عليهم حفاظا لانهم لا يشاهدونهم وانما يقع لهم المعرفة بالخبر وهم لم يكونوا يقبلون الاخبار ولا كانوا
يؤمنون بها ثم اخبرهم ان عليهم حفظة لان الذي حملهم على الجهل ترك التدبر والنظر في الامر ففيه دليل
ان حجة الله تعالى تلزم الكفرة وجهلهم بها لا يعذرهم لان الذي حملهم على الجهل ترك الانصاف من انفسهم
ولانهم لو انصفوا من انفسهم لكان ما اعطاهم من النصفة يوصلهم الى تدارك الحق ومعرفة ما عليهم من الواجب ثم قد
ذكرنا ان المرء اذا كان يعلم ان عليه حافظا اداه ذلك الى المراقبة فيرتدع عن تعاطي ما يؤخذ عليه فيحمله ان يعلم ان عليه حفاظا
يحتشم منهم ولا يأتي من الامور ما يشينهم ووصفهم انهم كرام ليصحبهم صحبة الكرام ومن صحبة الكرام ان
يحتشم لهم ويستحي منهم لانفسهم ولا يتعاطى ما يشينهم وذلك قوله كراما كاتبين وفي ذكر الكرام فائدة اخرى وذلك
ان قوله كراما كاتبين اي كراما على الله والكريم على الله هو المتقي قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فيكون
ايمانا لهم انهم لا يزيدون ولا ينقصون في الكتابة وانما يكتبون ما يملى عليهم كما ذكرنا من الملائكة في وصفهم
بالقوة والامانة. وقوله يعلمون ما تفعلون. هو يحتمل وجهين احدهما انهم يعلمون ما تفعل قبل ان يفعل بان
عرفهم الله تعالى فيكون في تعريفه اياهم الزام الحجة عليهم ويكون الذي يكتبونه امتحانا امتحن به اذ قد فوض الى
بعضهم امر كتابة الاعمال والى البعض ارسال الامطار ونحو ذلك او يعلمون بما تفعلون وقت تعملون جهة الفعل
من خير او شر فيكون الفعل الخير آثار بها يعرفون ان الفاعل قصد به جهة الخير ويكون للفعل الشر آثار يعرفون
ذلك ايضا ثم هذا المسلم في ترك المراقبة اقل من عند المكذبين بالدين لان المسلم يعلم ان عليه حفظة لحفظ
عليه اعماله ويكتبونها عليه ثم هو مع ذلك يفعلون ولا يستحيي من صحبة الكرام ويتركون التنقص والتبصر
الكفرة ينكرون ان يكون عليهم حفاظ فمن كان هذا حاله فالاغفال عن مثله غير مستبعد. وقوله ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم. فقد ذكرنا ان البر هو الذي اعطى ما طلب منه والفاجر ... منه ما ذكر في قوله ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله الى قوله اولئك هم المتقون وفي هذا
دلالة على ما ذكرنا ان البر اذا ذكر دون التقوى اقتضى المعنى الذي اريد بالتقوى لانه اخبر ان البر هو الايمان
بالله واليوم الآخر ذكر ان الذي جمع بين هذه الاشياء هو المتقي ثم احتجت المعتزلة لقولهم بالتخليد في النار
لمن ارتكب الكبيرة بقوله وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لان مرتكب الكبيرة
فاجر وقد وصف الله تعالى ان الفاجر لفي جحيم ولا يغيب عنها وزعموا انه لما لم تأت بالشرائط التي ذكر في قوله
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فهو غير داخل في قوله ان الابرار لفي نعيم والاصل عندنا ما ذكرنا ان كل
وعيد مذكور مقابل الوعد فهو في اهل التكذيب كما ذكرنا ان التكذيب عند المفسرين بقوله كلا ان كتاب
الفجار لفي سجين الى قوله ويل يومئذ للمكذبين وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا الى قوله التي كنتم بها تكذبون وان
كان كذلك لم يجب قطع القول ثم جعل لاهل النار يوم القيامة اعلاما ثلاثة بها يعرفون ويتبين انهم من اهل
النار ولم يجعل من تلك الاعلام شيئا في اهل السعادة احدها اسوداد الوجوه بقوله وتسود وجوه
والثاني مما يدفع اليهم كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم ويدفع الى اهل الجنة كتبهم بايمانهم والثالث
فان يخف موازينهم ثقل موازين اهل الحق فهذا اعلام اهل الشقاوة وفيما ذكرنا اسوداد الوجوه قرن
التكذيب بقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
وفيما ذكر في دفع الكتاب بالشمال ومن وراء الظهر قال انه كان لا يؤمن بالله العظيم وقال واما من
اوتي كتابه وراء ظهره الآية وقال عند ما ذكر خفة الميزان الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
ولم يذكر عند شيء من هذه الاعلام من المكذبين فثبت ان الوعيد المطلق في المكذبين لا في غيرهم كذلك
لم يسع دخول اهل الكبائر مع اهل التكذيب في استحقاق العقاب وقطع القول بالتخليد بل وجب
الوقف في حالهم والارجاء في امرهم والثاني ان الله تعالى ذكر في مواضع الايمان بالله دون غيره ... اهل الايمان

ووعد عليه الجنة فقال والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم وقال
في موضع آخر وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله وقال والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم فذكر في هذه الآيات التي تلوناها اذ في تنازل اهل الايمان وذكر في موضع آخر على اثر
اهل الايمان فوعد عليها الجنة بقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية فجائز ان يكون ذكر الجميع على المبالغة لا على حقيقة جعله شرطا
فيجب القول باستيجاب الوعد بما ذكر في الآيات الاخر وجائز ان يكون الجميع مما ذكر في الايمان
بالله ورسله مضمنا ويكون ذكر طرف منه على الايجاز الا ترى انه ذكر الكفر في بعض المواضع واوعد عليه النار
وذكر في بعض المواضع الكفر مع اشياء اخر واوعد عليها النار بعد ذلك بقوله ان الذين يكفرون بآيات الله
ويقتلون النبيين بغير حق الآية وقال في موضع آخر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الآية ثم
لم يصر جميع ما ذكر من السيئات مع الكفر شرطا يجب القول باستيجاب الوعيد بما في قراءته على ما ذكر في الآيات
الاخر وجائز ان يكون الجميع فيما ذكر في الايمان بالله ورسله مضمنا ويكون ذكر طرف منه على الايجاز الا ترى
انه ذكر الكفر بل وجب القول بالتخليد لمن اقتصر على الكفر خاصة فثبت ان ليس في ذكر المبالغة دلالة
جعل المبالغة شرطا بل جائز ان يستوجب الوعد بدونه فلذلك لم يقطع القول في اصحاب الكبائر
بالتخليد في النار ولا بانهم مستوجبون للوعد بل قيل فيهم بالارجاء. وقوله يصلونها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين قال بعضهم قوله منصرف الى اهل النار واهل الجنة لا يغيبون عن الجنة ولا اهل
النار عن النار وقال بعضهم يريد بهذا اهل النار خاصة انهم لا يغيبون عنها وانكر بعض الناس الخلود
لاهل النار ولاهل الجنة في الجنة وقالوا لم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا لعذاب الآخرة انتهاء لكان في ذلك نفي
عن الله الوصف بانه اول وآخر لانهما يصيران ابديين باقيين فلا يكون لهما آخر وقال هو الاول والآخر فلا بد
من ان يكون لهما انتهاء حتى يستقيم الوصف له بانه آخر ولانهما لو لم يوصفا بالانتهاء لكان علم الله تعالى
غير محيط بنهايتهما فيكون النهاية مجاوزة لعلمه فانه سبحانه وتعالى محيط بالاشياء وعالم بمبادئها
ومناهيها فلا يبقى القول بنفي نهايتهما حتى يكون علمه محيطا بهما ولانهم انما استوجبوا الجزاء باعمالهم واهل
النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم فاذا كانت لسيئاتهم نهاية ولحسناتهم نهاية فكذلك يجب
ان يكون للجزاء نهاية ايضا والاصل عندنا ان كل من اعتقد مذهبا اعتقده ليدين به ابدا ما بقي لا ليتركه
ثم العقاب جعل جزاء الكفر والثواب جعل جزاء الاتقاء على ما هنالك بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين
وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فاذا ثبت ان كل واحد منهما جزاء المذهب وكان
الاعتقاد للابد فكذلك جزاؤه يقع للابد والدوام لا الى وقت الانقطاع والثاني ان العقلاء لو قالوا النعيم
مما ينغص النعيم على اربابها ويمرر عليهم لذاتها ويكدر عليهم طعامها فاذا كان كذلك لم يتم لهم النعيم
ولاهل النار اذا تذكروا الخلاص عن العذاب تلذذوا به وهان عليهم العذاب فوجب القول بالخلود ليتم
النعيم على اهله والعذاب على اهله والجواب عن قولهم انه يرتفع عنه الوصف بانه آخر ان الله تعالى استوجب الوصف
بانه اول وآخر ثم لا يوجب ذلك اسقاط الاولية والآخرية عنه وكذلك ان الله لا يوصف بالاحاطة بالاشياء
لو وجب القول بالخلود فنقول بان العلم لا نهايته لم هو ان يعلمه غير متناه والعلم بالتناهي لما لا نهاية له
يوجب الجهل لا العلم والجواب عن الفصل الثالث ما ذكرنا انه يعتقد المذاهب للابد فكذلك الجزاء يتابد
ولا ينقطع. وقوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين. قال بعضهم ان لم تكن تدري
فادراك الله وقال بعضهم هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل عنه. وقوله يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا. والاشكال ان قال قائل كيف قال لا تملك نفس لنفس شيئا وذلك اليوم يوم تجري فيه الشفاعة
فيشفع الانبياء لكثير من الخلق فيشفع لهم واذا كان كذلك فقد ملكت نفس لنفس شيئا ولكن ذلك
يخرج على وجه ثلاثة احدها ان الكفرة كانوا يتوادون فيما بينهم ليتناصر بعضهم بعضا فالجواب
فقال اليوم لا تملك نفس لنفس شيئا قال الله تعالى انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا
ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين او لا تملك
نفس لنفس شيئا الا بعد ان يؤذن لها كما قال تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفي حديث الشفيع في
الدنيا الا باللسان لاحد ويكون معناه ان كل نفس يستبين لها في ذلك اليوم انها لم تكن تملك شيئا الا بتمليك
وقوله والامر يومئذ لله لا ينازع فيه وهو في كل وقت ولكن الظلمة ينازعون في هذه الدنيا او الامر
يومئذ لله او يتبين لكل احد في ذلك اليوم ان الامر لله في ذلك اليوم وقيل ذلك والله اعلم بالصواب

سورة المطففين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ توجه تعييرهم
بالتطفيف والحاق الوعيد بهم لمكانه وان كانوا مستوجبين للوعيد وان اوفوا المكيال ولم يطففوا
اذ كانوا جاحدين بالله ومكذبين بالبعث وان الكفرة لم يكونوا اعتقدوا الكفر بالله لتلذذ بعين
نفس الكفر ولا التزموه على التحسين لهم اياه وانما اعرضوا عن الايمان لحبهم الرياسة وما كانت
لهم حاصلة في الفاتهم بالاسلام او فيه زوال عنهم لما يلزمهم بالايمان مؤن فاختاروا الكفر لئلا يلزمهم
تحملها فكانت التي يحملهم على الصد عن الايمان وترك النظر في ايات الله وحججه ما ذكرنا فعيروا بالافعال
الدنية التي كانوا يتعاطونها فيما بينهم من التطفيف والهمز واللمز وتركهم ايتاء الزكوة بقوله وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ليقلعوا عنها فيحملهم ذلك على النظر في القران
والتدبر فيه وهو كما ذكرنا في قوله ان فيه ما يحملهم على الايمان لانهم كانوا يتهمون في حبهم الدنيا
فاذا اتى لو صانت عليهم الدنيا تبعثهم ذلك على الايمان بالله وعلى النظر في الاية وذكر انه لما اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة نزلت هذه الاية على اهل مكة تركوا التطفيف فلم يطففوا بعد ذلك قال اهل اللغة
التطفيف النقصان يقال اناء طفاف اذا كان غير مملو وقال الزجاج يقال شيء طفيف اي يسير فسمي مطففا
لما يسرق منه شيئا فشيئا في كل مكيال وفي هذا دلالة ان حرمة الربو لعامة على اهل الاديان كلها وفيه
دلالة ان حرمة الربو لعامة على اهل الاديان كلها وفيه دلالة ان حرمة الربو النسيئة كان في العاقدين
وانما هي حق على العاقدين لله تعالى وذلك ان الذي يكال له كان ياخذ ما يكال له على علم منه بتطفيف القابض
ثم كان برضاه ويتجاوز عنه ذلك فمع ذلك لحقهم التعيير بالتطفيف فدل ان حرمته ليست لمكان
العاقدين ولكنها حق الله تعالى ﴿الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ فمنهم من ذكر ان هذا
على التقديم والتاخير ومعناه ويل للمطففين على الناس اذا اكتالوا اودونهم واذا اكتالوا استوفوا
ومنهم من قال بان على ههنا بمعنى عن فكانه يقول ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا عن الناس يستوفون
﴿واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون﴾ فمنهم من حمل قوله هم تعديدا للكيل والوزن على التاكيد
والمبالغة فان كان على هذا فحقه الوقف على قوله كالوا وعلى قوله وزنوا ومنهم من قال معناه وانما كالوا
او وزنوا لهم لانه لا لفظهما ليس بثبته في المصاحف وهو مستعمل كلمة وكلت له كقوله وعدته
ووعدت له فان كان هذا معناه لم يستقم الوقف على قوله كالوا او وزنوا لان قوله هم تفسير لقوله كالوا
او وزنوا ولا يجوز قطع التفسير عما له التفسير ﴿الا يظن اولئك انهم مبعوثون﴾ قال اكثر اهل
التفسير الا يظن الا يعلم والا يتيقن وقال ابو بكر الاصم الا يظن بمعنى يشك اولئك في البعث وهو
محتمل لما ذكرنا ان الشك يوجب الهيبة والانقياد يوجب الامن لان الانسان اذا كان يسافر الى
مكان فاخبر انسان ان هذا الطريق الذي يريد ان يسلك فيه سراق وقطاع الطريق فانه يتهيأ لذلك
فيستعد له ما يدفع عن نفسه ضرر قطاع الطريق وضرر السراق وان لم يتيقن ان المخبر صادق في [illegible]
ولا يتيقن ان السراق يتمكنون من الاضرار به فكيف لا يشك هو لان يكون البعث بما اخبرهم النبي صلى الله
عليه وسلم بالحجج وهذا اقل منازل الاخبار ان يورث شكا ثم الاصل ان حرف الشك يستعمل عند استواء طرفي
الداعيين والظن يستعمل عند اختلاف طرفي الداعيين وهو ان يغلب احد الدلالتين على الاخرى لذلك
يستقيم العمل فيه الحكم باكثر الظن ولا يستقيم باكثر الشك ثم الظن سبيله ان يتحقق عن الامر والنظر
فيه واذا تدبر فيه لم يزل يرتقي في الظن درجة درجة حتى ينتهي نهايته بلوغ اليقين ودرك الصواب
فلذلك حمل اهل التفسير ما قيل الظن ههنا على اليقين والعلم اذ ذلك نهاية الظن وحمل ابو بكر على الشك
لما لا يرتفع الشبهة كلها فيما كان طريق معرفته الاجتهاد وقيل الظن مثل الخوف الذي ذكرنا انه قد
يستعمل في موضع العلم لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما كالذي يهدد بالقتل او بقطع عضو لشرب
الخمر انه يباح له الشرب ويجعل كالمتيقن انه يفعل به لا محالة لا يمتنع من الشرب لما يلحقه
الخوف بما يهدد وان لم يكن في الحقيقة متيقنا لما يخوف ان يفعل به ما يمنعه عن القتل فصار ذلك الحكم
في الظن ﴿انهم مبعوثون﴾ ليحصل مبعوثون للحساب الذي يحصل عليه الحساب في الدنيا يحمل نفسه
الخلاص ووجه المخرج منه ﴿ليوم عظيم﴾ سماه يوما عظيما لما ذكرنا من دوام عذابه ودوام

نوابه ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ اي لحكمه او لحسابه او لوعده و وعيده او يقومون له
مستسلمين خاضعين لجلالته وان كان البعض وجد منه الامتناع عن الاستسلام في الدنيا فان الظلمة
ينازعونه ويدعون لانفسهم اشياء ينكرون له فاما يوم القيمة فانهم جميعا يقرون له وينقادون لحكمه
وقضائه لذلك خصه بقيام الناس له وقوله ﴿كلا﴾ قال الحسن وابو بكر معناه حقا اي بعثهم حق فيبعثون وقال
الزجاج كلا حرف ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما ظنوا انهم لا يبعثون بل يبعثون ويجازون باعمالهم فيكون في هذا
ايجاب القول بالبعث من طريق الاستدلال لا من طريق ذكره الحسن وابو بكر ايجاب القول به نصا لا استدلالا
﴿كلا ان كتاب الفجار لفي سجين﴾ اختلف في السجين فمنهم من جعله اسم موضع واشار اليه فقال هو صخرة تحت الارض
السابعة يوضع كتاب الكافر تحته الى يوم القيامة لكن ليس بنا الى معرفة ذلك الموضع حاجة لان الذي يتحقق
يجعله في ذلك الموضع قد عرفه وهم الملائكة ومنهم من زعم انه حرف مذكور في كتب الاولين فذكر ذلك في
القران فجائز ان يكون مبينا في تلك الكتب فنزل بتبيينه في هذا الكتاب لما كان المقصود يتحقق بدون الاشارة
اليه وجائز ان يكون السجين الموضع الذي اعد للكافرين في الاخرة للعذاب لما قيل لما يرد عليه عمله الكافر اثبت
في كتابه ثم يلحق بالروح ثم يتبعه صاحبه في الاخرة على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر والاخرة سجن الكافر وجنة المؤمن فيرد كتابه الى ذلك السجن ويرد كتاب الابرار الى الجنة التي اعدت
لهم ثم يتبعه بجسده ثم جسده وبذلك تكلم اهل التاويل ان كتاب الابرار لفي عليين ومنهم من قال ان هذا على التمثيل ليس على تحقيق
المكان في السجين ولا على تحقيق المكان في العليين وذلك ان السجين هو مكان اهل الخسة في الدنيا فمثلت اعمالهم
بتلك لخستها وقبحها ومثلت اعمال الابرار بما ذكرنا من العليين اذ ذلك مكان اهل الشرف والعلو والقدر فيكون
ذلك كناية عن طيب اعمالهم وقال الكسائي السجين مشتق من السجن كقولك رجل فسيق من فسق وسكير من سكر ثم كتاب
الفجار والسجين يكون بالكفر وتعبيره بهذا الاسم فيه الاشتراك بين اهل الكفر وبين اهل الاسلام لكنه الحق عند
التفسير بما يوجب صرف الوعيد الى الكفار بقوله ويل يومئذ للمكذبين وكذلك نجد هذا الشرط ملحقا بالتفسير
وجميع ما جرى بالوعيد بالاسم الذي يقع به الاشتراك بين اهل الفسق وترك الصلوة بقوله قالوا لم نك من المصلين
وكما جرى من الوعيد في الذين لا يؤتون الزكوة فكان في ذكر التفسير على تقييده بالمكذبين قطع الشهادة وايجاب القطع
على المكذبين وفي ذكر الاسم التابع به الاشتراك ايجاب الخوف على المسلمين الذين شركوا في ذلك الاسم وترك القطع
عليهم بالوعيد لما لم يذكر وعيد التفسير ﴿وما ادريك ما سجين﴾ على تعظيم ذلك اليوم ووصفه بهوله الشديد
او على الامتنان على نبيه انه لم يكن يعلم ذلك السجين اطلعه الله عليه وهكذا تاويل قوله وما ادريك ما عليون
﴿كتاب مرقوم﴾ ان الكتاب الذي في السجين مرقوم والمرقوم المكتوب في حيث قال القتبي مرقوم اي مكتوب اعلام يقال
رقم الثوب اذا اعلم فجائز ان يكون في علمه هو ان يختم فيكون فيه اخبار ان لا يزاد على ما عمل ولا ينقص منه وهو
كما ذكرنا من الفائدة فيما وصف جبريل بالقوة والامانة بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وصف
بالامانة ليؤمن الخلق عن خيانته في الكتاب وتغييره ووصفه بالقوة ليعلم بحفظه لا يتهيأ لاحد ان ينزع منه ما ارسل
على يديه فكذلك وصف بالختم والاملاء ليؤمن من الزيادة فيه والنقصان ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾
اي للمكذبين بجميع ما يحق عليهم تصديقه وذلك يكون بالايمان بالله وباياته ورسله وبالبعث ﴿الذين
يكذبون بيوم الدين﴾ فالدين اسم لخصلتين اسم للجزاء واسم للاستسلام والخضوع فسمي يوم الدين لما انه يوم
الاستسلام لله قد كان اليوم وخضعوا له ويوم يكذبون بيوم الدين فكذبوهم بعد الله وتكذيب رسله لان
الرسل كانوا يدعونهم الى الايمان بيوم الدين فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم بذلك اليوم فيكون تاويله منصرفا
الى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يحق عليهم التصديق به ﴿وما يكذب به الا كل معتد اثيم﴾ فالمعتدي
هو الذي يتعدى حدود الله والاثيم الكثير الاثم بربه فيكون مجاوزا عن الحدود وكلاهما ربما يحمله على
التكذيب ولو قام بحفظ حدوده ولم يأثم بربه لكان لا يكذب بيوم الدين ويكون ضد لجحادان المكذب به معتد اثيم
﴿واذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين﴾ اباطيل الاولين وقال ابو عبيدة الاساطير هي التي لا اصل لها
ومعناه عندنا ما سطره الاولون اي كتبه والسطر الكتابة يخبرون انها ليست من عند الله بل مما كتبها الاولون
الذي لا انتظام لها ولم يكن يقولون هذا في كل ما يتلو عليهم لكنهم لم يكونوا يعارضونه بمثل ما عندهم كانت تتلو عليهم
من انباء الاولين وكانوا ينسبونه الى السحر اذا اتاهم بالايات المعجزات ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾
قيل الرين الستر والغطاء وقيل الرين الصدا والله تعالى سمى الايمان الذي هو في النهاية من الخير نورا وسمى الكفر
الذي هو في النهاية من الشر ظلمة فاذا كان الايمان منورا للقلب والكفر مظلما فاذا اشتغل بالاسباب التي تنفي الكفر
شيئا بعد شيء من الاثام فكل سبب من ذلك يعمل في اظلام القلب حتى يتم الظلمة على ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال

صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال العبد إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب منها صقل قلبه وإن عاد فأذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن تمادى نكتت في قلبه حتى يسود القلب أجمع ذلك الذي يقول الله تعالى فانشرح صدره شيئا فشيئا بأسباب تتقدم الإيمان حتى يحمله ذلك على الإيمان فذلك تمام الانشراح وعلى هذا يخرج ما قيل ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب كلما ازداد عظما ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة بيضاء الخبر أي حتى يستكمل الإيمان عند بالأسباب الداعية إلى الإيمان ولم يزل ينشرح منه شيء فشيء بكل معتبر حتى يفضي به إلى الإيمان ثم إن الله تعالى سمى الصوارف عن الإيمان بأسام مرة قال طبع الله على قلوبهم ومرة قال وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه الآية ومرة قال أم على قلوب أقفالها فكان الذين وصفوا بالقفل على قلوبهم هم الذين استحكم الكفر غاية حتى لا يطمع منهم الإيمان وهم المتمردون في [illegible] للتكذيب وهم الرؤساء منهم والأئمة ومنهم من هو مطبوع على قلبه وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن تمرد وعناد لكن لما لم يلح لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان ذكر الزجاج أن الرين هو الستر الغين وهو الستر الرقيق كالغيم الرقيق في السماء يعلو في غشاء القلب غشاء السحاب الرقيق للوجه السماء ثم إذا ازداد سمي رينا ثم ترقى إلى الطبع أن يصير كالقفل على القلب ففي هذا دليل على أن لله تعالى تدبيرا وصنعا في ضلال العباد لأنه إنشاء الكفر ظلمة في القلب حتى يمنع تلك الظلمة عن درك الخيرات ودون الإيمان أدخل من اعتقد الكفر في ظلمة حتى يمنعه عن [illegible] الأمر فإذا لم يوجد منه إنشاء إنما كان بتدبير الله صنعا إذ لا يكون الظلمة في القلب إلا بخلق [illegible] لها وإذا انتفى الصنع من الكافر ثبت أنه بتدبيره أنشأها كذلك وأنه أنشأه مظلما والله الموفق قوله تعالى بما كانوا يكسبون أي بما كانوا يكسبون من الآثام تغطى الآثام حتى سود قلوبهم فلم ينظروا نور الهدى وعما كانوا يكسبون في كفرهم من الأعمال الخبيثة قوله تعالى كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اختلف في قوله يومئذ قال أبو بكر الأصم إنه في الدنيا يقول إنهم محجوبون عن عبادة ربهم بما عبدوا غير الله [illegible] وذكر أهل التفسير أنه في الآخرة ثم منهم من يقول إنهم محجوبون عن لقاء ربهم [illegible] الرؤية ومنهم من يقول هم محجوبون عن كرامته لما أعطى الأولياء وعن رحمته فعوقبوا عن ذلك جزاء لصنيعهم لأنهم في الدنيا ضيعوا نعم الله فلم يقبلوها بالشكر ولم يؤمنوا برسوله الذي بعثه رحمة للعالمين فأبلسوا من رحمته وكرامته في الآخرة عقوبة لهم ومجازاة وهو كقوله نسوا الله فنسيهم أو جعلهم كالشيء المنسي الذي لا يبالى فعلى هذا وجد منهم من المعاملة للآيات ومحبة [illegible] في الآخرة وقال [illegible] رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قوله تعالى ثم إنهم لصالوا الجحيم في صرف الحجاب إلى الدنيا يقول ثم إنهم يصلون الجحيم بعد ما عبدوا غير الله وحجبوا عن عبادته ومن صرف التأويل إلى أمر الآخرة فهو يقول إنهم يصلون الجحيم بعد ما يظهر فيهم من آثار الحجاب من سواد الوجوه وإعطاء الكتاب بشمالهم ومن وراء ظهورهم قوله تعالى ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تأويله أنهم يعرفون أنهم صلوها بتكذيبهم بذلك اليوم [illegible] وأقروا أن النار حق والبعث حق ثم يكون يصلونها فيعرفون حتى يعرفوا بذلك بعقله فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير قوله تعالى كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين فذكر الأبرار ههنا بمقابل الفجار في الأولى ثم بين الفجار أنهم المكذبون بيوم الدين وذلك دليل من منازل الكفر فإذا [illegible] الفجار الكفار أريد بالأبرار الذين آمنوا فلذلك [illegible] أن الأبرار هم المؤمنون والبر هو الذي يكثر منه تعاطي فعل البر [illegible] إذا كثر منه والفاجر هو الذي يكثر منه فعل الفجور فجائز أن يكون في الوعيد في الذي يبلغ في الفجور غايته ويكون حكم من دونهم متروكا ذكره ثم يتوصل إلى معرفة حكمه بالاستدلال ويكون الوعد في الذين كثروا أفعال البر ويكون حكم من دونهم معروفا بغيره من الأدلة قوله تعالى يشهده المقربون فذكر شهود المقربين في ذكر كتاب الأبرار ولم يذكر شهودهم على التعظيم لهم [illegible] وقيل المقربون هم مقربو أهل السماء قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم فالبر هو الذي يسلك ما سئل عنه ويجيب إلى ما دعي إليه فإذا أجاب الله تعالى فيما دعاه إليه من التوحيد ووفى بأوامره وانتهى عن نواهيه فهو من الأبرار ثم ما ذكرنا يكون بوجهين أحدهما بالاعتقاد وتحقيقه بالفعل والمعاملة فهذا قد وفى ما طلب منه قولا وفعلا فيكون هذا مما يقطع فيه القول باستيجاب الوعد المذكور للأبرار والثاني أن يقوم بوفاء ما طلب منه اعتقادا ولم يف ما اعتقده بفعله فالحكم في مثله الوقف فلا يقطع فيه القول باستيجاب الموعود بل الله تعالى إن يجازيه بما ضيع من حفظ حدود تعدى بما وجد من التضييع ثم يلحقه بأهل كرامته وله أن يعفو عنه بفضله وسعة رحمته [illegible] والثاني يكون بوجهين أحدهما بترك الاعتقاد والفعل جميعا والثاني في المعاملة وهو أن يخالف فعله عقده فالذي وجد منه [illegible] على الوجهين جميعا يحل به ما أوعد لا محالة وأما الذي خالف فعله

عنده

عنده فإنه يوقف فيه ولا يشهد أنه من جملة من يحقهم الوعيد لا محالة ثم قد ذكرنا أن البر إذا ذكر على الانفراد أريد به ما يراد بالتقوى والبر جميعا وكذلك التقوى إذا أفرد اقتضى معنى البر فإذا قرنا معا أريد بالتقوى جهة وبالبر جهة وذلك أن التقوى هو أن يتقي المرء السخط بذلك يكون بالإجابة إلى ما دعي إليه قولا وفعلا والانتهاء عما نهي عنه قولا وفعلا وهذا هو معنى البر أيضا فإذا ذكرا معا أريد بالتقوى الاجتناب عن المحارم وأريد بالبر إتيان المحاسن وكذلك الإيمان إذا ذكر بالانفراد أريد به ما يقتضي الإسلام من المعنى والإيمان جميعا وكذلك الإسلام يقتضي معنى الإيمان إذا ذكر بالانفراد لأن الإسلام هو أن يرى الأشياء كلها سالمة لله ولا يجعل لأحد فيها شركاء والإيمان أن يصدق الله بأنه رب كل شيء فإذا صدق أنه رب كل شيء فقد جعلت الأشياء كلها سالمة لله فهذا معنى قولنا إنه يراد بالإيمان إذا ذكر مفردا ما يراد بالإسلام وإذا ذكرا معا أريد بالإسلام ما يقتضيه ظاهره من جعل الأشياء كلها سالمة له وأريد بالإيمان ما يقتضيه ظاهره كقوله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وكذلك هذا الحكم في الخوف والرجاء إذا ذكر كل واحد من الحرفين مفردا اقتضى كل واحد منهما معنى الآخر وإذا ذكرا معا أريد بكل واحد منهما ما يقتضيه ظاهره ثم يصرف إلى ما يراد بالأخرى وقوله لفي نعيم فجائز أن يكون هذا في الآخرة يصفهم أنهم يبقون في نعيم وجائز أن يكونوا في نعيم في الدنيا والآخرة معا فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الأبدان وذلك أنهم يطيعون العقل فيما يدعوهم إليه فينعمون بعقولهم ولكن الذي يدعوهم إليه عقولهم ما تأبى أنفسهم الإجابة له وتستثقلها فلذلك لم يتنعموا بالعقول لا في نعيم الأبدان ونعيم الآخرة يعم البدن والعقل جميعا فيتنعم أنفسهم وعقولهم ولا يحملون ما تأبى أنفسهم احتمالها قال الله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة الآية وقال من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فثبت أنهم في الدنيا وفي الآخرة لفي نعيم قوله تعالى على الأرائك ينظرون قد ذكرنا أن كل ما تتوق إليه الأنفس وتشتهيه في الدنيا فعلى مثله جرت البشارة لأهل الجنة في الدنيا وذكرنا أن أهل اليمن كان إذا [illegible] أحدهم وعلت همته في الدنيا اتخذ لنفسه أريكة تنسب إليه فيقال لهذه أريكة فلان فخرجت البشارة لأهلها بالأرائك لما رغبوا إلى مثلها في الدنيا إلا أن أرائك [illegible] بالأرائك التي تتخذ في الدنيا إلا أن أرائك الجنة مطهرة من الآفات التي هي آثار الفناء وأرائك الدنيا مملوءة من الآفات ومن آثار الفناء كما ذكرنا في الاسم لما أوجب الوصول إلى تعرفها بغير الاسم المعتاد فيما بين الخلق والأريكة هي التي في الحجال وقوله ينظرون يحتمل وجهين أحدهما أن يقع النظر في الحجال وذلك عند تلاقي الإخوان واجتماعهم على الشراب والنظر الثاني يكون إلى مملكته فيكون في ذلك خارجا من الحجال لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الرجل من أهل الجنة لينظر في جميع ما له واحد ما قبل ما يعطى الرجل مثل سعة الدنيا وعرضها فذلك النظر يجاوز ما في الحجال فيقع خارجا منها قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أي تعرف لو نظرت في وجوههم نضرة النعيم فجائز أن تكون النضرة منضمة إلى نفس الخلقة وهو أنهم أنشئوا على خلقة لا تتغير ولا تفنى بل [illegible] نضرة وأن تكون نضارتهم بما أنعموا من النعيم وخص الوجوه لأن النظر من بعض إلى بعض يكون إلى الوجوه لا إلى غيرها من الأعضاء فخصت الوجوه بالذكر لهذا لا أن تكون النضرة لها خاصة بل النضرة تشمل سائر البدن ولكن [illegible] إذا استبشر القلب ترى في الوجه وكذلك الحزن يوجد في الوجه إذا اعترى في القلب فيكون في ذكر نضرة الوجوه إخبار عن غاية ما هم عليه من السرور قوله تعالى يسقون من رحيق قال بعضهم الرحيق هو الخمر التي لا غش فيه وهو أن تكون مطهرة من الآفات وقال بعضهم هو شيء أعده الله تعالى لأوليائه لم يطلعهم على ماهيتها في الدنيا على ما قال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية من شراب تقر به أعينهم مما أخفي لهم إلى الذي يشربونه قوله تعالى ختامه مسك فجائز أن يكون راجعا إلى الحال الآنية التي فيها الرحيق وهو أنه مختوم لم يتناوله الأيدي وكذلك ملوك الدنيا [illegible] شرابهم في الآنية بالفدام فيخبر أن ذلك الشراب في الآنية على الوجه الذي كانوا يؤتون في الدنيا وأخبر أن ختامه بأنفس شيء عندهم في الدنيا وهو المسك ليس كالختام في الدنيا لأنهم يختمون آنيتهم في الدنيا بالشيء الرذل بما لا قدر له عندهم وجائز أن يكون منصرفا إلى الشاربين أنهم لا يشربون أبدا بل يكون لهم ختم ولكن لا ينقطع الشراب عنهم بل يجدون أبدا من ذلك ريح المسك قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فجائز أن يكون أراد به الشراب الذي وصفه في قوله يسقون من رحيق مختوم والتنافس [illegible] يستعمل في الخيرات كأنه يقول فليتنافسوا في الشراب الذي هذا وصفه لا غول فيه ولا هم ينزفون لا في الشراب الذي يذهب بالعقول ويضعف الأبدان ويتلف الأموال فليتنافسوا في النعيم الذي وصف ههنا لا في النعيم الذي

ينقطع ولا يدوم فكأنه يقول فليرغبوا فيما تقتضيه النعيم الدائم والشراب الذي لا ينقطع لذته وذلك يكون
بالمسارعة في الخيرات وترك الاتباع للشهوات ختامه مسك عن المعنى وهو كقوله لمثل هذا فليعمل العاملون بلى
فليكن عملهم بما يتم لهم ما ذكر من النعيم لا في الذي ينقطع ويكون عقباه النار قوله تعالى ومزاجه من تسنيم
قيل التسنيم شيء أعده الله لأوليائه لم يطلعهم عليه في الدنيا وهو من قرة الأعين التي لا تعلمها الأنفس فقد
مر بالمزاج المسك ومرة بالكافور بقوله كان مزاجها كافورا ومرة أخبر أنه ممزوج بالتسنيم ولم يبين ما التسنيم
والتسنام التسنيم إذا ارتفع من الشيء يجوز أن يكون تسنيم تسنيما لأنه يجد إليهم من أعلى وأخبر أنه ممزوج
لما الحي بمثله ترغيبا للأنفس في الدنيا إذا كان ممزوجا ما هو في القلوب أدفع منه ويكون للأنفس إليه أرغب
منه إذا كان غير ممزوج فرغبوا بمثله في الآخرة وذكر بعض أهل التفسير أن المقربين يسقون من ذلك الشراب
صرفا ويمزج لغيرهم وقال الحسن المزاج يكون للمقربين وغيرهم ويحصل الممزوج منه شرفا على ما ذكرنا قوله
عينا يشرب بها المقربون والمقربون هم الذين سارعوا في الخيرات في الدنيا فتركوا في الأنفس وتقوا
المهالك والزلات فهم المقربون وأضاف التقرب إلى العين لأنهم بغيرهم ما وقفوا إلا كسب الخيرات
وعصموا أنفسهم عن ارتكاب المهالك والزلات لا بأنفسهم فنالوا أفضل التقرب بما احتملوا أنفسهم في الدنيا
للأمور التي ذكرنا قوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وجه ذكر صنيع الكفرة بالمؤمنين
في القرآن وجعله آية تتلى وإن كان المؤمنون بذلك عالمين يخرج على وجوه ثلاثة أحدها في تسكين نفوسهم
للنبي مع الحجة قلوب المؤمنين وعملها لهم وذلك أن المؤمنين سخت أنفسهم باحتمال الأذى في
المكروه من الكافرين بأن نصبوا المعاداة آباءهم وأجدادهم وأقاربهم ورفضوا شهواتهم وتركوا الدنيا
واختاروا اتباع محمد ودينه ومعلوم أنهم لم يحملوا أنفسهم كل هذه المؤن طمعا ورغبة في الدنيا لما
لم يكن عند رسول الله ما يرغب مثله من نعيم الدنيا فثبت أن الحجج هي التي حملتهم ودعتهم إلى متابعته
لا غير فيكون فيما ذكرنا تثبيت رسالته فلذلك لم يكن في الآية إشارة إلى الحجج التي اضطرتهم إلى
والانقياد له فيكون في ذكره تعزيز لمن تأخر من المؤمنين في عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وأنه لا عذر لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا فإن لقيهم من الناس من مكروه بل الواجب عليهم الصبر
على ما يصيبهم والقيام بالحق عليهم إذ ذكر ما لقي الأوائل من التكلف عن ما عاناه والشدائد من الكفرة
في إظهارهم دين الإسلام ثم نلنا نحن هذه النعمة وأكرمنا بالهدى بلا مشقة وعناء فنشكر الله تعالى
بذلك ونحمده عليه أعظم بلائه لنا وجميل منته علينا وقوله من الذين آمنوا يضحكون يضحكهم
لأحد وجهين إما على التعجب منهم أن كيف اختاروا متابعة محمد وحملوا الأنفس في الشدائد ورضوا
بزوال النعم عنهم من غير منفعة لهم في ذلك وهم قوم كانوا لا يؤمنون بالبعث وكانوا يكذبون بما وعد
المؤمنون من النعيم في الآخرة فكان يحملهم ذلك على التعجب فيضحكون متعجبين منهم أو كانوا يضحكون
على استهزائهم بالمؤمنين بقولهم إن هؤلاء اتبعوا محمدا وصدقوه فيما يخبرهم من نعيم الآخرة ولا يعلمون
أنه كذلك فكانوا يجهلون المؤمنين على ما جهلوا بأنفسهم وظنوا أن لا بعث ولا جنة ولا نار قال أبو بكر
الأصم هو الوثائق في المعاصي وذكر صنيع الكفار بالمؤمنين دلالة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك أنهم كانوا يضحكون على المؤمنين ويتغامزون وينسبونهم إلى الضلال لسر ما المسلمين فأطلع الله
نبيه على ما أسروا من الأفعال الحمل لهم ليكون لهم حجة عليهم لنبوته ورسالته قوله تعالى وإذا
مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا قوله تعالى وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين قال بعضهم
لاهين أو معجبين بحال المؤمنين ومسرورين كما قال تعالى إنه كان في أهله مسرورا قوله تعالى
وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون فيحتمل أن يكونوا نسبوهم إلى الضلال لتركهم دين آبائهم ولما
ما اختاروه من تحمل الشدائد ورضوا بضيق من العيش ضلالا منهم قوله تعالى وما أرسلوا عليهم حافظين
أي لم يرسلوا لحفظ أعمال المسلمين فيكون في ذكره هذا تسفيه أحلامهم وهو أنهم تركوا النظر في
أحوال أنفسهم وجعلوا يتعقبون على المسلمين عيوبهم كأنهم أرسلوا عليهم حفاظا وما أرسلوا و
يكون هذا إخبارا عن الكفرة أنهم يقولون ما أرسل على أحد حافظ يحفظ عليه أعماله فيكون هذا
إخبارا عن الكفرة أنهم يقولون ما أرسل على أحد حافظ يحفظ عليه أعماله فيكون تعدية الإنكار منهم بالكل
الكاتبين قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ويكون ضحكهم على المجازاة للكفرة بما كانوا يضحكون
منهم في الدنيا قوله تعالى على الأرائك ينظرون فمنهم من وقف على الأرائك ومنهم من تلا موضع أو وقف على قوله
ينظرون فإذا وقف على قوله على الأرائك كان معناه أنهم ينظرون هل جوزي الكفار ما وعدهم الرسل في الدنيا

أو لا معنى إذا وقف على قوله ينظرون كان قوله هل ثوب الكفار فيتحيرون الكفار بما كانوا يفعلون ٥
فهم ينظرون كيف يعاقبون ثم العقل لا أن كيف احتملت أنفسهم النظر إلى الكفار بما هم فيه من التعذيب المزعج
إذا رأى أحدا في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك فيتنغص عليه العيش فجائز أن يكون الله تعالى أنشأهم على خلقة
لا يقبلون المكاره ولا يجدون فيها بل تمام اللذات كلها والمسار وارتفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة
بينهم وبين أهل النار وفيها وكذلك يرى المرء في الشاهد إذا عادى إنسانا واشتدت العداوة فيما بينهما
ثم رآه يعذب بأنواع العذاب لم يثقل عليه ذلك بل أحب العداوة فيما بينهما أن يزداد منه تعذيبا فإن يرغب إليهم
أهل النار إذا اشتاقوا النظر إليهم فيزورونهم ويجعل في بصرهم من القوة ما ينتهي إلى ذلك المكان ثم ذكر بعضهم
أن هذه السورة مكية وعنهم من ذكر أنها نزلت بين مكة والمدينة وهي مكية ومنهم من ذكر أن أولها مدنية وآخرها مكية

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى إذا السماء انشقت هو جواب
سؤال تقدم لما ذكرنا أن حرف إذا للجواب وليس بحرف ابتداء فكأنه رسول الله سئل عن ملاقاة الأعمال
متى وقتها فقال تعالى إذا السماء انشقت الآية فذلك وقت ملاقاة الأعمال وقيل ذكر في الخبر أن رجلين أحدهما
مسلم والآخر كافر قال المسلم أترانا بعد الموت مبعوثين فقال لا والذي خلقك والجبلة الأولى فنزلت
هذه السورة تبين لهم وقت بعثهم أنه عند انشقاق السماء ومد الأرض وبعد ذلك ثم ذكر الجواب في ابتداء
السورة ليكون المراد ذكر لها لأنه يكون جاء لها فإذا ذكر في وسط السورة لم يحفظ الأنباء للملاقاة وهذا للنبي
والله أعلم جعل الم والر وكهيعص وطه ونحوها من السور لأن الكفرة كانوا قد تمادى بهم الإعراض عن القرآن وترك
الاستماع إليه ليفهموا ما بدأ السورة بأذكر من الرموز والإشارات لتحملهم ذلك على التفكر فيه والنظر إذا لم يكن
منهم العلم بمعرفة ما يراد من قوله الم والر ثم ذكر انشقاق السماء ومد الأرض على ما جعل فيها التعريف شدة ذلك
اليوم ويخافوه ويستعدوا له قوله تعالى وأذنت لربها وحقت قيل سمعت لربها وأطاعت وأجابت إلى ما
أريد من الكلام بالإذن مختلف يخفى أن يصرف كل صنف إلى ما هو الأولى به ألا ترى أنك إذا قلت أذن الرجل لعبده
في التجارة فليست تريد بقولك أذن ما تريد بقولك إذا أذنت لغيرك أن يتناول من طعامك بل تريد بالإذن للعبد
الأمر بأن يتجر حتى لو لم يفعل يلومه على ذلك وتريد بالآخر إباحة التناول وقال الله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن
الله كتابا مؤجلا وقال في موضع آخر وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله وكان المراد من الإذن مختلفا فثبت
أن حقه أن تحمله إلى ما أليق به أقرب وهو إلى الطاعة والإجابة ههنا أوجه لذلك حملوه عليه وقوله وحقت أي حق لها
أن تسمع وتطيع وجائز أن يكون الإجابة مضافة إلى أهلها ثم نسب إليها ذلك كما قال المراد منه أهل القرية
وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ولا يوجد من القرية عتو وإنما يوجد من أهلها فإن كان كذلك ففيه أنه
لا يتخلف أحد من الإجابة إلى ما دعاه إليه الرب خلاف ما كانوا عليه في الدنيا فإن كثيرا من أهل الدنيا أعرضوا
عن طاعته واشتغلوا بمعصيته ثم الإجابة والطاعة والطوع والكره ومثل هذه الأوصاف إذا أضيفت
إلى ما هو من أهل الاختيار فهو على الطوع المعروف والإجابة المعروفة وإذا أضيفت إلى من ليس هو من أهل
الاختيار فهو على تغيير الهيئة على ما عليه الخلقة نحو الأرض يوصف بالحياة إذا أنبتت ويوصف بالموت
إذا يبست ما عليها فصارت منه شيء ويراد بها صارت بهيئة لو جعلت تلك الهيئة في الروحانيين لصار لأحدهما علما
للحياة والآخر علما للموت وقال تعالى ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وقال ثم استوى إلى السماء وهي
دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وهما لا يوصفان بطوع ولا بكراهة ولكن
خلقتا على هيئة لو وجدت تلك فيمن يوصف بالطوع والإكراه كان ذلك منه طوعا وقال إبراهيم رب إنهن أضللن
كثيرا من الناس وهي في الحقيقة لا تضل ولكنها السبب على هيئة لو كانت بملك الإضلال لعد ذلك منهما إضلالا
قوله تعالى وإذا الأرض مدت قيل بسطت وسويت بكبس الشعاب والأودية بالجبال وتمامها فصارت
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قوله تعالى وألقت ما فيها وتخلت أي ألقت ما وضع فيها من الموتى
والكنوز فتخلت عنها فنسب التخلي إليها وإن كان من فيها هو الذي أخرجهم فكانت هي الحابسة لأنها إذا ألقاه
منها خلت هي عنه قوله تعالى يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فالكادح هو الساعي وهو الذي
اعتاد ذلك السعي وكل إنسان تراه أبدا ساعيا إما في عمل الخير أو عمل الشر وفيما ينفعه أو فيما يضره حتى لو هم بترك
السعي يقدر لأن ترك السعي نوع من السعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حين تلا هذه الآية أنا ذلك الإنسان

فهذا النبيل له هو المخصوص بالخطاب لانه بني الانسان فقال فاما من اوتي كتابه بيمينه الاية وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره ولا يبعد ان يكون هو المراد بهذا كله فكل احد على الاشارة اليه مراد بقوله يا ايها الانسان فلذلك قال يا ذلك الانسان وقوله انك كادح الى ربك كدحا فيحتمل ان يكون معناه انك تجعل كدحك الى ربك في ان تسعى في طاعته وطلب مرضاته فانه ملاقيه اي ملاق جزاء عملك ان خيرا فخير وان شرا فشر وحاصله ان تكون الملاقاة كناية عن البعث اذ البعث قد يكنى عنه بلقاء الرب قال الله تعالى من كان يرجو لقاء ربه وسمي ذلك اليوم يوم المصير الى الله ويوم البروز بقوله وبرزوا لله جميعا ووجه التسمية بذلك لا سيما ما ذكرنا ان المقصود من خلق العالم العاقبة وسمي بروزا لما ... وسمي مصيرا الى الله لمصيرهم الى ما له خلقوا وان كان الخلق كلهم بارزين له قبل ذلك لكونهم ... غائبين فيصيرون اليه حضورا لذلك قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فسماه يسيرا لا وجه لاحدها ان المؤمن اذا اعتقد تصديق الرب في كل ما دعاه اليه واذا كان اعتقاده على التصديق سهل عليه تذكر ما يعمله بتذكير الجملة ووجه آخر انه اذا نظر في كتابه رأى حسناته مقبولة وسيئاته معفوة لا يضيق له اليوم تيسيرا لما ابتغيه من الخيرات فمحي عنه من السيئات كما سميت الخيرات كثيرة وسيما يجري عليها تيسيرا ايضا فكذلك الذي اوتي كتابه بيمينه فحرصه على الخير فسمي حسابا يسيرا وجائز ان يكون المسلم يحاسب فان ذكر ما انعم عليه في الدنيا ولا يحاسب حساب توبيخ وهو ان يقال له لم فعلت كذا او الكافر فيحاسب حساب التوبيخ فيقال له لم فعلت كذا على الانكار منه بما فعل وفي ذلك تقريع عليه وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نوقش في الحساب يهلك او عذب وفي بعضها من حوسب عذب قالت فقلت يا رسول الله الم يقل الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا قال انما ذلك العرض ذلك لكن من نوقش الحساب هلك قال الشيخ رحمه الله ليس في ظاهر قوله من نوقش الحساب عذب دفع لما قالته عائشة لان الفهم من قوله من نوقش الحساب غير الفهم من قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فليس في ظاهره ما يحتج به اما الظاهر من الكلام الاول على ما فهمته عائشة ولكن وجه الجواب بحينئذ قوله من حوسب عذب وقوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا اليسير من الحساب وانما هو على الحساب الذي يناقش فيه فاما الحساب الذي هو عرض فليس مما يعذب عليه ويكون قوله انه لا يفهم الحساب العام عموم المراد كما فهمته عائشة بل يجوز ان يكون الخطاب عاما والمراد منه خاصا وقوله وينقلب الى اهله مسرورا وقال بعض اهل التأويل ان شاء الله وقوله واما من اوتي كتابه وراء ظهره ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا فهذا لان المسلم انما يأمل على حرصه لتحصيل النفع لنفسه في العاقبة ويكون بعينه لها على امور الآخرة فحصل له ذلك النفع لحاجة ... السرور الدائم بذلك والكافر تأمل المنافع الحاضرة ... نسي امر العاقبة فحق عليه العذاب الذي نسي للاخرة لا السرور باهله وهو كقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية والكلام يريد العاجلة ولا يتبه فيها لكن الذي يصلى جهنم هو الذي ابتغى العاجلة اشتغل انسانه للبعض الآخرة يكذب المسرور باهله اما جلبته النعمة ... النظر في العاقبة لانه لفضل سرور ... على اهل الخلوة السرور باهله والله اعلم قوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فالانباء من وراء الظهر يحتمل وجهين احدهما انه استقذر وخبث منظره وان اوتي من وراء ظهره او من وراء ظهره محاذاة له بما سبق من صنيعه وصنعه هو انه نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهره فترك اوامره ونواهيه وراء ظهره كذلك يخرج ايضا يدفع كتابه وراء ظهره ودفع الى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه من المحاسن والبركات واليمين اسم يستعمل في البركات وانواع الخير وسميت ايضا باسم مشتق من اليمن والبركة والشمال جعلت تستعمل في الاقذار والانجاس ودفع كتاب من خبث عمله اليه بشماله ايضا او من وراء ظهره ولان اهل الايمان قبلوا اوامر الله ونواهيه واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل فمن اراد تعظيم الآخرة في الشاهد وتبجيله اخذه بيمينه فجوزوا بالآخرة بالتعظيم بان اوتي كتبهم بايمانهم واما الكافر فانما استخف بامر الله وطاعته فجوزي في الآخرة بان اوتي كتابه بشماله التي تستعمل في الاقذار اهانة له وتحقيرا قوله تعالى فسوف يدعو ثبورا الثبور الويل والحرب فانه يتكلم بهما عند الوقوع في المهالك فيكون في ذكر الثبور ذكر موضع الهلكة التي يحق بها ذكر الثبور او الويل على نفسه والله اعلم يدع على سبيل الكناية عن الوقوع في الهلاك وهو كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فالضحك كناية عن السرور والبكاء كناية عن الحزن فمعناه انه يستقبله من الحزن له طويلا كان هنالك البكاء ولم يكن قوله تعالى انه ظن ان لن يحور ضد دلالة انه انما حل به ما ذكر من العذاب لانه كان للبعث ظانا ولم يكن به متيقنا وكذلك الله تعالى حيث ... الوعد والوعيد بين الفريقين ذكر في آخر ما بيّن الذي استحق العذاب هو المكذب بعد ذكر الوعيد هو لكن كان ظانا بالبعث ولم يكن متحققا وقال تعالى واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فيبين ان الوعيد في المكذبين وقال الذي وجوههم النار الى قوله فكنتم بها تكذبون

ليعلم

ليعلم ان الوعيد المذكور في المكذبين خاصة فيكون فيه دفع قول المعتزلة ان اهل الكبائر يخلدون في النار قوله بلى ان ربه كان به بصيرا اي كان بصيرا بما سبق من اعماله الخبيثة فيحاسبه على علم منه بما كسبت يداه ويعذبه على علم منه باكتسابه ما استوجب من العذاب بخلاف الامر ملوك الدنيا انهم يحاسبون على تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب ويعذبون على تعريف الغير لهم ما استوجبه التعذيب لا على علم منهم بذلك ويكون معناه انه كان بصيرا في الازل لانه ماذا يعمل اذا انشاه ومن اذا ينقلب امره الى الهلاك او الى الجنة فخلقه على علم منه انه يعادي اولياءه ويعمل بمعاصيه ولقائل ان يقول بان المرء في الشاهد لا يشرع في الامر الذي يعلم انه في العاقبة يضر ولا ينفعه ولو شرع فيه فانه كان مذموما عند الناس ولم يكن محمودا فاي حكمة في انشاء من علم من حاله انه يسعى في معاداته فجوابه انا علم ان الذي يشرع في الامر الذي علم ان تمامه يضر ولا ينفعه انما الحكمة لحد لما يسعى في اضرار نفسه فاما الله تعالى عز عن طاعة الله وكفره وما اكتسب الضرر على نفسه خاصة بان تعرض في المهالك ولم يضر غيره لذلك لم يجعل المذمة في خلقه وانشائه وفي هذا دلالة ان الله تعالى حيث خلق الخلق لم يخلقهم بمنفعة له ولا لمضرة تلحقه من جهتهم بل لمنافعهم ومضارهم راجعة الى انفسهم قوله تعالى فلا اقسم بالشفق فمنهم من يجعل قوله فلا على وقع منازعة وقعت فيما بين القوم على ما ذكر في سورة لا اقسم بهذا البلد وانما القسم قوله اقسم ومنهم من جعل لا صلة فان كانت الا وجه الاول لم يخرج خلا من الكلام بل حقه ان يقال فلا اقسم وان كان من نحو الصلة استقام حذفه كما قرا بعضهم لاقسم فلا اقسم بالشفق ثم الشفق هو اثر النهار وهو النور الذي فيه واثر الشمس وهي الحمرة التي تكون بعده فيكون القسم واقعا على النهار بما كان فيه كما كان واقعا على الليل بما فيه بقوله والليل وما وسق فيكون فيه حجة لقول ابي حنيفة رحمه الله ان وقت العشاء لا يدخل حتى تغيب البياض لان وقتها يدخل بغيبوبة الشفق والشفق وجدناه مشتملا على البياض والحمرة فما لم يتم الغيبوبة لم يتحقق وقتها الا ترى ان الصلاة التي تلي الغروب لا يدخل وقتها حتى يتم الغيبوبة قوله والليل وما وسق قال بعضهم وما ساق وحمل معه من الظلمة والنجوم والدابة وغير ذلك والوسق الحمل يقال وسق بعيرا اي حمل بعير وقال بعضهم وسق اي جمع وساق كل شيء الى ما فيه من الطيور والسباع فذكر النهار والليل بما فيهما من المنافع قوله تعالى والقمر اذا اتسق الاتساق الاجتماع ومعناه استوى وكمل وذلك اجتماعه وذلك ليلة البيض وقال ابو بكر الاصم معناه انه جمع وسق بعد ان كان كالعرجون القديم فذكر ذلك لهم قوة ليعلموا انه قادر على بعثهم قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق قرئ بنصب الباء ورفعها وكلا القراءتين في المعنى واحد وان في الظاهر احدهما الجمع والاخرى للوحدان ويكون المراد منه الجملة فان قوله لتركبن طبقا منصرف الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاشتراك بل شخص واحد الستين في قوله يا ايها الانسان انك كادح اشارة الى شخص واحد بعينه واحد القراءتين بحرف الجمع لتركبن بالرفع فمتى كان الخطاب منصرفا الى الجملة والله اعلم ثم قوله لتركبن طبقا عن طبق اي حالا بعد حال ثم حالا بعد حال الى دار الآخرة فكانه قال لتركبن حالا بعد حال بعد حال الدنيا فيكون فيه تصريح القول على اثبات البعث ويحتمل ان يكون تبيين ذلك تنقل الحال بعد كونه نطفة الى حال العلقة والى حال المضغة الى ان يبلغ اشده فلا يزال يترك حالا بعد حالة فيكون في نقله من حال الى حال ابانة انه لم يرد من انشائه ان يتغير عليه الاحوال فقط بل اريد به العاقبة التي لها صار انشاء الخلق حكمة لا عبثا ومنهم من قال انما اريد بهذا الخطاب رسول الله ذكر ذلك عن ابن مسعود وابن عباس ولكن قال ابن مسعود لتركبن يا محمد وقال ابن عباس لتركبن السماء حالا بعد حال فان كان التأويل على ما ذكره ابن مسعود ففيه بشارة له باسلام قومه واجابتهم له فيقول انهم سيطيعونك ويصيرون لك انصارا بعد صدهم الناس عن الايمان وتخويفهم بالسيف قال لتركبن سماء بعد سماء فيقول ذلك اشرف به والتأويل الاول اقرب لانه خرج القسم في قوله لتركبن والاشتراك لم يكن يعرفه قومه حتى يكون فذكره رفع الاشتباه عن اولئك القوم فاما ظهور الاسلام وعلو النبي على اعدائه مما يشاهده الناس فتحقق في الآخرة ما اخبر النبي من الغيب فيكون تأكيدا للرسالة فلذلك قلنا ان الحمل على معنى الاول احق والله اعلم قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون الاصل ان كل من اعتقد مذهبا فانما يعتقد لحجة تقررت عنده او شبهة اعترضت له ظنها حجة فاما ان يعتقد مجازفا فليس يفعله عاقل فهؤلاء الذين لا يؤمنون ليس لهم حجة تمنعهم عن الايمان بالله ورسوله وتدعوهم الى الشرك والتكذيب به ثم قد ذكرنا ان مخرج مخرج الاستفهام من الله تعالى تحقيقه ان ينظر ما يقتضي ذلك الكلام من الحاجة لو كان من الخلق فيحمل الامر عليه وفي جواب هذا الكلام ان تقول لا شيء يمنعه عن ذلك وقوله فما لهم لا يؤمنون ان لا حجة لهم فيما اختاروا من الشرك انما يدينون به تشهيا وتمنيا فيكون هذا على النفي في ان لا حجة لهم وكانه

يخاطب به رسول الله فيقول سل هم لماذا لا يؤمنون اذا سالهم لم يجيبوا لانفسهم حجة في الاعراض
عن الايمان فيرجع الامر الى الاستفهام الحجة ايضا ثم المعتزلة احتجت علينا بهذه الآية في تثبيتهم تقدم
القدرة على الفعل انه لو لم يكن اعطي قوة الايمان لم يكن يعاتب على تركه لانه لا عذر للعبد اعظم من انه
اذا قيل له لم لا تؤمن اني لم اقدر عليه ولا اتوصل اليه فالقوم لا يؤمنون حرف تعجيب فلو كانت القوة موجودة
معدومة قبل الفعل لكان له ان يقول انما لم اؤمن لاني منعت عنه فيرتفع عنه التعجيب فدل انه قد اعطي القوة
فلم يشتغل في الخلاف عن الايمان عدده والجواب عن الفصل الاول ان الكافر انما لحقته كلفة الايمان لانه هو الذي
ضيع القوة باختيار فعل الكفر وانما يرتفع الكلفة اذا منعت عنه الطاقة فاما اذا كان هو ضيعه فالكلفة
عليه قائمة والاصل ان العدة في تصحيح التسليم يحدث طباما على قدر رخصه على العبادة وميله اليها
العبد متى اشتغل بفعل صار مضيعا لضده من الافعال الا ان كان ممنوعا عن الفعل الذي هو ضد
هذا فكذلك اذا اثر الكفر واتى به فقد صار باختياره الكفر مضيعا لقوة الايمان لا انه صار ممنوعا عنها
لذلك لحقته كلفة الايمان لا انه صار ممنوعا عنها الذلك عما ذكر من امر التعجيب فقد وصفنا وجه
التعجيب في ذلك وهو انهم لم يلتزموا الكفر بحجة دعتهم الى القول به ولا اذا قلدوا مذهبا قلدوه عن حجة
وبرهان فيعجب الخلق باختيارهم الكفر لا عن حجة ثم لو كان الامر على ما ظنت المعتزلة ان الله قد اعطاهم
جميع اسباب الهداية ولم يبق في خزائنه شيئا اسعد عنهم لكان التعجيب راجعا اليه الا الى الذين لو اوتوا
فيقول ما لي لا اصل الى هدايتهم ولم يبق عندي شيء به هدايتهم الا وقد اعطيتهم لا ان يعجب الخلق من
صنعهم فليس لك اختياره في القول سوى وصفهم رب العالمين بالعجز والعاجز لا يصلح ان يكون
ربا والله اعلم قوله تعالى واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون فمنهم من صرف التاويل الى سجود الصلوة
والمراد منه عندنا سجود التلاوة وهو سجود الاستسلام والخضوع على الشكر لما اكرم الله من الايمان به
وهكذا لانه لان سجود الصلوة يكون عند فعل الصلوة لا عند ذكر التلاوة ثم في الآية دلالة وجوب
السجدة على السامع لانهم عوتبوا بتركهم السجود عند ما يتلى عليهم وفرعوا بعد النفي مجرى ترك
الله ثم لا في ترك ما ليس عليه ولان المعنى به وجب السجود على التالي قائم في السامع اذ التالي انما لزمه السجود في
ما ذكر من آيات الله تعالى وقامت عليه من الحجج عليه ان ينقاد لها ويخضع والسامع قد قامت عليه الحجج
ان يخضع لها والله تعالى اعلم قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يكذبون
بنبوة محمد فحملهم ذلك على التكذيب بالقرآن لانهم اذا كذبوا رسالته لم يصدقوه فيما ياتي من الاخبار
لا ان يكون في الاخبار معنى يحملهم على التكذيب بل القرآن يحملهم على التصديق والايمان لو اشتغلوا
بالنظر ونزلوا من انفسهم الانصاف ويكون معناه ان الذين كفروا هم المكذبون فيكون الكفر منهم
تكذيبا والتكذيب منهم كفرا قوله تعالى والله اعلم بما يوعون يحتمل وجهين احدهما ما يضمرون من الكيد
والمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم بكيدهم لا يضرنا لهم ان يتفقد كيدهم الا ما كتب الله عليه فيكون فيه بشارة
له بالنصر والتاييد والثاني والله اعلم بما يوعون في قلوبهم من التصديق ويظهرون من التكذيب بالسنتهم او
بما يوعون من التكذيب بالسنتهم وقلوبهم معا وذلك ان البعض منهم كان قد ايقن برسالته وكان
يصدقه بقلبه ويكذبه بلسانه على العناد منه والتمرد ومنهم من لم يكن يصدقه بقلبه لما ترك
الانصاف من نفسه باعراضه عن النظر في حجج الله فكان يكذبه بقلبه ولسانه جميعا قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم فالبشارة اذا اطلقت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا واما البشارة المطلقة انما
تستعمل في موضع ادخال الفرح والسرور في القلب قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يحتمل
ان يكون هذا منصرفا الى كل من آمن ويحتمل ان ينصرف الى من آمن من الذين كانوا يوعون ما ذكر قوله تعالى
لهم اجر غير ممنون نذكره في سورة والتين والزيتون ان شاء الله تعالى وبه التوفيق نعم الوكيل نعم النصير

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء ذات البروج فقوله
والسماء ذات البروج على القسم وكل ما ذكر عقيبه ثم اختلف في موضع القسم من هذه السورة فمنهم
من [illegible] ومنهم من يقول القسم موقعه على قوله ان بطش ربك
لشديد وهذا اشبه لانه في موضع [illegible] على الكثرة [illegible] قتل اصحاب الاخدود كان

ذلك

ذلك منصرفا الى المؤمنين والمسلمون قد يتفقون بتصديق ما ياتي به الرسول من الانباء والقسم يذكر على ما ذكر
ما يقصد اليه لنزيل عنه الريب فاذا كان المسلمون غير مرتابين في نبإ لم يستعملوا في تاكيده بالقسم فلذلك
قلنا انه صرفه الى قوله ان بطش ربك لشديد ليتوفون فيه تحذير لمن كذب رسوله ان بطشه لمن كذب
رسوله لشديد وقد علم ذلك بما وصل اليهم من انباء عاد وثمود وفرعون وغيرهم وجائز ان يكون موضع
القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود وذلك ان اهل مكة كانوا اهل تعذيب لمن آمن بالنبي فكان في ذكرها
نزله بالمتقدمين عن الفرعنة من العذاب وصبر اولئك المعذبين على دينهم وصبرهم به وحسن ثناء الله عليهم
تصبير لهم وتهوين على ما يلقون من العذاب اليما من حسن ثناء الله لهم من الذين صبروا من تقدمهم من السلف
وكذلك ذكر سحرة فرعون واحسن الثناء عليهم بصبرهم على تعذيب فرعون فقالوا اقض ما انت قاض انما
تقضي هذه الحيوة الدنيا فيكون في ذلك عونا لهم على الصبر بما يلقون من الكفرة من التعذيب ثم كان الامر بالقسم
لانه لا كل مسلم يبتلى بتعذيبهم تبلغ تقيته مبلغا لا يعتريه الشك ولا يحيك الحرس فيه فوق ذلك فاكد الامر
الامر بالقسم فرفع الريب والاشكال قال الله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي بعض القراءات
قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا فذكر الموتى
من السلف من الكفرة وقتلوا بقتل الرسل وثباتهم على الدين ليتعسوا به على ان لم يصيبهم في سبيل
ولا ينقلبوا على اعقابهم اذا احيوا بقتل الرسول عنه في ذكر هذه الانباء دلالة ان فعل الرسول انما ذكرت
بعد حين اكره على اجراء كلمة الكفر فاجري وقلبه مطمئن بالايمان لم يسع على الامر به ولا الايجاب عليه وتحصيل
العزم بل معناه ان عاد فعد ثم ان يعود على سبيل الرخصة لانه كان على الامر لم يكن في ذكر نبإ اصحاب الاخدود
وسحرة فرعون فائدة سوى ان فيه ترك العمل بها ومعلوم ان تلك الانباء انما ذكرت ليعمل بها لا ليترك بها العمل
لذلك حمل قوله فعد على الرخصة لا على الامر به ويكون المراد من قوله لمعلية الثاكم ايضا من لم يقبل رخصنا كما
كما يقبل عزائمنا فليس مثله فيه لم تر العمل به من شعار بل يستنكره وابى قبوله انكون فيما من ترك العزيمة والحاب
العمل بالرخصة والله اعلم ثم رجع الى قوله والسماء ذات البروج فقال بعضهم هي البروج المعروفة وهي
اطراف البناء فاذا بني بناء اتخذ على طرفه برجا ليشد بناءه به ومنهم من قال البروج القصور ومنهم من قال
البروج النجوم لقوله وجعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين فزينة السماء هي الكواكب بقوله انا
زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ومنهم من قال هي مجاري الشمس والقمر والكواكب فمنازلها هي البروج ثم
ذكر السماء بالبروج ليعرف بها حدثها ودخولها تحت تدبير الغير اذ ذكرها بالمنافع المجعول فيها العلم للخلق
انها سخرت للمنافع فيعرفوا بها حدثها اذ المسخر لمنافع الغير داخل تحت قدرة من سخره والمعدود محدود وهم
لم يشهدوا ابتداءها ليعرفوا به حدثها والاكل الحديث في حد نفسه لشيء يكون محدودا في نفسه اذ لم يشهدوا ابتداءه
فذكرها حيث ذكرها بما فيها من المنافع المجعول للخلق اذ ذلك اظهر الوجوه الدالة على الحدث ثم علم به حدثه
الاترى ان ابراهيم احتج على قومه بتغير الاحوال الاهلة عن الكواكب بافولها اذ ذلك اظهر وجوه الحدث ثم لم يحتج
عليهم بانتقالها من موضع الى موضع ولا بكونها محدودة في نفسها بل احتج عليهم بما ذكرنا لتحقق عندهم
حدوثها ودخولها تحت سلطان الغير قوله تعالى واليوم الموعود قيل هو يوم القيمة فسمي موعودا لما
وعد من جمع الاولين والآخرين في ذلك اليوم ثم اقسم بذلك اليوم وان كانوا منكرين له لما قرن عليهم الحجج
المعقول به وقيل اليوم الموعود هو كل يوم ثلاثمائة ياتي وعليه من الرزق عبره والله اعلم قوله تعالى وشاهد ومشهود
اختلف في تاويله فمنهم من قال الشاهد هو الله تعالى والمشهود الخلق واستدل على ذلك بقوله فلما توفيتني كنت
انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل الشاهد الرسول والمشهود امته قال الله تعالى ويوم نبعث في كل
امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ومنهم من قال الشاهد هو الكاتبان الذان
يكتبان على بني آدم اعمالهم والمشهود هو الانسان الذي يكتب عليه ومنهم من يقول الشاهد والمشهود هو
الانسان نفسه او جعل عليه من نفسه شهودا لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون ومنهم من يقول الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة سمي يوم الجمعة شاهدا لانه هو الذي يشهد
ويأتيهم وسمي يوم عرفة مشهودا لان عرفة اسم مكان فالناس ياتونها او يشهدونها ولا ياتيهم فعظم شان
عرفة لما يعظمها اهل الاديان كلهم وعظم يوم الجمعة لانه يوم عيد المسلمين ولكل اهل دين يوم يعظمونه فاكرم
الله المؤمنين بهذا اليوم ليعظموه مكان اليوم الذي يعظمه غيرهم من اهل الاديان فاقسم بهما قوله تعالى قتل
اصحاب الاخدود واختلف في تاويله فمنهم من صرفه الى المعذبين ومنهم من صرفه الى المعذبين فمن صرفه الى
المعذبين حمل قوله قتل على اللعن لطعن كقوله قتل الخراصون اي لعنوا ومن صرفه الى الذين عذبوا حمله على القتل

المعروف ثم اختلفوا في قصة أولئك الذين عذبوا فإن كان القسم في الكفرة فما ينبغي أن يعتمد على وجه من ذلك
ما لم يتواتر فيه الخبر عن المصطفى بل حقه أن يقتصر على ما جاء به الكتاب لأنه لا حجة لرسالة نبيه لأنهم جحدوا
موافقة للأنباء المذكورة في كتبهم وقد علموا أنه لم يصل إلى تعريفها إلا بآيات الله تعالى إذ لم يروه يختلف إلى من عنده
علم الأخبار ليصل إلى معرفتها بهم فإذا أخبر على وجه أمكن أن يقع فيها زيادة أو نقصان على ما ذكر في الكتاب
فيجدوا به موضع الطعن في الغرض لذلك لم يسع أن يزاد على الأنباء الذي جرى ذكره في الكتاب إلا من الوجه الذي
ذكرنا وإن كان القسم في المؤمنين فيسع أن يعمل بجملة التأويلات التي ذكرها أصحاب التفسير لأن تفاوت الخبر الذي
ذكرنا في الكفرة والله أعلم ثم في ذكر هذا النبأ تقرير نبوته ورسالته عند الكفرة لما ذكرنا أنه لم يختلف إلى من عنده
علم هذا النبأ ليعلم به فإذا أنبأهم على وجهه تيقنوا أنه بالله تعالى علم وفيه تصبير لرسول الله عليه السلام وتخفيف الأمر
عليه لأنه يحتمل أن قومه لن يبلغوا في أذيته وعناده ما بلغ من تقدمهم بل لم يبلغ سلفهم تلك عادتهم بأهل الإسلام وعادته في
ما ذكرنا أن في ذكره بعض ما يستعين به من يبتلى بأيدي الكفرة فيعلم أن أولئك الكفرة بلغ من صنيعهم بدينهم إبقاء الموت
عليه مواظبة في نفسهم في الدين ليعلموا أن القتال الكائن للدين ليس بأمر سار خارج عن الطباع بل الطباع جبلت
على القتال مع من عاداهم في الدين حتى يكون فيه ترغيب للمسلمين على القتال مع الكفرة إذا امتحنوا بهم وقوله عز وجل
النار ذات الوقود فمنهم من جعل الوقود من التي فيها من المؤمنين ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي يشتد
بها وقوله تعالى إذ هم عليها قعود أي عظماؤهم وكبراؤهم جالسون عند الأخدود فقيل إن أتباعهم هم الذين كانوا يلقون
إلقاء المؤمنين في النار وكبراؤهم جلوس هنالك وقوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يحتمل وجهين أحدهما
أن يكون الشهود هم العظماء والفراعنة أو يكون منصرفا إلى الأتباع فهؤلاء الأتباع كانوا يلقون المؤمنين في النار
ويشهدون أنهم على الضلال لعلمهم ورؤساؤهم على الحق والحجة هو كما قال في موضع آخر ويقولون للذين كفروا هؤلاء
أهدى من الذين آمنوا سبيلا وقوله تعالى وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد فذكر العزيز الحميد ليعلم أنه
لا يلحقه ذل بما يحل من البلاء بأوليائه وأهل طاعته ولا حزن مصيبة يبتلى أولياؤه حيث جعل الملك له إلا من ملوك الدنيا ودل
أن ملوك الدنيا إذا حل بأوليائهم ولحقهم ذل كان الذل لاحقا بهم أيضا فإذا أمر بعض أتباعه فترك نصرهم وهو قادر على
نصرهم واستنقاذهم لم يحمد لذلك بل يلحقه المذمة وذلك في الملك إنما استفاد العز بأتباعه وأنصاره فإذا اشتد
أتباعه وأنصاره زال عنه ما نال العز فلحقه الذل وقال الحميد أيضا بالإحسان الذي يملكه فإذا ترك نصرهم وهو ممكن من
فقد ترك إحسانا إليهم فصار بعين مذموم ولا محمود والله تعالى استحق العز والحمد بذاته لا لأحد من خلقه فلم يكن في
خذلان أوليائه ما يوجب النقصان في وصف الحمد ولا ما يوجب قصورا في العز والثاني أن الدنيا وما فيها أنشئت للابتلاء
ولعل الإهلاك بما ذكرنا ليس عليهم من هلاكهم حتف أنفهم وكان في ذلك النوع من الهلاك نيل درجة الشهادة وهي
التي ذكرها الله تعالى في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الآية ولا ينال تلك الدرجة
بموتهم حتف أنفهم فهذا أبلغ نصرهم إذ منزلتهم ثم الجزاء والعقاب دار أخرى فيظهر عن الأولياء وقع الحمد فيهم
في ترك النصر في الدنيا ما يوجب وهنا ولا ذلا وأما ملوك الدنيا إذا تركوا نصرة أوليائهم وقت ملكهم لم يتوقع منهم
النصر بعد ذلك إذ ليست بينهم إلا المنافع والحاضرة لذلك لحقهم المذمة بترك النصر والله أعلم [illegible]
أولئك القوم الذين آمنوا واقتدارهم عليهم إبهام أنهم كانوا على الحق والصواب وأن المؤمنين كانوا على الخطأ لأن
الإهلاك إنما يصير آية إذا كان على خلاف المعتاد وإهلاكهم لم يكن كذلك لأن عددهم كان كثيرا لو كان في المؤمنين
قلة وإهلاك الكثير القليل غير مستبعد بل هو أمر معتاد وغلبة الفئة القليلة الفئة الكثيرة تخرج من حد العادة
فيكون فيها آية أن الفئة القليلة على الحق والأخرى على الباطل وعلى الضلال وذلك نحو غلبة رسول الله يوم بدر ومن معه
من المسلمين مع قلة أعدادهم وضعفهم في أنفسهم وكثرة أتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم في أنفسهم والله أعلم
وقوله تعالى وما نقموا منهم أي لم يكن من المؤمنين إليهم جرم ينتقم منهم بالإحراق سوى أن آمنوا بالله وتبرؤوا
مما عبدوا عليهم وما أنكروا منهم سوى أن آمنوا بالله وفي هذا تبيين سفههم وعتوهم لأنهم علموا أن الذي لهم
كلها من الله تعالى فكان الذي يحق عليهم أن يؤمنوا بالله ويشكروه بما أحسن لهم من النعم فيدعوا من هم إلى الإيمان
أن يقتلوا ويعذبوا من آمن به ثم قوله العزيز الحميد فالعزيز هو الذي لا يوجد له وهو عزيز لا يلحقه ذل ولا يكون مقابل الذل
وقال أهل التفسير العزيز المنيع والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء وهو الحميد المستوجب الحمد من كل أحد بذاته وقوله تعالى
الذي له ملك السموات والأرض فذكر هذا ليعلم أنه لا يدخل في ملكه قصور بقتل أوليائه وأنصار دينه لأن
الخلق كلهم عبيد الله وإماؤه والسيد إذا قتل بعض مماليكه بعضا لم يلحق السيد بذلك ذل ولا نقصان إنما يدخل
ملكه الذل إذا قتلهم غير مماليكه فإذا كان الخلق بأجمعهم عبيد الله تعالى لم يكن في قتل بعضهم بعضا نقص يدخل في ملكه
والله على كل شيء شهيد أي يحفظ عليهم أعمالهم فيجازيهم بها لا يعزب عنه شيء وقوله تعالى إن الذين

فتنوا المؤمنين والمؤمنات فالفتنة المحنة وهي مأخوذة من فتن الذهب إذا أذابه لأنه يذيبه ليميز به بين ما اختلط
بين ما صفا وبين الذهب يعني ما التبس به فاستعملت في موضع المحنة لأن المحنة هي الابتلاء ليتبين بها الصادق
من الكاذب والمحق من المبطل وذلك يكون بالأمر والنهي فسمى الأمر والنهي من الله تعالى امتحانا لهذا وإن كان الله تعالى
لا يخفى عليه شيء ثم وجه فتنتهم أنهم حفروا الأخاديد وأوقدوا فيها النيران ليلقوا فيها من ثبت على الإيمان ودوام
عليه ويتركوا القائم ورجع عن دينه فقيل فتنوا المؤمنين وقوله تعالى ثم لم يتوبوا فقيل بهم لو تابوا لكان يعفو عنهم ولا يهتم
مع عظيم جرمهم بربهم في ذات الله فيكون فيه إظهار كرمه وعطفه على خلقه وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم ولهم
عذاب الحريق فمنهم من صرف عذاب الحريق إلى الدنيا فقال تلك النار التي عذبوا بها المؤمنين سلطت
عليهم حتى أحرقتهم وجائز أن يكون ذلك في جهنم أيضا فيكون فيه إخبار أن نار جهنم يدوم عليهم بالإحراق
ولا يعتق عنهم وقوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فمنهم من صرف هذا الخطاب إلى الذين عذبوا من المؤمنين
ومنهم من صرفه إلى المعذبين وهم أنهم لو آمنوا مع عظم جرمهم وإساءتهم بأولياء الله لكان يعفو عنهم وينيلهم جنته
وجائز أن يكون هذا منصرفا إلى كل من آمن بالله وقوله تعالى لهم جنات تجري من تحتها الأنهار فقوله من تحتها
الأنهار فقوله من تحتها يحتمل وجهين أحدهما من تحت أهلها والثاني من تحت أشجارها والجنة اسم للمكان
المفعمة بالأشجار الملتفة فيخبر أن الماء تجري من تحت ما به صارت جنة وهو الأشجار [illegible] فقوله تحتها
أي تحت تربتها لأن تحتها تكون قناة أو بئرا وليس بهما كثير نزهة وقوله تعالى ذلك الفوز الكبير
والفائز هو الذي يظفر بما يأمل وينجو عما يخاف ويحذر ووصفه بالكبير لأنه ليس لما أنعم زوال ولا انقطاع
وقوله تعالى إن بطش ربك لشديد أي أخذه بالانتقام شديد يشتد على الذي يعذب كقوله وكذلك أخذ
ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقوله تعالى إنه هو يبدئ ويعيد قال بعضهم يبدئ
العذاب ثم يعيده وقال بعضهم يبدئ الخلق ثم يعيده بعدما أماته وقوله تعالى وهو الغفور الودود فالغفور
هو الستور يستر على المذنب ذنبه إذا تاب حتى لا يذكره ولولا ذلك لم يكن يصفو له نعيم الآخرة من التنغيص
الودود [illegible] يتودد إلى خلقه فيما ينعم عليهم ويحسن إليهم وقد قال عليه السلام جبلت القلوب على حب من أحسن إليها
وبغض من أساء إليها فجعل الإحسان سببا للتودد والثاني أن كل من واداه [illegible] الله لأنه [illegible]
ما به يتودد قال الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فكأنه يقول المستوجب
للمودة من الخلق وقوله تعالى ذو العرش المجيد فمنهم من جعل المجيد نعتا للعرش ومنهم من جعله نعتا لله
فمن جعله نعتا للعرش فهو مستقيم لأنه وصفه في مكان آخر بقوله لا إله إلا هو رب العرش الكريم والمجيد
كذلك هو الشريف المعظم وعظم قدر العرش [illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى فعال لما يريد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى بل الذين كفروا
في تكذيب [illegible]
المكذب وقوله تعالى والله من ورائهم محيط [illegible]
[illegible]
[illegible]
عنده شيء وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فسماه مجيدا وكريما وحكيما [illegible]
فأما استحق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى في لوح محفوظ [illegible]

وقد وصفا اهل التفسير ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح ان يظهر مما لات من الامر لا على تحقيق اللوح وسمت
الباطنية القلم المبدع الاول واللوح المبدع الثاني وجعلوا المبدع الاول علة للمبدع الثاني وزعموا ان المبدع
الاول ليس له انشاء المبدع الثاني من المنشئ له وسمت المبدع الاول سابقا والمبدع الثاني خالقا ودحانا
وسمت الفلاسفة المبدع الاول عقلا والثاني نفسا ثم جعل التوالد من الا نفس فانما جعلهم الاول اصلا
وعلة للثاني ما ذكرنا فذلك محتمل ان يجعل الاول اصلا للثاني وعلة كما استقام ان يجعل النطفة اصلا
لخلق البشر ولكنه لا يجوز ان يسمى واحد من هذين الاسمين اللذين ذكرهما الباطنية والفلاسفة لانه
لا يجوز انشاء الاسماء لهذه الاشياء اختراعا بل نسميها بما جاءت به التسمية من عند الحجة وانما جاءت التسمية
من عند الحجة باللوح والقلم فلا نسميهما بغيرهما وقوله محفوظ اي عن الجناية فلا يتمكنون من تغييره وتبديله
واخبر انه على بريه سول عوي فلا يعتقد احد ان يغلبه فيخرجه عما فيه ووصفه بالامانة في نفسه بقوله ذو قوة
الحق انه امين ليؤمن من تغييره بنفسه والله الهادي للعباد والموفق للرشاد والحمد لله رب العالمين

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى والسماء والطارق • ان الله تعالى
ان الله تعالى عظم قدر السماء واغنى الخلق لما جعلها معدن رزقهم ومسكن اولي القدر من خلقه وهم
الملائكة وفيها خلق الجنة وخلقها بغير عمد فاقسم بها لما عظم من شانها وجعل مصالح الاغذية بزينتها
وهي الشمس والقمر واقسم بالنجم الثاقب هو المتلالئ المضيء او الذي تنفذ الشيطان ويحرقه ولنا
فيها ايضا من عظيم البركات في ركبها انها جعلت بحيث يسلك بها في البر والبحر ويوصل بها الى الطاعات
الى ان ظن بعض الناس ان الانجم السبعة هي المدبرات على الاصل وما منع الشياطين عن الصعود الى السماء
بها التلبيس عن الوحي لانهم لم يحفظوا عنها الكائن اذا وقفوا على اخبارها اسبق وهو يحملها على الكهنة قبل ان يوحى
الى الرسل حتى ذي ذلك الى التلبيس ومن عظيم قدرها انما يقع على النبأ او لما قسم بقسم به فاقسم بها
ايضا ويجوز ان يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله بان يقسم به دون ان يكون ذلك قسما منه تعالى لانهم كانوا
يرتابون في الوهيته وربوبيته وتصديقا اختاره فنزل لعنهم الريب بالقسم لما كانوا يرتابون في رسالة محمد
تعليما القسم بما ذكرنا لما كان امره فيحمله في ذلك على النظر في امره ويجوز ان يكون القسم بغير هذه الاشياء
لكونها معظمة عند الكفرة وليس للمسلمين ان يقسموا بها نهى نبيهم او يكون القسم بهذه الاشياء
هو القسم بخالقها فكانه امر بالقسم بخالق هذه الاشياء على الاضمار واختلف في تاويل الطارق فقال
بعضهم ما يجيء به الليل يقال طرقه بالليل اذا اتاه قال الخليل الطارق وهو في لسان العرب اطرقه في الكلام
مثلا اذا وقت ويسكن وقال بعضهم هو النجم يطرق بالليل ويخفى بالنهار وهو النجم الثاقب ذكر تفسيره
للطارق وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اختلف في لما فقال بعضهم انه صلة ههنا ما وقوله
لما صلة في الكلام معناه ما من نفس عليها حافظ وانما الحافظ على بعض دون بعض فليس على هذا يكون
الحافظ على بعض ما في النفس دون بعض وذلك البعض هو الذي يظهر فاما الذي يخفيه فانه لا يستتر
كاتباه ومنهم من حمل قوله لما على الاستثناء فقال معناه ما من نفس الا عليها حافظ قال الزجاج حرف لما
استعمل في موضع الاستثناء يقال في اللغة اقسمت عليك لما فعلت كذا اي الا فعلت كذا فان كان
بمعنى ما ذكروا فعند الزام التيقظ والتبصر والتفتيش من صنيعها انه اذا سلط عليها من يراقبها ويحفظها
احتشمت من رقيبها وحافظه وتكون متيقظة فلا ترتكب من الامور الا ما تعلم انه لا يلحقها فيه التبعة من الحفظ
فسلط عليها الملكان ايضا لتكون متيقظا في كل قول وفعل فلا تقبل الا على ما فيه نفع العاجل والآجل
الله تعالى الملكين كراما كاتبين ومن صحب الكريم من الخلائق احتشم منه وتوقى عن اتيان ما يستحيي من مثله
ومن اراد ان يكتب الى احد كتابا لا يثبت في كتابه شيئا يؤخذ عليه ويعيبه بل يحكم الامر ويصلحه بغاية
ما يحتمله الوسع فكان في ذكر الحافظ على النفس الزام التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا وقوله حافظ
قال بعضهم يحفظ عليها رزقها حتى تستوفيه فان كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها وقال بعضهم يحفظ
عليها عملها خيرها وشرها وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق فالاصل في معنى الامر بالنظر فيما
خلق منه الانسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة الى القول بهما وذلك لان النطفة التي خلق منها
الانسان لو رؤيت موضوعة على طبق ثم لم احد ان يعرف ان يتخرج منها الجنين به صلحت ان ينشأ منها العلقة

والمضغة

والمضغة وخلق منها الانسان لم يدرك ولو اجتمعت الانس والجن على ان يركبوا عليها جارحة من جوارح الانسان
لم يتهيأ لهم تركيبها او يعرفوا المعنى الذي به صلحت ان ينشأ منها السمع والبصر لم يقفوا عليه فتبين ان الذي بلغت قدرته
هذا لا يخفى عليه امر ولا يعجزه شيء وتبين لهم حكمته واذا عرفوا حكمته اداهم ذلك الى القول بالبعث لانه لولا البعث
والا كان يخرج انشاء الخلق عبثا باطلا فيخرج عن ان يكون حكيما ولزمهم ان يصدقوا الرسل بجميع ما اخبروهم
به وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء اذ لا يجوز ان يكون الانسان بكليته في النطفة متجسدا فظهر لانه لا يسع في الشيء
الواحد ما لا يحصى فيه من الاصناف ولا يجوز ان يكون ذلك عمل النطفة ايضا لانها موات لا يحتمل ان تصير
كذلك الا بتدبير مدبر عليم فيكون فيما ذكرنا ايجاب القول بحدث العالم ولانها لو صارت مضغة وخلقا سويا
بطبعها لكانت لا تخلو نطفة الا وهي تنتقل الى ما ذكرنا الا ترى انا لما كان من طبعها الاحراق فيما
اذا كان من طبعها التبريد لم يخل ان ينتقل واحد منها عن طبعه لكن انشاءه عليه ثم قد وجدنا نطفا تخلو عن هذه
المعاني التي ذكرنا فثبت انها تنقلب الى ما ذكرنا بتدبير مدبر حكيم لا بطبعها ثم الاعجوبة فيما فيه خلق الانسان
ليست باقل من الاعجوبة مما منه خلق وذلك لان الانسان خلق في الظلمات على ما اراد الله وصوره كيف شاء ولو ان
احدا ان يعلم علم ذلك ان يصور مثله في حال العيان لم يملك وجعل ذلك المكان فيما ينمو فيه الولد ويعيد فيه حصنا
من بين سائر الاماكن ولو اراد حكماء الانس والجن ان يعرفوا الوجه الذي به صلح ذلك المكان للنماء والغذاء ما علموا فيه
فنون العلم لم يعرفوا من بعد فكر فيما ذكرنا علم ان قدرته ذاتية ولا يلحقها فناء ولا عجز وعلم ان علمه ذاتي ليس
بمكتسب فيتوهم خفاء الامور عليه وقوله من ماء دافق يعني النطفة التي تدفقها الرجل في الرحم وقال
معناه مدفوق لانه يدفع به كقولك ليل نائم اي ينام فيه وهم ناصب اي ينصب فيه قال الزجاج ماء دافق
اي ذي اندفاق وقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اختلف في تاويله فمنهم من يقول من بين
الصلب اي من بين صلب الرجال وترائب المراة وهي الاضلاع ثمانية اربع عن يمينها واربع عن يسارها وقال
بعضهم الترائب موضع القلادة منها وقال بعضهم الترائب ما دون التراقي وفوق الصدر ومنهم من
صرف تاويلها الى الرجل خاصة فقال قوله من بين الصلب والترائب يريد به صلب الرجل وترائبه وزعم
ان الماء الذي يكون منه الولد ليس معدنه الصلب خاصة بل يجتمع من اطرافه كلها ومن حمله على المعاني الاول
صرف الامر اليهما جميعا وهو ان الماء الذي يخلق منه الولد يكون منهما جميعا وذكر الصلب الاصل كناية
عن الرجل والترائب كناية عن المراة ويكون هذا اسما لهما ماخوذا عن الفعل لما يكون فيهما الا ترى الى قوله وحلائل
ابنائكم الذين من اصلابكم الاية فاضاف الابناء الى الاصلاب وفي اخراج الماء من بين الصلب والترائب لطف من الله
تعالى لانه لو اجتهد الخلائق باستخراجه مما ذكر بحيلهم وقواهم ووضعه في الرحم لم يقدروا عليه ثم استعان
بالطعام وشهي هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من بين الصلب والترائب الا ان يكون احد يملك
استخراجها بالاسباب والحيل كما وضع فيهم شهوة الاكل والشرب فمتى ما اكلوا وشربوا وقعوا على ما ظهر من
الطعام والشراب الى كل جارحة من جوارح الاكل بالتلطف لانه يكون ذلك بالعمل والاكل والشرب خاصة وكذلك
ترى الانسان اذا سقى اصل شجرة ظهرت منفعة السقي في اغصانها واوراقها وثمارها ولو اراد احد ان
يوصل الى ما هو صالح ان يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا واراد ان يستخرج المعنى المجعول في الطعام من الغذاء
لما ذكرنا لم يهتد الى ذلك فثبت ان الحكمة فيما ذكرنا ابلغ حجة على الثنوية لانهم ينكرون خلق الاشياء لا من شيء
وزعموا انا لم نشاهد كون الشيء لا من شيء والشاهد دليل الغائب فلما ثم ذلك بعد ما قدر على تصوير الولد في
تلك الظلمات في الاماكن الضيقة وقدر ان يجعل في الماء والطعام المعاني التي يعجز الخلق عن استخراجها
لقادر على انشاء الشيء لا من شيء اذ الاعجوبة فيما ذكرنا ليست بدون الاعجوبة في انشاء شيء لا من شيء والله
الموفق وقوله تعالى انه على رجعه لقادر قال بعضهم انه على رده الى صلب ابيه لقادر وقال بعضهم انه على
بعثه لقادر وهذا اشبه لنا وبالدين لان الاية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يكن عن احد التنازع في
الرد الى الصلب وانكاره حتى يقع المنازعة ههنا وكانوا اهل انكار بالبعث فاحتج عليهم بابتداء الخلقة
وكذلك اكثر ما جرى به الاحتجاج في اثبات البعث في القرآن انما احتج عليهم بالابتداء وان كان التاويل على
رده الى صلب ابيه فوجه الرد هو ان يرد من حال الشيب الى حال الشباب ثم من حال الكبر الى حال الصغر ثم
الى حال الطفولة ثم يرد مضغة ثم يرد علقة ثم نطفة ثم يرد النطفة الى صلب ابيه لان لا يوصف الله تعالى
بالقدرة على رده وهو على حال نسمة عظيمة الى صلب ابيه مع ضيق ذلك المكان لان هذا محال والله تعالى
لا يوصف بالقدرة على المحال ولكن فيما لا يوصف بالقدرة على المحال نفي القدرة عنه في الازل عن هذا الجواب
من سال فقال ايقدر الله تعالى على ادخال الدنيا في بيضة فيقال ان اردت ادخالها في البيضة وان تصغر

الدنيا وتضيقها حتى يجعلها اضيق من البيضة او يوسع البيضة حتى يسع فيها الدنيا فهو على ذلك قادر
على ادخالها فيها على ابقاء البيضة بحالها وابقاء الدنيا بحالها فهذا محال لانا نعلم ان البعض كله لا كل
بعضا فكذلك يوصف بالقدرة على رد النسمة الى الصلب بالوجه الذي ذكرنا لا ان يردها على ما هي عليه
الى الصلب لما في ذلك من الاحالة وكذلك اذا سئلنا عن حركات اهل الجنة والسكون هل لهما غاية ينقطع
لا فان قالوا هل يعلم الله غايتها وعددها فنقول لم يعلمها غير منقطعة لا ان يعلمها منقطعة ولم يكن في
قولنا انه لم يعلمها منقطعة اثبات جهل ولا نفي العلم عنه بل الجهل انما يتحقق اذا وصف العلم بالانقطاع
فيما لا ينقطع فكذلك ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال اثبات عجز والله اعلم قوله تعالى يوم تبلى
السرائر اي يظهر ما كان اخفى منها فيجوز ان تكون الاظهار بمعرفة الحال التي تطلع عليها الملائكة فيكتبها
فيذكرها تلك السرائر كيف شاء فيقرها عليها او ينطق جوارحه بما كتمها ثم يشهد عليهم السنتهم و
ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون او يكون اظهارها بقراءة ما كتب عليه فيظهر ذلك للخلق وان كان قد ستر ما
عنهم في الدنيا ثم سمى ذلك تبلاء لان الابتلاء هو الاختبار وانما يكون الاختبار بالسؤال او بالامر والنهي فصح
ما يسأل عنه في الاخرة ابتلاء قوله تعالى فما له من قوة ولا ناصر يحتمل وجهين احدهما ان ليس له قوة في دفع
ذلك عن نفسه ولا له قوة نفي العذاب عن نفسه او لو كتم او ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصر ينصره من نزول العذاب
به ووجه ان الكفار كانوا يفتخرون بقواهم وكثرة انصارهم في الدنيا فكانوا يظنون انهم لو كانوا يعذبون
دفعوا ذلك بانصارهم وبما لهم من القوى فيخبر الله تعالى ان قواهم وكثرة انصارهم لا تنفعهم في الاخرة
ولا يدفع عنهم بأس الله وكانوا يعبدون الاصنام ليقربهم الى الله زلفى ويبصرهم من العذاب كما قال الله تعالى
من دون الله الهة لعلهم ينصرون فتبين انها لا تغني عنهم من الله شيئا قوله تعالى والسماء ذات الرجع
قال ابو عبيدة الرجع هو الماء اي السماء ذات المطر وقال غيره ذات الرجع اي تعود في كل عام الى ما كانت عليه
في العام الذي قبله بالمطر والرجع هو العود ويحتمل ذات الرجع اي تكدر الى ادرار تركها على الخلق بسوء
منها قوله تعالى والارض ذات الصدع قيل ذات الصدع بالنبات وذات الصدع اي ذات اودية
وانهار يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق بشفاء امراضهم ودوابهم فعظم من السماء والارض فاقسم الله تعالى به
لعقول تفهم بغيا القراءة وليس بالهزل وفي اخراج النبات من الارض عجيبة ولطف تدبير وذلك ان
النبات من الارض عجيبة ولطف تدبير وذلك ان النبات شيء لين ينشق بادنى مس ثم ان الله تعالى
بلطفه صدع له الارض اليابسة الصلبة واخرج منها غير منكسر ولا منكسر ليعلموا انه مدبر حكيم فيدعوهم
الى التوحيد وجعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء اذ الارض انما ينصدع للنبات اذا اصابها المطر
من السماء فيكون منه ذلك النبات ايضا انه مدبرهما واحد ولولا ذلك والا لم يتصل منفعة احدهما بالاخرى
قوله تعالى انه لقول فصل اي يبين بين فيه الحلال والحرام وما يتقى عنه وما يؤتى ويبين فيه الصواب من الخطأ
ويبين فيه الوعد والوعيد ويكون معنى الفصل التفريق وهو ان فرق الوعد من الوعيد والحلال من الحرام
والحق من الباطل فوضع كل شيء موضعه ولم يخلط احدهما بالاخرة قوله تعالى وما هو بالهزل اي بالعبث والباطل
قوله تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فقوله اكيد كيدا يحتمل وجهين احدهما اجزيهم جزاء كيدهم فسمى الجزاء
باسم ما له الجزاء وان لم يكن ذلك كيدا كما سمى الجزاء للسيئة سيئة مثلها وان لم يكن الجزاء سيئة وكما سمى
الجزاء للاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء اعتداء بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وقال نسوا الله فنسيهم اي جزاهم جزاء النسيان او جعلهم كالشيء المنسي الذي لا يعبؤ به لا ان يكون منه في
الحقيقة نسيان فكذا سمى جزاء الكيد كيدا لا ان يكون الجزاء كيدا والوجه الاخر ان الكيد في الحقيقة هو المكر
هو ان يأخذ من وجه امنه فيلحق الكائد اسم الذم لانه اخذ من وجه لم يشعر به وهذا المعنى في الكيد الذي
اضيف الى الله غير موجود لان الله تعالى قد بين له الطريق الذي ان سلكه وقع له به الامن من الطريق الذي
اذا سلكه حل به البوار والهلاك فاذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عناد منه او عن ترك الانتصاف
من نفسه فوجد ما يكره من الكيد لا من الكائد فلم يلحقه بذلك الوصف المعنى المكروه ثم كيدهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر في اية اخرى وهو قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا
فيه دليل امهل الشيطان وكانوا يقولون امهلهم رويدا ولا تجازهم بصنيعهم قال الله تعالى عز وجل يجازيهم
بصنيعهم من قريب وقد فعل ذلك بما سلط رسوله عليهم فقتلهم وسبى ذريتهم فيكون في هذا بشارة
منه لرسوله بالنصر عليهم وبغلبته اياهم وفي ذلك اية رسالته لانه قال لهم هذا عند قلة اعوانه

وضعفه ثم ان الله تعالى كثر انصاره واظهره عليهم كما قال لهم ليعلموا انه علم ذلك بالوحي
والله الموفق والمستعان تم هذه السورة الشريفة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك فيه من
اوجه احدها ان سبح ربك وقيل سبح باسمه وقيل سبح ربك باسمائه ثم قال سبح ربك معناه نزهه
عن جميع المعاني التي يحتملها غيره من الافات والحاجات والاضداد والانداد فيكون القول به توحيدا
وروي عن مقاتل بن سليمان انه قال تأويله وحده ثم يرجع توحيده الى ما ذكرنا وقال بعض المفسرين تأويله
ان صل لربك وهذا محتمل لان الصلوة مفتتحها التسبيح لانه بالافتتاح يقطع وجوه المعاملات بينه وبين
الخلق ويمنع نفسه من حوائجها فيجعلها لله سالمة وهذا هو التوحيد والايمان لانه بالايمان يجعل الاشياء
كلها لله سالمة فصارت الصلوة تسبيحا لعينها لا للتسبيح المجعول فيها ومن حمل التسبيح على الاسم
فقال نزه باسمه فذلك يرجع الى الاسماء الذاتية والى الاسماء الصفاتية فتنزيه الاسماء الذاتية من ان
لا يشرك غيره في تسميته بها من الاسماء الذاتية نحو الله الذي لا اله غيره والرحمن مما اشبهه من الاسماء فتنزيه الاسماء الصفاتية
ان ينزهها عن المعاني التي استوجب الخلق الوصف به كقوله تعالى رحيم حكيم مجيد فمن وصف بالعلم من الخلق فانما
استوجب الوصف به باغيار دخلت فيه واستوجب الوصف بالحكمة والوصف بالمدح بالاغيار والله تعالى استحق
الوصف به بذاته لا بالاغيار فينصرف التنزيه الى الاغيار اذ صفاته ليست باغيار للذات وهو لا يفارق الذات فالامتداح
الواقع بالصفات امتداح بالذات الموصوف بها والله الموفق وقال بعضهم معناه سبحه بالحمد والثناء وهو يرجع الى الذي
من التأويل الاول وهو ان يحمد بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه عن معاني الخلق ومن قال سبح ربك باسمه
وهذا ظاهر وهو ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له واسماؤه معروفة لا يحتاج الى اظهارها قوله تعالى
الاعلى فظاهره يقتضي ان يكون هناك ادون واسفل وكذلك قوله الله اكبر يقتضي الاصغر ولكن معنى قوله
الاعلى لكنه هو اعلى من ان تمسه حاجة او يلحقه افة وكذلك هذا في الاكبر ويكون الاكبر والاعلى في الزيادة عن ترتيب
المعاني التي ذكرنا وهو كقولك هو احسن واجمل فاذا قلت احسن واجمل اردت به النهاية في الحسن والجمال الاولى
من قوله الاعلى يعني العلي والاكبر يعني الكبير وذلك جائز في اللغة قوله تعالى الذي خلق فسوى يحتمل وجهين
احدهما ان يكون سواه على ما قدره خلافا لافعال الخلق لان الفعل من الخلق يخرج مرة سويا على ما قدره ومرة
خلافه او يكون سوى الخلق كله في دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته فما من خلق خلقه الا اذا تفكر فيه العاقل
دلت خلقته على معرفة الصانع ووحدانيته ايضا او سواه على ما فيه مصلحته ومنفعته او سواه على ما الخلق الاخرى
ان الانسان اذا امر بالركوع والسجود خلقه من وجه يتمكن من الركوع والسجود فهذا معنى قولنا انه سواه على ما له الخلق
والله اعلم قوله تعالى والذي قدر فهدى فالتقدير يتوجه الى المعاني التي ذكرناها في قوله فسوى وقوله فهدى يحتمل
وجهين احدهما هداه الى الحرفة التي فيها للعبد معيشته من اين يأخذها وهدى كل دابة الى رزقها ومنه ما
تعرفت كل دابة رزقها او يكون قوله فهدى اي هداه به فيكون الهداية معرفة الحلال والدين وذلك يرجع الى
المخصوص من الخلق الذين لهم عقول تميزه فيكون معناه هدى من هدى وطعنت المعتزلة علينا هذه الاية
فقالت ان الله تعالى يقول قدر فهدى وانتم تقولون قدر فاضل ولكن هذا الطعن في التحقيق راجع اليهم لانهم
يحملون تأويل الهداية على البيان واذا كان كذلك فقد بين الله تعالى سبيل الهدى والضلالة جميعا فاذا قد ظهر
حيث بين لهم سبيل الضلالة على قولهم ثم سوى في قوله تعالى فهدى نفي الاضلال اذ التخصيص لا يدل على نفي
ذلك عما عداه فلم يجب قطع الحكم على ما ذكر وقد ذكر في موضع اخر المكرمين بالهدى فقال الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الاية فثبت ان الهدى راجع الى الخصوص فقوله قدر اي قدر خلقه معايشهم فهداهم وجه اخذ
المعيشة قوله تعالى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى ففي هذه الاية تعريف الرب الاعلى كانه يقول الرب
الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى ثم ذكر هذه الاشياء التي تعرف انفسنا وهاديها
وانشاؤها واهلاكها من المرعى عن لا ان وجه الدلالة بمعرفة الصانع بالاشياء التي تعرف بدوها وانقضاؤها
وحدوثها وعيانها اقرب منه بالاشياء التي لم يشهد الخلق بدوها ولا انقضاءها وهي السموات والارض
اذ المرء يتصل الى وحدانية الرب بمعرفة الصانع بالاشياء التي يحدث ويفنى بادنى نظر ولا يصل الى ذلك فيما
لا انها لطائف فكر وفضل نظر وزيادة تامل فجائز ان يكون خص المرعى بالذكر لما ذكرنا ولم هذا الخلق لانه لا بد

المبسوط من التوكل والانعام للتعيش والدواب بحياتها بالمرعى فكان دوام الخلق في التحصيل باخراج المرعى فذكرهم هذا ليستادى
منهم الشكر واذا كانت النعاب لم تنشأ لانفسها وانما انشئت للخلق ليتمتعوا بها ثم الله تعالى بفضله انشاء للذوبعة
وقدر لها اقواتها ولم يضيعها فكيف يضيع هذا الخلق وهم الذين قصدوا اليهم من خلق هذا العالم فلا تردّ فهم بحيرتهم
من تدبير وقوله فجعله غثاء احوى قيل الغثاء اليابس الذي يحمله السيول والاحوى الاسود من قدمه وقيل الاحوى هو
الاخضر الذي تضرب الى السواد وهو على التقديم والتاخير اي جعله غثاء بعدما كان احوى قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
اي سنحفظ عليك ما اوحينا اليك من القران فلا تنسى وفي حفظه ما يوحى اليه دلالة رسالته لانه لم يكن يقرأ الكتاب
ولا كان يتلو الكتب كان يحفظ جميع ما يلقى اليه بمرة واحدة مما كان مامورا ان لا تحرك لسانه بشيء مما يوحى اليه حتى يقضى
اليه الوحي وما كان يتخال اليه ما ذكرنا تعذر عليه حفظ ما يلقى اليه بمرة لحتى كان ذلك لسانه فكيف يضبط بمرة جزءه
كان يحفظ المرء الواحدة لو كان من ان يتبعه قوله تعالى الا ما شاء الله قال بعضهم تاويله الا ما شاء الله من ذلك
فانه ينسيك ما اراد ان ينسيكه ولكن ما ادى هذا التاويل صحيحا وذلك ان الدعاء وحي اليه بانه بنسوة ويتلو له
متعلقه ثم انسي قلبي طعن بما كان يستقرئ تلك الاية فلا يتهيأ له ان يقرأها اذا كان قد انسي يجد فيه موضع
الطعن عليه وقد روى في بعض الاخبار انه انسي ولكنه من اخبار الاحاد ولا يجوز قطع الحكم به لان خبر الاحاد
يوجب العمل ولا يوجب العلم الشهادة وهي في موضع الشهادة هنا فلكي تاويله عندنا ان الله عز وجل يخرج على اوجه
ثلاثة احدها ان الانبياء لم يكونوا آمنين على انفسهم بالعصمة عن الزلات التي لها يخافوا ولهم الصواب به
وان ظهرت عصمتهم اليوم عندنا الا ترى الى قصة ابرهيم عند محاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف
ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فخافوا لما اكرم به حتى ان يبتلي بما
ابتلي به اهل المعاصي ففزع الى الدعاء وقال في قصة شعيب وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا
وقال في قصة يوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله فثبت انه لم يتبين لهم حقيقة العصمة
عن الوقوع في الزلات التي تزيل النعم فكذلك الرسول لم يؤمن مما يعقب الانسان بل قيل له سنقرئك فلا تنسى
الامانة الا الله الا ان يشاء الله الى قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك فثبتهم بما خوفوا
على خوف وجل من ارتكاب ما يسلبه الوحي وينسى او يكون الاستثناء راجعا الى انساء حكمه وهو ان ينسخ حكمه
حتى يترك فيصير كالمنسي [illegible] في البلى حيث تركته لانه لا يكون هناك
حقيقة نسيان فكذلك اذا نسخ حكمه وترك العمل به كالمنسي وان لم يكن في حقيقته نسيانا فذكره بالنسيان [illegible]
للحكم للتلاوة لا لعينها او يكون ذهب خاطره عن بعض ما اوحي اليه اذا استعمل فكره فيما اشتغل [illegible]
ذهب عن وهمه ما نسيه ثم كان يعود ذلك اليه [illegible] كما يرى عالم في الشاهد من ذهب عن وهمه
جميع ما في الحقة الكتاب من الحروف اذا اعمل رويته فيما اشتغل [illegible] كالساهي لها ثم كان يعود الى ذكرها
اذا راجع بها قلبه [illegible] قوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى
اي ما يجهر بعض من الخلائق او ما يسر بعض [illegible]
[illegible]
ولا يجهرون الا الذي يخفى [illegible] قوله تعالى ونيسرك لليسرى
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في كتابه [illegible] التلاوة
[illegible]
وامر بتفسير بعض القران ونهى عن تفسير المتشابه [illegible] قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى فظاهر
هذا يقتضي ان لا يذكر الا من نفعته الذكرى ولكن تخصيص الحكم في حال الوصف لا يوجب قطع ذلك الحكم فيما
كان الحال بخلاف ذلك الوصف بل يلزمه ان يذكر من نفعته ومن لا تنفعه قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر الاية
امر بالتذكير على الاطلاق ثم قوله ان نفعت الذكرى يحتمل وجهين احدهما ان ذكر فقد نفعت الذكرى وهو كقوله
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ومعناه كان وقد وعد ربنا مفعولا وقد نفعت الذكرى فلا
بتذكيره اسلم من اسلم منهم وبه فازوا وبه نالوا الدرجات العلى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين والثاني
قوله فذكر ان نفعت الذكرى فحسبنا في على اقوام حال لا تنفعهم الذكرى لبعضهم في تلك الحالة المعاينة لما بلى الله وعذابه

قوله تعالى سيذكر من يخشى لنا يتعظ بها من يخشى الله اي الميعاد قال الله تعالى والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون
به اي القران وذلك ان الذي يحملهم على الايمان بالاخرة ايمانهم بهذا الكتاب لان في القران تذكير الاخرة
وامرا بالاستعداد فكذلك خشيته تحمله على الاتعاظ بالذكر وعلى الانتفاع بها والخشية هي الخوف الذي يتمكن
في القلب قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى فاضاف التجنب ههنا الى الاشقى وهو الذي
ذكرنا ثم في الاية التي اضاف التجنب الى نفسه بقوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لتكون هذه
دلالة الاذن بانها في الخيرات تخرج مخرج الشكر وهو تحقيق بان يشكر بغيره وكلمة في اضافة شرور الى
احد بشكر فلم يصلح ان تضاف اليه والله اعلم قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى اي لا ينقضي عنه افعال الموت
وهي الالام واوجاعها بل يبقى في الامها ابدا قال الله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ولا يقضى عليه
حتى يتخلص من اوجاعها ولا يحيى في الحياة التي ينتفع بها في الدنيا هي التي يرتفع عنها الالام والاوجاع فقوله
لا يحيى لا يرتفع عنه الم الموت فيكون قوله لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة يتلذذ بها
قوله تعالى قد افلح من تزكى لنا في ما يزكو به نفسه او اتى بما يطهر به نفسه وسنذكر في سورة والشمس وضحاها معنى
الفلاح قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى يحتمل ان يكون اريد به انواع العبادات لا الصلوة المعروفة وحدها
لان الصلوة المعروفة وحدها لان الصلوة اسم الدعاء والثناء ولا نوع من المكرمات فانه يتقبل بذكر ما يصل الى
العبادات ومن اعرض عن ذكره حرم اداء العبادات ومن لم يعرض عن ذكره [illegible] العبادات ويكون منصرفا الى الصلوة
المعروفة فيكون قوله وذكر اسم ربه فصلى لبيان يصلي بتقديمه ذكر اسم الرب ويكون ذلك منصرفا الى الافتتاح
فيكون فيه حجة لابي حنيفة رحمه الله ان المصلي اذا افتتح صلوته باي اسماء الله تعالى ثم ذكر اسم الرب فيقتضي
المعاني التي ذكرنا في قوله سبح اسم ربك الاعلى قوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة خير وابقى
اي تؤثرون الحيوة الدنيا على حيوة الاخرة فيكون الخطاب منصرفا الى المنافقين والكفرة لا الى اصحاب النبي عليه السلام
في الايثار مختلفين فمنهم من اثر الدنيا في النظر في الدنيا واعرض عن النظر في الاخرة وجحدها ومنهم من كان
اقبل سعيه لامر الدنيا ومنهم من كان ذنوب تعظيم حياتها على الاخرة وقوله والاخرة خير وابقى اي اثار الحيوة
الاخرة خير وابقى من اثار الحيوة الدنيا لو اثرها على الاخرة قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم
وموسى قال بعضهم الايات الاربع في صحف ابرهيم وموسى وهي قوله قد افلح من تزكى الى قوله خير وابقى وقال
بعضهم السورة كلها انزلت على ابرهيم وموسى ان كانت السورة كلها في الصحف الاولى فجميع ما في هذه
السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم الى معرفتها ويكون قوله سنقرئك فلا تنسى مذكورا بحق البناء على رسول الله
ووجه البناء ما ذكر في قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر الاية وهو يستحق الثناء بهذا الحرف لما في حفظه جميع
ما يوحى اليه بمرة واحدة اكرامه وتفضيل خصله ان شق عليه بهذا وفي قوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف
ابرهيم وموسى دلالة ان الاختلاف في الالسن لا يغير الاشياء عن حقائقها لان الله تعالى بين كون هذا في الصحف الاولى
في الصحف الاولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في تجويز القراءة بالفارسية والله اعلم بالصواب

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هل اتيك حديث الغاشية قيل
معناه قد اتاك حديث الغاشية فاما ان يكون لا اتيان سابقا او اتاه حديث الغاشية بنفس هذه الاية
ثم في هذه الايات ترغيب فيما تحمد عاقبته وتحذير عما تذم في العاقبة وتبيين ان العاقبة المحمودة متصلة
باكتسابه وكذلك العاقبة المذمومة بنيلها بعمله وكسبه ثم اختلف في تاويل الغاشية فقيل
الغاشية هي النار تغشاهم كما قال الله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال في اية اخرى
وتغشى وجوههم النار ومنهم من يقول الغاشية هي الساعة سميت غاشية لانها تغشى الصغير والكبير
والمحمود والمذموم والسعيد والشقي فيعمهم جميعا وهذا التاويل اقرب لانه ذكر الغاشية ثم ذكر
الجزاء بعد ذلك بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة وقوله وجوه يومئذ خاشعة اي ذليلة وانما
خص الوجه بالذكر لان الحزن والسرور اذا استحكما في القلب ترايا في الوجه فيكون في ذكر الوجه وصف الفاعل
التي هم عليها من الذل وقوله عاملة ناصبة قال بعضهم هذا منصوب الى عباد الكفرة وهو انهم يعملون
النصب والعمل في الدنيا والاخرة وجائز ان يكون نصبها وعملها في النار وهو انها لم تعمل في الدنيا لكنها

عن طاعة الله فاعملها وانصبها في الآخرة بجعل الجنة الاغلال لها والسلاسل في النار الحامية او عملت في الدنيا
بالمعاصي ونصبت في الآخرة فيكون فيه تبيين العمل والجزاء وقوله تعالى تصلى نارا حامية اي حارة قد حميت
اشد حميها تسقى من عين آنية قيل الآني الذي قد انتهى في الحر غايته فلا احر منه وقوله تعالى
ليس لهم طعام الا من ضريع اختلف في الضريع فمنهم من يقول سمي ضريعا لانهم تضرعون عنه ويجزعون
اذا اطعموا ومنهم من جعل الضريع لونا من الوان العذاب يبينه الله تعالى للخلق ومنهم من قال الضريع اسم لنبت
قد عرفته العرب بحيثا بينهم يأكله الابل والدواب ما دام رطبا فاذا هاج ويبس تركت الدواب اكله وعافته
لخبثه كره ما عليه من الشوك ويسمونه شبرقا في الربيع واذا هاج وجف سموه ضريعا فذلك النبت في النار
يحمل في اسمانا لدابة ويغنيها من الجوع فنفى الله وجه الاسمان والاغناء ويحصل امره على الخبث بقوله
لا يسمن ولا يغني من جوع وهو كقوله في سدر مخضود وطلح منضود فالسدر اسم شجر ذات شوك في
الدنيا فانبتت في الآخرة بلا شوك ووصف خمر الجنة فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون والخمر في الدنيا
تعمل في التصديع وهي تنزف فنفى عنها هذه الآفات وجعلها شرابا لذة للشاربين فكذلك
الضريع نفى عنه ما يقع به الاسمان والاغناء وحصل امره على الخبث والله اعلم وقوله تعالى وجوه يومئذ
ناعمة لسعيها راضية اي نعمة بما لقيت من عاقبة عملها الصالح في الدنيا ورضيت بما اوتيت جزاء من
سعيها في الدنيا جعل الله تعالى في وجوه الخلق يوم القيمة آثارا ضيا يعرف في الدنيا من طاعة جعل علم طاعته
في وجهه يوم القيمة ومن عصاه جعل اثر في وجهه يعرف به وقوله تعالى في جنة عالية يحتمل وجهين احدهما
ان يكون قد علا قدرها وعظم شأنها فيكون عالية نعتا للجنة ووصفها بالعلو من هذا الوجه والثاني يحتمل
العلو من حيث الدرجات والمكان والله اعلم وقوله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي ما يحق ان يلغى من الشتم ومن كل ما
تأثم صاحبه بل هم كما وصفهم الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ثم الذي يحمل المرء على
اللغو ما ضغن اضمر في صدره او خصومة حدثت بينهما او آفة يرتكب في عقله لسكر او ما اشبهه والله تعالى
نفى عن الشراب الآفات بقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون ونزع الغل عن صدورهم فارتفعت دواعي
السفه كلها فلا تسمع فيها ما يحق ان يلغى وقوله تعالى فيها عين جارية اي عيون بها جارية تأخذها العين
ويجري عن وجهها ليست كمياه الدنيا فان بعضها يجري على وجه الارض وبعضها تحتها في خفاء العين
وماء البئر وقوله تعالى فيها سرر مرفوعة قال بعضهم مرفوعة بعضها فوق بعض ثم تقع ما شاء الله [illegible]
ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت به حيث شاء الله تعالى وقال بعضهم [illegible]
انها انشئت مرفوعة القدر بعيدا اهلها لو عدوا في الآخرة على ما املته رغبتهم في الدنيا وآثارهم لها [illegible]
في الوجهين اللذين ذكرناهما في الدنيا فعلى مثله جرى الوعد في الآخرة وكذلك يعرف في الاكواب والنمارق
المصفوفة والزرابي المبثوثة نوعد لهم مثلها في الآخرة ويحتمل ان في موضع آخر وفي سرر مرفوعة ورفعها يكون
من الوجهين اللذين ذكرناهما في السرر ونوعدها ايضا في الآخرة لرغبتهم بها في الدنيا وقوله تعالى واكواب موضوعة
فالاكواب هي الكيزان التي لا عرى لها فاما ان يكون هنا وصفا لكمال تلك الاكواب في نفسها حيث لا عرى
لها كالجنان في الدنيا او يكون فيه ان لهم خدما يعملون ما يتعولون نقلها الى ذا حيوان ليست لها عرى يحملون [illegible]
اليها ينزعونها وقوله تعالى ونمارق مصفوفة قيل هي الوسائد تصفف على البسط وكذلك ينبسط الوسائد
في الدنيا فعنى اكذلك في الآخرة وقوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى
الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فخص الابل بالذكر من بين جملة الدواب وخص السماء والجبال
والارض بالذكر وتخصيصها يكون لاحد وجهين احدهما ان الابل كانت في خصوص اهل مكة عليها كانوا
يسافرون وعليها كانوا ينقلون الى حاجاتهم التي هي بينها عن مكة منشئه بين الجبال فكانت ابصارهم
الجبال وكانت السماء من فوقهم والارض من تحتهم فخصت هذه الاشياء بالذكر ليعتبروا بها ويتدبروا في تحتها
ووجها آخر وهو ان المنافع المجعولة في الدواب كلها تجتمع في الابل لان منافع الدواب ان ينتفع بظهورها وبضرعها
وبنسلها وبصوفها وبلحمها فكل ذلك يوجد في الابل فصارت الابل كالام للمنافع المتحدة في الدواب والبركات المعقودة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

الاخشيا وثم لو نظروا الى الابل ثم كيف خلقت هذه الاشياء لم يستبعدوا ذلك لان الوجه يخيل انهم لو تدبروا ذلك
الوجه وهو ان الكان النظر فيها لا يرتفع عنهم الاشكال اذ يقدرونه بافعال الخلق التي يشكل عليهما فارتفع التدبر
ثم ان جعل رحمتهم هو الذي يوضح لهم المشكل ويزيل عنهم الشبهة اذ به عرفوا انه حاصل بقدرة من لا يعجزه قدرة
تعجيزهم فانه خارجة من جميع الوجوه والله الموفق وقوله تعالى فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر
ففي هذه الآية وما اشبهها امر من الله تعالى لرسوله ان لا يطالبهم بصنيعهم اذا استقبلوه بما يكره من اذى يوجد
منهم واستخفاف يجيء منهم فيشتغل بذكر الله تعالى وذكرهم عظيم نعمه وذكرهم كيف فعل بمكذبي الرسل وكيف
كان يصدقهم وعظم امرهم ولا اتخاذهم بصنيعهم ويكل ذلك الى الله تعالى وقوله تعالى لست عليهم بمصيطر قال
بعضهم بمسلط وقال بعضهم لست بجبار فان اريد به الوجه الاول فهو مما يحتمل النسخ ويجوز ان يسلط عليهم
فان يؤذن بقتالهم واسرهم وقهرهم بسبيل الجزية وكذا قيل نعتوا كان قبل نزول سورة براءة وان كان تأويله
لست بجبار عليهم لما روي عن مجاهد فهذا الوجه مما لا يرد عليه النسخ ولا يجوز ان يصير جبارا عليهم ولا يكون
قوله الا من تولى وكفر استثناء ويكون معناه لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر او يعرض عن طاعة الله
وكفر بوحدانيته وكتبه ورسله فيعذبه الله العذاب الاكبر وعلى التأويل الاول ان المصيطر هو المسلط بالسيف والاسر
والقهر واخذ الجزية التي هي صغار عليهم يكون قوله الا من تولى وكفر على الاستثناء او من اعرض عن طاعة الله وكفر
بوحدانيته فتسلط عليهم بالسيف والاسر واخذ الجزية والله اعلم وقيل الا من تولى وكفر اي اعرض ولزم الاعراض
فيكون مسلطا عليهم اي تولى عن التذكر فتسلط عليه والله اعلم وفي هذه الآية بشارة لرسوله بالظفر على
الذين تولوا عن طاعة الله وكفروا به وفيه آية رسالته لانه قال هذا في وقت ضعفه وقلة انصاره وكان الامر
كما قال اذ نصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهر وفتحت له الفتوح لتعلم انه بالله علم وقوله تعالى ان الينا ايابهم
اي مرجعهم وقوله تعالى ثم ان علينا حسابهم اي في الحكمة ان يحاسبهم واذا كانت الحكمة توجب حسابهم
وتعذيبهم كان عليه ان يحاسبهم لما في تركه ترك الحكمة وفي تركها سفه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والله الموفق

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والفجر وليال عشر كان الرب
من عادتهم انهم اذا استحسنوا شيئا عظموه واذا عظموه اقسموا به ثم انا هذه الجملة في الفجر اوقاته
لطائف من الحكمة وعجائب من التدبير فلطيف حكمته وعجيب تدبيره انه جعل المكان الذي يجمعه الله
للخلق من وجه لا يعرفها الخلائق العالم الذي به قطع الانس والف بين الخلق حتى رضوا جميعا في الاجتماع

هنالك مع تباغضهم وتعاديهم فيما بينهم من وحش لا يدرك معناه وجعل أهلها يستقلون في البلاد آمنين
حتى قال النبي لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وتحرز أهل الآفاق في حمل ما يقع لأهل مكة حاجة إليه من ميرة
وغيرها وجعلهم بحيث يرغبون في الإتيان إليها مع عظيم ما يلزمهم من المؤن ثم لم يمنعهم ذلك عن الانتياب
إلى مكة للحج فثبت أن فيها معاني ولطائف هي خارجة عن قواهم وتدبيرهم فكان في ذكرها ما يوجب العقول
بالقدرة على البعث ما يزيل عنهم الشبهة في أمرهم فأقسم لعظم من شأنها بهذه الأوقات والأيام لمكان
أنها أوقات الحج فعامة أركان الحج معظمة عندهم فهذه الأشياء معظمة عندهم فجرى القسم بها على
عاداتهم ويدخل في أوقاتها الشفع والوتر والفجر فقالوا الشفع يوم النحر لأنه اليوم العاشر من الشهر والوتر
يوم عرفة لأنه اليوم التاسع ويحتمل أن يكون ما أريد بالشفع والوتر والليل إذا يسر العبادات جملة إذ ليس
عبادة إلا وفيها شفع ووتر وقوله والليل إذا يسر أي يسرى فيه وفي ذلك كناية عن الجهاد والإغارة
بالليل كما يذكر في قوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فيكون هذا كله إشارة إلى جملة
العبادات ووجه القسم بالعبادات أن الله تعالى عظم أمر العبادات في قلوب الخلائق حتى يرام جميع ما يستحق
ويعظمون أمرها وإنما يقع الاختلاف بينهم فيما ينشأ لا أن يقع التنازع بينهم في نفس ما أقسم بها ويجوز
أن يكون أريد بالوتر هو الله تعالى وأريد بالشفع الخلائق إذ خلقهم أزواجا [illegible] فيكون
القسم بذاته وبجميع الخلق ويحتمل أنه أريد بالشفع والوتر الخلائق جملة إذ فيهم [illegible] جميعا الشفع
والوتر فيكون قسما بجميع الخلائق وقوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر يحتمل أن يكون تأويله أن وجه القسم
بهذه الأشياء يعرفه ذو الحجر وهم ذوو الألباب والحجر العقل [illegible] قوله إن ربك لبالمرصاد ويجوز أن يكون
وقع التنازع فيما بينهم فكانوا يزعمون أن أوقات الحج وهي الليالي العشر والشفع والوتر ليس يقسم بها فقال هل
في ذلك قسم لذي حجر أي العاقل إذا تدبر فيها عرف أن هذه الأوقات بالحج يحتمل أن يقسم بها أو هذه الأوقات
بالحج تدلهم على القول بالبعث وقيل إنما أقسم بهذه الأيام لعظم قدر هذه الأيام وخطرها عندهم لما فيها من صلاح
معايشهم ويكون لهم فيها سعة العيش [illegible] أنواع المكاسب والتجارات
وإنهم كانوا يستعدون للأشياء [illegible] من السنة إلى السنة للتجارة في هذه الأيام فأقسم
بهذه الأيام لكونها معظمة عندهم وقيل إن موضع القسم غير مذكور في هذه السورة لأنه كان [illegible]
عندهم معروفة استغنى عن ذكرها لشهرتها عندهم فأقسم أنها لحق والله أعلم وقوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك
بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فذكر بناء عاد وثمود وفرعون فوائد ثلاث أحدها في موضع
التخويف لأهل مكة الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن أولئك القوم كانوا أكثر أموالا وأولادا
وأعدادا وأكثر في القوة من هؤلاء الذين كذبوا محمدا فلم يغنهم ذلك كله من الله شيئا بل الله انتقم منهم لرسله
بما كذبوهم فما بال هؤلاء الذين كذبوا محمدا لا يخافون نقمته وحلول النقمة بهم بتكذيبهم رسوله وليسوا أكثر
من أولئك في العدد والمال والقوة والفائدة الأخرى أن أولئك كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأولياؤه من [illegible]
لهم من النعم وضيق على الرسول وأتباعه فبين أن الذين تقدمهم من مكذبي الرسل كانوا أرفع منهم في القوى والأموال
والأولاد والأعداد وكانت رسلهم في ضيق من العيش ثم كانوا هم أولياء الله من المكذبين [illegible] بكثرة الأموال
والقوى فبين لهم هنا ليعلموا أن ليس الأمر على ما ظنوا وحسبوا والثالث أنهم كانوا يمتنعون عن الإيمان بالله
وبرسوله وكانوا يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فيكون في هذا نقض التقليد
لأنه كان في آبائهم من هلك بتكذيبهم الرسل وهم الفراعنة وأتباعهم ومنهم من نجا وهم الرسل وأتباعهم المصدقون
لهم فما بالهم تقلدوا المهلكين منهم دون الذين نجوا ثم الآية لم تسق لتعرف نسب عاد وثمود وفرعون حتى يشتغل
بما سبقت الآية لأجله ولكن إذا اشتغل بتعرف أنسابهم [illegible] نوع عن التكلف وقوله ألم تر كيف
فعل ربك فقوله ألم يحتمل وجهين أحدهما [illegible] فيخبره بصنيعه على جهة التشكي منه ويحتمل أن يكون
هذا ابتداء إعلام منه فيقول له اعلم أنه بك فعل بعاد كذا واختلفوا في قوله إرم فقال بعضهم إرم هو أبو عاد وقال
بعضهم هي القبيلة فنسب إليه عاد كما يقال [illegible] لم يكن ابنه وقال بعضهم إرم مساكن عاد وقيل
هو اسم الكثيب في تلك الأماكن وقوله ذات العماد قال بعضهم ذات الأجساد الطوال أي عاد ذات الأجساد الطوال
كما ذكر في القصة وقال بعضهم ذات البناء المشيد المرتفع في السماء كالعمد الطوال فيرجع إلى الأمر على تأويلين
عبارة عن المساكن وقال بعضهم ذات العماد هي الخيام لها أطناب وعمد وكانوا أصحاب خيام وقيل كانت مساكنهم
مرتفعة بالعماد وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد قال بعضهم هذا وصف القوم بالشدة والقوة وعظم الخلقة وفضل
البصر في الأمور كقوله وزادكم في الخلق بسطة وفي الحكاية عنهم من أشد منا قوة وقال وكانوا مستبصرين

بمنفصل الحجر وجاز أن يكون [illegible] التي بنوها [illegible] مثلها في البلاد وقوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد
قال بعضهم [illegible] من الصخر [illegible] وقال بعضهم قطعوا في الصخر
بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين [illegible] وقوله تعالى وفرعون
ذي الأوتاد قال بعضهم سماه ذا الأوتاد لأنه كان اتخذ في الجبال مساكن فسمى الأوتاد والجبال أوتادا وقال
سمي ذا الأوتاد لأنه كانت له أوتاد [illegible] ليعذب [illegible]
[illegible] الأرض
الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وطغيانهم في البلاد تمردهم وعتوهم فيها وقوله فصب عليهم ربك
سوط عذاب قال بعضهم [illegible]
[illegible]
[illegible] إن ربك لبالمرصاد قال أبو بكر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن [illegible]
[illegible]
عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا والإشكال أن يقول القائل إنه قد ذكر الإنسان ربي أكرمن وربي أهانن خرج
موافقا لما قاله الرب لأنه قال فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ثم خرج قوله ربي أكرمن على الموافقة
لما قال فكذا قوله هذا الإنسان حيث ابتلي بتقتير ربه أنه خرج موافقا لما قال وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه
رزقه فإذا كان الأمر كذلك كان الذي يضاده إهانة إلا أن الله تعالى سمى [illegible] والفقر [illegible]
والكافر مشيئا فكذا إذا استقام القول بالإكرام عند ما أنعم عليه استقام القول بالإهانة إذا ضيق عليه الرزق
ولم يكن مرفها إذا كان فهكذا فكيف رد عليه مقالته بقوله كلا وهو في ذلك صادق ولكن نحن نقول إنما أريد بقوله
كلا لم يقع على نفس القول ولا انصرف إليه فإنما انصرف إلى ما أراده بقوله لأن القائل بهذا كان في البلية وباليوم الآخر
فكان يقول لا بعث ولا جزاء وإنما يجازى المرء في هذه الدنيا فمن أحسن إليه ومن أساء أهين فيكون كلا
أي ليس الأمر كما صوره في نفسه بل الدار دار [illegible] بالكفر والإيمان دار الأخرى وهذا كقوله إذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون وهم لم يكونوا في شهادتهم
ومقالتهم كاذبين بل كانوا صادقين أنه رسول الله لأن الله تعالى يعلم أنه رسوله ولكنهم كانوا اعتقدوا تكذيبه في قلوبهم
فكانوا يظهرون خلاف ما أضمروا في أنفسهم فالكذب انصرف إلى ما أضمروا التكذيب لا إلى نفس القول كذا هذا ولأن
أهل الكفر كانوا أصنافا فمنهم من كان يرى إذا بسط عليه النعم في الدنيا وأكرم فإنما بسط عليه لما استوجبه بفضله
وإذا ضيق عليه وابتلي بالشدة فإنما ضيق عليه بإساءته وبما كسبت يداه ومنهم من كان يظن أن الله تعالى [illegible]
يستوجبا للإنعام وأن إذا ابتلي بضيق العيش وإصابته شدة أصابه ذلك من عند محمد فيتشاءمون به كما أخبر
الله في قوله وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وعلى هذا
كان ظن قوم فرعون قال الله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى و
من معه وقوله فأكرمه ونعمه أي كرمه في نفسه بأن حسنه أو جعله كريما في قومه ونعمه أو بسط الدنيا عليه
فيقول ربي أكرمن فكان يبطر بذلك وقوله وأما إذا ما ابتلاه أي إذا اختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربي
أهانن فكان يظهر بذلك الجزع والله تعالى اختبره بالنعم ليستأدي منه الشكر بما أنعم وابتلاه بضيق العيش
ليصبر لا ليجزع فلا شكر هذا بالنعم بل بطر ولا صبر هذا على الشدائد بل جزع فجاز أن يكون المراد بقوله كلا
منصرفا إلى هذا ردا لاعتقادهم وصنيعهم وهو أنه لم يكرم ولم ينعم ليبطر ولا ضيق عليه رزقه ليجزع بل
إنما أنعم ليشكر وقدر عليه رزقه ليصبر والله أعلم وقوله تعالى كلا بل لا تكرمون اليتيم فجائز أنهم كانوا
لا يكرمونه ويهينونه مع ذلك وجائز أن لا يهينوه إلا أنه يفهم من نفي الإكرام لأن الإيجاب إذا ذكر في مضادة
الإيجاب اقتضى ذلك إثبات المقابلة وإذا ذكر الإيجاب في مضادة النفي أمكن أن يثبت فيه المقابلة وأمكن
أن لا يثبت الأثر بيانه إذا قيل فلان نجا كان فيه إثبات المقابلة وهو نفي الهلاك [illegible]
فقد كان نفي العدم له وفيه إثبات للمقابلة وإذا قلت ليس بعدل لم يكن فيه تحقيق لإثبات المقابلة وهو الجور بل يجوز
أن يكون جائرا ويجوز أن لا يكون وقد يراد بالنفي إثبات المقابلة أيضا قال الله تعالى فما ربحت تجارتهم كان
في نفي الربح إثبات المقابلة في أنها خسرت ثم إكرام اليتيم هاهنا يحتمل أوجها ثلاثة أحدها أن يكرمه في أن

عليه ما العجز لا يضيقه ويكبر في نفسه وهو انه تعالى هذا حاله عن ان يدخل فيه الطلب والوجه الثاني انكر عليه فعله
ادات الشريعة وينشد اليها والوجه الثالث انكر عليه فسبنا له من ماله قدر حاجته اليه ويصطنع اليه المعروف وكذا
التعيين هاهنا في اهانة اليتيم وبترك الاكرام الذي هو من باب حفظهما للعينين ذو تضييعا والله اعلم وقوله تعالى
ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا يحث بعضهم بعضا على اطعام المسكين ويجاز ان لا يحضوا ولا يتولوا بانفسهم
ويحضون غيرهم وفي هذه الاية ترغيب المسلمين باكرام اليتيم وتعاهد ماله ويتبين انه يلزمهم ان يطعموا بانفسهم
وان يحثوا الاغنياء باطعام المساكين والله اعلم وقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما اي اللم الجمع يقال لممت الما
اذا جمعته فكانه يقول تجمعون ما ترثونه بانفسكم وذلك نصيب الايتام الذي يرثون من انصبائهم جميعا كلوا جميعا
فيكون في هذا تثبيت الاهانة منهم الايتام وقال بعضهم اكلا لما اي شديدا وقوله تعالى وتحبون المال حبا
جما قال ابو بكر اي تحبون حبا وقيل اي الشرهة فيصير ان يكون فيه اخبار عن غاية حبهم الدنيا وشدة
حرصهم عليها ويجاز ان يكون على التقديم والتاخير وهو انه تحبون المال الاجم جما اي المال الكثير وقوله تعالى
كلا ردع وتنبيه عنهم مزدد هذا الردع الى قوله [illegible] فكانه يقول كلا ليست هذه الدار
دار جزاء فيكون الاكرام والاهانة تحت الجزاء انما هي دار محنة وابتلاء ومنهم من حمله على الابتداء كلا اذا دكت
الارض دكا دكا [illegible] في تلك اي ايام اليتيم وترك اطعام المسكين والحض عليه اذا دكت
الارض دقت وكسرت وذلك يوم الحساب والبعث وقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا يحتمل وجوها
احدها ان يكون معناه وجاء ربك بالملك اذ يجوز ان يستعمل الواو مكان الباء الا ترى الى قوله [illegible]
وربك اي بربك واذا حمل على هذا ارتفعت الشبهة [illegible] قال وجاء ربك بالملك كان [illegible]
وهم [illegible] الى الانتقال من مكان الى مكان وقال تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام ومعناه
بظلل من الغمام الاية قال في موضع اخر ويوم تشقق السماء بالغمام فتبين ان معناه ما ذكرنا واذا ثبت هذا ارتفع
والاشكال [illegible] وقوله تعالى الا ان ياتيهم الله فالمراد به [illegible] ما ذكر في سورة النحل بقوله
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك فذكر [illegible] اي جاء امر ربك ويحتمل ان يكون
وجاء ربك وجاء [illegible] فنسب المجيء الى الله [illegible] لانه يجوز ان تنسب الافعال
الى الله تعالى [illegible] حقيقة الفعل [illegible] لم يوصف بها كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا فاضيف النفخ اليه ولم
يوصف بانه نافخ وقال تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فاضيفت الكتابة اليه ولم يوصف بانه كاتب
انما ظهر من اثار فعله ويقال المطر رحمة الله اي من اثار رحمته لا ان يكون المطر صفة له ويقال الصلوة
امر الله والزكوة امر الله اي بامر الله يصلي وبامره يزكي لا ان تكونا وصفين له ويجاز ان يكون معنى قوله وجاء
ربك اي جاء الوقت الذي به صار انشاء هذا العالم حكمة اذ لو كان لا بعث لجزاء لكان انشاء هذا العالم ثم
الاهلاك خارجا مخرج العبث [illegible] من قبل بقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
فتبين ان خلقه [illegible] حكمة بالبعث وقال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد كان الملك له قبل ذلك
اليوم ولكن ملكه لاحد يتبين في ذلك الوقت قال وبرزوا لله جميعا وقد كان كل شيء له بارزا ولكن معناه
انه اتى الوقت الذي لم يبق للخلائق [illegible] كل ما اضيف اليه تعالى ان ينظر الى ما يليق ان يوصل بالمضاف
اليه فيصله به ويجعله مضمرا قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم لم يفهم [illegible] الحضور
وكان معناه انه علمه محيط بهم وهو مطلع عليهم وقال فاتيهم من حيث لم يحتسبوا لم يفهم به الانتقال بل كان
معناه انه جاءهم باسه وجاء اولياءه بنصره وقال قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد
ولم يفهم بهذا الاتيان ما فهم من الاتيان الذي يضاف الى الخلق وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وكان معناه
ان تنصروا دين الله لا ان الله تعالى يلحقه ضعف يحتاج الى من يقويه وقال تعالى ويحذركم الله نفسه وكان معناه
انه يحذركم عقابه لا ان يريد به تحقيق النفس ومثل هذا في القران اكثر من ان يحصى فتبين ان نحمل الا
ما ذكرنا فلذلك حمل على الوعد والوعيد او على الوقت الذي به صار تخليق العالم حكمة او على ما اصطلح فيه من
الاضمار ومما يدل على انه لا يفهم بالمجيء معنى واحد بل يقتضي معاني ان المجيء اذا اضيف الى الاعراض فهم به
غير الذي يفهم به اذا اضيف الى الاجسام وانه اذا اضيف الى الاعراض اريد به الظهور قال الله تعالى اذا جاء
نصر الله ومعناه اذا ظهر نصره ولم يرد به الانتقال ولو كان مضافا الى الجسم فهم منه الانتقال من موضع الى
موضع وقال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ومعناه ظهر الحق واضمحل الباطل لا ان كان الحق في مكان
فنقل عنه الى غيره فتبين ان المجيء اذا اضيف الى شيء يجب ان يوصل به ما يليق به لا انه يفهم به كله معنى واحد وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يتقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتاني يمشي

اتيته

اتيته هرولة ولم يفهم من هذا التقرب ما يفهم به اذا اضيف الى الخلق وكان معناه من تقرب الى الطاعة والعبادة
تقربت اليه بالتوفيق والنصرة والاحسان والانعام وقال موسى صلوات الله عليه رب اقريب انت فاناجيك
او بعيد فاناديك ولم يرد به المكان وانما اراد بقوله ان اخاطبك مناجيا او اناديك مخاطبا على نداء [illegible]
البكاء والتضرع ثم الاصل في المجيء المضاف الى الله تعالى ان يتوقف فيه ولا يقطع الحكم على شيء مما ذكرنا ان المجيء
ليس يراد به وجه واحد لانه اذا اضيف الى الاعراض اريد به غير الذي يراد به اذا اضيف الى الاجسام والاشخاص
والله تعالى لا يوصف بالجسمية حتى يفهم من مجيئه ما يفهم به من مجيء الاجسام ولا يوصف بالعرض ليراد به
ما يراد من مجيء الاعراض فحق الوقف في تفسيره مع اعتقاد ما ثبت بالتنزيل من غير تشبيه والله اعلم وقوله تعالى
وجيء يومئذ بجهنم قيل فيه وجوه احدها انها اظهرت وبرزت لاهلها على ما قال في اية اخرى وبرزت
الجحيم للغاوين لا انها كانت في مكان فنقلت عنه فيراد بالمجيء الظهور وقال الله تعالى لقد جاءكم رسول من
انفسكم ومعناه ظهر لكم لا انه كان في مكان اخر فجيء به اليهم وقال بعضهم جيء باهلها اليها فاخبرهم بكون
حقيقة المجيء من الاهل ثم نسب اليها لانهم اذا اتوها فقد اتتهم هي وهو كقوله انه كان وعده ماتيا نسب
الاتيان الى الذي ياتيه الوعد فيكون الوعد هو الذي ياتي اهله وقال بعضهم وجيء يومئذ بجهنم اي يجيء
تشهيقها وتغيظها على اهلها لا ان يعبر عن مكانها ومنهم من حمله على حقيقة المجيء فذكر انه يؤتى بها ولها
سبعون الف زمام على كل زمام سبعون الف ملك والله اعلم بذلك وقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان
يحتمل ان يتذكر انه في الانبياء ونصيحتهم لهم فيعلم انه كان فيما يوهم بهم من الظنون الفاسدة مبطلا
فيكون تذكره ذلك تصديقا منه للرسل وانى له الذكرى فلا ينفعه تصديقه اياهم اذ لم يصدقهم في الدنيا
او يتذكر ان يتلهف على ما فرط في جنب الله من التقصير في حقوقه والتضييع لكن لا يتذكر من حيث لم يشكر
نعمه ولم يوحد له العبادة فيكون تلهفه ذلك ايمانا ولكن لا ينفعه تلهفه في ذلك الوقت لان ذلك الوقت
ليس بدار امتحان بل هي دار جزاء وكذا [illegible] على التصديق مشاهدة الجزاء والحساب ومشاهدة [illegible]
المحنة ويكون ايمانه [illegible] لا حقيقة فلذلك لا ينفعه وانما ينفعه الطاعة وقت ملكه نفسه فاما اذا
خرج ملك نفسه من يديه لم ينفعه الايمان [illegible] وقال بعضهم يتذكر الانسان [illegible] وانى له الذكرى اي [illegible]
بالموعظة في هذا التذكر بيان لطف من الله تعالى فيطيعه حتى يتذكر [illegible] الانسان يذهب عليه ما اكتسب في دنياه
وانا اتى عليه حين حتى لو اراد ان يتذكر [illegible] كتابته لم يقدر عليه ثم الله تعالى يذكره في الاخرة جميع ما سبق منه في
الدنيا فيتذكر ذلك فيقول يا ليتني قدمت لحياتي [illegible] لنفسه حيوة [illegible]
فهذا هو تلهفه ويتذكره في ذلك اليوم ويتلهف على ما فاته من الخير [illegible]
[illegible] حيوة [illegible] في الظاهر [illegible] التعذيب [illegible] الحقيقة
ليست بحيوة بل هي [illegible]
هي [illegible] حيوة لكنها [illegible] الحيوة الخالدة في النار وقوله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد قرئت هذه الاية بنصب الذال والثاء وعلى الخفض [illegible] على الخفض [illegible]
ان العذاب في الدنيا [illegible] من الملوك على الانسان [illegible] لا يبلغ عذاب الله [illegible] في الاخرة [illegible]
عذابا [illegible] لا ينبغي [illegible] الدنيا [illegible] كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يعذب احد بعذاب الله وان كان على النصب فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما ان يكون التاويل منصرفا
الى صنف من الكفرة وهم الذين بلغوا في الكفر اعلى مرتبة فلا يعذب من دونهم بعذابهم والثاني
لا يعذب احد مكان احد كما يفعله ملوك الدنيا فانهم ليعذبون الوالد مكان الولد ويقتلون من [illegible]
الذين استوجبوا العذاب وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة والمطمئنة هي الساكنة التي لا ترتاب ولا
يضطرب فيكون اطمانتها بوعد الله ووعيده وامره ونهيه وتوحيده ثم يجوز ان يكون هذا في امر الدنيا
فيكون قوله ارجعي الى ربك اي ارجعي الى ما امرك راضية بوعد الله ووعيده مرضية بالذي وعدلها
في الاخرة [illegible] في الدنيا مرضية عند الله فادخلي في عبادي اي مع عبادي الصالحين
وادخلي جنتي اي ادخلي بما تستوجب به الجنة ويجاز ان يكون هذا في الاخرة وهو ان يقال للنفس التي
اطمانت في الدنيا بوعد الله ووعيده وعملت بطاعته ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي
وادخلي جنتي وقيل يا ايتها النفس المطمئنة بالدنيا ارجعي الى طلب الاخرة وما اعد الله لاوليائه
فيها وقيل المطمئنة على عبادة غير الله ارجعي الى طاعة الله فانك اذا فعلت ذلك رضي الله عنك
ورضيت بعطاء الله تعالى وثوابه اياك في الاخرة والله اعلم والحمد لله رب العالمين

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد اختلف
في قوله لا قال بعضهم لا هاهنا في موضع الدفع والرد لمنازعة كانت بين قوم فدفع الله تعالى المنازعة بينهم بقوله
لا وكانت تلك المنازعة معروفة فيما بينهم فترك ذكرها لذلك كما ذكر الجواب في بعض السور ولم يذكر السؤال
لما كان السؤال عندهم معروفا فترك ذكره وهو كقوله اذا زلزلت الارض زلزالها وغير ذلك ومنهم من يقول
بان حرف لا مرة يستعمل في حق الصلة والتاكيد ومرة في موضع النفي فنظر مراده بما يعقبه من الكلام نفيا فهو
في موضع النفي ثم الذي عقبه من الكلام اثبات وليس بنفي فدل انه في موضع التاكيد فكانه قال لاقسم بهذا
البلد ثم كان تحقيقه ان يقول لاقسمن بهذا البلد باثبات النون كما يقال لافعلن ذا لليمين لكن نون التاكيد
قد يدركه في موضع القسم وقد لا يدرك قال الله تعالى ان ربك ليحكم بينهم والله اعلم وقوله بهذا البلد قال
اريد بهذا البلد مكة فاقسم بها لما عظم شانها بما سبق ذكرنا الذي بخاصته هي معظمة في اعينهم ثم كان في
الكفرة القسم بكل ما يعظمونه فعاملهم الله تعالى من الوجه الذي جرت به العادة فيما بينهم في كل ما قصد
اليه بالقسم ليزيل عنهم الشبه التي اعترضت لهم وقوله تعالى وانت حل بهذا البلد قال بعضهم وانت
نازل بها من الحلول وقال بعضهم وانت حلال بهذا البلد والحل والحلال لغتان فان كان على هذا فالحل منصرف
الى نفسه واما انصرافه الى ما احل له لانه لا يجوز ان يكون هو بنفسه حلالا او حراما والحل والحرمة اذا اضيفا
الى من له الحل والحرمة فانما يراد بالحل والحرمة الشيء الذي يحل له والشيء الذي يحرم عليه لا ان يكون الوصف راجعا
الى المضاف اليه فاذا قيل هذا محرم اريد به ان الاشياء محرمة عليه فاذا قيل هذا محرم اريد بان الاشياء المحرمة عليه
واذا قيل هذا حلال ليس يحرم اريد به ان الاشياء له حلال واذا اضيفا الى غير المخاطب الحل والحرمة اريد بذلك
عين ذلك الشيء كقوله هذا اللحم حلال او صيد حلال وهذا اللحم حرام يريد به ان ذلك اللحم حلال وكذلك الصيد
حلال او حرام ثم اختلفوا في الذي احل له فمنهم من صرفه الى القتال فيها لانه احل له القتال فيها وذلك يوم فتح مكة
ومنهم من قال بانه احل له الدخول فيها اذا كان من الافاق بغير احرام ولا يحل ذلك لغيره وروي عن ابن عباس رضي
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان مكة حرام حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض
والشمس والقمر ووضع هذين الجبلين لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار ثم هي
ساعتي هذه هي حرام بحرام الله تعالى الى يوم القيمة لا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها ولا تحل
لقطتها الا لمنشدها فقال العباس الا الاذخر يا رسول الله فانه لا غنى لاهل مكة عنه للقبر والبيوت فقال
عليه السلام الا الاذخر فبين رسول الله انها قد احلت له ساعة من نهار والحل يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا
وذكر ابو بكر الاصم ان رسول الله كان يؤذيه اهل مكة ويتاذى بهم فيحرم من بين اظهرهم فيحل له الصيد في ذلك
ولكن لا يسع صرف التاويل الى هذا اذ لا يعرف مثل هذا الا بالخبر والنقل ثم في قول رسول الله للعباس
دلالة على ان التحريم لم يكن منصرفا اليه ولا يحتمل ان يكون التحريم شاملا له ثم استثنى ما ذكر العباس من
حاجة الى اهل مكة اليه لما لم يكن بين ما ذكر من التحريم والتحليل كثير متحرج
الحل الى ان سال العباس ثم بين وهو دليل قول اصحابنا رحمهم الله ان تاخير البيان صحيح ثم قوله وانت حل
بهذا البلد يحتمل وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى نفسه فاقسم بها لما عظم من امره وشانه
كانه قال لا اقسم بهذا البلد وبالذي هو حل بهذا البلد او يكون منصرفا الى مكة ويكون قوله وانت حل بهذا
البلد خرج مخرج التعريف لمكة بكونه فيها اي البلد الذي انت نازل به وحال او حلال فيه وقوله تعالى ووالد
وما ولد قال بعضهم الوالد آدم عليه السلام وما ولد هم اولاده وذريته ولكن آدم واولاده ليسوا
بمخصوصين بالدخول تحت اسم الوالد والولد بل ذلك فيهم وفي جملة الروحانيين فيكون القسم بالجملة
اجمع ويكون ما على هذا التاويل بمعنى والذي ومنهم من جعل ما ما جحد فقال وما ولد اي الذي لا يلد وهو
العاقر فاقسم بالبشر جملة من يلد منهم ومن لا يلد فاقسم بهم ايضا لما جعلهم مفضلين على كثير من الخلائق
وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فعلى هذا موقع القسم ثم اختلفوا في الكبد قال بعضهم الكبد
الانتصاب اي خلق الانسان منتصبا وخلق كل دابة منكبا وقال بعضهم الكبد الشدة والعناء وقال
بعضهم خلقه منتصبا في بطن امه ثم يقلب وقت الانفصال عن القابلة اي يقع الحكمة فذكر هذا في
بالقسم وكل يعلم ان الخلق كذلك فحين ذكر هذا وجاء كيد بالقسم ابانة انهم لم يخلقوا عبثا باطلا

بل خلقهم

بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويامرهم بالعبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان كان التاويل منصرفا
الى الشدة والمعاناة فتاويله انه خلقهم لكيلا يركنوا الى المعاش والمعاد جميعا وخلقهم للشدة ليعتبروا و
يتذكروا وان كان منصرفا الى الانتصاب ففيه تعريف عظيم نعم الله عليهم من غيره اذ كانوا مستوجبين لذلك
ليستادي منهم الشكر بذلك وان كان التاويل على ما ذكر انه خلقه منتصبا في بطن امه ثم يقلب وقت الانفصال
ففيه ان الله تعالى قادر على ما يشاء وانه لا يعجزه شيء لانه لا يستهيا الاحيان يقلب حبا فيجعل اعلاه اسفله الا
ان يجد مثله من المكان سعة ثم ان الله تعالى قلبه فجعل اعلاه اسفله الا ان يجد مثل هذا المكان سعة ثم ان الله
تعالى قلبه فجعل اعلاه اسفله في ذلك المكان الضيق ليتبين لهم انه لا يعجزه شيء فيحملهم ذلك على الايمان بالبعث و
النشور والله اعلم ومعنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد ان لقد خلقنا الانسان لما له يكابد فان كان
فطلقه الله وكان من نزل الها فقد خلق الجنة وان كانت مكابدة فامر الشيطان يحض النار وما خلق وعلى هذا
يخرج قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فذرأ من يعلم انه يتبع سلطان الشيطان ويعصي الرب لجهنم
وذرأ من يعلم انه يعبد الله ويوحده للعبادة بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والحكيم ايضا
يقصد بفعله العاقبة الا ترى ان ليست له معرفة بالعاقبة فاما من عرف العاقبة فابتداء فعله يقع لتلك العاقبة التي
يعاقبها لما يفعله ابتدا الخلق من الله تعالى تقع لتلك الوجه وان كانت عاقبته الجنة فهو لذلك الوجه ما خلق فعلى
هذا يخرج تاويل قوله عليه السلام السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وهو لا يوصف بالسعادة
والشقاوة في ذلك الوقت ولكن معناه انه اذا اتى السعادة فوجد له الامتحان خلق لذلك وان اتى الشقاء
فكذلك ايضا وقال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وهم في وقت ما ولدوا غير موصوفين بواحد من الوصفين بل
كذلك فتبين انهم خلقوا لذلك موقع القسم على ما لم يكن يبتنى على المكابدة نفسها لان المكابدة من الاشياء الظاهرة
لا يحتاج الى تاكيدها بالقسم وقولنا ان المقصود من ابتداء الفعل العاقبة قول النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كانت رشدا فامضه وان كان غيا فانته وزعمت المعتزلة ان الله لم يخلق احدا
من البشر الا ليعبده فلو كان الامر على ما زعموا وظنوا لادى ذلك الى الجهل بالعواقب او وجب ان يكون الفعل خارجا
مخرج الخطأ لان كل من صنع امرا يريد غير الذي يكون جاهلا بالعواقب او عابثا بالفعل الا من لشيء يعلم انه لا يكون
فيندم لكونه عبثا فلو كان غير الذي يريد وهو ان يبني ليسكن ثم ينقض قبل ان يسكن كان الذي حمله على البناء
جهله بالعواقب وجل الله تعالى من ان يلحقه خطا في التدبير او جهل بالعواقب فثبت بما ذكرنا ان الله تعالى شانه
لكل فريق ما علم الذي يكون وخلقهم لذلك الوجه دون ان يكون خلق الجملة للعبادة والله اعلم وقوله ايحسب
ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد والاية تحتمل وجهين احدهما ان يكون يحسب
ان الله تعالى لا يقتدر على بعثه فيكون قوله احد هو الله تعالى يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد
اي انفقت منه مقدارا ما يخرج عن حد الاحصاء وقوله لم يره احد اي لم يعلم احد من اتباعه الذين انفق عليهم مقدار
ما انفق عليهم مقدار ما انفق عليهم فيكون في قوله اهلكت مالا لبدا اظهار منه لسخاوته وجوده على الاتباع
منه بذلك وامتنانا منه على اتباعه وان كان على هذا فهو في امر الدنيا وقد علم اتباعه القدر الذي انفق عليهم
الخلق سخاوته لا بفعله فليس يستغاله بالشكر لله تعالى او توجيه الحمد الحمد اليه لما علم ان الذي انعم به من المال
من الله تعالى لان تلك النعمة ومعنى السخاوة نالها بالله تعالى وهذا كقوله فاذكروا الله كذكركم اباءكم وهذا النوع
من الافتخار راجع الى الخصائص من القوم لا الى الجملة اذ كل احد يقول مثل ذلك انه اهلك مالا لبدا فعل كذا
وقوله تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فان كان قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد على نفي القدرة
على البعث ففي ذكر العينين دفع تلك الشبهة وهو ان الله تعالى انشا له بصرا يرى بفتحة واحدة ما بين السماء والارض
ممن بلغت قدرته هذا لا يجوز ان يعجزه شيء او يخفى عليه امر وقوله الم نجعل له عينين فالمخلوق له عينين يدرك
بهما المحسوسات بالنظر وجعلنا لهما جفونا واشفارا يدفع بهن القذى عن عينيه ويغمضهما عن النظر الى ما
لا يعنيه وقوله ولسانا انه خلق له لسانا يخبر به عما غاب عن اسنته وقوله وشفتين ففي خلق الشفتين
وجهان من الحكمة احدهما ان جعلهما طبقا يستر به ما في فمه ولولاهما لنظر الناظر اليه وقت مضغ الطعام
او شيئا من الاشياء استقذره له الغير وجعلهما طبقا للسانه لئلا يحركه ويستعمله فيما لا يعنيه فذكر
عظيم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليستادي منهم الشكر وليعلموا ان الذي بلغت قدرته
هذا ليس يعجزه شيء وقوله تعالى وهديناه النجدين اي بينا له ما له وما عليه وما يحمد عليه وما يذم وما
يقبح ويجمل وقيل النجد الطريق فبين للخلق الطريقين جميعا طريق الخير والشر ومكنهم من الفعلين جميعا وقال
بعضهم النجدان الثديان هديناه لاخذ الثديين بعد ما له الا دفع فكل البتين والهدايا تم يعرف

الى هذا خصوصا بل هذا من بعض ما هداه وبينه فقد بين له خيرا من الامور فلا وجه لان يخص اللفظ فيحمل على الاطلاق
والعموم قوله تعالى فلا اقتحم العقبة قيل فيه من وجهين احدهما فلا اقتحم والثاني اذ لم يقتحم فان كان على الاول
فمعناه ان الذي قال انفقت مالا لبدا كيف لا كان انفاقه في فك الرقبة وفي الانفاق على اليتيم والمسكين الذي
بلغ به الجهد الى ان لصق بالتراب ويكون من جملة من امن بالله تعالى وتواصى بالصبر والمرحمة ليكون من اصحاب
الميمنة ويكتسب بذلك الحيوة الطيبة في الاخرة دون ان يكون انفاقه في الملاهي وشهوات النفس فلم يحصل لنفسه
حمدا ولا اجرا في العقبى بل صار من اصحاب المشأمة فيكون ما يقوله اهلكت مالا لبدا ضلة له وفتنة
وان كان التاويل على النفي ففيه تكذيب له فيما زعم انه انفق مالا لبدا فيقول لو كان على ما يقول لظهر ذلك
بفك الرقاب والمواساة على اليتيم وعلى المسكين الذي على ما نطق به ظهر ذلك بفك الرقاب والمواساة على
اليتيم وعلى المسكين الذي وصفه ومتربة فيكون هذا كله صلة قوله اهلكت مالا لبدا ثم الكلام في العقبة
من وجهين احدهما على تحقيق العقبة وهو ان يكون بين يدي كل انسان عقبة لا يتجاوزها ولا يقطع الا بما ذكر من فك الرقبة
والاطعام في يوم ذي مسغبة كقوله سأرهقه صعودا وقوله تعالى وما ادريك ما العقبة على التحقيق
العقبة معناه وما ادريك بما يقطع تلك العقبة ثم بين انها تقطع بما ذكر من فك الرقبة ونحوه ويحتمل ان
على التمثيل لا على التحقيق ووجهه انه تشتد عليه تحمل المؤن التي ذكر من فك الرقبة واطعام المساكين
ومواساة اليتيم فتكون العقبة كناية عن تحمل المؤن لا عن العقبة نفسها وهو كقوله ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان يصير الايمان عليه في الشدة والثقل كما ثقل تكلف
الصعود الى السماء ويشتد على الاول تحمل المؤن كما يشتد عليه قطع العقبة والصعود عليها والاقتحام
هو رمي النفس في المهالك والاقتحام هو تحمل المؤن ثم ان كان على تحمل المؤن توجيه ما ذكرنا ان تحمل
هذه المؤن ليصير من اهل الميمنة وان كان على الرمي في المهالك فانه يقول قد اهلك نفسه بترك الايمان
والرجوع الى ذكر والاعراض عن الايمان بالله وقوله فك الرقبة روي عن ابي بكر الاصم في تفسيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه جاء رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فامره بعتق النسمة وفك
الرقبة فقال السائل اليسا هما واحدا فقال عليه السلام لا عتق النسمة ان تعتقها وفك الرقبة ان تعين
على فكها فيحمل فك الرقبة ان تخلصها من وجوه المهالك فذلك يكون بالتخليص من ذل الرق وان يرى انسانا
هم بقتل اخر بغير حق فيدفع عن المظلوم شر الظالم ويراه يريد فيخلصه عن ذلك فيكون في ذلك كله فك الرقبة
عن المهالك ليكتسب بها الحيوة الطيبة في الاخرة واختلف القراء في هذا الحرف فمنهم من قرا فك رقبة او اطعم
في يوم ذي مسغبة على النصب ومنهم من قرا فك رقبة او اطعام على الرفع فاذا قرئ بالنصب فمعناه هلا
فك رقبة او اطعم فيكون راجعا الى تفسير الاقتحام واذا قرئ بالرفع انصرف التاويل الى تفسير العقبة فكان
قال قطع العقبة يكون بالفك بما ذكر عن سفيان بن عيينة انه قال كل ما في القرآن وما ادريك فقد اعلمه
وكل ما فيه وما يدريك فهو لم يعلمه والله اعلم قوله تعالى يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة
منه قوله تعالى او مسكينا ذا متربة اي الصق بطنه بالتراب وقيل الذي ليس له شيء يحجبه عن التراب وفي ذكر اليتيم
يتيما ذا مقربة دلالة وجوب حق اليتيم على القريب اذا كان محتاجا فيكون فيه حجة لقول اصحابنا رحمهم الله ان
اذا كان محتاجا فرضت نفقته على قرابته وفي قوله او مسكينا ذا متربة دلالة ان المسكين الذي وصفه وهو ان لا يكون
بينه وبين التراب حائل فكفايته يلزم الخلق جملة قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا فتاويله انه لا ينفع فك
الرقبة ولا الاطعام حتى يكون مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة فاذا كان كذلك تحسن تحمل تلك [illegible]
ويجوز ان يكون الصبر بدل الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اي امنوا والتواصي بالصبر والمرحمة هو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر اذ التواصي ماخوذ من الوصية وهذا يوجب ان يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في اعتقاد الايمان قوله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اي اصحاب اليمن وهم اهل اليمن قوله تعالى والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة
عليهم نار موصدة اي اصحاب الشؤم على انفسهم حيث عملوا بالمعاصي واستوجبوا به نارا موصدة وهي المطبقة المبهمة وصفة الاطباق
لما ذكر في اية اخرى وذلك قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقوله احاط بهم سرادقها الاية والله اعلم

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحيها قال اهل التاويل
والشمس وضوؤها وقيل حرها وقيل ونهارها وهذا في موضع القسم وذلك لانا نتعجب جعل في الشمس

معان تدل على لطائف حكمته وعجيب تدبيره وجعلها في النهاية من البركات وفي النهاية من الايات فمن عجيب
تدبيره انه جعل نورها بحيث يهلك نور الظل حتى اذا امتدت في مكان ذهبت نور الظل وبعد نور السراج
ونور القمر ويستر نورها الكواكب عن ان يرى وجعلها بحيث يظهر بها هباء الهواء فتبين ان الهواء ذو هباء
الا ترى انك اذا نظرت في المشكاة حين سقوط الشمس فيها تبين لك بها هباء الهواء ولو اراد احد من الخلائق
ان يتدارك الضياء الذي به استنار هذا الشمس كل هذا لم يقدر عليه ثم من بركتها انه يجري فيها مصالح الاغذية وبها
مصالح النبات ومنها يكتسب الحب وبها ينضج الفواكه ومن عجيب تدبيره انه جعلها بالنافع على كل شيء لانها اصلح
اذ لو ادنيت منها لكانت تحرق الاشيا كلها ومن اياتها انه جعلت بحيث تسير وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ما
يتعذر على الذي يخلق السير في المشي قطع تلك المسافة بمدد كثيرة وهي ايضا تظهر وجود الرب جل جلاله لان
منافعها تعم الخلق كلهم برهم وفاجرهم والولي منهم والعدو فاقسم الله تعالى بها ليزيل عن الكفرة الشبه التي
تعترض لهم في امر الدنيا لما في التوحيد والرسالة والبعث والله اعلم قوله تعالى والقمر اذا تليها يحتمل ان
يتلوها في كل ما ذكرنا في الشمس من المنافع والمعاني فيكون تاليها في العمل فانه يقع به صلاح الاغذية ايضا
وهو يسير ايضا وهو يبين ايضا الا انه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ مبلغها والله اعلم وقال بعضهم اي يتلوها [illegible]
[illegible] فانه اذا وجبت الشمس في اخر اليوم من الشهر [illegible] بطلوع الهلال وقال بعضهم معناه انه يتلوها
اذا اضاء [illegible] في هذا دلالة ان منشئهما واحد لان منافعهما تعم الخلق جميعا ولو لم يكن مدبرهما واحدا
لكانت لا تتعاون [illegible] كل واحد منهما منشئه عن ايصال النفع الى عدوه قوله تعالى والنهار اذا جليها
يحتمل وجوها يحتمل ان يكون النهار جلى الدنيا ويحتمل ان يكون جلى الارض ويحتمل ان يكون جلى الشمس
ويحتمل ان يكون جلى الابصار بعد ما غطاها ظلمة الليل الذي يغشيها قوله تعالى والليل اذا يغشيها يتوجه الى
الاوجه التي ذكرنا في النهار من الدنيا او الارض او الشمس او [illegible] الابصار [illegible] الخلائق والله اعلم
ثم الليل والنهار [illegible] سلطان ليس للشمس والقمر لانه سلطان الليل والنهار [illegible] الاجال
ويقطعان الاعمار ولا يستطيع احد الامتناع والتحرز عن سلطانهما [illegible] الخلق [illegible] الشمس والقمر
[illegible] بالحيل [illegible] فكانه ذكر الليل والنهار [illegible] ذلك دون الشمس والقمر
قوله تعالى والسماء وما بنيها قال الزجاج ما بمعنى الذي وقد يستعمل في مثله كقول العرب سبحان ما سبح له
السموات والارض اي سبحان الله الذي سبح له السموات والارض وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى من كانه يقول
والسماء ومن بنيها وقال بعضهم ما هاهنا صلة تحمل الفعل الماضي على المصدر ويقول عجبني ما صنعت اي عجبني
صنعك فيكون معناه والسماء وبنائها فان كان التاويل على الوجهين الاولين رجع القسم الى الله تعالى لا الى السماء
ولا الى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل وان كان على التاويل الاخر رجع القسم الى ما خلق من السماء
فان بناء السماء عينها وقال ابو بكر الاصم [illegible] وما بنيها والارض وما طحيها
ونفس وما سويها يخرج على التحقيق [illegible] على شرط التقديم وان كانت مؤخرة في اللفظ كانه يقول
وما السماء ثم اجاب بناها اي رفع سمكها وسويها وزينها بغير عمد ترونها والله اعلم قوله تعالى
والارض وما طحيها اي بسطها قوله تعالى ونفس وما سويها قال التسوية في ان خلقها باليدين
والرجلين والعينين ونحوهما فان كان على هذا فالتسوية ترجع الى الاغلب لا الى الجملة اذ ليس لكل
نفس هذه الجوارح جملة فيكون معناه انه سوى اكثر النفوس بما ذكر من اليدين والرجلين وذلك جائز
في الكلام وهو كقوله وجعل الليل سكنا وقوله وجعلنا النهار معاشا ومعناه انه جعلها سكنا
ومقرا لاكثر الخلائق لا الجملة وجعل النهار لاكثر الخلائق معاشا لا الجملة والله اعلم وقيل سوى
جوارحها واطرافها اذ لم يكن لها جارحة من تلك الجوارح توصف بالنقصان وهذا اعم من الاول ويحتمل
سواها على ما عليه مصلحتها وتمامها للتقلب والتعيش على ما عليه سائر الحيوان ويحتمل وجها اخر وهو
ان يكون قوله سويها اي جعلها بحيث تحتمل الكلفة والمحنة كقوله ولما بلغ اشده واستوى وتمييز
بين الحسن والقبيح وتعرف عواقب الامور من الخير والشر قوله تعالى فالهمها فجورها وتقويها هذا يحتمل وجوها
احدها اذ بين لها فجورها وتقويها وعلمها فمن زعم ان المعارف ضرورية خلقية يحتج بهذه الاية فيقول اخبر
انه علمها فجورها وتقويها انه وضع في نفسه ما يعرف به قبح كل قبيح وحسن كل حسن ولا يحصل فيه عنده
انه يعرف حسن كل شيء على الاشارة اليه ولا قبح كل قبيح على الاشارة اليه وانما يعرف ذلك اما بخبر يرد على
السنة الرسل او باستعمال الفكر الا ترى انك تجد النفس من طبعها انما تالف اللذات والمنافع وتنفر
من الالام والمكاره ولكنها لا تعرف منفعة كل منتفع على الاشارة اليه ولا مضرة عين الاشياء بما [illegible]

وانما تعرف ذلك بالذوق وكذلك العين تدرك الالوان لكنها لا تعرف حسنها وقبحها بل العقل هو الذي
يفصل بينهما فعلى ذلك قد جعل في طبع العقل قبح القبائح جملة وحسن الحسن ولكن لا يفصل بينهما
على الاشارة الى ما في نفسه الا بما ذكرنا فيكون قوله والهمها فجورها وتقويها يملك جعل في نفسها
ما يبين القبيح من الحسن والخبيث من الطيب ويبين قبح الفجور وحسن التقوى فيلزمه المحنة والكلفة
بذلك ثم يتصل الى معرفة ذلك اما بالرسل واما باستعمال الفكر ويحتمل وجها اخر وهو الهمها تقواها
اذا وفق واضاء عليه من الاستقامة على الطريقة والمجاهدة الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فوعد الهداية بالجهاد وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ثم لنا سؤالا
مضمنة شريطة وهو ان يستجيبه كان فيما دعا ما لديه الا ترى الى قوله فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي وقال واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم وقال الله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الاية فثبت ان الذي يلهم التقوى
هو الذي يقوم بوفاء ما عليه فاذا قام به الهمه التقوى وبين له سبيل الفجور وقال ابو بكر الاصم في قوله
فالهمها فجورها وتقواها اي الزمها الفجور بها والتقوى ان يكون تقواها لها وفجورها عليها الانه
اخذ بفجورها وهذا دليل على ان التقوى اذا ذكر مفردا اضيف الى الخيرات جميعا واذا قرن به البر اضيف
اضيف الى الاتقاء على المحارم كقوله فاما من اعطى واتقى واذا قيل مجانبوا اثم والبر ويحمل ما يحمل عليه
عن كل ما ابيح عليه فاعله وقوله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها هو موقع ما تقدم من القسم بالشمس
والقمر والليل والنهار على هذا التقدير قد افلح من زكيها في الاخرة وقد خاب من دسيها في الاخرة فتكون
هذا منصرفا الى الجزاء في الاخرة على ما ذكر في قوله ان سعيكم لشتى فتكون في هذا الخطاب القول بالبعث
من الوجه الذي تذكره انشاء الله تعالى ثم اختلفوا في تاويل الفلاح قال بعضهم فلح اي سعد ومنهم من يقول
اي بقي في الخيرات والفلاح البقاء ومنهم من يقول فلح اي فاز والمفلح في الجملة هو الذي يظفر بما يامل
وينجو عما يحذر فيدخل في ذلك السعادة والبقاء والفوز وقوله من زكيها يحتمل ان يكون منصرفا الى الله
وجائز ان ينصرف الى العبد قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله
يزكي من يشاء وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبين الله تعالى انه هو الذي تفضل بتزكية من زكى وجائز
ان ينصرف الى العبد فيكون قوله زكيها صاحبها وكذلك قوله وقد خاب من دسيها يحتمل هذين الوجهين
فيكون الله تعالى هو الذي انشأ فعل التزكي فان شاء فعل الضلال فيكون الفعل من حيث الاكتساب من الله
ومن حيث الفعل من العبد ثم قوله من دسيها اي اخفاها واخملها ان صيرها بالخبث لا يذكر في المحافل
الا بالذم وزكى الاخر اي اظهرها حتى ينظر اليها الناس بعين التبجيل والتعظيم وهكذا شان التقي ان يكون
مبجلا معظما فيما بين الخلق والفاجر مذموما مهانا فيما بين الخلق او يرجع الى الطاعات اخفاها في الاخرة
فيجد من المزكي المتقي ويجعل ذكر الفاجر بقوله دسيها من دسست فاستثقل الثلاث وابدل مكانها الياء
ثم الاضافة في قوله دسيها الى الله على خلق ذلك الفعل منه وفي قوله زكيها على التوفيق وقوله تعالى كذبت
ثمود بطغويها ولم يبين لم كذبوا وقد بينه في اية اخرى فقال كذبت ثمود المرسلين وقوله بطغويها
يحتمل وجهين احدهما لاجل معصيتها وطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركهم التفكر
والنظر ولو تفكروا فيما اخبرهم به رسول الله صالح لم يكونوا يجدون موضعا للتكذيب والثاني ما حمل
طغونهم على التكذيب ثمود بسبب اهل الطغيان فيكون في هذه الاية انباء انهم لم يكذبوا رسولهم
لشبهة اعترضت لهم او لحجة كانت لهم بل كذبوا عن عناد منهم ويتقن منهم برسالته وذلك ان حجة
نبيهم صالح عليه السلام جاوزت حق الحجج لانهم اوتوا الناقة على ما سألوا منهم وعلى ما تعنتوا به بالسؤال
اذ كان لهم ان يطالبوه بالحجج على دعوى الرسالة ولم يكن لهم ان يتمنوا النبوة على شيء يشيرون اليه فهم بالتمني
الى سؤال الناقة كانوا متعنتين فيه ثم من حكم الله تعالى ان الحجة اذا كانت على اثر السؤال ثم ظهر التكذيب من
السائلين لا يستبطا العذاب في الدنيا وقد جحدوا فلذلك القوم بالسؤال والتكذيب فوجبوا بالاستيصال
قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فبين ان النبي صلى
الذي لم يرسل الايات التي سالتها كفرة رسول الله وهو انهم لو اوتوا ثم عاندوا استوصلوا وقد اراد الله تعالى
ابقاء امته الى النفخ لساعة وانه ارسله رحمة للعالمين وجعل حجته من وجه فيها رحمة للعالمين هي القران
وجعل الرحمة فيها انهم كانوا يمتنعون عن الايمان لحب الدنيا وشهواتها فكان يمنعهم ذلك عن النظر في حججه
واثبات رسالته وكان في الجهاد ما يضيق عليهم المعاش ويضطرهم الى النظر في الحجج فيحملهم ذلك على تصديقه
والايمان به فثبت ان القتال رحمة عليهم وقوله تعالى اذ انبعث اشقيها اي قام شقيها وصار اشقاها لما احد

من الكفر بعقر الناقة وروي عن عمار بن ياسر رضي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي الا اخبرك
باشقى الناس رجلين قال بلى يا رسول الله فقال احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذه واشار الى هامته
حتى يبتل منها هذه واشار الى لحيته فصار عاقر الناقة اشقى الناس بما ذكرنا وجائز ان يكون قاتل علي صار
اشقى الناس لانه استحل قتله وقوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها فهو يحتمل وجهين
احدهما ان احذروا ناقة الله وهو كقوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم والثاني قال اصحاب ذروا
ناقة الله تاكل في ارض الله وذروا بني الناقة وسقياها هلكه شربها ثم اضيف الناقة الى الله وجهين احدهما
ان الله تعالى لم ياذن لاحد بالتملك عليها حتى ينشأ الينا الملك بل بقيت غير مملوكة لاحد فاضيفت الى الله
كما اضيفت اليه المساجد لما لا ملك لاحد عليها او ضيفت الى الله على معنى التفضيل والاصل ان اضافة
الاشياء الى الله تعالى تجري الجزئيات على التفضيل لما لا يجري من غيرها واضافة الاشياء الى الله تجري
الكليات تخرج مخرج تعظيم الله فاذا قيل رب المساجد اريد به تفضيل المساجد من سائر البقاع واذا قيل رب
العرش اريد به تعظيم وكذلك اذا قيل ناقة الله اريد به تعظيمها واذا قيل رب العالمين وخالق كل شيء
اريد به تعظيم الرب جل جلاله وقوله تعالى فكذبوه فعقروها يحتمل ان يكون فكذبوه اصالحا في رسالته
او كذبوه فيما اخبرهم من حلول العذاب بهم اذا عقروا الناقة فعقروها مع ذلك وقوله تعالى فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم قال بعضهم اطبق عليهم العذاب على الصغير والكبير ومنه يقال للعين مدمدم
اذا كان سمينا اطبق بحمه على لحمه وقال بعضهم دمدم عليهم اي دمر عليهم بذنبهم اي بذنبهم الذي عملوا من
تكذيبهم الرسل وعقرهم الناقة وقوله تعالى فسويها يحتمل وجهين احدهما انه سواهم بالارض كقوله يومئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض او سوى بين الصغير والكبير في الاهلاك والصغار
منهم ماتوا باجالهم والكبار منهم استوصلوا بذنوبهم وقوله تعالى ولا يخاف عقبيها فجائز ان يكون
الاضافة منصرفة الى الله تعالى وهو ان يكون اشبه لما اهلكهم لم يخف تبعة الاهلاك وتوجه الخوف هو انه
فيما اهلكهم اهلكهم بما اوجبت الحكمة اهلاكهم ولم يلحقه تقصير في الحكمة ولا وجبا لغائب في ذلك المقالي
هكذا قال الحسن ذلك ربنا لم يخف حمما انزل عليهم العذاب او يكون منصرفا الى العاقر فيكون معناه انه عقرها
ولم يخف العاقبة التي حذرهم بها صالح من قوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقال بعضهم ولا يخاف
عقبيها بالظلم بعلم ما يحل بمن عقر تلك الناقة ولو علم لم يفعل ويجوز استعمال الخوف في موضع العلم لان
الخوف اذا بلغ غايته صار علما ثم الحكمة في ذكر قصة ثمود وجهان احدهما انه ذكرها تثبيتا لرسالة محمد صلى الله
عليه وسلم وهو ان النبي لم يوجد منه الاختلاف الى من عنده علم الانباء والاخبار ولا كان يعرف الكتابة ليقع له
المعرفة بها فثبت انه بالوحي علم والثاني انه في ذكره تحذيرا المكذبين لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ليمتنعوا عن تكذيبه
فلا يحل بهم كما حل بمكذبي صالح عليه السلام من باسه وعذابه والله الهادي وصلى الله على محمد وآله وسلم

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
جعل الله تعالى الليل والنهار ايتين عظيمتين ظاهرتين مكررتين على الخلائق لما يعرف كل كافر ومؤمن وجميع اهل
التنازع الذين ينازعون اهل الايمان والتوحيد من الجبابرة والفراعنة والقسم بالليل والنهار والقسم بقوله
والضحى والليل اذا سجى واحد وقد ذكرنا ان القسم انما تذكر في تاكيد ما يقع به القسم ما لولا القسم كان ذلك
يوجد دون القسم ولكن يعظم ما فيهما حتى قهر جميع الفراعنة والجبابرة فغلب عليهم في اتيانهما وذهابهما
من اراد منهم دفع هذا ومجيء هذا اما قدروا عليه وفيهما دلالة وحدانية الله والوهيته وقدرته وسلطانه وعلمه
وتدبيره وحكمته اما دلالة وحدانيته والوهيته انه ساقهما وجريانهما على حد واحد وسنن واحد وما كانوا شيئا
من الظلمة والنور والزيادة والنقصان فلما جريا بهما على ما ذكرنا ان منشئهما واحد فلو كان من فعل عدد لكان اذا
جاء هذا فعلا الاخر وامتنعت عليه وكذلك الاخر يكون مغلوبا ابدا والاخر غالبا فاذا لم يكن ذلك دل انه فعل
واحد ويدل ايضا على ان النسخ لذلك يحمل النور والظلمة على ما يتعلق بالشمس ودل اتصال المنافع احدهما بما مع الاخر
على ان ذلك عمل واحد لا عدد ودل اتساقهما على ما ذكرنا وكونهما على حد واحد وامر واحد على الاستواء ان منشئهما
مدبر عليم حكيم مدبر فلم يخرج لا على الجزاف بلا تدبير ودل مجيء كل واحد منهما يطرد صنيعه على ان منشئهما قادر لا يعجزه
شيء من بعث ولا غيره ودل ما ذكرنا اذا تامل ذلك حكيم على حكمته حيث نعلمه لا يحتمل ان يتركهم سدى لا امر لهم

ولا ينامهم ولا يمتحنهم بامور وكذلك جعل فيما ذكر من الذكر والانثى من الدلالة لاتحاد الاناث من الاناث ولحرمة التوالد والتناسل وغير ذلك قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى قال بعضهم ادخل حرف ما في موضع الفعل الكائن صلة يخفى المصدر كانه قال وخلق الذكر والانثى فيكون قسما بجميع الخلائق اذ لا يخلو شيء من ان يكون ذكرا او انثى وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه والذكر والانثى وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرأ كذلك وقال بعضهم ما هو بمعنى الذي كانه قال والذي خلق الذكر والانثى فيكون على هذا الوجه القسم بالله تعالى قوله تعالى ان سعيكم لشتى قال اهل هذا وقع القسم فان قيل انكم تعلمون كل احد منكم ان سعيكم مختلف فما الحكمة والفائدة في ذكر القسم على ما يعلم كل ذلك والتخيير والاخبار انما يقع لهم بالسعي وما يستوجبون به مختلف في الاخرة من جزاء السعي كانه يقول ان جزاء سعيكم شتى بالاختلاف في الاخرة لانهم كانوا يقولون ان كانت دار اخرى فعلى ما يقوله محمد فنحن احق بها لما نبلغ محمد كما قال ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا او يكون قوله ان سعيكم لشتى المعطي في الشاهد ينفع غيره وينقص نفسه في الظاهر والممسك ينفع نفسه ثم المعطي محمود عند الناس ولم يكن ينتفع المعطي بما اعطى وينقص البخيل المنع لكان الناس يحمدون هذا ويذمون الاخر فذلك ان العاقبة هي التي تصير هذا محمودا ولان الخلق جميعا من محسن ومسيء ومسلم وكافر استووا في نعم هذه الدنيا ومنافعها وما ذكر من منافع الليل والنهار والذكر والانثى جميع ما في الدنيا من الانعام فاذا وقع الاستواء بينهم في الدنيا لا بد من دار اخرى فيها يقع التفاوت والتفاضل بينهم فيقع التمييز بين ما ذكر ثم بين ان السعي الذي هو الجزاء له مختلف لما ذكر بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهو يخرج على وجوه يحتمل فاما من اعطى واتقى اي اعطى ما امر به واتقى عصيانه وكفران نعمه او اتقى المنع او من اعطى التوحيد لله من نفسه واتقى الشرك والكفران لنعمه وصدق بموعود الله فسنيسره لليسرى للاعمال والشرائع ونشرح صدره للتوحيد والاسلام وييسر عليه واما من بخل ولم يات بالتوحيد واستغنى عن الله بما عنده وكذب بموعود الله فسنيسره للعسرى لما يعده من الاعمال والشرائع ويكون فيه حق القبول لما عزم على وفاء ذلك بقوله فاما من اعطى اي عقد الاعطاء ووعد على الوفاء ذلك بما اتقى او هو من اتقى معاصي الله ومحارمه وصدق بالحسنى اي بموعود الله فسنيسره لليسرى اي فسنيسره لوفاء ما عزم واما من بخل بالمنع على البخل والمنع لذلك واستغنى بالدنيا وعنده وكذب بموعود الله فسنيسره لوجه ما عزم من الخلاف لله والمعصية لم يزل يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال كل ميسر لما خلق له او قال كل ميسر لما عمل له والثالث يخرج على حقيقة لعظكم ما يجب في المال وحقيقة المنع بقول فاما من اعطى ما وجب من حق الله تعالى في ماله واتقى نقمة الله ونقمته وعذابه وصدق بالحسنى اي بموعود الله فسنيسره لليسرى هذه الجهة في الطاعات واما من بخل اي منع حق الله تعالى في ماله وكذب بالحسنى اي بالذي وعد على ذلك فسنيسره للعسرى هذه الاحضاء الى ما وعد قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى قيل اذا هلك ومات او تردى في النار وفي ظاهر قوله وما يغني عنه ماله دلالة على ان الاية في حقيقة الاعطاء والمنع من المال وقوله وصدق بالحسنى قال بعضهم بالجنة وقيل شهادة ان لا اله الا الله وقيل بالخلف على ما انفق وجائز ان يكون اليسرى اسما لكل ما طاب وحسن من العمل والعسرى لكل ما خبث وقبح من العمل وجائز ان يكون اليسرى اسما للجنة وكذلك الحسنى والعسرى والسوءى النار ومنهم من قال ان الاية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه انه اشترى بلالا من امية بن خلف وابي بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه لوجه الله تعالى فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية وابي وذكر الى آخر السورة فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ابو بكر رضي الله عنه واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى امية بن خلف وابي بن خلف يروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا قوله تعالى ان علينا للهدى هذا يخرج على وجوه احدها ان يكون قوله علينا اي لنا وفي الكتاب على بمعنى اللام جائز كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وكقوله ثم ان علينا حسابهم اي لنا محاسبتهم وقوله وعلى الله قصد السبيل اي لله قصد السبيل وقوله تعالى ويوم ترى الذين وقفوا على ربهم اي لربهم كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحو ذلك كثير ان يكون قوله علينا يعني لنا فيصير كانه قال ان لنا للهدى كقوله الا لله الدين الخالص وقوله وله الدين واصبا يكون فيه اخبار ان الهدى لله والدين الخالص له واما سائر الاديان فانما هي سبل الشيطان ليست لله تعالى على هذا الجائز ان يخرج تاويل الاية وكون الاخر ان يخرجان على حقيقة على لكن احدهما يخرج ذكر الهدى على ارادة البيان وتبيين الطريق والاخر على ارادة حقيقة الهدى الذي هو ضد الكفر ومقابله فاما على ارادة البيان فكانه قال ان علينا غاية البيان في حق الحكمة والعدل فيما يمتحنون حتى اذا كان التقصير والتفريط فانما يكون من قبل انفسهم لا من قبل الله اي نبين لهم كل شيء غاية البيان ونهايته لئلا يبقى الشبهة عنهم والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول

ان علينا هداية من شهدنا او اجتهد في طلبها كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ووجه اخر ان علينا انجاز ما وعدنا على الهدى ما اختاره يخرج تاويل الاية على ارادة البيان من الوجه الذي ذكرنا واما على ارادة حقيقة الهدى الذي هو مقابل الكفر فكانه قال ان علينا التوفيق والمعونة والعصمة في حق الاحسان والافضال لا على ان ذلك يستحق عليه لهم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان علينا بيان ما للاخرة والاولى قوله تعالى وان لنا للاخرة والاولى فهذا يخرج على وجهين احدهما يقول الله تعالى ما لكم تطيعون ان لنا الاخرة والاولى وليس لما يعبد الاصنام والاوثان الاخرة والاولى فكيف صرفتم عبادتكم عمن له الاخرة والاولى الى من ليس له ذلك على علم منكم بذلك بسفههم في اختيارهم عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى والثاني يقول وقد علمتم ان لنا الاخرة والاولى فما بالكم تعاونون بالانفاق على انفسكم بما يرجع منفعته اليكم بما اليه لكم في الحقيقة وانما هو لله تعالى وهذا التاويل صلة قوله ولنا من بخل واستغنى الاية والاول يكون صلة قوله ان علينا للهدى قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى اي نارا تتوقد وتتلهب وتتغيظ على ما ذكر من صفتها ثم ذلك الانذار يكون للفريقين لاهل التوحيد ولاهل الشرك جميعا والله اعلم قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى قالت المعتزلة هذا النص في حقيقة التكذيب وكذلك على التقصير والتفريط في امر الله والوقوع في مناهيه فيصرفون الاية الى اصحاب الكبائر ويقولون انهم الموصوفون والخوارج يقولون ان اصحاب الكبائر بكفرهم بكبيرة يصيرون مكذبين ومتولين لانهم في ابتداء اعتقادهم التوحيد والايمان اعتقدوا وفاء كل ما وقع به الامر ووفاء كل ما يلتزمه والانتهاء عن جميع ما لا يليق به فاذا ارتكب ذلك صار مكذبا لما اعتقد في الاصل وعلى ذلك لكن عندنا لا يصير بترك الوفاء مكذبا لكن يصير مخالفا لما وعد واعتقد واستدل المرجئة بظاهر الاية لا يقع العذاب الا لاهل الشرك والكفر بهذه الاية يقولون ان حرانه لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى والمسلم وان ارتكب الكبيرة او الصغيرة فهو ليس بمكذب ولا متول لكن تاويل الاية عندنا في الكفرة ليس في اهل التوحيد والايمان ثم يحتمل قوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى في باب وكذلك دونه باب بعد ذلك فان لكل فريق دركا كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهذا كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال في اية اخرى فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون فيكون الضريع للنوع كذا باب بعد ذلك غسلين في باب اخر فجاز على هذا ان يكون ذلك الدرك الا الاشقى فاما يجوز ان يكون صاحب الكبيرة في ذلك خاصة واما ما ذكروا ان اصحاب الكبائر قد اوعدوا وخوف ابو حنيفة رحمه الله فلسنا ننكر الوعيد لهم وانهم يعذبون ولكن نقول لا يكونون في الدركات التي فيها الكفار اذا دخلوا في النار وجائز ايضا ان يعذبوا بعذاب سوى العذاب الذي ذكر بالنار والتلظي وعدم في مشية الله تعالى ان يعذبهم وان يغفر لهم واما النار التي ذكر بصفة التلظي فهي للكفار والله الموفق قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اخبر انه يجنب النار عن الاتقى ويتعلق عنها ثم ذكر الاتقى انما يجنبها ويتقي بالاعمال التي يعملها في الدنيا لان الله تعالى في غير موضع اضاف الوقاية التي والتجنب عنها الى فعله كقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى يحتمل وما لاحد عنده من نعمة اي ما لاحد عند الله من نعمة تجزى بها ولا يد يستحق الثواب بها لكن ذلك نعمة من نعم الله تعالى التي اعطاها اياه لعبد استعمله في وجهه وطلب مرضاته يجزيه بفضله كانه كانت له عنده نعمة تجزى بها والثاني يحتمل اتصاله بقوله يؤتي ماله يتزكى اي يتصدق ويزكي لا ابتغاء وجه الله تعالى على من ليس عنده له نعمة وقد يجازيه بها او ينفق عليه حالا يصنع فيستوجب منه مجازاة كانه يقول لا يعطي لم يكن احد يحب مجازاة يستوجبها اليه من نعمة انما اعطاه لا لمجازاة وفيه دليل ان لا يعطي الرجل زكاة ماله من عنده له نعمة وصنيعة يخرج ذلك مخرج الاعطاء بدل قوله تعالى ولسوف يرضى او يرضى الله بجزيه ويثيبه في الثواب بعمله ويحتمل ورضي من الله ولحياته يقول لعطيته حتى يرضى وقال بعضهم نزلت هذه الاية وهو قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال بعضهم هذه الاية نزلت في ابي الدحداح رضي الله عنه طلب النبي صلى الله عليه وسلم منه نخله الحال في القصة وقال بعض اهل الادب تردى في النار او سقط وتقال الردى يتفعل من الردى وهو الهلاك تجلى بكذا اي السعي من التيسير الخير والعسرى من التعسير للشر والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى قال بعضهم الضحى هو ضوء النهار كقوله وضحاها اي ضوءها وقال بعضهم هو ساعة من النهار وهي من اول النهار

ذكر في الصلاة الضحى وهي عند ضحوة النهار ومنهم من يقول هو كناية عن الحر كقوله إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي لا يصيبك الحر ومنهم من قال هو كناية عن النهار كله أقسم به وبالليل الذي
ذكر فإن كان المراد من الضحى هو ضوء النهار وفي الليل إذا سجى ظلمته فيخرج القسم به على أن ظلمة الليل تستر الخلائق
كلهم في طرفة عين وكذلك ضوء النهار يكشف الستر ويجلي بطرفة عين جميع الخلائق من غير أن يعلم أحد تفصيل
ذلك الستر وخفة ذلك الضوء فأقسم بذلك لعظيم ما فيهما من الآية وإن كان المراد منه نفس الليل والنهار
فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة وقوله إذا سجى اختلف فيه قال بعضهم إذا استوى وقال بعضهم إذا
سكن وركد وقال بعضهم إذا سجى أي غشي وأظلم وغطى كل شيء وستر وهو من التسجية والستر يقال تسجى
المرأة أي تستتر وتغطى وقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى على هذا وقع القسم ثم اختلف في السبب الذي
نزل هذا قال بعضهم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان سئل عن شيء أو طلبوا منه شيئًا فقال أفعل ذلك غدًا
أو أجيبكم عنه كذا ولم يستثن فاحتبس عنه الوحي أيامًا لذلك حتى قال المشركون قد ودعه ربه وقلاه أي تركه
وأبغضه ومنهم من قال إنه أبطأ عليه الوحي فجزع جزعًا شديدًا فقالت له خديجة رضي الله عنها أرى أن
ربك قد ودعك لما ترى من جزعك فنزل قوله ما ودعك ربك وما قلى ولسنا ندري كيف كان الأمر فإن كان
نزل ذلك لقول قريش فالقسم يحتمل أن لا ... ذا القول وأما الثاني فإنه نزل لقول خديجة فهو غير محتمل
لأن خديجة تعلم أن الله تعالى لم يودعه ولا قلاه وكذا كل مؤمن معتقد أن الله تعالى لا يودع أحدًا من رسله
ولأنها تصدق لرسوله أنه لم يودعه ولا قلاه إذا أخبرها بغير قسم فلا معنى للقسم لذلك فهذا الوجه غير
محتمل ثم صرف تأويل الآية إلى غير ما قالوا أشبه فنقول وبالله التوفيق إنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى
الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وعادتهم إهلاك من خالفهم بلا أنصار وأعوان ينصرونه
على ذلك ولا كان معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس فيقول أولئك الكفرة إن ربه قد خذله
وتركه وقلاه حيث بعثه إلى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وعادتهم إهلاك من خالفهم
بلا أنصار وأعوان من الملائكة ولا مال وسعة يستميل به القلوب والأنفس لأن من سلم نفسه إلى أعدائه
الذين يعلم أنهم أعداؤه وخلى بينه وبين أعدائه بلا أنصار وأعوان ولا مال وسعة من الدنيا يقال إنه قد
خذله وتركه وقلاه إذ لا يفعل ذلك في الأصل إلا لذلك فعند ذلك قالوا إنه ودعه وقلاه وهو ما قالوا
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك مما قالوا فلهذا صرف التأويل تأويل الآية إلى ما ذكرنا والأمر إلى
ما ذكرنا أشبه وفي قولهم قد ودعه ربه دلالة أنهم قد عرفوا أنه رسول الله حتى نزل قوله ما ودعك
ربك وما قلى والثاني أنه لو كان يخترع على ما كان يقولون لكان لا يحتبس عن الاختراع ولكن يخترع
أبدًا حتى لا يقولوا إنه ودعه فلما ظهر احتباس الوحي عنه علم أنه مأمور بذلك ثم أخبر أنه لم يبعث إلى
هؤلاء الفراعنة والجبابرة لما ذكر أولئك الكفرة أنه تركه وخذله وقلاه ولكن بعثه وهو ينصره ويعينه
على تبليغ ما أمر بتبليغه إليهم ولكنه اصطفاه واختاره حتى يعلو أمره ويكثر ذكره ويعظم قدره
ومنا فيه مذكور مع ذكره حين يذكر وذلك آية عظيمة على إثبات الرسالة وهو ما ذكر أنه بعث إلى الذين همتهم
القتل والإهلاك لمن خالفهم فقهرهم جميعًا وغلب على الكل حتى أظهر الإسلام في قريب منه من بعد
وقوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى يقول إنما أعطيناك في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة
فإن الآخرة خير لك من الأولى نعمته في الآخرة ... في الدنيا ويقول إن ... لك أن تكون ... للآخرة
خير لك من الأولى وهو كقوله يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه وقوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى أي يعطيك في الآخرة ما ترضى من الكرامة والشرف وقال بعضهم لما نزلت ولسوف يعطيك ربك
فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الأعداء ويحتمل يعطيك في أمتك ما ترجو وتأمل
من الشفاعة لهم فترضى ويقول بعض الناس إن أرجى آية هذه حيث وعد له أنه يعطيه ما يرضى ولا يرضى أن
يكون أمته في النار ومنهم من قال أرجى آية قوله ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا
رحيمًا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وعندنا أن أرجى آية هي التي أمر الله تعالى رسله بالاستغفار للمؤمنين وكذلك أمر
الملائكة بالاستغفار لهم فاستغفروا لهم وقوله تعالى ألم يجدك يتيمًا فآوى الآية مما ذكر من الأحوال التي
فيه من قوله ألم يجدك يتيمًا فآوى الآية وقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ونحو ذلك
من الأحوال التي ذكر فيه من الظاهر أحوال يذكر للشيء فيه ... لكن في ذكر ما ذكر فيه من الأحوال ذكر حجة
لرسول الله بالنصر له والعون وآية لإثبات رسالته ونبوته لأن نفاذ القول وغلبة الأمر مع الأحوال التي ذكر أعظم

في الحجة من نفاذه في حال السعة وحال قوة الأسباب وتأكيدًا لأن يكون قوله ألم يجدك يتيمًا فآوى
ووجدك ضالًا فهدى ووجدك عائلًا فأغنى ونحوه لأن أولئك الكفرة كانوا ينسبونه إلى الافتراء والاختراع
من ذات نفسه فلما كان يتيمًا والفقير ليس يبلغ في العلم والمعرفة المبلغ الذي يقدر على الاختراع وإنشائه
من نفسه على وجه يعجز عن مثله جميع الخلق لما لم يجد ما ينفق في ذلك ويحمل من المؤن حتى يبلغ مبلغ الاختراع
وكذلك ما ذكر حيث قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لأنهم قالوا إنما يعلمه بشر وإنما
يتعلمون بالكتابة والخط فإذا لم يكن لرسول الله شيء من ذلك دل أنه بالله عرف وقوله ألم يجدك يتيمًا
فآوى عليه ووجدك يتيمًا فآوى ثم يحتمل قوله فآوى وجوهًا أحدها وجدك يتيمًا فآواك أو ملأك حتى رباك ودفع
عنك كل أذى ومخافة وساق إليك كل خير وبر إلى أن بلغت المبلغ الذي بلغت والثاني يقول لقد وجدك يتيمًا فآواك إلى
من تولى تربيتك وبرك وعطف عليك وتعطف عليك ودفع المكروه والأذى يذكر منته وعظيم نعمه
عليه أنه كان ما ذكر ثم صير ... أشفق الناس عليه وأعطفهم والله أعلم والثالث قد وجدك يتيمًا فآواك
إلى نفسه وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة حتى صيرت مذكورًا في الدنيا والآخرة
وحتى أحوج جميع الناس إليك وليس في الدنيا من اليتيم أنه يبلغ شأنه وأمره إلى ما بلغ من شأنك وأمرك
حتى صيرت مخصوصًا من بين الناس جميعًا بما ذكر بما اختصك به إياك بالرسالة وأحوج جميع الناس
إليك يذكر عظيم منته ونعمه عليه وقوله تعالى ووجدك ضالًا فهدى هذا يخرج على وجوه أحدها يقول
لولا أن الله تعالى هداك لدينه ووفقك لذلك لأوجدك ضالًا إذ كان نشوءه بين قوم ضلال لم يكن أحد يهديه
ويدعوه إلى الله تعالى ولكنه هداك وأرشدك فلم يجدك ضالًا وهو كقوله وكنتم على شفا حفرة من النار
فأنقذكم منها لولا أن الله أنقذكم منها لوقعتم فيها والآخر كنتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم
منها وقوله ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا يقول لولا أنه ثبتك وإلا تركنت على ما في
طبع البشر لكدت تركن إليهم شيئًا قليلًا لأن البشر ينشأ ويطبع على الركون والميل إلى النعم العاجلة والخيار
الأيسر والألذ ولكنه بلطفه ثبتك وعصمك ولم يكلك على ما طبعت وأنشئت في أصل الخلقة فعلى
ذلك يخرج قوله ووجدك ضالًا فهدى أي لولا أنه هداك لوجدك ضالًا لو لم يهدك ففيه أنه
هداه ولم يجده ضالًا والثاني يقول ووجدك ضالًا لا ضلال كسب واختيار ولكن ضلال الخلقة التي
أنشأ عليها الخلق والضلال بمعنى الجهل لأن الخلق في ابتداء أحوالهم يكونون جهالًا لا جهل كسب يكون
عليهم أو يكون لهم علم يجهلون عليه ولكن جهل خلقة وضلال خلقة لما ليس لهم آلة ذلك العلم فلا صنع
لهم في كسب الجهل فأما بعد الظفر بآلة العلم يكون الجهل مكتسبًا فيذم عليه وكذا العلم فيترتب عليه
الحمد والذم فعلى هذا يكون قوله ووجدك ضالًا فهدى أي وجدك جاهلًا على ما يكون في أصل الخلقة
وحال الصغر فهداك وعلمك وهو كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به
من نشاء من عبادنا وقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يذكر أنه لم يكن يدري شيئًا
حتى أدراه وعلمه والثالث يقول ووجدك ضالًا عما قال أهل الأنباء المتقدمة وأخبارهم حتى أطلعك الله
على ذلك كقوله نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن
الغافلين أي يعقله ووجدك غافلًا عن القرآن وما فيه جاهلًا فأعلمك ذلك فأعلمك وقال بعضهم ووجدك
ضالًا أي وجدك بين قوم ضلال فهداك أي أخرجك من بينهم ما لم يخرجك من بين أظهرهم لدعوتك إلى ما هم
عليه ويحجروك على ذلك فلم يصلوا منك إلى ذلك والله أعلم وقال بعضهم ووجدك ضالًا أي طريق مكة فهداك
الطريق وقال بعضهم ووجدك ضالًا حقيقة الضلال فهداك للتوحيد لكن هذا وحش من القول لا يليق
بأن ينسب إليه ذلك وقال بعضهم ووجدك ضالًا عن النبوة أي جاهلًا فهداك النبوة وهو قريب مما ذكرناه
وقوله تعالى ووجدك عائلًا فأغنى أي فقيرًا فأغناك أي أغناك بما أراك من أمر الآخرة وما أنسى لك
من نعيمها الذي لما أعد لك في الآخرة وما وعدك من النعيم والكرامة فهانت عليك الدنيا حتى ذكر أن الدنيا لم يكن
تعدل عنده عليه السلام جناح بعوضة ولذلك روي إنما الغنى غنى القلب ويحتمل أنه جعل فيه خلالًا لطيفة
أغناه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الوصال فقيل إنك تواصل يا رسول الله فقال إني لست كأحدكم
إني أبيت يطعمني ويسقيني فجائز أن يكون الله تعالى جعل فيه لطفًا أغناه به وإن لم يطلعنا عليه والله أعلم وقال
بعضهم أغناك بمال خديجة رضي الله عنها وقال بعضهم أغناك أو رضاك بما أعطاك من الرزق وقنعك
وقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فأما اليتيم فلا تكهر والكهر الزجر
كأنه قال فلا تزجره ويجوز أن يكون قوله فلا تقهر أي لا تمنع حقه وادفع إليه حقه وماله ويكون ذكر هذا

نقول كنت يتيما ورايت حال اليتيم فلا تقهر اليتيم فتكون على الضلالة لقوله الم يجدك يتيما فاوى فلا
تقهر اليتيم بعد ذلك واما السائل فلا تنهر اي كنت محتاجا فقيرا فعرفت محل الفقر والحاجة وشدة
حاله فلا تنهر السائل لانه لا تنجح ولكن اعطه وجائز ان تكون الاية لا على النهي ولكن على الامر بالبر والصلة
والاعطاء وجائز ان يراد في نفي شي اثبات ضده كقوله فما ربحت تجارتهم اي خسرت وفي هذا الحديث وهو ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتاكم السائل فلا تقطعوا مسالته حتى يفرغ منها ثم ردوه عليه برفق ولين
اما ببذل يسير او برد جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جن يرى كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى وقال قوم
تزويج اليتيم حرام لمكانه فلا تستذله الا الاضرار ولم يجوزوا غير الاب والجد واجازوا بيع ماله من وصيه
ان كان وصي الاب او وصي منه في تركتهما فيقال لان تزويج اليتيم ليس من قهر في شي وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه زوج بنت حمزة سلمة بن ابي سلمة وهو صغير يتيم وزوج ابن عمر بنت اخيه وهي صغيرة وزوج عروة ابنته
من مصعب وهي صغيرة وقهر اليتيم في خذلانه والاعتداء عليه وليس في التزويج ذلك قوله تعالى واما بنعمة ربك
فحدث يحتمل وجهين احدهما يقول حدثهم بنعم الله التي انعم عليهم ليعرفوا ويقوموا بما فيه شكرها او يقول احدث
بما انعم الله تعالى عليك وهو هذا القران اذ القران من اعظم ما انعم الله عليه فامر بتحديثه بما عليه من النعم
ليعرفوا عظيم نعم الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من امته ومن قومه او امر بان يعرفه ويحدث بما فيه
وقد روي عن ابي رجاء العطاردي قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف خز لم نره عليه قبل ولا بعد
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا انعم على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته عليه
وعن عطية عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان
يرى اثر نعمه على عبده ويبغض البؤس والتبؤس وعن ابي الاحوص عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اعطاه الله تعالى خيرا فلير عليه وابدا بمن تعول وارضخ من الفضل ولا تلام على كفاف ولا تعجز عن نفسك
وعن يحيى بن عبد الله عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا انعم على عبد نعمة فلير عليه
بالصدقة والمعروف وقول ابن مسعود وابدا بمن تعول دليل على ان المراد بالتحديث شكرها والاظهار الكلام الحسن

سورة الانشراح

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عز وجل الم نشرح لك صدرك . الحكاية
في هذه السورة من الله رسوله خاطبه اياه حيث قال الم نشرح لك صدرك الى اخر ما ذكر والمخاطبة في سورة
والضحى مما كانت من غير الله اياه كان جبريل عليه السلام هو الذي خاطبه في ذكر منن الله اياه وذكر نعمه لانه ذكر
انه قال ما ودعك ربك وما قلى ولم يقل ما ودعناك ويجوز ان يكون الخطاب في سورة والضحى من الله على الحكاية
يقال ان امير المؤمنين يقول كذا وكذا بنفسه ثم اختلف في قوله الم نشرح لك صدرك قال بعضهم شرح صدره
للاسلام كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه والشرح قيل هو التليين والتوسيع والفتح
اي الم نوسع لك صدرك ونفتح ونلين للاسلام وعندنا في الخبر انهم قالوا يا رسول الله وهل
لذلك من علامة فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
لكن يعرف ذلك من رسول الله بطريق الحقيقة ويظهر ذلك منه باليقين فاما من غيره فانما هو ظاهر الحال
دار الغرور والانابة الى دار الخلود بالتقارب وغالب الظن لانه رسول الله كانت له الاخرة وامورها كالمعاينة
والمعاينة وكذلك جميع الانبياء والرسل فاما غيرهم فلم يبلغ ذلك فهو كما ذكر انه يعرف بالانبياء كالعيان
اي يعرف بطريق اليقين بخلاف رؤيا غيرهم وقال بعضهم شرح صدره لانه لما كلف بتبليغ الرسالة الى الجن
والانس كافة الفراعنة والجبابرة الذين همتهم اهلاك من يخالفهم والاقلاع عن عبادة من يعبد بانتصاب
صدره لذلك وثقل ذلك على قلبه فوسع الله صدره وشرحه حتى هان ذلك عليه وخف وهو قول ابي بكر الاصم
الا انه يقول فعل ذلك به وحقق بالايات والحجج ونحن نقول باللطف منه حتى تم وفاء ما كلف من امر ... والاصم
لا يقول باللطف والاختصاص للبعض دون البعض لقوله بالاصلح ويحتمل ان يكون ما ذكر من شرح صدره
وتوسيعه هو ما ذكر في قوله وانك لعلى خلق عظيم وخلقه كان يحتمل وسعه وطاقته حتى كاد تهلك نفسه
تلك لمكان كفرهم وكذلك ما تعلم انه [illegible] اشفاقا عليهم ورحمة كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين وقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك في غير ذلك من امثال هذا ولذلك والله
ما وصف من خلقه انه عظيم فوسع صدره وشرحه حتى خف ذلك عليه حيث قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات

وقال ولا تحزن عليهم الاية وقال الحسن في قوله الم نشرح لك صدرك الى ما ذكر له صدره وملئه علما وحكمة
ثم قوله الم نشرح لك صدرك الى ما ذكر ان كان المخاطب به رسول الله وهو المعنى والمراد بمخاطبة السورة يخرج على
ما ذكر من تيسير الامر عليه وتخفيف ما حمل وامر به قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك على ابتداء وضع الوزر
والاثم على ما ذكر وان كان المخاطب به غيره وهو امته وان كان الخطاب اضيف اليه فالامر فيه سهل لما ان الخطاب
على الاشتراك فيحتاج الى التاويل ايضا قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قال
اهل التاويل يخرج على تحقيق الوزر والاثم كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات يقولون بالتاويل الذنب والوزر فوضع ذلك عنه ولكن هذا وحش من القول
لكنا نقول ان قوله ووضعنا عنك وزرك والوزر هو الحمل والثقل كانه يقول قد خففنا عليك ما حمل عليك
من امر النبوة والرسالة الاحمال التي حملت عليك كانه يقول قد خفف ذلك عليك ما لو لم يكن تخفيفنا اياه
عليك لانقض ظهرك اي اثقل واهمك والثاني جائز ان يكون قوله ووضعنا عنك وزرك ابتداء وضع
الوزر عنك عصمك وحفظك ما لو لم يكن عصمته اياه لكانت لك اوزار واثام كقوله ووجدك ضالا فهدى
اي لو لم يهد لوجدك ضالا لانه كان بين قوم ضلال ولكن هداه فلم يجده ضالا اصلا فذلك ما ذكر من وضع وزره
ابتداء وهو كقوله يخرجكم من الظلمات الى النور اي عصمهم عن دخولها لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم ولكن ابتداء
اخراج فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره وقوله انقض ظهرك اي اثقل ظهرك قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
جائز ان يكون رفع ذكره لما الزم الخلق الايمان به حتى لا يقبل من احد الايمان بالله والتوحيد له والطاعة والعبادة
الا بالايمان به والطاعة له قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وجائز ان يكون ما ذكر من رفع ذكره هو انه يذكر حيث
ذكر الله دين ذكره يذكر في الاذان والاقامة وفي الصلوة في التشهد وغيره من الخطب والله اعلم والاول
عندنا ارفع واعظم من الثاني وجائز ان يكون رفع ذكره ما اضاف اسمه الى اسمه مما قال رسول الله ونبي الله
ولم يسمه باسمه على اضافته الى الرسالة والنبوة فقال محمد رسول الله وقال يا ايها الرسول بلغ وقال يا ايها النبي
لم تحرم ونحو ذلك وهو المخصوص بهذا دون غيره من اخوانه لانه قلما اضاف اسمهم الى اسمه وقلما قرن اسمائهم
باسمه بل ذكرهم باسمائهم الى اسمه وقلما قرن اسمائهم باسمه بل ذكرهم باسمائهم كقوله واذكر اسماعيل واليسع
ويونس ولوطا ونحو ذلك او رفع ذكره لما عظمه وشرفه عند الخلق كله حتى لم نستخف به في الدنيا
والاخرة قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا روي في الخبر انه قال لن يغلب عسر يسرين قال بعضهم
انما كان عسرا واحدا وان ذكره مرتين لان العسر الثاني ذكره بحرف التعريف فهو كالاول واحد واليسر ذكره
بحرف النكرة فهو غير الاول [illegible]
[illegible]
والمكان مختلف متفرق قوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب قال بعضهم اذا فرغت [illegible]
[illegible]
من الصلوة فانصب في الدعاء وقال قتادة اذا فرغت من الصلوة [illegible]
[illegible]

ان لا يتكلف تفسير ما ذكر في هذه السورة من اولها الى اخرها لانه امر بينه وبين ربه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعلم ما اراد به فيما خاطبه من الجميع وانه فيم كان وقد كان خصوصا له وليس شيء مما يجب علينا العمل
به حتى يلزمنا التكلف لاستخراج ذلك سوى الشهادة على الله فكان الامسك السعة اولى من ترك التكلف
فيه والاشتغال بما اتقى واسلم والله الهادي والى سبيل الرشاد والحمد لله رب العالمين

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والتين والزيتون قال هذه السورة كلها
نزلت في محاجة اهل مكة سوى سورة والضحى والم نشرح فانهما جاءتا في تذكير منن الله لرسوله احديهما خاطبه
جبريل في تذكير ما من عليه والاخرى خاطبه ربه بذلك واما غيرهما من السور فانما جاءت في محاجة اهل مكة ثم قوله
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين قسم اقسم تاكيد الحجج التي اقامها ما لولا القسم كان
ما ذكر يوجب ذلك لكن في القسم تاكيد ما ذكر من الحجة ثم اختلف اهل التاويل في قوله والتين والزيتون قال
بعضهم هو التين الذي ياكله الناس والزيتون الذي يستخرجون منه الزيت كذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل
عن التين والزيتون فقال تينكم وزيتونكم هذا وقال بعضهم هما جبلان بالشام وقال بعضهم هما مسجدان
في الشام احدهما مسجد دمشق والاخر مسجد بيت المقدس وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد
بيت المقدس عن قتادة انه قال التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه مسجد بيت المقدس وقال
القتبي التين والزيتون جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا بالتين والزيتون
لانهما ينبتان فيهما وقوله وطور سينين قال بعضهم هو جبل بسينين والسينين اسم موضع والطور الجبل
وكذا قال ابو عوسجة وقال بعضهم جبل حسن والسينين هو الحسن بالحبشية وقال بعضهم كل جبل مشجر ذي الثمر
فهو سينين وقال بعضهم هو الجبل الذي اوحي عليه الى موسى عليه السلام وهو طور سيناء قيل هو الجبل المبارك
ثم يخرج جهة القسم بما ذكر على وجوه احدها تعظيم شان الجبال في قلوب الخلق حيث وصل اليهم اخبار
السماء من جهة تلك الجبال وجميع ما يرجع الى منافع انفسهم بدينهم على ما ذكر انه اوحي الى موسى عليه السلام على
جبل طور سيناء واوحي على عيسى عليه السلام على جبل ساعير وانا اوحي الى محمد عليه السلام على جبل فاران على ما ذكر
في الخبر ان موسى عليه السلام قال اتاني ربي من جبل طور سيناء وسياتي وحي عيسى عليه السلام من جبل ساعير
وياتي الوحي الى محمد عليه السلام من فاران والثاني اقسم بالجبال لما ارساها في الارض وجعلها اوتادا لها لئلا
تميد باهلها ولا تميل على ما ذكر في غير اي من القرآن تعظيم شان الجبال من هذه الجهة في قلوب الخلق والثالث
لما اخرج منها مع شدتها وصلابتها وغلظها وارتفاعها المياه الجارية الصافية الباردة وهي من اللين الا
واخرج منها الاشجار الكثيرة المثمرة وعز الثمرة من غير انبات احد ولا غرسها وغير ذلك من المنافع التي جعل في الجبال ما
لا يمكن الخلق استخراج ذلك منها بحيلهم وتكلفهم فاقسم بها لعظم ما جعل في الجبال من المنافع والبركات وكذلك
ان كان القسم بالتين الذي يوكل والزيتون الذي يخرج منه الزيت لما جعل لهم في ذلك من المنافع العظام
كقوله وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين فهذه الوجوه التي ذكرنا تحتمل القسم بالجبال
والتين والزيتون او ذكر التين والزيتون والمراد منهما الجبل لما في الجبل يكون عندهم على ما ذكرنا والله اعلم
قوله تعالى وهذا البلد الامين وهو مكة سماه امينا لما يامن من دخله او يومن من دخله ويحفظه لان الامين عند
الناس هو الذي يحفظ من ائتمن عليه وفيه وهو المامون به ثم جاز ان يكون القسم بالبلد لاهل مكة ولاهل
العظم من شانه وامره عندهم وفي قلوبهم واقسم بالجبال لعظم قدرها ومنزلتها ومحلها في قلوب اهل الكتاب
لما كانوا يومنون ببعض الوحي واهل مكة لا يومنون بالرسل وبالوحي لكن يعظمون ذلك البلد وجاز ان يكون القسم
بما ذكر كله لهم جميعا والله اعلم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم قال اهل التاويل على هذا وقع
القسم لكن القسم بغيره اوجه واقرب لانهم قد شاهدوا وعرفوا انه خلق الانسان على احسن تقويم اذ لم ير احد
على غير هذا التقويم وعلى غير هذه الصورة الى انشائها عليه ولا اشتباه ان يكون القسم واقعا على قوله ثم رددناه اسفل
سافلين لما فيه وقع الانكار والتكذيب وهو نار جهنم فاكد ذلك بالقسم كانه قال مع انا خلقنا الانسان في احسن
تقويم نرده الى اسفل السافلين لكفرهم وعنادهم سوى المؤمنين ثم قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يخرج
على وجوه احدها احسن صورة من شاهدوه وعاينوه لان الملائكة جعلهم احسن صورة واحكم تقويما من البشر
ولكن يرجع الى ما شاهد الخلائق وعاينوه وذلك لانه خلق البشر على صورة لا يتمنى احد منهم ان يكون على غير صورة البشر ثم انه

خلقهم على احسن صورة والثاني على احسن تقويم اي على احكم تقويم واتقنه لانه جبلهم وانشاهم على هيئة يتهيا لهم
استعمال الاشياء كلها في منافعهم والانتفاع بها بالحيل واسبابها وجعل فيهم ومكن لهم ذلك ويحتمل احسن
تقويم له احكم واتقن في الدلالة على وحدانيته اتسعا لوهيته او جعلهم اهل تمييز ومعرفة وبحيث يكون منهم
الخيرات وانواع الطاعات التي يثابون عليها وينالون بها الثواب الجزيل والكرامة العظيمة ما لا يكون لغيرهم
قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين هو يحتمل وجوها احدها رددناه الى اسفل السافلين وهو جهنم ترد
الكافر الى جهنم هو اسفل السافلين والمومن رددناه الى الجنة وهي اعلى عليين وهو ما استثنى بقوله الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون في الجنة والثاني رددناه الى اسفل ما اختار من الاعمال والافعال
وهو ما اختار من فعل الشرك الكفر ورددنا المومن الى اعلى ما اختار من الاعمال العالية الرفيعة والثالث
ما قال اهل التاويل ثم رددناه الى ارذل العمر واسفله ثم استثنى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر ممنون
له تجرى عليهم ثواب اعمالهم التي عملوا بها في حال صحتهم وشبابهم فاما اولئك فانهم اذا ردوا الى ما ذكر لم يجر لهم ذلك
وهذا التاويل مما لا يصح لانه لو استثنى المحسنين من المومنين منهم فاما اذا استثنى اهل الايمان من اهل الكفر فانه لا يحتمل
والاول اشبه قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين ان كان الخطاب لكل انسان كذب بالدين يقول ما الذي دعاك
الى التكذيب بالدين وقد عرفت انه احكم الحاكمين لا يفعل الا ما هو حكمه ولو لم يكن يوم الدين كان فعله
باطلا لانه انشاكم ثم تركتم الى ان بلغتم الى الحال التي بلغتم فلو لم يكن بعث كان خلق فعله عبثا باطلا وسوى
لما سوى بين ما اختار العداوة وبين ما اختار الولاية في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من مكان
يفرق بينهما هنالك وان كان الخطاب في قوله فما يكذبك بعد بالدين فيما عرفت احكم الحاكمين ثم اختلف
في قوله احكم الحاكمين قال بعضهم احكم القاضين واعدلهم وقال بعضهم احكم الحكماء والانبياء بلا بعث فعل
السفهاء لا فعل الحكماء وهو احكم الحاكمين واعدل القاضين في التفريق بين الاولياء والاعداء وقد
اجتمعوا في الدنيا فلا بد من دار يفرق بينهما فيها والله الموفق والمستعان وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق ذكر اهل التاويل
انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم واول وحي اوحي اليه وقيل عن هذا معنى الاول ثم الاشكال له
انه امره بان يقرا باسم ربك الذي خلق وحرف هذا ونحوه اذا قيل له اقرا او اقبل فلا يقول مثل ما قيل له اقرا او افعل
ان لا يقول مثل ما قيل له اقرا او افعل لانه من الظاهر انما يكون تعليمه الايتمار بذلك وكذلك قوله قل يا ايها الكافرون
وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وكذلك على هذا قوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونحو
ذلك يجب ان لا يقول له مثل ما قيل له قل واقرا ولكن يقول يا ايها الكافرون ويقول هو الله احد اعوذ برب
الفلق اعوذ برب الناس هذا هو وجه الكلام ومعناه وجوابه انه يحتمل وجوها احدها انه اريد بهذا ان
يكون قرانا يقرا هكذا في حق القراءة يتلى ويثبت في المصاحف الى اخر الدهر ليعلم كيف قيل لرسول الله وكيف
اوحي اليه وانه لم يترك مما قيل له حرفا واحدا ليكون حجة لرسالته واية لنبوته والله اعلم ويحتمل ان يكون كذلك
على خلاف المفهوم من وحي السماء والمنزل فيه الخطاب بعضه بعضا ولكن خلاف غيره والثاني ان يكون الخطاب
منه لكل احد ومن كل احد لاخر خاطب جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان يقرا ثم يامر رسول الله غيره بذلك
وذلك الغير يقول لاخر كذلك فيكون الخطاب منه لكل احد ومن كل احد لاخر والله اعلم وقوله باسم ربك الذي خلق
يحتمل ان يريد به اي افتتح القراءة باسم ربك على ما جعل افتتاح كل شيء باسم الرب جل ثناؤه بركة لذلك عنه والثاني
ما ذكر على ان اسم ربه هو تفسير اسم ربه حيث قال الذي خلق خلق الانسان من علق فيكون هذا تفسير لما ذكر من اسم
ربه او يكون قوله باسم ربك كما يقال اسالك باسمك الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت وذلك
الاسم مكتوم بين اسمائه وقوله باسم ربك يخرج اضافته اليه مخرج التعظيم لرسول الله وخصوصيته على ما ذكر
ان اضافة خاصية الاشياء الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم ذلك الخاص من ذلك وقوله ناقة الله وبيتي وناقة الله وان
المساجد لله ونحو ذلك من اضافة خاصية الاشياء اليه واضافة كلية الاشياء الى الله يخرج مخرج تعظيم الرب
والحمد له نحو قوله ملك السموات والارض ورب السموات والارض ورب كل شيء ثم لا يجوز اضافة الخاص الذي
لا خصوصية ظهرت له الى الله تعالى لا يجوز ان يقال يا رب زيد ويا رب عمرو ونحو ذلك انما يجوز ذلك فيما ظهرت
له خصوصية فضل من الانبياء والرسل والملائكة عليهم السلام والبقاع والامكنة التي ظهرت لها الخصوصية

وفضل ليكون ذلك تعظيما لها واشفاقكم (وقوله تعالى) خلق الانسان من علق ، اراد به كل انسان وعلم الانسان
ما لم يعلم كذلك لنعلم ان اسم الفرد اذا دخله لام التعريف يفيد العموم وهو كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر
في الآية دلالة على ابطال قول من يدعي طهارة النطفة بعلة ان الانسان خلق منها فانه اخبر انه خلق الانسان
من علق نسب خلق الانسان اليه ولا شك ان العلق نجس ثم اخبر انه خلق الانسان منه فعلى ذلك ان كان
النطفة التي منها يخلق الانسان نجسة وذلك غير مستحيل ثم اضاف خلقه مرة الى الاحوال التي قلب منها
حيث قال هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة الى آخر ما ذكر واضاف ههنا الى حال واحدة وهي
العلقة التي ذكر وان لم يكن الانسان في الحقيقة معلوما من العلقة والنطفة والتراب الذي ذكر لا ذكر هذه الاسماء
اسامي هذه الاشياء باعتبار خاصيات فيها وتلك الخاصيات تنعدم باعتراض حال اخرى عليها وانما خلق
الانسان من المضغة وانما ذكر خلق الانسان منه ونسبه الى ما ذكر لما ان الانسان هو المقصود من خلق ذلك وهي
النهاية التي ينتهي اليها فذكر ما بلغ ينتهي اليه من الغاية والله اعلم (وقوله تعالى) اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم
ذكر الاكرم لنعلم ان اختياره واصطفاءه للرسالة والنبوة وتعليمه القرآن انما نشأ احسانا منه ومنة وتفضلا عليه
لا لحق له قبله اذ ذكر في موضع المنة والفضل ما لكرم اذ الاكرم هو الوصف بغاية الكرم كما الاعلم وصف بغاية
العلم وكماله (وقوله تعالى) علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم جعل الله تعالى القلم سببا يحفظ به غيب ويبقى
المحفوظ ما يضاف فوته ونسيانه من امر دينهم ودنياهم ما لولا ذلك القلم لنسي ذلك من دينهم ولا من دنياهم ثم
اضاف التعليم بالقلم الى نفسه وكذلك قوله علم الانسان ما لم يعلم فهو يخرج على وجهين احدهما ان يكون
اضاف ذلك الى نفسه لما الخلق منهم فعلى تعليمهم ويحتمل اضافته اليه لان الانسان الذي جعلها لهم في التعليم
وانما علم ثم بتلك التعليم بالقلم لامته لا لرسول الله لانه علمه اياه بلا كتابة ولا خط حيث قال وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ثم في تعليم رسول الله بلا تعليم الكتابة ولا الخط خطه ثم قوله علم الانسان
ما لم يعلم يحتمل رسول الله لقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وكقوله تلك من انباء الغيب
نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وكقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ويحتمل قوله
علم الانسان ما لم يعلم كل انسان كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا (وقوله تعالى) كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى طغى بالغنى اي تكبر وافتخر بما رأى نفسه غنيا وعلى هذا ما روي في الخبر التعوذ من غنى
يطغى وفقر ينسي لان الغنى يحمل على التكبر والافتخار والطغيان والطغيان هو المجاوزة عن الحد والتعدي فيه
والفقر المنسي هو المجهد الذي ينسي غيره من النعم حين ينتشر ما نال من شدة البؤس والعقل والعلم ونحو ذلك
وقوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ليس هذا وصف كل الكافر بعينه على ما ذكر اهل التأويل انه ابي جهل
لعنه الله ولكن كل كافر يطغى لما رأى نفسه غنيه (وقوله تعالى) ان الى ربك الرجعى اي المرجع كذا قال ابو عبيد
وقال غيره الرجوع ثم يحتمل قوله الى ربك الرجعى اي المرجع للكل الى ما اعد لهم اعد للكافر النار وللمؤمن
الجنة على ما ذكر في الآية ويحتمل ان يكون اخبارا عن رجوع الكل اليه ثم قوله ان الانسان ليطغى اريد به انسان
دون انسان اذ لم يطغ كل انسان فانه خلقه خرج في خبر الله فكان المراد منه البعض ليعلم ان الفهم بنظام الخطاب
والعموم ليس يجب ولكن على حسب قيام الدليل على المراد منه وقيام المراد منه وقد يكون مبنيا معروفا به وقد يكون
مطلوبا بخبر تعرف به (وقوله تعالى) أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ذكر اهل التأويل ان الذي ينهى ابو جهل لعنه الله
عبدا اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان يصلي في الحجر وكان ينهاه ابو جهل فنزل ارأيت الذي
ينهى عبدا اذا صلى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى جوابه تجمع هذا
كله في الوعيد الذي ذكر على اثر ذلك وهو قوله الم يعلم بان الله يرى كانه قال ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارأيت
الذي ينهى من كان على الهدى او امر بالتقوى وهو رسول الله كان ينهاه ذلك الكافر اذا صلى وينهاه عن الهدى
وعن الامر بالتقوى ارأيت ان كذب رسول الله وتولى عن طاعة الله الم يعلم بان الله يرى فيدخل جميع ما ذكر في هذا
الوعيد فيكون ذلك جوابا لما تقدم من قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر ما ذكر وجائز ان يكون جواب
قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى مسكوتا عنه تركه للفهم ثم قوله الم يعلم بان الله يرى اي الم يعلم بان الله يرى فينتقم
لرسول الله او لم يعلم بان الله يرى حين يخدعه عالم برسول الله فهو عينه ثم قوله الم يعلم بان الله يرى يحتمل وجهين احدهما
قد علم بان الله يرى جميع ما يقوله ويفعله ويهم به لكنه فعل ذلك على المكابرة والعناد والثاني الم يعلم نازل
على نفي العلم بذلك اذ لو علم بان الله يرى ويعلم ما يفعله من النهي عن الصلاة والمكر به لكان لا يفعل ذلك
(وقوله تعالى) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ، اي حقا لئن لم ينته عن منعه الذي يمنع
رسول الله لنسفعا بالناصية ناصية اي لنأخذن بالناصية كان عبارة عن الاخذ الشديد والجر الشديد على

الناصية

على الناصية ثم يحتمل ان يكون ذلك الوعيد في الدنيا [illegible]
[illegible]

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم (قوله تعالى) انا انزلناه في ليلة القدر قال
اهل التأويل ان قوله انا انزلناه ينصرف الى القرآن ويحتمل ان يكون قوله انا انزلناه [illegible]
[illegible] القرآن جملة الى السماء
الدنيا من اللوح المحفوظ في تلك الليلة [illegible] شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن [illegible]
المحفوظ ثم نزل من السماء الدنيا على رسول الله [illegible] بالتفاريق على قدر الحاجة من الامر والنهي والحلال والحرام
والمواعظ وكل ما يحتاج اليه [illegible]
[illegible]

اختلف فيه قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى بني امية على منبره فساءه ذلك فنزل انا انزلناه في ليلة القدر وما
ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر اي من الف شهر يملكها بعدك بنو امية يا محمد وقال بعضهم ليلة القدر
خير من الف شهر اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر سواها وقيل ايضا انه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ان رجلا من بني اسرائيل جاهد الف شهر في سبيل الله فعظم ذلك عليهم فنزل قوله ليلة القدر خير من الف شهر
اي العمل فيها خير من جهاد ذلك الرجل في الف شهر ويحتمل ان يكون ذكر الف شهر على سبيل التمثيل لا على التوقيت
اي خير من الف شهر واكثر اذ العدد قد يكون لبيان العدد نفسه وقد يكون لبيان
شرف ذلك الشيء وعظمته فلا يكون الغرض هو القصر على العدد وهو كقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم ونحو ذلك ثم اختلف في تسمية ليلة القدر قال بعضهم هي ليلة الحكم والقضاء فيها يحكم ويقضي
ما يريد ان يكون في ذلك العام المقبل كقوله فيها يفرق كل امر حكيم او سميت ليلة القدر لانها ليلة لها قدر
ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف الشيء العظيم القدر والمنزلة وسميت ليلة مباركة لانه ينزل فيها البركات
والرحمة من الله على خلقه او سميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادة وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها
باذن ربهم من كل امر سلام قال بعضهم الروح ههنا جبريل كقوله نزل به الروح الامين وقال بعضهم الروح خلق يشبهون
ببني آدم وجائز ان يكون الروح هو الرحمة ههنا اي تنزل الملائكة بالرحمة فيها على ما سميت مباركة لما تنزل
فيها البركات ثم اختلفوا في قوله فيها قال بعضهم اي في تلك الليلة تنزل الملائكة والروح وقيل الروح
فيها اي الملائكة وقوله تعالى باذن ربهم اي ينزلون بامر ربهم وقوله من كل امر سلام قال بعضهم اي بكل
ما يقدر في تلك السنة على الارض كما قال القتبي من كل امر سلام اي بكل امر سلام وقيل من كل امر يدبر الله تعالى
اي الملائكة لا علم لهم فيما يقدر الله تعالى الا ان يطلعهم عليه فكانهم يطلعون على ما يقدر في تلك السنة
من الامور فينزلون بها بامر الله وقوله سلام قيل تنزل الملائكة صفوفا يحيونها بالسلام من الله والرحمة
والمغفرة وقيل هي ليلة سالمة لا يحدث فيها شر ولا يرسل فيها شيطان الى مطلع الفجر وقال بعضهم
هو سلام الملائكة اي يسلم الملائكة على كل مؤمن ومؤمنة وقال بعضهم من كل امر سلام اي من كل آفة وبلاء سلام كما
ذكر في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال بعضهم يحفظونه من عذاب الله وقال بعضهم
يحفظونه بامر الله تعالى فذلك يحتمل قوله من كل امر سلام من بلاء الحقيق وقوله حتى مطلع الفجر يحتمل الصلاة والبركات
التي ذكر الى مطلع الفجر ويحتمل ذلك السلام الذي ذكر الى مطلع الفجر ويحتمل الملائكة يكونون في الارض الى مطلع الفجر وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه من كل امر سلام قال يعني الملائكة ثم قال بعضهم اختلفت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة
القدر متى تكون واختلفت الصحابة رضي الله عنهم فيها روي عن عبد الله بن انيس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انها ليلة ثلاث وعشرين وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر واطلبوها
في كل وتر وروي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة تسع عشرة من رمضان وليلة
احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا ليلة القدر
في السبع الاواخر وروي انها في سبع وعشرين وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه
عن ليلة القدر وانا اسمع قال هي في كل رمضان وعن زر قال قلت لابي بن كعب اخبرني عن ليلة القدر يا ابا المنذر فان
صاحبنا عبد الله بن مسعود سئل عنها فقال من يقم الحول يصبها فقال رحم الله ابا عبد الرحمن والله لقد
علم انها في رمضان ولكن كره ان تتكلوا وانها لفي رمضان ليلة سبع وعشرين ثم لم يستثن ولا احد ادري الى ذلك
الليلة فيقول هي ليلة كذا الليلة سبع وعشرين او تسع وعشرين الا ان يثبت بالتواتر عن رسول الله في ذلك خبر
بالاشارة اليها فعند ذلك يسع والا كانت مطلوبة في الليالي وعلى هذا الوجه يخرج الاخبار المروية على التواتر
المتناقضة ويكون كلها صحيحة فيكون في سنة في بعض الليالي وفي سنة اخرى في غيرها وفي سنة في العشر الاواخر
من رمضان وفي سنة في العشر الاوسط وفي سنة في العشر الاول وفي سنة في غير رمضان والله اعلم بذلك

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة ذكر في حق اهل الكتاب لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من
وهو للتبعيض ولم يقل لم يكن اهل الكتاب وذكر في حق اهل الشرك والمشركين لان اهل الكتاب كانوا فرقا منهم
من كان آمن برسول الله قبل ان بعث ثم لما بعث كفر به ومنهم من كان كافرا به فلما بعث آمن به ولزم الايمان به ومنهم

من كان

من كان كافرا به قبل ان بعث وثبت على الكفر بعد ما بعث فلما كانوا اصنافا ذكر ما ذكر لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب بحرف من واما المشركون فانهم كانوا صنفا واحدا انهم لم يؤمنوا به وانهم لما اتاهم البينة فتكون ذلك
آمن به بعض وكفر به بعض فجائز ان يكون قوله لم يكن الذين كفروا حتى تاتيهم البينة انهم لم يكن بعض اهل الكتاب
وبعض المشركين منفكين من الكفر لا يعطف المشركين على اهل الكتاب كما قال من اهل الكتاب ومن المشركين
وكذلك حفظ المشركين في قوله ولكن المشركين بما كانوا اهل كفر ثم ارسل اليهم واذا اتتهم البينة فهي
ما في خلقة كل احد على الوهيته ووحدانيته ويحتمل ان بعضا من الفريقين على الشرك حتى تاتيهم البينة
وهي حجة العذاب عند الموت كقوله فلما راوا باسنا الآية ونحو ذلك وذكر في حرف ابي وابن مسعود لم يكن
المشركون واهل الكتاب منفكين وفي حرف ابن مسعود لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين حتى اختلف في قوله
منفكين قال بعضهم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منتهين عما هم عليه من الكفر والشرك حتى تاتيهم
البينة وقال بعضهم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين خارجين من الدنيا حتى تاتيهم البينة فتحق
والبينة التي ذكر انها تاتيهم قال بعضهم البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على اثره رسول من الله وقال بعضهم البينة
ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وما كان شرحه صلى الله عليه وسلم من الحجج حمل لهم منفكين منتهين الذين
كانوا قبل مجيء البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي بينة لانه به يعرف كل احسان
من الباطل وكذلك سبيل مواقع المعاد والمعاش وكذلك القرآن الذي جاء به وقوله منفكين خارجين من الدنيا
البينة التي انها تاتيهم عند المعاينة حجة كقوله فلما راوا باسنا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الا يؤمنون خارجين
من الدنيا حتى يقيم عليهم العذاب فحينئذ يؤمنون وقوله رسول من الله يتلو صحفا مطهرة على التاويل
الاول ان البينة يكون ما ذكر من قوله رسول من الله تفسير البينة وعلى التاويل الثاني يخرج على الابتداء لقوله
رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة ثم جائز ان يكون سمي القرآن وحده صحفا على المبالغة وقد يسمى الواحد
باسم الجمع على المبالغة وجائز ان يكون قوله يتلوا صحفا القرآن سماه صحفا لان سائر الصحف فيه كذلك
فيها كتب قيمة جائز ان يكون يسمي كتابا التي تتلى على رسول الله كتبا على الابلاغ والتاكيد على ما ذكرنا ان يكون
ومعه يتلوا صحفا القرآن وكتب تلقيهم وهي التوراة والانجيل والزبور وكان هذا القرآن في تلك الكتب
الكتب فهذا هو كقوله وانه لفي زبر الاولين وقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى اخبر انه
في تلك الكتب وان الكتب الاولى فيه فيصير بتلاوة هذا عليهم كانهم تلا تلك الكتب عليهم وعلى هذا قوله هذا
ذكر من معي وذكر من قبلي وقوله مصدقا لما بين يديه وقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم في
هذا ما في تلك الكتب وقال بعضهم صحفا مطهرة التي كانت في ايدي السفرة البررة وقوله مطهرة يحتمل مطهرة
من ان يكون للباطل فيها حجة او مدخل ومطهرة من الاختلاف او الافتراء او مطهرة من ان يحتمل ما ذكر وليس
الكفرة وقال قتادة سمي كتابه باحسن الاسماء وانه قليله بلحن الثناء سماه نورا وهدى ورحمة وبركة وانه شفاء
ونحو ذلك وقوله فيها كتب قيمة اختلفوا فيها قال بعضهم فيها كتب صادقة وقال بعضهم عادلة وقال غيرهم
مستقيمة على ما يوجبه الحكمة وجائز ان يكون في تلقيها كتب قيمة او احكام كتبت مستقيمة على ما يوجبه
الحكمة وقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقول اهل التاويل خطاب انهم
كانوا متفرقين قبل ذلك مختلف بينهم وعندنا ليس كما توهم هو يخرج على وجهين احدهما وما تفرق محمد الا بعد ما جاء
العلم به عند ذلك تفرقوا فيه خاصة ما قيل في ذلك المجتمعين به فكلهم او ما تفرقوا في الدين في المذهب الا من بعد
ما جاءتهم البينة او عن علم وبيان تفرقوا في الدين وفيما تفرقوا فيه وهو ما جعل في خلقه كل احد دلالة
الربوبية له ما لو تفكروا لعرفوا بان الله واحد والبينة يحتمل في هذا الموضع رسول الله والقرآن ونفس الخلقة
على ما ذكرنا وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اي ما امروا اوائلهم واواخرهم في تلك
الكتب الا ليعبدوا الله ولا يعبدوا من دونه او ما امروا الا ليجعلوا الالوهية والوحدانية له وهو كقوله وما امروا
الا ليعبدوا الله على ذا تاويل قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على اضمار الامر او الا لكي امرهم بالعبادة
او اراد الا لامرهم ليعبدون فليس ان يكون منهم العبادة على كل حال الا ان خلقهم للعبادة مما قدروا امرها او الكون
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على الخصوص خلق من علم انه يعبد للعبادة وقوله مخلصين له
الدين خالصا الدين له يخرج على وجهين احدهما ان يخلص له الدين ويصفي لا يشرك فيه غيره فيكون مخلوصا صفيا
والثاني الدين الخالص هو الدائم كقوله وله الدين واصبا اي دائما وكذلك يحتمل قوله الا لله الدين الخالص
وقوله حنفاء قال اهل التاويل مسلمين وقال بعضهم حنفاء متبعين والحنف الميل كانه قال مائلين
الى الاسلام وقيل حنفاء حجاجا وقيل الحنيف المستقيم وقوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة يحتمل قوله

أي فعلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي تابوا وفعلوا ذلك ليعطي
حقيقة الاقامة ويحتمل حقيقة الاقامة والايتاء وانما كان يعقلوا له أي ليؤتوا كما تراهم مؤمنين بالصلوة والزكوة
ثم المعنى الذي في الصلوة والزكوة لا يحتمل النسخ في وقت من الاوقات وعن فعل الركوع والسجود والقيام يحتمل
رفعه في وقت لان الصلوة معناها هو الاستسلام والخضوع والزكوة هي تزكية النفس وتطهيرها دينا وذلك
لا يحتمل النسخ اصلا ثم قال وذلك دين القيمة والدين يذكر والقيمة مؤنث فجاز ان يكون الدين ذكر من الملة القيمة
ويحتمل ذلك دين الامة القيمة وهو قول الزجاج او يقال ذلك الدين الذي هو مستقيم والكتب [illegible] صفة الحجج جاز
ان يكون ذكر القيمة على السهرية ما سبق وما تقدم من قوله حتى تاتيهم البينة ومطهرة فيها كتب قيمة ثم
قال على ذلك وذلك دين القيمة تسوية بين ما تقدم وما تأخر من قوله شر البرية وخير البرية وفي حرف ابي ذلك الدين
القيم بغير هاء وفي قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وجهان احدهما التحذير لهذه الامة
لئلا يتفرقوا كما تفرقوا اولئك في رسول الله وفيما جاء به والثاني يكونوا مفتقرين الى الله تعالى في كل وقت خائفين منه
ان لا يكلهم الى انفسهم الذي جاء ثم فيتفرقوا كما تفرق اولئك وقوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ظاهر هذا ان يكون تأويل قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين الى بعض المشركين ليس ذلك لانه لا يحل المشركين ولكن من كفر من المشركين كان كمن كفر من اهل الكتاب في نار
جهنم لكن الكفر هو الشرك والشرك هو الكفر كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فدل ان الكفر والشرك واحد وكل كافر مشرك مكانه قال ان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها اولئك هم شر البرية ثم جاء كل هذا التشديد لهؤلاء لان اهل الكتاب ادعوا انهم من نسل الانبياء
ثم تركوا اتباعهم والمشركون يعني اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ثم نقضوا ذلك العهد واهل
الكتاب قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فتركوا اتباع الطريق الحق عن اباءهم والعرب ايضا كانوا
اقرب الى رسول الله من غيرهم فحقت عليهم لزوم واجب فسد ذا الامر [illegible] لهذا المعنى ثم اذ كان البرية ماخوذ
من البرى وهو التراب فيرجع تأويل الاية الى الشركاء فقال اولئك هم شر ما انشئ من الارض وان كانوا ماخوذا من اللفظ
من البر وهو الخلق فيصير كأنه قال اولئك شر ما خلق فيدخل في ذلك الملائكة والجن والبشر وفي الاول لا يدخل
الا البشر خاصة وكذلك ما ذكر من اهل الايمان حيث قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
وان كان البرية ماخوذا من البر فهو يرجع الى الاصناف جميعا وان كان من البرى وهو التراب فهو يرجع الى البشر
خاصة فيصير كأنه قال شر اهل الشر من جنسهم وخير اهل الخير من جنسهم لا بعضهم ان لا فادة في الهدى في
والجن وقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار كان كان الاعد تعلق لجميع الجنان
عدن وجميع الجنان نعيم ثم قد قسم الخلق صنفين صنفا جعله شر البرية وصنفا جعله خير البرية ثم يكون
من كل صنف شر من شر وخير من خير كمن سوى بين من نشأ على الكفر فدام عليه الكفر ودام عليه في التأبيد والتخليد
وبين من احدث الكفر ودام عليه الى التأبيد في التخليد وبين من احدث الكفر في اخر عمره وكذلك من دام على الايمان
ومن احدث سوى بينهما في الجعل لما [illegible] الكفر والايمان جزاء ولحقا بالابد لانه اعلم [illegible] ان من
اعتقد ايمانا انما يعتقده للابد وكذلك من يعتقد الكفر انما يعتقده للابد فاذا احدث الايمان بعد الكفر
اعتقد قبح ما عمل في حال كفره وفسره وحسن ما احدث من الايمان والتوحيد وكذلك من احدث الكفر بعد
الايمان اعتقد فساد ما عمل في حال ايمانه لذلك سوى بين من احدث وبين من دام عليه وليس كمن يذنب في وقت
ثم يستحسنه في وقت لانه ليس يعتقد حسن ذلك ولا قبحه الى الابد والله الموفق وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا
عنه يحتمل وجهين احدهما يقول رضي الله عنهم بعملهم الذي عملوا لانفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا
لهم ورضي سعيهم ورضوا عنه لما رضوا عنه بما اكرمهم ووفقهم للاعمال التي عملوا لانفسهم في الدنيا
وهو كقوله وان تشكروا يرضه لكم واذا ابتليتنا الحسنى اليهم والحسنى صحبة احسانا اليهم يرضى ذلك لهم
وهذا يدل على انما يعملون من خير وشر انما يعملون لانفسهم لمنفعة ترجع اليهم او مضرة تدفع عنهم والثاني رضي الله عنهم بما
اكرمهم من الثواب لاعمالهم التي عملوا لانفسهم في الدنيا وهو كقوله قد رضوا عنه بكرامته التي اكرمهم وقوله
رضي الله عنهم هذا منه افضال وانعام حيث ذكر رضاه عنهم وان ذكر العفو والتجاوز عنهم كان حقا
ولكن هذا كما ذكر من لطيف [illegible] عباده [illegible] ما ادخروا فيوجب حاجتهم اليه قرضا حيث قال
واقرضوا الله قرضا حسنا ويسمى بذلهم انفسهم واموالهم شرى وما يعملون لانفسهم جزاء وشكرا ولم تسمهم
وانفسهم في الحقيقة له فكذلك يسمى ما ذكرنا لطفا منه وفضلا فكذلك ما ذكر من رضاه عنهم بما كان
قوله ورضوا عنه ذكر رضاهم عنه بفضله ولطفه والامر مهم حتى يذكر منهم الرضا عن الله ثم يخرج على وجهين

سوى ما ذكرنا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن [illegible] الدنيا الحزن الشديد العظيم [illegible]
[illegible]
والحمد لله رب العالمين

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها [illegible]
[illegible]

الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يحتمل صدود الناس وجهين احدهما يصدرون من قبورهم الى الحساب ليروا كتابه
اعمالهم ليروا ما كتب من اعمالهم التى عملوها فى الدنيا ويحتمل صدورهم عما امروا فى الاخرة من الثواب والعقاب
على هذا التاويل ليروا جزاء اعمالهم التى عملوا فى الدنيا كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقوله وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا هذا تفسير قوله اشتاتا وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقال بعضهم يرى الكافر ما عمل من خير فى الدنيا واما فى الاخرة فلا يرى لانه لا يؤمن بها ولا يعمل لها كقوله من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والمؤمن يرى ما عمل من شر فى الدنيا وما عمل من خير فى الاخرة
وعلى ذلك روى فى الخبر ان ابا بكر رضى الله عنه كان يتغدى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
فقال ابو بكر يا رسول الله كل من عمل مثقال شر يراه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى فى الدنيا مما تكرهون
فهو من ذلك ويدخر الخير لاهله فى الاخرة ويجوز ان يكون قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره على الاحصاء والحفظ كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها كله لا يذهب عنه شىء قليل ولا كثير
حتى الذرة ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اى من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة خيرا
يره فى الاخرة ومن يعمل من الكفار مثقال ذرة شرا يره فى الاخرة لان الله تعالى قد اخبر فى غير اى من القرآن انه يتقبل
حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون ونحو ذلك من الايات وقوله مثقال الذرة ليس على ارادة حقيقة الذرة
ولكن على التمثيل ثم قيل فى اخبار الارض وما ذكر من شهادة الجوارح انه كيف احتمل ذلك وهى اموات والموات
لا علم له فجاز ان يكون ان الله تعالى يجعل لها علما وينطقها بذلك والاعلام لو ابتلى بذلك علما على جعلها الله فى قوله يروا لهم
دلالة ان قوله حتى يسمع كلام الله وقوله لا يسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقول الناس نقرأ كلام رب العالمين فى
فى المصاحف قرأنا ولا يراد بحقيقة كون كلام الله فى المصاحف لا حقيقة كون القرآن فيها والسفر به ولا حقيقة
سماع كلامه ولكن على ارادة سماع ما يفهم به كلامه او ما يعبر عن كلامه وكذلك يكون ما فى المصاحف ما يفهم به كلامه
او ما يعبر به عن كلامه على ما ذكر من رؤية الاعمال لا عين الاعمال الاخرى ولكن يرى ما يدل عليها وهو المكتوب
من اعمالهم فى الكتب التى فيها اعمالهم على ذلك هذا والله الموفق والمعيد واليه المرجع والمصير

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخره قال على وعبد الله
بن مسعود رضى الله عنهما هى الابل وقال ابن عباس وغيره من اهل التاويل رضى الله عنهم هى الخيل عن على انه قال هى الابل
يوم بدر وقال ابن مسعود ذلك فى الحج ومن قال هى الخيل قال ان ذلك فى سرية بعثها رسول الله فابطا عليه خبرها
فاهتم لذلك رسول الله فنزل جبريل يخبره على ما ذكر وعن بعضهم ما ذكر المؤمنون وان كان فى السرية الخيل
على ما قاله ابن عباس فجهة القسم بذلك يحتمل وجوها احدها انه من علم الغيب اذ لا يعلم بحالهم وما وصف من الخيل
لا يكون الا بالوحى من السماء او عن شهد ذلك فاذا لم يحضرهم احد ممن شهدها ثم اخبر بذلك رسول الله ثم ظهر
عندهم على ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رسول الله وانما علم ذلك بالوحى من الله تعالى اليه فكذلك من اعظم آيات الرسالة
وان يكون القسم بما ذكر من شدة الخيل حين تعدو وشدة بصرها حيث عدت فى ليل مظلم لا قمر فيه ولا نور معه
يخرج النار من شدة عدوها من الحجارة التى تضرب بحوافرها ما لا يقدر الانسان العدو فى مكان مستو فضلا ان
يقدر على ذلك فى الصعود والهبوط وما ذكر من آثار النقع من شدة عدوها وتوسطها فى العدو ويذكر من
مرادهم وحصول غرضهم فى الاغارة على عدوهم فى الاغفل ما يكون العدو وهو وقت الصبح ثم القسم بقوله
والعاديات وما ذكر من الموريات وغيرها هى صفة العاديات ونعوتها وفيه بشارات ثلاث احدها انه
لم يحدث لهم حادثة والثانى الظفر على العدو والثالث انهم قد توسطوا العدو ومن قال هى الابل وذلك
فى امر الحج يذكر سرعة سيرها وشدة عدوها فى الليلة المظلمة فى الامكنة التى فيها الاودية والهبوط والصعود
وقوله فالموريات قدحا على هذا التاويل انه يضرب الحجر بالحجر فيخرج منه النار من شدة سيرها وعدوها
وفى الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا وقوله فالمغيرات صبحا على هذا التاويل يقول بعضهم انه لهم فى تلك
الغارات والاودية فوقت الصبح الاشبه ان يكون خروجهم من تلك الغارات والاودية فى ذلك الوقت
لان ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقت المقام او يكون قد استقبلهم العدو فيها الى الوقت
الذى يكون المغيرات على الاغارة عليهم انكان ثم عدو فوسطن به جمعا على هذا التاويل الجمع فى الحج وهو جمع المزدلفة

وعن قال ذلك فى الخيل يكون توسطهن فى جمع العدو الذى وقع به القسم قوله ان الانسان لربه لكنود له
ان الانسان النعمة لكفور لا يشكرها وقيل ان الانسان يذكر مصائبه وما يصيبه من الشر ويحرم ابدا
وينسى جميع ما انعم الله عليه وان لا يكفيه طرفة عين وكذلك قال الحسن الكنود هو الذى يعد المصائب و
ينسى النعم وقيل الكنود العتو والبخيل الشحيح فى الانفاق ويحتمل ان يكون وصف كل انسان بما ذكر لكن المؤمن
يتكلف شكر نعم الله ويجتهد فى ذلك ويصبر على المصائب كقوله ان الانسان خلق هلوعا وقوله خلق الانسان
من عجل فهو كل انسان ثم استثنى المصلين منهم وهم المؤمنون اذ كذلك خلق وطبع كل انسان لكن المؤمن يتكلف
اخراج نفسه من ذلك الطبع لان الانسان جبل وطبع على عرض كالبهائم والسباع التى طبعها النفور من كان يريد الاستيحاش
منهم ثم يصيرها بالرياضة ما تستنفر عنه وتحبسهم عنده عن تهم وقوله وانه على ذلك لشهيد قال بعضهم
ان ذلك الانسان على ما فعله فى الدنيا يشهد فى الاخرة على جميعه او يشهد ذلك بفعله كقوله بل الانسان
على نفسه بصيرة وقال بعضهم وانه وذلك الانسان ببخله وامتناعه عن الانفاق يشهد او يعلم حفظ ماله
وتحصيله بنفسه لا يثق بغيره وقال بعضهم وانه يعنى الله تعالى على ذلك لشهيد فيما يحصيه ويحفظه
كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وقوله وانه لحب الخير لشديد اى ذلك الانسان الشديد الحب للمال
تدكر بخله وشحه فى ماله فى ترك الانفاق والبذل وعلى ذلك طبع كل انسان على ما ذكرنا لكن المؤمن يتكلف
اخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد فى الانفاق والحب هو المال انه اختار ان يؤثر نفسه وقوله افلا يعلم
اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور يقول تعالى الله انهم لا يعلمون قدرته وسلطانه وحكمته فى
انشائه انه يستخرج ما فى القبور ويحييهم ويكون قوله افلا يعلم ليعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل
ما فى الصدور وقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى ان ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم فى الدنيا
ويحصل ما فى الصدور يقول جهلة تعالى ايضا انه يميز ما فى الصدور ويبين ويظهر ما فيها الا ترى انه يكون
من مؤمن او منافق بالظهور ويمين كقوله يوم تبلى السرائر ثم قال ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى عن علمه بذلك
ياخذهم ويجزيهم بما يجزيهم وقوله وحصل ما فى الصدور دلالة ان حصول الاعمال وخلوصها وما يثاب عليها
وما يعاقب بالقلوب والنيات لا بنفس الاعمال قال وحصل ما فى الصدور قال اهل اللغة والضبح
الضبح صوت فى الصدر وضبح يضبح ضبحا وصابح ناثرين نقعا اى هيجنا الغبار بحوافرها والنقع الغبار
والقوع جماعة فوسطن من التوسط وصرن فى الوسط كقوله وحصل اى اختبر بما حصلت الخبر
وقال بعضهم والقتة والعاديات الخيل الضبح صوت حلوقها اذا عدت وقيل الضبح الضبع والضبع السير
يقال ضبحت الناقة وضبعت والموريات ... اذا قدحت ... الاوقدت ... والعدو ...
ليلا على فصل ... والله اعلم بالصواب ... والشك ... ولا ...

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة ما القارعة قال القارع
عندهم هى الداهية الكبيرة من الامور ... الموضع ... يوم القيمة ...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
...
من الكلام الذى ... يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ...

والاضطراب من هول ذلك اليوم وتحصل ذلك قوله وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد فكان الله تعالى قال انهم يتحيرون في الحيرة من هول ذلك اليوم وشدته كالطاير الذي لا يدري
اين يطير واين ينزل قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال بعضهم كالصوف المصبوغ
وقال بعضهم كالمندوف من الصوف فان كان على التاويل الاول فمعناه والله اعلم ان الجبال في ذلك
اليوم تتلون الوانا من شدة ذلك اليوم فتكون كالعهن الاحمر بعدما كانت وترى الجبال تحسبها جامدة وقال ويسألونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فكذلك هذا على ذلك وان كان على التاويل الآخر فمعناه ان الجبال مع شدتها
وصلابتها يصير فيها الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم كالصوف المندوف فاذا كان ذلك اصعب احواله
وقال قتادة شبههم بغنم لا راعي لها اذكر العهن كما تعي الغنم قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة
راضية اختلفوا في تاويل الميزان من وجوه ولكن قريبها عندنا وجهان احدهما ان يكون المراد من قوله ثقلت
موازينه جملة المؤمنين وقوله واما من خفت موازينه جملة الكفار ويكون الوجه في ذلك ان المؤمن لما
عظم حق الله تعالى في الدنيا واقام حدوده كان له ميزان وقيمة وخطر عند الله وفي ذلك ان الكافر لما كذب
خفت وزنه وقيمته وحطوه وقد يطلق هذا الكلام على معنى الجاه والمنزلة يقال لفلان عند فلان وزن
وقيمة وليس لفلان عنده ذلك الوزن فكذلك هذا والوجه الثاني من وزن الحسنات التي يعطيها الله تعالى الملائكة
الذين يكتبون اعمال بني آدم ذلك ومعلوم ان ذلك انما يحصل من المؤمنين دون الكفار وقد وصفنا مثله الميزان
ونقناها فلذلك اختصرنا الكلام في هذا الموضع والله اعلم قوله تعالى فهو في عيشة راضية منهم من قال
مرضية يرضى اهل الجنة بتلك العيشة فهي مرضية ومنهم من قال فاعل بمعنى مفعول كقوله يخلق من ماء دافق اي ذي
اندفاق ومنهم قال انه اضاف الرضا الى العيش لانه يرضى قوله تعالى فامه هاوية منهم من قال سمى النار اما
للكافر لانه اليها يأوي ومنهم قال المراد من الام رأسه اي يلقى في جهنم على ام رأسه منكوسا
وقوله هاوية اي تهوي به بحيث لا يكون له ثبات ولا قرار قوله تعالى نار حامية اي محمية ونضجة ومنهم من قال نار حامية اي شديدة الحر والله اعلم

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر
اي شغلكم التفاخر بالتكاثر ثم لم يقل عماذا شغلهم فيحتمل ان يكون الهيكم اي شغلكم التكاثر عن توحيد الله
عن التفكر في حجج رسول الله وعن ذكر البعث ثم قوله الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر يحتمل تاويلين احدهما
ان يكون الغرض بالخطاب بهذه الآية ابناؤهم وسلفهم الذين تعرفون الاخبار عن قبح صنيعهم باشتغالهم
بالسفه ويكون هذا صلة آيات اخر نحو قوله انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وعن ذلك
فكان الله تعالى عيرهم بآبائهم ونهاهم عن الاقتداء بآبائهم تعاطوا افعالا تخرج عن الحكمة حتى ماتوا وذلك
يقع من وجهين احدهما ان كل من انعم عليه بنعمة فجحدها ولم يؤد شكرها استوجب المقت والعقوبة
يقول كيف تقتدون بآبائكم وانهم كفروا بنعم الله وجحدوا بها بل الواجب عليكم ان تتبعوا النبي الذي جاء
اهدى مما وجدتم عليه آباءكم والثاني ان يكون فيه علامة ودلالة للبعث لان آباءهم لما فعلوا ما يستوجب به المقت
العقوبة وماتوا من غير ان يصيبهم ذلك في الدنيا ثم ان لهم دارا اخرى يعاقبون فيها بما عملوا وان كان الخطاب
اليهم ففيه اخبار لهم عن سفههم بانه شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى جحدوا آيات رسوله او يكون فيه اخبار عن
سفههم وجه آخر وهو ان الافتخار كيف يقع بالاموات والتفاخر بالاموات غير مستقيم او يكون فيه وجه ثالث انهم تعالى
بما لا يصنع لهم فيه لانهم انما افتخروا بالاموال والاولاد وذلك من لطف الله وجميل صنعه فيكون في هذا كلام كرمهم بما
من السفه والخرق ثم التعيير فيه كبعض الاسباب انما يقع والله اعلم دون تمام ضيق من الكفر لان هذه الاسباب مما يبتلى
به المؤمنون في بعض الاحوال فعيرهم الله بذلك ليكون فيه تذكير وموعظة للمؤمنين والتوبيخ ذكر الكفار فيه هذا
لكان لا يجتنب المؤمن عسى من هذه الافعال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الهيكم فقال يقول ابن آدم
مالي مالي وما لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت الحديث فهذا يدل على ان الوعيد على الاطلاق من غير
التصريح باهل الكفر موعظة المسلمين وقوله تعالى حتى زرتم المقابر يحتمل حقيقة زيارة الموتى وذلك انه ذكرهم
ان التكاثر مما لا ينفعهم اذا كان فيهم هذا ويحتمل صرتم الى المقابر بعد الموت فيذكر وتحق الله تعالى ثم لا ينفعكم
والله اعلم قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون قال بعضهم كلا في معنى النفي والتعطيل وقال بعضهم معنى قوله
كلا اي حقا فان كان على الوجه الاول فكانه قال ليس كما حسبتم وتوهمتم وقدرتم عند انفسكم وتعلمون ذلك اذا اتاكم

العذاب بعد هو على الاستيناف وان كان على معنى حقا فكانه قال حقا سيعلمون انه ليس كما قدرتم عند انفسكم وكل ذلك
يرجع الى الوجه الذي وصفنا انكم ستعلمون عند الحق يقينا ان الدنيا الهيكم وشغلكم عن توحيد الله وعن التفكر في حجج رسول
الله واعتقاد الايمان بالبعث كما هيئا باطلا وانه كان من الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله ورسوله وتنظروا في حجج رسول الله وتكرير
بالبعث وفائدة التكرار الماجرى من العادة في تكرار الكلام عند الوعيد وعند الاياس والرجاء نحو قولهم الويل الويل
وقولهم الحج ومثير ذلك فكذلك هذا ومنهم من حمل كل لفظة من ذلك على تاويل على حدة فقال كلا سوف تعلمون عند الموت
عند ما ترون ما اعد لكم ان الامر ليس كما حسبتم وتعلمون في يوم البعث انه حق يقين قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعني
بذا والله اعلم ابطال ما كانوا عليه من الظنون والحسبان في هذه الدنيا الآخرة قال الله تعالى وما ندري ما الساعة ان نظن الا
ظنا وما نحن بمستيقنين فاذا انه يتم العذاب يتحقق عندهم وعلموا علما يقينا وقال بعضهم كلا سوف تعلمون حين تدركم
الموت ثم كلا سوف تعلمون في القبر وكذلك روي عن علي رضي الله عنه انه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت
هذه السورة وفيه وجه ثان وهو انهم كانوا يعدون انفسهم علماء وانهم على حق ولكن الله تعالى بين لهم انه لو علمهم كان جهلا
الى توعد الجهلة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فيظهر لهم عند ذلك ان اليقين كان لبعضهم بان الذي علموه لم يكن علم يقين
بل كان شكا وحسبانا قوله تعالى لترون الجحيم يحتمل وجهين احدهما ترونها عند الموت كما ذكر وذلك بالتفكر والنظر
في آيات رسوله وحججه في الدنيا قوله تعالى ثم لترونها عين اليقين لمعنيين احدهما عيانا ومشاهدة والثاني يكون
رؤيتهم بعين اليقين ليس على ما كان عندهم فانهم لو فتح لهم ابواب من السماء فعرجوا الى السماء لقالوا انما سكرت ابصارنا
بل نحن قوم مسحورون فعقل ذلك يقع عندهم السحر عن ابصارهم فيرونها عين اليقين قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
ظاهر هذا يقتضي ان يكون السؤال لهم بعدما دخلوا النار لانه قال ثم لتسألن يومئذ عن النعيم بعد ما وصفنا انهم يخلون
النار فبان انه قد ذهب الوقت فان كان يحوز ذلك فهو في موضع التعيير عندهم انهم استوجبوا المقت والعقوبة لانه كان عندهم
انهم انعم عليهم بنعم فلم يشكروها استوجبوا المقت والعقوبة من الله تعالى فانهم في ذلك الوقت عن شكر ما انعم عليهم ليقر
عندهما استيجاب العقوبة ويحتمل ان يكون هذا عند الحساب لانه قال يومئذ ولم يقل بعد ذلك ونحو بل الكل على الاطلاق
ويحمل بماذا الحمل ذلك يرجع الى المؤمنين والكافرين كان الرجوع في سؤال المؤمنين تذكيرهم لهم انعم عليهم ما يستوجبونه
بشكر النعم التي انعمها عليهم ليعلموا ان الله تعالى تفضل عليهم بها وعفا عنهم لانه يكون بلغها لهم الحسنات انهم استوجبوا رحمته
بما بلغ كرمه وفضله وان كان في الكافرين تقريعا بما استوجبوا من نقمته ونقمته كفر شكر نعمه ثم قوله ثم لتسألن ان كان
السؤال لاهل الكفر فانهم يسألون عما تركوا من الايمان بالله وعما اتى به الرسول وغير ذلك من النعيم وان كان
في المؤمنين فهو في سائر النعيم من المأكول والمشروب وما الملبوس وغيرها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
[illegible]

الا الذين امنوا وعملوا الصالحات يحتمل ان يكون تاويله الصالحات التي كانت معروفة في الكتب والاسلام من حسن
الاخلاق وغيره الامر فانه قال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر يعني المعروف الذي
هو معروف في الطبع والعقل والمنكر الذي ينكره العقل وينفر عنه الطبع وان كان المراد منه الكفرة بجماعته فالايات
الكافرين في هلاك وخسار الا من امن بالله ورسوله وعمل صالحا ثم في هذه السورة ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات
وكذلك ذكر الصالحات في سورة والتين وترك ذكر الصالحات في سورة الكيد فكان الله تعالى ترك ذكر الصالحات
في تلك السورة لما قد كان ذكرها قبل ذلك الا ترى الى قوله او اطعام في يوم ذي مسغبة وغيره لذلك قوله تعالى وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر الحق في الاصل كل ما يحمد عليه فاعله والصبر هو الكف عن كل ما يذم عليه فاعله فكان
التواصي بالحق تواصيا بكل ما يحمد عليه والتواصي بالصبر تواص بالصبر عن كل ما يذم عليه ثم في قوله تعالى والعصر ان
الانسان لفي خسر الا الذين امنوا الاية ما يوجب ان من لم يجمع بين هذه الاشياء التي ذكرها في خسر الا الذين
امنوا الاية ما يوجب ان من لم يجمع بين هذه الاشياء التي ذكرها في خسر فيكون ظاهره حجة للخوارج والمعتزلة
الا ان الانفصال عن هذا والله اعلم ان الله تعالى وعد الجنة لمن جمع هذه الاشياء التي ذكر في هذه الاية
وذكر الايمان مفردا في اية اخرى ووعد عليه الجنة فلا يخلو وعد الجنة على الايمان المفرد في تلك الاية
من احد وجهين اما ان يكون ذكر الايمان مفردا واراد به الاكتفاء على ذكر الجملة فيكون في ذكر طرف منه
ذكر لجملته او يكون في ايجاب الجنة له على مفرد الايمان والحال فيه موقوفة لان بعضهم اوجب الحكم على
جمع بين هذه الاعمال ولم ينف ايجابه عمن نقص عن ذلك والحال فيه موقوفة على دليله واذا كان كذلك لم يلزم
القطع على ايجاب الجنة لمن اتى بالايمان مفردا ولا على ايجاب النار ويكون السبيل فيه على الرجاء لانه لو لم يكن كان
يقطع الاياس واصل كل عبادة في الدنيا انما تشتمل على الرجاء والخوف كذلك كان الامر على ما وصفنا ولو
باذاها تعالى اوجب النار على من اتى بجميع السيئات ولم يكن فيه دليل على ان من اتى بالكفر وحده لا يستوجب
به نارا فكذلك الله تعالى اذا اوجب الجنة لمن جمع بين هذه الاعمال لم يدل على ان من اتى ببعض من هذه
الافعال لا ينفرد في كونه فيها مستثنى كما انه من خلد على احد كانه قال الا الذين امنوا والا الذين
عملوا الصالحات والا الذين تواصوا بالحق واذا كان كذلك لا تكون حجة لهم واذا اريد الجمع يكون حجة
تجاه التعارض والاحتمال يوجب التوقف ويحتمل ان يراد به الاعتقاد اي ان الانسان لفي خسر الا من اعتقد
هذه الاعمال الصالحة كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم الاية والله اعلم

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة اختلفوا في معنى
الهمزة واللمزة قال بعضهم معناهما واحد وهو الوقيعة والطعن وقال بعضهم الهمزة الذي يؤذي جليسه بلسانه
واللمزة الذي يؤذي بعينيه وغير ذلك وقال بعضهم الهمزة الذي يطعنه عند حضرته واللمزة الذي يطعنه
عند غيبته وهذا انما يسمى به من يعتاد ذلك الفعل في اهل اللغة وضع على هذا المثال وهو فعلة لمن يعتاد
ذلك الفعل ويعرف به قال اهل التاويل ان الاية في الكفار لكن بعضهم قالوا انها نزلت في الاخنس بن شريق وقيل
نزلت في الوليد بن المغيرة وللقائل ان يقول ان السورة نزلت في الكفار فكيف … ويل
للمطففين ونحوه ويعلم انا اذا وجد منهم هذا الفعل او صدر منهم لما ذكر من العقوبات واشد من ذلك الكفر
فيه من الكفر اقبح من هذين الفعلين فكيف وقع تعييرهم بذلك فما الجواب عن هذا وامثاله من نحو قوله ويل للمطففين
وقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وفيهم وانا قالوا العلاء
… الكفر لم ينل منهم عقوبة النار … ان الايمان لم يحسن لاسمه ولا قبح الكفر لنفس اسم الكفر لانه
ليس احد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا الا وهو يكفر بشيء ويؤمن بشيء لان المسلم مؤمن بالله كافر بالطاغوت و
الكافر يكفر بالرحمن ويؤمن بالطاغوت ويعبده فثبت ان الايمان ليس يحسن لنفس الايمان ولا يقبح الكفر لعين
اسم الكفر ولكن الايمان بالله انما حسن لحسن … الحكمة والايمان به ويقبح الكفر لان الحكمة اوجبت
الكفر بالله فالايمان حسن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من معنى الكفر وهذان الفعلان قبيحان لعينيهما لا
بغيرهما فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين اكثر وابلغ منه في تعييرهم بالكفر لان غيرهم … يعيرهم
بهذين الفعلين ووجه اخر ان هذا يخرج مخرج الموعظة لامة محمد عليه السلام وذلك ان رسول الله كان
يهزئ ويسخر منه لما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولاجله ما كانوا يتعطلون على ترك امرهم بالمعروف

ونهيهم عن المنكر لئلا يمتنع احد من امته عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يخشى ان يسخر به ويستهزا لما
ان يكون هذا على وجه المكافاة والانتقام لما كانوا يفعلون بمحمد عليه السلام على الزجر والردع عن ذلك لان العقلاء
يمتنعون عن الاعمال القبيحة فعلى هذه الوجوه يحتمل معنى تعييرهم والله اعلم قوله تعالى الذي جمع مالا وعدده
وقرئ على التخفيف جمع من الجمع اي جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده اي حفظ عدده وذكر على الدوام لئلا
ينقصه وصفه بالبخل والشح ومن قراه بالتشديد فمعناه انجمه وادخره بمر الزمان لم يجمع ذلك في ايام
قصيرة والاصل جمعه بالتخفيف لكن شدد لما فيه من زيادة الجمع قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده
يتوجه وجهين احدهما ان يكون على الحقيقة انه قدر في نفسه انه يبقى لبقاء الاموال له لما يرى بقاء
من حيث الظاهر ما يستقر عنده ان ما اتاه الله تعالى من الاموال هو دون قدره فيعيش لماله … جميع رزقه
فيدخره لكي يزيد في عمره والوجه الثاني ان يكون على الظن والحسبان كانه يعمل عمل من يظن
انه لا يموت … فان كان على التاويل الاول فقوله كلا رد عليه اي ليس كما قدر عنده وان كان على التاويل
الثاني … قيل عدده اي كثر عدده وقال الحسن عدده اي صنفه فجعل ماله اصنافا
وانواعا من الابل والبقر والغنم والعبيد والعقار والمنقول وغيرها وقيل عدده اي استعده واعده
وهيأه قوله تعالى لينبذن في الحطمة قيل باب من ابواب النار وقيل هي صفة النار والحطم الكسر فكانه قال
النار التي يعذب بها الكفرة تكسر عظامهم وتحطمهم قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
قيل ان النار تاتي على جلودهم ولحومهم وعروقهم وعظامهم حتى تاكلها وتكسر العظام فتطلع على افئدتهم
ثم يبدلون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقيل انما تحرق النار منهم كل شيء سوى الفؤاد لان الفؤاد اذا احترق
لم يتالم بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب والمراد من الاحراق الحاق الالم والضرر بهم قوله تعالى انها عليهم موصدة
في عمد ممددة … قرئ بالرفع والنصب فيهما جميعا وذكر عن الفراء انه قال العمد والعمد جمعان
للعمود والعماد وقال بعضهم العمد جمع … وقال الكلبي انها عليهم موصدة في عمد ممددة اي النار عليهم
مطبقة … في عمد ممددة عليهم … كما اهل الدنيا … والله اعلم

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
اختلفوا في السبب الذي به وقع القصد من اصحاب الفيل الى هدم البيت وتخريبه فمنهم من قال انهم
اتخذوا بيتا في بلادهم وسموه كعبة لكي يحجوا اليه كما يحجون الى الكعبة فاوى الناس الى ذلك البيت
… ذلك حتى قصدوا هدم هذا البيت ومنهم من قال ان العرب خرجوا … كانت لهم وخربوها ثم
ذلك … فقصدوا هدم هذا البيت لما فعلت العرب بهم ومنهم من قال انهم كانوا ملوكا وفراعنة ومن عادتهم
انهم يريدون ان يزداد ملكهم ويكثر سلطانهم … وانما حاجتنا الى معرفة المعنى
الذي له انزلت السورة … وجه ثلاثة احدها ان الله تعالى ذكرهم تلك النعمة التي انعمها
عليهم فيما صرف عنهم … كانوا قصدوا قتل اهل مكة وسبي نسائهم وذراريهم واخذ اموالهم فذكرهم
الله تعالى جميل صنعه بهم ليشكروا له ويعبدوه حق عبادته ويزجروا عن عبادة غيره والوجه الثاني انه تعالى
خوف اهل مكة ووجه ذلك ان الله تعالى لما اهلك اصحاب الفيل بما صنعوا وهموا بتخريب بيته فلا يامن اهل مكة من
اهلاكه اياهم وتعذيبهم بما صنعوا من حرمة رسول الله وان حرمة الرسول اعظم من حرمة البيت فما نزل باولئك
… من تضييع حرمة بيته فلا يخشى نزول عذابه ونقمته من تضييع حرمة رسول الله والوجه
الثالث ان الله تعالى لما اهلك اولئك … لما اتاهم من اياته فلم يصرفهم لانه ذكر انهم كانوا اذا وجهوا الفيل نحو
البيت امتنع ووقف واذا وجهوه نحو اليمن هرول … هلكهم الله تعالى
… اهل مكة ايضا انهم لما راوا الايات المعجزة من رسول الله فلم يؤمنوا … وينتقم منهم بعقوبة
… نزول السورة وقيل انه على البشارة لرسول الله على الاشارة انه لم يكن للبيت ناصر في
ذلك الوقت ولا معين بل كان وحده فنصره الله تعالى حتى لم يمكن اعداؤه من هدمه فعلى ذلك ينصرك
ويهلك عدوك وان كثرت وجلت اذ كان وقت نزول هذه السورة لم يكن له كثير اعوان وقد بعد ذلك
يوم … قوله الم تر حرف استعمل في تنبيه … محجوبة وقد كانت … وان لم يكن فيعجبهم
… العجائب ليحملهم على الرغبة … كانه قال الم تر … كيف فعل باصحاب الفيل ويجوز ان يكون

الخطاب منه النبي والمراد غيره ويحتمل ان يكون هذا خطابا بالكل ولعدهم ثم تسميتهم اصحاب الفيل تنسيب الفيل اليهم يحتمل وجهين احدهما ان الذين يحملهم الفيل والثاني اصحاب الفيل اي ارباب الفيل كما يقال رب الدار وصاحب الدار قوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل لما بطل ما يدعوه عند انفسهم من تخريب البيت وتهديمه والكيد ما ذكرنا بعد ثم قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة جماعة جماعة يقول لم يرسلهم جملة واحدة ولا واحدا بعد واحد بل جماعة بعد جماعة وهكذا السنة في الخروج لمحاربة اعداء الله ان تخرج جماعة جماعة وقيل هي طيور لم ير قبلها ولا بعدها مثلها لها انوف كالسباع وقيل شبيه بالرجال الهند قوله تعالى ترميهم بحجارة من سجيل اختلفوا في السجيل قال بعضهم هو اسم موضع خلقت حجارة لتعذيب الفراعنة واهل الكفر وقال بعضهم فارسية معربة وهي سنك وكل وهو الآجر في التقرير وقال بعضهم هي عبارة عن غاية شدة الحجارة وقوتها قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول قال بعضهم هو ورق الزرع وورق كل نابت وقوله ماكول يحتمل وجهين احدهما الى ما قد اكل والى ما لم يوكل وانما اذا كان يعد للاكل يسمى ماكولا فان كان يعني الماكول انه قال جعلهم في الضعف كرخاوة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب حتى لا يخاف منهم بعد ذلك ابدا وان كان يعني الماكول اي جعلهم كالماكول حتى لا يعبؤ به ولا يكترث بهم وقيل يصير كالماكول الذي اكله الدود فيكون فيه ثقب والله اعلم واحكم

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف هذا يخرج على وجوه احدها ما قال الفراء ان اللام لام الاختلال لان هذه السورة صلة لسورة الم تر كانه قال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش كانه يقول اهلكت اصحاب الفيل وفعلت بهم ما فعلت لتالف قريش بلدهم المكان كما الفوا رحلتين اللتين جعلتا لهم في الشتاء والصيف والثاني يحتمل ان يكون الزمهم الخلق عبادة رب هذا البيت حتى الفوا ذلك البيت ويحملوا ما يحتاج اليه قريش واهل ذلك المكان من الطعام وما يتعيشون به ليالف قريش لعبادة رب ذلك البيت ولولا ذلك لم يتهيا لهم المقام بذلك المكان لانه لا زرع فيه ولا نبات ولا ما يتعيش به وهو كما قال ابرهيم واد غير ذي زرع فما تعيشهم في ذلك المكان الا بحمل اليهم من الآفاق والامكنة النائية كقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا الآية وقال بعضهم قريش انعم الله عليهم ليالفوا عبادة رب هذا البيت كما يالفون رحلة الشتاء والصيف يقول كما الفتم هاتين الرحلتين فالفوا عبادة رب هذا البيت وقال بعضهم فاهل مكة يرحلون تجارا آمنين في البلدان لا يخافون شيئا لحرمتهم لانه الناس يحترمون لهم لمكان الحرم حتى لا يتعرض لهم بسوء ولا يوذيهم احد حتى ان كان الرجل منهم ليصاب في حي من الاحياء فيقال حرمي فيخلى عنه وعن ماله تعظيما لذلك المكان وهو ما قال انهم يتخطف وقيل ان العرب كانت يغير بعضهم على بعض ويسبي بعضهم بعضا واهل مكة كانوا آمنين بحرم الله كقوله اولم انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فذكر عظيم نعمه عليهم ومنته ليعلموا ذلك نعمته واصله ان الله تعالى لما كان من حكمته وارادته جعل الرسالة في قريش والعادة الى الوقت الذي اراد بقي حمل النعم من الامرين ذلك المكان الا بالارزاق التي يجبى اليهم مما يتعيشون به في ذلك ليبقوا الى الوقت الذي اراد بقاءهم الله فيكون ما اراد على ما اراد كما انشا هذا العالم للبقاء الى وقت ما كذا اراد ان يفعل جعل لهم من الارزاق ما يبقون الى الوقت الذي اراد فيكون ما اراد فعلى ذلك الاول وقال القتبي الايلاف مصدر الفت فلانا كذا ايلافا كما يقال لزمته الزاما وقال الكسائي الفت المكان والفته لغتان وعن ابن عباس رضي الله عنهما الايلاف قريش كصنيع قريش ايلافهم لصنيعهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع السنين التي اصابتهم وآمنهم من خوف العدو والله اعلم بالصواب

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اختلف في نزولها قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مدنية وقال مقاتل ومجاهد وجماعة هي مكية وجائز ان يكون آيات منها مكية لان التي ذكر فيها انها نزلت في شان من كان يكذب بالدين ويدع اليتيم هم الذين كانوا بمكة وسوء الذين ذكر اخرها نزلت بالمدينة لانه ذكر فيها وصف المنافقين وهم انما كانوا من اهل المدينة في الصلوة ويمنعون ذكر

ثم ان كان نزولها في الكفرة فالحمد فيه على الحقيقة والسبب لو كانت نزلت في المنافقين ثم قال ارايت يحتمل في موضع الاستفهام ويجوز ان يكون واستعمل على وجه التقرير عند الشاهد والمراد به الاعلام على سبيل ما يرى من الخبر الي ابلغك ان تعلم ما اتبعته اما بلغك وهذه الثانية موضع التقرير وكذلك قوله ارايت ومعناه والله اعلم ان اهلم الذين يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين قال اهل التاويل يكذب بالدين اي بالحساب والبعث وجائز ان يكون يكذب بالدين الذي يظهرون وهو الذين الذين اظهرون ولا يحققون اذا كانت المنافقين لان اهل النفاق كانوا يكونون ما يظهرون من الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وكانت اهل الكفر يحملون الرؤساء منهم فكذبوهم الدين هو ما كانوا يظهرون من الجحود ثم قال ذلك يمنعون به ولا يخلوا على اتباعهم ليمتع عنهم ان لا يعهم حق ما ادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل فيكذبون بالدين الذي يظهرون من انفسهم ويظهرون بالتمويهات التي يموهون عليهم فكيف كان ان كانت نزلت في المنافقين او في اهل الكفر او في الذي يكذب الحساب والبعث او بالدين ففي بيانه نظر خلاف ما يصيح وفيه عظة وتنبيه المؤمنين وزجرهم عن مثل صنيعهم لانه نعت الذي كذب بالدين ان كان المراد منه الحساب او الدين نفسه حيث قال فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين كانه قال الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم اي يطلم اليتيم ويمنع حقه ولا يحض على طعام المسكين يقول والله اعلم للمؤمنين لا تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه ولا تسيئوا صحبة اليتيم كما فعل من كذب بالدين وحضوا على طعام المسكين خصوصا لحالهم واستهانتهم اليتيم والمساكين وسوء معاملتهم اليه فما ملوم بعظ المؤمنين وزجرهم عن ذلك وجائز ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين للعبد وهما بان من اعطي المال ووسع عليه الدنيا انما اعطي ذلك لكرامته له عند الله ومن ضيق عليه ومنع ذلك عنه انما كان ذلك لهوانه عنده وحقارة كقوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن وقوله انطعم من لو يشاء الله اطعمه ظنوا بان الله انما منع من منع ذلك لهوان له عنده ومن وسع عليه وسع لكرامته له عنده فيقول كيف نكرم من اهانه الله فيحتمل ان ذلك انه لا يحض على طعام المسكين بهذا المعنى ويحتمل ان يكون الذي حمله على ظلمه اليتيم وتركه الطعام تكذيبه بالبعث لانه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع من يقصد ظلمه ويمنع حقه وكان لا يخاف عقوبة البعث اذ لا يومن به ثم يحتمل قوله ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ان يكون في الاعتقاد والرؤية ويحتمل ان يكون في حق الفعل نفسه فان كان في الاعتقاد والرؤية فاهل الاسلام لا يعتقدون وان كان في حق العمل فانهم ربما يفعلون ذلك وحمله عند نا على الاعتقاد اوجب واقرب لما وصفنا ان اليتيم لا ناصر له ولا يخشى الكافر خوف العاقبة لما لا يومن بذلك وانما يمتنع المرء في الغالب عن سوء الصحبة لمن دونه اما رغبة في حركات الآخرة او خوفا في الدنيا والمساكين ليس لهم في الدنيا ما يكافيهم ويجازيهم وليس لليتيم ناصر يخاف منه ولم يكن للكافر رغبة في ثواب الآخرة ولا خوف عن العقاب لعدم تصديقه بذلك ثم قوله ولا يحض على طعام المسكين هو النهاية في صفة بالبخل لان الحث على الصدقة اتى يرجى ويطمع في ثوابه فاذا المرء هو بنفسه فكيف يحض غيره معما ان الحكمة عند هؤلاء الكفرة ان من جر الى نفسه نفعا فهو الحكيم ومن ضر نفسه فهو غير حكيم وهو اذا امنع الصدقة نفع نفسه واذا اوفى اليتيم حقه ضره فلذلك لا يرغب فيها فهذا المعنى الذي وصفنا دعانا الى التوجيه الثاني الى الاعتقاد وقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ان كان هذا في اهل النفاق فاهل النفاق كانوا لا يفعلون شيئا من الطاعات الا وكانوا فيها لاهين ساهين واذا فعلوا شيئا منها فعلوا مراءاة كقوله يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فذكر كسلهم وبخلهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله فويل للمصلين الى آخره ما ذكر في المنافقين على ما ذكرنا من نعتهم وجائز ان يكون في اهل الكفر واهل الكفر كانوا يصلون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اخبر ان صلوتهم في الحقيقة ليست بصلاة فجائز ان يكونوا على صورة الصلوة الحقيقية وقد ذكر انهم كانوا يصلون مستقبلين بحواصلهم نحو الناس كثرة اجتهادهم في عبادة الاصنام حتى ان اراهم من ناي عنهم ظنا ان ذلك حق فيكونون في ذلك صدا عن اجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه عن ذلك وقوله الا مكاء وتصدية ويحتمل ان يكون عن الخضوع والتذلل فيكون معناه ويل للذين لا يخضعون ولا يخشعون ولا يخشون وقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون يحتمل وجهين احدهما سهوا عن صلاتهم لانفسهم وصلوتهم التي هي لانفسهم هي ان يكون الصلوة لله ويجعلوها له ولا يصلون لغير الله من الاصنام وغيرها لان من صلى له يرجع منفعتها في الحقيقة اليه لا يعلى نيها من الخير الجميل فهم السهو عن تلك الصلوة وتركها الحقون الضرر بانفسهم وجعلوها للاصنام التي لا تضر ولا تنفع والثاني سهوهم الصلوة حتى ضاعوها وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ان الصلوة [illegible]

والمنكر فيقول سهوهم الصلوة فلم يمنعهم عما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا هم الذين يؤخرون عن
وقتها وقال مجاهد الساهي الذي لا يبالي صلى ام لا [illegible] انه قال الذين هم يراؤن وقال الحسن هم المنافقون
يؤخرونها عن وقتها ويراؤن اذا صلوا وقال سعد التارك عن الوقت وقال ابو العالية الساهي الذي لا يدري
على شفع انصرف او على وتر وروي عن سليمان انه قال الحمد لله حيث لم يقل في صلوتهم ساهون ولكنه قال
عن صلوتهم وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال ابن عباس رض هو الزكوة وكذا ابن الزبير وعكرمة ومجاهد وقتادة وكذا
روي عن علي رضي الله عنه هو الزكوة وعن ابن عباس في رواية اخرى هو العارية وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال هو
الذي لا يعطي حقه وهو الزكوة وروي عن علي رض في رواية الماعون منع القدر والفاس والدلو وعن ابن مسعود رض
مثله وكذلك عن ابن عباس في رواية وقال ابو عبيدة كل ما فيه منفعة فهو الماعون وعن ابن عباس ما تجاوز اهلها
بعضها فكان ذلك على العموم فالمعنى منها ذم البخل واشده منع القرض فجاز ان يكون الماعون كل معروف
وكل ما يعان به يدخل فيه ذلك الزكوة وغيرها فيه ذكر بخلهم وشحهم ومنع الحق من المستحق قال ابو عوسجة
يدع اليتيم اي يضرب ويدفع في قفاه يقال دع يدع دعا فهو داع وذاك مدعوع وقال القتبي يدع اليتيم
اي يدفعه وكذلك قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون وقال ابو عوسجة لا يحض لا يحث
ساهون غافلون وفي حرف ابن مسعود لاهون نعوذ بالله من ذلك بالكافر وكذلك في حرف ابي رضي الله تعالى عنهما

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر هذا خرج
مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والانعام عليه والافضال المستحق لذلك شكر والخضوع
ثم اختلف في الكوثر قال بعضهم الكوثر هو الخير الكثير والخير الكثير ما اعطي من النبوة والرسالة وما لا يحصى
احد من يحفظ الله الاخرة وهو الايمان به والتصديق له وما صيره معروفا مذكورا في الملائكة وما قرن ذكره بذكره
ودفع مرتبته ومنزلته في جميع الخلائق وغير ذلك مما لا يحصى وهو ما قال ورفعنا لك ذكرك وقال بعضهم
الكوثر نهر في الجنة وعلى ذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكوثر فقال نهر في الجنة
او قال الذي عن رسول الله فان ثبتت الاخبار فهو ذاك [illegible] فان لم تثبت الاخبار فالوجه الاول اقرب
عندنا لانه ليس في اعطائه النهر تخصيصه التشريف والعطية لان الله تعالى وعد لامته ما هو اكثر من هذا
لما روي في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لاهل الجنة في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ونحن نعلم ان هذا في الانعام اكبر من النهر الذي وصف وقال بعضهم الكوثر شيء اعطاه الله
رسوله لا نعرف واصله انه شيء خاطب به رسوله وهو قد عرفه فلا يجب ان نتكلف معرفته وتفسيره لانه ان
اخطأ الحقيقة اضر وان اصاب به لم ينفع كثير نفع وقيل الكوثر حوض من الكتب المتقدمة قوله تعالى فصل لربك
وانحر اختلف فيه قال بعضهم حقيقة الصلوة وقال بعضهم هي الخضوع والخشوع والدعاء امره بجميع ما
في نفسه وامره بان ياتي بما تعبده من القربات والذبائح والضحايا التي فيها نفار الطباع حتى ان من الكفرة
من حرم الذبائح والنحر للانعام التي فيها والطباع تنفر عن ذلك فتعبده بالنحر مناقضة طبعه ونفاره عنه
وجائز ان يكون لا على الامر بالصلوة والنحر ولكن معناه اذا فعلت ذلك فافعل لله لا [illegible] الكفرة كانوا
يصلون للاصنام وينحرون لها كقوله وما ذبح على النصب والنصب فامره ان يجعل ذلك لله تعالى وقال الحسن
صل لذلك صلوة العيد وانحر البدن بعدها وقال مجاهد وعطاء [illegible]
وقال بعضهم صل لذلك حقيقة الصلوة هي الصلوة المعروفة المفروضة وهي جميع العبادة [illegible] والخير
وكذلك ما ذكرنا المصلي مناجي ربه [illegible] وقضاء شهوة النفس
وامتناعها من الشرب والاكل والكلام والانتقال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

مع الحظ على نفسه ومرة بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل ومرة باتيان خلاف الطبع وهو ذبح البدن اذ الطبع ينفر عن اراقة
الدماء الا من اشفق الناس وارحمهم طبعا وخلقة فبلغ من حسن اجابته لربه ما اعتبر اياه انه ساق مائة بدنة فنحر ستين منها
بيده وعلي عليا نحر البقية على ما ذكر في الخبر وروي ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فصل لربك وانحر وضع
اليمين على الشمال في الصلوة وكذا روي عن علي رضي الله عنه وعن عاصم الجحدري قال هو وضع اليمين على الشمال في الصلوة
وفي قول الشيعة انهم لا يرون ذبح شيء من الاشياء لما فيه من الالم والاذى وقولهم هذا ليس بصحيح لانا نعلم ان اماتة
الروح بالذبح اهون على المذبوح من موته حتف انفه فاذا جاز في الحكمة ان يزهق روحه بغير الذبح لحق واصله ما ذكرنا
انه هذه السورة نزلت في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المقصود به من بين الناس وهو يعلم بالذي
خاطبه به من الصلوة والنحر والكوثر فعند ذلك نحن نتكلف في تفسيره مخافة الكذب على الله سبحانه الا ما نحكي اقاويل
اهل التاويل وكذلك قوله ان شانئك هو الابتر يذكر اهل التاويل انه لما مات ابن رسول الله ابتر فقالوا ان محمدا
ابتر فهو الابتر لا نعرفه حقيقة لانه لم يذكر ان احدا من اولاد الفراعنة واعداء الرسل افتخر باسمه او احد من اوليائهم
والمتسمين بهم افتخر بابيهم وافتخر اولاد اولياء رسول الله على الناس حتى يعيشون بين الاغنياء منهم فقال ان شانئك
هو الابتر لانه معاندك ومبغضك هو الابتر دونك وقال اعداؤك هم الذين يبتر ذكرهم واوليائك
مذكورون ابدا على ما قلنا واصله ما ذكرنا انه خاطب به رسوله وقد عرف ذلك ونحن لا نعلم في ذلك كانت
القصة وفيم نزلت والله ورسوله اعلم قال ابو عوسجة الشانئ المبغض يقال شنئته ابغضته والابتر هو الذي
لا ولد له ذكرا ولا عقبه ونحوه ان شانئك هو الابتر بشارة لرسول الله بالغلبة عليهم والقهر لهم والنصر عليهم
واظهار دينه في البلاد والافاق والبتر الذي علاه قال بعضهم هو المنقطع الابتر الاهو والله المستعان

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل يا ايها الكافرون الى اخرها
انها نزلت في منابذة المتمردين المعاندين منهم الذين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا ولا يرجعون عما هم عليه
من عبادة الاوثان الى التوحيد والاسلام لانه لا يحتمل ان يكون على وصفه انه لا يعبد الله في وقت من الاوقات اذ قد
يجوز ان يكون كافرا في وقت ثم يسلم في وقت اخر فدل ما ذكرنا انها نزلت في المتمردين المعاندين الذين علم الله انهم
لا يؤمنون ويثبتون على الكفر ابدا فكان كما اخبر فهو دلالة اثبات الرسالة اذ اخبر انهم لا يؤمنون فلم يؤمنوا
وماتوا على الكفر قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون قال بعض اهل التاويل لا اعبد الآن ما تعبدون ولا انتم الآن
عابدون اليوم ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم فيما بعد اليوم وقال بعضهم الاول فيما مضى من الوقت والثاني
اخبار عن الحال والاخر فيما بقي من الوقت ولكن لا يحتمل ان يكون هكذا بل يحتمل ان يكون قوله لا اعبد ما تعبدون
في حادثة الوقت لانه حرف لا انما يستعمل في حادثة الاوقات يقول الرجل لا افعل كذا يريد به حادثة الوقت
قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد كذلك ايضا في حادثة الاوقات واخبار ايضا في الحال قوله تعالى ولا انا
عابد ما عبدتم انما هو خبر عن الماضي من الاوقات كانه يقول لم اكن انا عابدا قط في وقت من الاوقات وهذا يدل على
انه رسول الله لم يكن عبد غير الله قط وفي هذه السورة وجهان من الدلالة احدهما ما ذكرنا من اثبات الرسالة
والثاني اخبار عن الاياس لهم من رسول الله عن ان يرجع الى دينهم ابدا وقطع رجائهم وطمعهم في ذلك وفيه
ايضا ان من اشرك غيره في عبادة الله او عبد غيره دونه على رجاء القربة الى الله فهو ليس بعابد لله ولا موحد له
لان اولئك انما عبدوا الاصنام رجاء ان تشفع لهم ورجاء ان تقربهم الى الله زلفى اخبر انهم لا يعبدون الله
زلفى وانهم ليسوا بموحدين ولا عابدين الله قوله تعالى لكم دينكم ولي دين يحتمل وجهين احدهما لكم جزاء دينكم
الذي دنتم ولي جزاء ديني الذي دنت الله به والثاني على المنابذة والاياس لكم ما اخترتم من الدين لا يعود واحد
منا الى دين الاخر وكان قبل ذلك يطمع كل فريق عود الفريق الاخر الى دينه الذي هم عليه وقوله قل يا ايها
الكافرون ليس على الامر على ما يذكره في سورة الاخلاص والمعوذتين اذ لو كان على الامر فهو يلزم ان يعود
كل واحد منا الجمل كافر في ذلك فاذا لم يلزم دل انه ليس على الامر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قل للذين كفروا
لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين وعنه انه قال من قرأ هذه السورة فقد
اكثر واطيب وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل اذا اوى الى فراشه فاقرأ قل يا ايها الكافرون
فانه براءة من الشرك وقال اهل التاويل يقولون ان سبب نزول هذه السورة ومنابذتهم اياهم انه قال نفر من قريش
قال الرسول الله هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد حتى نكون نحن وانت امرا واحدا فنزلت هذه السورة قال ابو

الدنيا العادة يقول هذا شيء لا عادة ثم الخطاء الذي وقع عليه التكرار هنا لا خرج عند ما ان التكرار جرى مجرى
الاستعمال به في موضع المبالغة والتاكيد كما قصد به من الكلام في ذلك كلام كان فيه كاذا او وعدا او وعيدا كقوله
بخ بخ والويل الويل وهيهات هيهات ونحو ذلك فكذلك في هذا الموضع لما وقع الاياس من ايمانهم باخبار الله بما اعلم النبي من
الوحي انهم لا يؤمنون كرر هذا الكلام تاكيدا للاياس وابلاغا فيه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح قال عامة
اهل التاويل ان قوله اذا جاء نصر الله والفتح هو فتح مكة والنصر الذي نصر رسوله على اهل مكة قال ابو بكر
هذا لا يحتمل لان فتح مكة والنصر الذي نصر رسوله على اهل مكة قال ابو بكر الاصم هذا لا يحتمل لان فتح مكة
كان بعد الهجرة بثمان سنين ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين فلا يحتمل الذي ومعنى اذا جاء نصر الله والفتح
ولكن اراد سائر الفتوح التي فتحها الله او كلام نحو هذا ولكن يحتمل ان يكون قوله اذا جاء نصر الله بمعنى قد جاء
وجائز ذلك في اللغة وفي القرآن كثير واذا كان اذ قد كان على هذا فيستقيم حمله على فتح مكة على ما قال اهل التاويل
او يكون قوله اذا جاء نصر الله او قد جاء نصر الله وان يكون تاكيدا لما ذكر من النصر والفتح الفتوح التي كانت من بعد
حين دخل الناس في دين الله افواجا على ما ذكر قوله تعالى ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ذكر اهل التاويل
انه كان قبل ذلك يدخل واحد واحد حتى اذا كان فتح مكة جعلوا يدخلون في دينه افواجا افواجا قبيلة قبيلة ويحتمل
ما ذكرنا من سائر الفتوح لما فتح له الامور التي ذكر لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب
مسيرة شهر من امامي وشهرا من ورائي ثم في قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
نعي رسول الله من وجوه وقد ذكر في الاخبار انه نعي اليه نفسه بهذه السورة احدها ما ذكرنا من جهة الاستدلال
عرف بذلك دنو اجله انه تم ما امر به ومنع منه من التبليغ والدعاء وانه ظهر في ذلك اطلاعا من الله اطلعه على دنو
اجله فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يترك فيها بعد ذلك والثاني ما كان يتولى القيام بالتبليغ بنفسه
يدخل الناس في الدين جماعة جماعة وكان قبل ذلك يقوم بنفسه عرف بذلك حضور اجله وهو نوع من الادلة
وجعل الدلالة ان القوم لما دخلوا في دين الله فوجا فوجا دل ذلك على ظهور الاسلام وكثرة اهله فكان في الغلبة
والنصر دليل الامن من الزوال عما هم عليه من الدين اذا زال الرسول قوله تعالى فسبح بحمد ربك قال بعض اهل
التاويل صل بامر ربك على اصله ما ذكرنا فيما تقدم ان التسبيح هو التنزيه والتبرئة عن جميع معاني الخلق والوصف
بما يليق بربكانه قال نزهه وبرئه بالثناء عليه ووصفه بالصفات العلى وسمه بالاسماء الحسنى التي تحتمل وتثبت
ويحتمل ان يكون معنى قوله فسبح بحمد ربك اي قل سبحان الله وبحمده على ما جاء في الاخبار ان النبي عليه السلام
كان يكثر في دعائه سبحان الله وبحمده واستغفره واتوب اليه وهذا لان سبحان الله حرف جامع جميع ما
من الثناء عليه والوصف له بالعلو والعظمة والجلال والتبرئة من جميع العيوب والافات ومن جميع معاني
الخلق فجعل لهم هذا الحرف الجامع لمعرفته بعجزهم عن القيام بالوصف بجميع ما يستحق من الثناء عليه وكذلك
حرف الحمد لله هو حرف جامع يجمع شكر جميع ما انعم عليهم فجعل لهم ذلك لما عرف من عجزهم وقلة وسعهم بالقيام
بشكر انعمه [illegible]
[illegible] اللهم صل على محمد [illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى واستغفره انه كان
توابا قال ابو بكر الاصم لعله امر بالاستغفار على انه كان منه تقصير [illegible]
عن ذلك كثير هذا الكلام [illegible] بالاستغفار
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الجرم

الجرم وعصاه ثم تاب ثانيا والثاني التائب الذي يكثر فانه يقبل توبته والثالث تائبا اي رجاعا [illegible]
[illegible] التوبة ثم قال توابا [illegible]
[illegible] استغفروا ربكم انه كان غفارا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] دينكم ولي دين [illegible]
به ودعاهم اليه لذلك خرجت الاجابة والنسبة اليه والله الموفق والمستعان وبالله الوقوف

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت
وخابت كذلك قال ابو عوسجة يقال تب يتب تبا وتبابا [illegible] يدي ابي لهب يحتمل حقيقة اليد
ويحتمل ان يكون ذكر اليد كناية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
احسن البناء الذي [illegible] ولم يصدقه ولم يؤمن به وخشي بعضا ما ادعى من النبوة [illegible] والثاني يحتمل ان
من ابي لهب تخويف لرسول الله بالبطش والاخذ باليد فامن الله تعالى رسوله عن خوفه من جهته والتبديد
ابي لهب ان خسرت يداه ولا يقدر على البطش والثالث يحتمل ان يكون في اليد كناية عن المعونة في نفسه وماله
في دفع العذاب عن نفسه فكذلك كانوا يدعون ويدفعون العذاب عن انفسهم لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين وذكر بعض اهل التاويل انه لما انزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين جمع قبائله الاقرب فالاقرب
منهم وقال لهم لا املك لكم من الله تعالى نفعا في الدنيا والاخرة الا ان تقولوا شهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك يا محمد الهذا دعوتنا فنزل عند ذلك تبت يدا ابي لهب وتب مجازاة
لدعائه فانه لم يكن من فعله في القصة استعمال اليدين فيحتمل انه كان يتبع الناس عن رسول الله ويمنع
الى الايمان بالله تعالى مد يديه على التبعيد عن ذلك وقال الهذا دعوتنا فرد الله عليه ذلك الدعاء به وقد يجوز ان
يظهر في الجواب مقدمة السؤال كما لم يذكر ذلك في السؤال الاترى الى قوله ويسألونك عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النساء في المحيض فعلم بذلك انه السؤال عما كان من قربانهن في المحيض وكذلك الاول وان كان ذكر
اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين احدهما ذكر الكناية عن العمل والفعل الا انه ذكرها باليد لما يقوم ويعمل
ذلك بما قدمت يداك وقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ودل هذا على الكناية عما كان منه من الصنع
وخسرت اعماله وبطلت والثاني يذكرها اليد على الارادة قدام والامام كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه اي امامه وخلفه فيكون معناه خسر ما قدم من الاعمال والله اعلم ثم تخصيص ابي لهب بالذكر من بين
الكفرة يحتمل وجوها احدها لخصه بالاسم لانه كان من الفراعنة والاكابر وهو المقصود به والفراعنة قد يذكرون
باسمائهم لما هم المقصودون به وان كان من دونهم يشاركونهم في ذلك كذكر فرعون وثمود وعاد ونحوهم
والثاني كان شديد الهيبة والخوف فذكره باسمه وخصه به ليعلم ان محمدا لا يهابه ولا يخافه والله اعلم
والثالث انه كان يكثر الاذى والضرر بحق رسول الله فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة لكان يطمع ان يستثنى
منهم من الاذى ان يعد داخلا تحت الخطاب فخصه بالذكر ليعلم انه لا يغني عنه من الله شيء ثم ذكره بالكنية يخرج على
احدها يحتمل ان يكون بالكنية معروفا عند الناس وبها كان يعرف دون اسمه فذكره بالذي كان يعرف به وله
ما ذكر ان اسمه كان عبد العزى فلم يرد ان ينسبه الى غيره وهو العزى فذكره بالكنية لهذا والثالث انه عزيز بالثناء
وخوفهم عما عنده فلو ذكره باسمه فلعله يصرف ذلك الخطاب والوعيد الذي كان له الى غيره لما يشركه غيره في الاسم
اذ كانوا يسمون اولادهم وينسبونهم الى اصنامهم ولم يكن يشركه في كنيته فلا يمكنه التحويل الى غيره
وقيل ذكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له او تصيير النار له كالاب بتعهده كالاب لها وذلك لان هذه الكنى انما يذكر
المتعالم على وجه كما يقال ابو منصور على رجاء ان يولد له ابن يسمى منصورا ثم ان الله تعالى سمى النار في بعض الايات امه

الكافر كقوله فامه هاوية وفي بعضها مولى كحيث قال النار هي مولاكم وبئس المصير فجاز ايضا ان يكون
النار اذا قربت منه وانضمت الى جمرة تحصيبها التمثيل كالولد فيصير هو ابا لها فقال ابو لهب على هذا الوجه
من الكنا قيل وجه اخر وهو ان ذكر الكنية ان كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها
التعظيم فعند ذكر المواعيد العقوبات يراد بها الاستخفاف والاهانة وهو على ما ذكرنا في البشارة انها قد كان
يذكر عنه ما يبشر ويبهج في الاخرة فعند ذكر العقوبة نذارة كقوله فبشرهم بعذاب اليم على خلاف الكنية والله اعلم
وقوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب * هذا يخرج على وجهين احدهما ان لم يغن عنه ماله وقوته وما كسب من عبادة
شيئا على ما يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين على ان اذا اوتي شيء عنه ماله وما كسب ثم قوله
وما كسب يحتمل الولد اي ما اغنى عنه ما جمع وما كسب من الولد على ما ذكر في الخبر روي عن الاسود عن عائشة رضي الله
عنها عن النبي عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسل
اتاه الرجل من ماله العلد وتلا قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور فهو وما وهب الله لنا فهم اموالهم
والله اعلم ويحتمل ما اغنى عنه ما جمع من المال وما كسب من العمل لما انه كان الذي انفق على الطمع الذي فعل له
لم يغنه شيئا اي ما كسب من صد الناس عن رسول الله والدخول في دينه والاتباع له وسوء المعاملة الذي عامل
فيه ويحتمل ان مسعود رضي الله عنه بنت تبا ابي لهب وقد تب ما اغنى عنه ماله وما كسب وقوله تعالى سيصلى
نارا ذات لهب في هذه الاية نهاية في دلالة اثبات رسالة النبي عليه السلام انه اخبر انه سيصلى نارا ذات لهب لانه لا يؤمن
بالكفر ثم كان كما اخبر دل انه علم ذلك بالله في هذه السورة دلالتان احديهما تدل على نبوته احداهما
انه رسول الله انما قرا هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدين وكانت المنعة والقوة للكفرة
وكانوا جميعا اولياء ابي لهب ناصرا له عن اخرهم ولا يحتمل ان يكون محمد عليه السلام يقرا هذه السورة
عليه ويتعرض لسبه وتعييره الى يوم القيمة مع قلة اوليائه وكثرة اعدائه ان دخله خوف هلاك الا من رب العالمين
ومعنى اخر انه عليه السلام كان موصوفا بحسن العشرة وجمال الصحبة ما لا احد من خالطه بالعشرة والاداب
سيما انه كان يستن بها على الفحش في جميع اوقاته فلما جاز له هذا الكلام من الله فدل ذلك على نبوته
وقوله تعالى وامراته حمالة الحطب * يحتمل تخصيص كون امراته بالذكر كما في ابي لهب ثم اختلف في قوله حمالة
قال بعضهم كانت حمالة النميمة والحديث بين الناس فاخبرها الله تعالى بذلك في الاخرة ما ذكر في جيدها
حبل من مسد وهي السلسلة تعذب بها الكفرة اذا اعرى وقال بعضهم كانت حمالة الحطب حقيقة كانت تحمل
الحطب الذي فيه الشوك فتطرح في طريق رسول الله والمسلمين فعيرها الله تعالى بما ذكر من حبل من مسد الذكر
وعنهم من قال انها كانت كذا في الدنيا كانت تحمل الحطب الى منزلها وكان في جيدها حبل من ليف فعيرها
بذلك لانها كانت تعير رسول الله بالفقر والحاجة وذكر انها كانت تمسك في عنقها حبلا من ليف من دون حليها
وذلك مما لا يحلي به النساء وليس هو من اسباب الدنية فاخبر الله تعالى عن سفهها وجهلها ليكون ذلك سببا
لها قتيبة لمحاذاة لما كانت تقول في رسول الله وذلك قالت لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما رمي
الله تعالى عنه اما تعني محمدا انه يعيبه حتى هجاني فقالت حتى هجاني ربك محمد والله اعلم بالصواب

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى قل هو الله احد * ذكر ان اهل مكة سالوا
رسول الله عن نسبه الله تعالى وجل عن صفته وتعالى عن الله هما هو فنزلت معلمة لجميع من سال عنه جوابهم
ولذلك انبت قل ليكون مخاطبة لكل مسؤول عن ذلك ان قل لا على التخصيص للرسول بهذا الامر اذ ليس في طول
بالامر اعادة حرف الامر في الايجاد فتبين بذلك انه ليس على التخصيص للنبي بالتعليم بل هو حق من سئل عن الغني
عن تعليم الاجابة لهذا عند حضرة هذا السؤال لما سبقت منه التحقق الى الله تعالى والعلم بحقيقة ما
ما جرى به السؤال ولما انبت كذلك لعقل ابدا حق المخصوص بالامر وان يا تمر ولا يجعل بذلك مسلوكه
في الوقت الذي يحتمل المامور الامر به والوقت الذي لا يحتمل ثبات ذلك على ما بينا وقد لعل الامر به على امر
تكون في ذلك الاجابة لما سبق عند السؤال وكذلك جميع ما في القران قل فعنه احد امرين اما اجابة عن امر
تسبق عند السؤال فمن الحق تعريف كل مسؤول حق مثله او يكون الله تعالى ادعاهم عليه السلام ومن تبعه
يسال الهما يقتضي في تلك الجواب فان لما به تبقى في اهل التوحيد تعليما وفضلا ثم تجب تحقيق الحرف الذي
عنه وقع السؤال الا ان شهد سمع وتقليد وتحقيق ذلك الى ما ذكر من الانساب وغيرها وفيما ترى تصلح

جواب

[illegible]

من ذلك نعت يكون المعبود الحق هو الله تعالى لما له في كل شيء اثر عبوده ذلك الشيء ودلالة الربوبية له على سبحانه وتعالى
هو المعبود بذاته بمعنى المستحق بذاته العبادة من جميع خلقه والاستسلام له والخضوع بما ذكرت من الوضع في كل آية
ذلك ولا قوة الا بالله وهذا التحقيق ما ذهبنا اليه انه خالق بذاته رحمن رحيم بذاته موصوف به في الازل وان كان
الذي وصل اليه اثر رحمته وغيره ظهر دلالة تدبيره حدث بعدما لم يكن على ما كانت العبادة والاستحقاق كان
بما حدث وفيمن كان بعدما لم يكن وهو الكريم بما لم يزل وعلى ذلك قولنا الشيء الذي هو رب كل شيء
من الاشياء مما سيكون لا انها كانت كائنة وكذلك يوم الدين فعلى ذلك اسم خالق ونحو ذلك يعني هذا الوجه
انكر قوم ان يكون الاله اسم معنوي في الحقيقة اذ الاسم مشتق من لسان اذ هو لم يزل الها ومن معنى العبادة وعنه
الاشتقاق حادث وانما نقل عندنا انه بجميع ما وصف به بذاته اذ لا يحتمل الغير الاستحالة ولا يمتدح
بغير يحدث وانما يمتدح به لذاته لانه استحق من كل ذلك لوقت كون ذلك وعلى ذلك القول بالعالم والقادر
انه كذلك تعالى ان كان الذي علمه من شاء وكل مقدور وعلمه حادث بعدما لم يكن ولا قوة الا بالله وقال الصحابة
انها اسمه الاكبر لانه يبتدا به في كل موضع ثم اختلف في معنى الاشتقاق فمنهم من يقول اصله آله من اله
الرجل الى اخر اذا التجا اليه واستجاره فالاله بمعنى المجاره والمنه فسمي الها على وزن الفعال كما سمي اماما
لما يؤتم به ونحو بادخال الالف واللام ثم لين وحذفت الهمزة كما هو لغة ثم ادغم احدى اللامين في الاخرى
وشدد فصار الله وعلى ذلك تاويل الصمد فصمد اليه في الحوائج ويستغاث به ويلتجا اليه وقيل
ان اشتقاقه من وله يله وله اذا فزع اليه فسمي به لانه المفزع اليه وهو قريب من الاول ولكن جوز ذلك
في اسم ان يكون ولاه فابدل الواو الفا كما يقال [illegible] كان فكذلك اهل الحجاز يجعلون الواو الفا
كما قال الشاعر فاقبكت الها تكلى على عجل * وقيل سمي به لانه اله كل شيء ذلك وعبده وقيل لها عبده
قال القائل * والاله واحدا متفردا * ساد الملوك بعزه ومجدا * وقال اخر سمي به لاستتاره ومنه
يقال لاه يلاه اي احتجب وقال الشاعر * لاه ربي عن الخلائق طرا * خالق الخلق لا يرى ويرانا * وقيل سمي به لتحير
القلوب عن التفكر في عظمته كقولك لاهي السحة الهيبة ومنه معارة مليه يعني يحار العقل عند النظر
الحظمته ومنه اله ياله فهو اله وقال الشاعر * وبها به تاله العين وسطها * مخففة الاعلام [illegible] وقال الاول
عندنا الاقتصار عن هذا لانه الحاجة الى معرفة الاشتقاق والوضع ليعرف محل الامر وموقع الحكم ومن جمع
ما اشتقوا به الاسم يحتمل تسمية الغير بكل ذلك وتحقيق الاضافة الى ذلك وتسمية الها اواضافة ما به
عرف الحقيقة لا يحتمل غيره سبحانه وتعالى ولا يجوز التسمية به ثبت الغني في معرفته عن جميع الوجوه التي اريد

الاستخراج اذ هي طرق يتوصل بها الى العلم بالمقصود والوقوف على المراد وقد عرفت وجوه الذي ذكروا فالعلم
والاصل عندنا في ذلك ان الله تعالى بلطفه منع الخلق عن تسميته احدا الها الا من جهة اخرى لعتريض تسميو به
على معنى حمل الذي حرب التسمية بحقيقة لنفسهم اظنا منهم ان بذلك التوسل في التقرب لا ان يروا الشي في ذلك
حقيقة ذلك بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا تمام ما بها يعلم
انهم عرفوا الله تعالى بما ادعوا لانفسهم في ذلك معاني تدعوهم الى الله تعالى فذكروا مجازا على حذف ذلك من اهل لسان
والناس علم ان اللسان ارسل في ذكر الله في امور يقربهم الى الله لعقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
وقال ان تنصروا الله ينصركم وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وصف مبايعة العبد نصرهم ونصر دينه
نصر الله ومبايعته بما تقرب ذلك اليه فعلى ذلك تسميتهم من عبدوها الا انهم راوها آلهة في الحقيقة او عن
السنة الفلاسفة اذ ليس لله اسم اذ انما سمي هو يذكر كل ذي شرف بمنزلة عنده تعالى في الباذ محل من يعبد
عندهم ما ذكرنا من القول عنهم فسموا بلا ان تحقق كما ذكر الحقيقة في تلك الاسم الى من عرفوا انه اله ردوا
امرهم في ذلك وذلك من لطف الله فيما سخرهم عليه كتسمية الخالق والرحمن انهم لا يسمون احدا بهما وان كثرت
افعاله وعظمت رحمته في الخلق لتعلم انهما اسماء الله تعالى منع الخلق عن التسمي بهما باللطف من حيث لا يعرفون به
ثم قوله قل هو الله احد اي الامر هو الله احد كما تقول انه زيد قائم اي الامر زيد قائم وجاء عن [illegible] الامر
والشان ثم ان قيل ههنا فقول الامر بين ثم [illegible] قيل الحاجة الى هذا ينهب الزجاج كان يذهب الى انهما قالوا
قل هو الله احد فقيل له ما الامر وما الشان فقال الامر الله احد فقيل له ما الامر وما الشان فقال الامر الله احد
اي ليس هو انه كذلك وقوله احد يتوجه الى وجهين واحد انه نفي المثل في الاضافة كما يقال هو واحد
الزمان وواحد الخلق في نفي التشبه له مما اضيف اليه ويكون واحدا من حيث العدد بما من جملة يثبت الحسنا
ولا يتبدا من احد بعض احد من ذا الوجه ابلغ في اقتضاء معنى التوحيد في نفي اشتباه من واحد وان كان بهما
باي حرفين ذكر ففيه ذلك وهو الواحد الذي يستحيل ان يكون وحدانيته من وجه يحتمل تاليا او مزيد تعديد
هو الواحد لانه الحق المتعالي عن معنى الاعداد والانداد وهو على ما ذكر الحكيم في الاحاد انه يرجع واحد وكل
لا يحتمل التضعيف لحالة كونه جاوز الكل وواحد هو الاقل وهو الذي لا يحتمل التنصيف والتجزي لانه
اقل الاعداد واذا تنصف يكون ذلك التنصف اقل منه وواحد هو واسط وهو الذي يحتمل التنصيف والتضعيف
جميعا والرابع هو الذي قام به الاحاد هو ولا هو اخفى من هو على كل [illegible] الحق يرعنه اللسان وانقطع دون البيان
والعجز عنه الاوهام وحارت فيه الافهام فذلك الله رب العالمين والاصل في ذلك انه لا يستكمل الى
العبارة عنه بغير هذا اللسان ولا وجه للتعرف الى الافهام بغير ذلك الا بما يجري بالاعتياد وظهرت في عرف
من المعارف لما ذكرنا من الضرورة وحصل التوحيد في الحقيقة بالادلة والبراهين وضمن التسمية في عبارة
اللسان وحقيقة بما اخبرت من صفة الاخر المنزلة التقرب الى الافهام بالعبارات التي المؤسس على
الاعتياد في اظهار المعاني فعلى ذلك القول بالواحد بلا حد لانه احدية غيره من جهة التوسط او من جهة القلة
او من جهة الكثرة معا كل من هو فيه معنى واحد هو واحد الاحاد المجتمعة الا الواحد الوهمي الذي يجعل جزءا لا يتجزى
وهي من منزلة الجملة متجزي عن توهم ذلك الجزء وعن تجزئة الوهم اذ هو الاقل منه وهو جزء في الحقيقة وانما يتعالى
عن الوصف بالكل والبعض والقليل والكثير والواحد بما يحتمل الابعاض او الكل او رتبه القليل والكثير
جل ثناؤه بل هو الذي له جميع ما وصفت جعل الكل من ذلك معا بلا ما ذكر لتصير كل من ذلك روحا تكون
الوحدانية الحق لم ولا قوة الا بالله العظيم وقوله تعالى الله الصمد فذكر انه احد وذكر انه الصمد في تحقيق وصف
من الاحدية وهو والله اعلم ان احوج جميع من سواه حتى تحقق بقصد جميع من سواه بالحاجات اليه بالكون
في الخلقة وفي الصلاح بعد الكون وفي الذي به الدوام بعد الوجود والوجود بعد العدم ما احتمل الوجود
ولا البقاء الا به احاطت الحاجة بكل لمكونه ليعلم الغني عن الكل في الوجود والبقاء ليتحقق ان الموجود بذاته
والباقي بذاته والمتعالي عن معنى وجود غيره سبحانه وتعالى وهو على ما ذكرنا من عجز الالسن عن البيان عنه بالعبارة
الا على التقرب الى الافهام بالمحسوس لعنوانه ربوبيته في جميع الانام ثم قيل في الصمد بوجوه يرجع جميع ذلك
الى ما بينا احدها السيد الذي قد انتهى سودده ومعنى ذلك في المفهوم من السودد في صرف الحوائج اليه ودفاع
كل الحوائج به والثاني في ان لا جوف له وذلك في وصف الوحدانية والتعالي عن معنى احدية غير من اجتماع
اجزاء يمكن فيها الفرج والنقب فهي كلا لجلجا وعلى ما فسر قوم بالذي هو الذي ذكر على اثره وهو قوله لم يلد
لان كل ذي ولد يكون ذا جوف فعنه يتولد الاولاد ويكون في ذلك الحاجة الى من ينشئ له الولد ونفى الجوف
الحوف فيقول كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة في قوم نزهوه عن الصاحبة وهم لم ينزهوه عن الولادة لانهما

كما لم يشهدوا الولادة بما نزهوه عن الجوف كما في الاول بما نزهوه عن الصاحبة وقيل بما الذي الاجواف من
الحاجات فيرجع الى التاويل الاول انه المصمود اليه بالحوائج وظن قوم انه اذ نفى عنه الجوف يثبت انه مصمت في
ذلك معنى اجتماع اجزاء يتداخل فيتماسك فنفي الجوف هو اجتماع اجزائه بتفرق فاذا تحقق التبرية من احد الوجهين
تحقق التبري عن الوجه الاخر اذ في الوجهين نفي الوحدانية وتحقيق ازدواج الاحاد مما انه ينفي عن اشياء لوجود
لا يحقق لها المقابلة كما ينفي عن الاعراض السمع والبصر والعلم لا على اثبات مقابليها بما علموا ان الاعراض لا يحتمل
الاتصافات فعلى ذلك العلم بوحدانية الله تعالى والتنزيه عن احتمال الازدواج يحقق العدل الذي ذكرت وقد
قيل في الصمد انه الدائم وذلك ايضا يرجع الى ما ذكرنا انه لا يحتمل التغير لا يستحيل العاصما بناء الخلقة وهو المصمود
اليه بالحوائج وقد قال القائل في التاويل الاول الا بكر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
ويقال صمدت الى فلان صمدا قصدت اليه وهذا يوضح معنى الصمد انه يصمد اليه في الحوائج وقيل في ذلك ان الصمد
تاويله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والاصل انه تعالى عظم القول بالولد ما عظم بجعل الشركاء وذلك
ان معنى الاولاد ان يكون بعضهم من بعض وان يكونوا بذلك شركاء وذلك ينفي التوحيد فعلى الاولاد ان يكون بعضهم من
ولد فيكون بذلك شريكا وذلك ينفي التوحيد فعلى ذلك القول بالولد لذلك عظم القول به والزم على من قاله
بالادلة العقول بيانه من الولد لما يتبين الاشتراك من الوجه الذي بينا وقد شهد العالم بكليته بحق الخلقة
على انها منشاة عن الشركاء والاشباه جميعا فيبطل القول بالذي ذكرنا مما كان جميع الخلائق على الاشارة
الى كل منه يحتمل الازدواج وعنه يكون التوالد فتعالى عن ذلك وبعد فان كلا من العالم على الاشارة الى احد
متولد عن غيره او يتولد منه غيره وهما امران راجعان الى ما عليه جوهر العالم وعليه موضوعهم وقد ثبت تعاليه عن
جميع ما يلي غيره اذ كل غني له بجميع معانيه حدث بعد ان لم يكن فجعله تدبير غيره وجرى عليه تقدير سلطان
غيره والله تعالى لو كان يتوهم شيء من ذلك فيه تسقط له الالهية ويتحقق له الحاجة الى غيره ويوجب جري سلطان
غيره عليه وكذلك يوجب غنيا احار حكم هذه كما خفي يسلم الادلة له على حد الموضوع ويصفو له الشهادة على ما
كانت وانطقت بالخلقة وما فيه من الحكمة ولا قوة الا بالله وعلى ذلك ختم السورة بان ليس له احد كفوا لانه مما
يوجب المماثلة ومن المماثلة اشتراك [illegible] وقد ثبت فساد العالم لو توهم الاشتراك في تدبيره وقد لزم التعالي
عن المشاركة للازدواج بما يقوم لمدبره يجري سلطان المقدر بعجائب ان يكون مخرج السورة في تحقيق
نوعين من معرفته بالتخصيص خصال ثلاث تنابا للمتلقين لكل من الحاد يتشبه ذلك الجلال المعبود فسخرهم بذلك
اسمائهم على ذلك حتى يبقى من يجحد ذلك انه يعبد متلقين متوارث ظاهر لا يحتمل مثله الخطأ وحتى تواتر الامور
بما يبطل المعاني تحكمها باسرها انه تبرا تعالى عن ذلك كما في علوم الخلق وكالشيء المطبوع الذي لا يستطاع
جحده الا بما به نقل الطبائع المخلوقة على جهة الرياضة وانواع الحيل عما بالتامل فيها في كل جزء من اجزاء العالم الدلالة
عليه والشهادة له بالالهية وينبئ بالاية انا نكفيه عرفه باحد الوجوه التي ذكرنا نفسه كما لم يقطع بتوهم المثل والولد
فانه لم يرضى ان القول يعني بذلك الخارج عن الوجوه التي ذكرنا وانه يرجع الى من التلقين ليس له حق الطباع ولا حق
التلقين التي له صفة الكافية والكلية في التلقين ولا في حق شهادة الكل بالخلقة بين ذلك بالتامل والتفكر
فيسمع غير ذلك ويرجع في الحقيقة ما جرى بالتقليد ونحوه مما القول به يرجع الى التلقين من ذكر تلبيس لا حجة
لذلك لا ايضا في شيئا مما ذكرت مما في كل ذلك بجميع ما في غير ذلك من شهادة الخلقة والحاجة فيها الى غير من الاخبار
والاعتقاد وهو الاحد بما لا كلل لغيره بل في ذلك الحاجة الالوهية من كل الوجوه الثلاثة وهو الصمد بمعنى المصمود
اليه في الحوائج المالك لقضائها وهو الذي لم يلد ولم يولد وهو المتعالي عن احتمال الاولاد فيه ومنه لما ذكرت من
قبل في الاحدية الثابتة له بما ذكرت من الوجوه وقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد لما في كل احد سواه جميع الوجوه
التي منها يعرض سلطان غيره عليه فانه دليل الحدث اذ انه كل شيء على السواء ولا قوة الا بالله ومنه الاستعانة
ولما ذكرت سميت هذه السورة سورة الاخلاص لما فيها اخلاص التوحيد لله تعالى عز وجل ونفي الاشباه والشركاء
عنه وتخصيصه بالالهية والربوبية وان كل شيء سواه مربوب ومملوك له ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق قال الفقيه
رحمه الله الامر بالتعوذ يحتمل وجوها ثلاثة احدها على التعليم لا النازلة كانت في ذلك الوقت لكن لما علم الله
تعالى من عظيم شر من ذكر بما يلحق بالاغلباد شر ما ذكر يتصل بالذي ذكر في علم الله تعالى فامرهم بالتعوذ به كما اخبر فامر

الشيطان انه مذعور وانه يراهم من حيث لا يرونه ليكونوا ابدا معدين مستيقظين وفزعين الى الله معتصمين به وهذا
احق في التعليم من الذي ذكره في سورة الناس لانه اضر من ذلك العدو ولا يضره انما يتصل به باتيانه ما دعا
اليه الشيطان مما يوسوس في صدره الوسواس وذلك فعله يمكنه الامتناع عنه وهذا الضرر يقع بفعل
من وجه لا يعلم ما تاه اعني شر النفاثات ونحو ذلك فهو احق في تعليم التعاذ منه والامر بالفزع الى الله الذي
بلطفه جعل ذلك الفعل موثرا ذكرنا مموه لا فيه موثرا والثاني ما قيل نزل جبريل على رسول الله ان عفريتا من الجن
يكيد لك فتعوذ باعوذ برب الفلق ورب الناس من شره اذا اويت الى الفراش والثالث قيل ان واحدا من اليهود سحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا قال ابو بكر الاصم ذكر في هذا احاديثا فيه ما لا يجوز فتركته ولكن عندنا
فيما قيل انه سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجهان في اثبات نبوته ورسالته احدهما بما علمه بالوحي انه سحر وذلك
فعل فعلوه سرا منه ولا وقوف لاحد على الغيب الا بالوحي والثاني بما ابطل عمل السحر بتلاوة القرآن فيصير لتلاوته
في ابطال العمل السحر ما العصى موسى وان هذا في كونه آية اعظم مما فعل موسى لان ذلك يوقع ما للفعل والعمل من حيث
الجوهر والطبع والثاني من اي العين عيانا وبيانا انا ملقف ما صنعوا واما ابطال السحر وعمله بتلاوة القرآن لا
يكون الا باللطف من الله والله اعلم ثم الاصل في هذا عندنا انه قد بينا الامر بالتعوذ بقوله قل اعوذ برب الفلق
وقد بين لحوق الاستثناء فيما يتضمن هذا الامر كان على بأن ذوي حاجة وعلى ابتداء التعليم فرجا الفرج
والمخرج من الامور الضارة مما يعتصم فيها بالله بما عنده من اللطائف لحاجته الى التعوذ ضارة باللطف من حيث
لا يعلم البشر ما تاه وفعل الذي يعمل به لا يعلم حقيقة ذلك الفعل الذي جعل الله لذلك العمل الاثر ما يستوي من يقع
ذلك وقد يجوز الامر والنهي باشياء عنها من الافعال المكان ما يعلمونها من المنافع والمضار باللطف من حيث
لا اصل في حقيقة ذلك الخالق وانما ذلك اللطف من الله تعالى نحو ما يوضع من الاشياء قرنها بما بها الاغتذاء والعقل من
غير ان يعلم حقيقة وصوله ذلك اليها بنفسه وكذلك الموضع من الشكم لطلب الولد
وسقي الاشجار والزرع لما يحدث ما هو كمن فيها وان كان لا يعلم المامور به والمنهي عنه وجه العمل وحقيقته معنى الذي
له ذلك العمل وعلى ذلك الامر بالاستماع والنظر لما يلقى اليه ويراه وان لم يكن حقيقة الادراك فعله وعلى ذلك
جائز ان يجعل الله تعالى النفث بالعقد وانواع السحر وانواع الرقى سببا للاعمال المقصودة بها من النفع
والضر لا يعلم حقيقة الوضع والمعنى الموضوع فيه ذلك الفعل هو به مامور وعنه منهي عما له من حقيقة
الفعل وان لم يكن الواقع به في الحقيقة فعله قوله الفلق اختلفوا فيه قال بعضهم الصبح وقيل كل شيء يفلق
من جميع ما خلق نحو الارحام الحب والنوى عن الهوام وكل شيء فرق هب الى تخصيص الصبح فهو لانه
آخر الليل واول النهار وقد جرى تدبير الله في الشاهد بان الوقتين على جميع العالم بحيث لا يملك احد الامتناع عن حكمهما
فيما جعل لهما وهما النهاية في العلم بعلم انه تعالى الغيب ذا جرى من تدبيره في امر الاوقات في الليل والنهار على حد
واحد كل عام بما فيهما من الرحمة للخلق وانواع المحنة ومن جعلهما آية يمر بها شان الخلق ويذهبان فكانما ذكر جميع الخلق
على ما ننكره في تاويل قوله برب الناس فيكون فيه كانه قصده بالذكر ما في الكل بخلقه ذلك وعن الكل ولا قوة
الا بالله قوله تعالى من شر ما خلق له وجهان احدهما من شر خلقه لما اضاف الخلق له كما قال من شر فعل الذي
اي من يفعله ويحتمل من شر يكون من خلقه لكن الاضافة اليه بما هو خالق كل شيء من فعل خلقه ومن خلق ما له الفعل
ولا فعل والاول كانه اقرب لما ذكر في بقية السورة الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم واضيف اليه انا ابينا ولا
كل شر اكتسبه الخلق فذلك منسوب الى الله تعالى خلقا وهو فعل المكتسب كسبه متى كان المراد من قوله من شر
ما خلق هذا النوع فكان ذكر ما بعده يكون تكريرا واذا حمل الاول على محض التخليق فيما لا صنيع للخلق فيه من الامر فيه
كان ذكر ما لهم صنيع فيه وان كان بخلق الله تعالى لا يكون تكريرا فيكون هذا التاويل احق مما هذا بينا انه يمنع
فيفعل ضرره بلطف او مجاز وقيل الاعجاز لا يحتمل التعوذ من شر من لا يقدر على فعل يتصل بالشر لكن في ذلك
اثباتا لتمكين لما يقع به الشر فيحتو التعوذ من الذي منه اذ به يكون على ما بينا من جوانب الامر
لمكان ما يقع بها وان لم يكن الواقع في الحقيقة طرفا في ذلك التعوذ من شر خلقه وهو التمكين والله اعلم وفي هذا
تعلق بعض من يقول بالقوة تسبق الفعل انه لو لم يكن له قوة على الشر كيف كان يتعوذ من شر من لا يقوى عليه
والجواب من وجهين احدهما ان التعوذ يكون لما سيفعل بما يملك هو ما يقع لديه الفعل وهو الآلات السليمة
والقدرة تحدث تباعا على حدوث الافعال وتحدث لما يختار هو فصار القدرة في كونها لما يختار لكون
ما يختار من الفعل بالاختيار بحدوث القدرة حالة الفعل فيتعوذ منه لعلمنا ان الذي فيه كانه فيه وكما
ان فيتحرب العادة بفعل الظلم من خلق وما جرت العادة بالعلم ما يقع في العادة كالعلم بما هو واقع
في الرغبة والرهبة الا ترى انه يتعوذ من ظلم الجبابرة والظلمة لما بينهم من بعد الامكنة وطول المدد لامكان

الوصول

الوصول بما اعتيد منهم بلوغ امثال ذلك وان كانت القدرة على الظلم في حقه الحال معدومة لا يتبع في
مثل هذه المدة فعلى ذلك الامر الاول قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه قيل الغاسق هو الليل
المظلم والغسق الظلمة وقيل سمي الليل غاسقا لان الغاسق البارد قال الله تعالى لا يذوقون فيها بردا
ولا شرابا الا حميما وغساقا فالليل ابرد من النهار لذلك سمي غاسقا واصله في هذا ان الذي ذكر لا يكون
منه ضرر يتعوذ منه لكنه يخرج الى مكان في ظلم الليل او في نور القمر من الذي يأتي منه المضار فامر بالتعوذ
مما يكون فيها لا ان يكون منها وهو كقوله والنهار مبصرا بما يقع فيه الابصار لا ان يقع منه ذلك وهذا والله اعلم
ليس على التخصيص الليل بذلك لانه ليس له فعل الضر لكن قد يعرض به الامكان من الشر لما المعلوم ان من الشرور
ما لا يمكن منها الا في ظلم الليل وبعضها في الليالي لا يمكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ منه عما يتحقق فيه فعلى ذلك
يجوز التعوذ من شر النهار بعلو ما قيل ما يقع به من التمكين من الشرور ويوجد فيه والله اعلم وقوله اذا وقب
اختلفوا في معنى وقب قيل دخل وجاء وقيل ذهب وقيل معناه القمر اذا خسف امر بالاستعاذة من ذلك
اذ هو علم من اعلام الساعة لهذا قال اذا وقب اذ القمر لا يخسف الا في الليل قوله تعالى ومن شر النفاثات في
العقد فهذا تعوذ من شر من يحسب سببه لكنه في الحقيقة فعل له وفي الاول لا يقع فيه بسببه بلا صنع
تكاثر وفي الجملة امر بالتعوذ من كل اسباب يخيف تولد الشر منه فعلا كان ذلك او لم يكن الا ترى الى قوله فلا
يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد يكون الشيطان فعل في الحقيقة ولا يكون للحيوة الدنيا
فوقع النهي عن الاغترار بهما فعلى ذلك التعوذ من شر الامرين وان لم يكن لاحدهما فعل بما يقع فيه وجائز ان يكون
من هذا الوجه فالملائكة محنة في النفع والحفظ لقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله
قيل فيه بامر الله يقع حفظهم فجائز ان يكون في هذه الامور الخفية وانواع المضار من حيث لا يعلم الا بعد
جهد شديد يقع الحفظ بالله تعالى باستعمال الملائكة وعلى ذلك يجوز ان يكون امر سلامة المطاعم والمشارب
والمنافع التي للبشر عن افساد الجن بحفظ من ذكر فيكون نفعها بحفظ الملائكة على ما كان مكان وسواس الشيطان
ايقاظ الملائكة ومعونتهم ويحتمل ان يكون الله تعالى لم يمكنهم افسادها وان مكنهم الوسواس والله باللطف
يمنع من حيث لا نعلم وقيل ايضا من امر الله عذابه وانواع البلايا الى وقت ارادة الله الوقوع والله اعلم قوله تعالى
ومن شر حاسد اذا حسد يخرج على وجهين احدهما اذا كان الحاسد دون المحسود لا يقوى على الشر يفعل به
فالشر المتوهم منه يكون من شر عينه وعمل الحسد ارادة زوال نعم المحسود وذهابها في قلبه وانما يريد ان يكون الله تعالى
باللطف يجعل في بعض الاعين عملا يتأدى بالنظر الى ما يستحسنه من النعم الى الزوال ويريد ذهاب
النعمة له عنه فامر بالتعوذ لهذا وقد بينا كون المتولدات عن الافعال بما جعل الله تعالى باللطف فيها من المضار
والمنافع ما لا يبلغه علوم الخلق بل لو اراد الخلق ان يعرفوا ما في البصر من الحكمة التي بذلك ينفتح البصر ما بين السماء
والارض من غير كسو مهلة لم يقدروا عليه وروي عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لا رقية الا من عين او حمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما العين حق فان كان شيء يسبق القدر لسبقته العين
وعن بعض آخر انه قال لا تبال في الحمام فالعين حق ويدل عليه في قصة اخوة يوسف قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة وقد فسر وجه عمل العين وكيفيته لكن ذلك امر كعمل الشمس في العين نفسها فيما ان الشمس
فينظر اليها فانها تضره وتغلبه عن النظر على بعدها من العين بما جعل الله تعالى في ذلك من اللطف والحكمة
فعلى ذلك عمل العين في العيون والله اعلم والثاني ان يكون بما حسد ان يبعث حسده على البخل وانواع ما به
الفتن من السعي في الامور التي بها الفساد على ضعفه في نفسه قال الله تبارك وتعالى في صفة المنافقين
يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فيما بين من ضلالهم وضعفهم امر بالحذر عنهم وقال ان كيد
الشيطان كان ضعيفا ثم امر بالتعوذ من شره فكذلك الحاسد والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس فظاهر
امر لرسول الله شيئا باليه وهو التعوذ وحق الاجابة في مثله ان يقول اعوذ لا ان يقول قل اعوذ لكنه
والله اعلم يخرج على وجهين احدهما ان يكون ذلك انزل للحق ان يصير ذلك امرا لكل من بلغه وتعليما بالكلمة
من الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الذي ذكره ليعيذه ويكون الافادة بوجهين احدهما في تذكير ما فيه
من الحجة في دفع ما يخطر بباله من المكروه والثاني ما باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا تدركه عقولهم بما له ذلك

يقع الامن من الربح ما حقر الافضال والذي ذلك حقه فلله تعالى ان يكرم بالعبد مبتدا وله ان يقدم
فيه محنة السؤال والاعتصام به على الاكرام ايضا ويلزم على من عصمه به من الزلة او هدى الى حسنة
الشكر لله تعالى فيما ابتداه او اكرمه عند السؤال والوجه الثاني من وجهي الخطاب ان يكون الخطاب وان
كان راجعا الى المشار اليه هو مما يشترك في معناه غيره وابقى واثبت ما به يصير مخاطبا من بلغ ذلك وهو
قوله قل حتى تدوم الى اخر الدهر على هذا جميع ما فيه من حرفي الكلفة والمحنة اعني صيغة الامر والله الموفق
ثم في قوله قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة وجهان من الحكمة فيهما نقض قول اهل الاعتزال احدهما
ان المحنة قد ثبتت بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له فاما ان كان الله تعالى عز وجل اعطاه جميع ما يقع
به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيد ولا يعطيه بجميع ذلك بل نفع عنده شيء منه فان كان قد اعطاه فهو بطلب
ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله كان لما اعطاه طالبا لما ليس عند الله فيكون الامر بالتعوذ محنة وامر به كما
ذلك بعد الذي استوفاه يكون انكارا من الخشاه او نعمه آتاه يكون كتمانه كفرانا للنعمة اذ الكفر حقيقته ستر
نعم الله وقد تبين من الامر بالخشاه والمنكر وبين ان ذلك عمل الشيطان ثم في المحنة بهذا محنة بالاستهزاء بالله
لانه يطلب منه ما يعلم انه لا يملكه ولا يجد عنده نفسه وذلك من عمل المرء عند ذوي العقول لتنقص انا لله
يمتحن عباده ويامرهم بسبب ما ذكرنا هو جاهل بالله وبحكمته فان لم يكن اعطى الى اعطاه وعين بعد ذلك ثم
كان من مذهبهم انه ليس لله تعالى ان يمتحنهم بفعل الا بعد ايتاء جميع ما عنده مما به قوامه ووجوده ففي ذلك
اعتراف بلزوم المحنة وتعجيل التكليف قبل ايتاء جميع ما عنده مما الوصول الى ما امر به وذلك ترك مذهبهم معنى
كان عندهم انه لو كان عند الله من معنى لا يقع فعل المختار لاجله امر لا يستطيع ذلك لم يكن له ان يمتحنه وهو امتحان
جائز فاما ان سالوه نعمل عدم به وان لم يكن اعطاه ذلك عندهم ما صنع الله بمثل ذلك او يفعل بتلو وقت
الامر ذلك فيكون اعطاه ذلك في وقت الامر فكانه ظن ان يامره ولا يعطي خشية ان ذلك حرج الجود ثم الاصل
الذي اطمأن به قلوب الذين يعرفون الله انه متى هداه الهداية التي بها الاعتصام العصمة التي بها طلبا ووفق
لما يرجوه من الفضل والاعانة عندما يخافه انه كان ذلك لا محالة وتحقق بلا شبهة ويامن لديه من الريب والضلال
وعلى ذلك جبلوا مما لا يجد عنه معنى له الا وقد اطمأن قلبه به حتى يعلم انه امنه ووقع المجبول عليه ولا قوة الا بالله

وقوله تعالى: برب الناس ملك الناس اله الناس ولم يقل اعوذ برب الخلق وهذا اعم من الاول واضافة
كلية الاشياء اليه او اضافته الى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله لما كان اعم فهو ترتيب للتعظيم فهذا
والله اعلم يخرج على وجهين احدهما اراد التعريف وبهذا يقع الكفاية فمعرفة من يفزع اليه مما يملك ذلك ليتعوذ منه
لكنه ذكر برب الفلق في موضع وبالله في موضع وبالملك في موضع كقوله وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وقوله فاستعذ بالله ليعلم به من سعة الامر وتحقيق الفزع والرجوع الى الله عند نزول ما نزل
بالمرء مما يخاف على نفسه ويشغل قلبه ان لو ذكر ما يخص من اسماء الله تعالى لاي اسم كان فهو اسم الا
ويعد لا له مالي نعمه وسلطانه وقدرته وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك اليه واخلاص الحكمة
له باضافة النعم فيكون ذلك من بعض ما به التشفع الى الله تعالى من ذكر عنده واحسانه وارفع ذلك ذكر الناس
بالاضافة اليه والثاني ان الذين عرفهم الارباب والملوك والعباد اعلى دون الله هم الانس دون غيرهم
فامر اهل الكرامة بمعرفة الله والعصمة عن عباده غيره والاعتراف بالملك والربوبية له ان يفزع الى الله عما ذكر
ذاكرين لذلك واصفين بانه الرب لهم والملك عليهم والمستحق للعبادة لا غيره او لما كان للوجوه التي ذكرنا
ضل القوم من اتخاذهم اربابا دون الله اولياء ولهم على راي ما او كهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض او
عباد تهم غير الله وفزعهم اليه فامر الله اهل الكرامة بما ذكر من الفزع الى الذي يذكر بهذه الاوصاف على الحقيقة على
نحو فزع الضال الى اربابهم وملوكهم والذين عبدوهم دونه اذ اليه مفزع الكفرة ايضا عند الانس عما يحدث
دون ان السلطين فيهم ومعونتهم وكان الناس المقصود من خلق هذا العالم هم الذين منهم من له هدى السورة
وغيرهم كالمجعول المسخر لهم قال الله تعالى جل وعلا هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه الاية وقال الذي جعل لكم الارض فراشا الاية فاذا قيل برب الناس ملك الناس اله
الناس فكانه قيل برب كل شيء لان ما سواهم جعل لهم وذكر الخلق والتوجيه اليه في الاستعاذة والاستعانة
هو اعتراف بان لا يملك غيره ذلك فاستوى الامران والله اعلم وقيل في قوله برب الناس مصلح الناس وذلك
يرجع الى ان صلاحهم في الدين وفي النفس وقيل ملك الناس على الاخبار بان الملك والملك له فهم جميعا في
الخلق جهة الملك عام لم يذكر فيه جهة الملك عني ان ذلك كله في التحقيق لله تعالى وملكه ولغيره تكون من جهته
على ما اعطى بقدر ما احتاجوا اليه وقيل سيدهم لكن لفظة السيد لا يذكر الا لغير الناس ويوصف بالرب والملك

والملك

والمالك على الاضافة لا مطلقا فيقال رب الدار ومالك الجارية وملك مصر ونحو ذلك فكانه لو رب
وقوله تعالى: من شر الوسواس الخناس فسمي الذي يوسوس بانه وسواس وخناس وقيل في تاويله من
وجهين احدهما انه يوسوس لذي الغفلة ويخنس عند ذكر الله فيحجم ويذهب وقيل يخنس لا يرى و
لا يظهر كقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولهذا قيل في الجواري الخنس انهن يطلعن من مطالعهن
ويخنسن بالنهار لمختفين وجائز ان يكون قوله الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس صفة
الموسوس في صدور من الجنة والناس وقيل ايضا على التقديم والتاخير ومعناه قل اعوذ برب الناس
من الجنة والناس من الذي يوسوس في صدور الناس اما الوسوسة من الانسان فهي امر معروف وذلك
بما يلقي من الكلمات التي تشغل القلب وتحير فامر الذي بما لا يعرف الذي يلقى اليه المخرج من ذلك وعلى ذلك
امر بعض اهل الاهواء واصناف الكفرة كقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا وقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واما شياطين الجن فهو امر ظاهر
عند جميع اهل الاديان ومن امن بالرسل لكن التهرية ومنكري الرسل يقولون ليس من الجن شياطين وانما هو
امر يخوف به مدعوا الرسالة ليلزموا الخلق الاستماع اليهم في تعرف الجهل وما عندهم في دعواهم من العلوم
والمعارف فهذا لسفههم قالوا ولو انهم تاملوا في ذلك ليعرفوا انهم على غير بحث عما الزمهم وهو الفعل
الطلب ودعيهم الى البحث عنه ما يستمع من الحاجة وهي الخواطر التي تقع في القلوب والخيالات التي تعرض
في الصدور منها ما اذا صورت وجدت قبيحا ومنها ما اذا صورت وجدت حسنا ثم لا يجوز وقوع امر وكون
شيء بعينه ان لم يكن من قبل نفسه للاحالة فان يصير لا شيء بنفسه شيئا قبيحا او حسنا بلا مدبر وقد
علم جميع الانسان بالذي ذكرت من الابتلاء به مما يعلم انه لم يكن من نفسه معنى يحدث له ذلك فيثبت ان ذلك
الصورة يلزمه البحث عن ذلك ثم لا يعلم لها من حيث طلب الاسباب الموجبة لها ولا في العقول ايضا ذكا
يجب بها امران منعاهم عن العلم بها القنوع بالجهل وحب الراحة احدهما القول بالصانع ودخول العالم
يجب له بين حكيم عليم مدبر والاخبار المؤيد بالرسالة تاتيهم من عند علام الغيوب اذ ذلك يجب
لا يبلغهم علم البشر فيعرف حقيقة ذلك فيعلم عند النظر والبحث امرين عظيمين احدهما الرسل بما معهم
من المعجزات فيقولون بهم وبالتوحيد بما رأوا من الايات الصدق اذ قد علموا ان في الاخبار صدقا
ولولا ذلك لكانوا لا يعرفون شيئا اذ هو خفي والثاني يلزمهم بما يعاينون من خروج الامر عن غير الحكماء انما
يقع متفاوتة مضطربة والما لو المخرج متسقا على الحكمة والمصلحة فعلموا انه كان بمدبر حكيم يعلم ما به المصالح
فيلزمهم به اقرار ايضا التوحيد والرسالة ولا قوة الا بالله والاصل عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا
من الوسوسة ان الشيطان والملك خلقان لله تعالى عرفناهما بالرسل ومما بينا من ضرورة الحاجة الى العلم
بتصيير بالامانة عند التصوير قبيحا او حسنا فبان جميعا بما امكنهما الله تعالى من الامر جميعا امر
الملائكة بالخير والحكمة فيسهل عليه سبيله بتيسير الله تعالى وفضله وامر الشيطان بالضلال والشر
فيتيسر عليه ما صار الحين الاول كالطبع والشر الثاني كذلك فاذا كان كل واحد منهما ممكنا من الامرين
قال الله تعالى عز وجل فاما من اعطى واتقى وصدق الى قوله للعسرى وقال فمن يرد الله ان يهديه الى قوله كانما
يصعد في السماء ثم الاصل في الانس انهم امتحنوا بحقوق بينهم وبين الله وبحقوق فيما بينهم وكلفوا
ان يعتبروا بتبيين الملائكة اياهم بقوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وبردهم ليتوب
اليهم الشيطان بقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وغير ذلك وعلى ذلك خلق الملائكة الحفظة
بالكتابة على البشر لقوله كراما كاتبين فيكون فيكون الحكمة في تكليف المحنة بما وصف من محنة انهم بالهم عليهم
في انفسهم وفيما مكنوا من غيرهم على ما ذكرت من امر الانس وحكمة ذلك الانس ان امر التيقظ والنظر فيما يقع في قلبه
من الخواطر ليعلم الذي له من الذي عليه وكذلك في تكليف الملائكة الكتابة قوله وفعله ليكون متيقظا ومتنبها
في كل افعاله واحواله ليتيقظ فيما كان للاولياء والاعداء من الكاتبين الظاهرين عليه انه يحذر كل الحذر
عما يؤذي عليه ويقبل على كل امر فيه نفع مما امله ويحذر عدوه اشد الحذر لئلا يؤذيه من حيث لا يعلم فيتهمه
كل تهمة ثم معلوم ان لا يملي الكتبة الا بعد احكامه واصلاحه غاية ما يحتمل الوسع فعلى ذلك فيما خفي ادهم
في العقول في ذلك ما سبهم وما عليهم كالذين ذكر بهم ممن ظهر عليه الابصار وهم ولذلك صلحت المحنة والامر
في صحبة الاولياء والاعداء الحق الولاية والعداوة فيما لا يرى في صلاحها وفيما يرون اذ من جهته التي فيها الولاية
والعداوة مرتبة لا بها الا بالقلوب والعقول فيمكن الحذر في المعاملة جميعا وعلى هذا التقدير لم يمكن الله
تعالى اعداءه الذين لا يرون من معاداتهم بافعال الخفي ابدانهم واموالهم بالسلب والتحيين الا افساد وقد مكن

من الانس ذلك ليمكنهم الدفع عن ذلك والحذر عنهم بما وقع الوقوف لبعض على حيل بعض والصرف عن
ذلك وما هذا الا كذلك الحواس باضالها واسبابها بالحس وكذلك امر الملائكة ولكن من لا يحتمل عقله
معرفة الصانع والتوحيد مع شهادة العقل وكل شيء يحمله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر والله اعلم
ثم اختلف في وجه تمكن الشيطان من الانس فيما يوسوس اليه فقد روي في بعض الاخبار انه يجري
فيه مجرى الدم فانكر ذلك قوم وليس ذلك بما ينكر بعدما نعلم باحتمال مجرى الدم فيه وجرى قوة الطعام و
الشراب وما به حيوة الابدان والحواس مما لطف مجراه في جميع العروق والاعصاب فكل ذلك بلطافة فذلك
فعلى ذلك الشيطان وعلى ما روي في امر الملك مما يكتب ما لا يعلم موضع تعوده ولا يسمع صرير قلمه ولا
ما يكتب علينا من ذلك فعلى ذلك الامر الذي ذكرت ثم قد بينا القول بامر الله تعالى نبيه ان يتعوذ به عن همزه
ونزغه وحضوره بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وقوله وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الذين ياكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الاية فثبت ان امره [illegible] على ما ثبت القول
فله موضع يكون لوقت ما له من الوحي والمس والنزغ امر لا يحتاج اليه يعني لان الله تعالى اخبرنا ان الامر
بقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولكن الذي جعلنا اليه المحنة الى ان انظر الذي يقع لنا انا
في الصدق وقد مكننا بحمد الله ومنه لندرك منه ما علينا التيقظ لما يقع في الصدور ومن اعماله
ووساوسه لندفع بما امكننا الله تعالى من الاسباب فعرفنا من الحجج نقض الباطل والتمسك بالحق كقوله
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا او رجعوا الى الله تعالى بالتعوذ في طلب اللطف الذي
جعله للدفاع كقول يوسف والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين على العلم فيه بظهور
الاسباب المجعولة لدفع كيدهن وكذلك قول الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
الاية لكن من الناس من يقول هو يعلم النفس فيما تهوى ويزين لها ذلك والعقل فيما يدعو فيمنعه عن ذلك
ومنهم من يقول لا لكن في ذلك آثار من الظلمة والنور والطيب والخبيث فيعرف بالآثار وفيها موقع وسوسة
حتى يصل الى الفعل وقد يكون عمل الهوى والعقل جميعا في الجسد وخارج منه وبمخاصمة آثارا لا اهمال
ومنهم من يقول ليس له بشيء من ذلك علم لكن بحيل ما يرجو عمل النفس اذ في التمويه والتلبيس كالاعمى فيما
ويطلب المضار من المنافع ونحو ذلك لكن ذا كله طريق عمل الشيطان بطريق امكانه وحيله وذلك الامر لنوم
بمعرفته وانما علينا مجاهدته في منع ذلك بالبسط او بدفعه بما يتذكر هكذا ذكرت في الآثار او بالفزع الى الله في
دفعه ومنعه ونخص بما عنده من الطائف لديه ما يقع الامن الزيغ والظفر بالرشد وقد قال كثير منهم
انه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس وذلك ممكن لما قد يكون في كل جنس ضلال وغواة و
اخيار وابرار فاما حق تأويل السورة على ما وصفنا في ذكر وسواس الجن والانس والله اعلم ثم القول في المعوذتين
انهما من القران او ليستا من القران قال الفقيه رحمه الله لنا في امرهما انهما انتهتا بما انتهت الى اهل هذا العصر
معرفة القران في الجمع بين الوجهين بتوارث الامة وليس لنا من يعرف بالمحنة والسبر ما به نعلم انهما معجزتان
او لا وانما حق ذلك الاخذ عن اهل ذلك والشهادة له بعد ما لثباتا انه من القران وانه معجز حق الشافية الاجماع
وقد اتضح بما به جرى التعارف في جميع الشرائع التي بها نشهد انها عن الله تعالى وانها حق فعلى ذلك هذا
لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لم يكتبهما في مصحفه وذلك عندنا يخرج على وجهين احدهما انه لم يكن
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما انهما من القران او لم يكن ايضا رأى على نفسه السؤال
عن ذلك حقا واجبا لان القران ما جاء به الرسول فيما يلزم علم الشهادة والعمل به واجداد المقصود من كل ذلك
القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسمية ولم يكن الصحابة يمتحنون انفسهم بالسبر والبحث في الوجوه التي بها
يعرفون المعجز من غيره ذلك انه قران او غيره وانما ذلك لتعمل المرتابين الشاكين في خبر الرسول ليعرفوا انه
مبعوث مرسل فاما من تقرر عنده واطمأن به قلبه وزال عنه الحرج فيما اتاهم فقد كفوا عن ذلك فكذلك
يجوز ان ترك البحث عن ذلك لما ذكرت لا ان عنده انهما ليستا من القران وفي خبر عقبة الجهني رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه نزل اليوم آيات لم ير مثلهن قط قيل ما هي يا رسول الله قال
المعوذتان دل انهما من القران ويؤيد ايضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه
انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قل فقولوا فنحن نقول لم يشهد في ذلك بانهما منه ولا ليستا منه لكن
رسول الله اخبره بما فعل ذلك الامر عبد الله بن مسعود ويؤيد ذلك ايضا امر استعاذة القران انها استفتاح
على القراءة وحقها ان السورتين لو كانتا مستبقين اذ يكون في افتتاح المصحف كالاستعاذة للقران فهذا

ايضا بعض الذي يمنع العلم بحقيقة ذلك عنه وقد بينا جواز وجه الاشكال مما كان الانزال بالحاجة العباد
وعلى ذلك جرى العمل بها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فهو لا يضر الجهل بالوجه الذي ذكرت
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال لو علمت ان احدا اعلم بالقران مني وحملتني مطية لاتيته وقد روي
عمن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض على جبريل عليه السلام كل
عام مرة الا في العام الذي قبض عرض عليه مرتين وقد شهدهما جميعا عبد الله فلعله لم يعرض بما شاء انساه اذا
كان كذلك لم يكن هو ممن يسأل في هذا الباب غيره ليثبت عنده السماع بانهما انبتتا في المصحف فهي قوله
بحيث لا يعرف حقيقته ووجه آخر احتمل ان يكون رآهما منه لكن لم يكتب لوجهين احدهما لما لم يكن موضع
الكتاب والتدبير على ما ذكرنا ان يكون منذ اول المصاحف فكره ان يكتب بتدبيره وتخيله موضعا الكتابة
فلم يكتب لذلك والثاني انه يكتب ليحفظ ولا ينسى وقد امن عليهما النسيان لانهما بحيث يجب تلاوتهما في
اوائل النهار ومبادي الليل وعند النوازل يقع يتعوذ بهما عن كل شر وكيد على نحو الاستعاذة وانواع
التعوذات المدعو بها امن خفاءهما لم يكتب وكذلك لو توهم ذلك في الكل وعلى ذلك الترك كتابة فاتحة
القران والله تعالى اعلم بالصواب

تم هذا الكتاب الجليل المعلم الذي
لم تر له العيون مثله لما حواه من العلوم الغزار جميعه
مؤلفاه رحمهما الله تعالى علوما كثيرة منها علم النحو والتصريف وعلم
اللغة الشهيرة وعلم المعاني والبديع والبيان وغير ذلك من العلوم الحسان
وذكر فيه قواعد الكلية وضوابط النحوية ومسائل الفقهية ومناقشات الجلية ولم يذكر ما لم يختار
من جميع العلوم المرضية فرحمهما الله وطيب ثراهما وجعل الجنة مثواهما ومصنفا هذا الكتاب
الشيخان الامامان العالمان الزاهدان اما الاول مؤلف علم الحديث فابو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي
رضي الله عنه واما المؤلف الثاني فهو الشيخ الامام الزاهد العلامة علاء الدين العالم شمس النظر رئيس اهل السنة والجماعة
المحقق ابو بكر بن محمد بن احمد السمرقندي وقد سمي كتابهما هذا الشرح التأويلات والحمد لله يوالي نعمه ويكافي
مزيده وقد وقع الابتداء في آخر رجب المرجب في يوم ليلة المعراج ذي الحجة من شهور سنة تسع وتسعين ومائتين والف
وكذا الاختتام في يوم ليلة المعراج من سنة ثمانين ومائتين والف من هجرة من هو بعيد الله على يد اضعف
عباد الملة الاحمدية الحاج احمد من خدام السادات النقشبندية افاض الله علينا من بركاتهم وجعلنا
في المحشر والمنشر في زمرتهم وذلك البلد والحكم الى يوم يحصل بين كنف الامن والامان
مع الاسلام لانام ماحي البغي والفساد والطغيان سيد سلاطين الآفاق وارث السلطنة باستحقاق
مالك العلماء بالعدل والاحسان خلاصة دودمان آل عثمان وهو السلطان ابن السلطان السلطان
مصطفى خان لا زال الصدر ملاذا لاهل الايمان ايد الله دولته
الى انقراض الدوران وما تعاقب الملوان آمين
[illegible]